السنة الحادية عشر
يناير ١٩٧٥

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

● اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم

● التفسير الفلسطينى لتاريخ ومستقبل البترول العربى

■ الامام الصدر
المطران حداد
المطران خضر
يتحدثون عن : الدين ■ الانسان ■ المجتمع

● قراءة فى الصفحات الأولى لأخبار اليوم

● الاتحاد السوفيتى : مصريا وعربيا

■ رسالة الى « الطليعة »
من احمد حسين

● شهادى عطية :
حياة وموت مناضل

لويس عوض :
٦٠ عاما فى خدمة الثقافة

ملحق
الأدب
والفن

« فهرس الطليعة »
لعام ١٩٧٤

الطليعة
طريق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية

تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مدير التحرير :

ابو سيف يوسف

سكرتير التحرير :

مصطفى سامى

المحررون :

حسين شعلان
خيرى عزيز
د. رفعت السعيد
عبدالمنعم الغزالى
فاروق عبدالقادر
وديع امين

د. محمد الخفيف
شارك فى تاسيس الطليعة واسرة تحريرها
يناير ١٩٦٥ ـ مارس ١٩٧٢

الفهرس

العدد الاول ـ السنة الحادية عشرة ـ يناير ١٩٧٥

■ التفسير الفلسطينى لتاريخ ومستقبل البترول العربى « الافتتاحية » — لطفى الخولى ٥

■ اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم ١٤

■ الرأى .. والرأى الاخر : ٢٨

— رسالة الى « الطليعة » — احمد حسين ٣٩
— الاستجواب واهميته فى تحريك المسئولية الوزارية — د. محمود القاضى . . ٤٢
— اما ماركس .. واما الله والوطن — د. احمد بدران . . . ٤٤
— حول مغالطات .. اكثر سذاجة — فيليب جلاب ٤٦
— المسلم .. من سلم الناس منه — فاروق منصور ٥٠
— الامام الصدر ـ المطران حداد ـ المطران خضر .. يتحدثون عن : الدين .. الانسان .. المجتمع — د. مراد وهبة . . . ٥٣
— قراءة فى الصفحات الاولى لاخبار اليوم ٦٠
— بيان وزير الثقافة .. ورد اسرة تحرير الكاتب

■ شهدى عطية : حياة وموت مناضل ٨٢

■ الاتحاد السوفيتى : مصريا وعربيا

[خالد محيى الدين ـ د. رفعت السعيد ـ فؤاد المرسى خاطر ـ خيرى عزيز] ١١٤

● مفاتيح عصرية للمظلمات الصهيونية ١٣٣
● من اجل التسوية ومستقبل فلسطين — عادل حسين ١٣٥
● يوغوسلافيا : معالم على الطريق — ابو سيف يوسف . . . ١٣٩

■ تقارير الشهر ١٤٧

■ وثائق : اليسار المصرى وقضية فلسطين ١٦٠

■ ملحق الادب والفن ١٦٣

□□

عنوان المراسلات : مبنى مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة ـ تليفون : ٤٦٤٦٤ ـ ٥٩٠١٠ ـ ٥٩٥٦٠
الاشتراكات : لسنة بالبريد العادى ج.م.ع ـ دول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا

كلمة من « الطليعة »

مع هذا العدد ، تودع « الطليعة » عشر سنوات من حياتها ، وتحتفل ببدء عام جديد ، تعتقد بأهميته البالغة .

فعلى المستوى المحلى والعربى . تطرح القضية الوطنية نفسها بشكل لا يحتمل التأجيل ، وتبرز قضية التنمية واتجاهاتها بصورة ملحة . وعلى المستوى العربى تتضح استقطابات وتتوافر أكثر من ذى قبل ظروف موضوعية تدفع الى مزيد من التقارب والتضامن والتكامل الاقتصادى . وعلى المستوى العالمى ، تثير قضية مصير الانفراج الدولى اهتمام الراى العام العالمى . فالعالم الاشتراكى قد حسم موقفه بان لا رجوع عن سياسة الانفراج الدولى . والعالم الرأسمالى يعانى مشكلات حادة بلا فكاك . وتعمل بعض القوى فيه على العودة الى الحرب الباردة ، بينما تتربص قوى أخرى فى بعض مواقع أوروبا لدفع الامور نحو فاشية جديدة .

حسم هذه القضايا جميعا ، هو شاغل عام ١٩٧٥

ومثلما تحملت « الطليعة » مسئوليتها فى السنوات العشر السابقة ، فانها تعد بمعالجة قضايا ١٩٧٥ بنفس تحملها للمسئولية الوطنية والاجتماعية

على ان « الطليعة » وهى تحتفل بعيدها العاشر ، فانها تذكر بامتنان وحب ، زملاء شاركوا فى تأسيسها وتفتقد جهودهم اليوم . فقد اختطف الموت الزميل الدكتور محمد الخفيف فى عام ١٩٧٢ ، ويعمل الان الزملاء الدكتور عبد الرازق حسن خبيرا اقتصاديا لدى الامم المتحدة فى اليمن الديمقراطية ، ويعمل الدكتور ابراهيم سعد الدين خبيرا فى التخطيط لدى الامم المتحدة فى الكويت ، ويعمل الاستاذ مشيل كامل بمركز الدراسات الفلسطينية فى بيروت .. و « الطليعة » تنتظر انتهاء مدة عملهم ليعودوا الى الوطن واليها .. بكل الحب .

عزيزى القارىء ..

كل عام وانت ــ معنا ــ طيب .

وكل عام ومصر ــ معنا ــ طيبة .. حرة ومستقلة وديمقراطية ومتقدمة .

« أسرة تحرير الطليعة »

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

وفى هذا المفهوم نفتح [الطليعة] صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها ــ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد اختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك] ..

ــ مقالات « الراى . والراى الاخر » احتلت هذا العدد حوالى ثلث المجلة ، وقد بدات برسالة الى الطليعة من احمد حسين ــ الزعيم السابق لحزب مصر الفداء ــ ثم مقال المهندس محمود القاضى عضو مجلس الشعب عن « الاستجواب ومسئوليته فى تحريك المسئولية الوزارية » ثم تكملة الحوار حول « الماركسية والاضطراد والاتحاد » بين د. احمد بدران وفيليب جلاب وفاروق منصور ، ثم يقدم د. مراد وهبة حواره مع الامام الصدر والمطران صراد والمطران خضر حول الدرجة والانسان والمجتمع حيث التقى بهم اثناء زيارته لبيروت فى الشهر الماضى ، ويختم الراى الاخر بتقديم بعض مقالات الاعداد الاولى من « اخبار اليوم » منذ عشرين سنة مساهمة من « الطليعة » فى الاحتفال بعيدها العشرين .

« من صفحة ٣٨ الى صفحة ٨١ »

شهدى عطية

ــ من قصة حياة واستشهاد المناضل شهدى عطية الشافعى ، نشر « الطليعة » ملفا كاملا قدمه عبد المنعم الغزالى الذى شهد جريمة قتله فى ايمان أبى زعبل ويشمل الملف نص الرسالة التى ارسلها شهدى ــ قبل شهور من اغتياله ــ من داخل السجون الى الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٥٩ ، ورسالة زوجته الى رئيس المحكمة بعد موته ، وثلاث مقالات كتبها عام ١٩٤٧ ، ونص حكم القضاء ..

« من صفحة ٨٢ الى صفحة ١٠٧ »

ــ تحت عنوان « الاتحاد السوفيتى / مصريا وعربيا » نقدم دراسة عن اهداف الاستراتيجية السوفيتية فى الشرق الاوسط ، وتجاه البلاد العربية بشكل خاص .

« من صفحة ١١٤ الى صفحة ١٣٤ »

التفسير الفلسطيني .. لتاريخ ومستقبل البترول العربي

مع انسحاب عام ١٩٧٤ من دائرة الحاضر الحي الى رحاب الماضي ، تنهى الثورة الفلسطينية المعاصرة العام العاشر من عمرها الزمني ، الذى مابرح ممتدا بمستوياته الافقية والعمودية • وهو حدث تاريخي مستمر التأثير • صاحبة ـ ومايزال ـ تغيير جذرى فى شكل ومضمون المواجهة العربية للامبريالية والصهيونية والتخلف والتفكك الاقليمى •

ومع اطلالة عام ١٩٧٥ ، يتأكد أكثر فأكثر ، ان تاريخ ومستقبل حركة التحرر العربية ، يدوران من حول محور ذى وجهين مترابطين : فلسطين والبترول •

وهذا المقال هو مجرد مدخل أو محاولة أولية لوضع « تفسير فلسطينى » لتاريخ ومستقبل البترول العربى فى المنطقة •

التفسير الفلسطيني لتاريخ البترول فى المنطقة :

① لم تكن الحرب الرابعة ، فى الصراع العربى الاسرائيلى ، خلال اكتوبر ١٩٧٣ ، هى المرة الاولى التى تشابكت وتفاعلت فيها القضية الفلسطينية بقضية البترول . حيث تجسد كل منهما ـ اقليميا وماليا ـ فى مواجهة الاخر ، كانهما وجهان لعملة واحدة .

ربما كان التشابك والتفاعل ـ خلال اكتوبر

١٩٧٣ ـ من العمق والاتساع والوضوح ، على نحو لم يسبق له مثيل . وذلك منذ شرعت القضية الفلسطينية فى صدامها مع الامبريالية والصهيونية تحتل موقع الازمة المتصاعدة بالخطر والتفجر على خريطة الشرق الاوسط عامة ، وخريطة الوطن العربى خاصة .

② غير أنه من المقطوع به ان قضية البترول وصراعاتها سابقة فى التاريخ ، على قضية فلسطين وصراعاتها .

اذا كانت فلسطين ، قد أصبحت قضية ذات طبيعة خاصة ومتفردة منذ مؤتمر « بال » الصهيونى الذى انعقد عام ١٨٩٧ بزعامة هرتزل . . فان البترول، بدا يتبلور كقضية ذات وزن متنام فى حركة الامبريالية العالمية ، منذ انبثاق « الذهب الاسود » لاول مرة فى امريكا من جوف البئر الذى حفره الكولونيل ادوين دريك عام ١٨٥٩ بولاية بنسلفانيا .

بيد ان هذا التفاوت فى تاريخ ميلاد القضيتين ، لا يجب ان يحجب عن ادراكنا ـ اليوم ـ ثلاث حقائق اساسية :

■ الحقيقة الاولى :

ان المسافة بين تاريخ القضيتين تظل واقعة بكاملها فى اطار عصر السيطرة الكاملة للامبريالية والاستعمار القديم على العالم كله . بما فى ذلك فلسطين التى كانت وقتذاك فى قبضة الاستعمار العثمانى « رجل اوروبا المريض » .

■ الحقيقة الثانية :

ان صناعة البترول بحكم نوعيتها الاستراتيجية وترابط عملياتها من تنقيب وحفر وانتاج ونقل وتكرير وتسويق ، اتجهت منذ الوهلة الاولى ـ فى ظل قوانين السوق الراسمالية ـ الى اكتساب الطبيعة الاحتكارية . وهى اليوم ، تمثل اقوى ما عرفه العالم من الاحتكارات واشدها تركيزا على الاطلاق . وليس ادل على ذلك من انه على الرغم من زيادة عدد ما يسمى بالشركات الوطنية والمستقلة العاملة اليوم فى حقول البترول ، فان السيطرة على عالم البترول ما برحت فى يد الاحتكار العالمى المؤلف من الشركات الثمانية التقليدية العملاقة :

- أسوستاندرد
- الجلف
- تكساكو
- ستاندر كاليفورنيا
- موبيل
- البترول البريطانية
- شل الهولندية البريطانية
- البترول الفرنسية

وغنى عن البيان ان للولايات المتحدة الامريكية حصة الاسد فى هذا الاحتكار العالمى .

■ الحقيقة الثالثة :

انه حتى شروق القرن العشرين ، لم يكن قد عرف او اكتشف شىء من الثروات البترولية الكامنة فى جوف الشرق الاوسط عامة والارض العربية التى تنتمى اليها فلسطين خاصة .

وجاء أول اكتشاف للبترول بالمنطقة عام ١٩٠٨ فى مسجد سليمان بايران وفى جمعه بمصر فى نفس العام .

③ لو جاز لنا أن نستعير لغة السينما وحاولنا بطريقة « الفلاش باك » العودة الى رؤية حركة الاحداث التاريخية بما تموج به من صراعات اقتصادية وسياسية واجتماعية . واستخدمنا « كاميرا وعينا الراهن » ، فى الربط الجدلى بين الاحداث ، فانه من الممكن ان يكتمل تحت اعيننا سيناريو لحركة الاحداث ، فلسطينيا وبتروليا ، على وضع يكشف امامنا صورا غريبة كما لو كانت من صنع خيال سوريالى يفوق خيال سلفاتوردالى . ولكنها فى النهاية صور واقعية الى ابعد حدود الواقعية . ان مبدا « الحقيقة اغرب من الخيال » لا يقتصر فقط على عالم الفن والادب وانما يحكم احيانا عالم الصراع الاقتصادى ـ السياسى ـ الاجتماعى . كيف ؟

④ لنبدا بالصورة الاولى :

فى عام ١٨٧٠ يقوم كل من الاخوين جون ووليم

دافيسون روكفلر بتأسيس شركة ستاندرد أويل للبترول فى الولايات المتحدة الامريكية برأسمال قدره مليون دولار . يرتفع الى ٣ر٢ مليون دولار عام ١٨٧٤ . ويفعل قانون الاحتكار الرأسمالى تتوحد الشركة مع عدد من شركات النقل الكبرى التى يسيطر عليها عدد من الرأسماليين اليهود ، ويرتفع رأسمال الاحتكار الى ٧٠ مليون دولار عام ١٨٨٢ ، ثم الى مائة مليون فى مطلع القرن العشرين ، بعد ان يكون الاحتكار قد سيطر على ٩٠ فى المائة من صناعة البترول فى امريكا وحقق ما بين عامى ١٩٠٠ الى ١٩٠٧ ارباحا صافية بلغت ٣٦٧ مليون دولار .

وحركت رائحة البترول الذى كان قد اكتشف فى رومانيا وروسيا القيصرية المتخلفة ، وجزر الهند الصينية ، شهية الرأسمالية الاوروبية . وكانت ما برحت فى اوج عنفوانها الامبريالى . فاقتسمت فى عام ١٨٩٠ على تأسيس شركة رويال دوتش برأسمال قدره ٢٠٠ر٠٠٠ر١ فلورين . وتدخل الشركة الاوروبية فى صراع حاد مع ستاندرد أويل ومجموعة روكفلر القوية ، وتكاد تتهاوى ، لولا أن يبادر الى دعمها وممساندتها رأس المال الاوروبى بزعامة آل روتشيلد من اليهود وشركة شل للنقل التى يمتلكها الرأسمالى اليهودى ماركوس صموئيل . وتصبح الرويال دوتش وتتفرع عنها شركتا البترول البريطانية وثنائيا، **ومكذا ينقسم السوق العالمى البترولى لاول مرة ، بين اقوى مجموعتين ماليتين فى العالم : آل روكفلر وآل روتشيلد .**

لكن عين الكاميرا لا تتوقف عند هذه الحدود . فمن خلال الاضواء والظلال نلمح فى ذات الصورة **ميلاد الحركة الصهيونية . وتلمع الاضواء فوق عدد من المؤتمرات الصهيونية ، واذا بالنجوم الساطعة فى هذه المؤتمرات هى نفس الوجوه الرأسمالية اليهودية من آل روتشيلد وصموئيل وغيرهم الذين تفوح منهم رائحة البترول . ومن خلال أربابهم الاسطورية ، يموّلون الحركة الصهيونية ومشروعاتها لبناء وطن قومى لليهود ، بديلا عن الاندماج فى شعوب البلاد التى نشأوا فيها .**

⑤ وتتابعنا **الصورة الثانية** فى مطلع القرن العشرين . تنقاب البترول الاحتكارية انطلقت فى كل ارجاء الارض تبحث عن آبار جديدة ..

ومنذ عام ١٩٠٤ ، بدا واضحا ان فى جوف الشرق الاوسط كنزا مخبأ . وبالفعل اكتشفت اول آبار بترولية فى ايران ومصر عام ١٩٠٨ ..

وخلال نفس الفترة الزمنية من ١٩٠٤ ـ ١٩٠٨ **كان آل روتشيلد وغيرهم من ذئاب الصهيونية قد نشطوا منذ أواخر عام ١٩٠٣ . فى شراء اراضى العرب فى فلسطين ، بعد الحصول على موافقة سلطان تركيا ، وتسليمها الى روادالهجرةالصهيونية من اليهود الفنيين الزراعيين . وفى عام ١٩٠٦ تأسس اول « كيبوتز » فى فلسطين من المهاجرين اليهود من روسيا القيصرية . وفى عام ١٩٠٨ تأسست الوكالة اليهودية فى يافا لتنشيط عملية الاستيطان ، تبعها بناء مدينة تل أبيب عام ١٩٠٩. وكان الكم الغالب من المال المستخدم فى هذا كله يقطر زيتا وبترولا .**

⑥ وتتابع الصور، راصدة المواكبة التاريخية بين حركة الصراع البترولى والصراع الفلسطينى الصهيونى ..

ومنذ بداية العقد الثانى من القرن العشرين ، بدأت الحركة الوطنية العربية تسطع بالاستعمار الشمالى الذى كان على وشك ان يلفظ انفاسه ، والصراع ينشب بين القوى الاستعمارية التقليدية ، فى أوروبا على وراثة مستعمراته وخاصة فى الشرق الاوسط . والاحتكارات البترولية قد امتلأت خياشيمها برائحة البترول المنبعثة من الارض العربية وخاصة العراق . والحركة الصهيونية ، بدعم من الاستعمار البريطانى، تشدد من غزوها وتصربها الى فلسطين وتزرع مؤسساتها هنا وهناك . وحرب فلسطين يتصدون لها وللاستعمار البريطانى معا ، من خلال حركات جماهيرية عفوية ومنظمة .

وتندلع نيران الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٤ . وفى مايو ١٩١٦ توقع الاتفاقية الفرنسية البريطانية « سايكس بيكو » لتقسيم الشرق الاوسط . يتبعها فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ صدور وعد بلفور البريطانى الى **لورد روتشيلد بوصفه ممثلا**

اللجنة الرياسية التابعة للمنظمة الصهيونية الذى يتضمن تعهد بريطانيا بتأييد الحركة الصهيونية فى بناء وطن قومى لليهود بفلسطين . وفى ١٠ ديسمبر ١٩١٧ يلتحم اللنبى على رأس الجيش البريطانى مدينة القدس وما ان يحل خريف عام ١٩١٨ حتى تكون بريطانيا قد احتلت فلسطين بأسرها . واستصدرت من الاسير فيصل ـ فى العراق ـ موافقة رسمية على وعد بلفور وتشجب حركات شعبية ثورية فى فلسطين ومصر ، فى الوقت الذى يكون فيه الاحتكار البترولى على قيد خطوات من كشف الذهب الاسود فى العراق . وتتزايد الهجرة اليهودية بمعدلات كبيرة الى فلسطين . فترتفع نسبة اليهود الى مجمل السكان العرب من ٦٪ فى المائة فى عام ١٩١٤ الى ١١ فى المائة فى عام ١٩٢٢ .

ويتفجر البترول أخيرا فى العراق بمنطقة خان عام ١٩٢٣ ، ثم فى حقل كيركوك الضخم عام ١٩٢٧ . وفى نفس الوقت تصدر عصبة الامم [سبتمبر ١٩٢٣] قرارها بتثبيت شرعية الوصاية البريطانية على فلسطين . وترتفع نسبة اليهود فى فلسطين بدرجة ملحوظة حتى تصل فى عام ١٩٢٩ الى ١٦ فى المائة من مجموع السكان .

وهكذا نجد صور حركة الاحداث فى تسجيل التلازم بين صعود الصهيونية وغزوها لفلسطين تحت حماية الاستعمار البريطانى ، وبين الغزو الاحتكارى الأمبريالى للبلدان العربية بحثا وراء اسرار ارضها البترولية والسيطرة عليها .

ويتوالى اكتشاف البترول فى البحرين عام ١٩٣٢ ، وفى السعودية عام ١٩٣٦ ، وفى الكويت عام ١٩٣٨ ، وفى قطر عام ١٩٤٠ .

ويتوالى ، مواكبا لحركة الاحتكارات البترولية على الارض العربية ، تدفق اليهود المهاجرين من أوروبا وخاصة المانيا النازية الى فلسطين ، وترتفع نسبة السكان اليهود فيها بين عام ١٩٣٠ وعام ١٩٣٥ الى حوالى ٢٨ فى المائة من مجموع السكان .

وفى نفس الوقت الذى كفت فيه آلات الحفر البترولية للاحتكارات الامريكية والبريطانية تتغرس عميقا فى قلب الارض والشعب العربى فى البحرين والسعودية والكويت وقطر ، كان المعسب الفلسطينى يقاوم وحده الغزوة الاستعمارية الصهيونيه . وعلى مدى السنوات من ١٩٣٦ ، الى ١٩٣٩ اشعل ثورته العارمة ضد المستعمرات الصهيونية وأجهزة الاستعمار البريطانى فى محاولة لقطع الطريق على تمويد بلاده واقامة قاعدة امبريالية فى شكل دولية صهيونية ضد الامة العربية : وحدتها ، تقدمها ، سيطرتها على ثرواتها البترولية .

بيد أن الوعى الشعبى فى البلاد العربية لم يكن قد بلغ درجة وضوح الرؤية للتخطيط الامبريالى ، البترولى ، الصهيونى . فى حين نشط التحالف الامبريالى الصهيونى مع البرجوازية العربية الحاكمة الى تمهيد الاجواء لتنفيذ المخطط . ولم يكن بالتالى محاصرة الثورة الفلسطينية وخنقها . وبلغ الامر حدا ان فتحت البرجوازية المصرية ابوابها البلاد ـ وقتذاك ـ لمام الحركة الصهيونية لتقيم مراكز تدريب لعصاباتها المسلحة وايواء المهاجرين قبل تصديرهم الى فلسطين . فضلا عن صناديق دعم وصحف تبشير ودعاية . وراح المبجور « ايفانز » بلباسه العسكرى كضابط بالجيش البريطانى ، والذى اصبح فيما بعد « أبا ايبان » وزير خارجية اسرائيل ، يمرح فى شوارع ونوادى القاهرة والاسكندرية حرا طليقا ، ويتخذ من مكتبه المطل على النيل فى ثكنات قصر النيل [مكان فندق هيلتون وجامعة الدول العربية اليوم] وكرا للتآمر على فلسطين العربية .

وخلال اربعينات القرن العشرين تبرز امامنا صورة ذات دلالة خاصة فى سيناريو حركة الاحداث التاريخية لقديمتى فلسطين والبترول .

الحرب العالمية الثانية مشتعلة الاوار . اكتشافات البترول فى البلاد العربية وخاصة فى منطقة الخليج تتعاظم بدرجات مثلثة لم تكن متوقعة . العالم العربى لم يعد مجرد منطقة ذات موقع استراتيجى هام باعتباره مفترق الطرق الى آسيا وافريقيا واوروبا ، أو سوقا تابعا للسوق الرأسمالى العالمى . وانما منبع لحوالى ٥٠ من المائة من الاحتياطى المعروف عالميا وقتذاك من البترول ، هذه السلعة التى تفوق خلال الحرب على سلم السلع الاستراتيجية الى القمة .

وبقتذاك أصبح الشغل الشاغل للامبريالية العالمية بكل فصائلها هو **كيفية الحفاظ بهذا الموقع**

الاستراتيجي الشاسع على بحيرة البترول ، فى قبضتها وتامين سيطرتها الكاملة عليه ، وذلك فى وجه المواصف الوطنية التحررية التى بدأت تتجمع فى الافق هنا وهناك فى الارض العربية ، ونمو مصالح ذات طابع استقلالى نسبى لبورجوازيات وطنية محلية وليدة ، والتى لابد وان تلقى عونا وسندا من الاتحاد السوفيتى والعالم الاشتراكى حيث بدأت قواعدا تتبلور فى الساحة الدولية وتكشف عن قدرات متزايدة .

وانعكس هذا الوضع الجديد بوضوح على القضية الفلسطينية . كانت بريطانيا قد اصدرت قبيل الحرب العالمية الثانية ، فى ١٧ مايو ١٩٣٩ كتابها الابيض الذى تعلن فيه انها اوفت التكتولة وصاية ، بالتزامها الخاص بتشجيع اقامة وطن قومى لليهود وانه يجب ان تنهيأ فلسطين بسكانها جميعا للحكم الذاتى ، والعمل على اقامة دولة مستقلة موحدة تحكم حكما مشتركا من العرب واليهود على ان تحدد الهجرة اليهودية بخمسة وسبعين الف شخص على الاكثر خلال خمس سنوات ، مع الحد من شراء اليهود للاراضى العربية .

وظل هذا هو الخط العام للامبريالية العالمية حتى اندلعت نيران الحرب وكشفت المنطقة العربية عن اسرارها البترولية . فاذا بموجات عاتية من الهجرة اليهودية السرية تتدفق على فلسطين . واذا بترومان رئيس الولايات المتحدة الامريكية يبادر الى اعلان تاييد بلاده لاقامة دولة يهودية بفلسطين . واذا ببيفن وزير خارجية بريطانيا يعلن فى مجلس العموم ـ فجاة ـ فشل الحكومة البريطانية فى مواجهة كل من العرب والصهاينة بفلسطين ، ويغسل يديه من كل مسئولية ويقرر عرض القضية الفلسطينية على الجمعية العامة للامم المتحدة . ويطلق « ترومان » مرة اخرى الكرة فيعلن فى مارس ١٩٤٧ انه « لما كانت بريطانيا عاجزة عن القيام بالتزاماتها شرق البحر الابيض المتوسط وفى الشرق الادنى ، فقد قررت الولايات المتحدة القيام بها » .

باختصار اصبحت الامبريالية العالمية التى تزعمتها الولايات المتحدة الامريكية بعد الحرب العالمية الثانية على وفاق تام مع خطط الحركة الصهيونية فى اقامة اسرائيل بفلسطين وعلى حساب شعبها لتكون قاعدتها العدوانية الاساسية لحماية مصالحها البترولية المتزايدة فى العالم العربى .

وتفاصيل القصة بعد ذلك معروفة .. ولكن ما ان تقوم اسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨ حتى يكون رئيس الولايات المتحدة الامريكية هو اول من يعترف بها معلنا دون ما خفاء : « ان اسرائيل قامت فى منطقة الشرق الاوسط لكى تتصدى لقيام النعرة الوطنية ، فاذا لم تستطع ان تحقق ذلك فلا اقل من ان تجتذبه بعيدا عن مصالح البترول الامريكى فى الشرق الاوسط » .

وليس من قبيل الصدف ان يسجل التاريخ ان عام ١٩٤٨ كان فى نفس الوقت عام قيام اسرائيل ، عام ارتفاع قيمة الاستثمارات الامريكية فى صناعة البترول العربى الى حوالى ٢ بليون دولار تمثل ثلث استثمارات امريكا الخارجية جميعا ، عام تحول الولايات المتحدة الامريكية ، لاول مرة فى تاريخها ، الى دولة مستوردة للبترول بعد ان كانت مصدرة له .

⑨ وتهل مرحلة الخمسينات من هذا القرن وترسم حركة الاحداث صورا عديدة متداخلة بعضها مع بعض .

اسرائيل تبغى فى عملية استيعاب اكبر قدر ممكن من الوطن الفلسطينى وطرد شعبه الى خيام اللاجئين فى الخارج ، ويتدفق عليها من الصهيونية العالمية والامبريالية الاموال والسلاح لبناء قوتها كقاعدة حراسة للمصالح البترولية وعدوان ضد حركة التحرر الوطنى العربية . وتتالف كل من الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وفرنسا لمصدر البيان الثلاثى المشهور فى ٢٥ مايو ١٩٥٠ الذى يعلن التزام اكبر القوى الاستعمارية بالحفاظ على التوازن العسكرى فى الشرق الاوسط لمصلحة اسرائيل .

وتمضى الاحتكارات البترولية فى توسيع اعمالها بايران نسبى ، واكتشاف منابع جديدة فى المنطقة المحايدة عام ١٩٥٣ ، والجزائر عام ١٩٥٦ ، وليبيا وابو ظبى عام ١٩٥٨ .

ولكن هذه الفترة تحمل ايضا بوقوع مواجهات عنيفة بين قوى التحرر فى المنطقة من جانب وقوى

الامبريالية والاحتكارات البترولية والرجعية المحلية من جانب آخر . وفى جميع هذه المواجهات كانت اسرائيل دائما حاضرة كقوة مساعدة للامبريالية والاحتكارات ، او محركة للعدوان .

وفى عام ١٩٥١ نجحت الحركة الوطنية الايرانية بزعامة الدكتور محمد مصدق فى الاستيلاء على السلطة وتأميم البترول . ولكنها سرعان ما واجهت عدوانا شرسا اطاح بها ، تدثر بالرجعية الايرانية التى تعاونت مع مخربين اسرائيليين وامريكيين ، ونجحت اسرائيل جزئيا فى اول امتحان لها بالشرق الاوسط .

وفى عام ١٩٥٢ انفجرت ثورة يوليو ١٩٥٢ فى مصر بزعامة جمال عبد الناصر . وكانت دوافع الثورة محلية وعربية معا . فبالاضافة الى الصراع الاجتماعى والسياسى الحاد داخل المجتمع المصرى ، كان هناك رد الفعل الوطنى داخل الجيش المصرى الذى اجبر على الهزيمة ، اذا صح التعبير ، بفعل الاسلحة الفاسدة وخيانة الملك والطبقة الحاكمة لهم اسرائيل خلال الحرب الاولى فى الصراع . وهو آخر غير من ميزان القوى فى الشرق الاوسط لصالح حركة التحرر لاول مرة منذ الحرب العالمية الثانية . مما اصبح يهدد موضوعيا المصالح والاحتكارات البترولية فى المنطقة .

(١٠) وكان من المتوقع ان تدفع اسرائيل الى العدوان فورا . غير ان الولايات المتحدة التى كانت تأمل فى استيعاب الثورة المصرية الوليدة عن طريق الضغط على الاحتلال البريطانى للرحيل عن مصر ، وبالتالى ورثة نفوذه بأسلوب الاستعمار الجديد ، اوقفت استخدام اسرائيل مرحليا .

واعقب ذلك انفجار ثورة التحرير الجزائرية فى نوفمبر ١٩٥٤ ، وما اعقب ذلك من تفاعل بين الثورتين فى مصر والجزائر ضد الاستعمار القديم : بريطانيا وفرنسا معا . غير ان فرنسا سارعت الى استخدام اسرائيل ضد ثورة التحرير الجزائرية على النحو الذى اتبع ضد حركة التحرير الايرانية . وزادت درجة الاستخدام مع اكتشاف البترول بالجزائر عام ١٩٥٦ .

وفى هذا العام نفسه اقدمت مصر على تأميم قناة السويس وكان هذا خطوة خطيرة لا سابقة لها ، تقوم بها دولة متحررة صغيرة من العالم الثالث الجديد ضد الاحتكارات العالمية . الامر الذى دق بمثابة الرصاصة الاولى فى جسد مصالح الاحتكارات بالمنطقة وخاصة البترولية منها .

وانقسمت الامبريالية العالمية فى اسلوب مواجهتها لهذا الحدث الى اتجاهين :

اتجاه تقليدى يمثله الاستعمار البريطانى والاستعمار الفرنسى . يرى مواجهة ذلك بعمل عسكرى عنيف تستخدم فيه اسرائيل لضرب الثورة المصرية والثورة الجزائرية ، ويجعل حركة التحرر العربية قبل أن يستفحل الخطر وتهتد النيران الى كل الوجود الاستعمارى والاحتكارى فى المنطقة . وسادت اسرائيل هذا الاتجاه لانه فى نفس الوقت يحقق مصالحها الذاتية فى التوسع الصهيونى ويحولها - موضوعيا - من مرتبة التابع للامبريالية الى مرتبة الشريك الصغير ، بانتصار يحولها من مجرد قاعدة فى شكل دولة الى امبريالية صغرى فى المنطقة » .

واتجاه آخر يمثله الاستعمار الجديد ممثلا فى الولايات المتحدة الامريكية التى ترى فى التدخل العسكرى المباشر خطرا قد يشمل المنطقة كلها ، ويدفع بحركة التحرر الوطنى بجميع محصلاتها الى التحالف مع الاتحاد السوفيتى والعالم الاشتراكى ، خاصة وان مصر وسوريا كانتا قد اقدمتا فى عام ١٩٥٥ على عقد صفقات اسلحة مع العالم الاشتراكى لاول مرة . فضلا عن ان الخسائر حتى تلك اللحظة انصبت على الاحتكارات البريطانية والفرنسية وحدها . ولم تمس الحركة بعد ايا من المصالح الامريكية التى اصبحت تتحكم فى ٦٠ فى المائة من موارد البترول العربى . ويبلور هذا الاتجاه موقفا محددا هو ان الامبريالية الامريكية بالعمل على الظهور بمظهر المنقذ لجميع الاطراف ، فى الوقت الذى تقوم فيه بافراغ المنطقة من البريطانيين والفرنسيين والحلول محلهم . وقد تبنى ايزنهاور رئيس الولايات المتحدة - وقتذاك - هذا الاتجاه تحت ضغط مجموعات المصالح البترولية التى كانت تحتل مراكز هامة فى الادارة الامريكية ، وذلك من خلال سبعة من اصحاب الملايين واقطاب البترول الذين تبنوه وقدموه « خزعبل للشعب الامريكى » منذ عام ١٩٤٦ ، كما يروى جواكيم جوستن فى كتابه « البترول يحكم العالم » ، وهم : يوجين هولان رئيس شركة « اسو » ووالتر هالونان رئيس « ناشيونل بتروليم كاونسل » وروبرت

اندرسون رئيس شركة « ميدكو نينتت أويل آند جاس اسوسييشن » ، و « دولى سارب » وهو من كبار رجال البترول فى هيوستن بولاية تكساس ، ووليم التون جونز [مستشار الرئيس] وكان رييسا لشركة « سيتى سيرفيس » ، وليونارد ماديوكسولم رئيس شركة « كونتيننتال أويل كوربوريشن » وجورج ألن [مستشار الرئيس الخاص] وهو صاحب مشروعات انتاج البترول فى اليمن .

(١١) بيد أن الاستعمار القديم شن ـ بالتواطؤ مع اسرائيل ـ الحرب الثانية فى الصراع العربى الاسرائيلى والتى عرفت باسم حرب السويس دفاعا عن مصالحه بتعدية الزعامة الامريكيه . الامر الذى اغضب الولايات المتحدة واربك حساباتها فى المنطقة .

وازاء المقاومة المصرية التى ساندها الاتحاد السوفيتى ، وغياب المظلة الامريكية عن دول العدوان الثلاثة ، فشلت حرب السويس فى تحقيق اهدافها . **ولكن البترول ترك ـ لاول مرة ـ بصمات واضحة على حركة الاحداث خلال حرب السويس .**

فمن ناحية استخدمت حركة التحرر العربى لاول مرة سلاح البترول بدرجة متواضعة ، فى معركتها ضد الامبريالية والصهيونية . وذلك عندما اغلقت قناة السويس تشرين اسامى لنقل البترول من الخليج الى اوروبا . وعندما قامت الطبقة العاملة العربية بنسف خط انابيب البترول الذى يمر عبر سوريا فى عام ١٩٥٦ .

ومن ناحية أخرى خرجت اسرائيل من العدوان بمكسب تكتيكى هام وهو حرية المرور لسفنها المحملة بالبترول الايرانى من خليج العقبة ، الامر الذى ساعدها على تكوين صناعة تكرير وبتروكيماويات فى يافا . وذلك لاغراض الاستهلاك المحلى والتصدير بها ، ويذل أن يصبح لها فى المستقبل وزن فى تقرير السياسة البترولية فى المنطقة بدلا من أن تتحمل آلام الاحتكارات مسئولية الحارس لمصالحها .

ومنذ ذلك الوقت تفتح وهى قطاعات عريضة من الامة العربية على دور البترول ومركز ثقله فى جميع القضايا المطروحة ، وخاصة قضية فلسطين . واكتسبت حركة التحرر العربية المعاصرة بمختلف فصائلها ، بعدا بتروليا ، فى معاركها المتصلة ضد الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية . ووعت باهتمام كلمات الرئيس الامريكى وهو يقدم مشروعه الذى عرف باسم « مشروع ايزنهاور » لوراثة النفوذ البريطانى الفرنسى المنهار فى المنطقة بحجة ملء الفراغ عندما خاطب الكونجرس الامريكى فى يناير ١٩٥٧ قائلا : « ان من الامور التى تؤكد اهميه الشرق الاوسط القصوى ، احتواؤه على ثلثى مصادر البترول المعروفة فى العالم الان ، ان هذه المصادر البترولية لا تقل اهمية عن حلف الاطلنطى . بل ان هذا الحلف يفقد معناه وهدفه اذا فقدنا مصالحنا البترولية فى الشرق الاوسط » .

هكذا بلا مواربة ولا خفاء .. ومن هنا كان طبيعيا ـ ان يتمتع هذا البعد البترولى مع نمو التيارات التقدمية فى حركة التحرر الوطنى العربية التى تراجع تربط بين الاستقلال السياسى والاستقلال الاقتصادى والتقدم الاجتماعى لصالح الجماهير الكادحة . وذلك منذ بداية السبعينات ، **وتصدرت شعارات « تأميم البترول » و « بترول العرب للعرب » و « تصفية الاحتكارات البترولية » برامج ومواثيق الناصريين واليمينيين والشيوعيين وجميع الحركات القومية التقدمية فى مشرق الوطن العربى ومغربه على السواء .**

(١٢) **وفى يناير ١٩٦٥ انطلقت أول رصاصة لفتح . فكانت ميلادا لحركة التحرير الفلسطينية المعاصرة المشحونة بكل الابعاد التى توصلت اليها حركة التحرر العربية العامة حتى ذلك الوقت .**

ولم يكن غريبا ، وخيوط قضية فلسطين تتشابك وتتعقد مع قضية البترول ، أن يكون موطن انطلاق الحركة الجديدة هو **منطقة الخليج العربى ، الغنى المناطق العربية بالبترول وبالعنصر الطليعية من الشعب الفلسطينى المشرد ، مثقفين وفنيين وعمالا . من البترول بدأ آل روتشيلد وغيرهم من الاحتكاريين تمويل ودعم الحركة الصهيونية ومشروعها لغزو فلسطين فى أواخر القرن التاسع عشر . ومن البترول أيضا انطلقت حركة الكفاح المسلح المعاصرة ، بعد حوالى ٦٨ عاما لتحرير فلسطين .**

(١٣) وتمضى بنا كابيرا التاريخ لنلتقط من سيناريو حركة الاحداث ، اكثر الصور ظلمة وبشاعة : حرب ١٩٦٧ وما صاحبها من هزيمة مهولة باتتصار اسرائيل العسكرى ، حققت طليها القديم التى لم تتمكن من تجسيده خلال حرب

السويس، وذلك بتحولها الى امبريالية صغرى فى المنطقة ، ترتفع معها درجتها فى غابة العالم الاستعمارى من مجرد تابع ، واداة لحماية المصالح البترولية الى شريك .

واكتسبت بالفعل طوال ما يقارب ست سنوات مكانة الشريك للامبريالية الامريكية . وراحت من خلال استخدام قبضتها العسكرية هنا وهناك ، وسيطرتها على آبار البترول المصرية فى سيناء ، تتحدث عن « حقوقها البترولية » فى المنطقة .

وفى ظل الهزيمة تنفست الاحتكارات الامريكية البترولية الصعداء ، وواصلت عمليات الاستغلال للثروة العربية على أوسع نطاق ، وكسبت كثيرا من المواقع ضد اترابها الاوروبيين فى الاحتكار العالمى حتى انها نصبت رئيس شركة شل اويل الامريكية الصغيرة نسبيا ، مديرا اداريا لكل مجموعة شل العالمية فى عام ١٩٦٧ بالذات .

ولمكن لامريكا فى غضون عام ١٩٦٧ وحدها أن تستجلب ١،٦٠٠ مليون دولار ارباحا من استثماراتها البترولية والبالغ قدرها بليونى دولار . وارتفعت الارباح فى عام ١٩٦٨ الى ٢٤١٨ مليون دولار . وأصبح الدولار الامريكى الذى ينطلق للاستثمار فى البترول العربى يعود اليها ثمانية دولارات بعد ثلاث سنوات . وذلك وفقا لتقرير بنك تشيز مانهاتن الامريكى .

فى أتون هذا الوضع تولد فى العالم العربى اتجاهين رئيسيين من حول البترول :

ـ اتجاه وطنى ثورى يرى ضرورة استخدام البترول كسلاح مباشر فى المعركة ضد أمريكا واسرائيل ، ويبدأ من المقاطعة الجماهيرية حتى التأميم ، وبالفعل أتخذت عدد من النظم العربية الوطنية والمتحررة مثل الجزائر والعراق وليبيا على اجراء تأميمات جزئية وكلية .

ـ واتجاه وسطى رجعى يرى ابعاد البترول عن المجال السياسى ويقاوم استخدامه كسلاح تحت أى ظرف من الظروف وذلك بحجة ان أموال البترول لا البترول نفسه هى السلاح الواجب استخدامه . وظل هذا موقفه الذى يتمسك به حتى عشية اندلاع الحرب الرابعة للصراع العربى الاسرائيلى فى اكتوبر ١٩٧٣ .

(١٤) وجاء اكتوبر ١٩٧٣ نتيجة تراكمات اجتماعية وسياسية أطلق كل ما هو ايجابى فى الشعوب العربية وقواتها المسلحة ، والذى كان لنهوض وصمود الثورة الفلسطينية المعاصرة الدور الاساسى فى بلورته .

ورغم ان اكتوبر كانت حربا محدودة ، الا انها كانت من الناحية العسكرية ـ السياسية أول فعل عربى ـ على مستوى الدول ـ ضد الكيان الصهيونى .

وكانت ايضا ، وهذا هو اخطر ابعاد اكتوبر ، أول حرب بترولية فى نفس الوقت .

وليس المجال هنا هو تحليل حرب اكتوبر ومدى ما حققته فى الصراع العربى الاسرائيلى .

لكن المهم أن حركة التحرر العربى التى اخصبتها سنوات المعاناة بعد الهزيمة والوزن القومى الثورى للكفاح الفلسطينى قد اجبرت القوى الوسطية والرجعية فى العالم العربى على استخدام سلاح البترول فى المعركة ضد الامبريالية والصهيونية ، وذلك بدرجات متفاوتة .

غير أن اهمية ما حدث يكمن فى أن الطابع القومى الثورى للقضية الفلسطينية راح ينعكس على قضية البترول العربى .

وليس من شك فى أن الضغط الجماهيرى فى هذا المجال قد تفاعل ايضا مع صعود نوى لطبقات برجوازية وطنية فى بلاد البترول الخليجية تتناقض مصالحها النابية ـ فى هذه المرحلة على الاقل ـ مع الاحتكارات البترولية .

ومن هنا فان المجال السياسى والاجتماعى فى البترول العربى ، بمعنى أن حركة تحرير فلسطين ـ فلسطينيا وعربيا ـ قاد خطوات الحركة الوطنى العربى قد أصبح مهيأ لممارسة تحرير العربية نحو هدف تحرير البترول .

ولقد دفع المقاتل العربى فى سبيل ذلك تضحيات وجدا غزيرا كان له أثره على سعر البترول العربى الذى اتاح للدول المنتجة أن تتمرد على الاحتكارات لاول مرة ، وترفع السعر من جانبها بنسبة ٤٠٠ فى المائة .

وتحرير البترول العربي يعني في الحقيقة امرين مرتبط كل منهما بالاخر :

اولا ـ مواجهة اكثر فاعلية للامبريالية والاحتكارات والصهيونية في معارك مباشرة ممتدة .

ثانيا ـ بناء القوة الذاتية ماديا ومعنويا للوطن العربي والانسان العربي على مستوى شامل وبمعيار حركة التقدم العصري والانساني .

(٦٥) واذا كان تحرير فلسطين يمر ـ على ضوء الاستراتيجية العامة لبناء الدولة اسيمعراطية العلمانية ـ في مراحل تبدأ باقامة السلطة الوطنية المستقلة ، فكذلك تحرير البترول يمر ـ على ضوء الاستراتيجية العامة لبناء الوطن العربي الموحد الديمقراطي المتقدم اجتماعيا وسياسيا ـ في مراحل تبدأ بتمهيد الارض لبناء نواة اقتصاد عربي موحد ومستقل .

واذا كان الدم العربي ، فلسطينيا وغير فلسطيني ـ هو المثمن الذي ارتفع بدخول الدول العربية المنتجة للبترول الى ارقام قياسية ، فان باذلي هذا الدم لهم حق معلوم في هذه المدخول . لا صدقة واحسانا .

ان نسبة الزيادة الاوكتوبرية في سعر البترول يجب ان تقسم الى قسمين : قسم يذهب لانماء البلد البترولي ذاتيا . والقسم الاخر يتكون منه صندوق عربي قومي للانماء العربي العام وفق خطة مقترحة . على ان تجنب منه نسبة معينة ١٠ في المائة او ٢٠ في المائة لدعم السلطة الوطنية الفلسطينية الجديدة . وبهذا تتوفر للفوائض العربية ضمانات حقيقية في نفس الوقت الذي تحقق فيه ايجابيا تقدما عاما للامة العربية . وبناء حضاريا قويا في وجه الكيانات الامبريالية والصهيونية ـ والا تحولت على حد تعبير الرئيس بومدين الى كارثة قومية . اذ تتحول الى سلاح في يد الاعداء ، او على الاقل تغدو سلاحا فاسدا في ايدي العرب .

اليوم .. تحرير فلسطين هو بالدقة تحرير الارض العربية وتحرير البترول العربي معا .

وهذا هو عبرة سيناريو حركة الاحداث التاريخية للقضية الفلسطينية ، والقضية البترولية .

اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم

فى هذا العدد يبدأ توفيق الحكيم حواره مع اليسار المصرى ، حول تجربة ثورة يوليو . ونرجع اهمية هذه الحلقة من حلقات الحوار التى تقدمها « الطليعة » الى :

❶ ان الاتفاق الحكيم يحدد بشكل قاطع ان دراسة التجربة ليست — وان تكون — هدفها فى هذه الندوة ان تحاكم الناصرية ، وبالتالى فهى لن تحمل الماء الى طاحونة القوى الرجعية التى تريد استغلال كتاب « عودة الوعى » لاحداث ردة يمينية رجعية .

❷ هو ان رؤية تجربة ثورة يوليو تزداد غنى واتساعا بالمحاولة التى يقدمها فى هذه الحلقة كل من توفيق الحكيم وخالد محيى الدين . انها محاولة رؤية التجربة من الداخل .

❸ ان الاتفاق قد ساد على ان دراسة التجربة واجراء الحوار حولها يستشرف المستقبل قبل كل شىء . صورة مصر المقبلة والمهام التاريخية المطروحة على القوى التقدمية فى البلاد . وهذه الرؤيا هى التى يادر بطرحها — ايضا — توفيق الحكيم .

● ولقد اشترك فى هـذه الندوة من قبيل « الطليعة » :

ـ توفيق الحـكيم الكاتب والاديب المعروف

ـ خالد محيى الدين سكرتير المجلس المصرى للسلام فى مصر

ـ د . فؤاد مرسى وزير سـابق

ـ د. عبدالعظيم انيس استاذ الرياضيات العليا بجامعـة عين شمس

ـ د. لطيفة الزيات الاسـتاذة بـكلية اداب جامعة القـاهرة

● واشترك ممثلين للشباب :

ـ محمـد سـليمة مستشار حريدة الطلاب

ـ حمـد ياسين ممثل الدراسـات العليا بجامعة عين شمس

● واشترك فى الندوة من اسرة تحرير «الطليعة»

ـ لطفى الخـولى رئيس تحرير الطليعة

ـ د. مراد وهبـة استاذ الفلسفة بجامعة عين شمس

ـ محمد سيد احمد المحرر بجريدة الاهـرام

ـ ابو سيف يوسف المحرر بالطليعـة

■ لطفى الخولى :

نود فى البداية أن نشكر تفضلكم بقبول دعوة الطليعة لاجراء الحوار مع استاذنا توفيق الحكيم ، طبعا الشكر يجب أن يسبقه للاستاذ توفيق الحكيم ومرتين : المرة الاولى على اصدار كتاب عودة الوعى الذى فتح الطريق لمثل هذه المناقشات الخصبة ، والثانى انه استجاب لدعوة الطليعة برحابة صدر واستأنية نقدره عليها كل التقدير . وفى خطابه الى الطليعة استشرف الحكيم آفاق المستقبل باكثر مما كان الانسان يقدر ويتوقع » وأعنى به اهتمامه بقضية الاشتراكية وقضية اليسار فى مصر ، ذلك الاهتمام العميق الذى بدا فى الرسالة .

وبالتالى فان المناقشة حتى تكون مثمرة فقد كان لابد من أنه تأتى الى هنا كل اتجاهات اليسار فى مصر على قدر الممكن . طبعا مثل هذا اللقاء الاول فى هذا الحوار لا يمثل كل اتجاهات اليسار . ولكننا حريصون على توسيع هذه الجبهة ، ودائرة المتناقشين والمتحاورين حسب ما سنتفق عليه فى حوارنا . وفى اهتمامنا أيضا أن تكون الندوة ممثلة أيضا للاجيال المختلفة فى المجتمع المصرى ، خاصة أجيال الشباب ، وهى غنية وفياضة وكثيرة الاسئلة وتطرح بالخلاص قضايا حيوية حول واقع ومستقبل مصر والوطن العربى الخ ..

ان مثل هذا اللقاء يمكن أن يكون مجرد « ندردشة » متفقين تضاف الى الندردشات السابقة الكثيرة . ويمكن أن يكون على العكس عمل فكرى وسياسى حقيقى ، من شأنه أن يمهد الطريق لمواصلة السير فى وضوح نحو المستقبل ، وذلك كما قال الاستاذ توفيق الحكيم فى رسالته ، وكذلك من أجل الوقوف ضد الهجمة اليمينية المتخلفة والمحمولة بالجهالة والتى تظن أن المجتمع قد أصبح « سداح مداح » لها وأنه لا توجد قوى وطنية تقدمية تستطيع أن تتصدى لها .

ومن هنا تنبع أهمية أن الاستاذ توفيق الحكيم بعد كل ما حدث يحرص على أن يحدد موقعه على أرضية القوى الوطنية والتقدمية واهتمامه بمستقبل قوى التقدم والتحرر . وذلك بعد أن حاولوا أن يتخذوا من كتاب عودة الوعى درعا يحميهم من القوى الاشتراكية والتقدمية عامة وأحيانا أخرى يتخذون منه سيفا يوجهونه الى صدور التقدم والتحرر فى بلادنا .

هذه الجلسة هى فى الواقع جلسة استعراض عام للرؤية والمواقف . واقترح أن نستعرض ما يمكن أن يسمى بوثائق هذا الحوار ، والوثائق ثلاثة أنواع :

المجموعة الاولى : هو ما نشر فى الطليعة فى العدد الماضى من الرسالتين المتبادلتين ومقال للاستاذ توفيق الحكيم المرفق بالرسالة .

المجموعة الثانية : هى الورقة التى قدمها الاستاذ توفيق الحكيم تحت اسم برنامج للحوار حول مستقبل الاشتراكية فى مصر ووضع اليسار المصرى .

المجموعة الثالثة : هى الوثيقة التى قامت مجموعة عمل فى الطليعة للاعداد لهذا الحوار بتقديمها .

ومسئول هذه المجموعة هو زميلنا الدكتور مراد وهبة . قدمت هذه المجموعة ورقة تحت اسم المدخل الى حوار مع توفيق الحكيم .

وأفترض انه من خلال مناقشة كل هذه الاوراق ، ومن المناقشة الاولية مع الاستاذ الحكيم ، نحاول أن نترجم هذه الاوراق ، بالمناقشة ، الى جدول أعمال محدد يتم على أساسه الحوار .

هل ترون أن نقرأ الوثائق أولا لان بعضنا لم يطلع عليها وهى على العموم صغيرة الحجم ، اذا وافقتم نبدأ بها .

[موافقة عامة من جميع المشتركين فى الندوة]

■ لطفى الخولى :

اذن المجموعة الاولى كلكم قرأتوها وهى مجموعة الرسائل المتبادلة فى الطليعة وليس هناك داع لقراءتها .

واسمحوا لى اذن أن أبدأ بقراءة ورقة الاستاذ توفيق الحكيم وهذا نصها : برنامج للحوار حول مستقبل الاشتراكية فى مصر ووضع اليسار المصرى :

« تنفيذا للاتفاق الذى تم بمقتضى الرسالتين

المتبادلتين بيننا آنا ولطفى الخولى والمنشورتين فى عدد ديسمبر من مجله «الطليعه» بشأن الحوار المقترح اجراؤه حول «مستقبل الاشتراكيه فى مصر ووضع اليسار المصرى وتطوره فى المستقبل» ، رأيت من الضرورى تحديد النقط التى يجرى فيها الحديث والفحص والتحليل فى هذه النقاط الثلاث الاساسية :

١ ــ الشكل .
٢ ــ المضمون .
٣ ــ التجربة .

١ ــ بالنسبة للشكل :

فمن حيث الشكل فلابد فى البداية من طرح هذا السؤال : ما هو الاطار الذى يتحرك فيه الآن اليسار المصرى والاشتراكية المصرية ؟ هل يوجد تجسيد محسوس لهما فى صورة حزب أو جمعية تمهد لحزب كالجمعية الفابية مثلا التى مهدت لحزب العمال ؟

ان اليسار بعد حل تشكيله لم يعد له غير وجود هلامى أو شبحى أو فرضى . وتعذر معرفة من هو اليسار وأصبح وجوده عن طريق الاشاعة فيقال همسا أو اشارة بالاصبع هذا يسارى ــ وقد تحتمل هذه الكلمة المهموسة اكثر من معنى وبقصد دون تحديد أو ضبط .

أما الاشتراكى فهو وصف للجميع لان شعار الدولة الرسمى الاشتراكية والمجتمع الاشتراكى ، فكل يمينى راسمالى رجعى يقول انه اشتراكى . والقضية اذن هى مناقشة هذا الوضع وبحثه وتحليله ومعرفة هل هذا شكل مقبول أو أنه لا يعتبر شكلا ولابد من ايجاد الشكل الذى يصلح اطارا محددا لليسار وللاشتراكية فى المستقبل ، وليس الان ، أى بعد انتهاء الوطن من معركة المصير . اما الآن فلابد من التمهيد لذلك ولابد لليسار المصرى أن تكون له منذ اليوم رؤية واضحة محددة لوجوده فى المستقبل من حيث الشكل والاطار .

٢ ــ بالنسبة للمضمون :

من حيث المضمون فان اليسار المصرى مطالب بتحديد أهدافه أو برامجه . والمناقشة فى ذلك تقتضى :

« هل يجب ان يكون لليسار برنامج اقتصادى واجتماعى وسياسى وثقافى خطط مسبقا للمطالبة بتحقيقه والعمل على مراقبة تنفيذه او انه لا يستطيع ذلك الا بعد أن يتجسد فى شكل محسوس .

لما الان والى أن يحين وقت تجسيده فما هى المواقف التى ينبغى له أن يتقفها تجاه القرارات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية التى تتخذها الدولة وهل يجب أن يقف منها دائما موقف المعارضة ؟ أو أن يفحص مضمون كل قرار ليرى مدى منفعته للطبقة التى يدافع عن حقوقها ؟ ثم هل اليسار المصرى مرتبط بالمبادىء والمذاهب اليسارية والاشتراكية العلمية فقط ويطالب بتطبيقها كما هى ؟ أو أنه يدرس بكل حرية واستقلالية مدى مطابقتها العملية على واقع الحال المصرى ، أى هل يجب ان يكون تابعا أمينا للمذهب العام أو أن تكون له تصرفاته واجتهاداته المستوحاة والنابعة من طبيعة بلاده وحالة وطنه .

« كل هذه قضايا تحتاج من اليسار أن يفحصها ويناقشها ويعمل على تكوين رؤيته الواضحة المحددة كذلك فيما .

٣ ــ بالنسبة للتجربة فى مصر :

من حيث التجربة ، فان اليسار المصرى والاشتراكية المصرية ــ التجربة فى مصر بعد ثورة ٥٢ بصورة ظاهرة وقبلها بصورة ارهاصات . فلابد من المناقشة الصريحة والفحص الحر للكشف عن مدى الايجابيات والسلبيات فى هذه التجربة مع الاستبعاد المؤقت للمواقف العاطفية أو التكتيكية التى تضخم وتدافع وتتستر . لان اليسار فى هذه المناقشة والحوار وهذا البحث والفحص انما يعمل من موقع المسئولية وهو يضع التجربة فى بوتقة التحليل الموضوعى وليس فى مساحة المحاكمة والاتهام .

« ومسئولية اليسار هنا فى التحليل الموضوعى تجربة تنبع من كونه يضع بذلك دعائم وجوده ونموه وتطوره فى المستقبل . ان الاساس الذى سوف يرتكز عليه هو معصلة هذه التجربة . يجب ــ اذن ــ أن يكون على معرفة تامة وعميقة لمسار التجربة الاشتراكية فى كل طرقها ، واستوائها وانحرافها وتقدمها وتوقفها ، ودراسة كل العوامل التى دخلت فيها ودفعتها الى الامام أو الى الخلف ، حتى اذا نجح هذا النقاش والحوار والبحث ، فانه

سيؤدى حتما الى وضوح الرؤية الكاشفة لمستقبل اليسار المصرى فى شكله ومضمونه وتحديد ملامح الاشتراكية الحقيقية وصيانتها وتأمين سيرها الى الامام ».

■ لطفى الخولى :

اما بالنسبة للورقة التى أعدها باسم الطليعة مجموعة العمل التى اشرف عليها الدكتور مراد غنتول :

« ان التجربة الناصرية فى اللحظة الراهنة موضع تقييم من جميع القوى الاجتماعية وعلى تباين مواقعها وفكرياتها . فقد اثار كتاب عودة الوعى بقلم توفيق الحكيم جدلا صاخبا ، ترتج بين النقد المرير لما اطلق عليه ردة توفيق الحكيم وبين كسر شوكة هذا النقد بدعوى أن توفيق الحكيم أحد كبار المالهمين لثورة ٢٣ يوليو ».

« وحسبما لهذا الترتج من اجل مصر المتعثرة للسير فى طريق الاشتراكية ، وافق أديبنا على مواصلة الحوار مع أسرة الطليعة على أن يكون هذا الحوار بداية لحوار يشمل كل القوى الوطنية والتقدمية فى الوطن ».

« وثمة تضيقان مطروحتان فى هذا الحوار نعنى بهما : مستقبل الاشتراكية فى مصر ، ووضع اليسار المصرى ونموه وتطوره فى المستقبل .

ومن البين — هنا — أن الرؤية المستقبلية فى الميزان لهاتين القضيتين . وهذه الرؤية لازمة لنقد الحاضر من أجل توجيهه الوجهة المرغوبة ، لازمة كذلك للاستفادة من الماضى حسب ما تقتضيه هذه الرؤية .

« ومعنى ذلك ، أن المستقبل هو نقطة البداية لفهم الحاضر والماضى ».

ويحدد أديبنا الكبير هذا المستقبل بالاشتراكية الحقيقية وهى تدور على محورين :

١ — محور ايجابى هو حماية حقوق الملايين الكادحين والمحرومين لرفع مستوى اقتصاد الشعب .

٢ — محور سلبى هو الغاء الشعارات الكلامية .

وفى ضوء هذين المحورين ، يتامل أديبنا حاضرنا فلا يرى فيه الا اشتراكية هزيلة اثارته ، فسود ما سود من صفحات صدرت بعنوان عودة الوعى . فاذا باليمين التقارى يلتقطها ويروج لما جاء فيها من سلبيات فى التجربة الناصرية ، واذا باليسار يجد نفسه مضطر لمواجهة هذا اليمين المتخلف ، ومضطرا الى التركيز على ايجابيات التجربة فحسب .

وفى تقديرنا انه قد آن الاوان لتقييم العلاقة الجدلية بين ما هو سلبى وما هو ايجابى . وقد أشار أديبنا الى هذه العلاقة الجدلية فى رسالته الى اليسار المصرى المنشورة فى مجلة روز اليوسف فى عددها الصادر فى ٢١ سبتمبر ١٩٧٤ حيث يقول :

وفى اعتقادى أن اليسار يجب أن ينقد السلبيات الكثيرة التى عانينا منها لان هذا واجب ولان هذا لن يخدم اليمين ، وانما سيحرمه من الاستفادة بالموقف التبريرى لليسار . بل ان أديبنا العظيم لم يقف عند حدهذه العلاقة الجدلية بين ما هو سلبى وما هو ايجابى ، بل تجاوزه الى حد طرح العلاقات الجدلية بين ما هو ذاتى وما هو موضوعى ، ونعنى بذلك ، موقع عبد الناصر من قضايا الثورة والديمقراطية . فهو يقول فى نفس الرسالة « اننى بما كتبت لم أكن أتهنى على عبدالناصر كما يقولون . انى على العكس أحبه وأقدره لكننى أضع اجتهاداته فى مواقعها وأعتبر أن مشكلات الديمقراطية والاشتراكية فى بلادنا ماتزال بعد عبد الناصر فى حاجة الى حلول أخرى ثورية وديمقراطية وأديبنا المبدع حين يثير هذه القضايا لا يرى غير اليسار المصرى كفيلا بفهمها وحلها . وهو من أجل هذه الرؤية يخاف على هذا اليسار ويرغب فى الحفاظ عليه وعلى مستقبله . وهو من أجل هذه الرؤية أيضا يدعو الى توحيد اليسار بمختلف اتجاهاته الشارعة وتكتلاته المتباعدة .

« وهنا يقدم أديبنا ، تقييما لليسار المصرى يغلب عليه طابعا سلبيا . وفى رأيى أن هذا التقييم هو حتما موضع تقدير من اليسار المصرى ، وهو يعتبر توفيق الحكيم واحدا من أهم الطلائع المستنيرة فى سماء هذا الوطن على حد قول الطليعة فى افتتاحيتها فى عدد ديسمبر من هذا العام . ولهذا فان التقييم يدخل بالضرورة فى اطار الحوار الخاص بالتجربة الناصرية . ومن هنا تكمن مشروعية فتح ملف التجربة ».

بعد قراءة هذه الوثائق أعتقد أنه من المفيد ونحن نخطو الخطوة الاولى نحو الحوار أن نسأل استاذنا الحكيم اذا كان يود أن يقول أو يضيف شيئا الى هذه الوثائق أو يلقى مزيدا من الضوء على ساحة النقاش قبل أن ندخل اليه .

■ توفيق الحكيم :

أريد أن أقول أنه من المهم فتح الملفات . لماذا ؟ لانه يكون الخطأ في فتح الملف يعني اتهام فترة بحالها . واذا كان اتهاما فحتى هذا يبقى شيئا مطلوبا . أيضا ، الاتهام معناه انه فتحت قضية وفيها دفاع وفيها خبراء وفيها تقييم . انما هم قالوا هجوم ـ هذا الهجوم يفهم منه انه توجد عملية هدم لشخص أو لفترة . فالمسألة هي انه عندما نرجع لما حدث : سواء للكتاب أو غيره نجد أنى بأقول يا ناس نحن نريد أن نفتح ملفا لنصل الى حقيقة . وانا أرجو أن هذا يسفر عن ـ يعني ـ براءة ، أو تخفيف عن مسئوليات شخص أنا أحبه واعتبر انه كان هناك تلاقي روحي وتلاقي فكري بيننا ، ولكن لماذا هذا ؟ لان المسألة اذا انقلبت الى ضريح وعبادة شخص فمن هو الذي يستفيد منها ؟ الكهنة والسدنة اللى هم ما تعرفوش عايزين يعملوا من الحكاية دى أيه ويقولوا أبوه ما أحنا ماشيين على خط عبد الناصر ـ ما هو عبد الناصر عمل كدا ـ ما هو كان رأيه كذا » .

فالقضية هي أن الناصرية كعبادة خطرة على اليسار قبل كل شيء لماذا ؟ هي ليست خطرا على اليمين ، اليمين سوف يكسبها . اليمين قوى جدا ، لان اليمين هو الاصل في الانسان . الاصل في الانسان انه يميني ، واليسار هو الطارىء كيف ؟ ـ الاصل في الانسان الاول لما يولد طفل .. يبقى يميني ، يعني عايز الاوضاع كما هي ، وبعد ذلك يكبر يلاقي مثلا فيه أوضاع قائمة وقديمة فيقال له جدك كان يعمل كذا ، والمسائل كذا . أما اليسار فهو التغيير الطارىء يريد أن يعمل يريده ، يريد أن يغير . فاذا بحثت عن ماضي اليسار ، وفي أي زمن كان ، ستري أن ماضي اليسار يرجع الى أيام اخناتون ، لان اخناتون جاء فلقى أوضاعا مستقرة في عبادة آمون ، ولقى الكهنة مسيطرين وقد وضعوا تقاليد رسمية ، وان لهم ثروة كبيرة لانهم هم الذين كانوا يحكمون من وراء الفرعون . فجاء اخناتون ـ كيساري ـ لان اليسار هنا يعني الذي يريد تغيير وضع قائم وجامد ـ الانبياء كانوا كلهم في عصرهم ـ يساريين ، أي جددين . مثلا محمد وعيسى ـ جاءا للتغيير يعني تغيير أوضاع استقرت في المجتمع ويجب اصلاح هذه الاوضاع والافكار والعقائد القديمة بتغييرها بعقائد وأفكار جديدة .

فعملية التفكير بعد استقرار الدين يظهر انها غير مسموح بها ، هي كانت مسموح بها مع الأثر الذي هو النبي . الأثر الاول يسمح لك بالتفكير والمعارضة لانه هو نفسه أثر ويريد أن يعرف الحقيقة . انما بعد أن عبد ، وبقى مقدسا وأصبح له كهنة وسدنة يغلقون عليه الابواب ويمنعون التفكير والاجتهاد . فان المجتمع يعود الى الركود والتجميد . ـ فاذن أنا أخاف من التجمد أخاف من الناس الذين هي طبيعتهم التجمد لاسباب طبيعية فيهم أو لفوائد ومصالح ، وهؤلاء ـ مع الاسف في كل الدنيا لهم أغلبية ـ اذن هناك ناس خلقوا على الاوضاع التي تجمد . ومن هنا الخوف من تجميد الفكر . اليمين الرجعي يحب أما أن يثبت في مكانه وأما أن يرجعك الى عهود قديمة لا تنطبق على وقتنا الحاضر ويجعلها هي المقياس .. الوراء لا يمكن أن يكون مقياسا الا في الاشياء الثابتة الخاصة بأساس لا يتغير . يعني مثلا شعورنا بالقوة الكبيرة التي هي الله ، كما جاءت به الاديان . لكن عندما يتدخل الكاهن ورجل الدين ليخطط لمجتمع حاضر بمفهوم قديم ،يقول أرجعنا التخطيط الذي صلح للماضي يجب أن ينطبق عليك حاليا ،بلا اجتهاد وبلا تفكير فهذه تبقى عملية تجميد للمجتمع وللانسان البشري . يبقى أن هذا الانسان لن يقوم له قيام . في هذه الحالة يقوم اليسار . لكن ماذا تعني كلمة يسار ؟ كلمة اليسار في مصر شوهت لانه لا ضابط ، ولا رابط لها حتى صارت تهمة . العملية أذن عملية عدم ضبط للمعاني وتحديد للكلمات ، ولذلك لم أكن احب ان استعمل كلمة يساري ويميني لانها يتأخذ معاني أنا لا أقدر أن أضبطها . ولذلك أنا كنت أقول أنا لا أعرف هذا الكلام . أنا خذوني بالسلوك والعمل . لكن لا تأخذني بالاشكال . وصدم ارتباطي بالشكل السياسي في ثورة ١٩٥٢ سوف أشرحه في حينه .

■ لطفي الخولي :

ماذا اذا طبقت على الواقع خطوط هذه النظرية .. أقصد الواقع المصري المعاصر .

■ توفيق الحكيم :

اليوم في الواقع المصري سوف تحصل عبادة لعبد الناصر تمنع من محاسبة أعماله والاعمال

التى حصلت فى عصره والذين يريدون منع المحاسبه اووصفهابهجوم سيقيمون صريحا مقدسا حوله كهنة سيستفيدون منه ، ولن يستفيد منه اليسار او التقدم البشرى . ارجاعه الى بشر مسئول يعنى أننا سنحاسبه ، اذا حاسبته فربما كان ذلك فى مصلحته ، وقد تصبح مسئوليته فى الخراب الذى حصل ٢٠ فى المائة ، ويمكن ٣٠ فى المائة يعنى قول ٥٠ فى المائة عبد الناصر ومن هم مسئولون معه .

الخمسون فى المائة الاخرين مسئولية كل الناس : وهم من اول المخابرات ومن مراكز القوى . لان مراكز القوى هذه مراكز كيف تنشأ وتتكون وأنا لم أدرسها الا أخيرا ، أصلا أنا فعلا موقفى كان موقف نابع من التاريخ السياسى المصرى فى العشرينات حتى مجىء عبد الناصر . كنت عارف الحكاية . يعنى انظر لها نظرة معينة . وهذه النظرة ان تاريخ مصر السياسى من العشرينات ، لغاية الثلاثينات ، لغاية الخمسينات ، التى هى الثورة المصرية كان ماشى فى طريقة واحدة وهى الاهتمام بالشكل دون المضمون ، دساتير .. يقولك الدستور ، دستور ٢٣ وبعدين ييجى دستور ٢٣ يجيب أغلبيته مثلا شعبية . يقوم يقول عبد العزيز فهمى الذى وضع الدستور . هاتوا لنا دستورا معينا ليأتى بالمفكرين ويأتى الوفد يقولك : نريد دستور ٢٣ ، وبعد ذلك يأتى الملك والإنجليز ليوقفوا هذا وذاك . ويوقفوا البرلمان، لدرجة انى كتبت اقول : البرامج اولا طيب أين برنامجكم ـ البرامج غير موجودة فالمسألة كلها تدور حول الشكل أى شكل الحكم . لكن اين مضمونه . أين برنامجكم ؟ داخلين الحكم لماذا ؟ وابتدأوا مهاترات فى مسائل كلها مسائل شكلية ، وسابوا البلد وتقدمها لنفسها فان كان بنك قد انشىء فبمجهود رجل خارج الحكم مثل طلعت حرب ، واذا كانت هناك نهضات أدبية وفكرية فقد قام بهذا الافراد ، أما الحكومات فكانت مهتمة بالشكل ، وظل هذا الشكل أغلبية وأقلية ، والحزب الفلانى جاء والحزب الفلانى لا يمكن ان يحكم هكذا ، ثلاثون سنة لغاية ثورة ٥٢ . فاذا بثورة ٥٢ تأتى وتعمل العكس . دخلت بمضمون وانجازات بلا شكل ، يعنى جاءت كرد فعل عجيب قوى . لكن أين الشكل ؟ الشكل غير قائم انما هم جماعة جاءوا مخلصين وشباب وطنى ، ودخل ينفذ المضامين ويقولك الشكل لا يهم : طيب ! لكن سأوضح ـ فيما بعد ـ مسئوليتى فى هذا جسيمة . لماذا ؟ لان هذا الكلام ـ بالضبط قلته فى «شجرة الحكم» قلت لا ينقذ البلد غير ثورة مباركة ولا اعرف كيف حدث هذا ، كيف حدث ان خطرت لى فكرة ثورة فى عهد ملك يعنى هناك الهامات تاتى ولا أقدر أعلل كيف تأتى ، يعنى أنا غير مصدق كيف قلت هذا التنبؤ بثورة . ولذلك جبت الكتاب تانى طبعة ٣٨ أو ٣٧ الطبعة الاولى لم أجد نسخا منها بتاتا الا بعد فترة طويلة يمكن طبعة ٤٢ . لكن فى طبعة ٣٧ أو ٣٨ كيف وفى ذلك الوقت ـ أقول كلمة ثورة مباركة فى عز الملكية ؟ ماذا كنت اريد من الثورة المباركة ؟ ما الذى تعمله ؟ ـ أولا الاحزاب هاجمتها كلها ـ وبهدلت الدنيا رسمت لهم صور « زى الزفت » فاذن دول لا أمل فيهم ولا يمكن أن يعملوا عملا فى الصميم يفيد الشعب باعتباره « مضمونا » . فأنا أدنت الاحزاب ، وقلت أنا لا يهمنى شكل الحكم ، ولا الدساتير ، لان العبرة بالاشخاص المخلصين الذين يستقطبون ما يريده الشعب فعلا .

وفى الكتاب « تحت شمس الفكر » حاجات خاصة بمظاهر مثل « يا اخوانا طربوش ايه ـ الغوا الطربوش ! ودخلت فى معركة مع رجعى اسمه خليل ثابت رئيس تحرير المقطم فى سلسلة مقالات ، فكان يقول لى هذا قومية وذاك يقول كلام لا أعرف نهايته ، وبعد ذلك كتبت مقالات اسمها كادر المقامات ضد الالقاب ، وبعد ذلك تحديد الملكية ، ووضع الفلاح . وفى المقالات التى نشرت شرحت كيف كان برلماننا عبارة عن برلمان ملاك ، والملاك الذين جاءوا هم الذين اعطوا أنفسهم الوصاية على بقية عناصر الشعب . كل هذا كتب ونشر قبل ثورة ١٩٥٢ .

وطبعا « عودة الروح » كان فيها مسألة هى نظرية الكل فى واحد والزعيم المعبود : مصر فى حاجة الى زعيم معبود يلمها . « الكل فى واحد » ـ هذه رنت فى ذهن عبد الناصر رنينا قويا ، وأيضا حكاية الغاء الاحزاب ، واحكم بنفسك وبمفردك ولكن بمضامين . فجاء عبد الناصر ولم يكن يباشر الثورة فى اطار شكلى ، لم يكن يهمه الشكل . ترك الشكل ودخل فى المضمون . كما كنت أتمنى . والا لما كنت تحمست له بهذه القوة . أين كنت عندما الغيت الدساتير ؟ هنا لابد من ذكر أن من قاوم هذا الفكر الذى طرحته (عن الاهتمام بالمضمون دون الشكل) كانوا أولا الاحزاب القديمة . الله ! أين الدستور ؟ اعملوا لنا دستور ! أنا لم يكن يهمنى هذا الكلام انما أنا شتمت الدساتير المفتعلة ، كان هناك اتجاهان : اتجاه الرجعيين واتجاه اليسار .

واليسار فيذلك الوقت قال : هذه تازية . يعني تهيأت له أن هذه مسألة خطرة أي عدم وجود شكل ديمقراطي لهذا النظام .

■ خالد محيي الدين :

لكن مصر كانت أيامها ، يعني الثورة ، لم تكن قد حددت البرنامج الاجتماعي . كان هناك اتجاه الى فتح باب لرؤوس الاموال الاجنبية والرغبة في التفاهم مع الولايات المتحدة . الاتجاه الثوري لم يكن قد وضح . والسبب الذي حفزنا الى الديموقراطية بالصورة التي أشار اليها الاستاذ توفيق الحكيم هو أن الاتجاه كان الى قبول النقطة الرابعة ، وهي الاتفاقية التي كانت الحركة الوطنية ضدها قبل ٥٢ . أي ضد فكرة استيراد رؤوس الاموال الاجنبية ، كانت هناك حركة وطنية ضد أي معاهدة تربطنا بالغرب ، وكان الاتجاه السائد هو قبول معاهدة فيها نوع من الرباط واحتلال القاعدة ، ثم الانفتاح على رؤوس الاموال الاجنبية ثم شدة العداء للشيوعية . وانا كرجل يساري كنت متخوفا من هذه الاتجاهات . فكانت وجهة نظري ان العلاج لهذا الموقف مع ابدال الحكم المطلق الذي تمارسه مجموعة مثل مجموعتنا ، كان العلاج أن تكون فيه ديموقراطية ،وكان الراي ان الثورة تعمل حزبها ، لم يكن مطروحا انهم يتنعون ان الثورة تعمل حزب ، وعندها الشعبية القوية ، فلا يجب أن تخشى الانتخابات . لكن الفكرة التي كانت سائدة وهي فكرة المستبد العادل نظرية المستبد العادل كانت موجودة عند علي ماهر والاخوان المسلمين كانوا ايضا يدعون الى أن المجتمع الاسلامي ليس فيه أحزاب ثم ان الناس كانت « زهقانة » من الاحزاب .

■ توفيق الحكيم :

هو أنا لما كانت لي كتابات سابقة كان فيها نقد شديد للاهتمام بشكل الحكم دون مضمونه ودون وجود برامج جعلني لما لقيت رد الفعل العكسي ، وهو مضامين بلا شكل رحبت بها . ثم كنت أشرت أيضا الى أن المستاجر لا تهمني وانما تهمني ثورة مباركة تشتغل لمصلحة البلد من أشخاص مخلصين . يعني لا أريد الشكل . لكن اتضح ان اهمال الشكل أدى الى المساوىء التي تنبهتم اليها . وانا لذلك اتحمل جزءا من المسئولية فيها . وأنا لا أبرر موقفي ، والا أكون رجل أبني حياتي على تزييف ، أنا عمري ما عملتها ! فلابد ان الموقف يكون صادقا ، لانني انا لم أكن أطمع في مناصب لا من هذا ولا من ذاك . كل ما أردته أن أرى حالة البلد لا بشكل نظري ، ولكن بمضمون فعلي عملي نافع للشعب . كنت أسأل قبل كل شيء : كيف سيحكمون ؟ هؤلاء جاءوا على الفور بانجازات . قالوا لك : هملنا الاصلاح الزراعي ، والنظام والعمل (حتى كلمة النظام ترددت في كتبي) اذن كنت أنا قايل بالثورة ، بهذا الوضع ، بدون ان أرى ان هذه عيوب أو انحرافات يمكن ان تتوثر في مجرى الثورة . فكانت النتيجة انني كنت معها بإخلاص ، حتى لقد كتبت مقالة اقول فيها منذ ٣٠ سنة أنتظر هذا الرجل وهو عبد الناصر . وكنت مخلصا في كل هذا لانني كنت أعبر عن آراء لي سابقة قبل الثورة . وكان يمكن ان تكون آراء مقتعلة لو انني نظرت الى عبد الناصر بعد ان جاء ولقيت في يديه السلطة . لكن هذا لم يحدث . ولو أنه حدث لكنت أعطي لنفسي حرية الفحص أنما هذه حاجة مفروسة في افكاري القديمة بكتابات بين ٣٠ سنة . فلما يأتي هذا الرجل لينفذها ، فانني من الطبيعي ان اقول أنا متحمس له . حتى انا فكران السنهوري لما جاء وقال لنا الثورة عايزة تعمل الحد الاقصى للملكية الزراعية ٥٠٠ فدان لو ٢٠٠ قلت له لا اجعلوها ٢٠٠ لاننا نريد ثورة بصحيح لا انصاف حلول . فاذن كنا متحمسين لهذا الاندفاع ، أو على الاقل أنا . لما المعارضون وقتئذ فقد تنبهوا الى ضرورة الشكل . ولذلك أنا اليوم جئت الى هنا وقلت الشكل فلانك اذا أنت عملت مضمونا بلا شكل وجاء حاكم في يده سلطات تكاد تعمل به الى العبادة فتكون النتيجة انه يعمل لنفسه شكلا ، اي أنه يشرع على الفور في البحث عن شكل يستطيع أن يقنن به سلطته العظيمة هذه ، فيجمع المبعوث الزعيم السلطة الشعبية الزوجية والسلطة الفعلية المادية وهذه الامور ما كانت لسعد زغلول ،سعد زغلول كان عنده يعني ـ كما تقول ـ السلطة الروحية وهي الزعامة الشعبية التي لا شك فيها . انما لم يكن عنده السلطة الحقيقية . قدامه الملك وهو ضده ، وقدامه جيش الاحتلال الانجليزي . فكان لسعد زغلول عبادة شعبية بلا سلطة حقيقية لان قدامه القوى التي تملك السلطة : جيش ومملك . فكان سعد زغلول ساعة يسقط وساعة ينهض . يعني سعد كان محل نقد من الصحف المعارضة له ،لان العبادة لم تكن تدعمها سلطة ـ العبادة كانت عبادة شعبية .

لما جاء عبد الناصر تمتع بما لم يتمتع به أحد

في العبادة ، ولا حتى الفراعنة ، كانوا يحكمون بواسطة الكهنة ، والكهنة كانوا قاعدين اتباع آمون يقولون للملك لا اعمل كذا واعمل كذا تعالى نتوجك لكن سلطات عبد الناصر الكاملة بلا حدود لا يمكن أن نقول انها تكررت في مصر .

■ **لطفي الخولي :**

لكن كانت رغم طابعها الفردي – وهذه سلبية طبعا – ذات طابع وطني تقدمي وتأييد شعبي .

■ **توفيق الحكيم :**

انا اقصد انها كانت سلطة شعبية وحكومية معا وكنت أحبه لانه جاء كما أردت بمضبامين وانجازات لم يتكلم في الشكل ونظرنا فوجدنا انجازات تتم .. اصلاح زراعي وأشياء كثيرة ومجلس أعلى للفكر ، كل ماكان الناس يريدونه .

طيب ! يبقى ماذا حصل ؟ الذي حصل انه لما بقي الشعب معه ويعيده عبادة لانجازات تمت فعلا ، وبعد ذلك معه السلطة الفعلية فلن يوجد مخلوق واحد يقدر يقول له الزم بيتك كما كانوا يقولون لسعد زغلول ، لهذا نوع من انواع السلطة التي لم يتمتع بها أحد هو بمفرده لا تشكيل بجانبه .. فماذا حدث بعد ذلك ! حدث على الفور أن ظهرت الجماعة التي نسميها مراكز القوى .. والتف حوله ناس أخذوا سلطات كبيرة جدا بحجة الدفاع عنه والمحافظة على حياته والمحافظة على نظامه فيأتي له مثلا فلان ليقول : آه هذا فلان كان في نادي آيه وكان قاعد يشتم .. فلان يوضع تحت الحراسة ويأخذون فلوسه وحريته بدون محاكمة . نهايته كل ما وقع من سجن وتعذيب ، يعني حاجة من الاثنين : بجول هو كان عنده خبر بكل هذا ولم يكن يريده ، لكن بعض الاحيان تجد بعض ناس يقولون هو ليه بأن هذا لا يصح ، لكن هناك آخرون وجائز يعملون هذا كله من وراء ظهره وهو لا يعرف ، وجائز انهم كانوا يقولون له : لا ! انت تعرض للخطر النظام كله اذا قامت المحكمة ببرئة فلان .

وقالوا ان تبرئة المحكمة لفلان معناها أن القضاء سلطة أخرى .. والقضاء هو أيضا متعاطف مع القوى الرجعية .. يعني كلام يفهمونه للزعيم المطلق .. فأصبح هناك قوة أخرى تنشط بدون مسئولية .. وفي الناحية الاقتصادية أيضا استولوا على قطاعات لمصالح خاصة وليس لمصلحة الشعب يعني كل المساوىء التي رأيتموها .

ثم جاءت حرب اليمن . ما هي حكايتها بالضبط ! هل كانت نتيجة معلومات مغلوطة من حجم العملية ؟ وهل كان الدافع الاول لها كما قيل انها امريكا والصهيونية لاستنزاف جهد مصر وأموالها في حرب بين العربي والعربي بعيدا عن اسرائيل ؟ ماهي الحقيقة هنا ؟ وهل كلفت مصر حقا أربعة آلاف مليون جنيه كان الفلاح المصري ينتظرها لتحقيق اشتراكيته ورفاهيته ؟ .

احنا عندنا ملايين وعندنا القرى عاوزة تصليح .. يعني ؟ آلاف مليون هذا كثير . فهل هذا حقيقي ؟ أو غير حقيقي ؟ كيف نعرف كل هذا ؟ كيف ندرك الحقيقة ؟ لابد الذن من فتح الملفات ...

■ **لطفي الخولي :**

اذا أذنت لي .. فقط من أجل محاولة تنظيم عمل الندوة ، أن نلتقي اليوم بكل ارائك دفعة واحدة . انك أعطيتنا اليوم ما يمكن أن يكون غرشة مهمة لابعاد آرائك ومواقفك . المطلوب بعد ذلك أن نستخدمها في ترجمة الاوراق والمناقشات التي جدول عمل نسير عليه في الجلسات القادمة ونقترح في مجال تمهيد الارضية العامة للحوار أن الاستاذ خالد محيي الدين من موقعه باعتباره أحد مفجري ثورة ٢٣ يوليو وفي نفس الوقت مختلف فكريا واجتماعيا في مرحلة من المراحل مع الثورة واستقال من مجلس قيادة الثورة . ولذلك من موقع يساري رغم استمراره في تأييد الخط الوطني التقدمي للثورة – انه يزودنا أيضا بغرشة مختصرة من وجهة نظره بحيث انه بعد هذا ، نتصدى لتحديد جدول الاعمال بوضوح أكثر وبمدى أعمق .

■ **توفيق الحكيم :**

نحن فعلا في انتظار هذه « الغرشة » . ولكن أحب قبل هذا اقول كلمة في عودة الوعي لانك انت وضعت الموضوع على هذا الاساس .

نحن نتفق على أن عودة الوعي كان مطالبة بملف يفتح وأن هذا الملف يفتح موضوعيا ، واننا نعمل كما حصل في الاتحاد السوفيتي لما رفض عبادة الشخص . لما جاء ستالين وكان قد جمع كل السلطات في ايده لان قدامه نازية واخطار خارجية فجمع كل السلطات .. كل سلطة تتجمع في يد فرد عبادة وشعبا وجيشا وكل شيء فهنا يلتف حوليه ناس يخلوه يرتكب هذه الكوارث الدموية .. يعني ما حصل في أيام ستالين هو نتيجة تقارير ، وبدأت العملية

الدعوية من أين تأتى هذه العملية تأتى من ان شخص ليس مهايته الحكم بالدماء ، لا وانما هو حكم الفرد الذى ليس فيه معارضة هنا تجد ناس يقفونه ويقولون له الحق نظف قوادك وصنوفك .. فالعبادة فى الواقع تخدم ناس يستفيدون من وراء العبادة .. هات أى حاجة واعمل لها ضريح مقدس . على طول تبص تلاقى طلع واحد شيخ وجاب صندوق نذور وهو الذى اكتسب فى النهاية من صندوق النذور . ويقول لك : « يا أخى ده سره باتع » .. فلابد أن عبادة الفرد تكون بهذا الشكل .. كاهن وضع قطعة حجر وقاعد يقولك القرابين .. ما هى القرابين ؟ تذبح كذا وكذا .. وهو يملأ كرشه .. فحيث توجد عبادة يعنى كهنة يستفيدون ..

■ لطفى الخولى :

هل نفهم من ذلك أنك تراجعت عن هذا الموقف . أى بتعبير آخر .. تعتبر نفسك مسئولا ..

■ توفيق الحكيم :

طبعا أنا مسئول . أنا أدين نفسى لانه ماكان يصح لمفكر حر أن يكتب ويقول ما يشجع على ظهور زعيم معبود . لماذا ؟ .. لان الكاتب الحر كان يجب ينتبه لعبادة الشخص ونتائجه ، أنما الذى خلانى أنقاد هو انه اولا من ٣٠ سنة وانا أيام أشكال من الحكم ليس فيها مضامين أبدا .. بجرد ما جاءت الثورة ببعض المضامين .. ثم أجدها تنفذ كلها أنا كاتبه فى الورق .. حاجات كانت آمالنا وتتحقق .. مسألة أنه ستصل هذه الامور الى عبادة الشخص لم يكن فى تخطيطى هكذا . واذا حصل ايضا ما كان لى أن أرفضها لانه لابد أن يثبت بعد ذلك ـ ضرر هذه السلطة المطلقة التى بلا حدود . وقد ثبت بالفعل والواقع هذا الضرر . كما ثبت أنه لابد لاى فرد بشر أن يكون قابلا للمحاسبة . هناك من يقول : الناصرية لا أحد يمسسها ؟ مين يدافع عنها سنجد أن الذى يدافع عن الناصرية فى هذه الحالة هم الناس الذين لا علاقة لهم بثورة ولا اشتراكية .. جماعة يستغلون صندوق النذور . واخذ بالك ! انما يوم أن تجعله بشرا قابلا للمحاسبة .. وتقول نعم هذه ثورة ملكى ، ملك الشعب وليست ملك عبد الناصر فهنا لابد من أن نفتح الملف ونرى كيف اتجهت الثورة فتسأل : لماذا فشلت هذه العملية ؟ طيب ! ومادا حدث فى هذا الموقف بالذات ؟ ولماذا فعل عبد الناصر هذا .. فلذا تبت المحاسبة بدون دفاع عن العيوب وتبرير للخسائر وتبحث موضوعى ستجد أن هذا الرجل مسئوليته تضاءلت ربما الى حيز ما كان يمكن أن تقصر درجته ، وأن درجات كبيرة من المسئولية قد تقع على آخرين .

فاذن عودة الوعى هى كذلك دعوة الى البحث فى درجات المسئوليات .

لقد قلتخفى هذا الكتاب انه لابد من كشف الحقائق لنعرف الحكاية ايه ! لابد ! وهذا مهمة الكاتب التى لا يمكن أن يتنازل عنها : وهى معرفة الحقيقة .. لابد أن أعرف الحقيقة .. ولهذا فان عودة الوعى اذا ما وضع أيام التحليل المنزه اعتقد أنه سيكون فى مصلحة عبد الناصر .. اذا سبناه للمدنة والكهنة الذين يقولون لك : كفى ! أوعى حد يمس عبد الناصر ! .. كفر ! .. فان التاريخ لن يرحمه أبدا لانه أولا .. لكن هل هذه التهم حصلت ؟ طيب ! لم يناقشه فيها انسان .. طيب ! نناقشه . لكن أجزاء المجتمع الحاضر مختلفة على ذلك الان .

جزء يقول لك .. لا .. لا داعى أنا أحب الرجل بعواطفى وانتم تجرحونه وكلام من هذا القبيل . هذا هو النوع العاطفى وهو جزء أو اتجاه لا خطر منه .

وجزء آخر يقول لك لما يتفتح الملف « خروج فى داهية » لان مسئوليتنا ستقل ٨٠ فى المائة وهو ٢٠ فى المائة . لا ! الملف لا يجب أن يفتح .. ولذلك أول ما فتح الملف لقيت نفسى داخل فى الحكاية وبعد ذلك لما ابتدأت أحلل لقيت أن الحكم المطلق ...

■ لطفى الخولى :

أود أن أسأل سؤالا خطر ببالى الان ، « عودة الوعى » هو صادر ليس فقط كعمل من أعمال النقد والنقد الذاتى فى مواجهة أحداث الخمسينات وثورة يوليو ، بل أيضا لادراكك ومواقفك فى الثلاثينات قبل الثورة .

■ توفيق الحكيم :

بدون شك . هو الانسان لكى يجسم التهمة يقوم يقارن بما قبلها .. يقول لك : ما قبلها كان فيه حرية تعارض الحكم وهذه الحرية كانت تتيح لنا أن نعارض . ولو أن المساوىء التى وقعت قبل الثورة فى كتبى أنا كلت بادين الحكام عليها . ولكن لما أجى أشوف الكارثة حصلت من العبادة والكهنة فأجد انه كان ممكن يبرأ منها ، لو كان

حكم فيه معارضة وفيه ديمقراطية سليمة . لان السابقين (على شورة ٥٢) وان ادوا الى معساوىء للبلد اضعفت بعض تقدمها يمكن قبل الثورة لم يكن فيه كوارث ولكن عرقلة ما لتقدم البلد .

■ د. فؤاد مرسي :

استاذنا توفيق الحكيم قال لنا كلام درر فى الحقيقة ، وأنا معروف دايما أن تقييمى متشدد على الناس ، فانا قلت درر فهى درر وكلامك يسجل للتاريخ وليس لنا فقط ..

فى الحقيقة انت وصلت الى نقطة فى غاية الاهمية ، ومى تصنيفك لاولئك الذين يرفضون مناقشة الملف ، وهم فعلا بالتصنيف الذى انت قلته هذا باضافة ناس مستعدين أن يفتحوا الملف .. طيب ؛ هؤلاء المستعدون لفتح الملف لم تصنفهم لنا ؟ انا يهمنى دول قوى ..

■ توفيق الحكيم :

كالعادة فيه تناقضات . ناس مخلصون لمصلحة البلد ، وناس يقولون لك : نفتح الملف لنشنع على **عبد الناصر** لاسباب انتقامية ، ولاسباب يعنى نفعية لها طريقة أخرى وردة لعل وعسى أن نقول ان **عبد القادر** خرب البلد ، يبقى نرجع لما قبل **عبد الناصر** حتى تتساوى الامور ويصبح المطلوب الغاء فترة بكاملها . ولكن اذا ثبت انها كانت فترة ضرورية فنحن من نلعيتنا نقول انه لابد من تعديلها ، ولابد من معرفة موقع الخطأ فيها حتى ندعمها . لان اذا قلت كلمة الاشتراكية فقد حدث فعلا تحول اشتراكي . ولكن هذا التحول لماذا لم يأخذ كل قوته ؟ الجواب لانه كان يجب أن يكون فيه اشتراكية قوية وعظيمة جدا . لكن لماذا عملت طبقات جديدة .. وكيف حدث أن هذا النظام يولد طبقات .. فنجد مثلا من يشترى شقة بـ ٢٠ الف جنيه و٣٠ الف جنيه ..

■ د . عبد العظيم أنيس :

ملاحظة وحيدة فيما يتعلق بالاقتراح الخاص بأن الاستاذ **خالد حبيب الدين** يعطى « عرشة » حول موضوع الثورة . يمكن الموضوع هام ولا غنى عن تناوله لكن يمكن – من ناحية التوقيت – ملاحظتى هى أنه اذا كنا سنتفق على ما هى القضية المطروحة فى هذا النقاش .. فانا أتصور انه لو بدأنا بعنف أشياء من جدول أعمالنا كموضوع النقاش ، فيمكن أن نستريح ابتداء .. لا شك أنا متصور أن هذه الجلسة ليس هدفها هو محاكمة كتاب **عودة الوعى** ، هذا اولا وايضا التضية الرئيسية المطروحة هنا ليس هدفها هى محاكمة اليسار فى موقفه من **عبد الناصر** فى خلال الـ ٢٠ سنة الماضية . وبالتالى ، يعنى أنا متصور ايضا من واقع ما طرحه أستاذنا **توفيق الحكيم** فى خطابه للاستاذ **لطفى الخولى** ، ومن النقاش الدائر حاليا ، ومن الكلام الذى قاله ، متصور أن القضية مستقبلية أكثر منها قضية متعلقة بالموضوع . لكن هذا لا ينفى طبعا أن الماضى لابد أن يتناول ، وانا غير متصور نظرة مستقبلية دون أن يكون هناك نوع من التقييم للماضى . لكن تقييم الماضى يكون فى اطار هذه المناقشة الاساسية حول مستقبل مصر ومستقبل اليسار فى مصر . على هذا الاساس أقترح – فى الاول – أن يكون هناك نقاش – فى اطار المناقشة – فيما يتعلق بمستقبل مصر ، يعنى فيه عدد من النقط الاساسية التى أعتقد أن من المهم أن نتفق فيها ، أو نختلف ، فقط يكون هناك وضوح حول الاتفاق أو الاختلاف فيها ، وذلك فيما يتعلق بقضية مستقبل مصر أو قضية اليسار من ناحية الاطار العام .. أستاذنا **توفيق الحكيم** .. يعنى حادى مثل كنقطة .. يعنى فى كتاباته – من زمان – كان باستمرار يركز على قضية **مصرية مصر** .. مصرية مصر هذا بمعنى لكد كثيرا فى كتابه . أما فى كتاباته المتعلقة فى **عودة الروح** ، أو الكتابات السياسية العامة أو الفكرية العامة ، أو .. حتى اذا كان أمله باستمرار أن يكون فيه دراما مصرية ، عبر عنها فى **أهل الكهف** مقابل الدراما اليونانية . مثل هذه القضية – فى جو العشرينات والثلاثينات – قد يكون من المفهوم تماما أن تستوعب أو تستحوذ على ذهن المفكر الحر . لكن الاربعينات والخمسينات والستينات والسبعينات طرحت البعد العربى لمصر بشكل واضح . سواء شئنا أولم نشأ . فهل اذا قبلنا فكرة مصرية مصر بالمعنى القديم يكون مبدأ دخولنا فى مشكلة اليمن كان غلط من أوله الى آخره ؟ .. جائز .. الاستاذ **توفيق** أثار هذا الموضوع ، بصرف النظر عن التفاصيل .

موضوع فلسطين ، أصلا ممكن أن يكون مطروحا للسؤال عن وطننا فى هذه العملية .. فيه نظرية ، لدى عدد من المثقفين المصريين وحتى فى وسط الرأى العام المصرى الآن ، يقول [وانا فى رأيى أنها نظرية مخلصة] « واحنا مالنا ومال الكوارث

دى بتاع البلاد العربية . خلونا فى ظروفنا ومشاكلنا الداخلية » . فهذا محور . يعنى انا اقول ان هذا احد الاطر الاساسية فى المناقشة . وفى تصورنا هل مثل هذه القضيه ينبغى ان يكون فى وضوح حولها قبل ان ندخل فى مشكلة اليمن والمشاكل التى من هذا النوع ؟ من ذلك انا اقترح ان يكون فيه مناقشة لاطار علم لتصور مصر . وما هى المحاور الاساسية سواء اقتصادية او سياسية او عربية او دولية التى يتحرك فيها الواقع المصرى . اذا اتفقنا على هذا او اختلفنا فانه سوف يساعدنا جدا ان نستطيع ان نتصور مستقبل مصر . هذا المستقبل نقطة انا انظر اليها من الناحية العكسية . ابتدىء انا بمستقبل مصر ، وبهذه المحاور . ومستقبل اليسار ـ طبعا كجزء من مستقبل مصر ـ وبعد ذلك ارجع [عند توزيع المناقشة] ـ الى الماضى واسمح **خالد محيى الدين** فى تقييمه ، واشياء كثيرة لا شك سنجد فيها نقدا لليسار فيما يتعلق بالتجربة الناصرية . ما هى حدود هذا النقد ؟ ما هى مسئولياته ! نقد الكتاب والمفكرين امثال الاستاذ **توفيق الحكيم** فى هذا الموضوع .. الخ . نقد التجربة نفسها من الناحية الموضوعية بصرف النظر عن الاشخاص .. الخ ده بس اقتراح يعنى .. نقد اليسار نفسه ..

■ **لطفى الخولى :**

انا موافق على ما يعرضه الدكتور **عبد العظيم انيس** لكن المتبقية انا اقصد زيادة على ذلك أمرين .. الامر الاول ان الاستاذ **توفيق الحكيم** عرض فرشة مفيدة جدا لاثراء المناقشة ومحاولة الوصول الى المفاتيح ، او جدول الاعمال الذى يطلبه الدكتور **عبد العظيم انيس** من اجل تحديد اطار المناقشة ..

والاستاذ **توفيق الحكيم** عرض هذه المناقشة من واقع انه يعتبر نفسه مسئولا فكريا عن ثورة ٢٣ يوليو او احد المسئولين المفكرين الاساسيين عن ثورة ٢٣ يوليو . وقد آمن على ذلك الرئيس **جمال عبد الناصر** ـ نفسه ـ عندما قال اكثر من مرة انه تأثر تأثرا كبيرا **بتوفيق الحكيم** ، وبالذات **بعودة الروح** . وهو ما يحاول الان الاستاذ توفيق الحكيم انه يستكشف ابعاد هذا التأثير المتبادل بينه وبين قيادة الثورة . حسنا بعد ان حصلنا على فرشة من موقع مفكر قيادى فى الثلاثينيات وعاصر التجربة حتى الان ـ مد الله فى عمره ـ من المفيد ايضا نتزود فرشة اخرى من رجل شارك فى ثورة ٢٣ يوليو نفسها ، واختلف واتفق معها ، من موقع يسارى واضح ومحدد . وبالذلى يخيل لى ان هذه الفرشة مع فرشة الاستاذ **توفيق الحكيم** ممكن ان تفرغ لنا طريقا اكثر وضوحا للوصول الى تحديد النقاط التى اشار اليها الدكتور **عبد العظيم** ، المطلوب هو مجرد فرشة لا تقييم لانه حتى كلام الاستاذ **الحكيم** ليس تقييما وانما هو مجرد فرشة . وبالتالى فرشة الاستاذ خالد ممكن تفيدنا جدا هذا هو الامر الاول .. الامر الثانى .. انه فى الحقيقة نحن على تباين فى افكارنا حول تقييم هذه التجربة .. الخ ،بل انزوايا رؤيتنا للتجربة تختلف .. خصوصا وانه معنا اليوم مجموعة من زملائنا الشباب ، يهمهم بعد ان اطلعوا على الفرشة التى قدمها الاستاذ الحكيم ، ومن خلال كلامه وليس عن طريق السماح او القراءة منه . وهذه نقطة مهمة جدا ، اسماعهم حتى هؤلاء الشباب ايضا الذين نحرص على ان يكون اسهامهم فى هذا الحوار اساسى ، انهم يطلعوا ايضا على فرشة الاستاذ **خالد محيى الدين** .. ثم نعود الى النقطة الذى طرحها الدكتور **عبد العظيم** عن جدول الاعمال .. ما رايكم .. !

■ **محمد سيد احمد :**

كلمة واحدة انا اقول ان الاستاذ **توفيق الحكيم** اثار بعدين محوريين ، النقطة الاولى يسار يمين ..

■ **لطفى الخولى :**

لينت هذه هى القضية اطلاقا الاستاذ **توفيق الحكيم** كما لو كان جلس وقال مجموعة كلام انا لا اتيم هذا الان .. ايضا الاستاذ **خالد محيى الدين** يتعد يضم فرشة كلام ، هذا سيفيد فى البلورة التى يطلبها عبد المظيم وهى اساسية ..

■ **توفيق الحكيم :**

يعنى اريد ان اقول ان هذا يدخل فى الشكل فى القسم الثالث الخاص بالتجربة ، تجربة الثورة باعتبار انها لم تكن اقتصادية فحسب هى اقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية .

انا اريد ان ادخل المسائل فى اطارات .. فاطار التجربة سيدخل فيه كل هذا الكلام ... الاطار رقم ١ ، ورقم ٢ هو شكل اليسار فى المستقبل . لان هذا يهمنى ـ انا ايضا ـ لانى

انا لما اقول انا أريد مضمون يحصل أن ضياع الشكل سيؤدى بنا الى هذا ، الى متاهات مدينة . واذا قلت شكل بلا مضمون فهذا يعود بنا لما قبل سنة ٥٢ .

■ **لطفى الخولى :**

عاوزين نتفق أرجوكم على حاجتين واحدة من اثنين : أما تأخذ د . **عبد العظيم أنيس** أنه يغفل الفرشات [الخلفيات]وتعتبر أن فرشة الاستاذ **توفيق الحكيم** كافية تناقش مباشرة ما هو الاطار ، وما هو جدول الاعمال الذى سنسير عليه فى هذا الحوار ، وأما أن نأخذ بالاقتراح الثانى الذى تقدمت به وهو أنه فى مقابل فرشة الاستاذ توفيق نطرح ايضا فرشة مركزة ومختصرة سياسيا تقييما — من الاستاذ **خالد محيى الدين** ثم نعود الى اقتراح د . **عبد العظيم أنيس** فأنتم تقررون فى هذا المجال ما تشاءون ..

■ **أبو سيف يوسف :**

افضل المنهج الذى يطرحه **لطفى** لان هذه المسئولية خطيرة جدا وستكون مثارا لمناقشات كثيرة جدا . وحتى نقطع الطريق على أى تأويلات نحاول أن نستفيد من فتح مثل هذا الملف ، فانى اعتقد أن الرؤية الداخلية للحدث ستكون ثمينة جدا فى تقييم التجربة بكل أبعادها . ولهذا ، افضل أن نستمر فى النظر الى ثورة ٢٣ يوليو من الداخل . وعلى هذا الاساس لو نستمع للاستاذ **خالد محيى الدين** فسيكون هذا مساعد جدا على التقدم .

■ **د . فؤاد مرسى :**

حدث تاريخى ايضا أن بين أعضاء مجلس الثورة قطب يسارى ماركسى ، هذا حدث من المفيد ايضا أن نعتبر حول ما جرى للثورة من البداية حتى النهاية برأى هذا القطب الماركسى ، لأنه عندئذ نستطيع أن نضع ايدينا على نواح وقائع لا وجهات نظر قد تكون تعبيرا عن ذهننا نحن وتساعدنا على التقييم ..هذا الحدث التاريخى يجب ألا نتحركه بفلت هنا ....

■ **لطفى الخولى :**

طيب : هناك موافقة الان على أن الاستاذ **خالد محيى الدين** ...

■ **خالد محيى الدين :**

هوه فى الحقيقة انا فى غنى عن اتكلم من التقدير الكبير للاستاذ **توفيق الحكيم** .. أما بالنسبه لكتاب عودة الوعى فهى نظرى لا يوجد أحد فوق المناقشة ، ولا فوق المحاسبة .. انما نقول ان سبب الضجة التى حصلت حول هذا الكتاب أن فى وقت ظهوره صاحبه حملة من اليمين ضد **عبد الناصر** — محاولة شطب التاريخ كله والشىء الغريب انى اكثر واحد اختلف مع **عبد الناصر** . يعنى من ٥٤ سنين مجلس الثورة وهناك اشياء كثيرة جدا . لكن الموضوع ، موضوع التجربة الوطنية ، وهذه قضية اخرى .

واقول أن قبولك لتقييم التجربة ، وأن تتحدث مع اليسار ينفى بدائا فكرة انك تريد لليمين ان يستفيد من هذا الامر .

الحقيقة فيما يخص التجربة الخاصة بثورة ٢٣ يوليو ، الكلام الذى قاله الاستاذ **توفيق الحكيم** عن مسئولية **الكل** فى واحد **والواحد فى الكل** انه أنا — كرجل عاصرت الثورة أقابلت ان هذا الفكر كان موجودا قبل ثورة ٢٣ يوليو فى اوساط الضباط . وتركيب مجلس الثورة عكس كل الافكار الموجودة فى مصر : الماركسية : يسار ، وسط ودينى عادى ، ويمينى على اساس دينى ... باختصار كل الاتجاهات التى كانت موجودة فى مصر كانت موجودة فى الثورة ، وهذا كان يمثل — فى الحقيقة — قوة الثورة .

النقطة الثانية ، ان برنامجها الذى كان موجودا ، الشىء الغريب جدا ان البرنامج الذى كان يوزع على الضباط الاحرار لم يكن فيه اى شىء بتاتا عن حكم فردى لانه لم يكن هناك تفكير فيه فى ذلك الوقت . وما اقوله هو انه كان فيه **اقامة جبهة وطنية** . اولا كان فيه هجوم على الاحزاب المتعاونة مع الاستعمار . ولكن كان فيه تصور انه فى داخل الاحزاب ، او فى مصر ، فيه احزاب وطنية أخرى . ولذلك اول نقطة فى برنامج الثورة هى القضاء على الاستعمار الاجنبى واعوانه من الخونة المصريين . والنقطة الثانية : اقامة جبهة وطنية من القوى الوطنية والاحزاب الوطنية [هذا البرنامج اختفى ولم يعثر عليه أحد ، كان فيه نسخة واحدة عندى وطبعا شارك فى كتابته

الماركسيون المصريون وهذه حقيقة تاريخية ايضا وتضمن البرنامج عدالة اجتماعية ، ثم اقامة جيش وطنى قوى يسمح بترقية الجنود الى ضباط [دى نقطه مهمة]كل هذا وارد بس باختصار . . فاذن الثورة وهى قائمة كان عندها فكرة ضروره مساندة القوى الشعبية . وكان فى نظرنا ـ فى ذلك الوقت ـ أن الوفد هو القوة الشعبية ـ هذا تاريخ وسأقول الوقائع ـ لما قامت الثورة أول بيان فيه عودة الدستور . . كانت المناقشة حول كيفية عمل مجلس الوصاية واختلفوا فى مجلس الدولة انه هل يشكل بنص الدستور . لكن الدستور لم يكن فيه نص على عزل الملك . . طبعا حيث انه دستور ملكى لم يكن فيه نص على عزل الملك فيه نص على مرض الملك او وفاته . فاختلف مستشارو مجلس الدولة ـ وحيد رأفت ضد ٨ ـ وحيد رأفت قال لهم ان هذا دستور ملكى لا نص فيه على العزل فلابد من أن نأخذ الوفاة والمرض مثل العزل .

الرأى الثانى قال ـ لا ـ هذه حالة جديدة اذن نعمل حالة جديدة . . طبعا مستشارو الراى احسوا أن من غير الممكن ان مجلس الثورة ، والاتجاه العام ، ممكن يكون عاوز دستور فاذا انت طبقت الدستور باعتبار الوفاة والمرض هو نفسه العزل فلابد من دعوة آخر برلمان، ليقر الوصاية ،ويحل البرلمان ،بعد ذلك ندخل فى ميكانيزم الانتخابات ، كان عبد الناصر فى ذلك الوقت رأيه كده ؟ لان هذا كان البرنامج الذى ارتبط به . كان رأيه انه موافق على راى وحيد رأفت وهدد بالاستقالة وحرج . . وهذه الجلسة لم اكن موجودا فيها انا كنت فى الاسكندرية . .

لما رجعت قال لى انه استقال . . قلت له طيب ولماذا رجعت ؟ قال لانى لقيت الموقف فى الجيش منقسم على نفسه ، ولقيت الموقف يفلت واصاف فأنا رضخت [فى اغسطس ٥٢] فكان هو فى هذا الاتجاه لا أريد ان اقول لك انه هوه لم تكن عنده النوازع الى الحكم كانت عنده باستمرار . لكن الحقيقه ان القوى التى كانت موجودة أو التى جاءت حول الثورة مثل مجلس الدولة : السنهورى وجمعيه الرواد . والقوى التى حاصرت الثورة فى الاول [مثلا جمعية الرواد ـ جمعية الرواد كان فيها « أحمد حسين والعمرى وعباس عمار وفؤاد جلال واسماعيل القبانى » ـ وكانت تمثل فكرة الرواد الفكريين لمصر ـ رواد الفكر ـ هؤلاء كانوا يعتبرون أن حكم الوفد هذا حكم رعاع ليس فيه كفاءات .

وهو التفكير الذى كان موجودا قبل الثورة ـ وهو الكلام المعروف ـ لما اصدر على ماهر أول بيان للحكومة ولم يذكر فيه أن هناك انتخابات فى مارس ١٩٥٣ [وكانت الثورة متفقة معه على الانتخابات، فى مارس [أصدرت الثورة بيانا ضد على ماهر لانه لم يذكر الانتخابات واتكلموا كمان على قضية الضرائب المباشرة وغير المباشرة . . فكان لا يزال هناك ـ فى ذلك الوقت ـ تمسك بالبرنامج . لكن جاءت القوى الاخرى المحيطة ، وهى كلها قوى لا تنتسب الى الوفد [هذه قضية تاريخية] كانت من الحزب الوطنى ومن السعديين ومن الرواد وكان مذهبهم أن الثورة تقوم بالاصلاحات التى تريدها مصر والتى افتقدتها فى سنوات الحكم السابق نتيجة الصراعات الحزبية . . الخ : أقول كان فعلا هناك ارض ممهدة لهذا الامر اى لان تحكم الثوره وبقوه ، وتمشى فى الطريق ولا تلجا الى طريق الانتخابات وكان يدعم هذا أن الثورة ليس عندها حزب فاذا أنتم عملتم انتخابات فان الوفد هو الذى سيأتى والسنهورى قال ذلك فى جلسة فى مجلس الوزراء أيام مناقشة قانون الاصلاح الزراعى « انتوا مستعجلين ليه على الانتخابات فى مارس ما انتوا بتعملوا قانون الاصلاح الزراعى أهه . ده تطبيقه عاوز وقت أيه لزوم الانتخابات بسرعة ؟ انتوا عاوزين الوفد ؟ » .

ثم طلع السيد صبرى ، فى ذلك الوقت ؟ وكتب عن الفقه الثورى والفقه الدستورى ... كل هذه الامور كانت موجودة طبعا فهذا شجع الاتجاه الفردى لا اريد أن أقول لا يوجد استعداد . . لا ! فيه استعداد . طبعا رجل عسكرى ، موجود فى الحكم ، وممكن انه يعمل شىء فلم لا ؟ وللتاريخ ايضا اقول أن الاتجاه الامريكى كان ضد الحكم الدستورى فى ذلك الوقت . وللتاريخ ايضا لا أريد ان يفهم من كلامى أن عبد الناصر كان مع الامريكان . . عبد الناصر اتصل بالامريكان من موقع وطنى . امريكا قوة عالمية لا يقدر ان يتجاهلها والتجربة اثبتت انه اذا اختلفت المصالح الوطنية اختلف معاهم انما هو رجل وطنى تماما لان امريكا كانت قوة كبيرة . والاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية لم تكن ظاهرة بعد فى المجال . . فالامريكان ايضا كانوا يشجعون عدم اعادة الحكم النيابى لان

فى نظرهم الحكم النيابى اذا جاء بالوفد ، .. فالوفد سيكون ضعيفا ، ولم الشعب سيرضخ .. باستمرار مادام هوحكم شعبى. فاذا حدث هذا ستبقى هناك حرية وفى الحرية اليسار يكسب ،وهذه كانت قضية مقاومة الشيوعية فى ذلك الوقت فى ضمار الحرب الباردكان الامريكان مندهم هذه القضية اساسية لذلك كانت الثورة تهدد الامريكان ، اذا لم تصادمنا سنرجع الانتخابات [شوف هذه قضية مهمة] صلاح سالم يقول : اذا مكنش الامريكان جينعدلوا معانا نرجع الانتخابات . وهم [الامريكان] كانوا خائفين جدا من ان الوفد يرجع هذه حقيقة تاريخية ، لانهم خائفين من فكرة الحياة البرلمانية وحرية النقاش وما يأتيه من تقدم لليسار . وانا فى الحقيقة ، هذه من الحاجات التى نهيتنى كثيرا الى قضية موضوع الديمقراطية . لانه ظهر فى الايام الاولى أن الثورة بدأت تتجه الى قبول الاشياء التى كانت للحركة الوطنية ترفضها [النقطة الرابعة قانون استثمار رأس المال الاجنبى اتعمل كان هناك قانون قائم للاستثمارات — لكن لم يكن ينفذ — أو ان رأس المال لم يأت ..

فكانت هناك فعلا أرضية تمهد لهذا الامر ، وكانت الطبقة الرأسمالية فى مصر سعيدة جدا فى ذلك الوقت بحكم عبد الناصر وبالهم اتحاد النقابات وعبد الرحمن همادة رئيس مجلس ادارة شركة المحلة كان صديقا لمجلس قيادة الثورة،ويقول للمهندس الثورة انقذ مصر من الراية الحمراء .. يعنى كان فى نظرهم ان الثورة لازم تقوم باصلاحات معتدلة ، تقوم بمنع الشيوعية هذا التفكير الذى كان واردا فى الذهن يعنى فى ذلك الوقت .

فلما حدثت احداث ٥٤ .. كان وجهة نظرنا انه ازاء هذا الموقف الذى فيه السلطة مطلقة ، وبعد حل الاحزاب وهذه الاشياء التى تمت أنه فى غياب الديمقراطية ممكن يحدث انحراف للحكم ، لانه لا توجد أية مسائلة فانت سائر تضرب كل القوى واحدة وراء الثانية .وبعد ذلك فان السلطة المطلقة يمكن تقرر أى شيء .

أنا أتكلم كيسارى فى مجلس قيادة الثورة ، وطبعا اليمار فى مصر فى الاول انقسم : فيه جزء أيد الثورة من أول دقيقة باعتبارها انقلابا وطنيا ، وهناك جزء آخر اعتبرها حركة ديكتاتورية عسكرية فاشية يعنى كان هناك رأيان مختلفان فى هذا الامر .

النقطة التى أريد أن أبرزها انه كان هناك رغبة فى وجود حياة ديمقراطية . أنا باقول وجهة نظرى فى ذلك الوقت . وكان جزء كبير من الحركة الديمقراطية فى مصر ، واليسار المصرى ايضا كان رأيه ذلك . يعنى أنا لم أكن اقول هذا بمفردى .. فكان فيه رأى أنه لابد أن يكون هناك حكم برلمانى لانه مادام المجتمع لن يغير نظامه الاجتماعى [مجرد الاصلاح الزراعى هذا ، لايعتبر شيئا كبيرا] ومادامت هناك طبقات ، فان من حقها أن تعبر عن نفسها والا فان طبقة معينة تمسك الحكم . وصحيح أن العهد السابق كان فيه اقطاع ورأسمالية ،ولكن كان فيه شكل ديموقراطى ومادام فيه مظاهر اسمالى لابد أن يبقى فيه ديمقراطية والامان الطبقة الجديدة أو النظام الجديد سيسيطر ، ويحرم الفئات الاخرى . فلهذا السبب كان اتجاهنا فى مارس ٥٤ الى الديمقراطية . لكن الحقيقة ان الرأى العام [المتعلم] كان فعلا ضد عودة الاحزاب . هذه حقيقة وأردة وهذا شيء احسسنا به .احنا لما دعونا الى فكرة عودة الدستور ، وعودة الحياة النيابية كان فعلا هناك تيار فى الرأى العام [كان قوى جدا] خائف من فكرة عودة الاحزاب . وبالفعل كانت هناك أرضية سياسية ممهدة لهذا الامر وان عبد الناصر بحكم ويمهد كل القوى المعارضة . فأصبح سلطة كبيرة لكن هذا لم يكن السبب ايضا .. السبب الكبير — فى نظرى — لهذه السلطة الضخمة جاءت من انجازات عبد الناصر أو شعبيته ، وليس لان معه سلطات لان هناك حكام كثيرون جدا عندهم سلطة لكن ليس عندهم مثل هذه القدرة . فعلا حقق اشياء كانت أحلاما للرجل المصرى العادى .. جلاء الانجليز — تأميم قناة السويس .. كان لى — مثلا — صديق ذو فكر محافظ ، ويكره عبد الناصر جدا . يوم أن أمم عبد الناصر قناة السويس قام احتضن الراديو وقبله وراح يبكى ويقول : دا أحنا عشنا طول عمرنا نحلم بهذا . وبعد أن تم تأميم القناة رجع شتم عبد الناصر لان هذه قضية ثانية : الشعور الوطنى يعنى تأميم قناة السويس ثم تصير البنوك لان هذه قضايا لا تنساها .

الى هنا وكانت الرأسمالية راضية . حتى جاءت تأميمات ٦١ وتحركت القوى الرأسمالية والاقطاعية ضده .. التحرك حدث هنا لكن كانت سلطة عبد الناصر قد تدعمت بحكم انه

كان بطلا وطنيا حقق انجازات عاش الشعب المصري سنوات يطلبها وحقق للفلاح المصري فعلا اشياء . لما نزل القرية نحن ابناء القرية نعرف ماذا تعني انجازات عبد الناصر انه لا يستطيع مخلوق اليوم ان يطرد فلاحا من الارض [الا بالطبل البلدي] وهذا عمل يعد استقرار للفلاح: أولاد الفلاح تعلموا ويدخلون الجامعة ، بنيت مستشفيات ومدارس . كميات المدارس التي بنيت في الريف هائلة يعني عندنا في مركز كفر شكر الذي أنا منه مدرسة ثانوي ، وزراعية ثانوي ، وتجارية ثانوي ، وفيه كل ثلاث قرى مدرسة اعدادية . كل قرية فيها مدرسة وبعدين كل ثلاث اربع قرى فيها وحدة صحية ، المياه والكهرباء قضايا هامة بالنسبة للرجل الذي في الريف شيء كبير فهو طبعا حقق انجازات فهذه الانجازات خلقت شعبية كبيرة أصبحت عنده سلطات مطلقة بسبب ضرب القوى الاخرى فهو في الحقيقة أيضا ــ رغم ان ينشئ ميكانيزم خاص له هو كفرد أو كحاكم ، اعني ميكانيزم أو أجهزة سياسية تخدمه .. هل هناك حاكم ــ في العالم ــ يقدر يأخذ قرار من غير ان تجهز له عدة دراسات أو آراء .. الموضوع ده كان يلجأ له عندما يحب ولا يلجأ اليه عندما لا يريد . لم يكن له « نظام » دائم وهذه هي النقطة الاولى في العيوب .

فالاحداث التي حدثت في مايو ويونيو ٦٧ سببها الاول ان الدراسات التي عن حالة العدو لم تكن كافية .

لكن الكوارث التي حدثت ــ في نظري أنا جاءت من النقص الكبير في ميكانيزم اتخاذ القرارات الاساسية ، ومن الاجهزة السياسية التي تعمل مع عبد الناصر . قبل أن يأخذ القرار . وهذا الامر لم يكن واردا ، أو غير موجود تقريبا ، وهذا الاسلوب تابع لفكرة الحاكم القوي ، فما دام أخذ كل السلطة فمن الصعب جدا أن تقول له : اعمل هذا طالما انه هو صاحب الكلمة . الخطأ الاول عند قيام الثورة جاء من قبول الناس فكرة تفويض مطلق لمجلس الثورة للحكم .

لكن المسألة استمرت في هذا الطريق بسبب الانتصارات التي حققها عبد الناصر لا بسبب ــ كما يقول بعض الناس ــ انه كان يعمل غسيل مع للناس لان اجهزة الاعلام ما كانت تقدر تعمل غسيل مع للشعب المصري بدون الانجازات ، وبدون الانتصارات . يعني هذا كان عاملا من العوامل التي جعلت ان الناس يؤمنون أن هذا الرجل بطل .

النقطة الثانية .. موضوع الديموقراطية ورفض **عبد الناصر** المطلق ان يأخذ قرارا تحت اية ضغوط . الديموقراطية معناها قبول مشاركة الناس معه على جميع المستويات يعني كان ممكن يعمل حزب طليعي . وممكن الديموقراطية أن تكون حزبا طليعيا حقيقيا ، أو منابر ، أو احزاب تقدمية ، في نطاق التحالف . ومن الممكن الربط بين هذه الامور . لكنه كان يرفض الضغط ، حتى من « الحزب الطليعي الذي انشاه لم يكن أحد منا يطمح أن توجد الديموقراطية في عهد **جمال عبد الناصر** بمعنى الديموقراطية الليبرالية انما الديموقراطية المطلوبة كانت من اجل الاهداف التي وضعها هو وهي : مقاومة التحدي الخارجي والتغيير الداخلي . حتى هذه الامور لم يكن مستعدا لها لان تجربته الشخصية كانت انه لا يجب أن يلتزم مسبقا الا بافكار تجربته ، انها تخليه يصل الى هذه الاشياء بنجاح .

حتى حصلت كارثة ٦٧ وتفجرت العيوب الموجودة . وللاسف الشديد ان كل الهجوم عليه تركز على انه انهزم لانه اشتراكي . وليس هذا هو السبب .

احنا والحقيقة كنا نؤيده بهدف ان الجانب الايجابي للتجربة يستمر ، ونحاول أن نقلل الجانب السلبي . لكن واضح ان القضية كانت صعبة ، ولذلك يجب أن يكون هدف اساسي من اهداف المناقشة : هو كيف تصبح الحركة الوطنية التقدمية استمرارا لايجابيات المرحلة السابقة وانها تبتعد عن السلبيات . وطبعا كما قال **عبد العظيم أنيس** لن نقدر ان نقيم هذا ، كيف نضع تصورا للمستقبل . لان هناك ــ في الحقيقة ــ عدم وضوح . اذا كان هناك تصور للمستقبل فلابد أن تكون هناك ايديولوجية .

وعبد الناصر ليمكن يحب الالتزام البعيد المدى في هذه الامور وكان هذا منبع الاخطاء التي وقعت

الامور وكان هذا منبع الاخطاء التى وقعت . واثبت تطور الحوادث ان عدم رغبته فى الالتزام البعيد المدى كان ضارا بالاشتراكية ، وذلك طالما انه لم يضع تصورا للشكل النهائى للمجتمع الذى يريده .

لكن هذا الدرس لا يلغى انه وضع نقطة اساسية جدا — فى رأيى — وهى حتمية الحل الاشتراكى للبلاد النامية . فاوضح أن البلاد النامية — اذا ارادت ان تتطور وتنمو — تقع فى التبعية اذا اتبعت الطريق الراسمالى . اما اذا اتبعت الطريق اللاراسمالى اى الاشتراكى ، فهذا هو طريق الدفاع عن الاستقلال الوطنى . فمن هنا ومن منطلق وطنى — وهذه حقيقة — تكون التجربة الناصرية هى مرحلة تاريخية ، تقيم على اساس هذا الامر .. دفاع عن الاستقلال الوطنى والتغيير الاجتماعى ضرورى ان يلازم هذا الدفاع ويتعين هنا — اذن — أن نناقش التجربة. فما دام عبد الناصر وضع مثل هذه الاهداف فلا يبقى الا أن تدرس الوسائل لتحقيقها ، وهنا يمكن أن ندرس عيوب التجربة فنقول هى كذا وكذا وكذا وبالتبعية لا يمكن أن يكون كل ما تم فى العهد الماضى سلبيا لا ! هو ايجابى لانه اقتراب من اهداف كبيرة . ولما نتصور أن المجتمع الذى نريده سنجد أن المرحلة السابقة كانت اقترابا كبيرا من هذه الاهداف لكن عطلتها السلبيات المشار اليها . منها مثلا أنه كان يضرب القوى التى تنادى بالاشتراكية وتعادى الامبريالية وتتفق مع هذه الاهداف وابعادها عن السلطة ، ووضعها فى السجون . لكننا ندافع عنه الان لان هذه الاهداف هى اهدافنا ، بصرف النظر عمن يعملها .

■ توفيق الحكيم :

يعنى نحن متفقون على لب القضية . وهى أن الاساس الشكلى للثورة لم يكن من الممكن أن يؤدى فى آخر الامر الا الى سيادة السلبيات .

■ خالد محيى الدين :

عندما نصل الى التقييم فسنجد ايضا ان فى تفكير الرئيس عبد الناصر — كما هو وارد فى الميثاق — أخطاء هى ايضا ادت الى ثغرات فى التغيير الاجتماعى .

■ توفيق الحكيم :

انا تنبهت الى هذا فى الاخر . وانا كنت متحمسا للثورة بانجازاتها ، وان عبد الناصر هو الرجل الذى انتظرته من ثلاثين سنة . ولم اكن اعرف ان كل هذا يؤدى الى حدوث اثر لكن الشكل السيىء لم يكن قد ظهر اثره فى ذلك الوقت ، فضلا عن انى كنت غير راض عن نظام الاحزاب . ولذلك تلاقيت مع الثورة .

لكن بعد ذلك اذكر — انه بعد صدور الميثاق — تحدثت الى بعض الاصدقاء لينقلوا كلامى الى عبد الناصر وقلت له : اننى الاحظ الان الرجل الذى يبيع بطيخا فى الشارع يمكن عندما تطلع بطيخة « قرعة » يمكن يشتم عبد الناصر . معنى كلامى ان عبد الناصر اصبح يتحمل مسئوليات لا يستطيع ان يتحملها لانه يحكم حكما مباشرا . وقلت لصديق من هؤلاء الاصدقاء لماذا لا تبلغه ان ينظم ضغط الجماهير فيعمل حزبين . والشعب عندما يغضب يصب غضبه على الحزب الموجود فى الحكم ، ويأتى بالحزب الثانى . فمن واقع الميثاق ، الميثاق يحتمل حزبا معتدلا وحزبا متطرفا . وقد قيل لى ان كلامى هذا نقل الى عبد الناصر فقال لكن اخشى أن تحدث صراعات فى البلد ويعطلوا البلد وتصبح مشاغل كل حزب أن يحطم الحزب الاخر . وزمان كان التطاحن فى البلد بهذا الشكل .

■ لطفى الخولى :

بعض الاضواء قد القيت من الاستاذ خالد محيى الدين والاستاذ توفيق الحكيم . اصبح عندنا نوع من « الفرشة » والارضية التى ممكن أن نتخيل من خلالها اطارا نلتزم به ، بجدول اعمال لهذه المناقشة التى واضح انها تمتد جلسات وجلسات . واعتقد انه من الممكن ان د . عبد العظيم انيس وكان يهمه هذا الامر ، فاذا كان عنده مشروع او اقتراح — فى هذا الامر — يكون ترجمة ما ناقشناه ، وما عرض علينا والوثائق ، الى جدول اعمال لهذ المناقشة

■ **توفيق الحكيم :**

فلنبحث تقسيم الموضوعات على فترات حتى لا تختلط الامور .. كلامنا اليوم – في الواقع – يعتبر رقم ٣ الذي هو التجربة الناصرية ولان هذه نشرت في **عودة الوعي** فانا أقول افتحوا الملفات . فالقلق يجيء من حاجتين :

اولا : الاطار الذي يوضع . لذلك فانني لا اتكلم الان عما تريده الدولة : اي من تغيير في النظام الموجود وفي الاتحاد الاشتراكي كشكل . انا اتكلم اليوم عن رؤية واضحة لشكل اليسار للمستقبل ولو بعد خمس سنوات . اليسار اليوم هو عارف ما هو الشكل الامثل لوضعه في المستقبل حتى لا نفاجأ يوم بياس الناس ويتاكدون ان الاتحاد الاشتراكي ليس له فاعلية ، فلما يأتي الوقت الذي تطرح فيه المسئوليات . فماذا نفعل يعني المسالة شكل الحكم ، وشكل اليسار ما هو . اما اليمين « فسيبك منه » لماذا « لانه طول عمره مستفيد من واقع انه وراه تقاليد هائلة ووراه التجارة بالدين ووراه اخلاقيات مجتمع قديم من الصعب أن تطالبه بأن يغير نفسه . ولذلك انا اليوم اتكلم في وسط اليسار لان اليمين لا يريد التغيير .. فاليسار هو الذي يقوم بالتغيير . فالسؤال : اليسار هذا هل سيكون في اطار أو لن يكون هناك اطار ؟

■ **لطفي الخولي :**

هذا سيبحث ، ونحن ملتزمون بهذا ..

■ **توفيق الحكيم :**

لذلك اضيف ان الكلام الذي قلناه اليوم ، هذا يدخل في الباب الكبير جدا الذي هو الثورة من حيث السياسة ومن حيث وضعها للعرب والعروبة والانتاج الداخلي والاصلاح الزراعي كيف نفذ ، وما الذي حدث في الريفكل هذا لان اليسار عليه أن يبلور الثورة لانها ستكون المنطلق . لابد أن يعرف اليسار التحول الاشتراكي ماهي سلبياته ، حتى لو كانت ٢٠ في المائة ، لابد ان يأخذها ويبني عليها .

■ **لطفي الخولي :**

متفقين المطروح في النقاش الان هو وضع الاطار العام للمناقشة بما فيه القضية الاساسية .. اين يقف اليسار من الواقع ومن المستقبل في ضوء تجربة العشرين سنة الماضية وهذا متفق عليه .

■ **توفيق الحكيم :**

طبعا بالنظر الى ظروف المعركة لا نريد أن نعمل أي تخطيطات في الحاضر لان السلطة تعمل وهي ماشية في سكتها وتستعد للحرب . ونحن لا نريد ان نلخبط لها نظامها . ولكن حتى لا يفاجيء اليسار غدا بأنه مشتت وأنه قاعد كده في شكل هلامي . فلابد – قبل أن يضع المجتمع الاساس لنفسه بعد الحروب – نقول لا ! هذا هو اليسار قد أصبح واضحا منذ الان ، واننا من خمس سنوات اجتمعنا في هذه الغرفة وانا من الجائز الا اكون موجودا بحكم سني المتقدمة لانه من سنة لسنة عزرائيل واقفلي ولكن يبقى اليسار فانا أن يظل سطردا أو ينقسم على نفسه . أقول لابد من الان ، لان مسالة عدم الشكل هذه « تعباتي قوي » قوي – وهذه [مسالة عدم الشكل] مسالة لم تكن متوقعة من ثورة ايجابية عملت انجازات لعدم وضوح شكل سياسي يسمح لنشعب ان يشارك ، ويسمح لليسار ان يوجد ، ويسمح للمعارضة أن توجد .

■ **لطفي الخولي :**

المطروح الان للنقاش هو التصور .. كيف تجري المناقشة من خلال ترجمة كل هذا الكلام الى جدول أعمال يتخيل لي ان الدكتور عبد العظيم عنده كلام .

■ **عبد العظيم أنيس :**

انا اقتراحي ، استكمالا للمناقشة التي بدأتها أو للتساؤل الذي بدأته ، ، هو مجرد اقتراح لاطار المناقشة . فان وافقتم عليه ، ممكن نستمر فيه . وهذا الاقتراح قد يبدو غير منطقي في مناقشات عادية . لكن أعتقد انه سيكون منطقيا ، ومفيدا في هذه المناقشة بالذات . لان مثل هذه المناقشة الهامة جدا ، والضرورية جدا ، والتي تسجل للتاريخ ، أعتقد ان هناك خوف لازم نحرص أن نحاربه بكل طريقة ، وأنها تتبلور الى مناقشة تفصيلات وجزئيات .. وبالتالي القضايا

= يتبع =

الاساسية والجـذور التى دائمـا يتكلم عنها الاستاذ **توفيق الحكيم** تضيع فى هـذا الموضوع . وعلى هذا الاساس اقترح أن تبدأ المناقشة .

اولا : حول صورة المستقبل . ما هـى الملامح الاساسية التى يتصورها الجالسون هنا للمستقبل وذلك فيما يتعلـق بمصر . ويرتبط بهذا طبعا موضوع اليسار . وهنا عندى ثلاث محاور فى النقطة الاولى . اعتقد انها محاور جديرة بالمناقشة .

أ ـ مستقبل مصر .. فمن ناحية هناك النظرة الليبرالية العادية ، ومن خلالها نتصور مستقبل مصر ، مجتمعا فيه أحـزاب ، فيه نظام ليبرالى بكل ما يعرفه النظام الليبرالى فى بلد مثل بريطانيا أو الهند أو فرنسا .. الخ ونظام رأسمالى فى طابعه العام . وفى مقابل هذا التصور ، هناك النظرة الاشتراكية التى تقوم على أساس حتمية الحل الاشتراكى . وأن بلدا مثل مصر ، بلد فقير ونام ، وأنه لا مفر من هذا البعد بالنسبة للموضوع .

يرتبط بهذا ، كل مشكلة التنمية الاقتصادية والاجتماعية كبعد . ثم قضيـة الديموقراطية وشكل الديموقراطية وتصورها وكل ما يرتبط بذلك .

ب ـ البعد الثانى ، اعتقـد انه يتعلـق بالبعد العربى ويرتبط بهذا قضية النضال ضد الاستعمار والصهيونية . وقضيـة شكل المستقبل فيما يتعلق بعلاقات مصر بالعـالم العربى : صورتها سواء علاقة دسـتورية ، اتحادية ، وحدوية ، تضامنية فقط الخ .

ج ـ البعد الثالث ، اعتقـد هو البعـد الدولى الذى أشار اليه الاستاذ **توفيق الحكيم** فى كتاباته فيما يتعلق بمشكلة تصورنا لعلاقة مصر بالعالم كله : الولايات المتحدة ، الاتحاد السوفيتى ، الدول النـامية ، المجتمـع الاشتراكى ... الخ ..

دول ثلاثة أبعـاد فقط عريضـة بأحطها للمناقشة .. ويرتبط بهذا موضوع دور اليسار المصرى فى تشكيل هذا المستقبل الذى نتكلم عن ملامحه .. اذا تبادلنا الرأى فى هذا التصور ، وضمنا أن فيه حدا أدنى من الاتفاق ، وحددنا نقط الخلاف فى هذا الموضوع كله ، فيمكن من المفيد جدا أن نتكلم بعد كده فى ثانيا ..

ثانيا : تقييم الوضع الحالى لمسار الثورة لان هذه النقطة ، نقطة هامـة جـدا لابراز اهميتها وليس لمجرد اننى أناقش فيها الان .

أستاذنا **توفيق الحكيم** أشار الى قضيـة الشكل . الشكل السياسى الذى اعتقد انه كان بلا أهمية فى الماضى ، واكتشف ، فيما بعد ، انه ذو أهمية قصـوى ، وان اهمال هذا الشكل ادى الى فكرة الزعيم المعبود . وما ترتب على فكره الزعيم المعبود .. من استئثار بالسلطة والدكتاتورية ، واتخـاذ قرارات بدون مشورة ، الخ . مما ادى الى الكوارث التى احنا رايناها . أنا قد اختلف مع الاستاذ **توفيق الحكيم** فى هذه النقطة لا لانى اهمل قضية الشكل تماما ، انما يمكن انا ارى جذور الموضوع هو فعلا قضية تصور فكرى فى القيادة السياسية **لعبد الناصر** والقيادة السياسية للثورة فى فترة الستينات . بمعنى آخر اعتقد وهذا ما سأفصله فيما بعد انه بانتهاء الخطة الخمسية الاولى فى اول الستينات ، وانتهاء بقرارات ٦٣ أقول فـى رأيى الثورة لم تعد ـ حقيقة ـ قادرة على أن تمضى فى اتجاه الفكر الاشتراكى اكثر مما اعطت وان احد الازمات الاساسية التى ابتدت تتعلق بانظمام فعلا برزت فى سنة ٦٤ ، ٦٥ اى قبل ٦٧ بسنتين . وان المشكلة هى أزمة فكرية كبيرة . وأنها كانت عاجزة عن ان تمضى فى طريق الثورة اكثر من هذا يمضى فى قضيـة الناحية الداخلية . هذا رأى جائز يثبت ان هذا الرأى صحيح وجائز يثبت أنه غلط . انما أنا اعتقد أن هذه قضية قصور الثورة فكريا ، وتخلفها فى هذه الحـدود التى وصلت اليها ولم تكن قادرة على ان تمضى الى أبعد من هذا . وعلى هذا الاساس بدأت الانقلاسات تأخذ وضعها الطبيعى فى هذا الموضوع معهدة لما قبل ٦٧ وانتهت بكارثة ٦٧ .

هذه نقطة مهمة نناقشها . قضية الشكل والمضمون فى داخل حدود تقييم الوضـع الحالى .

■ **توفيق الحكيم** :

مسألة أن قصور التفكير الثورى عن انه يعطى الاشتراكية أكثر .. هل السبب فيه هو اضعاف اليسار فى ذلك الوقت ؟ أنا أعتقد ان الاشتراكية بنت اليسار ، وليس اليسار ابـن الاشتراكية . لانه كيف يتم التغيير . الاجابة أولا يتم لمصلحة الناس .. ولكى يتمكن اليسار من التغيير فلا بد أن يكون تويا وبتغييراته تولد الاتجاهات الجديدة .. ومنها الاشتراكية ..

يتبع

■ عبد العظيم أنيس :

لا اريد أن أقول ان قضية الشكل غير ذات اهمية ، انما ينبغي أن توضع في مكانها الصحيح . في الاجابة على سؤال الاستاذ **توفيق** ، اعتقد ان هناك اسبابا موضوعية وأسبابا ذاتية ، يعني فيه أسباب سندخل في تفاصيلها . ومما لا شك فيه أن من بين الاسباب الذاتية ضعف اليسار ، وهذا سيكون واردا في رأيي انا الشخصي ، وانا اعبر عن رأيي الشخصي في هذا الموضوع .

فاذا دخلنا الى **ثانيا** ، فهناك نقط أساسية ينبغي أن تقال في هذا الموضوع . هل الثورة تشهد تقدما الان في السنوات الاخيرة ، بعد وفاة عبد الناصر أو تراجعا ، من ناحية الاهداف الاقتصادية ، والاهداف الاجتماعية . من ناحية الالتزامات التي التزمت بها الثورة في مواثيقها . ميثاق العمل الوطني ، برنامج العمل الوطني ، الخ . كل هذه الامور عايزة تناقش بالضبط ليضع الواحد يده على هذا الموضوع . وفي هذه المناقشة للوضع الحالي في مسار الثورة سيأتي موضوع البعد الداخلي والشعبي ، والقضية السياسية والقضية الاقتصادية ، قضية التنمية ، والبعد الدولي ، والبعد العربي .

ثالثا : تقييم ثورة ٢٣ يوليو ، وأنا أعتقد أن هذا سوف يأخذ مكانه بعد ذلك . لان من المنطق ان تطرح قضايا ستظهر حولها خلافات بين المجتمعين . تأصيل هذه الخلافات سيعود الى الماضي . وسيكون من المنطق انه سيؤصل في حدود ثورة ٢٣ يوليو . وقد يؤصل الى ما قبل ثورة ٢٣ يوليو أيضا .

في هذه الحالة المناقشة يمكن — في هذا الاتجاه — ستكون مفيدة وبناءة ، لانه اذا كان هدف المناقشة اننا نخرج بنتائج ذات قيمة عملية ولا تكون سفسطة مثقفين لمجرد السفسطة فلابد أن يكون فيه تقييم للماضي . أنا لست اطرح فكرة تقييم **عبد الناصر** حتى ولا تقييم اليسار ، فليست هذه هي القضايا الاساسية ، وان كانت سترد في داخل النقاش والاطار . وانما هذا تقييم ثورة ٢٣ يوليو بالضبط : حقيقتها ما هي ؟ والعناصر الاساسية لمكوناتها اذا كان رأيكم اننا نناقش أولا وثانيا وثالثا بهذا الترتيب فأعتقد انه سيكون مفيدا إذا كان لكم رأي آخر .

■ لطفي الخولي :

طرح د . عبد العظيم أنيس معروض للمناقشة .

■ محمد سيد أحمد :

أنا عايز أطرح بعدا آخر .. كان محور من المحاور يسار ويمين . كان محور ثاني شكل وموضوع . أريد أن أقول ان هناك محورا ثالثا موجودا في كل هذا الكلام : سأسميه **تحت وفوق** . هذا مهم جدا . يعني مثلا لو نأخذ الشكل في **القسم الاول الشكل** : النظام الذي كان مرتبطا بالشكل هو نظام فوقي ، ولا يتسرب الى أعماق معينة تحت . لما جئنا نتكلم عن المضمون في النظام ، قلنا أيضا هذا نظام فوقي ، ونظام فوقي لضرب نظام فوقي بدون استعانة بالتحتي . **ولما عبد العظيم أنيس** كان بيقول من لحظة ان الثورة استهلكت امكانياتها بعد ٦٥ لان أزمة « التحت » طرحت ، كان استثمار الامكانيات من تأميم المصالح الاستعمارية وتأميم بعض المصالح الفوقية انتهت في الخطة الخماسية الاولى . وبعد ذلك كان مطلوب تراكم رأسمالي آخر لا يأتي الا من « تحت » والثورة لا تريد انها تقدم على « تحت » فلم تحدث الخطوة الثالثة وتعثرت في الازمة دي النقطة الثانية .

النقطة الثالثة : لما احنا نتكلم عن ربط الشكل والموضوع هو في نهاية الامر مطروح كقضية لم يعد من الممكن ارجاؤها ، لان « التحت » يبرز في الصورة . خصوصا ونحن داخلون على مرحلة ثالثة : ما قبل ٥٢ ، ومن ٥٢ لغاية اليوم . وأنا أقول ان معركة أكتوبر ٧٣ كانت نقطة تحول . هنا نرتبط بقضية ثانية .

نحن تكلمنا عن مصر الناصرية ، أو مصر العربية ، أنا أحب اتكلم عن مصر ازاء اسرائيل . وهذه قضية لا تقل اهمية عن هذه المشكلة . أنا أقول ان المرحلة القادمة هي مرحلة مصر والعربية معا ازاء اسرائيل وهي مرحلة تختلف عن طبيعة المرحلة السابقة . وفي تعبير موجز ، وتعبير رمزي أضع المسألة بالشكل التالي ، وارجع « لفوق وتحت » .

لقد دخلنا ٣ حروب مع اسرائيل ٤٨ — وهي أنشأت بالمناسبة ٥٢ — لان بفضل ٤٨ حصل ما حصل في ٥٢ . وبسبب اننا كنا عاجزين نواجه اسرائيل فقد استرددنا كرامتنا بتصليح أمورنا في الداخل . الثورة المصرية الى — حد ما — لها بعد ازاء اسرائيل . الكرامة المصرية التي يمكن استردادها عن طريق رد الهزيمة ازاء اسرائيل استردت بتعديل داخلي . لكن حرب ٥٦ لم تعالج هذا الموضوع لان الانتصار كان سياسيا . الدم أهدر سنة ٤٨ .

والدم أهدر ٥٦ ؛ ولكن الدم لأول مرة لم يهدر فى ٧٣ . طبعا هذه قضية نقاشية الى أى حد هى أهدر أو لم يهدر .

بما أريد أن أقوله ان الصورة التى عندنا ان هذا لم يهدر ، وهذا مهم جدا . ان دخول عنصر الدم معناه دخول عنصر من تحت .. الشعب وهذا لا يقبل الردة . فى أول مرة هذا عنصر داخل من تحت فارضا نفسه فرضا . وهذا سيرسم المستقبل . أنا آخذ هذا الجانب الرمزى ، لكن هذا التعبير الرمزى بالغ الاهمية بالنسبة لكل صورة المستقبل ولقول أن المستقبل حيكون لاول مرة المرحلة التحتية وليس مرحلة فوقية . ولما نتكلم عن مرحلة تحتيه نتكلم عن اليسار بالجلى معانيه . لانه حتى تاريخنا اليسارى ، فى مصر ، اليسار فوقى ايضا . كان يسار له دور الاشعاع الفكرى اكثر من دور الفتح الطبقى . لم يكن اليسار يمارس من طريق التحريك فى الشارع وفى الريف . ولكن آخر مرة دخل الريف كان سنه ١٩ . الريف اختفى بعد ١٩ والريف تجمد عند الاصلاح الزراعى سنة ٥٢ . الريف لم يدخل الصورة ، اليوم هناك بعد جديد .

■ **لطفى الخولى :**

هل عندك اضافة للنقاط الاساسية . انت تكلمت عن انه لابد فى المناقشة أن نراعى البعد (يعنى ـ اسرائيل) طيب هل هناك حاجة ثانية غير الطرح .

■ **خالد محيى الدين :**

كلام عبد العظيم أنيس أنا موافق عليه . لكن بموضوع المستقبل لابد ان يترتب ترتيبا منهجيا ـ بالاولوية ـ لان الرأى بالكلام الذى قاله محمد سيد أحمد هو داخل فى البعد العربى ، أو فيما يسمى بالاستراتيجيه العربية أو الداخلية . ولذلك ، اذا كنا سنرتب قضية موقف مصر من الانتماء العربى والدولى . فهذا حسب تحديد موقفك الداخلى . ولذلك انا لما سألته هل هذا هو الترتيب . قال لا ؛ هذه هى الموضوعات . وكل الموضوعات التى ذكرها فعلا هى ذى الموضوعات . بيقى النقطة الثانية اذا قبلنا المبادىء الثلاثة نناقش الاولويات . هو السؤال : هل نبدأ بمناقشة المستقبل ونبجى للحاضر ، فالماضى والا واحنا بنناقش المستقبل حتميا سنناقش الحاضر والماضى .

■ **د. عبد العظيم أنيس :**

لا مفر من هذا

■ **خالد محيى الدين :**

اذا كان الامر كذلك أوافق

■ **لطفى الخولى :**

لكن بدون تركيز «

■ **خالد محيى الدين :**

أنا موافق على ترتيب أولوية المستقبل . نعيد كتابتها .

■ **د . مراد وهبة :**

أنا اختلف قليلا مع د . عبد العظيم بحكم التزامى بوجود استاذنا توفيق الحكيم . فى تقديرى أن نبدأ بالفعل بصورة المستقبل ، لكنى مستقطب فى الاطار الذى يطرحه فيه الاستاذ توفيق الحكيم اذ أن المستقبل عنده هو تصور للاشتراكية الحقيقيه فانا اقول ـ مبدئيا ـ ان نستقطب فى صوره المستقبل ـ وهو الاشتراكية الحقيقية ـ دون طرح اشتراكية أم ليبرالية . وذلك بحكم أن الجالسين كلهم يسار . واذا اتفقنا على هذا الاستقطاب لصورة المستقبل ـ طبقا لما قاله الاستاذ توفيق الحكيم انه الاشتراكية الحقيقية ،فسنعود الى الوراء ،الى الماضى ، ونقفز على الحاضر ، ونتجه الى الماضى وهو ما أشار اليه د . عبد العظيم خاصا بثورة ٢٣ وهو ما عبرنا عنه بفتح الملف وفى تقديرى فتح الملف يدور حول ثلاثة محاور :

١ ـ العلاقة الجدلية بين الذاتى والموضوعى أى تحديد مسئوليه عبد الناصر ، وتحديد القوى الجماهيرية ، وأصحاب المصلحة ، من ناحية مسئوليتهم تجاه تعاظم العامل الذاتى المتمركز فى شخصيه عبد الناصر .

٢ ـ المحور الثانى هو : العلاقة بين البناء الفوقى والبناء التحتى ، لانه واضح من الورشة التى طرحت ان انجازات عبد الناصر كانت توحى بعدم الاهتمام بتعبير البناء الفوقى المتمركز فيما يتصل بالقيم والتقاليد والعادات ، اى كل هذه الامور التى الح عليها استاذنا توفيق الحكيم بقوله : انجازات يسارية مادية ولكن تقاليد وتراث يمينى لم يحدث تغيير . وهى فى تقديرى قضية فى حاجة الى نقاش .

٣ ـ المحور الثالث : هو العلاقة بين العام والخاص . وأنا لاحظت بأن الاستاذ توفيق الحكيم مهتم جدا بالتطبيق . أما مسألة الاشتراكية بمبادىء عامة متبلورة فى

ايديولوجية معينة يبدو لى أن هنا تخوف من جهة أستاذنا من أنه قد تتحول الدعوة الايديولوجية الى مجرد شعارات كلامية . الى اى حد يمكن مستقبلا تحاشى تحول الايديولوجية الى شعارات كلامية .حين نناقش هذه المحاور الثلاث ، ففى تقديرى أن هذا بالضرورة سيدخل من صورة المستقبل فيمكن أن ندخل فيها ما يريده د . **عبد العظيم** ، ثم بعد تعديل صورة المستقبل نعود الى صورة الحاضر حتى يمكن أن نعرف جيدا كيف يمكن تحريكه لان هذه هى القضية التى يحب أن ينتهى منها الاستاذ **توفيق الحكيم** . أنه كيف نحرك الحاضر الى المستقبل ؟ أننى لا أستطيع الا من خلال رؤيا مستقبليه داخلة فى علاقة جدلية مع ماض منبثل فى فترة **عبد الناصر** تحدث انعكاساتها من جديد على الصورة المستقبلية. هنا يستكمل الاطار الذى فيه يمكن أن نتفق على كيفية تحريك الحاضر تجاه المستقبل .»

■ **لطفى الخولى :**

طيب تحديدا نريد نقاطا محددة »

■ **د. مراد وهبة :**

اولا : صورة المستقبل هى الاشتراكية الحقيقية كما حددها **الاستاذ توفيق الحكيم** وننتهى معها لا مدخل مى نفسيات خاصة بـ ليبراليه أم اشتراكيه . لان مثل هذه القصية فى جلستنا هذه تعتبر وهمية ، لان الحاضرين ـ كما قلت ـ يسار . فيبقى حوار من جانب واحد الا اذا كنتم ترغبون فى دعوة الليبراليين لكى يمكن أن نتفتح بوجهة نظرهم ! .

ـ البعد العربى والبعد الدولى ...

■ **توفيق الحكيم :**

اذن لابد سندعو الليبراليين فى جلسة من الجلسات واللا ايه ؟

■ **لطفى الخولى :**

د . عبد العظيم لما طرح هذا بيطرح انه على اليسار أن ياخذ موقفا . هذا الموقف ضرورى لتحديده فى مقابل موقف آخر . وبالتالى ، لابد أن يقدم الحجج التى نختار على أساسها الطريق الاشتراكى وذلك لشل الطريق الليبرالى أو الطريق الرأسمالى فى التنمية . هذا واضح . طبيعى أن الاشتراكية تكون مطروحة فى واقع محدد وفى ظروف محددة وطاقات قوى وطبقيه محددة .

لكنى ارى ـ من كلام د . مراد وهبه ـ وأساس : هل هو معترض على السياق الرئيسى الذى اقترحه **عبد العظيم** . عبد العظيم مقترح إن نعمل عكس ماهو تقليدى فى المناقشات على اساس ان هذه المناقشة ايضا غير تقليدية . وان فيه حدا ادنى من معرفه افكار بعضنا البعض . ومن خلال الفرشات التى مت أسسا فى حاجة الى العودة باستمرار ... الخ .. الا فى مجال مناقشة خدمة الرؤية المستقبلية للحاضر . وعلى هذا الاساس هو يبدا بالمستقبلية على عكس ما هو قائم فى المناقشات التقليدية . هذه نقطه .

■ **توفيق الحكيم :**

هذه النقطة لها فائدة لانه اذا خططت وصورت للمستقبل ثم تحدث بعد ذلك فى سياق المستقبل عن الماضى والحاضر ، فستكون بهذا غير قاصد ان تمس احدا . لان الخوف هو انه عندما تتكلم فى الحاضر والماضى ستلقى من يقول لك هذا نقد للماضى . انما لما تتكلم فى اتجاهات صورة للمستقبل بيقى بقى أنت رجل تتكلم عن مصر . اذن يصبح كلامك بنزها عن اية أغراض .

■ **لطفى الخولى :**

ده صحيح . بجانب هذا . بالنسبة للمستقبل ليس المطلوب تحديده الى الابد »، وبالتالى ، ما هى المرحلة التى نرى فيها هذا المستقبل. المرحلة التاريخية التى نرى فيها هذا المستقبل .

النقطة الثانية : ان ما أثرته انت [مراد وهبة] بين الذات والموضوع هو ما أثاره الاستاذ **توفيق الحكيم** حول الشكل والمضمون وما اثاره **محمد سيد أحمد** بين الابنية التحتية والابنية الفوقية فاذا هذا سيرد ـ كمنهج ـ خلال المناقشة ، لكن اى واحد ممكن يستخدم اى منهج يراه لكننا لن نوضع كلقطة للمناقشة

■ **د . لطيفة الزيات :**

بالنسبة لجدول الاعمال الذى يقترحه د » عبد العظيم انيس ، ارى أن ثانيا وثالثا يدمجوا فى بعضهم وان مسار الثورة واخلاله .. من

سنة ٦٥ مرتبط ارتباطا كليا بالحاضر . بعد هذا ارى ان هذا المنهج واسع جدا ، بحيث انه غير ممكن ان يؤدى الى نتائج ملموسة فلو عملنا تصالح بين اقتراح د . عبد العظيم انيس ومحمد سيد أحمد ، يعنى لاحتلال الثورة من بعد ٦٥ : احتلال مرتبط اساسا بالصراع المصرى الاسرائيلى ، واحتلال مرتبط اساسا بالوضع الدولى المبنى عن نتيجة هذا الصراع ، واحتلال مرتبط اساسا بقوتية الاشياء وانعزال الشعب عن هذه الاشياء . ولا يمكن تصور اى صورة للمستقبل الا فى نطاق تجاوز الصراع المصرى الاسرائيلى الذى هو نقطة الانطلاق . يعنى الصراع المصرى ـ الاسرائيلى .

■ **لطفى الخولى :**

دكتورة . نقطة نظام لو سمحت انت بدأت تدخلين فى النقاش أولا بما طرحه محمد سيد أحمد بقولة وما تطرحين انت بقولة .

■ **د . لطيفة الزيات :**

لا انا اريد ان أوفق بين المنهجين

■ **لطفى الخولى :**

لا . لماذا المصالحة بين المنهجين .

■ **د . لطيفة الزيات :**

هل انت يمكن تتصور صورة للمستقبل وانا قاعدة فى انفصال عن الحاضر .

■ **لطفى الخولى :**

بس مين قال ان هذا سيحدث

■ **توفيق الحكيم :**

..... انا رأيى فى موضوع المستقبل لابد تصوره بالنسبة لاستراتيجية مصر العربية والدولية يحدث فيه اساسا صراع مصر مع اسرائيل هذا جزء رئيسى

■ **لطيفة الزيات :**

هذه ستكون الاساس ؟ حتى نلم الموضوع .

■ **لطفى الخولى :**

يا دكتوره لطيفة .. فيه ايضا وجهة نظر حتى من ضمن اليسار ان فيه تخطيط من الاستعمار لتغيير قضية الصراع العربى الاسرائيلى عملية ابتزاز كاملة وابتزاز للقوى المصرية و .. و .. الخ . محمد سيد أحمد نفسه قال : انه لما بدأنا حسب تصوره فى اصلاحات الوضع الداخلى امكننا احراز بعض الانتصار فى ٧٣ . وبالتالى القضية الجوهرية ليست الصراع العربى الاسرائيلى . هذه نتيجة . لكن القضية الاساسية الى اين تتجه مصر . فهذه ـ ايضا ـ قضية رئيسية . وبالتالى ، المقولات تحتاج الى مناقشة . فلا نصادر هذه المناقشات . بالعكس هذه حتفتى الموقف .

ومع ذلك فيمكنك أما أن تضعى قضية الصراع العربى الاسرائيلى . النقطة الرئيسية قولك ثم تبنين عليها كل حاجة . واما أن تضعى قضية التخيل لمصر المستقبل والسياسة الاستراتيجية المصرية للمستقبل .

■ **د . لطيفة الزيات :**

خلال كم سنة ؟

■ **محمد سيد أحمد :**

لميكن عشرين سنة مثلا .

■ **لطفى الخولى :**

لابد من تحديد .

■ **خالد محيى الدين :**

انت تضعين فى ذهنك وانت تبنين سياسة عربيةوسياسة دولية وتنمية . انهذا الصراع حتمى ، ولو تم انفاق ، ففى تقديرى ان هذا الصراع لن ينتهى .

■ **محمد سيد أحمد :**

حتى هذا الاتفاق شكل من اشكال الصراع .

■ **لطفى الخولى :**

هل هناك من الاخوان من له رأى آخر فى اطار المناقشة وفى جدول الاعمال .

■ **محمد سليمة :**

احنا قدرنا فعلا نسمع الفرشة لان دى ناحية مهمة جدا وانا اعتبر ان الطليعة ملتزمة وملزمة انها تنشر هذه الفرشة .

■ **لطفى الخولى :**

ستنشره بالنص .

■ **محمد سليمة :**

بالنص لانها مهمة جدا بالنسبة لمجموعات الشباب حتى لا تضلل واحنا عارفين اساليبهم . يكفى انهم استغلوا عودة الوعى الاستقلال السوء وضربوا بها الاستاذ توفيق الحكيم فعلا يعنى ومن هنا فان هذه الفرشة ستعيد للرجل ما كان من توفيق الحكيم وما يجب أن يكون .

■ **لطفى الخولى :**

فقط احب ان أضيف الى جدول الاعمال نقطة رابعة وهو ان كل هذا يعطى تشخيصا للموقف سواء برؤيته المستقبلية أو برؤيته الحاضرة . اعتقد انه لابد أن نضيف نقطة رابعة اخرى تتحدد فى سؤال واحد : ما العمل ؟ تصورى للمستقبل .

■ **د . مراد وهبة :**

انا كنت ارغب فقط أن يؤجل تفصيل الكلام فى المستقبل - كما طرحه د . عبد العظيم الى ما بعد طرح فتح الملف لاننى اخشى أن نستطرد فى المستقبل بحيث انه لا يوجد وقت لفتح الملف .

■ **لطفى الخولى :**

لا .. انت عارف انهو يبدو انه غير منطقى فى البداية . لكن فى الحقيقة البدء بالمستقبل هنا بالذات منطقى : لان الجميع لهم تجارب ، ولهم رأى ، وقد عانوا التجربة و .. و .. الخ ... وبالتالى ان الاساس الذى سنبدأ منه ارضية نقاش وتحليل لمسار الثورة ولتجربة العشرين سنة الماضية ولعبد الناصر ولدوره و ... و ... الخ .. ان يكون فيه منذ البداية بين المتناقشين تحديد واضح لفهمهم للمستقبل ، بنقط اتفاق ونقط اختلاف محددة . فهذا يعينك فى فهم الواقع ، وفى فهم مسار التجربة . ولهذا اهميته . اهميته انه منذ البداية وانا واضح تماما فيما اتفق معك ، وما اختلف معك حول المستقبل . وهذا بالتالى ينعكس فى منهاجك فى الرؤية والتحليل للحاضر والماضى .

■ **د . فؤاد مرسى :**

يعنى انت لو سمحت لى اعتقد ان الفرشة التى تقدم بها الاستاذ توفيق الحكيم فى هذه الجلسة وكما اكتملت كفرشة بالمرض الذى قدمه الاستاذ خالد محيى الدين قد تجاوزت امرين : الامر الاول محاكمة عودة الوعى ككتاب وضعه الاستاذ الحكيم واستغل واستفيد منه بدرجات متفاوتة . الامر الثانى الذى تم تجاوزه بمناقشة اليوم هو مجرد فتح الملف .. يعنى لسنا نحاكم عبد الناصر ايضا ولسنا نحاكم التجربة الماضية ، ولسنا نحاكم اليوم كما يقدر ما نحن مشغولون بالمستقبل .

■ **لطفى الخولى :**

اذا اتفقنا على هذا الاساس فنرجو أن نستأنف جلستنا الثانية يوم الاثنين القادم الساعة الحادية عشرة .

■ **خالد محيى الدين :**

هناك نقطة اريد ان اضيفها على كلام فؤاد مرسى الحقيقة ان هذا المنهج يخلينا نتخطى الكلام الذى قاله توفيق الحكيم عن : هل الاشتراكيون اتباع مذاهب عامة يفكرون فقط فى التزامهم الخاص دون النظر لوطنهم . هذه المناقشة عليها ان تضع تصورا للمستقبل عربيا عربيا ، وتناقش مشاكلنا ببرنامج يؤكد أن الانسان الاشتراكى قضيته الاساسية هى وطنه ويضع ظروف وطنه قبل كل شىء . وان كان عنده منهج فكرى فهو لخدمة وطنه ببرنامج على مراعيا كل الظروف المصرية والعربية .

■ **لطفى الخولى**

اتفقنا . وشكرا .

« انتهت الجلسة الاولى »

وتواصل الطليعة نشر الندوة فى العدد القادم

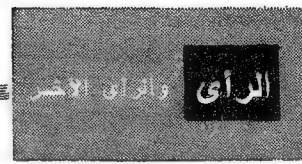

منذ صدور الطليعة ـ فى يناير سنة ١٩٦٥ ـ وهى تؤمن بضرورة الحوار بين مختلف المدارس الفكرية والسياسية فى مصر . وتثبت التجربة العملية ، حيوية هذه الحاجة لمجتمعنا .

وتحقيق الهدف من الحوار ، اى بلورة الاتجاهات وتعاملها للتقريب بين المدارس الفكرية والسياسية الوطنية والتقدمية ، يتطلب اول ما يتطلب الموضوعية والجدية ، وذلك ينطبق بالفعل على كثير من الاراء التى تنشرها فى « الرأى .. والرأى الاخر » ، حيث يعرض الاستاذ احمد حسين وجهة نظره من خلال خطاب مفتوح الى الماركسيين المصريين . وحيث يعرض الدكتور محمود القاضى لقضية الاستجواب البرلمانى واثره فى تحريك المسئولية الحكومية . ثم فى الحوار الذى اداره الدكتور مراد وهبة مع ثلاثة من كبار رجال الدين فى لبنان والوطن العربى .

على ان البعض الاخر ، من الذين خرجوا على مجتمعنا الراهن من مواقعهم القديمة ، يتصور ان ماضيه يمكن ان يشفع له وجوده الراهن او فى المستقبل . ولو ان هذا البعض وعى واقع المجتمع المصرى وطموحه ، لادرك ان الاستعانة بماضيه لفرض وجوده ، هو نفسه مصدر رفض المجتمع له . ورغم ان هذا البعض يتحدث عن استحالة « عودة عقارب الساعة الى الوراء » ، وهذا صحيح بكل المعانى ، الا انه يسعى الى العودة بالمجتمع نفسه الى ما قبل ثورة يوليو . لقد دارت حركة الثورة فى مصر منذ يوليو سنة ١٩٥٢ ، ولا سبيل الى الرجوع عنها او الانتكاس بها . والجهد الذى يطالب به الشعب هو التقدم بالثورة ، لا الانقضاض عليها .. هو تخليص الثورة من سلبياتها ودعم وتطوير ايجابياتها ، لا اتخاذ السلبيات مبررا لهدم الايجابيات

فى هذا الصدد ، يواصل الدكتور احمد بدران حواره الذى يبدد عليه الاستاذ فيليب جلاب والاستاذ فاروق منصور .

.. وتواصل الطليعة طرح « الرأى .. والرأى الاخر » .. وتعرض فى نهايته لبعض الصفحات القديمة التى يظن البعض انها ـ كلها او بعضها ـ منسية ، ولعلهم يتذكرون .

● رسالة الى « الطليعة »

من أحمد حسين

بسم الله الرحمن الرحيم
عزيزى الاستاذ لطفى الخولى
أتيح لى أن أطالع العدد الاخير من الطليعة فرضيت كل الرضا عن النهج الذى ترغب فى أن تختطه وهو أن تجعل من الطليعة منبرا حرا تتصاول فيه الاراء ، ورغبة منى فى المساهمة فى هذا الاتجاه أبعث اليك بمقال فيما أحب أن أضعه تحت أنظار اليسار المصرى .
ودمت .

المخلص
أحمد حسين
١٩٧٤/١٢/١٦

« أحمد حسين ٦٤ عاما »

● بدأ نضاله ضد الانجليز المحتلين حين أسس حزب مصر الفتاة عام ١٩٣٢ .

● وفى عام ١٩٥٠ تطور الحزب بقيادته الى « حزب مصر الاشتراكى » وأعلن برنامجا معاديا للاستعمار والملكية والاقطاع والرأسمالية الكبيرة ، فوقف ضد الاحلاف والقواعد العسكرية . وطالب بتحديد الملكية بـ ٥٠ فدانا وبتأميم رؤوس الاموال الاجنبية ووسائل الانتاج الاساسية ، وبضرورة التوحيد العربى .

● اثناء هذه المرحلة اتفق أحمد حسين واختلف مع القوى التقدمية الاخرى خلافات بعضها حاد وعميق ، ولكنه كان دائما من الداعين الى جبهة تجمع كل القوى الداعية للتغيير الجذرى .

● و « الطليعة » اذ تنشر هذه الرسالة التى وجهها أحمد حسين ، فانها تحيى اصراره على متابعة النضال الوطنى بالرأى والموقف ، رغم مرض الشلل الذى يعوق حركته . ونحن نختلف مع بعض القضايا التى أثارها ولكن ، لضيق الوقت ولوصول الرسالة متأخرة ، سنؤجل ردنا الى العدد القادم .

عزيزى الاستاذ لطفى الخولى

كم سعدت بمنهج الطليعة الذى أعلنته أخيرا وهو أن تفتح صفحاتها لاى رأى وان خالف وجهة نظرها وها أنا أتشجع لاوجه على صفحاتها رسالة طالما تاقت نفسى لتوجيهها لليسار المصرى ممثلا فى شخص قدماء المحاربين منهم الذين زاملتهم وزاملونى فى السجون والمعتقلات .

وليس يعرف [من غير صفوفهم] كم عانوا وكابدوا مثلى ، وان لى من بينهم حتى الآن من اعتز باخوته وصداقته . بل وفيهم من يعاوننى على اعداد بعض كتبى ، أما بالنسبة للشباب ، لهذا الجيل الجديد الذى لا أعرفه شخصيا ولا يعرفوننى ، فهم ليسوا الا بعض أبناء مصر الذين اعتبرهم جميعا أبنائى أحمل لهم كل حب واعزاز ، مهما تعددت آراؤهم وتباينت فهم جميعا يريدون الخير لمصر وللناس . وهذا هو الرباط الذى يربط كل من ضمته بلادنا .

خط فاصل بين روسيا والمبادىء الماركسية

ويدفعنى حرصى كوالد روحى للشباب أن أعرض على اليسار المصرى بعض اقتراحات [من وجهة نظرى] تزيد فى فاعليتهم وفى قدرتهم على التأثير على سير الحوادث فى مصر .

ولعل أول هذه الاقتراحات على الاطلاق هو عدم الخلط بين الاتحاد السوفيتى كقوة عظمى فى العالم يجب أن نعمل حسابها دائما ، وبين المبادىء الماركسية . ان كثيرين يتصورون أن روسيا كانت صفرا قبل ثورة أكتوبر وأنها أصبحت بعد هذه الثورة مائة ، وليس هذا الا وهم وجهل بتاريخ روسيا ، فان روسيا كانت منذ مطلع القرن التاسع عشر قوة عظمى فحيث

جثت أوزوبل كلما تحت. أقدام نابليون وحيث كانت حياته سلسلة انتصارات ، فقد ذاق أول هزيمة له في روسيا ، بل ان نابليون انتهى تماما بعد حملته في روسيا . وعندما اتعقد مؤتمر فينا لاعادة تنظيم أوروبا كانت كلمة روسيا هي أول الكلمات وأخطرها شأنا . فليس الا ساذج من يتصور ان روسيا كانت كما مهملا وان الشيوعية هي التي جعلت منها شيئا مذكورا .

فروسيا قديما كالاتحاد السوفيتي حديثا ، كانت قوة عظمى بشعبها الطيب الصبور العامل وبلادها المترامية الاطراف ومواردها التي لا تنضب .

هذه احدى الحقائق التي يجب أن نعرفها عن عالمنا المعاصر الذي نعيش فيه لنضمن سلامتنا ورقينا وتطورنا، وخاصة في أزمتنا الحالية أو بالاحرى في محنتنا التي ابتلانا القدر بها ، وأعني بها دولة اسرائيل المجنونة الهووسة التي تعيش على الحرب وتتغذى بالحرب بل وتتنفس بالحرب حتى أصبح ما تخشى أي دولة في العالم من وقوعه ، وهو اندلاع نار حرب عالمية ، هو أعز ما تشتهيه اسرائيل . حتى ولو كان معنى حرب جديدة أن يفنى نصف سكان العالم ، وفي مقدمتهم اسرائيل نفسها . ذلك أن شعار القوم هو « على وعلى أعدائي » .

تلك هي محنة اسرائيل التي ابتليتا بها وقد شاءت الظروف أن ترى أمريكا أن مصلحتها لا تتحقق الا بمساندة اسرائيل ودعمها مائة في المائة ، وليس هنا مجال البحث عن أسباب ذلك . والمهم أن الحقيقة التي باتت مؤكدة أن أمريكا عادت من جديد تسمح لاسرائيل أن تعربد في المنطقة وان تتحدى العالم كله ولا تتردد أن تسبه وتوجه له الشتائم بمثلا في هيئة الامم ، وما كانت لتفعل ذلك لولا أن حرضتها الولايات المتحدة نفسها والتي راحت تردد بنفسها ما دفعت اسرائيل دفعا لتقوله .

وفي الوقت نفسه عادت اسرائيل تهدد بالحرب وبالقنبلة الذرية ، ومرة أخرى ما كانت لتجرؤ على ذلك الا لان أمريكا تدفعها الى ذلك دفعا حتى لتعلن عبلها عن تخابنها معها ، فترسل بحاملة طائراتها الى الخليج العربي لتتمرن على الحرب ضد العرب الذين سيهبون بطبيعة الحال لنصرة اخوانهم عندما تشعل اسرائيل نار الحرب .

هذا قضاء وقدر أن تكون الولايات المتحدة قد ربطت مصالحها بأذلال العرب على يد اسرائيل.

مرحبا بكل من يريد أن ينصفنا

فاذا كان الاتحاد السوفيتي قد اتخذ أخيرا بأن ما يحقق مصلحته هو أن يساند القضية العربية ، فليس عندنا نحن المصريين ، سواء كنا يمينا أو يسارا ، الا أن نقول للاتحاد السوفيتي أهلا وسهلا لكل من يعاوننا على رفع الظلم عنا، أهلا وسهلا بكل من يعاوننا على تحقيق كرامتنا، أهلا وسهلا لكل من يساعدنا على ايقاف مربدة اسرائيل . وقد كان هذا هو ما دفعني أن أعاون على انجاح زيارة الرفيق بريجنيف، فكتبت أشيد بالتعاون بين مصر والاتحاد السوفيتي وأعود بهذا التعاون الى الوراء منذ أيام لينين .

أما عن الماركسية

فالتحدث عن الصداقة مع الاتحاد السوفيتي والتعاون معه في شتى المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية هو أمر يفرضه والتمنا الوطني فرضا ما بقيت أمريكا تساند عدونا [وهو ما أثبتت التجربة أن لا فكاك منه] وما بقي الاتحاد السوفيتي على استعداد لمعاونتنا فليس أمامنا الا الترحيب بهذا التعاون والاستزادة منه

على أن هذا لا يعني بحال أن يتصور البعض أن هذا التعاون يفرض علينا اعتناق الماركسية ذلك أمر فرغ منه الاتحاد السوفيتي منذ أمد بعيد في علاقاته الدولية ، فحيث تسود علاقته مع حكومة الصين « الماركسية » فهو يوطد علاقته بالهند الغارقة في دينها ، سواء كان الهندوكية أو البوذية أو الاسلام . بل ان آخر اجتهادات الاتحاد السوفيتي هو الانفتاح التجاري على الولايات المتحدة الامريكية بالذات .

ومن هنا يجب أن يدرك كل شاب وطني أن لا تلازم بين الصداقة السوفيتية وبين اعتناق الماركسية .

الماركسية نوع من الفكر الاوروبي

بقي أن الماركسية بعض ثمرات الفكر الاوروبي ومحال أن نحجر على شبابنا محاولة التطلع لهذا الفكر والاحاطة به وتصور انه يحل مشاكل المجتمع ، ان كل محاولة لصد الشباب عن ذلك هي محاولة فاشلة . بل وتؤدي الى عكس المطلوب تماما . يشهد بذلك ما كان يحدث في روسيا في مطلع القرن ، فان الاضطهاد للماركسية قد انتهى بثورة أكتوبر ١٩١٧ التي جعلت روسيا كلها ماركسية . بل ولنا من تاريخ

مصر المعاصر في الاربعينيات ما يقرب لنا هذه الحقيقة فحيث كان اعتناق الماركسية يؤلف جناية عقوبتها الاشغال الشاقة فقد وصل الامر الى حد تأليف حزب شيوعي مصري . فالفكر لايقاوم بالحديد والنار .

ومن هنا دعوت في حديث نشر لي في مجلة « المصور » الى ضرورة أن يقوم في الاتحاد الاشتراكي منبر متخصص لعرض وجهة النظر الماركسية في أي شأن من الشئون التي يمكن ان يتصدى لعلاجها .

الملاحظة التي أريد أن أقول بها

وهنا تأتي الملاحظة التي اريد ان اضعها تحت انظار ابنائي الذين يريدون ان يدينوا بالافكار الماركسية .

فاذا شاءوا أن يظلوا في دائرة النظر والتفكير المحض ، فليس باستطاعة أي انسان أن يحول بينهم وبين ما يريدون . أما اذا أحبوا أن يذهبوا الى أبعد من ذلك فيتفاعلوا مع الجماهير ويؤثروا ويتأثروا بها ، فلا مناص من الاهتمام بهذه الملاحظات التي أسوقها .

حضارة مصر منذ ألوف السنين

أولا وقبل كل شيء يجب أن يستوعبوا ما تعنيه حقيقة أن مصر أم الحضارة التي علمت الانسانية . انه يخطيء كل الخطأ من يتصور أن هذه مجرد كلمة تقال ولا تعني شيئا ، كلا بل انها تعني كل شيء فليس الانسان أي انسان الا ثمرة بيئته تماما كأي ثمرة نبتت .

فكون مصر هي أم الحضارة قد جعلها على استعداد أن تستوعب كل جديد في دنيا العلم والفكر اذا كان لا يتعارض مع تجربتها الخاصة ، وانما يأتي لها بمزيد من النفع . وهكذا توالت عليها مختلف الحضارات ابتداء من اليونانية والرومانية والفارسية والتركية واخيرا الانجليزية فاذا كانت هذه الحضارات المختلفة قد استطاعت ان تلون الحياة في القشرة السطحية التي تعيش في المدن حول السلطة الحاكمة ، فان هذه الحضارات ومختلف انواع الثقافات لم تستطع أن تنفذ الى أبعد من ذلك وظل الفلاح المصري كما هو منذ ألوف السنين ، لا يلقى بالا الا لما اصبح جزءا من تكوينه ، فليس الا ساذج من يتصور أنه سيغير ما استقر الوف السنين باستخدام الماركسية .

وقد تنجح الماركسية في أي مكان في العالم ولكنها [في تصوري] لا يمكن أن تنجح مع الفلاح المصري الذي تجري حضارة الوف من السنين في دمائه .

ومن هنا كان لا مناص لاي مشتغل بالماركسية أن يعرف خصائص الفلاح المصري اذا أراده أن يصبح منه

التدين

وأول هذه الخصائص وأقواها والتي تعتبر هي سر بقائه حتى الان ، كأنجح مزارع في العالم هو تدينه وايمانه العميق بالله وبسائر الامور الغيبية من بعث ونشور وحساب وعقاب وجنة ونار .

وقد يقول لك قائل ، ان هذا هو شأن الفلاحين في كل زمان ومكان ، ولكن فلاحي الدنيا كلها قد تلقوا هذه التعاليم من خارج بلادهم فليس ما يمنع من الناحية النظرية على الاقل أن يتقبلوا تعاليم جديدة . ولكن التعاليم الدينية أيا كان نحواها نبعت من وجدان الفلاح المصري وظل يتوارثها ويمارسها الوف السنين . ولعل من يريد أن يفسر نجاح الاسلام في مصر ، وكيف لم يكد يدخل الى مصر حتى تحولت مصر الى معقل الاسلام فلن يجد تفسير لذلك الا لان المصريين وجدوا في تعاليمه عين ما يؤمنون به منذ الوف السنين ، وهو الجنة والنار والبعث والحساب ، حتى الميزان الذي يتحدث عنه القرآن ليس بعيدا عنهم بل هو منقوش على جدران المعابد حيث كانت الكتابة رسوما ورموزا .

أخطروا الماركسية في الامور الاقتصادية

ولنا أعلم أن الماركسيين أخيرا قد سلموا بأن الدين لا يقاوم ، فاتفقوا على أن ينحصر كل ما يتعلق بالدين مؤقتا أي أنه نوع من التكتيك ، ومرة أخرى أقول ان استخدام هذا التكتيك اذا نفع في أي مكان في الدنيا فهو لن ينفع في مصر ، حيث الدين ليس جزءا من الحياة بل هو الحياة نفسها . وأي قول وأي حديث لا يبدأ باسم الله فهو مرفوض .

وهذا الذي أقوله هو ما انتهى اليه بعض اخواني ممن كانوا شيوعيين في شبابهم . وقد كتبت لاخ بنهم أحدثه عن سعادتي وهو يحدثنا في مقال له عن كيف صلى العيد في موسكو

قد رأيت فيه « المصرى العريق » الذى بعد أن بلغ فى الثقافة والعلم الماركسى الى منتهاه ؛ عاد يبحث عن المسجد فى موسكو نفسها ليصلى العيد . فليسقط الماركسيون القسم العقائدى من اقوال ماركس باعتبار ذلك ضرورة مرحلية ، ولكن عن اقتناع وايمان وليزيدوا ما استطاعوا من ثقافتهم الدينية ويجعلوها محور سلوكهم . هذا اذا أرادوا أن يجدوا من يسمع لقولهم فضلا عن أن يتأثر بكلامهم ».

العنف والطبقية

وثبة خصيصة اخرى للمصريين يجب أن يعرفها كل ماركسى اذا أراد أن يجد مستمعا بين جمهرة الشعب . فهذا الشعب يؤمن بحق كل انسان فى الحياة [لانه متحضر متدين] ولا يسيغ مسائل الطبقية وحكاية تصفية الطبقات بالعنف . انه لا يفهم هذا ، ولا يجب ان يفهمه . أن حياته تقوم على الحب والتآخى ويكره اى تعاليم تقوم على العنف ؛ والمجتمع المصرى لم يعرف فى أى يوم من الايام هذه الطبقية التى عرفتها أوروبا فى العصور الوسطى .

الدين والحب والعدل

هذه هى خصائص الشعب المصرى ؛ عرفتها ولنا أمارس العمل العام . وعرفتها بالاكثر وانا اكتب موسوعة تاريخ مصر منذ فجر التاريخ ؛ أحببت أن اضعها تحت انظار ابنائى الماركسيين ؛ اذا أرادوا ان يكون لهم شأن فى مجريات الامور.

ولست أدعو للدخول فى جدل ومناقشات فانا اشد الناس عرفانا كيف لا يرى الانسان الكون كله الا من خلال عينيه هو وافكاره .

فليتفضع برأيى من يريد أن ينتفع وليتجاوزه ويهمله فى سلام ، لا يوافق وجهة نظره .

وليبق هنا الحب ، حب مصر والناس ليجمعنا ».

احمد حسين

□ □ □

● الاســـتجواب

واهميتـــه فى تحـــريك المســـئولية الوزارية

د. مهندس / محمود القاضى *

لعلّ من أبرز ما يميز النظام الديموقراطى البرلمانى أنه يقوم على تحقيق التعاون والتوازن بين السلطة التشريعية متمثلة فى البرلمان وبين السلطة التنفيذية متمثلة فى الحكومة .

ولوجه التعاون بين هاتين السلطتين عديدة ومتنوعة . على أن الذى يمثل ، فى هذا المقال ، هو التوازن بين السلطتين المذكورتين ، والذى ينبثق على الاخص فى الامكانية المتاحة لاى من السلطتين أن تقف فى مواجهة الاخرى بل وأن تتهدد بقاءها اذا ما جاوزت الحدود الواجبة . فمن حق البرلمان أن يطرح الثقة بالحكومة ، كما ان من حق الحكومة أن تطلب حل البرلمان . فسلطة سحب الثقة فى يد السلطة التشريعية تقابل سلطة الحل فى يد السلطة التنفيذية .

ولئن كان سلاحا الاسقاط والحل مقررين فى النظام الديموقراطى البرلمانى ـ الا أن الحقائق العملية والاعتبارات السياسية الواقعية لا تدع ـ فى كثير من الاحيان ـ الفرصة لباشرة هذين السلاحين مباشرة فعلية .

على أن عدم مباشرة السلاحين المذكورين مباشرة فعلية لا يحول دون قيام كل منهما بدوره المنتج فى احداث الاثر المنشود من ورائه . فالازمة

* د. محمود القاضى عضو مجلس الشعب ورئيس لجنة الشباب بالمجلس .

التى تنشأ بين البرلمان والحكومة لابد وأن تصاحبها متابعة فى الرأى العام ، والذى لا يلبث أن يسجل موقفا محددا ، أو يصل بذلك الى انهاء الازمة قبل أن تجاوز المدى المعقول .

ولقد عرفت النظم الديموقراطية البرلمانية من قديم وسيلتين رئيسيتين تباشر بهما السلطة التشريعية ولايتها الرقابية على أعمال السلطة التنفيذية ، وهما : السؤال والاستجواب ، على أن ثمة تمايزا محققا بين هاتين الوسيلتين سواء من حيث الهدف او من حيث الاثار . فبينما السؤال يستهدف مجرد الاستيضاح عن موضوع معين، فان الاستجواب يستهدف محاسبة الوزارة أو الوزير عن تصرف معين .

وهذا الاختلاف بين السؤال والاستجواب ، من حيث الهدف ، يستتبع اختلافا بينهما من حيث الاثار . فبينما السؤال لا يرتب بذاته اثرا خاصا فى مجال المسئولية الوزارية ، فان الاستجواب يمكن أن ينتهى الى تحريك هذه المسئولية بطلب سحب الثقه من الوزارة أو من احد الوزراء ، ومن ثم فانه يحاط عدة بضمانات تكفل ميلاده على النحو الذى يتلاءم مع جسامة الاثار التى يمكن أن تترتب عليه .

ولقد صدر دستورنا الدائم عن المبادىء الاساسية التى سجلها تاريخ التجارب الدستورية فى النظم الديموقراطية البرلمانية بصدد التوازن بين السلطتين التشريعية والتنفيذية ، والوسائل الخاصة بتحقيق هذا التوازن — وبالذات بالنسبة للسؤال والاستجواب .

فالمادة ٨٦ من الدستور تكفل لمجلس الشعب « الرقابة على اعمال السلطة التنفيذية » والمادة ١٢٦ منه تنص على أن الوزراء مسئولون امام مجلس الشعب عن السياسة العامة للدولة وان كل وزير مسئول عن أعمال وزارته ، وتكفل لمجلس الشعب حق « سحب الثقة من احد نواب رئيس مجلس الوزراء او احد الوزراء او نوابهم » .

والمادة ١٢٤ من الدستور تجعل من حق كل عضو من أعضاء مجلس الشعب ان يوجه الى رئيس مجلس الوزراء او احد نوابه او احد الوزراء او نوابهم اسئلة فى اى موضوع يدخل فى اختصاصهم وتوجب على رئيس مجلس الوزراء أو نوابه او الوزراء أو من ينيبونه الاجابة عن هذه الاسئلة ، ولكنها تجعل من حق العضو سحب السؤال فى أى وقت وتحظر « تحويله فى نفس الجلسة إلى استجواب » .

أما المادة ١٢٥ من الدستور فانها تجعل من حق كل عضو من اعضاء مجلس الشعب توجيه استجوابات الى رئيس مجلس الوزراء او نوابه او الوزراء او نوابهم « لمحاسبتهم فى الشئون التى تدخل فى اختصاصاتهم » . على انها لا تجيز المناقشه فى الاستجواب الا بعد سبعة أيام على الاقل من تقديمه ما لم تنشأ حالة من حالات الاستعجال حسب تقدير المجلس وموافقة الحكومة ».

ولا سبيل الى عرض طلب سحب الثقة من رئيس مجلس الوزراء او من نوابه او من الوزراء او من نوابهم الا بعد تقديم استجواب . ويحتاج طلب سحب الثقه فى عرضه الى توقيع عشر عدد اعضاء المجلس كما يستلزم موافقة أغلبية أعضاء المجلس لاقراره .

ويتشدد الدستور فى الاجراءات الخاصة بطلب سحب الثقة من رئيس مجلس الوزراء الى حد انه قد يقتضى اجراء استفتاء شعبى لينتهى امرا الى حل المجلس أو اقالة الوزارة [المادة ١٢٧ من الدستور].

اما بالنسبة لطلب سحب الثقة من احد نواب رئيس مجلس الوزراء او احد الوزراء او نوابهم فان المادة ١٢٨ من الدستور تنص على أنه بمجرد أن يصدر قرار من المجلس بسحب الثقة من أيهم، يكون من الواجب عليه اعتزال منصبه .

والتيسير الملحوظ فى الاجراءات الخاصة بطلب سحب الثقة من نواب رئيس مجلس الوزراء أو الوزراء أو نوابهم — قصد منه الدستور الى ان يمكن مجلس الشعب من ممارسة رقابة فعلية وجدية على هؤلاء حتى تتحقق الاهداف المنشودة من تقدير المسئولية الوزارية أمام المجلس . ولا نزاع فى أن اتاحة الفرصة لمحاسبة الوزراء على هذا النحو اليسر من شأنه أن يحدو بهم الى تجنب الاخطاء التى تعرضهم للمسئولية وسحب الثقة منهم — سيما وان مسئولية أى وزير بالذات لا تستتبع مسئولية الوزارة ، كما أن ثبوت خطأ من وزير معين يجعل الوزارة فى حذر من أن تسانده أو تتمسك به خشية أن تثير استياء الرأى العام ضدها ،وتجد أن الاولى للمصلحة العامة ولمصلحتها أن يتحمل الوزير نتائج خطئه .ولئن كان الاستجواب لا يستتبع حتما طرح الثقة الا أنه لايمكن طرح الثقة برئيس مجلس الوزراء او الوزراء الا بعد تقديم استجواب . وهذا ما يجعل للاستجواب أهميته الدستورية المميزة لانه الوسيلة الوحيدة

التى يمكن بواسطتها سحب الثقة من رئيس مجلس الوزراء أو من الوزراء ».

وقد خصصت اللائحة الداخلية لمجلس الشعب الفصل الثالث من الباب الثامن للاستجوابات ، كما أن الإجراءات التى نظمتها فى شأن الاستجوابات تتفق مع ما لها من آثار ايجابية فى مجال رقابة المجلس على أعمال الحكومة وتظهر أهميتها فى صدد ما تكفله لكل عضو من أعضاء المجلس من حق مطالبة الوزير بتقديم « بيانات متعلقة بالاستجواب المعروض » — المادة ٢٥٩ ، وتعكس مدى الإرتباط الشديد بين الاستجواب وطلب سحب الثقة فيما تنص عليه من انه « تسقط الاستجوابات باستقالة الوزير ».

ومن واجب اعضاء مجلس الشعب ان يباشروا سلطتهم الرقابية على أعمال الوزارة ، وأن يقوموا بتقديم الاستجوابات فى الحالات التى تقتضى تقديمها — اذ أن تقديم هذه الاستجوابات دليل قوى على تمسكنا بأن نمارس ديموقراطيتنا البرلمانية بممارسة صحيحة ووسيلة ايجابية لكفالة قيام السلطة التنفيذية بالرسالة المنوط بها تحت رقابة حيوية من مجلس الشعب الأمر الذى يوفر لنظام الحكم اسباب العدل ، والمواطنين حرياتهم وضماناتهم وأمنهم واستقرارهم ».

□ □ □

[١] اما ماركس .. واما الله والوطن

د. أحمد بدران

اثارت حلقة الطليعة فى عدد ديسمبر مقالين رد! على مقالى الذى نشر فى الاخبار فى ١٢ نوفمبر تحت عنوان «من الاشتراكية الماركسية والاستيراد والالحاد » الاول بعنوان « من هنك ان تدافع ، لكن من واجهك ان تقرأ » ، أما الثانى فحلوانه « ماركسيون ولكنهم مسلمون » .

ويبدو الشيء الغريب للمسادة الماركسيين لم اكن واهما ، وأنا أعترفهم ، أننى لم اكتب خلال لاتول : «المنطق الديالكتيكى يتحدر عند الطبيب . وليس معنى هذا ثبوت صحة المنطق الارسطى وبطلان المنطق الجدلى ، بان المنطق السورى يتحدر فى طبيعيات أخرى لايتنع فيها الا المنطق الجدلى ، وهكذا يبدو أن الواقع التجريبى يتحرك فى اطار النظرية ولكنه يعيد تعديلها» وتبادل الممارسة والتطبيق التأثير والتعديل » .

وأرجوك أيها القارىء العزيز ان تضحك ، والا اعتبرت بكلك لاتقرأ ، وانك فعل الثقافة ، وان الدهور الثقافى العقلى — الذائم الآن — قد أحالك كالمرض على مثلك .

ولما كنت قد كتبت كلاما واضحا فقال السادة الكتاب من « أخوان ماركس » قد ادعوا انهم لم يدعوه ، ثم هضموا — كالسلوبهم المعروف — فى تحرير الموضوع وتجميع الحوار ، وادخال الفراء فى مضامات جانبية .

ان السيد الكاتب الاول يرد على بان الالحاد كتيار فلسفى قد سبق ولادة كارل ماركس ، وان هناك عددا لايحصى من غير الماركسيين وهم ملحدون ، وانا كما هو واضح من مقالى لم اكن ارهم اى الماركسية هى التى ابتدعت الالحاد وانما قلت : ان الالحاد هو احد الاسس الجذرية للفلسفة الماركسية ، كما انى لم اقل ان كل الملحدين ماركسيون ، وانما قلت ان كل من يؤمن بفلسفة ماركس ولينين فلابد له ان يكون ملحدا ، ويكون بمعنى رجال الثورة الفرنسية كانوا ملحدين وان قادة بريطانيا العظمى ، وقسادة الولايات المتحدة غير ملحدين ، فمن الواضح أنها أشياء لاتتنافا على الاطلاق، ولاعلاقة لها بالموضوع ، وانما ان راهبا قد اعتنق الشيوعية فهو قد خرج على دينه ، كما ان هناك راهبة قد هجرت الدير وتزوجت ، فهى ان تصبح أقل راهبة ».

اتصل بنا الاستاذ احمد طه عضو مجلس الشعب وابلغنا أن الاستاذ محمود الشنافعى ابو وافية طلب ازيفتح حوارا مع الطليعة. وقد وافقت الطليعة على الفور ، وطلبت أن يعد الأستاذ ابو وافية ورقة تتضمن نقاط الحوار التى يقترحها .

ويقول السيد الكاتب شيئا عجيبا وهو: « من حق الماركسى فى أوربا أن يتخذ الموقف الذى يراه من الدين ،ومن حق الماركسى فى الشرق أن يتخذ موقفا مخالفا للماركسى الغربى » .. ومبلغ علمى أن الدين ، أيدين سماوى، هو هو سواء فى الشرق أو فى الغرب وفى الشمال أو الجنوب .

ويقول السيد كاتب المقال ان عبارة: « الدين هو الهيون الشعوب .. أن الدين نوع من الخمر الروحية يشرق فيها العبيد لرأسمالية صنوبرتهم الاستغلية»، ودعواهم الى حياة انسانية كريمة» قد قالها ماركس — كما ذكر جارودى — وسنة ١٨ عاما وانه لن يتورط بعد ذلك ، وانا اقول ان لينين قد أكدها وأضاف اليها قائلا : « الدين هو أفيون الشعوب . ان هذا المبدأ الماركسى هو حجر الزاوية فى النظرة الماركسية الى الدين » [لينين: مجموعة أعمالة . المجلد ١٥ صفحة ٢٧١] .

وهل انعش ذاكرة الكاتب بما قاله انجلز عام ١٨٩٤ : « ان كل الايديولوجيات الا صورة خيالية فى اذهان الناس لتلك القوى التى تحكم فى حياتهم اليومية منذفذة صورة قوى فوق الطبيعة . أن الدين صورة مشوهة خيالية للحقيقة ».

بل أن الماركسية لاتريد أن تدع الدين علاقة خاصة بين الانسان وربه كما يقول السيد الكاتب ، ذلك ان لينين يقول بالحرف الواحد : « ان الحزب الشيوعى لم يعتبر قط أن الدين مسألة خاصة بالفرد، ان الحزب الشيوعى يدعو اعضاءه على الدوام أن يحاربوا كل نوع من الاستعباد الروحى بما فى ذلك الدين » .

ثم انتى أيضا ذكرت تعليمات الحزب الشيوعى الرسمية الى المعلمين ، أن المعلم الذى يؤمن على تنشيء لايمكنه ولايجب أن يكون محايدا فى موقفه من الدين . أن عليه لا أن يتخلص من الايمان فحسب بل أن يقوم بدور ايجابى فى الدعوة الى هدم الايمان بوجود الله وأن يكون داعية متحمسا الى الالحاد » .

وأستشهدت بما جاء فى « أسس الماركسية اللينينية »وهو « أن الماركسية اللينينية لاتعترف بوجود أى قوى فوق الطبيعة ، ولا أى خالق ، انها تحتقر الاسطورة مرة واحدة ، والى الابد ، من الخرافات والعبودية الروحية — ان الماركسية اللينينية تنظر الى العالم كما هو دائم ، دون أن تضيف اليه مخترعات الخيال والقدر » .. فما رأى الكاتب فى هذا ؟؟

ويخلط الكاتب بعد ذلك ، ذلك الخلط المألوف بين الماركسية وموقف الاتحاد السوفياتى من تشيكوسلا وهو أمر كنت أود الا يقربنى فيه ، لانه اولا يسيء الى الاتحاد السوفياتى ، كما يسيء الى بلده، ثم لتعليقكم بعد ذلكتعمة الذعر والمعاقبة.

وحين يأتى الكتاب الى موضوع « الوطنية والوجوه من الخارج » قاله يقول « ان مسألة الصفحين المزعوم بين العامل العربى والعامل الاسرائيلى فيسر مطروحة بسببخلوذ الظاهرة الاستعمارية الاستيطانية الاسرائيلية » وكفى الله المؤمنين والماركسيين شر القتال !!

لكن ماقول الكاتب الفاضل فى ما يورده الفاشيف فى كتابه الرسمى « الفلسفة الماركسية » [موسكو . الطبعة الثالثة ١٩٦٨] وهو بالحرف : « أن الحزب الماركسى وان كان يؤيدكفاح الشعوب المضطهدة من اجل التحرير فانه يحاول أن يكشف الطبيعة العامية من الوطنية البرجوازية لانها لاتتفق مع القضية العالمية للبروليتاريا » .

أما من المقال الثانى فى نفس المجلة بعنوان : « الماركسيون ولكم مسلمون» بعد أن ذكر كاتبه أنه : « رئيس قسم التراث بمؤسسة أخبار اليوم » فليره عجب .. ان الكاتب يبدأ بتعريفات للدين لينقل عن اقوال الايديولوجيين انه « وضع الهى سائق [كذا] لذوى العقول السليمة باختيارهم الى الصلاح فى الحال والفلاح فى المآل » . ومن الدكتور عبد الله دراز انه « وضع الهى يرشد الى الحق فى الاعتقادات والى الخير فى السلوك والمعاملات » . ويعترف بأن « الدين الى جانب كونه الايمان بالله ورسله وكتبه » وينقل عن مجتمل مغير « الدين هو جملة العقائد والوسايا التى يجبه ان توجهنا فى سلوكنا مع الله ومع الناس ومع انفسنا » ، وينقل عن غيرهم «وكلهم كما نرى يشيرون الى الله ، لكن مسا المصايبها الاخ ومن تدافع منهم لايعترفون بالله ولا رسل ولا كتب ؟؟

ثم يأتى بعد ذلك كاتبنا الفاضل الذى يعرفه الاسلام فيقول عن ابن عبر : « بنى الاسلام على خمس ، على أن يوحد الله [كذا] واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصيام رمضان ، والحج» .. ويضيف : « هذه تكاليف محددة لايجوز التزود عليها أو التقديم والتأخير فيها» فهل كان الاستاذ رئيس قسم التراث يريد أن يضيف ابن عبر الى تعريف الاسلام « والا يكون ماركسيا » ؟؟؟؟

ثم يفيض الاستاذ الكاتب الذكى فى القول بأن الاسلام ليحظى اى انسان أن يحكم على الاخرين ٥٠ ثم يتهمنى بأننى « اكفر الماركسيين » ٥٠

وما أريد أن أؤكده منذ البداية انتى لست الذى كفرهم وانما كفرهم كبيرهم ماركس وفيهم لينين ومن جاء بعدهم ، اذ جعلوا من اسس المبدأ الماركسى عدم الايمان بالدين ، اى دين ، ولا بالرسل اى رسل ، ولا بجنة أو نار !!

ومن هنا قلت انه لايمكن أن تكون ماركسيا وغير ملحد ..

وقد جاء فى مقال الكاتب الذكى «أننا لانتفاض علاقة الماركسية بالالحاد لاننا لانتفاض النظرية الماركسية فقط» المؤلف عند المادية التاريخية .. الواقع ايها الاخ كنت اتمنى هذا بالضبط ولاشيء غيره . وقد كنت سأستطيع أن اعبر الا حاجة الى نقاشك بعد ذلك ، لولا ما افصحت فيه من احاديث شريفة واقوال كريمة ، لايجوز الاستشهاد بها لسنا نحن بشأنه ، بل وحددتنى بالتسامح وبكبائر الاجور التى أحكم على مسلمين بالكفر !! أى والله !! لا أقرأ مقالى لترى ان ماقلته هو : « ان هناك تعارضا بين المبدأ الماركسى والاعتراف بالاديان » الاديان جميعا .. الاسلام والمسيحية واليهودية. وان هناك تناقضا بين الماركسية والالحاد ، فما علاقةهذا بتكفير المسلمين وما علاقة هذا بكل ما أوردت من آيات كريمة واحاديث شريفة وبحوث فى الفقه الاسلامى ، والادلة الشرعية ، وطرق الاستنباط من النصوص ، والشبهة التى تسقط الحدود ، والاجتهاد بشروطه الثلاثة : البيانى والتأسى والاستدلالى!

وفى الختام اقول انتى لم ادع الى رجم الماركسيين ولا وضعهم فى السجون ، كل مطلوبت منهم ان تكون لديهم الشجاعة الادبية ليعلموا لتعالم الاديان والقيم ، بل ماورد فى خاتمة كتابهم المقدس وهو المانيفستو الشيوعى الذى وضعه نبيهم ماركس ورفيقه انجلز « الشيوعيون يستنكرون اخفاء آرائهم واغراضهم » انهم يعلنون على الملأ أن اهدافهم لاتتحقق الا بقلب كل النظم الاجتماعية القائمة بالقوة » .

[٢] حـــول مغـــالطات .. أكثر ســـذاجة !

فيليب جلاب

ترددنا كثيرا قبل أن نقرر التعقيب على السيد الطبيب لاكثر من سبب . واول الاســـباب انه يفتقر الى الامانة الواجبـــة لدى من يتصـــدى للامور العامة . فقد بعث الى « الطليعة » فى اوائل شهر نوفمبر الماضى برد على مقال لنا ، واعدته « الطليعـــة » للنشر فى عـــدد ديسمبر ومعه تعقيب منـــا ، لكن الطليعـــة فوجئت بأن السيد الطبيب نشر نفس الرد فى جريدة الاخبار يوم ١٣ نوفمبر اى قبل ســـبعة عشر يوما من صدور عدد ديسمبر من الطليعة !

ومع ذلك لم تمنع « الطليعة » رد الطبيب من النشر كما لاحظ القراء فى العدد الماضى . ولم يكتف السيد الطبيب بمخالفة ابسط قواعد الذوق فى التعامل مع الصحف ، لكنه ادعى للمسئولين فى الاخبار أن « الطليعة » رفضت نشر رده ، رغم أن ذلك لم يحدث بالقطع .. الا اذا كان سيادته يعتقد أن المجلة الشهرية التى يصـــلها مقاله ، لا بد ان تصدر به عـــددا خاصـــا على الفور ، دون أن تنتظر حتى يحين موعد صدورها أول كل شهر !

والسبب الثانى ، أن السيد الطبيب لم يسمع عن آداب الحوار ولا يمارسها . وقد استخدم فى رده السابق بعض الالفاظ النابية ـــ فضلا عن الاكاذيب ـــ مما لا يتفق مع سلوك المواطن المهذب ـــ فضلا عن المتعلم . وقـــد آثرنا الا نعامله بالمثل فى المرة الماضية ، لكنه من الذين تأخذهم العزة بالاثم كما يبدو فى رده الثانى .

أما السبب الثالث ؟ فان مقالنا فى عدد نوفمبر الماضى عن « **الاشتراكية الماركسية والالحـــاد والاستيراد** » كان حوارا أو ردا على **الاستاذ محمود ابو وافية** لانه فى موقع مسئول أيا كان خلافنا معه .

لكن لم يخطر لنا على بال ان نختلف أو نتفق مع الســـيد الطبيب . وقد اقحم نفســـه على المناقشة دون أن يتبع أصول المناقشة والحوار . وبدأ رده فى العدد المـــاضى بتـــكذيب من أراد الدفاع عنه كما ذكرنا فى مقالنـــا السابق . ثم بدأ رده فى هذا العدد بأكذوبة جديدة و«صغيرة» اذ بدأ كلامه بأنه نشر مقالا فى جريدة الاخبار بعنوان « عن الاشتراكية الماركسية والاستيراد والالحاد » وأن « الطليعة » ردت عليه بمقالين . ونسى أن هذا العنوان هو عنوان مقالنا الاول . ونسى أن ردنا كان على تعقيبه الذى أرسله الى « الطليعة » ونشر فى الطليعة فعلا .

وهو يعتقد أنه من دواعى فخره أن يكون قد نشر مقالا فى جريدة يومية وأن « الطليعة » ردت عليه بمقالين ..

لا بأس من أن يعتقد ما يشاء ! فحرية الاعتقاد مكفولة فى الدستور ، لكن عليه الا يعتقد هذه المرة أن لدينا بعد الان وقتا نضيعه ، أو اننـــا ســـنتشبث بالقواعد المعروفة للحـــوار والتى اسقطها من حسابه فى المرتين .

ولهذا ، قررنا آسفين أن نرد عليه .

عنوان مقال السيد الطبيب يبدو مثيرا : «اما ماركس واما الله والوطن » ... أو أنه انذار حاسم !

ويبدو أن السيد الطبيب كان من الذين يؤمنون بنفس الشعار عندما كانت تضاف اليه كلمة « الملك » فى « ايام الانس السعيدة » . والا فما معنى اقحام ماركس فى هذا الشعار ؟

وماذا يمكن ان نتصور موقف الطبيب بالنسبة لامثاله من اتباع آدم سميث ؟ هل ينذرهم ايضا بنفس الطريقة ؟

واذا اعتنق احدهم آراء « نيتشه » فى الفلسفة (وبالمناسبة لقد كان ملحدا) ماذا يكون الموقف ؟.. « اما نيتشه .. واما الله والوطن»؟!!

واذا صح هذا عن الماركسيين هنا ، فمن الذى سيوجه نفس الشعار للبلاد التى تعتنق حكوماتها واحزابها الماركسية ؟ ربما يظهر شخص مثله ويرفع نفس الشعار فى الصين أو فى الاتحاد السوفيتى أو فى غيرها متهما اياهم بانهم لا يعملون لصالح وطنهم . وفى هذه الحالة لاينقصنا الا ان نعلم من السيد الطبيب لصلحة من يعمل الماركسيون السوفيت أو الصينيون أو اليوغوسلاف أو الفيتناميون ؟ أو لمن هم عملاء على وجه التحديد ؟

كان عملاء قيصر روسيا يشنون مثل هذه الحملات الخائبة على الماركسيين الروس . وكان الاتهام الاساسى انهم عملاء لاعداء المسيحية والحضارة المسيحية الغربية . ولم يكن أحد يصدق ان روسيا القيصرية التى تمثل أكثر النظم الاستبدادية انحطاطا هى التى يمكن أن تدعى الدفاع عن مبادىء المسيحية . لكن عملاء القيصر لم يكفوا أبدا عن رفع الشعار .

• • •

... بعد المغالطة الصغيرة فى بداية رد السيد الطبيب يستشعر نوعا من خفة الظل « لدى نفسه » ويقتبس عبارة من مقال فى الفلسفة لاحد أساتذة الفلسفة المرموقين فى مصر كتبه فى « ملحق الفلسفة والعلم » الذى يصدر مع « الطليعة » عن منطق أرسطو والمنطق الجدلى ، ليحاول السيد الطبيب أن يسخر من « السادة الماركسيين » أو كما يسميهم « اخوان ماركس » الذين يكتبون مثل هذا الكلام المعقد ومن ثم لا يفهمون كلام سيادته الواضح المبسط !.

ومشكلة هذا الطبيب هى عدم المعرفة ، لكن الجهل لا يعفى من العقوبة على اى حال !.

فهو لا يحاول أن يدرك معنى الجملة الفلسفية المتخصصة ، والاسلوب الفلسفى المتخصص . وكل ارباب العلوم والفنون لهم مطبوعاتهم المتخصصة التى لا يبرر الجهل بها أن تستر منها ورغم أن عبارة استاذ الفلسفة ليست غايضة على الذين حباهم الله حدا أدنى من الرغبة فى المعرفة والثقافة العامة ، الا انه يراها مثيرة للضحك .. وهو رد فعل غير مستغرب منه على اى حال . فلعله لا يعلم أيضا أن أحمد لطفى السيد ترجم بعض كتب الفيلسوف أرسطو منذ حوالى نصف قرن ، ونشره على الخاصة والعامة من القراء . وبيومئذ لم يضحك أحد . لانهم لم يكونوا قد وصلوا بعد الى مثل هذه الدرجة من التدهور الثقافى « الذى زحف كالمرض على عقلك » .. وفقا لنص كلمات السيد الطبيب !.

ثم يدعى لننا قلنا اننا لم نفهمه رغم أنه كتب كلاما واضحا . والحقيقة أن أحدا لم يزعم هذا الكلام الذى ينسبه لنفسه دون اى مبرر معقول، لكننا قلنا ان كلماته ساذجة وقراءته أكثر سذاجة .

وهو يرجو القارىء [امعانا فى خفة الظل !] الا يضحك .. لكننا نؤكد له أن القارىء سيضحك ولكن لاسباب تختلف تماما عما يتمناه السيد الطبيب !

ثم يبدأ مرحلة « المناقشة بالمغالطة » وهو اسلوب مبتكر لضياع الوقت . يقول سيادته انه لم يزعم « أن الماركسية هى التى ابتدعت الالحاد» وبالتالى يكون ردى عليه فى العدد الماضى غير ذى موضوع اذن ، علينا أن نثبت له بالدليل القاطع أنه لا يقول الصدق ولا يملك شجاعة التمسك بما قاله ، وانه عندما يواجه برد يسقط احدى حججه ، يزعم على الفور أنه لم يقلها .

ان الدليل هنو نص عباراته فى مقاله فى « الطليعة » عدد نوفمبر . يقول سيادته موجها الاتهام لنا : « أن أول المغالطات » هى قولنا «ان التيار الالحادى ليس اختراعا ماركسيا » اى أن رأى سيادته فى العدد الماضى أن الالحاد اختراع ماركسى أما فى هذا العدد فرأيه أن الالحاد هو مجرد اختراع فقط .. لقد أسقط كلمة واحدة من الجملة وفقد الذاكرة !.

ومع ذلك تمترد على زعمه الجديد الذى يؤكد منه ان « كل من يؤمن بفلسفة ماركس ولينين لابد أن يكون ملحداً » .

ولن نكرر الحجج التى قلناها فى العددين الماضيين ، لانه لا فائدة حتى من التكرار . نقول لسيادته انه ليس هناك مايلزم ماركسيا بأن يكون ملحداً ، حتى لو طالب بعض فلاسفة الماركسية اللينينية بالالحاد . وما يهمنا فى الماركسية هو انهـا قدمت منهجـا علميا يساعد فى تحقيق الاشتراكية التى نؤمن بها ، وفى تغيير المجتمع الى افضل من الناحية الاقتصادية والاجتماعية وعلى اساس قوانين الصراع الطبقى ، أن جوهر الماركسية هو اكتشاف القوانين التى تفسر وتغير المجتمع ، وليس البحث فى مشكلة وجود الله .

ونحن لا يشغلنا أن كثيرا من الماركسيين الاوروبيين قد يكونوا ملحدين ، فما يعنينا هو أن الدين يلعب فى بلادنا دائما دوره الطبيعى فى صف الفقراء من النـاس ومن أجل الحـق والعدل وتصفية الاستعباد والاستغلال ... الا عندما يستغله لمثال الطبيب فى شعارات جوفاء يغطى بها موقفا سياسيا واجتماعيا لصالح الاقلية المستغلة ضد الاغلبية المستغلة . لو عندما يتصور البعض خطراً ماحلا من الاشتراكية على ما يكتنزون من أموال ، يستنزفونهـا من عرق ودماء الناس .

ولان الماركسية ليست دينا فقد اعلن ماركس عبارته الشهيرة : « لست ماركسيا » وذلك لكى لا يظن احد أن الماركسية مجموعة من القواعد المقدسة التى لا تغيير فيها ولا تطوير . ولقـد اعلن آخر قادة الحـزب الشيوعى السوفيتى [ميكويان] منذ سنوات : « ان الواقع اغنى من النظرية » .

فاذا اختار المـاركسى أن يكون مؤمنـا فلن ينتقص هذا من ماركسيته . كما لم ينتقص احد من ماركسية دكتور جونسون الذى لم يكن يخفى معتقداته السياسية وهو يزاول عمـله كرئيس لاساقفة كانتربرى فى بريطانيا « العظمى » !

وقد تجاهل السيد الطبيب أن قيـادة حزب تشيوعى أوروبى كالحزب الايطالى لا تحول دون المؤمنين من أن يصلوا اليها ، و « أمر » سيادته بتكفير أحـد كبـار الثوريين فى أمريكا اللاتينية لانه تسيس ماركسى ، رغم أنه استشهـد بـسن الثوار وهو مسيحى وتسيس وماركسى ، وبذلك يسط السيد الطبيب سلطته « البابوية » التى « يحرم » بها من يشاء متى شاء من دينه ، سواء كان مسلما أو مسيحيا ! وليس لديه ما يقدمه غير الاقتباس واعادة الاقتباس لاثبات ان ماركس وانجلز ولينين كانوا ملحدين ! هل قال احد انهم كانوا مؤمنين ؟!

لما ما نقوله له من أن قادة الولايات المتحدة وبريطانيا « العظمى » غير مؤمنين فيقول انهـا « من الواضح أنها لا تعنينا فى شىء » !

الذى يعنيه فقط هو تجريم وتجريح كل من اتخذ موقفا معاديا للرأسمالية العالمية والاستعمار العالمى ... كل من كان عونا لشعبنا ولنضالنا ضد الاستعمار والصهيونية والتخلف .

ومع ذلك يتهمنا السيد الطبيب بأننا نخلط بين الماركسـية وبين موقف الاتحـاد السوفيتى من قضايانا ، ولم يكن يريدنا « أن نردى » فى هذا الموقف لانه كما يقول : « أولا يسىء الى الاتحاد السوفيتى ، كما يسىء الى بلادنا » . ولعـله بهذا السخف أراد فعلا أن يضحك القراء !

لقد انقلب السيد الطبيب فجأة الى مدافع عن الاتحاد السوفيتى وعن بلادنا ! ... اى شجاعة يتحلى بها ؟!

هل اصبحت الاساءة الى الاتحاد السوفيتى أمرا مرذولا ؟ الم تخصص « مثالبك » للاساءة الى الاتحاد السوفيتى والى « بلادنا » ؟! عليك أن تطمئن ولا تجزع فلا يزال هناك متسع لامثالك للاساءة للاتحاد السوفيتى و « لبلادنا » ، ولا داعى لان تتراجع بهذا الشكل المهين .

ثم ما هى حكاية الخلط بين الماركسية والاتحاد السوفيتى ؟ الم يصل الى علم سيادتك ان الاتحاد السوفيتى يتخذ من الماركسية عقيدة سياسية ؟ وهل تعتقد أن مواقف الاتحـاد السوفيتى — سواء قبلناها أو رفضناها — تتبع مـن عقيـدة سياسية غير المـاركسية ؟ أو هـل تظن ان الماركسية « تهمة » لا تليق ان « يوصم » بهـا السوفيت لئلا يمد ذلك تعريضا بهم واساءة الى الصداقة المصرية السوفيتية ؟!

لكنه لم ينس فى آخر عبارته السابقة « دفاعا » عن الاتحاد السوفيتى و « بلادنا » ، أن يتهمنا « بالتبعية والعمالة » ... طبعا « للاتحـاد السوفيتى ولبلادنا » ... أو غالبا هذه المرة عملاء « لبلادنا » فقط ، لكى لا « يتردى » سيادته فى الاساءة الى الاتحاد السوفيتى !

ورغم انه قد يظن انه استخدم اكثر الالفاظ ابتذالا في قاموسه السياسي ضد الوطنيين من ماركسيين وغير ماركسيين ، الا اننا لا نرى بذله في « التبعية » لبلادنا اي نوع من الاهانة ، ولا نعرف ان للاتحاد السوفيتي « عملاء » في بلادنا لكننا نعرف وهو يعرف جيدا من هم عملاء الاستعمار الامريكي وأذنابه بالفعل أو بالقول.. أو « بالمقالات » أحيانا . ! وعندما يتعرض لمسألة العامل العربي والعامل الاسرائيلي ينسى ما شرحناه له حول معنى تضامن العمال في العالم ضد الرأسماليين الاستعماريين و«عملائهم» ويجتزيء الفقرة التي قلنا فيها ان ما يتعلق باسرائيل غير مطروح بالمرة لان اسرائيل ظاهرة شاذة استعمارية استيطانية ومرفوضة . ويخيل اليه اننا تجنبنا الموضوع .. !!

ثم ينسى مرة أخرى بسبب فقدان الذاكرة انه طالبنا بعدم الاساءة الى الاتحاد السوفيتي ، ويطلب رأينا في « الجريمة » التي ارتكبها أحمد كتاب ومفكري الحزب الشيوعي السوفيتي الذي قال : « ... ان الحزب الماركسي يحاول أن يخاص الطبقة العاملة من الوطنية البرجوازية» !

لقد تخيل السيد الطبيب أنه القينا حجرا ! فهل يعرف ما معنى عبارة الوطنية البرجوازية في المفهوم الماركسي ؟ انها تعني التعصب الوطني الذي يتجاوز معنى الوطنية الحقة . أو التعصب الذي يصل الى درجة العنصرية لدى البيض .

ولعلك تعلم ان هذا النوع من الاقليمية العنصرية يتنافى مع التسامح القومي ويدعو الى العدوان والتوسع على حساب شعوب أخرى [راجع كتابات ماركس وانجلز عن الاستعمار] .

واخيرا يطالبنا السيد الطبيب — وهذا غريب — انه يطالبنا « بالتسجاعة الادبية » لا لنتبع « تعاليم الاديان والقيم ، بل بما ورد في خاتمة كتابهم المقدس وهو المانفستو الشيوعي الذي وضعه نبيهم ماركس ورفيقه انجلز » .

وقد حاولنا ان نفهمه ان الماركسية ليست دينا وليست لها كتب مقدسة لكن دون جدوى . ولم يعد امامنا سوى أن نعرض عنه . ولسنا مطالبين بان نثبت امامه شيئا أو ننفيه . فلا هو بالمرجع في شئون الدين ولا هو بالمرجع في شئون الوطنية . ولا يبدو من أسلوبه في تناول الامور انه يصلح لهذا أو لذاك .

قد يكون كما ذكر في صدر رسالته الى الطليعة « باطني أخصائي في أمراض القلب ومدير معهد السكر » وهذه أمور لا ندعي المعرفة بها .

اما ما يظن انه احرجنا به عندما يجتزيء عبارة من البيان الشيوعي لماركس وانجلز! ويضع خطا تحتها في رسالته الى الطليعة ! وهي قلب كل النظم الاجتماعية القائمة بالقوة ! فلعلك لا تعرف ايضا ان هذه العبارة وجهت الى شعوب أوروبا قبل منتصف القرن التاسع عشر عندما كانت النظم الملكية الاقطاعية الفاسدة تستعبد الاوروبيين هناك وتنهب بلادنا وتستذلها هنا . ولقد أثار بعض رجال الكهنوت «المحترفين» من عملاء القصور ، الذين باعوا دينهم من أجل خدمة أمراء الاقطاع ... أثاروا ضجة حول هذه العبارة ، ووضعوا تحتها خطا ايضا واعتبروها عدوانا على الحق الالهي لهؤلاء الملوك والامراء . لكنهم ، وهذه حقيقة لا بد أن تذكر — لم يحلموا بأن يقتفي آثارهم بعد كثر من مائة وخمس وعشرين عاما طبيب مصري : « باطني أخصائي أمراض القلب — مدير معهد السكر» !!

اننا نعرف مما كتبه الطبيب أن مسألة الدين لا تعنيه في قليل أو كثير ، أن ما يعنيه أولا وأخيرا هو التهجم على الاشتراكية ، سواء الماركسية أو غير الماركسية .

ان الماركسيين المصريين ، كما قلنا ، لايحاربون الدين ولا يعادونه . لكنهم يحاربون الاستعمار بكل صوره ، والصهيونية بكل شرورها ويرفضون استغلال الانسان للانسان ، ويعملون من أجل مجتمع سعيد مستقل تنعم الغالبية فيه بثمار جهدها وعرقها .

والماركسيون المصريون لا يعملون ابدا ضد نظام وطني كنظام الرئيس السادات الذي يعلن ان هذه هي اهدافه ، وليس هذا من باب الحرج ، أو النفاق . لان الماركسي واليساري عامة لايعلن غير مايبطن ، ولكنها مجرد محاولة لافساد عمليات التشويش التي يقوم بها أمثال السيد الطبيب .

ونحن نعلم أن السيد الطبيب للاسف يحنق علينا ويهاجمنا من أجل هذه الاهداف السياسية لكنه يخلف أهدافه السياسية الخاصة باطار ديني مقنعل .

ومن أجل ذلك فلسنا على استعداد لان نناقش معه مرة أخرى مزاعمه حول موقفنا من الدين . ولو وافته الشجاعة فليعلن رأيه ومواقفه من أهم الاهداف السياسية التي نعمل لاجلها ، ويعمل لاجلها كل الوطنيين .

[٣] المسلم .. من سلم الناس منه !

فاروق منصور

لم أجد فيما كتبه الدكتور **بدران** ما يستوجب الرد وساغض الطرف عما جاء فيه من اتهامات بلا دليل أو كلمات غير طيبة قالها ، وانزهه كمسلم أن ينزل الى ذلك وينسى أن « الكلمة الطيبة صدقة » . ولكى لا يكون لديه اى شك فى أننى أتجاوز عن اى سبب يوجه لشخص واهبا لله عرضى كما أوصانا **الرسول الكريم** صلى الله عليه وسلم فى حديثه الكريم ، وأحاول ان أدعوه الى كلمة سواء وأن أضع له النقط على الحروف حول ما حاول أن يدميه أو يفسره وفق هواه :

أنى رجل أقول ربى الله

١ — وصفتنى بأنى « ماركسى » وحاولت أن تجعل من كل ماركسى آثما ولست أوافقك على ذلك ولا يوافقك عليه المنطق والعقل ولا يترك عليه الاسلام دينا السمح الحنيف .

واعتقد انك تعلم جيدا أننى مسلم ، وانني لمضيت سنوات عمرى ادافع عن الاسلام ؟ بقدر جهدى وما تمكننى طاقتى . واحمد الله عما وفقت فيه والتمس منه أن يتجاوز عن تقصيرى فيما عجزت عنه أو لم أحسنه .

ولاننى مسلم ، كان يجب على أن أعلن ماركسيتى لو كنت كذلك ! فالاسلام يأمرنا بالصدق . ويجعل الكذب من أكبر الكبائر عند الله . الاسلام يطالبنا بالتحديد والوضوح وأول تحديد فى الحياة أن تحدد وجهات نظرك وتبين مواقفك .

وأنه من حقى أن أقول لك لست أنت الذى تحكم على — ليس استهانة بك استغفر الله — ولكن ايمانى بالله ، وفهمى للاسلام يعطينى هذا الحق فى رفض حكمك ، عندما يجب أن ترجع الامور كلها لله .

لاتتجاهل الحقيقة

٢ — لم أذكر عن نفسى ما جاء فى التعريف بى — وليس فى ذكره ما يضايقك . لانه يعلى أولا كما أنه جهدى الذى قدمته واحاول أن أستمر فى تقديمه باذن الله وعونه . وفى نشره تقليد تلتزم به كل المجلات التى تحترم نفسها وتحترم القراء فتقوم بالتعريف لكل كاتب عندما يبدأ النشر على صفحاتها لاول مرة تقوم به مع جميع الكتاب على اختلاف مذاهبهم وتباين آرائهم .

واظنك — وانت طبيب — قد تعرف ذلك . لانك بالضرورة قد قرأت فى المجلات الطبية المتخصصة فوجدتها تعرف بكتابها فتذكر أن محرر الموضوع متخصص فى فرع معين ويحمل الدبلوم أو الدكتوراه أو البكالوريوس وأنه سبق أن قام

بعد صدور عدد ديسمبر من «الطليعة» نبهنا الاستاذ فاروق منصور كاتب المقال انه قد وقع خطأ مطبعى فى الجزء المستشهد به من الآية رقم ٩٤ من سورة النساء اذ سقطت هنا كلمة «القى» والآية كاملة هى :

« يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا » .

وكان الاستاذ ملعتصفا وكيل وزارة الاعلام ، قد اتصل بالطليعة ونبه الى نقص الخطأ المطبعى .

بابحاث اخرى في هذا المجال او ذاك . هـذا عرف متبع وتقليـد علمى محترم لم ازعم فيـه يا سيدى اننى شيخ او امام او دكتور .

هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين

٣ ـ لا ادرى ما العجب فى ان يبدا الكاتب بتحديد موضـوعه وتحـديد مدلول الـكلمات وتعريف المصطلحات ولماذا لا أعرف الدين ؟ هل ما استشهدت به يتعارض مع القرآن الـكريم والسنة المطهرة ؟ اذا كنت تملك رايا صالحا فقله لى لكى اتبع ما يجب اتباعه .

٤ ـ سخرت من استشهادى بحديث شريف وموقف **رائع لابن عمر** ـ رضى الله عنهما ـ سامحك الله . ارجوك ان تقرأ ما قاله ابن عمر ـ رضى اللـه عنهما ، فى اى كتـاب من كتب الاحاديث وستعلم لو قرأت بروح من يريد ان يتعلم وليس بروح من يريد ان يجادل ايا كانت المجـادلة .

ان **ابن عمر** رضى الله عنهما كان يؤكـد ان هناك امورا يجب التسليم بها ، ولايجوز لكائن من كان ان يتعداها . كان يحدد الاسلام كمـا جاء على لسان **الرسول** صلى الله عليه وسلم وكان يعلم الرجل ان احاديث **النبى الكريم** يجب المحافظة عليها واحترامها ، فلا نتزود فيها ولا ننقص منها ، ولا نبدل فى كلماتها ولكن تؤخـذ بنصوصها ، ولا تفسر لارضـاء شـهوات ، أو خدمة ضلال ، أو الدفاع عن باطل ، او يتفق بها . ان **ابن عمر** يؤكد ان الاسلام محدد وواضح وان نصوص الاحاديث واضحة ومحددة .

لقد حافظ المسلمون على الحديث وافنى علماء الحديث حياتهم فى جمعه وتبويبه وتحديد رجاله والتمييز بينهم لجـلال علم الحديث واهمية علم الرجال . واذا كنت تعترض على التحـديد فى الامور فاقرأ هذه الكتب : كتب الحديث وكتب الرجال وكتب علم مصطلح الحديث انها ستفيدك وستفيدنى وتفيد كل الناس وستثاب على قراءتك وسيكون لى معك الاجر لان « الدال على الخير كفاعله » .

لقد ذكرت فيما كتبتـه فى العدد المـاضى « يوضح الحـديث ان هنـاك اسسا لا بد من التزامها ، وهناك تكاليف محددة لا يجوز التزود عليها ، او التقديم والتاخير فيها » فهل يفهم ممـا كتبته ما تحاول أن تدعيه ؟

ليتكم قرأتم ما قاله ابن عمر

انى انزه **ابن عمر** رضى الله عنهما ـ عمـا تحاوله انت وعما تنسبه لى بلا حق ـ غفر الله لى ولك .

ابن عمـر رضى الله عنهمـا كان متبعـا ، كان معلما ، كان امينا على **الرسول** واحاديثه جنديا يدافع عن الرسالة . كان واحدا من جيل صالح من صحابة رسولنا الـكريم بأيهما اقتدينا اهتدينا .

ان **ابن عمر** رضى الله عنهما كان يتـولى توضيح مفاهيم الاسـلام للناس وكان النـاس يتبعوا الحق . ويرضيهم قول ابن عمر ويتبعونه ايمانا منهم بان « الحق أحق أن يتبع » . وان الهداية فى كتاب الله وسنة نبيه . وان الايمان اقرار وعمل .

٥ ـ لم اتهمك ولكنى قلت انك مخطىء لانك تريد لنفسك ان تتحول الى محكمة تفتيش تريد أن تجعل حول نفسك مجمع لاهوتى فى دين لا يقر محاكم التفتيش ولا يعرف المجامع ، ولا يرضى بالكهانة . ولايجعل الناس واسطة بين الله وعباده . ولكن «الايمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل » . والاسلام ما حدده الحـديث « بنى الاسلام على خمس » وما جاء يؤكده ما رواه عمر رضى الله عنه من سؤال **جبريل** عليه السلام **رسولنا الكريم** عن الايمـان وكيف تولى **جبريل** تفسيره .

بلى انه بشر !

٦ ـ تقول أن **ماركس** على ما زعمت كفـر المـاركسيين وما علاقة ذلـك بموضوعى ؟ انا لا اعترف بان المـاركسية دين ، ولا يمكن ان اعترف فى اى يوم الا بمفهوم ايمانى كمسـلم « ان الدين عند الله الاسلام » ، « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » .

وما علاقة **ماركس** بالايمان والكفر ان ماركس لا يملك ان يكفر مؤمنا او يتجـاوز عن سيئات مسىء . **ماركس** بشر مثلى ومثلك ، يصيب ويخطىء واجره على الله ، وحكمه عند ربه هذا ما يجب ان نسلم به كمسلمين .

كيف توافق وأنت مسلم على ان تضع **ماركس** مع **الله** فى مقارنة ؟ كيف تجعل منهما طرف معادلة او مجال اختيار ؟ اذا كنت تؤمن بالله حق فلتنزه خالقك عما تدفعك اليه حدة نقاشك .

انك عندما تصـور الامر على هذه الصورة : « **اما الله واما ماركس** » تنطلق من مفهوم غير اسلامى .

ولكن مادام القضية هى الاسلام يجب أن يكون السؤال لكل انسان — واذا كان ليس من حقنا أن نسأل الناس — هو هل تؤمن بالله وكتبه ورسله أم لا تؤمن ؟ فمن أقر بهذا فهو مسلم كرهت أنت أم رضيت . ومن قام بحقها فهو الكامل الايمان بنصوص كثيرة شريفة لا يهم أن تسلم بها أنت أو لا تسلم .

مسلمون رضيتم أم كرهتم

٧ — ما وجه العجب فى كلامى عندما أقول أننى لا أناقش الماركسية ، نعم لم أناقش الماركسية كنظرية أو منهج أو فلسفة أو نظام اجتماعى . ولكنى حددت الموضوع بالرد على ما جاء من أقوال حول أناس قد أعلنوا ايمانهم بالله سواء أكانوا مسيحيين أو مسلمين ولكنهم يسلكون فى أنظمتهم السياسية والاقتصادية المناهج الماركسية . كنت أتكلم عن حكم ايمانهم بعد هذا الاقرار . ما هو الحكم على أناس قد أعلنوا أنهم يؤمنون بالله وكتبه ورسله ولهم أفكارهم وأنظمتهم السياسية والاقتصادية ؟ الرد أنهم مسلمون وقد يكونون عند الله أفضل منى ومنك .

أما أن تأتى أنت فتجعل من الماركسية دينا وتجعل من ماركس الها للمقارنة ، والحكم فأمر آخر لا يوافقك عليه المسلمون ولا يقول ماركسى واحد أن ماركس اله أو أن الماركسية دين .

ولا يجوز لك — وأنت مسلم — أن تقف لتناقش أمور العقيدة بهذا الاسلوب الذى لا يتفق مع الدين ولا مع العلم أى لا يتفق مع الاسلام .

لماذا النقاش ؟

أنت أمام واحد من اثنين : أما مؤمن بالله أو غير مؤمن فاذا كان مؤمنا فليس لك محاسبته وان كان غير مؤمن فماذا يجديك نقاشه ؟ ثم ما الحكمة فى أن نكفر انسانا قال ربى الله .

ما الحكمة فى أن نحكم أهواءنا وتغلبنا شهواتنا وصراعنا الدنيوى فنحاول أن ننتصر ولو على حساب الدين ؟ لماذا نتصدى للدفاع عن الدين باغلاق أبواب الايمان أمام من يعلن ايمانه ؟ لماذا تحاول أنت أو غيرك منع الناس من أن يكون لهم ايمانهم بالله وتمسكهم بالكتاب والسنة وهم ربما أكثر من تمسكى وتمسكك ؟ وربما يكونون أفضل عند الله من كل الذين يتصدون لهم بالتجريح أو الهجوم .

الدفاع عن الاسلام والتعريف به

٨ — اننى أدافع عن الاسلام كدين وأدافع عن التراث الاسلامى كثقافة وسأظل والذى يهمنى من هذا الموضوع كله يوم وجدت أن من الخير الكتابة فيه هو الاسلام. الاسلام قضيتى وسأظل أدافع عنه . وأدفع حياتى ثمن ايمانى الاسلام كما جاء من عند الله . وليس كما يحاول حفنة من الناس تصويره أو تغييره أو تزويره . الاسلام كما جاء فى الكتاب ، والسنة . الاسلام فى مصادره الاساسية الذى لا يعرف لونا دون لون ولا جنسا دون جنس . الاسلام الذى يقر العمل الصالح الشريف قام به اليمينى أو اليسارى الماركسى أو غير الماركسى .

هذا هو الاسلام

الاسلام الذى يطلب أن يكون الايمان سلوكا وليس شعارات ولا دعوات ارهابية . الاسلام الذى يجعل من الحب عبادة ومن الكراهية اثما وليس الاسلام الذى يقر أن الجريمة عملا اسلاميا ، وأن يتقاسم الناس الغنائم ، ويتصارعوا تهافتا ، وينافقوا باسم الاسلام . انى مؤمن بالاسلام وسأدافع عنه كرسالة منزلة وكدين الله الذى أفخر بانتسابى اليه . وكما جاء ليؤكد وحدانية الخالق ووحدة الدين وكرامة الانسان وحقه فى الحياة الحرة الكريمة التى يعيش فيها الناس سواسية كأسنان المشط . ولا ينام فيها انسان شبعانا وجاره جائع . الاسلام الذى يتمثل فى : « ما جاءكم به الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » . الاسلام الذى يصف المسلم بأنه « من سلم الناس من لسانه ويده » . والمؤمن بأنه من « آمنه الناس على حياتهم وأموالهم » هذا هو دينى وتلك هى قضيتى . أما أن يتحول الكهنوت الى ايمان ، وتتحول الجريمة الى عمل اسلامى ، ويتحول التكفير الى أسلوب . أما أن تخلق قضايا جانبية لنناقش فيها ونتصارع حولها فليس من الدين . انه لا يرضى الله ، ولا يخدم الانسان ، ولا ينفع الوطن ، والاسلام يتمثل فى مراعاة صالح الناس وكل ما أفاد الناس فثمة شرع الله . والله يتقبل ايماننا ويتجاوز عن مسيئنا ويهبنا جميعا على اختلاف ألواننا وعقائدنا العمل الصالح وخدمة وطننا .

الامام الصدر
المطران حداد
المطران خضر

يتحدثون عن : الدين . الانسان . المجتمع

د. مراد وهبة

قضية العرب فى هذا العصر هى قضية الاصالة والمعاصرة . نعنى بالاصالة التراث ، ونقصد بالمعاصرة قضية العصر ، وهى قضية ثلاثية الابعاد ، اذ هى تنطوى على بعد علمى وتكنولوجى وايديولوجى .

وقضية العرب تقوم على ما يبدو أنه تناقض بين تراث دينى الطابع وبين عصر علمى الطابع .

ونبع هذا التناقض ليس لازما ومطلوب ومسئولية القوى الدينية فى رفع هذا التناقض ضرورية وحتمية .

والسؤال عندئذ :

أين موقع القوى الدينية ؟

وكان هذا السؤال يدور فى ذهنى ولذا ألقى محاضرة عن « البترول والتحدى الحضارى » فى بيروت فى ١٢ ـ ١١ ـ ١٩٧٤ بدعوة من دار الفن والادب . اذ فى تقديرى أن التحدى الحضارى يكمن فى رفع التناقض بين الاصالة والمعاصرة . وفى اطار هذا الرفع يتحدد دور البترول العربى كقوة اقتصادية وسياسية متفجرة أثر حرب اكتوبر .

وجاءتنى الاجابة عن السؤال المطروح من حوار أجريته مع ثلاث شخصيات دينية مرموقة :

ـ الامام موسى الصدر

ـ والمطران جريجوار حداد

ـ والمطران جورج خضر

الامام الصدر

التقيت بالامام موسى الصدر ـ رئيس المجلس الاسلامى الشيعى الاعلى ـ وكانت تكسو وجهه مسحة من الغبطة لم تكتمل قسماتها . الغبطة مردودة الى ما جاء فى خطاب ياسر عرفات فى الامم المتحدة عن محنة جنوب لبنان حيث يقول :

« اذا فتح سجل الارهاب الصهيونى على جنوب لبنان ، وهو الارهاب الذى ما زال مستمرا ، فسوف تقشعر الابدان من هول ما يرتكب من أعمال القرصنة والقصف والعدوان » .

لما عدم اكتمال غبطة الامام الصدر ممدود الى الغارة الوحشية التى قامت بها اسرائيل على النبطية فى جنوب لبنان قبل لقائى به بساعات قليلة .

ومن ثم كان جنوب لبنان نقطة البداية فى الحوار . وطلبت منه استفسارا عن تصوره لاهمية جنوب لبنان الاستراتيجية .

وركز الامام على بعدين :

بعد جغرافى وبعد فلسطينى .

من حيث البعد الجغرافى يمثل جنوب لبنان احدى الركائز الاربع فى استتباب ما ينادى به

الاسرائيليون من حدود لبنان . أما الركائز الثلاث الاخرى فهى سيناء والجولان ونهر الاردن ، وهذه هى قبضة اسرائيل .

ثم ان جنوب لبنان منطقة خصبة وثرية :

خصبة بفضل نهر الليطانى الذى يحتوى على مليار متر مكعب من الماء .

وثرية بسبب ما تنطوى عليه من آثار لحضارات قديمة هى الفينيقية والرومانية والبيزنطية .

ومن حيث البعد الفلسطينى فان جنوب لبنان موقع ملائم للعمل الفدائى ، اذ قد اسهم فى احياء القضية الفلسطينية بالرغم من خلاف السلطة اللبنانية من الاهتمام بتدعيم القوى الدفاعية لهذا الموقع منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن .

وعند هذه العبارة استأنفته مقاطعا :

ـ اذن ثمة مغامرة اذا ما ظل الحال على هذا الوضع فى جنوب لبنان ؟

ـ المغامرة قائمة بالفعل ، ولكنها مطلوبة لرفع الاحساس بالذلة والخسة .

ـ وماذا يكون الحال لو نتج عن هذه المغامرة احتلال اسرائيل للجنوب ؟

ـ هذا فرض محال .

ـ لماذا ؟

ـ لاعتبارات دولية ، من بينها بروز الدور الايجابى للاتحاد السوفيتى فى المنطقة العربية .

ـ ولكن هذا الدور الايجابى يقف عند حد عدم التدخل المباشر .

ـ ليس هذا الحد مقصورا على السوفيت ، وانما هو أيضا ينسحب على الدول العربية .

ـ اذن ينبغى التفكير فى تغيير البنية اللبنانية ؟ فهل هذا التغيير فى الامكان ؟

ـ ليس ممكنا الا باتفاق جميع الطوائف الدينية ، ذلك ان لبنان يقوم على مبدأ التعايش السلمى بين الطوائف الدينية ، ولهذا فلا حق فى الامكان احداث أى تغيير الا باتفاق تجمع عليه هذه الطوائف بلا استثناء .

ـ وما هو أساس هذا الاتفاق فى تصورك ؟

ـ أساس هذا الاتفاق ينبغى ان يقوم على تغيير الفكر الدينى التقليدى الذى يدور على الاتجاه الى الغيب والى الله ليس الا .

ـ وما هى ابعاد هذا التغيير المطلوب ؟

ـ بعدان لا ينفصلان :

بعد يتجه الى الله .

وبعد يتجه الى الانسان .

ومعنى ذلك انه ليس ثمة ايمان بالله بمعزل عن الاهتمام بقضية الانسان ، لان أى تنكر لقضية الانسان يخرج الانسان من الايمان .

ـ وما هى قضية الانسان ؟

ـ تحقيق العدالة ، ورفع مستوى المعيشة ، وتوفير الفرص لجميع المواطنين .

ـ وماذا عن تغيير المناخ السياسى لمواكبة هذا الفكر الدينى الصحيح ؟

ـ تغيير هذا المناخ أمر لازم ومطلوب ، لان المناخ الراهن مشبع بالتلاعب والاستغلال والمساومات ، الامر الذى يمنح اصحاب الكفاءات من ابراز مواهبهم . ووسيلتنا الى هذا التغيير فضح الفئات المتحكمة الطاغية ، وكشف فشلهم فى تحقيق ابسط متطلبات الحكم . ونحن بالفعل قد أدينا واجبا وطنيا وانسانيا فى هذا المضمار ، وهيئنا المناخ اللازم للمساومات السياسية والايديولوجية التى تتصدى والبنية اللبنانية .

وهنا طلبت استفسارا عن مدى علاقة الايام موسى الصدر بالقوى الوطنية التقدمية على اختلاف مواقعها ، وكان جواب الامام فى حسم :

ـ مبدئيا ، اننى ارفض أى تصنيف للمواطنين على أساس الاتجاهات السياسية والفكرية ، بل العكس هو الصحيح . فحين يجد الانسان نفسه

فى مجتمع لا يرضى طموحه فليس أمامه الا أحد أمرين :

اما أن يمتنع عن التغيير فيخنع ويستسلم

واما أن يندفع الى التغيير فيختار احدى صيغ التغيير

واذا افترضنا أن صيغ التغيير ، فى جملتها أو فى جزء منها ، ليست صحيحة فان هذا لا يعنى رفض التعاون طالما أن الحركة شريفة ، والنية طيبة .

وتأسيسا على هذا المبدأ فاننى – رغم كونى ملهنا مسلما ملتزما – لا أرفض بل أتعاون مع جميع القوى المخلصة التى تسعى من طيب نية الى تغيير المجتمع وخلق بديل أفضل .

– وهل ثمة صيغة فكرية لهذا التعاون ؟

– الصيغة الفكرية ممكنة ولكنها حتى الان مجملة وليست مفصلة . ومع ذلك يمكن تحديدها سلبا بأنها مناقضة للفكر الدينى التقليدى الذى يؤمن بمشئ لله على الارض هو مصدر الحقوق والواجبات . ويمكن تحديدها ايجابا بأنه الفكر الدينى الصحيح الذى يؤمن بأن الانسان خلق من تراب (أى أنه موجود أرضى) وأن الله قد نفخ فيه من روحه (أى وضع له فى التصميم الاولى بعدا سماويا يمنحه الطموح النهائى والامل الدائم الذى ينمر طاقاته الكامنة .

ومن شأن هذا الفكر الدينى الصحيح أن يتلاقى مع الفكر العلمانى الذى يبدأ بالانسان الارضى ويتحرك فى اتجاه رأس الهرم من حيث السلطات والحقوق . وقد تحقق هذا التلاقى بشكل جدى فى منطقتنا حيث أن الحساسيات والصور المغلوطة ، التى كانت تتحكم فى القوى الدينية والقوى العلمانية ، كانت ماتمما من اجراء الحوار بينهما ، ولكنى أعتقد أن الاحداث الاخيرة فى العالم العربى وما لازمها من محن وفضح للاستعمار والصهيونية تداركت الكثير من هذه الحساسيات ، وصححت الكثير من الصور المغلوطة .

– الا ترى أن هذا التلاقى يثير قضية فصل الدين عن الدولة فما الرأى ؟

– الرأى عندى أن مفهوم الربط بين الدين والدولة – عبر التاريخ – كان اداة فى خدمة الطغاة والظالمين الذين كانوا أبعد الناس عن الفكر الدينى الصحيح ، وكان من شأنه أن حدثت ردود فعل عنيفة دعت الى الفصل الحاسم بين الدين والدولة الى الحد الذى تحول فيه رجل الدين الى مجرد رمز ، وتحول فيه الدين الى مجرد طقس . وأننى أعتقد أن هذه الردود كان لها المفضل فى ابعاد الظالمين الذين كانوا يحكمون باسم الله . ومع ذلك فهذه الردود ذاتها قد أفلتت البشرية ثروة كبرى . ولهذا أرى من الضرورى البحث عن صيغة جديدة للعلاقة بين الدين والدولة . وفى تصورى أن كشف الغطاء عن الصورة الحقيقية للدين كفيل بابراز صيغة مقبولة .

– وماذا عن وجهة نظرك فى الحوار الدائر اليوم بين الاديان فى الغرب ومدى علاقته بابراز الصورة الحقيقية للدين ؟

– ان انطباعى عن الحوار بين الاديان ، كما هو دائر فى الغرب ، يرتد الى مؤتمر بحمدون الذى انعقد حوالى عام ١٩٤٧ أو ١٩٤٨ ، والذى كان يشرف على اعداده قادة الغرب . وكانت الغاية من هذا الحوار اذابة الجليد بين العرب من مسلمين ومسيحيين وبين اسرائيل بصفتها الممثلة لليهود فى العالم . وقد رفض قادة المسلمين والمسيحيين تحقيق هذه الغاية وامتنعوا عن حضور المؤتمر . واذكر أن الشيخ محمد حسين كتب رسالة عنوانها مقتبس من اسم المؤتمر « المثل العليا فى الاسلام لا يحمدون » ذكر فيها أن الحوار الاسلامى والمسيحى مع اليهود كان قائما منذ قديم الزمان . اما الحوار مع الصهيونية فهو مثل الحوار مع الاستعمار أمر مرفوض ، لانه حوار لا يستند الى قوى متكافئة ، وانما الى قوى ظالة وقوى مظلومة . وهذا استسلام للظلم او انظلام ، والمتظلم احد الظالمين .

ومع ذلك فاننا لا ارفض حوار اليوم الدائر بين الاديان ، وانما انظر اليه بتحفظ . وهذا التحفظ لا يعنى السلبية ، وانما يعنى احتمال وجود نيات طيبة .

ثم انى منفتح على حوار آخر مع القوى العلمانية ، وهو حوار جديد فى منطقتنا .

– وما هى الارضية المشتركة فى الحوار مع القوى العلمانية ؟

تواصل « الطليعة » ابتداء من العدد القادم نشر ملفاتها عن البلدان العربية ، والاشتراكية . من واقع الدراسات الميدانية التى قامت بها ملفاتها فى هذه البلدان .

وكانت قد بدأت خلال العام الماضى نشر باكورة ملفاتها عن البلاد العربية ، بملفها « العراق من الداخل » . وبعدا فى الاعداد القادمة نشر باكورة ملفاتها عن البلاد الاشتراكية ، بنشر ملفها عن كوريا الديموقراطية .. من الداخل » . الذى يتناول بالدراسة مختلف جوانب حياة جمهورية كوريا الديموقراطية الشعبية ، بسواء الاقتصادية ، أو الاجتماعية ، أو السياسية منها ، واهم المشكلات التى تواجهها فى الوقت الراهن ، وسبل حلها ، وآفاق تطورها الاقتصادى الراهن والمقبل .

أجاب الامام موسى الصدر فى حسم وبلا تردد ؟ سعادة الانسان

ثم استطرد قائلا :

ان هذا الحوار مكفول له التقدم السريع ، اذ قد سبقه عمل متجسد فى الواقع الحى فرض نفسه على الحوار . أنظر الى حرب رمضان التى اطلق عليها فى الاوساط الدينية حرب بدر الجديدة فانتصبت بطابع القداسة .. ان هذه الحرب قد اعتمدت السلاح الوارد من الاتحاد السوفيتى زعيم العالم الالحادى .

اليس هذا هو قمة الحوار ؟

وعند هذه العبارة انتهى الحوار مع الامام موسى الصدر رئيس المجلس الاسلامى الشيعى الاعلى ، وواحد من أكبر زعماء لبنان الروحيين والمناضلين من أجل تحرير الانسان العربى على التخصيص ، والانسان على الاطلاق .

المطران حداد

ويقف الى جانبه فى هذا النضال المطران جريجوار حداد رئيس مطرانية الروم الكاثوليك ببيروت .

التقيت به فى المطرانية بعد غيبة عنها دامت ما يقرب من شهرين بسبب أزماته ومواقفه الدينية .

استفسرت فى بداية الحوار عن رأيه فيما كتبته عنه فى مجلة « الطليعة » فى شهر أكتوبر الماضى ؟ وكان جوابه والابتسامة تسرى فى تسمات وجهه :

« موافق على كل كلمة جاءت فيما كتبت »

وكنت قد استعنت بمجلة « آفاق » للتعرف على آرائه . « وآفاق » مجلة صدرت فى بيروت فى بداية عام ١٩٧٤ . وجاء فى بداية الافتتاحية بعنوان « لماذا آفاق ؟ » :

« آفاق مجلة ملتزمة ، والتزامها هو الانسان » .

ولكن من هو هذا الانسان ؟

جواب « آفاق » هو هذه العبارة :

« اذا كان الله فى داخل الانسان ، فالايمان بالله يتجسد فى الايمان بالانسان » .

وجاء فى خاتمة الافتتاحية أن « الحوار يعنى حتما أن القضية ، كل قضية لم ينته فهمها نهائيا بعد ، بل بالعكس كلما ازداد الانسان فهما لها تبينت له فيها أبعاد جديدة وآفاق جديدة » .

وبداية الافتتاحية ونهايتها تعنى أن وحدة الفكر تنطوى على تعدده . ووحدة الفكر فى « آفاق » سائبة ، اذ هى تنطوى على رفض الواقع السياسى ، ورفض الواقع الدينى . وفى تعدده موجب ، اذ هو يطرح عدة بدائل لهذا الواقع المرفوض .

وبدأ المطران جريجوار حداد الحوار باحصاء بدائل الواقع المرفوض :

بديل يذهب الى رفض العقيدة المسيحية كمؤسسة ، أى كشىء موضوعى متحجر .

وبديل يدعو الى العودة الى الاصول الاولى للمسيحية .

وبديل ثالث ينادى بنقد جذرى للدين ، لا يكتفى بالطلبة بالاصلاحات السطحية وحتى العميقة فى الكنيسة ، بل يتجاوزها الى المطالبة باعادة النظر فى الكنيسة ذاتها والتساؤل حول « أن تكون أو لا تكون ؟ » .

ثم يستطرد المطران حداد قائلا :

وأنا واحد من الذين ينادون بالبديل الثالث » .

— وماهى ركائز هذا النقد الجذرى للدين ؟

— ركيزتان :

١ — المسيح هو المطلق ، القيمة المطلقة ، والمقياس المطلق . « هو الاول والاخر » .

٢ — الانسان هو المطلق ، القيمة المطلقة ، والمقياس المطلق . « هو الثانى كالاول » .

— أليس القول بمطلقين تناقضا فى الحدود باعتبار أن المطلق بحكم طبيعته واحد بالضرورة ؟

— اذا فهمنا القول بمطلقين على أنه ينطوى على ازدواجية فهذا فهم مرفوض . أما انا فافهم هذا القول بمعنى اندماج الانسان فى الله ، أى بمعنى تداخل المطلقين مع ملاحظة أن مطلقية الانسان أقل من مطلقية الله . ولتقريب هذا الفهم أذكرك بقول الفيلسوف المأثور « صار الاله انسانا ليصير الانسان الها » . فهذا القول ، حرفيا ، يوحى بالكفر والالحاد ، ورمزيا ، يعنى المشاركة ، مشاركة الانسان فى الالوهية ، ويعنى أن الانسان كائن متطور وغايته من التطور أن يصبح الها . ومن هذه الزاوية يمكن القول بأن المسيح والانسان معا ، متلازمين ، هما المقياسان المتكاملان المتفاعلان للوصول الى الحقيقة المتكاملة . وكل ما سواهما يقاس بالنسبة اليهما .

— وماذا يترتب على هذا التصور من نتيجة ؟

— فك الاشتباك بين المطلق والنسبى حتى يظل المطلق محتفظا بمطلقيته .

— وعمليا كيف تجسد هذه النتيجة ؟

— أطالب بتغيير جذرى . فمثلا أطالب بتغيير اللغة المتداولة فى الكنيسة الان . فلغة القرن الثانى عشر . مثلا ، لا يمكن أن تسهم فى فهم الايمان المسيحى . والتمسك بها يعزل المسيح عن

الكنيسة وعن الانسان ، والتمسك بها كذلك يكسبها قيمة مطلقة ، والقيمة المطلقة هى للمسيح وليس للغة . اذن تغيير اللغة يصبح ضرورة حتمية للمحافظة على رسالة الكنيسة .

– هل افهم من ذلك ان ثمة دوافع اجتماعية وراء هذا النقد الجذرى للدين ؟

– اذا كان ذلك كذلك فهذه ديماجوجية . ليس لدى من دافع سوى ايمانى . ففى أثناء دراستى فى كلية اللاهوت للآباء اليسوعيين عام ١٩٤٨ كنت اقرأ ما يصلنى سرا من كتابات جيرار دى شاردان » . وكانت تصلنى مكتوبة بالآلة الكاتبة لانها كانت ممنوعة من النشر . وتأثرت بهذه الكتابات الى الحد الذى فيه اكتشفت أن الايمان الحقيقى لا يمكن أن يكون أفيونا للشعوب ، بل قوة دافعة لتغيير المجتمع وتحرير الانسان ، وليس أداة لامتصاص النقمة عند الشعوب ، أو أداة لمحاربة أى عقيدة سياسية سواء كانت اشتراكية علمية أو غيرها من عقائد .

– واذا كان أساس دعوتك الى النقد الجذرى للدين هو الايمان فهل من الممكن أن يكون من شأنه تيار سياسى معين ؟

وكان جواب المطران حداد فى وداعة مصحوبة بابتسامة :

ويخلق الله ما لا تعلمون ، ولذا لا أعلم . ومع ذلك فقد بحثت عن صيغة أخرى للسؤال :

– ما رأيك فى المنف ؟

– قد يطور البنية الاجتماعية ، ولكنه لا يطور الذهنية الانسانية . وأفضل منه اللامنف ، وقد مارسه غاندى فى الشرق ، ومارتن لوثر كنج فى أمريكا الشمالية .»

– ولكنهما قتلا بأيدى القوى الرجعية . أضف اليهما الملينوى .

– فليكن . فامتدادى ان كل وضع ظالم تنفيه وسيلة لاعنفية . ولكنى من موقعى لا أدين من يدعو الى العنف ، اذ من موقعه يمكن تبرير مسلكه حيث ليس لديه بديل آخر .

– اذن أنت منفتح على البدائل .

– منفتح على كل فكر .. الفكر الاسلامى والفكر البوذى والفكر الماركسى .. منفتح على كل فكر يرى» من الاحتكار

– وفى تقديرك لاى فكر ستكون الغلبة ؟

– للفكر الاكثر فاعلية .

واستكملت عبارته فقلت :

الاكثر فاعلية فى ازاحة كل من يقف عائقا أمام التطور .

أبا هو فقد استوقفنى قائلا :

– كل « ما » يقف عائقا ، وليس كل « من » يقف عائقا ، لانه ينبغى الحفاظ على الانسان مهما يكن موقفه أو موقعه . فالثقة بالانسان مطلوبة ولازمة .

المطران خضر

والتقيت بعد ذلك بالمطران جورج خضر من الروم الارثوذكس ، ودار حديثى معه على حوار الاديان فى القرن العشرين ، فبادرنى قائلا :

ثمة حواران داثران :

أحدهما الحوار اليهودى المسيحى .

والثانى الحوار المسيحى الاسلامى .

الحوار الاول لازم لمعرفة كيفية توفيق اليهود بين اعتقادهم أنهم شعب الله المختار وبين الدعوة السائدة اليوم الى أن يكون العالم كله أسرة واحدة . ومع ذلك فهذا الحوار لا يخلو من صعوبات وتعقيدات . ذلك أن معظم اليهود فى العالم قد اعتنقوا الصهيونية ، وبالتالى فالحوار تواكبه مواقف سياسية مسبقة ، الامر الذى دفع اللاهوتيون الارثوذكس الى مقاطعة الحوار ، وبالذات بعد يونيو ١٩٦٧ .

أما الحوار الثانى فهو أقل صعوبة من الحوار الاول بشرط أن يتخلى الغرب عن الفكر الاستعمارى .»

– معنى ذلك أن حوار الاديان لا يمكن أن يخلو من مضمون اجتماعى .

– بالقطع لا ، لان النبرة الاجتماعية ليست عصرية فهى واردة عند انبياء العهد القديم ، وواردة كذلك فى المسيحية ، فى رسالة يعقوب ، وعند آباء الكنيسة مثل يوحنا ذهبى الفم الذى رفض ، فى عرخطبة ، قدسية الملكية الفردية ، ودعا الى الملكية العامة . وكذلك مثل باسيليوس الكبير المأثور عنه قوله « اذا قلت انك صاحب أرض لمجرد انك أول المستأثرين بها فأنت تشبه الداخل الى المسرح حين يعلن أن المقاعد كلها ملكه لمجرد انه أول الداخلين » .

– ولكن هذه وتلك لغة ماركسية ، فهل من حق رجل الدين استخدامها ؟

– المصطلحات الماركسية جزء أساسى فى تحليل المجتمع . ومع ذلك فهذه القضية ثانوية ، اذ ليس هاجسنا ان نلتقى مع الماركسية ، وانما هاجسنا أن نخدم الانسان ونلتقى بعد ذلك مع من نلتقى . ومع ذلك فأنا ادعو الماركسية الى الانفتاح على الابعاد الانسانية التى لها نوع من الاستقلالية فى الحياة مثل الحب والمرض والموت والجمال .. وأدعو كذلك المؤمنين الى الوقوف ضد القوى الدينية الرجعية التى تميز بتصنيم المطلقات – مثلا صنم قدسية المال ، وصنم التقسيم المطلق بين المرأة والرجل .»

وعند هذا الحد انتهى الحوار مع شخصيات تؤمن بالإنسان وبالتقدم .»

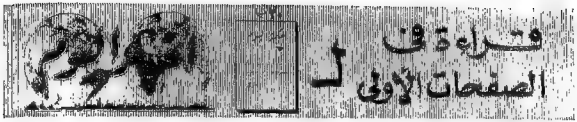
قراءة فى
الصفحات الأولى لـ
أخبار اليوم

٢٠ مليما

أخبار اليوم
صاحبها ورئيس تحريرها : مصطفى أمين

حكمة اليوم

إن خصمك فى الرأى ، ولكنى لا أتردد فى أن أبذل آخر نسمة من حياتى ، وآخر قطرة من دمى ، دفاعاً عن حقك فى إبداء رأيك

فولتير

كانت الحرب العالمية الثانية توشك أن تنتهى ..

ويوشك مع انتهائها أن ينفجر البخار المحتبس — منذ أمد طويل — فى صدر مصر .

وكانت مصر تحمل فى أحشائها انتفاضة وطنية عامة توشك أن تنفجر ، وبدت بوادرها ظاهرة للعيان . ومعها كانت أيضا تتبلور بوادر حركة اجتماعية تصوغ شعاراتها من نسيج وطنى وطبقى معا . وتحدد أعداء مصر بالثالوث : الاحتلال — السراى — كبار الاقطاعيين والراسماليين .

وهكذا كانت مصر تتململ فى وجدانها ارهاصات انتفاضة ثورية معادية ليس للاحتلال فقط وانما لكل القوى الاجتماعية التى تقف فى خدمته وتهيىء له أسباب البقاء كى تستظل بحمايته مكتفية لنفسها بالفتات المتبقى على مائدته .

وبينما كانت الحرب توشك أن تنتهى تحدد مهام الرجعية فى مجابهتها للمد الوطنى والثورى بواجبات أساسية ثلاث :

● محاولة صرف الانظار عن الاحتلال البريطانى وفى نفس الوقت فتح أبواب مصر واسعة أمام الزحف الامريكى القادم .

خواطر !

بقلم دولة اسماعيل صدقى باشا

يحكى انه فى القرن التاسع عشر كان احد سفراء فرنسا ، لدى بلاط امبراطور الروسيا ، لاحظ اثناء تردده الكثير على

وبقيت الحراسة اكثر من مائة عام الى ان تبين الامر الذى ملاحظة السفير وابطلت الحراسة التى تناوب عليها الالف من الجند

● محاولة زيادة رصيد السراى ، والطبقات الرجعية واحزاب الاقلية .

● ما يترتب على ذلك من تركيز الهجوم على حزب الوفد وكان — الى ذلك — حزب الاغلبية الساحقة ، والتجمع الوطنى الذى كان هدفا مستمرا لمؤامرات ولهجمات الانجليز والسراى واحزاب الاقلية .

كان ذلك منذ ثلاثين عاما . وتأتى الذكرى فى هذا العام ليستقبلها البعض مهللين ناسبين الاطار التاريخى، والمواقف . وحقيقة هذه المواقف . متصورين ان شعب مصر ضعيف الذاكرة ..

وفى اية محاولة للتقييم الموضوعى للدور الذى لعبته اخبار اليوم فى ذلك الحين ، لا نملك غير ان نقدم نماذج متكاملة من الاسلوب والمواقف تجاه « السراى » كمحور اساسى لمعسكر اعداء الشعب و «الوفد» كمحور اساسى للقوى الوطنية المصرية فى ذلك الحين ..

ولعل هذه القراءة للثلاثة عشر عددا الاولى « من اخبار اليوم» كافية بذاتها للدلالة على جوهر مواقفها بل على المنهج والتاريخ ايضا .. وما من شك فى ان اية قراءة لاية اعداد اخرى سوف تقدم المزيد والمزيد ..

لماذا ساءت العلاقات بين القصر والوفد؟
آداب السلوك أمام الملوك

مصطفى امين

فى الاسبوع الاخير من شهر يوليو ١٩٤٢ كتبت مقالا فى مجلة « الاثنين » أحيى فيه حضرة صاحب الجلالة الملك بمناسبة ذكرى توليه سلطته الدستورية ، وكان المقال عاديا ، وصفت فيه شعورى نحو مليك البلاد ، وهو شعور كل مصرى .

وكان طبيعيا أن يجيز الرقيب المقال ، فليس فيه انتقاد للوزارة ، وليس فيه مديح لخصم من خصوم الوزارة ، وليس فيه مهاجمة لنائب وفدى ، وليس فيه شكوى من التموين أو مطالبة بالجلاء .. وهذه كلها كانت ممنوعات لا تجيز الرقابة نشرها بامر صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا الحاكم العسكرى !

ولكنى دهشت عندما طلب رقيب المجلة عرض المقال على مدير الرقابة ، وعندما حمل الاستاذ الشاذلى البنا رقيب المجلات الاسبوعية ، مقالى الى رفعة الحاكم العسكرى ليعرضه عليه !

وعالمنى بعد ذلك أن علمت ان رفعته امر بأن يعرض عليه شخصيا ، كل ما اكتبه عن جلالة الملك !

وفى اليوم التالى حضر الاستاذ الشاذلى البنا يحمل المقال ويقول ان رفعة النحاس باشا أمضى الليل كله ، فى حذف وتعديل المقال ، ورأيت المقال ، هاذا بأغلبه محذوب بخط صاحب المقام الرفيع !

وحذف رفعة الحاكم العسكرى قولى «ان لى أن أرى ملكا حرا يحب الاحرار ويكره الطغيان ، ملكا شابا يشعر بأحاسيسنا ، ويتألم لآلامنا » !

وحذف رفعة الحاكم العسكرى قولى « ان الملك مفتح قصره لكل الاحزاب ولكل الزعماء ، فليس للملك حزب لان مصر كلها حزبه ، وليس له رجال لان المصريين كلهم رجاله !

وحذف رفعة الحاكم العسكرى كل كلمة فيها اشادة للملك ، أو أضاف اليها — وحكومة جلالته — فاذا قلت مثلا ، ان الملك أظهر شجاعة فى حادث العلمين ، أضاف النحاس باشا بخط يده — ان الملك وحكومة جلالته أظهرا شجاعة فى حادث العلمين ، .. وهكذا كل كلمة ثناء ، أصر رفعة الحاكم العسكرى ان يكون له نصيب « بالنصف » فى المدح والثناء !

وحذف الحاكم العسكرى ان الملك فاروق « ملك دستورى لا يرضى بالدستور بديلا ، وان الدستور لم يعطل فى عهده يوما واحدا » .

أوامر الرئيس

لم أصدق أن صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا تبلغ به الجراة ، ويبلغ به الاستهتار — ولا اقول كلمة أخرى . فيحذف بيده التحية الموجهة الى ملك البلاد ، قلت للاستاذ شاذلى البنا انى فى دهشة وفى عجب ، فسكت ثم قال هذه أوامر رفعة الرئيس ! وان الرئيس قال لى ان أبلغك أنه هو الذى حذف بنفسه هذه العبارات ، لانه وجدها لا تتفق مع مقام جلالته .

وقلت ولماذا يحذف النحاس باشا — أن الملك يكره الطغيان — ان الملك جورج الخامس ملك انجلترا قال فى رسالته لشعبه انه يكره الطغيان .. وليس المقصود بالطغيان طغيان النحاس باشا !

فسكت ولم يرد .

قلت له وكيف تخدعون والملك يفتح قصره لجميع الزعماء والاحزاب ، فقال : ان رفعة

٢٠ مليماً

أخبار اليوم

صاحبها ورئيس تحريرها : مصطفى أمين

حكمة اليوم

الناس فى الحرية آراء مختلفة ... فهم يرون أن الحرية أن يفعل المرء ما يريده ، لكن الحرية الحقيقية هى أن تزول كل القيود التى تمنع المرء من تأدية واجبه

روبرتسون

ـ لماذا ساءت العلاقات بين القصر والوفد ؟

جستابو .. على الملك !

٥ دقائق مع نشأت باشا

الرئيس فهم من هذا أن أبواب القصر مفتوحة للمعارضين أيضا .

قلت طبعا ان القصر مفتوح للمعارضين والمؤيدين .. أليس المعارضون مصريون ؟ أتريدون أن تحرموهم من جنسيتهم المصرية ، لانهميعارضون الوزارة .. أريد أن أقول أن الملك فاروق ملك الجميع !

فسكت الاستاذ الرقيب ، وأبدى أسفه بهز رأسه .

قلت : ولماذا يحذف النحاس باشا « ان الملك دستورى ، وان الدستور لم يعطل فى عهد الملك فاروق » .

فقال الاستاذ الشافعى : ان النحاس باشا يقول ان معنى هذا أن حكم محمد محمود وعلى ماهر وحسن صبرى وحسين سرى ، كان حكما دستوريا .. قلت نعم كان حكما دستوريا .. ولم تكن الرقابة فى عهدهم كما هى الان ، ولم تكن الجرائم ترتكب نهارا كما هو الحال و ... و ... الخ .

فقال الاستاذ الشافعى : ان النحاس باشا يقول انه كان مبعدا عن الحكم وقتئذ ، وبناء عليه فليس هذا حكما دستوريا !

قلت ما شاء الله ، هناك حكم دستورى ، مادام مصطفى النحاس رئيس وزارة فاذا خرج من الحكم فلا دستور هناك !

وكان الاستاذ الشافعى محرجا ، وكان الحق يقال غير راض عن هذه السياسة التى تسير فيها الوزارة ، وكان يوافقنى أنها ستودى بهم جميعا الى الهلاك ..

وعندئذ قلت له : اننى سأنشر المقال كما كتبته ، ولن أحذف التعديلات التى طلبها النحاس باشا ، وليكن ما يكون !

وكتبت الى رئيس ديوان جلالة الملك ، وأرفقت المقال المحذوف .

وعجب القصر ، وأوفد سعادة الفريق محمد حيدر باشا ياور جلالة الملك الى معالى صبرى أبو علم باشا سكرتير الوفد ، والمسئول عن الصحافة وقتئذ ليسأله عن الحكاية ..

واذا بصبرى باشا يعترف بأن النحاس باشا هو الذى حذف المقال ، ويقول ان النحاس باشا لا يوافق على القول ، بأن الدستور لم يعطل فى عهد الملك فاروق يوما

واحدا .. لانه يعتبر المدة التى كان رفعته فيها خارج الحكم فترة غير دستورية !

وانسم حيدر باشا بلهجته العسكرية صبرى باشا ، ان هذا التصرف غير لائق ، وانه سيكون له نتائج خطيرة ، وارتعد صبرى باشا ووعد بنشر المقال كما هو !

وبدأت الجريدة تستعد للطبع ... واذا بمكتب الحاكم العسكرى يتصل تليفونيا بالجريدة ويطلب حذف الفقرة الخاصة بالملك الدستورى ، فابيت حذفها ، واذا البوليس يحيط بالمطبعة ويمنع دوران ماكينة المطبعة ! واذا بمندوب النحاس باشا يصر على حذف الجملة الخاصة بالملك الدستورى المحب للدستور !

ماذا حدث ؟ الذى حدث أن النحاس باشا اتصل ، وبعد أن تأكد ان الحالة الدولية تستلزم بقاءه رئيس وزارة ، استأسد من جديد ، وأصر على حذف الجملة !

لعلك تعجب لهذا التصرف ؟ لعلك تدهش لوزير الملك الذى يحذف بيده تحية الملك ! ولكن قد تزداد دهشتك اذا علمت أن النحاس باشا كان يعتبر كل من يمتدح الملك انما يشتم النحاس باشا ، وكل من يحيى الملك انما يقذف فى حق الرئيس الجليل ، بل كان رفعته يريد أن يحتكر لنفسه كل مديح وكل تحية ، وكل بيت من الشعر !

وتبع هذا أن اتصل بى اغلب اصحاب المعالى الوزراء ، واحدا واحدا يقول لى أن النحاس باشا قرر اعتقالى بسبب هذا المقال ، ولكنهم نصحوه أن لا يفعل ، لان الناس ستقول انى اعتقلت لانى مدحت الملك فاروق !

واتصل بى الاستاذ احمد الوكيل كذلك ، وأبلغنى انه هو وحده الذى اقنع النحاس باشا بعدم اعتقالى !

مدح الملك مخالف للدستور

بل اكثر من هذا ..

كان الاستاذ محمود سليمان غنام وزير التجارة .... (كلمة غير واضحة) فى مجلة آخر ساعة بامضاء م . ت ، وقد تعجب لاختياره هذا الامضاء المستعار ، ولكن لتعرف عقلية معاليه ، فاعرف أن السبب هو أن الواو والتاء هى أول حرف من « وزير التجارة » !

وذات يوم كتب مقالا يقول فيه : أن مدح الملك مخالف للدستور ، وانه لا يجوز أن تقول الملك وطنى ، أو انه صالح ، أو انه المصرى الاول ، وان كل مديح فى الملك هو اعتداء على الدستور ! وأقال مكتوب باسلوب الاستاذ غنام ، واسلوبه مثل شخصه ، ليس فيه اناقة وليس فيه ذوق سليم !

وألح الاستاذ غنام على مجلة ــ آخر ساعة ــ لتنشر المقال ، وأعطت الجريدة المقال للرقيب راجية حذفه ، وقالت له ان كاتبه هو معالى وزير التجارة ! وحمل الرقيب المقال الى معالى فؤاد سراج الدين باشا وزير الداخلية وكان المفهوم أن معاليه سيحذف المقال و « يكتفى على الخبر ماجور » ولكن معاليه شاء أن « يطربقها » على راس زميله العزيز ، فأرسل المقال الى القصر الملكى مع الاستاذ الشافعى البنا وكيل المطبوعات !

حتى يعرف القصر ماذا يكتب زميله فى الوزارة ، عن ملك البلاد الشرعى من « الجليطة » وقلة الذوق !

هذا بعض ما كان يفعله الوزراء غير الشرعيين نحو ملك البلاد الشرعى !

والعجيب ان كل واحد منهم كان امام النحاس باشا يؤيده فى سياسته ، حتى اذا خرج قال لنا انه غير موافق على هذه السياسة .

كان امين عثمان باشا يقول لنا هذا .

وكان يقول فؤاد سراج الدين باشا

وكان يقسم عليه الاستاذ عبد الحميد عبد الحق .

وكان يثبته المرحوم الدكتور عبد الواحد الوكيل .

وكان كل وزير ينتحى بك جانبا ، ويؤكد لك انه مخالف للنحاس باشا فى تصرفاته .. ولكن النحاس باشا اليوم ينكر انه سمع من واحد من هؤلاء غير المدح والثناء والتاييد .

وفى الاسبوع القادم سنقرأ كيف أن النحاس باشا كان يطالب الوزراء بأن يرفضوا دعوات الملك لهم لتناول الغذاء !

اخبار اليوم ــ العدد ٤/ص ١. ١٩٤٤/١٢/٢.

لماذا ساءت العلاقات بين القصر والوفد؟
أزمة القصاصين

مصطفى امين

فى يوم الاثنين ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٣ خفق قلب مصر وقلب البلاد العربية جميعا . فقد عرف الناس أنه فى الساعة الرابعة بعد ظهر ذلك اليوم ، اصطدمت سيارة حضرة صاحب الجلالة الملك بسيارة نقل كبيرة فى طريق الاسماعيلية قرب القصاصين ..

وهلعت مصر للحادث .. واذا بنا جميعا نسير بلا وعى الى القصاصين .. واذكر انني ركبت سيارتى ومعى حضرة صاحب الدولة حسين سرى باشا وصاحب العزة حسين سعيد بك خال جلالة الملكة ، ولم نتبادل فى أثناء الطريق كلمة واحدة ، فقد كان كل واحد منا يخشى أن يتكلم ، وان يتكهن ، وكل منا يبكى ويحاول أن يخفى عن الآخر دموعه .

رئيس الوزراء

وما كاد معالى فؤاد سراج الدين باشا وزير الداخلية ومحمود عزالى بك مدير الامن العام يعلمان بالحادث حتى سافرا الى القصاصين ..

وكان المنتظر أن يسرع رئيس الوزراء الى القصاصين ، ليكون الى جانب مليكه .. ولكن حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ، لم يسافر فورا ، بل لم يدر أنه زعيم الامة والرئيس الجليل ، واذا كان كل رئيس وزارة آخر من واجبه أن يسرع الى القصاصين هالما ، ليطمئن على صحة مليك البلاد ، الا أن رفعته رجل غير هادى ، ولهذا بدأ يفكر أولا كيف يسافر الى القصاصين ؟

هل يسافر بسيارة هادية كما يسافر الامراء والكبراء ؟

غير معقول !

ولهذا لمح رفعة الرئيس باعداد قطار خاص يسافر به الى القصاصين !

وقبل أن يسافر اتصل تليفونيا بصاحب المقام الرفيع أحمد محمد حسنين باشا رئيس الديوان الملكى يقول له انه تأخر فى الحضور لانهم كانوا يعدون له قطارا خاصا ؟

ثم بعد ذلك يستأذن من جلالة الملك فى الحضور !

سبحان الله ! رئيس الوزراء يطلع أن جلالة الملك مصاب فى حادث .. وينتظر من الساعة الرابعة بعد الظهر الى حوالى الساعة الحادية عشرة مساء ! ثم بعد ذلك يستأذن هل يحضر أو لا يحضر ؟

وذهب حسنين باشا وتشرف بمقابلة جلالة الملك وعرض عليه استئذان النحاس باشا ، وكان الرد هو الرد الطبيعى ، وهو أن جلالة الملك يبلغه الشكر السامى ، وأن جلالته سيعود فى اليوم التالى الى القاهرة ، ولذلك لا تكون ثمة ضرورة ليتعب رفعته نفسه بالحضور ليلا الى القصاصين !

لو كنت أنا وأنت مكان صاحب المقام الرفيع لهرعنا الى جانب فراش الملك ، ولتركنا كل شىء لنطمئن على الملك الشاب ، الذى يعتبر المصريون حياته حياة لهم ..

ولكن الرئيس الجليل لا ينتقل من مكان الى مكان الا بزفة ، والا بقطار خاص .. والا بعد أن يسأل هل هناك داع للحضور أم لا ؟ ثم بعد ذلك يوفد وزير الداخلية نائبا عنه فى الاستفسار عن صحة الملك العظيم !

لو كنت أنا وأنت نرأس الوزارة لفعلنا هذا ، وهو أبسط ما تمليه الكياسة وما يمليه

• هتف الملك على القاتيكان

في يوم الاحد الماضي ، صلى جلالة الملك فاروق صلاة الجمعة في مسجد الرفاعي ، ثم عطف على ضريح والده المغفور له الملك فؤاد ، وقرأ الفاتحة على روحه الطاهرة

في مأتم رئيس الوزراء المغتال

في يوم الثلاثاء الماضي ، حمل نعش الزعيم الوطني ، رئيس الوزراء المغتال ، وتبعه جموع غفيرة من الشعب

في ايطاليا

الاستاذ محمود ابو الفتح الشاعر المصري ، في حجرته بمنزل والده في استوريا بروما ، والملقب بشاعر الملك منذ ١٩٢٨ ، وزوره الاستاذ في القنصلية الامريكية لاجراء اصلاحات في الدستور

خاص للمصري في نيويورك

الاستاذ فكري اباظة ، المحامي المصري ، في مكتبه بنيويورك ، حيث يزاول مهنة المحاماة ، وقد اصبح من المشهورين في الاوساط المحلية

الذوق السليم ، ولكن صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا كان رئيسا جليلا ٠٠ والرئيس الجليل ليس بشرا مثلى ومثلك من عباد الله المتواضعين !!

قارن بين حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ، وبين حضرة صاحب المقام الرفيع أحمد حسنين باشا !

فان حسنين باشا أسرع الى القصاصين بملابسه العادية ، وامضى ليلته بملابسه الى جوار خرلة الملك ، وبقى الى جانب جلالته ٢٢ يوما لم يغادر مكانه الا مرتين ٠٠ مرة ليجتمع فى القاهرة بتشرشل وروزفلت ٠٠ ومرة ليجتمع فى القاهرة بالماريشال شانج كاى تشيك ٠٠ وفى كلا الحالين بامر جلالة الملك ٠

ولا نظن أن أعمال الدولة التى كان الرئيس الجليل يشغل بها نفسه هى التى منعته من هذا الواجب ! فاننا اذا قلبنا صفحات الصحف يوم ١٧ نوفمبر اوجدنا أن كل ما فعله النحاس باشا فى يوم ١٦ نوفمبر أنه أوفد الاستاذ ميشيل ساويرس لاستقبال السفير البريطانى عند وصوله ، وانه أرسل برقية تعزية الى أحد الموظفين ، وانه استقبل وفدا من اسرة المرحوم محمد مصطفى بك يشكره على تعزيته فى الفقيد ٠٠٠

وزير الداخلية

ولم يتشرف فؤاد سراج الدين باشا وزير الداخلية بمقابلة جلالة الملك ، لانه كان قد وصل القصاصين فى الساعة الحادية عشرة مساء ٠٠ وكان الدكتور على ابراهيم باشا والدكتور روحى والدكتور لودن والدكتور عباس كامل الكفراوى باشا والدكتور أحمد النقيب باشا والدكتور كامل حسين بك والدكتور فؤاد رشيد بك قد منعوا زيارة الملك ٠

وكان جلالته متعبا ، فاوفد جلالته رفعة حسنين باشا الى وزير الداخلية يشكره على الحضور ، ويشكر النحاس باشا على ايفاده معالية ٠٠

فى اليوم التالى

وفى صباح يوم الثلاثاء ١٦ نوفمبر علم صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا أن حضرة صاحب الجلالة الملك لا يعود الى القاهرة ، وقد رأى جلالته أن يبقى فى القصاصين الى أن يتم الشفاء .

وذهب بعض أصحاب المعالى الوزراء الى رفعته يقولون له ان الرأى العام فى عجب كيف أن رئيس الوزراء لا يصرح الى القصاصين عقب الحادث مباشرة ..

وأخيرا .. وفى الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم التالى — أى بعد ٢٤ ساعة من الحادث — أمر مقامه الرفيع باعداد قطار خاص الى القصاصين ..

ووصل حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا الى القصاصين بعد الغروب ، فاستقبله كبار رجال القصر مرحبين شاكرين ..

ثم جلس رفعته فى الاستراحة وتلفت ذات اليمين وذات اليسار ثم تساءل :

— هل أتشرف بمقابلة جلالة الملك ؟

فقيل لرفعته أن جلالة الملك متعب وأن الاطباء نصحوا جلالته بأن لا يقابل أحدا ..

ولكن صاحب المقام الرفيع أصر على أن يتشرف بالمقابلة الملكية وهو يقول :

— ازاى ؟ أنا رئيس الوزراء ؟ أنا لازم أقابل جلالة الملك ..

وذهب أحد كبار رجال القصر الى المرضة وطلب منها أن تبلغ جلالة الملك رسالة رئيس وزرائه .

وجاء الرد بأن حضرة صاحب الجلالة الملك شاكر لرفعة النحاس باشا قدومه الى القصاصين وانه متعب وأن الاطباء يرون أن لا يقابل أحدا .

ولكن النحاس باشا لم ينصرف ، بل بقى يعبر جيئة وذهابا أمام كبار رجال القصر وكبار الزائرين وهو يقول :

— لابد أن أتشرف بمقابلة جلالة الملك ..

قيل لرفعته :

— أن معالدة يوسف ذو الفقار باشا والد جلالة الملكة وأشقاء جلالتها حضروا معها الى القصاصين ، فلم يقابلوا جلالة الملك ..

ولكن رفعة النحاس باشا لم يقتنع !

قيل لرفعته أن صاحبة العصمة ام المصريين ولها عند جلالة الملك مكانة خاصة حضرت الى القصاصين اليوم ولم تتشرف بمقابلة جلالته الملك لانه كان متعبا !

ولكن النحاس باشا لا تهمه أم المصريين ! أن جلالة الملك أمر بأن يكون ترتيبها فى التشريفات بعد الاميرات والنبيلات مباشرة تكريما لها ولزوجها الزعيم الخالد سعد زغلول ! ولكن خليفة سعد أمر بحذف اسمها من صحف الوفد !

فمن تكون أم المصريين الى جانب الرئيس الجليل ؟ قيل لرفعته أن صاحب المقام الرفيع شريف صبرى باشا خال جلالة الملك قدم اليوم الى القصاصين ولم يتشرف أيضا بالمقابلة نزولا على أمر الاطباء !

وقيل لرفعته أن أحمد ماهر باشا ومكرم باشا والنقراشى باشا وهيكل باشا وحلمى عيسى باشا وحافظ رمضان باشا وهم زعماء المعارضة حضروا الى القصاصين فى نفس اليوم ، ولم يستطيعوا التشرف بالمقابلة لان الملك كان متعبا !

ولكن صاحب المقام الرفيع لم يقبل هذا عذرا !

قيل لرفعته :

— وفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر لم يتشرف بالمقابلة وقد جاء الى هنا فى الصباح ، وكان جلالة الملك يود أن يراه ولكنه كان متعبا ، فلم يتشرف بالمقابلة نزولا على أمر الاطباء .

ولكن صاحب المقام الرفيع النحاس باشا كان يقبل كل هذا لو كان رئيس وزارة عادى ، لا رئيس وزارة تولت الحكم يوم ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ وكان يقبله رفعته فى سنة ١٩٢٨ وفى سنة ١٩٣٠ من المغفور له الملك فؤاد لانه تولى الحكم فى تلك الايام بصفته زعيم الامة حقا ، وكان يقبله فى سنة ١٩٣٦ من الملك فاروق ... أما بعد ٤ فبراير سنة ١٩٤٢ وبعد أن داس صاحب المقام الرفيع بقدمه على كل دستور وكل استقلال ، وكل تقليد ، وكل ماض وطنى مجيد .. بعد أن داس على كل هذا لم يعد الرجل الذى يقبل عذرا من أحد ؟ انه أصبح يظن أنه كل شىء فى الدولة ، واكبر من أى شىء فى الدولة ، انه الدستور ، انه الحكم النيابى ، انه معاهدة الشرف والاستقلال ! انه الامة ! انه الحلفاء جميعا فى شخص ولعد ! واذا

صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ينسى نفسه ، وينسى الناس الجالسين معه ، وينسى ما عرف عنه من لطف وظرف ، واذا برفعته يقول :

ـ أنا لا أنتقل من هنا قبل أن اتشرف بمقابلة جلالة الملك !

قيل لرفعته ، تفضل على الرحب والسعة .. ومكث رفعته دقائق ولم يطق صبرا وقال : لابد أن اتشرف بمقابلة جلالة الملك .

قيل لرفعته ان الاطباء لم يوافقوا على أن يستقبل جلالة الملك فى حالته الصحية هذه أحدا ..

فصاح رفعته :

ـ احضروا لى طبيبا يقول لى هذا الكلام !

ولما كان رفعته ضيفا ، ولما كان رجال القصر عرفوا بالادب الكامل .. لولا ذلك لارشدوا مقامه الرفيع الى الباب .. فاحضروا لرفعته ستة أطباء ـ وهم كل الاطباء المعالجين ـ يقولون له ان المليك متعب ولا يمكن أن يقابله !

واذا برفعته يصيح أمام الزائرين :

ـ أنا عاوز أوريكم انى جاى هنا علشان أبيت .. هاتوا الشنطة !

وذهب أحد السعاة وأحضر حقيبة صاحب المقام الرفيع ، وراح رفعته يفتحها ويخرج منها بيجاما حريرية وبانتوفللى .. وروب دى شامبر ويعرضها على كبار الزائرين كدليل على أن مقامه الرفيع يريد المبيت فى القصاصين !

وقد كان موقفا مضحكا ومبكيا فى وقت واحد ! رئيس وزراء يحمل فى يده بيجاما وبانتوفللى ويعرضهما على كبار الزائرين ليصدقوا ان مقامه الرفيع يريد المبيت فى القصاصين !

وكان موقفا مبكيا .. أن يأتى رئيس وزراء بعد ٢٤ ساعة من اصابة المليك ، ثم يصر على ان يتشرف بمقابلة جلالته فى وقت متأخر ، وبالرغم من اعتراض الاطباء ، وعلى الرغم من أن رجالا كبارا مثله لم يتشرفوا بمقابلة جلالة الملك ! .. ولكن صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا اعتقد فى وقت من الاوقات أنه يستطيع أن يتشرف بمقابلة جلالة الملك فى فراش مرضه بالقوة ! كما تولى رياسة الوزارة بالقوة ؟

ولسوء حظ مقامه الرفيع أن الذين أعانوه على دخول الوزارة لم يعينوه بنفس الطريقة على الدخول فى غرفة الملك وهو فى مرضه .

واضطر صاحب المقام الرفيع فى النهاية الى أن ينصرف من المستشفى وهو يقول لكبار رجال القصر :

ـ لن اتحرك من هنا الا لما اشوف جلالة الملك ...

فى اليوم التالى

وأمضى حضرة المقام الرفيع الليل فى القطار الخاص الواقف الى جانب المستشفى . وفى الصباح توجه من جديد الى المستشفى وطلب التشرف بمقابلة جلالة الملك ..

فقيل لرفعته أن الاطباء أعطوا جلالة الملك « حقنة مخدرة » لان جلالته كان متعبا فى اليوم الماضى ولم ينم ، وأن جلالته يستريح الان وقيل لرفعته ايضا ان احدا لا يستطيع التشرف بمقابلة جلالة الملك اليوم ، وانه حضر الى القصاصين اليوم صاحب السمو الامير محمد على حسن ، وصاحب السمو الامير محمد عبد المنعم ، وصاحب السمو الامير اسماعيل داود ، وصاحبة السمو الاميرة شيوه كار وصاحب المقام الرفيع شريف صبرى باشا حال جلالة الملك ، وان أحدا منهم لم يتشرف بمقابلة جلالة الملك نزولا على رغبة الاطباء ...

واذا بصاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا يثور أمام كبار رجال القصر ويصر على أن يتشرف بمقابلة الملك على الرغم من الاطباء ! .

وكان صاحب المقام الرفيع أحمد حسنين باشا جالسا يسمع صياح رئيس الوزارة غير الشرعى ، وهو هادىء هدوءه العجيب الغريب لم يفتح فمه بكلمه ، ولم يقل له عيب يا صاحب المقام الرفيع ، ولم يقل له احترم مشيئة الاطباء .. بل بقى مقامه الرفيع ساكنا ينصت بذهول الى كلام رئيس الوزراء الذى كان يتكلم بغير حساب !

وتولى سعادة الفريق محمد حيدر باشا ياور جلالة الملك ومدير مصلحة السجون ترويض رفعة النحاس باشا .

وتكلم حيدر باشا بلهجته العسكرية مع النحاس باشا كلاما مقنعا فى الصميم .. واذا بالنحاس باشا يصيح :

اشمعنى مصطفى أمين يتشرف بمقابلة جلالة الملك وأنا لا اتشرف بالمقابلة ؟

فقال الفريق حيدر باشا :

ـ الذى أعلمه أن مصطفى أمين لم يتشرف يا باشا بمقابلة جلالته الملك ..

ولكن النحاس باشا صاح :

ـ أبدا .. أبدا .. مصطفى أمين قابل جلالة الملك ..

فقال له هيكل باشا بهدوء :

ـ لا يا باشا .. مصطفى امين كما أعلم لم يتشرف بمقابلة جلالة الملك ..

فصاح النحاس باشا :

ـ شىء غريب .. شىء عجيب ! شىء مدهش ! الله ! الله ! الله ! مصطفى أمين يقابل الملك ومصطفى النحاس ما يقابلوش !؟ شىء غريب ! شىء عجيب !

فقبل مقام الرفيع ان مصطفى أمين لم يقابل جلالة الملك ..

فصاح النحاس باشا : أما عندى معلومات انه قابل الملك ! معلومات خصوصية !

فقال كبار رجال القصر أن الذى يعلمونه هو أن مصطفى أمين لم يتشرف بمقابلة جلالة الملك ، ولم يحضر الى القصر امين الا يوم الحادث ..

فصاح النحاس باشا :

ـ ولكن مصطفى أمين كتب فى الاهرام يقول ان طول الحجرة التى ينام فيها الملك ستون متر تقريبا ، فمعنى ذلك انه دخل الغرفة .. ومعنى ذلك انه تشرف بالمقابلة معيش كلام !

قيل لرفعة النحاس باشا :

ـ يا باشا مصطفى امين صحفى ، ويستطيع أن يعرف من الممرضة أو من الطبيب ، أو من الذين تشرفوا بمقابلة جلالته الملك ، أن مساحة الغرفه متران فى ثلاثة أمتار ! وها هو رفعتك قد عرفت أن مساحة الغرفة متران فى ثلاثة أمتار فهل معنى هذا أنك دخلت الغرفة !

وهنا هدأ رفعة النحاس باشا وظن الجميع أن الاصد الهائج قد تم ترويضه واذا به يصيح :

ـ ده مش كلام ! مصطفى امين يتشرف بالمقابلة الملكية ، ومصطفى النحـــاس لا يتشرف !؟

وأخذوا يقسمون أن مصطفى أمين لم يتشرف بالمقابلة ، وأن من الممكن أن يكتب الانسان أن مساحة باريس كذا متراً دون أن يزور باريس ، وعندئذفقط اقتنع صاحب المقام الرفيع وعاد الى القطار الخاص واستقله عائدا الى العاصمة !

هل تشرفت بالمقابلة ؟..

واليوم وقد انتهى الحادث ، استطيع أن اقول اننى لم أتشرف بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك ، وان كل ما هناك انى اديت واجبى كصحفى ، وانني انتهزت فرصة نقل الملك الى غرفة الاشعة فسألت الممرضة عن غرفة الملك وعن تفاصيل نظامها ، ونشرتها فى الجريدة ، ولم يكن يدور بخلدى أن صاحب المقام الرفيع سيتخذ من مساحة الغرفة دليلا على تشرفى بمقابلة جلالة الملك !

وقد كان النحاس باشا يعتبرنى منذ اليوم الاول الذى جاء فيه الحكم خصما لرفعته ، ولقد كان هذا يشرفنى كثيرا ، ولم اخفه عن مقامه الرفيع ، بل قلت له ذلك مواجهة ، فانى أعد الذين سعوا للنحاس كى يتولى الحكم ولكن بالطريق الشرعى الدستورى وكنت اقابل رفعته قبل أن يتولى الحكم كثيرا ، وكنت اخالف محمد محمود وعلى ماهر وحسين سرى واحمد ماهر لانه كان من رأيى أن يتولى النحاس باشا رياسة وزارة قومية تجمع الجميع صفا واحدا ، ولكن كنت أريد أن يتم هذا بارادة الامة ، لا أن يتم بانذار أو بضغط ، أو بيوم ٤ فبراير .

(الف الوزارة الحالية تزع ملكية مالية فدان كانت مخصصة لنشئات النحاس باشا فى قنا)

ابن البلد تكرم ياشا ـ طيب وحاتنزعوا الثلاثمائة الف جنيه من النحاس باشا امتى ؟

ولعلني لا أذيع سرا اذا قلت أن القصر كان يرى أن يتولى النحاس باشا رياسة وزارة قومية ٠

فلما حدث يوم ٤ فبراير حدث معه طلاق وطني بيني وبين هيئة سياسية قبلت هذا « الفعل الوطني الفاضح » وارتضته أساسا لحكمها !

ولم أكن أخفي على رفعة النحاس باشا رأيي هذا ، بل كنت أعلمهم رفعته وهو حاكم عسكري ورئيس وزارة ، أعاجمه حينا ، وكنت أدون رأيي كتابة ، وأدفع به الى الرقيب فيشطبه ، وكنت حريصا على أن يقرأ رفعة النحاس باشا صورة بما أكتب ٠ وكان النحاس باشا والحق يقال حريصا هو الاخر على أن يقرأ ما يشطبه الرقيب !

واذكر أن معالي صبري أبو علم باشا استدعاني ذات يوم في مكتبه بوزارة العدل وقال ان النحاس باشا قرأ ما يشطبه الرقيب عنه ، وأنى قلت في مقال مشطوب أن مقامه الرفيع مجنون !

قلت لصبري باشا : انى لم أقل ان رفعته مجنون ، وانما كتبت أن رفعته محتاج لاشعة في رأسه ٠٠٠

ولو كنت واثقا من أن رفعته غير متمتع بقواه العقلية لما حاسبته على يوم ٤ فبراير ٠٠

ولعلّ هذا الخلاف هو الصر في مياج النحاس باشا عندما قرأ أن مسلحة غرفة الملك في متران في ثلاثة أمتار !

وفي يوم ٢٠ نوفمبر أمكن حضرة صاحب الجلالة الملك ، بفضل تحسن صحته ، أن يستقبل الزائرين ٠٠٠

وكان من المنتظر أن لا يسمح جلالته للنحاس باشا بالتشرف بالمقابلة بعد هذا الذي حدث في القصاصين ٠

لكن الملك ليس انسانا عاديا كما يتصور الانسان ، أن قلبه الكبير ، ونفسه العالية ، وخلقه الكريم أنبل من نفوس البشر العاديين !

فما كاد يشعر جلالته بتحسن صحته حتى استدعى صاحب المقام الرفيع النحاس باشا للمقابلة ٠٠٠

وفرح النحاس باشا بهذا ، ونسي كلّ ما قاله ٠ واذا به يصحب معه صاحبة العصمة السيدة حرمه ونجيب الهلالي باشا وامين عثمان باشا .. وصحبهم جميعا معه في قطار خاص للقصاصين ٠ وطلب من الوزيرين أن ياخذا معهما الردنجوت !

تماما كما تدعو صديقا لك الى مائدة فيأتي معه بولديه الصغيرين ، وبإثنين من الجيران !

وقبل لرفعته أن الذي سيتشرف بالمقابلة الملكية هو رفعته فقط ٠٠٠

وتشرف مقامه الرفيع بالمقابلة الملكية ، وشمله جلالته بعطفه الكريم ، وعهد اليه أن يبلغ شكره السامي لحرمه المصون ولجميع أصحاب المعالي الوزراء .. وخرج رفعة النحاس باشا شاكرا داعيا ٠٠

وفي يوم ٢٢ نوفمبر دعي للتشرف بالمقابلة الدكتور أحمد ماهر باشا ومكرم عبيد باشا وهيكل باشا وحافظ رمضان باشا وحلمي عيسى باشا وهم الزعماء الذين حضروا الى القصاصين يوم حضور النحاس باشا ولم يتشرفوا بالمقابلة ، وتشرف كذلك فضيلة الأستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر .

واذا بصاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا يهيج للمرة الخامسة والخمسين !

كيف يتشرف أحمد ماهر باشا ومكرم باشا و .. و .. بالمقابلة الملكية .

– هؤلاء رؤساء أحزاب !

– ولكنهم خصوم الحكومة ،

– وكنت رفعتك خصما لحكومة سري باشا وكنت تتشرف بمقابلة جلالة الملك مرة ومرتين وثلاث مرات !

ويتدخل الوزراء ويروضون صاحب المقام الرفيع فيهدأ مقابه الرفيع !

وفي الاسبوع القادم سنتحدث عن أزمة عودة جلالة الملك من حادث القصاصين ٠

أخبار اليوم – العدد ٨/ ص ١
١٩٤٤/١٢/٣٠

قرار مجلس الوزراء

مصطفى امين

وتعود الى القصاصين ...

فقد رأى بعض الوزراء أن مجلس الوزراء قصر فى واجبه نحو مليك البلاد ...

ففى يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٤٣ نشرت جريدة الاهرام : قال صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا لمندوب الاهرام أن مجلس الوزراء قرر فى جلسة أمس أن يرفع الى مقام حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الثمانى على نجاة جلالته من حادث السيارة ، مع أخلص عبارات الدعاء الى الله سبحانه وتعالى لجلالته بكامل الشفاء .

وقال رفعته : انه سيسافر بمشيئة الله اليوم « الخميس » الى القصاصين ، لكى يرفع الى مقام جلالته هذه التهنئة باسم مجلس الوزراء » ...

ياسلام !

مجلس الوزراء يستغرق أسبوعا من يوم الحادث الى يوم ٢٤ نوفمبر حتى يصدر هذا القرار !

لو كانت ترقية موظف من أنسباء رئيس الوزراء ، ترقية استثنائية لصدر القرار فى سبع دقائق لا سبعة أيام ! ولو كانت المسألة منح أحد أقارب رئيس الوزراء ابونيه مجانيا على جميع الخطوط لتم فى ثوان .. ولكنها تهنئة الملك بنجاته من حادث السيارة ، فلابد أن تستغرق سبعة أيام ... لان المسألة خطيرة وصعبة ودستورية ، وفى حاجة الى البحث والدرس ، والاتصال بسفراء الدول والوزراء المفوضين وعصبة الامم قبل اصدار هذا القرار الخطير !

وفى يوم الخميس ٢٥ نوفمبر تشرف صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك فى القصاصين ، ورفع اليه قرار مجلس الوزراء ، فتقبله الملك بالشكر ، وطلب الى رئيس وزرائه ابلاغ شكره الى زملائه الوزراء .

كل هذا ..

ان الذين كانوا يعرفون هذا كانوا يعجبون بعظمة هذا الملك العظيم . هذا الملك الذى صبر فى سبيل بلاده ، والذى تحمل فى سبيل وطنه .

كان الملك دائما عاليا فى مكانه وفى مكانته ، ويقول المقربون الى جلالته انه لم يغضب يوما ، ولم يثأر يوما . ولم تستطع كل هذه الصفائر أن تغير الاتجاه السوى الذى يسير فيه .. كان الملك دائما يشعر أنه فوق الاحزاب .

بل أكثر من هذا ، لم يمنع هذا الملك من أن يشجع النحاس باشا على كل عمل صالح ، ويؤيده فى كل عمل يرى أنه يفيد مصر والمصريين ..

وكان الملك يفرق بين اعمال الوزير « الصغيرة » وبين ما يفعله فى سبيل مصر ، فكان الوزير المسىء يتلقى دائما التشجيع والتأييد فى كل عمل مفيد ..

وكانت كل هذه الصفائر كالاتربة فى طريق مصر نحو الاستقلال .. والذى يريد أن يسير فى طريق المجد لا تهمه ذرات التراب !

ولو أن الحلفاء سألوا مصر يوما ماذا فعلت من أجل الحلفاء ... فان فى يدها أكبر دليل بأن جلالة المصرى الاول تحمل فى سبيل قضية الحلفاء كل شىء ، ذلك كل صعب فى سبيل النصر لقضيه الجميع ...

ان موقف الملك العظيم كان موقفا عاليا ، وكان هذا الموقف يدهش الاجانب ويدهش كبار المصريين ، فاذا عرفوا الملك عن قرب ، وعرفوا وطنيته وحبه لبلاده واستعداده لان يضحى من أجلها كل شىء ، اذا عرفوا كل هذا لم يدهشوا ولم يعجبوا لموقف الملك العظيم .

اخبار اليوم ــ العدد ٩/ ص ١ و ص ٧
١٩٤٥/١/٦

لماذا ساءت العلاقات بين القصر والوفد؟

مصـــدر السلطات

مصطفى امين

فى يوم ٢٩ يوليو سنة ١٩٣٧ وقف حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول، أمام شيوخ الامة ونوابها ، يقسم اليمين على احترام الدستور

كان صوته قويا ، رائعا ، وكانت نبراته متزنة واضحة ، وكان يضغط على حروف كلمة الدستور ليزيدها توكيدا ، كان الملك يقسم بقلبه ولسانه ووجدانه معا . وكانت الدنيا كلها تشخص اليه ، وكانت نبضات القلوب تدق سراعا ، كنا نرتجف ونحن نسمع قسم الملك الشاب .

ودخل الملك بعد تتويجه الى غرفة اجتمع فيها ببعض رجاله ، فوجدهم ساهمين ، فقرأ فى وجوههم تساؤلهم ، كيف يستطيع هذا الشاب الصغير السن ، ان يقود السفينة فى بحر مليء بالصخور والانواء . وشعر الملك بحاسته القوية أنهم يشفقون عليه من المستقبل المجهول .. وابتسم الملك ، وربت على اكتاف رجاله قائلا : انى أعرف فيم تفكرون ، وكل ما أقوله لكم : اننى معتمد على الله ، وانتى سأؤدى واجبى وسأطالب بحقوق شعبى قبل ان اطالب بحقوقى ، وانى سأحب رعاياى ، وسأجتهد فى ان احتفظ بحبهم لانى اعرف ان الملك الذى يحبه الشعب ، هو الملك السعيد .

ثم سكت لحظة وقال : بعد ان اقسمت اليمين أمام البرلمان ، اقسمت يمينا أخرى بينى وبين الله بأن أقدم دائما حياتى وعرشى فداء لبلادى ، وسأحترم الدستور ، لانى أؤمن بأن الحكم للشعب وأنا لا أطمع فى أن أحكم بنفسى ، بل ستكون مهمتى أن أكفل لشعبى عدالة وحرية واخاء ومساواة .. وعندئذ زال وجوم رجال الملك ، واشرقت وجوههم ، فان الشاب الذى كانوا يعرفونه اصبح رجلا .. بل اصبح ملكا . بل اصبح بطلا !

وتقدم رائده احمد حسنين باشا وقبل يده وهو يقول : لقد كنت واثقا دائما انك ستكون ملكا عظيما ، وترقرقت عينا الملك ، وقال الكلمة التى يرددها دائما : مادام الله معى ، والشعب معى فالنصر لى ..

وحكم الملك فاروق بعد أن اقسم اليمين على احترام الدستور . فلم يحترم مواده فقط بل احترم روحه ، ففى عهد فاروق لم يعطل الدستور يوما واحدا ، ولن يعطل يوما واحدا ، بل ان فاروق كان دائما نصير الضعفاء يأخذ بأيديهم ، وصديق الاحرار يفك قيودهم ، وكان دائما يؤمن بالشعب ، وبارادته ، ولم يقل يوما ما « انى اريد كذا » بل كان دائما يقول « شعبى يريد كذا » .

والذين عرفوا الملك عن قرب يقولون : انه يؤمن بحكم الشعب ، ويرى فى الدستور سياجا يحمى الشعب والعرش ، ويعتقد ان الدستور المحترم حقيقة هو الكتاب الوطنى المقدس الذى يهدى كل ضال ، ويرشد كل سائر فى غير الطريق القويم . ولم يفكر الملك فاروق يوما فى ان يحكم مصر بغير الدستور ، فهو يمتزج بالشعب ، ويريد ان يكون صوته من صوت الشعب ، وارادته مستمدة من الشعب ، وهكذا كان الدستور فى جانب الملك دائما ، لانه كتاب لا يؤمن به الا كل رجل يحب الحرية لنفسه وللناس ، ويحب العدالة لنفسه وللناس ، ويجعل مصلحته الثانية ومصلحة الوطن هى المصلحة الاولى .

اخبار اليوم ـ العدد ١٠ ـ ص ٥
١٣ / ١ / ١٩٤٥

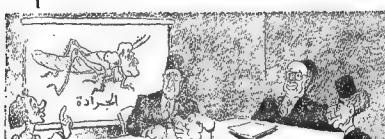

اخبار اليوم

طلب المؤتمر النسائى من المجمع اللغوى الغاء التنى المؤنث ونون النسوة وان يتبع فى معاملة المؤنث فى الافعال معاملة المذكر !!
والمفهوم أن المجمع اللغوى لايوافق على هذا الطلب

من تاريخ مصر الحديث

أحد الفاصل بين الذل والحرية وبين التبعية والسيادة القومية

فتح الجندى الباسل محمد على الكبير فى تاريخ مصر عصرا كان الحد الفاصل بين الذل والحرية ، وبين التبعية والسيادة والقومية ، وبين الظلام والنور ، واعقبه خديو مصر العظيم اسماعيل فجعل مصر قطعة من اوربا ، ورعى العهد لاخذ جد جلالة المغفور له الملك فؤاد الاول فكتب لمصر تاريخا يؤهلها لاستعادة مجدها العظيم ، وورث هذا العرش العريق الفاروق المليك المجيد فاشعلها نهضة جعلت مصر قبلة الشرق العربى وموضع الرجاء فيه .

ان الجيل الجديد لاجوع ما يكون لمشاهدة هذه الصور من تاريخ مصر الحديث ، ليرى كيف جاهدت الاسرة العلوية فى سبيل مصر وتحريرها ورقيها ونهضتها التى اصبحت حديث العالم .

اخبار اليوم - العدد ١٢ - ص ٧
٢٧ / ١ / ١٩٤٥

تعقيب

احدثت قضية « العلاقات بين القصر والوفد » ، الاهتمام السياسى الغالب ، من صفحات الاعداد الثلاثة عشر الاولى من « اخبار اليوم » . فضلا عن انها شغلت مساحة ملحوظة ، من حيث الحجم ، من هذه الصفحات جميعا ، وتؤكد هذه الحقيقة الوثائقية ، احد الاهداف الرئيسية لصدور « اخبار اليوم » واهمها : الدفاع عن القصر ضد الوفد .

فاذا وضعنا فى الاعتبار ، أن صدور « اخبار اليوم » ارتبط بفترة من أدق تاريخ مصر ، فان ذلك يضيف بعدا جديدا لاهداف ومهام صدور « اخبار اليوم » .

ففى أواخر عام ١٩٤٤ وأوائل عام ١٩٤٥ ، كانت الحرب العالمية الثانية على وشك ان تنتهى فى اتجاه هزيمة النازية والفاشية وانتصار الحلفاء . وكانت الحركة الوطنية المصرية — شأن غيرها فى المستعمرات — ترقب باهتمام مصير تطورات احداث الحرب على ضوء شعاراتها الاساسى : المطالبة باستقلال مصر . وقد انعكس ذلك بوضوح على صفحات الصحف المصرية الوطنية . الا أن صفحات الاعداد الثلاثة عشر الاولى من « اخبار اليوم » ، جاءت خلوا من هذا الشاغل الوطنى الذى كان مثار اهتمام رجل الشارع فى مصر .

وسعت « اخبار اليوم » — على هذا النحو — الى اثارة قضية « العلاقة بين القصر والوفد » ، لتصرف الانظار عنها دائما ، عما ينبغى الاهتمام به : القضية الوطنية .

وقراءة هذه الاعداد ، تفيد بوضوح لايقبل الشك ، انها كرست نفسها للزعم بالدور الزائد والوطنى للسراى وللنظام الملكى . وبديهى ان القول بان ذلك كان طابع الصحافة المصرية وقتها ، قول مغالط ، لانه يغفل حقيقة ان صحفا اخرى وطنية كانت تعارض سياسة الملك فاروق وتطالب باستقلال مصر كاشفة عن تقاعس الملك عن تلبية متطلبات آمال البلاد فى الاستقلال . من هنا فان حديث الاستاذ مصطفى امين عن وطنية فاروق ، ومحاولته الزعم بان ذلك هو شعور كل مصرى ، زعم باطل وغير حقيقى ويعيد كل البعد عن معرفة شعور رجل الشارع وقتها . بل ان زعمه هذا ، اذا قارناه بكتابات الاقلام الوطنية فى صحف اخرى وقتها ، ليس الا محاولة « لتجميل » الوجه السياسى الحقيقى للملك والقصر . وبالتالى كان هدما وتخريبا لجهود الحركة الوطنية .

بل ذهب نقد الاستاذ مصطفى امين الى حد وضع مسالة الولاء للملك ، كمقياس للوطنية . فهو يشكك فى الوفد لمجرد أن مصطفى النحاس لم يهرع — كما هو وآخرين من بطانة فاروق — الى جوار فراش الملك ليذرف الدموع حنوا على « الملك » فى حادث القصاصين المعروف بان كان واحدا من الفضائح الخلقية العديدة للملك . وراح الاستاذ مصطفى امين نفسه — ولكن بعد أن سقط الملك بقيام ثورة يوليو — يحدثنا عن هذه الفضائح الخلقية وحوادثها فى كتاب كامل بعنوان « ليالى فاروق » أصدره فى الشهور الاولى من قيام ثورة يوليو . ترى هل تكشف هذه الواقعة عن منهج « اخبار اليوم » فى مساندة كل سلطة فى الحكم حتى تسقط لتهاجمها بعد ذلك وبنفس أسلوبها فى الدعلبة لها والدفاع عنها بكل الطرق حتى لو تعلق الامر بفضيحة خلقية كحادثة القصاصين ؟

ومن الغريب أن « اخبار اليوم » تتحدث عن « جوع » الجيل الجديد للتعرف على تاريخ مصر « ليرى كيف جاهدت الاسرة العلوية فى سبيل مصر وتحريرها ورقيها ونهضتها التى اصبحت حديث العالم » كما جاء فى العدد ١٢ — ص ٧ — الصادر فى ٢٧ — ١ — ١٩٤٥ ! ! هذا التاريخ الذى جعلت فيه « اخبار اليوم » من فاروق « الصانع الاول » ! و « الفدائى الاول » كما كتبت بعد ذلك . وما تبقى بعد ذلك من الكتابات كان « أمدح » ! ■

« الطليعـــة »

بيـــان
حـول مجلـة الـكاتب المصريـة

جاءنا من السيد الاستاذ وزير الثقافة البيـان التالى :

ارجو ان اوضح الحقيقة فى النقاط التالية :

١ ـ اعلنت بوضوح لرئيس تحرير مجله الكاتب الاستاذ احمد عباس صالح انى اريد ان تبقى المجله كما هى برئيس تحريرها ومحرريها ، والا ينحى اى من اعضاء مجلس تحريرها المنشورة اسماؤهم فى صدر المجله حتى عدد اغسطس وهم الاستاذ كمال رفعت ، د . محمد انيس ، د . شكرى عياد ، وان تعبر عن اتجاه اليسار الوطنى فى حدود مواثيق الثورة ابتداء من الميثاق الوطنى حتى ورقة اكتوبر ، وانه ما دامت المجلة تصدرها وزاره الثقافة فانا لا استطيع ان اعفى نفسى من تحمل مسئوليتها ومسئوليه التزامها بالخط الوطنى امام الشعب وامام رئيس الدولة وامام مجلس الوزراء .

وانى ـ ممارسة لمسئوليتى ـ سادعم مجلس ادارة المجلة [دون المساس باحد العاملين فيها] ببعض العناصر . وجرت مناقشة بينى وبين الاستاذ احمد عباس صالح انتهت الى الاتفاق على ان يشكل مجلس التحرير من الاعضاء الموجودة اسماؤهم على صدر المجله وهم كما اسلفت الاستاذ كمال رفعت ود . محمد انيس ود . شكرى عياد مضافا اليهم الاساتذة : يوسف ادريس ، وصلاح عبد الصبور ، وسعد الدين وهبه ، وادوارد الخراط الذى سيشرف على الملحق الادبى ، وأن يكون الاستاذ عبد العزيز صادق [نائب رئيس تحرير مجلة الادب الافريقى الاسيوى] مديرا للتحرير .

طلب الاستاذ احمد عباس صالح أن يعرض هذا الاتفاق على الاستاذ كمال رفعت باعتباره عضوا بمجلس التحرير فوافقته . وفى نفس الجلسة اتصلت بالاستاذ كمال رفعت وتحدثنا معه تليفونيا وعرضت عليه الاضافات المقترحة فوافق عليها .

٢ ـ بعد بضعه ايام ـ على الرغم مما اتفقنا عليه ـ وصل الى خطاب من الاستاذ احمد عباس صالح يخبرنى فيه ان مجلس التحرير اجتمع وقرر ابقاء الوضع كما هو عليه واضاف « ثلاثة اسماء اخرى وهم : الاساتذه لطفى واكد ، ورجاء النقاش ، وصلاح عيسى . مع ان اسماء هؤلاء الاساتذه لم تكن موجوده من قبل فى صدر المجلة ولم تذكر اسماؤهم فى اثناء المناقشة الاولى التى دارت بينى وبين الاستاذ احمد عباس صالح والتى كانت قد انتهت بموافقته على الاسماء التى اقترحتها .

٣ ـ بعد بضعه ايام اخرى تلقيت مكالمة تليفونية من الاستاذ كمال رفعت عن رغبته فى لقائى ومعه د . محمد انيس ، فرحبت بلقائهما وتم اللقاء فى مكتبى بحضور الاستاذ احمد عباس صالح .

ودارت مناقشة حول تشكيل مجلس التحرير وفى نهايه المناقشه اكدت انى ملتزم بكل ما اتفقنا عليه اولا وعلى ان تستمر المجلة معبرة عن اتجاه اليسار الوطنى الملتزم بمواثيق الثورة ابتداء من الميثاق الوطنى حتى ورقة اكتوبر ، والذى ارى ـ من وجهه نظرى ـ ان المجله لم تلتزم به .

وهذا نموذج لما يقر رئيس التحرير ـ الاستاذ احمد عباس صالح نشره ـ وانا ارى فيه انحرافا عن الخط الوطنى وانحرافا عن مواثيق الثورة ابتداء من الميثاق الوطنى حتى ورقه اكتوبر » واليك هذا النموذج :

فى مقال عن مستقبل الديمقراطية فى مصر للاستاذ صلاح عيسى [عدد ١٦٢ سبتمبر صفحة ١١ فقرة ٣] يذكر صاحب المقال ان انتصار ٦

السيد صلاح عبد الصبور رئيس تحرير مجلة الكاتب ..
بعد التحية ...

فوجئت بأن مجلة الكاتب نشرت فى عددها الصادر فى أول ديسمبر ١٩٧٤ البحث المقدم منى الى الندوة الثانية للنفط التى انعقدت فى بغداد فى نوفمبر ١٩٧٤ . وقد جرى النشر دون استئذانى .

وقد كان من الضرورى فى مثل هذه الحالة ان أسأل ما اذا كنت سأسمح بالنشر أو لن أسمح به .

ارجو التكرم بنشر رسالتى هذه فى عددكم القادم وذلك عملا بحرية الصحافة والنشر .

وتفضلوا بقبول احترامى

١٩ ديسمبر ١٩٧٤.

ابراهيم سعد الدين

أكتوبر اعتمد أسلوب حلّ القضية فى اطار الجبهة الامبريالية وبمساعدتها . وهذا نص الفقرة :

« منذ عدوان ١٩٦٧ والمرؤى تتوج تجاه حل قضية الاحتلال الاسرائيلى ، الى أن استقطبت فى ثلاثين رئيسيين :

اعتمد أولهما أسلوب حل القضية فى اطار الجبهة الامبريالية وبمساعدتها حتى لو أدى هذا الى بعض التنازلات التى يقول بأنها غير جوهرية أو مبدئية وكان هذا يعنى لديه تصفيتيا استغلال التناقضات الثانوية فى الجبهة الامبريالية والضغط على هذه الجبهة ككل بالجبهة المعادية لها فى الصراع العالمى . وحسل ما كان يعتبره « مشاجرات » فى المنطقة العربية ، وقد اعتمدت وجهة النظر تلك قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ كاستراتيجية لها وفى العمل العسكرى اعتمدت أسلوب الحرب المناجئة والمحدودة يقوم بها الجيش النظامى وحده وحققت اجتهادها ذلك بانتصار أكتوبر ١٩٧٣. »

وعلى الطرف المناقض رأى آخرون .. الخ .

وحتى هذه اللحظة فان هذين الاجتهادين لا يزالان مطروحين فى الساحة المصرية والعربية يعبر كل واحد منهما عن رؤى شرائح اجتماعية محددة ، وقد أخذ أولهما الذى اعتمد رسميا منذ ١٠ يونيو سنة ١٩٦٧ ـ الفرصة لتجريب نفسه ، بينما ما زال الاتجاه الآخر يصر على سلامة منهجه وأسلوبه وأن كان بعيدا عن ساحة التأثير العلنى » .

وأنا أرى أن هذه محاولة لتدمير كل ما بذله الشعب المصرى والجيش المصرى من اجل تحقيق انتصار استعدنا به كرامتنا ، وأكدنا به قدرتنا وعبرنا به الهزيمة واليأس .

كما أرى أن هذه الانتصارات الباهرة لم تعتمد اسلوب حل القضية فى اطار الجبهة الامبريالية وبمساعدتها وانما هى تحقيق لاصالة شعب وقدرة جيش وشجاعة قائد . وأن عبور أكتوبر الذى ضحينا فيه بدماء شهدائنا الابرار ورفعنا به رأسنا أمام العالم كله لا يمكن ان يحاول أحد اعتباره اعتمادا لاسلوب حل القضية فى اطار الجبهة الامبريالية وبمساعدتها .

ان محاولة تشويه انتصار ٦ أكتوبر هو تشويه لوجه مصر ولوجه العرب وانكار لكل ما قام به ابناؤنا الابجاد نتيجة لايمانهم بربهم ووطنهم وبقيمهم الخالدة .

واذا كنت كمواطن آخذ هذا الاتجاه انحرافا عن الخط الوطنى ، فانى ـ كوزير تصدر المجلة عن وزارته ـ أعد نفسى مسئولا عن نشر هذا الانحراف وان من حقى أن (نضع الضمانات لعدم تكراره . وان رئيس تحرير مجلة الكاتب ـ بنشره لهذا الانحراف ـ لا يشكل ضمانا لعدم التكرار وان من حقى أن أضع أى عنصر يمكن أن ينبهه الى الانحراف قبل وقوعه حتى يمكن مناقشة صاحبه فيه .

ولعلى لا أجاوز بهذا حقا لرئيس اى مؤسسة صحفية عندما يمارس مسئوليته فى تعيين مدير للتحرير لاحدى المجلات التى تصدرها المؤسسة التى يعمل رئيسا لها .

ولعلنى أكتفى بعرض هذه الحقائق المجردة التى ترسم للموقف صورة امينة دقيقة ، مكررا فى النهاية اننى لم أغلق مجلة الكاتب واننى لا أفرض أحدا ولا أنحى أحدا بل انهض بمسئوليه وامارس حقا طبيعيا وكلوفا ، ولم أصل الى قرار بشأن

مجلة الكاتب الا بعد المناقشة والحوار والاتفاق المشترك بينى وبين رئيس تحريرها الذى اصر على ان يقدم استقالته مكتوبة فى اربع صفحات جاوز بها حدوده وشاركه فى امضائها أسماء لم يرد لها ذكر فى مجلس تحرير المجلة المنشور فى صدر المجلة خلال السنوات السابقة والتى حاول فرضها فى صدر العدد الاخير .

واخيرا فاننى لن اصفى منبرا للاتجاه اليسارى الوطنى الملتزم بمو ثيق الثورة ولا اعادى اى اتجاه وطنى ديمقراطى بل احرص كل الحرص على حماية حرية الحوار واشاعة المناخ الديمقراطى السليم .

واننى آمل ان يكون هادينا الوحيد فى عملنا هو حبنا لمصر ، والتزامنا بشرف المسئولية فى الدفاع عن ثقافتنا التى نريدها جميعا ، مزدهرة وفياضة بالحيوية ، وعلى أن نحرص ـ مع التنوع الطبيعى بحرية الحوار على الوحدة الاساسية فى مواجهة العدو الصهيونى واعباء بناء الوطن .

يوسف السباعى

رد على وزيـــر الثقـــافة

مـن أســرة تحــرير الكاتــب

لم يأت البيان الذى وزعه وزير الثقافة فى ندوة المجلات الادبية ببيروت حول ازمة « الكاتب » بجديد . فهو بنصه البيان الذى سبق أن نشره بجريدة «الجمهورية» القاهرية بتاريخ ١٩٧٤/٩/٢٢، وسبق لاسرة «الكاتب» أن ردت عليه بمقالين لكل من د. **محمد انيس وصلاح عيسى** بتاريخ ١٩٧٤/٩/٢٤ ، لـكن الظروف الان تفرض علينا أن نعيد نشر كل الحقائق المجردة حـول معركة « الـكاتب » خاصة وان الوزير طلب اعادة نشره بالطليعة لكى تكون امام كل من يدلى فيها برأى ، او يجتهد فى موضوعها فى صفنا او فى صـف خصومنا :

١ ـ بدأت مشكلة « الكاتب » منذ زمن طويل قبل انفجارها ، وهناك تحقيق رسمى أجرته هيئة الكاتب حول خروج ثلاثة أعداد من المطابع الى المخازن مباشرة ، دون تسليمها لشركة التوزيع أو عرضها للبيع ، وقد ذكرت أسرة التحرير فى استقالتها المسببة الى الوزير ادانتها « لهذا العمل المشين الذى لا يقيم وزنا للجهد البشرى ولا للمال فى سبيل منع المجلة من التداول وبطريقة سرية » .

٢ ـ هناك وثائق تثبت أن قرار السيد رئيس الجمهورية برفع الرقابة عن الصحف واعتبار رؤساء التحرير مسئولين عن النشر لم يطبق على « الكاتب » اذ أجبرت لعـدة شهور على الخضوع للرقابة ، التى رفضت مقالات نشرت بعد ذلك فلم ير فيها احد من المسئولين خروجا عن اى قانون .

٣ ـ فى عدد ابريل ١٩٧٤ كتب احمـد عباس صالح فى افتتاحية المجلة يقول « ان تدهورا ثقافيا حقيقيا يزحف كالمرض على عقل هـذه الامة تحت شـعار كراهية السلبيات القديمة متهما العلم والجد والاشتراكية بأنها المسئولة عن هذه السلبيات .. هذا العبث يجب أن يكف فجزء من خسائر هـذه الامة راجع الى أن أول ضحايا هذه السلبيات كانت الجدية والثقافة والاشتراكية » . كما تضمن مقال آخر بالعـدد اشارة تنقـد السياسة الثقافية للوزير . وتطوع الاسـتاذ ابراهيم الوردانى ـ وهو من أصدقاء الوزير المقربين ـ للكتابة على صفحات الجمهورية [٧٤/٤/٤] مهاجما الكاتب مستعديا عليها السلطات ، وقد حيته مجلة « الثقافة الاسبوعية » لموقفه هذا [١٩٧٤/٤/١٩] .

٤ ـ ثم تحرك صديق آخر مقرب للوزير هو الاستاذ صالح جودت عضو مجلس ادارة هيئة الكتاب فهاجم المجلة فى اجتماع عقد فى بداية شهر ابريل ١٩٧٤، وزعم انها خرجت عن « الخـط القـومى » ، وقـال ان الـدولة تخسر لترويـج فـكر غيـر قـومى ، وانتهت المناقشـة بتشـكيل لجنـة لفحص عشرة اعداد من المجلة للتأكد من عدم خروجها عن الخط القومى ، وبرفع اسـم هيئة الكتاب كهيئة مصدرة عن غلاف المجلة . وبصرف النظر عن ان لجنة كهذه بدعة فى بلد يكرر قادته ليل نهـار أن حـرية الرأى مكفولة ، فان المجلة لم تمثل فى اللجنة التى شكلت من احد رجال الدين وأحد المحاسبين وأحد موظفى الهيئة ، وهى على كل الاحوال لم تقدم اى تقرير حتى هذه اللحظة . [راجع مقال صالح جودت فى المصور ٧٤/١٠/٤]

٥ ـ أثارت هيئة تحرير الكاتب مسألة خضوعها للرقابة خلافا لامر السيد الرئيس فى اجتماع علنى عقد فى نقابة الصحفيين أمام الدكتور احمد كمال أبو المجد وزير الاعلام ، الذى أبدى دهشته لذلك ، وان كان قد تحفظ بأن الامر يخص وزارة غير وزارته .

٦ ـ فى أواخر يونيو ١٩٧٤ كتب رئيس تحرير الكاتب الى الاستاذ طلعت خالد وكيل وزارة الاعلام لشئون الرقابة يطلب تنفيذ قرار رئيس الدولة برفع الرقابة والغائها عن الكاتب . وقد استجاب لذلك وصدر عدد يوليو متضمنا حوالى ١٠٠ صفحة عن ثورة ٢٣ يوليو ، وتضمن عدد سبتمبر حوالى ١٠٠ صفحة عن الزعيم الراحل جمال عبد الناصر مع مواد أخرى .

٧ ـ تكثفت مشاكل الكاتب مع وزارة الثقافة بعد صدور عدد يوليو ، خاصة أن العدد تضمن اعلانا عن أن المجلة ستصدر بين صفحاتها ملحقا ادبيا وفنيا ، كان من بين أهداف اصداره كما ذكر الاعلان عنه « نقد موضوعى للسياسات الثقافية » ، الامر الذى يشكل نوعا من الحساسية للوزير ، كما أن العدد تضمن فى بعض مواده نقدا لكتابات وآراء عدد من أصدقائه المقربين مثل صالح جودت وعبد العزيز الدسوقى وابراهيم الوردانى .

٨ ـ بعد أن مارست المجلة حقها الشرعى والقانونى فى رفض مخالفة وزارتى الاعلام والثقافة لقرار الرئيس برفع الرقابة بدأت تتعرض لمحاولات النسف من الداخل ، فزعمت الوزارة أولا أنها تخسر ، وصرح رئيس هيئة الكتاب بأنه تلقى تعليمات من الوزير بالكف عن تمويلها اعتبارا من عدد أكتوبر ، وعندما أثير الموضوع فى الصحف عدل الوزير عن رأيه وبدأ يعلن أنه سيعيد تشكيل مجلس التحرير .

ولقد كان ضروريا أن يفعل الوزير ذلك ففضلا عن أن القول بأن المجلة تخسر غير صحيح ، فان أسرة الكاتب نبهت لانه مع الافتراض جدلا بصحة هذا فان مجلات « الثقافة » و «الثقافة الاسبوعية» و«الجديد» تخسر هى الاخرى ـ وأرقام التوزيع معروفة ، ولا توزيع هذه المجلات مجتمعة الى مستوى توزيع الكاتب منفردة ـ فاذا كانت كل المجلات تخسر ، فلماذا يأتى التوفير فى الميزانية عن طريق تصفية المنبر اليسارى الوحيد الذى يصدر عن الهيئة . ولماذا تقبل الوزارة الخسارة المتحققة عن نشر ٩ منابر يمينية ومحافظة [٤ أعداد شهريا من الثقافة الاسبوعية ـ عدد من الثقافة الشهرية ـ عددان من الجديد ـ مختارات الجديد ـ مطبوعات الجديد] .. أليس مجرد التفكير فى هذا دليل على انتماء وزارة الثقافة الحقيقى ؟!

٩ ـ ان الخلاف بين أسرة التحرير وبين السيد الوزير قد انحصر بعد ذلك فى مطلبين هامين :

الاول : رغبته فى اعادة تشكيل مجلس تحرير المجلة بحيث يضم اليه عددا من وكلاء الوزارة وأصدقائه الشخصيين . ويشطب منه بعض الذين رأى رئيس التحرير أن جهدهم يفيد المجلة .

الثانى : أن يعين أحد أصدقائه مديرا للتحرير يراجع كل حرف قبل أن ينشر ، ولتبليغ الوزير بمضمون أى مقال قد لا يعجب الوزير حتى يتمكن سيادته من اصدار أوامره الى المطابع بمنع نشره .

فى النقطة الاولى كان موقف رئيس التحرير وأسرة المجلة واضحا ، فهو لم يرفض العديد من الاسماء التى رشحها الوزير ، وهى صلاح عبد الصبور وسعد الدين وهبه وهما وكيلين لوزارة الثقافة ، وادوار الخراط وهو صديق شخصى للوزير وأحد معاونيه فى منظمة التضامن الاسيوى ، غير أنه تحفظ بضرورة الرجوع الى زملائه ، كما أن الاستاذ كمال رفعت وافق على اقتراحات الوزير وتحفظ أيضا بأنه سيعود الى زملائه . واتفق الثلاثة على لقاء لابلاغ الوزير رأيهم النهائى ولكنه لم يلتزم بالموعد . وهنا وجه احمد عباس صالح رئيس التحرير خطابا الى الوزير يبلغه فيه التمسك بمجلس التحرير كما هو ، وكان ذلك بتكليف من مجلس التحرير بعد مناقشة اقتراحات الوزير .

ولقد كانت ملاحظة أسرة الكاتب بعد ذلك ـ رئيس تحريرها وسكرتارية التحرير وبعض كتابها ومجلس التحرير بمجمل أعضائه ـ أن الاسماء التى رشحها الوزير هى لمسئولين تنفيذيين فى الوزارة ، الامر الذى قد يحرج المجلة اذا ما أرادت نقد بعض ما يشرفون عليه من مؤسسات كما أن اصرار الوزير والحاحه فى أن يكون ادوارد الخراط مسئولا عن الملحق الادبى للمجلة أمر يحرجه ويحرج المجلة .

وحاول رئيس التحرير أن يوازن المجلس لكى يكون ديمقراطيا كما ينبغى فاقترح أن يضم الى المجلس فوق من اقترحهم الوزير ثلاثة من الذين ينشطون فى المجلة منذ وقت ويعطونها جهدهم وهم لطفى واكد ورجاء

النقاش وصلاح هيثمى ؟ وقد اعترض الوزير على الثلاثة ، ولم يبد سببا بالنسبة للاول ؟ وقال عن الثانى انه لا « يستطعه » ، أما الثالث فرفضه لانه « شيوعى » ولانه ينقد وزارة الثقافة فيما يكتبه على صفحات الجمهورية . ولم يوافق الا على د. يوسف ادريس الذى لم يقترحه على عكس ما ورد فى بيانه . كما اعترض رئيس التحرير على طلب الوزير بطرد احمد القصير وحسنين كروم سكرتيرا التحرير وتعيين بديلين لهما حددهما بالاسم ، كان أحدهما على فشلن .

فى النقطة الثانية : اصر الوزير على ان يكون الاستاذ عبد العزيز صادق مديرا للتحرير ، مهمته أن يقرأ أصول المقالات ويكون رأيه مساويا لرأى رئيس التحرير ، هذا بالطبع غير المهام الاخرى التى يمكن أن يقوم بها صديق شخصى للوزير عين فى مكان يضم قوما يظن الوزير أنهم غير راضيين عن سياسته . ومع اعتراض رئيس التحرير ، قبل أمام تعنت الوزير أن يكون عبد العزيز صادق مضوا بمجلس التحرير ورفض — ورفض المجلس بحسم — أن يخضع لرقابة الاستاذ صادق .

ومن الواضح أن رغبة الوزير كانت تحويل مجلس التحرير الى مجلس لوكلاء الوزارة ولاصدقائه الشخصيين ، وهو أمر يفقد المجلة استقلاليتها وحريتها . وخاصة أنها تختلف معه فى سياسته كوزير للثقافة .

١٠ — طوال هذه الفترة تعرضت الكتب لمضايقات شتى من هيئة الكتاب ووزارة الثقافة ، تخفض عدد صفحاتها الى ١٣٢ صفحة بحجة أزمة الورق التى لم تخفض صفحات الثقافة أو الجديد ، وتواضع الاعلان عن صدورها الى مرة واحدة [عمودين × ١٠ سم] ، فى حين كان يعلن عن الثقافة مرتين فى ثلاثة أضعاف هذه المساحة ، وعن الجديد عدة مرات فى الصحف وفى الاذاعة والتليفزيون ، وتواضعت مكافآت التحرير فى الكاتب بحيث لم تكن تزد — بعد المرتبات الثابتة — عن ١٤٠ جنيها للعدد ، وكانت بعض مكافآت الابحاث والمقالات التى تنشر بها لا تزيد عن ثمانية جنيهات للبحث .

١١ — وقعت كل هذه الحوادث قبل صدور عدد سبتمبر ١٩٧٤ الذى يستشهد الوزير بمقالة صلاح عيسى به للدلالة على ما يتصوره خروج على موافيق الثورة ، وقد تواكبت مع ما تعرض له الوزير من نقد — حتى من بعض الاقلام اليمينية — بسبب سياسته ، وهو ما يؤكد أن نية الوزير فى أن تصبح منبرا محكوما برجاله ويسير وفق موافيقه هو لا موافيق الدولة كانت مبيتة .. وانه كان ينقم عليها انها لم تتحول الى منبر يدعو لسياساته ولاعماله الادبية كما هو الحال فى «الجديد» و « الثقافة » .

١٢ — فى الايام العشرة الاولى من سبتمبر صعد الوزير الموقف . وأصدر تعليمات ابلغها كمال السلوسى مدير مطابع الهيئة كتابة الى سكرتير التحرير التنفيذى سعد عبد الوهاب نصها : [**بناء على تعليمات السيد الدكتور رئيس مجلس الادارة يجب التأكد من توقيع سيادته على جميع أصول مجلة الكاتب التى ترد من ادارة المجلة مع عدم استلام أية أصول بدون توقيع**] ، وهكذا فرض الوزير رقابة وكيل الوزارة على المجلة خلافا لقرار رئيس الجمهورية برفع الرقابة على الصحف .

١٣ — فى آخر جولة من المباحثات وبعد أن توقفت أسرة الكاتب عن تقديم أية أصول للمطابع بهذه الشروط غير القانونية ؟ قبلت أن تضم الى مجلس تحريرها كل الذين طلبهم الوزير ، وأعلن صلاح عيسى انسحابه من مجلس التحرير بناء على طلب الوزير — رغم معارضة زملائه — وتنازل الوزير عن طلبه باخراج رجاء النقاش ولطفى واكد « مجابلة » كما قال . لكن المجلس اختلف مع الوزير حول دور عبد العزيز صادق ، اذ أصر على أن يعينه مديرا للتحرير وان تكون مهمته — فوق توضيب المجلة — مراقبة كل ما ينشر فيها ؟ ولما قيل له أن للمجلة مشرفان فنيان يعملان بها منذ سنوات طويلة — هما الفنان حسن سليمان وسعد عبد العزيز — أعلن أنه سيرقتهما فورا . أما من حيث رقابته على المجلة فقد أعترف الوزير فى بيانه أنه عينه فى وظيفة « منبه للانحراف » !

١٤ — ويلاحظ أن مطالبة الوزير بتعيين عبد العزيز صادق « منبها للانحراف » قد حدثت فى شهر أغسطس ١٩٧٤ وقبل وقوع ما يعتبره انحرافا بالفعل .

١٥ — طلبت الكاتب فرصة لمناقشة عروض الوزير الجديدة ، لكنه أصدر فى نفس اليوم قرارا أبلغه الى جريدة الاهرام ونشرته صباح ١٩٧٤/٩/١٢ يتضمن تشكيل المجلس من ؟ كمال رفعت ود. محمد انيس وصلاح عبد الصبور وسعد الدين وهبه وادوارد الخراط [مشرفا على الملحق الادبى] ويوسف ادريس؟ وتعيين عبد العزيز صادق مديرا للتحرير مع بقاء أحمد عباس صالح رئيسا للتحرير ، وابعاد احمد القصير وحسنين كروم عن سكرتارية التحرير ، كما استبعد القرار كل

من رجاء النقاش ولطفى واكد اللذين وافق الوزير عليهما ، وكان معنى هذا أن الوزير يصر على فرض كل شروطه ، وأهمها أن يكون مجلس التحرير مجلسا لوكلاء الوزارة وأصدقائه الشخصيين ، وأن يسيطروا على اتجاه المجلة ويصادروا حقها فى نقد سياسته فى الوزارة !!

١٦ ـ وتمسكنا من أسرة التحرير بالحقوق الديمقراطية التى يكفلها الدستور والقانون لكل المصريين ، ومنها حرية الرأى والعقيدة ، وتمسكنا منها بأن يكون نزار السيد رئيس الجمهورية برغم الرقابة على الصحف مطبقا عمليا ، فقد كان طبيعيا أن « تقتضى من العمل بهذه الشروط » وبذلك رفضت شروط الوزير التى استعدنا كبت حريتها ، والقضاء على استقلاليتها . والتخطيب مؤرخ فى ١٣/٩/١٩٧٤ !!

١٧ ـ لم يثر موضوع الخروج عن موافيق الثورة الا بعد أن ظن بعض مستشارى الوزير أن هناك فترة يمكن استغلالها فى مقال « مستقبل الديمقراطية فى مصر » لصلاح عيسى ، وفى هذه النقطة نوضح ما يلى :

● أنه فى كل المناقشات التى دارت حول الموضوع تأكيد بأن المقال ككل مقالات «الكاتب» يعبر عن وجهة نظر صاحبه وأن بعض ماورد فيه من أفكار قد رد عليها ـ بشكل غير مباشر ـ فى مقالات أخرى فى نفس العدد وأن الحرية تفترض تعدد الآراء والاجتهادات .

● أن الوزير يقول فى بيانه أن الفقرة التى ابتسرها من سياقها هى « نموذج » لما يراه « انحرافا عن الخط الوطنى » ومعنى هذا أن هناك نماذج أخرى ، لكنه على وفرة ما أدلى به من بيانات أو أحاديث لم يقدم أى نموذج آخر . كما أنه من غير المنطقى أن تؤخذ فقرة واحدة من مقال واحد من أعداد مجلة تقارب عمرها على ١٥ عاما للتدليل على خروجها من موافيق الثورة !!

● أن الوزير يضع قاعدة خطيرة ، فهو يعتبر نفسه الأمين على موافيق الثورة ، فهو يعين نفسه مفسرا للنصوص ، وهو بلهيكته من أساءة استغلال سلطته كما يريد متسترا بوثائق الثورة بدلا من أن تكون هذه الوثائق مفتاحا للحوار الديمقراطى تتحول فى يده الى مزاعات للتخويف ، وقد قيل الكثير جدا من الآراء فى الفترة التى نشر فيها المقال وبالمناسبة التى كتب بسببها وهى تطوير الاتحاد الاشتراكى ، مما لا يمكن اعتباره منسجما مع وثائق الثورة .. ولا يزال يقال ..

● أن القاعدة العامة التى تحكم الوزير والكاتب فيما هو مناسب أو غير مناسب بالنسبة لما ينشر ، هى القانون العام ، ولن تكون لدينا صحافة حرة حقيقة طالما أن كل مسئول يستطيع أن يخيفنا بوثائق الثورة ، وهناك قانون المطبوعات المعمول به وينبغى أن يكون هو الفيصل الوحيد لما ينشر أو لا ينشر !

● اننا لم نسمع أن الوزير غضب لما ينشر فى المجلة التى كان يرأس تحريرها أو فى مجلة الجديد من مقالات يمكن ببساطة أن نثبت انها ضد موافيق الثورة ، لكننا لا نريد أن نستعمل أساليب مكارثية فى الحوار الديمقراطى .

● أن كاتب المقال طالب الوزير علنا بتقديمه للنيابة العامة اذا كان حقا واثقا من أن المقال يتضمن هجوما على حرب اكتوبر ، لكن الوزير لم يفعل ووجه الى كاتب المقال الفاظا يعاقب عليها القانون ، وقد قام كاتب المقال من جانبه بتقديم بلاغ الى النيابة العامة ، تضمن أن الوزير قد نشر فى « الاهرام » واليومية فى ٢٢ سبتمبر ١٩٧٤ مقالين وصف فيهما أفكاره بأنها ـ تشكل من وجهة نظره «انحرافا عن الخط الوطنى » وأنها أفكار « تمثل خيانة لمصر ولارواح الشهداء » وهو ما يعتبر سبا وقذفا فى حقه ، وطالب باتخاذ اللازم ضد كل من الاساتذة « يوسف السباعى بصفته كاتب المقالين والاستاذان مصطفى بهجت بدوى واحمد بهاء الدين رئيسا تحرير كل من الجمهورية والاهرام لنشرهما هذين المقالين . وقد أحالت نيابة الأزبكية البلاغ الى الشرطة حيث دونت أقوال صلاح عيسى ، وقيد المحضر برقم [٤٧٨٨ اداري ـ الأزبكية] ، ويتضح المحامى من صلاح عيسى اجراءات رفع جنحة تعويض ضد وزير الثقافة لقذفه فى حقه .

● موضوع المقال اذن أصبح الان أمام القضاء الذى سيفصل فيما اذا كان ما كتب « خيانة » أم أن الوزير ابتكر هذه التهمة كلها ليغطى على اجراءاته غير الديمقراطية . وما يلفت النظر أن الوزير لم يرد على أى اتهام حقيقى وجهته اليه أسرة الكاتب ، وأصر فى كل ما أذاع على الحديث عن موضوع هو الان بين يدى القضاء فى دولة تحترم سيادة القانون لكن سيادة الوزير لا يفعل ذلك !

١٨ ـ لقد قبلنا كل شروط الوزير المعقولة ـ مع تحوطها كلها ـ وملكنا المرونة الكافية لادراك نواياه ، ووقفنا عند نقطة كان لا بد أن يتفق عندها المتصلجون تلك هى « الحد

الأدنى » من شروطنا . ان الصحبة بين الكاتب والوزارة لا يمكن ان تكون صحبة بلا شروط من جانبنا . ولا يمكن ان يقر اى منصف ان يفرض علينا الوزير كل شيء ولا يبقى لنا بعدها الا الاذعان ، وفى كل صحبة او تحالف هناك شيء اسمه « الحد الادنى » اذا فرطنا فيه اصبحنا شيئا آخر .. ولقد كان هذا الحد الادنى كما عبرنا عنه فى مقابلة مسح الوزير عندما ابر فى اواخر اغسطس بمنح طبع الملحق الادبى للكاتب ، وقد حضر هذه المقابلة د. محمد انيس واحمد التصير وصلاح عيسى ، وعبروا عن ان وجهة نظر اسرة الكاتب هى ؟

اولا : ان تظل الوزارة محايدة بين مدارس الادب والفكر والا تنتمى الى تيار على حساب آخر ، او تعطى مطلقا اكثر مما تعطى الاخرين ؟ فنحن لم نطلب اغلاق مجلة « الثقافة » ولكننا طلبنا أن تتساوى بها فى عدد الصفحات وفرص الاعلان والميزانية ، خاصة ان اليمين يصدر تسعة منابر كل شهر بينما تتوافر فرص اليسار الى منبر واحد محاصر .

ثانيا : أننا مجلة يسارية وينبغى ان تظل كذلك وان اى تعديل فى مجلس التحرير ينفى هذه الصفة عنها مرفوض .

ثالثا : أن مصدورنا عن وزارة الثقافة لا يعنى أننا منبر مخصص للدعاية لسياسات الوزير ولا يلزمنا بالصمت على ما يجرى على جبهة الثقافة ، وأن حقنا فى نقد هذا كله يكفله لنا الدستور والدستور وسنمارسه .

وما زالت هذه النقاط تمثل الحد الادنى من مطالبنا وهى القياس الذى نقيس به مدى اخلاص وزارة الثقافة لما ترفعه من شعارات ديمقراطية ، فكيف كان حقنا فى نقد سياسة الوزارة يصبح مكفولا والرقيب العام على المجلة هو صديق الوزير الصدوق والمشرف على الملحق الادبى هو صديق الوزير الصدوق .. ونصف مجلس التحرير من وكلاء الوزارة

١٩ — ان الحجة البيروقراطية التى اوردها السيد الوزير بانه يمارس حقه فى تعيين مدير للتحرير كما يمارسه رئيس مجلس ادارة اى دار صحفية ، تقوم على قياس خاطىء ، فرئيس مجلس ادارة اى دار صحفية ليس سلطة تنفيذية ، وهو عندما يعين مديرا لتحرير صحيفة تصدر من داره فان هذا ينطلق من منطلقات اخرى تماما ؟ ليس من بينها حماية سياسته من النقد ؟ ولو طبقنا هذا القياس وأصبح الوزراء يعينون رؤساء التحرير الذين لا ينقدونهم لاصبحت الصحافة مكبلة للدفاع عن الحكومة واهدرت كل الحقوق الديمقراطية ..

٢٠ — أن تصرفات الوزير بعد انسحابنا قد شكلت موقفا لاديمقراطيا واضحا ؟ لقد شن حملة مكثفة ضدنا تمثلت فى الاحاديث والكتابات التى نشرها المدافعون عنه والتى بلغت أكثر من اربعين نصا منشورا بشكل شرعى ، فضلا عن المنشورات السرية التى كانت تنشرها وتوزعها جبهة حلفاء السيد الوزير من محررى جريدة الجمهورية على حين أن ما كتب دفاعا عن الكاتب لم يتعد خمس نصوص لا أكثر . واستخدم الوزير نفوذه فى وزارة الاعلام فمنعت كل الصحف — مادامت الطليعة — عن نشر اى تصحيح من اسرة التحرير .

٢١ — أن الذين تصدوا للدفاع عن اجراءات الوزير من الذين تخصصوا فى كتاباتها ليست من بينها مسائل الثقافة الرفيعة ؟ ولم يؤيد الوزير فى اجراءاته من الادباء المعروفين أو النقاد سوى اثنين أو ثلاثة ؟ وكل الذين دافعوا عنه تربطهم به علاقات شخصية وثيقة .

٢٢ — ومراجعة كل النصوص التى نشرت تؤكد أن هناك تعميما وزع على هذه « الشلة » يتضمن افكارا واحدة ؟ لذلك لن واحدا منهم لم يقرأ النصوص الاصلية التى يرد عليها ؟ ولم يرد على النقاط التى اثارتها اسرة الكاتب فى استقالتها .

٢٣ — وكان طبيعيا أن تتحالف مجموعة الوزير مع مجموعات اخرى تتقوى بها ؟ فعندما تساءل طلاب ندوة ناصر عن اجراءات الوزير ضد « الكاتب » ، خرج الاستاذ موسى صبرى بمقال فى الاخبار يهاجم فيه الكاتب ؟ ويعتبرها وطلاب الندوة جبهة واضحة تعمل لحساب ليبيا ؟ ويعتبر نفسه والاخوين على ومصطفى أمين والاستاذ يوسف السباعى فى جبهة واحدة ضد هذه الجبهة .. ودشن هذا التحالف بتعليمات صدرت لصحفة أخبار اليوم بالدفاع عن وزير الثقافة .

٢٤ — أن الحملة التى شنت ضد اسرة الكاتب، قد انتقدت للمنطق بشكل يدعو للرثاء فهى قد بنيت على أن اسرة تحريرها ممولة للاتحاد السوفيتى ؟ وبينما كان الوزير — بحكم منصبه كسكرتير عام لمنظمة التضامن — يمدح الاتحاد السوفيتى ويشيد به ، كان المدافعون عن اجراءاته يحيونه لانه طرد عملاء السوفيت من وزارة الثقافة . وبينما يؤكد الوزير أنه ليس ضد اليسار ، فان اصدقاءه الذين دافعوا عنه حيوه لانه صفى

اليسار . وهو ما أتفرت به بالفعل مجلة الثقافة — وكان الوزير يرأس تحريرها — عندما نبهت أسرة الكاتب الى المصير المحتوم الذى ينتظرهم فى عدد سبتمبر ١٩٧٤ .

٢٥ — وبنفس هذا الاختلال فى المنطق نشرت هيئة الدعاية فى انصار الوزير عشرات المقالات تتهمنا فيها بالعمالة للعراق وليبيا ، ولانه لامنطق هناك ، فليس مهما أن انتهمنا بالعمالة لليبيا وبالماركسية فى آن واحد غير جائز ، وموقف ليبيا من الماركسية معروف . وبينما يقول الوزير أن المجلة توزع ٥٠٠٠ نسخة فى العراق تخسر فيهم ٤٥٠ جنيها فى العدد ، ويأخذ علينا ذلك ، فانه بعد أن تركنا له المجلة مازال محتفظا بالاشتراك ومازال يخسر فيه ، ومازالت العراق متمسكة باشتراكاتها فى الكاتب ..

٢٦ — أن كل ما نشرته قنوات الدفاع عن السيد الوزير قد تضمن استعداء واضحا للسلطات ونوعا من المكارثيه الناذرة المثال، ومحاولة مجهدة ومضحكة لتأويل الكلمات ؛ وربط بدهم للرفاء بين كل نقد للوزير وبين أسرة الكاتب ، فنحن لم نتهم فقط بأننا ضد الحكومة ولكن اتهمنا أيضا بأننا الذين اثرنا ضدنا حسنى وحسن الامام وغيرهم ليرفضوا جوائز السينما ويحتجون عليها . وهو مايؤكد طبيعة المنهج الذى تعالج به المسائل لسدى هؤلاء السادة .

٢٧ — وفى كل ما كتبوه تتكرر الفاظ تصفنا بأننا « غرباء » و « خونة » و « عملاء » وان الماركسية — التى ظنوا لجهلهم بأتهاتجمع كل من يكتب فى الكاتب — لا يمكن أن تجتمع مع المصرية ، وغيرها من الاراء التى لا يمكن أن تخفى دلالة المعركة التى خاضوها ضدنا ولا هدفها الحقيقى .

٢٨ — تلك كلها ملامح من الاسلوب الديماغوجى الذى اتبع معنا ، وهناك وقائع تؤكد أن الوزارة كانت تضطهدنا وتتعم علينا اننا يسار يريد أن يحفظ لنفسه حرية التعبير ، فبعد أن تركنا المجلة للوزارة انتهشت مخصصاتها من الاعلانات فأصبحت تعلن عن نفسها فى الاعداد الاسبوعية من الصحف الثلاث ، وارتفعت مكافآت التحرير فيها فوصلت الى ٢٠ جنيها للمقال ، وكفت الوزارة عن الشكوى من خسارتها ، فلم تعد تشير الى ارقام توزيعها ، وبلغ البذخ معها مداه فأصبح عدد صفحاتها ١٩٦ وغلاف بالالوان الطبيعية ؟ وقد طلبنا نصف هذه المطالب قبل ذلك فلم يستجب لنا احدا .

٢٩ — ان قول الوزير بأنه لن يصفى منبرا يساريا يكذبه واقع الحال ، الذى انتفى بالفعل بمقاطعة كل الكتاب اليساريين لمجلة « الكاتب » بعد أن اجبرت أسرة تحريرها بشروط متعسفة على الرحيل ، أليس من شروط الديمقراطية أن مجلة ما لكى تمثل تيارا ما ، لابد أن تكون حائزة لرضاه ؟ . ثم كيف تكون يسارية وهى تأخذ موقفا صامتا من قضايا السياسة الثقافية فى بلادنا ؟ . والى متى يظل حق اليمين مكفولا فى الهجوم على اليسار ويلزم اليسار بأن يكون مهذبا يكتب فى السياسة الخارجية أو فى سينما العالم الثالث فقط ، أما شئون الثقافة والفكر فى بلده فهى ليست من شأنه . وكيف تكون الكاتب منبرا مستقلا وهى تحت رئاسة وكيل وزارة الثقافة ، وكل منابر الثقافة تحت قيادة أصدقاء للوزير أو وكلاء للوزارة ؟! .

٣٠ — أن لعبة سرقة المقالات التى برعت فيها « الكاتب الأميرية » ، ستنتهى يوما ما ؛ فقد سرقت فى عدد أكتوبر ١٩٧٤ أبحاثا لكل من الاساتذة طارق البشرى وسمير كرم ووليم سليمان ونشرتها على غير رغبة أصحابها ، واكملت بادتها بمواد من بعض الندوات التى تعقد فى اطار منظمة التضامن الاسيوى ، ونعملت نفس الشىء فى عددها الاخير اذ نشرت أبحاثا ومقالات للدكتور فؤاد مرسى والدكتور ابراهيم سعد الدين سرقتهما من أعمال ندوة بغداد للنفط ، وقد كتب الدكتور فؤاد مرسى الى صلاح عبد الصبور خطابا هذا نصه « **فجئنى كما فجأ غيرى أن تنشروا الدراسة التى قدمتها لندوة بغداد عن المشاركة كاسلوب من أساليب الاستعمار الجديد بغير أن من أذن لكم بنشرها او اعلم حتى بنية النشر منكم مما يخرق تقليدا ديمقراطيا عريقا استقر فيما بيننا ولا تدعو حاجة للعدول عنه . ولهذا ترونني اتمسك بحقى فى منع نشر القسم الثانى من دراستى فى عددكم المقبل على النحو الذى اتبأتم به قراءكم ، الذين ظلمتم بذلك للاسف خطوة خاطئة من جانبكم** » كما احتج د. ابراهيم سعد الدين على هذا الاجراء .

٣١ — تجاهل الشاعر صلاح عبد الصبور فى افتتاحيته لعدد ديسمبر من الكاتب الاميرية كل الحقائق السابقة . وصور الموضوع على أنه شغب من جانبنا . لكنه فى نفس المقال ذكر أن مسئوليته عن مجلات وزارة الثقافة هى مسئولية « نظرية » ، ولا ندرى ما البرر

الذى يجعل السيد الوكيل والسيد الوزير ؟ يقبلان مسئولية نظرية على مجلات الجديد والثقافة وتوابعهما ، ويصران على أن تكون مسئوليتهما عن الكاتب غير نظرية ! . ولماذا أصروا على أن يقرأوا كل ما تكتب ورفعوا فى وجوهنا وثائق الدولة التى تهان وتهاجم فى مجلات الوزارة الاخرى دون أن يغضبوا ولماذا لم يذكروا للكاتب دفاعها عن الرئيس الراحل عبد الناصر وعن ثورة ٢٣ يوليو وعن انجازات الرئيس السادات ودفاعها عن العلاقات المصرية السوفيتية !!

٣٢ ــ أن الوزير قد لجأ فى كل المباحثات التى أعقبت استحابتنا الى أسلوب يكسب به الوقت حتى يرتب أوراقه ، ولكنه كان سرعان مايعدل عن أى اقتراح يتقدم به .

٣٣ ــ بعد أن نشرت الاستقالة فى الصحف ردا على بيان الوزير المملوء بالمعلومات الخاطئة . وبعد اربعدات اسرة تحرير الكاتب تاخذ قرصتها فى الرد عليه ، وبينما هى تتخذ الاجراءات القانونية لشهر جمعية ثقافية باسم « الكاتب العربى » ، أرسل الوزير يعرض استعداده للتنازل عن رخص «الكاتب» للجمعية لتصدرها فتكون مسئولة منها قانونا لانه لا يستطيع قبول ما ينشر فيها ، وأبدى استعدادا لان تعين وزارة الثقافة مرءيزانيتها الجمعية ــ كما تعين كل الجمعيات الثقافية ــ بمبلغ يعينها على اصدار المجلة ، وقال انه سيوقف الحملات الاعلامية التى يشنها أصدقاؤه فى الصحف ويجلاته الناطقة باسم الهيئة ، وطلب جوا طيبا للتفاهم بأن توقف اسرة الكاتب ردودها على ما نشره أصدقاؤه .. ورغبة من أسرة الكاتب فى اتاحة الفرصة له لتصحيح الاجراء الذى اتخذه ، توقفت عن الرد . الا أن الوزير خلال تلك الفترة استطاع أن يصل ــ من خلال نفوذه فى وزارة الاعلام وصداقاته بدور الصحف ــ الى يقين بأن صحيفة مصرية واحدة لن تنشر كلمة واحدة لاسرة الكاتب .. وببساطة تراجع عن عرضه بعد أن تسلم طلبا بالتنازل عن رخصة المجلة ، وشن حملة مكثفة ضد أسرة الكاتب؛ بينما امتنعت كل الصحف اليومية والمجلات الاسبوعية والشهرية ــ باستثناء الطليعة ــ عن نشر كلمة واحدة لنا حتى ما كان يتضمن مساسا بأشخاصنا أو سمعتنا .. وأغرق موضوع الكاتب فى طوفان من الاكاذيب والاساليب المكارثيه واستعداء السلطات ومن أقلام لا علاقة لها بالفكر أو الثقافة . وهكذا اهدر الوزير كل الحقوق الديمقراطية وأثبت أن الوزير يملك قدرة على أن يتكلم وليس من حقنا حتى أن ندافع عن موقفنا .

٣٤ ــ كانت آخر أعمال الوزير ؟ تلك التى حدثت فى ندوة المجلات الادبية فى بيروت فى بداية شهر ديسمبر ، أن وسط الاستاذ عبد الرحمن الشرقاوى لدى الاستاذ لطفى الخولى للنقاش حول موضوع الكاتب ، ولما اعلن لطفى الخولى أنه غير مفوض للحوار مع الوزير حول الموضوع ، طلب الاجتماع به لتاييفه رسالة لاسرة الكاتب ، وقد عقد الاجتماع بالفعل وحضره الوزير ولطفى الخولى وعبد الرحمن الشرقاوى والكاتب اللبنانى كريم مروة ، وفيه أعلن الوزير استعداده لعودة مجلس تحرير الكاتب باجمعه الى العمل [وهو المجلس الذى كان يراه غير قانونى] ، وقال أن المشكلة هى أنه لايستطيع أن يتخلى عن صلاح عبد الصبور الذى ساندة فى المعركة .. وأنه لا يباتع أن يعود مجلس التحرير للعمل مع صلاح عبد الصبور . على أن ينضم احمد عباس صالح الى المجلس ، وتصور لطفى الخولى أن اقناع صلاح عبد الصبور بالتخلى عن منصبه ليست مشكلة ؟ ولكنه أصر على البقاء به عندما فاتحه الاستاذ الشرقاوى فى ذلك . ومن الواضح أن تلك مناورة قصد منها اجهاض أية محاولة لاثارة المشكلة التى كان الوزير قد استعد لها باخذ البيان المنشور هنا معه ، واخذ صلاح عبد الصبور ، ومعه امداد من الكاتب التى صدرت بعد استحابتنا مطلا على تقديمتها !! والبيان كما ذكرنا ملىء بالمغالطات التى شرحناها فيما سبق .

٣٥ ــ ان الوضع الراهن لمشكلة الكاتب لم يتغير من وجهة نظرنا .. فليس بيننا وبين الوزير أية ضغائن شخصية ونحن نرى أنه قد صفى منبرا للفكر اليسارى واستبدله بمنبر كشفت الايام عن طبيعته وسوف تكشف عن طبيعته . ونرى أن ديمقراطية الثقافة فى مصر قد انتهكت وتنتهك ، والحد الادنى من مطالبنا ما زال هو نفسه كما شرحناه فى البند رقم ١٨ من هذا البيان .

٣٦ ــ اننا اذا كنا نقبل النقاش الديمقراطى حول المعركة ، فنحن نرى أن هروب السيد الوزير من الرد على كل الوقائع السابقة واصراره على التلويح بفقرة فى مقال أصبحت الان أمام القضاء ، هو اقرار بصحة كل ما ذكرناه .

« أسرة تحرير الكاتب »

شهدى عطية

حياة وموت مناضل

تنشر « الطليعة » الوثائق الرئيسية فى قضية المناضل شهدى عطية الشافعى ، الذى اعطى حياته لمصر ولكل الشعب .

لقد كانت قضية شهدى واحدة من قضايا النضال من اجل الوحدة الوطنية ، وحدة كل قوى التقدم والديمقراطية ، المعادية للامبريالية والصهيونية والرجعية ، ولدعم المسار الوطنى الديمقراطى لثورة ٢٣ يوليو .

وهى قضية النضال ضد اسلوب التعذيب الذى نرفضه ، ونرفض استخدامه ضد اى انسان ، وضد اى اتجاه . هى قضية من قضايا النضال من اجل حقوق الانسان وسيادة القانون ، وسلطة المؤسسات الدستورية والديمقراطية والشعبية . وفى الوقت نفسه نرفض أن نعمى ابصارنا فنجعل من قضية التعذيب الحائط الذى تبكى عليه ، وتنوح القوى التى تحاول ادانة كل التاريخ الايجابى لثورة ٢٣ يوليو .

لقد كان النضال من اجل الوحدة الوطنية والديمقراطية لجماهير الشعب ومن اجل سيادة القانون ودولة المؤسسات ، نضالا ضاريا ضد مخططات الامبريالية وجيوب الرجعية والقوى المضادة للثورة والتى طالما دفعت الاسافين لتفرق الصف الوطنى الديمقراطى التقدمى . لقد كان نضالا قاسيا له مناضلوه وضحاياه وشهداؤه ، وكان واحدا من هؤلاء : شهدى عطية الشافعى .. الذى عاش ومات مناضلا من اجل مصر المستقلة الوطنية الديمقراطية .. مصر الاشتراكية .

« الطليعة »

١ ــ **شهدى عطية الشافعى** : رائد من رواد حركة التحرر الوطنى المصرية ، بآفاقها الاشتراكية منذ الاربعينات . فبعد عودته أثناء الحرب العالمية الثانية من انجلترا ، وبعد أن حصل على درجة الماجستير فى الادب الانجليزى ، شارك فى تاسيس دار الابحاث العلمية ، وهى الدار التى قدمت لمصر عددا كبيرا من المثقفين والعلماء الوطنيين والمناضلين من أجل تحرير وطنهم وشعبهم من الاستعمار والاستغلال الاقطاعى والرأسمالى .

٢ ــ **وفى عام ١٩٤٥** : صاغ شهدى برنامجا للحركة الوطنية ، صدر فى كتيب بعنوان : « **اهدافنا الوطنية** » . وفى هذه الفترة قام شهدى بترجمات للعديد من كتب الفكر الاشتراكى العلمى ، منها الاشتراكية العلمية والخيالية ــ لانجلز ــ وقام بدور بارز وطليعى فى نشر الفكر الاشتراكى والمساهمة فى قيادة الشباب الثورى للمساهمة فى الحركة الوطنية الجماهيرية التى أخذت فى الصاعد عقب الحرب العالمية الثانية ضد الاحتلال البريطانى ،

فتاد مجموعة من الشباب الاشتراكى ، كان لها دور بارز فى تأسيس اللجنة التحضيرية للجنة الوطنية للطلبة فى صيف عام ١٩٤٥ .

وكان من بين هذه المجموعة **جمال خالى** ،**وسعد زهران** ، **وجمال شلبى** ، **وعبد المنعم الغزالى** ، **ومحمد الجندى** ، **وفاطمة زكى** ،**ولطيفة الزيات** .. ثم كان له دوره القيادى فى التحضير لقيام اللجنة الوطنية للطلبة والعمال ، والتى قادت يوم ٢١ فبراير عام ١٩٤٦ ، يوم النضال الكبير ضد الاحتلال البريطانى .

٣ ــ وعندما شن « **اسماعيل صدقى باشا** » ، صاحب مشروع صدقى ــ بيفن حملته الصليبية ضد الحركة الوطنية ، كان شهدى ممن صدر الامر باعتقاله ، ولكنه تمكن من الاختفاء لمدة ثلاثة شهور .

٤ ــ وعندما عاد الى الحياة العلنية ،عاد العمل من اجل بناء جريدة جماهيرية للاشتراكية ، تكون منبرا للعمال والفلاحين ،فصدرت جريدة الجماهير عام ١٩٤٧ والتى كان يرأس تحريرها محمود النبوى ، وكان المسئول الفعلى عنها هو شهدى . وعرفت الجماهير حينئذ بمقالات الشهيد العنيفة ضد الاستعمار وعملائه [وثائق ٧ ، ٨ ، ٩ ، ٤] .

٥ ــ واعتقل شهدى فى آخر عام ١٩٤٨ وقدم الى المحاكمة ، فصدر الحكم ضده بالاشغال الشاقة سبع سنوات . لقد كان شهدى واحدا من الذين ناضلوا بصلابة ضد الملكية ، ونظامها الاقطاعى العميل والتابع للاستعمار ، وعندما طالبه والده بأن يقدم التماسا الى الملك ، قال له السجن احب الى من حياة الجبناء . وخرج من السجن فى عام ١٩٥٥ ، وكانت ثورة ٢٣ يوليو تخوض معركة عنيفة ضد الاحلاف العسكرية ، وضد حلف بغداد ، فصدر لمكتابه « أمريكا والشرق الاوسط » .

وتبين شهدى ، خط التطور الرئيسى لثورة ٢٣ يوليو ، باعتبارها وطنية معادية للاستعمار ، تستهدف قيادتها المتمثلة فى جمال عبد الناصر ، تحرير الوطن من كل سيطرة استعمارية ، محدد موقفه ــ الذى ظل ثابتا عليه حتى لحظة استشهاده ــ من ثورة ٢٣ يوليو . وهكذا ركز نضاله على جبهتين .. **الاولى** : ضرورة وحدة كل القوى الوطنية والتقدمية .. **والثانية** توحدة كل فصائل الاشتراكية العلمية ، حيث كان الانقسام يمزق صفوف الماركسيين .

٦ ــ وفى عام ١٩٥٦ ، وبعد تأميم قناة السويس ، شارك شهدى فى الكتابة فى جريدة المساء بمقالات وابحاث ودراسات .وخلال العدوان الثلاثى ، انخرط فى المقاومة الشعبية . وفى هذه الفترة افتتح مكتب مصر للترجمة والنشر ، ونشر كتابه « **تاريخ الحركة الوطنية** » ، ونشر روايته « **حارة ام الحسينى** » ، على حلقات فى جريدة المساء .

٧ ــ وفى عام ١٩٥٨ ــ وبعد شهور من قيام الوحدة المصرية ــ السورية ، وقيام الثورة العراقية ، وسقوط حلف بغداد ،تمكنت القوى الاستعمارية والرجعية من أن تحدث الفرقة فى الصف الوطنى الديمقراطى وابتداء من عام ١٩٥٩ ، شهدت المنطقة صراعا داخليا عنيفا داخل صفوف القوى الوطنية ، وشنت اعنف حملة ضد الشيوعيين المصريين ، وكانوا قد انضموا فى يوليو عام ١٩٥٨ ، بعد اتحادهم فى فبراير عام ١٩٥٨ .

٨ ــ ودخل شهدى السجن مع المئات من المثقفين والعمال والفلاحين فى اول يناير عام ١٩٥٩ . ولم يفقد شهدى الرؤية الموضوعية لواقع الحركة الوطنية المصرية والعربية ، وان ثورة ٢٣ يوليو بقيادة **الرئيس جمال عبد الناصر** ، ثورة وطنية معادية للاستعمار ، تتطور نحو آفاق الثورة الوطنية الديمقراطية ، وخاصة بعد تصحيرها للاقتصاد المصرى ، اثر المواجهتهم الامبريالية العالمية عقب تأميم قناة السويس ، واقامة الوحدة المصرية ــ السورية . وفى اللحظة التى تسلم فيها شهدى وزملاؤه قرار الاتهام ، والذى يمتد ضاء بقدمون الى محكمة امن دولة عليا ، لم يفقد ــ باعتباره المتهم الاول ــ الرؤية الموضوعية ، وضرورة الاستمرار فى المطالبة باعادة الوحدة الى الصف الوطنى والعربى ، فكتب من داخل السجن رسالة وجهها الى **الرئيس جمال عبد الناصر** ، اكد فيها شهدى ان حملة العداء للشيوعية لم

زملاء الشهيد مع اسرته بعد الافراج عنهم

نكن الا من تدبير القـــوى الاســـتعمارية والرجعية ، لاضعاف جبهة التحرر الوطنى العربى [الوثيقة رقم [٢] .

وعندما مثـل أمام محـكمة أمن الدولة العليا فى الاسكندرية ، القى شـــهدى كلمة افتتاحية فى جلســة الثلاثاء ٨ مارس عام ١٩٦٠ ، جاء فيها :

« واجب كل وطنى أن يؤيد هذا الحكم ، هـــذا واجب كل وطنى مخلص . والتـــأييد صادر لا عن مطمع ولا عن خـــوف . ولم اطلب ابدا ثمنا لهذا التأييد وقمت بالواجب من كل اعمـــاقى كمواطن مخلص شريف ، ولا عن رهبة ولا عن خوف ، وسبق اعتقالى والحكم على بالاشغال الشاقة . وجاء لى والدى وقـــال ممكن الســـعى الى تخفيف الحـــكم ، فقلت له الســـجن احب الى من اعمال الجبناء . فتأييدى للحكم صـــادر من قلب خالص وساستمر فى تأييده حتى ولو قدر الحـــكم على ، وكل نظـــام فيه عيوب ونواقص ، والكمال من صفة الله وحده » .

وقال فى نفس الكلمة :

« هل أحـــاكم لمجرد اعتنـــاق المبـــادىء الشيوعية كوصف الادعاء ، وحتى لو ثبت للمحكمة بانى اؤيد النظام وانى لا أســـعى لقلبه .. هل أحاكم اليوم لمجرد هذا المبدأ ؟ .. مستحيل لان مفيش دولة تحاكم من اجل المبدأ ، والرئيس جمـــال عبد النـــاصر قال لا يمكن أن تكون محـــاكمة لمجرد اعتنـــاق مبدأ » .

وقال للمحكمة : « والنيـــابة مثلا كانت تسألنى : صحيح انت بتأيد الحكومة اليوم انمـــا بكره حتعمل ايه ؟ .. وكأنها بكره شـــاغلة الاذهان . وقالوا ان كل الثورات الشيوعية قامت على القوة .. اقـــول : لم تقم ثورة ضد حكم وطنى ، وكل ثورة قامت ضد حكم رجعى خائن ، وعمر الثورة ما كانت ضـــد حكم وطنى » .. وقال : « والمهم الا يلجأ الحزب الشيوعى الى القوة فى ظـــل حكم وطنى ، والخلاف لا يمكن أن يخرج عن الوحدة الوطنية » .. ثم قال : « أن المسئول عن هذه الازمة هو الاستعمار والصهيونية .. والخلافات البسيطة استغلها الاستعمار والقوى الرجعيـــة لتكيل للجمهورية العربية المتحـــدة لاثارة الشـــكوك والمهاجمـــات ، والجمهورية العربية ستنتصر برغم الشكوك وسيصفو الجـــو ضد الاستعمار والصهيونية والعدو الداخلى والسحب القاتمة لابد أن تنقشع ، وتشرق الشمس من جديد » [من ٢٣٤ وما بعدها من محاضر جلسات المحاكمة] .

٩ ــ ورغم هذه الرؤية الوطنية الواضحة وهى رؤية اتسمت بموضوعية تحلى بها المناضلون الذين كانوا يعانون تمنيعا وحشيا فى سجون عديدة : أوردى ليمان أبو زعبل معتقل العزب بالفيوم ، سجن الواحات ، سجن القلعة ، حيث سالت دماؤهم واصابتهم عاهات وأمراض ، واستشهد عدد من خيرة المناضلين مثل د . فريد حداد ورشدى خليل : وعثمان الديب وسيد أمين . كما كان قد اختفى المناضل محمد عثمان بعد القبض عليه وتعذيبه .

١٠ ــ لقد كانت رؤيتهم الموضوعية ــ ورغم كل خلاف داخلى بين مفوفهم ــ ان ثورة وطنية معادية للاستعمار وعملائه يقودها جمال عبد الناصر ، وأن حماية هذه الثورة والاستمرار بها ، والتحول بها الى البعد الديمقراطى ولصالح الجماهير الشعبية الكادحة ، انما تتحقق بالوحدة الوطنية ، وحدة كل فصائل الثورة المصرية ، وبتحقيق المزيد من الحرية لجماهير الشعب ، هذا فى نفس الوقت الذى كانت تعمل فيه قوى الرجعية ضد اى تطور وطنى ديمقراطى للثورة يحقق وحدة كل فصائلها بما يعنى الاضرار بمصالحها ووجودها . وانه لتعطيل مثل هذا التطور لابد من اثارة الانقسام والخلافات بين قوى الثورة الوطنية الديمقراطية ، سواء على نطاق حركة التحرر المصرية أو حركة التحرر العربية ، وتغذية هذه الانقسامات والخلافات تحت مظلة الشعار الرجعى التتارى : « مكافحة الشيوعية » .

١١ ــ وانتهت محاكمة شهدى وزملاؤه ، ومن قبل كانت قد انتهت محاكمة فئة اخرى ، كان على رأسها د . فؤاد مرسى وزملاؤه ، وقد رحلوا الى اوردى ليمان ابو زعبل ، حيث يلقى مئات من الشيوعيين والوطنيين الديمقراطيين المعتقلين دون محاكمة ، تعذيبا متواصلا منذ أكثر من سبعة شهور .

١٢ ــ وليلة الخامس عشر من يونيو عام ١٩٦٠ ، نقل شهدى وزملاؤه الى اوردى ليمان ابو زعبل ، واعد لهم استقبال خاص بدأ مع فجر يوم ١٥ يونيو عام ١٩٦٠ ، تحت اشراف اللواء اسماعيل هيت والعقيد الحلوانى والعقيد عشوب . والرائد صلاح طه والرائد حسن منير والضابط عبد اللطيف رشدى ، ويونس مرعى ، ومرجان اسحاق وعبد الفتاح هندى ، وكمال رشاد والصول احمد مطاوع . كما اشرف على التعذيب الطبيبين د . احمد كمال أبو العلا ، و د . البير نهمى ، وعدد كبير من قوة الاوردى وحراسه .

١٣ ــ وكانت كل أدوات التعذيب معدة .. المعى والكرابيج والحبال وقناة مملوءة بالمياه لاغراق المعتقلين فيها ، و « عروسة الجلد .. وبدأت عملية ضرب مركزة ومخططة .. ومن بين صفوف المعتقلين اختار شهدى وحده ليركز الضرب عليه .. وخلال عملية من عمليات الجلد استشهد شهدى داخل الاوردى . وعندما سقط شهدى كان شهيد الجميع ، فقد افتدى بحياته كل زملائه الذين عاشوا شهورا طويلة خلف جدران هذا السجن الرهيب ، يتلقون الوانا عديدة من التعذيب .

١٤ ــ ولم تكن دماء شهدى قد جفت بعد .. وعلمت زوجته بالخبر بعد ساعات من استشهاده ، فكتبت لتوها برقية الى الرئيس عبد الناصر ، وكان فى زيارة ليوغوسلافيا ، ووجه الصحفيون سؤالا الى الرئيس عبد الناصر فى مؤتمر صحفى عقد خلال زيارته عن استشهاد شهدى عطية الشافعى نتيجة التعذيب الذى لقيه ويلقاه المئات من الشيوعيين المصريين داخل السجون . ومن بريونى ، اصدر الرئيس عبد الناصر أمره بالتحقيق ، وبدأت النيابة تحقيقها . وكشفت النيابة المحاولة الزائفة للمسئولين عن المعتقل لاخفاء الحقيقة ، وسجلت النيابة الحقيقة كاملة .. الحقيقة التى كشفت عن وحشية التعذيب الذى لقيه شهدى وزملاؤه وكل معتقل كان خلف جدران هذا المعتقل .. [الوصف التفصيلى لعملية التعذيب ، من الفقرة ٧ الى الفقرة ٢٠ من مذكرة الدفاع الى المحكمة] .

١٥ ــ وفى يوليو عام ١٩٦٠ ، كتبت زوجة الشهيد رسالة الى رئيس محكمة امن الدولة العليا التى حوكم امامها شهدى وزملاؤه ، تطلب منه التحقيق مع المسئولين عن جريمة قتل زوجها [الوثيقة رقم [١] .

١٦ ــ وبعد الحادث جاء الرائد حسن منير ومعه زوجته وابنته الى زوجة شهدى ــ وقال لها الموت مكتوب على كل انسان والاستاذ شهدى مات كما يموت كل الناس وانه معرض للايذاء بسبب التحقيق فى هــذه القضية ــ وان الداخلية تريد أن تدفع لابنة شهدى اربعة آلاف جنيه ولها لفان من الجنيهات . فقالت لــه زوجة شهدى ــ ان دم زوجى لا يمكن أن تأتى أنت أو غيرك لتدفع ثمنه . انه ضحى من اجل الوطن والشعب ، وان الجرم الذى اقترفتموه يجب أن تعاقبوا عليه .

١٧ ــ وفى فبراير عام ١٩٦٨ ، اقامت زوجة الشهيد ، وبصفتها وصية على ابنتها حنــان ، دعوى تطلب فيها التعويض عما لحقهــا وابنتهــا من ضرر . وتولى اقامة الدعوى والدفاع أمام القضاء المحامى احمد الخواجه ، ونقيب المحامين حينذاك [الوثيقة رقم ٣] .

١٨ ــ وطلب الدفاع ــ ضم تحقيقات النيابة منذ أول جلســة نظرت فيها القضية بتاريخ ١٩٦٨/٢/٢٩ ، واستمر تأجيل نظر القضية حتى قدمت صورة خطية غير كاملة تحقيقات النيابة بجلســة ١٩٧٤/١/١٠ ، ازاء اصرار المحــكمة على ضرورة ضم التحقيقات التى اجرتها النيابة العامة . وقد اتضح للمحكمة بعد ضم التحقيقات من كتاب مدير منطقة ابى زعبل الى مدير مصــلحة السجون « رقم ٢٥٠ سرى » ، ان الصورة المقدمة كانت لدى مصــلحة السجون من ١٩٦٠/١٠/١٢ ، ومع ذلك لم تقدمها الا بعد ست ســنوات من رفع الدعــوى ، محاولة منها فى اخفاء معالم تلك الجريمة . [الفقــرات ١ ، ٢ من مذكرة الدفــاع ــ الوثيقه رقم ٣] .

١٩ ــ ولا شك أن توفر ظروف جديدة للقضاء فى ظل سيادة القــانون ، ساعدت على ظهور تحقيقات النيابة ، والتى كشفت عن الجريمــة البشــعة .. [الفقرة ٢٢ والفقرة ٢٤ من مذكرة الدفــاع ــ الوثيقة رقم ٣] .

وفى ٢٨ فبراير عام ١٩٧٤ ، أصــدرت المحكمة حكمها التمهيدى ، والذى فيه حددت جلســة للتحقيق فى ١٩٧٤/٥/١٦ ، وفى جلسة ٦ يونيو ١٩٧٤ ، اســتمعت المحكمة الى شــهود حضروا الواقعــة وعذبوا مع الشهيد وهم : عبد المنعم الغزالى الجبيلى وعبد العــزيز محمود الصــباغ ، وعادل محمود حسين ، و د . ســعد الدين أحمد بهجت ..

٢٠ ــ وفى ٢٨ نوفمبر الماضى ، وبعد ان اســتمعت المحكمة الى مرافعة الدفاع عن زوجة الشــهيد وابنتها حنــان ، ومرافعة الخصوم ، أصدرت حكمها ، الذى جاء فيه :

« وحيث انه فيمــا يتعلق بموضــــوع الدعوى ، فقــد ثبت فى يقين المحــكمة ان رجال النشرطه و رئيس ليمان أبو زعبل نائبى المدعى عليه الثانى بصفته ، قد تجردوا من القيم الانســانية والاخلاقية حسبمــا ذكر شهود المدعيــة ، الذين تطمئن الى اقوالهم المحــكمة ، نظرا لمركزهم القانــونى ، مما لا ينطرق معه الشك فى صــدق اقوالهم ، واعتدوا بالضرب المبرح على مورث المدعية عن نفسها وبصفتها ، واتخذوا معه صنوف العــذاب التى لا يقرها شرع أو قانــون ، ولا يحــكمها دين أو خلق ، وتجــردوا من آدميتهم فى الانتقــام من هــذا المخلوق الضعيف الذى ساقه القدر الى قلوب غلاظ تجردت من معانى الخلق وقيم الانســانية وانقلبوا وحوشا آدمية انتهزت فرصة وقوع فريستها الضــعيفة بين أيديهم مجردا من الحول والقوة ، وارتكبوا معه من صــنوف العــذاب والوان التعــذيب ما تقشعر منه النفس ويشيب من هوله البدن ، حتى سقط ذلك المخلوق الضــعيف صريع هــذا الظلم القسوة بين هــذه الايدى الآثمة ، لا لذنب جناه الا جريمة رأى لم يفصــل فى ارتكابه لها بعد » .. [الوثيقة رقم ٤] .

وهكذا ، كتب القضاء المصرى بحكمه فى هذه القضية صفحة من صفحات ســيادة القانون ، وانتصر لنضــال الانسان المصرى من أجل حريته ، حرية فكره وحرية جسده من أى اضطهاد أو ارهاب أو قسر ، وادان العناصر والاجهزة التى فى ظل ظروف غياب الديمقراطية انتهكت كل حرمة وقدســية ، مستهينة بكل قيم العدالة والانسانية ، طالما

انهـا فى ظـل غيبة الحركة الجماهيرية والديمقراطية يمكنها ان ترتكب البشع من الجرائم دون ان يكشف الغطاء عن جرمها .

٢١ ــ ومن المهم ان نسجل هنا ان نشر وثائق قضية الشهيد شهدى عطية الشافعى اليوم ــ وهى قضية حركت مبكرا منذ فبراير عام ١٩٦٨ ، ليس هدفه التشهير بالنظام الوطنى لثورة ٢٣ يوليو المعادى للامبريالية والصهيونية ، انما الهدف منه هو التنبيه الى ان قوى الرجعية والظلام المغشوشة فى مراكز هامة فى السلطة، لايمكن ان تكون هى التى تتولى مسئولية الدفاع عن الثورة وحمايتها ــ فهى بحجرها على حرية الانسان وعدوانها على حرية فكره وحقه الطبيعى فى التعبير عن رأيه ــ انما تخلى الميدان من كل القوى الثورية والتى تشكل الحماية الحقيقية للثورة ، وحرية حركتها هى الضمان الرئيسى لان تكون الثورة معبرة عن الشعب الكادح ، ومستمرة .. ان وجود مثل هذه القوى والعناصر الارهابية والكارهة لاى حرية للانسان ، يمثل دائما الوجود المضاد للثورة ، وهى رصيد رئيسى لاى انتكاسة بالمكتسبات والمنجزات التقدمية التى تحققت خلال الاعوام الماضية التى بدأت بليلة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ، وهى الحماية لكل فساد وانتهازية ونمو طفيلى .

٢٢ ــ هذا .. وان تقديمنا لاوراق قضية شهدى عطية الشافعى ، لا يشكل ، ولا يجب الا يشكل رؤية لقيادة الرئيس عبد الناصر لحركة الثورة المصرية ، من خلال حوادث التعذيب والارهاب .. فرؤيتنا الموضوعية والثورية لهذه القيادة تجعلنا نسجل المعارك التى خاضها وقادها فى مجال الاصلاح الزراعى ، ومحاربة الاستعمار القديم والحديث ، هزيمة حلف بغداد ، والعدوان الثلاثى الامبريالى الصهيونى ، وتمصير الاقتصاد المصرى ، واجراءات الثورة الاجتماعية فى عام ١٩٦١ واقامة التحالف والوحدة بين حركة التحرر الوطنى العربية وحركة الثورة العالمية ضد الاستعمار والرأسمالية ، واقامة اسس ودعائم الصداقة المبدئية مع المعسكر الاشتراكى والاتحاد السوفيتى .

ان ادانة تعذيب الانسان المناضل من اجل فكره ، ومن اجل حقه فى التعبير عن نفسه ، هى رفض بشرى فى القرن العشرين لحيوانية سادة المجتمع العبودى ، ولقهر ملوك وأمراء واقطاعيو العصور الوسطى ، المظلمة ، ودموية غزوات النهب والسلب والاستغلال الاستعمارية للرأسمالية ، والتى فاقت كل تصور فى ظل النازية والفاشية .

وانه ــ رغم هذه النقطة السوداء فى مسار ثورة ٢٣ يوليو ــ فاننا لا يمكن ان نطمس البناء الوطنى والتقدمى الذى شادته هذه الثورة ، وانما هى تحفز كل القوى الوطنية على ادانة العناصر التى مارست التعذيب باعتبارها عناصر مضادة لثورة ٢٣ يوليو نفسها ، واصحاب المصالح الاستغلالية القديمة من اقطاعيين ورأسماليين واستعماريين ، وكذلك أصحاب المصالح الجدد من انتهازيين وبيروقراطيين ورأسماليين طفيليين ، الذين يريدون الانقضاض على ثورة ٢٣ يوليو ، بتصويرهم ان هذه النقطة السوداء هى ثورة ٢٣ يوليو والاثنين وعشرين عاما الماضية ، وهم فى ذلك ليسوا مخطئين فقط ، ولكنهم يقصدون الارتداد بمصر الى الوراء ، حيث كانت كل القدرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية تقطر سوداء . ان هذه النقطة السوداء يجب ان تزول لانها قيد على حرية حركة جماهيرشعبنا الكادح ، بعماله وفلاحيه ، وعلى استمرار الثورة المصرية التى قادها عبد الناصر الى آفاق ارحب واكثر تقدما ، من أجل دعم حرية الوطن اقتصاديا وسياسيا وعسكريا ، ومن اجل تعميق الثورة الاجتماعية ، لتأخذ الثورة مسارها الوطنى الديمقراطى ولتستشرف الاشتراكية

٢٣ ــ ان العناصر المسئولة عن تعذيب وارهاب العناصر التقدمية والديمقراطية والوطنية قد تأكد من خلال كل احداث قضية شهدى ، انها هى التى كانت تفجر دائما الصراعات وتفتعلها داخل قوى الثورة المصرية ، وتنفث روح العداء والصدام بينها وتسعى دائما بما تدبر وتدبج من تقارير سرية الى تضليل رؤية القيادة لفكر وحركة

ونشـــاط العناصر الاشـــتراكية والوطنية والديمقراطية . وهـــذه العنـــاصر والقوى ما زالت تحتفظ بمراكزهـــا ، وهى مراكز تساعد على اســـتمرارها فى القيـــام بهذا الدور الذى يخرب وحدة الصـــف الوطنى والديمقراطى والتقدمى .

وأكثر من ذلك ، فان العنـــاصر التى مارست الارهاب بكل صوره مازالت تتولى مسئوليات داخل الدولة ، بل من بينها على سبيل المثال من تولى مسئولية تربية أجيـــال من رجال الامن ، فالرائد [فى ذلك الحين] حسن منير ، تولى عملا هاما فى معهد أمناء الشرطة ، وتحقيق النيابة العامة قد كشف دوره فى التعذيب والارهاب ، وفى محاولته التى بذلها لتزييف الوقائع . والرائد صلاح طـــه ما زال يتولى الاشراف على الشئون العامة بمصلحة السجون . ومازال غيرهم فى مواقعهم . وان نقابة الاطباء يجب وأن تحاسب الاطباء من اعضائها الذين ارتضوا الاشراف على التعذيب أمثال الطبيبين أحمد جمال ابو العلا والبير فهمى .

ان هـــذه العنـــاصر يجب أن تنحى عن مراكزها ، حمـــاية لمســـار ثورة ٢٣ يوليو التقدمى ، ولمبدأ سيادة القانون ، ولاى بناء ديمقراطى يقام للتعبير عن مصالح الشعب الكادح ، العمال والفلاحون .

٢٤ ـــ وفى نفس الوقت فانه يجب ونحن نطالب بمحاسبة العناصر المسئولة عـــن التعذيب ان نسجل مواقف العـــديد مـــن المواطنين الذين ساعدوا على كشف الجريمة فى وقتها الجندى الذى نقل خبر الوفاة الى رفاق شهدى داخل السجن والى عائلته خارج السجن ، وجندى الحراسة الـــذى قال لشقيقة زوجة الشهيد لاتصـــدقوهم انهم قتلوه ، والطبيب الشرعى الذى رفض الخضوع للتهديد ورفض التصريح بالدفن لان هناك جريمة .

٢٥ ـــ لقـــد استشهد شـــهدى عطية الشافعى ـــ وكل الشهداء د . فريد حداد ، ورشدى خليل ، ومتولى الديب وسيد أمين ، ومحمد عثمان ـــ لانهم كانوا يرون أن الدعم الحقيقى لمسار ثورة ٢٣ يوليو ، انما يكون ويتحقق بمزيد من الديمقراطية لجمـــاهير الشعب الكادح ، العمال والفلاحين والمثقفين الديمقراطيين والثوريين ، ومزيد من الحرية والوجود الحقيقى للحركة المنظمـــة الواعية لهذه الجماهير .

عبد المنعم الغزالى

●●●

رســـالة حرم شـــهدى عطيـــة الى رئيس محكمة أمن الدولة العليا *

القاهرة فى ١٩٦٠/٧/١

السيد الرئيس

بقلب مفعم باليأس والخوف أتقدم اليك ، أيها الســـيد الرئيس ، لانى أنشد العدالة . والعدالة عندك وليست عند أحد غيرك ، وهذا هو اعتقادى فانت افضل من غيرك فى فهم ما انوى قـــوله .

قتل زوجى بطريقة وحشية ودنيئة وخالية من أية قيمـــة انسانية . وأنت أعلم منى بتفاصيل هـــذا القتـــل . وعلى الرغم من مأساة قتله فانها أقوى دليل على صحة ما كان ينادى به أثناء محاكمته . فزوجى لم يقتل لانه عنصر خطير ، أو مهدد لوطنه ، أو عدو النظام واهدافه . انه قتـــل وهو يدافع عن النظام وعن قائد هذا النظام ، بكل ما أوتى من قوة عقلية واخلاقية وروحية ، فى الست سنوات الاخيرة . وليس فى امكان أحد أن يرتكب هذا الجرم ســـوى أعداء النظام بهدف التلويث والتشويه .

فقد قبض على زوجى منذ عام ونصف وسبب له هـــذا القبض صدمة عظمى . ومع ذلك فقد تحمل هذا الظلم فى صبر وثقـــة ، لانه كان على يقين ، فى ظل هـــذا النظام

* الرسالة مترجمـــة عن الاصـــل الانجليزى .

حرم الشهيد

الثورى الذى كان يناضل من اجله ، من اثبات براءته ، وتأكيد وطنيته ، واقرار مساهمته فى تدعيم الوطن والثورة.

كان زوجى مناضـــلا فى احلك اوقات الملكية والاقطاع والاحتلال ، اذ ادى دوره فى شجاعة وبلا تقتير . وفى عهد الثورة ، كان مشاركا فى النضـــال من اجل تدعيم مكاسب الامة ومنجزاتها . كان زوجى على ايمان عميق ، وكان صاحب مبادىء راسخة . كان قلبـه مفعما بالمحبة وبعاطفة جياشة . عاش من اجل بلده ومن اجل بنى وطنه ليس على مستوى المشاهدة وانما على مستوى النضـــال الفعـــال .

ولست فى حاجة الى التدليل على عمق ايمانه بثورة ٢٣ يوليو ، وعلى مساندته لقائد هذه الثورة . وانا لا اسطر هذه الكلمات للدفاع عنه ، وانما للتعبير عن حقيقة افكاره . فهو لم يتردد لحظة واحدة او يتخلف عن المؤازرة والحمية . لقد كان مستعدا لاية تضـــحية مطلوبة ، بل كان مستعدا لبذل حياته ذاتها فى غبطة وابتهـــاج .

لقد عاملنى البعض على انى اجنبية ، منزوعة من حق الدفاع عن مبادىء زوجى الوطنية . ولكنى ولدت وتربيت فى مصر ، وكذلك كان أمر أبى وأمى . تربينا جميعا ، منذ طفولتنا ، على حب مصر وشعب مصر ، وعلى حب النضال العظيم لهذا الشعب من أجل الحـــرية . وقد كنت دائما معجبة بزوجى بسبب ايمانه بهذه المبادىء وما كنت افكر فى الزواج منه أو انجاب طفلة منه لو كان على خلاف ذلك .

وذات يوم دق جرس الهاتف واذا بصوت يدعونى الى الذهاب لاستلام جثـــة زوجى . ولم تستغرق هذه المكالمة سوى بضع ثوان حتى أعلم ان هذا الزوج الجبار والمثقف والمملوء ايمانا وأملا قد فارق الدنيا بلا رجعة . وفى لمح البصر انتهت حياتنا ، وتلاشت احلامنا ، وتبخرت امالنا .

كان فى امكانى ان اتحمل موت زوجى لو انه مات ميتة طبيعية ، فكلنا ، فى نهاية الامر ، الى فناء . وكان فى امكانى ان اتحمل لو انه سقط فى المعركة من اجل مبادئه لانه كان يعد نفســـه لمثل هذا السقوط . بل انـــه ما كان يأسف لو انه مات ميتة الابطال وهو يدافع عن وطنه وعن شعبه . اما ان يقتل فهذا ما لا يمكن ان اقبله او اتحمله . لقد عذبوه عن عمد حتى فارق الحياة باســـلوب وحشى ، فارقها وهو يعانى اقسى انواع الالام التى يمكن ان يتحملها انسان ، اقصد انه فارق الحياة بايدى نظـــام كان يؤمن به ويدافع عنه ، واقصد كذلك انه فارق الحياة فى الوقت الذى كان يرغب فيه فى تحقيق الغاية من وجوده ، وانجاز ما كان يقصد من نضاله الطويل والمرير .

قتـــل زوجى بلا رحمة فى ظل النظـــام الاشـــتراكى الديمقراطى الذى يقف فى صف العدالة والحرية . قتـــل ، ليس فى عهد الملك او فى ظل الاحتلال البريطانى ، ولكن فى عهـــد الثورة .

وانا لا اتهم الثورة ، ولا احملها مسئولية هذا الجرم . فانا الان ارملة وابنتى اصبحت يتيمة لا حول لها ولا قوة ، ومع ذلك فثقتى فى النظام لا تسمح لى بالاستسلام . وانـــا على يقين ان زوجى لم يتخل عن ايمانه الحى والعميق وهو يلفظ النفس الاخير .

وايا كان الامر ، فانـــا اعتقد ان هـــذا الجرم هو بقعة سوداء فى تاريخ الثورة ، وانه ضد مبادئها التى تناضل من اجلهـــا . واعتقد كذلك ان دم زوجى سيظل ملطخا ايدى الثورة حتى يقبض على القتلة ويتم محاكمتهم .

لست فى شـــك من ان زوجى قـــد قتل عن عمد ، وليس بالصدفة . والمجرمون الذين خططوا لقتلـــه كانوا يهدفون الى سحق مواطن مخلص . واغلب الظن انهم فى طريقهم الى سحق باقى العناصر الاخرى المخلصـــة التى ستنزع القناع عن الاعداء الحقيقيين والخونة .

كان زوجى رائدا لتيار تقدمى يدعم النظـــام ويقويه . والايدى التى قتلـــه هى الايدى السوداء التى تكره اى تقدم للنظام . ولكن ما يفوق تصورى ان يكون فى مستطاع هذه العناصر المخربة ارتكاب مثل هذه الجرائم والآثام فى ظل نظام ثورى . وما يفوق تصورى كذلك ان يكون فى امكان هذه العناصر تزييف التقارير الطبية وتخويف الاطباء حتى يتم دفن زوجى باقصى سرعة ، ويعلن بعد ذلك انه قد مات ميتة طبيعية . ان هذه العناصر على دراية بان احدا لن يعترض طريقها . وتأسيسا على هـــذه الدراية فليس ثمة حد ازاء تعطشهم لسفك دماء الوطنيين .

وما حدث هز كيانى كله ، ولكنه ما هز ايمانى فى بلدى وفى قائدى . بل وانى ســـاواصل المشـــاركة فى العمـــل البطولى الهادف الى حـــرية الشعوب العربية . وساعتبر دم زوجى والالام المبرحة التى كان يعانيها حتى الموت هو الثمن الذى ينبغى دفعه من اجل نزع القنـــاع عن اعداء الثورة ومن أجل سحقهم . وساشـــعر بتعويض روحى عن مأساتى فى اللحظة التى استطيع فيها ان اخبر ابنتى ان دم والدها لم يذهب سدى ، وان استشـــهاده قد طهر الامة من اعدى اعدائها .

روكسانى بتريدس

حرم شهدى عطيـــة الشافعى

مذكرة من شـــهدى عطيـــة الى الرئيس جمال عبد الناصر من داخـــل الســـجن

السيد الرئيس جمال عبد الناصر

انى اشعر يا سيادة الرئيس بقوة قاهرة تدفعنى دفعا الى الكتابة اليكم ، مهما تعرضت فى سبيل ذلك للمخاطر — نعم .. انى اعرف انى مقدم لمحكمة امن الدولة كالمتهم الاول فى قضية شيوعية [ولو ان جلستها لم تحدد بعد] .. ونعم انى ادرك ان الفصل فى امرى انما يجب ان يترك لهذه المحكمة . ولكنى اشعر ان قضية الوطن اكبر من كل شىء ، وان محاكمتى ليست مجرد محاكمة لفرد بتهمة يعاقب عليها قانون العقوبات .. انما هى اخطر من ذلك بكثير .. انها قضية مبدأ وقضية جزء من ابناء هذا الوطن ، هم من اخلص المؤيدين لزعامتكم الوطنية ولسياستكم التحررية ، وللاسس الاجتماعية والاقتصادية التى شيدتموها بموجب هذه السياسة ، ومع هذا فهم يوضعون اليوم موضع المحاكمة والاتهام ! ويا له من اتهام ! اتهام بقلب نظام حكم وطنى هم من اشد الناس حرصا عليه ، ومن اكثر الناس استعدادا لبذل دمهم دفاعا عنه .

والواقع ، ان القضية ليست قضية الشيوعية ، ولا المبادىء الشيوعية ولا حتى التنظيمات الشيوعية ، فقد كانت هذه موجودة كلها .. او مفروض وجودها على الاقل فى السنوات الثلاث ما بين ١٩٥٦ — ١٩٥٩ ، وهى مع هذا لم تكن تتعرض لمثل هذا الهجوم على نطاق واسع ، ولمثل هذه المحاكمات . وقد قرات قرار الاتهام بامعان ، فلم اجد اشارة واحدة ، ولو من بعيد ، تدل على انه نمى الى علم المباحث ان تغيرا مفاجئا قد تم فى خط الشيوعيين المصريين ، كان قرروا مثلا التحول من التاييد الى الهجوم ، او دعوا بشكل مباشر او غير مباشر ، خفى او ظاهرى الى قلب نظام الحكم القائم ! مجرد الدعوة الى مظاهرة او لاى تحرك من التحركات ، او حتى مجرد اثارة الخواطر .

وقد كان هذا تعبيرا ولا شك عن خلاف فى اوجه النظر بالنسبة للقضايا التى تشغل بال القومية العربية . قضية الوحدة السياسية وما يتصل بها .

وكان طبيعيا ان يحدث هذا الخلاف ، فاجزاء الوطن العربى مختلفة فى درجة تطورها الاقتصادى والسياسى والاجتماعى والفكرى . ومن ثم لم يكن شاذا قط ان تتعدد اوجه النظر وان ينشأ الخلاف ، كما ينشأ بين افراد الاسرة الواحدة . ولكن الامر الذى كان شاذا حقا هو ان يتحول هذا الخلاف الى خصومة وعداء بين حكومتين عربيتين حديثتين مستقلتين وان ينقسم القوى العربية الوطنية انقساما مشبعا بالعداوة والخصومة وروح الانتقام .

وما كان هذا ليحدث قط لو ان قوى رجعية لم تنتهز فرصة الخلافات ، لتضم فيها النار ولتضخم فيها ولتهول من امرها ، حتى يتحقق الانقسام فى الصف العربى والصف الوطنى — وقد كان الاستعمار واتباع الاستعمار وذيوله فى بلاد العرب على راس هذه القوى الرجعية . فان من كان يتتبع وكالات الانباء الغربية والصحف الغربية الاستعمارية ، والصحف التركية والاسرائيلية وغيرها ، كان يهوله الكذب والتهويل والتحريف .. الشيوعيون قد اصبحوا هم حكام العراق .. الشيوعيون العراقيون والسوريون قد اجتمعوا على فصل سوريا عن مصر وضمها للعراق .. المفاضلة بين نظامى الحكم فى العراق والجمهورية العربية المتحدة ، ايهما اكثر ديموقراطية والمفاضلة الرجلين جمال وقاسم وايهما اكثر معقولية بالنسبة للاستعمار ..

دعايات مسمومة كانت تنصب كلها على شىء واحد هو توسيع هوة الخلاف بين الجمهوريتين ، تحطيم كل مسعى لحل مشاكلهما سلميا ، تحطيم كل خطوة لتحقيق التضامن والاتحاد بينهما ، لان الاستعمار والصهيونية ، كانا يدركان جيدا — ان تمام التضامن والاتحاد بين الجمهوريتين انما هو انذار بالتصفية

النهائية الكاملة للنفوذ الاستعمارى فى الوطن العربى وانما هو ايذان بالقضاء التام على كل اتباع الاستعمار وافكاره فى الشرق العربى •

ولكن الاستعمار والصهيونية واذنابهما ، لم يكن ليكتفوا بالتفرقة والانقسام بين الجمهوريتين ، انما ارادوا ان يشعلوها ضراما فى الشرق العربى كله ، بأن تنقسم الصفوف الوطنية بين شيوعيين وقوميين ، يتطاحنون معا — ويضرب بعضهم بعضا ، حتى تتاح الثغرة للاستعمار والصهيونية فيضربا ضربتهما ، وحتى يشتد ساعد اتباع الاستعمار فى داخل الشرق العربى وتزداد سطوتهم تحت ستار مكافحة الشيوعية ، وحتى لو ارتفعت اصوات هؤلاء الاذناب تزعم ان الخطر الاستعمارى قد زال او اوشك ان يزول وان القضية الرئيسية هى لمن تكون السلطة ، ثم وعلى اى غرار يكون شكل الحكومة ، اتكون ديمقراطية شيوعية ام ديمقراطية وطنية ، لا شرقية ولا غربية !!

وقد كان الاستعمار وعملاء الاستعمار على المام كامل بالحقائق ، كانوا يعرفون جيدا ان الشيوعيين العراقيين لم يكونوا بالقوة التى يستطيعون بهـــا الاستيلاء على الحكم حتى لو فرض وارادوا ذلك ، وكانوا يعرفون جيدا ان الشيوعيين فى الاقليم المصرى من اشد انصار الحكم الوطنى اخلاصا ، واكثرهم دعوة للشعب للالتفاف حول زعامة عبد الناصر ، لا للجمهورية وحدها ، وانما للشرق العربى باسره • وكانوا يعرفون ان الشيوعيين حملة لواء الجبهـــة الوطنية المتحدة التى تضم العمال والفلاحين والمثقفين والراسماليين الوطنيين وصغار الملاك من اجل دفـــع الوطن الى الامام ، ومن اجل معركة البناء وهـــذا الامر كان يغيظهم اشد الغيظ ، ويؤلمهم اشد الايلام ، وعلى هـــذا كان الاستعمار وعملاؤه يدركون ان الشيوعيين المصريين ابعد ما يكونوا عن التفكير حتى مجرد التفكير — فى قلب نظام الحكم او الاستيلاء على السلطة •

ولكن الاستعمار وعملاءه كانوا يريدون باشعال نار الخلافات باثارة البغضاء والتشكك ، ان تتسع الحملة على الشيوعية ، فتخرج من نطاق العـــرب الى الشيوعية فى كل مكان ، فتعزل الجمهورية العربية المتحدة عن المعسكر الاشتراكى وعن عونه الادبى والمادى والسياسى والاقتصادى • فلا يبقى لها الا احد امرين — اما ان يخر الحكم الوطنى — وحاشا لله ان يفعل ذلك — راكعا امام الاستعمار ، واما ان يشتد بأس هؤلاء الاتباع فيقوضون الحكم الوطنى ، حين يتم انعزاله داخليا ودوليا ••

تلك كانت خطة الاستعمار وعملائه ولكن لم تكن هذه هى القوة الرجعية الوحيدة •• كان هناك الاقطاع على النطاق العربى ، وبقايا الاقطاع فى النطـــاق الداخلى ، كان هناك بقايا الباشوات الذين انزلت بهم الضربات تـــلو الضربات • وكانت هنـــاك الارستقراطية الجديدة التى ارتفـــع دخلها من ٧٠ الى ٧٠٠ جنيه فى الشهر الواحد والتى اخـــذتم تهددون — فى خطابكم الرائع بالمؤتمر التعاونى فى نوفمبر ١٩٥٨ — ان لم يرتدع افرادها ويفكروا فى مصلحة الوطن !

هذه القوى الرجعيـــة كلها كان من مصـــلحتها يا سيادة الرئيس — ان تشعل نار الخلافات ، وان تنفخ فى الحزازات لتحولها لهيبا • نعم • فقد كانت هذه القوى الرجعية تدرك ان سياسة الجمهوريتين العربيتين المتحررتين ، لم تكن موجهة ضد الاستعمار فحسب ، انما هى ايضا موجهة ضد الاقطاع ، وضد الاحتكار وضد سيطرة راس المال على الحكم ، وان اتحاد هاتين الجمهوريتين ايذان بتحقيق هـــذه السياسة كاملة ، اى ايذان بضرب الاقطاع ســـند الاستعمار على النطاق العربى • وانذار بتصـــفية بقايا الاقطاع فى الجمهوريتين ، وناقوس الخطـــر بالنسبة للاحتكار وكل اتجاه احتكارى ، مما يهـــدد مصالحهم ونفوذهم فى الصميم ، ومن ثم وزعـــوا انفسهم على النطاق العربى ، مابين متظاهر بتفضيل قاسم ، ومتظاهر بايثار جمال ! وكل يعمل على اشعال نار الخلاف ، واضافة الجديد من الوقود • كل يوغر صدر هذه القوى الوطنية على تلك ، ويعمل على الامعان فى تقسيم الصفوف • وكان ان اصطلحت هذه القوى الرجعية كلها ، ان توجه ضربتها الرئيسية للشيوعية والشيوعيين وخاصة فى الاقليم الجنوبى ، اولا حتى تتخلص من قوة من اشد القوى حرصـــا على تنفيذ سياسة عبد الناصر التحررية نصا وروحا — وهى السياسة التى تعادى مصالحهم — وثانيا حتى تحول انظار الحكم الوطنى والزعيم عبد الناصر عن الضربات التى كان يكيلها لها او التى كان يعتزم كيلها لها ، من حد للارباح ، وتخفيض لتكاليف المعيشة ، ومزيد من اخضاع القطاع الخاص للقطاع العام ، وتطهير الشركات والقطاع الحكومى من الجشـــعين والمبذرين والمرتشين ، ومن المضى فى التوســـع فى تطبيق الاصلاح الزراعى ، وثالثا حتى يتاح لها فى غمرة الحملة ضد الشيوعية ، ان تقـــوى نفوذها الاقتصادى والسياسى ، وان تضعف وتخرب التشريعات والتدبيرات التى اتخذت ضدها فى السنين الاخيرة ، وان يشتد باسها حتى تستطيع يوما ان تقول " لا ! لاى تشريعات جديدة موجهة ضدها ، او ان تحيلها حبرا على ورق بمجرد صدورها ، بل ان يبلغ بهـــا اشتداد البأس الى درجة اما ان تسيطر تماما على الحكم الوطنى او تهدمه من اساسه لتكون لهـــا السيطرة من جديد ، حتى ولو على حساب استقلال هذه الامة ، وكرامتها وحريتها ، حتى ولو اسلمت البلاد للسيطرة الاستعمارية والصهيونية •

هكذا كانت خطة الرجعية على النطاق العربى وفى النطاق الداخلى ، وقد تلاقت هذه الخطة تماما مع خطة الاستعمار والصهيونية

يا سيادة الرئيس :

انى عندما اتوجه الى سيادتكم بهذا الخطاب ، فانما اخاطبكم من الاعماق وبكل اخلاص وامانة • ها هى ٩ شهور قد مضت على بدء هذه الحملة ضد الشيوعية • فلنر حصيلتها على النطاق العربى •

هل ازالت الجفوة بين الجمهورية العربية المتحدة والعراق ؟ هل قضت على اوجه الخلاف بينهما ؟ هل مهدت السبيل لتحقيق الوحدة او الاتحاد او حتى للتفاهم بينهما ؟ والتضامن والاتحاد بين هاتين الجمهوريتين المتحررتين المستقلتين بالذات ، هو اليوم فعلا عماد التضامن العربى بأسره ، وركنه الركين وحصنه الحصين ؟

ثم ، الا ترى النظام الملكى فى الاردن هو الذى نوهت اركانه ، والنظام الملكى فى السعودية — الذى سبق ان تآمر على حياتكم الغالية — هو الذى نفثت اوصاله ، وان ابا رغوة لا زال ماضيا فى فيه ؟

ثم اثر حصولك هذه الحصانة فى نطاق الجمهورية العربية المتحدة ! الم يفز رجال حزب الشعب فى انتخابات الاتحاد القومى فى الاقليم الشمالى ، وكذلك فعل من هو حزب الشعب - الم يكن اقوى عميل فى سوريا لحلف بغداد ولنورى السعيد وللوحدة مع العراق الملكية ؟

الم تفز هنا طول الحزاب المحللة ومن رجـــال العائلات الاقطاعية فى انتخابات الاتحاد القومى فى الاقليم الجنوبى ، وكلنا يعلم انهم فى جوهرهم معادون للحكم الوطنى لانه قـد هـرمهم من كثير من نفوذهم السياسى والاقتصادى .

ثم .. الا تجد المعارضة تشد تذاركم الرائع الذى صدر بتحديد ارباح الشركات اوائل عام ١٩٥٩ ، وقانون التامين الاجتماعى .. بل الا ترى التخريب من كـــل مكان بالنسبة لقراراتكم الموفقة الاخيرة بتخفيض تكاليف المعيشة ؟

وتسال يا سيادة الرئيس حتى بالنسبة للمصالحة، من اكثر الجرائد اليوم توزيعا ؟ اليست اخبار اليوم التى تجتذب اليوم كثيرا من الصحفيين ، واتى كانت ايام الملك اشد الصحف ملكية ، وايام مشروع صدقى — بدلن اشد الناس عداوة بتوقيعه ، وايام المعركة المسلحة فى القنال اواخر ١٩٥١ اشد الصحف شتيمكا فى عائدة المعركة ، الا ترى يا سيادة الرئيس موقفها المتلج البارد من امريكا ونصيحتها الاخيرة بالنسبة لمشروع الجزائر ، وبالنسبة للمعاهدة فى القنال .

يا سيادة الرئيس :

ثم ماذا كان موقفنا نحن رغم اعتقالنا ، رغم كل مالاقيناه من عنف وارهاق ؟ الم تكن هذه محنـــة ما افسحها محنة ؟ ومع هذا لم تزعزعنا قيد انملة عن ثقة بوطنك ، وعن الثقة فى كزعيم هذا الشرق العربى .. ان سياستنا وميادئنا هى هى لم تتغير لتخلف الشعب حولك وحول حكمك الوطنى ، تحالف كافة الطبقات الوطنية من اجل تنفيذ برنامجك البنائى لتكاتف هذه القوى كلها فى داخل الاتحاد القـــومى وتحويله فعلا الى تنظيم فعال للشعب كله .

تاكيد وحدة مصر وسوريا التى هى الحصن الحصين للعرب كافة ، وادانة كل حركة انفصالية او اضعاف لهذه الوحدة باى شكل من الاشكال وحل مشاكلهـا على اساس من تمتها تدعيم الوحدة لا اضعافها .

ازالة الشقاق والجفوة بين الجمهوريتين ، وتنامى الاحقاد فى سرعة وحمـم ، ونهمد الجو للتفاهم بين الشقيقتين ، كخطوة لتحقيق الاتحاد بينهما مما يمهدبدوره للوحدة الشاملة العربية ، ونحن ننتظر من الدولة الاكبر وهى الجمهورية العربية المتحدة ، ومن الزعيم الاكبر وهو جمال عبد الناصر ، ان يكونا هما الارحب صدرا وهما الساعيان لازالة هذه الجفوة ، فالشقيقة الكبرى هى التى ينتظر منها الصبر والحكمة وازالة مخاوف الشقيقة الصغرى ، وليس فى هذا ما يغض من كرامتنا ولا مزقنا ، وانما فى هذا مايؤكد زعامتكم وقيادة الجمهورية العربية المتحدة باعتبارها الاقوى مالا وجيشا وموارد وغيرة .

تاكيد العلاقات الودية مع المعسكر الاشتراكى ، فكما اثبت لـه الصديق فى المحنة الماضية ، فقد استمر فى صداقته فى هذه المحنة القاسية ، ولم ينكر من الوقوف بصلابة ضد جرائرات الاستعمار والصهيونية ، بجميع الصف العربى كله ، والصف الوطنى جميعه ، واعداد ما نستطيع من قوة اقتصادية وقوة عسكرية لمواجهة اى عدوان او ضغط .

هذه هى سياستنا ، وهذا هو تطبيق ميادئنا وهى تنطبق تماما مع سياستكم الوطنية الثورية ، لاننا لسنا اليوم ولا فى السنين العشر القادمة بصـــدد تطبيق الاشتراكية ، وانما نحن اليوم بصدد استكمال ما بدأته ثورة ٢٣ يوليو ، وتحرير الوطن العربى من الاستعمار ، وتحرير اقتصادنا من مخلفات الاستعمار وارساء قواعد اقتصادنا من مخلفـــات الاستعمار وارساء قواعد الديمقراطية فى اطار التحالف الوطنى لكافة القوات الوطنية .

ما سيادة الرئيس :

الم يحن الوقت والاستعمار يتاهب مرة اخرى لنسا ولشقائنا بحجة كفالة حرية المرور للسفن الصهيونة والاستعمار ماض فى غيه بالنسبة لشقيقتنا الجزائر ، والاستعمار ماض فى استخدام ضغطه الاقتصادى ان يلتقم الصف الوطنى والصف العربى فى سرعة وحسبوان نزال الجفوة بين العراق والجمهورية العربيـة المتحدة فى قوة وشجاعة ، وانكم تستطيعون هذا ، بل انتم وحدكم تستطيعون هذا ، بوقف محاكمتنا ، ووقف هذه المحلة بالافراج عنا ، حتى نشعر كافة القوى الديمقراطية وجميع القوى الشعبية (حتى غير الشيوعية) بشروق الشمس وتبدد السحب القاتمة التى حجبت نورها طوال هذه الشهور التسع .

وهل لى يا سيادة الرئيس ان اطمع فى ان تعجلبمندوب نطيق الله من قبلكم لسنطيع ان اقضى اليه بمكنون قلبى . ما اتشكر الذى لا استطيع ان احطوهنا فى خطلب لا ادرى فى اى يد قد يقع .

ونفضلوا سيادتكم بقبول اخلص تحياتى واصدق تمنياتى .

شهدى عطية الشافعى

سبتمبر ١٩٥٩

مذكـــرة الدفـــاع

محكمة جنوب القاهرة الابتدائية
الـدائرة الرابعـــة المدنيـــة

مذكـــــرة

بدفاع :
السيدة / راوية شهدى بتريدس عن نفسها وبصفتها مدعية
ضـــــد :
السيد / مدير مصلحة السجون والسيد / وزير الداخلية
مدعى عليهما
فى القضية رقم ٤١٦٥ لسنة ١٩٧١
المحجوزة للحكم بجلسة ١٩٧٤/٢/١٤ .

١ ـ منذ أن نظرت هـــذه القضية فى أول جلسة فى ١٩٦٨/٢/٢٩ وهى تؤجل لضم التحقيقات التى كان يمتنع المدعى عليهما عن تقديمها الى أن تم تقديم صورة خطية غير كاملة منها بجلسة ١٩٧٤/١/١٠ وأن اصرار المحكمة الموقرة على ذلك اتضح من المرفق رقم ١٤٩ منها وهو كتاب مدير منطقة أبى زعبل الى مدير مصلحة السجون رقم ٢٥٠ سرى أن تلك الصورة المقدمة كانت لدى المدعى عليها الاولى من ١٩٦٠/١٠/١٢ ومع ذلك لم تقدمها الا بعد ست سنوات من رفع الدعوى محاولة منها فى اخفاء معالم تلك الجريمة المسئولة عنها .

٢ ـ وبالرغم من النقص الواضح فى تلك الصورة المقدمة وتقديمها على ذلك النحو غير المرتب الذى اختلطت فيـــه محاضر التحقيقات ببعضها ، فان ذلك لم يمنع من استخلاص حقيقة تلك الجريمة البشعة التى ارتكبت فى حق الشهيد شهدى عطيه الشافعى ، زوج المدعية ووالد ابنتها المشمولة بوصايتها وهى جريمة الضرب الذى افضى الى الموت ، من زبانية المدعى عليهما من ضباط وجنـــود معتقل الاوردى بحضور كبار المسئولين بالمصلحة . فى صباح يوم الاربعاء الموافق ١٩٦٠/٦/١٥ .

٣ ـ وسنحاول الاشارة الى تلك الوقائع من خلال هذه الاوراق حسب أرقامها المسلسلة المدونة باللون الاحمر أعلا كل منها ، وان كان تسلسل هذه الارقام لا يتفق وتسلسل محاضر التحقيق .

٤ ـ وقد حاول المسئولون عن معتقل الاوردى اخفـــاء معالم الجريمة بعد وقوعها عندما ظهر من تشريح جثة الشهيد أن سبب الوفاة هو هبوط فى القلب بعد اصابات رضـــية عديدة منتشرة بجميع الجسم وصدمة عصبية ، فانتقل مأمور المعتقل الرائد حسن محمود منير محضرا بتاريخ ١٩٦٠/٦/١٧ [المرفقات من ١٤٢ ـ ١٤٤] استمع فيه الى اقوال بعض الزبانية وهم النقيب عبد اللطيف رشدى والصول احمد مطاوع والعريف عبد الحليم سعد والممرض أمين حسين قنـــديل والسجان عابد محمد محمد عابد والنقيب يونس مرعى ، ليصوروا الواقعة على انها قضاء وقدرا وان الشهيد حضر الى المعتقل فى صباح يوم ١٩٦٠/٦/١٥ فى حالة انهـــاك وأن المأمور ادخله المستشفى وصرف له الادوية والحقن اللازمة وتحسنت صحته بعض الشىء الا انها ماتت فى صباح اليوم التالى ، وانه طلب مقابلة المأمور ولما مثل امامه سقط فجأة وتدحرج على السلم المكون من سبع درجات فادخل المستشفى وفحصه الطبيب واسعفه ولكن القدر كان أسرع .

٥ ـ ولما شرعت نيابة الخانكة فى التحقيق [مرفق ١٣٧] فى اليوم التالى وهو ١٩٦٠/٦/١٨ أصر هؤلاء الجناة على اقوالهم فى ذلك المحضر المفتعل الذى حرره مأمور المعتقل بل انهم امعانا فى اخفاء الحقيقة يقرر احدهم وهو الصول احمد مطاوع أن الشهيد حضر الى المعتقل بمفرده ولم يكن معه معتقلون آخرون [مرفق ١٢٨] .

٦ ـ وعند اعادة سؤال مأمور المعتقل [مرفق ١٢٧] يزل لسانه عند سؤاله عن الذى أحضر الشهيد فيقرر أنه أحضره واحد من فرقة الامن بالقاهرة برتبة مقدم وده قائد القوة وكانت قوة كبيرة علشان كان فيـــه مساجين كتير ، فيتنبه السيد وكيل النيابة ويسأله هل معنى ذلك ان هذا المسجون حضر مع المساجين الاخرين ؟ فيستدرك المأمور ويجيب ... فى اليوم ده وصلنا عدد كبير وفيه جماعـــة وصلوا قبل المسجون ده وجماعة حضروا بعـــده وكانت جيباهم نفس القوة المكونة من سبعة ضباط والعربيات وصلت ووقفت بعيد عن الاوردى وكانت بتجيب المساجين مجموعة مجموعة ، وهذا المسجون حضر لوحده .

٧ ـ ويقرر السيد وكيل النيابة الانتقال الى ســـجن الاوردى لسؤال زملاء الشهيد الذين حضروا معـــه من الاسكندرية يوم ١٩٦٠/٦/١٥ فيدخـــل العنبر رقم / ٢ [ظهر المرفق ١٢٥] ويثبت فى محضره تلك الجرائم البشعة التى وقعت من هؤلاء الوحوش الذين تجردوا من كل القيم الادمية ، اذ تبين أن زملاء الشهيد الذين حضروا معه من

سجن العشرة بالاسكندرية الى معتقل الاوردى بلبيان أبى زعبل فى صباح الاربعاء ١٩٦٠/٦/١٥ وعددهم [٢٩] معتقلا بخلافة الشهيد كلهم بهم اصابات جسيمة بأعلى الظهر ومؤخرة الذراعين من الخلف والاليتين والقدم والراس وغير ذلك واجمعوا على انهم سموا أسماء الضباط مرجان ويونس مرعى وعبد اللطيف رشدى وحسن منير الذين يتولون الضرب والصول والضابط الذى له شارب كما حضر الضرب واشرف عليه اللواء اسماعيل هيت والعقيد الحلوانى والرائد صلاح طه واشترك فى الاعتداء عليهم عساكر كثيرة بناء على الامر الصادر من الضباط [ظهر المرفق ١٢٤] .

٨ ــ وقامت قيامة النيابة ، وحضر رئيس النيابة الاستاذ عز الدين سراج ووزع التحقيق بين السيد وكيل نيابة الشاطبة والسادة الاساتذة عبد لطفى واحمد الالفى وجلال عبد العظيم وزكى الدمرداش .

٩ ــ واستمعت النيابة الى اقوال هؤلاء المعتقلين فجاءت كلها مطابقة تماما قرر السيد / محمد نور الدين سليمان جابس ، محرر بمكتب القشر والتلقاة : مرفق رقم ١٢٠ ما يلى :

« وصلنا هنا يوم الاربع الصبح بدرى صبح زملائى وبعدين تعدونا على الارض لمدة أكثر من ساعة وطول الوقت بيضربونا والضباط كانوا بيضربوا فى الوقت ده ، وبعدين جرونا ثلاثة ثلاثة وكنت وشهدى اللى نوبى والثالث بش متذكره وبعدين جرونا مسافة حوالى الف متر وانا كانت شيلنى تعبانة كيس وبطانية ، ويكتفنى ضابط اجرى ، وكان الضرب شغال واحنا بنجرى وبعدين وقعت بش البطانية رجعونى اجيبها فضلت ووقعت حوالى ست مرات وبعدين وصلت البوابة وظهرونى الملابس وطلعوا شعرى وكتبوا اسمى وكله ده بالضرب وشلت شهدى قدامى دايخ وحطينه فى حفرة فيها ميه وعسكرى بملا وبيطلق عليه ، وبعدين جرونى من رجلى وخدونى من الباب واستلمنى فرقة ثانية بقيادة بوزباشى عبد اللطيف رشدى وبعدين الضابط نفسه هو اللى كان بيضرب مع العساكر وضلت وقعت وقلت له انا مبان بالقلب والصدر وهو بيضرب وبقول قول ان ما مره ، فشلولى ورمونى فى العنبر وجت لى الصحبة العصبية والدكتور شلنى ورجلنى هنا وهو اسمه كمال » .

١٠ ــ وتتوالى الاسئلة والاجابات ، ثم يسأله السيد / وكيل النيابة :

س / هل كان شهدى معك بالسيارة

ج / أيوه .

س / ما الحالة التى كان عليها ؟

ج / كانت صحته جيدة جدا .

س / من الذى شاهدته بالاعتداء عليه ؟

ج / بزه واحنا بنجرى مخصوص بقى مين اللى بيضربه ، لانى انا كنت مبان وشدته لما داخ وحطينه فى أليه وجوه كمان الضابط عبد اللطيف هو اللى ضربه بنفس الكيفية والواحد مبان ماط وينهم على وشه والضرب على الظهر من الضابط والعساكر اللى معه .

س / ما الذى حدث ؟ بدى بعد الاعتداء عليه ؟

ج / معرفش وانا جت اغمضلى وبحين مشتوش خلاص .

س / الم يكن يشكو من اى مرض ؟

ج / لا .

س / الم تسمح انه تحمرج على التحمام لانم مكتوم ؟

ج / لا .

س / هل وقع اعتداء على شهدى اثناء وجودكم انتم فى الجرى ؟

حسن منير قائد اوردى ليمانى ابو زعبل
اشرف على التعذيب

ج / أيوه كان واحد راكب حصان وجه لله انت هنا يا شهدى ونزل فيه ضرب ومعرفش اسمه ... وامرف شكله ولو عرض على ضباط وذوة المحبن اقدر اطلع اللى كانوا بيضربوا فيه ، وفيه ترتين للحجة فرقة داخله وواحدة خارجه واعتقد انهم كلهم اشتركوا فى ضربنا .

١١ ــ وناخذ مثلا آخر من أقوال الاستاذ سعد الدين محمد عبد المتعال مدير دار النشر [مرفق رقم ١١٧] الذى قال ما يلى : ــ

وصلنا الصبح بدرى يوم الاربع ونزلنا من العربيـــة وقعدونا ورصونا واحنا شادين وظهرنا بمين فى الارض ويقولوا بضربونا على ظهرنا بالعصى الخيزران وسمعت مبارك بيقول للضابط اللى بيضربه يا مرجان واستمـــر الضرب وفضلنا فترة طويلة واستمروا بجرونا ثلاثة ثلاثة وررا حصان وعليه ضابط وعساكر بيضرب بالعصى وكل شوية الثلاثة يرصلوا للاوردى ويتم ضربهم بالاوردى امام الباب وداخل الباب وانا كان معايا شهدى ونور سليمان وجبه علينا الدور فى الجرى واحد ضابط انا مشتوش قال مين شهدى ــ فقال انا واقدم وضربه وهو اللى راكب الحصان وبعدين اللين ونا بجرى والضرب وبعد ما وصلنا قرب الباب كان فيه الضابط يونس مرعى ضربنى بالشومة أنا والاثنين اللى معايا وبعدها نلمت جرونى على الارض وخدونى عند الضابط اللى هو اسمه عبد اللطيفة رشدى وعرفنى عليه بمعرفته وخدونى المنبر ..

س / هل عرفت الضباط الذين اشتركوا فى الاعتداء ؟

ج / عرفت منهم الضابط مرجان وعبد اللطيف ودرك اللى متاكد منهم وكان فيه ضابط بيضربوا مقدرتش اعرفهم

س / هل كان هناك ضابط كبار مرا الداخلية حاضرين ؟

ج / انا ما شفتهمش انما سمعت انه كان موجود شعبانة اللواء عيت لا أنسا أنا كنتضبح بحروش .

س / من الذى أعتدى على شهدى وهو بالسجن ؟

ج / الضابط مرجان والضابط اللى راكب الحصان .

س / ما سبب السؤال عنه بالذات وضربه ؟

ج / معرفش .

س / من الذى ضربه بعد ذلك ؟

ج / هـــو كان ورايا ولازم اللى ضربونى ضربوه وتممت وانا بيتحبرونى داخل للباب اذ هو بيزعق انا فى عرض جبال عبد الناصر .

س / هل شاهدته بعد الاعتداء ؟
ج / لا مدخلشي معايا ومعرفشي ودوه فين
س / الم يكن يشتكي بأي مرض ؟
ج / لا وهو كانت صحته كويسه جدا وعملاق .
س / هل سمعت انه سقط على السلم بتاع المأمور ؟
ج / لا
س / هل عرفت سبب وفاته ؟
ج / طبعا من الضرب ودي حاجة مش عنيزه شك .

١٢ — ويلي تلك الاقوال اقوال الاستاذ ابراهيم عبد الحليم مدير دار الفكر وعضو جمعية الادباء التي ورد فيها نفس الاقوال واضاف اليها ما يلي :

« اللي حصل قضينا اربع شهور في المحاكمة وكنا جميعا نؤيد الرئيس جمال عبد الناصر تأييد كامل وبالذات شهدي عطيه الشافعي الذي كان المتهم الاول في هذه القضية وقد القى شهدي ٤ كلمات أمام المحكمة في هذا المعنى وبعدين انتهت المحاكمة وصدر أمر بترحيلنا الى ابي زعبل يوم الاربعاء الصبح بدري وكنت مع شهدي في نفس العربة وكان في احسن صحة ونزلونا ورصونا في الارض ووشنا في الارض واحنا قاعدين واشتغلت عملية الضرب والشتيمة وشفت الاصابات الجسيمة بيننا وبعد فترة طويلة قعدوا يجرونا ثلاثة نحو الاوردي وخلفنا الضابط مرجان وضابط بشنب راكب حصان ممكن أعرفه وعساكر كانوا يقوموا بالضرب وبعدين عندما نوصل عند مكتب الاسماء واثناءها الضرب وخلع الملابس بالضرب والحلاقة بالضرب وكان في الحته دي الضابط مرعي وبعدين جروني على ظهري وأنا عريان على الارض لغاية داخل الباب وبعدين تولى الضابط عبد اللطيف رشدي عملية الاجهاز الاخيرة كل واحد على وشه والعساكر بتضرب بالعصي وضربني على صدري بالحذاء وبعدين رحت العنبر وتولى الصول بمعرفته ضربي وجاب لنا دكتور اسمه كمال رفض يشوف الاصابات وقال على الاصابات الظاهرة في الوش انها دمامل وما ادناش علاج » .

١٣ — ونترك شهادة المعتقلين من زملاء الشهيد جانبا ونقرأ شهادة شاهد من موظفي المعتقل وهو منصور محمد احمد هندي الكاتب باوردي ابو زعبل اذ ورد في اقواله [مرفق ١٤] ما يلي : —

س / هل تعرف المعتقل شهدي عطيه ؟
ج / أيوه شفته
س / هل لاحظت عليه شيئا اثناء كتابة اسمه وخلع ملابسه امامك ؟
ج / أيوه كان تعبان وكان مضروب وظاهرة الاصابات على ظهره كله .
س / هل اثار الاعتداء على غيره من المعتقلين ؟
ج / ايوه كلهم كانوا مضروبين .
س / هل كان الاعتداء على شهدي عطيه أشد ؟
ج / كلهم كانوا مضروبين وأنا شفته وهو مضروب وكان تعبان معرفشي اذا كانوا ضربوه أكثر أو أقل
س / الا تعلم من الذي اعتدى عليه ؟
ج / مشفتش
س / هل لاحظت أن ملابس شهدي عطيه كانت مبتله ؟
ج / أيوه
س / وهل عرفت سبب ذلك
ج / لا علشان كنت جوه مشفتش حاجة
س / كيف كان يتم دخول كل معتقل من باب الاوردي ؟
ج / بعضهم كان يدخل ماشي وبعضهم كانوا يوقعوه في الارض ويسحبوه من رجله الى الداخل
س / من الذي كان يفعل ذلك .
ج / عساكر قوة الاوردي وأنا مش متذكرهم
س / هل كان يتم ذلك في حضور الضباط
ج / أيوه امامهم وكانوا موجودين
س / الم تلاحظ احد يضرب شهدي عطيه قبل دخوله وبأمر من دخل المستشفى ؟
ج / مشفتش الكلام ده
س / وهل كان دخول شهدي عطيه على قدميه أم مسحوبا بأعلى ظهره ؟
ج / مسحوبا على ظهره عند دخوله الى الداخل

١٤ — ونستعرض اقوال بعض المعتقلين الاخرين من غير زملاء الشهيد فنقرأ اقوال المعتقل صبحي رياض صليب الموظف بوزارة المواصلات [مرفق ٦٤] فنجده يشهد بالاتي : —

« اللي اعرفه اني انا كنت في عنبر/٢ ونقلت في عنبر/٤ المجاور للبوابة يوم ١٩٦٠/٦/١٥ حضر معتقلين جدد وكان الضرب شغال فيهم وكان الضابط عبد اللطيف رشدي عند البوابة من الداخل بالقرب من العنبر اللي أنا فيه وبيقول لكل واحد زعق اسمك ايه وضرب شديد بعصايا وسمعت اسم شهدي عطيه من ضمن اللي دخلوا وانسألوا عن اسمه والضابط ده قال له زعق وسمعت ضرب بشدة وبعد شويه سمعت صوت المأمور حسن منير يقول للضابط عبد اللطيف رشدي اقلبه يا عبد اللطيف على بطنه ولازم ده ينضرب ربع ساعة تاني وبعدها سكت صوت الضرب وسمعت بعد كده بيقولوا نادوا أمين التومرجي وده اللي سمعته » .

س / هل شاهدت بنفسك وقائع التعدي ؟
ج / وهل عرفت من الذي اعتدى على شهدي عطيه ؟
ج / لا وسمعت المأمور بيكلف الضابط عبد اللطيف رشدي ويقول له اقلبه على ظهره واضربه ربع ساعة تاني
س / هل تعرف صوت الضابط عبد اللطيف رشدي والنقيب حسن منير
ج / اعرفهم كويس خالص وأميزهم بوضوح وبقى لي هنا ثمانية شهور .
س / الم تستطع تمييز احد آخر خلاف من ذكرت
ج / لا صوت الاثنين دول الضابط عبد اللطيف رشدي والمأمور حسن منير وكانوا قريبين مننا .

١٥ — ويلي ذلك اقوال المعتقل عبد العزيز محمد يوسف الصباغ الذي قرر ما يلي : —

« أنا بالملاحظة الطبية من ثلاثة شهور وفي يوم حضور المعتقلين دول سمعنا وهما بيقولوا اسماءهم وسمعنا صوت ضرب وسمعت شهدي وهو عالي يقول اسمه ويقول شهدي عطيه الشافعي واللي كان بيسأله عن الاسم مع عملية الضرب اليوزباشي عبد اللطيف رشدي بصوت عالي جدا وكان يطلب منه باستمرار أن يرفع صوته وسمعت صوت المأمور حسن منير بيقول اضربوه الولد ده ربع ساعة وكان الصوت الظاهر والضرب وعبد اللطيف رشدي وصوت المأمور وبعد كده بشوية سمعنا صوت شيء يسقط على الارض كجسم انسان بالقرب من باب الملاحظة وكان الضرب مستمر فيه وصراخ بصوت ضعيف وبعدين ابتعد الصراخ للناحية البحرية وسمعت صوت المأمور يقول لو وقع الولد ده تاني مرة افتح له قرنه وما اعرفشي كان بيوجه الكلام ده لمين وأمر بالضرب وميزت فيها صوت عبد اللطيف رشدي والمأمور والصول مطاوع وبعد حكاية شهدي وضربه بحوالي عشر دقائق سمعت سكوت تام وتاني يوم عرفنا انه مات .

١٦ — وبعد أن انتهت اقوال هذا الشاهد استمعت النيابة الى اقوال المعتقل عبد الحميد محمد هريدي الموظف بمكتبة السلام بالاسكندرية [مرفق ٦٣] الذي شهد بما يلي : —

« أنا كنت في الملاحظة وهو اللي بالضرب في الليمـان العمومي للاوردي وفي صـــمميلج يوم ١٩٦٠/٦/١٥ حضر بصورة جدد للمعتقل ومعـــنا اثنين محتوميم ضرب نـاول عليهم والضباط عـــد الطبيب يفـتش سـألهم من أســـهم ويضربهم وبلما وصل الى شهدى سأله من اسمه فقال له شهدى ثم أعاد سؤاله تكرر ذكر اسمه عرفت ان اسمه شهدى وأمره بأن يركز على وكيله ثم انهال على شـــهدى بالضرب ولا أعرف من الذي ضربه وبعدين سمعته أنت شيوعي لم يرد عليه فقال أخزيه ، وضربوه وبعدين سمعت عبد اللطيف رشدي يقول خواجه وضربوه وقعلا مشوه وسمعت صوت يقول شمال يمين ثم اثنين صاحب هذا الصوت ولان هذا تم ايمام باب الملاحظة نظرت من نظارة باب الملاحظة تشاهدت شهدى محطه حاربا تماما من الملابس وعلى ما يبدو ايمام الباب بغطوة سقط على الارض وذهب الباب عبد اللطيف رشدي وقال انت بتقع وقال أعطيني كلمته وكان في بـــد عبد اللطيف رشدي مصباح جريد ومسيوكة نسبيا ونزل عليه ضرب حوالي خمس ست ضربات على كتفه من الخلف نظام شهدى بصعوبة وعشي وبعدين سمعت عبد اللطيف رشدي يقول لواحد لا أعرفه ان وقع اقلع قزته واخلعي الصوت وتاني يوم عرفنا أنه ملك » .

١٧ — واستعرض اقوال الدكتور عبـد العظيم أنيس الاستاذ بكلية الحقوق والصحفي المعروف والذي كان معتقلا في ذلك الوقت [مرفق ٦٧] فقراه يشهد بما يلي : —

في يوم ١٩٦٠/٦/١٣ بدأ الاستعداد لاستقبال مصوبين جدد وأهلي منير رقم ٢/ ومعنا ان فيه ناس جدد سيحضروا واعملوا بجوار منير رقم ٢/ وفي الصباح الباكر يوم١٩٦٠/٦/١٤ فوجئنا بظهور الشاويش والمخبر حضور القائمقام الطوخاني مع السيد مأمور الاوردي وفحص بملابس مخفية وبعد انتهاء الشاويش المدعو الهلالي الضرب وقيمتا ان هذا بداية الاستعداد لاستقبال مصوبين جدد وبعد ذلك طلب منا احد السجناء ان نقف داخل المنبر ووجوهنا للحائط في سكوت تام ، وفعلا كان الاوردي كله في هدوء تام وبعد حوالي نصف ساعة بدأنا نسمع صوت ضرب داخل الاوردي وأصوات صريخ واستغاثة وصوت جهوري هو صوت المتهيب عبد اللطيف رشدي وهو يطلب من كل واحد من المسجونين الجدد ان يرفع صوته بأشد ما يمكن اسمه وبيانه ان يقول ان كان شيوعي وبعدها فراجدي مجهم الى معتقل القلعة مثل صوت السيد عبد الوهاب نداً وهو يصرخ ويبارك صدته فضل واخرين وذلك اثناء تطبيق المنبر شديداً بالنسبة لموالاه تم سمعت صوت عبد اللطيف رشدي وهو يقول بأعلى صوته شهدي ايه نفهمت انه يطلب منه ان شهدي عملية الشاهدين ان يذكر اسمه بالكامل ولم اسمع اجابة شهدي على حد علمنا السؤال بوضوح وكنت اعلم انه المتهم الأول في هذه القضية الثانية بالاسكندرية واستطعت ايضـــا ان اميز الصاغ حسن منير وهو يصرخ لشهدي ان يذكر اسمه بالكامل ويقول بالضبط الولد ده اضربوه وكان يحضر كل مسجون يبدأ بالضرب عليه من جديد وكان يتولى ذلك الصول وبعض السجانه واستطعت تمييز صوت الصول لانه كان يطلب من كل فرد يقول انا أبراة ويشتم بي القبيحين واعب ان انكر ان محي بي منير رقم ١/ معتقل اسمه عبد الحميد عريدي كان في الملاحظة الطبية في ذلك الوقت وذكر لي انه سمع وشاهد من خلال النظارة تفاصيل اكثر من حـادث شهدي .

س / هل شاهدت بنفسك أي واقعة من وقائع التعذيب يوم ١٩٦٠/٦/١٥ على المعتقلين الجدد ؟

جـ / انا بالنسبة للمعتقلين الذين حضروا يوم١٩٦٠/٦/١٥ فلقد عرفت أن وصلنا من الطبيرون والقاء وجودي في منبر ١/

استطعت ان أشاهد بأن النظرة ضرب عليه رفع على كل أحد من محبوه المستراني وكان بركز على قدميه وحو يضرب وكان أحد الذين حضروا من الواحات الى الاوردي يوم١٩٦٠/٦/١٣ واستطعنا نفس الاستقبال الذي استقبل به المدنيون الأخيرون وهذا يعتبر انها بالنسبة لنا عندما وصلنا الاوردي يحوم ١٩٥٩/١١/١٧ .

١٨ — وتلى بعد أقوال الدكتور عبد العظيم أنيس أقوال الدكتور اسماعيل صبري وزير التخطيط الحالي والذي كان معتقلا في ذلك الوقت فنجده يشهد بما يلي [مرفق ٦٩] :

عرفنا ان فيه دفعة جديدة من المعتقلين ستأتي مليحان منير رقم ٢/ أهلي وشفنا هند خروجنا لاستلام الغذاء ثمة من جريـد التشيل وده يوم الثلاثاء ١٩٦٠/٦/١٤ ، وكانت هذه المعني موضوعة امام المخزن شمال الداخل من باب الاوردي وصدأ الجريد معروف لدينا أكثر باستحداثه في ضربنا بعد ان تل استعمال الشوم اثر بقتل المرحوم الدكتور فريد حداد الذي تتل في هذا السجن الاوردي عند استقباله في أواخر نوفمبر سنة ١٩٥٩ بحضور شاهدي عيان وما زالا معتقلين بالاوردي هما الاستاذ عبد الله الرغيبي المحامي والمهندس محمد الطويل وكنا واقفين عند حضوره وطبعا من وجود الجريد ان فيه حفلة استقبال في اليوم التالي وفعلا صباح يوم ١٩٦٠/٦/١٥ نقحت العنابر مبكرا قبل الموعد المعتاد وخرجنا لطابور الصباح وكان حاضر الصاغ حسن منير مأمور الاوردي وبصحبته القائمقام الطوخاني مدير سجن الاسكندرية وشخص آخر يرتدي ملابس مدنية وأعتدنا للعنابير بسرعة وكانت الساعة [٧] صباحا تقريبا وعرفنا من هذا التبكير وبن الاستعدادات المسابقة انفا سنخرج للجبل بعد حفلة الاستقبال وان السيد اللواء اسماعيل هيت آتي حضر اليوم للاشراف على الاستقبال سيء علينا بالجبل وبعد قليل بدأنا نسمع أصوات صريخ وكنا في ذلك الوقت داخل العنابر وصوت البوزباشي عبد اللطيف رشدي وصوت الصاغ حسن منير وفهمنا من موضوع الصوت ان البوزباشي عبد اللطيف رشدي ينتظر الداخلين من داخل بلب الاوردي عند غرفة الملاحظة على يمين الداخل وسمعنا جيدا وهو يصرخ لكل داخل اوردي ويطلب منه ان يقول اسمه كاملا

أبراة وعديد آخر من الشتائم وكان الصوت مختلطا بشكل يفهم من ان هذه الكلبات يتخللها ضربات يوجهها بنفسه للمعتقلين وكان واضحا كذلك ان المعتقلين يدخلون كل ثلاثة دفعة وعند انتهاء ضربهم كنا نسمع صفارة ثم تدخل دفعة جديدة وفهمنا ايضا ان الضرب كان يقع عليهم وهم عرايا تماما لاني سمعنا السجانه في منبر ٢/ يقولون لكل واحد انتا مخلوله المنبر اليس بسرعة وكنا نسمع احيانا صوت الصاغ حسن منير وهو يتبع بعض المعتقلين حتى وصولهم الممر ويأمرنا بالوقوف ووقفنا لنحافظ ونبرت نفرة لم نسمع فيها الا اصوات مجاهدة بعضها ينادي عن امين وهو الشاويش الدوربجي والاخر من الحفلة يا امين ولم أميز أصحاب هذه الاصوات الأخيرة وبعد بده أخرى استؤلفت مغول دفعات جديدة وأعطننا أن يستمل الضرب اصبح أخف فم انهت حفلة الاستقبال ودهشت لعدم بحدث أي مرور على العنابر لي تركنا واقفين ووقتنا الحائط ولم نخرج للجبل فزاد احساسنا بأن شيئا غير عادي قد وقع في الاوردي فحاولنا الاتصال بإخلائنا عن منبر ٢/ وعلمنا منهم ان شهدي لم يدخل العنبر وأن أربعة آخرين سجوا معنا العنبر لمخاوفهم أصابتهم وتصلنا بعضنا بالكمامة عصبيا

الشيطيك ايضا وعرفنا من زملاه في هذا السير انهم سمعوا بالتفصيل لكثر حادث استشهاد شهدي عملية ثم عرفنا بعد ذلك من زميل لنا بالسير هو عبد الحميد عريدي كان موجودا بخيرة الملاحظة في ذلك اليوم انه سمع كل ملحدث وشاهد حادث الاعتداء على المرحوم شهدي عطية وهو يضرب بس النيابة سماع اقواله وفي اليوم التالي وجدنا جثة شهدي في الزراعة الاخيرة على الشمال التي تصل على بابها بهذه المناسبة بالطبع مكتوب عليها مستشفى مع انها في الاصل زراعة ناديب ومريضا من زميلنا بالعنبر ..

١٩ ــ ونكتفي بهذا القدر من اقوال الشهود سواء كانو من زملاه الشهيد أو من موظفي المعتقل أو من المعتقلين الاخرين وقد ثبايت هذه الاقوال من باقي الشهود وهم كثيرون واكدت المعاينات والمواجهات والتجارب التي اجرتها النيابة صدق هذه الاقوال وان الشهيد وزملائه المعتقلين حضروا من معتقل الاسكندرية الى معتقل الاورذي في الساعة السادسة من صباح يوم الاربعاء ١٩٦٠/٦/١٥ في اتم صحة وفي هراسة القدم حتى عبد الرحمن مفتش فرق ابن القاهرة الذي شهد بذلك (ظهر المرفق ٤٢) وكما نقل على ذلك مذكرة طبيب سجن الاسكندرية (مرفق ٤) وانهم نزلوا من العربات التي نقلهم في نقطة بعيدة عن باب المعتقل وجلسوا القرفصاء في صفوف ووجوههم نحو الارض ، لمدة ساعة مقربا في انتظار تفريق كبار المشاهدين وردات عملية الضرب من الضباط والصاكر بقيادة القنيب مرجان اسعق ثم بدأ استعراض الجرى امام اللواء اسماعيل هيت وكل مصلحة السجون والعقيد محمد عبد الغني الحلواني مدير سجن الاسكندرية والرائد محمد صلاح طه مدير الشئون العامة بمصلحة السجون الذين تصدروا الصف لمشاهدة العرض وكان المعتقلون يجرون في جماعات كل جماعة من ثلاثة افراد محاطين بالكباس هجاهتهم وبالعتهم الجنود بالضرب مع الضباطين الغيب كمال رشاد والملازم اول عبد الفتاح (ذو الشارب البيروم) ومن يتعثر يزداد ضربه وان الرائد صلاح طه امر بالضرار الشهيد

فضرب بشدة امام كبار المشاهدين بوصفه انهم اول حتى يفبر عليه فوضعوه في الترعة لافلقه ثم اطلوه امام كاسب السجن فبقيه وظهره للارض والبطاطه والبرش على صدره لسفل ذنبه وظهره فبطاه الرائد حسن بشير مأمور المعتقل والقنيب عبد اللطيف والصول طارق في نهايه المطاف وبنهال الضرب عليه مأمور المعتقل لمدة ربع ساعة اخرى بواسطة القنيب عبد اللطيف رشدي حتى ينهار فبطاليوه بالوقوف والسير ولا فادحوا له ترنه على حد تعبير الرائد حسن بشير حتى يسقط فاقد النطق فبطلوه النورمرجي امين تشدل الرغيب لبعطي له سكنه ولكنه كان قد مات من الضرب ويقتل طبيب المعتقل الدكتور البير امين فهمي في اسعافه بعد ان وجده من القضاء بين الضابر (ظهر المرفق ٣) ويزعم ان سبب حالته جلطه دموية بالقلب تسببت في صدمة وهبوط دوري ويحاول اسعافه حتى الساعة الثالثة (مرفق رقم ٣٠) مع انه دخل المعتقل في حوالي الثامنة صباحا ، ويستمدن بالطبيب الاخر الدكتور احمد كمال ابو العلا بعد نقله الى الزنزانة التي وضعوا عليها لافة باسم المستشفى (مرفق ١٢٩) ولا يحاول الاطمئنان على الشهيد الا بعد الظهر (المرفق السابق) لعدم المجاهة الى ذلك بعد ان كان الشهيد قد مات فعلا من ذلك الضرب .

٢٠ ــ وهكذا يتضح حقيقة الحادث وانه جناية ضربه افضى الى الموت بتلك الطريقة الوحشية التي ارتكبها ضباط وجنود المدعى عليهما .

٢١ ــ وعمدا سولى النيابة التحقيق محاول المتهمين التاثير على الشهود لاخفاء الحقيقة تم ماس المتهمون امام النيابة وبعد انفضاح امرهم يتصرفون بعد ذلك لاستعطاف وان جميع الضباط والجنود اشتركوا فيه ويقررون ان الضرب حدث لان المعتقلين رفضوا دخول المعتقل وهقوا ضد الحكومة ورئيس الدولة وانشدوا النشيد النسوعي وانهم نعدوا على مأمور المعتقل بنتي ذراعه ولكيلال الصورة وضع مأمور المعتقل يده في الجيس بعد ان بدات النيابة في التحقيق بعد ثلاثة ايام من وقوع الحادث ويكذب الشهود تلك الاقوال بل ويقرر اللواء اسماعيل هيت بان المعتقلين لم يصدر منهم اي هياج وانه لم يسمع بالنعدي على المامور وينكر الجنود ان المعتقلين انشدوا النشيد النسوعي ولا تجد النيابة الا تقرير الاتهام لـ ٢٢ من هؤلاء الجناة ونرسل الاوراق الى نيابة امن الدولة .

٢٢ ــ وتقيد الجريمة بنيابة الفانكة بالقضية رقم ٢٥٦٦ لسنة ٦٠ وبرقم ٦٠/٧٢٩ كلي وبرقم ٣٧٦ لسنة ٦٠ عصر وتحقيق امن الدولة العليا وفي ١٩٦٢/٢/٢٦ ترسل الى نيابة استئناف القاهرة برقم ٦٠ ــ ٢/١ وتقيد برقم (٦٢/٢٢ تعرضها على الاسفار برهان العبد هيب القاضيرة النائبة على كتاب مصلحة السجون الى السيد النائب العام برقم ٥٠٨ في ١٩٦٢/٨/٩ ملف برقم ٤٨/١/٢٢ (مرفق ٢٥٤) والملف الشهيد لقم يتم التصرف فيها حتى الان وتركت كما مات الشهيد ويظل هؤلاء الجناة يرتعون ٤٠ ولا يابهون لاي شيء وربما وصلوا الى اعلا المناصب وكانهم لم يرتكبوا اثمة جريمة .

٢٣ ــ وقد ثائر الرئيس المراحل من ذلك الحادث ونواسي اسرة الشهيد جسيما هو مستفاد من المرفق رقم ١٦١ ومع ذلك لم تتحرك المدعوى الصومية حتى وقتنا هذا .

٢٤ ــ ومن كل ماتقدم وهو قليل من كثير يبين بشاعه الجرم الفاحش الذي صدر من الضباط والجنود النابعين لمدعى عليهما في حق الشهيد المجني عليه الذي وصل الى المعتقس الاورذي صباح يوم الاربعاء ١٩٦٠/٦/١٥ ومع في اكمل صحة ونظفي من هؤلاء الجنود ذلك الضرب المبرح والوحشي الثابت في حقهم من هذه التحقيقات مادى ذلك الى موته على ذلك النحو الذي اثبته مدير الطب الشرعي .

٢٥ ــ ماثابت الذي لاشك منه ان الشهيد دخل الى ذلك المعتقل في صباح يوم ١٩٦٠/٦/١٥ . بقرير من هؤلاء الجناة ، وخرج من ذلك المعتقل في صباح اليوم التالي ميتا الامر الذي مفاد بما لايدع مجالا للشك حدثا هؤلاء الجناة على ذلك النحو الثابت من هذه التحقيقات الى قدم المدعى عليهما عنوتها والتي نكتفي عن ان نثابه المحكمة اسبت الى قدم امامهم ٢٢ من هؤلاء الجناة الضباط والجنود بتهمه ضرب المتسبب ضربا افضى الى موته .

٢٦ ــ ومن المسلم به ان كل خطأ سبب ضررا للغير يلزم من ارتكبه بالتعويض (م ١٦٣) بمعنى انه اذا صدر الخطأ من التابع فيكون المتبوع مسئولا عن الضرر الذي قم بسعرفه اليه بعمله غير المشروع بمن كان واقعا في حالة تادية وظيفته او بسببها (م ١٧٤/بمعنى) .

٢٧ ــ والثابت الذي لاشك فيه ان خطأ هؤلاء الجناة التابعين للمدعى عليهما وقع منهم اثناء تاديتهم لوظيفتهم في ذلك المعتقل وبسبب تلك الوظيفة ومن ثم فتسأل المدعى عليهما بالتضويض عن الضرر الذي لحق بالمدعيه وابنتها من جراء ذلك الخطأ الذي وقع من هؤلاء التابعين طبقا لنص المادة ١/١٧٤ بمعنى المتقدم ذكرها .

٢٨ ــ ومما لاجدال فيه ان هذا الضرر الذي والادبي طبقا لحكم المادتين ٢٢١ و ٢٢٢ بمعنى طبقا لما تقرره المادة ١٧٠ من الدستور المدني الى تتصر على مايلي :

يقدر القاضى مدى التعويض عن الضرر الذى لحق المضرور طبقا لاحكام المادتين ٢٢١ و ٢٢٢ مراعيا فى ذلك الظروف الملابسة ..

٢٩ — وما من شك انه بموت الشهيد على ذلك النحو البشع فقدت المدعية وابنتها المشمولة بوصايتها عائلهما الذى كان يوفر لهما اسباب العيش الكريم والحنان الغامر والسعادة الكاملة فضلا عما الم بهما من الم لن ينسى مدى الحياة كلما تصورا تلك الميتة الشنيعة التى تعرض لها الشهيد على ايدى هؤلاء الوحوش الذين تجردوا من كل المعانى الانسانية والقيم الخلقية .

٣٠ — ولقد كان الشهيد من خير من انجبتهم هذه البلاد علما ووطنية وكان مربيا فاضلا تخرج من على يديه الكثيرون من ابناء هذا الجيل ممن تلقوا العلم والوطنية على يديه وتكشف لنا شهادة الشهود فى تلك التحقيقات المقدمة على مدى ما كان يتمتع به الشهيد من حب وتقدير من جميع زملائه .

٣١ — لقد حصل الشهيد على ليسانس الاداب ودبلوم المعلمين واشتغل بالتدريس ولكنه لم يكتف بذلك بل تقدم فى مسابقة للغة الانجليزية فكان أول الناجحين وحصل على درجة الماجستير فى الاداب الانجليزى وكان يحضر للدكتوراه فى الفلسفة لولا ان الميتة عاجلته على ايدى هؤلاء الطغاة .

٣٢ — ولقد شغل وظيفة مدرس اول اللغة الانجليزية بمدرسة التجارة ثم تدرج فى منصب بوزارة التربية والتعليم حتى وصل الى وظيفة مفتش أول اللغة الانجليزية ويعد من اوائل المصريين الذين اشتغلوا فى هذا المنصب حتى انهم فى القضية التى اعتقل بشأنها .

٣٣ — ومن الغريب ان تلك القضية كانت منظورة أمام محكمة امن الدولة العليا بالاسكندرية وكان الشهيد محبوسا على ذمة هذه القضية بسجن الاسكندرية وكانت تلك القضية مؤجلة لجلسة ١٩٦٠/١٠/٢٢ حسبما هو ثابت من ملحوظة النيابة بظهر ١ مرفق رقم ١٢١ ومؤدى ذلك انه كان سيحضر أمام المحكمة بالاسكندرية فى تلك الجلسة وبالتالى فلم تكن هناك ثمة حاجة لنقله الى معتقل الاوردى فى ١٩٦٠/٦/١٥ ولكن الامر كان مبينا لتلك المأساة التى اراد الاستمتاع بها كبار ضباط المدعى عليهما على ذلك النحو الثابت من تلك التحقيقات والتى اختتمت بمقتل الشهيد على ذلك النحو الذى كشف عنه تلك الاوراق .

٣٤ — ولم يرضى الشهيد بطلب العلم لنفسه بل كان ينفع بعلمه الاخرين لا فى مجال التعليم فحسب بل بنشر العديد من المؤلفات التى من بينها كتابه عن امريكا والشرق الاوسط وكتابه تاريخ الحركة الوطنية وكتابه عن اهدافنا الوطنية الى غير ذلك العديد من التراجم والسير .

٣٥ — وفضلا عن هذا وذاك فقد افتتح مكتبا للترجمة والنشر باسم مصر للترجمة والنشر حتى لايقتصر الامر على نشر مؤلفاته فحسب بل يتيح الفرصة للغير لنشر مؤلفاتهم .

٣٦ — ومن المسلم به ان الدولة فى القضايا السياسية خصم شريف فهى وان كانت تتحفظ على بعض الاشخاص او تقدمهم للمحاكمة فى بعض القضايا السياسية بناء على تقارير امثال هؤلاء الزبانية فانها مع ذلك وباعتبارها دولة تخدم القانون تؤمن بان المتهم برىء حتى تثبت ادانته . ومن ثم فلا يمكن ان نتصور باى حال من الاحوال ان الاعتقال كان يقصد به تعذيب للمعتقلين على ذلك النحو الذى انتهى اليه تفكير هؤلاء الجناة الذين تجردوا من الانسانية وظنوا انهم بذلك يرضون الحكام .

٣٧ — وليس ادل على ذلك ان الدولة ردت اعتبار هؤلاء المعتقلين وقد راينا انهم وصلوا الى مناصب كبيرة بل ان بعضهم وصل الى منصب الوزير .

٣٨ — ولم يكن من المستبعد ان تنصف الدولة هذا الشهيد لو كانت الحياة قد كتبت له لاسيما وانه كان المتهم الاول فى تلك القضية رغم وطنيته وحبه لبلده فترد له اعتباره وتسند له منصبا من المناصب الكبيرة ان لم يسند له منصب الوزير .

٣٩ — لقد كانت الشيوعية هى التهمة التى يسندها دائما المستعمرون واذنابهم الى الوطنيين المخلصين ليتخلصوا منهم بعد ان كشف هؤلاء الوطنيون اساليب الاستعمار وحذروا ابناء وطنهم منها وقد اشرنا الى ان الشهيد كان قد الف كتابا عن امريكا والشرق الاوسط كشف فيه عن اساليب الامبريالية الامريكية .

٤٠ — وماكان الشهيد الا وطنيا مخلصا لبلده درس التاريخ والفلسفة والف فيهما وفهم اساليب الاستعمار وحذر ابناء وطنه منها وبالرغم مما تعرض له من الوان التعذيب فلم يفقد ايمانه فى بلده او فى المسئولين عنه وكلماته التى القاها اثناء محاكمته خير شاهد على ذلك .

٤١ — ومثل هذا الشهيد الذى كان نشاطه لايقف عند حد كان يجنى من ورائه الكثير من المال الذى يوفر به الحياة السعيدة لزوجته وابنته الوحيدة فى مسكنهما بالزمالك فى ارقى احياء القاهرة ولاشك ان خسارتهما فيه لاتعوض ولا يمكن لاى تعويض مهما بلغ قدره ان يعوضهما عن تلك الرفاهية والسعادة التى كان يجتهد الشهيد فى تحقيقها لهما .

٤٢ — ومن المؤلم على النفس ان يتعرض الشهيد لذلك التعذيب الوحشى الذى اودى بحياته والذى يقشعر له البدن كلما تصور ذلك الموقف الذى مر به الشهيد الامر الذى لم يسبق له مثيل فى اى صورة من صور التاريخ وهو امر يبعث على الالم الذى لا يوصف كلما مر بالخاطر لاسيما خاطر الزوجة او الابنة بالنسبة لذلك الرجل الذى كان بارا بوطنه واسرته فكان جزاؤه التعذيب والتنكيل والموت بايدى تلك العصبة الطاغية والوحوش الادمية التى تعودت على سفك الدماء دون وازع من ضميره او ذرة من انسانية تردها الى عقولها او تكن تلين قلوبها التى تجردت من كل معانى الرحمة والشفقة .

٤٣ — وما من شك ان بشاعة الحادث والجرم الذى ارتكب فى حق الشهيد ولا حول له ولا قوة وما ترتب عليه من ضرر مادى وادبى فى حق المدعية وابنتها لن تجبرهما اى تعويض مهما بلغت قيمته لانه لن يحيى لهما الشهيد الذى حرما منه والذى كان نعم الزوج ونعم الاب ونعم الرجل الوطنى المخلص ومن ثم فاذا قصرنا التعويض على ذلك المبلغ المطالب به فما ذلك الا لكى نجد بعض الشىء من تلك الاضرار التى لايمكن تعويضها ولذلك فنحن على يقين من ان المحكمة الموقرة ستقضى لنا بذلك التعويض البسيط كنوع من رد الاعتبار الواجب لذلك الشهيد الذى ضحى بحياته من اجل مصر وعظمة مصر .

لذلك

نصمم على الطلبات ..

وكيل المدعية
المحامى
احمد الخواجه

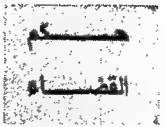
حكم
القضاء

باسم الشعب
محكمة جنوب القاهرة الابتدائية
الدائرة الرابعة

بالجلسة المدنية المنعقدة علنا بسراى المحكمة فى يوم الخميس الموافق ١٩٧٤/١١/٢٨ برئاسة السيد الاستاذ عبد الرحمن حسن قطايا رئيس المحكمة وعضوية الاستاذين سلامة شاهين وشريف عبد الرحيم غنيم القاضيين وبحضور السيد / محمد عبد الهادى امين السر .

صدر الحكم الاتى :

فى القضية المرفوعة من :

السيدة راوية شهدى بتريدس عن نفسها وبصفتها وصية على ابنتها القاصر حنان شهدى عطيه عبد الله الشافعى ، ومقيمة بالقاهرة وموطنها المختار مكتب الاستاذ احمد الخواجه المحامى بالقاهرة ، بشارع شريف باشا رقم ٢٦.

ضـــد :

١ ـ السيد مدير مصلحة السجون

٢ ـ السيد وزير الداخلية

الواردة بالجدول العمومى تحت رقم ٥٢٦/ ١٩٦٨ كلى القاهرة والمقيدة اخيرا برقم ٤١٦٥/ ١٩٧١ كلى جنوب القاهرة .

المحكمة :

بعد سماع المرافعة الشفوية والاطلاع على الاوراق والمداولة قانونا .

حيث أن الوقائع سبق للمحكمة بهيئة أخرى أن فصلتها فى الحكم الصادر قبل الفصل فى الموضوع بتاريخ ١٩٧٤/٢/٢٨ وموجزها أن المدعية عن نفسها وبصفتها وصية على ابنتها القاصر حنان شهدى عطيه عبد الله عقدت الخصومة بصحيفة اودعت قلم كتاب هذه المحكمة بتاريخ ١٩٦٨/٢/٣ واعلنت للمدعى عليهما بتاريخ ١٩٦٨/٢/٥ طلبت فيها الحكم بالزام المدعى عليهما بصفتهما متضامنين بأن يدفعا لها مبلغ ٢٠٫٠٠٠ جنيه والمصروفات واتعاب المحاماة بحكم مشمول بالنفاذ المعجل ، وقالت شرحا لدعواها أنه بتاريخ ١٩٦٠/٦/١٥ توفى المرحوم زوجها شهدى عطيه الشافعى نتيجة جريمة ضرب أفضى الى موته قام بها مأمور وحراس ليمان أبى زعبل ادارة المدعى عليهما حيث كان معتقلا على ذمة اتهامه فى قضية شيوعية ـ وقد ثبتت هذه الوقائع من تحقيقات اجرتها وزارة الداخلية والنيابة العامة ـ وقد قررت أن ابنتها حنان المشمولة بوصايتها انها تقاضت تعويضا من وزارة الداخلية أمام النيابة الحسبية وهو أمر لم يحدث . ولما كان ما قارفه تابعى المدعى عليهما بصفتهما يشكل جريمة تنطبق عليها المادة ٢٣٦ من قانون العقوبات الامر الذى حق لها أن تلجأ الى القضاء المدنى للمطالبة بتعويض جابر لما أصابها وابنتها من ضرر نتيجة فقد عائلها الامر الذى أقامت معه الدعوى طالبة سماع المدعى عليهما بصفتهما الحكم عليهما بالطلبات السابقة.

حيث أن المحكمة بعد أن استمعت الى دفاع الطرفين وقضت بحكمها السالف الاشارة اليه ـ وللاسباب التى ساقتها الى التقرير بأن المرحوم شهدى عطيه الشافعى مورث المدعية توفى بتاريخ ١٩٦٠/٦/١٦ بليمان أوردى أبو زعبل أبان اعتقاله على ذمة اتهامه باحدى قضايا الشيوعية نتيجة اعتداء رجال الشرطة التابعين للمدعى عليهما عليه بالضرب ـ الا أن الشخص الذى أدى اعتداءه الى وفاة المورث لم يتحدد مما لا يمتنع معه قانونا اقامة الدعوى على المتبوع باعتباره مسئولا مسئولية مفترضة عن خطأ تابعه وقضت باحالة الدعوى الى التحقيق لاثبات خطأ التابع حتى تقوم مسئولية المتبوع قانونا عن خطأ تابعه ـ وذلك لاثبات ونفى أن أحد تابعى المدعى عليهما أخطأ فى اعتدائه على مورث المدعية بأن اعتدى عليه بالضرب بغير مسوغ مشروع حتى أدى الضرب الى وفاته وأنه أصابها من جراء ذلك ضرر تقدر قيمته [٢٠٠٠٠ جنيه] ولينفى المدعى عليهما ذلك بذات الطرق .

وحيث أنه نفاذا لحكم التحقيق اشهدت المدعية

شهدا قرر اولهما **عبد المنعم غزالى الجبيلى** المحرر بمجلة الطليعة قرر انه كان معتقلا مع مورث المدعية بليمان أبو زعبل ابان الحادث حيث ترحل معه من الاسكندرية الى ليمان ابو زعبل بعد نظر قضيتهم أمام محكمة الاسكندرية واذ دخل الى الليمان استقبله نفر من الضباط والصف — منهم الضابط **عبد اللطيف رشـدى ومرجان وحسن منير والصول مطاوع** وعـدد كبير من الحراس حيث أوسعوهم ضربا بالكراسى والعصى والكرابيج والاحذية — ثم انفردوا بمورث المدعية المرحوم شهدى عطيه عبد الله — وأمروه بالمرور على صفين من الحراس — صف على ظهور الخيول وصف يقف أرضا حيث كان يمر عليهم ويتسلموه ضربا بالكرابيج ثم اصطحبوه الى مكان « العروسة » وأمروه بخلع ملابسه وقاموا بالاعتداء عليه بالضرب على ظهره ثم قلبوه على الوجـه الاخر وأوسـعوه ضربا ثم سحلوه أرضا وكان مارى الجسد — واثر ذلك لمروهم بالدخول للمنابر حيث حضر احد الحراس وأخبرهم مع من معـه من زملائه ان زميلهم شهدى قد لفظ أنفاسه الاخيرة وأضاف الشاهد ان المتوفى كان فى صحة جيدة ابان ترحيله معهم من الاسـكندرية وان وفاته نشـأت من ضرب وتعذيب حراس الليمـان عليـه — ذلك التعذيب الذى فاق كل انسانية — كما قرر ان المورث كان يعمل مفتشا أولا للغة الانجليزية — بعد أن تخرج من جامعة كمبريدج بانجلترا وكان صاحب ومدير دار مصر للترجمة والنشر وكان يعمـل كاتبا بجريدة المساء — وكان ذلك يدر عليه دخلا شهريا لا يقل عن [٢٨٠ جنيه] .

واذ سئل الشاهد الثانى للمدعية **عبد العزيز محمد يوسف الصباغ** الذى يعمل موظفا بشركة الجمهورية للادوية وذكر أنه كان معتقلا بالليمان وقت الاعتداء على مورث المدعية وحدث أن كان موضوعا تحت المراقبة الطبية بسبب كسر فى يده نتيجة الاعتداء عليه وكان قد نزل الى الليمان بسبب انهائه فى قضية شيوعية أخرى قبل نزول شهدى بحوالى ثمانية أشهر ويوم الحادث سمع صراخا وعويلا وسمع أصوات الضابطين حسن منير ومبد اللطيف رشدى والصـول مطـاوع يستعلمون من المرحوم شهدى عن اسمه ثم يأمر أحدهم الحراس بالاعتداء عليه بالضرب كما سمع استغاثة المورث ثم سكت الى الابد حيث عـلم بعد ذلك بوفاته — وأضاف الشاهد أنه يعلم أن المورث كان صحفيا ولـكنه لا يعلم شـيئا عن مؤهلاته كما قرر أنه تأكـد له أن وفاة المورث كانت نتيجة للاعتداء عليه بالضرب .

وحيث أنه بسؤال الشاهد الثالث **للمدعيـة سعد الدين أحمد بهجت** الذى يعمل صيدليا قرر أنه ترحل مع مورث المدعية المرحوم شهدى من الاسكندرية الى سجن ليمان أبو زعبل ويقـوا خارج السجن حوالى ثلاث ساعات حيث استدعى الحراس المرحوم شهدى بمفرده لانه كان المتهم الاول فى القضية وكان بصحة جيدة وتنذاك كما أضاف أن المورث اعتدى عليـه من الحراس بالضرب المبرح هو وبعض المعتقلين ممن كانت لهم الصدارة فى الاتهام فى قضية الشيوعية ؛ وكان ذلك على مسمع ومرأى منه ، كما ذكر أنه بعد ابلاغ النيـابة بالحادث وتوليهـا التحقيق استدعاه الضابط يونس مرعى وطلب اليه أن يدلى بأقوال مؤداها أن المرحوم شهدى كان مقيدا معه بقيد حديدى واحد وأنه كان يشكو من مرض قلبه واثر نزوله من السيارة سقط فاقد النطق فرفض ذلك نهدده بأن مصيره سيكون مصـير المرحوم شـهدى فأنهى ذلك الى مـدير السجن الضابط زغلول شلبى الذى طمأنه على مصيره — وأضاف الشاهد أنه عقب حضور وكيل النيابة على أثر موت مورث المدعية وسماع اقواله — طلب اليه الضابط يونس مرعى عقب خروج وكيل النيابة بعد معاينته الاصابات سريعـا أن يقرر بالتحقيق أن وفاة شهدى نتيجة حدوث اضراب واضطرابات بالسجن واعتداء من المتهمين على ادارة السجن ولكنه رفض وأضاف أنه سمع أحد التومرجية بالسـجن يذكر للضـابط أنه أعطى لشهدى حقنة كورامين ولكن لا فائدة فقد كان ميتا — واكد أن الاعتداء على المرحوم شـهدى من حراس السجن هو الذى أدى الى وفاته .

وحيث أنه بسؤال الشـاهد الرابع للمدعية **عادل محمود حسين** المعلق السـياسى بجريدة الاخبار قرر أنه ترحل مع المرحوم شـهدى من الاسكندرية عقب نظر القضية التى كانوا متهمين فيها ، فوصلوا السجن الساعة السادسة صباحا حيث تسلم حراس السـجن المرحوم شـهدى وأوسعوه ضربا بالكرابيج والعصى والشوم — وكانوا يعتدون عليه بعد خلع ملابسه حيث أدى الضرب الى وفاته وأضاف أن من الذين تناوبوا الاعتداء عليه هم الضابط عبد اللطيف رشـدى وحسين مرجان والصول مطاوع كما قـرر ان المرحوم شهدى كان بصحة جيدة ولم يكن يشكو الما وكان مفتشا للغة الانجليزية وله مكتب للنشر

وكان يكسب مبلغا لا يقل عن [٢٨٠ جنيها] شهريا ».

وحيث أن الحكومة لم تشهد لحدا نفاذا لحكم التحقيق حيث طلب الطرفان حجز الدعوى للحكم مع التصريح بتبادل المذكرات حيث قررت المحكمة ذلك ، وتقدم الحاضر عن المدعية بمذكرة شارحا دفاعه ضمنه فيها على طلباته وعرج على أقوال شهود الواقعة التى نشأت عنها وفاة المورث قائلا أن الاعتداء ثابت من أقوال الشهود الذين لا يرقى الى شهادتهم أى شك فضلا عن أن المبلغ المطالب به غير مبالغ فيه نتيجة مركز المورث الاجتماعى وماضيه السياسى ووطنيته التى لايرقى اليها أى شك وما لم بالمدعية وأبنتها من ضرر كبير نتيجة لفقده ؛ فضلا عن الضرر الادبى بحرمانها وابنتها من عطف الابوة وحنانها وانتهى الحاضر عن المدعية الى التصميم على طلب القضاء له بالتعويض المطالب به .

وحيث أن الحاضر عن الحكومة تقدم بمذكرة شارحة لدفاعه دفع فيها الدعوى بعدم قبولها بالنسبة لمدير مصلحة السجون قائلا أنه لا يمثل المصلحة وانما المصلحة ممثلة فى السيد وزير الداخلية بصفته فقط — كما دفع بطلب وقف الدعوى المدنية حتى ينتهى الفصل فى الدعوى الجنائية اعمالا لحكم المادة ٢٦٥ من قانون الاجراءات الجنائية التى تقضى بوقف الدعوى المدنية حتى يحكم نهائيا فى الدعوى الجنائية المقامة قبل رفعها أو أثناء السير فيها واسترسل الحاضر عن الحكومة فى شرح أسس هذا الدفع القانونية وما استقر عليه القضاء بشأن ذلك منتهيا الى أن الفعل المنسوب الى نائبى المدعى عليه الثانى بصفته جريمة تحقق فيها النيابة العامة ولما تتصرف فيها بعد — فيجب وقف الدعوى حتى ينتهى الحكم فى الدعوى الجنائية .

وحيث أن الحاضر عن الحكومة دفع الدعوى أيضا بسقوط الدعوى بالتقادم اعمالا لنص المادة ١٧٢ من القانون المدنى اذ أن وفاة المرحوم مورث المدعية حسبما وضح من أوراق — تحقيق الواقعة بسجن أبو زعبل كانت بتاريخ ١٩٦٠/٦/١٥ وقد انقضى على ذلك أكثر من ثلاث سنوات على تاريخ اقامة هذه الدعوى — فضلا عن أن دعوى التعويض قد انقضت أيضا بسقوط الدعوى الجنائية حتى اقامة الدعوى اعمالا للفقرة الثانية من المادة ١٧٢ من القانون المدنى — وأضاف الحاضر عن الحكومة أنه من حيث موضوع الدعوى فقد ثبت من التحقيقات التى أجرتها النيابة العامة وسلطات السجن أن وفاة مورث المدعية حدثت من جراء سقوطه من أعلى سلم السجن حال دخوله — كما أن المدعية لم تورد عناصر الضرر الذى أصابها من جراء وفاة المورث — فضلا عن أنها لم تثبت أن المورث كان يعولها وقت وفاته — وبذلك يكون مبلغ التعويض المطالب به مبالغا فيه وقصد منه الاثراء وانتهى الى التصميم على الدفوع وفى الموضوع طلب رفض الدعوى ».

وحيث أنه بعد مراجعة الاوراق ودفاع الطرفين تتطرق المحكمة للرد على الدفوع المبداة من الحاضر عن الحكومة ، وفيما يتعلق بالدفع المبدى بعدم قبول الدعوى بالنسبة للمدعى عليه الاول السيد مدير مصلحة السجون فهو على اساس اذ أن الممثل القانونى للميان ابى زعبل هو السيد وزير الداخلية التابع له مصلحة السجون وبذلك يكون اختصام السيد مدير مصلحة السجون للحكم عليه بطلبات المدعية على غير اساس ويتعين الحكم بعدم قبول الدعوى بالنسبة له لرفعها على غير ذى صفة .

وحيث أنه فيما يتعلق بطلب الحاضر عن الحكومة وقف الدعوى حتى ينتهى الفصل فى الدعوى الجنائية التى تباشر فيها النيابة التحقيق قبل الثابت من ملف التحقيقات الخاص بواقعة وفاة مورث المدعية المنضم للاوراق أن النيابة لم تتصرف بعد فى هذه التحقيقات اذ قيدت التحقيقات برقم ٣٧٦ سنة ١٩٦٠ حصر تحقيق أبن الدولة ، وأشر بعرضها على السيد النائب العام الذى لم يتصرف فى الدعوى الجنائية حتى الان — واذ كان ذلك وكان من الثابت أن الفقه مستقر حسبما تنص على ذلك المادة ٢٦٥ من قانون الاجراءات الجنائية أنه يشترط لوقف الدعوى المدنية التى ترفع الى المحاكم المدنية بسبب رفع الدعوى الجنائية عن جريمة استندت أن ترتكب الفعل الضار — أن تكون الدعوى الجنائية قد رفعت قبل اقامة الدعوى المدنية أو اثناء السير فيها — أى أن تكون الدعوى الجنائية مرفوعة أمام المحكمة الجنائية قبل اختيار الطريق المدنى ويتحقق رفع الدعوى الجنائية بتقديمها الى قضاء الحكم — سواء عن طريق التكليف بالحضور أو بقرار الاحالة « يراجع فى هذا الشأن مؤلف أصول قانون الاجراءات الجنائية الدكتور أحمد فتحى سرور طبعة ١٩٦٩ ص ٣١٣ بند ١٩٠ » والدكتور محمود مصطفى ص ٢٨٤

ورؤوف عبيد ص١٩٤ والدكتور حسن المرصفاوى ص ٢٣٥ ــ ذلك لان وقف الدعوى المدنية يقتضى أن تكون الدعوى الجنائية قد رفعت أو حركت بالفعل ، بتكليف بالحضور أو بقرار احالة ــ لا أن تكون هناك فرصة للمدعى المدنى لرفعها ــ هذا بالاضافة الى ان الحكمة التى توقاها الشارع من تقرير قاعدة وقف الدعوى المدنية حتى يقضى فى الدعوى الجنائية نهائيا ــ هى أن يكون الحكم الجنائى سابقا على الحكم المدنى ــ ليتقيد الاخير بالأول ــ فاذا رفعت الدعوى المدنية أمام المحاكم المدنية وفصل فيها نهائيا قبل رفع الدعوى الجنائية فلا يتقيد الحكم المدنى بالحكم الجنائى « يراجع الوسيط الدكتور السنهورى الجزء الاول ص ١٠٧٤ بند ٦٣٣ » ويراجع فى هذا الشأن رسالة الاثبات للمرحوم أحمد نشأت طبعة ١٩٧٢ ص ٣٩١ بند ٧٠٢ وما بعدها بند ٧٠٢ والهامش٠

وحيث أنه متى كان ذلك وكانت الدعوى الجنائية موضوع الفعل الضار الذى تسبب الى تابعى المدعى عليه الثانى بصفته ــ لما تنتهى بعد ولما ترفع الدعوى الجنائية بها بعد ــ حتى اليوم ــ ووقف تحقيق النيابة عنها حسبما وضح من التحقيقات المنضمة على عرضها على السيد النائب العام ــ انتفت بذلك حكمة وقف هذه الدعوى المدنية حتى يفصل فى الدعوى الجنائية التى لم تتحرك ولم ترفع بعد على مرتكبى الفعل الضار اذ بصدور هذا الحكم فى هذه الدعوى ــ انتفى موجب الوقف لعدم قيام تعارض بينه وبين الحكم الجنائى ــ الذى سيصدر بعد ذلك ــ واذا ما عن للنيابة العامة أن تقيم الدعوى الجنائية ــ حسبما سلف شرحه ــ وبذلك يكون الدفع بطلب وقف هذه الدعوى ليس له أساس ويتعين الحكم برفضه .

وحيث أنه فيما يتعلق بالدفع المبدى بسقوط حق المدعية فى اقامة هذه الدعوى بالتقادم اعمالا لنص المادة ١٧٢ ــ القانون المدنى ــ لمضى اكثر من ثلاث سنوات على وقوع الفعل الضار « وفاة مورثها » فى ١٩٦١/١/١٥ وحتى اقامتها هذه الدعوى فى ١٩٦٨/٢/٣ فهو بدوره على غير أساس اذ من المثلث قانونا اذا كان أساس الفعل الضار جريمة يجرى تحقيقها والمحاكمة عنها فان المدة اللازمة لسقوط الحق فى المطالبة بتعويض عنها عملا بنص المادة ١٧٢ من القانون المدنى تقف طوال المدة التى تدوم فيها المحاكمة الجنائية ولا يعود التقادم الى السريان الا منذ صدور الحكم النهائى فى الدعوى « يراجع حكم النقض الصادر بتاريخ ١٩٧٢/٤/٤ والمنشور فى مجموعة النقض المدنية السنة ٢٣ ص ٦٣٦ ذلك لان قوام هذا السقوط وعلته هو تنازل المضرور عن المطالبة بحقه ولا يفترض هذا التنازل بل يجب أن يقوم علم المضرور حقيقيا بالفعل الضار ومرتكبه ولا يتأتى ذلك الا بعد انتهاء التحقيقات الجنائية والفصل فى الدعوى بحكم يحدد ذلك صراحة « يراجع حكم النقض الصادر بتاريخ ١٩٦٨/٤/٢ والمنشور فى مجموعة النقض المدنى السنة ١٩ ص ٧١٩ » ــ ومتى كان ذلك كذلك وكانت تحقيقات النيابة العامة بشأن الفعل الضار المنسوب الى تابع السيد المدعى عليه بصفته لما تنته بعد بمحاكمة جنائية ولما يصدر فيه بعد قرار باتهامه كان ذلك سببا موقفا لمدة التقادم اللازم لسقوط حق المدعية فى اقامة هذه الدعوى عملا بالمادة ١٧٢ من القانون المدنى وكان الدفع على غير أساس خليقا بالرفض .

وحيث أنه فيما يتعلق بموضوع الدعوى ــ فقد ثبت فى يقين المحكمة أن رجال الشرطة وحرس ليمان أبو زعبل تابعى المدعى عليه الثانى بصفته ــ قد تجردوا من القيم الانسانية والاخلاقية حسبما ذكر شهود المدعية الذين تطمئن الى أقوالهم المحكمة نظرا لمركزهم الثقافى ــ مما لا يتطرق معه الشك فى صدق أقوالهم ــ واعتدوا بالضرب المبرح على مورث المدعية عن نفسها وبصفتها ــ وأنخذوا معه صنوف العذاب التى لا يقرها شرع أو قانون ولا يحكمها دين أو خلق وتجردوا من آدميتهم فى الانتقام من هذا المخلوق الضعيف الذى ساقه القدر الى قلوب غلاظ تجردت من معانى الخلق وقيم الانسانية وانقلبوا وحوشا آدمية انتهزت فرصة وقوع فريستها الضعيفة بين أيديهم مجردا من الحول والقوة وارتكبوا معه من صنوف العذاب والوان التعذيب ما تقشعر منه النفس ويشيب من هوله البدن ــ حتى سقط ذلك المخلوق الضعيف صريع هذا الظلم والقسوة ــ بين هذه الايدى الاثيمة ــ لا لذنب جناه الا جريمة رأى لما يفصل فى ارتكابه لها بعد واذا كان ذلك وكان الثابت من أقوال شهود المدعية الذين لا يرقى اليهم الشك والذين تطمئن اليهم المحكمة أن مرتكبى هذا الفعل الضار الذى وصل الى حد الجريمة البشعة والذى كان سببا فى وفاة مورث المدعية حدث من رجال وحراس سجن ليمان أبو زعبل التابعة للمدعى عليه الثانى بصفته حقت مسئوليته عن فعلهم عملا بالمادة ١٦٣ و ١٧٤ من القانون المدنى بوصفهم تابعين له ، نتيجة لما يجب أن

يتحمله من ضمان سوء اختياره لهم عندما عهد اليهم بالعمل عنده وتقصيره في مراقبتهم عند قيامهم باعمال وظيفتهم ، ولا ينفي قيام هذه المسئولية أن تكون موزعة على اكثر من شخص واحد ما داموا يؤدون عملا مشتركا — بل يكفي لقيام هذه المسئولية أن تكون هناك علاقة سببية بين ذلك الخطأ ووظيفة التابع يستوي في ذلك أن يكون خطأ التابع قد امر به المتبوع او لم يامر به — علم به او لم يعلم — مادام التابع ما كان يستطيع ارتكاب هذا الخطأ لولا الوظيفة . وعلاقة التبعية مسالة موضوعية تستخلصها محكمة الموضوع بغير معقب ما دامت تقيمها على عناصر تنتجها « يراجع حكم النقض الصادر في ١٩٦٢/١٠/١٥ مجموعة احكام النقض الجنائية السنة ١٣ ص ٦٢٥ بند ١٥٦ » .

وحيث انه فيما يتعلق بالضرر الذي اصاب المدعية من نفسها وبصفتها فان المحكمة مستهدية في ذلك بمركز المورث — من انه كان على ثقافة عالية ومتقنا اللغة الانجليزية ومديرا لدار نشر يقوم بترجمة الثقافات الاجنبية للاهتداء بها وكان يعمل بالصحافة حسبما ذكر شهود المدعية الذين تطمئن اليهم المحكمة وكان يتكسب مبلغا يقارب الى [٢٨٠ جنيها] شهريا فانه ولا شك حاق بالمدعية عن نفسها وبصفتها ضرر مادي محقق يتمثل في حرمانها من مائلها هي وابنتها القاصرة وانقطاع مورد رزقها الى الابد بعد ان كانت تتطلع الى الحياة بنظرة ملؤها التفاؤل والامل فاصبحت تقاسي شظف العيش بعد أن اصبحت بلا مائل يعولها او موئل تعتاش منه — لا سيما ولم يثبت أن ثمة تعويض صرف لها لتعويضها ماديا عما حاق بها من جراء فقد مائلها هي وابنتها نتيجة لفعل تابعي المدعى عليه الثاني بصفته — هذا بالاضافة الى الضرر الادبي الذي حاق بها وابنتها من جراء حرمانهما من ابوة حانية كانت الموئل والملاذ فاصبحتا تقاسيا الحياة بلا عطف أو حنان — واذ كان ذلك فالمحكمة مستهدية في تقدير مبلغ التعويض باحكام المواد ١٧٠ و ٢٢١ و ٢٢٢ من القانون المدني ترى مناسبة تقدير مبلغ اثنى عشر الفا من الجنيهات كتعويض جابر لجميع الاضرار التي حاقت بالمدعية من نفسها وبصفتها وصية على ابنتها القاصر وهو ما يتعين القضاء لها به على المدعى عليه الثاني بصفته « يراجع حكم النقض الصادر في ٤/٨/١٩٧٢ والمنشور في مجموعة النقض المدنية السنة ٢٣ ص ٦٧ » .

وحيث انه عن المصروفات فيتعين الزام المدعى عليه الثاني بصفته بالمصروفات المناسبة عملا بالمادتين ١٨٤ و ١٨٦ من قانون المرافعات شاملة مقابل اتعاب المحاماة .

وحيث انه فيما يتعلق بالنفاذ فلا ترى المحكمة موجبا له الامر الذي يتعين معه رفض هذا الطلب .

لذلك :

حكمت المحكمة :

اولا — عدم قبول الدعوى لرفعها على غير ذي صفة بالنسبة للمدعى عليه الاول .

ثانيا — الزام المدعى عليه الثاني بصفته بان يدفع للمدعية عن نفسها وبصفتها وصية على ابنتها القاصرة هنان شهدي عطيه عبد الله الشافعي اثنى عشر الفا من الجنيهات والمصروفات المدنية المناسبة ومبلغ عشرين جنيها اتعابا للمحاماة ورفضت ماعدا ذلك من الطلبات .

امين السر — رئيس المحكمة
امضاء — امضاء

نماذج من مقالات الشهيد فى سنة ١٩٤٧ * المنشورة فى مجلة الجماهير

● اننا لا نريد أى استعمار انجليزيا كان أم أمريكيا *

الارتماء فى أحضان سيد جديد ... الاستعمار الامريكى هذا هو الاتجاه الخطير الذى ينهجه بعض الساسة المصريين، فرئيس مكتب الدعاية فى مجلس الوزراء المصرى .. أمريكى والمستشار الرئيسى للوفد المصرى المسافر الى مجلس الامن أمريكى ! ووزارة الدفاع المصرية ترفع مذكرة ، تقترح انتداب بعثة عسكرية من كبار الامريكيين لاعادة تنظيم الجيش المصرى !

والاحاديث تدور عن استقدام خبراء اقتصاديين أمريكيين .

والدعاية لامريكا على قدم وساق ، يقوم بها بعض الساسة المصريين فى أمريكا تارة وفى مصر تارة أخرى .

فعزام باشا يصرح : « توجد فى الشرق العربى امكانيات كبيرة للتوسع وفيه أموال كثيرة لكم .. وقلنا »

وأن مصر من الوجهة العملية تعتبر نقطة ارتكاز للنفوذ الامريكى فى الشرق الاوسط ! .

وهنا فى مصر يقوم احمد حسين بدعايته السافرة لامريكا وها هى الاخبار تترى .. أن المسألة الكبرى للنقراشى فى أمريكا هى عقد قرض أمريكى .. أما القضية الوطنية فقد بذل فيها دولته جهده !

● ● ●

وأمريكا ولا شك ترحب بهذه الحفنة من الساسة المصريين ، وتخصص لهم صفحات كاملة فى جرائدها الكبرى لا دفاعا عن القضية المصرية ولا حرصا على استقلال مصر — وانما لان امريكا — كما تصرح دوائر هوبتهول الرسمية معلومة « أن تحل محل بريطانيا العظمى فى الدفاع عن قناة السويس اذا أيد مجلس الامن مصر فى مطلبها بالجلاء الناجز للجنود البريطانيين » .

ان امريكا تواجه العالم فى سفور فاجر ..

انها تريد تحقيق حلم هتلر القديم، سيادة العالم وتحويل شعوبه عبيدا لحفنة من الاحتكاريين الامريكيين .

● ● ●

هذه كلها نذر شريرة لاتجاه خطير .

فستتاح لمصر فى مجلس الامن أن تكسب مكاسب وسيتاح لمصر فى مجلس الامن ان تضغط على الاستعمار الانجليزى بفضل القوى الديمقراطية العالمية بفضل يقظة الرأى العام المصرى .

ولكننا لا نريد أن نكسب هذه المكاسب ليخسرها وادى النيل ، وليخسرها

---

[*] أعد هذه المقالات د . رفعت السعيد .

[*] الجماهير — العدد السابع عشر من ٢٨ يوليو سنة ١٩٤٧ [افتتاحية]

الشعب المصرى ؟ ولنذهب الغنم الى مستعمر جديد .. المستعمر الامريكى .

● ● ●

فليحذر الشعب المصرى وليحذر اشد الحذر من هذه الحفنة من الساسة المصريين الذين يتظاهرون بالبطولة الوطنية ضد المستعمر القديم ويرتمون فى أحضان السيد الجديد .

ان الشعب المصرى يريد الاستقلال الكامل والتخلص التام من الاستعمار .

ان الشعب المصرى لا يريد ان يستبدل استعمارا باستعمار ، ولا ان يضيف استعمارا الى استعمار .

شهدى عطية الشافعى

● أيهـــا الشـــعب ..

عبر عـن سـخطك على الاسـتعمار *

.. خمسة وستون عاما من احتلال بغيض ، عبث فيه الانجليز بحرياتنا ، وامتصوا دماءنا واذاقونا الجوع والعرى والويل والحرمان .

.. خمسة وستون عاما اعتدت فيها انجلترا على سيادتنا ، وسيرت سياستنا الخارجية واستخدمت مواردنا الاقتصادية وفق مصالحها الاستعمارية على حساب الملايين من المصريين والسودانيين .

.. خمسة وستون عاما من احتلال غادر اثر عدوان اليم ، كم اطلقت فيه قوات الاحتلال النيران على الالاف التى هتفت «ليسقط الانجليز ، ولتحيا الحرية والاستقلال فى ثورة ١٩١٩ ، وفى ثورة ١٩٣٥ وفى يوم الجلاء ، يوم ٢١ فبراير سنة ١٩٤٦ .

ومع هذا يجرؤ كادوجان فى مجلس الامن ان يتفكه ويتندر .. ان المساواة فى السيادة متحققة بين مصر وبريطانيا مادام ممثل مصر جالسا على مائدة مجلس الامن يناقش بكامل حريته المستر كادوجان !!

يا للسخف الهزيل ...

... بل تبلغ به الصفاقة الاستعمارية ان يصرح بان القوات البريطانية موجودة بموجب معاهدة سنة ١٩٣٦ عن رضى مصر ومحض ارادتها !

اذن فيم هذه الالاف التى هبت تنادى بالجلاء — وفيم هذه الالاف التى احتجت واضربت وتظاهرت وخضبت أرض مصر بالدماء .

الم يكن هتافها المدوى ، ودماؤها الذكية الطاهرة الدليل القاطع على ان الشعب المصرى كاره لكم ، ساخط على بقائكم ثائر على تعسفكم واستعبادكم واستعماركم .

وتمتد الصفاقة الاستعمارية فتقلب كل وضع وتتحدى مبادىء الامم المتحدة .. فنقول ان هذه القوات باقية الى عام ١٩٥٦ برغم مجلس الامن .. وبرغم سخط الشعب !!

بل تبلغ الوقاحة الاستعمارية اقصاها عندما يزعم كادوجان انه اذا حدث ما من شأنه ان يهدد السلم الدولى وامنه : فلن يكون سببه الا ان مصر تعتزم اتخاذ اجراءات تهدد السلم والامن الدوليين !!

مصر تهدد السلم والامن ! !

.. انجلترا التى استخدمت بوارجها ونفوذها وضغطها اكثر من مرة لتحول دون تنفيذ تشريع او قانون مصرى لاترتاح اليه لا تهدد الامن !

انجلترا التى تستخدم مصر مركزا لمؤامراتها على السلم فى الشرق الاوسط فتسعى لتجميع هذا الشرق فى كتلة تحت سيطرتها ، لا تعكر السلم !

.. انجلترا التى تريد ان تفرض تحالفا عسكريا فى مشروع صدقى — بيفن ، وتستخدم موارد مصر ورجالها فى حروب استعمارية جديدة تعد لها هى وامريكا — انجلترا هذه لا تهدد بقائها فى وادى النيل السلام والامن الدوليين !

.. وانما مصر الحريصة على حريتها واستقلالها هى التى تهدد الامن اذا ما غضبت على الاحتلال الاثم — واذا ما طالبت بالجلاء الكامل .

مصر هذه تهدد السلم ! وانجلترا هى الذئب البرىء المسكين !!

ايها الشعب :

لتعبر عن غضبك وسخطك ، على المستعمرين ولتظهر مقتك للاستعمار البغيض .

ايها الكتاب والصحفيون :

لتنبذوا المهاترات ولتشعلوها نارا مقدسة ضد الاستعمار والمستعمرين ، ولتلهبوا صدور الشعب ضد العابثين بحرياته واقواته واستقلاله .

ايتها الحكومة :

لتفسحى الحريات ، ولتطلقى الاجتماعات ، حتى يستطيع الشعب ان يتنفس فيعبر عن سخطه وألمه وغضبه — فهذه هى اللغة الوحيدة التى يحترمها الاستعمار .

شهدى عطية الشافعى

(*) الجماهير — العدد التاسع عشر — ١١ اغسطس سنة ١٩٤٧ — [الافتتاحية]

● الشـــعب يئن مـــن الغـــــلاء

وأقلية تتمتع « بالنايلون والباكار » *

« ده الغلا بقى فظيع .. » والحـــالة زى الزفت » ... قالهـــا وبطنه تكاد تنفجر من كثرة ما حشـــيت من الوان دسمة من طعام .. وانطلق وهو يجفف عرقه الغزير .

تصور البدلة الجديدة دى .. تكلفت ثمانية واربعون جنيها ! ومصاريف البيت كانت تتكلف فى زمن الحرب ٨٠ جنيهـــا اصبحت تكلفنى ١٢٠ جنيها ! ده بقت حالة زفت .. ايراد الواحد مالتين جنيه فى الشـــهر ، والواحـــد مش عارف يعمـــل ايـــه !

● ● ●

هـــذا هو الحديث الذى سمعته فى احـــد مجالس الـــكبراء ووالله لقد كدت انفجر غيظا ولم املك الا ان اصـــيح انت صاحب المالتين .. تشكو الغلاء !! اذن فما بالك بالالاف من الموظـــفين فى الدرجة السابعة والثامنة وما دونها من عمال المياومة ومن الخدمة السائرة ؟ ؟ ماذا يصنعون بمرتبات تافهة ، تتراوح بين ثلاثة جنيهات وعشرة ؟ ماذا يلبسون؟ فى اى الحوارى يسكنون ؟ كيف يتعـــلم اولادهم ؟ ... وماذا يصنع مليون عامل مصرى ازاء هذا الغلاء الفاحش واصحاب المصانع يصرون على تخفيض اجورهم ، وطرد الالاف منهم ؟ ماذا يصنع عـــامل وزوجته وخمسة اطفال بعشرة او خمسة عشر قرشـــا فى اليـــوم ؟ خمســـة عشر قرشا ! والله لا تكفى علف يـــوم واحد لجاموسة واحدة من جاموســـك ايها السيد الكبير ؟

● ● ●

..... بل قل ماذا يصنع اربعـــة ملايين عائلة من الفلاحين المصريين لايتجاوز ايراد الغالبية لعائلاتهم عن جنيه واحد فى العام [جنيه واحد] ماذا يلبسون منه؟ كيف يداوون الانكلستوما والبلهارســـيا والسل المصابين بها ؟ كيف يشـــترون حتى الذرة التى منها يقتاتون ؟؟

● ● ●

اتدرى ايها السيد الضخم الكبير سر ما يعانيه الشعب من حرمان ؟ !

— لان الجشعين من اصحاب الشركات يصرون على زيادة الارباح حتى ولو هلك العمـــال .

— لان النهمين من اصحاب الاراضى يصرون على زيادة الايجارات ولو هلك الفلاحون ؟

.... لان اصحاب الاموال المكدسة يرفضون ان يقرضوا الا بفوائد ربويـــة فاحشه متحدين كبار التجار يابون الا انتزاع كل قانون !! لان المتخمين من الارباح الضخمة ولو من دماء المستهلكين

لان كبار رجال الدولة يوزعون الدرجات والعلاوات والمرتبات فيكون للكبار نصيب الاسد ولصغار الموظفين الكادحين قروشا وملاليم !!

.... لان القابضين على زمام الامور فى مصر قد رضـــوا بتســـوية الديون الاسترلينية وهى نكبة على اقتصاد مصر، محرمها من شر السلع الواردة من الخارج، وما تريده من آلات لانشاء مصانع جديدة توفر عملا للعاطلين ، وتنتـــج بعـــض حاجات البـــلاد .

... لان العمال والفلاحين وصـــغار الموظفين محرومون من التجمع فى حرية وتنتظم صفوفهم كما يرغبـــون للـــدفاع عن صفوفهم .

هـــذا هو السر ايها السيد الكبير .

ايهـــا العمال :

ان من حقكم المطالبة بزيادة الاجور ؟ والتامين ضد البطالة فطالبوا بها . فاذا لم تكن لكم نقابات تقوم بهذا الـــكفاح فكونوا نقابات ، وان كانت لكم نقابات ضعيفة او خائنة فطهروا لتحل محلهـــا اخرى قوية تمثلكم خير تمثيل ..

ايهـــا المواطنون :

ان من حقكم ان تنصفوا وان تضاعف مرتباتكم لتواجه هـــذا الغـــلاء — فان يكن لـــكم رابطات ضعيفة او متخاذلة فغيروها ..

ايهـــا الفلاحـــون :

ان من حقكم المطالبة بتخفيض الايجارات وتخفيف الديون وفوائدها .

يا سكان الاحياء فى المدن والاقاليم :

ان من واجبكم محاربة التجار الجشعين فكونوا جماعات تعاونية تشرفون عليها اشرافا صحيحا ، وتستطيع ان تضـــع حدا لجشع الجشعين .

ايها الجماهير المصرية المحرومة :

من حقكم ان تطالبوا بفك الاغـــلال التى تقيد اقتصادنا وتحول دون استيراد ما نحتاجه من سلع ومن حقكم ان تطالبوا بفرض يد من حديد على ارتفاع الاسعار والسوق السوداء .

من حقكم ان تجاب هذه المطالب والا فلا حق لاية حكومة ان تبقى لحظة واحدة فى الحكم اذا لم تستطع ان توفر لجماهير الشعب الغذاء والكساء ، وان تضـــع حدا حاسما للغلاء .

شهدى عطية الشافعى

* الجماهير — العدد ١٨ — ٤ اغسطس سنة ١٩٤٧ م

تعليق

لكى لا يندم أحد على الحيـــــاة

١ ـ ربما كانت اثارة قضية التعذيب الذى تعرض له حتى الموت شهيدنا المناضل شهدى عطية الشافعى مناسبة هامة ، لوقفة يحسن ـ أن نستخلص منها العبر والدروس ـ ومن منا فلن تكون اثارة هذه القضية ـ على صفحات هذه المجلة ـ وسيلة للغرور أو التباهى بالبطولات ـ فليس للناس التقدميين أن يفعلوا ذلك ـ لان كل من ضحى بحياته منهم يحمل كتابه بيمينه ، وسوف ينصفه حتما تاريخ النضال الوطنى والاجتماعى فى مصر ـ وسوف ينصف حتما شهدى وأويس اسحق ومحمد عثمان وفريد حداد ورشدى خليل وعثمان الديب وسيد أمين ـ

٢ ـ واذا كنا لا نصادر على حق أى فرد أو جماعة فى اثارة أى قضية تمس الحريات العامة والفردية ... فان الملابسات ـ مع ذلك ـ أن قضية التعذيب الذى وقع على مجموعات مختلفة الاتجاهات والمذاهب وفى فترات معينة ، من مسيرة ثورة يوليو ، طرحتها أول ما طرحتها ـ فى الفترة الاخيرة ـ أوساط يمينية معروفة بعدائها الثابت لثورة يوليو ـ ولم يكن الخطأ ـ من جانبها ـ انها طرحت القضية ، ولكنها طرحتها لتخدم أهدافا يمكن أن نسميها بأهداف « حزبية » ضيقة ـ ولما كانت البلاد لا تزال فى حالة حرب مع العدو الصهيونى الامبريالى ، وتحتاج ـ بالتالى ـ أكثر من أى وقت الى صيانة الوحدة الوطنية ، فان طرح أى موضوع يتعلق بالماضى والجماهير يجب أن يخدم هذا الهدف ، ويتعين أن يتم فى اطاره ـ والدليل على أن هذه الاوساط لم تكن تقصد من اثارة قضية التعذيب وجه « الديموقراطية » و « الحرية » و « حقوق الانسان » ، انها تقبلت فى فترة الحكم الملكى الاستعمارى ظواهر التعذيب الجماعى والفردى كظواهر « طبيعية » لا تستلفت النظر ـ وكل من عاصر فترة الحكم الملكى الاقطاعى الاستعمارى يعلم ـ مثلا ـ ان كثيرا من الاقطاعيين كانت لهم فى داخل أملاكهم « سجون » خاصة ، غير سجون الدولة ـ وفيها كان يحبس الفلاحون ويجلدون ويهانون ـ ولكن ، علينا أن نذكرهم ـ بالتحديد ـ بأن القضاء المصرى قد أدان ـ مثلا ـ حكومة المرحوم اسماعيل صدقى بجرائم تعذيب ـ لكن اسماعيل صدقى تدمته أخبار اليوم فى الاربعينات باعتباره بطل الوطنية ، ونجمها اللامع ، ولم يخطر ببالها ـ أو هى لم تـرد ـ أن تقلب ملف حكومات الاقلية فى مصر ـ

فلنؤكد ـ اذن ـ مرة أخرى على أننا فى ظروف حرب التحرير لابد وأن يكون الحرص على الوحدة الوطنية هو منطلقنا ـ وليس يوجدى أن نثار اليوم قضية من القضايا على طريقة « بق اسبغين » فى « الناصرية » ـ فهذا المنهج لا يخدم الوحدة الوطنية ، لان قطاعات ضخمة من الوطنيين يتمسكون بحكم ثورة يوليو ، ويتمون اليها ـ ووقفا

لتصريحات عديدة ادلى بها الرئيس انورالسادات نفسه ، فى أكثر من مناسبة ، فان هذا النظام القائم استمرار لثورة يوليو التى قادها عبد الناصر • لكن الرئيس السادات الذى أكد على هذا الانتماء هو الذى أكد فى الوقت نفسه ، فى ورقة أكتوبر ، على منهج مواجهة تجربة يوليو : التمسك بايجابياتها وتجاوز (أى التغلب على سلبياتها) ، وذلك من منطلق أن التجربة ايجابية بشكل عام ،وفى المحصلة الاخيرة •

٣ ــ وما دامت قضية التعذيب قد طرحت ،فلنحاول أن نتعرض لها لنستخلص الدروس اللازمة ، تلك الدروس التى تفيد ــ فى آن واحد ــ تعزيز الديموقراطية ، وفى تعزيز الوحدة الوطنية المساندة للايجابيةوالصهيونية والاستعمار الجديد •

فهذه القضية يمكن أن يكون لها أكثر من مدخل أو طريقة للمعالجة • وعلى سبيل المثال يمكن أن يكون مدخلها :

أ ــ ما يفرضه منطق العصر والسلوك المتحضر ،

ب ــ أو المبادىء المسجلة فى وثيقة حقوق الانسان ،

جـ ــ أو المنهج الصحيح الذى يجب أن يسود فى تصفية التناقضات والخلافات بين القوى الوطنية والتقدمية •

فاذا اخذنا بالمدخلين أ و ب ، فسوف نجد ــ فى هذه الحالة ــ اننا ــ حتما ــ امام ثلاث مجموعات سياسية قد تعرض افرادمنها لعمليات تعذيب مختلفة : مجموعة الماركسيين والشيوعيين، ومجموعات من اليمين السياسى (بما فيهم الاخوان المسلمون) ومجموعات من داخل النظام نفسه • وبمنطق المدخلين الاولين أ و ب ، فان هذه المجموعات الثلاث كلها تقف على قدم المساواة ، وبدون أى تمييز ــ كبشر ــ لتؤكد حقها الانسانى فى رفض كل وسيلة عنيفة مادية أو معنوية تمرضت لها • فاختلاف الموقف السياسى لا يغير من حقيقةان التعذيب ضد الفرد والمواطن مناف الى أقصى حد لمبادىء السلوك المتحضر ، ولابسط حقوق الانسان • وان هذا الامر يجب أن يشجب ويدان ، وبكل صراحة •

فاذا كان مدخلنا الى هذه القضية هو (جـ) ، أى اختيار المناهج التى تحكم تصفية الخلافات داخل القوى الوطنية • فان أساليب التعذيب أو الضغوط المادية والمعنوية ــ بوجه عام ــ ليست مرفوضة فحسب بين القوى الوطنية والتقدمية ، بل انها لتضر ، الى أقصى حد ، بالوحدة الوطنية ، اذ هى تدفع التناقضات الثانوية بينها الى مستوى التناقض الرئيسى ، وتفتح ــ من ثم ــ ثغرة تنفذ منها قوى الرجعية والاستعمار الجديد •

لكن هذه النقطة الاخيرة ، تقودنا الى النقطة التالية :

٤ ــ هذا نسأل : كيف يمكن أن تقع عمليات تعذيب فى ظل نظام وطنى ثورى كنظام يوليو •

من السهل أن نقدم اجابة عامة ــ فنقول ان المجتمع الذى ظهرت فيه الثورة ، لم يعرف حياة سياسية صحية ، ولم تتكون فيه تقاليد ثابتة للممارسات الديموقراطية العميقة ، وان قيم المجتمع شبه الاقطاعى وشبه المستعمر ، وهى قيم امتهان حقوق الفرد وكرامة الانسان ، استمرت قائمة ،بكيفية او باخرى •

لكن ، هذه الاجابة العامة على صحتها لاتضع أيدينا على قضايا ملموسة • ولابد من معرفة العناصر الموضوعية التى ولدت التعذيب فى ظل نظام يوليو • وهذه العناصر هى ــ بشكل عام :

أ ــ **السلطة غير المحدودة للحاكم** :والقضية هنا هو أن الحاكم الفرد قد لا يكون مسئولا بشخصه عن عمليات التعذيب ، بقدرستتكرها اذا أخذ رأيه فى تنفيذها • لكن

تجارب التاريخ القديم والمعاصر تعلمنا أن حكم الفرد المطلق لـه « آليات » أو « ميكانزمات » خاصة . فالحكم المطلق يعتمد على :

- الشلل وذلك على حساب المؤسسات ، وأحيانا الكفاءات .
- الاجهزة وذلك على حساب حركة الجماهير الواعية والمنظمة .
- الاجراء الاستثنائى على حساب المشروعية وسيادة القانون .
- القمع على حساب الاقناع وتنوير الرأى العام .

وكلما ازداد الاعتماد على الاجهزة كلما اكتسبت هذه الاجهزة « استقلالا ذاتيا » عن الحاكم حتى انه كثيرا ما يحدث أن تنفذ مايلقى اليها من توجيهات بالاسلوب الذى تختاره وتحدده هى .

ب ـ **استمرار جهاز الدولة القديم** ، فى الفترة التى تلت اجراءات يوليو الثورية عام ٦١ ، **كان جمال عبد الناصر** دائم الشكوى مما كان يسميه بخطر «البيروقراطية» . والواقع ان ثورة يوليو واجهت منذ مولدها هذا التناقض . ومى أنها تريد أن تبنى مجتمعا جديدا وتحقق اهدافا سياسية واقتصادية واجتماعية معتمدة على جهاز السلطة الموروث من النظام السابق . وهذا الامر لم يحدث فى أى ثورة . وترتب على هذا أن غالبية العناصر المنتشرة فى أجهزة الدولة ـ على اختلافها ـ كانت تعتنق سلم القيم الذى يقول أن « الشعوب يجب أن تؤخذ بالشدة لا بالين » . وظل جهاز الدولة منفصلا عن الشعب .

جـ ـ **التناقضات داخل قيادة ثورة يوليو** : لم يعد سرا أن قيادة ثورة يوليو لم تكن موحدة الفكر والارادة . فبينما كان **جمال عبد الناصر** يمثل ـ داخل هذه القيادة ـ الاتجاه الذى يصر على تأمين الاستقلال السياسى والاقتصادى ، وبالتالى ، على مواصلة التنمية وعلى اجراء تغييرات اقتصادية عميقة لمصلحة الجماهير الشعبية ، كان السيد **زكريا محيى الدين** مثلا كما كان المرحوم المشير **عبد الحكيم عامر** ، فى جانب تجميد الثورة الاجتماعية ، والانكماش فى التنمية والعودة الى الطريق الرأسمالى . وبالنظر الى أن **جمال عبد الناصر** لم يكن يعتمد على حركة جماهيرية منظمة ، وعلى حزب سياسى مناضل ، فقد ترتب على ذلك ان دعمت القيادات المعارضة له مراكزها فى الاماكن التى احتلتها من جهاز السلطة وراحت تصوغها هو صورتها ووفق فلسفتها وهذا دعم الاجهزة الخاصة فى مواجهة المشروعية .

د ـ **الدور الغوغائى لقوى اليمين الرجعى** : عندما يصطدم نظام وطنى باقسام من القوى الوطنية والتقدمية ، تنطلق ـ كقاعدة ـ قوى اليمين الرجعى والاستعمار . وهذا ما حدث فى عام ١٩٥٩ . فقد سمح هذا الانقسام لقوى اليمين الرجعى بأن تشن حملة غوغائية ضد الماركسيين المصريين فتنسب اليهم اعمالا ومواقف لم تحدث موجهة ضد العقيدة الدينية وجمهرة المؤمنين . ثم لا تتورع ـ كذبا ـ عن أن تصفهم بأنهم « اعداء الاسرة ودعاة الاباحية الجنسية واعداء الوطن والوحدة العربية » وفى ظل هذه الحملات المسمومة يتم غسيل مخ للرأى العام ، ويتواجد بالضرورة افراد مدنيون أو رجعيون داخل الاجهزة مستعدون لتنفيذ أى أمر أو لارتكاب أى عمل انتقامى أعمى ضد المعتقلين والمسجونين ..

على ان ذكر هذه العوامل التى افرخت فى ظلها عمليات التعذيب يفسر ولا يبرر . ويؤصل القضية ولا يرفع المسئولية . ويظل جمال عبد الناصر يتحمل مسئوليته ، فى هذا ، وهو قادر على تحملها تماما كما يتحمل مسئولية الانجازات الوطنية والاجتماعية التى قادها .

٦ ــ ذلك أن جمال عبد الناصر يظل ــ بعدذلك ــ قضية تاريخية ووطنية ،أن عولجت فيكل الموضوعية ومتطلبات العلم التاريخي. وعند هذه النقطة تتدرج قضية التعذيب فى مكانها من سلبيات التجربة • ويظل اطارالتجربة الوطنية والثورية بعد ٥٢ هو اطار انجازات هائلة لها كل الابعاد المحليةوالعربية والدولية : استقلال مصر السياسى وتصفية الاحتلال • وضع أسس متينةللاستقلال الاقتصادى . تصفية الاقطاع والرأسمالية الكبيرة العميلة • طرح قضية حتمية الحل الاشتراكى وما قدمه فيها من اجتهادات فكرية وما حاوله من تطبيقات • الانحياز الى الشعب العامل فى الفكر والموقف • التوجه الى الامة العربية لتأخذ مصر مكانها فى أسرة الشعوب العربية • ومساندةنضالها الوطنىالتحررى بلا تردد ، النضال المجيد والتاريخى ضد الاستعمار الجديد وضد محاولات الولايات المتحدة ملء فراغ الامبراطورياتالقديمة فى المنطقة . بالتدوتج ، وحركة عدم الانحياز ، التضامن والتحالف مع البلدان الاشتراكية، وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى على أساس مبدأى من النضال المشترك ضد الامبريالية والصهيونية والسلم العالمى. فهذا هوالموقف فى مجمله ، وبمحصلته الايجابية النهائية ، هو الذى أثار جنون الاستعمار الجديد والصهيونية اللذين لم يضعا السلاح ضده

هنان شهدى فى الفاسية من عمرها

(أى ضد مصر) مرة واحدة . وكل معركةفرضت على عبد الناصر كانت محصلتها النهائية هى محصلة التفاعل بين ما هوايجابى وما هو سلبى • وعندما أجل عبد الناصر قضية تنظيم الشعب بالديموقراطية ، بعد أن بدأ عام ٦١ أصعب المعارك اطلاقا وأشقها وهى معركة التحول الاجتماعى ، تمكن الاستعمار منه فى معارك يونيو ١٩٦٧ . هنا توضع قضية التعذيبفى اطار ما كان يجب أن يفعله عبد الناصر ولم يفعله ، وهو الامر الذى ادى الى عثراتوانتكاسات فى مسيرة الثورة .

وتبقى بعد ذلك حقيقة أن عبد الناصر بماحقق من انجازات وطنية واجتماعية ، عربية ودولية قد أصبح ــ بعد رحيله ــ حلقة منحلقات تاريخنا الوطنى • ولما كانت هذه الانجازات قد تمت استجابة لمتطلبات الوضعالثورى الذى عاشته مصر ، ولانه ما كان من الممكن أن تتحقق بدون اصرار الشعب الذى عبر عنها قبل ١٩٥٢ ، وبدون تضحيات ووعى الشعب بعد ١٩٥٢ ، فان قضيـــة التعذيب يجب أن تطرح وتدرس بما يمكن من صيانة المكاسب التى تحققت ، وتخطىالسلبيات التى وقعت • وهذا هو منهج الحفاظ على الوحدة الوطنية •

٧ــ غير أن هذا المنهج الذى ندعو الىالاخذ به كان مثار انتقادات وتعليقات استفزازية من جانب اليمين الرجعى •

فريق منه ادعى أنه لا يستطيع أن يفهم أو« يهضم » موقف الماركسيين من قضية التعذيب ، وتساءل هل هم « مرضى » حتى يستعذبوا ما صب عليهم من عذاب •

وفريق آخر ادعى الشماتة (بعد قوات الاوان) وأعلن أنه ضد التعذيب حتى ولو وقع على الماركسيين المصريين ثم أضاف هذاالفريق انه سيقف هذا الموقف رغم أنه لا يعرف « كيف يمكن أن يكون الانسان مصريا وماركسيا » .

وردا على الفريق الاول نقول : انه فى التعامل مع القوى الوطنية المعادية للاستعمار والصهيونية والرجعية يطبق الماركسيون مبدأ « الوحدة والصراع » . وهذا المبدأ ليس لغزا ولا بدعة ، انه يعنى انفصال المشترك ضد العدو المشترك وحل التناقضات بين القوى المعادية للاستعمار بالاسلوب السلمى وبتغليب عوامل الالتقاء على عوامل الفرقة . وتقد سلبيات الحليف . ثم نضيف ، ان هذا المبدأ ليس « بدعة ماركسية » ، ولا يدعو الى الاستغراب . بل هو صياغة علمية للعلاقات الحية بين البشر بما فيها من تشابك وتعقد وليس من المتعذر أن يكتشفه ناس غير ماركسيين .. وأن الشاعر الذى قال :

بلادى وان جارت على عزيزة
واهلى وان ضنوا على كرام

هذا الشاعر ، يعبر بشكل من الاشكال عن صيانة لقانون الوحدة والصراع .

ثم نرد على الفريق الثانى فنقول : انكم عندما تعودون الى النغمة البالية والكئيبة ، والمستعارة من الترسانة الفكرية للاستعمار ، لتجروا تيارا بأكمله ، محاولين - رغم فشلكم فى الماضى - أن تخرجوه من الصف الوطنى ، فانكم بهذا تعودون ، مرة أخرى ، لاشاعة هذا المناخ الفكرى المظلم الذى يفرخ فيه كل عمل من اعمال التعدى على حريات الافراد والمواطنين . ونحن نعلم أنه كان لكم دائما دور مرموق فى هذا . وها أنتم تعودون مرة أخرى ! وان كان هذا لا ينفى حقيقتين :

الاولى : انكم تنافقون عندما تدعون انكم ضد التعذيب بما فى ذلك تعذيب الماركسيين ، لانكم تحرضون عليهم بكل أنواع التحريض والافتراء

والثانية : انكم تنسون انه ما أن تنطلق الاساليب النافية لحقوق الانسان والمواطن حتى تصل اليكم ، ولا مفر !

واذا كان فتح ملف تعذيب المناضل شهدى عطية مناسبة لتكريم ذكراه ، فلتكن أيضا مناسبة لاستخلاص الدروس اللازمة ، وفى هذا ليكن المستقبل رائدنا من أجل احترام حقيقى لحقوق الانسان والمواطن ومن أجل انتصار المشروعية وسيادة القانون .

٨ - هنا لابد وأن تسجل أن كل تقدم تشريعى فى هذا الاتجاه هو عمل ايجابى يستحق أن ينوه به وأن يساند . ومن ثم فان بعض التشريعات التى اصدرها مجلس الشعب سنة ١٩٧١ تدخل فى هذا الاطار : نخص بالذكر قانون حماية الحريات الذى نص على تاثيم العدوان على حرمة الحياة الخاصة للمواطن ، وعلى حماية الحريات لا فى مواجهة سلطات الامن وحدها ، بل فى مواجهة النيابة . ونص على الغاء الحبس المطلق الذى كانت تمارسه النيابة العامة فى حالات متعددة فأصبح الحبس الاحتياطى محدود المدة . ونص على أن جرائم العدوان على الحريات مما لا تسقط الدعوى الجنائية ولا المدنية عنه بالتقادم . كما الغى قانون تدابير أمن الدولة الذى كان يجيز القبض على أى شخص أو اعتقاله لمجرد أنه كان من بين فئات معينة ، مثل أن يكون قد سبق اعتقاله . وكان هذا القانون يسرى حتى فى غير حالة الطوارىء .

فمثل هذه التشريعات تدخل فى الرصيد الايجابى لنظام الرئيس أنور السادات .

٩ - وأن ما هو مطلوب هو أن تتعزز ، الان ، وبكيفية مضطردة ، ضمانات متزايدة لحماية حقوق المواطن وحرياته . أن القانون الجيد ضمانة هامة . ولكن يبقى تنفيذ أى قانون مشروطا فى النهاية بضمانات (شروط) سياسية واجتماعية فى الاساس . وفى اعتقادنا أن فى مقدمة هذه الضمانات :

أ - تعزيز الوحدة الوطنية لتحرير الارض على اساس مبدأ المساواة فى التضحية بين

جميع الطبقات . فالتمسك بهذا المبدأ أساس حل التناقضات بين القوى الوطنية بالطرق السلمية .

ب ـ التنمية الاقتصادية المستقلة ، التي تستند في الاساس الى القوة الذاتية للشعب ، والى التخطيط القومي الشامل ، والدور القيادي للقطاع العام ، والتصنيع الثقيل ، والتوزيع العادل للدخل القومي .

فمثل هذه التنمية تعزز حرية الافراد والجماعات ، وتحميها ، لانها ترفع بكفاية مستمرة المستوى المادي (الكرامة) والثقافي (الوعي) للشعب .

جـ ـ حل مشاكل التحالف بين الطبقات الشعبية والوطنية بما يكفل لكل طبقة اجتماعية أن تنظم نفسها على المستويات السياسية والاقتصادية ، وأن تعبر عن مصالحها من خلال منابرها وصحافتها الحرة . وأن تقيم التحالف فيما بينها على أساس الالتزام بالاهداف القومية والاجتماعية التقدمية وحل التناقضات فيما بينها بالطرق السلمية .

د ـ تعزيز الصحافة بالحريات والضمانات التي تفرض عليها ـ كواجبة مستمر ـ خلق رأي عام مستنير ديموقراطي وعصري .

ومثل هذه الضمانات هي التي تعزز المشروعية ، وتجعلها قانونا عاما للحياة الاجتماعية ، وهي التي تجعل من سيادة القانون علاقة ثابتة تعزز الديموقراطية .

١٠ ـ تبقى بعد ذلك كله كلمة أخيرة :

فاذا كان ملف التعذيب قد فتح بما طرحته الصحافة على الرأي العام ، وبالاحكام التي أصدرها القضاء ، فان لنا مطالب محددة نتوجه بها :

أ ـ الى الاتحاد الاشتراكي ليدرس هذه القصة برمتها دراسة شاملة وموضوعية ، ثم ليقدم توصياته الى مؤسسات الدولة الى مجلس الشعب والى الحكومة .

ب ـ والى الحكومة لتشكل لجنة تتولى صرف تعويضات لاسر جميع الذين فقدوا حياتهم في السجون والمعتقلات . فهذا الاجراء فضلا عن عدالته ، يرفع عن هذه الاسر عبء الدخول في اجراءات قانونية قد تمتد سنوات وسنوات .

جـ ـ والى السيد نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية ليبعد على الفور عن جهاز الشرطة كل العناصر التي اشتركت في عمل من أعمال التعذيب وذلك أيا كانت المواقف والانتماءات السياسية لضحايا التعذيب .

أبو سيف يوسف

الاتحـــاد الســـوفييتى :

مصـــــريا
وعـــــربيا

ان توجد علاقة بين الاتحاد السوفيتى وبين بلدان حركة التحرر الوطنى ، فهذه هى احدى المعطيات الواقعية والعلمية لعصرنا الراهن ، عصر تصفية الاستعمار وتراجع الامبريالية وانتصار الاشتراكية .

واذا كان وجود علاقات بين هذا البلد الاشتراكى وبين بلدان حركة التحرر الوطنى هو امر يمليه الحس الواقعى السليم فى السياسة والدبلوماسية ، فانه ـ كما قلنا ـ احدى المعطيات العلمية ، بمعنى ان اى تحليل عقلانى متجرد للصراعات الرئيسية فى عالمنا ، ولتوازن القوى على الصعيد الدولى ، لابد وان يصل الى ضرورة وحتمية ان توجد هذه العلاقات وان تتوطد لمصلحة الطرفين : بلدان التحرر الوطنى والاتحاد السوفيتى .

هذه الحتمية وتلك الضرورة لا يلغيهما اختلاف الانتماءات الايديولوجية والعقائدية بين بلدان حركة التحرر الوطنى وبين الاتحاد السوفيتى . بل ان هذه الضرورة تظل قائمة على الرغم من وجود هذه الاختلافات .

ولعل هذا ما يثبته تاريخ العلاقات المصرية ـ السوفيتية . فقد مرت هذه العلاقة بعدد من المراحل :

ففى المرحلة التى سبقت اقامة علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتى ، ارتفعت أصوات الرأسمالية الوطنية فى مواجهة الاستعمار الانجليزى ، تطالب بانشاء علاقات دبلوماسية مع الدولة السوفيتية . وكان هذا من منطلق الدفاع عن مصالح الزراع الذين فرضت عليهم السلطة الاستعمارية ان يبيعوا محصول القطن الى البلاد الاستعمارية بالشروط التى تحددها هذه البلاد .

وفي المرحلة التي بـدأت مع اعـادة العلاقـات الدبلوماسية اثنـاء الحرب العـالمية الثانية ، ظلت المصالح الاقتصادية الوطنية دافعا الى اقامة هـذه العلاقات ، وازداد هذا الدافع عمقا واتسـاعا تحت تاثير نمو الحركة الوطنية المصرية نموا جبارا وضعهافي صدام مصيرى مع سلطات الاحتلال . هنـا نظر الى الاتحاد السـوفيتى فى مصر كحليف محتمـل وموضوعى للحركة الوطنية .

وفي المرحلة الجديدة التى بدات بنضال ثورة يوليو من اجل الاستقلال السـياسى والاقتصادى ، اقيمت العلاقة مع الاتحاد السوفيتى باعتبـاره حليفا مؤكدا وثابتا فى المعركة ضد الاسـتعمار والصهيونية وفى المعركة من اجل التنمية .

فالتطور الحتمي لنضالات مصر ولمواقف الاتحـاد السـوفيتى هو الذى جعل من العلاقة بين البـلدين ضرورة موضوعية . ولا ادل على ذلك من انها نمت وتطورت وتوطدت ، رغم كل ما صادفها من صعوبات وهـذه هى النقطة التى اكد عليهـا الرئيس انـور السادات فى حديثه الى وفد الشباب السوفيتى .

على ضوء هذا ، تظل قضية الحفاظ على علاقات سليمة ، متكافئة وبنـاءة بين البلدين من القضـايا الحيوية والاستراتيجية .

وعلى ضوء هـذه النظرة ، تقـدم الطليعة ملفها « الاتحاد السوفيتى : مصريا وعربيا » .

● فى هذا الملف تعرض الطليعة العناصر العلمية والايجابية التى تشـكل جوهر العلاقة بين البلدين ، وتفند كل الحجج التى يروج لها خصوم الصـداقة بين البلدين ، بنشاط محموم ، وجهد لايعرف الكلل .

« الطليـــــعة »

عن الاستراتيجية السوفيتية تجاه الشرق الأوسط

خالد محيي الدين

نود فى البداية ان نتفق على أن الهدف الاساسى لاية استراتيجية لدولة ما هو تحقيق المصالح البعيدة المدى لهذه الدولة ، والتى تتفق بطبيعة الحال مع ايديولوجيتها ومنطلقاتها الفكرية والاقتصادية والسياسية . ومن ثم فان هناك ترابطا على المدى البعيد بين المصالح المطلوب تحقيقها ، وبين المنطلقات الفكرية لاية دولة من الدول .

ويمكن القول بأن دولة مثل الاتحاد السوفيتى تنطلق مصالحها البعيدة المدى من منطلقين اساسيين :

١ ـ المثل والقيم والمعتقدات الفكرية التى يدين بها كدولة تؤمن بأن نظامها الاجتماعى هو النظام الافضل وانه الخليق بأن يحل مشكلات الانسانية ويضع البشرية على الطريق الصحيح للعدالة والتقدم ، وتؤمن بأن نظامها ومعتقداتها تكسب وباستمرار مزيدا من التاييد من جانب جماهير الشعوب المختلفة .

٢ ـ المتطلبات والقضايا اليومية التى تواجه الاتحاد السوفيتى كدولة متشعبة العلاقات والمصالح والالتزامات . وهى قضايا ذات طبيعة عملية وسياسية تحكمها علاقات القوى العالمية والصراعات الدولية ، وما يسمى بمتطلبات الجغرافيا السياسية ، وكذلك تحكمها ايضا التطورات المختلفة والمرحلية فى حديد من البلدان =

ويرتبط ذلك كله ـ بشكل أو بآخر ـ بظروف الانفراج الدولى ، وكذلك بمرتهن بالعمل على تجنب نشوب حرب عالمية ثالثة وبالشرط أن يتم كله فى اطار الشرعية الدولية والالتزام بالقانون الدولى .

ويضاف الى هذين المنطلقين أن الاتحاد السوفيتى قوة عظمى ، وان كانت عقيدتها ومبادئها يجعلان من تطبيقاتها فى السياسة العملية أمرا مختلفا تماما عن تطبيقات الولايات المتحدة وغيرها من الدول الغربية ، ومن هنا فان وضع الاتحاد السوفيتى كقوة عظمى ومسئول عن أمن البلاد الاشتراكية وكثير من بلدان العالم الثالث وحركات التحرر الوطنى يلقى عليه التزامات واسعة يتعين عليه أن يضعها فى الحسبان عند اتخاذ أى قرار فى نطاق سعيه لتجنب قيام حرب عالمية ثالثة .

ومن هنا فان هذا الوضع يفرض على الاتحاد السوفيتى أن يتبنى استراتيجية سياسية شاملة تغطى الكرة الارضية بأسرها وأن يرسم فى اطار هذه الاستراتيجية توازنات وأولويات مختلفة حسب الظروف الموضوعية لكل حالة . ويفرض عليه ذلك ايضا أن يملك قوات عسكرية كبيرة قادرة على الحركة وحفظ التوازن فى كل ركن من أركان العالم ، وهذه الضرورات العسكرية قد تفرض عليه شأنها شأن أى ظرف موضوعى آخر محاولة تحسين علاقاته مع هذا النظام أو ذاك .

لماذا ما انتقلنا الى الشرق الاوسط باعتباره

جزئية فى هذه الاستراتيجية العامة .. نجد أن السياسة السوفيتية تحكمها نفس القواعد العامة :

● السعى لتحقيق انتصار بناء الاشتراكية والشيوعية فى نطاق صيانة السلام والتعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة الاجتماعية المختلفة .

● ويستتبع ذلك العمل لتصفية الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد ، ومساندة الدول المستقلة حديثا وحركات التحرر الوطنى سياسيا واقتصاديا .

وفى منطقة الشرق الاوسط تضاف عدة عوامل جديدة هى :

● قضية الصهيونية وعداء هذه العقيدة لفكرة انتصار الاشتراكية فى العالم ، وتناقضها المبدئى مع فكرة الاممية وما تثيره هذه القضية من مشكلات داخلية فى الاتحاد السوفيتى وفى عدد من البلدان الاشتراكية الاخرى .

وفيما يتعلق بخصوصية المنطقة العربية نجد أن هذه المنطقة قد اثبتت حيوية مستمرة فى النضال ضد الامبريالية وأن حركة التحرر الوطنى العربية قد حققت منجزات كبيرة مثل :

١ ـ تصفية القواعد العسكرية والاحلاف العسكرية فى البلاد العربية .

٢ ـ تصفية الكثير من المصالح الاقتصادية الاجنبية فى عدد من البلدان العربية [تأميم قناة السويس والبنوك الاجنبية وشركات التأمين فى مصر ـ تأميمات البترول فى العراق والجزائر الخ] .

٣ ـ احداث تغييرات اجتماعية واقتصادية عميقة فى مصر والجزائر والعراق وسوريا واليمن الجنوبية . وأيا كان تقييمنا لعمق وفعالية هذه التغييرات فانها تتميز بغير شك بوضع متميز داخل اطار العالم الثالث سواء من حيث الكم أو الكيف . ويضاف الى ذلك أن حركة التحرر الوطنى العربية قد حققت فى اطار التوازنات العالمية منجزات كبيرة ولابد لذلك من أن يكتسب للبلاد العربية ولقضية الشرق الاوسط وضعا خاصا فى الاستراتيجية السوفيتية . خاصة وأن أية ضربة توجه للبلدان العربية التقدمية تؤثر بشكل مباشر على نضال شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وتعزز مواقع الاستعمار الامر الذى يؤثر بدوره فى الاستراتيجية العامة للاتحاد السوفيتى .

ولهذا فان الموقف السوفيتى تجاه قضية الشرق الاوسط كان يتميز سواء فى مجال السعى لتسوية سلمية ، أو تدعيم القدرة الدفاعية ، بالحرص الشديد على ضمان سلامة هذه الدول وتمكينها من تحقيق اهدافها .

وتأكيدا لذلك نقتبس فقرة من بيان الاحزاب الشيوعية والعمالية المنعقد بموسكو من ٥ ـ ٧ يونيو ١٩٦٩ :

« ان حركة التحرر العربية تلعب دورا بارزا فى المعركة ضد الامبريالية العالمية . وهى تؤثر تأثيرا ايجابيا على الحركة ضد الامبريالية . والاستعمار الجديد فى الشرق الاوسط وافريقيا برمتها . ويعتبر العدوان الاسرائيلى جزءا من الصراع العام بين قوى الحرية والاشتراكية فى جميع انحاء العالم من ناحية ، وبين الامبريالية العالمية من ناحية أخرى .

ونبو الحركة فى سبيل التحرر الوطنى ومن أجل التقدم الاجتماعى للشعوب فى هذه المنطقة ذات الاهمية الاستراتيجية والغنية بالبترول يثير كراهية عنيفة بين الامبرياليين ، واحتكارات البترول التى تحيك شبكة من الدسائس والمؤامرات ضد هذه الحركة ، وتلجأ الى الحروب والاعمال العدوانية ولاحباط هذه الاعمال ولايقاع الهزيمة بهذه المؤامرات وصيانة جميع المكاسب فان تعميق التغييرات الاجتماعية والاقتصادية والعجهات الوطنية التقدمية والحريات الديمقراطية للجماهير ونشاط القوى الوطنية .. بين اشياء أخرى له أهمية عظمى » [١] .

يضاف الى ذلك طبيعة الموقع الجغرافى لمنطقة الشرق الاوسط وقربه من الحدود الجنوبية للاتحاد السوفيتى بما يمس أمنه بشكل مباشر .

أما فيما يتعلق بخصوصية العلاقة بين الاتحاد السوفيتى والحركة الاشتراكية العالمية عموما من جانب ، وبين الصهيونية العالمية من جانب آخر فاننا

---

(١) وثائق المؤتمر الدولى للاحزاب الشيوعية والعمالية بموسكو من ٥ـ٧ يونيو ١٩٦٩ ـ طبعة القاهرة ص ٨٨ ـ ٨٩

نلاحظ ان الصهيونية بما تحويه من فكر شوفيني عنصري تتناقض مع الاممية البروليتارية التي تلتزم بها النظرية الماركسية . ولعل هذا هو الذي يفسر صدامات لينين المستمرة مع جماعة البوند [العمال اليهود] وادانته لمنطلقاتهم ، ولعله يفسر ايضا رفض الكومنترن [الدولية الشيوعية] لفكرة وجود حركة صهيونية يسارية يمكنها الانتماء اليه ، ولعله — اذا ما آتينا للحاضر — يفسر لنا الهجمات المستمرة والمتبادلة بين الماركسية والصهيونية ولعله يفسر التآمر الصهيوني على الثورة الاشتراكية في تشيكوسلوفاكيا ولعله أخيرا يفسر الحملات الصهيونية المغرضة ضد الاتحاد السوفيتي والخاصة بهجرة اليهود السوفييت .

وربما كان كافيا في هذا الصدد أن نشير الى ما كتبه والتر لاكور وهو كاتب ذو نزعة صهيونية قائلا : « ان الموقف السوفيتي تجاه اسرائيل يزداد ترديا مع كل تحسن في العلاقات السوفيتية العربية . لكن ذلك ليس كافيا لتفسير الموقف السوفيتي ضد اسرائيل ، فهناك عنصر هام يتمثل في تواجد المشكلة اليهودية داخل الاتحاد السوفيتي ، ولقد كان الموقف السوفيتي والشيوعي التقليدي تجاه الصهيونية سلبيا تماما منذ ما قبل تاسيس الدولة اليهودية . وحتى الحزب الشيوعي في فلسطين كان يعارض الهجرة اليهودية لفلسطين وفكرة اقامة وطن قومي لليهود » [٢] .

كذلك يتعين علينا أن نضع في الاعتبار ما خلقه قيام دولة اسرائيلية تدين بالنزعة الصهيونية من مشكلات سوفيتية داخلية تتعلق باحياء النوازع العنصرية الشوفينية لدى قطاعات من اليهود السوفييت .

ولندع الحديث هنا أيضا لوالتر لاكور الذي يقول « ان مجرد تاسيس دولة اسرائيل قد ارضى نوازع عنصرية في نفوس بعض اليهود السوفييت ، وحتى غير المؤمنين منهم ، والغريب عن التقاليد اليهودية ، ولقد كان وصول السفير الاسرائيلي للعاصمة السوفيتية مثارا لمظاهرة غير معبوءة ، وقد اثار ذلك هوأجس القيادة السوفيتية ، ولم تمض سوى شهور قليلة حتى بدأت حملة عنيفة ضد الصهيونية » [٣] .

ولعلنا جميعا نلاحظ ان دعاوى الهجرة اليهودية بين الاتحاد السوفيتي قد نمت وتضاعفت في ظل انتصار اسرائيل في يونيو ١٩٦٧ . فقد بدت اسرائيل في نظر الكثيرين من يهود العالم وكأنها المرفأ الأمين والمزدهر .

وليس من شك في أن اهتمام الاتحاد السوفيتي بازالة آثار عدوان ١٩٦٧ ، كان يستهدف — بالاضافة الى مساندة الحق والعدل في المنطقة ، والى جانب مساندة حركة التحرر الوطني العربية [وهي حركة مواتية بالضرورة للاهداف الاستراتيجية للاتحاد السوفيتي] والى جانب ضرورة تصفية العدوان وحرمان مرتكبه من ثماره [تعزيزا للشرعية الدولية والقانون الدولي وتحذيرا لكل من يفكر في عدوان جديد] .. اقول كان يستهدف بالاضافة الى ذلك اثبات فشل الصهيونية كفكرة وكمنطلق وليس من شك في أن محاولة الاثبات هذه موجهة للكافة بما فيها تلك القطاعات من اليهود السوفييت الذين تأثروا بدرجة أو بأخرى بالدعايات الصهيونية وبالانتصار الاسرائيلي في ١٩٦٧ .

نخلص من ذلك الى ان الاستراتيجية السوفيتية ترتبط مصالحها واهدافها ومنطلقاتها — وعلى المدى القريب والبعيد معا — بانتصار وتطوير حركة التحرر الوطني العربية ومساندتها في معركتها من اجل تثبيت الاستقلال وبناء مجتمعات متحررة وذات نهج تقدمي ، وترتبط ايضا وبنفس القدر بضرورة ازالة آثار العدوان الاسرائيلي في يونيو ١٩٦٧ ، وضمان حقوق الشعب العربي الفلسطيني بما فيها حقه المشروع في تقرير مصيره على ارضه ..

ومن المهم أن نلاحظ أن الاتحاد السوفيتي قد باشر عملية تنفيذ هذه الخطة الجزئية في اطار متوازن ومتسق مع استراتيجيته العامة .

واتصمت مواقفه بالالتزام بالشرعية الدولية التي وجدت تطبيقها العملي في هذا المجال حول محاور :

● ادانة العدوان واحتلال اراضي الغير .

---

[٢] Walter Laqueur — The Struggle for the Middle East, The Soviet Union and the Middle East, p. 63.

[٣] Ibid — p. 62.

● تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ .

● مساندة الدول العربية المعتدى عليها وتعزيز قدراتها العسكرية والقتالية ووضعها في الموضع الذي يمكنها من استعادة حقوقها المغتصبة .

ومع تطور الاحداث ونضج الرأى العام العالمى وبروز العمل الفلسطيني ، ومع انتصارات اكتوبر ١٩٧٣ تطورت المنطلقات السوفيتية لتسعى الى :

● تسوية شاملة للموقف تتضمن كفالة حقوق الشعب العربى الفلسطيني ، وحقه في اقامة دولته الوطنية وسلطته الوطنية ، والتأكيد على اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني .

● استثمار انتصارات اكتوبر ١٩٧٣ في كفالة تسوية شاملة ومستقرة من خلال مؤتمر جنيف الذي يضم بخطف الاطراف بما فيها الطرف الفلسطيني .

وهكذا يمكننا أن نلحظ الموقف المبدئي المستمر والمتوازن والمتطور معا الى جانب حركة التحرر الوطنى العربية ولصالح اهدافها ومتطلباتها .

ولقد يكون مفيدا أن نشير الى ان الالتزام السوفيتى تجاه أية قضية أو أزمة سياسية هو التزام يتعين عليه أن يكون متوازنا بمعنى انه يضع في اعتباره متطلبات العمل والعلاقات الدولية عموما وعلى نطاق كوكبنا كله .

ولقد ظن البعض ان ثمة التزامات سوفيتية اخرى – مثل الالتزام بسياسة تخفيف أو تهدئة حدة التوتر الدولى وتعزيز التعايش السلمى – قد تؤثر على الموقف السوفيتى تجاه أزمة الشرق الاوسط لكن التجارب العملية قد اثبتت العكس تماما . فلقد كانت العلاقات السوفيتية – الامريكية الطيبة خلال معارك اكتوبر سلاحا في يد صديقنا [الاتحاد السوفيتى] يضغط به على صديق عدونا [الولايات المتحدة] .. ولكم كان هذا السلاح مفيدا في اللحظات الضرورية والحرجة ..

وختاما ، فان النجاح الحقيقى لحركة التحرر الوطنى العربية في معركتها ضد اسرائيل وحد الصالح الاستعمارية ، ومن أجل التقدم والازدهار يكون في قدرتها على أن تتعرف على خطوط الصراع العالمى وعلى أن تميز وبشكل واضح تماما وثابت ومستمر تماما مع أى الخطوط تنسجم مصالحها واهدافها واستراتيجيتها .

○

الاتحـــاد السـوفيتى وحـــركة التحـــرر الوطنى العـــربية

د. رفعت السعيد

[ارجع الى الاصل .. تعرف الحقيقة !]
« مثل عربى قديم »

.. وبعيدا وحتى ما قبل ثورة اكتوبر بكثير تمتد علاقة وثيقة ، ذلك ان الاتحاد السوفيتى ليس دولة عادية ، بل هو – في الاساس – امتداد تاريخى لكل نضالات ومنطلقات الفكر الماركسى ، واهتماماته بحركة التحرر في الشرق .

وربما كانت البداية لهذا الاهتمام المبكر تتمثل في خطاب **لفريدريك انجلز** حرره في ١١ – ١٢ – ١٨٨٢ اى في اعقاب هزيمة الثورة العرابية مباشرة وجاء فيه « ان **جلادستون** يقرر انه يمكنه وببساطة ان يستولى على مصر ، ان مصر مازالت غير خاضعة تماما للسيطرة البريطانية . وحتى لو خضعت فان بريطانيا لن تستطيع الابقاء على هذا الوضع . يرى **جلادستون** – مثلا – ان استيلاء روسيا على ارمينيا هو تحرير لدولة مسيحية من نير السيطرة الاسلامية – لكن ذلك كله مجرد رياء وزيف ومحض اختلاق ! والسؤال هو هل يوفق **جلادستون** في تأبره هذا ؟

سوف نرى قريبا » [١] .. وقبل هذا الوقت بقليل ، وخلال اشتعال احداث الثورة العرابية نفسها وحينما كان البعض فى اوربا يصور الاعتداء البريطانى على مصر كمعركة بين دولة مسيحية متقدمة وبين جموع مسلمة متخلفة تريد اعادة تجارة الرقيق ، كتب انجلز فى ٩ اغسطس ١٨٨٢ محذرا من « محاولات النظر الى المسألة المصرية من زاوية عاطفية » [٢] ..

كذلك فان **لينين** قد اهتم هو ايضا ، وفى وقت مبكر : الى درجة ملفتة للنظر ، بحركة التحرر الوطنى العربية ، وبالمسألة المصرية على وجه الخصوص ، وفى الخواطر والمذكرات التى جمعها **لينين** خلال اعداد لمسودات كتابه « الامبريالية اعلى مراحل الراسمالية » نجد الكثير من الالتفات الى مصر والى مشاكلها والى معركتها ضد الاحتلال البريطانى ..

وتحت عنوان حول السياسة الاستعمارية فى ايامنا يقول **لينين** « وعلى سبيل المثال نجد ان بريطانيا تجعل من مصر ـ اكثر فاكثر ـ دولة منتجة للقطن وحده . وفى ١٩٠٤ كانت الرقعة المنزرعة قطنا ٧ر٠ مليون فدان من أصل ٣ر٢ مليون فدان . انها تضع العراقيل امام تطور الصناعة .. فمثلا تواجه المصنعين اللذين تاسسا فى عام ١٩٠١ فى مصر صعوبات وعقبات ضريبية فى وجه محاولتهما لتصنيع القطن . وتلك هى السياسة المعاصرة التى تتبع فى المستعمرات .. وهى تتمثل فى تشجيع زراعة المواد الخام وتعويق نمو الصناعات .. ان السياسة الاستعمارية تصبح اكثر بشاعة ، كلما كان الشعب اكثر تخلفا » [٣] .

ويصل اهتمام **لينين** بالمسالة المصرية الى حد تتبعه للدراسات المصرية عن الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية ، وهو يدرس ويلخص ويعد ملاحظات ذكية على كتاب **يوسف نحاس** عن الوضع الاقتصادى والاجتماعى للفلاح المصرى والذى صدر فى باريس عام ١٩٠١ .. ويدون **لينين** الملاحظات التالية على الكتاب « عمل مدرسى ـ مجرد تلخيص لبعض المراجع ـ عرض ملخص للغاية للفقر المدقع للفلاحين الذين يعيشون فى اكواخ من الطين بدون اثاث ومع دوابهم ـ يكدحون من الصباح حتى المساء ـ فقر وجهل كما فى روسيا ـ **وجهة النظر** : تقليدية تماما ـ ليبرالية ـ قريبة من وجهة نظر الشعبيين الروس فى اعوام ١٨٨٠ ـ ١٩٠٠ ـ **ملاحظة** : بريطانيا تخنق الصناعة » [٤] ..

وتمضى الاحداث لتشج مزيدا من العلاقات حيث تغد الى الاسكندرية مجموعة من بحارة « المدرعة بوتوميكن » البلاشفة الذين شاركوا فى احداث ثورة ١٩٠٥ ، حيث يؤسسون خلية تابعة للحزب الاشتراكى الديمقراطى الروسى « البلشفيك » ويصدرون مجلة باللغة الروسية اسمها « ماريك » اى البحار ، ويشتركون فى مظاهرات العمال المصريين الغاطلين حاملين راية حمراء تحمل اسم حزبهم . وتقرر السلطات ابعادهم بناء على طلب القنصل الروسى فتلتهب شوارع الاسكندرية والقاهرة دفاعا عنهم وعن حقهم فى اللجوء السياسى [٥] ..

وهناك ، أيضا الثورى الروسى **تيودور روزنشتين** الذى حضر الى مصر بناء على تعاقد مع **محمد فريد** ليرأس تحرير مجلة الحزب الوطنى الناطقة بالانجليزية والذى انتهز فرصة اقامته بمصر ليؤلف واحدا من اهم المراجع الاساسية عن تاريخ مصر فى هذه الفترة هو Ruin of Egypt ـ دمار مصر » [٦] وثبة معلومات كثيرة مباشرة عن **روزنشتين** وعن علاقاته الوثيقة **بلينين** قبل الثورة عندما كانا معا فى لندن ، وبعد الثورة عندما عمل فى سكرتيريته بموسكو ، ثم سفيرا للاتحاد السوفيتى فى طهران [٧] .

وتاتى ثورة اكتوبر وفى ايامها الاولى يوجه **لينين** نداءه الى شعوب الشرق :

---

[١] نقلا عن ج. ف. لينين . الاعمال الكاملة . الجزء التاسع والثلاثون ـ كراسات عن الامبريالية ـ الطبعة الروسية الرابعة ـ عام ١٩٦٠ ـ ص ٦٥٣

[٢] المرجع السابق ـ ص ٦٥٣

[٣] المرجع السابق ـ ص ٧٨

[٤] المرجع السابق ص ٥١٦

[٥] لمزيد من التفاصيل راجع الاهرام .. العدد .. يناير ، فبراير ١٩٠٧

[٦] صدرت الترجمة العربية الاولى لهذا الكتاب عام ١٩٢٧ تحت عنوان « تاريخ مصر قبل الاحتلال وبعده » .. ترجمة على شكرى .

[٧] المرجع السابق . صفحة هيه من مقدمة المترجم .

« ايها المسلمون فى الشرق ، ايها الفرس والاتراك والعرب والهنود .

يامن كانت حياتكم وامـــوالكم وحرياتكـــم واوطانكم طوال قرون عديدة سلعة فى يد طغاة اوربا مصاصى الدماء .. أنتم يا من يهـددكم القراصنة الاستعماريون الذين اعلنوا الحـرب لاقتسام اوطانكم ، اليكم جميعا نتوجه قائلين ان المعاهدات السرية المتعلقة بضم القسطنطينية التى عقدها القيصر المخلوع وصادقت عليها حكومة كيرنسكى البائدة قد مزقتها اليوم والغتها حكومة الجمهورية الروسية الاشـتراكية . ان مجلس قوميسييرى الشعب يعلن أنه يرفض ضم أراضى الغير وان القسطنطينية يجب أن تبقى فى ايدى المسلمين .

ايها الرفاق .. ايها الاخوان : اننا نسير نحو سلام ديمقراطى شريف ، نسير نحوه بعزيمة قوية وقدم ثابتة ، ان راياتنا تحمل فى طياتها التحرر لجميع الشعوب المقهورة فى العالم » [٨] .

واستجابة لهذا النداء وجه محمد فريد برقيته الشهيرة الى لينين والتى جاء فيها « تتشرف لجنة الحزب الوطنى بأن تعرب عن شكرها الادبى لحكومتكم الديمقراطية بمعنى الكلمة بمناسبة تصريحها بأسمى واغلى ما يمكن ان تصبوا اليه الانسانية من المبادىء المتعلقة بالحرية والمساواة . ان هذه المبادىء التى صرحتم بها ، وانتم مجردون عن الهوى والغرض ، قد انعشت النفوس واحيت فى الامم المستعبدة ميت الامال فى حياة جديدة تملؤها السعادة والرفاهية . حياة قائمة على تحريرها من اغلال واصحاب رؤوس الاموال » [٩]

والحقيقة ان الاستراتيجية العامة لموقف الاتحاد السوفيتى تجاه حركة التحرر الوطنى لشعوب الشرق عامة ، والبلدان الاسلامية والعـربية خاصة ، يمكن استيضاحها وفهم منطلقـاتها الاساسية والثابتة من خلال الدراسة المتـأنية للوثائق ـ البالغة الاهمية ـ للمؤتمر الاول لشعوب الشرق الذى عقد فى باكو ١ ـ ٨ سبتمبر ١٩٢١ والذى حضره ١٨٩١ مندوبا بينهم ثلاثة من العرب يقال ان احدهم كان الامير شكيب ارسلان [٩] .

وفى هذا المؤتمر حـدد المندوبون السوفييت فى خطاباتهم ومساهماتهم فى النقاش الكثير مـن المنطلقات الاساسية التى حكمت الى حد بعيد سياسة الاتحاد السوفيتى تجاه حركة التحرير الوطنى فى الشرق .

ويمكن القول بأن المنطلق الاول والاساسى هو أن تحرير المستعمرات بالشرق ومساندة حركه التحرر الوطنى فيها هى نقطة أساسية وثابتة فى جدول أعمـال الاتحـاد السـوفيتى ، وكـل الاممية البروليتارية . ذلك ان النجاح فى تحقيق هذا الواجب هو شرط أساسى للنجاح فى المعركة العالمية ضد المعسكر الرأسمالى .. وفى هذا الصدد يقول زينوفييف الذى راس جلسات المؤتمر فى كلمته الافتتاحية « اننا نريد الانعتاق من سيطرة راس المال الذى يحكم قبضته على العالم اجمع . واننا لعلى ثقة تامة بأن القضاء نهائيا على استغلال الانسان للانسان لا يكون الا اذا اشعلنا الحريق الثورى ليس فى أوربا وأمريكا فحسب وانما فى العالم اجمع ايضا . والا اذا لبى نداءنا ذلك الجزء من البشرية الذى يقطن آسيا وافريقيا » [١٠] .

وحول نفس المنطلق يتحدث الى المـؤتمر بافلوفتش مقرر لجنة المسألة الوطنية والمستعمرات فيقول فى تقريره « ان المهمة الاساسية الملقاة على عاتق الاممية الثالثة ، أى على عاتق شيوعيى العالم اجمعين هى نشر هذه الحقيقة البسيطة : مادام الجنسان الاسود والاصفر يعانيان الاضطهاد ، وما دام المرتزقة الاوربيون يذبحون الاتـراك والايرانيين والعرب والمصريين وغيرهم . فالعامل الاوربى سيبقى عبدا للرأسمالى عاجزا عـن الانعتاق من قيوده ولهذا السبب بالذات تدعو الاممية الثالثة العمال الاوروبيين للنضال من اجل تحرر الشرق » [١١] .

أما المنطلق الثانى فهو التوجه الى كل القوى الوطنية المناهضة للاستعمار والى جميع الكادحين المناهضين للاستغلال ايا كانت مواقفهم السياسية والاجتماعية .. وحول هذا المنطلق يتحدث رئيس المؤتمر قائلا بصراحة ووضوح تامين « أيهـا الرفاق .. ان هذا المؤتمر ينعقد كما تعلمون بناء

---

[٨] البرافدا ـ ١٩١٧/١٢/٥

[٩] صبرى ابو المجد ـ مقـــال الحركة الوطنية المصرية بقيادة محمد فريد ـ المصور ـ ١٩٦٩/١١/١٤

[٩] فواز طرابلسى ـ مقدمة لترجمته لوثائق المؤتمر ـ دار الطليعـة بيروت ـ حزيران ١٩٧٢ ـ ص ٧

[١٠] L'internationale Communiste et la libération de l'Orient — Editions de l'internationale Communiste — Petrograd 1921.
وقد ترجمه فواز طرابلسى الى العربية بعنوان « الاممية الشيوعية وتحـرير الشرق ـ المؤتمر الاول لشعوب الشرق باكو ١ ـ ٨ ايلول ١٩٢١ ـ دار الطليعة بيروت . ص ٢٤.

[١١] المرجع السابق ـ محضر الجلسة الخامسة ـ ص ١٤٠

على دعوة الاممية الشيوعية ، وهى منظمة حزبية . ولحننا نجد بيننا اليوم بالاضافة الى الشيوعيين مئات المنذوبين الذين لا ينتمون الى الحزب الشيوعى والذين يعتبرون انفسهم من المستقلين ، وربما وجدت مجموعات تنتمى الى احزاب اخرى .. لم نسألكم الى اى حزب تنتمون . سألناكم فقط هل انت عامل ؟ هل أنت من الجماهير الكادحة ؟ هل تريد وضع حد للحرب الامبريالية وتنظيم النضال ضد المضطهدين ؟ اذا يكفى ، لسنا بحاجه لاى شيء آخر ، ولسنا نطالب بأية شهادة حسن سلوك سياسية » [١٢] .

لكن الوحده المنشودة لا تستهدف فقط توحيد الكادحين - على اساس طبقى - وانما تستهدف فى الاساس توحيد حركتين عاملتين شاملتين : الحركة الاشتراكية العالمية ، وحركة التحرر الوطنى العالمية .

« توجد فى عالمنا حركتان .. نريد لهاتين الحركتين ان يزداد اقتراب الواحده منهما من الاخرى ، وان تتخلص الشتية [حركة التحرر الوطنى] من العقد والحساسيات القومية ، نريد ان ينصهر الاتجاهان فى اتجاه واحد يطيح جبروته بكل البرجوازيه ويطهر الارض من امراضها المزمنة » .. ثم يمضى التقرير ربما ليقدم اجابات شافية على تساؤلات طرحت ولا تزال تطرح من البعض حول موقف الاتحاد السوفيتى من بعض الانظمة الوطنية ، ولعل هذه الاجابات توضح كم كانت الرؤية السوفيتية حول هذا الامر واضحة وحاسمة بما ومنذ وقت مبكر جدا ... « .. لهذا اقول لكم اننا نؤيد بدلب المجموعات التى لم تنضم الينا بعد ، او حتى المجموعات التى تناضل ضد العداء وذلك هو الحال مثلا بالنسبة لتركيا حيث الحكومة السوفيتية تؤيد كمال باشا . ولسنا متناسين ان الحركة التى يقودها هذا الاخير ليست حركة شيوعية بل ان هذا ما ندركه تمام الادراك .. ولنكرر ان سياسة الحكومة الشعبية التركية ليست سياستنا ، ليست سياسة الاممية الشيوعية ، وعلى الرغم من ذلك فاننا نعلن استعدادنا لدعم كل نضال ثورى ضد الحكومة البريطانية . ان السكة الراجحة الان فى تركيا لازالت كفة الاغنياء ، لكن زمنا سياتى ينقلب فيه كل شيء » [١٣]

ويمتد وضوح الرؤيه لدى المجتمعين من باكو - وهى هذا الوقت المبكر - ليصل الى فهم الدين الاسلامى فهما صحيحا وواضحا ، والتفرقة بين الدين . وبين المتاجرين به . وهى هذا الصدد يقول سلطان زاده مقرر لجنه الشئون الزراعية فى المؤتمر « ايها الرفاق : لا نخشوا المساس بأملاك رجال الدين. فهؤلاء الذين استحوذوا على املاك شاسعه ، وراحوا يستغلون جهد الفلاحين بابشع ما يكون الاستغلال لن يتورعوا عن القول بأن هذه الثروات انما هى ملك الله . وانها بالتالى مقدسة يدنسها كل من يمسها ، هذا يارفاق مجرد كذب ورياء . ان القرآن الكريم يقر بأن الارض لا يمكن ان يملكها الا الذى يعمل فيها ، ان رجال الدين الذين استحوذوا على الارض كما فعلوا فى ايران كانوا اول من خرق قاعدة اساسية من قواعد الدين الاسلامى ، انهم ليسوا حياة هذا الدين ، وانما هم غاصبوه ، بل انهم يخفون خلف الكتاب المقدس والعمامة البيضاء حياة الاستغلال والبطالة التى يحيون . ايها الرفاق لننزع عنهم هذا القناع الجليل ولنصادر اراضيهم ونوزعها على طبقة الفلاحين الكادحين » [١٤]

ولعل هذا الموقف الصحيح يكفى لتفسير موقف عالم دينى كبير ذو شهرة عالمية فى العالم الاسلامى مثل رشيد رضا « صاحب « المنار » والذى كتب يقول « البلشفية هى مجرد مرادف للاشتراكية . والامتراكية تعنى تحرير العمال من نير الحكومات الراسمالية والاستغلالية .. وعلى المسلمين ان يؤملوا خيرا فى انتصار البلشفية طالما انهم هم ايضا كادحون يعانون من نفس النير ، واذا ما انتصرت الاشتراكية فان عذابات الانسانية سوف يوضع لها حد ، ان الشيوعية لا تتناقض مع الشريعة الاسلامية ، بينما تتناقض افعال الحكومات الاوربية مع شريعة الاسلام » [١٥]

والحقيقة ان كلمات واضحة وصريحة كهذه عندما تأتى من واحد من أشهر علماء الدين الاسلامى فى العصر الحديث فانها لا تعكس فقط تقدمية هذا المفكر وصحة تقديراته وصدق

---

[١٢] المرجع السابق - ص ٤٠

[١٣] نفسه - ص ٥١

[١٤] نفسه - ص ١٩٢

[١٥] اورد هذا النص كلا من :

- ALBERT Hourani — Arabic Thought in Liberal Age — 1798 — 1939 — p. 181.
- M.S. Agwani — Communism in the Arab East p. 103.

نقلا عن المنار — المجلد الحادى والثلاثون [1931 — 1932] ص ٧١٩

منطلقاته ، لكنها ايضا تعكس ـ وبالضرورة ـ مدى قدرة الاتحاد السوفيتي والاممية البروليتارية عموما على التوجه توجها صحيحا لشعوب الشرق ولجماهير المسلمين عموما .

وفيما يتعلق بالقضايا الخاصة المميزة لمسار حركة التحرر الوطني العربية ، فاننا نلمس ايضا وبوضوح تام مواقف صحيحة ومبدئية تستحق التقدير والاشادة .

ففيما يتعلق بالقضية الفلسطينية مثلا نقرأ النص التالي في بيان المؤتمر الاول لشعوب الشرق وهو يعبر عن وعي مبكر بحقيقة وابعاد المشكلة .. « ما الذي تقدمه انجلترا لفلسطين ارضاء لحفنة من الراسماليين اليهود والانجليز ؟ طردت العرب من اراضيهم ومنحتها للمستوطنين اليهود ولكي تؤمن في الوقت ذاته متنفسا لتذمر العرب حرضتهم على المستعمرات اليهودية التي انشاتها هي بيديها ، زارعة بذلك الخلاف والتذمر والبغضاء بين جميع الاطراف » [١٦] .

اما عن قضية الوحدة العربية فان نصوصا كثيرة وواضحة ومبكرة يمكنها ان تقدم لنا نموذجا للفهم العميق والتأييد التام من جانب الاتحاد السوفيتي والقوى اليسارية عموما . وفي بيان اصدرته العصبة المناهضة للامبريالية في عام ١٩٢٩ نقرأ الكلمات التالية « ان احداث فلسطين الاخيرة قد أكدت حقيقة ان مسالة القومية العربية تمثل اليوم واحدة من اكثر القضايا اهمية في سياسة عالم اليوم ، فالعرب يملكون كل الحق في القضاء على تقسيم بلدانهم وفي تكوين دولة موحدة قوية وحرة تماما . دولة عربية عظمى يتحدد شكلها ومستقبلها ليس وفقا لارادة قوى الامبرياليين الاجانب وانما وفقا لارادة ومصالح الجماهير العربية الكادحة من الفلاحين والعمال والبدو .. عاش نضال الشعب العربي ـ تسقط الامبريالية ويسقط انقسام البلدان العربية ـ عاشت الدولة العربية الفيدرالية الموحدة الحرة » [١٧] .

... وهكذا فان صفحات التاريخ زاخرة ، وكلما قلبنا وجدنا الجديد والمزيد وكلها تؤكد التفهم الكامل والمساندة الحقيقية من جانب الاتحاد السوفيتي والاممية البروليتارية لحركة التحرر الوطني العربية ، وتؤكد مبدئية هذه المواقف واستمراريتها .. وهي برغم كونها صفحات من التاريخ الا انها تنجح بغير شك في اعطاء صورة اكثر عمقا وعلمية للحاضر وللمستقبل ، ولنعد الى ما بدأنا به .. ارجع الى الاصل ... تعرف الحقيقة .

نواب العشرينات والثلاثينات يطالبون باقامة علاقات مع الاتحاد السوفيتي

فؤاد المرسي خاطر *

اذا كانت العلاقات الدبلوماسية قد قامت لاول مرة بين مصر والاتحاد السوفيتي في ٢٦ اغسطس عام ١٩٤٣ ، فان الفترة السابقة على هذا التاريخ لم تكن تخلو من علاقات بين البلدين ، وان كانت كلها على الصعيد التجاري ، وكانت بشكل أو آخر امتدادا لعلاقات تجارية تقليدية بين مصر الملكية وروسيا القيصرية ، تقلص حجمها بعد قيام الثورة الاشتراكية في روسيا ، واستمر على ذلك مدة طويلة .

غير أن هذا يجعلنا الا نهمل حقيقة هامة وجدت

[١٦] IGOR SPECTOR — Soviet Union and the Moslim World — 1917 — 1958, p. 288.

[١٧] International Press Correspondence — English Edition Vol. 9, No. 64, pp. 1371 — 1 Date: 15 — 11 — 1929.

* ماجستير في التاريخ الحديث .

فى هذه الفترة السابقة على قيام العلاقات الدبلوماسية بين البلدين .

لقد وجدت فى مصر رغبة ملحة لاقامة علاقات اقتصادية ، بل ودبلوماسية مع الاتحاد السوفيتى منذ أواخر العشرينات ، وظلت مستمرة ، بل وتتصاعد حتى أواخر الثلاثينات . وقد عبرت عن هذه الرغبة بطبيعة الحال التنظيمات الشيوعية ، وظهرت فى البرلمان والصحف الخاصة بها .

ولكننا سنعرض هنا لمجال آخر ظهرت فيه هذه الرغبة ، وهو البرلمان المصرى . وبالرجوع الى مناقشات مجلس النواب ومجلس الشيوخ ، نرى أن تلك الرغبة قد تمثلت — بوضوح — فى العديد من الاسئلة ، قدمها أعضاء فى سنوات مختلفة . بل لقد وصل الامر الى تقديم استجواب فى عام ١٩٢٩ فى مجلس الشيوخ .

وكانت أسئلة النواب تركز على العمل على فتح السوق السوفيتية — وهى كبيرة — أمام القطن المصرى بالذات ، حتى يمكن تصريف الجانب الاكبر منه ، والذى كثيرا ماكان يتعرض لازمات بيع بسبب الاحتكار البريطانى لسوقه . كما كان القطن المصرى يواجه منافسة من القطن الامريكى .

وسوف نعرض هنا مثالين اثنين فقط لهذه المناقشات : الاول فى أواخر العشرينات ، والثانى فى أواخر الثلاثينات ، وان كانت الفترة بين هذا وذاك قد ظهرت فيها المطالبة باقامة العلاقات بين البلدين وبشكل ملح .

فى عام ١٩٢٧ شكت السفارة السوفيتية فى لندن الى المفوضية المصرية هناك من مصاعب شديدة يواجهها السوفيت فى سبيل الحصول على القطن المصرى من جانب السلطات المصرية .

وعندما نشر الخبر ظفه اكثر من عضو من أعضاء مجلس النواب ، ووجهوا الاسئلة الى وزير الخارجية مطالبين بتوضيح الاسباب التى بنت عليها الحكومة هذه المعاملة ، وتساءلوا عما تكون عليه سياسة الحكومة ازاء الاتحاد السوفيتى فيما يختص بمستقبل العلاقات التجارية والاقتصادية مع « هذا البلد الكبير خاصة أنه كان يحصل على ما يقرب من سبع المحصول المصرى من القطن » . وقالوا : أنه اذا لم يكن فى النية اقامة علاقات سياسية فى المدى القريب ، فلاقل من اقامة صلات تجارية ، وهى لن يكون لها تأثير على نظام الحكم القائم فى البلاد .

وأجاب وزير الخارجية ، ماعترف بالواقعة . وبعد أن عرض لتفصيلات شكوى السوفيت ، أخبر المجلس أن الموضوع خاص بوزارتى المالية والداخلية ، وأن وزارة الخارجية حولته لهاتين الوزارتين لبحثه وابداء الرأى فيه .

وقام العضو « أحمد الجماوى » وتحدث فارجع سبب الشكوى المذكورة الى عدم عودة العلاقات الاقتصادية بين البلدين . وسأل وزير المالية : « هل لا يرى معالى الوزير أن منع الحكومة الروسية من شراء القطن المصرى معناه مساعدة عوامل نزول ثمن القطن لمنع المنافسة التجارية فى وقت تسعى فيه الامة والحكومة لتحسين السعر حبا فى فك الازمة الاقتصادية التى أصابت البلاد فى بحر هذين العامين ؟ » .

وطالب العضو بعودة العلاقات الاقتصادية مع الاتحاد السوفيتى أسوة بما قامت به معظم الدول ومنها انجلترا ذاتها — خصوصا ان مصر فى حاجة الى المصنوعات الروسية كالقمح والاخشاب وغيرهما .

ورد وزير المالية ، فوضح أن السوق الروسية كانت تستوعب قبل الحرب العالمية الاولى ما لا يقل عن ٨ فى المائة من مجموع المصدر من القطن المصرى ، ولكن هذه النسبة أصبحت نحو ٥ر٠ فى المائة .

ويبدو أن الامر قد شد عددا آخر من النواب ، فطالبوا بتحويل السؤال الى استجواب . لكن عند الاقتراع لم ينل طلب التحويل على الاغلبية اللازمة . وأجلت الاجابة لجلسة أخرى .

وسواء فى اجابة الحكومة على هذا السؤال او الاسئلة التى وجهت اليها من أعضاء فى المجلس ، فيما بعد ، كانت الحكومة ترد بشكل واحد تقريبا فى كل مرة « سندرس الامر ونرى اذا كان فى صالح مصر . ولن نغفل ايجاد الوسائل والقوات التى تضمن مقاومة المبادىء الشيوعية » .

ذلك أن الحكومات كانت دائما متخوفة من الشيوعية ، وتعتقد أن اقامة علاقات مع الاتحاد السوفيتى يمثل فرصا للاتصال بين السوفيت والمصريين مما يساعد على انتشار الشيوعية فى البلاد .

على أية حال فان هذه المطالبة تستمر وتظهر فى دورات أخرى من دورات البرلمان خاصة عندما يتعثر تصدير القطن وينخفض ثمنه .

ويلاحظ أنه مع أواخر الثلاثينات ، تشتد المطالبة باقامة علاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى . وهى هنا لا تكتفى باقامة علاقات اقتصادية ، ولكنها تقرن ذلك بعلاقات دبلوماسية . وفى تلك الفترة تبنى « محمود سليمان غنام » هذا المطلب . وعلى امتداد سنتى ١٩٣٨ ، ١٩٣٩ — وهذا

يتضح لكل من تتبع أسئلته ومناقشاته فى مجلس النواب ، نجده يحاول احراج الحكومة ليصل الى ما يريد بعد أن ظهر عدم حسبها للامر ، وعدم الوضوح فى اجاباتها على النواب بصدده . فهو يوضح للحكومه انه اذا كانت مصر قد تبعت انجلترا فى قطع العلاقات مع حكومة السوفيت منذ قيام الثورة فى روسيا ، فان انجلترا وغيرها من الدول كثير ، قد اعترفت بالاتحاد السوفيتى ، ولقيت معه علاقات سياسية واقتصادية ، كما اصبح الاتحاد السوفيتى عضوا فى عصبة الامم منذ عام ١٩٣٤ . ثم تساءل : « هل بعد كل ذلك تستمر الحكومة فى قطع العلاقات مع هذه الدولة ؟ » . واكد ان اقامة العلاقات السياسية والتجارية مع حكومة السوفيت « يفتح لمصر سوقا جديدا لقطنها يسهل للفلاح تصريف قطنه بأثمان معتدلة ، وذلك بعد أن اخذت بريطانيا العظمى تهدد مصر بغلق سوقها فى وجه القطن المصرى » .

وكانت هذه الرغبة التى ظهرت فى البرلمان المصرى ، يواكبها مطالبات مماثلة فى العديد من الصحف المصرية . حتى أن الحكومة تحركت فى عام ١٩٣٨ ، فاجرت محادثات مع مسئولين سوفيت . فلما ظهر من هذه المحادثات أن رغبة الجانب المصرى تتركز فى اقامة علاقات اقتصادية دون الدبلوماسية ، رفض الجانب السوفيتى ذلك ، وربط قيام علاقات اقتصادية بين البلدين باعتراف مصر اعترافا كاملا بالنظام السوفيتى .

وقد كان ، ففى عام ١٩٣٩ وفى ٢١ اغسطس ، اتخذت الحكومه المصرية ــ وكانت برئاسة على ماهر ــ قرارا باقامة العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفيتى ، غير أن القرار لم يوضع موضع التنفيذ . وكان ذلك ــ فى تقديرى ــ أساسا لانه بعد يوم واحد عقد الاتحاد السوفيتى ميثاق عدم الاعتداء الشهير مع المانيا النازية فى ذلك الوقت . وكان ذلك بطبيعة الحال امرا اغضب بريطانيا وبينها وبين مصر معاهده « صداقة وتحالف » موقعة منذ عام ١٩٣٦ . ولا شك أن الحكومة المصرية قد وعت أبعاد الموقف آنذاك ، فلو اقدمت على وضع قرارها موضع التنفيذ فى تلك الظروف لووجهت بمعارضة وتدخل من البريطانيين الذين اعتبروا ميثاق عدم الاعتداء السوفيتى الالمانى موجها ضدهم .

ومما يؤيد هذا الرأى ويالرجوع الى الوثائق البريطانية والمصرية ــ أن الحكومة البريطانية عندما تغير الموقف وتعرض الاتحاد السوفيتى للهجوم الالمانى فى يونيو ١٩٤١ ، ودخل الاتحاد السوفيتى فى تحالف مع بريطانيا وحلفائها اهتمت الحكومة البريطانية كثيرا بان تمنح الحكومة المصرية تسهيلات للسفن السوفيتية وتعاملها كسفن حليفة . وكانت السلطات المصرية تفرض قيودا مشددة على هذه السفن فى الموانى المصرية .

على اية حال فقد استمر الموقف فيما يتعلق بالقاء علاقات دبلوماسية مع السوفيت مجمدا حتى عام ١٩٤٣ ، وهو العام الذى قلبت فى النصف الاول منه المباحثات بين الحكومتين المصرية والسوفيتية . وتروى الوثائق البريطانية والمصرية تفاصيلها وخيايلها ــ حتى انتهى الامر باتخاذ قرار اقامة العلاقات الدبلوماسية بين البلدين واعتباره نافذا من ٢٦ أغسطس ١٩٤٣ .

هذا وقد دفعت مطالب الاعضاء فى البرلمان المصرى ، الى جانب مطالب أخرى ، الحكومة الى البحث الجدى فى اقامة علاقات مع موسكو . ولا شك أن أهداف النواب الذين تحدثوا مطالبين بهذه العلاقات كانت اهدافا وطنية . فقد عرفوا أن مصلحة مصر الاقتصادية تقتضى فتح السوق السوفيتى للقطن المصرى ، المحصول الرئيسى للبلاد ، وأن هذا يساعد على ضرب التلاعب الاستعمارى البريطانى بمقدرات الاقتصاد المصرى . وما كان يسببه ــ ذلك ــ من خسارة لمنتجى القطن فى مصر . وكانوا أساسا أصحاب المصلحة الحقيقية فى تحسن اسعاره ، وفتح الاسواق الكبرى أمامه ، والسوق السوفيتية من اكبرها .

ولا يستطيع أحد ان يقول أن أولئك النواب كانوا شيوعيين لانهم كانوا ينتمون بالفعل الى أصحاب الملكيات الزراعية الكبيرة ، أو من المنتمين الى الطبقة الوسطى ، ويمارسون أعمالا حرة .

ومع قيام الحرب العالمية الثانية ، وابتداء من عام ١٩٤٢ وضح أنه سيكون للاتحاد السوفيتى دور هام فى السياسة الدولية ، فاضيف الى العامل الاقتصادى العامل السياسى على المستوى العالمى .

ومن هنا فقد كانت مصلحة مصر الاقتصادية ثم السياسية ، تقتضى اقامة العلاقات مع الاتحاد السوفيتى ، وقد رأى ذلك نواب المعارضات والثلاثينات ، كما رآه آخرون بوضوح .

فالوفدى بضرورة الانفتاح فى العلاقات مع الاتحاد السوفيتى قديما قد أحس به أصحاب « المصلحة الحقيقية » فى مصر دائما .

الاتحـــاد الســـوفيتى ..

هـل هـو دولة « اســـتعمارية » ؟

خيرى عزيز

ان المؤامرات المستمرة التى استهدفت دوما تحطيم العلاقات المصرية السوفييتية ، كانت ـ ولا تزال ـ تهدف فى الأساس الى حرمان بلادنا من ظرف تاريخى مواتٍ حاسم توفر لها ، بعد نجاح ثورة اكتوبر الروسية سنة ١٩١٧ بوطهور المعسكر الاشتراكى كقوة عالمية ضخمة ، أغنى به حركاتها من مساندة ودعم الاتحاد السوفيتى سياسيا واقتصاديا وعسكريا ، حتى تسقط فريسة سهلة فى يد الاستعمار الجديد وعملائه المحليين .

ذلك أن افتقاد مصر لحليف دولى فعال ، على مستوى القوة الاعظم ، كان هو دائما الصخرة التى تحطمت عليها كل محاولات مصر الاستقلالية ، ومن أجل بناء نهضتها الحديثة ، طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، والنصف الاول من القرن العشرين .

فعلى هذه الصخرة تحطمت محاولة **على بك الكبير** للاستقلال بمصر عن الدولة العثمانية برغم محاولته الاتصال **بروسيا القيصرية** لاستخدامها ضد الباب العالى ، والقرائن تسفر عن شىء جدى ، وتحطمت ايضا محاولة **محمد على الكبير** بعد أن وصلت جيوشه **المصرية** قرب عاصمة الامبراطورية العثمانية نفسها ، وبلغت أساطيله المصرية شواطىء اليونان حيث تجمعت ضده الاساطيل الاوربية فى « **نفارين** » ، ورد على أعقابه وحوصر ، وضربت محاولته بنصوص معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ ، وعلى نفس الصخرة ايضا تحطمت **الثـورة العرابية** ١٨٨٢ فى **معركة بابسـطة غير متكافئة** بين جيش محلى صغير ، وجيـوش الامبراطورية البريطانية التى لم تكن الشمس تغرب عن اراضيها ، وعليها ايضا صفيت **ثورة ١٩١٩** الوطنية ، واستمرت مصر فى حظيرة السيطرة الاستعمارية .

فلما عمدت بريطانيا وفرنسا الاستعماريتين ، واسرائيل الصهيونية ، الى تكرار نموذج العدوان الاستعمارى ، فى النصف الثانى من القرن العشرين ، لسحق محاولة « **جمال عبد الناصر** » الجديدة فى خريف ١٩٥٦ باءت محاولتهم بفشل ذريع ، لان عنصرا جديدا دخل بالفعل بجسل السياسة المصرية هو **عد حبال التعاون بين مصر والاتحاد السوفيتى** وبلدان المعسكر الاشتراكى . وقد لعب الاتحاد السوفيتى كصديق وظهير لمصر دوره المشهود فى حرب ١٩٥٦ ، **بانذاره الشهير** الذى هدد فيه بضرب لندن وباريس بالصواريخ ، واعلانه أنه اذا استمر العدوان فانه **سوف يسمح للمتطوعين السوفييت بالرحيل الى مصر ، حاملين السلاح ليساعدوا الشعب المصرى على خوض نضاله التحريرى** .. الامر الذى لعب أكبر الادوار فى ردع العدوان ووقفه .

فلما تكررت المحاولة الاستعمارية مرة أخرى فى يونيو ١٩٦٧ ، وجه الاتحاد السوفيتى ـ الذى فوجىء بنتيجة القتال ـ انذارا عاما و « غير

شهير» للاسف ، بألا يعبر جندى اسرائيل قناة السويس صوب القاهرة ، التى احتلها الشعب المصرى فى ٩ و ١٠ يونيو لسد طريق المؤامرة ، ومرة اخرى أيضا أعيد بفضل الاتحاد السوفيتى ، بناء جيش مصرى قوى ، وامكن بفضل التعاون المصرى ـ السوفيتى كسر المحاولة الامبريالية الثانية ، لتحطيم بنيان مصر المستقل .

وما نريد ابرازه هنا فى الحقيقة فهو **الطابع الاستراتيجى** للعلاقات المصرية ـ السوفيتية ، وقيمتها المحورية بالنسبة لصراع بلادنا والبلاد العربية الشقيقة ضد قوى الاستعمار الجديد ، لانه اذا كانت نصال المحاولات الاستعمارية الجديدة لسحق استقلال مصر الوليد ، قد تحطمت ، وتتحطم دوما على درع التعاون العسكرى ـ السياسى ـ الاقتصادى المصرى ـ السوفيتى ، لهذا لم يكن من الصدفة ابدا ، ان القوى الاستعمارية والرجعية ، اعتبرت ضرب العلاقات المصرية السوفييتية ، والعربية السوفيتية ، **حجر الزاوية فى هجومها الاستراتيجى** الذى يستهدف اعادة مصر والشرق العربى الى حظيرة سيطرة الاستعمار الجديد .

واذ حددت هذه القوى **اتجاه ضربتها الرئيسية نحو فصم العلاقات المصرية ـ السوفيتية ، فانها** عمدت فى هذا المجال ، وبشكل محموم الى استخدام كافة أسلحة التضليل السياسى والتشكيك لذرع بذور الشك وعدم الثقة فى سياسة الاتحاد السوفيتى ازاء مصر والشرق العربى ، وعندما قدم الاتحاد السوفيتى مساعدات عسكرية وسياسية واقتصادية ، تؤكد حقيقة موقفه كحليف وظهير لبلدنا والبلاد العربية فى كفاحها ضد الامبريالية ، أخذت القوى الرجعية والعميلة للاستعمار ـ مستغلة حساسية شعبنا المفرطة تجاه اى سيطرة استعمارية ـ تحذره من مغبة الوقوع فى براثن **الاستعمار « الاخطر والاشد والانكى »** للاتحاد السوفيتى .

والواقع أننا نود فى البداية أن نفرق بين الخلاف والتباين الموضوعى فى وجهات النظر الذى نشأ وينشأ ـ من وقت لآخر ـ بين بعض فصائل الحركة الوطنية العربية ، وبين الاتحاد السوفيتى ، وهو خلاف يعكس تباينا طبيعيا فى زاوية الرؤية للامور ، بين نظام يستلهم الماركسية اللينينية اساسا لسياسته وله فوق كل ذلك التزاماته العالمية ، وانظمة تتولى البورجوازية الوطنية قيادة تحالفها الوطنى ، نود أن نفرق بين هذا ، والخلاف الذى ينشأ داخل اطار الصداقة والتعاون ومعاداة الاستعمار ، وبين حملات التضليل والافتراء والتشكيك التى تخطط لها دوائر الاستعمار الجديد ، وتنفذها ، بحمية خاصة ، الدوائر الرجعية والبورجوازية المتطلعة الى عمالتها .

كما نود أن نوضح أولا وقبل كل شىء أيضا ، أن **هدفنا هنا ليس هو الدفاع عن الاتحاد السوفيتى** ، فهو غنى عن دفاعنا ، بمواقفه العملية امام أعين الشعوب ، وبصحفه ، واذاعاته ، ومجلاته ، ووسائل اعلامه التى تغطى ربوع العالم ، وانما هدفنا هنا فهو **الدفاع عن مصلحة استراتيجية لشعبنا وأمتنا فى علاقة دولية حاسمة بالنسبة لمصيرها** ، الهدف هو تبيان حقيقة ، ودفع فرية ، **« دفاعا عن انفسنا ، وليس دفاعا عن السوفيت »** على حد التعبير المفضل لاشقائنا الفلسطينيين .

فهل حقيقة ، يبتغى الاتحاد السوفيتى فى سياسته ازاء بلادنا اهدافا استعمارية ؟ وهل سياسة الاتحاد السوفيتى الخارجية ، سياسة استعمارية اخطر واشد وانكى من الاستعمار الغربى التقليدى ، قديمه وجديده ؟ حسبما تشير الدوائر الاستعمارية والرجعية المحلية ؟

ان هذا التساؤل ، يطرح على البحث ، طابع العلاقات المصرية السوفيتية ، والعربية السوفيتية ، والقصد من ورائها .

يحلو للرجعيين ولعناصر اليمين المتخلف أن يرددوا دوما عبارتهم الشهيرة الدارجة أن **« الاتحاد السوفيتى لا يساعدنا ـ كما يقولون ـ من اجل سواد عيوننا »** ، **فهل ادعى احد** يوما ما ان الاتحاد السوفيتى يقدم مساعداته لاحد غراما بسود العيون ؟ الامر المؤكد ان للاتحاد السوفيتى مصالح موضوعية ، واهداف من وراء مساعداته لبلادنا ، والبلاد العربية التقدمية الاخرى ، ولكن اية مصالح موضوعية هذه واية اهداف ؟

ان هذه المصالح والاهداف تتمثل بصفة جوهرية ـ وهذا أمر لم يعد يحتاج الى مزيد ايضاح ـ فى مساعدة شعبنا وشعوب الامة العربية على ضرب الاستعمار فى هذه المنطقة من العالم ، وتصفيته بكل أشكاله القديمة والحديثة ، السياسية والاقتصادية والعسكرية وفى ذلك مصلحة كبرى للاتحاد السوفيتى ، لانه الخصم الرئيسى للاستعمار والامبريالية .

وقد أعلن ليونيد بريجنيف فى خطابه أمام المؤتمر العالمى للاحزاب الشيوعية والعمالية فى موسكو ١٩٦٩ ، تلك الحقيقة ذات المغزى حين

قال : « أن الامبريالية كانت ولاتزال هي الخصم الرئيسي للحركة الشيوعية » كما كانت. أول عبارة نطق بها بريجنيف في نفس هذا المؤتمر هي : « أن المسالة الرئيسية في جدول اعمال مؤتمرنا هي مهمات النضال ضد الامبريالية في المرحلة الراهنة » .

ولذا فان تصفية النفوذ الامبريالي ، وخاصة الامريكي من الشرق الاوسط ، الذي تحصل منه الاحتكارات الامريكية على مليارات الدولارات كل عام من مناطق الارباح البترولية ، سوف يكون ضربة كبرى لاستعمار الولايات المتحدة الاقتصادي الجديد . كما سيكون كذلك ضربة لنفوذها السياسي والاستراتيجي والمعنوي ، بحرمها من مصدر اساسي من مصادر استغلالها في البلاد النامية ، بحيث يؤثر في مدى طال أم قصر على قوتها ونفوذها وهيبتها العالمية ، كقائدة للامبريالية العالمية ، بمعنى انه اذا نجح الاتحاد السوفيتي في مساعدة الشعوب العربية على تحقيق أهدافها التحررية الذاتية العادلة ، فانه يكون قد نجح في الوقت نفسه ، في تحقيق أهدافه هو بالذات ، يكون قد نجح في **اضعاف اشد وأخطر خصومه باسما ، ذلك الخصم المدجج بالسلاح التقليدي والنووي** والذي يقف على رأس الامبريالية العالمية والذي يعتبر عدوه الحقيقي رقم ١ ، ببرغم كل محاولات « التهدئة » بين الجانبين ابقاء لاى صدام نووي .

كذلك يبتغي الاتحاد السوفيتي من الناحية الاستراتيجية ، ولعرب منطقة الشرق العربي جغرافيا من حدوده وأراضيه ، أن يحول باى شكل من الاشكال ، دون وقوعها مرة اخرى ، في براثن السيطرة الاستعمارية التي سوف تحولها الى نقاط وثوب عدوانية موجهة ضد أمنه وسلامته ، والى مصلحة استراتيجية شاسعة لتطويق أراضيه من الجنوب .

وفوق كل ذلك ، يريد الاتحاد السوفيتي كذلك ، لقرب هذه المنطقة جغرافيا واستراتيجيا من حدوده وأراضيه ، تحويلها الى منطقة صداقة وود له ، يمكن أن تكون احتياطيا استراتيجيا له في حالة نشوب صراع عالمي واسع النطاق ، وذلك طبقا لسياسة الاتحاد السوفيتي التي تقوم على انشاء احزمة صداقة محيطة بالاتحاد السوفيتي ، سواء في شبه القارة الهندية أو في الشرق الاوسط العربي ، أو في غيرها من مناطق العالم ، وذلك كرد من الدولة الاشتراكية السوفيتية ، على السياسة الامبريالية الباغية العاتية على احاطة الاتحاد السوفيتي بسلسلة من القواعد والاحلاف العسكرية العدوانية .

لما فيما يتعلق بالجانب الاقتصادي ، فتوجد دوائر اليمين المتخلف ، والدوائر الرجعية عامة تهمة « الاستعمار الاقتصادي الاخطر » الى ممارسات الاتحاد السوفيتي الاقتصادية في المجال العالمي ، وخاصة ازاء دول العالم الثالث . فهل تشكل سياسة الاتحاد السوفيتي الاقتصادية الخارجية نوعا من الاستعمار الاقتصادي للشعوب والبلدان الاخرى عامة وخاصة لشعوب العالم الثالث ؟

هناك معياران اساسيان ، بالمقياس العلمي ، للحكم على الطابع « الاستعماري » لسياسة دولة من الدول تجاه العالم الثالث بصفه خاصه : **اولهما** : موقفها من الهياكل الزراعية المتخلفة في البلدان التابعة والنابذة . **ثانيهما** : عرض ظاهرة استنزاف عير الموازين على هذه البلدان ، والعمل على ضمان استمرارها .

فبالنسبة للجانب الاول نجد أن هدفا أساسيا من الاهداف الاقتصادية للسياسة الاستعمارية يتمثل في الابقاء على البلدان التابعة والنابذة كمزارع لمصانع أوربا الغربية وأمريكا الشمالية ، الابقاء عليها في حدود الاقتصاد الزراعي « كاريات للعالم » ، والحيلولة باى شكل دون تصنيعها بل وخنق نموها الصناعي ان نشأ ، كي تظل دوما قواعد لانتاج وتصدير المواد الخام وسوقا لتصريف المنتجات الصناعية .

وبالنسبة للجانب الثاني نجد أن الدول الاستعمارية عملت في اغلب الاحيان على تشويه اقتصاد البلدان المستعمرة والنابذة ، والاخلال بتوازنها الاقتصادي ، عن طريق فرض الاعتماد على انتاج محصول واحد أو اثنين على الاكثر ، على اقتصاد هذه البلدان ، مما أسفر عن نتائج مأساوية بالنسبة لتلك الشعوب ادى الى افقارها المستمر بسبب اقتصاد الاعتماد على سبيل المثال على الكاكاو في غانا ، والفول في جامبيا ، والثوم في زنجبار ، والالياف في تانزانيا ، والمطاط في الملايو ، والشاى في سيلان ، والبن في جامايكا ، والمطاط والقصدير في اندونيسيا ، والقطن في مصر ، والبن في كولومبيا ، والقصدير في بوليفيا ، والنحاس في شيلي ، والموز في هندوراس ، والبترول في فنزويلا . فهل يمكن لاحد

ان يجد بلدا واحدا فى العالم . عمد الاتحاد السوفيتى الى فرض سياسة المحصول الواحد عليه ، والاخلال بتوازنه الاقتصادى على هذا النحو ؟

ان احدا لن يجد مثل هذا البلد لان الاتحاد السوفيتى لم يعمد قط الى اتباع مثل هذه السياسات تجاه البلدان النامية وبلدان العالم الثالث التى اقام معها علاقاته الاقتصادية . بل لقد ساهم بوضوح ، فى مساعدتها على كسر هذا الطوق الاقتصادى الخانق ، والانطلاق الى آفاق التصنيع الحديث . **لقد كان الاتحاد السوفيتى هو الدونه العظمى الوحيده فى العالم التى ساهمت فى اكبر عمليات التصنيع واوسعها انتشارا فى العالم الثالث حيث اقام مئات من المصانع الكبرى والمتوسطه فى مختلف ارجاء هذا العالم ووضع اسس الصناعه الثقيلة فى عدد من اهم بلدانه . ان الاكثر انصافا وعدلا ان يقال : ان الاتحاد السوفيتى يزرع الصناعة والتقدم الصناعى فى ارياف العالم الثالث** ، فيما لها من مهمة « استعمارية » حقا !

اما فيما يتعلق بالدول الاشتراكية الاوربية والاسيوية على حد سواء ، فانها لا تعانى قط من مثل هذه الظواهر ، ولم يفرض عليها الاتحاد السوفيتى الذى تقيم معه اضخم علاقاتها الاقتصادية ، سياسة اعتماد على محصول واحد او اثنين ، بل لقد اصبحت جميعا ، وبفضل معونة الاتحاد السوفيتى ، **قواعد راسخة للصناعه الثقيلة الى جانب الزراعة العصرية المتقدمة** . وقد انتجت البلدان الاشتراكية التى تمثل ٣٣ فى المائة من سكان العالم . و ٢٦ فى المائة من مساحته ٤٠ فى المائة من مجمل الانتاج الصناعى فى العالم عام ١٩٧٣ . وفى نفس العام زاد الدخل القومى فيها بنسبة ٤٧٠ فى المائة عما كان عليه سنة ١٩٥٠ ، فى حين لم يزد فى البلدان الراسمالية المتقدمة سوى بنسبة ١٨٠ فى المائة فقط فى نفس الفترة . فهل يمكن بعد كل ذلك ، اعتبار كل تلك العلاقات الاقتصادية من جانب الاتحاد السوفيتى ، تجاه كافة البلدان الاشتراكية والنامية ، « استعمارا اقتصاديا » بوجه من الوجوه ؟

اما فيما يتعلق ببلادنا فاننا نود أن نؤكد على حقيقة انه اذا كان المبدأ الاساسى فى اى استعمار قديم او حديث هو تصفية الاستقلال السياسى الحقيقى للبلدان المستعمرة والتابعة ، او تفريغه من مضمونه . فالامر الملاحظ على نحو بالغ الوضوح هنا ، هو ان **المرحلة التى شهدت اشد توثق للعلاقات المصرية ـ السوفيتية ، هى نفسها التى شهدت اكمل وامجد معالم الاستقلال الوطنى لهذا البلد** . وليس هناك ادنى شك لاى دارس منصف لتطور العلاقات المصريه السوفيتية فى انه فى اوج توثق العلاقات مع الاتحاد السوفيتى ، وتقديمه لكل صنوف المساعدة العسكرية والسياسية والاقتصادية لبلادنا ، **كان القرار دوما على هذه الارض ، قرارا مصريا اولا واخيرا** . ولذا ، ينبغى أن نؤكد هنا تلك الحقيقة دون التواء او مواربة وهى **ان الاتحاد السوفيتى احترم دوما استقلال بلادنا السياسى وحريتها المطلقة التامة فى اتخاذ قراراتها** .

ومع ذلك فان القوى الاستعمارية والرجعية فى دأبها المحموم لنشر اضاليلها واكاذيبها ، عملت دوما على تزييف الحقائق فى مجال التعاون المصرى ـ السوفيتى ، وعلى تشويه الوقائع ـ وهو ما يبلغ القمة فى اللااخلاقية ـ بتصوير هذه الوقائع بعكس مضمونها والمبتغى منها عن طريق تصوير المساعدة السوفيتية مثلا على انها « وجود » استعمارى ، و « تسلل » استعمارى .

فعندما وافق الاتحاد السوفيتى ـ وهذا مثل واحد على ذلك ـ بناء على الحاح الرئيس **جمال عبد الناصر** اثناء حرب الاستنزاف فى يناير ١٩٧٠ ، على الاسراع بارسال اطقم صواريخ سوفيتية للمشاركة فى الدفاع عن العمق المصرى الذى بدات اسرائيل ضربه ، وحتى يتم تدريب الاطقم المصرية ، عندما وافق الاتحاد السوفيتى على ذلك ـ تقديرا لمكانة مصر ودور زعامتها ـ برغم معارضته اصلا لخروج اى وحدات سوفيتية خارج اراضيه ، وعندما قام بالفعل بارسال ضباط وجنود سوفيت لمؤازرة مصر فى دفاعها ضد العدوان انذاك ، بدأ تصوير هذا التعاون والتضامن النبيل فى صورة تسلل استعمارى حثيث ، خلف الشعار المغرض الذى اطلقته الدوائر الاستعمارية والرجعية المحلية واسمته « بالوجود السوفيتى » فى مصر .

وهكذا تحول القبول بمعونة دولة صغيرة صديقة عزلاء ، ضد عدوان بربرى غاشم « وجودا استعماريا » . والذى جاء ليشارك شعبا صديقا فى دفاع عادل عن النفس ، ويقدم حياته فدية لاخرين يبعدون عن بلاده آلاف الكيلو مترات ، قد تحول فى اعين الرأسماليين والمرابين ، والطفيليين

وحماية دماء الشعوب الى « مستعمر » ووسيلة في يد استعمار اخطر واشد وأنكى ، في الوقت الذى كانت فيه أرض مصر هى الارض الوحيدة خارج نطاق المعسكر الاشتراكى ، التى سفك عليها الدم السوفيتى .

واذا كان هؤلاء المستشارين والخبراء العسكريين ، ييلون — فى صرف الاستعماريين والرجعيين — استعمارا أشد وأنكى وأخطر فاننا لنتساءل حقا أى استعمار جبار هذا الذى يخرج طواعية والتزاما هكذا ، بمجرد قرار لرئيس جمهوريتنا باتهاء مهمة هؤلاء المستشارين ؟ وهو القرار الذى اتخذه الرئيس انور السادات فى صيف ١٩٧٢ ؟

ولحسن الحظ فان سخرية الاقدار وحدها ، هى التى جعلت من هذا القرار ، اكبر عملية فضح ، لغرية واكذوبة « الاستعمار السوفيتى » لان الاتحاد السوفيتى — وايمم أعين كل مصرى وعربى — بادر فورا بالاستجابة للقرار المصرى ، وأصدر أوامره بعودة المستشارين حتى قبل الموعد المصرى المقرر . على أن عملية الفضح هذه لن تكون الاخيرة من نوعها ، لان المستقبل يحمل فى طياته دوما ، تضييق دائرة التضليل السياسى للشعوب .

واذا كانت أسطورة «الاستعمار السوفيتى» قد انتهت هنا هكذا خير نهاية ذات دلالة ، وبعمليات وداع وتوديع لاصدقائنا ، أعرب فيها المصريون عن امتنانهم لمن مدوا اليهم يد المساعدة بالعدة والمتاد والعلم والخبرة ، توجت مؤخرا بمنح ومسلم « النجمة العسكرية » من الدرجة الاولى ، للجنرال السوفيتى **بيتر سيمياخودسكى** كبير هؤلاء المستشارين تقديرا لخدماته لبلادنا وشعبنا ، فاننا نود أن نتساءل حقا عن الرصيد المشين لهذا الاستعمار الاخطر والاشد فى باقى أرجاء وطننا العربى ، اذ كان هناك أصل وواقع لمثل هذا الرصيد المشين ؟

لحسن الحظ ايضا ، أن الحقيقة محفوظة دوما فى سجلات التاريخ ، وفى قلب دور المحفوظات والوثائق ، ولا يسع أحد انكارها أو محوها . فحتى قبل اندلاع ثورات العرب الوطنية المعاصرة بدءا بثورة يوليو ١٩٥٢ ، كان للاتحاد السوفيتى موقفه المبدئى الثابت من قضايا العرب المصيرية .

تلقد أيد الاتحاد السوفيتى **سوريا ولبنان** فى مجلس الامن سنة ١٩٤٦ ، مطالبا بانسحاب القوات البريطانيه والفرنسيه من أراضى هاتين الدولتين ، كما عمل ضد محاولات القوى الامبرياليه لاقامه مناطق نفوذ فى المستعمرة الايطالية السابقة « **ليبيا** » ، **ويرجع اعتراف** الجمعية العامه للامم المتحدة باستقلال ليبيا ، الى حد كبير ، الى دفاع الاتحاد السوفيتى عن حق الشعب الليبى فى تقرير المصير ، وبالنسبة **للمغرب وتونس** ، قامت الحكومة السوفيتية فى الامم المتحدة ايضا بالدفاع عن مصالح الشعب المغربى والشعب التونسى ، وساعد التأييد السوفيتى الفعال ، تونس على تحقيق انسحاب القوات الفرنسية من **بنزرت** ، وقام ممثلو الاتحاد السوفيتى باصرار بتأييد القضية العادلة للشعب **الجزائرى** فى الامم المتحدة وبتأييد حربه العادلة من أجل التحرر الوطنى ، بل وتقديم المساعدات له ، كذلك تبنت الحكومة السوفيتية فى مجلس الامن عام ١٩٤٧ ، مطلب **الحكومة المصرية بجلاء** القوات البريطانية عن **مصر والسودان** . وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مصر ، رحب بها الشعب السوفيتى ، وايدت الحكومة السوفيتية مصر بحزم فى تأميمها لشركة قناة السويس ، ووقف الاتحاد السوفيتى مع مصر موقفه المعروف خلال عدوان ١٩٥٦ ، وسنوات الحصار الاقتصادى . وعندما أحدق خطر التدخل الامريكى العسكرى **بسوريا** بعد تشكيل حكومة التجمع القومى فى خريف ١٩٥٧ ، اعلن الاتحاد السوفيتى انه لن يسمح بوقوع عدوان على سوريا ، وعندما تفجرت ثورة ١٤ تموز **العراقية** ، كان موقف الاتحاد السوفيتى سندا لها وظهيرا ، فرد الخطة الامبريالية **للزحف الى بغداد** » ، كذلك قدم الاتحاد السوفيتى مساعداته ايضا للثورة **اليمنية** عن طريق مصر ، وساند ثورة **عدن وجنوب اليمن** ، وآزر **جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية** منذ تأسيسها . كما أيد وساند بقوة ثورة **السودان** ١٩٦٨ ، والثورة الليبية فى صراعها مع الاحتكارات الامبريالية سنة ١٩٦٩ . ووقف مع حقوق الشعب العربى **الفلسطينى** فى كل محفل دولى ومجال ، وكان من اكبر القوى التى دفعت بقضية فلسطين لدخول منبر الامم المتحدة ، ومدت يد العون والمساعدة المادية للشعب الفلسطينى فى كفاحه . وكل هذه المواقف جميعا على سبيل المثال لا الحصر .

فاين هو « الاستعمار » حقا فى كل تلك المواقف ؟ . ان الاتحاد السوفيتى لم يحصل فى كل

هذه البلدان ، على قاعدة عسكرية واحدة ، أو ينهب مادة خام لبلد عربي بثمن بخس ، واذا كان **البترول** هو اهم ثروة مادية عربية ، فان احدا فى العالم العربى لم يشر ولو الى قرينة واحدة تنبىء بأطماع سوفيتية فى البترول العربى ، لان الاتحاد السوفيتى فى غنى حقا عن البترول العربى ، بعد أن أصبح الان ، الدولة الاولى المنتجة للبترول فى العالم . ان الاتحاد السوفيتى فى الحقيقة لم يقف مع قضايا العرب العادلة طمعا فى مغنم استعمارى استغلالى نهم ، طمعا فى بن اليمن مثلا ، أو كروم الجزائر ، أو زيتون تونس ، أو نفط العراق ، أو مواشى السودان ، ولم يقف قط مع حق الشعب الفلسطينى طمعا فى أمل مقبل فى موالح يافا وبيارات الخليل وياله من أمل بخس ، فخيراته الطبيعية والمعدنية البكر ، تمثل على حد رأى الامريكيين « كنوزا من الثروة » تفوق أى قدرة حالية على استثمارها ، كما وأن الاقتصاد السوفيتى مخطط بحيث لا يعتمد ولا يحتاج قط الى أى نهب طفيلى لاقتصاديات وموارد الشعوب الاخرى ، وانما وقف الاتحاد السوفيتى ، ويقف دائما مع الشعوب العربية فى كفاحها ، لسبب أساسى واحد ، كما قلنا ، هو أن **له مصلحة موضوعية فى نضال العرب ضد الامبريالية ، وتصفيتها من بلادهم ، باعتبارها عدوه الرئيسى الخطر المدجج .**

وانما الكلام الذى ينبغى أن يقال انصافا للعدل والحق فعلا بهذا الصدد ، فهو أن العالم العربى ، ممثلا فى دوله الوطنية المعاديه للامبريالية ، وفيما يخص علاقاته بالاتحاد السوفيتى ، **يأخذ من الاتحاد السوفيتى ، بالمعنى المادى المباشر ، اكثر مما يعطى** ، او على اقل تقدير اخذ اكثر مما اعطى وهذا هو الوضع الحقيقى للامور ـ دون ادعاء او نفاق ـ بدليل ان الاتحاد السوفيتى لايزال دولة دائنه بهذا الصدد وليست مدينة .

على أن سياسة المساندة والدعم والتضامن هذه ليست استثناء قط ، فى خط السياسه الخارجية السوفيتية ، فلقد أنفق الاتحاد السوفيتى المليارات فى صورة مختلف أنواع المساعدات للثورة الفيتنامية فى الشمال والجنوب مثلا ، لكنه لم يفعل ذلك قط أملا فى القفز على رأس جسر فى الهند الصينية ، أو طمعا فى منطقة نفوذ استعمارية جديدة هناك ، وانما فعله تحقيقا لاستراتيجيته فى تصفية النفوذ الامبريالى من آسيا ، واضعاف مواقع الامبريالية عامة .

والامر الملفت للنظر حقا أنه على الرغم من أن هانوى كانت تغص بالمئات من المستشارين العسكريين السوفيت ، فان احدا فى هذه العاصمة الثورية الكبيرة ، لم يشر من قريب أو بعيد الى خطر ما يسمى « بالوجود السوفيتى » أو غيره هناك ، وكانت صحف فيتنام الثورة أنبل من أن تلطخ كبريائها الوطنى والثورى ، بتعليقات « مراهقة » مغرضة من هذا القبيل . كذلك فاذا كان الاتحاد السوفيتى قد أيد الثورة الكوبية بالفعل فانه لم يفعل ذلك بهدف «استعمار» كوبا او نهب سكرها وثرواتها بابخس الاثمان ، وانما لانها قطعت ذراعا من اذرع الامبريالية الامريكية ، والامر المعروف لكل ذى عينين فى هذا العالم ، هو أن الاتحاد السوفيتى ، رغبة منه فى مساندة كوبا فى وجه الحصار الاقتصادى الامريكى ، **يشترى سكرها بسعر أعلى من السعر العالمى** ، فياله من « استعمار معطاء » حقا !

لكن القوى الاستعمارية والرجعية وعناصر اليمين المتخلف ، لا تكف عن حربها المحمومة ، فهى اذا ووجهت بكل هذه الحقائق الاقتصادية التى لا يرقى اليها الشك ، والتى لا سبيل الى نكرانها ، فانها تنتقل الى قرية جديدة لتشيع أن الغرض من وراء كل تلك المساعدات الاقتصادية العسكرية ، هدف واحد ، هو **التغلغل الايديولوجى والسيطرة الايديولوجية** ، فهل حقا يقدم الاتحاد السوفيتى مساعداته بشروط ، التسلل الايديولوجى ؟

لن نجيب على ذلك انطلاقا من واقع رفض القيادات الوطنيه العربية ، الخضوع فى تعاملها لاية شروط اجنبية ، فهذا أمر معروف ومقرر . وانما يأخذنا العجب حقا ، ونتساءل : ما الذى تريده القوى الرجعية وقوى اليمين المتخلف فى بلادنا اكثر من أن مصر التى نالت ـ على المستوى العربى ـ اكبر قدر من المساعدات السوفيتية العسكرية والاقتصادية ، لن يجدوا فيها حتى المبرر التقليدى الكاذب الذى تستغله الدوائر الرجعية عادة لتلفيق الاتهامات للاتحاد السوفيتى « بالتغلغل الايديولوجى » الا وهو وجود حزب ماركسى محلى ، علما بأن مصر هى الاستثناء الوحيد ايضا فى هذا الصدد بين كافة الدول العربية الوطنية ، وفى الوقت الذى انتشرت فيه هذه الاحزاب فى كل بقاع العالم ، بما فيها الدول الاستعمارية نفسها ، حيث تصدر صحفها

ومجلاتها ووسائل اعلامها واسعة الانتشار بشكل علنى ورسمى ، وعلما بأن وجود مثل هذه الاحزاب فى بلدان العالم ، لا يمثل بأى حال تغلغلا ايديولوجيا اجنبيا ، وانما يمثل حقيقة وطنية نابعة من رحم مجتمعات هذه البلدان ، ومن واقع كفاح طبقاتها الحاسمه وتقلبها التقدميون ، يؤكد ذلك فى العالم العربى أن نشوء الاحزاب الماركسية العربية ، سبق بعشرات السنين ، نشوء العلاقات العربية ـ السوفيتية ، ويؤكده ايضا أنه لم يثبت قط فى تاريخ منطقتنا العربية ، سياسيا أو قانونيا ، وجود اى تدخل من جانب الاتحاد السوفيتى فى شئوننا الداخلية . أو اى علاقة تآمرية أو غير مشروعة تربطه بقوة محلية ايا كانت .

انه لامر غريب حقا ولمثيراز مكشوف ، فى الوقت الذى نجد فيه ، حتى لجزيرة ريونيون الصغيرة حزبها الشيوعى ، ولجزر المارتينيك وغيرها فى اقصى اصقاع الارض ، وفى الوقت الذى نجد فيه لتونس العربية ، حزبها ايضا ، وللبنان الصغير حزبه وحتى للمغرب ، ومع ذلك يملو الحديث هنا فى مصر عن « التغلغل » ليصبح هديرا ، فى الوقت الذى لا يتوفر فيه حتى المبرر المصطنع الزائف لمثل هذا الاتهام .

اننا لن نستطرد فى تحليل الاغراض المشئومة لذلك التشكيك فى الطبيعة المتزنة للمساعدات السوفيتية ، وذلك . الابتزاز للقوى الوطنية والديموقراطية فى هذا البلد ، وتلك المكارثية التى تريد استغلال فكر اليسار من كل عقل مصرى وعربى ، وكأنه يمكن قتل الافكار برسوم .لن نستطرد فى ذلك وانما نعود لنؤكد مرة اخرى هنا أن الاتحاد السوفيتى قدم دوما مساعداته لبلادنا من منطلق دعم النضال ضد الامبريالية ، وفى سبيل الاهداف المشتركة التى تجمعه وحركة التحرر الوطنى العربية ، لا فى سبيل التمكين لسيطرة الاحزاب الشيوعية المحلية ، فهذه المهمة ليست مهمة الدولة السوفيتية بأى حال من الاحوال والاتحاد السوفيتى بتجاربه التاريخيه الكبرى أعظم من يدرك أن الثورة **لا تصدر ولاتفرض** قسراً ، كذلك فان الاحزاب الشيوعية لا تصل الى السلطة قط عن طريق مساعدات دولة اعظم أو غيرها ، فكل هذه العوامل لن تجدى سنيئلا ، وانما وصلت هذه الاحزاب الى السلطة فى كل مكان وصلت اليها فيه سواء فى روسيا أو الصين أو كوبا مثلا بقدر ما جسدت الامال الثورية للملايين المظلومة المضطهدة ، وبقدر ما جذبتها الى صفوفه كفاحها ، وهى مهمة ثورية تحتاج لاجيال من النضال والصبر والتضحيات والوعى . والاتحاد السوفيتى بالذات . اول من يدرك ذلك حق ادراكه.

فاذا انتقلنا الى المستوى العربى العام ، لنتحدث عنه بلغة الواقع والحقيقة التى لا يسع احد انكارها ، فاننا نود ان نتساءل حقا : الم تكن هذه الدول العربية التى تلقت الالاف وليس المئات من الدبابات السوفيتية ، فضلا عن الطائرات والصواريخ والمدافع ، ومختلف انواع الاسلحة الحديثة التى لم تزود بها دول حلف وارسو ، والتى تلقت بالاضافة الى ذلك اكبر مساعدة سوفيتية فى مجال التصنيع ، فى صورة مئات المصانع المنتشرة على اتساع رقعة العالم العربى ، الم تكن هذه الدول هى نفسها التى ضرب فيها الرقم القياسى فى العالم فى اعدام سكرتيرى الاحزاب الشيوعية ، حيث أعدم فى غضون فترة لا تزيد عن عشر سنوات ، اربعة من سكرتيرى هذه الاحزاب . **سلام عادل** فى العراق ، **وفرج الله الحلو** فى سوريا ، **وعبد الخالق محجوب** فى السودان ، ومن قبلهم العنصر القيادى البارز فى مصر **شهدى عطية** ؟ وبالطبع ، فلقد شجب الاتحاد السوفيتى ويشجب دوما اى اضطهاد لقوى اليسار من واقع التزامه بمبدأ التضامن الاممى مع الشعوب والحركات المناضلة ،ولقد استنكر بشدة دوما أعدام قادة الاحزاب الماركسية ومناضليها ، وشبابها ، ولكن الا يكفى استمرار المساعدات السوفيتية الحاسمة وتضامن الاتحاد السوفيتى المستمر معنا فى كفاحنا بعد ذلك دليلا على **أن نضالنا ضد الامبريالية هو الفيصل الوحيد فى تلقى اى دعم عسكرى واقتصادى وسياسى من هذا البلد الصديق** ؟ افلا يكفى كل ذلك دليلا على نزاهة ومبدئية سياسته تجاهنا ؟ ومما الذى يريده الرجعيون من الاتحاد السوفيتى حقا ، ليثبت للعرب نزاهته واخلاصه ، ومواقفه المبدئية ، وحظ سياسته من التآمر على مقدراتهم الداخلية ؟ .

ان الوطنيين الحقيقيين فى مصر وفى العالم العربى ، هم الذين يدافعون عن التعاون المصرى ـ السوفيتى،وعن تطوير وتدعيم العلاقات مع الاتحاد السوفيتى ، فلقد ظل هذا البلد دوما ـ خاصة فى أحلك اللحظات ـ سندا مخلصا للشعوب العربية ،ولم يتراجع فى اى وقت عن دعم النضال العربى ضد الامبريالية ، ولم يترك الامة العربية عزلاء فى وجه الاستعمار العالمى الطامح .

مفاتيح عصرية للمصطلحات الصهيونية

حققت « الطليعة » لقرائها سبقا هاما عندما قدمت لهم فى الاعداد الماضية مجموعة من المصطلحات الصهيونية مع تجربة عصرية ومصرية لها .

وفى هذا العدد تقدم الطليعة الحلقة الاخيرة من هذه المصطلحات .. ذلك انه سوف تصدر فى آخر شهر يناير كتاب بعنوان موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية : رؤية نقدية . من تأليف واشراف د . عبد الوهاب المسيرى [يمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام] .

الاستعمار الصهيونى – بعض سماته الخاصة

على الرغم من أن الاستعمار الصهيونى هو امتداد للامبريالية الغربية فى قلب الوطن العربى فانه مع هذا امتداد له سماته الخاصة وقوانينه الفرعية التى تتحكم فيه وتصبغه بلون خاص ، وفيما يلى بعض هذه السمات الخاصة :

① أستعمار عميل

نشأ الاستعمار الصهيونى أثناء فترة « التكالب على افريقيا » ومحاولة تقسيم آسيا وافريقيا من قبل الدول الصناعية المتقدمة فى نهاية الثمانينيات فى القرن الماضى . وفى تلك الآونة بدأت تركيا أو « رجل أوروبا المريض » فى الاحتضار مما جعل الدول الغربية تقف فى حالة تأهب لسد «الفراغ» الذى سينجم عن وفاته . فى هذا الجو ظهرت الصهيونية ، وهى كتنظيم وعقيدة لم يكن عندها لا جيش ولا شعب ولا وسائل ضغط من أى نوع وانما كان عندها « برنامج » لاعادة توطين اليهود فى فلسطين ، وفى قلب الامبراطورية العثمانية فى الطريق الموصل بين آسيا وافريقيا فى بقعة تطل على قناة السويس وعلى الطريق الى الهند . ولتحويل البرنامج الصهيونى الى حقيقة واقعة ، كان لابد ولن تتهناه وترعاه أى قوة امبريالية لتفرضه فرضا على فلسطين . وقد وجد الصهاينة ضالتهم المنشودة فى نهاية الامر فى الامبريالية الانجليزية ، فبعد قيام الحرب العالمية الاولى وسقوط الامبراطورية

العثمانية وتقيم الثورة العربية مشاريع الانجليز بمنح الصهاينة وعد بلفور ليسهلوا مهمة الاستعمار الصهيوني الاستيطاني في فلسطين حتى لا تقع فلسطين تحت النفوذ الفرنسي وحتى يمكن التحكم في الطريق الى الهند عن طريق الدولة الصهيونية العميلة . ولا يزال الاستعمار الصهيوني حتى الان استعمارا عميلا يخضع لقوة امبريالية غربية يستمد منها القوة والمون ، وتخضع دينامية لدينامياتها وترتبط سياسته بسياستها ».

② استعمار استيطاني

لا يأخذ الاستعمار الصهيوني شكل جيش يقهر البلد المتخلفة ويحتلها ليستغل امكانياتها الاقتصادية والبشرية لصالح البلد الاوروبي الغازي ، وانما هو يأخذ شكل نقل مستوطنين أوروبيين من بلادهم الى البلد الجديد ليعيشوا فيه ويجعلوه وطنا لهم ، كما هو الحال مع المستوطنين الفرنسيين في الجزائر والمستوطنين البيض في روديسيا وجنوب أفريقيا ».

③ استعمار احلالي

يسعى الاستعماريون الاستيطانيون الى استثمار ثروات البلاد التي يستوطنونها بما في ذلك قوة العمل للسكان المحليين ، ولذلك فهم عادة ما يحاولون السكان الاصليين الى طبقة بروليتارية في مجتمع « رأسمالي جديد » . لما الصهيونية فلم تكن طامعة في موارد الارض الفلسطينية فحسب بل كانت تريد الارض ذاتها بعد تفريغها من سكانها لانشاء دولة « قومية » جديدة . ولهذا كان لابد من أن يكون لهذه « الامة الجديدة » طبقاتها الخاصة بها ، بما في ذلك طبقاتها العاملة ؟ اى ان البرنامج الصهيوني كان يقتضي ويتطلب احلالاً قوم محلّ العرب ، وليس مجرد استغلال هؤلاء العرب . ولقد كان الفلاح الفلسطيني يطرد من ارضه ليتحول الى لاجيء ؟ على عكس الفلاح الافريقي في جنوب أفريقيا الذي كان يطرد من ارضه ثم يستوعب كبروليتاري في النظام الاقتصادي الجديد .

④ استعمار له دينامية عمياء

يفتقد الاستعمار الصهيوني الاستيطاني الاحلالي الى اى دينامية محددة مستقلة بسبب جذوره التاريخية ، فهو أولا — كما بينا — استعمار عميل غير مستقل ، وهو ثانيا استعمار استيطاني احلالي زرع زرعا في مطلع الفتنه بكل قوة وعنف مما يضطره الى اللجوء للقوة الامبريالية الغربية ، الامر الذي يزيده افتقادا للاتجاه . ومما يعقد الامور أن مساعدات الاقليات اليهودية تساهم في عزل البناء الاستعماري الصهيوني عن الواقع التاريخي المحيط به مما يزيده شذوذا ، لان « الاتجاه التاريخي » أمر ينبع من بناء المجتمع الفعلي الاقتصادي الاجتماعي المحدد ، وتظهر الدينامية التوسعية العمياء — التي تتحكم فيها اعتبارات مثالية وتتشابك فيها الاعتبارات السياسية والاقتصادية والخلقية — في مشكلة الحدود . فالدولة الصهيونية لم تعرف حدودها قط لا في ايام الحركة الصهيونية ولا في ايامنا هذه ، بل نجد لكل مفكر وزعيم صهيوني في اسرائيل او خارجها خطة او خطتين للسلام ملحقا بها عدة خرائط تبين الحدود المقترحة . وقد وصف احد المفكرين الصهاينة حدود الدولة الصهيونية في المستقبل بجلد الابل الذي يتقلص أو يتمدد وفقا لجوع الحيوان او شهيته ، وقد قرر بن جوريون أن الذي يحدد شهية «الحيوان» هو الجيش الاسرائيلي ولذلك اقترح بعد اعلان قيام الدولة الصهيونية الا تعلن الحدود لان هذه مسألة تترك للجيش الاسرائيلي ليقررها . ولكن الامبريالية هي التي تتحكم في اسرائيل ككل وتحدد اتجاهها وتوظف حركتها في خدمتها ، وعلى اسرائيل ان تنفذ المخطط الامبريالي سواء كانت واعيه بهذا ام غير واعية ، وسواء كانت راضية أم كارهة ، فهي لا حياة لها بدون الدعم الامبريالي .

في العيد العاشر للثورة الفلسطينية

مراحل التسوية ومستقبل فلسطين

عادل حسين

ان الهجمات اليومية المسلحة ضد المواقع الاسرائيلية ، والعدوان المتكرر على تجمعات ومراكز الفلسطينيين في لبنان — قبل اكتوبر وبعده — هما شهادة متجددة بأن الثورة الفلسطينية هي الجبهة التي لم تتوقف يوما من اطلاق النار .. منذ اول يناير ١٩٦٥ ، اى منذ عشر سنوات ، وابطال الثورة يواصلون العمل احيانا كان التفاعل متصاعد ، واحيانا كان يهبط ، ولكنه ابدا لم يتوقف . وقد قال ياسر عرفات يوما ان قرار البدء بعمليات عسكرية بعد كارثة ١٩٦٧ [وهو القرار الذى شارك فى اتخاذه وفى تنفيذه] كان صعبا ، ولكن القرار ببدء العمليات فى اول يناير ١٩٦٥ [والذى شارك ايضا ياسر عرفات فى اتخاذه وفى تنفيذه] كان يحتاج الى شجاعة اكبر .. ولا شك ان هذا صحيح .

واذا كان من حق الثورة الفلسطينية ان تنظر — فى عيدها العاشر — الى حصاد سنواتها السابقة باعتزاز ، فان ما يواجهها فى السنوات القادمة لا يترك مجالا كبيرا لتيارات التحليل والتهيؤات .. يكفى ان نلتقط الانفاس ونتفكر الخيارات استعدادا للغد .

لقد مرت المسيرة فى اربعة مراحل متميزة : مرحلة يناير ١٩٦٥/يونيو ١٩٦٧ — مرحلة يونيو ١٩٦٧/سبتمبر ١٩٧٠ — مرحلة ١٩٧١/ اكتوبر ١٩٧٣ — مرحلة حرب اكتوبر وما بعدها .

● وفى المرحلة الاولى بدأت العمليات السياسية بأسلحة محدثة وعبوات بدائية ، وكانت القيمة السياسية لهذه العمليات اكبر من قيمتها العسكرية ، فهى لم تكن مجرد تخطيط وتنفيذ ناجح لعمليات فدائية ، ولكنها كانت تمثل هذا تعبيرا عن تصور سياسى معين : لقد تدرت « فتح » ان الدول العربية منشغلة فى معاركها الجانبية، وانها لاتستعد لجولة قريبة مع اسرائيل ، ولذا كان من واجب الطلائع الفلسطينية ان تبادر الى التحرك المستقل باسم الشعب صاحب القضية . وكانت « فتح » ترى ان تحركها سيؤدى الى بلورة الشخصية الفلسطينية التى كادت ان تنسى، وكانت ترى ان تحركها سيؤدى الى اعادة القضية الى بؤرة الاهتمام العربى ، والى مسرح الاحداث العالمية . ولكن الانهامات كيلت يومها لهذا التحرك الفلسطينى ، وقبل انه سعى « بمشوه » « لتوريط » الدول العربية فى معركة مع اسرائيل لم نستكمل استعدادنا لها بعد ، وكان طبيعيا ان يترجم الاتهام الى

مظارنة ومحاربة ؟ وكان كلّ هذا متوقعا ، ولذا كان القرار بالغ الصعوبة — كما قال ياسر عرفات — فالقتال بعد يونيو كان ضد اسرائيل ، ولكن القتال في عام ١٩٦٥ كان ضد اسرائيل ؟ وضد ما يشبه الاجماع من الدول العربية .

ويوسعنا الآن — وبعد مرور عشر سنوات — ان نقرر ان التصور السياسي لـ « فتح » لم يكن يعني « التوريط » ، ولكن يمكن ان نقول انه كان دفعا لمعارك الدول العربية نحو الاتجاه الصحيح ، ونحو الاستعداد الجاد لمواجهة الخطر الاسرائيلي ، ولو قدرت الدول العربية هذه المخاطر تقديرا صحيحا منذ ١٩٦٥ او قبل هذا، لامكن بالقطع تفادي كارثة يونيو ١٩٦٧ .

قد يقال ان حركة فتح لم تكن متكاملة الوضوح في اهدافها الاستراتيجية ، ولم تكن تعرف المراحل والتكتيك ، ولم تلق بالا لطبيعة التناقضات والصراعات في الساحة العربية ؟ وكان السلاح هو اسلوبها الوحيد المعلن . ولكن كافة هذه الانتقادات يضعفها ان نسترجع صورة الموقف في تلك المرحلة ، كحركة فتح والشعب الفلسطيني كله لم يكن صاحب وزن مؤثر في احداث المنطقة ؟ ولو دخلت فتح في صراعات تلك الفترة كانت ستبتلع في هذا المحور، او ذاك؛ ثم ان الاوضاع العجيبة في تلك المرحلة كان ممكنا ان تضع مصر بكل ثقلها ضد التحرك الفلسطيني ، وكان ممكنا ان تتلقى «فتح» دعما من بعض الدول المحافظة . والمطلق الثوري كان يقتضي الاستفادة من اي امكانيات متاحة دون الدخول في تحديدات او محالفات قد تعوق اكثر مما تفيد . وبالنسبة للاهداف الاستراتيجية والمرحلية واساليب النضال كان النقص في كلّ هذه الامور لا يشكل في هذه المرحلة عيبا خطيرا. فالهدف الاساسي كان اثبات الذات بعد الثبه الطويل ؟ ودفع الآخرين .شيئا فشيئا الى المساندة والدعم ، وهذا يكفي .

● في المرحلة الثانية [يونيو ١٩٦٧ / يوليو ١٩٧٠] اختلفت المعطيات السياسية التي تحكم العمل . واصبح استمرار النضال يتطلب تصورا سياسيا اكثر تحديدا ويستوعب المعطيات الجديدة . وكانت المعطيات الجديدة كالتالي ؟

١ — اكثر من مليون فلسطيني اضيفوا الى قبضة اسرائيل ؟ وهذا الوضع اضاف واجبات لدعم الصمود ، وهو من ناحية اخرى قدم امكانيات كبيرة في مقاومة العدو .

٢ — الشعوب العربية ترفض الهزيمة وتصر على جولة عسكرية جديدة .

٣ — مصر وسوريا اصبحتا ظرفا مباشرا الى جانب الفلسطينيين في القتال ضد اسرائيل [وهذا اهم المعطيات الجديدة واعقدها] فهو ايجابي كبير للجهد الفلسطيني ، ولكنه في نفس الوقت وضع حدودا لابد من مراعاتها . فنحن الان نواجه نتائج عدوان ١٩٦٧ ونتائج عدوان ١٩٤٨ ، قبل ندميج القضيتين معا او نقبل بنوع من المراحل في مواجهة المخططات الصهيونية ؟ لم يعد هذا السؤال ترفا يمكن تجاوزه كما كان الحال في المرحلة السابقة ، ولكنه اصبح ضرورة تحكم آفاق العمل السياسي والعسكري . ثم ان دخول مصر وسوريا كأطراف مباشرة في القتال اصبح يفرض تنسيقا وتعاونا ، واذا كانت لمصر حسابات محلية ودولية ، فلابد ان توضع هذه الحسابات — بواقعية — داخل التصور السياسي الفلسطيني.قد يعني هذا أن الاشتراك المفروض لمصر وسوريا حدد من حرية العمل الفلسطيني؛ وهذا صحيح بمعنى انه حدد من حرية الفلسطينيين في اطلاق الشعارات ، ولكنه اتاح بالقطع امكانية اكبر لممارسة النضال من اجل اثبات الوجود الفلسطيني .

هذه المعطيات الثلاث الجديدة لم تدركها الثورة الفلسطينية ادراكا كاملا . لقد خرجت المقاومة من بين انقاض هزيمة يونيو تعبيرا عن ارادة الجماهير العربية كلها في مواصلة القتال، اعادت الامل لدى كثيرين اصابهم اليأس ، وهذا فضل لا يمكن ان ينسى واستطاعت الثورة ان تصيب العدو في معركة الكرامة بأول هزيمة كبيرة في تاريخه مباشر بعد يونيو١٩٦٧ ، وبفضل هذه البطولات والتضحيات تبلورت الثورة من مواجهة المؤامرات ، ومن انتزاع الاعتراف الواسع بالوجود الفلسطيني ، وتمكنت من اقامة قاعدة امينة في شرق الاردن ، ادت الى احكام النضال المسلح وتصعيده .

لقد كانت هذه الانجازات نتيجة ادراك وممارسة الثورة لبعض امكانيات الوضع الجديد. ولكن عدم الاستخدام الكامل لحجم هذه الامكانيات وعدم الادراك الكامل — من ناحية اخرى — لحدود هذه الامكانيات ، ادى الى هزيمة سبتمبر ١٩٧٠ . لقد اثبتت نتائج حرب يونيو ١٩٦٧ وما بعدها ، صحة التصورات السياسية للقيادة الفلسطينية . لقد ثبت اهمية تبلور ارادة فلسطينية مستقلة ، وثبت قدرات النضال الفلسطيني .. وثبت ان الدول العربية لم تكن تستعد استعدادا جادا للمعركة اسرائيل . ولكن يبدو ان هذا النجاح في صحة التصور السياسي؛ وما تبعه من بطولات وانجازات عسكرية ، ادى الى تراخ في مراجعة المفاهيم السابقة على ضوء المعطيات الجديدة .. صحيح ان الثورة

حددت ـ فى هذه الفترة ـ هدفها الاستراتيجى البعيد على نحو واضح فى تحرير الدولة الفلسطينية الديموقراطية التى تجمع المسلمين والمسيحيين واليهود بلا تفرقة او تعصب ، وصحيح أن منظمات المقاومة وعلى راسها « فتح » تولت قيادة منظمة التحرير طريقا لتوحيد القوى وللشرعية وللاتصالات السياسية . ولكن ظل العمل المسلح هو الاسلوب الوحيد الذى تعترف به الثورة وتمارسه ، ولم ينعكس هذا فى التحرك السياسى الخارجى فقط ، وانما ايضا فى معالجة المشاكل اليومية والاجتماعية والسياسية لجماهير شرق الاردن ، وايضا فى متابعة اشكال النضال غير العسكرى فى المناطق المحتلة . ويرتبط بهذا العجز عن فهم الجديد ، التخلف فى ادراك حدود امكانيات التحرك المصرى وفى حسابات العلاقات الدولية ، وبالتحديد مجزت قيادة الثورة فى مواجهة قضية المراحل ؛ بل لقد عجزت عن مجرد مناقشة هذه القضية رغم الحاحها ، واوقفها هذا فى تعارض حاد مع القاهرة سهل مهمة ضربها . ومن الانصاف ان نذكر هنا اثر بعض التدخلات العربية غير المسئولة واحتضانها للاتجاهات المغامرة فى الصف الفلسطينى ، ولكن هذا القدر يخفف من مسئولية القيادة ولا ينفيها .

لقد انتهت هذه المرحلة بمذبحة « ايلول » الشهيرة ، والتى كانت مقدمة لانتهاء الوجود العلنى المنظم لقوات الثورة الفلسطينية فى شرق الاردن .

● بدات المرحلة الثالثة [١٩٧١ / اكتوبر ١٩٧٣] بعد نجاح المؤامرة فى الاردن ، بعد استشهاد الالاف من الجماهير الفلسطينية ، وبينهم مجموعات كبيرة من خيرة الكوادر العسكرية والسياسية . لقد كان انجاز الثورة لما اسماه ياسر عرفات « بالزحف الطويل » لقوات الثورة [تشبها بالزحف الطويل فى الثورة الصينية] نجاحا هاما فى تلك المرحلة ، فكما حدث فى الثورة الصينية ، استطاعت الثورة الفلسطينية انقاذ مقاتليها من بين براثن الهجمات الشرسة ، وانسحبت الى مواقع جديدة ، تلعق جراحها وتعيد تنظيم صفوفها . ومع هذا الانجاز الهام كانت هناك مراجعة سياسية للموقف ، ومحاولة لاستيعاب الدروس وظهرت نتائج هذا فى اسلوب العمل داخل لبنان وفى التنسيق مع القوى التقدمية هناك . وظهرت النتائج ايضا فى تركيز اهتمام اكبر بنضال وتنظيمات المناطق المحتلة . وقد اعلن فى هذه المرحلة مشروع المملكة المتحدة ، استفادة من ضربة ايلول ، واستفادة من جو القتالية الذى اشاعه الموقف الطويل لاطلاق النار على الجبهات العربية ؛ وقد تجمعت قوى الثورة فى محاضرة المشروع ، وبدعم عربى واسع . ولكن كان النجاح الاكبر فى هذه المرحلة هو استمرار اطلاق النار رغم كل الظروف المثبطة ، ورغم « استفراد » اسرائيل بقوى الثورة ، ورودها بعنف على كل عملية .

● نأتى الان الى المرحلة الحالية والتى بدأت بعد حرب اكتوبر . لقد بدأت الحرب وفق تنسيق بين القيادات المصرية والسورية والفلسطينية . وفى العمليات العسكرية معروف أن المقاومة الفلسطينية خلف الخطوط ، وضد منشآت العدو كانت بمثابة جبهة ثالثة لا زالت تقاتل بشرف وبسالة حتى الان . وقد بدت فى هذه المرحلة قيمة المراجعة السياسية ، وجدية الاستفادة من خبرات التجربة .

١ ـ فقد تأكدت وحدة الجماهير الفلسطينية ـ خارج الارض المحتلة وداخلها ـ حول منظمة التحرير . وتأكدت قيادة المنظمة لكافة اساليب النضال العسكرى وغير العسكرى ضد العدو . ومع الدور المتزايد لقواعد المقاومة المسلحة داخل الارض المحتلة انخرطت فى صفوف المقاومة قوى كان متصورا انها بعيدة او محايدة ، والرمز العظيم الذى يمثله المطران كابوتشى هو مؤشر الى مدى العمق الذى بلغته جذور الثورة .

٢ ـ أمكن توحيد الجماهير والطلائع الفلسطينية حول المضمون العام لفكرة المراحل فى مسيرة النضال .

٣ ـ كان هناك حرص على موالاة التنسيق مع القاهرة . والتنسيق لا يعنى اتفاق حول كل التفاصيل والتحركات ، ولكنه يعنى حرصا على الوصول الى تصور يتشابه للاهداف القريبة ؛ وحرصا على معالجة التناقضات بأسلوب لايغلب التناقضات الثانوية على التناقض الرئيسى قبل العدو .

٤ ـ استطاعت منظمة التحرير أن تحصل على اعتراف عربى اجماعى بانها الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى ، ثم انتزعت الاعتراف العالمى فى الامم المتحدة ، ومن خلال الاتصالات المباشرة .

٥ ـ اصبح مسلما به بأن للنضال الثورى اساليب مختلفة ، وحين يقول ياسر عرفات « اننا حين نتكلم من على هذا المنبر الدولى فان ذلك تعبير فى حد ذاته عن ايماننا بالنضال السياسى والدبلوماسى مكملا ومعززا لنضالنا المسلح ، وتعبيرا عن تقديرنا للدور الذى يمكن العربية » وقد تجمعت قوى الثورة فى محاضرة المشروع ، وبدعم عربى واسع . ولكن كان النجاح الاكبر فى هذه المرحلة هو استمرار اطلاق النار رغم كل الظروف المثبطة ، ورغم « استفراد » اسرائيل بقوى الثورة ، ورودها بعنف على كل عملية .

● نأتى الان الى المرحلة الحالية والتى بدأت بعد حرب اكتوبر . لقد بدأت الحرب وفق تنسيق بين القيادات المصرية والسورية والفلسطينية . وفى العمليات العسكرية معروف أن المقاومة الفلسطينية خلف الخطوط ، وضد منشآت العدو كانت بمثابة جبهة ثالثة لا زالت تقاتل بشرف وبسالة حتى الان . وقد بدت فى هذه المرحلة قيمة المراجعة السياسية ، وجدية الاستفادة من خبرات التجربة .

١ ـ فقد تأكدت وحدة الجماهير الفلسطينية ـ خارج الارض المحتلة وداخلها ـ حول منظمة التحرير . وتأكدت قيادة المنظمة لكافة اساليب النضال العسكرى وغير العسكرى ضد العدو . ومع الدور المتزايد لقواعد المقاومة المسلحة داخل الارض المحتلة انخرطت فى صفوف المقاومة قوى كان متصورا انها بعيدة او محايدة ، والرمز العظيم الذى يمثله المطران كابوتشى هو مؤشر الى مدى العمق الذى بلغته جذور الثورة .

٢ ـ أمكن توحيد الجماهير والطلائع الفلسطينية حول المضمون العام لفكرة المراحل فى مسيرة النضال .

٣ ـ كان هناك حرص على موالاة التنسيق مع القاهرة . والتنسيق لا يعنى اتفاق حول كل التفاصيل والتحركات ، ولكنه يعنى حرصا على الوصول الى تصور يتشابه للاهداف القريبة ؛ وحرصا على معالجة التناقضات بأسلوب لايغلب التناقضات الثانوية على التناقض الرئيسى قبل العدو .

٤ ـ استطاعت منظمة التحرير أن تحصل على اعتراف عربى اجماعى بانها الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى ، ثم انتزعت الاعتراف العالمى فى الامم المتحدة ، ومن خلال الاتصالات المباشرة .

٥ ـ اصبح مسلما به بأن للنضال الثورى اساليب مختلفة ، وحين يقول ياسر عرفات « اننا حين نتكلم من على هذا المنبر الدولى فان ذلك تعبير فى حد ذاته عن ايماننا بالنضال السياسى والدبلوماسى مكملا ومعززا لنضالنا المسلح ، وتعبيرا عن تقديرنا للدور الذى يمكن

للامم المتحدة أن تقوم به فى حل المشاكل العالمية»
فلسطينيون على بعض أراضيهم ، وتحت تهديد مباشر من قلعة ستظل عسكرية عدوانية . ولذا فقبل أن نلوم الفلسطينيين على توترهم وتوجسهم ينبغى أن تسعى الأطراف الأخرى أولا للمصارحة منعا لأى شك أو سوء فهم ، فمن حق الجماهير الفلسطينية أن تطمئن الى أن الدول العربية لن تقبل شروطا وأوضاعا تضعف قدرة النضال الفلسطينى فى المراحل القادمة .

● **الحقيقة الثانية** : تتعلق بالاردن ، فأحيانا يتصور البعض منا أنه اذا كانت اقامة دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة يعوق التسوية ، فلماذا لا نقبل بضم هذه الاراضى الى المملكة الاردنية ، وهذا حل أفضل على أى حال من بقائها فى قبضة اسرائيل ؟ ووضع القضية على هذا النحو خطأ . لان المقارنة ليست بين حكم المملكة الاردنية وبين حكم اسرائيل ، المسألة هى المطالبة بالوضع الطبيعى للاسر وهوان يحكم الفلسطينيون ما يتحرر من أرضهم . واذا كانت اسرائيل تعتبر قيام دولة فلسطينية مأمنا أساسيا فى وجه أى تسوية ، فان هذا يجعلنا أكثر ادراكا لاهمية هذه النقطة ولخطورة التنازل فيها . ان اسرائيل تدرك أن الشعب الفلسطينى بحيويته وعناده وتوريته يمكن أن يلعب دورا رئيسيا ضد مخططاتها لاختراق المنطقة فى أى صراع اقتصادى وسياسى .. أو عسكرى مقبل ، وهى تسعى الى خلق مصلحة مشتركة مع الحكم الاردنى ضد الدور الفلسطينى المستقل ، لعودة الحكم الاردنى الى الضفة الغربية وامتداده الى قطاع غزة — رغم أنف الجماهير الفلسطينية ، سيجعله مضطرا الى اللجوء الى القمع ، وسيلتقى فى هذا — موضوعيا — مع المصالح الاسرائيلية . واذا كانت الدولة الفلسطينية يمكن أن تكون بدورها وموقعها رأس رمح فى الصراع، فانها أيضا يمكن أن تكون — فى شكل الاردن كما تتخيله اسرائيل — صمامأ للامن ، ومعبرا للتبادل الاقتصادى والتجارى مع العالم العربى، أكثر مما كانت الجسور المفتوحة بين الضفتين منذ ١٩٦٧ .

وقد يقال الان ان الامر حسم فى مؤتمر الرباط وبموافقة الملك حسين ، ولكن أخذا بالحسابات الموضوعية للمصالح ، واستفادة من تجارب ومحن السنوات السابقة ينبغى أن نقرن فرحنا بنتائج مؤتمر الرباط ، بترقب يقظ لمناورات المستقبل .

● ● ●

ان الطريق طويل .. طويل .. وتحية من الاعماق لرفاق السلاح الفلسطينيين فى عيد ثورتهم العاشر .

هذا عما تحقق فى المسيرة الشاقة ، فماذا عن الغد ؟ ان بحثا يدور حول «الحكومة المؤقتة» ويبدو أن هذه المسألة لا خلاف عليها من حيث المبدأ ويبقى التفصيل والتوقيت ، ولكن مايستحق البحث الاعمق هو ما يطلق عليه الان « الحقوق المشروعة » . الحد الاقصى لهذه الحقوق سهل، ولكن ماهو الحد الادنى الذى يمكن أن يقبل فى هذه المرحلة ؟ ليس مطلوبا — بطبيعة الحال — أن نكشف القيادة عن أوراقها ، ولكن مطلوب أن تكون هناك أوراق . ويتفرع عن هذا بحث حول طبيعة العلاقة بين الدولة الفلسطينية المقترحة وبين اسرائيل من ناحية ، ثم بينها وبين الاردن من ناحية أخرى.. ان العلاقة بين الدولة الفلسطينية وبين اسرائيل لا يمكن أن تنفصل عن تصور للموقف العربى العام تجاه اسرائيل فى المستقبل — فى حالة الوصول الى تسوية دولية — ويمكن أن نقول من الان أن الصراع العربى الاسرائيلى لن يتجمد بعد أى تسوية ، ولكن ستحل الاساليب الاقتصادية والسياسية المكان الاول ، وفى كل هذا التصور ستظل الدولة الفلسطينية دورا هاما ومتميزا ، فما هو هذا الدور وما هى حدوده ؟ ان هذه الاسئلة وغيرها أصبحت فى جدول الاعمال ، ونوع الاجابة يحدد الكثير بالنسبة لمستقبل النضال الفلسطينى والعربى ، ولا يعنى من ضرورة البحث أن نتوقع تجدد القتال ، ولا يعنى الثورة من مشقة الاجابة أنها تواصل عملها العسكرى ، فمفروض ان نستعد لكل الاحتمالات ، ونخطط للسلام، كما نخطط للحرب ، وفى الحالتين سنكون مطالبين بالثورة ».

بقيت حقيقتان نود أن نوضحهما أمام الجماهير المصرية ، تتعلق بالموقف الفلسطينى :

● **الحقيقة الاولى** : انه يبدو أحيانا أن الموقف الفلسطينى يعانى من التوتر الحاد . وقد أشرت الى هذا فى المرحلة الثانية من الحديث عن التجاهل لقضية المراحل التى تبدو لنا فى مصر كأحدى البديهيات . وينبغى أن يكون مفهوما أن السبب فى هذا التوتر الفلسطينى لا يرجع الى مجرد ضيق فى الافق ، فالقيادة الفلسطينيون الذين عنتكتهم المحن وصهرهم طول النضال هم من أكفأ السياسيين العرب ، والمسألة هى أن المحن والتجارب عليهم الحتر . وحين نتحدث عن المراحل ، فان هذا التعبير يتركز على القضية الفلسطينية فى المقام الاول ، فمعنى أى تسوية سياسية مقبولة ، ستحصل مصر على كل أرضها وستحصل سوريا على كل أرضها ؟ وسيحصل

تجارب اشتراكية :

يوغسلافيا :

معالم على الطريق

أبو سيف يوسف

عندما زرت يوغسلافيا ؟ كان برنامج الزيارة الذى اعدته لى دائرة الاعلام الاتحادية يتضمن — فيما يتضمن — زيارة لجمهوريتين من جمهوريات الاتحاد اليوغسلافى الست ؟ وهما جمهوريتا مقدونيا وسلوفينيا . وعندما سألت لماذا مقدونيا وسلوفينيا بالذات ؟ كان الجواب ان الجمهورية الاولى تمثل — اقل الجمهوريات تطورا . والاخرى اكثرها تقدما .

وليس من شك فى ان الزائر ليوغسلافيا يستطيع من خلال زيارته لهاتين الجمهوريتين ان يحس بملامح التجربة اليوغسلافية مجسمة : الانجازات والنجاحات التى تحققت والمشاكل التى يبحث لها عن حلول .

ومن هنا سنحاول ان يكون مدخلنا الى التجربة اليوغسلافية هو التعرف على بعض ملامح تطور جمهوريتى مقدونيا وسلوفينيا ، والتطور العام ليوغسلافيا ، ثم نرصد بعد ذلك اهم سمات التجربة والمشاكل التى تواجهها فى مقال قادم اكثر تفصيلا .

■ فى مقدونيا : (ابتداء من القرن السادس والسابع الميلادى بدأ الشعب المقدونى تاريخه فى هذا الجزء من شبه القارة البلقانية . وذلك عندما استقرت فيه القبائل السلافية .

ومنذ ذلك التاريخ ، وباستثناء فترات قصيرة للغاية ، تعرضت مقدونيا لاعمال غزو واحتلال من بيزنطه ، ومن الاتراك العثمانيين ؛ ومن الحكام البلغار والصرب واليونانيين ، وتم اخيرا من قوات هتلر فى الحرب العالمية الثانية . وكانت المحصلة النهائية ان مقدونيا ظلت حتى عام ١٩٣٩ من أكثر — ان لم تكن أكثر — مناطق يوغسلافيا تخلفا فى جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . يكفى ان نشير هنا الى انه :

● فى عام ١٩٤٥ فقط — وليس قبله — نشر أول كتاب لمبادىء قراءة اللغة المقدونية . وكانت الامية متفشية (٦٠ فى المائة) ولم يكن فيها من مؤسسات التعليم العالى غير كلية واحدة بها ٢٠ طالبا هى كلية الاداب والفلسفة .

● وكانت الزراعة تمثل النشاط الاقتصادى الرئيسى ، ومسائل بدائية وادوات متخلفة .

● وكانت لها كل سمات البلاد المتخلفة من الناحية الصحية : فالامراض المتوطنة وفى مقدمتها الملاريا والتيفوس تفتك بالسكان . اما وفيات الاطفال كانت هى ايضا مرتفعة للغاية .

بعد تحرير يوغسلافيا ، ظفر الشعب المقدونى بحقه فى تقرير المصير وفى اقامة دولته الوطنية المستقلة والاشتراكية والداخلة فى الاتحاد اليوغسلافى . وتقدم لنا السبعينات صورة جديدة تماما لمقدونيا ، لجمهورية بسكانها ١٫٦٤٧٫٣٠٨ نسمة ، ٦٩٫٥ فى المائة منهم من المقدونيين و١٧٫٢ من الالبانيين . و٦٫٦ فى المائة من الاتراك و٢٫٧ فى المائة من الصرب ، و١٫٥ فى المائة من التجر ومرة من الفلاسيين .

● وقد اصبح فيها الان ٩ كليات تضم ٣٠ ألف طالب . ويتخرج منهم كل عام ٢٠٠٠ ، ولا يدخل فى هذا الاحصاء ١٢٠٧١ من طلاب المدارس العالية والعليا والكليات . تكفى الاشارة هنا الى ان فيها ١٤٠١ مدرسة ابتدائية تضم ٢٦٠٫٠٣٣ تلميذا و١٠٧٩٤ من المدرسين .

لكن البناء الاشتراكى لا يعنى الثورة التعليمية فحسب ، بل الثورة الثقافية . هكذا هبط عدد الاميين فى مقدونيا الى اقل من ٨ فى المائة . وتصدر فيها صحيفتان يوميتان . ونحو ٢٠ صحيفة أسبوعية . واكثر من ٥٠ صحيفة ومجلة نصف شهرية ودورية . هذا غير صحف للاطفال والنساء ولافراد القوميتين الالبانية والتركية صحف

تكاتمة تصدر بالتكاتم الدورية ، وتجرى ترجمة أعمال عالمية من عيون الأدب العالمي الى اللغة الاندونيسية . كما أن الأدب الاندونيسي يشق طريقه نحو آفاق دولية ازداد اتساعا يوما .

وفي مقدونيا شقيقة مسارح ، ويضم المسرح الشعبي المقدوني في العاصمة (سكوبليه) ثلاث فرق للدراما والاوبرا والباليه ، وهناك مسرح خاص بالدراما ، ومسرح يسمى بمسرح الدميات تضم اليه الفرق الألبانية والتركية خلافا لها .

● وماذا عن الصحة ؟

يتخرج من جامعة سكوبليه كل عام ١٢٥ طبيبا و٧٠ من أطباء الاسنان . وتهدف الجمهورية الى القضاء نهائيا على الملاريا والديفتريا ، وتحقق نجاح كبير في مقاومة السل وانخفضت وفيات الأطفال وفي عام ١٩٧٤ أصبح هناك طبيب واحد لكل ٨٥٠ من السكان . وتقدم الدولة خدماتها الطبية عن طريق عدد كبير من السيارات المتجولة (في الريف والمناطق الجبلية) وعيادات الصحة والمراكز المتخصصة والمستشفيات ودور الاستجمام . ويتم التأمين الصحي على جميع الأطفال مجانا حتى سن الخامسة عشر ، وبعد ذلك يتولى التأمين الصحي للاجيين معظم نفقات العلاج .

● وفي مجال بناء الاقتصاد الوطني

للجمهورية وعلى أيدي أبنائها تحولات كبيرة . فهناك مؤسسة للكهربائيات تضم ١٧ مصنعا وتحتل الخيوط الصناعية والجلود الصناعية والمنظفات ، ومؤسسة لصور الرصاص والزنك ، ومصانع لصلب غيار السيارات وتجميع السيارات بأنواعها ، وتجمع للتعدين الاسكندري ، وتزدهر صناعة الفحم والأجهزة الكهربائية والغطب والورق والاحذية . ويجرى الآن الانتهاء من مصنع الحديد والصلب الذي يقدر أن ينتج مليون طن سنويا .

وتزدهر في الجمهورية زراعة التبغ كما تزرع الأرز والقطن ويشتهر السكر ، وتعتبر تربية الماشي أكثر فروع الزراعة تطورا [مليونان من رؤوس الأغنام] .

وفي مقدونيا شقيقة في دائرة التخطيط التابعة للجمهورية تبين أن الحد الأدنى للاجور (في عام ١٩٧٤) هو ١٦٠٠ دينار في الشهر والحد الأعلى ٧٠٠٠ دينار (الدولار الأمريكي يساوي ١٧ دينارا) كما تبين أنهم حرصوا على ألا تزيد النسبة بين أدنى مرتب وأعلاه عن ١ — ٤ ، وبالطبع تتوقف زيادة الاجور على نشاط المؤسسة وكفاءتها وعلى نوع التعليم الذي تلقاه العامل .. الخ .

■ سلوفينيا

هذه الجمهورية يبلغ عدد سكانها ١٫٧٢٧٫٨١٤ نسمة ٥٤ في المائة منهم يتكلمون اللغة السلوفينية ، ويجرى التعليم في المدارس والمعاهد العليا باللغة السلوفينية ، وهذه اللغة هي لغة الادارة والقضاء والجيش والبوليس . وهناك ٣٠ في المائة من السكان يتكلمون اللغة الصربية والكرواتية ، ويجرى التعليم في المدارس الابتدائية لهذه الاقلية باللغة الصربية والكرواتية ، وفي المدارس الثانوية والمعاهد العليا يتعلمون اللغة السلوفينية ، وهذه الاقلية لها الحق في التعليم والثقافة . وفي هذه الجمهورية :

● لا وجود للامية . والى جانب الاعداد الهائلة من المدارس الابتدائية هناك مدارس لتفريغ مؤهلين للعمل في القطاع الاقتصادي ، ومدارس خصوصية ومهنية وفنية ، ومدارس للفنون ، وكليات ومدارس عالية [٢ أكاديميات للفنون تضم ١٩٣٩٢ طالبا] ، وفي الجمهورية ١١٥ منطقة متخصصة في الابحاث العلمية أغلبها متخصص في النواحي التكنولوجية . وعندما زرتها تمنيت

● وتصدر في سلوفينيا ٣ صحف يومية و١١ صحيفة أسبوعية و٨ مجلات ومؤسسات للنشر تقدم حوالى ١٢٠٠ كتاب ونشرة في السنة . وفيها ٤ مسارح محترفة ، ومسرح للدمى ، و١٣ مسرحا للهواة و٣ مسارح للتجربة ، ودار للاوبرا .

واثناء زيارتي لمعهد التخطيط التربوي التابع لجمهورية سلوفينيا سألت المدير الدوبه بروشكي المستشار بالمعهد عن الاسباب التي ساعدت سلوفينيا على أن تكون أكثر الجمهوريات اليوغوسلافية تطورا ، فقال ان هذا راجع لعدة أسباب هي مقدمتها :

١ — التطور التاريخي لسلوفينيا فقد كان جزء منها داخلا في نطاق الامبراطورية النمساوية المجرية ، وهذه الدولة كانت أكثر تقدما — من الناحية الصناعية — من الامبراطورية العثمانية التي احتلت المناطق الشرقية ليوغوسلافيا الحالية في العهد .

٢ — تقليد العمل الدءوب في المنطقة وهي التي عندما ان لم تحقق تنظيمية أعلى في العمل .

٣ — أن اجتماع حذين العاملين ساعد على حدوث تراكم رأسمالي أكبر ، وجذب استثمارات أكبر ، الامر الذي دفع التصنيع الصناعي خطوات كبيرة الى الامام .

لكن هذا لم يكن كل شيء ، فعندما تأسست جمهورية سلوفينيا كأحدى الجمهوريات الاشتراكية الداخلة في الاتحاد اليوغوسلافي قررت الصناعة تطورات كبيرة لتصبح أكبر أفرع الاقتصاد القومي تطورا ، ومن بين الصناعات المختلفة والمتعددة فجر صناعة الخشب أقوى فروع الصناعة . ومن هذه الفروع أيضا : صناعة الخشب والصناعات الالكترونية والكيمائية والغذائية . وبدأت سلوفينيا في بناء أكبر محطة توليد للكهرباء . ويقدر امكانة مستقبلا لتخطيط انه لابد من الخلية بتطوير الطاقة النووية حتى تتمكن سلوفينيا من الخلاص على أزمة الطاقة ، وأي تخطيط انه لابد وأن يصلوا الى حلول لتوفير لهم الطاقة وذلك قبل أن يأتي عام ١٩٨٠ .

وهذا التطور العالي في تطاع الصناعة بجانب أهميته الكبير لصناعة السياحة ، وتكثيف الزراعة ، هو الذي يفسر لماذا يرتفع متوسط الدخل الشخصي للفرد في سلوفينيا الى ١٥٠٠ دولار في السنة ، في مقابل ٨٠٠ دولار تمثل متوسط الدخل للفرد على نطاق يوغوسلافيا كلها .

لذا نظرنا ، بعد ذلك ، الى الاسباب التي دفعت بيوغوسلافيا — ابتداء من ١٩٤٥ — من بلد لا يحظى من أي بلد من البلدان المتخلفة في آسيا وأفريقيا الى بلد ذي صناعة وزراعة وثقافة متقدمة ، فان هذه الاسباب لن تكون شيئا آخر غير النظام الاجتماعي الذي اختارته شعوب يوغوسلافيا وقامت به وبالذات من أجله ، ونعني به النظام الذي تملك بموجبه وسائل الانتاج الرئيسية ومواردة الطبيعية الى ملكية الشعب (الملكية الاجتماعية) ثم استخدام هذه الوسائل استخداما عقلانيا يخطط الانتاج والتوزيع . ومهى نظيما للتعليم والبحث العلمي يوفر الكوادر العلمية والفنية التي تتطلبها ادارة الاقتصاد القومي في مختلف فروعه ، وكل هذا أمكن تحقيقه — في الاساس — من خلال الاستراتيجية العالية لحرب التحرير الوطنية ، وهي استراتيجية وضعها الحزب الشيوعي اليوغوسلافي وحدد فيها أنه يتوجب على كفاحية الطبقة العاملة حربا ضد الفاشية لا تنفصل فيها الاهداف الوطنية عن الاهداف الطبقية .

وبعد المنصف ، في العرب ، عزل الحزب الدور القيادي للطبقة العاملة ، وانهم الحلف العريض الذي يضم الفلاحين والبرجوازية الصغيرة المثقفة .

وحتى اذا نظرنا الى محصلة الصراعات الداخلية والدولية المعقدة التي اكتنفت يوغوسلافيا ، والى محاولات اضعاف الحزب وتصفية دوره القيادي ، والى أن قوى الرأسمالية العواصمة

راهنت في وقت من الاوقات على جلب يوغوسلافيا الى معسكرها مستغلة — في ذلك — الخلافات بينها وبين بعض البلدان الاشتراكية ، فقد ظلت القيادة السياسية التي يمثلها الرفيق تيتو ، المتمسك — في جميع المراحل — بطريق التطور الاشتراكي ، وبدور الطبقة العاملة القيادي ، وبالدور الطليعي للحزب (ثم فيما يتصل برابطة الشيوعيين اليوغسلاف وباهمية الرقابة الشعبية على الاجهزة التنفيذية) ، وكل هذه العوامل مجتمعة هي التي أدت الى أن تحقق يوغوسلافيا ما حققته من تقدم .

□□ ستان دولانس يتحدث عن :

① التسيير الذاتي

② الاستثمارات الاجنبية في يوغسلافيا

③ بلدان عدم الانحياز وهجوم الاستعمار الجديد

■ الطليعة : سؤالنا الاول هو عن الفرضيات أو المسلمات النظرية والايديولوجية للتسيير الذاتي . ما هي التناقضات الاجتماعية التي تكشفت ـ حتى الآن ـ عبر التجربة ، والى أي مدى يمكن القول ان المؤتمر العاشر لرابطة الشيوعيين اليوغسلاف كان علامة على الطريق في اتجاه التطور المقبل للتسيير الذاتي ؟

■ دولانس : عندما اخترنا التسيير الذاتي الاشتراكي ليكون علاقة الانتاج السائدة في مجتمعنا ، كنا نستند في ذلك الى احدى الفرضيات النظرية الجوهرية عند ماركس وانجلز ، هذه الفرضية التي تحدد ان الطبقة العاملة هي التي يجب أن تحرر نفسها بنفسها . وبدخل لينين ـ أيضا ـ أصبح خلق مجتمع جديد من المجتمعات حول بناء وتطوير تجربة « التسيير الذاتي » الاشتراكي ، وامدادها بالصورة التي تتجسد فيها « الملكية الاجتماعية » لوسائل الانتاج .

وهكذا يصبح التسيير الذاتي بدوره ـ وعندما يوضع في التطبيق ـ المنطلق النظري والعملي لكثير من اتجاهات وابعاد « السياسة الداخلية والخارجية » .

● ان عدم الانحياز كما يقولون في يوغسلافيا هو امتداد لنظرية التسيير الذاتي » .

● ونظرية الدفاع الشعبي العام ليست منفصلة عن التسيير الذاتي ، بل هي نبت طبيعي لها .

● ودور الطليعة العاملة وضرورة ان يضم حزبها رابطة الشيوعيين اغلبية عمالية ، أن هذا أيضا مرتبط بنظرية وتطبيق التسيير الذاتي ارتباطا عضويا .

● ودعم العلاقات بين السوفيت والفوجيات اليوغسلافية ليس بعيدا ولا يمكن أن يكون عن تجاح تجربة التسيير الذاتي . لكن التسيير الذاتي ، بلدين ساعو بنطاق الى الاجتهادات النظرية وللتطبيق العملي ، وانما يطرح في طريقه خلقة من المشاكل من المناقشات الجديدة ، التي تتطلب بدورها البحث عن حلول .

ولقد تتبع للطليعة ان جرى مناقشات صريحة حول آفاق التجربة وانجازاتها ومشكلاتها . وجرت هذه المناقشات مع عدد من الشخصيات السياسية والاجتماعية . ويسوف نجدُ في هذا العدد بشر ض لعدد من الحديث الذي اجرته الطليعة مع الرفيق ستان دولانس سكرتير الكتب التنفيذي التابع لهيئة الرئاسة في رابطة الشيوعيين اليوغسلاف .

ـ وان اكثر من كل جماعة كتبي تمثلت صعوبة .

ـ وان الكهرباء خفلت في ٨٠ في المائة من منازل الريف .

ـ وان التأمين الصحي يشمل جميع السكان تقريبا .

وارتفع متوسط عمر الفرد من ٤٨ قبل الحرب الى ٦٧ عام ١٩٧٠ .

ـ وان عدد الطلاب اليوم في كوسوفو (اقليم ذو حكم ذاتي ضمن جمهورية ١٢٤٦٢ نسمة) يزيد عن مجموع من يوغسلافيا بأسرها عام ١٩٣٩

ـ وان هناك ١٥٠ الفا من رجال العلم والباحثين .

ـ لكن هذه النجاحات وغيرها ، ماراي المسئولين اليوغسلاف فيها ؟

ان اكثر من مسئول قال لي : اننا لسكارة ماتحدث عن مشكلات التجربة وأوجه القصور فيها ـ فان كثيرين يتصيدون ان كل ماعندنا مشاكل وصعوبات فقط ـ ثم يضيفون : ولكن هذا لا يمثل الحقيقة .

وبالفعل ، فنا زهذا لايمثل الحقيقة . لان الاشتراكيين في العالم اذا اختلفوا ـ وهم يختلفون ـ حول عدد من اتجاهات التطبيق الاشتراكي في يوغسلافيا الا انهم يتفقون ـ جميعا ـ من نقطة أساسية هي ان يوغسلافيا اشتراكية ، وان الطبقة العاملة اليوغسلافية والشعب العامل مالكون في بناء مجتمع اشتراكي ومتقدم .

وهنا نأتي الى مجموعة القضايا النظرية والعملية التي طرحتها التجربة اليوغسلافية .

ويمكن تناوله ابتداء من هنا هو الجوهر النظري والتطبيق في يوغسلافيا بدور

عملية تأخذ فيها الطبقة العاملة ، وبين أيديها ، كل شئون المجتمع والحكم . ولكى تضع الطبقة العاملة ، حدا للقهر الاجتماعى والقومى وللصدامات الطبقية، وحتى تحرر نفسها كطبقة ، وتحرر معها المجتمع كله ، يتعين عليها أن تصير القوة القائدة فى المجتمع لتقيم نظاما من المشاركة الحرة بين المنتجين .

ان هذه الفرضيات قد أكدتها تجارب كومونة باريس ، كما أكدتها أيضا تجارب ثورة أكتوبر ، وجميع الثورات الاشتراكية فى القرن العشرين ، والحركات الجماهيرية للطبقة العاملة . فلقد حدث أنه فى ظل ظروف مختلفة ، ومن خلال أساليب خاصة (ونوعية) عبر الشعب العامل عن رغبته المشروعة فى أن يأخذ بين يديه الانتاج المادى والحكم السياسى .

وفى ظروف يوغسلافيا ، فان أهداف وخصائص ثورتنا التحريرية الوطنية ، وثورتنا الاشتراكية ، قد كشفت عن الاتجاه الاساسى فى عالمنا المعاصر : الاتجاه الى التحرر ، والى المساواة بين الامم وبين القوميات ، والى تقويض أى دولة تقوم على القهر ، والى خلق أجهزة للسلطة الشعبية ، وتنظيم الحركة السياسية للجماهير لتكون قاعدة لهذه السلطة ، والى تنمية مبادرات الشعب العامل ومسئوليته الاجتماعية ، والى غير ذلك من الامور . ومن ثم ، فان توجهنا الى تنمية مجتمع اشتراكى ، يسير ذاتيا، هو مؤسس على المسلمات العلمية والنظرية للماركسية ، وهى المسلمات التى اكتشفها — ولا تزال تؤكد عليها بوضوح وجلاء — فى عالمنا المعاصر التطبيقة الثورية للطبقة العاملة .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فان توجهنا الى تنمية مجتمع اشتراكى يقوم على التسيير الذاتى انما هو تعبير عن التجربة المحددة لكفاحنا من أجل مجتمع جديد ، وذلك وفقا للنوعية السائدة فى بلادنا .

وبعبارة أخرى ، فان التسيير الذاتى الاشتراكى الذى انبثق من المعارك التى خاضتها القوى التقدمية فى صفوف الشعوب والقوميات اليوغسلافية ، كان هو الوسيلة التى سيطرت بها الطبقة العاملة على تجديد الانتاج الاجتماعى ، وبفضلها أصبحت العلاقات الشخصية انسانية ، وبها تم حفز الملكات الخلاقة للانسان العامل حتى ليصح القول بأن التسيير الاشتراكى يمكن أن يوصف بأنه مساهمة فى بناء النظرية الماركسية وللممارسات الاجتماعية السياسية الاشتراكية فى القرن العشرين .

غنى عن القول ، لئذا نبنى علاقاتنا الاشتراكية فى ظروف لم تتم ، فيها القوى الانتاجية نموا كافيا ، ظروف فيها فروق كبيرة فى مستويات النمو المادية بين المناطق ، ثم ما يترتب على ذلك من فروق فى امتيازات كل منطقة منها ، كما أن فيها بقايا التخلف الثقافى ... الخ .

وفى الوقت نفسه ، فانه يتعين علينا ، ونحن نبنى علاقات التسيير الذاتى ، وننمى الملكية الاجتماعية ، أن نحارب ، باستمرار ، المقاومة التى تتولد من هذه الاتجاهات التى تحاول أن تحل — محل الملكية الاجتماعية — أشكالا من ملكية الفئات أو ملكية الدولة . ذلك أن خصومنا يستغلون التناقضات التى أشرنا اليها من قبل ، وينضمون الى البقايا والعناصر التى تنتمى الى علاقات الملكية القديمة فى المجتمع . وكانت نتيجة ذلك ، هى أنه فى مجتمعاتنا المتعددة القوميات ، تظهر هذه الاتجاهات من حين الى آخر — متخفية فى رداء القومية ، سواء اتخذت نمطا توحيديا أو انفصاليا . ولقد خاضت رابطة الشيوعيين معركة لم تخمد ضمن هذه الاتجاهات ، وضد التيارات الايديولوجية والسياسية المتولدة منها .

ولما كان التسيير الذاتى هو أحد منجزاتنا الاساسية وجزءا من حياة شعبنا العامل ، فقد ازداد قوة على قوة ، وأطلق مبادرات العمل ، وأبداع الانسان العامل ، الامر الذى ضاعف امكانيات وقوى التقدم الاجتماعى والمادى

ان قرارات المؤتمر العاشر لرابطة الشيوعيين اليوغسلاف ، ومعها الدستور الجديد انما تعبر

ستان دولانس

- سكرتير المكتب التنفيذى لهيئة رئاسة رابطة الشيوعيين اليوغسلاف منذ ١٩٧٢ ، وأعيد انتخابه فى المؤتمر العاشر لرابطة الشيوعيين عام ١٩٧٤
- ولد عام ١٩٢٥ .
- شغل عددا من المناصب فى الجيش وفى جامعة لوبليانا عاصمة جمهورية سلوفينيا ، احدى جمهوريات الاتحاد اليوغسلافى .
- فى ابريل ١٩٧٣ ، زار مصر على رأس الوفد الذى حمل رسالة من الرئيس تيتو الى الرئيس السادات ،واجرى مناقشات مع الاتحاد الاشتراكى العربى .

بمعنى من المعانى ، النسيج الذى تتألف منه ممارساتنا الاشتراكية وفكرنا السياسى والنظرى . وفى الوقت نفسه فانها تشكل برنامجا محددا وشاملا للمرحلة الراهنة ، من مراحل تطور مجتمعنا ، وهى مرشد القوى الواعية والمنظمة ، فى المجتمع ، الى مواصلة تطوير تلك العوامل الموجودة فى انظمة التسيير الذاتى الاشتراكى والانظمة الاجتماعية السياسية وفى العلاقات بين الامم والقوميات ، وهى العوامل التى سوف تدعم ، لكثر فاكثر ، تاثير الشعب العامل على القرارات المتعلقة بشروط ونتائج عمله كما ستدعم ، مجددا ، الديموقراطية الاشتراكية ، وتوطد المساواة والوحدة بين شعوبنا وقومياتنا .

■ **الطليعة** : ان من يطالع مواد الدستور الجديد ، يتكون لديه انطباع مؤداه ان الدور القادى لرابطة الشيوعيين اليوغسلاف لايذهب الى ابعد من ضمان التوجيه الايديولوجى العام . فكيف يمكن — فى رايكم — ان يؤدى الحزب المتطور الاشتراكى المتصل للمجتمع من خلال نشاطه النظرى والعملى ؟

● **دولانس** : المكانة التى تتمتع بها رابطة الشيوعيين اليوغسلاف تستند الى الانتماء العام بان رابطة الشيوعيين اليوغسلاف قد تصرفت وتصدت للمشكلات الاساسية ، وللصعوبات التى ظهرت ، فى كل مرحلة من مراحل تطورنا . وفى الوقت نفسه ، نجحت رابطة الشيوعيين فى تحسين الشروط الفكرية السياسية ، وفى تنظيم القوى اللازمة لمواجهة تلك المشكلات ، وفى التغلب على الصعوبات ، وفى تقوية المسئولية الاجتماعية بحكم الشعب لنفسه حكما حقيقيا . ولقد تحقق هذا كله ، ليس بالاهتمام بالتوجيه الايديولوجى العام فحسب ، ولكن ايضا من خلال نضال سياسى فى مختلف الاوساط الاجتماعية ، جنبا الى جنب مع الشعب .

وهكذا اكدت ، رابطة الشيوعيين ذاتها سواء باعتبارها قوة توجيه ايديولوجية او باعتبارها اشد المناضلين السياسيين تنظيما من اجل الاشتراكية والتسيير الذاتى ، ومن اجل المساواة والوحدة بين شعوبنا وقومياتنا . وما كان بمقدور رابطة الشيوعيين ان تضطلع بهذا الدور لو لم تنجح فى تنمية النقد الخلاق ، والمبادرة الاشتراكية فى صفوف الطبقة العاملة وفى صفوف الشعب العامل .

■ **الطليعة** : نحن مقتنعون بثبات بأن يوغسلافيا بلد اشتراكى . ومن المعروف ان يوغوسلافيا قد اختارت طريقها الخاص الى الاشتراكية . ولكن خصوصية التجربة اليوغسلافية كانت ولا تزال عرضة لتاويلات متحايلة . وعلى سبيل المثال، نقرأ فى بعض المجلات ان تقرد الطريق اليوغسلافى راجع الى ان يوغسلافيا نجحت فى اقامة توازن بين الانتماء الاقتصادى الى المعسكر الراسمالى وبين الانتماء الايديولوجى الى المعسكر الاشتراكى . فما هى — فى رأيكم — الاجابة الصحيحة على مثل هذه المغالطات ؟

■ ■ **دولانس** : ان اصدقاءنا العديدين فى جميع انحاء العالم ، قد دللوا باستمرار على اهتمامهم المنزه بعملية بناء الاشتراكية فى يوغسلافيا على اساس التسيير الذاتى وعلى اساس عدم الانحياز فى سياستها الخارجية . وان الصعوبات التى تابلناها ، على هذا الطريق ، كانت — باستمرار — موضع فهم وتفسير سليمين .

وعلى الرغم من ذلك ، فان الدوائر الامبريالية والمتسلطة حاولت دائما ان تزول توجه يوغسلافيا الى التسيير الذاتى وعدم الانحياز ، حتى ان كل ما يجرى فى مجتمعنا من عمل او تغيير هامشى للفكر او السياسة — بما فى ذلك التعديلات اليومية العابرة كانت مبررا لهم (ليقيموا » ، المرة بعد المرة ، موقفنا بين الشرق وبين الغرب . ومن هنا ، يصلون الى اكتشافهم القائل بأن يوغسلافيا تنتهى الى المعسكر الراسمالى من الناحية الاقتصادية ، وتنتمى الى المعسكر الاشتراكى من الناحية الايديولوجيه . ويزعم اصحاب هذه الاختراعات انهم لا يفهمون حقيقة ان تطور التسيير الذاتى ليوغسلافيا وسياستها غير المنحازة تنفيان من الناحية الجوهرية هذه الطريقة فى التفكير ، وان التسيير الذاتى وعدم الانحياز لا يمكن ان تركب على نموذج الكتل فى العلاقات الدولية . فبفل هذا الهراء والرجم بالظنون انما هى محاولات لا تضر بيوغسلافيا فحسب ، بل القصد منها النيل من مكانة ونفوذ سياسة عدم الانحياز ، هذه السياسة التى يتأكد مجددا انها احد السبل الى تجاوز الانقسام الى كتل ، وطريق الى الاستقلال والتطور الذاتى للبلاد والشعوب ، وطريق الى السلم والى دعم التعاون الدولى على اساس من المساواة . واعتقد ان افضل رد على هذه الاستفزازات والاكاذيب المتعمدة انما تقدمه لنا النجاحات التى حققتها يوغسلافيا فى تطورها المادى والاجتماعى ، والتدعيم القوى والمتزايد لسياسة عدم الانحياز فى عالم اليوم ، هذه السياسة التى قدمت اليها يوغسلافيا ، ايضا ، مساهمتها ، أما سياستنا فى عدم الانحياز فتتبق — بشكل طبيعى — من نظامنا فى التسيير الذاتى الاشتراكى ، هذا النظام الذى

ستد جذوره الى طبيعة اهداف حربنا الوطنية التحريرية . ولقد تمكنا دائما من ان نقاوم الضغوط الموجهة الى سياستنا العلمية والنشطة غير المنحازة ، وكان هذا يفضل استقلالنا الفكرى ويفضل استعدادنا للدفاع عن استقلالنا واشتراكيتنا القائمة على التسيير الذاتى . ولطالما اشار الرفيق تيتو الى انه لا ينبغى أن يظل احد نفسه بالاوهام الكاذبة فى ان يوغسلافيا يمكن ان تصبح شيئا آخر غير ما هى عليه لان يوغسلافيا المستقلة والاشتراكية على أساس التسيير الذاتى ، وغير المنحازة ، وكما هى معروفة للعالم التقدمى بأسره ، انما تخدم - على أفضل وجه - مصالح السلم ، والتعاون الدولى الديموقراطى القائم على قدم المساواة ، وعلى دعم القوى الاشتراكية والتقدمية فى العالم . ولسوف تواصل يوغسلافيا مسيرتها على هذا الطريق .

■ **الطليعة** : فى عام ١٩٧٦ سمحت يوغسلافيا بقيام مشروعات مشتركة بمراس المال الاجنبى ، ماهى :

ا - الاسباب الرئيسية التى دعت الى اتخاذ هذه الخطوة ؟

ب - ماهى النتائج الفعلية التى ترتبت على الاستثمارات الاجنبية [من حيث تأثيرها على البناء الاشتراكى فى مجموعة] ؟

جـ - ماهى الاحتياطات القانونية التى اتخذتها يوغسلافيا لحماية الهياكل الرئيسية فى المجتمع ، فى المجالين الاقتصادى والاجتماعى ؟

■■ **دولانس** : ا - فى عام ١٩٦٧ تم ادخال شكل جديد من اشكال التعاون بين منظمات العمل فى بلادنا وبين شركات الاعمال الاجنبية ، وتم ذلك على اساس الجمع بين الموارد وبين الاستثمارات الاجنبية المباشرة وبين منظمات العمل المحلية ، وعلى اسس المشاركة فى المخاطرة وفى الارباح فى المشروعات المشتركة .

وكانت دواعى هذا العمل أن نضمن انتقالا أكثر فعالية للاساليب الفنية الحديثة وللتكنولوجيا الى اقتصادنا ، وان نكثف التعاون العلمى والتكنيكى ، الذى لا يمكن ان يتحقق بتطبيق الاساليب الكلاسيكية فى التعاون ، وهى الاساليب التى قامت على أساس شراء براءات الاختراع . وقد تم اتخاذ هذه الخطوة ايضا بسبب حاجتنا الى تدعيم التعاون بين الصناعة المحلية والانشطة الاقتصادية الاخرى وبين اقتصاد البلدان الاجنبية ، ولزيادة الصادرات ولتوسيع الاسواق المحلية والاجنبية ، بما يساعد على تسويق منتجاتنا ، ولكى نحصل على وسائل اضافية لبناء المصانع الحديثة ، ولتدخل عندنا معايير كفاءة العمل الاجتماعى كما هى مطبقة فى اقتصاد البلدان المتطورة فى العالم .. الخ ».

ولقد بدأ ادخال هذه الاشكال من التعاون مع الاصلاح الاقتصادى ، الذى حقق انتقالا حازما من اساليب الانتاج الواسعة [الافقية] ، الى اساليب الانتاج المكثفة ثم هذا وفقا لسياستنا التى استهدفت تطوير التعاون تطويرا شاملا مع جميع بلاد العالم على اساس المنافع المتبادلة ومبادىء المساواة .

ب - وفى عام ١٩٦٧ تم توقيع ١٠٨ اتفاقية لتوظيف رأس المال الاجنبى فى الاقتصاد اليوغسلافى .. ولا يزال عدد هذه الاتفاقيات يتزايد باضطراد ، ومعظمها وقع مع شركات فى بلدان غرب اوربا . وغالبية العقود الموقعة هى فى مجال هندسة المعادن ، والهندسة الكهربائية ، والكيماويات والمعادن غير الحديدية .. الخ ».

وعلى اساس هذه الاتفاقيات بلغ مجموع الاستثمارات ١٢٫٨ بليون دينار [اى ما يقرب من ٨٦٠ مليون دولار] ، قدمت منها منظمات العمل المشارك فى بلادنا ٨١ فى المائة بينما ساهمت الشركات الاجنبية ب ١٩ فى المائة وهذا يبين ان استثمارات الشركات الاجنبية فى منظمات العمل عندنا ليست ضخمة ، على الرغم من ان توقعاتنا كانت اكبر . ولهذا اسبابه . فكان لابد وان تنقضى فسحة من الوقت ، حتى تبدأ الشركات الاجنبية فى الاهتمام بهذا النوع من التعاون وحتى فى فهمه وقبوله . واليوم ، قد تخطينا هذه المرحلة الى حد كبير ، ونتوجه بلادنا الى تطوير وتحسين هذا الشكل من اشكال التعاون مع البلدان الاجنبية ، لكى ننفذ - بقدر ما نستطيع - الاهداف التى حددناها لانفسنا فى هذا الصدد .

جـ - وان منظمات العمل المشارك هى التى تنفذ ، بالاحرى ، هذا التعاون وليست الدولة . ويتم تجميع الموارد بين الشركاء المحليين والاجانب على اساس عقود ، وهذا التعاون - هو كقاعدة عامة - من النوع الطويل الاجل . واستثمارات الشركات الاجنبية يسمح بها فى مجال الانتاج وانشطة البحث العلمى ، ولكن هذا النوع من التعاون غير مسموح به فى الانشطة الاخرى مثل [البنوك ، والتأمين ، والنقل ، وتجارة التجزئة] والخدمات الطبية ، والتعليم .. الخ] ، وذلك فيما عدا الحالات الاستثنائية التى يحتم ان يقرها -

بشكل خاص — المجلس التنفيذي الاتحادي. وليمكن ان تزيد الاستثمارات الاجنبية بحال من الاحوال عن ٤٩ في المائة في المشروعا بتوسعارة اخرى يجب ان يكون للمشروع الوطني النصيب الاكبر .

وعند تنفيذ مثل هذا التعاون بين منظمات عملنا وبين شركاتنا من رجال الاعمال الاجانب ، يجوز ان ينشأ بالمقابل مجلس ادارة يشرف على تحقيق اهداف المشروع ، وتصدر قراراته على اساس الاجماع الكامل . ومن الواضح ، ان مجلس الادارة هذا ، لا يستطيع تحت أي ظرف من الظروف ان يتحدى دور أجهزة التسيير الذاتي ، او التسيير الذاتي نفسه ، في منظمات العمل المشارك التي تتم فيها الاستثمارات ».

وتقدم للمستثمرين الاجانب ضمانات يستندها القانون . فموارد هم المستثمرة في منطقات العمل الوطني لا تؤمم ، الامر الذي يعني أن موارد المستثمر الاجنبية مضمونة . ويستهلك المستثمر الاجنبي استثماره في نصيبه من الارباح أو في اي شكل آخر .

وللمستثمر الاجنبي الحق — ايضا — في المشاركة في الارباح المحققة التي يكسبها المشروع المشترك ويحدد العقد طريقة المشاركة . وهي مرتبطة بفترة بقاء المشروع ، ومعنى ذلك انه لا يمكن ان تكون دائمة .

ويحق للطرف الاجنبي ، في المشروع، أن يحول الوسائل المحققة من المشروع المشترك ،وكذلك له الحق ان يحول أية موارد يكون قد اعاد توظيفها في الانتاج المحلي . وتخضع عقود استثمارات الشركات الاجنبية الموظفة في منظمات العمل المحلي لموافقة ومراقبة هيئة حكومية .

وهكذا ، فان التدابير التي تضعها ، لا تسمح فحسب بل وتخلق الشروط الكفيلة بتطوير هذا النمط من انماط التعاون على اساس المساواة والمنفعة المتبادلة ، ولكنها تضمن وبكل وضوح — ايضا — الحماية لنظام التسيير الذاتي الاشتراكي .

■ **الطليعة** : في المرحلة الراهنة ، ربما لا نخطيء اذا اكدنا أن المستثمرين الجدد يشنون هجوما قويا ضد بلدان عدم الانحياز خصوصا ، وضد بلدان العالم الثالث عموما. وواقع الامر أن الشعوب في منطقة الشرق الاوسط تتعرض لمثل هذا الهجوم .

١ — كيف تتصون [في يوغسلافيا] خطر هذا الهجوم ؟

ج — كيف تقف البلدان غير المنحازة في وجه هذا الهجوم ؟

ج — ما هو الحد الادنى من برنامج العمل المشترك الذي يمكن ان تتبناه البلدان غير المنحازة لمجابهة هذا التهديد ؟

■■ **دولانيي** : اتفق مع تقديراتكم » والواقع ان سؤالكم يتضمن جانبا كبيرا من الاجابة ». فواقع الامر ان قوى الامبريالية والمستعمرين الجدد يمارسون ضغوطا ، ويستخدمون القوة، ويشنون هجمات ، وينظمون اعمالا تستهدف حرية واستقلال البلدان غير المنحازة والبلدان الفتية بوجه عام »

وليس هناك شك في الخطر الناشيء من مثل هذه الانشطة . ولكني اسارع ، فاضيف ، أنه يمكن الحد من هذا الخطر ان لم يكن القضاء عليه ، من خلال الاعمال والانشطة المشتركة . وهو الامر الذي امكن التدليل عليه في حالات كثيرة .»

ولقد وضع مؤتمر الجزائر للبلدان غير المنحازة برنامجا للتدابير المشتركة ، وللانشطة المقبلة بين البلدان غير المنحازة . ودللت هذه البلدان على عزمها على الاسراع — بجهودها الخاصة بعمليات التنمية السياسية والثقافية ، من خلال تطوير التعاون الثنائي ومتعدد الاطراف — فيما بينها — في جميع المجالات السياسية والعسكرية والثقافية وغيرها. كما دللت على عزمها على دعم متطلبات امنها ودفاعها، وان تعيد تقوية التضامن والاسناد والمساعدة المتبادلة عند وقوع اي تهديد يمس استقلالها وسلامة اراضيها . كما طالبت البلدان غير المنحازة بحزم باجراء تغيير في العلاقات الدولية غير المتكافئة والقائمة على الامتيازات ، وعلى التمييز والاستغلال .

ويمكن القول ، بأن الاعمال المشتركة للدول غير المنحازة في الامم المتحدة ، وفي المنظمات الدولية الاخرى ، وكذلك التعاون المتبادل على اساس قرارات مؤتمر الجزائر ، هذه كلها قد تمخضت عن نتائج هامة . وفي رأينا ،ان الموقف الراهن الذي تشيرون اليه ، يتطلب التزاما أعمق من جانب البلدان غير المنحازة، باعمال ملموسة، ومزيد من التضامن .

ان القوى الامبريالية وغيرها من القوى الرجعية— بعد ان لمست الاخطار التي تحيط بامتيازاتها ومطامعها ، تحاول ان تعترض المبادرات المتحدة للبلدان غير المنحازة » وهذه القوى تهدد استقلالها بالضغط والعدوان ، وهي تحاول أن تفوض تصميم هذه الدول على النضال من أجل الانعتاق الوطني الكامل ، والتطور الحر »

وان مثل شيلي ليبين بوضوح كيف ان هذه القوى ، ومعها راس المال الدولي ، والشركات المتعددة الجنسية ، تسعى جاهدة الى اسقاط الحكومات الشرعية التقدمية ، والى اقامة نظم تخدم مصالحها الخاصة .

وقد اظهرت ازمة قبرص ان هناك محاولة لتصفية استقلال جمهورية قبرص، التي هي شريك نشط في انشطة البلدان غير المنحازة .

وان مصدر الصراع في الشرق الاوسط، الناجم عن السياسة الاسرائيلية العدوانية والتوسعية، قد ضاعف الخطر على السلم والامن ، ليس في هذا الجزء من العالم فحسب ، ولكن في اماكن اخرى بعيدة . وكما تعلمون ، فقد ساندت يوغسلافيا ، باستمرار ، النضال التحريري العادل الذي تشنه البلدان والامم العربية ، ونحن مقتنعون بان السلم والامن الدائمين في الشرق الاوسط يمكن ان يقوما — فقط — على اساس انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي المحتلة، وتحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني العربي، بما في ذلك حقه في اقامة دولته الخاصة .

وكل هذا، يقودنا الى هذه النتيجة: وهي ان البلدان غير المنحازة وغيرها من البلدان النامية يتوجب عليها ان تضاعف الجهد لتدعيم امنها وان تقوم بانشطة مشتركة، وان تؤمن فيما بينها تضامنا واسنادا حقيقيين ومتبادلين . واكثر من هذا ، عليها ان تعمل بحزم متعاونة مع القوى الاخرى التقدمية والمحبة للسلام، من اجل احباط جميع المحاولات الموجهة ضد حريتها واستقلالها وسلامة اراضيها وضد تطورها المتسق . وعليها ان تتعاون من اجل احداث تغيير جذري في العلاقات الاقتصادية الدولية ، ومن اجل الاسراع بمعدلات التنمية ، ومن اجل السلم والامن في العالم .

ولقد برهن سياق الاحداث على انه يجب ان تواصل باصرار وثبات النضال من اجل وضع قرارات مؤتمر الجزائر موضع التطبيق ، وان نعمل على تنفيذها بكيفية مستمرة على اساس الاجماع، وطبقا للمواقف الجديدة والمشاكل الراهنة والطويلة الاجل التي تواجه البلدان غير المنحازة وتواجه العالم المعاصر .

وهكذا ، تستطيع البلدان غير المنحازة ان تواجه بفاعلية كل القوى والاتجاهات التي تعارض التطورات الايجابية في العلاقات الدولية ، كما تعارض التحولات الاجتماعية التقدمية . واعتقد انه ليس بمقدورنا ، في اللحظة الراهنة ، ان نتحدث عن اي برنامج آخر اوتعس ، وانما يتعين ان ينصرف حديثنا الى النشاط المتصل للبلدان غير المنحازة ، هذا النشاط الذي يجب الا ينصب على القضايا الدولية الكبرى ، وانما يتعلق ايضا بالصعوبات والضغوط والاعتداءات التي توجه ضد بعض البلدان غير المنحازة والبلدان النامية . ■

مصر تفقد جنديا باسلا

المشير احمد اسماعيل على

فقدت مصر والعالم العربى ، قائدا عسكريا ووطنيا بارزا ، المشير احمد اسماعيل على نائب رئيس الوزراء ووزير الحربية وقائد عام القوات المسلحة .

وامام هذا الحد الفاصل الكبير الذى يمثله الموت ، تبرز قيمة الرجال ، اكثر جلاء ووضوحا وصفاء ، عن أى وقت مضى .

فقد تولى المشير احمد اسماعيل قيادة قواتنا المسلحة فى فترة كان غرور العدو قد بلغ فيها منتهاه ، وكانت القوى الرجعية المتآمرة ، تبث سمومها حتى داخل قواتنا المسلحة املا فى تحطيم الروح المعنوية للمقاتل المصرى ، وافقاده الثقة فى نفسه وفى سلاحه ، وفى سياسة بلاده ، وقيادته وفى اصدقاء بلاده كذلك .

هنا كانت اولى مآثر هذا الجندى الذى كان ـ بكل المعنى ـ مثالا للعسكرى الوطنى المنزه عن الاطماع السياسية المغرضة ، المترس نفسه لمهامه العسكرية الكبرى من اجل معركة التحرير .

لقد انصبت اولى جهوده منذ ان تولى قيادة قواتنا المسلحة فى ٢٧ اكتوبر ١٩٧٢ ، على اعادة ثقة المقاتل بنفسه وبسلاحه ، « القوات المسلحة مليئة بالرجال والابطال ولديها السلاح » [١] وهو ايضا الذى اكد ذلك المبدأ القتالى المعنوى الهام وهو ان السلاح بالرجل ، وليس الرجل بالسلاح .

لقد كان القائد الوطنى الذى ركز على تهيئة الجيش معنويا للقتال التحريرى من منطلق النضال الوطنى المعادى للامبريالية ، وعلى اساس دعم الثقة فى سياسة البلاد ، وفى توضيح حدود الاصدقاء ، وحدود الاعداء .

لقد كانت المأثرة الكبرى الثانية للرجل هى انخراطه فى الاعداد العلمى الدقيق والجسور، والتنفيذ الناجح والمظفر لخطة عبور قناة السويس فى اكتوبر ١٩٧٣ . وتحطيم خط بارليف ، الذى كان بمثابة أول نصر استراتيجى عربى منذ قيام دولة اسرائيل ١٩٤٨ .

ولقد كان احمد اسماعيل ، بالاضافة الى سمة القائد العسكرى فى شخصه ـ يتسم بالروح الانسانية ، روح الاخوة والابوة الواعية لضباطه وجنوده .

واذا كان قد حقق ـ كقائد عام للقوات المسلحة النصر الكبير فى اكتوبر ١٩٧٣ ، فانه هو ايضا الذى نبه مرارا قبل ان توافيه المنية الى ذلك الدرس القتالى الهام :

« الغرور هو العدو الاول للمقاتل المنتصر » .

وهكذا يسهم الرجل بصيرته ايضا فى تشكيل اليقظة الواهنة والمقبلة ، والمطلوبة بعد انجاز اكتوبر .

ان ذكرى احمد اسماعيل القائد العسكرى الوطنى ستظل حية ماثلة دوما فى وجدان شعبه لانه الدرس البليغ المستقى دوما من تجارب التاريخ ، هو ان الشعوب لا تنسى قط الابناء المخلصين الذين ادوا رسالتهم باخلاص وامانة فكتب لهم الظفر والنجاح .

تحية خالصة لذكرى جندى باسل وراحل عزيز ، وخالص عزاء الطليعة لاسرته وبلاده ، وشعبه وقيادته ، وجيشه .

---

[١] الفقرات التى نوردها هنا من اول خطاب للمشير احمد اسماعيل بعد توليه وزارة الحربية فى ٢٧ اكتوبر ١٩٧٢ .

تقارير الشهر

١٩٧٥
يناير

● جمهورية مصر العربية ●

الخطة الانتقالية .. أولوياتها ومتغيراتها

عقدت الخطة الانتقالية التى قدمها الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله وزير التخطيط ، باهتمام كبير بسبب هشاشة الاستيرادات التى صنعتها ، واشتد الجدل حول قدرة الاقتصاد المصرى على النهوض بها . وقد تركز البيان الذى ألقاه الوزير فى مجلس الشعب ، شرحا للخطة فى النقاط التالية :

● أولويات الخطة الانتقالية :

تحددت أولويات الخطة الانتقالية فى ضوء طبيعتها ذاتها . فهى تغطى أبدا زمنيا لا يكفى لتنفيذ مشروعات كبيرة ولا يتسع لاجراء تغيير كبير فى هيكل الاقتصاد القومى . وانما يسمح بتحسين أوضاعه لشكل ملموس يتيح الطريق أمام انطلاقة كبرى . ومن ثم تحددت الاولويات على النحو التالى (١) تعمير منطقة القناة . (٢) استكمال أكبر عدد ممكن من المشروعات الجارى تنفيذها [٣] تشغيل الوحدات الانتاجية بكامل طاقتها بالاحلال والتجديد وازالة الاختناقات وتوفير المستلزمات . وقد استدعى هذا عدم البدء فى مشروعات جديدة لا تظهر اثارها الا بعد سنوات لا استثناء وحيث يكون المشروع حيويا .

● اهم متغيرات الخطة :

□ الاستثمارات : ١١٨٢٫٩ مليون جنيه ، وهو أكبر هدف استثمارى فى تاريخ البلاد ، يزيد عن ضعف المستهدف فى ٧٥ . وتبلغ ضرورته من انه لا حل لمشاكل التنمية الا بمزيد من التنمية . وهذا الحجم يعالج عددا من المشكلات الكبيرة ويهيد لانطلاقة تنموية .

يقوم القطاع العام باستثمار الجزء الاعظم (١٠٠٠ مليون جنيه) والخاص (٩٨٫٢ مليون) ورأس المال العربى والاجنبى (٨٫٧ مليون) . ويبلغ حجم المكون الاجنبى فى الاستثمار المستهدف ٤٦٨ مليون جنيه بنسبة ٤٠٫٥ فى المائة من اجمالى الاستثمارات . وأبرزت الخطة أنه من « الملحظ هذا العام » زيادة أقبال القطاعات على التفاعل على بلاد العملات الحرة ، حتى بلغت نسبة العملات الحرة فى المكون الاجنبى نقدا أوتسهيلات ٨٧٫٣ فى المائة .وهذا ما دعا الحكومة الى المبادرة بمعادة التفاوض فى شأن القروض المتاحة من بلاد الاتفاقيات بقصد توجيهها نحو المشروعات التى يحتاجها الاقتصاد القومى والتى تميز تلك البلاد بتفوق فى انتاج معداتها » .

كما أوضحت الخطة أنه لم يكن ممكنا فى اطار خطة قصيرة الأجل وفى ضوء أولوياتها السابقة ادخال تغيير بارز فى هيكل الاستثمار ، أى نسب توزيعه بين القطاعات . لذا ظهر القطاعات السلعية (زراعة ري صرف ، صناعة تعدين ، بترول كهرباء ومقاولات) ٦٫٢ر٤١ فى المائة ، وخص التوزيع (نقل ومواصلات وتخزين وتجارة ومال) ١ر٣٥ فى المائة وخص الخدمات ٦ر٢٣ فى المائة .

□ الانتاج والناتج المحلى : يزيد الانتاج القومى مقدرا بالاسعار الجارية من ٧٠٣٠ مليون فى ٧٤ الى ٧ر٧١٦ مليون فى ٧٥ بنسبة ٦ر١٧ ، وبأسعار ٧٣ بنحو ٩ر٩ فى المائة تسهم القطاعات السلعية بنحو ٦ر٧٠ فى المائة بمعدل نمو أعلى ١٤ر٤ فى المائة وهو معدل مرتفع عنه فى القطاعات الاخرى .

ويسهم القطاع العام بنسبة ٥٣ فى المائة والخاص بنسبة ٤٧ فى المائة . أما الناتج المحلى فيرتفع بالاسعار الجارية من ٦ر٣٦١٩ مليون الى ٥ر٤٠٨ مليون بنسبة ٦ر١٠٪ ، وبأسعار ١٩٧٣ بنسبة ٩ر٢٪ وقد تحققت هذه النسب المرتفعة بفضل التركيز على استكمال المشروعات

● ج ٠ م ٠ ع	● فلسطين	● رومانيا	● اليابان
اهتمام ايطالى بتحسين العلاقات مع العالم العربى	توطيد التحالف المبدئى مع الاتحاد السوفيتى	اهداف طموحة يطرحها المؤتمر الـ ١١ للحزب الشيوعى	« ووترجيت» طوكيو : المعجزة اليابانية تصاب بسكتة قلبية

واستغلال الطاقات العاطلة ، مما يمكن الاقتصاد القومى ان يجنى فى ٧٥ ليس فقط عائدات استثماراتها ، وانما ايضا عائدات الاستثمارات السابقة ٠

☐ **العمالة والاجور :** يتيح الاستثمار المستهدف ٥ر٣٥٣ الف فرصة عمل ٠ ومن المقدر ان تزيد قوة العمل فى الاقتصاد المصرى فى ٧٥ بحوالى ٢٦٩ الف فرد ، ومعنى هذا ان الفرصة المتاحة ستستوعب هذه الزيادة مضافا اليها ٥ر٨٤ الف فرد من رصيد البطالة الكافة ٠

يقدر اجمالى الاجور فى ٧٥ بنحو ١ر١٩١٩ مليون جنيه مقابل ١ر١٧٢٣ فى ٧٤ بزيادة ٥ر١١ فى المائة ٠ وتبلغ نسبة اجمالى الاجور الى الناتج المحلى الاجمالى ٩ر٤٧ فى المائة ٠ يبلغ عدد العاملين بالدولة والقطاع العام اكثر من ٣ ملايين ، وبذا ترتفع نسبتهم الى اجمالى العاملين من ١ر٣١ فى المائة الى ٢ر٣٢ فى المائة اما اجورهم فتبلغ ٧ر٦٣ فى المائة من اجمالى الاجور فى الاقتصاد القومى ٠ وسيرتفع متوسط الاجر من ٥ر١٧١ جنيه فى ٧٤ الى ٧ر١٨٥ فى ٧٥ بزيادة ٣ر٨ فى المائة ، فى حين ستزيد الانتاجية بنسبة ١ر٧ فى المائة فقط لكن ارتفاع متوسط الاجر عن متوسط الانتاجية ليس ظاهرة عامة فى كل القطاعات ، بل تتركز فى الزراعة والخدمات ، فى حين تنعكس الآية فى الصناعة ٠

☐ **التعامل الخارجى :** يقدر العجز فى ميزان مدفوعات ٧٥ بحوالى ٣ر١٣٤٤ مليون مقابل ٧١٥ مليون فى ١٩٧٤ ٠ وترجع الخطة هذا الى : (١) زيادة الاسعار العالمية اساسا (٢) بطء نمو الصادرات ونقول ان الحكومة وافقت على هذا العجز المخطط فى ضوء اعتبارين :

الاول ، انه لا بديل للعجز فى ميزان المدفوعات الا وقف التنمية او حرمان الشعب من بعض ضروريات الحياة او الامرين معا ٠

والثانى ، ان ما عقدته الحكومة من اتفاقيات مع المنظمات الدولية والدول العربية والاجنبية يسمح بتغطية هذا العجز بتحويلات خارجية لكن الخطة عادت لتؤكد ان هذا الوضع لايمكن ان يستمر عدة سنوات ، لانه لابد فى المدى المتوسط من توجيه كل الموارد الخارجية للتنمية فهى التى تزيد الانتاج ومن ثم وسائل سداد هذه الاموال ٠

☐ **الاستهلاك والادخار :** يزيد الاستهلاك النهائى من السلع والخدمات من ٣٨٨١ مليون جنيه فى ٧٤ الى ٤٠٨٢ مليون فى ٧٥ بنسبة ٣ر٥ ، ويزيد الاستهلاك العائلى بنسبة ٩ر٥ فى المائة ليبلغ ٥-٢٩ مليون جنيه وهذه النسبة اقل من الزيادة فى الانتاج المحلى (٩ر١٠ فى المائة) ولكنها اكثر من زيادة السكان (٣ر٢ فى المائة) مما يضمن ارتفاع متوسط استهلاك الفرد ٠

ومن المقدر ان تزيد المدخرات المحلية من ٥ر٢٤٧ مليون فى ٧٤ الى ٣٣٦ فى ٧٥ بنسبة ٩ر٤٧ فى المائة وتزيد فوائض القطاع العام بنسبة ٤٢ فى المائة والضرائب والرسوم السلعية بنسبة ٤٦ فى المائة ٠ لكن المدخرات تظل دون حاجة تمويل التنمية فهى لاتزيد عن ٣ر٨ فى المائة من الناتج المحلى ٠ فى حين ان الاستثمار يمثل ٢٧ فى المائة من الناتج المحلى الاجمالى ٠

وفيما يتعلق باجمالى استثمارات الزراعة والرى والصرف ، فانه يبلغ فى خطة ٧٥ ، ٣ر٩٣ مليون جنيه بزيادة قدرها ٥ر١٢ فى المائة عن ٧٤ ٠ اما الصناعة فيخصها ٤ر٢٢٧ مليون مقابل ٥ر١٤٨ مليون فى ٧٤ بزيادة قدرها ١ر٥٣ فى المائة ، يسهم القطاع الخاص بمبلغ ١ر٢١ مليون فى مقابل ٥ر٣ مليون فى ٧٤ ٠ ويؤدى الاستثمار الى زيادة الناتج الصناعى بنسبة ٣ر١٣ فى المائة بالاسعار الجارية و ٣ر٩ فى المائة بالاسعار الثابتة ٠

● التعاون العربى والدولى :

اكدت الخطة ان سياسة الانفتاح يجب ان تكون فى خدمة مصالح الجماهير العريضة وليس فى خدمة فئة تريد الاثراء من اقصر سبيل دون ان تضيف الى القدرة الانتاجية شيئا ٠ ولضمان هذا تتم فى اطار خطة التنمية القومية ٠ وحتى وقت اعداد الخطة ، وافقت هيئة الاستثمار على مشروعات رأس مالها ٣ر١٠٤ مليون جنيه ٠ اما مشروعات المناطق الحرة ، فليست جزءا من الخطة ٠

اما تقرير لجنة الرد الذى قدمه الدكتور احمد ابو اسماعيل ، فقد ركز على النقاط الاتية :

● ان القطاعات التى حظيت باقل نسبة من اجمالى الاستثمارات العينية هى الزراعة والرى والصرف والكهرباء والخدمات التعليمية والبحثية والصحية ، فقد حصلت جميعا على ١ر٥ فى المائة من مجموعة الاستثمارات وهى تتساوى

مجمعة من اصبهة السيء مع تدابير الانسكار الذي تقل ار١٤ في المائة . ونقل عن قطاع الصناعة الذي يبلغ ٢٩٫٧ في المائة .

● ان نصيب الزراعة لا يعدو ٢٫٥ في المائة . ان خطة العام المقبل يجب الا تأخذ بفلسفة المشاريع الاشتراكي التي انبعثها بعض الدول الاشتراكية في اوائل عهدها بالتخطيط دائما يجب ان تتخذ درسا من الدول التي سبقتنا في التخطيط والتصنيع . لقد صادفت الكثير من الدول الاشتراكية صعوبات كبيرة في اولى سنوات التخطيط نتيجة للقيام باستثمارات كبيرة في الصناعة الثقيلة واستخراجات محدودة في الزراعة . اننا لابد ان نؤكد ان الصناعة الثقيلة هي محور البنيان الاقتصادي للدولة . ولكن يجب ان نعطي في نفس الوقت العناية الكاملة لتنمية الزراعة والصناعة الخفيفة ، اي انه يجب تنمية الزراعة والصناعة في نفس الوقت .

● ان استثمارات الزراعة في ٧٥ ليس فيها اضافة لمشروعات جديدة اذ بنحو ٣٫٥ مليون جنيه . ولو ان وزارة الزراعة شجعت عددا من المزارعين في جميع انحاء الجمهورية على التوسع في هذا الانتاج لقلت التكاليف الرسمالية الباهظة التي تتحملها الدولة ولاستفاد افراد الزراعة من الدخل المتولد في هذا النشاط كما يستفيد المستهلكون ، وهكذا نجد ان اكثر قيمة للاستثمار في النشاط الزراعي هي التوسع الرأسي لا يفيد منه الزراع ، اذ يتم بعيدا عن مساهمهم وفي حدود ضيقة بالنسبة للمستهلكين وبتكلفة رأسمالية باهظة .

● خص وزارة الكهرباء ٧٫٥ مليون مقابل ٢٢ مليونا في ٧٤ ، والواقع المعيد يذهب الى اشياء مرتبط عليها في السنوات السابقة ومن ثم لا يبقى شيء للتجديد . ولعل اوضح مثال هو كبرية الريف التي ادرج لها ١٠٫٨ مليون للذهب كلها سداد للاجور وثمنا لمهمات تم الارتباط عليها من قبل . ويعني هذا جمود كبرية الريف في ١٩٧٥ . ان اجمالي ما انفذ هو اضافة ٩٠٠ قرية في حين ان اجمالي القريوتر اوبعه يبلغ ١٠ آلاف وفي حين بالتضخية موجودات مقابل المشروع في نهاية ٧٤ ، نحو ١٨ مليونا ، فان خطة ٧٥ منشيء اليها مهمات قيمتها ٥ ملايين لتدفع ٢٣ مليونا لتبقى عاطلة .

● خصص ٣ في المائة من اجمالي الاستثمارات العينية للتعليم والبحوث والصحة ، الامر الذي يعني قصورا في تخصيص الصد الضروري من الموارد لتنمية الخصائص الجوهرية التي تظل حرمانها بسبب تبوز الانتاج العلمي والنشاط الاقتصادي خلال سنوات الاعداد للحرب . ولعل ضالة استثمارات التعليم ترجع الى المفهوم المتداول عن ان التعليم خدمة ، ومن ثم فالاجدى الاهتمام بالنشاط الانتاجي اولا حيث تقدم استثمارات هذا النشاط عائدا من ورائها .

● الصحة بلغت استثماراتها ٢٫١٦ مليون . خص الوحدات الريفية بها نحو ٥٨٠ الف جنيه ، مقابل ١٫٦ مليون في ١٩٧٤ ، الامر الذي يمنع اي انشاءات جديدة ، ويقتصر على الاستكمالات .

● ان نظرة عامة لمجاميع الاستثمار في الخطة والى توزيع الاستثمارات بين مختلف المحافظات وبين الريف والحضر بين انها اهملت الريف بصفة خاصة . ان الخطة لم توزع الاستثمارات بين الريف والحضر ، التوزيع الذي يمكن من تقييم البيئة الريفية ورفع مستواها والى حد مقبول . لقد حص القاهرة والاسكندرية نحو ٣٧٫٣ في المائة من الاستثمارات وتحتفظ القناة نحو ١٨٫٥ في المائة ،

وخص باقي مدن ورفح معمر ٤٤ في المائة وخص ثلاث محافظات منه ١٦ في المائة . اذا اسعيدنا حصه يكون الباقي ٢٨٫٣ في المائة قد حص الريف الذي ٦٧ محافظة . اي ان ما خص ١٧ محافظة يعادل ما خص القاهرة وحدها ونصيب الـ ١٧ محافظة وزع على عواصمها وعلى ٩ آلاف قرية . ومن ثم فان الريف لم ينله في خطة ٧٥ الا الفتات . في حين ان صافي الصيد الاجمالي الذي تحمله الفلاح من ضرائب واعانات لا يقل عن ٤٠٠ مليون جنيه .

● في حين تؤكد الخطة ان التمويل سيتم من مدخرات محلية واجنبية معقيقة مما يترتب عليه عدم ارتفاع الاسعار تعود لتؤكد ارتفاع الاسعار ، وتفرض الخطة قدرة اوصيه الادخار الفعلية على تعبئة كل فرش وهذا غير ممكن ، وبين وجود مبالغة في تقدير حجم الادخار المحلي ، ومن ثم فان تنفيذ الاستثمارات الواردة في الخطة لابد وان يعتمد على التوسع في اصدار النقود . وبمقارنة رقم الادخار المحلي في الموازنة نجده اقل مما هو وارد بالخطة . ان وقف الاتجاه الصعودي للاسعار واختفاء الصلع وشكوى الجماهير من ذلك تؤكد ضرورة مراجعة رقم الادخار المحلي في الموازنة والخطة والوصول الى رقم واقعي يتفق عليه بحيث يمكن فعلا عدم الاعتماد على التوسع في اصدار النقود لتمويل الخطة وبذلك يمكن تمويل مشروعات الخطة من مدخرات حقيقية مما يترتب عليه عدم ارتفاع الاسعار .

ولو نظرنا لنسب الزيادة في الاسعار في ضوء الخطة نجد انها ٨ في المائة في القطاعات السلعية و ٣ في المائة في التوزيع وصفر في الخدمات بالجمالي عام قدره ٥٫٥ في المائة ، في حين ان شواهد الاحوال توضح ان الزيادة اكبر من ذلك بكثير .

● في العلاقة مع الخارج تبين الخطة اننا سنعمل عجزا يصل الى نحو ١١٠٠ مليون جنيه بالاقتراض من الخارج . وليس هناك عيب او خطأ في تمويل الخطة بالاقتراض من الخارج بل ان الضرر على هذا الاقتراض الكبير لمشروعات كبيرة تطبيق سليم لسياسة الاستيراد لكن جمود الصادرات ، لن يمكن من سداد فوائد واقساط القروض الانتاجية تصيرة الاجل التي ستقترضها لتمويل الطاقات العاطلة . ومعنى ذلك ان الطاقات العاطلة التي سيتم تشغيلها في ٧٤ نتيجة للاقتراض ، ستتوقف في العام التالي وتصبح طاقة عاطلة مرة اخرى لانه لن يكن هناك من يقرض بدون انتظار سداد قرضه وفوائده .

● الملاحظ في مشروعات الخطة بوجه عام ان الكثير من مشروعاتها يتعلق بالتعمير والاسكان والمرافق وهذه انشطة لن يترتب عليها صادرات . ولكن الخطة تمول جانبا كبيرا من هذه الاستثمارات بقروض وان هذا يضعف مركزنا الاقتصادي . ذلك انه لا يمكن سداد مثل هذه القروض الا اذا امكن زيادة الصادرات من مشروعات اخرى زيادة ضخمة تكفي لسداد قروض المشروعات جميعا . وكان واجبا على الخطة للمحافظة على سلامة الاقتصاد في علاقاته الخارجية ان يعتمد في تمويل مشروعات الاسكان والتعمير والمرافق على المعونات ، كما فعلت كثير من الدول التي مرت بها حرب .

هذه هي الملامح العامة لرد لجنة الخطة والموازنة بمجلس الشعب على الخطة الانتقالية المقدمة من الحكومة . يرى المراقبون ان هوارا هاما سوف يدور بين الحكومة وبين المجلس عندما يبدأ مجلس الشعب مناقشته للخطة والرد عليها عند

اهتمام ايطالى بتحسين العلاقات مع العالم العربى

قام الرئيس « جيوفانى ليونى » رئيس جمهورية ايطاليا بزيارة لجمهورية مصر العربية فى ١٩٧٤/١٢/٩ ، استغرقت يومين ، أجرى خلالهما مباحثات هامة مع الرئيس أنور السادات ، تناولت أزمة الشرق الاوسط ، وبحث التعاون بين البلدين فى المجالات المختلفة .

وقد أكدت المباحثات التى جرت بين الرئيسين السادات وليونى ، موقف ايطاليا من أزمة الشرق الاوسط ، على أساس انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضى التى احتلت نتيجة حرب يونيو ١٩٦٧ ، والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى وايجاد تسوية سلمية عادلة ودائمة لمشكلة الشرق الاوسط ، وذلك فى اطار المبادىء التى ينص عليها القرار رقم ٢٤٢ لمجلس الامن فى نوفمبر ١٩٦٧

كذلك تم الاتفاق بين الرئيسين السادات وجيوفانى ليونى على تشكيل لجنة مشتركة للتعاون بين البلدين فى المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والفنية .

وقد أثنى الرئيس السادات على موقف ايطاليا من الشعب المصرى ، وخاصة بعد عدوان اسرائيل على مصر والبلاد العربية عام ١٩٦٧ ، واستمرار التعاون الوثيق بين البلدين فى الوقت الذى أحجمت فيه دولا كثيرة عن التعاون مع مصر

وتعكس زيارة الرئيس الايطالى لمصر ، الادراك المتزايد داخل المجموعة الاوربية ، وبخاصة فى دولة مثل فرنسا وايطاليا لخطورة استمرار الوضع الحالى فى الشرق الاوسط الناجم عن سياسة اسرائيل التوسعية ورفضها الانسحاب من الاراضى العربية التى احتلتها فى عدوان يونيو ١٩٦٧ ، وتجاهل الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ، ومن ثم تأثير أزمة الشرق الاوسط على المصالح الاقتصادية الاوربية ، والتى تتمثل فى استمرار اغلاق قناة السويس واستخدام العرب لسلاح البترول لاسترداد حقوقهم المشروعة ، مما يحول دون اقامة علاقات طبيعية للتعاون بين أوربا والعالم العربى .

ومن هنا تعكس زيارة الرئيس الايطالى لمصر ، السياسة الايطالية الحالية ، التى تسعى الى تحسين العلاقات مع العالم العربى ، بما يخدم المصالح المشتركة للبلدين ، وتوفير الأمن والسلام فى حوض البحر الابيض المتوسط

○

أول اجتماع لهيئة رئاسة منظمة التضامن الأفروآسيوى

فى ٨ ـ ٩ ديسمبر الماضى عقد فى قاعة اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى أول اجتماع للهيئة الرئاسية لمنظمة تضامن شعوب آسيا وافريقيا ، والتى انتخب اعضاؤها فى اجتماع المجلس الحادى عشر للمنظمة .

وقد تضمن جدول أعمال الهيئة عديدا من النقاط من بينها :

ـ المهام الراهنة لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية تجاه الوضع الحالى فى انجولا وغينيا بيساو وجزر الرأس الاخضر وموزمبيق وافريقيا الجنوبية ، على ضوء التطورات الاخيرة ..

ـ تأييد نضال الشعوب العربية ضد الصهيونية والامبريالية ومن أجل التنمية والتقدم ومن أجل تحرير الاراضى التى احتلها المعتدون الاسرائيليون واسترداد الحقوق القومية للشعب الفلسطينى .

ـ الوضع فى قبرص .

ـ العمل على التنفيذ الفورى والكامل لاتفاقية باريس

■ شريط الاخبار ■

□ اكد البيان الذى اصدره المكتب السياسى للجنة المركزية لحزب «اخيل» الشيوعى القبرصى : ان عودة الرئيس القبرصى مكاريوس يعد انتصارا للقوى الديمقراطية فى قبرص ، وان القضية القبرصية يجب أن تحل بالطرق السلمية ، وانه لابد من وضع دستور لقبرص يشترك فيه ممثلون عن الطائفتين اليونانية والتركية .

وقال البيان : ان قبرص يجب ان تبقى ضمن مجموعة دول عدم الانحياز ، وأن تتوفر لها الضمانات الدولية لحماية الشعب القبرصى يونانيين واتراك

□ اتهمت النشرة الاعلامية التى يصدرها اتحاد الضباط فى الارجنتين وكالة المخابرات المركزية الامريكية ، بانها تزاول حاليا فى الارجنتين نفس الدور الذى قامت به من قبل فى شيلى ضد حكومة الرئيس الراحل سلفادور اللندى .

وقالت النشرة : ان المخطط الامريكى يهدف الى الاطاحة بالنظام الدستورى فى البلاد ، الذى يؤيده معظم الشعب الارجنتينى .

□ طالب كمال جنبلاط رئيس الحزب التقدمى الاشتراكى الحكومة اللبنانية بعدم السماح لجورج جودلى السفير الامريكى فى لبنان بالعودة الى البلاد ، وترحيل جميع موظفى السفارة الامريكية [٤٠٠ شخص] عن لبنان .

وقال جنبلاط : ان هؤلاء الموظفين جعلوا من السفارة الامريكية فى بيروت مركزا للتجسس على لبنان والبلاد العربية ، وانهم يكتبون التقارير ويرسلونها الى اسرائيل مباشرة .

والمعروف أن السفير الامريكى كان

حول فيتنام وتأييد النضال العادل لشعوب فيتنام وكمبوديا ولاوس ومن أجل التحرر والاستقلال واعادة البناء .

ـ الانفراج الدولى والمشاكل الاجتماعية والاقتصادية للشعوب الافريقية الاسيوية النامية .

ـ المسائل التنظيمية ويدخل فى اطارها برنامج العمل لعام ١٩٧٥ ومشروع معهد المعلومات والابحاث والمؤتمر السادس لتضامن الشعوب الافريقية الاسيوية .

وفى الجلسة الافتتاحية تليت رسالة الرئيس انور السادات التى رحب فيها بانعقاد الهيئة الرئاسية فى مصر ، معقل النضال من أجل الحرية ، والتى شهدت منذ نحو ستة عشر عاما مولد منظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية ، وآزرت عملها ، وساندتها فى اداء رسالتها ، واعرب عن تأييد شعب مصر لكل الشعوب المناضلة من أجل التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى ، وأكد اهمية توثيق العلاقات بين قوى التحرر فى افريقيا وآسيا والبلاد الاشتراكية ، واهمية تضامن القوى المناهضة للامبريالية والاستعمار والعنصرية .

ثم القى الدكتور رفعت المحجوب كلمة الاتحاد الاشتراكى العربى ، فاستعرض التطورات الهائلة التى طرأت على ساحة القارتين منذ مولد المنظمة واثنى على دورها فى هذه التطورات ، وبخاصة دورها فى مساندة كفاح الشعوب العربية العادل ضد الامبريالية والصهيونية وأكد ان من أبرز أسباب نجاح المنظمة فى اداء رسالتها عمق التضامن بينها وبين الدول الاشتراكية وجميع القوى التقدمية فى العالم .

وأعقبه السيد يوسف السباعى فوجه التحية الى تلك النخبة الممتازة من كبار المناضلين والمكافحين الذين تتشكل منهم الهيئة الرئاسية ، ويثرون المسيرة النضالية لشعوب القارتين . وقال ان تاريخ المنظمة يرتبط أوثق الارتباط بكفاح شعوب آسيا وافريقيا من أجل التحرر الوطنى والاستقلال الاقتصادى والتغيير الاجتماعى . وأشار الى الانتصارات التى حققتها شعوب المستعمرات البرتغالية ، والانتصار العربى المجيد فى أكتوبر .

وأبرز السيد السباعى المرحلة الجديدة التى دخلتها حركة المقاومة الفلسطينية ، والتى تجلت فى الاعتراف الدولى الواسع بالطابع الوطنى العادل لنضال الشعب الفلسطينى من أجل حقوقه القومية ، وفى اعتراف كل الدول العربية والمجتمع الدولى بمنظمة تحرير فلسطين بوصفها الممثل الشرعى الوحيد للشعب الفلسطينى وأشار الى جهود المنظمة فى مساندة حركات التحرر الوطنى فى كل مكان ، ومقاومة المخططات العدوانية الامبريالية . وأثنى على المساعدة التى تقدمها القوى الديمقراطية والتقدمية ، وفى مقدمتها المعسكر الاشتراكى لكفاح الشعوب العربية والافريقية الاسيوية . كما اشاد بالاسهام الكبير للجان التضامن بالبلاد الاشتراكية التى استضافت عددا كبيرا من الندوات التى عقدتها المنظمة . وأكد أن العامل الرئيسى فى انتصاراتنا انما هو وحدة جميع الذين يناضلون من أجل السلام والاستقلال والتقدم الاجتماعى .

ثم تلا السيد السباعى تقرير السكرتارية الدائمة للمنظمة ، الذى يعدد الانشطة المختلفة للمنظمة ، ويتضمن عددا كبيرا من الموضوعات الرئيسية ، وبخاصة أفريقيا والشرق الاوسط والخليج العربى « وأزمة الطاقة » وأحداث قبرص والوضع العام فى آسيا . وقد أشار التقرير الى الندوات والمؤتمرات المختلفة التى أسهمت المنظمة فى اعدادها ، أو شاركت فيها ، وبخاصة « ندوة سمرقند حول السلام والامن فى آسيا » ، و « الندوة العلمية الدولية » فى بالاتون بالمجر ، و « المؤتمر العالمى للسكان » ، و « ندوة بغداد العالمية الثانية ، النفط والمواد الاولية » .

واستعرض التقرير أيضا نشاط قسم المرأة فى الفترة من ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ ، والندوات والاجتماعات التى عقدت لمناقشة قضاياها ، والتى شارك فيها قسم المرأة بالسكرتارية الدائمة ، وكذلك الجهود المبذولة للاشتراك فى الاحتفال بالعام العالمى للمرأة [١٩٧٥] ، التى ستجرى على مدار العام .

وعقب سلسلة من جلسات العمل عقد الاجتماع الختامى للهيئة الرئاسية والذى أصدر عددا من الوثائق الهامة من بينها البيان العام ، وقد استهل هذا البيان بتحية التطور الايجابى فى عمل المنظمة ، والذى يتمثل فى انعقاد هيئتها الرئاسية لاول مرة ، ويعرب عن يقينه بأن هذا الجهاز القيادى الجديد سوف يواصل مسيرته نحو تعميق النضال المعادى للامبريالية الذى تخوضه المنظمة وشعوب آسيا وافريقيا .

■ شريط الاخبـــار ■

قد غادر لبنان فى أواخر شهر نوفمبر الماضى ، عقب الازمة الدبلوماسية التى نشأت بين البلدين ، بسبب التصرف المشين للسلطات الامريكية ، بتفتيش حقائب الرئيس سليمان فرنجية والوفد المرافق له فى مطار نيويورك ، عند سفره لحضور جلسات الدورة الحالية للجمعية العامة للامم المتحدة .

☐ بعثت المعتقلات الفلسطينيات فى سجون الاحتلال الاسرائيلى ، ببرقيات الى السكرتير العام للامم المتحدة ومنظمة الصليب الاحمر الدولى ، والهيئات والجمعيات النسائية الدولية ، يطالبن فيها بالتدخل لوقف أعمال التعذيب والجرائم التى ترتكب ضدهن فى سجون الاحتلال على أيدى الجلادين الصهاينة . وضرورة زيارتهن للاطلاع على حقيقة أوضاعهن داخل السجون الاسرائيلية .

☐ ذكرت الانباء الواردة من شيلى ، ان الحكومة العسكرية قررت طرد أكثر من ٣٠ ألف شخص من العاملين فى مؤسسات الدولة والقطاع العام ، فى بداية العام الجديد . وذلك من أجل تخفيض المصروفات الحكومية ، ومواجهة التضخم والعجز الكبير فى الميزانية .

والمعروف ان عدد العاطلين فى شيلى قد بلغ ٥٠٠ ألف متعطل حتى شهر يوليو الماضى ، وذلك منذ الانقلاب العسكرى الذى أطاح بحكومة الوحدة الشعبية التى كان يرأسها سلفادور الليندى فى سبتمبر ١٩٧٣

☐ أعلن الفارو كوينهال الامين العام الحزب الشيوعى البرتغالى ، ان تطبيق الديمقراطية فى البرتغال تكتنفه الصعاب والتعقيدات ، نتيجة الازمات الاقتصادية التى ورثتها البلاد من النظام الفاشى

وقد حيا البيان الانتصارات الباهرة التي حققها كفاح شعب فيتنام بباسل بتقديس جمهوريته المستقلة ذات السيادة ، وشعب موزامبيق باقامة الحكومة المؤقتة في موزامبيق وشعب انجولا الذي عبأ الجبهة الشعبية لتحرير انجولا بقيادة ملهوفوتا الدحرير ، وقال البيان: ان هذه الانتصارات تأتي نتيجة لكفاح خاضت غماره هذه الشعوب ببسالة خارقة ، وتتويجا للتطور الديمقراطي في البرتغال .

وأيد البيان كفاح شعوب جنوب أفريقيا وناميبيا وزيمبابوي ضد سياسة «التفرقة العنصرية» الاجرامية وطالب بتوسيع حملة عالمية للتضامن مع هذه الشعوب .

كذلك ادانت الهيئة الرئاسية في بيانها السياسة الاستفزازية المسعورة الفاشية على التوسع والعدوان التي تنتهجها اسرائيل بتأييد من قوى الامبريالية ولكنت أهبة الحفاظ على التفاهم الايجابية لمؤتمر الرباط في تفاني التضامن الذي جاء نتيجة لانتصارات شعوب أكتوبر التحريرية التي حطمت أسطورة التفوق الاستراتيجي العنصري . وأكد البيان أن تضامن شعوب افريقيا وآسيا مع الكفاح التحرري العربي والدعم الكبير الذي تلمسه البلاد الاشتراكية والاتحاد السوفيتي الصديق قد أسهما بدور كبير في الانتصارات التي حققها حتى الكفاح .. وأكدت الهيئة الرئاسية تضامنها مع الكفاح التحرري الوطني العربي من أجل التصدي لقوات الامبريالية المسعورة الفاشية على كل الأراضي المغتصبة في حرب ١٩٦٧ ، وأعادة الحقوق القومية لشعب فلسطين وخاصة حق تقرير مصيره على أرض وطنه وأعربت عن تعاطفها ، لوحدة الكفاح العربي الذي اتضح لها رفضي كل الحلول الفردية والجزئية .

○

● فلسطين ●

توطيد التحالف المبدئي مع الاتحاد السوفيتي

لا بد ولا يجب أن تنسى ولو لحظة واحدة أن دخولنا الى الساحة العالمية من خلال هذا التحالف الجدلي الوطيد مع الثورة الاشتراكية وطليعتها الاتحاد السوفيتي قد رافقه نضال ثوري دؤوب لتحديد هوية ثقافية واضحة للثورة الفلسطينية وتحديد أعدائها بشكل علمي ، وبرسم سياسة ثورية بديلة على كافة المستويات لحماية هذا التحالف من مغامرة وجنون القوى المعادية لشعبنا ..

والثورة وهي تدرك ضخامة التحديات التي تواجهها ، الا أنها على ثقة تامة أن نضال شعبنا المدعوم من الاصدقاء الاشتراكيين وطليعتهم الاتحاد السوفياتي كفيلا بتحقيق هذه الاهداف الوطنية لشعبنا ، قضية فلسطينية الى الاتحاد السوفيتي صديق الشعب الفلسطيني وقيوده المسلحة ، وصديق الامة العربية المناضلة » .

كانت هذه الكلمات جزءا من افتتاحية مجلة « فلسطين الثورة » الصحيفة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية [١ ديسمبر ١٩٧٤] وكان عنوان الافتتاحية « تحية فلسطينية الى الاصدقاء السوفييت » .

والحقيقة أن العلاقات السوفيتية-الفلسطينية قد شهدت في المرحلة الاخيرة تموزا وتوثقا يتسق مع التطور المنطقي للامور . فقد استخدم الاتحاد السوفيتي كل ثقله السياسي والذي في دعم الثورة الفلسطينية سواء على صعيد الامم المتحدة أو على صعيد المساعدات المادية لمجابهة

شريط الاخبار

المسلح ، وان الجماهير الرجعية مازال تواصل أعمالها التخريبية في البرتغال.

ولكن كوبونهال : ان الحزب الشيوعي البرتغالي سيدخل الانتخابات القادمة لتعزيز وحدة القوى الديمقراطية ، وتدعيم الوحدة بين الشعب والقوات المسلحة من أجل بناء البرتغال الجديدة الديمقراطية .

□ أعلن مدير هيئة الادارة والميزانية في الولايات المتحدة ، ان معدل زيادة التضخم في أمريكا يبلغ حاليا ١٢ في المائة سنويا ، وأن الكساد الاقتصادي في أمريكا سيستمر على ما هو عليه

□ دعا حزب الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية المغربي ، الى تكوين جبهة وطنية ، تضم جميع الاحزاب والقوى الوطنية والتقدمية في المغرب ، وتكون مهمتها العمل على تجديد الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وقال الناطق باسم التنظيم : انه لا يجب أن يقتصر تشكيل الجبهة على النقابات ، أو اصدار البيانات المشتركة فحسب ، بل أن يتم تشكيل الجبهة على أسس واضحة ومن أجل أهداف محددة .

□ ذكرت وكالة الانباء الفلسطينية « وفا » نقلا عن اذاعة فرانس المدو الاسرائيلي بتاريخ ١٩٧٤/١٢/٧ ، أن عدد المستوطنين اليهود الذين غادروا اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن ، قد بلغ أكثر من ٢٠٠ ألف شخص . وأن هناك أيضا عدة آلاف من المكلفين بمهمات حكومية ومن ممثلي الشركات واعضاء الوفود الرسمية وموظفو الحكومة لم يعودوا من الخارج بعد سفرهم . وتدرس وزارة التعبئة الاسرائيلية حاليا ، معرفة السبيل والتسهيلات التي يمكن اتخاذها من أجل عودة هؤلاء المستوطنين .

الاعتداءات الاسرائيلية ، او دعم انتفاضة الشعب الفلسطيني المتنامي ضد المحتلين الصهيونيين .

وقد كانت زيارة ياسر عرفات والوفد الفلسطيني المرافق لمنظمة التحرير الفلسطينية الى موسكو مؤخرا تتويجا لتعزيز هذه العلاقات وتوثيقها . وقد اجتمع الرفيق الكيكوكوسيجين بالوفد الفلسطيني لمدة ثلاث ساعات، واعرب هو خلال الاجتماع عن ارتياح الاتحاد السوفياتي الكبير بالاعتراف الدولي المتزايد بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وأكد من جديد تضامن الاتحاد السوفياتي الدائم مع نضال شعوب فلسطين العربي للحصول على حقوقه الوطنية وكيانه كدولة. واعرب ياسر عرفات باسم الشعب الفلسطيني عن الامتنان العظيم والعميق للاتحاد السوفياتي من أجل الدعم الثابت والمتعدد الاشكال الذي يقدمه الى الشعب الفلسطيني .

وفي اعقاب الزيارة أعلنت وكالة « وفا » الفلسطينية للانباء انها قد علمت « ان الاخ ياسر عرفات قد أجرى اجتماعات سياسية على مستوى كبير من الاهمية ، وان محادثات سياسية وعسكرية هامة تمت مع القيادات العسكرية السوفيتية خلال اعرب المشير سيرغي اوكتكا التأييد الفلسطينية « وقد عمن اعتقاده » بان زيارة أبو عمار لموسكو تؤدي لافضل الظروف وأعظم القوى ليتمكن شعبنا من بناء كيانه الوطني المستقل » .

ومن ناحية اخرى اكدت « فلسطين الثورة » على اهمية هذه الزيارة بشكل خاص قائلة « بوصول قائد الثورة ياسر عرفات الى موسكو تكون قمة النضال الوطني الفلسطيني قد ربطت نفسها بشكل امن في دائرة القمم العالمية ، التي تشكل موسكو قيادتها الرئيسية وقطبها الفاعل في مواجهة معسكر الاعداء » (في فلسطين الثورة 1 كانون اول ـ ديسمبر ١٩٧٤ م) .

واذا كانت الثورة الفلسطينية قد نجحت بصورة كبيرة في تعزيز روابطها بالاتحاد السوفياتي وحول المعسكر الاشتراكي الامر الذي يكفل لها مدودا من الضمانات والمساعدات فانها قد نجحت على الصعيد العالمي كله في أن تحقق انجازات باهرة أخرى لعمل أبرزها على ذلك النجاحات التي تحققت في الامم المتحدة وفي منظمة اليونسكو التابعة للامم المتحدة ، فقد اتخذ مؤتمر اليونسكو الذي عقد في باريس سلسلة من القرارات الثقافية والسياسية التي تمثل ادانة عالمية واضحة لسياسة التوسع والاحتلال الاسرائيلية .. لقد قررت اليونسكو ابعاد اسرائيل من اي نشاط اقليمي داخل المنطقة ، كذلك طالبت مديرها العام بعدم تقديم اي مساعدات لاسرائيل الى ان تحترم اخيرا دفيئا كافة اجراءات منظمة اليونسكو ، وقررت ايضا قطع معونات اليونسكو المالية لاسرائيل .

وقد أثارت هذه القرارات ثائرة اعضاء اسرائيل الذين انهالوا على منظمة اليونسكو وهي اكثر منظمات الامم المتحدة « اعتدالا » و « حيادا » بالهجوم وبقرارات قطع المعونة المالية عنها ، فقد قررت أمريكا خفض موعدها الـ ٢١ مليون دولار (من اليونسكو .. وبهذا فان العزلة المتزايدة لاسرائيل عن المجتمع الدولي لا يجعها سوى عزلة مساندتها وخاصة أمريكا .

واذا كان النطاق العالمي قد شهد تطورا مثيرا ولايمكنك بالموجة الثورية الفلسطينية فان « الداخل » قد شهد صمودا لا مثيل للنضال ضد قوات الاحتلال .. وقد تمثل هذا النضال في الانتفاضة الجماهيرية التي اجتاحت الضفة الغربية المحتلة طوال اكثر من عشرة أيام ، وقد جابهت سلطات الاحتلال الاسرائيلي هذه الانتفاضة الشعبية الجبارة التي عبرت عن حيوية الشعب الفلسطيني وتمسكه برفض الاحتلال ورفض مخططاته واصراره على الالتفاف حول جبهته الوطنية المتحدة وحول منظمة التحرير الفلسطينية ، جابهت بأشد انواع العنف والارهاب ، وفي مدن الليبرة ورام الله ونابلس تعرض السكان لهجمات وحشية من قوات الاحتلال وتحركات قاسية واصطفوف أخرى جديدة من الارهاب من بينها الحصار واقامة المتاريس للتحريق .. الخ .

ومع تصاعد الانتفاضة الشعبية تصاعدت ايضا العمليات العسكرية الفلسطينية التي تصاعدت ليس فقط من حيث العدد والنوعية والتصعيد الهجوم وانما ايضا من حيث وصولها الى القلب من جبهة العدو .. وتنشر العمليات في حيفا ـ الخليل ـ تل ابيب ـ القدس ـ اسدود .

ولم تجد اسرائيل من وسيلة للرد سوى الاعتداء على لبنان مستواه بالقذيفة على قرى ومدن الجنوب ، أو بالطلعات على مخيمات اللاجئين .. وهنا ايضا يبرز الدور الحقيقي للصداقة السوفيتية الفلسطينية ، فلي صواريخ سام تدمر ربما لاول مرة لتعلن حمايتها لسماء المنطقة وتعلن « وفا » اسقاط طائرتين للعدو ..

ولعل ابرز تطورات القضية الفلسطينية تتجلى في تعزز التأثير الفلسطيني ـ اللبناني والذي تمثل في اصرار الرئيس اللبناني فرنجيه على القاء كلمته الهامة من فوق منبر الامم المتحدة باسم الحكومات العربية جميعا معلنا مرحلة جديدة من هذا التأثير ، ومحديا بذلك ضغوطا أمريكية محمومة حاولت منعه من السفر الى نيويورك بحجة الحفاظ على حياة لبنان .

وعلى أية حال فان تطورات عديدة ، قد تضرت لتغير من الصورة في لبنان ، ورجلا من ان تستخدم الاعتداءات الاسرائيلية كسبيل لحلال المسلمين من الفلسطينيين فقد أصبحت هذه الاعتداءات سبيلا لمزيد من التلاحم بينهما .

.. وتواصل الثورة الفلسطينية انتصاراتها في مواجهة هي سيبرنيكا شرسة ، وتعاون ان توجه سفينة حركتها بعيدا عن أية أنواء عربية فيتخذ المجلس المركزي قرارا بايقاف العمليات الاعلامية ضد الاردن ، فاتحا بذلك الطريق ـ من عمليات ـ أمام عقد الاجتماع الرباعي المصري ـ السوري ـ الاردني ـ الفلسطيني .

وفي الجزائر تعقد جبهة المتحركة اجتماعها .. وبهذا تتلاحم جهود عربية حكومية وشعبية من أجل تحقيق أفضل استثمار ممكن لنجاحات الثورة الفلسطينية وضمان حماية هذه المكتسبات .

لكن منطق الثورة الفلسطينية يؤكد ان العدو لا يطلع الجزائم بسهولة ، ومن هذا فانهم يحذرون من خطر حرب خليجية لكي يحاول العدو بها ان يسوي حسابات كثيرة .

وبالمختصر فان الانتصارات يجب ان تكون سبيلا لمزيد من الحذر والاستعداد والتلاحم ..

• رومانيا •

أهداف طموحة يطرحها المؤتمر الـ١١ للحزب الشيوعي

حتى البرنامج الذي طرحه الحزب الشيوعي الروماني في مؤتمره الحادي عشر الذي بدأه في ٢٥ نوفمبر الماضي واستغرق ٤ أيام ، باهتمام وتركز كبيرين في العالم أجمع . ففي «عرب الضعف دوافعه وبرامجه . واهتمه الشيوعيين ، في تفسير دوافعه وبرامجه . واهتمه بإبراز ان البرنامج ركز طويلا على أهمية التعاون مع البلاد الاشتراكية والاتحاد السوفياتي أساسا ، الذي ساعدها ومسكريا وعلميا ، وأرجعت ذلك ان رومانيا مهددة بخطرة نهذا بسبب الأزمة الاقتصادية والانكماش في الغرب. ومن ثم تناقص فرص وصولها الى سوقه والتعاون معه بطريقة مجزية ،وبقائها لا يبقى أمامها سوى السوق الاشتراكي. لكن الامر الواضح أن كل التطورات الغربية تتطلق من موقف عدم التدخلات مع الاتجاهات الرومانية الأخيرة ، ليح ان وثائق المؤتمر قد أكدت انه لا يمكن أن « يقوم بركز واحد بالتسابق بين الحركة الشيوعية الدولية » و « ان رومانيا ستبذل كل جهدها لقوم « طراز جديد من العلاقات داخل الحركة الشيوعية الدولية » ، ناقهم في الغرب قد رجوها لفكرة أن رومانيا ستواصل الانضمام السوفيتي ومعاهدته . بل وهاجموا الاعداء التي طرحها المؤتمر ، وقالوا انها طموحة بدرجة تؤكد ان القيمة الحديدية للنظام ستزداد ضعفا لتخلفها ، وان الانفاق على الاستهلاك الخاص والعام بتناقص توفير لصالح زيادة».

أما المعسكر الاشتراكي فقد أشاد كثيرا بالمؤتمر الروماني ، وأرسل الاتحاد السوفيتي وفدا على مستوى عال ، بقيادة كيريلنكو عضو المكتب السياسي ، نقلت له الحكومة الرومانية برنليف حاملا بالزيارات استقبل فيه بحفاوة وترحاب فائقين .

وفي العالم الثالث ، شاركت وفود حركات التحرر الوطني والاجتماعي في المؤتمر . ومن بحر المشرك وفد الاتحاد الاشتراكي برئاسة الدكتور حافظ شاهم الامين الاول للجنة المركزية. والواقع أن تقرير شاوشيسكو للمؤتمر « أعد مكانة بارزة لقضية الشرق الاوسط » كما فيها : ان الخطر ما يزال قائما ، وأن العرب محتلة الوقوع» والطريق الوحيد الى تلافي ذلك هو انسحاب اسرائيل من كل الأراضي المحتلة ، والاعتراف بالحقوق التوسيعية المشروعة للشعب فلسطين ، خاصة فيما يتعلق بالقضية الدولة المستقلة .

والجدير بالذكر أن حزب العمل الاسرائيلي قد رفض الاشتراك في المؤتمر رغم دعوته ، لتحفظاته على موقف الحكومة الرومانية من مشكلة الشرق الاوسط . وقد حضر المؤتمر ٣٩٩ وفدا من ١٠٢ بلدا . فيا عدد المندوبين فهو ٢٤٥٠ مندوبا تاضعوا نضعاف عدد المؤتمر منذ مؤتمره العاشر ، ومشروع برنامج الحزب وتوجيهات الخطة الخمسية ١٩٨١/٧٦ ، والاتجاهات الرئيسية لتطور حتى عام ١٩٩٠ ، وتعديل اللائحة وانتخاب الهيئات القيادية. وفي هذا غير المؤتمر الثاء مجلس الرئاسة في الحزب ، وتكوين مكتب دائم من سكرتيري الحزب وعدد من الوزراء لتدعيم العلاقة بين الحزب والحكومة .

وقد أبرز تقرير شاوشيسكو ، الذي هز ميزان القوى الدولية لصالح الاشتراكية والسلام والتقدم الاجتماعي ، وركز على تدعيم التعاون مع البلاد الاشتراكية وعلى العالم الثالث ، والاهمية الخاصة للتعاون الاوروبي .

ولاحظ المجتمع الاشتراكي المتطور من محطف الوجوه» حدد المؤتمر أهدافا يتعين تحقيقها لضمان :

● النمو المتعاظم في ذروى الانتاج على أساس مكتسبات الثورة التكنيكيه العلميه ، بما يكفل زيادة مستمرة في انتاج الخيرات المادية وتلبيه الاحتياجات الاستهلاكية بصورة متزايدة .

● التخطيط الادارى والاقتصادى لاراضى البلاد ، وتوزيع قوى الانتاج بما يكفل التطوير المناسب لجميع مناطقها ورفع المستوى الحضارى المادى للشعب كله .

● التنمية المتناسقة والموازية لجميع فروع الاقتصاد ، وضمان علاقة سليمة بين الصناعة والزراعة .

● التطوير المستمر واعطاء الاولوية للصناعة الاشتراكية وتوجيهها نحو الفروع الاصلية والتقنية ذات الكثافة العلمية .

● التطوير الكثيف للزراعة ـ الفرع الاساسى للاقتصاد الوطنى ـ بالميكنة والكيمياء والتكثيف الزراعى الحديث والاصلاح .

● تحقيق التطور الاقتصادى والاجتماعى على أساس خطة قومية واحدة .

● رفع الطابعة العمل الاجتماعى على أساس الميكنة واستخدام الاتوميشن فى عملية الانتاج ، كعامل جوهرى فى التطور العلم .

● التنمية المستمرة للكفاءة الاقتصادية وتخفيض التكاليف وتحسين الجودة ورفع المستوى التكنيكى . .

● تطوير التعليم وربطه بالانتاج والنشاط الفنانى والروحى .

● تنمية العلم وفقا لمتطلبات التقدم المادى والاجتماعى وتطوير البحث العلمى التطبيقى والتعاون العلمى والتكنيكى مع البلاد الاخرى .

● تحسين علاقة موازنة بين صندوق الاستهلاك وصندوق الانماء لتنمية الاقتصاد بأسرع بمعدلات عالية ، مع الزيادة المستمرة فى الرفاهية المادية والروحية للشعب ، وتحقيق توافق أكثر اكتمالا بين قوى الانتاج وعلاقات الانتاج ، والتحسين المستمر لعلاقات الانتاج وتطوير العمل الواعى لتنمية التناقضات .

● توسيع وتحسين النشاط السياسى والايديولوجى والتربوى لتكوين انسان جديد . انتهاج وتطبيق المبادىء الاشتراكية المرتبطة بالعمل والتحويش منه على نحو أفضل .

● منح اهتمام بمتزايد لتدعيم الاسرة ، ورفع نسبة المواليد ، ورعاية وتربية الاطفال .

● العمل على تحقيل مهيئة الفتاة على الفروق الجوهرية بين العمل الجسمانى والعمل الفكرى ، تصفية الفروق الجوهرية بين العمل فى الزراعة والعمل فى الصناعة بشكل أقوى .

● تطوير الديمقراطية الاشتراكية . وتوسيع وتحسين الاطار التنظيمى للاشتراك النشيط الفعال للشغيلة فى قيادة المجتمع ، وفى وضع وتطبيق السياسة الداخلية والخارجية للحزب والدولة .

● تحقيق التساوى بين مستوى تطور رومانيا ومستوى تطور البلاد الاشتراكية المتطورة والبلدان الصناعية المتطورة حتى عام ١٩٩٠ .

● توسيع وتطوير المبادلات والتعاون الاقتصادى مع البلدان الاشتراكية ومع البلدان النامية ، ومع شركاء بلدان العالم بصرف النظر عن نظمها الاجتماعية .

● التنمية المتزايدة للدخل القومى على أساس تطوير الانتاج المادى ورفع الفاعلية الاقتصادية وتدعيم قبضة الملكية الوطنية وتوجهها الاشتراكى فى الداخل والخارج .

والجدير بالذكر ان شليشينسكو ، طلب اسقاط الاقتراح الذى طرح بالتشابه رئيسا مدى الحياة .

● فرنسا ●

لقـاء « رامبوييه » لايقل أهمية عن « فلاديفوستك »

سبقت المباحثات التى بدأت فى ٤ ديسمبر الماضى بين سليمون بريجنيف سكرتير عام الحزب الشيوعى السوفياتى والرئيس الفرنسى فاليرى جيسكار ديستان ، ٧٠ الفسوون التجارية والسياسية بما جعل تباحث الزعيمان حول عقد مؤتمر جنيف [٣٥ دولة] كموتمر عام لأوربا ، ، ، وقد صرح سكرتير عام الحزب الشيوعى السوفياتى فى مؤتمر صحفى فى باريس بأن محادثات رامبوييه لا تقل أهمية عن مباحثات فلاديفوستك السابقة عليها بينه وبين الرئيس الامريكى جيرالد فورد .

وقد أعرب بريجنيف خلال زيارته عن اعتقاده بأن العالم ما زال يواجه مواقف خطيرة خاصة فى الشرق الاوسط ، واشار الى رغبة بلاده فى حل المشكلة على أسس سلمية ، ، وقد أضاف رامبلين المتحدث السوفيتى الرسمى بأن لاحتمالات حرب خامسة قائمة فى الشرق الاوسط .

وقد سبقت مباحثات بريجنيف ــ ديستان بالاضافة الى بشكلة الشرق الاوسط ، عدة مشاكل أخرى ورد تفصيل لها فى البيان المشترك من الزيارة الصادر فى ٧ ديسمبر لكنت فيه الموقفان على أهمية قيام سلام دائم وعادل فى الشرق الاوسط ، ، وقد جاء فى هـذا البيان بخصوص الشرق الاوسط :

لاحظ الجانبان التقدم الذى تم احرازه بالنسبة الى وضع معنوى شعب فلسطين ووضعها موضع الاعتبار .. وهما مقتنعان على أن هذه الحقوق يجب ضمانها على أساس تنفيذ قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالموضوع .. هـذا مع احترام الواجب لحق جميع الدول فى المنطقة فى الوجود الآمن المستقل .. هذا ولا يمكن اقرار تسوية عادلة ودائمة بدون انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الاراضى العربية التى احتلت عام ١٩٦٧ .. على أن يستكمله مؤتمر جنيف عمله فى أقرب وقت مناسب ، ،

أما المشاكل الاخرى التى تم بحثها فأهمها :

أ ــ بشكلة قبرص .. التى أتفق الطرفان على أن حلها يتم عن طريق المفاوضات وعلى أساس الاحترام الكامل لاستقلال وسيادة جمهورية قبرص .. وطالبا بالانسحاب السريع للقوات الاجنبية من الاراضى القبرصية ورعاية اللاجئين القبارصة .

ب ــ بشكلة قبرص .. وجنوب شرق آسيا .. التى دعيا بشأنها الى ضرورة الالتزام باتفاقية باريس وتأييد خطوات للسلام والوحدة الوطنية فى لاوس .. بالاضافة الى مساندة الطرفان الشعب الكمبودى فى مطالبه بالاستقلال وتقديره بالتدخل الاجنبى .

وقد كان من أهم نتائج هذه الزيارة أن وقع ليونيدبريجنيف فى ٦ ديسمبر اتفاقية من ثمانية مواد للتعاون الاقتصادى ، ، سيسرى مفعولها لمدة ٥ سنوات من ١٩٧٥ ، ١٩٧٩ ، كما وقع وزيرى التجارة الخارجية للبلدين بروتوكول البرنامج العشرى لتعميق التعاون الاقتصادى والصناعى .

وردغا للاتفاقات السابق ذكرها .. سيقوم الاتحـاد السوفياتى بمد فرنسا بـ ٢٥٠٠ مليون متر مكعب من الغاز وقد صاحب توقيع الاتفاقات .. لقاء بريجنيف مع جورج مارشيه سكرتير عام الحزب الشيوعى الفرنسى أيضا .

وقد اشتملت اتفاقية التعاون الاقتصادى .. على رغبة كلا الطرفين فى دعم التعاون على أساس المساواة والثقة المتبادلة .. وطالبا بسرعة تنفيذ برنامج تعميق التعاون لفترة عشر سنوات .. ذلك البرنامج المعقود فى ١٠ يوليو ١٩٧٣ .. هذا وقد أكدا على أهمية الروح الاقتصادية أولا ثم ذلك المبادرات الفردية والجماعية للنهوض بالاعمال الاخرى .. وجدير بالذكر انه سيتعامل الطرفان من منطق الدولة الاولى بالرعاية .. وسيتبعث فيما بعد مبادئ البلدين ليواصلا الاجتماعات التى بدأت فى ١٠يوليو ١٩٧٣ ، من أجل تحقيق الصيغ الملائمة للتعاون بين البلدين .

« ووترجيـت » طوكيـو

المعجزة اليابانيـة تصـاب بسـكتة قلبيـة

أعمال لامع ، ، أصبحت خلفه الان « بقصيلب الاتنود » وهو فى اليابان رمز للفساد والرشوة واستغلال السلطة السياسية لاغراض شخصية .

صحيح أن تاناكا اعترف بأن تصرفاته وان كانت لاتشكل خروجا على القانون ، الا أنها يمكن أن تحتبر برغم ذلك ، غير أخلاقية ، ، لانه كان يشترى أراضى وأسمة

ومهملة ثم يبيعها الى الدولة بأسعار خيالية ويعقـــد الصفقات المالية المشبوهة بأسماء مستعارة ، ويحول الى خزينته الخاصة الاموال الواردة الى صندوق حزبه «الحر الديمقراطى » ، ولكن مثل هذه التصرفات تعتبر تقليـدا ثابتا أو شبه ثابت فى حياة أى مليونير يابانى حاكم مثل تاناكا ، فما هو السبب فى فتح ملف « ووترجيت » اليابان فى هذا التوقيت بالذات ؟ .

المؤكد أن ٢٨ شهرا لا تستطيع أن تحدث انقلابا فى الحياة البشرية على هذا النحو من « المعجزة » الى « العفن » ، ولذا فان التحول « الاخلاقى » فى شخصية تاناكا خلال هذه الشهور ، لا يصلح مقياسا كافيا للحكم على أسباب الاطاحة به .

الواقع أن استبدال تاناكا ، بتاكيوميكى يرجـع الى التكتيك التقليدى الذى تلجأ اليـه الطبقات الرأسمالية والاحتكارية الحاكمة عندما تشتد أزماتها ، وذلك باللجوء الى استبدال الوجوه القديمة بوجوه جديدة دون تغيير جوهرى وذلك هو السبب الاساسى فى الاطاحة بتاناكا وتولى ميكى .

فنفقات المعيشة فى اليابان ترتفع بمعدل لم يسبق له مثيل ، وأزمة الطاقة حادة جدا ، كما اجتاح البلاد تضخم مالى أثر تأثيرا سيئا على نشاطها الاقتصادى ، وبينما كانت اليابان تحقق معدل نمو اقتصادى يتراوح مابين ٩ و ١٠ سنويا فى المائة خلال العشرين عاما الاخيرة ، فانها لن تحقق هذا العام أية زيادة فى اجمالى الناتج القومى . الامر الذى أصاب « المعجزة اليابانية » « بسكتة قلبية » هذا العام .

كذلك فشلت حكومة تاناكا فى كبح ارتفاع الاسعار ، وبينما سجلت احتكارات تكرير البترول زيادة قـدرها ٦٢ ٪ فى الارباح ، كانت الارباح الحقيقية للشـعب العامل فى يناير ١٩٧٤ تقل بنسبة ١ر٤ ٪ وفى فبراير بنسبة ٩ر٥ ٪ عما كانت عليه فى الشهرين المماثلين من سنة ١٩٧٣ ، كما ارتفع عدد المتعطلين الى ٧٤٠ الف شخص وهو أعلى رقم منـذ عشر سنوات . وتدل التقديرات الخاصة بعام ١٩٧٤ على أنه سيصل الى ٩٠٠ الف ، كما لم يتمكن ايجاد حلول للمشكلات المتعلقة بالضمان الاجتماعى وأزمة الاسكان الحادة ، والتلوث .

وقد انعكست الازمة الاقتصادية مع اشتداد حـدة الصراع الاجتماعى والطبقى ، حيث اشترك ٥ر٦ مليون شخص فى الاضرابات العامة فى ١١ ابريل الماضى . وزادت الصعوبات الاقتصادية ، وعدم الاستقرار السياسى من شدة الانقسامات داخل الحزب الحاكم بين مجموعة تاناكا واوهيرا [وزير المالية] ، وبين مجموعـة تاكيوميكى نائب رئيس الوزراء الذى قاد المعارضة داخل الحزب ، يؤيده تاكيو فوكودا وزير المـالية السابق ، خاصة بعد أن أدت سياسة تاناكا الى فقدان الحزب ثمانية مقاعد فى مجلس الشيوخ فى انتخابات يوليـو ١٩٧٤ ، مما أدى الى فقدانه للاغلبية البرلمانية ، الامر الذى دفع الدوائر المحافظة ذات النفوذ فى الحزب الى قرار « التضحية » بتاناكا ، وتحميله مسئولية كـل فشل النظام .

وفى الوقت المناسب أيضـا تدخل « المـايسترو » الامريكى ، لرسم السياسة اليابانية المقبلة ، بعد أن تبين أن تاناكا أضحى « جوادا خاسرا » ، ففى الوقت الذى كان يجرى فيه الرئيس الامريكى « جيرالد فورد » محادثاته الرسمية مع تاناكا ، ويتبادل الاحاديث الودية مع الامبراطور « هيرو هيتو » اثناء زيارته لليابان ، كان « هنرى كيسنجر » وزير خارجيته يعقد اجتماعات « موازية » مع ايزاكوساتو رئيس الحكومة اليابانية السابقة ، حضرها اوهيرا وزير المالية ، وناكاسونى وزير التجارة الخارجية بهدف « تفريخ » حكومة يابانية جديدة ، وهكذا ظهرت الى الوجود الحكومة الجـديدة برئاسة تاكيو ميكى ، لتستبدل وجها مستهلكا بوجه نضر فى حديقة الرأسـمال الاحتكارى اليابانى .

وهكذا تظل هناك على الدوام ، وبحـكم ميكانيزم العمل الاقتصادى والسياسى فى كل مجتمع رأسمالى احتكارى ، « ووترجيت » احتياطية ، تستخدم فى الوقت المناسب لتغطية الاخفاق والفشل ، كلما أظهر النظـام الرأسمالى الاحتكارى عجزه الاقتصادى والسياسى .

■ رســالة اليــونان ■

بـدء « الحـــوار الســـاخن » بعـد « شـــهر عســل » قصـــير

أثينا : من حسن فؤاد

فى قطار الليل الذى ينطلق فى الساعة الثامنة من مساء كل يوم من أثينا متجها الى صوفيا .. كان أكثر من ٩٠ فى المائة من ركابه من الضباط والجنود اليونانيين ، ولم يكونوا متجهيـن الى مناطق الحدود اليونانية البلغارية كما يبدو لاول وهلة ،وانما كانت العربات التى يستقلونها تنفصل من القطار عند قرية «ستريمون» اليونانية القريبة جدا من حـدود بلغـاريا ، وتتجه شرقا الى « الجبهة » اليونانية التركية ؟ والى الجزر اليونانية الواقعة فى بحر ايجه حيث الحشود الحقيقية التى تتجمع منذ أزمة الخـلاف بيـن الدولتين حول التنقيب عن البترول فى قاع بحر ايجة ، والتى زاد معدل تجمعها بعد الغزو التركى لقبرص الذى بدأ يوم ٢٠ يوليو الماضى .

وجاء مكان جلوسى فى القطار بجانب ضابط شاب متقاعد بالجيش اليونانى ، كنت أنا متجها

الى صوفيا ، وكان هو متجها الى قريته الواقعة بالقرب من مدينة « سالونيكا » على الشـــاطىء الشرقى لليونان . وقال لى ذلك الضابط الشاب المتقاعد انه كان « فى الخدمة » عنـدما وقعت احداث قبرص، حيث كان فى ذلك الوقتواحدا من الضباط الذين يعملون فى الحامية اليونانية المتواجدة فى قبرص حسب ما تقضى به اتفاقيات لندن وزيوريخ . [كانت توجد ايضا فى قبرص حامية تركية بالاضافة الى القاعدتين البريطانيتين فى «اكروتيرى» و «ديكيليا» حيث أن هذه الدول الثلاث هى الضامنة لاستقلال قبرص حسب الاتفاقيات المذكورة] ، وشرح لى الضابط الشاب احداثمعارك الالتحام التى اشتركفيها ضد قوات الغزو التركى والتى اصيب خلالها برصاصة فى ظهره ، اضطر بعدها الى اجراءجراحة خطيرة فى مستشفى باثينا لاستئصال احدى كليتيه ،كما ذكر ان زوجته الامريكية أصيبت أيضا وهى جالسة فى مسكنها فى فاماجوستا باصابات فى ســاقيها ما زالت تعانى منها حتى الان . واغمض الضابط عينيه وكأنه يستعيد أحداث الماضى القريب وتصورت أنه سيتحدث عن المذابح التى ارتكبتها قـوات الغـزو التـركية ضـد القبارصة اليونانيين [الحرس الوطنى القبرصى اليـونانى ارتكب أيضا مذابح مماثلة ضد القبارصة الاتراك منذ بداية الانقلاب العسكرى ضد الرئيس مكاريوس] ... ولكنه بدلا من ذلك راح يتحدث عن« جنون» الحكومة العسكرية التى كانت قائمة فى أثينا والتى دبرت لانقلاب ١٥ يوليو واعطت بذلك ذريعة للتدخل العسكرى التركى فى قبرص الذى باركته حكومة الولايات المتحدة ووكالـة المخابرات المركزية الامريكية.»

وكان غريبا أن أسمع هذا الكلام من رجل عسكرى يونانى حارب فى ظل الدكتاتورية العسكرية ،وعاش فى الولايات المتحدة لمدة عشر سنوات.. وكنت قد سمعت مثل هذا الكلام مرارا من جانب المدنيين اليونانيين ، حيث الحنق العام على « حكومة الكولونيلات » أكثر عنفا من الحنق على الاتراك ...

ففى قلب اثيناكنت قدشهدت قبل ذلك بعدة أيام المظاهرة الكبرى التىنظمها طلبة «كلية الهندسة» فى الذكرى السنوية الاولى لانتفاضتهم المعروفة ضد الدكتاتورية العسكرية فى اليونان التى قتل فيها ٤٥ طالبا واصيب المئات بطلقات الرشاشات والدبابات يوم ١٦ نوفمبر ١٩٧٣ [اختار قسطنطين كارامانليس نفس هذا اليوم من عام ١٩٧٤ لاجراء الانتخابات العامة] ، وفى هذه المظاهرة التى اشترك فيها نحو مليون مواطن يونانى من كافة طوائف الشعب وليسمن الطلبة وحدهم .. كان الهتاف المشترك هو « لا . لن تنتكس الديموقراطية فى اليونان مرة اخرى » ، واتجهت المظاهرة فى النهاية الى مبنى السفارة الامريكية فى أثينا ، حيث ارتفع شعار «أخرجوا من بلادنا ايها العسكريون الامريكيون ، أخرجوا من بلادنا يارجال وكالة المخابرات المركزية » .

وفى الجلسة التى عقدها البرلمان اليونانى يوم ١٣ ديسمبر الماضى قبل الاقتراع بالثقة على وزارة كارامانليس ، وقعت مشـادة عاصفة بين كارامانليس وبين اندرياس باباندريو زعيم حزب الحركة الاشتراكية بسبب ما جاء فى البيـان السياسى للحكومة الـذى قراه كارامانليس فى البرلمان وقال فيه «ان اليونان تنتمى الى الغرب»، حيث أعلن بـاباندريو من فـوق منصة البرلمان : « اسمحوا لى ان اقول لا ، ان اليونان تنتمى الى اليـونانيين » . وعندما قاطعه كارامانليس محاولا التوضيح : « اننى لم أقل ان اليونان تنتمى الى الغربيين وانما قلت انها تنتمى الى الغرب » .. رد عليه باباندريو قائلا :«ان اليونان تنتمى الى الجانب الذى ترى فيه مصلحتها الوطنية » .

مثل هذا الحوار الساخن له دلالةخاصة ، فهو بمثابة مؤشر الى أن شهر العسل الذى أمضاه كارامانليس فى الحكم منذ عودته من باريس فى اواخر يوليو الماضى قد انتهى : وان عليه منذ تلك اللحظة أن يضع فى حسابه العناصر التقدمية ، التى كان يجمع بينه وبينها فى الماضى الكفاح المشترك ضدالدكتاتورية العسكرية ، أماالان وبعد سقوطالحكم العسكرى وعودة الديموقراطية، فقد ظهرت بجلاءالاتجاهات السياسية المختلفةولم يعد من السهل قمعها مرة أخـرى. واذا كان كارامانليس قد حصل على اغلبية كبيرة فـى الانتخابات الاخيرة [٢١٩ مقعدا فى البرلمان من ٣٠٠ مقعـــد] .. فـــان العنـــاصر التقدمية [الاشتراكيون والشيوعيون] حصلت على نسبة تزيد على ٨٠ فى المائة فى انتخابات اتحادات الجامعات التى جرت قبل اسبوع واحد من الانتخابات العامة . وهذه النسبةالاخيرة تمثل جيل الشباب من الناخبين الجدد الذين بلغواسن الانتخاب خلال السنوات العشر الماضية التـى حرمت خلالها البلاد من اى انتخابات حرة، وجرت خلالها عمليات قمع دموية لاى فكر تقدمى أو يسارى .

وقد كان هناك عاملان ساعدا كارامانليس فى الحصول على هذه الاغلبية البرلمانية الكبيرة :

■ نظام التمثيل النسبي المدعم المطبـق في اليونان . الذي يعطي للاحزاب الكبيرة مقاعد اكثر على حساب الاحزاب الصغيره . فقد حصل حزب كارامانليس الذي اطلق عليه «الحركة الديموقراطية الجديدة » على نسبة ٤٫٢٦ ٪ في المائة من مجموع الاصوات ، وهي نسبة اقل كثيرا من نسبة عدد المقاعد التي حصل عليها في البرلمان ، لان هناك اكثر من اربعين من الاحزاب الصغيرة دخلت الانتخابات ولم تحصل على اية مقاعد ، وانما اخذت منها المقاعد التي كان ينبغي ان تحصل عليها واعطيت الى الاحزاب الكبيرة بفضل نظام التمثيل النسبي المدعم .

■ ان المزارعين الذين يشكلون نسبة كبيرة من الشعب اليوناني تدصوتوا في غالبيتهم لصالح حزب كارامانليس من اجل شخص كارامانليس [الذي شاءت له الظروف ان يعود الى بلاده عودة الابطال بعد ١١ سنة قضاها بمحض اختياره في باريس] .وليس على اساس البرنامج السياسي لهذا الحزب . اما بعد ان القى كارامانليس البيان السياسي لحكومته امام البرلمان، فقد احتدم الجدل وارتفعت درجة حرارة النقاش حتى ان رجلا مثل **جورج مافروس»** الذي يترعم حزب«الاتحاد الوسط » قال خلال المناقشات البرلمانية الاخيرة : « **يتعين على اليونان ان تعمل من اجل السلام والتعاون في شبه جزيرة البلقان [التي تضم ايضا بلغاريا وبيوجوسلافيا] ، حيث انه ثبت ان عملية الاستقطاب التي ينطوي عليها نظام الاحلاف ليست في صالح اليونان وانها صالح اليونان هو الانفراج الدولي وتخفيف حدة التوتر الدولي** ».

وقد اشترك في هذه المناقشات ايضا ممثل الحزب الشيوعي اليوناني النائب « **هاريلاوس فلوراكيس** » الذي اشار الى انه للمرة الاولى بعد سنين طويلة من عدم الشرعية المفروضة من قبل السلطة والاضطهاد القاسي .. فان حزبه اصبح ممثلا تحت قبة البرلمان ومشتركا بطريقة مشروعة في المجالات الاجتماعية والسياسية .ولكنه اشار الى ان آلاف اليونانيين [الشيوعيين] لم يتمكنوا بعد من استعادة الجنسية التي حرمتهم منها عهود الطغيان الماضية وانه لم يسمح لهم بالعودة الى وطنهم وما زالوا يعيشون في الخارج [معظمهم في المجر وعدد من دول اوربا الشرقية الاخرى] .

لما تفكير رجل الشارع في اليونان فانه يتسلل على النحو التالي : مع التصليم بالحماقة الجنونية التي ارتكبتها الحكومة العسكرية السابقة بتدبيرها محاولة الانقلاب ضد الرئيس مكاريوس .. فقد كانت الولايات المتحدة تستطيع وقف الغزو التركي لقبرص ، ولكنها لم تفعل **لانها تعتبر قواعدها العسكرية في تركيا [اكثر من ٤٠ قاعدة] اهم من قواعدها في اليونان [سبع قواعد]** .

والبعض يذهبون الى القول بأن تركيا وافقت على منح مزارعيها من زراعة الافيون [الذي يهرب معظمه الى امريكا . وقد كانت هذه المشكلة محل خلاف بين الدولتين لفترة طويلة] اذا اطلقت الولايات المتحدة يد تركيا في غزو قبرص .. ويكاد يكون هناك اتفاق عام على ان وكالة المخابرات المركزية الامريكية ظلت تساند نظام القمع العسكري الذي حكم اليونان اكثر من سبع سنوات،وانها هي التي دعمت حكومة الكولونيلات الى التآمر على قلب الرئيس مكاريوس على امل ان ياتي خلف له يتبع سياسة ممالئة لحلف الاطلنطي بدلا من سياسة عدم الانحياز التي كان يتمسك بها مكاريوس . وعندما فشلت المؤامرة مالت الولايات المتحدة واجهزة مخابراتها الى جانب تركيا ، وبالتالي فهي تتحمل مسئولية المذلة التي تواجهها اليونان والالام التي يعانيها القبارصة اليونانيون حيث تقول الاحصاءات اليونانية ان ٢٠٠ الف منهم قد تركوا بيوتهم وتحولوا الى لاجئين .

وقد قال لي مسئول يوناني : « كان بوسع الولايات المتحدة ان توقف الغزو التركي بوسائل شتى منها ،مثلا توجيه تحذير شديد اللهجة الى حكومة انقرة وتحريك مدمرات الاسطول السادس الراسية في المياه اليونانية بحيث تشكل حائلا بين تركيا وقبرص ، ولكنها لم تفعل شيئا من ذلك .

وعندما عاد « **اندريأس باباندريو** » الى اثينا قادما من منفاه قال في أول خطاب هام له : « **ان الولايات المتحدة خططت لاغتصاب قبرص وتقسيمها وانزال المذلة باليونان، ولهذا يجب كسر قيود الاستعمار الامريكي** » .

ولم اجد يونانيا واحدا يتكلم عن قبرص دون ان يترنها بكلمة « الخيانة » ، وهو يقصد المعنى المزدوج للخيانة : خيانة الحكومة العسكرية لتعهدات اليونان بعدم التدخل في الشئون الداخلية لقبرص ، وخيانة الولايات المتحدة « لحليفتها » اليونان .

واخيرا وبعد مناقشات طويلة وتحت ضغط الراي العام اليوناني اعلن كارامانليس ان جميع القواعد العسكرية الاجنبية ستوضع تحت

السيطرة الوطنية لليونان وان تلك القواعد الاجنبية التى لا تساهم فى الدفاع القومى لليونان سوف تغلق ..

وقد جاء هذا الاجراء بعـد أن أعلن زعيـم المعارضة فى البرلمان :ظم يعد مفهوما كيف تمزل مساعدات من أراضى بلادنا خلف الاسوار ولايسمح حتى لوزير الدفاع بالدخول اليها » .

ورغم أن اليونان كانت قـد سحبت قـواتها المسلحة من القيادة العسكرية لحلف الاطلنطى منذ شهر اغسطس الماضى ، فانها لا تزال من الناحية السياسية عضوا فى الحلف ، وقد حضر وزير خارجيتها الاجتماع الوزارى للحلف الذى عقد فى منتصف شهر ديسمبر الماضى فى بروكسل، واجتمع مع وزير خارجية تركيا كما قام هنرى كيسنجر وزير الخارجية الامريكى بمحاولات للوساطة بين الدولتين ولكنها لم تحقق تقدما ملموسا .. وليس من المتوقع حدوث تقارب بين الدولتين فى المستقبل القريب نظرا لان العلاقات بينهما تصطدم دائما بصخرة صلبة هى مشكلة قبرص التى لا يبدو فى الامكان الوصول الى حل مريح لها ..

■ فان الاحساس العام بالاذلال بين الشعب اليونانى يجعل من الصعب على حكومة كرامانليس — رغم الاغلبية الكبيرة التى تتمتع بها فى البرلمان — تقديم اى تنازلات تتمثل فى تقسيم قبرص ، أو فى اقرار مشروعية التقسيم القائم بحكم الامر الواقع ، أو التوصل الى اى نوع من الفيدرالية تؤدى فى المستقبل الى التقسيم .. ومن جهة اخرى فان مثل هذه التنازلات قد تؤدى الى استثارة القوات المسلحة اليونانية التى مازالت حتى الان تضم « كوادر » تربت فى كنف الحكم العسكرى ، تحيـــن الفـــرص لاتهـام الحكومة «المدنية» بانها « باعت » قضية قبرص، لكى تتخذ من ذلك ذريعة للانقضاض على الحكم مرة أخرى بانقلاب عسكرى جديد .

ومثل هذا الانقلاب هو ما يريد كرامانليس تجنبه بكافة الوسائل، ولذلك فهو يشجع العناصر التقدمية — التى كانت اكثر طوائف الشعب معاناة من الدكتاتورية العسكرية — على التظاهر ورفع شعارات الديموقراطية والحرية ، لتعزيز التيار العام المعادى للحكم العسكرى ، ولاقناع « الكوادر » العسكرية بأن محاولة عودتها الى السلطة ستقابل بمقاومة شعبية شاملة . ولكن هذه العناصر التقدمية ذاتها تطالب باصلاحات جذرية ابعد مدى مما يفكر فيه كارامانليس ، وهو بحكم خلفيته السياسية لن يستجيب بسهولة لهذه المطالب،بل وربما أدى الامر فى النهاية الى صدام بينه وبين العناصر التقدمية تجعله يعيد القيود السياسية التى كان قد فرضها على « اليسار» خلال رئاسته السابقة للحكومة فى بداية الستينات .

وهنا يكمن الاختبار الحقيقى للديموقراطية فى اليونان . وهذا الاختبار الذى كان كارامانليس يدرك أنه سيواجهه يوما ما هو الذى دعاه الى التعجيل باجراء الانتخابات العامة لكى يضمن لنفسه — وهو فى أوج شعبيته — الاغلبية البرلمانية الكبيرة التى حصل عليها ..

■ وعلى الجانب الاخر فان الشعور العام فى حيث « الوجود العسكرى» التركى فى قبرص ، والاحساس بالتفوق العسكرى على اليونان من حيث « الوجود العسكرى التركى » فى قبرص ، والميزة الاستراتيجية للقرب الجغرافى بين قبرص والشواطىء التركية (بالمقارنة بالمسافة الطويلة بين قبرص والشواطىء اليونانية) ، فضلا عن أن القوات المسلحة التركية تزيد على ضعف القوات المسلحة اليونانية . واذا اضفنا الى ذلك أن تركيا ما تزال بلا حكومة مستقرة وأن القوات المسلحة هى التى تمسك بالسلطة الحقيقية هناك من وراء الستار ، وتستطيع اسقاط اية حكومة شرعيـة بمجرد اصدار انذار لها [كما حدث فى ١٢ ابريل ١٩٧١] فاننا ندرك مدى تشبث الجانب التركى «بالامر الواقع » الذى فرضه على قبرص من حيث اقتطاع الجزء الشمالى من الجزيرة الذى يمثل ٤٠فى المائة من مساحتها ويضم ٦٠فى المائة من ثرواتها الطبيعية ، كما يضم الميناء الوحيد العميق بالجزيرة وهو ميناء فاما جوستا — الذى يستوعب ٨٣ فى المائة من حركة التجارة فى قبرص .

ولا تزال اليونان تحشد قواتها على الجبهة التركية ، وهى تعلم مقدما انها لن تستطيع احراز انتصار سهل فى حالة نشوب حرب على هذه الجبهة . ولكن الامر المؤكد ان الجناح الشرقى لحلف الاطلنطى — الذى ظلت آمال العسكريين الغربيين معلقة عليه لفترة تزيد على ربع قرن — اصبح الان جناحا مهيضا ..

اليســـــار المصـــــرى والقضـــية الفلســـطينية

تقدم « الطليعة » فى هذا العدد مجموعة جديدة من وثائق اليسار المصرى والقضية الفلسطينية ، ولسنا بحاجة الى القول باهمية هذه الوثائق ، ولا الى ان نشرها يأتى فى وقته تماما ، حيث تصل القضية الفلسطينية الى قمة السطح من الفكر والممارسة العربية ، ومن هنا يكون فتح الدفاتر القديمة ليس مجرد محاولة لتسوية حسابات ، وانما تصبح فى الاساس سبيلا لاستخلاص الدروس .

ولقد حاول البعض منذ فترة ان يلوح بالتنديد بموقف اليسار المصرى تاريخيا من القضية الفلسطينية ، فكان رد اليسار هو هذه المحاولة التى قام بها د. رفعت السعيد لتجميع وتقديم وتقييم موقف اليسار المصرى من هذه القضية القومية الهامة .

وما ان بدا نشر هذه الوثائق حتى تهرب هذا البعض من اى نقاش جاد لمواقف اليسار تجاه هذا الموضوع ، ذلك انهم قد اعتادوا النقاش فى جو من الغيوم والتجهيل والكلمات المطاطة غير المحددة ، اما الوثائق .. التى تقدم الحقيقة دامغة ، صريحة ، متكاملة ، لا تحتمل اى تاويل فهذا مالا يقدر عليه هذا البعض .

ونواصل النشر وضعا للحقيقة فى نصابها الصحيح ، واستكمالا لخدمة تقدمها « الطليعة » لقرائها . وهى تعتقد انها خدمة هامة .. وتاتى فى وقتها تماما .

كلمة تاريخية عن مشكلة فلسطين

عبد الرحمن الناصر
من دار الأبحاث العلمية *

لقد كانت فلسطين جزءا من الامبراطورية العثمانية ، وكان شعبها الأبي لا يفتأ من القيام بالثورات مطالبا بحريته واستقلاله ، وقد استغل فرصة ضعف الاستعمار التركي وقيام الحرب العظمى ليهب ظافرا لحمل القلال فقد هذا الكيان الاستعماري الجاثم على أنفاسه المعرقل لتقدمه ، وثمرة ، الصالح لجميع حقوقه وحريته .

لقد هب الشعب الفلسطيني والدا للى أعداء الاستعمار التركي من بريطانيين وفرنسيين فتقدم لهم يد المعونة في حربهم أملا في أن يجد منهم العون في نكبته والمنقذ لنا من الآلام واستغل هؤلاء الاستعماريون هذه الفرصة والعهود الوعود العرب وراحوا يتوقعهم بالحرية والاستقلال .

لنرى أنه بينما كان الاستعمار الانجليزي ممثلا في السير هنري مك ماهون المندوب السامي في مصر يعقد اتفاقا مع الشريف حسين شريف مكة خاصا بأعراب بريطانيا باستقلال الدول العربية بل اعلانها عدم عقد أي صلح الا اذا كانت حرية الشعب العربي واستقلاله من السيادة التركية شرطا حيويا فيه ، في نفس هذا الوقت كانت هناك اتفاقية أخرى سرية تعقد بين الاستعمارين البريطاني والفرنسي تعرف باسم اتفاقية سايكس بيكو سنة ١٩١٦ لتقسيم البلاد العربية بينهما !! فلسطين والعراق من نصيب بريطانيا ، وسوريا ولبنان من نصيب فرنسا .

وهكذا ينذر الاستعمار وعوده باليمين ليسلبها ثانية بالشمال ، فير هابيء بمصالح الشعوب وغير مكترث بوعوده في تعطيله أن أبطأ وأن عاجلا بل الأدهى والأمر من ذلك أن يرشح الاستعمار لمستغل الصهيونيين والى تأييدها المالي ، ليعلن المسير بالمور تصريحه المشؤوم سنة ١٩١٧ الذي جاء فيه : « إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي واستخدام كافة الصعوبات لتحقيق هذا الهدف » .

وهكذا فقد الاستعمار أولا أساس له في قضية الشعب الفلسطيني ... هذا الاساس الذي لا زال يعتمد عليه الى الان في تثبيت اقدامه في فلسطين هذا الاساس هو « الصهيونية البغيضة» سلاح الاستعمار الفذر .

ولكن الاستعمار رجل شريف ، لايحب أن يخرق القوانين الدولية . بل يرى مراعاتها في جميع أعماله العدوانية لذلك نجده قد الف عصبة الأمم ، بل قل « عصبة الأمم » تحت قيادته يستعملها لتحقيق أغراضه وتثبيت مآربه تحت ستار القانون الدولي .

فتصلبه هذه العصبة هتك استعمار فلسطيني فتحت اسم « انتداب من قبل عصبة الأمم » لوضع مصطوى الشعب الفلسطيني ... !

نعم ... لقد رقمه ... وكيف لم يرقمه والاحصاءات الحكومية تثبت أن ٥٢ ٪ من السكان يعيشون بمعدل ٤ اشخاص في الغرفة الواحدة ، و ٢٥٪ من السكان في حالة هتك شديد حيث يسكن اكثر من أربع اشخاص في الغرفة الواحدة بينما في انجلترا نسبة الذين يعيشون بمعدل ٤ اشخاص في الغرفة الواحدة هي نصف هذه النسبة . بل لا زال العذل والسلاح يفتكان من استغلالين ، استغلال الاستعمار والصهيونية واستغلال صاحب الارض ، وصاحب المصنع ... كيف لم يرقم الاستعمار فلسطين الى مصاف الامم الراقية وهو يستعمل سلاح الصهيونية لاثارة الذكاء الخارقة والدهاية الخبيثة العنصرية .. بل لقد قوى الاستعمار الحركات الفاشية التي وجدت مرتعا خصبا لنموها ، ووجدت البذرة الصالحة لدعايتها كالمقربة بين العرب واليهود باسم الدين ، وتيار الارهاب والتسرع في طول البلاد وعرضها ... كل هذا ليهيء الاستعمار مسيطرا على البلاد ، مهيئا اقدامه فيها ، مستغلا قسميها ابشع استغلال .

ولكن العرب واليهود قد بدأ كلاهما من زمن ، بل أشد كلاهما هذ أنواع الفاشية في أوربا ، وصبيا أبا ثيل الحرية والاستقلال ، وأبا الفناء في سبيلهما .

وان يستطيع الاستعمار البقاء في فلسطين الا اذا أفنى شعبها من بكرة أبيه ..

ان فلسطين ـ والشعوب العربية من ورائها تشد أزرها ـ قد صممت تصميما نهائيا على النضض من الاستعمار والاستغلال والصهيونية ، وسيستمر كفاح الشعب الفلسطيني كفاحا مريرا حتى يقضي على كافة أنواع الاستغلال والاستعباد فضاء بريا لا رجعة فيه .

السيد رئيس تحرير مجلة الطليعة :

بعد التحية :

ترحب مجلة الطليعة في عدد نوفمبر ١٩٧٤ بنشر الكلمة التي كنت قد أعددتها عام ١٩٤٥ عن «فلسطين ومشاورات الاستعمار». ولسكن هناك معلومة أود اضافتها وهي : ان عددا من الجمعيات القائمة كانت دعاتقت على عاتقها تلك الدعوة في مقر دار البحاث ، وأعلنت عنها ، ولكن الحكومة أصدرت قرارا بمنع الدعوة ، وهندئذ قررنا ادمجها في الكلمات التي كانت مطلقي في كتيب لنسرته « دار القدس للطبرين » تحت عنوان « دفاع عن فلسطين » .

ولذلك ، فالحقيقة أن ذلك البحث لم يلق ، وعلى كل ، فبين الحادث نفسه بوضوح أن كانت الحكومة المصرية حينئذ من قضية فلسطين ، وأين كنا نحن ... وتقبلوا تحياتي وتقديري .

أحمد صادق سعد

* كانت دار الابحاث العلمية أهدافها المعلنة لنظمة « الشرارة » (ايسكرا) وقد اعقبت هذه الدار بتنظيم ندوة لدراسة القضية الفلسطينية من مختلف جوانبها ، وقد دعى الى هذه الندوة ممثلو مختلف التجمعات اليسارية والماركسية في ذلك الحين .

الطليعة

ملحق الأدب والفن

- تعليقات حول أزمة الثقافة المصرية
- صرخة الواقعية الجديدة
- شهادة مخرج مسرحي راحل

[redacted] فى هـذا العـدد :

لويس عوض : ستون عاما فى خدمة المسرح

- تعليقات حول أزمة الثقافة المصرية
- الأدب والفن فى شهر :

ـــ الالتزام وصدى التعبير فى معرض عز الدين نجيب
ـــ صرخة الوادعية الجديدة
ـــ شهادة مخرج مسرحى راحل
ـــ حوار حول السينما المصرية
والسينما الأمريكيـــة
ـــ دفاع عن الحقيقة .. لا عن صلاح عبد الصبور

لويس عوض

ستون عاما فى خدمة الثقافة

فى يناير من هذا العام يكمل الدكتور لويس عوض ستين عاما .

بدات رحلة حياته فى المنيا ذات يوم من يناير ١٩١٥ ، وبعد اتمام دراسته فى المنيا الثانوية وكلية الاداب سافر الى كامبردج حيث حصل على الدكتوراه فى ادب اللغة الانجليزية (وكان موضوع بحثه : اسطورة بروميثيوس فى الادبين الانجليزى والفرنسى) ، ومنذ عودته من كامبردج فى ١٩٤٠ وهو « معلم » بالمعنى الواسع للكلمة : محاضرا فى الجامعه ، وكاتبا يتصدى لمناقشة قضايا الثقافة والادب ، ومترجما للكلاسيكيات والادب الحديث ، وناثرا فلا وارفا على الحياة الثقافية والفكرية خلال الاربعينيات والخمسينيات وما تلاها .

ورغم أن لويس عوض قد ابعد عن الجامعة منذ عشرين عاما الا ان اهتمامه بقضايا الجامعة والتعليم لم ينقطع . بل ظل موصولا ، وظلت كتاباته تترى حتى بلغت اعماله اكثر من اربعين كتابا بين مؤلف ومترجم ، وشملت دائرة اهتمامه مدى واسعا : من الادب الكلاسيكى الى الادب المصرى والعالمى المعاصرين . ومن تاريخ الفكر المصرى الى قضايا التراث العربى ، ومن شئون الجامعة الى قضايا التعليم .. الخ .

ولم يقتصر لويس عوض على الكتابة النقدية والفكرية والترجمة ، بل جرب الابداع ايضا ، فكتب الشعر والرواية والمسرحية ، وحاول السيرة الذاتية .

وفى كل ما كتب لويس عوض كان دائما عن الحرية ، « ويمكننا ان نقول على وجه العموم انه كان ـ فى المجتمع ـ اصلاحيا راديكاليا ، وفى الفكر مثاليا موضوعيا ، وفى السياسة ديموقراطيا ثوريا ، وفى الفن والادب رومانسيا ثوريا » .

وفى كل ماكتب لويس عوض كان عاشقا لمصر ، يراها فكره دائمة متجددة عبر كل مراحل تاريخها ، جوهرها يضمن لها الدوام والتجدد والبقاء .

وفى كل ما كتب لويس عوض كان حليفا للتقدم ، حاملا لواء التنوير والحرية ، مبشرا بالجديد والاصيل .

وفيما يلى تقدم « الطليعة » هوامش صغيرة على متنه الكبير ، تحية لـه ، وتقديرا لمطلقه .

« الطليعة »

لويس عوض :

الفـكر الديمقـراطى والأدبى :

بروميثيـوس مصريا

د٠ عبد المنعم تليمة

وربما كان لويس عوض آخر [لهول] المفكر البورجوازى المصرى ، ولقد نشط هذا المفكر منذ الاربعينيات المبكرة ، وكان الموقف النقدى فى بصر قد انتهى الى تمثيل نموذجى لازمة البورجوازية المصرية كان الاساس الفلوفى الاجتماعى لمصر ـ ملامحات شبه اقطاعية شبه راسمالية ـ يدعى الى ان يجسر فكسر البورجوازية الليبرالى ، وينجوبسا الحلالى ـ على الرغم من تبلغلها للاتجاه العلم فى الفكر المصرى الحديث ـ عن الاقتراب على الصور الثقافية والمفاهيم الفكرية التقليدية الموروثة عن العلاقات الاقطاعية ـ بل ان ازمة البورجوازية المصرية تجسدت ـ فى ظل تعقد الصراع الوطنى والطبقى ـ فكرها الليبرالى وتموذجها الحلالى ، بتنجهان الى أشكال صورية بدأت تفقد حدة الطبقة ـ ثقافيا ـ ملامحها المتميزة ، فتجرف مفهوما الى واحد من اثنين : لجاهليق منهم الى الاجتماعيات الاقطاعية الغربية المادية للعلم والتقدم ، ولجأ فريق آخر الى التراث يواريق منه التيم المتعتبة ، ويبرز الجوانب التى اتخذتها عصور الخمول الفكرى ، ويضيع المفاهيم الغيبية والتقديرية المتخلفة ، فى حذا الموقف النقدى كان المثقفون الوطنيون بين مسيلين : سبيل التغسيب بالجانب الاورى من تراث البورجوازية المصرية ، وهو الجانب الذى أصله الرواد الاسلاحيون والفراديكاليون منذ اول النهضة ، مع الاعتداد بالمالوسات الاجتماعية الجديدة ، ومسبيل البحيل التاريخى للبورجوازية ، وهو الطبقة العاملة المصرية ، التى اخذت فى النضج واخذت خلاصها المعقدة والمتفاعلة فى البروز والتاثير ، مع الاعتداد بدور هذه الطبقة العاملة فى انجاز مهام ثورة مصر البورجوازية الوطنية . وكان لويس عوض من اصحاب السبيل الاول ، حاول ان يقبل جانبه من مفردها ، وان يعيد لهما مخرجا ، واستعمل عليه ـ فكريا ـ اريجد اداة منهجية ناجحة فى علم الكلام الجديد الذى اصله الاعجليون فى اول النهضة اصله التجديدين بين الحربين ، انما ولا فى طريق الارسطية والديكارتية الذى وجد الاداة المنهجية فى المقالية الموضوعية الهيجلية ـ اخذ لويس عوض ـ فى التاريخ والمجتمع والفكر والفن ـ يرافى تطسور منهجى للفكر الشكلى البرجسوازى ، ويسايس هذا التطور من ثورة راديكالية كبرى بثت فى الانظمة البورجوازية بمشابق اجتماعية واقتصادية اصلاحية ، ووجهت الفكر السياسى البورجوازى الثورى وجهة الحريات الديمقراطية [النسبية] و [التقريب] بين الطبقات فى فرص الحياة وفق برنامج اجتماعى واضح ، ينهج لويس عوض آخر مثالى ، وليس علميا ، ولذا فانه عندما تمثيل اسلم صور فكر البورجوازية المصرية للجماهير وامام تعقد المسالة الوطنية ، لم يتوجه الا الى مثال بورجوازى ، وان يكن [جديدا] ليتوفى به مثالا بورجوازيا اخذ فى الاقول ـ لقد طبع هذا المفكر المصرى ـ اجتماعيا ـ الى أكثر معالم مجتمع بورجوازى [تقنى] ينهض على [عقد اجتماعى] بين الطبقات ، وعلى اقتصاد مخطط ، وعلى [مصالحة] بين البورجوازية والطبقة العاملة ، فاغترب بهذا عن [الاكتاتيرز] الفرنسيين فى القرن الماضى الذين رأوا للطبقة العاملة ان تفاضل من اجل [المكن] ، وطبع لويس عوض ـ فكريا ـ الى طبسيس التفاؤل على العمل ، واكد عطية الانسان وصدر من نظرة عقلانية تقدمية ، ووقق فسد المفاهيم والصسورات التطبيعية واللاهوتية واللامعقلية والغيبية ، وطبع ـ سياسيا ـ الى ليبرالية [جديدة] تعى [صورية] الديمقراطية فى الليبرالية التقليدية ، و [خفف] فيها اشكال التدبر السياسى والاجتماعى ، ووقف ضد هذه الاوليجاركية الاقطاعية والراسمالية الكبيرة البرادورية ، كما وقف ضد الحكم المطلق ، وطبح ـ فنيا واديبا ـ الى حس اخلاقى بطولى ، يكشف عن التمسن وعيه بالحياة ، وفرحته بها ، وجهاده الدائب فى سبيل تفتح امكاناته وذلك تبعده ، ولقد ساع لويس عوض هذه الطموحات فى كتاباته الفكرية والابداعيسة والنقدية ، فسكان ـ فى المجتمع ـ اصلاحيا راديكاليا ، وكان ـ فى الفكر ـ مثاليا موضوعيا ، وكان ـ فى السياسة ـ ديمقراطيا ثوريا ، وكان ـ فى الفن والادب ـ رومانسيا ثوريا ، ان دور لويس عوض فى تقافتنا الوطنية انما يتحدد بانه فى أزمة البورجوازية المصرية ، اجتماعيا وثقافيا ، وفى آخر مراحلها تاريخيا ، قد شبرنا بالجانب التقدمى من فكرها ، وحاول بواصلة اجهد بما انجزه مفكروها الديمقراطيون ، فكان واحدا من ابرز معطيى هذه الطبقة ، وربما كان آخرهم على الاطلاق .

النار المقدسة

ابدا الاستاذ ـ فى فكر لويس عوض ـ وهو : الحرية . وفضال المجتمعات فى سجل هذا الجزء انها بتحدد بتاريخ [الفكر] فى هذه المجتمعات وارقى صورة للفكر تجسد الحرية انما تتبدى فى الفن . وعلى الرغم من ان لويس عوض قد تأثر ، بجانب المنهج الهيجلى بالجاليات الكلاسيكية والجالية التاريخية ـ خاصة فى كتاباته فى الاربعينات ـ الا انه اعتبر فى نظرته التاريخية للحرية من الجانب (المعنوى) فى تراث هيجل ومدرسة الجالبين ، لجعل الفكرة المطلقة موجهة للخبرة الاجتماعية ،

وكاد يقف بالنضال الديمقراطي للشعوب عند المحتوى البرجوازي للحرية . أي انه كاد يعزل الحرية — على الرغم مما يتضمنه فكره من اثار منهجية مادية — عن التطور التاريخي للطبقات الاجتماعية او كاد يقف بمفهوم الحرية عند التراث البورجوازي المتقدم ، ولم يتجاوز ذلك الى أرقى مستويات الحرية التي يحققها المجتمع اللاطبقي . لقد ادى هذا النظر بمفكرنا المصري الكبير الى ان يكون مفكرا بورجوازيا [نموذجيا] . ولذلك اصبح محور كتاباته الثورات الغربية البورجوازية والثورة المصرية البورجوازية . واذا كان هيجل قد انتهى الى ان الدولة الالمانية [البروسية] البورجوازية هي التعبير الكامل عن [الروح المطلق] كما انها منتهى التطور التاريخي الانساني ، فان مفكرنا المصري الهيجلي كاد ينتهي — في بحثه عن مخرج فكري للبورجوازية المصرية — الى تصور مثالي للحرية والديمقراطية ينتهي الى التفاؤل باصلاح الكيان البورجوازي المصري ، ولا يلمح مابعد الثورة الوطنية البورجوازية المصرية من آفاق .

القوة المطلقة خطيئة

**عاش لويس عوض طويلا في مناخ الثورات البورجوازية الاوربية والامريكية، في عصور فتوتها الاولى ونضجها وصعودها، وحلل اسسها المادية وصور تعبيرها السياسي والفكري والفني ، واخذ بديمقراطياتها وحرياتها السياسية ومناهجها الاجتماعية ، واستلهم بخاصة الجوانب الاصلاحية والراديكالية في ثقافاتها ، وظل الى حد بعيد يلتزم قيمها ومثلها العليا . اول ماشده في هذه الثورات هو نضال تلك البورجوازيات — في مراحلها الاولى — ديمقراطيا وانتزاعها لمواثيق محورها الاول الحريات الشخصية والعامة : شدت عينيه بقوة مواثيق الثورة الانجليزية ، منذ الميثاق الاعظم [الماجناكرتا] سنة ١٢١٦ م ، الى [الثورة البيوريتانية] التي ايدتها [الثورة المجيدة] او الثورة غير الدامية سنة ١٦٨٨ م وانتزعت للشعب الانجليزي [قانون الحقوق الذي اصل مسئولية البرلمان وانهى الحق الالهي في الحكم المطلق ، وانتهاء بـ [قانون الاصلاح العظيم] سنة ١٨٣٢ م الذي حصل به ابناء البورجوازية الانجليزية على حق الانتخاب . وشد عينيه ميثاق الثورة الوطنية الديمقراطية الامريكية سنة ١٧٧٦ م وهي الثورة التي خلصت المستعمرات الامريكية من الاستعمار الانجليزي . وشد عينيه ميثاق حقوق الانسان الذي اعلنته الثورة البورجوازية الفرنسية سنة ١٧٨٩ م . اكمل العصور — لديه — هو عصر الثورة البورجوازية في مرحلة صعودها ، اي القرن الثامن عشر والثلث الاول من القرن التاسع عشر ، عصر هيجل [١٨٣١ م] ذروة الفكر المثالي البورجوازي التقدمي ، وعصر الديمقراطية الثورية في السياسة ، وعصر الرومانسية الثورية في الفن . وحاول لويس عوض — متوسلا بالتاريخية الهيجلية وبآثار من المادية التاريخية — ان يرد هذه الثورات الى اساسها المادي ، فتنبه الى ان هذا الاساس انما يرجع الى تحول جديد في اقتصاديات العالم وبدء استنباط وسائل جديدة للانتاج ، اي الى التحول من اقتصاديات الزراعة الى اقتصاديات الصناعة ، ونهوض البورجوازية ونظامها على انقاض الاقطاعية ونظامها . كذلك تنبه الى صورة التعبير السياسي لهذا التحول ، وهو التعبير الذي مثلته تلك المواثيق الفقهية والدستورية التي اصلت الفكرة الديمقراطية ، وذهبت الى ان الحكومات لاتحكم الشعوب بحق مقدس يأتيها من السماء وانما بتوكيل من افراد الامة مصدر السلطات والمرجع الاخير في كل شيء ، وكفلت التصويت العام وقننت لحقوق الانسان .»

> **«كانت هذه اذن رسالة العقاد الجديدة بعد ان ودع كفاحه في سبيل الديموقراطية الليبرالية عام ١٩٣٦ : ان يشنها حربا عوانا على كل المذاهب التي تهدر حرية الانسان او تذيب الفرد في الجماعة ايا كانت بطاقتها الفكرية ، مثالية كانت ام مادية ، دينية كانت ام دنيوية . ولكي يفعل ذلك انضوى تحت الجناح الجامد من قوى الوسط المحافظ في المجتمع المصري يقاتل تحت لوائه لانقاذ الفرد من طوفان الجماعة .. » .**
>
> **« دراسات عربية وغربية ، ١٩٦٥ ، ص ٣٢ » .**

وسعى لويس عوض — وهذا صلب عمله — الى بيان صورة التعبير الفني عن تلك الثورات البورجوازية ، مأخذ بتاريخية الظاهرة الفنية ، وتبنى نتيجة هذه التاريخية القائلة بأن الرومانسية هي التعبير الفني عن البورجوازية ، وبأن ماهو ثوري في نظام هذه الطبقة وقيمها ومثلها الاعلى ، انما يجد صورة التعبير عنه في الرومانسية الثورية التي تعتد بالوجود الاصيل للفردية ، وتخلق النماذج الانسانية التي تثبت مكان الانسان ، وتبرز حضوره في وجه قوانين القهر : « ... التيار الاصلي في الحركة الرومانسية هو روح الفردية لا اكثر ولا أقل . أن فصل الحركة الرومانسية عن سياقها التاريخي خطأ عظيم يتورط فيه بعض المؤرخين والنقاد . وهو خطأ لانه يركز اهتمامنا على المظاهر الجزئية في الحركة دون طبيعتها العامة . الحركة الرومانسية ليست حركة قوطية . الحركة الرومانسية ليست حركة قوطية . الحركة الطبيعة . الحركة الرومانسية ليست حركة عاصفة واندفاع . الحركة الرومانسية ليست حركة يونانية . الحركة الرومانسية ليست حركة جمهورية . الحركة الرومانسية هي التعبير الادبي عن الحركة البورجوازية . والرومانسية هي روح الفردية . كل ماعدا ذلك تفاصيل لاعلاقة لها بالجوهر ... » . ويصدر لويس عوض عن ان الفن اقوى صورة لتجسيد الروح المطلق ، وان الحرية ارقى غايات تطور هذا الروح ، وان الحس الاخلاقي البطولي انبل غايات الفن . ويجد لويس عوض في الشاعر الانجليزي [شيلي] رفيقا حميما ، وخارقة من خوارق الفن والاخلاق والديمقراطية والحرية . كلاهما — الشاعر الانجليزي والمفكر المصري — رومانسي ملتهب ، يجمع طعام الخيال من كهوف غريبة . وكلاهما جمهوري النزعة يتجلى فيه الروح الديمقراطي ، ويحدوه نزوع رفيع الى الحرية . وكلاهما يعتد بالفن اداة من ادوات التعبير الفلسفي والاصلاح الاجتماعي والتثقيف الخلقي . وكلاهما كاهن في معبد الانسان ، يحمل على كتفيه اوزار البشر ، ويحمل بين جوانحه شهوة لاصلاح العالم . وكلاهما قد وجد في [بروميثيوس] نموذجا كاملا للثورة والتضحية والفداء في سبيل الحرية ، فلقي منهما حفاوة مجيدة . كتب شيلي عمله الشعري الكبير [بروميثيوس طليقا] ،

وكتب لويس عوض دراسه الكتابيسة [اسطورة بروميثيوس في الادبين الانجليزي والفرنسي] ، وتمثل لويس عوض مدرسية شيلي الى العربية مقدما لها بدراسة مطولة كانت من اعمق كتاباته في الاربعينات ..

كان بروميثيوس التديم — في الاسطورة اليونانية وفي مسرحية ايسخولوس — [مثلوثا] ، كانوا الهة ثاروا على طغيان جوبتر الذي تصبح نفسه هكذا مطلقا واخضع سائر الالهة لسلطانه واذلهم بالبأس الشديد ملاحظات ملاحقات ، وكان بروميثيوس صديقا للبشر يتعاطف معهم على طغيان جوبتر الا ولقد سرق لهم النار المقدسة ، ثار لحريتهم ، وابدعهم بالعلم والفن ، فكانوا جزاؤه ان صلبه جوبتر على قمة عالية مسحوقة بجبال القوقاز ، واطلق عليه النسور تهش جلده ، وكلما طلع الصباح كساه جلدا جديدا لتعذبه به النسور ، وتعذبت عناصر الطبيعة لعذابه كما سبحت بوح مولده ، رأى شيللي في [بروميثيوس] امثلة للثائرين على الطغيان ورمزا لفكرة الحرية ، ومقصده الاسمى ناشدا فيه هدفا الى تحرير الانسان الحديث من اغلاله ، والكشف عن ان جوهر وجوده هو الحرية ، لقد كشفت الرياح الصحاب عن عيني بروميثيوس ، فاستعرض صور التاريخ ومشاهد الحياة، ورأى الشعب يناضل في سبيل الحرية والاخاء والمساواة أيام البابليل ، ورأى صور القهر المهددة لمبادىء الحرية البروميثية التي استشهد فيها كليوون من معظم النار المقدسة ، لقد توثبت دولة الحكم المطلق ، وتوهمت دولة جوبتر الناشئة ، واطلق بروميثيوس رمزا للحرية ، ان الدولة المطلقة خطيئة ، هذا هو مغزى ثورة بروميثيوس ، وموقف شيلي ، كيف يلمس المفكر المصري لويس عوض هذا المؤلف ويلك المعزى ؟ ان تفسيره لايخرج عن المنهج الروحي البوجلي ، فهناك هذا التفسير يدور حول الصراع من اجل الحرية ، كقيمة مطلقة ، بين الشر المطلق والشر المطلق : الشر هو القوة الكبرى في هذا الوجود ، ولقد اخطأ بروميثيوس حين خايله انه واهمته قوته يوم شده جوبتر على شفا الصخرة العالية ، فلعن بجوبتر الالهة لعنة جبارة كانت ان تتحطم لها الاكوان ، ولقد ندم على ذلك [بعد ان صال الالم نفسه واصابه الحكمة من شقائه] — ان بروميثيوس لن يقهر جوبتر بالعنصيه والتطرفة ، فجوبتر ان يستطيع ان يجاريه ابدا ، انما يقهره اذا استطاع ان يكون اقرب منه الى فكرة الخير ، فما من سلاح على الارض وفي السماء لايملكه جوبتر الا سلاح الخير ، والخير سلاح ثمار ، بل الخير هو السلاح الوحيد الذي تستطيع ان ترد به قوة الشر ، ان اخص صفات الاله المسعيد الحقد والانتقام، فاذا كان بروميثيوس ان يقهر جوبتر فليتعلم الحب ، وليتضح فليه للمقهورين .

ان ثورة بروميثيوس — في هذا التفسير — ثورة سياسية : سياسية في اهدافها نقط ، وليست سياسية في وسائلها . هل هي في ثورة اخلاقية في وسائلها ، بل هي اقرب الى المصطلحات الماركسي منها الى الثورة ، هي اقرب الى المذاهب الفكرية منها الى المذاهب الماركسي ، هي اشبه بالمقاومة السلبية منها بحرب ابراهام لنكولن لتحرير العبيد . ان مغزى هذا العمل انما يتأسس على اخلاقية مثالية عالية ، فوجه البشر للانتصاب في وجه صروف القهر ، لكنها لاتظفر الى هذه الصور نظرا تاريخيا اجتماعيا ، نظرا طبقيا ، لذلك فان الثورة المطلقة [خطيئة] ، وليست تهيئة للاوضاع تاريخية اجتماعية يمكن معرفتها وتحديدها علميا ، كذلك يتأسس تفسير لويس عوض على هذه الاشكالية المثالية ، فهي الصراع بين اجل الحرية بين قوانين مطلقتين ، الشر والخير ، كذلك فصلوان عملي ذلك الملابسات ، من الطبيعي اذن ان تكون الثورة سياسية في اهدافها ، [خلاقية] في وسائلها ، ومن الطبيعي ان يتفق مع الخير المطلق — الثورة الكبرى في هذا الوجود ، والسلاح الوحيد الذي تستطيع ان ترد به قوة الشر — ان تكون هذه الثورة [غير دامية] ، ان اقصى مايمكن ان يصل اليه الجهد البورجوازي المتقدم هو ان يحل مثالا بورجوازيا محل مثال بورجوازي آخر ، ان يحمي الكيان البورجوازي عن التحديدهم بورجوازية، وان يجعل من هذا الكيان نهاية التاريخ ، هذا لم تمكفله كيان يفيل ، الجسده الجزع كل ماخط ، وغشى ان تتهدم دوائم المجتمع البشري وجوانبه .

العقد الاجتماعي المصري

الحقيقة الاساسية في جهد لويس عوض كله ، هو الانشغال الدائب بالتاريخ الثقافي لمصر العديثة ، في كافة المجالات الثقافية فكرية وفنية وادبية . وهو يلزم لكتابة ثورة مصر الوطنية البورجوازية في القرن التاسع عشر والعشرين من زاوية النضال الوطني المصري ضد المستعمرين ، ومن زاوية النضال الديمقراطي الجماهيري ضد الخفيفيان والحكم المطلق . وهو في هذا التاريخ والتطوير يحقق بأجلى الصور عبقريته التاريخية العلية ، ويدهشه في التاريخ للجماعات البشرية . انه يرى للجماعة روحا دائما وجوهرا خالدا ، يتبدى في عنصر الواقع وحقائقه الانسانية ووجوه نشاطه الروحية والعملية . وليس هذا بعيدا عن [الفكرة] الهيجلية او [الروح] المطلق الذي يتبدى في مراحل متطورة ، هي المراحل التاريخية للانسانية . ان لويس عوض وهو يؤرخ للهناء الثقافي في مصر الحديثة يصدر عن ان لمصر [روحا] وجوهرا دائبين سرمديين منذ فجر التاريخ البشري ، وان هذا الجوهر يحفظ على مصر دوامها واستمرارها حقلا للعالم وغميرا له . ان مصر فكرة دائمة متجددة عبر كل مراحل تاريخها المتعين ، وجوهرها يضمن لها الدوام والتجدد والبقاء ، جميا يكن شأن هوادي الزمن وصروفه . يخدم هذه النظرة الوجدانية الصوفية نهج مثالي يرى ان التكشف عن ذلك الجوهر ليمكن ان يكون خاضعا نقيا على ايدي المؤرخين والعلماء ، كذلك يستطيع هذا المنهج هذا الكشف الفنانون والشعراء . ولقد كان بروميثيوس قد خلقه المأثور الاوربي القديم وجعله رمزا للثورة على الطغيان ، واستلهمه الفنان الاوربي البورجوازي في العصر الحديث ليجعله مخايلا به سبيل حرية الانسان ، فان (المنهاء] رمز في المأثور المصري الفرعوني للبعث بعد الموت ، والنشور بعد الحياة ، للتجدد والاستمرار!

والبقاء ، ولقد استلهمه الكاتب المصري البورجوازي في العصر الحديث ليجعله رمزا ان دوام عبر الخلدة ، وبقاءه جوهرا واستمرارها . يستلهم لويس عوض في كتاباته ، بصورة غير مباشرة ،

— حتى لو استبعدنا روايته التي تحمل اسم [المنهاء] — هذا الرمز المصري القديم : لقد اتصل هذا الطقس بالمعتقدات ببعض الديانات المصرية القديمة ، وكسعه الاساطير ربضا ترمزيا لانها متوحيدها توهج الذهب والشمس ، ووجعلت لصوحته نغمة جليلة متفردة به واعطته عمدة

مغامراً يبلغ المئين من السنين ، فاذا هلك ، بحرق لفسه ، يعث من جديد ، من رماده ، الى كامل القوة والشباب والجمال والبهاء . هذا الطائر سالمتطاب واحد في كل زمن ، يحرق نفسه هربا ليتبعث من رماده شبابا ، وهكذا . هذه [العقيدة] الفرعونية هي الخلود نفسهم و [عقيدة] أوزيس عوض في [مصر الفكرة] الخالدة ، وتتصال الى تشخيصه لدور مصر في التاريخ ، والى تاريخه وتنويعه للبناء الفكاني في مصر الحديثة . ان في مذهج كاتبنا الكبير آثارا سلبية وطبية وهو ينبه في بعض تاريخه وتنويعه لبنائنا الفكاني الحديث الى أنه سيصطر من الوجوه السياسية والسوسيولوجية الاساسية من حياتنا الثقافية والفكرية ، والى الاكتفاء بمناقشة الفن والادب من حيث ملاءمتها بالمجتمع والى الاعتداد ببروح العصر وبروح المكان . وناخل على الرغم من هذا التنبيه الى البناء الفكاني لمصر الحديثة لديه يكاد يكون بناء [فكريا] خالصا ، وليس المكاسبا لعلاقات اجتماعية محددة . لذلك تبدو الانتقالات الاساسية في هذا البناء الفكاني كأنها من صنع الاعلام الاحاد من المفكرين والكتاب والشعراء ، او هي كأنها انتقالات فكرية توجيهها حركة الروح المصرى المتوحد .

غير ان نزوع أوزيس عوض الديمقراطي الفكري ، وانحيازه الى [الجماهير] المصرية ، قد وجهاه — في رصده لتطور مصر الحديثة وتاريخه وتنويعه لمقاتلها — الى تصوير الفكر المصرى الحديث من جهة انكفاح الدستوري والقضال الديمقراطي المصرى في القرنين التاسع عشر والعشرين . بل انطبق به الى تحديد مراحل التطور المصرى بالمواثيق الدستورية والقضية والسياسية التي التزمتها الجماهير المصرية ، والتي صاغها الفكر الوطني : عند أوزيس عوض ان أول تحرك جماهيري مصرى نحو الديمقراطية كان بين سنتي ١٧٩٥ م ، و ١٨٠٥ م . في سنة ١٧٩٥ م ينفث معاوية الشعب المصرى لموالي المماليك والمماليك حدا وقف بالبلاد على حافة الثورة ، وانصبت هذه المقاومة الى استخلاص زعيم البلاد [حقا] مكتوبة وقدما الموالي المماليك وزعيما المماليك مراد بك وابراهيم بك ، وكانت هذه الهجة نواة أول دستور استخلصته مصر من حكامها في العصر الحديث ، كانت أول ميثاق عرفته مصر يحدد قواعد الحكم ومسئولية الحاكم امام الحكوم ، رغم انه سرعان ما اصبح حبرا على ورق . وفي اكتوبر سنة ١٧٩٨ م ، انشأ نابليون [السجوان العام] الذي كان أول برلمان نصري ، أو أول تجربة عرفتها مصر في الحكم النيابي . أما في سنة ١٨٠٥ م ، فلقد اشتدت البطلة الجماهيرية الى حد قيام جماهير الشعب المصرى بتحدي الباب العالي وعزل الباشا العثماني ، وتعيين محمد علي واليا على مصر ، بعد ان كان عزل الولاة الاتراك عملا سياسيا لإشارك فيه الا الاتراك . ويقوم أوزيس عوض هذا التحرك الجماهيري الاول تحت الدستوراطية ، بأن حجة ١٧٩٥ م كانت

« وانى لاعلم ان أوزيس عوض قد عاهد التلوج الغزيرة المشورة على حديقة بحسير في خلوة مشهودة بين اشجار الدوداز عند الشلال بكليوبرج لا بحط كلمة واحدة الا بالغة المصرية ، وقد بر بعهده في العام الاول بعد عودته فكتب شيئا بالعربية سماه « مذكرات طالب بعثة » ، ولكنه استسلم بعد ذلك وخان العهد. فلتغفر له التلوج الظاهرة التي لم تدنسها حتى اقدام البشر .. »

« مقدمة بلوتولاند ، ١٩٤٧ ، ص ١٣ » .

مجدا وبيقاتا ولكنها لم تجسارو في ماعليها الارتباط الادبي من قبل الحاكم أن يجرى بالعمل بين الناس . وكان [فرمان الشروط] البريطاني نواة أول دستور عرفته البلاد ، ولكنه كان منحة من بونابرت كما كان خالبا من اية ضمانات لتقييد سلطة الحاكم . أما نحن مسئلة ١٨٠٥ م ، فقد كان نواة الدستور المصرى تكابل محاكيه الفقهية والديمقراطية ، وكان بداية كفاح طويل ، مرير بين الشعب وحكامه عبر قرن ونصف قرن من الزمان .

اتضح مداه بالمطراد وازدادت ابعاده حتما هذا بعد عام ، وبين ميثاق ١٩٣٥ م ، وميثاق مايو ١٩٦٢ ، يجعل أوزيس عوض التطور المصرى هو تطور ما يسميه [الفكرة الثورية المصرية] وتحديدها لديه : ان الفكرة الثورية المصرية لم تكن في يوم من الايام فكرة ميتافيزيقية غيبية، بل كانت دائما فكرة محسوسة ملهمة والحية ، الى درجة الاتزان وزمانية اى طبيعية الى حد بعيد . ولم تكن هي اى وقت مرتبطة بعقيدة صوفية في حق الهى من نوع أو من آخر ، أو برؤى وهبية لمدينة فاضلة ، والمالكات باستمرار جذبه المسائل جذبة مباشرة ونسبى الاشياء باستمالها . وفوق هذا وذاك كانت الفكرة الثورية المصرية مظهة الاعتدال والبراجماتية [التجريبية] ، لا يخلطها من الفكر النظرى الا الظيل ، كما كانت على وجه القطع لا يشوبها تطرف أو وحشية تفكر . وفي جميع الاحوال كانت الفكرة الثورية المصرية تتجلى في بساطين ، أولهما هو مصر ذات سيادة . وثانيهما هو اقامة دولة علمانية [محمد علي — احمد عرابي — سعد زغلول — جمال عبد الناصر] . وفي جميع الاحوال كانت فكرة الثورة المضادة تتجلى في صورة للسيادة الاجنبية والاحياء البيوقراطي للحق الالهي . ومن الظواهر المظهة ان الثيار الرئيسي في الثورات المصرية كان في جميع الاحوال فيارا ممثلا محتملا بمنطقيا لفكرية المكافحين بجراء «ومظهرا لجوته الحقيقية من خلال الارادة الجماعية» بينما كان مبدأ الثورة المضادة يظهر دائما قوته من خلال اعمال العنف المؤجوفة والاغتيالات الفردية والمعتقدات الانتحارية اللاعقلانية . ويربط أوزيس عوض بين هذا الاساس وصورة التعبير الفكرى عنه ، فيرى أن الحركات الثقافية والفكرية المصرية ، بغض النظر عن نوعها او مداها، كانت دائما تجد مدد أواخر القرن الثامن عشر الى انفلاق مجريين : الاول وهو الاكبر ، هو التيار العلماني وهو تيار وطني ومحتمل سواء في وجهه المحافظ او في وجهه الراديكالي . والثاني وهو الاصغر هو التيار الثيوقراطي ، وهو تيار متطرف وارهابي . وتحاصر طين التيارين — عنده — بعطى للتاريخ المصرى فكرة الاستمرار .

ان هذا التخطيط يفصح عن بروح راديكالي ونزوع ثيوقراطي اصيل لكنه يجعل التاريخ المصرى الحديث صادرا من [جهتهم]، بسببه الفكر الكبير [الفكرة الثورية المصرية] . وليس يجدى في ازالة هذة الايهام ان يشير الى قوى الثورة وقوى الثورة المضادة ، ولا ان يشير الى تيارين اساسيين في الفكر ، لأن هذه القوى

عنده تتوازن ، كما أن هذين التيارين يتوازيان ، منذ فجر القرن التاسع عشر حتى الان ، دون اعتداد بمراحل هذا التاريخ وطبيعة قوى الثورة وقوى الثورة المضادة فى كل مراحله ، وطبيعة تيارات الفكر فيها . ولا يزيل هذا الابهام كذلك أن يشير الى مراحل هذا التاريخ ، فتخرج عنده كأنها ثورات لها مهام مختلفة . انه يحدد هذه المراحل بثلاث : [ثورة] ١٨٨٢ وقد نهجت طريق تمصير الجيش والادارة . و [ثورة] ١٩١٩ وقد نهجت طريق الديمقراطية الليبرالية . و [ثورة] ١٩٥٢ ، وقد نهجت طريق الاشتراكية . وليس الامر على هذا النحو تاريخيا ، ذلك أن مصر — منذ بدء نهضتها فى أول القرن الماضى حتى الان — تعيش ثورة واحدة هى الثورة الوطنية البورجوازية ، و [١٨٨٢ — ١٩١٩ — ١٩٥٢ م] حلقات ، أو مراحل لهذه الثورة الواحدة التى من مهامها الديمقراطية الليبرالية والتمصير والتحرير . وعلى الرغم من أن لهذه الثورة الواحدة حقائقها الموضوعية العامة فان مهامها تتخذ فى كل مرحلة من مراحلها صورا متغايرة ، كما أن قوى الثورة وقوى الثورة المضادة واتجاهات الفكر انما تتحدد فى كل مرحلة فى ضوء الصراع الوطنى والصراع الطبقى أما الثورة الاشتراكية ، فثورة أخرى تماما ، لها شروطها التاريخية وقواها الاجتماعية وتتم عند تحقيق الدور القيادى للطبقة العاملة .

ان هذه الخبرة فى تراثنا الوطنى القريب تجعل الحلقة الاساسية فى جهد المثقفين الوطنيين والديمقراطيين والثوريين هى النضال من أجل الحريات التى محورها حق التعبير لكافة الاتجاهات والمدارس العلمية والفكرية والفنية ، وحق التنظيم لكل القوى والطبقات الاجتماعية . ان الموقف اليوم يتطلب أن تشارك هذه الاتجاهات والقوى ، سياسيا وفكريا ، فى ادارة الصراع الوطنى والاجتماعى ، وانما تتم مهام ثورة مصر الوطنية البورجوازية بأعرض جبهة وطنية ديمقراطية ، فى السياسة وفى الثقافة . وليس شك أن لويس عوض — وهو المفكر الديمقراطى الكبير — يقف فى الصف الاول بين المناضلين من أجل هذه الغاية .

● ● ●

هذا نهج لويس عوض وسبيله : سبيل مصر الناهضة ضد أسباب التخلف والقهر.

وما وقفنا عنده فى هذه الصفحات انما هو جانب محدود من جهد الرجل وأثره وآثاره ، ذلك لان جوانبه الاخرى تتنوع فى صور فكرية ونقدية وابداعية ، لايمكن أن يتسع لدرسها هذا المقام . وقد نختلف مع الاستاذ الكبير فى نهجه وسبيله ، لكن الذى لا خلاف عليه أنه واحد من المعلمين الرواد للشعب المصرى فى العصر الحديث . وقد يتخذ هو سبيل البورجوازية الديمقراطى ، وقد نتخذ سبيل الطبقة العاملة الثورى ، لكنه فى صفوفنا — جمهرة المثقفين الوطنيين — قد حمل متقدما لواء التنوير والحرية ، وبشر ولا يزال بالجديد والاصيل ، وتغنى ولا يزال بوطنه العظيم . وقد لا نقر فلسفته الاجتماعية ، لكنه قد اجتهد لتحرير الاذهان والعقول من كل مقولة غيبية ، فلم ينظر الى تاريخ المجتمع وحركته باعتبارهما مفروضين من قوى متعالية مفارقة له ، وناضل فى سبيل علاقة راشدة بين الفرد والجماعة ، وبين الحاكم والمحكوم . ومهما يكن من أمر هذه الاختلافات ، فان مؤرخ ثقافة مصر المعاصرة لا يمكن الا أن يقف وقفة طويلة عند الدور البارز لهذا الرائد : فلا يزال دوره فى أروقة الجامعة ، وفى دراساته الاكاديمية ظاهرا مؤثرا ، على الرغم من ابعاده عن الجامعة منذ عشرين سنة . لقد التزم — فى الجامعة وبعد خروجه منها — بمنهجية ضابطة فى تفسير النشاط الادبى وفى دراسته ، فخلص درس التاريخ الادبى من تراكم المعلومات التى لا يسندها موقف نظرى ، وخلص التراث الفكرى والفنى من كل نظرة تقديسية تسلبه الحياة والتأثير ، وعقد الاواصر بين الاداب بدراساته المقارنة الرائدة ، كما عقد الاواصر بين الادب والفنون ، وأكد وحدة المعرفة البشرية . وجاهد فى تخليص النقد الادبى من آثار صغار الرومانسيين وغلاة الوضعيين ، فتصدى — نظريا — للمفاهيم التى ترى فى الادب ثمرة ذاتية أوحت بها قوى غير مرئية ، والتى تراه ثمرة تنفيس شخصى عن ذات قائله ، والتى تراه ثمرة حذق لغوى ومهارة لفظية ، والتى تراه خلقا على غير مثال من حياة صاحبه الفنان وحياة مجتمعه . وفى هذا الميدان ذاته — النقد الادبى — بدت تطبيقات لويس عوض مهمومة بالتفتيش عن عناصر الاصالة والذاتية والغنائية ، بجانب تفتيشها عن الدلالة الاخلاقية والاجتماعية ، كما بدت هذه التطبيقات ساعية للكشف فى الاعمال الفنية والادبية عن البواعث والاثار ورافضة أن تكون [النصوص] الفنية ادلة ووثائق جامدة أو أن تكون مجرد [شواهد] . كذلك فان مؤرخ الثقافة المصرية المعاصرة لا يمكن الا أن يقف وقفة طويلة عند دور لويس عوض فى الترجمة والتوجيه الثقافى العام ، حيث يحتل المحل الارفع بين كتاب المقال الثقافى فى بلادنا ، كما لايمكن لمؤرخ الفن المصرى المعاصر الا أن يقف وقفة طويلة عند ابداعاته فى المسرحية والشعر والرواية . ان بلادنا تتهيأ لمعارك كبرى فى الديمقراطية والتفكير والتحرير . ولويس عوض فارس من فرسان هذه المعارك . ويشق على النفس أن تتلفت الابصار بحثا عن صوته النبيل فتجده يحمل حقيبة دفاتره ليلقى دروسه فى بعض الجامعات الغربية . ليس مفهوما ولا معقولا — مهما تكن الامور — الا يعمل هذا المعلم الكبير بين تلاميذه ، والا يتصدر العمل الثقافى والفكرى فى بلادنا . اننا نعرف همومه وأشواقه الرفيعة ، فليأت نقاسمه الهموم ، ولتحمل الايدى متآزرة راية الوطن . عد أيها الصديق الجليل . [١] .

---

[١] عدت فى هذه الصفحات — غير الاتصال العام بفكر لويس عوض وآثاره — الى طائفة من كتبه هى : ترجمة [بروميثيوس طليقا] لشيلى النهضة المصرية ١٩٤٧ م و [دراسات فى أدبنا الحديث] دار المعرفة ١٩٦١ م . و [الاشتراكية والادب ومقالات أخرى] بيروت ١٩٦٣م . و [الثورة والادب] دار الكاتب العربى ١٩٦٧م . و [تاريخ الفكر المصرى الحديث] فى جزءين دار الهلال ١٩٦٩م .

لويس عوض :

الابـــــــداع الأدبى :

ثورات مجهضة .. وأبطال مهزومون

فاروق عبد القادر

يقول الدكتور لويس عوض فى تقديم روايته الوحيدة « العنقاء » أو تاريخ حسن مفتاح ، مـــبررا تأخير نشرها عشرين سنة كاملة (وسنختبر صدق هذا الزعم فيما بعد) « انى بقدر اطمئنانى الى عملى كمعلم وناقد ، كنت اخجل دائما من عملى كفنان ، ولولا ان الخلق الفنى يأتينى عادة فى الازمات الروحية ، مرة كل عشر سنوات او نحوها فى صورة انفجارات لا قبل لى بكبتها لخلقت هذا الجانب الابداعى فى شخصيتى خلقا تاما . ويبدو ان للخلق الفنى عندى — وربما عند آخرين غيرى — وظيفة حيوية سيكو — ترابية ، وانه من الوسائل التى تتوسل بها النفس للمحافظة على توازنها ومقـــاومة الانهيـــار » (ص ٤٢ — ٤٣) .

ويقول فى تقديم مجموعته الشعرية الوحيدة « بلوتو لاند وقصائد أخرى ! « قال لويس عوض الشعر وهو ليس بشاعر ، وهو يعد بالا يكرر هذه الغلطة ولو نفى فى بلاد الخيال ، ولو انه اراد الآن ان يقرض الشعر لما استطاع ، فقد انقطع عنه الوحى منذ ان عاد الى مصر فى الخامسة والعشرين » (ص ٢٤) .

لكن لويس عوض وعد واخلف وعده ، فنشر شعرا فى مجلتى « حوار » — هل تذكرونها ؟ — و « اصـــوات » — مجلة للادب العربى كانت تصدرها جامعة لندن ويرأس تحريرها صديقه دنيس جونسون ديفيز — وفى بعض صفحات هذا العدد قرء من شعره كذلك ، ولم يلف لويس عوض الى بلاد الخيال .. بل اثر الرحيل الى بلاد أخرى !

ومهما يكن من رأى لويس عوض فى ابداعه الفنى ، وسواء كان يؤدى عنده وظيفة سيكوترابية أو وظيفة أخرى ، فلا شك فى أن له عملين يستحقان ان نلقى عليهما نظرة لا تقف عند كل التفاصيل فيهما ، بل تتلمس ملامحهما العامة ، ودلالتهما على فكر لويس عوض وتكوينه النفسى . هذان العملان هما حسب أهميتها « العنقاء » أو تاريخ حسن مفتاح » (دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٦) « الراهب » (دار ايزيس ، القاهرة ، ١٩٦١)

■ ■ ■

تفجؤك العنقاء بمقدمة تدير الراس : خمسين صفحة من القطع الكبير ، يعرض فيها لويس عوض ملامح الفترة التى يذكر انه كتب فيها روايته (٤٦ — ١٩٤٧) فى مصر والعالم ، ويثبت — بصراحة نادرة وللمرة الاولى فى تاريخه كله — تحفظاته على النظرية الماركسية كفلسفة ومنهج ، بعض هذه التحفظات يكفى كى يصف النظرية من أساسها : قدورة الجدل الهيجلى — الماركسى بحاجة الى مراجعة على ضوء المنطق الصورى — الارسطاطاليسى (أما ما هى هذه المراجعة وكيف تكون فلا يقول لنا شيئا) وأسبقية المادة على الفكر لا تقل تبسيطا للامور عن أسبقية الفكر على المادة ، والجبرية — مادية كانت أو تاريخية — تتعارض مع المعارف الفيزيقية ، والاسراف فى ابراز دور الاقتصاد فى حركة التاريخ كفيل بأن يعود بنا الى مادية ميكانيكية ، ونظرية صراع الطبقات أو صراع الاضداد كفيلة بأن تنشر على الحياة رداء مأساويا ثانيا ، ورؤية مـــاركسى للانسانيـــة الشيوعية لا تختلف عن رؤية يوحنـــا اللاهوتى أو فرجيل أو غيرهما من المدن الفاضلة ، واخيـــرا .. فـــديكتاتورية الطبقـــة العـــاملة — كأى ديكتاتوريـــة أخرى — مرفوضة شكلا وموضوعا .

بعض هذا يكفى . وبعد التحفظات جميعا يقول لويس عوض : « تقول : وماذا بقى فى الماركسية بعد هذا .. اقول : الكثير ، وما هـــذا الكثير الذى يبقى بعد ان شملت تحفظاته كل جوانب النظرية الفلسفة ومنهجها فلست ادرى !

بعد النظرية يأتى دور التنظيمات . وهذه التنظيمات العديدة التى وجدها لويس عوض بعد عودته من كامبردج فى ١٩٤٠ يموج بها وجه الحياة الثقافية المصرية فى عنده تنظيمات لليهود عليها سيطرة كبيرة بحكم تمويلهم لها ، أفرادها متناحرون ، بين الستالينية والتروتسكية هم متناحرون ، والستالينيون فيما بينهم متناحرون ، لا يدرى على أى شىء

يفاخرون ، وهم مزعومون عن جماهير الشعب ، يلغون اخرا ويلغون نخبا لا يعرفون معناه ، يعرفون عن « سانك وفنزتى ... اكثر مما يعرفون عن عمال شبرا الخيمة تستشرى بين أفرادهم الانتهازية والانحرافات الخطيرة ** هما قضى – أو يرر القضاء – على مستقبل هذه التنظيمات لجيل كامل على الاقل * (١) *

وفى الحذمة ايضا يحدثنا لويس عوض عن تطوره الفكرى منذ أن كان متحمسا شديد الحماس للديموقراطية اللبيرالية حتى عام ١٩٢٩ حين بدأ يتشكك فى هذا النظام (اى وهو فى الرابعة عشرة !) ثم اعتدلاه – بعد تطواف طويل – الى نوع من الفكر السياسى « اجتمعت فيه الحرية والعدالة الاجتماعية » ، يسمى هذا المركب بالفلسفة الاشتراكية الديموقراطية حينا ، وبالاشتراكية الدين المشرين حينا آخر وترجاع اليه فلسفه اليدومه لطلابه فى الجامعة *

وقبل أن نطلق لويس عوض يهذى بيننا وبين روايته لا يفى أن يصوق الينا آراء الاستاذ توفيق الحكيم والدكتور حسين فوزى وجونسون دبفيلد ، وهم جميعا يجمعون روايته ويكرمون لها الحديث ، ويعلنون عن تعاطفه مع بطله ، فهذا التعاطف ليس الا « ضجيا من أولبات الفن » وليهمل ارتفاعه وسقوطه ويدعوان الى الامى ، فالامى مستعمل بغير التعاطف *

هذا بعض ما يقوله لويس عوض ** عن فعاذا يقول حسن مفتاح ؟ سيكتبر الغريب الشيوعى المصرى ؟

تبدأ الرواية بانتصار صديقه منقريوس الذى كان حبيبا اليه تربيا من نفسه ، بهذا تزوره روحه قبل انتصاره لاربعين يوما على انتحاره ، وتطلب اليه أن يقتل صديقا لهما لشدة شبهه به * حتى تستطيع الروح أن تتقمص الجسد ويعود منقريوس الى الحياة * لكن حسن مفتاح يرفض أن يقتل بريئا حتى لو حسمت روح صديقه فى شجرة الجميز ألف سنة * ويعرف حسن مفتاح شيئا من الارواح لم يكن يعرفه *

حتى هنا يكون المؤلف قد كشف لنا جوانب من شخصية حسن مفتاح وقدم الينا بعض نماذج معنى حوله ، خاصة هؤلاء اعضاء اللجنة المركزية ، وكم قد عدد حسين مفتاح (أو عقدت المركسية ؟) حياته ، وهذه بعض النماذج : نعيم الذى كان أصبح مصطربا ، يبدد التعبير عن سخطه الغوى فى المثول صباح كل جمعة مع فريق من الشهداء والمرسلين المتمردين الى الهيم الاكبر ليهولوا عليه جماعة ، ويعد ان عرف حسن مفتاح استبدل تسريته الاسبرجى بتمرين يومى رهيب ، يصنع الرجال المصغرين من المسلسال ، ويفتق كل صباح رجلا حتى يزوض نفسه على العبرة حين يأتى اليوم الموعود ، وعلاقات التى تهوى رفيقا كان معهم ثم ثبت أنه يعمل لحساب البوليس السياسى فمنحت قلبها وبصحت فيه استجابة لاوامر النهضة المركزية ، وصعدية التى كتمت هواها لزميلها وطرس تلادة لاختلافها فى الدين ولانه لا يؤمن بالمادية الديالكتيكية أو يؤمن بها نظريا ولا يطيقها عمليا بدليل انه لا يتصور اسلامه ويتزوج منها ، أما بطرس غيرى نفسه – من الناحية الاخرى – أبدا على تقاليد المسيحية * وطيبه – رغم ماركسيته – أن يعطها الى الجيل التالى طيبه كما انتقلت اليه !

كل هذا واكثر منه قد فعله حسن مفتاح * لقد ملأ القاهرة بالاشباح ** « ملأ مفاهيمها ونواديها بفتيان لا حدود لهم الا اضرابات العمال ، وظمأن يتشاحنون على ماهية التكتيك وماهية الاستراتيجية بدلا من ان يتشاحنوا على بنات الهوى ان ، ونسيان يتشاحمون فى الثورة العالمية والثورة الاجتماعية بدل أن يتشاحموا فى لقمة العيش * »

ويسافر حسن مفتاح الى الاسكندرية هربا من روح صديقه المنتحر وذكرياتها ، والتماسا لسلاما للاستسلام ومساومة العمل ، وهناك يحدث له حادث ثانى ! نزل البحر مع جماعة فى زورق فينقلب بهم ويغرقون جميعا ، وتبحث روح حسن مفتاح عن شبيه له لتتلبث وجسده ، كى تعود الى الحياة ، كالمفتاح – سن جديد * ولم لا ؟ « ان التناسخ سنة الوجود ورأس التطور » ثم هو يحتذر الشعب ويزدى طيه ، وحين يقتل واحدا منه ليحل بجسده غير يرفعه من مستواه الوضيع الى مستوى رفيع ، شأنه فى ذلك شأن الحيوان والنبات حين يحولها الجسم الى لقمة ولوحات وسيمفونيات !

وحسن مفتاح ان يحار كثيرا ، فابن عمه سيد قنديل يشبهه لحد التطابق وهو لا يزال فلاحا خضنا تذرا يسعى وراء المحراث فى احدى قرى المنيا ، الى

---

[١] قد لايكون من شأنى ان اناقش الدكتور لويس عوض فى صحة معلوماته التاريخية – كلها او بعضها – . فانت مؤرخا للحركة الشيوعية المصرية وتنظيماتها ، لكن العامه يعدا التاريخ – الذى لم يكتب بعد على نحو كامل مترابط الحلقات – قد تكشف عن أن الدكتور يخلطخلطا واضحا بين الجماعات والمنظمات ، وانه يعمم حيث لا يجب التعميم ، ويصدر احكاما نهائية وقاطعة نتيجة معرفته بعدد من المنتفين المزعومين عن حركة المجتمع وكثافته الحقيقى ، فالدكتور – على سبيل المثال – ينكر منظمة الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى – حدتو – بين المنظمات التى كانت قائمة فى مصر حين رجوعه من كامبردج سنة ١٩٤٠ ، فى حين أن هذه المنظمة لم توجد الا بعد هذا التاريخ بسبع سنوات كاملة ، نتيجة الوحدة بين منظمتين قائمتين ، كذلك ينكر ان معظم هذه الجماعات او كلها قد انبعثت من « اعتماد انصار السلام » الذى كان قائما فى ١٩٣٧ ، وهذا ليس صحيحا ، فالذى انبثق عن هذا الاتحاد مجموعة ليدتكرها هى « مجموعة الدراسات » ، والتى اصدرت فيما بعد مجلتى « الفجر الجديد » و « الضمير » ، كذلك فيما يتعلق بالصراع بين الستالينيين والتروتسكيين ، فالحقيقه انه كان صراعا بين مجمل الحركة الشيوعية من جانب ، وحفنة ضئيلة من التروتسكيين كانت تؤيد المحور فى هربه ضد الاتحاد السوفيتى من الجانب الاخر ..

وفيما يتعلق بسيطرة الايهود والتمويل ، فيبدو أن الدكتور لويس يريد دعاوى بغير تمحيص ، ومراجعة لصحف هذه الفاتر كانت تنفس فى احيان كثيرة الى الظروف الاقتصادية المعيشة التى كانت تحيط بها ، والتى كانت تلجئها الى طلب تبرعات ترانها فى تستطيع اصدار الاعداد التالية .

الجنوب نظير الروح ، ومناك عند الجرف تتقل روح مفتاح سيد قنديل وبعوه مفتاح الى الحياة يواصل عشته أبونا ربيع ، سلطة الارستقراطية التي ، تعادل شعرة واحدة من رأسها كل عمال العالم ، ويواصل الاعداد للثورة الشاملة .

ويتعاون الشيوعيون مع الوفديين بعد أن يرحبوا صفوفهم ، ويجد حمدي مفتاح ان ما يملكون من مال وسلاح يكفي لاشعال الثورة ، ويجد كل شيء ، ويستخدم كل الاساليب حتى يفرض قراره هي اللجنة المركزية ، ويتم تحديد الموعد ، ويروح حسن مفتاح يعظم بانطلاق الثورة .

وقبل الموعد المحدد بعوبين اثنين يأتيه عمر انيلي ليصطحبه منه جعفر سيد قنديل ، ولا تجدي معه محاورة أو نقاش ، فيواجهه بمفتاح على اللقاء في وادي الخفافيش المجر بعد مغرب شمس اليوم التالي ، ويروح مفتاح مونا ربيع ويروح لها بمره ، ويلتقيان للمرة الاولى ، والاخيرة ، لقاء تشاركهما فيه « الروح القدس » ، وفي الموعد المضروب يلتقي حسن مفتاح نفسه في مخبر بيتيه ، وتجهيز الثورة ، يموت حسن مفتاح ، وتبقى مونا ربيع كالارض بعد أن أخصبت .

يقول لويس عوض ان الزعيم يجب ان يتوعد بالشعب ، ولن يتم هذا التوعد الا ان نال الزعيم الشعب وحل بجسده ، ويقول كذلك ان من قتل يقتل ، ذلك هو الفاعوس ، وحسن مفتاح حين قتل سيد قنديل بعث الجرف فقد لف حبل المشنقة حول عنقه ، وهذه هي ادانته للعنف ، كما يقول في مقدمة روايته .

لكن هذا ما لا تقوله الرواية نفسها !

فحسن مفتاح يلكر في العنف قبل ان يقاتل واكثر من بعض واحد ، حين زارته روح متقربوس كلار مفتاح يفكر على النحو التالي : ان معظم الحق كل كف تكون ، اعوج هيدرا ، ، و بهم الانتصار كيف يكون مستحيلا كالصوعق ، مهلك كهياه الطوفان ، هو يفهم ان يقتل رجل رجلا ، بل ان يقتل رجل الف رجل اذا حقق ذلك خيرا عاما ، ولسوف تقتل بيده (الباشوات) حين يأتي اليوم العظيم ، نعم ، سيشتعلهم بيده واحدا واحدا لو امكن ذلك ، في ميدان العتبة الخضراء واحد ، وفي ميدان باب الحديد واحد ، وفي ميدان الاسماعيلية واحد وفي ميدان الجيزة واحد ، كل في مكان جريمته ، ولسوف يجد حسن مفتاح لذة في شنقهم ، (ص ١٥٧) .

وهذا يعني ان حسن مفتاح مذ البداية لا يفكر الا في العنف ، وانه يرى الدماء حوله قبل ان يقتل سيد قنديل او تبدأ اليه يده ، ولكن « كان لابد ان « يخطيء » ، البطل هو تصحيح هزيمته من داخله ، لا من خارجه ، ليبعض هو الثورة ولا يجهضها مسقى باشا - على حد تعبير لويس عوض ، وما دام حسن مفتاح لا يحمل « الخطيئة الاولى » يلتي كاف ، فلابد من دم طازج ، لابد ان يقتل بيديه بريئا كي تكتمل الدائرة ويتحقق الناموس ، ويصبح بطل لويس عوض « ملعونا » بذيوذا ، تطارده اللعنة ، ان القوى الخفية تطاردني يا مونا ، أنا رجل ملعون ومن الخير ان أنتحر ، لعل ظلي الملعون ينقشع عنكم ، لعل السماء تعفيكم من القصاص » (ص ٤٢٩) .

هكذا يتقمص حسن مفتاح قاديا ومخلصا ، ملوحا بين يمزي المشنقة والصليب : « ان المشنقة لا تزال مفتاح الجياة ، أيا الصليب فلد انتصرت ، صليب اسارتوكوس قد انتصر ، ورأت مونا ربيع بعض القطرات تلمع على جبينه ، وسالت على لحيته من خده قطرة واحد ، ثم تبعتها قطرات ، وتبلكها الجزع لكنها ذهبت تمسح وجهه قائلة : « لست ادفهم كيف تكون المشنقة مفتاح الحياة » ، لجاب حسن مفتاح : « وكيف يكون للصليب مفتاح الحياة كما يقول المسيحيون ؟ » قالت : « وهذه نظرية الفداء في المسيحية » لجاب : « وهذه نظرية الفداء في اليهودية » قالت : « المسيح يقول : لولا صلب الخلاص لما دخل المسيحيون الجنة » ، لجاب : « ولنا أقول : لولا شنق المخلص لما دخل اليهوديون الجنة » ، (ص ٣٢٤) .

وتعن فكرة أيضا : « وسكت حسن مفتاح ورسم علامة الشنقة فرسمت مونا ربيع علامة الشنقة ، وبعد ان فرغ حسن مفتاح من حديثه رفع بصره الى مونا ربيع فوجدها شاخصة اليه ووجدها شبكى ، وكان العرق يتهدر على جبينه بللا انقطاع ، ويبلل خديه ولحيته ، وكان وجه شاحبا شحوبا مخيفا ، وكان يلهث كانه يحمل بشنقته طول الوقت ويصعد بها الى طريق العذاب ، ورأت مونا ربيع قطرات من الدم تتطلع فيه ولكنه لم يمسح قط ، وحول شعره الناعم الجميل بصبت غضونا ألية كانها حفرها الكلل خفي من الشوك ، ونهض حسن مفتاح قائلا : « الوداع يا مونا ، الوداع يا أحبائي » ، فابتسمت مونا ربيع بشلبيه وصاحت به : « لا تتركني يا معلم ، ، وانصرفت مونا ربيع الى قدمي حسن مفتاح وخلعت نعليه وخلعت قدميه بالحرائدي ، ونفذت الى جوانه واطفات النور ، ، وكان حسن مفتاح يغمض العينين وكانت مونا ربيع تغسل العينين بلم بريا الروح القدس حين دخل من النافذة مع الهواء ، لكنهما كانتا متعانقين » (ص ٤٣٦ - ٤٣٧) .

حسن مفتاح ليس فقيرا ومخلصا فقط ، لكنه معذب ايضا بأساطير الفراعنة والبونان ، لا يكف عن مناجاة « كبير » الربحية والدعاء لها ، وحين يركب المعبية لتنتقل به بين ضفتي النيل في المنيا يرى في التوتي ملاح من فراعون ربان الالية ، فالل الارواح غير أخيرين نهر الاحزان ، والاعشاب على الشاطيء هي الارواح المسوتة ، والبشار الزرق والمسافرون والدجاج ليسوا البشارا ولا مسافرين ولا دجاجا لكنهم ارواح في طريقهم الى العساب في دولة بلوتو .

ورؤيا حسن مفتاح بعد ان قتل سيد قنديل ، والقطار يصعد به أرض مصر من

> « كنت اقول النقاد المصريين والعرب : ربما كان نفاقون عن أمر (مطلة) « هوار » ، ان كل ما اراه ، فيها هو ما أراه في الحياة المائلة لحرية الثقافة ، وهو انها مبنر ثقافي تجمع حوله اليسار المادي الماركسية ، واكثرهم من الماركسيين اللين ثاروا على الماركسية ، مثقفن سيتمر واغزيو سعاوني وآرار كيسلر .. الخ ، كلهم كانوا شيوعيين وكلهم فروا على الشيوعية . ان هذه احدث الاساليب العلمية في مقاومة الشيوعية : ان مخاطب المثقفين المتقدمين ضد الشيوعية على أسس ثقافية تقدمية ، وهذا امر مشروع في حرب العقائد الدائرة رحاها اليوم في العالم . »
> « الثورة والأدب — ١٩٦٧ — ص ٤٣ — ٤٣٢ »

الجنوب الى الشمال ، وهى من اهم صفحات الرواية ، ثالثة على رأيتها الوقائع الاجتماعى (الفصل الخامس من ص ١٨٥ الى ٢٣١) تركزها وتكشفها سلاون من هيل آخر كتبه لويس عوض فى نفس التاريخ هو «القعة بلوتو لاند » أقرأ هذا الفصل ثم اقرأ : « ذهن نعيش فى مجتمع امن ، احدث شىء فيه ثم منذ اربعة آلاف سنة ، الحان فى طولنا وفى عرضنا وفى كتابنا وعلى الجدران ، وخلاصنا ان يكون الا بالثورة الدائمة » (بلوتو لاند ، ص ١١) »

ان هذه كلمات لويس عوض وليست كلمات حسن مفتاح !

**ورؤيا حسن مفتاح تدور فى جوهرها حول ثلاثين : المصحات والمشانق ، المصحات ، آلاف المصحات للاجيال الجديدة ، والمشانق ، آلاف المشانق للجيل القديم ، عبرة لغيره ، فلماذا من بقية بلوتولاند ؟ « ولو ان لويس عوض أراد الشعر الان لما استطاع » أجبر عليه كارل ماركس ، ولم يعد يرى من القرآن الصياح الكثيرة والنوائح الموت الكثيرة الا لوما واحدا ، فمت أيامه المحشائش حمراء والسماوات حمراء والرمال والمياه وأجسادا الصماء واحاديث الرجال والفكر المورد كلها غدت لديه حمراء بلون الدماء ، حتى الاصوات والروائح والطعوم غدت حوله حمراء كأنما شب فى الكون حريق هائل ، وهو راض بأن يعيش فى هذا الحريق ، فمن رأى العالم تمزق أجساد العبيد لم يفكر الا فى الحرية الحمراء ... » (بلـوتولاند ، ص ٢٥) »

مرة أخرى : أن هذه كلمات لويس عوض وليست كلمات حسن مفتاح .

**يتطابق الوجهان كالايد والقفاز ويتفى ملامح مثقف مصرى فى اربعينيات هذا القرن ، معزول ومغترب ، يحتقر الجماهير ويؤمن ايمانا لا يتزعزع بدور المفرد المنقذ ! « فى كل ساعة تسحق فشاوة ، لصوف ترين خدام الشعب لصوف يتاجرون فى خدمة الشعب ، لصوف ترين خدام الشعب يتباغضون ويتناحرون ويديح بعضهم بعضا ، وفى المشارع تكثر المعاشق وعلى المقاعد تكال التهم بالبر حساب ، وفى المحاكم لن يجول الا خاطر واحد ، « انما خلقه وأبا منفى » ، كل هذا لان حسن مفتاح لم يقدر كما ينبغى كلا فى مكانه » (ص ٤٢٤) ، يكشف عن معتقداته وآرائه ، بداء تطبيقات من غير الممارسة ، ورأسه يموج بافكار شتى ، وهو كلما اداره حوله اصطدم بالعفن والتخلف والقذارة ، ولا سبيل لتغيير هذا كله الا بالعنف ، العنف الاهوج الذى يذبح كعوفان هائر لا يبالى ، يجتاح الصدور ؟ ويفرق كل شىء كى تتخلق العقناء من الرماد ، الا العنف الثورى الذى ينظم الجماهير ويعلمها ضد قاهريها ، لكن هذا المثقف فى لا يرى فلاح مصر هى واقعه اليومى لكنه يرى فلاحا مصر فى واقعه اليومى لكنه يراه فلاحا من عالم المثل ، لكن هذا المثقف يعمل خصائله بين جنبيه ، ولا يستطيع الخروج على ناموس الكون ، لكن هذا المثقف ـ ما دام كل شىء يجرى بعيدا فى عالم المثل والارواح والاشباح ـ يقيم التناقض بين الزعيم والغيب ، بين الجسد والروح ، بين العدل والحق ، أما لهذا كله تجهش الثورة مزدادا لا من خارج ، يجهضها حسن مفتاح لا صدقى باشا »

هذه صورة الثورة عند صاحب « الصفاح » ، مقفى عليها بالقفل ، لان القائمين بها عميها وبلا نبيل يحملون بذور المهازم ويصير كل مافهم يحمل عليه ـ مشتقات على ظهره »

هل اجبنا على السؤال المطلق : لماذا رفض لويس عوض نشر روايته قبل ٩٦ ؟ الملكية قد زالت قبل اربعة عشر عاما ، وحكاية خلق الفنان المبدع لا داعى لان تطبق على هذا العمل ما دامت لم تنطبق على اعمال اخرى ، الا فرض ظروف ما بعد ١٩٦٤ بالجاية ما ؟

اجبنا على سؤال وخرج آخر : اية علاقة بين هذه الثورة التى يضطرب بها خيال حسن مفتاح ، المعلق بنسبه بين الارض والسماء ، البرزق بين صعوده الشرق والغرب ؟

(●)

والمثقف الآن الى شأن آخر : الراهب ابانوف الذى تحالف مع دمتيوس ديونيزوس ، آلر آخيل ، كما اسماه الرومان المتصرين ، فى تمرده على امبراطور روما سنة ٢٩٦ ميلادية » وجد لويس عوض جذور بطله فى كتاب « المنكسار » ، كتاب الكنيسة المصرية المضطهدة فى كل عصور الاضطهاد ، لكنه رجع الى الفترة التاريخية وحاول ان يصوغ من كل عناصرها بطلا جديد الطعم ليشترك مع الراهب المصرى المعروف فى كتاب الشهداء الا فى الاسم فقط ، لهذا الاخير كان بسيطا ، آثر ان يفر بدينه الى الصحراء هربا به من العذاب والفتنة ، وصانع بسطاء المؤمنين من حوله اسطورة شهادة رائعة ؛ حين ذاب فى خالقه كان حتما ان يضيء جسده ويعترق فى الروح »

ابانوف لويس عوض شىء آخر : مزيج معبر من الحب والحرب ، الزهد والرغبة ، الدهاء والبساطة ، الحكمة والخسة ، حاول ان يرتفع بالمثالية لبطل التراجيديا المظلم فتلفت بين يديه ، ويثبت لنا هذه مشاعر يصعب ان نقيم بطلا ترتفع قامته فوق صغائر الناس ، يتكلم كثيرا عن حب مصر ولا يعرفها :

ابا نوفر : نعم يا مارثا ·· الحب اعمى ، الحب أصم ، الحب ابكم ، الحب لا يفهم ولا يعى الا نفسه (يصرخ) ، هكذا حبى لمصر ، انه أعمى وأصم وأبكم لا يعى ولا يفهم الا نفسه ··

يقول ابانوفر هذا تعليقا على فرار فيلا مينه ، الوصيفة المصرية ، مع زوجها الضابط الرومانى الذى اعتنق المسيحية ، وحين جاء اسطول الامبراطور دقيانوس هربا اليه ، تفيض على فيلادينا وأصر ،

ابانوفر على ان تعاكم ··

ابا نوفر هذا الذى يحب مصر حبالا يفهم ولا يعى الا نفسه ، ويأسفه يرى فيلا مينه خائنة ، يقع فى حب الرومانيين ويسلوهيها على اطلاق سراح فيلامنه ان رضيت مارثا بفرارهه ، ويسقط ايا نوفر سبعة خمسينات ، ليست هى القامات ولا سقطة الابطال ·

ايا نوفر (مستعطفا) : لا تتركنى ، ان تخليت عنى انتهت حياتى ، انت امرأة جبرية ، عرفت الحياة ، عرفت رجالا كثيرين ، انا لم أعرف امرأة واحدة ، هل تفهمنى ؟ رأيت الف امرأة ولم احلل بواحدة ، حتى رايك ترفضون فى نصر اخيل ، عطراه ليفة فى نفسى شيئا مميزا ·· مميزا كالايمان ·· الخ ·

ان سقطة ابانوفر خسيسة لانها تعنى الخيانة مرتين : خيانة الكنيسة حين التقى جسد مارثا ، وخيانة ثورته حين ساومها على اطلاق سراح فيلامينه التى يعتبرها خائنة ، ولهذا لا تتعاطف مع سقطته ولاترثى له ، ولا يبلغ ابانوفر قامة بطل التراجيديا ·

هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى فان ثورة ابانوفر ثورة خالصة ، لقد عجز أبا نوفر — أو عجز خالقه — عن ادراك المعنى العقيدى للثورات المصريين ، فشاركه ابانوفر ، وفاد المصريين ، فى تسره وقوم به دومقيوس ديوفانتوس والى الاسكندرية ضد أمبراطور روما ، انه ليس ثورة مصر التى تنتفض فى جسدها كله ، فى قفط وطيبة وأبو سير ، والتى تسمع عنها الاخبار المنتصرة ، لكنه تمرد الاسكندرية « الهيلينة » ورغبة والبها فى الاستقلال عن الامبراطور ، وان يجدى ابانوفر للقول بأن أخيل أو دومقيانوس سيحكم باسم الامبراطور ميخائيل أو أنه هيلانة التى تذكر احدى الرويات أنها مصرية ، فليست هذه — فى نهاية الامر — هى ثورة المصريين الساعين الى التحرر والعدل .

وليست العلاقة بين ابانوفر ومارثا علاقة « مصر الثورة » ، « بمصر المفكرة » على نحو ما يشير اخالى شكرى (انظر : الامير المائر بين الارض والسماء ، مجلة « أدب » ، ربيع ١٩٦٢ ، ص ١٢٠) ، فعند خالى أن أبانوفر هو مصر الثورة الذى يلتدى مصر الفكرة بذاته بعد أن يلقى فيها وديعته ، لكن ما تقوله الصحيفة يختلف عن هذا التفسير . فحين تقع مارثا فى الاسر يتكلم أبانوفر لانقاذها بذاته ، ويعد أن يطلق سراح مارثا يصارع أبانوفر الملاك ، ولا نعرف ابانوفر وهو يصارع مارثا كما أشرنا من قبل ، وفى الفصل الاول — وقبل أن يعترف أبانوفر للراهب أبروس ، ثم لمارثا بخطاه يردى أبانوفر رؤيا :

« أرى حملة سوداء ، قادمة من المشرق ، من بعيد الشمس ، ظمأنة ، رأيت على وجه المياه ، منحلت فى البحيرة المقدسة ، خرجت منها بيضاء ناصعة ، كثلوج الجبال ، كالسروح القدس ، حطت على سطيح الربح لا تبرحه ، تلفى أنا القربان ، أنا القربان ..

أمبروكيان : أنه يهذى ..

أخيل : ماذا تقول يا أبانوفر ؟

أبانوفر : لا شىء يا سيدى .. لا شىء ..

مارثا (كالمسحورة كأنها تفهم ما يقول) : آمين .. آمين .. » .

وبعد ذلك رأت مارثا حلمها :

مارثا : خرجت الى حديقة القصر لاستريح ، وهناك تحت شجرة التين وأغفيت ، وفى نومى رأيت الحراء فى رداء أخضر .. لماذا تطمسوننا الظلما ؟

أبانوفر : فى رداء أخضر ؟

مارثا : نعم ، لم تكن فى رداء أزرق كما تقولون ، كانت فى رداء أخضر ، وكان فى جبينها هلال ، طيه ثلاثة نجوم .. » .

لقد رأت مارثا مصر تومىء اليها وتقول لها ان الاوان لم يفت ، وان هناك أملا لا يزال ، ولذا أخفتها الى هذا كله ما يقوله ابانوفر من ان مارثا « هى روح الاسكندرية وأبانوفر جسدها » ، وانه يعنى الامبراطور الجسد من أجل ان يستقر الروح ، وأيضا علاقة تلميه فى جوهرها علاقة حسن بلاشح ببوبا ربيع ، علاقة تقوم على الفراش تتفاضى بين الجسد والروح ، بين الاشياء والارض ، فأيا توفر هو الجسد الذى يمكن ان يستعملم أو يهزم أو يموت ، ومارثا هى الروح التى لا تحدها قيود الزمان أو المكان والتى تظل دائما هى مطلقة بغير حدود .

هذا التناقض يحمل معنى التصور المثالى والمادلكتيكى ، فيصبح مصر هو روحها ، وروح مصر هى جسدها كذلك .. « ان مصر الارض والفلاحين والنبع والعمل الانسانى الذى حول الصحراء والمستنقعات الى بساتين وقرى ، وكذلك فان مصر الفكر الانسانى الفاعل الذى اكتشف الزراعة واللغة والفخار والنار ، والذى صاغ الهندسة والطب والرياضة والشعر ، ان مصر المصريين الذين يعملون بأيديهم وعقولهم هى الجسد والروح معا ، وربما جاءت فكرة فصل الروح التى لا تسلم الى العدم عن الجسد الذى يجوز تصليبه من احساس بالخجل أو الكبرياء والجرعة ، ولكننا نقول أنه ليس عبثا أن نقرر ما يقرره التاريخ — التاريخ الذى لم يصل الى نهايته بعد والذى ما يزال للناس يصنعونه بصراعهم ضد الطبيعة وضد مخزون الشر الاجتماعى والسياسى ، ليس عبثا أن نقرر ما يقرره التاريخ من أن مصر قد هزمت فى بعض المعارك ، وان هذه الهزائم كانت ساحقة لتلمعت للغزاة أن يستولوا على جسدها وروحها ، وأن يعبثوا بهما معا ، العار هو أن يستسلم المصريون لهذا العبث ، والعار هو أن يظن المصريون أن عبث الغزاة اليونان افضل من عبث الغزاة الرومان أو الاتراك .. » (انظر : مبلى خشبة « ابانوفر : بطولة النزوح الثانى والتراجيديا المفتشة » ، مجلة المسرح والسينما ، أغسطس ١٩٦٨) .

وقد هذا القصور الذاتى لابانوفر ، والمؤلف كذلك ، الى التراجع عن هزيمة الثورة المصريين ، فابانوفر لم يلق بالا حين قيل أمامه ان مصر لن يهزمها سوى المصريين ، سوى فلاحيها ، أيما غوغاء ، الاسكندرية — يصد تعبير المؤلف — أيما أعمال عرف تدميرهم واحتواله .

ولان ابانوفر فرد ممتاز — مثله مثل حسن مفتاح — فان الهزيمة تأتى فى مقابل ان أخيل لم ينقذ خطيئته التقليمية — فى الدفاع عن الهيئة ، تماما مثل بنوءة حسن مفتاح بتفاخر خدام الشعب ان اختفى هو من الحلبة المركزية .

وبعد التشابه بينهما نلاحظ أخرى : فكلاهما يعمل خطيئة ، لا تدفع بنا للتعاطف أو الاسى ، فتل مفتاح رجلا وكان ابانوفر للثورة والكنيسة ، ولهذا يمضى كلاهما نحو مصيره الحتمى ، السقوط والانهيار الروحى والجسدى جميعا .

تلك ملامح البطلين الثائرين عند لويس عوض ، سواء كانوا يعبرون للثورة ١٩٤٦ ويشاركون فى « قيادتها » ، الثورة ١٩٥٢ م ! .

وهذا رأيه فى ثورة الانسان ، يقوله وراء قناع آخر ..

ترى .. هل تصدق لويس عوض حين يقول ان الابداع الفنى يقوم عنده بوظيفة سيكو — تراپية .. قد يكون هذا صحيحا بالنسبة له كفرد ، لكن له — بالنسبة لقرائه — دلالات سياسية وفكرية لا نخطئها العين . ■

أويس عوض :

نبـــوءة للمســـــتقبل

[من حديث خاص « للطليعة » في ٨ ـ ٩ ـ ١٩٧٤]

الفكر أراه الآن أن حركة الفكر المصرى منذ طويلة ١٩٦٧ تتسم بظاهرة غريبة ومتناقضة : هذا التناقض يبدو لى ازدهار الاتجاه السلفى من جهة والازدهار الانفتاح نحو العالم الخارجى من جهة أخرى . هذا ليس قاصرا على الفكر وحده ، لكنه يجد مبرراته فى سلوك المجتمع اقتصاديا واجتماعيا ... الخ . والغريب فى الأمر أن دعاة السلفية الفكرية هم فى نفس الوقت دعاة الانفتاح الاقتصادى . وأعتقد أن هذا يشكل الأزمة الحقيقية فى المجتمع المصرى ومستقبلا للحضارى ، من غير المعقول أن نجد انسانا يريد أن يأخذ ويعطى مع الخارج ، لا سيما غرب أوربا وأمريكا ، وهو فى نفس الوقت يرفل بجميع القيم الانسانية والاجتماعية والاخلاقية التى تتميز بها الحضارة فى غرب أوربا وأمريكا . هذه الحضارة تأسست على دعائم اصطلح المؤرخون والمفكرون منذ حركة الريفيفالس على تلخيصها فى عبارتين : الديموقراطية السياسية والاجتماعية من ناحية ، والعلم والتكنولوجيا من الناحية الأخرى . والدعوة السلفية دعوة تقوم على أغلاق النوافذ والتنكر لكل التراث السلف على أنه يمكن بذاته ، وكأنه لاعادة تشكيل الحياة فى القرن العشرين على غرار نمطها الأول فى العصور الخالية ، وهذا بلا أن يستقيم بتاتا مع فكرة حرية التجارة و « دعه يعمل .. دعه يمر » ، اننا لا ننكر أنه فى السنة الأخيرة ظهرت بوادر ازدهار فلسفة « دعه يفكر .. دعه يمر » ، ولكن للأسف أن ازدهار هذه الفلسفة قد اقترن بتشتيت كافة المفكرين أو المثقفين الذين فى أرجاء العالم العربى واستبداله بالمثقفين السلفيين على كافة مظاهر التخدير .

كذلك استجدت فى السنوات الأخيرة ظاهرة لا أعرف بخلفاتها لسكتها ظاهرة مجزئة ، هذه الظاهرة هى كثرة الكلام عن العمل على تشكيل الحياة والفكر والثقافة على أرض مصر هكذا منذ سنة ٢٠٠٠ ، وهذا يعنى أن الجيل الحالى يريد منذ الآن أن يفرض وصايته على الأجيال القادمة ، ويتعرض أنه أدرى منها بمشاكلها التى تتنزل فى ضمير الغيب ، ويحلول هذه المشاكل ، كل هذا فى الوقت الذى نجد فيه أن المجتمع خلال فترة هذه الدعوة لم يتخلق بعد ، ولم يعرف مشاكله الذاتية بعد ، ولم يعتد الى الحلول الايجابية لهذه المشاكل بالتالى ، خذ مثلا فلسفية فتح باب الحوار حول التنظيم السياسى فى مصر ، ان فتح باب الحوار يوهى بأن هناك أحساسا بقصور التنظيم القائم للاتحاد الاشتراكى نظريا وعمليا ، واننا نبحث عن حل للاشكال القائم ، وفى الوقت نفسه نجد بعض المسئولين يعد أن يؤيدوا النفى لتبادل الحوار بحرية يخرجون علينا بتصريحات مثلة انه لا عبوده لنظام الاحزاب ، ومعنى هذا اقفال باب الحوار الذى دعوا الى فتحه ، وهذا ان دل على شىء فهو يدل على أن هناك شرائح قوية فى المجتمع المصرى تحس المشكلة ، لكنها بعيدة بشأن طولها ، فهى مثلا تريد الحرية وتخشى الحرية ، تريد تصدد الاصوات وتخشى تصدد الاصوات ، وهكذا .. فاذا كانت هذه هى صورة المجتمع الآن أى أنه لايزال يدور فى مرحلة الاختبار .. فكيف يجوز للمسئولين فيه أن يتكلموا من تصوراتهم لمجتمع سنة ٢٠٠٠ ؟

وبالنسبة لى كمفكر ، فانى لا أنى متجدد اذا علمت فكى انى ملتزم سياسيا واجتماعيا بالاشتراكية الديموقراطية ، وفلسفيا بالمذهب الانسانى او المذهب الانسانى الذى يقوم محوره على أن الانسان قيمة فى ذاته ، وأنه قادر على وضع قوانينه بنفسه وعلى صيانة مصيره بنفسه ، وبجعل ما يسميه للاسفة الاجتماع بنظرية الحتم الطبيعى فى مواجهة الحق الالهى . هذا الاتجاه معروف على ،

وكل الاصادات الثقافية فى العالم العربى طوال ٤٠ سنة عملت على تصفية هذا الاتجاه الذى أخرج مصر من عبقريات العصور الوسطى ابتداء من ١٨٠٠ الى عهد القرن التاسع عشر ثم العشرين ، بفضل بسالة رواد الفكر فى مصر من الشيخ حسن العطار ورفاعة والجبرتى والطهطاوى حتى منصور وزكى نجيب محمود ... الخ .

واجب أن أقول للسلفية المصرية انها مهما ما تحاول ، لأن « قيصرها كان أشطر » ، وقد مرقت مصر مرات من الردة بعد حمد على الى العصور الوسطى ، وبعد اسماعيل ومرابى ، لكنها فشلت لأن أسس الطبقية المصرية والديموقراطية المصرية راسخة ، ولا أتجاوز الدقة ان قلت انها أكثر رسوخا مما فى كثير من البلاد الاوربية الصغيرة

نحن أمة تنتمى الى البحر المتوسط ، ونحن جزء لا يتجزأ من حوض الحضارات ، بل نحن محور الزاوية فى حوض الحضارات ، وبالتالى هم واهمون اذا تصوروا أن مصر يمكن أن تبتلع فى ظلام العصور الوسطى مرة أخرى .

تلك نبوءتى للمستقبل .

لويس عوض :

قصائد لم تنشر

بدأت في نظم هذه القصيدة في أواخر ١٩٦٧، أو أوائل ١٩٦٨، بعد ان نزلت كارثة ١٩٦٧ . ولم أتمها لسببين : أحدهما احساسي بأن علقم الهزيمة قد تجاوز كل كلام ، وثانيهما كان احساسي بأن تشخيص أسباب الهزيمة سيفتح جراحا كان من مصلحة الوطن ان تندمل. وأخيرا فمن منا ، نحن الذين عاصرنا الانهيار الكبير ، يحق له ان يحاكم غيره ؟ لسوف ندعى جميعا، نحن شهود ١٩٦٧ ، كمتهمين في محكمة الاجيال القادمة . والسعيد السعيد منا من يحكم التاريخ ببراءته .

لويس عوض

المطهر

« وان قلتم : لا نسكن هذه الارض
ولم تسمعوا لصوت الرب قائلين :
لا بل الى أرض مصر نذهب ،
حيث لا نرى حربا ولا نسمع صوت بوق ولا نجوع
للخبز وهناك نسكن .
فاسمعوا الآن كلمة الرب يا بقية يهوذا :
هكذا قال رب الجنود اله اسرائيل :
ان كنتم تجعلون وجوهكم للدخول الى مصر
وتمضون لتتغربوا هناك ،
فسيحدث ان السيف الذي منه تجزعون
يدرككم هناك في مصر فتموتون فيها .
ويكون ان كل من جعلوا وجوههم للدخول الى
مصر ليتغربوا ،
يموتون بالسيف والجوع والوباء ،
ولا يبقى منهم باق ولا ينجو منهم ناج
من الشر الذي اجلبه انا عليهم .
لانه هكذا قال رب الجنود ، اله اسرائيل :
كما انسكب غضبي وغيظي على سكان اورشليم
كذلك ينسكب غضبي وغيظي عليكم عند دخولكم
الى مصر :
ولا ترون بعد هذا المكان »

« ارميا » اصحاح ٤٢

ارميـــــا

بماذا اشبهك يا ابنة اورشليم ؟
بماذا اتلرئك فاعزيك ايتها العذراء بنت صهيون ؟
لان سحقك عظيم كالبحر فمن ذا الذي يشفيك ؟
انبياؤك رأوا لك كذبا وباطلا ،
ولم يعلنوا اثمك ليردوا سبيك ،
بل رأوا لك وحيا كاذبا وطوائح .
كل عابري الطريق يصفقون عليك بالايدي
يصفرون وينغضون رؤوسهم على بنت اورشليم
قائلين :
اهذه هي المدينة التي يقولون انها كمال الجمال
وبهجة كل الارض ؟

« المراثي » اصحاح ٢.

الشـــــاعر

بكى نايى وارغولى ومزمارى وشبّارى
وقلبى دق كالمجنون فى مودى واوتارى
ودنى هاج ايقاعى على نايى واشعارى
يحاكى رقصة المذبوح يدمى تحت جزار :
فيا ايزيس ، يا عذراء ، يا مولاة ابكارى .
فراش العرس مخضوب بنصل الفسق والعار !
وثوب العرس ممتوك ، وملقى دون زنار ،
بلا بعل ولا عشق ولا افراح فى دارى
فواثاراه يا تومى ، ويا حارى ويا حارى .

ارميـــــا

« كيف جلست وحدها المدينة الغفيرة الجموع ؟
كيف صارت كارملة ، العظيمة فى الامم ؟
السيدة فى البلدان صارت تحت الجزية
تبكى فى الليل بكاء ودموعها على خديها ،
وليس لها من معز من كل محبيها .
كل أصحابها غدروا بها ، صاروا أعداء لها ...
فاز اعداؤها لان الرب قد اذلها لكثرة ذنوبها ..
ذهب أبناؤها الى السبى قدام العدو ،
وقد زال من بنت صهيون كل بهائها :
صار رؤساؤها كايائل لا تجد المرعى
فهم يسيرون بلا حول امام الطارد .....
رآها الاعداء فضحكوا على هلاكها ؛

لقد اخطأت اورشليم خطيئة ومن أجل ذلك صارت نجسة .
كل من اكرموها يحتقرونها ، لانهم راوا عورتها ؛
وهى ايضا تتنهد وتتزوى الى الوراء ، نجاستها فى اذيالها
لم تذكر آخرتها ، فقد انحطت انحطاطا عجيبا .
وليس لها من معز .
انظر يا رب الى مذلتى لان العدو قد تعظم . »
« المرائى » اصحاح ١.

الشـــــاعر

ويا سيدة الفيروز فى سيناء والطور ،
ونبع الكوثر الاعلى جرى من ضرع هاتور !
ففى محرابك استلقى كليم الله فى النور ،
صريع الوجد فى الراووق يستملى من الحور !
وينفخ فى رياح الارض أمر الحق بالصور .
يقول انت يا هاتور قبل الدهر والنور ،
فاين الطفل يا هاتور يجلو ليل ديجورى ؟
فناحت ريقى الثكلى ، وأنت مثل مصدور ؟
خراب هيكل الفيروز ! عصف نبيت هاتور !

داود

على انهار بابل هناك جلسنا ..
بكينا ايضا عندما تذكرنا صهيون ..
على الصفصاف فى وسطها علقنا اعوادنا

لانه هنالك سألنا من سبونا
ومحذبونا سألونا فرحا قائلين ؟
رنموا لنا من ترنيمات صهيون .
كيف نرنم ترنيمة الرب فى أرض غريبة ؟
وليلتصق لساني بحلقى ان لم أذكرك ،
ان لم افضل أورشليم على أعظم فرحى
اذكر يا رب يوم اورشليم لبنى أدوم
القائلين : هدوا . هدوا . حتى الى اساسها »
يا بنت بابل المخربة
طوبى لمن يجزيك بما جزيتنا
طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخرة .

« المزامير » ١٣٧.

الشـــــاعر

تلاقت فى قناة الهم والآلام اشجانى
وبث القلزم الصافى لبحر الروم احزانى
جلسنا نجدل الذكرى على شطئان غدرانى
ولما ان بكى التمساح دمع العين ابكانى
بحيراتى كأكباس المر فى حلقى ووجدانى ؟
ويا سيناء ؟ ان انسانك فى أعضاء نعسان ؟
ليصح الله آثارى واخبارى واديانى
وما فى القلب منفوش بأمر الله ديانى :
طويدا صرت فى الآفاق وشمى عار أوطانى !

ارميـــــا

« اسمعوا يا جميع الشعوب ، وانظروا بأحزنى
عذارای وشبانى ذهبوا الى السبى .
ناديت من احبونى ، لكنهم خدعونى .
كهنتى وشيوخى فى المدينة ماتوا
لانهم طلبوا لانفسهم زادا ليردوا انفسهم . »

« المراثى » اصحاح ١.

الشـــــاعر

حواة الفكر قد ملأوا شعاب الارض والماء ؟
نداع تال للجهال : هيا نحو ابهائى ..
كتاب الله دستورى وهذا السيف طغرائى
احز به رقاب الناس احبابى واعدائى :
انا العمران والحسنان ، انسابى لزهرائى ؟
وسيف الله فى غمدى وامر الله املائى .

انا المهدى والملكوت آت طوع ايمائى :
خذوا الملكوت يا فقراء : هيوا فيض نعمائى
وبيت المال لى وحدى ، وبيت الملك ابهائى »

ارميـــــا

من أجل خطايا انبيائها وآثام كهنتها
السافكين فى وسطها دم الصديقين .
تاهوا كالعميان فى الشوارع وتلطخوا بالدماء
حتى لم يستطع أحد أن يمس ملابسهم :
ينادون اليهم قائلين : حيدوا ؟ حيدوا ، ولا تمسوا
أما نحن فقد كلت عيوننا من النظر الى هوننا
الباطل .
فى برجنا انتظرنا أمة لا تخلص .....
آباؤنا أخطأوا وهم ليسوا بموجودين
ونحن نحمل آثامهم ؟
عبيد حكموا علينا ، وليس من يخلصنا من ايديهم
انت يا رب تجلس الى الابد
على كرسيك من حقبة الى حقبة .
لماذا تنسانا الى الابد وتتركنا طوال الايام »
أردنا يا رب اليك فنرتد .
جدد أيامنا كالقديم .
هل رفضتنا كل الرفض ؟
هل غضبت علينا . ؟ »

« المراثى » اصحاح ٥ و ٥

الشـــــاعر

يمين انت : لا تجلس بسادة ولا خان ؟
وقبل الثورة الكبرى لبست الترمز الثانى ؟
وجاء الوقت للأسمال فارتق ثوبك الثانى »
يسار انت : هذا خنجرى فى صدرك العاتى »
معاذ الله لا تظلم : أنا فى الحق وسلطانى .
اذن فالتهمة اختلقت ، وأنت السلب تختشانى ؟
وهذا غير ثورى ، وهذا غير انسانى .
اذن خذنى كبصرى على أوثى كأقترانى ؟
ولا هذا بميسور ، فقد صرنا لعريان .

ارميـــــا

« ها زوبعة الرب . غيظ يخرج ونوء هائج »
على رؤوس الاشرار يثور

لا يرتد غضب الرب حتى يجرى ويقيم مقاصد قلبه .
فى آخر الايام تفهمون فهما .
لم ارسل الانبياء بل هم جروا .
لم اتكلم معهم بل هم تنبأوا ..
قد سمعت ما قالته الانبياء الذين تنبأوا باسمى بالكذب
قائلين : حلمت ، حلمت .....
هانذا على الانبياء الذين يتنبأون بأحلام كاذبة يقول الرب
الذين يقصونها ويضلون شعبى بأكاذيبهم ومفاخراتهم
وانا لم ارسلهم ولا أمرتهم .
فلم يفيدوا هذا الشعب فائدة يقول الرب »

« ارميا » اصحاح ٢٣

الشاعر

وصاح داع : لا ملكوت الا ملك آبائى
والا الدولة الكبرى وحاضرة كفيحائى ؟
تخوم فى مدار الشمس مناطعة بالآلاء
فهيا نفتح الدنيا بسيف العرب وضاء
الا استيقظ من الاحلام وانظر حال ابنائى !
اجاب : اصبت ، فانى ناقش الاحلام فى الماء
ابيع التاج للضحاذ يمشى بشى خيلاء .
كتوز الارض اقتسما لذى موز وبأساء .
اقم للمجد دكانا تصب اضعاف نعمائى »

ارميا

كيف اكدر الذهب وتغير الابريز الجيد
انهالت حجارة القدس فى رأس كل شارع »
بنو صهيون الكرماء الموزونون بالذهب النقى
كيف حسبوا اباريق خزف صنعتها يدا فخارى .
بنات آوى ايضا اخرجت اثداءها وارضعت اجراءها ؛
اما بنات شعبى فجافية كالنعام فى البرية .
لصق لسان الراضع بحلقه من العطش .
الاطفال يسألون خبزا وليس من يكسرة لهم »

الذين كانوا ياكلون الاطعمة الفاخرة قد هلكوا فى الشوارع .
الذين كانوا يتربون على القرمز احتضنوا المزابل
وقد صار عقاب بنت شعبى اعظم من قصاص خطيئة سدوم ..

« المراثى » اصحاح ٤

الشاعر

وداع قال : فردوسى هنا فى الارض لا السدم
وهذا الكون دهرى ولم يحدث من العدم
تحول كيه كيفا فكان الفكر فى القدم
به الانسان مولى الارض فك الغل عن قدمى
وفردوسى كباقدة بلا ساق ولا خدم
ولا أرباب تستولى على حقى من اللثم
ومجتمعى بلا طبقات تحكى صورة الهرم
سواسية كاسنان بلا عيب ولا متم
به الحرية المثلى زوال الجوع والنهم »

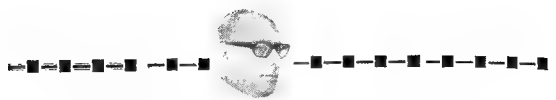

لويس عوض :

قائمـــة بأعمـــاله الـــكاملة

● الاعمال المنشورة :

«The Theory and Practice of Poetic Diction»
M Litt dissertation, Cambridge University, 1948.

٢ — فن الشعر لهوراس ، الناشر : مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٥ .

٣ — بروميثيوس طليقا للشاعر شيلى الناشر : مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٦ .

٤ — صورة دوريان جراى لاوسكار وايلد الناشر: دار الكاتب المصرى ، القاهرة ، ١٩٤٦ .

٥ — شبح كلفرفيل لاوسكار وايلد، الناشر : دار الكاتب المصرى ، القاهرة ١٩٤٦ .

٦ — بلوتولاند وقصائد اخرى « من شعر الخلسة » ، الناشر : مطبعة الكرنك ، القاهرة ، ١٩٤٧ .

٧ — فى الادب الانجليزى الحديث ، الناشر : مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٠ .

«Studies in Literature», Anglo-Egyptian-shop, Cairo, 1954.

٩ — خاب سعى العشاق لشكسبير ، الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

١٠ — دراسات فى ادبنا الحديث ، الناشر : دار المعرفة ، القاهرة ١٩٦١

١١ — الراهب ، مسرحية تاريخية، الناشر : دار ايزيس ، القاهرة ١٩٦١

١٢ — دراسات فى النظم والمذاهب الناشر : المكتب التجارى ، بيروت ، ١٩٦٢ .

١٣ — المؤثرات الاجنبية فى الادب العربى الحديث » ، الجزء الاول « قضية المرأة » ، الناشر : معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

١٤ — المؤثرات الاجنبية فى الادب العربى الحديث ، الجزء الثانى « الفكر السياسى والاجتماعى » الناشر : معهد الدراسات العربية العالية ، القاهرة ١٩٦٣ .

١٥ — الاشتراكية والادب ، الناشر: دار الاداب ، بيروت ، ١٩٦٣ .

١٦ — الجامعة والمجتمع الجديد ، الناشر : الدار القومية ، القاهرة ١٩٦٤

١٧ — دراسات فى النقد والادب ، الناشر : المكتب التجارى ، بيروت ، ١٩٦٤ .

«The Theme of Prometheus in English and French Literature», Ph.D. dissertation, Princeton University, 1958. Publisher : Ministry of Culture, Cairo, 1963.

١٩ — المسرح العالمى ، الناشر : دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٤ .

٢٠ — البحث عن شكسبير، الناشر: دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

٢١ — نصوص النقد الادبى عند اليونان ، الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

٢٢ — مفكرات طالب بعثة، الناشر: دار روز اليوسف ، سلسلة الكتاب الذهبى ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

٢٣ — دراسات عربية وغربية ، الناشر : دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٥ .

٢٤ — على هامش الغفران ، الناشر : دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

٢٥ — العنقاء ، او تاريخ حسن مفتاح ، الناشر : دار الطليعة بيروت ١٩٦٦ .

٢٦ — اجاممنون لاسخيلوس ، الناشر : دار الكاتب العربى ، القاهرة ١٩٦٦ .

٢٧ — المحاورات الجديدة او دليل الرجل الذكى الى الرجعية والتقدمية وغيرهما من المذاهب الفكرية ، الناشر: دار روز اليوسف ، القاهرة ١٩٦٧ .

٢٨ — الثورة والادب ، الناشر : دار الكاتب العربى ، القاهرة ١٩٦٧ .

٢٩ — انطونيوس وكليوباترا لشكسبير الناشر : دار الكاتب العربى ، القاهرة ١٩٦٧ .

٣٠ — هاملا ، القرابين لاسخيلوس، الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

٣١ — اسطورة اوريست والملاحم العربية ، الناشر : دار الكاتب العربى القاهرة ، ١٩٦٨ .

٣٢ — الصافحات لاسخيلوس ، الناشر : دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

٣٣ — تاريخ الفكر المصرى الحديث « جزءان » الناشر : دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

٣٤ — الجنون والفنون فى اوربا ٦٩، الناشر : دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

٣٥ — دراسات اوربية ، الناشر : دار الهلال ، ١٩٧٠ .

٣٦ — الحرية ونقد الحرية ،الناشر: دار الكاتب العربى ، القاهرة ، ١٩٧١

● تحت الطبع :

٣٧ — مقدمة فى فقه اللغة العربية ، الناشر : مؤسسة الدراسات العربية ، بيروت .

٣٨ — تاريخ الفكر المصرى الحديث « الجزء الثالث » ، من عصر اسماعيل الى ثورة ١٩١٩ . الناشر : مكتبة الانجلو المصرية .

الالتزام .. وصدق التعبير

في معـــرض عز الدين نجيب

الفنان الذي أخذ على عاتقه مهمة الالتزام بقضايا مجتمعه ؛ المشارك في حركة نضاله الدائبة ، المهموم بكل كبائله بمشكلات عصره ، انما تتفتح بالتدريج ، وباستمرار ، محاولة صعبة : أن كيف تكون أعماله الفنية ذاتها تعبيرا مخصوصا عن هذا الالتزام ، دون أن يسقط ـ في نفس الوقت ، وكما يحدث عادة ـ في فجاجة التعبير ، وفي سطحية الدعاية الجوفاء ؟ كيف يستقيم أعماق الفنية كوسيلة ، لتجسيد التزامه بمجتمعه وعصره ، دون أن تتحول هذه الأعمال الفنية الى مجرد تسجيل ، لأحداث واقعية ، سريعة ، عابرة ؟ كيف يستطيع الفنان الملتزم ، بموقف ، اجتماعي وانساني معين ، أن يعبر عن الأبعاد المتكاملة لمواقف هذا ؟ كيف يستطيع أن يعطيها الاحساس العميق باستمداد موقفه في صميم الواقع الخارجي بأبعاده ، في صميم الوجود الانساني كله ، كيف يستطيع الفنان أن يجعلها تشعر بأن الحدث الاجتماعي المباشر أو الظرف الخارجي الذي دفعه لابداع عمله الفني ، هو جزء لا يتجزأ من مصير عالم بأسره .

هذه المشكلة الملحة ، هي المشكلة الاساسية التي تشارحها باستمرار أعمال الفنان التشكيلي عز الدين نجيب ، وفي معرضه الأخير الذي أقامه في الشهر الماضي في المركز الثقافي السوفياتي بالقاهرة ، محاولة الاجابة على هذا السؤال الملح ، محاولة حل هذه المعادلة الصعبة .

والالتفات للنظر حقا في هذا المعرض هو النضج الفني الملموس والواضح ، هو السيطرة الحقيقية على أدوات الفنان التشكيلية ، هو الرسوخ الأكيد لوحدة أصيلة عبقها العقل الفني ـ عقلها الابداع الفكري الواسع ، والعراسة الفنية الدؤوبة ـ فازداد اشعاعها، وعطاؤها التشكيلي . هذا النضج الذي ذاته ؟ هو وسيلة الفنان هنا لتعبيره عن سائر القضايا ذات الطابع الاجتماعي والانساني ، التي أراها تقلق باستمرار ضمير الفنان وتضحد وعيه في نفس الوقت وحتى اليوم نحن لا نستطيع أن ننسى ذلك الأثر العميق الذي خلفته هزيمة الخامس من يونيو على كيان الفنان لقد استفزت الهزيمة وهي الفنان وحفزته للتعبير الفني ، فكانت هنا بداية الشحنة القوية الطاقة وراء أعمال فنية لا تنسى ، تحولت الى موضوعات معرض باسره ، أقامه الفنان منذ خمسة أعوام . ونحن حتى اليوم لا نستطيع أن ننسى ذلك الخلل البركيه المشحون ، الذي يدفعه بانحراف بنظر أيلبه الى لا شيء ، وراء أشياء حديدية ناسية صماء ، لا نستطيع أن ننسى ذلك الانطباع الوحشي الذي يعطيه سقوط جسد نبيل عريق ، جسد ملكة فرعونية هوت بكبرياء لا تستطيع أن تنسى صبور الشهادات الذين صلبوا أحياء ، ولا صور الصائغات الآتي يساقطن الهزيمة المريرة ، ولا ذلك الانتظار المحفوف بالخوف والترقب ، ولا تلك الابتهالية الواهنة التي تصالح شخوص بالرغم من كل شيء .

طابع رمزي

لن يفوتنا هنا ، اذن ، ملاحظة تلك الرغبة الراسخة في استخدام مجموعة من الرموز البسيطة التي تمكن الفنان من التعبير عن حدث مباشر ، هو حدث الخامس من يونيو . لقد كانت هذه الرموز البسيطة وسيلة الفنان في تجسيد موقفه من ذلك الحدث ، وقد استطاع من خلال هذه الرموز أن هذه الاستعارات أن يلمس الابعاد الانسانية الدخيلة الممتدة لهذا الحدث المباشر . لقد استطاع الفنان تجاوز كل ما يمكن أن يفرضه هذا الحدث الدامي الأليم ، من نزعة « مباشرة » في التعبير ، ذلك لان كل ما يعبر عن موضوعات التعبير عن هذا الحدث المباشر ، كان ناتجا هنا ، من الاعمال الدلالية للفنان ، ولم يكن شيئا مفروضا طبيعيا الخارج . أن موقف الفنان هنا شديد الشبه بموقف « بيكاسو » حينما أراد أن يعبر عن مأساة « جورنيكا » ، تلك القرية الاسبانية البطلة التي دكها قنابل الفاشية في الحرب العالمية الثانية لقد كانت كل الرموز والاستعارات والشخوص ، وكذلك بعظم الوسائل والاساليب التشكيلية التي تناولها بيكاسو في لوحته العظيمة ، موجودة في أعماله السابقة ، ماثلة في منهجه التشكيلي وفي رؤيته الاستبصارية من قبل ، لم يفعل بيكاسو ، اذن ، أسلوبا فنيا جديدا ، يجعله مفضيا للتعبير عن هذا الحدث المباشر ، وذلك لسبب واضح وبسيط أيضا ، وهو أن هذا التدريج الذي أصاب جورنيكا ، كان في نفس الوقت التدريج الذي اعترى كيان الفنان باسره . أي لم يكن حدثا تاريخيا يمكن عزله عن أعماق الفنان ، وعن مواقفه الانسانية الراسخة ، البسيطة الواضحة في نفس الوقت . هذه المواقف الراسخة التي استطاع أن يبلورها الفنان هنا على كل من المستويين : معنوى موقفه الواضح من قضايا مجتمعه وعن هموم عصره من ناحية ، ومستوى منهجه التشكيلي العميق وأسلوبه الفني الأصيل من ناحية أخرى .

ما الذي يميز عز الدين نجيب ، اذن ، بعد أن طوتنا صفحة الهزيمة الشوهاء ، زيعد ما حققناه من انتصار عميق لنحيا في السلام من كثير ، من أن ينطلق في حماس ، من أن يشدو ويغني بله الغضاء كله ؟ لعل أبرز ذلك المغني الشاب يصدح في كثير من لوحات هذا المعرض الاخير ، لقد راح يغني مرتفع الجبهة ، شامخ الوجه في اعتداد وأمل ، محتضنا آلته الموسيقية ، آلة العود بكل شوق وحب ، راح يغني دائما سيالا متدفقا ، ويجهر اره دائما فتاة سمراء متألقة صبوحة

الوجه ، تغزل ثوبا فى رفق ، تقدمه لمغنيها الشاب ، أو تحتضن طيرا من الورق • بجوار هذا المغنى أيضا نلمح عامل البناء الكادح الذى هزه النغم فراح ينصت اليه فى شغف أسر •

نحن هنا ، اذن ، أمام فنان شديد التفاعل مع أحداث مجتمعه • ايقاع مشاعره ورؤيته هو ايقاع المتغيرات المستمرة التى تعترى حياة قومه وشعبه • وكأنه هو ذلك « الترمومتر » الدقيق ، البالغ الحساسية الذى أشار اليه بيكاسو هذا الترمومتر الدقيق الذى مهمته التقاط المتغيرات الدائمة التى تعترى درجة حرارة جسم الواقع ، جسم المجتمع المحيط • وما « الحرية » هنا ـ ذلك الموضوع الذى عبر عنه فناننا فى احدى لوحاته ـ سوى هذا الجسد النبيل الاصيل الذى رأيناه منذ أعوام مضت وقد سقط مهزوما منكسرا ، نراه الان وقد استقام شامخا من جديد ، متحديا هذا السور الحديدى بحرابه الحادة المسننة ، مستدفئا بحرارة تلك الشمس الطوبية اللون ، التى كثيرا مانراها فى أعمال عز الدين نجيب .

ويحاول الفنان فى كثير من أعماله تجسيد تلك الصلة الوثيقة التى تربط بين ماضى مصر العريق ، وحاضرها المليء بالامال الممتدة العريضة •• حاضر الكادحين • يحاول الفنان تجسيد هذه الصلة التى لا تنقطع أبدا فى بلد ينهض من جديد نهضة عميقة شاملة • ففى لوحة من أنضج لوحات الفنان فى هذا المعرض ، سواء من ناحية دلالة الموضوع أو من ناحية عمق التشكيل ، عنوانها « ثلاثية الاحجار » ، يصور عز الدين نجيب ذلك الماضى العريق من خلال هذا الوجه الجميل ، بتقاطيعه المصرية الاصيلة ، لاميرة من أميرات مصر القديمة ، نرى ذلك الوجه كقطعة نحتية مغروزة فى رمال ممتدة الى ما لا نهاية • وبجوار هذه القطعة النحتية ، قطعتان من النحت الحجرى البارز ، منقوش على احدهما رؤوس مجموعة متعاقبة من الجنود ، وعلى القطعة الاخرى مجموعة من الفلاحين يعملون بفئوسهم فى الحقل • أن هذا الحاضر الذى تمثله هنا مجموعة الجنود والفلاحين الكادحين ، انما هو حاضر يصافح ذلك الماضى العريق ، الذى رأيناه مجسدا فى هذه الاميرة المصرية القديمة ، وهى ترنو الى هذا الحاضر وتحييه بابتسامة هادئة ، صبوحة دائمة لا تفتر ، كابتسامة « الموناليزا » •

المخاض

رؤية كولية

وفى مجموعة كاملة من أعمال الفنان فى هذا المعرض نستطيع أن نلمس أيضا مدى عمق رؤيته الانسانية ، مدى امتدادها الرحيب لتشمل ابعاد الحياة باسرها • نرى ذلك فى مجموعة كاملة من اللوحات أسماها الفنان بمجموعة « دورة الحياة » : وهى ، فى الواقع تعد تنويعات على لحن واحد متصل ، هو لحن الشجر • وفى هذه المرة أيضا ، يتناول عز الدين نجيب بعض الرموز البسيطة التى تساعده فى تجسيد رؤياه التشكيلية وموقفه الانسانى • فالشجر باستمرار ـ فى كل عقائد الانسان وأساطيره وميثولوجيته ـ يعطى الايحاء بالنماء والخصب وتطور الحياة ، وتجددها المستمر اللانهائى • ان الشجر يقاوم على الدوام كل عوامل الجدب والقحط الماثل فى الكون • لكنه يخضع مثله مثل كل ما هو موجود فى الكون ، لقانون التطور ، لقانون الازدهار والفناء ، قانون الحياة والموت الدائم المتصل • وحينما يختار عز الدين نجيب أشجاره ، فانه يختار باستمرار شجرة الصبار لتعبر تعبيرا مكثفا عن أبعاد هذه الرؤية الكونية • انها الشجرة الوحيدة التى تظل تقاوم وحدها كل مظاهر الجدب والفناء المحيط بها فى صحراء الحياة • اننا نرى هذه الشجرة فى أعمال الفنان ، وقد استقامت متحدية كل ما يمكن أن يحطمها ويفنيها ، متحدية خط الافق الهامد الموحش فى اصرار على فرض الوجود ، متحفزة بفروعها الممتدة فى كل الانحاء ، وبشوكها الحاد المتقزز الذى تحمى به كيانها من أخطار الطبيعة التى تحيق بها من كل جانب •

وفى داخل جذوع أشجار عز الدين نجيب ، وفى قلبها ، نستطيع ان نلمح باستمرار أجسادا بشرية متكورة منكمشة على ذاتها ، وكأنها الجنين فى رحم أمه ينتظر لحظة الميلاد • وهى ، كما ترى ، صور بالغة الشاعرية ، هذه الصور التى تجسد لنا ذلك التزاوج الغريب ، المثير ، بين الكائنات الحية •• بين الاشجار وبين بنى الانسان • وفى احدى لوحات الفنان الاخيرة ، تصل بنا هذه الرؤية الشاعرية الرمزية الى قمة تعبيرها وتألقها الفنى • انها لوحة « الفارس المجهول » : واللوحة تصور لنا مجموعة كبيرة من اشجار الصبار الضخمة وقد تناثرت جميعها حول فتاة عارية ذات شعر أحمر استلقت بجانب النهر • وعلى البعد نلمح حصانا واقفا بين الاشجار ، يتطلع فى ترقب ، وفى باطن هذه الاشجار وفى اعماقها استقامت نفس الاجساد البشرية العارية المتكورة ، التى نراها باستمرار ترقد فى رحم الاشجار •

فهل يا ترى تحمل واحدة منها ذلك الفارس المجهول ؟

العنصر الديناميكى ، والمعمار التشكيلى

هذه النزعة التعبيرية التى نلمسها واضحة فى كل أعمال الفنان ، كيف تتبلور ؟ كيف تتجسد تشكيليا ؟ كيف تأخذ ملامحها الفنية المميزة ؟ ربما كان

ابرز ما يميز الاسلوب التشكيلى للفنان عز الدين نجيب هو طابعه البنائى البسيط الصريح الواضح هو ميله المستمر الى تشكيل رؤياه التعبيرية عن طريق ذلك الحس المعمارى الطاغى الذى لا تخطئه العين ابدا • ولذلك فان اهتمام الفنان كله موجه الى عملية تبسيط المرئيات الى اقصى درجة ممكنة ، موجه الى عملية « تسطيح » الاشكال ، واختزال كل التفاصيل والابقاء فحسب على الجانب الجوهرى من هذه الاشكال • ولكى يستطيع الفنان تحقيق عملية التسطيح هذه ، فلابد أن يتجه ، أول ما يتجه ، الى الغاء الظلال • ومن ثم الغاء المنظور الفوتوغرافى أو المنظور الهوائى ، أى الغاء العمق الذى يتجسد – فى اللوحات الواقعية التقليدية – عن طريق الايحاء بالابعاد المتعاقبة فى التكوين ، حتى تصل الاشكال داخل اللوحة فى امتداد أبعادها – فى امتداد وضوح ملامحها – الى نقطة تلاشى المرئيات وزوالها نهائيا • لقد ألغى الفنان من اعماله ذلك المنظور الفوتوغرافى كلية ، لانه لا يبغى هنا أن يعطينا « منظرا » طبيعيا لواقع يتغير أو يتبدل ، آليا ، فى كل لحظة • ان الفنان هنا يبغى خلق « أسطورة » دائمة تعبر عن مدى الصراع المستمر بين الطبيعة الخام ، والوجود الانسانى • انه يبغى هنا خلق « تركيبة » جديدة ، أو « بنية » جديدة تعبر عن رؤيا الانسان الممتدة اللانهائية ، تعبر عن احلامه وعن رغباته وحاجاته الخاصة الى تغيير الطبيعة وتحويلها باستمرار • لذلك فالخطوط والالوان والمساحات هنا لا نراها تحاكى الواقع الطبيعى او تنسخه ، لكن تعيد خلقه من جديد ، بما يتلاءم وينسجم مع هذه الرؤية التركيبية الجديدة •

هناك حس ديناميكى واضح فى اعمال الفنان ، فى خطوطه والوانه والمساحات التصويرية للوحاته ، كيف يبدو ويتجسد ؟ انه يبدو باستمرار نتيجة لتقابل عناصر متضادة ، ينشأ من تقابلها نوع من الصراع ومن التوتر. فى بعض الاحيان تتبلور هذه العناصر المتضادة فى ذلك التقابل الصريح والواضح والحاد بين مظهر « التجسيم » مع مظهر « التسطيح » • فمثلا ، فى لوحة « ثلاثية الاحجار » ينشأ العنصر الديناميكى هنا نتيجة لتفاعل الاشكال ذات الطابع التجسيمى التى تقابل المساحات المسطحة الواضحة الخالية من كل ملامح تجسيمية • ان تمثال الاميرة المصرية القديمة ، وكذلك قطعتى النحت البارز

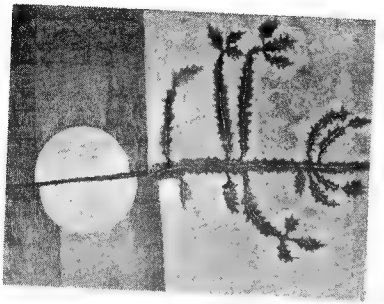

شجرة الصبار

التى بدت كل منهما هنا اشبه بالميدالية المستديرة الضخمة ، يتمتعان بقدر ملحوظ من التجسيم والتكوير ، وان كان هذا التجسيم هنا اقرب الى تجسيم النحت البارز منه الى التجسيم الثلاثى الابعاد ، التجسيم الذى ينشأ من استخدام المنظور الفوتوغرافى • هذه القطع النحتية الثلاثة انما تقوم هنا على ارضية كاملة التسطيح ، خالية من كل اثر للظلال • وتنقسم هذه الارضية المسطحة بكل وضوح وجلاء الى مصلحتين ، احداهما شريط سماوى هادىء مائل فى أعلى التكوين ، أما الجزء الباقى من هذه الارضية ، فهو عبارة عن مساحة ممتدة كبيرة من اللون الابيض المشرب بدرجات لونية فاتحة جدا من اللون البنى •

وفى كثير من الاحيان يبدو هذا العنصر الديناميكى نتيجة لتقابل وتصارع اتجاهين متضادين : خطوط التكوين التى تسير فى الاتجاه الافقى فى تقابلها وصراعها مع الخطوط التى تسير فى الاتجاه الرأسى • ان خطوط الاتجاه الافقى توحى باستمرار بالاحساس بنوع من الهدوء أو الهمود أو الموت ايضا ، لانها الخطوط التى استسلمت نهائيا للجاذبية الارضية • بينما الخطوط الرأسية أو العمودية هى الخطوط التى استطاعت أن تقاوم ، ثم تنجح فى فرض اتجاهها على هذه الجاذبية الارضية التى تميل باستمرار الى جذب الاجسام ناحيتها • ان الصراع بين هذين الاتجاهين هو الصراع ، اذن ، بين الحياة والموت . هذا النوع من الصراع ومن الديناميكية نلمس تجسيده الواضح المتكامل فى كل لوحات المجموعة التى يطلق عليها الفنان اسم « دورة الحياة » • فهناك الفناء الابدى لكل الاجسام التى استلقت على المستوى الافقى • يقابل هذا الفناء ، رغبة الحياة فى استكمال دورة التطور ، وفى مقاومة الموت ، ويتمثل ذلك فى الاجسام التى استطاعت أن تنهض على المستوى العمودى ، أو الرأسى الصريح . أما الاجسام التى توحى أكثر من غيرها بالديناميكية والحركة الصاخبة والتوتر العنيف ، فهى الاجسام التى تظهر باستمرار فى حالة مقاومة دائمة ، هى الاجسام التى لم تنجح الجاذبية الارضية فى جذبها اليها نهائيا ، كما أنها – فى نفس الوقت – هى الاجسام التى لم تنجح فى فرض اتجاهها على هذه الجاذبية الارضية ، حتى تستطيع أن تنهض على المستوى الرأسى الصريح • ان الاجسام التى توحى باستمرار بالتوتر الديناميكى البالغ ، هى الاجسام التى تبدو قائمة على المستوى القطرى ، مستوى التذبذب والتردد والتارجح اللانهائى •

لقد استطاع الفنان من خلال هذا المفهوم الديناميكى للخطوط والمساحات التصويرية ، أن يعطينا عالما حيا متألقا ، نابضا بصراع الحياة الدائم المستمر الذى لا يتوقف أبدا .

محمد شفيق .

صرخة

الواقعية الجديدة

عام ذهب .. عام فقير بل وفقير جدا فى السينما واغلب الظن ان احدا لن يتذكر من افلامه شيئا .

وعام يجىء عام نحتفل فيه بحدثين هامين فى تاريخ الفن السابع :

اولهما ميلاد هذا الفن .. فن القرن العشرين على ارض فرنسا منذ ثمانين عاما وبالتحديد يوم الخامس والعشرين من ديسمبر لعام ١٨٩٥ .

والثانى ميلاد الواقعية الجديدة على ارض ايطاليا بفضل « روما مدينة مفتوحة » رائعة « روبرتو روسيلليني » التى اخرجها الى الناس فور انتهاء ليل الفاشية وبالتحديد خلال عام ١٩٤٥

ويخيل الى ان المجال ليس مجال كتابة عن السينما فى عيد ميلادها الثمانين ، ففى الوقت متسع لان الاحتفال بها لن يكون قبل عشرة شهور او يزيد .

ولذا اكتفى الان بنظرة طائرة على الواقعية الجديدة بمناسبة عيد ميلادها الثلاثين . . .

من المعروف عن « فيتوريودى سيكا » الذى اختفى بالوفاة قريبا من نهاية العام الماضى انه احد رواد ثلاثة لعبوا دورا هاما فى الخروج بالواقعية الجديدة الى عالم الاطياف ، وانه انفرد دون الرائدين الاخرين « روسيلليني ولوتشينو فسكونتى » باخراج افلام تجارية ليس لها صلة بالواقعية من قريب او بعيد .

وفى محاولة من المخرج الراحل لتبرير ردته هذه صرح انه اخرج عديدا من الافلام التجارية لالشىء سوى مساعدة المنتج « كارلو بونتى » على الكسب .. وان هذه الافلام — ورغم ما حققته من نجاح جماهيرى — تفتقد اهم شىء فى العمل السينمائى .. وهو الروح الفنية .

ثم اعترف قائلا وقلبه يقطر مرارة « هذه الافلام .. ما كان يحق لى ان

دى سيكا

اخرجها » « ص ٩ من كتاب — السينما والايديولوجى والشباك للناقد — كاراجا نوف .. الطبعة الانجليزية » .

ويبدو ان المخرج الكبير كان يتوهم ان باستطاعته ان ينجح فى توفير قدر من المال يعينه — قبل الرحيل الاخير — على امتطاء جواد الواقعية من جديد .. وعلى اخراج افلام من نوع روائعه الاولى « سارقو الدراجات » و « ماسحو الاحذية » و « امبرتود » .

وانا لا اعرف هل كان « فيتوريودى سيكا » مخلصا صادقا فى وهمه هذا .. غافلا عن حقيقة موقفه السلبى ؟

ومهما يكن من امر فالذى لاريب فيه ان الاعوام مرت مرا سريعا ولم يستطع رائد الواقعية الراحل ان يخرج من المأزق الذى زج بنفسه فيه حين ارتضى ان يعقد صفقة مع اصحاب المال والاعمال على حساب فن الواقعية الجديدة وما يقوم عليه من مبادىء .

لقد تركت الصفقة بصمتها نهائيا على افلامه التى تدهور مستواها الفنى لانها اصبحت اسيرة شباك السينما التجارية .

وهذه محنة قاسية ما فى ذلك شك .. محنة امتحن بها فى افلامه .. ولم يكن له ان يخلص منها الا بالموت !!

وبعد فما هى هذه الواقعية الجديدة التى حاول مخرجنا الراحل ما وسعته الحيلة ان يعود اليها ، ولم يجد الى ذلك سبيلا ؟

كثيرا ما تختلف اراء النقاد وتتعارض اقوالهم ولكن اراءهم لم تختلف واقوالهم لم تتعارض ، مثلما اختلفت وتعارضت فى شأن ظاهرة الواقعية الجديدة .

فكل واحد منهم برأى .. وكل واحد منهم بقول .. ولكنها آراء واقوال يتسق بعضها مع بعض فى نهاية الامر . فالواقعية الجديدة عند « ريمون بورد » و« اندريه بويسى » هى « سينما اجتماعية مرت بتجربة جماهيرية » فى قول ، وهى « سينما الشجاعة » فى قول آخر .

وعند « جورج سادول » هى « سينما المعاصرة » .

ولجان بول سارتر — وهو من الادباء القلائل الذين اتصلت الاواصر بينهم وبين السينما ، ويعتبر من نقادها الشوامخ — رأى مخالف فهو يعتبرها ثمرة توفيق تم بين الواقعية النقدية وبين الرقابة « الواقعية الجديدة الايطالية من دوسيه السينما — السينمائيون جزء اول » .

اما « اندريه بازين » فالواقعية جديدة ليس لها عنده وجود قائم بذاته . وهو فى رسالته « دفاعا عن وسيلليني » التى بعث بها الى « جيدو ريستاركو » رئيس تحرير مجلة السينما الجديدة » يقول « ان ماله جود هو فريق من المخرجين الواقعيين لجدد ، وان المتتبع لاعمالهم يستطيع ن يرى فى وضوح ان من بينهم من نو مادى فى تفكيره او مسيحى او سيوعى او غير ذلك من انواع التفكير كل واحد منهم يلتمس طريقه فى اتجاه لواقعية الجديدة بطريقته الخاصة .

« فيسكونتى » واقعى جديد فى « الارض تهتز » وهو فيلم يدعو الى الثورة الاجتماعية .

وروسيلليني واقعى جديد هو الاخر فى « زهور القديس فرنسيس » مع انه فيلم يصور واقعا روحيا خالصا ص ١٥٨ من الجزء الرابع من كتاب « ماهى السينما ــ الطبعة الفرنسية »

ويرى « جيدو اريستاركو » ان الواقعية الجديدة أن هى فى حقيقة الحال الا واقعية تنطبق على واقع جديد هو واقع ايطاليا ساعة التحرير .. وهذا الواقع الحال هو الذى هيأ للواقعية الجديدة فرصة الظهور .. وهو الذى اعطاها باعتبارها شاهدا على العصر مغزاها بل واسلوبها الجمالى فى غالب الاحيان .

وقد يكون من الخير ان نلاحظ قبل ان نتحدث عن ماهية الواقعية الجديدة ، أن ظروف العالم كانت ملائمة كل الملاءمة لظهورها ، فكل شىء كان يؤذن بانتصار الحياة ، ويدفع الى الايمان بالانسان وبمستقبله المشرق .

وفى ايطاليا بالذات ، وبعد عشرين عاما من حكم الفاشية اذا بكل شىء من حول السينمائيين ينهار . فنظام الحكم ينقسم على نفسه ويعزل الملك موسولينى الذى يختطفه الالمان .. وتتكون لايطاليا حكومتان : حكومة ملكية فى الجنوب تلقى السلاح وتركع متلقية شروط المنتصر .. وحكومة جمهورية فاشية فى الشمال ترفع السلاح فى وجه الشعب وتركع متلقية شروط المحتل النازى .

ومع اقتراب قوات الحلفاء من روما اخليت مدينة السينما فى ضواحى العاصمة من كل ما كانت تحتويه من معدات وافلام جرى نقلها على عجل الى فينيسيا .. وهذا الاجراء من جانب السلطة الفاشية كان بمثابة حكم بالاعدام على السينما القديمة ، تلك السينما التى اصطلح على تسميتها « سينما التليفون الابيض » ، وايذان بميلاد

روسيلليني

السينما الجديدة التى اطلق عليها فيما بعد « الواقعية الجديدة » .

وفى يونية عام ١٩٤٤ حررت «روما» من الاحتلال الهتلرى ورغم ذلك فقد ظلت الحرب مستعرة حتى ربيع عام ١٩٤٥ واستمرت جيوش الحلفاء فى تقدمها نحو شمال ايطاليا حيث كان موسولينى يترأس حكومته الصورية .. وخلال شهر ابريل القى الانصار القبض عليه .. وبعد محاكمة شعبية سريعة اعدم هو وعشيقته رميا بالرصاص .

وبموت الطاغية تحطمت اغلال الفاشية وولد مجتمع جديد اخذت تسرى فى جسمه مبادىء العدالة والاخاء والديموقراطية سريان الزيت فى الزيتونة كما يقال .

ولم اكن لاقف عند هذه الاحداث لاطويلا ولا قصيرا لولا انها لعبت دورا حاسما فى اخراج رائعة «روسيلليني» « روما » الشعب .. « روما » نضال الشيوعيين مع رجال الدين من اجل الاستقلال والديموقراطية « روما » المدينة المفتوحة التى خرجت من احيائها الفقيرة ــ احياء صانعى الحياة ــ افلام الواقعية الجديدة ... اى هذا النوع من الافلام الذى حرصت الفاشية على سد الطريق امامه من خلال رقابة متعسفة متحكمة ظلت تعمل لغير صالح الشعب طوال عهد الفاشية الاسود .

فالسينما عند موسولينى وجلاديه كان مرسوما لها ان تعرض الحياة لاكما هى فى الواقع .. وانما كما يراد للجماهير ان تراها او تتوهمها .. ومن هنا غلبة افلام التلفون الابيض على السينما الايطالية .

واننى ليحضرنى هنا وانا احاول وصف حال السينما الايطالية خلال فترة تدهورها ابان حكم الفاشية بعض ملاحظات ونصائح ضمنها المخرج المصرى الراحل « احمد بدرخان » مؤلفا تعليميا له عن « السينما » كتبه خلال عام ١٩٣٦ .

فما علينا الا أن نقف لحظة عند هذه الملاحظات والنصائح لنتصور ماذا صنعت الفاشية بالسينما فى ايطاليا .. وماذا تصنع العناصر الطفيلية بالسينما فى مصر .. وكيف تحولت بها فى البلدين من اداة تحرير الى اداة تخدير .

يقول المخرج المصرى فى احدى ملاحظاته :

« ان السيناريو الذى تدور احداثه فى اوساط بسيطة كأوساط العمال والفلاحين نجاحه محدود لان السينما قبل كل شىء مبنية على المناظر » هذه واحدة .. وفى ملاحظة اخرى يقول :

«ان الطبقة المتوسطة من الشعب ــ وهى السواد الاعظم من رواد السينما ــ لا تحب أن ترى العالم الذى تعيش فيه بل على العكس تطمح الى رؤية الاوساط التى تجهلها وتقرأ عنها فى الروايات » .

ويمضى المخرج فيقدم النصيحة الاتية :

« اليك بعض الاماكن التى تليق أن تظهر فى شريط سينمائى : المسرح ــ الموزيك هول ــ ادارة جريدة ــ فندق كبير ــ البورصة ــ المصيف ــ سباق الخيل ــ نوادى القمار » .

واكتفى بما تقدم من ملاحظات ونصائح حتى لا تطول بنا الوقفة عند السينما فى بلادنا وفى ايطاليا قبل خروج الواقعية الجديدة من « روما » روسيلليني .

وانتقل مرة ثانية الى هذا الفيلم الذى تحول بالسينما الايطالية بل قل السينما العالمية من حال الى حال .

وها هنا اورد نقلا عن كتاب «السينما الايطالية » لصاحبه « بيير لبروهون » [ص ١٠٠ من الطبعة الفرنسية] قولا « لروبرتو روسيلليني » يحكى فيه كيف صنع فيلمه :

« خلال عام ١٩٤٤ » وبعد الحرب مباشرة تحول كل شىء فى ايطاليا ــ بما فى ذلك السينما ــ الى حطام ، واختفى جميع المنتجين او كادوا .. حقا كانت هناك بعض محاولات ولكنها لم تكن طموحة .. وهكذا توفر لنا نصيب كبير من الحرية .. فغياب الصناعة المنظمة كان فى صالح المشروعات الاقل تطلبا للروتين .. وكل مبادرة كانت مقبولة .

وفى هذه الظروف والملابسات بدأت فى اخراج « روما مدينة مفتوحة » الذى

كنت قد كتبت السيناريو الخاص به مع بعض الاستدراك وقت أن كانت البلاد بتزال تحكمها بالأحكام .

وقد أخرجت الفيلم بأقل التفاصيل من المشاهد الذى كنت أنوجه فى المصور على بعضه من حين لآخر .

وعلى كل فما وقرته من مال كان يكفى بالكاد لدفع ثمن الفيلم الخام، ويقتضر الى ضيق ذات اليد ثم أفكر فى أرسال الأفلام الى المعامل لتظهارها .. ولم نستطع بالتالى» النتاج اليومى فى أى عرض سابق على انتهاء مرحلة التصوير .. وبعد ذلك بطيل ، ويضل مبلغ زهيد من المال حصلت عليه ولذت للفيلم ثم عرضته على نفر من رجال السينما والنقاد والاصدقاء وكانت خيبة أمل غالبيتهم الذاتية فى الفيلم كبيرة .

وفى شهر سبتمبر ١٩٤٥ عرض فيلم « روما مدينة مفتوحة » فى مهرجان صغير بايطاليا ، وعلى جمهور كان يضم بعضه وهو يحتضر .. ونستطيع أن نقول أن النقد بصراحة وبالاجماع كان فى غير صالح الفيلم » .

وكان التفاوت بين استقبال النقاد للفيلم وبين استقبال الجمهور كبيرا بل ولا نظير له فى تاريخ السينما » أية ذلك تصدر الفيلم لمقالبة الأفلام التى حققت أعلى ايرادات خلال موسم ١٩٤٦/١٩٤٥ .

وبعد عرض فيلم «روما مدينة مفتوحة» فى نيويورك بنجاح ضخم له بباريس وافتتحت أبواب الصالم للسينما الايطالية مستقبلها .. وتهيأت لهما الظروف لان تلعب بمنهج واسلوب رائعة روسيلينى وأبدت كوثبات الجبارة .. فكان أن أخرج روسيلينى « الصالم » وأخرج « بياتوريو دى سيكا » أفلامه الثلاثة التى خلدته وأخرج «الدوفرجلو» « الشمس تشرق ثانية » وأخرج «البرتو لاتوادا » « اللص » وأخرج « لوبيجى زامبا » « العيش فى سلام » وأخرج « جيسبى دى سانتيس » « المخاربة الوضيعة » وأخرج «لوتشينوفيسكونتى» « الأرض تهتز » وغير ذلك كثير .

واحسب اننا لو حللنا أفلام الواقعية الجديدة» هذه وبقلات « روما مدينة مفتوحة » لحللنا مبعثا لتساكنت لنا حقيقة تدعيه دائما ما نذهب هنا لان هناك من يصلون على اخفائها سعيا الى افساد الذين باعواء المصالح .

هذه الحقيقة تخلص فى أن شتى الوسائل ومصاعب التفنيذ لا تقهر العمل الفنى وانما تعمل له الدفع كل الدفع .

فانفجار روسيلينى — بالتنظير لعدم وجود استديو — الى التصوير فى الشارع .. وفى البيوت .. والصور الرمادية الشاحبة نتيجة غياب الآلات الالكترونجنية .. وخشونة القطع لحدوثه على الطبيعة وبطريقة ارتجالية .. كل ذلك اضفى على الواقع الذى أعيد بناؤه فى الفيلم مظهر صدق ليس له ما يماثله على طول تاريخ السينما منذ الباروجة يوتيكون ، وما تبعها من افلام المدرسة السوفيتية فى النصف الثانى من العشرينات .

وهكذا نجد لجوانب العنف فى رائعة روسيلينى أن تتحول الى خصائص فريدة جعلت منه صرخة ألم وثورة .. ألم الشعب كيانه كلها بؤس وياس .. وثورة شعب هى هذا اليأس واليأس.

وانى لأرجع ها هنا أن الصرخة سمعت وان سماعها هو الذى جعل من فيلم « روما مدينة مفتوحة » حدثا هاما فى تاريخ السينما ، وجعل من صانعه رائدا أولا للواقعية الجديدة ، بل لل أبا لها .

مصطفى درويش

□

شهادة مخرج مسرحى راحل

فتوح نشاطى :

خمسون عاما فى خدمة المسرح

« هذه هى صحيفة حياتى خلال الخمسين عاما التى امضيتها فى خدمة المسرح أنصرى أنشرها أمام عرشك الاقدس وقد تعمدت أن اغفل فيها ذكرها تعرضت له من آلام وجحود وغيبة واحقاد ، على أنك تعرف كل هذا ، كما تعلم خافية الصدور وقد رددت على الشر بالخير ، وعلى الاساءة بالتسامح ، كما أوصيت عبادك المتقين فى كتبك المقدسة ... »

فى عام ١٩٧٣ أسعد المخرج الراحل فتوح نشاطى الجزء الاول من كتابه « خمسون عاما فى خدمة المسرح » الذى استعرض فيه قصة حياته حتى عام ١٩٤٨ ، وفى الجزء الثانى من كتابه هذا ، الذى صدر منذ اسابيع يستأنف الفنان بنفس الصدق والموضوعية والمرارة رحلة الكفاح مع كفاحه الفنى الذى دام اكثر من نصف قرن ، حافلا بالعمل الدائب الخلاق المستمر ، مخرجا وممثلا ومترجما ومقتبسا واستاذا لاجيال الفنانين من خريجى معهد الفنون المسرحية »

ويتناول الجزء الثانى من كتابه«خمسون عاما فى خدمة المسرح » الفترة التى تقع بين عامى ١٩٤٨ — ١٩٧٢ ، بما تنطوى عليه الحياة الفنية من صفحات مشرقة وصفحات قاتمة ، ونجوم لمعوا فى سمائها ، ومعسوقات كانت تعرقل مسارها .

أن كفاح الفنان يتمثل طريخصر خاص فى تلك السلسلة الطويلة من الاعمال التى اخرجها والتى اقتبسها . انه يقدم لنا اهم اعماله الواحد تلو الاخر، ويرفق بكل مسرحية شهادة ميلادها ، ويروى ملابسات الظروف التى احاطت بظهور المعرض ، من معاناة المخرج نفسه فى ابراز الكلمة المكتوبة ، ومعاقته من الروتين الادارى ومن استغفال البعض بافلاطيات وتقاليد العمل . كان هذه المعاناة كانت أن تتحول الى بهجة امام نجاح العرض واختفاء النقد به . لهذا حرص فتوح على تضمين معظم صفحات كتابه تردود فعل جرفته فى الصحف ، من خلال طلقة المقالات التى تناولتها بالنقد ، وهى بلا شك مادة وثائقية قيمة ومسالية ، يجد فيها الباحث حشدا من الاراء والتعليقات ووجهات النظر فى القص والاخراج، والتمثيل والديكور ، التى تتفاو فى احيان كثيرة من الموضوعية والصدق بحيث كان فتوح وهب الصدر ومهاديا ، عندما أورد بمقالات تنقد من اسلوبه فى اخراج بعض المسرحيات : كما جاء فى نقد مسرحية مصر كليوباترا » « لم يوفق المخرج فتوح نفسانى فى هذا العمل ، وكان اسلوبه تقليديا وكانه ينفذ قص بعد قدير » .

وهو بهذا المنهج يقدم لنا اهم المسرحيات التى اخرجها منذ عام ١٩٤٨ حتى ١٩٧١ وهى : الصب يطلق ، العائد من فلسطين ، شجرة الدر ، الفيره ، ابن الحسب ، النسب ، ام رتيبة ، الست هدى ، غروب الاندلس ، مرسى شيزاده ، المرسى البنال ، ماجات الخلائق ، بحساب الظنية ، المزيفون ، زواج العلان ، صفة على الصيلان ، شهريار ، الصفقة ، سلطان الظلام ، بيت من زجاج ، ابن هز ، الوت ياخذ اجازة ، مصرع كليوباترة ، صلب المسيح ، السلطان العالم ، بيت برنارد الفا ، فاجر البدعة ، شمس النهار السالك المطبوع ، همة المرء من الحاكم وأمن الله » .

وأكثرت من طلقة المزوقين تجح على المعنوى الفنى والمسرى الجماهيرى ، إلا بعضها بتصنيع مرتفعة من المتفرجين

فتوح نشاطى

نلفت ٢٥٠ متفرجا فى المتوسط أو يزيد للعمل الواحد مثل : ام رتيبة ، سلك مقطوع ، الغيرة ، ابن هز ، زواج العلان ، الصفقة ، غموة المولك ، بيت من زجاج ، سر العاكم .

وفى مواضع متفرقة من الكتاب ، ليمسك فتوح — الذى وهب نصف عمره للمسرح القومى منذ انشائه ، ومايزال يدافر فى كوالبسه وارورقه ولجاته — ليمسك بزمان العدل يزن به المحن والمواصف العاتية التى كانت تعصف بالمسرح من حين لاخر ، وتعرقل انطلاقه ، وتحول بينه وبين بلوغ اهدافه : الصراعات الجادة بين المثقفين والمديرين، صراع الاجيال بين المثقفين المخضرمين والشباب ، على كل هم المدعات الاولى من خريجى معهد الفنون المسرحية ، للمسرح القومى .

ويقول فتوح ان الفترة من المسرح القومى — ظلت سنوات طويلة نهبا للنزوات الشخصية ، ممزقة بين مطالب المثقفين المادية وغير المادية وبين ادارتها الفاشلة، حيث تعاقب عليها منذ الاربعينات حتى عام ١٩٥٦ ، عدد من المديرين غير الاكفاء ، كان احدهم يدير الفرقة من مكتبه بوزارة الشئون الاجتماعية ، وآخر يحل على المسرح كراكور الليل كل مساء ليعقد احوال القوم ، وذلك اخذ يفرض علىوبر اباته الصاخبة التى اشتهر بها فى الخمريات ، ورابع لم يكف عن نصبه سوى شهر ونصف ثم استعفال قبل ان تجربه بشكلات الفرقة . وخلبس ، وهو الفرهود جورج ابيض ، وكان انقذا لكن بقه رجل ادارة ، لترك مقاليد الامور بين يدى الشطار واعضاء مجلس الادارة ، فتكالبت عليه المشكلات وغلبت عليه عنصريته وحدة مزاجه فاصطدم بمعظم ممثلى الفرقة ، ولعس آخر الامر انه سيفقد عطف الجميع وحبهم له ، فقدم استعفاله فى ٤ يونيو ١٩٥٢ ، بعد ان

ولم يسلم استاذ جيل الشباب فى ذلك الوقت ، الاستاذ زكى طليمات ، من تيرد ملاحيه عليه ، بعد ان جمع تسليم فى فرقة المسرح الحديث التى كونها فى عام ١٩٥٠ ، فراحوا يكيلون له الاتهامات ان بالاحق او بالباطل لدى المسئولين ، ولم يتورع احدهم — عن تقديم مذكرته الخاصة — كما ذكرت احدى الصحف — كدليل لا احدوت من امور شخصية على عدم صلاحيته لادارة الفرقة ! واضطر طليمات ازاء هذه المشايقات للاستقالة فى يونيه ١٩٥٢ .

ولم يكن فتوح فى يوم ما مديرا لاحدى الفرق ، ولا كان يتطلع قط لشغل هذا المنصب ، لان الفنان فى رأيه يجدر به ان يتمرغ لفنه حتى لاتجربه بمشاكل الادارة ويعقد فيديه كفنان ، لهذا كان يرى انه من الحكمة ان يسند منصبه الادارة لرجل مثقف حازم ، او فنان متعاقد . وهى وجهة نظر ربما اثبتت التجارب صدقها ، لان المنصب قد يغرى الفنان بان يخص نفسه بالمسرحية العيدة وبادوار البطولة ، ويقول فتوح : كل هذا حدث فى السنوات الاخيرة بصفة خاصة ، وقد اصبح للاخراج والتمثيل مكاسب ضخم يتراوح بين ٢٥٠ و٤٠٠ جنيه.

وقد وصل الامر بالمديرين الشبان انهم يمارسون الادوار واخراج الروايات .

كان فتوح يرى ان النظام يتحتم اولا برساسقاليد للبيت المسرحى يحترمها الجميع ويلتزمونها ، ويكون دور المدير فيها حماية هذه التقاليد من اى عدوان ، لهذا فهو ياخذ على المسئول عن المسرح فى عام ١٩٦٩ مرقعه التحاز من مكتب المسرح القومى ، وتجاهله لقرار المكتب برفض استضافة فنانين من الخارج للعمل بالعدى المسرحيات ، مما أضطر مدير المسرح الى الاستقالة ، واستضافة اعضاء المكتب الذى فضلنا معه .

ان لمحات الوفاء تظل علينا عبر صفحات « خمسون عاما فى خدمة المسرح » ، وفاء الفنان الانسان ان انطلوا من رجال المسرح الذين ماعرفهم : خليل مطران ، نجيب الريحانى ، سليمان نجيب ، جورج ابيض ، احمد علام ... انه يرقيهم جميعهم من التحدير ويقدم صورة تحليلية لقيمهم ، ويربح فيها بين ذكريات الماضى ، وبين ملامح التوق فى اداتهم ، ويحدثنا فى مقاله عن ابيض عن اوجه الشبه بين ادائه الدرامتيدى واداء عملاق الفراجيديا الفرنسى مونيه سولير .

وعندما ينتهى فتوح من تقديم اوبريت هدية العمر « ١٩٦٦ » يتوقف عن الاخراج مرغما ، فقد التى معه الظل وهو لايزال قادرا على العمل ، ولم يخرج للمسرح القومى بعد عام ١٩٦٥ سوى مسرحية سر الحاكم « ١٩٧١ » ويقول انه عاد الى المسرح بعد الانتهاء من تقديم هذه الاوبريت للمسرح الغنائى ، وانتظم فى حضور جلسات لجنة القراءة والمكتب الفنى ، لكنه احس بأن هناك شيئا مافقد تبدل فى بيته المسرحى : « ولاول مرة شعرت بالغربة وشيئا فشيئا بدأت المس من كتب عمل الشللية فى المسرح وهى تنسج خيوطها سرا وعلنا ... » وكان عزاؤه الوحيد ترجمة مذكراته ويومياته التى كتبها اثناء بعثته الى فرنسا « ١٩٣٧ — ١٩٣٩ » ، ثم تدوين كتاب « خمسون عاما فى خدمة المسرح » الذى ظهر فى جزأين .

ان كتاب مخرجنا الراحل ، الذى بعد اخصب واصدق المؤلفات التى كتبها الفنانون المصريون عن حياتهم الفنية ، يثير تساؤلا هاما هو ، متى يعاد كتابة تاريخ الفرق المسرحية بدقة وموضوعية ؟

ان كتاب « خمسون عاما فى خدمة المسرح » يعتبر اضافة ثمينة لتاريخ مسرحنا القومى ، تتطلب اضافات اخرى من البحوث الموضوعية النقدية حتى تكتمل صورته على صفحة المسرح المصرى الحديث . □

عرض : سمير عوض

□□□

دفـــاع عـن الحقيقـــة ..

لا عـن صـــلاح عبد الصـــبور

مع الاحترام الشديد لرغبة الشعراء الشباب محمد يوسف ، ومحمد محمد الشهاوى ، وحسن النجار ، فى عدم نشر قصائدهم فى مجلة الكاتب برئاسة تحرير الاستاذ صلاح عبد الصبور ، وهو ما اعربوا عنه بوضوح فى رسالتهم المفتوحة اليه ، التى نشرت فى العدد الماضى «بالكاتب» ضيف الطليعة الا اننى لا اقرهم مطلقا على ما ذهبوا اليه من ان الاستاذ صلاح عبد الصبور « هارب وحاضر فى كل تاريخه » ومواقعه كل ما يزدهر فى مصر ويتفتح » ، فليس صلاح عبد الصبور هو الذى حارب كل ما يزدهر فى مصر ويتفتح ، وانما كان دوما جزءا لايتجزأ من حركة الشعراء والكتاب الوطنيين التقدميين الساعين الى وطن اكثر تقدما وتسامحة وعدالة . ولقد احتمل صلاح عبد الصبور وعانى دوما — كانسان وكشاعر — على ايدى نفس القوى التى عانى منها كل الكتاب الوطنيين التقدميين ، ومن الاجحاف والتزيد تصوير شاعر كبير لايملك سوى قوة كلماته ، وحتى مكانته الادبية والادارية ، بكل قوة البطش هذه ، التى راح ضحيتها « كل ما يزدهر ويتفتح فى بلد بأسره » .

لست بصدد مناقشة قضية « الكاتب » من جديد ، فقد تملت كتابة ، وحوارا ، وصراعا ، وبحثا ، وانما بصدد الاسلوب الذى تصل اليه فى هذا البلد ، المفاوضات فى الحياة الادبية ، لان احدا يستطيع ان يقول مايشاء لكنه لن ينطق بالصدق والحقيقة اذا زعم مع هؤلاء الشعراء الشباب ، بأن صلاح عبد الصبور « اكذوبة شعرية » لان هذا الشاعر الكبير ، لم يكن « اكذوبة » فى يوم من الايام ، وانما جسد بأشعاره نبض وعواطف واشواق جيل بأكمله ، ولم يكف — حتى اليوم — عن العطاء ، يمكن لاى انسان ان يختلف معه حول موقف او آخر ، لكنه لاينبغى قط ان ينسى — امانة وصدقا — تلك الحقيقة الموضوعية البسيطة ، وهى ان صلاح عبد الصبور كان دوما احد شعرائنا القوميين الكبار الذين حاولوا بقوة كلماتهم ، ان يعبروا عن امل والم وتطلع واشواق ، الانسان فى هذا البلد الى حلم فردى اكثر اشراقا والى وطن اقل الاما وتعاسة وبؤسا ، واكثر ازدهارا وانسانية وسعادة .

خيرى عزيز

« تقدم « الطليعة » ، ابتداء من هذا العدد ، الرؤية الخاصة لفنان من خلال أعماله ، كمحاولة لاجتياز المسافة الشاسعة بين الحركة التشكيلية والجمهور ، والتى قصرت الصحافة المصرية طويلا فى عبورها »

هذا الفنان وعالمه

جـــورج البهجـــورى

جورج البهجورى [٤١ سنة] .. القاهرة الحارة .. القاهرة الرصيف .. الانسان .. الحزن .. الكدح .. الاطفال الكهول .. العيون .. العيون .. الدفء .. الاسى .. المشاركة .. الاسرة .. الفول مباحا على العربة .. الكناسون .. المكوجية .. صبية الورش .. طقوس الخبز والاحزان .. النيل .. مصر ..

لا تخطىء العين فى أعمال جورج البهجورى المؤثرات القومية فى التراث الفنى المصرى .. من التصوير المصرى القديم ، الى تصوير مدرسة الفيوم ، الى التصوير القبطى ، الى الابداع الشعبى ، الى تجارب محمود سعيد وراغب عياد والجزار والتلمسانى المعاصرة .. ومع ذلك لم يعط ظهره لمنجزات المدارس الغربية القديمة والحديثة ، خاصة التعبيرية والتكعيبية .. والبهجورى بهذا يحتل مكانة بين رواد الواقعية المصرية الجديدة .

تفصيل من لوحة « الأسرة » ١٩٦٦

الطائر الذهبي ـ ١٩٦٣

تعليقات حول

اثارت ندوة « الطليعة » حول «أزمة الثقافة المصرية » اهتماما واسعا ، وفيما يلى ننشر بعض التعليقات التى جاءتنا من أصدقاء «الطليعة» وقرائها :

أزمة الثقافة المصرية

جذور واضحة للفكر المثالى

لم يكن التشخيص المطروح كمقدمة للحوار بوجوهه العشرة ، والذى انبثقت منه الاسئلة الرئيسية تحت عنوان « ازمة الثقافة المصرية » ، شاملا لما يمكن ان يطلق عليه « أزمة الثقافة المصرية » وانما كان رصدا لبعض المظاهر الراجعة الى القصور الشديد فى اجهزة الثقافة وادواتها تلك التى تملكها وتوجهها السلطة فى المجتمع توجيها يعكس — بالضرورة — طبيعتها وانتماءها .

وهذا الرصد العام لهذه المظاهر ، كان من الممكن أن يندرج تحت عنوان آخر . وليكن مثلا « أزمة أجهزة الثقافة المصرية » ، وليس أزمة الثقافة ، على اعتبار ان الاخير ، أكثر شمولا .

وحتى مع اختيار عنوان « أزمة أجهزة الثقافة المصرية » فاننى أعتقد انه لم يكن يعطى ، تلخيصا وافيا لمسار الحوار فى الندوة ، وانه هو الآخر يبدو فضفاضا عليها .

لقد تعامل الجميع مع مصطلح الثقافة ، بتناول جزئى له . على اعتبار ان المقصود به هو ما اصطلح على تسميته [الثقافة الفنية] ، لا الثقافة الجماهيرية بمفهومها الشامل . [تلك التى يندرج تحتها كل شىء ، من الابداع الادبى والفكرى عامة حتى أذواق الجماهير وآرائهم وعاداتهم الاجتماعية] .

(●)

ترتيبا على ذلك الخلط فى اختيار نقطة البداية الصحيحة للحوار وتحديد مساره ، ان شاع ذلك ، على امتداد حركته ونموه .

لعل ذلك يبدو أكثر وضوحا ، فى الخلط العام بين مستويين للازمة — متداخلين ، ومستقلين ومتبادلين للتأثير :

أولهما : واقع الحياة الفكرية والابداعية والاخلاقية والذوقية للجماهير — وجميعها بعض أركان الثقافة العامة للمجتمع — التى تعبر عن طموحاته ، وصراعاته والتناقضات التى تحكم حركته الاجتماعية فى تلك المحطة التاريخية من حياته . [على اعتبار ان هذه الظروف ، وضعت — وتضع — طابعا جوهريا على الثقافة الوطنية] .

ثانيهما : مدى مقدرة اجهزة الثقافة على استيعاب هذا الواقع الفكرى والابداعى ، وعكسه من جهة ، ومدى مقدرتها على دفعه والتأثير عليه ، ايجابيا أو سلبيا من جهة أخرى .

ثم في النهاية ، حدود الجدل والتأثير بين هذين المستويين ، الذي يعطي الثقافة الاجتماعية السائدة ، صياغتها النهائية وملامحها العامة ، في تلك اللحظة التاريخية على وجه التحديد .

(●)

ان افتقاد نقطة صحيحة للبداية ، لم يمهد للاقتراب المباشر من وجه الازمة ، في خطوط مستقيمة ، فقد بدا ان التشخيص الاولي للظاهرة ، يأخذ شكل الخطوط المتقاطعة .

(●)

وعلى جانب آخر ، ربما ادى ذلك الى ان يصبح الحوار متخما بتعميمات نظرية ، قد لا يكون — بعضها — ثمرة كاملة النضج ، للاحتكاك ، والدراسة ، والممارسة .

وعموما ، فان التعميمات النظرية تكون مفيدة ، بقدر كونها تلخيصا وافيا لموقف ، لكنها ضارة بقدر بقائها عند الحدود الخارجية لهذا الموقف .

ولست اريد — هنا — ان ابدأ في مناقشة صحة هذه التعميمات او عدم صحتها ، فان القضايا الخلافية التي قد تتفرع عنها عديدة ، ومنتشرة على اتساع الخريطة الفكرية في مجتمعنا ، الا انها في مجملها قد لا تخلو من جذور مثالية في الفكر .

وعلى سبيل المثال ، فان القول بان انقلابات العالم الثالث تتميز بالحياد الطبقي ، يبدو من قبيل تفسير الفكر بالفكر .

ان الظروف التاريخية ، لكل حركة تاريخية لاتوجد خارج الممارسة الاجتماعية لها ، وانما هي نتيجة تلك الممارسة على وجه التحديد .

ايضا ، فان القول بان سيطرة مسئولين ذوي فكر معين على وزارة الثقافة ، هو سبب النكسة ، قد يعكس حقيقة جزئية صحيحة للموقف ، لكنها نابعة من نظرة وحيدة الجانب .

والحديث عن وجود جذور مثالية في بعض اجزاء الحوار ، يقودني الى مواقع فيه ، تبدو فيها رائحة هذه الجذور اكثر انتشارا :

● ان القول — مثلا — بوجود ثقافة واحدة قبل يوليو ، يماثل القول بوجود ثقافة واحدة بعده ، وكلاهما لا يبدو متسقا مع المنهج العلمي الذي لا تجد الظاهرة تشخيصها الكامل وتفسيرها الا في احضانه .

فاذا كانت الثورة — كما يقول تليمه — ثورتان ، برجوازية ، واشتراكية — وان كان هذا لا يمنع من امكانية تداخلهما وتشابكهما الى ابعد حد في ظروف تاريخية معينة — ، فان الثقافة ايضا ثقافتان ، لا ثقافة واحدة ، ثقافة برجوازية ، وثقافة اشتراكية — وهذا ايضا لا يمنع من امكانية تداخلهما وتشابكهما .

ان الظاهرة النابعة من قلب العملية الاجتماعية ، تتواجد ومعها نفيها — او نقيضها — في نفس الوقت ، فتواجد الثقافة البرجوازية وسيادتها ، لا يعني عدم تواجد الثقافة الاشتراكية ، بل ان تواجد الثقافة البرجوازية دليل على تواجد الثقافة الاشتراكية ، بالرغم من عدم سيادتها ، او اختفاء بذورها في احشاء النظام .

وعلى سبيل المثال ، فان الثقافة السائدة في المجتمع قبل يوليو ، وهي الثقافة المعبرة عن النظام الاجتماعي الذي كان سائدا في شكل التحالف بين الاستعمار ورأس المال والاقطاع ، والتي كانت تسعى الى تثبيت جذور هذا النظام الاجتماعي ، ومنحه الاستقرار ، واكبتها وتواجدت معها في نفس الوقت ، بذور ثقافة اخرى مناقضة لها تماما ، تسعى الى هز جذور هذا النظام ، معبرة عن القوى الاجتماعية الصاعدة الجديدة .

حقيقة انها كانت ضعيفة ، وغير منتشرة ، ومعزولة ، وغير متجانسة ، وانها كانت في اتجاهاتها العامة انفعالا دافئا وخصبا بانجاز المدنية المعاصرة ، اكثر من كونها خطا ناميا مطردا يرسمه العقل الوطني ، لكن بذورها كانت تضرب وتنمو بشدة في احشاء هذا المجتمع .

[ان ذلك الاتجاه التنويري الذي اخذ في النمو منذ بداية اختلاج الثورة الوطنية الديمقراطية ، على مشارف هذا القرن ، قد يعد تأكيدا على ذلك] .

على انه في كل مرحلة تاريخية من مراحل تطور المجتمع — اي مجتمع — فان لكل طبقة فيه ، ثقافتها التي تواكب حركة هذه الطبقة نموا ووعيا ، ومهما يكن الخلط بين هذه الثقافات ، ووجود طابع عام للثقافة الاجتماعية في النهاية ، فان هذا لا ينفي تمايزها في الواقع ، كما ان سيادة ثقافة طبقة واحدة — هي التي تسود اجتماعيا — لا يتنافى مع وجود ثقافة الطبقات الاخرى الى جوارها ، بل يؤكد هذا الوجود .

● .. وفي اجابة [السيد ياسين] على سؤاله « لماذا لم تقم ثورة ثقافية بعد يوليو » والتي حددها بقوله : « ان السبب كامن في الصيغة التي اختارتها ثورة يوليو لنفسها ، والتي تقوم على التوازن ، دون الصراع ، او على تأميم الصراع الاجتماعي » موقف يستحق التأمل ..

ان هذه الاجابة تبدو للوهلة الاولى ، كما لو كانت قد بعثت للحياة لتوها من بعض كتابات الكتاب البورجوازيين ، الذين قدموا اجتهادات مثالية ، في اطار يوليو وعنها .

ان ثورة يوليو لم تؤمم الصراع الطبقي ، ولم تقم صيغتها على التوازن الطبقي في اي مرحلة من مراحلها — وان كان هذا ليس محور حوارنا — ، علاوة على ان فكرة التوازن الطبقي او تأميم الصراع الاجتماعي ، تنبع من تصور مثالي ، يفسر الاشكال الخارجية للحركة الاجتماعية ، بالاشكال الخارجية للحركة الاجتماعية ذاتها .

ان الصراع الطبقي لم يتوقف على الجبهة الاجتماعية ، على امتداد مسيرة يوليو — وعلينا ان نفرق بين محاولة طمس او تمييع الصراع الاجتماعي وبين تأميمه — كما ان الصراع الطبقي على جبهة الثقافة ، لم يتوقف ايضا ، على امتداد هذه المسيرة . — على الرغم من ان الطبيعة الطبقية للثقافة تظهر في اشكال اكثر تنوعا منها في السياسة .

ان اي قوى اجتماعية ، في مجال

السياسة أو الفكر ، هى — بالضرورة — قوى منحازة .

● .. هناك نقطة خلافية أخرى بين [د. تليمه] وبين [عباس صالح] حول التفرقة بين مرحلتى ، الثورة الوطنية ، والتحول الاشتراكى .

* [د. تليمه] يميز بين المرحلتين، وفى ضوء هذا التمييز ، يحدد مهام العمل على الجبهة الثقافية .

* [عباس صالح] يصفهما بأنهما « عمليتان تتمان معا ، ولا يمكن تأجيل أحدهما حتى تتحقق الاخرى » .

والموقف الاخير . يحمل فى داخله ، تناقضا واضحا .

ان التمييز بين المرحلتين فى الفكر — بفرض تحديد تكتيكات ومهام العمل — لايتناقض مع ازدواجيتهما ، وتداخلهما، وامكانية نمو الحركة ، فى اتجاههما معا.

كما أن ازدواجية المرحلتين وتداخلهما لا يتناقض ، مع امكانية التمييز بينهما ، أو تمايزهما فى الفكر ، كما فى الواقع .

ان التمايز ، ليس عكس التداخل أو التزاوج فى مجال الحركة — سياسيا أو اجتماعيا أو فكريا — لكنه — تحديدا — أحد وجوهه .

(●)

يبقى بعد ذلك ، للحوار أو الندوة ، فضل اطلاق ومضات فكرية مبهجة وخصبة :

* .. قد أرى ذلك — مثلا — فى التقاط [لطفى الخولى] للتناقض الاولى الداخلى ، للازمة الراهنة ، ذلك التناقض بين الكيان القائم الان للثقافة فى مصر ، وبين حركة الثقافة ذاتها .

ان هذا الكيان — على حد تعبيره — قد ضاق عن حركة الثقافة ، ولهذا فان قوى اليمين تحاول جاهدة أن تجعل من نفسها ، الاتجاه الواحد والوحيد ، متخذة أشكالا مختلفة ، عاملة — بقوة القانون الادارى والسيطرة من فوق — على وأد تيار الابداع الحقيقى .

* .. وقد أرى ذلك — أيضا — فى الربط الذى قام به [د. تليمه] بين شكلين وطبيعتين للحركة ، فى مجال السياسة ، وفى مجال الثقافة .

ان الانجازات المطلوب تحقيقها على كلا الجبهتين ، متداخلة ، ومتشابكة ، الى أبعد حد .

ان تشكيل جبهة وطنية ديمقراطية بين كل القوى الاجتماعية والطبقات الوطنية للمشاركة فى ادارة وتوجيه العمل على جبهة السياسة ، يقود الى تشكيل الجبهة الوطنية على جبهة الثقافة، وتشكيل الاخيرة ، وتميز قواها ، وتأكيد وجودها ، يمهد الطريق ، أمام الاولى لكى تصبح حقيقة قائمة .

وما أكثر هذه الومضات الفكرية الجادة التى فجرتها الندوة والتى تحتاج الى دراسة وتأصيل وترشيد من أجل تغيير ذلك الطابع الذى وضعته أشكال الحياة الاجتماعية ، ونمط الانتاج الاجتماعى ، على الثقافة الوطنية فى مجتمعنا .

وما أكثر الحاجة ، الى الاشتباك المنظم ، مع هذا الطابع غير الوطنى، الذى يحاول أن يخفى الوجه الحقيقى لثقافتنا الوطنية ، ففى الثقافة — كما فى الحرب — يظل الهجوم دائما ، هو أفضل الطرق للدفاع ..

وما أنبل القضايا التى ندافع عنها ، وما أشرفها .

احمد عز الدين

الأزمة فى علاقتها بالواقع

[أميل الى الرأى الذى يقول بضرورة مناقشة هذه الازمة فى ضوء مجمل حركة المجتمع ... وهنا يجب التفرقة بين نوعين من الثقافة هما الثقافة الرسمية التى تصل عبر قنوات وزارة الثقافة ومؤسساتها ، والثقافة الاخرى التى ترفضها هذه القنوات وتضيق عنها بل وتعاديها وتعمل على محاربتها بشتى الوسائل كما هو معبر عنه فى الطرح الذى قدمته ورقة الحوار .]

● واذا اعتبرنا الثقافة فى أكثر تعريفاتها عمومية هى الزاد المعنوى للشخصية المصرية — والعامل الاساسى الذى يسهم فى تشكيل وتكوين هذه الشخصية وتحديد آمالها وطموحاتها والتعبير عنها . فان الثقافة الرسمية تعمل بدأب وصبر وبلا مواربة على تشكيل الشخصية المصرية على النحو الذى يناسب رؤية وتطلعات الطبقة المسيطرة فعليا على مقدرات البلاد ، ومن بينها الثقافة .

وهى بالتالى أى الثقافة انعكاس للبناء الفوقى [الطبقة السائدة] ومن هنا يتضح رأيها على تسييد اتجاه واحد يخدم مصالحها فى مواجهة بناء تحتى أصبح مخالفا بل ومتناقضا مع هذا البناء الفوقى — ومن هنا ليس فى المسألة ازمة بالشكل الذى تطرحه الندوة ويحاول الاجابة عليها السادة المتناقشون ففى اعتقادى أن المشكلة ليست مشكلة وزارة الثقافة بأنشطتها المختلفة والمتخلفة بقدر

مواجهـــــة القـــــديم

تذكرة ٧ آلية الثقافة في مصر ٧ وآفاق عملها ، المطبعة » .. دعوة لها أهميتها القصوى لما للموضوع من ارتباط وثيق بحياة جماهير شعبنا ومستقبله .

وتعالجنا تقديم « المطبعة » بتوجيهـــه الدعوة لعدد من مفكرينا وأدبائنا ، فبعضهم البعض من المشاركة ويضع البعض الآخر شروطا « لا يمكن تلبيتها » يحق لنا أن نتساءل عن هؤلاء المفكرين والأدباء ؟ ؟

آية موضوعها تخطير ؟ مثل هذا ويتصل بحياة النـاس ليلفت الانظار حتى تحرك المفكرون والأدباء لذا لم يتحركوا الآن ويناقشوا أزمة الثقافة هذه والأعرف لماذا لم تقل لنا الطليعة من هم هؤلاء الذين احتضروا وهؤلاء الذين وضعوا الشروط عبر أن هذا مهم جداً حتى نتعرف على هذه الذوميات من الأدباء والمفكرين ، وحتى تحدد اتجاهاتهم وأفكارهم .. فلقد أثبتت كثير من المناقشات التي جـــرت في الأونة الأخيرة أن كثيرا من الأفكار التي كانت « مقدسة » كشفت عن نفسها وأزاحت هذا القناع وهذا بدون شك جديد جدا للحركة الثقافية ويحســـتاج

ماهي مشكلة التناقض بيـــن البنـــاءين الثوري والتحتي للمجتمع ككل .

ومن هنا كيف يمكننا أن نطالب وزارة الثقافة أن تقاتل على التحرير عن مصالح الطبقة المسادة وحلفائها والدفاعية لما ؟ كيف نطالبها وأن تتحـــول الى مؤسسة جماهيرية حقيقية تدافع عن مصـــالح الجماهير وتثقفي كـــافتهم وتحرر عقلهم بمجرد أن تقاتل بعض العناصر التقدمية البهـــا وقيادتها لهـــا ؟ وحـــدة من مثقفي ما قد تتمتع به الطبقة السائـــدة والمسيطرة في فترة من الفترات لضروراتها خارجـــة عن ارادتها بمحاولة منها لاحتواء حركة الجماهير والاستمرار في تضليلها ؟ .

المسألة في رأيي لا تناقش على هذا النحو الذي تم في الندوة ..

يقول البعض أن هذه الفترة تعتبر برجوازية وأن على البرجوازية أن تكون مهامهـــا التاريخية وأنه بناء على ذلك يتعين على كافة القوى الوطنية والتقدمية أن تقف وراءها وتساندها لانجاز مهامها الوطنية هنا يتحلل بعضهم السوق والتعبئـــة بالكاملة الى صراعها مع العدو الصهيوني

وهنا نطالعون ليقولوا أن البرجوازية وبشكل طبيعي سوف تسمح بالديمقراطية التي هي ملح من أهم ملامحها تاريخيا.

ولكن هذه النقطة في الواقع المصري على ما اعتقد غير صحيحة ... فالبرجوازية المصرية في مجموعها بأدنيها تميل أكثر من أي شكل آخر ، هذا الشكل الذي أوجدته وقادت على ترسيخه وهـــو ما نسميه « بالتحالف » وبما يمكن التعبير عنه بشكل علمي بتقديم الصراع الطبقي مخفية وجهها الحقيقي خلف شـــعارات براقة ومخادعة لتتلقى في الرحيد المسيطرة على مقدرات البلاد ، المتصرفين شئونها.

أنني أتفق مع القائلين بأن الفـــترة الحالية فترة وطنية تتحالف فيها كافـــة القوى الوطنية بما فيهـــا البرجوازيـــة الوطنية من أجل انجاز مهام وطنيـــة ولكن ليس معنى هذا أن تتردد البرجوازية بكل ثمن .. بل أن حركة الواقع تفرض اشتكالا من التحالف قد تسقط هـــذه البرجوازية وتسحق أنديتها ومحالاتها الدعوة للاستثمار بكل المكاسب واغفال الجماهير اغفالا تاما .

وفي رأيي أن هناك عدة مهام منوطة بالحركة الثقافية والمثقفين تتحدى، ويمكن تلخيص هذه المهام في أن

١ ـ هدم الاصنام بأن تحطم كافة الاجهزة الثقافية القائمة والمسيطرة .

٢ ـ التحالف للذهاب والمستقر الى أقصى مدى من أجل انتزاع حقهـــا في الوجود وفي التعبير الحر عن تصاعدون أي ارتباط سوى بجماهيرها وذلك من خلال تكريس كافة جهودها لانتزاع مكاسبها المستقلة تباعا وتجمعاتها التي تعبر عنها بخطه أجنحتها الوطنية والتقدمية .

وفي هذا المجال لابد من طرح ومناقشة فكرة التغير المستقلة عن كافة الاجهزة السياسية والتنفيذية وكذلك طرح مناقشة فكرة غايبة في الاهمية وهي فكـــرة احتمالات الكتاب والفنانين المستقلة والديمقراطية .

وفي اعتقادي أن هذا هو الطـــرح الصحيح لمشكلة أو أزمة الثقافة في مصر في علاقتها مع الواقع المصري في المرحلة الراهنـــة .

بتصير الديك

اقول مزيدا من هذه الندوات والمناقشات الديموقراطية وان الحوار المستمر ضرورى ونافع بشرط ان تشترك مختلف التيارات فى هذا النقاش واننى اقول قد اتضح ان التيار المتخلف الرجعى والذى يحاول احياء قيم قد سقطت وداس عليها شعبنا العظيم .. اقول ان هذا التيار يخاف الحوار الديموقراطى ويهرب منه لانه فى هذا الجو من المناقشات يجد نفسه مضطرا لتحديد المواقف وازاحة الاقنعة ، واننى هنا لاضرب مثلا بالدكتور رشاد رشدى الذى انجذب اخيرا لهذا الحوار فكتب يحدد موقفه فوجدناه يمينيا خالصا ومخلصا ، برغم انه بدأ مقالته بهذه العبارة « اننى لا انتمى لا الى اليمين ولا الى اليسار » .

اقول ذلك لانه لابد من مواجهة للقديم فى مصر .. لا مفر من مواجهة الفكر « القديم » فى بلادنا . واننى اختلف هنا مع الاستاذ أحمد عباس صالح عندما قال « اننا نلاحظ الان » كثيرا من القوى الاجتماعية — نرى انها قوى متخلفة ومعادية للاشتراكية — تتحرك لضرب ثورة يوليو نفسها والانعكاس بانجازاتها الاجتماعية والثقافية » .

ليس الان فقط يا استاذ احمد صالح . ربما تكون نشطت او زاد نشاطها .. ولكن هى هذه القوى ومن سنوات طويلة كانت تعمل وفى صمت وفى صبر وفى النواحى الثقافية .. فى الاجهزة وغير الاجهزة .. وتستطيع ان تقول « هى الان » تجنى او تحاول جنى نشاطها القديم والان فقط .. وما محاولة تصفية « الكاتب » ببعيد .. ان اعداء الثقافة الوطنية الديموقراطية كانوا وما زالوا يحاولون تشويه وتزييف كل شىء وهم فى ذلك يشنون حملات ضارية المقصود منها تجهيل وتضليل الناس .. ولا اريد هنا ان اتحدث عن نسبة الامية فى مصر . بل لنر ماذا يحدث فى المسرح اليوم .. لقد اوصلوا المسرح الى الافلاس التام وكذلك السينما بل زادوا على ذلك انهم يحرموننا الان من « الانفتاح » على سينما العالم ... ونظرة الى دور النشر وبماذا تقذف كل يوم فى سوق الكتب ؟ انهم يريدون منا ان نذهب لنرى فى المسرح والسينما تاريخ « عوالم » مصر ونسمع الالفاظ الجنسية المكشوفة ونذهب للنام .

وانى هنا اقدم بكل تواضع هذه الاقتراحات :

اولا : العمل بدون هوادة من اجل تكوين اتحاد الكتاب والادباء الديموقراطى لحماية ثقافتنا الوطنية ومن اجل ثقافة افضل تخدم الانسان .

ثانيا : العمل على الارتباط بجميع الكتاب والادباء العرب والعالم التقدميين .

ثالثا : الدعوة لمزيد من الندوات والمؤتمرات التى تناقش ازمة الثقافة يحضرها اغلبية الادباء بدون اعتذار او شروط !

رابعا : تكوين دور النشر المستقلة والمسرحية التقدمية لعرض المسرحيات العالمية وهذه التى تؤلف من كتابنا المصريين ولا ترى النور على مسارح الدولة .

السيد شعراوى
الاسكندرية

أخبار

- مساء الاربعاء ١٢/٤ ، واثناء انعقاد ندوة المجلات الثقافية ببيروت ، دعى اعضاء الندوة لحضور عرض مسرحية « الرفيق سحبان » من تأليف جلال خورى . واثناء العرض طوق البوليس اللبنانى مكان العرض وتدخل لايقافه بحجة عدم وجود تصريح رقابى ، وصرف المدعوين . وفى اليوم التالى اثيرت القضية فى اجتماع الندوة ، وتحدث سهيل ادريس الامين العام لاتحاد كتاب لبنان وعضو الندوة ، وكذلك لطفى الخولى وآخرون .

وقد انتهت المناقشة بأن اصدرت الندوة برقية احتجاج وقع عليها كل من يوسف السباعى باعتباره امين عام المنظمة ، وسهيل ادريس من اعضاء الندوة ، وفى نفس الوقت ناقش الرئيس اللبنانى سليمان فرنجية الموضوع وامر برفع الحظر عن المسرحية ، واعيدت مساء الجمعة ١٢/٦ .

● تكونت فى القاهرة دار نشر يشرف عليها كمال رفعت ولطفى واكد ، لنشر الاعمال ذات الطابع القومى والتقدمى .

تبدأ الدار نشاطها باصدار كتاب لمحمد عودة بعنوان « الوعى المفقود » ، كذلك فقد تعاقدت على اصدار اعمال للاساتذة كامل زهيرى ومحمد عمارة وطارق البشرى وغيرهم .

● فى العدد القادم :

يحى حقى :
سبعون عاما

الفهرس التحليلي لعام ١٩٧٤

(أ)

ابراهيم العيسوى
— ندوة استثمار رأس المال العربى والاجنبى يوليو : ١٤ — ٤٨

ابراهيم المغربى
— رسالتان نقديتان الى الطليعة (مناقشات مفتوحة) ديسمبر : ١١٦ — ١١٩

ابراهيم حسن العيسوى
— الاسباب الحقيقية للغلاء فى مصر . ديسمبر : ٢٤ — ٣١

ابراهيم سعد الدين
— الدخول النفطية والفوائض المتوقعة لست دول عربية . ابريل : ٥٦—٦٢

ابراهيم شحاته
— حول كفاءة اجهزة ادارة أموال الاستثمار العربى . ابريل : ٧١— ٩٠

ابراهيم عبد المجيد
— تعلقات من الحرب « قصة قصيرة » فبراير : ١٥٥ — ١٦٠
— شمس الظهيرة . « قصة قصيرة » اغسطس : ١٦٩ — ١٧١

ابراهيم على أحمد
— الدور المتطور لبحوث العمليات فى النظم الدفاعية الحديثة « كتابات جديدة » يناير : ١٣٦ — ١٣٨

ابراهيم كروان
— اسرائيل ما بعد اكتوبر يوليو : ٧٠ — ٧٦
— اسرائيل وفلسطين : موقف استراتيجى . وخلاف فى التكتيك. نوفمبر : ٥٦ : ٦٢

ابن اياس
— ابن اياس : مؤرخ تحدى التيار السائد . فبراير : ١٧٥ — ١٧٦

ابو زيد رضوان
— ندوة استثمار راس المال العربى والاجنبى . يوليو : ١٤ — ٤٨

ابو سيف يوسف
— حركة التحرر الوطنى العربية بعد ٦ اكتوبر ، المشاكل والافاق (ندوة) يناير : ١٠ — ٤٠
— حوار مع الجبهة الوطنية فى الارض المحتلة . مارس : ١٢ — ٣٧
— اتجاهات الندوة : الاتفاقات ، الاختلافات ، الاضافات : « من اقتصاد تابع الى اقتصاد اشتراكى» يونيو : ١٣ — ٢٤
— الدولية الاشتراكية (قاموس العصر: سياسة) ابريل : ١٣٥ — ١٣٦
— رؤية لعائلة فتحى برادة . (الشعب هو البطل) ابريل : ٣٥ — ٣٩
— الدراسات الاجتماعية فى يوجوسلافيا ديسمبر : ٢٠٧ — ٢٠٨

الاتحاد السوفيتى
الاتحاد السوفيتى — حرب اكتوبر ٧٣
انظر : حرب اكتوبر ٧٣ — الاتحاد السوفيتى
الاتحاد السوفيتى — علاقات خارجية : كوبا
انظر : كوبا — غ/الاتحاد السوفيتى
الاتحاد السوفيتى/الهند
انظر : الهند — علاقات خارجية/ الاتحاد السوفيتى
— الموقف من الثورة الروسية بعد الموقف من الثورة الفرنسية . « تقارير الشهر » نوفمبر : ١١٣— ١١٤

اثيوبيا
— اثيوبيا : « بروفتان تهائيتان » لمستقبل قريب . تقرير خاص : حسين شعلان . ابريل : ١٢٣ — ١٢٦
— هل افلت الزمام « تقارير الشهر » مايو : ١٠٢ — ١٠٣
— الورقة الاخيرة .. قبل الساعة الثانية عشرة « تقارير الشهر » سبتمبر : ١١١ — ١١٣
— بداية مواجهة جديدة « تقارير الشهر » أكتوبر : ١١٨ — ١١٩

اجلال عبده
— حوار مع بلند الحيدرى حول الشعر .. والتشكيل . أكتوبر : ١٦٤ — ١٦٥

احسان بكر
— ماذا يعنى القرار الفلسطينى ؟ « تقرير خاص » يوليو : ١١—١١٢
— القضية الفلسطينية .. الى اين ؟ حوار مع خالد الحسن . نوفمبر : ٧٠ — ٧٦

احمد أبو الفتح
— مصر اكتوبر : الى اين ؟ حوار بين: احمد أبو الفتح ولطفى الخولى . مايو : ٤٣ — ٥٦
— حول الحوار بين احمد ابو الفتح ولطفى الخولى. « الرأى الاخر ». يوليو : ٩١ — ١٠١
— حول الحوار بين لطفى الخولى وأحمد أبو الفتح . يوليو : ٩٢

احمد الحوتى
— الرقص على طلقات الرصاص(شعر) ابريل : ١٦٥ — ١٦٦
— كتابة بخط يدى فوق شاهدة المقاتل « محمد خليفة » « شعر » ديسمبر: ١٦١ — ١٦٢

احمد العريان
— التكنولوجيا والبحث العلمى بين غياب الفلسفة واخفاق الوصول . ابريل : ١٩٣ — ١٩٧
— همام محمود .. رائد جيل ابريل : ٢٠٧

احمد اللقانى
— السلم التعليمى بين الجمود والحركة . نوفمبر : ٩٢ — ٩٥

احمد المحمدى صديق
— زيطة .. صانع الاحلام « قصة قصيرة » أكتوبر : ١٧٣ — ١٧٧

احمد المرشدى
— ندوة رأس المال العربى والاجنبى. يوليو : ١٤ — ٤٨

احمد بدران
— عن الاشتراكية الماركسية والاستيراد والالماد . « الرأى الاخر » ديسمبر : ٦٩ — ٧٠

احمد بدرخان
— أحمد بدرخان (١٩٠٩ — ١٩٦٩) (قاموس العصر / أدب وفن) . ديسمبر : ١٧٨

احمد بهاء الدين
— وتحطمت الاسطورة عند الظهر . (كتاب تأليف : أحمد بهاء الدين ، عرض : د. رفعت السعيد) مايو: ١٠٦ — ١٠٩

احمد حسين
— لعبة الانتخابات الاسرائيلية . يناير: ٩١ — ٩٨

احمد حسين حسانين
— أوروبا الغربية وفلسطين : البحث عن دور فى الشرق الاوسط.نوفمبر: ٣٧ — ٤١

احمد حسين عبد التواب
— هل هى حقا ملامح من جيل جديد «فى دائرة الحوار» سبتمبر : ١٦٥

احمد الذوادى
— الشركات المتعددة القوميات فى الخليج العربى . مارس : ٩٣ — ١٠١

احمد زكى صالح
— أحمد زكى صالح . الذى فقدناه ، (قدرى حفنى) أبريل : ٢٠٦

احمد صادق سعد
— النمط الاسيوى للانتاج ، خطوط

عامة . فبراير : ٦٠ — ٧٥
— مصر الفرعونية ، حـــول النمط الاسيوى للانتاج . مارس : ٥٥ — ٧٢
— مؤشرات الاقتصاد الاسرائيلى بعد حرب اكتوبر . اكتوبر : ٣٨ — ٤١

احمد عادل
— الوجه الاقتصادى للازمة : التضخم الوجه الاخر «لورترجيت» سبتمبر: ٣٧ — ٤٢

احمد عباس صالح
— حرب الردة فى الثقافة المصرية . نوفمبر : ١٣٧ — ١٤٠
— مسئولية الوزير. ديسمبر : ١٣١— ١٣٣
— ندوة « الطليعة » حول ازمة الثقافة المصرية . ديسمبر : ١٤٧ — ١٥٦

احمد عطيه المصرى
— تجربة اليمن الديمقراطية ١٩٥٠ — ١٩٧٣ (كتاب تأليف : د. احمد عطيه المصرى ، عرض وتعليق د. رفعت السعيد) اكتوبر : ١٣٧ — ١٣٩

احمد عكاش
— اصول وافاق الاختيار الاشـــتراكى فى الجزائر . يونيو : ٢٩ — ٣٩

احمد عنتر مصطفى
— العبور الى زمن البنادق «قصيدة» فبراير : ١٦٠ — ١٦١
— مأساة الوجه الثالث « قصيدة » اكتوبر : ١٧١ — ١٧٢

احمد فؤاد بلبع
— الاستعمار الجديد. (قاموس العصر: سياسة) يونيو : ١٤٠ — ١٤١
— حزب العمال البريطـــانى (قاموس العصر : ســياسة) . نوفمبر : ١٢٢ — ١٢٣
— منظمة الوحدة الافريقية (قاموس العصر : سياسة) اغسطس : ١٣٤
— الفاشية الجديدة . (قاموس العصر: سياسة) . سبتمبر : ١٣٥
— ندوة مثمرة ودراسات هامة «رسالة من بغداد » ديسمبر : ١١١—١١٣

احمد كامل مرسى :
— احمد كامل مرسى (١٩٠٩ —) (قاموس العصر : أدب وفـــن) اغسطس : ١٧٨

الادب العالمى — شعر :
— من اليونان .. هذه القصـــائد الممنوعة . (ترجمة وتقديم : نادية كامل) سبتمبر : ١٥٤ — ١٦٠
— الاحتفال بذكرى بابلونيرودا .. فى القاهرة « تقارير الشهر » اكتوبر: ١١٣ — ١١٤

الادب العربى :
— أيام فى العراق: اصوات..والوان. (فاروق عبد القادر) يونيو : ١٤٧ — ١٦٠
— حـــوار مع الدكتـــور لويس عوض حول : المنهج النقـــدى ، الادب المصرى، الاجيال الجديدة(عبدالرحمن أبو عوف) مايو : ١٥٧ — ١٦٢
— الفلاح المصرى فى الادب الشعبى . (طفى حسين سليم) . ابريل : ١٥٦ — ١٦٤

ادب عربى — ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ :
— ثورة يوليو والثقافة المصرية
١ — ماذا فعلت الثورة بأدبنا . (فؤاد دوارة) يوليو : ١٤٨ — ١٥٣

ادب عربى — حرب اكتوبر ١٩٧٣ :
— حاشية من مقاتل فى صحراء المدن الامنة —(الفاروق عبد العزيز يعلق هكذا تكلم المقاتل المصرى) مارس: ١٦٠ — ١٦٢
— وهكذا يتكلم المقاتل . الفنان . فبراير : ١٩٤٧ — ١٦٢

ادب عربى — شعر :
— الرقص فى عرس القبيلة « قصيدة » حسن النجار . فبراير : ١٥١
— السندباد . احمـــد فؤاد نجـــم . فبراير : ١٦٣
— مقاطع من قصيدة : ما تيسر من سورة العبور . عبد الصبور منير. فبراير : ١٥٤ — ١٥٥
— العبور الى زمن البنادق « قصيدة » احمد عنتر مصـــطفى . فبراير : ١٦٠ — ١٦١
— وشم النهر على خرائط الجســـد (محمد عفيفى مطر) مارس : ١٦٣ — ١٦٨
— الرقص على طلقات الرصاص(احمد الحوتى) ابريل : ١٦٥ — ١٦٦
— فرح بالنار (محمد عفيفى مطر) يونيو : ١٦٧ — ١٦٩
— حوار مع بلند الحيدرى حول الشعر .. والتشـــكيل (اجـــلال عبده) اكتوبر : ١٦٤ — ١٦٥
— مأساة الوجه الثالث (احمد عنتر مصطفى) اكتوبر : ١٧١ — ١٧٢
— كتابة بخط يدى فوق شاهدة المقاتل « محمد خليفة » (شعر احمـــد الحوتى) ديسمبر : ١٦١ — ١٦٢

ادب عربى — قصة :
— الجريمة ، بحث من الحفل الضائع (شمس الدين موسى) مارس : ١٧٣ — ١٧٤
— من قتل حلمى حماد « الكرنك » ، آخر روايات نجيب محفوظ (فاروق عبد القادر) ابريل : ١٦٧ — ١٦٩
— حساسيات جديدة فى الرواية والقصة والمسرح (٢ — أيام فى العراق : فاروق عبد القادر) يوليو : ١٧٢ — ١٧٧
— عن القصص .. والاجيال . (فى دائرة الحوار عبده جبير) سبتمبر: ١٦٢ — ١٦٤
— هل هى حقا ملامح من جيل جديد (فى دائرة الحوار : أحمد حسين عبد التواب) سبتمبر : ١٦٥

ادب عربى — قصة قصيرة :
— تعليقات من الحرب « قصة قصيرة » ابراهيم عبـــد المجيـــد . فبـــراير : ١٥٥ — ١٦٠ .
— الخروج من حفر الدفاع الســـلبى « قصة قصـــيرة » حسن عطيـــة . فبراير : ١٥٢ — ١٥٣ .
— رسالة وقصة قصيرة «الجزء الناقص» قاسم مســـعد علبوة . فبـــراير : ١٤٨ — ١٥٠ .
— رحلة المعـــلم منسى وولده محمـــد (محمـــد المنسى قنديل) مايو : ١٧٠ — ١٧٥ .
— زيطة .. صـــانع الاحلام (احمـــد المحمدى صديق) اكتوبر : ١٧٣ — ١٧٧ .
— سوف نعيد ترتيب كل شىء (قصة قصـــيرة : محمد المنسى قنديل) . اغسطس : ١٥٠ — ١٥٥ .
— لا تبحثوا عن عنوان .. انها الحرب .. انها الحرب (قصة قصيرة : قاسم مســـعد علبوة) . اغسطس : ١٥٥ — ١٦١ .
— السير فى الحديقة ليلا . (قصـــة قصـــيرة : محمود الوردانى) . اغسطس : ١٦١ — ١٦٤ .
— عن جابر عبد الجواد حسنين (قصة قصيرة : محمود عبد الوهاب) . اغسطس ١٦٤ — ١٦٦ .
— صورة جانبية لمودل (قصة قصيرة : عبده جبر) . اغسطس : ١٦٦ — ١٦٩ .
— شمس الظهيرة (قصـــة قصيرة : ابراهيم عبد المجيد) . اغسطس : ١٦٩ — ١٧١ .
— ٦ اكتوبر .. والقصة القصيرة (رضا الطويل) اكتوبر : ١٤٧ — ١٥٣ .
— عودة الى الحقائق القديمة : فهى ما تزال صـــالحة لاثارة الدهشـــة (يحيى الطاهر عبد الله) سبتمبر : ١٧٥ — ١٧٧ .
— فى القصة المصرية القصيرة ، ملامح من جيل جديد . (فاروق عبد القادر) اغسطس : ١٤٧ — ١٤٩ .

ادب عربى — كتب :
— قائمة الاعمال المنشورة لطه حسين . يناير : ١٧٦ — ١٧٨ .
— الكتاب ، تلقائية لا تخضع لاى تخطيط . سامى خشبه . يناير : ١٦٠ — ١٧٠ .

الارجنتين :
— هل تبقى البيرونية بعد بيرون ؟ «تقارير الشهر» . سبتمبر : ١٢١ — ١٢٢ .

الاردن
انظر العالم العربى — أحزاب شيوعية أزمة الشرق الاوسط ، حرب أكتوبر ٧٣
— الأمن الاوربى والشرق الاوسط . (كتاب تأليف : حسين فهمى ، عرض: د. رفعت السعيد) . اغسطس : ١٣١ — ١٣٣ .

ازمة الشرق الاوسط — أوروبا :
— رئيس الحزب الاشتراكى البلجيكى يعلن ان الاحزاب الدولية الثانية سوف توفد لجنة لتقصى الحقائق الى البلاد العربية « شريط الاخبار » . فبراير : ١٣٠ .

ازمة الشرق الاوسط — حرب أكتوبر ٧٣ :
— حرب أكتوبر .. ليست خاتمة المطاف (الافتتاحية : لطفى الخولى) . مايو : ٥ — ٩ .
— الموقف الامريكى من الصراع العربى — الاسرائيلى . عادل حسين يناير : ٤١ — ٥٠ .

ازمة الطاقة :
— أنظر أيضا : بترول — أزمة الطاقة .
— أزمة الطاقة وانسان العالم الثالث . (ميشيل يوسف فرح) . مارس : ٨٢ — ٩٢ .
— رسالة من الرئيس احمد حسن البكر الى الرئيس الامريكى ريتشارد نكسون « تقرير خاص » . مارس : ١١٤ — ١١٥ .
— مؤتمر واشنطن : معركة كيسنجر .. وجوبير « تقارير الشهر » مارس : ١٠٩ — ١١٠ .

أسامة خليل :
— تعليق ، رؤية سياسية للعصفور . نوفمبر : ١٧٦ — ١٧٧ .

أسبانيا :
— المطالبة بتحرير الصحراء . « تقارير الشهر » . اكتوبر : ١١٦ — ١١٨ .

الاستعمار :
— الاستعمار الاستيطانى . (قاموس العصر : سياسة) . ديسمبر : ١٢٩ .
— الاستعمار الجديد (قاموس العصر : أحمد فؤاد بلبع) . يونيو : ١٤٠ — ١٤١ .
— أشكال جديدة للاستعمار : (الشركات المتعددة القوميات) . فى العالم الثالث . « وثائق » . يناير : ١٣٩ — ١٤٦ .

اسرائيل :
— دراسة فى الشخصية الاسرائيلية ، « الاشكنازيم » . (رسالة دكتوراه اعداد : قدرى محمود حفنى ، عرض وتعليق : شوقى جلال) . ابريل : ٢٠٣ — ٢٠٥ .
— اسرائيل وفلسطين : موقف استراتيجى . وخلاف فى التكتيك (ابراهيم كروان) . نوفمبر : ٥٦ — ٦٢ .

اسرائيل — احزاب :
— انظر أيضا : اسرائيل — انتخابات
— صراع الاحزاب والحكومة الاسرائيلية الجديدة « تقارير الشهر » . ابريل : ١٢٠ — ١٢٢ .
— من أجل سلام عادل وثابت فى الشرق الاوسط (بيان سكرتير عام حزب « ركاح » الاسرائيلى) . مارس : ٤٦ — ٤٩ .

اسرائيل — اراضى محتلة :
— التعذيب والارهاب داخل الارض المحتلة « وثائق » . نوفمبر : ١٢٥ — ١٣٠ .
— حوار مع الجبهة الوطنية فى الارض المحتلة . مارس : ١٢ — ٣٧ . وتعليق الطليعة « على الندوة » . مارس : ٣٨ — ٤٥ .

اسرائيل — ارهاب :
— الصهيونية مازالت تعنى الحرب . (تعليق : عبد المنعم الغزالى) . يوليو : ١٠٢ — ١٠٣ .
— ارفعوا ايديكم عن المطران كابوتشى « الطليعة » . سبتمبر : ١١ .

اسرائيل — اسلحة :
— اتساع فى الانتاج العسكرى وركود فى الانتاج المدنى (ابراهيم مالك) . مارس : ٤٩ — ٥١ .

اسرائيل — اقتصاد :
— مؤشرات الاقتصاد الاسرائيلى بعد حرب اكتوبر (أحمد صادق سعد) . اكتوبر — ٣٨ — ٤١

اسرائيل — انتخابات :
— لعبة الانتخابات فى اسرئيل . (احمد حسين) . يناير : ٩١ — ٩٨ .
— مائير : فوز ضعيف ، بيجين : دعم محدود « تقارير الشهر » . فبراير : ١٢١ — ١٢٢ .

اسرائيل — حرب اكتوبر ١٩٧٣ :
— اسرائيليون يتحدثون عن اسرائيل : ١ — بيان « الفهود السود » . فى اسرائيل ، حول حرب اكتوبر : « ليس فى وسع الجهاز الحاكم أن يحقق السلام كما لم يكن فى وسعه ان يستعد للحرب » . فبراير : ٨٢ — ٨٤ .
٢ — خياركهذا .. (دافيد شوحام) . فبراير : ٨٤ — ٨٥ .
٣ — الشروط لتجديد الثقة . (برميا هويوفال) . فبراير : ٨٥ — ٨٧ .
٤ — الى الوراء والى الامام بغضب (دورون روز بنلوم) . فبراير : ٨٧ — ٩١ .
— اليسار الاسرائيلى المعادى للصهيونية الصراع .
١ — يحدد موقفه من مؤتمر جنيف .
٢ — ويكشف أزمة الانتاج العسكرى والمدنى فى اسرائيل . مارس : ٤٦ — ٥١ .
١ — عن اسرائيل ، البصمات الاجتماعية لحرب اكتوبر . (اعداد مجموعة باحثين فى مؤسسة الارض للدراسات الفلسطينية تحت اشراف : حبيب قهوجى) . ابريل : ٩١ — ١٠٠ .
— اسرائيل ما بعد أكتوبر (ابراهيم كروان) . يوليو : ٧٠ — ٧٦ .

اسرائيل — شئون سياسية :
— استقالة مائير وانفجار الصراع على السلطة « تقارير الشهر » . مايو : ٩٩ — ١٠١ .

اسرائيل — علاقات خارجية / فرنسا :
انظر : فرنسا — علاقات خارجية اسرائيل
اسرائيل — علاقات خارجية/الولايات المتحدة
— ماذا تضر فى علاقات امريكا واسرائيل (فيليب جلاب) . اكتوبر : ٤٦ — ٤٩ .
— الاطار العام للعلاقات الامريكية الاسرائيلية (شحاته هارون) . اكتوبر : ٥٠ — ٥٦ .

اسرائيل — والمقاومة الفلسطينية :
— كفار شومير .. بعد كربات شمونة ومعالوت « تقارير الشهر » . يوليو : ١٠١ — ١٠٢ .

الاسعار :
— انظر : الاقتصاد .

افريقيا :
— انظر ايضا : العالم العربى — افريقيا
— انظر ايضا : غينيا بيساو .
— مشروعات افريقيه متعددة القوميات لتصنيع القارة واستغلال ثرواتها . « تقارير الشهر » . يناير : ١٠٨ — ١١٠ .
— مؤتمر القمة الافريقى : اتفاقات وخلافات . « تقارير الشهر » . يوليو : ١٠٢ — ١٠٦ .

افريقيا — حرب اكتوبر ٧٣ .
— انظر : حرب اكتوبر ٧٣ — افريقيا .
افريقيا — المستعمرات :
— غينيا — موزمبيق — انجولا ، الفصل الاخير من نهاية امبراطورية . « تقارير الشهر » . سبتمبر : ١١٣ — ١١٤ .
— غينيا — موزمبيق — انجولا : استقلال وحكومة انتقالية .. وانقسام . « تقارير الشهر » . اكتوبر : ١١٩ — ١٢١ .
اقتصاد :
— انظر أيضا : القمح .
— سياسة الاسعار فى الاقتصاد الرأسمالى والاشتراكى . حلمى ابراهيم سلام . فبراير : ٧٦ — ٨٠
— الشركة المتعددة القوميات . (قاموس العصر : اقتصاد ، حلمى ابراهيم سلام) . ابريل : ١٣٦ .
— الشركات الاستعمارية المتعددة القوميات وتعدد جنسية الشخص الاعتبارى اسقاط قانونى على الظاهرة (كتابات جديدة : نبيل عبد الفتاح) مايو : ١١٨ — ١٣٢ .
— تعويم العملة قاموس العصر : اقتصاد ، د. حلمى سلام) . مايو : ١٢٩ .
— مرحلة الانتقال فى العالم الثالث من اقتصاد تابع الى اقتصاد اشتراكى (ندوة الطليعة) . يونيو : ١٠ — ٥٧ .
— رأسمالية الدولة (قاموس العصر : اقتصاد ، د. حلمى سلام) . يونيو : ١٤١ .
— التضخم ومتى يصل الى النقطة الحرجة « تقارير الشهر » . يوليو : ١٠٩ — ١١١ .
— التأميم . (قاموس العصر : اقتصاد ، حلمى سلام) . يوليو : ١٣٦ .
— السيبرناطيقا الاقتصادية . (قاموس العصر : اقتصاد ، حلمى سلام) . سبتمبر : ١٣٤ .
— المؤتمر الاقتصادى للعالم الثالث « تقارير الشهر » . اكتوبر : ١٢١ — ١٢٣ .
— التضخم (قاموس العصر : اقتصاد د. حلمى سلام) . اكتوبر : ١٤١ .
— التخطيط القومى « قاموس العصر : اقتصاد : د. حلمى سلام) . نوفمبر : ١٣٤ .
— الجهاز المصرفى (قاموس العصر : اقتصاد) . ديسمبر : ١٣٠ .
اقتصاد — تاريخ :
— مصر الفرعونية ، حول النمط الاسيوى للانتاج (احمد صادق سعد) . مارس : ٥٥ — ٧٢
— النمط الاسيوى للانتاج ، خطوط عامة . احمد صادق سعد . فبراير : ٦٠ — ٧٥
البدرى فرغلى محمد على :
— سيدى القادم من بعيد .. تمهل . « الراى الاخر » . يونيو : ٩٩ — ١٠٠ .
السيد ياسين :
— ندوة «الطليعة» حول أزمة الثقافة المصرية . ديسمبر : ١٤٧ — ١٥٦ .
الفاروق عبد العزيز :
— سينما بلا ثورة . « تعليق » . اغسطس : ١٧٧ .
— اكتشاف ممثل . ديسمبر : ١٧٥ .
الليندى ، (سلفادور) :
— الليندى ، ودروس الاخفاق فى شيلى . خيرى عزيز . فبراير ٩٨ — ١٠٦
المانيا الديمقراطية — العالم العربى
— انظر : العالم العربى : المانيا الديمقراطية .
المانيا الغربية :
— برانت : ماذا وراء الاستقالة ؟ (تقرير خاص) . يونيو : ١٣٦—١٣٩
— من هو هيلموت شميدت المستشار الجديد . يونيو : ١٢٨ — ١٣٩ .
الأمم المتحدة — فلسطين :
— انظر أيضا : فلسطين والامم المتحدة .
— ضرورة تحديد قرارات الأمم المتحدة « تقارير الشهر » نوفمبر : ١٠٥ — ١٠٦ .
— وخاطب ابو عمار العالم (تقرير خاص : د. رفعت السعيد) . ديسمبر : ١٠١ — ١٠٤ .
— نص خطاب عرفات فى الأمم المتحدة : ديسمبر : ١٠٤ — ١١٠ .
أميرة حلمى مطر :
— التكنولوجيا والقيم الجمالية . أغسطس : ١٨٤ — ١٨٦ .
انجولا :
— الفصل الاخير من نهاية امبراطورية . « تقارير الشهر » . سبتمبر : ١١٣ — ١١٤ .
— استقلال .. وحكومة انتقالية .. وانقسام « تقارير الشهر » . اكتوبر : ١١٩ — ١٢١ .
الانفتاح الاقتصادى :
— انظر : مصر — اقتصاد
أوروبا :
— انظر أيضا : أزمة الشرق الاوسط . أوروبا .
— انظر أيضا : حلف الاطلنطى .
— انظر أيضا : السوق الاوروبية المشتركة .
— المحيط المتجمد الاطلنطى ، تناقضات المفاهيم « الاوروبية » و « الاطلنطية » سمير كرم . يناير : ٦٤ — ٧٢ .
— الأمن الاوروبى والشرق الاوسط . (كتاب تأليف : حسين فهمى ، عرض : د. رفعت السعيد) . أغسطس : ١٣١ — ١٣٣ .
— أوروبا الغربية وفلسطين : البحث عن دور فى الشرق الاوسط (احمد حسين حسنين) . نوفمبر : ٣٧ — ٤١ .
اوروبا — طاقة نووية :
— المجلس الاوروبى يتخذ قرارا يدعو الى تشكيل لجنة للتخطيط النووى الاوروبى « شريط الاخبار » . يناير : ١٢٥ .
— « منظمة منتجى الطاقة النووية » . فى أوروبا تقترح اجراء مفاوضات مع « هيئة الطاقة الذرية » فى الولايات المتحدة « شريط الاخبار » . يناير : ١٢٦ .
اوروبا الغربية :
— ردود فعل شديدة تثيرها فرنسا باتفاقها المنفرد مع الدول العربية « شريط الاخبار » . فبراير : ١٢٦ .
أوروبا الغربية — حرب اكتوبر ٧٣ :
— انظر : حرب أكتوبر ٧٣ — أوروبا الغربية .
ايطاليا :
— القبض على سادس عضو فى تنظيم « وردة الرياح » اليمينى . « شريط الاخبار » . يناير : ١٠٩ .

(ب)

الباجواش
— انظر : مصر — علوم
بترول
— انظر أيضا :
— العالم العربى — بترول
— العالم العربى والولايات المتحدة
— وضع البترول فى خدمة التحول الاشتراكى « من اقتصاد تابع الى اقتصاد اشتراكى » (محمد على عبد الكريم) يونيو : ٥٠ — ٥٧
بترول — أزمة الطاقة
— مؤتمر للمستهلكين فقط ؟ أم مؤتمر للدول المنتجة والمستهلكة والنامية ؟ « تقارير الشهر » فبراير : ١٢٢ — ١٢٤
بترول فرنسا
— توقعات فرنسية بأن تؤدى أزمة الطاقة الى تعطل مائة ألف عامل وانخفاض صادرات السيارات « شريط الأخبار » فبراير : ١٢٤

بترول ـ الولايات المتحدة
ـ البترول وراء الاحتلال الأمريكى « بالجهود » فى ظفار . «تقارير الشهر » فبراير : ١٢٤ ـ ١٢٥

البرتغال
ـ انظر ايضا : العالم العربى ـ البرتغال
ـ من برتغال « سالازار » الى برتغال « سبينولا » (مصطفى سامى) يونيو : ٧٢ ـ ٧٩
ـ الفصل الأخير من نهاية امبراطورية « تقارير الشهر » سبتمبر :١١٣ ـ١١٤

ـ فيتنا ـ موزمبيق ـ انجولا : استقلال . وحكومة انتقالية .. وانقسام « تقارير الشهر » أكتوبر ١١٩ ـ ١٢١
ـ الجماهير فسد الطريق أمام الثورة المضادة « تقارير الشهر» نوفمبر : ١٠٩ ـ ١١٠

بريطانيا
ـ من يحكم ؟ التناقضات .. أم الحكومة المنتخبة ؟ «تقارير الشهر» فبراير : ١٢٥ ـ ١٢٨
ـ الأزمة بين المحققين ومحال المناجم « رسالة لندن : من جوزيف نادر » مارس : ١٣٠ ـ ١٣١
ـ حزب العمال .. بين الطريق المسدود وخطى الأزمة الاقتصادية « تقارير الشهر » نوفمبر ١٠٧ ـ ١٠٩
ـ حزب العمال البريطانى (قاموس العصر : سياسة) أحمد فؤاد بلبع) نوفمبر : ١٢٢ ـ ١٢٣

بلغاريا
ـ الاحتفالات بيوم الثقافة البلغارية . « تقارير الشهر » يوليو : ١٠٦ ـ ١٠٧
ـ ٣٠ عاما من نجاحات لا تتوقف « تقارير الشهر » أكتوبر : ١٢٥ ـ ١٢٦

بلند الحيدر
ـ حوار مع بلند الحيدرى حول الشعر .. والتشكيل (اجلال عبده) اكتوبر : ١٦٤ ـ ١٦٥

بن جوريون ، داڤيد
ـ مفاتيح عصرية للمصطلحات العصرية (عبد الوهاب المسيرى) سبتمبر ٩٧ ـ ٩٨

بنلوم ، وورن روز
ـ الى الوراء والى الأمام بغضب (امريكيون يتحدثون عن أمريكا) فبراير : ٨٧ ـ ٩١

بنى سويف ، محافظة
ـ محافظة بنى‌سويف ابريل : ٢٤ـ٢٥

بور خوف ، دوف بير
ـ مفاتيح عصرية للمصطلحات الصهيونية . (عبدالوهاب المسيرى) سبتمبر : ٩٥ ـ ٩٧

بوانسدا
ـ من بلد زراعى الى المركز العالمى الثانى فى الفحم والثالث فى الكويت « تقارير الشهر » أغسطس : ١٢١ ـ ١٢٢

البيرونى ابو الريحان محمد بن أحمد
ـ الاحتفال بمرور ألف عام على مولد البيرونى . أبريل : ٢٠٨

(ت)

تركيا
ـ حكومة انقلابية .. أم انقراد بالسلطة ؟ (مجدى نصيف) نوفمبر : ١١٩ ـ ١٢١

التعليم
ـ نظرة اجتماعية مصرية لفلسفة جون ديوى التربوية (د. رشدى لبيب) ديسمبر : ١٨٠ ـ ١٨٤

التكنولوجيا
ـ انظر : العلم والتكنولوجيا

تيفازيون
ـ ماذا فعلت حرب أكتوبر .. بالشيخ « صطاوى » رفعت السعيد . فبراير : ١٧٥
ـ الألمان والوحش وقوة التمثيلية التليفزيونية (ماجدة دوريس) ديسمبر : ١٧٤ ـ ١٧٥

ثلوث البيئة ـ اليابان
ـ الحركة العالمية لثلوث البيئة « تقارير البيئة » فبراير : ١٢٨ ـ ١٢٩

توفيق الحكيم
ـ سائل عبد الناصر : من عودة الوعى (جمال عبدالناصر : الثورة .. والثورة المضادة) اكتوبر : ٨٤
ـ « الطليعة » تفتح مع توفيق الحكيم ملف التجربة (الافتتاحية) ديسمبر ـ ٥ ـ
ـ رسالة من لطفى الخولى الى توفيق الحكيم . ديسمبر : ٦ ـ ٩
ـ رسالة من توفيق الحكيم الى لطفى الخولى . ديسمبر : ١٠ ـ ١١
ـ بدال توفيق الحكيم المرفق بالرسالة، استراكيتى .. (من واقع كباباتى المنشورة فى الثلاثينات والأربعينات) ديسمبر : ١٢ ـ ٢٠

توفيق زياد
الوضع فى منطقتنا لن يعود الى ما كان عليه قبل ٦ أكتوبر بنظر : ٧٧ ـ ٨٠

تولستوى ، ليو
ـ تولستوى ليو (ليف) نيكولا بنتش تولستوى (١٨٢٨ ـ ١٩١٠) (قاموس العصر : أدب وفن) . ابريل : ١٧٧ ـ ١٧٨

تونس ـ علاقات خارجية : ليبيا
ـ انظر : ليبيا والوحدة مع تونس

(ث)

الثقافة
ـ حوار مع عزيز الحبابى ، حديث عن : الثقافة والاسلام . أبريل : ١٧٥ ـ ١٧٦

الثورة
ـ الثورة الوطنية الديمقراطية (قاموس العصر : سياسة) يوليو : ١٣٥

ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢
ـ انظر ايضا : أدب عربى ـ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢
ـ أنظر : مصر ـ ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

(ج)

الجامعة العربية
ـ انظر ايضا : الوحدة العربية
الحوار العربى الأوروبى
ـ سؤال الى الجامعة العربية : وماذا من الحوار مع العالم الاشتراكى ؟ (الافتتاحية : لطفى الخولى) سبتمبر : ٥ ـ ١٠
ـ رؤية مباشرة : لكى لا يبقى مجرد « حوار » (سلامة أحمد سلامة) سبتمبر : ١٣ ـ ١٨
ـ نحو اقتصادية : ورقتنا الرابحة ، اقتصاد عربى متكامل ومنيع (سعد ناجى) سبتمبر : ١٨ ـ ٢٧
ـ رؤية فكرية : الثقة بمستقبل الاشتراكية (مراد وهبه) سبتمبر : ٢٧ ـ ٣٠

الجزائر
ـ الجزائر رفى معركة التعريب (رسالة الجزائر) مارس : ١٢٢ ـ ١٢٦
ـ أصول وآفاق الاختيار الاشتراكى فى الجزائر (أحمد عكاش) يونيو : ٢٩ ـ ٣٩
ـ الخطة الرباعية الثانية . « تقارير الشهر » أغسطس : ١٢٠ ـ ١٢١
ـ حوار بين بومدين والنقابيين الجزائريين « تقارير الشهر » سبتمبر : ١١٠ ـ ١١١
ـ لمحات من منجزات الثورة . «تقارير الشهر » ديسمبر : ٩٦ ـ ٩٧
علاقات اقتصادية. السوق المشتركة

— تعثر المفاوضات بين الجزائر والسوق المشتركه حول مشكلة النبيذ والمنتجات البترولية والعمال الجزائريين فى أوروبا « شريط الأخبار » فبراير : ١٢٩

جلال الشرقاوى

— دفاع بليغ عن القطاع الخاص (المسرح المصرى .. بلا مسرح : فاروق عبد القادر) سبتمبر : ١٤٧ — ١٥٣

جمال العطيفى

— ندوة استثمار رأس المال العربى والأجنبى . يوليو : ١٤ — ٤٨

جمال الغيطانى

— شهادة مصرية (السويس المقاتلة) أكتوبر : ١٢ — ١٧

جمال عبد الناصر

— جمال عبد الناصر : الثورة .. المضادة . أكتوبر : ٧٩ — ٨٥

— حديث السادات والشباب عن عبد الناصر . « تقارير الشهر » نوفمبر : ٩٩ — ١٠٠

جمعة عبده قاسم

— أهداف « بيان الحكومة » : كيف تصبح واقعا فى التطبيق ؟ يناير : ٦٠ — ٦٣

— تأملات فى الماضى والحاضر والمستقبل « هكذا يتكلم المقاتل المصرى » . فبراير : ٢٨ — ٣٠

— السؤال هل التحالف قائم حتى نحكم له أو عليه « الرأى الآخر » . ديسمبر : ٨٢ — ٨٣

جميل مطر

— التخطيط السياسى لمستقبل النزاع العربى الاسرائيلى . أكتوبر : ٦١ — ٦٦

جهاد عبد الملك عودة

— الجماهير . والتقدم القومى الاجتماعى « حوار مفتوح حول ندوة حركة التحرر الوطنى العربية » فبراير : ٥٧ — ٥٨

جورج ، دى

— التكنولوجيا والعقل . أغسطس : ١٨٠ — ١٨٢

جوزيف نادر

— الأزمة بين المحافظين وعمال المناجم «رسالة لندن» مارس : ١٣٠—١٣١

(ح)

حامد السايح

— ندوة استثمار رأس المال العربى والأجنبى . يوليو : ١٤ — ٤٨

حامد عبد الله

— عن الطيور المهاجرة ، حامد عبدالله الفنان والهوية . (عزالدين نجيب) ديسمبر : ١٥٧ — ١٦٠

حبيب قهوجى

— دراستان :

١ — اسرائيل ، البصمات الاجتماعية لحرب أكتوبر

٢ — فلسطين ، الكفاءات العلمية فى الشعب الفلسطينى بين الكم والكيف . أبريل : ٩١ — ١٠٩

حرب أكتوبر ٧٣

— عن ليبيا والعراق . والمعركة . لطفى الخولى . يناير : ٥ — ٩

— حركة التحرر الوطنى العربية بعد ٦ أكتوبر ، المشاكل والآفاق (ندوة) يناير : ١٠ — ٤٠

— ٦ أكتوبر وآثاره الاستراتيجية . عبد العزيز فهمى . يناير : ٥١ — ٥٤

— المحيط المتجمد الأطلنطى ، تناقضات المفاهيم «الاوروبية» و «الاطلنطية» سير كرم يناير : ٦٤ — ٧٢

حرب أكتوبر ٧٣ — اسرائيل

١ — اسرائيل « المعراخ » واسرائيل « راكاح » لطفى الخولى يناير : ٧٣ — ٧٧

٢ — مقالات من اسرائيل :

— الوضع فى منطقتنا لن يعود الى ما كان عليه قبل ٦ أكتوبر . توفيق زياد . يناير : ٧٧ — ٨٠

نظرة الى المعارك على الجبهة السياسية . سالم جبر . يناير : ٨٠ — ٨٢

٣ — احتمالات الحرب والسلام ، السياسة الاسرائيلية بعد حرب أكتوبر : الى أين ؟

الدراسة الأولى : أبعاد حرب أكتوبر (تشرين) وانعكاساتها على الحرب والسلم يناير ٨٣ — ٨٦

الدراسة الثانية : اسرائيل بين معارك السياسة والحرب . يناير: ٨٦ — ٩٠

رسالة غوغو . يناير : ٩٠—٩١

٤ — لعبة الانتخابات فى اسرائيل أحمد حسين . يناير : ٩١ — ٩٨

العدو بعد ٦ أكتوبر . احتمالات جولة خامسة :

. حرب أكتوبر والتناقض العدائى مع اسرائيل والاستعمار (كمال السيد) أكتوبر : ٢٥ — ٢٩

. أزمة المجتمع الاسرائيلى .. بعد أكتوبر . (حمدى عبد الجواد) أكتوبر : ٣٠ — ٣٧

. مؤشرات الاقتصاد الاسرائيلى بعد حرب أكتوبر (أحمد صادق سعد) أكتوبر : ٣٨ — ٤١

. المعادلة الاستراتيجية فى النزاع الاسرائيلى بعد حرب أكتوبر (محمد سيد أحمد) أكتوبر : ٤٢ — ٤٥

. ماذا تغير فى علاقات أمريكا واسرائيل (فيلب جلاب) أكتوبر : ٤٦ — ٤٩

. الاطار العام للعلاقات الامركية الاسرائيلية (شحاته هارون) أكتوبر : ٥٠ — ٥٦

. عداء أصل بين الصهيونية .. والبلدان الاشتراكية (محمد الجندى) أكتوبر : ٥٧ — ٦٠

. التخطيط السياسى لمستقبل النزاع العربى الاسرائيلى (جميل مطر) أكتوبر : ٦١ — ٦٦

. الجولة الخامسة : احتمالات متزايدة (تعليق للطليعة) أكتوبر: ٦٧ — ٦٩

حرب أكتوبر ٧٣ — العالم العربى

— ٦ أكتوبر وآثاره الاستراتيجية . عبد العزيز فهمى . يناير :٥١—٥٤

حرب أكتوبر ٧٣ — افريقيا

— ٦ أكتوبر وآثاره الاستراتيجية . عبد العزيز فهمى . يناير :٥١—٥٤

حرب أكتوبر ٧٣ — أوروبا الغربية

— ٦ أكتوبر وآثاره الاستراتيجية . عبد العزيز فهمى . يناير :٥١—٥٤

حرب أكتوبر ٧٣ — العالم العربى

— حوار مفتوح حول ندوة حركة التحرر الوطنى العربية :

. ٣ ملاحظات . خالد محيى الدين فبراير : ٤٨ — ٤٩

. قضايا .. يجب أن تثار . محمد على الشهاوى . فبراير : ٥٠—٥٦

. الأخطار التى تهدد حركة التحرر الوطنى العربية . عبد الحميد الشيخ فبراير : ٥٦ — ٥٧

. حركة التحرر العربية .. وارادة الشعوب . سيد المغربى . فبراير: ٥٩ — ٦٠

— حوار مفتوح حول ندوة حركة التحرر الوطنى العربية : (عبد الله باديب) مارس : ٧٣ — ٧٧

. الوحدة العربية فى اطار حركة التحرر الوطنى (محمود بسيونى) مارس : ٧٧ — ٧٨

. تعقيب التفكير الحرفى فى السياسة (سعيد خيال) مارس : ٧٨—٨١

حرب أكتوبر ٧٣ — كتب ودراسات

— كلام عنا وعن اسرائيل ، من ٥ يونيو الى ٦ أكتوبر (كتاب تأليف

مصطفى بهجت بدوى ، عرض : عبد المنعم الغزالى) فبراير : ١٣٧ — ١٣٨

حرب اكتوبر — مصر

— انظر أيضا : مصر — المعركة
— مفتاح اللغز : جندى المؤهلات والقطاع العام . « الافتتاحية » لطفى الخولى . فبراير : ٥—١٥
— هكذا يتكلم المقاتل المصرى :
— صمود جماهير ٩ يونيو هو البطل الحقيقى فى انتصار ٦ اكتوبر . حسن عبد الفتاح فايد فبراير : ٢٥ — ٢٧
— تأملات فى الماضى والحاضر والمستقبل جمعه عبده قاسم . فبراير : ٢٨ — ٣٠
— شخصية الانسان المصرى وحرب اكتوبر ١٩٧٣ . عبد المنعم المشاط. فبراير : ٣١ — ٣٤
— المقاتل المصرى بين الخندق والعبور، قضية تربوية . عصام هلال . فبراير : ٣٥ — ٣٨
— لماذا « ٦ اكتوبر » عبده حسن جاويش . فبراير : ٣٩ — ٤٠
— من الاحساس « التلقائى بالوطن » .. الى «الوعى الاجتماعى بالوطن» تعقيب للطليعة . فبراير : ٤١—٤٣

حرب اكتوبر ٧٣ — الولايات المتحدة

— ٦ اكتوبر وآثاره الاستراتيجية . عبدالعزيز فهمى . يناير : ٥١—٥٤

الحرب الاقتصادية

— انظر : القمح

حركات التحرر

— انظر : العالم العربى — حركة التحرر الوطنى

حسان محمد حسان

— تعليم الكثرة بمنطق القلة : قضية للحوار . نوفمبر : ٩٥ — ٩٧

حسن البارودى

— حسن البارودى ، ستون عاما فى خدمة المسرح. نوفمبر : ١٧٠—١٧١

حسن النجار

— الرقص فى عرس القبيلة «قصيدة» فبراير : ١٥١

حسن زكى أحمد

— ندوة استثمار رأس المال العربى والاجنبى . يوليو : ١٤ — ٤٨

حسن عبد الفتاح فايد

— صمود جماهير ٩ يونيو هو البطل الحقيقى فى انتصار ٦ اكتوبر . « هكذا يتكلم المقاتل المصرى » . فبراير : ٢٥ — ٢٧
— بالديمقراطية .. نبدأ .. ونبنى . وننتصر ، « مناقشات مفتوحة » مارس : ١٣٢ — ١٣٥

حسن عطيه

— الخروج من حفر الدفاع السلبى « قصة قصيرة » . فبراير : ١٥٢ — ١٥٣

حسين شعلان

— حركة التحرر الوطنى العربية بعد ٦ اكتوبر ، المشاكل والافاق (ندوة) يناير : ١٠ — ٤٠
— « أحلام الممكن » الممكنة ! ، التحالف العربى — الافريقى فى مواجهة التحالف العنصرى الاستعمارى تعليق «حسين شعلان» يناير : ١١٨
— غينيا بيساو .. دولة «الديمقراطية الوطنية » فى افريقيا . فبراير : ٩٢ — ٩٧
— سؤال يجب أن يطاردنا (الشعب هو البطل) أبريل : ٤٠
— أثيوبيا : بروفنان نهائيتان «لمستقبل قريب . تقرير خاص » ابريل : ١٢٣ — ١٢٦
— ٥ اتفاقيات فى اللقاء الثالث «تقرير خاص » اغسطس : ١٢٨—١٣٠
— أمريكا وفلسطين : جسر ينهى الحصار العربى . نوفمبر : ٣١—٣٦

حسين طلعت

— القرية المصرية ، دراسة فى الملكية وعلاقات الانتاج (كتاب تأليف : فتحى عبد الفتاح ، عرض وتعليق : حسين طلعت) . يوليو : ١١٩ — ١٢٥
— الاستصلاح ضرورة: والأرض الجديدة من حق الشعب ، كل الشعب « الأرض الجديدة لمن ؟ » . اغسطس ٥٨ — ٦١
— « الطليعة » والمسألة الزراعية فى مصر (٢٢ عاما من الاصلاح الزراعى) سبتمبر : ٧٢ — ٧٩

حسين فهمى

— الامن الاوروبى والشرق الاوسط. (كتاب تأليف : حسين فهمى ، عرض : د. رفعت السعيد) ، اغسطس : ١٣١ — ١٣٣

حلف الأطلنطى

— انظر أيضا : فرنسا — حلف الاطلنطى
— المحيط المتجمد الاطلنطى ،تناقضات المفاهيم «الأوروبية» و «الاطلنطية» يناير : ٦٤ — ٧٢
— حلف الأطلنطى (قاموس العصر : سياسة ، د. فؤاد بلبع . مايو: ١٢٨ — ١٢٩
— « امبراطورية الحلف » .. الميثاق الجديد يؤكد سيطرته ! « تقارير الشهر » سبتمبر : ١٢٣ — ١٢٤

حلمى سلام

— سياسة الأسعار فى الاقتصاد الرأسمالى والاشتراكى . فبراير : ٧٦ — ٨٠
— الشركة المتعددة القوميات (قاموس العصر : اقتصاد) أبريل : ١٣٦
— تعويم العملة (قاموس العصر : اقتصاد) مايو : ١٢٩
— رأسمالية الدولة (قاموس العصر: اقتصاد) يونيو : ١٤١
— التأميم (قاموس العصر : اقتصاد) يوليو : ١٣٦
— الحاسب الالكترونى (قاموس العصر : اقتصاد) أغسطس : ١٣٥
— التضخم (قاموس العصر : اقتصاد) نوفمبر : ١٢٤
— التضخم .. ظاهرة رأسمالية . ديسمبر : ٥١ — ٥٤

حلمى ياسين

— حركة التحرر الوطنى العربية بعد ٦ أكتوبر ، المشاكل والافاق (ندوة) يناير : ١٠ — ٤٠
— الجبهة الوطنية : الواقع والافاق « العراق من الداخل » أغسطس ٧٣ — ٧٩

حمدى عبد الجواد

— أزمة المجتمع الاسرائيلى .. بعد اكتوبر . أكتوبر : ٣٠ — ٣٧

الحوار العربى الأوروبى

— انظر : الجامعة العربية

(خ)

خالد الحسن

— القضية الفلسطينية .. الى أين؟ حوار مع خالد الحسن (احسان بكر) نوفمبر : ٧٠ — ٧٦

خالد محيى الدين

— ٣ ملاحظات حوار مفتوح حول ندوة حركة التحرر الوطنى العربية فبراير : ٤٨ — ٤٩

الخليج العربى

— الشركات المتعددة القوميات فى الخليج العربى (أحمد الذوادى) مارس : ٩٣ — ١٠١

خيرى عزيز

— حركة التحرر الوطنى العربية بعد ٦ أكتوبر ، المشاكل والافاق (ندوة) يناير : ١٠ — ٤٠
— الليندى ، ودروس الاخفاق فى شيلى . فبراير : ٩٨ — ١٠٦
— دروس « كنج » والفهود بفتح طريق انجيلا ديفيزق أمريكا السوداء مايو : ٧٢ — ٨٢

ـ من « الحرية » و « العالم الحر »
« الرأى الآخر » يونيو : ٩٥ ـ ٩٩
ـ المسألة الكردية : بين الحكم الذاتى والتبادة العشائرية . أغسطس : ٧٩ ـ ٨٧
ـ العالم الاشتراكى وفلسطين : دولة ديمقراطية فورية . نوفمبر : ٤١ ـ ٤٨
ـ الدوافع الحقيقية وراء التهديدات الامريكية لدول البترول العربى «تقرير خاص» نوفمبر : ١١٥ـ١١٧

(د)

دوبرانف ، فلاديمير
ـ التكنولوجيا فى المجتمع ، محاولة تعريف . أبريل : ١٨١ ـ ١٨٤

الدولية الاشتراكية
ـ الدولية الاشتراكية وقاموس المصر: سياسة : أبو سيف يوسف) . أبريل : ١٣٥ ـ ١٣٦
ـ الدولية الاشتراكية والبحث عن صيغة جديدة للتعاون « تحرير الشهر » أبريل : ١١٦ ـ ١١٧

ديـــن
ـ حلقة مسيحية من أجل السلام فى الشرق الأوسط (تعليق : دكتور ميشيل فرح) يونيو : ١٢٢ـ١٢٣
ـ قضية المطران حداد ، أو قصة فك الارتباط بين « المطلق » و « النسبى » (تحرير خاص) أكتوبر : ١٢٧ ـ ١٣٠
ـ الندوة دولية عن الدين والاخلاق والقانون . أبريل : ٢٠٨

دين ـ اســلام
ـ حوار مع عزيز الحبابى ، حديث عن : الثقافة والاسلام . أبريل: ١٧٥ ـ ١٧٦
ـ بلاغ حول الملتقى الثانى للفكر الاسلامى بالجزائر « منافســـات مفتوحة » . يناير : ١٣٣ ـ ١٣٤ .
ـ تعديل تاريخ انعقاد الملتقى الثانى للفكر الاسلامى بالجزائر . « تقارير الشهر » . فبراير : ١١٨ .

(ر)

رامى ، نورمان ف .
ـ الحق فى العودة الى الوطن ، نص الرسالة التى بعث بها نورمان ف. رامى ، رئيس اللجنة الامريكية لشئون فلسطين الى هنرى كيسنجر « وثائق » أكتوبر : ١٤٢ ـ ١٤٥

راغب عياد
ـ راغب عياد ، الفجر والغروب (عز الدين نجيب) مايو : ١٦٨ ـ ١٦٩

الرأى الآخر
ـ انظر ما جاء فى هذا الباب تحت رؤوس الموضوعات التى تناولها

رجاء النقاش
ـ ارفعوا أيديكم عن سميح القاسم ديسمبر : ١٢٦ ـ ١٤٢

رشاد رشدى
ـ « حبيبتى فلسطين » وجه رشاد رشدى الجديد ، فاروق عبدالقادر فبراير : ١٦٤ ـ ١٦٧

رشدى لبيب
ـ دعوة الى حوار حول التعليم . أكتوبر : ٩٧ ـ ١٠١
ـ نظرية اجتماعية مصرية للسفة جون ديوى التربوية . ديسمبر : ١٨٠ ـ ١٨٤

رضا الطويل
ـ ٦ أكتوبر .. والقصة المتصرة . أكتوبر : ١٤٧ ـ ١٥٣

رضا العمل
ـ ندوة لاستثمار رأس المال العربى والاجنبى . يوليو : ٤٤ ـ ٤٨

رفعت السعيد
ـ حركة التحرير الوطنى العربية بعد ٦ أكتوبر ، المشاكل والافاق (ندوة) يناير : ١٠ ـ ٤٠
ـ ماذا فعلت حرب أكتوبر .. بالشيخ « مصطفى » فبراير : ١٧٥
ـ حتى « السادات » لا تحل المشكلة !! « رسالة مفتلدة » فبراير : ١٢٤ ـ ١٢٦
ـ حوار مع الجبهة الوطنية فى الأرض المحتلة . مارس : ١٢ ـ ٣٧
ـ ظاهرة اذاعية جديدة . مارس : ١٧٥
ـ « قانون » انتخاب ممثلى العمال فى مجالس الادارة ، هل هو « غير قانونى » (تعليق) ابريل : ١١٤ ـ ١١٥
ـ الوحدة العربية ، نقاط الاتفاق . ونقاط الاختلاف . مايو : ٢٩ ـ ٣١
ـ لم يبق من فارس سوى «الجمل» « تعليق » مايو : ٨٨
ـ وتحطمت الاسطورة عند الظهر .. (كتاب تأليف : أحمد بهاء الدين، عرض د. رفعت السعيد) مايو : ١٠٦ ـ ١٠٩
ـ وماذا بعد ٦ أكتوبر ؟ (كتاب تأليف : عبد الفتاح الصاوى ، عرض د. رفعت السعيد) مايو : ١٠٩ ـ ١١١
ـ اعتاله .. أن ؟ « حول دراسة الوحدة العربية » . يونيو : ١١٥ ـ ١١٦
ـ محاولت .. أم ترشيحا ؟ تلك هى القضية « تقرير خاص » يوليو : ١١٤ ـ ١١٥
ـ الأمن الاوروبى والشرق الاوسـط (كتاب تأليف : حسين فهمى ، عرض د. رفعت السعيد) . أغسطس : ١٣١ ـ ١٣٣
ـ حكايات مصر « ومن الزاوية » . (كتاب تأليف : صلاح عيسى ، عرض د. رفعت السعيد) . أغسطس : ١٧١
ـ هل نمود بالوثائق .. يا دكتور « الرأى الآخر » . سبتمبر : ٩١ ـ ٩٢
ـ فى ذكرى سعد والنحاس (تعليق : رفعت السعيد) سبتمبر : ١٠٤ ـ ١٠٥
ـ اليمين القديم واليمين الجديد . أكتوبر ٨٦ ـ ٩٣
ـ تجربة اليمين الديمقراطية ١٩٥٠ ـ ١٩٧٣ (كتاب تأليف : د. أحمد عطية ، عرض وتعليق : د. رفعت السعيد) أكتوبر : ١٣٧ ـ ١٣٩

(س)

سالم جبر
ـ نظرة الى المعارك على الجبهة السياسية . يناير : ٨٠ ـ ٨٢

سامى الكباب
ـ الكتاب ، ظاهرة لا تخضع لأى تخطيط يناير : ١٦٠ ـ ١٧٠
ـ الأساس المادى للحركة المسرحية (ثورة يوليو والثقافة المصرية) يوليو : ١٥٤ ـ ١٦٠

٦ أكتوبر
ـ انظر : حرب أكتوبر ٧٣

مسعد أردش
ـ هناك خطة محددة لتصفية التطلع العام (المسرح المصرى . بلا مسرح فاروق عبد القادر) . سبتمبر : ١٤٧ ـ ١٥٣

مسعد زغلول
ـ فى ذكرى سعد والنحاس (تعليق : د. رفعت السعيد) . سبتمبر : ١٠٤ ـ ١٠٥

مســعيد الطيال
ـ حركة التحرير الوطنى العربية بعد ٦ أكتوبر ، المشـــاكل والافاق (ندوة) يناير : ١٠ ـ ٤٠
ـ الثورة المصرية والتنمية . مسعد خيال . فبراير : ٤٤ ـ ٤٦
ـ « تعقيب » ، التفكير الحـرفى فى السياسة . مارس : ٧٨ ـ ٨١
ـ طليت « الطليعة » فولتير . فحول ندوة حركة التحرر الوطنى العربى» يونيو : ١١٧ ـ ١١٩

ـ كلمة الختام ، مناقشات مفتوحة : محمد علي الشهاوي) يوليو: ١٣٠

مسعد العدواوي

ـ مسعد العدوي : الشهاب الأخضر الذي عبر (عز الدين نجيب) ، اكتوبر : ١٥٨ ـ ١٦١

مسعد نديم

ـ حوار مع مسعد نديم حول الفيلم السينمائي (كمال رمزي) مبتمبر: ١٦١ ـ ١٦٦

المسكان

ـ اتجاهان أساسيان في مؤتمر المسكان « تقارير الشهر » أكتوبر: ١٢٣ ـ ١٢٥

مسلاية أحمد مسلاية

ـ رؤية سياسية : لكن لا يبقى مجرد حوار (الحوار العربي الأوروبي) سبتمبر : ١٣ ـ ١٨

مسليمان الخفري الشيخ

ـ علم النفس السوفياتي المعاصر ، ديسمبر : ١٩٦ ـ ٢٠٦

مسيح القاسم

ـ « جريح » (مريد البرغوثي) نوفمبر : ١٧٤ ـ ١٧٥

ـ أرامحوا أيديكم عن مسيح القاسم (رجاء النقاش) ديسمبر : ١٣٩ ـ ١٤٢

مسيعد عبده

ـ صحافة تحت الطبع (كتاب تأليف : سعيد صبحي ، عرض : مصطفى سامي) سبتمبر : ١٣٠ ـ ١٣١

مسيعد فريد

ـ بن ملف السينما السياسية مايو : ١٤٧ ـ ١٦٥

ـ السينما المصرية وتطورها ، ثورة يوليو والثقافة المصرية) يوليو : ١٦٠ ـ ١٦٦

ـ في مهرجان كان ٧٤ ، ماذا يحدث في عالم السينما ، أغسطس : ١٧٢ ـ ١٧٥

ـ تعقيب على تعليق « ثورة بلا سينما» في دائرة الحوار سبتمبر : ١٦١ ـ ١٦٢

ـ شبلي : من السينما الى السينما المقاومة ضد الفاشية ، اكتوبر : ١٦٦ ـ ١٧٠

ـ سينما هشم الطعام وسينما الملك المعوي ، نوفمبر : ١٥٠ ـ ١٥١

مسير كرم

ـ قانون العسف ، ديسمبر : ١٣٨

ـ المحيط المتجدد الاطلنطي ، مناقشات المفاهيم «الأوروبية» و «الاطلنطية» يناير : ٦٤ ـ ٧٦

ـ مؤتمر جنيف للسلام ، دورة لتحديد المواقف « تقرير خاص » يناير : ١٢٧ ـ ١٢٨

مسناوي حسن

ـ « مساء حسن » مغامرة صيونية ماشلة « تقارير الشهر » مبتمبر: ١٠٦ ـ ١٠٧

مسوريا

ـ صخرة الجولان .. وقطع الصخرة « تقارير الشهر » مايو : ٦٠ـ٦٣

ـ فك الاشتباك .. بالاشتباك .. «تقارير الشهر» يوليو : ١٢٤ـ١٢٥

مسوريا : هزيمة اكتوبر ٧٣/فصل القوات

ـ بيان الجبهة الوطنية التقدمية في مسوريا حول اتفاق فصل القوات على الجولان « مناقشات مفتوحة » يوليو : ١٢٩ ـ ١٣٠

مسوريا ـ الحزب الشيوعي

ـ انظر : العالم العربي ـ أحزاب شيوعية

ـ كيف عادت الوحدة الى الحزب الشيوعي السوري « رسالة مسوريا» فيصل حوراني ، فبراير: ١٢١ـ١٢٣

السوق الأوروبية المشتركة

ـ أنظر أيضاً : الجزائر ـ علاقات اقتصادية

ـ مؤتمر القمة للسوق الاوروبية المشتركة ، حصول مرض ازدواج الشخصية « تقارير الشهر » ، يناير : ١١٧ ـ ١٢٠

سولجنتسين ، الكسندر

ـ سولجنتسين ،أمنه وضميره ، جريدة النهار ، أبريل : ١٤٧ ـ ١٥٥

سياسة

ـ الدولة الاشتراكية (قاموس العصر : سياسة : أبو سيف يوسف) أبريل : ١٣٥ ـ ١٣٦

ـ الفاشية الجديدة (قاموس العصر : سياسة ، أحمد فؤاد بلبع) ، سبتمبر : ١٣٥

ـ الحزب (قاموس العصر : سياسة) اكتوبر : ١٤٠

السيد الزفتاوي

ـ نحو تشريع عمل موحد ، مايو : ٥٧ ـ ٥٩

سيد المغربي

ـ حركة التحرير العربية .. وارادة الشعوب حوار مفتوح حول نذوة حركة التحرر الوطني العربية ، فبراير : ٥٩ ـ ٦٠

سيف وانلي

ـ سيف ، مأزق الألوان الحروب ، عز الدين نجيب ، فبراير : ١٧٢ـ ١٧٣

السينما

ـ من ملف السينما السياسية (سمير فريد) مايو : ١٤٧ ـ ١٥٦

السينما ـ أفلام تسجيلية

ـ ٦ اكتوبر والفيلم التسجيلي (كمال رمزي) اكتوبر : ١٥٤ ـ ١٥٧

السينما العالمية

ـ « ألب الروحي » ، تحية حارة لرجال المافيا (كمال رمزي) ، يوليو : ١٧٤ ـ ١٧٧

ـ أسبوع الفيلم السوفيتي ، « الان تصطفون آن تقفين على قدميك » (كمال رمزي) أبريل : ١٧٢ ـ ١٧٤

ـ في مهرجان كان ٧٤ ، ماذا يحدث في عالم السينما ، أغسطس : ١٧٢ ـ ١٧٥

ـ تعقيب على تعليق « ثورة بلا سينما» في دائرة الحوار سبتمبر : ١٦١ ـ ١٦٢

ـ شبلي : من السينما الى السينما المقاومة ضد الفاشية ، اكتوبر : ١٦٦ ـ ١٧٠

ـ سينما هشم الطعام وسينما الملك المعوي ، نوفمبر : ١٥٠ ـ ١٥١

ـ شخصية الفلاح في السينما المصرية (فتحي فرج) يوليو : ١٦١ـ١٦٦

ـ « الحذاب » .. و « أين عطى » (الملك التنظيري دون قيم جديدة ، (كمال رمزي) مايو : ١٦٦ـ١٦٨

ـ فطين عبد الوهاب ، ١٩١٢ ـ ١٩٦٢) ، كمال الشيخ (١٩١٩

السينما ـ أفلام تسجيلية

ـ ٦ اكتوبر والفيلم التسجيلي (كمال رمزي) اكتوبر : ١٥٤ ـ ١٥٧

السينما العالمية

ـ « ألب الروحي » ، تحية حارة لرجال المافيا (كمال رمزي) ، يوليو : ١٧٤ ـ ١٧٧

ـ أسبوع الفيلم السوفيتي ، « الان تصطفون آن تقفين على قدميك » (كمال رمزي) أبريل : ١٧٢ ـ ١٧٤

ـ في مهرجان كان ٧٤ ، ماذا يحدث في عالم السينما ، أغسطس : ١٧٢ ـ ١٧٥

ـ السينما المصرية ، أنيماشن في مؤتمر « تقارير الشهر » أكتوبر: ١٢٣ ـ ١٢٥

سلامة أحمد سلامة

ـ رؤية سياسية : لكن لا يبقى مجرد حوار (الحوار العربي الأوروبي) سبتمبر : ١٣ ـ ١٨

سليمان الخفري الشيخ

ـ علم النفس السوفياتي المعاصر ، ديسمبر : ١٩٦ ـ ٢٠٦

سميح القاسم

ـ « جريح » (مريد البرغوثي) نوفمبر : ١٧٤ ـ ١٧٥

ـ أرامحوا أيديكم عن مسيح القاسم (رجاء النقاش) ديسمبر : ١٣٩ ـ ١٤٢

مسمير عبده

ـ صحافة تحت الطبع (كتاب تأليف : سعيد صبحي ، عرض : مصطفى سامي) سبتمبر : ١٣٠ ـ ١٣١

مسمير فريد

ـ بن ملف السينما السياسية مايو : ١٤٧ ـ ١٦٥

ـ السينما المصرية وتطورها ، ثورة يوليو والثقافة المصرية) يوليو : ١٦٠ ـ ١٦٦

ـ في مهرجان كان ٧٤ ، ماذا يحدث في عالم السينما ، أغسطس : ١٧٢ ـ ١٧٥

ـ تعقيب على تعليق « ثورة بلا سينما» في دائرة الحوار سبتمبر : ١٦١ ـ ١٦٢

ـ شبلي : من السينما الى السينما المقاومة ضد الفاشية ، اكتوبر : ١٦٦ ـ ١٧٠

ـ سينما هشم الطعام وسينما الملك المعوي ، نوفمبر : ١٥٠ ـ ١٥١

مسمير كرم

ـ قانون العسف ، ديسمبر : ١٣٨

ـ المحيط المتجدد الاطلنطي ، مناقشات المفاهيم «الأوروبية» و «الاطلنطية» يناير : ٦٤ ـ ٧٦

ـ مؤتمر جنيف للسلام ، دورة لتحديد المواقف « تقرير خاص » يناير : ١٢٧ ـ ١٢٨

—) . (قاموس العصر : أدب وفن) نوفمبر : ١٧٨
— الفيلم العراقى : الايمان بالعلم والعمل . ديسمبر : ١٦٧ — ١٦٩
— محمد بيومى (١٨٩٤ — ١٩٦٣)
— محمد كريم (١٨٩٦ — ١٩٧٢) ، (قاموس العصر : أدب وفن) . سبتمبر : ١٧٨
— ممدوح شكرى ، الموت فى الشتاء . (فتحى فرج) . فبراير : ١٧٤
— من المسئول عن هذا الحصار ؟ (تعليق : كمال رمزى) ديسمبر : ١٧٢ — ١٧٣
— نظرة لأحد مواسم الفيلم المصرى . (مجيد طوبيا) . فبراير : ١٦٨ — ١٧١

السينما العربية — ثورة ٢٣ يوليو ٥٢

— تعقيب على تعليق ثورة بلا سينما (فى دائرة الحوار : سمير فريد) سبتمبر : ١٦١ — ١٦٢
— السينما المصرية وتطورها . (ثورة يوليو والثقافة المصرية : سمير فريد) . يوليو : ١٦٠ — ١٦٦
— سينما ١٩٧٣ ، انتشار لقيم السينما التجارية . كمال رمزى . يناير : ١٥٤ — ١٦٠
— « قاع المدينة » ، قضية اجتماعية أم أخلاقية ؟ (كمال رمزى) . مارس : ١٦٩ — ١٧١
— الموت الذى يأتى قبل الميلاد . (الفاروق عبد العزيز) سبتمبر : ١٧٤
— حوار سعيد نديم حول الفيلم التسجيلى (كمال رمزى) . سبتمبر : ١٦٦ — ١٦٩

(ش)

شحاته هارون

— الاطار العام للعلاقات الامريكية الاسرائيلية . أكتوبر : ٥٠ — ٥٦

شفيق عصمت محمد

— شهادة محافظ بنى سويف . (الشعب هو البطل) ابريل : ٣٢ — ٣٣

شمس الدين موسى

— الجريمة ، بحث عن العدل الضائع ، مارس : ١٧٣ — ١٧٤

شوحام ، دافيد

— خيار كهذا .. (اسرائيليون يتحدثون عن اسرائيل) . فبراير : ٨٢—٨٤

شوقى جلال

— دراسة فى الشخصية الاسرائيلية ، «الاشكنازيم» (رسالة الدكتوراه اعداد: قدرى محمود حفنى ، عرض وتعليق : شوقى جلال) ابريل : ٢٠٣ — ٢٠٥
— الديمقراطية : المضمون أولا ثم الشكل (صراع المصالح فى مناقشات الاتحاد الاشتراكى) . نوفمبر : ١٢ — ١٧

شيلى

— الليندى ، ودروس الاخفاق فى شيلى (خيرى عزيز) فبراير : ٩٨—١٠٦
— شيلى : المسيرة نحو الاشتراكية (كتاب تأليف : لويس كورفالان ، عرض : كمال السيد) فبراير : ١٣٨ — ١٤١
— كارلوس التاميرانور الزعيم الاشتراكى الشيلى يعلن أنه يعيد بناء الحزب « شريط الاخبار » فبراير : ١١٨
— الاحتفال بذكرى بابلونيرودا .. فى القاهرة « تقارير الشهر » أكتوبر : ١١٣ — ١١٤

(ص)

صالح جودت

— نحن أولى بالرثاء ، على من أطلق الرصاص (جمال عبد الناصر : الثورة .. والثورة المضادة) . أكتوبر : ٨٥

صلاح الدين سليمان محمود

— رسالتان نقديتان الى « الطليعة » (مناقشات مفتوحة) . ديسمبر : ١١٤ — ١١٥

صلاح جاهين

— ثغرات فى سيادة القانون (دكتور محمد عصفور) . ديسمبر : ٥٩ — ٦٧

صلاح عيسى

— حكايات مصر ومن الزائدة . (كتاب تأليف : صلاح عيسى ، عرض : د. رفعت السعيد) . أغسطس : ١٧٦
— مستقبل الرجعية فى مصر . نوفمبر : ١٤١ — ١٤٤

الصهيونية

— « الأرض » و « الشعب المختار » (مفاتيح عصرية للمصطلحات الصهيونية : عبدالوهاب المسيرى) يوليو : ١٣١ — ١٣٤
— « سناء حسن » مغامرة صهيونية فاشلة : « تقارير الشهر » . سبتمبر : ١٠٦ — ١٠٧
— الصهيونية العمالية أو الاشتراكية ، روف بيربورخوف ، دافيد بن جوريون (مفاتيح عصرية للمصطلحات الصهيونية : عبدالوهاب المسيرى) سبتمبر : ٣ — ٩٨
— كلمة من « الطليعة » . مايو : ٤ .
— مفاتيح عصرية للمصطلحات الصهيونية .
اقتحام الأرض والعمل والحراسة والانتاج .
الحركة التعاونية الصهيونية .
(اعداد : د. عبدالوهاب المسيرى) يونيو : ٨٠ — ٨٢ .
— مفاتيح عصرية للمصطلحات الصهيونية :
الجيتور « الانفصال » اليهودى .
(اعداد : د. عبد الوهاب المسيرى) مايو : ١٢٣ — ١٢٧ .
مفاتيح عصرية للمصطلحات الصهيونية :
الصهيونية الدينية .
الصهيونية السياسة . أغسطس : ٦٢ — ٦٤ .

الصين :

— ثورة ثقافة أخرى كونفوشيوس ولين بيار «تقارير الشهر » . مارس : ١٠٧ — ١٠٩ .

(ض)

ضمين حسين عودة :

— حوار الجبهة الوطنية فى الارض المحتلة . مارس : ١٢ — ٣٧ .

(ط)

الطليعة — مجلة :

— ارفعوا ايديكم عن المطران كابوتشى . سبتمبر : ١١ .
— رسالتان نقديتان الى « الطليعة » (مناقشات مفتوحة) : صلاح الدين سليمان محمود ، ابراهيم المغربى . ديسمبر : ١١٤ — ١٢٠ .
— كلمة من الطليعة . سبتمبر : ٤
— كلمة من « الطليعة » ، (بمناسبة مرور عشر سنوات على صدور « الطليعة ») . ديسمبر : ٤ .
— كلمة من « الطليعة » ، (حول اخراج واعداد باب التقارير بالمجلة) أغسطس : ٤ .
— كلمة من « الطليعة » ، (حول ارتفاع توزيع مجلة « الطليعة ») . نوفمبر : ٤ .
— كلمة من الطليعة (فى ذكرى مرور ٢٢ عاما على ثورة يوليو) يوليو ٤
— ملاحظة أولية على ورقة التطوير (مصر ، الاتحاد الاشتراكى والتحالف) . سبتمبر : ٥٦ — ٥٧

طه حسين

— قائمة الاعمال المنشورة لطه حسين يناير : ١٧٦ — ١٧٨

.. في ذكراهـا الاولى « الطليعـة » نوفمبر : ١٦٤ — ١٦٥
.. مهرجان طه حسين بكلية آداب المنيا ديسمبر : ١٧٦

(ظ)

ظفـار
.. البترول وراء الاهتمـام الامريكي « بالهدوء في ظفار تقارير الشهر » فبراير : ١٢٤ — ١٢٥

(ع)

عادل ابراهيم هندي
— القمح كسـلاح ضغط اقتصـادي . يناير : ٥٥ — ٥٩
عادل حسين
— الموقف الامريكي من الصراع العربي — الاسرائيلي . يناير : ٤١—٥٠
— حوار مع الجبهة الوطنية في الارض المحتلة . مارس : ١٢ — ٣٧
— الخطأ والصواب في محاولات الوحدة السابقة . مايو / ٢٢ — ٢٦
— ورقة اكتوبر ، وجهة نظر في التطبيق يونيو : ٥٨ — ٦٣
— ندوة استثمار رأس المـال العربي والاجنبي . يوليو : ١٤ — ٤٨
عادل محمد مصطفى
— حول الارض الجديدة ومستقبل الاجيال القادمة « الارض الجديدة لمن ؟ » اغسطس : ٥٤ — ٥٨
العالم الاشتراكي
— سؤال الى الجامعة العربية : وماذا عن الحوار مع العالم الاشتراكي ؟ (الافتتاحيـة : لطفي الخولي) . سبتمبر : ٥ — ١٠
— مساندة جديدة من الدول الاشتراكية لمنظمة التحرير ولقيادة عرفات (رسالة لبنان : فيصل حوراني) سبتمبر : ١٢٥ — ١٢٧
— مساندة جديدة من الدول الاشتراكية لمنظمة التحرير ولقيـادة عرفـات . (رسالة لبنان : فيصل حوراني) سبتمبر ١٢٥ — ١٢٧
العالم الثالث
— انظر أيضا : مصر — علوم
— أزمة الطاقة وانسان العالم الثالث (ميشيل يوسف فرح) مارس : ٨٢ — ٩٢
— البعد التكنولوجي للعالم الثالث . ابريل : ١٩٨ — ٢٠٠
— مرحلة الانتقال في العالم الثالث من اقتصاد تابع الى اقتصاد اشتراكي (ندوة الطليعة) . يونيو : ١٠—٥٧
— المؤتمر الاقتصـادي للعـالم الثالث « تقاريـر الشـهر » . اكتوبر : ١٢١ — ١٢٣
— العالم الثالث وفلسطين : مكانة فيتنام هل تحملها قضية فلسطين ؟ (كمال السيد) نوفمبر : ٤٩ — ٥٦
— التضخم — خطورة الظاهرة وحيويتها في العالم الثالث (كمال السيد) ديسمبر : ٥٤ — ٥٧
— مؤتمر الغذاء العالمي وازمة العالم الثالث « تقارير الشهر » ديسمبر : ٩٧ — ٩٩
العالم العربي
— انظر أيضا : الوحدة العربية
— انظر أيضا : الجامعة العربية — الحوار العربي الاوروبي
— انظر أيضا : محو الامية
— انظر أيضا : الوحدة العربية
— انظر أيضـا : الولايات المتحدة — علاقات خارجية / العالم العربي
— حركة التحرر الوطني بعد ٦ أكتوبر ، المشاكل والآفاق . (ندوة) يناير : ١٠ — ٤٠
العالم العربي — احزاب شيوعية
— اجتماع الحزب الشيوعي العراقي والاردني واللبناني والسـوري في بيروت نوفمبر ٧٣ «شريط الاخبار» . يناير : ١١٤
العالم العربي — استثمارات
— أموال البترول، أين وكيف تستثمر ؟
. الاتجاهات الاساسية في نـدوة السياسـات الاستثماريـة للدول العربية المنتجة للنفط ، « ٣ مجالات و ٣ أنواع للاستثمار . (كمال السيد) ابريل : ٥٠—٥٦
. الدخـول النفطيـة والفوائض المتوقعة لست دول عربية (د. ابراهيم سعد الدين) ابريل : ٥٦ — ٦٢
. قضـية المدخرات العربيـة .. ومسـتقبل نظام النقـد الدولي (د. فـؤاد مرسي) ابريل : ٦٣ — ٧١
. حول كفاءة اجهـزة ادارة أموال الاسـتثمار العـربي (د. ابراهيم شحاته) . ابريل : ٧١ — ٩٠
العالم العربي — افريقيا
— « احلام الممكن » الممكنة ! ، التحالف العربي — الافـريقي في مواجهـة التحالف العنصري الاستعمار «تعليق» حسين شعلان . يناير : ١١٨
العالم العربي — اقتصاد
— استراتيجية موحدة للتنمية الصناعية العربية « تقارير الشهر » مايو : ٩٤ — ٩٧
— الشركات المتعددة القوميات في الخليج العربي (احمد الذوادي) مارس : ٩٣ — ١٠١
العالم العربي — المانيا الديمقراطية
— بيان من مجلس السلام في المانيـا الديمقراطية « مناقشـات مفتوحة » يناير : ١٣٥ — ١٣٦
العالم العربي — بترول
— أمـوال البـترول ، أين وكيف تستثمر (ملف عن ندوة السياسات الاستثمارية للدول العربية المنتجة للنفط) أبريل : ٤٩ — ٩٠
— انظر : بترول — العالم العربي
— أموال البترول العربي بين الاستهلاك والبناء للمستقبل (د. عبد الرازق حسن) يونيو : ٦٤ — ٧٢
— نـدوة مثمرة ودراسـات هامـة . (رسالة من بغداد : احمد فؤاد بلبع) ديسمبر : ١١١ — ١١٣
العالم العربي — البرتغال
— الحزب الشـيوعي البرتغـالي يدين العدوان الاسرائيلي الامبريالي على الشعوب العربية . «شريط الاخبار» يناير : ١١٩
العالم العربي — حركات التحرر
— حول ندوة « حركة التحرر الوطني العربية »
. ظلمت « الطليعـة » فولتـير . (سـعيد الخيـال) يونيـو : ١١٧ — ١١٩
— حـوار مفتوح حول نـدوة التحرر الوطني العربية :
. الحريـة ولا ... لا فان حركة التحـرر الوطني العربية (فائز المدرس) ابريل : ٤١ — ٤٤
. بـدلا من الخلط والمغالطـة ! (معقيب : د. محمـد علي الشهاري) أبريل : ٤٤ — ٤٨
العالم العربي — حرب اكتوبر ١٩٧٣
انظر أيضا : حرب أكتوبر — العالم العربي
— البرجوازية العربية المعاصرة : الى أين . « الافتتاحية » مارس : ٥—١٠
العالم العربي — شباب
— تأسيس أول اتحاد للشباب العربي « تقارير الشهر » ديسمبر : ٩٣—٩٤
العالم العربي — صحافة
— مؤتمر اتحاد الصحفيين العرب يشكل لجنة دائمـة للـدفاع عن الحريات الصحفية . « تقارير الشهر » . سبتمبر : ١٠٨ — ١١٠
العالم العربي — عمل وعمال
— ٤ ملاحظات حول الطبقـة العاملة (عبد المنعم الغزالي) يوليو : ٦١ — ٦٩
العالم العربي والولايات المتحدة
— الدوافع الحقيقـة وراء التهديـدات الامريكيـة لدول البترول العربي :

(تقرير خاص : خيرى عزيز) ٧
نوفمبر : ١١٥ — ١١٧
عالم عربى — الوحدة العربية
— الوحدة العربية ، خبرات الماضى ..
وتحديات المستقبل : مايو : ٤-١٥
• ٦ اكتوبر وانعكاساته على قضية
الوحدة العربية (خالد محيى
الدين) مايو : ٦١ — ١٧
• الوحدة العربية ومنهج البحث
العلمى (د. على الدين هلال)
مايو : ١٨ — ٢١
• الخطأ والصواب فى محاولات
الوحدة السابقة (عادل حسين)
مايو : ٢٢ — ٢٦
• لا وحدة عربية دون تكامل اقتصادى
(فيليب جلاب) مايو : ٢٧—٢٨
• الوحدة العربية ، نقاط الاتفاق ،
ونقاط الاختلاف . (د. رفعت
السعيد) مايو ٢٩ — ٣١
• الوحدة الاقتصادية ، الاساس
لاستكمال مهام الثورة الوطنية
الديمقراطية . (عبدالمنعم الغزالى)
مايو : ٣٢ — ٣٥
• اتجاهان لحركة الوحدة العربية
(وديع أمين) مايو : ٣٦ — ٣٩
• تعليق « للطليعة » مايو ٤٠
عبد الحميد الشيخ
— الاخطار التى تهدد حركة التحرر
الوطنى العربية « حوار مفتوح حول
ندوة حركة التحرر الوطنى العربية »
فبراير ٥٦ — ٥٧
عبد الخالق الشهاوى
— الاصلاح الزراعى بين عهدين ، كل
الجهد لانقاذ الارض والانتاج (٢٢
عاما من الاصلاح الزراعى).
سبتمبر : ٦٠ — ٦٧
عبد الرحمن أبو زهرة
— ممثلونا ممزقين بين المدخل وحب
المسرح (المسرح المصرى .. بلامسرح:
فارق عبد القادر) سبتمبر :
١٤٧ — ١٥٢
عبد الرحمن ابو عوف
— حوار مع الدكتور فؤاد زكريا حول :
الفلسفة والموسيقى والشباب .
مارس : ١٥٥ — ١٥٩
— حوار مع الدكتور لويس عوض حول:
المنهج النقدى ، الادب المصرى ،
الاجيال الجديدة مايو : ١٥٧—١٦٢
عبد الرازق حسن
— أموال البترول العربى بين
الاستهلاك والبناء للمستقبل . يوليو:
٥٢ ٥٤
عبد الصبور منير
— مقاطع من قصيدة : ملايين من
سورة العبور : ١٥٤ — ١٥٥
عبد العزيز فهمى
— ٦ أكتوبر واشاره الاستراتيجية .
يناير : ٥١ — ٥٤
عبد الله باديب
— التكنيك الجديد للامبريالية مارس :
٧٣ — ٧٧
عبد المحسن أبو ميزر
— حوار مع الجبهة الوطنية فى الارض
المحتلة . مارس ١٢ — ٣٧
عبد المنعم الصاوى
— وماذا بعد ٦ أكتوبر ؟ (كتاب
تأليف : عبد المنعم الصاوى ، عرض:
د. رفعت السعيد) مايو :
١٠٩ — ١١١
عبد المنعم الغزالى
— حركة التحرر الوطنى العربية بعد ٦
أكتوبر ، المشاكل والافاق (ندوة)
يناير : ١٠ — ٤٠
— كلام عنا وعن اسرائيل من ٥ يونيو
الى ٦ أكتوبر (كتاب تأليف :
مصطفى بهجت بدوى ، عرض :
مصطفى سامى) فبراير : ١٢٧—١٢٨
— حوار مع الجبهة الوطنية فى الارض
المحتلة . مارس : ١٢ — ٣٧
— الشعب هو البطل (دراسة عن
شهداء حرب اكتوبر ٧٣) ابريل :
٢٠ — ٤٠
— الوحدة الاقتصادية ، الاساس
لاستكمال مهام الثورة الوطنية
الديمقراطية . مايو : ٣٢ — ٣٥
— ٤ ملاحظات حول الطبقة العاملة
العربية . يوليو : ٦١ — ٦٩
— الصهيونية ما زالت تعلن الحرب .
« تعليق » يوليو : ١٠٢ — ١٠٣
— من التحولات الاقتصادية والاجتماعية
العراق من الداخل « اغسطس :
٦٦ — ٧٣
— العامل هو العامل اليدوى .
(ماع المصالح فى منشآت الاتحاد
الاشتراكى) نوفمبر : ١٧ — ١٩
— حول المناقشات الدائرة عن
الديمقراطية « تعليق » اكتوبر :
١٠٨ — ١٠٩
عبد المنعم المشاط
— شخصية الانسان المصرى وحرب
اكتوبر ١٩٧٣ « هكذا يتكلم المقاتل
المصرى » فبراير : ٣١ — ٣٤
عبد المنعم تليمة
— ندوة « الطليعة » حول أزمة
الثقافة المصرية . ديسمبر :
١٤٧ — ١٥٦
عبد المنعم [redacted]
— الاتجاهات العامة للمناقشة «الارض
الجديدة لمن ؟ اغسطس : ٤١—٤٧
— المسألة الزراعية فى الدول النامية ،
وتجربة الاصلاح الزراعى فى مصر
(كتاب تأليف : فوزى عبد الحميد
عرض : عبد المنعم شتلة) يوليو :
١٢٥ — ١٢٨
عبد الوهاب المسيرى
— كلمة من « الطليعة » مايو : ٦
— مفاتيح عصرية للمصطلحات
الصهيونية . مايو : ١٢٣ — ١٢٧
— مفاتيح عصرية للمصطلحات
الصهيونية :
• التحام الارض والعمل والحراسة
والانتاج .
• الحركة التعاونية الصهيونية .
يونيو : ٨٠ — ٨٧
— « الارض » ، « الشعب المختار »
(مفاتيح عصرية للمصطلحات
الصهيونية) يوليو : ١٣١ — ١٣٤
— النبوية ، كلود ليفى — شتراوس .
أغسطس : ١٩٦ — ١٩٨
— الصهيونية العمالية أوالاشتراكية ،
روف بيربورخوف ، دافيد بن
جوريون . (مفاتيح عصرية
للمصطلحات الصهيونية) سبتمبر :
٩٣ — ٩٨
عبده جبير
— صورة جانبية لموديل « قصة
قصيرة » اغسطس : ١٦٦—١٦٩
— عن القصص .. والاجيال « فى دائرة
الحوار » سبتمبر : ١٦٢—١٦٤
عبده حسن جاويش
— لماذا . « ٦ أكتوبر » ، « هكذا
يتكلم المقاتل المصرى . فبراير :
٣٩ — ٤٠
العراق
— انظر ايضا : أدب عربى — قصة ،
المسرح العربى
— بيان الاتحاد العام للطلاب العرب فى
المملكة المتحدة وايرلندة من
الاعتداءات الايرانية الجديدة على
العراق « مناقشات مفتوحة » مايو :
١١٦ — ١١٧
— أيام فى العراق ، أصوات ..
والوان (فاروق عبد القادر)
يونيو : ١٤٧ — ١٦٠
— تقرير سياسى هام « تقارير الشهر »
مايو : ٩٢ — ٩٤
— دراسة ميدانية ، العراق من
الداخل « ملف الطليعة » :
١ — من التحولات الاقتصادية
والاجتماعية (عبد المنعم
الغزالى) اغسطس :
٦٦ — ٧٣
٢ — الجبهة الوطنية الواقع
والآفاق (حلمى ياسين ،
وديع أمين) اغسطس
٧٣ — ٧٩
٣ — المسألة الكردية : بين الحكم
الذاتى والقيادة العشائرية

(خيرى عزيز) أغسطس : ٧٩ — ٨٧
— عن ليبيا والعراق — والمعركة . لطفى الخولى يناير : ٥ — ٩
— المؤتمر القطرى الثامن يحدد مهام المرحلة القادمة « تقارير الشهر » فبراير : ١١٤ — ١١٦

العراق — اكراد
— الجبهة الوطنية أساس حل المسألة الكردية « تقارير الشهر » يناير : ١١٣ — ١١٥
— على الطريق الى ١١ مارس ١٩٧٤، حليل للاحداث ووثائق «تقرير خاص» مارس : ١١١ — ١١٤
. نص مذكرة زعماء الاكراد الى الملا مصطفى البرازانى مارس : ١١٥ — ١١٩
. مشروع الجبهة الوطنية والقومية التقدمية لقانون الحكم الذاتى لمنطقة كردستان . مارس : ١١٩ — ١٢١
— القضية الكردية .. وحصان طروادة .. « تقارير الشهر » ابريل : ١١٧ — ١٢٠
— المسألة الكردية : بين الحكم الذاتى والقيادة العشائرية (خيرى عزيز) اغسطس : ٧٩ — ٨٧
— اجتماع أول مجلس تشريعى فى كردستان (مصطفى سامى) نوفمبر : ١١٧ — ١١٩

العراق — الحزب الشيوعى
— انظر : العالم العربى — احزاب شيوعية

العراق — علاقات اقتصادية / مصر
— انظر : مصر — علاقات اقتصادية — العراق

العراق — الولايات المتحدة
— رسالة من الرئيس أحمد حسن البكرالى الرئيس الامريكى ريتشارد نيكسون « تقرير خاص » مارس : ١١٤ — ١١٥

عربى عواد
— حوار مع الجبهة الوطنية فى الارض المحتلة . مارس ١٢ — ٣٧ .

عز الدين نجيب
— الانسان يعود الى الفن المعاصر . مارس : ١٧١ — ١٧٣ .
— بينالى الاسكندرية العاشر ، ملامح جديدة فى الفن الحديث . يونيو : ١٧٠ — ١٧٣ .
— التعبير عن الانتماء فى معرض الفنان عز الدين نجيب . ديسمبر : ١٧٦ .
— راغب عياد ، الفجر والغروب . مايو : ١٦٨ — ١٦٩ .
— سعيد العدوى : الشهاب الاخضر الذى عبر . اكتوبر : ١٥٨ — ١٦١ .
— سيف ، عازف الالوان الطروب . فبراير : ١٧٢ — ١٧٣ .
— عشرون عاما من الحركة التشكيلية. (ثورة يوليو والثقافة المصرية) يوليو : ١٦٦ — ١٧١ .
— عن الطيور المهاجرة ، حامد عبدالله الفنان والهوية . ديسمبر : ١٥٧ — ١٦٠ .
— فن ٧٣ : ملامح الوجه الغريب . يناير : ١٧٠ — ١٧٥ .
— الفن بين الواجهة والضرورة . نوفمبر : ١٥٢ — ١٥٤ .
— فنانو الكويت فى القاهرة سبتمبر : ١٧٢ — ١٧٣ .
— هجوم الربيع الشامل .. والهدف الرئيسى « فن تشكيلى » ابريل : ١٧٠ — ١٧٢ .

عزيز الحبابى
— حوار مع عزيز الحبابى ، حديث عن : الثقافة والاسلام . ابريل : ١٧٥ — ١٧٦ .

عصام هلال
— المقاتل المصرى بين الخندق والعبور، قضية تربوية هكذا يتكلم المقاتل المصرى . فبراير ٣٥ — ٣٨ .

عصمت سيف الدولة
— الوحدة العربية ، دعاء .. أم دعوة ؟ يونيو : ١٠٢ — ١١٥ .

علم نفس
— الانسان المصرى فى ضوء تغيير الانسان (د. فرج أحمد فرج) ديسمبر : ١٩١ — ١٩٥ .
— علم النفس السوفيتى المعاصر . (د. سليمان الخضرى الشيخ) ديسمبر : ١٩٦ — ٢٠٦ .

العلم والتكنولوجيا
— الا تؤدى الاكتشافات الحديثة الى خلل التفكير ؟ اخبار الفلسفة والعلم) ديسمبر : ٢٠٩ .
— البعد التكنولوجى للعالم الثالث : (د. مهندس ميلاد حنا) ابريل : ١٩٨ — ٢٠٠ .
— التكنولوجيا فى المجتمع ، محاولة تعريف (فلتشكو دوبريانف)ابريل: ١٨١ — ١٨٤ .
— التكنولوجيا والبحث العلمى بين غياب الفلسفة واخفاق الوصول (د. أحمد العريان) ابريل : ١٩٣ — ١٩٧ .
— التكنولوجيا والعقل (دى جورج) اغسطس : ١٨٠ — ١٨٣ .
— التكنولوجيا والقيم الجمالية (د. أميرة حلمى مطر) اغسطس ١٨٤ — ١٨٦ .
— التكنولوجيا .. والفقراء . (د. ميشيل فرح) ديسمبر : ١٨٥ — ١٨٨
— الحاسب الالكترونى (قاموس العصر : اقتصاد ، د. حلمى سلام) اغسطس : ١٣٥ .
— الحاسب الالكترونى والابداع البشرى (ليلى الشربينى) ابريل : ٢٠١ — ٢٠٢
— دور الدراسات الانسانية فى عصر العلم والتكنولوجيا (د. فؤاد زكريا) ابريل : ١٨٥ — ١٩٢ .
— قضية التكنولوجيا والانسان (مراد وهبة) ابريل : ١٨٠ .
— هيئة « العلمية الانسانية » ابريل: ٢٠٩ .

علوم
— عقول الكترونية « جديدة » (تقارير الشهر) يناير : ١٢٤ — ١٢٦ .

علوم عسكرية
الدور المتطور لبحوث العمليات فى النظم الدفاعية الحديثة « كتابات جديدة » ابراهيم على احمد . يناير : ١٣٦ — ١٣٨ .

على الدين هلال
— الوحدة العربية ومنهج البحث العلمى : مايو : ١٨ — ٢١ .

على لطفى
— ندوة استثمار راس المال العربى والاجنبى . يوليو : ١٤ — ٤٨ .

عمل وعمال
— أول مايو ١٩٧٤ . « الطليعة » مايو : ١٢ — ١٣ .

(غ)

الغذاء
— مؤتمر الغذاء العالمى وأزمة العالم الثالث (تقارير الشهر) ديسمبر : ٩٧ — ٩٩ .

غينيا بيساو
— استقلال .. وحكومة انتقالية .. وانقسام . (تقارير الشهر) اكتوبر ١١٩ — ١٢١ .
— غينيا بيساو أحدث دولة مستقلة فى العالم
١ — اعلان دولة غينيا بيساو .
٢ — دستور جمهورية غينيا بيساو. (وثائق) فبراير : ١٤٢ — ١٤٦
— غينيا بيساو .. دولة (الديمقراطية الوطنية) فى أفريقيا . حسين شعلان فبراير ٩٢ — ٩٧
— الفصل الاخير من نهاية امبراطورية (تقارير الشهر) سبتمبر : ١١٣ — ١١٤

(ف)

الفاتيكان

— بلاغ البابا عن عدم قبول أبناء القدس تحت سيطرة طائفة واحدة (شريط الاخبار) . فبراير : ١١١

الفاروق عبد العزيز

— حاشية من مقاتل فى الصحراء المدن الامنة . مارس : ١٦٠ — ١٦٢

— حول جوائز السينما ، من صدمة الوعى الى حلقه الحاوى . نوفمبر : ١٧٢ — ١٧٣

— الموت الذى يأتى قبل الميلاد . سبتمبر : ١٧٤

فاروق عبد القادر

— سيادة المسرح التجارى وتراجع مسرح الدولة — فاروق عبد القادر يناير : ١٤٨ — ١٥٤

— (حبيبتى شامينا) ، وجه رشاد رشدى الجديد . فبراير : — ١٦٤ — ١٦٧

— ٥ يونيو .. الحقيقة والمستقبل (كتاب تأليف : لطفى الخولى وعرض وتعليق : فاروق عبد القادر) ابريل : ١٢٩ — ١٣٤

— من قتل حلمى حمادة ؟ (الكرنك) ، آخر روايات نجيب محفوظ . ابريل : ١٦٧ — ١٦٩

— أيام فى العراق ، أصوات ... والوان . يونيو : ١٤٧ — ١٦٠

— حساسيات جديدة فى الرواية والقصة والمسرح . (٢ — أيام فى العراق) يوليو : ١٧٢ — ١٧٧

— فى القصة المصرية القصيرة ، ملامح من جيل جديد . اغسطس : ١٤٧ — ١٤٩

— المسرح المصرى .. بلا مسرح . سبتمبر : ١٤٧ — ١٥٣

— مسرح أكتوبر ، كيف يروى ماحدث . نوفمبر : ١٥٥ — ١٥٩

— ندوة (الطليعة) حول أزمة الثقافة المصرية . ديسمبر : ١٤٧—١٥٦

فاروق منصور

— ماركسيون .. ولكنهم مسلمون (الرأى الاخر) ديسمبر : ٧٤ — ٧٨

فائز المدرس

— الحرية أولا .. لآفاق حركة التحرير العربية . ابريل : ٤١ — ٤٤

فتحى القبانى

— نحو فلسفة من أجل الوحدة العربية (الرأى الاخر) يوليو : ٨٣ — ٨٥

فتحى عبادة

— دراسة عن عائلة الشهيد فتحى عبادة . ابريل : ٢٠ — ٤٠

فتحى عبد الفتاح

— الحل المصرى والواقع الزراعى (٢٢ عاما من الاصلاح الزراعى) سبتمبر : ٦٧ — ٧٢

— الفلاح : مهنته العمل الزراعى ولا تتجاوز ملكيته خمسة أفدنة . (صراع المصالح فى مناقشات الاتحاد الاشتراكى) نوفمبر : ١٩ — ٢٠

— القرية المصرية ، دراسة فى الملكية وعلاقات الانتاج . (كتاب تأليف فتحى عبد الفتاح ، عرض وتعليق حسين طلعت) . يوليو : ١١٩ — ١٢٥

فتحى فرج

— حاجز الوهم الذى منع العصفور . أكتوبر : ١٦٢ — ١٦٣

— حوار مع نبيل المالح حول السينما الجديدة . نوفمبر : ١٦٦ —١٦٩

— شخصية الفلاح فى السينما المصرية يونيو : ١٦١ — ١٦٦

— ممدوح شكرى ، الموت فى الشتاء . فبراير : ١٧٤

فتوح نشاطى

— فتوح نشاطى : قطعة نابضة من تاريخ المسرح المصرى (ف.ع) . مايو : ١٦٣ — ١٦٥

فرج أحمد فرج

— الانسان المصرى فى ضوء تغيير الانسان . ديسمبر : ١٩١ — ١٩٥

فرنسا

— الخطر على الديجولية . من داخلها . (تقارير الشهر) . مايو : ١٠٤ — ١٠٥

— ضعف الديجوليين وانتظار اليسار وفوز اليمين المعتدل (تقارير الشهر) يونيو : ١٣١ — ١٣٢

— فرنسا .. الى أين تتجه ؟ ، تحقيق من باريس عن معركة انتخابات الرياسة . (محمد سيد أحمد) يوليو : ٧٧ — ٨٢

فرنسا — حلف الاطلنطى

— المشروع الفرنسى لاعلان مبادىء حلف الاطلنطى وابتعاده عن فكرة (القوة الثالثة) شريط الاخبار . يناير : ١٢٠

— الولايات المتحدة تعرب عن اغتباطها بالمشروع الفرنسى لاعلان المبادىء الخاصة بحلف الاطلنطى (شريط الاخبار) يناير : ١٢٢

فرنسا — علاقات خارجية/اسرائيل

— انسحاب ثلاثة نواب شيوعيين من جمعية الصداقة الفرنسية الاسرائيلية) (شريط الاخبار) يناير : ١١٠

فريدة النقاش

— رسالة وزير الثقافة على المسرح . نوفمبر : ١٤٨ — ١٤٩

— سولجنتسين ، فنية وقضيته . ابريل : ١٤٧ — ١٥٥

فطين عبد الوهاب

— فطين عبد الوهاب . (قاموس العصر : أدب وفن) نوفمبر : ١٧٨

فلسطين

— انظر أيضا : الأمم المتحدة

— الحق فى العودة الى الوطن ، نص الرسالة التى بعث بها نورمان ف. داس رئيس اللجنة الامريكية لشئون فلسطين الى هنرى كيسنجر . (وثائق) أكتوبر : ١٤٢ : ١٤٥

— دراستان :

٢ — فلسطين ، الكفاءات العلمية فى الشعب الفلسطينى بين الكم والكيف . (اعداد مجموعة باحثين فى مؤسسة الارض للدراسات الفلسطينية تحت اشراف : حبيب قهوجى) . ابريل : ١٠٠ — ١٠٩

— الفلسطينيون : هل هم (محور) المشكلة .. أم (مفتاح) الحل ..؟ (تقارير الشهر) يناير : ١١١ — ١١٣

— قراءة انتقادية لاثنين من المواثيق الوطنية الفلسطينية . (فيصل حورانى) . مايو : ٦٣ — ٧١

— القضية الفلسطينية والخطر الصهيونى . (كتاب) اصدار وزارة الدفاع اللبنانية بالاشتراك مع مؤسسة الدراسات الفلسطينية . يناير : ١٢٩ — ١٣٢

— مؤتمر طلاب فلسطين يرفع شعار : لنشدد أيدنا على مقابض بنادقنا (رسالة الجزائر : كمال السيد) أكتوبر : ١٣٠ — ١٣٢

— اليسار المصرى وقضية فلسطين (وثائق) . ديسمبر : ١٢١ — ١٢٨

فلسطين حكومة المنفى

— مجموعة فلسطين الامريكية تطالب بحكومة فلسطينية فى المنفى (وثائق) أكتوبر : ١٤٦

فلسطين القدس

— بلاغ البابا عن عدم قبول أبناء القدس تحت سيطرة طائفة واحدة . (شريط الاخبار) . فبراير : ١١١

فلسطين المجلس الوطنى

— بعد انتهاء أعمال المجلس الوطنى الفلسطينى . ، ماذا يعنى القرار الفلسطينى ؟ (تقرير خاص : احسان بكر) . يوليو : ١١١ — ١١٣

فلسطين مقاومة

— انظر أيضا :

اسرائيل — أراضى محتلة

فلسطين ، مقاومة

— انظر أيضا :
اسرائيل والمقاومة الفلسطينية

— الثورة الفلسطينية ، ماذا غيرت فى العالم تجاه القضية ؟ :
. أمريكا وفلسطين جسر ينهى الحصار العربى . (حسين شعلان) نوفمبر : ٣١ — ٣٦
. أوروبا الغربية وفلسطين : البحث عن دور فى الشرق الأوسط (أحمد حسين حسانين) نوفمبر : ٣٧ — ٤١
. العالم الاشتراكى وفلسطين : دولة ديمقراطية ثورية . (خيرى عزيز) نوفمبر : ٤١ — ٤٨
. العالم الثالث وفلسطين مكانه فيتنام هل تحتلها قضية فلسطين ؟ (كمال السيد) نوفمبر : ٤٩ — ٥٦
. اسرائيل وفلسطين : موقف استراتيجى .. وخلاف التكتيك (ابراهيم كروال) نوفمبر : ٥٦ — ٦٢
. الفلسطينيون وفلسطين : الكفاح من أجل الهويه : (وجيه ضياء الدين) نوفمبر : ٦٣ — ٧٠
. القضية الفلسطينية .. الى أين؟ حوار مع خالد الحسن (احسان بكر) نوفمبر : ٧٠ — ٧٦

— الحوار الفلسطينى فى انتظار القرار (تقارير شهر) فبراير : ١١٧ — ١١٨

— صورة الموقف الفلسطينى (رسالة بيروت : فيصل حورانى) ابريل : ١٢٦ — ١٢٨

— عن حركة التحرر العربية ، الثورة الفلسطينية .. وفتح . (الافتتاحيه) لطفى الخولى اكتوبر : ٥ — ١٠

— فى ذكرى استشهادهم : قال الثوار كلمتهم . (الطليعة) مايو ٤١

— مساندة جديدة من الدول الاشتراكية لمنظمة التحرير ولقيادة عرفات . (رسالة لبنان : فيصل حورانى) سبتمبر : ١٢٥ — ١٢٧

— من هم الفلسطينيون ؟ (الافتتاحية : الطليعة) يوليو : ٥ — ٨

فلسطين ، مقاومة / حرب اكتوبر ١٩٧٣

— حوار مع الجبهة الوطنية فى الأرض المحتلة . مارس : ١٢ — ٣٧

— تعليق (الطليعة) على الندوة :
. أثر معارك اكتوبر على الوضع العربى وفى الاراضى المحتلة .
. الجبهة الوطنية كتجربة وأسلوب.
. الحلول المطروحة للقضية الفلسطينية مارس : ٣٨ — ٤٥

فلسطين ، مقاومة ، عمليات

عملية (كريات شمونة) للمقاومة أيضا ذراع طويلة (تقارير الشهر). مايو : ٩٧ — ٩٨

— الفلسطينيون (يسرقون) الكاميرا . (تقارير الشهر) . أغسطس : ١١٢ — ١١٤

— مرحلة كريات شمونة — معالوت فى الثورة الفلسطينية . (الافتتاحية): لطفى الخولى . يونيو : ٥ : ٩

— معالوت .. أم ترشيحا ؟ ، تلك هى القضية . (تقرير خاص : رفعت السعيد) يوليو : ١١٤ — ١١٥

فلسطين والأمم المتحدة

— فلسطين .. أمام العالم (الرسمى) (تقارير الشهر) اكتوبر : ١١٤ — ١١٥

الفلسفة

— انظر ايضا : العلوم والتكنولوجيا

— اعادة صياغة الانسان (أخبار الفلسفة والعلم) ديسمبر : ٢٠٩

— برجمانية ، وجودية . (قاموس العصر : فلسفة ، د. مراد وهبه) مايو : ١٣٠ .

— بناوية — تكنولوجيا — حاسب الكترونى — سيبرنطيقا . (قاموس العصر : فلسفة) ابريل : ٢١٠ .

— البنوية ، كلود ليفى — شتراوى. (د. عبد الوهاب المسيرى) اغسطس : ١٩٦ — ١٩٨ .

— تحويل نفس (قاموس العصر : فلسفة : لطفى فطيم)ديسمبر : ٢١٠

— التكنولوجيا والسياسة (محمد سيد احمد) اغسطس : ١٨٧ — ١٩١ .

— حوار فلسفى فى صوفيا (د. مراد وهبه) اغسطس : ١٩٢ — ١٩٥.

— الدراسات الاجتماعية فى يوجوسلافيا (أبو سيف يوسف) ديسمبر : ٢٠٧ — ٢٠٨ .

— مارتن هيدجر فى عيده الخامس والثمانين (أخبار الفلسفة والعلم)

— فليسوف قادم من أمريكا (أخبار الفلسفة والعلم) ديسمبر :٢٠٩ .

— نحو مفهوم انسانى للانسان :المنهج والقضية . (د. نظمى لوقا) ديسمبر : ١٨٩ — ١٩٠ .

— ندوة علمية عن العالم الفيلسوف — يوسف مراد . اغسطس : ١٩٩ — ٢٠٦ .

— الوضعية المنطقية . (قاموس العصر : فلسفة م. و.) اغسطس: ٢١ .

— وماذا عن الفلسفة والعلم . (د. مراد وهبه) اغسطس : ١٧٩ .

الفلسفة والعلم ، ملحق

— انظر ما ورد فى هذا الملحق تحت رؤوس الموضوعات :

— الفلسفة .

— العلم والتكنولوجيا .

— لماذا هذا الملحق ؟ (الطليعة) ابريل : ١٧٩ .

فن تشكيلى

— الانسان يعود الى الفن المعاصر (عز الدين نجيب) مارس : ١٧١ — ١٧٣ .

— بينالى الاسكندرية العاشر ، ملامح جديدة فما الفن الحديث (عز الدين نجيب) يونيو : ١٧٥ — ١٧٣ .

— التعبير عن الانتماء فى معرض الفنان عز الدين نجيب ديسمبر : ١٧٦ .

— التكعيبية . (قاموس العصر)أدب وفن) اكتوبر : ١٧٨ .

— جماعة بغداد للفن الحديث (قاموس العصر : أدب وفن ف.ع) يونيو : ١٧٨ .

— راغب عياد ، الفجر والغروب (عز الدين نجيب) مايو : ١٦٨ — ١٦٩ .

— سيف ، عازف الالوان الطروب عز الدين نجيب . (فبراير ١٧٢ — ١٧٣ .

— عن الطيور المهاجرة ، حامدعبدالله الفنان واليهويه . (عز الدين نجيب) ديسمبر : ١٥٧ — ١٦٠ .

— الفن بين الواجهة والضرورة (عز الدين نجيب) نوفمبر : ١٥٢—١٥٤

— معرض الفن التشكيلى : حيوية وتدفق . (الاسبوع الثقافى العراقى فى القاهرة) ديسمبر ١٦٩ — ١٧٠.

— صورة شخصية : كاظم حيدر . ديسمبر : ١٧٠ — ١٧١ .

— هجوم الربيع الشامل .. والهدف الرئيسى . (عز الدين نجيب) ابريل : ١٧٠ — ١٧٢ .

الفن التشكيلى — ثورة ٢٣ يوليو١٩٥٢

— عشرون عاما من الحركةالتشكيلية. (ثورة يوليو والثقافة المصرية : عز الدين نجيب) يوليو : ١٦٦ — ١٧١ .

فن تشكيلى — الكويت

— فنانو الكويت فى القاهرة . (عز الدين نجيب) سبتمبر : ١٧٢ — ١٧٣ .

فن تشكيلى — مصر

— فن ٧٣ : ملامح الوجه الغريب : (عز الدين نجيب) . يناير : ١٧٠ — ١٧٥ .

فنلندا

— حتى (الساونا) لا تحل المشكلة !! (رسالة فنلندا) رفعت السعيد . فبراير : ١٣٤ — ١٣٦ .

العهود الاسود
— انظر : اسرائيل/حرب أكتوبر ٧٣ .
فؤاد بليبع
— حلف الاطلنطى . (قاموس العصر : سياسة) مايو : ١٢٨ — ١٢٩ .
فؤاد دواره
— ماذا فعلت الثورة بأدبنا . (ثورة يوليو والثقافة المصرية) يوليو : ١٤٨ — ١٥٣
فؤاد زكريا
— حوار الدكتور فؤاد زكريا حول : الفلسفة والموسيقى والشباب . (عبد الرحمن أبو عوف) مارس : ١٥٥ — ١٥٩
— دور الدراسات الانسانية فى عصر العلم والتكنولوجيا . ابريل : ١٨٥ — ١٩٢
فوزى عبد الحميد
— المسألة الزراعية فى الدول النامية وتجربة الاصلاح الزراعى فى مصر (كتاب تأليف : فوزى عبد الحميد ، عرض : عبد المنعم شقلة) يوليو : ١٢٥ — ١٢٨
فؤاد فيظا الله
— الموت الذى يأتى قبل الميلاد (الفاروق عبد العزيز) سبتمبر : ١٧٤
فؤاد مرسى
— حركة التحرر الوطنى العربية بعد ٦ أكتوبر ، المشاكل والآفاق . (ندوة) يناير : ١٠ — ٤٠
— قضية المدخرات العربية .. ومستقبل نظام النقد الدولى . ابريل : ٦٣— ٧١
— القطاع العام والاستثمار الخاص . فبراير : ١٦ — ٢٣
— الغلاء المستورد ديسمبر : ٢٣—٢٤
فيتنام
— (العقاب) .. وسيلة لفرض احترام (اتفاق باريس) (تقارير الشهر) يناير : ١٢٠ — ١٢١
— حصار مع سنوات بعد قيام الحكومة الثورية المؤقتة لجنوب فيتنام . (تقارير الشهر) يوليو : ١٠٧—١٠٨
— مؤامرة مزدوجة ضد (اتفاقى باريس وفينتيان) (تقارير الشهر) . سبتمبر : ١١٩ — ١٢٠
فيصل حورانى
— كيف عادت الوحدة الى الحزب الشيوعى السورى . (رسالة سوريا) فبراير : ١٣١ — ١٣٣
— صورة الموقف الفلسطينى (رسالة بيروت) ابريل : ١٢٧ — ١٢٨
— قراءة انتقادية لاثنين من المواثيق الوطنية الفلسطينية . مايو : ٦٣—٧١
— مساندة جديدة من الدول الاشتراكية لمنظمة التحرير ولقيادة عرفات . (رسالة لبنان) سبتمبر : ١٢٥ — ١٢٧
فيليب جلاب
— حوار مع الجبهة الوطنية فى الاراضى المحتلة . مارس : ١٢ — ٣٧
— لا وحدة عربية دون تكامل اقتصادى مايو : ٢٧ — ٢٨
— مصر : الى اين ؟ الى الحرية .. أو الى الوراء ؟ (الرأى الآخر). يونيو : ٩١ — ٩٤
— وجه من وجوه الازمة .. عندنا ، (الندابون) وديمقراطية أمريكا . (٣ وجوه لووترجيت) سبتمبر : ٤٢ — ٤٣
— رد على مقال محمود أبو وافية . (صراع المصالح فى مناقشات الاتحاد الاشتراكى) نوفمبر : ٢٣ — ٢٩
— من حقك ن تدافع ، لكن .. من واجبك ان تقرأ ! (الرأى الآخر) ديسمبر : ٧١ — ٧٤
— ماذا تغير فى علاقات أمريكا واسرائيل أكتوبر : ٤٦ — ٤٩

(ق)

قاسم مسعد عليوه
— رسالة وقصة قصيرة (الجزء الناقص) فبراير : ١٤٨ — ١٥٠
— لا تبحثوا عن عنوان .. انها الحرب .. انها الحرب . (قصة قصيرة) اغسطس : ١٥٥ — ١٦١
قاموس العصر : اقتصاد
— انظر ما جاء فى هذا الكتاب تحت رأس الموضوع اقتصاد
قاموس العصر — سياسة
— انظر ما جاء فى هذا الباب تحت رأس الموضوع : سياسة
قبرص
— وماذا بعد موت جريفاس ؟ (رسالة نيقوسيا: من مجدى نصيف) مارس: ١٢٧ — ١٣٠
— فقدت الجزيرة استقلالها باسم (الحرية والديمقراطية) . و(تقرير الشهر) سبتمبر : ١١٥ — ١١٦
— تقسيم الجزيرة أصبح حقيقة واقعة. (رسالة نيقوسيا : مجدى نصيف) أكتوبر : ١٣٢ — ١٣٦
قدرى حفنى
— أحمد زكى صالح .. الذى فقدناه . ابريل : ١٠٦
— دراسة فى الشخصية الاسرائيلية ، (الاشكنازيم) . (رسالة الدكتوراه اعداد : شوقى جلال) ابريل : ٢٠٣ — ٢٠٥
القمح
— القمح كسلاح ضغط اقتصادى. عادل ابراهيم عندى . يناير : ٥٥ — ٥٩
— معاناة أمريكا من نقص فى القمح هذا العام ، وطلبها تأجيل استلام الاتحاد السوفيتى حصة متفق عليها (شريط الاخبار) . فبراير : ١٢٨

(ك)

كابرال : اميلكار
— غينيا بيساو .. دولة (الديمقراطية الوطنية) فى افريقيا . حسين شعلان فبراير : ٩٢ — ٩٧
كابوتشى ، هيلاريون
— ارفعوا أيديكم عن المطران كابوتشى و (الطليعة) . سبتمبر : ١١
الكاتب ، (مجلة)
— حول زمة (الكاتب) (تقارير الشهر) أكتوبر : ١٠٣ — ١٠٤
— الكاتب ، مرحبا . (لطفى الخولى) نوفمبر : ١٣١ — ١٣٢
— نماذج من أدب الحوار . نوفمبر ١٤٥ — ١٤٦
— مسئولية الوزير (احمد عباس صالح) ديسمبر : ١٣١ — ١٣٣
— رئاسة تحرير الكاتب الاميرية : . رسالة مفتوحة من الاصوات الشعرية الجديدة الى الشاعر : صلاح عبد الصبور رئيس تحرير مجلة (الكاتب الاميرية) التى تواصل مسيرتها التقدمية . ديسمبر : ١٣٤ — ١٣٧
. قانون العسف . (سمير كرم) ديسمبر : ١٣٨
— الكتاب المجلة والكتاب الموقف . (يوسف ادريس) ديسمبر : ١٤٢— ١٤٣
كتب ، عرض
— القضية الفلسطينية والخطر الصهيونى اصدار : وزارة الدفاع الوطنى اللبنانية بالاشتراك مع مؤسسة الدراسات الفلسطينية . يناير : ١٢٩ — ١٣٢
— كلام عنا وعن اسرائيل من ٥ يونيو الى ٦ أكتوبر . (تأليف مصطفى بهجت بدوى ، عرض : عبد المنعم الغزالى) فبراير : ١٣٧ — ١٣٨
— شيلى : المسيرة نحو الاشتراكية . (كتاب تأليف : لويس كورفالان ، عرض : كمال السيد) فبراير : ١٣٨ — ١٤١
— ٥ يونيو .. الحقيقة والمستقبل (كتاب تأليف : لطفى الخولى ، عرض وتعليق : فاروق عبد القادر) ابريل : ١٢٩ — ١٣٤
— تحطمت الاسطورة عند الظهر . (كتاب تأليف : أحمد بهاء الدين ، عرض د. رفعت السعيد) مايو : ١٠٦ — ١٠٩

ـ وماذا بعد ٦ أكتوبر ؟ كتاب تأليف عبد المنعم الصاوى ، عرض : د. رفعت السعيد) مايو : ١٠٩-١١١
ـ الثورية المصرية ، دراسة فى الملكية وعلاقات الانتاج (كتاب تأليف : د. رفعت السعيد) عرض وتعليق : حسين عبد الفتاح ، يوليو : ١١٩ ـ ١٢٥
ـ المسألة الزراعية فى الدول النامية وتجربة الاصلاح الزراعى فى مصر (كتاب تأليف : فوزى عبد الحميد ، عرض عبد المنعم شلة) يوليو : ١٢٥ ـ ١٢٨
ـ الأمن الأوربى والشرق الأوسط . (كتاب تأليف : حسين فهمى عرض : د. رفعت السعيد) أغسطس : ١٣١ ـ ١٣٣
ـ حكايات مصر (ومن) الزائدة . (كتاب تأليف : صلاح عيسى ، عرض د.رفعت السعيد) اغسطس: ١٧٦
ـ وجاء العيد بعد العاشر من رمضان (كتاب تأليف : مصطفى بهجت بدوى ، عرض : مصطفى سابى) سبتمبر : ١٢٨ ـ ١٢٩
ـ صحيفة تحت الطبع (كتاب تأليف : سمير صبحى ، عرض : مصطفى سابى) سبتمبر : ١٣٠ ـ ١٣١
ـ تجربة اليمن الديمقراطية ١٩٥٠ ـ ١٩٧٣ ، (كتاب تأليف : د. أحمد عطية المصرى ، عرض وتعليق : د. رفعت السعيد) أكتوبر : ١٣٧ـ ١٣٩

كـرم مطاوع

ـ قصة المسرح هى قصة الديمقراطية (المسرح المصرى .. بلا مسرح : فاروق عبد القادر) سبتمبر : ١٤٧ ـ ١٥٣

كمال الدين رفعت

ـ وحدة القوى التقدمية . نوفمبر : ١٢٤ ـ ١٣٦

كمال السيد

ـ اعتبارات أبد ،ن مراعاتهما فى خطط التعمير (تعليق) يناير : ١٠٠ ـ ١٠١
ـ شيلى : المسيرة نحو الاشتراكية . (كتاب تأليف : لويسيو سورفالان ، عرض : كمال السيد) نوفمبر : ١٣٨ ـ ١٤١
ـ دوربارز للبكتيات وتحسين المتعلمين الجدد فى محو الأمية . مارس : ١٧٧ ـ ١٧٨
ـ الاتجاهات الاستاتيكية فى ندوة السياسات الاستثمارية للدول العربية المنتجة للنفط) ، ٣ مجالات ٣ أنواع للاستثمار . ابريل : ٥٠ ـ ٥٦
ـ الاستثمارات الخارجية المرتقبة لاتمنى من جهد ذاتى وعلاقات مجزية . (تعليق) مايو : ٩٠ ـ ٩١
ـ ثورة يوليو : دورها قائم ومستمر . يوليو : ٩ ـ ١٣
ـ مؤشرات السياسة الخارجية لرسالة يوجوسلافيا) يوليو : ١١٦ ـ ١١٨
ـ حرب أكتوبر والمتغيرات العدائى مع اسرائيل والاستعمار . أكتوبر : ٣٥ ـ ٤٩
ـ مؤتمر طلاب فلسطين يرفع شعار : لتشتد أيدينا على بعايش بنادقنا : (رسالة الجزائر) أكتوبر : ١٣٠ـ ١٣٢
ـ الرأسمالى الوطنى ، ضد السيطرة الأجنبية ومع التنمية والخطـــة . (صراع المصالح فى مناقشات الاتحاد الاشتراكى) نوفمبر : ٢١ ـ ٢٣
ـ العالم الثالث وفلسطين : مكانة فيتنام هل تحظها قضية فلسطين ؟ نوفمبر : ٤٩ ـ ٥٦
ـ التضخم ـ خطورة القاهرة وحيويتها فى العالم الثالث . ديسمبر : ٥٤ـ ٥٧

كمـال الشيخ

ـ كمال الشيخ (١٩١٩ ـ) . (تابوس الحصر : أدب وفن) نوفمبر: ١٧٨

كمال رمزى

ـ سينما ١٩٧٣ ، انتشار لغيم السينما التجارية . يناير : ١٥٤ ـ ١٦٠
ـ (قاع المدينة) قضية اجتماعية .. أم أخلاقية ؟ مارس : ١٦٩ ـ ١٧١
ـ أسبوع الفلم السوفيتى ، (الآن تستطيعون أن تقفى على تيمبسك) ابريل : ١٧٢ ـ ١٧٤
ـ (العذاب .. (أين عقلى) المثلث التلفيزى دون قيم جديدة . مايو : ١٦٦ ـ ١٦٨
ـ (الأب الروحى) ، تحية حارة لركال المافيا . نوفمبر) ١٧٤ ـ ١٧٧
ـ حوار مع سعيد نديم حول الفيلم التسجيلى . سبتمبر : ١٦٦ ـ ١٦٩
ـ ٦ أكتوبر والفيلم السجيلى .أكتوبر ١٥٤ ـ ١٥٧
ـ ٦ أكتوبر والفيلم الروائى . نوفمبر: ١٥٦ ـ ١٦٣
ـ من المسئول عن هذا الحصار ؟ (تعليق) . ديسمبر : ١٧٢ ـ ١٧٣

كـوبا

ـ كسر طوق الحصار .. مستمر . (تقارير الشهر) ديسمبر : ١٠٠
كوبا ـ علاقات خارجية/الاتحاد السوفيتى
ـ آراء مغالطة .. وزيارة ناجحة . (تقارير الشهر) . مارس : ١٠٥ـ ١٠٦
كوريا الديمقراطية
ـ نجاح (اقتصادى) فى الشمال وتدهور (سياسى) فى الجنوب . (تقارير الشهر) يناير : ١٢١ ـ ١٢٣

(ل)

لبنـــان
ـ الصحافة اللبنانية : الى أين ؟ (تقارير الشهر) يونيو : ١٢٦ ـ ١٢٧
ـ هل مشكلاته .. هى ذاتها مبررات ؟ (تقارير الشهر) أغسطس : ١١٥ ـ ١١٦
ـ نصف قرن من حياة الحزب الدرزى (تقارير الشهر) . ديسمبر : ٩٤ ـ ٩٥

لبنـــان ـ الحزب الشيوعى
ـ أنظـــر :
العالم العربى ـ احزاب شيوعية
لبنـــان ـ دين
ـ قضية الشاب حداد ، أو قضية فك الارتباط بين (المطلب) و (النفسى) (تقارير خاص) أكتوبر : ١٢٧ ـ ١٣٠

لبنان ـ صحافة
ـ الملف الأخير (خطفه) صحيفة أم .. (ضربة ضد العرب) . (تقارير الشهر) يناير : ١١٥ ـ ١١٧

لطفى الخولى
ـ من ليبيا والعراق .. والحركة . (الانتاشية) . يناير : ٥ ـ ٩
ـ حركة التحرر الوطنى العربية بعد ٦ أكتوبر ، المشاكل والآفاق . (ندوة) يناير : ١٠ ـ ٤٠
ـ اسرائيل (المسراج) واسرائيل (راكاح) . يناير : ٧٣ ـ ٧٧
ـ مفتاح الغاز: جذوى المولدات والتطاع العام . (الانتاشية) ابريل : ٥ ـ ١٥
ـ البرجوازية العربية المعاصرة : الى أين ؟ (الانتاشية) مارس : ٥ـ ١٠
ـ حوار مع الجبهة الوطنية فى الارض المحتلة . مارس : ١٢ ـ ٣٧
ـ ملاحظات عن الانفتاح : (الانتاشية) ابريل : ٥ ـ ١٩
ـ ٥ يونيو .. الحقيقة والمستقبل . (كتاب تأليف : لطفى الخولى ، عرض وتعليق : فاروق عبد القادر) ابريل : ١٢٩ ـ ١٣٤
ـ مصر أكتوبر : الى أين ؟ حوار بين أحمد أبو الفتح ولطفى الخولى . مايو : ٤٣ ـ ٥٦
ـ مرحلة كربات صعبة ـ معالوت فى الثورة الفلسطينية (الانتاشية) يونيو : ٥ ـ ٩

لطفى الخولى
— حول الحوار بين احمد أبو الفتح ولطفى الخولى . (الراى الاخر). يونيو : ٩١ — ١٠١
— حول الحوار بين لطفى الخولى واحمد ابو الفتح . يوليو : ٩٢
— (العابرون) بعد (العبور) (الافتتاحية) اغسطس : ٥ — ٩
— سؤال الى الجامعة العربية : .. وماذا عن الحوار مع العالم الاشتراكى ؟ (الافتتاحية) سبتمبر: ٥ — ١٠
— سيذكر التاريخ هذه الفترة ، كما يذكر تاريخ المماليك . (المسرح المصرى .. بلا مسرح فاروق عبد القادر) سبتمبر : ١٤٧ — ١٥٣
— عن حركة التحرر العربية ، الثورة الفلسطينية .. وفتح . (الافتتاحية) اكتوبر : ٥ — ١٠
— اليمن المتخلف الذى (طفح) على (جلد) الازمة (الافتتاحية) . نوفمبر : ٥ — ١٠
— الكاتب ، مرحبا . نوفمبر : ١٣١ — ١٣٢
— رسالة توفيق الحكيم الى لطفى الخولى . ديسمبر : ١٠ — ١١
— رسالة من لطفى الخولى الى توفيق الحكيم . ديسمبر : ٦ — ٩
— (رسالة لطفى الخولى الى موسى صبرى)«الرأى الاخر» ديسمبر :٧٢
— ندوة (الطليعة) حول أزمة الثقافة المصرية . ديسمبر : ١٤٧ — ١٥٦

لطفى حسين سليم
— الفلاح المصرى فى الادب الشعبى ابريل : ١٥٦ — ١٦٤

لطفى فطيم
— تحلل نفسى . (قاموس العصر : فلسفة) ديسمبر : ٢١٠

لطيفة الزيات
— البيك والسائق : متعة مسرحية كاملة . ديسمبر : ١٦٣ — ١٦٥

لويس عوض
— حوار مع الدكتور لويس عوض حول: المنهج النقدى ، الادب المصرى ، الاجيال الجديدة . (عبد الرحمن ابو عوف) مايو : ١٥٧ — ١٦٢

لويس كورفالا
— شيلى : المسيرة نحو الاشتراكية . (كتاب تأليف : لويس كورفالان ، عرض كمال السيد) فبراير : ١٣٨ — ١٤١

لونوفيل كريتيك (مجلة فرنسية)
— ربع قرن من حياة مجلة ثقافية . مارس : ١٣٤ — ١٣٥

ليبيا
— عن ليبيا والعراق .. والمعركة . لطفى الخولى . يناير : ٥ — ٩

ليبيا والوحدة مع تونس
— الجمهورية العربية الاسلامية ، والوحدة بين تونس وليبيا . (تقارير الشهر) فبراير : ١١٣ — ١١٤

ليلى الشربينى
— الحاسب الالكترونى والابداع البشرى ابريل : ٢٠١ — ٢٠٢

(م)

ماجدة موريس
— اشتعل الرماد ولم يفهم المشاهد شيئا . مارس : ١٧٦ — ١٧٧
— الانسان والوحش وقيمه التمثيلية التليفزيونية . ديسمبر : ١٧٤—١٧٥

المتغيرات الدولية
— خمس اتفاقيات فى اللقاء الثالث (تقارير خاص : حسين شعلان) اغسطس : ١٢٨ — ١٣٠
— حول مفهوم الانفراج الدولى : (محمد سيد احمد) نوفمبر : ٧٦ — ٨١

متولى حسين جندى
— رسالة مفتوحة الى السيد رئيس الوزراء (الرأى الاخر) ديسمبر : ٧٩ — ٨١

مجدى نصيف
— وماذا بعد الموت جريفاس ؟ (رسالة نيقوسيا) مارس : ١٢٧ — ١٣٠
— تقسيم الجزيرة أصبح حقيقة واقعة (رسالة نيقوسيا) اكتوبر : ١٣٢— ١٣٦

مجيد طوبيا
— نظرة لأحد مواسم الفيلم المصرى . فبراير : ١٦٨ — ١٧١

محمد ابو مندور الديب
— الحل : مزارع حكومية وتعاونية انتاجية (الارض الجديدة لمن ؟) اغسطس : ٤٧ — ٥٤ .
— المؤتمر التعاونى للفلاحين :الدوران فى حلقة مفرغة . اكتوبر : ٩٤ — ٩٦ .
— مواجهة الغلاء ، كيف والى .. اين ؟ ديسمبر : ٤٥ — ٥١ .

محمد الاخضر بن حاسين
— نقد مفهومى المركز والمحيط .. والمشاكل الاتية للانتقال من الراسمالية الى الاشتراكية . (من اقتصاد تابع الى اقتصاد اشتراكى) يونيو : ٤١ — ٤٩ .

محمد الجندى
— عداء احيل بين الصهيونية .. والبلدان الاشتراكية . اكتوبر : ٥٧ — ٦٠ .

محمد الخفيف
— كلمة وفاء الى المناضل محمدالخفيف (الطليعة) . مايو : ٤٢ .

محمد المنسى قنديل
— رحلة المعلم منسى وولده محمد . (قصة قصيرة) مايو: ١٧٠—١٧٥.
— سوف نعيد ترتيب كل شىء .(قصة قصيرة) اغسطس : ١٥٠ — ١٥٥.

محمد الهادى عفيفى
— التجديد فى التعليم كمطلب قومى . نوفمبر : ٨٤ — ٩٠ .

محمد أنيس
— د. محمد انيس . (الكتاب) نوفمبر : ١٣٥ .

محمد بسيونى
— الوحدة العربية فى اطار حركة التحرر الوطنى مارس : ٧٨/٧٧ .

محمد بيومى
— (١٨٩٤ — ١٩٦٣) قاموس العرض ادب وفن) سبتمبر : ١٧٨ .

محمد حامد الزهار
— السياسة النقدية والغلاء فى مصر ديسمبر : ٤٠ — ٤٤ .

محمد حسنين هيكل
— تحية واجبة . (بمناسبة تعيينه مستشارا صحفيا لرئاسة الجمهورية) «اسرة تحرير الطليعة » مارس :١١

محمد حلمى ياسين
— الشعب هو البطل . (دراسة عن شهداء حرب اكتوبر ٧٣) ابريل : ٢٠ — ٤٠ .
— القضية فى تطورها : رؤية(الطليعة) لمشاكل الاتحاد الاشتراكى .سبتمبر: ٤٥ — ٥٦ .

محمد رضا العدل
— على الموازنة العامة ان تضبط الاسعار . ديسمبر : ٣٨ — ٤٠ .

محمد سيد أحمد
— حركة التحرر الوطنى العربية بعد ٦ اكتوبر ، المشاكل والافاق . (ندوة) يناير : ١٠ — ٤٠ .
— فرنسا .. الى أين تتجه ؟ ، تحقيق من باريس عن معركة الرياسة . يوليو : ٧٧ — ٨٢ .
— التكنولوجيا والسياسة .اغسطس: ١٨٧ — ١٩١ .
— الوجه السياسى للازمة : ظاهرة « ووترجيت » ماذا تعنى .. ؟ سبتمبر : ٣٣ — ٣٧ .
— المعادلة الاشتراكية فى النزاع العربى الاسرائيلى . اكتوبر : ٤٢ — ٤٥ .
— حول مفهوم الانفراج الدولى . نوفمبر : ٧٦ — ٨١ .
— صحافة مصر فى حاجة الى ثورة ثقافية . « الرأى الآخر » ديسمبر: ٨٥ — ٩١ .

محمد شبل اسماعيل
— شهادة أمين الاتحاد الاشتراكى ببنى

سويف . (الشعب هو البطل) ابريل : ٣٤ .

محمد صادق

— ندوة استثمار رأس المال العربي والاجنبي . يوليو : ١٤ — ٤٨ .

محمد عصفور

— ثغرات في سيادة القانون . (الرأى الآخر) . ديسمبر : ٥٩ — ٦٧ .

محمد عفيفي مطر

— وشم النهر على خرائط الجسد . (شعر) مارس : ١٦٣ — ١٦٨ .

— فرح بالنار . (شعر) يونيو : ١٦٧ — ١٦٩ .

— ندوة (الطليعة) حول أزمة الثقافة المصرية . ديسمبر : ١٤٧ — ١٥٦ .

محمد على الشهارى

— قضايا .. يجب أن تثار . (حوار مفتوح حول ندوة حركة التحرر الوطنى العربية) فبراير : ٥٠—٥٦ .

— بدلا من الخلط والمغالطة ! (تعقيب) ابريل : ٤٤ — ٤٨ .

— أسس وطرق تحقيق الوحدة العربية . (الرأى الآخر) يوليو : ٨٥ — ٩٢ .

— كلمة أخيرة . (مناقشات مفتوحة) يوليو : ١٣٠ .

محمد على عبد الكريم

— وضع البترول في خدمة التحول الاشتراكى « من اقتصاد تابع الى اقتصاد اشتراكى » . يوليو : ٥٠ — ٥٧ .

محمد فتحى

— مجمع الحديد والصلب : اقتحام علمى واجتماعى للعصر . مارس : ٥٢ — ٥٤ .

محمد كريم

— محمد كريم (١٨٩٦ — ١٩٧٢) « قاموس العصر : أدب وفن » سبتمبر : ١٧٨ .

محمد ناجى

— رؤية اقتصادية .. ورقتنا الرابحة اقتصاد عربى متكامل ومنتج . (الحوار العربى — الاوربى) سبتمبر : ١٨ — ٢٧ .

محمد مدحت أحمد مصطفى

— لا تبيعوا الارض الجديدة . «مناقشات مفتوحة » . سبتمبر : ١٣٢—١٣٣

محمود أبو وافية

— رد على مقال محمود أبو وافية (فيليب جلاب) نوفمبر : ٢٣—٢٩

محمود الوردانى

— السير في الحديقة ليلا . (قصة قصيرة) . اغسطس : ١٦١—١٦٤ .

محمود دياب

— ندوة « الطليعة » حول أزمة الثقافة المصرية . ديسمبر : ١٤٧ — ١٥٦ .

محمود عبد الرؤوف

— السياسة الزراعية ومسئوليتها عن الغلاء ديسمبر : ٣٢ — ٣٨ .

محمود عبد الوهاب

— عن جابر عبد الجواد حسنين . (قصة قصيرة) اغسطس : ١٦٤ — ١٦٦ .

محو الامية

— دوربارز للمكتبات ، وتحصين المتعلمين الجدد في محو الامية . (كامل السيد) مارس : ١٧٧ — ١٧٨ .

محيى اسماعيل

— اكتشاف ممثل (الفاروق عبدالعزيز) ديسمبر : ١٧٥ .

مدحت مصطفى

— احزاب .. ولكن !! « الرأى الآخر » . ديسمبر : ٨٣ — ٨٤ .

مراد وهبة

— حركة التحرر الوطنى العربية بعد ٦ أكتوبر ، المشاكل والآفاق . (ندوة) يناير : ١٠ — ٤٠ .

— قضية التكنولوجيا والانسان . ابريل : ١٨٠ .

— برجمانية ، وجودية . (قاموس العصر : فلسفة) مايو : ١٣٠ .

— وماذا عن الفلسفة والعلم : اغسطس : ١٧٩ .

— حوار فلسفى في صوفيا اغسطس : ١٨٢ — ١٩٥ .

— التتارية وثقافة العصر (د. مراد وهبه) اغسطس : ٢٠٧—٢٠٨ .

— رؤية فكرية : الثقة بمستقبل الاشتراكية (الحوار العربى — الاوربى) سبتمبر : ٢٧ — ٣٠ .

— التتارية والفكر المستورد . ديسمبر : ١٧٩ .

مريد البرغوثى

— « تجرمم » (حول الشقاق بين معين بسيسو سميح القاسم) نوفمبر : ١٩٧٤ — ١٧٥ .

المسرح العالمى

— فرقة اقليمية فرنسية في القاهرة . (د. نادية كامل) ديسمبر : ١٧٧ — ١٧٨ .

المسرح العربى

— سيادة المسرح التجارى وتراجع مشرح الدولة . فاروق عبد القادر . يناير : ١٤٨ — ١٥٤ .

— « حبيبتى شامتنا » ، وجه رشاد رشدى الجديد . فاروق عبد القادر . فبراير : ١٦٤ — ١٦٧ .

— فتوح نشاطى : قطعة نابضة من تاريخ المسرح المصرى (ف.ع.) . مايو : ١٦٣ — ١٦٥ .

— الاساس المادى للحركة المسرحية . (ثورة يوليو والثقافة المصرية سامى خشبة) يوليو : ١٥٤—١٦٠ .

— حساسيات جديدة في الرواية والقصة والمسرح . (٢ — أيام في العراق : فاروق عبد القادر) يوليو : ١٧٢ — ١٧٧ .

— الاتجاه الواقعى في المسرح المصرى . (قاموس العصر : أدب وفن) . يوليو : ١٧٨ .

— المسرح المصرى .. بلا مسرح ؟ (فاروق عبد القادر) . سبتمبر : ١٤٧ — ١٥٣ .

— « عفاريت من ورق مفاهيم مغلوطة ونتائج معكوسة . (مهدى الحسينى) سبتمبر : ١٤٧ — ١٥٣ .

— « عفارت من ورق مفاهيم مغلوطة ونتائج معكوسة . (مهدى الحسينى) سبتمبر : ١٧٠ — ١٧١ .

— رسالة وزير الثقافة على المسرح . (فريدة النقاش) نوفمبر : ١٤٨ — ١٤٩ .

— مسرح اكتوبر ، كيف يروى ما حدث . (فاروق عبد القادر) نوفمبر : ١٥٥ — ١٥٩ .

— حسن البارودى ، ستون عاما في خدمة المسرح . نوفمبر : ١٧٠—١٧١ .

— البيك والسائق : متعة مسرحية كاملة . (د. لطيفة الزيات) ديسمبر : ١٦٣ — ١٦٥ .

— صورة شخصية : قاسم محمد (الاسبوع الثقافى العراقى في القاهرة) ديسمبر : ١٦٦ — ١٦٧ .

مصر

— انظر ايضا :
الدولية الاشتراكية

— مصر اكتوبر : الى أين ؟ ، حوار بين أحمد أبوالفتوح ولطفى الخولى . مايو ٤٣ — ٥٦ .

— الانسان المصرى في ضوء تغيير الانسان (د. فرج أحمد فرج) ديسمبر : ١٩١ — ١٩٥ .

مصر الاتحاد الاشتراكى

— انظر ايضا
مصر الصحافة
مصر الاتحاد الاشتراكى ، ورقة أكتوبر .

— كلمة للطليعة ، عن ورقة ٦ أكتوبر . مايو : ١٠ — ١١ .

— ورقة أكتوبر « وثائق » مايو : ١٣١ — ١٤٦ .

— ورقة أكتوبر ، وجهة نظر في التطبيق (عادل حسنين) يونيو : ٥٨—٦٣

— معالم المرحلة الراهنة .. بعد اقرار ورقة أكتوبر . (تقارير الشهر) . يونيو : ١٢١ — ١٢٢ .

مصر الاتحاد الاشتراكى والتحالف :

— القضية في تطورها : رؤية الطليعة

— ثغرات ففى سيادة القانون ، نظام المدعى الاشتراكى . (د. محمد عصفور) . ديسمبر : ٥٩ — ٦٧
— صحافة مصر فى حاجة الى ثورة ثانيه . (الرأى الاخر : محمد سيد أحمد) ديسمبر : ٨٥ — ٩١

مصر صناعة

— السد العالى الثانى . « تقارير الشهر » . يناير : ١٠٧ — ١٠٨
— مجمع الحديد والطلب : اقتحام علمى واجتماعى للعصر . (محمد فتحى) . مارس : ٥٢ — ٥٤

مصر علاقات اقتصادية / العراق

— مصر — العراق .. على طريق التعاون والتكامل الاقتصادى «تقارير الشهر » . سبتمبر : ١٠ — ١٠١

مصر — علاقات ثقافية/الاتحاد السوفيتى

— الفائزون السوفييت بجائزة جمال عبد الناصر فى القاهرة . فبراير : ١٧٧ — ١٧٨

مصر علاقات خارجية/الاتحاد السوفيتى

— جروميكو : زيارة غير عادية . « تقارير الشهر » . ابريل : ١١١ — ١١٢
— السادات : لا نحب أن يستمر الخلاف مع الاتحاد السوفيتى (تقارير الشهر) . اغسطس : ١٠٨—١٠٩
— كلمة « للطليعة » فى الصداقة المصرية السوفيتية » . نوفمبر : ٨٢ — ٨٣
— خريف ١٩٧٤ : بداية ربيع جديد للعلاقات المصرية السوفيتية «تقارير الشهر » نوفمبر : ١١١ — ١١٢

مصر علاقات خارجية / بلغاريا

— نتائج ايجابية لزيارة رومانية وبلغاريا « تقارير الشهر » . اغسطس : ١٠٧ — ١٠٨

مصر علاقات خارجية / رومانيا

— نتائج ايجابية لزيارة رومانيا وبلغاريا « تقارير الشهر » . اغسطس : ١٠٧ — ١٠٨

مصر علاقات خارجية/الولايات المتحدة

انظر أيضا :
الولايات المتحدة — علاقات خارجية / العالم العربى

مصر علاقات خارجية/اليمن الديمقراطية

— لقاء على طريق النضال المشترك . « تقارير الشهر » . اكتوبر : ١١١ — ١١٢

مصر — علوم

— « الباجواشى » تمتد للعالم الثالث . « تقارير الشهر » . فبراير : ١٢٩ — ١٣٠

مصر — عمل وعمال

— انظر ايضا :
العالم العربى « انتخاب ممثلى العمال فى مجالس الادارة ، هل هو « غير قانونى » ؟ (تعليق : د/رفعت السيد) . ابريل : ١١٤ — ١١٥
— نحو تشريع عمل موحد . (السيد الزفتاوى) . مايو : ٥٧ — ٥٩
— تيسيرات جديدة لصغار العاملين . « تقارير الشهر » . يونيو : ١٢٣ — ١٢٤
— العامل هو العامل اليدوى . (عبد المنعم الغزالى) . نوفمبر : ١٧ — ١٩

مصر فن تشكيلى

— انظر
فن تشكيلى — مصر

مصر — قطاع عام

— مفتاح اللغز : جندى المؤهلات والقطاع العام « الافتتاحية » لطفى الخولى . فبراير : ٥ — ١٥
— القطاع العام والاستثمار الخاص . فؤاد مرسى . فبراير : ١٦ — ٢٣
— انجاز ٦ أكتوبر .. القطاع العام سنده وذعامته . « تقارير الشهر » فبراير : ١٠٨ — ١٠١
— مناقشات مجلس الشعب حول الميزانية والقطاع العام . مارس : ١٣٧ — ١٤٦
— هل هناك بديل لانجازات القطاع العام فى الصناعة « تقارير الشهر » ابريل : ١١٣ — ١١٥
— مناقشة مجلس الشعب حول الميزانية والقطاع العام . « وثائق » ابريل : ١٣٧ — ١٤٦
— قطاع عام عاجز عن تغذية النمو « فلماذا الالحاح للاستيلاء عليه . (تعليق للطليعة) . مايو : ٨٩
— بيان الاتحاد العام للعمال عن القطاع العام . « مناقشات مفتوحة » . مايو : ١١٣ — ١١٤
— مناقشة مجلس الشعب حول : الميزانية والقطاع العام « وثائق » يونيو : ١٤٢ — ١٤٦
— مناقشة مجلس الشعب حول : الميزانية والقطاع العام « وثائق » . يوليو : ١٣٧ — ١٤٦
— مناقشة مجلس الشعب حول الميزانية والقطاع العام « وثائق » ١٠ اغسطس : ١٣٦ — ١٤٦

مصر وقضية فلسطين

— اليسار المصرى وقضية فلسطين « وثائق » . ديسمبر : ١٢١ — ١٢٨

مصر مسرح

— انظر
المسرح العربى — مصر

مصر — المعركة

— عهد على انجاز التحرير فى العالم القادم . « تقارير الشهر » . يوليو : ٩٤ — ٩٥
— لا عوده .. لحالة اللاسلم واللاحرب « تقارير الشهر » . نوفمبر : ١٠٠ — ١٠٢

مصر ميزانية

— انظر أيضا :
مصر — اقتصاد
— مناقشة مجلس الشعب حول : الميزانية والقطاع العام « وثائق » ابريل : ١٣٧ — ١٤٦
— مناقشة مجلس الشعب حول : الميزانية والقطاع العام . « وثائق » يونيو : ١٤٢ — ١٤٦
— مناقشة مجلس الشعب حول : الميزانية والقطاع العام . « وثائق » يوليو : ١٣٧ — ١٤٦
— مناقشة مجلس الشعب حول : الميزانية والقطاع العام « وثائق » . اغسطس : ١٣٦ — ١٤٦

مصر نظام حكم

— أهداف « بيان الحكومة » : كيف تصبح واقعا فى التطبيق ؟ جمعه عبده قاسم . يناير : ٦٠ — ٦٣
— دورة جديدة وسياسية اقتصادية جديدة . (تقارير الشهر) . يناير : ٩٩ — ١٠٢
— خطاب الرئيس فى الاجتماع المشترك . (تقارير الشهر) . مايو : ٧٤—٨٧
— وزارة جديدة وخطة جديدة للتنمية . (تقارير الشهر) . نوفمبر : ١٠٢ — ١٠٥

مصطفى النحاس

— فى ذكرى سعد والنحاس . (تعليق رفعت السعيد) سبتمبر ١٠٤ — ١٠٥

مصطفى بهجت بدوى

— كلام عنا وعن اسرائيل من ٥ يونيو الى ٦ اكتوبر . (كتاب) فبراير ١٣٧ — ١٣٨
— وجاء العيد بعد العاشر من رمضان (كتاب تأليف : مصطفى بهجت بدوى ، عرض مصطفى سامى) سبتمبر : ١٢٨ — ١٢٩

مصطفى درويش

— الرصاصة وكيف ضلت ؟ « رسالة قرطاج » ديسمبر : ١٤٤ — ١٤٦
— ندوة « الطليعة » حول ازمة الثقافة المصرية . ديسمبر : ١٤٧ — ١٥٦

مصطفى سامى

— من برتغال « سالازار » الى برتغال « سبيوزولا » . يونيو : ٧٣ — ٧٩
— الحكم العسكرى اليونانى يعزل مكاريوس ثم يعزل نفسه . « تقرير خاص » اغسطس : ١٢٣ — ١٢٧
— وجاء العيد بعد العاشر من رمضان « كتاب تأليف / مصطفى بهجت

بدوى ، عرض مصغى مسامى » سبتمبر : ١٢٨ — ١٢٩
ـ وجاء العيد بعد العاشر من رمضان (كتاب تأليف : مصطفى بهجت بدوى عرض مصطفى مسامى) سبتمبر : ١٢٨ — ١٢٩
ـ صحفة تحت الطبع ، كتاب تأليف سمير صبحى : عرض : مصطفى مسامى ، سبتمبر : ١٣٠ — ١٣١
ـ اجتماع أول مجلس تشريعى فى كردستان ، نوفمبر : ١١٧ — ١١٩
مصطفى كامل مراد
ـ ندوة استشار رأس المال العربى والأجنبى ، يوليو : ١٤ — ٤٨
المغرب
ـ هل سدخل الملك لوقف الاعتدام (تقارير الشهر) ، مارس : ١٠٤ ١٠٥
ـ المطالبة بتعرير الصحراء (تقارير الشهر) ، أكتوبر ١١٦ — ١١٨
المكتبات :
انظر محو الأمية
ممدوح شكرى
ـ ممدوح شكرى ، الموت فى الشتاء نقدى فرج ، فبراير : ١٧٤
مخلفات مخطوطة
ـ انظر ما جاء فى هذا الباب تحت رؤوس الموضوعات التى تناولتها بقظة الوحدة الافريقية .
ـ انظر ايضا فرهنسا
مهدى الحسينى
ـ « عشرات من ورق » ملامحهم مخلوطة ونتائج مخطوطة ، سبتمبر ١٧٠ — ١٧١
مؤتمر جنيف
ـ مؤتمر جنيف للسلام ، دوره لتحديد المواقف ، « تقرير خاص » من ك بناير : ١٢٧ — ١٢٨
موزمبيق
ـ الفصل الأخير من نهاية امبراطورية. « تقارير الشهر » ، سبتمبر : ١١٣ — ١١٤
ـ استقلال .. وحكومة انتقالية .. وانقسام (تقارير الشهر) ، أكتوبر : ١١٩ — ١٢١
موسى لوقسا
ـ « رسالة لطفى الخولى الى موسى صبرى » « الراى الآخر » ، ديسمبر : ٧٢
ميخائيل رومان
ـ فى ذكراهما الأولى ، « الطليعة » نوفمبر : ١٦٤ — ١٦٥
ميشيل بارات
ـ ملاحظات وقضايا منهجية، الظروف الراهنة للانتقال ، « من التصادمات تابع الى التصعيد الاشتراكى » ، يوليو : ٢٥ — ٢٨
ميشيل يوسف فرح
ـ أزمة الطاقة وانسان العالم الثالث ، مارس : ٨٢ — ٩٢
ـ استراتيجية مصر للاكتفاء على صوائق مواد الخام ، مايو : ٦٠ — ٦٢
ـ التكنولوجيا .. والقمراء ، ديسمبر ١٨٥ — ١٨٨
ميلاد هنا
ـ البعد التكنولوجى للعالم الثالث ابريل : ١٩٨ — ٢٠٠

(ن)

نادية كامل
ـ فرقة الطليعة وانسان العالم الثالث ، مارس : ٨٢ — ٩٢
ـ من اليونان .. هذه القصائد المنوعة ، سبتمبر : ١٥٤ — ١٦٠
نبيل المانع
ـ حوار مع نبيل المانع حول السينما الجديدة (قصى فرح) نوفمبر ١٦٦ — ١٦٩
نبيل عبد الفتاح
ـ الشركات الاستعمارية المعقدة التوصيات « كتابات جديدة » يناير : ١١٨ — ١١٢
نبيل فرج
ـ ابن اياس : مورخ تحدى العصر الساقط ، ديسمبر : ١٧٥ — ١٧٦
نجيب محفوظ
ـ الجريمة ، بحث عن العدل الضائع ... الدين موسى ، مارس : ١٧٢ — ١٧١
ـ من قتل طهى حماده ؟ « الكرنك » آخر روايات نجيب محفوظ ، (فاروق عبد القادر) أبريل : ١٦٧ — ١٦٩
نجيب محمود الكاتب
ـ الى .. نعم ولكننا لا نريدها هكذا، الراى الآخر يونيو : ١٠٠ — ١٠١
نديم البيطار
ـ السفر .. وقصه الوحدة العربية ، وعى بالنفس وامتداد لمه « فى الراى الآخر » ، سبتمبر : ٨٠-٩٠
نظمى لوقا
ـ نحو مفهوم انسانى للانسان : المنهج والقضية ، ديسمبر : ١٨٩ — ١٩٠
. ومعة مع النفس : طبعه جديده حول مشكلات التعليم ، نوفمبر : ٦٠-٦١
نعمان عاشور
ـ وصلت الحركه المسرحيه الى طريق مسدود ، (المسرح المصرى .. بلا مسرح : فاروق عبد القادر) سبتمبر : ١٤٧ — ١٥٢
ـ تدوه « الطليعة » حول ازمة الثقافه المصرية ، ديسمبر : ١٤٧ — ١٥٦
نقابـــات
ـ « ملاحظات حول الطبقة العاملة العربية » عبد المنعم الغزالى ، يوليو : ٦١ — ٦٩
نقابات ـ العالم العربى
ـ حوار بين يهوديين والعـرب ، النجوانيون » بتقرير السنوى ، سبتمبر : ١١٠ — ١١١
نوبل ، جائزة
ـ جائزة نوبل لكاتبين لا يرحبهما احد، نوفمبر : ١٦٦ .
النيجـــر
ـ اليورانيوم المبع للانقلابات «تقارير الشهر » يونيو : ١٢٧ — ١٢٨ .
نيرودا ، بابلو
ـ الاصدقاء يدخلون بابلو نيرودا ...فى القاهره « تقارير الشهر » أكتوبر: ١١٢ — ١١٤

(هـ)

هيام محمود
ـ هيام محمود .. رائد حدل ، واحيد العرفان) ابريل : ٢٠٧
الهنـد
ـ حل مشكلة الصيف النووى مـدادا من الانفجار السكانى ؟ « تقارير الشهر » نوفمبر : ١٢٨ — ١٣١
الهنـد ـ علاقات خـارجيه/الابعـاد السوفييتى
ـ الابن الاسترى و « البعد الجديد » للعلاقات الهندية ـ السوفيتية « تقرير الشهر » يناير : ١٢٣—١٢٤
هندرى ، رودريك
ـ فيلسوف هادم من أمريكا ، : اشياء الفلاسفه والعلمى) ديسمبر : ٢٠٩
هيجر ، مارتن
ـ مارتن هيجر فى حده الحاسمى والمباشر ، أضار الفلسفه والعلا ، ديسمبر : ٢٠٩

(و)

وسائق
ـ اشكال جديده للاستعمار . « الشركات المتعددة الجنسيات فى العالم الثالث » يناير : ١٢٩ —١١٦
ـ التعدديه والارهاب داخل الاتراك الحملة ، نوفمبر : ١٢٥ — ١٣٠
ـ الحق فى العوده الى الوطن « من الرساله التى بعث بها نوربرتو عبد رامى رئيس الفطحه الامريكيه لشئون فلسطين الى هنرى كيسنجر ، اكتوبر : ١٤٢ — ١٤٥
ـ عينيا بيساو ، أحدث دوله بمسلكه فى العالم :
١ ـ اعلان غدا بساو
٢ ـ ديسمبر جمهوريه غينيا بيساو، يناير : ١٤٢ — ١٤٦

— كلمة من « الطليعة » (حول طبيعة ما ينشر فى باب «الوثائق» بالمجلة). مارس : ٤
— مجموعة فلسطين الامريكية تطالب بحكومة فلسطينية فى المنفى . أكتوبر : ١٤٦
— مناقشة مجلس الشعب حول : الميزانيه والقطاع العام. اغسطس: ١٣٦ — ١٤٦
— مناقشة مجلس الشعب حول : الميزانية والقطاع العام . بريل: ١٣٧ — ١٤٦
— مناقشة مجلس الشعب حول : الميزانية والقطاع العام. مارس : ١٣٧ — ١٤٦
— مناقشة مجلس الشعب حول : الميزانية والقطاع العام . يونيو : ١٤٢ — ١٤٦
— مناقشة مجلس الشعب حول : الميزانية والقطاع العام . يوليو : ١٣٧ — ١٤٦
— ورقة أكتوبر . مايو : ١٣١—١٤٦
— ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى . سبتمبر : ١٣٦ — ١٤٦
— اليسار المصرى وقضية فلسطين . ديسمبر : ١٢١ — ١٢٨

وجيه ضياء الدين
— الفلسطينيون وفلسطين : الكفاح من أجل الهوية . نوفمبر : ٦٣ — ٧٠

الوحدة العربية
— حول دراسة الوحدة العربية :
• الوحدة العربية ، دعاء .. أم دعوة ؟ (د. عصمت سيف الدولة) يونيو : ١٠٢ — ١١٥
• اعتاقة . لمن ؟ (د. رفعت السعيد) يونيو : ١١٥ — ١١٦
— نحو فلسفة من أجل الوحدة العربية (الرأى الاخر : فتحى القبانى) يوليو : ٨٣ — ٨٥
— أسس وطرق تحقيق الوحده العربيه (محمد على الشهاوى) . يوليو : ٨٥ — ٩٢
— اليسار .. وقضية الوحده العربية ، وعى بالنقض وامتداد له (الرأى الاخر : نديم البيطار) سبتمبر : ٨٠ — ٩٠
— هل نعود بالوثائق .. يا دكتور ! (رفعت السعيد) . سبتمبر : ٩١ — ٩٢

وديع أمين
— حركة التحرر الوطنى العربيه بعد ٦ اكتوبر ، المشاكل والافاق ، (ندوة) يناير : ١٠ — ٤٠
— حوار مع الجبهة الوطنية فى الارض المحتلة . مارس : ١٢ — ٣٧
— اتجاهان لحركة الوحدة العربية . مايو : ٣٦ — ٣٩
— الجبهة الوطنيه : الواقع والافاق « العراق من الداخل » . اغسطس : ٧٢ — ٧٩

الولايات المتحدة
— انظر أيضا : بترول
— انظر أيضا : حلف الاطلنطى
— العالم العربى والولايات المتحدة

الولايات المتحدة — حرب أكتوبر ٧٣
— انظر: حرب أكتوبر ٧٣ — الولايات المتحدة

الولايات المتحدة — شئون داخلية
— ٣ وجوه لووترجيت
• الوجه الاقتصادى للازمة : الشخم الوجهه الاخر « لووترجيت » (أحمد عادل) سبتمبر : ٣٧—٤٢
• وجه من وجوه الازمة .. عندنا ، « الندابون » وديمقراطية أمريكا (فيليب جلاب) . سبتمبر : ٤٢ — ٤٣

الولايات المتحدة — العالم العربى
— الرئيس نيكسون فى الشرق الاوسط « تقارير الشهر » يوليو :٩٧—١٠٠

الولايات المتحدة — علاقات اقتصادية اتحاد سوفيتى
— انظر أيضا : القمح
— القمح كسلاح ضغط اقتصادى . عادل ابراهيم هندى . يناير : ٥٥ — ٥٩ .

الولايات المتحدة . علاقات اقتصادية/ العراق
— انظر : العراق — علاقات اقتصادية/ الولايات المتحدة

الولايات المتحدة — مشكلة السود
— دروس كنج و « الفهود» مفتح طريق انجيلا ديفيز فى أمريكا السوداء (خيرى عزيز) مايو : ٧٢ — ٨٢.

الولايات المتحدة وفلسطين
— أمريكا وفلسطين : جسر ينهى الحصار العربى (حسين شعلان) نوفمبر : ٣١ — ٣٦ .
— الحق فى العودة الى الوطن ، نص الرسالة التى بعث بها نورمان ف. راسى رئيس اللجنة الامريكية لشئون فلسطين الى هنرى كيسنجر «وثائق» اكتوبر : ١٤٢ — ١٤٥ .

وليد قمحاوى
— حوار مع الجبهة الوطنيه فى الارض المحتلة . مارس : ١٢ — ٣٧ .

ووترجيت
— انظر : الولايات المتحده — شئون داخلية .

(ى)

ياسر عرفات
— نص خطاب عرفات فى الامم المتحدة. ديسمبر : ١٠٤ — ١١٠ .

يحيى الطاهر عبد الله
— عودة الى الحقائق القديمة : فهى مازال صالحة لاثارة الدهشة (قصيرة) . سبتمبر ١٧٥ — ١٧٧.

اليمن الديمقراطية
— تجربة اليمن الديمقراطيه ١٩٥٠ — ١٩٧٣ . (كتاب تأليف د. أحمد عطية المصرى ، عرض وتعليق : د. رفعت السعيد) أكتوبر : ١٣٧ — ١٣٩ .

اليمن الديمقراطية — علاقات خارجية/ مصر
— انظر : مصر — علاقات خارجيه/ اليمن الديمقراطية .

اليمن (الشمالية)
— ماذا بعد استيلاء العسكريين على السلطة ؟ « تقارير الشهر » اغسطس : ١١٧ — ١٢٠

يوجوسلافيا
— مؤتمر هام فى تاريخ يوجوسلافيا . (تقرير خاص) يونيو : ١٣٣ —
— مؤشرات السياسة الخارجية (رسالة يوجوسلافيا : كمال السيد) . يوليو : ١١٦ — ١١٨ .
— الدراسات الاجتماعية فى يوجوسلافيا (أبو سيف يوسف) ديسمبر : ٢٠٧ — ٢٠٨ .

يوسف ادريس
— الكاتب المجلة والكاتب الموقف . ديسمبر : ١٤٢ — ١٤٣ .

يوسف السباعى
— نظر نقدية الى المجلس الاعلى للاداب والفنون (فاروق عبدالقادر) مارس : ١٤٧ — ١٥٤ .

يوسف مراد
— ندوة علمية عن العالم الفيلسوف يوسف مراد . اغسطس : ٦٩٩ — ٢٠٦ .

يوفال ، برمياهو
— الشروط لتجديد الثقة (اسرائيليون يتحدثون عن اسرائيل) فبراير : ٨٥ — ٨٧ .

اليونان
— انظر ايضا : قبرص
— « تحيا الجمهورية » .. لقد مات الفاشية هذا المساء . « تقارير الشهر » سبتمبر : ١١٦ — ١١٩.
— الحكم العسكرى اليونانى يعزل مكاريوس ثم يعزل نفسه ..(تقرير خاص : مصطفى سامى)اغسطس: ١٢٣ — ١٢٧ .
— من اليونان .. هذه القصائد الممنوعة (ترجمة وتقديم : ناديه كامل) سبتمبر : ١٥٤ — ١٦٠ .

أعد الفهرس : عز الدين شوكت
قسم المعلومات جريدة الاهرام

الثمن ١٠ قروش

السنة الحادية عشرة
فبراير ١٩٧٥

الطليعة

٢

طريق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر

الحرب الخامسة .. والجبهة الرابعة

التنمية الاقتصادية: آفاقها الجديدة بعد أكتوبر

مصر يا وعربيا

عن مصر المستقبل

عن الناصرية

القراءة مستمرة فى صفحات « أخبار اليوم »

- هؤلاء « البيوميون » والاعيبهم العجيبة
- أمناء الاتحاد الاشتراكى .. واليسار
- الرد على أحمد حسين .. وأحمد أبو الفتح

جوانب الدولة :

مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مدير التحرير :

أبو سيف يوسف

سكرتير التحرير :

مصطفى سامى

المحررون :

حسين شعلان
خيرى عزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالى
فاروق عبد القادر
وديع أمين

[■]

د. محمد الخفيف
شارك فى تأسيس الطليعة
وأسرة تحريرها
يناير ١٩٦٥ ـ مارس ١٩٧٢

الفهرس

العدد الثانى ـ السنة الحادية عشرة ـ فبراير ١٩٧٥

■ الحرب الخامسة .. والجبهة الرابعة « الافتتاحية » ص

لطفى الخولى ٥

■ التنمية الاقتصادية : آفاقها الجديدة بعد اكتوبر ١٠

ـ الاوضاع الجديدة فى سوق المال العالمية ١٢
ـ الاستثمارات فى مصر : المشاكل والحلول ..... د. فؤاد مرسى ٢٠
ـ التنمية العربية الشاملة : ضرورة واجبة ٢٨
ـ ٣ مجالات للاستثمارات العربية د. عبد الرازق حسن ٣٣

■ اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم ٣٨

عن مصر المستقبل
[مناقشات الجلسة الثانية]

■ عن الناصرية : حوار مع محمد حسنين هيكل ٦٣

● نقد سياسة الحكومة عادل حسين ٧٢

■ الرأى .. والرأى الآخر ٨٠

ـ هؤلاء «البيوديون» والاعيبهم العجيبة لطفى الخولى ٨١
ـ امناء الاتحاد الاشتراكى .. واليسار د. رفعت السعيد ٨٤
ـ « الباقطون دون ضجيج » نجيب جلاب ٨٦
ـ حول سيطرة الشيوعيين على الصحافة خيرى عزيز ٨٩
ـ أؤيدك أيها الفارس المخضرم د. محمد رضا محرم ٩٤
ـ ليكن الحوار على أرض الواقع أبو سيف يوسف ٩٧
ـ عبد الناصر والاحزاب المعارضة ابراهيم يونس ١٠٨

■ قراءة مستمرة فى الصفحات الاولى من اخبار اليوم ١١٢

ـ «بيفين» و «صدقى» و «الامريكان» وقضايا اخرى ..... الطليعة ١٢٣

■ تقارير الشهر

ـ مصر .. من الآن وحتى سنة ٢٠٠٠ « تقرير خاص » ١٤٠

■ وثائق

ـ اليسار المصرى وقضية فلسطين ١٤٣

■ ملحق الادب والفن

ـ يحيى حقى : مبدعا وناقدا ١٤٧

تهدف الطليعة من « الرأى .. والرأى الآخر » أن يعكس نبضات التيارات الفكرية والاجتماعية الملتزمة بأطار التحالف الوطنى لقوى الشعب العامل ولهذا يلقى كل مقال وكل رسالة تصلها حول مختلف القضايا التى تشغل اهتمام المجتمع المصرى والعربى عناية وافرة من مجلس تحرير الطليعة .

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل رأى حر وفى اعتقادنا أن تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح [الطليعة] صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — ملتزمة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد أختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان أدفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك] ..

وتؤمن الطليعة بأن كل الكتابات التى تصلها « للرأى .. والرأى الآخر » ، لا توفر فحسب فرص اداره الحوار الجدى والضرورى ، بل وتطرح أمام الطليعة الكثير من الافكار والاقتراحات والموضوعات والقضايا التى تعتقد الطليعة بأهمية ممارستها ومعالجتها كجزء من مسئولياتها .

من هنا فان عدم نشر مقال أو رسالة تصلنا مسألة تتعلق فقط باعتبارات المساحة ، ولهذا نسعى الى اختيار ما يمكن أن نسميه نماذج للافكار المتباينة الصالحة للنشر خصوص .

وتأمل الطليعة مساهمة قرائها فى الكتابة « للرأى .. والرأى الاخر » فى حدود صفحة فولسكاب واحدة ، حتى يمكن نشر كل ما يصلها من آراء ، على قدر الامكان .

« أسرة تحرير الطليعة »

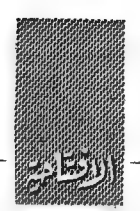

الحـــرب الخامســـة والجبهـــة الرابعـــة

مع بداية عام ١٩٧٥ ، صار لبنان بالفعل وبردود الفعل الدموية ، بلدا من بلدان المواجهة مع اسرائيل .

من قبل ، وبالدقة منذ حادث العدوان الاسرائيلى على مطار بيروت فى عام ١٩٦٨ ، ظل لبنان يتعرض لاعتداءات متكررة ، متفاوتة الدرجات ، من جانب جهاز الحرب الاسرائيلى . ولكنها بقيت ، دائما ، فى اطار محدود استراتيجيا ، لا تغامر بفتح جبهة عسكرية مع لبنان . وذلك حتى لا يتحول من « وضعه التاريخى الخاص » فى الصراع ، تحولا كيفيا . فينتقل من « **دولة ــ هدنة** » الى « **دولة ــ مواجهة** » .

وكانت حسابات اسرائيل فى هذا المجال محكومة بعدد من العوامل ، هى نفسها اهداف تكتيكية للتخطيط الاسرائيلى الذى كان يقوده الثلاثى « **جولدا مائير ــ موشى ديان ــ اسرائيل جاليلى** » ، وهو الثلاثى الذى أفرزه الانتصار الاسرائيلى عام ١٩٦٧ ، والذى رسم سياسته على اساس استمرار سيادة التفوق العسكرى ــ السياسى لاسرائيل فى المنطقة حتى نهاية القرن الحالى على الاقل . وذلك بما يحولها من « **دولة عميلة** » للامبريالية الامريكية الى « **دولة ــ شريكة** » . أو على حد التعبير الذى أضيف أخيرا الى مفردات اللغة السياسية « **امبريالية صغرى** » .

وكان هذا الثلاثى يستبعد امكانية قيام العرب بشن حرب جديدة قبل عام ١٩٨٠ على اى حال . كما ان اسرائيل لم تكن راغبة فى شن حرب جديدة من أجل مزيد من الارض والتوسع الى حدود اكبر ، قبل ان توطد اقدامها وتستوعب وتهضم الوجبة الضخمة التى حصلت عليها فى عام ١٩٦٧، ولكن الثلاثى كان يرى ، فى نفس الوقت ، ان ما يساعد على سرعة الهضم وتهيئة الظروف الملائمة « لوجبة » الثمانينات القادمة ، هو استعراض للقوة الاسرائيلية الباطشة من وقت لاخر ، بقصد الارهاب العام من ناحية ، وتعديل طوبغرافية أرض « الوجبة المستقبلة » فى جنوب لبنان ايضا من ناحية اخرى ، وتثبيت مراكز الثلاثى فى السلطة داخل اسرائيل وتجاه الامبريالية الكبرى مما ، من ناحية ثالثة .

فى هذا الضوء يمكن رصد هذه العوامل — الاهداف على النحو التالى :

● **اولا** : العمل على استمرار مناخ الارهاب العام فى المنطقة ، وخاصة بعد ان برزت الثورة الفلسطينية كقوة ثورية جديدة مساعدة فى الصراع ، اثر معركة الكرامة فى مارس سنة ١٩٦٨ ، واندلاع حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية فى عام ١٩٦٩ . وذلك فى محاولة لاجهاض اى تمو محتمل لكل من الثورة الفلسطينية وحرب الاستنزاف ، بما يجسد ويعمق من نهوض للتدريبة العربية على المواجهة من جديد ، بعد كبوتها الكبيرة فى حرب سنة ١٩٦٧ . ذلك انه على الرغم من ان الهزيمة التى نزلت بالعرب كانت باطشة وكاسحة ، الا انها لم تصبهم بالغربة القاشية .

● **ثانيا** : التخطيط كان يجرى منذ معركة الكرامة ، لمحاصرة الثورة الفلسطينية فى الاردن وتصفيتها نهائيا . ولكنه كان يأخذ فى اعتباره الامكانية الواقعية لانتقال الثورة وقواعدها ، اذا حدث وافلتت من المذابح ، الى الارض اللبنانية . ومن هنا كان العدوان الاسرائيلى على لبنان فى ذلك الوقت يستهدف التحذير من فتح الباب امام هجرة الثورة الثانية ، بعد هجرتها الاولى من ارض الخليج الى الاردن .

ثم بعد ان نجحت الثورة فى الافلات من المذبحة وهجرتها الناجحة فعلا الى لبنان ، اتخذت الاعتداءات الاسرائيلية على لبنان هدفا آخر ، هو محاولة « اردنة لبنان » ودفعه الى تكرار مذابح الاردن .

● **ثالثا** : بعد حرب سنة ١٩٦٧ ، كانت اسرائيل قد مدت رقعة استعمارها الاستيطانى نحو كل من مصر ، وسوريا ، وفلسطين — الاردن .. اى بالنسبة لجميع الدول العربية من حولها ، فيما عدا لبنان . ولان لبنان لم يشارك فى حرب سنة ١٩٦٧ وظل متمسكا بالهدنة ، فان الاحتلال الاسرائيلى لم يمتد ، فى نفس الوقت ، الى التهام ما يعتبره ضروريا وحيويا له ، استراتيجيا واقتصاديا ، وهو جنوب لبنان ، مؤجلا ذلك الى فرصة مواتية . واتجهت القيادة الثلاثية الاسرائيلية — من خلال العدوان المحسوب — الى جس النبض حول امكانية اقتناص الجنوب . لم تكن هناك قوة لبنانية عسكرية كافية يمكن ان تحول دون ذلك ، او على الاقل تلزم اسرائيل بدفع ثمن فوق طاقتها ان تتحمله . ولكن اسرائيل ظلت تصطدم بنوع من العقبات الدبلوماسية التى لا تستطيع الاستهانة بها تماما ، وخاصة تعهد فرنسا الديجولية بحماية استقلال وسلامة الاراضى اللبنانية . وعندما تغيرت الظروف بعد

ويجول وبدا وهن العقبات الدبلوماسية ،كانت الثورة الفلسطينية قد تمركزت بلبنان وأصبحت ــ موضوعيا ــ على الرغم من تعلل العدوان الاسرائيلي بها ، قوة حامية ، موضوعيا ، للبنان . لان دفاعها عن لبنان ،كان دفاعا ــ في نفس الوقت ــ عن وجودها وحياتها . ومن هنا كان واضحا تماما لدى كل من الثورة الفلسطينية واسرائيل ، ان مصير جنوب لبنان ، ثمنه فادح الى اقصى حد . وبقيت مشكلة اسرائيل في هذا الصدد هي كيفية التهام الجنوب دون ثمن باهظ .

استمرت المعادلة اللبنانية ــ الفلسطينية ــ الاسرائيلية على هذا النحو ، حتى كانت حرب اكتوبر سنة ١٩٧٣ ومضاعفاتها البعيدة المدى ، والتي غيرت ، لاول مرة ، من ميزان القوى في المنطقة لغير صالح الكيان الصهيوني ، وهبطت اسرائيل مرة اخرى ، من مرتبة « **الامبريالية الصغرى** » الى مرتبة « **الدولة ــ العميلة** » . وسقط الثالثي القيادي في المؤسسة العسكرية ــ السياسية الحاكمة في اسرائيل . وذلك من خلال « انقلاب صامت » دبرته امريكا ،دفعت خلاله برجلها المفضل « **رابين** » الى السلطة . وذلك في ظروف لا تنحصر خلالها ، موجة انتصارات سنة ١٩٦٧ فحسب ، بل تعصف بالكيان الصهيوني كله تمزقات سياسية واجتماعية ، تصل الى درجة وضع الفكرة والمشروع الصهيونيين ،برمتهما ، موضع التساؤل المتزايد الاتساع والعمق ، مع ما يصاحب ذلك من فقدان الثقة والاتزان في الحركة .

وفي نفس الوقت فان معارك اكتوبر ،حررت شعب حربه للواقع العربي كله ؛ المجتمع اللبناني نفسه . فعلى الرغم من ان لبنان ظل متمسكا رسميا بموقف الهدنة ، فان ساحة القتال الاكتوبرى امتدت اليه ،ورياح البترول وعدم الاستقرار شملته ايضا ، كجزء لا يتجزأ من المنطقة . وبدا واضحا اكثر فاكثر لدى مختلف القطاعات الاجتماعية فيه ، ان مصير ومستقبل لبنان غير منفصل عن هذه الظاهرة العربية الجديدة ، الآخذة في التبلور ، منذ حرب اكتوبر . وهي الظاهرة التي تؤكد ، عدم وجود مهرب لاحد في هذه المنطقة من الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، وان حل جميع القضايا ، حتى اصغرها شانا ، داخل الحدود الاقليمية لكل بلد عربي ، لابد وان يمر عبر فلسطين .

ففي فلسطين ، الحركة والقضية ،تجسدت في هذه المرحلة التاريخية كل قضايا التحرر والتنمية والبترول ورفع مستوى المعيشة والاستقرار وكرامة وحياة اصغر مواطن عربي في اصغر قرية عربية نائية .

ولقد وعت اسرائيل ايضا هذه الظاهرة ،وجن جنونها . وفي مأزقها الخاص الراهن الذي تريد الافلات منه بأي ثمن وفي اسرع وقت ، اقدمت على محاولة تصدير مشاكلها ومتاعبها الاكتوبرية الى لبنان بالذات ،مستهدفة من ذلك امرين اساسيين :

■ **الاول** : محاولة ايقاف المد الفلسطيني الثوري بانتصاراته العسكرية والسياسية ، محليا ودوليا .

■ **الثانى** : محـاولة القيـادة الجديدة الاسرائيلية التى خلفت القيـادة الثالثية ؟ اعادة زرع الثقـة فى المجتمع الاسرائيلى تجاه مؤسسته العسكرية السـياسية فى وضعها الراهن ، وانها ما تزال تملك قدرات على الضرب والعدوان .

ومن هنـا ، ارتكبت اسرائيل ، احـد اخطائها القاتلة . ذلك ان عدوانها المكثف والمتوالى فى الفـترة الاخـيرة على جنوب لبنان ، كان هو العامل الكيمائى الذى انفجع عملية التفـاعل الجـارية داخـل المجتمع اللبنـانى لحسم تحوله من مجتمع مراقب ومهادن الى مجتمع مواجهة ومشاركة .

وقـد تبلور هذا فى تصـاعد تمدى الجيش اللبنانى لقوات العدوان الاسرائيلية بشكل ايجابى . وفى قيام تنسيق عسكرى ـ سياسى جدى بين الثورة الفلسـطينية والكيان اللبنانى . وفى الاتجـاه نحو تنفيذ نوع من التجنيد الاجبـارى لاول مرة منذ استقلال لبنان ، وفى زيادة فاعلية الجيش وتسليحه بالمعدات الحديثة .

باختصـار ، صرنا امام جبهة رابعـة جـديدة فى الصراع مع اسرائيل ، وذلك بجـانب الجبهة الاولى فى مصر ، والجبهة الثانية فى سوريا ، والجبهة الفلسـطينية الثالثة .

ماذا يعنى هذا كله ؟

انـه يعنى **اولا** مـا يعنى ؟ ان الصراع العربى ـ الاسرائيلى هو بحـكم طبيعته ؟ لا يمكن الا ان يكون صراعا عاما شـاملا للكل العربى .. لا يفيد معـه ابتعـاد او تهـادن .

وهو يعنى **ثانيا** ، ان الثورة الفلسطينية بقدرتها الديناميكية الواعية ، تلتقط ؛ كل مـا يبدو على السـطح سـاكنا وهادئا ، بالحركة الايجابية .

وهو يعنى **ثالثا** ، ان الحرب الخامسـة فى الصراع قد اندلعت بالفعل ، على نحو جنينى ، فى الجبهة الرابعة اللبنانية ، عندما كفر شوبا » .

امام هذا الوضع الجديد ، لا مهرب لاحدى الوطن العربى من مواجهة مسئولياته ، خاصة وان لبنان لم يسـتكمل بعد قدراته العسكرية بالصورة الكافية .

وهنا يثار اكثر من سؤال ؟

هـل فى قـدرة الشراكة اللبنـانية ـ الفلسطينية فى الجبهة الرابعة ، ان تتحمل الخسائر فى الصدام اليومى مع العدوان الاسرائيلى ، على اسـاس استنزاف قواه شيئا فشيئا ؟

وهل هذا الاستنزاف ؟ ممكن عمليا ؟بدون مساعدة وتعهم منظم من الدول العربية؟ سلاحا وقوى بشرية واقتصادية ؟

وهل يمكن ان يتطور هذا الدعم العربي عند نقطة معينة ؟ الى فتح جزئي او كلي للجبهتين الاولى والثانية ؟

ان ثمن التردد او البطء في الوصول الى اجابات واقعية على هذه التساؤلات ؟ لن يتحمله المواطن اللبناني وحده مع المواطن الفلسطيني ، وانما سيتحمله جميعا ، بما في ذلك مواطن البترول العربي .

ولهذا فان التغطية لكثير خطورة واكثر الجاها من المعالجة بالاسلوب التقليدي لاجتماعات تقليدية وبيانات مرصوفة بالعبارات الانشائية الحماسية المستخرجة بعناية من القواميس السياسية المحنطة .

مثلا : لماذا لا تتوجه ، فورا ، وبدعوة من الحكومة اللبنانية ؟ قوات جزائرية ومغربية باسلحتها الى الجبهة الرابعة في جنوب لبنان ؟

ومثلا : لماذا لا تضع الدول البترولية ،تحت تصرف لبنان فورا ، المبالغ اللازمة للتسليح العميق والكافي ؟

ومثلا : لماذا تظل الحركة العربية ؟ في الصدام على الجبهة الرابعة ؟ ذات طابع دفاعي فقط ؟ .. لماذا لا تتحول الى الهجوم النسبي ؟ .. الم نستخلص ، بعد ، درس العبور من تجربتي حزيران سنة ١٩٦٧، وحزيران سنة ١٩٧٣. ؟!

التنميـــــة الاقتصادية آفاقها الجديدة بعد أكتوبر

هناك ٤ مقالات هامة فى دراسة هذا العدد ؛ كتب اثنين منها د . فؤاد مرسى ؛ وكتب الثالثة والرابعة د . عبد الرازق حسن .

وتكون المقالات الاربع كلها حول موضوعه « قضية التنمية المستقلة » ، وهى المعركة التى تخوضها مصر على النطاق المحلى وتخوضها الشعوب العربية على النطاق العربى ضد قوى الاستعمار الجديد . وهذه المعارك تطرح مجددا قضية الاستثمارات العربية والاجنبية فى مصر .

ولكن ما هو الجديد فى موضوع الاستثمارات الاجنبية ؟ .. وما هو الفرق بين أسلوبين او سياستين طبقتهما الدول الراسمالية بازاء البلدان المتخلفة ؟ .. أى بين الاسلوب الذى ساد منذ نهاية القرن التاسع عشر ، وبين الاسلوب الذى بدأ الاستعمار الجديد يطبقه ، خصوصا منذ الستينات ، ويروج له كبار المنظرين الاقتصاديين فى البلدان الامبريالية .

هنا بالضرورة ، تطرح ايضا قضية الاستثمارات العربية ، ما طبيعتها ، وما هى اتجاهاتها الحقيقية ؟ .. وهل يمكن أن تلعب دورا مؤثرا فى مصر ؟ .. وما هو دورها فى أوربا ؟

على جميع هذه الاسئلة يجيب د . فؤاد مرسى فى مقاله الاول ، ثم يعالج ، فى المقال الثانى ، القضية « على الطبيعة » فى مصر بالذات ، ويحلل الصعوبات التى تواجه قضية التنمية الاقتصادية ، ويبحث فى مجالات الاستثمار ثم يقيم التسهيلات الممنوحة لرأس المال الاجنبى . فاذا كانت هناك محاذير ، فما هى الحلول المقترحة لتستفيد مصر من الاستثمارات العربية والاجنبية التى يمكن أن تجلبها .

بعد هذا ، يطرح د . عبد الرازق حسن القضية على صعيدها العربى والقومى ؛ فيسأل : اين تكمن — بالدقة — المشكلة الاقتصادية فى الوطن العربى ؟

مصـريا
وعـربيا

ولماذا تتراخى عملية التكامل ؟ .. وهنايناقش د . عبد الرازق حسن الحجج التي تقدم لتبرير صعوبة او استحالة عملية التكامل ، ولكنه يحللها ويفندها ، فلا تشابه في الانماط الاقتصادية بين البلادالعربية ، ولا ضعف الموارد والامكانيات يمكن أن تعتبر حججا اصيلة او صحيحة .

ثم ينتقل بعد ذلك ليعالج قضية تراكم الارصدة النقدية واستغلالها بين الدول العربية وبين دول الغرب المتقدمة اقتصاديا .. وفي هذا يقدم ارقاما ووقائع ، ثم يحلل الصعوبات التي يثيرها الاحتفاظ بهذه الارصدة في البنوك العربية ، او انفاقها في شراء عقارات او شركات .

وفي مقاله الثاني ، يقدم د. عبدالرازق حسن الخطوط العامة لاستخدام الاستثمارات في الوطن العربي . وهنايتحدث الكاتب عن ثلاثة وجوه للاستثمار :

١ ــ الاستثمارات التي توظف في البلدان صاحبة الاموال على اعتبار ان البلدان المنتجه للبترول لها الحق الاول في استخدام عوائدها البترولية . فما هي الخطوات التي تؤدي الى الاستثمار الامثل ؟ .

٢ ــ الاستثمارات التي توظف في نطاق العالم العربي ككل . وهنا يؤكد الكاتب على ضرورة ان توجه الاموال الى الاستثمار على نطاق العالم العربي ــ وبالذات ــ في المشاريع التي تمس هذا العالم في مجموعه .. ويرى الكاتب ان هذا امر يدخل في حيز الامكان الى حد بعيد ، كما انه يتطلب خطة طويلة الامد .

٣ ــ الاستثمارات التي تستخدم في بلدان عربية محددة .. وهنا يفرق الكاتب بين بلدان عربية تتبع نظام الاقتصاد المحروبين بلدان تسير على طريق التنمية اللارأسمالية .. كيف توجه الاستثمارات في البلدان الاخيرة الى خدمة قضية التنمية ؟ .. وما هي الضمانات التي يتطلبها الاقتصاد المخطط ، هذا ما يعالجه د. عبد الرازق حسن في المقال الرابع والاخير .

التنمية الاقتصادية والاستثمارات الأجنبية

د. فؤاد مرسى

① الأوضاع الجديدة في سوق المال العالمية

لا نزاع فى بلادنا حول ضرورة التنمية الاقتصادية . فهناك اجماع تقريبا على ضرورة القيام بمحاولة شاملة للتغلب على التخلف الاقتصادى والاجتماعى الموروث من عهد الرجعية القديمة والتبعية للرأسمالية الاجنبية . من أجل هذا لا يرى الوطنيون فى التنمية الاقتصادية مجرد زيادة فى الثروة القومية أو ارتفاع فى الدخل الفردى ، بل معارك متصلة لتوطيد الاستقلال الوطنى ، وذلك ببناء وتوطيد دعائم اقتصاد قومى متعدد النشاط ، حديث الهيكل ، سريع النمو ، متحرر بالضرورة من السيطرة الاستعمارية والتخلف الاقطاعى والاستغلال الرأسمالى الكبير ، وموضوع بالضرورة بالتالى فى خدمة الطبقات الوطنية جميعا وفى مقدمتها العمال والفلاحون .

ولا نزاع فى بلادنا ايضا حول ضرورة الموازنة الاجنبية للتنمية الاقتصادية . فهناك اجماع تقريبا على أن الموارد المحلية تقصر عن المهام التى تفرضها مطامح التنمية الاقتصادية المنشودة . هناك فى الواقع حاجة الى التمويل الخارجى ، وهناك حاجة الى الحصول على منجزات العلم والتكنولوجيا التى تمتلكها البلدان المتقدمة .

من هنا تثور بطريقة مشروعة قضية الاستثمارات الاجنبية التى شغلت بالدنا زمنا طويلا ، ومازالت تعتبر فى مقدمة القضايا التى تشغلنا . ولقد اختلف الرأى فيها ، وهذا طبيعى . فكل منا ينظر اليها بمقياس المصالح التى يدافع عنها . كما صدر قانون الاستثمار الاجنبى ، فى

محاولة لجذب رأس المال والخبرة التكنولوجية من الخارج ، ودخلنا من ثم ، فى تجربة تكتسب اهمية كبيرة للغاية ».

ومن أجل أن نضع كل هذا التطور فى اطاره الصحيح ، فان المناقشة الموضوعية مطلوبة الى أقصى حد . هناك من يرى أن رأس المال الاجنبى لن يأتى مهما فعل ، لانه لا يمكن أن يقدم على تنمية اقتصادية حقيقية لبلادنا ، وهى كما رأينا معركة وطنية معادية بحكم تعريفها لراس المال الاجنبى . وهناك من يعول التعويل كله على رأس المال الاجنبى الذى ينتظر الاشارة ، ويتوقع من ثم أن تكون لديه عصا سحرية تحول مصر من حال الى حال

وللمناقشة الموضوعية وحدها ، المناقشة العلمية الصارمة وحدها ، كفيلة بوضع ايدينا على الحقيقة التى يمكن أن تنير الطريق لنا جميعا . ولذلك سوف يكون من المفيد أن نطلع فى البداية على الاوضاع العالمية فى السوق المالية العالمية . لنكشف عن الاتجاهات التى تحكم الاستثمارات الاجنبية فى البلدان النامية . وبعدها يمكن أن نتعرض بالتحليل الدقيق ـ ولو بعجلة ـ لقانون الاستثمار الاجنبى ، بهدف الكشف عن افكاره الاساسية فى التطبيق .

الصورة التقليدية للاستثمارات الاجنبية

الصورة المألوفة والمعروفة للاستثمارات الاجنبية هى صورة تصدير رأس المال من بلد رأسمالى متقدم الى بلد متخلف، حيث يستثمر فى مشروعات استخراج او انتاج خامات معدنية او زراعية ، توضع فى خدمتها بعض المرافق الاخرى الضرورية لاستخراجها او انتقالها كالبنوك والطرق والمواصلات ، على أن يتم تصدير الخامات الى البلد الرأسمالى المتقدم حيث يعاد تشكيلها بالصناعة الى منتجات تبلغ قيمتها أضعاف قيمة الخامات . وعندئذ يترك للبلد المتخلف أن يشترى من الخارج بدخله الضئيل من بيع خاماته قليلا من المنتجات الصناعية .

وعندما سادت هذه الصورة منذ نهاية القرن الماضى أحدثت تطويرا كيفيا فى الرأسمالية المتقدمة ، اذ أصبحت امبريالية وذلك بفضل السيطرة الاستعمارية التى مارستها على البلدان المتخلفة التى غدت بالتالى مستعمرات او اشباه مستعمرات . من هنا كان تصدير رأس المال هو البذرة التى نمت منها السيطرة الاستعمارية على البلد المتخلف . حيث يبنى رأس المال لنفسه قطاعا داخليا أجنبيا ، منعزلا عن الاقتصاد القومى المتخلف ، ومستندا فى سيطرته الاستعمارية الى سطوته العسكرية والسياسية ، والى قوة ونفوذ الرجعية التقليدية التى تصون وتحمى أوضاع التخلف السائدة .

ومنذ نهاية الحرب العالمية الاولى ، فان هذه السلسلة الاستعمارية التى أحاطت بالعالم كله ، قد تلقت الضربات والهزائم فى كثير من حلقاتها ، حتى لقد دخلت الامبريالية فيما بعد الحرب العالمية الثانية مرحلة التصفية الشاملة لسيطرتها الاستعمارية فى المستعمرات . وصبح اضطران الامبريالية الى التراجع ، بدأت تظهر اساليب الاستعمار الجديد ، وهى الاساليب التى تحرص على استبدال الاستغلال الاستعمارى والقبضة الاقتصادية للمستعمرات القديمة التى حصلت بنضالها الوطنى على الاستقلال السياسى . وهدف المعركة ضد الامبريالية تجرى فى ساحات الاستغلال الاقتصادى الذى صار يعنى بناء اقتصاد وطنى متحرر حديث من خلال القيام بالتنمية الاقتصادية . وأصبح من حقائق العصر المعروفة أن السيطرة الاستعمارية تتناقض بالتالى مع التنمية الاقتصادية تناقضا جوهريا ، وبالذات مع محاولات التصنيع .

هذا تقديت نظريات الاقتصاديين الغربيين ، وبخاصة روستو وجالبريث ، من أجل كبت عملية التنمية الاقتصادية ـ تارة بالحديث ، عن حتمية التطور على مراحل بعينها لا يمكن للبلد المتخلف أن يتخطاها وتارة بالحديث عن خرافة التقدم من خلال التصنيع ، فلقد تكون الاوضاع المتخلفة هى التقدم بعينه !

غير أن صمود البلدان المستقلة فى معارك التنمية الاقتصادية ، والمساعدات الجدية التى تلقتها بهدف التصنيع من البلدان الاشتراكية وبخاصة الاتحاد السوفيتى ، قد أوجدا وضعا واقعيا معينا بحيث لم يعد فى الوسع احتراض الدول الاستعمارية صراحة والى ما لا نهاية على تصنيع البلدان النامية ، أو الامتناع الكامل عن

يتبع

المشاركة فى عملية التصنيع الجارية فعلا • فلم يكن من الممكن تحقيق التنمية بتطوير الزراعة أو بتطوير صناعات الاستخراج فقط ، ومع ذلك فليست التنمية الاقتصادية هى مجرد القيام بأى تصنيع • وانما ينبغى أن يهتم فى عملية التصنيع بتطوير الصناعة التحويلية والقيام بتنمية شاملة متعددة الجوانب من أجل انتاج وسائل الانتاج بما فيها الالات وكذلك من أجل انتاج الطاقة •

الاستثمارات الاجنبية فيما بعد حرب السويس

وفيما بعد حرب السويس التى كشفت عن سمات العصر الجديد ، عصر التحرر الوطنى والانتقال الى الاشتراكية ، كان على الامبريالية أن تغير من أساليبها ، فغدت أشد ذكاء وأكثر تعقيدا والتواء • وبعد الانتصار على تطوير ميادين الاستخراج والتعدين ، عمدت الامبريالية الى أسلوب المونة الاقتصادية ، المالية والفنية ، لمساعدة البلدان النامية •

أ ـ ظهرت مثلا قروض فائض الحاصلات الزراعية الامريكية • فقد تجمع لدى الولايات المتحدة فائض من الحاصلات الزراعية كان عليها ـ بمعايير الرأسمالية السائدة ـ أن تتخلص منه بتدميره أو برميه فى البحار ، حتى لا ينزل بأسعار الحاصلات الامريكية • فلجأت من ثم الى بيع هذا الفائض للبلدان النامية مقابل الدفع بالعملة المحلية • ولقد استخدمت امريكا واردات الحاصلات الزراعية فيما بعد لاغراضها السياسية ، محاولة بذلك شل ارادة البلدان المستقلة ومنعها من مواصلة تحررها الوطنى •

ب ـ اتجهت رءوس الاموال الاجنبية ـ التى تراخى تدفقها على البلدان النامية ـ كما تستثمر مثلا فى فروع صناعية لا تحتاج الى معدات معقدة أو لاستثمارات باهظة التكاليف ، أو لا تحتاج الى كثير من العمال المؤهلين فنيا ـ وذلك مثل الصناعات الغذائية وصناعات النسيج والملابس والتريكو والخيوط الصناعية وصناعات مواد البناء • وبدا عندئذ أن الهدف الاول من وراء مثل هذه الصناعات هو السعى لاثراء الاحتكارات الاجنبية لا تمويل التنمية الاقتصادية من خلال الاستثمارات الاجنبية • وطبقا لاحصاء أمريكى عن الفترة بين عامى ١٩٤٦ و ١٩٥٩ ربحت الولايات المتحدة ٢٫٥ دولار من كل دولار مستثمر فى البلدان النامية • كما أن الارباح التى حققتها الاستثمارات الاجنبية كانت تصدر الى الخارج ، وبالتالى فلم تكن تلعب دورا فى عملية اعادة الانتاج فى البلدان النامية •

ولقد دلت التجارب على أنه كثيرا ما تأتى الاستثمارات الاجنبية فتكون تكلفتها مضاعفة • ففى العراق مثلا تكلف انشاء مصنع الاسمنت فى السليمانية ثلاثة اضعاف تكلفته الاصلية ، لان الشركة المتعهدة وهى شركة المانية غربية ، عمدت الى بناء كل مبانيه والاسوار والطرق بالطوب الاحمر والاسمنت والمواد الاخرى التى نقلت خصيصا له من المانيا الغربية • كما اقيمت محطات الديزل الكهربائية فى مصنعى السليمانية وحمام على بقوة مبالغ فيها هى ٥ آلاف كيلووات مع أن الحد الاقصى من الحاجة اليها هو ٣ آلاف كيلووات فقط • بل كان من الممكن الحصول على الطاقة الكهربائية من شركات الطاقة القائمة محليا • بيد أن المغالاة فى تكاليف المشروع كثيرا ما تضفى فى العادة خطرا أكبر هو خطر العملات المتبادلة • ومن ثم تصبح المغالاة فى التكاليف اسلوبا فى التعامل لانها تشكل مصلحة مشتركة فيما بين الخارج والداخل •

ولقد أقيل رأس المال الاجنبى طيبا فى يوم من الايام من المانيا الغربية ، لكنه لم يلبث أن أحجم بعد أن خلف لنا تجربة سيئة كتجربة الحديد والصلب التى قامت بها شركة ديماج التى توات توريد معدات تدمية لصناعة ثقيلة متطورة ، ولولا التضحيات التى تحمل بها الاقتصاد القومى سنة بعد سنة ، ولولا الجهود المضنية التى بذلها العاملون فيه ، لكان قد أفلس قبل أن يتم تصحيح قاعدته جذريا بمجمع الحديد والصلب • ولقد أنجزت أيضا مشروعات ناجحة ، لكن الذكريات السيئة فى هذا الصدد كانت بحيث غطت على كثير من الذكريات الطيبة •

الصورة الحالية للاستثمارات الاجنبية

بدأت فى الستينات بلاد نامية كثيرة ، كانت قد تحررت من قبضة الاستعمار واختارت طريق

التنمية المستقل ، تذهب بعيدا الى حد اختيار الاشتراكية هدفا اخيرا لها . عندئذ ، ومنذ منتصف الستينات ، فى عصر الاشتراكية والثورات الوطنية ، وتعمق ضغط النضال الشاق لاختيار طريق التطور ، بدأت الامبريالية العالمية تغير أساليبها مرة أخرى . وتحولت من المحافظة على التخلف الاقتصادى للمستعمرات السابقة الى تدعيم وضع داخلى للرأسمالية المحلية كضمان اجتماعى للحفاظ بالمستعمرات السابقة فى اطار الاقتصاد الرأسمالى العالمى . وبالتعل فانه فى سبيل تعزيز وضع هذه الرأسمالية المحلية ، تقدم الرأسمالية العالمية على عمليات لم تكن تجرى فى الماضى ، لانها تنطوى على قدر معين من التعاون لاقامة الصناعات والسماح بانتقال الخبرة التكنولوجية الى البلدان النامية .

ولا يمكن القول ببساطة بأن الاستثمارات الاجنبية عندئذ لا تستطيع موضوعيا أن تقدم مساهمة معينة فى تنمية البلدان النامية . فالعمليات التى تشارك فيها تساعد بلا شك على نمو العمالة وتطوير الموارد الطبيعية ونقل التكنولوجيا المتقدمة ورأس المال أيضا ، بما قد يساعد على زيادة الصادرات وتحسين الموارد المالية للدولة . وفى حالات معينة فانها تساعد أيضا على انهاء العزلة الاقتصادية وتحطيم العناصر القديمة الراكدة فى العلاقات الاجتماعية لاساليب تشغيل وادارة الاقتصاد القومى . ولقد تساعد أخيرا على ظهور واكتمال الطبيعة المتعددة للهيكل الاقتصادى وبالتالى على بلورة وتطور الاوضاع الطبقية .

لكنها دائما وابدا تنظر الى نفسها بوصفها رأس مال أقرض مقدما من اجل الاستغلال اللاحق للموارد الطبيعية الغنية والعمل الوفير الرخيص فى البلدان النامية . ومن ثم تتجه بالضرورة للتدخل فى الشئون الداخلية وفى خطط التنمية القومية ، ولمساندة الاوضاع الرجعية القديمة والجديدة ، ولقهر الطبقة العاملة والحركات الديمقراطية ، وفى النهاية لفرض النماذج الرأسمالية للتطور . وكل هذا يمثل ، على سبيل المثال ، فى تجربة انقلاب شيلى التى شارك فيها احتكار أناكوندا للنحاس والشركة الدولية للتليفونات والتلغراف ، وهما ليسا من اكبر الاحتكارات الامريكية .

ان الاستثمارات الاجنبية التى تقدمها الرأسمالية العالمية فى السبعينات تشارك بلا شك فى تنويع الصناعة المحلية ، غير أن ذلك يتم بشكل ناقص وبثمن باهظ .

ان التصنيع يتم عندئذ بشكل ناقص : فالرأسمالية العالمية أنما تريد فى الواقع أن تتخلى عن بعض الصناعات الثانوية غير الديناميكية ، اما لانها بسيطة تكنولوجيا ، واما لانها تحتاج الى أيد عاملة وفيرة ، واما لانها صناعات تلوث البيئة ؛ فلقد ثبت مثلا أن تكلفة القضاء على التلوث أعلى من تكلفة استيراد منتجات تلك الصناعات الملوثة للبيئة . من هنا تقبل الرأسمالية العالمية أن تنقل الى البلدان النامية صناعات مثل صناعة السيارات ، صناعة قطع الغيار ، صناعة أجزاء الالات ، وصناعات التجميع وبعض الصناعات البتروكيماوية ، بالاضافة الى صناعات المنسوجات والملابس والصناعات الجلدية والغذائية .

وفى هذه الحدود يوجد مجال لتوافق المصالح بين الرأسمالية العالمية والبلدان النامية . ان الرأسمالية العالمية تصدر بعض مشاكل صناعتها الى البلدان النامية ، بينما تقوم بتصوير هذا على أنه معونة مالية وفنية من أجل تصنيع البلدان النامية . وهو ما تفعله حاليا مع البلدان العربية بالذات ، حين تعرض عليها صناعات فى تطاعين هما قطاع الصناعات التى تهدد بتلويث البيئة مثل الصناعات البتروكيماوية وفى مراحلها الدنيا ، وقطاع الصناعات الكثيفة العمالة مثل تجميع السيارات وقطع الغيار وأجزاء الاجهزة الالكترونية — وذلك مقابل تأمين احتياجات البلدان الرأسمالية من البترول العربى .

ب — فى الوقت نفسه ، فان هذا التصنيع الناقص يتم بثمن باهظ ، وهذا الثمن هو تشجيع مسالم التطور الرأسمالى داخل البلد النامى . ان تشجيع التطور الرأسمالى يحدث عندئذ فى الاقتصاد النامى عمليات تركز وتمركز للثروات ، مصحوبة بعمليات تمايز اجتماعى واسعة النطاق فيما بين الطبقات . ولهذا يقبل الاستعمار الجديد على تصنيع بعض البلدان النامية عن طريق المشاركة ، حتى مع القطاع العام الذى يلعب دور رأسمالية الدولة ، فى خدمة عملية أكبر هى التطوير أو التحويل الرأسمالى للمجتمع .

ان نتائج الاستثمارات الاجنبية لا تقاس بالتالى بحساب الارباح والخسائر فقط ، لاى من الطرفين

فيها • وانما تحسب بتأثيرها على التنظيم الاجتماعي كله ، وتأثيرها المحتمل على الاصلاحات الداخلية ، وتأثيرها على العناصر التقدمية في الاقتصاد القومي ، وهي العناصر التي يمكن ان تلقى في هدوء بواسطة قوى الملكية الخاصة الرأسمالية •

الاستثمارات الاجنبية لاهداف سياسية

والان ، بعد حرب أكتوبر وانفجار أزمة الطاقة ، يطرح السؤال من جديد : **هل يقبل رأس المال الاجنبي على الاستثمار في مشروعات التعمير والتنمية الاقتصادية ؟** ولسنا وحدنا الذين نطرح السؤال ، بل الدوائر الاستعمارية تطرحه قبلنا • وفي عدد ٤ مارس ١٩٧٤ حاولت مجلة « نيوزويك » الامريكية ان تضع اجابة على السؤال ، عندما أرادت ان تحدد اغراضها أهداف واشنطن من وراء اهتمامها بتعمير ضفتي القناة • كتبت تقول أن هناك هدفين هما (طرد النفوذ السوفيتي الذي بدأ بالمعد العالي ، وذلك بقيام رأس المال الامريكي بدور هام في اعادة تعمير ضفتي القناة .. كما ان قيام منطقة مزدهرة على جانبي القناة سيلعب دورا حاسما في استقرار الوضع في الشرق الاوسط) • ومضت تشرح هذا الهدف الثاني بقولها (ان تعمير وازدهار هذه المدن على ضفتي قناة السويس من شأنه اعطاء اسرائيل من الامن والطمأنينة أكثر من وجود جيشها على القناة • ان هذه المدن قد تحول الهدنة المسلحة الى سلام دائم) •

هكذا صارت الاعتبارات السياسية تلعب دورا خطيرا في تصدير رأس المال الاجنبي الذي لم يعد مرتبطا دائما ومباشرة بالسعي لاستخلاص الحد الاقصى من الارباح • والواقع ان الاهداف الاقتصادية والسياسية والعسكرية والايديولوجية التي ترمي الدوائر الاستعمارية لتحقيقها في البلدان النامية قد لحمت متشابكة فيما بينها الى حد بعيد • وهنا تستخدم المساعدات والاستثمارات الاجنبية أداة للضغط السياسي على الحكومات والشعوب • والى جانب السعي المتصل لعزل مصر عن الاتحاد السوفيتي ، وفصلها عن حركة التحرر الوطني العربية ، وتأمين التوسع الاسرائيلي ، فان الهدف الرئيسي للدوائر الاستعمارية في حالتنا هو الحيلولة دون تطوير مصر تطويرا مستقلا يمكن أن يتجه بها نحو الطريق الاشتراكي ، ومن هنا السعي المحموم للابقاء على مصر في اطار النظام الرأسمالي •

وعندئذ يتركز الهجوم على القطاع العام • واذا كانت بعض الدوائر الاستعمارية ترى ضرورة تصفية القطاع العام جسدية ، فان الوانر الاشد ذكاء لا تتوقف طويلا عند هذه التصفية المادية التي تبدو مستحيلة أو شبه مستحيلة • بل ترغب فيما هو أبعد وأخطر شأنا وهو تصفية الدور القيادي للقطاع العام •

في فبراير ١٩٦٣ وضع **دافيد روكفلر** تقريرا للرئيس الامريكي عن (برنامج الولايات المتحدة لامريكا اللاتينية) • والمقد طالب فيه بتقديم المساعدات لامريكا اللاتينية ، بشرط أن توفر بلادها الظروف المواتية للاستثمارات الامريكية ، والتي حددها بأنها (توفير الظروف المواتية لنشاط رأس المال الخاص) • ومن ثم أدان بشدة أي محاولة للتأميم ، لتأميم رأس المال الخاص المحلي وليس فقط لتأميم رأس المال الاجنبي •

كان هذا فيما مضى ، أما اليوم فان التركيز كله يتجه نحو القبول بوجود القطاع العام ، بشرط الغاء دوره القيادي ، ويصبح هذا الهدف جزءا لا يتجزأ من عملية تشجيع معالم التطور الرأسمالي في البلد النامي •

الطبيعة الخاصة للاستثمارات العربية

من بين الاستثمارات الاجنبية تحتل الاستثمارات العربية مكانة خاصة ، وليس فقط لكونها أموالا عربية يمكن أن تساعد بلداننا عربية ، وليس فقط لان ارتباطها المحتمل قد تحققت بفضل حرب أكتوبر التي كشفت عن عمق أزمة الطاقة في العالم ، وانما كذلك لان المستثمر العربي مستثمر من نوع خاص ، لا تحركه في الغالب أهداف المستثمر في أوربا الغربية والولايات المتحدة عندما يتجه الى البلدان النامية •

فالمستثمر العربي مستثمر من نوع معين ، يريد أن يضمن دخلا دائما له من وراء ثروته الوحيدة وهي البترول ، هذه الثروة الناضبة بعد حين • **فالدخل سواء كان هو الربح أو الفائدة هو الذي يجذب المستثمر العربي بغض النظر عن مصدر هذا الدخل ، تنمية أو غير تنمية ، صناعة أو تجارة •** ومن ثم فهو أقرب الى المضارب منه الى المستثمر الحقيقي أو رجل الاعمال •

ان كثرة عدد البنوك في بلد كالكويت لا يضارعها الا كثرة عدد شركات الاستثمار • وما

شركات الاستثمار فى الحقيقة سوى بنوك أعمال ، تجمع الاموال كى توظفها فى كل ما يدر دخلا مجزيا ـ حتى ولو جمعتها واودعتها بدورها فى بنوك أوربا التى تدفع الان أسعار فائدة خيالية .

لذلك فان متوسط أرباح الشركات الكويتية فى عام ١٩٧٢ مثلا كان ١٤ فى المائة . وكانت أعلى الشركات ربحا هى شركات التأمين ثم البنوك ثم شركات الاستثمار ، تليها شركات الخدمات ، وأخيرا تأتى الشركات الصناعية . لماذا ؟ لان كل هذه الشركات والبنوك انما تجمع الاموال كى تعيد توظيفها فى الخارج . حالة واحدة يمكن أن تجذب المستثمر العربى جاذبية خاصة ، وتلك هى الاستثمار فى مجال العقارات . فهذا استثمار واضح ملموس محسوس ، وهو استثمار دائم ، وقيمته دائما فى ارتفاع مضطرد . لهذا يمثل فى هذه المرحلة جزءا كبيرا من اهتمامات شركات الاستثمار . يشترون جزيرة فى أمريكا ، وأحياء كاملة فى بيروت ، وجزءا من شارع الشانزليزيه فى باريس .

فكيف تنعكس هذه الصورة على مصر ؟ فى صحف الكويت اعلانات كبيرة عن (فرص استثمار فى مشاريع تجارية وصناعية فى مصر فى مجالات الاراضى والبناء ، شقق مفروشة أو خالية ، عقارات ، مصانع ، مقاولات ، تشغيل سيارة أجرة) . وكل هذا فى اعلان واحد . وهو أمر طبيعى . فطالما بقيت المبادرة للاستثمار الفردى ، فذلك أقصى ما تبلغه من مدى : تنمية دخل الفرد لا تنمية الاقتصاد القومى لبلد عربى شقيق .

من أجل هذا ، وفى ظل الاوضاع الراهنة ، فانه لا يمكن لمصر أن تصبح سوقا مالية هامة لاجتذاب رأس المال العربى . لا يمكن أن تتحول القاهرة الى بيروت أخرى . فلقد قامت مكانة بيروت المالية عند العرب على أساس تلقى أموال العرب لاعادة توظيفها فى أسواق أوربا الغربية وأمريكا . كانت بيروت سوقا وسيطا ، محطة مالية . وليس هذا ما تريده مصر التى تتطلع الى تنمية اقتصادها القومى الذى انهكته الحروب .

ولقد باعت بيروت عدة أحياء فيها لرأس المال العربى . فأية تنمية اقتصادية تحققت للاقتصاد اللبنانى ؟ كل ما حدث هو ارتفاع فى أسعار الاراضى ، ارتفاع كبير فى أسعار مواد البناء ، ارتفاع فى تكاليف المساكن الفاخرة ، وارتفاع فى ايجاراتها . وهو ما انعكس حتى الان على ايجارات جميع المساكن فى لبنان ، فاخرة وغير فاخرة على الاطلاق . وفى غمار المضاربة الكبيرة على العقارات ، والارتفاع السريع والقياسى فى أسعارها ، أثرت قلة من اللبنانيين وناءت الاغلبية تحت وطأة الغلاء والتضخم .

والان ، عرف المستثمرون العرب طريق أوربا وأمريكا بلا وسيط ، وأصبحت بيروت تعانى . ان لبنان يفقد مكانته كوسيط مالى ، لكنه يزدهر كوسيط تجارى . فلبنان ينمى صادراته من الزراعة سنويا ، وعندما ينجح لبنان فى توسيع الصادرات الصناعية ، لتبلغ قيمة الصادرات ٤٥٦ مليون ليرة فى عام ١٩٧٣ ، وهو ما يقترب من ربع قيمة صادرات مصر ، فان علينا ان نعلم ان اكثر السلع المصدرة مؤلفة بصورة اساسية من مواد مستوردة انخفض ثمنها نسبيا بارتفاع سعر الليرة . واستطاع لبنان بذلك أن يحقق من ورائها مكانته الهامة كوسيط تجارى . أما لبنان كوسيط مالى ، فهو يفقد سوقه ليس فقط لحساب أسواق المال فى أوربا ، وانما لحساب سوق الكويت أيضا .

بل بلغ الامر ببعض المستثمرين العرب ، وقد ملوا العملات الاجنبية ، أن تحولوا الى العملات المحلية وبخاصة الدينار الكويتى ، وكانت النتيجة هى زيادة فى العرض [illegible] وارتفاعا فى أسعار الاراضى وتضخما محليا .

من ناحية أخرى ، فان لدينا حتى الان فكرة خاطئة عن الرأسمالى العربى . اننا نتصور دائما فى صورة الرأسمالى الفردى الذى يريد أن يوظف أمواله أفضل توظيف . وننسى بذلك أن بالبلاد العربية صاحبة الفوائض المالية قطاعا عاما له وزنه المتزايد . ننسى الدعة المتعظمة لتأميم البترول العربى . ففى الكويت مثلا قطاع عام هام فى البترول وفى البتروكيماويات وفى السماد وفى الاسمنت وفى البنوك ، وفى الكويت صندوق التنمية الكويتى ، وفيه أيضا أكبر شركتين للاستثمار تملك الحكومة فى احداهما ٥٠ فى المائة من رأسمالها ومن الثانية ٨٠ فى المائة . وبصفة عامة ، فان الدولة فى الكويت تملك ٣٢ فى المائة من مجموع أسهم الشركات العاملة .

ونحن ننسى أيضا ما هو أهم وأبعد أثرا ، وهو أنه مع الزيادة الهائلة فى الاموال العائدة من البترول ، ومع غيبة خطط أو برامج كافية للتنمية الاقتصادية معدة مقدما ، ومع عجز كل بلد من بلاد البترول على حدة عن استيعاب فوائض العائدات ، فان أغلب هذه الفوائض المتراكمة سنة بعد أخرى

سيكون مملوكا للدولة لا للافراد • ومن ثم فان المستثمر العربي المحتمل الذي سيكون عليه أن نتعامل معه في المستقبل القريب هو الدولة العربية وليس الفرد العربي • ان ذلك يجب أن يدفع بجدية نحو تخطيط التنمية الاقتصادية أولا في كل بلد عربي على حدة ، ثم القيام بالتنسيق فيما بين هذه الخطط الموضوعة بأمل القيام بعملية تنمية اقتصادية تكون مخططة لكنها مشتركة فيما بين البلاد العربية •

والى أن يتم ذلك ، فلسوف تظل الاستثمارات العربية محكومة بالميل الى المضاربة • وعندئذ فان وجهتها ستكون الى السوق المالية العالمية وليس الى أى بلد عربي •

الاموال العربية في خدمة الرأسمالية العالمية

لهذا ، وفي غيبة خطط محلية للتنمية الاقتصادية ، وفي غيبة خطة على المستوى القومي لتنمية عربية مشتركة ، تهبط الاموال العربية في أيدي أصحابها من الريع في السوق المالية العالمية • يساعد على هذا الاتجاه عدم وجود أى رقابة على الصرف ، وضيق فرص الاستثمار المتاحة محليا •

فالكويت بحكم ارتباطاتها البريطانية التقليدية ، ومع ضمان سعر صرف الاسترليني ، ينظر باهتمام الى سوق لندن • أما العربية السعودية فتتجه الى البنوك الامريكية • بيد أن الجزء من عائداتها الذى تتلقاه بالاسترليني تحتفظ به في لندن • وفي الوقت الحالي ، تمكن البلدان العربية المنتجة للبترول على تجميع خبرتها في الاستثمار وتختار العملات الاجنبية التي تستثمر فيها وأى المراكز المالية تستخدم • وغالبا ما تلجأ الى السوق المختارة بغير وساطة البنوك السويسرية كما كان الامر في الماضي ، حين كانت البنوك السويسرية تلعب دور الوسيط الاستثماري وتستثمر بدورها المبالغ المودعة لديها في كافة أنحاء العالم •

فالمستثمرون العرب يفضلون التركيز على الودائع قصيرة الاجل ، مما لا يرضى رجال البنوك لسرعة حركتها • كما يركزون على العملات الاوربية والسندات الاوربية ، ولا يفضلون الاستثمار في الاوراق المالية على نطاق واسع ، خوفا من هزات الاسواق المالية الكبرى • ولقد ذهبت بعض الاموال العربية لشراء الاراضي وتنمية الملكيات العقارية • واهتم بعض العرب بالسندات الفرنسية المقومة بالذهب • وعندما يشترون الذهب فانهم يتعاملون غالبا مع البنوك السويسرية •

في الوقت ذاته ، تتدفق الاموال العربية في كل لحظه على السوق المالية العالمية من خلال البنوك المفتوحة في البلدان العربية • فالبنوك الاجنبية تمتلك فروعا في معظم البلدان العربية المنتجة للبترول ، وفي لبنان • وهي تقوم بتجميع الودائع وتوجيهها نحو الدول الاوربية والامريكية ، تمهيدا لاعادة بعضها الى المنطقة العربية في صورة قروض وتسهيلات ائتمانية بالغة التكلفة •

ان السوق المالية العالمية تتغذى يوميا بسيل لا ينقطع من أموال البلدان العربيةالمنتجةللبترول • وفيمايلى أمثلةلاهمها يجرى في هذا الصدد •

اولا ـ ساهمت الدول العربية المنتجة للبترول في توفير السيولة الدولية ودعم موازين المدفوعات للدول الرأسمالية الكبرى وفي مقدمتها أمريكا • ولقد قدمت للبنك الدولى للانشاء والتعمير دفعات متوالية من الاموال لمواصلة مهمته في اقراض البلدان النامية ، ومنها مصر ! كما أودعت استعدادها لتزويد صندوق النقد الدولى ببلغ ٢٤٠٠ مليون دولار • ووافقت السعودية على تقديم ١٠٠٠ مليون دولار سنويا لامريكا في صورة سندات على الخزانة الامريكية ، وقدمت قروضا ومساعدات بالغة الاهمية لفرنسا وانجلترا واليابان • وقد أعلن مسئول في أحد البنوك الامريكية الرئيسية أن المستثمرين والممولين العرب قد منحوا خلال شهور قليلة ماضية قروضا مباشرة لبعض المقترضين الافراد من الامريكيين وصلت الى ٤٠٠ مليون دولار •

ثانيا ـ ساهمت الدول العربية المنتجة للبترول في أن تحقق شركات البترول العالمية ، وبخاصة الشركات الامريكية ، أرباحا مذهلة نتيجة لارتفاع أسعار البترول وضالة الزيادة في تكاليف انتاج النفط العربي الخام • ان تكلفة انتاج برميل البترول تبلغ في دول الخليج ١٢ سنتا ، وفي ليبيا ٤٥ سنتا ، وفي الجزائر ٧٥ سنتا ، بينما تبلغ في الولايات المتحدة ١٫٨ دولارا • وفي مقابل ذلك بلغت أرباح احدى وعشرين شركة بترول أمريكية

١٠ آلاف مليون دولار ، وهو مبلغ يمثل ضعف ما حققته صناعة السيارات الامريكية ، مع أن عام ١٩٧٣ كان أفضل عام بالنسبة لمبيعات السيارات • كما يعادل هذا المبلغ عشرة أضعاف ما حققته صناعة الصلب الامريكية العالمية الصيت • فاذا علمنا أن أرباح شركات البترول الامريكية فى عام ١٩٧٣ كانت ٥٫٨ الف مليون دولار ، تبينا انه بفضل بترول العرب حققت هذه الشركات زيادة فى الارباح الصافية لا تقل عن ٤ آلاف مليون دولار فى عام واحد ! •

ثالثا ـ بعد الاستثمارات العربية المباشرة فى الاراضى والمبانى والاوراق المالية والحكومية ، وبعد الاحتفاظ بودائع ضخمة فى البنوك فى الاسواق المالية الكبرى ، نشرت صحيفة (وول ستريت) الامريكية فى بداية شهر مارس الماضى تقريرا مطولا يكشف عن أن عددا من المؤسسات المالية والمصرفية العربية بدأت سياسة ثابتة لاستثمار أموالها فى البلدان الرأسمالية وبخاصة فى الولايات المتحدة • وقدرت الصحيفة أن يصل الدخل العربى من البترول خلال العام الحالى وحده الى ما بين ٨٥ ألف مليون دولار و١١٠ ألف مليون دولار • وقدرت كذلك أن يستثمر منها فى الاسواق المالية العالمية مايقل عن ٤٠ ألف مليون دولار •

وبعد أن كانت الدول العربية تستثمر أموالها فى شراء سندات حكومية ، أو تودعها فى البنوك وتحصل من ورائها على فوائدها ، تتجه حاليا الى تغيير سياستها التقليدية فى الاستثمار • فالمؤسسات المالية العربية تنوع الان استثماراتها ، وهى بالفعل تدخل الى ميدان الاعمال مباشرة •

● انها تقوم بشراء العقارات والاراضى والفنادق والمبانى السكنية والتجارية ، فى الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا وسويسرا ، وحتى فى ايرلندا •

● وتبدى بعض المؤسسات المالية العربية اهتماما متزايدا بشراء حصص فى رؤوس أموال البنوك والشركات فى الولايات المتحدة وأوربا •

● وتقوم مؤسسات مالية عربية أخرى بمفاوضات للمساهمة فى مشروعات مشتركة فى الولايات المتحدة وغيرها ، وخاصة فيما يتعلق بصناعات البترول والبتروكيماويات •

وأوردت صحيفة (وول ستريت) أمثلة عديدة لما عرضته ، فابرزت مثلا أن شركة الاستثمارات الكويتية قد اشترت جزيرة كيوا الامريكية ، وتقع بالقرب من مدينة شاوستون بولاية جنوب كارولينا ، ولقد دفعت فيها ١٧٫٤ مليون دولار ، وتنوى أن تنفق ١٠٠ مليون دولار لاقامة مشروعات سياحية بالجزيرة • وتقوم الشركة الكويتية نفسها بالاشتراك مع شركة أمريكية بانشاء مجمع هيلتون فى مدينة اتلانتا بولاية جورجيا ، وهو مشروع سياحى ضخم يكلف ٧٩ مليون دولار • وللشركة نفسها استثمارات مماثلة فى أوربا عن طريق الشركة العربية العالمية للاستثمار ومركزها لوكسمبورج ، وهى المؤسس للمؤسسة المالية العربية فى بيروت للتمويل والمقاولات • كما تشارك أيضا فى تأسيس شركتين للملاحة البحرية ، احداهما تعمل فيما بين قبرص وأمريكا ، وتعمل الاخرى فيما بين بريطانيا وأيرلندا •

وأبرزت الصحيفة الامريكية أخيرا أن ليبيا أنشأت بنكا للاستثمار فى الارجنتين ، وأن كلا من أبو ظبى والسعودية تتفاوضان لانشاء مصفاة كبيرة للبترول فى بورتوريكو بالاشتراك مع شركة أمريكية •

الخلاصة

ان الدراسة الموضوعية للاوضاع فى السوق المالية العالمية كفيلة بأن تكشف لنا عن الاتجاهات الاساسية التى تمنينا عند معالجة موضوع الاستثمارات الاجنبية • فلقد خرجنا منها بالنتائج التالية :

أولا ـ لدى الدول الرأسمالية الكبرى استعداد لتصدير بعض الصناعات الدنيا الى البلدان النامية ، وهى الصناعات البسيطة تكنولوجيا ، والكثيفة العمالة بمشاكلها الاجتماعية ، والملوثة للبيئة • وهى على استعداد لتقديم هذا القدر من التصنيع فى اطار معونة مالية وفنية فى مقابل ثمن اقتصادى هو تأمين تدفق المواد الخام الاستراتيجية اليها وفى مقدمتها البترول ، وثمن سياسى هو توطيد معالم التطور الرأسمالى فى البلدان النامية •

ثانيا ـ لدى البلدان العربية المنتجة للبترول أموال ضخمة صالحة للاستثمار ، لكنها بحكم

طبيعتها المضاربة تتجه فى الوقت الحالى للاستثمار فى السوق المالية العالمية بحثا عن توظيف مجز أو استثمار حقيقى . ومثل هذه الاستثمارات المكسبة تعتمد فى حركتها على آليات التعامل فى السوق الرأسمالية العالمية ، وهى آليات يحكمها فى الاساس قانون العرض والطلب فى اطار الاقتصاد الرأسمالى . ومن ثم فهى موضوعة بالضرورة فى خدمة الرأسمالية العالمية .

ثالثا ـ من كل هذا يبرز التناقض صارخا بين طبيعة الاموال المطروحة فى السوق الرأسمالية العالمية وبين طبيعة التنمية الاقتصادية التى تحتاج طبعا الى أموال اضافية من الخارج على أن توضع فى خدمة عملية التحرر الاقتصادى من الرأسمالية العالمية . فالتحرر الاقتصادى هو الذى يميز فى النهاية بين تنمية اقتصادية حقيقية وتنمية اقتصادية غير حقيقية . وفى الوقت نفسه فان القاعدة الذهبية الدائمة التى تحكم كل مستثمر اجنبى مازالت هى أن يحقق فى مصر ربحا أعلى مما يحقق لو استثمر أمواله فى خارج مصر . فهذا الربح الاعلى هو فى النهاية هدف الاستثمارات الاجنبية ، وليس فعل الخير ولا نشر الفضيلة .»

٢ الاستثمارات فى مصر : المشاكل والحلول

لمبا بعد هزيمة العدوان الثلاثى فى حرب السويس ، شقت مصر طريق التنمية الاقتصادية المستقلة لبناء اقتصاد وطنى حديث ، يقوم على الصناعة ، ويكسر طوق التبعية المحكم للرأسمالية العالمية . وبالفعل استطاعت مصر أن تسير خطوات حاسمة فى طريق التحرر الاقتصادى ، وان ظلت فى اطار السوق الرأسمالية العالمية . ولقد جاء الاختيار الاشتراكى لطريق التطور اشارة هامة الى ضرورة الخروج أيضا ، فى نهاية الامر ، من السوق الرأسمالية العالمية نفسها . وكان التمويل الاساسى فى ارساء القاعدة المادية للتحول الى الاشتراكية هو على قيام قطاع عام قوى قادر على قيادة عملية التحول ، وعلى نظام تعاونى يستطيع أن يضع حدا للتفتت الذرى للزراعة المصرية ولمشاكل صغار الفلاحين والتخلف الطويل الامد للريف المصرى .

بيد أن قضية التنمية الاقتصادية لم تثبت أن اصطدمت منذ نهاية الخطة الخمسية الاولى برفض هام لاسلوب التنمية المخططة ، ولاهداف التحويل الاقتصادى والاجتماعى المعلنة . وبتدبير من الدوائر الامبريالية المالية ، جرت المحاولات لاعادة مصر الى حظيرة التبعية الاستعمارية من جديد ، واضافت الهزيمة العسكرية اسبابا جديدة الى اسباب تعثر التنمية الاقتصادية . واضطرت الثورة منذئذ لتقديم بعض التنازلات لقطاعات معينة من الرأسمالية الوطنية ، فى صورة رفع مستمر لاسعار بعض الحاصلات الزراعية الرئيسية ، واباحة الاستيراد بدون تحويل عملة ، ووقف الانتقال التدريجى لقطاعى تجارة الجملة والمقاولات الى القطاع العام . ولقد اتيح لهذه القطاعات من الرأسمالية الوطنية أن تنمو فيما بعد نموا كبيرا ، وتكونت اقسام واسعة من الرأسمالية الكبيرة ذات طبيعة مضاربة أو بيروقراطية أو طفيلية ، شرعت تعيد النظر فى المقومات الاساسية للاقتصاد المصرى من اجل غرض سيطرتها الكاملة على المجتمع بأسره .

من هنا توجد التنمية الاقتصادية فى مأزق خطير ، يعبر عن نفسه فى النهاية فى صورة هبوط معدلات الاستثمار . وبدلا من أن لا تقل نسبة الاستثمار عن ٢٠٪ فى المائة من الدخل القومى

السنوى ، بلغت نسبة الاستثمارات فى السنوات الاخيرة ١٠ فى المائة ، ١١ فى المائة . وكان السبب المباشر لذلك ، بالاضافة الى اعتبارات المعركة ، هو عجز المدخرات المحلية ، لا بسبب عجز قطاع الاعمال العام ، ولكن بسبب عدم نمو المدخرات الخاصة التى هبطت الى ٨ فى المائة فقط من الدخل القومى ومن ثم كانت الحاجة تشتد سنة بعد اخرى الى تدفق مالى من الخارج .

وفى عام ١٩٧١ جرت أول محاولة لاستدعاء رأس المال الاجنبى . فصدر القانون رقم ٦٥ للمال العربى والاجنبى . لكن ظروف المعركة لم تتح له فرصة التطبيق . وقبل حرب أكتوبر بقليل ، طرحت التضية من جديد تحت اسم الانفتاح . بيد أن حرب أكتوبر هى التى أتاحت لهذه الدعوة بالفعل فرصة التحقيق .

فالقضاء على أسطورة الجيش الاسرائيلى الذى لا يقهر بفضل فدائية ورقى الجندى المصرى ، وانفجار أزمة الطاقة فى الغرب نتيجة لحصر استخدام سلاح البترول العربى ، قد جعلا للرأسمالية العالمية مصلحة فى الاندفاع بأسلوب جديد نحو المنطقة العربية ، بهدف الاستفادة من مكانة مصر بين العرب ، لضمان استمرار تدفق البترول الى السوق الرأسمالية العالمية .

هكذا ، بفضل حرب أكتوبر ، لاحت بارقة تشير الى امكانية حل مشكلة تمويل التنمية الاقتصادية ، وهى المشكلة التى ازدادت تعقيدا بإضافة اعباء التعمير اليها . والمعروف أن التعمير هو عملية اعادة البناء بعد الحرب . ومع أن الحرب لم تنته بعد ، فلقد وضعت قضية تعمير منطقة القناة موضع التنفيذ . وعلى أى حال ، فالهم هنا هو أن قضية التعمير فى مصر لا يمكن أن تطرح على النحو الذى طرحت به فى بلاد أخرى ، رأسمالية أو اشتراكية . ففى مصر لا يمكن للتعمير أن يطرح الا كجزء لا يتجزأ من القضية الاكبر وهى قضية التنمية الاقتصادية ، التى كانت قبل حرب أكتوبر وما زالت بعدها هى القضية الرئيسية الملحة فى بلادنا . ولا يمكن أن نفصل بحال بين القضيتين ، والا سلكت كل من القضيتين مسارا منفصلا ومتناقضا ، واتخذت لنفسها حلولا مستقلة ومتعارضة ، تكون نتيجتها فى النهاية الحاق أبلغ الضرر بالقضيتين كليتيهما .

وجاءت ورقة أكتوبر فدشنت مرحلة الانفتاح ، وهيأت المناخ لصدور قانون جديد للاستثمار العربى والاجنبى فى شهر يونيه الماضى . ولقد قام مجلس الشعب فيما بعد بعمل ديمقراطى سليم عندما نشر أخيرا مجموعة الاعمال التحضيرية للقانون ، فوضع بين أيدينا وثيقة من مناقشات لجانه واعضائه ، لا شك انها تلقى ضوءا مفيدا على هذا القانون الذى يعتبر أخطر ما أصدره مجلس الشعب من قوانين .

مجالات الاستثمار الاجنبى

فطبقا للقانون الجديد أصبحت جميع المجالات مفتوحة أمام الاستثمار الاجنبى : التصنيع الخفيف والتقيل ، التعدين ، الطاقة ، السياحة ، النقل بما فيه النقل الداخلى ، استصلاح الاراضى واستزراعها ، تنمية الانتاج الحيوانى والثروة المائية ، الاسكان فوق المتوسط والادارى ، مشروعات الامتداد العمرانى ، شركات الاستثمار ، بنوك الاستثمار وبنوك الاعمال ، شركات اعادة التأمين بالعملات الحرة ، البنوك التجارية بالمشاركة مع رأسمال محلى مملوك لمصريين لا تقل نسبته عن ٥١ فى المائة . ثم يضيف القانون الى المجالات السابقة عبارة [وغيرها من المجالات] ، بحيث يصبح التعداد السابق تعدادا على سبيل المثال لا الحصر . ولهذا فان جميع مجالات النشاط الاقتصادى مفتوحة أمام رأس المال الاجنبى .

من هنا ، أصاب القانون بالتعديل عددا من المقومات الاساسية لاقتصادنا .

● فقد فتحت مجالات التصنيع والتعدين أمام رأس المال الاجنبى . والميثاق يوجب [أن تكون الصناعات الثقيلة والمتوسطة والصناعات التعدينية فى غالبيتها داخلة فى اطار الملكية العامة للشعب . واذا كان من الممكن ان يسمح بالملكية الخاصة فى هذا المجال فان هذه الملكية الخاصة يجب أن تكون تحت سيطرة القطاع العام الممثل للشعب وفى ظله] .

● فتحت مجالات البنوك واعادة التأمين أمام رأس المال الاجنبى ، وكان الميثاق يوجب [أن تكون المصارف فى اطار الملكية العامة ، فان المال وظيفة وطنية لا تترك للمضاربة او المقامرة ، كذلك فان شركات التأمين لابد أن تكون فى اطار الملكية العامة

صيانة لجزء كبير من المدخرات الوطنية وضمانا لحسن توجيهها والحفاظ عليها] .

● فتح مجال الاستيراد امام مشروعات الاستثمار الاجنبي . فالقانون يسمح لها بان تستورد دون ترخيص بذاتها او عن طريق الغير ما تحتاج اليه اقامتها ثم تشغيلها من مستلزمات انتاج ومواد وآلات ومعدات وقطع غيار ووسائل نقل . وكان الميثاق يوجب [ان تكون التجارة الخارجية تحت الاشراف الكامل للشعب . وفي هذا المجال فان تجارة الاستيراد يجب ان تكون كلها في اطار القطاع العام] .

ولقد تدفقت بالفعل مئات المشروعات على البلاد . وحتى منتصف فبراير ١٩٧٤ ، كانت هيئة استثمار المال الاجنبي قد تلقت عروضا بالاستثمار تمثل ٢٢٣ مشروعا تبلغ رءوس اموالها ١٧٣٫٥ مليون جنيه . لكنها بعد المناقشة لم تقبل منها سوى ٥٦ مشروعا برأسمال يبلغ ١٣٥ مليون جنيه . ومرة اخرى ، فقد كانت في المجالات الثلاثة المألوفة : مشروعات سياحية برأسمال ٥٤٫٥ مليون جنيه ، ومشروعات بلاستيك برأسمال ٤٣ مليون جنيه ، ومشروعات اسكان برأسمال ٢٨ مليون جنيه ، فهل كانت السياحة والبلاستيك والاسكان هي المجالات التي تتحرق شوقا اليها تنمية الاقتصاد المصري ؟ ولحسن الحظ فلم ينفذ شيء منها . وفي منتصف مايو ١٩٧٤ ، قبلت الهيئة ١٤ مشروعا للاستثمار الاجنبي لم تكن افضل بكثير عما سبقها . فالى جانب بعض الصناعات الاستهلاكية الصغيرة [الاحذية ، الاثاث] كانت توجد مشروعات السياحة [من الفنادق الى حوض سباحة على النيل] ، وبجانبها جميعا مشروعات الاسكان المألوفة . وفيما بعد صدور القانون ، شهدت البلاد نوعا من الغزو الخارجي : كثير من المشروعات المشبوهة والمشروعات الوهمية والمشروعات الاستغلالية الصارخة ، وقليل من المشروعات الجادة . محاولات كثيرة لبيع وتسويق الالات الراكدة والتكنولوجيا التي صارت متخلفة ، وعروض قليلة لمشروعات مشتركة نافعة في الصناعة والاسكان والسياحة ، وافقت عليها الهيئة وبلغت قيمتها ١٠٠ مليون جنيه فقط . واعتمدت عليها الخطة الانتقالية حتى نهاية عام ١٩٧٥ ، من جملة استثمارات مطلوبة تبلغ ١٩٨٠ مليون جنيه .

ضمانات وامتيازات الاستثمار الاجنبي

والواقع أن المشروعات الاجنبية لم تعد تعوزها الضمانات والامتيازات كيما تتدفق ، فلقد اغدق عليها القانون حماية تجعل منها اقتصادا قائما بذاته داخل اقتصادنا القومي ، متميزا ليس فقط عن القطاع العام بل وعن القطاع الخاص نفسه .

١ ـ لا يجوز تأميم المشروعات الاجنبية او مصادرتها او فرض الحراسة على اموالها .

٢ ـ تعتبر المشروعات الاجنبية من شركات القطاع الخاص أيا كانت الطبيعة القانونية للاموال المساهمة فيها .

٣ ـ لا تسري عليها تشريعات ولوائح وتنظيمات القطاع العام والعاملين فيه ، ولا تخضع لنظام انتخاب ممثلي العمال في مجال الادارة ولا لنظام توزيع الارباح على العاملين .

٤ ـ بالاضافة الى اباحة الاستيراد ، يكون للمشروع الاجنبي حق فتح حسابات بالنقد الاجنبي ، يستخدمها دون اذن او ترخيص خاص ، لدفع قيمة وارداته السلعية والاستثمارية والمصروفات غير المنظورة وسداد أقساط القروض الخارجية وفوائدها ولاداء غير ذلك من المصروفات اللازمة للمشروع .

٥ ـ تعفى المشروعات الاجنبية من الضريبة على الارباح التجارية والصناعية وملحقاتها ، وتعفى الاسهم من الدمغة ومن الضريبة على ايرادات القيم المنقولة وملحقاتها لمدة خمس سنوات ، يمكن أن ترفع الى ثماني سنوات .

٦ ـ يجوز اعفاء الالات والمعدات ووسائل النقل اللازمة للمشروع الاجنبي من الضرائب والرسوم الجمركية وغيرها من الضرائب والرسوم .

٧ ـ تعفى من الضريبة العامة على الايراد كافة الارباح الموزعة بواسطة المشروع الاجنبي بحد أقصى ٥ في المائة من قيمة حصة الممول .

٨ ـ تعفى الفوائد المستحقة على القروض الخارجية التى يعقدها المشروع الاجنبى من جميع الضرائب والرسوم .

٩ ـ لا تخضع مبانى الاسكان الادارى وفوق المتوسط التى يقيمها الاستثمار الاجنبى لنظام تحديد القيمة الايجارية .

١٠ ـ يسمح للخبراء الاجانب العاملين فى المشروع الاجنبى بتحويل حصة من الاجور والمرتبات والمكافآت لا تتجاوز ٥٠ فى المائة من مجموع ما يتقاضونه .

١١ ـ للمشروع الاجنبى اعادة تصدير رأس المال المستثمر بعد مضى خمس سنوات من استثماره ، وله تحويل عائده بالكامل الى الخارج فى حالات معينة ، وتحويل أرباحه فى حدود صادراته فى حالات أخرى .

وهكذا يتضح كيف أن نظام الاستثمار الاجنبى سوف يشكل بمشروعاته اقتصادا قائما بذاته داخل الاقتصاد القومى . ويغض النظر عن تخلى الدولة فى القانون عن بعض حقوق سيادتها على المشروعات الاجنبية ، وبخاصة نتيجة لاعفائه من كافة قوانين مرحلة التحول الاشتراكى من حيث الملكية والنشاط والادارة والعمالة والارباح والاستيراد والنقد الاجنبى ، فان هناك ملحوظتين على جانب كبير من الاهمية تتقزان امام عيوننا ، وهما :

اولا ـ ان رأس المال الاجنبى الذى بدأ يتجه طبقا لمصالحه هو نفسه نحو القبول بتسنيع معين للبلدان النامية ، انما يأتى بغرض الربح والربح الاعلى ، مما يمكن أن يعرض الاقتصاد القومى لهزات الاقتصاد الراسمالى عالميا ومحليا . فالراسمالية العالمية هى التى تتحكم فى اسعار المواد الاولية ، واحتكارها شبه مطلق فى تحديد أسعار المنتجات الصناعية من آلات انتاجية وسلع وسيطة واستهلاكية . وفى الوقت نفسه ، يبدو الخطر واضحا من تحول المشروعات الاجنبية الى وسيلة لتصريف موارد البلدان النسنية الى الخارج ، بعبارة أخرى وسيلة لاستنزاف الفائض الاقتصادى الذى يعتمد عليه الامل فى استمرار التنمية الاقتصادية وتحسين مستوى معيشة المواطنين .

واخيرا يبدو الخطر من احتمال تحول القطاع الاجنبى داخل الاقتصاد القومى الى قائد قطاع ، لا بحجمه ولكن بنوعيته ونفوذه . ومن ثم يسعى لتكون له كلمته فى السياسة الاقتصادية والمالية للدولة . وبذلك يتخطى حدود حجمه الذاتى .

ثانيا ـ ان الحماية التى يتمتع بها القطاع الاجنبى سيتمتع بها رأس المال المحلى الذى يستطيع ان يلعب نفس الدور ، أو الذى يستطيع أن يشارك رأس المال الاجنبى . فمن المتميز الصارخ فعلا أن يقتصر التبتع بكل الضمانات والامتيازات على المستثمر الاجنبى ويحرم منها المستثمر المصرى المماثل . ومن ثم سوف تتميز عن القطاع الخاص تلك الفئات المحلية القادرة على مشاركة رأس المال الاجنبى أو مجاراته . ومن هنا أهمية تلك الكلمة السائبة . **للدكتور محمود القاضى** فى اللجنة التحضيرية للقانون : [كنا فى فترة سابقة نجعل دور القطاع الخاص فى الاعمال محدودا ، بينما نوسع دور القطاع العام . أما الان فاننا أخشى على القطاعين العام والخاص من منافسة المشروعات المستثمرة] .

أشكال الاستثمار الاجنبى

فى ندوة عقدتها جمعية الاقتصاد السياسى والتشريع والاحصاء فى شهر يونيو ١٩٧٤ ، جاء فى اقوال السيد **مصطفى كامل مراد** عضو مجلس الشعب أن [وزير التعاون الاقتصادى فى المانيا الغربية قال لى : لانستطيع أن نأتى الا بالمشاركة مع القطاع الخاص المصرى . رأس المال لا يأتى بمفرده وانما يأتى مع نشاط قطاع خاص فى مصر] .

وبالفعل صدر قانون الاستثمار الاجنبى وهو ينص على أن توظيف المال المستثمر انما يتم فى صورة مشاركة مع رأس المال المصرى العام ، أو الخاص . فلقد صارت المشاركة هى مطلب الراسمالية العالمية عندما تستثمر اموالها فى البلدان النامية الهلة ، وذلك كيما تفيد من الوضع الممتاز الذى تتمتع به الرأسمالية المحلية . وهذه الراسمالية المحلية بدورها تتخذ من مقدم رأس

المال الاجنبى وتمتعه بامتيازات وضمانات هامة فرصة للتمتع بالمزيد من النفوذ ، أولا بسبب المساواة بين الرأسمالية المحلية والرأسمالية الاجنبية ، وثانيا بحكم المشاركة فى المشروعات الاجنبية التى يمكن أن تكون بدورها قطاعا قياديا بحكم نوعيته ونفوذه . وهو ما اشار اليه فى الندوة المذكورة السيد حسن زكى رئيس بنك القاهرة ، حين ادلى بملحوظة بالغة الاهمية . قال : [لا نستطيع أن نتجاهل أن البنك الاجنبى له اغراض سياسية . يدخل السوق ويعطى السلف لناس قد لا يستحقون السلف . يفعل ذلك ليربط نفسه بناس أو شخصيات لها مناصب فى الدولة] . من هنا يبدو خطر أن تتم التنمية الاقتصادية المنتظرة — ولو فى حدود الاستثمارات الاجنبية — لحساب فئة خاصة من فئات المجتمع هى فئة الرأسماليين والمديرين والاعوان ، لتشكل رأسمالية كبيرة وثيقة الصلة بالرأسمالية الاجنبية .

وعلى سبيل المثال ، تباسم تشجيع الاستثمار الاجنبى ، سارعت هذه الرأسمالية المحلية بالطبقة بجملة من الطلبات تشكل مناخا معينا ، طالبت بانشاء شركات مساهمة سريعة العائد يشترطونها القطاع العام ، أن تكون كلها من القطاع الخاص ، وبيع الاوراق المالية والاسهم لبعض شركات القطاع العام الناجحة لتحريك بورصة الاوراق المالية ، واباحة الاستيراد تماما للقطاع الخاص ، والغاء الرقابة على النقد الاجنبى ، ومنح القطاع الخاص نفس مزايا القطاع العام . ومن أجل تهيئة المناخ المطلوب للاستثمار الاجنبى ، تمت بالفعل تصفية الحراسات وصدر قانون التوكيلات الاجنبية الذى يبيح اعمدة الوكالات التجارية الى القطاع الخاص .

وبالفعل اصبح من حق القطاع الخاص حرية استيراد مستلزمات الانتاج ، واعداد حملات الاعلان لترويج صادراته ، والاحتفاظ بحصيلة صادراته بالنقد الاجنبى ، وله حرية استخدامها . بيد أن حرية الاستيراد هذه لم تجلب آلات ولا مواد خام فى الاساس ، وانما جلبت سلعا وادوات استهلاكية وغذائية وترفيهية ، بحيث اصبحت فى بعض الاحيان تهدد بوقف نشاط عدد من وحدات القطاع العام [مثل الالبان الصناعية] وتهدد صغار المنتجين والحرفيين الذين لا يجدون خاماتهم ومعداتهم الا فى السوق السوداء ، وتهدد جمهرة المواطنين الذين يشهدون الارتفاع المريع والمضطرد لاسعار كل شىء .

ومهما تكن خطورة المشاركة ، فهى امون فى النهاية من انفراد المشروع الاجنبى وحده بالاستثمار . ومع ذلك فالقانون يجيز فى الواقع انفراد المستثمر الاجنبى فى جميع الاحوال . فهو يجيز انفراد راس المال الاجنبى فى مجالات بنوك الاستثمار وبنوك الاعمال متى كانت مشروعات تابعة لمؤسسات مركزها الرئيسى بالخارج ، وهو ما سيتم بالفعل . ثم يجيز القانون الانفراد ايضا فى كافة المجالات الاخرى ، بقرار من الهيئة يصدر باغلبية ثلثى اعضاء مجلس ادارتها . وبذلك تنفرد الهيئة فى الواقع بسلطة تقديرية خطيرة الشان .

اعادة النظر فى مبدأ التخطيط

من كل ما سبق ، يتضح أن قطاع الاستثمارات الاجنبية ، بأجانبه ومصريه ، سوف يكون قطاعا رأسماليا لا يخضع لتخطيط الدولة . ولقد اعلن ذلك بصراحة ممثل الحكومة فى مناقشات اللجنة التحضيرية الدكتور شريف لطفى ، قائلا انه [لو ربطنا الاستثمار بمشروعات مدرجة فى الخطة فلن يتحقق الهدف من قانون الاستثمار] ، ولذلك يكفى فى رايه أن يقال بأن يتم الاستثمار الاجنبى [فى اطار الخطة] . ومن هنا رفضت كل محاولة لربط بين قانون الاستثمار وقانون الخطة العامة للدولة . ومعنى ذلك أنه لا يوجد فى الواقع ما يربط بين المشروعات الاجنبية والخطة العامة للدولة . يؤكد هذا المعنى أنه لا توجد بالفعل خطة عامة بمشروعات محددة ، وأن مشروعات القطاع الخاص لا توجد بالخطة اصلا ، ويحكم القانون يعتبر الاستثمار الاجنبى من القطاع الخاص .

اذن فهناك قطاع جديد لا يخضع للتخطيط بالمرة . ومعروف أن التخطيط نظام للتحكم فى اتجاهات نمو الاقتصاد القومى . واذن فلا تحكم فى اتجاهات نمو القطاع الاجنبى . واذن فهناك تخلى عن مبدأ التخطيط بالنسبة له . ومن ثم يفتح المجال أمام قوى السوق لكى تحكم حلقاته الاقتصادية . وعندما تصبح مدينة بور سعيد باكملها ، على سبيل المثال ، منطقة حرة ، لا شأن لها بخطة الدولة ، فما هى علاقة اقتصاد بور سعيد باقتصاد مصر ؟ وعندما تعمل البورصة ، وهى

ارتى اشكال السوق الحرة ، فى القاهرة والاسكندرية ، للاوراق المالية وللبضاعة وبخصة القطن وللعملة الاجنبية ، فان المسألة لا تصبح مجرد قطاع اجنبى لا يخضع للتخطيط ، وانما هى عدوى السوق تمتد الى جميع اجزاء الاقتصاد المصرى ، حتى القطاع العام نفسه ، المزوك ليواجه مناقسة مشروعات لا تحكمها خطة الدولة ولا تفيدها التزاماتها ، والذى سوف يتحول التخطيط بالنسبة له الى مجرد توجيهات غير ملزمة . والفلاسفة نفسها ينتهى اليها ويليام سايمون وزير الخزانة الامريكى الذى أعلن عقب زيارته لمصر أنه تأكد من ان استمرار الاتجاه فى مصر للتحول من اقتصاد التخطيط المركزى الى اقتصاد السوق ! .

ومن هنا يخشى أن تصبح السمة الاساسية للتطور الاقتصادى هى اطلاق العنان لقوى السوق وقوانين السوق ، وسيادة قوانين التطور الرأسمالى من قانون العرض والطلب وقانون الربح الاقصى الى قانون التركز وقانون التمركز الى قانون النمو غير المحدود لرأس المال . ومن ثم يطلق العنان بالذات لسيادة السوق السوداء ، وتتلتل قبضة الحكومة على الغلاء ، وينتشر نمط استهلاك طفيلى شديد الوطأة على الحياة الاجتماعية .

اعادة النظر فى الدور القيادى للقطاع العام

ومع اعادة النظر فى مبدأ التخطيط كأسلوب لتوجيه وتحقيق النمو المتوازن للاقتصاد القومى ، تتم اعادة النظر فى الدور القيادى للقطاع العام . لقد بذلت محاولات عديدة لتصفية القطاع العام تصفية جسدية أى تصفية وجود القطاع العام ، بالاندماج والبيع والغاء التأميم الكامل للقطاعات الاستراتيجية فى الاقتصاد القومى . وفى النهاية ، وبعد أن فشلت محاولات التصفية الجسدية الكاملة ، ترك القطاع العام ليواجه المنافسة الرهيبة من جانب القطاع الاجنبى الجديد .

لماذا فشلت محاولات تصفية وجود القطاع العام ؟ لان القطاع العام صار حقيقة اساسية من حقائق الاقتصاد الوطنى ، ولانه ليس من السهل ابدا الغاء القطاع العام . **اولا** – لانه يمثل مكسبا وطنيا أحرز فى النضال ضد مراكز السيطرة الاقتصادية الاجنبية ، ولقد تقرر فى لهيب المعارك الوطنية ابتداء من حريق القاهرة عام ١٩٥٢ ، ومن ثم فمن الطبيعى أن تتعلق به قوى وطنية عديدة ، من بينها الرأسمالية الوطنية نفسها . **ثانيا** – لانه يمثل مكسبا اجتماعيا هاما ، اذ تم القطاع العام منذ البداية على مبدأ التأميم قبل أن يقوم على مبدأ انشاء والتأسيس . واستمر يتطور على اساس التأميم ، على حساب الاحتكارات والمصالح الاستعمارية والرأسمالية الكبيرة . ومن ثم فمن الطبيعى أن تتعلق به القوى العاملة العريضة ومن بينها المثقفون ، وترى فيه املا للتطور نحو الاشتراكية .

لهذا لا يبقى الا القطاع العام – على أن يبقى عاجزا . وذلك بأن يضعف دوره القيادى داخل الاقتصاد القومى ، هذا الدور الذى يتمثل فى السيطرة على الصناعات الاساسية والتجارة الخارجية وتجارة الجملة وكل البنوك وشركات التأمين . فاذا ما فقد القطاع العام سيطرته القيادية فى توجيه التنمية الاقتصادية ، اصبحت القيادة لرأس المال الخاص . لكنها عندئذ تكون لرأس المال الخاص بالاسم ، بينما تنتقل القيادة الفعلية الى ايدى رأس المال الاجنبى .

ماذا نعنى بالدور القيادى للقطاع العام ؟ اننا نعنى به مجموعة من المبادىء المتكاملة وهى :

اولا – التحكم فى المفاتيح الاساسية للاقتصاد القومى ، فى مصادر التمويل وفى الصناعة وفى التجارة الخارجية وتجارة الجملة ، تلك المفاتيح التى تستطيع التأثير بدورها على كافة قطاعات الاقتصاد القومى تأثيرا مباشرا وفعالا .

ثانيا – وجود خطة مركزية قومية ، تشمل جميع قطاعات الاقتصاد القومى ، وتجعل قرارات القطاع العام هى القرارات التى تقود وتوجه وترشد نحو النمو المتوازن للاقتصاد القومى بأسره .

ثالثا – توجيه العلاقات الانتاجية على اختلافها فى الاقتصاد القومى نحو الحد من الاستغلال الرأسمالى وتقريب الفوارق بين الطبقات .

ولذلك من الممكن أن يفقد القطاع العام دوره القيادى فى اكثر من حالة :

اولا – بأن يدخل رأس المال الخاص ، المحلى أو الاجنبى ، ليشارك الدولة فى ملكية القطاع العام

القائم حاليا . فالقطاع العام الذى يتكون مثلا من شركات مختلطة يصبح عندئذ قطاعا رأسماليا ،أو فى أحسن تقدير قطاعا لرأسمالية الدولة . لكن الجديد هنا عندئذ هو فى اقرار مبدأ عودة رأس المال الخاص الى الشركات العاملة التى تمت فى الاساس على التأميم . الجديد كذلك هو فى مبدأ اعتبار أى شركة عامة يدخلها الاستثمار الاجنبى من شركات القطاع الخاص . ومن ثم فهى طريقة سهلة جدا لالغاء القطاع العام .

ثانيا – بأن يسمح لراس المال الخاص ، المحلى والاجنبى ، بالنمو المطلق بلا قيود . وعندئذ يغرق القطاع العام فى بحر من النمو الراسمالى ، بحيث يتحول بالفعل الى جزيرة ملحقة وتابعة لراس المال الخاص ، يقوم بدلا منه بالاستثمارات التى لا يقبل عليها الرأسماليون ، أيا لضخامة الاستثمارات المطلوبة لها أو ليطء توليدها للارباح أو لضآلة عائدها فى النهاية . لكنها مع ذلك ضرورية للنمو الرأسمالى الواسع ، ومن ثم فلا بأس من وجودها فى القطاع العام . ولقد يتولى هذا القطاع عندئذ مهمة اجراء التجارب بدلا من راس المال ، يقتحم المخاطر التى لابد منها ، ويتحمل الخسائر المحتملة ، الى أن ينجح المشروع فيستولى عليه رأس المال الخاص . فكأن المطلوب من القطاع العام هو أن يوضع فى النهاية فى خدمة راس المال !!

ومثل هذا الوضع وارد تماما اذا علمنا انه طبقا لاخر تقارير متابعة الخطة فان انتاج القطاع انما يمثل ٥ر٥٪ فى المائة فقط من جملة الانتاج الكلى ، بينما يمثل القطاع الخاص ٥ر٤٥ فى المائة منها . فالمسافة قريبة بين القطاعين .

هذا أخشانا لذلك التخلى عن مبدأ التخطيط بالنسبة للقطاع الاجنبى ، والنمو الرأسمالى الذى تشهده البلاد حاليا ، والمتوقع أن يزيد فى المستقبل ، فان الدور القيادى للقطاع العام يصبح فى خطر . ان الخطر يتهدد بالفعل دور القطاع العام كقطاع قائد ، أى كقطاع غالب يقود التنمية الاقتصادية فى طريق لا رأسماليا يمكن ان يفضى مستقبلا الى الاشتراكية .

اعادة النظر فى الطريق اللارأسمالى

من هنا ، فلابد أن يطرح السؤال الذى يفرض نفسه عن ماهية طريق التطور الذى نسلكه ، فمنذ اجراءات يوليو ١٩٦١ التى وجدت صيغتها النظرية فى الميثاق الوطنى ، أصبح الاتجاه المعلن لبلادنا هو الاتجاه فى طريق التطور اللارأسمالى ، وهو الطريق الذى اطلق عليه أحيانا اسم الطريق «الاشتراكى» . ومن شأن الطريق اللارأسمالى أن يقطع الطريق بالفعل على التطور الرأسمالى غير المحدود أى أن يوقف عمليته تركز وتمركز رأس المال، هى اساس التطور الرأسمالى فى كل مكان «بعبارة أخرى فان الاتجاه فى طريق التطور اللارأسمالى كان يعنى وقف النمو الرأسمالى ، بحيث لا يستطيع رأس المال أن يتطور باستمرار وبحرية . بالطبع لا يلغى الطريق اللارأسمالى علاقات الانتاج الرأسمالية بل تبقى ، تبقى الملكية الرأسمالية ، وتبقى الرأسمالية الوطنية . لكنها تتخذ طابعا انتقاليا ، وتتطور تبعا لذلك فى الطريق اللارأسمالى ، بحيث لا تكون عقبة أو حائلا دون التحولات الاجتماعية الجذرية .

وهكذا بينما يجرى التطور فى الطريق الرأسمالى بشكل عفوى أى طبقا لقوانين الرأسمالية ، فانه فى الطريق اللارأسمالى يحتاج للتطوير الى الاختيار الواعى والقيادة العلمية التى تعمل للتوفيق بين مصالح التنمية الاقتصادية ومصالح الجماهير الشعبية . ويغير ذلك فلا مفر من أن تنمو عناصر الرأسمالية وعناصر رأسمالية الدولة .

ان الطريق اللارأسمالى يفترض فى الواقع شرطين جوهريين : أحدهما سياسى والاخر اقتصادى . أما السياسى فهو السلطة لتحالف من بعض اقسام الرأسمالية الوطنية والفلاحين وصغار المنتجين والطبقة العاملة بقيادة البورجوازية الصغيرة غالبا . واما الاقتصادى فهو عدم الصماح بحرية النمو الرأسمالى ، بل التطبيق على الرأسمالية ، والتحسين المضطرد لاحوال معيشة الجماهير المنتجة . وتصبح المهمة الكلية للطريق اللارأسمالى هى باختصار ارساء القاعدة المادية للانتقال الى الاشتراكية . ومن ثم تصبح القاعدة المادية لهذا التطور اللارأسمالى هى وجود وتدعيم القطاع العام وأقامة قطاع تعاونى انتاجى .

وعندما تطرح مسألة الاستثمارات الاجنبية فى حسابات الدوائر الاستعمارية ، فيجب أن نعلم بصراحة أن فى مقدمة مراميها ازالة القاعدة المادية للتطور اللارأسمالى ، ووقف أى اتجاه نحو الطريق اللارأسمالى ، واستعادة مصر فى اطار

النظام الرأسمالي . ولا شك أن هناك اعتبارات تغرى بنا تلك الدوائر الاستعمارية ، فى مقدمتها هذه الحقيقة التى لا جدال حولها وهى حاجة التعمير والتنمية الاقتصادية الى أموال طائلة . والواقع أنه بدلا من أن تعرض البلاد على نفسها بكابل طبقاتها مستوى من التضحيات تعيد به البناء والتعمير مثلما فعلت شعوب كثيرة قبلنا ، تبدو الطبقات المالكة بالذات وهى التى تبشر بجنيح الرخاء فى الغد القريب غير راغبة فى التحمل بالتضحية المطلوبة . وليس لذلك من معنى سوى تحميل الجماهير الكادحة نفسها بمزيد من الاعباء وعندئذ يصبح الاعتماد على الاستثمار الاجنبى مخرجا سعيدا للجميع .

لكن هذا المخرج ينطوى — ان لم يتدارك — على مخاطر جسيمة سوف تلحق يوما بعد يوم بالاستقلال الوطنى والتنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعى والتطور الديمقراطى للبلاد .

لقد تساءل عدد كبير من اعضاء مجلس الشعب داخل اللجنة التحضيرية لقانون الاستثمار عن معنى القانون ، وهل يعنى الانتقال من اقتصاد موجه الى اقتصاد غير موجه ، هل يعنى الانتقال الى الاقتصاد الحر انتقالا كاملا . وعلى الرغم من الرد الحاسم للسيد مصطفى كامل مراد وهو [لابد من تغيير النظام الاقتصادى] ، فمازال التساؤل قائما مطروحا فى كل مصر .

الخلاصة

ليست المسألة اذن أن تأتى الاستثمارات الاجنبية او لا تأتى . فهى يجب أن تأتى . لكن المسألة هى كيف تأتى ؟ وفى أى المجالات تأتى ؟ وفى اطار أى اتجاه بتطور تأتى . تلك هى المسألة الجوهرية .

لكل هذا لابد من تنظيم دقيق يحيط بقبول الاستثمارات الاجنبية . ومن أجل أن يكون الاستثمار الاجنبى لصالح بلادنا ، لابد أن ينطلق التنظيم من المبادىء التالية :

أولا — عدم المساس باتجاه التطور الذى ارتضته البلاد ، وهو الاتجاه فى طريق التطور للرأسمالى .

ثانيا — عدم المساس بالقطاع العام ولا بدوره على رأس الاقتصاد القومى فى قيادة التنمية الاقتصادية .

ثالثا — عدم المساس ببدأ التخطيط الذى يجب أن يشمل بلا استثناء جميع القطاعات التى يتكون منها الاقتصاد القومى .

رابعا — الاعتماد أولا على النفس فى محاولة لاستغلال كافة مصادر زيادة المدخرات والموارد المحلية ، واعادة توزيع الاعباء الداخلية بحسب توزيع الثروة والدخول .

يقابل هذه المبادىء تنظيم لقبول الاستثمار الاجنبى يتضمن الاتجاهات التالية :

١ — تحديد المشروعات الجديدة للتنمية الاقتصادية التى تتطلب عونا ماليا من الخارج ، على أن يتم التحديد مقدما فى خطة شاملة للتنمية الاقتصادية .

٢ — تفضيل القروض الخارجية على استيراد رأس المال ، حتى تظل الدولة حرة فى استخدامها وحتى تظل ملكية المشروعات للدولة .

٣ — قبول رأس المال الاجنبى بالمشاركة مع الدولة فقط فى كل من المشروعات الصناعية الجديدة التى تتطلب أموالا ضخمة وخبرة تكنولوجية عالية لا تتوفر محليا ، أو التى يكون من شأنها تنمية الصادرات أو احلال الواردات بصورة جذرية ، وفى المشروعات السياحية الكبرى .

٤ — القيام بالمشروعات المشتركة مع رأس المال العربى ، العام أو الخاص ، فى الصناعة أو النقل ، مثلما تم بالفعل بصوره سليمة فى مشروعات صناعية مشتركة مع العراق ، وفى مشروعات انابيب البترول المصرية والاسمدة والاسمنت والسكر مع الكويت والسعودية . ان المستثمرين العرب على استعداد لان يقحموا اموالهم لمشروعات جاهزة مليوسة ناجحة ، مادامت قد أعدتها الدولة اعدادا محدودا فى خطة للتنمية الاقتصادية وهيأت لها أسباب النجاح الاقتصادى والفنى والادارى .

وكل هذا التمجيد انما يعنى فى النهاية ضرورة تعديل قانون الاستثمار الاجنبى ، قبل أن ندفع ثمنا غاليا فى مقابل لا .. مجرد لا فى المساعدة فى انجاز تنمية اقتصادية مشكوك فيها .

رأس المال من أجل الانسان العربى

د. عبد الرازق حسن

● التنمية العربية الشاملة ضرورة واجبة

يثور الجدل حول التكامل العربى أو الوحدة العربية منذ انشاء الجامعة العربية ١٩٤٥ . غير أن الخطوات الاقتصادية التى قطعتها البلدان العربية المختلفة تبين الاتجاه الى التباعد بدلا من التقارب . ويبدو أن الاختلافات السياسية والاجتماعية كانت عوامل هامة فى زيادة اربكات التعامل ، أو لعل هذه الاختلافات قد اتخذت ذريعة لتعميق الاختلاف . اذ من الغريب أن يلمس الانسان أن التعامل الاقتصادى بين البلدان العربية ، وبين الدول المعروفة بعدائها للعرب ووحدتهم ، لم يتناقص ، وانه وان لم يتزايد فى بعض البلدان ، فانه يسير على الاقل على وتيرة ثابتة ، وذلك بالرغم من الصراع السياسى الذى كان ينشب من وقت الى آخر بين البلدان العربية وتلك الدول . ولعل اقرب مثل لذلك هو الصراع الاخير ضد الصهيونية وحلفائها ، وما ترتب عليه من قطع البترول عن بعض الدول ، ثم اعادته الى طبيعته بعد رفع الاسعار ، وابقاء الجزء الاكبر من الاحتياطيات النقدية المترتبة على ذلك فى البلدان التى ما زالت هى مصدر الدعم ، بل والبقاء لاسرائيل .

وقد يبرر البعض نقص التعامل – أو لنكون أكثر دقة فتور التعامل – الاقتصادى بين البلدان العربية هو لتشابه فى اقتصاديات تلك البلدان ، وما يعنيه البعض بالتنافس ، بينما أن هناك قدرا أكبر من

التكامل بين البلدان العربية والدول المتقدمة اقتصاديا ، كنتيجة طبيعية لان البلدان العربية تعتمد أساسا على تصدير المواد الخام ، واستيراد المواد المصنعة . غير أن هذا الوضع التاريخى أو المرحلى ، الذى يقوم على أساس التباين الاقتصادى بين مجموعات الدول ، يظل فى وضعه ما لم نقم باتخاذ السياسات التى تؤدى الى تغييره بشكل مادى ، ولا يمكن أن ننكر قيام بعض صعوبات تعترض التنفيذ ، غير أن هذه الصعوبات كثيرا ما تبدو كبيرة اذا نظرنا الى كل دولة عربية ككيان اقتصادى مستقل ، أما اذا اخذنا مجموعة الدول العربية ، كوحدة ، فان جزءا كبيرا من المشاكل يصبح غير ذى موضوع . وما يظل قائما يصبح من الممكن التغلب عليه .

ومع ذلك فان القول بتشابه الاقتصاديات العربية ، وبالتالى الادعاء بتنافسها ، كسند لرفض مبدأ الوحدة الا... عربية قول مردود ، لان الدول العربية ما زالت فى مراحلها الاولى للتصنيع ومشروعاتها صغيرة نسبيا ، وحتى الدول المتقدمة صناعيا فى نطاق المجموعة العربية ، لا تعتبر مشروعاتها الكبيرة أكثر من متوسطة الحجم بالمقاييس العالمية . وليس منها ما يغطى احتياجات المنطقة . وذلك بالرغم من انخفاض حجم الطلب الحالى كنتيجة طبيعية لانخفاض متوسط الدخل والانفاق . ومع ذلك فان أمامنا أمثلة واضحة لعالمية التكتلات الاقتصادية والتعاون حتى بين الدول المتنافسة . فهناك مجموعة الدول الصناعية الرأسمالية فى غرب أوربا ، ومجموعة دول أمريكا اللاتينية ، التى وجدت فى اتخاذها سياسة اقتصادية متساندة - ان لم تكن موحدة - دعمت من مراكزها النسبية بشكل عام ، وهناك مثل الدول المنتجة للبترول نفسها ، التى عملت على توحيد سياستها البترولية وضمنت بذلك أسعارا أفضل مما كانت تحصل عليه فى مرحلة تفككها ، وما نحن أولاء نلمس محاولة مضادة لتجميع الدول الصناعية حتى يمكنها ممارسة الضغط الجماعى ، وتنسيق توزيع الاحتياطيات البترولية ، اذا حدث ما يؤدى الى خفض معدل الاستهلاك ، ويتم هذا مع التنافس العميق الجذور بين الدول الصناعية تلك ، والحروب التى نشأت بينها لفترات طويلة منذ الثورة الصناعية حتى وقت قريب . وقد خبت النعرات الوطنية الضيقة الافق بين تلك الشعوب المتعددة اللغات والاجناس ، ليحل محلها التعاون لتحقيق هدف مشترك . فالقول بالوحدة الاقتصادية العربية ، أو على الاقل التنسيق الاقتصادى العام بين الدول العربية ليست بدعا ، وهى تشغل بقعة متماسكة فى مركز استراتيجى متوسطى العالم ، وقد خضعت لظروف بيئية متشابهة فى تاريخها الطويل ، وتجمعها لغة واحدة ولا أغالى اذا قلت اهدافا واحدة أيضا ، تتلخص فى الاستقلال الاقتصادى والسياسى والتنمية الاقتصادية والاجتماعية .

وحتى لا تغرقنا متاهة التعميم ، لنحدد الظروف والامكانيات المادية للمرحلة القادمة للتكامل العربى ، أو التنسيق الاقتصادى ، بهدف تحقيق قدر أكبر من التكامل الذى يمكن عن طريقه تحقيق الاهداف العامة فى الاستقلال والتنمية ، ومواجهة الضغوط الاقتصادية والسياسية التى لا مفر من التعرض لها نتيجة الوضع العربى المادى بشكل عام .

وحتى تكون الصورة واضحة عند مناقشة موضوع الموارد العربية والتكامل الاقتصادى ، علينا أن نعطى صورة للاطار العام الذى يعيش فيه المجتمع العربى ، والتيارات السائدة فيه وتلك التى تحيط به ، فتؤثر فيه أو تتأثر به ، لان عدم ادراك هذا الوضع يعنى أننا نهيم فى فراغ ، أو نسعى الى مثاليات لا تعبر الا عن أمانى أو مصالح فئة أو مجموعة ما .

المشكلة الاقتصادية العربية والحاجة الى التنمية

ينعكس مظهر المشكلة الاقتصادية فى العالم العربى بشكل عام فى انخفاض نصيب الفرد فى الانتاج ، وانخفاض دخله بالتالى ، بما يترتب عليه تدنى مستوى المعيشة ، وارتفاع معدلات البطالة المستترة والظاهرة المرضية والدائمة ، وضعف التغذية ، والارتفاع النسبى فى معدل الوفيات ، وانخفاض متوسط العمر وما يعنى ذلك كله من اهدار لقدر كبير من الطاقة البشرية ، التى كان يمكن ان تكون ذات فاعلية اكبر ، لتطوير أسلوب الحياة ، والتقدم فى سلم الحضارة ، لو أحسن استغلال الموارد العربية وتوزيعها .

ويقدر نصيب الفرد العربى فى الناتج القومى فى المتوسط عام ١٩٧١ ، بحوالى ٣٥٠ دولارا فى العام ، أى أقل من عشر نصيب زميله فى الدول الصناعية المتقدمة ، ومع ذلك هناك تفاوت ضخم فى متوسط بين كل دولة عربية وأخرى ، وبين فئات كل مجتمع على حدة ، فينخفض الدخل فى المتوسط الى حوالى ١٠٠ دولار فى العام فى اليمن ، ويصل الى أكثر من ٤٠٠٠ دولار فى الكويت ، وذلك قبل الارتفاع الكبير فى الاسعار فى السنة الاخيرة

الذى انخفضت نتيجة له القوة الشرائية للدول العربية التى تعتمد على احتياجاتها من الخارج ، وارتفعت على العكس من ذلك القوة الشرائية للدول المتيسرة الحال منها ، والتى تقوم بالتصدير . فبينما يزداد العجز فى موازين مدفوعات الاولى يتضاعف الفائض فى الثانية . وفى داخل الدول العربية واذا استبعدنا الحالات الشاذة لبعض البلدان نجد أن التفاوت فى الدخول يصل الى ١ الى ٥٠ مع الاعتدال فى التقدير .

ولا يرجع انخفاض الناتج القومى فى البلدان العربية فى المتوسط الى فقر تلك البلدان ، وانما يرجع فى الاساس الى اختلال التوازن فى توزيع الموارد ، وتشتتها فى شكل يكاد يحيط بكل منها سياج من صنع الاوضاع القائمة ، المورثة او المفتعلة ، ولا تجمعها وحدة منظمة ، أو تربطها خطة عامة . وحتى تكون الصورة أكثر وضوحا ، يمكن أن نذكر بعض الحقائق : عدد سكان العالم العربى فى ١٩٧٣ يصل الى حوالى ١٤٠ مليون نسمة ، يشكلون ٣٫٦ فى المائة من مجموع سكان العالم ، ويعيشون فى مساحة تقدر بعشر مساحة المعمورة . وتترابط الدول العربية فى وحدة متصلة من الارض ، فى بقعة تتميز بمركزها الاستراتيجى المتوسط بين الشرق والغرب ، بين الهالين القديم منه والجديد . وتطل لجزاء كبيرة منها على المياه الدافئة . ولا تفصل بينهما حواجز أو عوائق جغرافية ، أو حضارية (وان تباينت مستويات المعيشة) ، بل يضمها تاريخ مشترك ، ولغة واحدة ، وهدف لا نغالى اذا قلنا انه واحدة .

وتتوفر فى العالم العربى الامكانيات المادية ، ولا تعوزه الطاقات البشرية ، وهى التى يمكن عن طريق تفاعلها تحقيق التنمية واحراز التقدم . وليس هناك من بأس فى أن نورد بعض هذه الامكانيات التى لا اشك فى اننا ندركها جميعا ، وذلك للتذكرة والتأكيد ، . بل أن ما يعوزنا هو السياسة الموحدة ، وارادة التنظيم ، التى يستدعيها تفهم عام للحاضر ، وشكل المستقبل ، والثقة فى أن نمو العالم العربى ككل هو الضمان الوحيد ، ليس لنهضته فحسب ، وانما لانه ايضا ، بسبب التباين الذى نلمسه بين الدول العربية ، والفردية فى اتخاذ القرارات الاقتصادية ، تؤدى الى اضعافها بشكل عام ، مهما كانت القرارات السياسية التى تتخذ ذلك لان القرار السياسى السليم هو الذى ينعكس عن ادراك اقتصادى .

فاذا رجعنا الى الخامات المعدنية ، نجد مثلا أن خام الحديد يتوفر فى دول المغرب العربى ومصر ، والزنك والقصدير فى الدول الاولى ، والفوسفات فى المغرب والصحراء المغربية والاردن ومصر ، والمنجنيز والطلق فى مصر ، والكبريت فى العراق ، والبترول فى السعودية ودول الخليج العربى والجزائر وليبيا والعراق ومصر وسوريا ، والغاز الطبيعى فى الجزائر والكويت ، وتكثر الاسماك فى شواطىء البلدان المطلة على الخليج العربى والمحيط الهندى ، وتتوفر الثروة الحيوانية فى السودان والصومال ، ومن المحاصلات الزراعية نجد القطن طويل التيلة يزرع بكميات وافرة فى مصر والسودان واليمن ، كما تزرع فى محاصيل المناطق الحارة والمعتدلة فى مختلف أجزاء الوطن العربى (يمتد من خط الاستواء الى خط عرض ٣٧٫٥ شمالا) . من أرز وقصب السكر ، الى الخضر والفاكهة ، الى الحبوب والبذور الزيتية بمختلف أنواعها .

وبالرغم من أن بعض هذه الموارد يستغل الاستغلال الامثل فى بعض المناطق كمصر كنتيجة للضغط السكانى وتوفر الكفايات الفنية فيها ، فاننا نجد ان بعضها الاخر يستغل بطريقة استغلالية خطيرة يخشى من اثرها فى المدى الطويل . وذلك نتيجة لتحكم الشركات الاحتكارية فيها كالبترول فى السعودية ودول الخليج . بينما نجد أن بعض الموارد الاخرى لا تستغل الا بالقدر الضئيل ولا ينعكس اثرها على مستوى الحياة الا بشكل بافت ، كالثروة الحيوانية فى السودان والصومال وذلك نتيجة لضعف المواصلات .

ويمكن أن نلمس تفاوتا واضحا فى التركز السكانى ، وضيق المساحة المنزرعة فى بعض المناطق ، وخفة السكان وانتشارهم فى مساحات شاسعة غير مستغلة فى مناطق اخرى .

والمحصلة النهائية لهذا الوضع ، هو ما نلمسه من وجود تباين فى علاقة الدول العربية بعضها بالبعض ، وفى علاقاتها بالعالم الخارجى ، فنجد مثلا أن صادرات الدول العربية بينها وبين بعضها تتعدى ٥ فى المائة فى سنتى ٧٠ ـ ١٩٧١ [أقل من نصف فى المائة فى الجزائر وليبيا وتصل الى ٥ر٦ فى المائة فى الاردن) مقابل ٧٠ فى المائة مع الدول المتقدمة اقتصاديا ، ١٧ فى المائة مع الدول النامية ، ٨ فى المائة مع مجموعة الدول الاشتراكية . وبلغت نسبة وارداتها من بعضها فى هاتين السنتين ٧ فى المائة (أقل من نصف فى المائة للمغرب ، ٣٠ فى المائة للبين الديموقراطية) مقابل ٦٧ فى المائة مع الدول المتقدمة اقتصاديا ، ١٢ فى المائة مع الدول النامية ، ومثلها مع الدول الاشتراكية .

ويبدو من دراسة الميزان التجارى للدول العربية مع الخارج أنه حقق فائضا يقدر فى مجموعه بحوالى ٨ مليار دولار فى ١٩٧٣ مقابل حوالى ٢ مليار دولار فى ١٩٦٦ . الا أن الوضع الاقتصادى العام فى الدول العربية لا يمكن القول بأنه تحسن بدرجة ملموسة ، لان الزيادة فى ميزان دول الفائض كانت تتحول فى الغالب الى استثمارات لتنشيط الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية فى الدول المتقدمة اقتصاديا ، بينما كان على الدول التى تواجه عجزا ، وهى فى الغالب التى تعمل جاهدة لتحقيق قدر ما من التنمية ، أن تغطى هذا العجز بتسهيلات ائتمانية وقروض من الدول المتقدمة اقتصاديا ، ذات فائدة أعلى من تلك التى تحصل عليها الدول ذات الفائض . ويتوقع الجدل حول انخفاض معدل التنمية فى الدول العربية ، والذى يتراوح بين أقل من ١ فى المائة و ٦ فى المائة سنويا . ويتسبب ذلك فى الاساس الى قلة الاستثمارات فى الوقت الذى تشير فيه احصاءات صندوق النقد الدولى الى أن الاحتياطيات النقدية لعشر دول عربية فقط بلغت فى يونيو ١٩٧٤ ٥٣ر١٥ مليون وحدة من حقوق السحب الخاصة (١٨ر١٩٥ مليون دولار) مقابل ٤ر٢٦٥ مليون وحدة ح.س.خ. فى ديسمبر ١٩٧٠ . كما تشير تلك الاحصاءات أيضا الى أن قيمة مساهمة الدول العربية فى صندوق النقد الدولى بلغت فى ٣١ أغسطس ١٩٧٤ ٥٠٨٨ مليون وحدة من ح . س . خ . بينما لم تتعد مسحوباتها من الصندوق فى مجموعها مبلغ ٢٠٤ مليون وحدة .

فالمشكلة الاقتصادية للعالم العربى اذن لا تكمن فى ندرة فى الموارد أو الامكانيات ، بقدر ما هى فى سوء توزيع هذه الموارد والامكانيات من ناحية ، وعدم وجود خطة عامة لحسن استغلالها من ناحية أخرى .

تراكم الارصدة النقدية واستغلالها بين الدول العربية وتلك المتقدمة اقتصاديا

تكررت مطالب الاقتصاديين العرب لسنوات طويلة بضرورة وجود خطة عامة للتنمية العربية ، للقضاء على التعارض الاقتصادى الذى كان يخشى من نتائجه مع الوقت . ولضمان وجود قدر أكبر من الاستقرار الاقتصادى ، والارتفاع بمستويات المعيشة . غير أن هذه المطالب كانت تنقد بأنها غير عملية ، أو أن الهدف منها هو امتصاص الفوائض المتراكمة لدى بعض البلدان العربية ، والتى كانت تجد طريقها الى البنوك الاجنبية فى شكل حسابات جارية ، أو ودائع قصيرة الاجل . حتى اذا كانت الازمات النقدية التى حلت بالعالم الغربى منذ أوائل ١٩٦٧ ، واخذت قيمة الدولار كالدولار والاسترليني والفرنك الفرنسي والليرة الايطالية تتدهور ، قامت الضجة فى الاوساط المالية ، وبالاخص فى الولايات المتحدة تتهم الدول العربية ذات الاستثمارات المالية فيها ، بأنها هى المتسببة فى التيارات التى تهدد بقيمة العملات نتيجة سيولتها ، وتحركها وراء الفائدة العالية من سوق الى أخرى ؛ وتجاهلت هذه الاتهامات العنصر الاساسى لتدهور قيمة العملات وهو التضخم . وأن الحركات الكبيرة للاموال السائلة ليست الا نتيجة مباشرة لتذبذب قيمة النقد ، هذا فضلا عن أن حرية التحويل هى من العناصر الاساسية التى ركزت عليها الولايات المتحدة لسياسة النقد العالمية بعد الحرب العالمية الثانية ، بالرغم مما كان فى تلك السياسة من خطورة على البلدان التى كانت تعيد تعمير ما خربته الحرب ، والبلدان النامية ، حديثة الاستقلال . ودبجت المقالات ونشطت اجتماعات رجال المال مؤيدة لوجهة النظر الامريكية والتى حددت الحل فى ضرورة تجميد الاموال حيث هى ، وعدم السماح بتحرك ما يمكن تحريكه منها الا حسب الحاجة المالية والاقتصادية للدولة المودعة . وتقدم البعض بالقتراحات أن تشارك هذه الاموال فى مشروعات تنمية مختلفة فى الدول التى توجد فيها ، وهو ما يعنى باختصار تجميد هذه الاموال ، وخضوعها لسيطرة الدول الكبرى . وكانت بريطانيا قد عملت فى منتصف ١٩١٨ على فرض تفوذها على بعض الدول المودعة لديها - بعد تدهور سعر الاسترليني فى أواخر ١٩٦٧ - لتقبل تجميد حساباتها بالاسترليني مع ضمان الاحتفاظ بالقيمة التبادلية مع الدولار (حينما عرضت أحدى الدول أن يكون هذا الضمان ، بالقياس الى الذهب ، (رفض عرضها) ، وكان يعنى انخفاض قيمة الدولار بعد ذلك وتعويم الاسترليني ، انخفاض القيمة الحقيقية لتلك الودائع المضمونة . وزادت الضجة بشكل أضخم حينما رفع سعر البترول ، وأخذت لوحدة الدول المنتجة له تتضخم ، فتوالت اجتماعات كبار المسئولين فى الدول الغربية لتحديد طريقة توزيع هذه الاموال المتزايدة ، قبل أن تجد طريقها الى مجالات لا يرضاها القائمون على سياسة واقتصاديات تلك الدول .

وتشير الصحف الى عرض دكتور كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة لمشروع يقضى بانشاء بنك فى شكل بنك للتسويات يستقبل حوالى

٢٥ مليون دولار سنويا ، من الاموال العربية فى البنوك الامريكية والاوربية ليعاد توزيعها بين الدول المتقدمة صناعيا التى تواجه عجزا فى موازين مدفوعاتها ، ويتم الاشراف عليه عن طريق حكومات تلك الدول ، كما تشير الى اقتراح آخر لوزير مالية بريطانيا يتلخص فى تكوين رصيد مستوى قدره ٣٠ مليون دولار من فوائض الاموال العربية ليشرف على توزيع التسهيلات منه صندوق النقد الدولى • وفى نفس الوقت نلاحظ أن الحملة لا تتوقف ضد الدول العربية المنتجة للبترول ، وتحميلها مسئولية المشاكل المالية العالمية ، ومشاكل الغلاء ، بل ومشاكل المجاعات التى تجتاح بعض أجزاء العالم النامى •

وفى بحثها عن مجالات الاستثمار كان تركيز الدول العربية المنتجة للبترول ذات الفائض الكبير على الدول الغربية ، من شراء الاراضى والعقارات ، الى أسهم بعض الشركات ، مما كان له دور فعال فى تلك الدول بشكل يدعو الى كثير من الحذر • فبمناسبة شراء أبو ظبى لـ ٤٤ فى المائة من أسهم احدى شركات البناء فى لندن بمبلغ ٢٦٠ مليون جنيه استرلينى ، وعرض مكتب الاستثمار الكويتى لشراء صفقة من أسهم شركة « سانت مارتن العقارية » بمبلغ ١٠٧ مليون جنيه ، ثارت بعض الصحف الانجليزية ، وأبدى بعضها خوفا من أن تتيح الاموال العربية الى التحكم فى سوق المال وفى بعض الشركات • وذكرت أحدى الصحف أن حصيلة الكويت مثلا تقدر فى ١٩٧٤ بما يتراوح بين ٢٥٠٠ ، ٢٧٥٠ مليون جنيه استرلينى • وهو أكثر من ضعف قيمة أسهم الشركات العقارية فى لندن ، والذى قدر على حسب أسعار ٦ـ٧ـ٧٤ بحوالى ١٠٠٠ مليون جنيه •

والملاحظ أن عرض شراء من أحدى الدول العربية يؤدى الى ارتفاع كبير فى أسعار الصفقة موضع العرض • كما أشير مثلا الى أن صفقة أسهم الشركة العقارية السابقة التنويه اليها ، ارتفعت عند العرض من ٨٦ مليون جنيه الى أكثر من ١٠٠ مليون جنيه • وتشير احدى الصحف الانجليزية الى أنه نتيجة قيام اشاعة شراء احدى الدول العربية لاسهم شركة « ب • م » ، المحاسبة الالكترونية ، كان هذا كفيلا برفع أسعار أسهمها من ٦٫٧٥ دولار الى ١٨٫٦٥ دولار فى سوق نيويورك • ومن الطريف أن أحد العروض التى قدمت لاحدى الدول العربية هو المساهمة فى تمويل استخراج البترول من بحر الشمال ، كما عرض من قبل على تلك الدولة المساهمة فى تمويل اقامة مشروعات تكرير للبترول وبتروكيماويات فى الولايات المتحدة ، وليس فى أى دولة عربية • وقد تتفق ذهن أصحاب الاموال فى البحث عن وسيلة جديدة لامتصاص ما يمكن امتصاصه من الاموال العربية ، وذلك عن طريق صفقات ضخمة من الاسلحة والطائرات ، فى الوقت الذى تؤكد فيه أنها تريد السلام فى الشرق الاوسط ، وأنها ستحول دون أى عمل يؤدى الى ضرب اسرائيل •

وليس هذا مجال سرد أخبار مختلف الصفقات والتعليق عليها ، وما يهمنا أن نشير اليه هنا أنه لا الاحتفاظ بالاموال العربية فى شكل أرصدة نقدية مقبول فى الدول الغربية ، ولا الدخول فى صفقات لشراء عقارات أو أسهم بعض الشركات يلقى الترحيب ، بالرغم من تأكيد بعض المعلقين الماليين الى أن وجود الاموال العربية فى الدول الغربية هو عنصر هام للاستقرار المالى ، لان تحولها الى قوة شرائية يمكن أن يصيب اقتصاد تلك الدول بالدمار • حقيقة أن هناك مشروعات للاستثمار فى الدول العربية والنامية ، وبنوك وصناديق قد تكونت للتخفيف من أثر ارتفاع أسعار البترول الاخيرة ، ولضمان استمرار التضامن بين دول العالم الثالث ، وأنه قد قدمت معونات وقروض فعلا من الدول العربية البترولية فى هذا المجال ، غير أن ما قدم حتى الان لا يتناسب ، سواء مع ما تتحمله تلك الدول من أعباء نتيجة ارتفاع أسعار البترول ، أو بالموازنة مع ما يجد طريقه للاستثمار فى الدول المتقدمة صناعيا ، الامر الذى دعا بعض المعلقين الى القول أن الدول البترولية تقوم بشكل لا ارادى باعادة توزيع الموارد لصالح الدول المتقدمة على حساب تلك الدول النامية • وتقدر الاعباء الاضافية على أساس ارتفاع أسعار البترول بحوالى ٧٫٢٥ دولار للبرميل مثلا ، وبمعدل استهلاك ١٩٧٢ ، بالنسبة للدول العربية المستوردة للبترول بحوالى ٣٢٢ مليون دولار • وفى نفس الوقت تقدر الاعباء الاضافية على الدول الافريقية والاسيوية النامية بحوالى ٤٣٠٠ مليون دولار وذلك فى عام ١٩٧٤ • ويقدر مستر سيمون وزير مالية الولايات المتحدة أن فائض الاموال المنتجة للبترول (من ٧٥ الى المائة الى ٨٠ فى المائة منها عربى) فى المدة من يناير ـ أغسطس ٧٤ بمبلغ ٢٥ـ٢٨ مليار دولار ، اتجه ٣ مليارات منها الى سوق الاستراليني ، ٧ مليارات الى الولايات المتحدة ، ومن ١٠ ـ ١٣ مليارا فى شكل ودائع فى البنوك الاوربية • هذا ويقدر قيمة الفائض الذى سيتحقق للدول العربية البترولية خلال عام ١٩٧٤ بما يتراوح بين ٥٠٠ ، ٦٠ مليار دولار ، لا يتصور أن تتمكن أسواق تلك الدول من استيعابها مهما كانت درجة التنمية المطلوبة •

٢ ٣ مجالات للاستثمارات العربية

ان استمرار تراكم الاموال البترولية العربية فى بنوك الغرب ، او استثمار قدر طيب منها فى مشروعات فى الدول الغربية سيثير متاعب لاحد لها للدول العربية . وعليها ان تدرس موقفها ، من وجهة مصالح أجيالها الحاضرة والمستقبلة وضمان الاستقرار لهم ، الذى يتم بشكل منعزل عن الدول العربية ، التى تعتبر بمثابة الدرع لها ، ومصدر القوة الذى ترتكز عليه .

ويمكن أن نحدد مجالات الاستثمار للاموال العربية فى الاتى :

١ ـ استثمارات فى البلدان صاحبة الاموال أصلا .

٢ ـ استثمارات فى نطاق العالم العربى .

٣ـ استثمارات فى بلدان عربية محدودة .

استثمارات فى البلدان صاحبة الاموال

ليس هناك مجال للجدل فى أن البلدان البترولية لها الحق الاول فى استثمار عوائدها البترولية فيها ، وذلك باعتبار أن البترول سلعة استنفادية ، وبعد أن ينضب يصبح مركز السكان حرجا لو لم يعد لهم البديل منذ الآن . ولعل اول مجال للاستثمار يخطر بالذهن فى هذه البلدان هو استعادة السيطرة الكاملة على الاستثمارات الاجنبية فيها ، وبمعنى آخر تأميم تلك الاستثمارات ، والاستعادة بالخبرات الاجنبية كخبرات ليس الا . وهذا الامر يعطى الدول البترولية حرية اكبر فى تكييف اوضاعها ، وتنظيم الاستخراج واستمرار البحث والتنقيب . وقد لا يوافق البعض على هذه الفكرة على اساس أن التبادل والتعاون الدولى افضل من الانغلاق الذى قد يؤدى اليه التأميم ، وتقدم أمثلة لذلك الدول الغربية نفسها ، التى تستثمر اموالها فى الخارج ، وفى بعضها البعض دون حرج . غير أن الامر ليس كذلك بالنسبة لحالتنا هذه ، التى يمكن أن نلمس كيف يثير لنا الاستعمار الاجنبى الكثير من المشاكل ، والتعقيدات السياسية والاجتماعية .

ويحضرنا فى هذا المجال دور شركة نفط العراق فى اثارة الكثير من المتاعب للحكومة . وحتى لا يكون البترول فى تكريره ونقله مجال احتكار للشركات الاجنبية التى يمكن أن تسبب متاعب للدول المنتجة ليس هناك مفر من أن نقيم معامل التكرير ، وتبنى الناقلات ، ولو انه بالنسبة للاخيرة قد يكون من الافضل لو كانت هناك شركات مشتركة بين الدول البترولية لضمان اكبر قدر من كفاية التشغيل » .

واذا كان البترول سيفند بعد مدة طالت أو قصرت ، فمن الجدير بالاهتمام الاسراع فى الدراسات الخاصة بتعلية مياه البحر ، لاسيما بالنسبة للمناطق الواسعة التى يحول نقص الماء بينها وبين الزراعة ، وذلك حتى يمكنها أن تغطى ولو الحد الادنى من احتياجاتها الغذائية . وما قد يبدو فى لحظة مسا انه غير اقتصادى ، قد يكون حيويا فى لحظة أخرى . وقد اشارت احدى الدول العربية فى معرض المناقشة حول الاستفادة بالاموال العربية فى الخارج ، انه يهمها أن يقابل التنازل عن جزء منها ، الحصول على الامكانيات العالية الفنية الصناعية . واذا كانت الصناعة متطورة فان الحصول على الخبرة وحدها لا يكفى ، وانما ضرورة اقامة المنشآت العالية التى تعمل على دراسة الاحتياجات العربية واستنباط الاساليب اللائمة لتطوير أحوال المجتمع بشكل عام .

وقد يتصور البعض انه يمكن استثمار جميع الاموال العربية فى البلاد التى نبعت منها ، غير أن اعادة صب هذه الاموال بالقدر الذى تتكون به يؤدى الى حالة تضخم رهيبة فى تلك البلدان . واذا لاحظنا أن الكثير من الدول البترولية صغيرة المساحة ، قليلة السكان ، فان ذلك يجعل طاقتها على الامتصاص أو قدرتها على الاستيعاب ضعيفة نسبيا . ومع ذلك فان تركز الاموال والاستثمارات فى الدول البترولية وحدها يجعلها فى شبه عزلة ، ومعرضة للضغوط الكثيرة ، لانها اذا قامت بالانتاج عليها أن تعمل على التصريف ، وسالم تكن الاسواق مفتوحة او قادرة على الاستيعاب الكامل فان المنتجات سيطفى البوار . وينعكس ذلك فى

النهاية على المشروعات التى تصبح عبئا أكثر منها مصدرا للنماء والرخاء .

استثمارات على نطاق العالم العربى

يفرض النمو المتوازن وجود خطة عامة ، تحدد الاحتياجات وتطورها ، وتهيء الاستثمارات اللازمة لذلك . واذا كان تركيز الاستثمارات فى البلدان التى يتكون فيها الفائض ليس بالامر الهين ، ان لم يكن شبه المستحيل ، فان توجيه الاموال للاستثمار على نطاق العالم العربى ، وفى المشاريع التى تمس هذا العالم فى مجموعه امر يمكن الى حد كبير ان يتطلب خطة طويلة الامد . فالملاحظ ان الدول العربية على كبر عدد سكانها ، واتساع رقعتها ، واطلالها على المحيطات والبحار الهامة لا يوجد بها من الاسطيل التجارية الا القليل . فلم تزد حمولة هذه الاسطيل فى ١٩٧٢ على ١٢٢٠ الف طن او حوالى ٤٥ر فى المائة من حمولة اساطيل العالم ، وتقل حمولة الاساطيل التجارية فى تلك السنة لكل من مصر والعراق ولبنان والمغرب والسودان مجتمعة عن حمولة السفن الاسرائيلية وحدها ، وبالمقارنة السفن الكويتية نجد أن مجموع الاساطيل العربية يقل عن عشر حمولة لساطيل اليونان .

والملاحظ ان البلدان العربية لم تغير الاسلوب الذى كان سائدا فيها قبل استقلالها ، اذ يتركز اهتمام كل منها على تعبيد مايمكنه من الطرق الداخلية بغض النظر عن الطرق التى يمكن ان تربط العالم العربى ببعضه البعض واذا وجدت خطوط حديدية فهى متباعدة ، مما يجعل أثرها محليا محدودا ، ولا يمكن للعالم العربى أن يتقدم الا اذا ربط بشبكة من الطرق والسكك الحديدية . ولعلنا نكون قد استفدنا من درس حرب يونيو ١٩٦٧ الذى ادى اغلاق قناة السويس الى كثير من المتاعب لاغلب الدول العربية ، هذا مع العلم بأن شق الطرق وانشاء السكك الحديدية لا يحتاج الى خبرة متميزة ، وان تطلب تكاليف عالية . وقد يتساءل الانسان هل وجود البترول فى عدد من الدول العربية كان يعنى اقامة معامل التكرير ، والبتروكيماويات فيها وحدها ، وفى رأينا ان ذلك ليس بالامر الممكن من ناحية ، وان كان ممكنا فانه غير مستحب من ناحية اخرى . فهو غير ممكن حيث يتضخم حجم الانتاج ويتزايد ، وذلك لما قد يؤدى اليه ذلك من مصاعب فنية وعملية ، وهذا غير مستحب لانه يركز المشروعات فى مناطق قليلة مما يجعل الاغراء بالسيطرة عليها كبيرا ، فضلا عما يثيره هذا التركز من تناقض مع الدول العربية الفقيرة . وقد يكون من المستحب مثلا ان يقام أكثر من معمل للتكرير فى المناطق العربيه ، لان ذلك يساعد على الترابط من ناحيه ، ويخفف من مشاكل البلدان التى تستورد كل حاجتها من البترول من ناحية اخرى وذلك فضلا عن الفائدة الاستراتيجية ، ويمكن مثلا ان يدعم معمل التكرير فى عدن . ويقام معمل فى بربرة أو مقديشو ، وثان فى الحديدة أو سطيف ، وثالث فى بورسودان ، وهكذا ، اما بالنسبة للبتروكيماويات فهذه تتطلب دراسة دقيقه ويمكن اقامة مجمعات فى مراكز محددة لتترابط مع المراكز المحلية . تكون لدينا شبكة متناسقة . مشروعات البتروكيماويات ، يتفرع منها صناعات يمكن أن تمتد الى البلدان العربيه الغربية من تلك المراكز .

وازاء التهديدات التى وجهت للعالم العربى أخيرا بالنسبة للمواد الغذائية للضغط عليه سياسيا أو لتخفيض اسعار البترول ، يتطلب الامر دراسة امكانيات التوسع والاستثمار فى المواد الغذائية ، زراعية او حيوانية او سمكية . فهناك مجالات واسعة للزراعة فى السودان والصومال ومنطقة الهلال الخصيب ، وكل مانفتقر اليه هى التمويل والمواصلات ، وهناك امكانيات ضخمه للاستفادة من الثروة الحيوانية وبمنتجاتها فى السودان والصومال ، وكذلك الثروة السمكية فى منطقة الخليج وجنوب الجزيره العربيه والصومال وقد يرتبط بالتنمية الغذائية انشاء مصانع الاسمدة والمبيدات ، والاهتمام بدراسات التربه والافات ، واستنباط البذور والسلالات المحسنة ، وهذا يمكن أن يحدث بدرجة اعلى من الكفاية لو تم على نطاق العالم العربى ، بدلا منه على نطاق كل دولة على حدة .

وقد يدعونا ذلك كله الى التفكير فى انشاء جامعة للدراسات العربية بمختلف تخصصاتها وفروعها . وفى ظروف العالم العربى ، الذى يواجه بضغوط من مختلف الاتجاهات للسيطرة عليه أو ابتزازه ، لا مفر من اقامة صناعة حربيه متطورة ، حتى لا يظل العالم العربى فى اتخاذ سياساته ، تحت رحمة الدول الموردة للسلاح ، وهناك خطوات قد بدأت تتخذ فى هذا السبيل .

وفى مجال الطاقة ، لا يمكن البقاء وانتظار نفاد البترول أو نقصه بدرجة كبيرة ، لان معنى ذلك اضعاف اجهزة الانتاج وعودتها الى سيطرة الدول المتقدمة مرة اخرى ، والمجالان الاساسيان لنا هما الاهتمام بالابحاث النورية ، وكذلك توليد الطاقة من أشعة الشمس .

استثمارات فى بلدان عربية محددة

حينما أثير موضوع الفوائض المالية العربية ، تقدمت بعض الدول العربية بعروض للاستثمار فيها ، واشتد الجدل فى داخل هذه البلدان عن طبيعة هذا الاستثمار ، لاسيما وقد عاشت هذه الدول فترات عصيبة حينما كان رأس المال الاجنبى والخاص يرتع فيها ، ولم يقدم الا القليل ، وتسبب فى مشاكل اجتماعية كثيرة . ومما زاد من حدة المناقشات ماذكر من أن بعض الممولين العرب يفضلون شراء انصبة الدولة فى مشروعات معينة ، مما اعتبر بمثابة ردة فى المسيرة الاجتماعية ، تؤدى الى اضعاف القطاع العام وتصفيته . ولهذا فانه لا يمكن تجاهل التركيب الاجتماعى فى دولة ماعند التفكير فى الاستثمار فيها .

واذا كان الاستثمار سهلا ميسرا فى بلدان توافق اوضاعها الاجتماعية على الحرية الاقتصادية والملكية الخاصة دون حدود ، فان هذا الاستثمار فى بلدان تعمل على التنمية بالاسلوب اللااسمالى يصبح غير مناسب ، وبالتالى لا مفر من أن يكون فى اطار الخطة المقبولة اجتماعيا فى البلد . وقد يكون ابسط السبل بالنسبة للبلدان النفطية حصول اصحاب الاموال البلد على سندات ذات فائدة معروفة ، ولاجل محددة ، ويمكن أن يخصص لها قطاع للاستثمار على أن يكون هذا القطاع مما يدر عائدا يمكن تحويل مورده الى الخارج ، وفى هذا المجال يجب تجنب تملك الارض الزراعية ، او اقامة المساكن المالية او تلك اللازمة لاصحاب الدخل المحدود ، كما يحظر الدخول فى مشروعات الصناعات الصغيرة حتى لا يقوم الاحتكاك مع الطبقة العاملة بشكل مباشر مما يثير مشاكل لا داعى لها .

واذا كانت تلك البلدان تفرض نوعا من الرقابة على النقد لضمان التنمية ، وعدم تهريب الاموال ، فان دخول الاموال اليها يجب أن يلقى بعض القيود ، حتى لا تستخدم الحاجة الى الاستثمار كوسيلة لتهريب الاموال وهو مالمسناه فى مصر حينما فرض التأميم على بعض المشروعات الاجنبية ، ثم تبين ان ملكية اصولها قد تحولت الى بعض الاخوة العرب دون أن يرتبط بذلك تحويل نقدى فعلى الى البلد . وحدث نفس الشىء حينما اتخذت بعض البلدان اجراءات ثورية فاسرع بعض الملاك المحليين الى تحويل ملكيتهم الى بعض الاخوة العرب مقابل الحصول على نسبة قليلة من قيمتها الحقيقية بعملات فى الخارج . ليس هناك من يرفض الاستثمار الذى يساعد على التنمية ، على الا يتسبب فى احداث تناقضات اجتماعية أو سياسية ، وبالتالى فان الامر يحتاج الى دراسة اعمق ، ووضوح فى التخطيط . وستأخذ التحفظات فى التلاشى والقيود فى الزوال ، حينما تتقارب الاهداف الاجتماعية العربية ، وهو مايجب ان يكون هنا الاول العمل له .

ضمانات الاستثمار فى العالم العربى

قبل أن نتكلم عن الضمانات الواجب توفيرها لاخواننا العرب أصحاب الموارد البترولية ، علينا ان نبحث أولا عن الضمانات التى يتحصلون عليها حاليا من استثماراتهم فى العالم الغربى . يهتم اغلب المستثمرين فى دول الاقتصاد الحر ، بما يتمتعون به من حرية التحويل ، وارتفاع أسعار الفائدة الذى يحصلون عليه ، وضمان عدم الاستيلاء على أموالهم عن طريق المصادرة أو التأميم . غير ان هذه الامور جميعا تعتمد ابتداء على ثبات الاوضاع العامة فى تلك الدول ، وثبات العلاقة بين دول أصحاب الاموال والدول المستثمر فيها .

ونحن لو رجعنا الى الواقع المتطور ، فاننا نلاحظ مثلا ان أسعار العملات التى يحتفظ بها كودائع تتغير كنتيجة للظروف الاقتصادية لتلك البلدان ، فحدوث عجز كبير ومستمر فى ميزان المدفوعات وارتفاع حدة التضخم ، تؤدى فى النهاية الى خفض فى قيمة العملة . وحتى لو لم يحدث خفض فى قيمة العملة فان التضخم يعنى اضعاف القوة الشرائية لقيمة الودائع .

ولو رجعنا الى التغير الذى أصاب العملات المختلفة . نجد أن قيمة الاسترلينى مثلا حتى ٢٠ سبتمبر ١٩٣١ كانت ٤٫٨٧ دولار ، ثم انخفضت قيمته بالتدريج فى السنوات ٣١ ، ٤٩ ، ٦٧ ، ٦٨ ، واصبحت قيمته لا تتعدى الآن ٢٫٣٢ دولار . وحينما تعهدت الحكومة البريطانية لاصحاب الاحتياطيات بالاسترلينى أن تحتفظ لهم بسعر ثابت الى الدولار لو قبلوا استمرار ابقاء احتياطياتهم فيه فى منتصف ١٩٦٨ ، نجد أنها قد اضطرت اخيرا الى الغاء هذا الضمان .

واذا رجعنا الى الفرنك الفرنسى مثلا ، نجد أن سعره عند نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى ٢٥ ديسمبر ١٩٤٧ بلغ ما يعادل ٣٠ر٤٢ فرنك [قديم] للدولار ، ثم أخذ سعر الفرنك يتدهور منذ ذلك

التاريخ الى ان وصل الى ٧١ر٩٣ فرنك [قديم] للدولار في أواخر ديسمبر ١٩٥٨ ، ويصل السعر الان الى حوالى ٤٨٢ر٤ فرنك جديد [حوالى ٤٨٢ فرنك قديم] .

اما الدولار نفسه وكان اثبت العملات حتى وقت قريب بالنسبة للذهب ، فبينما تراوح سعر الاوقية من الذهب فى السنوات ١٩٤٠ ، ١٩٥٩ بين ٣٢ر٧ دولار الى ٣٥ دولار ، وصل الرقم الان الى حوالى ١٩٠ دولارا للاوقية .

ويعنى انخفاض قيمة العملات ، أو تدهور قوتها الشرائية انخفاض قيمة الودائع الموجودة بها ، وكذلك الاستثمارات فى شكل سندات . أضف الى ذلك انه لو رجعنا الى الاوضاع المصرفية العالمية فى الاشهر الاخيرة ، نجد انها فى مركز حرج نتيجة التغيرات الكبيرة فى أسعار الفائدة ، وأسعار العملات ، الامر الذى ادى الى انهيار بعض البنوك فى المانيا ، وسويسرا ، وتكبد البنوك فى الولايات المتحدة وبريطانيا واليابان بخسائر فادحة .

وحينما وجد أصحاب الاموال مصلحة لهم فى الاتجاه نحو العملات المتينة كالمارك الالمانى ، والين اليابانى ، والفرنك السويسرى لم تقابل بالترحيب ، ووضعت قيود على دخولها ، وهبطت سويسرا أكثر من مرة الى الغاء الفائدة التى تمنح على الودائع الاجنبية الواردة اليها . وهذه الدول لا تشجع الاندفاع نحو أسواقها المالية ، حتى لا يؤدى ذلك الى تضخم لا تتحمله اوضاعها ، او يتنافى مع سياستها الاقتصادية .

اما عن ضمان الحركة ، فيمكن أن نعود بالذاكرة الى ماضيه بريطانيا بعد الحرب العالمية الثانية حينما جمدت الارصدة الاسترلينية التى تكونت نتيجة انفاقها الحربى ، ولم تفرج عنها الا بشكل مجزأ لم يخدم الهدف العام من اعادة التنمية ، وقد مرت الهند ومصر بهذه التجربة القاسية . وجمدت الارصدة المصرية ، مرة اخرى ، فى بريطانيا وفرنسا عندما لجأت مصر الى تأميم قناة السويس ، وهددت الولايات المتحدة - كما ذكرنا - بتجميد الارصدة الكبيرة لديها بعد خفض قيمة الدولار اخيرا فى فبراير ١٩٧٣ وذلك بدعوى أن حرية حركة الارصدة هى السبب فى القلقلة الاقتصادية ولم تأخذ بهذا الاجراء الا بشكل مخفف لمواجهتها بمشكلة ايقاف ضخ البترول وارتفاع سعره كما ذكرنا بعد حرب اكتوبر .

اما عن الضمانات ضد التأميم ، فهذه مسألة وان تكن مستبعدة الحدوث فى الدول الغربية فى الوقت الحاضر - غير انها ليست بعيدة الاحتمال ، فبرنامج حكومة العمال فى بريطانيا مثلا يشير الى تأميم أراضى البناء ، وبعض الصناعات ، وشركات أحواض السفن الخ ... ولا نشك فى ان نظم الدول الغربية تفرض التعويض وفقا لاسعار السوق عند التأميم ، وهو ما ابتعته بريطانيا وفرنسا بعد الحرب العالمية الثانية . غير أن المهم هو ليس دفع التعويض بعملة البلد المحسب ، وانما القدرة على تحويله الى عملات حرة اخرى ، وهو امر لا يمكن ضمانه ، وبالذات اذا كانت المبالغ المطلوب تحويلها تثير الارتباك فى ميزان المدفوعات . واذا سمح باستخدام قيمتها فى الشراء من السوق ، فعلى أصحاب الاموال أن يواجهوا ما تضعه الاجهزة المختلفة من اولويات فى الطلب ، ونوعيات السلع المطلوبة ، وقد استخدمت بريطانيا هذا الاسلوب لاضعاف اثر مسحوبات الاسترلينى فيها بعد الحرب العالمية الثانية واتجهت الولايات المتحدة نفسها الى وضع قيود على تصدير بعض السلع للدول التى اعتبرت حكوماتها غير صديقة . وليس هناك ما يستبعد أن تعامل الدول العربية بهذه المعاملة اذا وجد المسئولون فى الغرب أن هذه هى الوسيلة الفعالة لشل حركة الاموال المتراكمة فيها ، دون ان تواجه بموقف مضاد لا يمكنها مقابلته .

نخرج من ذلك انه ليست هناك ضمانات مؤكدة للاستثمارات العربية فى الخارج . ولا يمكن لاصحاب الاموال أن يطلبوا ضمانات معينة ، يمكن أن تعتبر ملمسة بالاقتصاد القومى . وكما رأينا تثير بعض الاستثمارات فى سوق الاوراق المالية ، او فى شراء العقارات فى الدول الغربية موجة من عدم الرضا . واذا كانت الولايات المتحدة قد اصدرت قدرا خاصا من سندات الدولة لامتصاص قدر من اموال احدى الدول العربية ، والاشارة فى الجرائد المالية الى ان هذه السندات ليست للتداول فى السوق ، فان ذلك يعنى الشىء الكثير .

واذا كان الوضع كذلك ، فعلى أصحاب الاموال العرب الا يطلبوا المستحيل من الدول العربية التى تدعو لان تستثمر اموالها فيها . ولا نعتقد أن هناك دولة عربية يهمها الاضرار بدولة عربية او غير عربية فى المجال الاقتصادى - واذا كانت قد تمت تأميمات ومصادرات فى بعض البلدان كمصر وسوريا والعراق والجزائر وليبين الديمقراطية مثلا ، فان هذه الاجراءات كانت قد اعقبت

اجراءات ثورية ، وكانت لمواجهة حالة غير طبيعية ، تولدت نتيجة الحرية الاقتصادية ، وتحكم الاستعمار فى تلك البلدان ، ونمو طبقة مستغلة كانت عنصرا معوقا للنمو الاقتصادى . ولذكر انه عند المفاوضات الخاصة بتعويضات المشروعات الاجنبية المؤممة فى مصر ، اثير موضوع مصدر الاموال موضع الاجراءات ، وهى لم تدخل الى البلاد بالوسائل الطبيعية ، ولم تظهر فى حسابات البنوك باعتبارها حولت عن طريقهما .

وقد اعدت الجامعة العربية اتفاقية المؤسسة العربية لضمان الاستثمار العربى فى ١٩٧٢ ، واعتقد ان هذه الاتفاقية تقدم ما يمكن ان يضمن مطالب المستثمرين . ومع ذلك فيمكننا ان نرسم الخطوط العريضة للضمانات . ولعل اول ما يهتم به المستثمر امكانه استرداد ماله ، بنفس العملة التى دخل بها ، غير منقوصة ، وهذا الامر ليس فيه جدال . غير ان علينا ان نفرق بين ما يدخل الى البلد فى شكل قروض وهذه لا تثير مشكلة ، وبين ما يدخل فى شكل استثمارات . ويشترط لاعادة التحويل ان تكون قد استثمرت فى مشروعات متفق عليها مسبقا ، او داخلة ، ضمن خطة معينة ، ويكون التحويل مناسبا للقيمة الحقيقية للاصل المتفق ، بمعنى الا يطلب اعادة تحويل يبلغ مقابل قيمة مشروع قد استهلك او ثبت فشله . وما يمكن تحويله فى هذه الحالة هو قيمة التصفية ، ولضمان عدم التلاعب يشترط فى المشروعات التى تعتمد على مال مستورد ان تكون فى شكل شركة مساهمة حتى يسهل مراقبتها عن طريق قوانين شركات المساهمة ، ومعنى ذلك ان الاموال التى تدخل عن غير طريق الجهات المنظمة لاستخدام رأس المال الاجنبى لا يكون لها الحق فى التمتع بضمان استرداد القيمة ، الا اذا كانت قوانين البلد لا تعارض فى ذلك .

وقد يتساءل البعض عن الموقف فى حالة التأميم ، وهى حالة علينا ان نقبلها ، اذ لا يمكن وضع قيود على سلطة اى دولة ، لانها حينما تتصرف فانها تتصرف بوحى من الصالح العام ، وما دامت تؤمم بملكية شخص بالذات ، فانها تؤمم مرفقا ما فليس هناك حرج عليها . وينادى البعض بضرورة ان يكون التعويض عادلا وكلمة العدالة هنا تتطلب تحديدا اكبر ، فهل يقصد بالعدالة القيمة الحالية للاصل ، ام القيمة التبادلية ، ام القيمة التقديرية على اساس الربح الذى كان يمكن ان يديره المشروع ؟ ام التعويض هو الذى يمكن تقديره على اساس ربحية او انتاجية رأس المال المستثمر ؟ ولسنا هنا فى مجال مناقشة كل وسيلة على حدة .

ولعل المنطقى ان يكون التعويض فى مثل هذه الاحوال على اساس الربحية الحقيقية للمشروع ، الناشئة من كفاية التشغيل ، وليس القيمة السوقية المترتبة على التطور الاجتماعى كحالات ارتفاع اسعار الاراضى والعقارات بشكل تلقائى نتيجة لظروف التنمية ، وضيق الرقعة الزراعية او تحديد مناطق البناء وكيفيته الخ ..

وبالنسبة للمبالغ التى قد ترد للبلد سواء عن طريق الاقتراض المباشر للحكومة او للمؤسسات وشركات القطاع ، والشركات الخاصة التى توافق عليها جهة التخطيط مثلا ، فانه يمكن الاخذ بنظام ضمان قيمتها بضمان السعر الموجود به فى الاسواق العالمية . هذا طبعا مع الموافقة على ضمان مداد قيمة الفوائد عند استحقاقها هى والاصل ، عند انتهاء المدة بالعملات التى يتمهما القرض . اما اذا تم الاقتراض او الاكتتاب فى داخل البلد ، او وصلت الاموال بوسيلة غير تلك المتفق عليها اساسا فى مثل هذه الاموال ، فان الفوائد والاصول تدفع بالعملة المحلية او بالاجنبية تبعا للاموال ، وتكون خاضعة للنظام الذى كان يسرى على هذه المبالغ قبل اقتراضها .

ويثير البعض احيانا مشكلة التضخم واثرها فى خفض القوة الشرائية للعملات ، غير ان هذه المشكلة ليست من صنع أحد بالذات ، ولا توجد حكومة ترغب فى حدوث تضخم فيها ، لما يؤدى اليه ذلك من متاعب ومشاكل كثيرة ، وبالتالى لا توجد دولة فى العالم نجد فيها جهازا يؤمن ضد مخاطر ارتفاع الاسعار . وكل ما يمكن ضمانه كما سبق ان قلنا هو ضمان علاقة نسبية بين العملة المحلية والعملة التى ترد بها الاموال من الخارج . ولعل صندوق النقد الدولى يتفق على نظام العملة الدولية التى تمثل مجموعة من العملات . وحينما يتم ذلك يمكن ان يكون ذلك هو أساس التعامل فى حركات الاموال بين الحكومات وليس بين الافراد .

ومهما يكن من شىء فان الضمان الاساسى الذى علينا ان نصر عليه هو وجود نوع من التوازن فى التنمية ، وفى توزيع الموارد بين البلدان العربية ، حتى يمكن لهذه البلدان ان تكون وحدة صلبة ازاء المؤامرات الخارجية ، لان تفككها نتيجة تباين مصالح المتخيين والجاثمين يؤدى الى تهديد الاسس التى يقوم عليها مجتمع الاولين . وحينما تضطرب الامور ، يصبح ضمان البقاء هو اعلى ضمان ، لان الانسان الحى هو الذى يخلق الثروة ويضمن الاستمرار ، والتطور والنمو ، والثروة فى النهاية عنصر مساعد على الحركة ، وليست هى العنصر الاصيل فيها ..

اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم

نص مناقشات الجلسة الثانية للحوار

تواصل « الطليعة » نشر الحوار الذى تنظمه بين اليسار المصرى بمختلف مدارسه واتجاهاته وبين توفيق الحكيم .

وكانت الطليعة فى العدد الماضى [يناير ١٩٧٥] قد نشرت جلسة الحوار الاولى والتى تضمنت اساسا عرض الرؤية العامة للثورة لكل من توفيق الحكيم وخالد محيى الدين . الاول من موقعه كمفكر كان له تأثيره الواضح على قيادة ٢٣ يوليو وخاصة جمال عبد الناصر قبل وبعد الثورة . والثانى من موقعه كمشارك فى تفجير فى الثورة من منطلق يسارى ، كان له خلال مسار الثورة مواقف نقدية استقال بسببها من مجلس قيادة الثورة ولكنه ظل دائما على تأييده ومساندته لها فى خطها واهدافها العامة .

وانتهت جلسة الحوار الاولى الى الاتفاق بين المشاركين فى الحوار على تنظيم النقاش وفقا لجدول أعمال من أربع نقاط :

١ مدخل بالخطوط العامة لرؤية مستقبل مصر بابعاده المحلية والعربية والدولية .

٢ تقييم لايجابيات وسلبيات التجربة كما قادها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .

٣ مسار التجربة منذ وفاة عبد الناصر وتولى الرئيس السادات لمسئولياته الدستورية

٤ العودة الى تحديد الرؤية المستقبلية لمصر من خلال سؤال : ما العمل .

عن مصر المستقبل

ووقائع جلسة الحوار التى ننشرها فى هذا العدد تتناول مناقشة النقطة الاولى من جدول الاعمال . وهو النقاش الذى سيطر ايضا على مناقشات الجلسة الثانية التى نعتزم نشرها فى العدد القادم .

وهذا يعنى ان الحوار يجرى اساسا من خلال استعراضه لظروف وصراعات مصر قبل وبعد الثورة ، ومن خلال فتحه لملف التجربة ، لحساب المستقبل لا لحساب الماضى . ومن اجل التقدم بالتجربة الى مواقع وآفاق اكثر تقدما فى الاقتصاد والسياسة .. فى التحولات الاجتماعية .. وفى ممارسة الديمقراطية وحرية التعبير لجميع قوى الشعب الوطنية والتقدمية .

وقد شارك فى جلسة الحوار الثانية كل من :

- توفيق الحكيم
- خالد محيى الدين
- د. فؤاد مرسى
- د. عبد العظيم أنيس
- د. مراد وهبه
- د. لطيفة الزيات
- محمد سيد احمد
- محمد سليمة مستشار جريدة الطلاب
- ابو سيف يوسف
- لطفى الخولى

واعتذر حمدى ياسين ممثل لقاء ناصر الفكرى بجامعة عين شمس بسبب مرضه .

■ لطفى الخولى :

هذه هى الجلسة الثانية للحوار . فى الجلسة الاولى اتيح لنا ان نتعرف على رؤية الاطار العام للتجربة لدى كل من الاستاذ توفيق الحكيم والاستاذ خالد محيى الدين ، وذلك من خلال موقعيهما وتجاربهما المختلفة مع ثورة يوليو وقيادتها الوطنية . واستطعنا فى نهاية هذه الجلسة الاولى أن نتفق على جدول اعمال محدد للحوار . واستقر الرأى بيننا على أن نبدأ – على خلاف المعتاد – بتصور كل منا لمستقبل المجتمع المصرى بعد تجربة يوليو وحرب اكتوبر . وذلك بهدف الوصول الى مناهج للتفكير التى على اساسها نناقش تجربة يوليو ومسارها الايجابى والسلبى . أو كما يقول استاذنا الحكيم نفتح الملفات . والمفيد فى البدء بالمستقبل ثم الرجوع الى الماضى والحاضر ثم العودة من جديد الى المستقبل للاجابة على سؤال : ما العمل .. اقول المفيد فى هذا أننا سنتمكن من أن نحدد نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف فيما بيننا واسبابها الموضوعية . وبالتالى نتفق المناقشة من الوقوع فى مهاوى الدردشة ، واعتقد ان هذا هو مطلبنا جميعا.

وقبل ان ندخل فى الموضوع .. الآخ محمد سليمة كان قد طلب أن يتحدث فى ختام الجلسة الماضية ، لكن الوقت لم يسمح ولذلك ادعوه أن يدلى بما عنده قبل أن نلتزم بجدول الاعمال .

■ محمد سليمة :

اولا : انا شاكر لدعوة الاستاذ لطفى الخولى ، وهذا يمكن يكون اول تمثيل للشباب وكانت فرصة الحقيقة لنا لنلتقى بالعناصر المفكرة فى البلد وخاصة استاذنا توفيق الحكيم . وانا أقول ذلك لان ما دار حول استاذنا توفيق الحكيم وبعكن كانت جريدة الطلاب أول من بادر لمناقشة توفيق الحكيم ، والحقيقة السبب البلشر فى هذا كان – كتاب عودة الوعى . كتاب عودة الوعى وما صادفه من ظروف معينة ، اذ هو ينشر أول ما ينشر فى بيروت ، وتقوم بعض العناصر الرجعية فى مصر والوطن العربى تستغل الكتاب وتظهر ما به من انطباعات سلبية فحسب ، وتبرزها بشكل لم يكن واردا فى حسبان استاذنا توفيق الحكيم . وهو أول من ناصر فعلا الثورة وأول من وقف الى جوار الزعيم جمال عبد الناصر . وهذا ثابت من خلال كتبائته ولا نأتى عنها بجديد ، واريد ان أقول نفس الشىء بالنسبة لدور الشباب وتصدى الشباب فعلا للمجموعات الرجعية .

الشباب كان له دور ممتاز جدا خاصة فى البدايات من أول ابريل سنة ١٩٧٤ حتى الان – من أول المؤتمر العاشر لطلاب الجمهورية ، كان تصديه واعيا وشجاعا فى ظرف لم تكن قد تبلورت فيه بعد حرية الرأى وحرية الصحافة – فالحقيقة من خلال هذا المؤتمر بدأ الاتحاد العام لطلاب مصر الدور المنوط به فعلا فى التصدى للمجموعات الرجعية العائدة والتى حاولت انها تقتنص فرصتها وتنشب اظفارها فعلا فى بكتسبات ثورة ٢٣ يوليو . الاتحاد وجريدة الطلاب والشباب بدأوا عملية التصدى فى اللقاءات المتعددة وفى الندوات المتعددة وفى حضور الرئيس انور السادات المسئول الاول عن ثورة يوليو اليوم . كان هناك ايضا تجربة ناجحة جدا واعنى بها لقاء ناصر الفكرى الرابع وما صاحبه من انفتاح كبير على القاعدة الجماهيرية لدرجة ان الجماهير استوعبت التجربة الطلابية والشبابية التى كانت بمثابة فى قيادة عين شمس . فكانت فرصة ان الجماهير تكشف النوايا المبيتة التى دخلت بها بعض المجموعات الرجعية العائدة – هذا تحليل موجز لما صاحب دور الشباب والطلاب فى هذه الفترة وذلك بقصد أن نضع التجربة الطلابية والشبابية الناصرية الموجودة حاليا فى مصر والتى تتصدى للمجموعات الرجعية فى دور التكوين وذلك عندما نتحدث عن المستقبل . اذا كان دور استاذنا توفيق الحكيم وما صاحب كتاب عودة الوعى من بعض الشبهات استغلته هذه المجموعات وخاصة فى جريدتها اخبار اليوم والاخبار . والتشنيعات التى ظهرت وكانت واضحة ، ولابد لنا كشباب أن لا نغفل ابدا التجربة الحية وريادة استاذنا الحكيم للادب فى مصر – مهما كان من الاحداث التى حدثت فى خلال هذه الفترة ، وهذا لا ينفى ان لنا بعض التحفظات على ما جاء فى كتاب عودة الوعى ، الا أننا مع تقديرنا واحترامنا للرأى ولاستاذنا توفيق الحكيم ، فاننا اول ناس ننادى فعلا بفتح الملف لهذه التجربة سواء للتجربة الناصرية او تجربة ثورة ٢٣ يوليو . نحن لا نخاف من فتح الملف ، بالعكس نحن ننادى بفتح الملف ، نحن على ثقة من أن التجربة ممتازة والتجربة واعية ، فيها بعض السلبيات نعم ، لكن ملبها هى تجربة لابد من استمرارها .

■ لطفى الخولى :

حسنا .. هل لنا بعد ذلك ان نبدأ بالنقاش على اساس جدول الاعمال . النقطة الاولى

ماذا عن المستقبل ؟ ماذا يا أستاذ توفيق ؟ .. المستقبل ؟

■ **توفيق الحكيم :**

في الواقع أنا دائما أحب أن أبحث عن جذور مواقفي وتفكيري ، حتى لا أكون رهنا بنوازع مجانية أو تلقائية أو دافع متلسمات .. ذلك أن هذه النوازع والدوافع في العقيدة تكون أحيانا سطحية وموجهة لاعتبارات معينة . ومن هنا فأنى دائما أرجع الى الخط الرئيسي في تجربتي في الحياة أو في مواقفي ، لأن هذا هو الأصح . فعندما أردت أخيرا أن أحلل مواقفي ، وجدت خطا معينا وهو أنه في الثلاثين سنة السابقة على ثورة ١٩٥٢ كان لي موقف معين وهو أني تنبهت الى أن الديمقراطية انحرفت وأصبحت ديمقراطية مزيفة لعوامل كثيرة ، وهي أنها لم تكن في بيئة حرة ، ولكن بيئة تسيطر عليها السلطات ، أو على الأقل سلطتين كبيرتين وهما الاحتلال الانجليزي والسراي . وكان فيه ثلاث قوى موجودة في البلد ، وهي الاحتلال الانجليزي والسراي والشعب ، الشعب ممثل في القيادة الثورية ، قيادة ١٩١٩ ، لانه قبل ذلك كان الموقف الشعبي موقف غير واضح ، كان يوجد مفكرون ومثقفون ثوريون مثل الحزب الوطني ، أو قبل ذلك مثل الحركة العرابية . أين الشعب في ذلك ؟ كان الشعب غير مركز في أطار .. يعني مصطفى كامل كان يخطب ونحن نقوم معه ، ولكن ما هو الاطار الذي نستطيع أن نقول ان الشعب كان معه فيه ؟ هل الفلاح في الريف كان يشعر بمصطفى كامل أو يتصل بفكر ؟ هل العامل كذلك اذا كان وجد في ذلك الوقت ؟ أعتقد أن من كان يفهم خطب مصطفى كامل هم طبقة المثقفين والمطربشين أو المعممين حتى — يعني المثقفين عموما وفي أطار الايقاظ الوطني العاطفي وليس بعد في أطار ثورة فعلية . ولن ثورة ١٩١٩ كانت غير ذلك لانها بلورت قوة شعبية فعلية من فلاحين وعاملين ومثقفين ونساء طلعوا بالبراقع . فاذن كانت حركة شعبية مركزة ، ومركزة ضد عدو موجود بيننا وهو الاحتلال الانجليزي المركز في القاهرة نفسها ، في ثكنات قصر النيل أيضا . وفي الوقت نفسه كانت سلطة الاحتلال هذه تتدخل في شئوننا باعتبار انها هي السلطة القوية التي تملي ارادتها على الشعب . فلما جاءت ثورة ١٩١٩ جاءت لتطالب بحق اصبح ايضا محسوسا عالميا ، وهو ان الحرب العالمية الاولى وضعت لنفسها هدفا انسانيا . قالت انها تحارب للحرية ، وجاء ويلسون الامريكاني ، وكان أصله أستاذ في جامعة ، بالمبادىء التي دعوتها عن حق الشعوب في تقرير المصير . فتمسكنا بهذا وقلنا نحن أحدى وأولى بتقرير المصير ، والشعب قام ، ولذلك كانت ثورة شعبية . بعد ذلك اعتبرت زعماء الثورة مجرد ثائرين لانه ليس لهم اطار معين ولا شكل معين — ثائرين ضد الانجليز ، ولذلك الانجليز عند المفاوضة قالوا احنا نتفاوض مع رئيس حكومة مصرية ولكن لا نتفاوض مع رئيس الشعب أو ما تسمونه انتم برئيس الشعب ، وهو في الحقيقة رئيس عصابة ثورية ، هو رئيس الثورة ، ولم تجر العادة أن تحدث مفاوضات بين حكومة رسمية وبين زعيم ثورة ، هذا تحدى للسلطات الانجليزية فرفضوا في الاول انهم يفاوضوا سعد زغلول باعتباره رئيس ثورة . قبل ذلك — والغريب ان هذا يحدث مع جميع الثائرين .. يسمون في الاول باسم عصاة أو ارهابيين ، كما يحدث الان مع منظمة التحرير الفلسطينية ويامر عرفات . لماذا عصاة ؟ لان عرابي والناس الذين قاموا معه كانوا يسمون العصاة ، لا ثورة عرابية ، بل «العصاة» فقط . وكان يأتي من الباب العالي السلطان يعني ، أوامر باعتبارهم عصاة على سلطته لانهم قاموا بدون أمره بثورة ضد الخديوي الذي كان هو الوالي رسميا المعين بواسطة السلطان ، فأصبح هؤلاء يسمون العصاة ، زي ما يقال اليوم مثلا عن اليساريين كانوا في ذلك الوقت ، كان لي جد أشترك قليلا أو ربما لم يشترك وانما كان من الموالين للثورة العرابية فأفضل من هيله وكنت أسمع دائما في ذلك الوقت انه كان يعتبر من العصاة ، فسألت جدتي ، العصاة يعني أيه ؟ قالت بيقولوا عنهم العصاة ، وبعدين سموها ثورة عرابي . اذن في الاول كان الثوريون عصاة ، والأخوري من العصاة ، زي ما يقال اليوم مثلا عن اليساريين انهم كذا وكذا وكذا .. أنا فاكر كلام جدتي حتى الان ...

■ **لطفي الخولي :**

يظهر ان جدتك كانت استاذتك الاولى ؟

■ **توفيق الحكيم :**

أظن هذا . ولو انها كانت ممكنة لا تقرأ ولا تكتب ولا تدرك شيئا يعني ، انما كل اللي تدركه

ان زوجها كان من العصاة ، من العصاة يعنى ايه ؟ يعنى العرابيين ، فانن كلمة الثائر أو الوطنى ضد السلطات كان له صفة العاصى .

■ لطفى الخولى :

ترى ماذا كان موقفها من الماضى هذا ، جدك .. زوجها ؟

■ توفيق الحكيم :

طبعا زوجها . والحقيقة أنها لم تكن مدركة تماما لما يحدث . ولكنها كانت معه باعتباره زوجها . فانن نحن من نسل العصاة . يعنى أنا منضم بطبيعتى وبدون أن أدرى . لانها وراثة ، أن الوراثة عندى ان أحنا كنا من العصاة . ودائما الثورات الوطنية أو الاجتماعية أصحابها بالنسبة للسلطات خارجين عن القانون ، يعنى عصاة . وفى الواقع يثبت التاريخ بعد ذلك انهم كما كانوا فى نظر أنفسهم من المصلحين ، أو الوطنيين ، وان كانوا فى نظر السلطات من العصاة . استمرت المسألة لغاية سنة ١٩١٩ ، واعتبر سعد زغلول الذى قام بالطلبة الشعبية بالاستقلال زعيم ثورة . لم يكن يوصف بالعصاة وانما من الثائرين . وهذه الثورة وأن منحت سعد زغلول زعامة الامة ، لكن رسميا لا يحق له أن يعتبر أمام السلطات الحق أن يتكلم على مائدة مفاوضات ، يتكلم باسم من ؟ باسم شورة ؟ الثورة غير معترف بها أمام القوة ، والا اذا كان الثورة يعترف بها أمام القوة ، يبقى مافيش تناقض . بعد ذلك حدث تصريح ٢٨ فبراير أى الاستقلال . لا . هو المفاداة باستقلال مصر من طرف واحد تحت ضغوط الثورة . الانجليز وجدوا أنهم مضطرين لتهدئة الثورة وذلك بأن يعطوا مصر من طرف واحد وبدون مقابل الحكم الذاتى . والسلطان أعطوه لقب ملك ، وبعدما كان الذى يمثل مصر فى الخارج هى السفارة البريطانية أصبح بعد تصريح ٢٨ فبراير فيه سفارات مستقلة تمثل مصر ، وانفصلت السفارة المصرية عن السفارة البريطانية . وأصبح لنا الحق فى دستور نيابى يعطى الشعب حق أنه يمثل فى برلمان . وهكذا صار لنا دستور ١٩٢٣ وبرلمان .. وأصبح للثورة شكل . أريد أن أشير الى الشكل الذى تحددت فيه الثورة لان مسألة الشكل مهمة جدا لما نتكلم بعد ذلك . فبجرد ما دخلنا فى شكل برلمانى ، طبعا الاغلبية جت الحكم ، أى سعد زغلول .. وبدأنا نعيش فى نظام شكلى ديمقراطى ملكى ، يعنى نظام مصر أصبح هو الملكية الديمقراطية . طيب .. عملت ايه الملكية الديمقراطية . طبعا رحبنا بهذا . ومشينا فى طريق الشكل الملكى الديمقراطى . شكل الامة هذا فى الظاهر ، ولكن خارج هذا الشكل فيه حراب . هذه الحراب هى أسنة الرماح البريطانية لانه فيه احتلال . يعنى انت نظام ملكى ديمقراطى محاصر من الخارج بدون ما تشعر بقوة الاحتلال البريطانى . ولذلك الثورة فى ذلك الوقت ، لا أقول انحرفت ، انما كل شىء محاصر مادام فيه سلطة عليا هى سلطة احتلال أجنبى أو قوة عليا فى العالم تملك خمس قارات .. بريطانيا . وبريطانيا فى ذلك الوقت امبراطورية عظيمة .

المهم .. شيئا فشيئا شعرنا أن المسألة وصلت الى برلمان .. وانفجرت الخلافات على الكراسى فى البرلمان . هذه لعبة الشكل لمجرد الشكل . والمضمون هنا أصبح فى الخفية التى لا يشعر بها الشعب . ولكن بنشعر بلعبه برلمانية ولعبة شكلية . ولمست أدرى كيف حصل انقسام فى قوة الوفد التى كانت تمثل الشعب . تفتت الى أحزاب أخرى أقلية . وأنا أقدر وأحب وأعز عبد العزيز فهمى لقيمته الفكرية العظيمة ولوطنيته أيضا ، ربما أيضا لبعض العلاقات التى تمت فيما بعد بينى وبينه لما دخلت المجمع اللغوى لانه كان عضوا فيه ، وكنت دائما أقدره . ولكن لا أنسى أبدا . وانى هنا أطل الاشياء بموضوعية ويجب أن أنحى العواطف والصداقات جانبا — ان عبد العزيز فهمى مواقفه كان من الاسباب التى ساعدت مع الاسف الشديد فى تدمير الوحدة الوطنية التى تمثلت فى الوفد .. لماذا ؟ لانه كان أول من خرج على سعد زغلول وانضم اليه ناس آخرين ، وتفتت الوحدة الوطنية المصرية مع الاسف . وهو الشىء الذى لم يحدث للوطنية الهندية التى كانت تتلمذت علينا . لان غاندى كان قد اندهش كيف نجح سعد زغلول فى ضم صفوف الامة كلها بعناصرها المختلفة ، فى حين أنه أخفق . يعنى سعد زغلول نجح ، أو الشعب المصرى على الاقل أو الوطنية المصرية نجحت فى جعل الاقباط والمسلمين اندمجوا فى وطنية مصرية واحدة فى الوقت الذى كانت انجلترا تسعى لتفرق المسيحيين عن المسلمين . وكانت تريد أن تسلل بهذا الى التفريق بدعوى حق حماية الاقليات . ومن قبل كانت تريد تقسيم القطر المصرى . فتجعل للاقباط دولة عاصمتها أسيوط . كما فعلت بعد ذلك ونجحت فى باكستان وجعلت الباكستان منفصلة عن الهند .

غاندى كان يريد وحدة تجمع بين الهندوس والمسلمين كما حصل بين المسلمين والاقباط فى مصر . وكتب لسعد زغلول وقال له فعلت هذا ازاى ؟ ده انت حقيقة قائد لهذه الوطنية المتكتلة المنجانسة المتحدة . لكن حدث بعد ذلك عبد العزيز فهمى وانا آسف ان ادينه وأرجو ان التاريخ يحلل لنا هذا الموضوع أكثر . انما الذى أعرفه عن موقف عبد العزيز فهمى لانه كان عاطنى جدا ، انه كان يعتقد أن سعد زغلول رجل مستبد برأيه . ومهما حدث فكنت أريد أن عبد العزيز فهمى يصبر على كل ما يراه من مساوىء لسعد زغلول فى سبيل انه لا يحدث هذا التفتيت فى الوطنية المصرية ، لانه ارتكبنا نحن الغلطة التى لم يرتكبها حزب المؤتمر الهندى ، حزب المؤتمر الهندى ظل متمسكا للآن ، وتماسكه للآن سمح له بأنه يتطور .

■ **لطفى الخولى :**

لم يعد حزب المؤتمر الهندى متماسكا الآن كما تعرف . والانقسامات فى الاحزاب لها اسباب اجتماعية وسياسية ، وليست عاطفية .. على العموم أعتقد أن انقسامات الاحزاب شىء والوحدة الوطنية فى معركة شىء آخر . والآن فى الهند هناك ائتلاف بين قسم من حزب المؤتمر وأحزاب أخرى .

■ **توفيق الحكيم :**

ولكن حزب المؤتمر قعد فترة طويلة ؛ الى أن جاءت الظروف الاجتماعية واضطرت ان يتكون فيه حزب اشتراكى .

■ **لطفى الخولى :**

عظيم .. هل لى ان اقول لاستاذنا الحكيم ان المقدمة الواسعة والمتشعبة آن لها ان تحمله بالنقطة الاولى من جدول الاعمال : رؤيته للمستقبل ؟

■ **توفيق الحكيم :**

هذا كله يهم المستقبل ، لماذا ؟ لان انا اريد ان اقول ما هو شكل الامة المصرية . نحن دخلنا فى الشكل الذى جعل ان من أول ما مارسنا الديمقراطية ، تفتت الامة الى احزاب اقلية واكثرية ، ولعبت فى هذا السلطات المحتلة والسلطات التى هيه بقى من وراء البلد ، التى هيه سواء سلطة الانجليز أو سلطة الدولة فى الداخل اللى كانت تمثلها السراى . ويظهر ايضا ان الدستور ، الذى كان أحسن الدساتير عندنا ، يعنى دستور ١٩٢٣ أو غيره ، لا أعرف لاى سبب أهمل فقرة كان سيكون لها تأثير كبير فى تاريخ مصر وهى الحد من سلطة الملك . أنه لا يكون له حق اسقاط الوزارات . وأن يكون اسقاط الوزارات ليس فى يد الملك بل فى يد الشعب أو الهيئة الممثلة للشعب فى البرلمان .»

■ **لطفى الخولى :**

لا يوجد نص فى دستور ١٩٢٣ بهذا المعنى » ولم يكن يمكن ، بحكم علاقات القوى فى ظروف اصدار الدستور ، أن يقنن هذا النص .»

■ **توفيق الحكيم :**

هذا هو الخطأ . منح الملك حق اسقاط الوزارات واقالتها .» وله سلطة حل البرلمان وحصل الملك على سلطة استطاع أن يلعب بها فى التاريخ المصرى كله ، البرلمان الذى لا يعجبه يسقطه . واذا قام الشعب بمطالبه معينة والبرلمان ايدها ، يروح يحل البرلمان ، لو كان الملك جرد من سلطة اقالة البرلمان كان تغير الوضع الى نقوية لسلطة الشعب .

■ **د . عبد العظيم أنيس :**

هذه هى النقطة . النقطة الجوهرية ، القضية قضية علاقة قوى حددت طبيعة النظام ونصوص الدستور .

■ **توفيق الحكيم :**

ماهو أنا أريد أن أقول انه هذا كان خطأ .» وهذا الخطأ أدى الى التلاعب بالدستور والتلاعب بسلطة الشعب فى ذلك الوقت . ووضع سلطة قوية جدا فى يد الملك ..

■ **لطفى الخولى :**

حسناء .وما تأثير هذا كله اذن على المستقبل ؟

■ **توفيق الحكيم :**

ماهو يقول لك ان التأثير على المستقبل انه جعل الديمقراطية التى هى فى ظاهرها مكسب حصلنا عليه ، اذا بها انحرفت وأصبحت ضررا على الشعب . أنا عايز أقول لك . ماذا كان موجودا من الثلاثين سنة ، من واقع ما كتبته ؛ كنت دائما انا أقول ان هذه الديمقراطية مزيفة .

■ **لطفى الخولى :**

لو أذنت لى يا أستاذ توفيق ، هذا كله مجاله فى الجزء الثانى من جدول الاعمال الذى اتفقنا عليه . وهو الجزء الخاص بمسار التجربة . أو ربما فى الجزء الثالث الخاص بتجربة العشرين سنة وخلفيتها ، لكن النقطة المطروحة للنقاش الان هى تصورك لشكل رءوس موضوعات للمستقبل .. أليس كذلك ؟

■ **توفيق الحكيم :**

لابد من الكلام فى الشكل ، وأنا أتكلم فى الشكل لانى أريد أن أحدد ما يعيب حركتنا الوطنية من أولها للان ؟ ، وهو انه حصل تزييف فى الاشكال التى نسميها ديمقراطية واذا بها ديمقراطية مزيفة .

■ **لطفى الخولى :**

اذن انطلق من هذا

■ **توفيق الحكيم :**

أنا لازم أحدد كل شىء من واقع موقفى القديم . لانى لا أستطيع أن آتى اليوم وأفرض نفسى عليكم وأقول لكم أنا أصبحت بساريا . أبدا .. ولا يمكن أن أقول هذا ولا أغير موقفى لانسان أبدا أو لاى هيئة ، أنا أرفض تقييد حركة فكرى بشعار أو مذهب أو لافتة من البغط واللافتات . أنا حر فى نظرتى واختيارى لما يصلح لتقدمنا وتقدم الجنس البشرى .. وحاسبونى فقط على هذا الموقف النابع من طبيعتى ومن جذور التمرد والعصيان عندى على كل تجمد . كما يجب أن تحاسبونى على الماضى الذى يؤدى الى المستقبل ، والا لما تيجى تقول لى عودة الوعى ؟ أقول لك لماذا عودة الوعى انكتب . وأنا لى موقف واحد ، هذا الموقف الواحد هو ان نقرأ ما كتبته فى شجرة الحكم وفى غيرها تجد نقدا للحالة الحزبية والسياسية فى مصر . كان كل واحد يقول لك ديمقراطية . أنا قلت ان هذه ديمقراطية مزيفة ونحن ننتظر الديمقراطية الحقيقية . وفى كتاب شجرة الحكم ، فى سنة ٤٢ أو ٤٧ . على العموم قبل الثورة ، قلت ننتظر تغيير كل هذا لانه لا يمكن أن نظل فى اطار شكل ديمقراطى مزيف . قلت لا . وقلت أيضا نحن ننتظر ثورة مباركة .. بهذا الاسم .. تطيح بهذه الانظمة المزيفة وتأتى بنظام يقوم .. حتى لم أقل نظام .. لانى شبعت من الانظمة والدساتير .. تأتى بناس مخلصين يستطيعون أن ينهضوا بالامة ويحققوا آمالها ويكونوا مخلصين حقيقة بصرف النظر عن الشكل . وكانت النتيجة أن جاءت ثورة ١٩٥٢ . ودخلت فى مضمون بلا شكل . فأنا رحبت جدا وكنت فعلا فى غاية السعادة لانها قامت بانجازات كنا نطالب بها مثل تحديد الملكية ، وكل اللى حصل .. كلها كانت انجازات . ولم تكن على اساس شكل .

بعد ذلك وجدنا ان المسألة أدت الى أن الشكل نفسه لم يكن محددا . وبعضهم سماها الدكتاتورية البولسية ، وبعضهم سماها الدكتاتورية العسكرية .. انما أنا لم أكن ألتفت الى هذا . وبعد ذلك استمرت الى أن وجدنا انه انقلبت الى نوع من الحكم المطلق فى يد فرد . حوله مجموعة من الافراد المتسلطين نبتوا مثل شجرة الموز . دائما ينبت أشجار جنبها . نبتت قوى أخرى خفية هى التى تسيطر على البلد بدون أن يحاسبها أحد . لان المحاسب هو الشخص الذى أمامنا . وهو صاحب السلطة المطلقة . نحن بنحاسبه هو . ولكن بالنسبة له لم نكن نعرف هل كان يدرى ببعض المساوىء أم لا .

هذه هى مسألة فتح الملفات ، والى أى مدى تكون مسئول . وهذه المسئولية عندما نفتح الملفات والوثائق ربما وجدنا مسئولية بسيطه . انما نحن على كل حال نسائله هو ونفتش ملفه ووثائقه ويبرز لنا لان هو الحاكم المطلق المسئول عن مصير الشعب ، لانه لم يكن هناك هيئات منظمة ، يعنى لو كان فيه أحزاب مسئولة ، كما نقول طيب فيه هيئات ، تشكيلات تحاسبها . لكن لم يكن هناك الا شخص واحد مسئول . فالى أى حد كان مسئولا ؟ لا ندرى بعد . انما كل ما نستطيع أن نقوله بالقياس الى التاريخ ان الحاكم المطلق بتنبت رغم أنفه ، قوى تتسلط فى الخفاء سلطات جسيمة جدا . وتلعب أدوارا خطيرة جدا سواء بدون علمه أو سواء بعلمه . وهو لا يقدر أن يقاومها لانها تكون شبه حارسة على وجوده وتشعره بأنها هى المسئولة عن وجوده وعن أمنه وتفعل ما تشاء . وهو ربما لا يصله من هذا الا اخبارا ملفقة أيضا عن سلطاتها ، أو يعنى اشاعات لا يستطيع أن يتحكم فيها . وحتى لو عرف كل شىء فانه لن يستطيع تغيير ذلك بسهولة لان الحاكم الفرد يصبح أسير حراسه الأبناء على حياته ونظامه ، ويعجز عن التخلص من تأثيرهم عليه . المهم ان هذا هو الذى أشعرنا بعد ذلك ان هذا الشكل أيضا غير سلائم وخطر . يعنى فى البداية

انا رحبت شخصيا بأى نظام . وكنت أرحب بهذا النظام الذى ليس فيه خصومات حزبية وقلت عظيم جدا أن جاءت ثورة شباب مخلص بدأت بالانجازات . وبعد ذلك وجدنا أن الشكل أصبح قيدا . يعنى أنا الان أطالب بالشكل ولكن عنى الا يطغى على المضمون . فهل عندما نتكلم على المستقبل كما نريده ، وبرنامجه ، نبحث فى الشكل اذن ، لان احنا عرفنا اشكال الحكم فى مصر ، فلابد أن نتكلم فى كيف يكون مستقبل الاطار الموجود فى حكم البلد . أما المضمون فنحن واثقون من أن أى حكام مخلصين سيكون لهم مضمون مخلص ، وهذا المضمون المخلص هو حرية الشعب وضمان عدالة وحقوقه خصوصا عندما نجد انفسنا فى نظام يقبل نوعا من الرأسمالية . ونصميها رأسمالية وطنية أو غير وطنية . ولنكن سواء أردنا أو لم نرد لاسباب اقتصادية أن ندخل رءوس أموال أجنبية أو عربية أو مصرية ونقبل هذا لعدم وجود شكل معين محدد . وعندئذ سنواجه بشىء غريب جدا ، وهو أنه اذا حدث ان رءوس الاموال هذه جاءت بوفرة فى الانتاج وجئت بشىء من الثروة فعند ذلك يقوم سؤال ، فى أى جيب دخلت هذه الثروة التى أنتجها التفتح الواسع لرءوس الاموال ؟ اذا ثبت أن رءوس الاموال كانت قد اسفرت عن ارباح طائلة .. أما اذا كانت رءوس أموال لم تأت بربح لمصيرها مصير أى مشروع يخفق ، ونرجع الى حالة ما اذا نجحت رءوس الاموال فى أنها تكتسب ارباحا كبيرة ، هنا من الذى سيأخذ ؟ دخلنا فى الشكل وفى الضمان للكادحين الذين سينتجون هذه الارباح ، لان الارباح لا تثبت بنفسها . ولكن بواسطة عمل ، وهذا العمل من الذى يقوم به ؟ عمال ، وأقصد بالعمال هنا العمال اليدويين والذهنيين ، يعنى كل من يعتمد الانتاج على ذهنه وعلى يده ، الاثنين واحد . ما هى الارباح والفوائد التى تعود على المنتج بيده أو بذهنه وينتج فيها هذه الثروة . هنا رجعنا للنظرية الماركسية التى تقول بأن العامل لابد أن يكون له — اذا لم يكن على الاقل مثل ماركس — النصيب الاول ، فعلى الاقل يكون له النصيب الاكبر ، حتى ولو ٦٠ أو ٧٠ فى المائة . يعنى تقسيم الارباح لصالح فى صدره الان ، ولكن لانه يتعلق بإطار الدولة ، انما لابد أن تكون فيه هيئة تستطيع أن تحدد ذلك .

■ لطفى الخولى :

عظيم بدأنا ندخل الى الرؤيا المستقبلية .

■ توفيق الحكيم :

لابد أن انتبه جذور تفكيرى والا أكون أنا رجل حاشر نفسى فى موضوع ما ليش فيه .

نحن الان فى قلب المستقبل وهو أننا مقبلون على وضع اقتصادى بالدرجة الاولى . لان مصر الان فى حالة فقر وأزمة اقتصادية ونريد ان نرم نفسنا . طيب الرم ده له أسباب كثيرة ، ولابد نكون موضوع مناقشة .. كيف ؟ من آراء مختلفة . ولكن الاراء المختلفة هذه غير واضحة لان ليس هناك من يمثلها غير الدولة . الدولة تقول لنا ان الطريقة الوحيدة هو فتح البلد لرءوس أموال تتدفق اليها لاجل مصانعنا الموافقة تشتغل . حيث أن موارد البلد نفسها استنزفت أو غير كافية . فما المانع ان نفتح أنفسنا ؟ الدليل على ذلك ان ايطا نفس البلاد الاشتراكية تقوم الان بمثل هذا يعنى نفس الاتحاد السوفيتى بعد خمسين سنة اذا استثمر بموارده وحدها يجد ان عنده كنوز ليستغل ، عنده سيبيريا بمالها . يقال انه نايم على ثروات اذا استغلت سيكون أغنى دولة فى العالم ، ونحن ايضا كدولة اشتراكية سنفعل نفس الشىء . اشتراكية يعنى ايه ؟ يعنى توزيع الثروات لايكون متكدس فى يد واحدة وهى اليد التى تملك الثروة الضخمة فيظهر فيه ثروات كبيرة جدا هى التى يتعطل للناس المستوى الضخم من الثروة ، أيه بيعملوا ايه دول ؟ ما تعرفش . أما الناس الذين عرفوا واشتغلوا فهؤلاء مستواهم لا يزيد الا بالقطارة لانه لا يمكن العمل اليدوى أو العقلى فى ذاته ان يعطى رصيدا كبيرا بغير خلق وانتاج كالسمسرة . فاذن فيه مشكلة قائمة اليوم وقائمة دائما وهى ناس لديهم ثروات هائلة . وهذه الثروات قلما يأتى بها العمل الانتاجى .

■ لطفى الخولى :

الاشتراكيون فى هذا المقام يتحدثون عن طبيعة العلاقات الاجتماعية السائدة ومناقض القيمة الخ ..

■ توفيق الحكيم :

هذه هى المسألة . يعنى من أين تأتى الثروة ؟ اذا جاءت الثروة من عقلك عظيم جدا . هذا شىء يسعدنا . أن العقل يساوى ثروة . انما اذا وجدت أن الثروة فى الغالب لا تأتى من العقل ولكن تأتى من ما يمكن أن تسميه الرجل الرأسمالى ، أى أن المال يأتى بالمال وهو قاعد يحرك الاموال ويأخذ ويلم . انما كون انه

يحرك عقله فيأخذ شيء . ده عظيم . نحن نريد أن نصل الى هذا . فاذن يعنى انا نهار ما آخذ فلوسى واستثمرها فى تاكسيات تقول انا بقيت راسمالى . اذا كان مثلا عندى فلوس واستغلتها . فى قولة شركة اسطوانات أو دار نشر واطبع او اعرض مسرحيتك « القضية » مثلا أعطيك فيها ولو ٥٠٠ جنيه . اعطيك زى ما انت عايز ، لكن حا آخد من وراك اضعاف اضعاف ، يعنى اذا كنت انا اجيبك أنت وكم اديب وبعدين افتح دار نشر أو دار اسطوانات مثلا . وبعدين أجمع انا مجهودكم وآخد نتيجة مجهودكم كده أو مجلة وآخذ مجهودكم أجعله فى رصيدى وأديكم اجركم على حسب ما أنا أحب أديكم يعنى . يبقى فيه جزء من هذا الغنى اللى عندى من عرقكم انتم — يعنى مالوش أبدا مقابل الا انى أخذته من مجهودكم . واديتكم ثمنه ، انما الثمن اللى اقرره أنا علشان يبقى لى فائض القيمة . خلاص بقيت أنا رأسمالى مائة فى المائة ..

■ لطفى الخولى :

يعنى حتى فى مجال الفكر والفن أنت ترى خطر الراسمالية وتحذر منه .

■ توفيق الحكيم :

ضرورى .. هو انت حيلتك غير قلمك اللى بتكتب به بيجيب لك المورد ، اذا أنا استغليتك فى أى عمل . هذا العمل يجيب لى الف جنيه . أديك منهم ٥٠٠ وانا آخذ ٥٠٠ حنقول ليه الـ ٥٠٠ دول جم لك منين بقه يا سى توفيق ؟ من فائض القيمة جايز أنا اعلل هذا ، أما اكون عايز اتفلسف ، واقول طيب ماهو انت من غيرى كيف كنت حتأخذ الـ ٥٠٠ ؟ وانت تقول لى طيب وانت واخد الـ ٥٠٠ بتوعى ليه أو جبتهم منين ؟ اقول لك من شطارتى بقى ، ضحكت عليك ، مش كده ؟

أسمع فى عملية كهذه لابد من الرجوع الى النظرة الماركسية من هذه الناحية . واخد بالك دى مسالة ثابتة أنسانيا — يعنى مثلا الذى لا يؤمن بها أو ماكانش متنبه لها حيبص يلاقى نفسه فى المستقبل حاجة من الاثنين ، يا مستغل يا مستغل .. يا منتج بمجهود الاخرين ، يا منتج بنفسه .

■ لطفى الخولى :

يعنى انت توافق على النظام الاقتصادى والعلاقات الاجتماعية كما تراه الماركسية ؟

■ توفيق الحكيم :

أنا بأخذ الشيء الثابت فيها وماشى مع الحياة فى كل زمان ومكان .

■ لطفى الخولى :

فى نقطة الاستغلال ؟

■ توفيق الحكيم :

هذه النقطة اساسية . لماذا ؟ لانه من غير ما تكون ماركسى ماتقدرش تنكرها . وأنا مش عايز احط لافتات او التقيد بمذاهب ، ولكنى اقرر حقائق فقط .

■ لطفى الخولى :

يعنى مثلا نظرية فائض القيمة انت موافق عليها

■ توفيق الحكيم :

من الصعب عدم الموافقة على هذه الحقائق ، بس النقطة بقى هى هل نظام بلد اشتراكى يتيح لك انك تقبل وجود الراسمالى على شرط أن يعطيك الربح ، يعنى يشاركك فى الربح أو تشاركه فى ربحه الى الحد الذى يجعل انه هو يحقق ربحا معقولا . صحيح فائض القيمة . ولكن فائض قيمة بسيط بالنسبة الى ما يعطيه للعمل . هذه مسالة أعتقد أنها متصلة بظروف البيئة . فيه ظروف بلد تنقلها من نظام الى نظام فجأة يقوم جايز ترفض الراسمالى اصلا وهذه تتطلب تاريخا نضاليا أكبر ووعيا اكبر ، ولكن اذا بلد استقر فيها النظام الاستغلالى أو نظام الغنى الذى يأتى عن طريق الطبقة الراسمالية يبقى فى هذه الحالة لا تستطيع بحكم قصر مدة نضالك الاجتماعى والثورى ، تقلبها اشتراكية على طول ، تعمل ايه ؟ يبقى فيه نظام داخلى وسط او انتقالى ، لازم يأخذ شكل . وهذا الشكل يستطيع أن يضغط على الطبقة التى تملك ولا تعطى كفاية للعمل . وهذا مثل النظام المتبع فى أوروبا الغربية . انها لم تكن لتقدر على القفز من نظام رأسمالى ١٠٠ فى المائة الى نظام اشتراكى مثلا ، ماركسى ، البروليتاريا فيه هى كل شيء ؟ هذه عملية لم تستطع بحكم تركيبها الاجتماعى انها تقفز منها فكانت النتيجة ان قامت فيها قوى العمل وكتلت نفسها فى نقابات ، ثم فى أحزاب وأصبحت هى اليسار الذى صار له قوة ضاغطة ، تستطيع أن تأخذ من الراسمالية أكثر

ما يمكن . ويعد ذلك تبلورت في حزب العمال مثلا في انجلترا وفي مجموعة الاحزاب المتكتلة التي نراها في فرنسا اخيرا مع ميتران وكاد يأخذ السلطة ، اذن ما الذي جعله يهذه القوة ؟ قوة العمل تريد ان تأخذ حقوقها من فرنسا الغنية اليوم . هذا الغنى افقر العمال والكادحين [بظهور التضخم المالي .] وهم على وعي كبير لحقوقهم ، حقوق الطبقة الكادحة . بدأت تقوى هذه الطبقة وتتساءل طيب الغنى لمن ؟ وما هو نصيبي من الغنى ؟ نحن الذين ننتج كل هذا الغنى . هذه الشركات العظيمة المهندسين والعمال فيها ، هم الذين أوجدوا الثروة أين نصيبنا ؟ ونمت قوة الحزب الشيوعي الفرنساوي والحزب الراديكالي والاشتراكي . كل هذه الاحزاب تكتلت برياسة ميتران بالشكل الكاسح ده لانه شايفين الغنى في فرنسا رايح لجانب واحد . وابتدت المشكلة هنا ، يعني العامل اليدوي او الذهني سيأخذ نصيبه ازاي ؟

■ **لطفي الخولي :**

في مجال ما تفضلت به .. ومع العلم بأنه غير دقيق طبعا ان بلدا تحاكى بلدا آخر في مسارها وتجربتها . ولكن كيف تتصور انت مصر — في ضوء كل ما قلته — وذلك في حدود ١٠ سنوات ٢٠ سنة قادمة . بمعنى هل في تصورك ستكون اقرب الى النظام الاقتصادي والاجتماعي .. او بالاصح تريد أنت ان تكون اقرب الى النظام الخاص بأي بلد في العالم المتطور . مثل فرنسا .. بريطانيا .. السويد .. امريكا .. الاتحاد السوفيتي .. كوبا .. الصين .. فرنسا .. بريطانيا . مع التشديد ؟ على انه من استحيل نقل تجربة بلد معين في ظروف معينة الى بلد آخر وظروف اخرى مغايرة .

■ **توفيق الحكيم :**

اقول لك .. اذا كنت تريد ان تسين بالنظام الطبيعي لابد ان تبدأ بأن يكون عندك من يمثل الطبقة الكادحة .. الطبقة الرأسمالية او المستغلة لا يمكن ان تقول انها محتاجة الى تجمع لان الذي يجمعها هو الربح والقرش .. لكن الطبقة المحتلة معملا الى تجمع حقيقي الطبقة الكادحة .. بتاعة اين نصيبي من الربح ؟ هذه محتاجة لتكتل . هذا التكتل سيكون فيه من ؟ ليس من يسمونه بالعصاة .. لان كلمة العصاة والثائرين راحت اليوم ..

وبقى اسمهم اليسار . ولكن اليسار الان غير معترف به .. طيب نسيب أمرك لين الان .. من الذي يدافع عننا .. دا احنا نفسنا الدولة بتاكل حقوقنا .. انت ككاتب بتعرف تاخذ حقك اليوم في الاذاعة او التليفزيون ؟ لما يقولو لك هات مسرحية القضية ويعملوها بتاخذ حقوقها .. بيروحوا يبيعوها في الدول العربية ومن الذي يقبض ؟ الدولة .. الدولة رأسمالي وانت مستغل .. ليس لنا شغل .. روايات المؤلفين بيبيعوها للدول العربية ، ياعوا لي روايات بـ ٢٠ الف جنيه وأنا لم آخذ منها الا ٢٠٠٠ أو ٤٠٠٠ جنيه .. لو كان هذا الرأسمالي الذي يستغلني في الخارج .. وكان فيه هيئة يتدافع عني اسمها اليسار وفيه حزبين ثلاثة يمار انا كنت ابقى يساري .. مجلة الابزرفيتر وضعت استفتاء عزيز رايح الانتخابات الرياسية .

ميتران عمل برنامجه في مقابل برنامج جيسكار ديستان . طيب جيسكار ديستان كرجل اقتصادي رأسمالي كل مهمته رفع مستوى اقتصاد فرنسا .. فرنسا تمثل عنده مين الذي ينتج الثروة .. رجال الصناعة .. رجال البنوك والاموال . ميتران بقى جاء يقول له : لا . انت تدافع عن الثروة رجال الصناعة والبنوك . انما انا بقى اللي حادافع عنهم هم اولا : أرباب المعاشات — قلت وانا اقرأ المجلة أبوه انا من أرباب المعاشات — ويمعدين محدودي الدخل أهو انا من محدودي الدخل — لقيت نفسي انه لا يمكن ادخل عند ديستان ده لانه ليس لي مصالح معه . انما ميتران حيدافع عن مصالحي لكن انا آجي في مصر وأقول عاوز واحد يدافع ضد النهب اللي بيتعمل . دول بيبيعوا عمل بـ ٢٠ الف جنيه ، ويمدين أقول لهم يا ناس ازاي ما تجوش تقولوا لي .. بتاخدوا فلوس من ورايا .. شاركوني في الربح .. فاين مين حيعمل لي الكلام ده قلنا هيئة ادباء .. جمعية الادباء .. طلعت لا شيء . مع انهم انتخبوني رئيسا فخريا لها !!! نهايته هي مصالح في مقابل مصالح .

■ **لطفي الخولي :**

طيب هل أنت تطمح في المستقبل الى تكوين قوة شعبية منظمة على غرار القوة القائمة الان في فرنسا من تحالف الاشتراكيين والشيوعيين وكل القوى اليسارية في فرنسا من حول برنامج محدد للدفاع عن مصالح الطبقات الشعبية الكادحة سواء بالفكر أو بالعمل ؟

■ توفيق الحكيم :

انا الاول قبل ماتحدد لى الاسماء التى هى ترعب الناس دى فانت قل لى اسم نحسنه شوية، شوية ، وهو اليسار . كلمة اليسار دى تدخل فيها ـ تحالف اليسار ـ لانك متى قلت شيوعيين .. يا خبر اسود ملحدين ! .. والشيوعية حوربت فى مصر ابتداء من العشرينات أيام ما الانجليز كانوا مسيطرين .. من أيام الشيخ بخيت . بعض رجال الدين راحوا يقولوا الشيوعية الحاد وطبعا وراها رءوس الاموال الاجنبية وحط عليها الجهل وعدم الوعى .. المهم الكلمة لوثت . فأصبح اليوم من الصعب ان احنا نستطيع أن نتحدث هذا الحديث .. انما اذا قلت اليسار وبعد ذلك اليسار ، قدرت انك تجمعه فى شكل معترف به . أولا لازم يكون معترف به من الدولة مثل فرنسا ومثل انجلترا .. يسار له جناح يستطيع انه يدخل الانتخابات مثل الوفد والاحرار زمان : اليوم تقول لليسار تكتلوا فى انتخاب أشخاص معينين ملتزمين بالدفاع عن مصالح الكادحين .

■ محمد سيد احمد :

ولو رفض هذا ؟

■ توفيق الحكيم :

لو رفض هذا ؟ يرفض لماذا ؟

■ د . لطيفة الزيات :

سيادتك تأمل بنظام ليبرالى يتيح لجميع الطبقات أن يكون لها أحزابها الممثلة فيها . وفى المستقبل تستطيع القوى اليسارية من جميع الاحزاب أن تكون كتلة للدفاع عن حقوق محدودى الدخل والطبقات العاملة ؟ هل ترى هذا ممكن ؟

■ توفيق الحكيم :

هذا هو النظام الذى نستطيع ان نقول انه عملى الان . لانه اذا اردت ان تقفز الى نظام ، أسرع أو شمولى أو أقرب الى الفاعلية ، فهذا يجب ان يبنى طبيعيا ، والطريق الطبيعى ان نطالب بحرية الاحزاب . وأن يكون هناك حزب له برنامجه . وحتى اذا لم يقل انه يسارى فأنت عارف من جريدته وبرنامجه وتركيبه واندفاعه للدفاع عن القضايا المعنية انه يسارى . وبعد ذلك يشكل نفسه ويستطيع بالتكتيكات الخاصة به أنه يوسع نطاقه .. وهذه هى الليبرالية .. أى كل الاحزاب .. هذا النظام هو ممكن كما تقول الدكتورة لطيفة .

الشىء الثانى ، ونحن لابد أن نستعرض كل امكانات الظروف الاخرى . قد يقول قائل ولماذا لا نفعل مثل ما فعلته الصين الشعبية .. الصين الشعبية عمرها من عمر ثورتنا .. ثورة ٥٢ .. ومع ذلك فانها قد توصلت الى صنع قنابل ذرية وقدرت تحل اشكال عدد السكان ، وتحل اشكالات كثيرة . وقدرت تقفز على مشكلة المجاعة .. عملت انجازات لا يمكن الا انك تقدر هذا وتحلله . لدرجة أنه أنا بدأت أفكر فى كل هذا .. أنا لا يهمنى الاشكال ولا يهمنى المذاهب . أنا يهمنى قبل كل شىء تحليل النجاح فى هدف معين .. لماذا نجحت الصين الشعبية .. ؟ هل هى نظام مثل نظام الاتحاد السوفيتى ؟ لما بحثت الحكاية بينى وبين نفسى وجدت ،طلعت بحاجة لا أعرف هل هى حقيقية أم لا ؟ الاتحاد السوفيتى هو ثورة البيض .. أقصد ثورة أوربية . يعنى الثورة الاشتراكية التى تصلح بنجاح فى بلاد الحضارة .. لماذا؟ لانها جت لقت حضارة قائمة . هذه هى شيوعية أوربا . لكن الصين هذه هى شيوعية البلاد التى مثلنا .. النامية الفقيرة .. فاذن الفرق هو الحضارة . لينين رجل متحضر . أى جزء من حضارة اوروبا .

أريد ان أقول أن النظام الطبيعى هو فقط الممكن . وما قالته الدكتورة لطيفة من أن الوصول الى الاعتراف بشكل لليسار عن الطريق الليبرالى ، هو الطبيعى الممكن فى ظروفنا .

أما الطريق الاخر الاسرع ، فهذا شاذ جدا . لان ما حصل فى الصين يحتاج لشىء قلما يحدث وهو ما اسميه بالنبوة ، أو ما يشبه ذلك . وكذلك ما حصل فى فيتنام .. ماذا أعنى بالنبوة ؟ زعيم يكون شبه نبى . بمعنى أن ينزل الى الطريق ويأكل فى الاسواق كما يقال .. ويعمل مع الثائرين لا ينعزل فى قصور ولا مكاتب . وبعد ذلك يؤمن به شعبه ويصبح قطعة منه ويقود كل شىء وراءه .. وهذا مخالف للطريقة المعتادة فى أوربا . وهو انه ينبت الزعيم من الحزب . ينبت من تنظيم معين يستطيع انه يقود فى اطار مبادىء الحزب وبس . فى النبوة .. لا .. هى عملية يدخل فيها اعتبار ان الزعيم هنا هو فى أول الصفوف . يعنى يحفر بنفسه الاسس وهو معك يأكل ويكدح معك ويعيش معك . ويكون قدوة . فتجد

الشعب كله قام معه .. لماذا كنت تراه متواضعا الى الدرجة اللى فيها يكفيه كما يقال عن ماوتسى تونج .. يكفيه ٥٠ دولار مرتب . يعنى هذه حاجة بسيطة جدا وساكن فى حجرتين اسطبل وبعد ذلك تجده مسح كل مشروع ، مشروع يحتاج الى عمل يدوى هو معه فى العمل اليدوى وهو أيضا مع العمل الذهنى ».

■ لطفى الخولى :

أراك تعود من جديد الى نظريتك فى الثلاثين : نظرية الكل فى واحد . مع أنك فى جلسة الحوار الماضية نقدت هذه النظرية ونقدت ذلك بشأنها ».

■ توفيق الحكيم :

الذى حدث هو ان نظرية الكل فى واحد هذه اتخذت مراسم الحكومة البيروقراطية .. حكومة بيروقراطية ليست هى النبوة .. النبوة فى الزعامة الشعبية المتمحية فى اعماق طبقات الشعب شىء آخر ».

■ د . لطيفة الزيات :

تفسير النجاحات التى حدثت فى الصين ليست فى وجود شخص واحد ، وانما فى وجود الحزب والقواعد الشعبية ، وفى وجود تاريخ نضالى لهذا الشخص الواحد . وهذا التاريخ هو الذى بلغ به هذه المرتبة ».

■ توفيق الحكيم :

ولذلك أنا استبعده عندنا !! لان المسألة هنا تدخل فى باب لا نقدر أن نتحكم فيه .. كيف نتحكم فى ايجاد شخص له الصفات التى يستطيع بها أنه ينقل شعبه فى ٢٥ سنة بهذه القوة الساحرة . وهى ساحرة فيه لانه ساكن معهم ويأكل أكلهم .. يعنى الواقع أنه ليس له منصب أو مركز خاص .. هذه عملية لا نقدر أن نكررها ».

■ د. عبد العظيم أنيس :

عاود أنبه سيادتك الى أن هوشى منه أو ماوتسى تونج نشأوا من خلال احزاب محددة ، ثم بنبتوا من الهواء .. نشأوا فى داخل أحزاب كأفراد ووصلوا الى الزعامة من خلال هذه الاحزاب . بمعنى أن هؤلاء شبه الانبياء كانوا ثمرة.حزبى قايم فى البداية ».

■ توفيق الحكيم :

معلهش ماهو ده لما نخش فى كيف ظهروا لانه مش معقول يكونوا جايين كده من ورا سيدنا الحسين بنقولهم ويقولوا تعالى ياشعب !».

■ لطفى الخولى :

هل لى أن انبه أنه على الرغم من أهمية هذا الموضوع فانه يخرج بنا عن الاطار الذى اتفقنا عليه للمناقشة ».

■ توفيق الحكيم :

معلهش .. هى لابدان تكون زى مابتقول انهم نبتوا ازاى . انما أنا بأقول مش كل حزب لا ينتج مثل هذه الزعامة والا كان كل حزب يطلع لنا شبه انبياء . ولكن هنا من غير شك لابد من تنظيم من نوع خاص ايضا . وكما تقول لما نبحث تاريخ ماوتسى تونج طلع منين وهوش منه طلع منين نجد ان فيه تنظيمات وفيه مبادىء التزموا بها وظلوا عليها . بدليل انهم كانوا مع ستالين واستنكروا الهجوم على ستالين ، لانهم رأوا فيه الرجل الذى وقف بصلابة فى وجه النازية وسنان أول دولة اشتراكية ، وقالوا انه لا يجب أن نهينه . الادانة دى يعنى اذن هم ليهم الجانب النظرى

■ لطفى الخولى :

ألا ترى ياأستاذ توفيق أن هذا موضوع فرعى ؟

■ توفيق الحكيم :

اه ده موضوع تانى . انه فرعى لعلا . انما! ما هو الظاهر فى هذه الثورات ؟ ليس هو الشخص .. أى شخص . انما هو الشخص الذى يكتفى بالزهد وانكار الذات » . وهذا الزهد يجعل أن جميع من معه ومن بعده مثله ، كما قال الاستاذ خالد محيى الدين ان القدوة بتعمل عمل كبير جدا » يعنى هى نفسها ثورة .. ثورة على النفس أولا . وبعد ما تكون ثورة على النفس يعنى يكبح جماح ذاته . رغم أنه كان يستطيع بمجرد ما بقى زعيم انه يسكن فى قصر ويأكل عسلا .. وعنده كل شىء .. كبح هذا الجماح وقال لا » .. انا لازم أكون قدوة . لما يقول هذا يقول الشعب كله معه من أول الوزير .. وكيل الوزارة .. المدير العام .. يعنى كل السلسلة اياها فى البيروقراطية . بهذا نجد الدولة اشتغلت ثورة حتى على نفسها ».

ونجد كل مشكلة حلت .. لا فيه بضاعة مستوردة ولا مش عارف عايز ياكل جبنة منين ولا ياكل ايه .. ولا يركب ايه .. يعني البلد كلها بقيت عبارة عن ثورة قبنى باظافرها هذا البناء وهذه العملية لا اعرف اذا كان هناك من يقدر ان يعملها ام لا .. ولذلك انا استبعدها .

انتم لا شك تتذكرون انه بعد قيام ثورة يوليو اتجه الوزراء الى أن يملكوا مملكا بسيطا ، مثل الناس العاديين ، وتذكرون مثلا ان الشيخ الباقوري تأخر في عمله فنام في الجامع .. وكان الضباط يأكلون طعمية في عيلهم فاستبشرنا خيرا .. والضباط في الاول بقوا يركبوا عربيات جيب ويجروا بها .. قلنا هذا عظيم ولكن بعد ذلك تغيرت الامور .

■ لطفي الخولي :

بالاستاذ توفيق يعني اذا عدنا الى تصورك الاساسي للمستقبل ، وهو ان اليسار من الممكن ان يتجه في كيان : سواء في حزب أو حركة أو .. أو .. الخ من خلال مرحلة ليبرالية يمر بها المجتمع كما تتصورها . فكيف يكون في تصورك برنامج هذا اليسار ؟

■ توفيق الحكيم :

لا اريد الا ان ادخل في المضمون ، فنحن لا نزال نناقش الشكل . الدكتورة لطيفة تقول أن طريق الديموقراطية الليبرالية يمكن أن يكون هو الطريق الصحيح على أساس انه يسمح بقيام تنظيم لليسار ، أو نوع من الوجود لليسار .

أول شيء يجب أن يضعه اليسار هو أن يتحرك من الواقع أن يعرف الناس أين توجد مصالحهم .. وعلى اليسار أن يتجنب الانطلاق من نظريات وايديولوجيات ، نقطة البدء ليست أن يعرف الرجل العادي أن اليسار ينتسب الى ماركس . ولكن نقطة البدء أن يعرف الناس أن اليسار هو الذي يدافع عن مصالحه المحددة . ومن ثم فيما بعد اذا اكتشف الناس ان اليسار ينتسب الى ماركس أو الى هذا المفكر أو ذاك ، فان هذا سيكون افضل .. وهذا الامر لا ينطبق على الناس العاديين وحدهم بل ينطبق على وعليك . فمثلا اذا كانت الدولة تأخذ مني عملا أدبيا ثم تبيعه بعشرين الف جنيه ولا تعطيني الا مبلغا ضئيلا فني هذه الحالة سأبحث عمن يدافع عن مصالحي في مواجهة رأسمالية الدولة . فاذن لابد من البحث في الطريق التي توصلنا وأمامنا الان طريقان :

الطريق الاول : هو طريق الديمقراطية الليبرالية وهنا ، ما علينا الا أن نطالب بديموقراطية لا يمكن رفضها . وفي ظل هذه الديموقراطية الليبرالية يستطيع اليسار أن يجمع نفسه في حزب وجرائد .

الطريق الثاني : هو طريق نظرية تأتي من خلال زعيم شعبي حقيقي ، اي من خلال شخصية من نوع لينين أو هوشي منه أو بوتسي تونج . ولكن هذا الطريق غير مضمون . لانه قد يظهر هذا الشخص المتأن صاحب النظرية الشعبية ! وقد لا يظهر .

هذان هما الطريقان الموصلان للشكل .

هل أنا مع الطريق الاول ، طريق الديمقراطية الليبرالية . الواقع اني لم اكون رأيا محددا بعد . أنا اضع أسئلة .

وهنا اسأل هل لدى احد من الموجودين طريق آخر غير طريق الديمقراطية الليبرالية . ان الشكل لا يزال مطروحا للمناقشة .

■ لطفي الخولي :

بعد كلام الاستاذ توفيق الحكيم اقترح أن يحدد كل منا تصوره للمستقبل في حدود عشرة دقائق .

■ د. لطيفة الزيات :

مجرد استدراك صغير . عندما تكلمت عن الديمقراطية الليبرالية — لم اكن اعبر عن رأيي الشخصي ، لانني لا احلق املا كبيرا على الليبرالية . فقط كنت أحاول أن الخص تصور الاستاذ توفيق الحكيم عند النقطة التي توقف عندها .

■ لطفي الخولي :

والان نبدأ في تقديم تصور للمستقبل .

■ خالد محيي الدين :

عندما نتصور مستقبل مصر ، فان مصر لا يمكن أن تضع لنفسها تصورا للمستقبل معزولا عن مستقبل البلاد العربية .

واذا جاز لنا أن نضع هدفا استراتيجيا — بعيدا — وهو بناء مجتمع عربي متطور صناعيا

وزراعيا وثقافيا فهذا يفرض على مصر – بحكم وضعها فى العالم العربى – أن تلعب دورا قياديا .

بعد هذا علينا – ايضا – أن نتخيل مصر دولة متطورة صناعيا وزراعيا وثقافيا وتلعب دورا قياديا فى تطوير المجتمع العربى نفسه . لكن شكل العلاقة بين مصر وبين العالم العربى أنا لا أستطيع أن أحدده سلفا : هل هو إتحاد دويلات .. اتحاد متكامل .. دولة واحدة .. الخ .. واكتفى بالقول انه مجتمع عربى متكامل تلعب فيه مصر دورا قياديا .

السياسة الخارجية والعربية : معادية للامبريالية والصهيونية لانهما العدو الرئيسى المعادى للتكامل والتوحيد العربى والتقدم

هذا الوضع .. يفرض على مصر أنها تلعب الدور الرئيسى فى مقاومة الخطر الاسرائيلى الصهيونى لانه هو الخطر الذى يهدد مستقبل البلاد العربية . ومستقبل مصر أن تلعب هذا الدور . فمن ناحية : هذا الامر يفرض عليها ان تلعب الدور الرئيسى فى تجميع القوى العربية التقدمية والوطنية وما يسمى بالدول التقدمية ، ثم بعد ذلك الدول غير التقدمية فى مواجهة الخطر على حركة التحرر العربى .

وهذا يفرض عليها نوعا من العلاقة الجيدة مع القوى المادية للامبريالية وفى مقدمتها الاتحاد السوفييتى والبلاد الاشتراكية الاخرى . لكن مصر لا تستطيع أن تلعب هذا الدور الا من وضع يحدد اتجاه التنمية الداخلى ، الا من خلال تنمية يلعب فيها القطاع العام ، أو القطاع الاشتراكى الدور الرئيسى . لانه اذا سرنا على ما يسمى بطريق التطور الرأسمالى ، فسوف نهتم نهائيا امام الرأسمالية العالمية ، لان الرأسمالية المصرية ستظل ضعيفة وصغيره أمام الرأسمالية العالمية . واضيف أنه اذا ما اتجهنا الى الطريق الرأسمالى ، فمعنى ذلك اننا نأخذ طريقا طويلا جدا حينما نترك طريق التراكم الرأسمالى يسير الى مداه . لاننا بحكم كوننا دولة نامية تعانى من كثير من أوجه التخلف ليس امامنا الا أن نسير فى طريق التطور الاشتراكى لقد فشلت الرأسمالية المصرية والاجنبية من قبل فى تطوير الاقتصاد المصرى . نقطة البداية – استمرار تأميم البنوك التجارية

هذا الوضع يفرض على نوع السلطة ، فى مصر ، أن تكون سلطة ديموقراطية تقدمية ، لا اريد أن اقول اشتراكية ، لان المرحلة الاشتراكية الكاملة يمكن تتطلب العشرين سنة القادمة .

ولقد كان من بين العيوب الرئيسية فى التجربة الماضية أنه تمت تأميمات وحدثت تغييرات ، ولكن طبيعة السلطة لم تتغير أو شكل الحكم لم يتغير . والمؤسسات السياسية التى يفترض أنها تخدم هذا الامر ظلت على حالها ولم تتطور جديا ..

ومعنى كلامنا عن نوع السلطة – هنا – أنها يجب أن تصبح معبرة عن القوى الاجتماعية التى لها مصلحة فى هذا الاتجاه – وفى مقدمتها العمال والفلاحون والمثقفون الثوريون .

وأنا لست من أنصار الديموقراطية الليبرالية لان الليبرالية تفترض أن تسمح بقيام أحزاب رأسمالية وتسمح بعودة الرأسمالية وعودة الملكية .

فاذا قيل أن الوضع الراهن يقيد الليبرالية (كما أنه يضع قيودا على اليسار) فليس من مهمتى – مع ذلك – أن أسعى الى تطوير الرأسمالية أو أعطى الرأسمالية حقوقا أكبر . واذا كنا نسعى بهدف أن نبنى ديموقراطية اشتراكية فان هدفى المباشر أن تكون ديموقراطية تقدمية ، تلعب كل القوى الشعبية أى العمال والفلاحين ، الدور الرئيسى فيها .

لكن ما هو الشكل الذى يفرض وضعه هنا ؟ أنا قابل مبدأ التحالف الوطنى . ولكنه يجب أن يقوم على أساس أحزاب ، تمثل المصالح المختلفة للقوى التى لها مصلحة فى التغيير ، وتنضم فى جبهة موحدة فى نطاق التحالف الوطنى وعلى أساس البرنامج الموحد ..

وهذا هو الذى يعطى نوعا من الضمان لكى يعكس التغيير فى شكل الدولة والمؤسسات السياسية، هذا هو التغيير بالفعل، فلا تكون هناك طبقة واحدة معبرة عن حقوق باقى الطبقات . وفى هذا النطاق يسمح بنوع من الخلاف ونوع من الاتفاق على القضايا الكبيرة . ولكن لابد من تغيير فى نوع السلطة . وهذا الذى يضمن استمرار التغيير .

هذا الوضع يفرضه ، ايضا ، الوضع فى العالم العربى . لانه اذا سأل انسان : وماذا سنصنع فى المجتمع العربى ، فان الجواب سيكون هو أن ٧٠ أو ٧٥ فى المائة من الاموال العربية مملوكة للدول العربية وليست مملوكة للافراد .

■ **لطفى الخولى :**

كل البترول كما اعتقد قطاع عام .. أليس كذلك ؟

■ **خالد محيى الدين :**

كل البترول قطاع عام . اذن فالاتجاه التقدمى الذى يقوم فى مصر لابد وأن ينعكس على البلاد العربية بشكل تقدمى وذلك بصرف النظر عما يحدث الان من اتجاه فى الغرب والولايات المتحدة الى أن تأخذ هذه الاموال . فنحن سنفرض هذا الوضع ، بموقف مصر وموقف الدول التقدمية العربية ـ الخطوة الثانية تعاون مصر مع الدول التقدمية العربية فى كل المجالات . وبدون حدوث هذا فان مستقبل التعاون العربى سيبقى صعبا جدا ، فهذا هو التصور للخطوط الرئيسية للمستقبل .

■ **توفيق الحكيم :**

سؤال : هل تقدر أن تقول ـ مثلا ـ أن هذا هو النظام المتبع فى الجزائر الان ؟ وهى تجربة يمكن أنها توضع فى الاعتبار .

■ **خالد محيى الدين :**

لا أريد فى الواقع أن أضرب أمثلة بأى نظام .

■ **لطفى الخولى :**

نحن الان نتحدث عن مستقبل مصر.

■ **توفيق الحكيم :**

الديمقراطية التقدمية الا تنطبق على الجزائر.

■ **خالد محيى الدين :**

لا .. الديمقراطية فى الجزائر فيها عيوب وفيها نفس المشكلة الخطيرة ، اذ أن جبهة التحرير الجزائرية وهى النظام الشمولى تحتكر العمل السياسى فى يد مجموعة من الناس .. يعنى بصراحة الكلام المكتوب على الورق فى الاتحاد الاشتراكى عظيم . ولكن لا يطبق .. ففى التطبيق هم لا يريدونها أن تكون حزبا لكنه هو حزب وحزب لمجموعة معينة أو مجموعات تتعاقب واحدة تمسك القيادة وتحرم الباقى وهكذا .. فانا أقول انه يجب أن يكون لنا نظام خاص . وحتى بدون مذاهب ، فان مصر اذا أرادت أن تتطور ، وتطور العالم العربى ، فليس أمامها ـ اذا كانت تريد أن تجعل من هذا المجتمع العربى والمصرى واقعا متطورا ـ الا أن تتبع الطريق اللاراسمالى نحو الاشتراكية . هذا اذا أرادت أن تحافظ على استقلالها . ان هذا يفرض عليها سرعة التنمية وسرعة القضاء على التخلف بسرعة . لابد أن الدولة تظل تلعب دورا رئيسيا .

هذا هو التصور العام لمصر اذا أرادت أن تواجه الخطر الامبريالى والخطر الابريالى .

■ **محمد سيد أحمد :**

رأيى انه عندما نكون صورة المستقبل عندنا أنفسنا أمام عدد من المعطيات الموضوعية التى تقيد تصورى الخاص كما أرغبه . لكن من الصعب أنى أقدم تصورا ممكن التنفيذ من خلال واقع معين ومعضلات معينة أواجهها الان .

النقطة الاولى : لماذا أقول ان عندى معضلات تواجهنى حاليا ؟ عندما أقول مرحلة ثالثة فانى اقصد عددا من الامور : فالمرحلة الاولى كان اسمها مرحلة حرية سياسية وثبت فى نهاية الامر ان هذه الحرية السياسية كانت حرية شكل . المرحلة الثانية باسم المضمون كانت حرية اجتماعية وفى نهاية الأمر كانت الحرية الاجتماعية بالتفويض ولم تكن ايضا فى نهاية الامر حرية اجتماعية حقيقية . نحن اذن بصدد مشكلة كيف نمزج فى المرحلة الجديدة بين الحرية السياسية والحرية الاجتماعية . وهذه مشكلة من المشكلات التى تواجهنا فى المستقبل .

المشكلة الثانية : انه فى الفترة السابقة كان من الممكن تأميم الصراع الاجتماعى أو نوع من التنظيم الذى يعبر عن تنوع معين . هذا غير ممكن فى الفترة الحالية . يكفى أن نقول انه بسبب التحديات الاقتصادية هناك انفتاح الى اليمين ، ولكن هذا سيقابله انفتاح على اليسار لان هناك قوى اجتماعية الى اليسار لن تقبل هذا الانفتاح على اليمين . اذن فالتوسيع فى الجبهة الاجتماعية فى مصر ، وفى ضوء ذلك التأميم للصراع الاجتماعى مستحيل .. وهذه مشكلة أو معضلة ثانية تواجهنا فى المستقبل ..

أنا أقول ان التصدد شىء لابد منه ، وان الوضع الامثل لمواجهة هذا التصدد فى المستقبل هو وضع الاحزاب . وبناء الجبهة الوطنية من خلال الصراع السياسى وليس بالاسلوب الادارى أو الفوقانى ضد قوى اليمين . معنى هذا أن المعركة حاليا تنتقل جوهريا الى تحت ، وكل القوى لازم تشارك لتحت ، لان تأميم الصراع ـ فى الفترة الماضية ـ كان ممكنا فى ملابسات تاريخية معينة . لم تعد ممكنة ، ولن يكون ممكنا فى المرحلة القادمة وهذه هى القسمات التى تميز المرحلة القادمة عن المرحلة السابقة . من ضمن الاعتبارات التى كانت داخلة ايضا

فى مسألة تأميم الصراع الاجتماعى ان كان هناك طابع معين للصراع العربى الاسرائيلى ، وهذا الطابع انتهى أيضا بعد حرب اكتوبر . يعنى ان الصراع كان قبل اكتوبر متسما بطابع الحرب الباردة ولكن بعد اكتوبر أصبح يتسم باستقطاب مطلق .. اقول سوف نتحدث عن السلام ، فمن الصعب ان تتكلم عن كتم وقمع كل الاشكال الاخرى للصراع باسم الصراع مع اسرائيل .. فمن جميع الوجوه أوجه التعدد تتلاشى . وهذه الصورة التى نحن مقدمون عليها تطرح علينا هذا السؤال ما هى حدود ابعاد هذا التعدد ؟ وهذا يرتبط بقضية الطريق الرأسمالى

نحن اذن نتحرك بين تصورين متطرفين : النظام الليبرالى المطلق من جانب ، والثورة الثقافية او التجربة الصينية أو الذنوة او ما نسميه ، من الجانب الثانى .. الحقيقة اننا هنا ، نريد أن ننظر نظرة نقدية للعمليتين دول .

فبالنسبة للبيرالية ، ليس صحيحا ان الليبرالية تكون حليفا لليسار فى كل الظروف ، من الممكن أن الرأسمال الاجنبى ينشط قوى يمينية محيفة ، ويخلق لها ظروفا أكثر مواتاة من اليسار ..

النقطة الثانية : ان كثيرا من الاختناقات التى نواجهها ذى التكاثر السكانى ، يعنى مجموعة مشاكل نواجهنا فى المرحلة القادمة ، قد تثبت الارضية التى تخلق الموقف الثانى المتطرف الذى أشرنا اليه .

يعنى هى ليست مشكلة شخص ، هى مشكلة أن هناك معضلات موضوعية قد تفرض هذا .. وقد تخلق الشخص ..

فالمشكلة هى أن المفوتى لعلمنا الان شكلان : أما الشكل الليبرالى واما الشكل الثانى .

ان دور اليسار حاليا ، ليس هو أن ينعزل كمجموعة صغيرة تنشط لوحدها قوى اليسار عليها أن تعيى كل القوى ، وتكون القادرة على انها تتمتع ، وتجد الحوار المقبول مع ما يمكن أن نسميه اليسار المتطرف ، ومع ما يمكن أن نسميه تحت عنوان عام الناصرية .. والمفروض أن يقوم اليسار الناضج بهذه العملية .. هذا هو التصور للطريق غير الرأسمالى الذى يمكن أتصوره فى المرحلة القادمة ، ومع ذلك هذا الطريق صعب لماذا ؟ . وفيه أيضا معضلات تعترضه .. ومن ضمن المعضلات المهمة ـ مثلا ـ ان البعد العربى ظهرت فيه ثروة ليست من انتاج بشر . هذه الثروة حليف للرأسمالية موضوعيا ، وحليف للنظام الرأسمالى العالمى موضوعيا ، وسوف يؤثر هذا على مجرى التطورات السياسية بمعنى أن هذه الثروة ستكون العنصر الساحب والضاغط فى اتجاه الليبرالية . وفى اتجاه اليمينية أردنا أو لم نرد فهذه مشكلة من المشاكل التى تواجهنا .

هناك أيضا متعطفات المواجهة مع اسرائيل التى تختلف نوعيا عن المواجهة فى الفترة السابقة وهذا أيضا عنصر قد يكون ـ الى حد ما ـ من العناصر الساحبة لليمين .

وبالنسبة للانفراج الدولى نفسه كان شيئا من المواقف التى كنا نقفها ـ فى الماضى ـ متاثرا بالاستقطاب الدولى وفى الاستقطاب الدولى لم تكن فيه حرية حركة . اليوم الامبريالية العالمية تعود بطرق أكثر خبثا ليست مفضوحة كما كان الامر فى الماضى .

وفى ظل جميع هذه الاشياء كلها فهناك أيضا الانفتاح فى كل الاتجاهات من الجميع بما فى ذلك الدول الاشتراكية فهذا أيضا عنصر مؤكد لهذا المسار البيسط فى هذه الفترة . بما الضمان .. الضمان هنا هو القوة الذاتية لليسار .

اذن لايمكن اطلاقا لليسار أن يكون فى صيغته السابقة ، أن يكون جزءا من جسم ، ولابد من أن يكون مديرا مستقلا ، وقد أصبح هذا ضرورة لا مفر منها ، والا لا يسار .. لا يسار بدون منبر مستقل .

أنا قلت أن المجتمع الرأسمالى سيبنى بمتعطفات وخصائص تختلف نوعيا عن فرض النظام الرأسمالى من أعلى كما كان فى المرحلة السابقة .

■ **ابو سيف يوسف :**

الزميل محمد سيد أحمد ربما طرح من المشاكل والقضايا أكثر مما طرح تصوره عن المستقبل . سأتجنب طرح هذه القضايا أو المشاكل لانها فعلا تدخل فى نقطة مقبلة هى : ما العمل ؟ أو تفصيل الرؤية للمستقبل ..

ان أى تصور للمستقبل يجب أن يكون مطروحا فى اطار محدد من الظروف العامة جدا المحيطة بمصر عالميا وعربيا . وبدون الدخول فى تفصيلات فان اطار الصورة التى تطرح فيها صورة المستقبل تشتمل على أربعة حدود أو ابعاد :

البعد الاول : هو اننا نعيش الان فى عصر انتصرت فيه الاشتراكية [ليس فقط انتصرت ولكن لاتزال تولد أو تدعم انتصارتها أكثر] ، وبما الانفراج الدولى الا أحد ثمرات هذا الانتصار ..

البعد الثانى : أن حركة التحرر الوطنى ـ بعد نجاحها نجاحا كبيرا ومضطردا ـ فى تصفية الاستعمار (الكولونيالية) تواجه الان ، اكثر من ذى قبل قضية اختيار طريق التطور الاجتماعى . أى الطرق تسلك ؟ وهنا سنجد ان العدو الرئيسى لها هو الاستعمار الجديد .

البعد الثالث : هو الذى نوضح فيه رؤيتنا للمستقبل «فى أن الامبريالية ـ على الرغم من كل الهزائم التى اصابتها ـ لا تزال قائمة ، ولاتزال فى مقدورها أن توجه ضربات قوية وتخريبية للحركات الوطنية والثورية ، ولاتزال قادرة على التعاون مع قوى الرجعية المحلية على أن تكيف اساليبها مع حقائق العصر» .

ومن هنا ، فنحن فى مصر والوطن العربى مواجهون الان باخطر أساليب الامبريالية : اسلوب الاستعمار الجديد .»

البعد الرابع : هو أن العامل العربى ، أو حركة الشعوب العربية فى نضالها الوطنى التحررى وفى نضالها الاجتماعى ، قد أصبح يؤثر على حياة مصر وعلى اتجاهات تطورها فى الداخل » هذا العامل العربى لم يعد من الممكن عزله أو تحييده أو التقليل من فاعليته . ظهر هذا بوضوح بعد حرب ٦٧ ، ثم تأكد بأدلة وبراهين ايجابية بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ . وهذا العامل يتجسد فى الاساس فى تصاعد النضال والتضامن العربى فى وجه الاستعمار والصهيونية » وهذا النضال والتضامن يستقطب فى ؛

١ ـ تصميم الشعوب العربية على السيطرة على مواردها وثرواتها القومية .»

٢ ـ السعى لاكتشاف أشكال وأساليب للتعاون والتكامل الاقتصادى .»

٣ ـ فى هذا كله تمثل القضية الفلسطينية بالنسبة للشعوب العربية العامل الذى يبلور اتجاهات حركة التحرر الوطنى العربية .»

فى نطاق هذه النقاط او الابعاد الاربعة أحاول أن أتصور المستقبل بالنسبة لمصر .»

أتصور فى المستقبل البعيد نسبيا انه سيكون فى بلادنا مجتمع اشتراكى .» ولكن هذا المجتمع الاشتراكى ، كما اشار الى ذلك الاستاذ خالد محيى الدين .» لا يمكن أن يقام بضربة واحدة ، أو بقفزة واحدة ، وانما نحتاج الى عمل يمهد له .» أى الى مرحلة انتقالية كاملة لها سماتها وخصائصها .» وفى هذه المرحلة الانتقالية تقوم دولة ديموقراطية وطنية وعصرية :

ديموقراطية ، بمعنى أن السلطة فيها تكون فى أيدى الطبقات الشعبية أساسا العمال والفلاحين والمثقفين والجنود ، وهذه الاقسام من الرأسمالية التى لا يتعارض نشاطها مع التحول الاجتماعى ، وهذه الطبقات هى صاحبة المصلحة ، فعلا ، فى التطور وفى التقدم وفى العدالة الاجتماعية .. وفى هذه السلطة يتلك ويتزايد الدور القيادى للطبقة العاملة .

دولة وطنية ، بمعنى أنها تكون مستقلة سياسيا واقتصاديا وتزدهر فيها ثقافة وطنية وقومية تقدمية . وهذا معناه ـ كما أشار الاستاذ خالد ـ أن تكون بالضرورة نشطة فى مقاومة الامبريالية والاستعمار الجديد والصهيونية ، متعاونة مع الاتحاد السوفيتى والبلدان الاشتراكية ودول عدم الانحياز .

دولة عصرية .. وهنا تحت عنوان العصرية تتحدد مسائل أساسية .. عصرية بمعنى أنها لابد أن تحسم اختيارها للطريق الاشتراكى ، فالاشتراكية هى قضية العصر .. ثم أنها لابد أن تستفيد ـ أو تواكب ـ الثورة العلمية والتكنولوجية الجارية الان .» .

وعندما نقول عصرية ، فلابد ان تكون أهدافها انسانية مرتبطة بالتطور الثورى العام للبشرية فى هذا العصر ، ومن هنا يكون كفاحها من أجل السلام العالمى ، وضد الفاشية والعنصرية قضية أساسية .»

على هذا الاساس ، اذا عدنا الى خطابات قيام واستمرار هذه الدولة الديموقراطية الوطنية فسوف نرى ـ وأنا هنا أتفق مع الزميل محمد سيد أحمد ـ أولا ان القوة الذاتية للشعب وللبلد يجب أن تكون هى أساس التطور ، بمعنى أن اية مساعدات خارجية أو أى قروض أموال خارجية أو أى قروض ومعونات ستظل ـ باستمرار ـ مسألة ثانوية «ومساعدة» فى مقابل تنمية القوى الانتاجية الداخلية فى جميع المجالات .»

وعندما نقول دولة ديموقراطية .» فهذا يعنى أن الانتاج يخطط تخطيطا دقيقا ، والتوزيع يخطط ايضا تخطيطا دقيقا ، لمصلحة الطبقات المنتجة .»

مثل هذا المجتمع لابد ان يتجه الى القضاء على الفقر فى الريف باصلاحات زراعية عميقة وشاملة ، والى القضاء على الامية والامراض المتوطنة مثل البلهارسيا والانكلستوما أو سوء التغذية . ومثل هذا المجتمع يسمح بوجود ما نسميه رأسمالية وطنية ، ولكن يجب أن يتوظف وينمو ويتسع فيه من أشكال .. الملكية العامة والملكية التعاونية لبناء صناعة ثقيلة وزراعة حديثة متطورة . أما القطاع الخاص فيجب أن تحدد مجالات نشاطه بدقة لمصلحة

وتطور التنمية الشاملة وتحت قيادة واشراف الدولة الديموقراطية بالاضافة الى الجانب الاجتماعي لديموقراطية «فهناك قضية اساسية فى هذه الدولة أو هذا المجتمع الذى نتصوره ، وهى قضية الحريات الديموقراطية . قضية الحريات الديموقراطية ليست قضية الليبرالية اطلاقا ..لان الليبرالية جوهرها ومضمونها الاساسى هو تنمية المشروع الخاص ،فمن هنا ، تظل الديمقراطية فى النظم الليبرالية ديموقراطية من يملكون فى مواجهة من لا يملكون – وبالتحديد فالليبرالية لا تنفصل عن تنمية النظام الرأسمالى وتطويره .

وعلى هذا الاساس فنحن ننظر للديموقراطية هنا من زاوية ما يمكن عمله ، لكى تقوم فعلا الجماهير الشعبية بالدفاع عن مصالحها وبمشاركة متزايدة فى ادارة شئون البلاد .. فمن هنا الديموقراطية فى هذا المجتمع الانتقالى تفترض بالضرورة أن السلطة اساسا فى يد الطبقات المتحالفة الشعبية .. تفترض ايضا توسيع الحريات العامة لمصلحة هذه الطبقات .. تفترض وجود تنظيمات سياسية ونقابية واجتماعية حقيقية وحرة .تفترض ايضا الدفاع الحازم والتمسك بالمشروعية وسيادة القانون . وعندما نتحدث عن الشكل السياسى الذى يجمع هذه القوى يمكن أن يكون محل اجتهادات تضع التقاليد الديمقراطية والخبرات الماضية ، وتجربة ثورة يوليو ومكتسباتها فى الاعتبار . ولكن لا بد من وجود اشكال اختيارية ، تتحد فى داخلها جميع الطبقات الشعبية فى أحزاب سياسية ديموقراطية ومنظمات نقابية وثقافية الخ ..

فهذه – بشكل عام – الخطوط العريضة جدا لتصور مرحلة انتقالية تضمن وتؤمن – فيما بعد – بناء المجتمع الاشتراكى .

■ **لطفى الخولى :**

الدكتور مراد وهبه .

■ **د . مراد وهبه :**

فى تصورى للمستقبل من حيث الشكل والمضمون ، فى تقديرى أن هناك مسألة كان أثارها الاستاذ توفيق الحكيم فى حديثه وهى أنه معجب جدا بشخصيات تعتبر حاضرة مثل هوشى منه ولينين «.

■ **لطفى الخولى :**

هل قال لينين ؟

■ **توفيق الحكيم :**

لينين باعتباره مثلهم ولكن هو أوربى . وعندما نأخذ فى الاعتبار الاسس التى يرتكز عليه الاتحاد السوفيتى ستجد انها ركيزة حضارة أوربية متينة .

■ **د . مراد وهبه :**

وهذا يوحى بمعنى جديد ، وهو أن تصورنا للمستقبل هو حقيقة استلهام من حاضر العالم المتقدم . فباعتبارنا متخلفين ، يعتبر حاضر العالم المتقدم هو مستقبل العالم المتخلف . فحاضر العالم المتقدم يتميز بأنه – فى حده الادنى – علمانى سواء فى المعسكر الرأسمالى أو المعسكر الاشتراكى . ولكن فى حده الاقصى « يختلف فيكون اشتراكيا أو رأسماليا . فاذن ، بحكوم على العالم العربى – اذا أراد أن تكون صورته المستقبلية مواكبة لحاضر العالم المتقدم – أن يكون الحد الادنى عنده العلمانية ، ثم بعد ذلك يختار اما علمانية اشتراكية ، أو علمانية رأسمالية ، وأنا متفق مع الاخوة السابقين على أن هناك حتمية فى أن نختار الاشتراكية فتصبح اشتراكية علمانية .

هذا كتصور عام من ناحية المضمون للمستقبل .

أما من حيث الشكل ،ففى تقديرى اننا لا نستطيع أن نقفز على الاتحاد الاشتراكى . هو محكوم عليه بالتطور . فى داخل الاتحاد الاشتراكى لابد أن نكون – مستقبلا – قيادة للعمال والفلاحين واذا تحقق ذلك ، ففى تقديرى أنه لابد أن يتم تصفية لليمين فى داخل الاتحاد الاشتراكى ، بحيث أنه يصبح محكوما على الاتحاد الاشتراكى أن يحسم كل المناقشات التى دارت حوله . أى أنه لابد أن يأخذ شكل حزب طليعى تمارس من داخله ثورة ثقافية .. لانه فى تقديرى ان هذه الثورة الثقافية غير متوفرة الان لانشغال اليسار بالتناحر مع اليمين ، وبالذات اليمين التنارى ، لان قضية اليسار مع اليمين المتخفى أبسط من قضيته مع اليمين التنارى المتصدر الان بعض وسائل الاعلام والثقافة .. فاذن ، انا أتصور مستقبلا – وليس حاضرا – ثورة ثقافية تقوم على شقين :

تحرير العقل المبرز لعصر التنوير ، ولكن يلازم تحرير العقل دعوة الى التزام العقل ، أى العقل الذى يلتزم قضايا المجتمع التى ستواجهنا مستقبلا «.

ولكن كيف يمكن ممارسة تحرير العقل والتزام العقل معا . ان العالم المتقدم مارسها على مرحلتين او على مستويين .. مستوى تحرير العقل فى عصر التنوير ثم بعد ذلك مرحلة التزام العقل فى الثورة الاجتماعيه كما حدث فى الاتحاد السوفيتى .

■ **توفيق الحكيم :**

انا احب أقول ان توضيح د . مراد جميل جدا . الذى قاله الدكتور مراد وهو انه قامت مرحلة التنوير على دفعتين فى اوربا نحن الان مطالبون اما بأن نجتاز منهم مرحلة واما ان نقع تحت النظم ، بمعنى اننا نسعى الى الناحيتين معا .. بمعنى اذا كنتم انتم موافقون على مرحلة الليبرالية فلندخلها . لكن ما الذى سنستفيده من الليبرالية وما الذى سنخسره ؟ الليبرالية بالمعنى الاقتصادى طبعا كما قلتم انها تكون معوقة بعض الشىء من الناحية الاشتراكية ، لكن الليبرالية لها معنى اخر وهى الليبرالية الفكرية وهذه الليبرالية الفكرية هى التى اعتمد عليها احرار المفكرين فى اوربا لتحطيم العهد الذى هو التعصب الدينى والخرافات واستبداد الكنيسة لان الليبرالية هى التى حطمت استبداد الكنيسة وقالت للكنيسة انت ممنوعة من التعليم لان التعليم اصبح مدنيا واذا كنت تريدين التعليم فاذهبى الى افريقيا .. وبذلك فتحت عندنا مدارس جزويت .. الخ وصدروا الينا هذا التعليم الدينى .

فنحن ارتددنا الى الوراء فى الواقع من بعد المشرينات والثلاثينات اذا نظرنا اليوم الى ما يحدث فسوف نجد ان بعض الناس يحاولون ان يجرونا الى رجعية دينية خرافية لا تتفق مع جوهر الدين ، لانها تستبعد تماما دور الارادة الانسانية ، ودور التعليم والتفكير والتدريب وتحاول ان تلغى العقل الانسانى تماما .

ان ما يحدث اليوم من هذه القوى المتخلفة التى تتستر باسم الدين لتلغى تماما دور العقل يذكرنى بالمقالات التى كتبتها عام ١٩٣٩ ووجهتها الى فضيلة شيخ الازهر وقتئذ .

لقد قلت له انك تتدخل فى حرية الفكر . فكيف تفعل ذلك ؟ وزير المعارف فى ذلك الوقت قال لى : كيف تغضب شيخ الازهر .. وطلبت فى مجلس الشيوخ ليسألونى . ومجلس الوزراء اجتمع . ووزير المعارف قال : ان لم تعتذر عن اهانتك للازهر وتدخله فى شئون الفكر فاننا لست مستولا عما سيحدث لك . قلت له : اننا ارفض الاعتذار وهذا خطر عليك انت لان تدخل الازهر كمؤسسة دينية فى شئون الفكر لا يصح .

■ **لطفى الخولى :**

من كان وزير المعارف وقتذاك ؟

■ **توفيق الحكيم :**

ربما كان هيكل باشا وربما لا اتذكر من كان وزير للمعارف عام ١٩٣٩ .

ثم جاء شيخ الازهر الشيخ المراغى وكان واسع الافق يعتذر بنفسه ، وقال انه لم يتدخل فى شئون الفكر ابدا . وسألونى فى الصحف قلت : نعم المسألة انه حصلت سابقة مثل هذه عندما تدخل الازهر فى كتاب « جان دارك لبرنارد شو » المقرر فى الجامعة فى كلية الاداب قسم الانجليزى فقيل ان فى هذه المسرحية ما يمس العقيدة ومنع الكتاب . واظن ان هذا كان فى عهد طه حسين ، وكيف لم يستطع ان يرفض طلب الازهر بمنع هذا الكتاب . فى ذلك الوقت قلت طالما انكم قبلتم ان الازهر يتدخل فى كتب الجامعة ، وان الجامعة تسمع كلام الازهر فى الغاء كتاب للغة الانجليزية ، ولم يكن كتابا دينيا ، فمن حق الازهر أن يسيطر على « الحياة العقلية » كلها اذن ، واذا كان من كتب الدين . خلاصة القول اننا نحتاج اليوم الى ثورة علمانية ، والى اعادة العقل ، سيطرة العقل ، اعادة الطريقة العلمية لا الطريقة الخرافية . فمن الذى سيتولى اليوم هذه المعركة ؟ اذا عدت الى اليسار بهذه المهمة سيقال الملحدون ، فاذن هل نعيد الليبرالية لتساعدنا فى المعركة ضد هذه الخرافية الثقافية . ان الليبراليين فى البلد غير يساريين .

■ **د. لطيفة الزيات :**

لم يعد لبيرالبون فى البلد

■ **توفيق الحكيم :**

اذن نهذه مصيبة واذن فلابد من هذه المعركة معركة الطمانية فى التفكير والمنهج العلمى ؛ لان هذا هو الذى سوف يمهد طريق الاشتراكية لان الاشتراكية مبنية على العلم لا الخرافة . انظروا ـ كمثال ـ لمهرجان الملابس الذى لا أول له ولا آخر فى الجامعة . سيقولون لنا ان هذا ليس كذا وهذا زى اسلامى .. الخ لكن نسأل هل كان هناك زى اسلامى حتى فى ايام النبى . حدث فى وقت المعركة ان النبى لبس « الملامة » التى كان يلبسها الروم فلما

سئل النبي في ذلك قال لهم ما معناه ان هذا ما تتطلبه المعركة . مثال آخر جاء اليه سليمان الفارسي وقال له اننا في فارس عندما يحارب جيشا اكبر فاننا نحفر الخنادق . النبي دعا الى عمل خندق بمثل الفرس وكانت القصة الخندق . فعمل هذا رغم ان الفرس كانوا يعبدون النار . ونلاحظ ان النبي اشترك بنفسه في حفر الخندق . وعندما ضرب الناس طلع الشرار من ضربة الفاس ، فقال ما معناه انني اري من هذا الشرر ، اري قصور كسرى تتهاوى . وظل يثير حماس المسلمين فاستطاعوا ان ينقلبوا لانه عمل معهم يدا بيد .

بجمل القول — كانت هذه هي الثورة الاسلامية تقبل الجديد النافعمهما يكن مصدره . وكان الدين ثورة ، ولم يكن قد تحول الى كهنوت . والنبي كان ثائرا ، وعندما قالوا له نحن بعض عبي دين اجدادنا قال لهم تكرارا . وكانت الثورة فكرية ايضا لانه اراد ايضا أن يخرجهم من تفكير متجمد الى تفكير حر ، فيقول لهم فكروا بعقلكم لقد اوتيتم العقل فهل الاصنام تستطيع أن تعمل لكم خيرا او شرا واثبت لهم هذا الى أن استطاع ان يقنع مجموعة من العقلاء وعمل الثورة لتكون عقلية ودينية . لكننا نرى اليوم في بعض الاوساط تحجرا يتخفى وراء مزاعم دينية ، هناك من لايزال ينكر أن الانسان قد صعد الى القمر ، ويزعمون ان هذا مخالف للقرآن الكريم . المسألة انهم تجمدوا بقوا زي قريش قبل النبي .

اذن فالمسلم الحقيقي او الرجل المتدين الحقيقي عليه أن يأخذ الانبياء كمثل ثورى . لان هؤلاء كانوا ثائرين على اوضاع متجمدة ، وقاموا لتغيير الحياة في البيئة الاجتماعيه التي فيها ظلم الاغنياء الفقراء . فالمتدينون الحقيقيون عليهم أن يأخذوا المثل ويعد ذلك يطبقوه على واقع اليوم . ان بعض الجماعات الدينية حاولت من سنوات ان تعيدنا الى مجتمع عمر ابن الخطاب باعتبار ان هذا كان مجتمعا مثاليا . لكن عمر بن الخطاب كان في مجتمع صغير ، فكان يمشي بين الناس ويتعرف على مشاكل هذا وذاك . لكن عندما نرى ان المجتمع اليوم قد كبر وتعقدت مشاكله ، فان هذا يتطلب نظاما جديدا . فالواجب اذن هو تقليد عمر بن الخطاب في سعة تفكيره وقوة أرادته وحسن تجديده اي في صفاته الانسانية العليا وليس في تصرفاته الصالحة لمجتمعه هو في زمانه ومكانه . أن عمر بن الخطاب كان صاحب ثورة عقلية ونحن ايضا نريد اذن ثورة عقلية اخرى . هذه الثورة الاخرى كان الامل ان تقوم بها

■ **توفيق الحكيم :**

انا تارك لكم المسألة .. انكم امام معركتين ، المعركة التي تؤدي الى انتصار وسيادة العقلانية ، والطريقة العلمية اللتي يتقول عليها اننا نريد العقلانية تسود وبعد ذلك يعمل ان نتقل على الاشتراكية العلمية . وهذا يفسر لماذا لم يكن من الممكن أن ياتي ماركس قبل عصر التنوير قبل فولتير . كان لابد أن ياتي فولتير وروسو لينصروا العقل ويضربوا الخرافة . فجاء ماركس ليجد عصرا طهرانيا مستعدا لقبول النظرية العلمية المادية ، بعد تمهيد واسع وكامل ، لكننا اليوم نجد الناس خائفين ليس من النظرية الاقتصادية بل من التناقضات الثقافية او العلمية . مع ان الدين جوهره ثورة على التخلف العقلي والمجتمعات المتخلفة . ومن ثم ظهر الانبياء ليطوروا الانسانية .

اذن نحن نريد للعقلية العلمية أن تسود كما كان الامر في القرن التاسع عشر . في القرن التاسع عشر كله كان تغيير العقلية العلمية التي مهدت للقرن العشرين ، فانت الان كما يقول الدكتور مراد ، تعتبر ما هو مستقبل هناك حاضر عندنا . يعني الحقيقة توقيت ساعتنا غير توقيت ساعتهم .. يمكن فيه تخلف قرنين . مثل ما تكون راكب طيارة يقوم يقول لك آخر ساعتك ساعتين أو قدمها ساعتين . الواقع نحن نؤخر ساعتنا الى القرن التاسع عشر .

■ **لطفي الخولي :**

الحقيقة انه لا يمكن تصور مستقبل مصر كجزيرة منعزلة او كوكب معلق في الفراغ . وانما هي جزء لا يتجزأ من الوطن العربي وجزء حضاري واستراتيجي من العالم ككل . أريد ان اقول بتعبير آخر انه في استشراف مستقبل مصر ، لا بد من أن نستشرف في نفس الوقت الحركة المستقبلية للعالم عامة وللوطن العربي بصفة خاصة .

الى أين يتجه او يتحرك العالم ؟

من الواضح اننا نقف اليوم على عتبة الربع الاخير من القرن العشرين ، وقد خلفنا وراءنا الليبراليين ، فاتضح ان الدكتورة لطيفة تشكك في وجودهم على اعتبار انهم اصبحوا متخلفين عقليا . اذن الليبرالية ليست موجودة وهي لن تعيد المقلانية ..

■ **لطفي الخولي :**

لا ! هناك ليبراليون . لكن ما هو مدى امكانياتهم ! هذه مسألة اخرى

■ **توفيق الحكيم :**

انا تارك لكم المسألة .. انكم امام معركتين ، المعركة التي تؤدي الى انتصار وسيادة العقلانية ، والطريقة العلمية اللتي يتقول عليها اننا نريد العقلانية تسود وبعد ذلك يعمل ان نتقل على الاشتراكية العلمية . وهذا يفسر لماذا لم يكن من الممكن أن ياتي ماركس قبل عصر التنوير قبل فولتير . كان لابد أن ياتي فولتير وروسو لينصروا العقل ويضربوا الخرافة . فجاء ماركس ليجد عصرا طهرانيا مستعدا لقبول النظرية العلمية المادية ، بعد تمهيد واسع وكامل ، لكننا اليوم نجد الناس خائفين ليس من النظرية الاقتصادية بل من التناقضات الثقافية او العلمية . مع ان الدين جوهره ثورة على التخلف العقلي والمجتمعات المتخلفة . ومن ثم ظهر الانبياء ليطوروا الانسانية .

اذن نحن نريد للعقلية العلمية أن تسود كما كان الامر في القرن التاسع عشر . في القرن التاسع عشر كله كان تغيير العقلية العلمية التي مهدت للقرن العشرين ، فانت الان كما يقول الدكتور مراد ، تعتبر ما هو مستقبل هناك حاضر عندنا . يعني الحقيقة توقيت ساعتنا غير توقيت ساعتهم .. يمكن فيه تخلف قرنين . مثل ما تكون راكب طيارة يقوم يقول لك آخر ساعتك ساعتين أو قدمها ساعتين . الواقع نحن نؤخر ساعتنا الى القرن التاسع عشر .

■ **لطفي الخولي :**

الحقيقة انه لا يمكن تصور مستقبل مصر كجزيرة منعزلة او كوكب معلق في الفراغ . وانما هي جزء لا يتجزأ من الوطن العربي وجزء حضاري واستراتيجي من العالم ككل . أريد ان اقول بتعبير آخر انه في استشراف مستقبل مصر ، لا بد من أن نستشرف في نفس الوقت الحركة المستقبلية للعالم عامة وللوطن العربي بصفة خاصة .

الى أين يتجه او يتحرك العالم ؟

من الواضح اننا نقف اليوم على عتبة الربع الاخير من القرن العشرين ، وقد خلفنا وراءنا

فترة ثلاثة ارباعه الاولى التى شهدت حربين عالميتين ومحاولتين لبناء نظام دولى واول ثورة اشتراكية فى التاريخ الانسانى . والصراع الضارى بين قوى التحرر الوطنى وبين الامبريالية والاستعمار القديم بالجديد . وهو الصراع الذى اسفر عن تفجر ثورات عظيمة فى افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية كان من بينها ثورة يوليو ١٩٥٢ والتى احتلت — ومانزال — موقعا متميزا من هذا الصراع ومن مجموعة ما أصبح يطلق عليه اسم العالم الثالث . كذلك شهدت فترة الثلاثة ارباع القرن صعود الولايات المتحدة كاكبر قوة عسكرية واقتصادية منفردة وكقيادة للامبريالية العالمية ، واكتشاف وتطوير الطاقة النووية وخاصة فى المجال العسكرى المدمر ، بما صاحب ذلك من ثورة فى العلم والتكنولوجيا . وانتكاسات فى حركة التحرر الوطنى مثل غانا والكونغو فى افريقيا وبوليفيا وشيلى فى أمريكا اللاتينية .

كما شهدت زرع اسرائيل فى قلب الوطن العربى كقاعدة عسكرية عنصرية عدوانية ضد حركة التحرر العربى واندلاع الحروب مهما وما صاحبها من هزيمة ١٩٦٧ المروعة . وعلى اعقاب الربع الاخير من القرن العشرين ، ظهرت القوة العربية الحديثة العسكرية والبترولية فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ وما بعدها .

ربما يكون من الصعب ، فى هذه الندوة وضع خريطة تفصيلية لاتجاهات الحركة العالمية فى الثلاثة ارباع القرن . ولكن يمكن أن نقول انه مع بداية الربع الاخير من القرن نستطيع ان نضع العين على امرين جوهريين فى حركة العالم نحو المستقبل .

الامر الاول ، فى اعتقادى ، هو ان العالم اصبح يحكمه اتجاهان رئيسيان : الاتجاه الرأسمالى والاتجاه الاشتراكى . واذا تتبعنا الخط البيانى لتاريخ الحركة فى العالم سنجد ان الاتجاه الاشتراكى فى صعود ويكسب مواقع جديدة باستمرار على حساب الاتجاه الرأسمالى الاخذ فى الانحسار .

الامر الثانى : وهو ما اشار اليه بعض الزملاء ، واظنه محمد سيد أحمد من انه أمام الوضع الراهن الذى يحكمه الصراع بين الاتجاهين الرأسمالى والاشتراكى وتزايد مخاطر ان تؤدى المواجهة العنيفة بين الاتجاهين الى خطر انفجار حرب نووية لاول مرة فى التاريخ تودى بالجميع .. بكل الانسان وحضاراته أيا كان فان العالم بدأ يدخل نوعا من الانفراج الدولى والتعايش السلمى بين الانظمة المختلفة . ومن شأن هذا أن يجعد صراعات معينة وينفخ ويؤجج صراعات أخرى .. يجعد الصراعات التى يمكن أن تودى بالبشرية كلها الى الفناء ولكنه لا ينفى استمرار الصراعات السياسية والايديولوجية والاقتصادية من اجل مزيد من التحرر الانسانى واحترام استقلال الكيانات الوطنية .

وبالتالى نحن ندخل .. مصر مع العالم كله .. الربع الاخير من القرن العشرين الى مرحلة تقدم وازدهار للانسان وللوطن المستقل فى العالم ككل .

هل هذا هو كل شىء ؟ لا . هناك عدة نقاط اخرى يجب أن نضعها فى الاعتبار عند الحديث على المستقبل .

فمثلا .. النقطة الاولى .. من الواضح اننا نشهد منذ السنوات الاخيرة بدايات ازمة حادة للنظام الرأسمالى العالمى .. التضخم .. نظام النقد الدولى .. مشاكل الطاقة .. قد تكون هذه احدى الازمات الدورية للرأسمالية ولكنها هذه المرة تاتى فى ظروف تغير فى ميزان القوى العالمى لغير صالح الرأسمالية . ولست اريد ان اغالى فى الاثار المحتملة لهذه الازمة الجديدة ، ولكن اعتقد ان الربع قرن الاخير الذى نبداه اليوم سوف يشهد بداية افول المركز القيادى للولايات المتحدة الامريكية فى العالم الرأسمالى . نستطيع ان نلمس ذلك من التمزقات السياسية والاجتماعية فى داخل المجتمع الامريكى والتى اتخذت اشكالا مختلفة ابرزها فضيحة ووترجيت .. الصراعات المتزايدة بينها وبين حلفائها الاوربيين والاسيويين وخاصة اليابان الخ .. طبعا الولايات المتحدة تقاوم ولها قدرات فى ذلك لا يجب الاستهانة بها ، لكن اتجاه الريح العالمى ليس فى صالحها .

نقطة ثانية .. الملاحظ أن ثورة العلم والتكنولوجيا لا تاخذ فقط ابعادا واسعة وجديدة فى مختلف المجالات . بل ان معدلات تقدمها سريعة بشكل لم يسبق له مثيل . والربع قرن الاخير سوف يجنى ثمارا هائلة .. وربما وسائل انتاج جديدة .. من خلال هذه الثورة .

نقطة ثالثة : ان ما اصبح يسمى العالم الثالث وصل على مشارف الربع الاخير من القرن وقد تميز بسمتين رئيسيتين فيما اعتقد :

السمة الاولى هو خط صعود العالم الثالث الذى بدأ منذ الخمسينات . وبلغ اوجه فى الستينات راح ينتكس هنا وهناك فى السبعينات نتيجة عدم حسمه لقضايا التطور الداخلى من ناحية وعلاقاته مع كل من العالم الاشتراكى والعالم الرأسمالى من ناحية . ويبدو انه من

خلال تجارب الانقلابات والحركات الانفصالية والحروب العدوانية على بعض بلاده ومشاكل التخلف الاخذة فى التفاقم قد بلورت مرة أخرى . أو هى فى طريقها الى بلورة نوع من وحدة المصالح الجديدة ، تكون قاعدة لتحرك جماعى جديد . وهذا واضح بدرجات متفاوتة من الوعى بهذه الحقيقة ، ويشهد على ذلك تحركات الرئيس الجزائرى هوارى بومدين فى هذا المجال .

هذا عن السمة الاولى . **السمة الثانية** فى رأيى هى انه ظهر فى داخل العالم الثالث ما أصبح يمكن تسميته **بالعالم الثالث البترولى** .. الدول المنتجة للبترول . فى بعض التسميات الغربية يقولون « **العالم الرابع** » .

والواضح أن هذا العالم الثالث البترولى ، لايزال يعانى التخلف اساسا . كما أن القوة الغالبة فيه هى قوى عربية . وبالتالى فانه لاول مرة يتشكل وضع جديد عالميا وعربيا على السواء . فلاول مرة تتصل خيوط احدى الامبراطوريات الخانقة للعالم الرأسمالى واقصد ازمة الطاقة بأيد عربية مباشرة وتتفس الى العالم الثالث . ولاول مرة ايضا يتكثف لدى العرب ، وبالتالى لدى العالم الثالث ، رؤوس الاموال اللازمة للتنمية الوطنية دون ما حاجة الى الخارج . بل انها المؤثرة فى نظام النقد الدولى المعاصر والذى ظلت الدول الرأسمالية الكبرى مسيطرة عليه حتى اليوم .

من هذه الناحية هناك موقف جديد ومعطيات جديدة .

ماذا يواجه العرب ، ومن بينهم مصر طبعا فى مستقبلهم ؟

هناك تحديان رئيسيان ، التعامل معهما ، أو بالاصح طريقة التعامل معهما ولصالح من يجرى هذا التعامل ، يتوقف شكل المستقبل ومضمونه ، سواء على المستوى العربى أو المستوى المحلى المصرى .

التحدى الاول ، هو التحدى الاسرائيلى بأبعاده العنصرية الصهيونية وابعاده الامبريالية والاستعمارية بما فى ذلك الاستعمار الجديد . واعتقد أنه اليوم بعد حرب ١٩٦٧ وحرب ١٩٧٣ واقتحام الثورة الفلسطينية حلبة الصراع كقوة رئيسية وفعالة وقادرة على العطاء الثورى كما اثبتت التجارب خلال السنوات العشر الماضية ، فان مواجهة هذا التحدى تفرض ـ فى ظروفها الحالية والمستقبلية ـ نوعية جديدة من النضال أكثر جذرية وشمولا . لم تعد المسألة مجرد تحرير جزء من تراب محتل أو تصفية استعمار استيطانى ، وانما اصبحت القضية وخلاصة بعد حرب اكتوبر التى على الرغم من محدوديتها كشفت عن القدرات العظيمة المادية والبشرية التى تملكها الامة العربية مجتمعه .. اقول اصبحت القضية هى تحرير الارض والوطن وتحرير الموارد والطاقات القومية من الاحتكار والاستغلال وتوظيف هذا كله فى خدمة الجماهير الشعبية صانعة اكتوبر بتضحياتها الضخمة . ومن هنا اصبح هذا « التحرير الشامل » هو قضية مصر .. قضية فلسطين .. قضية العرب جميعا .

التحدى الثانى ، هو التخلف الاقتصادى والحضارى على مدى العالم العربى كله وان تفاوتت درجاته بين بلد وآخر . ولقد ثبت من تجارب الماضية حتى الان انه يمكن البدء فى تحدى التخلف اقليميا فى كل بلد على حدة . ولكن استمرار هذا التحدى على نحو جذرى فعال وبمعدل سرعة العصر وبتكثيف يؤثر يحدث نقلة حضارية كبيرة ومحكمة ، لايمكن ان يتاتى الا من خلال خطه قومية شاملة تجند فيها على نحو واقعى وعلمى كل الامكانيات المادية والبشرية .. مثلا الطاقات الفنية فى مصر .. رأس المال فى السعودية والخليج .. امكانيات الجزائر وليبيا والعراق الفنية والمالية الخ .. وبدون هذا العمل القومى الجاد ليس هناك مستقبل لاى تنمية اقليمية ضيقة فى حدود كل بلد على حدة .. والا اختفق هذا كله فى داخل اسواق ضيقة واهية وضعيفة .

ومن هنا لم يعد ممكنا تجاهل البعد الوحدوى فى كل بلد عربى مهما كان نظامه السياسى والاجتماعى . ونحن نبدأ مسيرة المستقبل من واقع لا ننكره وهو ان هناك اختلافات وتناقضات بين النظم العربية الراهنة سياسيا واجتماعيا .. وبالتالى فلابد من صياغة جديدة يمكن من خلالها التعايش بين هذه الانظمة على اساس تحقيق ولو الحد الادنى من المصالح العربية المشتركة والتكامل اقتصاديا واجتماعيا وبالتالى عمريا ، دون أن يجمد ذلك الصراعات بدرجاتها المتفاوتة فيما بين هذه النظم من اجل مزيد من التقدم والرفاهية والحرية الانسانية لمواطنيها . وليس هناك من بديل لامكانية التوصل الى مثل هذه الصيغة الا بتحديد المصالح القومية المشتركة لكل البلدان العربية مهما اختلفت نظمها . هذا من ناحية . ومن ناحية اخرى أن تمارس هذه الصيغة من خلال وحدة عمل تضم كل البلاد والقوى الوطنية والتقدمية من حول برنامج مشترك .

وفى هذا المجال يمكن رؤية دور مصر ومستقبلها باعتبار انها اكبر البلاد العربية نسبيا ، واكثفها من ناحية الوزن السكانى والاطارات الفنية ،واكثرها تطورا فى التحليل النهائى اقتصاديا وثقافيا . فانها مطالبة من جديد وبالحاح أن تمارس ثقلها الواقعى التاريخى بصورة اكثر فاعلية وتقدما .. وأن تجعل من مجتمعها الديمقراطى المعادى للاستغلال المتطور قدوة ذات وزن حضارى .

ومن هنا ايضا تأتى اهمية الثورة الطبقية والمقلانية التى تحدث عنها استاذنا الحكيم وزميلنا الدكتور مراد وهبة .

ومصر فى تقدمها نحو المستقبل ، لا بد من الصفر أو من فراغ وانما من حوالى قرن كامل تقريبا من الثورات والتحولات الكبيرة كان آخرها ثورة يوليو ١٩٥٢ . هذا القرن من التجارب الفادحة الثمن كفيل اليوم – من خلال رؤية عقلانية مستقبلية – أن يوضح لنا الفرق بين ديمقراطية زائفة كالتى تحدث عنها الاستاذ الحكيم قبل ١٩٥٢ وبين ديمقراطية انتهت هنا وهناك فى التطبيق خلال ثورة ١٩٥٢ وبين ديمقراطية حقيقية لجميع القوى العاملة والمنتجة ذهنيا ويدويا فى البلاد .

بمعنى ان مصر المستقبل لاتكرر الماضى ولا تكرر ثورة ١٩٥٢ ، وانما هى تستلهم تاريخها وتراثها ، وتواصل من ايجابيات ثورة ١٩٥٢ فى التحرير السياسى والاقتصادى والتحولات الاجتماعية التقدمية والقطاع العام الخ ... تواصل التقدم من أجل تمهيد الارضيه ، ماديا ومعنويا ، من أجل الانتقال الى الاشتراكية . بمعنى أن علينا أن نحترم الواقع الحى ونقول اننا لسنا بلدا اشتراكيا بعد .. مازال الطريق طويلا ، وهو بالدقة قضية المستقبل .

ان التمجيد عند انجازات ١٩٥٢ ، وقفل باب الاجتهاد عن مزيد من التقدم هو التمجيد . بل هو الموت ومخاصمة المستقبل . كما ان الغاء ايجابيات التجربة هو الغاء لقدرات قائمة بالفعل وخطوات أنجزت .

والآن ماذا نعنى بالمستقبل زمنيا ؟ القريب فى تقديرى هو العشر سنوات القادمة ، والبعيد نسبيا هو الخمسة والعشرون سنة الباقية من عمر القرن العشرين .. وهى بالدقة فرصتنا الذهبية الأولى والاخيرة فى هذا العصر للتقدم الحقيقى والنقلة الحضارية من البداوة والجهالة والهيمن المتخلف والوسط المتأرجح بلا هوية الى عصر العالم الكونى لا الارضى وعصر الاشتراكية وعصر الانسان سيد مصيره . واقول ذلك لان المقدر من عمر البترول الاستراتيجى كطاقة اساسا هو فى نهاية القرن على أكثر تقدير .

فى حدود المستقبل القريب ماذا علينا ان نحدد فى مصر . اشياء محددة وتأسيسه .

اولا : الالتزام الجاد والعلمى بقضية الاحسار الاشتراكى للتطور والانتماء المصيرى مع امته العربيه والتحالف مع كل قوى التحرر والتقدم والاشتراكية فى العالم .

ثانيا : بناء تحالف حقيقى لا شكلى ، تعتى لا علوى فحسب ، ديمقراطى لا استبدادى بين جميع القوى الوطنيه والتقدمية فى المجتمع التى تلتزم بقضية الاختيار . وتنبثق عنه احزاب فى شكل جبهة تمثل بحق الطبقات المتحالفة واتجاهاتها السياسيه دون قهر .

ثالثا : يجب أن ينعكس هذا على طبيعة السلطه واجهزة الحكم المختلفة بحيث ينتفى الطابع الفردى او سيطرة طبقة ذات امتيازات على مجموع التحالف أو الجبهة .

رابعا : فتح النوافذ وساحات الجامعات والمعاهد والصحافة وكل وسائل الاعلام والمسرح والسينما الخ لحرية البحث والتعبير والحوار دون ما قيود . وجذب كل الشعب الى دائرة الضوء والمعرفة والممارسة الحية لحياة الانسان من خلال خطة مكافة لمحو الامية .

خامسا : قطع الطريق على كل نمو لبورجوازية طفيليه واجتثاثها من جذورها .

سادسا : سيادة قيم الانسان وعمله وابداعه على كل قيمة اخرى . ان مصر غنية ومتجددة الغنى بثروتها البشرية الفنية . حسب احصاءات ١٩٧٤ مصر تلد كل عام الفين طبيب ثلاثة آلاف مهندس .. ستة آلاف مدرس .. هذه ثروة ضخمة يجب أن تصان وتكرم وتهيأ لها الاجواء للعمل والانتاج والمشاركة الحقيقية فى اتخاذ القرارات والحصول على عرق جبينها دون استغلال .. كما يحدث مع استاذنا الحكيم – كما قال لنا عن العشرين الف جنيه بتوعه اللى ...

■ **توفيق الحكيم :**

يا ريت بتوعى . يا سيدى انا قابل يخدوهم ، بس بدونى جزء منها .

■ **لطفى الخولى :**

هناك نقطة أخرى أثيرت وخاصة من استاذنا الحكيم عن الليبرالية ومستقبلها فى مصر .

الحقيقة المسألة ليست بسيطة بحيث نقول بحسم لا او نعم وتمام . واذا كنت افكر بصوت مسموع فالحقيقة أنني لست واصلا في هذه القضية الى موقف محدد بعد . وذلك من ناحية الموقف الذي يجب اتخاذه من الليبرالية .

هل في بلادنا ليبرالية حقا ؟ هذا سؤال .. ان البورجوازية المصرية اليوم - في اعتقادي - منقسمة الى قسمين اساسيين : **قسم** يتخلف منحجر على قيم اقرب ما تكون الى الفكر والعلاقات الاقطاعية وبالتالي فهو خارج اطار التاريخ ويقف حجر عثرة في سبيل التقدم . ولكن هناك **قسم** آخر يستثمر بدرجات متفاوتة . وبالذات في مجال الاستقراط . في اعتقادي ان هذا القسم مازال له دور وسيكون له في المستقبل دور بناء يلعبه . **ولكن كيف ؟** ان البورجوازية المستنيرة او الليبرالية ، كما يسميها أستاذنا الحكيم ، عليها أن تفهم انها تعيش الربع الاخير من القرن العشرين في المجتمع المصري العربي لا في أواخر القرن الـ ١٩ أو أوائل القرن العشرين في مجتمع فرنسي او المماني او ايطالي او حتى امريكي. بمعنى ان التطور الليبرالي من خلال نظام راسمالي في واقعنا وعصرنا لم يعد ممكنا . لقد اقامت الليبرالية في بلاد اوربا وامريكا . بل ان النظم الرأسمالية التقليدية لم تعد قادره على الاستمرار على النحو الذي كانت عليه من قبل. لقد تغير العالم . البلاد الرأسمالية مثلا بدأت تاخذ بقدر معين من التخطيط . وكان التخطيط في الاقتصاد هو نوع من الكفر الرأسمالي . ان فكرة العودة الى آدم سميث، او حتى الى كينز ، لم تعد ممكنة . بل تخطاها الاوربيون والامريكان انفسهم . ولا يمكن ان نكون ملكيين في مصر اكثر من الملك نفسه . فضلا عن ان الليبرالية الرأسمالية النقليدية تعني التفريط عمليا في الاستقلال الوطني والسيادة القومية .

ويبدو لي ان الليبراليين في بلادنا لابد وان يجري بهم الحوار البناء من اجل الوصول الى أن الطريق الاشتراكي هو في نفس الوقت الطريق الديمقراطي . وان نثبت ذلك عمليا . وطبعا الطريق الاشتراكي هو تطبيقا للمبادىء الاشتراكية العلمية على واقعنا وظروفنا الخاصة ، وليس استيراد تجارب اخرى سواء كانت سوفيتية او صينية او خلافه، فالتجارب لا تستورد . هذا ضد الاشتراكية نفسها .

باختصار وحتى لا اطيل اكثر مما اطلت واستغل ادارتي للحوار ، اقول بلخصا : اذا اخذنا المستقبل القريب ، وهو العشر سنوات القادمة فنحن لابد من ان نصفي من مجتمعنا كل القوى والافكار الخرافية الرجعية كقوى اجتماعية وليس كبشر . وان نرد للعقل اعتباره . وترد للقوى صياغة اجتماعية اعتبارها وقدرتها على انها تكون العامل الفعال المقرر في المجتمع . وبالتالي لابد من تجييمها في الاطار او في الشكل الذي ترغبه . جبهه . تحالف حزب . وذلك من خلال برنامج يكون مضمونه قائما على أساس توفير ديمقراطية لكافة القوى الوطنية والتقدمية ولا تستاثر به طبقة واحدة أو فئة اجتماعية واحدة ذات امتيازات في المستقبل البعيد على مدى الخمسة وعشرين عاما لابد ان نكون قد بنينا الاسس المادية والثقافية والاجتماعية لاقامة المجتمع الاشتراكي . وأعتقد ، ان القرن الواحد والعشرين لابد وان يكون عصر بداية الانتصار الشامل للاشتراكية شاء الرجعيون ام لم يشاءوا .

■ **توفيق الحكيم :**

انا اريد ان اعلق على ما جرى من حوار اليوم . كان فعلا بمثابه اضواء كاشفة على القضايا التي تثار بشأن مصر بالنسبة للمستقبل . ومن ضمن القضايا ، قضيه صغيرة ربما لا ابحثها الان ولكني أريد أن اضع تحت النظر ما يمكن أن نتعرض له بشأنها . وهي مسالة اسرائيل والدول العربية . مسألة اسرائيل هذه فيها وجهين متناقضين :

كيف ؟

اولا : القوى العربية غير الاشتراكية ولا غيره . وهي دول البترول وعلبة ضغط على اوربا لدرجة جعلتها تميل الى صفنا . فضلا عن ضعفها في نواحي أخرى . هذه القوى بمشاركة لنا فعلا ضد اسرائيل ـ كويس كده. طبعا هذه قوة لديها البترول وما ادراك ما هو البترول في عالم اليوم .

القوة الثانية قوة اليسار . اذا كان قويا فاين تكمن قوته ؟ انت تذكر لما سافرت زارنا في مصر طبعا انا لم احضر الاجتماعات الموسعة . انما لما كنا قاعدين مع بعض نتعشى نناقشه في قضية حكاية اسرائيل قام قال كلام انا لم التفت اليه في ذلك الوقت .. انما اليوم يجب ان يبحث . قال لك حلها في اليسار . قلت له كيف ؟ قال لي : من الذي يقوم بالحروب في اسرائيل ضدكم ؟ المتعصبين الدينيين ، الاحزاب الدينية المرتكزة على ديرو الامبرياليين العسكريين والمتخلفين . اما اليسار فهذا ممكن التقاهم معه لانه مجرد من النعرة العنصرية والتعصب الديني . طبعا الصهيونية .. عنصرية متخلفة

لايقبلها العصر الحديث . وفى الوقت نفسه الصهاينة معتمدين على الامبريالية الامريكية ، ياخذوا السلاح ويحاربوا ناس معتدين . لابتوع مستقبل ولا تفاهم . وسن اليسار هو الذى يمكن ان تتفاهم معه ضد العدوان والصهيونيه لانه مجرد من : الامبريالية العدوانية والعسكرية ومن التعصب الدينى .

اليوم ، وانا افكر فى هذه الحكاية وجدتها صحيحة الى حد كبير . والحقيقة ان العرب لو وضعوا المسألة على اساس انسانى ومتقدم سنجد المسألة ستسير فى الاتجاه الذى ينادى به منظمة التحرير وياسر عرفات اليوم : انه الغاء الدولة العسكرية الامبريالية ومجىء الدولة الديمقراطية والتعايش . الا أن برنامج منظمة التحرير اليوم لا يفهم الا من جهه اليسار الاسرائيلى . فاذا كان اليسار الاسرائيلى يفهم هذا . واذا قوينا اليسار الاسرائيلى : فان التفاهم سيكون أقل صعوبة من التفاهم مع الامبريالية .

نحن اذن قدام قوتين متناقضتين — قوتين نحتاج اليهما ، ومتناقضتين . اقصد اليسار وتقويته . وهو لن يقوى فى اسرائيل ضد الصهاينة الامبرياليين والمتعصبين الا بقوته فى مصر . فاذن اليسار له مهمة كبيرة فى الحرب ضد اسرائيل العدوانية . كما أن قوة البترول انت محتاج اليها . وهى القوة العربية ، الغير يسارية فى معظمها . اذن هناك قوى متناقضه كيف اذن نتوصل الى دفع او ترويض القوتين فى اتجاه واحد ؟ ان بعض القوى العربية قد تفهم انك تقف ضدها اذا أنت شجعت وقويت اليسار . وفى الوقت نفسه انت تريد أن تقوى اليسار لان معنى تقويته اضعاف اليمين العسكرى والدينى والامبريالى داخل اسرائيل .

■ **خالد محيى الدين :**

اود ان اضيف نقطتين فى موضوع البترول والعلمانية :

النقطة الاولى : صحيح ان جزءا كبيرا من البترول فى أيدى قوى ليست مستقبليه لكن هناك ايضا قوة ممكن تعتبرها مستقبليه : ولذلك اقول ان نقطة الانطلاق فى مصر فى العلاقات العربية انما تبدأ مع ما يسمى بالدول التقدمية العربية — يعنى فيه عندنا العراق وفيه الجزائر وفيه ليبيا بصرف النظر عن موقف ليبيا الفكرى . ولكن هى فى اتجاهها العام فى معاداة للامبريالية ، وبصرف النظر عن الاتجاهات الفكرية لدى العقيد القذافى ، فانهم هناك فى ليبيا يتجهون الى القيام بعملية بناء ، ويرصدون لهذا أموال البترول بحيث لا تتبدد هباء كما يحدث فى مجتمعات أخرى . بالاضافة الى أن الخط العام هناك معاد للامبريالية وخط عربى .

أبدأ الاول بالتعاون مع هذه البلدان التى يمكن أن نعمل معها عملا ما .

واحب ان اقرر شيئا آخر — كما قال الاستاذ توفيق الحكيم . وهى أن حاجتنا الى المال العربى مؤكدة لان الايرادات العامة لا تكفى حتى اذا ادخلنا فى الاعتبار فوائض القطاع العام لان هناك فى الناحية المقابلة متطلبات التعمير وهى أمور ضاغطة تدفع الحكومة الى التوجه الى المال العربى . معنى ذلك ان هناك ضغوطا حقيقية وواقعيه على الحكومة لكى تسلك هذا الطريق . لسنا ضد الانفتاح ولكن الانفتاح الذى يخدم تطور القطاع الاشتراكى فى الاقتصاد العربى .

النقطة الثانية : عند الكلام عن معركة التنوير يجب أن نكون حريصين حتى لا يؤول هذا الكلام فيقال اننا معادين لقضية الدين .

صحيح أن كل ما يوضع هذه الايام تحت شعار الدين لا يقصد به وجه الدين . وانما هناك نشاط سياسى يحاول ان يستخدم الدين ويرفع شعارات : **الحكم للاسلام ... الخ .**

ثم اضيف الى انه يجب الا نثير الظنون حول معركة التنوير فيتوهم الناس ان اليسار يريد أن يزحزح الناس عن ايمانها ويجب ان نفرق بين الايمان الواضح المتنور الذى يعيش فى الربع الاخير من القرن العشرين ، وبين الافكار التى نراها فى حادث الفنية العسكرية .

■ **توفيق الحكيم :**

على كل فالتنوير فى رأيى يشمل التنوير الدينى . لا يقتصر فقط على الاتجاه نحو العلمانية وفى اوروبا الغربية احزاب كبيرة للاشتراكية المسيحية لم تهمل الدين . وهذه نقطة تحتاج الى دراسة .

■ **لطفى الخولى :**

لابد من ملاحظة ان الاشتراكية المسيحية فى ايطاليا ضد تدخل الفاتيكان ورجال الدين فى السياسة .

■ **توفيق الحكيم :**

الاشتراكية الاسلامية تبدأ من العودة الى التنوير الدينى وليس فى العودة الى الوراء .

■ **لطفى الخولى :**

بهذا تنتهى الجلسة الثانية للحوار . وشكرا .

عن الناصرية

حوار مع محمد حسنين هيكل

يصدر عن دار القضايا ببيروت ، قريبا ، كتاب سياسى من نوع جديد • الكتاب بعنوان « بصراحة عن عبد الناصر » • وهو عبارة عن حوار شامل أجراه الصحفى اللبنانى المعروف فؤاد مطر مع محمد حسنين هيكل •

من خلال الحوار الذى ادير بموضوعية وذكاء على مدى عشرين ساعة ، قام هيكل من خلال معايشته الذاتية والموضوعية لتجربة ثورة يوليو وجمال عبدالناصر ، بتقديم رؤياه التحليلية وشهادته التاريخية لثمانية عشر عاما من حياة الناصرية وعبد الناصر •

والكتاب من عشرة فصول تتناول ليلة الثورة ، مراحل تأسيس التنظيم ودور محمد نجيب ، الازمة مع الاخوان والشيوعيين ، الصراع مع الامريكان ، وصفقة السلاح الروسى ، علامات استفهام فى ١٨ سنة ، الوحدة والانفصال والبعث واليمن ، هزيمة ١٩٦٧ : قبل وبعد ، الحرمان والممتلكات ومراحل التوتر ، رحلة العذاب مع المرض ، عن الناصرية : الماضى والحاضر والمستقبل •

وتنشر « الطليعة » فى هذا العدد الفصل العاشر من الكتاب وهو : عن الناصرية : الماضى والحاضر والمستقبل •

□ فؤاد مطر :

لو القينا نظرة على الواقع السياسي في مصر ؟ لوجدنا أن لليمين قادته ؟ ولليسار قادته ، في حين لا تعرف من هم قادة الناصرية .

ولنفترض ان التطورات فرضت تركك فريق يمارس نشاطه وشعائره ، فمن هي القيادات التي ستقود الفريق الناصري ؟

□ محمد حسنين هيكل :

انني اختلف معك في هذا التقدير .. أين هو اليمين ؟ .. هل هو تلك الشراذم غير المنظمة التي يرتفع صوتها عاليا ؟ .. أم هو هذه البورجوازية الناشئة ؟

اذا كان هذا هو المقصود فمن الصعب اعتبار ان ذلك هو اليمين . واذا جئنا نبحث عن قيادات لهؤلاء ، فاننا لا نعثر على هذه القيادات . هناك بقايا من كانوا في مصر قبل الثورة وعادوا في ظروف ما بعد المعركة . وهؤلاء ينطبق عليهم تعبير قيل عن اشخاص في الثورة الفرنسية عادوا بعد نابليون ، وهو « عادوا من دون ان ينسوا شيئا أو يتعلموا شيئا .

هذا بالنسبة الى اليمين ، أما بالنسبة الى اليسار ، فالامر مختلف ، ان اليسار موجود في الاحزاب الشيوعية التي حلت نفسها . ويمكن ان تكون هناك عناصر في تلك الاحزاب تعيد التفكير والتقييم في ضوء الظروف المستجدة ، لكنني أرى ان الظروف اختلفت ، لان تركيب الواقع المصري اختلف .

قبل الثورة كان هنالك ١٢٠ الف عامل منضمين الى نقابات ، بصرف النظر عن طبيعة تلك النقابات ، لان هنالك تحو ثلاثة ملايين عامل نقابي ، بالتقسيم القديم يمكن ان نقول ان اشخاصا معينين هم قادة العمال ، وان اشخاصا معينين هم قادة اليمين أو قادة اليسار . أما بمفهوم ما بعد الثورة ، فان تركيبة الواقع المصري اختلفت ، وذلك بفعل الناصرية .

وعندما القي نظرة على الواقع الاجتماعي في مصر الان ، أرى ان التيار الاساسي في الجماهير المصرية هو تيار ناصري ، وان الثلاثة ملايين عامل هم نتاج التجربة الناصرية ، ونصف المليون شاب الذين تضمهم الجامعات المصرية هم نتاج التجربة الناصرية . وهؤلاء قرأوا الميثاق ونبوا في الوقت الذي كانت مصر تقود فيه حركة ثورة وطنية . هؤلاء انتماؤهم الحقيقي انتماء ناصري ، وحركتهم تسير في الاتجاه الايجابي من الناصرية ، اتجاه التحرر والتحول الاشتراكي وسيطرة الشعب على موارده وديمقراطية قوى الشعب العاملة .

تفاعل : من هم قادة الناصرية ؟ .. ان القيادة السياسية الحالية ، قيادة ناصرية ، والرئيس **أنور السادات** الذي ورث التجربة هو المسئول عنها . وفي ١٥ مايو [آيار] سنة ١٩٧١ ، استطاع **الرئيس السادات** ما لحق بالناصرية من شوائب . وهو عندما توجه الى مجلس الامة وقال انه آت ببرنامج ٣٠ مارس ، كان يعبر عن تمسكه بالتجربة الناصرية . وعندما تمسك بالميثاق الذي يمثل الوثيقة الاساسية للثورة ، فانه كان يتمسك بالتجربة الناصرية .

من هي قيادات الناصرية ؟ .. انها قيادات ستظهر في المستقبل ومن وسط التجربة .

وعندما نتأمل في القوى الاجتماعية المصرية المتمسكة بالمبادىء الاساسية للناصرية ، نفترض أن هذه القوى ستفرز قيادات ، ونفترض ان القوى ستفرز قياداتها من خلال التحدى الناصرية من جانب بعض القوى العاجزة والوافدة والتافهة والمتراجعة ، والقيادات التي ستفرزها القوى الناصرية ستكون من نوع جديد .

□ فؤاد مطر :

اذا شئنا ان نعرف الناصرية فكيف نعرفها ؟

□ محمد حسنين هيكل :

الناصرية هي نقل مصر الى الكيان والطموح والوجود العربي كجزء لا يتجزأ منه ، ثم نقل الكيان العربي والطموح العربي الى العصر الحديث ، بمعنى أن مصر والعالم العربي ، هذا الكيان الجديد الذي ساهم جمال عبد الناصر في بلورته ، اصبح مؤثرا في حركة الثورة الوطنية . والناصرية هي الدفاع عن الحرية والحرب على الاستعمار ، وهي تحول المجتمعات العربية من مجتمعات تقليدية متخلفة الى مجتمعات تلحق بالعصر ، سواء فيما يتعلق بقوة المجتمع الانتاجية او بقيمة الفرد والانسان في هذا المجتمع . والناصرية هي العمل للحاق بالتكنولوجيا والانفتاح على العالم ، وهي حركة القومية العربية ، وحركة التصنيع ، وحركة الاشتراكية ، وحركة التأثير في العالم والتحول في افريقيا .

□ فؤاد مطر :

لكن التجربة الناصرية حفلت بحالات قسر كثيرة .. هل كان ذلك طبيعيا ؟

ثم لماذا اعتمد عبد الناصر على التنظيم الطليعي ولم يعتمد على الرأي العام ؟

□ محمد حسنين هيكل :

الاعتقالات والتجاوزات التي حدثت مع اعترافي الكامل عليها ـ تأتي على هامش التجربة .

ومن الطبيعي بالنسبة الى تجربة سياسية واجتماعية مثل التجربة الناصرية ان تحدث حالات قسر . وهذا القسر حدث في كل تجربة تاريخية شرقية أو غربية . والقسر الذي حدث في التجربة الناصرية اقل من القسر الذي حدث في تجارب عربية أخرى أو غير عربية .

وانا اختلف معك بالنسبة الى مسألة التنظيم الطليعي . ان جمال عبد الناصر لم اعتمد على الرأي العام اكثر مما اعتمد على التنظيم الطليعي أو اي تنظيم . وهو عندما فكر بعد حرب سنة ١٩٦٧ في التنظيم الطليعي ، فبهدف ان يتولى هذا التنظيم ادارة حركة التناقضات داخل التحالف على امل تذويب الفوارق بين طبقات التحالف .

واؤكد ان عبد الناصر لم يعتمد على التنظيم الطليعي ، وان التنظيم لم يكن قوة مؤثرة ، بدليل أنه نفخ عليه في ١٥ مايو [آيار] سنة ١٩٧١ فطار ولم يبق منه شيء . ان عبد الناصر كان يهمه الرأي العام ويعتمد عليه داخل بلده وخارجه .

□ فؤاد مطر :

ما السر في أن الناصرية ، كانت وباتزال قوية خارج مصر وضعيفة داخل مصر ؟

□ **محمد حسنين هيكل :**

بالنسبة الى هذه المسألة ، اختلفت ايضا معك . ان الناصرية كانت كامنة وغير ظاهرة فى مصر ، لان عبد الناصر كان يحمى وجودها ويغطيه . وبعد رحيل عبد الناصر ، وبالتحديد بعد ٦ اكتوبر [تشرين الاول] سنة ١٩٧٣ ، حدثت محاولات للعودة الى الوراء . فمن الذى تصدى لهذه المحاولات ؟

ان الذين تصدوا لها هم الناصريون من شبان وطلاب جامعات وعمال وفلاحين .

ثم هل ان الذين ساروا فى جنازة عبد الناصر ساروا بفعل التأثر والحزن على رجل غاب ؟ .. هل ان تلك المسيرة التى شهدت خمسة ملايين كان هدفها التعبير عن الحزن العميق ؟

رأيى الشخصى انها لم تكن حالة تأثر انما كانت تعبيرا عن الرفض لاى صراع بين القوى ، وتمسكا بالاستمرارية .

ثم لنأخذ ايضا ـ مثلا ـ جماعة ١٤ مايو [آيار] سنة ١٩٧١ ، كانت فى أيدى افراد هذه الجماعة كل القوى الاساسية فى أجهزة الدولة ، وكان **الرئيس السادات** وحده . وكان تكتيك هؤلاء عندما استقالوا ليلة ١٣ مايو [آيار] ان الشارع سيتحرك ليفرضهم من جديد على **الرئيس السادات** وباوضاع أقوى وشروط أفضل . ولقد بقى الموقف معلقا طوال ذلك الليل فى انتظار ان تحسم الجماهير الموقف والصراع . ولقد حسمتها لصالحة **الرئيس السادات** .. الجماهير هى التى نصرت **أنور السادات** لانها ضد محاولات اللعب بالسلطة . وكانت الجماهير واضحة أيضا فى حرصها على الاستمرارية ورفضها لاى صراع بين القوى .

انما أن تكون الناصرية تبدو وكأنها غائبة فى مصر ، أو ان هنالك محاولات للتشكيك فيها ، فى حين انها مندفعة خارج مصر .. فهذا يعود الى ظروف معينة .. فى مصر قد تكون الناصرية أصابت بعض القوى أصابات مباشرة ، وهذه القوى تتمثل فى أصحاب المصانع والطامحين الى أن يصبحوا أصحاب مصانع ، وفى كبار ملاك الارض ، والطامحين الى أن يصبحوا اقطاعيين ، بالاضافة الى بعض القوى السياسية التى رفضت التعامل مع التجربة . قد تكون الناصرية بالفعل أصابت هذه القوى فى مصر ، أما فى خارج مصر ، فان التجربة كانت بريقا وحلما ولا شك فيها لها . وعدم وجود عبد الناصر خارج مصر جعل الناصرية تبدو غير محطاة تستقطب الجماهير يوما بعد يوم ، من دون أن تقف فى وجهها قوى معادية .

الناصرية فى مصر موجودة كحكم .. خارج مصر موجودة كحلم .. الحكم له من يتصدى له ، أما الحلم فمن يستطيع التصدى له . والناصرية فى مصر ، لانها موجودة كحكم ، أصابت بعض القوى فى مصالحها ، أما خارج مصر ، فان أحدا لم يصب لان الحلم لا يصاب .

□ **فؤاد مطر :**

متى فى تصورك ينصف **عبد الناصر** وحتى تحدد السلبيات والايجابيات فى مرحلة التجربة الناصرية ؟

□ **محمد حسنين هيكل :**

شخصيا أرى ان **عبد الناصر** ينصف يوما بعد يوم . والاحظ ان الحملات على سلبيات التجربة الناصرية تسقط يوما بعد يوم ويزداد بروز الايجابيات .

والانصاف الحقيقى **لعبد الناصر** سيكون بعد انتهاء مدة سنة ١٩٦٧ ، لان هذه المحنة غطت انجازات كثيرة حققها عبد الناصر .

لقد غاب **عبد الناصر** عن المسرح ؟وهناك احتلال ؟ ثم تجاوزت بعض العناصر استعمال السلطة بأسه ، فكان من السهل الخلط بين ما هو ايجابي وما هو سلبي في التجربة . لكن الذين استعملوا اسم **عبد الناصر** انتهوا . وكفاح الشعب المصري يصحح ما تركته هزيمة سنة ١٩٦٧ من آثار على صفحة التجربة . والكفاح سيستمر لأن الصراع مستمر ، وسيظل مستمرا وتتخلله عثرات .. وعندما تنتهي آثار محنة سنة ١٩٦٧ ،تصبح الرؤيا أكثر وضوحا وتظهر ايجابيات التجربة الناصرية . وعندها ينصف **عبد الناصر** ، وتتأكد أهمية التجربة التي أحدثت تغييرا في مصر والوطن العربي وأفريقيا .

□ **فؤاد مطر :**

بمقدار ما كان **عبد الناصر** يبدو عملاقا وقويا في حياته وتبدو معه مصر مؤثرة قوى ومؤثر في الحياة العربية والحياة الدولية ، فان نظامه بدأ لمجرد وفاته على درجة كبيرة من التفكك والانقسام .

هل يأتي ذلك نتيجة خلل في التوازن بين قوة الذات الناصرية وضعف النظام الناصري ؟

□ **محمد حسنين هيكل :**

الذي حدث في يومي ٩ و ١٠ يونيو [حزيران] سنة ١٩٦٧ ؛ كان تثبيتا للناصرية ، وتأكيد أن عبد الناصر هو التعبير عن تلك القوة البشرية الضخمة التي خرجت من دون تدبير ترفض التنحي وتتمسك بعبد الناصر المهزوم ، وبين هذه الفترة ويوم الوفاة عاش النظام المصري وسط حرب نفسية عنيفة جدا . وحدث نوع من التمزق العربي نشأ عن قبول **عبد الناصر** مشروع روجرز ، وفجأة يختفي **عبد الناصر** بينما الحرب العنيفة جدا ضد نظامه ما تزال قائمة ، والتمزق العربي ما يزال قائما . ولم يكن أحد يتوقع مثل هذا الأمر . والقيادات لم تكن جاهزة لمواجهة ما حدث بشكل صاعق .

وعلى رغم ذلك فان النظام الناصري هو الذي صنع أكتوبر سنة ١٩٧٣ . واذا كان بعض المحسوبين على **عبد الناصر** تقدموا على حركة غير مسئولة في ١٥ مايو سنة ١٩٧١ ، فان هؤلاء لم يستطيعوا هدم شيء في النظام الناصري .

ان النظام الناصري هو الذي صنع أكتوبر سنة ١٩٧٣ ، هذه حقيقة لا جدال فيها . وكل الشوائب التي جاءت بعد العبور تتعلق بالتجربة لم تساهم في العبور ، انها شوائب سلبية جاءت بعد العبور لتنهش في النظام الناصري الذي قاده **أنور السادات** بعد وفاة عبد الناصر وحقق في أكتوبر ما حققه ، أيا كانت قيمة ما تحقق ، والقيمة كبيرة بلا جدال .

اذن ، ان النظام الناصري ظل متمسكا على رغم ظروف مسيئة واجهته الى أن صنع أكتوبر . وبعد أكتوبر حصلت هجمة على الناصرية ، وعندما بلغت الهجمة ذروتها في سبتمبر [ايلول] سنة ١٩٧٤ ،لم أكن في مصر .. كنت في الخارج ، وبلغني أن قوى كبيرة جدا وقفت تتصدى دفاعا عن الناصرية وعبد الناصر والمنجزات الايجابية لعبد الناصر .

ما معنى هذا ؟

معناه في رأيي ان النظام الناصري قوي وغير منهار ، بدليل انه واصل قوته الذاتية وبامتداده الطبيعي **بأنور السادات** السير الى ان حقق ٦ أكتوبر . وبعد ٦ أكتوبر حدثت تشويشات وجاء البعض للتعلق بالتجربة ، وهم من الذين لم يشاركوا في معركة أكتوبر .. جاءوا في آخر النهار متأخرين جدا .

وهذه العناصر عندما بدأت تهاجم النظام الناصرى حدث التصدى لها من داخل مصر على رغم انه بدا لوهلة من الوهلات ان بعض عناصر السلطة تشجع هذا الهجوم . وهذا يعنى ان النظام الناصرى قوى وليس منهاويا .

□ فؤاد مطر :

نحن الان فى ٢٧ آب [اغسطس] سنة ١٩٧٤ ، ومنذ وفاة **جمال عبد الناصر** يوم ٢٨ ايلول [سبتمبر] سنة ١٩٧٠ حتى يومنا هذا حدثت تطورات مهمة على صعيد الكلام والمواقف تتعلق **بعبد الناصر** والناصرية . حتى ان هنالك تصورا يصل الى درجة الاقتناع بأن التراب يهال على **عبد الناصر** والناصرية ، بحيث يجب ان تكون فترة الحكم الطويلة مجرد ارث وليس استمرارا كما اتفق على ذلك .

ما الذى بقى من **جمال عبد الناصر** ، وهل تركَ وصية سياسية معينة مودعة الخزانة المقفلة ، وهل هذه الوصية تنفذ ؟

وهل ما يكتب فى صحافة مصر عن **عبد الناصر** والناصرية بطريقة او باخرى هو أمر عفوى .

وتبعا لذلك هل انت مطمئن الى ان الناصرية مستمرة فى مصر ؟

□ محمد حسنين هيكل :

اعود الى الخصوم الذين يقومون بعملية التجريح لاقول ان مثل هذا الرجل يمكن مهاجمة افكاره ولكن من العيب التجريح به . **فجمال عبد الناصر** عاش لامته العربية ومات من اجلها .. احسن واخطأ مثل اى زعيم او قائد تاريخى .

ان **عبد الناصر** اوجد قيمة لخصومه ، حتى الذين اختلف معهم عقائديا وفكريا فى العالم العربى اصبحت لهم قيمة . ان العالم العربى وضع على خريطة العالم الحديث أيام **عبد الناصر** .. من كان يتنبأ للموارد العربية ؟ ومن كان يفكر بتأميم الموارد العربية ؟ ومن كان قادرا على التصدى للاستعمار ؟ .. ومن كان فى قدرته مواجهة تحديات الدول الكبرى ؟

انه عندما يقال الان أرض العرب للعرب ، وبترول العرب للعرب ، وموارد العرب للعرب ، يجب ان نتذكر وان يتذكر الاخرون ان أول تأميم عربى هز الدنيا كلها كان تأميم قناة السويس . وان أول حركة انتصار للثورة العربية كانت الانتصار فى السويس ، بعد تأميم القناة وبانتصار السويس حدثت متغيرات فى بقاع كثيرة من العالم .. فى افريقيا حدثت متغيرات كثيرة .. وفى آسيا ايضا .. وهذا مجد لا يملكه **جمال عبد الناصر** انما تملكه الامة العربية ، لان **عبد الناصر** فى النهاية من نتاج هذه الامة . ان **جمال عبد الناصر** لم يصنع الامة العربية ، لكن الامة العربية هى التى صنعته . وكذلك ان **عبد الناصر** نتيجة طبيعية لمصر وليست مصر نتيجة طبيعية له .

تسألنى ماذا بقى **من جمال عبد الناصر** ؟
اقول ان الذى بقى من **عبد الناصر** هو الناصرية .

ان **جمال عبد الناصر** له اخطاؤه . ومن يقول ان لا اخطاء **لعبد الناصر** يكون مجنيا على الانسانية . **عبد الناصر** له اخطاء سياسية كبيرة او صغيرة ، ولكن عندما يحاسب رجل تاريخى مثل **عبد الناصر** لا يحاسب على الاخطاء انما على التحولات التى حدثت فى عهده ، وتحقيق الافكار المتلائمة مع هذه التحولات .

ما هى هذه التحولات ؟

لقد طرح **عبد الناصر** بقوة فى العصر الحديث امكان تحقيق الوحدة العربية .. وطرح امكان سيطرة العرب على ثرواتهم .. وطرح الاشتراكية .. وطرح الحرب ضد الاستعمار .. طرح مسألة كون العالم العربى جزءا من الثورة الوطنية .. طرح قضية التصنيع الثقيل ، وقضية الارض والفلاح ، وقضية ديمقراطية الغالبية التى هى العمال والفلاحون .

طرح **عبد الناصر** كل هذا وبدأ يطبق . كانت تجربة التطبيق ناجحة فى مجالات كثيرة .

انني أرى وجه **عبد الناصر** فى أماكن كثيرة . أراه فى الطريق الصحراوى من القاهرة الى الاسكندرية وعلى ناصيتى الطريق أتطلع الى أسلاك الكهرباء فأرى وجه **عبد الناصر** .. أتطلع فى الأرض الجديدة فأرى وجهه ، أتطلع فى السد العالى فأرى الوجه أيضا ..

أرى وجه **عبد الناصر** أيضا فى كل مصنع وفى كل قرية وصلتها الكهرباء . أراه فى قوة العمل النقابى ، فعندما قامت الثورة كان فى مصر ربع مليون عامل . الآن فى مصر ثلاثة ملايين عامل منظمون فى نقابات واتحادات .

لقد جاء عبد الناصر الى الحكم والعالم العربى عبارة عن دول مستعمرة أو شبه مستعمرة .. وذهب والعالم العربى كله مستقل فى مقابل جزء من مصر محتل .. وفى مقابل هذا الجزء المتمثل فى سيناء والجزء الآخر المتمثل فى الجولان ، وفى مقابل احتلال الضفة الغربية فى الاردن ، تحررت مصر كلها وتحرر السودان والجزائر وتونس والمغرب وليبيا واليمن والاردن والعراق وامارات الخليج .. تحررت هذه الدول وأصبحت تتحكم بثرواتها .

لم يكن أحدا يتكلم عن التخطيط . بعد **عبد الناصر** أصبح التخطيط مطلبا ضروريا فى تنمية الدول الاجتماعى التى بناها **عبد الناصر** .

لقد حدثت تجاوزات خلال حكم **عبد الناصر** ، وأنا كتبت وعبد الناصر ما يزال حيا انه حدث تجاوز فى استعمال السلطة فى الداخل ، وحدث أيضا تجاوز استعمال القوة فى الخارج . وما زلت حتى الان على قناعتى هذه بالنسبة الى التجاوزين . كذلك كتبت **وعبد الناصر** ما يزال حيا : « حان الوقت لكى ننتقل من ديمقراطية بالموافقة الى ديمقراطية بالمشاركة » . وكتبت أيضا انه اذا لم يكن النظام قادرا على صنع التغيير المطلوب ، فيصبح المطلوب هو تغيير النظام . وفى أيام **عبد الناصر** كتبت انتقد القطاع العام محذرا من ان يكبله القطاع الحكومى القديم بقيود الروتين ويفقده حيويته . وفى عامى ١٩٦٤ — ١٩٦٥ ، كتبت كثيرا عن مراكز القوى وسيادة القانون والمجتمع المفتوح و « زوار الفجر » .. ونشر فى « الاهرام » نقد للتجربة بأقلام **توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وحسين فوزى ولويس عوض ولطفى الخولى** .. وأنا لا أشير الى ذلك تباهيا وانما قصدى اننا كنا نكتب أيام **عبد الناصر** من التجربة ونناقشها من موقع الحفاظ على التجربة وليس من موقع الاساءة اليها والسعى لتقويضها .

وهناك أمر يغيب عن أذهان البعض . لقد قرر **عبد الناصر** القيام بعملية التحول الاجتماعى . وتبعا لذلك عبد الى نقل الملكية الاجنبية فى مصر الى الملكية الوطنية هل يأترى كان يجب ان يلجأ الى الاقناع لتحقيق ذلك ؟ هل انه بالاقناع كان يستطيع تصفير شركات التأمين وتجارة القطن وتجارة الصادر والوارد وجزء كبير من قطاع التصنيع ؟

وهل كان يستطيع بالاقناع تحقيق الاصلاح الزراعى وتحديد الملكية ؟ وهل كان فى الامكان أن يطلب من فرد يملك مائة الف فدان ان يحتفظ بمائة فدان ويوزع الفدادين الاخرى على الفلاحين ؟

من الطبيعي انه لم يكن يستطيع ذلك ،ولذا كان يصعب تفادي عنصر القسر في سبيل احداث الثورة الاجتماعية . لقد استعملت القوة وسلطة الدولة من اجل الثورة الاجتماعية . ولم يكن من السهل تحقيق ذلك بالمناقشة والاقناع . ان اي باشا او اقطاعي لن يتنازل عن شبر واحد من الوف الفدادين التي يملكها اذا كانت المسالة مسالة مناقشة واقناع .

وبسبب اللجوء الى القوة واستعمال سلطة الدولة من أجل تحقيق الثورة الاجتماعية حدثت اخطاء . ومن الطبيعي أن تحدث هذه الاخطاء . ولا بأس من مناقشة هذه الاخطاء .

وانا شخصيا أرحب بهذه المناقشة ،بل لابد من فتح كشف حساب علني ، انما من دون غرض ولا هوى ولا تجريح .

صحيح انه حدث تجاوز في استعمال السلطة في الداخل . هذا الامر من المنطق مناقشته انما بموضوعية وأخلاق .

وصحيح انه حدث تجاوز في استعمال القوة في الخارج . هذا الامر من المنطق ايضا مناقشته انما بموضوعية واخلاق مع الاخذ بالظروف التاريخية

لا بأس من المناقشة ومن المحاسبة ولكن بمنطق المواجهة الكاملة مع الاستعمار ومع مراعاة كون حركة الثورة العربية لم تبدأ الاعتداء على احد . الذي حدث انها هي التي كانت مستهدفة .

حتى الذين يأخذون على **جمال عبد الناصر** حرصه على تصدير الثورة الى الخارج على حد تعبيرهم تغيب عن بالهم بعض الامور الاساسية . أن هنالك نوعين من التصدير . التصدير بالقلم ، بالنموذج ، والتصدير بالدفع ، بالقنبلة .

من الجائز أن الظروف في اليمن لم تكن جاهزة موضوعيا لقيام الثورة . ومن الجائز أن مصر عندما تدخلت كان تدخلها باكثر مما تحتاج اليه الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية في اليمن . يعني انه بدلا من مواكبة التفاعلات الثورية حدث نوع من الاستعجال لاحداث هذه التفاعلات او ان بعض هذه التفاعلات المتمثل ، جائز . ويمكن المحاسبة على هذا كله انما بمنطق المواجهة الشاملة مع الاستعمار على جبهة عريضة من المحيط الى الخليج .

صحيح ان **عبد الناصر** بقوته وهيبته فرض آراءه في البداية بحيث ان قضايا كثيرة لم تناقش بالقدر الكافي ، لكن ذلك لا يعني التجريح به . ولا بأس من المناقشة . وهذا ما يشير اليه **الرئيس السادات** .

ان **الرئيس السادات** يردد في استمرار انه مسئول عن كل تصرفات الماضي لانه كان شاركا ويناقش . **والرئيس السادات** هو المسئول عن الناصرية وليس احد آخر . لقد اعلن منذ البداية انه جاء على طريق **عبد الناصر** وهو المسئول عن التجربة . ونحن لو اخذنا ورقة اكتوبر نجده يتكلم فيها عن تحالف قوى الشعب العامل . اما اذا كان هنالك البعض الذي يحاول شد التجربة فهذا طبيعي . ان في العالم العربي قوى اجتماعية وسياسية معينة تحاول ضرب التجربة وتجسم الاخطاء والسلبيات بهذا الغرض . ومن هنا المناقشة الموضوعية ضرورية . ففي مثل هذه المناقشة تحدد الاخطاء والسلبيات على ان تقاس الاخطاء بنسبة الحسنات والسلبيات بنسبة الايجابيات . وبعد المناقشة نستطيع ما هو سلبي وخطأ ونعرف ما هو ايجابي . وبذلك تكمل التجربة مسيرتها .

وبالنسبة الى ما يكتب في الصحافة المصرية عن **عبد الناصر** والناصرية ، أرجو اعفائى من الجواب . اننى لا أريد الدخول في الذى يكتب في مصر عن هذا الموضوع

انما يكفينى ما يؤكده **الرئيس السادات** عن الناصرية كلما تكلم .

نعود الى سؤالك ماذا بقى من عبد الناصر . بقى من **عبد الناصر** فكره وانجازات وأخطاء . ونعمل على نناقش ونحاسب .

اما مسألة الوصية السياسية فلا أعتقد أن عبد الناصر ترك وصية ، ربما لانه لم يكن يتصور أن القدر سيكون سريعا بالشكل الذى حدث وتنتهى حياته وهو في الثالثة والخمسين .

وهو عندما عين السيد **أنور السادات** نائبا أول له كان بسبب معلومات وصلته ومفادها أن هنالك مؤامرة لاغتياله في الرباط خلال مشاركته في مؤتمر القمة العربي الخامس [كانون الاول ــ ديسمبر ــ ١٩٦٩] . والذى حدث أن **الرئيس عبد الناصر** استدعى السادات عند الفجر وأقسم **السادات** اليمين . وبعد ذلك سافر **عبد الناصر** الى الرباط . ونحن في الطائرة روى لى الظروف والمعلومات التى وصلته عن مؤامرة لاغتياله .

لا اعتقد أن **عبد الناصر** ترك وصية . وصيته موجودة في ممارساته . موجودة في الميثاق . موجودة في أقواله . موجودة في أعماله . موجودة في محاضر اجتماعات مجلس الوزراء . موجودة في محاضر اجتماعات اللجنة التنفيذية العليا . موجودة في محاضر المؤتمرات الدولية .

ليس هناك وصية سياسية على ما اعتقد . اما الخزانة المقفل عليها ففيها بعض محاضر اجتماعات الضباط الاحرار وبعض محاضر اجتماعات مجلس قيادة الثورة وبعض الاوراق الخاصة . وفيها رسائل كتبها **عبد الناصر** لزوجته عندما كان ضابطا يحارب في فلسطين . وفيها أيضا رسائل وصلته من زوجته ردا على رسائله .

أعود الى مسألة الناصرية . اثنى طمئن الى ان ما هو ايجابى في الناصرية له قواعد في مصر . والرئيس **أنور السادات** هو المسئول عن هذه القواعد .

والجميع يذكرون ان **الرئيس السادات** عندما ذهب في اليوم الاول من الولاية الى مجلس الامة ، وكان ذلك يوم ٧ أكتوبر [تشرين الاول] ١٩٧٠ قال : « لقد جئت اليكم على طريق **جمال عبد الناصر** . انى أعتبر ترشيحكم لى توجيها بالسير على طريق **عبد الناصر** . واذا أبدت جماهير شعبنا رأيها في الاستفتاء العام بـ « نعم » فانى سوف أعتبر ذلك أمرا بالسير على طريق **جمال عبد الناصر** الذى اعلن أمامكم بشرف انى سأواصل السير فيه على أية حال ومن أى موقع . انى جئت الى هذا المجلس وثيقة واحدة هى بيان ٣٠ مارس أودعها أياه ولبثى قائلا لكم : هذا برنامجه وهو برنامجى أيضا لانه ارادة الشعب » .

ومرة أخرى ان **جمال عبد الناصر** ليخترع جديدا . لقد جاء تعبيرا عن احتياجات الامة العربية وعن احتياجات التطور في مصر في مرحلة معينة . والتطور مستمر .

وفي عملية التطور تحدث اضافات وتعديلات . وبحدث تصحيح . وبذلك تكمل المسيرة .

نقد
سياسة الحكومة

عادل حسين

المصارحة أصبحت ضرورة ، ولابد من وقفة تحدد مواقع الاقدام واتجاه المسار .. واول المصارحة أن هناك قسما من الناس يريد ان يفلت من الشاكل الموضوعية التى تواجه شعبنا . هذا القسم لا يود أن يشارك فى التضحيات المفروضة ، ويريد أن يثرى ويعيش فى بذخ ، ولتذهب ملايين الكادحين الى الجحيم . هذا القسم ـ وهو ينادى كثيرا بالديمقراطية والليبرالية ـ يطالب بتكميم الافواه ويتحدث عن « الخطر الشيوعى » و « الالحاد » كلما تحدث البسطاء عن مصاعب الحياة .. وهناك قسم آخر يطالب بتحمل التضحيات التى تفرضها معارك التحرر الوطنى والتنمية ، بشرط أن توزع التضحيات بعدالة بين كل الطبقات ، وأن يتحمل القادرون من عبء التضحيات أكثر من أصحاب الدخول المحدودة . « والمصرى العادى مستعد لان يحتمل ويصبر حتى على الجوع ، اذا اقتنع بأن ذلك هو حالّ مصر كلها .. واذا حدث العكس ، فلابد ـ كما يقول سيد مرعى رئيس مجلس الشعب ـ أن التمس له بعض العذر فى انفعالاته » [١] .

والان هل تنحاز الحكومة الى القسم الاول أو الى القسم الثانى ؟ يبدو أن فكر الحكومة وما ينشأ عنه من سياسات ينحو الى اتجاه ثالث . فهى تبدو كما لو كانت ترضى كلا من الفريقين . فالدكتور عبد العزيز حجازى يصرح بأن اقتصادنا مختلط ، وهو يعرف الاقتصاد المختلط بأن جزءا منه مخطط ، وجزءا منه حر (٢) . ونحن نفهم أن يقال أن جزءا من اقتصادنا قطاع عام وجزءا آخر قطاع خاص ، فهذه حقيقة ، ولكن مفروض أننا نهدف مع هذا الى سيطرة الشعب على وسائل الانتاج الرئيسية [فى القطاعين العام والخاص] ومفروض أن يخضع القطاعان للتخطيط الشامل ، بفضل الدور القيادى للقطاع العام فى هذه الخطة . أما أن يقال أن

---

[١] هدت المهندس سيد مرعى الى فهمى هويدى ـ الاهرام ١٧ يناير ١٩٧٥

[٢] د. عبد العزيز حجـــازى : مناقشات مجلس الشعب لبيان رئيس مجلس الوزراء عن برنامج الحكومة ـ مضبطة جلسة ١٠ ديسمبر ١٩٧٤ .

جزءا من اقتصادنا سيخضع للتخطيط والجزء الاخر سيكون حرا ، فهذا ما نعتقده محاولة لارضاء كل الاطراف ، وهى محاولة غير واقعية ، وقد كان بمكننا الا نفسر التعبير الذى استخدمته د ، حجازى على هذا النحو ، لولا ان السياسة العامة للحكومة تؤكد هذا الفهم ، فهى تعلن لاصحاب الدخول العالية انها لن تفرض ضرائب جديدة ، وانها بالتالى لن تمس امتيازاتهم بل سيزيدون منها ، وهى تعلن ـ فى نفس الوقت ـ للجماهير العاملة انها ستحافظ على مكتسباتها ومستواها المعيشى وقد ترتفع به ، وليت هذه السياسة كانت ممكنة ، فقد اوصلتنا تجاربنا السابقة الى انها سياسة مستحيلة فى بلد محدود الموارد ويواجه مصاعب التنمية ، فما بالنا ونحن الان نواجه مصاعب التنمية ومصاعب الحرب فى وقت واحد ؟ ان مواردنا لا تتسع لتمويل التزامات الدفاع الوطنى ، ولتمويل الاستثمارات الضرورية ، ولتثبيت ـ ولا نقول رفع ـ مستوى المعيشة للجماهير العاملة ، ثم ايضا لتوفير البذخ للبعض ، ان بذخ اصحاب الدخول العالية هو تبديد لموارد نادرة ، وهو لا يمكن أن يستمر ويزيد الا على حساب الحد الادنى الضرورى للتنمية ، او على حساب المستوى المعيشى البالغ الانخفاض للشعب ، هذه نتيجة حتمية لا تغيرها اى « شطارة » أو جهود يبذلها الفنيون والمخططون ، فالمسالة ليست ارقاما تكتب على الورق ، ولكنها موازنة موضوعية بين كم محدد من الموارد العينية وبين كم محدد مقابل من الاستخدامات العينية ، والنتائج العملية لسياسة الحكومة تؤكد هذا ، فامام الموارد المحدودة وامام تبديد أصحاب الدخول العالية لجزء من الفائض الاقتصادى ، تباطأت معدلات التنمية ، وفشلت كل الجهود التى بذلتها الحكومة لمنع التدهور الواضح فى مستوى معيشة الجماهير .

انخفاض مستوى المعيشة

ولنقترب الان من الصورة اكثر لكى نتبين هذه النتيجة ، لقد قدمت الميزانية العامة ٦٤٢ مليون جنيه لخفض وتثبيت تكاليف المعيشة ، وهذا المبلغ عبء شديد على ميزانية لا تزيد مواردها السيادية عن ٩٩٠ مليون جنيه ، ومن الانصاف أن نقول أن هذا المبلغ الحقيقى الذى قدمته الحكومة لضبط الاسعار يزيد عن هذا كثيرا ، فالمبلغ المرصود لدعم سعر السكر ـ والذى يدخل فى رقم الـ ٦٤٢ مليون جنيه ينصب على كميات السكر المستوردة ، ولكن هناك دعم آخر مستتر تقدمه الدولة ويتمثل فى تثبيت سعر السكر المنتج محليا عند مستوى يقل كثيرا عن السعر العالمى ، وما ينطبق على السكر المنتج محليا ينطبق على عديد من السلع الاخرى ، كذلك يمثل استمرار وتزايد انفاق الدولة على الخدمات المجانية دخلا غير منظور للطبقات الكادحة .

كل هذا عظيم ، ويمثل جهد رئيس الوزراء فى الدفاع عن هذه المكتسبات فى وجه الهجمات اليمينية موقفا جديرا بالاشادة ، ولكن للاسف ثبت ـ حسب تجربة الاعوام الماضية ـ ان هذه الجهود وحدها لا تكفى ، فتصاعدت موجة الغلاء ، ومعروف ان هذه الموجة ليست مستوردة بكاملها من الخارج ، وضمن الاسباب المحلية عجز الموارد الحقيقية فى الخزانة العامة عن مواجهة الالتزامات ، وقد نتج عن هذا ان زاد الاصدار النقدى من ٤٥٠ مليون جنيه فى عام ١٩٦٩ الى ٨٢٠ مليون جنيه فى منتصف عام ١٩٧٤ ، وهذه الزيادة الهائلة التى تصل الى ٨٢ فى المائة لا تعكس طبعا زيادة حقيقية مماثلة فى الناتج القومى ، ولكنها مؤشر لاعباء التمويل التضخمى الذى لجات اليه الحكومة ، والذى أسهم بنصيب كبير فى ارتفاع الاسعار .

على اى حال ، ما حدث فعلا هو أن الرقم القياسى العام لنفقات المعيشة (وهو الرقم الذى يصور مدى تغير نفقات المعيشة من فترة لاخرى نتيجه التغير فى مستويات الاسعار التى يدفعها المستهلكون لشراء مجموعة احتياجاتهم من السلع والخدمات من أسواق ومتاجر التجزئة) ، هذا الرقم القياسى العام لنفقات المعيشة (٣) زاد فى المدن ـ حتى ابريل ١٩٧٤ ـ ورغم كل جهود الدولة لضبط الاسعار بنسبة ٣٦ فى المائة عن الرقم القياسى العام لعام ٦٦ ـ ١٩٦٧ ، ولا داعى للحديث عن أن الرقم المقابل فى دول اخرى قد زاد بمعدل أعلى خلال نفس الفترة ، ففى هذه الدول سلم متحرك للاجور ، تزداد الاسعار فيضطط العمال فترتفع الاجور ، السؤال المحدد فى مصر

---

[٣] نشرات جهاز التعبئة العامة والاحصاء عن الارقام القياسية لاسعار المستهلكين .

هو : هل زاد متوسط الاجر للمشتغل خلال هذه السنوات بنفس هذه النسبة ؟ الا أن ما يهمنا هنا بشكل خاص هو الاشارة الى أن زيادة الاسعار ارتفعت بشكل حاد خلال العامين الاخيرين ، وآخر أرقام حول الرقم القياسى العام تدل على أنه ارتفع من شهر يناير ١٩٧٣ الى شهر يناير ١٩٧٤ بمقدار ١ر٧ فى المائة . ورغم ان ارقام ١٩٧٤ الكاملة لم تنشر بعد ، ولكن الرقم القياسى العام زاد فى ابريل ١٩٧٤ عن يناير ١٩٧٤ بحوالى ٤ فى المائة . وبشكل عام نستطيع ان نفترض على ضوء مشاهداتنا ومعاناتنا اليومية أن معدل ارتفاع الاسعار كان فى عام ١٩٧٤ معادلا على الاقل لمعدل الارتفاع فى عام ١٩٧٣ ، اى نستطيع ان نتصور ان الرقم القياسى العام قد زاد خلال عامى ١٩٧٣ و ١٩٧٤ بنسبة ١٥ فى المائة على الاقل .

ولكى تتضح الصورة أكثر نقول أنه اذا كانت الزيادة فى الرقم القياسى العام خلال المدة من فبراير ١٩٧٣ الى فبراير ١٩٧٤ تساوى ٤ر٨ فى المائة ، فان الرقم القياسى لقسم الطعام والشراب بالذات (وهو يمثل أكثر من ٥٠ فى المائة من استهلاك الاسرة المصرية) قد زاد فى نفس الفترة بنسبة أعلى من الرقم العام . كانت الزيادة ٩ر١٢ فى المائة ، أما الحبوب والنشويات [التى تمثل بدورها نسبة كبيرة من استهلاك الطعام للطبقات الكادحة] فقد زاد رقمها القياسى ١ر١٩ فى المائة ، وحتى الخضر التى لا تستورد بالنقد الاجنبى ولم يقل المعروض منها زاد رقمها القياسى ٨ر١٨ فى المائة بسبب محتكرى تجارة الجملة الذين حققوا أرباحا خرافية ، والذين صفيت من أجلهم الشركة المصرية لتسويق الخضر والتى كانت تمثل محاولة يتيمة للقطاع العام للتدخل فى هذا المجال من أجل ضبط الاسعار لصالح المستهلك . وطبعا لا تنسى أن تضرب كل معدلات الزيادة السابقة فى ٢ كى تحصل على نسبة الزيادة حتى يناير ١٩٧٥ .

وبعيدا عن الارقام القياسية ينبغى أن نتذكر ممارساتنا اليومية مع الاسعار ، مثلا أسعار الاحذية والملابس ، وحتى الخبز الذى تتكلف الدولة ٢٤١ مليون جنيه من أجل تثبيت وزنه وسعره ، تجمع كل التقارير على أن أصحاب المخابز قد انقصوا وزنه حوالى ١٣ جراما ، وانكمش قطره الى ١٥ سم بدلا من ٢٠ سم ، ويقول العاملون فى هذه المخابز أنهم يؤمرون بتقطيع جوال الدقيق الى ٦٨ ألف رغيف بدلا من ٥١ ألفا كما تقضى التعليمات (٤)

لقد انخفضت ، اذن ، الاجور الحقيقية خلال العامين الاخيرين بشكل محسوس ، وانخفض بالتالى المستوى الحقيقى لمعيشة العاملين بأجر . **ولا مانع من تحمل بعض هذا الخفض ضريبة للتحرر والبناء ولكن بشرط أن يكون هذا ، هو حال مصر كلها** » . أما أن تزداد الاغلبية فقرا ، ويزداد البعض ثراء ، فهذا غير مقبول . خاصة وان بعضا من هذه الدخول العالية يمكن أن يقلل من حاجة الدولة للجوء الى التمويل التضخمى ، ويقلل بالتالى من عبء المصاعب الاقتصادية .

ومع كل .. فوسط اختناقات وأزمات الارز والسكر والشاى والمسلى والكبريت والكراريس كان وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية يصرح بأنه لابد من الاتجاه الى اقامة المشاريع المشتركة [أى مع رأس المال الاجنبى) لاقامة محال سوبر ماركت . وما دامت السلع [الكمالية] المهربة تغمر الارصفة ومادام الناس يشترون فلماذا لا تتوافر فى قلب القاهرة محال تجارية تبيع هذه البضائع كى توفر على المصرى هذا العناء (٥) .. ترى حول أى مصرى وعن أى عناء يتجه اهتمام الوزير ؟ انه يتحدث عن البقلاوة والناس تتحدث عن الخبز !

وقس على نفس المنوال ما يحدث فى المواصلات . لن نتحدث عن مشاكل المواصلات عند أهلنا خارج القاهرة كان الله فى عونهم ، ولكن سنقصر الحديث عن القاهرة ، وقد تكفى المشاهدة هنا عن الحديث . ومع ذلك لا مانع من اضافة بعض الحقائق . فنسبة الاعطال بعربات هيئة النقل العام وصلت بين ٥٠ فى المائة و٨٣ فى المائة من التشغيل اليومى ، وفى الترام زادت النسبة الى ٤٠ فى المائة ، وكان طبيعيا أن يترتب على هذا - فوق الزحام المميت - عدم انتظام فى الخطوط يؤثر على انتظام الانتاج . والحكومة تجاهد للابقاء على التعريفة المخفضة ، اسهاما منها فى خفض نفقات المعيشة ، ولكن الزمام يفلت فالاتوبيسات الموحدة كان مفروضا ألا تزيد نسبتها عن ٧ فى المائة فاذا

---

[٤] تحقيقات الاهرام - صبرى سويلم - ٢٥ اغسطس ١٩٧٤ .
[٥] حديث ضحى المتبولى الى سعيد سنبل - اخبار اليوم - ٢١ ديسمبر ١٩٧٤ .

بها ترتفع الى ٣٧ فى المائة (٦) ، وبالتالى ارتفعت نفقات المعيشة فى بند المواصلات بالنسبة للشعب.

ولكن بينما تزداد المعاناة للسواد الاعظم من هذا التدهور المتواصل فى المواصلات العامة وبالذات منذ زادت اعباء الدولة بعد عام ١٩٦٧ نجد ان عدد سيارات الركوب الخاصة المستوردة قد تزايد باضطراد منذ ذلك العام ، بفضل التيسيرات التى تقدمها الدولة للمقتدرين . كان عدد سيارات الركوب المستوردة ١٠٤٣ فى [١٩٦٧] ارتفع الى ٣٥٣٨ سيارة [١٩٦٨] ثم الى ٥٩٤٤ سيارة [١٩٦٩] والى ٩٤٨٩ سيارة [١٩٧٠] والى ١٥٫١٩٦ سيارة [١٩٧١] ، وحينئذ فرضت بعض القيود أثناء وزارة د. عزيز صدقى فانخفض الرقم الى ٢٩٩٨ سيارة [١٩٧٢] ، ولكنه زاد مرة أخرى الى ٧٤٤٨ فى [١٩٧٣] [٧] وقدمت الدولة تيسيرات جديدة فى أبريل ١٩٧٤ ، واذا كانت ارقام هذا العام لم تعلن بعد ، فلا شك انه حدثت قفزة فى ارقام الاستيراد نتيجة هذه التيسيرات ، خاصة وأن التيسيرات تضمنت مجالا واسعا للتحايل ، فتستورد عربات للاستخدام كتاكسى بتعريفة جمركية بالغة الانخفاض ، ثم تستخدم كسيارات خاصة .

هذا عن الغذاء والمواصلات ، فماذا عن الاسكان ؟ لن نذكر بأن ١٤٠ الف أسرة فى القاهرة تعيش كل أربعة منها (أى كل اربعة اسر) فى غرفة واحدة (مع التجاوز فى تسميتها غرفة) ولن نذكر بأن ١٠٠ الف يسكنون فى العشوائيات ، فالمهم هو أسلوب التصدى لعلاج هذه المشكلة الصعبة والتى زادت صعوباتها مع مشاكل الحرب ونقص الاعتمادات . هنا لم يكن ممكنا ارضاء كل الاطراف ، بمجرد المحاولة لم تكن ممكنة . وبالتالى كان الانحياز العملى لاصحاب الدخول العالية . فلو فرضنا أن عدد الوحدات السكنية المضافة فى الاسكان الاقتصادى كان ٦٠٠ وحدة عام ٦٦ ـ ١٩٦٧ ، فان العدد المضاف عام ٧١ ـ ١٩٧٢ انخفض الى ٦٩ وحدة . وقد امتدت الازمة الى فئات واسعة من الطبقة الوسطى ، فاذا كان عدد الوحدات الجديدة من الاسكان الاقتصادى ١٠٠ وحدة فى عام ٦٦ ـ ١٩٦٧ فقد انخفض هذا العدد الى ٨٨ ، اما الاسكان فوق المتوسط فهو وحده الذى زاد رقمه القياسى من ١٠٠ الى ١٦٩ خلال نفس الفترة [٨] .

ومع ذلك ينبغى أن نوضح أن كل هذه الارقام معيبة جدا ولا تصلح لاستخلاص الدلالات الكاملة ، فهى تقتصر على المقارنة بين عدد الوحدات . ومن المعروف أن تكلفة الوحدة السكنية من الاسكان فوق المتوسط (والتى تتألف من فيلات أو شقق فاخرة ذات حجرات عديدة وواسعة) تساوى اضعاف اضعاف تكلفة الوحدة السكنية من الاسكان الاقتصادى ، وبالتالى نستطيع أن نتصور كيف تصبح المقارنة بشعة اذا قارنا الزيادة الكبيرة فى حجم المستثمر فى الاسكان فوق المتوسط مع النقص الكبير فى حجم الاستثمار فى الاسكان الاقتصادى .

نصل الان الى الخدمات التعليمية والصحية . هنا أيضا تبذل الحكومة جهدا واضحا لتدبير الاعتمادات اللازمة لاستمرار هذه الخدمات المجانية . ولكن لابد من التسليم بأن هناك تدهورا متزايدا فى اداء هذه الخدمات ، سواء بسبب نقص الموارد اللازمة للتوسع والصيانة والتحسين ، أو بسبب سوء التخطيط والادارة . والحكومة مطالبة ، وبالذات فى مجال التعليم بمواجهة هذين السببين ، ولكن يبدو أن البعض قد استراح الى حل يبدو أنه أسهل ، وهو تحسين الخدمة فى بعض المواقع لابناء الفئات التى تستطيع أن تدفع .

والعجيب فى هذا الشأن هو أن د . عبد العزيز حجازى أعلن أن المدارس الخاصة والملاج الخاص لا يسميان طبقيـة ، وانهمـا فى الواقـع دعم للاشتراكية لان أبناء الطبقة القادرة حين يلتحقون بالمدارس الخاصة ذات المصاريف يخلون الاماكن لابناء الطبقة الفقيرة ، بالاضافة الى أن صاحب الدخل المرتفع يقتطع جزءا من دخله لتعليم ابنه ، وينطبق نفس المنطق ـ كما يقول د . حجازى ـ على قطاع الصحة [٩] .. وفى الحقيقة هذا حديث

---

[٦] تحقيقات الاهرام ـ ٥ ديسمبر ١٩٧٤ .

[٧] القشرات السنوية للتجـارة الخارجية للاعوام من ١٩٦٧ الى ١٩٧٣ ـ جهاز التعبئة والاحصاء .

[٨] الكتاب السنوى للاحصاءات العامة ـ الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ص ١٧٨ .

[٩] د. عبد العزيز حجـازى : مناقشات مجلس الشعب فبيـان رئيس مجلس الوزراء ـ مضبطة جلسة ١١ ديسمبر ١٩٧٤ .

لا يمكن أن يقبل ، فبعيدا عن مسألة عزل أبناء الاغنياء فى مدارس ومستشفيات خاصة وما يترتب على هذا اجتماعيا ونفسيا من ترسيخ الاحساس بالانتماءات الطبقية المختلفة بين أبناء الجيل الواحد ، اذا تجاوزنا هذا المعنى الخطير ، فان رئيس الوزراء يعلم أن مستوى الخدمة الذى يقدم للعامة مجانا يختلف اختلافا كبيرا عن مستوى الخدمة المدفوعة التى تقدم لابناء الخاصة ، وهذا يهدر تماما مبدأ تكافؤ الفرص ·· لقد كنا نتصور أن بقاء مدارس الخاصة هو وضع مؤقت وانتقالى ، فاذا بحديث رئيس الوزراء يكرسه كوضع دائم وباسم الاشتراكية ! بل ان الامر يزداد سوءا حين نتذكر أنه حتى فى مجال التعليم المجانى بدأ نظام المصاريف يتسلل بطرق غير رسمية ، وأقصد بالذات الدروس الخاصة التى أصبح تحمل عبئها ضرورة بعد تدهور الخدمة التعليمية فى المدارس والتى لا يتمكن من سدادها كل الابناء · والامر الخطير أن وباء الدروس الخاصة استشرى فى الجامعات أيضا مخلا بالتقاليد وبتكافؤ الفرص ، ومخلا بمجانية التعليم فيها [بالاضافة للكتب) **وقد أوصت الرقابة الادارية فى تقرير أخير لها بأن تقنن وتنظم هذه الدروس الخاصة فى الجامعة على أساس أنها أمر واقع لا يمكن مقاومته · ولو وصل اليأس بنا الى هذا الحد فاننا قد نسمع قريبا عن ضرورة تقنين الرشوة وتنظيمها على أساس أنها نسبة محددة تدفع للموظف وأنها أيضا أمر واقع لا يمكن مقاومته !**

ان جهود الطبقة المقتدرة لا تتوقف عن محاولة الاستحواذ على مكاسب متزايدة ، ولاتتوقف عن محاولة الاستئثار بخدمات ممتازة واستثنائية على حساب الكثرة ، ويكفى أن نشير الى المحاولات المميتة لدخول الجامعات عن غير طريق مكتب التنسيق والتى زادت جدا فى السنوات الاخيرة · ان ١٠ آلاف طالب مصرى من ابناء المقتدرين ، لم يحصلوا على مجموع ويلتحقون بجامعة بيروت أو جامعة القاهرة فرع الخرطوم كى يحولوا فى العام التالى الى الجامعات المصرية ، انهم يتسللون من النافذة بعد أن فشلوا فى الدخول المشروع من باب تكافؤ الفرص ·

واذا كنا نتفق مع مدير جامعة بيروت العربية (**د · محمد حلمى الخولى**) على أن هذا الامر غير متبول فان الطبقة المقتدرة ترى أيضا نفس الشيء ، ولكن بمعنى آخر ، وهو أن تفتح جامعة أهلية بمصروفات فى قلب مصر · هذا الموضوع يناقش حاليا فى وزارة التعليم العالى وفى المجلس الاعلى للجامعات ، وقد أوصى به المجلس القومى للتعليم · وطبعا يقال أن هذه الجامعة ذات الاداء الرفيع ستكون لابناء الدول العربية الوافدين ، ولكن هذا مجرد مدخل ، فسيظهر طبعا بعد فترة من يقول كيف نحرم أبناءنا من هذه الخدمة الممتازة ؟ واذا كانت الطبقات القادرة شقت طريقها بأموالها كي تدخل جامعتى بيروت والقاهرة فرع الخرطوم ، فهل ستعجز أو تتردد عن اقتحام جامعة أهلية فى قلب مصر ؟! واذا حدث وتكامل قطاع خاص فى التعليم من أدنى المراحل الى أعلاها يقدم خدمة تعليمية أفضل وتقتصر على الطلبة أصحاب السيارات ، وأبناء الذوات هل سيصر **د · عبد العزيز حجازى أن هذا لا يعتبر طبقية ؟!**

ضرورة اعادة توزيع الدخل ·

على ضوء العرض السابق يتضح أن سياسة الحكومة التى بدأت بأنها سترضى كل الاطراف ، يمكن أن تنتهى فى التطبيق الى ارضاء طرف واحد على حساب الاغلبية الساحقة من جماهير الشعب · ولم يكن ممكنا أن يحدث غير هذا ، مهما حسنت النوايا ، لان الموارد محدودة ·

ان خريطة توزيع الدخول فى مصر أصبحت توجب مراجعة السياسة العامة مراجعة شجاعة · لقد ذكر **لطفى الخولى** أن بعض التقديرات التى لم تتأكد بعد تقول أن أكبر رأسمال فردى منظور فى مصر وصل حتى يونيو ١٩٦٧ الى ٣٢٠ الف جنيه ، ومنذ هذا التاريخ حتى أواخر عام ١٩٧٣ بلغ عدد حالات رأس المال الفردى المنظور الذى تجاوز المليون جنيه ١٨٦ حالة [١٠] ، ولكن يقال ان بعض التقديرات الاخرى تعتقد أن عدد المليونيرات فى مصر أكثر من هذا كثيرا · ومن ناحية اخرى نقل محمود المراغى ارقاما عن دراسة أجراها معهد التخطيط القومى ، وأعلنت هذه الارقام أن ٢٠٠٠ أسرة يبلغ مجموع دخلها السنوى (حسب حصر عام ١٩٧٢) حوالى ٧٧ مليون جنيه ، وأن ١٠٠٠ر٠٠٠ أسرة يبلغ مجموع دخلها السنوى ٤٥ر٤ مليونا [١١] ، وقد احتد

[١٠] لطفى الخولى : افتتاحية الطليعة — ابريل ١٩٧٤ ·
[١١] محمود المراغى : روزاليوسف ٢٨ اكتوبر ١٩٧٤ ·

د. حجازى لدى سماعه بهـذه الارقام [حسب رواية مجلة صوت الجامعة] وقال هذا كلام هراء وكذوبة . ونحن لا نعتقد أن الكلام هراء طالما أنه منقول من جهة رسمية علمية ، قد يقال أنه غير دقيق ، بمعنى أنه متحفظ لان أصحاب الدخول العالية يبتعدون بها عن دائـرة الاضـواء والمحاسبات الرسمية . ومع ذلك فلم لا ننشر الوزارة رسميا ما لديها من تقديرات حتى نتمكن من متابعة نتائج جهدنا فى اذابة الفوارق بين الطبقات ؟ ان كافة الدول لا تستحى من نشر مثل هذه البيانات .

وفى الحقيقه فان ما يعنينا ـ فى المقام الاول ـ هو أن نقدر ـ على ضوء الارقام ـ الحجم الفعلى للموارد التى حبست عن التنمية وعن مسئوليات التخفيف من أعباء المعيشة ، حتى تتقرر سياسة جديدة على ضوء هذا ، سياسة عادلة وواقعية فى مواجهة المشاكل المباشرة (أعباء المعيشة) وفى مواجهة المشاكل الابعد مدى (مشاكل التنمية) .

لقد سبق أن تساءل رئيس الوزراء : أين هى الدخول الكبيرة ؟ بعض الوسطاء مثلا .. اننا نطاردهم عن طريق الضرائب [١٢] . وفى تصريح آخر أعلن د. حجازى أن الطبقة الوحيدة التى يبحث عنها ويضربها بشدة هى هؤلاء الخارجون على المجتمع ، الذين يحاولون أن يكونوا ثروات ، هؤلاء هم الذين نبحث عنهم ، وعلينا أن نطور تشريعاتنا حتى يبحث نوع من التوازن الطبقى بين كل الفئات [١٣] .

ويبدهشنا فى الحقيقة أن تبحث الحكومة وتفتش عن الخارجين على المجتمع ، طول هذا الوقت ، دون أن تعثر على مجرم كبير واحد ، رغم أن الرائحة النتنة للثراء غير المشروع تفوح من كل مكان ، ورغم أن تقارير الاجهزة الرقابية تفيض بمئرات الاتهامات الجاهزة . كذلك هل يعتقد رئيس الوزراء أن الضرائب كفيلة فعلا باسترداد حق المجتمع ، رغم أن الجزء الاكبر من معاملات المليونيرات الجدد يتم فى سوق سرية ؟

ان بعض المؤشرات ذو دلالة خطيرة ، فعدد قضايا الاختلاسات فى المال العام بلغ ٦٧٢ قضية فى عام ١٩٧٢ (حسب بيانات ادارة مكافحة جرائم الاختلاسات وحماية المال العام) وهذه عينة منها : قضية اختلاس مصنع البلون والزجاج بشبرا الخيمة ٧٠٠ الف جنيه ـ قضية اختلاس الشركة المصرية للاخشاب بشبرا الخيمة ٣٦٠ الف جنيه ـ اختلاس مجلس مدينة شبرا الخيمة ٣٠٠ الف جنيه ـ شركة اتوبيس غرب الدلتا ٢٢٦ الف جنيه .. وحين تصل الارقام الى هذه الجسامة ، وحين نتذكر أن الجزء الاكبر من القضايا لم يضبط بعد ، أو لن يضبط قط .. وأن كل هذا فى بند الاختلاسات ، وهو غير الرشوة والعمولات وما اشبه ، ادركنا أن الامر خطير فعلا . ولكن كل هذا فى مجال الجرائم المباشرة والمحددة ، وهى ليست المصدر الوحيد للاثراء غير المشروع ، والامر لا يمكن أن يواجه بأجهزة الرقابة وحدها أو بالمحاكمات . فكما أن الوقاية تأتى قبل العلاج ، فكذلك لابد من تعديلات فى العلاقات الاقتصادية ، ولابد من تعديلات ادارية وتنظيمية حتى نغلق ابواب الخزائن المفتوحة للمال العام ، وحتى نحد من الارباح الطفيلية الجشعة ، كذلك لابد من مناخ عام من القيم والقدوة يقدمه المسئولون ، واذا تحقق كل هذا سيقل عمل الاجهزة الرقابية والمحاكم كثيرا .

تطـوير النظم وسـلوك المسئولين

ولـكن التعـديلات المطلـوبة فى العـلاقات الاقتصادية وفى النظم الادارية يعنى خروجا عن فكرة النظام المختلط ذى المناخ المخطط والمناخ الحر ، يعنى تحديدا أدق لمجالات النشاط الخاص ، واخضاع هذا النشاط لقواعد ومتابعة واضحة ، **والا كيف ستتمكن الدولة من ضبط الاسعار اذا كان القطاع الخاص يتحكم فى الموقع الاستراتيجى لتجارة الجملة ؟** أن القطاع الخاص يغتل كثيرا من الاختناقات ويشيع السوق السوداء ، ويجنى من وراء هذا أرباحا خرافية . واذا كانت الدولة قد قدمت أخيرا اعفاءات جمركية لاكثر من ٣٠ سلعة غذائية وانتاجية ، فكيف تضمن فى ظل الوضع الحالى للتجارة الداخلية الا تعود الفائدة من وراء هذا الى تجار الجملة وليس الى المستهلك ؟ وما يقال عن تجارة الجملة يقال عن المقاولات . فهل هذا المجال من المجالات المناسبة للتوسع غير المحدود للقطاع الخاص ؟ وسوف

---

[١٢] حديث د. عبد العزيز حجازى الى محمـود الرافعى ـ روز اليوسف ٢ ديسمبر ١٩٧٤ .

[١٣] د. عبد العزيز حجـازى : مناقشات مجلس الشعب ـ جلسة ١١ ديسمبر ١٩٧٤ .

نعود الى هذه النقطة ، ولكن يكفى هنا أن أشير الى مطالبة **محمود أبو وافية** باعادة النظر فى العلاقة بين شركات المقاولات واصحاب الدخول الطفيلية والسماسرة الذين يريدون أن يثروا دون مجهود او تعب [١٤] . ويضاف الى هذا أيضا قرار كقرار تنظيم أعمال الوكالة التجارية وممارسة تمثيل الوكالات الاجنبية فى مصر (وهذا المجال كان مقصورا على شركات القطاع العام) ان هذا القرار الخطير يخلق فئة طفيلية ترتبط مصالحها تماما مع مصالح الاحتكارات الامبريالية ، وتجنى من وراء هذا أرباحا كبيرة يعلم الله فيم سيكون انفاقها . والطريف أن المشرع يدرك مخاطر هذه الوكالات ولذا حرم المشاركة فيها على العاملين فى الحكومة والهيئات العامة ومؤسسات شركات القطاع العام (الا بعد سنتين على الاقل من ترك الخدمة) وقرر الا يشارك فى أعمال هذه الوكالات من كان قريبا من الدرجة الاولى لاحد هؤلاء العاملين أو من كان عضوا فى مجلس الشعب أو متفرغا سياسيا . **اذا كان القرار له هذه المحاذير فلماذا صدر ؟ ! ثم هل يتوقع احد ان يكون الحظر المنصوص عليه ساريا فعلا . الن تحدث علاقات واتصالات من الباطن بين المشتغلين فى الوكالات وبين بعض العاملين فى هذه المراكز الحساسة ؟**

ان تعديل حدود العلاقات الاقتصادية بين القطاع العام وبين القطاع الخاص هو تعديل تفرضه الحاجة الى احكام التخطيط ، تخطيط التنمية وتخطيط الاسعار ، وهو تعديل تفرضه الحاجة الى الحد من استنزاف المال العام ، والحد من الاثراء غير الطبيعى وسط المصاعب الاقتصادية الحالية . وحينما ان نتصور امكان احكام النظم الادارية التى يتسرب من أبوابها حاليا المال العام ، طالما أن العلاقات الاقتصادية بين القطاع العام والقطاع الخاص باقية بلا تعديل . ان احكام النظم الادارية ليس مشكلة فنية ، فالجوانب الفنية من الموضوع قلت بحثا وصدرت من اجلها مئات التوصيات . المشكلة هى أن هناك شبكة من العلاقات الاقتصادية بين بعض المسئولين فى الاجهزة التنفيذية وفى القطاع العام وبين المتعاملين معهم فى القطاع الخاص . هذه الشبكة تحمى أبناءها ، وتتضافر ضد أى محاولة لاحكام النظم .. ان احكام النظم الادارية هو بهذا المعنى معركة اجتماعية سياسية ضد فئات المنتفعين ، وليس جهدا فنيا بحتا . وواضح أن خوض مثل هذه المعركة كجزء من المعركة الاشمل لتحديد العلاقات الاقتصادية بين القطاعين العام والخاص . لا يمكن أن تكون معركة سهلة . وهى لن ترضى كل أطراف « التحالف » الوطنى ، فطبقة قليلة العدد قوية بمالها ونفوذها واتصالاتها ستعترض ، ولنتذكر ان قانون من أين لك هذا قد صدر مبدئيا عام ١٩٦٨ ، **بسبب وزن هذه الطبقة . ونعطل تنفيذه طوال هذه السنوات ايضا بسبب وزن هذه الطبقة** . انها معركة صعبة ، ولكنها ضرورية وتؤيدها كل القوى صاحبة المصلحة الحقيقية فى التحالف الوطنى . ولابد من مشاركة هذه القوى عبر المؤسسات السياسية فى هذه المعركة اذا أردنا لها أن تنجح .

ننتقل الان الى النقطة الثانية فى موضوع الوقاية قبل العلاج ، أقصد احياء القيم التى اهتزت والقدوة المطلوبة من القيادات السياسية والتنفيذية . لقد جاء فى بيان الحكومة أمام مجلس الشعب أنه « اذا طالبنا الشعب بالتقشف فيجب ان نطالب الحكومة أيضا بالتقشف وضغط الانفاق العام » **ولكن يبدو لنا ان توصيات الجهاز المركزى للمحاسبات فى هذا الشأن لا زالت غير منفذة ، فالاسراف فى السيارات والحفلات .. الخ لازال قائما . ونفس الشىء بالنسبة للكميات الهائلة من المطبوعات التى لا تقرأ والتى اشار اليها الجهاز ، كذلك التوسع فى المكافآت التشجيعية والاجور الاضافية دون مبرر من الانتاج ، وكذلك انعدام الرقابة على اعمال الصيانة الخارجية ، وضعف الرقابة على عمليات شراء قطع الغيار واستخدامها والاسراف فى الديكور والتشطيب .. الخ .**

ولكن أهم من هذا ، ماهى قصة الـ ٧٠٠ موظف بدرجة وزير ، ونائب وزير بمخصصاتهم . ان الحكومة لم ترد — فى مجلس الشعب — على هذه الواقعة مما يجعلنا نفترض صحتها ، فكيف يمكن أن نعقل مثل هذا الرقم ؟ ثم ان أغلبهم لا يشغل بالقطع مسئوليات تتناسب مع مستوى الاجور والمخصصات التى يحصل عليها . ان خفض مايتقاضاه هؤلاء الـ ٧٠٠ لن يحل مشاكل الجماهير والتنمية ، ولكنه قدوة فى احترام المال العام ، وفى ضرورة ربط الاجر بالعمل . كذلك كان وزير المالية

---

[١٤] محمود ابو وافية : مناقشات مجلس الشعب — جلسة ١١ ديسمبر ١٩٧٤ .

قد اعلن أمام مجلس الشعب عام ١٩٧٢ أن الحكومة حظرت شراء سيارات ركوب جديدة فى القطاع العام والحكومة كاجراء من اجراءات التقشف . ولكن هذا القرار يبدو أنه الغى أو تجاهله المسئولون نظائرا لما نشاهده نقرأ ايضا فى الصحف عن طلب بعض السادة لشراء عربات بيجو ـ موضة العصر ـ كما يقول فتحى بيومى فى مجلس الشعب [١٥] ـ أى أنهم لا يكتفون بعربات نصر فقط، بل ويطلبون استيراد السيارات عن طريق القطاع الخاص أيضا وليس عن طريق شركات استيراد القطاع العام .

لقد أوضح وزير المالية عام ١٩٧٢ أن عدد سيارات الحكومة والقطاع العام كان ٨٢١١ سيارة صغيرة و ٢٣١١ سيارة متوسطة و ٣٩٩٥ سيارة كبيرة ، وقد بلغت نفقات تشغيل هذه السيارات سنويا الى ٢٠ مليون جنيه ، ورغم أن هذا الرقم لا يشمل السيارات الحكومية فى مختلف الجهات ، ولكن ترى كم وصل الرقم الان ؟ وهل تتخذ الدولة اجراءات مشددة لضمان استخدام هذه السيارات فى مجال العمل الرسمى فقط ؟ وهل صحيح بالمناسبة ماقاله السعدى عبد الحميد السعدى من أنه لاحظ تخصيص ٤ سيارات لكل وزير وسيارتين لكل محافظ ؟ اننى أتفق معه فى أنه ينبغى أن يكتفى بتخصيص سيارة واحدة لكل من الوزير والمحافظ . ثم هل صحيح أن عمارة خاصة تقام لـ ٢٤ وزيرا فى المعمورة وأنها تتكلف ١٠٠ ألف جنيه . ويستورد جزء أساسى من احتياجاتها من الخارج ، بالنقد الاجنبى [١٦] ؟ هذه الاسئلة المفتوحة خطيرة ، واخطر منها أنها لم تكذب ، ولم تعالج بأى شكل .

واخيرا هناك مسألة اشير اليها فى مناقشات مجلس الشعب . فهل يليق بوزير ـ مثلا ـ أن يشرف على انشطة اقتصادية فى نطاق وزارته وسلطاته ، رغم أن يحتفظ بعلاقاته مع الشركة التى يسهم فى ملكيتها ، والتى تعمل فى نفس المجال ؟ ألا يثير هذا شبهات أن ينحاز الوزير الى شركته فى مواجهة الشركات المنافسة ؟ والا يثير هذا كثيرا من التعليق والنقد الشديد فى أى دولة ؟ ان القدوة فى احترام المال العام ، والابتعاد عن مواطن الشبهات ، قضية أساسية .

مفروض أن ننتقل بعد هذا الى معالجة الانفتاح الاقتصادى وخطة ١٩٧٥ ، أو خطة العبور ولكن هذا يستدعى عرضا متكاملا فى حلقة تالية .

ولكن ينبغى أن نؤكد فى ختام هذه الحلقة أن نقدنا لسياسة الحكومة ، وان بدا حادا ، فانه لا يعنى الاقلال من تقديرنا لمواقف وزارة د. عبد العزيز حجازى فى الدفاع عن مكتسبات الشعب وفى دفاعها عن القطاع العام ، وفى محاولتها لوضع ضوابط على مفاهيم الانفتاح ولكنه يعنى بالقطع تحذيرا من انصاف الحلول ودعوة الى اجراءات حاسمة .. لقد فقدت الوزارة تأييد قسم اساسى من اليمين المصرى الذى لا يقبل اقل من التصفية الكاملة لكل ايجابيات تحققت خلال أعوام الثورة ، بقى أن تكسب الوزارة جماهير الشعب .

---

[١٥] فتحى بيومى : مناقشات مجلس الشعب ـ جلسة ١١ ديسمبر ١٩٧٤ .

[١٦] د. محمود القاضى : مناقشات مجلس الشعب ـ جلسة ٢٦ نوفمبر ١٩٧٤ .

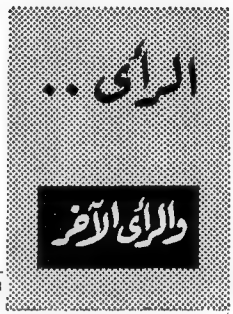

فى هذا العدد تلمس « الطليعة » اكثر من مشكلة ،وتضربفى أكثر من موقع . . كتابها وقراؤها يسهمون فى تقديم هذا الباب بصورة تعبر عن المشـــكلات الحقيقيـة لمصر ، وكيفيـــة المجابهة الصريحـــة والشجاعة لهـــا ..

لطفى الخولى يواصل كتابته عن « البيوميون »**ورفعت السعيد** يوجه حديثا نقديا لمجلس أمناء الاتحاد الاشتراكى ، **وفيليب جلاب** يكتب عن « المـــاقطون دون ضـــجيج » ، وردا على **احمد ابو الفتـح يكتب خيرى عزيز** «حول سيطرة الشيوعيين على الصحافة»وتعقيبا على رسالة **أحمد حسين** الى الطليعة والتى نشرت فى العدد السابق يكتب قارىء هو د« **محمدرضا محرم** ويكتب أيضا **أبو سيف يوسف** ..

وتستضيف «الطليعة» على صفحات الرأى والرى الاخر ابراهيم يونس من دار اخبار اليوم يحدثنا عن « **عبد القاصر** والاحزاب المعارضة »

[١] هؤلاء « البيوميون * » والاعيبهم العجيبة

لطفى الخولى

تقدم الكاتب بهذا المقال ، بوصفه عضوا بمجلس تحرير « الاهرام » لنشره فى اليوم المحدد له اسبوعيا بالصحيفة . غير أن « الاهرام » اعتذر عن نشره .

وقد وافق مجلس تحرير « الطليعة » على نشره فى هذا العدد ضمن اطار « الرأى .. والرأى الآخر » .

ليس البيوميون ، فى واقعنا ، هم فقط الذين يرعوا فى الاستفادة من أزمة المساكن لتكويم الثروات الفاحشة . وذلك ببناء تلك العمارات الكرتونية الجميلة الطلاء ، حتى اذا ما سكن الناس اليها بعد عذاب امتص كل مافيهم ، تهاوت فوق رؤوسهم ..

« البيوميون » ، ظاهرة اجتماعية ـ سياسية . تصطدم بها فى مواقع عديدة من مجتمعنا . وتشكل عنصرها نوعا من « الطابور الخامس » الذى يعمد ، بأساليب شيطانية ، الى استغلال الأزمات التى لا مفر من أن يعانى منها ، مجتمعا كمجتمعنا ، يتصدى فى وقت واحد لانجاز مهمات التحرر الوطنى والتنمية الوطنية المستقلة لاقتصاد متخلف ومنهك .

حول هذه الأزمات ، يتحلق البيوميون كالجراثيم ، مستغلين تضحيات الطبقات الشعبية وعرق جبين القوى العاملة . وهكذا فان « العمارات الكرتونية » ليست لعبة البيوميين الوحيدة للاثراء الطفيلى ، دون ما جهد انتاجى . وانما هم يملكون آلاعيب عجيبة فى التجارة بالسوق السوداء والتموين والمواصلات والتركيلات التجارية والاستيراد والتصدير الخ .. تدر عليهم فى زمن قياسى ثروات خيالية .

---

[*] نسبة الى المقاول « حسن البيومى » صاحب عبارة الدفى الشهيرة التى انهارت فى ديسمبر ١٩٧٤ ، بعد حوالى ثلاث سنوات من بنائها . وهى واحدة من جملة عبارات بنيت بنفس الطريقة وجرى حسابها من وراء الانجار بها اربعا طائلة وصدر قرار بازالة خمس منها .

وعندما يصل « البيوميون » بشرواتهم الى مستوى من التراكم المؤثر ، فانهم يسعون بمعونة البيروقراطيين – وهذا طبيعي – الى فرض سيطرتهم على مسار الحركة السياسية والاجتماعية فى البلاد . وذلك بهدف اعادة تشكيل المجتمع على مقاسهم ، بما يخدم مصالحهم ويحقق لهم مزيدا من الثراء والاستغلال والقوة ، تأمينا لمراكزهم وتدعيما لنفوذهم غير المشروع .

ولكنهم – وهذا أيضا طبيعي – يواجهون بمقاومة عاتية من مجموع القوى الوطنية والتقدمية فى البلاد . وهى القوى التى اجتمعت ارادتها ، من خلال وعيها بمصالحها المشتركة فى ضوء التجارب الفادحة الثمن ، على السير بالمجتمع نحو وحدة ديمقراطية مقاتلة للقضاء على استغلال الانسان وعلى الاحتلال الامريكى الاسرائيلى والهيمنة الامبريالية . وترجمة مبادىء الحرية السياسية والاجتماعية وسيادة القانون ترجمة واقعية عصرية ، مضمونة بمؤسسات ذات وزن شعبى واساليب ديمقراطية .

والبيوميون ، يدركون ، انهم غير قادرين على خوض معركة شاملة مع جميع هذه القوى فى وقت واحد . ولذلك فانهم يحاولون خوض المعركة بالتقسيط المريح . وفقا لتكتيك تفتيت وحدة القوى الوطنية والتقدمية وعزلها بعضها عن بعض ، من خلال افتعال حوادث صدامية وتبركة اتهامات زائفة ، الامر الذى يولد مناخا غير صحى ، تنعدم فيه الرؤية الواضحة ويخلط فيه الحابل بالنابل دون تمييز . وتفتقد المعايير الموضوعية للحكم على طبيعة الاحداث وتحليل اتجاهاتها .

من هنا ، يركز « البيوميون » ومديرو دعاياتهم ، هجومهم ، اول ما يركزون فى البداية على قوى اليسار بمختلف فصائلها واتجاهاتها فى المجتمع . لماذا ؟ لاكثر من سبب :

فاليسار ، هو اكثر القوى الوطنية والتقدمية وعيا بخطورة الظاهرة البيومية الطفيلية فى المجتمع . واشدها التزاما فى العمل على كشفها وتعريتها ومصارعتها . ولا تقبل ، تحت كل الظروف ، اى تهادن معها ، أو انخداع بالاعيبها العجيبة وشعاراتها التمويهية . فضلا عن أن القضاء على اليسار ، يعنى قتل روح التقدم العصرى والاجتماعى فى جسد التحالف الوطنى . واجهاض عملية التخصيب اللازمة لحركة الطاقة المنتجة الجديد من رحم القديم ، مع المحافظة على الاصالة والتراث الايجابى من التشويه والتزييف .

و « البيوميون » الطفيليون ، ليسوا ابناء اليوم فى مجتمعنا . وانما هم ابناء شرعيون لهزيمة ١٩٦٧ . وبقدر ما شقى الناس بالهزيمة وقاوموها ، بقدر ما كان « البيوميون » مستعدا راضين بها .

والثابت أنهم احتفلوا احتفالا باهرا بالهزيمة . اقاموا الولائم وقرعوا كؤوس الشمبانيا فى الوطن والمهجر على السواء . فقد كانت الهزيمة فرصتهم الذهبية لمعاودة نشاطهم الطفيلى وشرهوا بتسللون بالاعيبهم العجيبة الى مواقع عديدة فى الكيانات السياسية والاقتصادية بالمجتمع . وعلى الرغم من تحذير القوى الوطنية والتقدمية من خطر البيوميين وتحالفهم مع البيروقراطية .. الا أن اجراءات السلطة الوطنية كانت دوما اضعف من أن تحاصرهم وتصد عليهم الطريق . ولعل هذا يجسد احدى السلبيات الرئيسية فى تجربة ثورة يوليو . وهكذا انطلقوا يعبثون ويفسدون ويستأسدون . وقفز بعضهم – خلال سنوات قليلة – الى مراتب المليونيرات ، فى مجتمع ما برح متوسط دخل المواطن فيه لا يزيد عن ستين جنيها سنويا

وفى الوقت الذى كانوا فيه يبنون ويتاجرون فى العمارات الكرتونية ويضاربون بأقوات الشعب ويحاولون اختلاب القطاع العام وتصفيته ، ويدعون الى حل استصلامى مع الصهيونية والامريكان .. كانت القوى الوطنية والتقدمية تبذل اقصى الجهد والتضحيات فى الحياة المدنية وخاصة القطاع العام وفى الحياة العسكرية والقوات المسلحة مع ابناء العمال والفلاحين والطبقة

المتوسطة من الجنود والضباط ، حتى لمكنها أن تتيح للرئيس السادات أن يمارس مسئولياته ويتخذ ـ فى ثقة ـ قرار العبور العظيم فى اكتوبر ١٩٧٣ وذلك بعد أن ظلوا يشككون ـ كما هو ثابت تاريخيا ـ فى قدرة الشعب والجندى المصرى وسلامته على اقتحام خط بارليف .

ولكن ، لأن حرب اكتوبر ، على الرغم من كل انجازاتها العسكرية والسياسية لم تستطع ـ بعد ـ أن تحقق النصر الكامل على العدو .. أو إنهى الظروف الصعبة والمعقدة التى لا يزال يعانى منها المجتمع ، فان فرص « البيوميين » للاثراء غير المشروع وللحركة المعادية لمصالح الشعب ، ظلت مفتوحة ونامية بل وبلغت فى بعض الاحيان قدرا من القوة ، تصور معه البيوميون أنه قد آن لهم أن يعدوا أيديهم ليقطفوا الثمار اليانعة .

والثمار ، فى مفهوم البيوميين ومديرى دعاياتهم اليوم ، هى رؤوس القوى اليسارية . واخذوا يجربون أسلحتهم واحدا بعد آخر .

استخدموا أول ما استخدموا ، سلاح الدين . غير أنه لم يجد . ذلك أن جماهير الشعب المتدينة بالحق لا بالباطل ، رأت فيمن يقف مع حقها فى الحياة دون استغلال ، مؤمنا حتى ولو لم يحسن اظهار تدينه وتقواه . فى حين أن من يؤجر لها المسكن بخلو رجل أو يبيعها له بأضعاف اضعاف تكلفته أو من يسرق طعامها وشرابها ويتاجر به فى السوق السوداء .. رأته معاديا للدين الحق حتى ولو شيد صمعدا ذرا للرماد فى العيون . أو حج الى بيت الله بأموال مختلسة من عرق الشعب !

لقد كانت ـ وما تزال ـ معركة اليسار الحقيقية هى جنبا الى جنب مع جهاد الله ضد المستغلين فى الارض . لا مع السماء . فليس فى السماء مستغلون . والسماء ، لا شك تبارك كل من يقف مع الفقر الكادح ضد الغنى الجشع .

وبعد أن اصبح « اليمين المتخلف » هو الاتهام المعلق برقاب « البيوميين » ومديرى دعاياتهم ، يثقل خطواتهم وينضح مراميهم . عمدوا الى سلاح التجريد والتهييج للمواقف والحدود . وراحوا فى محاولة لنفى الاتهام ـ شكليا ـ يخلطون المستغلين بالمستغلين والمنتجين بالطفيليين .. ويقولون : ما هذه التفرقة المصطنعة . كلنا بشر ، اولاد آدم وحواء .. لا يمين ولا يسار .. نحن جميعا مصريون فقط .

سبحان الله ! ما هذا التواضع ! وهل يستوى البيومى وضحيته المدفونة تحت أنقاض عمارته ! ! كان « مصر » صارت عالما مجردا من عوالم اللامعقول يتساوى فيها الجانى بالمجنى عليه والناهب بالمنهوب . كأنها مسبح شائه متحجر ، لا تسرى عليه قوانين التطور الانسانى التى تصحب الى ظلمة الغروب اليمين المتخلف وتدفع الى الشروق اليسار المتقدم ، فى حركة دائمة التجدد .

ومرة أخرى ، منيت بالفشل حملة البيوميين ومديرى دعاياتهم من أجل تسطيح المواقف وطمس الفروق الاجتماعية بينها . وأفاقوا من غفلتهم وأحلام يقظتهم فاذا هم محاصرون شعبيا ، ومجردون من كل اردية التضليل .

وفى محاولة يائسة للفكاك من الحصار ، اقدموا على لعبتهم النقليدية الخطرة : التخريب تصاحبه صرخاتهم الهستيرية تطالب بدم اليسار . مرة بدعوى أنه متطرف غير مسئول . ومرة أخرى بدعوى أنه مستورد . ومرة ثالثة بدعوى أنه عميل . وذلك على أساس أنه اذا طاشت رصاصة أو اثنتان ، أصابت الثالثة .

حتى الان ، هم فاشلون فى لعبتهم الخطرة . فالواقع الحى يصفعهم بعنف . لم يقبض على يسارى واحد متلبسا بالتخريب . وفى الوقت نفسه جهر اليسار كله بعدائه وشجبه للبيوميين والتخريب من ناحية ، وأكد ـ من ناحية أخرى على ضرورة تدعيم الحكم الوطنى من خلال وحدة ديمقراطية مقاتلة ، تضم كل القوى الوطنية والتقدمية بلا استثناء .

واذا كان ليس من حقنا أن نستبق التحقيقات القضائية ، ونتهم ـ قانونيا ـ البيوميين ومديرى دعاياتهم بأحداث التخريب ، الا أنه يحق لنا ذلك سياسيا ، على ضوء التجارب الوطنية والعالمية معا .

وبالتالى اذا كان لابد من محاكمة احد بتهمة التخريب ووضعه فى قفص الاتهام أمام الشعب ، فليس هناك غير البيوميين .

الا هل بلغنا يمكمن الخطر .. اللهم فاشهد . !

[٢] أمنـــاء الاتحـــاد الاشـــتراكى .. واليسار

تعليقا على البيان الصادر من مجلس امناء الاتحاد الاشتراكى حول الاحداث الاخيرة يكتب د. رفعت السعيد لا ليفند — فقط — البيان ، وانما ليوجه النقد الى مسلك الاتحاد الاشتراكى — بشكل عام — تجاه حركة الجماهير وتجاه قوى التحالف .

د. رفعت السعيد

.. وبالمناسبة فان « اليسار » — اذا لم يكن البعض يعلم — ليس تهمة تساق ، فلم تعد بعد فى عصور الجاهلية التى يعتبر فيها الانتماء الفكرى جريمة ، وليس لليسار من نقيض او عدو سوى اليمين الرجعى الذى ساق مصر كلها قديما الى احضان الاحتلال والتخلف والراسمالية والاستغلال البشع ، ولم يزل يحاول اليوم ان يفعل ذلك .

.. وبالمناسبة ايضا فان « اليسار » لا يخفى نفسه ، ولا انتماءه ، بل لعله من الشجاعة والوضـــوح ، ولعل مواقفه ومنطلقاته وآراءه من الصفة والجماهيرية بحيث تدفع الكثيرين من اعدائه ومن الادعياء الى محاولة انتسام شعاراته ومواقفه ..

.. و « الاشتراكية » كفكر وكمنطلق يسارى ، والميثاق .. يســـار ، ومحاربة الاستغلال والسيرقات ، والاثراء غير المشروع ، والطفيلية ، وسوء توزيع الثروة .. يسار ..

.. وسكت مجلس امناء الاتحاد « الاشتراكى ! » دهرا ثم اتهم اليسار» بتتبع احداث التخريب وهو ساكت ، يستقبلها ساكتا وتمضى وهو لم يزل بغير حراك ، وتمضى ايام تكلم فيها كل من « هب ودب » ، وعلا صـــوت اليمين الى مداه ، بل وتصيداه مطالبا بالقتل فى الشوارع مفجرا بذلك حقدا طبقيا لم تشهد له مصر مثيلا من قبل ، ومعبرا بذلك عـــن عـــداء أصـــيل لصـــيغة التحالف ، كل ذلك ومجلس امناء الاتحاد الاشتراكى ساكت .. ايضا ، ثم نطق ، فلم يفتح الله عليه الا باتهام اليسار « المتطرف » باحداث التخريب ..

ولنا على بيان « الامناء » ملاحظات ثلاث يتلوها سؤال ..

● واولى هذه الملاحظات هـــو انه جاء متاخرا ، فالمفترض فى اى تنظيم سياسى شعبى انه قناة توصل امانى الجماهير قبل ان تصبح مطالب ، وتحول المطالب الجماهيرية الى شعارات ، والشعارات تتجسد لتصبح ســـيـــاســـة للسلطة ، لكن « اتحادنا » نائم فى العسل . المجتمع يعانى وهو نائم ، وكثير من امانه مشغولون لا ادرى بماذا .. . الغلاء ، المشـــكلات الاقتصادية ، السوق السوداء ، مطالب العمال ، ازمة المواصلات ، ازمة الاســـكان ، اختناقات الانتاج ، سوء الفهم وسوء القصد الذى يبذره اليمين بذرا ، كل ذلك لا يعنيهم ، فما الذى يعنيهم اذن ؟ .. لست ادرى ..

ولست اسوق بذلك قولا جزافيا ، والا فليحدثنا مجلس الانباء عما فعل تجاه ذلك كله قبل الاحداث ، وفى محاولة لاستعاسسها قبل أن تقع . هل احس ؟ هل سمع ؟ هل نبه ؟ هل اقترح حلا ؟ هل قال للجماهير « لا » .. هل قال لها « نعم » هل قال لها اى شىء ؟ هل تقدم للحكومة برأى أو بمطلب أو باقتراح لتلافى ماحدث ؟هل توجه لكوادره وجماهيره بتوجيه او بارشاد ! لست احاسب احدا ، لكننى فقط أريد أن اعرف ، وعندما انفجرت حوادث « التخريب » — وهى بالمناسبة مدانة ادانة تامة من اليسار — الم يكن من المفترض فى قيادات الاتحاد الاشتراكى أن يحشدوا جماهيرهم وأن يقفوا بها ضد « المخربين » ، الم يكن واجبهم أن ينزلوا الى الشارع بدلا من الاستمتاع المستمر بدفء المكاتب الوثيرة ..

●● وثانى هذه الملاحظات هى .. أن أبناء الاتحاد الاشتراكى ، يتعين عليهم — من موقع مسئوليتهم — تجاه تنظيمهم وتجاه الوطن وتجاه النظام أن يميزوا ويعين فاصلة بين العدو والصديق .. من هو العدو الان ، هل اليسار هو عدو الاتحاد « الاشتراكى » . أم هو اليمين المتخلف بكل ما يعنيه من رأسمالية واستغلال ونهب وتفجير للحقد الطبقى .

هل وقع فى يقين مجلس « الانباء » أن اليسار « متطرفا » كان ام غير متطرف هو المسئول عن التخريب . .وكيف وقع هذا فى يقينه . وهل يكفى لاثبات تهمة « التخريب » على انسان أنه طالب مثلا بتحسين احوال المعيشة وهى يجب ان تتحسن بالفعل ! ؟ أو طالب بوضع قواعد ضد التسيب المتفشى والثراء الفاحش على حساب الجماهير الفقيرة ؟ هل هذه جريمة ؟ وهل يتعين بالضرورة اتهام « مرتكبها » بأنه مخرب . اذا كان الامر كذلك فى نظر البعض من رجال اليمين ، فهـل هـو كذلك فى نظـر « أمناء » الاتحـاد الاشتراكى .

اليس من واجب أى مناضل اشتراكى أن يرفع شـعارات كهـذه ، وأن يتمسك بها . بل اليس من واجب الاتحاد الاشتراكى أن يلتقف هذه الشعارات وأن يبلورها ويشكل صحى ومبر القنوات المتاحة وان يتبناها هو . اليس هذا واجبه ؟

لكن الاتحاد نام عن تتبع مشكلات الجماهير ، وتركها مهملة ، ولم يستمع للمطالبين بها ، تاركا الشارع لغوغائية اليمين واستغلاله البشع بـل وابتزازه ... سكت عن ذلك كله ، ولم يفلح فى ان يلتقط الخيط لاسلوب العمل السياسى بين الجماهير . وأغلق أبوابه ونوافذه تاركا اياها ، فاذا ما وقعت الواقعة تركها أيضا ، وسكت ، ثم سكت ثم خرج متهما فئة من المفترض انها اقرب اليه ، والى منهاجه ، والى التزامه ، والى مواثيقه من غيرها ..

لقد بحث الاتحاد عن مشجب يعلق عليه خطأ هو صانعه الاول بتجاهله لحركة الجماهير ونهجه اسلوبا اداريا صرفا فى معالجة مشاكلها .. ولم يجرؤ على اتهام المجرم الاول والوحيد « اليمين المتخلف » . فعلق الاتهام فى عنق « اليسار » .

●●● وثالث هذه الملاحظات هى أن الكثيرين من اليساريين الان بين يدى النيابة — ولسنا نملك التعليق على ذلك — لكن النيابة تحقق بحثا عن الفاعل او الفاعلين ، وتطبل صحف اليمين محاولة ارهاب الجميع بما فيهم المحققين انفسهم والتأثير عليهم تأثيرا مباشرا محاولة أن اليسار هو المسئول عن كل جريمة وقعت ، وهذا فعل يغض النظر عن عدم أخلاقيته غير قانونى ايضا ، فالامر محل تحقيق ، والتحقيق سريع وغير متباطىء — أو هـذا مـا

نامله ـ فلم التعجل فى الاتهام ؟ ولصالح من ؟ وضد من ؟ وبهدف التأثير على من ؟ ..

وان فعل اليمين المتخلف ذلك فهو أمر قد تفهم بواعثه ، فما بالنا وأمناء الاتحاد الاشتراكى يفعلونه ..

وهكذا اوجه سؤالى الاخير .. الم يشعر أمناء الاتحاد الاشتراكى وفيهم قانونيون جهابذة . ان القاء التهمة ـ والتأكيد على ذلك ـ على أناس هم بين يدى المحقق اقول الم يشعروا انهم يظلمون بذلك المتهمين والمحققين ، والحقيقة ذاتها ؟

ما جدوى احالة الامر للمحقق اذا كانت اعلى سلطة شعبية تستبق التحقيق وتسوق التهم .. وماذا يكون موقف « الامناء » اذا اثبت التحقيق ان اليسار « متطرفا » او غير متطرف لم يشترك فى التخريب ؟

تلك هى ملاحظاتى ..وهذا هو سؤالى .. فهل من جواب ؟ ..

□ □ □

ردا على مقال احمد ابو الفتح فى جريدة الاخبار يكتب فيليب جلاب الصحفى بالاخبار عن «الساقطون» دون ضجيج . ويكتب خيرى عزيز مقدما رؤية موضوعية لطبيعة وحجم دور الشيوعيين فى الصحافة ويكشف النقاب عن نوعية الديمقراطية التى ينادى بها احمد ابو الفتح ..

■ رد على أحمد أبو الفتح ■

[١] الســـاقطون دون ضـــجيج

فيليب جلاب

لم يسمع احد اى دوى لسقوط بعض الصحف والصحفيين اخيرا .. لانهم من « معتـــادى السقوط » كانهم قد دربوا على السقوط من أعين الناس « بالمظلات » .. او انهم [كضـــمائرهم] كرات من المطاط .. تسقط دون ضجيج ولا تصاب بأى خدش !

والسادة الذين نعنيهم معروفون تماما .. فهم « أقوى » فرقة للطبل الاجوف عرفتها صحافتنا ..

وهم أقلية تريد أن تكون « ساحقة » ضد أغلبية يريدون لها أن تظل « مسحوقة » .. !

وهم يعزفون أو يكتبون لحنا واحدا لا يتغير .. وتسعة اعشار ما يكتبون يتكون من مفردات ذات بريق وهى : الحرية والديموقراطية والعدل وكرامة المواطن وسيادة القانون وغيرها ..

لكن هذه المفردات تتحول فى أيديهم وبيـــن اقلامهم الى بلاغات كاذبة ضد أبسط مبادىء الحرية والديموقراطية والعدل وسيادة القانون وحرية المواطن ..

وهم يتصايحون دائما بأن مصدر حقدهم الوحيد على ثورة ٢٣ يوليو هو موقف الثورة من الحريات ومن سيادة القانون .. وان « حرمان » الصحافة المصرية من جهودهم لبضعة سنوات [والاسباب معروفة] هو الذى مهد الطريق للقضاء على الحريات وسيادة الظلم والظلام على ربوع مصر .. ولذلك فقد عقدوا العزم على الا يتهاونوا امام اى خرق للقانون سواء أصاب اصدقاءهم ، او خصومهم .. ومهما كانت النتائج !

.. هذه اذن توبة عن تاريخ طويل مثقل بالذنوب التى ارتكبوها ضد أبسط مبادىء الديموقراطية منذ عهد فاروق ؟

وجاء الامتحان الاخيـــر عنـــدما اصـــدرت النيابة أمرا بالقبض على مجموعات من اليساريين بتهمة اقامة تنظيم ، او تنظيمات سياسية خارج الاتحاد الاشتراكى . فماذا كان موقف القيادات التنفيذية والتشريعية فى بلادنا وماذا كان موقف فرسان أو « إخوان الحرية » فى بعض صحفنا ؟

كانت المشكلة التى أثارت « لبصا » لدى الرأى العام أن القبض على اليساريين تم فى أعقاب مظاهرة للعمال اندس فيها بعض المخربين من اللصوص والمتشردين ومن عنى شاكلتهم . وبسبب توقيت عمليات القبض بدا للبعض أن هناك نوعا من الارتباط بين اليساريين والعمال من ناحية وبين حوادث التخريب من ناحية أخرى .

لكن بيان الحكومة كان متحفظا فلم يربط بين العمال واليساريين وبين التخريب .

ثم أدلى المهندس سيد مرعى رئيس مجلس الشعب بحديث الى الزميل فهمى هويدى بالاهرام أعلن فيه بوضوح أن ما يفهمه من سيادة القانون هو الا نجرم أحدا تحت التحقيق وقبل أن يقول القضاء كلمته .

فماذا كان موقف « أخوان الحرية » الذين أعادوا للصحافة « أمجادها » دفاعا عن « الحريات » وحدا من « طغيان الاجهزة التنفيذية » ؟

بدا « اخوان الحرية » حملة من البلاغات الكاذبة ضد المقبوض عليهم . وعندما عجزوا عن العثور على دليل واحد لاتهام اليساريين بالتخريب أصروا على تلفيق وقائع لم يعرفها أحد ولم تصل اليها أجهزة المباحث أو النيابة العامة . لقد قالوا للحكومة ولرئيس مجلس الشعب « لا » .. وهذه « شجاعة » بالتأكيد !! لكنها ليست شجاعة الضحى المدافع عن الحرية والحقيقة .. انما « شجاعة » « المخبر » غير الامين الذى يغلى بالحقد والمرارة ضد أبسط حقوق المواطن فى أن يكون بريئا طالما لم يصدر حكم قضائى بادانته . ذلك ان أقل مخبرى الشرطة شأنا يفترض فيه أداء عمله بأمانة . يفترض ان ينقل الحقيقة الى رؤسائه والا فقد جهاز الشرطة أهم أركانه . وحتى اذا أخطأ جهاز الشرطة ، لاى سبب ، فان النيابة العامة قد تصحح الخطأ وتحفظ الاتهام . فاذا لم تكن الصورة واضحة أمام النيابة فمن الحكم للقضاء وهو المرجع الاخير .

وقد كانت [ولا تزال] الصحف الحرة ، والصحفيون الاحرار ، فى كل مكان ، هونا للمجتمع وللقضاء على اظهار الحقائق . لكن بعض الصحف التى نعنيها تقوم بمهمة أخرى هى طمس الحقائق عن عمد ، وتلفيق التهم فى غرف مغلقة ونشرها على أوسع نطاق .. ثم ضرب أهم مبادىء الحرية وأبسطها دون وازع من مبادىء الشرف علية ومن تقاليد الصحافة الحرة بشكل خاص .

ويتم هذا كله وسط سيل من الاقاويل المحمومة عن ثورة ٢٣ يوليو التى « أهدرت » حرية الوطن والمواطن والتى خلطت بين أجهزة الشرطة والنيابة والقضاء .. فساد الظلم والظلام !

واذا كان الخلط بين الاجهزة يتم على حساب حرية وكرامة المواطن واهدار أهم نصوص الدستور والقانون .. فماذا يكون الامر عندما تجتمع فى « صحفى » أو « صحيفة » سلطات التحرى والاتهام والحكم ؟ وماذا يحدث اذا كان هذا الصحفى يستبيح لنفسه هذه السلطات وهو يعلم ـ علم اليقين ـ أن ما ينشره على الناس ضد الناس مناف تماما للحقيقة وأن اليساريين المقبوض عليهم لم يشهدوا أو يعرفوا شيئا عن المظاهرات أو التخريب الا بعد اذاعتها شأن غالبية المواطنين ؟

لكن لم تمض سوى أيام محدودة حتى أسفر « أخوان الحرية » عن موقفهم كاملا . لقد خيل اليهم أن ما حدث يمكن استغلاله وتزييفه لكى يؤدى الى انقلاب كامل ضد القوى الوطنية والتقدمية أى كل قوى التحالف التى تستند اليها القيادة الوطنية ، من أجل أهم أهداف مصر فى المرحلة الحالية ، وهى تحرير الاراضى المحتلة من سيطرة الصهيونية التى يساندها الاستعمار ، وتحقيق أكبر معدل للتنمية الاقتصادية الاجتماعية لصالح الغالبية العظمى من جماهير شعبنا .

لقد أسفر أحد الذين ارتدو القناعة الحرية [او الليبرالية] عن وجهه الحقيقى ببرنامج سياسى شامل نشرته أحدى هذه الصحف ، لكن نسى سيدها ان برنامجه السياسى الشامل سبق أن استمع اليه البعض ولا يزال مسجلا فى مصر بنصه تقريبا . عندما كان يذيع مثل هذه البيانات من محطة اذاعة سرية تبولها أجهزة المخابرات بالولايات المتحدة الامريكية كما أعلن عبد الناصر يومئذ باسم « اذاعة صوت الحرة » . وكانت هذه البيانات هى احدى المحاولات العديدة لضرب ثورة مصر وما أنجزته ضد قوى الاستعمار والامبريالية والصهيونية .

كانوا يقولون يومها ان عبد الناصر وقيادة الثورة يتجهون بمصر الى الشيوعية ؟ لماذا ؟ لان الثورة أممت الشركات والمصالح الاجنبية وفرضت سيطرة مصر على اقتصادها وثرواتها . واليوم وخلال شهر يناير ١٩٧٣ يقول الاستاذ أحمد ابو الفتح من فندق شيراتون فى القاهرة وليس من محطة اذاعة « صوت الحرة » ان مصر كانت تتجه سياسيا واقتصاديا الى نظام شيوعى كامل .. .

وقد سبق أن رددت مثل هذا الكلام فى كتاب له أيضا عن عبد الناصر ، هدفنا ذكر أن ثورة ٢٣ يوليو قضت باصدارها لقانون الاصلاح الزراعى على « النخبة » أو « الصفوة » التى تمتلت مصر فى

تكوينها منذ عصر **محمد علي** حتى الان .. ! وهو يعني بالصفوة طبعا اولئك السادة الذين حكموا مصر من ابناء البيوتات .. والذين ورثوا الارض عن ابائهم وعن اجدادهم عن « ولي النعم » الذي استولى على كل الارض ليوزعها بعد ذلك موروثاته واحفاده من الخديويين على خدمه واتباعه .. !

... انها الشيوعية طبعا ، اذا حاولت الثورة تصحيح خريطة الثروة في مصر ، واذا انتقلت القطاع العام وسيطرت على مصادر الانتاج التي تهبها الاجانب وعملاؤهم .. !!

وهو يقترح علينا « الاشتراكية » السويدية ! لماذا؟ ربما لان « الاشتراكية » في السويد ليست ضد الدين ، فمن اسباب نفوره من الشيوعية كما يقول ـ هو موقفها من الدين !! والحقيقة ان احدا في السويد لم يزعم ابدا ان السويد بلد اشتراكي حتى عندما يحكمه الحزب الاشتراكي السويدي انها بلد راسمالي كامل بكل ماتعنيه كلمة الراسمالية وبما يرتبط بهذه المجتمعات المتطورة احيانا من خدمات اجتماعية وتامينات ضد البطالة .... الخ .

لكن اثنين او ثلاثة في مصر يصرون على ان السويد دولة اشتراكية . وليس هناك اي مانع من ان يرى العالم كله رايا ويرى ثلاثة من المصريين رايا آخر ... !!

اما مبادىء الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية في اوربا حتى من الناحية النظرية [وليست الناحية العملية فقط] فهي لا تختلف عن المبادىء الراسمالية الا من حيث التفاصيل .. وهذه قضية معروفة لكل الاوربيين ولاي مثقف من غير الاوربيين.

لكن الغريب أن موقف السويد والمجتمع السويدي « الاشتراكي » من الدين لم ينفر الاستاذ **ابو الفتح** كما نفره موقف الشيوعية من الدين !

ولسنا في حاجة على الاطلاق لمناقشة « تمسك » السويد بالدين وممارسة شعائره « ليلا ونهارا » .. لانها من الامور التي يعرفها الخاص والعام .

ولعل كل مؤمن بدين سواء كان ماركسيا او غير ماركسي ، يبرأ بالدين ان يمارس على الطريقة « الاشتراكية » السويدية !

ففي المجتمع السويدي كما يعرف الجميع يختفي الفرق نهائيا بين العهر والدعارة او بين الزوج والعشيق ويتحول الجنس الى تجارة بسومية ورسمية !

ثم ينتهي بطل الحريات ، **ابو الفتح** ، الى بلاغ كاذب ضد كل اليساريين في مصر

لاحظ الفرق بين ماسبق ان كتبه ابو الفتح عندما وصل الى مصر للمرة الاولى منذ ثمانية شهور حيث طالب بالحرية « للجميع » بما فيهم الشيوعيين ، وبين ماكتبه هذه الايام على صورة بلاغ « يتهم » فيه الشيوعيين بانهم وقفوا ضد « حرية » الاحزاب وتعددها عند مناقشة ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكي !!

وهو يقدم تفسيرا « مبتكرا » لم يسبقه اليه احد (كما أن أحدا ايضا لن يلحقه في هذا الاتجاه !) ... اذ يقول ان سبب موقف الشيوعيين ضد اقامة احزاب في مصر الان هو ان قيام الشيوعية يشترط انعدام الحريات السياسية اي انعدام كل معارضة للمبادىء الشيوعية وقيام اكثر من حزب يفتح الباب لقيام هذه المعارضة !!

... ماذا يمكن أن يقال للاستاذ ابو الفتح ردا على ابتكاراته السياسية ؟ هل نقول ان الغالبية العظمى من البسطاء التي تولت فيها الاحزاب أنه يعرف ذلك بالتاكيد .. لكن ربما كان يعتقد وهو يكتب مقاله او بيانه ، أن القراء قد لا يعرفون . !

ورغم انه ليس من عادتنا أن نكتب ماقد يبدو انه استعداء للسلطات ضد احد ، ولسنا من مشاركي الاستاذ **ابو الفتح** في هذا الاسلوب ، الا انه من الصعب الا نذكر أن موقف الرئيس السادات والقيادة السياسية هو أن قيام احزاب في هذه الفترة مسالة ضارة سياسيا ، ومن هنا فاما أن الاستاذ ابو الفتح يرى ان قيادة مصر لا تزال شيوعية كما كانت عندما كان سيادته احد المدينين من صوت « مصر الحرة » او انه نوع من « لفت النظر » لمصر .. فاما ان تحل الاتحاد الاشتراكي والقطاع العام وتسمح ـ كما قال في مقال سابق ـ لمن يريد أن يملك اي مصانع في الارض ، او اي عدد من المصانع ان يفعل وفقا « لطاقته » .. او سيكون الخط السياسي والدعائي « لاخوان الحرية » في المرحلة القادمة هو أن مصر لا تزال تتمسك بالطريق المؤدي الى الشيوعية .. وعليها أن تتحمل النتائج ؟!

والمعتقد أن الرد المصري على هذا « الانذار » لن يخرج عن الاسلوب الذي تعودت قيادة ثورة ٢٣ يوليو ان ترد به ، سواء كان **عبد الناصر** ، او **السادات** على رأس هذه القيادة .. وسواء جاء الانذار والاستاذ ابو الفتح في الاذاعة المصرية « لمصر الحرة » او في جناحه بفندق شيراتون بالقاهرة !

ويمضي الاستاذ **ابو الفتح** في بيانه ، او في بلاغه ، ضد اليسار عموما وليس مجرد فئة منه كالشيوعيين فيسأل عن نسبة الصحف التي يسيطر عليها « الشيوعيون » في مصر اما بشكل سافر او

تحت اسم « اليسار » الى الصحف التى يسيطر عليها باقى أعضاء الاتحاد الاشتراكى !

وهو يردد هذا السؤال او الاتهام نقلا عن مصدر أو صحيفة تصدر فى بيروت ولا تعبر عن أى موقف أو مصدر عربى . اذ قالت هذه الصحيفة ، منذ شهور ، أن غالبية المؤسسات الصحفية يسيطر عليها الشيوعيون « كالاهرام » و « الجمهورية » و« روز اليوسف »..

وعلى الرغم من أن أجهزة الامن المصرية تعلم تماما أن الشيوعيين « لا يسيطرون » على اى صحيفة من هذه الصحف .. الا أن معلومات او مصادر أبو الفتح تؤكد ذلك ! ..

[لاحظ ان ابو الفتح ينشر بياناته عندما يشاء وبالحجم الذى يشاء فى صحيفة تؤكد انها اوسع الصحف المصرية انتشارا !]

ثم يؤكد **أبو الفتح** : أن الشيوعيين يمارسون نشاطا وحقوقا لا تتناسب مع عددهم ونسبة تمثيلهم باى حال . والمرء لا يستطيع الا ان يتخيل أن أبو الفتح يكتب مقاله وأمامه قوائم من أجهزة غير محددة الهوية عن أسماء الصحفيين المصريين وعن معتقداتهم السياسية مع موجز عن نشاطهم وتحركاتهم خلال الشهور الماضية على الاقل !

ورغم أنه من الصعب فى راينا أن نحدد بدقة وجود شيوعيين دون أن يكون هناك حزب شيوعى ، الا أن احمد ابو الفتح وكل من يمثلهم او يمثلونه تعودوا الخلط المتعمد بين الشيوعية كهدف بعيد لدى الشيوعيين أو لدى الاحزاب الشيوعية نفسها وبين ذوى التفكير أو المنهج الماركسى وكل مدارس واجتهادات اليسار عموما .

وكل الذين يخافون **ابو الفتح** الراعى ، ويتخذون موقفا محددا فى القضايا الوطنية ضد الاستعمار والامبريالية والصهيونية ، أو يحدون من طموح سياساته فى أن يمتلك ما يشاء من الارض والمصانع فهم يساريون شيوعيون .. !

ولهذا كان **عبد الناصر** فى رأيه شيوعيا ، يفتح الطريق الى سيطرة الشيوعية على مصر !!

ولهذا فان **السادات** الذى يتمسك بأهداف الثورة ضد الصهيونية والامبريالية ومن أجل التنمية لصالح الغالبية من أبناء شعبنا ومن خلال صيغة تحالف قوى الشعب العامل سيكون شيوعيا فى رأيهم .

... وبحكم المهنة ... يبدأ المخبر ببلاغ ضد المواطن العادى وينتهى بما يشبه البلاغ ضد النظام السياسى الوطنى كله وهى نهاية طبيعية ومحتومة للذين لا يفرقون بين عمل ومهنة وتقاليد الصحفى وبين عمل مخبرى الشرطة .. وغير الانباء سهم على وجه التحديد !

وهذا هو المضمون الحقيقى لكل ما تشدقوا به وطبلوا له من « ليبرالية » ، يزعمون انهم يأخذونها عن الغرب . لكنها نوع « خصوصى » من «الليبرالية» لم يعرفها غرب او شرق .. ولن تعرفه مصر !.

■ وهذا رد آخر على أحمد أبو الفتح ■

[٢] حول سيطرة الشيوعيين على الصحافة

خيرى عزيز

من المؤسف حقا ان يتحول الاستاذ « احمد ابو الفتح » « الداعية الغيور » للحرية السياسية والذى عاد اليها من أوربا رافعا راية الحريات والديموقراطية ، الى داعية قمع فى بلده ، ضد اليسار المصرى ، ومن أسماهم بالشيوعيين ..

ففى مقاله بعنوان : « **الحق المر : مصر فى مطحمة الصراع الداخلى والخارجى** » الذى نشر بأخبار اليوم فى ١٨ ـ ١ ـ ١٩٧٥ لا يجد احمد أبو الفتح عقبة كأداء فى سبيل تحرر وتقدم هذا البلد وفى سبيل تطبيق سياسة الانفتاح كما يراها هو ،

اى اعادة جزء اساسى من « **التجارة بكل فروعها الى القطاع الخاص ، وكذلك الاستيراد والتصدير والجزء الاكبر من الصناعة** » ، وفى سبيل تطبيق ما اسماه « ببرنامج السادات » ـ ولا نعرف من الذى خوله التحدث باسم الرئيس السادات وابتداع برنامج له ـ لا يجد احمد ابو الفتح عقبة ضارة معوقة فى هذا البلد بأسره و « مطحنة » تطحن شعب مصر داخليا بمطرقتها ، سوى اليسار ، ومن اسماهم بالشيوعيين فى الصحافة .

وان المرء ليعجب حقا من أمر الاستاذ **احمد ابو الفتح** ومن يفكرون مثله لان هذا الرجل الذى قضى سنوات طوال فى اوربا الغربية ، والذى يقدم نفسه كداعية للديموقراطية والحريات السياسية من الطراز الغربى ، **لا يلتزم داخل بلاده ، ولو أدنى التزام ، بما يقول أنه يدعو اليه .**

ففى حين يدعو « **نظريا** » وبحماس الى الديموقراطية من الطراز الغربى ، وهى ديموقراطية تمارس فيها الاحزاب الماركسية نشاطها علنا ، من خلال اتحاداتها النقابية ، والشبابية ، والنسائية ، والعمالية ، والمهنية ، وصحفها ، ومجلاتها ، ووسائل اعلامها ، الى جانب أحزاب اليمين والوسط ، فى حين يدعو نظريا الى ذلك ، **نجده من الناحية العمليه ، وفى بلاده ، وعند التطبيق يتنكر لذلك عند أول اختبار ،** لانه يضيق ذرعا أشد الضيق لا بمجرد وجود حزب ماركسى فى بلاده ، فمثل هذا الحزب غير موجود اصلا ، ولا حتى بوجود صحيفة يوميه ماركسية كبرى ، فمثل هذه الصحيفة غير موجودة كذلك ، وانما يضيق الاستاذ **احمد ابو الفتح** ذرعا أشد الضيق ، بمجرد وجود عدد من كتاب اليسار وسط البناء الضخم للصحافة المصرية . فيالها من ديموقراطية أصيلة تلك التى يبشر بها المجتمع المصرى .

فبعد ان يلقى بقنبلته المدوية : « ان الشيوعية تسيطر على الغالبية العظمى من الصحافه اليومية والاسبوعية والشهرية » ،و « ان هذا امر على جانب كبير من الخطورة » ، وبعد ان يعلن اكتشافه الباهر ويركز كل جهوده لاثبات **ان هؤلاء الشيوعيين هم العقبة الداخلية الوحيدة** فى سبيل سياسة الانفتاح ، وفى سبيل ما اسماه ببرنامج السادات ، يطالب **احمد ابو الفتح** المسئولين مقدما بأن « يحطموا كل ما يعترض سبيل هذه السياسة » .

هكذا تسفر دعاوى « الديموقراطية » « بوضوح عن نواياها فى « التحطيم » والسحق عند أول منعطف للحوار السياسى » فالمطلب « الديموقراطى » لاحمد ابو الفتح ، والقصد من ورائه هنا ، واضحان كل الوضوح ، ولا يحتاجان الى مزيد شرح أو تفسير . لكننا نود ان نتوقف قليلا لنناقش الاستاذ احمد ابو الفتح فى حقيقة الاحكام التى توصل اليها .

انك ـ لحسن الحظ ـ يااستاذ ابو الفتح ـ لا تتحدث عن مجتمع اخر لا نعرفه ، وانما تتحدث عن مجتمع نعيش فيه ونعاصره ، وعن صحافة نحياها ، ويقرأها شعبنا مع مطلع كل يوم .

ونحن نقر معك تماما بأن هناك عددا من كتاب اليسار والماركسيين فى الصحف المصرية فعلا ، كتعبير عن تواجد كل القوى الوطنية فى الساحة . فهناك مثلا **لطفى الخولى ومحمد سيد احمد** فى الاهرام اليومى ، ثم اسرة تحرير الطليعة ومدير تحريرها **ابو سيف يوسف، وهناك صلاح حافظ ، وحسن فؤاد ، وفتحى خليل** فى روز اليوسف [وهم لا يكتبون فى اى صحيفة يومية] ، وهناك **عادل حسين وفيليب جلاب** فى الاخبار [وهما ممنوعان عمليا من الكتابة فى ظل « ديموقراطية » على ومصطفى أمين] ، وهناك **فتحى عبد الفتاح ، وعدلى برسوم ومصطفى كمال** فى الجمهورية .

كما نقر أيضا بان « الطليعة » ـ بعد انفراط عقد « الكاتب » وتشريد كتابها فكريا ـ تستقطب التعبير ـ الى حد كبير ـ عن فكر اليسار ، ولكن هل يعنى وجود تلك المجلة الوحيدة تقريبا ،ووجود هؤلاء الكتاب الذين لا يتجاوز عددهم عن عدد اصابع اليدين : « ان الشيوعية تسيطر على الغالبية العظمى من الصحافة اليومية والاسبوعية والشهرية فى البلاد » كما تزعم ؟

اننا نود ان نناقش قضية الصحافة المصرية هذه المرة على نحو محدد ، وبتفصيل نوعا ، وبالاسماء، حتى يمكن تبين حقيقة تلك السيطرة الشيوعية التى يشير اليها الاستاذ احمد ابو الفتح ، وغيره ، وحتى لا يلقى أحد الكلام على عواهنه .

من حق الاستاذ احمد ابو الفتح ان يكون عدوا لدودا لليسار وللكتاب اليساريين كما يشاء ، وكما اسفر عن أنيابه ومن حقه حتى أن يطالب بقمعهم واضطهادهم اذا شاء ايضا ، واذا كان هذا هو جل ايمانه السياسى ، ولكن ليس من حقه قط ، حين يتصدى للقضايا العامة ، أن يلوى عنق الحقيقة ويكسره ، وان يجعل من الباطل حقا . واننا لنطالبه بأن يقدم ولو اسما واحدا لرئيس أو مدير

تحرير ماركسى مصرى لاحدى الصحف اليومية الكبرى .

اننا لا نطالب بذلك ، ولا نقوله ، تنصلا من الماركسية ، بأى حال ، ولا اطراحا لراياتها عن الذى ، وانه نقوله اقرارا للواقع والحقيقه . واننا نتساءل حقا : اليست كبرى الصحف المصرية اليوميه ماثله امام اعيننا كل يوم ؟ او لا تكفى بما تحويه من مواد ، للحكم على طبيعة القوى التى تدير مقدراتها ؟ وهل سنضطر فعلا امام مزاعم الارهاب والابتزاز ، واستعداء القيادة الوطنية على اليسار ، وعلى اقلية من الصحفيين ، ان نذكر انفسنا ايا كان فى بلادنا ، بمن هم القادة الحقيقيون للصحف اليومية والمجلات الاسبوعية والشهريه فى هذا البلد ؟ يبدو اننا سنحتاج الى مثل ذلك بكل اسف .

ان احمد ابو الفتح يقول اولا ان الشيوعيين تسيطر على الغالبيه العظمى من الصحافة اليوميه ، الا ان الواقع يزكد بحق وصوح .. وفيما عدا ما اشرنا اليه سلفا - انه لا يوجد ماركسى واحد بين رؤساء او مديرى تحرير كبريات الصحف اليوميه فى مصر حاليا واذا كانت هناك حقيقة اخرى غير تلك ، لا نعلمها ، فمن الافضل للاستاذ ابو الفتح ان يدلنا عليها حتى نستدل فعلا على صواب احكامه . واننا لنساله بكل صراحة : هل الدكتور محمد عبد القادر حاتم ، واحمد بهاء الدين ، وعلى حمدى الجمـــال الذين يقودون الاهرام ، شيوعيون ؟ وهل على امين ومصطفى امين اللذان يقودان الاخبار واخبار اليوم شيوعيان هما ايضا : اننا لا نصدق انفسنا . ام يا ترى الشيوعيون الحقيقيون هم جلال الدين الحمامصى ، وحسين فهمى ، ومحمد زكى عبد القادر ، ومحمد النابعى ، واحمد الصاوى محمد ، وهم رؤساء ومديرى تحرير الاخبار ؟ ام ان الكاتر الشيوعى المستتر حقا هى الاخبار هو السيد موسى صبرى ، ولا احد يعلم ، او ربما يكون فى الجمهورية والمساء ، هو الضابط الحر الوطنى ، مصطفى بهجت بدوى ، وذلك حتى تجد ادعاءات احمد ابو الفتح ، ولو حجة بدعمية قوية تؤيدها وتسندها .

ان احدا من هؤلاء جميعا ، الذين يقبضون على ناصية الصحافة المصرية ، ليس شيوعيا او ماركسيا ، ولن نحتاج كذلك الى مزيد تاكيد ان هؤلاء جميعا ايضا ، هم اصحاب القول الفصل ، والذين يتحكمون كلية فيما ينشر او لا ينشر فى الصحف اليومية الرئيسية بهذا البلد ، فمن اين اتى ابو الفتح باحكامه ؟ لا نعرف من الواقع والحقيقة على ذلك ، جوابا .

ثم انه لا يكتفى بذلك ، بل يقول ثانيا : « ان الشيوعيين يسيطرون على الغالبية العظمى من الصحف الاسبوعية والشهرية » ايضا . وقبل ان نسأله عن حقيقة وواقع هذا الزعم ، نود ان نتقصى منه حقا : هل محمد عبد الجواد ، ومحمود الهوارى وهما رئيس ونائب رئيس مجلس اداره وكلة ابناء الشرق الاوسط ، وهى المؤسسة المركزيه للانباء فى هذا البلد ، شيوعيان فى نظره ؟ ام ان الشيوعى حقا هو السيد بدير رئيس مجلس ادارة هيئة المسرح ، او سعد مكاوى من بعده ، او الدكتور السيد محمود الشنيطى رئيس مجلس ادارة الهيئة العامة للكتاب ، او أ . ابـراهيم حمروش رئيس مجلس ادارة دار الشعب الخ .. اننا لا نجد ماركسيا واحدا بين كل هؤلاء ، فاين هى تلك السيطرة المزعومة والانفراد بالنفوذ ؟

فاذا انتقلنا الى المجلات الاسبوعية والشهرية التى يدعى احمد ابو الفتح ان الشيوعيين يسيطرون ايضا على غالبيتها ميايضا ، فاننا نود ان نتساءل كذلك : هل انيس منصـــور الذى يتولى رئاسه تحرير مجله « آخر ساعة » شيوعى مصرى مستتر ونحن لا ندرى ، ام ان الشيوعيين حقا هما فكرى باظه وصالح جودت اللذان يتوليان رئاسة تحرير مجلة « المصور » ، ام أن الشيوعيين هم مديراً تحرير هذه المجلة ، فوميل لبيب ، وصبرى ابو المجد ، الارجح اذن ان يكون الكاتر الماركسى المستتر فى « المصور » هو « ابراهيم البعثى » حقا لما له من « ميول عقائدية واضحة » ، وهل يمكن أن نطلق نفس الصفة الشيوعية ايضا على كمال النجمى رئيس تحرير مجلة « الكواكب » حتى يجد ابو الفتح مصداقا لمزاعمه ، وهل يمكن أن نطلقها مرة اخرى على صالح جودت رئيس تحرير مجلة « الهلال » وعلى الدكتور بطرس بطرس غالى رئيس تحرير مجلة « السياسة الدوليه » ، وعلى الدكتور لطفى عبد العظيم مدير تحرير « الاهرام الاقتصادى » وعلى امينة السعيد رئيسة تحرير مجلة « حواء » ، وهل يمكن أن نطلقها ايضا على سعيد عنمان رئيس تحرير مجلسه « الاذاعة والتليفزيون » ، وعلى عبد العزيز الدسوقى رئيس تحرير مجلة « الثقافه الاسبوعية » والشهرية وعلى يوسف جوهر رئيس تحرير مجلـة « السينما والمسرح » ، والدكتور محمد فؤاد ابراهيم مدير ادارة الاهرام ، ورئيس اللجنة العلمية الاستشارية لمجلة « المعرفة » ، والاستاذ عبد المنعم الصاوى رئيس تحرير مجلة « رسالة افريقيا » ، والدكتور جمـــال العطيفى رئيس تحرير مجلة « مصر المعاصرة » ، وبدوى ابراهيم حمودة رئيس تحرير

مجلة « العلوم الادارية » ، والدكتور احمد عزت عبد الكريم رئيس تحرير « المجلة التاريخية المصرية » ، وصلاح هدايت رئيس مجلس ادارة مجلة « عصر العلوم » ، و « صلاح جدى » المشرف على تحريرها ، والدكتور احمد محمد خليفه رئيس تحرير « المجلة الاجتماعية القومية » و « المجلة الجنائية القومية » ، والدكتور عبد العليم محمد مدير رئيس تحرير مجلة « رسالة العلم » . هل يمكن ان « نعكس » كل هؤلاء كي نثبت اكذوبة ، وهل يجهل احد من يتقفى هذا البلد حقا ، الاتجاهات السياسية والفكرية لكل هؤلاء القادة للصحافة الاسبوعية والشهرية فى البلاد ، ليأتى الاستاذ ابو الفتح ليفرض عليهم تهما ، وعلى المجلات التى يتولونها ، هوية لا تتفق مع حقيقتهم فى شىء . الامر المؤكد هنا انه كان يتحدث بالتأكيد عن صحافة بلد آخر .

انه لدرس ثمين حقا ينبغى ان يتدبره كل الوطنيين والتقدميين جيدا ، عندما يرون « الديمقراطيين » فى أوربا ، يتحولون الى « مكارثيين » فى بلادهم هكذا .

ان الطريق الذى يدعو احمد ابو الفتح القيادة الوطنية و « المسئولين » الى اتباعه ، وهو بوضوح ، طريق ضرب وانصاء اليسار من الساحه انما هو طريق تدمير الوحدة الوطنية لهذا البلد ، وعزل القيادة الوطنية عن الشعب ، وافساح الطريق لمام مؤامرات الاستعمار الامريكى الجديد الذى يستهدف ارجاع هذه المنطقة الى حظيرة سيطرته ونفوذه . انها لعبة امبريالية معروفة اعتمدت دوما على القهول من خطر اليسار ، وايهام القادة الوطنيين بان الخطر عليهم يأتى من اليسار لا من اليمين والاستعمار .

لكن طريق ضرب اليسار قد جرب فى المنطقة العربية والعالم الثالث من قبل ، الا انه لم يحقق لاصحابه – والتاريخ على ذلك شاهد – سوى العثرات والهزائم والفشل والنكسات ، انما طريق الوحدة مع اليسار والصداقة مع الشعب ، فكان دوما طريق الظفر والتقدم والنجاح لكل قيادة وطنية مظيمة . وذلك هو الفرق الحاسم بين سوكارنو الذى سمح للقوى اليمينية بالنمو والسيطرة فانتهت الى الانقلاب عليه واسقاطه ، وبين سيهانوك الذى تحالف فور الانقلاب العميل لامريكا ، مع اليسار الثورى فى الهند الصينية ، فحقق النصر تلو النصر حتى اقترنت قوانته من العاصمة أخيرا .

انه لامر مؤسف حقا ، ان الذين نصبوا انفسهم اعظم نقاد للغيم والارهاب فى الفترة الماضية ، يصبحون هم انفسهم ، أكبر دعاة القمع والارهاب فى ظروف الراهن .

بيد ان ثالثة الاثافى حقا هى تلك التى يقول بها احمد ابو الفتح عندما يدعى ان مصر – قبل تولى الرئيس السادات – « كانت تتجه سياسيا واقتصاديا الى نظام شيوعى كامل » . اى نظام شيوعى هذا ؟ ومن اين خرجت بهذا الاستنتاج ؟ اننا لا نعيش فى مصر قطعا حتى يستطيع انسان ان يطلق هذا الزعم . وليس من شك قط ان المليونيرات الجدد الذين طفوا الان على سطح الحياة الاقتصادية ، سيكونون أول المعترضين فى اعماقهم ، على استنتاجك هذا لانهم يعرفون تمام المعرفه ، ما هو النظام الشيوعى الكامل .

فمن المعروف تماما أن الانظمة الشيوعية تعمد بصفة عامة الى تحريم الملكية الخاصه التى تقوم على استغلال الاخرين . وتعتبر الملكيه المستغله بوجه عام هى ما يزيد عن الاستخدام والاحتياجات الشخصية . وهى تسمح للانسان بوجه عام بملكية المسكن والحديقه الصغيرة ، والسيارة ، والفيلا الريفيه ، والزورق البخارى الى آخر هذه الاشياء التى لا يستغل انسان فيها انسانا آخر ، لكنها تمنع تماما اى ملكية خاصة لوسائل الانتاج ، المصانع والاراضى والعقارات والعمارات .

لذا نقول أنها قوانين فى عقل احمد ابو الفتح فقط وتخيلاته تلك التى تصور بها ان الملكية الخاصة ضربت فى مصر من اجل اقامة نظام شيوعى كامل فى تلك الفترة ، لان أحدا قبل نولى الرئيس السادات لم يحرم على الراسماليين المصريين الجدد ان يمتلكوا ما يشاءون من عقارات وعمارات [السيدة السكندرية التى تملك وحدها ١٢ عمارة مجرد نموذج] أحدا لم يحرم عليهم أن يمتلكوا الاراضى ، والمصانع [باستثناء الكبرى الاقل ربحا التى يتعملها القطاع العام] وأن يمتلكوا المعامل والحدائق والسيارات [رأسمالى واحد استورد أخيرا ٣٠ سيارة بيجو] . هذا فى الوقت الذى لا يستطيع فيه اى شخص آخر فى الاتحاد السوفيتى مثلا مهما علا ، أن يملك عمارة ؟ أو اثنين ، أو ثلاثة ، يستغل بها الشعب الروسى لتدفع كل اسرة حوالى ثلث دخلها لقمة سائغة لملاك

العقار . ان نظام تأجير الشقق السكنيه بألف جنيه شهريا . ونظام بيع الشقق ، مفروشة او غير مفروشة ، بـ ٣٠ و٤٠ الف جنيه ياأستاذ أبو الفتح غير معروف قط فى اى نظام ماركسى فى أوربا وآسيا .

وثمة حقيقة مؤكدة اخرى هى ان كل هؤلاء الرسماليين الجدد الذين ظهروا على السطح الان ، لم يبدأوا مسيرتهم الاستغلالية من ١٥ مايو يا استاذ أبو الفتح . ومن الظلم اطلاق مثل هذا التصور . فهم لم يكونوا عدما قبل مايو وانما كانوا الاستمرار الطبيعى لنمو القطاع الخاص الراسمالى . والراسمال التجارى بصفة خاصة ، وكانوا افرازا طبيعيا تماما للنظام الاقتصادى المصرى قبل ١٥ مايو .

والاصح ان يقال تفسيرا لبعض التطورات الاخيرة انه كان ولا يزال هناك خطر التحول من شكل ونظام راسمالية الدولة ، الى الشكل والنظام الراسمالى التقليدى . خاصة بعد أن شن الراسماليون والمليونيرات الجدد حملاتهم المسعورة لتصفية القطاع العام ، وفك قطاع الدوله ، وهو ما تصدى له الوطنيون والتقدميون ، وعارضته القيادة الوطنية .

كذلك نحب أن نطمئن الاستاذ ابو الفتح تماما من ناحية اخرى ، فاذا كان صحيحا ان النظام المصرى قد أخذ بعض الاشكال السياسيه القائمة فى المعسكر الاشتراكى . كتجربة الحزب الواحد وغيرها ، الا انها لم تعبر قط هنا عن نفس المضامين والاهداف . ذلك أن أحمد أبو الفتح لا يمكن أن يجنح به الخيال بعيدا ليزعم ان الاتحاد الاشتراكى كان فى يوم من الايام قبل او بعد ١٥ مايو ، حزب البروليتاريا المصرية ، كما لا يستطيع ان يزعم ايضا أن مجلس الشعب الذى يضم عددا كبيرا من ممثلى أعيان المدن والريف ، مجلس سوفييتى ماركسى لينينى كذلك ؟

اى تجرؤ على الحقيقة ، واى قلب للوقائع ، وأى تصوير للامور بعكس حقائقها ، يمكن أن يصل اليه الانسان على هذا النحو ؟ .

كنا نتصور لو كان احمد أبو الفتح مخلص النصح للقياده الوطنية فى هذا البلد ، أن ينبه ويحذر من خطورة التفاوت الطبقى الذى أضحى ملموسا وصارخا فى الفترة الاخيرة ، باعتباره لغما كامنا تحت السطح الظاهر للمجتمع المصرى . كنا نتصوره لو اخلص النصح لهذه القيادة حقا ، أن يطالب بقص اجنحة الصقور الراسمالية الجديدة المحلقة ، تجنبا لاعراض الصراع الطبقى الحاد ، وآلامه ، وويلاته ، لكنه سلك بدل أسف ، السبيل المضاد . وهـو يطالب علنا بتحطيم كل القوى التى تقف فى سبيل راسمالييه ومليونيراته الجدد ، ويتغافل عمدا او غير عامد — عن مظاهر الصراع الحاد التى بدت اخيرا ، لسبب وحيد أنه فى خضم الفوضى الاجتماعية الضاربه ، واعمال القتل فى الشوارع التى يدعو اليها على أمين ، يمكن للديمجلوجيـة وللتعميـة والتضـليل أن يستشروا فى هذا المجتمع الوادع ، ويمكن للمخابرات الامريكية أن تعمل بعد طول غياب .

ثم يقول أحمد أبو الفتح بعد ذلك وهذا هو الغريب حقا «ان الحرية السياسية وتعدد الاحزاب اشد ما يخشاه اليسار » ، فى حين أعلن مختلف ممثلى اليســـار فى مصر فى مختلف الصحف والمجلات والمناقشات العلنية الاخيرة لورقة التطوير تاييدهم للديموقراطية واعادة الحريات ، وتأييدهم لفكرة تعدد المنابر كخطوة لأقامة حياة حزبية متعددة . فمن اين أتى احمد ابو الفتح بهذا الحكم المسبق الذى لا يوجد سوى فى ذهنه وحده ؟

ان اليسار المصرى لم يضق ذرعا قط ولا يضيق ذرعا ابدا بالحرية لسبب وحيد ، انه دوما اول صفوف الضحايا عند بداية كل قمع سياسى . فكيف يبغى امرء لنفسه وللاخرين الاضطهاد والقمع ؟ وباى منطق يستقيم مثل هذا الادعاء ؟ ليس اليسار هو الذى يخشى الحرية ويضيق بها ذرعا فى الحقيقة ، انما انت الذى ضقت ذرعا بالحـرية واليسار عند أول حوار « ديموقراطى » فوجهت للقيادة نداء « القمع » .

ثم انك تقول ان الحرية السياسية وتعدد الاحزاب تقضى قضاء مبرما على فكر اليسار وعلى كل أمل لديه ! فمن أين اتيت بهذه المقولة حقا ؟ ان اليسار فى العالم ، لم ينجح وينتصر ، الا حينما كانت هناك حريات وتعدد أحزاب ، وتثقيف سياسى للجماهير الواسعة ، بل لقد نجح اليسار وانتصر ايضـا برغم كل ارهاب الراسـمالية ، وسـفح الحريات ، والتضييق على النضـال السياسى . واذا كان تعدد الاحزاب يقضى على كل امل لليسار كما يزعم ابو الفتح لماذا يزداد الحزبان الشيوعيان فى ايطاليا وفرنسا ، قوة ونموا ومنعة وسط نظام تعدد الاحزاب ؟ وكيف احرز اليسار الفرنسى قفزة هامة الى الامام فى انتخابات الرئاسة الاخيرة ، فاكتسب ٣ ملايين صوتا جديدا خلال ١٤ شهرا فقط منذ آخر انتخابات نيابية ؟

ان احمد ابو الفتح يقول اى شىء يتراءى له .

■ رد على رسالة أحمد حسين ■

في العدد الماضي نشرت الطليعة رسالة القتها من الاستاذ احمد حسين .. وفيما يلي رد على هذه الرسالة من محمد رضا محرم المدرس بكلية الهندسة — جامعة الازهر ورد آخر من ابو سيف يوسف .

[١] أؤيـدك أيهـا الفـارس المخضرم

د. محمـد رضا محرم *

كاتب هذا التعليق بدأ ادراكه الواعي بوطنه تاريخا ونضالا ابان العدوان الثلاثي الذي تآمرت فيه ضد مصر القوى الصهيونية والامبريالية بقصد اجهاض الامال المصرية في الاستقلال الاقتصادي والسياسي ، وحيث ان هذا الوعي بدأ يدخل طور النضوج بعد سنوات اربعة من قيام ثورة يوليو فانه لم يكن من حظ الكاتب ان يتابع الاستاذ احمد حسين فارسا في ميدان السياسة العامة ، وبالتالي فانه لم يعرفه الا مناضلا واشتراكيا رائدا يحمل اخلاص المواطن وفروسية المناضل الحق ، ولذلك من خلال قراءاته في التاريخ المصري ... واخيرا عاد الاستاذ احمد حسين يتكلم ويوجه ويعطي خبرته في موضوعية ديموقراطية وفي مباشرة لا يقدر عليها الا فارس مخضرم .

في العدد الماضي من **الطليعة** دعا الاستاذ **احمد حسين** شيوخ الماركسيين وشبابهم الى مراجعة مواقفهم في تضيتين اساسيتين **اولاهما** الموقف الماركسي من الدين ، **وثانيتهما** الرؤية الماركسية للصراع الطبقي . ويأمل كاتب التعليق ان يتسع صدر مجلة الطليعة — كعهدنا بها — لرأي سوف يبديه في القضيتين السابقتين ، بالاضافة الى **قضية جديدة** يختلف فيها مع الماركسيين العرب وهي المنظور الماركسي لقضايا القومية والوحدة .

وقبل ان يعرض الكاتب دعوته للماركسيين المصريين للالتقاء مع القوى التقدمية الاخرى بشأن القضايا الثلاثة المذكورة فانه يود ان يؤكد الحقائق التالية :

١ — انه يشهد للمثقفين المصريين الماركسيين — رغم اختلافه معهم — بدورهم العظيم في تأصيل موضوعية التفكير ومعاصرة الثقافة وجماهيرية التصور السياسي في مصر ، ولعلها مناسبة يؤكد فيها تصوره بانه لا تتوفر الخدمة الحقة لدراسات تنشر في مصر الا في مجلة الطليعة ، والى حد ما في مجلة الكاتب قبل ان يهاجمها تتار الثقافة وقبل ان يغزوها الجهلاء غير المفكرين .

٢ — انه يقف في اصرار وموضوعية في جانب الدين ، والدين الاسلامي بالذات ،وهو في تصوره دين سياسي ثوري ، والثورية فيه تتجلى في انحيازه الى جانب الكادحين ، وهذا الانحياز — اي انحياز الدين — في رأي الكاتب هو قمة النضوج السياسي وغاية العدل الحق .

وفيما يلي عرض للقضايا الثلاثة موضوع التعليق .

أولا : الموقف الماركسي وقضية الدين

بداية يؤكد الكاتب انه ليس جميع الماركسيين ملاحدة ، بل ويغلب على ظنه ان الغالبية منهم ، خاصة في الوطن العربي والدول الاسلامية عموما ، ايجابيو التدين . وهو فوق ذلك يقتنع ان غوغائيي الثقافة في مصر حين يرفعون

* مدرس بكلية الهندسة جامعة الازهر

شعارات التفكير في وجه الماركسيين العـــرب لا ينطلقون من رؤية للواقع بقدر ما يصدرون عن جهل فاضح وببغاوية غبية منقولة عن الغـــرب الامبريالى .

وموضوع تسييس الدين ، أو تديين السيـاسة، خاصة فى البلدان المسلمة ، موضوع يجب ان يقف فيه الماركسيون مع القوى التقدمية على المستوى الاستراتيجى ؛ فالانتلاق التكتيكى فى هذا الشان غير موضومى من جهة ، وغير وارد بالنســبة للمجتمع المصرى من ناحية أخرى . وهنا يجب ان ننبه الى ان الشعار الذى يرفعــه بعض الماركسيين بدعوى تنزيه الدين عن النزول الى ارض الواقـــع المتغيرة دوما ليس مواجهــة مريحة للامر او قبول بالدين بقدر ما هو التفاف تكتيكى حذر حول قضية شائكة يعجز هذا البعض عن مواجهتها .

اما عن ضرورة الانطلاق الاستراتيجى فى هذا الموضوع فاننا نتبنى على الامور التالية :

١ ــ الشعب المصرى ــ وكما اشار الاستاذ احمد حسين فى مقاله ــ شعب متدين بطبيعته، وارثه التاريخى الدينى عميق التاثير فيه للغاية ، وهو قد عرف التدين والتوحيـد قبل معرفتــه بالاديان السماوية الثلاثة ، وقد اكد تحضره المبكر دور التدين فى سلوكه وممارساته وشاهدنا على ذلك الاثار الفرعونية الدينية المنطلق ، واكده فى العصور المتاخرة الادوار الثورية التى لعبتهــا الهيئات والمؤسسات الدينية وعلى راسها الازهر الشريف ، وشاهدنا على ذلك ايضا بقاء الكثير من العادات المصرية القديمة ذات الطابع الدينى والتى لايزال المصريون جميعــا مسيحيين ومسلمين يمارسونها ومنها على سبيل المثال احياء ذكرى الاربعين للموتى .

٢ ــ الدين الاسلامى الذى تدين به اغلبيــة الشعب المصرى ، هو بغير شك دين سـياسى لانه دين حياة يومية ، وهو يسعى دوما لتحقيق العدل فى الارض قبــل ان يعنى المسلم بثــواب الاخرة . حقيقــة ان القــرآن الكريم والوثائق الاسلامية الاساسية المثلة فى الحديث والسنة لا تقدم برامج مفصلة لحــل جميع المشــاكل الاقتصادية والاجتماعية للمجتمعــات ، وهــو ما تقتضيه طبيعة دين ســماوى يفترض فيــه صلاحيته لجميع الازمنة والامكنة ، ولكن هــذا لا يمنع وجود مؤشرات ازلية يمكن ان يستهدى بها المجتمع تحقيقا للعدل الاجتماعى والسـعادة الاقتصادية .

٣ ــ حقيقة ان الافكار والعادات السلوكية والثقافات وفقا لتصور الماركسى الذكى تمثل البناء الفوقى للمجتمع والمعبر عن البنية الاقتصـادية التحتية له ، ولكن هذا التصور لا ينطبق على الدين لعدة اسباب منها انه لان الدين فى حقيقته سماوى المصدر ولم تنجده قريحة البشر الاحيـاء الذين يغيرون المجتمع من طور اقتصادى الى طــور اقتصادى آخر ، ومنها ايضا ان الدين الاسلامى بالذات قد عاصر مجتمعات عدة مختلفة فى بنيانها التحتى ولكنه فرض نفسه على كل هذه المجتمعات، ولا ينفى هذا ان السلطة فى الكثير من هــذه المجتمعات قد استطاعت ان تقحم بعض التفسيرات المتخلفة او المغرضة للدين الاسلامى فى الابنيــة الفوقية ، ولكن هذا كله لا يمس جوهــر الدين ولا يعيبه وان كان يعيب فقط بعض الذين تحدثوا باسم الدين الاسلامى الذى لا كهنوتية فيه .

هذا ونود ان نشير الى ان بعــض الزعامات الماركسية وعلى راسها **انجلز وفينين** قد اكدت ان العامل الاقتصادى وحده ليس محرك التاريخ ؛ وهو ما يعنى امكانية اعتبار الدين السماوى ــ من وجهة نظر الماركسيين ــ مستقلا الى درجة كبيرة عن البنيان الاقتصادى دون ان يعتبر ذلك هدما واضحا للنظرية الماركسية فى اســتقراء التاريخ ، ومن المؤكد ان القبــول بهذا ســوف يقطع الطريق على المعادين للفكر العلمى التقدمى والذين يحــاولون فى اصرار تضخيم امر جانبى فى النظرية الماركسية ــ كما يعتقد الكاتب ــ بقصــد خلق تناقض رئيسى بين الاشــتراكيين التقدميين وبين الجماهير الشعبية المتدينة .

٤ ــ خبرة المجتمعات العربية ؛ ومجتمعــات الشرق عموما ، بالاديان تختلف اختلافا بينــا عن خبرة الغرب . وعلى سبيل المثال فان مهازل محكوك الفقرات وتعصب الكنيسة الغربيــة ضد العلم والتقدم لم تعرفه الكنيسة الشرقية . اما عن الدين الاسلامى الذى يقرر مباشرة العلاقة بين العبد وبين ربه ويرفض رجل الدين واسطة بينهما فان مثل هذه الانحرافات المتصلة لم ترتبط به الا فى فترات الانحطاط الحضارى والتقاعس فى آن واحد . وهنا نستطيع ان نقرر ان التمرد على الدين ــ كما اقر الاستاذ احمد حسين ــ خبرة غربية خالصة نخطىء خطأ فادحا لو نقلناها عنهم .

وبناء على ما تقدم يتبين ان الانطلاق الاستراتيجى فى موضوع الدين ضرورة يمليها عدم ورود التخلى عن الدين او الانطلاق التكتيكى بشــأنه من جانب التقدميين المتدينين ، ويبررها لدى الماركسيين ــ الى جانب كونهم مسلمين اساســا ــ ان مثــل هذا الانطلاق لا يمثل صدما رئيسيا فى البنيــان النظرى الماركسى التكاملى الرؤية .

ويود الكاتب أن ينوه هنا بأن مجلة الكاتب ، قبل صدور الاعداد الفترية ، قد أدركت هذه الحقيقة وقدمت دراسات تقدمية فى الدين والسياسة تولاها الاستاذ احمد عباس صالح والدكتور محمد احمد خلف الله ... كما ان الكتابات الدينية التى ظهرت فى العددين الاخيرين من الطليعة يجب أن تستمر وذلك بعد تخليصها من مهاترات الجهلاء .

ثانيا : الموقف من قضايا القومية والوحدة

الكراس الذى قدمه الحزب الشيوعى المصرى الى امضائه فى عام ١٩٥٨ بعنوان « مفهوم القومية العربية » يمثل اتجاها صحيحا وصائبا كان من الواجب ان يستمر فيه الماركسيون المصريون فيما يتعلق بشئون الوحدة العربية ، ولكن يبدو انهم لم يستطيعوا وضع تصورهم الامى للوحدة — والذى يعتبر ان الرابطة الطبقية ،فى مواجهة الرابطة القومية عند القوميين ، هى الوسيلة الناجحة للتوحيد بين افراد الجماعات لتكوين الامم على اعتبار أن الخلية الاساسية للمجتمعات البشرية فى نظرهم هى الطبقة وليست الامة كما يقول المنظور القومى البحت — فى وضعه الصحيح . وقد يكون هذا ما دفعهم فيما بعد الى العودة لتركيز على الفروق الاقتصادية والخصائص الاقليمية للكيانات العربية الجزئية والوقوف موقفا سلبيا الى حد ما من الممارسات العملية فى محاولات توحيد الاوطان العربية . وقد يكون المنطلق الامى ايضا هو الذى يدفع بعضهم لتصوير الصراع العربى الاسرائيلى تصويرا سالجا باعتباره لعبة البرجوازية على الجانبين وعلى حساب البروليتاريا فى كل منهما وعلى اعتبار غياب البعد القومى فى الصراع غيابا مطلقا .

حقيقة ان المصاعب بل والفشل الذى واجهه التجارب الوحدوية فى العقدين الاخيرين قد قرب بين وجهتى النظر الماركسية المتشددة والقومية المثالية ، ولكن لا يزال يتأكد فى كتابات الماركسيين أن موقفهم من هذا الامر موقف تكتيكى يمكن أن يتراوح بين الموافقة على وحدة الامة العربية وبين ممارستها فى أوقات متقاربة وهذا موقف متلق للقوميين العرب، وبناء عليه فانه لابد من انتقاد مرحلى — ولنسميه شبه استراتيجى — للدعوة والعمل لتوحيد الاقطار العربية ، وبعد اجتماع الجماعات العربية فى أمة واحدة ، وهو أمر قد يستغرق عدة أجيال ، وبالوسائل المتعددة التى يقترحها وينفذها الطرفان يمكن البحث مرة اخرى فى شأن الهدف الاستراتيجى النهائى الذى يتصوره الماركسيون وحدة أممية ، وتتصوره فئات اخرى وحدة اسلامية ، ويرى الكاتب — من وجهة نظره — ان كلا منهما هدف استراتيجى خيالى بعيد التحقيق مما يدعونا الى ضرورة عدم الاخذ بشأنه على أن نتركه قضية للاجيال القادمة اذا ما دعت ضرورات موضوعية الى التفكير فيه .

ويؤكد الكاتب أن مناقشة مثل هذا الاتفاق واقراره سوف يوسع القنوات والمجارى التى يصب فيها الفكر الماركسى ، وسوف يؤدى الى تحرك الماركسيين ، وهم قلة مهما حاول البعض تضخيمهم ، خلال كتلة جماهيرية تقدمية فى غاية الضخامة سوف يمكنها أن تتوصل الى وان تفرض الحلول الموضوعية العلمية لمشاكل المجتمع او المجتمعات العربية .

ثالثا : الموقف من قضايا الصراع الطبقى

دعا الاستاذ احمد حسين فى مقاله الماركسيين الى نبذ ممارسة الصراع الطبقى عن طريق العنف، والحقيقة أن كاتب التعليق يتحفظ فى هذا الامر ويشك فى امكانية تحقيق نفع جدى من وراء مثل هذا الاتفاق ، ومرجع التحفظ ليس موافقة الكاتب للماركسيين المتشددين على ضرورة انتهاج العنف الطبقى والحقد الاقتصادى وسيلة للتغيير، ولكن الرفض يرجع الى تصوره بان الصراع الطبقى حقيقة حياتية واقعية وليس قضية فكرية يمكن ضبطها بوضع معايير وقيود على الممارسات الفكرية ، فقد لا يفكر الماركسيون — وغير الماركسيين ايضا — فى الصراع الطبقى ولكن هذا لن يمنع حدوث تصادمات بين الطبقات او الفئات المختلفة حين تتأزم الامور ، ويتعطل التفاهم، وتبالغ احدى الفئات فى استغلال واستنزاف الفئات الاخرى . والدليل على ذلك جميع الانتفاضات الطبقية التى ظهرت فى عصور التاريخ المختلفة وقبل أن يوجد ماركس وقبل أن يصاغ الفكر الماركسى فى نظرية محددة ، ومن هذه المصادمات على سبيل المثال الثورة الشعبية التى وقعت فى مصر الفرعونية فى نهاية حكم الدولة القديمة ، ومنها ايضا حركات القرامطة والزنج فى العصر العباسى . فاذا اضفنا الى ذلك تصور الكاتب ان محاولات تأميم الصراع لا ترضى عنها الطبقات المستغلة رغم أنها تحميها من غضبة الجماهير الكادحة لادركنا صعوبة الاتفاق فى هذا الشأن ، وليس ادل على ذلك من الهجوم الحاقد الذى مارسته قوى اليمين المتطلعة على التجربة الناصرية فى تأميم الصراع الطبقى بدعوى انحياز

عبد الناصر — ممثلة فيه سلطة الدولة — لفئات العمال والفلاحين . وفى الحقيقة فان انحيـــاز عبد الناصر فى الستينيات وقبل حرب يونيـــو الشريرة لا ينكر ، ولكن كيف كان باستطاعته ان يقيم التوازن بين الذين يملكون ويستغلون وبين المستغلين الفقراء اذا لم يزحزح السلطة جهـة اليسار ليدعم موقف الفئات الأخيرة صاحبـة المصلحة الحقيقية فى المجتمع المصرى ؟ . ولعله من المفيد ان نذكر هنا بما طلعت علينا به أخبـار اليوم فى عددها الرابع من يناير ١٩٧٥ ، وهى تدعو الى حرب اهلية يتجاوز فيها الجميـع سـلطة الدولة وصلاحيات المؤسسات اذ تالت تعليقـا على المواقف غير المسئولة لبعض الافراد الذين اعتدوا على بعض الممتلكات العامة والخاصـة وتبض عليهم بأمر من النيابة لينظر القضاء فى امرهم « وفى رأى الكثيرين أن هـذه المعـارك لا تحارب بالشرطة وحدها ، وانما يجب ان ينزل الشعب الى الشارع ويقاوم اى محاولة للفوضويين للتخريب » .. وهكذا تدعو اخبار اليوم لمواجهـة الخطا بالخطيئة ، وتعطى نموذجا لكيفية تصرف او تفكير بعض الفئات فى اطار الصراع المؤمم. وفى وضـوح اكبر يمكن القـول ان تحييـد المناقشات الفكرية لجميع القوى العقـائدية لن يجدد التناقضات القائمة بين الفئات المختلفة ولن يلغيها ، ولذلك فان امرا كهذا لايبحث على المستوى النظرى الفكرى بقدر ما يجرى بحثه على المستوى الحياتى اليومى لتحديد اين تقف سلطة الدولة فى حالة الرغبة فى تأميم الصراع . وانه من غير المنطقى ان يتفق المتفون على امور ليس لهم ولاية عليها وهى فى حقيقتها تخص رجل الشـارع وهـو المؤثر فيهـا والضابط لهـا — ان اراد — فى آن واحد .

وفى النهاية فان كاتب التعليق يأمل ان تتولى مجلة الطليعة تجميع الاراء للخروج بموقف محدد للماركسيين فى هذه الامور ليس لهم ولاية عليها ، على ان تتولى فى محاولة لاحقة تدارسها مع الفصـائل التقدمية الاخرى للاتفاق او التوفيق بينهم جميعا .

القاهرة فى ١٩٧٥/١/٤

[٢] ليـــكن الحـــوار على أرض الواقـــع

أبو سيف يوسف

وربما كان لزاما علينا — قبل ان نناقش الافكار والقضايا الرئيسية التى تضمنتها رسالة الاستاذ احمد حسين الى الطليعة — ان نشيد بالاسلوب والروح اللذين حكما كتابة هذه الرسالة :

● فالاستاذ احمد حسين قد استهل رسـالته بتبيين موقف « الطليعة » التى تنشر من الاراء ما يخالف الراى نتبناه ونؤمن به .

● وهو يحرص على ان يوجه الى « الطليعة » رسالة ، لا مريضة اتهام ، او مجموعة من السباب والمهاترات ، كما فعل ويفعل البعض .

● وهو — فى الوقت نفسه — يؤكد تقديره لكفاح جيل قديم باكمله من اليساريين ، صبروا وصابروا فى سبيل مبـادئهم على الرغم من كل العنف الذى لاقوه ..

● وهو ينطلق فى توجيه رسالته الى الماركسيين القدامى منهم والمجددين وذلك من موقع الحريص على ، ان تزيد تاهيلهم وقدرتهم على التاثير على سير الحوادث فى مصر » .

لهذا كله تثمن « الطليعة » بدورها الاسلوب البناء الذى حكم رسالة الاستاذ احمد حسين ، وهو الاسلوب الذى يستبعد — ابتـداء — رفع التناقضات والخلافات بين الوطنيين والمناضلين الى مستوى التناقضات والخلافات الرئيسيـة والعدائية .

ثم ندخـل فى الموضـوع ، فنقسم الرد على الرسالة الى قسمين : نعالج فى احدهما :

١ — نقاط الاتفاق والالتقاء .

٢ — ونعالج فى الاخر بعض نقاط الاختلاف .

فى نقـاط الاتفـاق والالتقـاء

١ — لا يمـكن الا ان نتفق تمام الاتفـاق مع ما ذهب اليه الاستاذ احمد حسين من ان هناك

خطرا داهما تمثله اسرائيل بمؤسساتها العسكرية القائدة التى تتفنع فى جنون الحرب الى الحد الذى قد يتهدد سلام البشرية بأسرها .

٢ ــ ونتفق مع تقييمه الصحيح لطبيعة العلاقة بين الولايات المتحدة الامريكية وبين اسرائيل . وذلك ، من حيث ان الولايات المتحدة تساند اسرائيل مساندة هائلة ، لان الاخيرة ، تدافع عن المصالح الامريكية . ونتفق ايضا ، على ان الولايات المتحدة هى المسئولة عن عربدة اسرائيل فى المنطقة ، وعن التهديدات التى تهدد بها ، بما ذلك التلويح باستخدام السلاح الذرى . كما ان الولايات المتحدة الامريكية تذهب فى هذه المساندة الى حد ارسال حاملة الطائرات الامريكية الى الخليج العربى « **لتقمن على الحرب ضد العرب** » وذلك على حد تعبير الاستاذ **احمد حسين** .

ولقد ختم الاستاذ **احمد حسين** كلامه فى هذه النقطة بقوله :

« **هذا قضاء وقدر ان تكون الولايات المتحدة قد ربطت مصالحها بالذلل العرب على ايدى اسرائيل** » .

ونحب ان نعلق على هذه العبارة قائلين :

ان الاستاذ **احمد حسين** يعرف الكثير عن الدوافع التى تحرك السياسة الامريكية فى الاتجاه الذى ذكره . واذا كان قد آثر الا يخوض فيها تفصيلا ، مكتفيا بعبارة « هذا قضاء وقدر» ، فاننا نعلم ــ مع ذلك ــ انه حريص فى الوقت نفسه على الا يستنتج القارىء من هذه العبارة اننا بازاء « قضاء معين » « وقدر معين » غامضين وغير محددين . فلابد اذن ان نشرح ، ونواصل الشرح ــ بلا ملل ــ وبالاستناد الى وقائع الحياة اليومية ، وحقائق السياسة الدولية ، حتى يستقر فى وجدان الناس ، ان المشكلة بين الشعوب العربية وبين الولايات المتحدة الامريكية ليست مجرد سوء الفهم من قبل حكام الولايات المتحدة ، أو جهلهم « بمصالحهم الحقيقية » ، أو مجرد « سيطرة الصهيونية الخبيثة » على المركز العصبية فى تلك البلاد . وانما تواجه الشعوب العربية استراتيجية لانزال ثابتة حتى وان اختلفت اساليب التعبير عنها ، تبعا لاختلاف الظروف والملابسات الطارئة . واذا قلنا انها استراتيجية ثابتة لا تتغير ، فلاننا نابعة من طبيعة النظام الامبريالى [الرأسمالى] نفسه . فهذا النظام اذ يحركه فى الاساس دافع الربح ، فان تراكم الارباح الهائلة يؤدى بدوره الى تركيز رأس المال، فاذا تم هذا التركيز ، اندفع النظام الرأسمالى الى التوسع . ويكفى أن نضع هنا كلمة **البترول** لتعطينا كل العناصر الثابتة فى استراتيجية الولايات المتحدة . ذلك ان الدولارات التى تربحها شركات البترول [من ٤ آلاف مليون الى خمسة الاف] سنويا ، تتركز فى ايدى هذه المؤسسات الدولية العملاقة ، لتجعل منها قوى ضاغطة داخل الولايات المتحدة تستطيع ان تملى على الاوساط الحاكمة الامريكية السياسات التى تضمن الحفاظ على المصالح البترولية وتوسيعها وحمايتها : أولا وقبل كل شىء فى مواجهة شعوب المنطقة . هذه الشعوب التى ، اذ تنهض لحياة جديدة ، تسعى بالضرورة ، الى استرداد ثرواتها المنهوبة .

وان هذه الاستراتيجية ، قد طبقت ولا تزال تطبق ، بثبات ، فى منطقة الشرق الاوسط ، وان استخدمت فى تطبيقها اساليب واشكال متنوعة: فيها الترغيب والترهيب ، فيها الاغراء بالمعونات ونمط الحياة الامريكى ، وفيها المواقف العدائية التى تتدرج من الابتزاز السياسى ، الى الحصار والضغوط الاقتصادية ، الى تدبير الانقلابات الداخلية، الى استخدام القوة المسلحة او التهديد باستخدامها .

واذا كانت تطورات الصراع ضد الدولة الصهيونية ــ فى ظل الظروف الدولية الراهنة ــ تطالب دول المواجهة بالمرونة فى الحركة ، وبالجمع بين الوسائل السياسية والدبلوماسية وبين الوسائل العسكرية ، وبالتركيز على جانب من هذه الوسائل فى وقت ، وعلى جانب آخر فى وقت آخر ، مع ما يفرضه هذا من اقامة علاقات سياسية واقتصادية مع الولايات المتحدة، فان هذا كله ينبغى الا يحجب حقيقة ان طبيعة السياسة الخارجية الامريكية ، بل ولاى بلد ، انما تتحدد ــ فى النهاية ــ بجوهرها الاجتماعى، او بسياستها الداخلية . والمعروف ان الولايات المتحدة الامريكية هى اقوى البلاد الرأسمالية ، واشدها بأسا ، فاذا عرفنا هذا ، أمكننا ــ فى الوقت نفسه ــ ان نحسم اكثر من نقطة حيوية ، فى مقدمتها معرفة العدو الاستراتيجى والحلفاء الثابتون والمؤقتون على الصعيد العالمى . وامكن ان نصل الى معرفتهم ــ لا من خلال مواقف عاطفية ، ولا من مجرد ارتباطات او تقارب فكرى « ايديولوجى » وذلك وفقا لحسابات صارمة وموضوعية .

والى هذه النقطة سنعود فى مكان آخر ، بعد حين .

حول روافد الفكر الماركسى

ثم ننتقل الى القسم الثانى من الرد ، ويتضمن الاراء الخلافية .

وبادىء ذى بدء ، نتفق مع الاستاذ **احمد حسين** على ان **الماركسية فكر أوربى** . وهى

كذلك ــ فى الواقع ــ بحكم المولد والنشأة والنمو. الا ان السؤال الذى ندفعى ان يطرح هو : تحت اى باب من ابواب الفكر الادبى توضع الماركسية، والى اى تيار انه تنتمى ؟

والجواب : انها تنتمى قطعا الى التيار الثورى التقدمى والعلمى فى الفكر الاوربى الحديث .

وحتى نتفادى الاسهاب فى تاريخ الفكر الماركسى ــ فليس هذا مكانه ــ يمكننا ان نقول ان كارل ماركس [١٨١٣ ــ ١٨٨٣] قد عاش فى فترة ثورية عاصفة عمت اوروبا كلها . فلقد شهد فى شبابه الانار المدمرة « للحلف المقدس » الذى كونته روسيا والنمسا وبروسيا، هذا الحلف الذى، بما ان انزل الهزيمة بنابليون ، حتى التفت الى تدعيم اسس الحكم المطلق ، فاطلق عنان الردة ضد كل المؤسسات والافكار التقدمية والثورية التى زرعتها الثورة الفرنسية فى اوروبا ، والتى ظلها جيل بأكمله من كبار الفلاسفة والمفكرين والاقتصاديين والادباء ومن الساسة الثوريين .

غير ان الهجمة الرجعية على تراث الثورة الفرنسية . قد اثارت فى المانيا ــ وفى اوروبا كلها ــ ردود فعل قوية للغاية . وتمثل رد الفعل فى المانيا الواقعة تحت حكم الرجعية البروسية فى انكماش النشاط السياسى .لكن هذا الانكماش قابله تسرب التعبير الثورى الى ميادين الفلسفة والادب . هنا ظهر الفيلسوف الالمانى **هيجل** [١٧٧٠ ــ ١٨٣١] الذى يعتبر ابنا بارا لعصر الثنوير الفرنسى ، ثم داعية بالضرورة للمذهب العقلى، وداعيا الى تمكين العقل من تفيير الواقع الاجتماعى واخضاعه. ولقد احتل هيجل بفلسفته مكان الذروة فى الفلسفة الاوروبية حتى قبل فى ذلك « ان تاريخ الفلسفة منذ وفاته يمكن ان يعد سلسلة من الخروج عليه وعلى اتباعه » [١] . والواقع انه اذا تركنا ــ مؤقتا ــ جانب المذهب فى فلسفة هيجل [وهو الجانب المحافظ] فقد انتب هيجل على دراسة تاريخ وواقع المجتمع والدولة فى المانيا . ووصل فى دراسته الى اكتشافات ستظل حية على الدوام فى تاريخ الفكر الانسانى . ومن ذلك ما لاحظه ــ مثلا ــ من ان الانسان فى ذلك المجتمع الممزق ، والذى هو سدان للتقابلين المصالح الخاصة ،انما هو انسان مفقود ، ومغترب ،وجانح ، بل ومسلوب الرجولة.

وتوصل **هيجل** الى ذلك من خلال رؤية فلسفية تقدمية تنظر الى العالم ككائن عضوى متكامل وحى . ثم شرع يدرس الفكر والمادة ، الطبيعة والمجتمع ،الانظمة السياسية والقانونية مستخدما المنهج الديالكتيكى الذى يمثل بالنسبة لفلسفته جوهر ابداعها الثورى الحقيقى والحى .

وهذا الجانب الحى من هذه الفلسفة هو الذى تمسك به جيل الشباب الالمان من اتباع **هيجل** لانهم كانوا قد نفروا انفسهم لاحداث تغييرات فى المجتمع . وكان **ماركس** احد هؤلاء الشباب . ولسوف يشرع ماركس فيما بعد فى تخليص هذا المنهج من كل رواسب الفكر الميتافيزيقى ويتبنيه واقفا على رجليه . ولكن سوف تظل فلسفة هيجل احد المصادر الرئيسية المكونة للماركسية .ولذلك لم يكن غريبا ان يلاحظ **ف . انجلز** شريك ماركس فى وضع اسس الاشتراكية العلمية :

« انه لو لم تكن الفلسفة الالمانية قد وجدت، من قبل ، وبصورة خاصة فلسفة هيجل ، لما وجدت الاشتراكية العلمية الالمانية » .

لكن فلسفة هيجل لم تكن المنبع الوحيد للماركسية ، فقد كان ماركس يعيش ايضا فى ذلك المناخ الاوروبى الذى كان قد انتج ــ فى ذلك الوقت ــ ارقى ثمرات العلم والفكر ممثلة فى :

ــ الاقتصاد السياسى الانجليزى .
ــ الاشتراكية الفرنسية .

اما عن الاقتصاد السياسى الانجليزى ، فمن المعلوم انه كان قد بلغ النضج على ايدى الاقتصاديين الكلاسيكيين، وطور اسهم آدم سميث وريكاردو. ومن اعمالهم استخلص **ماركس** الفكرة المحورية من الدور الحاسم **للعمل** . ومنذ هذه اللحظة لن يصبح الاقتصاد السياسى مجرد علم يكتفى بتسجيل حركة الاسعار ، والتغييرات الطارئة على ظروف السوق والاليات التى تتحكم فيه ، والاكتفاء بملاحظة الاشياء « من الظاهر » ومن خلال علاقاتها السطحية . لكن علم الاقتصاد السياسى سوف يصبح ــ عند **ماركس** ــ علم اكتشاف العلاقات الانسانية التى هى مصدر تكوين الظواهر والمنتجات والاشياء . وسيبرهن على ان التحولات الاقتصادية : العمل ، التبادل ، البضاعة ، القيمة ، النقد ، السوق ، الربح ، الاجر ... الخ هى تحولات تاريخية ، اى تنتمى الى نمط انتاجى معين فى عصر تاريخى معين . وعن طريق دراسة هذه التحولات التى تنطوى على تناقضات فيما بينها ، تدفع بها الى ضرورة لانتوقف ، سيدرس **ماركس** تاريخ المجتمع البشرى منذ المجتمع البدوى ليصل الى ان اسلوب الانتاج

---

(١) الموسوعة الفلسفية المختصرة : ترجمت تحت اشراف زكى نجيب محمود

الرأسمالي — هو نفسه — أسلوب مؤقت ونسبي، وأن النظام الرأسمالي لابد وان يخلي السبيل للنظام الاشتراكي . وعندما توصل **ماركس** الى هذه النتيجة كان في الواقع قد توصل اليها من خلال تطبيق منهجه العلمي في دراسة التاريخ الانساني والمعروف باسم المادية التاريخية . مثبتا ان مجيء المجتمع الاشتراكي ليس مجرد حلم ، وانما هو تنبؤ علمي ، واكتشاف للقوانين الاجتماعية التي تحكم مجيئه .

وفيما يتعلق **بالمصدر الثالث** من مصادر الماركسية وهو « الاشتراكية الفرنسية » فان ماركس قد أكد انه استفاد فائدة كبرى من مذاهب الاشتراكيين الخياليين الذين نقدوا ، بعمق وقسوة ، مساوىء المجتمع الرأسمالي . ولكنه لاحظ عجزهم عن تحديد دور كل طبقة من طبقات المجتمع الرأسمالية ، وعجزهم عن فهم المضمون الاشتراكي لمقولات مثل « الشعب » و « العدالة » و « الحق » وخلطها بالمفاهيم الديموقراطية الليبرالية المقابلة . وبالنسبة لوسائل تحقيق الاشتراكية لاحظ ماركس انهم يدعون الى اصلاحات جزئية ، ويكتفون بالسعي الى اقناع أولي الامر بقوة الحجة — هنا — وعلى أرضية من الممارسة الثورية ، ودراسة لتاريخ صراع الطبقات في فرنسا — استطاع ماركس أن يكتشف الدور التاريخي للطبقة العاملة . وشرع يربط حركة هذه الطبقة برؤية علمية للعالم .

ولكن لماذا نتعرض هنا للمصادر الرئيسية الثلاثة للماركسية ؟ الجواب : لكي ندلل على ان الماركسية ولدت وريثة للعلم الاوروبي وللفكر الثوري والتقدمي . ولا مفر لمصر ، أم الحضارات ، والتي تسعى الى ان تأخذ من الحضارة المعاصرة ما يؤمن لها طريق التقدم المستقل من ان تتعرف على اسس علمية سليمة على كل العناصر الحية والتقدمية ، لا في الماركسية كما ولدت في المانيا فحسب ، ولا في الماركسية كما طورها واضاف اليها لينين ، وكما طبقت في الاتحاد السوفيتي فحسب ، بل على كل الاضافات التي جاءت اليها في اوروبا وآسيا وامريكا اللاتينية . بل وكل المساهمات التي اضافتها اليها قوى التقدم في داخل الولايات المتحدة الامريكية .

وهذا الامر لا يتصل من قريب او بعيد باستيراد او بنقل تجارب اشتراكية اخرى او انظمة ، وثورات اخرى ، لان النظرية وحدها — اي نظرية علمية — تظل عاقرا حتى تخصبها الاصالة الوطنية ، والنضال العملي على ارض الواقع فتلد التطبيق ، الصحيح . وهو لن يكون صحيحا الا اذا اخذ بعين الاعتبار التاريخ ، والخصائص القومية ، والعناصر الحية من التراث ، وغير ذلك من الشروط الموضوعية .

وعلينا بعد ذلك كله ان نتأمل في بعض تجاربنا الوطنية . فمن المعروف أن رواد النهضة الفكرية الحديثة في بلادنا ابتداء من الشيخ **حسن العطار ورفاعة رافع الطهطاوي** مرورا بقادة الفكر الاجتماعي والاقتصادي من امثال **قاسم امين وطلعت حرب** الى قيادات الحركة الوطنية المصرية ممثلة في **مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول** .. الخ . هؤلاء كلهم ، وغيرهم من كبار علمائنا ومفكرينا وقادتنا قد تسلحوا في نضالهم ضد التخلف وضد الاستعمار بالفكر الفلسفي والسياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي جسدته الثورة الفرنسية بمؤسساتها ، وبفكر غيرها من الثورات الاوربية التي قامت ضد الاقطاع . ان هذه الثورات — كما هو معلوم — قادتها الطبقات البورجوازية [الرأسمالية] ضد الاقطاع ، ثم تخلت عنها بعد ان استقر لها الامر ، ثم انقلبت عليها بعد ان نمت الرأسمالية الى امبريالية . مع ذلك ، فان الانفتاح على الفكر البورجوازي الاوروبي ونشره في مصر لم يثر اطلاقا هذا الهلع على حضارة مصر وقوميتها وتقاليدها .. الخ . فكيف نتصور اذن ان تتهدد حضارة مصر تيارات الفكر الثوري والاشتراكي تلك التي تشكل قوة الصدام الرئيسية ضد الامبريالية والاستعمار والعنصرية طاعون هذا العصر وآفاته التي تتهدد كل انجازات الحضارة الحديثة ؟

المعركة المفتعلة :

واذا كان من الثابت ان مؤسس الماركسية : **ماركس وانجلز ولينين** قد حرصوا اشد الحرص على ربط الماركسية ربطا وثيقا بحركة العلم الطبيعي وتابعوا بعمق اكتشافات هذا العلم ، فان هذه الحقيقة تؤكد مرة اخرى ان الماركسية هي في الاساس منهج علمي ومرشد لدراسة العالم والمجتمع .

ومن هنا لا يكون هناك مجال لاعتبار الماركسية عقيدة من العقائد او دينا من الاديان . ولم يكن من قبيل الصدفة أن **ماركس** نفسه ، كان يقول عن نفسه ، انه ليس « ماركسيا » اي ليس صاحب « طريقة » او ملة من الملل . وليس من قبيل الصدفة ان يأتي **لينين** [وهو الذي اضاف اضافات اساسية الى الماركسية] ليخوض حربا ضروسا ضد كل من حاول من قادة الاحزاب الاشتراكية الديموقراطية [في الفترة من ١٨٧٢ — ١٩٠٤] ان يحرف الماركسية ويحولها الى نوع من العقيدة . وفي هذا اشار **لينين** — باستمرار — الى ان الماركسية تتطلب دائما ، بحكم جوهرها بالذات ، حسبان الحساب للحياة الفعلية ، للوقائع

الذهنية ،كما عارض — بحزم — تحويل الماركسية الى نظام من الصيغ والموضوعات المتحجرة ، المفصولة عن الحياة . وأكد على ضرورة تطوير الماركسية تطويرا خلاقا وفقا للوضع التاريخى الجديد. وحث على عدم التشبث بنظرية الأمس، بل بمعرفة تطوير وتطبيق الماركسية فى الظروف الملموسة ، وايجاد الحلول الصحيحة فى أى وضع مهما كان معقدا .

وكل من اطلع على كتابات الرواد من الماركسيين، يجد باستمرار انهم يؤكدون على حقيقة ان الماركسية **«ليست عقيدة وانما هى مرشد للعمل»**. والواقع ، أنه من التناقض البين أن تتحول الماركسية التى تؤكد على **مبدأ نسبية المعرفة** الى نوع من العقيدة الثابتة . انها — عندئذ — تفقد طابعها العلمى : فهى لن تصبح نظرية علمية ، لانها وقفت وتجمدت عند مرحلة معينة من تطور العلوم، ولن تصبح ايضا عقيدة ايا كان نوعها ، [لانهـــا ، بعد ان سلمت بنسبية المعرفة ، تكون قد حكمت على نفسها بانها لا تصلح كعقيدة] .

وعندما نصل الى هذه النقطة نسأل :

فما هو أذن الشىء الرئيسى فى الماركسية . يجيب على ذلك **لينين** بقوله :

« أن الرئيسى عند **ماركس** هو انه اوضح دور الطبقة العاملة التاريخى العالمى بوصفها بانيـة المجتمع الاشتراكى » .

فهل تتفق مع ماركس فيما يذهب اليه هنـا حول دور الطبقة العاملة ام تختلف ؟ من المؤكد ان هناك من يختلف معه وهناك من يتفق .ولكن هل اذا اتفق انسان او مجموعة من الناس على هذا الامر يترتب على اتفاقهم ازيدهجروا بالضرورة عقائدهم الدينية ؟ من الواضح أن مثل هـــذه القضية غير واردة بالضرورة — على الاقل — فى مجال الممارسة العملية لقضايا التحول الاجتماعى. وهذا ما جلت عليه الحياة نفسها :

— فلقد كان **لينين** يقبل القسس فى الحـــزب الشيوعى .

— وفى ايطاليا يصـــوت ملايين من المؤمنين الكاثوليك للحزب الشيوعى فى الانتخابات ، ومن بينهم عدد كبير من اعضاء الحزب .

— وفى أواخر الخمسينات لاحظ سفير امريكا فى الهند أن نصف المثقفين فى العـالم لابد وان يكونوا قد درسوا الماركسية أو اطلعوا عليهـا . ونضيف انه من المستبعد ان يكون هذا النصف قد تخلى بالكامل عن عقائده الدينية أو الفلسفية.

— وفى امريكا اللاتينية تجذب الحركة الثورية عشرات من رجال الدين الكاثوليك الى صفوفها دون ان يتخلوا عن عقيدتهم الدينية . وفى شيلى بالذات انضم الجناح اليســـارى للحـــزب الديموقراطى المسيحى ، وانضم الى كتلة الجبهة الشعبية وكون حزبا منفصلا واعلن انه يؤسس نضاله على الايديولوجية الماركسية اللينينية .

وعند هذه النقطـة نقول : اننـا مقتنعون بان الاستاذ **احمد حسين** عندما يثير قضية الدين والماركسية انما يصدر فى ذلك عن اخلاص تام يتعلق لاحد له بعقيدته الدينية ، **وعن حرص على وحدة كل** الوطنيين وكل قوى اليسار . ولكن لابد وان يؤدى به الى ان يتأمل معنا واقعة ان اوساطا معينة فى الخارج تحاول ان تثير داخل المجتمع المصرى — وفى هذه الظـروف بالذات — صراعات مفتعلة بين القوى الوطنية مستخدمة الدين ومتسترة وراءه، ان هذه الاوساط الاجنبية المعنية تحرض تحريضا شديدا ضد المـــاركسيين المصريين ، وذلك تحت شعار محاربة « الالحـــاد المـــاركسى » . لكن الوطنيين المخلصين يعلمون ان الماركسيين المصريين لم يسبق لهم ان تحدوا المشاعر الدينية لشعبنا على اى وجه من الوجـــوه ، ولم يكن نشـــاطهم — فى يوم من الايام — مركزا لاشعار الحرب على الاديان .

اذن يبقى هذا السؤال : فمن هم اصحـــاب المصلحة فى اختـــلاق هـــذه المعركة . انهم فى النهاية لن يكونوا غير اعداء الوحدة الوطنيـــة ، وغير اعداء الاشتراكية . وابسط دليل على ذلك اننا نعرف جميعا ان الفلسفات الوجودية فيهـــا تيـــارات الحـــادية . ونعلم ان كتـــب الفلسفة الوجودية كانت تنشر وتروج فى مصر . ومع ذلك لم نسمع ان تلك الاوساط المعنية نادت بالويل والثبور وعظائم الامور ، ودعت الى الجهاد ضد الوجوديين . فاذا نهضت الآن لتفتعل حملة هوجاء ضد الماركسيين ، بدعوى مقـــاومة « الالحـــاد الماركسى » . فسوف نقول لهم : انه لما كانت هذه الدعاية الالحادية غير موجودة فلم نطلقون صيحة الحرب والنذال ؟

لكن قليلا من التأمل ، يرينا ان الامبرياليـــة الامريكية والقوى الرجعية التى تدور فى فلكها قد بدأت هذه « الحرب الدينية المزعومة » منـذ ان قررت مصر ان تسلك طريق التقدم الاجتماعى والاشـــتراكية . وان هذا الهجـــوم لم يتـــوقف قط ، وانه ظهر واشتد — بصور مختلفة — فى ايام الرئيس الراحل **جمال عبد الناصر** . وهـــذا ما دعا « الطليعة » الى ان توجه الى المؤتمـــر القومى العام للاتحاد الاشتراكى ما أســـئلته **« بدوسيه مفتوح الى المؤتمر القـــومى »** . وفى القسم الثالث من الدوسيه نقـــرأ فى الفصـــل الخاص **بالقيم الدينية والروحية** : [ونرجـــو ان نساءلن الاستاذ أحمـــد حسين ان نورد هـــذا الاقتباس المطول] :

« أن قضية تدعيم القيم الروحيـــة والخلقيـــة تطرح بالضرورة على المؤتمر أن يحسم المشكلة

التى تفعل افعالا لخلق حاجز بين الدين وبين الاشتراكية . وحتى تحبط كافة المحاولات الآتى لبذل لموضع الجمهرة الغفيرة من المتدينين بين اختيارين مزعومين : الدين أو الاشتراكية . مثل هذه المحاولة المفتعلة التى نضر فى رأينا ابلغ الضرر ، بمصالح جمهور المؤمنين ومصالح الثورة الاشتراكية على حد سواء .

ونقطة البدء ، هى أن نحدد بحسم الاهداف والأرض المشتركة للاديان وللنظام الاشتراكى .

والواقع ان الاديان والاشتراكية يهدفان الى اقامة عالم من الاخوة الانسانية تتآكد وتتعزز فيه صفة الانسان كانسان ، ويصبح فيه الانسان ارقى المخلوقات واجدرها بالتكريم والاهتمام .

« وتتفق الاديان مع الاشتراكية فى ان كل منها موقف نضالى محدد يرفض الخضوع والاذعان للظواهر والانظمة الاجتماعية التى حكم عليها التاريخ بالزوال ــ فالاسلام والاديان عموما فى نشأتها الاولى تحركات ثورية قاومت احتكار الاقوات ، وعارضت الرق ، ورفضت التمييز بين الناس على أساس اللون والجنس والطبقة ، وادانت وحرمت الربا باعتباره كسبا « لم يبذل فيه جهد ، وقدست العمل الشريف . واقامت على أساس هذا كله نظاما من العلاقات والقواعد الاخلاقية .

« ومن هنا لاخال الدين الا متفقا مع الاشتراكية، عندما تنظم وتقود الصراع ضد الاستعمار العالمى، وضد احتكاراته وضد نظرياته فى التفرقة العنصرية ، وحروبه ومخططاته ضد البلدان النامية ، وضد محاولاته لتسخير العلم والتكنولوجيا لمحق الحياة من على وجه الارض.

« فالموقف العملى ، والنضال المباشر ، من أجل صيانة السلم ، واستخدام العلم لمصلحة تقدم البشر ورفاهيتهم ، والكفاح ضد الفقر والتفرقة العنصرية ، وقبل كل شىء ضد الاستعمار والرأسمالية .. هذا النضال ، هو الموقف المشترك الذى ينبغى ان يلتزم به المتدين المخلص، والانسان الاشتراكى سواء بسواء . وهنا يتضح انه لا تناقض بين ان يكون الانسان متدينا وبين ان يكون اشتراكيا فى آن واحد . وليس هناك اى تناقض بين الدين وبين الاشتراكية عندما يدعوان الى ان يتحمل الانسان مسئوليات وواجبات اجتماعية واخلاقية محددة ، فى هذا العالم الأرضى بالذات . وقديما اوضح بعض المفكرين الاسلاميين انه لما كان الانسان متدينا بالطبع فان القيم الاخلاقية لا توجد الا فى المجتمع ، ولا يمكن ان يوجد سلوك اخلاقى خارج المجتمع .

« الا انه لا يخفى اى قوى دولية واجتماعية معينة ، حاولت ، وتحاول ان تستغل الدين ورجال الدين لتبقى هذا البلد أو ذاك فى فلك التبعية والاستعمار ، ولتبقى الطبقات الكادحة فى براثن الطبقة الاقطاعية والرأسمالية . وقد برهن التاريخ على ان المتدينين الثوريين قد رفضوا هذا الموقف . وعلى العكس ، وجدوا فى تعاليم الدين ما يحفزهم على ان يستندوا الى العاطفة الدينية التى تستحوذ على الجماهير ليعملوا على ايقاظ شعوبهم من سباتها ، ثم على حشدها ضد الغزاة والمستعمرين . وكان هذا بالاحرى تاريخ الاسلام فى عجر الحركة الوطنية التى ولدت فى القرن التاسع عشر . فبينما سعى الاستعمار عن طريق الارساليات الدينية الى تخدير الشعوب قامت العناصر الثورية فى البلدان العربية تحت لواء الدين ، بدور وطنى تحريرى ضد الاستعمار (الافغانى فى المشرق العربى ، وحركة العلماء بزعامة بن باديس فى الجزائر .. الخ) وكانت لمواقفهم آثار بعيدة المدى فى ايقاظ الشعور الوطنى والحفاظ على اللغة والتراث القومى » .

« فالقضية التى يجب ان تحسمها القيادات المستنيرة فى الاتحاد الاشتراكى هى انه اذا كان الاسلام قوة دافعة للتحرر الوطنى فى عجر الثورات الوطنية ، فانه لابد وان يكون ايضا قوة دافعة ومناصرة للتحرر الاجتماعى فى عصر انتصار الاشتراكية . وهذه الاجابة يجب ان تجد طريقها الى الدروس الدينية التى تلقى فى دور العلم ، بحيث ينتهى عزل التعاليم الدينية عن المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، بل وعن مشكلات الحياة اليومية التى نحياها » .

هذا بعض ما كتبته هيئة تحرير الطليعة عام ١٩٦٨ فى الدراسة المقدمة على صفحاتها الى المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى .

ومن هنا فنحن ندعو الاستاذ احمد حسين الى ان يشاركنا البحث عن هؤلاء الذين يحاولون ان يفتطوا معركة مستترين ومستخدمين الاديان والعقائد .

ثم نعقب على تساؤله عما اذا كان الماركسيون المصريون « يتحون كل ما يتعلق بالدين كنوع من التاكتيك » بعد ان « سلموا بان الدين لا يقاوم ». منتقول بالاضافة الى كلام الطليعة « عن القيم الدينية والروحية :

● ان الماركسيين المصريين يؤكدون بشكل مطلق على حرية الاعتقاد وممارسة الطقوس الدينية .

● ان الماركسيين المصريين يؤمنون ان غالبية المتدينين فى مصر وهم جمهرة الشعب المصرى وكتلته ، الغالبة ليسوا مجرد رفاق طريق لمهمة النضال من اجل الحرية والديموقراطية والاشتراكية . بل هى قوى استراتيجية فى هذا النضال .

قضية العنف والطبقية

يذكر الاستاذ **احمد حسين** فى رسالته ان « هناك خصومة اخرى للمصريين ، يجب ان يعرفها كل ماركسى ، اذا اراد ان يجد مستمعا بين جمهرة الشعب . فهذا الشعب يؤمن بحق كل انسان فى الحياة [لانه منحضر متدين] ولايسيغ مسائل الطبقية وحكاية تصفية الطبقات بالعنف. ان حياته تقوم على الحب والتسامح وتكره اى تعاليم تقوم على الحقد .. » .

والذى نحب ان نؤكد عليه هو ان الماركسية لايمكن ان تكون مجموعة من التعاليم تقوم على الحقد. هى رؤية علمية ، كما اسلفنا . وهى اذ تعلى من شأن الفكر ودوره فى احداث التغيير الاجتماعى ترى ان الفكر يصبح قوة مؤثرة وفعالة عندما تتبناه الجماهير . وفى هذه الحالة نحن لسنا بصدد خلق احتقاد بل بصدد خلق الوعى الثورى بشروط الحياة الاجتماعية . وهذا الوعى ينبو ويتكون فى الممارسات اليومية تحت تأثير الفكر الاشتراكى وذلك فى ظروف محددة تاريخيا . ولابد وان تستند دعاية الاشتراكيين الى تحليل دقيق وموضوعى وبعيد عن الانفعال للطبقات الاجتماعية وأدوارها ولحركتها ،ولعلاقات القوى فيما بينها .

فليست القضية عند الماركسيين هى تسعير الانفعالات والاحقاد لان هذا — فضلا عن انه يؤدى دائما الى طريق مسدود ، فان المبدأ فى الماركسية يظل — على الدوام — هو الحرص على ان تتعلم الجماهير من خبرتها العملية .ومن خلال هذه الخبرة ترفض هذا الشعار او ذاك ،وترفض هذه السياسة او تلك . والاطلة الحية لا تدخل تحت حصر . ففى الثلاثينات تصدعا الحزب الشيوعى فى ايطاليا الى اعتبار الاقطاعيين المعادين للاستعمار الفرنسى جزءا من الجبهة الوطنية، فادخلوهم فيها وابقوا على ممتلكاتهم ولم يصادروا غير ممتلكات المتعاونين مع الاعداء .

واما عن قضية العنف ،فان الكلام قد يطول حولها . ولكن المنطلقات الماركسية فى هذا معروفة . وهى ان الماركسيين يدعون وينضالون التحول السلمى للاشتراكية . فان الحرب الاهلية تكلف الجماهير الشعبية آلاما مبرحة وتشيع الفوضى وتدمر قدرا كبيرا من الثروات وادوات الانتاج التى يحتاج اليها النظام الثورى الجديد ليثبت اقدامه . ومع ذلك فالمسألة ليست مسألة نظرية مجردة . ويمكن ان نراجع تاريخ الثورات الاشتراكية من روسيا القيصرية الى الصين الى بلاد شرق اوروبا ، الى اليونان الى شيلى لنرى بوضوح ان الماركسيين ليبكتوا هم البادئين والمبادرين بالعنف . بل كانت القوى الرجعية المستندة الى قوى اجنبية وجيوش استعمارية . واذا كان الماركسيون فى تلك البلاد قد اضطروا احيانا للرد بالعنف فلم يكن الهدف تصفية الطبقات بالعنف ، اى التصفية البدنية لافراد هذه الطبقات ، بل استخدام جهاز أدولة لتصفية العلاقات الاجتماعية المتخلفة . ولكن ربما يسر الاستاذ **احمد حسين** ان يشار فى هذا المقام الى برامج بعض الاحزاب الماركسية [الشيوعية والعمالية] فى اوروبا فهنا سوف نجد ان تهديد الديموقراطية البرلمانية فى تلك البلاد انما يأتى — بالاساس — من اقصى اليمين الاجتماعى، بينما نرى ان الاحزاب الشيوعية فى ايطاليا وفرنسا ليست بعيدة عن ان تأتى الى الحكم عن طريق الانتخابات العامة .

اما فيما يتعلق « بالطبقية » التى يشير اليها الاستاذ احمد حسين فان هناك عددا من النقاط :

١ — يعترف **ماركس** نفسه بان الفضل فى اكتشاف وجود الطبقات فى المجتمع ، وفى اكتشاف صراعها فيما بينها لا يعود اليه بحال من الاحوال . وانما قام بهذا مؤرخون بورجوازيون فى فرنسا قبل ان يولد **ماركس** بحقبة طويلة . فالطبقات الاجتماعية والصراع الطبقى ليست اختراعا ماركسيا .

٢ — ان الماركسيين لايطرحون قضية الطبقات لمجرد اثارة الاحقاد ضدها . لكنهم يطرحونها فى اطار تاريخى محدد ومن منظور اجتماعى محدد . فاذا كان هدفهم بناء مجتمع اشتراكى يقوم على العلم والتكنولوجيا ، ويحقق تكافؤ الفرص لكل انسان ، ويؤمن وفرة حقيقية فى الانتاج، فانهم هذا المنظور — مثلا — يعالجون قضية الطبقة الاقطاعية ،اى من زاوية انها تكوين اجتماعى متخلف لا تؤدى سيطرته على المجتمع الا الى تكريس التخلف والجهل والمرض . وهكذا . . وفى مصر — مثلا — يطالب الماركسيون مع غيرهم من اليساريين بتصفية الانشطة الرأسمالية الطفيلية . وفى الوقت نفسه يطالبون بتقديم مساعدات للرأسمالية الوطنية المنتجة ، لعلمهم بانها تستطيع خلال مرحلة تاريخية بأكملها ان تساعد — تحت قيادة قطاع عام قوى ، وتخطيط مركزى — على زيادة الانتاج .

الاتحاد السوفيتى وطبيعة العلاقة

تضمنت رسالة الاستاذ **احمد حسين** عددا من النقاط عن الاتحاد السوفيتى يحدد فيها ، ما يجب ان تكون عليه العلاقة بين مصر وبين الاتحاد

السوفيتى ، ثم ما يترتب على ذلك من مواقف يقترح على المركسيين المصريين ان يأخذوا بها .

١ ـ « اول هذه الاقتراحات على الاطلاق ، هو عدم الخلط بين الاتحاد السوفيتى، كقوةعظمى فى العالم يجب ان نعمل حسابها دائما ، وبين المبادىء المركسية » . ثم يضيف :

« من هنا يجب ان يدرك كل شاب وطنى ان لا تلازم بين الصداقة السوفيتية وبين اعتناق الماركسية » .

٢ ـ « اذا كان الاتحاد السوفيتى قد اقتنع اخيرا بان روسيا كانت صفرا قبلثورة اكتوبر، وانها اصبحت بعد هذه الثورة ما هى » ثم يضيف : « فليس الاساتذ من يتصور ان روسيا كانت كما مهملا وان الشيوعية هى التى جعلت منها شيئا مذكورا » .

ثم نناقش **النقطة الاولى** ، وترانا نتفق على الفور مع الاستاذ **احمد حسين** عندما يقول انه يجب عدم الخلط بين الاتحاد السوفيتى ـ كقوة عظمى ـ فى العالم وبين المبادىء الماركسية . وانه لاتلازم بين الصداقةالسوفيتية وبين اعتناق المبادىء الماركسية . ان كل هذا صحيح :

١ ـ لان العلاقات بين الدول ذات النظم المختلفة فى عصرنا هذا تفرضها ضرورات موضوعية ، ولا تؤسس ـ ولا يمكن ان تؤسس على مجرد التقارب أو الوحدة فى الايديولوجية.

٢ ـ ان المبادىء الماركسية ليست احتكارا للاتحاد السوفيتى ، بل انها لم تكن روسية بحكم النشأة ، وان كانت قيادات الحزب الشيوعى السياسية قد اضافت اليها وطورتها وطبقتها على الظروف النوعية الخاصة التى كانت سائدة فى روسيا عند قيام ثورة اكتوبر .

٣ ـ ان النظام السوفيتى الوليد ، قد تمسك بحزم بالمبدأ اللينينى القائل بعدم تصدير الثورة ، وبامكان قيام الثورة الاشتراكية وتوطيدها ، ونجاحها فى بلد واحد ، وبذلك استبعد الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى كل الاتجاهات المغامرة التى كانت تزعم ان الثورة الاشتراكية الوليدة لا تستطيع ان تعيش الا اذا واكبتها ثورات بروليتارية اخرى فى الخارج .

٤ ـ لان هذا المبدأ ثبتت سلامته بكيفيةمطلقة. فبعد انتصار الشعوب السوفيتية على جيوش ١٦ دولة اجنبية حاولت ان تعيد النظام القديم ، هزمت الدول الامبريالية ان تجدمبررا تقنع به الرأى العام فى بلادها لتشن الحرب ضد الاتحاد السوفيتى يزعم انه يصدر الثورة الى الخارج .

٥ ـ لان السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتى تقوم ، منذ ثورة اكتوبر ، على مبادىء ثابتة ومستمدة من طبيعة النظام الاشتراكى السائد . ومن المعروف ـ كحقيقة علمية ـ ان السياسة الخارجية لبلد من البلاد هى امتداد لسياسته الداخلية . ومن هنا حكمت علاقة الاتحاد السوفيتى بالدول الاخرى ـ بما فى ذلك بلادنا ـ علاقات خارجية تقوم على التعايش السلمى ، والنضال ضد خطر الحرب النووية المعالية ، ومساندة قضايا التحرر الوطنى ، والسعى الى اقامة علاقات دولية متكافئة بين جميع الدول، على اساس المساواة والمنفعة المتبادلة ، وعدم التدخل فى الشئون الداخلية .

اذن ، فى علاقة مصر بالاتحاد السوفيتى ، لم يكن هناك تلازم بين الصداقة السوفيتية وبين اعتناق الماركسية. ولقدسبق **للطليعة** ان وضحت هذه القضية بمزيد من التفصيل ، اكثر من مرة. وهنا ارجو ان احيل الاستاذ **احمد حسين** الى عدد اكتوبر ١٩٧٣ من **الطليعة** ، فقد جاء فى مقال لكاتب هذه السطور تحت عنوان « **حوار مع ورقة المتغيرات** » [وكانت **الطليعة** قد بدأت نشرورقة الحوار التى طرحها الاتحاد الاشتراكى فى عددى سبتمبر واكتوبر ، ما يلى :

ان « القضية ، برمتها ، فيما يتعلق بالاساس الذى تستند اليه العلاقات المصرية السوفيتية يعود كما كان : قضية سعى مصر فى وجه القوى الامبريالية والاستعمار الجديد لبناء مجتمع صناعى ، زراعى ، عصرى ومتقدم » .

وفى موضع آخر ، يذكر المقال نفسه ان :

« من المتفق عليه ان قادة النظام جمال عبد الناصر وانور السادات لم ينطلقا فى بناء وتحديد العلاقة مع الاتحاد السوفيتى من منطلقات يسارية [أو ماركسية على وجه التحديد] بل حكمت مواقفهما منطلقات وطنية مستنيرة قومية وتقدمية » .

وربما اضفنا ، ان ما يجعل من الصداقة المصرية السوفيتية اساسا ثابتا فى الاستراتيجية المصرية هو ان كلا البلدين يلتقى مع الاخر حول مبادىء ثابتة فى مقدمتها النضال ضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد والصهيونية والتفرقة العنصرية ، ومن اجل السلم العالمى ، ثم العمل فى الداخل من اجل التقدم الاجتماعى، على اساس من التنمية المستقلة ورفع المستوى المادى والثقافى للشعب . والى بعض هذا اشار الرئيس **انور السادات** عندما استقبل وفد قيادات الشباب السوفيتى :

« وكما قلت فى مناسبات سابقة ، فان ظهور الكتلة الاشتراكية ، بعد الحرب العالمية الثانية، كان له اكبر الاثر فى حركات التحرر فى العالم الثالث » [الاهرام ١٨/١٢/٧٤] .

ولقد شاءت هذه المبادىء طريقها الى التطبيق الفعلى فى الحياة .

والامثلة هنا كثيرة للغاية . نكتفى بالاشارة الى وقوف الاتحاد السوفييتى الى جانب مصر قبل حرب السويس فى تسليحها على كسر السلاح . وتصديه — بالانذار — للعدوان الثلاثى عام ٥٦ ، ثم وقوفه الى جانب شعب مصر فى جهده البطولى لبناء وطنه اقتصاديا . وفى هذا المجال بالذات تقدم الاتحاد السوفييتى مساعداته لبناء عدد من الصناعات الثقيلة والهندسية وتوفير مصادر الطاقة . ولم يكن من الصدفة ان يقوم السد العالى ومجمع الحديد والصلب ومشروع الالومنيوم والترسانة البحرية بمعزل عن دول الغرب الصناعية ، رغم ان مصر لم تقصر فى التوجه الى هذه الدول بطلب المعونة من اجل تصنيع البلاد . وربما نكتفى فى هذا الصدد بالاحالة الى خطاب **الرئيس السادات** عام ١٩٧١ عندما عقد المقارنة بين موقف امريكا وبين موقف الاتحاد السوفييتى من مصر ، فأوضح ان امريكا لم تقدم لنا مصنعا واحدا بينما ان يكون له وزنه فى بناء اقتصاد وطنى مستقل . وعلى العكس من ذلك كان موقف الاتحاد السوفييتى ، الذى لم يقتصر تعاونه معنا على المجالات العسكرية ، بل لقد تعاون اكثر فى مجال صناعات حيوية ورئيسية، فى بناء عشرات المصانع وفى تقديم الخبرة الفنية. ثم انه لكل هذا ، ولغيره لم يكن من قبيل الصدفة ان تصبح الصداقة مع الاتحاد السوفييتى احد الابعاد الاستراتيجية الثلاثة لتحرير الارض ، الامر الذى ذكره **الرئيس السادات** فى يوليو ١٩٧٣ ، عندما حدد ان مصر تتحرك الى تحرير الارض على ثلاث محاور :

١ — القوة الذاتية المصرية .
٢ — الامكانات والدعم العربى .
٣ — الدعم السوفيتى .

وربما كان من المفيد ان نختم هذه النقطة بالاشارة الى انه حتى فى البلدان التى تحكمها احزاب ماركسية ، وماركسية لينينية ، والتى تربطها احلاف عسكرية مع الاتحاد السوفييتى ، لم يكن واردا فى تلك البلاد نقل شكل الدولة السوفييتية وتنظيمها الاقتصادى . وفى هذا يذكر الزعيم الالمانى الراحل فالتر اولبرشت ان الحزب الشيوعى الالمانى اعلن :

« فى ندائه الذى اصدره فى شهر مايو ١٩٤٥ ، بانه لا ينوى نقل النظام السوفيتى أو تطبيقه فى المانيا [٢] **»**

ثم ننتقل الى النقطة الثانية فى حديث الاستاذ **أحمد حسين** من الاتحاد السوفييتى ، ولخصها انه اذا كان الاتحاد السوفييتى **قد اقتنع أخيرا بان ما يحقق مصلحته هو ان يساند القضية العربية ، فليس عندنا نحن المصريين الا ان نقول له أهلا وسهلا بكل من يعاوننا .**

والحقيقة ان موقف الاتحاد السوفييتى من القضية العربية ليس مجرد قضية اقتناع لاحق ، لانه اذا وضعنا المسألة على مستوى « الاقتناع » فاننا بذلك نعيد طرحها على المستوى الايديولوجى .. ولكن لا بأس أن نفعل ، لان هذا يؤصل طبيعة العلاقة ، ويحدد ابعادها . وهنا نجد ان ما يقتنع به الاتحاد السوفييتى انطلاقا من ايديولوجيته الماركسية اللينينية ، ومن نظامه الاشتراكى هو :

١ — أن الامبريالية تظل على الدوام القوة الرئيسية التى تعادى النظام الاشتراكى ، ومن ثم فلا مهادنة فى مقاومتها . والتعايش السلمى لا يعنى بحال التراجع فى ممارسة المخططات الامبريالية والتصدى لاحباطها بالتاكتيكات ، واشكال الصراع واساليبه التى تتفق مع علاقات القوى السائدة فى هذا الظرف او ذاك .

٢ — ان مصدرا هاما من مصادر القوة التى يتمتع بها الاتحاد السوفييتى والبلاد الاشتراكية على الصعيد الدولى ، هو تحالفها الموضوعى ، وتعاونها مع بلدان حركة التحرر الوطنى ، ومع كل القوى المعادية للامبريالية ، فهذا احد الاركان الاساسية فى النظرية الماركسية اللينينية التى تعتبر ان الحركة الوطنية المعادية للامبريالية هى جزء لايتجزأ من حركة الثورة العالمية التى تضم الثورة الاشتراكية وحركة الطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية . وترتب النظرية على هذا واجبات قبل الدولة السوفيتية نحو بلدان حركة التحرر الوطنى ، وعلى عاتقها ان تقدم لها التأييد والمساعدات المادية فى نضالها ضد الاستعمار العالمى ، ومن أجل القضاء على التخلف . وترى النظرية التى يعتنقها الاتحاد السوفييتى فى هذا المجال — وهذا ما أكدته وقائع الحياة — ان الاتحاد السوفييتى اذ يساعد **حركة التحرر الوطنى انما يساعد نفسه ، ويدعم مواقعه ضد**

[٢] فالتر اولبرشت : : حول قضايا البناء الاشتراكى فى جمهورية المانيا الديمقراطية .

العدو الرئيسي للامبريالية العالمية ، فهل ايضا يلتقي الموقف المبدئي مع المصلحة العملية .

ولما كان من المعروف ان علاقات الاتحاد السوفيتي الاقتصادية بالبلدان النامية تختلف عن علاقات تلك البلاد بالبلدان الرأسمالية المتطورة ، فلا توجد للاتحاد السوفييتي احتكارات تنهب الثروات القومية والمواد الاولية او رؤوس اموال تستغل قوة العمل في المصانع والمؤسسات [لان هذا مما يتعارض مع طبيعة النظام الداخلي للاتاد السوفيتي وهو النظام الاشتراكي] .. نقول ان هذا يعني ان العلاقات بين مصر وبين مختلف الدول يجب ان تستند ، لا الى الاراء المسبقة ، ولا الاوهام الشائعة ، وانما الى حسابات دقيقة تدخل ، في الاعتبار ، المعرفة المجردة بطبيعة النظام الداخلي لكل دولة نتعاون معها ، وعندئذ نستطيع ان نقول : ان هذه الدولة صديق مؤكد ، وتلك حليف محتمل ، وثالثة يمكن ان تحيد ، ورابعة لابد وان تقف في صف الاعداء ، على الجانب الاخر من الخندق .

الاتحاد السوفيتي وروسيا القيصرية

يذكر **الاستاذ احمد حسين** ، انه من الخطأ القول بأن روسيا كانت صفرا قبل ثورة اكتوبر ، وانها اصبحت مائة بعد هذه الثورة .. ويدلل على ذلك بأن روسيا هي التي هزمت نابليون بعد أن ركعت أوربا أمامه ، ونتفق مع الاستاذ احمد حسين على انه من الخطأ — في منهج التفكير ابتداء — ان يقال عند المقارنة بين مهدين مرأ على بلد من البلاد ان العهد السابق كان صفرا ، وان اللاحق كان مائة ، لان السؤال هو صفر في ماذا ؟ .. ومائة في ماذا ؟ .. وتاريخ الشعوب والدول أعقد من ان يرد الى نسبية مئوية عند المقارنة بين ماض وبين حاضر .

لكن القضية الاساسية التي يبدو ان عليها خلافا ، هي تقييم اثر ثورة اكتوبر على دور ومكانة الاتحاد السوفييتي ، لاننا في الواقع بازاء وضعين بينهما اختلاف نوعي تام .

وفيما يلي بعض الامثلة :

— قبل ثورة اكتوبر كانت هناك دولة هي روسيا القيصرية ، تحكمها طبقة اقطاعية عسكرية

وبعد ثورة اكتوبر ، هناك دولة هي اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، السلطة فيها للطبقة العاملة . في الدولة الاولى كانت الوظائف مقصورة على ابناء القومية الروسية ، ولم يكن مسموحا لابناء أية قومية من القوميات التي ترزح على المانة بأن يستخدموا لغتهم الام . وبعد ثورة اكتوبر ، نشأت جمهوريات قومية بعثت لغتها وثقافتها وكونت جمهورياتها القومية الداخلة في الاتحاد .

— وقبل ثورة اكتوبر ، كانت روسيا القيصرية عضوا في عائلة الدول الامبريالية الكبرى ، لكنها كانت « القريب الفقير » والمهان في هذه العائلة . كانت أكثرها تخلفا من الناحية الاقتصادية ، واطلها تطورا في الناحية الصناعية ، بل كانت شبه مستعمرة اذا وضعنا في الاعتبار ان الصناعات التي قامت فيها كانت لرؤوس الاموال الاجنبية الغربية . وبعد ثورة اكتوبر ، نشأت أوضاع نوعية جديدة مكنت الاتحاد السوفيتي من أن يصبح — بمقاييس القوة الاقتصادية — الدولة الثانية بعد أمريكا . وقد قطع هذا الشوط في أكثر من نصف قرن بقليل ، بينما وصلت امريكا الى ما وصلت اليه في حوالي ٢٠٠ عام . ومع ذلك ، يضع الاتحاد السوفيتي — كهدف — اللحاق بأمريكا والتفوق عليها في السنوات القليلة القادمة [١٩٨٠] .

— قبل ثورة اكتوبر ، كانت روسيا القيصرية بلد المجاعات والاوبئة التي تفتك بالملايين ، والامية المتفشية ، وبعد ثورة اكتوبر اختفت المجاعات الى الابد ، وقضي على الاوبئة وصفيت الامية ، ونهض البحث العلمي فيها نهوضا جبارا حتى انه يوجد في الاتحاد السوفيتي من العلماء والباحثين ربع عددهم في العالم تقريبا .

— قبل ثورة اكتوبر ، كانت روسيا القيصرية تتعاون مع الدول الامبريالية الاخرى على تقسيم الدول الصغيرة في اوربا وآسيا ، وتعقد معها المعاهدات السرية ، وتفرض الامتيازات على البلدان المتخلفة . وبعد ثورة اكتوبر ، صفي النظام الامبريالي الرأسمالي في سدس الكرة الارضية ، وقامت دولة تنتهج سياسة خارجية تعارض بالكامل السياسة القديمة ، وتعمل على مقاومة الامبريالية والتحالف مع حركات التحرر في البلدان التابعة والمستعمرة .

ويمكننا ان نمضي الى ما لا نهاية في سرد الوقائع التي تدلل على ان الخلاف بين روسيا القيصرية وبين الاتحاد السوفييتي خلاف كيفي من جميع الوجوه ، وعلى كل مستوى من المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

اما استشهاد الاستاذ احمد حسين في التدليل على قوة روسيا القيصرية بالهزيمة التي انزلتها **بنابليون** ، وبدورها المؤثر في **مؤتمر فيينا** ، فيمكن

ان نقول ان هذا لا يصلح دليلا على الاطلاق ؛ لان امامنا الامثلة التاريخية التالية :

ـ ان مصر هزمت انجلترا ـ سيدة البحار ـ فى رشيد ، ولم تكن مصر اذ ذاك دولة مظمى باى مقياس .

ـ ان ايطاليا هزمت ايطاليا ـ وهى دولة اوربية امبريالية ـ فى عام ١٨٨٧ ، ثم هزمتها مرة أخرى هزيمة منكرة عام ١٨٩٦ .

ـ ان قبائل البلانو والعرب الذين استوطنوا اوغندا وتنجانيقا تحالفوا فى عام ١٨٨٨ ضد الغزو الالمانى لبلادهم ، واستطاعوا ، تحت قيادة القائد العربى بوشير ، ان يطردوا الالمان المستعمرين عدة شهور . وكانت المانيا فى منفوان القوة الاستعمارية والعسكرية .

واذا كان الاستاذ احمد حسين يدعو الى ان نتعامل مع روسيا باعتبارها قوة مظمى ، يجب ان نحسب لها حسابا ـ ونحن نوافقه على هذا ـ فان الامثلة التى ذكرناها تحتم ان نلجأ الى منهج آخر فى دراسة الدول التى نتعامل معها . لكن ، لن يكون هذا المنهج هو منهج المقارنات العامة والشكلية بين عهد تاريخى معين وبين عهد آخر . وفى حالة الاتحاد السوفييتى يجب ان تكون نقطة الانطلاق ثورة اكتوبر الاشتراكية . ولعله من المهم هنا ان نقول ان اكبر الدول الامبريالية وهى الولايات المتحدة ، تعالج هذه القضية بمنهجين :

ـ منهج هدفه تصدير الدعايات المضادة للاتحاد السوفييتى . وهذا تستخدم كل اساليب الحرب النفسية التى تقوم على تحوير الحقائق واجتزائها ... الخ .

ـ ومنهج آخر ، لا تستطيع ان تستغنى عنه الدوائر الحاكمة ، وهو الدراسة الجادة لما يجرى فى الاتحاد السوفييتى . ولهذا لا نستغرب ان تكون هناك فى أمريكا مراكز بحث وخبراء فى دراسة الماركسية اللينينية ، بل ان تتم ترجمات كاملة لما يصدر فى الاتحاد السوفييتى من دراسات فى مجالات الفلسفة والاجتماع وعلم النفس ... الخ .

ونعتقد ـ لمصلحة مصر ـ ان الروح العلمية تتطلب ان نأخذ بمنهج الدراسة الموضوعية والجادة .

فلنتنافس فى حب مصر

واخيرا ، فانى استأذن الاستاذ احمد حسين ، فى أن يكون ختام هذا المقال الى الجميع الى كل مصرى مخلص لوطنه ، بسار بأمته وشعبه ... مستقبل :

لتكن المنافسة بين ابناء مصر على حب مصر ورقيها .

ونعتقد ان هذا الحب ليس مجرد موقف عاطفى .. فسيكون اضعف الايمان اذا وقف حب الوطن عند حدود العاطفة والشعور ، ولم يتحول الى طاقة عمل حقيقية ، والى موقف عقلانى يستطيع ـ على ارضية من الاحلام المشروعة ـ ان يرسم صورة طموحة وواقعية لما يجب ان تكون عليه مصر فى السنوات القادمة ، وللمهام المطروحة على ثوابها الوطنية والتقدمية .

وعلى سبيل المثال ، فان صورة الفلاح المصرى [ومصر فى الحقيقة هبة الفلاح الذى انتزع ارضها من براثن المستنقعات والصحراء] ، هذه الصورة ، لا يمكن ان تظل معلما من المعالم السياحية ، أو مصدر حنين رومانسى غامض ، يبعد الفلاح وقضاياه عن اطر الزمان والمكان ..

ذلك ان الوفاء لحضارة مصر ، والمحافظة عليها وبعثها ، لا يمكن ان تنسجم مع بقاء الريف المصرى مرتعا للفقر والتخلف والامية والامراض . ان هذه الحضارة يجب ان تكون ـ على الدوام ـ مجال دراسة متعمقة ومستمرة ، اذا اردنا لها ان تكون أحد المكونات الضرورية لاى تقدم او نهضة حديثة . لكن حضارة الماضى انما يتم الدفاع عنها بجدارة ، وتتألق بحق ، فقط عندما نخوض معارك المستقبل . هنا نضع بكل الحاح وتصميم قضية لحاق بلادنا بالثورة العلمية والتكنولوجية ، وليس متصورا ان تفعل بلادنا هذا الا فى اطار بناء دولة مستقلة ، ديموقراطية ومتقدمة ـ وبالتحديد ـ الا فى اطار الاشتراكية ، فهى التى ستؤمن لمصر تقدما سريعا فى مجالات العلم والتكنيك .

وعندما تتمكن بلادنا من ان تطور بمعدلات سريعة الصناعات الالكترونية ، والالات الحاسبة الاوتوماتيكية ، وتطوع الطاقة الذرية والشمسية وتصنع المحركات الصاروخية ، وتصنع آلات للتعليم الذاتى والترجمة ، وعندما تستغل بلادنا مياه البحر ، وتزرع الصحراء ، وتستغل الفضاء وتكون من رواد القمر ، وتقضى على الامية والامراض المتوطنة وتحل مشاكل سوء التغذية ... عندما تفعل مصر الاشتراكية هذا كله ؛ ستتألق حضارتها كما لم تتألق من قبل ، وتتأكد شخصيتها القومية والانسانية كما لم يحدث من قبل .. وسوف يبعث فلاحها وعاملها ومثقفها عمالقة كما لم يبعثوا من قبل .

ابراهيم يونس المحرر بالاخبار يكتب للطليعة عن عبد الناصر والاحزاب والمعارضة ، ملقيا وجهة نظره الخاصة فى هذا الموضوع

عبد النـــاصر والاحـــزاب المعارضـــة

ابراهيم يونس

قال الرئيس الراحل **جمال عبد الناصر** ؟ فى احدى اجتمـاعات الامانة العـامة للاتحـاد الاشتراكى فى بداية تكوينه ، وبعـد تجـارب التنظيمات السابقة الفاشلة والسـيد **حسـين الشافعى** ـ امين الاتحـاد فى ذلك الوقت ـ يعرض عليه ما وصل اليه التنظيم ، من أن عدد اعضائه اصبح ٦ ملايين تقريبا ، قال الرئيس : ما معناه ـ أريد حزبا سياسيا وليس تجميعـا عدديا .. اريد تنظيمـا له فاعلية ، وشكلا مـن مناضلين . من المناضلين بنوع زمـان الذين كانوا يضحون من أجل معتقداتهم وافكارهم ..

وقد سبق نشر هذا المحضر فى احدى المجلات التقدمية فى منتصف الستينات .

وكانت هذه رؤية الرئيس **عبد الناصر** ، بعد عدة تجارب فاشـلة فى التنظيمـات اليلامية السابقة .. انه لا يريد مجرد عدد كبير يفتقـد التنظيم فاعليته ..ولكنه يريد تنظيمـا محكما له فاعليته من مناضلين .. وسماه فى ذلك الوقت حزبا اشتراكيا .. لقد كان ذلك حلما من احلام عبد الناصر كما ورد فى كلامه ولكنه لم يتحقق..

وقد حال دون تحقيقه المعـارك الكبرى التى خاضها واهمها معركة ١٩٦٧ ، وما تبعها مـن هزيمة حصرت كل تفكير القائد فى ذلك الوقت فى اعادة بناء القوات المسلحة اداة التحـرير لتنقذ شرف الامة وشرف الثورة ..

ولم يكن بالطبع بين صفوف الاجهزة التى عمل معه من يريد تشكيل حزب له ايدولوجية ،ويضم بين صفوفه مناضلين ، يمكن ان يتـولوا رأيهم بصراحة حتى التنظيم الطليعى الذى كان يمكن أن يكون نواة حزب منظم متماسك ، والذى ضم اليه ـ فى بداية تكوينه ـ عنـاصر وطنيـة معروفة ، بنضالها وتاريخهـا الوطنى ، وكذلك منظمات الشباب ، الا أن الضربات المتاليـة لم تتجاوزهم من هذه الاجهزة فضلا عن الهـزات المستمرة مثل ما حدث للدكتور ابراهيم سعد الدين مدير المعهد الاشتراكى ولطفى الخـولى رئيس تحرير الطليعة وغيرهم من قادة تنظيمات الثورة وبعض الكتاب والشعراء وكلهم من المؤيدين لخط الثورة والمناضلين من أجل الاشتراكية ، حتى ان جريدة النهار اللبنانيـة نشرت فى ذلك الوقت بالمانشيتات العريضة ـ القبض على زعمـاء الاتحاد الاشتراكى .

لم يكن المطلوب اذن وجود حـزب او تنظيم متماسك من اصحاب الرأى ، لان ذلك يمكن أن يؤدى الى كشف تلك الاجهـزة والوقوف فى مواجهتها .. ناهيك عن فصل الصحفيين بالجملة سواء فى الجمهورية او بالاخبار كما حدث عـام ١٩٦٥ .. فاصبحت الذيلية والتبعية هى شأن الوجود فى هذه التنظيمات .. لان معظم العناصر

الوطنية صاحبة الماضى اخرجت من هذه التنظيمات او ابعدت عنها ، او ابتعدت — من نفسها — خوفا من تسلط الاجهزة صاحبة القدرة على تحويل الاشتراكيين الى رجعيين ..

وهلم المعارضة

بقيت مشكلة الراى الاخر .. او الراى المخالف للراى الرسمى او لراى الدولة وقيادتها ..

وكثيرا ما كان يحلم الرئيس **عبد الناصر** بوجود نوع من المعارضة داخل النظام حتى يستطيع ان يكشف اخطاء السلطة وقال ذلك لكثير من القادة العرب الذى بقى فيهم ، ومن بينهم **كمال جنبلاط** الذى اعلن ذلك بنفسه .. بل اعلن فى اول دورة لمجلس الامة بعد النكسة — والالم يمزقه مما جرى — ان الناس متصورة انى استطيع ان افعل المعجزات وان ما اقوله ينفذ فورا .. ان هناك ظروفا وتعقيدات وتوازنات داخل السلطة تحول دون تنفيذ اشياء كثيرة ..

لقد كانت الاجهزة التى استشرت بشكل سرطانى تحول دون تنفيذ كثير من احلام الرئيس عبد الناصر باساليبها المختلفة .. حتى الميثاق نفسه لم ينج منهم ، وكذلك بيان ٣٠ مارس . لقد حاولوا قتلهما ومنع تنفيذهما ..

مثل القيادة الجماعية وحرية الراى وحرية الفكر وحرية الكلمة .. لقد شوهوا المبادىء العظيمة واخترعوا مؤامرات وهمية ليوقفوا تنفيذ الميثاق وبيان ٣٠ مارس .

كان الرئيس **عبد الناصر** يريد حزبا . وكان يريد معارضة وان لم يحدد شكلها .. ولكنهم حالوا وحالت المعارك الكبرى دون تحقيقها ..

منبر لجميع الافكار

وكان الكثير من المخلصين يريدون الاتحاد الاشتراكى منذ بداية تكوينه منبرا تتنفس فيه كل الافكار والاتجاهات حتى المخالفة .. وفى النور وليس فى الظلام .. وحتى لا يفكر احد فى الاعمال السرية .. وقد حاول ذلك كمال **رفعت** وهو امين للدعوة والفكر فى منتصف السبعينات وفتح قامة الشعب بالاتحاد الاشتراكى، لكى تكون منبرا حرا لكل المصريين من اصحاب الراى .. ونجحت التجربة واقبل عليها الالوف من القاهرة والاقاليم يناقشون ويتبادلون الراى فى جو من الحرية، ويخرج الجميع بعد ذلك بفكر موحد غالبا ما يكون هو فكر الثورة .. ولكن .... ولكن جاءت الجماهير مرة فوجدت القاعة مغلقة بالضبة والمفتاح والاجتماعات ممنوعة بامر **على صبرى** امين الاتحاد الاشتراكى فى ذلك الوقت ..

الديمقراطية عريقة فى مصر

ان الممارسة الديمقراطية والحياة الحزبية عريقة فى مصر مصاحبة للحركة الوطنية .. ولم تكن كلها شرا . بل كان فيها الكثير من الخير رغم محاولات الاستعمار المستمرة لافسادها ..

وقد ولدت الاحزاب الكبرى المؤثرة فى تاريخ مصر ونمت من خلال معارك وتضحيات كما اسلفنا وليست من الصالونات او الغرف المكيفة كما حدث فى لجنة الاستماع .. او اطارا جميلا للصورة كما ارادها بعض المفرنين الاثرياء من القشرة الفوقية للمجتمع .. ان الاحزاب فرضت نفسها ولم تستأذن ولم تصدر بقرار او بقانون .. ولو احس شعبنا العظيم انها فى حاجة الى الاحزاب هذه الايام لفرضها فرضا .

الاحـزاب والثـورة

بقى ، ان بعض هذه الاحزاب القديمة مهدت للثورة بنضاله وتعاون معها .. ومنعما عجزت تنظيمات الثورة على القيام بواجبها قال الرئيس **عبد الناصر** اريد حزبا اشتراكيا مناضلا .. كما قال فى مناسبة اخرى **لجنبلاط** اريد معارضة تنبه لاخطاء السلطة ، وذلك بعد ان عجزت بالطبع التنظيمات القائمة على استيعاب طاقات الامة .. طاقة ٣٠ مليونا فى ذلك الوقت واصبحت مصر اكبر بلاد العرب تنعم بفراغ سياسى ليس له مثيل ..

ليست جريمة

ليست الدعوة الى تشكيل الاحزاب جريمة .. والاحزاب امل من آمال الامة التى تريد ان تمارس حقها الديمقراطى فى الرقابة على اجهزة الدولة، وحقها السياسى فى التعبير عن نفسها بشكل منظم لحملة منجزاتها .. ولكن المشكلة كيف .. ومتى تنشأ الاحزاب السياسية وفى اى ظروف .. ؟؟

ان الاحزاب السياسية الكبرى والمؤثرة فى بلادها تنشأ كما قلنا من خلال ظروف موضوعية ، من خلال معارك كبرى وتضحيات وممارسات .. وتقدير التضحيات والتماسك بين اعضائها ووضوح فكرتها وظروف مجتمعها تعيش هذه الاحزاب والاحزاب لا تنشأ بقرار من السلطة .. وان حدثت فانها تموت فورا مثل حزب الشعب الذى الفه صدقى باشا وسقط معه واحزاب اخرى عربية كثيرة لها نفس الظروف..

والذين طرحوا فكرة الاحزاب فى مصر لم يبحثوا ولم يقدموا كيف تشكل هذه الاحزاب .. بل ان الفكرة ليست واضحة تماما فى اذهانهم.. ومعظمهم كان بعيدا عن الاحزاب اثناء وجودها باستثناء الكاتب ابراهيم البعثى والمحاميان على **الرجال ومحمد** الفتاح حسن .. وبعض الذين **طرحوا الفكر**كانوا يريدون الهدم اكثر مما يريدون البناء .. او طرحوها بهدف الانتقام .. معظم الذين يروجون للفكرة لم ولن ينضموا الى اى احزاب فى حالة تكوينها .. لانهم لا يبغون تقييد انفسهم بأى التزام .. والحزبية مهما قيل فيها التزام .. اى التزام ..

فالذين ساهموا فى هدم الاحزاب قديما واثاروا الغبار طوال حياتهم على حزب ثورة ١٩١٩ .. هزب الاغلبية الشعبية لصالح الملك والاستعمار لا يمكن للشعب ان يصدقهم اليوم وهم يروجون لعودة الاحزاب الذين كانوا اول من حمل المعول لهدمها ..

ولكنها موجة .. اراد وا ان يركبوها .. كما ركبوا كل موجة قبل ذلك .. وكما ركبوا موجة حل الاحزاب بالتحديد ويرروها وفلسفوها فى بداية الثورة ..

فضلا عن ارتباط هذه الموجة برغبة بعض رؤوس الاموال الاجنبية الواحدة فى نوع من الحماية لها والضمان فى شكل منابر سياسية يفضل ان تكون احزابا. او صحفا كبرى على الاقل وهذا ما يردد خارج بلادنا ..

كيف تنشأ الاحزاب ؟

فكيف تنشأ الاحزاب وفى مثل ظروفنا هذه..؟؟ اتصور ان الحزب فكرة يلتف حولها جماهير المؤمنين بها .. **وقد كنت حزبيا فى حزب طليعى ساهم فى التمهيد للثورة بكشف جرائم القصر والاستعمار والرجعية .. ومازلت اؤمن بدور الاحزاب الوطنية والتقدمية فى تدعيم المسيرة الاشتراكية ..**

وارى انه لابد من منابر تعبر الافكار فيها عن نفسها ، وتنمو وينمو مفهما اقتناع فئات من الجماهير بها .. وعندما تصبح هذه الافكار تيارات لها جماهيرها يمكن ان تفصح عن نفسها وتفرض وجودها كاحزاب لها فكر ولها جماهير..

وهذه مسألة تحتاج الى وقت ، والى معاناة والى تصارع افكار واساليب .. وقد تستمر اعواما تتبلور هذه الافكار والاساليب ، وتعلن عن نفسها فى تنظيمات محددة ..

ويمكن ان نقول ان فكرة تعدد المنابر والتيارات فى الاتحاد الاشتراكى يمكن ان يستفاد بها فى هذا الشأن حتى تنضج وتصبح مؤهلة لاعلان نفسها كاحزاب ..

ولكن اى احزاب يمكن ان تنمو فى مصر..؟؟ هذا هو جوهر القضية التى يشقى علينا منها الكثير من الاخوة العرب .. هل نعود الى الخلف .. ؟؟ ام نواصل مسيرتنا للامام للتقدم..؟؟

لا اتصور ان هناك قوة يمكن ان تعيدنا الى الوراء فى مصر .. ولا خوف على الاشتراكية بعد ان اصبحت فى يد العمال والفلاحين وابنائهم الضباط والجنود الذين عبروا الهزيمة والمستحيل واخوتهم المثقفين وابنائهم الطلاب الثوريين ..

لا توجد قوة تستطيع ان تعيد الارض للاقطاع بعد ان اصبحت فى يد الفلاح .. لا توجد قوة تستطيع ان تعيد المصانع للرأسماليين بعد ان اصبحت فى يد العمال .. وقد لخص هذه القضية العابد اثور الشماع عضو مجلس الشعب واحد قيادات الحركة العمالية وهو يدق بقبضة يده على المائدة فى لجنة الاستماع ، معلنا بأعلى صوته «اى ملايين العمال ، ثم يقول : « احنا بنوع المكن والانتاج » .

والحركة الفلاحية بتنظيماتها التعاونية فى مصر قوية والحمد لله . والحركة العمالية بتنظيماتها النقابية قوية والحمد لله .. وقد اعلنتا رأيهما فى شجاعة .. والحركة الطلابية وهى قوى اساسية من قوى الشباب قوية والحمد لله ، وكل هؤلاء من اخوة المثقفين وصغار الموظفين والضباط والجنود ، يشكلون القوى الاساسية لهذه الامة ..

فلا خوف على المنجزات الاشتراكية والتقدمية .. لا خوف على مكتسبات الثورة .. لا خوف من بعض الاصوات .. حتى لو كانت عالية ، لانها لا تمثل واقعا موجودا .. لا خوف من مفكرى الصالونات الذين ايدوا ضرب الحزبية ويريدون اليوم ان يركبوا موجة اعادتها .. الشعب يعرفهم ويعرف مواقفهم .. ويوما ما سيحاسبهم على مواقفهم المتناقضة ..

واذا وجد الخوف من هذه الاصوات ، فالاشتراكية أضعف من أن تعيش فى مصر .. وهى ليست كذلك والحمد لله .

فلا خوف على الاشتراكية من الدعوة الى قيام الاحزاب .. فالتيارات التى توجد من خلال المنابر ستكون فى نطاق الاشتراكية وداخل حدود فلسفة الثورة والميثاق وبقية المواثيق التقدمية .. وخير للاشتراكية أن تنمو فى ظل الديمقراطية والحرية فى مصر ، ليستطيع الشعب ان يحمى مسيرتها ، من ان تعيش فى الظلام ، حتى ينقض عليها مغامر فى أى رداء يحاول البطش بها .

بالحرية والديمقراطية ستحمى الجماهير مكاسبها ومنجزاتها ، وستبنى وطنا عظيما خربت الحرب جزءاً منه .. وكما كانت مصر قلعة الاشتراكية فى العالم العربى ، ستظل وستكون منارة الحرية وقاعدة الاشتراكية والنضال العربى للوحدة العربية على أسس ديمقراطية .

بقيت كلمة حول ارتباط الدعوة الى الاحزاب بالانتقاص من حقوق العمال والفلاحين .

لقد طرحت قضية الديمقراطية فى مصر ، وعودة الاحزاب فى أزمة مارس عام ١٩٥٤ بعد خلاف حدث بين أقطاب الثورة .

وارتفعت أصوات تطالب بعودة الثوار الى ثكناتهم والغاء قانون الاصلاح الزراعى وأى مكاسب شعبية .

وكان اجتماع نقابة المحامين أبرز تجسيد لذلك ، حيث قام محام يطالب بتقديم أعضاء مجلس الثورة الى محكمة الثورة ، ومحام آخر يطالب بالغاء الاصلاح الزراعى .

ونزل العمال الى الشارع يحمون الثورة .. وتراجعت الثورة فى قرارات ١٨ مارس و٢٤ مارس الديمقراطية .

وتأخرت قضية الديمقراطية عشرين عاما .

وما حدث فى لجنة الاستماع من بعض المثقفين ، من تعرضهم لحقوق العمال والفلاحين والكلمات الطائشة التى أثيرت ضد هذه الحقوق مثل ضرورة بحث حكاية الـ ٥٠ ٪ ، وكلمة هل يقود الاعمى البصير وغيرهما ، مما حرض العمال على الوقوف بصلابة خلف مكتسباتهم ورفض قضية الاحزاب ومطالبتهم بالتحالف أو الصراع الطبقى ، بما أوقف هذه الموجة من بعض المثقفين ركاب الموجات .. لقد أشعرنى هذا الموقف بأن بعض مثقفى مصر لم يستفيدوا من الدرس .. مما جرى فى أزمة مارس منذ عشرين عاما .. عشرون عاما لم يطوروا أساليبهم .. لقد أخذوا على العمال والفلاحين جدتهم فى التعبير ونسوا انهم هم الذين بدأوا بالهجوم رغم ثقافتهم ورفاهيتهم وأدبهم ونوعهم .. لم يفعلهم كل ذلك من أن يقولوا هل يقود الاعمى البصير .. ويقصدون بالاعمى جماهير العمال والفلاحين .

لقد أضاع هؤلاء المثقفون قضية الدعوة الى تشكيل الاحزاب ، لانهم أركبوها دعوة أخرى هى الانتقاص من حقوق العمال والفلاحين .. وهل يمكن أن تقوم أحزاب بغير عمال أو فلاحين .

كانت سقطة لهؤلاء المثقفين المنعزلين عن الشعب ، وعن جماهيره .. فسقطت دعوتهم بعد ان كشفوا عن نواياهم بأن الدعوة الى تشكيل الاحزاب كما طرحوها كانت حقا يراد به باطل .. هو الاعتداء على العمال والفلاحين ومكاسبهما .

قـــراءة
مســـتمرة
فى
الصفحات
الأولى مـن

... ويأتى عام ١٩٤٦ بأحداثه المثيرة .
مصر تتفجر ثورية ، وتنتفض ضد الاستعمار البريطانى ، والاحتـــلال وصـــنائعه ؛ وضد تسلل السيد الامريكى الجديد .
يأتى عام ١٩٤٦ ليجد الوطنيين والثوريين المصريين وقد انتظموا جميعا فى صفوف المعارضة ضد اعداء ثلاثة ...
ـ الحكم الملكى .
ـ الاحتلال وصنائعه من الخونة الذين يحاولون ان يكبلوا مصر بمعاهدة تخون المصالح الاساسية للوطن .
ـ الاستعمار الامريكى الزاحف ...

فماذا كانت تفعل « أخبار اليوم » فى ذلك الحين ؟

مرة أخرى .. لن نلجأ الى التخمين .. او الى مجرد الاقتباسات وانما بنصوص كاملة ، ذات طابع وثائقى . من فمهم ندينهم» .. وهم لا يزالون يركعون سجودا للملك الطاغية ويدعون مصر كلها للركوع معهم ..

وهم يروجون فى هستيرية واضحة للسيد الامريكى الجديد ويخلقون منه محورا لدمايتهم..

.. وهم يقفون وحدهم من اجماع مصر كلها .. مصر كلها ترفض معاهدة صدقى ـ بيفن .. وهم وحدهم يؤيدونها .

حسابو.. على الملك!

وبينما اضواء « المجد الباهرة » تسلط على الملك الطاغية والاستعمار الامريكى وصنائع الاحتلال الذين صاغوا معه وخضوعا له معاهدة حاولوا عبثا ازيكبلوا بها مصر.. بينما المسرح يزجى بغير حساب على عدو للشعب، فانهم يهاجمون الوطنيين والثوريين ويعرضون بهم . ولعل هذا طبيعى تماما .. فهو الوجه الاخر لنفس العملة .

● ونقدم مثالا واحدا من هذه الهجمات .. ضد الشباب الوطنى الذى اختار لنفسه طريق النضال ضد الاحتلال وضد صنائعه .. كيف هاجموه ..؟ كيف ادانوه مسبقا .. ؟ كيف ملأوا صفحات جريدتهم تهويلا .. وتشنيعا .. وهجوما على الناس لم يزالوا بين يدى النيابة .. تماما كما يفعلون اليوم ..

والمفاجاة الكبرى هى ضد من وجهت هذه الهجمة الشرسة .. ؟ ضد من بالذات .. ؟

والسؤال هو .. هل التاريخ يعيد نفسه .. ام ان ما نقدمه وما سنقدمه من وثائق ليست سوى مجرد ادلة .. وقرائن فى جريمة اكتشفتها اجهزة الامن بعد تسع سنوات من عام ١٩٤٦ .

ولنقلب معا .. صفحات من تاريخ لا يحتاج لاى تعليق .

مغزى انتصار الجمهوريين
أمريكا لا تؤيد الصهيونية بعد الآن

نيويورك — لمراسل « أخبار اليوم » الخاص :

بدأت أمريكا تستأنف حياتها العادية عقب الانقلاب السياسى الكبير الذى جاءت به أول معركة انتخابية دارت هنا فى فترة مابعد الحرب .

فقد هزم الحزب الديمقراطى — حزب الرئيس ترومان — أمام الجمهوريين ، ولقد السيطرة على مجلس النواب والشيوخ ، وأسفرت الانتخابات عن استفتاء عام لسياسة الرئيس ترومان الداخلية ، كما بينت ان الجمهوريين سيتغلبون على الرئيس ترومان ، او أى مرشح آخر من الحزب الديمقراطى فى انتخابات الرياسة القادمة فى عام ١٩٤٨ .

والآن ماهو مغزى انتصار الجمهوريين ؟ وماهى النتائج التى ستترتب عليه بالنسبة الى مصر والى سائر بلاد العالم . ؟ على الرغم من أن انتصار الجمهوريين يمثل فى الواقع انتصار القوى « المحافظة » الا انه يجب أن نذكر أن المعركة الانتخابية الاخيرة قد دارت حول خطوط السياسة الداخلية لا السياسة الدولية .

ولهذا لم تكن سياسة امريكا الخارجية وموقفها من هيئة الامم المتحدة ومعارضتها للتوسع والاستعمار محل اخذ ورد بين الفريقين اللذين خاضا غمار المعركة ...

وعلى المصريين وابناء بلاد الشرق الاوسط الاخرى الذين جزعوا بعض الشىء نتيجة للانباء القائلة بأن امريكا تؤيد رسميا هجرة عدد كبير من اليهود الى فلسطين ان يطمئنوا الى ان تلك الخطوة لن تتخذ قطعاً بغض النظر عن نتيجة الانتخابات الاخيرة فقد كان الغرض من تلك التصريحات المؤيدة للصهيونية هو مجرد ارضاء اولئك الناخبين الذين يناصرونها ، ويتفق الجميع هنا على أنه لا يوجد امريكى واحد مسئول يستطيع أن يقدم على اية خطوة قد تسىء الى الصداقة القائمة بين امريكا والدول العربية .... وخاصة ان معركة الانتخابات قد انتهت الان .

اخبار اليوم ٩ — ١١ — ١٩٤٦ — العدد ١٠٥.

الصحف الأمريكية تنصح مصر بعدم الالتجاء إلى مجلس الأمن

واشنطون ـ لمراسل « اخبار اليوم » الخاص :

نشرت جميع الصحف الامريكية تفاصيل الاتفاق الذى تم بين صدقى باشا والمستر بيفن ، وقالت ان مصر تقف اليوم حائرة بين طريقين : توقيع الاتفاق وما فيه من التزامات، وبين الالتجاء الى مجلس الأمن .

وقالت هذه الصحف ان الدوائر المطلعة فى واشنطون تعتقد ان الاتفاق الجديد هو نجاح لمصر . وان الالتجاء الى مجلس الامن للحصول على شروط أفضل هو مضيعة لوقت مصر ، ومضاعفة لمتاعبها وآلامها، وان الذى سيربح فى معركة هيئة الامم المتحدة هى بريطانيا لا مصر .

فان باب هيئة الامم المتحدة مفتوح على مصراعيه للامم الكبرى ، اما الامم الصغرى فلا تستطيع الدخول الا من سلم الخدم .

انه خير لمصر أن تواجه بيفن وحده من أن تواجه بيفن هذا وقد اختفى وراء هيئة الامم المتحدة يحركها كما يشاء .

[اخبار اليوم ٢٣/١١/١٩٤٦ ـ العدد ١٥٧]

(يحدث التطبيق الآن من الدستور والحريات العامة)

المسيح الذى صلبوه .. ثم بكوه !

جلالة الفاروق
يرسم بيده
خريطة مصر والسودان

اعتاد جلالة الفاروق فى سنى حداثته ان يهدى الى جلالة والده العظيم هدية فنى يوم عيد ميلاده .

وفى سنة ١٩٣٥ خطر لجلالة الفاروق ان تكون هديته لجلالة والده خريطة مصر والسودان تحت التاج المصرى .

وقبل ان يحل موعد عيد الملك الراحل الكبير بفترة كافية من الزمان عكف جلالة الفاروق على صنع هذه الخريطة من الجبس المجسم ولشد ما كانت تدهشة بعض المحيطين بالفاروق لما رأوه يتوسع فى الخريطة بحيث تشمل السودان . .

وأدرك جلالته مايدور فى أذهانهم فقال لهم « لقد ربينا على ذلك ... مصر مع السودان والسودان مع مصر » .

وفى يوم عيد مولد جلالة والده رفعها اليه مشفوعة بتهنئة ، واغتبط جلالة الملك فؤاد بالهدية اغتباطا عظيما ، واحتفظ بها فى جناحه الخاص بقصر القبة ، معتزا بشعور ولى عهده .

ومرت الايام ، وسافر الفاروق الى انجلترا ، ولم يلبث جلالة الملك فؤاد ان انتقل الى جوار ربه ، فعاد الفاروق الى مصر ، ولما دخل الجناح الخاص بالفقيد العظيم فى قصر القبة وجد لوحة تلك الخريطة فى طليعة مخلفات جلالته .

وفى السنة الماضية أهدى جلالة الفاروق هذه الخريطة الى الجمعية الجغرافية الملكية لتحتفظ بها كتذكار تاريخى .

ولم يذع يومئذ شىء عن هذه الهدية ، وعن قيمتها المعنوية والتاريخية مع أنها ذات شأن جليل ومغزى عظيم وقد قال جلالته وهو يأمر بارسالها الى الجمعية الجغرافية : « انى ارجو ان يوفقنى الله الى تحقيق ما تمثله هذه الخريطة .. تلك كانت أمنية جدنا محمد على الكبير وتلك كانت أمنية أحفاده من بعده .. وعلى هذا ربينا » .

[أخبار اليوم ١٩٤٦/١١/١٦ — العدد ١٠٦]

المعاهدة .. وتنابلة السلطان

الدكتور سعيد عبده

فى مصر طائفة من الناس يحلو لهم ان يذبوا على الجسور كالتنابلة فاذا رأوا فلاحا يزرع ويلهث من التعب ويفتصل بالعرق والتراب اخذوا يسخرون منه ، ويرجمونه بالحجر ، وقد يقضون عليه ، فاذا نبت الزرع وأينع قطفوا ثمره بلا حياء وأكلوه بشهية دون علم الفلاح الشهيد . ان مهزلة من مهازل هذه الطائفة يمثل فصلها الاول على مسرح السياسة المصرية هذه الايام . لقد كنا نعلم بجلاء الانجليز عن أرضنا منذ ٦٤ عاما وفى الواحد والعشرين عاما الاخيرة كان كل يوم يشل قطعة من نصفنا الاسفل فى السودان، وكل ليلة تجثث منه بعضه ، ولا نملك لهذه الاشلاء الممزقة من جسدنا غير الدمع والانين .

وفى سبيل الجلاء وفى سبيل السودان اكلنا الحصرم وشربنا الدم وقربنا القرابين اغنانا المال واغلانا الروح .

وجاء صدقى باشا فى فراش المرض والشيخوخة ، فاستطاع ان يحقق لنا الحلم ـ كله أو جله ـ وهو لا يدرى أن كان يموت دونه او يعيش حتى يراه .. جاءنا بمعاهدة تكفل لنا الجلاء وتعيد الينا وحدة الوادى تحت تاج الفاروق ، وتضم الاشلاء المبتورة الى الجسد المصدوع.وجاء صدقى باشا بكل هذا فوقفت طائفة التنابلة على حافة الحقل ـ ومنهم من كان يرقص فى الشوارع فرحا بمعاهدة سنة ١٩٣٦ ـ وقفوا يقصفونه بالحجارة ، ويحاربونه بفلسفة النصوص ، ويطلبون من مصر ان ترفض ما اتى به صدقى باشا وترفع شكواها الى هيئة الامم المتحدة أى أن تطلق عصفورا بيدها لتمسك عشرة عصافير وهمية على شجرة مجلس الامن .

يقول التنابلة من يضمن لنا جلاء الانجليز عن أرضنا فى الموعد الذى قررته المعاهدة للجلاء ؟

يقولون ان مجلس الدفاع المشترك ـ المجلس الإستشارى المؤلف من انجليز ومصريين ـ ستكون الكلمة فيه حتما للانجليز فأما من الجلاء فان مجلس الامن الذى اصبح فى رأيهم منبر الحرية بين ام وليلة سيكون الضامن لتنفيذ ما يعقد بين أعضائه بعضهم

مصرع أمين عثمان باشا

لندن ـ لمراسل «أخبار اليوم» :

قبل الراى العام الانجليزى مصرع امين عثمان باشا بالاسف والاستنكار ومامن شىء ينكره الرجل الانجليزى وياباه مثل استخدام العنف والالتجاء الى الجريمة ، بسبب الخصومة السياسية ، وقد كانت هذه الجرائم السياسية معروفة فى انجلترا منذ ثلاثمائة سنة أى قبل ان يبلغ الشعب درجة النضوج السياسى ، أما الان فان الخصومة السياسية لا يصح أن تتحول الى عداوة شخصية ، بل يجب أن تظل محصورة فى نطاق البرلمان ، والصحافة .

ومما جعل اغتيال امين باشا عثمان صدمة مفجئة اليمة ، انه وقع بعد قليل من زيارته للندن فى حفلة مشروع العلمين ، حيثكان بانيا له من المكانة فى الاوساط الانجليزية الكبرى .

أخبار اليوم ـ ١٢ ـ ١ ـ ١٩٤٦ ـ العدد ٦٢

ويمضى من معاهدات . واذا لم ينصفنا مجلس الامن فى عصفور واحد ، فهو أحرى الا ينصفنا اليوم فى مسألة عشرة عصافير ».

وأما عن مجلس الدفاع فالويل لنا من هذه القطعات التى لا تزال تسرى فى عروقنا من دماء العبيد .

ان مركب النقص يلاحق هؤلاء التتابلة فيوهمهم ان المصريين جميعا مثلهم يجلسون مع الانجليز كما جلسوا هم يوما من الانجليز خشيا مستدة ، ودمى تتحرك اذا حركها صاحبها ، وتنطق بما يوحى اليها ، وتبكى أو تبتسم كلما أرادها على البكاء او الابتسام .

لماذا لا نحاول ان نداوى هذا المركب فى نفوسنا ونكون رجالا ونشعر بشعور الرجال ؟

ان المسائل ليسال هؤلاء التتابلة : هيوا رفضنا هذا الجلاء المعروض ، ولجأنا الى مجلس الامن فاخطأنا التوفيق فيه فماذا نحن فاعلون ؟

هنالك ينتفخون انتفـاخ الديوك الرومية ويقولون : يكون أمامنا الجهاد !

لقـد رأيت يوم الاثنين المـاضى انقـاض عربة ترام تعترض أمام كلية الطب ، ويتصاعد منها دخان أسود والسنة طويلة من اللهب البنفسجى ، ومع ان منظرها كان رائعا جدا ، وفاتنا جدا ، وجميلا جدا . فان تسعة اعشار الجمهور ، الذى مر من هذا الطريق ، والذى اضطره الحريق ان يعود الى البيت مشيا على الاقدام كانوا ينظرون الى هذا المنظر البهيج بعيون تفيض بالغضب والنقمة على هذا النوع الغريب من أنواع الجهاد .

دعونا نتحرر من نير الاحتلال باى ثمن ونستنشق نسيم الحرية بعيداً عن الاقفاص .. نحن نعزو كل ما نقاسيه من الشقاء والجهل والمرض والجوع والفسـاد الخلقى طـوال السنين عليها الماضية الى الاحتلال وفى يدنا الان أن نتخلص منه ونكون سادة انفسنا ، ونعلم جهالنـا ، ونغنى فقـراءنا ، ونداوى مرضانا دون حسيب ولا رقيب ، واذا اضعنا هذه الفرصـة لان الذبيحة ينقصها الكبد والطحال ، فقد تذهب الذبيحة كلها ، وقد نتعرض للموت من الجوع ، وهى صفقة لا يرضاها لنفسه الا سفيه .

اخبار اليوم — ٢٣ — ١١ — ١٩٤٦ — العدد ١٠٧]

أمـين عـثمـان

بقلم : عـلى أمـين

صاحب هذه الصورة — وهو موظف فى الحكومة — اقسم بشرفه أن يقتلك ، احترس منه فى كل مكان ! ..

كان ذلك فى نهاية ١٩٤٣ وكان معالى امين عثمان باشا ممسكا بهذه الورقة وبصورة شاب وسيم لما استدعانى الى مكتبه — وكنت مديرا لمكتبه — واطلعنى على الانذار الذى تلقاه من أمـره الامن العام ، بأن هناك مؤامرة بين عدد من الشبان ، وانهم اقسموا على قتل عدد من أصحاب المعالى الوزراء ، واختاروا لكل وزير شابا معينا .. وأن هذا الضابط بالذات هو الذى اقسم على قتل امين عثمان !

كان امين باشا ممسكا بصورة الشاب ، وقد ظهر على وجهه الاحتقان ، وبدا عليه الاضطراب .

وقال لى وهو يطلعنى على صورة الشاب

— تصور أن هذا الشاب الصغير قرر أن يقتلنى ، أنا لا أعرفه وهو لا يعرفنى .. لعله لم يقابلنى قبل الان ولم أتحدث اليه ومع ذلك اقسم أن يقتلنى .. ماذا فعلت ؟

ثم أشعل سيجارة وقال وهو لايزال ممسكا بالصورة :

— لقد اختاروا لكل وزير شابا يقتله .. وهذا هو الشاب الذى كنت قرعته .. أو كان هو من قرعتى !

فقلت له : لعلها مؤامرة ملفقة : ربما أراد أحدهم أن يشى بجماعة من الموظفين الشبان ، ناديهم عليهم التآمر ، ونسب اليهم الرغبة فى قتلك .. اذ ليس من المعقول أن شابا يريد أن يقتل وزيرا يقسم بشرفه على ذلك علنا !

(وقد اثبت التحقيق فيما بعد اننى كنت على حق فى تصويرى للحادث) ..

فقال أمين باشا :

— ظننت فى أول الامر أن الحكاية ملفقة وأعطيت الصورة للسكرتيرة لتحفظها ، ولكنى علمت من بعض المسئولين أن هناك مؤامرة

الأسبوع فى صور

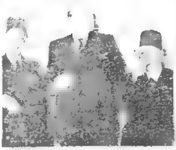

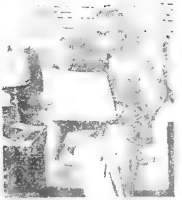

*** عطف الملك على الفنانين**

فى يوم الأحد الماضى ، [illegible]

فى مأدبة رئيس الوزراء للسفير

فى يوم الثلاثاء الماضى ، [illegible] رئيس الوزراء [illegible] السفير البريطانى [illegible] وزير المالية

صاحب المصرى فى نيويورك

الأستاذ محمود ابو الفتح صاحب جريدة « المصرى » فى [illegible] الأستاذ ابو الفتح [illegible] الامريكيين [illegible] وافتتاح مكتب لجريدته فى نيويورك

حقيقية لقتلنا جميعا ... وعند ذلك فقط وجدت نفسى أفكر فى الموت ... قبل الان كنت لا أهتم بالموت ، كنت أحسبه رحلة بسيطة بين الحياة والفناء !

كنت أخشى من الموت على أصدقائى وأحبائى ، ولكنى لم أخشه مطلقا على نفسى ، أما الان فقد بدأت أكره الموت ، وأحب الحياة ..

لو كان بينى وبين هذا الشاب صلة ، لرجوته أن يمهلنى خمسة أعوام أخرى ، حتى تكبر أبنتى ، وأحقق آمالى .

قلت له : أنا أعتقد أن كثيرين لا يقرونك على رأيك السياسى ! ولكن لا يمكن ان يصل الامر الى حد القتل ..

فقال : اننى لا أصدق ما يقوله بعض الذين حولى من انى معبود الجماهير ، فانا أعرف أن الرأى العام لا يحبنى ، ولكنى لا أهتم بذلك ، وهذا هو الخلاف الوحيد الذى ينشأ بينى وبين النحاس باشا ، فهو يقول ان الرأى العام هو الذى يعود به الى الحكم ، وأنا أقول ان الرأى العام المصرى يكتفى بالتصفيق له عندما يتولى الحكم .

قلت له : ان الرأى العام قوة لا يستهان بها ، قد تكون قوة غير ايجابية ولكنها قوة لا يجوز تجاهلها ، لقد درستك وانت تكسب الافراد ، فلماذا لا تحاول كسب الجماعات ؟ فاجاب :

— ان ارضاء الجماعات فن من الفنون ! انه يحتاج الى دراسة ومران وصبر ... واننى صبور مع الافراد ، ولكن افقد صبرى مع الجماعات ..

والواقع أن أمين باشا كان صبورا جدا مع الافراد ، ولكنه كان يفقد صبره اذا أحس أن كرامته قد مست .

ولقد حدث أن انعقدت اللجنة الاستشارية للشئون المالية فى مكتبى ، وكان بين أعضائها محمود شكرى باشا والابراشى باشا وعبود باشا وبعض أصحاب الملايين .

واقبل أمين باشا فوقف الجميع لتحيته ، ماعدا المستر باكستر الخبير المالى البريطانى الذى كان جالسا على حرف المائدة واكتفى بأن رفع اصبعه الى رأسه وظل فى مكانه !

وامتقع وجه أمين باشا واستدعانى الى جواره وأمرنى بطرد الخبير المالى من الاجتماع !

ولما روى لى الحادثة رجوته ارجاء هذا الاجراء الى ما بعد الجلسة ولكنه أصر وقال ان هذا التصرف اهانة وانه يجب أن يفهم

المستر باكستر أنه موظف مرؤوس لوزير المالية .

وتدخل أحد وكلاء الوزارات ، واقنعنا لمين باشا بعدم اثارة الحادث فى أثناء وجود الاعضاء .

واعتذر المستر باكستر على ما حدث ، وانتهى الحادث بسلام . ولكن حدث بعد ذلك أن انتقد الخبير الانجليزى فى مذكرة سياسة وزير المالية ، فغضب أمين باشا ، وطلب منى أن أعد ردا شديد اللهجة على الخبير ، فأعددت ردا حاولت فيه أن أفند اعتراضاته ، ولكن أمين عثمان قال : هذا رد ضعيف ، انتى نريد خطاب توبيخ لا خطاب غرام !

وكتب أمين باشا بخط يده خطابا شديد اللهجة ، أفهم فيه الخبير صراحة بأنه تعدى واجبات منصبه ، وان المطلوب منه هو بحث المسائل التى يحيلها عليه الوزير ، لا نقد اعمال الوزير المسئول .

ولم يكتف بذلك بل أمر باعداد مذكرة الى مجلس الوزراء بالغاء منصب الخبير البريطانى !

وتدخل اللورد كيلرن ، ولم ينته الحادث الا بعد أن اعتذر الخبير أمام عدد من المسئولين .

وكان رحمه الله يغضب لكرامة موظفيه كما يغضب لكرامته تماما ، وحدث أن أهان حمدى سيف النصر باشا — وزير الدفاع اذ ذاك — أحد صغار موظفى وزارة المالية ، فأمر أمين باشا الا يدخل وزير الدفاع وزارة المالية .. ولما حضر الى مكتبه منعه سكرتير أمين باشا من دخول مكتب زميله الوزير .

ولم أمين باشا باعادة جميع طلبات حمدى باشا اليه مشفوعة بخطاب شديد اللهجة .

وحدث أن سحب أحد الوزراء سكرتير أمين باشا لانه رفض ان يوصله تليفونيا بوزير المالية . ولما اشتكى السكرتير لوزير المالية ، لأنه لم يشتم الوزير ، وعاقب أمين باشا زميله الوزير بعدم محادثته تليفونيا أسبوعا كاملا ، لانه أهان أحد موظفى مكتبه .

وكان رحمه الله يعطف على المظلومين والمضطهدين وكان يقول لى :

— انتى جربت الظلم والاضطهاد فى بدء اشتغالى بالحكومة ولذلك لا أريد أن أرد عن بابى موظفا مضطهدا ! . وكان يدفع من جيبه — عن طريقى — عشرات الجنيهات شهريا ، وكان رحمه الله يوهم المحتاجين أن هذه المبالغ تدفع من خزانة وزارة المالية حتى لا يجرح شعورهم !

وحدث أن قرر لاحد زملائه فى المدرسة مرتبا قدره عشرة جنيهات ، وأوهمه انه وظفه فى الحكومة ، وكان لمين باشا يدفع المبلغ من جيبه الخاص .

وجاءنى الرجل ذات يوم يشكر ويحتج !

لماذا ؟

لاننى اصرف له عشرة جنيهات فقط ؟

وماذا تريد ؟

اعانة غلاء !

وتمالكت نفسى من الضحك ، وقلت له ان اعانة الغلاء لا تصرف الا بعد مرور سنة أشهر من بدء الخدمة ، واسمعنى قرار مجلس الوزراء فى هذا الشأن !

ثم حدث أن جاءنى بعد ذلك يطلب تطبيق قواعد الانصاف عليه !

ولما رويت الحادث لامين باشا ضحك وقال :

— لا مانع من تطبيق قواعد الانصاف ! احسبها وانا ادفع الفرق .

وفى يوم السبت الماضى مات امين عثمان صريع جريمة أنكرها خصومه ومحبوه ، وقد شيعه الى مرقده الاخير الذين خالفوه فى الرأى ، والذين ناصروه . فان امين عثمان السياسى كان موضع خلاف ، أما امين عثمان الصديق فلم يختلف عليه أحد ..

[أخبار اليوم ١٢ — ١ — ١٩٤٦ — العدد ٦٣]

فاروق .. يحب العاملين

كريم ثابت بك

من العيوب التي ورثها هذا الجيل من الاجيال السابقة ، لا فى مصر وحدها بل فى الشرق كله ، أن الرؤساء وأصحاب المناصب الكبيرة يحاولون فى معظم الاحيان ، أن لم يكن دائما ، أن يعزوا الى أنفسهم فخر كل عمل يذكر ، وأن يقصوا مساعديهم ومرءوسيهم الذين كدوا وعملوا بدلا من أن يظهروهم وينوهوا بجهودهم .

لهذا المرض النفسى يحارب جلالة الفاروق فى كل مناسبة ليرشد الرؤساء الى ما عليهم نحو معاونيهم ومساعديهم ، وليحيى جهود العاونين والمساعدين تشجيعا لهم وتمزيزا لروح النشاط والاجتهاد بين زملائهم وأقرانهم .

ومن ذلك ما لاحظه الذين تشرفوا بمرافقة جلالته فى زيارته لمصلحة التليفون — فقد كان اذا أراه جهازا « مصرته » المصلحة سأل عن الموظف الذى اشتغل وتعب الى أن نجح فى « تمصيره » فيناديه ويقدمونه لجلالته ليصافحه ويرفع اليه فى أن يبسط له تفاصيل الجهاز .

وكان اذا قالوا له « ان هذا نظام وضعه أحد موظفى المصلحة » سأل عن اسم هذا الموظف وطلب أن يراه ليسمع منه شرح العمل الذى عمله ، لا لان الرئيس لا يستطيع شرح هذا العمل بل لان جلالته يريد أن يبث هذه الروح ، روح الاعتراف لكل ذى مجهود .. بمجهوده .

وتجلى ذلك بأجلى مظاهره عند افتتاح جلالته لمعمل المحل واللقاح الكبير الذى انشأته وزارة الصحة فى « العجوزة » فجاء أكبر معمل من نوعه فى الشرق كله . فان جميع الذين تتبعوا سير العمل فى انشاء هذا المعمل يعلمون ما كان للدكتور على توفيق شوشة باشا وكيل الصحة والمدير العام الاسبق لمعامل الصحة من أثر عظيم فى تحقيق هذا المشروع واخراجه الى حيز الوجود ، ولم يكن ذلك مجهولا من جلالته فلما عرض عليه برنامج الزيارة أمر بأن يكون الدكتور شوشة باشا هو الذى يخطب بين يديه عند تشريفه سرادق الاحتفال ، فكانت لهفة لم يخف مغزاها على الذين عرفوا بها .

ولما طاف جلالته بارجاء المستشفى لم يترك للدكتور شوشة باشا أن يشرح له عمل كل قسم من أقسام المستشفى بل كان جلالته يسأل عن ذلك الطبيب المشرف على كل قسم ، فلما انتهت الزيارة تفضل جلالته فأبدى الفخر الذى أعد تخليدا لذكراها والتفت الى الدكتور شوشة وأعرب له عن سروره العظيم بكل ما رأى . ثم دخل جلالته قاعة المكتبة فى المستشفى حيث كان مقررا أن تقدم المرطبات . وكان كبار الحاضرين قد اجتمعوا فى هذه القاعة وفى مقدمتهم ممثلو الدول الاجنبية ، فالتفت جلالته الى الدكتور شوشة وقال له « مبروك ياباشا » .

ولا لذيع سرا اذا قلت أن الاطباء الحاضرين كانوا يتوقعون هذا الانعام فلما أبدى جلالة الملك دفتر الزيارة وهنأ الدكتور شوشة باشا بعمله بدون أن يقول له شيئا ظنوا أن لا انعام هناك ثم فوجئوا به فى قاعة المكتبة فأدركوا عندئذ أن جلالته أراد أن يجيء التقدير على مسمع من وزراء الدول وكبار الحاضرين .

وعلم جلالته بعد انصرافه أن والد الدكتور شوشة باشا كان موجودا فى الاحتفال فقال : لو عرفت ذلك لكنت طلبته وصافحته ..

وهكذا يريد جلالته أن يكون توزيع التقدير بين العاملين ، فينال الرؤساء ما يستحقونه وينال المساعدون والمرءوسين فى الوقت نفسه ما هم جديرون به .

ومما يذكره الذين شهدوا زيارة جلالته للمعرض الدائم الذى انشأته وزارة التجارة والصناعة للصناعات المصرية . الحديقة أن جلالته شاهد فى القسم الخاص بوزارة الزراعة رسوما أعجبته فسأل عن الموظف الذى رسمها فقيل انه غير موجود فسأل عن

اسمه فلم يعرف أحد من الحاضرين الاسم ، فأمر جلالته بأن يبحثوا له عن هذا الاسم وأن يرسلوه اليه فى القصر .

ولما وصل جلالته الى معروضات الاهلين فهم رجال وزارة التجارة انه يريد ان يترك للعارضين أن يتولوا بأنفسهم وصف معروضاتهم ، وكان جلالته يفضل العصاميين منهم بعطف خاص ويهنئهم بحبورهم تهنئة حارة .

وأتيح للذين رافقوا جلالته فى جولته أن يروا بعض مظاهر ما اشتهر به من قوة الملاحظة وحضاء الذاكرة . ومن ذلك انهم علقوا عند مدخل المعرض خارطة تبين المراكز الصناعية فى مصر ، وما كاد جلالته يلمحها حتى قال : « ان هذه الخارطة ناقصة ، فهناك مراكز صناعية غير مبينة فيها .

والقى بمنظرهم نظرة على تاريخ الخارطة فاذا بها قد صنعت للمعرض الصناعى الزراعى السابق ! ولم يكن أحد يتوقع أن يكتشف جلالته هذه الغلطة ، ثم ابتسم جلالته وقال : « ان الخارطة خالية من كل اشارة الى المصانع الجديدة التى انشئت فى شبرا .»

ويعرف جلالته أسماء الصناع الفائزين واحدا واحدا . ويعرف كثيرين منهم معرفة شخصية ، وليس أحب اليه من أن يشيد بمهارتهم وكفاءتهم .

ولا أعتقد أن فى مصر « داعية » للعمل المصرى أعظم من الملك فاروق . وكثيرا ما يطلع جلالته زائريه واخصائيه على مصنوعات دقيقة ناجحة وهو يقول لهم معتزا — لقد صنع هذا كله ايدٍ مصرية !

وجاءت الاستراحة التى بناها جلالته فى سفح الاهرام آية فى جمال الفناء والزخرفة والاثاث . ولما دخلها جلالة الملك عبد العزيز آل سعود والامراء أنجاله لم يتمالكوا من الاعراب عن اعجابهم الشديد بها فكان أول ما قاله لهم جلالته : ان كل شىء ترونه هنا صنعته يد مصرية !

وكانت جميع الهدايا التى أهداها جلالته للملك عبد العزيز من صنع صناع مصريين فجاءت شاهدا ناطقا بكفاءتهم ومهارتهم وكان الفاروق أول الفخورين بذلك .

أخبار اليوم ١٩٤٦/٢/٩ — العدد ٦٦

الموقف السياسى

حق الفقير

توجه جلالة الملك الى رياسة مجلس الوزراء يوم الاحد الماضى ، فجأة ، وعلى غير انتظار .. ورأس « المجلس الاعلى لمحاربة الجهل والمرض والفقر » ولما رحب به دولة رئيس الحكومة ، قال له جلالته : « لقد جئت اليوم لاطالب بحق الفقير فى حمايته من المرض والجوع .... »

وليست هذه أول مرة يطالب فيها الملك « بحق الفقير » ففى وزارة دولة حسين سرى باشا قصد جلالته الى رياسة مجلس الوزراء ، وكان المجلس منعقداً فطلب من الوزراء أن يتركوا المسائل المدرجة فى جدول الاعمال ويبحثوا معه فى توفير الغذاء والكساء للمرضى والفقراء ، وقال جلالته : أن كان الفقير فى حاجة الى واسطة فأنا واسطته ، وان كان فى حاجة الى محام فانا محاميه .

وقد قرن الفاروق هذا المثل السامى بالعمل السامى ، فامضى عيد ميلاده فى أعالى الصعيد ، بين ضحايا الملاريا ، كان يقدم اليهم الطعام والدواء واللباس بيده ، ويعدهم ، ويجلس اليهم ، ويستمع لشكواهم ، ويزيل أسباب الشكوى .

واليوم يقرن الفاروق عطفه على الفقير بالاصلاحات الاجتماعية التى نفذها فى مزارعه ، ويدعو الملاك الى الاقتداء به فى مزارعهم .

هذه العاطفة الانسانية العظيمة ، هى من تملق الشعب بمليكه الانسانى العظيم .

أخبار اليوم ١٩٤٦/٤/٦ — العدد ٧٤

«بيفن» و «صدقى» و «الأمريكان» .. وقضايا أخرى

يستطيع كل من يقرأ « أخبار اليوم » ـ التى نشرنا نص أهم مقالاتها ـ فى هذه الفترة (من أواخر ١٩٤٥ حتى آخر أبريل ١٩٤٦) ، ان يلمس بوضوح موقفها من قضايا ثلاث بارزة : القضية الوطنية ـ قضية المراى والحركة الشعبية ـ قضية الاستعمار الامريكى .

وبادىء ذى بدء ، يهمنا أن نرصد هنا ـ قبل الدخول فى معالجة « أخبار اليوم » للقضايا الثلاث ـ حقيقة هامة تتضح على الفور ومباشرة لكل من يقرأ بنفسه اعداد « اخبار اليوم » فى هذه الفترة . تلك هى حقيقة أن الصحيفة من حيث الشكل (التوضيب) لا تختلف كثيرا عن شكلها اليوم . نضيف الى ذلك أن « لغتها » لا تختلف أيضا عن لغتها اليوم فى تناول الموضوعات والقضايا . وتلك مسألة سيلاحظها القارىء بوضوح حتى من خلال قراءته للصفحات التى نقدمها اليوم ، حين تتحدث عن خصومها . وذلك يعنى ان الزعم بتطور الصحيفة وانها تنتقل بالصحافة المصرية من « الثورة الاولى » الى « ثورة ثانية » .. الخ ، زعم لا أساس له . بل العكس هو الصحيح اليوم . انها متمسكة بالماضى شكلا ولغة وأسلوبا . وهى بذلك تنتمى الى المجتمع القديم الذى انهار . وليتهم يدركون أن مجتمع الماضى لن يعود .

بعد هذه الملاحظة ـ الشكلية ـ ندخل الى الموضوع :

اولا ـ القضية الوطنية

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، كانت الحكومة القابضة على الحكم اذ ذاك ، هى حكومة السعديين والدستوريين ، حكومة الاحتكار والاقطاع ، وعلى رأسها المراى .

وكانت الحركة الوطنية المصرية تطالب بجلاء بريطانيا عن كل أراضى وادى النيل . وانتظر الشعب أن تصنع الحكومة شيئا ولكنها لم تصنع وازداد سخط الرأى العام وبدأ يطالب بعرض قضية مصر على مجلس الامن واخراجها من نطاق العلاقة الثنائية بين بريطانيا ومصر .

ولى مواجهة مطالب الحركة الوطنية ، كانت خطة ممثلى الاحتكار والاقطاع والرجعية المصرية ، تقوم على أساس التفاوض مع بريطانيا بعيدا عن المجتمع الدولى واجراء بعض تسويات . ولما فشلت المفاوضات على ايدى النقراشى ، استقدمت المراى اسماعيل صدقى . رئيس اتحاد الصناعات ، ليرأس الحكومة ، ويصل مع بريطانيا الى ما سمى وقتها بمعاهدة « صدقى ـ بيفن » التى تقضى بالجلاء عن بعض المدن فقط ، واقامة تحالف بريطانى مصرى . هذه المعاهدة التى رأت فيها « أخبار اليوم » ـ كما فى مقالها بعنوان المعاهدة .. وتنازلة السلطان ـ رأت فيها « الحلم » المصرى .. وانها « تكفل لنا الجلاء وتعيد الينا وحدة الوادى تحت تاج الفاروق » . وتعيب « أخبار اليوم » رفض الذين عارضوا صدقى « ووقفوا يقصفونه بالحجارة ويحاربونه بفلسفة النصوص » .

ومعروف أن الشعب المصرى قد رفض المعاهدة وأفشلها وأسقط بمها حكومة صدقى . واذا كان هذا دليلا أكيدا يوضح أين تقف « أخبار اليوم » من الشعب المصرى وارادته ، فان قراءة هذه الفترة أيضا فى صفحاتها تبين خلوها التام من نبض ما يجرى فى أعماق مصر وفى صدور الوطنيين من ابنائها . فعند وقوع « مذبحة كوبرى عباس » التى استشهد فيها خيرة من شباب مصر ، لا نجد لاخبار اليوم أى موقف ضد المذبحة . بل انها تردد كلمات « الدهماء » و « المندسين » .. الخ دون أن تدين الجريمة ضد الشعب . بل تفعل العكس باستخدام مثل هذه الكلمات .

وتقف أخبار اليوم موقفا واضحا برفض مطلب الحركة الوطنية من عرض قضية مصر على مجلس الامن . فتهاجم هذا المطلب مباشرة - مرة - وعلى لسان الصحافة الامريكية بشكل غير مباشر مرة أخرى . ونجدها فى موقفها هذا ، تتطابق مع موقف الصحف الامريكية . ومعروف هنا ان امريكا كانت تعارض مطلب عرض القضية على مجلس الامن خوفا من مناصرة الاتحاد السوفيتى وبولندا للقضية المصرية فى المجلس ، واثر ذلك على مخططها نحو المنطقة .

وترى « أخبار اليوم » ان من يعارض اتجاهها تسرى فى عروقه « دماء العبيد » و « دمى تتحرك اذا حركها صاحبها وتنطق بما يوحى اليها » الخ .. ودائما ترى « أخبار اليوم » أن الاختلاف معها يستند الى وحى من الخارج . وهى بذلك تنكر وطنية الشعب المصرى وتسب وطنيته وتنسبها لاخرين خارج الحدود .

وما هو منطق « أخبار اليوم » لاستقلال مصر ؟ انه شبيه بمنطق التجارة حين تقول « واذا أضعنا هذه الفرصة (اى المعاهدة) لان الذبيحة ينقصها الكبد والطحال ، فقد تذهب الذبيحة كلها » . انه منطق لا يحتاج الى أى تعليق لانه يدين نفسه بنفسه والنصوص نصوصهم والارشيف ملوء .

لقد كان مشروع معاهدة صدقى - بيفن ، التى كرست « أخبار اليوم » للدفاع عنه وتبريره ، كان اكثر الصيغ التى توصلت اليها الرجعية المصرية ملاءمة لمصالحها السياسية والاقتصادية . وكان فشل المشروع - تحت ضغط الحركة الوطنية ورفضها - حكما مبكرا بالفشل على اصحاب هذه الاتجاهات ومؤيديها ومؤقتهم من الامال الوطنية للشعب المصرى .

واستغلت « أخبار اليوم » عملية مقتل « الصديق » أمين عثمان - كما سماه الاستاذ على أمين فى مقاله - فرصة للتشهير بكثير من الوطنيين الذين لعبوا دورا بارزا فى الحركة الوطنية المصرية . وأمين عثمان هو أحد اعضاء وفد المفاوضات وقتها ومن ابرز أقطاب الرجعية المصرية ، ربما كان الاغتيال كأسلوب فى العمل الوطنى ، يلتى تحفظات كثيرة دائما تصل الى حد الرفض . لكن القضاء المصرى فرق بين تحفظاته على الاسلوب وبين وطنية الوطنيين . بينما كتبت عنهم « أخبار اليوم » لتقول ما قالته تحت صورهم التى نشرتها وزيلتها بصفات لا تزيد مجرد اعادة نشرها .

دائما « أخبار اليوم » وكلما كان الشارع المصرى يتفجر وطنية ضد الاستعمار ، تقف فى خندق آخر غير خندق الشعب . بل على الجانب الاخر من المتاريس .

قضية الراى والحركة الشعبية

خرجت مصر بعد الحرب الثانية ، تعانى وضعا متناقضا غريبا . فبينما ازدادت الثلة المالكة ثراء ، ازدادت الاغلبية الشعبية فقرا . فنتيجة لانقطاع الواردات بسبب الحرب ، نشأت صناعات جديدة ، وتوطدت صناعات كانت فى تدنى فبين الحرب . فارتفعت الارباح . الموزعة فى الشركات المساهمة فى مصر من ٥ر٧ مليون جنيه فى ١٩٤٢ الى نحو ٢٠ مليون جنيه عام ١٩٤٦ ذهبت أغلبها الى جيوب كبار الرأسماليين من أجانب ومصريين . كما ارتفعت أيجارات الاراضى الزراعيه من ٣٥ مليون جنيه عام ١٩٣٩ الى ٩٠ مليون جنيه عام ١٩٤٥ ذهب معظمها الى جيوب الاقطاعيين .

وعلى الجانب الاخر ، كان متوسط جر العامل الزراعى فى العام لا يزيد عن ١٤ جنيها وفق احصائيات ١٩٥٠ . ولو راعينا ارتفاع تكاليف المعيشه نجد الاجر الحقيقى لا يتجاوز ٣ جنيهات فى العام . وبمتوسط الاجر السنوى لعمال المدن وفق احصائيات ١٩٤٢ لا يزيد عن ٣٥ جنيها اى ٨ جنيهات أجر حقيقى فى العام الواحد . لماذا عرفنا ان مصلحة الاحصاء قد قدرت فى عام ١٩٤٢ أن ما يلزم لعامل زوجته واربعة أولاد لا يقل عن ٤٣٩ قرشا فى الشهر طعاما وكساء ، طبقا للاسعار الرسمية لا اسعار السوق السوداء التى كانت منتشرة وقتها . نقول أن ذلك يوضح ان الاحتياجيه الدنيا للفئات الشعبية كانت تعيش دون الحد الادنى للكفاف بمقدار النصف تقريبا . ولا شك ان حالة العمال الزراعيين كانت أسوأ من عمال المدن .

من هذا الواقع الاقتصادى ، نستطيع أن ندرك طبيعة المرحلة الجديدة للحركة الوطنية المصرية . اذ أنها لم تكن موجهة ضد الاستعمار فقط ، وانما موجهة ضد الاحتكار والاقطاع والسراى معا .

من هنا كان دور « أخبار اليوم » فى العمل على « تجميل » النظام والتحدث عن حب الملك للعاملين . وكرس كاتب الموقف السياسى (المقال السياسى المعبر عن رأى اخبار اليوم وكان يكتبه الاستاذ مصطفى امين ومازال يكتبه حتى اليوم) . كرس قلمه فى خدمة هذا الهدف . ومن أمثلة ما كتبه (ونشر نا فى هذا العدد) « حق الفقير » يزعم فيه أن « الفاروق » كان يطالب بحق الفقير ويقوم باصلاحات اجتماعية فى مزارعه و « يدعو الملاك الى الاقتداء فى مزارعهم » .

الى هذا الحد كانوا يذهبون ويتحدثون عن « سر تعلق الشعب بمليكه الانسانى العظيم » .

التفتيش .. وبيع الاحلام التى لا تتحقق ، كانت دائما بضاعتهم من أجل انقاذ النظام الذى كان يتصدع أمام تنامى الوعى الوطنى والاجتماعى فى مصر وقتها .

قضية الاستعمار الامريكى

خرجت الولايات المتحدة بعد الحرب الثانية ، أقوى دولة فى المعسكر الرأسمالى وزعيمته . وراحت تتلمس طريقها لان ترث مناطق نفوذ الاستعمار القديم . وكان الاعداد لدور أمريكا المرتقب ، يتطلب تمهيدا دعائيا . ولا يكاد أى عدد من « اخبار اليوم » وقتها ، يخلو من أخبار وتعليقات وقصص ومقالات عن أمريكا . بل خصصت « أخبار اليوم » ركنا شبه ثابت لعرض أقوال الصحف الامريكية بانتظام ، ورأى هذه الصحف فى مجريات السياسة فى مصر .

وبينما كانت بريطانيا قد رسمت خطتها فى ١٩٤٦ على أن تجعل قاعدتها العسكرية الرئيسية ، فى فلسطين وشرق الاردن اذا اضطرت الى الجلاء عن مصر ، اتجهت أمريكا الى تبنى الصهيونية لتكون فلسطين قاعدتها فى الشرق العربى . فضعف أمل بريطانيا فى البقاء فى فلسطين وزاد تمسكها بقاعدتها العسكرية فى مصر وأيدتها أمريكا .

فى هذا الوقت - وفى هذا الاطار - كتبت « أخبار اليوم » تطمئن الرأى العام الى أن نتائج الانتخابات الامريكية التى ادت الى فوز الجمهوريين ، وانهالن تؤدى الى احداث تغيير فى سياسة أمريكا الخارجية .

وما هى هذه السياسة الامريكية الخارجية ؟

تقول أخبار اليوم « لم تكن سياسة أمريكا الخارجية وموقفها من هيئة الامم المتحدة ومعارضتها للتوسع والاستعمار محل أخذ ورد بين الفريقين اللذين خاضا غمار المعركة .. » .

هكذا .. وفى سطور : أمريكا ضد التوسع وضد الاستعمار .

وبينما تتفاقم مخاوف الحركة الوطنية العربية من تطورات قضية فلسطين ، تخرج « أخبار اليوم » لتقول :

« وعلى المصريين وأبناء بلاد الشرق الاوسط الاخرى الذين جزعوا بعض الشىء نتيجة للانباء القائلة بأن أمريكا تؤيد رسميا هجرة عدد كبير من اليهود الى فلسطين ، أن يطمئنوا الى أن تلك الخطوة لن تتخذ قطعا .. » الى أن تقول « .. ويتفق الجميع على أنه لا يوجد امريكى واحد مسئول يستطيع أن يقدم على اية خطوة قد تسىء الى الصداقة القائمة بين أمريكا والدول العربية .. » .

ترى هل لاتزال « أخبار اليوم » عند نفس الرأى ؟

وهل كان شعبنا يرى نفس الرأى ؟ لا .. فقد كانت الحركة الوطنية المصرية وقتها تهتف وتعمل على اسقاط الاستعمار : بريطانيا كان أم أمريكيا .

.. والارشيف مليء بالملفات التى لم تفتح بعد .

« الطليعـــــة »

• جمهورية مصر العربية •

عدم جواز الجمع بين منصبي المدعي العام الاشتراكي ووزير العدل

قدم د. جمال العطيفي الى مجلس الشعب تقرير اللجنة التشريعية بشأن منصب المدعي العام الاشتراكي ومسئولياته ومقارير ، تناولت فيه ثلاث مسائل : الاولى تتعلق بمنصب المدعي العام الاشتراكي ومدى امكانية الجمع بين هذا المنصب وأى منصب وزارى آخر ، والثانية تتعلق بكيفية مساءلة المدعي العام الاشتراكي، والثالثة تتعلق بما أثير من نقاط دستورية وقانونية حول تقرير المدعي الاشتراكي عن الموت عياء القاهرة .

وقد توصلت اللجنة التشريعية فيما يتعلق بالمسألة الاولى الى انه لايوجد في النصوص الدستورية او القانونية المعمول بها مايحظر صراحة الجمع بين منصب وزير العدل ومهام المدعي العام الاشتراكي ، كما لم يرد بتلك النصوص ما يبيح صراحة ذلك الجمع ، ومن ثم يصبح الامر تقديريا للمشرع وذلك لمتطلبات المصلحة العامة ، كذلك فان الدولة قد التزمت ببدأ الفصل بين السلطتين منذ اول تعيين للمدعي العام في يونيو عام ١٩٧١ ، حتى صدور القرار الجمهوري رقم ٦١٣ لسنة ١٩٧٤ في ابريل سنة ١٩٧٤ باسناد مهام المدعي العام الاشتراكي الى الدكتور « مصطفى ابو زيد فهمي » بعد تعيينه وزيرا للعدل . كما توصلت اللجنة ايضا الى ان الدولة لم تتبن مبدأ الجمع بين المنصبين ، اذ انها باصدارها قرارا مستقلا باسناد مهام المدعي العام الاشتراكي الى الدكتور مصطفى ابو زيد فهمي ، بعد أن عين وزيرا للعدل في ابريل سنة ١٩٧٤ ، وبعد ان اعيد تعيينه في اكتوبر سنة ١٩٧٤ ، تكون قد اقصحت عن ارادتها في عدم الجمع وتبنى مبدأ الاسناد المؤقت .

وقد توصلت اللجنة في النهاية ، وفيما يتعلق بالمسألة الاولى الى ان الصورة التي يمكن أن يؤدي بها المدعي العام الاشتراكي وظيفته الرقابية بما يحقق غايات الدستور ، تستوجب أن يتضمن القانون الخاص بنظام المدعي العام الاشتراكي ، النص على عدم جواز الجمع بين المنصبين وان يعمل بصدور هذا القانون .

أما فيما يتعلق بالمسألة الثانية وهي كيفية مساءلة المدعي العام الاشتراكي ، فقد خلصت اللجنة التشريعية الى أن المدعي العام الاشتراكي بوضعه الحالي ليس جهازا تابعا لمجلس الشعب ، انما هو جهاز معاون لرئيس الجمهورية ، ومسئول امامه ، ومع ذلك فالمدعي العام الاشتراكي — وفقا لنص المادة ١٧٦ من الدستور — يخضع لرقابة مجلس الشعب كذلك اشارت اللجنة الى ان التصور من الناحية النظرية لان الرقابة على اعمال المدعي العام الاشتراكي قد تأخذ احدى الصور الاربع التالية : رقابة التعيين والعزل ، ورقابة الغاء وتعديل القرارات ، ورقابة اصدار الاوامر والتوجيهات ، ورقابة التنحية .

وأوضحت اللجنة انه ليس من حق المجلس — وفقا للنصوص القانونية القائمة — ممارسة أى من الصورتين الاوليين للرقابة ، اذ ان تعيين المدعي العام الاشتراكي وعزله يكون بقرار من رئيس الجمهورية ، كما أن النصوص القائمة لا تسمح بتعديل او الغاء قرار يصدره المدعي العام الاشتراكي ، وطالبت اللجنة — متى رؤى تعديل هذا الوضع — بأن يتضمن مشروع القانون المزمع اصداره تحديدا لكيفية ووسائل ، وأجراءات تعديل ، او الغاء قرارات المدعي العام الاشتراكي ، وانتهت الى ان مجلس الشعب تمارس فعلا الصورة الثالثة من صور الرقابة [اصدار الاوامر والتوجيهات] وتمثل ذلك فيما أصدره المجلس من توصيات ضمن سلطتها للمدعي العام الاشتراكي بمهام خاصة ، بغرض اجراء تحقيقات معينة ، وقد قام بمهامها ، وتقدم بتقريره بشأنها الى المجلس .

وترى اللجنة التشريعية بمجلس الشعب ان بمقدوره ذلك النوع من الرقابة صحيحين الناحية القانونية باعتباره تطبيقا سليما لنص المادة ١٧٦ من الدستور دون الحاجة الى انتظار صدور القانون الخاص بالمدعي العام الاشتراكي ، كما ترى أن من حق مجلس الشعب ، ممارسة الصورة

• ليبيا •	• لبنان •	• الاتحاد السوفيتي •	• فيتنام •
حوار نظرى مع الرئيس القذافى	حماية الجنوب مسئولية عربية مشتركة	موسكو ترفض المعاهدة التجارية	سايجون « ثيو » تتحلل ، والثوار يقتربون

الرابعة والاخيرة، وكذلك من صور الرقابة [رقابة المتابعة] وتتضمن الاستفسار والاستعجال والاستيضاح ، اذ أن ذلك النوع من الرقابة هو أبسط صورها ولا تتطلب ممارسته كذلك انتظار صدور القانون الخاص بالمدعى العام الاشتراكى .

أما فيما يتعلق بالمسألة الثالثة الخاصة بالنقاط الدستورية والقانونية المتعلقة بتقرير المدعى العام الاشتراكى عن تلوث مياه القاهرة . فقد خلصت اللجنة التشريعية بمجلس الشعب ، فى ضوء الاوضاع القانونية القائمة، الى ضرورة التمييز بين نوعين من التحقيقات يتم اجراؤهما بمعرفة المدعى العام الاشتراكى أو معاونيه . النوع الاول ويتمثل فى التحقيقات ذات الطبيعة القضائية وهى تلك التى يمارسها طبقا لقانون تنظيم فرض الحراسة وتأمين سلامة الشعب رقم ٣٤ لسنة ١٩٧١ . والنوع الثانى ويتمثل فى التحقيقات ذات الطبيعة الادارية والسياسية وهى تلك التى تتعلق بما يدخل فى اختصاص المدعى العام الاشتراكى وفقا لنص المادة ١٧٩ من الدستور ، أو تلك التى يقوم بها المدعى العام الاشتراكى بناء على طلب مؤسسات الدولة المختلفة ، أو بناء على تكليف من مجلس الشعب، كما أشارت اللجنة فى الختام الى أنه لمجلس الشعب ، حق طلب أوراق النوع الثانى من التحقيقات التى يقوم بها المدعى العام الاشتراكى [التحقيقات الادارية والسياسية] للاطلاع عليها .

الخطة بين المعارضين والمؤيدين

أقر مجلس الشعب الخطة والموازنة الجديدة لعام ١٩٧٥ ، والتى بلغت ٦١٣٩ مليون جنيه — بعد أن استجابت الحكومة لعدد من الملاحظات التى ابداها أعضاء المجلس خلال مناقشتهم للخطة .

وأعلن الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله وزير التخطيط تعقيبا على تقرير لجنة الخطة والموازنة بمجلس الشعب — ومناقشات اعضاء المجلس — القرارات التى اتخذتها الحكومة على ضوء المناقشات :

● قيام اللجنة الوزارية للانتاج بالانتهاء من دراستها الشاملة لاسعار الحاصلات الزراعية الرئيسية ليتمكن مجلس الوزراء من تحديد السياسة الجديدة للاسعار قبل نهاية يناير — بحيث تحقق الاسعار الجديدة دخلا حقيقيا للفلاح يتناسب مع جهده .

● قررت الحكومة تشغيل اجهزة الصرف الفعلى باقصى طاقة ممكنة ووعدت الحكومة بتدبير الاعتمادات الاضافية اللازمة للصرف المغطى .

● قررت الحكومة مضاعفة المساحة التى ينفذ فيها مشروع تحسين التربة واعتمدت مليون جنيه اضافى .

● دبرت الحكومة فى الموازنة النقدية الاعتمادات اللازمة لتوفير كل السماد المطلوب وفى مواعيده المناسبة .

● قررت الحكومة اعتماد ٢ مليون جنيه كمبلغ اضافى لكهربة الريف وهى يكفى لتوصيل التيار الكهربائى الى ١٠٠ قرية بالاضافة الى ١٥٠ قرية الموجودة اصلا بالخطة .

● قررت الحكومة اعتماد ٣ ملايين جنيه للتنمية المحلية وتحدد اوجه الانفاق مع المحافظين والاجهزة الشعبية .

● وعلى ضوء هذه القرارات فقد زادت الموازنة اربعة عشر مليونا من الجنيهات .

● اكد وزير التخطيط على ان الحكومة قدمت تسهيلات للقطاع الخاص فالاستثمارات المقررة له قفزت من ٣٠ مليون جنيه عام ٧٤ الى ١٠٠ مليون عام ١٩٧٥ — ورفعت الحكومة حد التعامل مع مقاولى القطاع الخاص من ١٠٠ الف جنيه الى ٥٠٠ الف جنيه — وانشأت السوق الموازية

وقدمت للمجلس قانون الالتزام بالنقل ليساهم القطاع الخاص فى نقل الركاب وان النية تتجه لاعادة البنك الصناعى للوجود ليقوم بدور بنك الاعمال فى تشجيع المشروعات الصناعية الخاصة ومساعدتها فى التمويل — كما تجرى دراسة لزيادة سعر الفائدة على المدخرات المحلية .

واعلن الدكتور حمدى النشار وزير المالية بان الحكومة سوف تسعى وراء اصحاب الدخول الطفيلية بالضرائب التى تحقق العدالة الاجتماعية — مؤكدا على أن الذين يحصلون على دخل اكثر من الف جنيه يبلغ عددهم ٥٠٠ الف شخص من بين ٣٦ مليون مواطن كما اكد على أن الحكومة توشك على الانتهاء من توصيف الوظائف وسوف يلى ذلك ربط الاجر بالانتاج .

وفى مستهل المناقشة ثار جدل عنيف حول اسلوب

مناقشة مشروع الخطة والموازنة المقدم من الحكومة — على ضوء ما سبق من اقرار مجلس الشعب لبيان الحكومة الذى تضمن الاهداف الاساسية للخطة وهى التعمير وتشغيل الطاقات المعطلة والاحلال والتجديد ثم بعض المشروعات الحيوية الهامة .

وكان اتجاه المتحدثين من اعضاء المجلس واضحا فى رفض حصر المناقشة فى اطار هذه النقاط الدكتور محمود القاضى ومصطفى كامل مراد واحمد فؤاد عبدالعزيز ومصطفى كمال ابو ريه وانتهت المناقشة الى تأكيد حق المجلس فى ان يحدد اوليات اخرى ، او يعدل الاوليات المقدمه — او حتى العدول عن الخطة كلية .

ولم يكن الوصول بالمناقشة الى اقرار الخطة أمرا سهلا ولا ميسورا — بل تم الوصول الى ذلك عبر مناقشات مثيرة وحادة بين بعض الاعضاء ووزيرى التخطيط والمالية اللذين مثلا الحكومة خلال المناقشة ، وايضا بين بعض الاعضاء وبين مقرر لجنة الخطة د . احمد ابو اسماعيل .

ويمكن القول انه كانت هناك ثلاثة اتجاهات واضحة فى المناقشات التى دارت حول الخطة والموازنة لعام ١٩٧٥ المقدمة من الحكومة [1] .

١ — اتجاه معارض معارضة جذرية للخطة ، كما قدمتها الحكومة وطالب باعادة الخطة الى اللجنة ، وتقديم خطة مضادة وكان الاستاذ مصطفى كامل مراد صاحب وجهة نظر كاملة فى هذا الاتجاه

٢ — اتجاه لجنة الخطة والموازنة بالمجلس — وهو اتجاه طالب بضرورة تحقيق شروط معينة قبل اقرار الخطة . الدكتور احمد ابو اسماعيل واحمد فؤاد عبد العزيز ونصر عبد الغفور واحمد منصور مساعد ومحمود القاضى وصفوت محيى الدين وعبد الحميد المراكبى .

٣ — اتجاه ايدى موافقته على الخطة بشكل عام — ولكن طالب بادخال تعديلات جزئية على الاستثمارات المقررة لبعض القطاعات او اثار مشاكل خاصة ببعض المقررة لبعض القطاعات او اثار مشاكل خاصة ببعض فئات العاملين : مصطفى كمال ابورية وكامل الشناوى وعبدالله الرفاعى وسعد بشير حسن وابو الفضل سرور سيد عمار زناتى وعبد المنصف حزين وصلاح توفيق ومحمود محمد داود ومصطفى غباشى واحمد شوقى الهوارى وعبدالغفور جمعة .

اتجاه المعارض للخطة

ارتكز هذا الاتجاه فى معارضته الجذرية للخطة والدعوة الى تقديم خطة مضادة الى العناصر التالية :

● ان خفض استثمارات الخطة من ١٥٠٠ مليون الى ١٠٠٠ مليون جنيه اى بنسبة ٣٠٪ — لم يتم بالغاء مشروعات كاملة وانما بتوزيع الخفض على مختلف المشروعات بنفس النسبة — الامر الذى يؤدى الى ان هذه المشروعات لا تنتج السلع المتوقع انتاجها للتوازن مع كمية الاجور المتاحة للانفاق — مما يجعلها تتحول الى انفاق استثمارى يؤدى الى تضخم .

● الاستثمارات التى حذفت بالذات فى مجال الزراعة والرى والنقل والمرافق العامة — ومن ثم لابد من مراجعة كل هذه الاستثمارات ، خاصة الاستثمارات المتعلقة بالمرافق الاساسية التى ترتكز عليها مشروعات التنمية .

● حقيقة الاستثمار الفعلى عام ٧٤ هو ٧٢٨ مليون جنيه ليس ٤٥٥ مليونا بسبب ما استجد من اعتمادات اضافية — ومن هنا فان زيادة الاستثمارات من ٧٢٨ الى ١١٨٠ مليونا اى حوالى ٣٦٪ لا تمثل زيادة حقيقية من استثمارات عام ٧٤ — اذا نظرنا الى ارتفاع الاجور وتكاليف التشغيل والاستثمار الجارى الذى زاد وزيادة الخامات وزيادة التشييد بنسبة لا تقل عن ٥٠ الى ٦٠٪ .

وهذه الزيادة الظاهرية ما هى الا زيادة سعرية — وبذلك فان الخطة لا تبدو طموحة ولكنها لا تفى بالاهداف المطلوبة .

● الحكومة لم تعط القطاع الخاص حقه من الاستثمار الذى يتناسب مع ما يحققه من الناتج القومى وقدره ٤٧٪ بينما خصص له ١٠٠ مليون جنيه اى ما يقل عن ٩٪ من حجم الاستثمارات .

● المطالبة برفع سعر الفائدة على الودائع بطريقة تغرى القطاع الخاص لكى يودع امواله فى البنوك — وضرورة اعفاء هذه الفوائد من الضرائب .

● يجب ضم الاستثمارات العربية الى السوق الموازيه حتى تتحول مصر الى سوق لرأس المال — ومعنى ذلك ان يكون فى بنكوكنا ودائع عربية مودعة لاجال طويلة — ويجب ان تترك السوق حرة لتحديد السعر بالنسبة للاستثمارات وسعر التحويل بالنسبة للارباح بمعنى ان تتحول السوق الموازية فى مصر الى سوق كامبيو — للنقد الاجنبى بمعنى ان يتم عرض وشراء العملات الاجنبية امام الجنيه المصرى فيتحدد السعر .

● الالحاح على صدور اللائحة التنفيذية لقانون استثمار رأس المال العربى والاجنبى .

● السماح بفتح حسابات فى بنوكنا المحلية للمصريين المقيمين باصحاب العملات الاجنبية دون السؤال عن مصدر هذه العملات .

● ضرورة تطوير البنوك التجارية لتكون بنوك اعمال اى تدرس المشروعات الاقتصادية وتشرع فى انشائها وتطرح اسهمها بعد ذلك ليستطيع كل من يملك ١٠٠ جنيه او ٢٠٠ جنيه ان يشترى بها اسهما . وذلك لجذب اصحاب المدخرات الصغيرة .

● الحصول من الاخوة العرب على دولار او دولارين عن كل طن بترول او بنسبة ١ او ٢٪ من ارباح البترول لمصر على اساس ان مصر تدافع عن قضية عربية وليست قضية مصرية .

● طلب فترة سماح — خمس سنوات على الاقل — من الدول الدائنة لنا — حتى يمكن لنا — ان نستخدم الـ ٢٠٠ مليون المخصصة لسداد الديون سنويا فى استيراد مستلزمات الانتاج الزراعى والصناعى .

● ضرورة رفع الاجور بنسبة لا تقل عن ٢٠ — ٣٠٪

● يجب ان تحرر جميع الشركات من القيود واللوائح وعدم قصر ذلك على اربعين شركة فقط .

● حاجة الخطة بجهاز ادارى قوى لتنفيذها — حيث يوجد الان ٤٥ مؤسسة وهيئة عامة تقتطع اكثر من ١٠٠ مليون جنيه لحساب الجهاز الادارى للمؤسسات والهيئات فى شكل اجور وانفاق جار وكان يمكن ان يوجه للاستثمارات .

ويتعين انشاء اربع او خمس مؤسسات فقط تشرف على وحدات اقتصادية متكاملة ومختلطة الانشطة .

اما لجنة الخطة والموازنة فقد تقدمت للمجلس ببعض التوصيات التى تجعل الخطة مقبولة منها :

---

[1] انظر موجز الخطة فى الطليعة عدد يناير ١٩٧٥ — ص ١٤٨ .

● وجوب اعادة ترهيب الاراضى كشرط اول .

● اضافة استثمارات صناعية لقيمص القطاعات ، ١٠ ملايين لتجربة الريف — ٢٠ مليونا للزراعة والرى ٥٠ ١ مليون للتعليم العالى — ٥ ملايين للتعليم العادى والعالمى — ٣ ملايين للصحة — ١٥ مليونا للنقل البحرى — ودلك بعد الاضافات ٦٠ مليونا من الاستثمارات .

● عدم قبول الخطة من ناحية عدم امكانياتها فى القدرة على السداد وران اللجنة أنه لكى تكون مثل هذه الخطة مقبولة فهناك شرطان آخران — أولهما أن مشروعات التصدير يجب أن تتوافر لها من المعونات ما يكفيها — هيث يجب أن توجه القروض لمشروعات التنمية .

والثانى هو أن تدعيم هذه الخطة من الصادرات اساسا يكفى لدفع الواردات واقساط الديون .

تمويل الخطة

فى هذه القضية بلغات بدا واضحا اتجاهان متباينان — أولهما — وقد تبنته لجنة الخطة واغلب المتحدثين — الخ الحاحا شديدا على تبنيه الدول العربية وفى مقدمتها الدول المنتجة للبترول على ضرورة تقديم المعونة لمصر وحدد البعض هذا العون ووصل به الى تحديد مولار او اثنين على كل طن بترول او ١ الى ٢ من ارباح البترول لمصر على اساس ان جيش مصر يحمى العرب بأجمعهم ولا يحمى مصر فقط ، واخذت ذلك بالدعوة الى تشجيع المدخرات برفع سعر الفائدة واضافة الاستثمارات العربية للسوق المالية . ورفع سعر العاملات الغربية .

اما الاتجاه الثانى وعبر عنه أحمد طه فقد دعا لضرورة زيادة الاستثمار فى مجال الصناعة التحويلية ، وضرورة انخفاض الاجتراءات تجاه الدخول الطفيلية الموجودة فى المجتمع التى يطال اصحابها خطر حقيقى على التطور الاقتصادى والاجتماعى وكذلك ضرورة امادة النظر فى ضريبة الحدائق ورسوم الجمارك ورفع سعر الكهرباء على اساس ضرورة أن تكون تعبئة الموارد الداخلية هى الاساس قبل الاتجاه الى القروض والمعونات الاجنبية وكذلك ايضا اشتراك المواطنين جميعا فى تحمل الاعباء المطلوبة .

الموافقة العامة على الخطة

وعبر عدد غير قليل من المتحدثين خلال مناقشة المجلس لمشروع الخطة والموازنة عن تقديرهم للجهد الذى بذل فى اعداد الخطة — وابدوا موافقتهم على الاتجاه العام للخطة مع بعض الانتقادات الجزئية واقتراحات عديدة لزيادة هذا الفرع او ذلك من الاستثمارات .

مشكلات القرية

وقد حظيت مشكلات القرية المصرية [جودة الارض — المحاصيل واسعارها — كهربة الريف — الماء العذب — الطرق المرصوفة والمواصلات] بالكبير قدر من الاهتمام .

● اعتقد الاعضاء أن الاستثمارات المخصصة للقطاع الزراعى فى الخطة لا تجاوز ٤٪ فى الوقت الذى تمثل فيه المنتجات الزراعية ٦٠٪ من صادراتنا .

● عدم وجود سياسة سعرية ثابتة والابقاء على رفع سعر المحاصيل الزراعية وشكل خاص القطن والتعيب والارز .

● ضرورة تنفيذ السجل العينى الذى سيترتب على تنفيذه استقرار الملكية الزراعية .

● خلو بيان وزير التخطيط وتقرير لجنة الخطة والموازنة من اية اشارة الى مياه الشرب النقية الواجب توفيرها للفلاح .

● تم بيناقش سطالو الريف على موضوع مثلما انفقوا على تضيين :

١ — موضوع الصرف المغطى الذى سيزيد الانتاج الزراعى بنسبة ٢٥٪ .

٢ — قضية كهربة الريف — حيث تمت انارة ٩٠٠ قرية فقط من عشرة الاف قرية وعزية على مستوى الجمهورية — خلال الخمسة سنوات التى كانت مقررة لانهاء المشروع — وحتى بعد مد المدة لعشرة سنوات فان ما تم انجازه فى نصف المدة لا يكاد يصل الى ١٠٪ .

● سائل عدد هجم من عمال الزراعة وبشكل خاص الذين يعملون فى الجمعيات التعاونية فى الريف يحصلون على اجر شهرى لا يزيد عن اربعة جنيهات ونصف .

وخلال مناقشة المشكلات التى تعيشها القرية ويعانى منها الفلاح دعت اصوات طيلة الى رفع القيمة الايجارية الى عشرة امثال الضريبة ، على اساس أن الفلاح المستاجر يحقق دخلا اكبر من المالك .

وكذلك التعويض العادل العالى على اساس ان الارض التى كانت سليمة ارتفعت فيها المياه الجوفية فاقصمت انتاجيتها وان الرشيح قد زاد فى بعض الاراضى بسبب نقص الطمى الذى كان يسد المسام — كما زادت المياه الجوفية .

كما برزت الدعوة لتوزيع الارض التى تملكها وتحسم بزراعتها مؤسسة الاستزراع وتابعة الاراضى — على اساس ان الفلاح اقدر على تحقيق محصول اكبر .

والى جانب مشكلات القرية كان للموظفين نصيب وافر من اهتمام المتحدثين فى المناقشة — حيث بدا واضحا اتجاه المجلس لمعالجة الامس التى تقدمها الحكومة فى مشروع

شريط الاخبار

■ أعلن رجال الدين فى جمهورية تشيكوسلوفاكيا الاشتراكية عن احتجاجهم واستنكارهم لاعمال العدوان التى تمارسها سلطات الاحتلال الاسرائيلية ضد الشعب العربى ، وانتهاك الحقوق الانسانية والدينية فى الاراضى العربية المحتلة .

جاء ذلك فى رسالة بعث بها مطران براغ وسائر اقليمكوسلوفاكيا ورئيس مجمع الكنائس فى تشيكوسلوفاكيا الى كورت فالدهايم الامين العام للامم المتحدة .

كذلك تضمنت الرسالة استنكار الحكم بالسجن ضد المطران هيلاريون كابوشى بسبب موقفه الوطنى ، والمطالبة بالافراج عنه فورا ، وتنفيذ قرارات الامم المتحدة بانسحاب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة ، وضمان حقوق شعب فلسطين فى تقرير مصيره بنفسه وفرق ارضه .

■ اعلن اتحاد النقابات فى اثيوبيا فى بيان له ترحيب النقابات بالبرنامج النقدمى للحكومة .

وقال البيان : ان طريق التطور اللاراسمالى الذى اقرته الحكومة هو فى مصلحة العمال والجماهير الكادحة ، كما سيؤدى الى حل القضايا والمشاكل

الاصلاح الوظيفي . وقد قدمت الحكومة مشروعين بقوانين في نهاية المناقشة احيلا للجنة المختصة لدراستهما .

المال العام والتسيب والانحراف

كان هناك اجماع بين المتحدثين على اختلاف اتجاهاتهم على ضرورة اتخاذ الاجراءات الفعالة لحماية المال العام ومقاومة مظاهر التسيب والانحراف .

وكان هناك اصرار على ضرورة اتخاذ قرار واضح يصحح الاوضاع بالنسبة لمخصصات كبار الموظفين من كافة المستويات حيث يوجد وزراء سابقون ورؤساء مجالس ادارات تم اقصاؤهم ولا يعملون شيئا وما زالوا يتمتعون بكافة امتيازاتهم — كما ان هناك الكثير من مظاهر استغلال النفوذ والامتيازات لكبار الموظفين في جهاز الدولة هذه الامتيازات التي تجعلهم لا يشعرون بمشاكل الجماهير .

وكان هناك تركيز خاص على قطاع التشييد والمقاولات كنموذج مجسد لاستنزاف موارد الدولة وامكانياتها دون حق .

وارجع الاعضاء ارتفاع التكلفة بنسبة ٢٠٠٪ خلال سنة الى وجود ثغرة في عمليات التشييد بين شركات المقاولات والقائمين بتنفيذ هذه العمليات — والى اسناد المقاولات الى الشركات الكبرى التي تقوم بدورها ببيعها من الباطن لمقاولي القطاع الخاص والتي بدورها تعهد الى جهات اصغر باتمامها .

ويرى المراقبون ان المناقشات المستفيضة التي دارت في المجلس حول الخطة الموازنة [وان كانت قد حددت — بوضوح الاتجاهات التي تعارض الخطة وتلك التي تؤيدها، فانها سوف تحكم حتما كل مناقشة مقبلة سوف تدور حول عدد من القضايا الاساسية التي ستقدم الى المجلس مثل قضايا التموين والتعليم وغيرهما من السياسات الداخلية والخارجية ، حتى ليمكن القول باننا نشهد ظاهرة من الاستقطاب سريع في المواقف السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، لا يبعد ان تجد انعكاسا لها داخل الاتحاد الاشتراكي العربي ، وذلك اذا ما تمت اعادة تشكيله على اساس الاعتراف بحق تكوين المنابر في داخله .

• ليبيا •

حوار نظري مع الرئيس القذافي

في محاولة لتحديد ملامح « الكتاب الاخضر » وهو الكتاب الذي يقول الرئيس القذافي انه سوف يسهم به في « اقرار نظرية كاملة للعمل الثوري العربي » أجرى الرئيس معمر القذافي حوارا نظريا مع جريدة « السفير » حدد فيه ملامح فكره .. وحاول أن يقدم صياغات دقيقة وتعريفات محددة للعديد من القضايا التي يتعرض لها الفكر العربي بشكل عام .. فتحدث عن « الاشتراكية » و « الملكية » و « الفقر والغنى » و « الاستغلال » و « الثورة » و « السلطة » ... الخ ..

ولعله من المفيد أن نحاول هنا وبايجاز شديد أن نقدم بعضا من ملامح الفكر النظري للرئيس القذافي . فعن الاشتراكية يقول « أن لفظ الاشتراكية يعني في اللغة المشاركة والاشتراك ، اذن الاشتراكية هي مذهب أو طريق او اسلوب أو نظام مشاركة ، فاذا سلمنا بهذا فان الاشتراكية لا تعني الملكية الفردية ، ولا تعني ملكية الطبقة الواحدة بالاضافة الى انها لاتعني أيضا تفرد الحكومة بالملكية عن طريق الاحتكار الذي أخذ يختبيء الآن تحت اسم مستحدث هو القطاع العام .

وعن القطاع العام « القطاع العام لا يعتبر اشتراكية ، انه احتكار حكومي بكل معنى الكلمة ، ووضع العامل في القطاع العام مثل وضعه في القطاع الخاص ، واذا كانت له مزايا من ربح أو مشاركة في الربح أو أي شيء من هذا القبيل فيمكن فرض ذلك على القطاع الخاص بقوة القانون ، غير أن العامل في كل — الحالتين يعمل لدى جهة تملك رأس المال » .

ويمضي العقيد ليقدم تعريفه للاشتراكية « الاشتراكية هي توزيع الملكية توزيعا أفقيا لكي يمتلك كل فرد حاجاته الضرورية التي تمكنه من أن يعيش حرا » .

ويحاول الصحفي الذي يجري الحوار أن يلمح الى أن مثل هذه العبارة قد تتفق مع الماركسية ورد العقيد « لا ، ليست شيوعية ، الشيوعية هي الان قطاع عام ، ممتلكات الناس أممت وأصبحت تدار من قبل الحكومة ، والناس أصبحوا عمالا لديها » ثم يمضي قائلا « لو انني أخذت ممتلكات الناس فقد امتلكتها وأصبحت حاكمهم ، والحزب في الدولة الشيوعية ليس كل الناس ، الحزب طليعة ،

■ شريط الاخبار ■

السياسية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية في اثيوبيا .

وجاء في البيان : ان النقابات ترحب بالوعود الخاصة بفرض الرقابة الحكومية على المؤسسات الاقتصادية الحيوية ، وبتوزيع الاراضي بطريقة عادلة . وتشجيع التعاونيات في الزراعة .. وعلى هذا الاساس يؤيد اتحاد النقابات اجراء الحكومة بتأميم البنوك والمؤسسات المالية وشركات التأمين. كما يتعهد الاتحاد ببذل كافة الجهود من أجل تنفيذ هذا البرنامج التقدمي :

■ أعلن شيمون بيريز وزير الدفاع الاسرائيلي في الكنيست بان عدد المعتقلين بصفة ادارية والذين يبلغون حوالي ٥٠ شخصا . هم فلسطينيون شيوعيون مشتبه في ارتكابهم جرائم قتل واعتداء وتحريض على سلطات الاحتلال الاسرائيلية .

وقد اعترف بيريز ذلك اثناء الاستجواب بناء على الطلب الذي تقدم به حزب « راكاح » الشيوعي بشأن احتجاز السلطات العسكرية الاسرائيلية لاكثر من ٥٠ شخصا من المواطنين العرب في الضفة الغربية وقطاع غزة بصفة ادارية .

والجماعة التى انضمت اليه تلبية ممتلكات الناس وقتلهم كعمال ، واذيلت الدولة العمالية » .

لكن الصحفى الذى يجرى الحوار يطلب مزيدا من الايضاح « ويشير العقيد القذافى بيديه الى مساحة من المكتب قائلا « هذه قاعدة المجتمع المسافة من ا الى ب » اذا كان المجتمع راسماليا حيث حرية الملكية لافراد لها سوف تسحب الملكية من المستوى الادنى وتتكدس فى يد الطبقة الراســـمالية المستغلة لتصبح مايوجد أى من ا الى ا

.. كذلك الشيوعية صادرت الملكية من الراسمالية ثم حرمتها فى المجتمع كله ووضعتها بيد الحكومة ، فأصبح الوضع جمودا من جمود . أصبحت من ب الى ب وليس من ا الى ب . » .

ـــ والحـــل ؟

« أن تعود الملكية أدنية . أن يتمكن كل فرد من أن تكون له ملكيته الخاصة ويتمتع آخر أن يتمكن كل فرد من الحصول على ملكيته ومن تملكها بنفسه لكى يحس بأنه حر ، لكى يكون سعيدا . » .

ـــ والمستقبل ؟

« تحدد الحاجات الضرورية .. وما عدا ذلك فى حاجـة فلا بد أن أسعى اليها .. مثلا المســـكن لابد أن يسكن الانسان فى مسكن يملكه بنفسه » .

ـــ كيف ؟

.. « لا يعطى له هبة ، لابد أن يملكه بجهده .. يمكن ان أجد حاجتى فى بناء مسكن من أربع حجرات مع المرافق الضرورية ، ويجد الآخر حاجته فى بناء قصر » . وما دام المسكن والقصر كلاهما للمسكن الشخصى وليس للاستثمار فملكيتهما مباحة » .

ولكن كيف ؟ والى أى مدى سيباح للغنى أن يحوز ثروة تمكنه من بناء قصر ؟

.. « أنت تعمل كطبيبة ، وأنا ملاح . لكل مجال عمله » أنت تربح عن طـريق الكتابة [مثلا] من الثروة وأنا أربح [من ـــ ه] فى هذه الحالة حصل كل بنا على نصيبه من ثروة المجتمع بناء على الجهد الذى بذله وبناء على وضعه فى المجتمع . والجهد لا يدانى بحجم السلعتين وحدهما » .

ـــ والحدود ؟

ـــ ليس هناك تحديد » .

ـــ نظريا هناك الاثل ..

« نظريا ولا عمليا » لا يمكن أن يكون هناك تورط كما تتصورون ، ليس هناك ما يسمى الحد الاعلى للملكية فهذا خطأ » .

ـــ ودور الدولة ؟

.. « السلطة لا يمكن أن تكون طـــرفا فى الملكية كى لا تكون طرفا فى النزاع » .

ويبقى الحوار .. الصحفى يسأل بالحاح محاولا أكبر قدر ممكن من الفهم ، والعقيد .. يجيب على كثير من الاسئلة بتساؤلات تالاتكفل لمسا تحضير بعد؛ وهى لم تزل لم تكتمل بحيث يمكن لها أن تصدر فى الشهية بين دفتى « الكتاب الاخضر » الذى يستهدى العقيد القذافى باصـــداره الى « اقرار نظرية كاملة للعمل الثورى العربى » .

○

• لبنـــــان •

حمـاية الجنـوب مسـئولية عربيـة مشـتركة

يعتبر المراقبون زيارة الرئيس السورى حافظ الاسد للبنان ومحادثاته مع الرئيس اللبنانى سليمان فرنجيـة فى السابع من شهر يناير الماضى، من الاحداث الدرامية الهامة منذ حرب اكتوبر ، اذ تكتسب هذه الزيارة اهمية خاصة فى هذه المرحلة ، التى تتضاءف فيها احتمالات ضرب خلخلة بين العرب وبين اسرائيل . وفى وقت تواصل فيه اسرائيل تصعيد العدوان على جنوب لبنان ، كمـا نفى فيه الرابطات المحددة بكل نظمها السياسى والعسكرى الى جانب اسرائيل .

ولقد كان البعد الاساسى من زيارة الرئيس حافظ الاسد للبنان ، هو بحث الموقف فى جنوب لبنان ، بعد ان اتضحت الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على جنوب لبنان ، ان وضع الجنوب بشكل نقطة ضعف خطيرة فى الجبهـات العربية حول اسرائيل .

■ شريط الاخبـــار ■

وانهم يبررون المعتقلين باتهام اعضائهم بجبهة المقاومة الشعبية الفلسطينية ، التى تمثل الفرع العسكرى للحزب الشيوعى فى الضفة الغربية ، الذين قاموا خلال حرب اكتوبر ١٩٧٣ بعدة اعمال الاعتداءات ومحاولات التخـريب واعلن انه قد عثر مع عدد منهم على اسلحة ومتفجرات ومنشورات .

وقد كلف « مايرفلنر » المقلب عن حزب واكاد الشيوعى مزاعم بيرزوفال ان هؤلاء المعتقلين اودعوا الســجن بسبب آرائهم السياسية .

■ صرح الدكتور بيريز زعيم حزب لاتيسامأ سامأجا ووزير المالية فى حكومة السيدة سيريماغو بندرانيكة فى سرى لانكا بأن وكالة المخابرات المركزية الامريكية والامبريالية الامريكية تعملان على تكرار مأساة شيلى فى سرى لانكا .

واضاف : ان القضاء على الرأسمالية فى سرى لانكا قيد اساسى للقضاء على مؤامرات وكالة المخابرات المركزية الامريكية والامبريالية الامريكية فى البلاد .

وعلى الرغم من انه لم يذكر شيء عما دار في اجتماعات الجانبين السوري واللبناني ، الا ان المصادر اللبنانية تؤكد ، ان الجانبين قد بحثا ما يحتاجه جيش لبنان من الاسلحة الحديثة المتطورة ، كما بحثا ايضا مسألة التنسيق العسكري بين سوريا ولبنان في المرحلة القادمة للدفاع عن جنوب لبنان .

ويعكس « البيان المشترك » عن زيارة الرئيس السوري للبنان الى حد كبير نتائج هذه الزيارة ففيه اكد الرئيسان على اهمية تعزيز التضامن العربي ، وحشد الطاقات العربية في معركة التحرير ، والاشادة بما حققه التضامن في حرب اكتوبر التحريرية » كذلك اعلن الرئيس حافظ الاسد عن « مساندة سوريا للبنان بطاقاتها العسكرية والسياسية والاقتصادية واستعدادها لتلبية كل ما يطلبه لبنان وذلك لتمكينه من الصمود والتصدي للعدوان والحفاظ على سيادته وسلامة اراضيه ، وذلك انطلاقا من وحدة المصير امام العدو المشترك » .

وتعد مشكلة الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على جنوب لبنان ، والتي امتدت الى بيروت ، من القضايا الملحة التي تشغل اهتمام الرأي العام العربي جميعا في الوقت الحالي ، وتتطلب من جميع الدول العربية العمل سريعا على حلها . اذ المعروف انه طبقا لقرارات مجلس الدفاع العربي المشترك ، ومؤتمر القمة العربي في الرباط فان الدول العربية « ملتزمة بتقديم المساعدات العسكرية والمالية للبنان الذي يقف في خط المواجهة مع اسرائيل » .

ويعتقد المراقبون ان عدم احتلال اسرائيل لجنوب لبنان حتى الان ، يعود بلا شك الى عوامل ثلاثة : وهي وجود سوريا القوية بجوار لبنان ، وصمود لبنان حتى الان ، ووجود الفلسطينيين في جنوب لبنان ، وتقوية التضامن الكفاحي بين المقاومة الفلسطينية واهالي الجنوب في مقاومة الاعتداءات الاسرائيلية — كذلك فان تدعيم جنوب لبنان عسكريا ، هو في نفس الوقت حماية ودعم لحدود سوريا . خاصة وان المعلومات المتوفرة لدى سوريا ولبنان في الوقت الحاضر عن خطة اسرائيل القادمة ، تفيد بان اسرائيل تعد لاجتياح جنوب لبنان واختراق حدود سوريا ، وتطويق الجيش السوري من الخلف ، وتوجيه ضربة مؤثرة للاقتصاد السوري .

هذا ويثير الوضع المأساوي لجنوب لبنان ، ووجوده تحت رحمة الاعتداءات الاسرائيلية بشكل يومي يتمثل في حوادث القتل وخطف الاهالي وتدمير القرى والمنازل يثير السخط والغضب في اوساط الجماهير والاحزاب والشخصيات الوطنية والتقدمية ، على تقاعس السلطة في لبنان التي تشجع اسرائيل على الاعتداء . وتطالب الجماهير بتحصين الجنوب ، وتعزيز قدرات الجيش للدفاع عن البلاد ، والاستعانة بقوات عربية ، باعتبار ان قضية جنوب لبنان لا تخص لبنان وحده ، بل هي قضية عربية .

ويقدر الخبراء العسكريون حاجة لبنان بعشرات الالوف من القوات المجهزة بالاسلحة المتطورة ، وهو ما تفرضه خطة ومتطلبات الدفاع القوي عن لبنان ، الامر الذي يفتقر اليه لبنان حاليا . اذ ان الجيش اللبناني الحامي لايتعدى العشرين الفا ، وجميعهم من المتطوعين : كما ان مشروع قانون خدمة العلم [التجنيد الاجباري] الذي يطالب به الشباب وسائر الاحزاب الوطنية والتقدمية في لبنان ، ما يزال تابعا ضمن المشاريع الاخرى المؤجلة في مكاتب مجلس النواب . هذا في الوقت الذي يرفض فيه لبنان تواجد قوات عربية داخل اراضيه .

وازاء هذا الوضع المتدهور في الجنوب ، وتحت ضغط الرأي العام في لبنان ، لم تجد الحكومة مفرا من الاتصال بالبلدان العربية لطلب المساعدات العسكرية لتدعيم قدرته الدفاعية ، ومده بأنواع معينة من السلاح وبشكل سريع لانقاذ الجنوب . وذلك الى ان تتعاون الدول العربية بعد ذلك في تسليح الجيش اللبناني .

وقد طلبت الحكومة اللبنانية في العشرين من يناير الماضي من الجامعة العربية عقد اجتماع فوق العادة لمجلس الدفاع العربي لبحث الاعتداءات الاسرائيلية على جنوب لبنان ، كما اعلن من قبل عن قبول لبنان التعاون في اطار خطة دفاعية عربية مشتركة .

وفي هذا الصدد تؤكد المصادر الرسمية اللبنانية ، ان نتائج زيارة الرئيس السوري حافظ الاسد قد حققت النتائج المرجوة ، الامر الذي شجع لبنان على طلب المساعدات من الدول العربية الاخرى ، ويقال ان هناك عروضا تلقاها لبنان حتى الان لتعزيز وسائله الدفاعية من الكويت وليبيا .

هذا ويتعرض لبنان في الوقت الحاضر لضغط شديد من جانب الولايات المتحدة واسرائيل ، لكي يتخلى عن دوره في تعزيز التضامن العربي ، هذا فضلا عن وجود اتجاه انعزالي رجعي قوي داخل لبنان ، يطالب بعدم التورط في الصراع العربي الاسرائيلي ، وذلك تحت شعارات «الوضع الخاص للبنان» ، والاعتماد على الضمانات الدولية ، وبخاصة من جانب الولايات المتحدة لحماية استقلال لبنان ، كما يرفض اصحاب هذا الاتجاه شراء الاسلحة لتجهيز الجيش بوسائل الدفاع اللازمة ، وحتى لا يتحول لبنان الى دولة مواجهة ويجر عليه غضب وانتقام اسرائيل ، والمطالبة بالتريث في انتظار الحل السلمي .

والشيء الواضح هو ان اصحاب هذا الاتجاه يتجاهلون اطماع اسرائيل القديمة في جنوب لبنان ، حيث توجد منابع نهر الليطاني ، التي تعد امرا حيويا بالنسبة لوجود اسرائيل ، وباعتباره جزءا اساسيا من استراتيجية المخطط الصهيوني الامبريالي في تحقيق خريطة اسرائيل الكبرى على حساب الاراضي العربية .

لكن التذرع بحجة الوضع الخاص للبنان وحياده التقليدي ، والاعتماد على الضمانات الدولية وبخاصة الولايات المتحدة ، لم يمنع اسرائيل من شن عدوانها المستمر على لبنان وتهديد استقلاله الوطني منذ عام ١٩٦٧ ، وذلك في الوقت الذي كانت تقف فيه الولايات المتحدة وراء اسرائيل وتمدها بالسلاح وتحمي عدوانها على لبنان ، وتدافع عنه امام المنظمات الدولية .

واصحاب هذا الاتجاه داخل لبنان يكشفون عن انفسهم

وحقيقة اعدادهم ؟ وذلك مثلما يقولون ؟ أن الوجود الفلسطيني في جنوب لبنان هو مصدر العدوان الاسرائيلي المستمر على لبنان .

وليس غريبا أن ينشط أصحاب هذا الاتجاه الانعزالي الرجعي داخل لبنان في هذه الظروف ، وهم الذين يشعرون بالقلق الشديد من تزايد فاعلية دور لبنان في القضايا العربية بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، وفي تعزيز التضامن العربي المشترك مع الدول العربية الشقيقة في معركة المصير ، ووقوفه بوضوح الى جانب القضية الفلسطينية ، وتحمله المسئولية في سجل هذا الوقف .

وقد اعلن الرئيس اللبناني سليمان فرنجية ردا على اصحاب هذه السياسة الانعزالية الرجعية : « نحن في لبنان نتعرض لاعتداءات اسرائيلية على وطننا وارضنا وابنائنا العزل . وحيال هذا الواقع المؤلم والمرير لم يعد بامكاننا السكوت ، والاستمرار في دور النعامة ، فنحن جزء من القضية شئنا أم أبينا ، وعلينا أن نواجه قدرنا بشجاعة أو ان لا نترك الظروف تعرض علينا اوضاعا لا تكون مستعدين لها . ان للبنان دورا في هذه المواجهة التي فرضت عليه ، وعليه ان يتحمل اعباءه ويدفع ضريبته . واذا كنا بلدا صغيرا ، فالمسئولية العربية تقدره على ان نتحمل بعض اعباء الدفاع عن الوطن الصغير في البداية انتظرنا انتهاء مساعي السلام الموصول الى حل شامل للقضية على ايدي ان ينهي هذا الحل المأساة التي نعيشها يوميا من جراء اعتداءات اسرائيل . هناك من يدعونا الآن الى المزيد من التريث ، وعدم التورط في خطة تسليح تدفعنا الى مواجهة هجوم اسرائيلي كبير ، ولو ان احدا يضمن لنا ان الحل السلمي سيأتي بعد شهر ، او حتى بعد سنة ، فقد كان في الامكان ان نأخذ بوجهة نظر الداعين الى التريث ، ولكن لا يجوز ان نبقى منتظرين الى ما لا نهاية ، تتلقى كل يوم الضربات الاسرائيلية ، التي نتمكن على اوضاعنا الداخلية بسبب عدم توفر المناعة المطلوبة . هناك من يقول بأن الوجود الفلسطيني هو سبب الاعتداءات الاسرائيلية . انني أريد أن اسلم جدلا بأن الدافع للاعتداء على لبنان هو هذا الفلسطيني ، فهل تريدون مني ان اضرب الفلسطينيين واخرجهم من لبنان كما تطالب اسرائيل ؟ هل تريدون مني ان أحقق مطالب اسرائيل ؟ » . وقد وصفت مجلة «الحوادث» اللبنانية حديث الرئيس سليمان فرنجيه ، بأنه أخطر كلام قاله رئيس جمهورية لبنانية من قبل .

وكان ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، قد اعلن في حديث صحفي : « اننا نذكر هنا وبكل اعتزاز ، الموقف اللبناني خلال هذا العام ، ورجوعنا الى القراء موقف لبنان خلال حرب تشرين ، كان موقفا قوميا ووطنيا . لقد وضع لبنان بكل امكاناته في المعركة» ومنه قلبت قوى كثيرة من الثورة الفلسطينية بواجبها خلال هذه الحرب ، ولا يزال شعبنا الصابر في الجنوب اللبناني يدفع كل يوم وكل ساعة ، تضحيات جسام من رزقه المحدود ومياهه الطاهرة في مواجهة بطش وجبروت واعتداءات عجلة الحرب الاسرائيلية الامريكية الهتلرية والمصدر ، والمعاناة من اللجئين . ان موقف شعبنا اللبناني سيظل يذكره شعبنا عندما يعود الى ارضه بعد تحريرها، سيذكر هذا الاحتضان الدافيء الحنون للثورة وللشعب وللقوار » .

○

• الوطن العربي •

التصريحات لاتكفي لمواجهة تهديد أمريكا باحتلال منابع البترول

وضع الرئيس الامريكي فورد الامور في نصابها الصحيح، في الحديث الخاص الذي ادلى به في ١٣ يناير الماضي لمجلة « نيوز آند وورلد ريبورت » ، واعلن فيه انه لا يستبعد استخدام القوة في الشرق الاوسط ، اذا ما تعرض العالم الغربي او الصناعي للاختناق . وقال انه يوافق هنري كيسنجر في تصريحاته الاخيرة لمجلة « بيزنس ويك» التي لمح فيها الى احتمال التدخل العسكري الامريكي في حالة اشتداد الاقتصاد الغربي بسبب ازمة البترول . واضاف الرئيس فورد « ان الاختناق المالي هو بمثابة هجوم مسلح » ، واذا ترأت رده [كيسنجر] على سؤال استفزازي عما لو وجهت اليه يد بل ان القوة ستستخدم لتغيير الاسعار ، وانها فعلا لا يستبعد استخدام القوة اذا اختنق العالم الحر او العالم الصناعي ، وانني اعيد تأكيد تأسفي لهذا الوقت » .

والرئيس الامريكي صادق تماما . فالولايات المتحدة لن تدخل لخفض اسعار البترول ، فشركاتها النفطية هي المستفيد الاساسي من رفع السعر . وقد اعلن الرئيس الفرنسي ديسطان عقب لقائه بالرئيس عقب لقائه بالرئيس فورد ان الولايات المتحدة لم تكن ابدا مهتمة بخفض اسعار البترول . انما الاشتغال الوجيب للاحتكار .

تنطلخص في امور ثلاثة : اولها استخدام العربلسروتهم في اتهاك اسرائيل بطريقة فعالة حقا ، او استغلال الدب لبروتهم لصحتهم هم فقط ، بمعنى استبعادهم للشركات

الاجنبية عموما من استغلال هذه الثروة ؟ ومن ثم فان حرمان الاحتكارات الامريكية من هذه الارباح الهائلة هو الخنق بعينه ، اما الاختناق الثالث فهو تحول العرب بفوائض بترولهم النقدية [بقدر ما سيتجمع لهم منها قرب ٨٠٠ مليار دولار] الى قوة اقتصادية مستقلة لها خطرها ، اما رفع الاسعار بل وفرض الحظر فهو لا يعني امريكا في شيء ، لانها تكسب منه .

والواقع ان الاعداد للعمل العسكرى الامريكى ، كان قد بدأ منذ فترة طويلة « وقد كشفت عنه مجلة تايم الامريكية في تحقيق نشرته منذ نحو عام ، قالت فيه ان القوات الامريكية تتدرب على حرب الصحراء التي تشبه احوالها الاوضاع القائمة في البلاد العربية ، والمحررا حينذاك الى ان ليبيا قد تكون هي المقصودة . ولم يتورع الادميرال جون ويل ممثل الولايات المتحدة لدى اللجنة العسكرية لحلف الاطلنطى عن ان يعلن في اجتماعهما ، ان الحكومات الغربية قد تنظر الى القوة العسكرية كضمان ضد حدوث حظر بترولى جديد . وصاح في باقى الاعضاء قائلا « ان فرض الولايات المتحدة ، هو ضمان عدم انهيار بلادكم الى الحضيض . واعتقد ان حلفاء امريكا من دول اوروبا لابد ان يتفقوا معى على ذلك » . وسارع جوزيف لانز سكرتير حلف الاطلنطى ، وكان من قبل وزيرا لخارجية هولندا ، فاعلن ان اى دولة اوروبية او غربية او حتى الاتحاد السوفيتى يمكن ان يفكر في استخدام القوة اذا واجهت حالة الاختناق . لكن الاتحاد السوفيتى شجب هذه التهديدات باستخدام القوة . وهاجمت البرافدا في ١٤ يناير — في اليوم التالى لتصريحات فورد — التهديد بالحرب لارهاب الدول العربية المنتجة للنفط ، وادانت دبلوماسية المدفع التي تستخدم ضد الدول العربية .

وقد اكد شليزنجر وزير الدفاع الامريكى اكثر من مرة ، احتمال حدوث تدخل امريكى في مناطق البترول في الشرق الاوسط ، وقال ان هذا ممكن عسكريا عند الضرورة . كما كان اجتماع خبراء الطاقة الامريكيين قد انتهى في مؤتمرهم الذي عقدوه في كامبدافيد بالتوصية باللجوء الى « الاختيار الاقل تكلفة » وهو احتلال منابع البترول في الشرق الاوسط .

وفى مواجهة محاولة الاستيلاء بالعنف على ثروات الاخرين ، الذى تخطط له الولايات المتحدة حماية للملكية الخاصة وحرية التعامل في العالم ، حدث رد فعل كبير — وان اقتصر حتى الان على التصريحات :

□ ففى الامم المتحدة : ادان فالدهايم استخدام القوة وقال انه ليس ردا على ازمة الطاقة ، وان الحل هو التعاون لا المواجهة .

□ وعلى مستوى الرؤساء : اكد الرئيس السادات ما سبق ان اعلنه الرئيس الجزائرى بومدين من ان البلاد العربية يمكن ان تدمر بسهولة جميع المنشآت البترولية في حالة حدوث تدخل . وان حل المشاكل يتحقق عن طريق الحوار . وكان الرئيس بومدين قد اعلن ان الولايات المتحدة تتصرف ضد اتجاه التاريخ . وان احتلال كيلومترا واحدا من البلاد العربية يعني احتلال الوطن العربى كله . وقال انه يمكن بعناصر قليلة للغاية ان تدمر منشآت البترول في العالم العربى ، على ان تتحمل الولايات المتحدة مسئولية هذه الكارثة العالمية . بل ان الشاه اعلن انه اذا استمرت سياسة التهديدات الموجهة للدول المنتجة للنفط ، فاننا سنتخذ الاجراءات اللازمة لمواجهة هذه التهديدات . واضاف ان الدول المنتجة للنفط على استعداد لمناقشة تخفيض اسعاره اذا خفضت اسعار السلع الاخرى .

□ وعلى المستوى العربى : استنكر « محمود رياض » امين الجامعة العربية هذه التهديدات واعلن رفض محاولات العودة بالعالم الى سياسة التهديد والسيطرة . ودعا

كيسنجر ينهى خلافاته العائلية مع « العمة جولدا »

وسقط القناع عن الرجل ..

وبرغم ان احدا لم يصدق ادعاءات كيسنجر بالحياد أو الوساطة او حتى عدم الانحياز التام الى اسرائيل ، فان وقتا طويلا لم يمض على بدء كيسنجر لمهمته في الشرق الاوسط حتى سقط القناع تماما .

وفى حفل استقبال اقيم مؤخرا فى نيويورك لجولدا مائير ارتمى كيسنجر فى احضانها أمام الجميع قائلا بصوت عال انها « عمتى » ولقد نختلف من حين لاخر لكنها دوما خلافات عائلية » .

ولم يكن احد بحاجة الى تصريح عائلي كهذا كي يعرف حقيقة كيسنجر وحقيقة الدور الذى قام به . فان كيسنجر بنفسه قد اصدر مؤخرا ايضا سلسلة من التهديدات باستخدام القوة العسكرية باحتلال آبار البترول العربية وأعرب عن رفضه الكامل لنتائج مؤتمر الرباط ، ثم عاد رئيسه فورد ليؤكد التهديدات الامريكية المنافية لابسط قواعد القانون الدولى ضد الدول العربية المنتجة للبترول ، وينتهي المطاف بتصريح لفورد يقول فيه دون مواربة « هناك علاقة قوية — فى الوقت الحاضر — بين مصالح امننا القومى ومصالح أمن اسرائيل » .

ويسقط القناع ، ليس عن كيسنجر وحده وانما عن الدور الامريكى كله . وتبقى الامبريالية الامريكية كما كانت وكما ستظل دوما عدوة للعرب ولقضيتهم .. تماما كلية بدعة أمريكية .. سريعا ما تلمع ، لكنها ايضا سريعا ما تنطفىء .

الدول العربية ان تأخذ هذه التهديدات مأخذ الجد ، وتتخذ الاجراءات الوقائية . واضاف ان هذا التهديد يتناقض مع ميثاق الامم المتحدة ، ومع الخطوات الايجابية التى اتخذت فى سبيل الحل .

واعلن « كمال ابو المجد » وزير الاعلام فى مصر ان تصريحات كيسنجر مقلقة ويجعل مهمته فى الشرق الاوسط صعبة . وقال انهـا غير ضرورية . وهى غير مقبولة ولا تخدم قضية العلاقات العربية الامريكية او قضية السلام فى الشرق الاوسط .

ورفض « العتيقى » وزير النفط الكويتى التهديدات الامريكية ، وقال ان هذه التهديدات ستحول العالم كله الى ميدان قتال . واعلن « احمد خليفة السويدى » وزير خارجية دولة الامارات ، ان بلاده ستنسف آبار البترول اذا نفذت الولايات المتحدة تهديداتها .

وقال « عبد العزيز حسين » وزير الدولة الكويتى ان العرب اعتادوا مثل هذه التصريحات التى تستهدف تقييد حرية الدول المنتجة .

لكن المسألة خطيرة فعلا ، فهذه التصريحات صادرة من رئيس اكبر واقوى دولة رأسمالية فى العالم ، دولة اعتادت ان تفعل ما بدا لها عنفا واغتصابا ، خاصة وان الاموال التى باع بها العرب كل بترولهم طوال السنين الماضية وحتى الان مودعة فى بنوكها . ومن ثم فان دعوة منظمة العمل العربية فى مكانها تماما ، هذه الدعوة التى طالبت « بوضع خطة عربية علمية وموضوعية لمواجهة اى احتمال لمحاولة غزو دول البترول بالشرق الاوسط » ويجب الا يقف الامر عند حد الرد الذى اعلنه الرئيس بومدين بشأن استطاعة العرب تفجير البترول وذلك حقيقى خاصة فى ظل تأكيد درو ميدلتون المحرر العسكرى « لنيويورك تايمز » من ان الخطط العسكرية للتدخل ، تتضمن استخدام احدث وسائل التكنولوجيا فى اطفاء الحرائق فى آبار البترول واعادة تشغيلها . وفى ظل تأكيد صحيفة « لوموند » فى ٩ يناير من ان الحرب بين امريكا والدول الصناعية ، والدول المنتجة للنفط قد بدأت بالفعل ، رغم ان التصريحات الدبلوماسية تنفى هذا .

• اثيوبيـــــا •

• • الخـــــروج

تعتقد الاوساط الوطنية الافريقية ، ان تطورات اواخر ديسمبر الماضى ، كانت بمثابة اعلان من « هوية » القوى الرئيسية المحركة للنظام الاثيوبى الجديد ، بعد مضى ١١ شهرا من الاحداث التى اكتنفها الغموض فى بعض الاحيان . وسقطت بذلك ، كل محاولات وكالات الانباء الغربية لتصوير النظام الجديد فى صورة من لا يعرف ماذا يريد بالضبط وان تحركاته مجرد ردود افعال يومية لمتطلبات طارئة ومفاجئة .

ففى اواخر ديسمبر ، اعلن المجلس العسكرى عن برنامجه السياسى ، الذى يتبنى الاشتراكية تحت شعار « اثيوبيا اولا » . ويفسر البرنامج الشعار قائلا « اثيوبيا اولا يعنى الاشتراكية فى اثيوبيا . والاشتراكية تعنى المساواة وحق الانسان فى تقرير مصيره وحق العمل والكسب » . وبذلك تقرر ملكية الدولة للبنوك وشركات التأمين وعدد من المؤسسات الاقتصادية الهامة . وفى الريف سيتم اصلاح زراعى يجرى تنظيمه على اساس نظام المزارع التعاونية المسيرة ذاتيا . وفى الاراضى الزراعية التى تملكها الحكومة [٢٥٪] تقرر ادخال نظام المزارع الجماعية . اما فى مجال العمل السياسى فقد تقرر الاخذ بنظام الحزب الواحد .

ويلاحظ المراقبون ان هذا البرنامج السياسى ، قد وفر للنظام الاثيوبى الجديد دعامتين هامتين : اولا : هدف وفلسفة للنظام يبرر بها وجوده كأساس يتجاوز بكثير مجرد القوة العسكرية . ويضمن بذلك تأييد ومساندة قطاعات واسعة من المثقفين والطلبة والعمال والفلاحين . ثانيا : الانتماء للقوى التقدمية فى افريقيا والعالم ، والذى يؤدى بالتالى الى فك الحصار الذى فرضه الغموض الذى احاط بتطورات احداث سابقة .

ويربط المراقبون بين هذا الفهم ، وبين حدثين آخرين . فى الداخل ، قرار الانتقال بالثورة الى الريف حيث تم تنظيم حملة يشارك فيها ٦٠ الف طالب لشرح اهداف الثورة للفلاحين ومساعدتهم على محو الامية والارشاد الصحى . وبالنسبة للخارج ، بدأ النظام فى ارسال وفود له لاجراء محادثات مع الدول الافريقية وغيرها من الدول .

ويؤكد بعض المراقبين ان التطورات الاثيوبية الاخيرة ، تفيد بان النظام الجديد قد افلت تماما من ايدى « المحاولات الامريكية » التى سعت من خلال عناصر لها كانت ممثلة داخل المجلس العسكرى الى حصار حركة النظام الجديد فى مجرد ايجاد بديل ثابت « مقبول » للامبراطور العجوز . ومن الجدير بالذكر ان وزارة الخارجية الامريكية ، كانت قد قررت خلال الشهور القليلة السابقة على اعلان البرنامج ، تجميد المساعدات الامريكية لاثيوبيا [٢٢ مليون دولار سنويا] وذلك « حتى تنجلى الامور وتتضح حقيقة الاوضاع » . وكانت البنوك السويسرية قد رفضت صرف اموال الامبراطور هيلاسلاسى بمقتضى الرسالة التى وقعها وطلب فيها هذا ، وذلك بحجة ان الرسالة قد وقعت تحت ضغط .

وترى الاوساط الافريقية التقدمية ، ان جزءا هاما من مستقبل النظام فى اثيوبيا ، مرتبط بالطريقة التى ستتناول بها مشكلة اريتريا التى تجرى فيها الحرب منذ ١٢ عاما . وتفيد تقارير المطلعين من اديس ابابا ، ان النظام الجديد يرغب فى معالجة المشكلة وحلها باسلوب يماثل اسلوب البرتغال فى معالجة قضية المستعمرات . فضلا عما تكلفه الحرب [ثلث ميزانية اثيوبيا] التى تحتاجها البلاد لما تعانيه من مشاكل المجاعة والتخلف ،

كان ملموح واهداف البرنامج السياسى للنظام الجديد لا يتفق مع استمرار الحرب .

ومن الملاحظ ان مشكلة اريتريا تكمنها فى الوقت الراهن بعض التعقيدات . لعل اهمها انقسام الحركة الوطنية الاريترية نفسها وارتباطات تيار فيها ببعض قوى خارجية تأبل فى تطورى اتجاه المطورات الاخيرة واستمرار نزيفه الحرب. لانهيك قوة النظام الجديد . نضيف الى ذلك ، قيام هذا التيار بإجراء حوار مفاجىء مع تيار الانفصال الذى يقوده الآبرز ميخائيلنا سيبوم فى مقاطعة الثيركية . وقد ادى ذلك الى احداث توتر احتفظ بمحاولة النظام الجديد فى اجراء مفاوضات — من طريق ميخائيل ابيوم وزير الاعلام — مع ممثلين لزعماء من اريتريا .

ويرى المراقبون الافريقيون المتعمقون ان الانتهاء راساً الى المفاوض مع الحركة الوطنية الاريترية ، من أجل الابقاء على قرار المصير ، هو الطريق المختصر الوحيد الى معالجة الموقف .

○

• العالم الغربى •

رفع سعر الذهب لسرقة دول البترول

وافق صندوق النقد الدولى على الغاء السعر الرسمى للذهب وهو ٤٢,٢٢ دولار للاوقية الواحدة من الذهب . وسعد عدا القرار من باب القرار الامر الواقع ، اعتمد ان اتفق الرئيسان فورد وجيسكان فى اجتماعهما فى المارتنيك على اعادة تقييم احتياطيات البنوك المركزية من الذهب بسعر السوق ، سارعت فرنسا باعادة تقدير ذهبها على أساس ١٦٠ دولار للاوقية ، بما رفع قيمة احتياطيها منه من ١٩,٦ بليار فرنك الى ٧٥,٦ بليار بزيادة ٥٦ بليارا فعلية واحدة .

وهذا الاجراء يعنى الى حد كبير الدور الرئيسى الذى كان الذهب يقوم به فى نظام النقد الدولى ، ويسمح للدول الاعضاء بالصندوق بتقييم ارصدتها الذهبية بأسعار السوق والمعروف ان الدول الاعضاء ملزمة بالاحتفاظ بالاقل من الذهبية مجمدة فى البنوك المركزية وحدها بالسعر الرسمى

والواقع أن هذا الاجراء يكفل للدول الرأسمالية المتقدمة ضرب عدة عصافير بحجر واحد ، ومن ذلك :

□ انه يحرر جزءاً من ارصدتها الذهبية التى تلتزم بالاحتفاظ بها مجمدة فى البنوك المركزية كجزء من غطاء عملاتها ومعاملاتها . الامر الذى يمكنها من طرحه للبيع فى السوق . ففى حالة فرنسا تضاعفت القيمة النقدية

بيان مشترك بين الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب والاتحاد العالمى للنقابات

امام الازمة الاقتصادية الطاحنة التى تواجه العالم الرأسمالى ، وكمحاولة يائسة للخروج من هذه الازمة بالقاء عبئها ومسبباتها على الجماهير العاملة وعلى الدول المنتجة للمواد الخام ، وخاصة البترولية منها ، فان الدول الامبريالية وفى مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية تصدر التهديد تلو التهديد ضد بلدان العالم الثالث وضد الجماهير العاملة فى البلدان الرأسمالية .

ووصلت هذه التهديدات الواقعة بما اعلنه هنرى كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة اخيراً ، من انهم سيلجأون لاحتلال مصادر النفط عسكريا حتى يضمنوا تدفق سبل الارباح الفلكية التى كانوا وظلوا حتى الان فى اجزاء متعددة من العالم يجنونها من استغلال واستعمار خيرات هذه الشعوب .

ولكن عالم اليوم ، ليس عالم التقسيم الاستعمارى (الكولونيالى) ، ولا هو عالم نهضة الرأسمالية والامبريالية . انه عالم نهوض وتطور المعسكر الاشتراكى ، عالم اتساع وصلابة حركة

لذهبها نحو اربعة مرات ، ولو ارادت الاحتفاظ بذهب قيمته تعادل بالاسعار الجديدة قيمة الرصيد السابق المقوم بالاسعار القديمة ، لكان عليها أن تحتفظ بربع الكمية القديمة وأن تبيع ثلاثة أرباع الكمية المتاحة لديها .

☐ **مبادلة قدر أقل من الذهب — بالاسعار الجديدة — مقابل نفس القدر من واردات العالم الثالث ، خاصة النفط** فبعد ازمة الدولار وتدهور القيمة الشرائية لارصدة الدول النفطية [خسرت احدى دوله ما يعادل ٥٠٠ مليون دولار في التخفيض الاول ، و١٣٨ مليون في التخفيض الثاني] ولجأت معظم هذه الدول الى شراء الذهب على اعتبار أن قيمته اكثر ثباتا من الدولار ، بل وطالب عدد منها بالسداد بالذهب — طبعا بالسعر الرسمي . ورفع سعر الذهب يمكن الدول المتقدمة من **تخفيض كميات الذهب التي تقدمها وفاء لثمن نفس الكمية من النفط بمقدار الثلاثة ارباع .** وتتبدى اهمية هذا القرار اذا ادركنا أن الدول الصناعية كان عليها أن تقدم في ١٩٧٤ مبلغا يتراوح بين ١٠٠ و١٥٠ مليار دولار ثمنا للبترول حسب تقدير الفاينانشال تايمز و١٠٠ مليار دولار حسب تقدير مجلة بتروليوم ايكونومست وهذا المبلغ الاخير يزيد ٧٠ مليار دولار عما دفعته في ١٩٧٣ . وفي سداد هذا المبلغ [١٠٠ مليار دولار] فان اقصى ما يمكن أن تصدره هذه الدول من سلع ومعدات تبلغ قيمته ٤٠ مليار دولار ، كذلك تدفع نقدا اجنبيا قيمته ٣٠ مليار أما الباقي وهو ٣٠ مليار فتسدده ذهبا . واذا حسبنا الاوقية بمبلغ ١٣٠ دولار ، فان وزن الذهب المطلوب لسداد هذا المبلغ هو ٧١٣٠ طن ذهب [مجموع ماتملكه الدول الصناعية منه هو ٢٦٢٥٠٠ طن] .

☐ تخفيف حدة التخلص من الدولار نسبيا وتفضيل الذهب عليه . وفي هذا كانت الولايات المتحدة قد أوقفت في ١٩٧١ التزام بنوكها المركزية باستبدال الدولارات بالذهب بالسعر الرسمي . وفي ديسمبر الماضي صدر قانون في الولايات المتحدة ، يسمح لاول مرة منذ ٤١ عاما بالتعامل في الذهب في الاسواق العالمية . وبمجرد صدور هذا القرار حدث هبوط حاد في سعر الذهب في الاسواق العالمية . ففي لندن وزيورخ انخفض سعر الاوقية من ١٧٥ دولارا الى ١٦٥ ، وفي باقي الاسواق انخفض الى ١٨٧ دولارا بعد أن تجاوز ٢٠٠ دولار . كما أعلن « وليام سايمون » وزير الخزانة ، وطرح ٢ مليون أوقية للبيع رغبة في وقف التكالب على تداول الذهب وتفضيله على الدولار ، ولكي تستبعد الذهب من الناحية العملية من النظام النقدي .

والمعروف أن قيمة الذهب وارتفاع سعره ينبع في الاساس من استخدامه كنقد ، سواء كعملة مباشرة أو احتياطي وغطاء . فهو باعتباره مقياسا ومستودعا للقيم يحتل المكانة التي أصبحت له . لان استخداماته في الصناعة او في الزينة ثانوية تماما . ولو استبعد الذهب من المعاملات النقدية لانخفضت قيمته ، تماما كما حدث للفضة

والواقع أن المضاربة على اسعار الذهب ما كانت بمثابة مضاربة على تخفيض قيمة الدولار . ففي البدء كان أصحاب الارصدة يفضلون الدولار لكن مع عجز ميزان المدفوعات الامريكي وخفض قيمة الدولار ، بدأ التحول نحو الذهب بصورة ملحوظة خاصة منذ أوائل الستينات . ورفع سعر الذهب يتيح للولايات المتحدة وقف التكالب عليه ، كما يمكنها نسبيا من تصحيح ميزان المدفوعات وتعزيز سعر الدولار .

لكن اتفاق دول الغرب على رفع سعر احتياطاتها من الذهب بهدف نهب دول البترول ودول العالم الثالث عموما لا يلغي في رأي المراقبين حقيقتين :

التحرر الوطني العالمية ، عالم اشتداد الصراع الطبقي في البلدان الراسمالية ، عالم الجبهة العالمية الموحدة ضد الامبريالية والاستعمار الجديد والاحتكار الراسمالي .

اننا ، باسم الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب والاتحاد العالمي للنقابات ، ندعو جماهير العمال في العالم اجمع ان يأخذوا التهديدات الامريكية مأخذ الجد لان الامبريالية في صراعها للابقاء على مواقعها قد تلجأ لاعمال انتحارية — اننا ندعو لليقظة والمزيد من اليقظة ، والى القيام بتحركات ضد دعاوى الامبريالية .

اننا ندعو الى رص صفوف مجموع حركتنا العمالية العالمية . ان ملايين العمال الذين يعتبرون الضحايا الاساسيين للاحتكارات والحكومات الراسمالية لقادرون اذا ما اتحدت صفوفهم على رد التهديدات الامبريالية ، على لجم اي عدوان وعلى تحويل سلاح التهديد الى الذين يلوحون به . ان كل اشكال التنسيق بين اطراف الحركة النضالية المطلوبة الان اكثر من اي وقت مضى .

ان عمال البلدان العربية الذين ناضلوا لسنوات طويلة ضد الاستعمار ، ومن اجل استرداد ثرواتهم الطبيعية والتصرف فيها بحرية ، وعمال العالم الذين يساندونهم ويتضامنون معهم ، سيقفون معا سدا منيعا امام اي تهديد او تشهير وذلك بفرض سياسة التفاوض والتعاون لحل المشاكل الاقتصادية والسياسية .

اننا ندعوا كل قوى التقدم والسلم في العالم ان تتحد في وجه تهديدات الامبريالية ، وان تدافع متحدة عن مكتسبات الشعوب وحقها الكامل في التصرف بحرية في ثروات بلادها .

عبد اللطيف بلطية
الامين العام للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب

بيير جونسوس
الامين العام للاتحاد العالمي للنقابات

☐ تفاقم التناقضات بين هذه الدول فيما يتعلق بمجالات النقد والتمويل والتبادل . فمثلا تريد دول أوربا التسعة أن يتم — في اطار صندوق النقد الدولي — انشاء صندوق خاص لاستثمار فوائض دول البترول ، بينما يطالب كيسنجر بانشاء صندوق آخر [٢٥ مليار دولار] تساهم فيه كل الدول ، وذلك لتمويل الدول التي تعاني عجزا .

☐ انه يستحيل كما قالت « لوموند » ادارة الشئون المالية والنقدية للعالم بدون اشتراك دول العالم الثالث ، خاصة دول النفط . وبالفعل فقد أعلنت كل من ايران والعراق والجزائر ، رفع سعر الذهب . وأعلن وزير مالية الجزائر أن هذا القرار لابد من اتخاذه في اجتماع دولي ، تشترك فيه الدول الاشتراكية ودول العالم الثالث وقال ان الدول النفطية ، سمحت رفض بيع سلعها مقابل نقود قيمتها الفعلية مشكوك فيها ، وأن البلاد الغربية المدنية ليست هي التي ستحدد شروط التبادل . وأضاف ان مؤتمر القمة لدول الاوبك سيبحث هذه القضية .

لذلك كله وكثير غيره ، يحتاج العالم الى مقياس آخر للقيم ، يقيسها بدقة من ناحية ويمنع التلاعب في مدى تعبيرها عن القيم الحقيقية من ناحية أخرى ..

○

● الاتحـــــاد السوفيتي ●

موســـكو تـرفض المعـاهدة التجـارية بعد أن رفض الكونجـرس جميع التحذيرات

في مساء يوم ١٤ يناير الماضي اعلن « هنري كيسنجر » وزير الخارجية الامريكي في مؤتمر صحفي عقده في واشنطن ، أن الاتحاد السوفيتي قد أبلغ الحكومة الامريكية رفض تنفيذ الاتفاقية التجارية التي وقعها الرئيس السابق « ريتشارد نيكسون » في موسكو في نهاية مايو ١٩٧٢ .

ورغم ان المراقبين في واشنطن اعتبروا هذا الرفض « اكبر نكسة مرت بها سياسة الانفراج » .. فان وكالة تاس السوفيتية قالت منذ ايام : « ان الاتحاد السوفيتي سيظل يحرص حرصا شديدا على الوفاق ، والعلاقات التجارية الطيبة مع الولايات المتحدة مع استمراره في رفض المساومة على اي شأن من شئونه الداخلية .

ذلك لان الكونجرس الامريكي — تحت تأثير الضغوط الصهيونية — عمد الى الربط بين اقرار الاتفاقية التجارية وبين التدخل في الشئون الداخلية للاتحاد السوفيتي ، حيث اشترط لتنفيذ الاتفاقية فتح باب الهجرة امام اليهود السوفيت الى اسرائيل وغيرها من الدول الاخرى .

فبعد عامين ونصف من المجادلات والمساجلات داخل مجلسي الكونجرس الامريكي حول هذه الاتفاقية ، دخلت العلاقات بين الدولتين الى مرحلة تراكم الثلوج مع حلول يوم ٢١ ديسمبر الماضي الذي يوافق بدء فصل الشتاء جغرافيا ، حيث اختار الكونجرس ذلك اليوم لكي يبعث فيه الى الرئيس الامريكي جيرالد فورد بـ « قانون التجارة الخارجية » في صيغته النهائية لكي يوقع عليه . وكانت هذه « الصيغة النهائية للقانون » تضع الاتحاد السوفيتي أمام الاختيار بين احد امرين :

■ اما ان يفتح باب الهجرة امام اليهود السوفيت .

■ واما ان يفقد « التنازلات » الامريكية التي تضمنتها الاتفاقية التجارية المبرمة بين قطبي الدولتين .

وكانت هذه الاتفاقية تهدف الى تعزيز الانفراج الدولي وتدعيم السلام العالمي عن طريق زيادة العلاقات التجارية بين الولايات المتحدة من جانب ، والاتحاد السوفيتي وسائر الدول الاشتراكية من جانب آخر ، حيث كان يعطي لرئيس الجمهورية الامريكي الحق في خفض الحواجز الجمركية المفروضة على السلع القادمة من هذه الدول ، وتقديم القروض اليها عن طريق بنك الاستيراد والتصدير الامريكي .

ورغم التحذيرات العديدة الى الكونجرس بالا يربط بين هذه الاتفاقية وبين مسألة هجرة اليهود السوفيت .. فانه لم يستمع اليها .. وقد صدرت هذه التحذيرات من داخل الولايات المتحدة ذاتها بالاضافة الى التحذيرات الصادرة من الخارج ، ففي اول اغسطس من العام الماضي حذر السناتور « ويليام فولبرايت » — الذي ظل يشغل منصب رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ لمدة ١٦ سنة — من أن مغالاة الاوساط الامريكية المتطرفة في المطالبة بالضغط على الاتحاد السوفيتي لاباحة هجرة اليهود السوفيت ، قد يؤدي الى القضاء على سياسة الانفراج . ودعا فولبرايت زملاءه في الكونجرس الى عدم الاستجابة لمطالب هؤلاء المتطرفين .

كذلك فقد عبرت بعض الصحف الامريكية وأوساط الرأي العام الامريكي عن قلقها من ان مناورات اعداء الانفراج الدولي داخل الكونجرس تضر بالمصالح القومية للولايات المتحدة ذاتها فقد كتبت صحيفة « جورنال أوف كوميرس » افتتاحية قالت فيها : « ان محاولات السناتور جاكسون وزملائه التدخل في الشئون الداخلية للاتحاد السوفيتي سيترتب عليها ان يسحب الاتحاد السوفيتي طلباته من الولايات المتحدة ويحولها الى دول الغرب الاخرى ، الامر الذي يضر بالمصالح التجارية الامريكية . وأن الاتحاد السوفيتي — كأية دولة كبرى اخرى — لا يمكن ان يسمح لاتفاقاته التجارية بان تخضع لشروط التدخل في شئونه الداخلية .

وعقبة ارسال ثلثون التجارة الخارجية من الكونجرس الى البيت الابيض نظمت وكالة يونيتيدبريس الامريكية تصريحا لمسئول سوفياتى فى واشنطن قال فيه : ان هذا القانون « الذى صدر بيان رسمى من الحكومة السوفيتية ينفى تقديم اية تنازلات الى واشنطن بأن يكون هناك توسع تدريجى فى هجرة اليهود السوفيت . كذلك ذكرت وكالة تاس ؟ ان القيادة فى الاتحاد السوفيتى ترفض تماما اية محاولات أيا كان مصدرها للتدخل فى الشئون الداخلية التى تعتبر من صميم اختصاص الدولة وليست من اختصاص أى شخص آخر ومن ثم تعتبرها أمرا غير مقبول » .

وكانت الوكالة قد اشارت من قبل الى ان كلا من الحكومتين الامريكية والسوفيتية تتمتع بـ طبقا للاتفاقية التجارية — بأن تمنح الحكومة الاخرى معاملة الدولى الاولى بالرعاية دون اى شروط ، وان عدم وفاء اى من الجانبين بالتزاماته فى هذا الشأن يؤثر على التزامات الجانب الآخر ، وبالتالى فان الشروط الامريكية التى وضعها الكونجرس من شأنها ان تؤثر على التزامات موسكو ازاء الاتفاقية .

من هنا فانها لم تكن مفاجأة ان يرفض الاتحاد السوفيتى تنفيذ الاتفاقية التجارية بسبب القيود التى فرضها الكونجرس من حيث اشتراط فتح الهجرة أمام اليهود السوفيت . وبسبب رفض الكونجرس الاعتماد على جميع التحذيرات الصادرة اليه من الداخل ومن الخارج .

○

• فيتنام •

سايجون «ثيو» تتحلل ، والثوار يقتربون

تتدفع حكومة ثيوين فان الثابعة للامريكيين فى فيتنام الجنوبية ، نفسها اكثر فاكثر فى مأزق مزدوج : سياسى — عسكرى . ذلك ان عملها المستمر على خرق اتفاقات باريس ، وشن اعتداءاتها على مناطق المحررة التابعة للحكومة الثورية المؤقتة ، يؤدى دائما الى ردود فعل من جانب الثوار ، تتمثل فى ضرب القوات المعتدية على المناطق المحررة ، فى مناطق انطلاق هذه القوات نفسها .

وردا على هذا الاسلوب العدوانى ، اسقط الثوار أخيرا ان يرجموا اكبر ضربة عسكرية تلقتها حكومة سايجون منذ توقيع اتفاق باريس سنة ١٩٧٣ فقد استولوا على مقاطعة فوك لونج باكملها بما فيها معسكرها فوك بين ، (٧٥ ميلا شمالى سايجون) بعد هجوم بالدبابات والمدفعيه الثقيلة ، ويعد هذا الاستيلاء الكامل على مقاطعة باسرها فى هجوم متواصل ، الحلقة الثانية من نوعها فى تاريخ الحرب المفتعلة ، فى حين تعتبر فوك بين اكبر مدينة استولى عليها الثوار لا بعد اتفاق باريس فحسب ، وانما قبل هذا الاتفاق بعام كامل ايضا . وقد سقطت خلال معركها ايضا ، فى أيدى الثوار ، القاعدة العسكرية الاقليمية لقوات حكومة فيتنام الجنوبية .

ولزاء هذه النكسة العسكرية الخطيرة التى خيبت بها حكومة ثيو ، بدأ الاسطول الامريكى السابع يكثف تحاشده أمام سواحل فيتنام ، وينقل كميات ضخمة من الذخائر من الولايات المتحدة ، وتايلاند ، واليابان الى فيتنام ، كما تقوم طائرات الاستطلاع الامريكية بتوجيه نيران حكومة سايجون فى هجومها على المناطق المحررة ، وخاصة منطقة فوك تونه ، كذلك أعلن الامريكيون حالة التأهب بين قوات مشاة البحرية الامريكية فى اوكيناوا . وفى نفس الوقت تقوم حكومة الرئيس فورد بالضغط على الكونجرس لتقديم مزيد من المساعدات العسكرية لحكومة ثيو لتسير قدما فى الحرب وتتنفك تصريحي انطلقت باريس ، فى حين ارسلت حاملة طائراتها « انقر برايز » أمام ميناء نيتشام الديموقراطية ، وترسل طائرات استطلاعها لاعمال التوسس فوق أراضيها ايضا .

لكن من الواضح ان حكومة الولايات المتحدة بتشجيعها حكومة ثيو على المزيد من الاعتداءات ، وشن اعتداءاتها هى ، تساهم بمساهمة متزايدة فى دفعها الى الازمة عن طريق المزيد من الهزائم العسكرية التى سوف تدخل بها فى ميدان القتال حسبما أوضحت التطورات الاخيرة .

وتحدث هزائم حكومة ثيو العسكرية ، اثرا مزدوجا ، فتضاءل من أنبا تنال من قوة الجيش العميل بعكم الخسائر المواقية التى يلى بها (١٥ الف قتيل و٥٧ الف جريح خلال ١٩٧٤ حسب الاحصاءات الرسمية نفسها) . فانها تأثر تأثيرا بالغا على القوة السياسية القائلة فى ميدان الجنوبية .

وتعتبر هذه القوة بمثابة جميع للمعارضة شد نظام ثيو ، وهى تتألف من عناصر ربما تفاوضت مع هذا النظام فى الماضى لكنها تحولت الى معارضة نتيجة المساومة الصفاء التى يواصل انواعها وتعكيره صفو السلام فى الوقت الذى يعن شعب الجنوب فيه الى وقف القتال . وقد شهدت الفترة الاخيرة تصاعد نفوذ القوة الثالثة ، التى أصبحت تضم وزراء سابقين وجنرالات سابقين ، وعناصر فعالة فى البرلمان ، وصحفيين ، ومثقفين وقانونيين . وتعد انعكس هذا التصاعد فى قيام المظاهرات المضادة لثيو . تتمثل مواصل فى كل مدن فيتنام الجنوبية منذ بداية هذا العام وحتى كتابة هذا التقرير .

وهكذا يزداد تحلل حكم عملاء الولايات المتحدة فى سايجون تحت تأثير صمودهم نفسه ، فى الوقت الذى يزداد فيه اقتراب الثوار من سايجون ، ويزداد فيه بروزا جسار خيرة ، تتشكل حكومة الثلاثية تحل محل حكومة ثيو التى تستطيب العداء الجماهيرى لها بشكل لم يسبق له مثيل .

تقرير خاص

مصر .. من الآن وحتى سنة ٢٠٠٠

صلاح جلال

لقد كان وضع المؤتمر تحت رعاية الرئيس محمد انور السادات ، وانابته الدكتور اسماعيل غانم - وزير التعليم العالى والبحث العلمى فى القاء كلمة الرئيس وافتتاح المؤتمر ومشاركة كبار المسئولين فى الدولة فى جلسات واجتماعات ومناقشات المؤتمر ، أكبر الاثر فى نجاح المؤتمر ، وكانت الاتجاهات الرئيسية فى المؤتمر التى ظهرت من خلال الكلمات والمناقشات والجلسات العامة والمتخصصة تتركز فى تشجيع وانشاء روابط للعلماء المصريين فى جميع انحاء العالم وبصفة خاصة للدول الاوروبية وأمريكا وكندا والدول العربية ، ووجود مركز فى مصر تكون مهمته القيام بتسجيل الاتصالات وتنفيذها يستقر عليه الرأى ، بين العلميين الموجودين بالخارج والمقيمين داخل الوطن ، ووضع البرامج التنفيذية للمشروعات وخطط البحوث والتعاون ، وقيام هيئة متابعة بهذا المركز استمرارا للاتصالات ، وتنظيم مواعيد دورية للاجتماعات والمؤتمرات المشتركة التى تعقد فى مصر ، مرة كل عام على الاقل لمتابعة ماتم ووضع خطط مستقبلية ، وظهرت الحاجة الى اقامة مؤتمرات علمية نوعية متخصصة تتناول أولويات مشروعات التنمية والمشاكل المختلفة يشترك فيها علماء مصر فى الداخل والخارج ، واصدار دليل للعلميين المصريين فى جميع انحاء العالم بتخصصاتهم ومؤهلاتهم وامكانيات التعاون معهم وتجديده سنويا ، واستكمال دليل العلماء المصريين بالداخل على احدث النظم الوثائقية ليصبح سهل التداول والاستفادة منه ، والاهتمام باختيار سبل التعاون المناسبة للتعاون مع العلميين المصريين بالخارج ، سواء بالعودة الى الوطن ، او الحضور لفترات زمنية مختلفة ، او بالبحوث المشتركة من داخل الوطن وخارجه والمشاركة فى مشروعات التنمية والدراسات . والاعتماد على خلق التكنولوجيا محليا وعدم الاعتماد على استيراد الالات والمصانع ، وتنفيذ المشروعات المستوردة من الخارج ، والاهتمام ببحوث المواءمة لتناسب ظروفنا وامكانياتنا والبيئة الاجتماعية والتركيب السكانى والخبرات المتاحة . وتفضيل الخبرات المصرية العالمية عند الحاجة الى خبراء أجانب ماداموا على المستوى المطلوب ، واستشارة العلماء المصريين فى الخارج فى نوعيات الخبراء الاجانب القادمين من الدول التى يعيشون فيها . وتوحيد الجهات التى تتعامل مع العلميين فى الخارج فى جهة واحدة ، وتركيز المسئوليات منعا للتكرار وتوفيرا للوقت ، وتأكدا من خلال المناقشات ان تخطيط مستقبل مصر سنة ٢٠٠٠ لا يتحقق الا باعتبار مصر جزءا اساسيا ورئيسيا من الوطن العربى ، والقارة الافريقية والعالم الثالث - مع التركيز على البحوث التطبيقية والتطويرية المباشرة المتصلة بخطط التنمية ، مع عدم اهمال البحوث الاساسية وخاصة الموجهة . وتحديد دقيق لقدرات جهات البحوث بالجامعات ، لاختيار مشروعات البحوث الملائمة بالقدر الذى تستطيع به امكانياتها أن تؤدى الى نتائج ملموسة وسريعة نظرا لدور الجامعات الكبير فى تخريج اعداد كبيرة مع ضرورة تقييم العلميين المصريين فى الخارج والداخل حسب تخصصاتهم ومجالات عملهم ، والاوقات المتاحة لهذا التعاون ، والاستفادة من هيئة الاستشارات العلمية والتكنولوجية للتنمية فى جميع نواحى الانشطة والخبرات للمشروعات المختلفة ، لتجميع الخبرات والاستفادة منها ، وربط العلماء بمشروعات التنمية القائمة فى الداخل والخارج ، والاستفادة من الهيئات القائمة والاهتمام والنشر والتوثيق العلمى ، واتاحة الامكانيات للعلماء المصريين فى الداخل لحضور المؤتمرات والاشتراك فى الابحاث ، فى الدول الاخرى والزيارات العلمية ، والاعتماد على الاجهزة العلمية والبحث العلمى - فى دارسة خطط ومشروعات التنمية ، واتاحة الفرصة لها للدراسة العلمية المتكاملة على أسس سليمة لا تتأثر ، بالعوامل قبل الارتباط بشأنها واثناء مناقشة سياسة ومستقبل التعليم ، وضحت الحاجة الى نظام التعليم الخاص باعداد العلميين المتخصصين المتكاملين حسب احتياجات التطور العلمى المناسب لظروفنا ومشروعات التنمية فى مصر ، والاهتمام بتخريج الفنيين والمساعدين الفنيين ومساعدى المعامل ومتخصصى المعامل وواضعى البرامج والتوثيق العلمى والحاسبات الالكترونية مع الاهتمام بتعليم اللغات الاجنبية باعتبارها مدخلا للاستفادة من التكنولوجيا العالمية . وان تكون المؤتمرات العلمية القادمة متخصصة ، وتشمل الموضوعات الرئيسية والاساسية ، وخاصة مشروعات الطاقة ، وبصفة خاصة البترول ، وتصنيعه ، والاهتمام بتكنولوجيا الكيماويات البترولية وازالة ملوحة ماء البحر ، وبالنسبة للطاقة الذرية ضرورة التركيز على ابحاث تصنيع عناصر الوقود الذرى ، ووضع برنامج نووى كامل ، وتحديد دوائر الوقود الداخلة فيه ، والمناسبة للظروف والامكانيات المصرية والعربية ، والاستفادة من المفاعلات البسيطة للمناطق النائية والصحراوية ، والاهتمام بمجالات البحث العلمى فى الموضوعات الحديثة فى الطبيعة والكيمياء ومنها التحكم الالى والحاسبات الالكترونية وبحوث العمليات . والالكترونيات والبصريات الالكترونية والليزر والاشعة تحت الحمراء . وظهر اتجاه هام وواضح فى المؤتمر يطالب بانشاء مؤسسة للصناعات الحربية تجمع العلماء المصريين دفاعا عن السلام والتركيز على مشروعات التكامل الزراعى والصناعى والخامات الطبيعية والزراعية فى العالم العربى . وبحوث السكان والدراسات اللازمة لها .. ووضع الخطط المناسبة لتنظيم الاسرة على أسس علمية . والبحوث الاجتماعية المتعلقة بهذه الموضوعات .

كذلك أشير الى ضرورة الاهتمام بدراسة ثروات البحار المحيطة بالوطن العربى والاستفادة من بحوث الفضاء فى

التطبيقات العلمية والتقنيات المعدنية والحساب الزراعي والتخطيط والمسح البيولوجي - والاهمام ببحوث الزراعة والتنمية في العالم العربي وافريقيا كل ذلك لتحقيق احتياجات الانسان المصري ثورة بمصر الحقيقية وتوفير احتياجاته من تعليم ورعاية طبية وغذاء وكساء ومواصلات ومسكن وترويح فكرى وثقافى ، والتركيز على بحوث الاسكان ومواد البناء الرصفية والمحلية والتوفرة في مصر والادارة الحديثة والتخطيط ، وبحوث التنمية الاجتماعية والتعليم الاجتماعى والتلفزيون واخذ الطعوم الاجتماعية وسيطا بين العلم والتكنولوجيا في عمليات التنمية والتركيز على الرعاية الطبية وابحاث الفضاء على الامراض الوراثية والتوطئة والاقتصاد بالوقاية واعتبار مشروع الفضاء على البلهارسيا مشروعا قوميا يشترك فيه علماء الداخل والخارج ، والقضاء على الحشرات لخسائرها الاقتصادية ، وتبين خلال الدراسات والمناقشات عدم الاهتمام الكافي ببحوث الزراعة الحديثة ، واقتصاديات استخدام المياه وتطوير نظام الرى والاستعمالات الحديثة للاسمدة ، ودراسة الظواهر المتغيرة نتيجة لمشروع السد العالى .

ودراسة اشباع الرقعة الزراعية والمؤثرات عليها ووسائل زيادتها وحماية الشواطيء من التآكل ، وتطبيق مشروعات التكامل الزراعى مع الدول العربية للاكتفاء الذاتى من الحبوب والبحث في ايجاد تغذية للحيوان حتى لا يشترك الانسان وينافسه على الرقعة الزراعية وانتاجها ، ورسم الخطط العملية الواقعية ، للاستفادة من كهرباء الربف وتحقيق الاهداف المرجوة في التصنيع الزراعى وكصدر لطاقة وللاذارة من تخطيط الشبكة الملائمة في وقت سريع .

ونخرج برأى واحد يوضح اهتمام المؤتمر بموضوع تكامل العالم العربى يظهر من خلال البحث الذى تدبه :

الدكتور احمد محمد توفيق الفيل استاذ الاقتصاد الزراعى المساعد قسم الاقتصاد الزراعى بكلية الزراعة بجامعة الاسكندرية .

والدكتور عصام ابو الوفا مدرس الاقتصاد الزراعى **والدكتور على يوسف خليفة** مدرس اقتصاد الزراعى

وتتضمن خطوط تمهيل التجارة الدولية الزراعية للدول العربية ودورها في تحقيق التكامل الاقتصادى التجارى لقزاعى العربى ، تبين منه أن أهم ملامح اقتصاديات الدول العربية ، اعتمادها شبه الكامل على تصدير المواد الخام غير المصنعة ، وهذه سمة من سمات الدول النامية وفى ظل عدم وجود سياسة اقتصادية عربية بمثابة تستهدف تحقيق التكامل الاقتصادى التجارى الزراعى العربى ، يسود التنافس بين هذه الدول فيما يتعلق بصادراتها من السلع الخام الزراعية ، وما يترتب على ذلك من أضرار اقتصادية واجتماعية تعيق بمختلف هذه الدول العربية .

وقد تبين من هذا البحث ان البلاد العربية وفقا لبيانات الفترة ١٩٦٥ - ١٩٦٩ دول مصدرة فيما يتعلق بالاسماك الطازجة والمصنعة والخضر والفلكهة والاغذية المحفوظة والمشروبات والحلود الخام والمدبوغة وبذور الزيت والالياف المصنعة والاسمدة الخام .. وبذلك يمكن للدول العربية أن تقوم بالتبادل التجارى فيما بينها بالنسبة لهذه المجموعة من السلع وتستطيع من ذلك مقابلة الاحتياجات الاستيرادية للسوق العربية التوسعية لكل دولة من هذه السلع بل ويزيد عنها قدرا يمكنها أن تقوم بتصديره الى الدول الاخرى غير العربية ، ويمكن من خلال هذا التبادل التجارى في هذه السلع تحقيق التكامل الاقتصادى والتجارى الزراعى العربى .

كما تبين أيضا ان البلاد العربية مستوردة صافية بالنسبة للحيوانات الحية واللحوم الطازجة والمصنعة والمنتجات اللبنية والبيض والجبوب .. ومستخرجاتها والسكر والعسل والقهوة والشاى والدخان والزيوت النباتية والحيوانات ومنتجات الغابات والاسمدة المصنعة والمبيدات الحشرية والالات ، الزراعية . ويقدر المتوسط السنوى لقيم هذه السلع في الفترة ٦٥ - ١٩٦٦ بقرابة ٦١١ مليون دولار سنويا ، وبذلك يتبين مدى عضافة مقدار فهم الواردات السلعية الغذائية للدول العربية التى تمول من حصيلة الصادرات السلعية الزراعية وهذا يعتبر من أهم معوقات التنمية الاقتصادية في الدول العربية .

واذا ما اتجهت الدول العربية نحو تحقيق التكامل الاقتصادى الزراعى وغير الزراعى بينها ، فانها يمكن ان تعمل على توجيه مواردها الارضية والبشرية الوفيرة بما يحقق الجدارة التكنولوجية وبالتالى الجدارة الاقتصادية في الانتاج الزراعى لها جميعا ، وينعكس ذلك في زيادة الطاقة الانتاجية الزراعية التى يمكنها الوفاء بمتطلبات الطاقة الاستهلاكية النوعية من السلع الزراعية في الدول العربية . وبالتالى يمكن أن تتحول الدول العربية من مستوردة صافية الى دول مستكفية ذاتيا أو حتى دول مصدرة صافية بالنسبة للسلع الزراعية التى تعتبر مستوردة صافية لها في الوقت الحاضر ، فالتكامل التجارى ، مرهون بالتكامل الاقتصادى في مختلف مجالات الانتاج الزراعى وغير الزراعى في الدول العربية .

وان يلتقى ابناء لمصر من أماكن مختلفة من العالم ، وهدفهم خدمة مصر خلال العلم والتكنولوجيا التى يعملون فيها دين مجرد بداية لصحق الالتقاء ، التى لغادرون فيها دين من الولايات المتحدة وكندا وسويسرا مع أمانيهم وزملائهم داخل مصر ، ومع المسئولين في مصر ، رئيس الجمهورية ، ورئيس الوزراء ، ورئيس مجلس الشعب ، وامين عام الاتحاد الاشتراكى ، والوزراء ، وكثيرون في مواقع مسئولة وبعد العمل بعد التعرف ، وبعدات سلسلة تفاعلات داخل المجتمع المصرى العلمى ، والعملى ويلتقى ابناء مصر من داخلها مع الابناء المقامين من خارجها الذين عاش بعضهم ١٨ عاما مغتربا لم يعد فيها الى مصر وكان يسمع عن مشاكلها من الصحف والمجلات والاذاعات ومن روايات القادمين والزائرين ، وفى مطلع السنة الجديدة التى تبدأ فيها مصر عاما جديدا من العمل ومواجهة التحديات ، تصبح المسئولية اضخم وأكبر في مواجهة العلماء الذين تقع على عاتقهم مسئولية التنفيذ في مواقع العمل المختلفة من وزارات وقطاع عام ، بمساعدته ومشاركته، ويصبح السؤال العامل : هل يمكن التخطيط لمصر من الان وحتى عام ٢٠٠٠ ؟

لذا كانوا جميعا قد اتفقوا في كلماتهم ومناقشاتهم على ان الثورة الحقيقية لمصر هي في شعبها وفى ابنائها وليس في الرقعة الزراعية ابتداءا راضيها أو المقيا ، ولا في المصانع اضاعا وارضاءا ولكن الثروات المعدنية والبترول ، ولكن الانسان المصرى سواء داخل مصر وخارجها هو الثروة ، وهو الوسيلة السحرية التى ستخرجنا من ظلمات المشاكل وتعقيدات الحياة وصعوبات المعيشة .

الانسان المصرى بعد التجهيز ثم الحصر والتصنيف ثم التعبئة وتحديد مسئوليات العمل وتوزيعها ، ثم في التنفيذ ، والحساب ثوابا وعقابا .

وكان الاهتمام بالطاقة في المؤتمر بارزا باعتبارها عصب الحياة ، وعنصر التنمية الاول ، وأواجهة التحديات حولها

من الان وحتى لا تفاجئنا الاحداث ، وكان من الطواهر الهامة فى المؤتمر أن اكثر موضوعات البحوث التى قدمها المصريون المقيمون فى الخارج كانت هى موضوعات عليهم قدائم والمستمر هناك بمعنى انهم لم يعدوها خصيصا للمؤتمر ، ولان اسمه حتى عام ٢٠٠٠ لانهم ظوا ، يكررون ويعملون باستمرار وهم هناك عن المستقبل وعن مصر وعن مشاركتهم فى هذا ، وعندما ظهرت بعالم المؤتمر الاخير فى القاهرة ، حضروا بأجسامهم وعلى نفقتهم ودفاتر من ضمورهم الفى بالاهم للمشاركة بالرأى ، والجهد .

وكان من ابرز اجتماعات المؤتمر ، ما يعرف بتكنولوجيا الحسابات (العقول) الالكترونية ومستقبلها فى مصر ، باعتبارها أحدث وأخطر واهم منجزات الثورة العلمية لغدة قضايا التنمية فى أى مكان من العالم ، والدول الاكثر تخلفا أولى بالجوء ، وبالتالى ، من الدول الاكثر تقدما وتطورا بالعقول الالكترونية . وتبين ان لمصر ثروة كبيرة من خبراتها داخل الوطن وخارجه فى هذا المجال الحساس والحيوى مما يدفع الى الاطمئنان الى المستقبل .

وكان للمؤتمر اهتمام كبير باعتباره الاساس فى رفع كفاءة الانسان المصرى ، وتزويده بأسلحة اللازم لمواجهة تحديثات التنمية فى العالم المتغير ، والمعتمد على التكنولوجيا .

ويعنى للتنمية الاجتماعية والتنظيم الاجتماعى اجتماعات شارك فيها المتخصصون من المصريين من الداخل والخارج عن مصير الانسان المصرى فى ظل نظم التطور الصناعى والزراعى ونوعية الحياة فى مصر عام ٢٠٠٠ ودور العلوم الاجتماعية وسبيلا بين العلم والتكنولوجيا فى عمليات التنمية .

ولان البشر الذين هم ثروة بحر المتيقية يعتمدون أساسا على الزراعة مصدرا للكسب والرزق ، والغذاء والكساء معا ، فان المذاهيل الزراعة كان لها اهتمام اساسى ويتبين فى المؤتمر ، وشاركت مجموعات عمل وبحث من أبناء مصر فى فتح باب الحوار العلمى والمناقشة الواعية لعصر مستقبل الزراعة والانتاج الزراعى فى مصر فى السنوات القادمة .

وكان للصناعة دورها الرئيسى ، وخصوصا وان عددا من العاملين المصريين فى الخارج تخصصوا فى صناعات وتكنولوجيا التصنيع ، باعتباره صناعة مصر الرئيسية الوثيقة بالقطن ، هيكل اقتصادنا .

وكان من أهم ما تبرزش فى الجلسات العلمية موضوعى البيئة ونوعية الحياة والطاقة .

وانتهج أنه لابد أن يتم تسكوين فرق علمية مشتركة لموضوعات محددة يعمل بها المصريون فى الداخل والخارج ، وان يفصل هذا النشاط المصريين المقيمين فى الدول العربية والافريقية ، وليس فقط من الدول الاوروبية والامريكية .

وأن يكون هذا الحشد والتجميع المصرى بداية لتجميع عربى ولابد من تنظيم البيت من الداخل اولا ، وان يلتقى المصريون وهم الاكثر عددا ، والاكثر علما ، والاوسع انتشارا فى العالم بالنصبة للمجال العلمى ، وان يوضع فى الحساب ، ان هذا كله سيكون فى خدمة الوطن العربى ، والقارة الافريقية ودول العالم الثالث ، والانسانية كلها بنفس الترتيب .

وقد صدر عن المؤتمر بيان باسم الخطاء المشتركين فيه من داخل الوطن وخارجه جاء فيه : ان الهدف الرئيسى الذى تكونت من أجله جمعيات الطبيبين المصريين بالولايات المتحدة الامريكية وكذا وسويسرا وجمعية اصدقاء الطبيبين المصريين بالخارج داخل الوطن ، هو تجنيد هذه الطاقات لخدمة المجتمع المصرى ، والاسهام فى عمليات التخطيط والمشاركة فى الجهود التى تبذل من أجل تحقيق اهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، لتحقيق هذا الهدف كان من الضرورى أن يتم اللقاء بين العلميين المصريين بالخارج ، وزملائهم المسئولين بداخل الوطن على وضعوا بما تصوروا لمصر المستقبل « مصر من الان وحتى عام ٢٠٠٠ ، اهداف محددة فى :

١ ـ التعرف عن قرب على مشاكل واولويات التنمية وتحصيل المعلومات اللازمة للمساهمة فى دراستها .

٢ ـ توثيق الروابط بين العلميين المصريين بالوطن مع زملائهم المقيمين بالخارج وبحث الطرق اللازمة لتنظيم هذا الاتصال .

٣ ـ تقديم دراسات وبحوث فى المجالات التالية ، المشكلة السكانية بأبعادها المختلفة ، التنمية الاقتصادية والصناعية ـ الغذاء والزراعة ـ الصناعات الالكترونية ـ الصحة والعلوم الطبية ـ الطاقة والبيئة ـ التعليم والبحث العلمى ـ التنمية والتنظيم الاجتماعى والادارة ، ومناقشة هذه البحوث فى ضوء الواقع القائم والتطورات المحتملة العلمية والتكنولوجية .

٤ ـ تنظيم وتصعيد عمل الطبيبين المصريين المقيمين بالخارج .

ولتنظيم جهودنا بأسلوب علمى نرى لذا لم نحصل بعد الى تصور محدد لمصر عام ٢٠٠٠ الا أن تبادل الاراء والمشاركة فى مناقشة مشاكل التنمية مع العلميين المقيمين بمصر والمستقبلين ، قد أوضح ضرورة بذل جهود دائبة فى هذا المجال . كما أدى الى تقهم أوضح للعلميين المقيمين بالخارج ، للمشاكل والتحديات التى تواجه الوطن ، واهمية توجيه الابتراعات لحل مشاكل محددة .

ولكى تكون الاستفادة من العلميين بالخارج مجدية لابد نوعى بالاتى :

١ ـ عقد مؤتمر فى القاهرة كل عامين يبحث فيه مواضيع محددة ويتركيز اكثر وتكون مرتبطة بجهود التنمية ، على أن يسبق هذه المؤتمرات اعداد مبكر حتى يتسنى لتجميع المساهمة الفعالة وحتى تصل مستوى البحوث الى الدرجة المطلوبة وان تقدم للحلول والمشاريع المدروسة والموجهة بصورة مباشرة لمشاكل التنمية .

٢ ـ بحث الطرق المختلفة للاستمرار والاتصال المنظم حتى يكون العلميين بالخارج أداة فعالة للاستفادة من التقدم العلمى والتكنولوجى وتطويره حتى يلائم البيئة والاهداف المصرية والعربية .

٣ ـ تزويد العلميين بالخارج بالخطوط الرئيسية لخطة التنمية ، حتى يمكن على ضوئها القيام بدراسات فعالة تخدم هذه الخطة .

٤ ـ توجيه الشركات الاجنبية والهيئات الدولية الى تفضيل الاستعانة بالعلميين المصريين فى مصر او الخارج فى المشاريع التى تقوم بها فى مصر .

٥ ـ التوسع فى الاستعانة بالاكفاء من العلميين المصريين بالخارج كأساتذة زائرين بالجامعة ، كأعضاء زائرين فى المجالس القومية ، والاكاديمية العلوم .

٦ ـ تشجيع العلميين المصريين فى الدول المختلفة التى توجد بها تجمعات منهم على تكوين روابط وجمعيات علمية مماثلة .

اليسار المصرى والقضية الفلسطينية

تواصل «الطليعة» فى هذا العدد نشر وثائق « اليسار المصرى والقضية الفلسطينية » .. ولقد كان نشر هذه الوثائق بمثابة رد على التحدى الذى تصاعد من البعض مؤخرا بإثارة مواقف اليسار تجاه هذه القضية القومية الهامة ..

ولما لم يكن الامر يسمح بالاجتزاء ، فقد اخذت الطليعة على عاتقها تقديم مجموعة متكاملة من الوثائق التى توضح بما لايدع مجالا لاى شك حقيقة الموقف الذى اتخذه اليسار .. وذلك ضمن دراسة متكاملة عن هذا الموضوع يعدها د. رفعت السعيد ..

○ مـــا هى الصـــــــهيونية ؟ *

لطيفة الزيات

عن رابطة فتيات الجامعة والمعـــاهد * *

الصهيونية كلمة تذكر فيذكر معهـــا الاستعمار والرجعية فالصـــهيونية هى حليفة الجشـــع والاستعمار وعميلة الاحتكار والاستبداد .

والصهيونية كلمة طالما اختلطت على الكثيرين منا فخلطوا بينها وبين اليهودية وحسبوا ان الصهيونية اسم لمسميين ودلالة على شبيهين . ولا عجب فى هذا فقد اراد الاستعمار هذا الخلط فكان . ولكن هل الصهيونية هى حقا اليهودية ؟ وهل نشـــأت الصهيونية مع نشـــأة اليهودية ؟

لقد عرف العالم اليهود اجيالا وقرونا ونال اليهود من العذاب الوانا وصنوفا وقاسى اليهـــود من الحرمان انواعا وضروبا . ولم تنشأ الصهيونية ، ولم تعرف الا فى اواخر القرن التاســـع عشر ، نمت فى ظروف خاصة وبفعل قوى خاصة نفخت فيها فكانت الصهيونية وكان الوطن اليهودى .

فى اواخر القرن التاسع عشر يتحول النظام الراسمالى من قوة ناهضة متقدمة الى قوة احتكارية رجعية . ففى اواخر هذا القرن تتدهور الراسمالية وتشيخ وتروح تتخبط فى بحر من الطغيـــان والكبت والاستبداد وهى تتشـــبث فى جنون بذلك النظام الرجعى المتعسف ، ذلك النظام الذى حكمت عليه متناقضاته بالفناء .

وتتنبه الهيئات الحاكمة فاذا بالشعب من حولها ساخط ثائر فتخشى أن يهتدى الى الداء وأن يتلمس الدواء ، تخشى أن يدرك أن النظـــام الاســـتعمارى الاحتكارى هـــو داؤه وان النظـــام الديموقراطى الحق هو داؤه .. تخشى كل هذا فتلعب لعبتها القذرة لتحرف كفاح الجماهير عن طريقه الصحيح ، ولتوجه الجماهير الى حلل تافهة تخلقها خلقا ضاربة على الوتر الحساس مثيرة النعرة الدينية مرة والوطنية اخـــرى والجنسية ثالثة ، عـــازفة على تلك النغمات التى لا تفيد الا الطبقـــات الاحتكارية والقوى الرجعية . وقد وجدت الطبقة الاحتكارية فى اليهـــود كبش الفداء والهدف الصالح الذى توجه اليه سخط الجماهير . ولقد قالها هتلر : « ان اليهود نعمة من السماء ارسلت الى فلو لم يكن اليهود لما استطعت اليوم ان اقوم بدورى فى المانيا ولما حزت مثل هذا النجاح ، وباليهود سالعب دورى فى اوروبا يوما ما » ونجحت القوى الرجعية الاستعمارية فى لعبتها القذرة ، وبدأت فى اواخر القرن التاسع عشر فى اوروبا — موطن المدنية — مذابح اليهود وسالت دماء اليهود تصرخ فى وجوه مسيليها . سنفنى ولـــكن سنفنى الشعوب يوما ، وسنقضى ولكن ستكشف الجموع عن الاعيبكم حتمـــا وسقطت الرقاب تحكى قصة المستبدين الدجالين الذين استحلوا دماء اليهـــود ليتشبثوا بنظام كتب عليه الفناء .

اما يهود العالم فقـــد كان خطبهم جلل ، دهاهم مادهاهم فترك جماهيرهم مشتتة مضطهدة معذبة يسهل تضليلها والتغرير بها وفعلا ظهر عملاء الاستعمار امثال هرتزل ووايزمان اولئك الـــذين كانوا يرتعون فى احضـــان تشمبرلن والسلطان عبد الحميد وقيصر روســـيا ظهر اولئك الخونة ليظلموا اليهـــود المعذبين ويصرفوهم عن عـــلة دائهم واساس بلائهم الا وهو النظام الاحتكارى الاستعمارى الظالم يصرفونهم عن دواء هذا الداء عن الهدف الحقيقى الـــذى يجب أن يرنو اليه الا وهـــو تدعيم الديمقراطية التى لا تعرف لـــونا ولا جنسا ولا دينا . الديموقراطية التى تكفل لهم الحرية والمساواة والكرامة . يصرفون اليهود عن الكفاح الحقيقى الى احلام زائفة ، وآمال باطلة الى انشاء دولة يهودية فى فلسطين ، فلسطين بلد الميعاد وهكذا ظهرت فكرة الصهيونية وليس من الغريب ولا من المستغرب أن يرحب بهـــا مستر تشمبرلن وزير المستعمرات الانجليزى وأن يصدر وعد بلفور يعلن أن بريطانيا تؤيد كل التأييد قيام وطن يهودى فى فلسطين . فقـــد ارتاع الاستعمار البريطانى من تـــلك القوى التحريرية النـــامية فى الشرق العربى ، ورأى الصهيونية فرصـــته السانحة لتوجيه كفاح العرب عن وجهته الصحيحة ضد الاستعمار والاســـتغلال الى كفاح عنصرى بغيض يفنى فيـــه العرب ويفنى فيـــه اليهـــود ويرتوى الاستعمار بدماء العرب واليهود فينمو ويزدهر ويتشبث بفلسطين بدعوى انه حامى حمى الاقليات وأنه ناشر لواء السلام فى ارض الميعاد .

وسرعان ما يكشف الاســـتعمار عن وجهه الغطاء وسرعان ما تنهال رؤوس الاموال البريطانية على فلسطين تنشب مخالبها فى اقتصادها الوطنى فتستنزف دماء اهلها وراح الاستعمار يعمل من وراء الصهيونية يقاســـمها جشـــعها واســـتغلالها واستعبادها للشـــعب الفلسطينى حتى بلغت نســـبة رؤوس الاموال البريطانية فى فلسطين ٨٨ فى المائة من مجموع رؤوس الاموال فيها .

وتم الارتباط بين الاستعمار البريطانى والصهيونية حين بدأت النازية فى المانيا وحين بدأت المذابح اليهودية على نطاق لم يعرفه العالم من قبل وهنـــا بدأت الهجرة المنظمة تحت اشراف الاستعمار البريطانى وتم تحويل فلسطين الى قلعة استعمارية بريطانية ومركز استراتيجى خطير يهدد الشرق العربى بأجمعه .

وقد أنزل الاستعمار البريطانى وعميله اضرارا فادحة فقـــد أذل العرب فى ديارهم وطـــرد فلاحيهم من الاراضى واستغل عمالهم أسوأ استغلال وأحل لهم الجوع والدمار وحول كفاحهم للخلاص من ربقة الذل والاستعباد الى كفـــاح عنصرى بغيض .

امـــا اليهـــود فقـــد حشروا حشرا فى فلسطين وبلغ عدد العاطلين منهم ٣٠ الف عامل ويعمل الكادحون منهم تحت ظروف من العمل القاسية شديدة القسوة . ارتضوا كل هذا فى سبيل الوطن اليهودى المنشود ، فى سبيل الحلم الذى لن يتحقق ، فى ســـبيل الخيال المضلل . بينما يغنى كبـــارهم

---

* قدمت هذه الدراسة والدراسات التالية فى الندوة التى نظمتها دار الابحاث العلمية حول القضية الفلسطينية .

* * رابطة فتيات الجامعة والمعـــاهد واحدة من المنابر الديمقراطية التى اسهم اليسار المصرى فى تأسيسها .

ويقدمون • بينما يعول الرأسماليون اليهود على العمل ذهبيا ويلقون التبعة على أكتاف العمال واليهود •

فالاستعمار البريطاني يستخدم الصهيونية لينهب على حساب العرب واليهود ثم يلقي بالفتات الى قلة من كبار صهيونى اليهود تلة تتمرغ تحت ذنبه وترقص فى أحضانه وتصلى فى محرابه •

ولكن العرب يظلون لا يخدعون نائمين والخطوب لا تمر بالشعوب مر الكرام وانما تعلم منها الشعوب عبرا وعبرا وتخلص منها بمظالم وعظمات

فقد كسح المصريون واليهود أخيرا أن النظام الاستعمارى والاحتكارى يجر فى أذياله الطغيان والاستبداد وأن الديمقراطية وحدها هى الكفيلة بتحقيق الحرية والكرامة والمساواة •

وبدأ الوعى يدب فى الجموع يجمع من شتاتها ويرص صفوفها ويقوى من عضدها لتضرب الاستعمار وعملته الصهيونية الضربة القاضية وقامت المظاهرات من العرب واليهود تعلن أن شعب فلسطين يريد أن يحرر فلسطين من ربقة الاستعمار وثير الصهيونية • والاستغلال، وأن شعب فلسطين يريد

اعزاز هذه فى الحياة الحرة الكريمة كما وأن شعب فلسطين يريد تحقيق الديمقراطية •

قام اجرار الفلسطينيين فوهتم الحقة فى وجه الاستعمار ، فاعوا برجالهم ونسائهم جنبا الى جنب مع الشيوعيين فى المكاتب ، والرجل فى مصانعه على السكاتر ، وسدعى المرأة الفلسطينية فى كفاحها حقا ، فالمرأة الفلسطينية تعرفنا أن لا كرامة لها ووطنها مستعمر مستغل وأن لا حياة ووطنها ظليل مستعبد والمها لتزلق فى أوحال الذل اليوم الذى تتحقق فيه لفلسطين الحرية والديمقراطية •

○ لهذا نحن نناضل مع فلسطين

سعيد خيال

عن لجنة نشر القضية العدلة *

لذا نناضل فى سبيل القضية الفلسطينية ؟

بما فى الاسباب التى تدفعنا للوقوف مع الشعب الفلسطينى البطل فى كفاحه للتخلص من الاستعمار والصهيونية وبناء دولة وطنية ديموقراطية فى فلسطين ؟

هناك الاوساط الرجعية التى يغلظها ويسكها الاستعمار البريطانى ، بأن اساس كفاحنا فى فلسطين هو الدين المشترك ، والعروبة المشتركة كأصل مرقى تتوارث عناصره فى دمنا جميعنا نحن والفلسطينيين فى واحد ، ويجيئنا من غيرنا من شعوب الارض ولذلك يصرف النظر عن تحالف الاجيال وتقلب الاوضاع ، هذان عنصر الاستمرار وشرعته هما المحركان الحقيقيان لموقفنا جنبا لجنب مع شعب فلسطين المناضل أما ما عداهما فعوامل وقوض الريح •

ويريد الاستعمار بذلك أن يعمم كفاحنا التحريرى بالقميص الدينى والعنصرى ، لتصفط فلول الفاشية ، للتوصل من وجهة الحرية العالمية ويفرد هو بها لجريمتها برهيشه المحروقة ويبرر شرعته بأنها حمل انساني نبيل •

ويريد الاستعمار ايضا أن يحتسول القضية الفلسطينية من قضية وطنية تحريرية هو المجرم الاول فيها ، الى قضية دينية عنصرية ، مركزه فيهما مركز الحكم المحايد • وبذلك يلغى قيمة نكوننا على الاقليمات الدينية والاجنبية ليتصرف اليها انفعال وتقع التبعة ، ويبقى الاستعمار آمنا ثابت القدم فى فلسطين •

أما الاوساط الرجعية فانها — فضلا عن ذلك الاستعمار — مصالح أخرى • انها تحاول اليأس جميع تضاياها ذوب الدين والعنصرية ، وأخطاءها كأمة بشكلنا لمعايرها المصطحة الزائفة ، بقية سحر جرائمها من أعين الجماهير الكادحة • وسد منافذ الحيرية فى وجوهم • وبذلك يسهل عليها تضليلهم وتحويل هزائمهم بعيدا عن رؤوسها المظلمة •

اننا نحن لا نهتم بهذان هذه الحقائق هنا لانها فقط حقائق يحاولون طمسها وانما لانها مرتبطة بالاهداف استعمارية ورجعية يأبى كشفها • ولكن ليس هذا فقط ، بل اننا نحن نهتم بتبديدها لاننا نود أن يعلم الجميع ، أن الذين الغامض والاتصالات المطاطية المائعة والنظريات الرجعية الكاذبة البغيضة ، ليست هى الاساس الذى نقيم عليه نضالنا التحريرى فى أى وجه من وجوهه بل انها تؤسسه ونقيمه على حقائق واسعة ، لتحسن هى بذاتها استمرارها وتعاظمه، فيكون نضالنا خليقا بتضحيتنا ، نضالا بطوليا عظيما لا يعين أو يعلم الاعداء، وسيحطم كافة الاعداء •

ان شعب فلسطين يناضل ليفوز بحقه المطلق فى تقرير مصيره حرا ديموقراطيا ، أنه يناضل لتخليص فلسطين من الاستعمار البريطانى ، ولتطهيرها من الصهيونية ، ولحن نقف معه ، فى نضاله هذا لاننا أعداء الاستعمار والصهيونية ولأننا وطنيون احرارا ، نحترم حق الشعوب فى تدرير مصيرها ، ونعمل ما وسعنا السبل لتوفير هذا الحق وتأييده ، ولأننا على أن الحرية وحدة لا تتجزأ ، وأن استغلاله فى أى مكان هو أضعاف للحيبة الشعبية السامية لعالم أفضل وتقوية لاعداء التقدم ومضطهدى الشعوب الا يقف شعبنا فى طليعة هذه الجبهة •• الا يقف ما ظفاء من هؤلاء الاعداء ؟

ان فلسطين تقع على حدودنا العامرة ولذلك يشكل الاستعمار البريطانى الحاكم فيها خطرا داهما على حركتنا التحريرية ، ألم يصرح الاستعماريون بأن مركزهم فى فلسطين يجعلهم على بعد ساعتين فقط من القاهرة ؟ وبذلك يبقى سيفهم حالقا فوق رقابنا حتى بعد جلائهم من ارضنا ، ويتمكنون من التسلط علينا والحكم فى شئوننا الداخلية والخارجية •

لهذا نحن نناضل لكى نحرر فلسطين ليتم لنا التحرير •

(*) كانت لجنة نشر القضية العربية أحد التجمعات الماركسية فى بداية الاربعينات وقد لعبت دورا أساسيا فى تأسيسها كل من سعيد خيال ومصطفى كامل مغيث •

ان فلسطين المجيدة هي التي تصل بين وادي النيل وبقية البلاد الشقيقة ، طرق المواصلات من جميعها عبر فلسطين . ويستطيع الاستعمار البريطاني الكامن فيها أن يقطع علينا الطريق ، ويذلك يحاصر علينا أن تتبادل المساعدات عند الحاجة ، كما يقطع علينا تبادل التجارة ، وفي هذا أضعاف كبير لنا ولهم . الا يؤدي هذا الى شل الجبهة العربية ؟ أليس هذا سببا استعماريا يجعلنا نقول روسيا ؟ ثم ونريد أن نحلله . ولماذا نتفاعل مع قضية فلسطين .

ان فلسطين موقع استراتيجي بشرقي على شرق البحر الأبيض ويتحكم في قناة السويس، أليم يصرح الاستعماريون ان مركزهم في فلسطين يجعلهم على بعد ساعة واحدة من القتال ؟ وبذلك يكون الاستعمار البريطاني المذلول بها في مركز يساعده على محاصرتنا لاسيما وهو يتحكم في غرب البحر الأبيض ، وفي شماله وجنوبه على السواء . ان الخلجة الاستعمارية المغروبة حولنا تكاد ان تخنق أنفاسنا . فلنتفاعل مع فلسطين الأبية لتحطيم هذه الخلجة .

ان الاستعمارية البريطانية لتكذب كذبا مفضوحا حين تعلن أنها أقامت مملكتها من شعوب البلاد العربية ، وأنها أنما تحتفظ بجيوشها المحتلة فيها بقصد حماية هذه الشعوب من خطر محتل من الخارج ، كذبت بريطانيا ،

أنها تخشى أولا وما تخشى شعوب الشرق الأوسط على العموم ، وشعبي وادي النيل على وجه الخصوص ، لأن هذه الشعوب لم تهدأ الاستعمار ولم تسكت عنه ، أنها تناضل لاستقلالها وتحريرها من قيده ، وتحريرها مستمراء ضياع مصالح بريطانيا الاستعمارية الدائمة على استغلال هذه الشعوب وحكمها بالحديد والنار .

وان مصر لتقف في طليعة شعوب الشرق الأوسط في النضال ضد بريطانيا الاستعمارية وذلك بحكم المرحلة التي يقتضيها من التطور وبحكم عهد شعبها ونعم الطبيعة العبلدة وتمتع وعيها نعم أيها الاخوان ، فالتناقض بيننا وبين الاستعمار يظهر هذا فاصلا لا سبيل اليوم الى تخفيفه أو المصالحة فيه . وهذا ما يشعر به الاستعمار ويحسب له الف حساب ، ولذلك فهو يتشبث بقدمه في فلسطين ، ليركز مدافعه هناك ويصوب أفواهها الى قلوبنا .

ولهذا فنحن نخوض مع فلسطين في معركة واحدة ضد عدو مشترك .

أيها الوطنيون . ليس الاستعمار البريطاني هو وحده هو فلسطين وعدونا . ان الصهيونية لتشطب أظافرها في قلب فلسطين العزيزة . واذا كان الشعب الفلسطيني الباسل يربي بنقل نضاله فوق رأس الاستعمار البريطاني باعتباره أصل الداء ، الا أنه لا يهدأ الصهيونية بل يقاومها بغير هوادة . ونحن نقف مع الشعب الفلسطيني في محاربته للصهيونية المجرمة فما أسهب ذلك ؟

ان الصهيونية حركة رأسمالية هدوائية تساعد الاستعمار البريطاني وتعتمد عليه في نهبها لفلسطين . انها تتمنى لأخراج أهلها من ديارهم وديار آبائهم وأجدادهم الأولين . ثم انها تسعى لتؤلف دولتها الرأسمالية الارهابية على فلسطين وجيرانها مرميلة العرب . ولذلك يعاديها الفلسطينيون وجماهير الشعوب العربية وتحاربها جميعا ، لمن جعهم دفاعا مشروعا عنا وعنهم ، ومحاولة بنا للرأسمالية العمرانية .

ان الصهيونية في أحدى مظاهرها حركة دينية متعصبة متعصبة ، فهي تساعد على بذر بذور التعصب الديني والعنصري بين أبناء شعبنا . وتساعد على قيام الحركات الفاشية عندنا . لتفتح للاستعمار وشيعته فرصة الفرقة بيننا ، وتحويل انظار الجماهير عن أعدائهم الحقيقيين ، وصرفهم عن التفكير في الأوضاع المرة التي يواجهونها ويحيون فيها .

ولذلك يهددنا انتشار الصهيونية من جذورها ولهذا نحن نتفاعل مع قضية فلسطين .

وان الصهيونية بما لها من نفوذ في العالم تعمل دائما على اثارة العداوة ضدنا وعرقلة مصالحنا المشروعة . انها تشترك مع الاستعمار البريطاني في مؤتمرات لنا وانها لتحشد لهذه على البقاء في مصر وتقوم له بدور الطليور الخليس وثيقة ابن آخر ، لقد ستت خائبة لمنح مؤتمر سان فرانسيسكو ، الذي سبق نشأة هيئة الأمم المتحدة من الاعتراف بميثاق الجامعة العربية .

وان الصهيونية خطر كبير على اقتصادنا الوطني . انها كحركة استعمارية رأسمالية ، تتمتع بسلطان الاستعمار البريطاني وامتيازاته . وتتصدر موارد فلسطين وثرواتها ، في مركز مساعدها على اجراح كيفتنا الاقتصادي وتخريب صناعتنا الوطنية والهبوط بمستوى معيشة شعبنا الكادح.

ولهذا نحن نعاديها ونكافحها .

ثم ان الصهيونية كحركة دولية تقوم على عريق الطبقة العاملة واضعاف كفاحها التحريري ضد قوى الظلام ولقد رأينا كيف أن وحدة الطبقة العاملة العالمية وكفاحها المجيد يساعدنا مساعدة جدية في نضالنا الديموقراطي ضد أكبر قلعة اتحاد النقابات العالمي في صف عدالة الفلسطين في سبيل استعداد شعبنا وتحريره .

الاستعمار البريطاني وشريكته الصهيونية هما العدوان الاصيلان لفلسطين ولقد رأينا أيها الاخوان أنهما هما لقد أعدائنا ، وان قضية فلسطين هي قضيتنا ، قضية استقلالنا وسيادتنا قضية خيرنا وحريتنا . ولذا كان نضالنا الوطني يهدف الى تحقيق استقلالنا التام ، فان نضالنا في سبيل فلسطين حرة هو سياج هذا الاستقلال ولذا كان نضالنا الديموقراطي يهدف الى رفعة شعبنا ومعاقدته ، فان نضالنا في سبيل القضية الفلسطينية هو لكفالة هذه الرفعة وتأمين ذلك الشعاذة .

اننا نرى أن أحدى وسائل النضال الفعالة هو أن نعرض قضيتنا على مجلس الامن ، فهناك يلتقي أنصار الحرية وأعداء الاستعمار ، وهناك تكشف الحيل ويبطل الالاعيب .

وان الجبهة العربية العليا التي تضم خيرة الوطنيين الفلسطينيين وتمثل مصالح فلسطين وشعبها أصدق تمثيل، لترى مثل هذا الرأي أيضا بالقضية المعروضة للمناقشة فتناقش شرطا هلالا حتى يتم عرض القضيتين على مجلس الامن ، والشرقي في حلم موقف المقترح الذي يراد لنا أن نقف من مئولوات المفاوضات التي تشرع على مهادئة الاستعمار ومشاركته .

اننا ندرك جيدا أن عبء نضالنا ضخم وان تبعاتنا التاريخية جسيمة . وانما لنؤمن بقوة شعبنا ونؤمن كذلك بعدالة المطالق في الاستقلال والديموقراطية . ثم اننا لسنا وحدنا ... ان في العالم قوى كبيرة تحررية تتقدم يوما بعد يوم ، وتعلق صروح الاستعمار والرجعية في كل مكان ، وهي رأس هذه القوى يقف مارد جبار هو الاتحاد السوفياتي نصير الشعوب ، الذي كان لشعوبه الفضل الاول في ابادة الفاشية المحورية والذي نفضل ويناضل في معارك السلام كما في معارك الحرب لتبديد قوى الظلام ، وتأمين حق كل شعب في أن يقرر مصيره بنفسه .

اننا أقوياء بشعبنا ، أقوياء بصلابة ارادتنا وبصرها وأقوياء بطلقتنا . بالمنضرب الاستعمار وشيعته ضربة الواثق الجريء ، ولنرفع بفضل نضالنا اني قرون البطولة ولنتقدم لنصنع تاريخنا بأيدينا . مستعولن له كن وسيكون :

الموت للاستعمار الموت للصهيونية

عاشت فلسطين المناضلة ! وعاش شعبنا معها في النضال !

الطليعة

ملحق الأدب والفن

- يحيى حقى : مبدعا وناقدا
- جوائز الدولة : تناول نقدى

في هذا العدد :

يحيى حقى : مبدعا وناقدا

- عاشق مصر .. وصديق القراء
- اى واحد من هؤلاء .. هو يحيى حقى ؟

جوائز الدولة : تناول نقدى

- عبد الرحمن الشرقاوى : تراث الفن مجدد
- صلاح طاهر : فن موضوعى ، وأسلوب تجريدى
- الرؤية ذات البعد الواحد
- مع الروائيين الفائزين بالجائزة التشجيعية

الأدب والفن فى شهر

- ابناء الصمت : الغنية رقيقة فى وداع الشهداء
- الحلم والواقع فى « عصافير » ياسين رفاعية
- حوار حول السينما المصرية والسينما الافريقية

يحيى حقى ..
مبدعا وناقدا

فى ١٩٢٥ .. نشر يحيى حقى أولى قصصه القصيرة ؛ وفى ١٩٧٤ نشر سيرته الذاتية ؛ وبين هذين التاريخين لم يتوقف يحيى حقى عن الابداع ، ولعله الوحيد بين ابناء جيله الذى تطور مع القصة القصيرة بحيث يمكن أن نجد فى ابداعه تاريخا لهذا الفن ..

والى جانب ابداعه فى القصة والرواية ، فان ليحيى حقى مساهمات فى النقد والترجمة لا يمكن اغفالها ..

وفى بنابر من هذا العام أكمل يحيى حقى سبعين عاما ، ولعل فى احتفال الحياة الادبية والثقافية بهذا الحدث - من مختلف الاتجاهات - أن يكون اعترافا بفضل كاتب من الرواد .

وفيما يلى نقدم « الطليعة » قراءة فى اعماله الابداعية والنقدية ، باقة من أزهار حديقته ، ونفحة من عطره ، قبسا من ضوئه ، يرد اليه ..

عاشـق مصـر
وصـــديق الفقـــراء

فاروق عبد القادر

يتقدم الاستاذ يحيى حقى للسيادة النقاد باقتراح بسيط : لماذا لايتشبهون بعمال المصانع ، ويلبرون عن العمال — وهم جلوس اكراما لمقاطرهم — تاركين « بعضا لبعضه » ، مكتفين بين العمل الفنى وجمهوره .. ترى كيف يكون اللقـــاء ؟

وبعث هذا الاقتراح ان النقد — عندنا حقى — قد اسرف على نفسه اسرافا شديدا ، كثرت به المصطلحات حتى اصبح لا يتداول بغيرها ، واخذ استقلاله بالعـــزلة .. فبقى الكثيرون خفاقا لانهم لم يجدوا أنفسهم على قمة اقوامهم ، وكثر اللقطاء بين الاعمـــال والكتاب لانهم لم يعرفوا لانفسهم اباء ينتسبون اليهم !

بعبارة أخرى : أصبح النقد مهمة لا تسمح ونتيجة لا تبين ، شىء كالنرجس الكئيبة يقوم به انانى شاعرا أن بحضورها لنفسهم — هبوبا فقالا سامة قداء — بين العمل الفنى وجمهور متلقيه .

ويحيى حقى ناقد ، له منهج واضح محدد « خطواته » وملامحه ، وحديثنا عنه اكثر من مرة — واجمع مقدمة « عطر الاحباب » ، ومقدمة «مباتر وجوليت » ولصول « خطـــوات فى النقـــد » و « انشـــودة المســـاواة » — ، وفى بعض صفحات هذا العدد قراءة لافكاره النقدية ، كل املى الا اكون فى الذيله واحدا من هؤلاء الذين تقدم البهيمات اقتراحه أو من اولئك الذين حددهم كى يضعهم فى زميل واحد يأتى به الى البحر على طسول ، يغمر — والحياة بظله — ! الثرثار والمتعالم والمتقمص فى الهيئة والمتباس فى غير زفة ! .

وانى افهم تماما قبل يحيى حقى بالحديث عن «قتيل أم هاشم » كأنه لم يكتب غيرها ، وهو يعترف لنا — فى سيرته الذاتية وفى حواره مع بعض من حاوروه — بهذا الصديق ، ويفسر اهتمام الناس بهذه القصة والاقبـــال عليها بأنها « خرجت من قلبى مباشرة كالرصاصة» وربما لهذا السبب استقرت فى قلوب القراء بنفس الطريقة [السيرة الذاتية] ص ٤٤] ، لكنى اعتقد أن هذا التفسير وحده لا يكفى ، للحق نواجه ظاهرة فريدة : قصة بهذا الحيز المحدود من الصفحات — حوالى خمسين صفحة من القطع الصغير — تحظى بكل هذه الشهرة والاهتمام حتى تصبح علما على مؤلفها ومرادفة لاسمه : أن نذكر يحيى حقى تذكرنا القنديل .. والعكس صـــحيح .

اعتقـــد ان التفسير — الذى يكمل نصير المؤلف ويضيف اليه — ان هذه القطعة من فن القص قد نجحت فى ان يجسد — اكثر من غيرها — هذا الهم الطاغى الذى عرفه جيل المؤلف والجيل التالى عليه ، ولعله لا يزال حتى الآن قضية مطروحة ، هى القضاء بين الشرق والغرب : كيف يكون ، واسماعيل يتجاوز — من هـــذه الناحية — بطل « عصفور من الشرق » و « امهـــات » و « الحى اللاتينى » وغيرهم ، ويجســـد — على نحو اكثر صدقا ومن ثم اكثر اقناعا — هذا اللقاء وكيف يكون ، واسماعيل حين اختار أن يرجع ليداوى عينى بريشته بزت القنديل كان اكثر وعيا وتقدما من كثيرين من ابطال جيلـــه : اخذ من الغرب جوهر نغمه ويزجـــه بزجا بأيسانه : « كم من عملية شاقة نجحت على يديه بوسائل لو رآها طبيب

اوربا لشعب عجبا ، استسلمك من طلبه برودة وأساسه ، وترك المبالغة في الآلات والوسائل ، اعتماد على الله ، ثم على طلبه وتهيئه بمارك الله في طلبه وبهمه » [التقدم ، ص ٥٧] ، وكان هذا الاعتراف الرائع الذي نبذل في عودة النور لعيني فاطمة ، وفي الابناء الكثيرين الذين أنسلها أبوهم ، وفي حب الناس وإعزازهم له في حياته ، وفي الخير الكثير الذي اختار أن يداوي برضاء ، وهل تريد رضى من النفس أكثر من هذا الذي آب إليه في أواخر عمره: دنيا الحبيب فحكاته في حلقه! جلجلت في جيبه ، فليس هناك صوت أقوى على التعبير من صوت المصدورين ، يكاد ينفر بعمها إليك شهقات لموت ، كلها حب ولهم ، وفيها خيبة وطيبة ، وصلاح واعتزاز ، وكلها تقول لك قبل كل شيء:

— ليس كل ما في الوجود أنا وأنت ، هناك جمال وأسرار ومتعة وبهاء ، السعد من أجمعها ، لعلك نهاً ، عليك»

[ص ٥٨] .

قد نظن أسماعيل يجب القارىء استطاع أن يشفيهم ، وما هذا الاطمئنان والجدل إلا لانه لجح في أن يكون منصلا ومنفصلا في آن : فطرة تحدو الى التبع وتمتزج ببيانه ، لذة تلذهم بالكون وتنغمهم كيفاته ، أدنا مفردة تلوذ بالمجموع نعبه ويعطيها ، لم يكنه هذا كله عفوا أو دون هناء ، لكنه كابد حتى وقف على هاوية الجنون وحدق في أعماقها ، ولاح له المهرب حيث خايل عينيه حلم الحياة ، ست الجنون ، هي ربة انجلترا ، وحين أطلعني أن يقتلع مأزى من نفسه — يرض الدنيا الذنان الهابس، بان اسماعيل عالم حتى. أخريات أيامه ينعش النساء — دخل الايمان الى الارض الخراب ، ملمست ، وأعلان روحه بنشوة العمل والدفء .

هذا من ناحية ، ومن الناحية الاخرى لدنا نظام التقتيل لم رأينا فيما مجرد قصة واقعية تصور محنة طبيب عرف الثقافة الغربية وحضارته ثم رجع يضطرب في واقع مختلف . اننا نستطيع أن نرى فيما مصر كلها وهي تطرح السؤال : لماذا نفعل بتراثها وبحضارة الغرب ، وكيف السبيل الى المواءمة بينهما بحيث نحفظ من كل أفضل ما فيه . ويحيى حتى يحدثنا في « سيرته الذاتية » — ويفصل الحديث في « جمعة اغتيالها » — عن مأزمته لذلك « التجربة الخطيرة التي قام بها مصطفى كمال حين حول دولة شرقية اسلامية الى دولة علمانية حديثة بتفصل فيها الدين عن الدولة ، وقد قرأت من مصطفى كمال كثيرا ، والقصت به اكثر من مرة .. » ، ويبلور موقفه من هذه التجربة على نحو مباشر : « كنت أشعر دائما أن في داخلي شيئا صلبا كالبلوب بصبولة في تيار حضارة الغرب، عندي حضارة له ثم تق فيي تيامل حضارة [روما] ، وعندي دين هو نظام متكامل فيه الفناء .. » [السيرة ص ٤١ — ٤٢] .

وتتبدل أم هاشم هي التعبير الفني عن رأي يحيى حقي في القضية المطروحة وعلى المستوى الرمزي فاننا نستطيع أن نقراها دون قصد أو محاولة لتي أعماق النصوص : يمكننا أن نرى في اسماعيل « روح مصر الناهضة المتوثبة، وفاطمة النبوية هي مصر التقليدية المستمدة على أساس صلب من تاريخ وتراث كبيرين ، وهاري هي أوربا الحديثة المغرورة بعلمها المادي ، دون ايمان أو اعتراف بالتسامي ، ومعلم الست هو الايمان ، والتذبذل تمثل الايمان ، ومحنى العكاية على هذا المستوى أن مصر ترفض الروح الجديدة اذا أريد بها أن تفرض عليها فرضا ميكانيكيا من الخارج ، ولكنها تقبلها اذا ما جاءت اليها نواتا خلاقة ، تحترم التراث والاسلوب، وتمسى الى الانتماج دون السلخ .

« لعلنا لم نستجب حينا مصر فاطمة النبوية ، للروح المنظرسة [اسماعيل] للفكر المتحنث] بالتأهم خيلها وأصوت بالمسى ، فلما انثرات الروح الجديدة من فورها أمكن للعلم المسلح بالايمان [يعني الايمان حتما الايمان بالتسب والتربية وتراقه .. الخ] أن يحاق المعجزة ويعيد لمصر نور عينيها ، ولمكن لمصر أن تتزوج الروح الجديدة وتتعامل معها .. » [د. على الراعي : دراسات في الرواية المصرية، ص ١٦٦ —١٦٧]. لعله يصبح من التزيد بعد ذلك — أو من « الخشمسة في البداهة » ، على حد تعبير يحيى حقي — أن نطرح السؤال: هل انتصر اسماعيل أم انهزم ؟ هل هذا هو السبيل أم أن هناك سبيلا سواه ؟ .. أن اسماعيل لم يزعم الزعم ثم تكس من تحتيقها ؟ هو من البداية لا يلعب دور الناثر ، لكنه فرد متمرد ، يبحث عن اينه الخاص أولا ثم عروسيته ينتج بها الناس ثانيا ، وهو من البداية كذلك مأخوذ على الفسراء والنطاة ، براهم في اضطرابهم على المثالات، الفسيح ، وفي تساقط نفوسهم حيرا حيوهم متعلقون بأستار الفسيح يطلبون الامن والهداية ابدى قلبه حيا وعطنا [راجع مؤلفه من الخاطئة السوداء ودلالته] ، لهذا كان صادما، دفعنا مع نفسه كل الاتجاه حين اختار سبيله ، بحيث يصبح أي سبيل آخر بعيدا عن تكوينه النفسي والفكري جميعا .

« تتبدل أم هاشم « على المستوى الفني قطعة محكمة من فن القص ، لا كلمة واحدة زائدة ، ولا تعبير من خارجها ، سرعة في الحركة نحو أهيم [حياة اسماعيل الروحية] ، ولمست قليلة تصل مباشرة داخل الشخصية دون الكثر هول مظاهر خارجية الا ان تكون لها دلالة ، واخضاع كل مظاهر الواقع الخارجي للحركة الداخلية بحيث تصبح نابعة عنها معبرة عن همومها [راجع رؤية اسماعيل لحركة الميدان في مواقف ثلاثة : قبل سفره ، ص ١٠٠] وما معدها ، واثناء تاجج ثورته النفسية بعد عودته ، ص ٤٣ وما بعدها ، ثم بعد أن آب الى عدوته وعرف طريقه ، ص٥٣ وما بعدها] .

وفي على المستوى الفني رؤية ونبوءة لهذا أصابت من الاتجاه والشهرة ما أصابت .

(●)

لكني أعترف بان « صديقيات » يحيى حقي الغريب الى قلبي .. هنا تعبير فني وانساني عليه عن هذه المنطقة من أرضنا التي أعيت أجيالا طويلا ، تعبير عن نابعها وتقاليدها وحيرانها وبنائها ، يقدمه لنا قلب محب مشارك متفهم ، يرى كل شيء قلما يفتح الا ان وصل منه لاعماقه ، لاقف هيئه هذه السطح وان أفراحها ، كلها نفوس فتحنين الفوس ، وتضم — في كل واحد — الطبيعة والانسان والحيوان.

هنا .. حيث الليل في ظلمة الصبي، تلمع به الكون مرفأ ، هبط على الفضاء حملا ثقيلا ، أحاط بالارض كالغيد ، فطى الحقول كالكفن ، ولف القرى كالضباب، وانحدر — ولا حد لانساعه — الى الشوارع فاحتواها ، ثم ثلمت بحيث من مداخل النفوس التي يعلم انها ستقابله وتتشربه ، لتحظيا بتحملي فيها ٠٠ [ذهاء وطين ، ص ٤٦ — ٤٧] ، حيث البيوت كلها وأطلة متراصة « انسرام وظلامة ملاصقة كأنها قبيلة متوحشة ، ثم

على رؤوسها شعر الهيج ، فى تساول
هشة من حطب الحطان ويوص الحزة ،
وصلت الى الذيه صرخات متعالية ،
بعضها للانسان وبعضها للحيوان ،
لا فرق وقتها .. حدة الصارخ فيهما
واحدة ، وعند المنتهى سواء فى نفسها ،
من ٣٠] ، وحيث الدهوة الفقيرة هى
الجسر ، ووسطها مصباح خيطه حلقة
كلوبة من نابوس كالقرابه ، ولى فكة
خشبية جلس الشاعر بيده زيادة ينشد
« ولف الكون مسكون شمايل » وكانت
السماء فى ظلامها كأنها جناح ولواط
حط على العالم ، له بين الحين والآخر
رعشة خفية هى سببه هزة هذه
النجوم الليلية التى ترتعش فى ثبات .
ولم يستطع المصباح بزيته ولا المنقد
بربابه أن يبعد بعض ما فى السكون من
حزن جاثم .. هل الليل جثة المهتر
ليكون هذا الحزن الشهود الموت .. أم
العالم فى امى ائه يشعر أنه ولى
ضيلا لقبلنا ؟ ؟] نفسها ، ص ٩٧ —
٩٨] .

فوق هذه الارض ، وداخل هذه
البيوت يعيش رجال ، ونساء ، ظاهرهم
الخشونة والقسلاة ، لكن وباطنهم يترقرق
بانسانية خفية ، ليست بالسطحى وليس
الحيوت « الفيوط » الذى. يعيش فى عالم محاط بما لا يمكن ازاءه
سوى شعور الربية والاستخفافة به ،
« وشره من الرضا المختصب وعلامه كلها
تمثل كالبه ، ، هذا الشعور هو توام
مجاوبتهم لكل تدخل فى امورهم ؟ بسبب
بقدر سوء حظهم لان كل المحاولات تأتى
من لجانب عنهم — حكومة أو موظفا —
لا يفهمهم ، ويعيش فى واد وهم فى واد.
ان لم يكن فرضه ، بل جبروته القسر
فى تدخله على التافه الهش السخيف
وترك ما هو لديهم ضرورى الحياة
ومستلزماتها » ؟ [أم العواجز ؟ ص
٤١] ، ان عملوا تحيرت من اجتهادهم
المبذول وايديهم الخشنة وظهورهم
المنية طاقة عاملة على الصبر والاحتمال :
الصبر على قسوة الطبيعة واحتمال
الشروط الانسانية التى يعيشون فى ظلها ،
وان فلسفوا لشوه من الدراع والصبر
فهى المراويل الصبر التى تتقى بالعراق
والثومة وعزائمناعاسة وبنات عبدالله ،
والقدر الذى لا مفر منه ولا مكان له .
و « المتعى يا حبيبى بين ايادى الله ؟ ؟
عاش بينهم يحيى حتى فاجعهم — كان
اكون واثقا أنهم أحبوه — ، راقبهم فى
صميم اليومى الدؤوب ، على شطئيه

● يكفينى أن تخرج هذه
المذكرات كتابا مجرى تدور بينى
وبين نفسى ماقتها فيها الصدق
والصراحة والقلق، مهتما بالعبرة
لا بالتفاصيل .. وعزائى أننى
استطيل واشبع كل خطوة
بالتفاصيل ، ولو كانت الذكرى
مملة والكلام عنها ، فالابتسام
وحده هو الذى يجعل طالب
الصنع جميلا ، وبذل الصنع
اجمل ، ويقلب الماضى الى حلوا
والحاضر المقبل هنيا والمستقبل
العلم آمنا .. ان كانت الابتسامة
تتقلب احيانا الى سخرية فلا
بأس ، فمن تضحى وتقبل اى
انسان آخر قد سخرت ، اسير
فى هذه المذكرات كما سرت فى
حياتى ؟ أقرد الشراع وأتول
الزورقى والبحر المخوف بأمانى ،
« خليها على الله » ١٩٥٩] ؟
ص ٤ ؟ ؟

ابتسامة بشارك عطوفه ، ليش متعاليا
ولا متعالا — وان كان من صنوف الموظفين
المؤهلين للتعالى والانتعال — يشارك
فى طعامهم وسهرهم ، يحاور لهم صانع
الى فهمهم ، ان هذه الفترة من حياة
يحيى هقى ؟ ١٩٢٧ — ١٩٢٩] التى
عمل فيها معاونا للادارة فى مدينة منفلوط
لتجد تسجيلا فى اعماله على مستويين
مختلفين لتقهما متداخلان : الاول هو
التسجيل الواقعى الباشر لذكريات الكاتب
وآرائه فى « خليها على الله » ، والثانى
هو التعبير الفنى الخاص فى هذه
القصص « الصعيديات » .

اقول ان الصعيديين متداخلان لانك
تجد البذور الواضحة لبعض هذه
القصص فى ذكريات الكاتب وآرائه ،
واشير بوجه خاص الى ان قصة
« البوسطجى » — وربما كانت افضل
هذه القصص روعة ومن افضل قصص
الكاتب على الاطلاق — انما ترجع اصولها
لبعض فصول هذه الذكريات : من فصل
بعنوان « شريعة الجثة » [خليها على
الله ، ص ١٦٩] ، اخذ الكاتب فكرته
الاساسية : القضاة التى تخطيه مع خطيبها
وتحول ظروف عابرة دون اتمام الزواج
فيكون مصيرها القتل على يد الاب ،
ومن فصل ثان « بيت الباشمهندس »

[نفسه ، ص ١٨٣] اخذ كبيرا من وصفة
حياة عباس « البوسطجى » ، بالاضافة
لمعلومات متفرقة حول حياة الموظفين فى
بدن الصعيد الصغيرة . كذلك الامر
بالنسبة لقصة اخرى من هذه « الصعيديات »
تأتى قصة « عصير الجليع » [مجموعة
ام العواجز] التى ترجع بنص بعض
اجزائها لواحد من هذه الفصول [انظر :
« حتن الفروج » ، خليها على الله ،
ص ١٤٨] ، ويعتد هذا التداخل ليشمل
بعض مشاهد وشخصيات روايته « صح
النوم » [واشير الى مشهد الحفلة
وساجيها بوجه خاص] .

كانت هذه الفترة معينا لاعمال الكاتب
الفنية فيما بعد ، ولعل أوضح اثر
فى هذه « الصعيديات » هو اهتمام
الكاتب بالمظاهر وتحليل الانزواء ، وهو
ما يذيع هذا الانزواء من خمار — ام تلك
الغيوط التى تتعكر فى مصائر البشر ،
وتحوكها تقاليد راسخة كالقدر ، انظر
الى هذين المشهدين من قصتين مختلفتين :
الاول عن اللقاء بين الراعى الخلل
والفتيحة المجرية فى القصة التى سبقت ؛
« ما ان بادلها البرجلسنها حتى انطلقت
من مكمنها رغبة قوية طالما كبتت ، فكانت
فى انفعالاتها هوجاء ، لكنها هريصة على
نفسها ألا تعتى سريعا ، فهى تضغط على
حمقها وتخفى عنها بستار من الالفاظ
والزفرات الضطوة ، وجعلت كل همها أن
تعطى للرجل ما لم يناله من قبل ، وأن
تخلد منه أكبر ما تستطيع ، وكانت «
وهب على فيها — تلبح فى ظفرتها رغم
الظلام صورة الانتصار ، ولو كان للذروة
جسد وأشرات عليهما لهزت رأسها رضا
وانتشارا ، ولداهمت من نفسها بانها لم
تكن لترضى من أغلبه الناس بالعبارة
المحتشمة المشروطة فى الحياء والفن الا
لانها تتعلل لانراد قلائل منهم ، وعى أردفت
متدرقة ، كليل قوتها ، فيهيؤها أوراحهم
ويدعوثها الى مثلهم من غير شرك ،
[حياء وطين ، ص ٩٣] » .

المشهد الثانى من القصة التالية فى
المجموعة نفسها « أبو عودة » عن اللقاء
بين جابر — الذى تقفى فى السجن خمسة
عشر عاما — وترجمى المرأة [البراوية]
اللعوب ، صاحبة التجارب مع الرجال :
« أسند على الجدار ، وشعر بشىء
يجذبه للارض ، تنفسه سريع ودماغه
مختلطان ، أسبغط فيه وهش على
رقاده ، فلما هم يقوم لم يستطع ، توالبه
هشر حالج تجمعت قوته هباء ، ولكن
لا يزال فى دوخة الغفلة ..

أتت الماء على وجهه فشوق ، ورفع رأسه ، غالماً يبصره يقع على يمينه كلهما فخوف واصطلام ، ربما سحرها ما رأته من الثروة فتحير وتصرخ رجلاً ، وربما كان ما رأته في حالة جاسر من رغبة صفية بلمحة من لجلبها الى ٠٠ ولكن لا هذا ولا ذاك ٠٠ ان هو الا القدر محتوم يعيد على الخلائق ، في حوالسه حوادث تصبي مرة بمسافدات ومرة موجبات ، ربما هي الا لمحة من لمحات السكون في دوراته ، ليس للانسان فيها الا ما للكتب في صغير الذي ٠٠ ومعترضها ظاهر الغربة» [شاه وطين ، ص ١١٧ — ١١٨] ٠

ازهذا القدر المحتوم يهبط على الخلائق هو ما يشبع الخيوط في الخشاء ، في « البرسطيجي » ، وقد تستطيع القول بان في هذه الخيوط اعتباداً كبيراً على الصدفة [هي التي جعلت خليل ينقل من القاهرة للاسكندرية ثم يرجع للقاهرة مرة أخرى ، وهي التي جعلت البرسطيجي لا يخبره الا في شطر المخطاب الذي يحوي شر لقائله ، وهي التي جعلت أم أحمد — المرأة التي تصل المخطابات بأسمها — تموت في هذا الوقت بالذات] ، قد تستطيع أن تقول هذا ، ولكن لابد لهذا القدر أن يعاقب المخبوء ، قد يناخر العاقبة إلا أن كبرا لكنه حتما سيجيء : علوة الراعي حين يستلم المخبرية يفقد شرفه وطهره ويتعرض للضرب والمهانة ثم السجن ، حيث يحكي حكايته ويختفي بموايل العشق وبقرى البحث عن المخبرية بجرد اطلاق سراحه ، وجاسر ، بعد ان يواصل تمثيل دوريته ويعيش مع « البحارية » في « لذة لا يعرفها معظم الناس » تقهره الدنيا ويعيش مع « البحارية » في « لذة لا يعرفها معظم الناس » تقهره الدنيا ويذليت في وجهه ثبتت بصره ويتغير الى النصول ٠

نحن أمام تصميمين متراقبين : أن يعيش حتى كتاب أخلاقي ، وثانه فنان صادق فهو يتعمد عن الوضع والتشهير ، لكنه يسوق الاحداث في قصصه بحيث تعلن « المخزى الاخلاقي » الذي يهدف اليه : الصبار — العبيدي والروحي — أولاء الذين يستسلمون لأمر القريزة وقرنها القاهرة ، ولا يعملون الارادة في أنفسهم ليعيشوا بحيث يتودونها ولا تتودهم بذلك هذا التصوير ما يذكره الكاتب في سيرته الذاتية : « الاعلاء من شأن الارادة وجعلها أساسا لجميع الفضائل ، فالعالم في نظري معركة كبيرة ، والسلاح الاول الذي يستخدمه الانسان في خوضها هو الارادة » ، وما أكثر ما وصفت شخصية رجل طيب ولكنه ضعيف ، ممكون النتيجة الحتمية أنه يجزر جزرا [السيرة الذاتية ص٥٠] ٠

الفنسير الذكي هو أن لحظة اللقاء الجنسي — في هذه القصص — انما هي لحظة التدمير من فروط الواقع القاسي ، ومحاولة ايطلاك العالم والسيطرة عليه ، ولان هذه الشروط أقسى من أن يدمرها فرد واحد ، فستظل راسخة ويرتد الدمار الى الذات ، قد يسدق هذا التفسير اذا القينا نظرة الى « الخطاطين » في هذه القصص : عليوة راع فقير ، لا يملك شيئا ، يكدح حياته كلها من أجل أن يعيش — فقط — ما يبقيه على قيد الحياة ، وهو لم يؤذ أحدا ولا سعى لاغتصاب أحد ، فالمخبرية مجربة ومدمرة ، كذلك نرجس في القصة الثانية : تخون زوجها يوم السوق من كل أسبوع ، وتتردد على الموظفين العزاب بانتظام ، و « تصبح الثوب الذي يرونها في قمر فتنها ، تحت البياض وربطة الثلاثينات » ، في حين أن جاسر — الذي قضى خمسة عشر عاما دون أن يعرف امرأة — أبده للقاء الجنسي نرجس بنشاط جديد يخرج في الصباح التالي يبحث عن عمله القديم ٠

كل هذا من ناحية ، ومن الناحية الفنية الخالصة ، فظل « البرسطيجي » أن تكون أفضل هذه القصص جميعا ، توفر لها نوع من البناء والاقتصاد ، ودرجة من القدرة على الصياغة الشاعرية — تصل في بعض مشاهد وصف الطبيعة لروح الشعر الخالص [راجع الوصف السابق لليل الصعيد ، وسنجد مثله صفحات أخرى] — وبراعة في تحليل مشاعر جميلة والمعلم سالمة ، وقدرة دقيقة على الغوص في مشاعر مجلس — البرسطيجي — وتتبع لخطاته الحقيقة وتراكم ازعجه حتى الانهيار ٠

من المدهش أن كثيرين ثم يلتفتوا لهذه القصة الرائعة حتى أشفت اليها يد السينما ! كذلك سنجد في « حكاية في سجن » وهما حائفا للطريق الذي يطلعه الراعي باغتياله ، ووتودنا عند التطبيع نفسه في حركه وشكاله ، يقرب اليك تلك الصحفات الرائعة التي كتبها يحيى حقي عن أصدقائه الحمير [خليها على الله » من ص ٩١ الى ١١٩] ، والتي نشي — أكثر من أي شيء آخر — بقيض انسانية الذي يفيض على كل ما حوله من عناصر الطبيعة ومخلوقاتها ، وسنجد في « أبو فودة » وصفا لجانب آخر من حياة الصعيد ، فيه خشونة هذا الجيل الذي يعمل المجرمون معارفهم ودينامتهم في قتله ، بخشونة العلاقات القائمة بينهم ، وفي جو القصة كلها يرقد طير الموت الفاجع أو الشهوه المدمر بصيب الواحد منهم أن غفل لحظة أو زلت قدمه ٠

وربما كانت أضعف هذه القصص عندي هي «ازاكة ريحة» [مجموعة «المواجز» لا أدري لماذا أحسست أن الجزء الأول منها — الذي يتابع مشاعر البطل وهو ينزول من طبقا الى القاهرة ، ومشاعراته النستالجية التي سمعت اليه ولم يسمع اليها — رقم أنه يبعد تمهيدا جيدا للخبرة الاساسية في القصة ؟ ثم أدري لماذا أحسست أنه طال أكثر مما يجب ، وأنه يكاد أن يستقل بنفسه قصة أخرى تكملة ويحبين حتى نفسه هو الذي علينا أن أفضل القصص القصيرة هي ما كانت ذات مقدمة طويلة محذوفة ٠ [انظر : مقدمة « عنبر وجوليت » وتطبيق هذه الفكرة في قصة « في العيادة » ومقدمتها الطويلة المحذوفة في لوحة « عذاب الانتظار » في المجموعة نفسها ٠

وبيقى أن هذه «القصيديات» تتكامل فيما بينها ، وتقدم نوعا من التعبير عن واقع الحياة في صعيد مصر في ثلاثينات هذا القرن ، كما تقدم قراءتها — هنيا لجنب لكرمات الكاتب من الواقع نفسه — مادة غنية للاحقة أبداع الكاتب وهو يتطلق ليعيد صياغة هذا الواقع صياغة فنية خالصة ٠

■

وتنفذ قصص يحيى حقي — بعد ثلاثين من المدمئة اطارا ومادة لها ، فتقف حينا عند تصوير جانب من أحيائها الشعبية بما فيه ومزيفه [قصص مثل «السلحفاة تطير» في « تدبل أم هاشم » ، « أم العواجز » ، « احتجاج » ، « تنوهت الاسباب »، « تكريمات » في « أم العواجز » ، « السرير النحاس » في « منتر وحوليت » ونقف حينا عند أحياء الطبقة الوسطى [قصص مثل « كذا ثلاثة أيام » ، « كن » كان » في « تدبل أم هاشم» و « كن » كان » في « تدبل أم هاشم» ، وبعظم قصص مجموعته الاخيرة « عنتر وجوليت »] وفي نى أحيان نالئة تتجاوز الواقع بكل تفاصيله وتقدم قطعا من القص الرمزي الخالص [كما في « القديس لا سحار » في « تشيل أم هاشم » ، و « مرآة بغير زجاج » و « صورة » ، و « الشاعر بصير » في مجموعة « أم العواجز »] ٠

ولن يتسع لنا المقام لنتقف بالتفصيل عند كل من هذه القصص ، لكننا نلاحظ في المجموعة الأولى منها عشق الكاتب لهؤلاء الذين يعيشون في أحياء المدينة الشعبية ، وولعه بتقاليدهم وتفاصيل حياتهم وحديثهم ، وهو يصورهم في غيض من الكلف والمحبة ، حتى نزواتهم ومختلف صور ضعفهم لا تجد منه غير الاشفاق والفهم ، لنظر لهذه الصورة التي يرسمها لغلام انتهى عمرها هون أن تحس انقضاء : « ومر الوقت يجري والشمل لا ينقطع ، والغيطة ببهة عينيها وقحطها فاذا البقاة الصغيرة أسيرة في سن الاربعين ، مطحونة النفس ، لا تعيد من الصباح للمساء ، أبقت الكدب تفكيرها وهرمها النمر الروحي ، فهي جسم صحيح وروح أعملها الكساح ، وبهجة رغم سنها لا تزال طفلة ، فضحك للتافه من الامور ضحكتها الشاهقة التي تخيض لها عينيها ، ثم تنسى ، وتجري على العيال في السلم ، تضربهم ويضربونها ، وتبرز لهم لسانها ، وتأهذ من حلواهم وتقضم منها وتعيدها اليهم ، حتى التقود لا تعرف حسابها ، وتفهم المليم أكثر من أضعافه للقرش .. الخ .. » [احتجاج » — مجموعة ثم المواجز ، ص ٢٥ — ٣٦] أليس من حقها — بعد ذلك — أن تشغب وتبدي احتجاجها — سرعان ما تتساءل وتتراجع عنه وتشغل بلعطيها — حين ترى الاسرة التي تضحت عمرها في خدمة أفرادها تهم بتزويج الرجل الذي تعلقت به — راجع ما سبق أن ذكرناه عن غلبة الجنس — ويبحث له عن عروس تكتمل غير موجودة على الاطلاق ؟ ، سنجد في هذه القصة كذلك محاولة من الكاتب بالعلامات الدقيقة بين أفراد الاسرة — ولي كثير من قصص يحيى حتى سيطرة محبية للام ، وقوة الحياة كل يوم في بيت يضج بالحياة .. حتى اذا جن الليل عبط على البيت الذي تعمل أبوابه مر من أسرار الوجود .. » سر غريب ، حسابه بثمانت الالوف والملايين ، لا بالاعداد والعشرات ، لا يقود حتى بين ، بل يسوقه ويضل مجهولا ، لا يترث ، لا يلتفت للوراء ، لا تتقرر نفسه وتضاء ، لا تطأن الا على أشلاء ، لا يستريح لهذا السر الا من عاشر النحل وظل اليه في أبعاد خلاياه وزحامه الهائل داخل الخلية؟ [حي ٣١] .

هذه الحياة — بتوبعاتها المختلفة — هي ما نراه في قصة أخرى من آخر مجموعة للكاتب هي « السرير التحاسي »

[مجموعة متر وجوليت] التي يحيى حتى الان استمرار لتقاليد هذه البيئة خلال الخط الاجتماعي ، من الام لابنتها ، من حارسات التقاليد الثابتة عليها ، ويلخص السرير التحاسي حياة الاسرة — بعد هي عروس حتى انجبت أبناءها جميعا ، ونهبا السرير بنيلوبي كرياد ليظل جسد الام المحضرة ، ولحل الابنة أن تعيد — في مستقبل أيامها — ما فعلته الام . هم ملح الارض وسادتها، يصنعون حياة ويعيشونها متقبلين على حلوها مشفقين من مرها ، يضع الكاتب على شفاههم الفرحة لابسط الاشياء ، ولكن لا تحسب حياتهم فرحا كلها ، فما أسرع ما تتحهم الآلام ! آلام تخبطهم في واقع محبط ، يحرمهم تحقيق رغباتهم الانسانية البسيطة : يتدفع تاجر ملخات الحرب الى الامان ، وحين يفقد ابنه الوحيد يتدفع الى خيان يحاول به أن يتنزع ابنه من مخالبة الموت ، هذا الرجل البسيط هي تكاثه المطلق، بالمخلفات التي له أن يعرف كه جزء من لعبة تشمل سلامتها العالم كلـــه ؟ [ذكريات — مجموعة ثم المواجز] ، ويترصد الاقارب الجشون للارملة الوحيدة البخيلة الضحوك ويزعزون جثتها بسكين خادر ، جريمة بجاتية لتهم لا يعترون على القاتل الذي ارتكبوا جريمتهم من أجله [تدوعت الاسباب — المجموعة نفسها] ، وينتهي الامر بأبي خليل الذي يتفطع رزقه القليل ، يتبرك صاله لعمل آخر ، لكن المتعة سرعان ما تصبيه حتى يفقد التنبه ، كأنا من جنايتهم السيدة [ثم المواجز ، المجموعة] .

يحيى حتى سلى هذه القصص بالذات، صديق الفقراء والمطاعين والمسحوقين والمجاذيب والدراويش ، كل تلك النمار التي وقعت من شجرة الحياة انحنت لها في قلبه أعز مكان .

وفي المجموعة الثانية من القصص نقد العين الملمحة ، الراصدة لادق الملامات والتفاصيل ، عند التناقضات والمفارقات القاتلة نتيجة الاوضاع الطبقية والاجتماعية تجسدها أروع تجسيد تلك الدعشة تصيب برغبلي — صبي الكوجي الصغير — حين جرق بوبا واستجاب للنزوه في تخطي الحواجز — ولو تسللا وفرة واحدة — فكان جزاؤه دهشة كلب وذهلها من الخطو الزلق ، صدق الصبي هذا الحذان فجاءت دهشته تأكيدا لزيده ؟ « نزل برغبلي السلم على مهل ، مطاطيء الرأس ، كصبي الخاطر ، يتحذر في خطوه ، وعين هبط الى الطريق رفع نظره الى الشقة ، وسأل وهو يقول لنفسه :

— أيه يا أشـــيا الناس هولا ؟» ما يحنوش على الواحد الا اذا الكلب عضه ! » [السلم اللولبي — مجموعة هنر وجوليت] .

هذا التناقض نفسه ما يجد في الرق الواضح بين الحياة التي يعيشها هنر — كلب البت كوكب — وجوليت — كلبة أجمالال هانم ، هو نفس الفرق الطبقية بينا ، لكن ساوت بينهما — لرتواحدة العربة التي تجمع الكلاب الضالة ، أذلت اجلال هانم الدنيا ولم تعدها حتى عادت لها جوليت؛ أما البت كوكب فوقفت حائرة ممزقة بين حبها لمتر ولهفتها لانقاذه وخلو يدها ؟ « تلفت حولها .. خلت الشوارع من المارة ، الا أشباها هدها الاعياء والمال . رفعت وجهها للسماء تمرأت الليل يطبق على الارض.. أغرورقت عيناها فاخرجت منديلا ووقفت تمسح دموعها ؟ [هنر وجوليت — المجموعة] .

يحتد التقاط المفارقات والتناقضات اشكالا أخرى في بقية هذه المجموعة : التناقض بين الفرح البادي والحزن المستتر إسوسو ، مجموعة متر وجوليت ؟] بين أن نأتي صـــفدا ونرح لربـــة [كما تلاحظ أيضا — تتدخل أم هاشم ؟]

● ودار بعينيه في الميدان . ونزيت نظرته على الجموع فاحملتها ، وأبدا يتسم لبعض الكلمات والضحكات التي تصل الى مسمعه، فتذكره هي والنداءات التي يسمعها بأيام صباه .. ماينقن أن هناك شيعا كالصريين حافظ على طابعه وميزته ، رغم تقلب العوادث وتغير الحلقين. إن البلد يمر أمامه كأنه خارج من صفحات الجرائد ، أهلتت نفسي أسماعيلي وهو يشعر أن تحت أقدامه أرضا صلبة . ليس أمامه جموع من أشخاص فرادى، بل شعب يربطه رباط واحد : هو نوع من الايمان، ترقيصاحبة الزمان ، والقشيع الطويل على نفره ، وعندئذ بدأت تتطل له الوجوه من جديد بمعان لم يكن يراها من قبل .

تقدل أم هاشم ، ١٩٥٤ ، ص ٥٣ .

التربة بالفرح والسعادة والتحاق بالخم والاكتئاب [الوقع ــ عنتر وجوليت] ، المظهر الخلاب والحقيقة العارية في ضوء النهار [وراء الستار ــ أم المواجز] ، كتب الدعابة وضآلة موضوعها [مولد بلا حمص ــ عنتر وجوليت] ، الغدود على شاطىء الحياة حيث الامن الزائف والركود ، والانفاس في قلب حركتها الدائبة رغم الضغط والتشكي [السلحفاة تطير ــ تحليل أم حاشم] .

ادراك المتلقي والاقتناع للمفارقة اهم عناصر الدعابة في قصصي يحيى حقي ، ان هذا الكاتب ــ وهو يعترف لنا انه اوقع حيثياقراءة فرويدوالتحليل النفسي وعنه اخذ الاهتمام بتصوير الدافع الجنسي من حيث هو دافع الحياة ــ يبدو انه يعرف تماما « ميكانيزمات » تكوين النكاتة وعلاقتها بالاشعور ، بل ان بعض قصصه يبدو احيانا كما لو كانت نكاتة خالصة من حيث بنائها ، ومن حيث الاهتمام بتهيئتها التي تدفعك دفعا للابتسام وقد ادركت المفاجاة الكاملة ، والتي يطلع الكاتب دائما في سوق الاحداث لتحقيقها ، كما لو كان ــ على حد اعترافه ــ يخفي بين يديه اوراقا لا يظهرها الا في الوقت المناسب ، أو كأنه يوجه خاص قصص : الماس خفية ، قصة في عرضحال ، مطرب اندي ، صحوة في مجموعة ام المواجز ، البطل الرومي ، مولد بلا حمص ، الودع في مجموعة عنتر وجوليت] .

ولعل هذا الاهتمام بالتحليل النفسي هو ما قاد خطى الكاتب نحو هذه القصص البوليسية الطريفة [لاحظ ان البوليس يعاكس الواقع تماما في بعض اعماله مثل قنديل ام هاشم وفي .. على ابن الموجوعة نفسها] ، وأهم هذه القصص في رأيي هي « برأة بغير زجاج » [مجموعة ام المواجز] ، انها تعني ببساطة الحلاقة التي تقوم بين اثنا من ناحية والشبيبة ــ التفيش من الناحية الاخرى . لا يهمني ان اكون هنا وهناك في نفس الان ، ولعلام هناك آخر يشهدني ــ من حيث الشكل ــ ويناقضني ــ بمعنى انه يعمل تماما كل ما اترق الى فعله واقف دون الاقدام عليه ــ فلابد من ان يلتهم احد الجنتين الاخر التهاما ــ ان راوي القصة يصف لنا على هذا النحو : « لم لا أقول لك يوهي عملت طريقها الى ومسلكت سبيلها الى جسده فاصبح يعيش وله روحان ، وانا أعيش مفقود الروح ، وانن فهذه هي العين التي احدقت برصدتي وفلاحتي منذ وعيت ، لقد وضع الان سر هذا المجهول الذي كان يجذبني اليه»

وانا لا ادري الى اين أسير ، هذا سر ما أشعر به ، وهذا مصير ضعف بدى عن الاسلاك . وعجز روحي عن البقاء » [ص ٢٢] ، أما شبيهه وقيشه فهو يصفه بأنه « رجل يأكل اكسل اثنين ويشرب من الضبر شرب ثلاثة ، واين منه دون جوان ؟ انه كل يوم خليلة أو خليل .. لا يهمه من اي اناء شرب .. لا ينام الا غرارا ولا يكف عن الضحك والحركة والغناء والمزاح .. انه لا يعيش حياته وحدها بل يضيف اليها هاهنا طويلا قد يساوها طولا ومرحا ..الخ » [ص ٢٥] .

لهذا كان لابد التدقيق ان يلتهم الاخر ، وسنحت الفرصة للاول . هذا ما يوحي به البناء الكاتب الهامس ، وهذا ما يفرضه منطق القصة ذاتها .

تتغير بين قصص يحيى حقي قصة واحدة لا تجد لها تسميتها هي « بيض وديك » [تتبدل ام هاشم] ، وهو بقول لنا انها كانت نهجة تجربة عاطفية او « لوحة عاطفية بدوية » على حد تعبيره . ما المنع ان نتراها لترى كل يقلب على الكاتب عيض انسانيته رغم احساسه بانه مهجور ومنبوذ بين اقوام لها في قلبه بعيدا ومقابلا ؟ .

[●]

وفي ١٩٥٥ كتب يحيى حقي روايته «صح النوم» ..

ويبدو ان هذه الرواية لم تعمل لابدي الكثيرين ، ويبدو كذلك ان الكاتب قد طبعها على نفقته في تسع طبلة ، فكانت تفسيح بين اصدقه الاكثر منها شهرة وبريقا ، رغم انه بحدثنا ــ في سبونه ــ انها احب هذه الاعمال جميعا الى قلبه ؟

« صح النوم » .. هذه المجارة بين الضحرية والاشفاق هي ما يقوله المؤلف لاهل « قريتنا » بعد ان هاد «الاسعاد» من سفره ، وتولى امور الحكم هنا ، وبعد ان انضمت بها محطة للسكك الحديدية اصبح سفر عليها القطار . ولم القطار ؟ .. والكاتب يقسم روايتهقسمين مستقلين يسمى الاول « الامس » والثاني « اليوم » والفارق بين الاثنين هو دور القطار وجهير الاسعاد . اقل الن انه قطار « الاورة » .. وللقطار الى قريتنا كيف كانت وكيد يرى المؤلف انها اصبحت حين نشر روايته في ١٩٥٥

اختار يحيى حقي ان يعرض لنا في البداية صورة للاسباب التي ادتبالقطار الا يقف بالقرية ، ثم انتقل بعد ذلك يعرض علينا لمالج لهؤلاء الذين يعانون فيها ، ويلتقون كل ليلة في الخان ، هكذا عرفنا صاحب الخان ، وصاحب القرية ، والقسيم ، وزوج المرجاء ، والفتى المتيان . بعدها ثرثت الكاتب بعرض علينا حوارات هذا الاختيار ، ويتم اليوا بقية اهل القرية : « انصرت » بقيوم خشية الاطفاء ، لانهم هم الذين وجدت في حياتهم عبرة ، هم الشواذ ، هم الذين يعانون ، وهذا دورهم المشروع لهم في دنياها ــ ان شركو فيهم جدة المناهب والمشاكل المؤرخة ــ حتى بعد ادراها ــ بين العلية ، فهيهيو من يطفي بها هناك ، وهم ايضا ــ وهذا مثل تحت شاع من الظلم ــ اول من يطفي المصرة الذا اصيب كيان المجتمع بعرّة ، كالثوب بالبارزة في الجوّع ، عنوان سر الشعوذة ، ويكمن الحياة لدوع جديدة ، أول ما يستقل اذا أريد تهذيب هذا الجوّع ..

« انما يتبه اهل القرية بهم يلمح الارض ، يكسون رؤسهم بشوالالتبس ، يكابدون كالحيوان من مطالع الشمس الى مغربها عملا برهقا لتوجره الالات في بلاد اخرى بايسر جهد ونفقة هي وقت طويل ، وايتهم بعد ذلك فاروا بما يتم اوردهم لو يسر مريهم ، وهم مع ذلك قانعون ، حاروا في غم القدر وتعليل اسبابه الخذل وطال تساؤلهم متى تنتهي المظالم ويشعل الامور ويستقيم الموجوع ويعم السلام ؟ ــ وهم مع ذلك صابرون ، اصبح مطاليم الاوحد ان يتركوا لانفسهم ، لبساطتهم وعيالهم ، ادوارهم وشدائهم ، لابنائهم وخراقاتهم ، كل جديد في الحياة.

عندهم مشاكل اذا قيس الى تقديمهم ، وان أبغض الدروع هو الذى يلبسه من لا يدانى اذا قالوا : « انما الاعمال بالنيات » عنوا بهـا « انما الاعمال بخواتيمها » ، واذا لسم تر وجوههم مبتسمة اغلب الوقت فلاتهم يضحكون الى مرهم من الخطايب والبهلوان والواعظ والمهرج .. خليها على الله ؟ ! [ص ٧٢ — ٧٤] .

**هذا أنت ترى وجه يحيى حتى بغير قناع ، وهذا فهمه للفلاح المصرى الذى عاينته زمنا وعرفه عن كثب ، أما النمـاذج التى يقف عندهـا مليا فاكل شربه : صاحب الحان اختار هذه المهنة أو اختارته لانه يريد أن يرى الناس على حقيقتهم دون اقنعة ، والقصاب الفقير على أن يجب الى صمت ويصفح اليه عن ذلك ، والقزم سلالة ما تبقى من أسرة قديمة لم يعد له سوى سلالة جاوفوارض وزوج يبتزها ، وزوج المرجاه عاشق الحرية والبطالة ، يعيش من كد امرأته وقد اصبح بعطة لازمته منذ راى رجلا لقه تعتله الشرطة — دون ذنب — فى مظاهرة سياسية ، والمغنى الضان يكره مثل أبيه — فهو ناجر — تطلبه نفسه بالالحان فيقصد رواد الحان ليسمعوه ، فيهجمهوره .. وان كان لا يدرب الخبر . ومن وراء هؤلاء واعظ القرية فى ثياب خضر حبر كريش الديك لا هم له الا تبلغ كل من بيده الامر ، وساقى العربة ذات العصان المفرد .

طبيب ، جاء الاستاذ الذى بعد ان درس كل شىء أطال الدراسة ، وهذا أحسل القرية يعلنهم بغطته : فصل الفساد هو ما ثر فى أنفس أهل القرية من شعور الغبطة والهوان ، وهو سيعمل جاهدا على رفع شـعور العـزة والكرامة فى القلوب ، وأول الظالم هـو ما يعقبه الفلاح ، سيحدد الايجار بمبلغ معقول ويلتزم الحكومة بأن تبيع الارض للفلاحين لقاء ثمن زهيد يدفع على أقساط طويلة ، وآخر الظالم هو حرمان القرية من السكة الحديدية وسيعمل على رفعه ، « ثم يثنى اخلاق الحان لانه يؤرث فساد .. ويثنى أن يعمل كل عاطل ، وأن يسدد كل مدين دينه ، وأن يتوب كـل زوج فاسق وكل ولد عاق وأن يسلن شرف كل رجل ولو رغم أنفه ؟ ! [ص ٨٦] .

وغاب الراوى عن القرية زمنا ثم عاد فماذا وجد ؟

أنكره بنى الحظـة وابطه ميدان فسيح ، وكان أول من التقى به عامل النظافة الذى ميته المجلس القروى الجديد؛ لا هم له الا النافذ والشكوى لكثرة العمل وقلة الاجر ، ثم التقى ايضـا بجندى المطافىء الذى ناقف ايضا وشكى ، أما صاحب الحان فانى ايضا وشكى ، أما صاحب الفندق الذى كان من أصبح يملا عمل — فقد اختار النسول ، وحين اغلقت الحان لم يعد صاحبها وظيفة شـاغرة سوى وظيفة الترمى فعمل بها . وبـين الناعمة الاخرى فقد وجد الغـزم وقـد انصرف إلى عمله يجد واهتم وكف عن ابتزاز زوجه ، ووجد زوج المرجاه قد تخلى هو كسله وبطالته واصبح موظفا نشيطا ، أما القصاب فقد وجد خلاصـه فى الانصراف الى العيادة ، واختار الفتى الفنان ان يتخلى عن أحلامه ويلتحق بمجارة أبيه وبان يصبح أبا بنائى طلبه .

هذا ما وجده بعد غياب . ثم التقى بالاستاذ ودار بينهما حديث طويل .. قال له الاستاذ عن التهمـاية : « انتى أعرف بقية ذولك لانتى قرات مذكراتك ، سنفكرني.. وهل أنا خامل ؟ — بالتاسيح والانتباه لحقوق الفرد كانسان حى قبل ان يكون حجرا مسجرا فى بناء الجميع، والغربى بين ايمانك بأن رايك صواب وبين ايمانك بأنه كل الصواب ، وأن الاخلاص وصواب الراى دوامان ولكنهما دوامان غير ملتصقين » [ص ١٢١ — ١٢٢] .

لا حاجة بنا للفرارة فيما هو واضح ، حين جاء قطـار الثورة ارتفع بالبعض وهبط بالبعض الاخر .. لكنه — وهذا ما يقوله الراوى فى ١٩٥٥ — قد لبقا الناس من نومهم ، ورفع من فوق قاربهم عبئا ثقيلا .. « لا أزعم أن القرية أصبحت تعيش فى رغد وسلام ، بل يكفى أن الناس جميعا أصبحوا يدركون أن هذا عهد جديد ، له مقاييس واحكام ، لا يشعر فيها المذنب ، ولا ينجو المذنب بشر عقاب وحبل الفساد غير ممدود .. ولكن وضع اليقظة على بعض النفوس يجيء احيانا كوقع المأساة ، وليس اشق على نفس الذى آلف الاستبداد من ان توهب له الحرية هبة .. ولما عرفالفلاح من نكباته الاولى أعدها باخرى وقال :

— متى تلمح بالرخاء الموعود ؟ متى اكل مثل الحكام لحما كل يوم لا مرة كل 'سبوعين ؟

فاجبته وأنا أهم بالقيام : — هـذه مسالة بى يملك ، والدنيا أبملك ، حين تحسن زرع الارض ، ابهجود محصولها ، وتحسن زرع الخضر والفاكهة ، وتربية الدواجن والنحل ، وتحسن نسج الصوف ، فلست كان سوالك الان : متى انعام سلمهم ؟ ؟ [ص ١٠٧ وما بعدها]

هذا ما قـال الراوى فى ١٩٥٥ فترى ماذا يقول فى ١٩٧٥ ؟

« صبح الفوم » جـوهرة صغيرة ، قطعة فنية رائقة التعبير ، رائعة اللفظ والعبارة والصورة ، أستجمع فيها يحيى حقى كل قدراته ووظعه بالاتقاء والمدة ، مجاهت شهادة لا يمكن تضعيفها مطبقه كتكاتب بنفوذ ، وهى صدق كل ما نادى به — قبل كتابتها وبعدها — من ضرورة التخلص من المسحيح اللفظى والمرقل التفكرى على السواء ، أن كل شخصية فيها تصلح مادة روايه كاملة عند هواة الثرثرة والاطناب ، اقرأ مونولوج صاحب الحان فى الصدر الثانى ، أو اقرأ حديث الفتى الفنان فى الصدر الاول ، وستدرى كيف يمكن لغة أن ترق وتصلو ، وكيف يمكنها أن تختصر وتوجز .. دون اغفال أو اخلال .

ابسطى لشىء واحد : هو أن يحيى حقى لم يقدم لها مثيلا ! [●]

كلما قرات يحيى حقى دار بذهنى هذا السؤال : لماذا يتركنا هذا الكاتب العظيم دون أن نراه ؟ ؟

● أجوس بعضك خلال القاهرة، فاعود من اهيائها الاوربية بقلب فاترلبارد . وأهمهمين المر والحلو، كعفرير يريد من زيارة ابنه الغنى الثمالى ، وأن مز على قلب ابيه، يضيع منى شبحك فى الاوبرا وجوريني،وبين شبرد والكونسيناتال فاذا قاطنى قمباى الى مسدنا الحسين ومررت تحت البوابات المرمرية ووقفت امام الجوامع المعتبقة صمر الشوق تابى همرا .. فانت هندى هذا التاريخ .

واذا ما غالبنى بى الحنين اليك ابكر الى صمر القتيل مترقبا جموع القلاقات قادمات من الريف ، نيابهن سوق سال الخضر ، على رموسهن سال الخضر ، نيابهن سود على ارجلهن الطين، ممتدلات القوام ، فى وجوههن المجهدة همين صبارة ، لا ينقطع تدافعهن ، ولا ترتاين .. عندئذ اقف ..

قلت هندى هذا الوطن .
بينى وبينك القنديل ، ص١٣٣.

■ الكتابات النقدية

أى واحد من هؤلاء .. هو يحيى حقى ؟

سامى خشبة

شهد تاريخ الادب والفن ، امثلة عديدة لنقاد تحولوا الى مبدعين ، او مارسوا الابداع على سبيل التجربة او اثبات الذات ، او لان لغة الابداع وبنائه واسلوبه كانت فى تقديرهم اكثر صلاحية للتعبير عن موقف معين او فكرة او تجربة بعينها . وشهد هذا التاريخ ايضا كتابا مبدعين ، مارسوا النقد احيانا وبطريقة عرضية ، حينما وجدوا انهم خير من يستطيع ان يقدم اعمالهم هم الابداعية ويفسر اصولها النظرية ، او وجدوا انهم خير من يقيم اعمال ابناء جيلهم ، او يتصدوا لاعمال الاجيال السابقة بالنقد واعادة التقييم وتصفية الحساب ، او يعبروا عن اتجاهاتهم الخاصة . وبوسعنا هنا ان نتذكر ما فعله نقاد ومبدعون ، من نوع اوجست شليجل وفيكتور هيجو وديماس الابن وميترلينك وجوركى ولونا تشارسكى واليوت وشوبرنفت .

فى كل هذه الحالات دون استثناء ، كان الناقد المجرب للابداع ، او المبدع المنتمى الى النقد ، يحاول اساسا ان يقدم تصورا جديدا للفن ، يؤمن انه التصور المعبر اصدق تعبير عن العصر او اللحظة الحضارية التى يعيشها مجتمعه او ماله . كان الناقد فى هذه الحالة ، يحاول ان يقدم نموذجا ابداعيا يتجسد فيه المثل الاعلى الذى يدعو اليه ويتخذه مقياسا لتقييم اعمال الكتاب المبدعين . وكان الكاتب المبدع يندفع الى التنظير النقدى غالبا حينما يكتشف انه لا يجد فى النقد او الفكر الجمالى الشائع المعاصر له القيم النظرية الجمالية والفكرية المعبرة عن مثله الاعلى الذى يصوغ اعماله الابداعية على غراره وسعيا الى تجسيده واقراره .

كانت ممارسة الناقد للابداع ، او ممارسة المبدع للنقد تعبيرا عن لحظة او حالة او احتياج ذاتى وموضوعى . ومن النادر ان حاول احدهما ان يكون فى وقت واحد ، كاتبا مبدعا ، وكاتبا لمقالات فى النقد الطبيعى . ويحيى حقى واحد من نماذج هذه الحالة النادرة . بل انه يمثل حالة خاصة بينهم .

ولست ازعم — وانا ابدأ كتابة هذا المقال — اننى حصلت على صور متكاملة الخطوط ليحيى حقى الناقد والباحث عن منهج فى النقد الادبى والفنى . بل ولست ازعم اننى عثرت — فى كتبه النقدية الخمس وبعض مقدماته ومقالاته ومحاضراته على يحيى حقى « واحدا » : ناقدا نظيفا ، ومؤرخا للادب المصرى ، وناقدا لحياتنا الثقافية ، وداعيا الى تغيير بعض جوانبها ، ومنظرا فى النقد وباحثا عن اصوله الاولى واهدافه الشاملة . ازعم اننى قابلت اكثر من يحيى حقى واحد ، قابلتهم متجاورين احيانا — دون علاقة تربط احدهم بالآخر ، متناقضين احيانا — علاقتهم علاقة تضاد وتضارب ، متصاعدين احيانا — يقف احدهم فوق سابقه ، فى صوره متغيرة له — متطورة او متأخرة .

أيكون هذا من خصوبة المفكر ، أم من تقلب الفنان ، أم من اضطراب العصر ، أم من غليان مجتمع لم يستقر على مسار ثقافى واضح منذ بدأت حركته الحديثة قبل مائة وثمانين عاما ، عاش منها يحيى حقى — اطال الله بقاءه — قرابة النصف ؟

وسوف نحاول فى السطور القادمة ، ان نتعرف على الصورة المتراكبة المتناقضة المتقاطعة الخطوط التى أزعم انها الصورة التى تكونها كتابات يحيى حقى النقدية ، ثم سنحاول التعرف على شىء من مصادرها النظرية المحتملة ، والتى لم يصرح بها ابدا ، ولكن سيكون علينا ان نكتشف مكان يحيى حقى من جيل النقاد المصريين الذى نشأ فى وسطه — او على اطرافه

في الحقيقة — ومكانه من النقد المصري بأجياله .التي عاصرها وكتب عن أعمال كثيرين من الكتاب المبدعين ممن يتطور الى كل منها .

■■■

أمر أحدث ما كتبه يحيى حقي[1] يقرر انه قد يرضى ان نخفل عن جميع قصصه وكتاباته ، ولكنه سيحزن أشد الحزن ان نحن لم نلتفت الى محاضرة ألقاها عام ١٩٥٩ ، يدعو فيها الى التجديد الذكرى ، وأمانية هذا التجديد على « التعميد » أو « الحتمية » و « العمق » بما يحتى الكتابة بأسلوب علمي لا يخلو من الجمال ، ولكن لا يستغني فيه عن لفظ ولا يزيد لفظا ، ولا يحل فيه لفظ محل لفظ [٢] . ولم لكن هذه هي المرة الأولى ولا الأخيرة التي يوجه فيها يحيى حقي هذه الدعوة (التي سنبحث عن مصادرها وأصالتها الفكرية فيما بعد) والتعامل على اساس الكلمة العامة مع الكثير من عمل أدبي قام بتأديه — فيمن رواياً تعامله ، لأخرى مع هذه الأصل في نقده التطبيقي ، بل أننا نجد البلوتر الأولى لهذه الأفكار ماثلة أول ما نعرفه له من مقالات نقدية [٣] .

ولكننا سنجده في مرة سابقة ، قريبة الزمن ، يقرر انه :« لا يهمني في هذا البحث من مقررات الاتجاه الحديث في اللغة كما (وردتها لك الا قوله ان الدلالة الاجتماعية ، فلست قد رأيت انها عنصره دلالة نسبية ، مشروطة بشروط المتلقي المستقبل الخاص الذي اعتقده القصة . ولكني أجب ان وفق مزاجي — ان أجاوز هذا الحد الضيق وانتقل بالدلالة من النسبي الى المطلق ، وأخذ من القصة صيغة

على ملامح الوضع الاجتماعي الذي انبثقت منه القصة — اما كانت تعيشها الذيه »[٤] .

وهذا معناه الواضح ، اننا ملزاء يحيى حقي « ناقدا » آخر ، لا يذكر انه يهتم بالأسلوب العلمي ولا باختيار اللفظ حتى لايمكن ، استبداله و حذفه او اضافة لفظ زائد . هنا انه قرر في الصفحة السابقة من المقال المذكور في نفس الكتاب ، قرر أنه لا يهمه الا الدقة في التعبير ، سواء كتب الكاتبون بالعامية او بالفصحى . ولكن شتان بين « الدقة في التعبير » نذكر عرضنا ، ولا معنى عليها باعتبارها من شروط الوفية في ان يكون مجال النقد متسعا من اجل ارتياطيق اجتماعيا »[٥] .

ان الأمر « المسلم به » في هذا النص القديم المكتوب عام١٩٥٩ ، هو الأمر الذي يصبح أساسا ويصدر النقد في النص الأحدث المذكور آنفا والمكتوب في عام ٦٨ أو ٦٩ .

ولكننا سنكتشف يحيى حقي « ثالثا » هنا، يكتب فن فيهب محفوظ مثلا ، [٦] ان يتصدث هنا عن أهمية التعبير العلمي الجميلي ، وفن يتصدث عن الدلالة الاجتماعية ، الا كما لو كانت هيا بسم الخياط عنه ، بسبب التفصيل في الوصف والاهتمام بالوصف الذي هو من صفات الناكثين الشاذة ، لانهم يحسبون ان الأبنية الفنية بمعطياتها الاخلاقية[٧] ، رغم ان اهتمام نجيب بالتفاصيل وليد الأبنية ايضا — ولكنها اصالة من نوع خاص . انها عنصر ملحوظ اشد الاتحام بنية عناصر النمط الاستاتيكي [٨] .

والمزاوجة التي سنبتدارها يحيى حقي « الثالث » لتعميم نجيب محفوظ هي المغايلة بين الاستاتيكية والديناميكية [٩] . والاستاتيكية يعنياها ان الأديب لايعبر من خلال حركة خوضها ، وسنظهر الاستاتيكية في صورة الاسئوالية والأزدواجية [١] . وسنظل في المنهج الثابت لولنا تحبيب محفوظ حتى « اللص والكلاب » يصبح ديناميكيا ، أي يشرع في التعبير من خلال خوض لمعركة ما مع الكمال الذي وفر المادة المستعصية [٩] ولا ندري لماذا لايكون نجيب في « الثلاثية » الذي يراها يحيى حقي قمة نضج المرحلة « الاستاتيكية » ، صراعا مع الكمال الذي والمادة المستعصية ، ويرى يحيى حقي « النساك » ان التعبير بالفصحى في « الثلاثية » كان ميا لان الالفاظ ظلت « ملبوسية » وانها لم تسبوعب في « تجربة » ، لكن التعبير بالفصحى يصبح مطلبا في« اللص والكلاب» لان الالفاظ تندمج في التجربة وتفقد تراقب المعاجم والقواميس [١٠] اي انها اعدت دعتها العلمية وحنيتها .

ومع رباعيات صلاح جاهين سنلتقي بيحيى حقي رأيها [١١] . لانكر هنا — مع ان الحديث عن القسم الملائمة وانتقالها والصراع مع المادة المستعصية ، سنتحدث يحيى حقي عن«بناء الرباعية» دون أن يذكر شيئا عن التعبير الذي « ولا عن الالفاظ وحنيتها وتحديدها ولاعن من شاعريتها . بل ان الزاوية الأساسية التي يقف عندها يحيى حقي « الرابع » ازاء « الرباعيات » هي « التلصص على الشعر » [١٢] لماذا تحدث عن اللغة لمت الانتظار الى مهارة صلاح جاهين في استخدام العامية مهارة دون اللغة الفصحى [١٣] . اي ان المهارة في استخدام اللغة اصبحت هنا في حد ذاتها،

---

[١] مدينة الطيبة الجديدة لاعمال يحيى حقي الكاملة ، تقديم أم هاشم ،تجربتي في الأدب والحياة .

[٢] خطوات في النقد ص ص ٢٠٣،٢٧٦

[٣] النظر خطوات في النقد ، مقالات يحيى حقي عن : سخرية النساك ،المستصل ، الوسادة الخالية ، لص الزيتون ، عودة الروح ، وانظر مقالته عن رباعيات صلاح جاهين ، . مطر الاحباب،

[٤] مطر الاحباب ص ٣٤ . وبالاحظ انك كتب هذا المقال قبل نشره في الكتاب بعدة اعوام .

[٥] المصدر السابق ص ٣٥

[٦] نفس المصدر بين ص ٨٤ و ١٠٩

[٧] مطر الاحباب ص ٨٩

[٨] نفس المصدر ص ٩٠

[٩] نفس المصدر ص ١١٦

[١٠] المصدر نفسه ص ١٢١ ،١٢٢.

[١١] المصدر نفسه من ص ٨٤الى٨٢

[١٢] نفس المصدر ص ٨١ ، بل يقول«ص ٧٨ « ليست المسألة في الرباعيات بأية كيفية ، بل ماذا قال صاحبها » .

[١٣] المصدر نفسه ص ٨٠ ، ٨١

ولمتابع الحصول على صورة ليحيى حقي « خليمة » عند كتابته عن توفيق الحكيم [١٤] . بل ربما كان هذا هو يحيى حقي الأول أو الوثائقي . فقد كتب هذا المقال عن « عودة الروح » و « أهل الكهف » سويا عام ١٩٣٢ . وقال ان «عودة الروح» قصة قائمة» لانهـا خالية من النزعة الصوفية أو ان نزعتهـا الصوفية غير ضارة ، رغم عدم تصويرها للثورة إلا بصورة باهتة . الخ [١٥] . ولكننا نتوقف عند قوله انه لا أهميـة لارتفاع مستوى الأسلوب الذي كان المازني يطلب به ، ليكفي أنه أسلوب سهل ، لدرجة محمد ، صادق ، ينقل الحـديث يروبه [١٦] ويبشر يحيى حقي بالمازني أنه لا يهتم بالفكرة وانما بالأسلوب ، وكان يحيى حقي يتحدث في هذا المقـال بلسان الشمان [١٧] .

وقال عن « أهل الكهف » انها مسرحية غير ناضجة لأنها تمزج فكرة صوفية بفكرة ايتشتاين العلمية عن الزمان [٢] بينما مصر الآن في ميـدان القتـال هادي [١٨] لكان يحيى حقي — في حديثه عن رواية ، الحكيم ومسرحيته ، عام ١٩٣٤ ، كان مأخوذا بأهمال الناقد المعاصر للفن والأدب في معـركة الوطن الذي يصدر عنه العمل الفني . وكان ناقدنا بدلما مع نفع العمل الأدبي للموضوع الفني الذي كتب لأجله العمل ، حينما تحدث عن ملاءة « أهل الكهف » بالتمثيل ، وأنها كتبت للقراءة فقط وهذا يدم عن أن المسرحية : « تعبير عن فردية الأدب في مصر . » [١٩] .

ولكنه كان بعد عشرة أعوام [١٩٤٤] يتحدث بطريقة مختلفة وبمقاييس مغايرة كل المغايرة عن مسرحية أخرى هي «العبيـد» لعزيز أباظة [٢٠] لم تعجب هناهن لقلة المسرحية أو عدم تأثيرها ، ولم يخص قلة المؤلف مع التاريخ أو المنطق بقلـة عمـل مـع « أهل الكهف » ، وأكتفى بالحديث الفني عن الشخصيات واستخدام « الحكم » ومن الحوار وعـدم عبقرية الشعر — رغم وصفه المؤلف بالكريم والفاضل والنبيل خمس مرات . ولكنه — مرة أخرى — بعد عشر سنوات ناضجة [أي في عام ١٩٥٤] لم يصف عزيز أباظة بهذه الصفات ولا برفرفرة واحدة حينما كان يكتب عن مسرحيته « شهريار » [٢١] التي لم يبحث عن ناقدتها ، وان كان تحدث عن علاقة الشاعر بالأساطير وارتباطه بضمير الأمة لأنه يأخـذ من ألف ليلة ، ورغم وقوله هذه نزعة عزيز أباظة العصـوفية فانه لم ير أن مصر لا تحتاج الى التصوف . مثلما قال عن «أهل الكهف » ، ولم يعصر دفعها مع التاريخ ولا مع أصل الأسطورة كما فعل أيضا مع « أهل الكهف » .

اعتقد أنه لا نهاية للصور التي سيبدي بها يحيى حقي « الناقد » الا بانقضاء مخالفته النقدية التي يكاد يخدد في كل منها المنهج الذي يتلاءم مع « موقفه » من العمل المنقود ، أو الذي يبرر به هذا الموقف المطلوب ابانته ، بل لعلني أكون مجانفا في استخدام كلمة « المنهج » هنا لأنه لا يستخدم أبدا « منهجا » معينـه استخداما كاملا حتى يمكنك أن تصف مثالا بعينه بأنه من المنهج « كذا » . وليس هذا كما يقال هو المنهج «التأثري» ونحن نعتقد شيء آخر غير تعريف هذا المنهج ، ولكن يكفينا القول بأن للمنهج التأثري ، الذي تحدث عنه يحيى حقي مرات باعتباره « منهجه » ، أصوله النظرية والاجتماعية المحددة التي يدرسها طلبة أقسام النقد في المعاهد الفنية . وقد محمد يحيى حقي — غالبا على قوته الشخصي ، والذوق لابعتد به على ماقال الناثرون ، وقد يتجسد هذا الذوق الشخصي في مقدار ما يحبه هذا أو لايحبه ذاك ، واعتمادا على أحكام من نوع ان الشعب المصري يحبه هذا أو لايروق له ذاك [٢٢] واعتمادا أحيانا — هي — على التعجب من تقلب رأيه هو ونغير مقاييسه واعجابه بيسا كان يرفضه ورفض لما كان يعجبه وقد حاول يحيى حقي أكثر من مرة

---

[١٤] خطوات في النقد ص٢٠١و١٧٣ونلاحظ ان هذا المقال اعيد نشره في كتاب « فجر القصة المصرية » ولكن حـذف منه يحيى حقي الفقرات التي كانتتحتوي على انطباعه الشخصي عن الحكيم ، رغم قوله في البداية [فجر القصة ص١٢٣] انه سينشره كاملا ليطلعنا على صورة من نقد ذلك العهد .

[١٥] نفس المصدر ص ٤٠١

[١٦] المصدر السابق ص ٩٤

[١٧] خطوات في النقد ص ٩٩ .

[١٨] المصدر السابق ص ٩٧ والحق ان يحيى حقي اسدر في صفحتين متقابلتين حكمين متناقضين على « أهل الكهف » وتدعس فيهما بقدر متساو من الحرارة . قال انها كتبت للقراءة فقط ، ولذلك فانها أدب عردي . صرخة ـ بي راد وهباء يبقار .. الخ » في ص ٩٧ ، ثم عاد تقال انها من المسرحيات التي عنـاهـا أرسطاطا ليس بقوله ان قوة التراجيديا فيها يمكن الشعور بها بمجرد القراءة في ص ٩٩ ومن المفهوم « الان » ان ارسطوثم يكن يتحدث عن مسرحيات كتبت فقط للقراءة ، كما انه لم يتحـدث عن التراجيديا باعتبارها فرديا .

[١٩] نفس المصدر ص ١٠٨

[٢٠] المصدر ذاته ص ١٥٩

[٢١] انظر انضا مقاله عن شهريار ص ١٦٥

[٢٢] انظر مقاله عن شهريار في ١٦١وعن نجيب الريحاني في نفس المصدر ص ١٣٢

[٢٣] الحق ان يحيى حقي لم يحاول ان يجعد مانعنيه بمصطلح « القصة » فهو يستخدم نفس المصطلح للاشارة الى قصص قصيرة وطويلة وروايات ومسرحيات . ويبدو هذا الخلط حتى براحل متاخرة ، بعد ان نتاح الفرصة للتعرف على نظرية الأنواع الأدبية . ويمكن الحصول على نماذج كثيرة لهذا الخلط في كتاب « خطوات في النقد » و« فجر القصة المصرية »

ان يؤرخ د « نشأة القصة المصرية»[٢٤] حاول ذلك للمرة الاولى فى منتصف ٢٤ عن مجموعة سخرية الناى « لمحمود طاهر لاشين عام٢٧ ،فكان :ارخ لهذه الفنون هاما للمحاولة النقدية التى قيلت على السطوى والبحث عن معقولية العملية والمواقف ولكن هذا التاريخ ظل الاول المبكر ، يعدل اكثر عناصر زاوية الرؤيه التى سينظر منها يحيى حقى بعد ذلك الى تاريخ القصة المصرية فى ثلاث محاولات تالية [٢٥] ونحن نجدالكثيرين المصرية فى اعتبار اى من هذه المحاولات تاريخا بالمعنى العلمى والمتكامل للتاريخ حتى لمجرد هذه القصة [٢٦] .

فعلينا رأينا فى النقد التطبيقى ليحيى حقى من اعتماد المنهج نقدى ــ جمالى وفكرى ــ موحد ، او متطور ، كذلك سنكتشف فيه فى محاولة لايجاد منهج لتاريخ الادب ،ثلاث مصر بعض عناصر المحاولات الاربعة لتاريخ نشأة « القصة » المصرية عند يحيى حقى الى العوامل الاجتماعية والسياسية التى نشأت هذه القصة فى اطارها العام ، وقد يذكر بعضها مرة ثم يتساءل ويستحيى عنها ويعيرها ، وقد يتجاهل هذه العوامل الى حد بعيد مرة أخرى ويركز على الجماعات فئة المثقفين ابناء نظام التعليم الجديد . الصحافة ودورها مثلا يذكرنا باصبعم فى المقال الاول [٢٧] من مجموعاتين ويجب موعته الاولى .ولكن لا ذكر على الاطلاق لهذه الصحف وتأثير الاتجاهات السائدة فيها على نوع الادب بوجه عام والقصة المنشورة فيها بشكل خاص . ولكن الصحافة ودورها سيتضمن كلية فى مقال « ذكريات هاربة » الذى يبرز فيه دور صحيفة « الفجر » لاحمد خيرى سعيد ،[٢٨]، وحدها ، دون تحديد

لاتجاهها ودورها السياسيين ،أو حتى بالطبع لم تكن صحافة للقصة القصيرة وحدها] وتعكاس ذلك على المجموعة التى سيكون هى «المرسة الحديثة» فى القصة والتى سنتنا القصة المصرية،ويبدوفى رأى يحيى حقى ، وبدلا من ذلك سنجد وصفا لصاحب الصحيفة ومسيرته ومشيخته وعصاه [٤١] وتخريبات عن اناس فى الجمهور والاسكندرية لا تعرف من المقال بالتحديد ماعلاقتهم بالقصة ولماذا جاء ذكرهم ؟ .

ولكن هذا المقال يحتوى على فكرة ذات دلالة هامة ، تحاول أن تقدم تفسيرا تحكميا لكتاب القصة والروائية المصريين الاوائل . ويجب عليها ان تدرج مصطلحات هذا التفسير،فمصطلح التقييم النقدى ، ورغم هذا فيمنها نبعت الدلالة الهامة للفكرة نفسها . ان محمد حسين هيكل بروايته « زينب » هو زعيم « المقلدين » ومحمود تيمور هو زعيم « القلبيين » الذين تكتب عليهم الهزيمة، والحكيم وحده يجمع بين العقل والقلب . بمسرحياته مقلبة وروايته قلبية ، ويمضى يحيى حقى لو يجمع الحكيم بين الاثنين فى قصة واحدة بكتاب لها الخلود [٢٩]

لقد اعتبر يحيى حقى نفسه من مدرسة « القلبيين » ، وقال ان هذه المدرسة لم تكن تنظر من « فوق الى تحت » شأن هيكل والمقلبين ، وانما « من تحت الى فوق ... كنا كالمحبوس لاينفس عنا الا ان نهذى ... لاتريد أن تقلد ادباء الغرب ، بل كنا نريد أن نعيش فى جوهم هنحنا ، فى بلادنا ، وسط مصريين أومن اصول « مشالية » ــ ولذلك لم يبرز منهم المفكر صاحب التعليم المنهجى ، وصاحب الرؤية الاجتماعية

أن يحيى حقى هى صدمة الحياة العادية غير المحددة المعالى بصورة علمية ، وتستخدم فيها الالفاظ دون تحديد والتعميق ،والتجريد،فيها ــ بقصد ايقاظ على من الاذهال بعدم تأهوبة الالفاظ ــ بصورة مباشرة ، نفس القضية التى اثارتها بشكل ما رواياته « فنديل أم هاشم» وهى فى تصورنا واحدة من اشهر ــ ان لم تكن اخطر قضايا تطور العقل المصرى الحديث : قضية ملاءمتنا بالحضارة الاوروبية الرأسمالية ، خطرة الغزو والمنهج والديموكراطية الليبرالية والصناعة والتراكم الرأسمالى والتقسيم الطبقى والفردية العنصرية والاستعمار والحروب العالمية ، الى جانب الفن والفلسفة مستوعبين ومؤرخين لكل هموم ومشاكل الانسان المادية والمعنوية ،بكل الاتجاهات ،ولكنه طرح هذه القضية على هذا النحو غير المباشر يأكثر من تدخل الحماس واثارة التعطف ، وقد يكون زعيم هؤلاء المقلبين مجبوها أو لا يكون بل قد نختلف معه حول اعتباره للمسه واحدا منهم . المهم عندنا الان ، أن هذا الموقف الذى ينسبه اليهم كمجموعة كان موقفا يعبر عن مجموعة الصلاة والانعزال وراء جدران ملاذاتها الخاصة ونصوصاتها التى لم تحاول ان تعولها الى موقف فكرى معلن ، الى موقف عملى كان سيجبر المجموعة عندما الى حلبة الصراع الاجتماعى والسياسى والوطنى والفكرى بداهة ، فى مصر ، لم الاباليم القلبيون عن هذا الموقف ؟ لكونا ؟ ربما لانهم لم يستطيعوا بمعسكر شروعهم الشخصية المتعلقة بنوع ومستوى تعليمهم وبطرمساطتهم الطائفية ــ كان أكثرهم متصرين أومن اصول « مشالية » ــ

[٢٤] خطوات فى النقد ص ٨ ــ ١٩

[٢٥] هى : ٥ ذكريات وآراء عبقرية المصدر السابق ص ١٩٠ «ب» فجر القصة المصرية ، مجلة المكشوف الثقافية ، العدد ٦ (وزارة الثقافة والارشاد القومى ، ج» سخرية الناس، بقلم محمود طاهر لاشين ، فى كتاب « عطر الاحباب ص ١٢١ .

[٢٧] ان كتاب فجر القصة المصرية ، مثلا ، لا يدرس رواية « عذراء دنشواى » لمحمود طاهر حقى ، عبيجبى حقى ، الذى عاد فكتب له مقالا خاصا بمعناهى كتاب « عطر الاحبايب » ص ١٢٥ ، وسنتعرض لذلك بعد قليل .

[٢٨] خطوات فى النقد ص ١٤

[٢٩] نفس المصدر ١٩٣

[٣٠] نفس المصدر ص ٩٧ ــ ٩٩

[٣١] خطوات فى النقد ص ١٩٧

والفكرية والسياسية ، الذى يستطيع أن يقدم مساهمته الفكرية النقدية الشاملة التى يعبر فيها عن هذا الرأى : « لتوبة أن تنأى أدباء الغرب ، بل أن تعيش فى برجم عاجنا ، فى بلادنا ٠٠ مع شعبنا ، مع الفقراء والمساكين ٠ ٠ لم يكن مفهوم هذا المفكر مثليا كان من « المثقفين » الذين تكلموا يستطيعون أن يشبهوا أنفسهم بطوروه ، ولكننا نظن أن يحيى حقى الذى كتب هذا الكلام عام ١٩٥٧ من ذكريات فى أوائل الخمسينات ، كان يتحدث عن أفكاره هو الخاصة فى نهاية الخمسينات ، ولم يكن هذا يفكر بما كان يدور فى أذهان الأسرة التوبرية [مثلا] من الفقراء والمساكين ٠

أعتقد من هذا الاستطراد ، الذى استمددنا منه شيئا من تحديد موقع يحيى حقى من التيار السائد فى « الثقافة الجديدة » المصرية ، باعتباره الوحيد من أبناء جيله فى جيله ، الذى حاول أن يقدم تصورا من جانب من تلك المرحلة من مراحل تاريخنا الثقافى الحديث ، مهما كان من ذاتية هذا التصور ، ومؤدى بنا هذا بالضرورة الى البحث عن « منهجه » المفترض ، فى الكتب الوحيد الذى كرسه بشكل كامل للتاريخ لـ « فجر القصة المصرية » ٠

فى هذا الكتاب ، الذى لن نسمح فيه عن الصحافة ودورها فى نشأة القصة ، ولا من تقسيم الكتاب الواثلى الى « طليين » و « طليين » ، يلجأ يحيى حقى الى مهارة القصاص الفنان وقدرته على « استحضار » الجو الروحى من طريق لسانه الذى يرسم بضمير الشخصية كل كاتب أو أديب ، وصورة الخلفية التاريخية التى يريد القصاص الفنان أن يستخدمها اطارا لكل شخصية من الرواية التى يراها أكثر تعبيرا عن الشخصية

بمصطفى كامل ، بطل الوطنية المصرية فى عصرها « الرومانسى » وطموحها لا يزيد عن الاحتماء بحجة أن مصر ملك سلطان الاستانة الخليفة ، وفرنسان الكلمة المصرية ، هم أحمد خيرى سعيد وطاهر لاشين ، ومحمد وحمود تيمور ، وعيسى عبيد ، ثم توفيق الحكيم ، وقليم جميعا بمحمد حسين هيكل ٠ ولكن هؤلاء لم يفرعوا فى الكتابة الا بعد وفاة مصطفى كامل بسنة أو ثمانية أعوام على الأقل ، بينما هناك واحد فقط ، هو الذى كتب ونشر رواياته فى أثناء حياة الزعيم واستشهد من أجل معاركه ، وهو محمود طاهر حقى صاحب « عذراء دنشواى » التى قال عنها يحيى حقى أنها بعد أنها الرواية التى أباحت لمجلة الرسالة أن يكتب فريدة » ومجدت له سبيل الكتابة عن الريف المصرى ٠ فالحق أنه لم يكرها يحيى حقى وهو يكتب « فجر القصة المصرية » ، ووضع بكتابها « حديث عيسى بن هشام » للمويلحى ، باعتبارها « نشرة » الجمع بين « الشكل فى المأفى وبين موضوع اليوم [٢٤] فالمبتلى أن الدانع وراء احال يحيى حقى رواية «عم» هو أن محمود طاهر حقى كان لابد أن يدرج برواياته رائدا للمثقفين ، الذين وقفوا يحيى حقى أو رآهم جيدا « مثقفين » لابناء الغرب ، ولا يجتمون مع أهلهم ولا مع الفقراء والمساكين ٠ وكان على يحيى حقى فى هذه الحالة أن يضع عبه العزيز فى صلة « خصوصه » الذين رأوا أن حركة تطوير الفن ، وغرس بذور الفن القصصى ، لا تتصل من مصارف الشعور الوطنى والاستقلال عن تركيا وانجلترا فيرتبط واحد ، والديموقراطية ، وتحرير المرأة ، وانشاء الجامعة ، ومراجعة تاريخ الادب العربى ونقده ، وكشف ترانه ، مع محاولة الجمع بين « الثقافتين » ٠٠ الخ ٠٠ الخ ٠

وانبذا لمن يحيى حقى ، رقم اشارته الى أهمية كدوم أولم مطبعة دروكاتيك؟ لجريدة ؟ المزيد ، ورقم اهتمامه بقاسم أمين وتحرير المرأة ، كما قاله لا يمسحنا بشىء من حقيقة الجو الثقافى الذى نشأت فيه « القصة » المصرية ، وتجاهل أوائل « القصص » العجيبة [ومن بينها عذراء دنشواى] ٠ ان الجو الذى تجربت فيه نشأة مصر للمصريين ، والاستقلال التام ، والدستور ، والبرلمان ، والتعليم ، والجو الذى تجربت فيه نشأة المؤسسين الاتحاد النوبى ، والخلافة ، والمذكتور ، ثم الخلاف بين المتعلمين الاتحادية ، وبين علماء الأزهر ، ثم الانفصال بين المسلم الحديث وعلوم التراث ، وانفلق الاول من المنابع العقلية الازهرية بمناهج البحث العلمية الحديثة ، هو الذى لم يجد له سبيلا الكتابة شيئا فى الكتب ، ولى تتجربنا لرأحمال العجز حقى ، رقم مصرف المؤلف على تواليد الانطباع بأنه يقدم المخلفة التاريخية والطبيعية لنشأة القصة المصرية ونأته لا يهمل فكر أسماء لطفى السيد وطه حسين وهرسخيما ـ أقول ان أهمال هذا الجو ، مع تواليد هذا الانطباع ، يقترنا بأغلال «عذراء دنشواى» وغيرها من المحاولات القصصية السابقة عليها ، لم يكن مصادفة ما فى المثالين؟ سنجد ملامحنا الملامح الشخصية ، وأحيانا للتاريخ الأسرى والملامح الخارجية للكاتب وأبائهم بل وجدانهم ، فاننا سنعرفنا طرفا من تاريخ أحمد تيمور باشا وعائشة التيمورية ، دراسة الأولى لعلم المنجم وعزلة الثانية وتعلقاتها [٢٥] وعيسا لم يكتبا قصة ، كما أننا لا نلمس من ذكرهما علاقة بقصص محمود محمود تيمور ٠

هذا التوجيل العلم الملامح العصر ، مع التركيز على الجوانب الشخصية وحدها ـ ومن بينها الاشارة الى انتشار قراءة

[٢١] قد يكون من المناسب أن نشير هنا اشارة عابرة ، تذكرنا بها اشارة عابرة ليحيى حقى من أحمد لطفى السيد فى « فجر القصة المصرية » ص ٣٦ اذ قال يحيى حقى عن لطفى السيد انه « كان يقاسم مصطفى كامل ويجهز بضرورة اقامة حدود مصر ورفض التبرع للجيش التركى ، أن يحيى حقى ، وجده الباشر نارح من تركيا ، لا يستطيع أن يتناوم اعجابا خفيا بقوى الاصل التركى من المصريين . نرى هذا يوضوح فى نفسه اسهاب القناع على اعمالهم فى حياه جميل ، ولكن هذا «الاعجاب» المسيطر يدفعه أحيانا الى التصرعلى خلاعة آل عثمان بجهة المهجوم على اليهود ويسلمه هذا الى التدنى على الديمقراطية ، وعلى عليمالية الدولة ، الامر الذى يدفع الى التقليل من حقيقة تقديره ونهضه لـ « وطنية » مصطفى كامل ، ولكن المهم لنا ، هو اتخاذه بناء على ذلك الى بعث موضوعات بعيدة على الاهتمامات المباشرة التى يكرس لها حياته الحقيقية والفنية » راجع مثلا مقر الاحباب ص ١١ ـ ١٢.

[٢٢] مقر الاحباب ـ ص ٨ ، ٩ .

الادب الفرنسية والانجليزية ثم الروسية وتأثير ذلك على بعض الكتاب — كتوبخي بشوبه من ملامح « المنهج الظاهري » ، ولكن هذا « المنهج » ، باعتباره « منهجا » وليس باعتباره « فكرة » ، يطالب بالكشف العلاقات بين الظواهر التاريخية الاجتماعية والنفسية ، وبين الظواهر الشخصية الذاتية والمباشرة — أما يحيى حقى ، فانما لا ترى عنده حرصا على استكمال الصورة الحقيقية للعصر التاريخي بالوقوف عند « أهم » علاماتها ، وتبرير ذلك الموقف [من ذلك اعطاءنا يوم وفاة مصطفى كامل علامة بداية لكل شيء ، والاكتفاء لتبرير ذلك بكلمة من قاسم امين في أنه اليوم الذي خفق فيه قلب مصر] كما لا نرى عنده الحرص على اعطاء الصورة الحقيقية لشخصية الكاتب ، بما ورثه وما اكتسبه ومايدعه .. دع عنك فكر اكتشاف العلاقات بين ذلك كله ، لكي يصبح المنهج « منهجا » .

لذلك أن يحيى حقى قد اهتم بأن يكون « ناقدا » فقط — ان لم يكن بأكثر — مما اهتم بأن يظل كاتبا مبدعا ، وفي السنوات العشر الأخيرة ، لم ينشر يحيى حقى قصة واحدة ، بينما نشر المئات من المقالات ، بين يوميات ومذكرات رحلات وتأملات عامة وصور شخصية ، ومقالات نقدية [٢٣]

ولكن يحيى حقى ، فانكدا لاحظ انه يمارسه النقدية ، أراد أيضا أن يكون صاحب تصور جمالي نظري للفن يوجه عام ، وللأدب ، ولأدب القصة القصيرة بوجه خاص . ونحن لا نعتقد أن محاضرته « حارسنا الى أسلوب جديد » في محاضري تجسيد هذه الرغبة ، رغم ما يوصينا به يحيى حقى في ترجمته الذاتية لمسيرة حياته . انما تعنينا بشكل أكثر شمولا ارتقاء وتميزا وارتباطا بمنعطيه الابداعية والتنويرية ، المقالات الاولى من كتابي : « عطر الاحباب » ، « الشموعة البعيدة » ، خاصة وأن هذه المقالات تحتوي الافكار الاساسية الواردة في المحاضرة المذكورة ، وتشعبها في سياق نظري أكثر شمولا لتجربة الابداع الفني والادبي .

وقد لا يكون لمشاكلات العلبه والبعض التي أسداها يحيى حقى للكتاب الشبان دور القصر الأول من الكتاب المذكور قيمة كبيرة في تحديد تصوره النظري الجمالي عن « الفن » بشكل عام ، وعن « الادب » خاصة ، الا من حيث محاولتها المزج بين أفكار أساسية مستمدة من النظريه الوجدانية الاشراقية في تاريخ الادب والفن ، وبين أفكار أخرى مستمدة من التأثيرين الفرنسيين في القرن الماضي ، وبين بعض المقولات العامه لمعتقد أحيانا من تعاليم الشيخ مرتوخ أيامر ريتشاردز ، وتتصيد أحيانا أخرى من الفكر الوضعي نفسه . وهذا ان دلالة فانما تدل على الجزء ، قد كتبت في الثلث الاوسط من الستينات بعد أن اتيح ليحيى حقى الوقت لتنظيم ثقافته النظرية . سنلمس التأثير الوجداني الاشراقي « في صياغة يحيى حقى لفكرته عن ضرورة النظر الى كل مذهب فني باعتباره « تطورا » للمذاهب القديمة .. لقد اعتمدت هذه النظرية ، أن « الوجدية الاشراقية » ينبغي أن تكون وارثة لأفضل ما حققته جميع المذاهب والمدارس الفنية السابقة عليها والمعاصرة لها . ولكن يحيى حقى يتولى تصحيح هذا المعنى النظري الذي أقيم على دراسات جمالية وتاريخية حديدة بتشعبه ، ويحوله الى « حكمة » تقول : « ان كل جديد مبتكر لا يخلو من عناصر موروثة » [٢٤] فلا نعود نعرف كيف ينشأ الجديد المبتكر ، ولا هي العناصر الموروثة التي ستوجد فيه ، ولا كيفية هذا التواجد ، ولا تركيبات سنوجد بدافع من وعي الجددين المبتكرين واختياراتهم أم بسبب نعم وعيهم وظهورهم كجزء انتاج — في لعبة التاريخ الثقافي العام .

وسنلمس نفر يحيى حقى بأشباه مفترقة من التأثيرين الفرنسيين ، وخاصة من سانت بيف ، في حديثه عن الفرق بين التكوين الذاتي والتكوين الفني للكاتب ، أي بين ما يمارسه في حياته وما يعبر عنه في فنه ، وان النقد لا يسعى أساسا الى الكشف عن التكوين الذاتي بل عن التكوين الفني [٢٥] . وفي هذه المقالات يتلاشى اليحامد ، تأثير النظرية اليونسية على تصورات يحيى حقى عن التواصل والابداع ، والنقد . وسنراه يظل من أهمية الاسلوب ويركز أكثر على الفكرة ، وسيصل الى حد كبير التأكيد على أهمية اللفظ والتعبير .

ولكن هذا التأثير سيزداد وضوحا في مقالات « أنشودة البساطة » التي كتبت في أواخر الستينات وأوائل السبعينات . هنا سيكون التركيز على التعبير الذي يتيح أن يكون « على قد الموضوع » وليس على قد الجمهور [٢٦] والصور الذي يتيح « توصيل » المعنى اليه ، بتكون من كبار الكتاب ، ليس قوم الكاتب [٢٧] والابداع موهبة فطرية ، واللغة هي التي تدافع وتدود عن تدافعها الصور . والذين عدو للتيزيولوجيا [٢٨] ، والتحرر من قبل الوعي ، لأن الشعور هو المعيق بين الامداد ، والوعي هو العامل والتثبيط .

اي واحد من هؤلاء هو يحيى حقى « القائد » ؟ . اعتقد يقينا ان الصورة التي ينبغي لنا ان نتوقف عندها واني سنظل واحدة من أكثر ملامح ثقافتنا الحديثه سطوعا ، هي صورة يحيى حقى كاتب القصة والرواية المبدع . ولحظي ان اكون متعمقا ، بعد السطور السابقة ، اذا قلت ان كتابات يحيى حقى القديمة ، كانت في غالبها ، تنفيسا عن طاقة مقلقة ووجدانية وتعبيرا عن رغبته في اقامة حوار مباشر بين المبدع وبين العالم الذي يحيط به ، وهو حوار قد يكتفي به الكاتب المبدع أحيانا . وقد يظلم نفسه ، ويظل من ابداعه وما يمتلئ به منه ، اذا هو لم يكتف بلغة الابداع ، حين لا يكون هالكا قبل ما أمتلئ اليدعنون الذين يمارسوا النقد لكي يفروا به وجه هائم الثقافي والفني ، ولكي يشيدوا به بناء جديدا يوسع من آفاق الابداع والجمال .

[٢٣] راجع بيليوجرافيا عن كتابات يحيى حقى اعداد يوسف الشاروني . مجلة الثقافة عدد [٦] ، ص ٦٨ .
[٢٤] عطر الاحباب ص ١٤ الى ١٨
[٢٥] نفس المصدر ص ١٠ ، ١٥
[٣٦] أنشودة البساطة ص ٨ ، ٩
[٢٧] المصدر نفسه ص ٨ ، ١٠
[٢٨] المصدر نفسه ص ١٩ ، ٢٠

جـــوائز الـدولة :
تنـــاول نقـــدى

هؤلاء الحائزون على جوائز الدولة التقديرية والتشجيعية، ما الحجم الحقيقى لابداعهم ؟.. فيما يلى نقدم « الطليعة » تناولا نقديا لهذا الانتاج ، علها تجيب على السؤال : هل يستحقون التكريم .. ولماذا ؟ ..

● عبد الرحمن الشـــرقاوى
تـــراث الفـن المتجـــدد

عندما يدرس الناقد عملا فنيا ، فانه يجعل من علاقة المؤلف بتشكيله فى هذا العمل الفنى مهمة له . وقد يحاول الناقد — بحسب ادواته وقدراته — أن يضع هذا العمل الفنى موضعه من مجمل نتاج الفنان ، ان كان متصلا بهذا النتاج اتصالا حميما . وعندما يقوم الناقد دور الفنان — فى مجمل نتاجه — فانه يجعل من علاقة نتاج الفنان بتاريخ الفن الذى أنتج فيه ، مهمة له . ولكن من الفنانين من يتجاوز دوره [تاريخ فن] بعينه ، الى [تاريخ الفن] فى تراث جماعته عامة . ينشط هؤلاء الفنانون فى مراحل الانتقالات الاجتماعية الكبرى التى تواكبها نهضات فنية شاملة فيعـــون أن هـــذه الانتقالات ليست بدايات جديدة لتاريخ الجماعة ، وانما هى استمرار لهـــذا التاريخ فى ظل علاقات جديدة ، ويعون أن هذه النهضـــات الفنية ليست قطعا لتاريخ الجماعة الابداعى ، وانمـــا هى بتأملها التاريخ من داخله ، مستلهمين فى هذا البناء وهى الحاجات الروحيـــة والجمالية الجديدة لجماعتهـــم ، ووحى علاقاتها الاجتماعية الراهنة .

فى هذه النهضات الفنية الشاملة تتعدد ادوار [الرواد] من الفنانين ، وقد تتعدد الادوار جميعـــا تبـــدأ مـــن اعادة بناء [التاريخ الفنى] للجماعة بتجـــديده داخليا ، وتنتهى بصياغة حاجات الجماعة وعلاقاتها الجديده . ان قانون هـــذه النهضات الفنية أن الجديد فى الفن لا ينفى القديم ولا يجبه ، وانما الجديد هو القديم مجددا فى ظروف جديدة . من هؤلاء الفنانين فى الادب العربى الحديث ، عبد الرحمن الشرقاوى [١٩٢٠ —] الذى نهض بادوار فى معظم الانواع الادبية ، والذى برز وقد تحدد اسلس النهضة الادبيـــة العربية فى امرين ، تجديد الشعر العربى وتأصيل الانواع الادبية الجديدة [أدب المسرحية — القصة القصيرة — الرواية] . فكان له دور [علم] فى تاريخ الادب العربى الحديث فى التجديد والتأصيل على السواء . ولقد وعى هذا الفنان قانون النهضة الادبية الذى يرى أن تاريخ فـــن الادب هو تواصل التراث الادبى واعادة بنائه فى ظروف جديدة ، فجاء نتاجـــه تجديدا للاصيل [الشعر] لا يقطعه عن تقاليده الفنية الاساسية ، وتأصيلا للجديد [أدب المسرحية — القصة القصيرة — الرواية] يغرسه — واعيا بمصارعة ملحة فى المأثور العربى والشعبى — فى بناء الادب العـــربى . ومهمـــة ناقد الادب ودراسة تحديد دور عبدالرحمن الشرقاوى فى تاريخ نوع أدبى بعينه ، ومهمـــة مؤرخ الادب تحديد دوره فى الادب العربى الحديث عامة ، أما أنا فحسبى هنا أن أشير الى تخطيط لدرس هذا الدور العام بصورة أولية .

التراث الفنى قضية معاصرة

بدت ، فى الادب العربى الحديث ، ظواهر لم تمثل أيا من اتجاهاته الاساسية ولم تساعد — من ثم — على بناء تاريخه هذه الظواهر ثلاث : أولها أن مجموعة من الكتاب نهجت نهج كتاب الغرب وحلت حذوهم ، فى تفسير العالم وتمثله ، وثانيها أن مجموعة أخرى حاكت الادب العربى القديم واحتذت مثله وتقاليده . وثالثها أن مجموعـــة أخيرة حاكت [الواقع] محاكاة آلية وتمثلته من ظاهر حركته . كانت الظاهرة الأولى تغريبا نابيا مجانيا لحقائق الاذواق العربية وتاريخها ، وكانت الثانية تقليدا فقيرة

يجعل حاضر الجماعة ومستقبلها وراءها، وكانت المالة أدب مناسبات مارضة يسلط من يد الزمن بمعنى مناسبته ، أما الحركة الأسلوبية في الأدب العربي الحديث فقد كانت استجابة لباعث ضخم يعبر من ناحية من المكونات الموضوعية للمجتمع [الصراع الطبقي] ، ومعبر من ناحية ثانية عن تحدى المستعمر الغربي [الصراع الوطني] ، في هذه الحركة الاساسية أصبح الموروث الأدبي نابضا بالحياة وجزءا من تاريخ الجماعة متطورا وتطورها ، يستجيبا لوحى حاجاتها وعلاقاتها الجديدة ، وتحرر الواقع من المثول الجامد ليصبح ينتظم الماضي والمستقبل أصبح يستدعي الماضي ، ويستحضر المستقبل . لقد وجد الكتاب الوطنيون هذه الحركة بحيث تتجاوز تقليد الغربيين هذه الحركة بحيث وجه الكتاب الوطنيون هذه الحركة بحيث تتجاوز محاكاة الآداب الغربية مسرين جده المحاكاة بمواقف الغربة والتغرب والاغراب التي أثيرتها صور التعبير الاستعماري الرجعي . ويبرز من هؤلاء الكتاب من صحح مفهوم التراث فسطحت عناصره الديمقراطية والعلمية والتعبوية، وبدأت تتجلى لنا طرائق الحساسة في ادراكها للجمالي لعالمها ، كما برز من هؤلاء الكتاب من عاش تراث الجماعة متحركا به في خلائق واقعها الراهن بكانت كفاحاته قطعا في بناء التاريخ الروحي والفني لهذا الشعب . وعبد الرحمن الشرقاوي واحد من بناة هذه الحركة واعمدتها ، فلقد انحاز هذا الفنان الى الطبقات المصرية المتدنيجة جماهير الفلاحين وأعمال ونشط فنيا تحت رايتها وصالح

— في فن أنتاجه — حركتها ووعي هذه الحركة — جماليا — حسب نظريتها الاجتماعية ونفسفها . في جل انتاجها الفنان — كما سنرى — تواصل بصر في بمنحى ثروتها ويتواصل التراث المصري كاشفا من النفسية المصرية في جوانبها المناضلة والشعبية المتفجرة . في هذا الانتاج تبدو الجماهير المصرية — تاريخا اجتماعيا — سامية الى نفي القهر الطبقي والوطني ، ويبدو تراث هذه الجماهير — تاريخا فنيا — أداة لنفي القهر الروحي والثقافي والديني ، في هذا الانتاج تبدو حركة الجدل الصحيحة بين الموقف الاجتماعي وتشكيله الجمالي ، وان تحليلا بنائيا لهذا الانتاج ليضح — فيما أناس — هن جدل بين الظاهرة الاستعمارية من ناحية والظاهرة الوطنية والقومية من ناحية ثانية ، ومن جدل بين ظاهرة القهر الطبقي

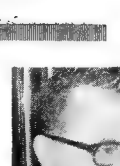

عبد الرحمن الشرقاوي

والوطني من ناحية وظاهرة الثورة من ناحية ثانية ، ومن جدل بين ظاهرة القهر من ناحية وظاهرة التجديد من ناحية ثانية ، ومن جدل بين الفن من ناحية والعلاقات الاجتماعية من ناحية ثانية .

ومعلوم لدى تاريخنا القريب أن كل رائد من رواد الأدب قد صاغ — الى جانب انتاجه الفني — موقفا فكريا من التراث ، وازهد المواقف الفكرية كانت ذات طوابع طبقية واضحة ، فعلى الرغم من وحدة التاريخ الثقافي القومي في مجمله ، فان كل طبقة تفسر هذا التاريخ وفق حاجاتها وفلسفتها وطلها العليا . ولقد وجدت هذه المواقف الفكرية في شخصية محمد ابن عبد الله عليه السلام موضوعا خصبا لتفسير التراث واعادة تجديده وبنائه ، وصاغ عبد الرحمن الشرقاوي موقفه الفكري في كتابه [محمد رسول الحرية] ، وتوسل الشرقاوي في تفسيره بالمنهج العلمي الثوري ، فسحت دورة الاسلام الاجتماعية في طليعتها الشعبية، والثورى ، والانسانى ، وبدا الرسول الكريم محررا عظيما للمستضعفين ، وثانيا لدوانين القهر الروحي والاجتماعي . ان انحياز الكاتب الى الجماهير المنتجة ، جعله ينهج النهج الجذرى في تفسير تاريخها وجعله يبرز العوامل الموضوعية الفاعلة في قطعة هامة من هذا التاريخ وهي مرحلة الثورة الاجتماعية الاسلامية . لقد جعله هذا المنهج يضئ تاريخ الجماعة بمن كل نظير مختلف بعصد الخوارق والمعجزات في التاريخ ولا يعتد بالقشرين الاجتماعي والعمل البشرى . لقد بدا نبي الاسلام عليه السلام — في هذا الكتاب — بشرا سويا يقود الجماعة الى ملاقات أكثر تقدما وعمقا بله أحلام السالكين الى طريق اللامستحيل أكثر انسانية . وعبد الرحمن الشرقاوي فنان في المقام الاول لمكننا وفننا — مسرعين — عند موقفه [الفكرى] هذا من التراث لان هذا الموقف — شأن المواقف الفكرية التي صاغها أدباؤنا — انما يفصح عن سبيل في تفسير التراث ليس بعيدا عن سبيل صاحبه عندما ينتج فنا يصبح تراث الجماعة فيه متجددا بتطور حركتها في التاريخ .

الفن المتطور

الشعر هو الفن العربي الاول ، ويعد تاريخ الشعر العربي الحديث في محاولات تجديده ، وتستند هذه المحاولات — في أصالتها وضرورتها وجودها — الى تواصلها بتقاليد الفن الشعرى الموروث في ظل علاقات الواقع الجديد وحقائقه . ولقد كان آخر هذه المحاولات التجديدية ، وأبعدها ثراء، الحركة الشعرية المعاصرة أو ما يسمى : هركة الشعر الحر .

لم تكن هذه الحركة خروجا على تقاليد الشعر العربي ، وانما كانت تطويرا لهذه التقاليد لتستوعب موقفا فكريا وجماليا وأجتماعيا جديدا . ان حياة المجتمع العربي المعاصر قد تغيرت بصورة عميقة ، كما تغير التاريخ الثقافي والتراث الفني لهذا المجتمع ، لهذا كانت هذه الحركة الشعرية جهدا موضوعيا ينتظر بهلالة الشعر الحربي وجماليانه وخصائص التعبير اللغوى وطبيعة الايقاع فيه الى مناخ هذه التغيرات، لادراكها جمالها ، ومبادئها شعريا . وعبد الرحمن الشرقاوي واحد من الشعراء المعاصرين الذين هطوا عبء هذه الحركة التجديدية ، ويضع شعر الشرقاوي بريدي مؤرخ الاعمدة فاية صالحة تنصح من أن مضمون الغاية ووجه حركة الفن ، ومن أن الموقف الفكرى والاجتماعي للفنان خير مفسر لفنجاه الفني ان وعي هذا الشاعر بحركة الجماهير وقوانينها التاريخية الاجتماعية ، جعله يعي الجوهري في تراث هذه الجماهير وجعل فنه يواصل هذا الجوهري طبيا العلاقات الروحية الناشئة وستجيبا لحقائق الواقع الجديد . ان الراصد الادبي سيقع في ديوان عبد الرحمن الشرقاوي — [من أب مصري وأضح وجوه حركة الفن ، ومن أن الموقف الفكرى والاجتماعي للفنان خير مفسر لفنجاه الفني أخرى] — على الموقف الفكرى الاجتماعي الذى يحدد المضمون الشعرى ويسر التشكيل الجمالي . يجد هذا الراصد أن موقع الشاعر في معسكر الجماهير ، وموقفه الثوري من قضاياها ، يجعلان وجوه التجديد في شعره صادقة لمجاهات لا تتطلع الجماعة حتى تاريخها ولا تتطلع تراث الفن من سياقه . في هذه الحالة لا يكون التجديد تجريبا تشكليا خاليا من المغزى التاريخي ، وانما يكون استبصارا للاصيل في حياة الجماعة وتاريخها الحي، وتاريخها الفني في آن واحد . ان هذا الفهم لتجديد التراث الشعرى قد وصل الى درجة من نضج طيبة في بناء بعض شعرائنا ، يجعل تشعب قضايا التشكيل الجمالي المتصلة ببنية القصيدة لتشل

الربط وعلاقته بالوجوه من ناحية وعلاقته بالخلفية من ناحية ثانية وعلاقته بالبعد الأسطوري في حضارتنا وأساطيرنا الشعبية والشاعرية ، وتشمل طرائق التعبير المتلفزي في الشعر وصيغوياتها البصرية .. الخ ، وكل هذا التشعب الذهني في حركة الشعر العربي المعاصر ، ابتداءا بالصراع جوهر كل حياة ، وفي الحركة عامة كل حي ، فاذا لم يكن في مأزقنا القديم تراث أدبي مسرحي فان في هذا التاريخ [الحكايات] دراميه في كثير من صور التعبير العربي ملية وفي صور التعبير الشعبي منه خاصة ، واذا بدا بعض هذه الحكايات في سرح عبدالرحمن الشرقاوي الشعري ، فان ذلك يتيح لهذا المسرح — في التنفيذ — طاقات كبيرة في استغلال جوانب الحركة والاشارة والاداء والايقاع في الممارسات الشعبية التي يمتلعها الشعب في طقوسه ومحافله وأعراسه وأعياده .

الفن المستحدث

القصة والرواية نوعان أدبيان حديثان في كل الآداب العالمية ، لم تعترف لهما بتقاليد كما استقرت — نسبيا — للشعر تقاليد وصيغت نظريات . لذلك فان الفن القصصي والروائي — في أدب من الآداب — أقرب الأنواع الأدبية الى التهوض على عناصر الحكي والقص والرواية والسرد في الموروثات الفنية والشعبية في هذا الأدب ، لكن غريبا من كتاب هذا الفن في أدبنا الحديث كانوا أدنى الى احتذاء الكتاب الغربيين منهم الى هذه المصادر الموروثة التي تتفاعل الوطنية والقومية ، والحق أن هذا الأمر يتعلق — كما سلف بموقف الكاتب من جماعته ومن تراثها . وقد عرضنا لمعالجة موقف الشرقاوي متجددة للفن الشعري ، فالتقينا الخط العام لمعالجة هذا الموقف بتأصيله للفن الروائي . جهد عبد الرحمن الشرقاوي الروائي — [الأرض] و [قلوب عطاشى] و [الشوارع الخلفية] و [الفلاح] — يتصرف في معطيه الى عالم التجربة المصرية بعلم الفن بهذا العالم في وحدة الموجوعة البشرية ، وفي وحدة تاريخها وبقراء ، في واقعية محمدة ، في شرط تاريخي اجتماعي بعينه . لذا تحرر هذا العالم من الرؤى البصرية للاشياء والأشياء ، وتظهر من التسجيلة — أنه عالم مقهر الأرض والبشر والتاريخ فيرجعدة جوهرية تنزع فيها الأحلام والأوهام وتتحدد الكائنات بالشر ، وتصعد التضحيات بها من جبل صنيع الحياة وتتجسدها : حمل الخير والشر ما بين الأتوبيوجرافي والمتخيل الذهني والصوفي ، والملحمي التاريخي بين الاستغلال والثورة . أن الطيب لجماليات الشعر الحر وتوظيف هذه الجماليات في مجريات الفعل وأثاره المتوتر ، يحيث تكون الماهية الشاعرية في خدمة الماهية الدرامية . ويبدو هذا الجهد الموضوعي في السعي نحو دمج عناصر الدراما وظواهرها وتقاليدها في الفعل الأنساني للمسرح ، بايمان أن الصراع جوهر كل حياة ، وأن الحركة منه كل حي ، فاذا لم يكن في مأزقنا القديم تراث أدبي مسرحي فان في هذا التاريخ [الحكايات] دراميه في كثير من صور التعبير العربي ملية وفي صور التعبير الشعبي منه خاصة ، واذا بدا بعض هذه الحكايات في سرح عبدالرحمن الشرقاوي الشعري ، فان ذلك يتيح لهذا المسرح — في التنفيذ — طاقات كبيرة في استغلال جوانب الحركة والاشارة والاداء والايقاع في الممارسات الشعبية التي يمتلعها الشعب في طقوسه ومحافله وأعراسه وأعياده .

الفن المستحدث

القصة والرواية نوعان أدبيان حديثان في كل الآداب العالمية ، لم تعترف لهما بتقاليد كما استقرت — نسبيا — للشعر تقاليد وصيغت نظريات . لذلك فان الفن القصصي والروائي — في أدب من الآداب — أقرب الأنواع الأدبية الى التهوض على عناصر الحكي والقص والرواية والسرد في الموروثات الفنية والشعبية في هذا الأدب ، لكن غريبا من كتاب هذا الفن في أدبنا الحديث كانوا أدنى الى احتذاء الكتاب الغربيين منهم الى هذه المصادر الموروثة التي تتفاعل الوطنية والقومية ، والحق أن هذا الأمر يتعلق — كما سلف بموقف الكاتب من جماعته ومن تراثها . وقد عرضنا لمعالجة موقف الشرقاوي متجددة للفن الشعري ، فالتقينا الخط العام لمعالجة هذا الموقف بتأصيله للفن الروائي . جهد عبد الرحمن الشرقاوي الروائي — [الأرض] و [قلوب عطاشى] و [الشوارع الخلفية] و [الفلاح] — يتصرف في معطيه الى عالم التجربة المصرية بعلم الفن بهذا العالم في وحدة الموجوعة البشرية ، وفي وحدة تاريخها وبقراء ، في واقعية محمدة ، في شرط تاريخي اجتماعي بعينه . لذا تحرر هذا العالم من الرؤى البصرية للاشياء والأشياء ، وتظهر من التسجيلة — أنه عالم مقهر الأرض والبشر والتاريخ فيرجعدة جوهرية تنزع فيها الأحلام والأوهام وتتحدد الكائنات بالشر ، وتصعد التضحيات بها من جبل صنيع الحياة وتتجسدها : حمل الخير والشر ما بين الأتوبيوجرافي والمتخيل الذهني والصوفي ، والملحمي التاريخي بين الاستغلال والثورة . أن الوحدة جوهر المواقع ، وأن القدم لا تكون تاريخي . ليس من تواميس هذا العالم الواقع فيما تخلو وبعده وجزئيه الظاهرة ، وانما بتدي الأشياء والكائنات والسدائع البشرية في هذا العالم من علاقات جوهرية أصلية ، فيدركه بالحدس والمشكل الجمالي . واهم من هذا العالم هو الانسان ، والانسان لا يصل اليتر ، وانما هو يحوس من صفوفه ، وقليلا ما يكون — من بناء الرواية — هو [الراوي] لمجريهم ، انه يحيهم بعده صوفي غامر ، وهو من نفس الوقت مني قشعهم وتناقضهم ، واقعهم وعيا موضوعيا ، الانسان في هذا العالم حقيقه بشطر الرغبة والنشوء والارادة والفعل ، لكن المهم انما تحدد سمة تطرف بعينها ، وقد يبدو الانسان حتمية بيولوجية وتاريوبولوجيه محور فيها العصبيات والرغبات ، ومحل من سلوكه الخرافه والأسطورة ، لكه محكوم في النهاية بكونه مجموع علاقات اجتماعية في واقع محدد . الحقيقة الكبرى والجمالية البارزة في هذا العالم أن الفعل ارادة بشريه ، وأن التحل جماعي ، وصور انعكاس للوعي الطبقي . أن حريته الجماعة تنجه — بحصيلة خبرتها ووجودها التاريخي — الى بقي قوانين الفرد الاعطاعي والرأسمالي والاستعماري ، وليس بتسيها بالأرض بخطيا اقتصاديا بحسب ، بل نزوعا الى حريتها السياسيه وارضاءا للحكم والتغير السياسيين . ان هذا الموقف من الجماعة ووعيها يتسبب على تشكيل حركيها جماليا ، فجد هيذيا من كل تراثها الروحي والشعبي : يبدو الشكل الجمالي في مناخ السحر والكلام والحواديت والنوادر وحكايات الشطار ويستعد بما لايزالهيا في المواويلساهات الأسواق . ان الجماعة تقدم [بطلها] بمطلبيه في بنقله نماذج تاريخها مني الأبطال والمفاوضين والمرسلين . ليس عبد الهادي — في [الأرض] — وعبد العظيم — في [الفلاح] — مخلصين ، بل هما أقرب الى أن يكونا بطلين شعبيين يجسدان في ملامحهما أن ما استقر في وعي الشعب من ملامح أبطاله وقادة المقاومة في مأثوره . وفي هذا العالم الروائي يتوج من [المرأة] عطر يستحضر سحر الحواديت السحيقة وأجواء ألف ليلة وليلة .

ان مهمة النقد التطبيقي أن يكشف عن القيم الفكرية والاجتماعية والجمالية في كل عمل من هذه الاعمال الأدبية والمسرحية والروائية لعبدالرحمن الشرقاوي

د٠ عبد المنعم تليمه

صلاح طاهر

فن موضوعى وأسلوب تجريدى

يقول المثال الفرنسى العظيم اوجست رودان « أن الفن هو فرحة الذكاء البشرى حين ينفذ بابصاره الى اعماق الكون لكى يعيد خلقه مرسلا عليه اضواء من الشعور » .

هذه الملابسات القليلةتشير الى ان العمل الفنى لابد ان ينتمى الواقع وان تبرح مواطنه الفنان وافكاره بلا حدود داخل هذا الواقع او خارجه ، حاضره .. او مستقبله ، والعمل الفنى بعده الصورة بن التعبير عمل ايجابى لورى لا يعرف طريقه الى السلبية نهائيا كما يقول فيلسوف المجال « بيير » ، لو كان للفن مذهب فلسفى إذا كان هناك شىء آخر سوى فلسفة التجاح ، فالعمل الفنى عمل ايجابى ولا يمكن للسلبية فيه لان الفنان لا يعرف القابل للسلبى » .

ان الفن هو العمل الانسانى الذى يستقل عن خالقه،يصبح اكثر منه خلودا، وفى داخل كل فنان اصيل فورقوصراع، وحيدا تتخلق هذه الثورة فى اللوحات والتماثيل تتحول الى شعلة من قبس الفن ، وتسمى هذه الشعلة دائما باسم الفنان .. وتصبح عملا فنيا هو ذات الفنان ، بل ان العمل الفنى نفسه يقف قليلا بشاعية صاحبه الذى هو ذاهب لا محالة الى الموت ، فهو باقى والموت هو المسود الذى تحسر تفاصيح سودا .

[●]

وهنيا نار الفنان صلاح طاهر بمكرة الدولة التشجيعية للتصوير عام ١٩٦٠ كان تقرير لجنةالفحص فى المجلس الاعلى للفنون والآداب يكشف عن ان اللجنة الموقرة لم تهتم بل ولم تصل الى ادنى درجة من درجات الذوق البسيط لاعمال الفنان بل ولم يخل التقرير من خط سخيف ، فكير مرتين !

والواقع ان تقرير لجنة الفحص فى تاريخ الحركة التشيية المصرية يدل على خذلف المسئولين وهم فى بكالة الاشراف والحكم على العمل الفنى .. ولعلى لا ابالغ اذا قلت ان اللجنة اعطته الجائزة لتهدأ ثم تهتم شيئا من اعماله ونص التقرير دليل قاطع !

لهذا يبرز شيء هام هو ضرورة القيام بدراسات نقدية جادة وموضوعية لعلم الجمال وتاريخ الفن وعلاقته بالحياة فى مصر فى العصور المختلفة ليوضح كل فنان فى بكالة وسط زملائه لتتسنين به اللجان المختلفة فى اصدار القرارات فى موضوعية .

وقرار اللجان هو أصدار لحكم على العمل الفنى والحكم هو نفسه علم الفنانى وتقائده وفكره بعدا من الهوى وقربا من الحقيقة .

أعود لاقول : بعد ما يقرب من ١٤ عاما حصل صلاح طاهر على جائزةالدولة التقديرية فى الفنون .

ولد صلاح طاهر فى ١٢ مايو سنة ١٩١١ بالجالية بالقاهرة ،وتخرج فى كلية الفنون الجميلة « مدرسة الفنون الجميلة العليا » فى ذلك الحين فى الدفعة التاسعة والعشرين . واستمر فى الانتاج الاكاديمى كمعاصر استاذه أحمد صبرى ومحمد حسن ورفاقه عبد ويوسف كامل وكانت موضوعات لوحاته تتناول الحياة والطبيعة فى الريف الى جانب «الصور الشخصية » . وكانت لوحاته عبارة عن اشخاص تتحرك على سطح اللوحة حلبة معها جرثومةالعبرية والنظام الاستذكى وجرثومة التمرد وقد تكون لوحاته ايضا من حركة باطنة «ديناميكية» ولكنها كانت هى حركة فى حالة عبلية جراحية لاخراجها الى حيز الوجود .

وكان من الطبيعى لفنان يحرس بالاسلوب الاكاديمى الابتذول صالاكتيبة من خبرة فى قليل الجلوجيراء يريق نافس بخروج احيانا من تقليد أرضائه ،فهو هذه الشعلة التى وقدت ٢٣ عاما بعد تخرجه من مدرسة الفنون ، أى فى عام ١٩٥٦ .

. ويعتبر هذا العام بالنسبة لصلاح طاهر نقطة التحول الرئيسية فى دارجه الفنى ان لم تكن نقطة تحول فى حياة الفنانين التشكيليين الذين عاصروه ، بل وفى هبات المصريين عامة : فنى نفس العام كان العدوان الثلاثى على مصر نتيجة الاصرار على بناء السد العالى وتأميم قناة السويس وكان معلم هذه الظروف الوطنية الثورية التى مرت الوجدان المصرى بشكل عام ليس محط بعد العدوان ولكن قبله بكثير كذلك .

فى المناخ الضبوبى الذى صاحب هذهالثورة سافر صلاح طاهر الى اوروبا، وبقى فيها حوالى أربعة اشهر وتعرف على الحركات الفنية فى فرنسا وايطاليا وانجلترا ، ثم سافر الى الولايات المتحدة حيث تصرف على الاعمال المتحفة لهارتولنج وجاكسون بولوك التعبيرية وادهشته حركة الحياة هناك ثلاثة شهور لوحات تموج بعالم من الالوان والخطوط فى خلقية مبهرة وحين عاد الى مصر بدأت الشخوص فى لوحاته تتقلص منها بحركة سريعة بتلقائية — تتقلص منها فيار التفاصيل الاكاديمية بتقاليدها الجامدة تاركة حيوية حركية .

بدأ الفن صلاح طاهر فى خطوات منتظمة مرتبة لمعلم عن جوهر الاشكال بمنطق الخلق الحر تاركا لذلك التماثين، السطحى الذى ينعكس على العين البسيطة للمتلقى لذلك جاء تعمق الفنان سوفى النزعة فى نظرته لعالم الالوان — باحثا عن الجوهر فى عالم الاشكال وازداد تحررا نزالت منه قيود الصفة السريعة الى افق الاتصال اللونى — ولقد حاول صلاح طاهر ابعد من الموضوع ومن القوام ولكن مقلتيته ابقت على ماستفاده اثناء دراسته الاكاديمية فبقيت عنده عناصر التكوين كالاتزان والتوازنات والوحدة.

وروبدا روبدا تحول الصراع لصالح الشعلة الثائرة فى نفس الفنان لجرتها رؤيته للشكل الفنى فى الخارج .وتحول وجه الصراع فى لوحاته،الى صراع بين القوم الذى يحاول ان يزحم بوجوده وبين اللون الذى يناوحه البقاء .

انه صراع بين اليد المنفذة «التكنيك» وبين الفكرة ، بين الانفعالات والشهنات العاطفية وبين صرامة العقل .

فيز ان الشيء الوهيد الذى استطاع ان يجمى صلاح طاهر من التردد بين هذه المتناقضات هو ميله الشديد لتقديم حكم العقل على العواطف والانفعالات ، كان لابد وان يحتفظ بالتوازن ، وبذلك تحقق لشخصيته القدرة على الصمود .

شهدت السنوات التالية لعام ٥٦ حركة فنية دموية وقوية دعا بها الحقيقة فى افراد طبقين لكميز كاتوا ثائرين ، هم فى الحقيقة بقايا حياهات ذلك الى رئس ميكر قبل الثورة العربى العالمية الفاشية وقد زها كانت جاهة نحو المجهول ، وقد تميز كل فرد فى هذه الجماعات بأسلوب مستقل نسبيا. كامل التلمسانى على المدرسة السيريالية « التعبيرية » ورمسيس يونان فى التجريد الغنائى (الليريكى) وفضل فؤاد كامل التجريد التشكلى الحر ولجه عبدالهادى الجزار الى الطراز التعبيرى الذى استوحاه من جو الشعوذة والسحر فى الاحياء الشعبية . كما استلر مسعود رافع على الاسلوب التعبيرى . واستبد الى مصر بدأت الشخوص فى لوحاته تتقلص منها بحركة سريعة بتلقائية — تتقلص منها فيار التفاصيل الاكاديمية بتقاليدها الجامدة تاركة حيوية حركية .

بدأ الفن صلاح طاهر فى خطوات منتظمة مرتبة لمعلم عن جوهر الاشكال بمنطق الخلق الحر تاركا لذلك التماثين، السطحى الذى ينعكس على العين البسيطة للمتلقى لذلك جاء تعمق الفنان سوفى النزعة فى نظرته لعالم الالوان — باحثا عن الجوهر فى عالم الاشكال وازداد تحررا نزالت منه قيود الصفة السريعة الى افق الاتصال اللونى — ولقد حاول صلاح طاهر ابعد من الموضوع ومن القوام ولكن مقلتيته ابقت على ماستفاده اثناء دراسته الاكاديمية فبقيت عنده عناصر التكوين كالاتزان والتوازنات والوحدة.

وروبدا روبدا تحول الصراع لصالح الشعلة الثائرة فى نفس الفنان لجرتها رؤيته للشكل الفنى فى الخارج .وتحول وجه الصراع فى لوحاته،الى صراع بين القوم الذى يحاول ان يزحم بوجوده وبين اللون الذى يناوحه البقاء .

انه صراع بين اليد المنفذة «التكنيك» وبين الفكرة ، بين الانفعالات والشهنات العاطفية وبين صرامة العقل .

فيز ان الشيء الوهيد الذى استطاع ان يجمى صلاح طاهر من التردد بين هذه المتناقضات هو ميله الشديد لتقديم حكم العقل على العواطف والانفعالات ، كان لابد وان يحتفظ بالتوازن ، وبذلك تحقق لشخصيته القدرة على الصمود .

شهدت السنوات التالية لعام ٥٦ حركة فنية دموية وقوية دعا بها الحقيقة فى افراد طبقين لكميز كاتوا ثائرين ، هم فى الحقيقة بقايا حياهات ذلك الى رئس ميكر قبل الثورة العربى العالمية الفاشية وقد زها كانت جاهة نحو المجهول ، وقد تميز كل فرد فى هذه الجماعات بأسلوب مستقل نسبيا. كامل التلمسانى على المدرسة السيريالية « التعبيرية » ورمسيس يونان فى التجريد الغنائى (الليريكى) وفضل فؤاد كامل التجريد التشكلى الحر ولجه عبدالهادى الجزار الى الطراز التعبيرى الذى استوحاه من جو الشعوذة والسحر فى الاحياء الشعبية . كما استلر مسعود رافع على الاسلوب التعبيرى . واستبد

اشكاله من الشخصيات التي عاصرها في الاحياء الشعبية . لقد كانت هذه الجماعة تسير كشعلة من النار بما لديهم من هذا التفتح الرومانتيكي على الحياة والفن وما تكنه شخصياتهم من شحنات فنية ضخمة .

وعلى الرغم من التوافق الفكري بين هذه المجموعة من ناحية وبين صلاح طاهر من ناحية اخرى في رفض القديم والبحث عن التجديد الاصيل الا ان الفنان لم يشترك معهم في اي من هذه الجماعات .

قلت ان هذه الروح الرومانتيكية دفعت كلا منهم للاحساس باهميته كانسان وبوجوده كفنان من خلال تفرده وتميزه، ولم يكن ممكنا ان يكون واحدا منهم صورة من الاخر .

ولكن سرعان ماتوارت هذه المجموعات في منطقة الظل فاصبح كل منهم يعبر عن نفسه وفقدوا هذه الروح الجماعية الرائعة التي كان من الممكن ان تخلق وجودا فنيا رائعا ليس في مصر فقط ولكن في عدد كبير من الدول العربية ايضا .

وسادت الروح الفردية فكان من الطبيعي ان يبحث كل فنان عن التميز والامتياز الى الحد الذي وصلت اليه الفنون التشكيلية الان من هذا الانغلاق العجيب لدرجة ان كل فنان اصبح يعمل من اجل ذاته ومن اجل اثبات وجوده .

والحقيقة انه لم يحدث الانعزال الكامل في تاريخ الفن والفنانين ، الا في ظروف محددة وهي شعور الفنان بانه يعمل في جو من الديكتاتورية فينغلق على نفسه بحثا عن حريته بين لوحاته والوانه وهي عالمه الذي يستطيع ان يتنفس فيه كانعكاس طبيعي لموقف من الواقع .

وجد صلاح طاهر عالما دحبا حينما قرا عن علم الفلك وبهرته العوالم البحرية وحركة العقل الانساني والنشاط الحيوي للخلية الانسانية . وكان من الطبيعي ان يميل اكثر الى عالم الجمال المثالي مكوناته التأمل والنظر الى دقائق الاشياء وضخامة حركة الكون . فجاءت نظرته صوفية فبعد عن الالتزام بالنواحي

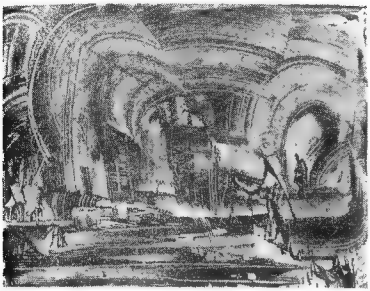

الاجتماعية والقضايا الخاصة بالمكان.. انفصل عن هذا الواقع المحدود الى الواقع اللامحدود وعبر عن ذلك بوسائله المحدودة .. فرشاته والوانه ولوحاته.

يقول الناقد الروسي فلاديمير ونيروف في مقال له عن المنهج في الواقعية».

« ان الواقعية هي منهج في التفكير وليست اسلوبا ،وكلما تعددت الاساليب الفنية كان هذا يعني ثراء الواقعية » .

وحقيقة ان حصر الواقعية في اسلوب معين تبدو من خلاله اشكال العمال والفلاحين تحديد قد يوصلنا في النهاية الى نتائج مثالية وعالم تجريدي بعيدا عن الواقع ، ينقلنا الى عالم مثالي من العمال والفلاحين الاصحاء الاقوياء والفلاحات المشوقات القامة . حقيقة ان هذا التصور في جانب الحق والخير ولكن هذه الاعمال تفقد اهم عناصرها الفنية وهو عنصر الصدق . ويصبح العمل الفني في هذه الحالة تنفيذا يخلو من الصدق لفكرة مسبقة . وارتباط الفنان بنمط معين سوف يؤدي حتما الى التضحية بالفن لصالح الموضوع الاجتماعي مهما كان سموه ورفعته .

والحقيقة ان العمل الفني دليل على عصر وشاهد مملوء بالانسانية ايا كان الاسلوب ، فمن خلاله يستطيع الناقد ان ينفذ الى واقع ما وزمن ما . دون خداع

وفي صحبة الصدق وهناك حقيقة اخرى انه لا يوجد ذلك الفنان الذي يسيء الى اخيه الانسان كما يثبت لنا تاريخ الفن في العالم . اليس الفن هو ذلك الساحر العجيب الذي يوجه الى العدم قاضية ؟ فهو مع الحياة دائما .

ولقد وضع صلاح طاهر كلمته دون قصد منه بين زملائه ومعاصريه من الفنانين ورفع اسم مصر في جوجنهايم في عام ١٩٥٩ . وهي جائزة عالمية واثرى الحياة الفنية في مصر بانتاجه وضرب فرشاته في عالم بعيد ليأتي بهذا الجميل من عالم الممكنات على حد قول عالم الجمال سانتيانا .

قدم صلاح طاهر الى الحركة التشكيلية المصرية هذه المزاوجة بين وجود الفورم والتناول التجريدي وهي ليست بالمسالة اليسيرة وقدم على لوحاته صراعا بين الالوان والحركة ، انه فنان موضوعي يعمل باسلوب تجريدي ولعل المتلقي اذا اصغى جيدا الى همسات لوحاته الخفية فانه بلا شك سوف يجد دائما هذه الاصداء البعيدة « لطرحة » الفلاحة المصرية وقلاع المراكب وترانيم الكنائس واستدارة القباب ودندنة الارابيسك الاسلامي فجمع بينهم في صوفية المحب لايقاع وطنه . واستقلت هذه القطع من الحب فاصبحت اكثر خلودا منه واصبحت سلما لاجيال جديدة تبنى في صرح الفن العظيم .

مكرم حنين

« عفت سكون النار » :
الرؤيـة ذات البعـد الواحـد

● عـــام :

قد لا بعد التقنيب بين مفردات هذه المجموعة من القصائد ، وفي خلفيتها ، رحلة وجدانية مبدعة ، أو رياضة ذهنية مجهدة على السواء . ذلك لأن الرؤية الشعرية داخل هذه المجموعة تتجه بكونها ذات بعد واحد .

ان جميع قصائدها ، تعاني — على نحو أو آخر — من الرغبة في الدلالة [العامة] ، عن هموم والشجان ، ورفرفات مبهمة . وغاية في [العمومية] ايضا .

تظني ، أصحب ان هذا البعد الواحد للرؤية داخل المجموعة ، يصنع انفسه ، ثلاث مستويات رئيسية ، متجانسة ، ينتقل بينها بمفردات تنتقل بطيئا ،رتيبا، وان كان محسوسا .وقد يبدو ان الوقوف على هذه المستويات الثلاث ، والانتقال بينها الى التأكيد على تواجد هذا البعد الواحد للرؤية في المجموعة — تجنبا للوقوع في مصيدة العمومية ايضا في تناولها — أكثر جدوى ، من الوقوف الفارجي ، عند هدود رؤيتها الكلية .

المســتوى الأول
[عمومية الاغتراب]

في ، عفت سكون الدار ! مساءلة فسيلة وعميقة . تتبع من احساس جياش بالاغتراب .

وهذا الاغتراب ، يحمل بداخل فريدا وخاصـــا . أنسه ليس اغترابا [رومانسيا] مرده الى انسحاق الذات المنفردة ، لمتطلبات وتعقيدات يسعتها، بينما تشعر في مواجهته بحجمها المتناهي في الصغر ، أو بعدم قدرتها على تجاوز شروطه، أو التأثير فيه — كهروبالتلقليس حاضرا في اشيائها ومفرداتها ، حضورا متوترا ، قلقا ، فهو هادىء وممكتين وخانع — .

كما انه — ايضا — ليس اغتراب [مبتذ فيزيقيا] ، ناتج عن غربةروحية تمزق جسور صاحبها مع الواقع المتغرس فيه ، وفقي على ذاته كغيرة ، وممزقة وواضعة المعالم . انه اغتراب ملا ابعاد واضحة ، وملامح محددة . اغتراب يحلق ، ويسفل ، ويحزن ، وعام . فصاحبه ليس فقط لشعور الواقع من حوله ، بل هو — ايضا—لايجد ذاته فيه :

[ابحث عن نفسي فردي انت بمفردنفسي]

وحين يعبر — هو — اغترابه فيصبر — ايضا — بما هو عام، مصبره بطبيعة العصر كله . أو مفذان العصره :

[الى متى يخذلني عصري]

ان الشاعر ليس مغتربا عن مدينة أو قرية أو قبيلة ، أو فكرة ، ومعتقدا ، بل هو مغترب اغترابا مابا من العصر ، لذلك فان مساءلة الغـــربة ، أو المدينة ، أو القبلة ، ومواجهتها لاتجد لهاقصدا داخل معاناته ،ومواجهه.

ان ازمته لاتاتي من الانفتاح على العالم الخارجي ، الذي يحمل همومه واشجانه بينما تظهره ريفيه ومحبوبه ، بل تاتي من الانغلاق الكليل على الذات .

وعلى الرغم من ان الشاعر خلف هذا الاغتراب — كما خلف سكون الدار — الا انه يحمل كمالا وجدانيا مزمنا في مواجهته .

أن اكثر مايستطيع فتحوه الوجداني ان يصل اليه ، ان يتوهم خطى تعبر أمام بابه المغلق :

[وقع خطى ، تبعثي بالخطى

وجرس آن تنفس عنـدي]

وبدلا من ان ينتفض ليفتح لها بابه ، فانه ينتظر ، ويأمل فيولادة غريبة ، أن يطرق هذا الصغير — المجهول الوجه والهوية — على بابه :

[فاطرق على الباب يا طائرا

بالباب أني هاهنا وحدي]

ان الجدران قد شاهت من سائره ، وهو يحن الى أفق تصبح المدى لكنه يريد ان الاحجار التي تسد أمامه،تناقض الرؤية ان تسقط وحدها :

[حنت للاقاة تصبح المدى

هذا الاحجار فارنـدي]

.. ان اغترابه ليملك هيما رومانسيا يلون جوانب الواقع من حوله ، كما انه لايحمل وجها نقديا ، يأتي من انتظامه على عالم معقل ، بل هو اغتراب عام مطلق لامانع له ، علته في ذاته .

ولانه كذلك ، فانه يمتلك ذلك الكيل الوجداني الحزين ، الذي يتفهر به الى ان معلق خلاصه على مشجب الزمن :

[يا شمعتي نفذ السوم فلا

تتكأ الجـرح ودمه للزمان]

المستوى الثاني :
عمومية الانثى

تشكل الانثى — محبوبة او معشوقة او مشتهاة — الهم الاكبر في اشعار المجموعة . لكنه ، على قدر كونهاتستطيع ان تميز فيها — على أبعاد القصائد — ثبلة ، أو ندبا ، أو صاتا ، اوبعدا متكاثرا هنا . أو بقزا هناك ، فاننا لاتستطيع ان نميز فيها — مهما فعرسنا — اية ملامح خاصة ، أو محددة . انها انثى عامة أيضا — بكل ابعاد الكلية — وهو يطابق هذه العمومية الانثوية . على اسلوب مخاطبته لها ، انه يخاطبها بـ [هـواء] ، [ياهبـــنداء] ، [معشوقتي] ، فهي اي امرأة في اي زمان أو مكان .

قد تكون رائعة في طلالة وردية على سرير ناعم ، أو مستلقية داخل خيمة

بكلمة « ما » مستقلة ، مع وبر الماعز ، او مشتركة في شباب الفجر داخل كوخ معبد ، وقد يكون ذلك في العصر الجاهلي أو العباسي ، أو الاسوي ، أو تحت رايات المماليك ! لكننا — في كل الاحوال — لا نميز فيها غير الخطوط الخارجية العامة لانوثتها التقليدية ، فهي غير مشركة ، وهي عالم خاص لاينتقل اليه اسداد العالم الخارجي ، لكنه فاسد بذاته ، وهي بذلك ليست شرطا لنجاوز الواقع ، بل قد تكون مجرد محطة حرمة للراحة العابرة بين العناء المتصل .

على انه — لهذا السبب وغيره — ملزوم في حبه لها ، مصادر منها ، ومغلوط على يديها ، وتلزمه أو اضطراره ياخذ — ايضا — شكلا عاما لا يبرالا باشكال تركيبها — هي بجسدي في مواجهة تكوينه المغروز :

« أنى ترددت منذ خلقت
حواء هيت هيت للذكر »

وهو مظلوم وذليل في علاقته بها :

أفرك مني رضاك
بالظلم واحطراء التفاصل
وان لك العزام يوما
عندنه في الفضائل

لكن حبه لها — في النهاية — او رغبته فيها ، كأنثى ، عالية ، مطلقة ، هي رغبة مجوز وعاجزة ، في نفس الوقت، لايغذيها رفضه لها :

وأبيت تغمرا حره
أنسى المسمتهيت وماحوت

وأبيت مجزا طالما
سوغته حتى انميت

من عبودية رؤية الشاعر ، يأتي حصاره الخاص ، ومن موقع الاثنى العالم عنده، يأتي تأزمه الخاص بها ، ونأتي عدم قدرته على تجاوز خطوطها الخارجية الى عمق هذه الخطوط في داخلها،ولذلك يبقى على أحسن الاحوال ، يتلامس مع بعض اعضائها الخارجية ، او صفاتها المبهمة لديه ، تلامسا يلزمها ، ومجازا ، ومعتلا .

المستوى الثالث :
[عمومية الانفعال]

يبدو انفعال الشاعر المستمر في بعض الاحيان ، كما لو كان حفرا ميتة ، لاتستطيع ان تحمل فوقها أعرافا او وردا، ويبدو — في بعض الاحيان الاخرى — كما لو كان أعرافا أو وردا يلبسها ، لاسسيين له جثير .

ان جزئه المنفعل عالم ، وظالم ، وغير مسبب ، — يقول — :

انى تنابت غريب الاسى ..
ويقول :

زهدت في الناس وهذا أنا
تزهدني الوحشة في زهدي

وهذا الاسى الغريب ، يعطى في النهاية ، فضا ورعبا ، يحترق ويتحول الى رماد .

كما ان انفعاله بالفرح — وتفاؤله البارد خصوصا في نهاية قصائده — يعطى فرحا كحوايا — سرعان ما يتطاير، منعما بلامس العالم الخارجي :

تعابل ايها الظبآن واصبر
فقد يأتيك بعد العسر يسرا

● تشكيل البعد الواحد :

من بين هذه المستويات الثلاث — عمومية الاغتراب ، عمومية الاثنى ، عمومية الانفعال — يتشكل البعد الواحد، الذي يميز رؤية الشاعر في النهاية .

وهي رؤية تأتي مغرقة في العمومية ، تبدأ جذورها من الذات ، وتنتهي نهارها داخل الذات المغلقة أيضا .

انها غير متنبهة ، لانتمائك ترابها وطنيا تقف عليه ، ولا عالما وطنيا تستند رأسها تحته ، ولا نشيدا وطنيا ترتب ملابحها له ، فهي خارج الزمان والمكان.

وبتلمس القدر الذي تشكل به ، ذلك الرؤية العمومية ذات البعد الواحد ، تتشكل ايضا ذات الشاعر ، حيث تبدو كثيرة ومضغية ، لكنها هامة ، وبلا ملابح محددة . وعندما يتحرك قبل هلل داخل لمامة رحبة ، فانه يحتمل جزءا صغيرا في الصورة الشاملة لها ، لكنه حين يقف — هذا القبل الهائل — في فرقة صغيرة ، فانها تصير مجرد ظلال له .

● الرؤية والادوات الفنية .. :

ترى ماهي العلاقة بين هذه الرؤية ذات البعد الواحد ، وبين الادوات الفنية التي تعبر عنها ؟

في البداية ، فان القول بأن تجربة الشاعر الوجدانية ، في حجم تدرتسه على التعبير عنها، وهذا يجعله لا يعاني من ارتباك فني واضح — يبدو قولا صادقا .

ان الشكل البلوري للقصيدة ، يبدو ملائما ، ومتسقا مع التجربة ، بل ان التجربة — أحيانا — لاتستطيع ان تملأ اطارها الخارجي .

ايضا ، فان الشاعر لا يحاول على استخدام ادوات فنية أنضج من تجربته، فهو لايرى من الالوان الا لونا واحدا ، هو اللون الرمادي ، بل هو لايراه ، ولا يستخدمه الا بكلمة واحدة .

وماحاجته مع هذه الرؤية — ذات البعد الواحد — الى استخدام مفردات تعطى هنا لونيا هنا او هناك . ان مفرداته الشعرية تظل قالبة بدائها ، داخل القصيدة ، كأنها أطلال قديمة ، غارقة في الظلمة من بعيد .

وبتلمس القدر ، فهو ليس محاولا الى استخدام الرمز أو الصورة الشعرية ، او خصائص الشعر القصصي ، كما هي موجودة في قصائد الفرزدق أو جرير أو غيرهما على سبيل المثال — حيث تغني شخصية الشاعر ويصبح مرآة لحياة الجماعة — اذا كانت ذاته المنضغطة تضع العالم ظلالا لها .

وما حاجة أبياتها أو مفرداتها — بعد ذلك — لان ترى الشمس ، أو لان تنزل الى البحر ، أو ان تسلقي على رصيف الشارع ، أو رمل الصحراء ، أو ان ترتمي المرأة وتلمس نبض الحياة المتدفق فيهم ، أو ان تعاني همومهم وتعكس أشواقهم وطموحاتهم ..

ما حاجتها لان تكون هنة ونابضة ، وهي موأودة داخل جدران منغلقة على ذاتها ، ان مفرداتها لا يمكن الا ان تكون ، منغلقة ، وشاهدة ، وعالمها بلا نبض .

ماحاجتها الى ذلك كله ، اذا كانت خلفية القصيدة الموسيقية — وهي رصينة وصعبة بلا شك — هي القصيدة ذاتها .

ان القصيدة تولد كاملة ، وتموت كاملة أيضا ، كما تموت الجياد الشائخة — على يد صاحبها — عندما تعجز — عجزا واضحا — عن جر العربة القديمة !! .

أحمد عز الدين

مع الروايتين الفائزتين ..

الاسوار العالية
عباس الاسوانى

تعتبر رواية « الاسوار العالية » التى فازت بالجائزة التشجيعية عام ١٩٧٤ — متميزة بحكم التكنيك الذى استخدمه المؤلف ، وطبيعة العلاقات بين شخصياتها الى الرواية التقليدية التى ظهرت فى بدايات ظهور فن الرواية فى القرن السادس عشر ، وذلك من حيث اعتمادها اسلوب السرد المتسلسل لبطل او مجموعة من الابطال ، وتصوير شخصياتهم · وربما يتلخص مضمونها فى التعبير عن موقف فلسفى من الحياة من خلال تصوير وتسلسل الاحداث فيما يمكن ان نسميه كما يقول الدكتور « لويس عوض » فى مقدمة ترجمة كتاب « نحو رواية جديدة » لالان مدروب جرييه باطار التسلسل الزمنى ·

ولقد اتخذ المؤلف حياة بطله الشخصية موضوعا لروايته ، وان بدا من حيث انتهى كحبكة فنية كثيرا ما تستخدم فى السينما · كما انه لم يستمد مادة فنية من ذات البطل او مجموعة الابطال ، او من الموضوع العام للرواية كما تتبع المدرسة الحديثة فى الرواية ، وانما من نسيج العلاقات الدرامية التى تقوم بين شخوص الرواية ، وان كان هذا النوع من الاعمال كثيرا ما يقترب من الاعمال البوليسية او المسلسلات التليفزيونية والاذاعية التى تقوم اساسا على الموقف الذى يصنعه المؤلف وكيفية الخروج منه بخلق حالة توتر وتشويق عند المستمع او المشاهد ·

وتبدأ الرواية بالقبض على البطل فى بيت احدى بنات الليل التى يتعرف عليها فى احد الملاهى ، بعد ان يتكشف لها امره فتشى به ، لانه تتستر غريمه « زهران » رمز الشر فى مجموع علاقات الرواية ، ويبدأ المؤلف من الجزء الثانى فى سرد روايته على لسان البطل باسلوب تقريرى يحكى خلاله عن نشأته وظروفه الاجتماعية التى جعلته لا يكمل تعليمه بالحقوق ويعمل بوظيفة بسيطة بدار الكتب على ان تظهر اهتماماته بكتابة المسرح الذى يحبه · يتعرف البطل على زميل له فى العمل يهوى التمثيل « زهران » يظل طوال الرواية يمثل الحائط المرتفع أمام البطل ، فهو ابن اسرة غنية يغضب عليه ابوه بسبب التمثيل ، لذلك يلتحق بالعمل بدار الكتب كى يعيش مستقلا عن أسرته · وسرعان مايلتقيان على طريق حبهما للفن المسرحى ، فيعلن البطل عن موهبته فى التاليف المسرحى ويتقدم له مسرحية يقوم « زهران » باخراجها ، ويساهمان معا فى تكاليف عرضها على احد المسارح المتواضعة ، فيدخلان معا عالم الفن والمسرح · وبذلك يسقط البطل احد الاسوار العالية التى تقف حائلا امامه ، فيعلن عن موهبته للجميع بعدما كانت جزءا من اشيائه الخاصه ، وذلك الحائط او السور المرتفع لا يسقط الا بواسطة « زهران » الذى يظل طوال العمل مثل سور مرتفع جدا لا يمكنه أن يتخطاه بسهولة · ويلتقى القدر زهران بحادث موت ابيه الذى تتغير بعده أحواله تغيرا كليا ، فيترك الوظيفة ، ويتفرغ لمشروعاته الفنية · وسرعان ما يتضح شبطل بعد جديد فى شخصية زهران يتمثل فى حبه لذاته ونرجسيته التى تجعله ينفض يده من رفاق الطريق فيلفظهم معتمدا بواسطة أمواله على الابطال المشهورين من نجوم المسرح ·

ويداخل هذه القصة يسرد المؤلف قصة أخرى على لسان الراوية ايضا ترتبط بحياته الخاصة التى تبدأ بالزواج من ابنة رئيسه التى يظهر المؤلف انها على خلق وجمال غير عادى ، ويتم الزواج برغم عدم امتلاكه اموالا تساعده على انجاز المشروع ، فيقع عبء الزواج جميعه على اهل عروسه · وان كان هذا الزواج الذى سرد المؤلف الكثيرعن تفاصيل اتمامه غير مبرر منطقيا حيث لا يمكن أن يتم زواج بمثل هذه الطريقة ، فقد يرضى البطل المأزوم لتعثره فى طريقه الفنى بالزواج — لكن كيف ترضى به اسرة زوجته ذات الوضع المميز طبقيا برغم عدم وجود حب بين العروسين !

يمارس البطل الراوية حياته بشكل عادى بينما يتالق نجم صاحبه « زهران » فى عالم المسرح ، وسرعان ما يعاوده الحنين الى الفن بعدما سقط امامه حائط الزواج من ابنة مديره الحسناء ، فيبدأ كتابته للمسرح ، وينجح فى عرض عمل له بواسطة احد اصحاب المسارح من الذين يتخذون مواقف مبدئية من « زهران » واسلوبه فى السيطرة على الحركة المسرحية ، وتنجح المسرحية برغم هجوم النقاد عليها وعلى مؤلفها بايعاز من « زهران » الذى صوره المؤلف كاقطاعى كبير استطاع ان يسيطر على الحركة الفنية · ويستطيع « زهران » فى النهاية فرض شروطه على البطل بشرائه للمسرح الذى يعرض اعماله بعدما يموت صاحبه · وتضيق أمام البطل السبل فى بادىء الامر ، لكن « زهران » السور المرتفع أمام الجميع يتحول بلا مبررات تجاه البطل ويطلب اعماله كى يقوم بعرضها · وتبدأ مرحلة جديدة فى حياة البطل « المؤلف » — فيعمل « زهران » على اذاعة أعماله والاعلان عنها مع مدح النقاد لها — وفى خضم هذا ينسى البطل عيوب زهران وتصرفاته القديمة ، وتتغير احواله فيترك الوظيفة ويتضاعف دخله ، وسرعان ما يرتبط بعالم الشهرة والمجد والنفوذ من خلال علاقته الحميمة بزهران ، وذلك كان يرضى غرور المؤلف

البطل الذى تروى الرواية على لسانه لكنه وفجأة وعلى غير انتظار يكتشف أن سور « زهران » اعلى مما كان يظنه — وانه ليس سوى وحش يريد أن يلتهمه — عندما ينزع اسمه من الاعلانات واضعا اسمه هو • ويقرر البطل بعد تفكير ان يتصدى لذلك العبث معتمدا على موهبته فقط فى الكشف عن حقيقة زهران أمام الناس جميعا — وهناك أمام بيت زهران يلمح البطل زوجته التى يحبها خارجة ، فيرتفع أمام عينيه سور زهران عاليا جدا ويشعر بنفسه يتحطم أمام صلابته ، ويدرك كيف استطاع زهران استدراجه منذ البداية والارتفاع به عاليا لتحطيمه مرة واحدة •

وتنتحر زوجته عندما يفاجئها بمعرفته فتطلب منه الطلاق من أجل الارتباط « بزهران » الذى وعدها بالارتباط لكنه لا يفى بوعده لها — فلا يبقى أمامها بعد ذلك الا ان تتخلص من حياتها — يذهب البطل بعد ذلك الى زهران ويقتله ، وكأنه يقتل الشر الذى يلوث عالمه •

واذا كان المؤلف كان قد اتخذ اسلوب السرد التقريرى — فانه قد وقع فى عدد من المواقف عيوب تعتبر من اهم عيوب الرواية — فزواج البطل من ابنة مديره لا يرتبط بموضوع الرواية الرئيسى ولا بنسيجها الدرامى — الى جانب اظهار البطل « الرواية » فى اطار الشخص الطيب المثالى الذى يواجه الشر دائما من زملائه او حتى فى طريقة اختيار رئيسه له زوجا لابنته • فتصوير المؤلف لشخصية البطل كنمط محدد — بحذر ان يوجد فى الواقع — تقع عليه جميع التبعات تصوير بعيد عن الموضوعية •

وعندما يشك البطل فى ما وراء الزواج ينجح المؤلف فى تهيئة القارىء لتقبل موقف جديد تبرره الظروف والملابسات الخاصة بأمام الزواج — لكن المؤلف ينتهى بالموقف الى لا شىء ، وقد تكررت مثل هذه المفاجآت كثيرا ، وعندما اتضح موقف الخيانة من جانب الزوجة صورها المؤلف على أنها واقعة تحت تأثير قدر لايرحم وهو حبها لزهران الذى تسرب الى دمائها منذ مدة طويلة • وهذه مجرد نماذج للمواقف المفتعلة وغير المبررة والتى ترهل بها العمل • ومثل تلك المواقف تكون عبئا على العمل الفنى والادبى ، وان كانت من أساسيات العمل فى التمثيلية الاذاعية والتليفزيونية لجذب انتباه المشاهد والمستمع •

ولان المؤلف اتخذ اطار الحكى التقليدى فانه ترك نفسه يقع فى اسر التفاصيل وتفاصيل التفاصيل — فلابد أن يكون لون السيارة احمر ولابد ان يتبع البطل الجثمان مع المشيعين حتى مقابر الامام — الى جانب ان زجاجة الكونياك من جروبى وبثلاثين قرش •• الخ كما يحفل العمل بالكثير من المقولات التى توضع فى مصاف الحكم والامثال مثل « اننا لا نعرف ابدا ما يخبئه لنا الغد » ومثل « انها تشرب من نفس الكأس الان » ومثل « فى العلاقة بين الرجل والمرأة لابد من آكل وماكول » •

والرواية تمثل قصة كتبت للسينما خصيصا ، وكان يمكنها ان تحتوى مضمونا اشمل باهمال الكثير من التفاصيل مع ارتباطها بالواقع المحيط بها زمانيا ومكانيا — وذلك من اهم خصائص الاعمال التى لا تحفل الا بالحكاية ، كسمة تسم الرواية فى بداية عهدها ، ولقد لعب المؤلف كثيرا على موضوع الخير والشر فكان « زهران » نمط الشر المطلق ، والبطل وزوجته التى انتحرت وحياته الخاصة هما اللذان يتلقيان ضربات الشر ولم يبد البطل اية مقاومة طوال العمل سوى مقال النقد الذى كتبه مهاجما مسرحية « زهران » وفى النهاية قتله لزهران — الا أن ذلك القتل ايضا غير مبرر لان البطل كان قد ربط نفسه بزهران وباع له ذاته يوم رضى أن يرتبط بنجمه الساطع رغم معرفته لاساليبه التى كان يرفضها فى البداية •

وان كان المؤلف قد حل مشكلة بطله بان جعله يقتل « زهران » الشر ، فان الاسوار لاتزال عالية ، ولن تمحوها مثالية الخير المطلقة ، ولكن يمكن ان يمحوها الصراع المستمر الذى تقوم به القوى الخيرة ضد الشريرة على ارض الواقع بتفاصيله الاجتماعية وظروفه الخاصة التى لم تلتفت اليها الرواية التى كتبها مؤلفها مستهدفا ان تجذب المتفرج العادى للسينما المصرية فى بحثه الدائم عن التسلية •

فساد الامكنة — «صبرى موسى»

الرواية الثانية الفائزة بالجائزة التشجيعية ، هى عمل فنى ذو طعم خاص — كتبها مؤلفها بعد معايشته لمسرح أحداثها ، وكما رويت له بالصحراء الشرقية فى احدى مناطق البحث عن المعادن التى وطأها كثير من المغامرين الاجانب والمصريين سعيا وراء الثروة والجاه •

وهى تنتمى للرواية التسجيلية الوصفية اكثر من انتمائها لادب الرحلات الذى استهوى المؤلف من قبل • والبطل فى الرواية ليس الاشخاص أو الاحداث ، وانما البطل هو المكان الذى نجح المؤلف لحد كبير فى نقله بخصائصه البيئية والنفسية ، فكان المكان هو الخلفية التى يتحرك عليها الابطال متفاعلين معها ومؤثرين فيها ومتأثرين بها ، وان فاق درجة تأثير المكان فى الاشخاص على تأثير الاشخاص فى المكان ،

وهذه هى اهم صفة تتميز بها رواية « فساد الامكنة » خاصة شخصية « نيكولا » البطل الرئيسى الغريب عن تلك البقاع • وقد اوضح المؤلف تأثير البيئة على « نيكولا » وتفاعله معها طوال الرواية ، وبذلك شارك « نيكولا » القوقازى الاصل البيئة الخاصة فى البطولة وتقاسمها معها باعتبار أنها البطل الرئيسى فى العمل •

فبدأ « نيكولا » مبهورا منذ البداية بدقائق وتفاصيل ذلك العالم الذى بدأ يتعامل مع لغته الخاصة ومفرداته شديدة الخصوصية ، ثم انتهى فى النهاية أسيرا لتلك العبقرية الفذة التى سيطرت على روحه منبعثة من ذلك المكان المختار من الصحراء الشرقية لمصر ، فكانت الظلمة تغشى عينيه عندما تختفى الشمس فى الغرب ، ويزحف اللون الرمادى كثيفا على أصفر الصحراء واحمرها وأخضرها فيكسوها جميعا ، ويتحول الحر اللافح الى نسيم لافح ، ثم الى برد لافح ، وتتحول الجبال الى أشباح خرافية ووهمية تتحرك أمام العينين المتحضرتين لنيكولا فى ذلك المد اللانهائى — فتتعذر عليه الرؤية وهو البطل المسلح بالمعرفة القادم من الشمال « أوربا » مقتحما ذلك الجبل الضخم محطما كبرياءه نافذا الى صميمه ومحتواه •• الخ •

يتخذ المؤلف من جو الصحراء بظروفه شديدة الخصوصية مادة لفنه ، فقد استطاع ان ينقل للقارىء الروائح الخاصة التى تنتشر فى المكان من خلال وصفه الدقيق الذى صور به عمله بلغة عالية الشفافية والشاعرية — فلم يكن غريبا بالتالى ان تتحدد ملامح تلك الشخصية الروائية « البطل » المتنقل عبر الامصار باحثا عن مستقر لروحه الهائمة بعد أن ترك بلاده فى القوقاز وزوجته الفاتنة « اليا الكبرى » ، وابنته « اليا الصغرى » فى ايطاليا — ويكون مستقره ذلك المكان الذى استهواه فأحبه ثم عشقه ، وبدأ يحلم بتعميره وتشييد مدينة عامرة فيه — بجوار حبه الاخير « جبل

الدرهيب الضخم ، فالجميع يأتى ويرحل ـ جاءوا كثيرا ورحلوا كثيرا ـ ودائما كانوا قادرين على ان يأخذوا ارواحهم « نيكولا » وحده مع الدرهيب فهو حبه الكبير بعد ما توحد معه فى جزء هام من ملحمة حياته • ويكون عمل « نيكولا » الاساسى فى البحث عن الذهب والمعادن مشاركة بينه وبين « الحاج بهاء » رجل الاعمال المصرى و « الباشا » أو الخواجة « أنطون » من بعده ـ الذى لا يرى فى المكان الا مصدرا للذهب الذى يبحث عنه ، بينما « الحاج بهاء » يرى فى وجود المعادن تطويرا لابقاء جلدته وعشيرته من سكان المنطقة ، فكان يجمع الشباب كى يعملوا مع « نيكولا » حتى يتعلموا اسرار العمل من الاجانب ـ فهم الوارثون لتلك الجبال الغنية بالثروات مما يعمل فى النهاية على تطوير حياتهم وانتشالهم من التخلف والفقر •

ولا يتم انتماء وتوحد « نيكولا » مع الجو الخاص بالمنطقة نهائيا الا بعد ان ينقذه « عيسى » او « ايسا » الفتى البدوى الذى نبت كغيره من الاعشاب المنتشرة هناك ، والذى كان يتالق بينها بداخل هذا العالم الصامت المترامى المعبق بالخطر فى كل وقت ـ فانقذه عيسى عندما تاه باحثا عن السبيكة المفقودة ، فقد جرى وراء سراب الاشباح فى الصحراء حتى حاصره العطش ، واسقط فى يده واختلت قواه ، واغمى عليه واصبح قاب قوسين او ادنى من الموت ، وهو الذى كما يقول المؤلف «سرق المعرفة من بحر التجوال » • عند هذا وصل « ايسا » فانقذه من الموت بتقطير الماء فى فمه حتى تلين عضلاته ، فى الوقت الذى كاد الباشا ينتقم منهم جميعا مع سكان المنطقة بواسطة الهجانة التى استقدمها عندما عرف نبأ فقد السبيكة التى مول العمل من امواله حتى يحصل عليها فى النهاية •

وكان احساس « ايسا » مع رفاقه من سكان المنطقة بالعظمة لا يفوقه حد ـ الاحساس البدوى بالسيطرة على جبلهم ومنطقتهم التى وطأها الاجانب والمغامرون من كل مكان فى العالم • عند ذلك اخذوا السبيكة وانسلوا نحو المغارة التى تحوى صخرة جدهم الاكبر ـ توقف « عيسى » فى ذلك الصباح المبكر واخرج من صدره سبيكة الذهب فأقامها على الصخرة ، ووقفوا جميعا حولها وكأنهم يشهدون جدهم « كوكا لوانكا » على ما فعلوه مؤكدين له ان احفاده ما زالوا يملكون السلطان على الصحراء وجبالها ـ كأحد الطقوس الاسطورية التى يتبعها سكان المنطقة عندما تحاصرهم الهموم ـ فكانو يذهبون الى تلك الصخرة فى قمة الجبل ويظهرون الولاء للجد الكبير • وينجو « عيسى » من الموت بعدما يمر على مستطيل النار مفتوح الذراعين عدة مرات وقد تقبل تطبيق قانون المنطقة على نفسه فاثبت براءته من السرقة التى اتهم بها ـ كان لذلك اثره الكبير على نفس « نيكولا » فانتابه احساس بالعرفان والتضاؤل امام تلك الطباع المستمدة من جو البيئة الرحب ، فعيسى الذى تقبل المرور على النار كان أصفى نفسا واقوى عزيمة واصلب عودا يعبر امامه اكبر تعبير عن تلك العبقرية التى تلمسها واحسها فى هذه البيئة الصحراوية التى بدأ يتعامل مع جوهرها ويفهمها مما زاد من ارتباطه بالمكان •

ومن خلال لغة صافية بالمكان • يصور المؤلف كيف يدرك « نيكولا » بحسه الترابط بين الموجودات من حوله فى تناسقها العام ، والقرابة الخفية بين الكائنات فى حركتها الدائمة ـ الشمس المسلطة على مسرق الجبل ، والجبل الرابض تحت الشمس بجذوره الصخرية العتيقة ـ الارض الرملية والارض الصخرية فى البقعة المحيطة بفوهة البئر ـ بل البئر ذاتها • فكان امام عين نيكولا كل ما على الارض ممتدا فيها وخارجا منها وعائدا اليها لا محالة ـ كل ما على الارض دائم التحول والتبدل والتغير •

ذلك الجو الخاص الذى استنشقه « نيكولا » وفهم مفرداته جعله يتشبث بحياته الجديدة أمام رغبة زوجته الفاتنة اليا التى استخدمت جميع أسلحتها حتى تعيده ثانية فلم تفلح ـ بل ان ابنته « اليا الصغرى » مكثت معه فى تلك الامكنة التى لم تكن تفسد بسهولة •

واذا كان المؤلف يبغى من عمله امتاع القارىء بتصويره الفنى الرائع لذلك الجو الغريب والجديد فى الرواية والقصة ، وهو بيئة الصحراء باخلاقياتها البدوية ، وظروفها الحضارية الصعبة والجافة ، وبلغتها الخاصة ومفرداتها شديدة الخصوصية ـ فقد نجح لحد كبير فى وصفه الدقيق الرائع ومزجه بين الواقع الحقيقى المتمثل فى الموجودات والطبيعة والاساطير والعادات التى تنتشر فى تلك الامكنة ـ من خلال لغة شفافة صوفية تتناسب مع الصفاء النفسى والاطمئنان الروحى الذى تشمه الصحراء • وليس غريبا ان تنتشر فى صحراء مصر الاديرة التى تغص بالرهبان فى بحثهم الدائم عن المطلق ، فالجو العام للصحراء وما يبعثه من احاسيس نقية صورته الرواية بدقة وشفافية •

ويريد « صبرى موسى » فى النهاية ان يقول ان تلك الامكنة بخصوصيتها لا يمكن ان تفسد من داخلها ـ « فنيكولا » الغريب لم يعمل على افسادها لانه بدأ يفهمها ويحل رموزها من خلال تعامله اليومى مع « عيسى » أو ابنه « ابشر » الذى كان يحمل ملامح ابيه وذكاءه الفطرى • والفساد لم يأت الا من الباشوات والملك وحاشيته عندما وصلوا تلك المنطقة بمباذلهم •

والجزء الخاص بالملك وحضوره الى تلك المنطقة ، وتصوير المؤلف لما حدث سواء كان قد حدث فى الواقع فعلا ام هو من خيال المؤلف يعتبر خارجا عن العمل ولم يضف اليه شيئا ـ بل انه كان زائدا وبه كثير من التفصيلات التى كان يجب على المؤلف ان ينأى بنفسه عن سردها لارتباطه فى عمله بالمكان ـ ولانها حشو لا يضيف للعمل قيمة معينة • ولقد بالغ المؤلف كثيرا فى تصويره الفعل الجنسى بين عبدربه والمخلوق المائى القتيل الذى صاده من البحر ، وذلك جعل المؤلف يسرد كثيرا من التفاصيل مثل قوله ان الملك كان محاطا بباشا وثلاث بيكوات مشكوك فى اصلهم ، وخواجة اكيد ـ ومجموعة من رجال الارض والمال يملكون تقريبا ربع الاقتصاد المصرى ، وذلك جعل العمل يفيض بكثير من الزوائد •

وبرغم هذه الزوائد فالرواية نجحت لحد كبير فى تصوير العبقرية الفذة لذلك المكان الذى اختاره « صبرى موسى » مسرحا لاحداث عمله « فساد الامكنة » من خلال الوصف الحسى والالوان المختلفة والكلمات الشاعرة الشفافة ـ فكان تأثير المكان بخصائصه وروائحه على الاشخاص واضحا طوال العمل سواء على « نيكولا » او على ابنته التى قتلها فى النهاية عندما فسد المكان بفعل الغرباء الوافدين اليه من اجل المتعة والفرجة • ■

شمس الدين موسى

أحمد الرشيدى

احمد الرشيدى [٤٣ سنة] القاهرة النوبة القديمة ... الاحياء الشعبية بعاداتها ... صيادو رشيد .. الفلاحات وقرية اللبن ... المراة ... الحياة اليومية ... النيل ... الشمس ... حسب الحياة ... دفء الالوان ... الشفافية ...

تلك هى المفردات التشكيلية للمصور احمد الرشيدى التى تكون عالمه الخاص ... وفى ابداعه الفنى الذى يتاثر بالتصوير الفرعونى بشكل عام فى انسيابية الخطوط ... الحركة الساكنة نسب العنصر البشرى وتحليلاته ... اسلوبه من حيث تصوير ملامح الوجه .. لجسم الانسان ... التسطيح والبعد من المنظور الفوتوغرافى .. دفء الالوان .. استخدام اللون البنى ... اختياره لموضوعات الحياة اليومية فى الاحياء الشعبية والريف وتسجيلها بحس مصرى اصيل ليعبر بها عن العادات الشعبية المصرية والواقع المصرى ...

احمد الرشيدى من الفنانين الواقعيين الذين اثبتوا وجودهم فى الحركة التشكيلية المصرية المعاصرة .

لمحه

فى المزاء

أبناء المحطة

أغنية رقيقة فى وداع الشهداء

من الامور الطيبة أن يبدأ عرض « أبناء الصمت » بعد موجة أفلام اكتوبر الهزيلة ، لذلك ان هذا الفيلم الرقيق كان سيتعرض لاحد احتمالين : اما أن يضيع الاهتمام به وسط استجابة أفلاد لاستفزاز الافلام التى نالت ما تستحقه من رفض ، واما ان ينال تقديرا أكبر مما يستحقه ، خاصة وأنه كان سيوضع فى المقارنة مع أفلام تبلغ فى تهافتها حد اظهاره ، كما لو كان عملا كبيرا ونادرا .

فى البداية ، بعد الخروج ممن دار العرض ، ان يستطيع المرء أن يحدد وجهة نظره فى الفيلم بوضوح ، ذلك أن المتربع يشعر أن هذا الفيلم الشاب ، الرقيق ، الشريف ، ينتصب شوء من الوعى ، ويلتصب « شوء » من الذين ايضا .. « شوء » يجملك تشعر ان متعة المشاهدة ليست كاملة ، وانك كنت دمانيش عملا مصريا كبيرا ، على مستوى اكتوبر ، لكن هذا الشوء التافص يظل حائلا دون هذه المعايشة .

يحدد الفيلم منذ اللقطات الاولى موقفا مبدئيا صحيحا من حرب اكتوبر ، فقبل واثناء نزول الدبابات لتشاهد تعبير المجرمة « ايلات » ثم ضرب معابل تكرير البترول فى السويس .. ومع ارتفاع السنة اللهب فى الفضاء تنتقل الكاميرا بين وجوه الجنود الفاشية .. والفيلم بهذه البداية ، وبالمشاهد التى طبعا والتى تتدم معاناة الجنود فى برطلة « غط النفس » انما يعبر عن احدى حقائق حرب اكتوبر ، فهى هنا ليست حائطة مبايلة « بنت لحظتها » ، ولكنها قصة نضال طويل وصعب ، بدأ منذ سنوات .

وبحدد « ابناء الصمت » أبطاله او ابطال اكتوبر تحديدا اجتماعيا واضحا ، هم شباب مصر القادم من أعماق الصعيد ومن حوارى مدن القناة ، العمال والفلاحين والجنود وابناء الطبقات المتوسطة التى استطاعت بجهدها وامم ارها الصلب أن تصل بابنائها الى أعلى مراحل التعليم ، ويقدم الفيلم التى نالت ما تستحقه من رفض ، المطاعات التى عاشت وتعيش حياة عملية مرفية ، سرق الوطن مرتين : مرة عندما لم تدفع شبابه فى جهل الحرب ، ومرة عندما تسارع بسرقة ثمار النصر .

رادم الفيلم حياة وكفاح وآمال وصبر سبعة جنود داخل أحد الخنادق المواجهة للعدو كتماذج « لابناء الصمت » ، ويقدم فى المقابل رئيس تحرير احدى الصحف وممثلة ورتيبة على الصحف ومجموعة « كومبارس » ترمس فى الصور كتماذج للقطاعات التى لم تدفع ثمن البزيمة وتتهيأ لسرقة النصر . واذا كان الفيلم قد نجح فى انتقاء نماذج الجنود التى عقد لها لواء البطولة فانه لم يستطع أن يحقق نفس القدر من النجاح فى انتقاله لممثلى القطاعات المقابلة ، فلك أن « رئيس التحرير » و « المبلغة » و « الرتيب » و « الكومبارس » الراقص فى الصرح لا تحمد بوضوح سمات الطبقة التى يقصدها الفيلم .

يوفق « أبناء الصمت » فى تحديد الابعاد الاجتماعية للجنود بشكل عام ، الا أنه لم يستطع ان يرسم لكل شخصية من شخصيات الجنود سمات ذاتية خاصة بها : فملامح الجندى « سيد زيان » بشكل عام فى نفس الملامح التى طالعنا بهما مرارا فى تمثيليات « المعلم رضا » التليفزيونية والتى تتكون من خليط هزيل من الطيبة والبلاهة والتظرف والحكمة ، مع ميل لتفهيم حروف الكلام . وهى شخصية تفاجيء بمرورها برغم غلظتها وانتصالها وبالتالى فان كلماتها تكتسب أهمية خاصة الذى لم ينتبه له كاتب الحوار ليما يعود ، ذلك انه يجعله يردد على طول الفيلم ، وبنبرات شديد ، وبشكل بليغ ، كليات « القدر » و « المكتوب » و « المصير » ، الأمر الذى نظهر معه الارادة البشرية عنصرا هزيلا ومحدود القوة .

كذلك لا نجد فى شخصية الجندى « حمدى أحمد » الا الملامح السعيدة العملية ، الرجولة والقوة والاندفال دون أن يحاول السيناريو أن يقدم لهما بناء داخليا خاصا .

اما شخصية الجندى « نور الشريف » فلها بعد احدى عوامل تسطيح الفيلم على المستويين ، الفنى والفكرى ، ذلك أن تمثيل « نور الشريف » المسرف قد ظل من جانبهتها وزاد ابعادها الباعثة ضعفا وهزالا . ويحاول الفيلم أن يبرز المغزى السياسى للحرب على لسانه ، بهيجعله يردد « جيل يفطى، وجيل يدفع الثمن » ! وهى العبارة التى تعاود خطيئته الصحيحة عدة مرات بعد استشهاده ، الشوء الذى يثبت انها احدى افكار الفيلم ، وهى فكرة تحجب كافة الابعاد السياسية والتاريخية والدولية بيننا وبين الاعداء حيث تهدو مسالة الحرب كما لو كانت نهيجة خطأ ما ارتكبه أحد الاجيال السابقة !

واذا كانت الملاحظة الدقائة بعدم تنوع شخصيات الفيلم بناء ذاتى يعز كاتبها عن الاخرى تعليق على معظم الابطال بنسب متفاوتة ، فان شخصية « رئيس التحرير » هى الوحيدة التى تبدت بناء درامى محكم ، فضلا عن تكوين نفسى بالغ الخصوصية ، وهى الشخصية التى أعطى عليها أداء « محمود مرسى » المتهيم بزيدا من الغنى والتأثير ، لذلك فانها تعد من ايجابيات الفيلم بحق .

ان هذه الشخصية الدرامية ع المجددة

نقطة من فيلم ابناء الصمت .. الوجه الجديد احمد زكى يجلس فى احد المواقع مع نور الشريف .

الجوانب ، بدأت حياتها صلبة ومتماسكة ومتماسة للذرى المستحيلة ، ولكنها مع الايام والليالى والارهاب تحولت الى شخصية بشعة ومتسلطة وعاجزة ، وهى بحركة المشوار النحس الطويل الذى انتهى بساحبها جثيما على أحد كراسى رئاسة التحرير ، يرثى نفسه ويعانى عبء المرض والعجز والاذاعة .. وهو يدرك أيضا أنه كان فى الماضى يملك الصحة ولكنه ماض ماجزا فى قبضة النذر ، وهو الآن يملك المال ولكنه يعيش ماجزا فى قبضة المرض .. ولاشك أنه اذا كانت بقية شخصيات الفيلم قد حظيت بقدر من اهتمام السيناريو بينائها الداخلى على هذا النحو الدرامى البديع لكان أبناء الصمت واحدا من الافلام القليلة الكبرة من جدارة . وقد منحت هذه الشخصية جوانبها الممتدة ثراء وغنى وخصوصية لكثافة العلامات التى تربط صاحبها ببقية الابطال ، ذلك أنها تجعل مشاعره تجاه الآخرين ، ليست من النوع المسطح البسيط « ــ حب ــ كره ــ اعجاب ــ قبول ــ مرور » ولكن تجعلها من النوع المركب والمعقد ، فمشاعره نحو مشيئته المطلقة مثلا تجمع بين الرغبة والكره والاعتزاز بالعجز والاحتقار ، بينما يشعر تجاه الصحفية الشابة ، التى تذكره بملايته الذهبية ، بمزيج من الحنو والازعاج والاحترام والعجز .. ولعل « محمود مرسى » من اقدر ممثلينا على اداء مثل هذه الانفعالات المتغايرة بقوان يوازى بينها جميعا ولا يجعل احدها يتغلب على الآخر .

وفى مشاهد الاحباط الجنسى التى تدور بين « رئيس التحرير » والممثلة رفيع ، فالكاميرا تقوم بتصوير بدنه من الخلف ممددا وخلفا فوق المائدة كما لو كان جثمانا فاقد الروح ، وبعد محاولاته الخائبة يهرب مع الموسيقى جثمانا من جسدها ، وبينما تتعرقه الاضاءة بلون سنجبى قاتم يرتسم على الوجه المتعب مزيا كل معانى العجز والانهيار والخيق والفشل ، ليس تجاه الحس محب ، بل تجاه حبيبه كيا .

وسنشهد فى « ابناء الصمت » اكثر من نصف جنود الفندق ، والفيلم يلتهب بهذا أن نصر أكتوبر لم يكن سهلا ، ولكنه نصر صعب أن صح التعبير ، دفع ثمنه كليلا من دم ولحم وأعظم آلاف المصريين ومع غداحة الثمن المدفوع فى القصر ، وعلى الرغم من أن « أبناء الصمت » يضم اللحظات الأخيرة فى حياة العديد من المحاربين ، فان المخرج لا يشعر بوطأة الموت ، ذلك أن الفيلم يودع الشهداء بطريقة تليق بالابطال .. فقبل أن يقفى العندى « أحمد زكى » بصرخه انشاء اختراق خطوط العدو ، يشجع فى القاء قنبلة على مجموعة من جنود الاعداء ، وفندما يسقط فوق رمال سيناء ويسند جبينه على حقائبه القاسية أقنى نقصق بشرته ، تظل عيناه الواسعتان مفتوحتين كما لو كان يريد أن يشاهد بأصرار مسار المعركة وننائجها .

وفى مشهد النهاية البديع ينجح الجندى « سيد راضى » فى غرس علم مصر فوق احدى تبات سيناء ، وعندما يتعالى بدل رصاصات العدو ، تظهر كفه المخرجة بالدماء فى قطه كبيرة وهى تتجه بأصرار ناحية الشرق فابسة حفاة من رمال ساخنة بقانون الاحجر القاتى .. ان الفيلم بهذه المشاهد يعطى للمتدرج احساسا بأنه يشاهد أهمية رقيبة للشهداء .. وكأن المكان أن يكون مشهد استشهاد الجندى « محمد صبحى » نريدا وبالغ التكثير ، ولكن أستجابة المخرج والمونتير لاغراء تكراره أفقده الكثير من سحره وجلاله .. ان الجندى هنا لا يسقط قتيلا ، ولكنه

يتهاوى على رمال سيناء بالحركة البطيئة كما لو كان الفيلم يودعه وداعا شاعريا أخاذا . لكن رأس الجندى تظهر مرة أخرى لتتهاوى من جديد ! ثم تظهر كفه التى بالغ المكياج فى حروقها لتنسحب من الكادر بعد أن كادت تفسد المشهد الجميل .

ويحقق المخرج مستوى طيبا فى اخراجه لمشهد القتال بوجه عام ، خاصة فى مشهدى ضرب مدينة السويس والعبور ، ففى مشهد ضرب مدينة السويس تتداخل المؤثرات الصوتية لانفجارات القنابل ودوى المدافع مع الاصوات البشرية المستغيثة مع الموسيقى التصويرية المضطربة المذعورة لتكمل الاحساس بعذاب المدينة الغارقة فى ظلال الليل الكثيف الذى لا يبدده الا بريق الانفجارات .. وفى مشهد العبور تكاد الكاميرا ان تصطدم بأجسام الجنود المتدافعة فتنقل لك احساسا دقيقا بقوة وكثافة الكيان البشرى المندفع لتحرير الارض ، وعندما يتسلق الجنود السافر الترابى الناعم على ضفة القناة ينقل لك المصور الذى يغوص بالكاميرا فى التراب احساسا بعناء الجنود وصعوبة التسلق وتوتر التسابق مع الزمن .

لكن المخرج يهبط بمستوى الفيلم مرتين مرة فى المشاهد التى تدور داخل الخندق حيث تبدو حركة الممثلين مضطربة وارتجالية غير مدروسة ، تفتقر الحرارة ويشوبها الكثير من البلادة والافتعال .. ومرة أخرى فى الثلث الاخير من الفيلم .. وهو يعد اضعف الاجزاء عموما ، ذلك أنه يتم من خلال مجموعة « فلاش باك » لا يكمل بعضها بعضا ولا تضيف جديدا ، فضلا عن اعتماد هذا الجزء الى حد كبير على شخصية الصحفية التى قامت بأدائها « ميرفت أمين » بامكانياتها التعبيرية المتواضعة وطاقتها الفنية المحدودة وانفعالاتها الخارجية فزادت الامر هبوطا على هبوط .

بمعايير السينما الجادة ، التى يفخر مخرجوها بأنهم يساعدون الانسان على فهم العالم وتغييره ، يستطيع « محمد راضى » الآن ، والآن فقط ، ان يضع اسمه ضمن قائمتها ، ذلك ان فيلمه « ابناء الصمت » الذى كتبه « مجيد طوبيا » ، احد فرسان السينما الجادة ، يجىء بعد فيلمين أو ثلاثة او اربعة افلام ، عليه أن ينساهم ، وعلينا ان نتجاهلهم ، وان نعتبر معه ان « ابناء الصمت » هو فيلمه الاول ، ويكفى انه فيلم يصمد للمناقشة ، وتحقق عناصره الفنية من موسيقى وتصوير ومونتاج ومؤثرات صوتية توفيقا ونجاحا باكثر المقاييس النقدية جدية .

كمال رمزى

حوار السينما السرية حول والسينما الافريقية

يعمل « لايل بيرسون » ناقدا سينمائيا بمجلة « فيلم كوارترلى » الامريكية منذ عدة اعوام . وقد نشر عدة دراسات حول السينما فى شمال افريقيا وفى جنوب الصحراء الكبرى عدا جنوب افريقيا العنصرية . كما نشر عدة مقالات فى دوريات امريكية اخرى حول « السينما السرية الامريكية » .

ومنذ ست سنوات وبيرسون يتنقل بين باريس ودول الشمال الافريقى لدراسة سينما هذه البلدان على الطبيعة وقد حصل بيرسون على درجة الماجستير فى الشكسبيريات السينمائية وينوى ان تكون سينما العالم الثالث هى موضوع رسالته للدكتوراه . وقد صنع بيرسون ما يزيد عن ثلاثة عشر فيلما قصيرا عرض بعضها فى مهرجان كان الاخير .

□ هل نبدأ بالحديث عن افلامك القصيرة قبل ان نتناول موضوعنا الرئيسى ؟

● ● ● كان فيلمى الاول هجائية بالوثائق لسان فرانسيسكو وهو ما لم يسمح بعرضه اطلاقا كفيلمى الثانى وكان موضوعه عن « الحشيش » اما الثالث فكان تجربة جمالية بحتة وهو بعنوان « **الحاجة الى البريق** » وقد شاهدته فى مركز الصور المرئية بالقاهرة . وفى فيلمى الرابع « **سر الاله كوتيزوكوتال** » [وهو اله مكسيكى كان يعبده الهنود قبل قدوم كولومبوس] عالجت مع صديق لى موضوعا يروى تاريخ المكسيك [بالتصوير صورة صورة] وكان هذا أول نجاح حقيقى لى ثم عدت الى موضوع الحشيش فى فيلمى الخامس « **الوهج** » الذى لاقى نجاحا طيبا أيضا .

وفى فيلمى السادس « **محكمة الرعب** » قدمت هجائية لعالم الوسترن باعادة توليف بعض لقطات من هذه الافلام مع اضافة موسيقى لبيتهوفن . بعد ذلك بدأت ثلاثية فيلمية فى أسبانيا وباريس والجزائر [التى لم أصور فيها حتى الآن سوى

حلية واحدة) وهي ثلاثية تتناول جوانب ثرية من الحضارة الاسلامية . على ان اطلاعي لا تتل عن توقيت كل منها عن عشرين دقيقة .

□ البدء الحديث عن السينما السرية

●●● تعود جذور حركة السينما السرية ربما الى جورج ميليس بأكثر مما تعود الى « ذوي الوجوه » نسم تمر عبر الافلام السحرية الغريبة في عالم جان كوكتو . وحينما كانت السينما السريه ماتزال تسعى « سينما تجريبية » كانت طقوس الفودو الافريقية قد بدأت تخرج اول افلامها ، بينما أمسك بالخيط كثيرون اخر الذي عبر العلاقة بين الرؤى السحرية وبين الجنس ، كان هذا هو ، اواخر الخمسينات . ولكن الامر تطور بعد ذلك الى اتجاه اسسعفف نوير السينما ولكن على أسس جمالية محددة .

**لقد حاولت في جوهرها تحطيم العلاقات غير الضرورية بين الانسان والواقع فهي ترفض فكرة الحتوذة وتسعى الى خلق نوع من الشعر في الفيلم . كيما ان ثمة سببا آخر في ظهورها وهو يتبع بن تساؤل حول توقيت الفيلم : لماذا يدين على الفيلم ان يحتفظ بطول لا يقل عن ساعة ونصف الساعة — هذا ما لم يكن لارضاء الجمهور وحسب — لقد ارتبطت الافلام القصيرة منذ الخمسينات بذلك النوع من الافلام الذي يسبق العرض التجاري الذائي أي كنوع من التسلية بينما الجمهور مازال يأخذ مقاعده في الظلام — اي في الوقت الذي لا يمكن ان يحدث فيه شيء يثير الانتباه على الشاشة . وهكذا صعت هذه السينما الى احداث نظره جديده في الاهمية المعطاة لتوقيت عصير لفيلم الذي قصمت افلامنا بمفاوتة الطول ولعلي أذكر هنا فيلما هاما قد الانساء وهو « انا الذير ولذا غانا كيما انا » (شابلي كيدي وآن سيلرسون) وهو يستغرق دقيقة واحدة ، هذا بينما امتد نوليت الافلام الذي وارهول المعروفه الى اس عشر ساعة أو اكثر وهي جميعا افلام صعاصلة والية هاما . وتحرص السينما السرية على ان تصور كلها تاريا بافلام ١٦ مم بكاميرا بولكس ذي العادة مع اضافة شريط الصوت فيما بعد وهكذا فهي لا تلجأ الى التسجيل المتزامن للحوار مسعية بهذا في الابتعاد عن شكل الحتوذة . وهي افلام تستخدم الكولاج او الرسوم المتحركة او تكنيك المبالغة او التشويه او العناوين المصاحبة . (واذكر هنا ستان براكيج الذي ملأ اخر افلامه بالعناوين) (بكيفية تصل الى ربع بكرات) لخلق احساس

بالصمت الحالم وهو نمام « انتيسمان كابستان » (١٩٦٤) .

□ لقد نشر براكيج اخيرا كتابا له عنوان « السينما المستقلة » وله ارشادات عن الكيفية التي يمكن بها تمويلها لن يصوغ افكاره بالصيغة ..

●●● نعم ان براكيج واحد من اهم منظري هذه السينما ، واعتقد انه ترك تاثيرا كبيرا على . وقد عرضت له افلام فسن برنايج من اربعه ايام كان ١٩٦٧ . مع احد افلامه وهو « نيروداكيل » (١٩٦٨) (حيوان خرافي) وقد ضمنته لقطة من فيلم تلفزيوني قديم تقول « من تلوهوليود ! » ولقد اردت بهذا ان اوحي ان نيرودا كمثل ان ميلس الكولاج — ذات الخمس عشرة دقيقة — هو الذي حطمها هذا ما لم يكن الفيلم نفسه هو الذي فعل هذا !!

□ وهذا بالتاكيد هو ما اشك فيه .. ولكن دعني اضافعك .. انا لا اهتم ما تقوله عن الكوره على اسسس جمالية بحته . ان المضمون السياسي يفرض خصمه رغما عنك بشكل او بآخر . ان حركة السينما السرية بأكملها تفقد بهذا التفسير اولى امكانيات المعاطن الواسع معها . ان هوليود ليست رؤية جمالية فحسب انها ايضا نظام انتاجي راسمالي ونفوذ سياسي بالتالي .

●●● حسنا .. بدلا ان اكشف السينمائيين الشبان — وكانت من بينهم — بدى احكام القيمه الحديدية ليوليوددعلى الانتاج والتوزيع تاكد لنا ما تقوله وس لم لمان فيلمي القصير هذا يحمل خصوصا سياسيا .. بيد انه لانوجد ايمرضوعات سياسية مباشرة . بصفة عامة في هذه السينما . لقد سمحت منذ البدايه في نطاق الحلقات الانتاجية والاعراف السائدة في النظام الهوليودي المحكم ان تمان فيلمي القصير هذا يحمل مضمونا سياسيا .. بيد انه لانوجد ايمرضوعات سياسية مباشرة . بصفة عامة في هذه السينما . لقد سمحت منذ البدايه في نطاق الحلقات الانتاجية والاعراف السائدة في النظام الهوليودي المحكم ان تمان فيلمي القصير هذا يحمل مضمونا سياسيا ، ولعل هناك سلوكا سنمائيا لوصوع له صلة بالسياسة ولكنه يتم بطريق غير مباشر . ولكن الامر يختلف في سينما فرنسا السرية مثلا ، ان المناول السياسي هناك واضح سابا وهو احد اهداف حركتها هناك . غير انني اود ان اشير الى ان صلك مجموعات انشئت من السينما السرية ترى في الافلام وسيلة للتعبير السياسي المباشر وهي موزع من خلال مناوبتات اخرى مثل « نيويورك » (وهي شركة تخصصت في توزيع الافلام السياسية لليساريين من الشباب الامريكي) — وسينما المارات الثلاث » وهي تقوم بتوزيع افلام مخرجي العالم الذائت داخل الولايات المتحدة السياسية ايضا .

□ **لابد ان التوزيع يحتمل قائمة المشاكل التي تواجهها السينما السرية اليوم .**

●●● تمانا تماما ان للشركات الامريكية الكبرى تاثيرا شبكيا عظلا داخل وخارج الولايات المتحدة . وهي تتحكم في السوق الخارجية أساسا من طريق كارتل احتكاري يتمثل في « الرابطة الامريكية لمنتجي الافلام » والحقيقة فان هذا الكارتل حاول الى اليوم يرفض اي سينما غير هوليوودية وبذكر السينمائيين الشبان في حل مشكلة التوزيع . بمعداد من الجهود الفردية . غير انه من حسن الحظ ان انطلقة توادى السينما المستقلة والجامعية في الولايات المتحدة تسبح بالتوزيع والبدائل الواسع الانتشار مما يجعل من اليسير ماديا — على شركات التوزيع « السرية » المستقلة (مثلما كانيون سينما في كاليفورنيا والشركة التعاونية لمسلمي الافلام في نيويورك) ان تقسوم بعملها حيث تشارك هذه الافلام بعد مشاهيها واحيانا بنسبة ٢ : ١ حيث يؤجر الفيلم بمبلغ ماثة دولار هي الدخولة وهكذا فانه يمكن للمبلغ ان يغطي نفقاته الى ما تم توزيعه في خلال عشرين عرضا . هذا بالاضافة الى الاسلوب الذي نقوم به للمرجعات المالية — اعني — تجاه مدينة بلغ عدد جمهور بمفرد بمائتي هوليودي وعربي .

□ **ماذا كان عن فعل الرقابة تجاه افلام السينما السرية بصفة عامة ؟**

●●● اصبحت السينما السرية في مغرب دور الرقابة في الولايات المتحدة بعد اعادة النظر في واجباتها . لقد عرض فيلم جنسي لجان جينيه وسمو « اغنه العب » (١٩٦٥ — ١٥ ق) كفيلم اخلاقي في سان فرانسيسكو وفي جميع مركلي المحافظ نوعا ومن الممكن ان هذا الفيلم معروف جيدا في امريكا

□ « الملونات » بنسبة الصف في عوالد — وهي تيرودا كيتل غريب الاطوار احد اكبر من فرصا حيث منع عرضه سابقا .

ومهمني ايضا ان اوضح ان ثمة محتوى سياسيا يمكن عن نفسه بقدر معقول من الوعي .

ان تلسينما السرية وهيا السياسي الخاص بها فهي لا يمكن ان تصنف في الايمن او في اليسار ولكنها استطاعت « المؤسسه » من هاليا لكي تجد « قاعدتها » الخاصة في الاتفاق الراقصة . ومن ثم فانه لا يمكنك ان تخرج بمفهوم سياسي محدد من مجموعة متباينة تتفق على الحد الادنى من التواعد — او الاتواعد « الفنية » .

□ اذكر لى فيلما مصريا واحدا رأيته وتعتبره سرى المفهوم

●●● اكتشفت واحدا من اهم الافلام القصيرة التى رأيتها فى سينما العالم الثالث . وهو فيلم « كاوبوى » لسامى السلامونى . أعرف فيلمين سريين امريكيين حاولا تحطيم نموذج الوسترن ، غير أن فيلم السلامونى هو الوحيد من بين الثلاثة الذى يشير الى مفهوم سياسى خارج شكل الوسترن ولعله الوحيد الملون أيضا — وياله من لون اثيرى ! ولعلك تعلم أن هذا الفيلم قد منع عرضه فى مهرجان قرطاج الاخير كفيلم مضاد لامريكا ! ولكن هذا يسير فى خط متواز مع ما نفعله نحن مخرجى الافلام المستقلين فى أمريكا وأيضا مع بعض مخرجى امريكا الجنوبية من امثال جوبير روشا [البرازيل] وروى جيرا [البرازيلى الجنسية الموزمبيقى الاصل] .

□ بالمفهوم الواسع للسينما السرية اى باعتبارها جبهة رافضة للقيم التجارية الهوليودية على جميع المستويات . هل لك أن تشير الى افلام افريقية يمكن أن تأخذ موقعا متقدما فى هذه الجبهة ؟

●●● يصور معظم السينمائيين الافريقيين أفلامهم بمقاس ١٦ مم « كالسينمائيين السريين » وفى مهرجان قرطاج الاخير كانت الافلام الثلاثة الفائزة مصورة بسوبر ١٦ مم ثم كبرت الى ٣٥مم وكل هذه الافلام قدمت صورة تختلف عن صورة البطل الوسترن الذى يقهر كل العقبات فى هجمة واحدة . وحلت محلها بطولات عادية يومية قد يقوم بها شاب تائه فى مدينة كبيرة كما رأينا فى الفيلم السنغالى الممتاز « جيجيدين » لمحمد تراورى .

□ ولكن « جى انييل » فى مقال هام له عن السينما الافريقية نشر عام ١٩٧٠ يذكر انه يمكن تمييز خمسة مواضيع فى الانتاج السينمائى الافريقى : وهى المنفى — العودة الى البلد — الصراع بين التقاليد والتقدم — تحرر المرأة — عدم الاعتراف بالسلطات الجديدة . امازالت هذه الموضوعات تحتل اهمية رئيسية .

●●● نعم هناك موضوع الصراع بين التقاليد والتقدم . انه يتضح تماما فى الافلام الافريقية الى جانب ثيمة النضال الممتزج بحس تاريخى والناظر الى الواقع المعاصر بعين ثائرة . ولعله يجدر بى أن أشير الى اعمال ثلاثة مخرجين أعتقد انهم — خارج الجزائر — يمثلون طليعة السينما الافريقية .

هناك أولا المخرج السنغالى « بابكر سامب » الذى أخرج فيلم « كودو » وهو يحكى قصة فتاة تفقد عقلها بعد فشلها فى نقب شفتيها فى أحد الاحتفالات . وتفشل الطرق النفسية الحديثة فى اعادة الفتاة كودو الى قواها العقلية بينما تنجح الطرق التقليدية ويبقى السؤال : الى أى مدى سوف تظل عاقلة ؟ وعلى حد قول سامبا « فى كل مرة كان يحاول أحدنا أن يستخلص ثقافة خاصة بنا وفى كل مرة كان يفشل . ان لنا قدما فى العصور الوسطى بينما رأسنا يحيا فى العالم المعاصر . ان محاولة التصالح مع العالم المعاصر دون أن نأخذ فى الاعتبار تأثير الماضى خطأ فاحش .. بقدر ما تكون العودة الى هذا القديم والوقوف عنده عملا مجدبا تماما . وقد حاولت فى فيلمى أن أؤكد أنه من الضرورى أن يستوعب المرء دقائق فنه جيدا لكى يمكن أن يحقق قدرا من التوافق مع العالم المعاصر .

أما المخرج السنغالى عثمان سيمبين الذى تلقى دراسته السينمائية تحت اشراف مارك دونسكوى فيقدم فى آخر افلامه « ايميتاى » [الاله الغاضب] صورة تؤكد فشل التلاقى مع الفرنسيين والمشكلة أن « ايميتاى » يصف ويعانى أيضا من هذا التلاقى . وفى « ايميتاى » — الذى تدور أحداثه بقرب نهاية الحرب العالمية الثانية — يحاول الجيش الفرنسى استحثاث المواطنين السنغاليين من شعب الديولا فى الجنوب لمقاومة الالمان غير أن المواطنين لا يشعرون باهتمام كبير نحو « حرب الرجل الابيض هذه » . ويصدر الامر الفرنسى بمصادرة أرز القرية الذى تقوم نسوتها باخفائه . بينما يهاجم الكهنة المحليون — الذين يعملون بمشورة آلهتهم المحتجبة خلف اقنعة مصبوغة بالاحمر القانى — الضباط الفرنسيين . ويفشل الهجوم وتكون نتيجته أن يتساءل الكهان حول جدوى عبادتهم لالهتهم بينما يضطر السنغاليون الذين جندوا عنوة بين صفوف الجيش الفرنسى الى اطلاق النار على نسوة القرية [وفى هذا الجزء تتدخل الرقابة وكان المفروض فى الاصل أن نرى الجنود وهم يطلقون النار ثم نستعرض جثث النسوة الغارقة فى الدماء ، غير أن هذا قد « ترك لخيالك » كما أخبرنى القنصل السنغالى فى تونس . اننا نرى الجنود يطلقون النار بينما تظلم الشاشة وينتهى الفيلم] انه فيلم يختلف عن كافة الطرق الغربية فى سرد الحكاية السينمائية وهذا ينطبق بحق على طريقته فى التصوير — لقطات طويلة تسود أغلب الوقت كما انه لايحاول أن ينزع شخصياته من بيئتها المحيطة لكنه يحاول أن يجعل من البيئة عنصرا مترابطا من عناصر الحكاية . ولا يمكنك أن تجد لقطات استرجاعية كبيرة أو قطع سريع ولكن كل شىء يقودك بوضوح تام كما لو كان طول الحدث هو نفسه مزيد من الشرح غير المتزايد لافكار سيمبين التى تقف خلف الحكاية كلها .

وهناك محمد هوند الموريتانى مخرج « هؤلاء السود .. جيرانكم » وهو فيلم يطول كثيرا عن متوسط طول الافلام الروائية ويطرح هوند جانبا كافة المعايير الجمالية تقريبا ويصبغ رؤيته العامة بصبغة سياسية واضحة غير أن بناءه ليس قويا بما فيه الكفاية ويبدو الحل الذى يقدمه لمشكلة من العالم الثالث حلا وهميا .. ان الهجرة ليست اجابة شافية على مشكلات الدول المتخلفة ان الهجوم على الحكومة الفرنسية لا يعدو أن يكون هجوما على نصف المشكلة بينما يبقى النصف الاخر قائما فى الوطن نفسه الذى أعتقد أن هندو كان يود لو خاطبه بصورة أكثر مباشرة وربما حالت دون ذلك أسباب سياسية . الا ان فيلمه « الشمس أو » الذى عرض بأسبوع النقاد فى مهرجان كان ١٩٧٠ يعتبر فى رأيى أعظم فيلم افريقى تم انتاجه حتى اليوم .. استمع الى هوندو يقول عنه : ان فيلمى عبارة عن تقيؤ . لقد أردت ان الفظ كل ما يجيش فى صدرى . لم يشغل بالى اذا كان الفيلم سيعجب أحدا أم لا ، أو ما اذا كانت الرقابة ستقص منه شيئا .. كنت لاأبالى اطلاقا . حتى لو اعتقدت أن « الشمس أو » سيظل فى العلب تحت سريرى لكنت — أيضا — أخرجته . كنت فى حاجة الى أن أصبح بتلك الحقائق .

نقرأ هوندو كل شىء .. حالة الافريقيين فى فرنسا — الميول البورجوازية لطبقة العمال ونقاباتهم — التفرقة العنصرية [اما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة] هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى الترف الغبى لكثير من الطبقات البورجوازية الافريقية الجديدة .

ويقول هوندو : لقد وضعنا السياسيين على الرف .. سنضع ديمقراطية جديدة ونعطى الكلمة للشعب . ونعطى الكلمة للشعب ..

— اعتقد أن الوقت مبكر للحديث عما شاهدته من الافلام المصرية فى سينماتيك الجزائر أو فى باريس ..

●●● تماما .. تماما فان الامر يستلزم معايشة من الداخل للواقع المصرى .. ولسوف يتحقق ذلك .

حوار : الفاروق عبد العزيز

الثمن ١٠ قروش

السنة الحادية عشرة
مارس ١٩٧٥

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثوري المعاصر

مصريون .. لكن عرب وتقدميون

مؤتمر جنيف : بين سباق التتابع وسباق الحواجز

زكي نجيب محمود :
الوضعية المنطقية في الأدب والفن

« لا » للجامعة الخاصة .. « نعم » لتكافؤ الفرص

وثيقة : الجلسة السرية لمجلس الشيوخ عن حرب ١٩٤٨

الطليعة
طريق المناضلين إلى
الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مدير التحرير :

أبو سيف يوسف

سكرتير التحرير :

مصطفى سامى

المحررون :

حسين شعلان
خيرى عزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالى
فاروق عبد القادر
وديع أمين

[■]

د. محمد الخفيف
شارك فى تأسيس الطليعة
وأسرة تحريرها
يناير ١٩٦٥ ـ مارس ١٩٧٢

الفهرس

العدد الثالث ـ السنة الحادية عشرة ـ مارس ١٩٧٥

ص

■ مصريون .. لكن عرب وتقدميون « الافتتاحية »

لطفى الخولى ٥

■ اجابات على رسالة الرئيس

الى مجلس الشعب ومجلس الوزراء ١١

ـ المهمة : مواجهة البروز الرأسمالى الكبير — د. فؤاد مرسى ٩٢
ـ لا نطالب « بالمساواة المطلقة » بل « بالمساواة فى الاعباء » — عادل حسين ٢٣

■ مؤتمر جنيف بين سباق التتابع وسباق الحواجز

د. جمال حمدان ٢٨

■ « لا » للجامعة الخاصة .. « نعم » لتكافؤ الفرص

د. عبد العظيم انيس ٤٥

■ نقاط الاتفاق ونقاط الخلاف

(اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم) الجلسة الثالثة ٤٨

■ الاقتصاد الامريكى : الازمة والحل — جاس هال ٧١

■ الراى .. والراى الآخر ٧٤

ـ « المسلم المعاصر » بداية حقيقية للحوار الفكرى — السيد يسين ٧٥
ـ التفسير الاسلامى للاسلام — فاروق منصور ٧٧
ـ ٢٣ يوليو و ٦ اكتوبر بين الوعى واللاوعى — د. محمد رضا محرم ٨٣
ـ الدولة والثورة والشعارات المزيفة — سعيد خيال ٩١
ـ مقالات من بريد الطليعة ٩٥
ـ غياب الديمقراطية النقابية ـ الفساد — عبد المنعم الغزالى ١٠٤

■ قراءة مستمرة فى الصفحات الاولى من « اخبار اليوم » ١٠٧

■ تقارير الشهر : من ● مصر ● لبنان ● الخليج العربى ● قبرص ● فرنسا

ـ قبل ان تدق الثانية عشرة فى اثيوبيا واريتريا « تعليق » — حسين شعلان ١٣٠

■ وثائق : الجلسة السرية لمجلس الشيوخ المنعقد فى ١١ مايو ١٩٤٨ عن مسألة فلسطين ١٣٤

■ ملحق الادب والفن

زكى نجيب محمود : الوضعية المنطقية فى الادب والفن . . ١٤٧

كلمة من « الطليعة »

عندما تطرح مواد « الراى .. والراى الاخر » للمناقشة ، فى كل عدد ، تقفز حرارة اجتماع مجلس تحرير «الطليعة» الى درجة عالية فيطول الوقت .. ويدبرم سكرتير الاجتماع .

ومن امثلة الاجتماعات الساخنة ، ما دار حول الرد على مقالات الاستاذ احمد ابو الفتح . يرى لطفى الخولى ان ابو الفتح كاتب ليبرالى يقبل الحوار المفتوح مع افكاره ويسلم بحق الاخرين فى الاختلاف معه . ومعظم اعضاء مجلس التحرير يرى انه قد كشف عن وجه محافظ يعيش بمقلية الخمسينات ويرفض من الناحية العملية حق الراى المخالف له فى التعبير عن نفسه . وتحديد هذا او ذاك ، يحدد طابع واطار الرد على كتاباته وافكاره .

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل راى حر وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح [الطليعة] صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد اختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك] ..

★

ويظن لطفى الخولى ان كرسى رئاسة التحرير ، يعطيه صوتا اضافيا عند التصويت على نتيجة النقاش . ثم يكتشف ان « الكرسى » لم يحمه من راى اغلبية مجلس التحرير . فيسجل اعتراضه ويلتزم برأى الاغلبية عند نشر مواد « الراى .. والراى الاخر » . الذى لا خلاف عليه هو التزامكل راى .. وراى آخر ، بالموضوعية والجدية والاحساس بالمسئولية الوطنية .

وبهذا الجدل ايام مواد اخرى ، ليعود فيرتفع حرارته عند تحديد الشكل الاخير للعدد : ما هى المقالات التى لها أسبقية النشر لارتباطها بالاحداث الجارية محليا وعربيا ودوليا، وما هى المادة التى ستؤجل ؟

.. ثم يهدأ الاجتماع . فقد حمل الجميع اوراقهم وانفضوا .

« أسرة تحرير الطليعة »

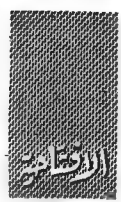
الافتتاحية

مصريـــون ..
لكن عـرب وتقدميـــون

تذكر اليمين المتخلف ، فجـأة ، مصريته وراح يتغزل فيها بأعذب الالحان .

طرب البعض ، الطرب السياسي مألوف في بلادنا ، وقالوا : قـال طيب . عـاد الجماعة الى الحق ، والعودة الى الحق ، على أية حال ، فضيلة .

بيد أنهم سرعان ما اكتشفوا سذاجتهم ، حين رأوا هذا اليمين يندفع ، بضـيق افقه التقليدي ، تحت راية المصرية في معركته الشرسـة ضـد كل القوى الوطنية والتقدمية ، مجسدا حدود « مصر » بحدود مصالحه الطبقية ، وصـفقاته في الاثراء غير المشروع ، وجهالته المعادية لتقدم العصر ، وحريته التي تصادر حريات الشعب . كأن « مصر » من ممتلكاته الخاصة التي ورثها عن آبائه وأجداده « العظام » ابتداء من « الخديو » توفيق ، حتى المرحوم « المليونير العصامي » عبود باشا .

ليس فقط « القطاع العام » الذي بناه الشـعب بعرقه ونضـاله وتضـحياته ، ما يسعى اليمين المتخلف لتخريبه والسـيطرة عليه . بل « مصر » ذاتهـا ، يريد أن يحولها الى قطاع خاص !

وفي اطار سياسة « **الوطن ، قطاع خاص** » ، خرج علينا اليمين المتخلف بفلسفته الجديدة « مصر فقط » .

والقضية هي ، في هذا الـ « فقط » .

ماذا تعني ؟

الواقع أن اليمين المتخلف ، الذي يتـكون من تحـالف الرأسـمالية الطفيليـة والبيروقراطية وأغنياء الريف ، قد مني بفشـل نسـبي في المعارك التي شـنها في السنوات الاخيرة ، مستغلا سلبيات التجربة والمنـاخ الديمقراطي ، ضـد القطاع العام ، والحقوق المكتسـبة للعمال والفلاحين ، وتحـالف القوى الوطنية والتقدمية

بينابيعها الاجتماعية والفكرية المختلفة ، وعروبة مصر ، وصداقتها الاستراتيجية لحركة التحرر العالمى والانسانية التقدمية ، بما فى ذلك الاتحاد السوفيتى .

ولم تنجح « مؤامرته » التخريبية التى حاول ان ينسجها على منوال « حريق القاهرة عام ١٩٥٢ » ، فى الفاتح من عام ١٩٧٥ ، بهدف دفع السلطة الوطنية الى شن مذبحة عامة لليسار ، بعد الصاق تهمة التخريب به .

● ● ●

وهكذا طوال اربع سنوات ، ظل اليمين بقضه وقضيضه ، يتخبط من خلال تصرفاته الهوجاء التى تحكمها رؤية قصيرة النظر ، ودوافع اجتماعية شرهة لا مشروعة . غير قادر على أن يعيد سيطرته الكابحة على مجرى الحياة فى مصر ، اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، أو يلجم ، ان لم يصف ، حركة الجماهير الشعبية نحو مزيد من التقدم . وذلك على الرغم من شعاراته البراقة عن الديمقراطية والحرية والايمان .

وكان فى هذا ضحية ذهنيته الغبية ، التى صورت له أن ما وقع بمصر من تغيير ؟ خلال الثمانية عشر عاما [من عام ١٩٥٢ الى عام ١٩٧٠] ، ليس وليد تفاعل النضال الشعبى مع الضرورات الاقتصادية والاجتماعية مع حركة التاريخ ، وانما من صنع فرد واحد ، هو جمال عبد الناصر ، ناصبه العداء عن حقد . وانه ما دام عبد الناصر قد فارق الحياة ، فان التغيير يجب أن يلحقه . وتعود « ريمة الى عادتها القديمة » . وينفتح الطريق فسيحا أمام حركته من جديد .

وبدا اليمين المتخلف مسيرته الجديدة . والحق ان البداية كانت فى هشة هزيمة سنة ١٩٦٧ ، التى فيها كهزيمة لشخص عبد الناصر والتغيير معا . ولكنه اصطدم بقوى الشعب ، ودخل فى صراعات عاتية .

وفوجىء اليمين المتخلف ، بنفسه شعبيا ، عاريا بحقيقته الدميمة ، محاصرا محليا وعربيا وعالميا . متلبسا بجرائمه البيومية فى العمارات الكرتونية التى تنهار على رؤوس ساكنيها ، وفى عمليات التهريب وصفقات الاستيراد والتصدير المشبوهة ، وفى جزعه من الرأى الاخر ومصادرته وخنقه ، بدعوى أن حرية الصحافة لا تعنى حرية فضح اسراره .

وراى « دهاقنة اليمين وفلاسفته وكتابه » ، بعد تحليلهم لحصيلة معارك السنوات الاربع الماضية ، ان الفشل يرجع اساسا الى أن « حركة اليمين » جرت على نحو تلقائى مندفع . لم يحسب بدقة وزن القوى الوطنية والتقدمية فى الساحة وحجم وتاثير اليسار داخلها ، فضلا عن انها لم تسترشد « بفلسفة سياسية » تستطيع من خلال « تنبيقها بشعارات وطنية المظهر ، طبقية المحتوى » ان تجذب الى صفوفها قوى جماهيرية ما برح وعيها « خاليا » لم يربط بعد بين التحرر الوطنى وبين التغيير الاجتماعى . وبذلك تتحول قوى اليمين المتخلف من « كم » صغير محدود ، الى « كم » كبير نسبيا ، ثم الى « كيف » من خلال حركة منظمة .

هل اليمين المتخلف ، كم صغير ومحدود اليوم فى مجتمعنا ؟

اليمين المتخلف ، هو تلك الشريحة الثلاثية الملامح [رأسمالية طفيلية ؟ بيروقراطية ، ريفية] ، التى تراكم لديها — من خلال الاستغلال وعمليات النهب والسمسرة والمضاربة فى العقارات والسوق السوداء — رأسمال كبير تعدى الحدود المسموح بها فى الميثاق الوطنى ، وأصبح يتطلع الى الاستثمار الملئى بقوة الفائض ودون قيود .

واذا حاولنا ان نحدد حجم هذا اليمين المتخلف فى مجتمع اليوم ، لوجدنا أمامنا نوعين من الارقام :

اول هذه الارقام مصدرها وزارة التخطيط .. فهى احصائية شهيرة صدرت فى عام ١٩٧٠ ، تبين ان ١٠ ٪ من المصريين [أى حوالى ٣ ملايين نسمة] يتعمد تسميمهم من الاستهلاك القومى العام بنسبة ٤٥ ٪ ، وتتميز داخل هذه الشريحة فئة صغيرة لا تتعدى ٥ر٢ ٪ [أى حوالى ٣٠٠ر٠٠٠ نسمة] ، يبلغ نصيبهم من الاستهلاك القومى العام ٢٣ ٪ .

اما ثانى هذه الارقام فمصدرها جهاز تخطيط الاسعار ، الذى كشف من خلال احصاء حديث اصدره عام ١٩٧٤ ، أن فى المجتمع المصرى اليوم حوالى ٢٠٠٠ عائلة [حوالى عشرة آلاف نسمة ، بواقع ٥ افراد لكل عائلة] ، يبلغ دخلها السنوى اكثر من ٧٧ مليون جنيه ، أى بواقع يتجاوز ٣٢ الف جنيه سنويا لكل اسرة . وذلك مقابل عشرات الآلاف من الاسر التى لا يزيد دخلها السنوى عن مائة جنيه !

من واقع هذه الاحصائيات الرسمية ، نستدل على ان اليمين المتخلف آخذ فى النمو رأسماليا من ناحية ، وفى التركز عدديا من ناحية اخرى . وذلك منذ عام ١٩٦٧ . ثرواته وأنصبته فى الدخل القومى تتضاعف ، فى حين ان حجمه البشرى يتقلص من ثلاثة ملايين الى ثلثمائة الف ، واخيرا الى عشرة آلاف مواطن .

وهذه ظاهرة طبيعية ، فالقوى الراسمالية فى معركتها ضد القوى الشعبية العاملة : تتنافس مع بعضها البعض فى نفس الوقت ، بعنف وقسوة ، وفقا لقانون السمك الكبير يبتلع السمك الصغير ، حتى يسيطر على البحر سيطرة كاملة .

ومن هنا يجد « اليمين المتخلف » نفسه فى مأزق يضيق عليه الخناق دوما ، ليس فقط بحكم مواجهته للقوى الشعبية ، بل ــ ايضا ــ بحكم قوانين حياته نفسها . اقلية صغيرة تأكل بعضها بعضا ، معزولة تجاه اغلبية ساحقة ومتغلبة : كما ونوعا وروعبا . تتحم رأسها « برعونة عمياء » فى صخرة المستحيل . تحارب معركة فاشلة اولئها التاريخى .

• • •

لم يعد ممكنا ، فى الربع الاخير من القرن العشرين ، خداع الجماهير ، التى تحتها الفقر والاستبداد وتكشت من انتزاع بعض حقوقها بتضحيات كبيرة ، بحيل الراسمالية التى تبيع أملا لماسح احذية فى أن يصبح مليونيرا فى غمضة عين بصفقة تسوقها اليه ضربة حظ ، قد تكون فى غمزة عين حسناء وقعت فى غرامه ، أو ورقة يانصيب ، أو مضاربة فى بورصة أو ناد للقمار ، كما تروى الافلام الامريكية والافكار المحنطة لبعض الاقلام المصرية المعاصرة .

ولم يعد ممكنا ، بعد ان حصل الفلاحون والعمال على بعض حقوقهم السياسية والاجتماعية [نسبة الخمسين فى المائة فى المجالس التشريعية ، الوزن الغالب فى الجمعيات التعاونية ، الحد الادنى من الاجور ، ضمانات ضد الفصل والمرض والشيخوخة] ، أن يقتنعوا بأنهم تنكبوا الطريق وضلوا فى الاختيار بين « جحيم » ثورة ٢٣ يوليو و « جنة » الاقطاعيين. والراسماليين قبل عام ١٩٥٢ . وان عليهم ، بحرية وديمقراطية ، أن يعودوا الى جنة النظام الملكى ، ولكن دون ملك ، فلن يصر السادة عليه من اجل خاطرهم ، لانهم ديمقراطيون لا يفرضون رأيهم على الشعب .

ولم يعد ممكنا أن يقنع الشعب المؤمن بان الدين الحق ، يحلل الراسمالية ويحرم الاشتراكية والعدل الاجتماعى . وان « البيومى » الذى اثرى ثراء فاحشا من بناء المعمارات الكرتونية والمضاربة بمساكن وأقوات وحياة الناس ، تقى ورع ماله الجنة ونعم القرار ، لانه حج الى مكة وبنى مسجدا ويحسن الى بعض الفقراء . وان « شهدى عطية » ، الذى ناضل وسجن وشرد وعانت فى سبيل أن يعيش الناس

نمرارا متساوين كاسنان المشط ؛ دون استغلال ، كافر زنديق مآله الجحيم ويئس القرار ، لانه ماركسى ضد الاتجار بالدين وكافح من أجل حقوق الفقراء .

ولم يعد ممكنا أن تقبل الجماهير ان تبيت وبطونها خاوية مع ضمان حق الثرثرة غير المجدية التى لا تغير شيئا من واقع حياتها باسم الديمقراطية والحرية . وأن الطريق الوحيد للديمقراطية هو الراسمالية . وأن الاشتراكية تؤدى الى مهاوى الدكتاتورية وانتهاك انسانية الانسان . وكأنه قانون أبدى : الحرية زوجة شرعية للجوع والاستغلال ، والدكتاتورية عشيقة للشبع وضمان الرزق دون استغلال .

لم يعد ممكنا ، أن تجب اخطاء عبد الناصر مهما نفخ فيها ، ايجابيات عبد الناصر . وما تمثله قيادته لثورة ٢٣ يوليو من تغيير نحو الافضل فى حياة الشعب المصرى . أو أن تسلخ المرحلة الراهنة من التاريخ المعاصر عن مسار حركة التحرر الوطنى فى مصر والعالم العربى ، وتعزلها وتحولها الى قوة مضادة .

● ● ●

باختصار ، كل الطرق ، حاولها اليمين المتخلف ، وانتهى الى الاصطدام بحائط الجماهير .

كل الوصفات البلدية ، والوصفات الاجنبية ، وخلاصة الامريكية ، جربها اليمين المتخلف ، لكنها خابت .

افن ما العمل ؟

لم يبق أمامه — فى المدى المنظور — الا سلاح واحد : المصرية .

كيف ؟

من دراسة الكتابات المعاصرة لفلاسفة ومفكرى اليمين المتخلف ، يمكن أن نحدد ملامح فلسفتهم السياسية وخلفياتها على النحو التالى :

● اذا كان من المتعذر تجنب المواجهة بين المصالح الاجتماعية — السياسية المتصارعة . ومن غير المستطاع — كما دلت التجربة — ايقاع الهزيمة بالقوى الوطنية التقدمية فى هذا الصراع ، **بشكل هجومى** فى الوقت الحاضر ، فان التكتيك المناسب ، يصبح هو الالتجاء الى **موقع دفاعى** ، يرفعون عليه لافتة « مصر فقط » . ينطلقون منه ، بين آن وآخر ، بأسلوب حرب العصابات ، بالضرب والتخريب هنا وهناك فى بناء وحدة القوى الوطنية والتقدمية . فاذا ما تويلوا بالمثل بدأ « الامر » — هكذا يظنون — وكأنه هجوم على مصر ذاتها .

● واليمين المتخلف ، يحاول فى هذا المجال استغلال أكثر من عامل ، استغلالا بشعا وللاخلاقيا .

اولا : العامل الوطنى العام ، والذى يتجسد فى الرابطة العضوية العميقة بين المصرى ومصره . وهى الرابطة التى تجعل المواطن المصرى يقدم على أغلى التضحيات من أجل حرية الوطن وضمان استقراره بالارض . وذلك منذ أن عرف التاريخ مصر والمصريين .

ثانيا : العامل الوطنى الخاص والذى يكمن فيما يعانيه المواطن المصرى من احتلال تائم لجزء من وطنه من جانب اسرائيل ، وحشده لكل طاقاته المادية والمعنوية من أجل طرد الاحتلال وتحرير الارض . وذلك باعتبار ان ذلك يشكل القضية الاولى فى حياته اليوم .

ثالثا : عامل التعبئة الذى يلجأ اليه النظام الوطنى لحشد كل مصر ضد الاحتلال الاسرائيلى .

■ **ويستهدف اليمين المتخلف من ذلك عدة أهداف :**

اولا : الظهور بمظهر وطنى ، يخفى عوراته السياسية والاجتماعية ، ويدس سمه الاستغلالى فى العسل الوطنى .

ثانيا : الايحاء بأنه مترفع عن مطالب الدنيا واحتياجات الحياة الاجتماعية ، من اجل تحرير مصر من الاحتلال .

ثالثا : الطعن فى وطنية القوى التقدمية ، واليسارية منها بشكل خاص ، على اساس انها لا تفصل بين تحرير الوطن من الاحتلال وتحرير المواطن من الاستغلال .

رابعا : خلط الاوضاع بديماجوجية ، يبدو فيه « الوطن » مقابلا « للاشتراكية » و « مصر » بديلا عن « اليسار والتحرر الاجتماعى » .

خامسا : تغذية المشاعر الانفعالية والانكماشية فى مصر ، وقطع شرايين اتصالها الوجدوى والمصيرى مع الوطن العربى . ودفع مصر الى التقوقع بدعوى ان ارتباطها بحركة التحرر العربى والقضية الفلسطينية ، حملها اعباء وتضحيات فاق قدراتها وهبط بها الى حضيض العوز والحاجة ، فى حين اثرى الاخرون وتضخموا على حسابها .

● ● ●

يعتقد اليمين المتخلف ، انه يستطيع ، بهذه الفلسفة السياسية ، ان يقفز على الواقع ويتحصن فى مواقع جديدة ذات طابع دفاعى ـ هجومى . وذلك فى معركته ضد حركة التحرير الوطنى بأبعادها العربية ـ الفلسطينية ، وضد حركة التحرر الاقتصادى بأبعادها الاجتماعية التقدمية .

والحق انه ينطلق فى هذا ، لا عن عقلانية ، وانما عن غريزة الدفاع عن النفس سياسيا واجتماعيا ، بأسلوب بدائى وفلسفة ثبت افلاسها تاريخيا . ليس فقط فى بلاد العالم الثالث ، بل وفى البلاد الرأسمالية العريقة ذاتها .

ان يكون المواطن فى مصر ، يمينيا او وسطيا محافظا ، او يساريا ، لا يلغى مصريته .

والخلط « اليمينى » اليوم بين المصرية والموقف الفكرى الاجتماعى ، هو مثل ذلك الخلط الاستعمارى « بالامس » بين المصرية ونوعية العقيدة الدينية .

وكما واجهت القوى الوطنية والتقدمية « الخلط الاستعمارى » بموقف موضوعى ثورى هو : **الدين لله والوطن للجميع** ، فانها تواجه « الخلط اليمينى » اليوم بموقف موضوعى ثورى آخر : **مجتمع تقدمى ومصر عربية** .

وبما دام هناك تمايز اجتماعى وتفاوت فى الدخول بين المصريين ، فان من حق كل قوة اجتماعية ، وخاصة الاكثر استغلالا وعوزا وحاجة الى تغيير الواقع الراهن الى واقع أفضل ، ان تدافع عن مصالحها وأفكارها ومستقبل حياتها . وليس فى هذا انتقاص لوطنيتها ومصريتها ، بل لعل العكس هو الصحيح تماما . فالقضاء على الاستغلال ودفع عجلة التنمية الشاملة ورفع المستوى المعيشى والثقافى للجماهير الشعبية ، هو الوطنية الحقيقية . اذ يدعم من قدرات مصر ويغنى طاقاتها ويسعد أهلها ويقوى من ضرباتها للامبريالية والصهيونية .

واذا كان اليسار يرفض الاتجار بالوطنية وعرض « مصريته » فى السوق ، فان من صالح اليمين المتخلف أن يجنب نفسه مخاطر الادعاء باحتكار الوطنية والمصرية . ذلك ان التاريخ القديم والحديث ، يكشف عن ان مصر قامت على وادى النيل ؟

بسواعد وعرق ودماء الكادحين من أبنائها ، وكانت كل أعباء وتضحيات تحريرها من الغزو الاستعماري من نصيب القوى الوطنيـة والتقدمية وحـدهم ، في حين جنى اليمين وحده ـ تقريبا ـ كل الثمرات .

ولو أخذنا حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ مثالا ، فان الدماء التي سالت من أجل العبور ، ليس فيها قطرة واحدة من دم يميني متخلف . بل كلها لمناضلين من أبنـاء الفلاحين والعمال والبرجوازية الوطنية . وعندما يأتي ، اليوم ، اليمين المتخلف ليبـيع بسفيته الاستغلالية على بحر هذه الدماء ، في محاولة للعبور الى الثراء الفاحش والطفيلي ، فانه يتنكر أول ما يتنكر لمصر المقاتلة .

واليمين المتخلف ، لا يستحي من أن يتهم اليسـار اليوم بالعروبة . وتناسى حملته الهستيرية بالأمس ضد اليسار بأنه ضـد العروبة ومعـادى للوحـدة العربية » ما الذي حدث ؟

ان اليمين ، بالأمس ، كان يعتقد أن العروبة والوحدة العربية تبهدان له طريق النمو وتوسيع نطاق استغلاله من سوق محرية محدودة الى سـوق عربية أرحب وأوسع . ولكن عندما اصطدم بتفـاعل حركة التحرر العربي مع وزن وثقل حركة التحرر المصرى في اتجاه تقدمي واحد ، ارتد الى توقعه ، سـاعيا أن يفلت بمصر من دائرة حركة التحرر . وهو في هذا يطعن في الصميم « حياة مصر ومستقبلها » . ذلك ان مصر العربية ، مصر الفلسـطينية ، مصر اليمنية ، مصر الجزائرية ، مصر السورية .. هي مصر الجماهيرية التقدمية القادرة على تخطى التخلف وتوفير حياة الانسان لكادحيها دون ما استغلال .

والواقع أن اليمين بفلسفته السياسية المعاصرة ، لا يكشف عن افلاسه وحسب ؟ وانما يطرح على الرغم منه أمام الجماهير ، قضية الخيـار بين مصر الالفي عاملة ومصر المليين من العمـال والفـلاحين والمثقفين والجنود .. بين مصر الصـغيرة الضعيفة الانكماشية ، ومصر العربية القوية المنفتحة على وطنها .

في مواجهة هذا الخيار نقول ، نحن اليسـار ، من مواقعنا الوطنيـة التقدمية ؟ محرومون ؟ نعم .. لكن عرب وتقدميون ، ولو كره اليمين المتخلف الذي يسـبح هنا ضد التيار في بحر التاريخ الانسـاني .

اجـــابـــات
على رســـالة الرئيـــس

الى مجلس الشعب
ومجلـس الوزراء

الرسالة التى وجهها الرئيس انور السادات فى ٤ فبراير الى مجلس الشعب ومجلس الوزراء كانت ـ فى الواقـع ـ تحـذيراً من خطـورة التوترات الاجتماعية التى تنشـأ عن زيادة الثراء من جانب ، وتفاقم المتاعب الاقتصادية من جانب آخر ، من جانب الجماهير الشعبية .

واذا كانت الدوائر الرجعيـة قـد تجـاهلت ـ موضوعيا ـ مضـمون هـذه الرسـالة ، فان « الطليعة » ، من جانبها ، تحاول ان تقدم فى هـذا العدد دراسة حول الافكار الرئيسية التى تضمنتها الرسالة .. وهذه الدراسة تشتمل على قسمين :

[١] قسم نظرى : يحلل الاسـباب الجـوهرية للمتاعب الاقتصادية التى تواجهها الجماهير ، ويضع النقط فوق الحروف عندما يحدد ان بداية الحل تكمن فى اتخاذ اجراءات جذرية ضد انشـطة الرأسـمال الكبير الطفيلى من اجل وقف تأثير هذه الانشطة على الحياة الاقتصادية للبلاد .

وهـذا القسـم كتبه الدكتور فـؤاد مرسى تحت عنوان : « المهمة : مواجهة البروز الرأسمالى الكبير »

[٢] قسم عملى : ينصب على القسم الثانى من الرسالة ، وهو الخاص بالسياسة الضريبية . وفى هذا القسم يقدم عادل حسـين اقتراحـات محددة لتطوير السـياسة الضريبية خطوة الى الامـام فى اتجاه العدالة الاجتماعية .

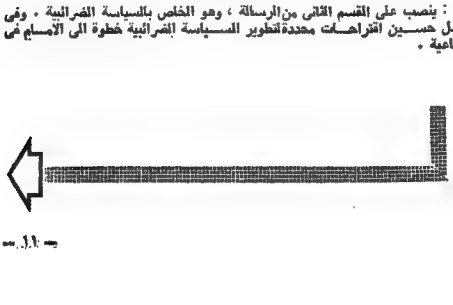

المهمـــة :

مواجهـــة الـــبروز الرأســـمالى الكبـــير

د٠ فؤاد مرسى

أعتقد أن رسالة الرئيس السادات التى وجهها الى كل من مجلس الشعب والحكومة جديرة باهتمام أكبر مما نالته حتى الان من التنظيمات السياسية وأجهزة الاعلام . ومع أن هذه الرسالة لم تدع لنفسها ما ليس من حقها ، فلقد أسرعت المحاولات من كل جانب للحد من أهميتها . قيل مثلا ان الرسالة ليست وثيقة نظرية ، وايست توجيها ملزما لدولة المؤسسات ، ولكنها مجرد ملامح واتجاهات وآراء وخطوط عريضة يناقشها مجلس الشعب والحكومة لاتخاذ اجراءات متعقلة بحيث لا تؤثر على انطلاق المجتمع ولا تثير حقدا بين طبقة وأخرى . والواقع أن الرسالة دعوة لوضع [التشريعات] التى تكفل [فى حدود القانون] تأمين بل تحقيق [السلام الاجتماعى] . هكذا تعلن الرسالة بوضوح .

فانطلاقا من واقع المشكلات الداخلية الطاحنة التى تعانى منها الطبقات الشعبية الكادحة وبخاصة الطبقة العاملة ، بينما [مظاهر البذخ تتدبذاتها على أن هناك ثروات تنمو بغير جهد] ، تحاول الرسالة تأمين بل تحقيق السلام الاجتماعى ، اعتمادا على أسس أهمها :

أولا ـ تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية بهدف ضمان الاستقلال الاقتصادى والتحسين المضطرد لمستوى معيشة الشعب .

ثانيا ـ الحرص على الاستقلال الاقتصادى ورفض التبعية الاقتصادية لاى دولة أو مجموعة من الدول .

ثالثا ـ السعى لصالح التقدم الاقتصادى لجماهير الشعب ورفض أن يكون الجهد لاثراء فئة محدودة على حساب الاغلبية الساحقة .

وهى أسس تتفق جميع القوى الوطنية على أهميتها وسلامتها وضرورتها الملحة . ومن ثم تطالب الرسالة [بتغييرات] تتحقق من خلال سبيلين محددين هما :

أولا ـ اعادة النظر فى النظام الضريبى لتصبح الضريبة [هى الاداة الرئيسية السليمة لتحقيق الاهداف الاجتماعية من تذويب للفوارق بين الطبقات ومن توفير لمتطلبات الحياة الكريمة لاوسع جماهير الشعب] .

ثانيا ـ اتخاذ مجموعة من الاجراءات المتنوعة ترسى لابراز [التكافل الاجتماعى والمساواة فى التضحيات] ، مثل تطوير نظام الزكاة ليكون مصدرا لتمويل ذاتى للقرية تنفق من حصيلته فى شئون القرية ، ومثل التأمين الاجبارى على المبانى السكنية لتوجيه جزء من حصيلته لتمويل الاسكان المتوسط ، ومثل تحديد أسعار بيع الشقق ، ومثل زيادة موارد بنك ناصر الاجتماعى لمد التأمينات

الى فئات محرومة منها ، ومثل مصاعفة المقاولين ومتعهدى التوريد مع الحكومة والقطاع العام فى هذا التأمين ، ومثل سرعة تطبيق قانون الكسب غير المشروع ، ومثل تعديل نظام المحاكمات التأديبية ، ومثل عدم التردد فى توزيع أى سلعة ضرورية بالبطاقة .

ولا يمكن لاى وطنى أن يعترض على مطلب عريض ، مثل تحقيق العدالة الاجتماعية ، ولا على اعادة النظر فى النظام الضريبى ليصبح اكثر فعالية ، ولا على الاجراءات المتنوعة التى يمكن ان تعالج جوانب معينة اجتماعية او مالية او اقتصادية من مشاكلنا المتفاقمة . ولقد كان يمكن تجنب كثير من المشكلات الراهنة لو كان قد طبق فى البلاد منذ البداية نظام سليم **لاقتصاد الحرب** يكفل عدالة توزيع الاعباء بين الطبقات على أساس المساواة أمام التضحيات ، ولا يسمح منذ البداية لاى فئة ان تستغل ظروف الحرب لتثرى على حساب آلام الاغلبية الساحقة من المواطنين . ولكن الامور سارت منذ البداية على غير هذا النهج ، وتطورت الاوضاع فيما بعد بحيث أصبحت تستدعى ـ بلا ابطاء ـ اتخاذ اجراءات جذرية لتذويب الفوارق بين الطبقات وتوفير متطلبات الحياة الكريمة لاوسع جماهير الشعب ، ، وعلى الرغم من كل أهمية الرسالة التى وجهها **الرئيس السادات** فلم تعد الضريبة تكفى لتصحيح الاوضاع .

فمشكلة المشاكل فى مصر لا تنحصر فى أن هناك غلاء فاحشا أو فسادا مستشريا ، أو أن مستوى معيشة الجماهير الشعبية يتدهور بسرعة نحو الجوع ، أو أن دخولا طائلة تتدفق بلا جهد على فئة محدودة بينما البلاد كلها تعانى من استمرار بقتضيات الحرب ومطالب التعمير . فهذه فى الحقيقة اعراض وآثار ونتائج للمشكلة . ان مشكلة المشاكل هى أن هناك وضعا اجتماعيا معينا صار يولد كل يوم وكل ساعة بل وكل دقيقة هذه الاوضاع التى نشكو منها . ولم يعد يجدى أن نواجه اعراضه وآثاره ونتائجه من غير أن نتصدى له هو نفسه . وهذا الوضع الاجتماعى يتمثل فى أن هناك طبقة عليا جديدة قد نمت وصار لها وجودها المحسوس ، بل صارت لها تطلعاتها لفرض سيادتها على المجتمع بأسره . وتلك هى المشكلة الام فى بلادنا ـ لانها تقف مباشرة ضد أسس العمل الوطنى التى حرصت عليها الرسالة وهى : التنمية الاقتصادية والاستقلال الاقتصادى والتقدم الاجتماعى ».

هنـاك رأسمالية كبـيرة جديدة

ومن الانصاف ان نقول ان هذه المشكلة ليست بنت اليوم ، وانما لها تاريخ يرجع فى النهاية الى الوقت الذى اتخذت فيه الثورة اجراءات بولية ١٩٦١ وما بعدها . ففى ذلك الوقت نجحت الثورة فى توجيه ضربة قاصمة للسيطرة الطبقية للرأسمالية ، وذلك بتصفية أهم مراكز الرأسمالية الكبيرة فى الصناعة والتجارة ، وكانت الملكية الكبيرة الاقطاعية قد صفيت من قبل فى الزراعة ، ولذلك عندما أعلن الميثاق حتمية الحل الاشتراكى واختار الطريق الاشتراكى لتطوير البلاد ، كان ذلك تعبيرا عن واقع اجتماعى معين أزيلت منه الطبقة العليا وهى الرأسمالية الكبيرة من مراكزها الاقتصادية وجردت من كل نفوذ سياسى . وبالطبع فتح الطريق أمام بقية الطبقات الاجتماعية وبالذات أمام الرأسمالية الوطنية ، وهى طبقة تضم الرأسمالية المتوسطة والاجزاء العليا من البورجوازية الصغيرة . وسميت عندئذ بالرأسمالية المستغلة بمعنى الا تنمو الى الحد الذى تصبح معه رأسمالية كبيرة ، والا صارت مستغلة ، ووجب عندئذ تصفيتها شأن الموقف من أى رأسمالية كبيرة . لقد كان هناك ادراك لحقيقة أن الطريق الى الاشتراكية يجب أن يمر بمراحل انتقالية عديدة ، وان جوهر هذه المراحل هو تصفية التخلف الكامن فى اقتصاد المستعمرات وبناء اقتصاد وطنى حديث يصلح قاعدة مادية للانتقال الى الاشتراكية . من أجل ذلك كان لابد من التصفية المضطردة للاستغلال الرأسمالى فى المجتمع . وكان المفهوم عندئذ أن يتم ذلك بالحد المستمر من النمو الرأسمالى ، والا هدد بروز رأسمالى يهدد عملية التحول الاجتماعى كلها .

وبالفعل كان من جراء اجراءات يولية ١٩٦١ وما بعدها أن تباطأت جدا عملية التراكم الرأسمالى فى مصر . صحيح أن أجزاء طفيلية ومضاربة قد بقيت الى جانب القطاع العام ، متركزة فى قطاع المقاولات وقطاع تجارة الجملة . وصحيح أن قيادات من القطاع العام والدولة قد نجحت فى تكوين ثروات لها مستغلة فى ذلك سلطتها الوظيفية وأوضاعها البيروقراطية ، ولقد شكلت ما سمى بعد ذلك بالطبقة الجديدة ، غير أنها كانت جميعا أوضاعا شاذة فى بيئة تلفظها وتلاحقها وتصر فى مواجهتها على مواصلة التحول الاجتماعى ».

ثم اخذت الامور تتغير . انتهت الخطة الخمسية الاولى وعجزت الثورة عن بدء الخطة الخمسية الثانية . وبدأ الهجوم على أسلوب التنمية المتحفظة الشاملة . واصطحب ذلك بالهجوم على القطاع العام وتزيين طريق التطور الرأسمالي والاقتصاد الحر والنشاط الخاص . ثم حلت الموزمبة العسكرية باعتبارها دعامة للرأسمالية ابلغ تعبير عن هزيمة الطريق الاشتراكي نفسه . وبالفعل اتسعت الحملة ، فقد انضمت لها لجزاء واسعة من الرأسمالية الوطنية التي كانت تتلمس من قبل سبل النمو الرأسمالي غير المحدود .

والواقع انه منذ تهاية الحرب العالمية الثانية — ونشاط الرأسمالية الوطنية ينمو باستمرار ، وبخاصة فيما بعد قيام ثورة يوليو . لقد تغيرت المواقع الاقتصادية للرأسمالية الوطنية ، واتسعت دائرة نشاط رأس المال الوطني . وبتصفية مراكز الاستعمار في الاقتصاد ، ثم بتوجيه الضربات القاصمة بعد ذلك للرأسمالية الكبيرة القديمة ، أصبحت الرأسمالية الوطنية قوة حاسمة في الاقتصاد ، واستمانت من أجل تعزيز مواقعها بقطاع الدولة ، كما نما الدور السياسي الذي تمارسه . وكل هذا طبيعي . فما لم توضع سياسة واعية للمد باستمرار من النمو الرأسمالي ، فلابد ان تنمو الرأسمالية . ستنمو الرأسمالية حتى من أبسط أشكال الوجود الرأسمالي ، وهو شكل الانتاج الصغير . انها عملية لا تتوقف أبدا .

ولا شك أن نمو الرأسمالية الوطنية مطلوب ومفيد ، طالما كان ذلك يجري طبقا لخطة التنمية الاقتصادية الشاملة وتحقيقا لاهداف المجتمع ككل . ولقد نمت الرأسمالية الوطنية بالفعل ، ونجحت في بناء صناعات تكميلية مساعدة لبث احتياجات حقيقية في الاقتصاد القومي . غير ان تنشيط التطور الرأسمالي بلا رقابة الخطة ، لابد أن يحدث في مجرى الاقتصاد القومي عيلبتي تركز وتمركز للثروة ، مصحوبتين بعملية تمايز اجتماعي . ومن ثم تتجمع لدى الرأسمالية الكبيرة ثروات كبيرة تضعها في مركز متميز يجعلها تعيد النظر في

نص رسالة الرئيس

نعيد نشر نص رسالة الرئيس أنور السادات التي وجهها إلى مجلس الشعب ومجلس الوزراء في ١٩٧٥/٢/٤ :

لقد عودتكم — على في اصعب الساعات — على مواجهة التحديات التي أمامنا بصدق وصراحة ، وان نحدد طريقنا من طريق المناقشة والحوار حتى نصل الى بلورة واضحة ومحكمة لهدف كل مرحلة نمر بها ، وتمكن بذلك من ان نصل الى وحدة في التفكير والهدف تكفل لنا تحديد سياستنا على اساس من الفهم المشترك .

بقينا في هذا الصديل في فترة كما قيل المرور » مواجهين حوامل اليأس والصعوبات والمرارة واستطيع شعبنا وجيشنا البطل لكل هذه التحديات مؤكدا ثقته بقدرته وايمانه بعدله وحقق العبور العظيم . واثبت الشعب انه قادر بالعمل والتنظيم والمخطيط والايمان على تخطي اكبر العقبات واثبت كذلك انه قادر — بقواه الذاتية — على الخلق والابداع والعطاء .

ونقلنا العبور الى مرحلة جديدة هي « مرحلة التحرير والتعمير والتنمية » وشاركت ورقة اكتوبر بالتفصيل التحديات الجديدة التي نواجهها في ضوء المتغيرات الدولية والتي جعلت من التنمية بالنسبة لنا قضية حياة او موت ، وطرحت سياسة الانفتاح الاقتصادي كسياسة شاملة ، تحدد مواردنا الذاتية وتوفر لها الانطلاق والحركة وتجلب اليها ما يكملها ويضاعف من فاعليتها من تمويل وخبرة خارجية مدركين ان عبء التنمية يقع اولا وقبل كل شيء على عاتقنا نحن — وان نجاحنا يكمن في قدرتنا على تحرير وتطوير أو تجميد الطاقات الانسانية المصرية هي تكمن الغلال الخفية — وتحرير بالعمل الشاق الكثير الى الانطلاق الاقتصادي والاجتماعي لبناء مجتمع الكفاية والعدل .

والآن وقد بدت معالم سياستنا ، ووضحت ابعاد التحديات التي تقابلها، أرى ان أوجز ووضوح الامسي التي يقوم عليها عملنا الوطني ، وهي :

■■ أولا : ان هدفنا الواضح منذ ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ هو تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي تضمن استقلالنا الاقتصادي وتحقق لجماهير شعبنا العريضة التحسن المطرد في مستوى المعيشة ، وهذاهو هدفنا.

■■ ثانيا : اننا نحرص على الاستقلال الاقتصادي ونرفض التبعية الاقتصادية لاي دولة او مجموعة من الدول .

■■ ثالثا : اننا نسعى لصالح التقدم الاقتصادي لجماهير شعبنا ونرفض ان يكون جهدنا لاثراء فئات معدودة على حساب الاغلبية الساحقة .

■■ رابعا : اننا نبحث باستقلال في ضوء العلم الحديث ونقدم حلولا نابعة من دراسة واقعنا المصري وملائمة للتطبيق العلمي تحت ظروفنا وبامكان مصالح الجماهير عامة .

■■ خامسا : اننا نملي بسياسة الانفتاح دعم القطاع العام وتنشيطه وتحريره من قيود البيروقراطية ورفع كفايته الانتاجية ، ونظر الى القطاع الخاص على أنه احد المكونات الاساسية لاقتصادنا .. علينا ان ننشطه ونوجهه ونوجهه نحو تنفيذ اهداف الخطة القومية ونرى للقطاع التعاوني دورا رئيسيا في الزراعة يحتاج الى دعم وتنشيط، كما ان علينا أن نحرص حرصا كبيرا على تشجيع الحرفيين الذين يطلون قاعدة جماهيرية كبيرة ويطلون ثروة قومية . وذلك بالعمل على تطوير التنظيم والآليات

علاقاتها بالطبقات المالكة القديمة،وعلاقاتها براس المال الاحتكارى الاجنبى .

وفيما بعد الهزيمة العسكرية ، جرت تنازلات لقطاعات معينة من الرأسمالية الوطنية فى صورة رفع مستمر لاسعار بعض الحاصلات الزراعية الرئيسية ، واباحة الاستيراد بدون تحويل عملة ، ووقف الانتقال التدريجى لقطاعى تجارة الجملة والمقاولات الى القطاع العام . ومع توسيع القاعدة الانتاجية ، وزيادة وزن القطاع الرأسمالى ، جرى تمايز طبقى جديد ، وظهرت فئات وقوى متميزة داخل الرأسمالية نفسها . لقد تكونت أقسام واسعة ذات طبيعة تجارية أو مضاربة او بيروقراطية ، وهى أقسام غدت تشكل رأسمالية كبيرة جديدة ، متميزة عن الرأسمالية الوطنية التى ما زالت تضم الرأسمالية المتوسطة أساسا . ولقد شرعت هذه الرأسمالية الكبيرة من ثم تعيد النظر فى المقومات الاساسية للاقتصاد القومى ، وراحت تتطلع الى العون من جانب الرأسمالية العالمية من أجل تعزيز مكانتها المحلية وفرض سيطرتها الكاملة على المجتمع المصرى بأكمله .

هكذا تبلورت فى قمة المجتمع – من جديد – فئات وأقسام عليا تشكل رأسمالية كبيرة، ذات كيان طبقى مستقل عن الرأسمالية الوطنية ، وذات اتجاهات مختلفة عنها ، وفى أحيان كثيرة متعارضة معها .

ان هذه الرأسمالية الكبيرة الجديدة تضم الان الفئات والاقسام العليا من الرأسمالية المحلية . ويساهم فى تشكيلها عنصران اجتماعيان جوهريان هما :

أولا – فئات تجارية ربوية وتجارية صناعية ، من التجار والممولين والمقاولين والوكلاء ، فى مجالات التصدير والاستيراد ، فى تجارة الجملة ونصف الجملة ، فى الصفقات العقارية ، فى المقاولات والتوريدات . وكثيرا ما يغلب الطابع الطفيلى على هذه الفئات العليا ، نتيجة لاشتغالها

العقبات التى يعانون منها فى سبيل اسهامهم فى التنمية القومية .

■■ سادسا : ان الموارد الخارجية للتمويل يجب ان تستهدف زيادة الانتاج القومى حسب الاولويات التى وضعتها الخطة . فهو وسيلة لمساعدة الطاقة المصرية فى الوصول الى اهدافها – اننا نرفض ان نفتح ابوابنا لاعمال المضاربة والصفقات العابرة التى لا يستفيد منها غير فئة قليلة وتحقق كسبا سريعا قد لا تصحبه زيادة فى الانتاج .

■■ سابعا : اننا نقيم اشتراكية على اساس الكفاية والعدل والكفاية تتحقق بكفاية الانتاج والعدل يتحقق بحسن توزيع الدخل القومى بين قوى التحالف الوطنى .

والان .. وقد تم ارساء المجتمع الجديد بعد اعلان وثيقة اكتوبر واصبحت مصر تتمتع بنظام سياسى واقتصادى واجتماعى صقلته التجارب ومنحته استقرارا وقدرة على مواجهة الاحداث وتفهم حقائق العصر فانه لابد من وضع الضوابط القانونية التى يعرف المواطن من خلالها حقوقه وواجباته بوضوح لكى يمارسها فى طمأنينة تمكنه من الانطلاق فى سبيل التنمية .

ولعلكم تذكرون اننى قلت فى بيانى الذى القيته امام مجلس الشعب بمناسبة افتتاح دور انعقاده الحالى ، ان الاستقرار السياسى هو الشرط الاول والجوهرى لاجتياز المرحلة الصعبة التى نواجهها وان الاستقرار الاقتصادى لا ينفصل عن الاستقرار السياسى اذ لا يمكن ان يعيش الانسان اذا كان قلقا على رزقه ، قلقا على مستقبله قلقا على امكانياته المادية او ما يتاح له من سلع وخدمات .

ولهذا فقد عدت وسجلت امام مجلس الشعب فى هذا البيان . المهام الست التى سجلتها فى خطاب تكليف رئيس الوزراء ، وكان من بين هذه المهام اننى طالبت بأن توضع سياسة الانفتاح كاملة موضع التطبيق دون القيود التى تعرقل حركتها ، وان يؤدى المواطن للدولة حقها ، فيقترن توفير الحافز باقرار الواجب المترتب عليه .

ولعلكم تذكرون ايضا اننى طالبت بالعمل على تأكيد الطهارة الثورية شرطا لتحمل المسئولية ومزاولة اى نشاط حتى لا يكون هناك انحراف او استغلال غير مشروع ، وبأن تختفى مظاهر البذخ التى تدل بذاتها على ان هناك ثروات تنمو بغير جهد ولا تسهم فى التنمية .

لقد ازلنا السدود والحواجز من امام امكانيات الافراد الخلاقة وبددنا المخاوف التى كانت تساور الاستثمارات الخاصة من ناحية التأميم او الحراسة، وعلينا ان نمضى فى هذا المناخ الجديد فى دفع عجلة الانتاج والتنمية وفى ارساء عدالة التوزيع ، ولقد رأيت تحقيقا لهذه الاهداف وحرصا على سلامة التنفيذ والتطبيق ومنعا لاى آثار جانبية لاى انحراف او اعوجاج وتأمينا للسلام الاجتماعى ، ان نعمل على ارساء الوسائل القانونية القادرة على تحقيق هذه الاهداف بحيث يحوى النظام القدرة على التصحيح الذاتى من خلال القانون .

ولهذا فقد رأيت ان اطرح عليكم بعض تغيرات هامة اعتقد ان الواجب يقتضى تناولها بالدرس والتقنين .

اننى اعتقد ان النظام الضرائبى يحتاج الى نظرة جديدة لتصبح الضريبة هى الاداة الرئيسية السليمة لتحقيق اهدافنا الاجتماعية من تذويب الفوارق بين الطبقات ومن توفير متطلبات الحياة الكريمة لاوسع جماهير شعبنا ، وفى سبيل ذلك ارى ان النظام الضرائبى يجب ان يحقق السياسات الاتية :

■ ان تكون الضريبة وسيلة لتوزيع الاعباء العادلة توزيعا عادلا بين المواطنين وليست مجرد وسيلة للحصول على موارد للدولة بحيث تأخذ السياسة الضريبية فى اعتبارها ظروف المواطن

بالمضاربات وأعمال الوساطة والسمسرة والتهريب والسوق السوداء ، وبخاصة فى تعاملها مع القطاع العام والدولة .

ثالثا ـ فئات بيروقراطية فى قيادات القطاع العام والدولة ، من المتعلمين الذين يحصلون على دخول عالية بفضل وظائفهم فى مواقع السلطة ، مما يتيح لهم امكانية تجميع ثروات كبيرة تعتبر راسمال بيروقراطى ، أى غير مرتبط بشكل مباشر بظروف الانتاج المادى ، ومصادره هى المرتبات والبدلات وامكانات شغل المناصب العليا ، وهذه الفئات لا تعادى جماهير العاملين فحسب ، بل تعادى أيضا الفئات الاخرى من رجال الاعمال فى القطاعين العام والخاص بقدر تعادى جميع القوى الوطنية والديمقراطية فى البلاد . وهذا تاكيد آخر لاختلاف هذه الرأسمالية الكبيرة عن الرأسمالية الوطنية سواء من حيث الطبيعة الطبقية أو من حيث الاتجاهات الفكرية والعملية .

الرأسمالية الكبيرة تستدعى الاستعمار الجديد

ومن أجل التأمين الكامل والنهائى لامتيازاتها الطبقية ، تلجأ الرأسمالية الكبيرة الى التحالف مع رأس المال الاجنبى ، أى مع الرأسمالية العالمية . وهذا هو المصدر الموضوعى لخطر ضياع الاستقلال الاقتصادى واعادة السيطرة الاجنبية ، عن مبدأ الاقتصاد الحر وتبنى الطريق الرأسمالى للتطور والتحالف مع رأس المال الاجنبى . وتلبى لعبتها الاساسية بالضغط المستمر على الرأسمالية الوطنية كيما تتمكن اليها . والواقع أن هذه الفئات العليا من الرأسمالية لا تعادى جماهير العاملين فحسب ، بل تعادى أيضا الفئات الاخرى من رجال الاعمال فى القطاعين العام والخاص بقدر تعادى جميع القوى الوطنية والديمقراطية فى البلاد . وهذا تاكيد آخر لاختلاف هذه الرأسمالية الكبيرة عن الرأسمالية الوطنية سواء من حيث الطبيعة الطبقية أو من حيث الاتجاهات الفكرية والعملية .

الرأسمالية الكبيرة تستدعى الاستعمار الجديد

ومن أجل التأمين الكامل والنهائى لامتيازاتها الطبقية ، تلجأ الرأسمالية الكبيرة الى التحالف مع رأس المال الاجنبى ، أى مع الرأسمالية العالمية . وهذا هو المصدر الموضوعى لخطر ضياع الاستقلال الاقتصادى واعادة السيطرة الاجنبية ،

كلها وان تبدد الى دخله كله والا يلفت ايراد من الضريبة وقصد فى وجه المجهول ومسائل التحاليل عن طريق توزيع عناصر القوة والدخل على أفراد الاسرة الواحدة .

وتقدر فى ذلك ازكل زيادة فى الدخل تزيد من قدرة صاحبها على البذل والعطاء ، وان عبء الضريبة لابد وأن يتناسب مع مستوى الدخل الذى يتحدد تاكيدا لمبدأ العدالة الضريبية .

■ ان تكون الضريبة وسيلة للحد من تضخم الثروات بما يضمن عدالة فى توزيع الدخل القومى . وادادة لتقريب الفوارق بين الطبقات الامر الذى يتطلب ضرورة التفكير فى تقرير ضريبة على الارباح الرأسمالية التى تحقق من زيادة قيمة بعض الاصول دون اى جهد مبذول . فهذه الزيادة اضافة غير متوقعة لكل انها نتيجة تغيرات الظروف وحدها ، ومن ثم فيجب ان يكون للدولة حق فيها ، ولكن هذه الضريبة غريبة للتضامن الاجتماعى مقابل ما تضيفه هذه الثروة على صاحبها من مزايا اجتماعية ولقاء تامين الدولة لما يبقى له منها ، وكفالة حقه فى التمتع بها .

■ ان تكون الضريبة وسيلة للحد من مظاهر البذخ والانفاق نحو الاستهلاك الترفى ، وحافزا على الاستثمار المفيد ، ان الانفاق فى مثل هذه الحالات يمكن ان يكون وعاء للضريبة ، بان تزاد الرسوم والضرائب غير المباشرة على السلع الكمالية والخدمات الترفيهية وان تخفض او تلغى على السلع الضرورية حتى لا لتحول عبئها الى غير القادرين .

■ ان يوضع نظام محكم لتحصيل الضرائب وضمان عدم التهرب من ادائها بما يؤدى الى رفع الطاقة الضريبية لما تجبيه الدولة . فقد جعل دستورنا من أداء الضرائب والتكاليف العامة واجبا قوميا ، والاخلال بهذا الواجب يرتفع الى مرتبة الخيانة الوطنية التى يجب ان يقابلها التشريع باشد العقاب .

ان التهرب من الضريبة يهدد حساب الموارد المتوقعة ويؤثر على تنفيذ خطة التنمية ، فضلا عن انه يولد دخولا تنفق بطبيعتها على الاستهلاك ومظاهر الترف وتخلق خلك مشاكل اقتصادية واجتماعية .

واذا كانت السياسة الضريبية التى اطلب من المجلس والحكومة ان يعيدا النظر فيها وفق الاهداف والاسس التى بينتها ، قد تكون وسيلة لتحقيق السلام الاجتماعى والعدالة فى توزيع الاعباء ، فان هناك حلولا اخرى يجب التفكير فيها .

نقد لاحظت احتمام مجلس الشعب فى الرد على بيان الحكومة من ايجاد تمويل ذاتى للقرية ينفق من مصادر تفى شئون القرية نفسها ، ويؤدى حصيلة مساهمة أهل القرية ، وهو اقتراح يمكنكم المضى فى دراسته ووضعه فى اطاره الصحيح ، وفق احكام الشريعة الاسلامية التى جعلت الزكاة فرضا يحقق التكافل والتضامن الاجتماعى .

وفى هذا الاطار ايضا القائم على التضامن الاجتماعى يمكن التفكير فى تشريع يقون المنتفعين الاجبارى على المبانى السكنية التى زيد قيمتها على حد معين وتوجيه جزء من حصيلة هذا التامين للاكتتاب فى سندات الاسكان التى تزمع الحكومة باصدار لتمويل الاسكان المتوسط ، كما يمكن ان يتناول التشريع كيفية تحديد اسعار بيع الشقق من طريق لجان تقدير الايجارات او باية وسيلة أخرى تحول دون المضاربة فيها .

كما يجب ان هذا الاطار ايضا أن نعمل على زيادة موارد بنك تسليف الاجتماعى ليتوسع فى تقديم نوع من التامين أو المعونة المثلة التى حالات محرومة فى مجتمعنا من مظلة التامينات الاجتماعية ، ومن هذا قانه يمكن للتشريع ان ينظم طريقة مساهمة المقاولين ومتعهدى التوريد الذين يتعاملون مع

لان التحالف بين الرأسمالية الكبيرة المحلية وبين الرأسمالية العالمية يشكل بالدقة جوهر الاستعمار الجديد .

فالاستعمار الجديد هو محاولة من النظام الرأسمالي العالمي للابقاء على الرأسمالية كنظام عالمي ، سواء بتأكيد معالم بقاء البلدان النامية في اطار السوق الرأسمالية العالمية ، أو بتشجيع معالم التطور الرأسمالي داخل البلدان النامية نفسها . فالواقع أنه على الرغم من التحرر السياسي للبلدان النامية ، فان معركة التحرر الاقتصادي ما زالت تجرى في ظروف جديدة بالغة الدقة ، فالاستغلال الاقتصادي الذي كان يتم ويجرى في الماضي من قبل البلدان الامبريالية للبلدان النامية ما زال قائما بعد ، بل يتم توسيع نطاقه أحيانا . وما زالت الامبريالية تتمتع بكثير من الوسائل للتأثير على اقتصاديات البلدان النامية ، مستغلة في ذلك نظام العلاقات الاقتصادية الدولية التي تكونت في الماضي . ان مهمة فرض الجزية الاستعمارية واستخلاصها لم تعد موكلة بأيدي قوات الاحتلال العسكري ولا بأجهزة ونظم القهر السياسي ، وانما صارت موكلة بأيدي القوانين التلقائية للاقتصاد الرأسمالي العالمي . ومن ثم يكفي لتأكيد طابع التبعية الاقتصادية وجود هيكل اقتصادي صناعي ومالي وتجاري يهيء ظروف التبعية للامبريالية العالمية . من هنا حرص الرأسمالية العالمية على تطوير ، بل وأحيانا زرع العلاقات الرأسمالية في البلدان النامية ، وتأكيد معالم النمو الرأسمالي والحرص على وجود رأسمالية كبيرة فيها .

ومن هنا أيضا حرص الرأسمالية الكبيرة المحلية على استدعاء الاستعمار الجديد . ولهذا تركز هذه الرأسمالية الكبيرة على ضرورة فتح أبواب الاقتصاد المصري أمام الرأسمالية العالمية . ولدى هذه الرأسمالية العالمية الان استعداد موضوعي لتصدير بعض الصناعات الدنيا الى البلدان النامية ، وهي الصناعات البسيطة تكنولوجيا ، والصناعات الكثيفة العمالة بمشاكلها الاجتماعية الملتهبة والصناعات الملوثة للبيئة .

الحكومة والقطاع العام في المساهمة في هذا النوع من التأمين .

لقد لاحظت اهتمام مجلسكم باتخاذ الاجراءات التي تكفل معالجة الثغرات التي كشف عنها التطبيق في قانون الكسب غير المشروع ، واني ارى ان تبدأ فورا اللجان المختصة بوزارة العدل في فحص القرارات الذمة المالية لكل القيادات التنفيذية والتشريعية والسياسية وان توفر لها الحكومة ما تحتاج اليه من خبرات فنية بحيث تنتهي من هذه المهمة خلال العام الحالي . انني اعرف تماما ان نسبة الانحراف في القيادات محدودة ، ولكن سمعة البلاد في الداخل والخارج تقتضي سرعة تطبيق قانون الكسب غير المشروع لتحديد الفئة المنحرفة ومجازاتها وفقا للقانون . وبهذا ندعم الثقة في اقتصادنا ونرفع عن القيادات — لاسيما في مواقع الانتاج — عقدة الخوف من اتخاذ القرارات خشية الاتهام بالانحراف .

كذلك لقد تابعت ما دار بمجلس الشعب من اهتمام بتعديل نظام المحاكمات التأديبية على نحو يضمن سرعة البت في اجراءات التأديب في حالات التقصير او الاهمال او الانحراف حتى لا يظل الجزاء التأديبي معلقا على اجراءات الفصل في الدعوى الجنائية وبهذا تسير اجراءات العقاب جنبا الى جنب مع التوسع في نظام الحوافز وتحقيق المرونة في تطبيقه .

وكلها اقتراحات يجب أن تأخذ طريقها التشريعي الذي رسمه الدستور .

ان مجتمعنا وهو يتقدم عبر الصعاب الجمة لابد ان يصادف بعض الظواهر غير الصحية . ولكن علينا ان نتيقظ دائما لتلك الظواهر ونسعى لاستئصالها اولا بأول وذلك عن طريق تدعيم نظامنا بالوسائل القادرة على التصحيح في اطار القانون والعدالة .

ان شعبنا قادر على مواجهة المرحلة الصعبة التي نمر بها وهي : « مرحلة التحرير والتنمية » على اساس المساواة في التضحيات . وتقع على الحكومة المسئولية الاولى في توفير السلع الضرورية للاستهلاك الشعبي في حدود الامكانيات المتاحة . وليكن معروفا تماما انه ليس متاحا لنا ان نغرق الاسواق من السلع . وفي هذا الشأن يجب عدم التردد في توزيع اي سلعة ضرورية بالبطاقات لضمان عدالة التوزيع في حدود الكميات المتاحة .

انني اطلب من الحكومة ان تتقدم بالتشريعات المطلوبة لتحقيق الاجراءات الضرورية لتأمين مسارنا ، كما اطلب من مجلس الشعب والتنظيم السياسي واجهزة الاعلام والمنظمات الشعبية القيام بدورها لتحقيق الهدف الوطني في هذه المرحلة .

ان طريقنا سوى لا التواء فيه ولا انحراف عنه ، طريق قوى الشعب العامل الذي يمارس حقوقه وواجباته التي كفلها الدستور . اننا نسعى باستمرار على استكمال دولة المؤسسات وتطوير نشاطها لتكون دعامة صالحة لممارسة الديمقراطية وتعدد الاتجاهات . ونحن نطور الاتحاد الاشتراكي العربي ليكون مبدانا للاجتهاد في الرأي والتعبير عن مشاكل مختلف قوى التحالف .

ان الشعب الذي تغلب على الهزيمة وتخطى في طريقه للنصر كافة العقبات ، لقادر على مواجهة المرحلة الحالية والاستجابة لتحدياتها بثقة وايمان بل وبنفس الحكمة والشجاعة التي واجهنا بها العدوان .

ان طريقنا واضح واسلوبنا واضح وعلينا ان ننطلق الى تحقيق اهدافنا في معركة التحرير والتنمية ما دمنا قادرين على العمل معا بايجابية وصمود وتماسك وسوف يكون النصر حليفنا باذن الله .

وهى على استعداد لتقديم هذا القدر من التصنيع فى اطار معونة مالية وفنية لها ثمنها المزدوج . لها ثمنها الاقتصادى وهو تأمين تدفق المواد الخام الاستراتيجية اليها وفى مقدمتها البترول . ولها ثمنها السياسى وهو توطيد معالم التطور الرأسمالى فى البلدان النامية . وعندئذ تتحقق العلاقة صورة المشاركة بين رأس المال الاجنبى ورأس المال المحلى ، بحيث تتم التنمية المطلوبة لحساب فئة خاصة هى الرأسمالية الكبيرة المحلية والرأسمالية العالمية . ومن ثم تضغط الرأسماليتان من أجل اعادة النظر فى أساليب التخطيط وفى الدور القيادى للقطاع العام تمهيدا لاعادة النظر فى الطريق الاشتراكى كله .

وفى سبيل استعادة مصر فى اطار النظام الرأسمالى ، يمكن الحاق أبلغ الضرر بكل قضايا التنمية الاقتصادية والاجتماعية والاستقلال الاقتصادى والتقدم الاجتماعى وحتى بالتطور الديمقراطى . ان رأس المال الاجنبى يشكل عندئذ بمشروعاته مع الرأسمالية الكبيرة اقتصادا قائما بذاته داخل الاقتصاد القومى ، يتمتع باعفائه من كافة قوانين مرحلة التحول الاشتراكى ، ويمكنه ان يتحول الى قطاع قائد لا بجهده ولكن بنوعيته ونفوذه ، لكنه يمكن أن يستنزف الفائض الاقتصادى للبلاد ويكون وسيلة لتسريب مواردنا الى الخارج ، ومن ثم يصبح أداة لتكريس التبعية الاقتصادية ازاء الخارج ، فى الوقت الذى يمكن الرأسمالية الكبيرة من تحقيق ثروات هائلة تعمق الفوارق بين الطبقات ومظاهر التفاوت الاجتماعى ، ويفتح السبيل أمام اعادة النظر فى الهيكل السياسى نفسه .

من هنا التركيز على قضية الانفتاح الاقتصادى . وهى قضية تؤكد الخلاف الجوهرى بين الرأسمالية الكبيرة والرأسمالية الوطنية . فبينما ترى الرأسمالية الكبيرة فى الانفتاح بابا لاستعادة مصر فى اطار الرأسمالية محليا وعالميا ، ترى فيه الرأسمالية الوطنية محاولة لمواجهة أزمة تمويل التنمية الاقتصادية وذلك بجذب رأس المال الاجنبى والعربى مع الحفاظ على الاستقلال الاقتصادى . انهما اتجاهان كامنان داخل صفوف الرأسمالية المحلية يجب التمييز وعدم الخلط بينهما بأى حال .

من هنا ترحب بالتحديد الجديد الذى جاءت به رسالة **الرئيس السادات** فى موضوع الانفتاح الاقتصادى . فقد عرفت الرسالة سياسة الانفتاح بأنها [سياسة شاملة تعبىء مواردنا الذاتية وتوفر لها الانطلاق والحركة وتجلب لها ما يكملها ويضاعف من فاعليتها من تمويل وخبرة خارجية ، مدركين أن عبء التنمية يقع أولا وقبل كل شىء على عاتقنا نحن] . ومن ثم يصبح التمويل الخارجى مجرد اضافة الى مواردنا الذاتية . وحددت الرسالة مهمة هذه الاضافة الخارجية بأنها [زيادة الانتاج القومى حسب الاولويات التى وضعتها الخطة] . وهو تحديد بالغ الاهمية . ومن الضرورى بالتالى أن تترتب على هذا التحديد الجديد كله نتيجتان هامتان : **الاولى** ، أن يكون تمويل استثمارات الخطة الاقتصادية بالاعتماد أولا وقبل كل شىء على مواردنا الذاتية ، لا أن تكون الموارد الخارجية هى الاساسى فى التمويل ، ومن ثم فان المهمة الاولى يجب أن تكون هى البحث عن الموارد الذاتية ، وكيفية تعبئتها ، ليس فقط بالضريبة ، وانما بكافة الوسائل الفعالة لتعبئة ، **والثانية** ، **أن لا تمول الموارد الخارجية سوى** مشروعات انتاجية واردة فى الخطة ، وبطريقة لمساهمة أجنبية فيها . وعندئذ يحسن أن يكون شريكها هو القطاع العام .

الرأسمالية الكبيرة تتقاسم مشاكلنا

لكن الرأسمالية الكبيرة ، وهى رأسمالية طفيلية ، تعرف الانفتاح بأنه حرية النشاط الرأسمالى وحرية الاستغلال الرأسمالى وحرية الاندماج بين رأس المال المحلى ورأس المال العالمى . ومن ثم تضيق بكل ما يقى من أشكال التنظيم والتوجيه والتخطيط ، وتعتبرها قيودا على حريتها المزعومة . وهى لا تقف موقف المتفرج مما يجرى ، بل تدفع الامور دفعا كيما تفرض نمط وجودها وأسلوب حياتها ونظم قيمها على المجتمع ، تمهيدا لفرض سيطرتها الاقتصادية والسياسية عليه . وهكذا تقاقم من مشاكلنا . ان قدرا كبيرا من مشاكلنا يرجع الى الدور الذى تلعبه هذه الرأسمالية الطفيلية فى حياتنا الاقتصادية والاجتماعية .

أولا ـ فمشكلة السوق السوداء ، مشكلة **استغلال الغلاء** ، ترجع فى قدر كبير منها الى موقف الرأسمالية الكبيرة الطفيلية ، وبالذات الى عمليات التهريب وسلسلة الوساطة فى التوزيع ، ثم الى اباحة الاستيراد للقطاع الخاص والغاء التدريجى لاحتكار الدولة للتجارة الخارجية ، ومن ثم عادت السوق المصرية مفتوحة على السوق الرأسمالية العالمية تفضل أن تصدر اليها بدلا من السوق الاشتراكية ، وتفضل أن تستورد منها ، فتستورد منها التضخم والغلاء راسب الى الداخل . ونحن نعلم أن معدلات التضخم فى عام ١٩٧٤ قد ارتفعت بمعدلات قياسية فى كل البلدان

الرأسمالية الكبرى : بمعدل ٢ر١٢ فى المائة فى امريكا ، ١٤ر٩ فى المائة فى فرنسا ، ١ر١٩ فى المائة فى بريطانيا ، ٢ر٢٥ فى المائة فى ايطاليا ، ٥ر٢٦ فى المائة فى اليابان . وهذه المعدلات تتضاعف عند الاستيراد ، فأسعار سلع مثل القمح والسكر والصلب والخشب ومواد البناء والكيماويات والاجهزة الكهربائية قد تضاعفت مثلا من عام ١٩٧٢ الى عام ١٩٧٣ ، ولقد واصلت ارتفاعها خلال العام الماضى . وتعكس أسعار الاستيراد التى ندفعها استيراد الضغوط التضخمية فى البلدان الرأسمالية وما يتبعها من استيراد لارتفاع أسعار السلع الصناعية . ولقد زادت من هذا الارتفاع أيضا الزيادات التى حدثت فى أسعار البترول وبعض السلع الاخرى مثل الحبوب والاسمدة . ثم يضاف الى ذلك كله بالنسبة لنا ، ان الطعام يشترى بالقروض القصيرة الخارجية التى تصل اعباؤها الى ١٩ فى المائة ، ونظل راجية السداد خلال ١٢ شهرا على الاكثر . وكل هذا يفترض اننا نستورد من خلال نظام الدولة للتجارة الخارجية وبأجهزتها ، مستخدمين الحصص النقدية المخصصة للاستيراد . اما اذا تم الاستيراد عن طريق القطاع الخاص فان الامر يزداد تفاقما . فاذا حسبنا أسعار السلع نفسها عندما تستورد على حساب السوق الموازية تبين لنا كيف تزيد الاسعار منذ البداية عند شباك الميناء بنحو ٦٠ فى المائة ، ثم تتوالى الزيادات حسب سلسلة الوساطات والعملاء والعمولات وشدة حاجة السوق والمشترين . والسوق الموازية هى فى النهاية سوق رسمية تلجأ اليها الرأسمالية الطفيلية لتكيف يكون الحال عندما تلجأ الى السوق غير الرسمية للاستيراد ؟

**ثانيا ـ ومشكلة الفساد والانحراف ترجع هى الاخرى فى قدر كبير فيها الى الدور الذى تلعبه الرأسمالية الكبيرة الطفيلية فى حياة المجتمع . فالفساد والانحراف ليسا مشكلة اخلاقية ، بل هما وضع اجتماعى له مضمونه الاقتصادى الصريح . انهما وضع طبقى فى الاساس ناشىء عن مجموعة القيم الاجتماعية التى تفرضها الطبقة العليا السائدة ، وهى الان هذه الرأسمالية الطفيلية ، ان الفساد ينشأ دائما من اغراء الملكية الخاصة . لكنه يستشرى عندما يكون هو بالذات أسلوب وجود وحياة وتطور الطبقة العليا . فالرأسمالية الطفيلية بوجودها غير المشروع ، بنشاطها ونموها وأسلوب انجاز اعمالها وضخامة أرباحها وسهولة الحصول عليها وأسلوب ونمط استهلاكها وارتباطاتها الداخلية بالدولة والقطاع العام وعلاقاتها برأس المال الاحتكارى الاجنبى ، هذه الرأسمالية لايمكن الا ان تنشر وتكرس الفساد والانحراف فى كل مكان . فالسمسرة والوساطة والمضاربة تصبح فى المثل الاعلى للنشاط الاقتصادى ، وتصبح العمولات هى الصورة المثلى للدخل . وعندما تختل القيم الاجتماعية لمام الاجيال وعندما تصبح قيمة رأس المال فوق كل قيمة بما فيها قيمة العمل ، وعندما تصبح الملكية الخاصة موضع التمجيد الاجتماعى ، وعندما تستطيع الفئوذ أن تشترى كل شىء ، وعندما تتسع الهوة وتتعمق بين الطبقات ، يصبح الفساد والانحراف أسلوبا اجتماعيا سائدا ، ويتسرب حتى الى صفوف الطبقات الشعبية نفسها . فالجميع تستولى عليه عندئذ التطلعات الى الحياة الحلوة السهلة .

وتساعد على استشراء الفساد ظروف معينة : **اولها** ، غيبة الرقابة الشعبية من قبل الجماهير المنظمة فى تنظيماتها النقابية والسياسية ، فميزة الديمقراطية هنا انها حتى اذا حدث الفساد أو الانحراف فانه سرعان ما يكتشف ويقاوم . ويمكن عندئذ الحد منه . **وثانيها** ، غيبة سلطة الدولة ، أو عدم الاحساس بوجود سلطة عليا فى المجتمع، تحول دون بعثرة المال العام . وتنزل العقاب الرادع بالمخالفين ، عند اكتشاف السرقة او الاختلاس أو الرشوة ، وتضع حدا للتواطؤ المالى بين أجهزة الدولة والقطاع العام وبين الرأسمالية الطفيلية .

وطالما كانت الرأسمالية الطفيلية هى التى تحدد لنا القدوة وتضرب المثل ، فان الكسب غير المشروع يصبح هو الكسب المشروع . وتستحيل عندئذ مطاردة الكسب غير المشروع من نفس غير مطاردة الرأسمالية الطفيلية هى نفسها . فهى المصدر الرئيسى لافساد الحياة الاجتماعية بأسرها .

الضريبة وحدها لا تكفى

لكل هذا تصبح المسألة الملحة هى تحديد الموقف تحدد رسالة **الرئيس السادات** أن المطلوب هو من هذه الرأسمالية الكبيرة الطفيلية ، وعندما تحدد رسالة **الرئيس السادات** أن المطلوب هو تأمين بل تحقيق السلام الاجتماعى ، وعندما تلح على هدف تذويب الفوارق بين الطبقات ، فهى انما تحدد الحجم الحقيقى للمشكلة الاجتماعية . فالمطلوب فعلا هو اجراءات قادرة على تحقيق السلام الاجتماعى ، حتى ينطلق المجتمع الى

تحقيق اهدافه فى التنمية الاقتصادية والاستقلال الاقتصادى والتقدم الاجتماعى .

ولا نعتقد ان الضريبة وحدها تكفى لتحقيق المطلوب . ان الرسالة تحدد بوضوح ان الضريبه يجب أن تكون وسيلة لتوزيع الاعباء العامة توزيعا عادلا بين المواطنين ووسيلة للحد من تضخم الثروات بما يضمن عدالة فى توزيع الدخل القومى ، ووسيله للحد من مظاهر البذخ والاندفاع نحو الاستهلاك الترفى وحافزا على الاستثمار المنتج . وكلها لامور واجبة ومفيدة . وقد تنجح عملية تصحيح النظام الضريبى فى الحصول على موارد جديدة . وقد تستخدم هذه الموارد فى التخفيف من حدة التفاوت الاجتماعى . لكن يظل مصدر الداء قائما ، نعالج معالمه واثاره ونتاجه فحسب . وفى سبتمبر ١٩٥٢ واجهت الثورة الوليدة مشكلة مماثلة ، عندما رأى مجلس الثورة معالجة التفاوت الاجتماعى بالاصلاح الزراعى ، ورأت الحكومة عندئذ الاكتفاء بالضريبة . وحسمت الثورة الموقف باصدار قانون الاصلاح الزراعى .

والواقع ان نظامنا الضريبى متخلف ، ليس فقط عن احتياجات بلد نام فرضت عليه أعباء أربعة حروب خلال ربع قرن ، وانما حتى عن المتخلف به فى أى بلد رأسمالى . وفيما يلى جوانب من هذا التخلف الصارخ :

أولا ـ ان نظامنا الضريبى لا يعبىء فى أحسن الفروض سوى ٤٥ فى المائة فقط من الفائض الاقتصادى ، أى أقل من نصفه . وتبقى بالضرورة مشكلة البحث عن كيفية تعبئة النصف الباقى . وليست الضريبة انجع الوسائل دائما فى تعبئة المدخرات . ان عبء الضرائب المصرية منسوبا الى الانتاج القومى يتراوح بين ١٢ فى المائة و ١٤ فى المائة بينما يصل هذا العبء فى اسرائيل مثلا قبل حرب أكتوبر الى ٣٥ فى المائة ، ولقد زاد بعدها .

والواقع انه بعد الاصلاح الزراعى ، ونشأة وتطور القطاع العام واتساع دائرة التأميمات الاجتماعية ، اتجه التمويل بالضريبة الى الانخفاض . ومن هنا استفحال مشكلة التمويل باستمرار . وتتمثل مشكلة التمويل فى قصور معدل الادخار (الاختيارى والاجبارى) عن تمويل الاستثمارات . ان تحقيق معدل نمو سنوى يبلغ ٧ فى المائة كان يتطلب فى الخطة الخمسية الاولى معدل ادخار يبلغ ٢٠ فى المائة . ومع ذلك فقد بلغ بالفعل نحو ١٣ فى المائة ، بينما بلغت معدلات الاستثمار نحو ١٧ فى المائة بعجز بلغ ٤ فى المائة ، ارتفع فى السنة التالية للخطة الى ٦٫١ فى المائة . وقد تم تمويل هذا العجز بالاعتماد على الموارد الخارجية التى بلغت نحو ثلث اجمالى المدخرات المحلية ، لكشف ذلك عن نمو فى الاستثمارات لم تغذيه رغبة مناظرة لدى الطبقات المالكة فى تمويل هذه الزيادة فى الاستثمار . كان هذا فى الخطة الخمسيه الاولى ، واليوم عندما وضعت الخطة الانتقالية ، اعتمدت نسبة استثمارات تبلغ ٢٧ فى المائة من اجمالى الناتج المحلى ، بينما تدورت المدخرات الى نسبة ٨٫٣ فى المائة فقط . ومن ثم اعتمدت الخطة على الموارد الخارجية فى حدود ١١٠٠ مليون جنيه ، تمثل نحو ثلاثة امثال المدخرات المحلية . وكان القطاع العام يقدم حتى وقت قريب ٩٠ فى المائة من المدخرات المستثمرة . وعندما تعتفل مشكلة التمويل الى هذا الحد تصبح التنمية الاقتصادية وحتى مشكلة الغذاء نفسها تحت رحمة الموارد الخارجية . وعندما تتعثر هذه الموارد الخارجية نفسها يكون الاعتماد بالضرورة على التمويل المصرفى لسد الفجوة الادخارية .

ثانيا ـ ان النظام الضريبى ينحاز انحيازا تاما لصالح الضرائب غير المباشرة التى زادت اهميتها . فعلى الرغم من زيادة معدلات كثير من الضرائب وادخال الضريبة العامة على الايراد ، فمازالت الضرائب غير المباشرة من ضرائب ورسوم سلعية وخدمات واتاوات تشكل مع فروق الاسعار قرابة الجانب الاساسى (اكثر من ٥٠ فى المائة) من الايرادات الجارية للحكومة ونحو ٦٥ فى المائة من جملة ايرادات السيادة . وهى نسبة تجعل تمويل الخدمات يقع على كاهل أصحاب الدخول الوسطى والدنيا ، الذين تمس هذه الضرائب دخولهم الحقيقية فى الصميم . يقابل ذلك ان الضرائب على الدخل والثروة ضئيلة ، حصيلتها أقل من حصيلة فروق الاسعار وحدها ، وهى لا تشكل الا نسبة ضئيلة من الناتج القومى تتراوح بين ٣ فى المائة و ٤ فى المائة . وهى نسبة لم تتغير كثيرا منذ عام ١٩٣٩ . هذا بينما استطاعت دخول كثيرة أن تنأى عن الضريبة ، مثل الدخل من الاستغلال الزراعى ، بينما تهربت دخول أخرى بالكامل مثل أرباح البضائع المهربة وأعمال المقاولات وخاصة مقاولى البناطن وبناء العقارات وشراء الارض الفضاء وأعادة بيعها ، وتأجير الشقق المفروشة . وأصبح المواطنون العاملون فى الدولة والقطاع العام وصغار المنتجين والتجار هم وحدهم الذين يتحملون الجزء الاكبر من العبء الضريبى . لماذا أضيفت التأميمات الاجتماعية ،

تبينا أن العمل هو المصدر الاساسى لتمويل الدولة بالمدخرات الاجبارية . وتدل البيانات على أن ٨٦ ٪ من مواطن فقط هم الذين تنطبق عليهم ضريبة الدخل العام ، ومع ذلك فان نصفهم من العاملين فى الدولة والقطاع العام . كما تشير البيانات نفسها الى ان ٣٥ فى المائة من مجموع الموظفين يتهربون من الضرائب .

ثالثا ـ ان النظام الضريبى يحابى **ملاك الأراضى وراسمالية الريف** . فحصيلة الضرائب فى الريف ، من ضريبة أطيان وضريبة أمن وضريبة دفاع لا تمثل سوى ٤٫٥ فى المائة من حجم الناتج الزراعى كله . وبينما تخلف القطاع الزراعى عن تحقيق معدلات النمو التى وضعتها له الخطط المختلفة ، مما أدى الى زيادة الاعتماد على الواردات حتى لتغطية الطلب على المواد الغذائية ، اتجهت حصيلة ضريبة الاطيان والمبانى للانخفاض وهبطت نسبتها الى جملة الضرائب والرسوم من ٩٫٥ فى المائة فى بداية الثورة الى ٥٫٥ فى المائة بعد الخطة الخمسية الاولى ، وهبطت نسبتها الى جملة ايرادات الدولة من ٦٫٩ فى المائة الى ٣٫٥ فى المائة . يضاف الى ذلك اعفاء الاستغلال الزراعى أى الانتاج الراسمالى فى الريف من كل ضريبة تمائل ما يفرض على الاستغلال التجارى أو الاستغلال الصناعى . وبينما يتجه الاستغلال الزراعى الراسمالى فى جزء هام منه الى انتاج الخضر والفاكهة ، وهى تحقق أرباحا مضاعفة عن المحاصيل التقليدية ، نجد التركيب المحصولى يتقص من مساحات الارز والقمح ويزيد من مساحات الخضر والفاكهة .

ان دعوة رسالة **الرئيس السادات** لعدم افلات أى أيراد من الضريبة ، وامتداد الضريبة الى جميع دخل المواطن ، وفرضها على أرباح الثروة ، وزيادتها على السلع الكمالية والخدمات الترفيهية ، دعوة فى موضعها تماما . بل يجب أن تستمر العملية الخاصة بتطوير النظام الضريبى لتشمل ما يلى : فرض ضريبة على الربح الزراعى ، فرض ضريبة على اجمالى الثروة ولو كضريبة مؤقتة ، والوصول فى النهاية الى ضريبة موحدة على جميع دخول المواطن أيا كان مصادرها تحل محل الضرائب النوعية الحالية .

وكل هذا مقبول اذا كان كل المطلوب هو البحث عن موارد جديدة لتحقيق العدالة الاجتماعية ، بمعنى معالجة التفاوت الاجتماعى عن طريق الضريبة . لكننا لمام وضع آخر يتمثل فى الواقع فى وجود الراسمالية الطفيلية على قمة الهرم الاجتماعى . وهذا يزيد الامور تعقيدا .

فمن جانب ، من الصعب ان لم يكن من المستحيل التوصل الى الدخول الطفيلية ، لفرض الضريبة عليها . كيف يمكن أن ترصد عمليات السمسرة والوساطات ؟ وكيف يمكن أن نصل الى العمولات ؟ كيف نتوصل الى الارباح الفعلية للتصدير والاستيراد ؟ كيف نصل الى أرباح البضائع المهربة ؟ كيف نصل الى أرباح متعهدى التوريد والمقاولين ؟ كيف نصل الى الارباح الحقيقية للمشروعات المشتركة مع رأس المال الاجنبى ، خاصة اذا كانت تمارس نشاطا فى الخارج ؟ كيف يمكن أن نصل الى عمولات وأرباح التوكيلات الاجنبية ؟ ان هذه كلها دخول خفية لن تصل اليها الضريبة . وحتى لو وصلت اليها ، فلن تكون حصيلتها فى النهاية الا ضئيلة لا تساوى الجهد الذى بذل من أجل ملاحقتها . وعلى العكس من ملاحقة هذه الدخول الطفيلية ، فان الممكن فعلا هو ملاحقة النشاط الطفيلى نفسه .

ومن جانب آخر ، فانه حتى لو توصلنا الى الدخول الطفيلية بالكامل ، وامكن فرض الضريبة الكاملة عليها ، فلن يفلس المجتمع من وطأة وجود الراسمالية الكبيرة الطفيلية . فهذا الوجود نفسه هو الذى يهدد مسيرة التنمية الاقتصادية والاستقلال الاقتصادى والتقدم الاجتماعى ، بل وكل احتمالات التطور الديمقراطى . وهو فى النهاية الذى يفاقم المشاكل الداخلية ، ويهدد الحياة الاجتماعية كلها . ومن ثم فليس يكفى أن يتخذ الاجراء الضريبى لمنع هذا كله ، بل لابد من اجراء اجتماعى ، هو تصفية النشاط الطفيلى بوصفه نشاطا معاديا لكل اهداف المجتمع ، ومن الغريب أن يكون هذا الاجراء الاجتماعى هو الكفيل بتقديم موارد مالية هامة يعجز عن تعبئتها الاجراء الضريبى . ويمثل هذا الاجراء الاجتماعى بحكم أن يعلو المجتمع مسيرته من جديد فى الطريق الاشتراكى .

لانطالب « بالمساواة المطلقة »
بل « بالمساواة فى الأعباء »

عادل حسين

اعتقد أن الرسالة التى وجهها الرئيس السادات الى مجلس الشعب ومجلس الوزراء ، هى وثيقة من أجل تصحيح الاتجاه ، وقد استبعدت الرسالة أسلوب التأميم والحراسة وطالبت بإرساء وسائل قانونية قادرة على تحقيق اهداف السياسة العامة. هذه الوسائل هى : الضرائب والتأميمات وأوضح الرئيس السادات «ان التهرب من الضريبة يهدد حساب الموازنة المتوقعة ويؤثر على تنفيذ خطة التنمية ، فضلا عن أنه يولد دخولا تندفع بطبيعتها الى الاستهلاك ومظاهر الترف ، وتخلق بذلك مشاكل اقتصادية واجتماعية ». ان خصمنا قادر على مواجهة المرحلة الصعبة التى نمر بها وهى « مرحلة التحرير والتنمية » على اساس المساواة فى التضحيات » .

ولا شك أن الجماهير الكادحة ، والقوى التقدمية تؤيد الاتجاه العام للرسالة ، وتناطن المهندس سيد مرعى « أن الرسالة ليست توجيها ملزما وانما تعطى خطوطا عريضة لتوجيه سياسة يناقشها المجلس والحكومة » . ثم اكد « حجازى نفس المعنى وقال « ان الموضوعات مطروحة كلها للمناقشة ولم يؤخذ فيها قرار قط » . وهذا تاكيد ديمقراطى يؤكد حق الجماهير والمؤسسات السياسية فى مناقشة كل القرارات قبل صدورها . ولكن ما يثير القلق هو ان كافة أجهزة الإعلام تجاهلت تماما هذه الرسالة ، وامتنعت عن مناقشتها او حتى ذكرها رغم مرور أسبوعين على نشرها [حتى كتابة هـذا المقال] . ويثير القلق أيضا أن الاجهزة السياسية والتنفيذية تردد فى تنفيذ بعض النقاط الواردة فى الرسالة ، رغم انها لا تحتمل ولا تحتاج أى تاجيل او مناقشة ، فقد قال الرئيس « انى أرى أن تبدأ فورا اللجان المختصة بوزارة العدل فى فحص القرارات الخاصة المالية لكل القيادات التنفيذية والتشريعية والسياسية ، وان توفر لها الحكومة ما تحتاج اليه من خبرات فنية بحيث تنتهى من هذه المهمة خلال العام المالى » .

فلماذا لم يبدأ فورا تنفيذ هذا الرأى ، على الاقل بالنسبة لقيادات الصف الاول ؟ ان التنفيذ الفورى لهذا الرأى هو أمر ذو أهمية سياسية قصوى ، وهو فى نفس الوقت لا يحتاج انتظار المناقشة التفصيلية لتطوير القانون .

الا أن ما يثير القلق أكثر هو الدفاع غير المقنع الذى قدمه د . عبد العزيز حجازى فى أول مواجهة لمناقشة الرسالة . فهو يخشى أن تنشر الصحف مناقشات حول اجراءات ضريبية جديدة ، فالرسالة ـ كما يقول ـ لا تثير ضرائب جديدة ، وانما تهدف لتصحيح الاوضاع الضريبية . وهذا الكلام تراجع واضح أمام الهجوم اليمينى المتوقع ، لانه تراجع صريح عن مضمون ونص الرسالة ، ورغم هذا فان رئيس الوزراء فى نفس هذه المناسبة قال « ان بعض الدخول متسربة لا تخضع لضرائب

وحتى فى خضوعها بالنسبة المفروضة عليها قليلة . فى الاراضى العقارية لا تفرق بين الارض العادية أو الحدائق » .. فبماذا نسمى فرض ضريبة اضافية على الحدائق ؟ هل هو مجرد تصحيح ؟ واذا استخدمنا كلمة تصحيح بدلا من كلمة ضرائب جديدة ستخدع من ؟ لن نخدع طبعا اصحاب الحدائق الذين يعرفون جيدا أنه لا فارق بين الكلمتين .. وهم سيعارضون بالتالى أى محاولة تمس دخولهم سواء تمت أسم ضرائب جديدة او بعبارة تصحيح النظام الضرائبى . ان الجماهير الشعبية التى نحتاج الى تأييدها فى فرض مثل هذه الضريبة هى التى سنفقدها نتيجة هذا اللبس والابهام فى التصريحات ، بل قد تثور الجماهير ضد الحكومة على تصور أنها تراجعت عن الاتجاه نحو تحقيق المساواة فى التضحيات .

كما قلت كان دفاع الدكتور رئيس الوزراء غير مقنع ، وكان مستعدا للتراجع من قبل ان يبدأ الهجوم ، وفى جلسة اخيرة لمجلس الشعب (بعد استيحين من نشر رسالة المسادات) كرس د . **حمدى الفخرانى** وزير المالية تراجع الحكومة ، واعلن بشكل قاطع أن الحكومة لن تزيد الضرائب وليس لديها اى فكرة لرفعها ولكنها ستعمل على تعصيل الضرائب المستحقة !![1] اذا كانت الحكومة قد وصلت فعلا الى هذا الرأى القاطع اذن بلاذا بقى من الرسالة ؟! أو ليس هذا مثيراً لاشد القلق ؟

وينبغى أن أسجل أيضا على الدكتور حجازى انفعاله كلما جاء ذكر المنحرفين . نحن لا نختلف معه فى أن غالبية الشعب ليست منحرفة ، ولكن لابد أن يسلم معنا بأن نسبة الانحراف والتعصب تتزايد بمعدلات سريعة ، والا فان علينا أن نكذب عيوننا .» « ولسنا طبولا » كما يقول رئيس الوزراء . لاننا نقول هذا الكلام . كذلك لم يكن مناسبا ان يستشهد د . حجازى فى مجال الحديث عن الطهارة الثورية بالاية الكريمة التى تقول « وجعلنا بعضكم فوق بعض درجات » .. فمن طالب بالمساواة المطلقة ؟ ان الحديث يدور ورسالة السادات تتحدث عن « أن تكون الضريبة وسيلة لتوزيع الاعباء العادلة توزيعا عادلا بين المواطنين » .. وعن « أن تكون الضريبة وسيلة للحد من تضخم الثروات بما يضمن عدالة فى توزيع الدخل القومى » .. وهذه هى القضية التى تحتاج الى الشرح والايضاح ، وليس مناسبا فى مجال الشرح هذا ان يقال أن « العطاء هو عطاء الله » كما قال د . حجازى .

ان جماهير شعبنا والقوى التقدمية مطالبة بتشديد نضالها ضد محاولات تمييع أو تجاهل ما جاء فى رسالة السادات ، ومن الواجب أن تقدم فى هذا المجال اقتراحات جادة .. والتصور والمقترحات التى نعرضها فى الصفحات التالية فى مجرد عرض وتلخيص للدراسة التى تقدم بها د . عبد الهادى التجار عام ١٩٧٤ [٢] ويأتى تدخل أو اضافة من جانبنا ، ذلك أن بعض التفصيلات التفصيلية لا تفى أن هذه الدراسة ينبغى ان تكون الاساس عند أى بحث جاد للاتجاهات المطلوبة للسياسة الضرائبية .»

ويبدأ الاطار الذى يقدمه د . التجار بتعريفه للمقصود بتعبير الفائض الاقتصادى المستخدم فى هذه الدراسة ، فهو كمية من الناتج الصافى تزيد على ما يعد ـ وفقا للظروف الفنية والاجتماعية للانتاج ـ استهلاكا ضروريا للمنتجين المباشرين . وقد قام د . التجار بحساب تقديرى لحجم الفائض الاقتصادى فى قطاعى الزراعة والصناعة على ضوء البيانات المتاحة ، ووصل الى أن هذا الفائض كان ١١٠٠ مليون جنيه [١٩٦٩] ، و ١١٨٠ مليون جنيه [١٩٧٠] و ١٢٥٠ مليون جنيه [١٩٧١] و ١٣٥٠ مليون جنيه [١٩٧٢] . ان مفهوم الفائض الاقتصادى يعنى من ناحية العدالة التوزيعية للدخل القومى تواجد دخول تكفى بالكاد لاستهلاك محدود لبعض الطبقات الاجتماعية ، ودخول أخرى تزيد عن هذا الاستهلاك المحدود لدى طبقات أخرى ، ومن هذه الزيادة تتوافر امكانية الادخار والاستثمار . اذ انه بتعيين عدم المساس بالنوع الاول من الدخول ، ومن العدالة أن تصيب الضريبة اساسا الدخول التى يكمن فيها الفائض دون الدخول التى تكفى بالكاد لاستهلاك محدود . ويعنى هذا أن يرتكز قياس الطاقة الضريبية على حجم الفائض الاقتصادى ، أى أن الطاقة الضريبية المطلوب الوصول اليها هى تلك الطاقة التى يمكن أن تتحقق معها اكبر حصيلة ضريبية ممكنة من الدخول التى تحتوى على الفائض الاقتصادى .»

---

(١) الاهرام والاخبار ـ ١٨ فبراير ١٩٧٥

(٢) عبد الهادى التجار : الفائض الاقتصادى القياس ودور الضريبة فى تعبئته ، الاقتصاد المصرى ـ رسالة دكتوراه مقدمة الى كلية الحقوق بجامعة الاسكندرية ـ ١٩٧٤ .

على ضوء هذا نستطيع تقييم النظام الضريبي الحالي ، ومدى قدرته على تعبئة الفائض الاقتصادي الممكن من أجل استخدامات التنمية . ويحتل هذ التقييم أهمية خاصة بما دامت السياسة العامة تستهدف سياسة التأميم كوسيلة تنظيمية مباشرة لسيطرة المجتمع على الفائض ، لقد تزايدت أهمية الضرائب كوسيلة هامة من وسائل السياسة المالية لتعبئة الفائض الاقتصادي .

ووفقا للتقديرات السابقة حول حجم الفائض الاقتصادي في قطاعي الزراعة والصناعة ، فان نسبة الحصيلة الضريبية الى هذا الفائض كانت ٤٢ في المائة [٦٨ ـ ١٩٦٩] و ٤٦ في المائة [٦٩ ـ ١٩٧٠] و ٤٧ في المائة [٧٠ ـ ١٩٧١] و ٤٣ في المائة [٧١ ـ ١٩٧٢] واذا تعتبرنا دور الضريبة بالنسبة للدخول المختلفة التي تكون الفائض الاقتصادي سنصل الى الصورة التالية :

١ ـ الضريبة على دخول الملكية العقارية :

وحصيلتها ضعيفة رغم ان الضرائب الاضافية بها [ضريبة الدفاع وضريبة الامن القومي] تبلغ حوالي ٥٠ في المائة من اجمالي هذه الحصيلة . ولان الضرائب الاضافية على الاطيان يتحمل بها المالك مستغل الارض فانها قد تصيب دخول بعض الخازنين التي تحتوي على جزء من الفائض ، كما قد تصيب دخول البعض الاخر الذي تعتبر هذه الدخول بالنسبة له ضرورية لانتاج الفائض [أي ضرورية لحيازتهم وقدرتهم على مواصلة الانتاج ، ومن ثم فان امكانية تعبئة فائض الدخول الاولى تقتضي اعادة النظر في أسلوب فرض هذه الضريبة .

٢ ـ الضريبة على دخول ملكية رؤوس الاموال المنقولة :

وتتميز نسبيا بغزارة حصيلتها خاصة وأنه يتم تحصيلها من المنبع ومن ثم تضيق نمط فرصة التهرب . ومع ذلك ونظرا لتقلص حجم حصيلة ضريبة فوائد الديون وغيابها كلية بالنسبة لفوائد الديون بالريف ، فان هذه الضريبة بالتالي لم تصب معظم الفائض الاقتصادي في هذا الشق ، ويمعين اعادة النظر بشأنها خاصة بالنسبة لاسعارها التي تطبق على دخول مصدرها ملكية رؤوس الاموال المنقولة وليس العمل الذي ينتهي بنهاية العامل .

٣ ـ الضريبة على ملكية أهم وسائل الانتاج في الصناعة والتجارة :

ووعاء الضريبة هنا لم يوجه اساسا الى الدخول العليا بأسعار ضريبية يمكن أن تعبيء الفائض منها ، وانما على العكس سوى في عنصر التضحية بين اصحاب النشاط المحدود والحرف البسيطة من ناحية ، والوحدات الانتاجية الكبيرة التي يقوم نشاطها على راس المال واستخدام العمل الاجير من ناحية اخرى ، ونظرا لان هذه الوحدات الاخيرة هي التي تحتكر اساسا على جزء كبير من الفائض الاقتصادي ، فان ذلك يعني تعبئة جزء فقط من الفائض الذي تحتكر عليه هذه الوحدات من خلال احكام هذه الضريبة .

٤ ـ الضريبة على الدخول الناتجة من العمل :

أ ـ الضريبة على المرتبات ، وما في حكمها والاجور والمكافآت : وحصيلة هذه الضريبة تبدو باضطراد وفرصة التهرب محدودة ، لانها تجبى بطريق الحجز من المنبع . والواقع انه وان كانت المرتبات وما في حكمها والاجور والمكافآت تعتبر من العناصر الضرورية لانتاج الفائض ، فان جزءا من بعض هذه المرتبات والاجور وما في حكمها لا يعتبر ضروريا لذلك ، ومن ثم يحتوي على جزء من الفائض حيث يتواجد أساسا مع المرتبات والاجور العليا ، ويتعين بالتالي أن تصيبه الضريبة ، وان يتأتى ذلك بافلات بعض هذه الدخول منها كما هو الحال بالنسبة لبدل التمثيل .

ب ـ الضريبة على ارباح المهن غير التجارية : وهذه ـ على عكس ضريبة الاجور والمرتبات ـ تصعب الرقابة عليها ، ويسهل التهرب منها ، وقد ادى هذا الى تواضع حصيلة الضريبة على الارباح غير التجارية في الوقت الذي يكمن جزء من الفائض في هذه الارباح بصورة ملموسة .

٥ ـ الضريبة العامة على الدخل :

ويلاحظ هنا ان الحصيلة تتقلص بشكل لفت النظر . كانت الحصيلة ٢ر٨ مليون جنيه [٦٨ ـ ١٩٦٩] و٣ ملايين جنيه [٦٩ ـ ١٩٧٠] و٢ر٢ مليون جنيه [٧١ـ١٩٧٢] ويحدث هذا التناقص جنبا الى جنب مع المشاهدات والمؤشرات حول تزايد عدد اصحاب الدخول العالية ، ورغم أن التصاعد في شرائح هذه الضريبة مفروض أن يحدد سقفا

الدخول لا يتجاوز ٥٠٠ جنيه شهريا ، فان آلافا يتحركون حولنا بدخول تتجاوز هذا الرقم بكثير !

اننا نطالب هنا مع د . ميلاد حنا « هندسة عين شمس» [٣] بالاستفادة بتجربة السويد . فالقانون السويدى لا يفرق بين الجائع الذى يسرق ليأكل وبين الثرى الذى « يسرق » الخزانة بالتهرب من الضرائب ، ولذلك فان القانون صارم فى عقاب المتهرب ، وتصل العقوبة الى السجن . كذلك عمدت حكومة السويد الى النشر السنوى لاقرارات جميع الممولين الذين يزيد دخلهم عن حد معين ، ولو حدث هذا عندنا لساعدت جماهير الشعب ـ كما حدث فى السويد ـ على كشف عديد من المتلاعبين والمتهربين ، بل ان مجرد معرفة الممولين بأن اقراراتهم ستعلن ستجعل البعض على الاقل يخجل من منظر ضبطه متلبسا بالتهرب أمام أعين الجميع .

ننتقل الان الى الدخول التى لم يصبها أصلا النظام الضرائبى :

ان العدالة الضريبية تتطلب ، أن تفرض الضرائب على جميع الاشخاص القادرين على المساهمة فى الاعباء العامة دون اعفاء بعض الدخول أو الطوائف ، فضريبة الاطيان الزراعية ضريبة مفروضة على ملكية الاطيان ، ولكن دخل أو أرباح الاستغلال الزراعى نفسه معفاة من الخضوع للضريبة الا اذا اتخذ هذا النشاط شكل الشركات المساهمة . وضريبتا الدفاع والامن القومى اللتان فرضتا كضريبتين على أرباح الاستغلال الزراعى لا تقتطع حصيلتهما فى المتوسط اكثر من ٢٫٥ فى المائة من حجم الفائض الزراعى حسب تقديرات د . عبد الهادى النجار لحجم هذا الفائض . ويرد د . النجار على حجة أن دخل الاستغلال الزراعى يتعرض لاستقطاع آخر من خلال سياسة الاسعار ، فينقل عن خبراء وزارة الزراعة أن سياسة الاثمان عموما فى هذا القطاع لم تعبىء أكثر من ٣٥ مليون جنيه فى المتوسط سنويا وحتى عام ١٩٧٢ . وأن اثمان الاسمدة المستوردة اعتبارا من اول عام ١٩٧٣ اصبحت تفوق اثمان الاسمدة المنتجة محليا بكثير ، ومن ثم لن تكون هناك امكانية لاستخدام سياسة الاسعار فى هذا النطاق كما كان الحال فى السابق . وبالاضافة الى هذا فان الدولة تلجأ كثيرا الى التنازل عن كل أو بعض تكاليف الائتمان فى القطاع الزراعى ، ويخلص من هذا انه بالرغم من الاستثمارات التى تقوم بها الدولة فى هذا القطاع فانه لم يؤد الدور الواجب عليه فى تمويل الاستثمارات المطلوبة . ان ضم حصيلة الضريبة الاصلية على دخول ملكية الاراضى الى حصيلة الضريبتين الاضافيتين على الاستغلال الزراعى قدم ٢٣ مليون جنيه [٦٨ـ١٩٦٩] و٢٦ مليون جنيه [٦٩ـ١٩٧٠] و٢٦ مليون جنيه [٧٠ـ١٩٧١] و٢٧ مليون جنيه [٧١ـ١٩٧٢] . وتعنى هذه الارقام أن حصيلة الضرائب الاصلية والاضافية مثلت فى المتوسط ٤٫٥ فى المائة فقط من حجم الفائض الزراعى المقدر ، وهى نسبة تعكس الدور المحدود لهذا القطاع فى تمويل أعباء الاقتصاد القومى ، وهى تعنى أن الدخول المرتفعة فى الريف لا تصيبها الضريبة الا فى حدود ضيقة ، وللحقيقة فان تعبئة الجزء الاكبر من الفائض فى القطاع الزراعى يتم أساسا من جانب صغار الفلاحين ، ومن خلال السياسات المختلفة المطبقة فى هذا القطاع ، والتى تترك الفلاح الصغير مدينا فى نهاية السنة الزراعية .. اى لا تدع له حتى ما يقابل عمله . ان هناك فرصة تغيير موقف القطاع الزراعى من قضية الفائض والمدخرات فى مجتمعنا ، وليست القضية عدالة ضريبية بين الدخول فحسب ، وانما هى قضية توفير التراكم المطلوب للاقتصاد القومى .

الا أن هناك الان دخولا أخرى عالية ، لا يصيبها النظام الضرائبى . وقد أشارت رسالة الرئيس السادات الى « ضرورة التفكير فى تقدير ضريبة على الارباح الرأسمالية التى تتحقق من زيادة قيمة بعض الاموال دون اى جهد مبذول . فهذه الزيادة اضافة غير مكتسبة بل انها نتيجة لمتغيرات الظروف وحدها ، ومن ثم فيجب أن يكون للدولة حق فيها ، ولتكن هذه الضريبة ضريبة للتضامن الاجتماعى مقابل ما تضفيه هذه الثروة على صاحبها من مزايا اجتماعية ، ولقاء تأمين الدولة لما يتبقى له منها ، وكفالة حقه فى التمتع بها » ويرى د . عبد الهادى النجار أنه ينبغى ان تفرض ضريبة على الثروات العاطلة التى لا تغل ايرادا بشكل عام ، وهو يرى أن فرض هذه الضريبة على الارض الفضاء والاراضى البور سيكون حافزا على سرعة استغلالها .

[٣] د . ميلاد حنا : التهرب من الضرائب والعدل الاجتماعى ـ الاخبار ـ [illegible] فبراير [illegible] .

وبالنسبة للتصريحات التى تتوالى حاليا حول فرض الضرائب على ما يسمى بالمحتكرين الطفيليه ، ومنهم اصحاب جراجات السيارات وتجار الشنطة والسوق السوداء وكذلك اصحاب الحصص الخام فى كافه المواد الذين يتاجرون فيها قبل تصنيعها ، ويثرون من ذلك ثراء فاحشا ، وايضا المقاولون ومقاولو الباطن . بالنسبة لهذه الفئات فانها تخضع من الناحية الشكلية لضرائب النوعية المختلفة . وتجار المخدرات ايضا يخضعون . ولكن كيف تحصر دخول اصحاب الاعمال السرية وتربط عليها الضرائب ؟ احسب ان **حسنى الشابورى** « عضو مجلس الشعب ، كان مصيبا تماما حين قال ردا على وعد الحكومة بانها ستزيد الضرائب على اصحاب الدخول الطفيلية « ان الدخول الطفيلية تعنى فى قواميس اللغة **«السرقات»** : فكاننا نشجع السارق على الاستمرار فى السرقة ثم نفرض عليه ضريبة ، وهذا يحتوى على مضمون فى غاية الخطورة . المطلوب هو تجريم التلاعب بقوت الشعب والاموال العامة ومقابلة مقترفى هذه الجرائم بالاعدام رميا بالرصاص .. لا يجب ان نكتفى بفرض ضرائب على اموال المحرفين ، بل نجردهم منها حتى يرتدع كل من تسول له نفسه التلاعب او الاختلاس » . [٤] هذا هو القول الصحيح ، فهذه الاعمال تمثل فى غالبها جرائم اقتصادية ، وليس نشاطا اقتصاديا . ويجب ان نبدأ باحكام التنظيم الاقتصادى حتى لا يسمح باستمرار مثل هذه الجرائم التى تستبيح المال العام . بعد هذا يأتى العقاب للمخالف ، ثم اخيرا تأتى الضرائب لتستعيد حق الدولة المهرب فى نطاق ما يتبقى فى هذا المجال من نشاط مشروع . ان تدخل الدولة الحازم ، وبكل الاساليب ، ضد نهب هذه الانشطة هو امر ذو اولوية خاصة ، فنحن لا نتصور أى زيادة فى الضرائب المفروضة على اغنياء الريف او اصحاب المشروعات الصغيرة من قبل الهجوم على هذه الانشطة الطفيلية ، فراسماليو الزراعة والصناعة يخيفون جهدا الى الناتج القومى ، ولذا فان استعمال الضرائب للحد من دخول وأرباح هذه الفئات لا يكون مشروعا الا اذا كانت الاجراءات جزءا من سياسة عامة جادة تبدأ بالطفيليين ».

اخيرا ننتقل الى الضرائب غير المباشرة والضرائب الطفيلية :

وتبلغ حصة هذه الضرائب الى جملة الايرادات السياديه حوالى ٧٠ فى المائة فى المتوسط ، وهى نسبه كبيرة ، ويمكن ان تخفض هذه النسبه اذا تمت تعبئة معظم الفائض الاقتصادى فى أوجه النشاط المختلفة فى الاقتصاد القومى . والضرائب غير المباشرة تتالف من الضرائب والرسوم السلعية - ضرائب الخدمة - فروق الاسعار - ايرادات سيادية متنوعة .

وبالنسبة للضرائب والرسوم السلعية التى تمثل ما يقرب من ثلثى حصيله الضرائب غير المباشره ، سنجد ان حصيلة الوارد على السجاير والدخان والتبغ تزيد على ٥٠ فى المائة من حصيلة الضريبة الجمركيه ، وما ينطبق على السجاير ينطبق على عدد من السلع الشعبية الاخرى ، ويعنى هذا ان الوزن النسبى للسلع الضرورية التى تخضع لهذه الضرائب والرسوم وزن كبير ، تتحمله طبقات لا تملك الفائض .

أما دور فروق الاسعار فى عملية التمويل ، فان الحساب الختامى لميزانية ٦٩ - ١٩٧٠ يكشف ان مجموعة السلع الضمينية الاستهلاكية التى تشمل (الشاى - السكر - الشجاير - الاقمشة بانواعها المختلفة - الاحذية البلاستيونيل - الادوية - الكيروسين - الزيت الحر - الصابون - المسلى الصناعى - الادخنة) هذه السلع هى اهم السلع اسهاما فى حصيلة فروق الاسعار حيث درت ٨٦٫٦ مليون جنيه - أى ما يوازى ٨٠ فى المائة من الحصيلة .

وقد اسهمت السلع الوسيطة فى ذلك العام « وتتضمن الاسمدة - المصابيح الكهربائية - خشب الفورمايكا - الكسب - السولار والديزل » بما قيمته ١٦٫٨ مليون جنيه أى ١٦ فى المائة من اجمالى الحصيلة .

وتضم مجموعة السلع المعمرة « الثلاجات الكهربائية - اجهزة تكييف الهواء - التليفزيون - السخانات - الغسالات - سيارات الركوب - اطارات الكاوتشوك ... الخ » وتساهم هذه

---

(٤) حسنى الشابورى : مناقشة بيان رئيس الوزراء عن برنامج الحكومة - جلسة ١١ ديسمبر ١٩٧٥ .

المجموعة بما قيمته ٢ر٤ مليون جنيه بنسبة ٤ فى المائة من اجمالى حصيلة فروق الاسعار .

ويتضح من هذا العرض ان العبء الاكبر لفروق الاسعار تحملته فى ذلك العام مجموعة السلع الضرورية – ممثلة اساسا فى السلع التموينية – وهى السلع التى تعتبر لازمة لاستهلاك القوى العاملة التى تنتج الفائض ، فى الوقت الذى لم تسهم فيه السلع المعمرة كأجهزة التكييف وسيارات الركوب بأكثر من ٤ فى المائة من هذه الحصيلة ، وهى السلع التى يتضمن دخل مشتريها جانبا من الفائض الاقتصادى ، ان تفاصيل مكونات كل مجموعة قد تكون اختلفت فى عام ١٩٧٤ عن ميزانية ٦٩ – ١٩٧٠ التى استشهدنا بأرقامها ، ولكن اعتقد ان المضمون الاساسى لهذه النسب لم يتغير .. ان فروق الاسعار – شأن الضرائب غير المباشرة عموما – لا تصيب اساسا الا ذوى الدخول المحدودة ، ومن ثم لا تعبىء الا جزءا يسيرا من الفائض الاقتصادى .

ونفس الامر فيما يتعلق بالضرائب والرسوم الطفيلية . هذه الضريبة تبدو بريئة ومتواضعة القيمه ولكن حصيلتها الكبيرة تعكس ثقلها الحقيقى على الدخول المحدودة والمثقلة اصلا بالضرائب الاخرى مباشرة او غير مباشرة .

ضريبة التمغة – مثلا – بلغت حصيلتها عام ٦٩ – ١٩٧٠ حوالى ٣٢ مليون جنيه وكان هذا الرقم يزيد عن الرقم المقابل فى العام السابق ٤ ملايين جنيه . اما حصيلة ورق التمغة « عرض الحال » والاوراق الرسمية المتموغة كالشهادات ونماذج وزارة الداخلية فكانت قيمة مبيعاتها السنوية حوالى ١٠ ملايين من الجنيهات . وقد أطلق د . النجار على جانب من هذه الحصيلة تعبير « الضرائب الطفيلية » وهى بعض انواع رسم التمغة التى تفرض على اتساع الورق ، وخاصة بالنسبة للعرائض والطلبات التى تقدم للسلطات الادارية .. وحصيلة هذه الانواع بلغت ١٠ ملايين جنيه فى عام ٦٩ – ١٩٧٠ .

ولا شك ان معظم مقدمى هذه الطلبات والعرائض من ذوى الدخل المحدود .

● ونلخص الان كل العرض السابق لواقع ونتائج سياستنا الضريبية : لقد تبنينا فى هذا العرض وجهة نظر د . عبد الهادى النجار حول أن انسب معيار لقياس الطاقة الضريبية يتمثل فى نسبة الحصيلة الضريبية الى الفائض الاقتصادى . وعند تطبيق ذلك بالنسبة للنظام الضريبى المصرى ، تبين أن حصيلة الضرائب المباشرة وغير المباشرة لم تعبىء من فائض قطاعى الزراعة والصناعة وحدهما سوى ٤٥ فى المائة فى المتوسط . وقد ثبت ايضا ان حصيلة الضرائب المباشرة وحدها لم تعبىء من هذا الفائض سوى نسبة متوسطة قدرها ١٤ فى المائة فقط ، مع ان الاصل فى هذه الضرائب انها تصيب الدخول التى يكمن فيها الفائض . وقد رأينا كذلك أن نسبة الضرائب غير المباشرة تمثل حوالى ٧٠ فى المائة من جملة الايرادات السيادية . وباختصار فان الضرائب المباشرة لا تصيب الدخول التى يكمن فيها الفائض الا بنسبة محدودة جدا ، كما أن النظام الضريبى يعتمد اساسا على الضرائب غير المباشرة التى يتحمل اصحاب الدخول المنخفضة النصيب الاكبر منها .

ان اصلاح هذا الوضع ضرورة ملحة . واذا كان ممكنا للجماهير الكادحة أن تؤجل مطالبتها بتخفيف اعبائها الضريبية بشكل جذرى – بسبب المصاعب الاقتصادية الحالية ، فان هذا مشروط بأن تكون هناك « مساواة فى التضحيات » . ولابد من تطوير النظام الاقتصادى والسلاح الضريبى بحيث نضمن استفادة الشعب من الفائض الاقتصادى الذى يتولد من النشاط الانتاجى فى بلدنا على نحو اكفأ . ان هذا المطلب ضرورى لتعبئة مواردنا من أجل التنمية ، وضرورى لتحقيق العدالة .

فى هذه الدراسة يناقش د. جمال حمدان فى مختلف الجوانب التى تحيط بمؤتمر جنيف ، واستراتيجية العدو تجاهه ، وكذلك الموقف العربى بهذا الصدد ، مقدما تحليلا — من وجهة نظره — للمواقف والملابسات التى تحيط بهذا المؤتمر .

وتضم كتابات الدكتور جمال حمدان أستاذ الجغرافيا السياسية السابق بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، ومؤلف كتب « شخصية مصر — دراسة فى عبقرية المكان » ، و « استراتيجية الاستعمار والتحرير » و « اليهود انثروبولوجيا » ، و « ٦ اكتوبر واثره فى الاستراتيجية العالمية » ، بالعمق والشمول . ويمكن لبعض كتاباته ان تثير خلافا حول هذه النقطة أو تلك ، الا انها تلقى التقدير الواسع ككتابات تتسم بالمسئولية والجدية الواجبة .

مؤتمر جنيف

بين سباق التتابع وسباق الحواجز

د. جمال حمدان

لم بعد هناك أدنى شك أننا نمر الآن بمرحلة فاصلة ومنعطف حاسم على طريق المعركة السياسية التى بدأت اثر المعركة العسكرية فى أكتوبر واستمرت كنتيجة وامتداد لها . ونعترف أننا جميعا فى الوطن العربى قد درجنا ربما الى حد الاسراف على أن نصف أو نصنف كل خطوة جديدة فى حركة الصراع على أنها « مرحلة مصيرية » أو « علامة طريق » أو « تحول تاريخى » الى آخر تلك الكليشيهات الشائعة ، التى كادت لفرط تكرارها وتنميطها ان تفقد الكثير من قيمتها ومعناها ، او مبناها . غير أن الامر اليوم بعد الرباط مختلف تماما ، ومهما بالغنا فنحن أبعد ما نكون عن خطر التردى فى ترديد الشعارات ، أو المغالاة فى التشخيص .

فقمة الرباط ، تلك الاختزالة التاريخية الباهرة رغم كل شىء ، قد حسمت بقوة مرحلة طالت من الغموض والتميع المقلق ووضعت الصراع واطرافه جميعا فى مواجهة قاطعة مع المستقبل . فالمؤتمر ، أساسا ، فرض على الجميع تحديد مواقفهم وكشف اوراقهم واعلان النوايا الحقيقية بلا تلاعب أو تهرب . أو هو كما عبر الرئيس بحق قد ألزم الجميع ، وأولهم اسرائيل ، بمراجعة وأعادة تقييم حساباتهم . وهو أيضا وبخاصة « وقفة موضوعية » مع صديق العدو الذى تقدم الينا فى مسوح صديق .

من ثم باتت المرحلة الراهنة وهى **مفترق طرق محدد بصرامة بين الحرب والسلم ، بل نكاد نقول منتصف الطريق وهمزة الوصل بين الحرب الرابعة والحرب الخامسة** . فلقد حدد مؤتمر الرباط فيما نرى بداية المرحلة التى سيتقرر فيها بصورة حاسمة ونهائية مصير حرب أكتوبر بكل ايجابياتها وسلبياتها ونتائجها واحتمالاتها . وباختصار شديد ، ومع التجاوز عن استباق المقدمات والنتائج ، فان قمة الرباط ان تكن قد أصبحت هى بوابة مؤتمر جنيف ، فقد أصبح مؤتمر جنيف بدوره هو بوابة الحرب الخامسة .

وفى هذا السياق المصيرى بات من الضرورى والمفيد أن نلقى نظرة شاملة على « سيناريو »

العمل المتباعد منذ ما بعد أكتوبر وفى اتجاه مؤتمر جنيف . ليس بالضبط كشكل حساب جامع ومتصل ، ولكن ككشاف طريق وكتقدير موقف ، وأكثر منه كاطلالة من على التطورات والاحتمالات المقبلة . فمثل هذه النظرة التكتيكية الشاملة وحدها يمكننا ان نحصل على « هوروسكوب » للمستقبل نستشرف به آفاق المجهول ، من الشرق الاوسط الى جنيف ، وبالعكس ، ومن مائدة المفاوضات الى ميدان القتال ، وبالعكس أيضا ، بل بالعكس أكثر ...

سباقان متضادان

والطريق الى جنيف ـ نقول أبسط مبادىء المنطق الصراعى منذ توقف العمل العسكرى فى أكتوبر ـ لم يكن قط ليكون طريقا قصيرا ولا مباشرا ، لا سهلا ولا مخسوتا . ان لم يجعله العدو الاسرائيلى حقلا كثيفا عميقا من الألغام المزروعة تنتهى بقنبلة موقوتة ، فسيجعل منه على الاقل اطول خط ممكن بين أبعد نقطتين متصورتين على الاطلاق . هذا كله ان لم يقطع الطريق على التحرك الى المؤتمر اصلا بغارة انتقامية غادرة من غارات قطاع الطرق التى احترفها وأدمنها طويلا ودعاها رياء أو تورية « بالحرب الوقائية » .

لهذا كله بدا التحرك الى المؤتمر منذ أول لحظة سباقا رهيبا ومضنيا مع الزمن وضد عامل الوقت : العدو يريد أن يعوقه ،يؤخره ، يؤجله الى اقصى حد ممكن ، قبل ان يحاول أن يفرغه من الداخل او يفجره من الخارج ، ونحن العرب نسعى الى أن يعقد فى موعده الانسب بلا ابطاء أو تسويف . ولهذا لا نعدو الحقيقة فى شىء اذا صورنا الرحلة الى المؤتمر نوعا من « سباق التتابع » بالنسبة للعرب ، ومن « سباق الحواجز » بالنسبة للعدو . سباق تتابع ،لان لمامنا ثلة مجموعة من المراحل يتعين علينا أن نعد لكل واحدة منها اعدادا دقيقا وحذرا حتى نجتازها بنجاح ، فنسلمها الى المرحلة التى تتلوها ، وهكذا حتى باب المؤتمر وما بعده . وسباق حواجز ، لان العدو الاسرائيلى كان حتما ، كما حدث بالفعل ، أن يتفنن فى اقامة السدود والعراقيل ، وخلق المشكلات والعقبات الشكلية والموضوعية ، قبل المؤتمر وأثناءه ، لتعطيله أو اجهاضه .

سباق التتابع

مجمل السباق العربى يمكن أن نحصر شروط نجاحه أساسا فى عبارة واحدة : **استراتيجية عربية موحدة ، استراتيجية منسقة متجانسة يقدم فيها العرب فى المؤتمر ، لا بضع جبهات مختلفة أو متنافرة ، بل جبهة واحدة صلبة خالية من التناقضات أو الشقوق أو الشقاق ، بحيث تكون غير منفذة للاعيب العدو أو أساليبه** . فبغير الحد الأدنى على الاقل من هذه الوحدة الشرطية كان من المستحيل أن يتقدم العرب الى المؤتمر ، ولتحولت مسيرتهم نحوه من سباق تتابع الى سباق آخر: للحواجز ، ولقدموا بذلك للعدو أعظم فرصة ليفك حصار السلام الذى يأخذ بخناقه ويكاد يخنقه ، بل ولحاربوا له ـ متبرعين ! ـ معركته السياسية كما لم يحدث من قبل ودون أن يطلق هو شخصيا رصاصة واحدة .

لقد كان التضامن العربى الفعال شرط المعركة السياسية ، تماما مثلما كان شرط المعركة العسكرية فى أكتوبر . وبالمقابل ، فلقد كان الخلاف العربى وحده هو كل مناط أمل العدو فى كسب المعركة السياسية ، تماما كما كان فى المعركة العسكرية . وكما صرح الرئيس السادات ، فقد كان على العرب أن يدخلوا مؤتمر جنيف جبهة واحدة وبرجمة نظر واحدة ، **« حتى لا يضربوا هناك ما كسبوه فى الحرب »** . وهذا وذاك يصدق أيضا بقولة الرئيس ، الواقعية جدا ، من أن الاعداد للمؤتمر لم يكن ليقل خطرا وضرورة ، وصعوبة أيضا ، عن الاعداد لمعركة السادس من أكتوبر ، وأن المعركة السياسية فى جنيف لن تكون أقل شراسة وضراوة من معركة الميدان فى أكتوبر ، وأننا **« ما لم نعد لمؤتمر جنيف بأحسن مما أعددنا ليوم ٦ أكتوبر فاننا سنخسر ما حققناه »** .

ويمكن القول ان التضامن العربى ، تنسيقه وتوثيقه وتصفية التناقضات منه ، كان هو محور نقطة الرباط ، ووظيفتها الاساسية . وليس من شك أن المؤتمر قد نجح فى ذلك نجاحا فاق كل توقعات الاصدقاء ، فضلا عن الاعداء ، فكان كما قال السادات **« نقطة تحول فى تاريخ الامة العربية »** حيث **« دعم كل النتائج الايجابية التى أسفرت عنها حرب أكتوبر »** ، أو كما قال **ياسر عرفات « كان أهم مؤتمرات القمة بالنسبة للقضية العربية بشكل عام وقضية فلسطين بشكل خاص »** .

أما تحديدا ، فتلك الاستراتيجية العربية الموحدة تتحلل فى عواملها الاولية الى ثلاثة عناصر جوهرية : **وحدة الموقف الفلسطينى أولا ، وحدة الموقف العربى ـ الاردنى ثانيا ، ثم وحدة الموقف العربى الشامل آخرا** .

وحدة الموقف الفلسطينى

أما وحدة الموقف الفلسطينى فضرورة بديهية لا تتحمل الجدل ولا تحتمله ، فهى وحدة قاعدية

أولية . ولم يكن منطقيا أن تجتمع كلمة العرب ؟ وكلمة الفلسطينيين شتى وفصائل المقاومة متشرذمة قواها متعارضة خططها . ولقد اصبحت هذه الوحدة الان اوجب وألزم منها فى اى وقت مضى،ليس فقطلان الفلسطينيين هم اصحاب القضية النواة والام وراس الحربة فى الصراع القومى بأسره ، ولا لان متغيرات أكتوبر قد نقلت بؤرة الصراع وأعادتها من مشكلة الاراضى العربية المحتلة بعد ١٩٦٧ الى صميم الوطن الفلسطينى السليب نفسه ، ولكن ايضا لان النجاحات السياسية التى حققها عرب أكتوبر فى المجتمع الدولى وفى الامم المتحدة من اعترافات وتمثيل قد خلقت بروزا سياسيا فلسطينيا حقيقيا وأعادت تاكيد الكيان والوجود والشخصية الفلسطينية على مستوى السياسة الدولية ، ثم اخيرا وليس آخرا لان احتمالات ومحاولات اقامة السلطه الوطنية على الارض الفلسطينية ، واقامة حكومة المنفى الفلسطينية وشيكا أصبحت تضع الفلسطينيين أمام تحد عظيم ومسئولية جادة وبناءة ـ تحدى ومسئولية الدولة السيادية القائمة بالقوة او بالفعل .

واذا كانت الوحدة الفلسطينية المطلقة هدفا صعبا أو غير واقعى لاسباب تاريخية معقدة تتعلق بتعدد نشأة فصائلها أصولا واوطانا وارتباطات وكذلك ايديولوجيات ، وربما أيضا سياسات واهدافا ، فان الممكن والضرورى هو الحد الادنى العملى من هذه الوحدة . ولقد كان شق الصف الفلسطينى وتمزيق فصائله والايقاع بينها تم ايقاع التضارب داخلها ، ولم يزل ، هو من أبجديات السياسة الصهيونية المقررة . ورغم ان منظمة التحرير الفلسطينية بقيادة فتح تضم السواد الاعظم من قوى الثورة الفعالة وذات الثقل ، وتكاد تحقق ذلك الحد او تقترب منه ، فقد شهدت المرحلة الحرجة الاخيرة ابتعادا عنه مرتين :

الابتعاده الاولى فى الصيف الماضى حين أعلنت الجبهة الديموقراطية الشعبية انسحابها من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير « وليس من المنظمة نفسها » اثر محادثات الاسكندرية ، وذلك بسبب ما سمته « الاتجاهات الراهنة لقيادة المنظمة » ورفضا منها لاشتراك المنظمة فى مؤتمر جنيف . وقد قيل وقتئذ أن هناك مجموعتين أخريين ، هما الجبهة الشعبية « القيادة العامة » وجبهة التحرير العربية ، تزمعان الانسحاب كذلك . غير أن هذا لحسن الحظ لم يحدث . والمفهوم أن انسحاب الجبهة الديموقراطية الشعبية نبع من سوء فهم مؤسف لحقائق الموقف . فالاشتراك فى مؤتمر جنيف لم يعد يعنى قط القبول تلقائيا بقرار ٢٤٢ ؟ وذلك لان متغيرات أكتوبر قد تجاوزته تماما كأمر واقع ، أو هى كما وضعها الزعيم **ياسر عرفات** قد حققت « **قفزة فلسطينية** » فوقه . وفى كل الاحوال ، فان المنظمة لن تدخل المؤتمر الا بشروطها هى وبضماناتها . وهناك الان محاولات جادة لاحتواء هذا الانشقاق ، كما ان المأمول عودة الجبهة الى اللجنة الام .

أما الابتعادة الثانية فكانت بعد قمة الرباط ، حيث أعلنت أربع مجموعات من فصائل المقاومة « رفضها لقرارات مؤتمر القمة فى الرباط الخاصة بالصلح مع الحكومة الاردنية » . وهذه المنظمات هى الجبهة الديموقراطية الشعبية ، جبهة التحرير العربية ، جبهة النضال الشعبى الفلسطينى ، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين « القيادة العامة » . ومن أسف أن هذا الاختلاف قد أعطى مادة ومبررا لمعلق مثل **ارنو دى بورجريف** ليقول ساخرا أو شامتا « **لقد انتهت الحرب بين ياسر عرفات والملك حسين ، لتبدأ بين الفلسطينيين انفسهم** » !

وواضح أن هذا الخلاف وذاك هو الخلاف بين انصار مبدأ « **كل شىء او لا شىء** » وبين انصار مبدأ « **شىء من اجل كل شىء** » . وفى ظل التوازنات الدولية الراهنة وامكانيات القدرة العربيه ، يبدو المبدأ الاول لا نقول متطرفا ولكن مثاليا طوباويا ، ومن ثم غير واقعى لا يفضى الى شىء ، فهو يضحى بالحاضر فى سبيل مستقبل غير منظور ، بل ويهدر الممكن فى سبيل هدف مستحيل بكل المقاييس القائمة . اما المبدأ الثانى فليس تفريطا ولا مناقصة بالتاكيد ، ولكنه منطق المراحل واستراتيجية الحل الطويل الامد والصراع الممتد .

وسواء عد هذا الاختلاف فى الرؤيه وزاوية الاقتراب اختلافا استراتيجيا او تكتيكيا ، فان الحقيقة التى لا ينبغى ان نتجاهلها ، مجاملة او مكابره ، هى انه قد ينطوى على جرثومه نزاع خطر بين الاشقاء الفلسطينيين لا يمكن التنبؤ بمداه وعواقبه ، كما لا يمكن السماح به عربيا . انه لا مجال بالطبع لاى حديث عن صراعات دموية أو تصفية جسديه ، فضلا عن حرب اهلية ، كما يتمنى الاعداء . ولا بديل عن الحوار والاقناع صيغة لوحدة الفلسطينية ، ولابد من الحل الديموقراطى حكما بين الاغلبية والاقلية . ان العمل الوطنى الفلسطينى منذ بدا فى ١٩٦٥ لم يكن ابدا أحوج الى عنصر الوحدة الحرجة مما هو الان . والتطورات الجرية ، وأكثر منها القادمة ، تحتم

على الجميع أن يضع ولاءه المطلق لفلسطين ؟ وأن يضع فلسطين فوق الجميع ، حتى تفرض فلسطين نفسها على الجميع .

وحدة الموقف الفلسطيني ـ الاردني

من بين ثلاثية الاستراتيجية العربيه الموحدة ، التي تتتابع كالمتوالية العضوية وتترابط كحلقات السلسلة ، لم يكن هناك ادنى شك ان اخطر هذه الحلقات ، هي اضعفها ، واضعفها هي اوسطها ، ونعني بها وحدة الموقف الفلسطيني ـ الاردني . فتلك كانت بالتحديد زاوية الارتكاز المحوريه في كل استراتيجية السياسة العربية ، بينما كان التناقض الفلسطيني ـ الاردني بالمقابل اسوا واخطر التناقضات العربية ، بل الرئيسي فيها ، والثغرة الحرجة والمكشوفة التي يراهن عليها العدو بكل اوراقه ويلعب عليها بكل مناوراته ومؤامراته لكي ينفذ منها ويخرب الموقف العربي برمته . لقد كان هذا التناقض بلا مبالغة ، بمثابة القنبلة الزمنية التي تهدد بنسف العمل العربي من الداخل وبأن تنقل الصراع من بين العرب واسرائيل الى العرب فيما بينهم . وهنا بالدقة نفهم القيمة التاريخية لقمة الرباط : لقد انتزعت فتيل التفجير من العمل العربي الموحد بأسره ووضعت مكانه صمام امن معقول . ان حل التناقض الفلسطيني ـ الاردني قد يكون بالفعل أعظم انجازات الرباط « المعلنة منها على الاقل » .

ولقد مر هذا التناقض بمراحل عديدة مفعمة ، واحيانا مفجعة ، القت مرارا بظلالها الكثيفة على العلاقات العربية عموما . والحق أن هذا التناقض كامن ـ علميا ـ في صميم كيان الاردن ونسيجه الجيوبوليتيكي كدولة منذ خلقه بحدوده الجغرافية الراهنة ، وقديم قدم النكبة والتقسيم « وضم » الضفة الغربية . ومنذ ولدت المقاومة سنة ١٩٦٥ ، كان حتما أن يبرز هذا التناقض الى المقدمة بشكل تصادمي ودموي ، بلغ قمته في مذابح سبتمبر ١٩٧٠ ، التي لم تكن حربا اهلية بقدر ما كانت حربا ابادية أو كانتهما بالقدر نفسه . وكان أحد المعاني المؤسفة لهذا الصراع ، بل أبشعها في الحقيقة ، هو أن التناقض الفلسطيني ـ الاردني كاد أن يكون على نفس مستوى التناقض الفلسطيني ـ الاسرائيلي ، وهو وضع غير متصور على الاطلاق عربيا وقوميا .

ومنذ انتصار اكتوبر وتواتر محاولات التسوية او التصفية السرية والاتصالات الخفية مع العدو ، أصبحت القضية الجسيمة هي : **لمن الضفة الغربية** : للفلسطينيين أم للاردن ـ ولا نضيف : أم لاسرائيل ؟ وعربيا ؟ تحول سؤال « لمن الضفة الغربية ؟ » الى سؤال « **من الممثل الشرعي والوحيد للفلسطينيين ؟** » ، وكان جوهر المشكلة هو كلمتي « الشرعي » و « الوحيد » . ولذلك أصبح هذا السؤال المصيري المسلط على رؤوس العرب هو محور محاولات التنسيق الديبلوماسي العربية ، واوشك اكثر من مرة أن يسمم جو الوفاق العربي الذي خلقته روح اكتوبر . وعرض مصر بالذات لحملات ظالمة من اكثر من جهة ، كما عرض علاقاتها الاستراتيجية والمصيرية مع الفلسطينيين بخاصة لمحاولات ما سمي « **فك الارتباط** » وكذلك لردود فعل متعجلة ولكنها غير دقيقة . وقد أعطت هذه التوترات ، ولا نقول الازمة ، فرصة لمزايدات قوى الرفض واتهاماتها غير المسئولة بأن مصر قد « **غيرت موقفها** » ، وأنها « **تخلت عن الفلسطينيين** » ، « **باعت القضية** » ، و « **باعت المقاومة للاردن** » ، **الى آخر هذه الادعاءات التي ثبت زيفها أو افتراؤها بعد قليل** .

أما الموقف الفلسطيني فكان واضحا وحاسما منذ البداية ، تحدد في أن **منظمة التحرير هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني** اينما كان ، في الضفتين ، في القطاع ، وفي أي ارض عربية ، في الخارج .. الخ ، كما ان له وحده الحق في اقامة السلطة الوطنية على ايما أرض فلسطينية يرغم العدو على التخلي عنها والانسحاب منها سواء بالعمل السياسي أو العسكري . وقد تبنى مؤتمر قمة الجزائر هذا الموقف الذي لا بد منه كشرط وضمان لابراز الكيان والوجود الفلسطيني دوليا والذي يعد طمس معالمه بل ووأده ، ودفنه الى الابد محور الاستراتيجية العظمى للعدو .

غير ان الاردن اعلن رفضه للقرار ، مدعيا ان هذا يخلق ثنائية في الولاء « **قضية ولاء مزدوج أخرى !** » داخل الدولة بين القطاع الاكبر من مواطنيها ، على الاقل بين اولئك الفلسطينيين المقيمين منهم في الضفة الشرقية . وقد حاولت الديبلوماسية العربية ، حرصا منها على استعادة الاردن الى الصف العربي وأملا في احياء الجبهة الشرقية ، والتوصل الى حل توفيقي ، فكان بيان الاسكندرية الذي اعترف فيه الاردن بالمنظمة ممثلا شرعيا ، ولكن ليس وحيدا ، للفلسطينيين على اساس ان المقاومة تمثل كل الفلسطينيين في الضفة الغربية والقطاع وفي اي مكان آخر بالعالم العربي أو خارجه لكن باستثناء الفلسطينيين رعايا الاردن والعاملين في حكومته .

غير ان البيان أثار ردود فعل فلسطينية عنيفة ، فقد اعتبرت المنظمة هذه الاتفاقية نكوصا عن مقررات الجزائر ، كما اعتبرت أن معنى هذا ببساطة وصراحة « تقسيم الفلسطينيين » بعد أن تم من قبل « تقسيم فلسطين » . وهكذا عاد توضيح القاهرة فأعاد تأكيد مقررات قمة الجزائر ، الا انه أثار بدوره ردود فعل أردنية مضادة ، اذ عاد الاردن يصر على موقفه ، مؤكدا انه هو وحده المؤهل والمقبول دوليا لمعالجة التسوية السياسية التى تقودها امريكا ، وملوحا فى الوقت نفسه بالتخلى عن التزاماته العربية تجاه الضفة الغربية .

ولم يمكن حل هذه العقدة الصماء والمشحونة الا أخيرا بصيغة الرباط ، التى اعترف فيها الاردن بالمنظمة ممثلا شرعيا ووحيدا للفلسطينيين ، وبحق الفلسطينيين فى اقامة دولتهم المستقلة على اى أرض فلسطينية تنتزع من العدو ، وأن أى أرض فلسطينية يتم تحريرها بأى وسيلة تعود الى صاحبها الشرعى الفلسطينى ، مع ارجاء بحث موضوع مصير الفلسطينيين فى الضفة الشرقية الى حين تتحرر الارض الفلسطينية . وبهذا أعاد المؤتمر اقامة القضية على قدميها بعد أن ظلت طويلا واقفة على رأسها ، اذ لم يكن من المتصور أن يعترف العالم بالشعب الفلسطينى وبكيانه ووجوده ولا يعترف الاردن ، لا ولا أن يطالب العرب بجلاء اسرائيل عن الارض الفلسطينية المحتلة ولا يفعل الاردن . ويمكن للمراقب السياسى أن يترجم هذا الاعتراف من جانب الاردن على الفور بانه يعتبر بداية اول تغيير فعلى فى الخريطة السياسية للعالم العربى ، مثلما كان نصر اكتوبر اول تغيير بالقوة فى الخريطة السياسية للشرق الاوسط ، هذا عدا أنه قد رسم خريطة جديدة للمواجهة فى المنطقة ولمجمل الصراع العربى ـ الاسرائيلى عموما .

وحدة الموقف العربى

جاء التضامن العربى فى اكتوبر اعجازا حيث توقع العدو العجز وعليه رتب حساباته ، فكان فى ذلك بعض مقتله .. والحقيقة أن عرب اكتوبر نجحوا فى أن يضعوا العدو داخل مثلث محكم الاغلاق حاصروه فى قلبه وارغموه على ان يأخذ فيه جانب الدفاع سياسيا وعسكريا ، فكانت هزيمته التاريخية لاول مرة فى ربع قرن .. وبحسب ترتيب أهمية وفاعلية وأبعاد أضلاعه ، يمكن أن تعتبر هذا المثلث مثلثا قائم الزاوية : المعركة المسلحة وتره الحساس والاكبر ، والحظر البترولى عموده الرأسى ، والتضامن العربى ضلعه الافقى ..

ومنذ المعركة ، فلقد كان أمل العدو ان يدب الشقاق بين العرب وتعود الخلافات مع عامل الوقت ، وبذلك يتخلخل التضامن العربى وينكسر ذلك الضلع الاخير من المثلث فيجد ثغرة يفلت بها من ذلك الحصار المطبق . والعدو يعلم ، اكثر من أى أحد آخر ، ان قوة العرب فى وحدتهم وضعفهم فى تفرقهم ، بينما أنه يستمد نصف قوته على الاقل من ضعفهم باختلافهم . باختصار ، قوة العدو ، سياسيا كما هى عسكريا ، تتناسب تناسبا طرديا مع اختلاف العرب ، وعكسيا مع وحدتهم . كذلك فقد أثبتت التجربة ،وخاصة تجربة ما بعد المعركة ، ان التضامن العربى ضرورى ولازم للمعركة السياسية لزومه للمعركة العسكرية ان لم يكن اشد لزوما .

ولقد شهدت مرحلة ما بعد اكتوبر ـ لابد لنا ان نعترف ـ بعض الخلافات والاختلافات الثنائية، كما أصاب الوفاق العربى أحيانا شىء من الفتور والتشتت ، وأيا كانت الاسباب الحقيقية او المبررات المعلنة لهذه الاعراض ، فقد كانت الظاهرة طبيعية الى حد ما ، وذلك بالنظر الى تحديات المرحلة وصعوبة الاختيارات والقرارات المصيرية ، ولهذا ، وفيما عدا بعض التجاوزات الحادة والابعاد غير المبررة أوغير المسئولة ، فلم تكن الظاهرة غير صحية كلية ، وانما دليل حيوية الجسم القومى عموما ، كما كانت تلك الحيوية تفرز مضادات داخلية تحصر هذه الخلافات وتطوقها بانتظام .

ومهما يكن ، فقد ظل السواد الاعظم من الوطن العربى على وتيرة عالية من التضامن ، ولم يتعرض الوفاق العربى عموما لانخفاض حاد فى معدل ضغطه الطبيعى ولا أصيب بتصلب الشرايين كما أمل أو هول البعض . فما سمى « بجبهة الرفض » لم يكن يمثل على علو صوته الا الاقلية المحدودة التى لا تعدو أن تكون « جماعة ضغط » جذرية محلية المفعول ، فضلا عن انها خضعت بعد ذلك لعملية تآكل وتراجع بالتدريج . هذا بينما ظلت القيادة الطليعية فاعلة ومؤثرة وواثقة ، بدأب وصبر وحكمة تعمل على التنسيق والتقريب ورأب الصدع . وبين الاثنتين وقفت « الاغلبية الصامتة » من العروبة سندا ودعامة للتضامن ووحدة الصف .

وقد تبدى هذا بصورة أكثر من مشجعة فى قمة الرباط . فرغم كل الصعوبات والشوائب التى هددت المسيرة القومية والتجمع العربى ، خرج المؤتمر وهو قمة القمم ، حسم معظم الخلافات على

مختلف المستويات ؟ ووضع أسس لتنسيق منظم للموقف العربي الشامل . فالى جانب التنسيق الثنائي والثلاثي والرباعي على مستوى دول المواجهة ، حقق التنسيق بين دول المواجهة ودول البترول ، كما بين العالم العربي ككل وبين العالم الخارجي اصدقاء واعداء . فعربيا رصدت دول البترول مساعدات مالية كبيرة بلغت اكثر من مليارى دولار لدعم وتسليح دول المواجهة . ومع الاصدقاء ، وضع المؤتمر ضوابط الحوار العربي ـ الاوربي ، وحدد خطط التعاون مع افريقيا ، كما مع الدول الاسلامية والدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز . أما مع الاعداء ، فقد تصدى لحملة الارهاب والابتزاز والتهديد المتحرشة التي قادتها الامبريالية وغذتها الصهيونية ضد عرب البترول وأسعاره ودخوله وفوائضه ، كما أكد من جديد أن سلاح البترول جاهز ليشرع من جديد اذا عاود العدو العدوان أو لم ينتقل للتسوية السلمية العادلة .

وهكذا استكمل العرب استعدادهم للدخول الى قاعة جنيف جبهة موحدة متماسكة تتكلم بلسان واحد وتحاور بلغة واحدة وتعمل باستراتيجية أحادية ، دون ان تترك للعدو ثغرة يراوغ منها أو يلعب بها على التناقضات بينهم . غير أن الاسوأ من ذلك ، من وجهة نظر العدو ، أنهم قد وضعوا معسكره برمته في مأزق حقيقي « كورنر » لم يكن يتوقعه ، بل وكشف كل نواياه ومخططاته ولعبته السياسية واثبت انها كانت اساسا متاورة غير مخلصة على الاقل ، مخادعة على الارجح ، وغير جادة على الاطلاق .

فالحقيقة ان مؤتمر الرباط كتعبير عن تحقيق وحدة الموقف المصري كان دوره ونتيجته الاساسية انه كشف أن كل تحركات معسكر العدو السياسية في الفترة الاخيرة ، وعلى راسها ديبلوماسية كيسنجر ، لم تكن تقوم ولا تتقدم ولا تتظاهر بالرغبة الشديدة في التوصل الى تسوية الا على اساس حساب جومرى في عقلها الباطن هو انه ببساطة لن تكون هناك تسوية ، لان العرب حتما سوف يختلفون ويسيكونهم بذلك مؤنة التسوية ومزقها وتنازلاتها ، فضلا بالطبع عن مسئوليه الفشل فيها . لقد جاء المؤتمر أعظم كشف سياسي re-agent كما كان اعظم عامل اختزال catalyst في الموقف برمته ..

لهذا فعلى حين كان المفروض أن المؤتمر قد أنهى آخر عقبة على الطريق الى جنيف ، أعطى معسكر العدو العكس تماما . فاما اسرائيل فقد هاجمت المؤتمر بكل عنف وضراوة وادعت ـ كذبا ـ أنه اغلق باب الحل السلمي والسياسي نهائيا وبالتالي لم يترك مفتوحا سوى باب الحرب . أما امريكا فقد أعلن كيسينجر وأكد فورد من بعده ، أن الموقف لصبح دقيقا بعد الرباط ؛ لتقريراته قد « عقدت الامور بعض الشيء » . وعلينا الان ان ندرس هذه التصريح ، كما يتعين على جميع الاطراف أن تتدبرها ، ورغم انه لم يفقد التفاؤل أو الأمل ، فان هو ، فانه يشعر أن مهمته ستكون صعبة وان الاحتمال ضئيل في أن يحقق انفراجا سريعا .

وبغض النظر عن التباين الفادح في اللهجة بين التهويل الاسرائيلي المحموم والتهوين الامريكي المرور ، فالواضح أن استراتيجية السلام الامريكية قد أصيبت بشلل مؤقت اثر المؤتمر ، ولا نقول بسكتة قلبية ، فالصدمة كانت ساعقة وأقوى من أن تمتص بسهولة لانها كانت ـ كفاجأة حرب اكتوبر ـ مستبعدة تماما . والواقع أن وحدة الموقف العربي كما بلورتها الرباط كانت نصرا سياسيا عربيا بقدر ما جاءت مزيمة سياسية لمعسكر العدو ، تماما مثلما كانت حرب اكتوبر على المستوى العسكري . لقد قلبت المائدة عليهم ، وردت اليهم القنبلة التي أرادوا القاءها في معسكر العرب ، وأعادت القاءها في صميم معسكرهم .

سباق الحواجز

بالضبط والدقة ، ماذا تريد اسرائيل ؟ يكاد المراقب السياسي يحار ازاء سيل التصريحات والتهديدات التي تخرج من اسرائيل حاليا ، فهي متناقضة بقدر ما هي متدفقة وغزيرة ، وغامضة كما هي مكشوفة ، حتى لتبدو الصورة كلها وهي اشبه برقع الكلمات المتقاطعة أو بقطع الالغاز الصينية . فهل هو تضارب مقصود للتعمية والتضليل ، أم هو تعبير عن الاضطراب والتردد وعدم الثقة ، أم هما الاثنان معا ؟

اننا ابتداء لنفترض خطأ جسيما اذا تصورنا ان اسرائيل اليوم تعرف تماما ما تريد أو ما تفعل ، على الاقل تكتيكيا ، حتى لو ادعت بغير ذلك . أو كما اعترفت **هاآرتس** منذ بعض الوقت « ان اسرائيل لم تعد تعرف الى اين تسير أو الى اين تقاد » ولا ينبغي لاحد منا أن ينكر اليوم بعقلية ما قبل اكتوبر التي كانت تفترض بالوهم والعجز ان العدو قادر وسوبرمان ، يسيطر على الاحداث ويتحكم فيها ويقول للمستقبل كن فيكون . الى الابد ولت هذه الخرافة ـ الاكذوبة ، وسيكولوجية العدو بعد الضربة المزلزلة التي تلقاها ، هي سيكولوجية

مهزوزة مرتعشة تتمزق بين الحقد والخوف ؟ وبين التظاهر الخارجي بالقوة والشعور الداخلي بالضعف .

واذا كانت اسرائيل بعد مضي اكثر من سنة على الهزيمة قد افاقت لاشك بعض الشيء من الدوامة الرهيبة التي تردت فيها ، فمن المنطقي كذلك أن نفترض انها لا تزال مهتزه مشتتة . لقد تجاوزت مرحلة انعدام الوزن ، ولكنها في مرحلة فقدان الاتجاه لم تزل . وهي اليوم تتخبط بقدر ما تخطط ، وتدبر مثلما تدبر ، وتناور كما تتآمر ، وبغير هذا الفرض لن نفهم حقيقة الخط او الخيط الجديد الذي يربط بين شتات أقوال العدو وتحركاته ، ويؤلف استراتيجيته الاساسية او العليا .

وفيما عدا هذا ، فان من المسلم به منطقيا ان اهداف العدو في المعركة السياسية الراهنة هي نقيض اهدافنا نحن العرب . فاذا كان محور العمل السياسي عندنا هو استثمار نتائج وآثار اكتوبر العسكرية الى اقصى حد ممكن وترجمتها الى حقائق سياسية وجغرافية جديدة ، فانه عند العدو تعقيم او اجهاض ، او الغاء تلك النتائج بالدقة واعادة توازن القوى الى ما كان عليه قبل المعركة بقدر الامكان كما لو لم تكن على الاطلاق . وعلى هذا فانها ، اسرائيل ، لا تريد التسوية السياسية ، ان كان لا مفر منها ، الا بشروطها هي ولصالحها . وهذا يعني ويستدعي الا تتم الا من موضع القوة . وقد عبر رابين عن هذا بصورة استفزازيه في اكثر من تصريح له .. خذ مثلا : « ان اسرائيل قوية هي شرط للسلام » « اسرائيل تسعى الى السلام من خلال القوة والامن والثقة ، بمقدرتنا على الدفاع عن أنفسنا » « معنى السلام بالنسبة لاسرائيل ان تكون اسرائيل قوية » « اذا لم نكن اقوياء ، فلن نصل الى سلام حقيقي » . وهناك اخيرا حديثه عن ضرورة التفاوض من مركز القوة ، لان « اسرائيل القوية هي وحدها القادرة على دخول دوامة مفاوضات جنيف ، تماما كما ان امريكا قوية هي وحدها القادرة على الدخول في مفاوضات مع السوفيت » .. ان السلاح عند اسرائيل هو ، باختصار ، وقود السلام .

ويترتب على هذا منطقيا وعمليا ان اسرائيل تجد من مصلحتها وواجبها ، الى أن تتحقق تلك الشروط والاوضاع ، ان تؤجل التسوية السياسية ، وتمعن في تأخيرها بالتسويف والمماطلة ووضع العراقيل واختلاقها ، والافضل على الاطلاق أن تمنعها كلية .. فاذا ما فرضت عليها في النهاية ضد ارادتها ولغير صالحها ؟ او فرضت عليها الحرب كبديل ، كانت على استعداد تام لنسف الاولى أو للبدء بالثانية . بعبارة اخرى ، استراتيجيه اسرائيل الحاليه هي العمل للابقاء على الوضع الراهن لاطول فتره ممكنة ، ومنه تقفز اما الى نصر سياسي في جنيف ، أو الى نصر عسكري خارجها . وكل ما تفعله الان هو ابعاد شبح الحل السياسي الى اقصى حد وامد ممكن ، ودخول جنيف — ان كان لا مفر — من مركز القوة القصوى .

ومعنى هذا بالتالي ان اسرائيل كان عليها اساسا ومنذ البداية ان تكسب الوقت ، فالوقت طلبة المهزوم ، وهو — في المدى القصير على الاقل — حليفه الاول . ذلك محور الاستراتيجية الوحيده المتاحه لها بعد ضربة الهزيمة ، به تستعيد توازنها ونفسيتها وانفاسها « وتعيد ترتيب بيتها من الداخل ، وكذلك الجيش » كما اعترف زيف شيف ، ومن أجله تقبل اي تنازلات مؤقته او جزئية أو مرحلية ، وعليه تراهن لتفتيت معسكر الاعداء وظهور الخلافات فيه او فتور التضامن داخله ، وفي سبيله تقوم بأي مناورات تمويهية او تخديرية ، وبهذه المناورات الملتوية والحلول المطوطة يمكن لمحاولات التسوية أن تمضي سنين عددا . وبالفعل كان الوقت والفرصة ، اي على الترتيب الابطاء في سير التسوية والاسراع في التسليح ، هي كل ما تطلبه اسرائيل بالحاح وانتظام من امريكا .

ولعبة كسب الوقت هذه تلعبها اسرائيل بسفور دون أن تحاول ولو اخفاءها . فقد ذكرت الصحف الاسرائيلية مثلا أن هناك رأيا في الحكومة يقول انه اذا امكن ابقاء الموقف على ما هو عليه لستة شهور اخرى ، فان اسرائيل تستطيع ان تضمن فسحه عامين آخرين للعبه المفاوضات ، ذلك لان الرئيس الامريكي الجديد سوف يحتاج الى التأييد اليهودي للانتخابات الرياسية القادمة . واستطرادا للخطة نفسها أعلن رابين بعد ذلك أن اسرائيل ترى أنه يجب أن تمر سنتان او ثلاث قبل اتخاذ اي خطوة اخرى في أزمة الشرق الاوسط حتى تستطيع جميع الاطراف ، كما زعم ، استيعاب الحقائق المترتبة على الخطوات التي تحققت فعلا . وفي مناسبة أخرى قال ان الوقت المطلوب هو حوالي ٧ سنوات ، وحينئذ ستكون حاجة اوربا الغربية لبترول العرب اقل بكثير . وعموما فان اسرائيل ، يضيف رابين : « تحتاج الى وقت لاستعادة صحتها » .

واذا كان من المؤكد أن العرب لن يسمحوا للعدو بممارسه هذه اللعبة المكشوفة والخطره ، فالحقق من الناحيه الاخرى ان وقتا ثمينا ، كما لاحظ الملك فيصل ، قد ضاع بالفعل ، او كما صرح الرئيس السادات أخيرا جدا « بالتأكيد ضاع الصيف الماضي » . وبينما كان الرئيس السادات يرى أن التسويةيمكن ان تتم فى بضعة او عدة شهور ، وعلى حين كان كيسجر قد صرح منذ عام بأنه يتوقع حل المشكلة خلال عام ، مان عاما واكثر من عام قد انقضى دون تقدم . والمسئول عن هذا التأخير هو لا شك التلاعب والتناور الاسرائيلى المخطط .

فى ضوء هذه الاستراتيجية الاسلسية وحدها يمكننا ان نفهم موقف العدو من مؤتمر جنيف ، الذى هو - حتى لا ننسى - مبادرة مصرية أصلا فرضها العرب من موضع المنتصرين واقتيدت اليه اسرائيل راغمة كارهة . ولعلنا ان نتذكر هنا قولة بيجين غداة تقرر المؤتمر من أنه على ايه حال « غلا يأس بالذهاب الى مؤتمر جنيف لنجلس على مائدة المفاوضات مع العرب الذين لوا يرفضون هذه المواجهة طوال تاريخهم معنا » . أو تصريح شارون الموقح من أنه « اذا اراد العرب استرجاع اراضيهم كلها ، فلن تكون جنيف هى المكان المناسب لهذا ، وانما عليهم أن يستردوها فى جبهه القتال » واخيرا ما قاله آلون من ان اسرائيل « ستذهب الى جنيف،آملة فى الاحسن ، ومستعدةللاسوأ ».

ومن واقع أفعال العدو واقواله عبر السنة الاخيره يمكننا ان نستخلص مكونات هذه الاستراتيجيه ونشخصها فى سلسله متعاقبة من العقبات والمعوقات المتصاعده نضعها فى طريق المؤتمر بحيث تحيل الرحله اليه سباق حواجز حقيقى ومتع ينتهى بها الى انهائه قبلان يبدأ وتخريبه اذا بدأ . واهم تلك الحواجز ، وهى نفسها اهم محاور تلك الاستراتيجيه ، ثلاثة هى : سياسة الحلول الجزئية ، سياسة الحلول التتابعية ، سياسة الحلول الفرعية .

سياسة الحلول الجزئية

هى ما يسميه كيسنجر « السياسة التدريجية » نحو التسوية « خطوة خطوة » ، او سياسة « الخطوات القصيره » ، وما تسميه اسرائيل سياسة المراحل او سياسة « جزء من الارض مقابل جزء من السلام » وتدرج تحته أساسا ، ولكن بمغالطة اتفاقيات فض الاشتباك والفصل بين القوات . وفى المعانين فانها ترادفة سياسة « النقاط الافقى » القضية ، بمعنى ان ينسحب العدو كل مرة عن شريحة صغيرة من الاراضى المحتلة مقابل تنازلات أو تعهدات معينة يلتزم بها الجانب العـربى ، بحيث لا يكون الانسحاب قد وصل الى نهايته او انتهاء الا وقد ضمن العدو بالفعل احراز كل المكاسب التى يسعى الى الحصول عليها فى الاصل ، وبحيث لا يعطى أكثر مما يأخذ ، أو دون أن يأخذ ، وبحيث يستطيع أن يتوقف ويمتنع عن المضى فى الانسحاب عند الحد الذى يريده ويخفيه وراء ظهره ويخطط له فى قرارة نفسه .

وحين نتمعن هذه السياسة ، أو حتى دون تمعن ، نجدها فى باطنها ومنتهاها سياسة الانسحاب من جزء وليس من كل الاراضى المحتلة . ففى تصبح له أن يحتفظ فى النهاية بما يشاء من الاراضى المحتلة ، أى عدم العودة بعمل الى خطوط ٤ يونيو ١٩٦٧ . أو كما قال آلون ، ان اسرائيل مستعدة لتنازلات جوهرية ، لكن للعودة الى خطوط ٤ يونيو « كارثة » أو كذلك كما حدد أحد أعضاء الكنيست ، العمل التدريجى هو المساومة والحصول على شىء مقابل التنازل عن شىء ، وهكذا بالتدريج نصل الى « حدود قريبة جدا من حدود ١٩٦٧ » .

وفيما عدا هذا ، فان سياسة الحلول الجزئية هى سياسة البيع بالقطاعى لا بالجملة من جانب اسرائيل ، والدفع فورا لا اجلا من جانب العرب ، وبهذا فانها اساسا سياسة « شراء الوقت بالارض » او « بيع المكان من أجل الزمان » كما يقول الاستراتيجيون . وعلى الفور ، يتضح لنا أنها استراتيجية تضرر أبا عام التخلى عن كل ثمرات العدوان ، وأبا الاحتفاظ بحرية مساودة العدوان وينطلق وثيق للانقضاض من جديد .

يكشف هذا ويؤكده قول شارون لمواطنيه ان الانسحاب الاخير الذى سيوافق عليه الاسرائيليون سيكون الخط الذى سيبدأ منه الحرب هجومهم القادم ، ولذلك ينبغى الا يكون هذا الخط قريبا من حدود ما قبل ١٩٦٧ .

ثم خذ مثلا هذه المقابلة من التصريحات لرابين ، تجدها تعكس هذا الخط الخطأ بدقة كاشفة :

- « اسرائيل على استعداد للتقدم بخطوات تدريجية نحو السلام اذا اعلنت الدول العربية انهاء حالة الحرب » .

ـ « استراتيجية اسرائيل السلام هى مفاوضات وانسحاب على مراحل بهدف الحصول على اتفاقيات لانهاء حالة الحرب ، وتمهيد الطريق لمعاهدات سلام فيما بعد » .

ـ « لن يكون هناك انسحاب آخر دون مقابل ، ودون مقابل ينطوى على مغزى فعلى لاحلال السلام » .

ـ « لن تكون هناك انسحابات أخرى ما لم يتم فى الوقت نفسه تقدم حقيقى نحو السلام » .

ـ « اسرائيل لن توافق على تسوية سلمية مؤقتة مع العرب اذا اشتملت فقط على انسحاب عسكرى دون مقابل ، ولابد من اتفاقيات عسكرية وسياسية معا » .

ـ وأخيرا ، وفى كل الحالات ، فان « على العرب ألا يبالغوا فى توقع تنازلات اقليمية كبيرة من اسرائيل » .

ومن الاجانب وحده بعد هذا أن نقول ان هذه الخطة ـ الخدعة مرفوضة ، تماما من الجانب العربى ، وهم على وعى تام باللعبة ، وقد افسدوها على العدو بالفعل حيث أصروا دائما ، وكيدا على أن الحل الوحيد هو الحل الجذرى الكامل الشامل دفعة واحدة ، وأن أى انسحاب اسرائيلى من الاراضى العربية لا يعد حلا نهائيا ولا تترتب عليه اية التزامات الا بارتباطه بالحل النهائى الذى يتمثل فقط فى الانسحاب الكامل من الاراضى العربية ، ويرتبط شرطيا بحقوق الشعب الفلسطينى .

بهذا المنطق المرفوض نظرت اسرائيل فى قرارة نفسها الى اتفاقيتى الفصل بين القوات المتحاربة على جبهتى سيناء والجولان ، ورغم أن الجانب العربى نص على اعتبارهما اتفاقيتين عسكريتين بصورة بحتة ، لا حلا جزئيا ولا جزءا من الحل السياسى ، ورغم انهما لم تتما الا بعد مناورات ومحاورات مشحونة بالخطر وبالغة التعقيد ، فقد ظلتا للأن الخطوة الاولى والاخيرة . وحق لجروميكو أن يقول ، كما صرح مؤخرا ، « ان هناك دلائل متزايدة على أن اسرائيل لا تعتبر اتفاقيات الفصل فى سيناء والجولان خطوة أولى نحو تسوية عامة ، بل تعتبرها أداة للمناورة من أجل تجميد الموقف . وهكذا قد يتحول الفصل الى خطوة لاعادة تجميع القوات من أجل هجوم جديد » . اما الخطوة الثانية فقد ضيعت اسرائيل نحو عام تناور حولها وتساوم دون أن تتحقق ، كما أنفقت الدعاية الاسرائيلية وقتا وجهدا تؤكد مرة أنه قد قدمت خرائط للانسحاب ، ومرة تؤكد انها لا خرائط ..

فعلى الجبهة المصرية ، حيث تتلاعب اسرائيل حول التخلى عن ابار بترول ابو رديس كورقة ضغط أو تلويح ، فالمقول أن هناك عرضا قدمه كيسنجر بالانسحاب ٣٠ ـ ٥٠ كم أخرى نحو الشرق الى خط يمتد من أبو زنيمة الى العريش أو الى الحدود مقابل اعلان بانتهاء حالة الحرب . والمقدر أن هذا الانسحاب مضافا الى انسحاب فصل القوات لا يعادل الا نحو سدس مساحة سيناء فقط ، بينما تريد مصر كما قيل الانسحاب الى خط العريش ـ رأس محمد . وفى ذلك السياق صرح كيسنجر بأن مصر وامرائيل تدرسان الان خرائط لانسحاب اسرائيلى ثان « أكثر عمقا ، فى مقابل تعهد مصرى بانهاء حالة الحرب » ، وأن اسرائيل تريد قدرا من « المعاملة الطبيعية فى علاقاتها مع مصر » ، لكن مصر ترفض تعاملا .

وفيما عدا هذا فقد أعلن رابين أنه مستعد « للتنازل عن الجزء الاكبر من سيناء » فى مقابل معاهدة سلام غير مشروطة ، أو لاعادة جزء من سيناء مقابل « شىء أقل من معاهدة سلام » كتصريح بانهاء حالة الحرب من جانب مصر . كذلك صرح آلون أن اسرائيل مستعدة لقبول « حل وسط معقول بشأن الاراضى فى سيناء » .

ولكنه عاد فكشف عما يقصد « بالحل الوسط » حين صرح بأن حجر الزاوية فى سياسة اسرائيل هو « أن عمق الانسحاب الاسرائيلى من سيناء سيكون مرتبطا ارتباطا مباشرا بمدى ومغزى التعهدات المصرية فى المجال السياسى ، وأن اسرائيل ستواصل الاحتفاظ باجزاء من سيناء تكون هامة بالنسبة لمصر ، وذلك مادامت التسويات من النوع المرحلى » ..

والحديث الان متواتر عن محاولة أمريكية لحث اسرائيل على قبول انسحاب ثان فى سيناء كجزء من عملية الفصل بين القوات ودون أى مقابل من مصر ، وذلك لكى يكون خطوة تمهيدية نحو مؤتمر جنيف . وفى هذا تقول المعلومات الواردة من أمريكا أن اسرائيل مستعدة للانسحاب من حقول البترول فى ابو رديس مقابل ضمان أمريكى بتوفير البترول من جانب أمريكا .

• هذا على الجبهة المصرية ، أما على السورية فقد أغلقت اسرائيل باب الانسحاب نهائيا فيما يبدو • فرغم احتمال انسحابات اسرائيلية من الجولان ، هكذا أبلغ كيسنجر الرئيس الاسد ، فان من المستبعد تماما أن يعيدوا الجولان كلها ، لان ذلك «يعرض أمن اسرائيل للخطر » • هذا بينما حدد رابين بصورة قاطعة أن « اسرائيل لن تتنازل عن الجولان لسوريا حتى ولو عقدت اتفاقية سلام مع اسرائيل » • وقد عقب الرئيس الاسد على ذلك ، وبحق مطلق ، بأن « هذا معناه الحرب » • هذا بينما خرج دايان من الظل أو الظلام ليقول انه سوف يتعنتم على اسرائيل أن تعيد الجولان الى سوريا اذا أرادت أن تتجنب نشوب حرب جديدة ، وأن تتوصل الى اتفاق سلام مع مصر • وأضاف أن المحاولات التى تبذل لتحقيق انسحاب اسرائيلى فى الجولان يتراوح بين كيلومتر وكيلومترين لن تحل النزاع حول الارض مع سوريا ، ولن يحله سوى التخلى عن المنطقة كلها ، وفى هذه الحالة يمكن أن تتحول الى منطقة منزوعة السلاح • ثم أستدرك دايان قائلا انه لا يدعو الى التخلى عن الجولان ، ولكنه وضح أن الجولان هى مفتاح مشكلة الحرب • فما لم تكن مصر راغبة فى تسوية منفصلة ، هكذا قال ، « فحتى أكثر المقترحات اغراء لن تجدى فى التوصل الى شىء ان لم نتوصل الى تسوية مع سوريا على الجولان • وما دمنا بالعين فى مرتفعات الجولان فان سيف الحرب المعلق سيظل مسلطا فوق رؤوسنا » •

لما على الجبهة الاردنية ، فبعد أن لعبت اسرائيل لعبة التلويح بالفصل بين القوات حينا ما للايقاع بين الاردن الذى يريده والمقاومة التى ترفضه ، عادة فقالت انها توافق على ما سبقه ذلك اشتباك « وظيفى » لا « جغرافى » ، بمعنى أن تبقى القوات وكذلك المستعمرات الاسرائيلية مع عودة الادارة المدنية الاردنية فقط • ثم عادت اسرائيل فسحبت عرضها قائلة انه لن يكون هناك فض اشتباك قوات أصلا ، كما لا انسحاب اطلاقا الا فى اطار تسوية سلام شاملة ونهائية تتضمن أن يكون نهر الاردن « حد أمن » لاسرائيل بحيث لا يستطيع أى سلاح صاروخى عبوره لتهديد القدس وضواحى تل أبيب ، كما يحفظ لليهود حق استيطان « يهودا والسامرة » •

فى مثل هذا الاطار وحده فان أسرائيل « لا ترى مانعا من اعادة جزء كبير من الاراضى التى احتلتها فى الضفة الغربية للاردن ، اذا تأكدت من أن هذه الاراضى ستبقى جزءا من الاردن وأن تتحول الى دولة منفصلة ، وبشرط ألا تدخلها القوات الاردنيه » (بارليف) • أو كما قال رابين « اسرائيل مستعدة للانسحاب من جزء مهم من الضفة الغربية ، مقابل اعلان الاردن عدم اعتداء وانتهاء حالة الحرب مع اسرائيل » • ولكن هذا الاعلان ، الذى أثار احتجاج ودمشقية كثير من الاسرائيليين وعلقت عليه صحف اسرائيلية بأن رابين قال ما لم يقله مسئول اسرائيلى من قبل ، تمخض فى الترجمة العملية عن عرض مزيل بانسحاب صورى أجوف الى خط يتراوح بين ١٠ ، ١٥ كم من النهر • وحتى هذا العرض البائس قد يحتاج لاقراره الى انتخابات اسرائيلية جديدة لان العناصر الدينية اليمينية المتطرفة ، كالحزب الدينى القومى الذى دخل الحكومة مؤخرا، تعد الضفة بمرتفعاتها (يهودا والسامرة) جزءا من « أرض أسرائيل » التاريخية •

وحتى عند ذلك ، « فأيا كان المستقبل السياسى للضفة الغربية ، فانها قد أصبحت تشكيلا من اسرائيل وحدة اقتصادية واحدة وأصبحت اسرائيل تعتبرها جزءا لا يتجزأ من الاقتصاد الاسرائيلى ، وستخطط مستقبلها كما لو كان الامر يتعلق بوحدة اقتصادية واحدة » (بارليف) •

ذلك كله دون أن نذكر القدس ، التى « وحدت » الى الابد ولا نقاش حولها البتة ، والتى ضربت اسرائيل حولها ستارا حديديا حقيقيا من الصمران اليهودى اقتطاعا لها من جسمها العربى ، وتحويل خطه التهويد الى أمر واقع ليس له دافع • وكما قال بيجين « نحن لن نتخلى عن بوصة واحدة من القدس ولو وقف العالم كله بجانب العرب » • على أن هذه المهزلة برمتها قد سقطت وأصبحت غير ذات موضوع بعد قرارات الرباط •

سياسة الحلول الثنائية

هذه بدورها هى سياسة « التفتيت الراسى » للقضية ، حيث الحلول الجزئية للتفتيت الافقى ، وهى تعنى تجزئة القضية والتسوية سياسيا ، فلا يتقاوض العدو مفاوضة جماعية مع دول المواجهة كجبهة واحدة ولكن كدول منفصلة كل على حدة ، وصولا الى صلح منفرد مع كل • فالحلول الثنائية هى نفسها الحلول المنفردة ، أو ان شئت فقل الاحادية • بهذا المفهوم « نحن على استعداد للدخول فى مفاوضات مع أى دولة عربية ، بشرط أن تكون المفاوضات حول السلام وليس ما هو أقل من ذلك » (رابين) • كذلك كرر المسئول نفسه أكثر

مرة أن اسرائيل « تفضل » أن تعقد اتفاقا منفصلا مع مصر ثم تتفاوض مع الدول العربية الاخرى بعد ذلك فرادى ، على أن تتفاوض بصورة جماعية مع المجموعة كلها » . أما جنيف ، فاسرائيل تريدها مجرد نهاية لمحادثات ثنائية معتقلة ، وهناك يكون التوقيع فقط . وتكاد هذه أن تكون بحذافيرها سياسة أمريكا أيضا .

وواضح أن غاية هذه الخطة المحسوبة هي تمزيق الجبهة العربية وتخريب وحدة موقفها . بمعنى أن تنفرد اسرائيل بكل دولة على حدة هو أن تكون في موقف أقوى على المساومة والضغط أولا ، وأقدر على المس والوقيعة أو المضاربة بينها ثانيا ، ثم ثالثا وأخيرا الابتعاد التدريجي عن مؤتمر جنيف أو تقاديه ، فتتريثه من محتواه الحقيقي فالغائه عمليا وتحويله الى مجرد شكلية جوفاء .

وهناك أدلة على أن ديبلوماسية كيسنجر قد شجعت اسرائيل في هذه السياسة والبحث عن حلول خارج المؤتمر ، ففي أكثر من مناسبة حين بدأ تعثر محاولاته الديبلوماسية اقترح شكلا أو أكثر من المفاوضات الثنائية « الجانبية » أو « الهادئة » تتم في واشنطن ، لكن العرب رفضوا . كذلك كشف مؤتمر الرباط ، فيما قيل ، عن أن أمريكا كانت تخاطب دول المواجهة بلغات مختلفة . ولقد صرح الرئيس الاسد بالفعل وأكثر من مرة أن « وزير الخارجية الامريكية حاول دق اسفين بين مصر وسوريا » ، وهما بالذات تمثلا القوة العربية المحاربة ، كما حاول أن « يستغل الخلافات الثانوية وأن يصنع هوة بين القاهرة ودمشق عن » غلو الارتباط بين مصر وسوريا » . وعموما فان « الولايات المتحدة لم تحاول أن تقدم شيئا أكثر من تفتيت التضامن العربي » .

وأبرز مثال على لعبة الحلول الثنائية الاسرائيلية اقتراح آلون المرسوم بالانسحاب ٣٠-٥٠ كم في سيناء . فهذا العرض ، الذي يظل يحفظ لاسرائيل منطقة المضايق ومنطقة البترول ، معلق بعدة شروط واضحة أهدافها : انهاء حالة الحرب بين مصر واسرائيل ، نزع سلاح المناطق التي سيتم منها الانسحاب ، حق اسرائيل في المرور في قناة السويس ، تعهد مصر بعدم تأييد الفدائيين الفلسطينيين ، عدم انضمام مصر الى أي عمل من أعمال الحرب قد تقوم به دولة عربية أخرى في المنطقة . والدولة العربية الاخرى المقصودة في النص الاخير هي بوضوح سوريا . وبهذا يصبح الهدف الشامل من الاقتراح هو عزل سوريا أساسا بابعاد مصر عنها ثم عزل مصر عن القضية واخراجها منها تماما .

لما المحرك وراء هذه اللعبة الاسرائيلية المكشوفة والساذجة هو ما اعتقدته اسرائيل ، خطأ أو صوابا ، من أن مصر فقدت مصدر تسليحها الاساسي نتيجة الخلاف الطارىء مع السوفيت ، بينما تدفق السلاح الكثيف على سوريا ، ومن ثم فان أمكن بالاغراء والغواية استدراج مصر الى نفخ العزلة ، أصبح التعامل مع سوريا بعد ذلك سهلا وجاء دورها عسكريا فيما بعد . واذا كانت سوريا قد رأت في هذا الحل الجزئي أو الانفرادي الخبيث عابلا يدفع بالمنطقة الى الحرب ، وكانت مصر قد رفضته بازدراء رفضا قاطعا ، فان الغريب أن آلون هاد نأنكر أن شبهة مثل هذا الاقتراح وأنه لم يعرض على امريكا ، وأن الامر كله مجرد تكهنات ؛ والاغرب منه أن مصر كذبت علنا أن أية اقتراح أو عرض كهذا قد قدم اليها .

كذلك ، فلقد لعبت اسرائيل لعبة الحلول الثنائية بتكتيك محسوب من أجل كسب الوقت ، وتأخير كل تقدم نحو التسوية الشاملة . فمن ناحية عاودت الحديث عن الانسحاب في سيناء على أن تتعهد مصر ، كما قيل ، بعدم الاقدام على أية أعمال حربية لمدة سنتين على الاقل ، وذلك كتجربة « للتعايش السلمي » بين الدولتين (كذا) . ومن ناحية أخرى فلقد شهدت الشهور الاخيرة سؤالا تولد كثيرا ويصورة لافتة : مع من تكون المفاوضات التالية : الاردن أم مصر ؟ (دائما دون ذكر لسوريا) . فالخطوة القادمة هي مع مصر لا الاردن ، ثم هي العكس بعد ذلك ، وهكذا على التناوب . فعين يتعقد الموقف مع الاردن أو فيه ، يتحول الحديث الشائع الى أن تكون المفاوضات القادمة مع مصر . ولكن مصر تصر على أن تربط كل مفاوضات معها بمفاوضات موازية مع سوريا . غير أن سوريا مستبعدة تماما من جانب اسرائيل لان جوهر سياستها هو عزل سوريا بالذات ، وهو مبدأ باركه وأكد ضرورته علنا مسئول أمريكي كبير . من ثم تعود الكرة أو البوصلة نحو الاردن . وهكذا تمضي اللعبة الى مالا نهاية . ويعد الرباط بالتحديد عادت اسرائيل تتباكى على « الفرصة الضائعة » مع الاردن ، أو ذلك « اللبن المسكوب » الذي استعقت من أجله لوم الرئيس الامريكي فورد .

وبديهي أن هذا التكتيك المعادي كان محكوما عليه بالفشل منذ البداية . فمنذ فصل القوات على

الجبهتين ، كان المبدأ العربى هو ربط كل تسوية جزئية ، كانت أو شاملة ، على أى جبهة بالجبهتين الاخريين ، وعدم قبول أى عرض أو محاولة لتحقيق أى تسويات سياسية جزئية أو منفردة بحيث لا يسمح للعدو بخلق تناقضات بينهم ، ثم اللعب على تلك التناقضات أو استدراجهم الى فخ المناقصات والمناقصات . ومبدأ الربط الثلاثى الواعى هذا هو ماأشارت اليه النيويورك تايمز بأنه أحد « الحواجز » العالية والدائمة التى يتعين على كيسنجر أن يجتازها للخروج من « حقل الالغام الذى يعمل وسطه » فى الشرق الاوسط .

وقد تأكد المبدأ من جديد بصورة قاطعة وحازمة فى مؤتمر الرباط الذى حدد عدة أسس يسترشد بها العمل السياسى العربى هى «أولا «لاتنازلات سياسية مقابل أى انسحابات تتم ، وثانيا ، لا انسحاب من سيناء دون انسحاب مماثل من الجولان ، وثالثا ، لا بحث لاى مسألة سياسية فى الصراع خارج مؤتمر جنيف ، ولابد من المؤتمر لاستنفاد الجهود الدبلوماسية ، كما لابد من عقده بأسرع ما يمكن .

وقد وجد هذا المبدأ تطبيقه على الفور داخل المؤتمر نفسه وعقبه . فلقد كشف المؤتمر عن عرض أمريكى لمصر بانسحاب اسرائيلى « انسحابا كليا » من سيناء مقابل انهاء مصر لحالة الحرب ، كما قبل ان اسرائيل عرضت بعد المؤتمر الانسحاب لعمق ٦ أميال (نحو ١٠ كم ، وهو ما يظل يترك آبار البترول ومنطقة المضايق فى يدها) لاخرى من سيناء بدون طلب أى مقابل من مصر . [فى رواية أخرى أن العرض يتراوح بين ٥ ، ١٠ كم ، على أن تتسلم القوات الدولية هذه الشقة ، كما تجوبها دوريات اسرائيلية ــ مصرية مشتركة «!» ، وان يتم تمديد وجود قوات الامم المتحدة من ٦ شهور الى ٣ سنوات . وبشرط أن تعلن مصر نيتها فى انهاء حالة العداء فى تعهد يقدم لامريكا ...) لكن مصر رفضت كلا العرضين لأنه حل ثنائى أو منفرد يفتت وحدة الموقف العربى ويتعمد اختراق قرارات الرباط ويفصل الموقف المصرى على حدة ، بينما هى تضع نصب عينها « وقبل كل شىء ليس سيناء فحسب وانما الضفة الغربية لنهر الاردن و[illegible] والقدس وبالطبع حقوق الشعب الفلسطينى ، كما أعلن الرئيس السادات فى اكثر من مناسبة . بل ولقد كان آخر ما صرح به أن الانسحاب على الجبهات الثلاث هو شرط نزع الفتيل من القنبلة المتفجرة قبل التوجه الى جنيف .

سياسة الحلول الفرعية

وبها نقصد الاقتصار على مناقشة الجوانب الفرعية من القضية وهو الاراضى المحتلة سنة ١٩٦٧ ، وحصر التسوية فيها دون التطرق الى اصلها وصلبها وهو قضية فلسطين الام . فما من شىء فى الصراع كله يرعب اسرائيل ويكاد يقتلها بالذعر كاثارة أصل المشكلة وأسسها وجذورها ، وهو مسألة الوطن الفلسطينى وحق الشعب الفلسطينى صاحبه فى تقرير مصيره وعودته ، الشعب الى الوطن والارض الى الاهل . ويمكن القول أن العدو يضع مناقشة الاراضى المحتلة فى ١٩٦٧ فى كفة وتلك المحتلة فى ١٩٤٨ أو ١٩٤٧ فى كفة أخرى ، أو أن الحديث عن « ازالة آثار العدوان » شىء وعن « استعادة حقوق الشعب الفلسطينى » شىء آخر تماما ، وبين الاثنين يرسم لنفسه خطا يعتبره خط الحياة أو الموت والبقاء أو الفناء .

ولهذا فعلى حين تكد قادة العرب مرارا أن لب ازمة الشرق الاوسط يكمن بغير القضية الفلسطينية هى ، فلسطين وانه لا حل لمشرع الا بحل الاصل ، يحدد العدو موقفا مكسبيا ومضادها تماما . الرئيس السادات ، مثلا ، اعلن اكثر من مرة أن القدس والضفة والقطاع تأتى قبل سيناء والجولان ، هذا بينما يؤمن كن عربى انه اذا كانت سيناء هى قدس اقداس مصر والجولان قدس اقداس سوريا ، فان فلسطين برمتها هى قدس اقداس العرب قاطبة . ومن الناحية الموضوعية ، فلا شك أن ازمة الشرق الاوسط ــ كما تسمى ــ ليست الا امتدادا وتعطيما maximization لقضية الام فلسطين ، ومجرد شرنقه ــ على ممكها وكثافتها ــ لنواتها الدفينة « ازمة الشرق الاوسط بغير القضية الفلسطينية هى ، باختصار ، « كهاملت بغير الامير » كما يقولون .

على النقيض من هذا تماما ، وقف رابين ليعلن أن « ما يسمى بالمشكلة الفلسطينية ليس هو صميم النزاع فى الشرق الاوسط ، وانما صميم المشكلة هو العلاقات بين اسرائيل والدول العربية . واذا أمكن تنظيم هذه العلاقات فانه يمكن حينئذ حل المشكلة الفلسطينية بلا صعوبة » . أما المسألة الفلسطينية ، يكمل رابين ، « فمشكلة ثانوية فى نزاع الشرق الاوسط ، ولا يمكن حلها الا بعد أن يستتب السلام بين العرب واسرائيل ، وحلها يتعين أن يكون بين اسرائيل والدولة التى تقع شرقها » [أى الاردن] . ثم يضيف « وسياسة اسرائيل هى اتاحة الفرصة للفلسطينيين للتعبير عن شخصيتهم داخل اطار الدولة الاردنية ــ الفلسطينية » .

ويمكن النظر من هذا الجانب الكامل للحقائق والذى يضع العربة أمام الحصان ، فالمحقق أن أسوأ نتائج حرب اكتوبر ، من وجهة نظر العدو طبعا ، أنها قد طرحت أصل الصراع وأساسه وفرضته فرضا ، ليس عليه وعلى أصدقائه فحسب وانما كذلك على العالم أجمع ، ذلك الذى بات مؤمنا أنه لا حل لمشكلة الشرق الاوسط الا بحل القضية الفلسطينية • ولهذا بعينه أصبح محور الاستراتيجية السياسية للعدو ولأصدقائه فى التسوية الآن هو رفض فتح ملف فلسطين أو مناقشة الوجود الصهيونى على « أرض اسرائيل » بأى ثمن حتى لو أدى هذا الى نسف أى فرصة للسلام والعودة الى القتال •

وترتيبا على هذا [أى ترتيبا له] فهو يرفض كلية أو ينكر ثالثا : أولا ، حق تقرير المصير للشعب الفلسطينى ، ثانيا ، الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا له ، ثالثا ، اقامة دولة فلسطينية مستقلة على أى رقعة من أرض فلسطين قد ينسحب منها •• أى أنه على الترتيب ينكر الشعب والمنظمة والدولة •

فاما الاولى ، فالمشكلة الفلسطينية هى عند العدو مشكلة بحتين لا قضية شعب ، ومشكلة انسانية لا سياسية • وكل حقهم فى الحياة هو الغذاء والكساء ، وكل حقوقهم على العالم هى الاحسان والغوث • بل ان العدو ليرفض الاعتراف بوجود هذا الشعب أصلا ويعتبره شبحا لا وجود له (« من هم الفلسطينيون ؟ انني لا أعرف شعبا بهذا الاسم » ـ مايير) • أما فى اسرائيل ، فليس للفلسطينيين حق فى العودة ولا فى تقرير المصير ، لان « استيعاب اللاجئين العرب يعنى استيعاب طابور خامس » ، « واعادة اللاجئين هى ادخال حصان طروادة فيها » (مايير أيضا) • أما مسئولية حل أوضاعهم ومشاكلهم ، فان العدو ، على لسان رابين ، يحملها للدول العربية ، وذلك لساسا بالتوطين والتذويب ، وأساسا فى الاردن بالتحديد •

والواقع أن الذى يتتبع خط المؤامرة الاسرائيلية لتصفية الشعب الفلسطينى يجد أنها تفكر دائما فى الاردن وتعهده فى الاذهان لكى يكون مقبرة طبيعية حية من مقياس اقليمى أو ، وقابلا dumping ground جغرافيا ـ سياسيا بحجم دولة يستوعب اللاجئين نهائيا • انها عملية زحزحة بشرية نحو الشرق والى الصحراء على دفعات ، دفعة عام ١٩٤٨ ، ودفعة عام ١٩٦٧ ، ودفعة أو أكثر فى المستقبل •• وفى هذا السبيل فانهم يتلاعبون بالتنظير العلمى والتبرير الجيوبوليتيكى بشكل فاضح ، فيحاولون « تلبيس » وسرادقة الكيان الفلسطينى بالاردنى تذويبا للشخصية الاولى فى الثانية •

مايير ، مثلا ، فى انكارها للوجود الفلسطينى تقول قبل الرباط « ان كيانا بهذا الاسم لا وجود له • ففلسطين قد قسمت منذ ١٩٤٧ الى دولة يهودية وأخرى عربية • غير أنه لم يكن بهذه الارض شعب عربى فلسطينى ، اذ لا فرق هناك بين العرب الذين يعيشون فى عمان والعرب الذين يسكنون نابلس » • أما بعد تدوار الامم المتحدة بدخول فلسطين مراقبا ، فقد وقف تيكواه يصرخ مضللا « ما هى الاردن ، ان لم تكن دولة عربية فلسطينية ؟ » هذا بينما ذهب شارون الى حد التساؤل « لماذا لا يقيم عرفات دولة فلسطينية فى الاردن ؟ » ، ثم لم يتورع عن أن يضيف ، نحن على استعداد لاحتلال اربدن وتقديمه لعرفات ! !

هذا عن الشعب • أما عن المنظمة فلا يمكن ، على حد قول آلون ، الاعتراف بمنظمة التحرير كالممثل للشعب الفلسطينى لان الذى يمثله هم « الفلسطينيون الاردنيون » فى الضفتين الغربية والشرقية [كذا] ••

ومن الطريف أن رابين للاستهلاك الخارجى لا شك ، يعترف أنه « بدون حل للمشكلة الفلسطينية لا يمكن أن يتحقق سلام عادل دائم » ، ولكنه يردف على الفور أنه يعتقد أن « المشكلة الفلسطينية يمكن ويجب حلها فى نطاق مفاوضات بين اسرائيل والاردن » ، واسرائيل « ما زالت تعتقد أن الاردن هو المفاوض الطبيعى عن أراضى الضفة الغربية » • لماذا ؟ ـ لانها ، كما تقول ، قد أخذتها من الاردن وان تتفاوض عليها الا مع الاردن •••

أما المنظمة ؟ التى وصفها تيكواه فى الامم المتحدة بأنها « منظمة للقتل » ، فان « لقاء اسرائيل ومنظمة التحرير ليس مقبولا الا فى ساحة القتال » ، « وأكبر خطأ يمكن أن ترتكبه اسرائيل هو أن تعترف بالمنظمة » (رابين) ، « ولا يمكن لاى اسرائيلى عاقل أن يفكر فى الجلوس مع ياسر عرفات » (مايير) ، « واسرائيل لن تتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية المزعومة ، لا لانهم فلسطينيون ، ولكن بالرغم من انهم فلسطينيون » (آلون) !

وحتى الاردن ، بعد تطورات السياسة العربية الاخيرة وخاصة بعد الرباط ، لا حوار معه اذا كان سيتحدث لحساب المنظمة . « فلو تفاوض الملك حسين ، في جنيف ، بوصفه طرفا ثالثا لكي يترك بعد ذلك الاراضي التي تغتصب منها اسرائيل ليامر عرفات » ، قال رابين ، « فان الملك الاردني يستبعد نفسه من الان كطرف يمكن التفاوض معه في مؤتمر جنيف . كذلك فانه « ليس هناك ما يمكن التحدث بشأنه مع منظمات المقاومة . واذا ما تقرر ألا يكون الاردن طرفا ، فليس هناك أحد يمكن التحدث معه بشأن السلام على الحدود الشرقية . ورفض اسرائيل التام التعامل مع منظمات المقاومة سيبرى حتى لو تخفت المقاومة في ثياب الملك حسين » .

وعلى أية حال فان اسرائيل ، كما كتبت الجيروزاليم بوست ، « لا يمكن أن تبحث مسألة الحدود مع منظمة ليست دولة وليست لها حدود » ، ولا بشأن « أرض لا تقيم عليها » (اى الضفة الغربية) . وصحيح ان اسرائيل ترى أن اعترافها بالمنظمة يعني ارغامها على العودة الى حدود تقسيم ١٩٤٧ ، وهذا ما يعني عندها بداية انهيار الدولة .

أما عن الدولة الفلسطينية ، فقد كانت سياسة اسرائيل دائما ، قبل أكتوبر كما هي بعده، أنه لا مجال لدولة ثالثة بين البحر والصحراء أو بين اسرائيل وحدود العراق . في المخطط الاسرائيلي ثمة فقط دولتان مستقلتان بين البحر والنهر، هما اسرائيل التي ستظل عاصمتها القدس « مدينة موحدة » ، ودولة عربية الى الشرق منها تضم الاردنيين والفلسطينيين وترتبط بعلاقات سلام وجوار طيبة مع اسرائيل (كذا) .

وفي هذا الاطار ، الابريالي تحت الجلد وحتى النخاع ، ومن موضع القوة والسيطرة المطلقة ، طرحت اسرائيل بعد يونيو مباشرة مشروع الدولة الفلسطينية لتكون دولة دمية مسخا puppet state أو كاريكاتير دولة وصحبة اسرائيلية و « ممثلا » أو « بانتوستانا » فلسطينيا ، قال « فلسطينستان » ، على غرار بانتوستانات جنوب افريقيا العنصرية . ولكن حتى هذه المناورة المكشوفة عادت اسرائيل بسرعة فسحبتها ثم دفنتها وأصبحت تحاربها بضراوة ، لان دولة فلسطينية في جنب اسرائيل تصبح « رأس جسر ضد اسرائيل » (مايير) وبمثابة « قنبلة زمنية موقوتة على حدودها » (رابين) ، ومنصة انطلاق للصواريخ السوفيتية على مرأى ومرمى من كل أبيب نفسها ، و « بداية الدمار لاسرائيل » (دايان) .

وقد ازعجت اسرائيل بعد أكتوبر وحدث بها اضطراب عظيم لتصريح لوزير الخارجية ألون فحواه انها على استعداد للقبول بدوله فلسطينية في نطاق دولة فيدرالية اردنية ، واضطرت الحكومة الى نفي التصريح بجسامته لا يمثل رأي الدولة الرسمي ! وهذ ألون نفسه يزعم أن « اقامة دولة فلسطينية مستقلة سيكون معناه فصل الجماعة الواحدة ذات العلاقة الاصرية والتاريخية الوثيقة على ضفتي النهر ، وأن هذه الدوله ستكون في حالة انشائها بؤرة للتطرف والعدوان ازاء الاردن « كذا » واسرائيل ، وستكون قاعدة سيعمل السوفييتي في المنطقة ، وأن انشاءها يعني تنفيذ سياسة لتصفية اسرائيل على مراحل وحرمانها من الحدود الامنة والقابلة للدفاع عنها » .

وبالمثل تكرر الاضطراب بشكل أكثر اثارة حين صرح وزير الاعلام باريف بانه « اذا ما اقامت منظمة التحرير الفلسطينية ميثاق سنة ١٩٦٨ ، واعترفت بوجود دولة يهودية ذات سيادة كاملة وكفت عن القيام بجميع الاعمال العدوانية ، فان اسرائيل ستقبل حينئذ اجراء المفاوضات مع هذه المنظمة » . وعلى الفور تصدى رابين ونفى التصريح مؤكدا أن اسرائيل لن تتفاوض مع أحد اعدائها الذين يعملون على تصفيتها . كذلك تصدت له الصحف الاسرائيلية ، التي انتقدت أيضا هذا التضارب المخل على مستوى القيادة السياسية . فقالت معاريف مثلا : ما الذين يمكن أن يحدث لو رفضت المقاومة الفلسطينية السيناريو الذي أعدته اسرائيل ؟ انهم سيمضون بلا شك في الحرب ، ولن يطالبوا بجزء من « البلاد » ولكن سيطالبون بها كلها !

ذلك ، في هيكله الاساسي ، هو الموقف الاسرائيلي من فلسطين شعبا ومنظمة ودولة . منه نفهم ايضا ويسهولة لماذا يخطف عند العدو مغزى الضفة الغربية [فضلا عن القدس على راسها وعلى راس فلسطين بأسرها] . من بين كل الاراضي المحتلة في يونيو ، ولماذا يتميز موقفه منها في التسوية . فعلى عكس سيناء والجولان ، الضفة الغربية [ومعها غزة] هي من صلب فلسطين السليبة ، ولذا فمصيرها يمكن ان يكون مباشرة على مصير الارض المحتلة في ١٩٤٨ . ومن هنا ايضا ، وليس من هناك ، نفهم كذلك لماذا وجد العدو فيها « العقدة » الجاهزة التي يضعها في « متشار » التسوية ليخربها واتخذ منها أكبر عائق يقيمه في مضمار سباق الحواجز .

والتكتيك الذى اختاره العدو لتنفيذ هذه الاستراتيجية هو الا تفاوض على الضفة الغربية الا مع الاردن ومن خلاله . وفى اطار هذا الشرط كان العرض الذى قدمه صفقة سفيقة وخاسرة يتم بها اخراج الاردن تماما من الصراع وعقد صلح نهائى معه فى مقابل تواجد هزيل له فى شريط محدود من الضفة كما رأينا . وحين اغلق قرار الرباط هذا الباب نهائيا فى وجه مخطط العدو ، بدأ يلوح ويسعى الى فرض تسوية داخلية فى الضفة تحت اسم ما دعاه « الحكم الذاتى » ومن خلال زعامات محلية مشبوهة وقيادات مختلقة و « بديلة » يضع بها المنطقة تحت سيطرته ورصاياه الفعلية ويضع العرب والعالم ازاء أمر واقع جديد . غير ان فشل هذه الخطة بدورها محتوم ، وقد بدأت بوادره فى الثورة الشعبية الحقيقية المستمرة لاهالى الضفة والتى جعلت وجوده أصعب منه فى أى وقت مضى والتى ستجعل ايامه فيها معدودة ومرهونة بالتسوية الشاملة مهما طال أو قاوم .

ان آجلا أو عاجلا ، نحن نخلص ، سنرغم اسرائيل على قبول الامر الواقع الجديد ، الامر العربى . واذا شئنا شهادات الاخرين ، محايدين أو حتى اعداء ، فثمة هذه الاحكام الدامغة . « انضاء اسرائيل وتحررها » ، تقول للنوفيل اوبزيرفاتير ، « هو الاعتراف بأن منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الشرعى والوحيد للشعب الفلسطينى ، والتفاوض معها » . هذا بينما كتبت زيد دويتش تسايتونج تقول « ان اسرائيل لا مناص لها من الاعتراف بالفلسطينيين وبانشاء دولة فلسطينية » . حتى الجويش كرونيكل تعترف قائلة « مع التعاطف الكامل مع اسرائيل فى ورطتها الرهيبة ، فان هناك ظروفا جديدة فى الشرق الاوسط تجعل منظمة التحرير الفلسطينية فى وسط الاحداث السياسية . فغرصة عقد اتفاق مع الملك حسين ليست قائمة اليوم ، وينبغى حتما البحث عن مستقبل الضفة الغربية بالاشتراك مع منظمة التحرير الفلسطينية » . كذلك صرح ولبرايت بأن الاسرائيليين وان كانوا قد تمهدوا بعدم التفاوض مع المنظمة فانه لا يعتقد أن هذا الموقف نهائى . وأخيرا وليس آخرا هناك جولدمان ، داعية السلام الصهيونى ، يصرح بأن على الشعب الاسرائيلى أن يعد نفسه للقرار المصيرى الصعب وقبول « البديل المر » ، وبأن « الوقت قد حان لاتخاذ قرارات مؤلمة للغاية ، قرارات جذرية لايمكن تجنبها . حان الوقت لاقدام بمحاولة جذرية لكسر الجمود تضع اسرائيل والعرب على السواء أمام الاعتراف المتبادل » .

عودة فلسطين

واذا نحن نظرنا الان الى مجمل القضية الفلسطينية من زاوية التغيرات والمتغيرات الاستراتيجية الاخيرة ، فواقع الامر أن اسرائيل ظلت أكبر هزيمة سياسية لها منذ أكتوبر فى صميم المسألة الفلسطينية بالذات ، على حين سجل العرب فيها بالمقابل أعظم نصر سياسى لهم ، كما لا شك أن هذا النصر وتلك الهزيمة هما مما يخطر النتائج السياسية لحرب أكتوبر . فكما جاء مؤتمر الرباط [هل تقول رباط الفتح ، « رباط فتح »] مؤتمر فلسطين بالضرورة جاءت دورة الامم المتحدة دورة فلسطين بلا جدال ، فكان العام برمته عام فلسطين بامتياز . وهذه الصدمات الكهربائية المتلاحقة تفسر تلك الهيستيريا السياسية الحادة التى اجتاحت اسرائيل مؤخرا الى الحد الذى لوحت معه بالانسحاب من الامم المتحدة [ربما قبل أن تطرد !]»

فلما عالميا ، ففى غضون عام واحد كسبت قضية الشعب الفلسطينى اكبر قدر من تأييد الرأى العام العالمى ودوله واشتد برون وبلور الشخصية الفلسطينية على المسرح الدولى وعاد اسم فلسطين والشعب الفلسطينى تفرض نفسها على خريطة الدنيا بعد أن استماتت اسرائيل فى طمسها ومحقها الى الأبد . وبالقدر نفسه فقدت اسرائيل الارض التى كسبتها بالخداع والتضليل على مدى ربع قرن أو يزيد وازدادت عزلتها الى حد مدمر . وبعد أن كان كل العالم تقريبا يرفض الاعتراف بفلسطين وحقوقها وشعبها ، اصبح كل العالم تقريبا يرفض أطماع اسرائيل ودعاواها ويعترف بفلسطين . انه عالم الزحف الفلسطينى المظفر الصاعد النظيم ، والمتراجع الاسرائيلى السريع والاكيد .

معظم زعماء العالم ، ابتداء من السكرتير العام للامم المتحدة الى رؤساء رومانيا وبلغاريا الى النمسا وفرنسا ، فضلا بالطبع عن دول المعسكر الاشتراكى وعدم الانحياز والقارء الافريقية والعالم الاسلامى ، اعلنوا صراحة أو ضمنا تعاطفهم وتأييدهم للحق الفلسطينى فى تقرير المصير والعودة وانشاء الدولة المستقلة . ولبعض هذه التحولات قيمة خاصة لانها ذات مغزى وثقل غير عاديين .

خذ مثلا فرنسا ، التى كان وزير خارجيتها أول مسئول رسمى كبير من دولة غربية كبيرة يجتمع بقائد ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية ، وصرح بأن فرنسا تعتقد أنه قد حان الوقت ليعترف المجتمع الدولى بالامال المشروعة للشعب الفلسطينى . ثم اعتبر ما أعلنه رئيسها ديستان بجلاء من أن « الفلسطينيين يشكلون كيانا وحقيقة وشعبا ... وأذا ما اريد الوصول الى تسوية

سلمية دائمة فى المنطقة ، فيجب معالجة القضية الفلسطينية . واذا عولجت كل القضايا الاخرى دون هذه فليس هناك أى أمل فى سلام دائم فى الشرق الاوسط » . ثم حدد الرئيس الفرنسى أبعاد المشكلة فى ثلاثة : القضية الفلسطينية ، الاراضى العربية المحتلة ، أمن اسرائيل . ومن هذا المنطلق اعلنت فرنسا بصيغة حادة أنها تقدر أن حياة اسرائيل أو بقاءها يستدعى بالضرورة الاعتراف بالوطن الفلسطينى ، وأن مستقبل اسرائيل داخل حدود آمنة ومعترف بها لا يتحقق الا بحل مشكلة الوطن الفلسطينى .

وفى تقديرنا ان هذه التصريحات الخطيرة لا ينبغى ان تمر دون أن ندرك دلالتها التاريخية : انها تكاد تؤلف « وعد بلفور مضاد » ، اى وعدا للعرب ، حتى ولو كان وعدا أدبيا بحتا لا تسنده اى قوة أو تواطؤ انتدابى ... ولا تزال فرنسا تعمل باصرار على توحيد كلمة اوربا الغربية أو السوق المشتركة وحولها من تشية الشعب الفلسطينى . وما تقوله فرنسا اليوم تقوله أوربا ـ عادة ـ غدا فاللشاهد هاهنا كلمة قديمة مؤداها انه يعجبه فى باريس أنها تسبق عصرها دائما بقرن ... » .

أما مؤتمر الرباط ، الذى وضع جومر استراتيجية العدو فى التلاعب على التناقضات العربية على طريق مسدود نهائيا ، فقد هاجمته اسرائيل بعنف مجموعه . فالمؤتمر ليس هو « الكلمة الاخيرة فى سياسة الشرق الاوسط أو فى شئون الشرق الاوسط ... ومزاج الرباط ليس هو المؤشر نحو حل سياسى » « ألون » . واسرائيل ، كما أضاف رابين ، ترفض التفاوض مع المنظمة التى « تضم منظمات ارهابية تعترف بأن هدفها هو تصفية اسرائيل » ، وهى « لن تقبل دوله فلسطينية ثالثة ولن تسمح للمخربين باقامة موطىء قدم لهم فى المنطقة ... لقد عهدت البلاد العربية الى منظمة تتألف من مجموعة من السفاحين بتشكيل الدولة الفلسطينية المقبلة ، وهذا يعنى مواصلة سياسة العمل على تصفية دولة اسرائيل ... ان تشكيل الدولة الفلسطينية يعنى تصفية اسرائيل » ...

ونصل الى ذروه الهزيمة الاسرائيلية تحت سقف الامم المتحدة ، دون أن نذكر امتدادها فى اليونسكو . فحين نجح العرب فى الحصول على تأييد ١٠٥ دول فى ادراج القضية الفلسطينية كبند منفصل ومستقل عن ازمة الشرق الاوسط فى جدول أعمالها ، زعمت اسرائيل أن ذلك يتعارض مع الجهود السلمية التى تبذل لحل الازمه . وحين دخلت فلسطين الى الهيئة وصدرت قرارات الاعتراف بها وبمنظمتها وبحقوقها بأغلبية نحو ١٠٠ دولة وأصبحت مراقبا رسميا ، كان رد الفعل الاسرائيلى دراميا بل مأساويا .

فخطاب عرفات التاريخى ، الذى طالب فيه بحق تقرير المصير للفلسطينيين وبالدولة الفلسطينية العلمانية الديموقراطية متعددة القوميات والاديان ، يعنى عند رابين أنه « ليس من حق الشعب اليهودى أن تكون له دولته الخاصة به » وأنه كتب عليه أن يبقى الى الابد اقلية متناثرة فى انحاء العالم . انه يرج الكيان الاسرائيلى كله ويقوم على مبادىء تهدد وجود اسرائيل » . هذا بينما كتبت هآرتس تقول أن الخطاب تعبير عن الامل الاول للفلسطينيين وهو تحويل اليهود الفلسطينيين « كذا » الى اقلية صغيرة غارقة وسط الكتلة العربية . كذلك فان الهدف الحقيقى والوحيد للخطاب عند ألون ليس الا « تصفية دولة اسرائيل ... وحتى بالموافقة على منح صفة المراقب لمنظمة التحرير الفلسطينية فى الامم المتحدة فان ذلك سيكون ضررا بالغا بوجود اسرائيل ، لأن معناه أن الامم المتحدة سوف تعتنق وجهة النظر الفلسطينية التى تنكر على اسرائيل حقها فى الوجود كدولة يهودية مستقلة ... » وقرارات الامم المتحدة لن تعدل قرارى ٢٤٢ و ٣٣٨ ، ولكن سيكون لها مع ذلك ثقل مؤكد » . أما عند باريف فان « موافقة العصبة على قرارات فلسطين هى موافقة على تدمير اسرائيل » ، لان دولة فلسطين تعنى ببساطة « انتحار » اسرائيل « ! » .

والسؤال الان هو : **ما معنى كل هذه التطورات الانقلابية ، وما مغزاها الصراعى ؟** ثمة نقاط أربع جوهرية :

أولا : أن قضية فلسطين ، بهذا الدخول والقبول الاجماعى ، قد حلت نهائيا محل قضيه فيتنام فى الرأى العام العالمى وبين صفوف كل المقدمين والمناضلين من أجل الحرية فى كل مكان . انه دخول الى الشرعية الدولية ، قلب المائدة على اسرائيل وعلى دعاياتها المسلمة والكاذبة عن « الارهابيين والمخربين وابتزازهم ... » الخ » . وهو أيضا اعتراف من الامم المتحدة والمجتمع الدولى بأنها قد اخطأت فى حق الشعب الفلسطينى ، وهى الان تصحح خطأها بل خطيئتها ، وبالتالى اعتراف بأن اسرائيل كانت غلطة ، لابد مستقبلا من تصحيحها هى الاخرى » وهو اخيرا اشبه أن يكون اعترافا أو شبه اعتراف ـ أو كما قال الرئيس اللبنانى نصف

اعتراف ـ بالشعب الفلسطيني والوجود الفلسطيني ، وربما يرقى ضمنيا ودون مبالغة الى نوع أو درجة من سحب الاعتراف باسرائيل .

ثانيا : ان هذا التصويت الدولي بأغلبية ساحقة في اكبر منبر عالمي لا يقل خطرا ولا مغزى بالنسبة لمستقبل عودة فلسطين عن معنى مؤتمر بازل الصهيوني سنة ١٨٩٧ بالنسبة لنشأة الدولة اليهودية . بينما تكاد ردود الفعل الصهيونية الهيستيرية ـ وهم اساتذة فن الهيستيريا الجماعية وعلم الحملات المحمومة campaignology منذ عيسى حتى آيخمان ، حقا أو باطلا لا يهم ـ تكاد ردود الفعل هذه من مظاهرات وضغوط عنيفة في نيويورك تذكرنا ، ولكن بطريقة عكسية ، بمثيلاتها ايام التقسيم عام ١٩٤٧ . يؤكد هذا ما كتبه مراسل التايم في القدس من أن « الجو في اسرائيل يشبه الى حد بعيد الجو الذي كان سائدا في مثل هذا الوقت عام ١٩٤٧ . ففي تلك الايام كان اليهود قلقين على بقاء الدولة كما هم الان » .

كذلك فلن نغالي اذا اعتبرنا دعوة العديد من الدول والدول الكبرى ورؤسائها الى ضرورة قيام دولة فلسطينية بمثابة دعوة مضادة الى « وطن قومي » للفلسطينيين . لقد تكلم البعض عن الحاجة الى «صهيونية عربية» مضادة للصهيونية الاسرائيلية الدخيلة ، بمعنى العودة الى ارض الوطن الاب ، وليس ما نراه اليوم من تطورات في مجمله الا جزءا من هذه العملية التاريخية .

ثالثا : ان عجلة التاريخ ، تاريخ الصراع الفلسطيني ـ الصهيوني ، بدأت على الارجح ، بل على وجه اليقين ، تدور دورة عكسية ، وأخذ بندول تطور هذا التناقض التاريخي يتأرجح في ذبذبة مضادة راجعا ادراجه الى الماضي الاصيل والاصل السليم . ان التراكم التاريخي الذي بني منذ ١٨٩٧ ، ١٩١٧ ، بدأ يهتز ، ونحن نشهد اليوم تحت ناظرينا ، ولكن دون ادراك كامل فيما يبدو ، عملية فكه بالتدريج . لقد انفتح الطريق عربيا وعالميا أمام عودة فلسطين الدولة ، لا كفلسطينستان العدو ولكن « كفلسطين الصغرى » ، قاعدة أمامية لاستكمال تحرير الوطن السليب وكنواة وخلية لفلسطين التاريخية على كامل التراب الوطني ، أو « كهانوي التحرير » . ولربما تصبح سنة ٧٤ مقلوب سنة ٤٧ سياسيا كما هي عدديا « ؟ » .

والواقع ان العرب اذا نجحوا في تحقيق اهدافهم المعلنة في هذه الجولة من تحرير الاراضي المحتلة في يونيو ، واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة ، فستكون حرب اكتوبر قد نجحت في العودة بعجلة الصراع من أوضاع ١٩٦٧ الى وضع قريب من وضع ١٩٤٧ او ١٩٤٨ . ولا يبقى على العرب بعد ذلك في المراحل القادمة من الصراع الا أن يكملوا الدورة الراجعة بالعودة بالموقف من وضع ٧ ـ ١٩٤٨ الى وضع ١٨٩٧ .

وما لا تدركه اسرائيل ، او تحاول ألا تعترف به ، هو أن هناك عملية محققة حاسمة واستراتيجية من اعادة توزيع للقوة في المنطقة تعكس عملية مماثلة اكبر على امتداد عالمنا المعاصر . لقد بدأ ـ نحن نجادل ـ العد التنازلي في تاريخ حياة دولة اسرائيل ، على الاقل بصورتها الراهنة . ولم يعد شك أن مصير اسرائيل برمته اصبح في الميزان . واذا بدا لاحد في هذا مغالاة او اسراف في التفاؤل ، فاليه نقدم تعليقا ديبلوماسيا اسرائيليا ذكرته مجلة تايم ردا على طلب اسماعيل فهمي تجميد الهجرة الى اسرائيل لمدة ٥٠ سنة حيث قال « على الاقل فان فهمي يظن أن اسرائيل ستكون مازالت في مكانها بعد ٥٠ سنة من الان ! » ... حتى كيسنجر ، كما ذكرت الجيروزاليم بوست ، متشائم بالنسبة لفرص بقاء اسرائيل أمام العرب ... غير أن هذا ـ نحن نحذر ـ لن يتم طواعية وسلما . وتماما كما حققت الصهيونية دولتها بالعمل المسلح والحرب ، فلن تقوم الدولة الفلسطينية القادمة الا بالنضال المسلح والحرب المجددة .

رابعا : أن الكيان الاسرائيلي يشعر لاول مرة منذ نشأته غير الشرعية أن شبح فلسطين لا يطارده فقط كتجسيد حقيقي تناسخ وبعث ، ولكن ايضا كجسم حي يكتسب الشرعية الدولية وينذر بأن يطبق عليه ويأخذ بخناقه . ان اسرائيل ـ لاول مرة ـ تجد نفسها في حالة حصار سياسي شبه كامل يضاف الى الحصار العسكري الذي بدأه اكتوبر .

وهذا وحده ما يفسر حالة الفزع الهيستيري والعصبية المفلوتة التي اجتاحت اسرائيل وعكستها تصريحات وتهديدات زعمائها ، وصرخة الحرب المسعورة التي تخرج وتتصاعد كل يوم من بيت القاتل . فهذا انما هو رد الفعل الطبيعي للص الذي تعود أن يسرق ويفلت بجريمته حرا سليما ، بل ومعززا ، ولكنه لاول مرة يوشك أن يضبط وهو متلبس بجريمته وأن يفقد كل شيء في يده ، وبأثر رجعي أيضا . انه الموقف التقليدي الذي يجعل اللص قاتلا بالضرورة ، والقاتل منتحرا في النهاية . ولكن تلك قصة أخرى ! »

« لا » للجامعـــة الخاصـــة

« نعم » لتكافـؤ الفـــرص

د٠ عبد العظيم انيس

في الوقت الذى تتجه فيه شـعوب العـالم وحكوماته الى مزيد من الديمقراطية فى التعليم ، بتوسيع قاعدة اشتراك الطبقات الكادحة، فى قطاعى التعليم العام والجامعى ٠٠ فى الوقت الذى ترتفع فيه صيحات الهيئات الدولية ـ وفى مقدمتها اليونسكو ـ تؤكد على اهمية مبدأ تكافؤ الفرص فى الخدمات التعليمية ، وتنزع القنـاع عن الدلالة الطبقية الحقيقية لنظريات التربيـة القديمة الفاسدة ، ولامتحـانات التصفيـة فى المراحل المبكرة فى سلم التعليم ، وللازدواج فى التعليم الاعدادى والثانوى بين المدرسة «المهنية» والمدرسة النظرية العامة ٠٠٠ فى الوقت الذى يعلو صوت اليونسـكو منبها الى أن الطبقـات الفقيرة قد حرمت زمانا طويلا من حقها فى التعليم، وان الامة ككل قد أضيرت بسبب هذا ، مؤكدا أن مبدأ تكافؤ الفرص ليس معنـاه مجـانية التعليم للجماهير الفقيرة فحسب، وانما معناه ايضـا منح ابناء هذه الجماهير المساعدات المالية التى تكفل لهم القدرة على الاستمرار فى التعليم !

فى الوقت الذى نسمع فيه عن تجربة الجامعة المفتوحة فى بريطانيا ، حيث يقبل النـاس فى الجامعة دون اشتراط الحصـول على شـهادة الثانوية العامة ، ونسمع فيه عن المدرسة الشاملة الجديدة حيث يقضى على هذا الانفصال الكريه ذى الدلالة الطبقية بين العمل اليدوى والعمل الذهنى بين المدرسة الصناعية الثانوية وبين المدرسـة الثانوية العامة .

فى هذا الوقت بالذات نتكلم نحن بديمقراطية التعليم ، ونتراجع نحن الى الوراء بدعوة الجامعة « الاهلية » المزعومة ٠٠ حتى ولو كان فى هـذا الانتكاس تخليا عن اجمل المبـادىء التى ارستها بوائق الثورة ، ولا سيما الميثاق وبرنامج العمل الوطنى !

والغريب اننا فى عصر قد أجدنا صناعة التخفى وراء أسماء براقة ذات تاريخ كريم لترويج بضاعة زائفة ذات رائحة كريهة . **فالجامعة الاهلية** قد اسست فى مصر عام ١٩٠٨ ، انشأها هذا الشعب بماله وشارکت فى تاسيسها كل طبقاته عندما كان المستعمرون يضنون على هذا الشعب بفكرة الجامعة ، وسميت **اهلية** تأكيدا لبعدها عن السلطة والحكومة وهى التى كانت مأوى لامير السادة الانجليز فى لندن ومثيلهم فى القاهرة . ومن هذه الجامعة خرج الجيل الاوائل من الثوار والمفكرين فى مصر الحديثة ، وكان على رأسهم رجل اسمه طه حسين ! ان الاغلبية الساحقة من تلاميذ هذه الجامعة كانوا من فقراء مصر الطامحين الى مزيد من التعليم والمعرفة والاتصال بحضارة الغرب ، والحالمين بالمشاركة فى بناء مصر الحديثة كما يتمنونها أن تكون !

ما هو « الاهلى » اذن فى هذه الجامعة المقترحة اليوم على طريقة « **الجامعة الامريكية** » كما يقول **رئيس الوزراء** ، ونحن لدينا سبع جامعات فى مصر لا نعرف كيف نحل مشكلة عجز هيئات التدريس فيها ، ولا مشكلة عجز الموارد المالية من بناء المعامل المطلوبة ؟ وتكوين المكتبات المطلوبة والارتقاء بمستوى البحث العلمى المطلوب ؟ ومن هم تلاميذ هذه الجامعة المقترحة ، ونحن نعلم أن التعليم فى هذه الجامعة سوف يكون بالصرفونات الغالية ؟

ليس هناك شىء « **اهلى** » فى هذا المشروع **الملفق** ، وليس من حق أحد أن يسميه جامعة اهلية بعد ما وصلنا الى هذه المرحلة المتقدمة — فى ظل الثورة — من ديمقراطية التعليم .

ان من الغريب اننا من الناحية الفعلية — وبدون مشروع الجامعة « الاهلية » — نتنكر فى قشرة ديمقراطية التعليم الجامعى منذ سنوات دون ان تكون لدينا الشجاعة على ان نعترف بذلك ... ولقد اصبح هذا واضحا فى السنوات الخمس الاخيرة ، بعدما اصبحت الدروس الخصوصية هى السبيل فى الحصول على مجموع كافى لدخول الجامعة ، وبعدما امتد هذا الوباء الثقيل الى الجامعة ، وبعدما ارتفع اجر المدرسين فى هذه الدروس الى الحد الذى لا يقدر عليه ابناء الفقراء، وبعدما اصبحت امتحانات الثانوية العامة [والجامعات] مجرد اختبار ممل متكرر للقدرة على الحفظ والتحصيل ؟ دون اختبار للمهارات ، والقدرات العقلية والقدرة على مواجهة الموقف الجديد . وكل من لهم صلة بالجامعة اليوم . يستطيعون ان يروا بأنفسهم ، ان نسبة ابناء الطبقة المتوسطة وابناء الاقاليم ممثلون فى الجامعة بأضعاف أضعاف نسبتهم العددية فى هذه الامة ؟

وان هذه الظاهرة فى ازدياد وليست فى انخفاض ؟ ولاسيما فى الكليات « الراقية » كالطب والهندسة والاقتصاد والزراعة ! أليست الحقيقة ان التعليم الجامعى فى مصر قد انتهى عمليا الى قسمين : قسم الكليات « الراقية » حيث غالبية تلاميذه [ولا اقول كلهم] من ابناء الطبقات الوسطى وما فوقها وهؤلاء يعدون للمهن « الراقية » ذات الدخل الوفير أو للمناصب الرفيعة فى اجهزة السلطة والحكومة ؟ وقسم الكليات « الشعبية » مثل كليات التربية حيث يحتشد أبناء الفقراء والشرائح الدنيا من الطبقة الوسطى استعدادا للمهن « غير الراقية » مثل التدريس ؟

فى هذا الوقت الذى يرى كل ذى عينين هذه الحقائق واضحة وناصعة ، يعلن الدكتور **عبد العزيز هجازى** رئيس الوزراء هذه « البشرى » الجديدة بانشاء ما يسمى بالجامعة الاهلية ؟ ويختار لهذا الاعلان مناسبة لقائه بالمعيدين ومساعدى المدرسين فى الجامعات الحكومية ، وكأن هؤلاء المعيدين تشغلهم قضية الجامعة « الاهلية » !

اليس من حق هذا الشعب الذى خاض معارك اكتوبر فى بطولة ودفع ضريبة الدم فى سخاء ان يسأل : لماذا ؟ ... لمن ؟ وكيف ؟

واذا كان رئيس الوزراء لم يحاول فى لقائه هذا ان يجيب على هذه الاسئلة الثلاث فان من حقنا ووأجبنا ان نحاول البحث عن الاجابة لها .

لماذا الجامعة « الاهلية » ؟

الاجابة الصريحة على هذا السؤال هى : لكى يدخل فى نطاق التعليم الجامعى ابناء الطبقات الوسطى وما فوقها الذين عجزوا — رغم تسهيلات الدروس الخصوصية — عن دخول الجامعة المصرية اصلا ، أو دخول احدى الكليات « الراقية » ! هذه فى الحقيقة الاجابة الصريحة ، ودعونا من المتسمح فى ابناء العرب الذين يتخذون كمدخل لا اكثر ولا اقل فى هذه التفسية بالكلية ! ان ابناء الاشقاء العرب موجودون فى الجامعات المصرية ولم يطالبوا فيما نعلم ان تكون لهم جامعة مستقلة. وهم على اية حال ليسوا من الكثرة التى تبرر ذلك ولن يكونوا ؟ خصوصا اذا عرفنا ان التعليم الجامعى فى كل البلاد العربية فى توسع مستمر الى حد ان دويلات الخليج التى اثرت ثراء هائلا من البترول قد بدأت فى انشاء جامعات مستقلة لها رغم قلة مواردها البشرية الواضحة .

ان الغالبية الساحقة من ابناء العرب فى الجامعات المصرية قد بدأوا يتركزون فى اقسام الدراسات العليا لا فى مرحلة البكالوريوس

والبكالوريوس . وهؤلاء احوج ما يكونون الى جامعات مصرية ذات تقاليد فى البحث العلمى والدراسة للحصول على الماجستير أو الدكتوراه، ولن تكون الجامعة المقترحة بالجامعة ذات التقاليد فى البحث ولا سيما فى السنوات العشر القادمة ! **أن رئيس الوزراء — كأستاذ جامعى سابق — يعلم علم اليقين حالة البحث العلمى فى الجامعات المصرية ، لأسباب عديدة فى مقدمتها نقص الموارد والتجهيزات . فكيف لم يخطر بباله — اذا كان لديه فائض من الموارد — أن يدعم بها اقسام البحث فى الجامعات بدلا من بعثرة الموارد على هذا المشروع الغريب ؟**

ننتقل الى السؤال الثانى : **أن تكون هذه الجامعة ؟** اعتقد ان الاجابة على السؤال الاول قد افقدنا من التفصيل . على أن الذى يعيننى هنا ايضاحه ان هذا النوع من التلاميذ المنتظر مجيئه على الجامعة « الاهلية » هم أضعف تلاميذ المرحلة الثانوية قاطبة من الناحية العلمية ، ولا شك ان هذا سوف ينعكس على مستوى الدراسة فى هذه الجامعة . ان هؤلاء هم الذين يذهبون كل عام الى **جامعة القاهرة | فرع الخرطوم** | او **جامعة الاسكندرية | فرع بيروت|**، يتخذون منهما نقطة للقفز فوق الحواجز والعودة الى الجامعات المصرية بعد عام ، ضاربين عرض الحائط بمبدأ تكافؤ الفرص الذى ارست الثورة اسسه . ولو كان فى الجامعات المصرية | فرعى الخرطوم وبيروت] كليات للطب والهندسة أو الاقتصاد والزراعة لما زاد الالحاح على فكرة الجامعة « الاهلية » ولما اشتد ضغط «مجموعات الضغط» المعروفة على سرعة انشاء هذه الجامعة .

ان من الغريب ان نتقبل موضة فكرية جديدة تقول : لماذا لا نتقبل هذه الجامعة كأمر واقع ؟ نقبل هذا المنطق هو فى الحقيقة تقنين للسلبيات التى نرجهها فى مجال التعليم تكريس للتفرقة الطبقية التى يتسع مداها فى خدمات التعليم والصحة والمواصلات ... الخ . وبدلا من مواجهة كل مشكلة بحلول جذرية تضرب فى جذورها الحقيقية، نحاول أن نتقبل هذه السلبيات كأمر واقع ثم نعمل على تقنينها ، ثم نكتشف بعدئذ أن المشكلة قد تفاقمت ولم تحل ابدا ! لم يكن هذا هو منطق تشجيع استيراد التاكسيات كحل لازمة المواصلات ونحن نعلم من هم القادرون على ركوب التاكسيات ومن هم غير القادرين ؟ ومع ذلك ظلت ازمة المواصلات فى القاهرة كما هى ان لم تكن قد تفاقمت عن ذى قبل !

اليس هذا ما يسمى البعض بالانفتاح الاقتصادى ؟ فهل تكون الجامعة « الاهلية » انفتاحا آخر فى مجال التعليم ؟

واخيرا يبقى السؤال الثالث : **كيف تقام هذه الجامعة ؟** من الذين سيقومون بتمويلها ؟ ومن اين تاتى بهيئات التدريس اللازمة ونحن نعلم اننا — فى بعض التخصصات — نعانى فقرا شديدا، ان من حق جماهير الشعب ، ومن حق مجلس الشعب أن يعرف ما اذا كانت الحكومة سوف تساهم فى تمويل الجامعة ؟ واذا كانت فعلى اى اساس وباى منطق يحدث هذا ، وخدماتنا التعليمية والصحية والسكنية والنقلية الحالية على ما هى عليه من سوء وفى اشد الحاجة الى رأب الصدع الذى اصابها بعد عام ١٩٦٧ ؟

منذ سنوات لم تبن مدرسة ثانوية واحدة وبعض مدارس الوزارة القائمة معدد بالسقوط — كما يعلم دون شك رئيس الوزراء ، والقصر العينى القديم على وشك الانهيار وهم يخلونه من مرضاه كما يعلم دون شك رئيس الوزراء .

ولقد تقبل الناس هذا الواقع المر على اساس ان معركتنا مع اسرائيل قد اقتضت هذه التضحيات وان نفقات العبور فى اكتوبر قد الزمتنا بالصبر والسكوت . فكيف يصبر الناس ويسكتون اذا كانت الحكومة تنوى ان تساهم فى نفقات هذه الجامعة الجديدة ، اكراما لسواد عيون بعض ابناء الطبقة الوسطى واثرياء البلاد !

ان المدافع والطائرات الاسرائيلية لم تفرق — فى شهدائنا — بين ابناء الفقراء وابناء الاثرياء عند العبور الى ارض سيناء !

فكيف بالله نفرق نحن بعد اكتوبر ! ... كيف!

اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم

نص مناقشات الجلسة الثالثة

الوصول الى وحدة حقيقية وبداية ؟ فى الرأى والموقف ؟ ليس عملا سهلا على الدوام . انما هو ولادة عسرة ، بكل معانى الكلمة .

فلكى تتوحد افكار الناس ، وتتقارب ، من خلال حوار حر ديموقراطى — لا بد — من ان توضع الخطوط الفاصلة والمميزة ، بين الرأى وبين الرأى الآخر ، فتتضح — بادىء ذى بدء — نقاط الخلاف ونقاط الاتفاق ..

وجاءت الجلسة الثالثة لحوار اليسار المصرى مع توفيق الحكيم ، لتطرح على الندوة نقاط الاتفاق ونقاط الخلاف ، فى الموضوع ، وفى الشكل ، وفى زاوية الرؤية والمنهج ، فى قضايا عامة ، واخرى جزئية .

فبينما ساد الاتفاق على ان نبدأ الندوة بأن يقدم كل مشترك فيها صورة مصر المستقبل ...

وبينما اتفق الجميع على ان مصر التى نستشرفها هى « مصر الاشتراكية » ، وان حركة المجتمع نحو بناء الاشتراكية ترتبط ارتباطا عضويا بالبعدين العربى القومى والدولى ، بنمو وتعاظم حركة التحرر العربى ، ونمو وتعاظم الحركة الاشتراكية العالمية

وبينما ساد اتفاق شبه كامل ، على ان وضع صورة للمستقبل يتطلب الانطلاق من الارضية الراهنة التى تقف عليها البلاد حاليا ، بكل ماوصلت اليه خلال عشرين عاما ، وبكل الاختيارات المطروحة على الصعيد السياسى — امام الرأى العام المصرى والعربى ...

نقول بينما حدث هذا ، تعددت المناهج ونقاط الانطلاق ...

نقـاط الاتفـــاق
ونقـاط الخلاف

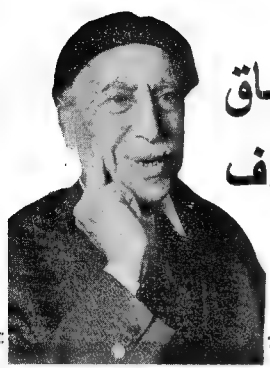

هناك ... من بدأ تحليله من هذه النقطة وهى أننا أمام اختيارين مطروحين فى الساحة المصرية الطريق الليبرالى والطريق الاشتراكى .

وهناك ... من انطلق ابتداء من حصيلة تاريخ بأكمله لثورة يوليو ، وما قـدمته على الصـعيد السـياسى والاقتصادى والاجتماعى والفـكرى ، موضحا أن المجتمع المصرى قد حسم الاختيار ، وأنه اختار الاشتراكية ، وأن أساس كل الصـعوبات كامن فى أننا لم نسر فى طريق التحولات الاجتماعية بالقوة والعمق اللازمين .

وهناك .. من ركز فى عملية استشراف المستقبل من خلال البدء بدراسة وتحليل واقع ومستقبل عن التنظيم السياسى القائم [الاتحـاد الاشتراكى] .

اما نقاط الخلاف ، فقد تبـلورت ـ من خـلال النقاش ـ حـول ما يسمى بالنموذجين المطلوبين لتطـوير مصر : النموذج الليبرالى ، والنمـوذج الاشتراكى .

وفى خلال النقاش ايضا طرحت قضايا تاريخية واجتهادات فكرية مفيدة :

- من هم الليبراليون المصريون ؟ وهل هناك تيار ليبرالى واحد أم اكثر . وما طبيعة كل تيار ؟
- هل حققت ثورة يوليـو انجازات اسـاسية ملموسة ، أم أن اكثر ما قدمته كان فى باب المبادىء العامة والنوايا الطيبة ؟
- اليمين الرجعى ماذا يريد ؟ ولماذا تتعارض مصالحه مع مصالح النظام القائم .
- الاتحاد الاشتراكى ... الاحزاب ... الجبهة الوطنية ... الانفتاح ... ما الرأى فيها ؟ وما علاقة هذا كله بالرؤية المستقبلية للمجتمع المصرى ؟ أن هذا كله طرح فى الجلسة الثالثة للحوار .

■ لطفى الخولى :

هذه هى الجلسة الثالثة للحوار . ولعب فى البداية أن أرحب بانضمام زميلنا الاستاذ أحمد عباس صالح الينا ، والأستاذ توفيق الحكيم موافق ..

■ توفيق الحكيم :

موافق ومرحب به

■ لطفى الخولى :

فى هذه الجلسة نحن نواصل مناقشتنا حول التصور العام لكل منا لمصر المستقبل فى خطوط عامة لمجرد ايضاح رؤية ومنهج كل منا وذلك قبل ان نتعرض للتجربة . فى الجلسة السابقة لمبتسح الوقت للجميع لابداء وجهة نظره . نرجو ان ننتهى فى هذه الجلسة من هذه النقطة . الدكتور عبدالعظيم انيس مدعو للحديث ..

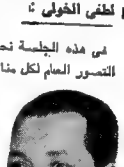

لطفى الخولى

■ د. عبد العظيم انيس :

حقيقة أن استقراء مستقبل مصر مسألة صعبة ، لان مصر اليوم هى فى مرحلة مفترق طرق ، والحديث عن مستقبل مصر ، قد يعنى بمستقبل مصر كما يتمناه المتحدث . أو مستقبل مصر كما تشير اليه الظروف الموضوعية . وحتى لا يكون حديثنا من نوع من الرجم بالغيب ، أو تمنيات جوفاء ، فانى اعتقد أن أقصى ما نستطيع فى هذا المجال هو ان نرصد امكانيات المستقبل ، واثقين ان علاقات القوى الاجتماعية وتوازناتها داخليا وعربيا ودوليا ، هى التى ستحسم السؤال الحيوى بين هذه الامكانيات والذى سيتحول الى واقع فى حقيقة الامر . وكما قلت فى الجلسات الماضية ان من الممكن لاى واحد ان يرصد امكانيتين اساسيتين فى مستقبل مصر خلال العشرين سنة القادمة أو نموذجين اساسيين يقفان على طرفى نقيض فيما يتعلق بمستقبل مصر . **النموذج المسمى بالنموذج الليبرالى** ، الذى تكلم عنه الاستاذ توفيق الحكيم بكل ما يحتويه هذا النموذج . والنموذج الاخر الذى نسميه **النموذج الاشتراكى** .

هناك عدد من المثقفين المصريين لايملك انسان فى اخلاصهم يتحولون ، اليوم ، الى مطالبة ما يسمى بالنموذج الليبرالى ، وليس فى ذهنهم اى وضوح فكرى كامل عن معنى هذا النموذج اليوم فى ظروف مصر المحددة ، ونتائجه الحقيقية فيما يتعلق بالمستقبل . كل ما يعبرون عنه ، هو فكرة حرية تكوين الاحزاب بكل اتجاهاتها ، حرية الصحافة . ولا يعنى هذا مجرد الغاء الرقابة على الصحف ، انما فصل الصحافة عن الاتحاد الاشتراكى ، والسماح للافراد باصدار الصحف ، وانتخاب برلمان ليس لدى أعضائه فكرة الالتزام قبل الدولة والحكومة ... الخ أى محاولة ايجاد مناخ سياسى فى مصر مماثل - وهذه تمنياتهم - لما هو موجود فى البلاد الغربية كبريطانيا او فرنسا . هؤلاء المثقفون يدفعهم الى هذا الاتجاه واقع مؤلم ، وهو ما حدث خلال السنوات الماضية من اعتداءات وتعذيب شمل احيانا اقصى اليمين ، وشمل احيانا اقصى اليسار ، وشمل احيانا ايضا ما بين اليمين واليسار .

المشكلة فيما يتعلق بهؤلاء أن كثيرا منهم يظن أنه بهذا الطريق يمكن احياء التراث الايجابى للحركة الليبرالية فى مصر التى نشطت فى العشرينات والثلاثينات ، غير منتبهين أن واقع مصر فى هذه الحقبة غير واقع مصر اليوم . وفى رأيى أن التجربة الليبرالية فى العشرينات

غير قابلة للاعادة الان ، وان مستقبل مصر الليبرالية السياسية كما نعرف هو انعكاس لواقع هو الليبرالية الاقتصادية . او محاولة لتعبيد هذه الليبرالية الاقتصادية التي تعني حرية التعامل في السوق .. حرية انشاء المؤسسات الاقتصادية .. حرية اختيار انشطة العمل .. حرية تداول الجنيه في السوق الخارجي .. حرية الاستيراد .. حرية التصدير .. الى آخر هذه الحريات ، وعندما كانت مصر بلدا « يستعمر » ، من جانب بريطانيا ، ومجالها في النمو الاقتصادي ، كانت الدعوة الليبرالية فكريا تعبير عن حركة الطبقة البورجوازية المصرية الصاعدة . وكانت دعوة ايجابية لانها كانت في جوهرها دعوة الى انتزاع السوق او جزء من السوق من يد المستعمر . أما اليوم بعد عشرين سنة من الاستقلال الوطني والتصنيع والاصلاح الزراعي والتعاونيات والقطاع العام والاستقلال الاقتصادي فان الليبرالية السياسية في مصر تعني هدم مابنته الثورة من اسسها الاقتصادية . وليس هناك لاحد مصلحة في هذا غير اليمين ، وحتى ليس اليمين كله : بمعنى مجموعات معينة منه ، مجموعة المصدرين والمستوردين ، وكلاء الشركات الاجنبية .. الطفيليين ، هؤلاء الذين لمست مصالحهم خلال الثورة أو الذين تم الاستيلاء على أراضيهم وتم توزيعها . ولذلك ، فليس بالصدفة أن نلاحظ ، أن معظم الداعين لهذا التفكير ، وأنا أقول معظم ولا أقول كل ، لانه يوجد بين الداعين لهذا التفكير اشياعة النموذج الليبرالي ناس مخلصون تماما لمصر في كل ما يظنون . انما معظم الداعين لهذا التفكير اليوم ، سواء في الصحافة أو في بعض المؤسسات هم من ذوي الفكر اليميني الاصيل .

الحرية في هذا النطاق تعني أولا حرية الرأسماليين ، حرية الاقطاعيين السابقين .. حرية تجار الجملة .. حرية المضاربين .. حرية تجار السوق السوداء .. حرية عودة مصر الى السوق الرأسمالي الدولي بالكامل ، وترك العنان لقوانين هذا السوق ، تعزية الدعوة الى التعليم بالمصروفات ، والجامعة الاهلية ، والهجوم على ما حققته الاغلبية من مكاسب ، وحرية سلب مقومات استقلال مصر الاقتصادي ، وبالتالي ، دفع مصر خطوة .. خطوة الى طريق التبعية أو شبه التبعية للعالم الغربي من جديد . في المظهر من ناحية الشكل يعني تحقيق هذا النموذج .. توفر حرية الصحافة بالمعنى الذي سلف . ولكن اعتقد أن هذه الحرية تكون حرية اقلية ـ حتى من ناحية حرية الصحافة ـ على حساب اغلبية من الكادحين .. سواء من العمال أو الفلاحين . لكن التراث الليبرالي العظيم للمفكرين من أمثال طه حسين .. توفيق الحكيم .. وحتى عباس العقاد (قبل الاربعينات) يغير قابل للاعادة في رأيي ، لان الليبرالية ـ آنذاك ـ كانت تعني في أحد جوانبها التمرد على الاقلية الممثلة في سلطة المحتل وسلطة الملك وسلطة الاقطاعيين . وكان كثير من هؤلاء المفكرين متأثرين بشكل أو بآخر بالفكر الاشتراكي ، حتى ولو كان اشتراكية خيالية . أما معظم المجموعة السياسية التي تنادي بالليبرالية الان في مصر فان ما يجمعها هو العداء لمصلحة الاغلبية المساحقة من العمال والفلاحين والعداء للدعوة الاشتراكية على وجه الخصوص .

هذا النموذج الليبرالي لا امكانية له في مستقبل مصر ، وهو في الحقيقة بمثابة تحويل القاهرة الى هونج كونج أخرى . ولكن من هنا المعنى الذي يعطيه بعض الناس للانفتاح . لكن لهم هذه الامكانية توجد فعلا صعوبات شديدة وعقبات تجعلني اعتقد أن هناك مقاومة شديدة لمثل هذا التفكير . على أن تحويل هذا التفكير الى واقع ، أو محاولة تحقيق هذا النموذج ـ ولو بالتدريج ـ سيعني بطبيعة الحال محاولة اعادة توزيع الدخل القومي لصالح الاقلية وضد مصالح الاغلبية وبالتالي زيادة افقار الطبقات الشعبية ، وسوف يؤدي هذا الى تفاقم الصراع الاجتماعي في مصر ، كما سيؤدي الى وضع مصر في مركز دقيق جدا على المستوى العربي لانه اذا تأملنا الموقف العربي الشامل كما نتصوره ، وكذلك قضية الوحدة العربية في الحقيقة بعد الصراع العربي الاسرائيلي فهذه كلها عناصر غير موآتية لتحول مصر في طريق النموذج الليبرالي . لكن مع ذلك تظل هذه الامكانية من امكانيات المستقبل .

د . عبد العظيم انيس

ثانى الى الايكانية الثانية . الايكانية الثانية التى تقف على طرف نقيض هى النموذج الاشتراكى القائم على قاعدة من التصنيع الواسع الذى تملكه الدولة .. وقائم على تحقيق اصلاح زراعى اوسع نطاقا مما حدث حتى الان ، وعلى توسيع قاعدة الخدمات المجانية التى تقدم للشعب فى التعليم والصحة ، وعلى اعادة توزيع الدخل القومى لصالح الطبقات الشعبية .. وعلى تدعيم علاقاتنا بالنظم المماثلة لنظامنا فى العالم العربى ، والتمسك باستراتيجية الصداقة والتعاون مع المعسكر الاشتراكى وخصوصا مع الاتحاد السوفيتى . فى رأيى ان تحول هذه الايكانية الى واقع يتوقف توفر الظروف — من ناحية شكل ومضمون السلطة السياسية فى مصر — وهى ظروف ليست متوفرة اليوم . هذه النقطة بالذات تعنى وتثير بطبيعة الحال قضيه الاتحاد الاشتراكى . العيب فى الاتحاد الاشتراكى ، ليس متمثلا فى سيطرة تحالف العمال والفلاحين . انما المشكلة الحقيقية ان الاتحاد الاشتراكى فى رأيى ليس تجسيدا لهذه السيطرة من قريب أو بعيد ، مجرد تنظيم سياسى غير جماهيرى عاجز عن قيادة الجماهير وهو اقرب الى أن يكون منظمة رسمية وليس منظمة جماهيرية .. لماذا اضفنا الى هذا ان كثيرا من المستويات المحلية للاتحاد الاشتراكى مليئة بالعناصر البينية والعناصر الانتهازية .. أدركنا فى رأيى استحالة الاعتماد على الاتحاد الاشتراكى كممر الى طريق التطور اللارأسمالى أو التحول الاشتراكى .. صحيح كان هناك آمال فيما يتعلق بهذا التنظيم ، فى أول انشائه ، وآمال فى تطعيم قياداته بعناصر اشتراكية اصيلة . ولكن هذه الآمال تبخرت تماما واتضح عجزه وعدم فعاليته رغم الكثير من المحاولات ، ولذلك الحل العملى للمستقبل يبدو لى فى هذه النقطة هو فى توفر جبهة وطنية فى مصر بين أحزاب اشتراكية وأحزاب وطنية تعبر عن برنامج للعمل القومى واضح يمثل لمصالح العمال والفلاحين .. وتكون هذه الاحزاب حقيقة ممثلة اجتماعيا للمصالح الحقيقية للقوات الوطنية فى هذا الشعب .. هذا الموضع سيؤدى فى المستقبل — بطبيعة الحال — الى توفر ووجود منبر يسارى يدافع عن مصالح العمال ومصالح صغار الفلاحين والمثقفين الثوريين ، ويكون لهذا المنبر دور واضح فى هذه الجبهة .

فهذا — بشكل عام — تصورى للمستقبل ؟ لقضية السلطة السياسية ، مرتبطة بفكرة النموذج الاشتراكى وامكانياته . والحقيقة — فى رأيى — ان العمل فى اتجاه هذا النموذج الاشتراكى هو الرد الوحيد الجاد على مشكلة الفقر فى مصر .. لان مشكلة الفقر فى مصر ذات شقين : الشق الاول يتعلق بزيادة الدخل القومى . الشق الثانى يتعلق باعادة توزيع هذا الدخل لصالح الاغلبية من العمال والفلاحين وذوى الدخل المحدود من شرائح الطبقة المتوسطة . واعتقد انه ينبغى ان يكون واضحا لاى انسان ويفكر قليلا فى مشاكل مصر الاقتصادية والاجتماعية فى المرحلة الاخيرة ، انه لا امل فى تنمية سريعة فى مصر تقفز فوق حواجز القرون الطويلة من الفقر الا من خلال النموذج الاشتراكى ، والا من خلال التعاون مع بقية اجزاء الوطن العربى ، ومع المجتمع الاشتراكى الدولى . بدون هذا لا يوجد — فى رأيى — حل لمشكلة فقر الاغلبية الساحقة فى مصر ، ولا يوجد مستقبل لهذه الاغلبية .. يكفى أن نذكر أن السكان يزيدون بمعدل ٢٫٧ فى المائة . وانه لو اردنا ان نزيد الدخل القومى فى مصر خلال السنوات الخمس القادمة بمعدل ٥٫٥ فى المائة يعنى ضمنيا معدل زيادة السكان « وفى رأيى ان هذا معدل متواضع » فسوف نحتاج للسنوات الخمس القادمة استثمارات تزيد عن سبعة آلاف مليون جنيه . ولكن من أين ؟ هذا هو السؤال الطبيعى . فاذا اضفنا الى هذا — حجم العجز الهائل فى ميزاننا التجارى وميزان مدفوعاتنا فلنتصور كم يكون حجم المشكلة .

■ لطفى الخولى :

فى الحقيقة يلزم عشرة آلاف مليون لكى نعمل بمعدل ٦ فى المائة .

■ د. عبد العظيم أنيس :

انا فقط اقدم رقما واحدا ، يمثله تتبين حقيقة حجم التحدى الموجود .

اذا استبعدنا الموقف الداخلى ونظرنا للبعد العربى ، النقطة الثانية — سنجد فى الحقيقة — اننا مرتبطون بالعالم العربى ، لا من زاوية التراث الثقافى واللغة ووحدة الآمانى .. الخ ،

لكن فى الحقيقة معركة النضال ضد الاستعمار والصهيونية تفرض علينا فرضا وحدة الالتزام العربى . لا يعنينى فى المحل الاول وحدة الحكومات بقدر وحدة الشعوب ، طبعا وحدة الحكومات مطلوبة بشرط انها تكون على أسس وطنية وعلى اسس اجتماعية صريحة وواضحة . لكن يظل الاساس هو وحدة الشعوب فى النضال .. وحدة الشعوب فى القضية الاجتماعية والاقتصادية وفى التكامل الاقتصادى .

هذا ، طبعا ، تيار قضية دعوة مصرية مصر التى كانت مزدهرة فى العشرينات والثلاثينات وبدأت تطل على استحياء من جديد فى الوضع العالمى . يعنى دعوة مصرية مصر ...

■ **توفيق الحكيم :**

اذا سمح لى د . عبد العظيم هنا ، دعوة مصرية مصر ـ كما تصور ـ نشأت كحركة استقلالية عن التبعية العثمانية . هى اذن انطلاقة وطنية وليست اقتصادية . واستمرت هذه الانطلاقة بعد ذلك للمطالبة باستقلال مصر عن الانجليز . فى ذلك الوقت لم تظهر قضية « أنا عربى » لانك لو قلت هذا ـ فى ذلك العهد ـ لوجدت أن البلاد العربية متسعة وموزعة بين تبعية تركية وأخرى انجليزيه وثالثة فرنسية ... وكانت البلاد مقسمه ومحتلة . كان لابد لمصر ـ اذ ذاك ـ أن تحدد تبعيتها . فلو كانت قالت أن تبعيتى عربية فقد كان العرب متعصبين فلم يكن هناك مفر من أن تقول أنا أريد بلدى .. أرضى .. مصرى . فالدعوة المصرية كانت وليدة ذلك الوضع ، أى الرغبة فى الاستقلال الوطنى فى مواجهة الاحتلال .

فى الاربعينات ، وما بعدها ، تم الاطمئنان على الاستقلال ـ بشكل أو بآخر . وبدأت القضية الاقتصادية تتحرك ، وتأخذ ثقلها . هذا رأينا مثلا مولد الثريات العرب والباشوات الذين ظهروا مع المسرح السياسى تحركوا ليدخلوا مجالس ادارات الشركات الاجنبية . وكان هذا قد ظهر بوضوح بعد الغاء الامتيازات . فارادت الشركات الاجنبية ـ التى بدأ يضيق المجال لها ـ أن تنفذ ما يمكن انقاذه فضمت مصريين الى عضوية مجالس ادارتها كما ضمت رجالا من السلطة . هنا ظهرت الطبقة الجديدة التى ركزت على المسائل الاقتصادية ـ بعد أن أصبحت الوطنية المصرية كسياسة واستقلال مكفولة . وتعاظم الاتجاه الى تكوين شركات ، حتى لقد تكونت شركات وهمية للاحتيال ، وكان فيها باشوات . وأتذكر أنى كتبت عن هذه الظاهرة تمثيلية اسمها « اللص » بطلها باشا من أصحاب الشركات الرأسمالية . أما الشخصية الاخرى فكانت أيضا هى شخصية لص ولكنه كان نقيرا . وكان يريد مائة جنيه فقط ليبنى بها نفسه فى المجال العر ، فسرق هذه المائة ، وهذا حذو الباشا . المهم ان كلمات الرأسمالى والرأسمالية ترددت كثيرا فى هذه التمثيلية . وبعد نجاحها لمدة اسبوعين أوقفت بتدخل أعضاء شركة . زاما . سنة ١٩٤٨ « شركة وهمية » . الغريب أن ما أدهشنى هو أن الرقابة فى ذلك الوقت حذفت كلمة رأسمالية ورأسمالى .

اذن كان هناك طبقة رأسمالية تنبهت الى خطورة الاقلام التى تتجه الى الهجوم عليها .

وفى الواقع فان فترة العشرينات والثلاثينات اذا كانت قد أبرزت مصرية مصر وربطت ذلك بتاريخها وبحضاراتها المختلفة فان الفترة التى تلتها ـ فترة الاربعينات حدث فيها تحول انعكس على مواقف الكتاب والادباء . وهذا التحول فى مواقفهم لم يكن مخططا أو وفقا لخطة سابقة ، وانما يكتب الاديب ، او يعبر الفنان وفقا لما يحسه وما هو موجود فيه . واذا كنت فى ١٩٣٨ قد كتبت **يوميات نائب فى الارياف** وغيره فقد كنت أعبر عن شخص وجد فى الريف ورأى مأساويه الريف من فقر . وكان الكتاب ـ بذلك ـ موجها الى انقاذ المصرى المهضوم . لكن الاوضاع الاجتماعية لم تكن قد تبلورت فى وقت يوميات نائب فى الريف ، كما تبلورت بعد ذلك خصوصا من ١٩٤٥ .

نأتى الان لموضوع الليبرالية . الواقع أن بلدنا فيها أكثر من « ليبرالية » وأكثر من « اشتراكية » . وعليه فان هناك فروقا بين الليبراليين . هناك ليبراليون يريدون الليبرالية كما قال د . عبد العظيم للعودة بالمجتمع الى مجتمع رأسمالى حر ، أى يريدون ليبرالية اقتصادية يتحقق فيها حرية اكتناز الثروات لطبقة أو فئة اجتماعية .

ولكن هناك ليبراليون من الذين قيل عنهم الان انهم ليبراليون مخلصون تجدهم خصوصا فى أوساط المثقفين . فهؤلاء ليبراليتهم ليست من النوع الاقتصادى ، أو بالمعنى السياسى المصطلح عليه . ولكن ليبراليتهم هى رد فعل للديكتاتورية البوليسية . هم وجدوا ان الاشتراكية النابتة فى اطار ديكتاتورية بوليسية، وليس فى اطار ديموقراطية شعبية . لان الليبرالية لو كانت نبتت فى الاشتراكية الشعبية ، فى الشعور الشعبى ، لكنا فى الواقع أمام شىء واحد هو الاشتراكية . وهذا ما عناه الاستاذ خالد محيى الدين عندما أشار الى أن الامريكان ، فى الايام الاولى ، من ثورة يوليو ، لم يكونوا يريدون الوفد ولا الاحزاب الشعبية ، لانهم عرفوا أنا سوف ينبت من هذه الليبرالية ، مبدأ الثورة ، سينبت اتجاه الى توفير الحريات للشعب . وفى هذه الحالة كان لابد وأن يكون هذا الاتجاه - فى تطوره - اتجاه يسارى اشتراكى . وكان من الممكن فى هذه الحالة أن يحصل تقارب مع الدول الاشتراكية ، وهى الدول التى لم تكن أمريكا تريد أن يحدث تقارب بينها وبين الشرق الاوسط ، وبينها وبين مصر والعرب . بمعنى آخر كان هدفهم ابعاد مصر عن الديموقراطية الليبرالية ، بل وابعادها عن كل نوع من انواع الليبرالية السياسية . وكانوا يظنون أن هذا سيبقى المصريين فى قبضة واحدة يستطيعون أن يتفاهموا معها . ولذلك كانت أهم الكلمات التى قيلت كلمة الاستاذ خالد محيى الدين لانها حددت بصراحة وضع مصر ، فى الايام الاولى من الثورة ، وعندما كانت تريد أمريكا صنع الاشتراكية بواسطة قوة أو سلطة علوية تكون ملامحها محددة . وعندما تكون الاشتراكية على هذا الوضع تفقد كثيرا من مقوماتها لانها تصبح محكومة ، تصبح - باختصار اشتراكية فوقية .

■ **لطفى الخولى :**

الاشتراكيون دائما نقدوا هذا الوضع .

■ **توفيق الحكيم :**

اذن الليبرالية قسمان ! وهناك ليبراليون بحكم أنهم يريدون معارضة الديكتاتورية البوليسية . وهؤلاء يمكن كسبهم الى قضية الاشتراكية عندما يعرفون أن هذا الشكل من « الديكتاتورية » ليس ملائما للاشتراكية . وأنا اقول يمكن كسبهم الى الاشتراكية بسبب أنه ليس لهم مصلحة اقتصادية فى نظام اقتصادى حر « ليبرالى » . فهؤلاء هم رجال فكر . وأنا اذا كنت بينكم الان - وفى هذه السن من عمرى - فليس لغرض وانما بهدف توضيح مواقف اليسار .

وبمناسبة اليسار ارجو الا يسمينى احد يمينيا أو يساريا . فأنا لا يسارى ولا يمينى . بمعنى أننى لا استطيع ان اضع لافتة . ولكن عندما تحاسبنى حاسبنى على هدفى فى الحياة . وسأقول لك فى هذه الحالة : هدفى مع التقدم لا مع التجمد ولا مع الرجعية . التقدم ببلادنا العربية كلها ، والتقدم البشرى الانسانى . وما دمت قد قلت : التقدم والتغيير المستمر والحركة المستمرة ، فلن يكون هذا فى الاتجاه اليمينى ، ولن يكون الا فى الاتجاه اليسارى .

لكن لا زلت أصر على الا يدعونى احد يمينيا او يساريا لان معنى هذا أننى أتقيد ببرنامج معين . من يضع لى هذا البرنامج ؟ لا أريد أن أجد نفسى مجرورا الى الاحزاب . وهذه مسألة تخصنى وحدى . فأنا مع التقدم والتجدد لبلادى وللجنس البشرى . وبهذا المعنى لا أرفض أن يقال أننى « ليبرالى » من حيث الفكر الحر .

اما النوع الثانى من الليبرالية والذى وقفت ضده فهو المنتفعون من الليبرالية . وهذا النوع حاربته ووقفت ضده فى شجرة الحكم وأدنت الملك والاحزاب . ومن بينها حزب الاحرار الدستوريين ورئيسه محمد محمود ، فهذا الحزب كان يريد أن يطردنى من وظيفتى فكيف يكون الحر الدستورى ضدى وهو ليبرالى . فى الحقيقة أيضا أنا كنت ضده لانه أراد أن يستغل الليبرالية لخدمة أهداف الاطار السياسى الذى كان موجودا وهو الاطار الرأسمالى . وهذا يفسر ، لماذا رحبت بالاشتراكية . ولماذا تحمست لجمال عبد الناصر . ولماذا لم أكن أطيق سماع كلمة ضد ثورة يوليو . حتى من أصدقائى القدامى الذين ينتمون الى العهد الماضى .

وبهذه المناسبة ما سمعته منهم اخيرا عندما قالوا أن التخريب الذى حدث قام به الشيوعيون . فكان ردى عليهم « ياناس ما تبطلوا الكلام ده .. هى الشيوعية دى كفر »

ان « لكل على قدر حاجته » وانا سبق ان كتبت فى **شجرة الحكم** عن الجبه . تخيلت زعماء البلد حتى ذلك الوقت — قد وجدوا لنفسهم بحق « كل على قدر حاجته » . لكن هذا لم يكن يكفيهم . فبدأوا يزاولون نشاطهم السياسى . وعندما جاء الوفد قال : اين للوفديون ، اين الوطنيون ؟ فعندما رأى الوفديون النحاس باشا « فى شجرة الحكم » متوا له ، وساروا فى مظاهرة ، واقتطعوا بعض الاشجار .. الخ

نخلص من هذا كله ، الى ان هناك نوعين من الليبرالية ، فاذا وجدنا مثقفين يقولون بالليبرالية فيجب أن نفهم هذا على اساس انهم لا يمكن أن يكونوا ضد الاشتراكية . لانى انا ككاتب — لا تحقق مصلحتى الا فى الاشتراكية . ونحن نعلم انهم فى البلدان الاشتراكية يقدمون لرجال الفكر امكانيات كبيرة : ممكن فى مكان طيب ، فى غابة أو حديقة أو جبال لطيفة ويجد انهم يتركونه لفنه . وليس من اهدافه أن يكتفز . اذن انا ككاتب لا اكتسى الا فى وضع الاشتراكية . فكيف اذن جاءت كلمة الليبرالية . كما قلت الخوف من الديكتاتورية البوليسية . وهى غير ديكتاتورية الحزب ، لانه فى الحالة الاخيرة يوجد نوع من الرقابة والحساب . والشعب فى هذه الحالة اصبح طبقة واحدة .

النوع الثانى من الليبرالية Libre Passer

يريد استغلالا لا ضابط ولا رابط له .

وهذا ليس موضوعنا .

■ **د. عبد العظيم انيس :**

لست مختلفا معك فى كل ما قلته حول هذه النقطة . وارجو أن اذكرك انني قلت نقطتين فى هذا الموضوع فيما يتعلق بالليبرالية . النقطة الاولى : انني قلت ان هذه الدعوة الليبرالية التى يشيعها عدد من المثقفين كرد فعل لما جرى من اعتقالات واضطهادات . والنقطة الثانية : أننى ميزت بين نوعين من الليبرالية . هناك مثقفون ليبراليون مخلصون فى دعوتهم وتهمهم مصلحة مصر . ولو أن هؤلاء لا يشكلون الاغلبية ، وليسوا من ذوى النفوذ السياسى فى المرحلة الحاضرة . وهناك عدد اكبر ، ونفوذ اكبر ، لما يمكن أن يسمى بالليبرالية يمينية ، ودعوتهم يمكن أن نسميها « الليبرالية المزعومة » وهذه الليبرالية كشفت اهدافها ، واصحابها . الليبراليون فى الحقيقة هم الذين يمثلون خطرا حقيقيا ، فيما يتعلق بالوضع فى مصر اليوم لانهم يزحفون على المسرح المصرية . وزاحفين على المراكز القيادية فى الاتحاد الاشتراكى ، زاحفين على المراكز القيادية فى القطاع العام وفى الاجهزة الحكومية . وعلى هذا الاساس هؤلاء ينبغى أن ننبه باستمرار الى خطرهم لان التراث الليبرالى العظيم الذى تكلمت عنه غير قابل — فى رأيى — للاعادة فى ظروف مصر الحالية والمقبلة . فاعتقد لا يوجد خلاف بينى وبين الاستاذ توفيق الحكيم فى هذه النقطة . فقط أنبه ، الى أن النوع الثانى الذى هم الليبراليين المزعومين اليمينيين لهم — فى الحقيقة — النفوذ السياسى الاكبر الان ويمثلون خطرا ينبغى الانتباه اليه .

■ **توفيق الحكيم :**

هذا صحيح .

■ **د. عبد العظيم انيس :**

واذا سمحت لى انتقل الى قضية البعد العربى ومصرية مصر .. فيما يتعلق بدعوة « مصرية مصر » اقول ان هذه الدعوة كان لها ما يبررها فى العشرينات . لانه ينبغى أن نتذكر كما قال استاذنا توفيق الحكيم الوضع الذى كان قائما فى العالم العربى ، فى هذا الوقت ، يفسر اسباب عزلة مصر عن قضيه الوحدة نسبيا . والكلمة المشهورة لسعد زغلول صار زائد صفر يساوى صفر ايضا كان لها فى الحقيقة مبرراتها من ناحية الاتى : انه بينما كانت بريطانيا تمثل العدو الاساسى لمصر فى هذا الوقت لانها احتلت مصر فى ١٨٨٢ ،

وقامت على مصر حتى احتلتها من قبل ١٨٨٢ ، وظلت تمثل العدو الرئيسى لمصر ، بريطانيا هذه بالذات هى التى كانت تدفع - فى نفس الوقت - حركة الشريف حسين الى المشرق العربى وهى التى كانت تشجع المشرق العربى الاولى : انني قلت ان هذه الدعوه الليبرالية التى يشايعها عدد من المثقفين كرد فعل لما جرى فى المنطقة فسوريا ولبنان والعراق وفلسطين على التبرد على تركيا أولا ثم على فرنسا بعد ذلك .

ومن المبررات التى ساعدت فى اتجاه العزلة موقف بريطانيا من انشاء الجامعة العربية فى الاربعينات فهذا أيضا كان من الاسباب التى دعت الى استرابة الوطنيين المصريين فى قضية الوحدة العربية . وانا كنت واحدا من القاس الذين ظلوا الى سنة ٥٤ فى مناقشات عديدة مع اصدقاء من العالم العربى . كنت اقول ، « مصرية مصر » ولا شيء اسمه « عربية » او شعب عربى نؤيده كاى شعب نؤيده فى العالم مادام يناضل ضد الاستعمار . كنت أقول « مصرية مصر » هى الاساس ، لانى كنت متأثرا بشدة حتى عام ٥٤ بالاتجاه الفكرى الذى كان يمثله الاستاذ توفيق الحكيم فى العشرينات وطه حسين وكثير من المفكرين الليبراليين المصريين غيرت طبعا بعد هذا لانى رأيت الامور والظروف من وجهة نظر ثانية .. فاذا كان لدعوة « مصرية مصر » لهما ما يبررها فى الماضى . فالحقيقة هذه المبررات قد اسدل عليها الستار الان . والذى اسدل الستار على هذا هو حركة النضال ضد الاستعمار وضد اسرائيل،والاتمزال ضد الصهيونية . وينبغى أن نعترف بهذا ليس هذافحسب بل - فى رأيى - ايضا ان مستقبل القضية فى مصر يرتبط أوثق الارتباط بمستقبل النضال من أجل الوحدة العربية . وهنا قضية الوحدة العربية لا تعنى - بالضرورة - ان نخلط ما بينها وما بين فكرة الوحدة الاندماجية التى يدعو اليها - مثلا - الرئيس القذافى ، والتى حصلت فى سنة ٥٨ ، ما بين مصر وسوريا وكان لها النتائج السلبية التى عرفناها ، وادت الى الانفصال .. الخ

انا اتكلم لانى اثرت هذه النقطة قبل هذا فى المناقشة . وقلت : ان قضية اشكال الوحدة يمكن أن نناقش فيها بعد ، هل هى قضية وحدة دستورية .. أو اتحاد فيدرالى أو تضامن عربى .. الخ يعنى الاشكال المختلفة هنا ، هى موضوع بالنسبة للمستقبل . لكن يهمنى انى أؤكد - ايضا - ان مستقبل التنمية فى مصر يرتبط أوثق الارتباط بمستقبل النضال من أجل الوحدة العربية . وهنا بقى ان نطرح القضية التى يطرحها عدد من المصريين وهى : ماذا أخذنا من العالم العربى غير التضحيات المستمرة ؟ الشعب المصرى تحمل كثيرا فى النضال من أجل فلسطين وفى الماضى وللرد على هذا نقول ان الشعب المصرى تحمل من أجل النضال ضد الاستعمار وهذه هى القضية الاساسية . الشعوب العربية ايضا تحملت ولكن اذا نظرنا الى ان هذا النضال كان له تضحيات كثيرة تحملها الشعب المصرى ، فان مستقبل الوحدة العربية له - ايضا - فوائد عديدة بالنسبة للشعب المصرى . وهذا هو الوجه الاخر من المشكلة .. فالقضية فى قضية مصالح مشتركة ما بين شعوب هذه المنطقة التى تشكل جنبنا أواراهاسا فكرة القومية العربية بمعنى أنه يمكن أن نتصور فى المستقبل البعيد فكرة اتحاد فيدرالى فى العالم العربى ، من نوع اتحاد الولايات المتحدة الامريكية . ويمكن أن نتصور ان يكون هذا فى مستقبل بعيد . لكن من المؤكد ان مصر تستفيد بهذه الصورة من الصور . والشعب المصرى نفسه سيستفيد ، وبالتالى ، لا يصح ان ننظر الى وجه ولا ننظر الى الوجه الثانى . لانه لا يمكن ان يطبق هذا الكلام فى قضية النضال ضد الاستعمار ، وقضية النضال ضد اسرائيل ويترتب على هذا ان نصل الى نتائج خبيثة جدا تقول انه لابد ان نتعاون مع اسرائيل على أقامة كيان صهيونى على زعم أننا ندافع عن مصالح الشعب المصرى الخ ..

لنا فى رأيى قضية البعد العربى هذه ، قضية متعددة الجوانب ، ويسرجيء المناقشة التفصيلية فيها . اريد فقط ان اقول انه بدون موقف عربى واضح لمصر - اليوم - فان مصر مهددة بضياع هويتها ، وشخصيتها ، ومستقبلها ، وأجيال ما فى ماضيها ، وأجيال ما يمكن ان ينشأ فى المستقبل ما لم يكن لها موقف عربى واضح .

تبقى قضية البعد الدولى وفى هذا لنا خبرة طويلة .. خبرة فيما يتعلق بالتنمية .. وخبرة فيما يتعلق بالصراع العربى الاسرائيلى .. وهذه الخبرة تجعل اى انسان منصف يقتنع تماما ان صداقتنا مع المعسكر الإشتراكى خصوصا مع الاتحاد السوفيتى مسألة استراتيجية أساسية لضمان استمرار النضال الوطنى ، ولضمان استمرار التنمية

الاجتماعية ، ولضمان حتى فكرة التقدم الاجتماعى ، بل انه حتى بصرف النظر عن النموذج الاشتراكى فلا حل لنا الا هذا . وبالتالى فان مع المعسكر الاشتراكى ومع الاتحاد السوفيتى هو أحد ضمانات استقلالنا الاقتصادى والوطنى وهذا لا يعنى اتجاها الى التبعية ، على الاطلاق ، بل على العكس هو احد الضمانات الاساسية فى اتجاهنا فى عالم اليوم .

■ توفيق الحكيم :

انا الاحظ اننا لا نقوم بتحليلات .

■ لطفى الخولى :

نحن فقط نضع رؤوس موضوعات .

■ د. عبد العظيم انيس :

اذا سمحت لى يا استاذ توفيق احب ان اضيف جملة واحدة ، اننا فى هذا الموضوع .. موضوع البعد الدولى .. نحن مع التعاون مع كل دول العالم .. تعاون مع الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ودول السوق الاوربية .. و .. و .. الخ . لسنا ضد هذا . انما ان يوضع المعسكر الاشتراكى على قدم المساواة يعنى ان نقول هذا فقط انا رأيى غير كاف ، ومن الخطر ان يوضع المعسكر الاشتراكى والاتحاد السوفيتى ، على قدم المساواة ، مع بقية دول السوق الاوربية أو الدول الاوربية بما فى ذلك الولايات المتحدة . مسألة خطيرة لان هذا يعنى اننى لا أميز بين من ساعدنا على التنمية ومن لم يساعدنا على التنمية ، ومن حاربنا فى التنمية . ولن نميز بين من ساعدنا على الاستقلال الوطنى ومن حاربنا فى الاستقلال الوطنى .. لن نميز بين من اعطانا السلاح فى صراعنا مع اسرائيل ، وبين من اعطى السلاح لاعدائنا فهذه مسألة اساسية يجب أن يكون فيها وضوح تام .

■ توفيق الحكيم :

لازم يكون فيها وضوح ؟ الوضوح ظاهر والمسألة واضحة لماذا ؟ لان اسرائيل ليست عدوا للاتحاد السوفيتى ، وليست عدوا لبعض الدول الاشتراكية . ولكن صداقتها بالولايات المتحدة لها فعلا النصيب الاوفر . ومن ناحيتنا - فى الجهة الاخرى - يجب ان يكون النصيب الاوفر لمن نشعر بانه خالص فى صداقتنا . طبعا لا يصح ان نعادى معسكرات مختلفة احنا نطلب السلام .. السلام لا يتجزأ مع الجميع .

■ د. عبد العظيم انيس :

هذا مع الفارق ، وهو انه اسرائيل . فيما يتعلق بالولايات المتحدة - هى علاقة تبعية واضحة يعنى بمعنى انصياع سياسى . انصياع عسكرى ، انصياع اقتصادى ، .. رؤوس الاموال الامريكية والمساعدات الامريكية تجعل من اسرائيل تابعا للولايات المتحدة . اما علاقتنا - نحن - بالاتحاد السوفيتى فليست علاقة تابع .

■ لطفى الخولى :

هناك نقطة : سيادتك انطلقت من أن اسرائيل صديقة للاتحاد السوفيتى . هذا غير صحيح ، لان اسرائيل بحكم انها واقع استعمارى فى المنطقة .. بحكم انها معادية لحركة التحرر الوطنى ، بحكم أن حركة التحرر الوطنى فى تحالف مع القوى الاشتراكية فهى .. اى اسرائيل تمثل - فى الحقيقة - عدوا لحركة التحرر الوطنى العربية وبالتالى لحلفاء هذا التحرر بالاضافة الى انها - كواقع استعمارى - تتناقض جذريا مع الواقع الاشتراكى . وبالتالى هى عدو .. والقضية الاخرى المهمة فى هذا الموضوع هو طبيعة النظرة الى الاتحاد السوفيتى وهل هو صديق مميز أو غير مميز يعنى هذه ليست اختيارا عشوائيا او نزوة . لان السؤال هو : من الذى يساعدنا على التنمية ؟ .. ومن الذى يساعدنا على مواجهة العدوان الاسرائيلى ؟ .. فى هذه القضية نرى قوتين اساسيتين . وهنا اتكلم من ناحية نفسية وطنية بحتة وليس لها علاقة بالايديولوجية هناك القوتان الاساسيتان اللتان يمكن أن يقدما مثل هذا هما : امريكا والاتحاد السوفيتى .. لنفرض « وهذا فرض جدلى وغير ممكن من كافة النواحى » أن الاتحاد السوفيتى ، كان هو الذى يؤيد اسرائيل فى تنميتها وفى مدها

بالسلاح .. فالموقف الوطنى المصرى كان يحتم علينا . اننا نتمسك بصداقة أمريكا التى من الممكن أن تساعدنا على هذا الوضع .. لكن الاوضاع ليست مقلوبة . وعلى العكس الاوضاع فى وضعها الطبيعى . وهى ان امريكا مع اسرائيل والاتحاد السوفيتى مع القوى العربية .

نقطة أخرى ايضا هى ان تؤدى صداقتنا مع الاتحاد السوفيتى الى أن نأخذ التجربة السوفيتية ونضعها عندنا . هذا غير ممكن .. يعنى لا يقبله السوفيت ولا نقبله نحن . وهذا غير وارد ، وحتى الفكر الماركسى ضد هذا النقل للتجارب ..

■ د. عبد العظيم انيس :

بالاضافة الى ان اليمين الذى تحدثت عن خطره فيما يتعلق بالليبرالية ، هو ايضا شديد العداء للدعوة الاشتراكية ، شديد العداء لليسار فى العالم العربى ، شديد العداء للاتحاد السوفيتى وينبغى ان يقال هذا بشكل واضح ..

■ توفيق الحكيم :

اتضحت أخيرا عندما وجدنا ان الولايات المتحدة اذا كانت فعلا من مصلحتها ان تحل قضية الشرق الاوسط وتحل السلام ، وجدنا انها لا تملك هذا حتى فى بلادها . وقد وجدنا ان من قال كلمة الصدق ، من قادتها وقال ان اسرائيل فتحت لها ترسانة الولايات المتحدة بأكثر مما يجب ، وانه يجب ان نراجع انفسنا فى التحيز لاسرائيل ، كل من قال هذا وجدناه يسقط وكذلك الامر مع نيكسون عندما اراد ان يحل المسألة ..

اذن امريكا ليست لها القدرة ان تحل مسألة الشرق الاوسط بمفردها لماذا ؟ .. لان اسرائيل هناك لها وضع يقيد الساسة فى داخل امريكا . من الجائز بشكل لا يتمشى مع مصالح امريكا نفسها . فاذن الاعتماد على أمريكا سياسيا — كل الاعتماد — لن يؤدى الى ما نتمناه دائما . لانه بخلاف رغبة الحكام — أيضا — ربما كان الحاكم يريد حل المسألة بما يناسبنا لاسباب ، خاصة بالبترول ، خاصة بمصالحه . ولكن ماذا تفعل فى القوى التى تقيده ، فى الداخل ، فيضطر — أيضا — انه يسحب كلامه المناهض لاسرائيل ويتمشى . اذن أنت أمام صديق مكبل لايستطيع أن يمشى معك الى آخر الشوط ..

لكن الصديق الاخر الذى أمدك بالسلاح وحاربت به يجب نراعيه ونجعله دائما فى الصورة وان لا نضعه فى وضع غير مشجع له على ان يقف بجانبنا لانه هو يستطيع ان يقف .. لماذا يستطيع ؟ لانه غير مكبل فى الداخل باتجاهات تمنعه من مساعدتنا . الشعب السوفيتى نشعر منه بكل صداقة فى اشياء كثيرة .. الحكومة ايضا .. اذن لا يوجد تخلخل فى الداخل يمنع من تنفيذه لما يريد ان ينفذه فيما يختص بنا .. أما الذى نرفضه دائما فهو النزعة العاطفية فى العلاقات الدولية ..

ثانيا الناحية الاقتصادية هنا تستطيع أن تجد نوعا من أنواع التكامل الاقتصادى — ليس كاملا — انما نوع من أنواع التكامل بالاضافة الى أنه يمكن أن ننفتح على بعض التجارب الاشتراكية بدون أن نتقيد بنظام . لماذا ؟ لان نظام كل بلد ، نابع من ظروف تاريخية لا تتسنى للاخرين . وماركس — نفسه — ما كان يتوقع ان نظريته ستنشىء دولة فى الاتحاد السوفيتى ، او فى روسيا . لانه هو خطط على أساس أنها ستكون فى انجلترا . اذن النبات الروسى كان مستعد أكثر أن يطبق هذا . ثم خلق لهم لينين ، الرجل المخلص ، والمثقف الجامعى ولم تكن لم قوة عسكرية لكن النظرية كانت فى دمه وجاهد من أجلها . واستطاع أن ينفذ اتجاهه . نحن هنا لا نستطيع هذا لاسباب كثيرة . أولا نحن بلاد من أيام الفراعنة — الى اليوم — الدين يلعب فيها دورا اساسيا ، والعقيدة تلعب دورا أساسيا . أضف الى ذلك ، اننا نحن — أيضا — لنا تقاليد عريقة فى بنيان الاسرة ، وبنيان الريف ، وبنيان المجتمع . فاذن لابد أن تكون لنا اشتراكية قابلة للنبات فى طينة سوداء وفى نهر النيل المملوء باشياء خاصة بنهر النيل . ولذلك عندما تقيم سدا عاليا على النيل فلن يكون نسخة مماثلة لسد عالى على مثلا نهر الدنيبر اختلاف الارض هنا وهناك ، قد يحدث ما لا يمكن أن يتنبأ به لا خبير سوفيتى ولا خبير مصرى لانك لن تعرف رد الفعل لهذه الارض وهذا الطين وهذا الطمى .

■ لطفى الخولى :

- هل يعنى هذا اننا أمام قوة مجهولة غير خاضعة لحساب .

■ توفيق الحكيم ؟

هي قوة تثبت بالتجربة ٠

■ لطفي الخولي ؟

طيب ٠٠٠٠

■ توفيق الحكيم :

يعني عندما تبنى ليبراليه وتثبت منها نجاح اشتراكي . حاولنا هذا في ثورة ١٩٥٢. ولا أعرف كيف انقلبت الى اطار دكتاتورية بوليسية لفرد و لطبقة ٠ ولهذا الفرد هو الذي يطبق الاشتراكية من أعلى ، لكن ثبت ان هذا لايفيد. فاذن نحن نريد اطارا لهذه الاشتراكية لا يكون مقتبسا مباشرة من دول أخرى لان الطبيعة مختلفة .. هذا ما نبحثه الان٠٠

اما علاقات الصداقة التي بيننا فهي علاقة تثبت من عدم وجود ما يشوب أو ما يعرقل هذه الصداقة ٠٠ يعني احنا مع كل النية الطيبة في علاقتنا مع امريكا وأنا رحبت جدا أن يكون فيه علاقات بيننا وبين أمريكا ٠ ولما جاء نيكسون هنا ٠ قلت فعلا ان مقابلته يجب أن تضمر: الامريكان بأن اسرائيل على خطأ عندما تقول بأن الشعب المصري يكره من قلبه الامريكان الشعب المصري لا يكره أبدا ٠٠ بدليل انه قابله مقابلة طيبة ٠ لماذا ؟ لانه لا يكره ٠٠ ولكن عندنا المصالح شيء والحب والكراهية شيء ثان ٠ مصلحتنا بعد هذا اننا اثبتنا لاسرائيل بأن احنا لا نكره شعوبيا ، لان اسرائيل كانت دعايتها ان الشعب المصري يكره الشعب الامريكاني فغلبت علينا كل الامريكان حتى في بيوتهم ٠ لما نقول لهم ان مصر لا يمكن انها تكره الشعب الامريكاني ـ كشعب ٠ نفس الاتحاد السوفيتي لا يكره الشعب الامريكاني كشعب ،، ولكنه هو يتعامل مع حكام معينين ، ومع نظام معين ٠ نظام ،، ولكن الشعب نفسه فيه أيضا شعب كادح لا يرضى عن النظام الرأسمالي في امريكا ، يعني نفس الشعوب واحدة في جميع الدول ٠ الشعب لا يريد أن يحكم حكما استغلاليا سواء كان في أمريكا أو فرنسا ،، ولكن في كل الدول ٠ الشعب لا يريد أن يحكم حكما استغلاليا سواء كان في امريكا او فرنسا ،،

■ لطفي الخولي :

هذه مناقشات مفيدة وسنرجع اليها عندما نكمل ـ حسب جدول الاعمال ـ الرؤية

هل نحن نرجع الى ليبرالية ويثبت منها نجاح اشتراكي . حاولنا هذا في ثورة ١٩٥٢. ولا أعرف كيف انقلبت الى اطار دكتاتورية بوليسية لفرد و لطبقة ٠ ولهذا الفرد هو الذي يطبق الاشتراكية من أعلى ، لكن ثبت ان هذا لايفيد. فاذن نحن نريد اطارا لهذه الاشتراكية لا يكون مقتبسا مباشرة من دول أخرى لان الطبيعة مختلفة .. هذا ما نبحثه الان٠٠

اما علاقات الصداقة التي بيننا فهي علاقة تثبت من عدم وجود ما يشوب أو ما يعرقل هذه الصداقة ٠٠ يعني احنا مع كل النية الطيبة في علاقتنا مع امريكا وأنا رحبت جدا أن يكون فيه علاقات بيننا وبين أمريكا ٠ ولما جاء نيكسون هنا ٠ قلت فعلا ان مقابلته يجب أن تضمر: الامريكان بأن اسرائيل على خطأ عندما تقول بأن الشعب المصري يكره من قلبه الامريكان الشعب المصري لا يكره أبدا ٠٠ بدليل انه قابله مقابلة طيبة ٠ لماذا ؟ لانه لا يكره ٠٠ ولكن عندنا المصالح شيء والحب والكراهية شيء ثان ٠ مصلحتنا بعد هذا اننا اثبتنا لاسرائيل بأن احنا لا نكره شعوبيا ، لان اسرائيل كانت دعايتها ان الشعب المصري يكره الشعب الامريكاني فغلبت علينا كل الامريكان حتى في بيوتهم ٠ لما نقول لهم ان مصر لا يمكن انها تكره الشعب الامريكاني ـ كشعب ٠ نفس الاتحاد السوفيتي لا يكره الشعب الامريكاني كشعب ،، ولكنه هو يتعامل مع حكام معينين ، ومع نظام معين ٠ نظام ،، ولكن الشعب نفسه فيه أيضا شعب كادح لا يرضى عن النظام الرأسمالي في امريكا ، يعني نفس الشعوب واحدة في جميع الدول ٠ الشعب لا يريد أن يحكم حكما استغلاليا سواء كان في أمريكا أو فرنسا ،، ولكن في كل الدول ٠ الشعب لا يريد أن يحكم حكما استغلاليا سواء كان في امريكا او فرنسا ،،

■ لطفي الخولي :

هذه مناقشات مفيدة وسنرجع اليها عندما نكمل ـ حسب جدول الاعمال ـ الرؤية

المستقبلية لبقية الزملاء .. بعد ذلك تأتى المناقشات حول هذه النقطة من خلال مناقشة التجربة وتجربة الصداقة التى تطورت خلال ١٨ سنة . لكن لى رجاء ان نلتزم فى المناقشة بجدول أعمال . لان القارىء يريد ان يقرأ لنا قراءة منظمة حول موضوعات محددة . وذلك على الرغم من الاهمية الكبيرة للنقاط التى أثارها استاذنا توفيق الحكيم .

والكلمة الآن للدكتورة لطيفة الزيات ..

د . لطيفة الزيات :

بعد العرض الشامل الذى قدمه د . عبد العظيم انيس لايسعنى الا ان اثبتنى هذا العرض كاطار عام أوافق عليه تماما طبعا اتفق معه على ضرورة البحث عن طريق الخلاص الوحيد لمصر ، فى ظل الظروف الموضوعية الاقتصادية الداخلية والخارجية ، على مستوى العالم كله ، وفى ظل الظروف الموضوعية الخاصة ايضا بمصر . هنا نلاحظ ان العالم الغربى قائم على شفا حفرة من الازمة الاقتصادية الحادة . وهكذا فانه فى ظل الظروف الاقتصادية لمصر ، وأمام الازمات التى يمكن ان تواجهها مع التكاثف السكانى ، وفى ظل احتدام الصراع الاسرائيلى العربى وما يتطلبه ويفرضه هذا الصراع . من ناحية انه اساسا صراع بين الاستعمار وبين الشعوب التواقة الى التحرر اقول فى ظل هذه الظروف كلها ، لا يمكن ان تحقق مصر السلامة الا بجبهة ديموقراطية وطنية قائمة على أحزاب اشتراكية ووطنية . وأوافق د . عبد العظيم انيس على ان هذه الجبهة لها بعدها العربى ، ولها ايضا بعدها الدولى . واحب ان اضيف بعض النقاط :

فى تصورى لهذه الجبهة الاشتراكية الوطنية ، فى داخل مصر ، أذهب الى ان قيام هذه الجبهة مرتبط بالحريات الديموقراطية . بل انه لايمكن تحقيق الحريات الديموقراطية دون قيام هذه الجبهة . لان هذه الجبهة ستكون — بالضرورة — مكونة من الطبقات الشعبية المستفيدة من الاشتراكية والمستفيدة من التحرر الوطنى ..

ولا يمكن ان تقوم مثل هذه الجبهة الا من خلال هذه الطبقات ، ولا يمكن أن تستمر الا بمساندة هذه الطبقات . ولا يمكن أن تقوم وتستمر الا فى جو يتوفر فيه الحوار ، وتتوفر فيه الحرية . وجميع الحريات الديموقراطية . لكن الوسيلة الوحيدة لقيامها ولاستمرارها ، هى أن تحمى من جانب القواعد العريضة من الشعب المستفيدة من قيامها . ولابد أن تكون تعبيرا تحتيا لا مجرد تعبير وقتى . فالطبقات الكادحة المستفيده من وجود هذه الجبهة هى الوحيدة الكفيلة بانشائها وبحمايتها . ولا تستطيع ان تفعل هذا الا فى جو من الديموقراطية . فهذه الجبهة — بطبيعتها — معادية للقمع البوليسى ، ومعادية لكبت الحريات . واذا ترك لهذه القواعد العريضة من الشعب أن تحمى جبهتها ، فهى الكفيلة برد جميع الرجعيين ، وايقافهم عن حدهم .

د . لطيفة الزيات

بالنسبة للبعد العربى . أقول ان البعد العربى كامن فى المحل الاول فى التكامل الاقتصادى ، وفيما يتعلق بالوحدة العربية ، فهذه الوحدة أيا كان مستواها ، هذه الوحدة التى ستقوم بين الشعوب العربيه وحدة هامة جدا . كما ان المستقبل يحمل اليها امكانيات أكبر ، لان الشعب المصرى يلتقى على طريق العمل من أجل هذه الوحدة بشعوب عربية على قدر كبير من الوعى ، وبشعوب عربية أخرى ، فى طريقها الى قدر كبير من الوعى . وفى عالم اليوم فان التغييرات الاجتماعية التى تتم على المستوى العالمى تعمق ، وتبشر بتغييرات اجتماعية أوسع فى العالم العربى .

فى البعد الدولى .. الصراع بين الشعوب العربية وبين الشعوب المستغلة « فى العالم الثالث كله » من ناحية ومن ناحية اخرى ، بين امريكا . وهو صراع حتمى ، وقد بدأ فعلا بصورة قوية . هذا يتضح اذا علمنا ان الاقتصاد الامريكى كله ، والاقتصاد الرأسمالى كله ، قائم على العامل فى العالم الثالث . سواء كان هذا العامل يستخرج البترول ، أو غيره من المواد الخام الأخرى .

ويوم يتنبه هذا العامل الى ان له حقا فى الحياة الانسانية سيصبح الصراع بينه وبين الاستعمار الامريكى محتوما . ولهذا ليس

غريبا اليوم أن تبدأ التهديدات بالتدخل فى المنطقة العربية . وأحب أن أؤكد مرة أخرى على أن الاقتصاد الغربى كله قائم على أن يبقى العامل فى العالم الثالث فى الدول المنتجة للمواد الخام فى حالة غير انسانية ، فى حالة لا يأكل فيها ما يكفى ، ولا يعيش فيها عيشة انسانية . يوم أن يتنبه هذا العامل لحقوقه سيبتدىء الصراع الحتمى بينه وبين الاستعمار الامريكى . وستبدو أزمة العالم الغربى والعالم الرأسمالى أزمة رهيبة ، ونحن اليوم نشهد بوادرها . هذا الى جانب أن التناقضات بين الدول المنتجة للبترول والدول المستهلكة للبترول قد بدأت فعلا تظهر آثارها للعيان . ان أمريكا – مثلا – بدل أن تضغط قليلا احتكارات البترول التى تكسب المكاسب الفاحشة ، تهدد بالتدخل المسلح فى دول الخليج لتضمن للرأسماليين الامريكيين وللاحتكاريين الامريكيين هذه المكاسب .

ربما أحب أن أنهى كلامى بنغمة تفاؤل فأقول : أننا لسنا فى حيرة من ايجاد القاعدة الاشتراكية العريضة التى يمكن أن تنبع منها الجبهة الوطنية والجبهة الديموقراطية . هذه القاعدة العريضة وجدت من سنة ٥٢ الى الان . وهى موجودة بشكل واسع جدا . وربما لم يستطع جمال عبد الناصر أن يحقق الاشتراكية ، ولكنه استطاع أن يفتح مخيلة الشعب المصرى على الاشتراكية . استطاع أن يوسع القاعدة العمالية حين أرسى قواعد الصناعة الثقيلة فى مصر ، واستطاع بتوزيع الارض للفلاحين أن يوسع من قاعدة القوى الاجتماعية صاحبة المصلحة فى الاشتراكية .. والظروف الاقتصادية – نفسها – تجعل الطبقات المستفيدة من الاشتراكية فى مصر أوسع وأكبر مما كانت فى أى وقت مضى . هذا على المجال المصرى .

وعلى المجال العربى ، فان ما يحدث الان فيه دلالات ومؤشرات مهمة جدا يجب أن نتنبه اليها . « وأضرب مثلا لذلك الاتفاق الذى يتم اليوم والتقارب بين سوريا ولبنان . هذا الاتفاق فى رأيى اتفاق كبير الدلالة » . ايضا التناقضات الموجودة ، الان ، بين الدول المنتجة للبترول وبين الدول المستهلكة للبترول وهى عامل يجب أن يؤخذ فى الحساب . وأخيرا فمع ايمانى بأننا نقف على مفترق الطرق ، ومع ايمانى بأن هذه اللحظة فاصلة فأنا أميل – مع ذلك – الى التفاؤل وشكرا .

■ د. فؤاد مرسى :

فى اعتقادى اننا لا يمكن أن نستشرف آفاق المستقبل الا ابتداء من الحاضر . والحاضر ، هنا ، هو الواقع كما يتمثل فى مصر عام ٧٥ . ومصر عام ٧٥ فى تقديرى هى محصلة مصر فى السنوات الكثيرة الماضية ، وبصفة خاصة ، منذ عام ١٩٥٢ . لذلك لا يمكن أن نبدأ الكلام عن استشراف المستقبل الا من أرضية واقعية محددة . هذه الارضية الواقعية المحددة هى ما انتهت اليه تجربة مصر وبالذات تجربة الثورة فى مصر عام ٥٢ .. هذه التجربة كما انتهت اليه تنطوى على ما يأتى :

د . فؤاد مرسى

أولا : من حيث الاسس الفكرية لهذه التجربة . تقف مصر على أرضية الفكر الوارد فى **الميثاق الوطنى** . هذا الفكر الذى يحدد أن مستقبل مصر هو المستقبل الاشتراكى أخذا بمنهج الاشتراكية العلمية . ومنهج الميثاق الوطنى الذى تدعم فيما بعد **ببرنامج العمل الوطنى** يختلف الى حد كبير عن المنهج الذى ساد فى ورقة أكتوبر .. فالقضية الاجتماعية لم توضح فيها بالوضوح الذى طرحت به فى الميثاق الوطنى . فلقد أصبح الهدف المحدد ، وهو بلوغ الاشتراكية أخذا بمنهج الاشتراكية العلمية ، بحيث يتناقض مع مواقف كثيرة بعضها خاص بالموقف من الرأسمالية الوطنية ، وبعضها خاص بالموقف من الرأس مال الاجنبى . وسأتعرض لهذين الامرين فيما بعد بتفصيل كبير .

ثانيا : فيما يتعلق بالواقع الاقتصادى حققت مصر حتى عام ٧٥ كما نقف على أرضيتها اليوم نتائج يجب ان نبدأ منها ايضا اى استشراف للمستقبل .

النتيجة الاولى : هى تصفية النفوذ الاستعمارى السياسى والاقتصادى بتصفية جميع المراكز الاستعمارية فى داخل الاقتصاد المصرى .

النتيجة الثانية : تصفية الملكية الاقطاعية الكبيرة للارض وتوزيع الاراضى على الفلاحين بالمجان ..

النتيجة الثالثة : تصفية الرأسمالية الكبيرة التى كانت موجودة قبل ثورة ٥٢ وفيما بعدها حتى عام ٦١ .

النتيجة الرابعة : اقامة قطاع عام كبير يقوم اساسا على تسليم المصالح الاجنبية الاستعمارية ، وعلى تأميم مصالح رأس المال الكبير المحلى . ثم يقوم على الاستثمارات التى اقتطعت من تضحيات ملايين الشعب المصرى وبخاصة من العمال والفلاحين والموظفين .

النتيجة الخامسة : الاخذ بأسلوب التخطيط ، هذا التخطيط الذى اعتبر اساسا لمستقبل مصر منذ عام ٦٢ عندما طرح فى الميثاق .

النتيجة السادسة : الاخذ بمبادىء الدعاون .. التعاون ليس فقط فى مجال التسويق، وانما ايضا فى مجال الانتاج وهذا أيضا هام لكد عليه والخ برنامج العمل الوطنى الذى صدر فى عام ١٩٧١ .

هذا من حيث النتائج الاقتصادية التى انتهينا اليها بعد تاريخ طويل ، وبعد خبرة ، وتجربة مرت بمنهج التجربة والخطأ واستقرت بحيث انها تعطى صورة مصر الاقتصادية .

يمكن أن نضيف صورة او نتيجة اقتصادية أخيرة هى السماح لرأس المال الخاص بالاستثمار وبالعمل فى مجال الانتاج بصفة خاصة ووصفه بانه رأس مال غير مستغل وهو وصف سياسى غير اقتصادى وغير علمى . لكن كانت دلالته السياسية مهمة جدا فى ان لا يجتح رأس المال الخاص الى الاستغلال بمعنى الاحتكار . اى أن لا ينمو نموا غير محدود وعندئذ فاذا ما نمى نموا غير محدود فانه يصبح خارجا عن الميثاق .

من حيث الواقع السياسى لمصر انتهت تجربة مصر فى عام ٧٥ الى أن مصر هى مصر الطبقات الوطنية . وان السلطة يجب أن تكون بيد هذه الطبقات الوطنية وحدها . وان الديموقراطية يجب أن تكون للطبقات الوطنية وحدها لان الديموقراطية ما هى الا تقنية السلطة . من الذى له سلطة اصدار واتخاذ القرار . الطبقات الوطنية بحكم الميثاق الوطنى تحدد أن مصر يجب أن تحكم بتحالف الطبقات التالية :

العمال والفلاحون والمثقفون الثوريون والرأسمالية الوطنية والجنود .. وبالطبع يعنى هذا أن السلطة والديموقراطية يجب أن تكون لهذه الطبقات . وأن الطبقات الأخرى هى خارجة عن نطاق الديموقراطية وانه لا يمكن الحديث ابتداء من مصر - كما تركتها لنا ثورة ٥٢ - الا من ارضية ديموقراطية الطبقات الوطنية .. ايضا تكتمل الصورة السياسية بانه لا تناقض بين التحول الى الاشتراكية وبين التوسع فى الديموقراطية . واذا ماكانت هناك عمليات خرق للديموقراطية - فيما مضى - فهى خروج ليس فقط على منطق الديموقراطية انما هى خروج أيضا على منطق ومنهج الاشتراكية .. لان الاشتراكية لا تكون الا عملية جماهيرية اى عملية تضم الملايين الواسعة من العمال والفلاحين والمنتجين الحقيقيين فى بلادنا وبالتالى ليس لهم مصالح الا فى توسيع هذه الديموقراطية : مضمونا ، واشكالا ، واطرا . ولذلك فالخروج عن الديموقراطية فيما مضى انما كان خروجا عن منطق التحول الى الاشتراكية أيضا .. وأيضا تكتمل الصورة بأننا مطلوب منا على المستوى السياسى أن نتخذ طبقا للميثاق الوطنى خطوات تحملنا ، أكثر فأكثر ، نحو الاشتراكية لان الميثاق الوطنى انما يطرح برنامجا للانتقال ، وبرنامجا مؤقتا . وكان من المفروض أن يعاد النظر فيه على عام ٧٢ . وبالكثير كان يجب ان يكون هذا برنامجا لعشر سنوات فحسب ، ينظر فى نهايتها فى برنامج يستشرف آفاقا اوسع نحو الاشتراكية . وبالتالى ، ليست مشكلة مصر اليوم طبقا لاوضاعها الاقتصادية والسياسية هى أننا سرنا طريقا اطول ، أو أوسع مدى فى مجال الاشتراكية ، انما المشكلة الحقيقية هى أننا لم نسر الذى الذى كان يجب أن نسير فيه فى التحول الاشتراكى وبالتالى ، فنحن امام مشكلة نفس الاجراءات التى تكفل اكمال عملية التحول الاشتراكى فى بلادنا . هذه هى مشكلة مصر على المستوى الاقتصادى والسياسى ، وليست هى اى مشكلة أخرى . اننا سرنا أطول ، او بعدنا عما كان يجب أن نسير فيه ، انما المشكلة الحقيقية هى أننا لم نلتزم بالأفاق التى طرحت ابتداء من عام ٦٢ لمستقبل مصر . هذه الافاق - بالطبع - عملت قوى عديده على دفعها

وبصفة خاصة كانت قوى الرجعية الداخلية فيما بعد ٦٥ . وهى القوى التى وقفت ضد عملية بدء الخطة الخمسية الثانية ، والرجعية العالمية متمثلة فى الاستعمار الامريكى بصفة خاصة وأداته فى المنطقة اسرائيل بحرب ٦٧ قد وقفت ضد عمليات التحول واستمرارها .. ومن هنا نشأت المتاعب لمصر فى وقت مبكر . لا لاننا سرنا أكثر ولكن لاننا سرنا أقل فى طريق التحول الاشتراكى . وبالتالى ، أصبحت هناك عقبات وصعوبات متزايدة تراكمت وتحولت من تراكمات كمية الى تراكمات كيفية واصبح النقاش الان هل تتخذ مصر مستقبلا رأسماليا أم اشتراكيا .. لا ، ليس هذا هو النقاش لان مصير مصر ومستقبلها قد تحدد منذ عام ٦٢ رسميا بأن مستقبل مصر هو الاشتراكية . لا مجال لاعادة النظر فى هذا المجال . تحددت مصر المستقبل بأنها مصر الاشتراكية .. المناقشة الان هى كيف نستعيد الطريق الى التحولات الاشتراكية التى تكمل مسيرتنا . هذا هو النقاش الذى يجب ان يثور ، ومن هنا فاننى اعتبر كل ما يثار حول ضرورة افساح المجال الاكبر لراس المال الخاص وافساح المجال لراس المال الاجنبى متناقضا مع مسار الثورة المصرية منذ تحدد فى الميثاق الوطنى .. وهذا الامر يجب أن يطرح بهذا الوضوح . راس المال الخاص قد استكمل دورته منذ سنوات عديدة واثبت بما لا يدع مجالا للشك عجزه عن القيام بتنمية مصر فكيف نعود مرة اخرى اليه ونطلب منه أن يقوم بتنمية الاقتصاد المصرى وحل مشاكل مصر المستعصيه ؟ لقد اجاب الميثاق الوطنى على هذا منذ عام ٦٢ بان الراس مال الخاص غير قادر اذا ما ترك له المجال منفردا ووحيدا بأن يحل مشاكل مصر الاقتصادية ..

وكما قال الدكتور عبد العظيم انيس مشاكل مصر هى مشاكل الفقر هى مشاكل بلد فقير حتى اغنياؤه فقراء نسبيا . هذا بلد فقير يجب أن تعالج قضاياه على اساس مصالح الملايين العديدة الفقيرة التى تتعيش عيشة الكفاف وأى مناقشة لمستقبل مصر انما تناقش من حتمية الحل الاشتراكى ولا حل سواه .. لن تحل الرأسمالية مشاكل جماهير مصر المتراكمة التى تحولت الى مشاكل من أعوص مايكون الان .. ايضا لا يمكن أن نظن أن مشاكل مصر يمكن أن تحل بفتح المجال امام راس المال الاجنبى لان راس المال الاجنبى جرب ايضا وتجربته الاساسية هى فى مصر قبل ٨٢ وما بعدها فكانت هى احتلال مصر ثم بعد ما قامت الثورة بكل ما قدمته من ضمانات لراس المال الاجنبى وهى ضمانات كثيرة كانت ضمانات اقتصادية وسياسية وقانونية لم يقبل راس المال الاجنبى على مصر إلا فى مجال وحيد هو مجال البترول وبأرقام خيالية من حيث الضآلة لم تزد مجموع استثمارات البترول الاجنبية فى مصر خلال سنوات الثورة الاولى حتى عام ٦٢ عن أربعة ملايين جنيه مصرى يعنى مبالغ ضئيلة جدا اذا قورنت بما استطاعت مصر أن تعبئه من مئات الملايين من الجنيهات للاستثمار فى مصر .. وبصفة خاصة منذ عام ٦٠ فى الخطة الخمسية الاولى وما بعدها حتى الان نجد أن الرقم الذى قدمه راس المال الاجنبى طوال سنوات الثورة الاولى رقم هزيل ويمكن استبعاده بغير ان يؤثر فى تاريخ مصر ومستقبلها .. من هنا نجد أن تجربتنا مع راس المال الاجنبى هى تجربة بائسة لانه لا يريد أن يأتى لماذا ؟ لان راس المال الاجنبى يجب أن يأتى بشروطه هو وبالظروف التى تضمن له أن يحقق الربح الأقصى وهى ظروف تتضمن السيطرة فاذا لم تتحقق له السيطرة فلماذا يأتى ؟ ! واذا لم يتحقق له الربح الوفير فلماذا يأتى ؟ ! من هنا يمكن أن تأتى رؤوس أموال أجنبية الى مصر لكن بشروط سيطرة وشروط الربح الاقصى الذى تضمنه لنفسها وهذا هو الامر الذى حاولت رؤوس الاموال أن تنتهجه خلال السنوات الماضية فى مصر .. خلال السنوات الماضية ارادت أن توهمنا بان حل مشاكل مصر يتم بالتفاهم مع الغرب سياسيا مع امريكا لتحل المشكلة مع اسرائيل .. واقتصاديا بأن راس المال الاجنبى يحل مشاكل التنمية المصرية . هذا الحل حاولوا فرضه منذ سنوات ، وكانت هناك مقاومة شديدة له فى السنة الاخيرة تم القبول جزئيا بوجهة النظر هذه وهى أن راس المال الاجنبى قادر على حل مشاكل التنمية فى مصر .. راس المال الاجنبى لن يأتى الى مصر الا فى المجالات التى تضمن له السيطرة والربح الاقصى ولذلك هى مجالات محدودة وهى مجالات هو نفسه متخلى عنها فى بلاده .. مثلا أى صناعات ملوثة للبيئة متخلى عنها فى بلاده وعايز يعملها فى البلاد النامية المستعمرة أو شبه المستعمرة .. أى صناعات تحتاج ليد عاملة وفيرة ورخيصة متخلى عنها فى بلاده وعايز يعملها فى بلادنا زى تجميع السيارات وتجميع الراديوهات والترانزستورات ، عمليات تجميع لا نكتسب منها خبرة كبيرة ، وتغرق السوق بسلع

استهلاكية بحتة هى دى تنمية مصر ولا حل مشاكل الفقراء . كذلك هو مستعد أن يتخلى عن الصناعات التى تتطلب تكنولوجيا بسيطة ولا تحتاج لخبرة ومعرفة فنية . وبالتالى من الممكن أن تكون هناك صناعات من هذا النوع لا تشكل تنمية مصر ولا مستقبل مصر .. مستقبل مصر يشكل بعملية تنمية مخططة فيها أولويات محددة سلفا وموضوعة جميعا فى اطار تخطيط اجتماعى معين هو تخطيط لمصلحة الاغلبية الساحقة من المصريين وهم أناس فقراء .. من هنا نجد أن صورة مصر فى المستقبل انما يجب أن تستشرف من واقع مصر الفكرى كما حددته مواثيقها ومن واقعها الاقتصادى والسياسى كما حدث فعلا وأصبح مصر اليوم . النتائج التى يمكن أن تبنى على مصر كما هى وكما أفضت اليها الثورة يعد أكثر من عشرين سنة نتائج ليس لها الا المنهج الاشتراكى ومى نتائج يمكن أن تأخذ فى الاعتبار كل القدرات المصرية وأيضا تأخذ فى الاعتبار البعد العربى ، والعرب الان يشرفون هم أيضا على التحولات الاشتراكية .. فالتحولات الاشتراكية ليست مسألة مصرية فقط انما هى أيضا مسألة عربية وأيضا فيها البعد العالمى لان العالم اليوم القوة الحيوية فيه التى تنمو باضطراد هى القوة الاشتراكية .. القوة الرأسمالية تنمو لكنها تنمو بمشاكل وبأزمات وبألم أن تندهور .. أما القوة الاساسية التى تنمو باضطراد وبمعدلات مذهلة للنمو هى العالم الاشتراكى . من هنا الافق الاشتراكى المصرى يربط مصر حتما بالعرب وبالعالم التقدمى وشكرا ..

■ **احمد عباس صالح :**

فى الواقع بعد العرض الجميل والمنظم والرائع للزملاء وما قاله – أخيرا – د . فؤاد مرسى ، يبدو أنه ليست هناك اضافة حقيقية . ولكنى سأكمل ما كنت أتوقع أن يكمله الدكتور فؤاد مرسى فى شكل اتمام عملية النمو التى نقف عندها الآن فى سنة ٧٥ .. وأنا أوافقه تماما على أن ننظر الى المستقبل من خلال هذا الواقع والظروف القائمة .. فيما يختص بالوضع السياسى . وهى المشكلة التى يحاول أن يتسلل من خلالها الرجعيون والاستعمار لقلب ثورة ٢٣ يوليو ونتائجها ، وأعادة مصر الى الاطار الاستعمارى السابق .. العيوب القائمة التى مررنا بها فى الفترة الماضية تتصل بالتنظيم السياسى أكثر من اتصالها بأى شىء آخر . وإذا كان ثمة استشراف للمستقبل على الاسس القائمة ينبغى أن يوضع الاساس فى التنظيم الجماهيرى ، وهو تنظيم الاتحاد الاشتراكى . ونحن نعلم أنه قد عرضت مذكرات وأبحاث خاصة بتطويره ، ولكن لم نتوصل الى نتائج ايجابية ، انما كانت ظفر وتدور لتبعد عن الاصلاح الحقيقى لان كثيرا من القوى القائمة محليا وعربيا تريد هدم النظام القائم هدما تاما ، واحلال نظام آخر محله . اذن فنقطة الانطلاق فى استشراف المستقبل هى النظر فى التنظيم السياسى القائم ، وهو الاتحاد الاشتراكى ، واعادة تصحيحه ، فالاتحاد الاشتراكى القائم يضم خمس فئات كما تعلمون .

■ **لطفى الخولى :**

مفروض أنه يضم .. هذا أكثر دقة على ما أعتقد .

■ **احمد عباس صالح :**

نعم ، مفروض أنه يضم خمس فئات للعمال والفلاحين باغلبية لا تقل عن ٥٠ فى المائة ولكن الحقيقة انه ليست هناك سيطرة فكرية لهذه الطبقة الاساسية والتى تمثل اغلبية الشعب المصرى . وبالاضافة الى ذلك فان الاتحاد الاشتراكى كان يضم هذه الفئات بشكل فلوى ، وليس بشكل سياسى . فالمفروض ان طبقة العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين لها تصور فكرى ، ونظرية ومنهج . وانه ينضم الى هذا الفكر أو هذا المنهج كل من يعتقد انه الطريق الصحيح للتطور الاجتماعى ، والتقدم الاجتماعى ، ولكن الذى كان يحدث هو ضم العمال والفلاحين باعتبارهم عمالا وفلاحين ، وبشكل تنظيمى ، اى فئة ، وليس باعتبارهم أصحاب وجهة نظر أو منهج أو برنامج . ينبغى اذن أن يطرح فى الاتحاد الاشتراكى التطور السياسى الذى يعبر عن مصالح وفهم طبقات العمال والفلاحين وهو بطبيعة الحال كما ورد فى الميثاق الاشتراكية العلمية .. وبالتالى ، هذا يترتب عليه أن تنشأ آلية على الاساس السياسى ، لا على الاساس الفلوى ، وتطرح برنامجا ، وتكون منتخبة من العمال والفلاحين انتخابا حرا ، وبشكل تنظيمى . وهذه الآلية يكون لها كل السلطات التى تمنح

احمد عباس صالح

لاى حزب صالى يدين بالفكر والنظرية الاشتراكية . وبالتالى ، يتبع هذا ان تصدر هذه الاسلة صحفها وان تعبر عن نفسها وتصوت فى المؤسسات البرلمانية ، وان يكون لها دور فى القرارات باعتبارها الاغلبية الساحقة لهذا المجتمع . اذن ، نحن نطالب ان يكون المستقبل هو تكوين أمانة ، وهى يمكن أن تكون تسمية للحزب الصالى الاشتراكى الذى يمكن ان ينشأ داخل التجمع الوطنى حتى فى اطار الأحداد الاشتراكى كما هو مطروح حاليا ».

من الممكن ايضا ، ان نقبل تصور قيام حزب آخر لما يسمى بالرأسمالية الوطنية . وكما قال د . فؤاد مرسى محتمل ان يكون للراسمالية الوطنية دور فى عملية التنمية الان تحت اطار الخطة والتوجيه العام الذى توجهه الدولة فى تخطيطها الاقتصادى . ويكون ـ ايضا ـ لهذه الاسلة تجمعها الفكرى السياسى وليس التجمع النقوى المزعوم الموجود الان .. كما ان من حقها ـ ايضا ـ ان تصدر صحفها ، وان تمثل نفسها فى المؤسسات الدستورية كالبرلمان وغيره ، وتشترك فى اصدار القرارات ».

واذا كان ثمة قوى اخرى وأنا لا اكاد ارى فى التقسيم الواقعى اى قوى اخرى فانه يكون لها ايضا ، الاسلة التى تريدها . ومن مجموع هذه الاسلة ، وحسب عدد التمثيل ، تتكون اللجنة المركزية من هذا التحالف وبطبيعة الحال ، ان التصويت على اى قرار او على اى موقف يكون بالاغلبية ، وهذا معناه ان الاغلبية الساحقة التى توجه التطور والحركة فى مصر هى لقوى العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين .

ايسا مايحدث من تهرب من هذا الوضع ، وتعمية عليه ، فهو فى الواقع يراد به تجنب المواثيق التى ذكرها د . فؤاد مرسى ، والتى يتضح منها تماما ان الطريق الحقيقى والطبيعى لمصر ان يتحول التحالف من مرحلة نظرية أو مفترضة الى تحالف واقعى ». وحقيقى هذا هو الجانب السياسى فى التشكيل أو التنظيم الجماهيرى ».

يأتى بعد ذلك البعد الجغرافى ». واعتقد انه بعد هام جدا ، ليس فقط من باب التكامل الاقتصادى وغيره ، من الابواب الهامة التى ذكرت قبل قليل ، انما انا اعتقد ان الرجعية المصرية والتى تحاول قلب نظام الحكم الحالى ليست قادرة وحدها على ان تقوم بهذا العمل ».

■ **لطفى الخولى :**

هل قلت أن الرجعية المصرية تريد أن تقلب نظام الحكم الحالى ؟

■ **احمد عباس صالح :**

نعم ، الرجعية الحالية التى تريد ان تتوخى الطريق غير الرأسمالى للتحول الى الاشتراكية ».

■ **لطفى الخولى :**

هل يعنى ذلك ان تعتبر ما هو قائم خيرا معاد وغير آمن بالنسبة لها ؟

■ **احمد عباس صالح :**

تعتبر الرجعية العربية ما هو قائم معاديا لمصالحها ، وتريد ان تعود الى ما يمكن ان يسمى بالليبرالية بمعناها العلمى حيث تشمل الفكر الاقتصادى والحرية الاقتصادية وحق الملكية كحق مقدس الى آخر هذه الحقوق المعروفة من الليبرالية ».

■ **د . لطيفة الزيات :**

حكاية الليبرالية هذه خطيرة جدا . لان الليبرالية ـ هنا فى مصر ـ كما بدا من المناقشات التى دارت فى الاتحاد الاشتراكى تعنى قيام احزاب للطبقات المستغلة وحرمان الطبقات الكادحة من قيام احزابها ».

■ **احمد عباس صالح :**

أنا فى الواقع اتهم الرجعية المصرية بانها تحاول قلب نظام الحكم الحالى وهو أمن حتيتى وواضح تماما لعلم جميع الناس .. ولكن بعد عشرين سنة من الثورة لا يبدو ان هذه القوى المحلية تضعف من ان تقوم بهذا الدور وحدها ».

الى جانب ما تقدم تصادف أن جدت ظروف تاريخية تتمثل فى تكون وتكدس رأس مال عربى ناتج من عائدات البترول . وأن هذا المال العربى بطبيعة الحال لابد أن يبحث له عن سيادة . وحيث يكون المال تكون السيادة . هذا المال العربى نتيجة الضغوط الخارجية ، والظروف الخارجية يريد أن يجد له استقرارا آمنا فى المنطقة العربية تحت شروطه » .

وبفهم من هذا المنهج رغم الالحاح الكثير ، ورغم قوانين الانفتاح ، ورغم اغراء الاستثمار الاجنبى من تطبيق عددا من نظم القطاع العام فيما يتعلق بحقوق العمال فان هذا الرأس المال لم يتقدم الى الان خطوة مما يدل على أن شرطه الجازم والقاطع هو تغيير النظم الحالية .

وبالنسبة للتصور القائم للمستقبل فيما لو تم هذا التنظيم السياسى داخل اطار الاتحاد الاشتراكى مع التعديلات التى اشرت اليها يجب أن يمتد هذا التنظيم السياسى الى كل بلد عربى لابد أن يكون له امتداد وتلاقى مع القوى الاجتماعية المماثلة فى الوطن العربى ، وهو امتداد يبدو انه قائم فعلا بشكل او بآخر أنك تجد تلاق بين المفكرين أو الثوريين المصريين وتجد هذا التلاقى ايضا فى بعض البلاد العربية التى حدثت فيها تحولات او تطورات قريبة الى الاشتراكية مثل كثير من البلاد العربية ذات الطابع التقدمى الحالى ، وايضا تجد هذا فى التشكيلات السياسية فى الدول الحافظة اعنى بهذا انه لا يكفى أن يكون لمصر تنظيم سياسى محلى فقط انما ايضا ينبغى أن تكون له امتداداته العربية باعتبار أن التحولات فى مصر هى تحولات شاملة للعالم العربى كله وليست شاملة لمصر وأنه لا مجال للتقدم الاقتصادى خارج اطار الوحدة العربية . وكما قال الدكتور عبد العظيم انيس فنحن نحتاج فى الحد الادنى لـ ٧٠٠٠ مليون جنيه . وزاد الاستاذ لطفى الخولى فجعلها ١٠٠٠٠ وانا اعتقد انه لا وسيلة للتنمية الاقتصادية الحقيقية دون وحده عربية وأنه لابد أن يكون للثورة المصرية بعدها العربى واعتبارها حقيقة مطلقة وهى ايضا فى صالح الشعب العربى المستغل فى أى بلد عربى يقع فيه استغلال ويحتاج الى تنمية اقتصاديه . وكان تاريخ ثورة ٢٣ يوليو يؤيد ويؤكد هذا البعد العربى ، ولعب الجيش المصرى دورا فى اليمن ولعبت السياسة المصرية دورها فى تأييد الثورة فى العراق ولعبت دورها فى الجزائر ولعبت دورها فى كل المنطقة فهذا ليس كلاما جديدا اذن لابد ان نتوقع فى المستقبل أن الحركه الثورية المصرية هى حركة ثورية عربية فى نفس الوقت لضرورات اقتصادية وتاريخية وقومية ايضا ، هذه مجمل الصورة التى اتخيلها للمستقبل وشكرا .

■ لطفى الخولى :

الان يبدو ان جميع المشتركين فى الندوة ابدوا تصورهم للمستقبل فيما عدا الشباب ، لا أعرف لماذا لم يحضروا هذه الجلسة .

واذا شئنا أن نرسم الصورة ،حتى نبدأ فى الجلسة القادمة فى مناقشة التجربة ، فانه يمكن القول بأن هناك نقاط اتفاق ونقـــاط خـــلاف وضحت خلال الحوار . أجيز لنفسى تحديدها على النحو التالى :

نقاط الإتفاق : من غير المتصور أن هناك مستقبلا لمصر دون أن تكون جزءا عضويا من حركة التقدم للعالم العربى ككل . وبالتالى هذه الرابطة التاريخية العضوية المصيرية ، على جميع المستويات ، تشكل مسارا اساسيا من مسار التجربة المصرية . فالقضية المصيرية قضية عربية ، والقضية العربية بما فيها القضية الفلسطينية هى قضية مصرية . هذه نقطة لا اعتقد أن بين الموجودين خـلاف شأنهـا .

بالنسبة للمحيط الدولى ، هناك ايضا اتفاق على ان حركة التقدم فى مصر نحو المستقبل هى جزء من حركة التحرر العربى والعالمى وبالتالى هى مرتبطة بكل حركات التحرر فى العالم وبكل الاتجاهات التقدمية وبالتالى هى مرتبطة بحركة التقـــدم للعالم الاشتراكى . وعلى اساس من

الواقع والتحديات التى تعانيها البلاد الان وفى المستقبل ، سواء فى التنمية المستقلة ، او فى مواجهة الامبريالية والصهيونية ، هنـاك اكتشاف لحقيقة ثابتة هى ان الاتحاد السوفيتى والبلاد الاشتراكية هى اكبر الاصدقاء وان هذا لا يعنى ان نقف موقف المعادا ة من الشعوب فى الغرب ، لانه تقف معنا بالفعل كل القـوى الديموقراطية ، والتقدمية هناك ، بمـا فيها الشعب الامريكى ، وبما فيها شعوب أوربـا الغربية

لهما الخلاف ، فى الحقيقة ، فهو حول ما يسمى بالنموذجين للتطوير فى مصر النموذج الليبرالى والنموذج الاشتراكى . وهنانجد تصورين مطروحين فى الندوة : التصور الاول مؤداه انه نتيجة الظروف الحالية ، نتيجة ما تعانيه مصر من ازمات اقتصادية . ومن ازمة فى القضية الوطنية ، ومن تعقد الخريطة الطبقية و .. و .. الخ هناك من يدعو لنظام ليبرالى يتيح الحرية لجميع الطبقات ، بما فيها الطبقات الشعبية لتكوين احزابها ، وانه يجب التفريق ـ كما قال استاذنا توفيق الحكيم ـ بين نوعين من الليبراليين : ليبراليون ، من الممكن ان يتجهوا نحو التقدم ، ونحو اليسار ، وفى الواقع هم يصدون الحريات السياسية والديموقراطية مع عدم مصادرة التقـدم الاقتصادى والاجتماعى نحو الاشتراكية . وهناك ليبراليون يمينيون متحجرون متخلفون يرفضون رأية الليبرالية لضرب القوى الشعبية ، ولضرب الاتجاه نحو الاشتراكية . هذا التصور يرى أن هذا هو الاسلوب الواقعى لتخطى هذه المرحلة المؤقتة من تاريخ مصر .

التصور الاخر يرى انه لامفر من التجربة ذات الافاق الاشتراكية ، وان العودة الى النظام الليبرالى من جديد ، تحت اى شعارات، هو تكرار لتجارب قد فشلت أو على الاقل انهت مهماتها التاريخية ولم يعد من الممكن تكرارها . وانه فى هذا نحن ننطلق ليس من مواقع أيديولوجية مطبقة كالماركسية أو .. أو .. الخ وانما من واقع التجربة المصرية نفسها ومن مواثيقها التى هى الميثاق وبرنامج العمل الوطنى و .. و .. الخ التى اخذت بمنهج الاشتراكية العلمية على أساس الظروف المصرية . وان هذا يعنى ضرورة وجود ديموقراطية، وقضية الديموقراطية او قضية السلطة هى قضية ديموقراطية وسلطة قوى التحالف الوطنى التقدمى من أجل المسيـرة الاشتراكية . وهذه النقطة التى هى المرحلة الانتقالية (وهى كما ظهر موضع خلاف يجب أن يوضع موضع مناقشة معمقة وصريحة .

وعند هذا اختم هذه الجلسة الا اذا كان هناك من يريد ان يضيف نقطة اتفاق أو خلاف اخرى .

■ توفيق الحكيم :

أريد اضافة نقطة واحدة فقط . ان مصر ـ حتى اليوم ـ لم تجرب تجربة صحيحة : فلم يكن عندنا ليبرالية سليمة ولا اشتراكية سليمة . ولذلك عندما نقول انه مررنا من النظام الليبرالى الى النظام الاشتراكى فالواقع انه لم تكن ليبرالية حقيقية . لان الليبرالية الحقيقية تسمح بوجود حزب يمثل الطبقات الكادحة . ولكن ليبراليتنا قبل الثورة كانت ليبرالية ملاك ، بمعنى ان الاحزاب التى تحكم هى أحزاب أصحاب المصالح وأصحاب الاعمال ويمثلون الملاك . فاذن ، فلو انها كانت ليبرالية حقيقية ، كما حدث فى أوربا لكان هناك ـ على الاقل ـ حزب يأتى الى الحكم ، أو يتحد فى وزارة ائتلافية ، ويكون ممثلا لعمال أو فلاحين . اذن هى كانت ليبرالية ناقصة ، واذن نحن لم نجرب الليبرالية الصحيحة الكاملة .

بعد ذلك ، انتقلنا الى ثورة ٥٢ ، والقول انها نقلتنا من الليبرالية الى الاشتراكية هذه .

■ لطفى الخولى :

ليهتل احد انها اشتراكية .. كل مافى الامر انها مهدت .

■ توفيق الحكيم :

نعم مهدت ، لكن اضيف انها لم تمهد فقط لكنها احدثت اشياء فى اشياء بما يمكن ان نسميه الاشتراكية . بمعنى انه اتيت بمبادىء جميلة جدا والدكتور فؤاد مرسى كان يعدد بنود الاشتراكية .

■ د. فؤاد مرسى :

الانجازات ..

■ توفيق الحكيم :

الانجازات . انا حقيقة دهشت هذا شىء عظيم جدا . ولكن أين النتيجة ؟! عندما نقرأ

الميثاق تجد ميثاقا عظيما جدا . وكلام في الاشتراكية كلام عظيم .. أين النتيجة؟! اذا كان هذا صحيحا لكنا تقدمنا تقدما عظيما . لكن ما حدث غير ذلك . انت وضعت على الورق . وما أسهل وما أبرع ما تصاغ كتب ، ومواثيق ، ومؤلفات ، وخطب من المنابر . وبعد ذلك نرسم نظاما اشتراكيا . هذا النظام الاشتراكي المرسوم على الورق تسلمه مثلا لمهندس او نجار لكي يصوغ منه بناء ، فاذا به يعطيني لك عمارة ، مثل عمارة هذا المقاول المعروف الذي ظهر انه أولا مقاول رأسمالي مستغل لص فسرق . والذي حدث انك سلمت الاشتراكية — في التطبيق — لقطاع عام . هذا القطاع العام ليس عنده أبدا أي روح اشتراكية . أي انك سلمت الاشتراكية لغير اشتراكيين . سلمت الاشتراكية لرأسماليين ، في ضميرهم ، وفي تربيتهم ، وفي تكوينهم . فاذا وجدنا عمارة كعمارة هذا المقاول ، كلها مغشوشة من الداخل . وبعد ذلك تجد الكلام جميلا امام الناس وأمام العالم كأن يقال « نحن عندنا الاصلاح الزراعي الذي اقتبسته كوبا » وعندنا .. الخ .. الخ . ثم تذهب الى الريف انت فعلا فتجد ملاكا نزعت ملكيتهم ، وبعد ذلك تجد مظاهر استعراضية جميلة جدا . وبعد ذلك مدارس . ما الذي تعلمه ؟ التعليم في حالة يرثى لها . تجد عندنا وزارة ثقافة ، وقطاع عام ، في كذا ، ثم تجد أن مستوى الثقافة في العشرينات ، والثلاثينات ، عندما لم يكن احد يقوم بالتثقيف غير الاقلام الحرة فقط ، (والحكومة في واد والعقول المستنيرة في واد آخر) كانت هناك فعلا نتائج . اذن انت سلمت الاشتراكية كنظام مرسوم على الورق الجميل الى المقاول الذي بنى العمارة اياها وبعد هذا سلمها لناس لا يعرفون الاشتراكية .. فعلا ، ولا يمكن انهم ينفذوها ... »

■ لطفي الخولي :

لذلك نقول : ان هذه احدى السلبيات .

■ توفيق الحكيم :

فعلا . فاذا اتفقنا على صورة للمستقبل نحن مقدمون على بنائها ، ثم اتفقنا على أن النظام الاشتراكي السليم هو المطلب لان بلدنا لا تستطيع أن تتحمل استغلال الطبقات الكادحة أكثر من ذلك . بالاضافة الى أن الطبقات الكادحة ستستمر في هذا البناء وهي التي ستبني المستقبل .

المستقبل اذن هو للاشتراكية ولكن ... اذا كنا نقول اشتراكية ٥٢ وثورة ٥٢ سنخيب امل جماهير كثيرة . ولذلك يجب أن نحسم ونكون واضحين ، ولسنا عاطفيين ، ولا مجاملين . نقول انه كان فعلا هنا اتجاه اشتراكي ، نوايا اشتراكية سليمة بدليل اننا رحبنا وصفقنا لثورة ٥٢ . والا فان الناس ستقول لي ما الذي أسكتك لغاية ٦٧ . ان الذي أسكتني هو انني رأيت فعلا تحولا في النوايا ، ورأيت بعض الانجازات ، وقامت أشياء لمسناها بأيدينا . لكنها انحرفت بعد ذلك . انها وقعت في يد المنفذين الذين ليس عندهم أي فكرة الا أن يستفيدوا من هذا النظام . الى ان رأينا أن القطاع العام كان يسلم نفسه لقطاع خاص مستتر يأتي له بالارباح ويضع هذه الارباح في تقاريره السنوية على أنها أرباح القطاع العام . فاذن العملية في المستقبل تحتاج الى تطبيق سليم للاشتراكية .

■ لطفي الخولي :

تحتاج الى معالجة التناقض بين القول والفعل .

■ توفيق الحكيم :

بالضبط .. فيما يتعلق بمسألة الانفتاح نريد أن ندرسها . الانفتاح ، أنا أتصوره كما يلي : لقد استنفدنا كل ثروة البلد ، يعني أن كل ما في البلد من نقود ومال لعمل تنمية غير كاف . فلابد من معاونة رأس المال الاجنبي . ما يشجعنا ، على هذا ، ما وقع في الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية . وجدوا أن عندهم كنوزا كثيرة فاما أن يتركوها ، واما أن يتعاونوا مع رأس مال أجنبي دون المساس بالنظام الداخلي . لان كل ما سيأتي من هذا الانفتاح أو هذا التعاون سيرفع من مستوى الطبقات الكادحة ، الى مستوى عظيم جدا . فاذن هذه عملية مفيدة لنمو الاشتراكية والتقدم الى الشيوعية باستثمار كنوزهم والا فسوف يبقى الاتحاد السوفييتي على خطأ وسيبقى بريجنيف على نظرية خطأ . لكن الواقع انهم ساروا على نظرية صحيحة وهي التعاون مع الرأسمال الاجنبي في استخراج كنوز البلد بدل ما هي معطلة . لان رأس المال المحدود

الموجود فى الاتحاد السوفييتى ، أو فى مصر ، لا يقلل بنا قفزة كبيرة فى التنمية فلابد من هذا مع الفارق طبعا . لكن ما أخشاه هو أنه اذا حدث هذا الانفتاح سنشعر بأن النتيجة دخلت فى جيوب ناس نصف مليونيرات والشعب لا يزال هو الشعب . أخشى ـ على الاقل ـ أن يدخل فيهم الاشتراكيون المزيفون فى القطاع العام ، الذين يقولون نعم نريد الانفتاح . ثم تراهم قد ذهبوا ليأخذوا عمولة بنصف مليون جنيه ويثرون على حساب عمليات الانفتاح . فاذن مسألة الانفتاح عندنا ـ مثل الاشتراكية ـ جميل على الورق ، وبعد ذلك تنقلب الى مسائل بهذا الشكل .. الانفتاح الذى جعل د . فؤاد مرسى يتخوف ، هو أنه اذا تم فعلا ، بهذه الطريقة فسيكون انفتاحا على الطريقة الرأسمالية وليس انفتاحا على الطريقة الاشتراكية فى البلاد الاشتراكية المتأصلة . فاذن يتحتم أن نعالج كل مسألة على أساس طريقة التنفيذ والتطبيق على أساس الفكرة الرئيسية .

■ لطفى الخولى :

هذا صحيح .

■ توفيق الحكيم :

اذن الفكرة الرئيسية ؟ فى كل شىء كانت صحيحة ، والواقع أن الذى بهرنى فى ثورة ٥٢ وفى عبد الناصر هى النوايا والالتفات . ولم أتنبه ـ الا أخيرا ـ الى أنه التطبيق .. لقد كنت أسأل الفلاحين عندنا فأجد التطبيق سيئا جدا ، وان الحاكم يأمره هناك لايزال هو الموظف .. الموظف يبيع السماد فى السوق السوداء ... الخ . باختصار يجب أن نضع فى الاعتبار ـ فى المستقبل ـ لا النظرية البراقة ـ بل من الذى يطبق ، ومن الذى سيراقب .. ان النظام الاشتراكى السليم هو الذى سيراقب هذا .

■ لطفى الخولى :

التجربة تمت بدون اشتراكيين ؟ بل على العكس ، ضد الاشتراكيين احيانا هذاهوالعيب الجوهرى .. لكن أرجو مرة أخرى ان احنا نلتزم بجدول الاعمال ونحن الان نحدد نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف فحسب .

■ د. لطيفة الزيات :

تعليق على تحديدات الاستاذلطفى الخولى فى النقطة الاخيرة التى يقول فيه اختلاف فى الصيغة . أود ان أوضح انه قد حدث التباس فى طريقة العرض بين استشراف المستقبل ، وبين البدء من النقطة الزمنية الراهنة . فبعض الزملاء التزم باستشراف المستقبل ، كما هو مطلوب فى مدى عشرين سنة ـ كما اتفقنا ـ وبعض الزملاء فضل أن يبدأ بالنقطة الزمنية الحالية التى هى نقطة ٧٥ .

■ لطفى الخولى :

وبالتالى .. ؟

■ د. لطيفة الزيات :

وبالتالى ، أرجو الفصل بين النقطتين ، لان بعض الزملاء الذين قالوا اننا نبدأ من الان ، قد يصلون الى نفس النقيجة التى يصل اليها الزملاء الذين قيموا المشرين سنة الماضية . فلا يكون هناك خلاف بينهم .

■ لطفى الخولى :

لاياس من وجود خلاف . لماذا نصادره .

■ د. لطيفة الزيات :

أنا لا أصادر . لكن انت قلت الخلاف يبقى نقطة نناقش فى الجلسة القادمة ..

■ لطفى الخولى :

الخلاف يجب الا نخفيه . ولكن نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف سنناقش عند مناقشة المسائتين القادمتين فى جدول الاعمال النقطة الاولى : هى مناقشة التجربة ، فتح الملف الحقيقى للتجربة . ثم مصار التجربة بعد وفاة عبد الناصر حتى الان .. ثم سنعود بعد كل هذه الحصيلة الى المستقبل من جديد بطريقة أكثر عمقا .

من الواضح من عرض استاذنا توفيق الحكيم ـ أنه يقول : انه فى المستقبل القريب ـ

والمستقبل القريب ممكن يكون عشر سنوات وعشرين سنة ـ هو يرى انه من الممكن أن يكون هناك طريق ليبرالي يحصل ما بين الممارسة السياسية والديموقراطية وما بين التطور الاقتصادي القائم في المجتمع نحو الاشتراكية ٠٠ وبالتالي ، هو يقول انه من الممكن ان توجد ليبرالية للجميع بما فيها القوى الاشتراكية وانها تكون حزبها و ٠٠ و ٠٠ الخ وانه تستمر في نفس الوقت ٠

■ د ٠ لطيفة الزيات :

أنا لا أختلف حول هذا ، انما النقطة التي اختلف عليها هي هل هو تحالف مع بناء الاتحاد الاشتراكي على ما هو عليه ٠

■ لطفي الخولي :

هذه قضية أخرى وتفاصيل في المناقشة ٠

■ توفيق الحكيم :

الاستاذ لطفي الخولي لخص تلخيصا جيدا الموضوع ، وفيما يختص بنظام الحكم الليبرالي او غير الليبرالي هذا سيكون محل مناقشة لماذا ؟ نريد أن نصل الى حزب اشتراكي قوي ٠٠ كيف ؟

امامنا طريقان ٠٠ اما عن طريق الليبرالية ، بمعنى انه كما حصل في فرنسا مثلا انه فيه حزب اشتراكي قوي جدا واتفق مع الشيوعيين وكانوا قاب قوسين أو أدنى من الحكم ٠ واما عن طريق تنظيم آخر ٠٠ يعني ما هي الطريقة التي نصل بها الى التمهيد هن الكتلة الاشتراكية ٠

■ لطفي الخولي :

أرجو أن أكرر اذا كان هناك كلام في الموضوع أرجو قوله ٠٠ كلام في نقط الاتفاق والاختلاف ٠

■ محمد سيد أحمد :

في تقديري ان قضية المستقبل ليس مطروحا فيها قضية الاتحاد الاشتراكي وصيغة الاتحاد الاشتراكي اطلاقا ٠٠ المستقبل مطروح بالاحتمالين : اطلاق الاحزاب على اطلاقها أو اطلاق الاحزاب في داخل جبهة وطنية ٠ هذه هي المشكلة وهذه نقطة مهمة جدا لان العيب الاساسي الذي كان موجودا في الماضي هو العيب المتعلق بنظام فوقي ونظام تحالفي ، سواء في النظام ما قبل ٥٢ أو فيما بعد ٥٢ انه كان نظام فوقي في الحالتين ٠ وفي سبيل أن يكتسب النظام نظاما تحتيا ولا يكون مجرد شعارات ، وصلنا الى حالة كاريكاتورية ٠ لقد كان البديل للنظام الفوقي اما الفوضى الشاملة واما الانقلاب الهيدي وفي الحالتين فان هذا بمعناه طريق أكثر ايلاما في المستقبل وليس استقرارا ٠ فلا يبقى امامنا من طريق سوى الطريق الذي ينزل الى تحت ، وفي سبيل اننا ننزل الى تحت فهي مشكلة احزاب ٠ لانه ثبت ـ في نهاية الامر ـ أن الاتحاد الاشتراكي حتى لو كان صيغة لمجموعة طبقات ، كان في نهاية الامر طبقة واحدة محتكرة باسم الطبقات الاخرى وأن الخلاف الموجود الان هو خلاف بين فئتين يمينيتين ، فئة وطنية تتمسك بالاتحاد الاشتراكي لتحتكر السلطة ، وفئة اخرى رجعية تطالب بالليبرالية في سبيل أن تقطع الشرعية في الماضي ٠

محمد سيد أحمد

■ لطفي الخولي :

هل نحن متفقون على ملخص نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف الذي عرضته ؟ (أبدى الجميع موافقتهم) ؟ شكرا وبهذا تنتهي الجلسة الثالثة من الحوار ٠

الاقتصاد الأمريكي : الازمة والحل

جاس هال

• • •

ارسل « جاس هال » سكرتير عام الحزب الشيوعي الامريكي ، الى الطليعة هذا المقال الذي يحلل فيه طبيعة الازمة الخانقة التي يعاني منها الاقتصاد الامريكي ، ويحدد وسائل التخلص منها .

وينشر هذا المقال في نفس الوقت في كل من « الطليعة » ومجلة « ورلد مجازين » الاشتراكية التي تصدر في نيويورك .

من ذوى التفكير السليم يستطيع ان ينكر ان الولايات المتحدة تعاني ازمة اقتصادية وكسادا حادا ؟ وهذه الازمة تجتاح الان كل البلدان الرأسمالية الكبرى في العالم .

ويستطيع المدافعون عن الرأسمالية ، بما فيهم الرئيس فورد ، ان يسموا هذه الظاهرة « فتورا مؤقتا » او « هبوطا مفاجئا » او اى شيء آخر على هواهم . ولكنهم لا يستطيعون أن يخفوا المعاناة أو الحقيقة الاساسية ، وهى أن الازمات خاصية أصيلة ملازمة للرأسمالية . فالازمات الدورية سمة طبيعية للدورة الاقتصادية الرأسمالية . ومنذ الحرب العالمية الثانية ، وهذه الكوارث تجتاح البلاد فى ١٩٤٩ ، ١٩٥٤ ، ١٩٥٨ ، ١٩٦٩ ، وها هى تعود الان مرة أخرى .

وقد بدأت العوامل التى تحرك الازمة الحالية تظهر منذ نحو عام ، ولم يسل الهبوط الاقتصادى بعد الى الحضيض . فهذه الازمة مستمرة على الارجح طوال ما بقى من هذا العام بل وربما تستمر الى أبعد من ذلك .

والمعاناة والخراب ظاهرة عميقة واسعة الانتشار . والغالبية العظمى من الشعب ضحايا لهذه الازمة . ولكن العمال وأولئك الذين هم ضحايا بالفعل للقهر العنصرى ، وصغار الفلاحين ، وصغار رجال الاعمال ، وأرباب المعاشات ، والمستفيدين من الضمان الاجتماعى والمعونات الاجتماعية ، والشباب الذى يعانى حاليا من البطالة هم الذين يعانون أعظم المصاعب .

والاغنياء وحدهم هم الذين لا يعانون . فلديهم ذخيرتهم الميسرة من الذهب والفضة ، وأرباح

الشركات ليست فى هبوط . فقى خضم هذه الازمة ، يزداد الاغنياء ثراء .

فما هى اسباب هذه الازمة ؟ وما الذى يجلب هذه الكوارث الاقتصادية ؟ ان هذه الازمة بشكل خاص يغذيها عاملان أساسيان ، يغذيها الارتفاع التضخمى للاسعار . فكلما ارتفعت الاسعار فوق متناول المستهلكين ، اضطروا الى الاقلال من مأكلهم . وملبسهم ، وقيادتهم لسياراتهم ، والخفض من مشترواتهم فى كل شىء . ويسبب حدة ارتفاع الاسعار تضيف الشركات الى أرباحها ما يقدر بأربعين بليون دولار سنويا .

وتغذى الازمة أيضا تلك الفجوة المتزايدة بين كمية ما ينتج من السلع وقدرة العمال والشعب بوجه عام على شراء ما ينتجونه ، وقدرتهم على شراء ما يحتاجون اليه .

ونتيجة لهذين العاملين ، تتسع الفجوة . ويتراكم مخزون الشركات من السيارات ، والملبوسات والالات الزراعية ، وغيرها من السلع الغير مباعة . ونتيجة لهذه العملية تصل دورة الانتاج الى نقطة يتعذر معها الموازنة بين الانتاج والمبيعات . ويتغلق المصانع أبوابها . ويسرح العمال ، فتقل قدرتهم على الشراء بسبب ارتفاع الاسعار . وعندما تتناقص قدرتهم على الشراء تعمل المصانع بدورها على خفض انتاجها وهكذا . ومفتاح القضاء على الازمة هو معرفة كيفية وضع حد لهذه الحلقة المفرغة .

لماذا اذن لا يستطيع العمال أن يشتروا ما ينتجونه ، أو ما يحتاجونه ؟ أن العمال كطبقة ينتجون من القيم فى شكل منتجات أضعاف أضعاف ما يحصلون عليه من أجور . وهذا هو فى الاساس ما يخلق تلك الفجوة . وهذا التفاوت بين قيمة المنتجات التى ينتجها العمال وبين ما يحصلون عليه من أجور تتسع متنبهض الوقت . وقد تزايدت سرعة الانتاج وآليته علما بعد علم . وزادت سرعة معدلات استغلال العمال بمقدار مائة مرة عنها فى أى فترة مماثلة فى التاريخ ، بينما هبطت القدرة الشرائية الحقيقية للاجور خلال نفس الفترة الى مستوى عام ١٩٦٥ . وهكذا أصبحت هناك فجوة بين مستوى انتاج عام ١٩٧٥ وبين مستوى أجور عام ١٩٦٥ . ومن الواضح ان هذا يؤدى الى اتساع الفجوة وزيادة تراكم السلع الغير مباعة . ولا يعد هذا فائضا من السلع اذا ما قيس بما يحتاجه الناس ويريدونه . فهناك أربعين مليونا من شعبنا يعيشون تحت مستوى الكفاف . وهو ليس فائض انتاج الا من حيث ما يستطيع المستهلك ان يشترى . ومن ثم تنشأ الازمة من التفاوت بين أجور العمال وبين كمية الانتاج الالى الذى تزايدت سرعته .

فمن الذى يحصل على الفارق بين أى قيم وأى منتجات ينتجها العمال ، وبين القدر الضئيل من تلك القيم الذى يظهر فى مظاريف أجور العمال ؟

ان الجواب واضح للغاية . فالاغنياء والشركات الاحتكارية هم الذين يصادرون نصيب الاسد من ناتج عمل العمال . والفارق بين ما ينتجه العمال وما يحصلون عليه فى مظاريف الاجور هو ما تحصل عليه الشركات الاحتكارية من أرباح . وذلك هو المصدر الوحيد لثروات هذه الشركات . ولو أن نصيب الاسد هذا انتقل الى العمال فى صورة أجور لكان هذا كفيلا بالقضاء على ظاهرة « فائض الانتاج » . ولكن هذا بالطبع لن يكون من الرأسمالية فى شىء . وهكذا فالسبب الرئيسى للازمة هو ارباح الشركات والارباح المشتركة هى التى تخلق التفاوت والازمة .

ولكل أزمة سماتها الفريدة . وقد انعكست احدى السمات الفريدة لهذه الازمة بوضوح فى اعمال رئيس شركة فورد للسيارات . فخلال لاسبوع واحد أعلنت شركة فورد للسيارات اغلاق جانب من امكانياتها الانتاجية ، وتسريح آلاف من عمال مصانع فورد ، وزيادة أسعار السيارات . ان المنطق العادى يملى القول بأن « **لدينا كثيرا من السيارات غير المباعة ، وينبغى ان نخفض الاسعار حتى نستطيع بيعها** » . ولكن انتاج السيارات يخضع لاحتكار ثلاث شركات كبرى حتى أنها لا تخشى منافسا يخفض اسعارها الاحتكارية . وهكذا فانها تبيع سيارات اقل باسعار أعلى وتخرج بنفس الارباح التى كان يمكن أن تجنيها من بيع سيارات أكثر . و « التنزيل » الذى أعلنت عنه شركتا كرايزلر وفورد ليس الا خدعة زائفة . فأى « تنزيل » يردهن الى المستهلك هو شىء أضيف اصلا الى سعر السيارة .

ولان امثال جنرال موتورز وفورد فى معظم الصناعات لهم قبضة احتكارية ، فمن الممكن ان يكون هناك تضخم وأزمة زيادة فى الانتاج فى نفس الوقت . وهذا يفسر لماذا ستستمر الازمة الحالية لفترة أطول . فالاسعار المرتفعة التى تفرضها الاحتكارات تقف حائلا دون نقص أكوام السلع الغير مباعة ، ومن ثم فان الازمة سوف تستمر .

والازمة الحالية فريدة أيضا لانها تظهر فى مرحلة من التاريخ تدهورت فيها أسس الرأسمالية تدهورا كبيرا ، فى لحظة زادت فيها موارد الرأسمالية نضوبا . واستمرار التضخم أثناء

الازمة ، والمرحلة الجديدة من الازمة العالمية للرأسمالية العالمية ، وحقيقة ان هذه الازمة تؤثر فى كافة البلدان الرأسمالية ، لها تاثيرها التراكمى فى تعميق الازمة الحالية واطالة امدها .

فما هى الحلول الان ؟ ان المدافعين عن ارباح الرأسمالية الاحتكارية يحاولون ان يجملوا العمال والشعب يدفعون ثمن الازمة . وذلك هو جوهر دعوة الرئيس فورد الى « التضحيات » ومهما له دلالته ان اول من يتلقون ضربات فأس فورد الاقتصادية هم اولئك الذين يعيشون على المعونات الاجتماعية ، الذين يعيشون بالفعل على ضفاف الفقر . ويقترح فورد تخفيض علاواتهم الموعودة من ٩ فى المائة الى ٥ فى المائة .

ويقترح الكونجرس وحكومة فورد منح الشعب تخفيضات ضريبية طفيفة ، فى الوقت الذى يقدمون فيه امتيازات سخية للاغنياء .

فهم يريدون أن يضيفوا « مالا يزيد عن ٢٣ سنتا » لكل جالون من البنزين ، بل والى أسعار الوقود أى يضيفون المزيد الى ارباح شركات البترول التى تسرقها بالفعل كقطاع الطرق . وهذا هو ما يعنيه روكفلر بـ « العائد المجزى لدولاراته » .

والحل الوحيد الذى يتوافر فيه عنصر من عناصر العدالة هو الاقتطاع من الثروات المنهوبة ، من الارباح المتضخمة للشركات التى تسبب الازمة ، ومتى اقر هذا المبدأ الاساسى فى الاقتطاع من هذا المصدر ، فانه لن يكون من الصعب التوصل الى افكار عملية حول كيفية تنفيذ برنامج ما ، فلم لا تخفض الاسعار المحددة بنسبة ٢٠ فى المائة على سبيل المثال ؟ ولم لا تلغى كافة الضرائب على الاسر التى تحقق دخلا يقل عن ٢٥,٠٠٠ دولار سنويا ؟ ولم لا تستولى الدولة على **الزيادة فى ارباح الشركات نتيجة لارتفاع الاسعار ، والتى تقدر بأربعين بليون دولار سنويا** ؟ ولم لا يوضع حد للامتيازات الضريبية للاغنياء والشركات وتحصل الدولة نتيجة لهذا على ١٠٠ بليون دولار ؟ ولم لا تقتطع الدولة ١٠٠ بليون دولار سنويا من الارباح المشتركة للشركات ؟ ولم لا تحدد ساعات العمل بست أو ٥ أو حتى ٤ ساعات يوميا دون تخفيض للاجور ؟

ومتى تحددت هذه الاولويات ، فلن يكون من الصعب العثور على اشكال للمشروعات اللازمة — كبناء الملايين من المساكن والمدارس والمستشفيات والكليات اللازمة ، ووسائل النقل والمواصلات الجماهيرية ، وتطهير انهارنا وبحيراتنا ، ان مثل هذا البرنامج سيوفر حلا لمشكلتى التضخم والبطالة على السواء .

ولان السبب الاساسى للازمة الاقتصادية هو نظام الارباح المشتركة للشركات ، فالبرنامج الوحيد الذى يمكن أن يخفف من معاناة الشعب ، ينبغى أن تتصل نفقاته ارباح الاغنياء .

وينبغى أن يكمن التضعيف من عبء معاناة البشر على رأس قائمة الاولويات . والملكية الخاصة لمصانع والبنوك عقبة فى سبيل البرامج التى تمثل احتياجات البشر المكان الاول لها . ومن ثم فمن الضرورى ان تطرح فكرة انتقال ملكية الصناعات والبنوك من الملكية الخاصة الى الملكية العامة عن طريق التأميم ولقد جعلت الازمة الحاجة الى التأميم قضية مطروحة فى جدول الاعمال .

والأزمة الاقتصادية تؤثر فى كافة البلدان الرأسمالية ، أما البلدان الاشتراكية فلديها مناعة ضد هذا الوباء . وازدات الاقتصاد الرأسمالى سمة مميزة للنظام نابعة من سلبه ومناعصلة فيه . أما الاشتراكية فلديها نظام للانذار المبكر ونظام للتصحيح وهى نظم متأصلة بدورها فى طبيعة النظام .وكلما زاد الانتاج ارتفعت الاجور . وليست هناك فجوة أو تفاوت بين ما يتم انتاجه وبين ما يستطيع الناس شراءه . وليس هناك هذا التفاوت لانه ليس هناك ارباح خاصة ، أو قطط سمينة جشعة تثرى بالحصول على الفرق بين ما ينتجه العمال وبين ما يحصلون عليه فى مظاريف أجورهم . وفى ظل الاشتراكية ينعكس كل ما ينتج فى مظاريف أجور المنتجين ، العمال .

ان الاشتراكية هى الحل الحقيقى لمشكلات الاقتصادية المحتومة بدورها فى ظل الرأسمالية .

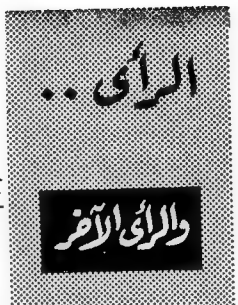

لوحاولنا أن نحدد تاريخ الميلاد الحقيقى لباب « الرأى والرأى الآخر » ، لقلنا انه ظهر — بالدقة — ليواجه هجمة سياسية فكرية ، ضارية ومضادة من قبل اشد فئات اليمين رجعية وتخلفا على خط التطور المستقل والتقدمى الذى ارتضته البلاد منذ ان استكملت استقلالها السياسى عام ١٩٥٦ ، ومنذ ان حررت اقتصادها القومى من قبضة الاحتكارات الاجنبية عام ١٩٦١ .

هذا الهجوم المضاد الذى تجيد الرجعية اساليبه الى حد كبير ، يبدأ دائما باطلاق ستائر كثيفة من الدخان تخفى مقاصد المهاجمين واهدافهم الحقيقية .

ومن خلال الدخان والغبار يبدأ اليمين الرجعى فى تنفيذ مخططه ، وذلك وفق التاكتيك التالى :

● ان الصعوبات التى تواجهها البلاد — صغيرها وكبيرها — تنسب الى التجربة الاجتماعيه التى بدأتها ثورة يوليو — من هنا تبدأ « محاكمة الاشتراكية » .

● والسلبيات والاخطاء التى وقعت من قيادات يوليو تضخم ، وينفخ فيها حتى لتبدو التجربة كلها وكأنها كارثة يجب ان تغلق صفحتها الى الابد ، تمهيدا لردة يعدون لها ...

● والنواح حول الديموقراطية والحرية يتحول بقدرة قادر — الى استعداء للسلطات والجماهير ضد المعارضين ، والى تحريض باستخدام العنف ضدهم .

● والرأى المعارض لليمين الرجعى — يزيفه هذا اليمين — من واقع افلاسه الفكرى — ثم يقدمه الى الجماهير فى صورة « الكفر » و « الالحاد » والخروج على الدين .

● والانفتاح الاقتصادى ينفخ فيه اليمين الرجعى ، لا ليكون دعما للاقتصاد القومى ودفعا للقطاع العام بل ليفتح المجال امام الاقتصاد الحر بالمعنى الراسمالى المصرف ، بما ينتهى فى خاتمة المطاف الى الوقوع فى شرك التبعية للاستعمار الجديد .

وحول هذه القضايا دارت معارك باب الرأى والرأى الاخر ولاتزال دائرة حتى الان . وحول هذه القضايا وفى هذا العدد ، يكتب للرأى والرأى الاخر كل من :

— الاستاذ السيد يسين
— الاستاذ فاروق منصور
— د . محمد رضا محرم
— الاستاذ سعيد خيال
— عبد المنعم الغزالى

في مواجهة تيارين متخلفين أحدهما يريد أن يتاجر بالدين ويتستر وراءه،ويغلق باب الاجتهاد توقف التقدم ، وثانيهما يرفض مسبقا تحكيم العقل ، وبالتالي يرفض الحوار مع كل ما تطرحه الحضارة الحديثة من نظريات في مختلف العلوم — يكتب كل من :

① الاستاذ السيد يسين الخبير بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية المقال الاول عن : « المسلم المعاصر »

② الاستاذ فاروق منصور المقال الثاني عن : « التفسير الاسلامي للاسلام »

« المسلم المعاصر »

بداية حقيقية للحوار الفكري

السيد يسين

بعقلية منفتحة للحوار مع كل التيارات الفكرية المعاصرة ، وعن طريق اصطناع المنهج العلمي في التفكير والنقاش والنقد والجدل ، صدرت في بيروت مجلة اسلامية جديدة هي « المسلم المعاصر » التي وصفت نفسها في عددها الاول الصادر في شوال ١٣٩٤ — اكتوبر ١٩٧٤ بانها « فصلية فكرية تعالج شئون الحياة المعاصرة على ضوء الشريعة الاسلامية » . وصاحب ابتياز المجلة ورئيس تحريرها هو الدكتور جمال الدين عطية .

فلنر اولا كيف يقدم رئيس التحرير لمجلته ، وكيف يصور دورها بعض كتابها ، قبل ان نتناقش اتجاه المجلة ، الذي نراه ، ومنذ البداية — جديرا بكل ترحيب يركز الدكتور جمال الدين عطية في « كلمة التحرير » التي جعل عنوانها « هذه المجلة » على تحديد سمات المجلة الجديدة . فهي في نظره اولا مجلة علمية ، فهي ليست مجلة اخبارية او اعلامية ، ولكنها مجلة تحاول الوصول الى الرأي الحق في المشكلات التي تعترض الاسلام فكرا وتطبيقا في العالم المعاصر . وهي ايضا مجلة فكرية بمعنى اهتمامها بالبحوث والدراسات التي تناقش الاتجاه والمنهج والاصول في العالم الاول ؛

وهي لذلك في نظر رئيس تحريرها مجلة « الريادة » الفكرية . وهي فوق ذلك كله مجلة « الاجتهاد » وهي لا تكتفي بالبحث في ضرورة فتح باب الاجتهاد في فروع الفقه ، بل تتصدى الى بحوث الاجتهاد في اصول الفقه ، حتى يعود للفكر الاسلامي حيويته التي تجعلت قرونا متعددة . غير ان « الاجتهاد » الذي تدعو له المجلة يتجاوز التراث — كما يقرر الدكتور عطية — مرتين : يتجاوزه مرة تجاوز الواعي الدارس الذي يعتمد اساسا على المنابع الاولى : الكتاب والسنة ، متقدما عليهما على ما سواهما من العلوم الاسلامية التقليدية ، ويتجاوز التراث مرة اخرى ، واعيا دارسا مستفيدا ايضا ليلتحم بالعصر ، تاملا من علومه ومتفاعلا مع قضاياه ومنفهما لمشكلاته ؛

وهي مجلة واقعية ، بمعنى ان اهتمامها في مجال تطبيق الشريعة الاسلامية يتجه الى ان يعيش المسلمون الاسلام في واقع حياتهم لا ان ينتظروا لذلك قيام « الدينة الفاضلة » ! وهي لذلك تنزع نزعة عالمية ، مقدرة ان هناك ارتباطا وثيقا بين المجتمعات الانسانية المعاصرة ، حتى ليكاد العالم يصبح كيانا واحدا . غير ان الطابع العالمي للمجلة

لأن يثقة – كما يقرر رئيس تحريرها – عند بحث بعض المشاكل العالمية ، **بل انه « يستلهم أحكامه علميا** بالتيارات والتجمعات المعاصرة على كافة المستويات الاقليمية والعالمية ... وبذلك تسهم المجلة فى اقامة **جسور الحوار** بين الفكر الاسلامى وغيره من الافكار والمبادىء والتيارات » .

ويخطو الدكتور جمال الدين عطية خطوة أبعد ، حين يقرر أن المجلة لن تقتصر **على اقامة جسور الحوار** فقط ، بل انها ستسعى لاقامة **جسور التعاون** بين الاتجاه الاسلامى وبين كل المخلصين لنهوض العرب والمسلمين ، وان اختلفت مناهجهم ، فهى « **تفتح باب الحوار معهم بغية الوصول معهم الى أرض مشتركة تعين على انطلاقة موحدة أو متعاونة أو متفهمة لخير العرب والمسلمين** » .

وهكذا تتحدد الملامح الرئيسية لهذه المجلة الاسلامية الجديدة ، والتى يزيدها وضوحا الكاتب الاسلامى المصرى المعروف فتحى عثمان فى مقالة له بعنوان : « أتوقع أن تكون هذه المجلة » ، يقرر الاستاذ فتحى عثمان بوضوح قاطع « أتوقع أن تكون لسان « **اليسار الاسلامى** » ، بقابلة للاصطلاح السياسى الحديث فى تقسيم القوى والجماعات والافكار ... أن « الاسلام » مظلوم حين يوضع دائما مع اليمين لمجرد انه دين .. ومنهج القرآن لتوجيه الانسان ، يجعل المسلم فى دائب اليسار » . ويتابع فكره قائلا « ان المسلم يحارب الظلم الاجتماعى والسياسى ، وهو ثابت القدم متوازن النفس ، متجدد الفكر ، لانه فى معركته مجاهد فى سبيل الله ، وتصحيح الاوضاع « عقيدة » و « عبادة » لانه احقاق للحق ، والله نفسه هو الحق المبين ، فماذا بعد الحق الا الضلال .. فانى تصرفون » . ويحدد فتحى عثمان ملامح « اليسار المسلم » بأنه « يجاهد فى سبيل الله والمستضعفين ، ويناصر الايدى العاملة التى يحبها الله ورسوله ، ويسعى الى الحلول الجذرية للقضايا السياسية والاجتماعية ، وهذا اليسار يؤمن بأن « الجذرية » لابد أن تستوعب الاصول والاسس فى واقع الكيان المادى والروحى معا . واليسار المسلم يتمسك **بالديموقراطية** ، اذ هى « حكم الله فى المصالح والعلاقات الانسانية ، حيث لا يكون النص الالهى الملزم القاطع فى وروده ودلالته » ، ويتابع الاستاذ فتحى عثمان « الديموقراطية الصحيحة لا تتواءما قط مع الطغاة من أصحاب السطوة والثروة مهما كانت [أوضاعهم القانونية] ، ولا تتكثر للمفهورين أصحاب الحق سواء هدأوا أم ثاروا .. انها لا تحمى [الامر الواقع] لمجرد انه [واقع] أو (مستقر) ، بل ترجع الى الاصول والاسانيد، وتحق الحق ولو كره الكارهون » .

●●●

واذا كنا قد حاولنا حتى الان أن نبرز الملامح الرئيسية للمجلة كما يتصورها رئيس تحريرها وأحد كتابها ، فانه يبقى أن نلقى نظرة سريعة على محتوى العدد الاول . أول بحث يطالعنا للاستاذ عبد المنعم محمد أحمد موضوعه « خواطر حول أزمة العقل المسلم المعاصر » . ونجد فى هذه المقالة تجسيدا حيا لبعد من المبادىء التى أعلن الدكتور عطية أن مجلته تصدر عنها . ذلك أن المقالة تتضمن ادانة صارمة للفكر السلفى التقليدى الذى يتشبث بثناء بستائر الماضى ، زاعما أن كل مشكلات الانسانية فى ماضيها وحاضرها ومستقبلها قد وجدت فى « التراث » حلولها ، وهكذا يمكن أن يتجمد العقل الاسلامى اذا ما وقع أسير هذا الوهم . يقرر الكاتب « واذا كنا ندعو الى نبذ التقديس للتراث واخضاعه للدراسة الناقدة ثم تجاوزه ، فاننا لن ننصب على علاقة التراث بمشكلات عصره العقلية والخلقية انما ينصب على مدى صلاحيته لموقفنا اليوم الذى قد تغير كثيرا » .

وفى فقرة من المقال بعنوان « حول السلبية فى الفكر الانسانى » يقرر الكاتب « **هناك من يفرق بين العلوم الطبيعية والعلوم الانسانية فيرى أن ناخذ الاولى ونرد الثانية . وهناك من يرفض الرفض الكلى لبعض النظريات الحديثة مثل نظرية داروين ونظرية فرويد ونظرية ماركس . وهناك من يرمى الفكر الانسانى كله بالكفر أو بمعاداته . وقد نرتب على مثل هذه الصرخات الخاطئة أن نخلب موقفنا السلبى من الفكر الانسانى** » . ويدين الكاتب هذه الاتجاهات الخاطئة جميعا ، ويدعو الى أن يقوم حوار مثمر يمارسه المتخصصون ، حتى يستفيد الفكر الاسلامى من الايجابيات الكافية فى التيارات الفكرية المعاصرة أيا كان منبعها ومنشؤها .

ونجد بعد ذلك اربع دراسات : السنة التشريعية وغير التشريعية للدكتور محمد سليم العوا ، ونظرة عابرة على حقوق الانسان الاساسية لابى الاعلى المودودى ، وفى التفسير الاسلامى للتاريخ للدكتور عماد الدين خليل ، والخصائص الثابتة اللازمة والخصائص المكتسبة للحركة الاسلامية لتوفيق الطيب . بالاضافة الى الابواب الثابتة : قراءات ، يعرض فيه زين العابدين الركابى لكتاب « رفع الملام عن الائمة الاعلام » لابن تيمية ، وباب حوار أشتمل على عدة مقالات تعبر عن وجهات نظر بصدد المجلة ، وباب نقد الكتب تولى فيه د . جمال الدين عطية عرض كتاب المسلم فى عالم الاقتصاد

لمالك بن نبى ، وباب خدمات مكتبية ، اشتمل على قائمة مراجع فى الاقتصاد الاسلامى ، وباب وثائق نشرت فيه اتفاقية انشاء البنك الاسلامى للتنمية ، وباب مؤتمرات ، عرض فيه لتنظيمات مهرجان العالم الاسلامى الذى سينعقد فى لندن هـام ١٩٧٦ .

والحقيقة اننا نعتبر صدور هذه المجلة واتجاهها العلمى ، ورغبتها فى اقامه حوار فكرى مفتوح بلا قيود مع كافة التيارات الفكرية فى الساحة العربية ، واكثر من ذلك رغبتها فى اقامه جسور من الحوار المشترك ، يعد فى ذاته حدثا ثقافيا له دلالته البالغة . ولعل اهم هذه الدلالات ان الوسط الثقافى العربى قد وصل الى درجة من النضج ، تسمح بان تخرج هذه المنابر الاسلامية الجادة ، الراغبة فى الوصول الى حد ادنى من الوحدة الفكرية مع باقى التيارات الفكرية كالماركسية والناصرية .

واذا كانت هذه الدعوة المخلصة للحوار قد صدرت من جانب هذا التيار الاسلامى الثورى الـذى ينطلق فـى ضـوء مسلمات « الاسـار الاسلامى » ، كما عبر عن ذلك الاستاذ فتحى عثمان ، فليس من قبيل الصدفة أن تنطلق فى نفس الوقت محاولات الالتقاء من جانب التيار الماركسى ، ولعل المساجلات التى دارت اخيـرا علـى صفحات « الطليعة » و « روزاليوسف » حـول الماركسية والاسلام ، تشهد على ذلك .

وخلاصة ذلك كله اننا ـ فيما يبدو ـ على اعتاب مرحلة جديدة من مراحل الحوار بين الاسلام والاشتراكية ، مرحلة لن يكفى فيها مجرد القناعة باثبات حقيقة أنه « لا تعارض » بيـن أن تكون ماركسيا ومسلما فى نفس الوقت ، **ولكن لابد من ممارسة الحوار فى ضوء المناقشة الفلسفية العميقة لنظرية المعرفة ذاتها فى الاسلام والماركسية** ، بغير هذه المناقشة التى ينبغى ان تمارس باكبر قدر من الصراحة والتجرد لن يكون من السهل الوصول الى نتائج حاسمة بصدد وحدة القوى الفكرية الاساسية فى معركتها ضد استغلال الانسان للانسان ، وفى سعيها نحو تحقيق التقدم والعصرية للمجتمع العربى المعاصر .

○

● التفسـير الاسـلامى للاسـلام

فاروق منصور

يكتب هذا المقال « للطليعة » ـ الاستاذ فاروق منصور المسئول عن قسم التراث باخبار اليوم .
وهو يدعو الى تفسير الاسلام بالاسلام ـ وليس بالموقع الطبقى أو الاجتماعى أو السياسى ، ولهذا يتحاق لـدى الناس ان الاسلام جاء داعيا للالفة والتآخى ونابذا للحقـد والضغينة ، ورافضا للاستغلال ، ومقاوما ، وداعيا للعدل ولارساء قواعده .

ان ما نقصده بالتفسير الاسلامى للاسلام ، أن يكون فهم كل مسلم لدينه نابعا من روح الدين حقا ، ويكون سلوكه مطابقا لما أمر الدين به ، وجاءت أحكامه تهدى الى ان يفهم كل مسلم دينه فى ضوء الكتاب والسنة ، ويدرك انه ليس مجرد عبادات ، أو نصوص تتلى ، أو كلمات يترنم بها ، ولكنه منهاج حياة ، وأسلس بناء حضـارى ، وشريعة تنظم العلاقات بين الناس ، وتعينهم على العمل المثمر من اجل حياة افضل ، تحقق التعاون بينهم ، وتؤكد العدالة والمساواة . وتملأ قلوبهم

بالحب ونفوسهم بالصفاء وتدفعهم الى الحرص على ان يحققوا لغيرهم ما يحبونه لانفسهم .

والذى يمكن أن يفهم من تفسير الاسلام بالاسلام ، اننا نلتزم بالنصوص التزام المؤمنين المبصرين ، وليس تحجر الجهلاء الجامدين . فندرك لماذا جاء الدين ؟ وكيف تنزل لاقامة مجتمع أفضل ؟ ودفع الانسان الى تطوير حياته دائما الى الاحسن ، وانه يهدف الى جعل البشر اكثر تضامنا واقوى تماسكا فى تكوين المجتمع الانسانى الفاضل الذى تشعر جموعه بالالفة والتآخى ، وتنبذ الحقد والضغينة ، ترفض الاستغلال وتقاومه ، وتدعو للعدل وتعمل على ارساء قواعده .

ويفهم من تفسير الاسلام بالاسلام ان الامر لله فيما جاءت به النصوص الملزمة ، والاجتهاد مفتوح فيما لا نص عليه ، يقوم به كل من يستطيعه ، ويملك الابداع فيه ، ويمكنه أن يقدم شيئا ذا بال على أن يكون اجتهاده رأيا رآه ووجهة نظر توصل اليها ، وانه من عنده وليس من عند الله ، يرضى به من يرضى ويعرض عنه من يعرض ، فلا يكون من وافقه هو المؤمن وحده ، ولا يكون الكفر حكما على من خالفه . ان فهم الدين على هذا الاساس يضعه فى موضعه الصحيح ، ويفيد الناس به .

لاكهانة ولاخرافة ولاأرهاب

ان معنى التفسير الاسلامى للاسلام ان يفهم الاسلام على حقيقته ، ويدرك ادراكا صحيحا ، فلا نسمح بتكوين طبقة الكهنة ، ولا نرضى بالخرافة او الارهاب . ولا يتأتى ذلك الا بفهم القرآن والسنة فهما يقوم على الاساس الاسلامى . فكما اننا نملك منهجا لتفسير القرآن بالقرآن . أى ان تتولى آيات القرآن تفسير بعضها البعض . وكما نسلم اتباعا بأن السنة تفسر ما غمض علينا فهمه من آيات القرآن ، أو تتولى بالتفصيل ما جاء مجملا ، وبالتحديد ما جاء مطلقا . فاننا يجب أن نفهم الاسلام فهما اسلاميا فنعمل العقل ، ونحكم المنطق وننحى الشهوات والاهواء فيما نقول به أو نراه .

لاوساطة بين الانسان وخالقه

ويتحقق منهج الفهم الاسلامى للاسلام ، بأن نرجع الى الكتاب والسنة لنعرف ما هى الحدود التى رسمها الدين ؟ وكيف ينظم العلاقات بين الانسان وخالقه دون واسطة أو وسطاء ؟ وكيف انه يمنع فئة السماسرة والوكلاء ؟ ويجعل الايمان ما وقر فى القلب وصدقه العمل ووافقه السلوك ، ثم ننقل هذا الى حياتنا فندرك أن قدر الانسان ما يحسنه ، وكرامة الانسان تأتى من كونه انسانا اولا . وتتحقق بأن يبذل جهده لتطوير حياته وحياة الاخرين حوله . ويتبع امام الصورة التى حددها الدين للايمان وكيف أنه لم يغفل ضرورة الاتساق بين الجوهر والمظهر . وأن يتفق الشكل مع المضمون . وانه يرفض الجوانب السلبية ويدعو الى الايجابية .

الدين حياة والعمل عبادة

كما يتحقق منهج التفسير الاسلامى للاسلام بأن نحاول الالمام بحقيقة الدين ، هل هو مجرد طقوس وعبادات ؟ أم انه عقيدة وحياة ؟ انه عبادة بالنصوص ، وتعبد بالعمل البناء ، وبذل الجهد الخلاق ، والتفانى فى اسعاد الاخرين ، والعمل على ترقيتهم وتقدمهم . ثم نمضى الى تحقيق ما نفهمه بالصورة التى نقدر عليها . وبالجهد الذى نستطيع ان نبذله .

ولكى يفهم الاسلام ، فلا بد من فهم نصوصه ، وتاريخه ، وحضارته فى ضوء مناهجه ومعطياته .

وعندما يفسر الاسلام بالاسلام فان ذلك سيفضى بأن نرفض الخضوع لاى تفرقة عنصرية . أو اى تمييز طبقى ، ولا يمكن أن ترضى عقولنا بالتفاسير التى تفرق بين الانسان وأخيه ، أو التى تعلى شأن فرد على فرد ، وتأخذ حق فئة لتعطيها للاخرين .

العدل ماشعر الناس به وعاشوه

ان فهم الاسلام بهذا المنهج يحدد للالفاظ معانيها ، ويوضح حقيقتها ، فلا يكون للامر اكثر من معنى ، نجد أن الدين يأمر بالعدل فلا يكون للعدل الا صورة واحدة تسود علاقات كل الناس ، ويكون الحكم بالعدل حقيقة يحسها كل الناس ، ويعيشونها حقا . وتكون المساواة متمثلة فيما يقال وفيما يجرى فى المجتمع . أى يؤكد التطبيق ما تحلم به النظريات ، وتراه العقول املا او غاية لسعادة البشر .

واذا ما فسر الاسلام بالاسلام ، يكون أمر العقيدة واضحا ، وأمر الحياة محددا ، فنسلم باننا عباد الله نعطيه فيما أمر ، ونفكر ونجتهد فيما تركه لنا ، ونجد ان صلاح حياتنا يقتضيه ، ومصلحتنا كبشر تحتمه ، وانه من الخير للمجموع أن نسعى اليه ونحققه فى التزام صادق بالدين ، واستخدام صحيح لتوجيهاته وهديه .

هذا الجـديد القـديم

والامر فى حقيقته ليس جديدا . ولكنه عودة الى ما كان ، واعادة لما سبق . فلقد فهم المسلمون من امر دينهم هذا الفهم ، وعملوا على ان يحيوا به ، ويقيموا حياتهم على اساسه ويهدى منه - لقد فهموا أن الاسلام حياة ، وان العمل عبادة ، ويوم يعجز الدين عن مسايرة الحياة يكون قد حكم على نفسه ، وترك الامر لغيره . ولكن الاسلام فيما يؤمن كل مسلم غير ذلك لان المسلمين يؤمنون بأنه دين صالح لكل زمان ومكان . لذلك فقد اجتهد المسلمون الاوائل فى أن يفسروا الاسلام تفسيرا اسلاميا ، فأخذوا من الكتاب والسنة ما امروا به ، واجتنبوا فى حياتهم ما نهاهم الاســـلام عنه ، ونظـروا لما فيـه صـالح حيـاتهم . فـاذا وجدوا ما يجعل حياتهم افضل اخذوه . واذا ادركوا أن امرا سييسر لهم شئونهم استفادوا منه ، دون تفريط فى دين ، او اتباع لهوى ، او خضوع لشهوة .

ولكن بالرغم من قدم المنهج ، فانه من الصعب ان يدعو اليه داعى اليوم ، او ينادى بالاخذ به،لانه سرعان ما يتهم فى دينه ، وتنطلق بسبه الالسنة التى لا يهمها فى الحقيقة الدين ، بقدر ما يهمها صالحها . لا تدفعها الغيرة . ولكن يثيرها الخوف على ما تحققه من عائد الاتجار بالدين . ولا شك أن تفسير الاسلام بالاسلام سيكشف كل القوى المستغلة والعميلة ، والمعوقة للتقدم ، والرافضة لاستمرار الحياة اكثر خيرا واكثر اشراقا ، ويوقف كل ما أضر بالانسان .

حكم الله .. ورأى البشر

ان تفسير الاسلام بالاسلام ، يعنى العودة الى منابع الدين ، ونبذ كل ما خالفه ، والنظر الى آراء البشرعلى انها آراء بشرية ، وان هناك فرق شاسع بين ما تقضى به آيات الله البينات ، او تهدى اليه احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته المطهرة وبين ان يقول مسلم برأى أو يحكم بهوى ،او يدبر لمصلحة ، او يروج لدعوة .

وهذا التفسير الاسلامى للاسلام من شأنه ان يؤكد ان الدين حياة ، وانه تعامل بين الناس ومعايشة وليس مجرد شعارات او اردية . الدين يستهدف كرامة الانسان ، وهذه الكرامة لا يمكن ان تتحقق فى ظل التوزيع الظالم للثروة الذى يبيح للمستغل ان يثرى على حساب الاخرين وسحقهم ، مدعيا بان ذلك عدله الله وقضائه والله ـ تبارك وتعالى ـ منزه على ان يقر ظلما ، أو يرضى بسلب الناس حقوقهم ، لان آياته تحكم بالعدل ، وتأمر باقامته ، وتدعو الناس لان يقاتلوا دفاعا عنه ، ولان العدل اسما من اسمائه الحسنى ، وصفة من صفاته جل جلاله .

الدين يدعو الى أن يكون الناس سواسية لا فرق بين امير واجير ، ولكن الاتجار بالدين يرفض تلك المساواة المثالية ليقسم الناس الى طبقات منها الشريف ، ومنها الوضيع ، منها القادر ، ومنهـا المحروم . ولا يكتفى المتجرون بذلك ، ولـكنهم ينسبونه لله ، ويجعلون للظلم طابعا دينيا ، وحماية مقدسة .

فاذا ما فسر الاسلام تفسيرا اسلاميا أنكشف اثم الاثمين ، وبطلت دعـوى المضـللين ، وبارت تجارتهم . لذلك فانهم لا يرضون هذا التفسير ، ولا يقرون عليه من ينادى به . ويجب الا نصدق ان القوى المعادية للخير تسلم راغبـة ، بل لابد أن يدافع الخير عن نفسه .

علماء الدين .. لاتجار ولاسماسرة

لقد جاء الاسلام تنظيما للحياة ، وجعل من الجهد المبذول ميزانا للحساب فكل انسان بقدر ايمانه وعمله ، من أحسن فلنفسه ، ومن أساء فعليها . ولقد تفانى أصحاب الرسول رضى الله عنهم جميعا ـ فى بذل جهدهم من اجل ما آمنوا به ، ولم ينظروا الى ثمن او جزاء نتيجة لما قدموه للعقيدة . ولكن أجيال معاصره ترى فى الدين مغنما ووسيلة للنفوذ ، وفرض السيطرة ، وكاننا نواجه قيام محاكم تفتيش جديده ، أو ميلاد مجمعات لاهوتية تفرض نفـوذها تحت رداء الكهنوت .

والتفسير الاسلامى ، يعنى اننا عندما نفهم دور الداعية الدينى ندرك انه الانسان الذى وضع حياته فى خدمة عقيدته ، فحاول ان يفهم الدين بعد أن آمن به ، وراح يدعو الاخرين اليه . بقدر ايمانه وفهمه ، اى أنه ليس وسيلة للارتزاق ، او طريقا لفرض السيطرة والنفوذ.لان الاسلام وهو دين لا يعرف قداسة الموظف الدينى ، او المكانة المقدسة لرجل الدين ، يرفض اى سيطرة او استغلال باسم الدين ، الاسلام يحفظ للعلماء الذين يبذلون جهدهم للتفقه فى الدين مكانتهم،يثنى عليهم،ويبارك جهدهم . وتتولى آيات الكتاب المبين الاشادة بهم ، كما نجد ان الاحاديث تثنى على عملهم وتدفعهم اليه .

والاسلام دين يحفظ للعلماء كرامتهم ؟ ويأبى عليهم أن يكونوا أدوات لحاكم مستغل او طاغية مسيطر ، أو أن يكونوا أعوانا لفريق دون فريق ، ولكنهم حملة علم الدين ، والمدركين لاحكامه ، فعليهم اتباع ما أنبأوا به ، ونقل ما عرفوه الى الاخرين . وان يكونوا دائما مع الحق ضد الباطل، ومع العدل ضد الظلم ، ومع الحياة ضد أعداء الحياة .

الرأى لمن يبصره

ولكن العلماء المؤمنين قد تضيع جهودهم عبثا عندما يكون الرأى لمن يملكه لا لمن يحسنه ،اوتكون الفتاوى التطوعية والعملة هى السائدة وليس صوت الامام الفقيه . وحينئذ يكون التاجر أعلى صوتا ، وأكثر بيانا ، ويكون الصوت الأضخم هو الاقوى تأثيرا ، أو بمعنى أدق الاسرع سماعا . ولكنه لا يبقى طويلا . لأن كل شىء قد يمكن أن تضيع فيه الحقيقة الا الدين ، لأن الادعاء فيه قد يحدث ، والتزوير قد يطال ، ولكنه لا يدوم ولا يطول . لقد حدث فى بعض العصور أن غابت عن الناس الحقيقة ، وضل الحق طريقه ، ولكن الظلام لم يستمر ،وسرعان مانهض علماء أجلاء اخذوا على عاتقهم تبيان الحق وتوضيحه ؟ والدفاع عنه ، وارساء تعاليم الدين على حقيقتها . ثاروا على الاستغلال ، وأوقفوا الظلم ، وقاوموا الطغيان ، وسحقوا الباطل ، واعطوا للناس حقوقهم . ودلوا على الدين الصحيح ، وابانوا دوره وحقيقته من انه حياة مثالية ، واسس لتنظيم المجتمع الامثل الذى يعيش فيه الناس سواسية كأسنان المشط ، والذى يزول فيه التمايز الطبقى بين الناس ، ويمحق الحق ويبطل الباطل . لقد ثار الكثير من العلماء الاجلاء ، وحاربوا الكهانة والخرافة ، وقالوا بأن دين الله يمنع أن يثرى القوى على حساب الضعيف ، أو يستبد الامير ويغتصب حق الفقير . وأكد العلماء الاجلاء فى كل عصر أن الدين فى القرآن هو ما يتفق مع العلم والعقل والتفكير ، وأنه لا أحد يفهم على المسلمين دينهم الا أهل العلم وأهل العقل وأهل التفكير . ولذلك لا غرابة اذا جزم المسلمون بوجوب اقامة كل حكم من احكام شريعتهم على القرآن الذى وصفه الدين بما ذكرناه ـ وهكذا جزم علماء المسلمين كانت المصلحة فشرع الله ،وكما قال ابن عقيل:تتبعه كانت المصلحة فثم شرع الله ، وكما قال ابن عقيل تتبعنا لذلك : وان لم ينزل فى ذلك وحى ولا قال به الرسول [٤١] .

تعالوا الى كتاب الله وسنة النبى

وعندما يدعو أى مسلم بأن يفسر الاسلام تفسيرا اسلاميا ، فانه يعود الى ما نادى به القرآن ، وقضت آياته ، كما أنه يتفق مع ما فعله المسلمون عندما دخلوا فى دين الله أفواجا . وقد جاءت الحضارة الاسلامية المزدهرة تأكيدا لهذا التفسير .

والذى يتفق مع الاسلام ولا يتفق معه غيره ان يفسر تفسيرا اسلاميا ، فيفهم الدين فى ضوء الكتاب والسنة ، وتتحى تماما سلطة دينية من أن تملك وحدها حق التفسير ، أو الحكم بالحرمان من ملكوت الله على من يخالفها ، أو تقضى بأن من ينال رضاها فهو من رضى عنه الله .

ان الله تبارك وتعالى خلقنا جميعا ، وكلنا عباده ، له علينا حق الطاعة ، ولنا فى رحمته رجاء وأملا . وعندما يفسر الانسان الاسلام تفسيرا اسلاميا فان سلوكه يجب أن يوافق عقيدته ، فلا يرضى بالظلم ، ولا يقبل الخضوع لأى قوة تحاول النيل منه أو البطش به وتسلب حقوقه لأنه « اذا فهم التوحيد على حقيقته واتخذه الانسان شعارا وطابعا فانه يتحرر من رق العبودية لغير الله فى مختلف ألوانه واشكاله » [٢]

حياة كريمة لكل البشر

وعندما يلتزم الانسان بالتفسير الاسلامى للاسلام ، يحقق كماله وسعادته ويعانق فى الحياة الحرة الكريمة ،لانه يتحرر من الخضوع للاستغلال ويرتفع فوق الخوف من الموت جوعا ويبكته وقف؛ كل المحاولات التى تهدف الى ظلمه او الاضرار به ، ويحقق الحياة الآمنة له والخير لمجتمعه ، لان الناس عادة يتنابهم القلق ، ويغمرهم الحرص على اقواتهم ، ويلجأ بعضهم الى وسائل لا تليق

---

[١] الندوة العلمية بين فريق من علماء المملكة العربية السعودية وبين فريق من كبار رجال القانون والفكر فى أوربا فى مارس ١٩٧٢ . ص ١٩ نشرتها وزارة الاعلام السعودية .

[٢] الامام الاكبر د. عبد الحليم محمود . الاسلام والايمان . ص ١١١ الطبعة الثقية

بالكرامة الانسانية ، بل يصل الامر بالبعض الى مستوى التملق والمداهنة والمراءاة ، وبعضهم يصل به الامر الى النفاق والرشوة والاختلاس وتسعيده المادة والحصول عليها ، ليصبح لها عبدا مسترقا ، ولكن الاسلام وقد حرر المجتمع الاسلامي من خوف الموت فقد حرره ايضا من هم الرزق فالرزق بيد الله » (٣) .

عندما يقوم علماء الدين بدورهم

وبالمثل عندما يفسر علماء الدين الاسلام بالاسلام ، فان الناس يجدون عنصدهم الطريق ، ويرون فيهم القدوة ، والمثال الجدير بان يحتذي به ، ويكون الوصول الى التقدم ممكنا واحراز النجاح محققا ، لان الغايات تكون محددة ، والوسائل اليها معروفة ، لان فهم العالم الديني سيكون صحيحا ، والمامه بالاسلام سيضفي كاملا ، ويكون علماء الدين دعاة اصلاح وخير وليسوا مجرد رجال دين ، او مجرد موظفين ، ويكون في قيامهم بواجبهم امتثالا مع ما يدعو اليه الدين ، وتطلق به نصوصه ، ويكون سلوكهم حافزا للاخرين ، « فانهم وقد هيأ الله لهم ان يتولوا قيادة المجتمع دينيا لا شك يكون تاثيرهم جارفا اذا كانوا مثلا عليا للفضيلة : الفضيلة في اسمى معانيها واشملها ، اي اذا كانوا حقا بالمنزلة التي ترضى الله ورسوله : عليما وخلقا وحبا للخير واخلاصا في كل ما يأتون وما يدعون » [٤]

هـذا هو الايمـان

والايمان في ظل التفسير الاسلامي للاسلام ، لا يلغذ معنى غيبيا ، ولكن يتمثل في السلوك والممارسة لان الايمان ليس ادعاء ، ولكنه خلق وسلوك « ان الايمان بالله هو الذي يخلق معنى الجماعة في نفس الانسان ، وهو الذي يجعل الانسان يعترف بحق الانسان في الحياة والوجود ، وهو الذي يحول الانسان من اناني جانح تتحكم فيه انانيته الى مشارك غيره في الحياة في اي مجال فيها ، في الوجدان ، او فيما وراءه من مدى الحياة ومعنويها . » [٥] .

كيف فهم المسلمون الاوائل دينهم ؟

ويمكننا ان ندرك اهمية فهم الاسلام على هذه الصورة عندما نعود الى ماضي المسلمين ، فنجد ان فهم المسلمين الاوائل لدينهم انه دين متكامل لا يؤخذ كله ، لا يؤخذ جزء منه ويترك جزء ، ولا يقبل عمليات التلفيق ، لان كتابهم ينهى عن ذلك ، يقول تعالى : « افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » [٦] .

لقد عرفوا انه عن جاء يبني مجتمعا ، وكان لزاما عليه ان يرسي دعائم هذا المجتمع . ويهتم بالانسان العنصر الاساسي لهذا البناء ، فيوفر كل الضمانات التي تحمي البشرية ، وتصلح النفس الانسانية وأول ذلك ضمان الحقوق ، وحماية الحريات ، وتحقيق العدل وكفالته . لقد عرف ما جبلت عليه النفوس من محبة الدنيا ، والتطلع اليها وما يكون في قلوب الفقراء من الحقد على الاغنياء والحسد لهم وما يكون في نفوس الاغنياء من محبة اموالهم والحرص عليها فاوجب لهم قسطا من مالهم يؤخذ منهم كرها ولو بقتال . [٧] .

العـدل والرحمـة والايمـان

وادرك المسلمون الاوائل ان دينهم السمح قد جاء للناس كافة لما فهموه من نصوص الايات والاحاديث ، يقول تعالى : « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » [٨] ، ويقول : « ان هو الا ذكر للعالمين » [٩] ويقول : وماهو الا ذكر للعالمين » [١٠] .

---

[٣] الامام الكبير د. عبد الحليم محمود . المرجع السابق ص ١١٢ .
[٤] الامام الاكبر د. عبد الحليم محمود . المرجع السابق ص ٢١٧ .
[٥] د. محمد البهي . الاسلام في حياة المسلم . ص ٨٨ . الناشر مكتبة وهبة .
[٦] سورة البقرة آية ٨٥ .
[٧] المرحوم الشيخ يوسف الدجوي . رسائل الاصلاح رسالة ص ٤٢ الطبعة الثانية .
[٨] سورة الفرقان آية ١ .
[٩] سورة ص آية ٨٧ .
[١٠] سورة القلم آية ٥٢ .

وآمن المسلمون بأن رسالة الاسلام عالمية لكل البشر ، وانها موجهة لجميع الامم . « لقد بعث الله نبيه رحمة للعالمين ، جاء بالرحمة للانسانية عامة ولمصلحة الناس كافة ، لا لقوم دون قوم ، ولا لاقليم دون اقليم ، ولا لجماعة دون جماعة ، ولا لون دون لون ، وأن هذه الرحمة تقتضي اقامة العدل بين الناس ، واذا كان لكل دين سمة فسمة الاسلام هي العدالة ، والرحمة والعدالة معنيان متلازمان لايفترق شقيهما عن الاول ، فليس العدل منفصلا عن الرحمة ، وليست الرحمة في ادق معانيها الا احدى ثمرات العدالة وان الرحمة العادلة لا تسمح بالاستسلام للباطل ، والخضوع للظالم وتركه يستمرىء الشر ويجاهر بارتكابه ، وبايذاء الناس غير مابىء بالمصلحة العامة التي دعت اليهـا الاديان ، واختص بهـا الاسلام » . [١١] .

العقـلُ والقـدرة

وآمن المسلمون بأن الله خلق الانسان وأهله ليكون خليفة له على الارض ، وجعله اساس استمرار العمران في الكون ، وزوده بقدرات ، ومعنى تزويده بها أنه مطالب باستخدامها فيما يصلح شأنه ، ويحافظ على حياته : « ومن هذه القدرات العقل والقدرة على العمل فهل يمكن أن يخلق العقل ويظل ممنوعا من التفكير أو تخلق القدرة على العمل والابتكار وتجمد او تحرم من نتيجة عملها وثمرة جهدها ، انه بمنطق الايمان والعقل لابد للانسان من استخدام كل طاقاته وأولها العقل في التفكير والعمل من أجل حياة افضل ولابد لـه من الاستفادة بنتيجـة جـهده ، وكذلك مـا خلق شيئـا في السموات ولا في الارض عبثا ، بل يريد ان يبقى محمل الكون هذا يسير سيرا مستمرا على نظام مدبر ، وينتفع فيه الانسان من كل شيء ، ويستخدم مختلف اسبابه ووسائله ، ولكن على وجه لا يضر نفسه ولا احدا غيره . ان المبدأ الذي يقوم عليه بناء الشريعة الاسلامية هو أن الانسان من حقه أن يعمل لتحقيق رغبات نفسه وحاجاتها ، ويسعى في سبيل منفعته الذاتية كيفما يشاء . ولكن من الواجب عليه في الوقت نفسه الا ينتفع بهذا الحق الا من حيث لا يضيع حقوق غيره من البشر بجهله أو شره ، بل ينبغي ان يكون مساعدا لهم ومتعاونا معهم على قدر وسعه » [١٢] .

الصدق والمشورة

كان الاسلام بسيطا ، لانه كان يقوم على الصدق والمصارحة ، لا غموض فيه ، ولا أسرار . فكانت نتيجة الايمان به ايجابية في السلوك . كان الرسول صلى الله عليه وسلم اذا ما واجهه امر من أمور الدنيا سأل أصحابه ، وشاورهم في الامر ، فيصدقونه الرأي . يسألهم عن رأيهم في القتال مثلا ، فيقول سعد بن معاذ باسم الانصار : انا قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ما جئت به من الحق فأعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة فامض يا نبي الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما بقي منا رجل ، صل من شئت واقطع من شئت وخذ من اموالنا ما شئت . وما أخذت من اموالنا أحب الينا مما تركت وما نكره ان نلقى عدونا ، اننا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء [١٣] .

وهي صورة مثالية في الاتباع تأتي من الثقة القائمة على الفهم والوضوح والمصارحة .

ويقول المقداد بن الاسود عن المهاجرين « يارسـول اللـه امض لامـر اللـه فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لنبيها اذهب انت وربك فقاتلا انا ها هنا قاعدون، ولـكن اذهب انت وربك فقـاتلا فـانـا معكما مقاتلون » [١٤] .

وهناك آلاف المواقف الباهرة التي وقفها الكثيرون ولا دافع لهم الا التفسير الاسلامي للاسـلام . واننا عنـدما نقـول ان الحـاجة ماسة لتفسير الاسلام تفسيرا اسلاميا فان ذلك يعني ان نعود بالاسلام الى جوهره ،وترجمه الى حقيقته ونحاول أن نضعه بوضعه الصحيح ، فيكون الدين المنزل بالحق ، الذي جاء يصلح حياة الانسـان ويحرره ، ويطلق لقدراته العنان لتبدع وتبتكر ، وتجدد وتقيم الحياة الافضل للانسان .

---

[١١] الدكتور الشيخ محمد ابوزهرة. محاضرة عن الجهاد في الاسلام ضمن محاضرات نشرها المؤتمر الاسلامي بعنوان « وهي رمضان » القاهرة ١٩٦٠ . الاسلام ص ١٢٢ ، ١٢٣ الطبعة الثانية بمكتبة الشباب المسلم نقلها الى العربية محمد عاصم الحداد ـ دمشق ١٩٥٧ .

[١٢] أبو الاعلى المودودي . مبادىء

[١٣ ـ ١٤] انظر كتب السيرة المطولة خاصة سيرة ابن هشام وحقيقات ابن سعد .

في المقال الاول يشرح ــ د. محمد رضا محرم ، من خلال تحليله وتقييمه دور الاتجاهات اليمينية المختلفة التى تحاول ان تجعد طريق التطور الاجتماعي متسترة وراء الهجوم على سلبيات تجربة ثورة ١٩٥٢ . وفي المقال الثاني يحذر سعيد خيال في مقاله ، من اطلاق العنان لنمو الرأسمالية ، ويكشف عن تلاعب الرجعية بالشعارات، ويدافع عن المواقع الاساسية لثورة يوليو

■ تعليق على قضية « عودة الوعى » والحوار الذى تجريه « الطليعة » مع الاستاذ توفيق الحكيم ■

[١] ٢٣ يوليـــو و٦ أكتـــوبر

بـــين الـــوعى واللاوعى

د. محمد رضا محرم *

الاغلبية الساحقة من ابناء مصر لم تستعد الوعى بعد ، ولسبب بسيط للغاية ربما يكون قد فات على الاستاذ توفيق الحكيم ، وهو انها لم تفقد وعيها اصلا . ولكن هذا لا ينفى ان فريقا آخر محدود العدد ، ورائده الاستاذ الحكيم ، قد توهم ــ عن حسن نية أو نتيجة العجز من الرؤية الصحيحة ــ انه استعاد وعيا توهم من قبل انه قد فقده . والى جانب هذين الفريقين نبتة باسلوب شيطاني فريق ثالث ، مهمل الكم وان كان غوغائى الضجة ، يمكن ان نعرفه بانه « جوقة الوعى حسب الطلب » . والفريق الثانى رغم تألم الضمير الوطنى مما اتاه ، يمكن ان نحاجه بالمنطق، وان نلوبه بالنصيحة ، وان نعاتبه بالكلمة الصادقة؛ ولكن هذا الفريق الثالث لم يترك لاحد من وسيلة

[*] مدرس بكلية الهندسة جامعة الازهر .

للتعامل معه غير فضح منطلقاته وتعرية قواعده. وحيث ان هذا التعليق مصوب اساسا الى ذلك الفريق الذى تدرع بالصفاقة واحترف السقوط فانه يبدو منطقيا حتمية الوصول اليه مرورا بفريق الوهم العائد [اعنى الوعى العائد] .

مدخلنا عودة الوعى

فى مطلع الصيف الماضى ، هبت ريح حارقة من مخابز الفكر البيروتية على الجماهير اليوليوية فى مصر [ولا نقول الناصرية ، حتى لا ينشغل المصابون بالارتكاريا الناصرية عن تتبع ما نقول بهرش جلودهم] ، وبدأ الترويج لكتيب من تأليف الاستاذ الحكيم ، وراج الكتاب ، وقرأه الوطنيون واستغله الخونة ، ووجد الحكيم نفسه مضطرا لتقديم تبرير لفعلته ، ورغم ان مضمون الفعلة هو الكتاب الذى طبع ووزع وشكل الفعلة هو التبرير الذى قدمه الحكيم ، فسوف يركز كاتب التعليق على الشكل دون المضمون وذلك لعدة اسباب :

١ — ان « كدابين الزفة » ، وعباقرة فترات الانتقال الهاتفين مات الملك ... يحيا الملك ، قد تعاملوا مع الكتاب دعائيا وليس فكريا ، وذلك بدوافع التشفى واشباع الاحقاد ، وبالتالى فان مضمون الكتاب لم يكن ليعنيهم بقدر ما تعنيهم الشكليات المصاحبة له .

٢ — ان الكتاب ، حتى بشهادة بعض قارئيه من المتحاملين على ثورة يوليو وعلى عبد الناصر ، كان من الممكن ان يمر فى سهولة ، وان يناقش فى هدوء على اعتبار انه مقدم من كاتب له وزنه كالحكيم لولا الضجة التى واكبت صدوره واستغلال اسم صاحبه .

٣ — ان الاستاذ الحكيم فى حواره مع اليساريين المصريين والذى تتولاه مجلة الطليعة ، يؤاخذ ثورة يوليو دائما بانها قد اهتمت بالمضمون دون الشكل ، وبناء عليه حدثت جميع التجاوزات — فى رايه الاخطاء والانحرافات — التى عددها على الثورة ، ومن هنا فانه من حقنا ان نعامله بنفس منطقه .

وقد انطلق الاستاذ توفيق الحكيم فى محاولته على محاور ثلاثة :

١ — انه قد فوجىء بتداول بعض النسخ ، المكتوبة على الاستنسل ، من مخطوطه بين بعض المثقفين ، مما جعل تقديم كتيبه الى المطبعة ، وحتى ينسب الوليد اليه بصورة شرعية .

٢ — ان ما قدمه فى الكتاب مجموعة من الانطباعات ، مشاهد ومشاعر عن سنوات الثورة تكتب من الذاكرة ، وليس تقويما موضوعيا لها ، وانه اقرب ما يكون الى دعوة للمناقشة والحوار .

٣ — ان علاقته بعبد الناصر كانت طيبة للغاية ، وان الزعيم كان يقدره ، ويقر بتأثيره عليه — اى تأثير الحكيم — بكتابه عودة الروح ، وان الحكيم هو الاخر كان معتزا ببطله الموعود الذى تنبأ به فى روايته المذكورة وقبل قيام الثورة بعشرات السنين .

وكما نرى فعلى المحور الاول ترك الحكيم الاصول الخطية بكتابه لتتسرب من بين يديه ، فتستنسخ ، فتنتشر ، فتشيع ، فتصل الى يدى الناشر البيروتى . وعلى المحور الثانى قدم نفسه الينا مفكرا يتعامل مع القضايا الضخمة والمعقدة بنفس البساطة غير الواعية التى يتعامل بها مع الامور الجزئية ، وكأنما الانطباعات المعلنة ليست افكارا للكاتب مثلما تؤدى الى تمجيده فانها قد تدفع الى ادانته . وعلى المحور الثالث تمرد الحكيم على معبوده الذى قال عنه فى خاتمة كتيبه انه « مات وترك مصر وليس لها وعى ، ولا حرية ، بل ولا كرامة انسانية » .

ورغم التحفظ على المضمون ، وعدم الاتقان فى الشكل ، فانه يبقى لكتيب الحكيم فائدتان محققتان :

١ — انه نبه الناصريين الانفعاليين ، واليوليويين المثاليين ، الى ان اية شخصية مهما علت معرضة للنقد ، وان اى منهج مهما كانت ضخامة ايجابياته عرضة للتقويم . حقيقة ان الاحقاد قد تتجاوز النقد الى التجريح ، وتتحول بالتقييم الى الهدم ، ولكن لن يبقى فى النهاية الا الزعامة الشامخة ، والمنهج الثورى ، والبناء الراسخ ، والموضوعية آتية ولا ريب ، ويومئذ يشمخ عبد الناصر ، وتتدعم ثورة يوليو .

٢ — انه كشف فرسان النفاق الذين توهموا انه بالامكان تغطية جبنهم الحقود بالاندفاع خلف مدرعته الورقية « عودة الوعى » ، واطلاق الرصاص الكاذب يمينا وشمالا للنيل من الانجازات الحقيقية لعبد الناصر ولثورة ٢٣ يوليو . وفى حمى الجرى ، وصخب الضجيج ، سقطت الاقنعة ، وتحول التلميح الى تصريح ، وتجسد الماضى الهلامى الذى حاولوا التهجم عليه سنوات محددة

وشخصيات مسماة .... وواتت الفرصة الناصريين ابناء يوليو لكسر حدة الهجوم ، وعزل قراصنته ، وتصفية ادواته . وصنع لقاء ناصر الفكرى الرابع ، وجلسات الاستماع للعمال والفلاحين والمثقفين التقدميين ، نقطة الانقلاب فى المنحنى الاعلامى المصرى .

فصائل الهجوم

الذين عبروا على تاريخ الحكيم (اوشك ان اقول على كيانه] للنيل من مصر التاريخ والمنهج والشعب ، ينتمون الى حزب ساقطى الهوية ، وينتسبون الى حانات الارتزاق بدعارة الكلمة، وهم فوق ذلك لا لون لهم ، وان شئنا الدقة قلنا انهم طيفيون متعددو الالوان ، ومن هنا تظهر الصعوبة فى تعريفهم وتسميتهم . ولكن هذا لن يحول دون محاولة الاحاطة بالسمات او الملامح الاساسية لهم ، لنجتهد فيما بعد فى التعرف على منطلقاتهم واغراضهم . ويرى الكاتب ان الحامل لبطاقة نادى النقمة الحاقدة الذى يضم هؤلاء لابد وان يتميز بكل او ببعض السمات التالية :

١ ـ **غيبة المنهج الفكرى** : وهى النتيجة الحتمية لكونهم فاقدى الانتماء ، فقانونهم اللولبى انهم مع سلطان الحاضر ضد الماضى ، اما المستقبل فليس يعنيهم الا بقدر ما يستشفونه من اتجاهات رياح المصالح الانية او المنافع القريبة . ولما كان المنهج الصحيح دائما مستقبلى الرؤية ولا يتعامل مع الحاضر او مع الماضى الا كأدوات لتعضيد رؤاه او تنقيح تصوراته ، فان اى التزام مستقبلى يعنى بالنسبة اليهم مخاطرة لا يقدمون عليها من جهة، ولا يقدرون عليها من جهة ثانية ، حتى ولو كان هذا الالتزام لمصلحة الشعب الذى يرتزقون من جهده ويتطفلون على عرقه . وبالطبع فانه ينشأ عن غياب المنهج انهم يطرحون على الدوام عموميات قولية ، ويصرون دائما على تفريغ اطروحاتهم من اى مضمون تاريخى او اجتماعى ، ومن هنا فانهم يتناقضون مع انفسهم فى كل حين وفى صفاقة لاتعرف الحياء . فالدعوة الى الحرية مثلا لاتصطدم ـ فى اذهانهم طبعا ـ مع الدعوة الى القتل واطلاق الرصاص على التقدميين المصريين ، وبعبارة أوضح على شعب مصر . والديموقراطية التى يغازلونها فى جنسية شبقة على صفحات جريدتهم لا تتعارض مع وصم المخالفين لهم فى الرأى بالعمالة [فى علم النفس تعرف هذه الظاهرة بالاسقاط)، او مع وصفهم بانهم اجيال [لاحظ الديموقراطية حين يدين فرد واحد اجيالا كاملة] من الطرش والعميان . ونشر قرار النيابة بشأن اتهام مجموعة من «عوالم» القاهرة بارتكاب افعال مخلة بالاداب فيه خرق للقانون وقيم المجتمع ويتطلب رفع قضية للتعويض ، ولكن قذف المصريين اليومى بالطوب ، وخاصة التقدميين منهم والشباب ، والتطاول على تاريخهم ونضالهم ليس فيه خروج على دستور الشعب او وثائق الثورة ابتداء بالميثاق وانتهاء بورقة اكتوبر التى قدمتها القيادة السياسية القائمة واقرها تحالف قوى الشعب العامل .

وقد ترتب على غيبة المنهج ايضا تفرد المذكورين بالذاتية والوقتية ، وتجسمت الذاتية تماما حين **حاول البعض منهم الدفاع عن نفسه بادانة عصر باكمله** ، رغم ان العصر لم يدخل محكمة التاريخ بعد فى حين ان هذا البعض قد دخل محاكم امن الدولة وادين . اما الوقتية فشاهدنا عليها تسجيل موزايكى طريف من كتاباتهم فى العام الاخير يمكن عرضه كما يلى :

ا ـ عندما رسم كيسنجر لنفسه دورا فيما اصطلح على تسميته قضية الشرق الاوسط ، اغرقونا فى سيل تفاهاتهم عن الرجل المعجزة ، القادم الينا بالمدد الامريكى [يلاحظ انه قادم الينا نحن بالمدد وليس الى اسرائيل] ، والذى سيتولى عنا عبء المواجهة وتبعات التنمية .

ب ـ على مدى العام لم يكف فريق اللعنة هذا عن ادانة دور عبد الناصر ، وثورة يوليو طبعا ، فى حروب ٥٦ ، ٦٧ ، ٤٨ ايضا [والاختراع الاخير مسجل باسم الليبرالى العتيد احمد ابو الفتح] . واكد بعضهم انه لولا تهور عبد الناصر وعشقه للمغامرة لجنبنا حرب ١٩٥٦ ، التى يبدو اننا اعتدينا فيها على باريس ولندن وتل ابيب ولكن صحافة العالم ، وصحافتهم ايضا ، خلطت فى تسمية مسارح القتال وخدعتنا نحن المصريين فاسمتها سيناء ، وبورسعيد ، والسويس !! . وقطع هذا البعض بان مصر لم تنل من حرب ٥٦ غير الهزيمة والفضيحة [عاقبهم الله بها] .

جـ ـ عندما هدد كيسنجر باحتلال منابع البترول العربى ، ولم يعد امامهم من سبيل الا الرد عليه والا افتضحت انتماءاتهم ، سألوه بالكاريكاتير وبالكلمة ـ وبنفس المصطلحات التى نحتوها لتملق القيادة التى يقولون انها هزمت ـ عما اذا كان لم يعتبر بدرس ٥٦ الذى تحولت فيه دول عظمى الى دول

من الدرجة الثانية والدرجة الثالثة !! ؟ وهكذا تأكد على السنتهم ان مصر المتدحرة فى حرب ٥٦ قد دحرت انجلترا وفرنسا ، وهى معادلة يعز فهمها طبعا الا على المهرجين فى دنيا الاعلام .

ورغم خوف الكاتب من اتهام مواطنيه له بالسذاجة ، فانه يدعوهم — اى فريق الوعى حسب الطلب — بل ويتحداهم ان يطرحوا على الجماهير منهجهم الفكرى او برنامجهم العملى ، خاصة وانهم قد طنطنوا بها فيه الكفاية وطالبوا بقيام احزاب لهم فى مواجهة تحالف قوى الشعب ... ولكنها على أية حال كلمات نقولها ، عمى ان يقرأوها ، ولعلهم يفهمونها ، اما المواطنون المخلصون فنقترح عليهم ، اذا رأوا فى السطور الاخيرة عبثا لا طائل منه ، ان يسقطوا هذه السطور من المقال وان يغفروا لكاتب التعليق انه فرض عليهم قراءتها .

٣ — غائبون عن العصر ، جاهلون لروح مصر: حلف الرذيلة الذى تكاتف افراده فى الفترة الاخيرة للدفاع عن قيم ما قبل التاريخ فى مواجهة قيم العصر واطروحات المستقبل الفكرية يمكن تصنيف اعضائه الى نوعيتين مختلفتين :

أ — النوعية الاولى : وهى تضم الفريق الذى وقع فى تناقض مع الثورة منذ قدومها ، وكان ولابد بمنطق الثورة وشرعيتها ان يخلى موقعه ، فثورة ٢٣ يوليو ليست بدعة بين ثورات التاريخ حتى يتوقع البعض منها أن تجرى جراحاتها الاجتماعية والاقتصادية بالكلمات او بالاقناع . وان كان هذا لا ينفى ان التاريخ يشهد لهذه الثورة بانها اجتهدت — ونجحت الى درجة كبيرة رغم ما حدث من تجاوزات — فى تجنب اللجوء الى التصفية الجسدية بقدر ما تستطيع مكتفية بالتجريد الاقتصادى والثقافى للفئات المعادية لحركة الثورة وطموح الجماهير الشعبية . واذا كان هذا الفريق قد تعرض للعزل السياسى او المحاصرة الثقافية فى مرحلة تدعيم الثورة ، فان الثورة نفسها بعد ان ضربت بجذورها فى ارض الجماهير قد عادت وردت اليه حقوق الممارسة السياسية والثقافية . ومثل هذا الفريق يظل التحاور معه ممكنا رغم هناء المحاورة وقسوة النقاش نتيجة للاختلاف البين بين بنيته الفكرية الجامدة وبين متطلبات الحوار العصرى ، وذلك لعدة اسباب لعل من اهمها أن هذا الفريق لم يمنح حقوق المواطنة حين اختلف مع الثورة أو اختلفت الثورة معه ، وحصر الخلاف فى الاطار الوطنى ، ولم يمد يده للقوى المعادية يطلب دعمه فى اقتتاله مع ابناء وطنه . وبالاضافة الى ذلك فان هذا الفريق يضم علاوة مجموعة الفنيين ورجال العلم الذين قد تضطرهم الاطر الاكاديمية التى يتحركون من خلالها الى الوقوع فى تناقض مع الثورة أو مع العصر . ومن أغلب ذلك الفريق على سبيل المثال استاذ القانون الذى يتصور انه من المحتم على الثورة أن تهذب نفسها ، وأن تتبع ريجيما رجعيا خالصا لتتقمص من وزنها حتى يمكنها أن ترتدى ثوب القانون الذى ثارت عليه اصلا !! . ومنهم ايضا استاذ الهندسة الذى يصر على تجريد مشروع قومى شمولى كالسد العالى من جميع متطلقاته الاجتماعية والسياسية والحضارية ، ويقاتل مستميتا ليفرض على الجميع أن ينظروا اليه من نفس المنظار التخصصى الهندسى الضيق الذى يرى به ذلك المشروع الديناصورى المتعدد الابعاد .

ب — اما النوعية الثانية فانها تضم صيلين :
الفصيلة الاولى تتمثل فى الافراد الذين اختلفوا مع الثورة فى سنواتها الاولى فناصبوا مصر العداء ، وهربوا باموالهم وجلودهم — كما يقولون — من مصر ليبيعوا شمائرهم للشيطان فى أسواق النخاسة الفكرية ، وبدلا من المقاومة على ارض الواقع وداخل الاطار المصرى كما فعلت قوى كثيرة بعضها يمينى وبعضها يسارى فانهم قد شنوا الحرب على مصر الثورة ! مع رجائى أن يلتقطوا انى التسمية] وعلى الفوغاء — يقصدون جماهير الشعب الذين ناصروا الثورة ونصروها — من خلال ما اسموه راديو « مصر الحرة !! » وما شابهه من الابواق التى استأجرت للنيل من شعب مصر . اما الفصيلة الثانية فانها تضم الفرقة التى خانت فى السنوات السبع الخضر ، وغابت فى السنوات السبع اليابسات وغيابها ولله الحمد لم يكن لخلاف ايديولوجى بينها وبين الثورة ، فهذه الفرقة حين اقتنصتها الثورة لم تتهم بالتمرد ولكنها اتهمت بالعمالة ، ولم تجابه باختلاف الرؤية او القصور فى مواجهة الثورة ولكنها جوبهت بتسجيلات التخابر وأرصدة العملات الصعبة ، وكانت هذه هى النتيجة المنطقية لفرقة تعيش مع كل سلطة حتى تسقط ، وضد كل سلطة بعد ان تسقط ، فقد عاشت لفاروق حتى صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، وعملت ضده فى ٢٤ يوليو ١٩٥٢ ، وتزعمت طوفان التملق لعبد الناصر حين وجوده ، وتقدمت صفوف الحاقدين عليه عند حمل القلم لاول مرة بعد وفاته . وعموما فانه يمكن القطع بان افراد

الفصيلتين المذكورتين ، سواء منهم الذين عاشوا تجربة مصر الثورة تملقا على ارض مصر أو الذين عاشوها سببا لتراب مصر على «وجلت الاثير ، غير مهيئين بحكم تكوينهم النفسى والاخلاقى — والاجتماعى ايضا — للدخول فى حوار لا يضع مصالحهم الوضيعة قبل مصالح مصر، بل اوشك أن أقول لا يعتبر مصالحهم الغبية فقط دون مصالح مصر .

٣ — منطق المغالطة هو الســـائد : اوضحت القيادة السياسية المصرية ، فى اكثر من مناسبة، وفى اكثر من حديث صحفى ،أن قراراتها الخاصة بعودة بعض الشخصيات الى ممارسة دورها فى الحياة العامة ، بل بتولى بعضهـا لمناصب رئيسية فى مواقع التوجيـه والدعاية والاعلام ، ليس القصد منه اطلاق هذه الشخصيات ، بعـد اعطائها الضوء الاخضر ، للهجـوم على مصر وتمزيق ارديه الثورة التى ترتديها ، وأكدت القيادة أن الاشخاص ليسوا الاساس وانما الاساس هو تحقيق سيادة القانون . بل أن الرئيس مبر عن ذلك حرفيا بقوله انه اتخذ القرار ، وفقا لتصوره، بقصد اعادة الحق لاصحابه ... وقد نات على هذا الفريق الذى دعى او دفع للمشـاركة فى الحياة العامة أن القرارات السياسية شىء ،والقرارات الادارية شىء آخر ،فالاولى اذا لم تأخذ فى الاعتبار عند اتخاذها جميع المعطيات السياسية والاجتماعية للمرحلة فانها لا تنفذ بنجاح ، ومصر اذ تسـمح لهؤلاء بالعودة فانها على ثقـة من انهم حتى لو اخطأوا فهم مجربات الاحداث — وقد تحقق هدس مصر — فانها قادرة على ردهم وردعهم ، وأظن ان دروس الشهور الاخيرة تؤكد هذا وتدعمه . وأسوأ ما يؤخذ على هذه الفرق تسمحها المرائى والفج بكل ذى سلطان ، ومحاولاتهـا المستميتة اعطاء ايحاءات خاطئة للجماهير عن قربها مـن القيادات وعن توطد العلاقات بينهـا وبين تلك القيادات ، وهى تعلن ذلك باسلوب فج وغير مهذب .

وكما سلف القول فان بعض هذه الشخصيات حاول الدفاع عن نفسه بادانة المعتدين الماضيين بكل ما فيهما من احداث او شخصيات ، ورغم ان اغلب القيادات الحالية كانت تقوم بادوار لهـا فى تلك الفترة الا ان البعض منها لم يدن هـذا المسلك . وللاسف الشديد فان المواطن العادى — خاصة الشباب الذين ينفد صبرهم بسرعة — وقد فاجاته ضراوة الهجوم على الثورة وهمجيته، وعجز فى نفس الوقت عن ترتيب الاوراق التى اختلطت بين يديه ، قد دفع الى التشرذم الفكرى، او المشاغبة السلوكية لمام المثرثرة غير المسئولة لهؤلاء الذين اجتهدوا فى الضرب على هذا الوتر لاذكاء الخصومة بين الجماهير وبين قياداتها ،وهو الامر الذى يتاكد لكل من السلطة والمواطن العادى بمض الوقت انه لا جدوى من ورائه ، ولا مصلحة لاى منهما من ورائه وان كانت مصلحة المتاجرين بنشر الغيظان الفـــكرى فى مصر لا تخفى على الكثيرين .

المنطلقـــات والاغـــراض

حين افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة على رأس جنده المسلم فى عام الفتح ،اجتمع العصاة من قريش لبابه على باب المسجد الحرام فبادرهم متسائلا : ما تظنون انى فساعل بكم ؟ ، قالوا : خيرا ، اخ كريم وابن اخ كريم ، والترابا بالتوجيه السماوى «اذهبوا فانتم الطلقاء» قال لهم عليه السلام من موقع القوة الواثقة : اذهبوا فانتم الطلقاء . ومنذ تلك اللحظة عرف المجتمـع الاسلامى الفئة التى سميت « بالطلقـاء الفتح » . وبعد ان عبر المغالطون الاشداء من ابناء مصر قناة السويس واجتاحوا خط بارليف فى السادس من اكتوبر [١٠ رمضان] عام ١٩٧٣ ، عرف المجتمع المصرى فئة مشابهة يمكن تسـميتها « بالطلقـــاء العبور » . وطالما سعى طلقاء الفتح جاهدين للاستئثار بمنجزات الانتصار الاسلامى ولاحتواء المجتمع الاسلامى الاول وتطويته لخدمة اغراضهم الدنيوية ،توهم طلقاء العبور ايضا امكانية الالتفاف حول المجتمع الاشتراكى فى مصر واخضاعـه لاهوائهم بقصد استثمار منجزات حـرب اكتوبر لمصلحتهم . ولكنه لما كان الاكتوبريون المنفيون لا يملكون حرص ابى سفيان بن حرب ، او دهاء معاوية انه ،او طول النفس الذى رزق به بنى امية، فانهم لم ينجحوا كما نجح هؤلاء ، بل انهم سرعان ما سقطت عنهم الاقنعة وانكشـــفت وجوههم الشائهة . فابو سفيان مثلا لم يستغل انتصار الفتح لادانة المشاركين فى الهجرة هربا بدينهم، او المنهزمين فى احد دفاعا عن دينهم ، ولم يكن ذلك لغباء فيه بقدر ما كان فهما منه لمتطلبـات العمل السياسى ، بينما طلقاء العبور استغلوا ٦ اكتوبر لادانة المشاركين فى ٥ يونيو وللدعوة الى صلب المحاربين فى اليمن رغم انهم ابنـاء مصر

ايضا ٠ وبنو امية لم يجرؤوا على اثارة التناقضات بين عهد النبوة وبين عهد ابى بكر ، او بين ابى بكر وبين عمر ، او بين عمر وبين اللاحقين له من الخلفاء ، وعندما وانتهم الفرصة أتناء حكم ذى النورين عثمان بن عفان لم يستغلوها لتصفية حساباتهم القديمة بقدر ما استغلوها لتوطيد دور مستقبلى لهم ، لما ضعاف الايمان بشعب مصر وبقيادته ، والذين لم يعوا الظروف الموضوعية المحيطة بثورته ، فقد توهموا أن بامكانهم خلق تناقض بين القيادات السابقة وبين القيادات اللاحقة ، وان باستطاعتهم احداث وقيعة بين الثورة حين كانت وبينها وهى كائنة . وعندما نضجت الثمرة وهان القطاف وخلص معاوية صراحا سافرا ضد على بن ابى طالب رضى الله عنه ، وأوشك الاخير أن يوقع به ويجيش هزيمة ساحقة ، لم يجد معاوية مخرجا الا ان يرفع اصحابه المصاحف يطلبون من طريقها التحكيم بما انزل الله تعالى رغم أنهم طلاب دنيا اتحاح ، لما السفهاء من طلقاء العبور فقد احترفوا «التطفيش» ذات اليمين وذات الشمال ، فتجمعوا على التراث السياسى والحضارى لشعب مصر ، وغيروا مواثيق الثورة ، بل وتطاولوا على الاعتقاد الدينى لجماهير المسلمين [واسألوا كبيرهم الذى يزعجه الأذان] .

والمتتبع للاتجاهات التضليلية التى حاولت تلك الفئات الباغية غرسها فى ارضية العقل المصرى، خاصة بعد عودة اخوان الافك ، يمكنه ان يقطع بانها تبدا جميعها من منطلق واحد وهو محاولة الايهام بوجود تناقض اساسى بين ٦ اكتوبر وبين ٢٣ يوليو ، مع الدأب على مزل معركة العبور المجيدة بكل ما بذله شعب مصر من تضحيات خلالها عن مسار النضال المصرى وتصويرها كجزيرة منفصلة لا تتصل الى التاريخ البطولى لهذا الشعب . ومهما تعددت وجوه الدمغة ، نقول مثلا انها تضية الحريات و ١٥ مايو ومراكز القوى ، او انها مشكلة القطاع العام المتكئس !! والذى يمثل قيدا على مبادرات الافراد ، او انه جبل عبد الناصر الذى سلب مصر الوعى ، فان هذه الصيافات جميعا ما كانت لتطرح طرحا مقارنا ، وبهذا القدر من الصفاقة ، لولا اصرار الذين يطرحونها على استغلال حياء الشعب المصرى وحساسيته . ومن هنا ، وكبيرا لنجلوا الحياء ، فان المقصد الاساسى للجزء الباقى من هذا المقال هو الاحتجاج للثالث والعشرين من يوليو ١٩٥٢ بما جرى فى السادس من اكتوبر ١٩٧٣ م .

٦ أكتوبر يحتج لـ ٢٣ يوليو

الصياغة الفلسفية المحدثة لقانون تطور المجتمعات والتى تنص على ان « الجديد ينبت من جوف القديم » ، سبق للمصرى الاصيل ويخبرته التفالية أن صاغها صياغة شعبية على هيئة حكمة تقول « من فات قديمه تاه » أو تقول « اللى مالهوش قديم مالهوش جديد » . وهذا بالضبط هو ما عز فهمه على جهابذة التسطيح فى دنيا الفكر السياسى فى مصر ، والذين عجزوا عن الارتفاع الى مستوى الاحاطة بعلوم المتفلسفين او بحكم الشعبيين . وتجاوزتهم مصر ، مصر التى كان لها شرف منازلة اغلب — ان لم يكن كل — صور الاستعمار التى عرفتها البشرية ، ابتداء بالغزاة الهكسوس ، ومرورا بالحبشيين فالفرس فاليونانيين البطالمة فالرومان فالصليبيين فالتتار فالاتراك فالفرنجة المحدثين من فرنسيس وانجليز، وانتهاء بالكولونيالية الامريكيـة ذات الاذرع الصهيونية . ومن رصيد المقاومة والصراع الذى اختزنته الذاكرة المصرية الواعية ، حددت مصر على لسان عبد الناصر ، ومن بعده على لسان الرئيس **انور السادات** ، مستويات ثلاثة يجرى عليها الصراع مع العسكرية الصهيونية المدعومة بالامبريالية الامريكية ، وهذه المستويات هى :

المستوى الاول : المقدرة الذاتية المصرية .

المستوى الثانى : الدعم والتعاون العربى .

المستوى الثالث : الصداقات الثورية فى عالم الصراع ضد الاستعمار والعنصرية .

وتستهدف الفقرات التالية فى المقال بيان العلاقة بل التداخل الجدلى بين احداث اكتوبر ، وبين ما سبقها من احداث على مدى العشرين عاما الماضية من تاريخ مصر ، وتوضيح **كيف استطاعت القيادة السياسية المصرية** فى حرب اكتوبر **ان تستثمر** فى ذكاء **مقطع النظير جميع التراكمات الايجابية لحركة الثورة المصرية** تحت زعامة

عبد الناصر لصالح الشعب المصرى ولمصلحة النضال العربى .

١ ــ المقدرة الذاتية المصرية : على هذا المستوى من مستويات الصراع تجسدت روعة الانجاز ، وعظمة الاداء ، وشجاعة العطاء فى العمل على محورين رئيسيين هما :

١ ــ تمويل المعركة : ولم يعد خافيا على أحد الان أن مصر قد وجهت لاعادة بناء قواتها ولخوض المعركة ثم لتبعات ما بعد العبور ما يزيد على العشرة مليارات من الجنيهات ،وقد أكدت القيادة السياسية ، والقيادات التنفيذية ، والقيادات العسكرية ايضا ، انه لولا القطاع العام لاستحال توفير هذه التراكمات المالية اللازمة ، وبالطبع نائنا لسنا فى حاجة الى ان نذكر المطلعين ان عبد الناصر كان له شرف التوقيع على قرارات اقامة القطاع العام فى مصر وفى بداية الستينيات، ولسنا فى حاجة أيضا لان نذكرهم ان قسما من الذين انتسبوا الى القطاع الخاص الذى يتباكون عليه كان مشمولا فى هذه المرحلة « بنهجه الشورى» فى عوائم الشوارب وتهريب اللوريات والسيارات الخاصة فوق جثث القوانين القائمة وتتئذ ،ولا ان نذكرهم ايضا بالجهد البطولى الذى قامت به شركات المقاولات [ق.ع] اثناء حرب الاستنزاف الاولى ٦٩ــ٧٠ ، لانشاء قواعد الصواريخ ،واثناء حرب الاستنزاف الثانية بعد العبور ،ثم اخيرا اثناء اعادة تعمير مدن القناة ، ولعل هذا يفسر لهم سر العناء الذى يلقاه القطاع العام الذى يطالبون بالاجهاز عليه فورا ليخلوا الجو لقطاع البانى الفاخرة والشقق المفروشة .

٢ ــ حشد القوات : استطاعت مصر ان تدفع الى المعركة بما يربو على المليون من خيرة جنودها وليست العبرة بكثرة العدد ، ولكن العبرة نوعية المقاتلين الذين استطاعوا ان يتعاملوا التكنولوجيا العصرية وان يتعاملوا مع اعقد الاسلحة ، ولم يكن هذا ليتم لولا ان اغلبهم من المؤهلين علميا. وهكذا تاكد ان مصر ليست قادرة فقط على توفير هذا العدد الضخم من المتعلمين للقتال ، ولكنها قادرة ايضا على ضمان استمرار عمليات التنمية والادارة فى مسارانها اليومية .وقد كانت هذه النتيجة المنطقية لمجانبة التعليم الشاملة ولشعبيته ــ فى كافة المراحل ــ التى تولت ثورة يوليو تبعاتها حين تررت التحول بمصر الى طريق التنمية الاشتراكى فى عام ١٩٦١ م .

ب ــ الدعم والتعاون العربى : وعلى هذا المستوى من مستويات الصراع يمكن حصر اتجاهات خمسة للتعاون والدعم والتنسيق بين مصر وبين بقية الدول العربية شعوبا وحكومات.

١ ــ التاييد الجماهيرى : رغم ان طرح قضية الوحدة العربية والمشاعر القومية العربية على المستويات الفكرية [ابو خلدون ساطع الحصرى مثلا] وحتى الحكومية [عرض الحكومة السورية للوحدة مع مصر عام ١٩٤٨] ، اسبق من ثورة يوليو واسبق من عبد الناصر ، الا ان عبد الناصر بالتحديد يرجع اليه الفضل كل الفضل فى نقل القضية الى المستويات الشعبية والجماهيرية ، وفى جعل هذه المشاعر القومية نبضا يوميا دافئا فى ضمير المواطن العربى .

٢ ــ التنسيق السياسى : وتمثل ذلك فى الاتصالات المستمرة بين الدول العربية على المستويين الشعبى والحكومى ،وتوج ذلك بمؤتمرات او بؤتمرات القمة . ورغم ما حدث من خلافات او تناقضات بين مصر وبين بعض الدول العربية فيما مضى [اذا استثنا الفترة قائما بين عبد الناصر، وبين بعض الزعامات العربية] ، الا ان التنسيق العربى الكامل كان حلم عبد الناصر الذى يذكر له انه أول من سعى لعقد مؤتمر قمة عربى فى عام ١٩٦٤ م ، والذى يذكر له ،أول ما يذكر ،انه قضى ومضى الى رحاب ربه وهو يجاهد من خلال واحد من أهم مؤتمرات القمة فى سبيل توحيد ــ بل انقاذ ــ الصف العربى فى فترة من احلك الفترات فى سبتمبر ١٩٧٠ م . وكان طبيعيا ان يستلهم مؤتمر القمة العربى الاخير والذى عقد فى نهاية ١٩٧٤ م [مثلا] جميع الايجابيات ، وان يتجاوز جميع السلبيات التى عاشتها تجارب القمة خلال السنوات العشر الماضية ، ليظهر بذلك القدر من الكمال الذى ظهر به .

٣ ــ الدعم المالى والعسكرى : يمنعنا الحياء المصرى هنا من اعادة التذكير بالمساعدات الاخوية التى قدمتها مصر [قبل الثورة وبعد الثورة]

لجميع الدول العربية ، ما عرف منـــها الرخاء البترولي وما لم يعرفه ، سواء في مجالات الدعم العسكري للتحرير ، او لحمـــاية الحـــركات الثورية ، او في مجالات المعون الاقتصادي ، او في ميادين التعليم والصحة والخـــدمات ... ولذلك نكتفي بان نقول **ان الاشقاء العـــرب حين يدعمون موقف مصر انما يؤدون واجبا عليهم،لاخوة لهم أصحاب حق .**

٤ ــ الضغط بسلاح البترول : يخطئون خطـــأ فادحا ــ ان لم يكونوا ســـاذجين ــ هؤلاء الذين يتصورون أن الحكومات العربية قـــد استخدمت سلاح البترول في عام ١٩٧٣ مجـــاملة لبعـــض القيادات السياسية ، ورفضت استخدامه في عام ١٩٦٧ نكاية في قيادات سياسية اخـــرى . ففي الحقيقة ان الظروف الموضوعية الســـائدة في السنوات الاخيرة ، والمتمثلة في نقص مصـــادر الطاقة في الغرب ، ووجود التراكمات الماليـــة لدى الدول المنتجة ، والتوازنات الدولية والوفاقية القائمة ، هي التي جعلت قطع البترول او خفض انتاجه واردا ، وجعلت الحكومات العربية تقـــدم على مواجهة الدول الصناعية كبرت أو صغـــرت ... وفي هذا المجال يذكر لثورة يوليو فضـــل الريادة في مواجهة الاحتكارات الاجنبية والاستغلال الاستعماري في وقت مبكر حين أممت قنـــاة السويس والممتلكات الفرنسية والانجليزية في عام ١٩٥٦ ، ويذكر لها ايضا انها ســـاعدت على التعجيل بمحاولات الخـــلاص من الســـيطرة الامبريالية في اجزاء كثيرة من الوطن العربي .

٥ ــ اغلاق باب المندب : اجيـــح المحللون السياسيون والعسكريون على ان اغلاق مصر باب المندب بموافقة حكومة اليمن الشعبية في وجـــه اسرائيل كان ضربة استراتيجية قاضية ، وهكذا جاءت حرب اكتوبر بالدفاع الذي لا ينقض مـــا أسماه المحللون بالتـــورط المصري في اليمن ، وتأكد اليوم بعد النظر في الاستراتيجية الناصرية، فذهاب الجيش المصري الى اليمن الشمالية ضد عنها زحف وعـــداء الاستعمـــار ، ودفـــع حركة التحرير الشعبية في اليمن الجنوبيـــة الى الامام ، وعجل بحصوله على استقلاله لتتـــولى شئونه سلطة تقدمية ، ولولا ثورية هذه السلطة لما أمكن اغلاق باب المنـــدب في وجـــه الملاحـــة الاسرائيلية .

ج ــ عالم الاصدقاء : رياح الدعم والتاييـــد العالمية التي هبت على مصر الثورة في أكتـــوبر اتتها من جهات ثلاثة هي :

١ ــ الاتحاد السوفيتي وكتلة الدول الاشتراكية .

٢ ــ مجمـــوعة الدول غير المنحـــازة [الكتلة الافروآسيوية] .

٣ ــ مجموعة الدول الافريقية .

ورغم التجني الذي مارسته الاقلام غير المسئولة على الاتحـــاد الســـوفيتي ومجمـــوعة الدول الاشتراكية فانه تبقى حقيقتان اساسيتان لا يمكن طمسهما ، واولاهما اننا خضنا حرب أكتـــوبر وحققنـــا ما حققنـــاه بالســـلاح السوفيتي، وثانيتهمـــا ان الكتلـــة الاشتراكيـــة ايدت ــ ولا تزال تؤيد ــ وجهة النظر العربيـــة على طول الخط وباصرار لا يعرف المساومة وعلى كافة المستويات ... وبالطبع فان الجميع يعلمون أن الانفتاح على عالم الصداقات الاشتراكية انجـــاز يوليـــوي بدأته مصر عام ١٩٥٥ ، واســـتثمرت ايجابياته في ١٩٧٣ .

أما عن مجموعة عدم الانحياز فيكفي ان ننبـــه الحالدين الى ان **الرئيس السادات** ، في مؤتمر عدم الانحياز الذي عقد في الجزائر قبل حـــرب اكتوبر باسابيع قليلة ، حين اراد تقديم الجهـــد المصري في خلق وتدعيم التكتل النحـــرري لدول العالم الثالث الى المؤتمرين راح يذكر الجميـــع برياده عبد الناصر (**مع تيتو ونهرو**) لعـــالم عدم الانحياز ونضاله في سبيل قضاياه .

وفيما يتعلق بمجموعة الدول الافريقية ، فيكفي ثورة يوليو فخرا ، ان القاهرة قد فتحت صدرها ومدت يدها لجميع حركات التحرير الافريقيـــة بغير استثناء ، وانها قامت بدور اساسي في اقامة ودعم منظمة الوحدة الافريقية ، وانها قاتلت مع الافريقيين في اخلاص وشجاعة ضد كافة النظم العنصرية والاستعمارية في القارة الام ، حتى كانت حرب اكتوبر فوقفت شعوب افريقيا جميعها الى جانب مصر الثورة ضد العنصرية الصهيونيـــة المؤيدة بعسف الامبريالية الامريكية .

[٢] الدولـة والثـــورة والشـــعارات المزيفـــة

سـعيد خيـال

ثورة يوليو هى ثورة الشعب المصرى وأروع انجازاته فى العصر الحديث . هى ثورة شعب وليست ثورة فرد . وبما جمال عبدالناصر الا بفجر الثورة وقائدها وقد وثق الشعب المصرى به ثقة كبرى واعتز بقيادته حتى النهاية . ولا نكران انه قد حدثت فى أطوار الثورة المتصاعدة أخطاء وتجاوزات ، كانت محل رفض من الطلائع الثورية الشجاعة بمختلف مدارسها . لكن هذا لم يقلل من التفاف الجماهير حول الثورة وقائدها . ان تاريخ مصر المعاصر يتألق بثورة يوليو ، وان معاداة الثورة هى معاداة لشعب مصر والتهجم على جمال عبد الناصر هو تهجم على هذا الشعب البطل وعلى التاريخ . هى ثورة الشعب المصرى ضد الاستعمار ، الثورة الوطنية . ثم هى ثورة طبقية ، ثورة العمال والفلاحين ولنصارهم من المثقفين الثوريين ضد الاستغلال والاستعباد . الثورة الاجتماعية . والثورة الاجتماعية مستمرة . فلا يزال فى مصر تخلف فى كثير من المجالات ، ولايزال فى مصر طبقات مستغلة ورجعية تنشط لتوسيع نفوذها على حساب التقدم وضد منافذه وهدم دعائمه وطلائعه .

ما هو موقف الدولة من المصالح الطبقية والاتجاهات الاجتماعية المتعارضة ؟ لقد اجابت ثورة يوليو على هذا السؤال اجابة شافية . حسمت الاختيار وحددت المسار . وكان جوابها عمليا ونظريا من خلال الانجازات الثورية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومن خلال ميثاق العمل الوطنى وما تلاه ... القول الفصل كان ان الدولة هى دولة الثورة ، دولة قوى الشعب العامل ، تعتمد فى الاساس على العمال والفلاحين ولذلك ضمنت لهم حدا أدنى من التمثيل فى المجالس المنتخبة بما فيها مجلس الشعب لا يقل عن نصف المقاعد . القول الفصل أن أساس المجتمع هو العمل ، العمل شرف والعمل حياة ، فلا يكون الجهل ارثا والعلم ارثا والفقر والغنى ارثا بل لابد من المساواة فى الفرصة .

وكان القول الفصل ان دولة الثورة لاتحمى الاستغلال بل تعاديه ، وتسعى لتحقيق مبدأ الغاء استغلال الانسان للانسان ، وتذويب الفوارق بين الطبقات المتحالفة بخ تصفية مصالح ومواقع الطبقات الرأسمالية المستغلة .

واعلنت دولة الثورة التزامها بالتخطيط العلمي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وصولا لبناء النظام الاشتراكي في مصر . هي اذن الاشتراكية العلمية رغم انف جهابذة الرجعية ومزيفي الشعارات ، لانها – كما جاء بالميثاق – القادرة وحدها على تقديم الحلول لمشاكل المجتمع . لقد عادوا الى الخديعة والغش بصك الشعارات المزيفة . فيقولون اشتراكيتنا .. كما يقولون عمارتنا وعزبتنا .. تملكوها هي أيضا » اشتراكيتنا اشتراكية الغنى لا الفقر .. اشتراكيتنا اخلاقية .. اشتراكيتنا مؤمنة وليست مستوردة . ولها مثيل في انجلترا وفي السويد .. الخ . وكلامهم هذا ليس فيه ذرة من العلم ولا مثقال ذرة من الاخلاق .

هل انتم انصار للاستغلال أم ضده ، وهل انتم عاملون على اذابة الفوارق بين الطبقات أم على تكريس الطبقات وقهر العاملين . هل انتم مع الثورة أم مع الثورة المضادة ؟

ويا أيها الضعفاء بأنفسهم الاقوياء بمناصبهم باسم من تتحدثون ؟ هل باسم الاغلبية التي طال حرمانها ، باسم العمال والفلاحين وأهل الثقافة والعلم ؟ هؤلاء هم أصحاب المصلحة في الثورة وفي الاشتراكية وانهم منكم براء . أنتم تتحدثون باسم القلة المستغلة فقولوها صراحة .. أنكم أعداء للاشتراكية وتدعون لطريق آخر .. لكنهم لن يفعلوا لانهم لا يملكون شجاعة الصراحة . ان الانسان ليتعب في البحث عن صفحة جهاد أو سطر تضحية أو اهتمام عام خارج الذات والانا لواحد منهم ، فلا يجد الا العدم . فبأي حق اذن يتصدر هؤلاء ويحتلون المراكز ؟ معاذ الله أن يقود الانانيون الامعات الشعب المصري الذي تمرس بالنضال وتفتح بالوعي وصنع ثورة يوليو المجيدة .

وكما كان أسلافهم برادع للانجليز كما وصفهم **سعد زغلول** ، فانهم اليوم برادع للاستعمار الجديد وزعيمته أمريكا . يحرقون له البخور ويزينون وجهه القبيح ويرمون ضوابط الانفتاح الاقتصادي بالبيروقراطية والتعقيد ، ويتهمون الحريصين على الاستقلال الوطني ، والاقتصاد القومي بأنهم مصابون بالعقد النفسية .. أبدا لا يناقشون ولا يردون على الاعتراضات والتحفظات وكل بضاعتهم القذف والتشهير والاتهام . وان حقيقة دعوتهم هي لسياسة الباب المفتوح أمام الرأسمالية العالمية لتدعيم مواقع الرأسمالية والقطاع الخاص في مصر وبذلك تتسع الفرص أمام استغلال جموع العاملين وتزداد القدرة على التحكم والارهاب . وانهم لينطلقون الان في نهم شديد للعمولات واتعاب الوكالة وأرباح الصفقات في الاستيراد والتصدير والمضاربة ، يقتطعونها من عرق الشعب المصري ودمه في اصرار وقسوة لا تقل عن قسوة شيلوخ في اصراره على اقتطاع رطل اللحم من جسم مدينه . وكلما شكا الشعب من وطأة الغلاء وقسوة العيش قالوا انها المعركة .. والتاريخ لم يعرف معركة وطنية بوجهين ، وجه للشعب يحمل التضحية والتقشف ، ووجه للقلة المستغلة يحمل الثروة وبذخ الاسراف .

لابد من استرداد كل ما استقطع من قوت الشعب وعرقه ، وهذا ما توجبه الطهارة الثورية . ولابد من تنحية المسئولين عن التسيب وفتح ابواب النهب والاستغلال امام النشاط الطفيلي . ولابد من اعادة سيطرة الدولة على قطاع الاستيراد بالكامل . ان البضائع الاستهلاكية المستوردة انتشرت في طول البلاد وعرضها . والمؤكد بداهة أن أثمانها خرجت من مصر – عملة صعبة او بضائع وخدمات . ومن غير المعقول أن تتسع مصر لقلة مستغلة تعيش على المستورد في وقت التقشف والمعاناة . كذلك لابد من اعادة قصر الوكالات التجارية للشركات الاجنبية على وحدات القطاع العام فلا معنى لفتح هذا الباب أمام الافراد لتحقيق ثراء فاحش يعلى على ثمن البضاعة ويتحمله في النهاية الشعب المصري .

ان سياسة تقديم التنازلات للنشاط الفردي وللقطاع الخاص هي المسئول الاول عن هذا التسيب الذي يقلق الجبهة الداخلية ، ويولد عنف الصراع . وقد حدد **الرئيس السادات** من جديد في رسالة لرئيس مجلس الشعب ورئيس الحكومة دور القطاع الخاص فقال « **ان علينا ان نشجعه ونوجهه نحو تنفيذ اهداف الخطة والتنمية** » . فعلى

الحكومة أن تضع هذا التوجيه موضع التنفيذ . وليس من الاهداف أن يثرى الطفيليون على حساب الشعب . ورسالة الرئيس واضحة فى هذا حيث قال « **اننا نسعى لصالح التقدم الاقتصادى لجماهير شعبنا ونرفض أن يكون جهدنا لاثراء فئة محدودة على حساب الاغلبية الساحقة** » . على الحكومة اذن أن تضع هذا موضع التنفيذ .

والمسلم به أن القضاء على مصادر الدخول الطفيلية هو العلاج الحاسم الذى تفرضه مبادىء ثورة ٢٣ يوليو وحصولا لمجتمع العمل والاجر على انقاض مجتمع الملكية والريع . والامر يتطلب اجراءات كثيرة توجبها الضرورة ، ومنها استكمال نقل تجارة الجملة للقطاع العام لضمان عدالة التوزيع ومنع المضاربة والسوق السوداء .

ولا يمكن بأى حال من الاحوال اعتبار سياسة فرض الضرائب بديلا عن الاجراءات الثورية لتصفيه الاستغلال . والقول بغير ذلك يعتبر خروجا صريحا على مبادىء ثورة يوليو وطلائعها للاشتراكية . لان الاشتراكية تعنى بصفة موقع الاستغلال وطبقاته . أما الضرائب فتنطوى وتقوم على الاعتراف بالاستغلال وحفظ مصالح طبقاته .

وهذه الحقائق تعرفها الرجعية جيدا . وهى لهذا تعادى ثورة يوليو وتتفنن فى هالة التراب عليها . فهم يكبون ويندمدون عن الماضى الاسود ، وعن الكوارث والخراب الذى حل بمصر . ويضعون عهد انور السادات فى مواجهة مع عهد عبد الناصر . والقصد واضح وهو ان الثورة ليست مستمرة وان بعضها يبصق على البعض الاخر ، وان السادات نقيض لعبد الناصر . والحقيقة ان تاريخ السادات هو تاريخ الثورة فهو منها وهى منه . لكننا نتصدى لمناورات الرجعية وعملاء الاستعمار منها لتضليل الشعب ودعاها لك يروجون له من أن مصر تعود الى مجتمع ما قبل الثورة .. ان الثورة مستمرة ولم يصدر عفو عن الثورة المضادة ولن تمكنها قوى الشعب العامل من اعادة عجلة التاريخ الى الوراء . ولا تملك الدولة ولا تستطيع أن تقف فى هذه المعركة على الحياد . فهى دولة الثورة ولا تعليم فى المبادىء ولا مساومة . أما التطبيق فمقابل للنقد التاريخى استخلاصا للدروس واستمرارا فى تصفيه الاستغلال الطبقى ، وبناء المجتمع الاشتراكى السليم . أن الذين يخرجون على هذا الخط ، ويروجون الشعارات المزائفة عن الحرية والديموقراطية لا يخدعون الا أنفسهم . ودنى ثورة يوليو من التجارب ما يغنى عن الاجتهاد فى هذا الصدد وما يعصم من الانتكاس .

قال جمال عبد الناصر فى المؤتمر التعاونى الثانى عام ١٩٥٦ : « **لقد مرت بالشعب المصرى محن كثيرة واحداث عظيمة ولكنه لم يكن يستسلم للخديعة .. كان الشعب يسمع الكلام والوعود والعبارات الطنانة عن الحرية والديموقراطية وكان يحس بأنه يلمس هذه الديموقراطية يستغل الشعب وتوضع السلاسل فى عنقه من أجل تحقيق منفعة عدد قليل تجمع وتآمر لكى يتمتع بالسلطة والسلطان ويثرى ويستغل نفوذه** » .

وفى العيد العاشر للثورة قال **عبد الناصر** : «الديموقراطية الاشتراكية هى ديموقراطية الشعب الذى يعمل ، الشعب العامل الذى له الحق فى نتاج عمله وله الحق فى بلده .. ديموقراطية الشعب العامل الذى صمم على ارساء العدالة الاجتماعية والذى صمم على نقل ملكة وسائل الانتاج الى الشعب والتخلص من الاستغلال الاقتصادى والاجتماعى والسياسى ، والذى صمم على ان يعزل الرجعية ولا يتحالف معها ولا يضعها ضمن اطار اتحاده الاشتراكى العربى » .

وفى مؤتمر القوى الشعبية عام ١٩٦٢ **قال عبد الناصر** : « **والرجعية تتشكل وتتلون لكى تدخل العناصر الوطنية اذا وجدت الفرصة تنقض ثم تتوانى بل انها تعمل دائما على ان تتقض لتسلب الدولة وتسيطر عليها ثم تستخدم الدولة لارهاب العناصر الوطنية ، ولارهاب طبقات الشعب العاملة . هذه هى الغلطة التى تنبهنا اليها فى الاتحاد القومى** » .

وقال كذلك « ان الفكر الثورى فى تلك الفترة « ما قبل الاتحاد الاشتراكى » وقع فى الخطأ حين توهم أن الطبقة المحتكرة التى كان لابد أن تسحبها الثورة امتيازاتها الاستغلالية يمكنها أن تقبل

الوحدة الوطنية مع قوى الشعب صاحب الصفحة في الثورة » .

وفي خطابه عام ١٩٦٣ في احتفالات السد العالي قال :

« ان الرجعية والاستعمار يعتمد على بعض اعوانه في البلاد العربية حتى تدعم الرجعية لان الرجعيين في البلاد العربية يعتبرون انصار العدالة الاجتماعية وتحقيق الاشتراكية بمعناه القضاء على الرجعيين قضاء تاما في جميع انحاء المنطقة العربية »

هذه بعض تجارب الثورة الرائدة يحورها عبد الناصر في وضوح ، وستبقى نضيء معالم الطريق الوطني لبناء الاشتراكية .

ان مطالبة قوى الرجعية بقيام الاحزاب تؤكد ما قاله عبد الناصر من انهم لايقبلون الوحدة الوطنية مع قوى الشعب العامل . لقد انهى الرئيس اسعادات العزل السياسي ، كما قرر الغاء شرط عضوية الاتحاد الاشتراكي للترشيح ، وتولى المناصب القيادية . وانعدم التمييز بين قوى الثورة وقوى الثورة المضادة . ومع ذلك فهم يرفضون الاتحاد وينادون بالاحزاب .

واننا نتحفظ على عدم التمييز بين قوى الثورة والثورة المضادة لأن جواز ذلك في رأينا مشروط بقبولهم لمبادىء الثورة والتزامهم بالتحالف ، اما عن الحزبية والاحزاب فيكفي أن نورد ما قاله الرئيس السادات في كتابه معنى الاتحاد القومي .

« فقد يقال لماذا لم ينص الدستور على حرية تاليف الاحزاب مثلا بدلا من الاتحاد القومي ويكفينا الرد على هذا بنقطة واحدة . فمعنى تاليف احزاب انه سوف يوجد اكثر من حزب يسعى كل حزب وجهة نظره الخاصة في مختلف قضايانا الخارجية والداخلية .. وطبقا لنص الدستور سيكون من حق حزب كهذا ان يزاول نشاطه ويصدر صحفا ويعقد اجتماعات ويدعو لرأيه بكل مافي طاقته من قوة ،ولا يستطيع كائن من كان أن يعترض على شيء من هذا .. تماما كما كان يحدث ايام الملك .. ومعنى وجود حزب كهذا انه لم يكن ثمة داع لقيام الثورة اصلا . معناه ان الدستور ينتكر لكل الخطوات الحاسمة التي خطاها شعبنا . معناه ان نعود الى الوراء . وقد يقول قائل ايضا لماذا لم يسمح الدستور بتجربة قيام الاحزاب داخل نطاق مقاومة الاستعمار والصهيونية ايجابي ؟ وهذا القول بعد في حد ذاته لغوا . فمعنى هذا أن يسمح الدستور [بحرية] قيام الاحزاب ، وفي نفس الوقت لا يسمح لها بحرية برامجها . بمعنى انه يأخذ باليمين مايعطيه باليسار ، لانه يوجد الاحزاب وينفي وجودها في نفس الوقت . وحتى اذا فرضنا جدلا وحدث هذا فيه قيمة لتعدد الاحزاب في ظل برنامج واحد.ثم من الذي يراقب الاحزاب ليرى ان كانت تعمل داخل هذا النطاق أو تعمل خارجه . ومن الذي يتولى عقابها او الغاءها او لفت نظرها ؟ الا يعد هذا حينئذ مهزلة ؟ » .

وما اشبه الليلة بالبارحة ، وخاصة بعد زوال مرحلة الاتحاد القومي وبداية مرحلة الثورة الاجتماعية لبناء الاشتراكية وقيام تحالف قوى الشعب العامل ..

الميثاق هو دليل العمل وهو ليس قيدا على الثورة بل سلاحا لها . والاشتراكية هي الهدف واتحاد قوى الشعب العامل هو قوة الدفع الثوري . وعلى هذا الاساس نمضي على الطريق، نصحح الخطأ ، ونستكمل النقص ونلتزم بالمبادىء وننفذها بحق ، ونقول للخارج عليها قف من انت ؟ ونرسي قواعد الديموقراطية الاشتراكية .

ان الرجعية المصرية اضعف من ان ننصب طوبها وهاهي على المكشوف تستند على ذراع الاجنبي . فلا ينخدع احد بشعاراتها عن مصر والوطنية وعن الحرية والديموقراطية فهي تزييف وخداع ، وليس اخطر على الثورة من الانزلاق الى الليبرالية .

مقالات

من بريد « الطليعـــة »

من بين الرسائل العديدة التى تلقتها « الطليعة » خلال الشهر الماضى من قرائها ، نقدم فى هذا العدد بعض النماذج لعلها تعطى صورة لحقيقة الحوار الذى يجرى فى أوساط الجماهير التى تستطيع ان تجد الرأى الصحيح ، لكن رأيها لا يجد سبيله النشر . نقدم خمسة خطابات احدها من مقاتل فلسطينى جريح والآخر من مقاتل مصرى من مقاتلى حرب اكتوبر ، وخطاب من عامل وآخر من فلاح أما الخطاب الخامس فهو من كاتب اردنى .

افتعال الخلافات يضر بالوحـــدة الوطنية

جاءنا من أحد الاخوة الفلسطينيين فى سوريا الخطاب التالى نقتطف منه الفقرات التالية :

لقد جذب انتباهى النقـــاش الدائر على صفحات العدد [١١] و [١٢] من مجلتكم حول الماركسية والالحاد .ولعل الجدل الدائر حول هذه القضية المجردة ما كان له أن يستقطب اهتمامى لولا الجانب العملى له ، ولما قد يتمخض عن هـــذا الجـــدل النظرى من آثار سياسية واجتماعية سلبية .

ومع اننى لا أرغب فى أن يستمر الجدل حوله فترة أطول من اللازم .. ومع أننى أرى أن اثارة هذه القضية قد تكون خاطئة وضـــارة وطنيا وفى هذه المرحلة بالذات كيـــلا يستفيد من ذلك المغرضون . وبان حسم هـــذا الموضوع ليس بالامر السهل ولو على صفحات الكتب والمجـــلات ، الا أننى وجدت فى تجربتى الشخصية ما قـــد يخفف من حدة النقاش الحامى الوطيس .. فأنا انسان مسلم وماركسى وان كان هـــذا فى نظر الـــكثيرين أمـــرا لا [يركب] على عقـــولهم ، الا أننى أشعر بالانسجام التام فى جمعى وتوفيقى بين الماركسية والاسلام . فأنا بايمانى وضميرى وأخلاقى بمشاعرى وأحاسيسى وسلوكى مسلم صحيح ، وبوعيى مسلم وماركسى . فالماركسية علم فهل ثمـــة ما يضير المسلم فى أن يؤمن بنظريات علم الفيزياء أو الكيمياء والفلك والاحياء والنفس والتى هى الاخـــرى تـــدرس العالم كما هو موجود ؟ أقول : أفلا أقدم بتجربتى الذاتية عينة حية وملموسة ؟ وذات فائدة وما قد يلقى على القضية ضوءا ما ؟

ومن هنا أرى أن التركيز على ــ وابراز ــ الصراع والخلاف على وحول الايمان أو الالحاد و.. و .. الخ .. على حساب قضـــايا التحرر الوطنى والتقـــدم الاجتماعى واثارة الموضوع بهذه الطريقة أمر يقصد من ورائه ــ فيما يقصد ــ تمرير أمور خطيرة منها : أولا تحويل الانظار عن العدو الحقيقى الى عدو رهمى . بحيث يصبح العدو صديقا والصديق عدوا وهـــذا يسمى احيانا جنونا أو انتحارا . وطاقة اكثر أونكيشرنية .

ثانيا ــ اخفـــاء الصراع السياسى والاقتصادى . وثالثا ــ التستر خلف شعار الدين لاخفاء الجرائم السياسية والاقتصادية المرتكبة بحق الشـــعوب والظهور بمظهر الحمل الوديع وبنفس الوقت تحميـــل القـــوى الوطنيـــة والديمقراطيـــة المســـئولية لمحـــاولة اسقاطها سياسيا وبالتالى لشن هجمة اقتصادية عليها .

ومن هذه المنطلقات وخوفا من الوقوع فى فخاخ الاستعمار أو فى الالتباس . فأنا أبعد بينى وبين الاخر وجهة النظر الفلسفية وابحث عن أوجه التـــلاقى

الوطنية والسياسية والاقتصادية وهكذا التقى مع المسيحي واليهودي والبوذي والملحد الذي يقف الى جانب قضيتي الوطنية و ... و ... الخ .

مع كل من يقف ضد الاستعمار واسرائيل . الى جانب بناء الاقتصاد الوطني والديمقراطي . ضد التخلف والجهل والاستغلال .

ومن ناحية أخرى أرى أنني وكافة الناس نعيش ونتصرف ، نحس ونفكر ونعمل حسب تربيتنا وما تمليه علينا الظروف والرغبات والمصالح الاقتصادية وأخيرا حسب معتقداتنا . ومن ناحية أخرى أرى أن ايماني بالله وتمسكي بروح الاسلام يدفني بطاقة لعمل الخير . للنضال ضد الاستعمار واسرائيل وعملائهما وضد الاستغلال والظلم بكافة اشكاله وايا كان . وان التقى مع كل من يعمل من أجل نفس الاهداف مهما كان دينه أو معتقده ..

وأخيرا اسأل من يريدون تعصيب أنفسهم قضاة جددا لمحاكم تفتيش مكارثية . من رأيهم في ؟

ـ تقييم حرب تشرين التي خضناها ضد اليهود المؤمنين بالله والذين جندتهم الصهيونية لمحاربتنا ؟

ـ استشهاد ماركسيين وملحدين أعرفهم شخصيا في حرب تشرين والتي اصبت فيها ولا ازال حتى اليوم متعذبا بسببها ؟ هل كل هذا باطل في باطل ؟؟

ـ عليت بؤخرا أن مسلمين من طوائف مختلفة قد قاتلوا ضدنا في حرب تشرين مع الجيش الاسرائيلي .. فهل ظالم حق لكونهم مسلمين ؟؟ . كما عليت من القاديين من الضفة الغربية أن هربيا فلسطينيا ومسلما ويصلي ايضا قد قتل في الحرب فهل نلتقون معه وتعتبرونه شهيدا له الجنة في حين يعرف الجميع أن مئات من رجال المقاومة والذين استشهدوا هم ماركسيون بعضهم ملحد هل نعتبرهم كفارا تتوجب علينا محاربتهم ولن لهم النار ؟؟ .

وأخيرا ما رأيكم أن نطلب من شركة أمريكية الكترونية جهازا يصنعونه لكم خصيصا لفحص الايمان والحكم على ما في الصدور فربما تكون هذه الشركة هي وحدها القادرة على تصميم مثل هذا الجهاز .

وفي الختام أرجو المغفرة من الله سبحانه وتعالى . وشكرا لمجلتكم اذا تفضلت ونشرت لي هذا الحديث وعلى مسئوليتي .

فتحي رشيد

دمشق ـ حي اليرموك

قرار تسعير العسل الأسود

النتائج والمحاذير

اصدرت الحكومة في آخر عام ١٩٧٤ قرارا بتسعير العسل الاسود بسعر سبعة وثلاثون جنيها ونصفا للطن ، معاً تسليم العسلوات .

ويعد هذا القرار ـ الخطوة الثالثة ـ في محاولة الحكومة تطويق مشاكل صناعة السكر في مصر والقضاء عليها .. ولكن لكي نعي تماما أهمية هذا القرار ، لابد أن نتطرق سريعا الى الخطوات التي اتخذتها الحكومة من قبل في هذا السبيل .. وأهمية القرار الثالث بالنسبة لهذه الخطوات ، التي تمت كلها في النصف الثاني من عام ١٩٧٤ . فقد وجدت الحكومة أن أزمة صناعة السكر في مصر قد وصلت ليس الى حد ندرة السكر في السوق وارتفاع سعره فقط ، بل الى تهديد مباشر للصحة بالنسبة لاغلب السكان . والغريب انه اثناء البحث عن علاج لهذه الصناعة التي تعتبر من اقدم الصناعات المصرية وأكثرها كفاءة نادت بعض الاصوات باغلاق بعض المصانع

التى تحقق خسائر . ومصنع السكر بابو قرقاص » . وفى المقابل كانت هناك أصوات أخرى أمينة ومخلصة تطالب بضرورة البحث عن الاسباب ، وعلاجها ، وبالطبع أخذت الحكومة بالسراى الثانى ، وكانت اسباب الأزمة ما يلى :

١ ــ أن عدد العصارات قد ارتفع من سنة ١٩٦٥ حتى ١٩٧٣ بما يوازى خمسة أضعاف العدد الذى وصلت اليه من يوم أن عرفت مصر هذه الصناعة ــ فى أواخر القرن الثامن عشر ــ حتى عام ١٩٦٥ وأن معظم ملاك العصارات الجديدة هم من كبار زراع القصب .

٢ ــ أن سعر القصب الذى تتسلمه شركات السكر وكان يتراوح مابين جنيهين ونصف الى ثلاثة جنيهات للطن لم يعد مجزيا بالنسبة للزراع فى ظل الارتفاع الكبير الذى حدث فى سعر مستلزمات الانتاج والعمالة .. مما ترتب عليه ، أما ارتفاع الزراع عن زراعة هذا المحصول اساسا ، أو بيعه لاصحاب العصارات . او انشاء عصارات خاصة بهم .

وفى محاولة لعلاج هذه الاسباب .. صدر القرار الاول .. بوقف الترخيص بانشاء عصارات جديدة ثم صدر القرار الثانى برفع سعر القصب الذى تتسلمه الشركات الى خمسة جنيهات للطن .

ورغم .. ايجابية هذه الخطوات الا انها لم تكن كافية ــ بالفعل ــ لحل المشكلة .. ذلك لسبب بسيط ، وهو ان العصارات دخلت فى منافسة غير شريفة وغير متكافئة مع مصانع السكر . لان سعر المنتج النهائى وهو « السكر » للشركات يسعر فى حين أن سعر المنتج النهائى للعصارات وهو « العسل الاسود » غير مسعر . مما دفع اصحاب العصارات الى المغالاة فى رفع سعر القصب ــ حتى وصل الطن بالفعل الى ثمانية جنيهات ــ وهم مطمئنون الى رفع سعر العسل كما يريدون بما يعوضهم الزيادة فى سعر « المادة الخام » ووصل سعر طن العسل الاسود الى مائة وعشرين جنيها .

وتركزت النتائج المباشرة للمشكلة فيما يلى :

١ ــ حدد كبير جدا من العصارات يستنزف بالفعل انتاج اكثر من ٣٠٪ من المساحة المزرعة .

٢ ــ أن ٩٠٪ من اصحاب العصارات الجديدة هم من كبار زراع القصب .

٣ ــ انخفاض كبير سنة بعد اخرى فى المساحة المزرعة بالقصب . ذلك لان صغار الزراع ومتوسطيهم كانوا يوفدوا تعاملهم مع الشركات . ولم تستطع العصارات أن تسد هم بكل انتاجهم لان اغلبها تفرغ لتصنيع منتجات صاحبها . مما ترتب عليه احتكار فى الانتاج والتصنيع لكبار الزراع وبالتالى فى التسويق .

٤ ــ نقص رهيب فى كميات السكر .

٥ ــ ارتفاع فاحش فى اسعار العسل الاسود .

.... بعد ذلك . وايام هذه المشاكل الفرعية . جاء قرار تسعير العسل الاسود ويكفنا بعده ان نقول سنتهى الصدق والموضوعية . أن المشكلة تم علاجها جذريا .. دون ظلم لاى طرف من الاطراف .. ذلك لو اعتبرنا أن متوسط انتاج فدان القصب من العسل الاسود هو ستة أطنان .. فان قيمة ناتجه تصبح مائتان وخمسة وعشرون جنيها .

واذا اعتبرنا ان متوسط انتاج فدان القصب هو ثلاثون طن . فانه يمكن لاصحاب العصارات أن يشتروا القصب بسعر ستة جنيهات للطن . مما يحقق لهم عائدا معقولا بعد خصم تكاليف الانتاج . وان كان هذا السعر يمثل ميزة لهم عن سعر شركات السكر . الا أن التيسيرات التى يمنحها بنك التسليف للزراع المتعاقدين مع الشركات يمكن أن تعادل تلك الميزة . ولعلنا نعد ذلك يمكن أن نتبين النتائج التى لابد أن تحققها تلك القرارات الثلاثة .

١ ــ انها احدى الخطوات التى تمثل محاولة الحكومة فى حصار رأس المال الطفيلى الذى نما على حساب صناعة السكر فى مصر . والذى لم يكن له هم سوى ضرب شركات القطاع العام التى تعمل فى هذا الانتاج .

٢ ــ انها اثبتت بالفعل انهـا تقى بماتعهدت به وهو معالجة مشاكل التنمية فى مصر بما يتفق مع مصالح الاغلبية الساحقة من الشعب . بعد سنوات من الارتجال والتخبط .

٣ ــ ان مساحة القصب بدأت ــ بالفعل هذا العام ــ تعود الى حجمها الطبيعى بعد ان اصبح السعر مجزيا ــ نسبيا ــ ومايترتب عليه من زيادة انتاج السكر وتوافره

٤ ــ انه يمكن ان نطالب بعد ذلك من شركات القطاع العام ــ دون تعسف ــ ان تثبت قدرتها على المنافسة مع القطاع الخاص .. وسوف تظهر نتائج ذلك المنافسة واضحة للشعب لاختلاف اهداف الانتاج بينهما ففى حين ان اهداف الانتاج فى القطاع العام تتجه لاشباع حاجات الجماهير وخدمة قضية التنمية .. يتجه الثانى لتحقيق اقصى قدر من الثراء الشخصى على حساب اى الاشياء وكل الاشياء .

٥ ــ انخفاض سعر العسل الاسود ، وبالتالى انخفاض اسعار المنتجات التى تعتمد عليه ، ورغم كل ذلك . فان هناك مجموعة من المحاذير تظل قائمة . ولا بد من التيقظ لها حتى تعطى هذه القرارات النتائج المرجوة والمتوقعة لها . وهذه المحاذير تتمثل فيما يلى :

١ ــ الخوف من أن تتكتل مجموعة اصحاب المصارات الجديدة . وهم من المنتجين الكبار للقصب ــ ولا احد يستطيع ان ينكر ثقلهم .
ولقد بدأت بوادر هذا التكتل تظهر بالفعل . بحجة عدم مناسبة السعر . أو انهم اتفقوا مع المتعاملين معهم ــ فى بداية هذا الموسم . على أساس الوضع القديم الذى كان قائما . وأنهم فوجئوا بهذا القرار .

٢ ــ ان القرارين الاول والثالث يظلان حبرا على ورق اذ لم تصاحبهما رقابة فعالة وصارمة ، خاصة وانه ما زالت حتى الان هناك عدد كبير من العصارات يعمل بدون ترخيص .. وانه تلا هذا القرار بعض القرارات الاستثنائية التى لم تكن نود أن تكون ، وبالذات لان اسبابها كلها ، كانت شخصية .

٣ ــ ان شركات السكر اذا لم تستجب لكل النداءات المخلصة التى توجه لها بتبسيط اساليب التعامل مع الزراع الموردين . والنظر اليهم باعتبارهم طرفا فى عملية انتاجية واحدة . وليسوا ملزمين باستمرارهذه المشاركة .. فان الزيادة فى السعر لن تكون دائما لمزيد من التعامل معها .

بقى أن نقول انه وان كنا ما زلنا نطالب برفع سعر القصب لعدم مناسبة هذا السعر مع العائد من هذه الصناعة ــ حيث لم تتجاوز تكلفة كيلو السكر بعد الزيادة الاخيرة فى سعر القصب ثمانية واربعين مليما ــ الا ان هذه الزيادة المطلوبة لابد أن تتم وفق سياسة عامة لرفع سعر جميع المحاصيل الزراعية الاساسية . بما لا يترتب عليه وجود ميزة نسبية لمحصول على حساب محصول آخر .

جمعه عبده قاسم
ماجستير فى الاقتصاد
مقاتل شارك فى حرب اكتوبر

موقف العمـــال من التخـــريب

يحاول اليمين الرجعى وممثلوه ، الاخسرون اعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .. أن يظهروا عمال بلادنا بمظهر المخربين بغية الوقيعة بينهم وبين السلطة الوطنية فى هذه المرحلة الصعبة التى يواجه خلالها شعبنا المصرى البطل تحديات الاستعمار والصهيونية ..

وبفضل هذه الوقيعة وما تسببه من زلزلة فى جبهة الوطنية المصرية ، ســوف يرفع اليمين رأسه ليأكل كعادته الشوك بحنك غيره .. ومن ثم يسترد ســطوته قاتلا فى تبجح .. هــذه بضاعتنا ردت الينا ..

ولكن هذه الوقيعة لن تمر فى ساحتنا الوطنية دون أن تجهض بفعل محتواها الكاذب والمضلل والذى لا يصمد فى مواجهة الحقيقة التى تثبت أن العمال هم وحدهم القوى الرئيسية المنتجة فى المجتمع ، مما يجعلهم يحترفون صناعة الحيــاة التى تكسبهم طبيعة معاداة التخريب والمخربين يشهد بذلك تاريخ الوطنية المصرية عموما الذى يؤكد أن العمال المصريين ابتداء من العقد الاخير فى القرن الماضى قد خاضوا العديد من الاضرابات والاعتصامات والمظاهرات فى مواجهة ســلطة الاحتلال وسلطة تحالف الاقطاع ورأس المــال دون أن ينسب اليهم حادثة تخريب واحدة حيث كان العمــال يحرصون على السلامة العــامة للارواح والاموال بتنظيم الحراسة المشددة على المصانع والالات أثناء معاركهم وذلك حتى يتم تسليمها للبوليس بمحضر رسمى يسجل فيــه بصراحة ثبوت سلامتها العامة ..

وان معاداة التخريب لا تخص العمال المصريين وحــدهم ، بل تخص جميــع عمــال العالم بدليل وجات الاضرابات المستمرة والمتلاحقــة التى تعم أرجاء العالم ، ويشترك فيهــا ملايين العمال بدون أن يرميهم احد بسبة التخريب ..

ولهــذا فان اية مظاهرة عمالية تستهدف مطالب معينة لا تتخطى سلميتها الا بفعل قوى غريبة ومخربة كما حدث فى مظاهرات عمــال مدينة شيكاغو الامريكية فى أول مايو عام ١٨٨٦ التى تمت بضمانة عمدة المدينة . ومع هــذا اندس فى صفوفها بعض مخبرى البوليس الذين القوا بعدد من القنابل على رجال الشرطة ، مما أدى الى محاكمات العمال واعدام أربعة منهم ثم ظهرت الحقيقة من خــلال اعتراف كنسى وجنائزى أدلى به رئيس بوليس المدينة عندما حضره الموت . وعلى الفور توالت احتجاجات العمال فى العالم مما اضطر الحكومة الامريكية الى اعادة المحاكمات وتبرئة العمال ولــكن بعد أن اعدموا .

ومن ثم، فالعمال ليسوا اعداء للتخريب فقط ، بل هم أعداء كذلك للتآمر لانه اذا كان التخريب يهدر جهدهم وعرقهم وما صنعته أيديهم ، فان التآمر يهدر حياتهم وشخصيتهم الانسانية .. وهذا يعنى استمرارية هذا العداء الذى لم يكن فى أى وقت ما مجرد مزاج عمالى ، بل هــو فكر عمالى يضفى على العمل الانسانى ومنشآته ومصانعه حبا واحتراما وقداسة ، وذلك لكون هذه المنشآت وتلك المصــانع ، وما أثمرته من خيرات تعتبر المصــدر الوحيد لرزق العمــال المباشر وغير المباشر . ولكونها أيضا مصدرا لحاجات بشرية غير محدودة ، وفى رحابهــا يحقق العامل ذاته ، وطموحــه المهنى والفنى فتنطلق طاقاته وملكاته المبدعة .. بالاضافة الى أن ملكيتها سوف تعود للكادحين عموما مع تطور الحياة والمجتمع ..

ولعل هذا يوضح موقف العمال من التخريب الــذى هو حرفة اليمين الرجعى ، وممثــلوه الاخسرون أعمالا ، الذين يدبرون حريقا جديدا فى حياتنا الوطنية مستفيدين بخبراتهم السابقة فى تخريب حركة الجماهير الشعبية وفى تخريب كفاحنا المسلح فى القنال وفى خنق محاولة قيام اتحادنا العام للعمال فى نفس العام متآمرين فى ذلك كله مع سيدهم الملك السابق فاروق وأجهزته الخائنة والمشبوهة .

١٩٧٥/٢/٨

عطيه الصيرفى
عامل باتوبيس وسط الدلتا

ماذا يريدون ... ؟

لقد قامت القوى الرجعية في الفترة الاخيرة بحرب شعواء مدبرة ، تساندها المخابرات المركزية الامريكية ، لكي تضرب حركة التقدم العربي والمصرى بوجه خاص ، ولكي تعوق مسيرة التاريخ .. واقول تعوق ولكنها لن تستطيع ارجاع عجلة التاريخ الى الخلف مهما حاولت ذلك .. وهناك فشلها فى آسيا .. وفى كوبا .. وفى أمريكا اللاتينية نفسها . حتى شيلى والارجنتين وبوليفيا .. لان طريقة الصيد فى الماء العكر قد أصبحت أمرا غير مجهول الان .. حتى ولو كان مجهولا يوم تدبير حادث مقتل السردار السير لى ستاك عام ١٩٢٤ فى مصر .. لان الفكر الاستعمارى واحد والفرق هو فى اسلوب التنفيذ وليس فى الهدف .

واليوم نرى العجب .. فى ظل التنظيم السياسى .. نرى السوق السوداء فى كل شىء .. كل السلع لا تصل الى الرجل العادى الا بشق الانفس .. وبعد الموت .. وعلى سبيل المثال .. الفراخ « أتسم بالله اللى اسمع عنها فقط » ، عندما تأتى الى احدفروع الجمعيات الاستهلاكية يقوم السيد المدير بالاتصال بالتليفون بالسيد فلان .. وعلان .. لمعرفة ما هو فى حاجة له ومنهم بالطبع مدير التموين وأعوانه ..ويترتب على هذا الاتى ؟

[١] الفرخة التى ثمنها ٤٥ قرشا بالثلا ، يحصل عليها المواطن الذى يبلغ مرتبه الـ ٥٠ جنيها .. والفرخة التى ثمنها ١٢٥ قرشا ، تكون من نصيب المسكين صاحب الـ ١٢ أو عشرة جنيهات .. وقس على هذا باقى السلع فكم يرتفع دخل الانسان المحترم .. وكم ينخفض دخل المسكين مع أولاده .. فى نفس الوقت الذى قامت فيه الرجعية باغراق السوق بالملابس المستوردة ومربات البيجو ، وارتفع سعر المتر من الارض الفضاء فى مصر لمئات الجنيهات ، والشقة لاكثر من ٢٠ الف جنيه .. كل هذا فى نفس الوقت الذى تذهب فيه أموال الشعب للضياع فى كل مكان ، سواء كان بالتخريب أو الاهمال المتعمد كما جاء فى برنامج كلمتين ومس يوم ١٩٧٥/١/٤ .. على لسان الاستاذ فؤاد المهندس .

وفى نفس الوقت نسمع التهليل والتكبير للملايين القادمة من أمريكا وغير أمريكا .. وهذا هو تخريب الفكرة من الداخل ما دامت عاجزة عن المواجهة ، وعندما تعاونها قوى رجعية لها خبرة ولهادراية بأرض الصراع .. فعندما ذهب طبيب الوحدة الى الفلاح ، وكانت له تطلعات طبقية ، واستغل الفلاح ، كانت الرجعية تصور لهذا الطبيب انه هناك فى الريف للعقاب .. وتصوره للفلاح على انه بكل جشعه واستغلاله وتفريقه فى المعاملة بين العبدة والعامل الزراعى المسكين ، تصوره على انه يمثل الثورة ، ورغم انه كان هناك بعض الشرفاء .. كانت الرجعية تحاربهم هم ايضا بان تصورهم عاجزين لمم الفلاح .. وبعد ذلك جاء دور المشرف الزراعى .. ومافعله مع الفلاح .. وكانت الرجعية حريصة كل الحرص على أن تذهب حق الفلاح البسيط وبعد ذلك تقول له باكية لقد ظلمتك الثورة .. ومع كل هذا لم يكفر الفلاح بالثورة .. ولكنه عرف الاشياء باسمائها ...

من نفس هذا المنطلق تقوم الرجعية الان باحياء نفس المخطط القذر ، لكى تسىء الى القوى الوطنية المناضلة فى سبيل الفلاح والعامل ... قوى اليسار

.. وتنسب اليها حوادث الشغب والمظاهرات ، مستغلة مشاكل الاقتصاد المصرى التى يعرفها رجل الشارع العادى .. لكى تدفع بعناصرها لتدمر القطاع العام والخاص بغير وعى أو ادراك .

وشعبنا رفض كل شىء يعرف من هم الذين وراء هذه المظاهرة ... وعلى الرغم من أن هناك تناقضات فى بعض حالات التسيب فى المال العام وعدم الحزم فى المحاسبة .. وهناك فارق شاسع فى مستوى الدخول .. وهناك ظاهرة الاثراء الفاحش فى مشاريع الاستهلاك واستيراد الكماليات

الا أن هذه الامور لا تعالج بالتحطيم ولا بالطوب ، لان اليسارى يدرك القطار والاتوبيس المدمر لن يدفع ثمنه الوزير ولا المدير .. ولن ينقص هذا من راتبه أو بدلاته شيئا .. ولكن الذى سيدفع هو العامل المسكين الذى يعود من وردية الليل يرتعد من البرد .. والفلاح الذى يصارع البلهارسيا ويعيش على اللفت والبصل كغذاء أساسى حتى الآن ...

اليسار الحر المؤمن بمصر .. مصر الخالدة .. لا مصر الشعارات .. يدرك كل هذا .

ولكن عندما يقوم أدعياء الايمان .. وأصحاب حرية الصحافة الخاصة ليحكموا على هذا بالايمان وعلى هذا بالكفر .. وذاك ملحد شيوعى ماركسى يرحل الى جهنم .. وذاك مؤمن يملك عشر عمارات .. وكذا فدان ، ومستشفى خاص يتصدق فى المواسم والاعياد .. يذهب الى الجنة .

يا سبحان الله ، لقد اتخذوا من الدين ستارا لهم ، واعادوا لنا عصر محاكم التفتيش الدينية ، ومحاكم الارهاب المكارثية .. ولقد نسى أحدهم أنه — وهو الكاتب المشهور وعبقرى القرن العشرين — قد قال عن فاروق فى خلافه مع الوفد ، بصرف النظر عن هذا وذاك الآن .. المهم ان السيد المحترم قائل هذا .. « لكن الملك ليس انسانا ماديا كما يتصور الانسان . ان قلبه الكبير ونفسه العالية ، وخلقه الكريم ، تجعل من نفوس البشر المادية » .. سبحان الله .. لقد رفع الملك الذى كتب عنه كتابا كاملا لنفس العبقرى .. يشرح فيه نضائح الملك بعد قيام الثورة .. ولا يعنينى هنا الملك أو التحليل .. ولكن الذى يعنينى هو أسلوب النفاق .. ولكل مقام مقال ...

وهناك مأساة الدكتور احمد بدران .. لقد تتبعتها فى الاخبار .. والطليعة ولى عنده سؤال .. لماذا يرفع اليمين قميص عثمان ؟ .. ومن الذى قال ان ماركس نبى ؟ .. ومن الذى يستطيع ان يقول هذا مؤمن يدخل الجنة .. وذاك ملحد يدخل النار ؟ .. وهل فى الاسلام هذا الوضع ؟ .. ومتى كان ؟

وأخيرا لمصلحة من هذا الصراع الجدلى المقيم ... ؟

أنا رجل فلاح مؤمن بالله .. وبكل الكتب والاديان .. كل الاديان ، وأدرك ان الفكر الماركسى لا يناقض العدالة التى أتادى بها كمسلم ...

ومطالبى هى الاتى :

[1] حرية الانسان فى الفكر والعمل .. بمعنى ان أدرك أن فكر الانسان شىء نابع من ذاته .. وبمعنى ان يكون ناتج عمله ماديا عليه وليس عائدا لغيره ...

[ب] أريد له المسكن المناسب مع انسانيته .. والملبس والمأكل ...

[جـ] لا أريد ان يكون هناك فرد يملك آلاف الجنيهات يستثمرها فى عرق ودم المئات .. بينما هم ضحايا الحاجات الضرورية .. والمسكن إن هو فى حاجة له .. العلم للجميع بغير تجارة كتجارة المذكرات ، والدروس الخصوصية ...

[د] العلاج ملك للشعب ، لكل الشعب ، فلا يكون الكشف اقل كشف هو مبلغ جنيه على الاقل .. وطبيب يرفض علاج مريض .. مجلة « روز اليوسف » العدد ٣٤٣٠ فى ١٩٧٥/١/٦ — ص ٥٩ .

[هـ] ان تكون السلع فى متناول الوزير والخفير ، لا فرق بين هذا وذاك

[و] أن تكون هناك مساواة بين الفلاح وابن الاكرمين ، كما فعل **عمر ابن الخطاب** .. هل تعرفه ... ؟

أريد تطبيق الحديث الشريف [لا يؤمن أحدكم اذا بات شبعانا وجاره طاو] .. لا أريد غير هذا .. لما ان يكون هناك تاجر السوق السوداء .. ومقاول يسرق عرق العمال والفلاحين .. وبعد هذا يبنى عشرات العمارات .. ويجانبها مسجد .. ويقوم بتوزيع الصدقات فى المواسم والاعياد .. فهذا ما لا أقبله .

ولستم أول من دلعر بالدين .. فأولكم معاوية ... ولست أكفر معاوية .. حاشا لله .. ولكنه مجرد رأى .. هذا ما أريده ، وبعد ذلك سبه ما تشاء .. ومهما يقال عن اليسار .. فهذا لن يخدع الشعب المصرى بأى حال من الاحوال .. ومن يناضل من أجل الحق لا يرهبه الموت مهما كانت الاسباب ...

وعندى كلمة لليسار من منطق الاخوة والولاء لمصر ، وللكادحين المطحونين فى أرض مصر .. أنا مع الاستاذ **توفيق الحكيم** « مع اختلاف الفارق » ، انه لابد من وجود خط فكرى واضح ، ولابد من النزول الى رجل الشارع مع وضع حد لخرافة الالحاد مع الاشتراكية .. وتحديد برنامج واضح للجميع من خلال منبر الحرية ، لكى لا ندع للرجعية فرصة تعكير المياه من جديد .. نريد ان نقول للفلاح والعامل .. هذا ما نريده :

— حماية القطاع العام من الرجعية فى الادارة ومحاربة لصوص المال العام
— وضع حد للملكية الزراعية .
— وضع حد أعلى للاجور .
— وضع حد لبعض الامتيازات .
— تأميم الطب .

ومثل هذا .. علينا بأن هذه الامور لن يكتب لها النجاح بغير ايمان الجماهير بها .. وتحويل هذا الايمان الى طاقة قوة منظمة .. تعمل لمصلحة الكل لا الفرد .

نريد العمل بالايمان .. لا مجرد كلام يقال .. لان سفسطائية الجدل قد راح عصرها .. بعد ان تخطينا عصر سقراط بمراحل ...

هذا هو مطلبى من رفقاء فكر واساتذة يعرفة اتعلم على ايديهم حروف الهجاء فى كتاب الفكر .. ولا خوف على هذا الشعب ، لان هواء ثورة ٢٣ يوليو قد شفاه من كل أمراض ضيق التنفس .. والشعوب لا تموت أبداً .

مع جزيل الشكر ...

متولى حسين الجندى
فلاح — اسبع ابار الشرقية
مركز الاسماعيلية

مصـــــريون .. أم عـــــرب ؟

منذ أمد طويل وانا افكر بأن اكتب لاحدى المجلات المصرية ، وذلك لاوضح ما يجول بخاطرى ، ويشغل تفكيرى . ولما كانت الطليعة ، قد تحولت الى منبر رأى حر ، تنشر الاراء جميعا على صفحاتها التى تزخر بالحرية والفكر ، فقد رأيت أن أبعث لكم بمقالى هذا ، راجيا نشره عملا بحرية الصحافة :

« مصريون أنتم أم عرب ؟ » هذا هو السؤال الذى يلح على كثيرا ، ويؤلمنى كثيرا . فالفكرة الشائعة فى الاوسط الثقافية فى الاردن - واعتقد فى سوريا ولبنان - ان لدى المصريين اقليمية قاتلة . ويتجلى ذلك واضحا فى الصحف والمجلات والكتب الصادرة فى مصر وافكار الكتاب المصريين ذاتهم . فالمجلات والصحف المصرية لا تنشر الا الاقلام المصرية ، والافكار السائدة فى مصر تدور فى ضمن هذه الاطر :

- فكرة انحدار المصريين من الفراعنة وعدم تاثير العرب عليهم . رايى ان العرب هم المستعمرون - الفكرة السائدة .
- الافكار الماركسية والحزبية الاخرى .
- مصر المصرية الافريقية .

وهكذا نرى أن فكرة القومية العربية ، اومكرة القطر المصرى ضمن الكل العربى ، منعدمة الى ابعد الحدود . وهذا شىء محلف جدا للافكار السائدة فى بلاد الشام - القطر الاردنى والسورى واللبنانى الفلسطينى - شعبيا . فلقد نجد ان فكرة القومية العربية سائدة اولا فى مختلف الاوساط وخاصة الاوساط الادبية . وذلك يتجلى بوحدة النشر فى الصحف الصادرة -هنا - فهى تنشر لكل العرب . وفى كتب ودواوين الادباء والشعراء تظهر فكرة العربى لا الاردنى لا السورى .. لا الفلسطينى .. بخلاف ما نقرا فى الكتب والمجلات والصحف المصرية .. التى لا تنفك تمجد بمصر لذات مصر ، وتذكر عهد الفراعنة لا تشير ببعيد او بقريب الى عهد العرب الخالى أو الحاضر ، وتدعو لمصر ولمجدمصر . ليس الا .. ومثال ذلك ما جاء فى - كلمة من الطليعة - ص ٢ - مجلة الطليعة لشهر كانون ٢ بالحرف الواحد - كل عام وانت بمعنا طيب - وكل عام ومصر - طيبة مثمرة .. مستقلة وديمقراطية ومتقدمة - هذه الكلمات وان كانت قليلة ولا تعبر عن افكار معادية للعرب ، فالانسان يحب بيته فكم بالاحرى وطنه الصغير - ولكن هـــذه الكلمات وان كانت قليلة تعبر عن افكـــار الاقليمية القاتلة . مصر هى كل شىء ، هى الام ، هى الوطن الصغير والكبير ، بغض النظر عن الامة التى تنتمى من اجل كل قطر من اقطارها - وخصوصا مصر - الكثير الكثير . المال والسلاح والارواح . وليس ذلك فضلا من تلك الامة ، انما هو واجب ، يحق لكل قطر ان يطالب به الامة العظيمة .

ارجو أن تعذرونى هنا ، ولكن كم يتلج صدرى أن ارى المجلات والصحف المصرية عربية ، بكل ما فى الكلمة من معانى ، تنشر لكل العرب بدون استثناء . كم يتلج صدرى أن ارى الاشعار والكتابات المصرية تمجد العروبة ، وتمجد مصر .. كجزء من كل .. كقطر من أمة عظيمة . كم يسعدنى أن اشعر بحرارة الروح العربية تسرى فى الافكار المصرية . فتقضى على النزعة الاقليمية . الاقليمية قاتلة .. قاتلة .. قاتلة .

ناهض نايف حتر
عضو رابطة الكتاب الاردنيين

الطليعـــة

الاستفتاح الذى توصلت اليه من « كلمة من الطليعة » ، غير صحيح ، ولا حاجة بنا الى الاشارة الى كتابات « طليعة » وموافقها بصدد هذه القضية . ولعل الامر اكثر مما انت قلته « فالانسان يحب بيته حكم بالاحرى وطنه الصغير » لانها تتماق بزملاء من مؤسسى « الطليعة » تتقدمهم بالفعل « ومقالات الكتاب العرب فى « الطليعة » كثيرة اذا رجعت لاعدادها .

الحركة النقابية العمالية المصرية هى من اهم المؤسسات الديمقراطية للشعب العامل ، لدورها الطليعى فى قيادة جماهير الطبقة العاملة فى معارك التحرير والبناء - ولها تاريخها الطويل المشرف منذ نهاية القرن الماضى ، ولكنها تعانى اليوم من سيادة البيروقراطية والمكتبية ، وحيث يخفت نبض الديمقراطية داخل صفوفها تكون عزلتها وفسادها ، ومعاناتها من الضعف والتعطل ، عن ذلك يكتب عبد المنعم الغزالى .

غياب الديمقراطية النقابية

= الفساد

عبد المنعم الغزالى

منذ ١٩٦٤ حيث أعيد بناء الحركة النقابية المصرية وفق القانون ٦٢ لسنة ١٩٦٤ الخاص بالتنظيم النقابى - وقضية الديمقراطية النقابية تحتل الصدارة فى كل حوار يدار من اجل دعم وتطوير التنظيم النقابى ليمارس دوره الطليعى فى التحرير والبناء والدفاع عن حقوق العمال .

ان انعدام الديمقراطية النقابية سمح باستفحال الفساد النقابى والبيروقراطية النقابية ، ويفرض قيادات على الحركة النقابية ، منتخبة انتخابا شكليا وصوريا ، وتمكنت من الحصول على ميزات أصبحت امتيازات خاصة ، فى نفس الوقت الذى لم تقدم غالبيتها أى عمل فى مجالات الدفاع عن الحقوق أو المساهمة فى بناء المجتمع أو المشاركة فى خطة التنمية .

وأول مظهر من مظاهر الديمقراطية النقابية - هو ان تنتخب القاعدة قياداتها بشكل دورى - ولكن حتى عملية انتخاب هذه القيادات فقدت محتواها الديموقراطى ، وهذا المحتوى لا يتحقق الا من خلال تجسيد ارادة جماهير الناخبين فى اطار تنظيمى - اصطلح فى مصر على أنه الجمعيات العمومية .

ومن الأمور المفروضة ، ان القيادات تتقدم - فى الجمعيات العمومية - لتعلن على أعضاء الجمعية العمومية ، جماهير العمال أعضاء النقابات ما قدمت خلال الفترة الماضية ، ما قدمته فى مجال الدفاع عن الحقوق ، قضايا الأجور وتحسين ظروف العمل وشروطه ، وما قدمته فى مجال الخدمات الصحية والاسكانية والثقافية والتعليمية و . الخ .

ثم تتلاشى جماهير العمال فى هذه الجمعية العمومية بكل حرية القيادة التى ائتمنوها على حقوقهم خلال الفترة الماضية ـ وتكون هذه المناقشة بأن يبدى الاعضاء آراءهم من على منبر الجمعية العمومية أفرادا أو جماعات أو اتجاهات أن تعبر عن نفسها داخله ، وأن تتنفس بطريقة صحية ..

ولكن ما الذى حدث لتنظيمنا النقابى فى مصر منذ ١٩٦٤ . لقد لم يعقد جمعية عمومية واحدة وفق الأسس والمبادىء المتعارف عليها عالميا وعرفا نقابيا . وما حدث هو جمعيات تأسيسية وكأن النقابات فى مصر تؤسس كل دورة .

ففى الفترة من ١٩٦٤ حتى ١٩٧١ ، لم تجر اية انتخابات داخل التنظيم النقابى . وأستمرت القيادات النقابية ، **تحكم الحركة النقابية المصرية** ، طوال سبع سنوات دون أن تحاسب من القواعد العمالية وجماهيرها ، بلا رقيب ، ودون خوف من القواعد التى اعملت ، وكأن ليس لها من حق فى التنظيم النقابى غير تسجيل اسمائها فى دفاتر العضوية ودفاتر « الاستلام » ..

وخلال هذه السنوات السبع ازدادت قوة البيروقراطية والكتلة النقابية ،وفسادت ثرواتها قدرة قانون النقابات نفسه ، وأصبحت « سلطة » ادارية وليس قيادة ديمقراطية للحركة النقابية .

ولكن ،اين ادى،هذا الوضع ؟ ادى الى تسليم سلطة الرقابة والتفتيش على النقابات الى وزارة العمل . وانتزعت هذه السلطة من الجمعيات العمومية وهى صاحبتها بحكم القانون ، وبحكم اللوائح العمالية . وهكذا رسخ لدى القيادات النقابية العليا التصور فى أنها تعيش فى لبنان ، وأنه ليس فى قدرة الجماهير العمالية أن تحاسبها .

وفوق هذا فقد أضيف الى هذه العملية الادارية ، حماية أخرى من قبل تنظيم التحالف ـ **الاتحاد الاشتراكى** ـ اذ وضع قيد على الترشيح للمستويات القيادية داخل التنظيم النقابى ، وهو اشتراط العضوية بالاتحاد الاشتراكى . ويكون بضرورة الحصول على شهادة بذلك عند الترشيح ، وهى شهادة لم يكن فى قدرة أى عامل نقابى أن يحصل عليها ، الا اذا كان تابعا ومطيعا للقيادات العليا ، ومرضيا عنه من قبل الاجهزة الادارية ..

وهكذا ، فانه خلال سبع سنوات عجاف ، فى تاريخ الحركة النقابية المصرية ، تمكنت البيروقراطية والانتهازية النقابية أن تحصن نفسها داخل التنظيم النقابى ، وأن يكون لها المدد والحماية من قبل الادارة وأجهزة الدولة البيروقراطية ، ولسانة العمال بالاتحاد الاشتراكى ..

وفى ظل هذه الحماية ، تمكنت عناصر قيادية عديدة من أن تدخل الى صفوف الطبقة الجديدة الطفيلية ، وأصبح قادة نقابيون يملكون محلات لبيع السلع المستوردة ، وعربات نقل وأجرة وورش ومصانع للنسيج ودور للسينما أو يتاجرون فى السوق السوداء فى السلع التموينية .. الخ .

ثم جاءت دورة جديدة ـ بعد سبع سنوات ـ فى ١٩٧١ . وأعيد تشكيل التنظيم النقابى ، وأجريت انتخابات للقيادات النقابية ، وتمت عملية سابقة على عملية الانتخابات بواسطة لسانة العمال بالاعضاء الاشتراكى . وكما أن عملية الانتخابات لم تتم من خلال جمعيات عمومية حقيقية ، بل من خلال جمعيات تأسيسية ، وكان الحركة النقابية تؤسس من جديد ! وعلى هذا الاساس لم تحاسب القيادات السابقة ، ولم يراجع العمال الميزانيات ، ولم تقدم القيادات منجزاتها سواء فى مجال الدفاع عن حقوق العمال أو فى مجال الخدمات . وبذلك تمكنت غالبية العناصر الفاسدة من أن تهرب باخطائها ، بل وبجرائم ارتكبتها .. الامر الذى شجع على استمرار الفساد داخل الحركة النقابية .

وجاءت دورة ١٩٧٣ ، وهى دورة لم تتنه بعد ، وانتخبت قياداتها بنفس الطريقة ، **ولم تعقد جمعية عمومية حقيقية واحدة . وبذلك أستمرت عملية تأسيس الحركة النقابية احدى عشر عاما .** وكما حدث فى المرة السابقة لم تقدم القيادات كشف حسابها . بل انه فى هذه الدورة داست القيادة النقابية العليا ، ومعها وزارة العمل حتى على التقليد الشكلى بالنسبة لانتخاب قيادة الاتحاد العام للعمال ، فلم ينعقد مؤتمر الاتحاد العام وفق ما اشترطه القانون لذلك ، بل اكتفى « بتعيين » ستة عشر عضوا بدلا من ٢١ عضوا فى المجلس

التنفيذى ، على أساس اختيار كل نقابة عامة ممثل عنها لحضور هذا المجلس التنفيذى . الامر الذى هبط بمستوى هذا المجلس الى حد أنه أصبح مجرد لجنة تنسيق يديرها وزير العمل باعتباره رئيس الاتحاد العام وأمين العمال بالاتحاد الاشتراكى . لقد اتخذت هذه الخطوة المعادية لابسط قواعد الديمقراطية .

ومكذا ، حيث انعدمت الديمقراطية ، وتراخت سيده القانون ، استمرت غالبية العناصر الفاسدة والبيروقراطية فى ممارستها تعيش فى أمان كامل وتعيث فساداً دون رقابة أو محاسبة جماهيرية .

أن الاختلاف على اقتسام غنيمة قد يكون السبب فى اكتشاف عناصر الفساد ـ ولكن هذه العناصر ستظل مختبئة لا تصل اليها يد العدالة ، لان تقارير التفتيش التى تدينها مازالت بعيدة عن ارادة جماهير العمال ، فلدى وزراء العمل منذ أيام السيد أنور سلامة حتى الوزير الحالى ، تقارير التفتيش على النقابات العامة . ومن بينها تقارير تحتوى على مخالفات خطيرة ، وتتضمن كل أطلة الادانة ـ **وهذه التقارير ظلت حبيسة الارشيف السرى لوزراء العمل ، يستخدمونها سلاحا لكسب هذه القيادات الى صفهم واتجاههم فى الحركة النقابية ـ ولاستمرار فرض قيادتهم على الحركة النقابية ـ وهى قيادات مرفوضة من القواعد العمالية .**

ان هذه التقارير هى ملك القواعد العمالية ، ومن حقهم أن تكون بين ايديهم ، وان تقدم الى جمعياتهم العمومية ، صاحبة الحق الوحيد فى محاسبة هذه القيادات . وهو حق اكسبه اياها القانون ، وكما أن هذه القيادات ماكان يمكن أن تكون وأن تأخذ الشخصية العامة الا عن طريقها وبارادتها . هذه التقارير هى ملك لارادة الطبقة التى يعبر عنها التنظيم النقابى ـ وليست ملكا لوزير العمل أو رئيس اتحاد العمال أو أمين العمال بالاتحاد الاشتراكى .

ان الديمقراطية النقابية تضيع وتنهار من الاساس فى ظل ضياع المحاسبة للقيادات . وما يتم الان ويعد له ، وهو ان يعاد تشكيل التنظيم النقابى وفق قانون جديد للنقابات ، وعلى أساس أن يتم التشكيل فى شهر يناير التالى لصدور القانون ، هو فى الواقع اطالة عمر هذه الدورة التى تنتهى فى يوليو ١٩٧٥ لتنتهى فى ١٩٧٦ ، هذا أولا .. وثانيا ، الاستمرار فى الحلقة المفرغة التى بدأت فى ١٩٦٤ بالعودة الى الجمعيات التأسيسية . وبذلك تستمر هذه القيادات دون حساب أو رقابة ، دون قرار حر من الجماهير العمالية ، ودون التعبير عن ارادة هذه الجماهير وتجسيدها فى جمعيات عمومية حقيقية فقدت وجودها منذ أكثر من عشرة أعوام .

ان الفساد النقابى والبيروقراطية النقابية ، وسيطرة الادارة على الحياة النقابية ـ ستظل معالم للتنظيم النقابى حتى تتوفر للحركة النقابية ديمقراطية حقيقية تقيمها وتحميها جماهير العمال العريضة ، وارادتهم المعبر عنها من خلال منظماتهم النقابية بكافة مستوياتها .

قراءة مستمرة في الصفحات الأولى من

في عام ١٩٥١ كانت مصر تغلى ، كانت تفور بالحركة الثورية المناهضة للاستعمار ، وتحددت مطالب كل الوطنيين وكل الشرفاء من أبناء مصر بمنطلقين أساسيين :

١ ــ الجـــلاء التام ..

٢ ــ الغاء المعاهدة ورفض أية محالفات أخرى ثنائية أو جماعية سواء مع الاستعمار القديم [بريطانيا] أو مع الاستعمار الجديد [أمريكا] .

كانت مصر ، كلها ، تتجمع حول هـذه المطـالب ، وعلى اساسها توحـدت مختلف القوى والقيـادات السياسية الوطنيـة او تحالفت .

ولم يخرج عن الصـف الوطنى المتراص الصفوف سوى اصـوات نشاز تنشـد تارة انشودة « التحالف » وضرورة ربط مصر بخطط « الدفاع » عن المعسكر الغربى ، بما يعنى اجلاء بعض الجنود الانجليز مقابل خضوع مصرى مباشر للتحـالفات الاستعمارية .. وتارة اخرى كانت تنشد على نغمات امريكية ، تبشر بسيد جديد يريد بناء « قواعد » فى مصر .

.. كانت مصر ترفض الاحتلال والتحالفات وكل صور الاستعمار الجـديد .. باستثناء اصوات نشاز .. فماذا قالت هذه الاصوات ؟ ومن هم اصـحابها ؟ وماذا كان موقفهم من حركة الصف الوطنى المتحد ؟

الاجابات على كل هذه الاسئلة سهلة وميسورة .. يكفى فقط ان نقلب مما صفحات قديمة من « أخبار اليوم » .. ونترك الوثائق وحدها تتكلم لترى حقيقة المواقف ، والمعدن الحقيقى لاصحابها .

دول الكومنولث ضد الجلاء

لندن – من ايوار:

علمت أن بيفن سيعرض على صلاح الدين فى خوالى أوائل فبراير القادم رأى دول الكومنولث فى استحالة الجلاء عن مصر الآن ووجهة نظر الدوائر المطلعة هى أنه لكى تقوم أية وسيلة دفاعية ذات أثر [فى الشرق الأوسط] يجب أن تتوافر أربعة عوامل هى :

[أولا] أن يحتفظ بالقوة هناك .

[ثانيا] أن يقوم النظام الدفاعى فى هذه المنطقة بحيث يمكن التثبت من امكان تحرك القوات ونقلها فى المنطقة المهددة بالخطر فى أقل وقت ممكن .

[ثالثا] أن تكون هناك قوات مناسبة على أهبة الاستعداد التام لمقاومة العدوان الاول فى أى لحظة الى أن تتحرك القوات الرئيسية

[رابعا] أن تكون هناك أيضا استعدادات وقواعد ومخازن تعتمد عليها هذه القوات عند وصولها .

وهذه العوامل متصلة متشعبة وهى جميعا ضرورية . ولا شك أنها ، فى الجزء الغالب منها ، مسائل فنية يجب أن يعالجها وزراء الدفاع ومساعدوهم .

ولكن لها أيضا جوانبها السياسية التى تثير مشاكل سياسية سينظر اليها رؤساء الوزارات بعين الاعتبار .

مشكلة مصر

ومن هذه المشاكل السياسية مركز مصر فى أى نظام دفاعى يقوم فى الشرق الأوسط . لذلك فانه على الرغم من أن المؤتمر هو مؤتمر خاص بدول الكومنولث فانه سوف يبحث بكل تأكيد – فى مرحلة من مراحله – مسألة العلاقات بين مصر وبريطانيا وموضوع المفاوضات بين الدولتين ولن تتخذ قرارات بالطبع فى هذا الموضوع .

ولكن من المهم عندما يتقابل صلاح الدين وبيفن من جديد فى نهاية هذا الشهر او فى أوائل شهر فبراير القادم ، أن يكون وزير الخارجية البريطانية قد أتم بحث جميع وجوه المشكلة برمتها .. تلك المشكلة التى تعتبر مشكلة قناة السويس جزءا منها .

ومن المهم أيضا أن يعرف وزير الخارجية البريطانية وجهات نظر دول الكومنولث كلها فى هذه المشكلة ، ونأمل أن تلبى باكستان الطلب حتى يمكن أن يعرف رأيها هى أيضا .

العدد ٣٢٢ ١٩٥١/١/٦

خبر اليوم

واشنطن – لمراسل اخبار اليوم

تتوقع الدوائر السياسية وقوع هجوم روسى فى منطقة الشرق الأوسط اذ أنها أضعف مناطق الجبهة الديمقراطية

وقد علمت أن امريكا تلفت تأكيدا من مصرياتها ستقف الى جوارها فى الصراع القادم .

العدد ٣٢٢ ١٩٥١/١/٦

برقيـــة خطـــيرة من ايـــوار

الحـــرب ســـتبدأ فى الشـــرق الأوســـط

ان موضـــوع الـــدفاع عن مصر والشرق الاوسط من اهم الموضوعات التى يقوم ببحثها مؤتمر رؤساء وزارات الكومنولث وســـيبدأبحثهم على اساس انـــه فى حالة قيام حـــرب كبرى ، فان الشرق الاوسط سيكون بـــكل تاكيد هدفا رئيسيا لاى هجوم يقوم به العدو. ليس هذا فقط بل هناك احتمال بان وقوع اعتداء على الشرق الاوسط قد يكون السبب المباشر فى نشوب هذه الحرب وفى كلتـــا الحالتين يجب ان يكون للـــدفاع عن الشرق الاوسط أهميته العظمى ومسئولية هـــذا الدفاع تقع ـــ الى حد عظيم ـــ على عاتق حكومات الكومنولث .

الحقائق الاستراتيجية

ومن الحـــق ان نذكر ان تحت البحث بشروعات خاصة تهدف الى توحيد الوسائل الدفاعية فى الشرق الاوسط بحلف الاطلنطى ولكن حقائق « الاستراتيجية » الجغرافيـــة على امرين هامين هما انه يجب ان يكون الرجـــال الذين يعتمد عليهم فى الدفاع مـــن المملكة المتحـــدة ودول الدومنيون بصـــفة اساسية ـــ وذلـــك زيادة على دول الشرق الاوســـط .

أما الامر الاخر فهو انه يجب ان يرد اكبر جزء من الامدادات والذخائر من نفس هـــذه المصادر .

العدد ٣٢٢ ١٩٥١/١/٦

مباحثات أمريكية بريطانية هامة لحمـــاية الشـــرق الأوســـط

ينوى الاميرال روبرت كارنى القائد العام للقوات البحرية الامريكية فى شرق الاطلنطى والبحر الابيض المتوسط ان يبحث مسالة امن الشرق الاوسط مع كبار القواد البريطانيين فى جزيرة مالطه ، وذلك خلال الرحلة التى سيزور فيها دول الشرق الاوسط .

وبعد ان يتفقـــد الاميرال كارنى وســـائل الـــدفاع فى شرق البحـــر الابيض وايران سيجتمع بالاميرال ســـيرجون اولســـتون قائد الاسطول البريطانى فى البحر الابيض المتوسط والجنرال سير بريان روبرتسون القائد العام للقـــوات البريطانية فى الشرق الاوســـط ، والمارشال سيرجون بيكر القائد العام لسلاح الطيران البريطانى فى الشرق الاوسط .

وقـــد صرح ضـــابط الاستعلامات بسلاح البحـــرية الامريكى بأن هـــذا الاجتماع بين الاميرال كارنى والقواد البريطانيين فى الشرق الاوسط سيكون متمما للمباحثات التى تدور بشأن امن الشرق الاوسط وحمايته .

العدد ٣٢٢ ١٩٥١/١/٦

الشرق الأوسط

من نصيب روسيا

اتفاق سري خطير بين روسيا والصين

لندن — لمراسل اخبار اليوم الدبلوماسي :

هذا خبر سنسبق به « أخبار اليوم » جميع صحف العالم . فقد علمت من مصادر اثق بصحة أخبارها أن هناك اتفاقا سريا (ونوكول) الحق بالمعاهدة السوفيتية الصينية ، التي عقدت في شهر فبراير من عام ١٩٥٠ .

وهذا الاتفاق ، هو مبثاق يتضمن قسمة الجزء الاكبر من جنوبي آسيا الى منطقتي نفوذ احداهما روسية والأخرى صينية .

ان روسيا تعترف بما تزعم الصين من حق لها في وضع جنوب شرقي آسيا — وهو يضم بورما وسيام والهند الصينية والملايو واندونيسيا — تحت نفوذها وسيطرتها ..

وكذلك تعترف الصين بما تزعم روسيا من حق في الاستيلاء على منطقة نفوذ في جنوب غربي آسيا ، وهو يضم تركيا وايران والبلاد العربية وافغانستان .

العدد ٣٢٣ ١٩٥١/١/١٣

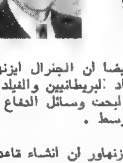

ايزنهاور يقترح انشاء قاعدة حربية في شبه جزيرة سيناء

يصل الجنرال ايزنهاور قائد جيش حلف الاطلنطي يوم الثلاثاء الى لندن لاجراء مشاورات عسكرية وسياسية .

وقد علمت من الدوائر الدبلوماسية الامريكية ان الجنرال ايزنهاور سوف يطلب من بريطانيا قاعدة حربية للحلفاء في الشرق الاوسط تصلح للعمليات البرية والجوية ، ولاختزان كميات هائلة من المعدات الحربية في تلك القاعدة .

ويقترح الجنرال ايزنهاور أن تكون القاعدة في شبه جزيرة سينا لبعدها عن مناطق الخطر ولانها صالحة من الناحية الاستراتيجية لكي تصبح قاعدة حربية ممتازة .

رحلت ايضا ان الجنرال ايزنهاور سوف يجتمع بالقواد البريطانيين والفيلد مارشال مونتجومري لبحث وسائل الدفاع عن أوروبا والشرق الاوسط .

ويعتقد ايزنهاور أن انشاء قاعدة حربية بجانب قنال السويس امر على جانب كبير من الاهمية ، اذ انه من الخطر أن تركز كميات كبيرة من المعدات الحربية في أوروبا التي تهددها روسيا .

ويسود الاعتقاد في لندن انه من المحتمل ان يقوم الجنرال ايزنهاور بزيارة سريعة الى الشرق الاوسط واذا لم يتسن له ذلك فسيرسل مبعوثا حربيا لدراسة الموقف الحربي وتقديم تقرير عنه فيما بعد .

ومن المنتظر أن تشير وزارة الخارجية البريطانية الى أن مصر سوف ترفض حتما اقتراح ايزنهاور .

وفى هذه الحالة سوف يطلب الجنرال ايزنهاور توسيع قاعدة قنال السويس لكى تصلح لاستقبال قوات الحلفاء والكميات الكبيرة من المعدات الحربية فى حالة نشوب الحرب .

وتقول المصادر الأمريكية أن ايزنهاور ينوى أن يجعل من الشرق الاوسط أكبر مركز لقوات الحلفاء فى حالة نشوب حرب عالمية، وذلك نتيجة للرأى القائل بأن أوروبا لن تصمد طويلا أمام الغزو الروسى .

العدد ٣٢٣ ١٩٥١/١/١٣

البحث عن يد خفية وراء الاضرابات

هل الاضرابات مقصود بها افساد المحالفة مع الانجليز ؟

تعتقد بعض الدوائر ان حركة الاضرابات التى انتشرت فجأة هى حركة ليست طبيعية وانه لا بد أن تكون وراءها يد خفية حتى أن هذه الاضرابات تسير على نطاق واسع .

وقد اتهمت الحكومة فى بادىء الامر المعارضة بانها هى التى تنظم هذه الاضرابات للتأثير فى موقف الحكومة .

ولكنها تبينت بعد البحث والتحرى أن الحركة أوسع من أن تستطيع المعارضة تنظيمها .

الاتفاق على وشك أن يتم

ولهذا يتجه الرأى فى بعض الدوائر الى أن اختيار هذا الوقت بالذات لهذه الحركات الواسعة ، مقصود به عرقلة المحالفة الجديدة مع الانجليز ، وهى المحالفة التى عرف أن خطوطها الرئيسية قد وضعت فى لندن وان النحاس باشا أقر أسسها التى اتفق عليها صلاح الدين بك مع مستر بيفن فى لندن .

ويبحثون الان عن المنظمة التى تشجع بطريق خفى هذه الاضرابات .

طوائف تضرب

ومما لفت نظر الدوائر الوزارية ان الازهريين قدموا استقالاتهم بصفة اجماعية وشلت المساعى الحكومية لافساد هذه الحركة ، ولمست نظرها كذلك حركة الاعتصابات المختلفة ، ثم أن اتحاد التعليم الحر ، الذى يعتبر الدكتور طه حسين باشا رئيسه الروحى انقلب فجأة واذاع بيانا يدعو فيه المعلمين الى الاجتماع يوم ٢٨ يناير ليقدموا استقالاتهم بصفة اجماعية الى وزير المعارف احتجاجا على تصريحه الذى هدد فيه المدرسين غير الفنيين بالفصل .

وفى الوقت نفسه نظمت حركة اضراب واسعة بين الاطباء واجتمع مؤتمر نقابات عمال وسائقى السيارات والترام باتحاد الملكة فى ايام ١٧ ، ١٨ ، ١٩ يناير . وقرر الاضراب من يوم الاثنين ٥ فبراير وانهم قرروا أن تتوقف جميع السيارات فى هذا اليوم .

العدد ٣٢٥ ١٩٥١/١/٢٧

خبر اليوم

لندن — لمراسل اخبار اليوم

أستطيع أن أؤكد أن الحكومة البريطانية قررت أن لا تتدخل فى الشئون الداخلية لمصر .

العدد ٣٣٥ ١٩٥١/٤/٧

حرب فى سنة ١٩٥٣

واشنطن من مصطفى امين :

يكاد ينفق رأى الخبراء الحربيين هنا على ان الحرب العالمية الكبرى ستشتعل فى حوالى شهر اكتوبر سنة ١٩٥٣ وان الشرق الاوسط سيكون من ميادينها الاولى .

وتلقت الدوائر الحربية الرسمية هنا تقارير من بلاد الشرق الاوسط عن حالة جيوشها وبلغ استعدادها ، ومقدار قدرتها على مقاومة الغزو الروسى . وقد علمت انه جاء فى تقرير رسمى أن الضباط الشبان المصريين يعتبرون أحسن ضباط الشرق الاوسط ، وأنهم خير من ضباط كثير من أمم البحر الابيض شجاعة واستعداداً لتقبل الوسائل الحديثة فى الحرب .

وقد اهتمت الدوائر الحربية هنا بهذا التقرير .

وأمريكا تستعد الان لحرب تشنها . والرأى هنا أن الحرب قادمة ، ولكن ترومان يحاول أن يؤخرها الى أبعد وقت مستطاع . وكل المؤتمرات التى تعقد الان ليس المقصود بها القضاء على خطر الحرب ، وانما مقصود بها تأخير خطر الحرب .

وقد بذلت فى اليومين الاخيرين مساع لكى يجتمع ترومان بستالين . وتولى الوساطة لهذه الفكرة بعض السفراء المحايدين فى واشنطون وموسكو ، ولكن لم تنجح هذه الوساطة ، وخاصة أن الشعب الامريكى بدأ يتهم ترومان بما كان يتهم به العالم تشمبرلين سنة ١٩٣٨ عندما كان يقود سياسة التهدئة .

العدد ٣٣٩ ١٩٥١/٥/٥

أمريكا لا تريد حربا فى فلسطين

علمت « اخبار اليوم » أن الحكومة الامريكية لا ترغب فى قيام حرب جديدة فى فلسطين بين الدول العربية وبين اسرائيل بسبب مشكلة فلسطين .

وقد ابدت حكومة امريكا استعدادها للتدخل فى وقف أى اعتداء من اسرائيل على اية دولة من الدول العربية وحل المشاكل بالطرق السلمية .

العدد ٣٤١ ١٩٥١/٥/١٩

قواعد عسكرية فى مصر لاستقبال قاذفات القنابل الأمريكية

واشنطن — لمراسل اخبار اليوم :

علمت من المصادر المطلعة أن مجلس الامن الوطنى الذى يرأسه الرئيس ترومان ، وهو المجلس الذى يشمل « وزارة الحرب البريطانية » سوف يجتمع هذا الاسبوع لدراسة التطورات الاخيرة فى ايران ومدى تهديدها لسلامة الشرق الاوسط وسيقوم المجلس بوضع توصيات خاصة لمواجهة الخطر الحالى . ومن المحتمل أن يقوم المؤتمر الامريكى — البريطانى الذى سيعقد فى بالطمبا باتخاذ اجراءات فعالة لحماية هذه المنطقة .

وقد علمت أن هذا المؤتمر سيطالب بانشاء قواعد جوية فى الشرق الاوسط تستطيع ان تستقبل قاذفات القنابل الامريكية الضخمة .

والمفهوم هنا أن أمريكا تقترح انشاء هذه القواعد فى مصر .

العدد ٣٤١ ١٩٥١/٥/١٩

تحقيق أخبار اليوم عن الحرب القادمة

مصانع أمريكا تنتج قنبلة ذرية كل ساعة

ترومان لايريدها الآن .. ولكن يستعد لها

مصطفى أمين

رأيت يوم الحشر فى أمريكا . مئة وسبعة ملايين شخص فى نيويورك وثلاثة ملايين فى شيكاغو . ونصف مليون فى واشنطن . كل هؤلاء خرجوا لاستقبال الجنرال مك آرثر استقبال الغزاة الفاتحين . مليئى رجل أو امرأة أو طفل فى داره ، حتى المرضى حملوا على نائلات ليلقوا نظرة من النوافذ على البطل المطرود ، وتساقط الورق كالمطر على موكب البطل المطرود ، فكان اشبه بالثلج الابيض الجميل . فزاد الاستقبال روعة على روعة ، وجلالا على جلال .

وكان ذلك اليوم فى امريكا اشبه بيوم عودة سعد زغلول الى مصر سنة ١٩٢١ مضروبا فى مائة ضعف ! فلم يحدث فى العالم كله أن خرجت أمة لتحية رجل طرده رئيس الجمهورية من منصبه .

ووقف مك آرثر فى سيارته ، بسلمته القارمة ، يحيى الجماهير المجنونة التى وقفت الساعات الطوال لتلمحه لحظة خاطفة . وكانت الموسيقات تدوى والهتافات كالرعد كأنها طبول الحرب تنادى حى على القتال .

لو ان مك آرثر فى بلد عربى

فقد كان الصراع بين ترومان ومك آرثر يدور حول : هل نحارب اليوم ونبدأ بالهجوم او نستعد لرد الهجوم ؟ وكان هذا الاستقبال هو صوت شعب متحمس يقول : فلنضرب من الآن !

ووقف الى جانبى احد كبار الدبلوماسيين العرب يشهد هذا الموكب العجيب ، موكب القائد الذى هزمه رئيس جمهوريته ، فاستطاع ان يهزم رئيس الجمهورية فى نفس الاسبوع وقال لى الدبلوماسى الكبير :

— لو ان هذا الاستقبال حدث فى بلادنا ، لركب القائد سيارته راسا الى قصر رئيس الجمهورية واحتله وطرد فخامة الرئيس .

ولكننا كنا فى امريكا بلاد الديمقراطية . فان من حق كل فرد فى الشعب ان يلعن رئيس الجمهورية . ولكن ليس من حق الشعب كله ان يطرد رئيس الجمهورية الا بالانتخاب العام .

ساحر ينوم الشعب تنويما مغناطيسيا

واعتلى مك آرثر منبر الكونجرس ، ووقف يخطب الشيوخ والنواب ، وجلس شعب امريكا يسمع الخطابة فى الراديو والتليفزيون

واذا بهذا القائد العسكرى يكتسح فى دقيقة واحدة قلب الشعب الامريكى . لقد غزا القائد هذه القلوب واستولى عليها بكلمات قليلة . كان صوته مجيبا . فيه قوة وبساطة يهدر، ويناجى . ويعلو وينخفض ، ويقسوى ويضعف ، كأنه لاعب على قيثارة . وكان قلوب الشعب هى أوتارها . يحركها ويهزها ماذا بهذا الشعب الذى يكره الحرب ينقلب كأسد فى قفص يريد أن ينقض على فريسته وكان سياسة ترومان هى القفص الذى سجن فيه هذا الشعب الذى يريد أن يتغذى بعدوه قبل أن يتغشى به .

القائد الامريكى . . مطرب جديد

وبعد دقائق كان خطاب ماك آرثر مسجلا على اسطوانات تبـاع بالالوف ، كانمـا اسطوانات أم كلثوم . وجلس الناس يسمعون الاسطوانات ويهزون رؤوسهم وتدمع عيونهم كأنما يسمعون أغنية غرام .

وخرج الصحفيون يستوقفون الناس فى الشوارع ويسألونهم : من هو اخطب رجل فى القرن العشرين : روزفلت أم تشرشل أم ماك آرثر ؟

واذا بالغالبية تقول أن ماك آرثر هو أخطب رجل فى العالم .. وأن تشرشل وروزفلت يجيئان فى مؤخرة الصفوف . بل ان هنـاك من قال ان خطاب تشرشل المشهور الذى قال فيه « ليس عندى سوى العرق والـدم والدموع» لا يستطيع أن يقف على قدميه أمام خطاب ماك آرثر الذى تحدث فى الشـعب ماكانت تحدثه خطب هتلر فى جنود العاصفة.

وبعد ساعات كان كل شىء فى أمريكا عليه وجه ماك آرثر ، علب البسكويت ، وعلب الشوكلاته وآنية الزجاج وبطاقات البريد وواجهات المحال التجارية وعلب الكبريت . كل شىء عليه صورة القائد المطرود . حتى ثياب الاطفال ولعبهم .

ترومـان المسكين

وجلس ترومان وحده يرى من خلال جهاز التليفزيون فى غرفته المغلقة شعبه ينقض عليه . كانت السنة الامريكيين أحـد من السيوف . وكانت مقالات صحفهم أقوى من القنابل ، كلهـا مصوبة الى رئيس الدولة الذى طرد بطل أمريكا الجديد ، وحـاول ترومان أن يتكلم فضاع صوته فى ضـجيج الشعب الذى ملأ أذنيه صوت ماك آرثر وملأ عينيه استقباله الضخم ، وملأ رأسه بمنطقه البسيط . فكان هذا القائد منوم مغناطيسى مسيطر على شعب بأسره بكلمات من شفتيه واشارات من يديه ونظرة صـارمة وقامة أشبه بالجبل الاشم . وبدا رئيس الجمهورية بجوار الجبل كأثر صغير .

الزمن . . حليف الضعيف

ولكن العجيب فى ترومان أنه يكسب كل معاركه بالصبر والثقة بنفسه . كان مع ماك آرثر الشعب كله وكان مع ترومان الزمن .

ومضـت الايام . وفى كل يوم يكسـب ترومان نصف خطـوة ، ويخسر ماك آرثر نصف خطوة . لقد كسب ترومان العمال . فقد أشعرهم ان ماك آرثر هو الدكتاتورية العسكرية . والعمال يكرهون الدكتاتورية أيا كان اسمها وأيا كان لونها . وأفهمهم أن ماك آرثر هو الحرب فورا . ومعنى هذا لا زيادة فى الاجور ، بل تجنيد وخراب ودمار للمصانع التى يعملون بها وللبيوت التى يعيشون فيها.

أغنيـة بغـير مطـرب

ثم بدأ الـكتاب الاحرار يغمزون القـائد العظيم ، ثم يهزأون منه ، ثم يهاجمونه . وساعد على هذا الجـو أن غالبية الرئيس ترومان فى مجلس الشيوخ رفضت أن تذاع مناقشات لجنة التحقيق البرلمانية فى أسباب طرد ترومان لماك آرثر بالراديو أو التليفزيون وهى فكرة جهنمية ، لأن ترومان شـعر بأن صوت ماك آرثر الرهيب كفيل بأن يكسـب قلوب السامعين . ولهذا منع الشـعب أن يسمع الصوت ، وأباح له أن يقرأ الكلام ، فكان أثر قراءة تصريحـات ماك آرثر فى التحقيق كأثر قراءة أغنية جميلة فى الصحف فى حين أو سمعها الشعب لكان لهـا أثر أغنية يغنيها مطرب موهوب .

صراع على التفصيلات

ولا يزال الصراع مستمرا .. ولا تزال امريكا منقسمة على نفسها ، بين انصار ترومان ، وانصار مك آرثر .. ولكن التحقيق الصحفي الذي قمت به يدل على انه لا خلاف جديا بين القائد والرئيس .

كل منهما يرى أن روسيا هي عدو الولايات المتحدة . وكل منهما يرى أن روسيا تستعد لحرب ثالثة .. ولكن ترومان يرى ان تضاعف امريكا استعدادها وان المعلومات التي لديه تؤكد ان روسيا ليست ضعيفة كما يتصور مك آرثر ، بل انها على استعداد لان تضرب هنا وهناك . وانه لا يريد ان يبدأ هو بالمجزرة العالمية الثالثة ، بل يريد ان يؤخرها الى ان تستعد الولايات المتحدة لتوقف الهجوم وترده وتقضي عليه .

ان مك آرثر يريد ان يضرب في الشرق .. وترومان يريد ان يضرب في الغرب .

ويعتقد مك آرثر ان امريكا وحدها تستطيع ان تهزم روسيا . ولكن خبراء رئيس الجمهورية يقولون ان الجيش الروسي والطيران الروسي ، والاسلحة الروسية لا يجوز التقليل من اهميتها وخطرها ، وان امريكا وحدها لا تستطيع ان تغلب هذا العدو الجبار ، بل يجب ان تقف غالبية العالم الى جوارها ، كما وقفت غالبية العالم الى جوار بريطانيا لتهزم هتلر .

خطة روسيا للحرب القادمة

وعندما كنت في واشنطن ، وصلت الى وزارة الحربية الامريكية اول معلومات كاملة عن خطة روسيا للحرب الثالثة .

فقد حدث ان هرب الكولونيل بوريس شابوشنكوف بن الماريشال الروسي المعروف شابوشنكوف الى القطاع الامريكي في المانيا ومعه خطة كاملة ، قال ان القيادة الروسية العليا وضعتها للحرب العالمية الثالثة .

والخطة كما ابلغها الكولونيل الروسي الى قائد القوات الامريكية هي :

١ — ان الجيش الروسي يستعد للاستيلاء على أوروبا الغربية كلها وقد وضع خطة بأن يتم هذا في بضعة اسابيع ليصل الى المانش .

٢ — ان طليعة من طوابير المظلات يقوم الان بالتدريب للاستيلاء على اسبانيا ، ويتولى تدريبه بعض كبار الضباط الروس الذين حاربوا في اسبانيا في اثناء الحرب الاهلية الاسبانية .

٣ — تعد طوابير الان مهمتها الاستيلاء على قنال السويس وشمال افريقيا وايران .

٤ — اذا تم الاستيلاء على قنال السويس وغرب أوروبا ، استبدأ حملة اخرى للاستيلاء على باقي الشرق الاوسط ثم الشرق الاقصى . وقد أعد الروس لهذه الخطة ثلثمائة فرقة الى جانب الجيش الصيني .

٥ — تعتقد هيئة اركان حرب الجيش الروسي انه يمكن تنفيذ هذه الخطة في عام واحد .

٦ — بعد ان يتم هذا فان الروس على استعداد لان يعرضوا الصلح على الولايات المتحدة .

٧ — اعد مشروع غزو غرب أوروبا على اساس ان تتولاه ٤٠ فرقة بطريقين .

٨ — سيبدأ الهجوم بجناحين في وقت واحد من منطقة برلين .

٩ — يعتقد الروس ان جيوش الحلفاء ستتقهقر الى اسبانيا حتى تصل اليها امدادات ، وانها ستترك تركيا واليونان وتقف في مصر .

١٠ — يؤكد الكولونيل ان الروس وفقوا الى عمل قنبلة ذرية تبلغ نصف قوة القنبلة الامريكية .

التقرير يثير اهتمام المسئولين

واهتمت الدوائر الحربية الامريكية بهذا التقرير الخطير ، وان كانت بعض الدوائر هناك تشك في انه خدعة روسية ، يقصد بها « تهويش » الولايات المتحدة بالمبالغة في استعدادات الروس الضخمة .

ولكن المسئولين الامريكيين لا يعتقدون انها خدعة ، لان كثيرا من البيانات والاسرار

التى أدلى بها الكولونيل وهو نجل المستشار الحربى الخاص لستالين ، تؤيد معلومات قلم المخابرات .

حملة شعواء على الانجليز

ولكن الامريكيين على ثقة بانهم يستطيعون هزيمة الجيش الروسى اذا حدثت الحرب بعد سنة ١٩٥٢ ، غير أنهم يشكون من حلفائهم — لقد أحدثت تصريحات مالك آرثر حملة ضد الانجليز فى كل مكان . اتهمتهم الصحف بانهم يتاجرون مع الصينيين الذين يقتلون أولادنا الامريكيين . واصبح من المألوف أن تسمع فى نهاية كل مناقشة كلمة جارحة من الانجليز الذين يعيشون على حساب أمريكا ، ولا يريدون أن يقفوا الى جوارها .

ولقد بذل ترومان ورجاله جهودا ضخمة لوقف هذه الحملة . وفى الوقت نفسه بذلوا بجهودا مع الانجليز للعدول عن سياسة التهدئة مع الصين ..

والامريكيون يقولون ان أمريكا حتى الان لم تخصص للحرب الا عشرة فى المائة من جهودها ، وهم يعتقدون أن هذه العشرة يمكن أن ترتفع الى خمسين فى المائة فى عامين اثنين . بل قيل لى أن هناك مصانع تنشأ فى أمريكا لصنع قنبلة ذرية صغيرة فى كل سافة .

أمريكا تشكو من حكومة العمال

ويتهم الامريكيون حكومة العمال فى انجلترا بانها مقصرة فى الاستعداد للحرب . ويقولون أن لدى الانجليز الان ٢٥٠ قاذفة قنابل ، ولكنها اقل من مستوى قاذفات القنابل الروسية . وأن الروس أمكنهم اختراع طائرة نفاثة بأربعة محركات منذ أربع سنوات وان الانجليز عجزوا عن اختراع طائرة واحدة من هذا النوع .

مطالبة الانجليز بالاستعداد

ويقولون أن الروس صنعوا نوعين من الطائرات يسيران بسرعة ٦٥٠ ميلا فى الساعة ، أحدهما يسمى ميج ١٥ والآخر يسمى ميج ١٧ . وان الامريكيين اخترعوا نوعا واحدا هو المسمى ف ـ ٨٦ . ويشكو الامريكيون من أن سلاح الطيران البريطانى خال من هذا النوع من الطائرات . وأن طائرتهم الجديدة « فينون » لم تصل بعد الى المطارات وانها فى مرحلة الانتاج .

ويلاحظ الامريكيون أن البحرية الانجليزية لم تتقدم أيضا ، ففى سنة ١٩٣٩ كان عدد البوارج البريطانية ١٥ ، أما الان فليس لديها غير خمس بوارج صالحة منها واحدة فقط صالحة للعمل ، وعدد الطرادات الحربية البريطانية كان ٥٧ طرادا سنة ١٩٣٩ والان اصبح ٢٦ فقط .

وتنوى الحكومة الامريكية أن تثير كل هذه المسائل مع الحكومة البريطانية ، وخاصة انها ترى أن الحالة الدولية الخطيرة تتطلب زيادة ضخمة فى الاستعدادات ، وان الاستعداد الضخم هو الطريقة الوحيدة لمنع الحرب .

كانت نائمة واستيقظت

ان زيارتى لواشنطون جعلتنى اعتقد أن مالك آرثر هز الرأى العام هزة عنيفة ، انه أيقظ النائمين من سباتهم ، انه حول انصار العزلة فجأة الى معسكر انصار الحرب فورا ان أمريكا كانت حتى السنوات الماضية نائمة تحلم بدنيا سعيدة ، وقد وصف الجنرال مارشال هذه الحالة يوما بقوله « كان الرأى العام نائما نوما أشبه بالبله ، وان هذا ما كان يقلق الحربيين كثيرا » .

ولكن الرأى العام قام فجأة من فراش احلامه وقد امسك البندقية يريد ان يطلقها .

وكل ما يحاول ترومان أن يفعله اليوم هو أن يقنع هذا المستيقظ بوضع الرصاص فى البندقية قبل أن يطلقها .

تعقيب

«اليد الخفية» ... و«الغزو الروسى» ... و«الأحلاف العسكرية»

القراءة فى « اخبار اليوم » ، هذه المرة، تتناول الشهور الخمسة الاولى من عام ١٩٥١ ، وسيلاحظ القارىء — هنا — ان القراءة قفزت من عام ١٩٤٧، التى تناولها عدد ٢٤براير من الطليعة ، الى عام ١٩٥١ فى هذا العدد . ويعود السبب فى ذلك الى اننا لم نعثر — حتى الآن — على أعداد ١٩٤٨ و ١٩٤٩ و ١٩٥٠ . والغريب ان هذه الفترة قد سقطت من مجلدات محفوظات اكثر من مصدر يحتفظ بمجلدات الصحف ، والملفت للنظر هنا ، ان هذه السنوات الثلاث قد شهدت احداثا على جانب خطير من الاهمية منها مثلا حرب فلسطين وقضية الاسلحة الفاسدة .. الخ . وقراءة «اخبار اليوم » فى تلك الفترة ، كانت — بلا شك — جديرة بالتأمل .

ونماذج القراءة فى « اخبار اليوم » التى نشرناها فى هذا العدد ، تتناول كتابات الصحيفة ورئيس تحريرها الاستاذ **مصطفى امين** ، فى قضية واحدة او حولها بشكل غير مباشر . تلك هى **قضية الاحلاف العسكرية** التى قادت امريكا حملتها على المنطقة — وخاصة مصر — فى هذه الفترة، لربطها بالاستعمار الامريكى الجديد الساعى لان يرث المنطقة من الاستعمارين البريطانى والفرنسى ، والسير بها — فى اطار استراتيجيته وخططه المحلية والعالمية .

ما هى الخلفية السياسية لعام ١٩٥١ فى مصر والتى دارت عليها وفى ظلها ، كتابات « اخبار اليوم » ورئيس تحريرها الاستاذ **مصطفى امين** ؟ لنفهم بالتالى ، ماذا كان يريد الشعب المصرى ، وأين كان موقع « اخبار اليوم » من مصالح وطموح شعبنا وآماله الوطنية ؟

دخلت مصر عام ١٩٥١ ، حبلى بالثورة ضد النظام السياسى والاجتماعى والاقتصادى القائم وقتها . وكان **الملك** قد اصبح رمزا لكل ما يعانيه الشعب من ظلم اجتماعى ، يعرف النـــاس عن مفاسده السياسية والخلقية الكثير . وكانت هزيمة فلسطين — وقضية الاسلحة الفاسدة ، حكما بالادانة على النظام وملابسة على سقوط هيبة الدولة وتفككها . وكان الجيش قد عاد موقنا ان المعركة فى مصر لا فى فلسطين . وبدأت حركة «الضباط الاحرار» تصعد من نشاطها الوطنى داخل الجيش ضد النظام . وكانت الحركة الجماهيرية تزداد تعاظما بالنسبة للمطالب الوطنية وتنادى بالغاء معاهدة ١٩٣٦ وجلاء بريطانيا وقد عملت الحركة الوطنية والتقدمية على ربط الصحف الوطنية والكتاب الاحرار بالكفاح الشعبى . وعقد فى ١٤ ابريل ١٩٥١ مؤتمر وطنى بنادى كلية الحقوق بجامعة القاهرة لوضع ميثاق وطنى وخلق جبهة وطنية . وكانت الانفجارات الثورية ضد كبار ملاك الارض تندلع فى « كفر نجم» و « بهبوت » . وارتبط النضال الوطنى ضد الاستعمار والنضال الاجتماعى ضد الاقطاع وكبار الرأسماليين وفضائحهم الوطنية .

أما الاحداث الخارجية المحيطة بمصر ، فقد كانت امريكا بعد انتصار الصين فى اكتوبر ١٩٤٩ ثم تأميم مصدق لبترول ايران وهزائم امريكا فى حرب كوريا ، وبعد هبوب حركات التحرر فى العديد من بلاد آسيا وافريقيا ، تقول كانت امريكا ترسم خططا

بعيدة المدى للهيمنة على آسيا وافريقيا ؟ بانشاء سلسلة من القواعد والاحلاف العسكرية يقضى بها على حركات التحرر ، وتخوض منها هجومها فى حرب عالمية ثالثة ضد المعسكر الاشتراكى والاتحاد السوفيتى . فانشأت حلف الاطلنطى فى غرب أوروبا ، ورسمت لانشاء حلفين آخرين فى شرق آسيا والشرق الاوسط . وكان لابد من تهيئة الاوضاع للحلف الاخير فى مصر .

هنا نقرأ دور « اخبار اليوم » .

على انه يجدر بنا ان نقرأ — فى سرعة — العناوين الاساسية فى الصحف المصرية الاخرى الوطنية . لتكتمل لنا صورة الخلفية التى نقرأ على ضوئها « اخبار اليوم » ونتلمس دورها .

فى المجال الداخلى ، كانت صحيفة « **الاشتراكية** » تكتب عن المساخر التى يرتكبها « احد كبار المصريين » وتعدد المشاكل الاجتماعية وتكتب مانشيتها « العنوا اصل الفساد » ، وتقصد بذلك الملك و « **روز اليوسف** » تكتب عن الاسلحة الفاسدة وتشير الى دور الملك وحاشيته فى صفقاتها وتعلق على سفر الملك الى الخارج فتقول « كل رقيع يخرج خارج مصر يسىء الى سمعتها » . وتعبر بالرسم الكاريكاتيرى عن الملك فى صورة غول ضخم بشع او صورة حذاء ضخم لامع . وصحيفة « **الملايين** » وغيرها من صحف الحركة الشيوعية المصرية ، تهاجم الاوضاع الاجتماعية السائدة بعنف . و « **الكاتب** » صحيفة انصار السلام تهاجم النظام ومفاسده . و « **الجمهور المصرى** » تشدد حملات الهجوم على البوليس السياسى ومطاردته للشباب الوطنى والاشتراكى والشيوعى . وتتبع نشاطه الاستبدادى والارهابى وحوادث تعذيبه للمتهمين السياسيين وتلفيقه القضايا ضدهم . و « **اللواء الجديد** » يكتب فيها رجال الحزب الوطنى الجديد ضد الملك وتهاجم أحاديثه وتتكلم عن « ولاء العبيد وولاء الاحرار » .

وفى الشارع ، زاد عدد الاضرابات الوطنية والعمالية واتسع نطاقها . حتى انه لم تكن تنقضى ايام بغير اضراب . وفى الريف نمت حركات الفلاحين وتمردهم .

كان هذا هو واقع الشارع المصرى ، وكانت تلك هى نبضات الصحافة الوطنية . فماذا كتبت « اخبار اليوم » وقتها ؟ .

لنأخذ المثال الذى تجده فى قراءة هذا العدد :

« **البحث عن يد خفية وراء الاضرابات** » .

« **هل الاضرابات مقصود بها افساد المحالفة مع الانجليز ؟** »

وفى مواجهة السخط الشعبى على كبار الراسماليين المتحالفين مع الاستعمار ، تفرد « اخبار اليوم » صفحاتها للحديث عن نشاط المليونير **احمد عبود** ودوره فى دعم الاقتصاد المصرى ... وقصصا كثيرة عن انسانيته واعماله الخيرية . مثل ان تفرد فى العدد ٣٢٨ الصادر فى ١٩٥١/٢/١٧ نصف صفحة تنشر فيها خطابا لسيدة محدودة الدخل تشكو فيه **للمليونير عبود** عدم مقدرة اسرتها على تكملة تعليم ابنها ، واهتمام **عبود** بالمشكلة وتبرعه بتعليم هذا الابن .

ودفاعا عن **الملك** تحاول « اخبار اليوم » ان تلبسه وجها شعبيا ، حين تتحدث فى العدد ٣٢٦ الصادر فى ١٩٥١/٢/٣ بعنوان « عندما يتزوج **الملك** من الشعب » ، عن ديمقراطية الملك ... وتتحدث « اخبار اليوم » — بالمقالات والصور — عن الملكة الجديدة وبساطة حفل خطوبتها **للملك** وسعادة الشعب المصرى بذلك الحدث .

ملحوظة : سوف نقرأ — فى مرات قادمة — ماذا كتب الاستاذ **مصطفى أمين** نفسه عن هذه القصة وحفل الخطوبة ... الخ ، بعد ان اسقطت ثورة يوليو **الملك** ...

بأسابيع ؟ مجرد أسابيع قليلة ؟ فى اعداد جريدة **الاخبار** فى سلسلة طويلة عن حكم وليالى **فاروق**] .

ولصرف انتباه الشعب ، عما يجرى فى الواقع المصرى ، تخصص «اخبار اليوم» جزءا من صفحتها الاولى وصفحتها الثالثة كاملة — ولعدة اسابيع — لنشر « مذكرات **الملك** بيشيل » ثم « الاستعداد للصيف وصيحة المايوه الاخيرة » . ولامتصاص السخط حول قضية الاسلحة الفاسدة ، تبدأ « أخبار اليوم » فى نشر « مذكرات اللواء **فؤاد صادق** القائد العام لحملة فلسطين » التى تعد دفاعا غير مباشر عن قيادة الجيش وقتها وعن **الملك** نفسه .

• • •

... ونعود للقضية المحورية — هذا العدد من القراءة — اى قضية **الاحلاف العسكرية** التى تتقدم بها امريكا لمصر والشرق الاوسط وموقف « اخبار اليوم » منها ..

ونبدأ برصد الملاحظات الاتية :

● ان « اخبار اليوم » قد خصصت فى صفحتها الاخيرة ، بكل عدد ، من هذه الفترة ، بابا ثابتا تحت عنوان « هنا نيويورك » تعرض فيه لتعلقات من الاحداث والتطورات الدالة — من وجهة نظرها — على رخاء وديمقراطية المجتمع الامريكى . بل ان هذا المعنى يرد بشكل ثابت فى مقالاتها . ومن امثلة ذلك مشرات الجمل التى كتبها الاستاذ **مصطفى امين** فى تحقيقه المنشور فى قراءة هذا العدد .

● تفتتح « اخبار اليوم » كل فرصة تسمح من وجهة نظرها ، بابراز « الحب الامريكى» على المستوى السياسى والرسمى للشعب المصرى . ومن امثلة ذلك ، الصورة الكبيرة المعتادة فى صدر صفحتها الاولى الى شمال اسم الجريدة ، حيث نشرت فى العدد ٣٣٤ الصادر فى ٣١ مارس ١٩٥١ صورة كبيرة لوكيل الخارجية الامريكية **ماكجى** اثناء زيارته لمصر وهو يشرب من « قلة » فى منزل احد عمال المحلة الكبرى.

● ابراز الدور العسكرى لامريكا فى حرب كوريا ، تحت ستار الامم المتحدة . وقد افردت اكثر من مقال للحديث عن شجاعة الجندى الامريكى والقادة العسكريين الامريكيين فى حرب كوريا وعلى رأسهم الجنرال **ماك آرثر** . ومن امثلة ذلك ما جاء فى العدد ٣٣٦ الصادر فى ١٤/٤/١٩٥١ بعنوان « ماك آرثر .. الثانى » .

● نشر سلسلة من الريبورتاجات الصحفية حول شخصية الجنرال **ايزنهاور** الذى كان يتصدر عمليات التخطيط لسياسة الاحلاف العسكرية فى الشرق الاوسط . كالريبورتاج المنشور فى العدد الصادر فى ٢٠ يناير ١٩٥١ ، تحت عنوان « هذا الرجل الذى قضى على **هتلر** فى اوروبا .. يعود الى اوروبا ليواجه **ستالين** » ، ومع الريبورتاج صورة ضخمة لايزنهاور .

.. قلنا ان امريكا كانت تسعى الى ربط مصر والشرق الاوسط بحلف عسكرى . وكان لابد من تهيئة الرأى العام لهذه السياسة وابرام الحلف وانشاء القواعد العسكرية .

ونحن نزعم ان « اخبار اليوم » قد لعبت — وقتها — دورا مخططا ومدروسا فى هذا الصدد . وفى رأينا ان قراءة الكتابات التى نشرتها — كنصوص — بعضها بتوقيع الاستاذ **مصطفى امين** وبعضها بتوقيع « مراسل « اخبار اليوم » (التى تتضمن رأيا توحى به والتى وافق عليه رئيس التحرير بالطبع ، توضح ان دور « اخبار اليوم » قد خطط من خلال زوايا او مراحل ست هى :

اولا : الترويج لفكرة ان الحرب العالمية الثالثة سوف تنشب ، أن لم يكن قد بدأت بالفعل . وفي هذا الصدد يكتب **ايوا** مراسل اخبار اليوم ، في ١٩٥١/١/٦ ان الحرب ستبدأ في الشرق الاوسط . ويكاد يؤكد **مصطفى امين** — بناء على تقديرات الخبراء الحربيين في واشنطن — انهـا « ستشتعل في حوالي شهر اكتوبر ١٩٥٣ وان الشرق الاوسط سيكون من ميادينهـا الاولى » . بل ان « اخبـار اليـوم » تنشر ماتشبثا ضخما باللون الاحمر في العدد ٣٤١ يقول « **امريكا تبلغ مصر أن العالم في حالة حرب** » الصادر في ١٩٥١/١/١٩ .

ورد فعل هذا المفهوم بالطبع ، ان يتساءل المواطن المصري عن مصير بلاده عند نشوب الحرب ومدى استعدادها .

ثانيا : الترويج لمفهوم وفكرة اطمـاع روسيا في الشرق الاوسط ، فتنشر « اخبار اليـوم » لمراسلها الدبلوماسي في ١٩٥١/١/١٣ خبرا « تسعى به جميع صحف العالم » — على حد قولها — يقول بان « هناك اتفاقا سريا بين روسـيا والصين يكون الشرق الاوسط — بمقتضى الاتفاق السري الذي تحدثت عنه « اخبار اليوم » — في يقين ، ولم تكشف السنوات حتى اليوم في ١٩٧٥ أية اشارة له — فيكون الشرق الاوسط من نصيب روسيا . ويرد هذا المعنى بشكل مباشر في مقال **مصطفى امين** ورسالته من واشنطن حين يتحدث عن « الغزو الروسي » الموقع حالا .

ورد فعل هذا المفهوم بالطبع ، ان ينظر المواطن المصري — الذي يعرف عدم استعداد بلاده وقتها للحرب — ينظر الى « النجدة » من الجانب الاخر من الجبهة : امريكا التي هي ضد الروس واطماعهم التي تؤكدها « اخبار اليوم » . وقد تكون هذه النجدة « حلفـا عسكريا » او قاعدة من القواعد .

ثالثا : الترويج لفكرة ان امـريكا هي الدولة القادرة على مواجهة اعباء الحـرب وتكاليفها . وانها هي اقوى دولة في العالم تستطيع مواجهة الروس . فهي — كـما يقول **مصطفى امين** في تحقيقه من واشنطن — تصنع قنبلة ذرية كل ساعة . وهي التي سبق لها — على يد **ايزنهاور** كـما تقـول « اخبار اليوم » في اشارتنا السابقة — ان هزمت **هتلر** في اوروبا . وهي — كما تقول « اخبار اليوم » التي تلحق الخسائر الضخمة والهزائم « بالقوات الشيوعية » في حرب كوريا .

« ورد فعل ذلك — بالطبع — ان يحمد المواطن المصري الله على ان هنـاك دولة — كامريكا — تستطيع ان تتصدى لهـذا « الغزو الروسي — اذا شاء هو ذلك ، أي المواطن المصري بالطبع .

رابعا : يرتبط بهذا « التخويف » ، مـن العدو .. كراهية ، ومن امريكا .. تعويضا عن عدم قدرات مصر العسكرية — الترويج لفكرة ان مصر وحدها ليست قوة .

ولكن « اخبار اليوم » لا تنسى في هـذا الصدد — على لسان **مصـطفى امين** في برقيته من واشنطن بعنوان حرب في سنة ١٩٥٣ بتاريخ ١٩٥١/٥/٥ — لا تنسى ان تحاول محاصرة رد الفعل الوطني فيشير الكاتب الى ان التـقرير الامريكي يعتبر الضباط الشبان المصريين « احسن ضبـاط الشرق الاوسط » .

ويزيد احساس المواطن المصري بالخوف من « الغـزو الروسي المرتقب والمزعوم » واشـتعال الحـرب العالميـة ، حين يكتب **مصطفى امين** في « الموقف السياسي » للعـدد ٣٢٢ الصـادر في ١٩٥٢/١/٦ تحت عنـوان « الحقيقـة المرة » ليقـول « تقف مصر اليوم وحدهـا في العـالم تبحـث عن صـديق او حليف واحـد فلا تجد » . وكان مراسله في لنـدن قـد كتب في نفس العدد [صفحة ٧] ، يقـول ان « دول الكومنولث ضد الجلاء » . وذلك كتاكيد عملي على ان مصر تقف وحدها .. وبالتالي لا مفر من ان نبحث جميعا عن حليف جديد .

خامسا : هنا تقدم « اخبار اليوم » مسألة الاحلاف والقواعد العسكرية تحت اسم من المهم ان نركز عليه بتأنى . فتستخدم لفظى «الدفاع عن الشرق الاوسط» و«حماية الشرق الاوسط » (انظر برقية مراسل اخبار اليوم فى ١٩٥١/١/٦ بعنوان الحرب ستبدأ فى الشرق الاوسط . وانظر ايضا ما نشيت : « مباحثات امريكية بريطانية هامة لحماية الشرق الاوسط » فى ١٩٥١/١/٦ ايضا] .

... ومعنى هذا ان يعرف المواطن المصرى ان النشاط الامريكى لاقامة الاحلاف والقواعد ، مقصود به حمايته وحماية وطنه .

سادسا : ويعود **مصطفى أمين** من واشنطن ليكتب بعنوان «تحقيق اخبار اليوم عن الحرب القادمة » ويلقى اضواء باهرة على **مالك آرثر** وشجاعته وبطولته ودعوته الى اعلان الحرب ضد روسيا فورا . الى ان يقول بالحرف الواحد كما فى نص تحقيقه المنشور فى هذا العدد :

« .. ويعتقد **مالك آرثر** ان امريكا وحدها تستطيع ان تهزم روسيا . ولكن خبراء رئيس الجمهورية يقولون ان الجيش الروسى والطيران الروسى والاسلحة الروسية لا يجوز التقليل من اهميتها وخطرها ، وان امريكا وحدها لا تستطيع ان تغلب هذا العدو الجبار ، بل يجب ان تقف غالبية العالم الى جوارها ، كما وقفت غالبية العالم الى جوار بريطانيا لتهزم **هتلر** » .

.. ومعروف ان مصر وقفت مع بريطانيا والحلفاء ضد **هتلر** .

.. ويبقى — كما فى التحقيق وكما تؤدى اليه متداعيات التفكير — ان تقف مصر مع امريكا ضد روسيا .

ولا حاجة بنا الى اى تعليق .

.. نحن فى حاجة الى مزيد من القراءة المتأنية . ومجلدات الارشيف ضخمة وكثيرة .

« الطليعة »

تقارير الشهر

مارس
١٩٧٥

● جمهورية مصر العربية ●

أول حصر واستقصاء للعمالة في ادارة القطاع العام

في مؤتمر صحفي أعلن الفريق جمال عسكر رئيس الجهاز المركزي للتعبئة والاحصاء بنتائج أول حصر واستقصاء علمي شامل عن العمالة في مجال الادارة بقطاع النشاط الاقتصادي العام في مصر ، وأبرز أهم نتائجه ، وقد شمل الحصر ٣٤٫٢٠٨ ألفا من المديرين بوظائف الادارة العليا والمستوى الاول ، وهؤلاء يعملون في ٣٧٧ مؤسسة وشركة وهيئة عامة ، وهم يمثلون جميع من يعملون في هذا القطاع من هذين المستويين [أي ابتداء من رئيس مجلس ادارة الى المساعد الاداري حتى الدرجة الرابعة] .

ودلت نتائج الدراسة في مجال التدريب الاداري ، أنه ينحصر غالبا في زيادة المعلومات دون أن يتحقق منها زيادة القدرة على حل مشكلات العمل ، ودون تطبيق المعلومات الجديدة اتضح أن ٤٧٫٣٪ فقط حصلوا على التدريب . كذلك لم يحضر منهم سوى ٨٫٤٪ مؤتمرات علمية أو مهنية و٦٠٪ من هؤلاء لم يتقدموا للمؤتمرات بأي بحوث .

وبالنسبة للحصول على أول وظيفة اتضح أن ٢١٪ كانوا من بين العاملين في الشركات قبل التأميم . وتلقى الدراسة الضوء على تغلب الطرق الشخصية في الاعلام بالوظائف . اذ أن ٤٣٪ من المديرين علموا بها من خلال اتصالاتهم الشخصية و٤٠٫٢٪ علموا بطرق غير محددة في الدراسة .

ولعل أكثر النتائج أهمية توضح أن ٧٤٪ من المديرين يعتقدون أن هناك وظائف أخرى أكثر اتفاقا مع خبراتهم ، بينما نجد أن أكثر من ٥٠٪ فقط لا يعتقدون أن وظائفهم الحالية تؤهلهم لمستقبل أفضل في الوظائف الادارية في القطاع العام . ويرى ٩٠٪ أن سبيل النجاح هو الممارسة والخبرة والعلاقات الشخصية ، بينما ٨٫١٪ يعتقدون أن العلم والتدريب المستمر هما محددات النجاح الوظيفي في الادارة ..

لقد اتضح من الدراسة التي شملت حوالي ٣٤ ألف مدير أن الغالبية ١٩٫٧٤٤ قد حصلت على البكالوريوس أو الليسانس ، وأن هناك ٢٦٠ قد حصلوا على دبلومات عليا و٨٠ على درجة الماجستير ، و٥٧ على الدكتوراه بينما هناك ٢٢٨٠ حصلوا على المرحلة الابتدائية و٣٦ يقرأون ويكتبون أي ليس معهم شهادات على الاطلاق .

وتوضح الدراسة أن ما ينقص المديرين : المرتبات المجزية والامكانيات والموارد اللازمة للعمل والاماكن المناسبة والمساعدين الاكفاء . كذلك توضح الدراسة عدم وجود نظام موضوعي للتقدم الوظيفي بحيث يتدرج الفرد وفقا له في مناصب الادارة طبقا لمعايير ومعدلات معروفة للفرد ذاته ، وأن هذا يثير عدم الثقة بالمستقبل الوظيفي ويحرم المديرين من حافز هام للخلق والابتكار وبذل الجهد . ولكن ثبت من الدراسة أيضا أن المديرين بالقطاع العام يتمتعون بدرجة من الحرية في العمل والمشاركة في تحديد الاهداف مما يخالف بعض الدعاوى التي تؤيد خلاف ذلك ، مع ذلك فان الانجازات المتحققة لا تتناسب مع توافر هذه الميزات .

وقد اتضح من الدراسة عن النفوذ النسبي للمديرين ، أن الاهمية بدأت بالمدير المالي فالمدير الاداري ، فمدير المصانع ، فمدير المبيعات ، فمدير التخطيط فكبير المهندسين وهذا يدل على حقيقة الفكر الاداري السائد حيث لا تزال وظيفة التسويق والمبيعات ووظيفة التخطيط برغم اهميتها بعيدتان عن الاهتمام الموضوعي .

وتوضح الدراسة بالنسبة للرأي في عيوب أساليب الادارة والقطاع العام انها في المديرين أنفسهم ، مما يوضح الحاجة الى تصميم نظم متطورة وثورية في اختيار واعداد وتدريب القادة الاداريين ومحاسبتهم . هذا بالاضافة الى وجود عيوب في التنظيم الاداري وأساليب العمل مما يوضح الحاجة الى اعادة التنظيم ودعم الاجهزة الفنية للبحوث والتخطيط ومراكز المعلومات .

وتوضح الدراسة ، أن العوامل الاساسية للنجاح في

• ج ٠ م ٠ ع •	• لبنـــان •	• اليمن الشمالية •	• فـــيتنام •
اول حصر واستقصاء فى ادارة القطاع العام	قـرارات ايجـابية لـدعم الســـود	مرحلـة جـــديدة فى الصراع على السلطة	فلسـطين جديدة فى جزيرة اعـرودية

وحدات القطاع العام تأتى من داخل الوحدات الانتاجيـة ذاتها وليس من خارجها ، وهى تتركز فى كفاءة المديرين والعاملين وكفاءة التخطيط والتنظيم ودوائر الامكانيات المالية ثم دقة الرقابة .

وفى نفس الوقت ، توضح الدراسة اعتماد الدراسـة اساسا على التخطيط القصير الاجل ، ومن هنا يتضح عدم التكامل مع الخطط البعيدة المدى التى تحدد الاهداف الكبرى

وتعكس استراتيجيتها لضمان تحقيق اهـدافها . ولن التخطيط الادارى لا يعدو أن يكون مجمـوعة من البرامج والموازنات غير المتكاملة .

ونؤكد المعلومات أن المديرين لا يولون موضوع رسم سياسة واضحة اعتمامـا كبيرا ، بدليل ان اهم مجالات العمل الادارى التى تحكمها سياسات واضحةهى بالترتيب:

توقيع الجزاءات ، ثم ترقية الافراد ، ثم الانتاج ، ثم التدريب ، ثم اختيار الافراد ، ثم خدمـــات العاملين والحوافز ، ثم البيع والتخزين والشراء وظل الافراد ، واخيرا التمويل . ويوضح هذا أن المجالات الصورة التى تؤثر فى نجاح المشروع لا تناولها قوانين مما يترب عليه العديد من المشكلات وعدم الموضوعية ، واضـــطرار المرءوسين للرجوع الى رؤسائهم فى كل حالة مما يوضح الميل لتركز السلطة ، وتعقد فى الاجراءات ، وانخفاض فى كفاءة الاداء .

ويرى المديرون أن أهم المشكلات التى تعانى منهاوحدات القطاع العام من وجهة نظرهم هى عدم توافر مستلزمات الانتاج والعمالة الزائدة ، ونذرة تمتع الخبرا ، وانخفاض مستوى الاجور والمرتبات ، واللوائح والقوانين المقيدة لحرية الادارة ، وتغلب الاعتبارات الشعبية وتدخل المؤسسات العليا فى شئون الشركات التابعة لها .

ويلاحظ من أن كل هذه المعلومات قد تم تجميعها خلال اكتوبر ١٩٧٢ ، الا أن النمط الذى تبرزه لا يزال ملائما لما توضحه الشكاوى والانتقادات الموجهة الى القطاع العام والاختلافات المتتالية فى الاسواق نتيجة للطاقات المعطلة . من هنا تبرز هذه الدراسة العلمية الجـادة ضرورة أن تكون هناك وقفة لاعداد دراسات جديدة ..

استعدادا لفترة جديدة ينطلق فيها القطاع العام الى آفاق ارحب لتحقيق معدلات اكبر فى خدمة المنطقة الاقتصادية والاجتماعية .

○

• الشرق الاوسـط •

جروميكو :

رحلة لضبط الساعات السياسية

كيسنجر :

أمن اسرائيـل هو أمن أمريكا

علقت صحيفة « لاكروا » الفرنسية على زيارة جروميكو لدمشق والقاهرة ، بأن الدبلوماسية السوفيتية قد أكدت بهذه الزيارة تأمينها فى المنطقة . وأكد الرئيس السادات فى تصريحه للطابور بأن علاقة مصر بالاتحاد السوفيتى « تحسنت كثيرا » بعد هذه الزيارة . وأوضح البيـان المشترك الصادر عن زيارة جروميكو للقاهرة أن الاتحاد السوفيتى ومصر يؤكدان من جديد موقفهمـا المبدئى القائل بأن السلام العادل الدائم فى الشرق الاوسـط لا يمكن تحقيقه دون الانسحاب الكامل للقوات الاسرائيلية من جميـع الاراضى العربية التى احتلت فى ١٩٦٧ ، وضمان الحقوق القومية المشروعة للشعب الفلسطينى ؛ بما فيها حقه فى تقرير المصير وفى وطنه القـومى الخاص . وان التسوية يجب أن تكون شـاملة ، وان تشمل كل جوانب النزاع وتحل كل المسائل التى بعضهـا تشمل كل جوانب النزاع وتحل كل المسائل التى بعضهـا

وأبرز البيان اقتناع البلدين الراسخ بأن مؤتمر جنيف للسلام فى الشرق الاوسط ، هو أنسب منبر لمناقشـة كل جوانب التسوية . وأيد الجانبـان استئناف مؤتمر جنيف فى أسرع وقت بمشـاركة كل الأطراف التى يهمها الامر ، بما فى ذلك ممثلو منظمة التحرير الفلسطينية .

وأكـد الجانب المصرى على رأيه فيما يختص بأهمية وضرورة مشاركة الاتحاد السوفيتى فى جميع مجـالات

ومواقف التسوية في الشرق الاوسط ، بمسا في ذلك مشاركته في كل هيئات العمل التي يمكن أن تقام في جنيف • وأعلن الاتحاد السوفيتي تصميمه على مواصلة تقديم المساعدة والمساندة الشاملة للقضية العادلة للشعوب العربية في نضالها من أجل تصفية آثار العدوان الاسرائيلي واقامة سلام عادل ودائم •

وخلال الزيارة تم توقيع الاتفاقية التجارية بين البلدين واتفاقية التعاون في مجال التخطيط وخطة التعاون الفني والعلمي • وعقب الزيارة ، سافر وزراء الصناعة والتجارة والتعاون الاقتصادي لاجراء مباحثات في موسكو حول عدة موضوعات أهمها : استخدام فائض الفوسفات السوفيتية ، والاتفاق على مشروعات جديدة ، اعادة جدولة الديون • كما أعلن توريد صفقات من السلاح لمصر • وقد سرح بريجينيف تعليقا على الزيارة أنه « هناك دائما حاجة الى اجراء اتصال وتبادل وأنسب للآراء لضبط المواقف السياسية • وقال « فصباحيل فهمي » انه لم تنشأ خلافات خلال المحادثات • وأكد الرئيس السادات وبريجينيف في محادثاتهما الاهمية القصوى لتبادل الآراء بين ليونيد بريجينيف والرئيس السادات • وركزت على تنمية التنسيق بين مصر والاتحاد السوفيتي في ضوء التطورات الراهنة • وعقد السادات والرئيس بريجينيف جلسة مباحثات موسعة بحضور الوفدين الرسميين لبحث كل المسائل المتعلقة بالقضية العربية • وقال بريجينيف في كلمته « اننا نؤيد بحزم وثبات الشعوب العربية في نضالها العادل الحادي للامبريالية في سبيل تحقيق الاستقلال الوطني والاقتصادي وتحقيق التقدم الاجتماعي» واضاف ان الوضع في المنطقة ما يزال معقدا ومتوترا بسبب السياسة العدوانية المغامرة لاسرائيل ومن يقف وراءها من الدوائر الامبريالية • ولكن الشعوب العربية باستنادا الى وحدتها وتأييد أصدقائها ، لن تسمح لأحد أن يملي عليها شروطها •

ولكد البيان الصادر عن زيارة جروميكو لسوريا أهمية تدعيم الدفاع عن سوريا في ظروف استمرار عدوان اسرائيل • وحق سوريا الذي لا ينازع في استخدام كافة الوسائل المعالة لتحرير أراضيها • وأكدت سوريا ضرورة اشتراك الاتحاد السوفيتي في جميع المجالات والمراحل المتعلقة بالجهود الرامية الى حل عادل لمشكلة الشرق الاوسط • وأعرب الجانبان عن اقتناعهما بضرورة استئناف مؤتمر السلام في جنيف على الفور ، على ألا يتأثر بأية حال من الأحوال ببيانو أو أوائل مارس ؟ مع مشاركة جميع الاطراف المعنية بما في ذلك ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية •

واعرب وزيرا الخارجية السوفيتي والسوفيتي عن ارتياحهما لطرق التعاون المثمر وتأكدا تصميمهما على تدعيم هذا التعاون •

ووقع الطرفان اتفاقية التطوير الاقتصادي والتكنيكي واتفاقية التعاون في مجال الخدمات الصحية والطبية •

واعلنت جريدة القوة السوفيتية على محادثات جروميكو قالت انها أكدت من جديد رغبة البلدين الصديقين في مواصلة تدعيم تلاحمهما السياسية والاقتصادية والتجارية والثقافية والعلمية •

وبعد يومين من زيارة جروميكو ، استأنف كيسنجر سياسة المكوك بالتنقل بين أطراف النزاع • وتقول « الصياد » اللبنانية ان رحلة الوزير الامريكي الجديدة ستحدد تحقيق قدر محدود من التقدم بعدهين :

- الوصول الى تسوية نفطية في المنطقة •
- ابعاد الدور السوفيتي أطول مدة ممكنة •

أما « بيجيوت اهرونوت » الاسرائيلية فتقول من اهداف الزيارة : « يعتقد الامريكيون أنه بعد زيارة السوفيت تجدد توريد القاهرة بالسلاح من جهة ، ووضع مصر الاقتصادي من جهة أخرى ، فيؤمل الان فرصة فريدة للتوصل بمعا الى تسوية مرحلية • وهذه هي رأيهم فرصة لا يجوز لاسرائيل اضاعتها •

وقد أكد كيسنجر قبل وأثناء رحلته ، على أنها تهدف الى « الاستطلاع » وان حل المشاكل لا يتم عن طريق مواجهة كل القضايا دفعة واحدة ، بل كل قضية على حدة وعلى عدرات بتباعدة • وقال انه سيستمع الى وجهات النظر من الطرفين ويستوعبه منها كل ماهو غير معلن وما هو من قبيل الدعاية السياسية والاستهلاك المحلي ويركز على النقاط الاساسية في تصور أمريكي للتقريب بين مطالب الطرفين • وقد أوضحت «روز اليوسف» ان هذا التقريب هو في حقيقته محاولة لعزل الموقف السوفيتي للحل من طريق مفاوضات مباشرة • وان الهدف الاساسي لرحلة كيسنجر هو ضرب قرار مؤتمر الرباط بوحدة الصورة ، بمحاولة اغراء مصر « بقضية كبيرة » تمزلها وذلك تمشيا مع تصريحات رابين بأن اسرائيل لن تتعامل مع الدول العربية مجتمعة • لكن مصر أوضحت موقفها بوضوح في :

- ☐ لا تسوية منفردة • وان الانسحاب لابد وأن يحدث على الجبهات الثلاث المصرية والسورية والاردنية• وانه اذا حدث تجميد واضح وصريح بالانسحاب من الجولان والضفة الغربية ، يمكن بحث بدء الانسحاب من الجبهة المصرية • وفي هذه الحالة لن ترفض مصر بأقل من الانسحاب على منطقة الممرات وحقول البترول في ابوردیس •

- ☐ ان هذه الانسحابات هي مجرد ترتيبات عسكرية لا يترتب عليها أي التزامات سياسية • وأعلن الرئيس السادات بوضوح أنه لن يعطي لاسرائيل أي التزامات بعدم العرب • وان كيسنجر يمكن أن يضمن الطرفين • وبدأ حديث في واشنطن وبعض العواصم الاوربية عن حلف عسكري بين الولايات المتحدة واسرائيل كوسيلة لحمايتها •

- ☐ ضرورة مشاركة الفلسطينيين في جنيف والاعتراف بحقوقهم المشروعة • وضرورة مشاركتهم في أي مفاوضات حول الضفة الغربية •

وبعد زيارة كيسنجر لعواصم المنطقة أعلن أنه سيعود في أوائل مارس وأعرب عن تفاؤله • وفي نفس الوقت

قال أنه يعتقد بأن اتفاقا آخر سيبرم • وأضاف أنه لن يتم قط فى لعبة سياسية الدول الكبرى التضحية باسرائيل ولا بأمنها. وقال ان النزاع بين امريكا واسرائيل هو نزاع بين أسرة واحدة ، وان أمن اسرائيل هو أمن أمريكا • وقد أشاد رابين بجهود كيسنجر من أجل اسرائيل ونوه بصفة خاصة بدوره فى « الجسر الجوى » الذى أقيم فى اكتوبر ١٩٧٣ لنجدة اسرائيل • والمعروف ان كيسنجر سيحمل فى رحلته القادمة التصور الامريكى للخطوة الجديدة فى تحقيق « التقدم المرحلى » • لكن الوضع — كما يؤكد الرئيس فورد — « لا يجعل احدا متأكدا مما يحدث فى هذه المنطقة المتفجرة جدا والصعبة للغاية » •

○

• لبنان •

قرارات ايجابية لدعم الصمود

يعتبر المراقبون أن مجلس الدفاع العربى المشترك الذى عقد فى القاهرة فى الفترة من ٥ — ٧ فبراير الماضى من انجح المؤتمرات التى عقدت فى نطاق الجامعة العربية • وقد خصص المجلس مؤتمره الاخير لبحث الوضع الخطير فى جنوب لبنان نتيجة الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على الجنوب ، وبحث كيفية مواجهة العدوان الاسرائيلى •

ويرى المراقبون أن الاتصالات والمشاورات التى جرت بين وزراء الخارجية العرب قبل انعقاد المجلس ، قد أدت الى توفير أفضل الظروف أمام لبنان لكى يعرض وجهة نظره كاملة ، الامر الذى ساعد على نجاح المؤتمر ، فقد اتفق خلال المشاورات على استبعاد مسألة الوجود الفلسطينى فى جنوب لبنان ، كما أن لبنان من ناحيته لم يضع شروطا تعجيزية أو تحفظات أمام مجلس الدفاع العربى المشترك ، وذلك على عكس ما حدث فى الاجتماع السابق للمجلس ، وكان لبنان واضحا وهو يضع مطالبه المعقولة أمام وزراء الدفاع والخارجية العرب •

كما يرجع نجاح المؤتمر من ناحية اخرى ، الى السياسة التى تنتهجها حكومة رشيد الصلح ، والمنسجمة الى حد كبير مع المواقف العربية ، والتى تشارك وتنسق مع البلدان العربية فى المجالات المختلفة ، وبالاخص مع المقاومة الفلسطينية ، وذلك فى حدود ، الوضع الخاص للبنان وظروفه الداخلية — واعتقاد السلطة الحالية فى لبنان ، بأن لبنان لا يستطيع ان يقف معزولا عن ازمة الشرق الاوسط ، وبالتالى عن الحلول الخاصة بأزمة الشرق الاوسط ، سواء سلما أو حربا •

ومن جهة أخرى ، فقد اظهر المؤتمر التقدير الكامل من جانبه ، لوضع لبنان وظروفه الداخلية ، وعجز لبنان بمفرده عن توفير الحماية الكافية لحدوده الجنوبية ، وكذلك حرص المؤتمر على توفير الضمانات اللازمة للجبهة اللبنانية باعتبارها الجبهة الرابعة الساخنة والتى تتعرض حاليا للعدوان المستمر من جانب اسرائيل •

ان النتائج الايجابية التى اسفر عنها اجتماع مجلس الدفاع العربى المشترك لا تزال غير معروفة ، ولقد اتفق على أن تظل قرارات المجلس بشأن المساعدات المالية والعسكرية للبنان « سرية » ، وقد قال رئيس الوزراء ووزير الدفاع اللبنانيين أنه ليس صحيحا ما نشر فى الصحف العربية عن حجم أو نوعية المساعدات العربية للبنان » •

ولقد كان اعلان الحكومة اللبنانية عن ترحيبها بمقررات مجلس الدفاع العربى المشترك أثره البالغ فى أوساط الرأى العام اللبنانى ، كما يعتبر ايضا بمثابة رد على حملات التشكيك من جانب القوى الرجعية ، للتقليل من أهمية مقررات مجلس الدفاع العربى وعدم جدواها وقد ذهب بعضهم الى حد المطالبة برفض المساعدات العربية واعادتها الى اصحابها • وقد أعلن وزير الدفاع اللبنانى : « أن كل ما طلبه لبنان من دعم فى كل الميادين قد أقره مجلس الدفاع بالاجماع •• وان التضامن العربى كان كاملا خلال الاجتماعات » • كذلك أعلن رشيد الصلح رئيس الحكومة اللبنانية : « ان مجلس الدفاع العربى المشترك ، قرر اعطاء لبنان مبالغ مفتوحة ودون تحديد » •

والشىء الواضح الان فى لبنان ، أن القوى الرجعية المشبوهة تكثف نشاطها حاليا ، وذلك عن طريق استغلال حالة الاضطراب والفوضى فى الجنوب ، لاحداث فتنة داخلية فى البلاد بين الشعب اللبنانى والمقاومة الفلسطينية كما يتبين ذلك من المذكرة التى بعث بها بيير الجميل زعيم حزب الكتائب اليمينى الى الرئيس اللبنانى سليمان فرنجية ، وذلك عشية انعقاد مجلس الدفاع العربى المشترك ، والتى تضمنت تحريضا ضد المقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية والتقدمية المساندة لها فى لبنان ، كما تمثلت هذه المجالات أيضا فى استكتاب أهالى الجنوب عرائض الى الحكومة للمطالبة بابعاد المقاومة الفلسطينية عن جنوب لبنان ، وكذلك المحاولات التى استهدفت منع الوفد اللبنانى من الذهاب الى مجلس الدفاع العربى من جانب الحلف الثلاثى الجديد [صائب سلام ، رشيد كرامى ، ريمون اده] ، الامر الذى يوضح معارضة القوى الرجعية لمقررات مجلس الدفاع العربى المشترك مقدما ، ومنع لبنان من الدفاع عن نفسه بالتعاون مع البلدان العربية الشقيقة •

ومن ناحية أخرى فما تزال اسرائيل تواصل اعتداءاتها على قرى الجنوب ، كما تشاهد الدوريات الاسرائيلية وهى تتسلل الى قرى الجنوب ، حيث تقوم بتدمير المنازل وقتل واختطاف الاهالى ، دون أن تجد من يتصدى لها سوى المقاومة الفلسطينية •

ويتزايد الاحساس العام لدى المواطنين فى لبنان ، بأن اسرائيل قد تقدم على توجيه ضربة شديدة لاكتساح جنوب لبنان ، لتحطيم ثقة الاهالى فى الحكومة واثبات عجز مجلس الدفاع العربى المشترك عن عمل شىء • وذلك بهدف اجبار الحكومة اللبنانية على فك اشتباك جديد على الحدود مع اسرائيل ، تكون ضحيته المقاومة الفلسطينية •

هذا فى نفس الوقت الذى تواصل فيه القوى الوطنية والتقدمية والجماهير الشعبية ، الضغط على الحكومة ، وذلك من أجل تحقيق مزيد من التلاحم مع دول المواجهة ضد اسرائيل ، وتحويل لبنان من جبهة مساندة الى جبهة مواجهة ، وتحقيق سياسة دفاعية مشتركة مع الدول العربية ، وادخال قوات عربية الى لبنان لتساعد على حمايته من العدوان الاسرائيلى ، وتسليح أهالى الجنوب وتنظيم مقاومة شعبية للدفاع ضد الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة •

● الخليج العربي ●

«مصيرة» ... ما مصيرها ؟

اصبحت جزيرة مصيرة الرائعة على الساحل الجنوبي الشرقي لامارة عمان ، حديث المجالس العسكرية ووكالات الانباء العالمية في الفترة الاخيرة ، حيث تجمع كل الانباء بان هناك مفاوضات بين الولايات المتحدة والامارة وبريطانيا ، من اجل اقامة قاعدة جوية لمسلاح الطيران الامريكي في الجزيرة .

والمعروف ان بريطانيا تستخدم جزيرة مصيرة وسيلة كقاعدة عسكرية جوية وبحرية منذ عام ١٩٥٨ ، وهي تعد من اخطر القواعد العسكرية البريطانية في المنطقة وتقع على بعد ٣٥٠ ميلا من مضيق هرمز ، حيث يوجد اكبر مخزن بترول في العالم وذلك بعد انسحاب بريطانيا من داخل الخليج ، والتمركز في امارة عمان في اواخر عام ١٩٧١ ، والقاعدة مجهزة بمطلة اذاعة ، كما يوجد بها مخازن للسلاح والذخيرة ، تستخدم في امداد القوات البريطانية ، التي تتولى حاليا قيادة جيش عمان في الحرب الدائرة هناك الى جانب القوات الايرانية ضد ثوار ظفار .

وقد اثير موضوع جزيرة مصيرة لاول مرة ، خلال زيارة السلطان قابوس حاكم عمان وقيس الزواوي وزير خارجية عمان للولايات المتحدة في ٣-٨-١٩٧٥ ، حيث اجتمعا بالرئيس الامريكي فورد والمسئولين الامريكيين ، وقد حصل السلطان قابوس على موافقة الولايات المتحدة على بيع طائرات طليكوبتر ، وابدى عمان بعدادتهاعسكرية متطورة ، وذكرت « صحيفة كريستيان سيانس مونيتور الامريكية » ، بتاريخ ١٧-٨-١٩٧٥ : « ان المعدات من هذه المعدات هو تدعيم القوات المحلية ضد حرب العصابات التي تشنها الجبهة الشعبية لتحرير عمان منذ عام ١٩٦٥ ، وذلك في محافظة ظفار بجنوب عمان ، وان هذه المعونة العسكرية الامريكية الممنوحة للسلطان قابوس بمثابة تأمين ضد اي تحرك محتمل من الجبهة ، وذلك الجماعات العربية الراديكالية ودول الكتلة الشيوعية التي تساندها .. كما ذكر قيس الزواوي وزير خارجية عمان بصدد المعاونات الامريكية : « ان الامريكيين طلبوا حق استخدام قاعدة مصيرة ، بن حين لاخر ، والحصول على تسهيلات لاعادة تزويد الطائرات العسكرية بالوقود ، وانه في ضوء علاقاتنا الطيبة مع الولايات المتحدة لا نرى هناك بشكلات ، وأن عمان تجري مناقشات مع بريطانيا للاجابة

■ ■ تجربة من المانيا الديمقراطية :

الماركسيون والمسيحيون بين الاشتراكية يدا في يد

خلال جولتي في معرض الكتاب العربي ، استوقفني هرويست لوثار نيتيلت المحرر المسئول عن آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية بدار اوفياو لفتش في المانيا الديمقراطية ، وهو صديق قديم ، ودار حديث معه عن انشغي في المسائيا الديمقراطية ، بن خلاله كان هوار عن الحياة الحزبية في جمهورية المانيا الديمقراطية . ولذا بنا امام تجربة ديمقراطية من المفيد ان نسجلها :

في المانيا الديمقراطية خمسة احزاب : الحزب الاشتراكي الموحد ، والحزب المسيحي الديمقراطي ، والحزب الليبرالي الديمقراطي ، والحزب الوطني الديمقراطي ، وحزب الفلاحين. ولكل حزب من هذه الاحزاب دار النشر الخاص بها ، ومنها تصدر المجلات الهامة الخاصة بالاحزاب والكتب والمطبوعات

ويدين كل حزب مدارسه العليا ، التي تعد الكادر الحزبي ، حيث يدرس فيها اساسا مشاكل البناء الاشتراكي، والعلوم الانسانية والاخلاقية ، ولكل مؤلفاته وتدواته ونشاطه الجماهيري ، ودوره الخاص لتعبئة الجماهير في عملية بناء الاشتراكية في البلاد .

والى جانب هذه الاحزاب السياسية توجد المنظمات الجماهيرية ، التي فيها تتحد حركة الجماهير على اختلاف مشاربها السياسية والعقائدية ، نقابات العمال واتحاداتها وهي تنظيم طبقي للطبقة العاملة ، ومنظمات الشباب ، والنساء والطلاب والمثقفين .

وكل هذه القوى ممثلة في مجلس الشعب ، حيث تتم الانتخابات وفق قائمة موحدة . وهي ممثلة على الاساس التالي :

الحزب الاشتراكي الموحد له ٢٥ ٪ ، حزب الفلاحين ١٠ ٪ ، الحزب الوطني الديمقراطي ١٠ ٪ ، الحزب المسيحي الديمقراطي ١٠ ٪ ، الحزب الليبرالي الديمقراطي ١٠ ٪ ، النقابات العمالية ١٤ ٪ ، الشباب ٨ ٪ ، النساء ٧ ٪ ،

على الطلب الامريكى ٥ ٤ [الصفدى تابع البريطانية ، ١٩٧٠-١٦] ٠

هذا ويثير موضوع استخدام الولايات المتحدة لجزيرة مصيرة ، وجود عدد كبير من أوساط الرأى العام والصحف العربية ، والتى أعربت عن استنكارها ومعارضتها للمشروع ، الامر الذى دعا وزارة الخارجية الصينية الى اصدار بيان تنفى فيه تأجير جزيرة مصيرة للولايات المتحدة واتهمت الصحف العربية بشن حملة دعائية ضد أبارة صين .. غير أن المصادر الرسمية الامريكية والبريطانية عادت بعد ذلك لتؤكد من جديد أن هناك مفاوضات تجرى بالفعل بين الولايات المتحدة وكل من عمان وبريطانيا ، وذلك بشأن استخدام ملاح الطيران الامريكى للمساعدة البريطانية فى جزيرة مصيرة ٠

ويزيد من المخاوف لدى الرأى العام العربى ، تكرار الزيارات التى تقوم بها حاملات الطائرات والمدمرات التابعة للاسطول السابع الامريكى لمياه الخليج ، وذلك منذ شهر نوفمبر الماضى ، والتى وصفتها المصادر الامريكية بانها زيارات تدريبية ، هذا الى جانب ما تلقه الانباء من تهديدات على لسان الرئيس الامريكى فورد وهنرى كيسنجر وزير الخارجية وجيمس شلزنجر وزير الدفاع الامريكى ، بالاستيلاء على منابع النفط العربية عند الضرورة ٠

المتقون ٥ لا ، وليس ضروريا أن يكون رئيس مجلس الشعب من الحزب الفائز ، هل الالمانية ، ورئيس المجلس الفعلى من المسيحى الديمقراطى ، ورئيس الوزراء من الحزب الاشتراكى الموحد ، ونوابه من الاحزاب الاخرى ٠

وهكذا يبقى المركسيون والمسيحيون والليبراليون والوطنيون والفلاحون الاشتراكيا يدا فى يد ٠

وليس من تناقض فى المانيا الديمقراطية بين الكنيسة وبين الاشتراكية ، فالمشاكل السياسية والاجتماعية تحل من طريق الحزب المسيحى الديمقراطى ، ويتم تمويل الكنيسة بواسطة اعضائه كما تتلقى اعانات من الحكومة فى حالة اقامة المبانى الكبيرة للكنيسة ، وتمارس الكنيسة نشاطها بكل حرية ، فلها الى جانب نشاطها الدينى دور النشر الخاصة بها ، والمكتبات المسجلة المستقلة الى جانب وجودها فى مكتبات الدولة ، كما توجد كلية للاهوت فى جامعات برلين وليبزج وبيناورويتنك وجرايفس وآ ٠ ، والاتحاد الكاثوليكى لها نشاطها الخاص وتقاليدها الخاصة وهى تتبع البابا فى روما ٠

وتشرف الحكومة مع الكنيسة فى النشاط الخاص بمكافحة الثقافة الغربية الهادمة للاخلاق ، فهما يحاربان يدا فى يد — مثلا — المخدرات والافلام الجنسية ، والكنيسة دور كبير فى المساهمة فى اعادة بناء البلاد — وتشترك الكنيسة بفعالية فى نشاط حركة السلام ٠

وتتكون الجبهة المتحدة من الاحزاب والمنظمات الجماهيرية ، ولها مؤتمرها الخاص الذى ينتخب هيئاتها القيادية ٠ ولها لجانها القاعدية ، وهى لجان لا يشترط تكوينها من الاعضاء المؤيدين وهى تهتم بمناقشة مشاكل التعليم والخدمات والشوارع والحى والمنطقة ، وحتى مشاكل الحياة المنزلية ، وحتى رئيس الجبهة المتحدة فيس هنسوا هزبيا ، وهو هالبا البرفيسور كورنس استاذ الكيمياء فى الجامعة ٠

ان الحزب الاشتراكى الموحد — لا يفرض دوره القيادى فى بناء الاشتراكية فى المانيا الديمقراطية ، ولكنه يحققه من خلال التعاون الديمقراطى الكامل بين كل القوى الاجتماعية والسياسية على اختلاف مشاربها الفكرية والعقائدية والدينية وهكذا فانه كما كان حزب الفلاحين فى المانيا منذ خمسة قرون دعت رايتا الدين شعارها المساواة بين الجميع ، لان الحزب المسيحى الديمقراطى يشارك فى بناء الاشتراكية دعت نفس الشعارات ٠

ان هذه التجربة التى يجب ان تدرس بعمق وعناية وتؤخذ احكام متسقة — تحقق فى المانيا الديمقراطية على اساس من الفهم العميق لتاريخ المانيا الديمقراطية الثقافى والقومى ودور الاشتراكية والكنيسة فى هذا التاريخ ، وبروح الرغبة فى اعادة بناء البلاد فى كافة المجالات ، وهو امر لا يمكن تحقيقه الا اذا انعدت كل قوى وعناصر الوطن بغض النظر من منطلقاتها العقائدية والفكرية والدينية والسياسية — لاجل هو بناء الوطن اقتصاديا وتعليميا ، بناء الاشتراكية حيث لا يستغل الانسان اخاه الانسان ، بكل السواعد وبكل الجماهير المجالة ديمقراطية داخل مؤسساتها الحزبية والديمقراطية والمفاسة والدينية ٠

عبد المنعم الغزالى

● الكويت ●

تصاعد التيار الحضارى

فى نهاية شهر يناير الماضى .. توقفت الخيام الكبيرة بولائمها عن استقبال الناخبين ، بعد أن أعلن انتخاب المجلس النيابى الكويتى الجديد ، الذى يخلف المجلس السابق انتخابه فى ١٩٧٧ .

وتميزت الانتخابات الكويتية الحالية ، ببروز تيار الشباب المثقف ، وهو تيار يوصف بأنه ليبرالى عصرى يطالب بتنسيق خليجى ، ويركز على دور الكويت فى الخليج العربى .

وقد أبرزت الانتخابات الكويتية لخمسين نائبا يمثلون كل الكويت ، وجود مجموعة من التكتلات الطبقية والسياسية والاجتماعية ، تعد نفسها لحياة حزبية صريحة فى الكويت .

وقد احتفظ تكتل نواب البدو والعشائر بكل نوابه فى المجلس الجديد ، والذين تم انتخابهم فعلا منذ ثلاثة أشهر على أسس عشائرية . كما أن نواب الشيعة ارتفع عددهم فى المجلس الجديد من سبعة الى عشرة نواب .

أما « جمعية الاصلاح » أو الحزب الدينى فقد أصيبت بنكسة كاملة ، فسقط جميع مرشحيها وأبرزهم السيد يوسف هاشم الرفاعى .

أما تكتل « الوسط التجارى » وهو ما يعرف باليمين العصرى ، والذى تمثله جريدة « القبس » ، والذى رغم ثقله المالى الكبير لا يمثل أكثر من ٣ ٪ الى ٥ ٪ من المجتمع الكويتى — فقد فقد الكثير من ركائزه . ويطالب هذا التكتل باقامة مجموعة من الصناعات فى الكويت ، واشتراك رؤوس الاموال الكويتية فى الصناعة العربية والتنمية العربية وان كان اتجاه رؤوس أمواله فى البلاد العربية موجه أساسا فى المجال العقارى .

وفى نفس الوقت كسب « التجمع الوطنى » والمعروف بجماعة الوسط مقاعد جديدة ، ويمثله جاسم القطامى ، وهو تجمع يمثل بالاساس موظفى الدولة والمعلمين ومستخدمى القطاعات الخاصة ورجال الاعمال المتوسطين والصغار ، وقد كان جاسم القطامى من وجوه الجناح الناصرى فى الستينات داخل حركة القوميين العرب ، ويركز هذا التجمع على دور الدولة فى النشاط الاقتصادى ، مع الابقاء على الطابع الخاص للنشاط الاقتصادى .

وأما تكتل اليسار والذى تعبر عنه مجلة « الطليعة » ، ويمثله الدكتور أحمد الخطيب ، فقد حصل على ثلاثة مقاعد ، بعد أن كان له أربعة مقاعد فى المجلس الماضى ويؤيد هذا التجمع عمال البترول ، وذوى الدخل المحدود . وقد تحالفت معه فى نهاية الانتخابات جريدة « الوطن » التى يرأس تحريرها محمد مساعد مصالح .

وتميزت الانتخابات الكويتية الحالية — بتصاعد دور الشباب المثقف والعناصر العمالية ، وانفصال الشباب عن انتماءاته وولاءاته العشائرية والطائفية القديمة ، وبروز قدرته على فرض تيار حضارى قوى ومتميز ، فى مواجهة تيارات التخلف . كما يتوقع المراقبون تحول الكتل والتجمعات داخل المجلس الى أحزاب سياسية حقيقية .

● اليمن الشمالية ●

مرحلة جديدة فى الصراع على السلطة

تثير التطورات الحالية فى جمهورية اليمن الشمالية اهتمام المراقبين السياسيين فى العالم العربى وفى الخارج على السواء ، وذلك بالنسبة لما يمثله موقع اليمن الشمالية بالقرب من باب المندب عند مدخل البحر الاحمر من أهمية كبيرة فى الصراع العربى الاسرائيلى الامبريالى ، وخاصة بعد أن أخذت تتكشف أراضى اليمن عن وجود البترول فى باطنها .

وكان مجلس القيادة العسكرى الذى يتولى السلطة فى البلاد ، قد أصدر فى ١٥ يناير الماضى قرارا باقالة محسن العينى رئيس الوزراء ، كما تم القبض بعد ذلك على اثنين من الوزراء ، اثر تقديم استقالتهما احتجاجا على اقالة محسن العينى ، وهما الدكتور عبد الوهاب محمود وزير الاقتصاد ، وسلطان القرشى وزير التموين .

وقد أكد الوزيران فى استقالتهما : معارضتهما للتحول الجديد فى السياسة اليمنية التى أقصى بسببها رئيس الوزراء محسن العينى للعمل ضد مصلحة الشعب اليمنى ، بهدف ارضاء رجال المشايخ الموالين لبعض الانظمة المجاورة ، وعلى رأسهم الشيخ عبد الله حسين الاحمر رئيس مجلس الشورى والقاضى عبد الله الحجرى عضو مجلس الشورى .. وقد أعلن المقدم يحيى المتوكل وزير الداخلية اليمنى : أن الوزيرين اعتقلا بتهمة انتمائهما لحزب البعث . وقد تم الافراج بعد ذلك عن الدكتور عبد الوهاب محمود وزير الاقتصاد وظل الثانى وهو سلطان القرشى فى الاعتقال حتى الآن .

وقد أثيرت عقب القبض على الوزيرين حملة عنيفة من جانب أجهزة الاعلام على الاحزاب والعقائد الغريبة المستوردة التى تتعارض مع الشريعة الاسلامية ، وعلى الذين يريدون اغراق اليمن فى الكلام الفارغ والابتعادية عن طريق التنمية الاقتصادية .

وفى الواقع لم تكن اقالة محسن العينى من رئاسة الحكومة مفاجأة بالنسبة للمراقبين والمطلعين على الاوضاع السياسية والصراعات الطبقية فى اليمن الشمالية ، الذين قدروا أن محسن العينى لن يبقى فى الحكم أكثر

من ستة اشهر • وذلك بمجرد زوال الظروف التى ادت الى الاستعانة به كوجه وطنى ، فهو ينتمى الى الجناح المعتدل فى حزب البعث العربى الاشتراكى فى اليمن ، لكى يملأ المكان الذى خلا بذهاب القاضى عبد الرحمن الايريانى ، وربما يتم اعداد المسرح اليمنى لفصل جديد فى معركة الصراع على السلطة ••

ولذا يعتبر المراقبون أن اقالة محسن العينى ، ليست سوى حلقة فى مسلسل الاحداث الذى بدأ بالاطاحة بحكم القاضى الايريانى رئيس المجلس الجمهورى ، اثر الخلاف بينه وبين الشيخ عبد الله حسين الاحمر رئيس مجلس الشورى ، وبعض قادة الجيش من أبناء القبائل، ثم ما كان من استيلاء مجلس القيادة العسكرى برياسة المقدم ابراهيم الحامدى على السلطة فى البلاد فى ١٣ يونيو ١٩٧٤ •

وأيا كان الرأى فى سياسة القاضى عبد الرحمن الايريانى المحافظة ، وعدائه الشديد للديمقراطية والقوى اليسارية ، فقد جاهد الايريانى خلال حكمه من اجل حماية استقلال وسيادة اليمن • وقد اعتبر المراقبون اقصاء الايريانى فى ذلك الوقت انتصارا لاحتكارات البترول الاستعمارية فى المنطقة ، وانتصارا لسياسة التدخل فى شئون اليمن الداخلية من جانب جيرانه الاقوياء وانتصارا لمجلس الشورى برياسة الشيخ عبدالله الاحمر

وقد استطاع محسن العينى اثناء عمله بالوزارة والتعاون مع المقدم ابراهيم الحامدى رئيس مجلس القيادة تحقيق بعض النتائج الايجابية ، تتمثل فى تجميد نشاط مجلس الشورى ، وتحقيق بعض الاستقرار المالى فى البلاد ، واستكمال خطوات مشروع الوحدة مع النظام التقدمى فى اليمن الجنوبية ، بحيث لم يتبق سوى التوقيع عليه وتنفيذه •

ولكن سرعان ما أخذت الامور فى اليمن تتجه وجهة أخرى ، وذلك بسبب تفاقم الخلاف بين قبيلتى « حاشد » و « بكيل » أكبر القبائل اليمنية التى تشترك فى شئون الحكم • ويتزعم قبيلة حاشد الشيخ عبد الله حسين الاحمر رئيس مجلس الشورى ، كما يتزعم قبيلة بكيل الشيخ سنان أبو لحوم صهر محسن العينى ، ووالد المقدم على أبو لحوم قائد قوات الاحتياطى ، وعضو مجلس القيادة العسكرى • ويساندهم المقدم مجاهد أبو شوارب عضو مجلس القيادة ، وعدد كبير من العناصر الشابة فى القوات المسلحة ، والتيار البعثى والقومى فى اليمن ، والذين يرفضون ما يطلقون عليه التدخل من جانب الجيران فى الشئون الداخلية لليمن مقابل المساعدات التى تقدم لليمن •

وقد انعكس هذا الصراع بالتالى داخل مجلس القيادة العسكرى، وظهرت نتائج هذا الصراع فى الوقائع التالية :

● ففى ١٩٧٤/٨/٧ ، أصدر مجلس القيادة العسكرى قرارا يقضى بالاعدام والاشغال الشاقة المؤبدة على كل من يشارك من افراد القوات المسلحة والامن والملحقين العسكريين فى ابداء الآراء الحزبية والمساهمة فى الاحزاب السياسية ، أو تنظيم الدعاية أو الاجتماعات ذات المبادىء أو الميول السياسية •

● وفى ١٩٧٤/١١/٤ ، أصدر ابراهيم الحامدى رئيس مجلس القيادة العسكرى ، قرارا بعودة مجلس الشورى واستئناف نشاطه ، وتكليف مجلس الشورى بمهام تشريعية فى الدولة باعتبار أنه السلطة التشريعية فى البلاد •

● وفى خلال موسم الحج ، عقد الشيخ عبد الله حسين الاحمر رئيس مجلس الشورى مؤتمرا فى المملكة السعودية ، اشترك فيه الفريق حسن العمرى الذى يقيم فى السعودية منذ سنوات ، وعبد الرحمن البيضانى الذى يقيم فى القاهرة ، كما اشتركت فى المؤتمر عناصر من قادة الثورة المضادة المعادية للنظام القائم فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ، وفى مقدمتهم عبد القوى مكاوى رئيس حكومة اليمن الجنوبية اثناء الحكم الاستعمارى البريطانى •

● وفى ١٩٧٥/١/٤ عاد الفريق حسن العمرى وبصحبته الشيخ عبد الله الاحمر الى صنعاء ، حيث استقبل استقبالا رسميا شارك فيه ابراهيم الحامدى وعدد من أعضاء مجلس القيادة العسكرى •

● ثم ما كان أخيرا من اعلان مجلس القيادة العسكرى فى ١٣ يناير الماضى من اقالة محسن العينى رئيس الوزراء ، الذى قيل « انه لم يعد يتمتع بثقة مجلس الشورى » كما ذكر أيضا « انه اقيل لعوامل خارجية متعلقة بعلاقات اليمن العربية والدولية » •

ومن الطبيعى أن تثير التطورات السياسية فى اليمن الشمالية والتى أطاحت بحكومة محسن العينى التساؤلات حول مستقبل الاوضاع فى اليمن الشمالية • ومما يذكر عن عبد العزيز عبد الغنى رئيس الحكومة الحالية انه من الخبراء فى الشئون المالية والاقتصادية ، كما أنه لا يهتم بالسياسة ، وكذلك الحال بالنسبة لبقية أعضاء الوزارة ، باستثناء المقدم يحيى المتوكل وزير الداخلية وعضو مجلس القيادة ، واحمد دهمش وزير الاعلام ، وعبد الله الاصنج وزير الخارجية وهو من اليمن الجنوبية والذى يثير وجوده فى الوزارة علامة استفهام جديدة ، وذلك بالنسبة لمستقبل الوحدة بين شطرى اليمن ، اذ المعروف عن الاصنج أنه من المعادين للنظام القائم فى اليمن الجنوبية •• هذا ومن المقرر أن تمكث الحكومة الحالية فى السلطة مدة ستة اشهر ، وذلك الى ان يتم انتخاب مجلس شورى جديد فى شهر ابريل القادم ويتم اجراء تعديل فى الدستور الحالى •

ويعتقد المراقبون أن معركة الصراع على السلطة لم تحسم بعد بين الاتجاهين السياسيين الرئيسيين فى الساحة اليمنية • ولا يوجد هناك بين المراقبين من يستطيع التكهن بنتائج الصراع الحالى فى البلاد ، وان كان الاعتقاد السائد لدى المراقبين ، أن انتخابات مجلس الشورى القادمة لن تكون نهاية للاحداث ، بل بداية لجولة جديدة فى الصراع بين الاتجاهين الرئيسيين الرجعى والقومى فى البلاد ، الى أن تحسم قضية السلطة لصالح أى من هذين الاتجاهين السياسيين فى اليمن الشمالية •

● قبرص ●

فلسطين جديدة في جزيرة أفرودية

اذاع فسطلنين كرانيليس ، رئيس وزراء اليونان ، بيانا عقب اجتماعه بكورت فالدهايم السكرتير العام للامم المتحدة ، أعلن فيه أنه لمت نظر فالدهايم الى خطورة المشكلة القبرصية التى قد تتطور الى فلسطين أخرى أو أسوأ منها . وقال ان الجانب اليونانى لن يدعن للامر الواقع الذى يريد الاتراك خلقه فى قبرص . وقال ان حكومة قبرص بمساندة من اليونان طبقا للامم المتحدة لان الجانب التركى فى المحادثات الطائفية بقبرص وتركيا ذاتها ، يواصلان تكتيكات خلق الامر الواقع .

وطالب كالوبريدس ، رئيس البرلمان القبرصى ، مجلس الامن الذى اجتمع بناء على طلب قبرص لبحث الازمة الناتجة من اعلان الطائفة التركية استقلال الجزء الشمالى ، بحث الاجراءات الفعالة لاجبار تركيا على تنحيب قوات الاحتلال وتوابع معاونات عليه اذا تلكأت فى التنفيذ .

والواقع أن احتلال ٣٥ ألف جندى تركى للجزء الشمالى من الجزيرة ، وخطة ربطها بتركيا اقتصاديا وتجاريا وهى الخطة التى يجرى تنفيذها بدأب — بل وتغيير أسماء المدن الى أسماء تركية — كل ذلك كان تمهيدا فعليا للجزيرة وفرض سياسة الامر الواقع ، وانهاء دورها المستقل ودور مكاريوس . ويؤكد المراقبون

تحليق

■ ■ أثيوبيا — أريتريا :

قبل أن تدق الثانية عشرة .. فى أثيوبيا وأريتريا معا

تطورات الاحداث فى أريتريا يجب أن تفزع كل وطنى فى افريقيا وصديق للعمل من أجل قرء استقرارها ، فقد أصبح الصراع على درجة من التعقيد ، بحيث يحسه التنبؤ بخريطة أطرافه على احتمالاته فى حدود محلية ، أو على قارية .

لقد رمضت الحركة الوطنية الاريترية ، الدعوة الى وقف القتال ، وحكومة النظام الاثيوبى الجديد — أيضا — قد رفضت نفس الدعوة . وبالتالى يتصاعد القتال الدموى ويتسع بين الجانبين يوما بعد يوم ، وتراق كل يوم دماء العشرات والمئات من الاشقاء الافريقيين .

والواقع ان طبيعة المنطقة وموقعها وتشابك تطوراتها السياسية ، عليل أساسى ينبغى ألا يغيب عن أى تحليل وطنى حريص على مستقبل المنطقة كجزء من مصير القارة كلها .

● فالمنطقة — سياسيا : ١ — المنفذ الوحيد لاثيوبيا الى البحر والخارج . ومن هنا كان النظام العديد نمها لن يسلم بسهولة القضية خاصة اذا وضعنا فى الاعتبار أنه بعد اعلان برنامجه الوطنى التقدمى فى ديسمبر الماضى ، يتوقع أن يحكم أعداؤه الحصار من حوله ، فضلا عن أن أى تطور للقضية سوف يؤثر على مشار بمشاكل أخرى متجيرة وكامنة داخل بعض أقاليم اثيوبيا . ٢ — أن المنطقة تجاور النظام القدمى فى الصومال وتؤثر تطوراتها فيما على دول أخرى مجاورة دونم بعض الدوائر بتجنيب هذه الاثار .

والمنطقة — عسكريا : ١ — مفتاح رئيسى لمدخل البحر الاحمر . وبالتالى كان مستقبلها له تأثيره على استراتيجيات دول عديدة ، اثيوبيا ودولها . خاصة بعد أن تفتح قناة السويس من جهة وتشد تركيز الاهتمامات الدولية على منطقة الخليج . ٢ — أن المنطقة تطل ، فى الجانب الاخر من البحر ، على قاعدتى دهم أرتيه بريطانيا ٦٠ من أجهزتها للتنزول العالمى . ٣ — أن المنطقة تواعد عسكرية أمريكية ، فضلا عما تمهده من محاولات أسرائيلية سابقة للبحث عن موقع راسخ لاقدامها .

والمنطقة — اقتصاديا تضم الثروات الاساسية وخاصة البترول .

.. وقد تتفطف الاراء حول المسألة الاريترية ، وهل هناك أمة أم أن اثيوبيا واريتريا ، تضم شعوبا متعددة ؟

على أن كفة القوى الوطنية التقدمية تسلم بحق شعب اريتريا فى تقرير المصير على نحو يضع فى اعتباره كل معطيات الموقف وبشاكل الحدود المنتشرة والكامنة فى انحاء القارة . على نحو يغلق الباب أمام كثير من محاولات اشعال الحرائق الموروثة والقائمة بالفعل ، لاحداث انفجارات دائمة تهدد قدرات القارة وتحبط مساعى شعوبها لتحقيق أحلامها فى تجاوز حالة التخلف الرهيبة التى تعانيها .

ويجب أن تكون الاعتبارات والحقائق التالية مرشدا لكل خطوة :

● يجب بذل كل الجهود لحصر القضية فى أطار اثيوبى — اريترى — افريقى .

لن لكن يتم تنفيذا لخطة الولايات المتحدة ، وخطة كيسنجر على وجه التحديد وهو الذى يريد تهدئة الجزيرة وتنفيذها بالقواعد العسكرية الامريكية ، ويتم الخطط — حاليا — على أيدى الاتراك ، ومن قبل أرادوا تنفيذ نفس المخطط عن طريق الانقلاب الذى دبره فى قبرص كولونيلات اليونان قبل الطامة بهم ، فقد كانوا يحاولون جنباك الى النفس من مكاريوس وتقسيم الجزيرة وزيادة اعتمادها على الولايات المتحدة ، لكن اليونان اطلت ومن ثم استدرأوا الى تركيا ، واستغلوا كل امكانياتهم هم ، وحلفائهم لتسهيل عمل الاتراك — وأن تعالى الضجيج عن تدخل المعونات من تركيا — فى الاونة الاخيرة نفلت القوات البريطانية نسمة الاك تركى كذوا لاجئين فى معسكراتها فى الجزيرة الى تركيا ليعودوا من جديد الى القطاع الذى تسيطر عليه القوات التركية ، فى حين كانت حكومة قبرص ترى أن يتم الافراج عن هؤلاء الاتراك بمقابل الافراج عن القبارصة اليونانيين المحتجزين فى المناطق التركية ، وأكدت المصلى الغربية أن كيسنجر هو الذى ضغط على بريطانيا لتفعل هذا ، وليعرم حكومة قبرص من ورقة المساومة ، وعلى أثر هذا الاجراء ، قام القبارصة اليونانيون باقتحام السفارة الامريكية وأحرقوها وألقوا بأنفسهم من النوافذ أحتجاجا ، لتصريحات أمريكا لبريطانيا للقيام بهذا العمل ، كما اعتدت جموع أخرى من القبارصة اليونانيين على السفارة البريطانية فى أثينا .

ومن جانب آخر اعلنت المانيا الغربية — أيضا بتحريض أمريكى — استئناف شحن الاسلحة لتركيا ، وكانت قد أوقفت الشحن عقب الغزو التركى للجزيرة .

واذا كان الاتراك القبارصة ١٠٠ الف نفس ، تبلغ مساحة الـ ٤٠ ٪ من الجزيرة التى تحتلها القوات التركية والتى تريد اقامة دولة مستقلة فيها — تدخل فى اتحاد فيدرالى أو كونفدرالى مع الدولة اليونانية القبرصية —

هذه المسلحة تسكن لاستجلاب الاك من الاتراك الى الجزيرة ، بما يكرس التقسيم ويشتد طائفة الطائفيين، ومن ثم يذهب الى الابد دور الجزيرة المستقل ، ويطلق اعمالا « فلسطين جديدة » .

من هنا كان اصرار مكاريوس على سحب كل القوات الاجنبية من الجزيرة ، بما فى ذلك القواعد البريطانية ،

● — ان النظام الجديد القائم فى اثيوبيا ، نظام وطنى تقدمى يتبنى الحرص على استمراره ومساندته فى ممارسة مسئولياته الوطنية والافريقية .

● ان الحركة الوطنية الاريترية تعبير لا شك فيه عن رفض فى نصابة اعمال الظلم والقهر التى واجهها اريتريا على أيدى حكم هيلاسلاسى ونظامه ، والمسلمون فى تعبير عن رفضهم فى تقرير المصير .

من هنا نقول ، أن اقدام النظام الاثيوبى الجديد البرفض التفاوضى على أساس تقرير المصير ، كمبدأ ، يوقف لا يضع فى اعتباره كل أبعاد الصورة ، بل ويتغافل احتمالات ان يقود «التعنت» فى اخماد محتدة بالقوة الاثيوبية نفسها ، ويؤكد هذا ان يحدث بالفعل ، فالنظام الجديد فى حاجة الى استقرار يضع خلاله برنامج التطبيق ، برنامجه الوطنى — على الاقل، ومن هنا أيضا نقول أن تعبير الوفد ، تصعيده على النحو الذى تعبر وتساعد به من جانب الحركة الوطنية الاريترية ، فداة اعلان النظام الاثيوبى الجديد عن برنامجه الوطنى التقدمى ، تقول أن فى ذلك دفع للاحداث ربما الى غير صالح اريتريا نفسها ، بل انه لتكذلك بالفعل .

نقول هذا ، لان الموقف قد اصبح — عمليا — محددا غاية التعقيد الى حد الغموض بل والى حد اثارة الشبهات فى بعض الاحيان ، وانقذف بعض الاطلة :

لبينما يعلن النظام الاثيوبى الجديد برنامجه الوطنى التقدمى، يندفع تحت وطأة «داعيات الموقف» الى رفض اصل الوساطة لوقف اطلاق النار ، بل ويتدفع الى حد أن يطلب من أمريكا ان تمده بالسلاح لمواجهة متطلبات القتال !

والحركة الوطنية الاريترية تصعد الموقف وتقتال على نحو لم يحدث ايام حكم الامبراطور هيلاسلاسى ، وبعض « يصعد » ايام طويلة من أعمال النظام الاثيوبى الجديد لمرتابعه له.

والغريب — واميركا بالذات — أصبح يصف الاريتريين « المقاتلين » و « الوطنيين » و « بعد ان كان يصفهم ابان حكم هيلاسلاسى «بالمخربين» و « الارهابيين » !.

وبعض القوى الاخرى التى كانت تمارس ضغوطا معروفة على الحركة الوطنية الاريترية فى كفاحها المسلح ضد هيلاسلاسى، تمارس اليوم وتتفانس لمساندة ودعم الوطنيين الاريتريين الى احصى حد وبلا تحفظ !

اليس ذلك كله — على بعضه — غريبا !

لقد اصبحت الصورة معقدة للغاية ، ويكاد زعم الموقف ان يفلت بالفعل من أيدى أطرافه الحقيقيين ، وليس هذا — بالقطع — فى مصالحهم .

ما العمل اذن ؟

حقق الدماء ووقف نزيفها اليوم ، هو المطلب الوطنى — القومى — الافريقى .. الاول . ثم ليلتحق الطرفان الاتفاق ، مع القرار النظام الاثيوبى الجديد لحقيقة ان الحركة الوطنية الاريترية هى المثل الشرعى لاريتريا . ومع اصرار الحركة الوطنية الاريترية بان النظام القائم فى اديس ابابا الآن ،نظام وطنى تقدمى ، وان اساليب التعامل مع نظام الطغاة يختلف بالقطع عن اساليب التعامل مع نظام الطغاة يختلف ،وال للاستعمار كنظام هيلاسلاسى السابق . وأن الصدام من خلال التعامل مع منابر اثيوبية انفصالية ، مسئولة يقدر بضعة اريتريا نفسها .

.. وهنا يبرز اهمية الدور المسئول الذى يجب ان تتصدى منظمة الوحدة الافريقية لممارسته على الفور .. وعلى أعلى المستويات وأنشطتها .

لو اتاحت هنك مساعدت ، بجيبان تستغل على أعلى قدر من المسئولية من جانب الطرفين ، قبل ان تبق « النقبة مشرة. » ويعمل الظلام . ولا جدوى أحد ما الذى سيحدث بالضبط فى جنباته وان كنا جميعا نعرف جيدا النتائج المفزعة لتدابير الدل»!

حسين شعلان

وترك أبناء الجزيرة يقررون أمورهم بأنفسهم ، ومن هنا جاءت مطالبة كليريدس بتطبيق قرار مجلس الامن الذى يدعو لانسحاب قوات الغزو التركى . وفى ضوء كل هذا يبدو الا مناص من عقد مؤتمر دولى حول قبرص يحضره أصحاب المشكلة ليقرروا مصير جزيرتهم بعيدا عن مخططات القضاء على وحدتها وتكاملها .

○

● فرنسا ●

ديستان .. وليس مارك هالتر

وما من وجه للشبه أو المقارنة بين الرجلين .

والامر هنا لا يعدو أكثر من محاولة تصوير كاريكاتيرية خالصة لواقع جاد ..

انها محاولة لرؤية بعض خطوط الصراع داخل فرنسا تجاه منطقة الشرق الاوسط .

الصراع بين اتجاهين .. الاول يقول بسيادة المصالح الفرنسية ويرى ويتفهم نوعية العلاقات والتوازنات الجديدة فى العالم ، ويقاوم محاولات التسيد الامريكية على مصائر كل العالم الغربى ، ويستشعر امكانية أن تلعب أوربا الغربية دورا متميزا وأوربيا بمعنى أن تسود فيه المصلحة الاوربية الخاصة وليس الامريكية ، ويعى درس اغلاق قناة السويس ، ودرس المقاطعة البترولية التى هددت اقتصاديات أوربا الغربية بالشلل بينما استفاد منهـا الاحتكاريون الامريكيون ، ويطمح الى استيعاب وتشغيل والاستفادة من الودائع العربية الهائلة ، ويدرك أن لصفقات السلاح الضخمة جوانب متعددة منها الجانب الاقتصادى أيضا .

وباختصار تيار يضع المصلحة الفرنسية اولا عند النظر للقضايا الدولية وخاصة قضية الشرق الاوسط وذلك هو تيار ديستان وفى مقابله تيار آخر قدمنا له رمز كاريكاتيرى هو مارك هالتر صهيونى أكثر مما هو فرنسى ، وان كان يتكلم الفرنسية بطلاقة محاولا — عبثا — اقناع السياسة الفرنسية بأن مصلحتها فى الانحياز لاسرائيل .. وبما أن اسرائيل ومصالحها لا تنفصل عن المصالح الامريكية ، فان بقية المعادلة معروفة سلفا ..

ولقد انتصر تيار ديستان .. وهزم التيار الصهيونى ورمزه ، وفى هذا الاطار تأتى زيارة الرئيس أنور السادات الى العاصمة الفرنسية كخطوة لتكريس هذا الانتصار ، وكمحاولة لتطويره .

وقد كان الاستقبال الفرنسى الحافل للرئيس السادات تعبيرا حقيقيا عن مدى ادراك فرنسا للاهمية القصوى للتعامل مع العرب ، وكانت كلمات « رؤوس الاموال العربية » « البترول العربى » « صفقات السلاح المجزية » تحوم دوما وان لم يشر اليها كثيرا ، أو بشكل مباشر .

والحقيقة أن زيارة الرئيس السادات لفرنسا كانت فرصة سانحة لتوجيه حملة اعلام مكثفة الى الرأى العام الفرنسى فقد سبقتها سلسلة متعاقبة من التصريحات الصحفية والاذاعية التى ادلى بها الرئيس السادات لمراسلين فرنسيين ، أعطت بمنطلقاتها الموضوعية تمهيدا جيدا للزيارة .

وكما كانت الزيارة فرصة لاعلان النوايا المصرية .. فقد كانت فرصة أيضا لاعلان النوايا الفرنسية ، ولقد تقاربت الخطوط الرئيسية للاعلانين الى درجة كبيرة بحيث مهدت السبيل لصدور بيان مشترك متوازن ، ومحدد المعالم ، وخال من الكلمات المطاطة التى تحتمل معان متنوعة . فقد أكد البيان على أن الرئيسين « قد أوليا اهتماما كبيرا للتطورات الاخيرة واحتمالات الموقف فى الشرق الاوسط وما يثيره من قلق . وعبرا عن اقتناعهما المشترك بأنه لا غنى عن تحقيق خطوات ايجابية فى وقت قريب بحيث تساعد على سرعة التوصل الى تسوية سلمية وهى تسوية يتعين لكى تكون عادلة ودائمة ، أن تتوفر شروط أساسية ثلاثة وهى :

- الانسحاب من جميع الاراضى التى احتلت فى ١٩٦٧
- تكريس حق الشعب الفلسطينى فى أن يكون له وطن
- الاعتراف بحق جميع دول المنطقة فى أن تعيش فى سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها ومضمونة .

ويبدو أن مباحثات الرئيس السادات مع الرئيس ديستان كانت مثمرة وخاصة فيما يتعلق بالدور الفرنسى بصفة خاصة والاوربى الغربى بصفة عامة فى حل أزمة الشرق الاوسط الى درجة أن الرئيس السادات قد صرح للصحفيين قائلا « اعتقد الان ، ولاول مرة منذ ستة وعشرين عاما ، أن السلام قد أصبح ممكنا فى الشرق الاوسط ، اننا نقف عند منعطف فى الوقت الراهن ، ولا يتعين أن نترك الفرصة تفلت من أيدينا » .

وعلى أية حال فان حدود الدور الفرنسى وامكانياته ، ترتبط فى النهاية بحجم فرنسا فى توازنات القوى العالمية هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فانها ترتبط بالمصالح الفرنسية والتطلعات الفرنسية المتزايدة تجاه المنطقة العربية .

ومن هنا فان العلاقة مع فرنسا ليست سوى محور من محاور أخرى يتعين تواجدها كى تدور العجلة فى الاتجاه الصحيح أو حتى كى تمتلك الطاقة التى تمكنها من الدوران أصلا .

○

● بنجلاديش ●

البانجاباندو مجيب .. زعيم أم رئيس ؟

... نادرة هى الزعامات الشعبية فى عصرنا ، والبانجاباندو [حبيب الشعب] مجيب الرحمن هو واحد من هذه الزعامات النادرة ، فهو لم يكن بحاجة الى كرسى الرئاسة كى يصبح زعيما لشعبه ، بل لقد

أصبح زعيماً ورئيساً وحيداً للشعب حتى وهو في السجن ، لكن بنجلاديش تعرضت منذ نشأتها لمؤامرات شرسة ، من أقصى اليمين [الاحزاب التي تعارض الشعارات الاربع للثورة الديمقراطية — الاشتراكية — القومية — العلمانية] الى التيارات الماوية التي تتشبث عبثا بفكرة أن قيام دولة بنجلاديش هو مجرد ثمرة لمخطط هندي — سوفيتي ومن ثم فان العناصر الماوية ترفض مبدأ الاستقلال وترفض معه كل السلطة الوطنية بأبنيتها المختلفة وتتهمها بالعمالة والخيانة ، وترفض حتى استخدام اسم بنجلاديش متمسكة بأنها شرق باكستان .

ومع انتشار الفقر ، وضعف أبنية الدولة ، وتفشي الفساد في مختلف القطاعات ، وضعف العمل السياسي والرقابة ، بالاضافة الى الفيضانات والكوارث الطبيعية التي أدت الى زيادة النقص في انتاج البلاد من الحبوب بأكثر من ثلاثة ملايين طن [العصر الحديث ١٩٧٥/٢/٤] أدى ذلك كله — ونواقص أخرى كثيرة — الى نجاح العناصر المناوئة في شن حملات ارهاب منظمة ، وأختلط الحابل بالنابل في كثير من الاحيان ، فقطاع الطرق والمهربون أو الخصوم السياسيون ، من أقصى اليمين ، والعناصر الماوية .. هؤلاء جميعا يحملون السلاح ويستخدمونه ، والاسلحة كثيرة من بقايا حرب التحرير ، والقتل كثير أيضا . وتقول صحف بنجلاديش أنه طوال شهر ديسمبر كانت ترتكب كل يوم ١٢ عملية اغتيال سياسية في المتوسط ضد كوادر الحزب الحاكم وانصاره وكبار رجال حكمه .

وتختلط الامور ببعضها فالعصابات تسرق تحت ستار السياسة ، والمعارضة السياسية تقتل تحت ستار العصابات ، ونجحت جماعتان أحداهما بزعامة سيراج سيكدار والاخرى بزعامة محمد طه في الاستيلاء على بعض المناطق وشن عمليات تصفية لعناصر الحكومة فيها [التايمز — البريطانية — ١٩٧٤/٤/٢٦] .

وكان من الطبيعي أن يلجأ المواطن العادي الى السلاح أيضا ليحمي نفسه ، وهكذا أصبحت « الرصاصة » هي الفيصل في كثير من الاحيان .

وأوشكت الامور على التردي ، وانقسم حزب « عوامي » الحاكم الى فرق والى شلل استخدمت — هي أيضا — لغة الرصاص ، ضد بعضها البعض ، وكذا كوادر الاحزاب الصديقة كالحزب الشيوعي وغيره .. واتهمت هذه « الشلل » بعضها البعض بالفساد وممارسة التهريب [وهو تجارة رابحة] وبتخريب القطاع العام والاقتصاد الوطني .

وكان لابد من محاولة حاسمة وصارمة لاسكات صوت الفوضى ، ولمحاولة استجماع زمام الامور ، وألقى البانجا باندو مجيب بكل أوراقه على المائدة . ففي ٢٨ ديسمبر ١٩٧٤ أعلنت حالة الطوارىء وكلف الجيش والبوليس معا بفرض الاستقرار ووضعت كل المنشآت الحيوية تحت الحراسة المشددة . وبعد أقل من شهر وافق « المجلس الوطني » بالاجماع [وهو يضم نوابا يمثلون كل الاحزاب المتحالفة بما فيها الحزب الشيوعي] على تعديل الدستور ، وادخال النظام الرئاسي ، ومنح الرئيس حق الاشراف على الوزارة ، وحق تأسيس حزب واحد في البلاد ، بما يعني حل الاحزاب المختلفة بما فيها حزب عوامي نفسه . والرئيس المنتخب لخمس سنوات ، له سلطات تنفيذية وتشريعية كاملة ، والمجلس الوطني له سلطة استشارية فقط [المحرر ٢٦ يناير ١٩٧٥] . وحتى تجرى انتخابات الرئاسة تقرر أن يتولى مجيب الرحمن هذه المسئوليات جميعا ..

وفور صدور هذه القرارات ، تصاعدت الاسئلة حول موقف الحزب الشيوعي في بنجلاديش من مثل هذه الاجراءات التي تعني أولا وقبل كل شيء موافقته على حل نفسه .. وفي هذا الصدد تشير مجلة العصر الحديثة السوفيتية الى بيان أذاعه محمد فارهاد سكرتير عام الحزب الشيوعي يرحب فيه بادخال الشكل الرئاسي في الحكومة وانتخاب مجيب الرحمن في منصب الرئيس ، وقد أكد البيان أن التغييرات التي أدخلت على الدستور تخدم توحيد القوى الوطنية على أساس جديد من أجل تطوير البلاد في طريق التقدم [العصر الحديث ٤ فبراير ١٩٧٥] .

وبرغم المصاعب فان المتفائلين من المراقبين يشيرون الى امكانيات جدية لحدوث تقدم في بنجلاديش مشيرين الى اكتشاف مصادر غاز طبيعي غنية ، والى تزايد انتاج البلاد من السكر والشاي ، والى فعالية الاجراءات التي تتخذ لمنع التهريب ومواجهة الفساد في دوائر الحكومة .. مشيرين أيضا الى استمرار تحالف القوى الوطنية ، والتقدمية ، والشيوعية دفاعا عن كيان الوطن وسعيا وراء تقدمه .

وثائق

الجلسة السرية لمجلس الشيوخ المعقودة فى ١١ مايو ١٩٤٨ عن مسألة فلسطين

نشر « الطليعة » فى هذا العدد ، وبعد ان قدمت فى اعداد ماضية مجموعة من وثائق « التسار المصرى والقضية الفلسطينية » ، وثيقة بالغة الاهمية هى محضر الجلسة السرية لمجلس الشيوخ المصرى فى أحد المجلسين التشريعيين فى النظام البرلمانى المصرى قبل ثورة يوليو ، والذى كان يضم قيادات وكبار ممثلى الاحزاب السياسية الحاكمة وكبار ملاك الارض والرأسماليين المصريين] .

وقد عقدت الجلسة فى ١١ مايو ١٩٤٨ ، اى قبيل حرب فلسطين بأيام ثلاث ، وذلك لمناقشة موضوع اشتراك الجيش المصرى فى الحرب لفلسطينية واقرار الاعتمادات اللازمة للاشتراك فى هذه الحرب .

ولقد أشير الى هذه الوثيقة الهامة فى اكثر من مرجع تاريخى ، واكثر من مناسبة سياسية دون ان تتاح الفرصة لاحد فى الاطلاع عليها او قراءتها وفى بشكل جزئى ذلك أنها مضمنة فى ملف خاص بمحاضر الجلسات السرية لمجلس الشيوخ والنواب .

ان الاهمية التاريخية لهذه الوثيقة لا تكمن [illegible] وبالتفصيل حقيقة المواقف والاتجاهات التى جرى تداولها وسط اعلى تمثيل سياسى وتشريعى فى النظام الملكى القائم فى ذلك الحين ، ولا تكمن فقط فى انها توضح حقيقة مواقف بعض كبار الملاك الرأسماليين تجاه قضية العروبة بشكل عام والقضية الفلسطينية بشكل خاص ، وانما أيضا فى انها توضح حقيقة مواقف ومناورات الدول الاستعمارية وخاصة أمريكا وبريطانيا تجاه هذه المشكلة ومحاولات هذه الدول لارتداء مسوح الحياد الزائف او الوساطة بين الطرفين .

ان بعض القلات الكوميدورية التى عاشت على الفتات مع الاحتكارات الاجنبية وتربت وانبت فى اطار تركيباتها التجارية ونشاطها الطفيلى .. كانت هى صاحبة الصوت الاعلى فى رفض المشاركة المصرية فى حرب فلسطين ، الامر الذى قد يلقى الضوء على مواقف مماثلها الآن او امتدادها الطبيعى الراهن .

وسوف تواصل « الطليعة » تقديم وثائق اخرى حول هذه القضية القومية الهامة مستهدفة اتاحة المواد التاريخية اللازمة لتحديد موضوعى اكثر دقة لابعاد وطبيعة المواقف المختلفة تجاهها ويقوم بتجميع هذه الوثائق د. رفعت السعيد ضمن محاولة شاملة لتقييم مواقف القوى والتجمعات المختلفة تجاه القضية الفلسطينية .

الرئيس ! حذارك الشوك الكثير»

طلب الى حضرة الزميل المحترم دولة صدقي باشا أن يبدأ بالقاء كلمة في موضوع فلسطين ، ولما كان للحكومة أن تتكلم كلما طلبت ذلك لقد سألت دولة رئيس مجلس الوزراء ترى أن يبدأ هو بالكلام ، فلما كان لدولة صدقي باشا بعد ذلك مايريد الاستفسار عنه فلا مانع بعد انتهاء دولة رئيس مجلس الوزراء من القاء كلمته ، لذلك فليتفضل دولة رئيس مجلس الغداء لالقاء كلمته .

النقراشي

حضرة صاحب الدولة محمود فهمي

النقراشي باشا رئيس مجلس الوزراء :

حضرات الشيوخ المحترمين — تعلمون حضراتكم أن موضوع قضية فلسطين يهتم له كل الدول العربية كل الاهتمام . فانه لم يمكن بعقد اجتماع لمجلس جامعة الدول العربية الا وبشاول قضية فلسطين بالدراسة وينتهي بقرارات حالتها والاجراءات التي يجب على الدول العربية أن تتخذها لصيانة فلسطين عربية موحدة. وقد كانت ميعاد اجتماع مجلس جامعة الدول العربية في أكتوبر الماضي طلبت الدول العربيه عقد اجتماع لرؤساء حكوماتها في لبنان وقد كنت وبيقظ حاذا بلد قليل من أمريكا الا التي نظرا لاهمية الاجتماع سحم على أن أسافر الى لبنان للاشتراك مع حضرات رؤساء حكومات الدول العربية الاخرى للنظر فيما يجب عليها عمله لنجدة فلسطين ، وفي ذلك الوقت كان اجتماع لندن قد انتهى على غير نتيجة ، والجمعية العمومية لهيئة الامم المتحدة على وشك الاجتماع لدراسة مسألة فلسطين ، وبريطانيا قد اعتزمت على انهاء الانتداب وكان يشغل بالنا جميعا ويال مئات الالاف من العرب المقيمين في المنطقة التي ينطوط البهود وعددهم نحو ٤٠٠،٠٠٠ عربي — أقول كانت تساورنا الشكوك على حياتهم وأرواحهم وأرواح ذويهم . فطرح للبحث موضوع اشتراك الدول العربية بقواتها، وعرضت كل دولة ما يمكنها أن تقوم به . ولكنني تحفظت وقلت أن مصر في تزامها مع بريطانيا العظمى — وجنود بريطانيا مازالت مقيمة في أراضينا — فلا يمكنها أن ترتبط في أي اشتباك عسكري مادام الحال كذلك . وكانت جميع الدول العربية أيضا متفقة على أنه لا يجوز أن تتدخل جيوش الدول العربية مباشرة في فلسطين ، وأن تكتفي بمساعدة المتطوعين والاسلحة والذخيرة والمال . وهذا الجيش كان يستخدمه الانجليز للمشاركة في حفظ الامن ، وهو جيش على استعداد وافر وتسلحه جيد وخبرته طيبة وشجاعته معروفة وذلك لان الصهيونيين ما كانوا يقبلون أن يشتركوا معها مطلقا .

لقد انتقلنا على ضرورة مساعدة الفلسطينيين بالمال حتى يتيسر لهم مقاومة الضغط الصهيوني المتزايد . وتعلمون حضراتكم أن نصيب مصر في اعمال الجامعة العربية هو بقدر ٢٤٪ وقد قررتم في ميزانية وزارة الخارجية لهذا الغرض، لقد رأينا فيما بيننا ما يمكن أن يقوم به كل عضو من أعضاء الجامعة العربية . ويسرني أن نعلموا أن مصر قد ثابت بواجبها الكامل في هذه الناحية . وقد اعترف المجاهدون الفلسطينيون بالمهم انتعاوتكل الاتصاع بالتسهيلات والمواد التي تقدمها من البلاد المصرية . إن المقاومة التي بذلت الى الان برجع جزءا كبيرا منها الى ما حصل عليه الفلسطينيون من المصريين . فقد اجمع مجلس الجامعة المصرية في مصر بعد ذلك وتقررت اعدادات أخرى يجب أن تقوم بها الدول العربية كما تقرر تقديم مليون جنيه أخرى. هذه المبالغ استعملت لمساعدة المتطوعين الفلسطينيين على تدريبهم وتسليحهم وتمكينهم من القيام بالدفاع عن بلادهم وانقاذ فلسطين من أطماع الصهيونيين .

فلما يتعلق بحكومة شرق الاردن فانه في الاجتماع الاول الذي عقد في «علية» بجبل لبنان اتفقت جميع الدول العربية على أن المعونة المالية الواجبة لحكومة شرق الاردن تمكينها من استقرار جيوشها في القيام بواجبها يجب أن تقوم بها البلاد العربية في حالة منع الحكومة البريطانية لهذه المعونة ، وتطلبون حضراتكم أن حكومة شرق الاردن موارد هـا المالية محدودة ، والاتفاق الذي بينها وبين الحكومة البريطانية يقضي بأن الحكومة البريطانية تقوم بنفقات الجيوش . وتقدر هذه النفقات بنحو ثلاثة أو ثلاثة ونصف مليون جنيه . والحكومات العربية في اجتماع لبنان اتفقت على أنه في حالة منع الحكومة الانجليزية لهذه الاعانة تقوم الدول العربية بدفع هذا المبلغ لحكومة شرق الاردن حتى يتمكن جيشها من الاستمرار في أداء واجبه .

حضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد سراج الدين باشا — وهل يكون هذا بنفس النسبة ؟

حضرة صاحب الدولة محمود فهمي النقراشي باشا رئيس مجلس الوزراء —

تستطيع جيوش الدول العربية مالاقت بريطانيا محتفظة بقنادتها ومتحملة مسئوليته الان فيما . ولكن كان هناك جيش حكومة شرق الاردن . وهذا الجيش كان يستخدمه الانجليز للمشاركة في حفظ الامن ، وهو جيش على استعداد وافر وتسلحه جيد وخبرته طيبة وشجاعته معروفة وذلك لان الصهيونيين ما كانوا يقبلون أن يشتركوا معها مطلقا .

لقد انتقلنا على ضرورة مساعدة الفلسطينيين بالمال حتى يتيسر لهم مقاومة الضغط الصهيوني المتزايد . وتعلمون حضراتكم أن نصيب مصر في اعمال الجامعة العربية هو بقدر ٢٤٪ وقد قررتم في ميزانية وزارة الخارجية لهذا الغرض، لقد رأينا فيما بيننا ما يمكن أن يقوم به كل عضو من أعضاء الجامعة العربية . ويسرني أن نعلموا أن مصر قد ثابت بواجبها الكامل في هذه الناحية . وقد اعترف المجاهدون الفلسطينيون بالمهم انتعاوتكل الاتصاع بالتسهيلات والمواد التي تقدمها من البلاد المصرية . إن المقاومة التي بذلت الى الان يرجع جزءا كبيرا منها الى ما حصل عليه الفلسطينيون من المصريين . فقد اجمع مجلس الجامعة المصرية في مصر بعد ذلك وتقررت اعدادات أخرى يجب أن تقوم بها الدول العربية كما تقرر تقديم مليون جنيه أخرى. هذه المبالغ استعملت لمساعدة المتطوعين الفلسطينيين على تدريبهم وتسليحهم وتمكينهم من القيام بالدفاع عن بلادهم وانقاذ فلسطين من أطماع الصهيونيين .

فلما يتعلق بحكومة شرق الاردن فانه في الاجتماع الاول الذي عقد في «علية» بجبل لبنان اتفقت جميع الدول العربية على أن المعونة المالية الواجبة لحكومة شرق الاردن تمكينها من استقرار جيوشها في القيام بواجبها يجب أن تقوم بها البلاد العربية في حالة منع الحكومة البريطانية لهذه المعونة ، وتطلبون حضراتكم أن حكومة شرق الاردن موارد هـا المالية محدودة ، والاتفاق الذي بينها وبين الحكومة البريطانية يقضي بأن الحكومة البريطانية تقوم بنفقات الجيوش . وتقدر هذه النفقات بنحو ثلاثة أو ثلاثة ونصف مليون جنيه . والحكومات العربية في اجتماع لبنان اتفقت على أنه في حالة منع الحكومة الانجليزية لهذه الاعانة تقوم الدول العربية بدفع هذا المبلغ لحكومة شرق الاردن حتى يتمكن جيشها من الاستمرار في أداء واجبه .

حضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد سراج الدين باشا — وهل يكون هذا بنفس النسبة ؟

حضرة صاحب الدولة محمود فهمي النقراشي باشا رئيس مجلس الوزراء —

نعم بنفس النسبة » وفي هذا الوقت كان جزء من الجيش في حيفا ، وتطورت الاحوال في فلسطين ، وسيطر على أرض السلام الحديد والنار ، ولكن المجاهدين العرب صبروا لهذا الضغط وتبين لهم الحق لهم العرب ، حينما قالوا: انهم لا يرهبون بالتقسيم ولا يسمحون به ، كانوا جادين وقادرين على البذل في سبيل مقاومة هذا التقسيم . وكان العرب في ذلك الوقت وبعد الوسائل التي تذرع بها الصهيونيون يقومون بنسف بعض المباني وقد أزهقوا بهم خسائر كبيرة . لقد كان وقتا الفلسطينيون رائعا في الثورة من بلادهم ولفت أنظار العالم — وامريكا بوجه خاص — لشرعة حكومة الولايات المتحدة تخفف من تأييدها للتقسيم . كما صار رجال أمريكا ينتقلون في البلاد العربية وينقلون لحكوماتها بصلة رسمية أو غير رسمية اهتزام أمريكا على التخفيف من وطأتها في تأييد التقسيم . ولقد حضر الى شخص أمريكي ، له شأنه ، وكان يمثلها بمهمة الى جلالة الملك عبد العزيز آل سعود وقال أنه يحمل له أن يبلغني بصلة سرية التحول الجديد في سياسة الحكومة الامريكية ازاء قضية فلسطين ، وبعد ذلك سافر الامريكي الى بغداد ومارا بمصر وتبادلني وقال الى هذا المعنى . وفي هذه الاثناء تذكرون حضراتكم أن بمندوبي الولايات المتحدة في مجلس الامن اعلن عدم تمسك حكومته بالتقسيم أو هذا المعنى ولكن في عبارات سياسية وانهم يتكرون في حل آخر . بعد ذلك تقدمت أمريكا بمشروع الوصاية ، فبعثت اللجنة السياسية للدول العربية وقدمت مقترحاتها فيما يتعلق بهذا المشروع ، وأن يخرج الوصاية بشكله الذي عرض كان خطوه لا بأس من خطر التقسيم . ولقد بدأت العمليات الصهيونية تشتد عملياتها على المجاهدين العرب ، وازدان هذا التشدد بالبحث في موضوع هدنة تعقد من الفريقين لايقاف القتال . وأرى أن هذا الاقتراح ليس بمعادلة . بل انهم كانوا يريدون التأثير في شروط الهدنة بالفعل . وتذكرون حضراتكم أنه في يوم من الايام جاءت الاخبار بأنهم حاصروا العرب الذين غزوا مستعمرتهم بشمار ، ولقد جاء لامين الجامعة العربية بفرانك من جلالة الملك عبد الله عن طريق وزير خارجيته الذي كان موجودا في مصر — بأن المطوعين العرب تحوصروا في مستعمر وانه جاءه لطلب النجدة . فطلب الامين العام للجامعة أن تقدم النجدة لهؤلاء المحصورين . وفي اليوم التالي ارسلت اللجنة السياسية — وكانت قد اجتمعت وكنت هاتفيا بعضهم — الى ملك شرق الاردن برقية تطلب اليه أن يتقدم لانقاذ هؤلاء العرب الذين حاصرهم الصهيونيون ولكن العرب في هذه الاثناء تحكوا من انزال ضربات قوية بالصهيونيين ، ونجوا

من الأسر ؟ وكان موقعهم جليلا ورائعا ، ومن ذلك الوقت جعل الصهيونيون ضغطهم يزداد على المجاهدين العرب ولكن الحكومة البريطانية كانت تبلغ الدول العربية انها مسئولة عن ١٥ مليون من حفظ الامن في البلاد ولا تسمح للقوات الاجنبية ان تدخل قدمير العنيد على المطمورين من خلال البلاد العربية ، وتعلنون حضراتكم ان القوات الصهيونية هي عصابات منظمة ولها أسلحة وفيرة ، وأوفق ذلك فإن عددا كبيرا منها كان منتظما في سلك الجيوش النظامية فلهم خبرة من الحرب العالمية الماضية .

لقد اشتد الضغط على هؤلاء المجاهدين الذين يذودون عن ديارهم في ظروف شديدة ، والبلاد العربية لا تريد أن تشتبك جيوشها مع جيوش الحكومة المنتدبة وهي الحكومة البريطانية ، ولقد قدمت كل مقدار مستطاعها أن تقدمه ويجب على أن أقص بالفكر مواردها وقد بلغ الذود عن فلسطين ، استمرت الحالة تشتد والرأي العام في كل بلد عربي يزداد قلقا على مصير اخوانه المقاتلين غير فلسطين ، ولقد سافر سمو الامير علي عرش العراق الى عمان واجتمع بجلالة الملك عبد الله ، ثم حضر الينا في مصر وتحدث معنا المسئولين في أمر ما يجب أن يعمل لانقاذ فلسطين ، وطبيعة العمل كان جوابنا أن مصر لا تتأخر عن القيام بواجبها ، وهي لن تكون وراء الدول العربية أبدا بل هي ستكون معهم في صف واحد ، ولقد لفت انظار جلالة الملك عبد الله الى أن ميزانية جيش شرق الاردن فاصرة عليه في زمن السلم ، وانه عندما تدخل الجيوش البلدان لابد وأن يقتضي ذلك نفقات اضافية قدرت لاول وهلة بمبلغ مليون ونصف من الجنيهات ورأت الجامعة أن تكتب عبء وتقاسمتم حضراتكم على ما خص مصر منه وهو مبلغ ٣٣٠٫٠٠٠ جنيه .

وتقدم الحكومة الامريكية الآن والليلة التالية أو مجلس الامن بمشروع الهدنة ، والحديث يجري فيه بالاخذ والعطاء ، لان العرب يظنون أن تكون هذه الهدنة وسيلة لتزويد الصهيونيون بقوات اضافية جديدة ، والواقع أن مجلس الامن حقر وكذلك هيئة الامم المتحدة والحكومة الامريكية ، ولقد جاشى سفير امريكا برسالة شفوية قال فيها أن الموقف في فلسطين يتطور من سيء الى أسوأ ، وأن الحالة كادت تكون حربا تشعلنا الى حرب عامة ، وانك كرئيس الحكومة المصرية تعرف أن أمريكا تعطف على مصر ، ومستعدة أن تمدها بكل معونة ، ولكن اذا استمرت الحالة على ما هي عليه فاننا لا يمكننا أن نقدم لحكومة سمر أية معونة ، ويجب أيضا أن تتم الموافقة على مشروع الهدنة أو يقدم مشروع آخر

يحل محله ، فأجبته بأنني أتفق معه على ان الوقت يتحول من سيء الى أسوأ ، ولكن هدنة لم يكن من صنع مصر ، بل ان مصر حذرت من هذا وبينت الى العواقب الوخيمة أما اذا كانتم تريدون اتساع الطريق للمهاجمة» فهذا شيء آخر ، أما نحن فلا نستطيع أن نقف مكتوفي الايدي ونرى العرب يذبحون بواسطة الصهيونيين ، ولا يمكن للدول العربية أن تقف ازاء الذي وقع في « دير ياسين وحيفا » أما مسألة مشروع الوصاية فتبحث ، وأراد أن يلفي قنبلة التهديد فقال لا تأخذ كلامي على أنه تهديد فانه ليس كذلك تماما .

وبطبيعة الحال يجب على مندوبي جلسة سرية أن أطلع حضراتكم على كل التطورات : أن الحكومة البريطانية بثبت لآخر لحظة تقول انها تقف حائلا دون دخول جيوش الدول العربية فلسطين لانها مسئولة منها لمنابة ١٥ مليون .

وحدث أنه حدثنا أغلر اليهود أو الصهيونيون — وانني مضطر لاستعمال كلمة « الصهيونيون » لان اليهود يقولون أن الصهيونية غير اليهودية .

الرئيس : اليهودية دين ...

فؤاد سراج الدين

حضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد سراج الدين باشا : الصهيونية مذهب سياسي .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمي القراقوش باشا رئيس مجلس الوزراء :

لما أغلر الصهيونيون على طبرية وأخرج العرب من ديارهم لجأوا الى شرق الاردن ولقد استغربت البلاد العربية من أن جيش شرق الاردن لم يتقدم ، ولكن علمنا أن جلالة الملك عبد الله أرسل جيشه ولكنه وجد الانجليز خلفه ، كما علمنا أخيرا أن جلالته أرسل قوات من جيشه الى القدس ، ولكن الانجليز وقفوا عنها أي أن انجلترا ، متمسكة بموقفها وانها هي المسئولة من هذه الناحية لمنابة ١٥ مليون .

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ مصطفى نصرت — ولماذا لم تتصلا بذلك على حياء ؟!

الرئيس : متمسكة اي انها لا تريد أن تتدخل احد للمحافظة على الامن .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمي القراقوش باشا رئيس مجلس الوزراء :

من أغرب الادلة بعد ذلك على هذا الموقف أن معالي وزير الدفاع المصري وصلته أول أمس رسالة من الملحق العسكري بالسفارة البريطانية يقول فيها ما معناه أن الحكومة البريطانية بالرغم بخمسة وألا تدخل فلسطين أي جيوش وانها لديها العدة والطائرات الكافية لمنع هذا التدخل ، فارسل وزير الدفاع المصري هذه الرسالة مع مدير المخابرات الى الملحق العسكري ، وقاله أن لأثنان لك في أن تخاطب وزير الدفاع في ذلك واذا كان لديك شيء من هذا فيجب أن تتقدم به الى وزارة الخارجية .

ولقد قابلني السفير البريطاني أول أمس وقدم الي خطابا أو مذكرة شخصية من مستر بيفن ، ويمهما مشروع الهدنة ، ويقول أنه مشروع حامل ويقبول ومعقول ، فاذا كانت الهيئة العربية العليا تقبل هذا المشروع فانها تعلم موقفا سياسيا هاما ، أما اذا كان انشاء بعض مشروع الهدنة تدخل الجيوش العربية في فلسطين فان هذا يعطي للصهيونيين فرصة الدعاية في العالم بأن العرب هم المعتدون ، وبطبيعة الحال فانهم أبلغوا هذه الرسالة الى جميع الدول العربية ، وأن الدول العربية ببحث هذا الموضوع وستجتمع اللجنة السياسية غدا في دمشق وسيسافر مندوب مصر للاشتراك في بحث هذا الموضوع .

حضرة صاحب السعادة محمد فؤاد سراج الدين باشا : هل هي هدنة دائمة ؟

حضرة صاحب الدولة محمود فهمي القراقوش باشا رئيس مجلس الوزراء :

هدنة لمدة ثلاثة أشهر .

(حضرات الشيوخ المحترمين — في يوم ١٥ مليون على الاقوال ، ويريدانا العظمى مستغلين عن الانتداب وتبعاته ؟ وبيقى جميع سكان فلسطين من العرب تحت رحمة هذه العصابات الثلاثة ، فماذا يمكن أن تفكر كمقررين وتستقر في هذا الموقف ؟)

(أصوات — لا ؟)

لقد أحسست — وأنا الذي لم أشعر بطلقا باشتعال النوات العسكرية لمدة اعتبارات كثيرة — أن واجبي أن أقف أمام حضراتكم مستفكم ممثلو الامة وأن أطلعكم على جلية الامر ، وأن أقول : أنه اذا لم يوقف القتال وتبدأ المرحلة الجديدة ، فانه لا يتأمى من أن تتكلم الجيوش المصرية لاحلال الامن في فلسطين ؟

(تصفيق) ..

وبناء عليه ، وانظرا لأن واجبي يحتم على أن يكون الجيش مستعدا لهذا

المدخول ؛ تقلصت الى نصف ارتكم وطلبت اعتمادا جديدا يبلغ أربعة ملايين من الجنيهات ليمكن القيام بهذا الغرض .

ان الجيش المصرى يدخوله فلسطين سيقوم بأتم مهمة تام بها جيش وهى اعادة السلام لأرض السلام . وهو عضد من الشباعه ومن القوة ومن الاستعداد ما يؤهله للقيام بهذه المهمة فى الحدود التى رسمتها له الحكومة المصرية .

حضرة الشيخ المحترم احمد ابراهيم

عطا الله بك : ان استعداد الجيش هو اهم شيء .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء :

ان الهدنة لا حضرات الشيوخ المحترمين لذا وقعت استكون لمدة ثلاثة شهور فتجدد الى أن تتمكن هيئة الامم المتحدة من ايجاد حل لهذه المسألة ـ والدول العربية تبحث الآن شروط الهدنة وستوحى بما فيه المصلحة . ولقد أردنا أن تكون هذه الهدنة محايدة بالنسبة للفريقين ، وبطبيعة الحال يشرع الهدنة موجود حى ، ولا داعى لعرضه على حضراتكم ، لانهم تحت الدراسة الشروط الواردة به وستتولى اللجنة السياسية بحثه . ولقد تابلت اليوم هزام باشا وكنت أريده أن يحضر هذه الجلسة ولكنه اعتذر وسيذهب وكيل وزارة الخارجية هذا للاشتراك فى اللجنة السياسية .

ان يوم ١٥ مايو آخر يوم لعمل يمكن أن نفرك العرب يدبرون بهذا الشكل المفزع ؟

لقد نشأت بشكلة أخرى ، وهى أن هؤلاء العرب أصبحوا يهاجرون الى الدول العربية المجاورة ، فحينما وقعت هادنة حيفا ذهبت الاف بل عشرات الالاف الى لبنان ، وحده ـ كما تعلمون ـ قام سكانها بطوعا ثم نقلوا الى سوريا الحالية ، ستطلعتبدات الهجرة منها أيضا . فحينما بدأت هذه الهجرة ، فتحنا اعتمادا بمبلغ ٥٠٠ر١٥ من المصروفات غير المنظورة ، ولسوء سرعان ما رأينا ان ملئت من المصريين فى القسم يريدون أن يعودوا فيجب اعداد العدة لذلك . وفى باقا نحو ٤٠٠٠ مصرى يريدون العودة ـ أيضا ـ فيجب أن يحضروا بسرعة . ولذلك اضطررنا لاعتماد بمبلغ ١٠٠ر٠٠٠ جنيه والقسم حضراتكم عليه .

وبطبيعة الحال ، فان مشكلة الهجرة ليست بالمشكلة الهينة ، وأهم شيء ـ عند وجود المهاجرين ـ هو واجب المحافظة على الصحة العامة . ولذلك كلفت مدير الحجر الصحى أن يعنى بهذا الامر وأن تكون العناية بالصحة لها الاولوية . كما كلفت ادارة الامن العام أن تعنى بحفظ الامن ولان جميع حضراتكم تعلمون أن اليهود سيهم والمهربين يدخلون فى فترة هؤلاء المهاجرين وتاريخ اليهود سيخبرنا بأن هؤلاء سيكون من دخول البلاد مع هؤلاء المهاجرين. وبالامس جماعتى وكيل وزارة الصحة المساعد وقال لى : انك تعطينى مسألة الحفاية بالصحة العامة وقد بلغ عدد المهاجرين الآن نحو ١٤٠ر٠٠٠ مهاجر . وقد طلبت الى ١٦٠ر٠٠٠ مهاجر على وشك الوصول . فاذا احتملت البلاد وجود ١٤٠ر٠٠٠ مهاجر فقد يصعب عليها المحافظة على الصحة العامة اذا جاءها ١٦٠ر٠٠٠ مهاجر آخر . ولكنه من الواجب أيضا أن أمنع المهاجرين من الحضور الى مصر بل يجب أن تتخذ الاستعدادات الكفيلة بصيانة الصحة العامة ـ فمن أمام هذه المسألة ـ أخواننا عرب فلسطين يخرجون من ديارهم ويلجأون الينا ، فيجب أن يطمئن هؤلاء حتى يستطيعوا العودة الى بلادهم ، بدلا من أن يتركوا ثرواتهم وديارهم وأعمالهم غنيمة للصهيونيين .

هذا هو الموقف ، أردت أن أطلع حضراتكم عليه وعلى سياسة الحكومة المصرية ولعلمكم تتفقون معى على أن الحكومة المصرية قد بذلت كل ما فى وسعها لتفادى هذا الخطر الشديد ، ولكن هناك واجبا أهم هو أن البلاد المصرية اذا ثالت نفدت واذا وعدت أنجزت ، يجب علينا حفظ الامن والنظام ليعود السلام الى ربوع فلسطين .

[تصفيق]

الرئيس : الكلمة الآن لحضرة الشيخ المحترم دولة اسماعيل صدقى باشا .

حضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد سراج الدين باشا : الا يحسن اذا كان لدى بعض حضرات الشيوخ المحترمين بعض الملاحظات أو الاستيضاحات على بيان دولة رئيس مجلس الوزراء يبدا حضراتهم بها ، ويعد ذلك يلى دولة صدقى باشا بما لديه من بيانات ؟

حضرة الشيخ المحترم عبد السلام الشاذلى باشا : أرى أن يناقش المجلس اولا تقرير اللجنة التى شكلت بالامس لبحث قضية فلسطين .

حضرة الشيخ المحترم احمد زكى بك : وانا ارى أن يدخل مباشرة فى بحث سعادة توفيق دوس باشا بقرر اللجنة بشرح وجهة نظرها ، وبعد ذلك تعطى الكلمة لدولة اسماعيل صدقى باشا .

الرئيس : لقد استمعت اللجنة الى ما أدلى به دولة رئيس مجلس الوزراء من بيانات ، وبناء على ذلك وضعت تقريرها . ولكن انه اذا تكلم أحد حضرات الشيوخ المحترمين مستوضحا أو مستفسرا فهذا أمر من شأنه أن يجلى الموقف أيضا

المجلس تكبيرا والكلمة الآن لدولة اسماعيل صدقى باشا .

حضرة الشيخ المحترم دولة اسماعيل صدقى باشا : حضرات الشيوخ المحترمين :

لقد استمعت بكل عناية للبيان الذى ادلى به الآن دولة رئيس مجلس الوزراء ، وغرضى من طلب الكلمة هو الاستفسار ، ان هناك بعض المسائل لاتزال بحاجة استيضاح لبيان دولته تحتاج للايضاح ، ولعلى اكون فى هذه الرغبة التى اتوجه بها لا أقصد ادراكى الخاص ، بل ليدين المجلس كل نواحى هذا الموضوع الخطير.

أننى سأوجه بعض الاسئلة ولا أدرى من الذى سيتولى الرد عليها ، هل دولة رئيس مجلس الوزراء ، أو سعادة بدر اللجنة ؟ .

الرئيس : ان دولة رئيس الحكومة مستعد للاجابة عن كل سؤال .

اسماعيل صدقى

حضرة الشيخ المحترم دولة اسماعيل صدقى باشا : السؤال الاول هو :

الا يرى دولة رئيس الحكومة أن دخول الجيش المصرى بأرافى فلسطين وبهذه هنسك بأعمال حربية يخالف التزامات ميثاق الامم المتحدة التى اشتركت مصر فى وضعه وفى اقراره ، وهلا يتنظر دولته اعتراضا من هيئة الامم المتحدة وقد يكون اعتراضها مقترنا باجراء عنيف ؟ .

هذا هو السؤال الاول ، ولا أدرى ان كان دولة رئيس الوزراء يرى أن يرد على كل سؤال على حدة ، أو أن دولته يرى أن استوفى جميع أسئلتى ، فيتولى دولته الرد عليها دفعة واحدة ؟ .

الرئيس : أرى انه يحسن القاء الاسئلة جميعها دفعة واحدة ، ثم يتولى بعد ذلك دولة رئيس الحكومة الرد عليها جملة .

حضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد سراج الدين باشا : اعتقد انه يحسن ذلك لارتباط الاسئلة بعضها ببعض .

حضرة الشيخ المحترم دولة اسماعيل صدقى باشا : السؤال الثانى هو :

يقولون ان هيئة الامم المتحدة أشارت

على الخصمين بعمل محدد؟ أخرمرة منهما محاولة التفاهم بينهما . فاذا صح ذلك . الا يرى دولة الرئيس ان الفرصة كانت سانحة لمصر كي تعمل على عدم الاسترسال في اعمال العنف . ولعل في ذلك مركز خاص يؤهلها لذلك المسعى ؟.

حضرة الشيخ المحترم أمين أفندي

سعيد : هذا السؤال غير مفهوم .

حضرة الشيخ المحترم دولة اسماعيل صدقي باشا : لا أدري ان كان دولة رئيس الحكومة قد فهم هذا السؤال أو لم يفهمه .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمي القراشي باشا رئيس مجلس الوزراء :

ارجو دولة الشيخ المحترم اسماعيل صدقي باشا أن يلقي السؤال مرة ثانية كي يتبينه جميع حضرات الشيوخ المحترمين اعضاء المجلس .

حضرة الشيخ المحترم دولة اسماعيل صدقي باشا : السؤال هو ما يأتي :

يقولون أن هيئة الأمم المتحدة أشارت على الخصمين بعمل هدنة الغرض منها محاولة التفاهم بينهما ، فاذا صح ذلك ، الا يرى دولة الرئيس أن الفرصة كانت سانحة لمصر كي تعمل على عدم الاسترسال في اعمال العنف . ولعل في ذلك مركزها الخاص الذي يؤهلها لذلك المسعى ؟

حضرات الزملاء المحررين : ربما أن التعبير بالمافي فمما يختص بهذا الموضوع لم يكن له محل — بعد البيان الذي سمعتم الآن من دولة رئيس الحكومة . اذ ان في سؤالي الآن ما يرى دولة الرئيس أن الفرصة كانت سانحة لمصر كي تعمل ... ، لقد بينت الآن من عبارات دولة القراشي باشا ان اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية ستنعقد في دمشق غدا ، وأن مندوب مصر الذي سيحضر اجتماع هذه اللجنة يزود بتعليمات حكومته ، ليبدي رأي مصر فيما يخص بمسألة الهدنة .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمي القراشي باشا رئيس مجلس الوزراء :

ان موضوع الهدنة موضوع قديم سبق ان بحث ، ونوقش في احدى الجلسات .

حضرة الشيخ المحترم دولة اسماعيل صدقي باشا : كنت أود أن يقال دولة رئيس الحكومة — في هذا الموضوع بالذات — في المركز الذي وقفه بنفسه في الجلسة الاولى التي تكلم فيها ، بعد عودته من أمريكا التي قصدت من عبارته أن حكومته كان شديد الحرص ، شديد التحفظ في هذا الموضوع . وبناء على ذلك كان ينبغي أن يكون اقتراح الهدنة هو التفكير في الحرب حرصا على السلام العام ، وماذا كان موقف مصر من هذا التحفيز وما هو بداءه ؟.

وأرجو أن يكون مفهوما أنني وضعت هذه الاسئلة قبل أن أسمع البيان الذي أدلى به الليلة دولة رئيس الوزراء .

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ عباس الجمل : لقد أجاب دولة رئيس مجلس الوزراء عن هذا السؤال ضمن بيانه الليلة .

حضرة صاحب الشيخ المحترم دولة اسماعيل صدقي باشا : لقد ذكرت الآن انني كتبت هذه الاسئلة قبل سماع بيان دولة الحكومة .

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ عباس الجمل : أذن كان من الواجب الا يوجه دولة صدقي باشا هذا السؤال بعد أن سمع الاجابة عنه خلال بيان رئيس الحكومة .

الرئيس : أرجو حضرة الشيخ المحترم الاستاذ عباس الجمل عدم المقاطعة خصوصا وأنه يجب الا يعارضه أحد أثناء كلامه . وأظن أن دولة صدقي باشا يسمح .

— حضرة الشيخ المحترم الاستاذ عباس الجمل : يا معالي الرئيس أريد أن أقول

الرئيس : أرجو عدم المقاطعة .

حضرة الشيخ المحترم دولة اسماعيل صدقي باشا : اذا كان المجلس لا يريد أن يسمع الى كلامي وادا كان الرأي سيبدى قبل سماع كلمتي فلني على استعداد لعدم اتمامها .

واكون في هذه الحالة قد أديت واجبي الى هذا الحد .

حضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد سراج الدين باشا : بل اننا نريد أن نستمع الى كلام دولة صدقي باشا الى النهاية .

حضرة الشيخ المحترم دولة اسماعيل صدقي باشا : السؤال الرابع هو :

« هل دولة رئيس الحكومة على أتم ثقة بسلامته — ويرجع في ذلك الى مخبراته الخارجية وأقول هذا في جلسة سرية لانه كان في استطاعة كل من حضراتكم أن يحضر جلسات هذه اللجنة ، أن خطر الحرب بين الكتلتين اللتين تتقاسمان السيادة على العالم ليس خطرا وهميا بل اصبح قريبا .

فهلا يرى دولته أننا باشتراكنا في حرب احداهما قد نعرض مصر الى مواقف الخطر

في الحرب حرصا على السلام العام ، وماذا كان موقف مصر من هذا التحفيز وما هو بداءه ؟.

وأرجو أن يكون مفهوما أنني وضعت هذه الاسئلة قبل أن أسمع البيان الذي أدلى به الليلة دولة رئيس الوزراء .

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ عباس الجمل : لقد أجاب دولة رئيس مجلس الوزراء عن هذا السؤال ضمن بيانه الليلة .

حضرة صاحب الشيخ المحترم دولة اسماعيل صدقي باشا : لقد ذكرت الآن انني كتبت هذه الاسئلة قبل سماع بيان دولة الحكومة .

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ عباس الجمل : أذن كان من الواجب الا يوجه دولة صدقي باشا هذا السؤال بعد أن سمع الاجابة عنه خلال بيان رئيس الحكومة .

الرئيس : أرجو حضرة الشيخ المحترم الاستاذ عباس الجمل عدم المقاطعة خصوصا وأنه يجب الا يعارضه أحد أثناء كلامه . وأظن أن دولة صدقي باشا يسمح .

— حضرة الشيخ المحترم الاستاذ عباس الجمل : يا معالي الرئيس أريد أن أقول

الرئيس : أرجو عدم المقاطعة .

حضرة الشيخ المحترم دولة اسماعيل صدقي باشا : اذا كان المجلس لا يريد أن يسمع الى كلامي وادا كان الرأي سيبدى قبل سماع كلمتي فلني على استعداد لعدم اتمامها .

واكون في هذه الحالة قد أديت واجبي الى هذا الحد .

حضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد سراج الدين باشا : بل اننا نريد أن نستمع الى كلام دولة صدقي باشا الى النهاية .

حضرة الشيخ المحترم دولة اسماعيل صدقي باشا : السؤال الرابع هو :

« هل دولة رئيس الحكومة على أتم ثقة بسلامته — ويرجع في ذلك الى مخبراته الخارجية وأقول هذا في جلسة سرية لانه كان في استطاعة كل من حضراتكم أن يحضر جلسات هذه اللجنة ، أن خطر الحرب بين الكتلتين اللتين تتقاسمان السيادة على العالم ليس خطرا وهميا بل اصبح قريبا .

فهلا يرى دولته أننا باشتراكنا في حرب

فلسطين ليعض دولة اليشار مصالحة في اقاليمها معمل على فتح الزقاق الذي يتبعث به النور الذي ينير العالم كله؟».

●● السؤال الخامس هو :

« الا يرى دولته ان لمصر وهي لم تفته بعد من بصفيه مشاكلها السياسية والداخلية مصلحة كبرى في استتباب السلام ؟ »

●● السؤال السادس هو :

« هل مصر على استعداد ـ حربيا وحاليا ـ لمواجهة حرب قد تنتهي وقتها وطول مداها ؟

●● السؤال السابع هو :

« هل صحيح ان الجيش المصري تنقصه الذخيرة وان الموجود منها لا يكفي الا لايام قلائل ؟ وهل صحيح ان سلاح الدبابات يكاد يكون معدوما وسلاح الطيران في حكم العدم وهل يسمح دولة رئيس الحكومة ببعض البيان الذي يطمئن البريطانيين من هذه الناحية ؟».

وانا اذا كنت قد وجهت هذا السؤال، عالما وجهله لاني ـ عندما خرجت من الحكم ـ كانت الحالة لا تشعر بان هناك ما يدعو للاطمئنان ، ومن الجائز ان يكون الاستعداد بعد خروجي قد تم ، واننا لنستطيع الآن ان نواجه حربا وهذا بما أشك فيه بعض الشك .

●● السؤال الثامن هو :

« في حالة وجود ما يكفي للقتال ـ في المرحلة الاولى منه ـ فهل يتوفع دولته ـ وسنضع في الوضع الذي سنذكره بعنه الامم ـ ان سيكون من الميسور الحصول بعد الان على سلاح او عتاد ؟

●● السؤال التاسع هو :

« من ناحيه الاستعداد المالي الا يرى دولة رئيس الحكومة ان حربا قد تمتد بعض الوقت تحتاج للملايين الكثيرة من الجنيهات . واذا كانت بحر على اهبته القيام باصلاح واسع النطاق في كل ميادين النشاط الاجتماعي والاقتصادي وغيرها . فهل رأى دولته ان المصلحة في دخولنا الحرب ـ ان كانت هناك مصلحة ـ لا نعوض علينا ضياع فرص الاصلاح او تأخيرها على الاقل ؟

●● السؤال العاشر هو :

« من المعروف ان الجيش المصري لايزيد عدده الا قليلا عن الخمسين الفا . واظن انه لن يخطر على بال احد ان يبعث بالجيش كله لعمليات حربية في الخارج وان يخلي منه البلاد . ويعيد بالطبع عن تفكير اي سياسي مسئول ان جيش الاحتلال البريطاني قد يصلح عوضا عن جيشنا الوطني فهل لدى دولة الرئيس في احتمال صور القوى المصرية عن تأدية واجباتها الحربية بالقدر المنتظر منها ؟»

●● السؤال الحادي عشر هو :

« اذا كان الامر كذلك ، واذا كانت الجيوش العربية ليست في حالة من الاستعداد لتسبح بالفضاء على الجيش المعادي ، وقد سمعنا عن عدده وبالاخص عن قوه سلاحه ، كما قلم عليه الدليل في المواقع الاخيرة ، فهل فكر دولة رئيس الحكومة في كل الاحتمالات من هذه الناحية ؟

●● السؤال الثاني عشر هو :

« يقولون ان الجيش المعادي افضل من دوته الثانية من الطيران قد يحصل أو حصل بالفعل على معونة كبيرة من احد جيوش الدول الكبرى . فهل فكر دولة الرئيس في الخطر المحتمل الذي تستهدف له مصر اذا هي تعرضت لتوجيه ضربات من الجو ؟

●● السؤال الثالث عشر هو :

« لا تزال مصر صامدة ـ كما كان الحال في الحرب الاخيرة ـ لاشتداد كثير من الحاجيات لا غنى لها عنها ، ويعز ضياعها الى الخراب والى شل ادارة الحرب نفسها . وأذكر في هذه الناحية الحبوب في قلبها ، والبسماد الكيماوي في جمله ، والبترول في مشتقاته على حد كلايتها ـ ومعلوم انه في مثل هذه الحالة التي سنواجهها يتعولنا في حرب لا تراخ لها هيئة الامم ان يكون من السهل الحصول كما كان الحال من قبل ـ على بطاطينا الضرورية . فما رأي دولة رئيس الحكومة في هذا الموضع الخاص ؟ ؟ ».

●● السؤال الرابع عشر والاخير هو :

« في غير اعتبارات الاولاد للتجار والمحرومة ـ وهذا مجال ـ اذا سح ان له فيمته الكبرى في الميزان فان اعتبارات اخرى تقوم في وجهه فتنصفه ـ أود ان اعرفه من دولة رئيس الحكومه اذا كان قد استخد وسائل الدفاع بين العنصرين العربي واليهودي ، ونظرة من دولته في مشتملات بعض ملفات وزارة الخارجية المصرية دل على اننا اذا اسقبلنا الضاط العدوانين من بعض السادة في الجانبين، فان الحالة بين السكان العرب والسكان اليهود سيداهمها الينابيع ، سعفهم بسح بعض ، وبالاخص في سن العرب الاخيرة ، اقول ان بحثا مع دولته في هذه الملابسات كان من شأنه ان يقنع بان الحرب كان من العين جنبها ؟».

حضرة الفسيح المحترم الاستاذ عباس محمود العقاد : هذه أسئلة ضرورية سديدة لابد من توجيهها وانتظار الاجابة عليها ، وهذا ما نسلم به تماما . لكننا نود من دولة صدقي باشا بقدرته المباغرة ان يرتب أسئلة مثلها تبين على انفراد الموقف الاخر وهو عدم التدخل وترك الدولة آلشعبوية تقوم في ١٥ مايو الحالي .

عباس العقاد

حضرة الشيخ المحترم دولة اسماعيل صدقي باشا : أظن انه مفهوم انني اطلب من حكومتنا المصرية ، أن تؤدي رسالتها هي الذهابة ، رسالة السلم ، ورسالة المحافظة على مصالح مصر بأن تعمل على تجنب الحرب . وقد عملنا على تجنبها ليما تذكرون في ظروف أخرى وتجتنباها.

حضرة صاحب المعالي أحمد مرسي بدر بك وزير العدل : وهل يمكن تجنب الحرب من جانب واحد ؟ لابد أن يكون الطرفان راضيان على هذا .

حضرة الشيخ المحترم دولة اسماعيل صدقي باشا : انني أنادي بالعمل على تجنب الحرب ، ولا أهتم بالحكم،لابد أن تنجح في مهمتها ، اننى أطلب اليها أن تؤدي رسالتها ـ رسالة السلام .

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ عباس الجميل : لي اسبوعان من دولة صدقي باشا هو : هل فكر دولته فيما اذا قامت دولة يهودية في فلسطين ، وهاجمت مصر بجيوشها ولم تبادر بالدفاع عن انفسنا الان بدخول فلسطين ؟ أقول هل فكر دولته في هذا المصير لمصر نفسها اذا عمرنا الايوم نرسل جيوشنا لنشترك مع الجيوش العربية في شبح هذه الملتة لانقاذ فلسطين ؟ وهل فكر دولته أيضا فيما يترتب على هذا التصوير ؟ اذا ثبت دولة صهيونية ، يعلم دولة صدقي باشا مبلغ مطامعها وبداها ؟ وهي أن تأخذ مصر لنفسها ؟.

فهل فكر صدقي باشاني دفعها؟ البلاغ عن مصر اذا قصرت فيه الان ؟

حضرة الشيخ المحترم اسماعيل صدقي باشا : اذا كان دولته رئيس الحكومة يرى الرأي الذي يراه الاستاذ الجميل ؟ بان ان الدولة الصهيونية في استطاعتها أن تغير على مصر بجيوشها ، ويضع يدها عليها فلو كنت مكان دولة رئيس الحكومة لقلت ان هذا غير ممكن من الناحية المادية اولا ، لان الصهيونيين أو اليهود ، بقل

عددهم عن المليون بينما عدد سكان مصر عشرين مليونا .

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ أمين أحمد سعيد : ان عدد اليهود يقول عنه دولة صدقى باشا انه يقل عن المليون هو الموجود فى فلسطين فقط ، اليس كذلك ؟ .

حضرة الشيخ المحترم اسماعيل صدقى باشا : نعم

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ امين احمد سعيد : ولكن قد يتضاعف هذا العدد مستقبلا .

حضرة الشيخ المحترم محمد فريد ابو شادى بك : نعم وسيتضاعف عن طريق الهجرة .

حضرة الشيخ المحترم اسماعيل صدقى باشا : لا أعرف من أين يتضاعف، ومتى ؟

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ أمين أحمد سعيد : قد يتضاعف هذا العدد فى أيام . وقد يتضاعف اربعة امثاله فى خلال أسبوع ، خصوصا وأن أبواب الهجرة فى فلسطين مفتوحة من جميع النواحى .

حضرة الشيخ المحترم الدكتور ابراهيم مدكور : لى ملاحظة شكلية هى اننى افهم أن لاى عضو من أعضاء المجلس أن يستوضح الحكومة ماشاء ، أما أن يسأل دولة صدقى باشا ، فلا يجوز لانه لا يسأل الا يوم أن تكون فى يده السلطة التنفيذية .

حضرة الشيخ المحترم اسماعيل صدقى باشا : ولذلك سمحت لنفسى أن اقول اذا كان دولة رئيس الحكومة يرى ما يراه حضرة العضو السائل ، فقد كنت انتظر من دولته ان يتولى هو الرد على هذا السؤال ، ويقول — وهو يتكلم عن تعداد سكانه عشرين مليونا هو — مصر — وله ما لمصر من الموارد — لااظن أن مثل هذا البلد يستهدف لهجوم من أمة يهودية تعدادها مليون نسمة .

حضرة صاحب المعالى احمد مرسى بك وزير العدل : ان تعداد اليهود ١٥ مليونا لا مليون كما يقول دولة صدقى باشا .

حضرة الشيخ المحترم اسماعيل صدقى باشا : انى اتكلم بما لدى من معلومات .

حضرة الشيخ المحترم جمال الدين اباظه بك : يحسن أن تتكلم الحكومة لنسمع ما تريد ان تقوله .

حضرة الشيخ المحترم دولة اسماعيل صدقى باشا : فلتكن حربا ، اننى أدافع عن أولادكم .

ان من لديه بعض الالمام باحوال العالم السياسية يعرف الى اية درجة من الاهتمام تعنى البلاد التى تؤلف الكتلة الغربية ، بصداقة هذه الناحية من العالم وهى الناحية العربية . ولقد ظهر مما مضى — كما ظهر من بيان دولة رئيس الحكومة نفسه — ان كل شىء كان يدل على أن هناك رغبة شديدة فى عدم ارهاق العرب ومضايقتهم فى العمل . على ان المسائل الشائكة التى اثيرت قد سمحت الدول الى تجنب اثرها ، واكبر دليل على هذا ان مشروع التقسيم الذى كان فى نظر أمريكا هو مشروع المشروعات عدل عنه . لماذا ؟ أليس طمعا فى استبقاء صداقة العرب ؟ وهل تظنون ، حضراتكم ، انه ستوجد دول تساعد اقلية من اليهود فى فلسطين كى تجتاز هذه الصحراء التى لم يستطع اجتيازها جيشا الالمان أو الترك فى الحرب العالمية الاولى ؟

اظن انه لا يمكن — مهما كان عظم الجيش الذى يستطيع اليهود جمعه — ان يحتل اليهود مصر ، أو أن يدخلوا مصر ويفيدوا من أرزاق مصر ، وهم يفيدون منها الان .

لهذا لا اظن أن الخطر الذى يتوقعه حضرة الشيخ المحترم الاستاذ عباس الجمل خطر محقق .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا : ابادر فاقول ان فى دخول الجيش المصرى — بعد ١٥ مايو — اراضى فلسطين لاعادة السلم والامن فى ربوعها ليس فيه مخالفة لميثاق هيئة الامم المتحدة .

حضرة صاحب المعالى محمود حسن باشا وزير الدولة : بل فى هذا الاجراء تأييد لميثاق هيئة الامم .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء : أقول ليس فى دخول الجيش المصرى اراضى فلسطين بعد ١٥ مايو مخالفة لميثاق هيئة الامم المتحدة لانه ليست هناك دولة ، وانما هناك عصابات فتكت بالعرب ونهبتهم وأمعنت فى هذا الامر . فمن يتقدم لاعادة الامن والسلام فى تلك البلاد لا يمكن أن تعتبره هيئة الامم هذا العمل من جانبه مخالفة لميثاقها . فنحن نعمل على استتباب السلم .

حضرة الشيخ المحترم الدكتور جاد قنديل : يجب أن ينشر هذا التصريح .

حضرة الشيخ المحترم عبد السلام الشاذلى باشا : اريد قبل أن ننتقل من هذه النقطة ان اقول اذا أعلنت الدولة اليهودية قيامها فى ١٦ مايو واعترفت بها بعض الدول التى اعترفت بالتقسيم ، فهل سيكون موقفنا موقف المحارب المهاجم أولا ؟

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء : هذا اعلان غير قانونى لا يسلم به احد .

حضرة الشيخ المحترم أحمد ابراهيم عطا الله : هل اذا اعترفت هذه الدول بالدولة اليهودية ، تكون مرتبطين بهذا الاعلان ؟

حضرة الشيخ المحترم محمد فريد ابو شادى بك : ستدخل الجيوش قبل الاعلان .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا : لقد سأل دولة صدقى باشا عدة أسئلة عن معدات هذه العصابات وانا مصر على تسميتها عصابات ، وهى عصابة الهاجاناة ، وعصابة شترن ، وعصابة الارجون ، فهذه عصابات وليست دولة . سأل دولة صدقى باشا عن المعدات وعن أشياء كثيرة جدا فى كل الاحتمالات . ولكن الاحتمال الهام امامنا والذى يجب الا يغيب عن نظرنا هو أن هذه العصابات ليست طليعة حرب تشن على هذه المنطقة بل هى رأس حربة غزو ، وهى رأس حربة لنشر الاضطرابات ولاهدار الامن ولنشر الشيوعية فى هذه الربوع . وهذا هو الذى يجب علينا ان نفطن له ، خصوصا اذا كان موقفنا — وهو موقف مستمد من الوقائع ، ومستمد من الحقائق — هو ما نعلمه من أمر هذه العصابات التى ليست طليعة حرب بل هى رأس حربة الغزو . وحضراتكم تعلمون ماذا اقصد أى ان هذه العصابات هى بداية الغزو .

يقال لى الا تعلم أن دولة كبرى ستساعد هذه العصابات ؟ لماذا تساعدها ؟

انها تساعدها لنشر الاضطرابات ولاهدار الامن . أيجوز فى اليوم الذى تجتمع فيه كلمة الدول العربية على مقاومة رأس الحربة هذه ، وعدم التمكين لها فى وسط هذه الدول أن تنكص مصر على عقبيها ، وتقول لهذه الدول . الا تعلموا كذا ، الا تعلموا كذا ، الا تعلموا كذا ؟

حضرة الشيخ المحترم عبد اللطيف

زغروب : الا ينتظر أن تساعد أمريكا هؤلاء الناس ؟

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى القدوائى باشا : ثليكن .

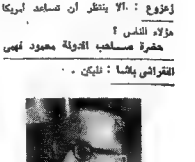

عبد المجيد الرمالى

حضرة الشيخ المحترم السيد عبد المجيد الرمالى : ما معنى ثليكن ،

نحن نريد أن نعرف الحقائق قبل كل شىء.

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ حسن عبد القادر : أن دولة رئيس الحكومة تذكر لنا الحقائق .

المقرر : نظن أنه يحسن أن نستمع الى نهاية كلام دولة رئيس الحكومة ، وبعد ذلك لكل منا أن يقول ما يشاء .

حضرة الشيخ المحترم السيد عبد المجيد الرمالى : وأين هى الحقائق ؟

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ حسن عبد القادر : أن دولة رئيس الحكومة يدلى بما لديه من معلومات فاذا كان لدى حضرة العضو المحترم السيد عبد المجيد الرمالى ما يقوله فليتفضل بقوله بعد أن ينتهى دولة الرئيس من كلامه ، والمسألة ليست مسألة اعتراض .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى القدوائى باشا رئيس مجلس الوزراء : أكرر القول أنه لا شك أن هذه العمليات هى رأس حربة الغزو التى تعد ضد هذه الربوع . فاذا اجتمعت كلمة الدول العربية على مقاومة هذه الغزوات ، واستأصلت شأفتها وعدم التمكين لها بينها ، فلا يمكن لمصر أن تتكفى على عاتقها ، لأنها بذلك تحقق الخطر الذى يغشاه دولة صدقى باشا ، ويغشاه كل واحد منا .

حضرات الشيوخ المحترمين : لا يعميننا عندما نقف موقفا فيه كل المصلحة المشتركة من الحقائق — أن يكون هذا الموقف الذى ينشأ عن سياسة يحملها فيه أيضا وناء للجار ، أننى مع دولة صدقى باشا فى أن ننظر الى مصلحتنا أولا ، ولكن يزيد هذه المصلحة اعتبارا واجلالا أن نكون مصلحة متقرنة بالوفاء للجار وللمروءة . وهذا امر لا يخفى بل يقوى مصلحتنا . ومصلحتنا كعولة مستقلة انا نبكى لرأس الحربة أن تتوطن فى البلاد ، لانها لا تقوم الا على الارهاب ، وعلى سفك الدماء ، وعلى نشر الارهاب والاضطراب ، ونشر الشيوعية .

اننى أوافق على أن أمريكا أبعدت عطاها على مصر ، وأوافق أيضا على أنه يجب أن نحتفظ بعلاقاتنا الطيبة ، ولكن اذا لم تقم بأى بذل للدفاع عن مصلحتنا ، فهل تنتظر من الغير أن يدافع عنا ؟

لقد قلنا أن تحول أمريكا من الموقف القديم ، موقف التحصى للتحصم الى التحول عنه الى الفتور فيه ، راجع أولا وبالدرجة الاولى بمبدئه الغرب المجاهدون من الدفاع عن وطنهم . فهل بعد ماخلفه الدول العربية جمعاء من انها لا توافق على التحصم ، وانها لا تقاومه عندما تكون الارهابى لاهلها العزل من السلاح أمثل هؤلاء الارهابيين الذين يذبحونهم ويقتلون بهم كما رأيتم . فهل يكون لنا قدر أو شأن بين الدول اذا ما وقفنا نتفرج على هذه المذابح بكفوفى الايدى .

لا يمكن والله — أن لم ندافع عن حقك لان يدافع آخر من حقك ، ولكن اذا دافعنا وصدقت فى الدفاع نقدم اليك من يريد صداقتك بسماحتك وحسولك .

وهذه هى الحياة الدنيا بين الافراد والامم .

حضرة الشيخ المحترم السيد عبد المجيد الرمالى : نريد أن نعرف بدى استعدادنا ؟

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى القدوائى باشا رئيس مجلس الوزراء : لمصر مركز خاص حتوية وتحيد الله عليه وتشكر الدول العربية على مشجرها لمركزنا . وقد استطعنا بمصر هذا المركز وهذه المكانة فى حدود الحياة الدولية . اننا لم نتحد هيئة الامم ولم نعمل على الاخلال بالسلام ، ولم نعمل على تهديد الامن الدولى . ونحن — باعترافنا الدخول الى فلسطين — انما نمنح تهديد السلام العالمى ، لا أن نخل مه . وكان لسياسة مصر أن الدول العربية وافقتها على عدم انخفاذ اى اجراء للتعنف قلم تحاول أى دولة من الدول أن تخرق ميثاق الامم المتحدة . وصالحون حضراتكم الان عن استعداد مصر واستعداد الامم العربية اذا تركنا بمصر حدانا فاترين . ادرس لكم قوة الدول العربية . الجيش العربى — كما قلت لحضراتكم — هو جيش شرق الاردن وهو جيش قوى مدرب له خبرة بالبلاد ، وقد اسقطتم فى حفظ الامن فيها ، كما قلت لحضراتكم بينما كانت المصايد تتصدى للجيوش البريطانية . فاذا حضر الجيش العربى سكنت العاصفة فرجاله وضباطه مدربون وعددهم كل المداد .

حضرة الشيخ المحترم الفواد حسن عبد الوهاب باشا : كم يبلغ عدده ؟

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى القدوائى باشا رئيس مجلس الوزراء : لا أستطيع أن أذكر عدده وحضرتكم جميعا تعلمون أن المهم هو قوة الضرب للجيش وليس المهم هو قوة رجاله . فقوة الضرب عند الجيش الاردنى كاملة .

حضرة الشيخ المحترم الفواد احمد حطبة باشا : كاملة بالنسبة .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى القدوائى باشا رئيس مجلس الوزراء : نعم كاملة بالنسبة لعدده .

انظروا حضراتكم الى العراق الباسلة« انها نقلت جزءا من جيشها بعداده وعداده عبر الصحراء الى تتصل العراق عن سوريا . لقد نقلت قوات من الجيش واعية بعداتها . وعندما طلبراتها ايضا « فالجيوش العراقية التى قطعت هذه الصحراء التى لا تتجاوز الف كيلو متر، وصلت الى سوريا لا لكى تعمل المناورات للنزهة وانما جاءت للدفاع عن العروبة وانقاذ فلسطين . وسيكون لها شأن كبير اذا دخلت ارافى فلسطين . أما سوريا فانكم جميعا يجب أن تحيوها كما حييتها لانها جعلت جميع مواردها وقفا على الدفاع عن فلسطين . ولكن بطبيعة الحال معداتها الحربية أقل من معدات شرق الاردن والعراق ولبنان أيضا شريكة سوريا ولكن مواردها محدودة . واذا كانت معدات سوريا أقل من معدات العراق لذلك لان المدة التى دولت فيها أمور جيوشها مدة قصيرة فلم تستكمل بعد استعداداتها، ولكن لها من بسالتها ومن خبرتها ومن تصميمها على انقاذ فلسطين ما يجعل قوتها فعالة . وكذلك شأن لبنان . أما من الجيش المصرى فحضراتكم تعرفون بسالته ومنظيمه تنظيما وافيا كاملا عندما تكون على وشك الدخول فى أراض لمقاتلة عصابات ارهابية .

ولعلكم تواقتونى حضراتكم — ولو أننا فى جلسة سرية وفى مجلس الشيوخ المؤثر الا أدلى ببيانات تفصيلية عن عدد الجيش .

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ حسن عبد القادر : وما النصر الا من عند الله .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء :

نحن قادمون على أمر خطير فلا تلقوا بالكم الى دعايات الخصم ولا نريد أن نكون أداة لترويج هذه الدعايات الضارة .

[تصفيق]

كما لا نريد أن نكون أداة لنشر الهزيمة والضعف بين الصفوف . وأن الجيش المصرى لا يمكن أن تصدر اليه الاوامر بالتقدم خطوة الا اذا اتخذت كل الوسائل الكفيلة لتحقيق الامور الذى ندب من أجلها .

[تصفيق]

حضرة الشيخ المحترم عبد السلام محمود بك : هذا هو كل ما نريده .

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ أمين أحمد سعيد : هذا يكفى جدا .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء : ان كل البلاد العربية تقدر الجيش المصرى وتعرف قوته معرفة حقيقية .

حضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد سراج الدين باشا : دولة رئيس مجلس الوزراء لم يذكر الجيش السعودى .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء :

لقد فاتنى ذلك حقيقة وأنا متأسف لذلك . لانى متصل بالجيش السعودى والدولة السعودية سترسل قوات سيكون لها شأن كبير .

فبناء عليه اذا أردتم أمرا فيمكنكم أن تقوموا به واذا صممتم عليه فستصلوا الى تحقيقه . وما سيطلب من الجيش المصرى سيمكنه ان شاء الله أن يقوم بتحقيقه .

بقيت هناك كلمة واحدة . ليس هناك اعلان حرب بل هناك بلاد تطيح فيها عصابات تخرج السكان عن ديارهم وتذبحهم ، وتفعل فيهم ما تعرفون وما لا تعرفون . فالجيش المصرى انما يدخل فلسطين لاعادة الامن والنظام لسكان هذه الربوع فهو لا يعلن حربا ، وليس أمامه دولة معترف بها ، وانما أمامه عصابات يجب عليه أن يظهر البلاد منها .

حضرة الشيخ المحترم محمد علوى الجزار بك : يقول دولة رئيس مجلس الوزراء أن الجيش المصرى سيدخل فلسطين بعد ١٥ مايو فهل نشترك معه جيوش البلاد العربية الاخرى ؟

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء :

نعم لقد لفت صدقى باشا النظر الى الاصلاحات الاجتماعية الواجب علينا عملها والى الخسارة الاقتصادية التى تصيبنا . واننى اقول لحضراتكم أنه يجب اولا أن تكون للدولة كرامة معززة . فاذا فقدت الدولة كرامتها ، واذا فقدت اعزاز الناس لها ، فكل نشاط اقتصادى لا شك وبدون نزاع أنه زائل . اننا انما نحمى انفسنا من الخطر الذى نخشاه ويخشاه دولة صدقى باشا ، وهو نشر الاضطرابات ، واهدار الامن وانتشار الشيوعية فى البلاد . فيجب أن تكون مصر آمنة من جانبها ، وهذا الامن يقتضى استئصال رأس الحربة ، فنحن نعمل لاستتباب الامن . ومصر مازالت عند سياستها التى قامت عليها فهى لا تلجأ الى العنف ، ولا يضطرها شيئا الى أن تحيد عن هذا السبيل . والصبر كما تعرفون حضراتكم مزية ، والصبر واجب ، وهو أيضا فضيلة . ولكن استمرار الصبر ازاء الخطر المحدق يعتبر خورا ولا يكون صبرا .

ان العتاد والمعدات موجودة فى البلاد ويمكننا الحصول عليها وقد حصلنا فعلا على كثير منها ، وسنستمر فى الحصول على ما يلزمنا لهذه المهمة الخطيرة .

حلمى عيسى

حضرة الشيخ المحترم محمد حلمى عيسى باشا : يجول بخاطر بعض الناس أنهم قرأوا فى الصحف أن الصهيونيين يزمعون اقامة دولة يهودية وانه قد تصبح هذه المسألة حقيقة واقعة واننى مندهش من هذا التصور ، لانه لا يكفى أن تكون طائفة من الناس مقيمة فى احدى البلاد فتثق فيما بينها وتدعو أو تنادى باقامة دولة لها داخل هذه الدولة فيكون لها ما تريد وهذا الامر غير جائز قانونا لانه لا يتفق مع القواعد والاصول المقررة فى القوانين الدولية .

فاليهود الموجودون فى فلسطين استنجدوا بدولة أخرى وهى الدولة المنتدبة فى أن تعاونهم لانشاء وطن قومى لهم هناك فلم يعترف لهم بهذا الحق أحد ، ولم يرتض عرب فلسطين هذا الوضع واعترضوا عليه بشدة فأصبح النزاع منذ ذلك الوقت مستمرا بين العرب واليهود . تكونت عصابات جىء بها من الخارج تحارب العرب وتقاومهم وتعتدى عليهم وتريد هذه العصابات انشاء دولة هناك وهو أمر مناقض لمبادىء القانون الدولى . اذ معنى طلبهم انشاء وطن قومى انهم كانوا من غير وطن .

ان الدول القومية التى تحتل بعض الدول الصغيرة لا تستطيع أن تنشىء من هذه الدولة الصغيرة دولا تنتمى اليها .

فانجلترا — مثلا — لا تستطيع أن تقول أن مصر هى انجلترا وقتما كانت تحتلها ولا أن تقول فرنسا أن مراكش والجزائر وتونس هى بلد فرنسى . فالقوانين لايمكن أن تعترف بمثل هذه الدولة كدولة لها مزاياها القانونية .

الرئيس : هذا الكلام حسن فيما يتعلق بالفقه الدولى وأرجو معالى حلمى عيسى باشا أن يؤجل الكلام فى هذا الموضوع الى حينه .

والكلمة الان لحضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد سراج الدين باشا .

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ عباس الجمل : هناك آية قرآنية تقول « قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ولا يأتون البأس الا قليلا ، مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء .

حضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد سراج الدين باشا : اخوانى المحترمين — لاشك أن دولة رئيس مجلس الوزراء جدير بالشكر على هذه البيانات القيمة التى أدلى بها لنا فى هذه الليلة ، بل وجدير بالشكر أيضا على الموقف الذى اتخذه فى هذه المسألة القومية الخطيرة . وانى لابادر فأعلن تأييدى التام للخطة السليمة التى رأى دولته والحكومة اتخاذها فى هذه المسألة أيضا .

لا شك يا اخوانى فى أن الموقف الذى نعالجه الليلة هو موقف خطير جدا ولعله يعرض على البرلمان لاول مرة فى تاريخ مصر .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا : هذا صحيح .

حضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد سراج الدين باشا : وهو موقف تختار فيه البلاد بين دفع العدوان عنها وبين البقاء جامدة لا تحرك ساكنا .

لاشك عندى فى أنه لو أننا عنينا بمسألة فلسطين لمجرد الوفاء بالجار ، كما قال دولة صدقى باشا لكان لاعتبار المصلحة الخاصة المقام الاول . ولكنا جميعا قد فضلنا هذا الاعتبار عن الاعتبار المعنوى وهو الوفاء بالجار .

ولكنى أرى أننا ونحن بصدد النظر فى مسألة فلسطين انما ننظر فى مسألة

مصر بدائها ، راتئذ بدائنا عن المسلمين انما ندافع عن مصر نفسها .

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ عيلس

الجبل : هذا كلام حق ولا شك .

حضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد سراج الدين باشا : ان الخطر الصهيوني في فلسطين انما هو خطر على مصر ذاتها ودليلي مستمد من اقوال دولة صدقي باشا نفسه . تلك الاقوال التي نفضل بها في هذه الجلسة . فقد اشار دولته الى ما يحتمل من هجوم صهيوني على مصر بطائراتهم ، وقذفها بقنابلهم اذا ما دخلت جيوشنا فلسطين . كما اشار دولته بايجاز محمود الى احتمال انكسار توازننا البحري المادي المتوالي للصهيونيين وايام قوادهم .

فاذا كان دولته يخشى هذه النتيجة وليس خياليا ، كما انه ليس بمستحيل لانه كما قال دولته صدقي باشا نفسه ليس الامر هو ان نصف مليون يقتون مئتي مليون ؛ بل هو يقول القلة ترى اعدادها النصف مليون دولة كبرى تمده بالسلاح والذخيرة والعتاد . فهل يضمن دولته أن هذه الدول تتوقف غدا عن تغذية هذه الدولة الصهيونية الجديدة بهذه الادوات وهذا العتاد حتى تفذ تلك الصهيونية الخطيرة التي تسمى اليهود في الشرق الاوسط ؟

اذن نحن في موقف لا يحتمل التردد ، ولا يحتمل كثرة الجدل ، فنحن في فداء عن فلسطين انما ندافع عن مصر ذاتها .

لذلك في اثنى اعتقد أن دولة صدقي باشا لو ان الامر المعروض على حضراتكم الليلة كان يتعلق بشأن توات صهيونية تهدد اعلا الحدود المصرية — بما كان ليتردد لحظة واحدة في الموقف الذي يجلب الحكومة في رد هذا العدوان مهما كلفت التضحية . وهذا الموقف الذي اشير اليه ، هو نفس الموقف الذي نحن فيه الليلة ، وكل الفرق بين الموقفين أن اراضي المعركة تتأخر بضعة كيلو مترات ، وهذه الكيلو مترات ستصير بعد قليل في بلادنا وأراضينا أذا نحن وقينا وتهاونا في رد هذا العدوان .

ومما لا شك فيه أن كل الخسائر التي أشار اليها دولة صدقي باشا محتملة ، قد تقع خسائر مالية أو أعباء مالية ، وقد تتأثر الاحوال الاقتصادية . وقد قوتع كل ذلك دولة رئيس الحكومة ولكنها أعباء تتحملها كل دولة تقف مثل هذا الموقف لتدافع عن نفسها ، ولا يمكن أن يدافع الدول عن كيانها وعن نفسها دون أن تدفع الثمن غاليا من دماء ابنائها وأموالها وعتادها .

[تصفيق]

اي اصلاح ينشده دولة صدقي باشا ؟ هل يعتقد دولته انه اذا توج الصهيونيون في انشاء دولة ليس في فلسطين أن اعتداءنا سيقف في آبان من هؤلاء القوم ؟

انهم لايزيدون عن ١٥ مليونا في العالم اجمع ، ومع ذلك ماذا يبتغون ؟ اعتماد العالم ، مائة سنة وحياته لا يتأتى ولا يكون اذا انشئت هذه الدولة الصهيونية في فلسطين . والمدخل العسكري في نظري هو السبيل الوحيد الذي يدفع الدول الكبرى الغربية خصوصا الآن دولة صدقي باشا الى تغيير خطتها . انه ان صحت نظرية دولته بان ان الدول الكبرى تخشى أو تحرص على صداقته العرب وعلى رضائهم ، وتحذى أن تشب الحرب في الشرق الاوسط بسبب مسألة فلسطين ان صح هذا الفرض فهذا القرار العظيم ، وهذا التدخل العسكري هو الذي سيحيل هذه الدول على تغيير خطتها حتى لاتصادم مع العرب وحتى لا تقوم حرب في الشرق الاوسط لا يعلم مداها الا الله .

لذلك أقول — ان صح فرض دولة صدقي باشا من الحرص على صداقة العرب — لسبيل ظهور هذا الحرص في الميدان هو هذا التدخل العسكري لعلاء اما ان تبقى جامدين ساكتين نضيع الوقت بين اجتماعات نعقد هنا وهناك ، وبيانات نذاع من هنا وهناك ، فهذا العمل من جانبنا لن يحرك الدول التي تحرص على رضاء العرب مادام الامر في سكون وهدوء وليست له نتائج يخشونها فانما اثارة حرب في الشرق الاوسط او رضاء العرب . اذن كان هناك أمل في أن تحرص بعض الدول الكبرى على رضائنا وتخشى الحرب في الشرق الاوسط ، فالسبيل الوحيد لكي تستفيد من هذا الرضاء — ان كان — وجودها — هو التدخل العسكري فعلا .

لم يبق لي بعد هذا الا استيضاحان من باب الاستفسار او الاطمئنان الاول هو ما يأتي :

لقد قال دولة صدقي باشا ؟ ذهبت زيتنت سابق الوزراء انه يعلم أن ذخيرة الجيش المصري لا تكفيه الا بضعة أيام .

هذا هو سؤالي الاخير . وبعد ذلك لم يبق لي الا ان اختتم كلمتي كما بدأتها بشكر الحكومة على موقفها في هذا الشأن الخطير .

حضرة الشيخ المحترم اسماعيل صدقي باشا : لقد سمعنا هذا .

حضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد سراج الدين باشا : وانا لا أريد أن يظل هذا التصريح قائما بلا رد لذلك أرجو معالي وزير الدفاع أن ينير المجلس في هذا السبيل دون ابداء بيانات أو احصائيات، لاني لا استسيغ الادلاء باحصاءات في مثل هذه الشئون العسكرية فارجو ان اسمع فقط ان ذخيرة الجيش المصري كفيه وتكفيه وتكفيه .

حضرة الشيخ المحترم علي زكي العرابي باشا : لقد قال دولة رئيس الحكومة هذا .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمي القرافي باشا رئيس مجلس الوزراء :

اقول ان الذخيرة كافية وقد زود الجيش في العام الماضي والعام الحالي بذخيرة اضافية وبمتجرة .

حضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد سراج الدين باشا : لقد رجعت الى هذا التحديد خاصة .

والايضاح الثاني هو : هل هناك اي اتفاق ما على مركز فلسطين السياسي بعد تحريرها من الخطر الصهيوني او بعبارة اخر اتني سمعت وسمعتم حضراتكم أن هناك اغراضا سياسية في بعض الدول العربية بالنسبة لفلسطين .

نفيد ان فلسطين على ان فلسطين ستبقى لاهلها عربية فلسطينية موحدة .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمي القرافي باشا : ستبقى فلسطين لاهلها عربية موحدة .

[تصفيق]

حضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد سراج الدين باشا : لى سؤال أخير أيضا أرجو أن أسمع الاجابة عنه من دولة رئيس مجلس الوزراء وهو : هل دخل فى حساب الحكومة — فى دراستها للموقف — أنه قد يمد الانجليز من أجل انتدابهم على فلسطين بعد ١٥ مايو ، أى بعد الموعد الذى حددوه؟ واذا حدث هذا فهل سيبقى قرار الحكومة كما هو أو سيعرض الامر للبحث والدراسة ؟

هذا هو سؤالى الاخير . وبعد ذلك لم يبق لى الا أن أختتم كلماتى كما بدأتها بشكر الحكومة على موقفها فى هذا الشأن الخطير .

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء : الاجابة على السؤال الاخير الذى ألقاه سعادة سراج الدين باشا وهو سؤال خطير هى ما يأتى :

لقد أوضحت الخطط الرئيسية لسياسة الحكومة وبطبيعة الحال لا يمكننى أن أرتبط الا فى حدود الخطط الرئيسية . ولقد درسنا هذه الاحتمالات واللجنة السياسية للجامعة العربية ستجتمع وتبحث الموضوع . ولا يمكننى أن أرتبط بشىء فرضى . وعلى كل حال فانى أشكر سعادة الشيخ المحترم على أنه نبهنى الى هذا الاحتمال ، ولو أنه احتمال سبق أن كان موضع نظرنا فى الماضى ، ولكن سيزداد تركيز نظرنا فيه .

حضرة الشيخ المحترم الدكتور جاد قنديل : من الظواهر الحسنة أن روح المجلس هذه الليلة روح طيبة جدا ، فأرجو أن تستمر كذلك .

حضرة الشيخ المحترم اللواء أحمد عطية باشا : لقد تردد اسم الجيش فى هذه الليلة وأريد أن أطمئن على أن الجيش المصرى نموذج حسن لكل الجيوش العربية .

[تصفيق]

وأن الجيش المصرى وحده — بما لديه من العدة الحاضرة وبما أدلى به دولة رئيس الحكومة من تغطية النقص فى ذخيرته

محمد على علوبه

— كفيل بأن يرد السلم فى ربوع فلسطين وأن ينتصر اذا قوم مقاومة عنيفة .

هذا ما أردت أن أقوله لحضراتكم .

[تصفيق]

حضرة الشيخ المحترم محمد على علوبة باشا : حضرات الشيوخ المحترمين :

ليس لى مجال فى القول بعد ما سمعته من دولة رئيس مجلس الوزراء ومن حضرات الشيوخ المحترمين الذين تكلموا قبلى . وانه مما اثلج صدرى ان اسمع تأكيدا أمس واليوم من الحكومة بأن الجيش المصرى مستعد تمام الاستعداد وأن الحركات العسكرية التى ستعيد النظام والامن الى فلسطين ان هى الا حركات مشتركة بين جيش مصر وبقية الجيوش العربية . وبعد هذا أعيد الى أذهان حضراتكم أن الدول العربية حكومات وشعوبا من مدة طويلة قالت أنها لا تعتبر قرار التقسيم ، وانما نحن ماضون على عدم احترامه وعلى الدفاع عن فلسطين فأرجوكم أن تتصوروا هذه الحالة اذا ما عن للامم العربية الان بعد التصريحات والتأكيدات العديدة من ملوك ورؤساء حكومات — أو اذا ما عن لمصر أن تتقهقر وأن تتنحى فماذا يكون مركزها العام أمام الحكومات العربية وأمام باقى الشعوب العربية ؟ اذا أتت الدولة الصهيونية وتكونت وقد أعلنت قرارا بصفة رسمية أنها انما تسترجع ملك اسرائيل ، وانها لابد لها من أن تكون دولتها من الفرات الى النيل وهذه هى الدولة التى يريدون تكوينها . اننى أعتقد شخصيا ولا ألزم أحدا بأن يشاركنى اعتقادى هذا لانه عندما صدر قرار من هيئة الامم المتحدة برغبة التقسيم بضغط من امريكا وقد أعلنت حكومات كثيرة بأنه كان مضغوطا عليها من أمريكا ثم بعد ذلك جاءت أمريكا بنفسها وتنحت عن فكرة التقسيم . واعتقادى الشخصى أيها السادة هو أنهم كانوا يظنون أن التقسيم سينفذ بلا مقاومة — أى حبرا على ورق — ولما ظهرت تلك المقاومة التى أعتبرها مقاومة ضئيلة وشريفة من الفلسطينيين أنفسهم كان لابد من قوة لتنفيذ التقسيم بالقوة . فجاء تنافس الحكومات ، وظهر الخلاف بين الكتلتين وأرادوا أن يبعدوا خصومهم فعدلوا عن فكرة التقسيم بالقوة . فاذا كان الامر كذلك بتلك القوة الضئيلة ألم يكن من باب أولى اذا جاءت الامم المتحدة جميعا وأحاطت بفلسطين لتنقذها من غوائل هذا الاستعباد أو هذا الاغتيال ؟

والويل لنا اذا قال التاريخ — والعياذ بالله — ان الامم العربية نكصت على أعقابها وتركت الدولة الصهيونية تنمو وتزدهر . لن يكون لنا بعد ذلك وجود ولا شرف وسنكون طعمة لاولئك الذين يريدون أن يغتالونا ؟ ويحق لنا أن نقول (لو ذات سوار لطمتنى] اذا افترضنا ما نعتقده الان بعيد أو مستحيل ، وأن كلام الحكومات لا يؤكد لنا كل التأكيد بالانتصار . اذا افترضنا هذا ونحن يجب أن نعتقد أننا سننتصر على شراذم الصهيونية اذا اجتمعت الدول وهزمتنا فخير لنا أن نموت بقوة الدول من أن نموت من قوة المرابين .

[تصفيق]

حضرة الشيخ المحترم صلاح الدين الشواربى بك : لقد سبق أن اجتمعنا وقررنا التبرع بمكافأة ثلاثة أشهر لمساعدة فلسطين ، ولقد قامت الحكومة الان بتأدية واجبها . فيلزم علينا — نحن الذين تقدمت بنا السن ولا نستطيع ولا نقوى على حمل السلاح — أن نستمر فى هذا التبرع كما يجب على البلاد جميعا أن تتبرع حتى نستطيع أن نساعد فلسطين مساعدة جدية هذا ما أردت أن أقوله لحضراتكم . وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين .

حضرة الشيخ المحترم عبد السلام الشاذلى باشا : لقد ظهر بجلاء ووضوح اتجاه الامة واتجاه هذا المجلس فى ضرورة تأييد الحكومة فى خطتها للدفاع عن فلسطين . ولى كلمة قصيرة فى هذا الموضوع . لقد رأيت اهتمام المجلس بمسألة الذخائر ، ولقد كنت محافظا للقاهرة قبيل الحرب الماضية فرأيت كيف أن الانجليز تمكنوا من أن يحشدوا المصانع هنا وهناك فى القاهرة وفى النحاسين وفى غيرها للاشتغال بصنع الذخائر للجيش لعدم توافرها لديهم . لذلك أوجه نظر الحكومة ونظر معالى وزير الدفاع خاصة — الى الاهتمام بأمر هذه المصانع لتغذية الجيش بما يحتاج اليه من الذخائر .

الرئيس : لقد انتهت المناقشة فى هذا الموضوع . واظن ان المجلس بعد ان استمع الى البيانات التى ادلى بها دولة رئيس الحكومة ووقف على سياستها يوافق على هذه السياسة .

حضرة الشيخ المحترم امين احمد سعيد :

اقترح ان تكون موافقة المجلس على سياسة الحكومة بالاجماع .

حضرة الشيخ المحترم عبد اللطيف زعزوع : ان كل الاسئلة والمناقشات التى دارت حول هذا الموضوع انما كانت للاطمئنان فقط ، فالموافقة على هذه السياسة بالاجماع .

الرئيس : هل يوافق المجلس على سياسة الحكومة التى انتهجتها فيما يتعلق بالمسألة الفلسطينية بالاجماع ؟

حضرة الشيخ المحترم محمود غالب باشا : للان لم يسمع المجلس رأى اللجنة التى كونها بالامس لبحث هذه المسألة ومن الواجب ان يستمع المجلس الى رأيها .

الرئيس : لقد ذكرت اللجنة فى تقريرها انها استمعت الى بيانات دولة رئيس الحكومة ووافقت على خطتها بالاجماع .

حضرة الشيخ المحترم محمود غالب باشا :

ولكن من الواجب ان يسمع المجلس رأى اللجنة التى كونها .

المقرر : لقد اشتمل تقرير اللجنة على شقين : شق طرح على حضراتكم الليلة والشق الاخر لم يطرح بعد .

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ عباس الجمل : هذا الشق يجب الا نتعرض له الان .

الرئيس : نعم . يجب عدم التعرض لهذا الشق من التقرير .

المقرر : اذا كان الامر كذلك فاقول ان اللجنة قد قررت فيما يتعلق بالشق الاول من التقرير ما يأتى : — « اجتمعت اللجنة لبحث ما كلفها به المجلس ، وسمعت بيان دولة رئيس الحكومة عما يرى انه يجب ان تقوم به مصر نحو فلسطين ، من ضرورة التدخل مع الجيوش العربية فى الوقت المناسب لاعادة النظام والطمأنينة لذلك القطر ومنع المذابح المتواصلة الان ، وهى واثقة من نتائج هذا التدخل باذن الله » .

وقد وافقت اللجنة على هذه السياسة بالاجماع ، وتدعو المجلس الى الموافقة على رأيها . وقد انتخبت اللجنة سعادة توفيق دوس باشا مقررا لها .

الرئيس : هل توافقون حضراتكم على هذا الشق من التقرير ؟

[موافقة بالاجماع]

المقرر : الشق الثانى من التقرير خاص بموضوع لم يطرح على حضراتكم ...

حضرة الشيخ المحترم الاستاذ عباس الجمل : لا نريد التعرض لهذا الشق الان

الرئيس : ان هذا الشق من التقرير لم يكلف المجلس اللجنة ببحثه امس .

المقرر : بل لقد كلفت به اللجنة امس .

حضرة الشيخ المحترم محمد فؤاد سراج الدين باشا : ارجو ان تجعل لهذه الجلسة مظهرا اجتماعيا بحتا ، ولذلك أرى ان لا ضرورة لعرض هذا الشق الثانى من التقرير الان .

الرئيس : امامنا الان مرسوم بالاذن للحكومة فى ان تصدر اذونات على الخزانة بمبلغ اربعة ملايين من الجنيهات لاجل مسألة فلسطين .

وبعد ذلك ، الى ان تصدر الحكومة هذا القرض تأخذ من الاحتياطى المبلغ المذكور على ان تقوم بتسديده من هذا القرض .

فهل توافقون حضراتكم عليه من حيث المبدأ ؟

[موافقة]

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا رئيس مجلس الوزراء :

لى كلمة بسيطة وهى تنفيذا للسياسة التى عرضتها على حضراتكم وتفضلتم بالموافقة عليها سأتقدم الى المجلس عقد بتشريع عاجل ، ارجو ان يوافق المجلس على عقد جلسة فى الغد لاقراره .

الرئيس : لا مانع من ذلك .

المقرر : موضوع هذا التشريع ، هو الشق الثانى من تقرير اللجنة الذى اردت ان اشير اليه .

الرئيس : يستلزم اخذ الرأى على هذا المرسوم بناء حضرات الاعضاء المحترمين داخل قاعة الجلسة ، والان لتعود الجلسة علنية .

(اعيدت الجلسة علنية حيث كانت الساعة الثامنة والدقيقة العاشرة مساء) .

العصر الحديث

HOBOE ВРЕМЯ

أسبوعية سوفييتية للشئون الدولية

تصدر باللغات

الروسية
الفرنسية
الأسبانية
التشيكية
الإنجليزية
الألمانية
البولندية

اقرأها أيضا

باللغة العربية

المجلة السوفييتية للشئون الدولية

تصدر كل ثلاثاء • الثمن ٣٠ مليما

الطليعة

ملحق الأدب والفن

- المـــرأة فى أدب الحـــكيم
- أم كلثوم : الندرة .. والاستثناء
- المومياء : أنهض فلن تمـوت

فى هذا العـدد :

ـ المرأة فى أدب الحكيم : شريرة وخالقة وأم دون حب

ـ زكى نجيب محمود : الوضعية المنطقية فى الأدب والفن

ـ هذا الفنان وعالمـه : محمد سـيد توفيق

الأدب والفن فى شهر :

- أم كلثوم : النـدرة .. والاسـتثناء
- المومياء : انهض .. فلن تمـوت
- « لحظة صدق » .. والقضية الضائعة
- قراءة فى ثلاث روايـات جـديدة
- هـذا غـذاء حقيقى لأطفالنـا
- على الطريق الصعب : جاليرى ٦٨ ـ سنابل ـ أقلام الصحف
- الحلم والواقع فى عصافير ياسين رفاعية

المرأة

فى أدب الحـــــكيم :

شريرة وخالقـــــة وأم دون حـــــب

سامى خشبة

لم يتفق النقاد المصريون على سمو مكانة واحد من كتابنا المبدعين مثلما اتفقوا على سمو مكانة توفيق الحكيم ، ومع ذلك لم يختلفوا حول تقييم اعمال واحد من هؤلاء الكتاب وافكاره مثلما اختلفوا على تقييم اعمال الحكيم وافكاره . ودخلت « الصحافة » لعبة « نجومية » الحكيم وشغلت الناس احيانا بعصاه او بحماره ، واحيانا بالبيريه والشارب ، او بالبرج العاجى المزعوم ، واحيانا بالبخل المشهور او الذهول الاكثر شهرة .. أو بعداوته للمرأة التى كانت اشهر من كل شىء .

وقد يكون لتوفيق الحكيم نفسه دور فى الاهتمام والانشغال كما قال البعض ، وقد يكون ذلك لرغبته فى الدعاية لنفسه كما قالوا ، أو لافكاره واعماله كما قالوا

وهو الغائب القديم الذى عرفه كمية الجهل والعماء الشايع فيهما شعبه وقراؤه ، الدرجة التى ينبغى معها ان تكون للكاتب « الجاد » دعاية لاجدية فيها حتى تجتذب انظار اوسع قطاع ممكن من الجمهور .

ولكن لا نعتقد ان هذه الدعاية هى مايمكن ان تخلق الاهتمام النقدى باعمال توفيق الحكيم ، أو بمواقفه من حياتنا السياسية والاجتماعية والفنية . كما لا نعتقد ان هذه الدعاية كانت هى السبب الاساس لـ « جماهيرية » توفيق الحكيم التى لا شك فيها .

ونبدأ بحكم سيكون علينا اثباته فى السطور التالية ، من خلال تناولنا لقضية « المرأة » او موضوعها او « ظاهرتها » عند توفيق الحكيم ، ان السبب الاساسى لجماهيريته انما يرجع الى المزيج المدهش الذى اقام عليه الحكيم بناء اكثر اعماله [فى موضوعاتها وافكارها] واتخذه غالبا اساسا لموقفه العام من قضايا حياتنا السياسية والاجتماعية والثقافية ، المزيج الذى يجمع بين الحكمة المستخلصة من التراث الشعبى ومن التراث الدينى كما يفهمه الشعب لا كما يفهمه الفقهاء ، ومن فضائل تلك الفئة من الطبقة المتوسطة التى انتمى اليها الحكيم شخصيا وفكريا وتاريخيا . انها الفئة التى وقفت على ساقين احداهما مغروسة فى تقاليد صغار ومتوسطى الملاك الزراعيين فى الريف ، والثانية تتحرك على مسلحة من القانون الفرنسى [قانون أصدق ثورة بورجوازية فى التاريخ] وحياة البيروقراطية المصرية فى فترة من حياتها كانت تشعر فيها بوطأة القهر ، بينما كان يفرض عليها وضعها ان تمارس دور اداة القهر وتجسيده المباشر ، فعلت تناقضها بنوع خاص من الليبرالية ، يجمع بين التراخى التحرر مع التمسك فى نفس الوقت بقيم التجمد التى تحفظ لتكوين المجتمع الريفى شيئا من تماسكه القديم .

بهذا المزيج بين الحكمة الشعبية وفضائل البورجوازية الصغيرة الريفية البيروقراطية نصف المتحررة نصف المتزمته ، كان الحكيم يتوجه الى « أوسع الجماهير » القارئة فى مصر بالفعل ، يقدم لها حكمتها الموروثة الشعبية والدينية [وأحيانا الاسطورية] فى قوالب فنية عصرية ، ممتزجة بالرغبة « الوطنية » فى التحرر بالمقدار الذى يبيح لهذه

الجماهير شيئا من اللحاق « بركب الحضارة » دون أن يفقدها في نفس الوقت أهم ما تملكه من « القيم » التي تحقق لها شيئا من التماسك الاجتماعي والاخلاقي المنقذ من احتمال التمزق النفسي والفكري الذي تنتجه دون شك « الحضارة نفسها . اننا نواجه من جديد أحد الحلول التي قدمتها اجيال مفكرينا وادبائنا الرواد لواحدة من أخطر قضايا تطورنا الحضاري والثقافي الحديث ، قضية علاقتنا بالحضارة الغربية وموقفنا من آثار « غزو » هذه الحضارة لواقعنا المغلق منذ قرون غزوا مفاجئا وقاسيا ، فلنرجىء ذلك الى حين ، بعد ان نتبين مقدار اقتراب هذا الحكم من الحقيقة وسيكون بابنا الى ذلك هو الحكيم والمرأة »

[..●..]

في ثقافتنا القومية الموروثة ، شعبية ودينية ، نظرة [هي من أسس تلك الثقافة] الى المرأة تقول انها كائن خاص ، حرام ومحرم ، هو أصل شقاء البشر بانخداعها بمؤامرة ابليس والحية وانزالها آدم من نعيم الفردوس والخلود الى جحيم الارض والموت . كائن لاشك في دونيته اذا قيس بالرجل ، ذكاؤه مكر وفطنته خداع ، وقدرته على الخلق غريزة دون عقل ، كائن شهواني في خمول ملتذ في كسل ، جماله فخ للرجل وشهوته دمار لما في الرجل من ذهن خلاق قادر على اكتشاف الحقيقة واعادة تركيب شظايا العالم الذي حطمت فاتنته في الازل امرأة . في الموروث الديني كانت حواء تجسيدا لذلك المفهوم ، وقدم الموروث الشعبي عشرات النماذج من كل لون لا يحيطها الحصر »

كما ان لكل قاعدة استثناء يثبتها ويزيدها رسوخا ووضوحا ، كذلك تحقق لتلك « القاعدة » استثناؤها ، والاستثناء هنا يتجسد في الزوجية والامومة ، ويعني آخر في مقدار ما تستطيع المرأة أن تحققه من « انسانية » تضعها في تفان ودون تردد ولا شروط في لحظة « رجل » بعينه ، لابد أن يكون هو « زوجها » ، ثم « ابنها » القادم من صلب هذا الرجل الزوج بالتحديد . في الموروث الديني كانت ايزيس والعذراء والسيدة خديجة رموز هذه المفهوم الاكثر شهرة ، ومرة أخرى قدم الموروث الشعبي نماذج لا يحيطها الحصر وان لم تكتسب أهمية تذكر في الادب الشعبي ، فهي في النهاية نماذج للاستثناء وليس للقاعدة ، كما انها ليست النماذج الصالحة لخلق « الفن » بمثاليتها وصرامتها وتطابقها مع الامر الواقع . ولكن من هذه الاستثناءات بالتحديد يستمد « المثل الاعلى » الاخلاقي الذي يصنع منه الاطار المطلوب من كل امرأة أن تضع نفسها فيه . فاذا كانت حواء قد اصبحت أما للبشرية ، وقدمت شبيهاتها مادة خصبة للاساطير وانواع مأثورات الادب الشعبي [السامي خصوصا] فان ايزيس والعذراء والسيدة خديجة ، يصبحن أمهات للملوك والابطال والانبياء والمؤمنين ، ونادرات لا يتكررن ، ومن الصعب أن يتكرر ابناؤهن ، وقليلا

يا يمكن فى احداث التاريخ او فى تراث بالأدب الشعبى .

فى اطار هذا المفهوم الموروث السائد عن المرأة ، بأساسه واستغلاله ، نشأ توافق الحكام ، وهو اطار يتسع بقوة خاصة — وبحضور مضمر — فى الفئة الاجتماعية التى عنى منها ، بورجوازية الريف المصرى ، التى تلقت التعليم الحديث ، واحتفظت بملكياتها الزراعية المحدودة ، ظلت مرتبطة بالريف ، ثم انضمت الى طائفة الموظفين . فى هذه الفئة تصبح « الاسرة » الصغيرة هى وحدة الحياة الاجتماعية بعد هدمت « المشاع » او التجمعات العائلية الكبيرة بفعل انسلاخ المتعلمين من القرى وانتقالهم فى العواصم والمدن — الى الحياة الجديدة وانى المتعلم الحديث بتبعيه الموروثة ، الدينية والشعبية . ويما ان العلم الحديث قد كان مجرد « سلوميات » تلقن فى المدارس لاغراض ادارة بناء اقتصادى وسياسى حديث ، وليس « نظرة » جديدة شاملة الى الكون والتاريخ والمجتمع والانسان ، نظرة تنبع من حركة حضارية شاملة كما حدث فى اوروبا النهضة وما بعدها ، فان ذلك العلم الموروث تصبح اكثر حضورا — رغم انه ماضيا صبح قديما — بوصفها قيمات تلقن بالتدريج بما يجعدها من احداث التاريخ او حتى الحواديت والمثل الادب الشعبى . ويزداد التمسك بها فى وجه المراكز « الاخلاقية » للحياة الحديثة لانها العاصم الاخير ضد التحدث الكامل للعالم القروى القديم وهى ماسم «بعبد» لانها سجمين « الاسرة » الصغيرة نفسها من التفتت ، اذ تزودها بنسق اخلاقى جاهز لم يتجه اليه النص ولا الشك ، ولا داعى لان يتجه اليه من ذلك شىء .

ولكن هذا المفهوم الموروث السائد ، يدخل عليه عنصر جديد ، مستمد من المصادر الاساسية للحياة الجديدة نفسها التعليم ، ونوع واسلوب العمل وبيئة الحياة الاجتماعية انه عنصر ليبرالى فى مضمونه الاساسى البعيد ، ولكنه ايضا عنصر واقعى يأتى على استحياء شمان الغرب المسحوقين ، وان كان فى قدوه يعبر عن احتياج واقعى تفرضه الحياة وقد تمثله طبقة الحكم الاجتماعية بطريقتها الخاصة ، كما عبرت الثقافة المصرية فى عصر تكوين الحكم الملى الاول عن هذا العنصر بمصطلح «السفور» على النسق الاخلاقى من قيم العالم القديم مجردة ومنظمة وشديدة الحضور :

وفى قلب الطبقات المتعلمة كانت الارستقراطية المتزايدة والتحت الاجتماعية الغربية بذها والمشبوهة بها تتصارع . ولكن غرب الارستقراطية وذيولها من « بشوات » الكاتب الفرنسى ، ورفيقها ورفيق ذيولها فى الانتحال بهذا المنهج ، مع استعمالة « توبع » القيم الاخلاقية الغربية المتحررة والكثير السطحية نبوعا تقليدا من الواقع الاجتماعى والسياسى الذى كانت ارستقراطيتها وذيولها تمثله ؛ كل هذا انتج لذلك التنسيخ الاخلاقى المشهور الذى عاشته ارستقراطيتها ممزقة بين ميراث عصر الجوارى المتجدد فى عصر الحوانم ، وبين مكتسبات عصر المرأة « المومس » التى ينبغى ان يكون لها كما يقول الحكيم فى الرباط المقدس ، مشيق او خليل او حتى صديق ، والتى ينبغى الا يثور زوجها على هذا الوضع بحكم رفيته فى ان يكون « مومسا » او يحدرها على الطريقة الاوربية كما خيلوها ، ايضا كما يقول الحكيم فى نفس الرواية . وبذلك ايضا شاركت ارستقراطيتها وتواميها الاجتماعية فى عملية تحقيق اسباب التحرر للمرأة ودمجها فى نفس الوقت بقوة اكثر الى الطريق المؤدى الى تحويلها الى موضوع جنسى كامل فى نظر الرجل؛ وفى نظر ذاتها نفسها ، وبينها يفك الرجل والمرأة معا أى سند معنوى من القيم الاخلاقية التقليدية ، ويحولان من بين الهدأة التوقى للقيم المتحررة الشبيه الى الغرب المعيوب المشحص ، هدف استعادة الرجل والمرأة معا لانسانيتهما وانتماء ظرفيهما بالحرية المسئولة .

بين هذا وذاك يتولى التكوين الوجدانى لنتائج هذه الطبقة ، ويتمثلى فى شكل « جرائم » الغيرة والشطوط وتجارة الرقيق الابيض وتفكك الاسر الارستقراطية التى تحل فى نفس الوقت « الزوجة الخرافية » ، وتم تمسكها بالضمير الحى الذى « لا يخاف ولا يخدع كل ما هو محتوى الا بما فى ذلك الفن » للمثل العليا الجنسى ، الذى تصبح المرأة فيه هى الموضوع الكامل للمتعة لنفسها ، وللرجل على سواء .

واعتمادا على المفهوم السائد الموروث عن « المرأة — الأم » ، هيأ الحكيم المرأة نفسها من حيث هى كذلك .

وكل ملى المسألة انى دائما أفرق بين المرأة كشيء يوحى بالجمال ، وبين المرأة كمخلوق يريد أن يستأثر بكل شيء فى حياتنا . ان عداوتى لهذا المخلوق لن تقطع مادمت أخشى منه . ان عداوتى ليست الا دفاعا عن نفسى .. فلو أن المرأة تمثل من الفضة فوق مكتبى ، أو بقيت من الزهر فى حجرتى ، أو أصبحت سوسيطية انطقها واستريا بارادتى ، لكان لها عندى غير قليل من الحب وافكار لايحدها حد . ولكنها للاسف شيء يتكلم ويتحرك .. على ان الانصاف يقتضينى ان اقول ان المرأة ان تحطم من جانب فهى تبنى من جانب آخر . انها كالطبيعة فى يدها المبقريتان : عبقرية الفناء وعبقرية البناء . وانه لمن المستحيل ان نرى فى التاريخ حضارة قامت بدونها ولا انحطت بدونها . وان عرشها فى مملكة الفن اظهر العروش .. فهى الغرب هى المرأة ، وهى الشرق هى المرأة . حينما وجدت صاحبة الذوق وجد من الكمال المكن ، ونهض الفكر وقامت الحضارة .

نجيب شهيب الفكر
٢٥٣ / ٢٥٦

وعلى هذا النموذج ثار توفيق الحكيم متوسما انه المصور « المحتم » لكل امرأة ولكنه اراد بالمقابل ان يحول الحل الذى حققه طبقه الى النموذج المثالى لحل « المشكلة » وأصطنع « الاستقلاء العظيم للجديدة » بمختلجها بصورته الخاصة « المبتكرة » التى يوالف الفن مع الاسطورة والدين والفلسفة والواقع ، ومزجها بذلك العنصر البيرالمى الشاحب الوائد ، ليتعمله كل ذلك لكى يصوغ « الحل الناجع » فى دعوة موجهة الى نشأة هذه ورجالها ، له مكتوبة فى شكل روايات ومسرحيات ومقالات وتأملات ».

بذلك أصبح الحكيم محاصرا من التراث بأعلامه الأربعة بالمفهوم السائد فى التراث عن المرأة ومن الاخلاق « بمفهومه عليى المتدنيء الاخلاقى الى نشأة المجتمع المثالى » وأصبح فى نفس الوقت داعية الى الخلق جديدة ولكنه مستمد فى الأساس من التراث القديم « ومستمد فى نفس الوقت الى المبادئ الوافدة « التسكعية » الغير غلبتها وفرنستها بحياة البرجوازية المستيرة الرتيبة المتصلة الجديدة ».

ولقد ترتب موضوع « المرأة » من « رواية كثيرة فى أعمال الحكيم المسرحى والروائى بل ان « المرأة الجديدة » كانت هى عنوان واحدة من « روائل أعماله المسرحية المعروفة » تربعا كان للتسرب الاجتماعى الذى عرض عليه الحكيم الاهتمام بمسألة « الموضوع سببة واضحة » لقد كانت قضية « المرأة » أحدى قضايا « المجتمع » الهامة التى تشير الاجتماعى منذ « أوائل القرن وجماعة كتاباته قاسم أمين لتحرير المصرية التى كانت تستعد لبدء الانتهاض منذ فتح الحديث أصحابها أول مؤتمرة حديثة لتعليم البنات فى حوالى منتصف القرن الماضى « وبن البدايين فى تشرير مع قضية المرأة كل قضايا « الاخلاق » التى تجتمع الرابط عنده مفهوم الشرف بمفهوم « العرض » ودارت فيه كرامة الرجل — أبا أو أخا أو ابنا — حول تحريه على عمياء « عرضه » أى على الرجال الآخرين من الوصول الى « حريمه » الخاص بأى ثمن ، « وبحدة لو كان الثمن هو الدم » والاسبال بطبيع هو أن يدع الشرف من ثم المرأة نفسها » وكان الوجه المقابل لهذا الانشغال بتحرير المرأة فى تصلوات الظهور الاول للحكيم ، هو كتبة المرأة عن الحياة الاجتماعية

> .. جمال المرأة وفتنتها : تلك هى فى نظرى المسواكها الحقيقية التى تضع فيها كل مسوم سلطانها وتسيدها .. فالمرأة تشعر هلينا نحن الرجال عدا الصلاح ، وثقافة به فى وجه اعمالنا ، أمرة فينا ناهية . صلحة بنا أعيانا ان نقف فى طريقنا كما نقف القنطلة تحت تهديد قطاع الطريق ، لناخذ منا كل ماعندنا من وقت ، وقلب ، ومال ، وجاه ، وشهرة — انها لتجردنا من كل شىء ، وتتركنا امراة تحت سلطان سلامها المسلط الخفيف !!
>
> لعلها تتمنى بالمخالفة "ولكن هل تستطيع امرأة أن تقول لى ان هناك امرأة فى الوجود تحيش نفوس آخر غير سلب الرجل ! . انك اذا فتحت راس امرأة لا تجد فيه غير هذه الفكرة : السطو على رجل !
>
> ان الرجل قد يعيش لعيله ، أو لفكرته ، ولكن فكرة المرأة ، وعملها هو البحث عن الرجل الذى تسلبه لطفله ، وكل حياته.
>
> تحت شمس الفكر
> ص ٢٦٢ / ٢٦٣

ومن تجاربه هذه الحياة التى يمكن ان نتحول الى تجاربه فنية تتجمع بأسلس واعمى منطقى .

ولكن هذا السبب الاجتماعى لم يكن مبررا هذه الكوبرين من كتاب جيل الحكيم للاهتمام بقضية المرأة وتحريرها ومكانها فى المجتمع ومشاهدا فى الوجود بنفس درجة اهتمام الحكيم بها نمن البديهى ان تكون له انسبقاب الخاصة ، السيكولوجية والفكرية « أما عن الاسباب السيكولوجية عند لا يستطيع ذلك الابحال تقصى ، أو عملية تعدية يكون التحليل النفسى هو سندها الاساسى — وقد وكفينا هنا ان نشير الى « التقديس » الخاص الذى يتحدث به الحكيم عن أسمه فى « سجن العمر » وعن شخصية « الام — الزوجة » يشكل ملح فى « تحت شمس الفكر » وان كنا ندرك انه وتحدث عن صلبة زغلول ومرة عن أبيه ثم عن « ومن شخصيات مختارة بعينها من « الامهات — الزوجات » فى « الرباط المقدس » ، « برزا » من ابديس الى جانب الخديعة خديجة » وزوجة كارل ماركس الى جانب زوجة دوزانيلى » ودوج تميوز للمخصوص الخاص بكل واحدة منهن ولا المعنى التاريخى لكل « زوجة وزوجها » ، فهو لا يعلم منهن جميعا الا بمعنى « فناء » الزوجة المستغيرة القوية السلبية فى زوجها ، بعد امتلاكها به ، ايضا قام على تدريج متساويين من المطلقة والمثل، ولكننا نعرفه ايضا من « عودة الروح » التى يقر الحكيم لمؤلف دوائر ، انها تتضمن شيئا من سيرته الذاتية [عشرة ابناء يتحدثون الا نعرفه أن « محسن » لم يكن يحب فى أبيه استعدادها هذا للطلاحين وكان يفضل فى أبيه حبه لهم واكباره لصلابتهم وكرههم وتعرفه ايضا من « أحلا الذن » ان امرأة بعينها هى « الانسى حبيبه » كان لها الفضل فى « جر » الحكيم « الصبى الى عالم الذن بالعوالم والطبيات والآلهة » وانها تملكته من « جره » الى هذا العالم بفضل مزيج عظيما الثانوى وحنانها الأمومى فى وقت واحد .

ورغم ما قد يبدو فى « الرباط المقدس» من واقعة الخبرة الشخصية [التى أعتقد بأنها استغرت الى ماوراء الرواية والى ماوراء مجرد العلاقة المباشرة] ، وزغم ما قد تحسه من « راعب الفكر » فيها من احساس بالقدم والرغبة فى التكثير والاستمداد لتعليق اثم التفكير فى « الخطيئة » على كتفى المرأة التى احبته وحاولت ان تعلمه ممارسة الحياة لا التفرج عليها وتحمل مسئوليتها بدلا من اتحاد محمد الوسيط أو الذنبى أو مسجل الخبايا ، أتول انه رغم كل ذلك، فاننا لا نملك التكبير من المعرفة بالقريبة المطلقة للحكيم ، لكى نستخص صورة من أى أساس سيكولوجى لموقفه المعقد من المرأة .

ولكننا قد نملك بعض الحق فى ارجاع مواقفه بنفسها ، وولعه بمعالجة « وجودها » من مختلف زاويا الى وقوفا . الحكيم طويلا عند المصادر التاريخية للثقافة الشعبية والمعتقدات الشعبية ، والتصورات الشعبية ايضا من المصادر

الهندية من اسطورة اديس وايزوريس الى مسرح الكوميدى فى الثمرات » ومن اسطار الملوك فى الصورة » لصمس سليمان بالذات » الى الف ليلة وليلة ومن سور « سليمان » و « اهل الكهف » فى القرآن الكريم الى اساطير بيجماليون وأدونيس الاغريقية . وقد يكون لوقوف الحكيم عند هذه المصادر سبب فى تأثره بالرومانتيكية الاوربية فى عصر « ثقافة الانحلال » بعد الحرب العالمية الاولى ، وبالرمانتيكية البحت من الاصول من ناحية والبحت من التشابه بين الفنان والخالق من ناحية أخرى [1] .

فى كل هذه المصادر تتجسد المرأة زوجة أو أما أو معشوقة أو كليها معا ، وتتحول عند الحكيم الى مصدر للخلق أعيانا ، وان كل خلقها بالضرورة ناقصا يحتاج الى الجهد العقلى يبلغه الرجل لكى يكمل . وقد تتحول عنده الى مصدر خطر على الخلق (وعلى الخالق) بما تمثله فى التراث من شهوانية وما هتم عليها به من دونية جسدية وعقلية ترتب عليها دونيتها الاجتماعية . ولكنها قد تتحول الى مجرد « لغز » أو رمز للحياة (اللغز) أو رمز للفردوس المفقود ، أو الشر الكامن المهدد ، أو رمز للوطن (الارض الام) .

ولكننا نستطيع أن نتصمم معالجات الحكيم — الرمزية والدرامية والتأملية — لموضوع المرأة فى ضمين أساسيين ، سنتعرض الى استخدام معالجات شديدة التموسية بهدف تحديدها فى هذه السطور التى لا تتاح لها الرمسية لاتخصيص جميع مستويات البحث من المعالجات المذكورة . سنتعرض القسم الاول بقسم المعالجات الاتثروبولوجية ، التى استلهم فيها الحكيم تماما المفهوم التراثى السائد عن المرأة ، الذى يتجه نحو اعدائها باعتبارها جسدا للشر من زوايا مختلفة . ونتعرض القسم الثانى بقسم المعالجات « العالية » التى حاول فيها الحكيم أن يتسب من المرأة رمزا للخير من زوايا مختلفة أيضا .

فى القسم الاول يمكننا أن نرى الحكيم وقد ضلته الخشية من شرور المرأة حتى لا ينطلق الشر من عقاله فيهدد ما بقى للرجل من عقل أو قدرة على التعقل .

[1] أدين بهذه الملاحظة الاستاذ بدر الديب فى حوار شخصى معه عن الحكيم .

وهو يعبر عن ذلك بوضوح فى مقالاته عن المرأة والحياة والمرأة والمجتمع فى « تحت شمس الفكر » ، ويضيف الى الخوف من شرور المرأة (بمعنى مزاحمتها الرجل فى العمل وفى اثبات ذاتها بذلك لطبيعتها) خوفه من جمالها « ذلك السلاح الفتاك الذى يمكن أن يهدم بالرجل الى الدمار » ، الرباط المقدس « انه خسارب من استعباد المرأة جسميا للرجل ، الذى ، على أساس الايمان بالتناقض بين الجنس والفكر وهيمنة الجنس على تدمير القوات الرجل فى التفكير والخلق . ان الجنس الذى يجسده « حواء » فى الفردوس ، كان الاداة المباشرة لسقوط آدم [وليس سقوطها هى] وبداية العذاب للبشرية .

.. وأغلب راهب المكر أنها المقبر : وراى ذلك الجمال كله الجدار ذاته فلم يلمسه ولم .. ولكنه الذى يمكن أن يكون فيهما من عمل .. ولذلك البدن الذى الفض الذى يمكن أن يعتدله لمسه من الر .. ان جسمها الذى أبانه لم يكن عنده اكثر من جدار يضع عليه صورا من اختراع خياله ومعانى من ابتكار ذهنه . أما ما وراءه ! .. كهف اسمطامت هى ان تتزيلها القول الصالب : حقا ان رؤوسنا بما تفرز من معان تخلق بها المادة ، لتصبحا بدون أن نشعر من لمس حقائق الاشياء .. انها الحارزة الدائبة بين المخ والعين ، والفكر والجسد ، والروح والمادة ، كل منهما يريد أن يحجب الاخر ، فلا ينصر منه غير ظلال شاحبة . فالفكر اذا طغى يمس لنا الجسد بمعانيه ، والمادة اذا طغت تمس لنا الروح بوسائلها .. لا .. لا شيء يمس المادة غير المادة . ولا يكشف عن الروح غير الروح .. لابد أن يلتقم صدر بصدر وتلتصق شفة بشفة حتى يفرج من ذلك الالتحاك نفس من شعور خاص هو وحده السذى يعرفنا مالايستطيع الفكر المجرد أن يتخيل .

الرباط المقدس
ص ٢١١ / ٢١٢

ولى هذا القسم أيضا سنرى الحكيم مؤمنا بالخصائص الشريرة للمرأة بفطرتها وهو شر مربوط غالبا بجمالها . فجمال خلقة الرباط المقدس كاد يدمج واجب الفكر الى الزلل مالما خضع بالتمرس الى السقوط بمقتل تدنيس ، وكان جمال الفتاة « ريم » ذات المظهر البرى الغامض هو السبب فى الشرور التى حدثت بعدما يوهيت نفائب فى الارياف وفى الشر الذى ارتدت به الرواية : قتل ريم نفسها .

وفى شهر زاد تصطنع الفتاة الخبيرة المملكة أن تدفع شهريار الى الفلسفة والبحث عن معنى الوجود — بما تعتقد هى هيدا أصود يرضى غريزتها — فهى تخلق الرجل حقا ، ولكنها تخلقه ناقصا يحتاجها بتلهف ، وتخلقه لجوجا مفسورة الخلق المركبة فيها ، وبهذا تظل هى مجرد شهوة حسية لا علاقة لها بالعقل الذى خرج من رحمها . وقد لا يرتبط شر المرأة بجمالها بل قد يكون مرتبطا بكونها امرأة . ان الجارية « شمسهار » فى « سليمان الحكيم » لا تستطيع الا أن تكون لعنة وشرا على حبيبها الفارس تحتر ما كانت لعنة وشرا على كل من اقترب منها بما فيهم صديقها الملكة بلقيس ودون أن تدرى لذلك الشر أصل تدبير .

وفى القسم الاول أيضا سنرى الحكيم مؤمنا بالشر الذى ربما كانت شهر زاد الشر نفسه ، ولكن أوضح هذه النماذج هى الزوجة المجردة فى « با طالع الشجرة » ، تلك التى تختفى حية فى لا مكان ، وتختفى بهدة لكى تحل محلها السحلية « الشيخة خضرة » لكى تصبح مصدرا للخلق ومصدرا للعذاب والنجاة من العذاب فى وقته واحد .

فى ذلك الجانب الاول يتجسد ايمان الحكيم فى معالجته للمرأة بالتناقض بين الجنس والفكر ، التعكست صراع أبدى عبر عنه الحكيم اكثر من مرة من جهل الرجل وعقل المرأة . وربما كان هذا التناقض الموهوم انعكاسا لفكرة التناقض الابدى الثابت الذى يؤمن به الحكيم بين الحس والعقل ، أو التعادل جدما بتصوره واستحالة تكاملهما أو التوحيد بينهما استحالة مطلقة .. بذلك تم عند الحكيم الحصول على تبرير فكرى وميثاقة فنية للحكمة الشعبية والدينية القديمة فى المرأة [وخاصة فى الحكاية الشعبية] مثل حواء ممن التكوين الى موسس جلجامش الى مشكل اوديس ، انتقالا الى نساء الف ليلة وليلة إن المرأة هى الشر أصل الكثيرات .

ولكن هذا التدبير التفكيري بتلك الصياغة الذهنية يتحطان دون أستاذ لمفهوم نقدي وغير المفهوم الاخلاقي المستمد من الاستنتاجات العلمية للمصير الذاتي الساند من المرأة . هذا اذا تأتى للمرأة بما هي كذلك ، وحكم بوجوبها المطلقة ، جسدها وعقلها ، وبالتالي اجتماعيا — وتحذير رهيب للرجل مما تهدده من شر . لن نلتفي في هذا الجانب بأي تصور للملابسات التاريخية التي انتجت تلك الحكمة الشعبية . ومفهومها الساند عن المرأة [منظورا اليها كموضوع جنسي يتساوى مع الشر والنقص في الخلق] .

[●]

وفي القسم الثاني يتحلل التعادل ، أو بدلا المحاولة النبيلة لتحقيق ذلك التعادل ، في مبارة عقلية كبيرة تكشف الحكم تلك الاستنتاجات العلمية للمفهوم الساند من المرأة ، الاستنتاجات التي تثبت القاعدة من ناحية ، وتحلل من ناحية مغايرة خلق نسق من القيم المساعدة على مواجهة الاضرار التي لابدمن حدوثها نتيجة تأثير القاعدة نفسها .

في هذا القسم يحاول الحكيم أن يحقق المرجوين بعض تلك الاستنتاجات [وأساسا أرقى] وبين الفضائل البيولوجية الشاهقة لبورجوازية الريف المتحلة الى التفتح على أرقى واحدة بفضائل المجتمع الزراعي القديم .

فاذا كانت التفاهة السلبية ، قد عبرته من خلاله النظام الأبوي على النظام الأبوي في مراحل قديمة بأعلى سقوط للمرأة وقرها وبتحريم المرأة وتحييلها ذئب البشرية كلها ، فان التفاهة المصرية القديمة قد تمكنت من حل المشكلة بطريقة موضوعية لم يكن هناك سقوط ولا صعود ، وانما كان هناك تكامل بتأثير داخيسل مؤسسة « الزوجية » منذ الأول . واذا كانت الأم هي الرحم ، مصدر الخلق ، فان الأب هو الذراع ، مصدر العمل المنتج ، للمحافظة على الخلق . ولفلل الأم في بكائها ، أصلا مقدسا ، تمجد الروح لذلب المقتول ، وظد الابن فيسه يتجدد الأب لذلك من ايزيس ويحتفظ الأب بمكانه أيضا ، ليكن هو العمل والابتكار والمقاتل . وليأخذ سلطته من الأم نفسها ، وليتزوج أخته وارثة الأم لكي يحمي بذلك ميراث الأم والأب الأصليين بعمله وابتكاره وقتاله . ليكن هو أوزوريس ، الا انه المبتكر المنتج المقتول لكي تخصصه

.. وتفاوتت القلم ، وجلست بأحدى فخذيها على ساعدها القعد ، فالتصق جسمها بجسمه وانحنت برأسها لتكتب فتأخرت بعض خصلاتها المعطرة على جبينه . ثم تحركت فاحمى أحد نهديها يلامس خده ويكاد من غمغطه الرفيق ينبيء بأطلق ورقة .. وشم والحنها قبلا أنفه . والمتقيمس الألفي مصارعها بعطورها .. ان تعرق المرأة وأغفاسها من الرائحة الذكية أحيانا مايزري بأي عطر مصنوع . فهي رائحة طبيعية في المرأة كما في الزهرة .. وكلتها لاتوجد في كل الفضاء ، كما ان الشذا الطيب لايوجد في كل الازهار . وان فيهما أسرا تعرفه الطبيعة ولاتعرفه الصناعة .. هو الذي يجعسل في تلك الرائحة الطبيعية أغراء جنسيا لايقهر .. ولم يستطسع راهب الفكر أن يعيق رأسه من قدميه . فقد أمضى شبابا فيس له زمام.. ولم يغض حتى اليومعلى كفايتها

وهي تمثومه ، ولسكن انفسه منتشية بعلاوة صوتها ، ولسم يد اعتيادها بكفايتها التي تضطها فوق الورق ، ولكن عينه تلتهم تلك اليد الرخصة البضة ، انه لم يعد انسانا مفكرا أو قابسلا للتفكير في أي صورة من صورة، لا المتافع منه ولا الثقافة ، انما هو كتلة لحم ودم وأعصاب بغير تياد ..

الرباط المقدس
٢٢٠ / ٢٢١

بجسده الأرض ، ولكن تتاح للام فرصة اعادته للحياة [خلقه بتنسمها من جديد] ولذلك له أبدا يكون هو نفسه تجسيدا جديدا وحيا لأبيه المقتول .

ويكتشف الحكيم هذا الاستنباط العظيم منذ زمن طويل — ويحكيه نموذجا للمرأة الام الزوجة الباسلة الجديرة بأن تتحدى في أحدى رسائله الى « طيبها » في « الرباط المقدس » . ولكن هذا التجسيد الانثروبولوجي للاخلاق لا يتنع لصياغة الدعوى الموجهة الى المرأة من اجل أن يقبل شيئا من الجهد للتخلص من دونيتها . فهو يعرف انه يخاطب امرأة هذا العصر .

وليست امرأة عصر الدولة المصرية القديمة التي يعرف النضال التي يكون منها لمسق القيم الاخلاقية لتراثه ويعرف « الرذائل » التي ينبرون منها ، ويعرف ايضا — من يجسدون هذه الرذائل . لنتذكر الذي في شخصيات مغيرة البورجوازية الصغيرة المسرحيات ، وأ ملكات الاساطير ، أو فتاتيات العصر المملوكي الجزائرات ، أو بنات الملوك ذوات الفطنة والذكاء . لنتذكر فيهن ملامح من ايزيس وصفية زغلول ، ومن السيدة خديجة والعذراء ، وليصبحن فيما بعد رموزا للوطن الواحد أو للعبرقة الشاملة أو للجبل الخالق ، وأحيانا رموزا للحياة أو للعدالة أو الشوق الى الحسرية .. ولسكن البديل هو أن يتحول الى صورة المرأة الحبيبة أو العاشقة . فتلك لاتكون الا التجسيد الحي للشر والخطر المتحق الذي يهدد الرجل والخليقة .

[●]

وفي عام ١٩٦٤ قال توفيق الحكيم لمؤاد دواره انه كان تعتبر المرأة « المصرية » وانه كان يعتبرها في مجال « الثقافة » وحدها .. [وفي مرحلة معينة من مراحل تطورنا الاجتماعي ، خصوصا المراحل السابقة حين كان تعليم البنات محدودا جدا ولم تكن السيدات والاطلاع وكل مطالب الثقافة من الأمور التي تشغل المرأة المصرية والشرقية عموما في المراحل الاولى التي مثلت السنوات مباشرة . ولكن ذلك طبعا لم يظل مسع الزمن وقد زال بالفعل جزء منه] .

وربما كان ذلك امتدادا من الحكيم للمرأة بشكل عام ، وللمرأة المصرية بشكل خاص . فانه لم يكن يعتبر المرأة المصرية وانما كان يعبر عن رأيه في « المرأة » على وجه الاطلاق ان كان قد وجه دعوته الى المرأة المصرية وحدها بالطبع ، ولكنه حتى ذلك الحين [عام ١٩٦٤] . كان الحكيم في نفس الحوار يردد أسفه بأنه ليس للمرأة أن تدخل ما يفعله الرجل . ولا أن حصل على . يلحصل عليه وأمثاله بأن جعل المرأة « خطر » على الرجل .. الخ

ولكنه قبل أيام من كتابة هذه السطور ، كان يتحدث عن ضرورة « مشاركة » الشباب في الخدمة الوطنية في كل مجالات العمل ، سالفة الذكر . أيضا ؟ قال . دون تردد ؟ نعم .

[●]

أينه يكتب ايزيس الجديدة ؟ أو رحتى شهر زاد . أينه يحكي لنا ما تبارته اليه « ساعلة » « الرباط المقدس » ؟

زكى نجيب محمود :

[١٩٠٥]

الوضعية المنطقية فى الأدب والفن : وجه آخر للمثالية الذاتية

احمد عزالدين

يحدد التاريخ — دائما — اتجاه الفنان ، ونشاطه الابداعى ، وان كان لا يحدد حجم موهبته .

كما يحدد التاريخ — ايضا — اتجاه العالم ، ونشاطه العلمى ، وان كان لا يحدد قوة اكتشافه .

ذلك ان العلم والفن — فى النهاية — ، ليسا كائنين منفصلين عن حركة التاريخ وعن قوانينه .. ، بل هما وليدا هذه الحركة ، وصياغة خاصة لهذه القوانين .

ان كلا منهما ليس الا سبيلا للوصول لاكتشاف ومعرفة عالم واحد ، والى توكيد الانسان فيه ، بطرق مختلفة .

ان كلا منهما ليس الا سبيلا للوصول الى الحقيقة التى تعيش وتتطور البشرية — فقط — عبر معرفتها .

ان كلا منهما يستند الى الخبرة العملية ، من اجل ان يخدم الخبرة العملية ذاتها ، ويصبح جزءا منها .

حقيقة ، ان سبيل كل منهما لتحقيق ذلك مختلف ، وان الحقيقة التى طمح — ويطمح — كل منهما فى الوصول اليها مختلفة .

.. فى العلم تكون الحقيقة مطلقة — اى لا علاقة لها بمكتشفها — ، وذات وجه واحد ، كما انها تتكافأ مع نفسها دائما .

وفى الفن ، تكون الحقيقة اكثر نسبية ، وذات وجوه متعددة ، ومتميزة ، وان كانت فى نفس الوقت اكثر ثباتا » [١]

وحقيقة — ايضا — ان كلا منهما يتطور بشكل وبطبيعة مختلفة ، التطور فى العلم صاعد دائما ، فالنظرية الذرية الحديثة ، اكثر تطورا من نظرية [بوهر] ، ونافية لها ، وقوانين النسبية ليست فقط اكثر كمالا وتطورا من قوانين [نيوتن] فى الميكانيكا ، بل هى تجعل الاخيرة تتراجع خلفها بمراتب بعيدة .

والتطور فى الفن مسألة مختلفة ، ان الحديث لا ينفى القديم ، ولا يلغيه ، ظهور [المتنبى] لا يلغى [امرؤ القيس] ، كما ان [برخت] لا يلغى [شكسبير] ، وفى هذه النقطة بالذات ، تكمن قوة الفن العظيم ، الا وهى تثبيت القيم الدائمة لكل ما هو متغير . لكن المسافة بين العلم والفن ليست بهذا الثبات ، ذلك انهما — وان تمايزا وانفصلا — راجعان — كل النشاط الانسانى — الى العمل باعتباره العملية الاجتماعية

---

[١] يبدو ذلك واضحا فى تفسير النقاد لابطال [شكسبير] مثلا .. الذين لم تتوقف التأويلات والايحاءات بشأنهم حتى يومنا هذا ، على اختلافها وتباينها الشديد ، فى حين ان قانون [الكوانتم] فى نظرية الاحتمالات لا يعنى الا تفسيرا واحدا لموقع الالكترون من النواة .

التى طورت الانسان ، وفجرت طاقاته ، وامكاناته ، انهما — بالتالى متحركان مع تطوره ، وتشابك علاقته ، طبيعة وشكلا .

المسافة بينهما — اذن — متحركة على نحو كبير ، فما اكثر الاكتشافات العلمية التى تسلحت بنبوءة الفن لها ، وهى تبحث عن صيغتها ، وتفتش عن قانونها المستقل .

وما اكثر ما كان الفن انفعالا دافئا ، وخصبا ، ببعض الاكتشافات العلمية التى واكبته أو واكبها .

لست اقصد بذلك القول ، بأن الفن كان تابعا لاكتشافات العلم وذيلا لحركته ، ولا انه كان دائما يتنفس من رئة العلم ، ولا ان من مهامه الترويج والدعاية لحقائق العلم فى عصره ، لكنى اقصد أن كلا منهما ، ككائن منفصل ومتميز ومستقل يستمد دمه ، فى ذات اللحظة ، من نفس القلب .. ، من العملية الاجتماعية التى تجرى بها حركة التاريخ فى ظروفها المحددة .

ان كلا منهما ذو طبيعة طبقية ، وان بدا متميزا عن طبيعته .

ان كلا منهما لا يستطيع أن يكون — فى كل عصر — الا ذا صلة مباشرة بالاخر ، وان بدا مستقلا عن الاخر .

.. [والوضعية المنطقية] ذاتها — وان جاءت ذلك تماما — قد اثمرت تيارها الفلسفى كله داخل نفس الاطار ، بل قدمت نظرتها الى الفن والادب ، تحت نفس التأثير .

لقد تميزت [الوضعية المنطقية] — أو التجريبية العلمية كما يطلق عليها الان — فى [فينا] ، فى العشرينات من هذا القرن ، كاتجاه « ينزع نحو تحليل المعنى تحليلا يجعل معيار الحق هو شهادة الحواس » ، وسرعان ما عقدت زواجا شرعيا مع الاتجاه التحليلى ، الذى عرف باسم : مدرسة [كمبردج] تحت دعوى ، « الارتكاز على العقل وحده » .

ولم يكن تميز هذا التيار فى الفلسفة فى هذا التوقيت مصادفة عشوائية :

كانت الراسمالية الغربية — بعد الحرب العالمية الاولى بنتائجها المعروفة — قد تكشفت طبيعتها الاحتكارية ، وتفجرت ازماتها الروحية والفكرية ، كما أن الطبقة البرجوازية فى مجتمعاتها ، كانت قد حملت فوق وجهها ملامح محافظة ورجعية ، بعد أن انسلخت تماما عنه ، ملامحها الثورية السابقة .

وفى نفس الوقت صاحب التقدم العلمى الهائل ، خوف شديد ، نتج عن عدم القدرة على هضم نتائج الفزياء الحديثة .

ومع انتقال الطبقة الثورية فى فترة الصعود الراسمالى ، الى مواقع محافظة ورجعية ، ومع التعقد الشديد فى نظريات العلم الحديث ، وفى المناخ العام الذى نتج عن الحرب العالمية الاولى ، أثمرت [الوضعية] تيارها ، منتقلة بالفلسفة من موقع الريادة الى موقع ذيلى من العلم [٢] ، ومنتقلة على وجه آخر ، بالفن الى دائرة النشاط الذاتى المغلق .

> **●● كانت « الكلمة » فى البدء هى كل ما هناك ، هى الفكرة وهى الثقافة وهى المعرفة وهى المهارة ، بل كانت « الكلمة » هى التى ترفع عارفها الى مكان الصدارة ، وتخفض جاهلها الى الدرجات الدنيا من سلم المجتمع .**
>
> **وارتبطت الكلمة بالكهانة وبالقداسة وبالوساطة بين الانسان والله فمن قراها ومن كتبها كانت له قوة السحر فى خلق الاشياء وتبديلها واعدامها فما على الكاهن الساحر الا ان يقرا كلاما او ان يكتب كلاما لتنفتح له ابواب السماء ، ليشفى المرضى ، وليفتك بالعدو ، ولتربح التجارة ، ويسلم المسافر ، وينتصر المحارب ، كلام ينطق به القادر على الكلام ، أو يكتبه ، كان هو الكفيل بتيسير العسير . وتذليل الصعب ، وبلوغ الهدف ...**
>
> **تجديد الفكر العربى — ص ٢٣٠ .**

[●]

وحمل د. زكى نجيب محمود لواء [الوضعية المنطقية] فى الشرق العربى كله ، متشيعا لها ، ومبشرا بها ، داخل اروقة الجامعة ، ودوائر البحث الاكاديمى ، وعلى صفحات الكتب والمجلات والجرائد . ظل رائدها الاول ، على امتداد فترة حافلة ، تصل الى ثلث قرن كامل .

والحق ، انه استمر — دائما — مخلصا لها ، مدعما ومعمقا لفكرها ، فى دعوته الفلسفية العامة ، أو فى تناوله للظاهرة الفنية ، أو فى نقده التطبيقى .

والحق — ايضا — أن [الوضعية] قد استمدت — فى بلادنا — من ميزات رائدها الشخصية ، امكانات وقدرات ، اكبر من امكاناتها وقدراتها الحقيقية ، لكنها على كل حال قد قدمت — على امتداد تلك الفترة الطويلة — مادة جادة ، اثارت حولها ، نشاطا فكريا واسعا بين التيارات الفلسفية والفكرية الاخرى ، مما ساعد هذه التيارات ، على أن تؤصل وتعمق من مواقفها ونظرياتها .

لكن الخطوط العامة لفلسفتها ، قد حظيت بالنصيب الاكبر من هذا النشاط الوافر ، فى الوقت الذى ظلت فيه نظرتها الى الفن ، ومناهجها فى النقد الادبى والفنى ، ومواقفها فى النقد التطبيقى لا تحظى بنفس القدر من الاهتمام والرعاية والمواجهة .

نحو نظرية جديدة فى الادب ..

كانت نظرية [المحاكاة] ، صياغة حاجات جمالية لنظام اجتماعى ، ومرحلة كاملة من مراحل التطور الاجتماعى للبشرية [٣]

كما كانت نظرية [التعبير] ، صياغة جديدة ، حاجات جمالية ، لنظام اجتماعى جديد ، ولمرحلة أخرى تالية ، من مراحل هذا التطور . [٤]

---

[٢] تحدد [الوضعية] مهمة الفلسفة فى تحليل نتائج العلم الحديث .

[٣] تتناول النظرية الفن من زاوية المتلقى ، وهى تفسر الفن فى ظل العلاقات العبودية والاقطاعية .

[٤] تتناول النظرية الفن من زاوية الفنان ، وهى تفسر الفن فى فترة الصعود الراسمالى .

وحين جاءت [الوضعية] رفضت هاتين النظريتين ، وحاولت أن تقدم صياغة جديدة ، ونظرية جديدة مختلفة، بينما وقفت من النظريتين السابقتين عليها موقفا واحدا :

[.. غفر الله لفلاسفة اليونان الاولين — وافلاطون وارسطو على وجه التحديد — حين تركوا للناس من بعدهم ، مبدأ فى النقد الادبى أزاغ أبصارهم ، عن حقيقة الادب وحقيقة الفن ، حتى ليحتاج الامر الى أمثال هؤلاء الفحول ليصححوا الاوضاع بحيث يحررون الناس من حبائل ذلك المبدأ القديم الراسخ فى النفوس ، واعنى به مبدأ المحاكاة ، الذى يجعل الفن محاكاة للطبيعة ، فان رسم رسام صورة قالوا له : ماذا « تعنى » هذه الصورة ؟ .. اى انهم يسألونه : أين الشىء فى الطبيعة التى جاءت الصورة لتحاكيه والويل له ان قال لهم عن صورته انها لا تصور من الطبيعة شيئا ..] [٥]

.. وتستمر [الوضعية] فى رفض النظرية الثانية — نظرية التعبير : —

[.. ثم غفر الله لجماعة من النقاد المحدثين ، الذين جاءوا وكأنهم ثائرون على المبدأ القديم — مبدأ المحاكاة — واعلنوا فى الناس أن فى جعبتهم سهما جديدا هو أنفذ من السهم العتيق الى حقائق الفن فقالوا : لا ليس الفن وليس الادب تصويرا لهذا الشىء أو ذاك مما تدركه الحواس ، بل هو « تعبير » عن هذا الوجدان أو ذاك مما تطرب به النفوس .

فبناء على هذا الرأى لا يجوز لك أن تنظر الى الصورة — مثلا — وتسأل: ماذا تصور من أشياء الطبيعة ، لانها لم تجىء لتصور شيئا ، وانما هى انعكاس لما تختلج به نفس الفنان ، تومىء ايماء ، وتوحى ايحاء بنوع من العاطفة التى لابد أن تكون قد ملأت عليه جوانحه وهو يسكب الوانه على لوحته] [٦]

.. ثم تقدم [الوضعية] نظريتها — هى — فى الفن :

[ان موقفنا ازاء ذلك ان نجعل من العالم ثلاثة أوجه ، فطبيعة فى الخارج تتحدث عنها العلوم وأحاديث الحياة اليومية الجارية ، وذات فى الداخل تتبدى فى أحلام اليقظة وأحلام النوم وما اليها ثم عالم من فن وأدب ، قائم بذاته لا ليصور خارجا ولا يعبر عن داخل ، انما هو خلق وعلى من يرتاده أن يعيش فيه ، فلا يتخذ منه مجرد نافذة يطل منها على شىء سواه] [٧]

تعارض [الوضعية] — اذن — نظرية [المحاكاة] ونظرية [التعبير] وتقدم نظريتها هى — [الخلق] — بديلا لها .

انها ترفض — اولا — تناول الفن من زاوية المتلقى ، وترفض — ثانيا — تناول الفن من زاوية الفنان ، بينما تتناوله من زاوية العمل الفنى فقط .

انها تعزل الفن عن شخصية الفنان المبدع ، كما تعزله عن سياقه التاريخى — الاجتماعى ، وعن واقعه الموضوعى، وتتعامل معه باعتباره [مخلوقا] مستقلا ، منفصلا ، مجردا .

وعلى الرغم من أن نظرية [الخلق] ، لا تقدم تفسيرا كاملا ، للظاهرة الادبية، الا أنها تعد — حتى من قبل أساتذة علم النقد الموضوعى — أبرز مجهود أثمره الفكر البرجوازى المعاصر .

ان الفن لديها لا يقوم على محاكاة العالم الخارجى ، وهو فى نفس الوقت، لا يعبر عن عالم داخلى فى ذات المبدع، بل هو [خلق] مستقل ، ومنفصل عنهما .

واذا كانت [الوضعية] — التى ترفع شعار العلم — أبرز روافد الفلسفة المثالية المعاصرة ، فان نظرية [الخلق] ليست أكثر من وجه آخر للمثالية الذاتية ، التى ترفضها ، وهى تغطى وجهها ، بقشور العلمية .

لقد كانت [الرومانسية] تعبيرا عن فترة الصعود العظيمة للرأسمالية ، كانت تجسيدا جماليا وفنيا للطبقة البرجوازية الصاعدة ، وهى تسعى لامتلاك العالم ، والانتقال به من مرحلة تاريخية — الاقطاع — الى مرحلتها — هى — التاريخية : الرأسمالية .

ولقد نجحت المدرسة [الرومانسية] وهى تنتج شوامخ أعمالها الفنية العظيمة ، فى صياغة علاقة جمالية لها بالعالم من حولها . لكنها فى فترة أفولها ، وخلال تأزمها الروحى والفكرى، لم تنجح فى تقديم هذه الصياغة ، ولم تستطع أن تقدم تفسيرا كاملا للظاهرة الفنية .

ان نظرية [الخلق] ليست أكثر من رافد آخر للمثالية الذاتية ، رافد يعبر عن التأزم والافلاس والتمزق الذى تعانيه [الرأسمالية] فى مرحلة انهيارها ، وهو رافد يفصل العمل الفنى — فصلا متعسفا — عن مبدعه ، ومتلقيه ، وعن سياقه التاريخى — الاجتماعى .

.. ذلكم باختصار — هو جوهر نظرة [الوضعية] الى الفن ..

على أن نظرية [الخلق] ، وأن تكن النواة الاساسية ، التى نسجت [الوضعية] حركتها وتفسيراتها للفن، وتناولها لظواهره — بل واستقراءاتها فى مجال النقد التطبيقى — حولها ، الا أن الاقتراب من هذه التفسيرات وهذا التناول ، وتلك الاستقراءات يعد اقترابا من النظرية ، وهو فى نفس الوقت ، كشفا — واقعيا عن صلتها بالمثالية الذاتية .

الفن .. الا يعنى شيئا ؟

يبدأ د. زكى نجيب محمود ، مقالا شهيرا له بهذا القول [٨] :

---

[٥] [فلسفة وفن] — ص ٣٦٤ .
[٦] المصدر السابق ص ٣٦٥
[٧] نفس المصدر ص ٣٦٦
[٨] [الشعر لاينبىء] — المصدر السابق ص ٣٦٣

إذا سألك سائل ، مشيرا إلى شجرة الصفصاف التي تحلت بذورها حريصت ماء الجدول فقال : ماذا تعني هذه الشجرة ، وبأيّ شيء جاهت ، فماذا عسى أن يكون جوابك ؟

لا تجبه — وأنت في حيرة من سؤاله — أنها لا تعني شيئا على الاطلاق .. كلا ولا هي جاءت لتحمل الاشياء ، لكنها شجرة صفصاف وكفى ..

وجوابك هذا يا سيدي ، وتلك الحيرة بدت أزاء سؤال السائل هو جوابهو حيرتي من كل من يسأل عن قصيدة من الشعر ما معناها ؟ ثم طال التقاش بيني وبين طائفة من أصدقائي حين أسمعهم يتحدثون عن [معنى] هذه القصيدة أو تلك ، أو هذه القصورة أو تلك ، أيريدهم ما يسمّى الحالة قائلا : ان الفن ليس له معنى ، ولا ينبغي أن يكون له .. ! .

مقارنة قصيدة الشعر بشجرة الصفصاف — على النحو الذي بدأته المذكور — ، يجعل هام الى عوم الخلق السوري ، حين يعقد صلة وصية بين ظاهرتين مختلفتين — أو شيئين مختلفين — ، فيعرض على واحدة منهما ، فتون الاخرى — أو طبيعة الاخر — ويفسرها بتلك تمييزا متصعبا .

ما هي العلاقة بين شجرة الصفصاف، وبقصيدة الشعر ؟ .

يريد الخلق السوري أن يوضحا ، أنه كما أن شجرة الصفصاف لا تجيء من غير ، كذلك قصيدة الشعر ، لا تجيء من غير .

إلا هو يريد أن يعمم هذه العلاقة الوضية — بين الشجرة والقصيدة — على كوامها جزئية ، بين كل الاشعار وكل قصائد الشعر ، بل بين كل الطبيعة وبين كل الفن ..

انه يريد أن يقنعنا من خلال هاتين المظوتين — عقد صلة وهمية بين ظاهرتين مختلفتين ، وتعميم نتيجة هذه الصلة الوهمية — بنتيجة شاملة ، مؤداها ، أن الفن لا يتبيء .

وحتى دون رفض هذه الصلة الوهمية بين القصيدة والشجرة ، فان الشجرة —

●● فاقالة توشيف ان تكون في مصر القلاب الوحيد الذي يصيب فيه الاديب خواطره، ومشاعره ، فأديبنا قصير القفس تكفيه القالة الواحدة ليفرغ في أنهرها القليلة كل ما يتأجج به صدره من عاطفة، وما يختلج به رأسه من فكرة ، فان غضب أديبنا من نفس تلهجه في بناء الجماعة ، أو اخلال القرد ، أغاره الى القالة ، يصب فيها ثورة غضبه ، وإن افتتن أديبنا بجمال الطبيعة لجأ الى القالة يبث فيها ما أحس من عجب وإعجاب. أما الأديب الذي يريد أن يعالج بؤس الباسين فينصرف الناس القصة ذو القصة ، على بلغ ما ينشره ألوف الصحائف كما فعل [ديكنز] ، أما الاديب الذي يعطف على العمال فيركب في ذلك المسرح الرواية في الدراموية كما فعل جوتل ورلي] . أما الاديب الذي يلقى خطأبا من قارئه فيستعير من الاشتراكية . يرد على الرسالة مجلدين كما فعل [برنارد شو] . أما الاديب الذي يرى ملاج الانسانية في حكومة دولية تمسك بزمام العالم كله يكتب في ذلك كتبا تزيد على الخمسين كما فعل [ولز] .

مثل هذا وذاك من الادباء لم تشهده مصر ، فيؤس الباسين ملاجه خياله ، والعمال تكفي لتصرفهم مقالة ، وحل المشكلات الدولية حسبه مجلة ...

جلة العصيد أو أدب المقالة ص ٣ — ٤ .

قبل القصيدة — تجيء من شيء أو معنى شيئا ..

انها تعني — بلغة المنطق العلمي — أن ملايين الجراثيم — الفزيائية الكيماوية، السيولوجية — قد تفاعلت ، لكي تنبثق هذه الشجرة في هذا الموضع ، بهذه الكيفية على وجه التحديد .

وحين نفترض أن قصيدة الشعر قد كتبت في هذه الشجرة تحديدا ، فانها تعني شيئا .. ، أنها الشجرة منعكسة داخل ذات الشاعر ، بمعنى أدق ، أنها الشجرة بمشاعرها اليها الشاعر وهيا ووجدانيا وخياليا .

.. الفن لا يعني شيئا .. ، تلك هي لغة [الرومانسية] الواضحة عليوجه التحديد ، وهي لغة المثالية الذاتية على وجه العموم .

.. ولكن ، اذا كانت [الرومنسية] تصر على الفن لا يعني شيئا ، فما هي رسالة الفنان :

[تكون الرسالة حين يجاوز الفنان حدوده الذاتية ، ليخاطب الحقيقة الانسانية في صميمها ، والحقيقة الانسانية واحدة ، مهما اختلفت الالوان، والجلود ، وطرز الثياب والوان الطعام وانماط الروابط والصلات ..] [٩]

.. الحقيقة الانسانية واحدة .. ، لذلك هي ذلك ، لكن ، كيف يصل اليها الفنان .. ؟ تقول [الرومنسية] : عندما يجاوز حدوده الذاتية .. ، كيف .. ؟ بأن يرتفع فوق معاناة واشواق وهموم من يشاركونه هذه الحدود !! . بأن ينفصل عن واقع هذه الحدود .. !!

على هذا النحو الذي تقول به [الرومنسية] فان الامر قد يبدو بسيطا ومعقولا .. ، لكنه بالتأكيد أكثر تعقيدا، كما أنه — وهو الاهم — معكوس .

لحن نوافق على أن الوصول للحقيقة الانسانية يحدث عندما يجاوز الفنان حدوده الذاتية ، بل نضيف : وحدوده الذوبية والتاريخية .

لكن .. ، كيف يمكن لذلك أن يتم ؟

[٩] نفس المصدر ص ٢٢٤.

كيف جاوز [شكسبير] أو [تولستوى] أو [هنجواى] أو [برشت] حدودهم القومية والتاريخية ؟

فقد جاوز كل منهم هذه الحدود — فقط — عندما انتصى بالروح الانسانية وتكشف امكانها داخل تلك الحدود .

ان اى فن عظيم سمته الاولى انه يحمل سمة قومية واضحة .

بل ان ذاتية الكاتب القومية تبدو بوضوح اكثر ، كلما ازدادت انسانيته ، كما ان الكاتب الانسانى العلم — فى نفس الوقت — هو الاكثر قومية .

[الوضعية] تطرح المسألة معكوسة ..

انها تطالب الكتاب بأن ينفصلوا من هدومهم الانجليزية ، ليصطادوا الحقيقة ، كأن الاخيرة لا توجد داخل اوطانهم .

ان الصدق الفنان بطرقه الزمكانية والمكانية ، تخلقه داخل اشواق واحلام وهموم البشر فى مكانه وزمانه ، — فقط — هو الذى يمنحه فرصة تجاوز حدوده الانجليزية .

القومية ليست ضد العالمية ، أو الانسانية ، لكن الانسانية والعالمية ليست مجردا وعاما ، ليست عدما منفصلا .

ان الدعوة للتوجه الى الحقيقة الانسانية بهذا الشكل المعكوس ، دعوة لا قومية ، أنها قد تجعل وجها انسانيا ، لكنه — يقينا — وجه زائف ، انها تعكس بقوة ، موقفا اجتماعيا — تاريخيا .

انها ترفض اخضاع الابعاد الانسانة لظروفها المكانية لتكتسب معنى عليا ، بينما المسألة عكس ذلك تماما ، اننا كلما تخلصنا فى هذه الظروف الخاصة بشكل اكبل ، كلما دللنا على العالم فيها .

اننا نريد ان نصل الى الحقيقة الانسانية ، نريد ان نصل الى العالمية ، لكن ، ان الحركة الى ذلك تبدأ من القومية ، تبدأ من الحدود الاقليمية ، وليس العكس .

ان هذا وحده هو الذى يعطى [شكسبير] أو [تولستوى] أو [هنجواى] أو [برشت] انسانيتهم وعالميتهم .

لقد جاوز كل منهم حدوده الاقليمية — فقط — عندما انتصى بالروح الانسانية داخل هذه الحدود ، عندما تخلق داخل هذه الحدود ، عندما انتمى الى هذه الحدود .

ان احدى قيم الفن العظيم — كما سبق — انه قادر على ان يلمت الغيبة الثابتة ، فى اللحظة التاريخية المتغيرة ، لكن الدرجة على ذلك ، بالوقاية — لوق موهبته — على مدى الصلاقه بهذه اللحظة ذاتها ، على قدرته على كشف داخلها ، على انتمائه الكامل لها .

... تستمر [الوضعية] فى توضيح رسالة الفنان كما تراها :

[وتتناول الموضوع من زاوية اخرى. لتوضح رسالة الفنان فى عصرنا الذى تتخاصمت فيه الشعوب ، وذلك أن ننظر الى طبيعة الفن فى امتاعها فنراها هى نفسها طبيعة اللعب ، فالمتعة فى الفن ، والتنفيس الذى يكون فى اللعب ، هو نفسه النزوه من الغرض فى الفن ، وأهم من ذلك كله التعبير عن الكيان الانسانى فى مجموعه — لا هذا العضو وحده أو ذاك العضو وحده] [١٠]

[الوضعية] تعقد صلة وهمية اخرى بين الفن واللعب — كتلك الصلة التى عقدها بين شجرة الصفصاف وقصيدة الشعر — اللعب فليس من الذات ، وهو جزء من الغرض ، والفن كذلك جزء من الغرض ، اللعب لا وطن له ، وهكذا ينبغى أن يكون الفن .. « تعبيرا عن الكيان الانسانى فى مجموعه لا هذا العضو أو ذاك العضو » .. انه استعراض فى استخدام نفس المنطق الصورى .. الاداة التاريخية للمقابلة.

ان الفن ليس الا تعبيرا عن الحياة الاجتماعية وعكسا لها ، والتطور التاريخى للفن نفسه ، شاهد أكيد على ذلك .. ، نعم ان الكتابة نفسها ذهنية ذاتية للغاية ، لكن الفصل بين الشخصية الابداعية للكاتب وظروفه المحددة عمل تعسفى .

ان الشخصية الابداعية للكاتب ليست شيئا عاما أيضا ، لانها شىء محدد للغاية ، بل ان قوتها وعاطفتها تكمن فى ذلك التحديد ، تكمن فى وجودها فى مكانها وزمانها المعين .

ان الكاتب ذا الشخصية الابداعية العظيمة .. ، هو ابن شرعى لشعبه وتوجيهه ، وعصره ، وبين هذا وذاك يثابره ودوره الانسانى ، ان الدعوة الى [العالمية] ، قد تكون فى ظروف معينة وبسائلة لموقف بطل [كاتكا] فى قصته الشهيرة [البحر] ، انه يلجأ الى جحره ويتحوصل فيه بعيدا عن تناقضات الواقع الذى تمحله انه يواجه تحديات عصره بالتحوصل ، منسحبا ومتكسرا ، لكنه يتشبث بجحره حتى النهاية .

●● لا يكون الفن فنا اذا هو اعاد ما هو قائم.فعمل فنى هو ما يخلق جديدا ، ويثير بين هذا الذى ندعو اليه وبين ما يكون به كثير من اعمالنا الشبان الذين يصبون انهمة الاديب هى ان يجلس فى قهوة بلدية وينقل عن الناس ما يقولونه هزلا بهزل ، فلو كان فى ذلك ادب لارتفاعه واستوجبنا ، لانه يكفينا فى هذه الحالة ان نفتح مسجلا للصوت فى كل قهوة وفى كل مصنع وكار الله يحب المحسنين ..

فلسفة وفن — ص ٣٦٨ .

([١٠]) المصدر السابق ص ٢٢٢.

لكن هذه الدعوة فى ظروف مختلفة ، شبيه بطل [الايبراطور جونز] [١١]؛ الذى يحاول الهرب من الجزيرة التى يحكمها فيها المناضب هنده ، بينما لم يكن يعرف — أو يملك — كيف يواجهها. ليس هناك سبيل أمام [جونز] سوى الهرب الى ساحل البحر ، بمثابا عن سفينة صغيرة تنتظره الى جزء آخر من العالم ، لكنه وهو يخترق الاحراش يجد! من دخان الطبول التى تطرده بسخط تثيلا ..

ان كلا الموقفين واحد تقريبا ، كلاهما يسعى الى الهرب ، وكلاهما يختار سبيلا مختلفا . لكن موقف الاول وحده ، هو الذى يستحق منا — فقط — بعض الشعف !

نحو مذهب جديد فى النقد

[الوضعية] ليست مدرسة ادبية بالمعنى العلمى للكلمة ، انما فيها فكرة يحمل تسعات بشتركة فى مواجهة الظاهرة الفنية ، وفى محاولة تفسيرها وتناولها .

ان جميع الوضعيين يرفضون عدة اهداف ووسائل ثابتة بشتركة ، قد لا يبدو انها ذات طبيعة ايديولوجية . لكن [الوضعية] رغم ذلك حاولت ان تستخدث وسائلها الخاصة فى طرائق التحبير والاداء ، كما حاولت ان تظر لتكرها الادبى وفى تقدم نظرية [الخلق] مؤسسة عليها اسلوبها الخاص فى النقد الادبى .

لقد شدت الى نقد علمى مؤسس على تقدم العلوم كما استخدمت بالفعل بعض نتائج هذه العلوم فى دراسة دور اللغة فى العمل الشعرى وعلاقة المورفولات الصوتية والرمز والاسطورة بالتجربة الفنية .. ؛ [١٢]

وعلى وجه العموم ، فانها وهى تقدم تقريظها ، اصلت العالم الخارجى للفنان ، والعالم الداخلى له كما ، فى العمل الفنى ، وتعلقت مع الاخير باعتباره عالما خاصا خاصا ، له قوانينه وحقائقه — الفلوكلور الجمالية — الذاتية المستقلة.

ان دور الناقد فى ضوء ذلك ، هو التعامل مع هذه القوانين وتلك الحقائق الداخلية للعمل الفنى ..

لعل كلام [د. زكى نجيب محمود] يكون — وهو كذلك — أكثر توضيحا

[.. لكن هناك مذهبا ثالثا فى النقد يتشرح له كاتب هذه الاسطر ، وهو مذهب فى حركة النقد الفنى جديد فى أوربا وأمريكا وتقديم معروفه فى حركة النقد الفنى عند العرب بالاقدمين ، ومؤداه ان ينصب تحليل الناقد على العمل الفنى نفسه ، لا لتنقد خلاله الى نفس الفنان ، ولا الى العالم الخارجى بما فيه من وحاضره ، بل نقف عنده هو ذاته نترى كيف تتالف عناصره ، مما أدى الى حروفه على [ذوق] المخوفة؟ نعم ، نحصر أنفسنا فى العمل الفنى نفسه فلا نسمح لاى عليل خارجى أن يتدخل فى حسكنا ، كانفس الفنان وشاعره ، أو عوامل التاريخ ، أو الاساطير الدينية وغير الدينية ، أو المذاهب الفلسفية ، أو الافكار الفلسفية ، فلا يجوز للناقد — بناء على هذه المدرسة الجديدة — أن يسأل من لوحة سيقلاب تالثا : ما مغزاها ؟ أو ما مضامها ؟ ؛ لانه لا معنى ولا يعنى فى الفنون ...

والعمل الفنى بناء على هذه المدرسة الناقدة ، جيوفه هو الذى نفسه ، فسعار الشعر هو الشعر ، وسعيار الموسيقى هو الموسيقى ، وسعيار التصوير هو التصوير وهكذا ..] [١٣]

.. قصد عبدو راجحة [عيسوم] و [ريتشاردز] و [البيوت] فى هذه الاسطر واضحة .. ، وقد تكون راجحة الاخير أكثر نفاذا .

هل يحتاج الامر الى توضيح .. ؟ ؛ [الوضعية] ترى ان التعامل مع العمل الفنى — على اعتباره [مخلوقا] — ليس أن يتم مسح قوانينه الداخلية فقط .. ، مع استغلال الفنان والعالم الخارجى كما بن الحسبان .. وقد يبدو ذلك طبيا ، اذا لم يكن التعامل مع اللغة باعتبارها أداة ذات محتوى سابق ، وخصوصا .. ، لتن [الوضعية] كما تتعامل مع [النص] باعتباره كائنا مخلقا .. ، تتعامل مع اللغة باعتبارها رمزا مخلقا ، وتحدد لها وظائف محددة .. [١٤] .

.. يستلزم الامر أن نعود الى الاصل، يقول [د. زكى] فى مقاله [لن يفنى الشاعر] [١٥] :

[فاذا نحن وجهنا بصرنا الى « افراد الاسرة » — أعنى أصغاه الشعر — لكى نجيب عن سؤالنا ، انتهينا دتم لذا اجابات ثلاثا على الاقل .

فهناك القصيدة التى يتحدث بها الشاعر الى نفسه كأنها النجوى ، وهناك القصيدة التى يتوجه بها الشاعر الى سامع أو الى سامعين ، ثم هناك الشعر الذى يكون فيه الشاعر لا مخاطبا ، ولا سامعا ، اذ يطلق من عنده مخاطبا وسامعا ، كما يحدث فى الشعر المسرحى ، حين يدور الحوار فيه بين شخصين ليس الشاعر نفسه أحدهما]

.. مرة أخرى تد تجد راجحة [ص.ص. البيوت] مفيدة .. ، انه نفس تفسيره للمواقف الفنية الثلاث ، فى محاضراته الشهيرة « أصوات الشعر المثلاثة » .. ، انه نفس الفصل المتصل بين العمل الفنى وبين الفنان والعالم من حوله ، نفس الحجز عن رؤية الخاص فى ملابسه المشاركة بالعام .

ترى .. ، هل يختلف الامر فى النقد التطبيقى .. ؟

لقد حرص [د. زكى] على ان يشايع الحركة الادبية والنقدية باستمرار ، .. خلال منظوره الخاص ، حتى أن حركة — « الشعر الجديد » مثلا — قد عقبت بعدة مقالات عديدة له ، لعل رأيه فيها يتركز فى الاسطر التالية :

[وها هنا أقول انه اذا كان التخفف بن العناية بالشكل هو السمة المميزة للشعر الجديد ، لاحظ ان هذه جملة شرطية ، فاذا أجاب بنعم سجيب ، أن هذا التخفف من العناية بالشكل ، ليس هو السمة المميزة للشعر الجديد ، ثم بعد بين وبينهم بتاض ، أقول انه اذا كان هذا التخفف هو السمة المميزة ، اذن فما يسمى « بالجديد » هو بحاولة

[١١]: للكاتب الامريكى يوجين أونيل.

[١٢] : يزيد من التفصيل حول هذا ارجع الى « مقدمة فى نظرية الادب — د. عبد المنعم تليمة .

[١٣]: فلسفة وفن ص ٢٢٠

[١٤]: تحدد [الوضعية] لغة وظائفا ثلاثا فقط هى . التعبير والدلالة ، والاداء وتعبر [الوضعية] المواقف الفنية الثلاثة [الغنائية — الذاتية — الدرامية] على اساس هذه الوظائف الثلاث .

[١٥]: المصدر السابق ص ٢٢٢ —

أريد بها أن تكون شعرا لكنها لم تبلغ أن تحقق لنفسها ما أرادت والفرق عندئذ لا يكون فرقا بين شعر « جديد » وشعر « قديم » بل يصبح فرقا بين الشعر الذي يستحق على الاطلاق ، إن لم يكن الذي لا يستحق . [الشكل] الذي صب فيه موضوع ما ، وأو انهار الشكل لم يعد الفن فنا هين وان بقي الموضوع كما هو بحذافيره لم يتنفس شيئا ، هذه مسلمة يستحيل بغيرها أن نبغي في المناقشة قضية واحدة ..] [١٦]

أريد أن أوقف قليلا — بعيدا من قضية الشعر الجديد كله — عند المنهج، كيف نتعامل مع مسألة الدكتور أ

ان الذي يسير الفن في شتى صنوفه هو [تفوقه] ، والشكل — دون شك — واحد من تسميات ذلك [التفوق] ، كما أن المضمون واحد من ذلك التسميات .

ان المحتوى الجيد أو المتطور قد لا يجد دائما الشكل الجديد أو المطور الذي يجيد التعبير عنه ، ذلك حقيقة لا سبيل إلى انكارها ، لكن العلاقة بين الشكل والمحتوى ليست بهذه البساطة .

ان الذي يحسبون الشكل ، يعتبرونه ضروريا لوجود الشكل نفسه ، لذلك فان الانطلاق من المحتوى ، دائما ، هو الذي يعطي تفسيرا للشكل ، والعكس في ذلك ليس صحيحا في كل الاحوال.

كيف تحدث الفكرة الفلسفية مبصارها الخاص بها ، كيف تؤلف بين وحداته ، كيف يتلاءم هذا المبصار أو لا يتلاءم بعها .. ؟ ان البحث عن ذلك كله ، ينبغي أن يتم في جوهر الفكرة لا في المبصار نفسه .

أن رفض الشعر الجديد لانه يحمل شكلا غثا — على حد تعبير الدكتور — يشبه وصف حديقة بزهرة بلغها جهلة ، لجرد أن مسيولجها من أعراق الذرة الجلدة ، وليس من أشجار الزيتون . انه منهج المثالية الذاتية .. ، فهل يحتذي المنهج هذا تناول الرواية :

[قصة « الارض » ،[١٧] محاكاة للطبيعة والى حدا الحد قد أصابت ، ثم أدت بنا بعد ذلك ما لم يكن يجوز أن يفلت من الفنان الاصيل وهو «الصورة» أو الاطار الذي يخلعه على تلك المحيطة لكي تتخذ شكلا بذهبوا ..] [١٨]

« المنهج لا يخطئه .. ، لكن الامر أصبح يحتاج الى التركيز .. ، بالمختصر شديد ، [الوضعية] ترفض تقريش [المحاكاة] و [التعبير] وتقدم نظريتها الخاصة « الخلق » بديلا نظريا لهما ..

و [الوضعية] تستند على الاخيرة في تفسيرها لتاريخ الفن من جهة ، وفي تحديدها لدور الفن من جهة أخرى ، فهي ترى — أولا — ثلاث مراحل في تاريخ الفن ، تتداخل مع الوظائف الثلاثة التي نفسمها للغة والتي تتمايل جميعا — أيضا — كميل مغلق ، ليس له أي محتوى تاريخي — اجتماعي .

وهي ترى — ثانيا — أن الفن ايمائي فيقول ، وانه يستبدف — على ذلك — النشوة الخلصة ..

وفي علم النقد الادبي ، تؤمن منهجا نقديا يتماثل مع [الفن] باعتباره عالما خاصا مغلقا له قوانينه وحقائقه الذاتية الداخلية .

وفي النقد التطبيقي ، تعمل الشكل من المضمون ، كما تفصل العمل الفني عن سياقه التاريخي — الاجتماعي ، ذلك انها تفصل العلم — أساسا عن سياقه التاريخي — الاجتماعي .

[والوضعية] في ذلك كله ، وجه آخر للمثالية الذاتية ، انهما الوجه الذي يميز — وحتى — عن المثالية الراسبالية العالمية المتحدة ، في مرحلة انحيارها .

الواقعية .. تقدم البديل ..

لكن قوانينه الخاصة ، ليس في ذلك شك ، وهذه القوانين ، مستقلة — استقلالا نسبيا — عن الواقع الموضوعي.

لكن هذه القوانين الخاصة تعمل في اطار قوانين هذا الواقع ذاته .

والواقع الموضوعي ، وهو متشابك ومتداخل ، ومتعامل ليس شيئا قابلا جامدا لا حركة له ، انه يتحرك ويتصادم ويتغير .. ، وهو يخلع تغيره وتحركه وتصادمه على كافة الظواهر الانسانية التي يحوطها في حركته .

ان كل مرحلة تاريخية تقدم مبالغة فنانية مختلفة ليست ، تكون انعكاسا للخلائق الاساسية في واقعها المادي الموضوعي في اطار هذه الحقائق العلمية الموضوعية ، يقدم الفكر العلمي نظريته في الفن — نظرية الانعكاس — نافيا بذلك كل النظريات الغنية التي تقف على رفض الفكر المتغير لكل ذلك .

والمدرسة الواقعية ، قد بنى أخلاقا التيارات والتعبيرات والاجتهادات — تستند في الدراسة الادبية وفي تفسير تاريخ الفن إلا وفي نظرية النقد ، وفي مجالات النقد التطبيقي الى المثل الاعلى الجمالي والاجتماعي التي صاغت على أساسه نظريتها في الفن .

والواقعية وهي تشجع الفن للواقع انما تقوم بتأكيد الفن ، وتأكيد الانسان ذاته ، ذلك أن الجمال — في جوهره — تأكيد للنزعة الاجتماعية في الفن .

لكن ... ، استطيع أن أقول دون تردد ، أن هذه المدرسة لم يتح لها بعد ، حتى الان أن تكشف عن وجهها الرائع كاملا في حياتنا الثقافية والفنية .

ان الثقافة الاتحاد استطاعت بتراثها الطويل ، وبقيمها العريقة ، وبمركزة على أساس التعاليم الماركسية ، أن تحول بمفردات قاموسها الفني الخاص الى بديهيات راسخة ، تغير أفق هذه الحياة ، ... الا ما أشق الجهد ، وما أعظم المسئولية الملقاة على عاتق نقادنا الواقعيين ، لتبسط امكانيتهم ، ومواهبهم تلك البديهيات الراسخة في حياتنا الثقافية والفنية ، حماية لها من المستقبل التي تحاول — جاهدة — أن تنتفض على أرضنا المعادة .

[١٦] نفس المصدر ص ٣٤٩

[١٧] المقصود رواية الأرض للاستاذ — عبد الرحمن الشرقاوي

[١٨] للتوضيح وفق ص ٣٤٩

[١٩] نظرية [المحاكاة] التي تقدمها [الكلاسيكية] ، ونظرية [التعبير] التي تقدمها [الرومانسية] ، ونظرية [الخلق] التي تقدمها [الوضعية].

هذا الفنان وعالمه

المثال محمد سيد توفيق

[٣٣ سنة] الدرب الاحمر فى القاهرة

الانسان المعاصر .. آلامه وآماله ... معاناته واحزانه وطموحه ... لحظات القوة والضعف ... صراعه مع الواقع ... مع الاخر ... علاقة الاخر به ...

هذه هى المعانى التى نراها فى تماثيل المثال **محمد سيد توفيق** الاخيرة ... فهى مبارة من تراكيب نحتية خالية من الفواصل الحادة بين الكتل وخالية من الفراغات ، حيث يهتم بالبناء المعمارى فى علاقة الكتل المكونة للتمثال وبساطتها لتقوم بوظيفة الحركة وتعطى فى النهاية الاسلوب الخاص به ... ولا توجد التفاصيل التى تؤكد الحركة الميكانيكية للجسم البشرى متأثرا بفلسفة المعالجة التى كان يتبعها المثال الفرعونى فى تماثيله .. غير ان المثال **محمد سيد توفيق** استطاع ان يكون معاصرا عندما اختار الموضوع الذى عبر عنه وكان الانسان هو العنصر الاساسى له ، وبأسلوب معاصر حطم النسب المثالية للواقع وذلك لايجاد علاقات جمالية أخرى بين الكتل النحتية مؤكدا الشحنة الدرامية والتعبيرية .. لذا يمكن ان نعتبره بين الفنانين التعبيريين فى مصر .

مس . ت

تكوين

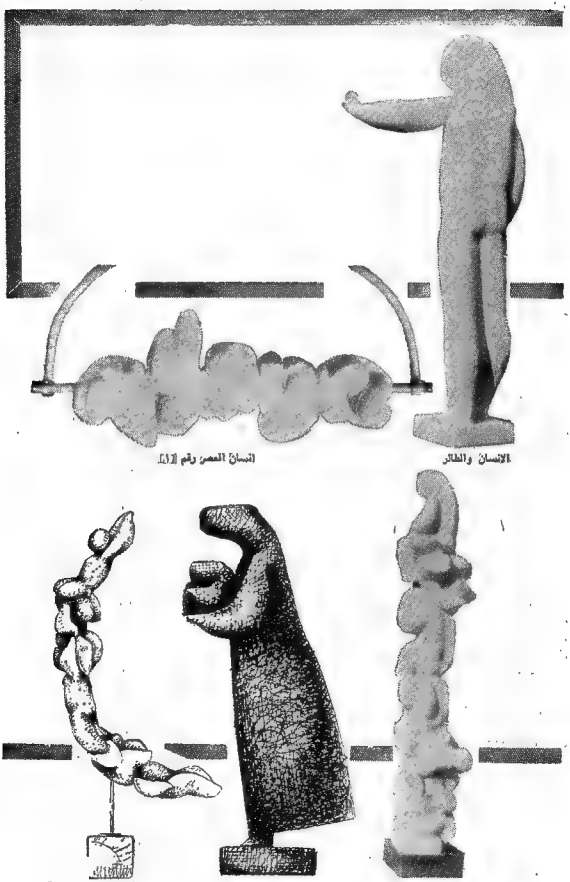

الانسان والطائر

انسان العصر رقم (١)

انسان العصر رقم (٢)

تمثال القربان

انسان العصر رقم (٣)

أم كلثوم
الندرة والاستثناء

بعد نصف قرن من الحضور القوى والفعال .. فايت أم كلثوم .

وبعد غيابها .. سالت أنهار الكلمات ، وترددت كلمة « المعجزة » مئات المرات . فهل كانت معجزة حقا .. وبأى معنى من المعانى ؟

لنتفق على ما لا خلاف حوله ، ونسرى ان أم كلثوم لم تكن معجزة لكنها كانت ندرة واستثناء .

لنتفق اولا على انها كانت مؤسسة فنية ووجدانية كاملة ، ولم تكن مجرد « مؤدية » مهما بلغت عظمة الاداء ، فالمألوف فى تاريخ الفن أن يدور المؤدون فى افلاك المبدعين ، يستمدون منهم القبس والضياء ، فماذا يكون لورانس أوليفييه أو جون جيلجود لولا كلمات شكسبير .. وماذا يكون كارورز أو جيلى لولا أعمال فيردى وبوتشينى ..وماذا يكون ميلكيور أو فلاكستاد لولا أوبرات فاجنر .. [ونستطيع ان نضرب الامثلة بغير نهاية] ،لكن أم كلثوم كانت كوكبا يدور المبدعون فى فلكه رغم أنها لم تنظم كلمات أغانيها ولم تضع الحانها . لكنها كانت تتحدى المبدعين فتقدموا لها أفضل مالديهم .

ولنتفق ثانيا على ان صوتها كان ندرة واستثناء : صوت لا يتساد ولا يبارى ، يصل فى أدائه غاية التحقيق ، يفى بكل المتطلبات الجمالية حتى أكثرها تعقدا وأرهفها من الهمس الى نهاية مدى الحنجرة الانسانية [وأغانى الاربعينيات خير شاهد] ، مافى النبرة ،واضح الطبقة ، قادر على الوصول دون مكبرات ، هذا الى جانب أنك لا تستمع الى الاغنية الواحدة مرتين ، ولعل أم كلثوم كانت قمة هذه المدرسة التى لازمت الغناء العربى ونهايته : القدرة الفائقة على الارتجال ، على زخرفة اللحن وتوشيته بتلك التطريزات والتلوينات الصغيرة حتى يخال جمهورها أنه يسمع فى كل مرة أغنية جديدة ، ويعينها الاحساس الناضج على تطويع الصوت الفنى للتعبير عن ظلال المعنى حتى مادق منها وخفى .

ولنتفق ثالثا على ان أغانى أم كلثوم ستعيش طويلا مستقلة عن معانيها . بعبارة اخرى : لقد غنت أم كلثوم ــ أكثر ما غنت ــ **لونا واحدا من الحب** ، الحب المستتر المتخفى المتردد بين البوح والكتمان ، لانه لا يعرف صداه عند الاخر ، الحب المعتل المحيط الذى يكتفى منه صاحبه باجترار ألمه ، ويلقى لذته « فى ذلته وخضوعه » ، حب الدموع « الاهات » واللوعة والجوى المحرق ولمل الوصال ولا وصال . وحين تنسب أجيال ترى الحب أخذا وعطاء ، مبادرة ومسئولية ومشاركة ، تفعل الحب ولا تكتفى بذرف الدموع واجترار الاهات ،حينذاك أيضا تبقى أغانى أم كلثوم .. كما بقى شعر الرومانتيكيين الكبار ، وكما بقيت « تريستان وايزولدة » لفاجنر رغم أن « الملك مارك » لم يعد موجودا ليفرق بين الحبيبين ، ورغم أن احداثم بعد الان يلتمس لحظات نادرة من الفراق يعقبها لقاء دائم فى العالم الاخر ، وكما بقى شعر المتنبى فى كافور رغم ان التاريخ كنس كافورا فيمن كنس وكما بقيت الاطلال التى وقف أمامها الشعراء يوما فى حومانة الدراج والجواء وسقط اللوى . الا ترى حتى عيون الملحدين جمالا وروعة فى الكاتدرائيات القديمة ؟.. بل ولعل هذه الاجيال ان ترى فى أغانى أم كلثوم صورة من صور التوق الانسانى الى التخطى والتجاوز وتحقيق المستحيل .

ولنتفق رابعا على أن أم كلثوم كانت فنانة كل العرب . استطاع صوتها أن يجمع بينهم رغم اختلاف البيئات وتعدد الثقافات ، وجد كل فيه شيئا يتوق لسماعه ، ويسرت لها معرفتها بشىء من التراث والشعر ، وحفظ القرآن والمدائح ، لترهف حسها بالكلمة العربية والايقاع الشعرى ، فغنت قصائد ما كان يمكن لغيرها أن يتيح لها هذا المدى من الجماهيرية والذيوع على ألسنة الناس .

ولنتفق خامسا على أن أم كلثوم كانت تأخذ فنها مأخذ الجد الكامل ، وهذا يـ فى عالمنا العربى ـ

من وجوه الندرة والاستثناء . ان التجاوب الصادق الذى كان يحدث دائمـا بين أم كلثوم وجمهورها لا يقدر عليه سوى فنان يأخذ عمله بجدية واخلاص كاملين ، ويعطيه كل نفسه ووجدانه ، حتى تكتمل الدائرة وينبثق الوهـج من القطبين وقـد طـال التقاؤهما . هنا كانت أم كلثوم مثالا فـذا للعطاء والقدرة على تلمس نبض المتلقى والاستجابة لـه حتى الاشباع .

[●]

وبعد ان ينقضى الحزن لفراقها ـ هى التى غنت دائمـا للفراق ! ـ سـتبقى أم كلثوم موضـوعا للدارسين ، وهذا هو تكريمها الحقيقى : ان يقول لنا هؤلاء لماذا كانت أم كلثوم مؤسسة فنية ووجدانية فريدة ، وكيف استطاعت أن ترتفع من قروية فقيرة تطوف موائد القرى وتغنى فى أفراحهـا لتصـبح سيدة الغناء العربى خمسين عاما بغير منازع .

وهذا ما ستحاوله « الطليعة » فى عددها القادم

« الطليعـــة »

سينما

المومياء: انهض فلن تموت

فى مشهد النهاية القريب ، ينسحب ظلام الليل امام مطلع الفجر ، وينجح مفتش الاثار الشاب فى مهمته فتنساب سفينته الجميلة بانوارها المتلالئة على مياه النيل ، حاملة معها توابيت ملوك الفراعنة ، وينجح ابن القبيلة وزعيمها فى فرض تغيير اسلوب الحياة الذى عاشت به قبيلته طوال خمسة قرون ، ويتهيأ الشباب لاستقبال عصر جديد .. ومع هذا فان كل شىء يبدو حزينا ، مقبضا ، يفيض بالشجن ، صوت صفارة السفينة النائح يتصاعد ليلاقى اصداء الموسيقى التى تتردد لاول مرة ، ومفتش الاثار الشاب ، المهموم ، لم يبتسم طوال الفيلم حتى فى لحظات انتصاره . وابن القبيلة وزعيمها ممزق الثياب ، مضطرب المشاعر يضرب وجهه بكفيه باكيا ، ضائعا وسط كثبان رملية كثيفة .

قد يبدو « المومياء » غامضا وصعبا وفريدا ، خاصة بالنسبة لجمهور لم يتعود الا مشاهدة اعمال صغيرة ، فكرا وفنا . واذا اردت ان تصنفه فلابد ان تفرد له بابا خاصا به ، ذلك انه لايتشابه مع مئات الافلام التى انتجتها ستوديوهاتنا ، فمشاهده تخلو تماما من العنف والتوتر والاثارة والقبلات والاذرع والافخاذ العارية وهو لايتضمن اغنية او معركة او رقصة ولغته السينمائية تكاد لاتستعين بالموسيقى التصويرية الفاقعة والديكورات المزيفة والتمثيل الميلودرامى .. فهو فى النهاية يرفض — بشجاعة وحزم — تركة السينما المصرية المدمرة ، والسائبة ، ويحاول ان يقف منفردا ، وحيدا ، قويا ، على ارض تاريخية لم تقترب منها السينما المصرية بعد ، وان يعبر عن الوجدان المصرى فى احدى مراحل الازمات الروحية التى مرت بشعبنا .

و « المومياء » مثل قطعة الموسيقى او قصيدة الشعر ، لايكشف عن معانيه مباشرة ، بسهولة ووضوح ، فهو ملىء بالتلميحات والدلالات ، كلما تأملته ازددت ادراكا لابعاده واعماقه ، وقد يكون لقصته بداية ووسط ونهاية ، لكن الفيلم ليس مجرد الحدوته ، ولكنه يعبر ، فى بعد من ابعاده ، عن مشاعر القلق والحزن والحيرة والرغبة فى التعبير ، التى سيطرت على وجدان شباب مصر ، فى سنوات مابعد يونيو ٦٧ ، وهى السنوات التى صنع فيها الفيلم و « المومياء » فى بعد آخر ، يعكس روح مصر المضطربة خلال القرن التاسع عشر ، قرن الانتقال السريع من عصر الى عصر ، من اسلوب فى التفكير والحياة الى اسلوب آخر .. ويستند « المومياء » او « ليلة حساب السنين » كما يحب ان يسميه الاوروبيون الى واقعة حقيقية حدثت عام ١٨٨١ ، عندما اكتشف « احمد كمال » ، اول باحث آثار مصرى ، مقابر الاسرة الحادية والعشرين بالدير البحرى .. ولعل وقفة عند هذا التاريخ تساعد على تفهم ابعاد « المومياء » .

شقيق نور الدين « أيوب » ممسكا بالتميمة واحمد مرعى « ونيس » هل سينجح فى استرداد التميمة وخوض غمار المستقبل

فى فترة من كتاب أمريكى يحاول ان ينصفنا ، وما اقل الذين ينصفوننا ،يقول « دافيدلاندرز » فى « بنوك وباشوات»: « ان شلل اوروبا المتوسطة فى العصر الصناعى الجديد الى مصر فى القرن التاسع عشر .. كان بداية مرحلة جادة جداً لاحدى مآسى التاريخ فى الالفية الماضية : مأساة التقاء حضارتين » . وهو قول صائب ؛ ذلك ان مصر استيقظت بعد قرون الظلام والتخلف على كابوس اليم ، فالنهضة لم تبدأ هادئة، متطورة ، مطمئنة ، نتيجة للعديد من التغيرات التاريخية ، فضلا عن بعث جوانب الماضى الايجابية ، كما حدث فى اوروبا نتيجة للتغيرات التاريخية فى عصر النهضة ، فضلا عن اكتشافها لذخائر حضارتها اليونانية والرومانية .. ولكن النهضة فى مصر جاءت مفزعة ، غازية ، مفاجئة ، مع قوى مدافع نابليون فى نهاية القرن الثامن عشر .

ومع تدفق رأس المال الاجنبى خلال القرن التاسع عشر ، وتوطيد النفوذ الاوروبى ، كانت مصر تنجب الاجيال الاولى من ابنائها الذين تحملوا عبء مواجهة حضارة شابة ، قوية ، ظالمة ، من واقع عجوز ، مظلم ، ضعيف ومتخلف وفى هذا القرن المضطرب ، الذى يشهد نهاية عصر وبداية عصر جديد ، والذى يموج بمشاعر حادة من اليأس والامل ، والذى يختلج بعشرات الافكار الشابة ، الجديدة ، القوية ، التى تواجه الواقع ببصيرة نافذة وتتطلع للمستقبل « ونيس بطل الفيلم » ، وتقاتل فى الوقت نفسه عشرات الافكار العاجزة ، الضعيفة ، التى تستمسك بالماضى وتحتمى به«شيوخ القبيلة » ـ فى هذا القرن تطالعنا اسماء رفاعة الطهطاوى ، ومحمد عبده ، ومحمود سامى البارودى ، وعبد الله النديم ، واحمد عرابى .. أسماء قام اصحابها بمحاولة توجيه دفة مصر نحو العلم والثقافة والتحرر .. وفى عام ١٨٨١ الذى تدور فيه أحداث « المومياء » كانت انجلترا تتهيأ لتصفية الحساب مع قوة مصر النامية ، ووضع نهاية فاجعة لقرن مضطرب ، لذلك فان الفجر لايطلع فى مشهد النهاية محملا بالبهجة والاطمئنان بقدر ما يحمل من فتنة وقلق .

فى افتتاحية الفيلم نستمع لقراءة من كتاب « الموتى » الفرعونى :

يا من مضى ستعود

يا من تنام سوف تنهض

يا من تموت سوف تبعث

انهض .. فلن تفنى

وفى اجتماع مفتشى الاثار ، يدور الحديث حول قطع الاثار التى ظهرت اخيرا فى السوق السوداء ، ويوافق «ماسبيرو» مدير المتحف المصرى على سفر الباحث « احمد كمال » الى الاقصر فى محاولة لمعرفة مصدر الاثار المسروقة .. وينتقل الفيلم الى « طيبة » حيث قبيلة «الحريات» التى تتعيش منذ خمسة قرون على بيع ذخائر احدى مقابر الملوك فى الدير البحرى ..

اول ما يطالعنا فى « طيبة » ، مع نهاية الليل ، مشهد « طقسى » مهيب يدفن فيه شيخ القبيلة ، دلالة على انتهاء مرحلة «مظلمة» من التاريخ وبداية مرحلة اخرى .. وتنتقل الزعامة بأسرارها الى ابنى الشيخ المتوفى . وأول الاسرار التى يكتشفها الاخوان هى الطريقة التى تتعيش

منها القبيلة .. وفى مشهد تالث ، مشاهد بالظلام ، يضلل الاخوان بصحبة مجهول للبلد ، فى مرارتة مسئوليتها ، وبين قتل طريق مهجور ، انتصلته الا الضباع والذئاب ، يسبل الجميع الى مكمن التوابيت ، ومدية حادة يقطع أحدالاصلع الثلاثة المحيطة بجثمان أحد الملوك ، كما لو كان يقر جسدا حيا . وفى داخل الجثمان يخرج الحى تبعة بدمية يهيئها للابن الاكبر ، ويطالبه بهيئتها للتاجر «ايوب» ونوزيع نصف ثمنها على القبيلة .

وبدأ مطالبة الابن الاكبر ، فيسير بحرك بشكل ما أن المشتغلين لن يقبلوهذا الاسلوب فى المعيش ، وهو يعس ويباع الدنير الفادمة من مصر جديد ، ويهزيمن بانه أن الاوان لان تغير القبيلة طريقة حياتها . لذلك فانه يرفض بيع الجثة المعيش بذكر ومواهب وأعمال جديدة .. وهو فى هذا وان كان يعكس مشاعر الاجيال المصرية الناشئة ، خلال النصين التاسع عشر ، فانه يعبر أيضا عن حلم وايمان واحتياج ورغبة شباب مصر فى التدبير ، خاصة بعد هزيمة يونيو ٦٧ .

لكن التغيير ليس سهلا .. فشيوخ القبيلة يستمسكون باسلوب الماضى فى الحياة ، الامر الذى يدفع الابن الاكبر الى الهرب والهجرة من طيبة كلها ، وفى مشهد غنى بالدلالات ، تفتح الكاهنة خطوات الابن الاكبر المجهدة فوق الكثبان الرملية الشامية ، فى أتجاه الشاطىء .. وعندما تصبح المركب الشراعى فى مرسى يصره يشاهد كثين فريدين مرصوصين على جدارها .. ربما يعتزانه .. أو يطالبانه بالصوت ، أو يستفيدان من أجله .. ويبدو أنه أدرك أنهما لغيرا شيئ ذلك انه يتوقف ، ويتوقف معه الكثيران ، ويتدخم الكفر ، من ظلف الابن الاكبر ، ويجلان بلسان .. ويلا خفف أو بطاقة» تدل لنا ملامح الوجه الحصانا بالقدير الاليم الذى طعن طيبه ، وسرعان يسقط فارغا فى الموت والظلام .

تعد شخصية الابن الاصغر « وليس » امتدادا صريحا للابن الاكبر «شقيقهما وأخلاهما متقارب تقاربا شديدا . لكن بينما يستمسلم الاخ الاكبر لرغبته فى الهرب أو الهجرة هيئة الظلام ، يصبح «وليس» المزمة ، لذلك فانه ، مع المخاوفة أخيه ، يعو أعمق ادراكا وأشمل وعيا وأكثر هدأيا وطفا وأقوى أرادة ..» ولان فرصة النجاة امتدت أمامه ، فان معتقداته تتحول الى عمل ومسلوك ، فالمجلس ، أو مقدرة مصور القيام على حمل كل قطاة لوحة بديعة ، ترتبط بمسلوكها ولاحقتها ، أو الموهبة الفائقة للكفرين أحمد وصلاح مرعى ، الاول فى دور وليس والثانى فى تصميم للديكورات وأغيش القيام .. لكن مايستحق ان نقف عنده تأويلا هو حوار « الرجباء » .

اختار « شادى عبد السلام » وهلاء الغريب » اللغة الفصحى مادة للحوار ، ولذلك لما يتوفر فيها من مقدرة على التسميم والتطبيق ، ولانها تتيح بطاقة شاعرية كبيرة ، تفضلا من مقدرتها على التركيز والتعبير عن الافكار ، والقيام بهذا يكون قد تناول عيا تتيحه له اللغة العامية من تلقائية وصدق وحرارة ، لفضلا من قدرتها على التعبير الناجين القدسى والاجتماعى بين الشخصيات .. لكن هذا ليس معناه أنه توجد حدود فاصلة بينها ، بمكانيات كل من اللغتين ، فالمسألة ان التهاية تتوقف على مقدرة الكاتب وتمكنه من أسرار اللغة التى يستخدمها ، وهو التعبير الذى لم يتحقق فى القيام على نحو مكمل .. فبينما يحقق الحوارالجدية دراسية وايحائية وتفككية فى بعض الاجزاء ، خاصة عندما ينسج على طريقة الاشعار الغرمونية ، فانه فى أجزاء أخرى يأتى بعيدا عن الدقة ، بعلها ، قريبا من التعبيرات الملتقة .. تعتمد بذهنه « وليس » لمقتى الاثار ويقدمانهم سفينته الوحيدة يقول « لماذا جلهم بكل هذه العدة والعتاد ؟ وتدخل فى جملة التقد الهوية عندما يتدارك وليس مع « مراد » الذى القاه فيقول « أغرب عن وجهى أيها النصس » .

وهموما فان الحوار — على غيرالعادة فى الافلام المصرية — لم يكن الاداة الرئيسية للتعبير ، فور يبدو مواقفها أمام ثراء الصورة ، ويكاد أن تصارجع وتفكر فى نهاية الفيلم ، كعمل مشبع بصيص .

وليس تصوير «الوبداء» على أساس انه يحقق بأحدى جنباهه فى عام ١٩٨١ بينما يحقق بجناحه الاخر فى أبهانا هذه يلغى تفسيرات أخرى يحتملها الفيلم ، فهو فى النهاية ، كعمل مشبع بصيص — يرفرف بجناحيه الى الماضى قاره ، والى المستقبل طورا — برى عثرات الامور ، على نحو شابل وهام ، قد يحتاج للشرح والتفسير ، ولانه يرتبط فان مجال رؤيته أرحب ، وأحساسه برياح التغيير القاتمة من صور جديدة ، أوضح وأعق . ■

الابن الذى يحمله أكثر اكتمالا من أخيه الاكبر .

ونتيجة لتفتح وعى « وليس » وازدياد ادراكه ، نان كل شىء حوله يكتسب معنى جديدا ، فالتماثيل والمعبدان والرسوم الجدارية المحيطة به ليست أحجارا جامدة ، ولكنها تاريخ طويل ، يرتبط به على نحو ما .. كذلك المهارات التى تعرض عليها القبيلة ، ليستحدثا أشياء لها ولا أبناء ، كما يدعى الشيوخ ، ولكنها جزء من أصله ، الامر الذى جعله يقول لاخر من مرة بان القبيلة عاشت « على أصلها » قرونا طويلا ، وقد آن الاوان لتغير أسلوبها فى المعيش .

والفيلم بهذا لايعنى أنه دعوة صوفية ، أو تأملات رومانسية فى آثار الماضى ، فكرتها والدعوة الغالبة للدعوتين فى أوائل هذا القرن ، ونكته ، فى بعد من أبعاده ، دعوة لمعرفة هذا الماضى وأستيعابه دروسه ، عن طريق العلم ، لذلك فان « وليس » يصطر الى ارشاد « رجل العلم » باسمك الاثار ، عن مكان المقبرة .. وليس هذا — خاصة بعد هزيمة يونيو — أن نتردد فى القيام أسماء «أعيس» ، الذى أجهز على بقايا الكهنوس ، أو التعتمر» الذى تعقب الاعداء وأبعدهم من أرض مصر ، ووصل بتراته الى حضرة تربها شمالا والشلال الرابع جنوبا ، أو « رمسيس الثانى » الذىوضع نهاية لوجود « الحيثين » .. ذلك لان هذه الاسماء كلها ، أو على الاقل كان يجب أن تكون كذلك باستطاعتنا الهم الماجورا ، وأيضا لتذكر أهل مصر بأن عبر الفزاة ، والانتصار على الاعداء من الامور الممكنة ، التى تؤكدها وقائع التاريخ .. ويدعم الفيلم هذا المغزى مرة أخرى فى المشهد الذىوتتابلديه كل من « وليس » وصديقه الشاب الجريح أيضا ، فى أحد المعابد ، حيث تظهر الرسوم الجدارية أسرى الاعداء ، يسيرون فى طابور طويل ، ومستسلمين عاجزين ، كما لو كان يحدث الشابين الجريحين ، والمتوجين الجرحى أيضا ، تماثلا « أنهضوا .. فلن تموتوا » .

أما من جماليات الفيلم ، فلا أعتقد أن ثمة ضرورة تفرض اعادة مناقشة فى عشرات المقالات عن ايقاع الفيلم الهادى البطىء ، الشاعرى .. أو عن الاهتمام بتفاصيل كل لقطة ، وتعدد المستويات داخل الكادر الواحد ، أو تفرد اسلوب المخرج فى تعويله للمألوف وتصميمه

كمال رمزى

تليفزيون

«لحظة صدق» ..
والقضية الضائعة

المصحفية [منى] تهاجم مقاول احدى العمارات المجاورة ، مستعدة الى شهادات العمال والجيران الحاضرين فى بيته العمارة ، ويحاول المقاول [مصطفى تركى] ايقاف الصحفية فيعترض رئيس التحرير الذى يتحمس للكاميرات حتى يترك المقاول قضية على الدار تون طريق محاميه [أحمد بدير] الذى يحاول أولا انهاء الخلاف مع [منى] وحينما تفترض ماعونار ، وتذهب الى من أطرحها الحقيقة الشيء صلحها تطلب منهم أن يكرروا ما كانوا أمام المحكمة تجد التهريب تم الانكار بعد أن نجح المقاول فى استكتهم بنقوده وأمواله ، ويذهب المحامى فى ثورة المقاول ، وتحضر هى ، ولكنها ترتبط بمعاملة مع المحامى [الذى اعجبته شجاعتها وجرأتها] ويتزوجان ..

وفى الجزء الثانى من العمل تكتشف منى بعد مواقف معينة أن زوجها مقاول على حالة ، وانه لجأ الى مخرج غريب لتنفيذ وعده لها [بألا يدافع الا من القضايا العادلة] .. هذا المخرج هو احداث توازن فى حياته بسعى دفاعه عن قضية لأحد المظلومين ، بمقابل دفاعه عن قضية أخرى باطلة ، الى أن تأتى اللحظة التى يجدان فيها نفسيهما خصمين فى قضية واحدة ، فبينما تهاجم هى المتهم [وهو رجل بخس الشاى] يدافع هو عنه ، ويطلب منها التخلى عن التهكم على هذا المتهم .. فيختلفان ..

ويبدأ الجزء الثالث من العمل وتعداد كل منهما الى نقطة البداية ، ولكن بعد ان تتأكد هى أنه لن يتغير ، ويعد ان يعترض هو تجربة معقيضة المبادىء ، ابيدأ كل منهما فى ممارسة حياته من جديد ، ومن خلال مشاهد متوازية نرى كيف يتصرفان ، فبينما تركن هى الى قدر من الانطواء والبعد عن العمل يستمر هو فى سلوكه ، والدفاع عمن يدفع اكثر ، مستغلا براعته فى التملق الى ثغرات القوانين .. ويلوح لى أفق كل منهما آخر من خلال واقع استمرار الحياة ، فيظهر [حلمى] — المحامى الشاب المقبول الى الجريدة حديثا — بشخصية لذة فى مبادئها ، ويعود جديد يستعود عليها حيث وجده لوجها للانسان الذى تقابله ، ومن ناحية أخرى يلوح لمحامى المتنافسة ، التى نفذت اليه بأساليب مختلفات اجل حصولها على ملف الطرفين فى مصنع أحرق وكان ملكا لزوجها المتوفى ، وانتهت العمال بحرقه ..

ومن خلال العلاقة المتوازية المتطور بين الصحفية والمحامى ، والمحامى والارملة ، يلوح لكل منهما انه قد وجد طريقه الصحيح وفى نفس اللحظة التى يستسلم كل منهما الى هذا اليقين يكون قد سقط فيما هو أشد شبهة من التجربة الاولى .. فتكتشف هى أن المحامى ماهو الا نموذج للانتهازى الجديد الذى يرتدى اوراع كباب التحضية .. ويقبض ثمن كل كلمة ، ويكتشف المحامى أن المرأة التى اوهمته بضعفها إنما جاءت الى محامى رجل بطله] ماهى الا وهش ٪ فى الفى هرقة المصنع ، واستخدمته هو [المحامى] كأداة لتسجن عامل برىء ، والحصول على مبلغ التأمين ، وهكذا يأتى الفشل الذى لكل منهما ليجدا نفسيهما وقد استغلا ، كل حسب موقفه ، فيى قد تزوج بها ، وهو قد خدع ، فيلوذ الاثنان فى نفس الوقت بالمكان الذى كان يجمعهما ليجدا نفسيهما وجها لوجه ويبتدان على استئناف الحياة ..

هذه هى قصة [لحظة صدق] التى قدمها التليفزيون فى ثلاث سهرات درامية أيام ١٠ ، ١٧ ، ٢٤ من شهر يناير الماضى ، وكانت بمثابة بكورة الاعمال الدرامية الطويلة الجديدة للقناة [٥] بعد انفصال قنوات التليفزيون ، فى نفس الوقت الذى تم تقديم فيه القناة الاخرى [٩] اعمالا درامية جديدة لاكتفاء بالسهرات القصيرة .

فماذا نجد فى « لحظة الصدق » ؟

اننا فى هذا العمل الذى كتبته [القصة — السيناريو والحوار] لحظة العمال ، واخرجه فايز حبيب حقق من أبسط تناقضات الشخصيين الرئيسيين مع نفسيهما ، ومع ما تطرحانه من قيم ، وفكر ، وبواقف ..

فالصحفية منى [سهير المرشدى] .. بهذه الصورة من الوعى والادراك ، والشخصية الجادة النقدية ، كيف

تخونها هذه الصفات أيام موظفين هادئين في البداية (السهرة الاولى) .. الموقف الاول عندما تجد العمال الذين ساهموا في بناء العمارة يترجمون عن شهادتهم أمام المحكمة .. والمفاجأة هنا ليست كاملة للدرجة التي أخذتها وجعلتها تتساءل « أيه اللي يتنزر ؟ » .. هؤلاء الناس ، قد وضعت تيتهم قبل هذا عندما ذهبت تطلب منهم اعادة ما قالوه لها أمام المحكمة فسوفوا ، ومطلوا ، ووضح أن هناك شيئا لم يعودوا بسببه كما كانوا .. فلماذا اذن تفاجأ بتغيرهم ، وتبدو غير مدركة لسقط الاكواه الماضي ، والتهديد بقطع ارزاقهم .. انه ليس موقفا نادرا ، ولكنه يحدث كل يوم بأدام عنك مقاولون واصحاب اعمال ، وارزاق .. الخ ؟

والموقف الثاني .. هو هذا الزواج الذي ارفضه « منى » ، فهو عاطفي للشخصيتين التي تعرض علينا النظر اليها كأنسانة تتزوج لاسباب كثيرة عادية ، وليس فقط بسبب الاعجاب السريع بعنادها وجرأتها كما حدث .. فمنى قد تزوجت شخصية مختلفة بعما اساسا ..عن دفاتع من العقيدة والعمل ، وهو يدافع عن الشخص ، اي الموكل الذي يدفع اتعابه ، وهو في العادة ظالم أو (سفاح كما في حد تعبيرها) يستطيع أن يدفع جزءا من الالوف التي نجيها للمحامي ..

وشخصية منى كما قدمها العمل تجعلها ثائرة لاتصدق ان العمل هو في تعهده لها [سوف لن ادافع بعد ذلك الا عن القضايا العادلة] .. ولكنها صدقت أو أرادت هذا .. وكان يوسع اي منا ان يدرك ماسيحدث في السهرة الثانية حين ثم يتغير كلامها الى أن وصل العمال بهما الى الانفصال ، والبداية من جديد [السهرة الثالثة] والحوارفي علاقات جديدة تتغير بالنسبة لمنى بمقابلة .. ذلك الصحفي الذي يتصل أشرف المواعد ليخرجها كالحشرة ، ويأخذ الثمن ، وهي تعدا تجربة لها فيبدو في اثراء هذا العمل بشوذج منتشر الان لدرجة بليلة اشرف الناس ، وأكثرهم أخلاقا .. فعلى « فاروق الدمرداش » كان ملكيا أكثر من الملك ، وقاد منى في الحديث عن تجار الفن وادعيائه ، وفي مواقف أخرى يجعلها تسلم بوجود الشخصية التي تعتقدها في الصدق ، ولكنها تفاجأ بأن هذا النموذج وجد داخر في الحقيقة .. أو هو التواد الحديث .. وانه يحصل ليس على ثمن كتاباته فقط ، وانما ثمن معرفته بها أيضا ، ولذلك كانت ثورتها عليه ، وفضحه العلني هو التصرف المنطقي ، ولكن الالا منطقي هو موجدها الزوج العامي (تهاية الثلاثية) لانها لا تمثل الا وقوعا في خطأ جديد ، مع التسليم بالقصاء الشخصية الشريفة المخلصة من الاجبح .. وبالتالي تصبح منى في الثلاثية مجرد نموذج تمثل فيه انها النموذج الوحيد الشريف ، المخلص ، الملتزم الذي يطرحه العمل .. وهو تركيز يظل الى حد ما بالعمل في احداثه المواقف مثلا يقول لها رئيس التحرير بعد ندرة من توقفها عن الكتابة [انا مش قادر ابص للجرنال من غيرك] .. ففي من القول ان الجريدة هي اولا واخيرا تطبع عمل جماعي وليس لانسان ايا كانت اهميته ان يكون معادلا لها ؟

لها الزوج العامي [يوسف شعبان] فهو شخصية تكشف نفسها من أول لحظة يصدق جديد ، فهو قد اكتسب براءته وسمعته من غيرته لأخطر المجرمين [يقولون عبارات الموت ـ خناقاتي الشاي ـ الخ ...] ، وهو قد رتب حياته على هذا وبدؤه .. أن المحامي يقف مع موكله الذي يلجأ اليه » .. ولان المظلومين دائما لايستطيعون دفع «اتعابه» الذاتية فهو بالتالي يدافع عن نوعية معينة بالمثالي شديد .. وهو قد خدعها منذ اللحظة الاولى بترفيعه تمثيلية سح صاحب عبارة الموت ، حتى يبدو الرجل امامها لايحد الموت هو وأولاده بعد الهجار العمارة ، وكذلت اللعبة ان تنجح .. وهو لم يصمد طويلا أمام أول خدعة تواجهه بعد تعهده لها بالدفاع عن الحق [طالما سيحصل على مبلغ كبير] ، وهو أيضا عندما فكر في الخروج من ورطة العهد الذي حنث به لجأ الى معادلة غريبة .. فضحة جماعة البغراء مقابل فضيحة فالية للصفيحين ، وهو تصرف شبهه وكيل بكتيبه بسخرية قائلا [انت بتركي من فلوسك .. حقيقي محامي الغلابة ولا محامي مصطفى توكل] وهي معادلة مضحكة ، ولكنها تعبر عن تفكيره بوضوح .. ولذلك فان الدهشة الشديدة تصيبنا لفترته في النهاية على الاطلاق طرقة المصنع [صيرية محسن] عندما علم انها خدعته ، وانها حرقت المصنع وليس العامل الذي اخطأه السجن .. انها تعود لورة مفتعلة .. فهو قد ادخل العامل السجن وهو يعرفة قبلها انه ليس الذي حرق المصنع ، وانما هم مجموعة من العمال ليعرف ايهم ، وانها كان لابد من ادخال احدهم ليكسب هو التضية .. وتحصل هي على التامين .. علم ان الثورة الشديدة على [سجن عامل بريء] .. ان هذا الموقف لايبدو اعتمالا دراميا لعمل الثلاثية في النهاية .. ويبدو البطلان ليضعهما ، مع انها عودة خاطئة ، بل مرفوضة .

ان هذه الملاحظات كانت ضرورية لتقييم عمل هام .. أولا لندعرض الثلاثيزون له كموضوع يطرح افكار كبيرة جادة ونانيا لتدعطي بمثابعة كبيرة من الشاهدين.. وثالثا لجدية والتقة التي قادتها نوايها الحسنة الى طرح كل شيء تريده، وليس الشيء المناسب لهذا العمل ، ولذلك فان هيرتنا عنا بمعظها هذا الخلط الذي حدث في السهرة الاولى بحيث لم يكن سهلان نجيب عن سؤال : خطيبة من هي .. هل هي تضحية منى أمام القبائل [المسلح] ؟ أم تضيتها الشخصية ؟ ان البناء الدرامي هنا كان يقتضي التركيز على القضية الاساسية .. والشخصية الاساسية أيضا ، ولكن الذي حدث بعد ذلك ان العمل وزع اهتمامه بالتساوي على منى واحمد ، فوزع بالتالي اهتمام المشاهد ، ورقم ان الرائعة اجادت رسم بعض الشخصيات مثل المحامي ، والمدام التي مثلت مصطفى بمزيج كبير لانها تملك كل شيء هذا الموهبة والكفاءة ؛ رجاء الجداوي] ، عن الصحفي الانتهازي ؛ [الذي لعب دوره بتفوق بعد اكتشافنا فاروق الدمرداش] ؛ الا ان نفس المؤلفة اهملت ادوارا اخرى منها رئيس التحرير [زكريا سليمان] وامثلة منى ؛ فالحية كعاشقة ؛ التي ذكرنا دورها بسند الممثل في الاسلام المصرية ، والمحرر الفني [صيد عبد الكريم] الذي بدأ كالمثل الاعوم بزجره الجميع ..

وبالرغم من امكانيات التصوير الفيديو المحدودة الا ان المخرج نادر عجاب قدم عملا ممتاز بلقطات جيدة بعضها لا بأس بل لقطة ذهاب المحامي الى زوجة العميل في بيتها ليطلب منها ان تحث زوجها على الاعتراف بحرق المصنع ، لقطة اكتشاف منى حقيقة حلمي ، وان حب العميل بطوه في بعض الاجزاء ، وبطء الاداء.. والمقدمة الطويلة ، والموسيقى المصاحبة التي اضافت للعمل ابعادات مسطحة محددة ، فقد استغل ممدوح عبد الوهاب ؛ موسيقى أغنية أوروبية شائعة وبراعته حالة وكان تركيل هذه النغمة موحيا تماما بما سيحدث في نهاية العمل .. وهو خطأ قريب يصر عليه بحدود موسيقى الاعمال التليفزيونية عادة □

ماجدة موريس

●●● قراءة فى ثلاث روايات جـــديدة ●●●

هـــذه الطيـــور التى لاتبيـــض الذهـــب

لاشك ان صورة المستقبل هى الحافز الخلاق ، الذى يدفع بالنشاط الفكرى والادبى لاقاق ابداع ، والطاقة الابداعية كطاقة مادة وكمصير اجتماعى تصبح للتأثير فى صورة المستقبل ولما سيكون عليه ، ولما كانت صورة المستقبل متوقفة على حقيقة التكوينات الواقعية للحاضر ، وتياراته المتصارعة ، وارتباطات هذه الطاقة بموضوع الرؤى الاجتماعية الحالية والمثلى.

ومعاصرا على الحياة الادبية من مثقفيرات منذ بدايات القرن الحالى ، وحتى الآن ، يعكس التغيرات النسبية التى استجدت على الخريطة الطبقية للواقع المصرى ، والخطاف الاهمية النسبية للطبقات الاجتماعية ، ومدى من المستقبل ، ففى اوائل القرن الحالى ، كانت البورجوازية المصرية هى الطبقة الصاعدة على درج الحياة الاقتصادية ، والتى تتبنى المستقبل ، او ينتمى لها المستقبل ، لمقدرات من السنوات القادمة ، وعبرت الحياة السياسية والثقافية عن تقويمها وانشطتها ، ووثوقها للمستقبل بالتنمى والمستقبل ، وحماً لها هذا الوضع للطريقى أن تقرر مبالغة الادب والفكر من بين صفوفها ، وان تمثل الثقافة العصرية من وحدة التخلف ، والتخلق القسرى بأنشاط السلف والتراث . وتقدمت زهرة الفكر والادب ، بالانتماج للشجاع على الثقافات والحضارات العالمية ، وارتفعت رايات البورجوازية عاملة خلاله فى ميادين الابداع ، فى الطاقة الابداعية ألتى يتحلى بها المبقاوة ، فى مدى التفتح الفكرى للمجابهة ، وهى التعبير الاكيد للفكر بالتاريخ ، الحاضر والمستقبل ومكذا أمكن للبورجوازية فى مرحلة صعودها ان تقدم رواد الفكر والادب ، من امثال بهم اليوم ، محمد طه حسين

لقد كان هؤلاء الذين لا كونوا امجاد مصر الثقافية والفنية » [1] ، والذين لايمكن لمصر الصاعدة نسيان تضخم وريادتهم ، ان خذلان طه حسين او المازنى انما يحق اليوم ، بحدشرير الاهمية النسبية للاوضاع الطبقية فى مصر بتغير واقعها ، والتشوف الواضح لما ستكون عليه صورة مستقبلها — على ايدى الطبقة التى خرج من بين سطورها طه حسين والمازنى ، بفكر هذه الطبقة — التى بما اصرح مابدت بلوصولها

امراض الشيخوخة المبكرة وعوامل التصدع والانهيار — للبلدوى التى اسسها ونادى بها هؤلاء الرواد العظام ، فالنتائج التى انتهت اليها المعارك الادبية والفكرية فى بواكير القرن الحالى ، لم يعد امام البورجوازية سوى اقتاتل تدريجيا عنها دافعة — فى انهيار — لقوائمها المحافظة والجمود الفكرى والاسفاف الادبى ، لفضية كفضية الاصالة والمعاصرة ،وان كان قد بت الامر فيها فيما وفى من ايام بالانتماج على الفكر المعاصر ، تطرح من جديد على بساط البحث ومائدة المناقشات بظاير لزعة معاداة الماركسية رائدة فى العد من توصل اعد الثورى الى الطبقات الدنيا وصليعها بالنظرية والوعى والقيادات ، وتشهر البورجوازية لاسلحة الالحاد والاسترداد وعدم الوطنية والتعالى من التوبية ، وهى ذات الاسلحة التى وجهت اليها فى مرحلة صعودها وتصدرها للحياة الفكرية والثقافية ، وترند اسلحتها عليقة بصفحات التراث ، منتقية من علما نيتها هذه المرة ، مناهضة كل تطلع للثقافات والحضارات العالمية المفيدة ، مغلقة ابواب الابداع الفكرى والادبى،فما كانت تفتحى بمرشجاعة أصبح كالحنجر المزوجه لصدر صاحبه، لايملك خوفا وفزعا غير التقلة بعيدا عنه ، فالرائع المصرى الراهن بلفظ البورجوازية مشيرا الى ان احتمالات المستقبل لم تعد لها ، متجاهلا نمت سيطرتها المصرية الى السعاطين الخلفية للحياة الاقتصادية وسراديب التخلل الاقتصادى التى شكلها وكونها سلبيات الواقع ، ان الباب المفضى لطريق النهاية أمامها — كطبقة لم تعد طلعاتها تشجع طلعات الاقلبية فى العدالة والتقدم — لد فتح على مصراعيه ، بواقع بلاهميتها، فان كانت تعتصم بمسيرة التخالفه ، للمحافظة على وحدة الجبهة الداخلية ، ووحدة الصمود أمام الخطر الخارجى ، فليس الخطر على وجودها من هذه السيرة، وتضافرت جهود التحالف الوطنى لبناء الداخلى ، ومجابهة السلبيات والقضاء عليها .

ان صورة المستقبل التى تحدد اطرها المبادىء الايجابية لثورة يوليو ، هى صورة منثرة بنهاية الاستغلال كما ان تطور هذه المبادىء سيسلم حتما بقايد المستقبل للطبقات المستغلة ، وتشهد مرحلة بلجد اكثر معركة راب التصدع التى تخوضها البورجوازية فى ساحة السياسة والاقتصاد ، وساحة الثقافاتى

الان نفسه ، فما اضعف بتبلله من جهد لتصفية ثورة يوليو من عناصرها الايجابية التى تهيء مستقبلها ،ويتضح هذا بكل ما اطلقه من دعاوى ضد التقدم كجميع القطاع العام ، واعادة النظر فى قوانين الاصلاح الزراعى ، والمساس بمبدأ تمثيل العمال والفلاحين فى المؤسسات التشريعية بنسبة الـ ٥٠٪ ، والاعادة بعودة الاحزاب ، والتهجم على انجازات الثورة بالاشاعات المغرضة حول السد العالى ، واثارة البلبلة حول حوادث والعقاد والمازنى وعلى عبدالرازق .. الخ

سلوبها طه حسين والمازنى ، يفكر هذه الطبقة — التى بما اصرح مابدت بلوصولها

كمشيش ، ثم الا تدل محاولتها امتطاء جواد الاستثمارات الاجنبية لغزو الحياة الاقتصادية على مدى تصدعها ؟ وتصاحب هذه المحاولات الفاشلة ، محاولة اخرى لتصفية اليسار ، وعزله عن منافذالثقافة والاتصال بالجماهير ، سواء بالسيطرة العملية ، والهيمنة الكاملة على اجهزة النشر ، ومنافذ الثقافة ، او بتشـــويه وجه اليسار ، واثارة النفور منه تحطيما لقدراته على الاقناع ، محاولة لنزع الوعى من الاغلبية ، والتوقف بالتاريخ عن المضى قدماللمستقبل الذى يثير الريبة والوسواس.

لقد تحول نبع الالهام والابداع الفكرى من قناة اليمين بعد ارتفاع نسبة الملوحة بأراضى البورجوازية ، الى قناة اليسار المتحركة للمستقبل المنتظر ، حيث مصر الاشتراكية ، وتحولت افكار اليمين الى بركة من الماء الاسن ، وانتقل الابداع الثقافى الى الاجيال الشابة ، التى يجاهد اليمين فى ابعادها عن منافذ الثقـــافة والاتصال ، بالحجر على طاقاتها المبدعة محاولة لترميم انهياره المحتوم ، فلا تجد هذه الاصوات امامها غير الهجرة بالفكر الى بيروت وسوريا والعراق ، تاركـــة سماء مصر للاصوات الواهنة المخلة ، باجنحتها القصيرة العاجزة عن التحليق فى سماء الابداع والخلق الادبى •

ومعضلة الروائى اليوم نابعة من طبيعة فنه ، فالرواية تعكس اكثر من غيرها من الفنون الادبية مجريات الحياة الخارجية المحتدمة بالصراعات ، ان كل عطاء جاد وصادق للحياة ، يدفعه دفعا لاكتشاف بؤرة التناقضات ، ويجره جسرا لادانة الطبقة التى ينتمى اليها ، ومواجهتها ، وهو مـــالا يريده ، ومايرغب فى تجنب اثارته ، وليس امام الروائى من خيار ، ان البيئة المحلية تفرض زمنها ومكانها عليه ، كما لم يعد بامكانه مناقشة مفهوم الالتزام ، ولا تواتيه الجراة للكشف عن الوجه الحقيقى بصراحة شجاعة وليس بمقدوره غير تلافى هذا الوضع المحرج على حساب موضوعية العمل الادبى ، بخلق حقائق فنية مختلفة عن الحقيقة الواقعية ، وتبتعد عنها ، وتمسخها بالتزوير ، أن الحذر من تفتح العيون على مباذرات الواقع دفعه لا لخيانة الواقعية والتجنى عليها فقط ، وانما لخيانة الفن ذاته ، متخليا بذلك عن قضية الابداع الادبى والخلق الجميل •

فى هذا الشهر عرضت الروايات التالية :

١ ـــ البيات الشتوى : محمد يوسف القعيد عندما يبدأ حفر البئر الاختبارية بحثـــا عن البتـــرول ، فى نصف الفدان الذى يملكه ورداني ، فلاح قرية السوالم ـــ بحيرة ، بتاريخ اكتـــوبر ١٩٦٤ ، نتوقع ان هذا الحفر ، شـــق حاد ، ورؤية عميقة تضرب جذورها بأعماق واقع القرية المصرية ، موصلة جذور العلاقات المضطربة بالحياة الواقعيـــه ، الا ان تنقيب القعيد لم يكن له من هدف غـــير ذر التراب فى العيون •

وحين يستبدل القعيد الارض كمحور رئيسى لحياة القرية ، تتلمس حـــوله العلاقات الاجتماعية وتنمو وتتشابك ، بالبئر كمحور روائى ، يكون قد مهـــد الطريق لتجنب الاصطدام بل والاحتكاك بهـــذه العلاقات ، والتعرض لحقيقـــة الصراعات الناشبة فى القرية المصرية ، وحقيقة التكوينات الطبقية الجديدة بالريف المصرى فى هذه الفترة من عام ١٩٦٤ وما تلاها من سنوات اختمار العنف الذى انفجر بكمشيش بعد عامين تقريبا من هذا التاريخ • تمسخت رؤية القعيد بهذا الاستبدال وسقطت الى مايشـــبه البناء الاســـطورى المتهافت ، فالبئر كحـــدث محورى افتقد الحركة الذاتيـــة والنبض الحى المرتبط بالشـــخصيات ، وبحيـــاة القرية ولم يستطع ان يطور من الاحداث باطراد ليدفعها للنهاية الطبيعية ، وكمحور مفتعل لم يكن بمقدوره غير استثارة الاحلام والامانى بصدور الرجال المكدودة دون ان يسمح لهؤلاء الرجال بالتبلور ، وظلت شخصيات رجال القرية فقاعات مكررة بلاأسماء ، وظل البئر كالتضخم ابدا تخيلا ، لم تتحد خفقاته مع خفقان قلب القرية ، وديناميتها ، بل ان وجوده انكر على القرية حركتها الذاتية ، فمـــا ان بدأ التنقيب حتى ترك الرجال الفئوس والمعاول ، مكتفين بترقب مايجرى فوق جسر القرية ـــ مصعدين التنهدات الحرى تبريدا لحرارة الانتظار ، ويهدوء القرية تماما ، ويتوقف نبضها ، وسكون حركتها افتقدت الرؤية موضوعيتها ، ان معالم التطور والتغير الاجتماعى لاتعتمد على الحركة المصـــاعدة للتاريخ ، ولا تتعلق بمجموع الارادات الانسانية وسعيها العنيف لتحقيق العـــدالة والتقدم ، ان الظالم والمظلوم من طبيعة الكون ، كدوران الارض حول الشمس ، وكدوران الشمس حول نفسها ، وكتعاقب الفصول الاربعة ، حتمية ازلية من حتميـــات الطبيعـــة ، واستسلام مطلق لقانون المادة ، والطبيعة وحدها هى التى تملك امكانيات التقدم والرخاء ، فالبئر بمثابة نزع الارض لردائها البالى ، لتتحول لمنجم مـــن الـــذهب ، تتلمس حوله المستشفى والمدرســـة ، ومؤسسة الكهرباء ودور اللهو والعمارات الشاهقة ، وليتحول ابو السعود والمزوم لمديرين ورؤســاء ، يخطون كل شهر بمرتب ثابت !! - ان مشـــاكل القـــرية يتوقف حلها على هذا الحد الذى تتوقف عنده القرية ، ان تكون قرية ، وتظل العلاقات الاجتماعية بمنأى عن اى تغير « لابدان يكون هناك مظلومون وبعدد المظلومين هناك ظالمون فى نفس الوقت .. تلك طبيعة الحياة ، ان اقل نصيب سيكون خيرا من الحال الان ؟ ، « الغنى غنى والفقير فقير .. اتولدنا كدا ، دى حكمة ربنـــا » •

تكفل تكتيك الرواية باستبعاد الثغرات التى تمكن الواقع من النفاذ ، ولاحكام هذه السيطرة اعتمدت الرواية على السرد اعتمادا ان لم يكن كليا ، فهو اساسى فلم تمنح الشخصيات فرصـــة التنفس والتعبير ، ومـــر السرد بالشـــخصيات مرورا عابرا متعجلا ، مختزلا ما امكنه كل ما يشتم منه رائحة الصراع وطبيعة العلاقات الواقعية ، واذا كانت ضرورة العمل الروائى تفرض تحاور الشخصيات فهذه الضرورة تقتضى بناء الشخصيات ، باحكام معالمها ، وتحديد ســـماتها ، وتوضيح علاقاتها ، وهو مايتطلب مـــن الحقيقة الفنية الاقتراب مـــن الحقيقـــة الموضوعية ، ولما كان الصدق الفنى خطرا يهدد رؤية القعيد المزيفـــة ، فلقد الغى التحاور بين الشـــخصيات ، وســـقطت وظيفة الحوار نهائيا •

ومن بين خمس عشرة القـــسمة ، هم تعداد سكان السوالم ، لايقدم القعيد غير بضعة وعشر شخصية ، لاترتبط اى منها بالارض ارتباطا وثيقا فيما عدا الوردانى صاحب النصف فدان ، فهى عدا الوردانى من الخارج الى عالم القرية كعصمت التهماوى المهندس ، وسلسبيلة على الله عشيقة حب الدين سرحان ، ومحروسة الغجرية قارئة الودع ، والمعلم يعقوب واصيلة زوجة ابى السعود المنادى • واما انها لاترتبط بالارض بصلة كحب الدين سرحان ، والشيخ محمود المؤذن وفتحى سالم عضو الاتحاد الاشتراكى ، وابى السعود ، والمزوم مقاول الانفار ، أما الشخصيات المرتبطة بالارض كالعمدة على الدمراوى ، فلقد تخلت عنـــه الروايـــة وتجاوزته من الوهلة الاولى ، ولم يكن القعيد ـــ تمشيا مع رؤيته المزيفة ـــ بحاجة لغير هذه الشخصيات • ولم تنم هذه الشخصيات نموا طبيعيا متفاعلا مع الحدث • ان التكتيك الذى التزمه الروائى ـــ تكتيك التهرب ـــ لم يدفعها للامام بل للخلف ، بالارتداد للماضى ، وظلت ساحة الحاضر عالما مجهولا لم تطأه قـــدم • فافتقدت الشخصيات الارض التى تقف

عليها لسفاهل وتحملك وتصطرع . وبدأ المحور الرئيسى فاقدا دينامليه . ولم يستطع جذب الشخصيات المتفاعل والنمو المحدود مسح الاحداث . اما ان فرع العقيد من اسقاط مجموعة الاحلام التى راودت الشخصيات وأمانيها فى التحدم والرفاه المتمثل بالمرجب الثابت. واحلام اللوم بالمنصب والمال الوافر ، وسلسبيلة ، بمغنى الحصول المتبح الرزق وقضى سالم بمغوصية مجلس الادارة .. وبهذا الارتداد تفقدت الرواية وحدتها العضوية ، ونموها الطبيعى ، ليتخلص العقيد مرة أخرى من مواجهة شخصياته بقطعها من وعاء الزمان والمكان الواحد والمشترك ، ولتصلنا مجموعة من القصص القصيرة المنفصلة غير المتفاعلة . ان تحطيم الشكل التقليدى للرواية ، ثم لحساب دجاجل الواقع ، ولم ينجح فى تقديم رواية تحقق لها التكامل الفنى ، وسط الممرد بين الحوادث والملاحظات والمعلومات البدائية والصور العالية وخلخلة الصورة والالوان والمذكرات . بلا انراء حقيقى للاداب الروائى .. ان وقائع الحياة المادية وظواهرها : ترجمة سلوك مرتص والطريق الزراعى وديمومتا وكثر موتها وتكلا المتب ، والتوفيقية التى انزلق اليها السرد بالاسهلية ، ثم ترق الشخصية الروائية التى صحبح للاشياء بالمشاركة ، والنيف داخل العقيدة الثنية كضرورة لافنى عليها . وتظل مفتوحة امامها استمرارا اللزوم له ، ولخوا غير منتج اطرافا والمدة تشـــوه الخلق الفنى والتدبير .

أن قوى الخير والشر التى تعمل فى عالمنا الروائى غير الواقعية ، هى نفسية وفريدة فى مجالها . وظواهر انسانية تتباين بالقدر لا بالنظام الذى تعتنصه الجماعة .

من الملاحظ ان علاقات الصراع التى أبقى عليها العقيد تبدو على مستوى الكراهية والعواطف الذاتية .. فالصراع الناشب بين عدس سالم والمهندس مصبحة من ناحية وبين الخبير العمدتين ناحية أخرى .. يدور حول حصوص الذات بصفة مطلقة كذات فرد .. ان ما يثير الصراع مثلا احتلال المهندس لكاتبه المرحومة بين صفوف الفلاحين ، فيتضامل لتحى سالم أمام الرجال ، وكل ما يعرفه ولتحى البريدة ورقة لاتسمة لها «تؤيد المسافة التى تفصل لتحى سالم عن الناس» وبهذا العمدة قد « لقد ادرك .. فى الثوانى الأولى ان هناك شيئا ما يبوت قد «يقبل قبل الاوان ، وهذا الاحساس ناتج من انه أمام شيء جديد تماما ، مدهش ، غير عادى ، معاكل لى هذا الشـــيء

الصغير » وطبيعة الاستغلال الذى تخترعه الرؤيا وتفصل عن العلاقات الاجتماعية ومن واقعيتها ، أن المعلم يعقوب عنصر الشر الذى يمتص دماء القرية وفلاحيها ، سلالة الفيار التى اذهبت فدادين حب الدين قيرطا بعد قيراط ، اما قراء فاتيم مقاول الانفار فما هو غير سطو فعلى فلت به أيه عمليت خزينة العمراه به استودعه فيها . لقد «محتمرئة العلاقات بداخلة النفس البشرية ..

٢ — ضد مجهول : ابو المعاطى ابو النجا

الاغتراب من عالم ابى المعاطى ابى النجا اغتراب خطير ، ان لم يتسلح بالحذر الشديد ، والتيقظ الاشد ، فأبو المعاطى ابو النجا قصاص راسخ القدم ، صادق القلب ، وان كذت كل من «البيات الشتوى» وقد مجهول تعرض للذرية المصرية ، فلا شك ان رؤية ضد مجهول رؤية تكاد تستغيل ، كل الروائى لشخصياته الاكتمال النفسى والجسدى والاجتماعى ، وتدعها لينمو للقصة غير حياتهن محاورها ، وصارعها بما كانت طبيعة هذا الصراع ، والتقاط الذى يتضح به أبو المعاطى للنفس الانسانية ، تفاد بصير لا يتوفر للكثير مرؤوسينا، وتتصدر الرواية شخصيات أربعة ، شريف ابن عباس بك المواردى ، أحمد ، سيرى ، ومحمد الجندى ، ونبطت بالزيجة مهمة دفع الاحداث من البداية للنهاية .

وفيما هذا محمد الجندى ، أسطورة القوة والشجاعة فى القرية ، ثم من التلاميذ الوافدين اليها فى مطلة صيف ١٩٥٤ ، أى بعد تطبيق قوانين الاصلاح الزراعى ، التى لم تطبق بالقرية ، ومن البداية تستدرج لخفتات طوبهم السوادة تصلو على جنيح القرية وتتطلب عليها ، ويرتفع حوارهم العميق والفكى على حوار الحياة اليومية ونثرها الغيض بقرية الزهارية ، وتتعالى الحوار كلما أمعنا الغوص فى عالم ضد مجهول ، وتحاور الاربعة الذى لم يطبح بالوجوه ، ولم يستطعن من الطين ، وان كان يتناول مشكلة العدالة والحرية ويتذاسبوسدوى الشخصيات الاربعة ، الا انه لا يتناسب ومستوى القرية . وتتوارى حياة بطبقها خلف التحاور بالمجرد وبغير المحسوس. حقيقة أن قرية الزهارية قرية نكبـــة شديدة الوعى .. وفلاحها ليس كفلاح العديد الذى يعرضه بفستقفاف وقدر ، والذى يعرف البترول ، ولا يتزول يعنى جاو .. والجاز يشتعل بيه الوابـــور والليمة بسيرة خمسة » ، فمن الممكن

أن نستمع فوق مسطاب الزهارية لرجل كرجب السعيدى، الاجير ، يلخص تجاربه ببساطة وعمق ، « لا أولاد .. الواحد منا بلا عفلية لا تيمة له عند النساء » ، وعند مطلب الارض ، « لا تبيعوا عليكم بالسنة أو بالشهر بيوعوسا بالبوم ، تصاعب الارض يعب أن يسرى الحمى بعنيه ، ولا يرى نفر الشهر جالســا فى الظل بدون عمل ساعة من النهار » ، ومن الممكن أيضا أن «تعاكس البلد بأسلوبه أذكى بكثير : « كان لابد أن تحدث ثورة فى البلد حتى نرى البحر لاول مرة فى حياتنا سوحتى يصبح شريف فى الزهارية» ، ومع هذا نلاحظ ذاب واقع القرية بمعدلا مسلبا رأية النمو والتعاطم لامســال ورحود أعمال الواعدين .

والتباين جلى بين شخصيات الرواية ، وتعدد معالمها الجســمية والنفســية ملبسة على أوضاعها الآنية وموقفها الطبقى ، أن تشابه المظهر الخــارجى لكل من شريف ومحمد الجــدى يتضن اختلافا جوهريا حينما يهتها ، فكلاهما صافق ، وهذه حقيقة الظاهر ، الا أنه « اذا كان شريف يمارس الصدق انــه لا يجد نفسه مضطرا للكذب ، فمحمد الجندى يمارس الصدق ، لانه لا يقدر على الكذب حتى بمر أوراد ، ان الصدق ترف يملكه الرجل الغنى أو الشجاع » ، واذا كان شريف والجندى متفقان فى كثير من الآراء ، فبعرفة شريف ناتجة من التعليم ، أما الجندى فمن التدريب بالممارسة العملية، وغير هذه الشخصيات كالحاج ابراهيم وعطية بك المواردى ، والشيخ عرفه المأذون والحاج حبيب ، ورجب السعيدى وعطية ، تتعدد معالمهم وسماتهم أيضا بما لموقف كل منهم من ملكية الارض .. وبستثناء الاخيرين ، نهم أقرب الشخصيات النتوية .

عالم الزهارية آدن عالم واضح ، بل وشدد الوضوح .. عالى اين يدعنا هــذا العالم .. ؟

هل يكاتح أقاس خلال جهلهم من أجل العدالة أم يكافحون من أجل القــوز والفقوز ، والرفاهية والمجد ؟ ويمثل السؤال المحور المجرد للعمل الروائى .. وتختلف الاجابة باختلاف الشخصيات .

— شريف : « أيا العدالة عند بكاتح من أجلها أولئك الذين خسروا السباق وحدهم ، انها تشبه لحظة البدء فى المباراة ، توحد لبجاوزها اللاعبون ، ثم يطالب بها الخاسر ليبدأ السباق مــن جديد » .

— صبرى الشيوعى : « حين تجــد أن الاغلبية فى بلدك أو فى أى بلد آخر هى التى تضير المباراة دائما ، الا يعنى

هذا أن لـه خطأ في نظام اللعبة نفسها وأن بمستطاع هذلك ليس مجرد البحث من بداية جديدة لنفس المهارة ، بل البحث من نظام جديد للعبة يفوز بها من يبذل العزم والمثابرة حتى النهاية » .

حين ينتهي أبو العلاني أبو النجا كرة اللحم ، وينظما الى حياة القرية ، يفتتح مقهى جديدا يساهم مع «شهير» السابق لشخصيات الرئيسية من حل مشاكل القرية الحقيقية ، وتحول الكرة لتصبح المشكلة المحورية للرواية ، ويظل العالم شديد الوضوح بتكوينه البلدية ومعالمه النفسية ، خلية ساكنة غير متفاعلة ، وتظل العاصفة بين حياة القرية البلدية ، وتتوقف العلاقات الوالدية عن الاستمرار ، لتستحوذ علاقات التنافس على الاحتلام ، ويدخول الكرة عالم الرواية ، تتقلص طبيعة العلاقات ، وتتلاشى الحدود بين الكبار والصغار ، بين من يملك ومن لا يملك ، ويصارع عطيه بين جبالات الاجير مع شريف بك ، وتتعاوى علاقات الطمح والاحتلام ، والبحث عن الثقة ، ليصطدم كل ذلك بالطوق .

ان الزهيرة غير جائمة الى الخير وحده ، ولكن الوجه يحملون بأيجد ، حين تصعد الرواية برجب السيدي وعطية الاجيرين لمحات الشخصيات الرئيسية ، جليسا الى جنب مع شريف والجدي وأحمد وصبري ، تكون قد خطت خطوة واسعة للخروج من معضلة الواحدية بدمج رؤيتها من ضم الابرة ، فالمحرك الاساسي لشخصيتي رجب وعطية هو الرغبة البحتة في الانجاز ، انهما لا يطمأنان بحق الحياة وبالعدالة ، وانما بحق الظهور ، والعلاقة التي تربطهما بالمجموع ليست الاستغلال وانما المنافسة ، فرجب « يريد أن يصبح نجما وأي ثمن » . ان فرسان قمة مجهول يكافحون لا من أجل العدالة ، وانما من أجل المجد ، وارادة السيطرة هي المحرك الذي تدور حوله الحياة ، وبما يلعب كرة اللحم لا الحياة ذاتها ، «الحياة مركوة ومقلوة» المتناس مركز والتعاون كذلك ، «والاثنان معا في ذمية واحدة » عبقرية الفرد في المحاورة ، وعبقرية الجماعة في تبادل الكرة ، التنافس والتعاون في وقت واحد ، مما لأول مرة ! .

وتتلك رؤية خد مجهول أخيرا في موقف رجب الذي ضحى بنفسه في سبيل الزهيرة ، رجب الاجير العالم بالجد ، وهو حين يتقبل صنوف العذاب مقسم الشرعلة ، ويحمله مستشرا بمسحة طيبة بين الاهالي ، وأصابع للجميع كما يتوزع تشهير الية : هذا رجب البطل الذي تحمل الكثير من أجل الزهيرة -- أبو زيد البلالي آخر ، يشال الى القلوب . ولم يكن رجب يطمح الى أكثر من هذا .

[●]

٢ — هب تحت الحراسة : اسماعيل ولي الدين .

يبدو ان القائد المحاصر اصبح يدرج من المعسرض لغة ، رغم أهميتها ، وبالرغم من احساسه بهذه الاهمية ، وربما كان محقا مالفظة كشرط من شروط الكتابة الجوهرية ، هي من المسلمات التي يفترض في الكاتب الالمام بها - فتجارب الكاتب مع الكتابة ، تبدأ مرحلة التكوين التي تتم في غيبة المقاوىء ، ويعيدا عن اجهزة القمع ، وهي مرحلة لا تنساف لقمير الادبي حتى تصل هذه التجارب الى الحد الذي يتصاق عنده التعبير باللفظ والكلمة، كدلالة وكرمز عن المعنى، فهذه المحاولات بطبيعتها كاشفة الحيل لا تتمالى الى عبر الانسان ، فاذا كان هرج القاص راجعا الى هذا الافتراض ، واذا كان مستساغا ومنطقيا وطبيعيا مع أي من الادباء فهو غير جائز مع كاتب كاسماعيل ولي الدين لم يزغل الى الان رغم تجاربه العديدة ، للوصول الى هذا الحد الادنى لاتساق اللفظ مع المعنى ..

بل .. ويبدو ان اسماعيل ولي الدين ليس هو الطائر الجميل والمغنى الذي لا يبيض ذهبا -- والذي لايجيد التغريد-- فيوسف القعيد يتشابه الى حد ما مع ولي الدين في التجني باللفظ على المعنى .. وتكمن جملة « يكتوين الشكاوى في الصدر لاوراق النفسه .. » للدلالة على هذا التشابه ..

وانل ما تحسنه قراءة اسماعيل ولي الدين ، استظراف غيرة القارىء على لغته ، التي لا هم للكاتب الا اهانتها ، والحط من شأنها ، والتجني على أساليبها ، « فلنحذا الجميلة » يتبعها انتظار الكاتب لمرادفاتها ، وضحالة ما يسعفه به قاموسه اللغوي المحسدود من مفردات ، وكني بهذين الفصل الاول من حب تحت الحراسة [٤] دليلا ، فمن بين الف كلمة بشكل مجموع كلمات هذا الفصل ، وتتم صرح ما يناهز المائة والخمسين جملة بذيل ، تخل وظيفة ما يقرب من ثلثيها ، ليصبح المتبقي لا يبلغ الخمسمائة كلمة في غير محلها الصحيح ، لتتناسب لاداء الفصول الاولى من « طائر السمه الطيب »[٥] — التي كلمة تقريبا — أن عدد الاعمال المستخدمة تتعدى الاربعمائة فعل على نحو التقريب ، فاذا استبعدنا عامل تكرار هذه الاعمال في الاستخدام ، بلغت المائة والخمسين فعلا ، بالنظر الى استخدامها بصورتها المجردة ، وبالتغاوز عن كل ما يشق منها من مصادر وأسماء وينبغي اسلوب اسماعيل ولي الدين بعدم نأديته للمعنى الثاني ، المستشف بالجهاد الذهن — من الصياغ ، ويضرب الاخماس بالاسداس ، لتخيين المقصود ، واستخلاصه من بين براثن الركاكة ، ناكالتفاظ واردة اما بالزيادة، واما بالنقص، بمستخدمة في غير محلها ، بحيث تنحرف بالمعنى للتقيض أوتحمل المعنى ما لايطيق، أو تربك لمعنى المعنى دون المعنى ، وهي صورة تفتقر لدقة الكاتب المتمكن من لغته، المطلع على أبسط صور استخدامها، وتوضح النظرة غير المكانية للفصل الاول من « حب تحت الحراسة » مايلي :

١ — « حتى هذا الصباح الذي جاسن المعيد» قام ولم يحاول الاب أن يمنع عليه بالبقاء حتى الصباح سلم عليه وتبله قبلة طويلة» صفة طويلة صفة زائدة ، الا اذا كانت واردة لتبين شذوذ الاب أو انحرافه الخلقي !

٢ — « والبعض الاخر يدور حول وجوههم التهكم والمرح الداخلي» أن صفة الداخلي غير دقيقة فالمرح أصبح مرحا جليا ، كما غير مستتر حيله أو خجلا ، اما الذكي المقصود به الشيطانة أو السخرية .

٣ — « فيبستطع الرجل تأويل أبطاره» أصابه الذهول ، عياء خفلت ثيلا ، واسناد خفلت المعين تعبير قوي خلا الفعل المناسب ، فحل من الصورة ، وأضاع المعنى ، ورد مخسائر الذاس للمعاني » ؟

٤ — « ووجدها درسة أن يتكلم في الملبوس مع شقيقته التي تعيش بعيدا عنهم » المعنى المراد انها لا تهم معهم ، اما استخدام جملة تعيش بعيدا عنهم فلا تؤدي المعنى نفسه ، وتوهي بمعنى مخالف سبق للكاتب نفيه « انها تسكن قرية بقوم » واحدى الجملتين لا ضرورة لها للسرد الروائي ، كما ان الجملة الاخيرة اينما يعتورها التعريف ، فثرية حال للفاعل المساند من صورة اللفظ ، والمقدر بالضمير الثالث : هي ، ألينى من الانسب انها كذا بصدد تحديد مكان الفعل تمكن استخدام ظرف الزمان [قريبا] أو الجار والمجرور بالقرب .

٥ — « وعندما دخل سامي على أبيه الذي كان يعبه بجنون وقبله متعلقا على وجهه ، وعندما رأى سامي هذل وجهه

وداري هيئم بنظرته السوداء استخدام الفعل المضارع لغلب الاحيان بالرواية ، ليجعل كأن فى غير محلها ، فسلمى لم يتوقف عن حب والده ، كما أن موت هذا الرجل الأب مثلكان ملحوظة قبل دخول سلمى ، وفات الكاتب أن الاشكاك غير ملطاة الراس .

٦ ــ « منعما جاء العصر اقدم البيت والناس ، أصدقاء والده المقربون والشامتون، الاداب المحبون والصاغرون، واضطر أن يداري نفسه ، ليس واثق نزل ليجلس معهم ، كان شبلا مزدحما بمثلنا » ، أجوزت الكاتب الصفات الدقيقة للتعبير بين الظواهر المختلفة والمتباينة، فالأولى بالصفات للتعبير التناقض حتى تتضح الصورة ، واضطر أن يداري نفسه جملة تتاول الكاتب من مضامنها لورا ، الا باعتبارها استمارة غير موفقة من اللغة الدارجة وهو الارجح ، تاتق وهيط لى « الدور الاول » من النيلا « الكرة من طابقين » ، ليدرك ، كان شبلا مزدحما بمثلنا ، أيا الشيء فلا علم لاحد به على وجه الضبط ، والاغلب أنه البيت ، أو يكان استقبال الزائرين » ماذا كان البيت فهو تعبير غير دقيق ، فلم يعتبر البيت ، واذا كان يمكن الاستقبال فهو اشارة فى غير محلها فالشارع اليه غير مذكور ، واذا اضرفت صفة الأنجدام لتوضيح الانكشاف الاعلى ، فلا شك أن مثلثا لبيان الاعلام الراسى ، واذا كان الكاتب لا يرى هذا الرأى المضحك ، فأى المعنيين لا ضرورة له !

٧ ــ « وبعد قليل يقفى الضحك والكلام » هل المقصود أن الكلام دق أى أصبح فيها صبورا على الانسجام ، فان صح المعنى فعل دق الضحك وصمم استمراعيه ، أم المقصود بدقى يسمع أو يعضن ، أم أن المطلوب استخلاص صوت الدق وضجته لتصوير ضجة القهقهة وارتفاع صوت الزفرة !

٨ ــ « يجاهل الموجودين ، يتكلم كلمات متقطعة ، لا يبدأ الحديث ولكن يرد على مايوجهونه له » لا داعى لجملة يتكلم كلمات متقطعة ، ليمكننا التلبيسى بعد الاستدراك بلكن ، يرد على ما يوجهونه له بكلمات متقطعة ، كما يمكن التعبير على نحو آخر : يتكلم كلمات متقطعة جميا على ... دون حاجة للاستدراك ، وعلى أن نحو يتكرر هذا الاغتصاب ، فهو يتناقض مع فعل المجاملة ، الموجهتصنع التردد ، واعتمال البشاشة .

٩ ــ « حاول سامى أن يدخل فى الموضوع ، الخبر الذى نزل اليوم فى الجرائد » أن أل التعريف بكلية الموضوع تضر المعنى وتشوه التعبير ، فالتسوم « موضوع الخبر » الا اذا أريد بها المحافظة على مقتضيات التعبير الساقط المبتذل ، والمعنى السقيم ، والانتهاء المشوه ، كما يؤكد الفعلان يدخل ونزل.

١٠ ــ « كان البيت كله فى يوم عيد، حتى العيد ليكون بهذا الازدحام ، الثوار كلها مضادة على الآخر ، لايعلم الاالله كم يصرفون اليوم فقط على الثوب والاكل والشاى والسجائر والضحك والكلام » المقصود انه : حتى فى العيد لايكون البيت بهذا الازدحام . وعلى الاخير المضحة بالثوار الضرورة تقديمها والا لما سحتى الثوار كل مضادة على الاخر ، فلهم الا اذا كانت الثيمات شاوية ، كما انه من المحتمل ان الله جلت قدرته،سطيع أن يقدر كم سيقاتلون من جموعهم على الضحك والكلام !

١١ ــ « ومعدها رفضت ان تعود لتعيش معهم ، رفضت ان تترك بينهما وابنتها الصغيرة التى انجبتها خلال شهور الزواج القليلة » نعيش مسمام المكاتب من البعد ، فلا احد يتوقع من الام حين تعود لصوابها، وتعود لمنزل اسرتها ، ان تترك ابنتها كأنها جزء من جدران منزل الاسرة ، أو يأبى من بوابه، فواو العطف التى يوردها الكاتب،غالطا من مضامنا فتضع الابنة كحكم فعل التحرك مع البيت ، فاذا قيل ان العطف يمتنع لخلع محتوى ، وبامعيار الابنة ،مقبولا معه ، الابنى القياس هنا واجبا ، مع ملحوظ بيكه فى كم يصرفون اليوم على التوب ..... والضحك والكلام .. وهى جملة لاتحتمل تأويلا بالمعمول معه .

١٢ ــ « طلب قهوة وشرب سيجرة مع ابنه ، لتتنافس من شرب وان كان غير طالم ، فشرب سيجارة [واحدة] مع ابنه ، المشاركة فى « تحديس » سيجارة غير جائز ادبيا او باديا بين الاب والابن، بالاين قد تجاسر الدنس لمام والده، الى موقف به حال الموقف زمنا مخدم عليه فى السرد ، ويخض النظر عن سيجارة واحدة ، فالتدخين لمام وجع الاب لايقتضى فيما يعد من سنى ان يتجاسر عليه ويتفرد به . أى أى الجملتين لانتتق والمعنى ، اذا كان هناك معنى !

ولم يكن ما مضى غير نماذج لما جاء فى فصل واحد ــ لنقتطر الى الرواية نفسها :

لايتضح أسماعيل وأى الدين بخيلة الروائى ، التى تتحكم فى اتساق الاحداث، مهما تباينت الراقى ، وتعددت الشخصيات ، وتعادى طول الرواية ، كما انه ينفتر الى ذاكرة الروائى ، وتربله وتلبيه ، فالاحداث يلفت عنه وتتعاقر خيوطه متقاطعة متشابكة ، ويتضارب السرد ، ويخرنا الكاتب فى الصفحة الثامنة « هب تحت الحراسة » لمن سلمى « لم تعلم بعد .... الى العمل اليوم ، اضطر ان يبقى فى البيت ، يتذيل القدس ، يرد على التليفون » ، ولكن ، ما اسرع ما نخونه الذاكرة فيذلنى مباشرة على الصفحة السادسة : لان مغيرة فى تلمس اليوم ، ويسبب احداثه انتصات بذهنها « سلمى فى عمله » ليعود ، وبذاتها بعودته بالتالى بعد السفر .

وليس كاسماعيل وأى الدين كانسا يجنى على أشخاصه ، ويجدمها ، ويبدد سمعاتها ، أن تبلد المشاعر الذى يبدو كسمة رئيسية لهذه الشخصيات ،لارجع للبالها الفنى ، لبنة من لبنات البناء ، ولانها غارقة وخوفة حقا ، وانما تعود هذه الصفة غالبا لضحالة قدرة التعبير ، وقصور براع الكاتب عن تصوير الجوانب المختلفة ، التى تبرز خبايا وأسرار شخصياته ، وتضيع مكوناتها ، الى جانب اغفار الكاتب لفهم الكائن الانسانى، الذى اغترار الوجدان ، العميق المشاعر ، أن ميزة اسماعيل وأى الدين هى الملكة الغاضة بتصنيف فصائل الكلاب ،وانواع وارباطات العنق ، والفروق الدقيقة بين روائح الغدور ، ومذاقها ، واسمائها ، وألبالة التى قامت بتغطيرها ، وكذا الطرق المحبارية واشكال الاعمدة ، واهميتها ، وبقدر ما تتوفر له هذه المعرفة الغرائة بقدر ما تعوزه القدرة على تصنيف الذوات الانسانية ، وتبين الفروق الجوهرية الدقيقة غاية الدقة بين احداها والاخرى

ان المحرك الاساسى فى سلوك هذه الشخصيات هو مجموع الدوافع الغريزية الاولية، انها كائنات حشرية لاترقى لاشراف الانسانية ، سلمى المحب لوالده يجون، يفكر حلب موته ملولا بسراقط النمرية ، لماذا لايتركه هؤلاء الناس يحزن لوحده ، انه والده هو فقط ، وليس والد احد غيره ، كلنا ادمى كلنا بكلية ابيسه او جثمانه ، وسوى هذه الافكار البليدة، النبيحة من دوافع المثلك ، لاترادوده سجحات او حسرات ، واذا تعرض لكلبه لاشتاع عبد الصبور من تبليطجيش ثروته لابنائه ، برر هذا بالخوف الغريزى « كان يخافهم » !! ، وحين يضوب الى الدوافع الاولية أسبابا اخرى ، يسعفل للابتذال والسوقية ، مستعيرا هذه الميررات من خارج مكونات الشخصية ، وبما يختلف مع منطلقها ونظرتها للامور ، يرفض بشدة أن يرتوه

وان يشترك معه في ماله وهو حي» ، ولا يظل الأب في « ظفر اسمه الحي » اختلالا وابتذالا من الأب في حب تحت العراسة ، فمن يرفض زواج الموسر [ابنته] من يسرى بحجة « ان تزوج ابن رجل محروف بسيرته البطالة وسط الشارع العبوق ، رجل انطه الياس والمرض بعد رحلة لهو ومجنة ، ومشق المخدر والخمر » .

ويحاصر الفاص الكاتب الشخصيات ويخنقها ، ويهتمها من الانطلاق لتعبير عن احاسيسها وافكارها ، فلا تستطيع الا التعبير المأهوم من غرائزها ، وقدرة العقيدة على تلقف مظاهر الحياة والطبيعة نظرها واجتماعها ، فكما لم يستطع سعاد ان يعطى لحظة التأمل في « الحياة والموت » بثرها الحياة الأدبية والفكرية بابتلاث جديدة ، لم يكن بمقدور باقى الشخصيات خلق أى من المظاهر البسيطة للعالم ، فمشهد الليل لايستدرك من ملك غير لمحة مسافرة ، « الليل جميل ، مراكب النجوم الفضية النحيلة تجرى في سيقان هلو ، من بعيد برج القاهرة بلف في صراخ مخيف مع السماء يقطع الحاقر الذى تحسين » ، ويساهم اعتقاد الأسلوب المقدة في ابراز العالم الروائى كما لو كان رؤيا حلق سابح ، « الليل الجميل والسماء الملوء... في جانب الاعتماد على الدوافع الأولية كالشوق المجرد ، والرغبة المطلقة ، والحزن المبهم ، في تبرير الاحداث وانضباع الشخصيات .

لاينبح الروائى الا باستدلال شخصياته، يخلق الشخصية التى تجليه سيطرته بتوحيدها ، تختفظه عنه ، وتحصره من أمكانيه ، ان شخصية كالسيد عبدالجواد ، تخنق بأفكارها وأخلاقها ومخساوفها وسلوكها من تهيب محفوظ ، انها حاضرة بذاتها ، متحدة بصـــالها ، بمكملة بمكوناتها ، ومثل هذه الشخصيات تنطلق كالمارد من قمقم الأديب ، ومن واسع خبرته بالحياة والانسان ، لتشق عصا الطاعة ، ومسخرة الأديب بملكاته الابداعية لخدمتها ، والاستفادة مثل هذه الشخصيات، ومثل هذا التكامل في روايات اسماعيل ولى الدين القصيرة ، رغم ثلة عددها وانطلاقها المحدودة ، وقد لايكون من الانصاف ان نطلب من الروائى محارسة عقلية فولتيرى الذى انطلق يتبكن نحو العالم والغريب شخصية في عالم الحرب والسلام ، دون ان يهتم أو يغفل ، ولكن ما ينقص الروائى ، وما لاينغيره شخصياته له ان يخلقها مستقلة بشوكها ، بغير رأسى ويدين أطراف ، ثم يعرفها من الفهم ، ويبعثها للحياة نافخا فيها من روح ذاته ، ولا يسلم الظل الذى يحيله من ملامحها من التناقض ، تتنورة الأم ، الصلبة الجوما .. لا تبالى بعرض زوجها عبد الحميد صبره ، خلقه لا يعنيها ، لن تليلا أو كثيرا ، الا انها تنهار فجأة بموته ، ويشطرها الشلل نصفين ، من شدة الأسى والحزن [!] ورأس لاعب كرة القدم « حشيق الابنة ، نور صلت ، حيوان حقيقى ، وتعبير الكاتب : « عندما يفتح فمه بالعديث ، يصبح صغيرا ، لايفهم لى كثير ، كالبقرة تنبه « البيت للاستقبلة وصلة ، الايستغرق بين اللحظة التى يقابل فيها ملك ، واللحظة سرعما أرضا وأبطاطها دقائق ، لقد صنع اسماعيل ولى الدين من حيواناته كالعادة شخصيات الروائى الانسانى ، ومثله في ذلك مثل بسرى « ظفر اسمه الحي » الطالب الجامعى الشيق ، العنوان الشهور، تنبه علاقته بكبار حالة رأس بملك » ، ثم لاشيء بضاف ، أما ادهم الديوانى فى فيلمكم سلبى انه قد شوهد وهو طالب جامعى « في وضع غريب مع صديق بكره ، يتحدث عنه بملاوة في فيلمه ، ويتشاورين بتجرئتهم معه ، وأدهم مرة أخرى « يكلم بصوت متين صديق ... رجل في تصرفاته « في كلماته» في علاقته مع العالم حوله» ، أى الادهمين نصدق، وكلا الصورتين بلا تبرير !

بين عالم المتعية الى الطبقة العليا ، وبين انهار الى تبعد جذورها الى أدنى شوشلج البورجوازية ، يسقط أى احتمال قد يطرأ على بالى بأن أيا منهما تمثل النموذج الذى يحتوى الطبقة ، ويعبر عن وقعها ، ويفكر همومها ، ويعلن عن تطلعاتها ، شخصيتا ملك انهار ومرفان نفس المبادئ ، الخيانة الزوجية ، والتحلل الخلقى ، فالدوافع التى تحرك كلا منهما هى الدوافع الغريزية ، انهما الشبيه بتلاعبين للتيارات الداخلية والصراع الطبقى الدائر بين هذه التيارات ، كما انهما ليستا مولدتا اجتماعيا مع أو ضد، وان كانتا قد حرضتا كطبيعة انسانية تدينها حتريتها وعناداتها ، فالعالم دفرى بطبعه ، يرجع تشوهه لتشوه الطبيعة الانسانية لافير ، ان صرح شخصيات اسماعيل ولى الدين صرح منهار ، فكما يغلب الجانب القفسى ، يغلب الجانب الاجتماعى ، وتقف الشخصية في العالم الروائى على أطراف أصابع قدم واحدة، واى منها لاترتى لتحلل نبطا ، او نموذجا ما ، وحين يحلل وعى الكاتب احدى الشخصيات — كملك او انهار — لاينهض بالشخصية هذا الاحتلال ، فتظل بتلدة ، بقصرة فى عكس تشوهات الكاتب واحلامه وتطلعاته وأزماته ومواقفه، كما أنها لاتختفى من ازمانها وبحورها وتدفع لتهلك الشوط البعد ، مارقة موضوع الكاتب الأثير « الجسام للرجال» الرياضية التى لايسرها سوى فطمة صغيرة من مليون ، وقلب ملك فرضية لتزهات غريبة « كانت تحبه اكثر وصدره بالملكة الموتة ، وخذاه تنهران من الشوورت الأبيض ، الشعر يلوهها معلق » و « الحب يشتتها في شعر صدره ... ثوب ... وتحد بدها بده ، ... « تشد بأسنانها شعر صدره ... ثوب ... وتحد بدها وتسقط بيطء فيصبه البنوه المفتوح » ليظهر صدره بوضوح » وتراصل انهار الاحلام « لتفرج على ملابسه الداخلية » على اجزاء جسمه « كما كانت أفعل في الزمن الماضى » .

وقد يخدعنا المهندس سلبى بتعاطفه مع العمال « الا ان سلبى سرعان مايتزع ثوبه الزيف هذا ، ليتبعهم على ملابة ملك بتوفيق — الموظف الصغير — لمن كان قد رحب سكرتا وضعها بعلاقة ملك بادهم ، وهو المكلف من شوقوه ، ويغير ادهم ؛ فلقد لبث بدوة غير مبررة لهذا ملاءة ملك بتوفيق ، رغم تأثيره العسن على تصرفاتها .

ان مايرفى سلبى كما يبدو بوضوح ان تحترفه ملك الدعارة تبعثها بالرغبة المعتادة في تدنيس كائنة الشخصيات ، دون ضرورة ثانية ، ولن كانت ملك ضرورة لتدنيس أم انهار اللامعية المتحدة بشبابها ، أو مثيرة التى تصاورها رغبات يلمح بها الكاتب ، تثورها رياح الذعر ، ويمكن التساؤل عمية التأصورات علوة يسلبى ، باعتبار تبدة لتوفيق موضلقيا، ثم على حساب شرفه الخاص ، يقبول تهلك ملك مع ادهم المتنبى للطبقة العليا، ولكن هذا يتطلب النظر الى موقفه من العمال طبقيا ايضا ، باعتباره من مقتنى الطبقة المناهضين لثورتها .

ان عواصف فاركاكية حمست بزوارق الشخصيات فى يم الدوافع الطبقية ، فلم ترس على بر الواقعية [ ]

رضا الطويل

١ — الجديد — د. رشاد رشدى — مايجب أن يقال فى اليمين واليسار الجديد!

٢ — روايات الهلال العدد ٣١١ نوفمبر ١٩٧٤

٣ — البيات الشتوى روايات الهلال العدد ٣٠٩ سبتمبر ٧٤

٤ — قصد مجهول روايات الهلال العدد ٣١٢ ديسمبر ٧٤

٥ — الكاتب يناير ١٩٧٥، العدد ١٦٦

هذا غذاء حقيقى لأطفالنا

الشىء الذى لاشك فيه ان المكتبة العربية تعانى نقصا واضحا فى كتب الاطفال ، ولعلنا لا نعرف جهدا له قيمته فى هذا السبيل سوى ما قدمه الرائد كامل كيلانى ، من بعده تضاءل الاهتمام بهذا اللون من الوان الكتابة ، حتى أصبح الاب يقع فى حيرة حقيقية اذا أراد ان يلتقى لطفله ما يمكن ان يمتعه ويسليه ، ويغرس فى وجدانه قيمة مضيئة أو فكرة ذات معنى ، وزاد الامر سوءا تلك المسلسلات الرخيصة التى لا تهتم بغير قصص الجواسيس والمغامرات البوليسية القائمة على العنف والجريمة .

من هنا تنبع أهمية ما تقدمه هذه الدار الجديدة « دار الفتى العربى » فى بيروت ، ومجموعة الاعمال التى تقدمها — حتى الآن — تشمل عدة سلاسل : فهناك سلسلة « حكايا من الوطن » التى يقدمها القاص والكاتب الفلسطينى زين العابدين الحسينى ، معتمدا فيها على معلومات حقيقية عن مسيرة الثورة الفلسطينية وتضحيات الفدائيين والفلسطينيين البسطاء الذين يحتضنونهم ويقدمون لهم الرعاية والعناية ، وسلسلة « من حكايا الشعوب » التى تتخذ من دولكلور مختلف الشعوب قصصا بسيطة تعيد صياغتها كى تقدم لقارئها تدعيما لقيم الايمان بالخير والتضحية من أجل الغير ، ونبذ الانانية والانتهازية ، وفى سلسلة « الافق الجديد » تقدم الدار قصصا خيالية تستثير خيال الاطفال وترسخ لديهم الايمان بقيم العدل والحرية ، من بين اعداد هذه السلسلة قصة كتبها ورسمها المناضل الفلسطينى الشهيد غسان كنفانى وأهداها الى ابنة أخته « لميس » التى ارتبطت به حياة وموتا .

ويسهم فى كتابة هذه الاعمال عدد من كتاب الوطن العربى ، أبرزهم القاص السورى زكريا تامر ، ان الخيال الجرىء والمنطلق لهذا القاص قد روض حتى يلائم خيال الاطفال ، فى صياغة بسيطة وواضحة ، ابطاله هم أنفسهم : ظواهر الطبيعة والحيوانات والنبات .. والاعمال التى يقدمها زكريا من أفضل هذه المجموعة على الاطلاق .

وبالاضافة لمضمون هذه القصص لابد من الاشارة لاخراجها الانيق ، وطباعتها الملونة التى تشيع البهجة وتدفع بالاطفال الى انطلاق الخيال ، وقد أسهم فى رسم الاعمال واخراجها عدد من أبرز رسامى الوطن العربى . من بينهم محيى الدباء وحلمى التونى وحجازى وبهجت ونبيل تاج ونذير بنعة ونبيل أبو حمد ومنى سعودى ونوال عبود وغيرهم .

ان هذه الاعمال زاد حقيقى ومشبع لاطفالنا ، وما أجدر كتاب وفنانى العالم العربى بالالتفاف حولها ودعمها .. فأشياء كثيرة تبدأ من هذا الطريق . ■

الحلم والواقع

فى « عصافير » ياسين رفاعية

فى مقدمة « عصافيره » يقول الفنان ياسين رفاعية :

« لقد تبعثرت حياتى طويلا، هنا وهناك . فى الوطن وفى الغربة . عشت مع أناس من مختلف الطبقات ، ومن مختلف المستويات الخلقية والثقافية ، من الذين لم يتخلوا عن طبقتهم، ومن الذين خانوا طبقتهم ،من الذين ادعوا ما ليس فيهم ، ومن الذين كانوا يحيون بألف لون وألف وجه . وكانت مصيبتى أننى كنت أراقب باهتمام كل ما يجرى حولى . وكانت حاسة بصرى وبصيرتى حادة . ولم أجد بعد هذا كله أبسط من حياة هؤلاء الناس البسطاء ، المغمورين ، المغفورين ، الذين يعانون بكل ما فى المعاناة من مدى وعمق».

بهذه الكلمات يحدد الفنان الارض التى يحرثها ، والمدى الذى يعمل فيه قلمه، من واقع البسطاء ، ومن أرق المشاعر الانسانية وأنبلها ، يستمد مادته . عالمه عالم البسطاء فى حياتهم اليومية بكل ما فيها من معاناة ، وكل ما فيها من احلام . وليست هناك فى هذه المجموعة قصة واحدة لا تنطلق مع الشخصيات من معاناة الواقع الى ابعد مدى لدائرة احلامها الرحبة . فكل شخصيات قصصه تنطلق من أرض تجربتها اليومية ، باحثة بكل قدرتها على الحلم والخيال عن شىء ، لكى تعود من ضنى البحث برؤيا أعمق ، ويوعى أنبل بالحياة . وقد لا تعود وتمضى الى الموت ولكن بعد أن تنفذ بمصيرتها الى ادراك ما . المهم انها جميعا تحقق الالتحام بين الواقع والحلم .

ولنأخذ مثلا قصة « نجمة الصباح » . ينسج الكاتب خيوط هذه القصة من الحياة اليومية لطفل فقد اباه وكل ما يدريه عنه انه سافر بعيدا ، ولم تكافح فى سبيل لقمة العيش . الام والطفل يعيشان حياتهما اليومية بكل ما فيها من اعداد طعام وأكل وشرب ومذاكرة وتنظيف صحون ومشاهدة تليفزيون . لكن الفنان يجدل مع مفردات الحياة اليومية البسيطة كل ما يعتمل فيهما من اشجان وحنين . الام تعيش احزانها واحلامها التى تنسجها لولدها بكل طاقتها على الحب والحنان والابن يعيش احلامه بعودة الاب والدفء . واحلامه البسيطة تتركز حول دراجة يود لو ان اباه كان معه ليشتريها له. فى ذهنه ترتبط الدراجة بالقطار الذى قالت امه ان اباه سافر فيه ، بالطائرة. كلها اشياء ترتبط بالسفر . وهو يكره القطار لان القطار الذى حمل اباه لم يعد به . لكنه يحب الطائرة ، فالسفر بالطائرة اسرع . منطق طفل بسيط ، لكنه يكشف عن اعماق تتأجج بالمشاعر الانسانية الدافئة وبالرؤى الخبيئة من الواقع ومن الحلم ينسج الفنان خيوط البداية .

ويتدرج نمو هذين الخطين حين يسأل الابن امه :

« — الى اين سافر ؟

— سافر الى نجمة مضيئة فى السماء.

— وهل هناك قطارات تسافر الى النجوم ؟

— ثمة قطارات .

— وهل يسافر الناس الى النجوم؟

— يسافرون عندما يملون الدنيا .

— لكن السماء ملأى بالنجوم .

— كل نجمة سافر اليها انسان ما .

— وكيف اعرف النجمة التى سافر اليها أبى ؟

— عندما يجىء منتصف الليل ،سيكون هناك فى السماء نجمة مضيئة اكثر من كل النجوم . اليها سافر ابوك .

من هذا الموقف المتناهى فى بساطته، وفى عمق المشاعر الانسانية التى يكشف عنها ، يلتهب خيال الطفل مرة اخرى، ان خياله هنا لا يقف عند الدراجة والطائرة بل يشق الكون منطلقا نحو النجوم بحثا عن نجمة مضيئة . وتثير النجمة فيه الامان والوعد والامل والفرحة ويكتسب الحلم ابعادا اكبر ، حين يجنح به الخيال الى الامل فى الوصول الى النجم يوما ليعود الى امه بأبيه. لقد تساقط الحزن القديم . تساقط الشجن القديم ، ليصل الطفل الى ذروة البهجة والنشوة .

ثم تأتى النهاية المفجعة ـ فالنجمة

تشغل وتدوى . ومن خلال تجربتها يصل المتأمل الى ما يشبه الادراك «ان اكثر الاحلام عذوبة وصفاء يتلألأ الواقع . تقول كلمات الشعر انه « لم يعد برسم طارات نطير . ولم يعد يجب الليل والنجوم » . المتأمل هنا يصل من تجربته هذه الى معنى عميق فى الحياة، ان يعيش بلا احلام ، يصل الى وعى انيل فى مواجهة الواقع .

ولعل فكرة ان نعيش بلا احلام فى مواجهة والمسح شرس ابى احدى الافكار الرئيسية التى تلح على كل قصة تقريبا حتى كتب قصة «بلا احلام» فى مجموعة « العالم يفرق » التى صدرت عام ١٩٦٣ . هذه الاحلام حدده ، رغم بساطتها المظاهرية الخادعة ، تدور حول اشياء جوهرية وأولية . فهى تتعلق بشواطئ انسانيين فى حياة الانسان ، وغريزة الفوز ، وبالحب والقصب . لكنها دائما تليح من الواقع وتصطفيه. لماذا «برباعية الجوع» يحلون بالرغيف حتى اذا ما حصلوا عليه طاردهم اللصوص وكلاب الحراسة معا . وشخصيات «الولد» و « زهرةالبنفسج» تحلم بالحب والنساء ولا تجد فى حياتها سوى العدم . احلام تستعصيها يد العتيدة الباردة القاسية . وهى لذلك احلام غير طموحة . فلا يمكن ان يراجه الانسان الخشونة والسوقية والحدوة والعصاة «الاحلام عندئذ تصبح ترفا من الترفع داخل الذات ،والاعتداد من الواقع (تصبح حالة هروب تنفى فيها ثمرات الانسان الكامنة ، كما فى قصة « رجل يحلم » . فالرجل يحلم بخفايا داخل ذاته ، ولا يلقى الا الموت. فالحياة الحقة تتطلب ان يشحذ الانسان كل اسلحته ، كل امكانياته المهددة

والمحسوسة لكى يواجه الحياة .هكذا تقول قصة « الله والسبكة » . وهكذا تقول قصة « العصاة » . الطفل « السبكة » يدركون ، بعد ان يستلبهم اللصوص سبكتهم التى جاد عليهم البحر بها ، أن لابد من سكين . وفى قصة « العصاة » يصطنع انطون الدجل فى لحظة مزاج مستعيرة ، يوهم صديقه انه قادر ان يعيد اليه حبيبته عن طريق تحضير الارواح ، لكنه يدرك من النهاية ان المعجزة لن تعدث لان صديقه استجد بتلك القوة المطلقة الكائنة فى الكون وفى نفسه . انه يدرك أن أوهامه التى تجاول ان ينسجها حول صديقه كان لا يمكن ان تؤدى الا الى مأساة، اولم يستشر الصديق فى نفسه كل قدرات الانسان الكليلة .

هكذا يلتقى ياسين رفاعية فى كل قصصه لزدراء الانسان والحياة ، هذه هى الرسالة الايجابية التى تحملها كل قصصه .

هذه هى الرؤيا التى تملأ عينى الفنان فى هذه المجموعة : الانتصار من خلال قدرة الانسان وكل امكاناته المهددة . ومجرد نظرة على ادواته من مسرح مدنية كانبية لان تلقى بعض الضوء على رؤيته الشفافة للكون والحياة ، وعلى الرؤية والعلوية التى تتدخل بهما حساسيته المرهفة . فالمسرح الرئيسى من خيله هى صور الديار والصنيع والتلج ، والمأدولة والمحزون ، والساعة والجريدة ، والشوارع والسيارات والمهنة المذرة ، بالجملة هى صور للأكواخ والقصور وحلب الليل .

لكنها ايضا صور للخدى والشمس الدافئة والطيور التى تهاجر الى بيئاتها هى صور المسهول والديكان والزرع ونجمة الليل ولاجراس الصبح والصناء ، وارض البشر والزهر والورد الابيض والربيع . صور لذين والبحر والجرح والرمل والسماء والطيور والشجر ، والزيتون والندى والمطر والصنادين والحقل» كلها صور تشير الى بصمة الطبيعة على حساسية الفنان وعليه بكل ما ينبض بالحياة به وهى حساسية تجسد بنية عذوبة الرقة وعمق التجربة .

واذا كانت الصورة الفنية تظل مجرد صورة حتى تكتسب معنى ودلالة لكى تصبح رمزا ، فان هذا الحس ، وهذا الادراك المرهف ، يمكنان ياسين رفاعية من الارتفاع بالصورة الى مستوى الرمز . فالواقع المجلب هذه بمخايله صور تجعل الثلج الذى يغطى على كل اشكال الحياة ، مثلما زهرة البنفسج رمز لكل الاحباطات التى يولدها العجز عن الوصول الى الخصب والنساء . وفى الجانب الاخر نجد البحر والسمكات الزيتونة يحولا لنا فى الطبيعة المحطاة من خيل للجميع ، والنجسة دالة على الحس ما يمكن ان يصل اليه الانسان باهماله ، والحصاة رمزا للادراك الذى يشرق على هل الانسان . وهكذا تصبح الرؤيا مرتبطة ارتق الارتباط بما يصدر عن خيال الفنان من صور حين صور الواقع الحس اراء انفسطة الحياة .

لقد قالوا من تشيكوف يوما ان كتاباته نوع من الخبط الحيرى الذى ينتق ، لكننا نقول اليوم عن اديبنا العربى ان كتاباته تصبح من الحرير يوضع ملمسه ، الانسان بهجة وتداولا وأملا فى الحياة .

د٥ أمين المعيوطى

أخبار

المزينى بركات ودولة المماصرين

رواية جمال الغيطانى الجديدة ، صدرت فى دمشق ، ويواصل فيها جمال استعلام مصر المملوكية ، ويرسم صورة العصر بما يحفل به من شخصياتها بزرها الغزالى بركات محتسب القاهرة ، وتكونها نقد « المعاصرين » فيها .

صدر لجمال من قبل مجموعتان قصصيتان : « أوراق شاب عاش منذ ألف عام » ، « أرض لا تنام » .وروايتة قصيرة بعنوان « الزينى » .

نجمة اغسطس الماضى والحاضر

ومن دمشق ايضا صدرت روايتة « نجمة اغسطس » للكاتب صنع الله ابراهيم . تتابع الرواية مراحل العمل فى بناء السد العالى ، وتعرض لنماذج من المعاصرين — مصريين وروس — فى هذا العرح الكبير ، ثم تمتد رحلتة الراوى الى مصايد « أبى مسنيل » ليتابع عملية تكوانها من نظمها .

صدرت لصنع الله من قبل رواية بعنوان « تلك الرائحة » .

الجزء الرابع من ديوان الجواهرى

ومن وزارة الاعلام العراقية صدر الجزء الرابع من المجموعة الكاملة للشاعر محمد مهدى الجواهرى . من المفروض أن تكتمل المجموعة فى ستة اجزاء .

كما اصدرت الوزارة مجموعة مختارات من الشعر العراقى المعاصر بعنوان « ويكون التجاوز » للكاتب محمد الجزائرى .

بيروت ..
الازقة والمطر

تحت هذا العنوان تقدم الكاتبة اللبنانية رفيف فتوح مجموعتها الجديدة

وتضم المجموعة تسع قصص ، تعبر فى معظمها عن هموم فتاة من هذا الجيل فى مدينة وثنية كبيروت ، وتعكس تمزقها بين وجهى المدينة : شارع الحمراء باضوائه ومجوهراته وامكنة اللهو الجميلة فيه ، وأوكاره المتنوعة واقبية الضياع المختبئة فى أزقته من ناحية ، وبيروت الازقة الموحلة التى يعيش فيها كادحون يجدون بالكاد قوت يومهم من الناحية الاخرى . وبين هذين الوجهين يكون السقوط : الحياتى والاخلاقى ، وتسلم الفتاة جسدها دون حب . لكن هذا السقوط ليس نهاية لشىء ، فمعظم هاته البطلات متمردات ، وحين تنهى دانية علاقتها برئيسها الذى اشترى جسدها بالمال والنفوذ تنطلق الى الطريق وهى تحس انها ولدت من جديد .

فى قصص رفيف يتضح البعدان الاجتماعى والوطنى معا ، فى قصتها « العبور » تحس البطلة — حين يستعيد الانسان العربى تكامله على موسيقى الرصاص — أنها تمارس الحب للمرة الاولى : «يتدفق الخدر اللذيذ هادرا فى شراييني .. تنزلق ملابس قطعة قطعة.. صفارات الولادة .. أجراس تقرع وعيد — أنا وأنت — صوت واحد يبعث فى سنوات القحط والجفاف [بلادى..بلادى] — أنا وأنت — نمارس الحب لاول مرة على تراب الارض التى سرقها القراصنة معا. لنحرر أنفسنا وعالمنا وارضنا..».

ورفيف تكتب قصصها بأسلوب سهل ومنطلق وبسيط ، وتفيد افادة واضحة من كتابة الريبورتاج الصحفى ، فتصل مباشرة الى ما تريد : الحياة الداخلية لبطلاتها والكشف عن تناقضاتها بين وجهى المدينة .

تعليق

على الطريق الصعب

جاليرى ٦٨ □ سنابل □ أقلام الصحوة

عن مجموعة من الكتاب الشبان بالاسكندرية صدر فى اول فبراير العدد الاول من مجلة « اقلام الصحوة » .

وصدور مجلة عن غير اجهزة الدولة مغامرة محفوفة بالخطر ولكنها تبقى دائما مغامرة ضرورية . والتحدى هو أن تتحول المغامرة الى عمل عادى ولكن كيف ؟ ليست هذه تجربة جديدة فقبلها كانت تجربة « جاليرى ٦٨ » وكانت كالشهاب ضوؤه يخطف البصر ، ولكنه سرعان ما يختفى ليس لطبيعة فيه ، بل لان الكواكب المعتمة حوله كثيرة . وبعدها كانت « سنابل » ورغم صدورها عن محافظة كفر الشيخ رسميا الا أن الكواكب تعودت دائما أن تمارس طبيعتها فى الازدحام حول كل ضوء جديد تاركة دائما المدارات التى تخنق هذا الضوء . وخلال تلك المسيرة وحتى الان يواصل كتاب المنصورة اصدار سلستهم « أدب الجماهير » فى حذر شديد حتى ليعتقد المرء ان شهابهم قد انكسف والان تحاول الاسكندرية حمل المشعل لتنير به الطريق الذى لا تلتفت اليه اجهزة الدولة الثقافية . ومهما كان الحكم على ما قدمته المجلة فى عددها الاول الا أن من الواجب الاشارة الى الاتى :

① صدور هذه المجلة يعنى مسئولية يتحملها هؤلاء الشباب . اما أن يجعلوا من الكلمة سلاحا واما تتحول المجلة الى كشكول يثير فرح المراهقين الذين يسجلون خواطرهم واعتقد انهم — قراءة لما قدموه فى هذا العدد — سيكافحون على الطريق الاول .

② صدور هذه المجلة يعنى أنه على كل الكتاب الشرفاء المساهمة الفعلية من أجل استمرارها وتجويدها . ليس بالكلمات الطيبة ولكن بالفعل الشجاع .

③ صدور هذه المجلة يضع اجهزة الدولة فى اختبار جديد وهى التى تستطيع ان تلعب دورا سريعا فى تدعيم هذه المجلة . والاختبار ليس فى التدعيم المالى فقط — وطرقه كثيرة اقلها الاعلانات — ولكن فى أن تترك المجلة كمنبر حر دون وصاية أو اغراء بالتخلى عن دوره لتؤكد فى ذلك قيمة الديمقراطية التى نسعى اليها فى حقلنا الثقافى .

④ ويبقى فى النهاية أن نقول أن موت هذه المجلة — مهما كان ما تقدمه — سيكون ادانة جديدة للاجهزة الثقافية وللمثقفين معنا . فلندعم أقلام الصحوة ومن يدرى قد تنجح هذه المرة فى المدينة العليلة : الاسكندرية .

ابراهيم عبد المجيد

العدد القادم

أبريل ١٩٧٥

يكتب فيه

- د٠ محمد شعلان : مدرس الامراض النفسية بطب القاهرة
- د٠ يحيى الرخاوى : مدرس الامراض النفسية بطب القاهرة
- د٠ فرج أحمد فرج : أستاذ مساعد علم النفس بآداب عين شمس
- د٠ أحمد العريان : أستاذ مواد البناء بهندسة القاهرة
- د٠ حسين كمال الدين : مدير البحوث بشركة الورق الاهلية
- د٠ مراد وهبة : أستاذ الفلسفة بتربية عين شمس

الثمن ١٠ قروش

السنة الحادية عشرة
أبريل ١٩٧٥

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

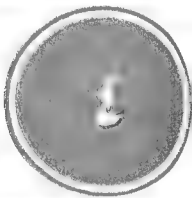

•• وفشلت سياسة
« الخطوة خطوة »

جامعة للقادرين ماليا •• العاجزين علميا
من هم « الليبراليون » ؟

حوار اليسار
مع توليق الحكيم

مستقبل ازمة الشرق الأوسط
ماذا تعنى التسوية ؟

أوراق كيسنجر فى الحوار العربى الامريكى (وثائق)

الآن فى مصـــــر

الكتاب السياسى الذى اجمـع نقاد الصحف والمجلات العربية على انه وثيقـة تاريخيـــة بالغـــة الاهميـة عن حـــكم عبد النـاصر والذى مازال اكثر الكتب مبيعا فى العالم العربى

بصـــــــــراحة عن عبـد الناصـــر

محمـــد حســـنين هيـــكل

يتحدث فى ٢٠ ساعة
الى فـــؤاد مطـــر

عن عبد الناصر فى ٢٠ سنة

من موضيع الكتاب

قصة العلاقة بين هيكل وعبد الناصر ـ قصة عبد الناصر مع محمد نجيب ومصطفى النحاس وفـؤاد سراج الدين والاخـوان والشـيوعيين ـ لمـاذا استدعت الثـورة النحاس باشا من اوروبا ـ اسرار صفقة السلاح الروسى ـ العلاقات مع امريكا من البداية الى النهـاية ودور مايلز كوبلاند ـ ظروف الوحدة مع سـوريا ثم الانفصـال واسباب التدخل فى اليمن ـ هزيمة ١٩٦٧ ولماذا قرر عبد الناصر التنحى لشمس بدران ثم اختار زكريا محيى الدين ـ خصوصيات عبد النـاصر ومتلكاته والهدايا التى كان يقبلها والافلام السينمائية التى يحب مشاهدتها وقصة صندوق المجوهرات الذى رفضه ـ الناصرية ومستقبلها داخل مصر وخارجها ـ عبد الناصر ومسالة الدين ـ كيف انشأ عبد النـاصر تنظيم الضباط الاحرار وكيف كانت عـلاقاته بضباط الثـورة ـ مواطن الضعف فى عبد النـاصر ـ ماذا بقى من عبد النـاصر ـ ماذا فى الخزانة المغلقة وهل ترك عبد الناصر وصية ـ النبأ الذى كان عبد الناصر ينتظر سماعه من الاذاعة ـ قصة عبد الناصر مـع مراكز القوى ـ امراض عبد الناصر وكيف واجه النكبـة الاولى ـ هل كان عبد النـاصر ديكتاتورا وماذا قدم للعرب وماذا اخذت مصر منهم ـ عبد النـاصر وعلاقته بقضـية فلسطين ـ مفهوم القوة عند عبـد النـاصر ...

الناشر : دار القضايا ـ بيروت **ثمن النسخة ١٠٠ قرش**

الطليعة
طريق المناضلين إلى الفكر الثوري المعاصر

مجلة شهرية

تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مدير التحرير :

ابو سيف يوسف

سكرتير التحرير :

مصطفى سامى

المحررون :

حسين شعلان
خيرى عزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالى
فاروق عبد القادر
وديع امين

د. محمد الخفيف
شارك فى تأسيس الطليعة
واسرة تحريرها
يناير ١٩٦٥ ـ مارس ١٩٧٢

الفهرس

العدد الرابع ـ السنة الحادية عشرة ـ ابريل ١٩٧٥

		ص
■ وفشلت سياسة «الخطوة خطوة»	« الطليعة »	٦
● نقد الخطة والانفتاح الاقتصادى	عادل حسين	١٠
● مستقبل ازمة الشرق الاوسط ماذا تعنى التسوية ؟	محمد سيد احمد	٢٤
■ ملف تجربة ثورة ٢٣ يوليو		
ـ اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم	« الجلسة الرابعة »	٣٠
■ الرأى .. والرأى الآخر	.....	٥٠
ـ من هم الليبراليون وماذا يريدون ؟	فيليب جلاب	٥١
ـ فصل فى الليبرالية « البعبع »	د. حسين فوزى	٥٤
ـ جامعة للقادرين ماليا .. العاجزين علميا	د. ميلاد حنا	٥٧
ـ حق قوى الشعب العاملة فى اقامة تنظيماتها	عبد الرحمن خير	٦١
● تحقيق من المنصورة	مصطفى سامى	٦٤
● حول النمط الاسيوى للانتاج. مصر الهلينية	احمد صادق سعد	٦٩
■ القراءة الرابعة فى اخبار اليوم	.....	٨٤
■ كوريا الديمقراطية من الداخل	خيرى عزيز حسين شعلان	٩٤
■ تقارير الشهر :	.....	١١٦
ـ من مصر ● سوريا ● قبرص ● المجر		
■ وثائق :		
ـ اوراق كيسنجر	.....	١٢٨
■ ملحق الادب والفن :	.....	١٤٧
ـ ام كلثوم .. الحقيقة والاسطورة		
■ ملحق الفلسفة والعلم :	.....	١٧٩
ـ المرأة .. قضية عام ١٩٧٥	د. مراد وهبة	١٨٠

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل رأى هو وفى اعتقادنا أن تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة ..

من هـذا المفهوم تفتح [الطليعـة] صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ـ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد أختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لأن ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك] ..

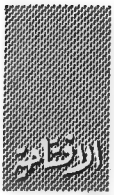

من أسـرة تحـرير «الطليعـة» الى قـراء المجلـة وأصـدقائها

كان من المفروض أن يكتب لطفى الخولى رئيس تحرير المجلة « كالعادة » المقال الافتتاحى لهذا العـدد •

غـير أن وعكـة مفـاجئة حـالت بينـه وبين أن يقـوم بهـذا العمـل •

ولطفى الخولى اذ يعتذر لقراء « الطليعة » واصدقائها يرجو أن يلتقى بهم على صفحات المجلة فى عـدد قادم •

كلمة « الطليعة »

.. وفشلت سياسة « الخطوة خطوة »

لم يكن فشل كيسنجر مجرد فشل فى انجاز عملية فك اشتباك ثان على جبهة المواجهة بين مصر واسرائيل فقط . بل كان فشل كيسنجر فى انجاز هذه « الخطوة الاولى » ، فشلا لدبلوماسية « الخطوة خطوة » عموما . ووصل الفشل الى حد انه لم يكن من الممكن تغطيته بصيغة دبلوماسية منمقة تقدم مباحثاته للرأى العام على انها قد تعرضت لتعثرات تقتضى المزيد من التفكير والبحث ، وتقرر فى ضوء ذلك ارجاءها لحين التوصل الى صيغ بديلة يتحقق بمقتضاها تذليل العقبات . بل تردت الامور الى حد ان « اشهار الافلاس » لم يكن منه مفر .

ومع ذلك ، كان كيسنجر حريصا كل الحرص على انجاح مهمته .

لم يلتفت الى احداث كمبوديا التى وصلت الى حد خطير . واكد انه لن يغادر المنطقة مالم يصل الى اتفاق . وكاد اصراره يصل الى حد العناد . ولم يكن ذلك مصادفة .

والحق ان كيسنجر كان يجازف بأمور كثيرة عندما قرر الاقدام على هذه الخطوة ؛ والمجىء الى المنطقة لاختبار منهجه لعلاج الموقف فى التطبيق .. دبلوماسية « الخطوة خطوة » ...

كان النجاح يعني دعما وتعزيزا للنفوذ الامريكي في المنطقة . وبروز امريكا قوة اخرى باعتبارها وحدها الطرف الذي يملك مفاتيح التسوية ومفاتيح السلام .

وكان النجاح يعني احكام سيطرة امريكا على مصادر «ازمة الشرق الاوسط» ومصادر « ازمة الطاقة » في آن واحد . وسيطرة امريكا على هاتين « الازمتين » تحديدا — في الملابسات الدولية الراهنة بالذات — تعني استعادة امريكا هيبتها، في وجه ازمات عاتية تعصف بالعالم الرأسمالي الآن .

وكان النجاح يعني نجاحا لشخص كيسنجر ولدبلوماسيته في وقت بدأت تتعرض لمآخذ وانتقادات ، داخل المؤسسات الامريكية ذاتها . واتسعت موجة النقد لتنال من سمعة سلوكه في حل اكثر من قضية دولية تخص امريكا مباشرة : من شيلي الى قبرص الى البرتغال الى فيتنام الى تعريضه التحالف الاطلنطي للاهتزاز . الى مدى سلامة علاجه للنزاع العربي الاسرائيلي .

كان النجاح — في كلمة مختصرة — يعني نجاح منهج كيسنجر في فرض حل امريكي لازمة الشرق الاوسط : اراد كيسنجر ان يحقق لامريكا — بمقتضاه — شوطا بعيدا نحو ارساء سيطرتها على المنطقة، لا بالمعادلة الاستعمارية التقليدية ، ولا بالمعادلة المطروحة في « مبدأ ايزنهاور » بعد العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ ، ولكن بمعادلة مستحدثة، تناسب بمقتضيات « الانفراج الدولي » وتحقق بمصلحة امريكا في سيطرتها على مصادر « ازمة الشرق الاوسط » ومصادر « ازمة الطاقة » في آن واحد .

هذه المعادلة الكيسنجرية ربما لم تحظ بتأييد اجماعي داخل المؤسسات الامريكية ، وربما تعرضت لانتقادات اطراف مختلفة وقوية داخل الكونجرس : المجموعات الموالية بتزمت لاسرائيل من جانب ، والمجموعات المعادية للانفراج الدولي برياسة السناتور جاكسون من جانب آخر . وربما لم يعد بمقدور كيسنجر بالمركز الذي حققه لنفسه في ايام رياسة نيكسون ليفرض منطقه على نقاده وخصومه . بسبب الظروف التي تحيط بالرئيس الامريكي الجديد فورد . وبسبب اقتراب موعد انتخابات الرياسة الامريكية في العام القادم . ولكن هذا كله لا يسقط عن منهج كيسنجر وجاهته دفاعا عن مصالح الامبريالية الامريكية في ثوبها المعاصر . بل كان ذلك كله مما دفع كيسنجر الى تكثيف جهوده ، وبلوغها حد العناد ، لاحراز اي قدر من النجاح .

ومهما اختلفت البواعث والدوافع ، فان المبادرة الكيسنجرية لم تكن موضع رفض مصر من حيث المبدأ . بالقدر الذي تلبي مطلب مصر في تحريك الحل ، وبقدر ما يترتب عليها انحسار الاحتلال الاسرائيلي ، بما يسمح باعادة فتح القناة واسترداد الممرات وحقول البترول في ابو رديس .

ولم تكن اسرائيل هي الاخرى رافضة للمبادرة بالقدر الذي يكون انسحابها من جزء من سيناء اساسا لانشاء « حقوق » لها داخل الارض المصرية تقرها مصر ؛ وبالقدر الذي تحقق مقابل هذا الانسحاب الجزئي فصل مصر عن دول المواجهة الاخرى ، وعن حركة المقاومة الفلسطينية ، وبعبارة اخرى استجابت اسرائيل لمبادرة كيسنجر لهدف هو نفس الهدف الذي اعلنته مصر : فلقد اعلنت مصر قبول مبادرة كيسنجر كمنطلق لتنشيط التحرك نحو حل . واستجابت اسرائيل لاجهاض الحل الشامل نهائيا ، وبهدف ايجاد « وضع » هو بمثابة « حل منفرد » تعتدعم به مصر ، بل لن ينشأ — بعد ذلك — ظرفا تنعدم فيه المقومات اللازمة لاستمرار عملية الحل . وتتوقف الامور عند هذا الحد .

وعند مناقشة تفاصيل هذه « الخطوة الاولى » في دبلوماسية « الخطوة خطوة » نشأ خلاف بين الطرف الامريكي [كيسنجر] والطرف الاسرائيلي [والاطراف الاسرائيلية المشتركة في الفريق المفاوض الاسرائيلي] حول مقدار التنازلات الاسرائيلية الواجبة حتى تكفل المحاولة بالنجاح .

وكانت « محصلة » موافقة فريق المفاوضين الاسرائيليين ، التشبث فى مرحلة أولى بضرورة ان تقر مصر — علنا — « انهاء حالة الحرب » اى ان تسلم مصر صراحة باستمرار احتلال اسرائيل لارض مصرية دون ان ترى مصر موجبا لاستمرار حالة الحرب . وفى مرحلة ثانية ، قبل فريق المفاوضين الاسرائيليين صيغة لا تتخلى عن معنى الامتناع عن ممارسة القوة ، دون النص صراحة على انهاء حالة الحرب ، ولكن تضمنت الصيغة شروطا تجعل معنى الانتهاك السريع للسيادة المصرية ، وتشترط انفصال مصر عن رفيقة السلاح سوريا ، وتخليها عن التزاماتها حيال حركة المقاومة الفلسطينية ، وتسرى هذه الشروط لعدة سنوات قادمة .

وفى مقابل هذا التعنت الاسرائيلى ، لم يكن كيسنجر فى وضع يمكنه من الزام المفاوض الاسرائيلى بالتخلى عن هذه الشروط رغم انه كان يعلم — سلفا — انها مرفوضة . ذلك ان مركزه فى امريكا لم يعد المركز الذى كان يحظى به وقت رياسة نيكسون ، ولم يعد لا هو ولا الرئيس الامريكى فورد فى مركز يؤهلهما لاغبال انتقادات الكونجرس وضغط مراكز القوى داخله وتألف مجموعات متباينة المنطلقات فى مساندة موقف المفاوض الاسرائيلى .

ولكل ما تقدم ، فشلت المحاولة برمتها ، فشلت فى جر مصر الى تعهدات تحقق الاهداف المشتركة الامريكية الاسرائيلية ، بل كشفت عن خلخلة التخطيط المشترك الامريكى الاسرائيلى ، واستفادت قوة الوطنية المصرية واستحكمت القيادة السياسية للبلاد على التصميم على رفض عملية تهدر سيادة مصر ومركزها العربى على نحو لا رجعة فيه .

واسفر هذا الفشل عن وضع جديد فى المنطقة .
وضع تلقى فيه المخطط الامبريالى الصهيونى ضربة عنيفة .

ولكنه ايضا وضع يشوبه توتر نشأ فى صفوف القوى المعادية للمخطط الامبريالى الصهيونى .

هذا التوتر الذى نشأ نتيجة خوض مصر المباحثات مع كيسنجر بمقتضى دبلوماسية « الخطوة خطوة » يلبغى مناقشته فى هذه اللحظة البالغة الدقة بصراحة تامة ، ودون ادنى حساسيات ومن منطلق تعزيز الانتصار الذى تم احرازه على المخطط الامبريالى الصهيونى ، لا من منطلق التعلق بحساسيات الفترة السابقة :

صحيح ان قبول مصر مبدأ اجراء مباحثات مع كيسنجر بمقتضى دبلوماسية « الخطوة خطوة » قد استثار هذه الحساسيات وترتب عليه شيوع جو من الشكوك . وارتفعت اصوات لتعلن اعتقادها الجازم بأن هذه الدبلوماسية لن تلبى المطلب العربى — ولا المطلب المصرى — بالتوصل الى حل شامل .

ولكن كان لخوض التجربة ، ولفشلها ، الفضل فى استثارة الوطنية المصرية ورفض مصر — باسم الوطنية المصرية — المخطط الامبريالى الصهيونى برمته ، هو بكسب للقومية العربية كلها ، هو بكسب لحركة التحرير العربية عموما . وهذا المكسب فى اشد الحاجة الى دعم فى وقت لن تقف فيه امريكا ، ولا الامبريالية مكتوفة الايدى بعد ان فشلت محاولتهما ، ولن تدخر جهدا لاستغلال كل ثغرة ممكنة لتنقض بطرين القوة بعد ان فشلت فى تطبيق مخططها «السلمى» القائم على « التوريط » و « الاستدراج » .

لقد اصيب المخطط الامبريالى الصهيونى بضربة عنيفة . ولكن استثمار هذه الضربة لصالح حركة التحرير يتوقف فى هذه اللحظات الدقيقة — على سرعة تضافر كافة القوى المعادية لمخططات الامبريالية . وقدرتها على ان تعيد تنظيم صفوفها على وجه السرعة

كلمة تحية

هذه كلمة تحية توجهها « **الطليعة** » الى الاستاذ احمد بهاء الدين .

ففى الفترة التى تولى فيها الاستاذ احمد بهاء الدين رئاسة تحرير « **الاهرام** » ، قدرت هيئة تحرير « **الطليعة** » حرصه على التعامل مع « **الطليعة** » من منطلق احترام استقلالها ، واحترام حق محرريها فى التعبير عن انفسهم ، والمحافظة على التقاليد التى التزمت بها المجلة منذ أن صدرت فى عام ١٩٦٥ .

ان « **الطليعة** » التى تقدر لاحمد بهاءالدين دوره ككاتب سياسى ووطنى لم تخف انها كانت تختلف معه فى بعض آرائه واجتهاداته ، وهو الامر الذى يضاعف من تقدير المجلة لالتزامه باحترام الرأى الآخر .

ان « **الطليعة** » اذ تحيى الاستاذ احمد بهاء الدين ، تتمنى له موفور الصحة ، وشفاء عاجلا ، يمكنه من استئناف عمله فى القريب العاجل .

« الطليعـــــة »

بتضامنها الى المستوى المطلوب . وهذا التضامن رهن تعزيز «نواة صلبة» تضم مصر وسوريا وحركة المقاومة الفلسطينية فى المقام الاول، مستندة الى الجبهة العربية العريضة المتمسكة باستعادة الحق العربى دون أهدار أو تفريط .

كما ان الظرف الراهن يقتضى جهدا مكثفا لتخطى كل ما شاب علاقات مصر بالاتحاد السوفييتى وبالدول الاشتراكية من حساسيات .. والواقع انه لم يعد هناك ما يبرر استمرار وجود عقبات تحول دون زيادة تعزيز العلاقات المصرية السوفيتية ، بل على العكس ، فقد اضحت هذه العلاقات فى الظروف الراهنة عنصرا اساسيا لاجتياز الفترة الدقيقة القادمة بنجاح ، ورد ما قد يساور العدو من تطلعات الى شن مغامرة عسكرية .

ان شعار عقد مؤتمر جنيف فورا كأساس لحل الازمة هو شعار يتفق مع كلمة الشرعية .. وهو الشعار الذى لم تحد عنه قوى التقدم والتحرر . ومطلوب من هذه القوى فى هذه اللحظات الدقيقة ان تثبت بنضالها وبتعزيز تضامنها أن هذا الشعار يقبل وضعه موضع التطبيق العملى ، وان يجرى الاجهاز النهائى على دبلوماسية الخطوة خطوة ، دبلوماسية العمل فى الكواليس ، دبلوماسية الحلول الجزئية والمنفصلة ، القائمة على التمييز والتفريق والتفرقة بين الاطراف العربية ، بتنشيط البديل فعلا ، واثبات تفوقه لا استنادا الى كلمة الشرعية فقط ، ولكن ايضا لانه انجح فى فرض السلام العادل عمليا .

« الطليعـــــة »

يواصل عادل حسين دراسته التى بدأ فى نشرها فى عدد سابق « حول نقد سياسة الحكومة » وفى هذا العدد يركز الكاتب على موقف الحكومة من قضيتى التخطيط والانفتاح الاقتصادى .

نقد الخطة والانفتاح الاقتصادى

عادل حسين

الاقتراب من النموذج الاشتراكى – بأى قدر – يفترض التخطيط من أجل أعلى معدلات ممكنة للتنمية الاقتصادية المستقلة ، وهو يفترض فى نفس الوقت ضمان التوزيع العادل لدخل هذه التنمية بين الطبقات الوطنية . وقد نقدت فى عدد سابق من « الطليعة » نتائج سياسة الحكومة فى مجال توزيع الناتج ، وأوضحت أن الاغنياء يزدادون غنى والفقراء يواجهون مصاعب أشد . ونفترض أن نتائج الأن الوجه الاخر ، أى محاولة الحكومة تحقيق أعلى معدلات ممكنة من التنمية الاقتصادية على هدى خطة ١٩٧٥ ، وفى مناخ « الانفتاح الاقتصادى » .

لقد تقدمت الحكومة بهذه الخطة لكى « تحقق التنمية الاقتصادية والاجتماعية دفعة قوية تحقق زيادة فى الناتج القومى فى سنة ١٩٧٥ تبلغ ٩ر٢ فى المائة بالاسعار الثابتة ، وهذا معدل لم تشهده بلادنا من قبل ، فقد كان معدل النمو فى أوج نشاط التنمية من سنة ١٩٥٦ – ١٩٦٦ لا يتجاوز ٦ر٧ فى المائة فى المتوسط ، كما أن النمو المستهدف يعتبر طموحا بالمقاييس العالمية ، ولتحقيق ذلك ارتفع حجم الاستثمار من ٢٨٠ مليون جنيه فى سنة ١٩٦٨ الى ١١٨٠ مليون جنيه فى مشروع الخطة فى سنة ١٩٧٥ » (١) .

ولا شك أن المعدل المستهدف هو بالفعل معدل طموح . وقد سجل مجلس الشعب للحكومة انها قدمت الخطة الانتقالية (خطة ١٩٧٥) الى المجلس فى الموعد الذى يقضى به القانون رقم ٧٠ لسنة ١٩٧٣ (٢) ، ونضيف من جانبنا أن وزارة التخطيط لم تقصر فى مشروعها المقدم على وضع برنامج استثمارى ، كما جرت العادة فى السنوات السابقة ، فقد حرصت على تحقيق التوازنين المتغيرات الاقتصادية الاساسية على المستوى القومى ، وهذه المتغيرات هى : الاستثمار والادخار والناتج والعمالة والاجور والتعامل مع العالم الخارجى والاستهلاك النهائى والادخار . وهذا التوازن – اذا كان واقعيا – يحكن من تنفيذ الخطة ، ويمنع تعرض الاقتصاد القومى للتضخم والاختناقات وقصور الموارد المتاحة عن تغطية الاهداف المقررة . ولا شك أن محاولة تحقيق هذا التوازن يعتبر – من الناحية الفنية – انجازا يستحق التقدير لاجهزة التخطيط .

وقد تحددت أولويات الخطة على النحو التالى :

١ – التعمير للاسراع بحركة اعادة الحياة فى منطقة القناة . ٢ – الاستكمال أى التعجيل باتمام المشروعات التى تعطت شوطا كبيرا فى التنفيذ .

---

(١) بيان رئيس مجلس الوزراء عن برنامج الحكومة فى مجلس الشعب – ٢٧ نوفمبر ١٩٧٤

(٢) رد مجلس الشعب على بيان الحكومة – ٩ ديسمبر ١٩٧٤

٣ ـ الاهلال والتجديد والطاقات العاطلة وذلك لازالة الاختناقات التى توجد فى بعض الوحدات الانتاجية ٠ ٤ ـ المشروعات الجديدة ذات الاهمية الحيوية للتنمية [كالاسمدة والاسمنت] ، لو توفير احتياجات الجماهير ٠

وبالنسبة للنقطة ذات الاولوية الاولى ، أى التعمير ، فان الاعتبارات السياسية اذا كانت تبرر البدء والاهتمام ، فانها لا تبرر حجم الانفاق الذى حددته الخطة ، ولا تبرر اسلوب العمل الذى يحقق فى منطقة القناة [وصاعدو الى هذه المسافة] . أما بالنسبة لتسلسل الاولويات الاخرى ، فان أمرها يبدو معقولا ، فهى تحقق عائدا مرتفعا نحتاجه ، وهى تهدف الى « تثبيت وتقوية القاعدة التى سوف ينطلق منها الاقتصاد المصرى خلال الخطط الخمسية القادمة » (٣) واذا كانت الخطة ـ من أجل تحقيق هذه الاهداف ـ قد ارتفعت بنصيب القطاع العام من الاستثمارات الى ١٠٥٦٫٢ مليون جنيه ، وكان نصيب القطاع الخاص ٩٨٫٢ مليون (أى ٥ر٩ فى المائة فقط من اجمالى الاستثمارات الموزعة ، رغم أنه يزيد ثلاث مرات عن حجم استثماره المقدر فى خطة ١٩٧٤) اذا كانت الخطة الانتقالية قد أعطت القطاع العام هذا الحجم والدور الكبير ، فان هذا تسليم بأن الاعتماد على القطاع العام ، وعلى الصناعة بالذات ، هو الاسلوب الممكن لتحقيق عائد سريع وحسمين ، فالصناعة فى ظل القطاع العام هى المجال الاكثر استجابة لاهداف التخطيط ٠

معارضة مجلس الشعب

الا أن هذه الخطة جوبهت فى مجلس الشعب بمعارضة وانتقادات شديدة ، لقد هاجم البعض استئثار القطاع العام بالنصيب الغالب من الاستثمار ، بل عاد البعض الى فكرة بيع ٤٩ فى المائة من اسهم شركات القطاع العام الحالية ٠ وفى تقرير لجنة الخطة والموازنة نقدت اولويات الخطة ، فالتركيز على تشغيل الطاقات العاطلة ـ كما جاء فى التقرير ـ مبالغ فيه ، والزراعة (وبعض القطاعات الاخرى) لم تنل مكانها المناسب فى الاولويات ٠ فنصيب قطاع الزراعة من استثمارات خطة عام ١٩٧٥ لا يعدو ٤ر٣ فى المائة ، و « يقل حجم ما خصص لوزارة الزراعة والاصلاح الزراعى من استثمارات فى هذه الخطة عما خصص لها عام ١٩٧٤ » [٤] . واعتقد أن جوهر الخلاف بين الحكومة ولجنة الخطة والموازنة لم يكن فى المفاضلة بين الزراعة والصناعة ، ولكنه فى تحديد دور كل من القطاعين العام والخاص فى انجاز القنعية ، وبالتحديد فى انجاز الاهداف العاجلة للتنمية كما جاءت فى خطة ١٩٧٥ .

ان تشجيع القطاع الخاص المنتج (كما هى الحال فى الزراعة) ضرورة قومية ، ولكن معقول أن تكون أولوية أو درجة التشجيع بقدر الاسهام المتوقع لهذا القطاع فى تحقيق خطة ١٩٧٥ ، أو خطة الاتعاش التى تهدف الى تحقيق عائد سريع ومرتفع يمكن للدولة تعبئته لمواجهة الاعباء والالتزامات المتعددة ، فهل تركيز الاهتمام على قطاع الزراعة ـ بوضعه الراهن ـ يضمن تحقيق هذا الهدف ؟

اذا كانت المناقشة فى هذا النطاق فاننا نذكر بحقيقة أن القطاع الخاص [الذى ينحصر هدفه فى تحقيق أقصى ربح] قد يستجيب للتوجيهات المركزية التى تستخدم الحوافز الاقتصادية ، ولكن لا يمكن ضمان التزامه بقرارات التخطيط التى مفروض أن تحركها المصالح القومية وليس فقط تحقيق أعلى عائد للمنتج الفرد ٠ وقد نشير هنا الى أن عدد المخالفات للدورة الزراعية قد ارتفع الى ١٨٠ الف مخالفة فى عام ١٩٧٤ ، وكان ٤٢ الفا فى العام السابق (٥) ، وفى قطاع الزراعة بالتحديد يبدو أن نسلم أيضا بأن زيادة الاستثمار والحوافز السعرية لن تسهم كثيرا فى تحديث الزراعة أو تطوير هيكلها داخل الحيازات الصغيرة (المالكيات أقل من ٥ أفدنة ٩٤ر٥ فى المائة من عدد الملاك و٥٧ فى المائة من مساحة الارض الزراعية) ان الحجم الصغير أو القزمى لهذه الملكيات ، وما يرتبط به من علاقات انتاجية واجتماعية متخلفة ، هو سجن يحول دون انطلاق هذه الحيازات كوحدات انتاجية متطورة ٠ وعلى هذا لن يستقيد ـ فى المقسام الاول ـ من زيادة الاستثمارات والحوافز الاقتصادية المقترحة الا أغنياء الفلاحين ، فهم القادر على تطوير هيكلهم المحصولى ، وهم القادر على تطوير أساليبهم فى الزراعة ٠ أن زيادة الاسعار ستؤدى عند فقراء الفلاحين الى مجرد زيادة الاستهلاك الضرورى ، أما زيادة الاسعار والاستثمار عند أغنياء الفلاحين فانها تؤدى الى زيادة الانتاجية والارباح ، وهذا جيد ولكن ما هى الاجراءات الضرورية لتعبئة وتوجيه هذه الارباح من أجل استخدامات التنمية المحلية والقومية ؟ ٠

---

[٣] الخطة الانتقالية [يوليو ١٩٧٤ ـ ديسمبر ١٩٧٥] ـ وزارة التخطيط ـ ص ١٨

[٤] تقرير لجنة الخطة والموازنة عن مشروع خطة ١٩٧٥ ، والسياسة المالية لمشروع الموازنة العامة للدولة للسنة المالية ١٩٧٥ ـ القسم الثانى ٠

[٥] الاهرام ـ ٧ يوليو ١٩٧٤

ان د . احمد ابو اسماعيل [رئيس لجنة الخطة والموازنة) لم يشر الى هذا السؤال في تقريره (ولا اعتقد ان هذا الاغفال كان على سبيل السهو] لان تناول القضية كان سيصل الى مجموعة متكاملة من المقترحات ، فتعبئة الفائض الاقتصادى [الناشىء عن الاستثمار ، وتعديل مستويات الاسعار] هو نضال شاق ضد الانانية الغريزية لاغنياء الفلاحين أصحاب هذا الفائض والذين سيعارضون أى زيادة في الضريبة ، بل سيعترضون على اقراض الدولة قسما من هذا الفائض . ومن ناحية أخرى فانه اذا كانت المطالبة باعطاء الزراعة أولوية متقدمة مطالبة موضوعية ، ولصالح التقدم العام للاقتصاد القومى ، وليس فقط لصالح أغنياء الفلاحين ، فان مقترحات لجنة الخطة والموازنة كانت ستتطرق الى النصف الكسيح من الزراعة وتوصى باجراءات سياسية وتنظيمية فى اتجاه التعاون الانتاجى الذى يمكن من اقامة الزراعة الكبيرة الحديثة ، ويمكن بالتالى من زيادة الانتاجية فى الزراعة المصرية بشكل عام ، لصالح الفلاحين ، وصالح تنمية الاقتصاد القومى ، والحديث فى كل هذا كان سينتهى الى البحث فى أساليب الملاءمة بين المصالح الفردية للمنتجين الزراعيين وبين أهداف التخطيط القومى ، وهو أمر يسعى أغنياء الفلاحين الى الانعتاق منه . ان تقرير لجنة الخطة لم يتطرق الى هذه الامور التى كانت تصلح مبررا قويا لمطالبته بتعديل أولويات خطة ١٩٧٥ . ولو أنه فعل لكان فى الامر منطق أقوى ، ولكن حتى فى هذه الحالة كان سيرد بأن مثل هذه المقترحات المتكاملة تصح للمدى الطويل ، ولكننا ـ فى المدى القصير ـ نحتاج الى خطة مضمونة العائد السريع ، ومضطرون بالتالى الى التركيز على الصناعة (فى القطاع السلعى) فهى بطبيعتها قطاع منظم ، وهى فى بلدنا خاضعة للادارة المركزية ، وهى بالتالى أقدر على تحقيق الهدف المطلوب لهذا العام .

ولا يعنى هذا أننا نعارض أى تعديلات جزئية فى حجم استثمارات الزراعة ، وبعض الزيادات التى اقترحت كانت بالفعل ضرورية . كذلك نحن لا نعارض أى تعديلات فى أسعار المحاصيل ولكن بشرط أن يتم هذا فى اطار المخطط العام للاسعار ، وبحيث لا تختل التوازنات العامة داخل الخطة . ان ما نعارضه بالتحديد هو تلك « المناحة » التى نصبها التقرير حول الظلم الشديد الذى أصاب الزراعة ، وعن ضرورة تغيير أولويات خطة ١٩٧٥ بالذات لحساب قطاع الزراعة .

مخاطر حقيقية على التخطيط

على أى حال . لقد سبقتنا الحكومة الى رفض هذا الاتجاه العام لتقرير لجنة الخطة والموازنة ، وتمسكت بالاولويات التى تقدمت بها ، وتمسكت بالتالى بهذا الحجم الهائل للقطاع العام ولاستثمارات الصناعة . وقد اتخذت الحكومة هذا الموقف تحت ضغط الاحتياجات العملية ، وليس بسبب أى تحيزات « عقائدية » . ولكن اذا كان الموقف « النظرى » للحكومة سليما من اجل تحقيق أعلى معدلات ممكنة فى التنمية من خلال القطاع العام والصناعة ، فان النية الطيبة لا تكفى وحدها . فهل يكفى أن نضبط الموازنات على الورق ؟ وهل يكفى أن تتحمل الدولة مسئولية الاستثمار كى نقول ان التنمية مخططة ؟ واذا كانت هناك مجالات متزايدة تخرج عن قبضة التخطيط والاشراف المركزى ، فكيف نضمن تحقيق الاهداف ؟ واذا كانت الاداة الاساسية فى تحقيق الخطة ـ وهى القطاع العام ـ يختل تنظيمها وتهاجمها عوامل التعرية من كل اتجاه فكيف تحقق هذه الاداة دورها وتمنع تسرب الفاقد الكبير ؟ !

لكى تتضح جدية وخطورة هذه التساؤلات سنعرض لبعض الامثلة :

● **قطاع التعمير :**

لقد منح مجلس الشعب وزارة التعمير سلطات واسعة بمقتضى القانون رقم ٦٢ لسنة ١٩٧٤ ، وهذا القانون يخول الوزارة وضع خطة التعمير ويخولها سلطات مالية وادارية واسعة ، دون التقيد بالقواعد المنظمة للتصرف فى النقد الاجنبى وباللوائح المالية أو لوائح المناقصات والممارسات والمقاولات . وبمقتضى هذه الصلاحيات خرجت استثمارات تبلغ ٢٤٢٫٧ مليون جنيه [وهى الاستثمارات المخصصة لاعباء التعمير] من دائرة الاشراف المركزى لاجهزة التخطيط . وعثمان احمد عثمان له ـ بالمناسبة ـ رأى واضح فى موضوع التخطيط ، فقد أعلن فى مجلس الشعب أنه « لو لم نتمسك بحرية الفرد الكاملة فى ظل المنافسة ، فلا يمكن ان نحقق أى تقدم » [٦] وقد اضطر يومها د . محمود القاضى الى الرد بأن « اقتصادنا فى مصر مبنى على التخطيط ، وغير متروك للمنافسة وفرق شاسع بين الاسلوبين » [٧] .

وقد أعلن مجلس الشعب فى رده على بيان

---

[٦] مجلس الشعب [اللجنة التشريعية] قانون استثمار المال العربى والاجنبى والمناطق الحرة ـ مجموعة الاعمال التحضيرية ـ الاجتماع الثانى ص ١٢٣.

[٧] المرجع السابق ص ١٢٤.

الحكومة أن السلطات الواسعة المخولة لوزارة التعمير « لا تعنى تحللا من رقابة المجلس بل تفرض مزيدا من اليقظة والحزم » . ونحن نرجو أن يتابع الشعب كله فعلا ما يجرى فى منطقة القناة ، لان كل المؤشرات تدل على خطورة الحال ، « فالتعمير يسير بطريقة عشوائية وغير مخططة ، هذا ما أعلنه أحمد حلمى بدر ، وأضاف أنه عندما تقوم بعملية ترميم على هذا النطاق الواسع الذى قد يشمل نحو ١٠ آلاف منزل ، لابد من أن تكون هناك تكاليف محددة مقدما ، وأن تكون هناك مقاييسات ، وأن يكون هنـــاك حصر وبرامج للتنفيذ يجب اتباعها . فى الترميم يقدر المسئولون عن التعمير قيمة اصلاح بنحو ٢٠٠ جنيه ، فاذا ما طلب منهم صاحب العقار القيام بعملية الاصلاح تمـاما بإصلاحه بمبلغ ٢٠٠٠ جنيه ، فأى الرقمين هو الصحيح ؟ انني أود أن اعرف — والكلام لازال لاحمد حلمى بدر — ما هى التكاليف التى ستنفق على مدن القناة ؟ هذه بناء على الملك فيصل تقرر أن يكون البناء بالحجر ، ولم يجدوا العامل الذى يقوم بالبناء ولو بأجر ٦ جنيهات فى اليوم ، أى ما يعادل مرتب رئيس مجلس ادارة ! وكان الغرض من البناء بالحجر خفض التكاليف ، ومع ذلك لو قورنت هذه التكلفة بتكلفة البناء بالطوب الاحمر والحديد المسلح لوجدنا أن تكليف البناء بالحجارة تفوق تكاليف البناء بالطوب الاحمر » ، كهذا كانت صيحة عضو مجلس الشعب [٨] . . .

وهناك مسئولون وفنيون آخرون يؤكدون نفس الحقائق حول الاسراف وانعدام التخطيط ، فعمليات الحفر تصل الى أعماق لا تحتـاجها ضرورات العمل ، واللواءى تنقل الاتربة وتلقى بها فى أماكن غير مدروسة ستتسبب فى مشاكل معقدة عند محاولة البناء فى هذه الاماكن فى المستقبل . ان هؤلاء الفنيين يتحسبون من كميات الخرسانة التى تلقى فى جوف الارض ومن المبانى التى تقام فوق هذه الاساسات بعرض ٥٠ سم ، وهو سمك لم يألفه ، أو نصبه المهندسون المعاصرون ، وكل هذامن أجل اقامة مساكن اقتصادية لا يزيد ارتفاعها عن طابق أرضى وثلاثة ادوار فوقه ! ان هذه المساكن هى نفس المساكن التى تحدث عنها عضو مجلس الشعب ، والتى ستبنى من الحجر الجيـرى . وأغرب ما فى تقرير هؤلاء المسئولين هو أن العاملين فى الموقع — على اختلاف مستوياتهم — لا يدرون بدورهم عن هذا الاسراف ، وهم يتصورون أن هذه سياسة عليا ! ففى مكاتب هؤلاء المهندسين رسومات كاملة لنماذج من المبانى من الطراز البيكلى العادى ، أى على نمط المساكن الاقتصادية التى نعرفها فى القاهرة ، والزيادة فى تكلفة الوحدة السكنية المقامة بالحجر الجيرى وفوق جبل من الخرسانة بالنسبة لتكلفة الوحدة السكنية الاخرى التى نعرفها ، لا تقل عن ١٠٠٠ جنيه ، ويعنى هذا اننا خسرنا فى بناء ٤٠٠٠ وحدة سكنية ، كان بمقدرا أن تتم قبل نهاية عام ١٩٧٤ ، بما يقرب من أربعة ملايين جنيه ، وسوف نخسر عشرات الملايين اذا استمر انشاء السويس كلها بنفس الطريقة !!

وفى مجال التعمير هناك كلام أيضا عن المبالغة فى الاستعانة بالخبرات الاجنبية ، والتى تتم كلها من خلال شركة [المقاولون العرب] ، وهناك أخيرا التقديرات شبه الرسمية التى تقول ان حجم الاعمال التى ستوكل الى قطاع المقاولات الخاص تتجاوز ١٤٠ مليون جنيه .

● وينقلنا هذا الى الحديث عن قطاع المقاولات بشكل عام :

لماذا تعاظم دور القطاع الخاص بنفس النسبة — خارج منطقة القناة ، وفى مختلف مجالات الانشاء [مباشرة أو من الباطن] فان علينا أن نتصور كم سيضخم نصيب قطاع المقاولات الخاص ، فحجم انتاج التشييد فى الخطة الانتقالية يصل الى ٦٥٤ر٦ مليون جنيه [أى ٥٧ فى المائة من اجمالى الاستثمارات] وكان الحجم المقابل فى خطة ١٩٧٤ لا يتجاوز ٣٩١ مليون جنيه . ورغم أن هذه الزيادة الهائلة تبلغ ٦٨ فى المائة فقد تمت تصفية شركتين من شركات القطاع العام فى مجـال المقاولات ، ورفع حد التعاقد — فى نفس الوقت — مع مقاولى القطاع الخاص من ١٠٠ الف جنيه الى ٥٠٠ الف جنيه .. ان القطاع الخاص لم ينظم ، اذن فى استثمارات الخطة كما تصور البعض ، فهو يتوغل فى ميدان استراتيجى حاكم ، يشتغل بمال الدولة وتسهيلات بنوك الدولة ، ويحقق أرباحا خرافية ، مما دعا محمود أبو وافية الى المطالبة باعادة النظر فى العلاقة بين شركات المقاولات واصحاب الدخول الطفيلية الذين يريدون ان يثروا دون مجهود أو تعب [٩] . وقد أشارت لجنة الرد على بيان الحكومة الى نفس الاتجـاه حين أعلنت « أنه قد أصبح من الضرورى أن تمتد أحكام قانون الكسب غير المشروع الى المتعاملين مع القطاع العام من الافراد » . وقـالت « ان

---

[٨] احمد حلمى بدر : مناقشة بيان رئيس الوزراء عن برنامج الحكومة بمجلس الشعب الجلسة الرابعة عشرة .

[٩] محمود ابو وافية : مناقشـــة بيان رئيس الوزراء — مجلس الشعب الجلسة الرابعة عشرة .

الفساد والثراء يرجع الى مناخه الى علاقات فى أحد طرفيها موظف أؤتمن على أموال عامة فخان الأمانة وفى الطرف الاخر ثرى يسعى الى التأثير على ذمة الموظف العام ليتقاسمان مغنما الربح الحرام » . ان هذه الفقرة تتسع لفئات أخرى غير المقاولين . ولكن لا شك أن أمثال المقاولة التى مقتحرف فى نطاق ٦٥٥ مليون جنيه هى أكثر المجالات أسالة للعاب . والسؤال الموجه الى الحكومة هو : لم تدل خبرة الخطة الخمسية الاولى على أن قيام القطاع الخاص بنصيب كبير من انتاج التشييد أدى الى رفع التكلفة واستنزاف المال العام وارباك المواعيد ؟ بل الا تدل خبرتنا الحالية المتجددة على نفس الشىء ؟ فكيف نتحدث عن امكانية تنفيذ الخطة كما ونوعا وفى المواعيد المقررة ، وكيف نعالنى فى تدبير الاموال ، ثم نترك هذه النسبة الكبيرة من انتاج التشييد فى يد قطاع المقاولات الخاص ؟!

● **ثانيا بعد هذا الى قانون استثمار المال العربى والاجنبى والمناطق الحرة :**

ولن نستطرد هنا فى مناقشة القانون [١٠] ولكن يكفى أن نذكر بالجو الذى أحاط الجدل حول هذا القانون حين قدمت الحكومة مشروعه فى مايو ١٩٧٤ . يكفى أن نذكر بالاحلام الزائفة التى روجت بين الجماهير المتعبة فى تلك الفترة التى سبقت وصاحبت زيارة نيكسون .. ولقد حملت الحكومة أجهزة الاعلام مسئولية اشاعة هذه المبالغات والاكاذيب . وهى محقة اذا كانت تقصد برامج الاذاعة والتليفزيون ، وهى محقة أيضا حين تقصد مصطفى أمين وعلى أمين اللذين تحدثا فى ليلة القدر وهن بالايمن الجنيهات التى تقف على الباب تنتظر الانفتاح ، ولكن لا ينبغى للحكومة أن تنسى أن كبار المسئولين قد شاركوا بكل قوتهم فى تلك الحملة ، ففى اجتماعات اللجنة المشتركة لنظر مشروع القانون قال الرئيس السابق لمجلس الشعب [حافظ بدوى] « نريد أن نحس بانشراقة فجر جديد ، نريد أن نحس بالدنيا وقد تفتحت لنا » . « نحن فى حاجة الى أن نفتح الابواب ، نحن فى حاجة الى أن يطل علينا الفجر الجديد » ... « أرجو أن نفتح قلوبنا وأن نفتح للرخاء أبوابنا وأن نفتح فى الحياة آمالنا وأن ننظر بعيدا عن هذه المحاذير التى سمعتها الان من الاخ أحمد طه ، نريد أن نبتعد قليلا عن هذه المحاذير ، ولنعتمد على الله وعلى ارادتنا الحرة » .. « أن أبواب الخير تفتح لنا » ، فلنقبل عليها ولنسع اليها ولنعتمد على الله . الخ [١١] .

وحديث الدكتور حجازى [وكان النائب الاول لرئيس مجلس الوزراء] لم يكن مختلفا فى روحه العامة عند مناقشة مشروع القانون داخل مجلس الشعب . كانت الامال تنثر بغير حساب وكان طوب ـ لدى أى تحفظ ـ بمشروعات وأموال هائلة تنتظر اقرار القانون ، وكان هذا التلويح بالاموال كافيا لاذابة أى حمية أو اعتراض .

لقد تمت المناقشات وسط هذا الجو الذى أسهمت فى خلقه كل الاجهزة المسئولة ، ووسط هذا الجو كان ممثلو الحكومة يلحون على ضرورة الانتهاء من المناقشات فى أقصر وقت ، وبالفعل توالت اجتماعات اللجنة المشتركة من اللجنة التشريعية واللجنة الاقتصادية ولجنة الخطة والموازنة ولجنة القوى العاملة ، ومر هذا القانون التاريخى بسهولة ، وفى جلسة واحدة لمجلس الشعب ، رغم أن القانون ـ كما وصفه وزير الدولة لمجلس الشعب « هو الدستور الاقتصادى لبلادنا حتى سنة ٢٠٠٠ ، واعتقد انه خلال السنوات القادمة ستفتح أبوابا كثيرة أخرى » .. « والقصد من هذا القانون تحقيق الاشتراكية الحقة التى ترتفع بفقيرنا الى مرتبة غنينا ، ولا تنزل بغنينا الى مرتبة فقيرنا » [١٢] وواضح أن الاشتراكية المسكينة أصبحت تحمل فى بلادنا بأوصاف عجيبة ، وأصبحت تصرف بأى كلام ، وألا ماذا تعنى هذه الاشتراكية الحقة كما عرفها الوزير ؟ وكيف نستطيع فى بلد محدود الموارد أن نرفع مستوى الفقير دون أن نهبط بمستوى الغنى ؟ أن أغنى الدول لا تزعم أنها قادرة على ذلك ، ولذا تفرض الضرائب التصاعدية ولا يقولون مع هذا أنهم يطبقون ارشتراكية الحقة ، على أى حال .. ما علينا ، هذه قضية أخرى .

ما يهمنا حاليا هو متابعة نتائج قانون الاستثمار خلال الاشهر التى انقضت بعد صدوره . ان المشروعات التى ستقام وفق هذا القانون متعاملن كمشروعات قطاع خاص حتى لو كانت الدولة مشاركة فيها . وهى لن تخضع للمحددات العامة التى يستلزمها التخطيط المركزى ، وهذا مفهوم ولكن الى أى حد يخضع اختيار المشروعات والموافقة عليها لقرارات خطة [تنمية ؟

---

[١٠] راجع مقال د. فؤاد مرسى [الطليعة فبراير ١٩٧٥] ـ ندوة الجمعية المصرية للاقتصاد السياسى والاحصاء والتشريع [الطليعة يوليو ١٩٧٤] ـ مقال عادل حسين [الطليعة يونيو ١٩٧٤].

[١١] حافظ بدوى : مجموعة الاعمال التحضيرية ـ مرجع سابق ص ٣٨٦

[١٢] وزير الدولة لشئون مجلس الشعب : المرجع السابق ص ٣٩٠

● لقد نوقشت علاقة الاستثمار الاجنبى والعربى بخطة التنمية اثناء بحث القانون :

فالمادة ٣ كانت تنص على أنه « يجوز استثمار المال العربى والاجنبى فى جمهورية مصر العربية لتحقيق أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى اطار السياسة العامة للدولة وخطتها القومية » وقد نجحت المناقشة فى استبدال كلمة يجوز فى بداية المادة بكلمة يكون ، فأصبحت « يكون استثمار المال العربى والاجنبى ... الخ » . ولكن المناقشة فشلت فى اضافة التحديد الذى اقترحه د . محمود القاضى لعبارة الخطة القومية ، فقد اقترح ان يضاف بعد هذه العبارة « التى تصدر وفقا لاحكام القانون رقم ٧٠ لسنة ١٩٧٣ » ، ولكن هذا التحديد رفض . فماذا عن التطبيق الان ؟ يقول تقرير الخطة الانتقالية « أن الانفتاح لا يعنى العودة للاقتصاد الحر ، بل هو انفتاح مخطط يتم فى اطار خطة التنمية التى تقرها الدولة ، ويبدى التخطيط رأيه فى كل مشروع يقترح من الجانب المصرى أو من مستثمر عربى أو أجنبى حرصا على تحقيق التنمية المتوازنة لاقتصادنا القومى » [١٤] ، وهذا الكلام أوله حلو وآخره يثير تساؤلا ، فهل دور التخطيط الان هو مجرد ابداء الرأى والمشورة أم أنه يقرر ؟ لقد سجل تقرير الخطة أن الهيئة العامة لاستثمار المال العربى والاجنبى وافقت حتى نهاية سبتمبر ١٩٧٤ [فترة اعداد المراحل الاولى من خطة ١٩٧٥] على عدد من المشروعات يبلغ اجمالى قيمة رأسمالها ٣ر١٠٤ مليون جنيه [منها ٩ر٥٤ مليون جنيه نقد أجنبى] ويخص الجانب المصرى من هذه المشروعات ٤ر٨١ مليون جنيه والشريك الاجنبى ٩ر٢٢ مليون جنيه . وتتضمن حصة الجانب المصرى ٧٥ مليون جنيه للقطاع العام و ٤ر٦ مليونا للقطاع الخاص . وتدل هذه الارقام الاجمالية على أن الامال العريضة حول الانفتاح انتهت فى الواقع الى أن المعونات والاموال السائلة لم ترد بالحجم الذى صور لنا ، وأيضا الاستثمارات المباشرة لم تنهمر .. واذا كان الحصاد وفقا لخطة ١٩٧٥ حصادا محدودا فى الكم ، فانه أيضا فقير فى النوع ، فقد استحوذ قطاع الاسكان على حصة فى هذه الاستثمارات تبلغ ٧ر٦٦ مليون جنيه أى على ٦٤ فى المائة من اجمالى الاستثمارات المشتركة التى وافقت عليها الهيئة ، فهل كان هذا وفق الاولويات التى حددتها خطة التنمية المصرية ؟! لعلنا نذكر هنا أن تقرير وكيل مجلس الشعب ورئيس اللجنة المشتركة [د . جمال العطيفى] كان قد سجل أن غالبية اللجنة « اعتبرت أن الاستثمار فى بناء العقارات قد يكون مرغوبا فيه لتنشيط السياحة أو لمشروعات الامتداد العمرانى ، ولكن حجم الاستثمارات فيه يجب الا يطغى على حالات الاستثمار الاخرى ، وأن الهدف الاساسى من القانون يجب أن يكون تشجيع الاستثمارات الانتاجية » [١٥] .

لماذا اذن مثل الاسكان ٦٤ فى المائة من استثمارات ١٩٧٥ ؟ هل يمثل هذا مجرد ثقل الاندفاع التلقائى للمستثمر العربى الخاص ؟ طبعا مفروض ألا نخضع لمثل هذا الاندفاع التلقائى لو كان فى الامر تخطيط ، ومع ذلك فان المستثمر العربى برىء من هذا الاندفاع ، فالاستثمار الكبير فى قطاع الاسكان يتضمن ٦٤ مليون جنيه لاقامة ١٠٫٠٠٠ وحدة سكنية ، يشارك فى تنفيذها [المقاولون العرب] . وبالمناسبة فان تقرير الخطة الانتقالية لا يضع هذا الاستثمار لشركة [المقاولون العرب] فى نطاق الاستثمارات المشتركة التى يسهم فيها القطاع الخاص المصرى . فهل هذه الشركة قطاع عام ؟ ان هذه النقطة ـ بالمناسبة ـ تبدو كلغز غريب ، واذا كانت قطاعا عاما فهل يعنى هذا أنها جذبت رأس المال العربى الى هذا الاتجاه بتعليمات من أجهزة التخطيط المركزية وفق الاولويات التى تراها ؟ وللعلم فان هذا المشروع لا ينتفع منه محدودو الدخل ، وليس من مشروعات الامتداد العمرانى ، فهو للاسكان فى جاردن سيتى والمعادى وفى الارض المطلة على الميريلاند ، وفى أرض أغاخان المطلة على النيل فى شبرا . والشقق ستطرح للتمليك للمصريين والعرب والاجانب . فمن أراد أن يحجز فى شقة من الاسكان المتوسط يدفع تحت الحساب ١٥٠٠ جنيه ، أو ٤٠٠٠ دولار ، واذا أراد شقة من الاسكان فوق المتوسط يدفع ٣٠٠٠ جنيه أو ٨٠٠٠ دولار واذا أراد شقة من الاسكان الفاخر يدفع تحت الحساب ٥٠٠٠ جنيه أو ١٥٠٠٠ دولار [١٦] .

والان ماذا عن القطاعات الاقتصادية الاخرى غير الاسكان ؟ وفق تقرير الخطة الانتقالية احتل قطاع السياحة الموقع الثانى فى جذب الاستثمارات [٤ر٤١ مليون جنيه] ثم الصناعة فى الموقع الثالث [١٦ مليون جنيه ـ أى ١٥ فى المائة فقط من اجمالى الاستثمارات] وواضح من قوائم المشروعات الصناعية التى أقرها مجلس ادارة

---

[١٤] الخطة الانتقالية ـ مرجع سابق ـ ص ١٢٤/١٢٥

[١٥] مجموعة الاعمال التحضيرية ـ مرجع سابق ـ تقرير اللجنة المشتركة من اللجنة التشريعية واللجنة الاقتصادية ولجنة الخطة والموازنة ولجنة القوى العاملة ـ ص ٤١١

[١٦] أخبار اليوم ١٥ فبراير ١٩٧٥

هيئة استثمار المال العربي والاجنبي أننا لم نظفر حتى الان بالمشروعات ذات التكنولوجيا المتقدمة التي كنا نتطلع اليها . بل ان كثيرا من المشروعات لا يبدو أيضا أنها موجهة للتصدير ، وبالتالي فهي لن تكسب نقدا أجنبيا ، ستصرف انتاجها في الداخل بالعملة المحلية ، وسيصبح تحويل أرباحها للخارج عبئا على مواردنا المحدودة من العملة الصعبة . وما كان أغنانا عن قبول هذه المشروعات التي تحملنا بالاعباء ، وخاصة حين لا تكون ذات أهمية حيوية لاقتصادنا القومي .. ومثلا هل اقامة مصنع المياه الغازية [سفن آب] كان ضروريا جدا كي نتحمل أعباء تحويل أرباحه للخارج ؟ وفي خارج الصناعة سيثير اشتراك المستثمرين العرب في تشغيل خطوط ميكروباس وما أشبه نفس المشكلة . ستحصل الايرادات بالعملة المحلية ، وتصدر الارباح بالنقد الاجنبي . ثم ما هي قصة مجموعة مطاعم [WIMPY] ، وأيضا ما هي قصة الشركة الفرنسية التي تولت عملية النظافة بمطار القاهرة ؟ أحيانا يرفض الانسان تصديق الانباء من فرط غرابتها ويتصور أنها نكتة .. فكيف يصل الامر الى استقدام خبراء أجانب من أجل أعمال النظافة ؟ ! ولا يمكن أن تكون كل هذه الامور محسوبة وفق احتياجات خطة التنمية .

وقد صرح د . طاهر أمين [وزير التعاون الاقتصادي] بأن الهيئة عرض عليها طلب شركة ويمبي فرفضته [١٧] ، ومع ذلك فتحت المطاعم ، فهل يعني هذا أنه بدأ فتح أبواب خلفية للتهرب من قانون الاستثمار — على عيوبه — ومن اشراف وزارة التعاون الاقتصادي — رغم أنه أيضا محدود في غياب التخطيط الشامل وتخطيط المشروعات ؟ . لقد أعلن د . طاهر أمين أن مطاعم ويمبي التي تم افتتاحها لا تخضع لقانون استثمار رأس المال العربي والاجنبي ولن يسمح لها بتحويل أرباحها للخارج . فهل تعني هذه السابقة أنه سيكفي في المستقبل ان يقول أي مستثمر أجنبي أنه لن يحول ربحه الى الخارج كي يعفى من موافقة هيئة الاستثمار على مباشرة نشاطه ؟ ومع ذلك فان عقدا كعقد نظافة مطار القاهرة هو نوع مبتدع من النشاط لا أعتقد أنه يخضع للهيئة ولقانون الاستثمار ، ومع ذلك فانه يكلفنا نقدا أجنبيا . والتوسع في هذا الباب — على طرافته ! — خطير .

● مسألة أخرى .. النمو الورمي في المناطق الحرة . حين قدمت الخطة الانتقالية الى مجلس الشعب سجلت أن هيئة الاستثمار وافقت على مشروعات بلغ اجمالي قيمة رأسمالها — كما سبق أن أوضحت — ١٠٤٫٣ مليون جنيه . كانت هذه البيانات حتى نهاية سبتمبر ١٩٧٤ . وفي نفس الوقت كان قد ووفق على عدد من المشروعات بنظام المناطق الحرة ، وقدرت قيمة رأسمالها بنحو ٩١ مليون جنيه . ولكن مع نهاية ديسمبر ١٩٧٤ ارتفعت القيمة الاجمالية للاستثمارات المشتركة التي ووفق عليها الى حوالي ١٨٠ مليون جنيه بينما ارتفع رقم استثمارات المناطق الحرة الى حوالي ٩١٨ مليون جنيه [١٨] . ومشروعات هذه المناطق لا تخضع للضوابط التخطيطية — المتواضعة — التي تخضع لها موافقات مشروعات الاستثمار المشترك خارج المناطق الحرة . انها لا تخضع بطبيعتها لاي أولويات تحددها خطط التنمية المصرية ، فهي مشروعات مفروض أنها جسم غريب لا يتكامل مع مشروعات وقطاعات اقتصادنا القومي ، انها مشروعات تنتج سلعا أو خدمات أجنبية موجهة الى التصدير خارج البلاد ، وحتى اذا أرادت تصريف بعض انتاجها في السوق المصري ، فان دخول هذا الانتاج الى السوق المصري يخضع لقواعد الاستيراد من الخارج ، واذا أرادت هذه المشروعات شراء بضائع محلية فان هذه البضائع تكون في حكم السلع المصدرة ، فتحصل عليها ضريبة الصادر وغيرها وتستوفي كافة اجراءات التصدير .

ووفقا لهذا فان الفائدة التي تعود علينا من اقامة المناطق الحرة لا تتعدى تشغيل عدد من العاملين وتحصيل بعض الرسوم والضرائب ، وفي مقابل هذا فاننا نقبل تقديم موقعنا الجغرافي الممتاز في قلب منطقة مستهلكة عظيمة كي تستفيد منه أفرع الشركات الاجنبية في ايصال سلعها الى هذه الاسواق العربية بتكلفة أقل وبربح أعلى ، والتكلفة الاقل تتحقق بسبب قرب المسافة من أسواق التصريف ، وأيضا لان اليد العاملة المصرية ذات أجر منخفض . وللحقيقة كان كرمنا عظيما مع الشركات الاجنبية ، فقانون ٦٥ لسنة ١٩٧١ كان ينص صراحة على سريان القانون الخاص بمقاطعة اسرائيل على المشروعات التي تقام في المناطق الحرة ، ولكن القانون المنفذ حاليا رقم ٤٣ لسنة ١٩٧٤ أغفل هذا النص . الى هذا الحد فاقت حساسيتنا أكثر الدول العربية انفتاحا ، فلست أحسب أن دولة عربية واحدة يمكن أن تتردد في النص على هذا المبدأ صراحة في قوانينها ، ومع ذلك فليس هذا هو أخطر مظاهر الكرم ، فالمسألة

[١٧] حديث د. طاهر امين الى محمود المراغي — روزاليوسف ١٠ مارس ١٩٧٥
[١٨] محمود المراغي — روزاليوسف ١٧ مارس ١٩٧٥

الاكثر خطورة هى تقبل هذا الاندفاع الهائل لرأس المال الاجنبى نحو هذه المناطق التى لا تخضع لاى تخطيط أو اشراف جاد . ان اتساع هذا الجيب ليضم مدنا بأكملها ثم مواقع استراتيجية هامة فى القاهرة والاسكندرية ، لا يمكن الا ان يؤثر تأثيرا سلبيا عميقا على هيكل الاقتصاد المصرى ، ولا يمكن الا أن يخلخل أسس نظامنا الاقتصادى والاجتماعى ، الذى جاهدنا وناضلنا من أجل ارساء ايجابياته . ان مشروعات المناطق الحرة التى ووفق عليها ارتفعت قيمة استثماراتها خلال أشهر قليلة الى ما يقرب من بليون جنيه ، ترى كم سيكون الرقم — لو سارت الامور بنفس المعدل — خلال عامين أو ثلاثة ؟ ان حصان طروادة ، أو ديناصور طروادة هذا لن يمكن لنا أن نسيطر عليه . انه قطاع هائل مدعوم بالامكانيات ، يعمل على أرضنا ، وعقله وقراراته تصدر من العواصم الخارجية .

ثم ما أثر هذا على سياسات التكامل الاقتصادى العربى ؟ هل سيساعدها هذا الجسم الغريب ؟! وما أثر هذا على قدرات مشروعاتنا التصديرية الى الاسواق العربية والافريقية ؟ لقد كان قربنا من هذه الاســـــواق ميزة نقف بها أمام منافســـة الاحتكارات الاجنبية العملاقة التى تنخفض تكلفة انتاجها بسبب انتاجها الكبير وبسبب تقدمها الفنى وخبرتها الادارية ، فاذا بنا نقدم ميزتنا الوحيدة الى هذه الاحتكارات كى تستخدمها أيضا فى ضرب منتجاتنا . بل وما أثر هذا الجسم الغريب على انتاجنا المحلى داخل السوق المصرية نفسها ؟ وهل نصدق حقيقة أن انتاج هذه الشركات لن يتسرب الى السوق المحلية لاننا سنحيط المنطقة الحرة بأسلاك شائكة وسنقيدها بإجراءات التصدير والاستيراد ؟ واذا كنا قد شهدنا خلال الاعوام السابقة تدفق السلع المهربة من خارج الحدود فكيف سيكون الحال من داخل الحدود ؟! بل ان توسعنا فى المناطق الحرة وصل الى حد اننا نسمح بنص القانون ولائحته التنفيذية بأنه يمكن انشاء منطقة حرة خاصة تكون مقصورة على مشروع واحد . أى انه يمكن لاى مشروع ان ينشأ فى أى مكان ويحصـــل على ترخيص بأنه منطقة حرة خاصة ، أى دولة ذات استقلال ذاتى ، ثم نتصور بعد هذا أن تعاملاته مع جيرانه ستخضع لقواعد الاستيراد والتصدير بفضل الشرطى الذى سيقف على بابه !

لقد نوقشت تحفظات كثيرة عند مناقشة قانون الاستثمار ، وكانت التحفظات بسبب الحرص على الاستقلال الاقتصادى والقطاع العام ، وضرورة التخطيط القومى ، والحفاظ على المكتسبات الاجتماعية ، ولكن قسم المناطق الحرة مر للاسف بأقل قدر من الحذر والالتفات ، مع أن نتائج التطبيق ، واندفاع رأس المال الاجنبى الى هذه المناطق بالذات يدلنا على أن هذه المناطق هى مكمن الخطر الاعظم .

● نصل الآن الى قضية اثارت أكبر قدر من التحفظ والمعارضة اثناء مناقشة قانون الاستثمار .

انها قضية السماح للبنوك الاجنبيه بالمشاركة فى ملكية بنوك تجارية تتعامل بالعملة المصرية . فى هذه القضية بالذات تحدث كل رجال البنوك وعارضوا . وتحدث رجال من مختلف الاتجاهات السياسية وعارضوا . ولكن الحكومة لم تتوان من ناحيتها عن استخدام كافة الحجج المدهشة لابقاء هـذه الفقـــرة ٦ من المادة ٣ . وحين تراجـع المعترضون الى خط الدفاع الثانى وقالوا اذن يكون الشريك مع البنك الاجنبى بنكا من بنوك القطاع العام ، أصر ممثلو الحكومة على الترحيب بهذه البنوك الاجنبية بلا قيد أو شرط ، وقالوا انه لابد من اعطاء القطاع الخاص المصرى فرصة المشاركة أيضا فى البنوك التجارية ، فالقطاع الخاص من « مصريين أمناء على بلدهم يهمهم ارتفاع قدرها » وقال المرحوم وزير التأمينات السابق انه ليس مقبولا فى عهدنا المشرق أن نقول للمصرى انك لست محل ثقة ، ولذا فان النص على قصر المشاركة على القطاع العام دون الافراد اساءة لشعور المواطنين المصريين . وكان طبيعيا أن يرد رئيس اللجنة [د . العطيفى] أن المسألة ليست مسألة ثقة أو عدم ثقة فى المواطن المصرى ولكنها مسألة تنظيم لضمان سيطرة الدولة على قطاع المصارف . وهذه هى القضية . ولكن وزير التأمينات السابق أطلق حكما آخر بالغ الغرابة ، فقال أنه يعتقد « كأستاذ جامعى وأستاذ بنوك بالذات ان البنك الاجنبى لا يأتى ليرسم سياسة هدم ، ولماذا نفترض سوء النية دائما فنتوقع أن هذه البنوك ستأتى لتهدم » [١٩] ولا أدرى من اين أتى المرحوم د . حسن الشريف بهذا الاعتقاد . أفهم أن يقال اننا يقظون ، وأننا قادرون على منع أى تخريب ، ولكن ان يقال ان البنك الاجنبى بطبيعته لا يمكن أن يشترك فى سياسة هدم فان هذا يتعارض حتى مع خبرتنا الحديثة مع البنوك الاجنبية بعد تأميم قناة السويس . الا أن المسئولين كانوا مستعدين لقول أى شىء فى تلك الفترة من أجل امرار القانون . بل

---

[١٩] وزير التأمينات : مجمـــوعة الاعمال التحضيرية — مرجع سابق ص٢٧٥ .

لقد وضع 3 . عبد العزيز حجازى تعريفا جديدا للبنكية العامة يختلف تماما عما يتداول كمسلمات ، فنحن نعرف ان الملكية العامة هى ملكية لكل المجتمع ممثلا فى الدولة وهى فى هذا تختلف عن الملكية الخاصة التى هى ملكية فرد او بعض افراد . وقد طالب المعارضون لمشاركة البنوك الاجنبية فى البنوك التجارية المصرية - كما سبق ان ذكرنا - بأنه اذا كان ولابد من انشاء هذه البنوك فان الشريك المصرى الذى يملك ٥١ فى المائة من الاسهم يجب أن يكون أحد بنوكنا التى يملكها القطاع العام وذلك حتى نظل مرتبطين - بأى قدر - ببيئتنا القديم الذى ينص على أنه « يجب أن تكون المصارف فى اطار الملكية العامة » « انيتاق - الباب السادس » . لقد طالب المعارضون بهذا ، لماذا بالدكتور حجازى يقول انه « عندما نتكلم عن اطار الملكية العامة فاننا نعنى أن الغالبية فيها او الجزء الاكبر منها ، السيطرة عليه للمصريين » .. « وبالتالى فاننى اعتقد أن اطار الملكية العامة محافظ عليه بالكامل فى حدود النص الذى سبق ان شرحته طالما ان الـ ٥١ فى المائة فى ايد امينة وغير مستغلة » [٢٠] .. أى أن ملكية اى راسمالين مصريين شرفاء فى ملكية عامة !!

والآن ... ماذا تم فى موضوع البنوك ؟ تماما كما توقعنا فهذا هو المجال الذى شهد انقضاض رأس المال الاجنبى ، وهذا طبيعى ، فالبنـــوك موقع استراتيجى هام يهمهم أن يتدخلوا فيه . ان ١٩ بنكا من البنوك العالمية طلبت افتتاح فروع لها فى مصر . هذه الفروع لن تتعامل بالعملة المصرية ، ولكنها ستستفيد من موقعها فى مصر كمركز متقدم ومتنافس البنوك المصرية فى محاولتها استقبال الودائع العربية ومدخرات المصريين فى الخارج . والفروع التى ستعمل فى مصر ستساعد فى هذا زميلاتها وشقيقاتها المنتشرة فى الدول العربية صاحبة المال الفائض وفى بيروت . لقد وفق بالفعل على عديد من هذه الطلبات . وفى مجال المشاركة فى البنوك التجارية التى تتعامل بالعملة المصرية « النقطة التى اثارت اكثر التحفظات » ووافق فعلا على انشاء خمسة بنوك منها بنك مشترك يتألف من بنك مصر « ٥١ فى المائة » مع بنك فيرست ناشيونال شيكاغو وبنك دى روما . وكذلك وفق على انشاء بنك مشترك يتألف من البنك الاهلى المصرى « ٥١ فى المائة » مع بنك تشيس مانهاتان . كذلك وفق على انشاء بنك ثالث يتـألف من بنك الاسكندرية « ٥١ فى المائة » مع بنك باركليز .

ولعلنا نلاحظ هنا أن الحكومة الامريكية لا زالت تبحث مصير المونة الهزيلة التى أعلنت أنها ستقدمها « ٢٥٠ مليون دولار » ويعلنا نلاحظ ايضا أن رأس المال الامريكى لم يتقدم حتى الان للمشاركة فى مشروعات نحتاجها وتعتمد على التكنولوجيا المتقدمة ، ولكن فى البنوك بالذات لم يتردد رأس المال الامريكى لحظة فى المجىء ! ولكننا الى جانب هذا قد نلاحظ ايضا بالاحظة فيها شىء من الايجابية ، فقد تصورت ان الحكومة عادت الى فكرة أن يكون الشريك مع البنوك الاجنبية أحد بنوك القطاع العام المصرى بعد أن سفهت ومأهمت من طالبوا بهذا المطلب . وقد فرحت بهذا التصور لانه يحد من الخطر ، حتى وان ظلنا نردد : وما كان أغنانا عن مشاركة الاجانب فى هذا المجال اصلا .. الا أن د . طاهر أمين بدد الفرحة حين صرح باسم الحكومة أن قرار قصر مشاركة البنوك الاجنبية على بنوك القطاع العام هو قرار مرحلى لمدة عام أو عامين [٢١] وقد حاولت الحكومة طمأنتنا على مستقبل بنوك القطاع العام ، فاعلن أن شركات القطاع العام ستقصر معاملاتها على هذه البنوك ، ولكن معروف أن ودائع القطاع العام فى هذه البنوك لا تتجاوز ٣٠ فى المائة من اجمالى الودائع ، وان ٧٠ فى المائة لقطاع الخاص والمختلط . وفى الاستحواذ على هذه النسبة الاكبر من المدخرات المحلية ، ستنافسنا البنوك الاجنبية بدون مناسبة .

● ومع هـذا الاندفاع نحـو تأسيس البنـــوك التجارية المشتركة كان طبيعيا ان تمتد يد المراجعة الى تنظيم قطاع البنوك كله ، فألغيت عمليات الدمج السابقة « كان البنك الصناعى قد أدمج فى بنك الاسكندرية وبنك بور سعيد فى بنك مصر » ويعاد النظر حاليا فى الهيكل التنظيمى لجهاز المصرفى على أساس الغاء نظام التخصص ، ليصبح كل بنك وحدة مستقلة تتعامل مع أى جهة وفى مختلف الاغراض . ترى هل يتناسب ارتخاء القبضة المركزية على بعض الودائع والاعمال المصرفية فى البنوك المشتركة ، وهل يتناسب الغاء تخصص بنوك الدولة الذى تقرر عام ١٩٦١ مع اصول التخطيط المالى اللازم لتنفيذ الخطة الشاملة ؟ وهل كل هذه الاجراءات تبشر بالخير بالنسبة لخطة ١٩٧٥ ، وللخطة الخمسية التالية ؟ !

ان التصور الصحيح لتنظيم قطاع البنوك الذى يخدم تنفيذ الخطة الاقتصادية ، يتطلب فى مجال البنوك

---

[٢٠] المقالب الاول لرئيس مجلس الوزراء - المرجع السابق ص ٤٩٦ و ٥٠٠

[٢١] د. طاهر أمين : محاضر اجتماع اللجنة المشتركة لمجلس الشعب لمناقشة الانفتاح الاقتصادى - جلسة ١٢ مارس ١٩٧٥.

التجارية ـ كما يقول د . اسماعيل صبرى « وزير التخطيط » :

١ ـ تخصيص بنك للتجارة الخارجية ٢ ـ تحقيق التخصص والتكامل بين البنوك التجارية الاخرى . وقد بدأ بالفعل تحقيق هذا التخصص فيما يتعلق بالتعامل مع القطاع العام . ويجب التوسع فيه وتأكيده . فليس ثمة اى فائدة من التنافس بين البنوك ، ولا معنى لتعدد فروعها فى نفس المكان . ٣ ـ توفير الرقابة الكاملة للبنك المركزى على البنوك التجارية بحيث يكون مجموع فروعها شبكة مصرفية واحدة تغطى الجمهورية وتحركها فى المقام الاول توجيهات البنك المركزى .

اما الائتمان طويل الاجل ففى تقديرنا انه لابد من وجود بنك للاستثمار فى الجهاز المصرفى المصرى ويجب ان يتلقى هذا البنك الفائض الايجابى لكل شركات القطاع العام وعليه ان يوفر لكل شركة الاستثمارات المقررة لها فى الخطة [٢٢] .

واعتقد اننا ابتعدنا ونبتعد كثيرا عن هذا النموذج التنظيمى الذى لا يمكن احكام التخطيط ـ فى المرحلة الحالية من نمونا ـ عن غير طريقه ، واذا كانت هناك ضرورات موضوعية لتعديل النموذج فيما يتعلق بالائتمان الطويل الاجل نتيجة محاولة اجتذاب فائض الاموال العربية ، فان هذا التعديل لا ينبغى أن يتعارض مع الفكرة المحورية لهذا التنظيم المطلوب ، وهذه الضرورات لا علاقة لها على أى حال بالبنوك التجارية .

● وما جرى فى نطاق البنوك ، يجرى فى نطاق التعامل الخارجى .

فبعد أن كان المبدأ هو أن تكون تجارة الاستيراد كلها فى اطار القطاع العام « الميثاق ـ الباب السادس » بدأ فى عام ١٩٦٨ السماح للقطاع الخاص بالاستيراد من باب خلفى اسمى الاستيراد بدون تحويل عملة فكان وسيلة لطبقة من الوسطاء يتهربون من الضرائب ويصرفون مدخرات المصريين فى الخارج عن قنواتها الطبيعية الى داخل مصر .

ومنذ ذلك التاريخ ، وخاصة بعد صدور قانون استثمار المال العربى والاجنبى توالت التيسيرات للقطاع الخاص لكى يساهم فى الاستيراد عن طريق السوق الموازية وعن طريق الاستيراد بدون تحويل عملة ، وقد سمح القانون لمشروعات الاستثمار الاجنبى باستيراد احتياجات انشائها وتشغيلها من الخارج وينطبق نفس السماح طبعا على المناطق الحرة ، وتشير مختلف الضغوط الى احتمالات التوسع فى هذه الابواب من الاستيراد . ان السؤال يطرح نفسه مرة أخرى : هل ارخاء قبضة التحكم المركزى على مواردنا المحدودة فى النقد الاجنبى هو الاسلوب الانسب للتنمية المخططة ؟ وبعيدا عن الخطة ، او الاشتراكية ، الا تدعو ندرة مواردنا من النقد الاجنبى ـ فى ظروفنا الحالية ـ الى اخضاع اولويات انفاقها لتحكم كامل من قبل الدولة ؟ والا هل يقبل استيراد سيارات الركوب والجبنة الرومى وما اشبه من السوق الموازية ، بينما نضطر الى شراء القمح المطلوب بقروض قصيرة الاجل فائدتها ومصروفاتها ١٩ فى المائة وواجبة السداد خلال ١٢ شهرا » !! [٢٣] .

وفى مجال التعامل الخارجى هناك ملاحظة اخرى اشارت اليها وزارة التخطيط : « ثمة ملاحظة ملفتة للنظر وهى عزوف الوزارات عن استخدام القروض والتسهيلات التى تقدمها الدول الاشتراكية حتى هبطت نسبتها من المكون الاجنبى للاستثمار الى حوالى ٥ر٨ فى المائة فقط ، ولابد من العمل على استخدام هذه الموارد المتاحة والمسارعة الى اعادة التفاوض بشأن القروض المخصصة لمشروعات عدلنا عنها او تأجل تنفيذها لاستخدامها فى مشروعات الخطة المقترحة » [٢٤] ولا شك أننا نتفق مع وزارة التخطيط فى أن هذه الملاحظة ملفتة للنظر فعلا ، بل ونضيف أنها ملاحظة خطيرة ، ويبدو أن وزارة التخطيط تتفق بدورها فى هذه الاضافة فهى تقرر فى موضع آخر من التقرير أن السمة الاساسية لسياسة الانفتاح الاقتصادى هى « أنها انفتاح على العالم كله شرقه وغربه . فمصر الحريصة على استقلالها الاقتصادى وموقفها المبدئى كدولة رائدة فى عدم الانحياز ترى فى تنوع علاقاتها الاقتصادية تأكيدا لعدم انحيازها وتأمينا لاستقلالها » [٢٥] ولكن هل يقتصر دور اجهزة التخطيط فى مثل هذه المسائل على مجرد توجيه الملاحظات ؟ اذن ماذا تركت لامثالنا من الكتاب والصحفيين ؟! واذا كان التخطيط غير قادر على حسم مثل هذه الامور الاستراتيجية ، والتى لا

---

[٢٢] راجع د. اسماعيل صبرى عبد الله : تنظيم القطاع العام ـ دار المعارف ـ ١٩٦٩ ـ ص ٤٦٠/٤٦١
[٢٣] حديث د. عبد العزيز حجازى الى فهمى هويدى ـ الاهرام ٧ فبراير ١٩٧٥
[٢٤] الخطة الانتقالية ـ مرجع سابق ص ١٤٣
[٢٥] نفس المرجع السابق ـ ص ١٢٤

تقرر وفق معايير فنية فقط ولكن وفق معايير سياسية واقتصادية وفنية معا ، اذا كان التخطيط قد فقد سيطرته حتى فى هذا المجال من تعاملنا مع الخارج .. اذن ماذا بقى للحديث عن جدية الخطة الانتقائية والخطة الخمسية ؟!

● هناك ايضا اضافة عن مجالات الزراعة والثروة المعدنية والصناعة .

لقد تحدثت باختصار عن تناقضات قطاع الزراعة التى تحد من امكانياته فى التنمية ، وتحد من توافق خطواته مع احتياجات التخطيط الشامل . وستتكون هذه التناقضات محور الصراعات وضغوط ومناقشات كثيرة فى السنوات القادمة يصعب أن نتنبأ منذ الان بمستحسم لمصلحة من ، لمصلحة القطاع العام والتخطيط ، أو لمصلحة اعنياء الريف ؟ ولكن ما ينبغى هنا هو الاشارة الى أهل خلق قطاع عام حديث فى الزراعة الذى تتصافر قوى كثيرة من اجل خلقه . لقد ولد هذا الامل مع اراضى السد العالى الجديدة . وكانت كل القوى التقدمية تتطلع الى ان تكون هذه الاراضى طليعة الزراعة المتفوقة تكنولوجيا ومجالا لاقامة المجمعات الزراعية الصناعية الوطنيه . وفى هذه الحالة لن تكون هذه الاراضى نموذجا يشير اطماعه داخل الاراضى التقليدية وخصب ، ولكنه سيمثل ايضا ركيزة استراتيجيه تستجيب - كقطاع عام - لاهداف التخطيط الشامل فى مجال الزراعة . والسؤال الان : هل نتقدم نحو هذا الاتجاه فعلا ؟ ان سياسة الحكومة - منذ سنوات - تتجه الى تبييع هذه القضية ، وشيئا فشيئا وزعت اراضى السد العالى بالتمليك والايجار ، فمن بين ٦٥٠ الف فدان بلغت المحدية وزع ٣٠٠ الف فدان ، ومن الاراضى الباقية ستوزع ١٠٠ الف فدان اخرى كاراضى منشأة ، و ٤٠ الف فدان توزع على الخريجين ، و ١٠ آلاف فدان للمقاتلين ، ثم ٥٠ الف فدان أخرى ستحدد قواعد توزيعها ، وأن ١٥٠ الف فدان الباقية هى التى ترشح حتى الان دولة ! وحتى فى هذا النطاق يصر المسئولون على اقتسام استغلال هذه الأرض المحدودة مع الشركات الاجنبية . كيف نقبل اشراك لاجانب فى استغلال أرضنا الزراعية المحدودة والتى انتزعناها بدمائنا وعرقنا ؟ [٢٦] ويبدو كما لو أن اشراك الاجانب فى استغلال هذه الاراضى قد تحول الان الى هدف قومى لا نحيد عنه ، فالشاه مناقشة قانون الاستثمار قبل اننا نبحث مشروعا لتربية الحيوان ومشروعا لتحديث وتصنيع الانتاج الحيوانى فى مصلحة ٣٠٠ الف فدان غرب النوبارية . وبعد فشل هذين المشروعين بحثنا مشروعا مع شركة F.M.C. الامريكية لانشاء شركة النوبارية « ٥١ فى المائة مصرى و ٤٩ فى المائة امريكى أو أمريكى عربى » ، زراعة ٣٠ الف فدان ، وكانت الافتراحات ان توسع المرحلة الثانية الى ٥٠٠ الف فدان . وقد تعثر هذا المشروع ايضا « لان العروض الامريكية لم تكن مناسبة » ماذا بنا نطرح مشروع النوبارية الان للشركات العالمية ! وكما يقول د . الجبلى ساخرا « وزير الزراعة الاسبق » « اذا وصل الحال الى ان مصر أصبحت تحتاج لان يزرع لها أرضها يبقى نموت أحسن ! » .

اننا نضيع فرصة ثمينة ولا نعوض لتحديث الزراعة المصرية مع ادخالها عضويا فى نطاق التخطيط الشامل ، سواء ببيع وتوزيع الاراضى الجديدة او باعطائها لشركات اجنبية ، واى شركة اجنبية ستزرع بالمناسبة وفق ما تراه محققا لاقصى ارباحها وليس وفق أولوياتنا نحن . انها قد تستخدم اساليب حديثة ولكن دون ارتباط باهداف التخطيط .

● كذلك الثروة المعدنية :

ففى الوزارة السابقة وفى الوزارة الحالية تلح وزارة الصناعة من أجل اتاحة المجال للقطاع الخاص للعمل فى قطاع التعدين وفى الملاحات [٢٧] . وهو فى هذا المجال سيتعامل على نتائج الكشوف التى صرفت عليها الدولة ، وسيختار المواقع السهلة ذات العائد السريع ، وفى الماضى كان السماح للقطاع الخاص فى هذا المجال مرتعا للنهب غير المنظم ، وفى الظروف الحالية سيعود النهب طبعا ، ومع تواجد امكانيات القطاع العام فى الاماكن المجاورة سيتم النقل ايضا ان شاء الله بعربات الدولة « بالاتفاقات الاجنبية وحيث تتعذر المراقبة فى الصحارى » وما هى الفائدة التى تعود على الاقتصاد القومى من كل هذا ؟ وهل النظرة الشاملة للتخطيط القومى تبرر مثل هذا الاتجاه ؟! الاهم من هذا كله هو اننا نرجو ان تتنبه النظرة الشاملة للتخطيط القومى الى ضرورة رفض فكرة الكونسورتيوم الاوربى المقدمة لاستغلال فوسفات ابو طرطور . فليس هناك أى مبرر لاشراك رأس المال الاجنبى فى اقتسام هذا الكنز الثمين . فى البترول المشاركة مفهومة لان رأس المال الاجنبى يتحمل مخاطر ضياع الاموال

[٢٦] راجع المعارضة المصرية للدكتور مصطفى الجبلى - الطليعة اغسطس ١٩٧٤.
[٢٧] الاهرام - ١٣ فبراير ١٩٧٥.

فى التنقيب . ولكن فوسفات أبو طرطور نحن الذين اكتشفناه ، ودراساته الكاملة مستوفاه ، ولا تنقصه الا الاموال اللازمة للانشاءات ومد الطرق واقامة الميناء ، وجزء كبير من هذا يمكن ان نحصل عليه عن طريق القروض . قد يبدو رأينا منطقيا ، ولكن سريان المنطق لم يعد مضمونا بعد هذا الذى يحدث فى ارض السد العالى .

● واخيرا .. لقد طالب البعض بالغاء المؤسسات العامة كاسلوب لتنظيم القطاع العام .

وقد علق د . حجازى على هذا المطلب « بان الغاء المؤسسات العامة يضيع كل المكاسب التى حققناها من خلال ادارة القطاع الاقتصادى ، ومن اجل هذا فاننى اؤيد تأييدا كاملا بقاء المؤسسات العامة الاقتصادية باعتبارها الشركات الام » [٢٨] . ولكن بعد هذا التصريح بايام صدر قرار باعطاء ٢٠ مصنعا سلطات مطلقة فى الانتاج والاستيراد والنقل البحرى ، وفى التعامل مع البنوك لتدبير العملات الاجنبية اللازمة لاستيراد مستلزمات الانتاج . وقد أعلن أن هذه القائمة دفعة اولى وأن كافة الوزراء كانوا بتقديم اسماء الشركات التى سيطبق عليها هذا « النظام » فى قطاعاتهم ، وقد صرح د . طاهر امين بانه لا يجد مانعا من تطبيق هذا النظام على كل الشركات العامة ، وهكذا فان قطاع الاستثمار المشترك يعامل كقطاع خاص ، حتى لو كان الشريك الاجنبى هو احد شركات القطاع العام المصرى ، ثم شركات القطاع العام الرئيسية تفلت شيئا فشيئا ، وبدون المشاركة مع الاجانب ، من ضوابط الاشراف المركزى التى تتحقق عبر المؤسسات العامة . فهل هذا هو الشكل التنظيمى الامثل للقطاع العام كاداة تنفيذيه لخطة ١٩٧٥ وما يتلوها من خطة خمسية تحت الاعداد ؟ ! ان تحفظاتنا عديدة على نظام المؤسسات النوعية كاسلوب ادارى لا يتناسب مع طبيعة العلاقات الاقتصادية الموضوعية بين الشركات العامة ، والمؤسسات النوعيه تحولت الى أجهزة بيروقراطية تثقل كاهل الشركات وتعوق حركتها ، ولكن لا يمكن ان يكون الحل هو العودة الى صيغة اكثر تخلفا من صيغة المؤسسة الاقتصادية التى نشأت عام ١٩٥٧ .

● كان مفروضا ان اتحدث بعد هذا عن الموقف من القوى البشرية ، من الجماهير الشعبية وكوادرها الفنية ، وللحقيقة فانها العامل الاول — بالعلم وبالحساب — فى انجاح التنمية والتخطيط فى مصر .. وفى هذا المجال ، كما فى المجالات السابقة التى اشرت اليها ؟ سنجد أن هذه القوى أبعد ما تكون عن الاعداد لهذه المهمة ، والسياسات التى تضعف امكانيات التنمية المخططة فى المجالات المختلفة ، تمتد ايضا الى هذا المجال الاساسى .. ولكن هذا يتطلب وقفة خاصة افضل أن اعالجها فى موضوع مستقل .

● ● ●

وسالخص الان ما عرضته فى الصفحات السابقة :

١ — لقد تقدمت الحكومة بخطة طموحة يبدو أن أولوياتها حددت على أساس معقول باستثناء تحفظنا على معدل التعمير وأسلوب تنفيذه .

٢ — السياسة العامة للحكومة ، والنظام الاقتصادى الجديد الذى تنشئه يبدو معوقا لتنفيذ خطة ١٩٧٥ ، او أى خطة اخرى فى المستقبل .. فالدائرة التى يتحكم فيها التخطيط تضيق باستمرار . وسلطات وزارة التخطيط بشكل عام محدودة ، والمؤسسات التى تمكن من تنفيذ اى خطة تذوى بشكل مضطرد .

فالتعمير خارج نطاق التخطيط — القطاع الخاص يتعاظم دوره فى قطاع المقاولات — قطاع الاستثمار المشترك يخرج عن دائرة التخطيط وتنظيمات القطاع العام — قطاع المناطق الحرة السريع النمو اكثر تحررا من الاشراف المركزى — البنوك التجارية المشتركة تقلل من قدرتنا على التخطيط المالى — الاتجاه الى الغاء التخصص فى البنوك التجارية العامة نتيجة طبيعية ، ويفاقم من هذا الاتجاه تمييع قضية القطاع العام فى مجال الزراعة — المخاطر ضد سيطرة الدولة فى قطاع التعدين — اضعاف الاشراف المركزى على الشركات العامة .

الى أين تقودنا الحكومة خطوة خطوة ؟ !

٣ — نتائج سياسة الانفتاح : امام ضرورات التصنيع ، تستجيب الحكومة لدعم استثمارات القطاع العام ، وللاعتماد فى خطة ١٩٧٥ على القروض الخارجية مع الدول والمؤسسات الاجنبية كوسيلة اولى للتمويل الخارجى ، وتنفيذا للانفتاح الاقتصادى وهذا ايجابى . ولكن يقابل هذا تحيز فى ارتباطاتنا الاقتصادية مع الغرب على حساب روابطنا التقليدية مع الدول الاشتراكيه ، وهذه علامة سلبية تضرنا سياسيا واقتصاديا . ومن ناحية أخرى لاحظنا فى مجال الاستثمار الاجنبى المباشر ، أن الاستثمار فى المناطق الحرة يفوق

---

[٢٨] مناقشة بيان رئيس الحكومة — الجلسة الرابعة عشرة .

الاستثمارات المشتركة داخل اقتصادنا القومى وهذا خطير . وفى الاستثمارات المشتركة خارج المناطق الحرة لاحظنا خللا فى ترتيب الاولويات ، فالالتزام واضح على مجال البنوك وهذا امر لا نرحب به . وبالنسبة لحجم الاستثمارات كانت اليابان اكثر السكنية الفاخرة فى المقام الاول ، وتلتها السياحة ، وكانت الصناعة فى المحل الثالث وفى مشروعات لا تمدنا بالتكنولوجيا المتقدمة التى كانت اساسا فى ترحيبنا بالاستثمار الاجنبى المشترك . وقد صرح د. طاهر امين بانه يجرى حاليا التفاوض بشأن مشروعات للحديد والبتروكيماويات ، وهذا هام ولكنه لم يتحقق حتى الان .

اننا على ضوء هذا العرض نحذر ان رئيس الحكومة وكافة المسئولين يتصدون من كل مناسبة لاراء اقصى اليمين التى تعارض اى حديث عن القطاع العام او التخطيط ، وقد عارضت الحكومة الاراء التى طالبت ببيع نسبة من القطاع العام الحالى . ولكن هذه الاراء اليمينية هى فى الحقيقة آراء على حليها الزمن ، فاغلبية الرؤساليين فى كل بلاد العالم اصبحت تطالب بقدر من تدخل الدولة ، وفى الفكر الاقتصادى الغربى لم يعد هناك - بشكل عام - من ينصح الدول الغربية المتقدمة أو الدول النامية بالابتعاد عن التخطيط أو عن تملك الدولة لبعض المشروعات الحاسمة .. وبالتالى فان الخلاف الحقيقى لم يعد بين التخطيط أو عدم التخطيط ، ولكن حول مدى وخصوص التخطيط ، وحول مدى ودور القطاع العام . هل المقصود هو مجرد توجيه الاقتصاد القومى أو تخطيطه ؟ وهل القطاع العام هو قائد للتنمية وللقطاع الخاص ، أو هو مساعد للقطاع الخاص فى تحقيق التنمية الرأسمالية ؟ وهل التعبئة - فى التحليل النهائى - تهدف الى بناء اقتصاد قومى مستقل ولصالح الجماهير العاملة ، أو تهدف الى اقتصاد مشوه ترتبط قراراته الاساسية بخارج الوطن ، وتزيد الفوارق بين الطبقات ؟

هذه هى الاسئلة الحقيقية المطروحة فى الساحة المصرية ..

كيف نسدد القروض ؟

بقيت نقطة اخيرة ونحن نتحدث عن خطة ١٩٧٥ ، انها نقطة تمثل خللا هيكليا خطيرا فى بنيان الخطة ، وتتعلق تغطية تدبير الموارد اللازمة لتمويل الخطة .. لقد ناقش تقرير لجنة الخطة والموازنة هذه المسألة ، ووافق التقرير على مبدأ ان يكون التمويل الاساسى لاستثمارات الخطة من طريق الاقتراض من الخارج . فالموارد المحلية التى يمكن تعبئتها - حسب تقرير وزارة التخطيط - لا تتجاوز ٣٦٦ مليون جنيه ، والموارد الخارجية التى سنعتمد عليها فى تحقيق الاهداف الاستثمارية تقدر بنحو ١١٠٠ مليون جنيه ، اى ان المدخرات المحلية لا تتجاوز ٢٥ فى المائة من الحجم الاجمالى للاستثمار المستهدف . ويقول تقرير التخطيط اننا سنتمكن من تحصيل الموارد الخارجية فى شكل منح ومعونات وقروض وفى شكل استثمارات مباشرة . واذا كنا نعلم ان حجم المعونات والمنح محدود جدا ، وكذلك الاستثمارات المباشرة ، فان معنى هذا ان الاعتماد الاساسى سيكون على الاقتراض .. واذا كان تقرير لجنة الخطة والموازنة قد وافق على تمويل عجز يصل الى نحو ١١٠٠ مليون جنيه بالاقتراض من الخارج ، وقال انه ليس هناك عيب أو خطر فى ذلك ، فاننا نرفض هذا المنطق ونعتقد ان قيام خطة التنمية - فى ظل الاوضاع التى شرحناها فى الصفحات السابقة - تعتمد فى تمويلها الغالب على الخارج يعرض بلادنا لمخاطر غير محدودة .. ويزيد هذه المخاطر ما جاء فى تقرير اللجنة بعد ذلك . فالخطة تفترض توفير من العروض :

١ - قروض انتاجية قصيرة الاجل « قروض تجارية » ٢ - قروض استثمارية طويلة الاجل [٢٩] . اما النوع الاول من القروض فان الخطة تقوم بالحصول عليه لتمويل شراء جانب كبير من السلع الوسيطة خصوصا تلك التى تدخل فى تشغيل الطاقات العاطلة .. وهذه القروض يجب سدادها بعد فترة قصيرة ، ولكى يمكن سدادها يجب ان تكون ناتجين على تصدير جزء من الانتاج الذى تحقق نتيجة لعملية الاقتراض من الخارج . اذا كانت ارقام الخطة تتوقع جمودا فى حجم صادراتنا فان هذا يعنى اننا لن نتمكن من سداد فوائد واقساط القروض الانتاجية قصيرة الاجل التى سنقترضها لتشغيل الطاقات العاطلة ، ومعنى ذلك ان هذه الطاقات العاطلة التى سيتم تشغيلها عام ١٩٧٤ نتيجة للاقتراض ستعود طاقة عاطلة مرة أخرى لانه لن يكون هناك من يقرض بدون انتظار سداد قرضه وفوائده ، وان عدم سداد القروض التى ستمول الطاقات العاطلة سيضر بالمركز الائتمانى للدولة ، وسيضعف قدرتنا فى الحصول على القروض الانتاجية التى نمول بها انتاجنا العادى ، وبذلك سنظهر الاختناقات فى اقتصادنا القومى بصورة اكثر عنفا فى عام ١٩٧٦ ..

[٢٩] راجع تقرير لجنة الخطة والموازنة - مرجع سابق

أما فيما يختص بالقروض الاستثمارية فان سداد هذه القروض يتوقف على الصادرات التى ستتحقق فى السنوات المقبلة كنتيجة لاستخدام هذه الآلات فى الانتاج .

« ولكن يلاحظ ان الكثير من المشروعات يتعلق بالتعمير والاسكان والمرافق ، وهذه تتطلب ان تحل فى ترتب عليها صادرات ، ولكن العطة تمول جانبا كبيرا من هذه بقروض ، وهذا يضعف مركزنا الاقتصادى ، ذلك أنه لن يمكن سداد مثل هذه القروض الا اذا امكن زيادة الصادرات من المشروعات الاخرى زيادة ضخمة تكفى لسداد قروض المشروعات جميعها ، وهذا امر لا يتأتى المشروعات حديثة متكونين ، وكان واجبه على المخطط للمحافظة على سلامة الاقتصاد المصرى فى علاقاته الخارجية أن يعتمد فى تمويل مشروعات الاسكان والتعمير والمرافق على المعونات ، كما فعلت كثير من الدول التى مرت بها حرب » .

اننا نعارض ـ كما قلت ـ مبدأ أن نعتمد على الاقتراض الخارجى كمصدر رئيسى للتمويل التنمية ، ويزداد اعتراضنا مع د . احمد ابو اسماعيل حين يكون مؤكدا منذ الآن اننا لن نستطيع سداد هذه القروض الكبيرة . مد يخلف من هذه المخاوف ان تكون اجهزة التخطيط واسعة فى اعتبارها احتمال زيادة الموارد المحلية خلال هذا العام من خلال انسحاب اسرائيلى عن مناطق البترول فى سيناء ، وسيجل هذا المورد جزءا من مشكلة السداد . لو يقلل من حاجتنا للاقتراض . وقد اشار تقرير الخدلة الى هذا الاحتمال فعلا ، بل ووضعت الخطة فى اعتبارها ايضا اقتراض اعادة تشغيل قناة السويس خلال عام ١٩٧٥ والحصول منها على ايرادات قدرتها بحوالى ٧٥ مليون جنيه [٣٠] ، ولكن فى حالة عدم تحقق هذه الاحتمالات يصبح من الضرورى اعادة النظر جذريا فى حجم ونوع الاقتراض الخارجى . صحيح ان الوضع الاقتصادى المنهك يبرر قبول بعض المخاطر وقبول المراهنة مثلا على قدوم معونات أو اكتشافات بترولية جديدة أو امكان اعادة جدولة الديون .. الخ . ولكن كى هذا لا يبرر حجم المخاطر التى تبلت بها الخطة ، والتى لا ينبغى ان نستمر فى حالة الفشل فى اجبار اسرائيل على اجراء انسحاب جزئى آخر .

الا ان الامر المثير للاندهاش فى تقرير لجنة الخطة والموازنة هو انها لم تقترح حلولا مقنعة للمشكلة التى اثارتها حول اللجوء الى التمويل الخارجى . لقد اقترحت تعديل الاولويات ؟ فنصحت بالاقلال من محاولات تشغيل الطاقات العاطلة « فمشاكل الجماهير يجب أن تحل فى حدود الموارد المتاحة » . كذلك اشارت اللجنة ضمنا الى أن يكون التعمير فى نطاق المعونات المتاحة ، ولكنها طالبت فى مقابل هذا باستثمارات اضافية أو باعادة توزيع الاستثمارات بحيث تزداد انصبة هذه المجالات : الزراعة وأثرى ـ كهربة الريف ـ التعليم العام ـ التعليم العالى والجامعى ـ صحة ريفية ـ نقل بحرى ـ ادارة محلية ـ مرافق مدن صغيرة وقرى ريفية . وتعنى هذه المقترحات ان الحجم الاجمالى لقروض الخارجية المطلوبة لن يقل بل قد يزيد . واذا كانت كافة هذه المجالات لن تزيد التصدير بحيث يسهل تسديد القروض المستخدمة فى تمويل استثمراتها ، فان تعديل الاولويات لا يعد حلا آخر لهذه المشكلة . وقد يبدو أن الحل الاخر الذى تقدم به تقرير اللجنة هو الحل الاكثر واقعية ، فقد اقترح مصدرين لزيادة الموارد المصرية : المصدر الاول محاولة تعجيل سداد ديون الحرب او تقسيطها على آجال طويله جدا مع تخفيض الفوائد المقررة . والمصدر الثانى مطالبة الدول العربية بزيادة الدعم المقدم لمصر ، وقدرت اللجنة هذا الدعم الاضافى بـ ١٠٠٠ مليون جنيه .

وجميل جدا لو تحقق لمصر هذان المصدران ، ولكن لمرهما يخرج عن يدنا ويتعلق بارادة الاخرين ، فكيف نواجه الموقف فى موضوعنا الراهن ؟ لقد ناقشنا موقف التقرير فى موضوع أولوية ... وخلصنا الى ان التقرير كان حريصا على عدم الاشارة الى استراتيجية عامة لتطوير الزراعة . وربطها بالتخطيط ، واوضحنا كذلك حرص التقرير على عدم مناقشة اسلوب تعبئة وتوجيه الفائض الزراعى الى اغراض الاستثمار والتنمية ، وكان هذا انحيازا لاغنياء الفلاحين . وفى هذه النقطة ونحن نتكلم عن حل مشاكل تمويل الاستثمار عاد التقرير الى الانحناء ، ولكن فى هذه المرة الى اغنياء الريف والمدينة معا . فرغم وضوح مشكلة التمويل ، ورغم خطورة الاعتماد على الخارج ، ورغم بحث التقرير عن حل فى العالم العربى بل وفى كل انحاء الارض لم يخطر على بال د . احمد أبو اسماعيل الحل الذى يبدو لنه فى يدنا وعلى ارضنا ، الا وهو ان يزيد حجم الفائض الاقتصادى المحلى الموجه للتنمية . وبرة اخرى لم يكن الامر سهوا . المسألة أن هذا الحل يغضب الطبقة التى تتحمل تبديد جزء كبير من الفائض الاقتصادى فى استهلاكها الترفى .

---

(٣٠) الخطة الانتقالية ـ مرجع سابق ص ٤٣ و ٤٤

محاولة لاستطلاع
مستقبل أزمة
الشرق الأوسط
في كتاب جديد

ماذا تعنى التسوية ؟

يصدر بعد أيام عن « دار القضايا » في بيروت كتاب للزميل محمد سيد أحمد ، الكاتب السياسي « بالأهرام » ، وعضو أسرة تحرير « الطليعة » ، يستطلع فيه مستقبل أزمة الشرق الأوسط ، تحت عنوان : « بعد أن تسكت المدافع .. » ؟! .

وبترتيب خاص مع « دار القضايا » ، تنشر « الطليعة » بعض صفحات الكتاب التي يتقصى فيها المؤلف معنى انجاز « تسوية » لأزمة الشرق الأوسط .

لا يكاد يوجد اليوم مصري ، أو عربي ، على استعداد أن يطرح على نفسه ، أو على غيره ، السؤال : يوم أن ننجز هدف « السلام العادل والدائم » في المنطقة ، يوم أن نحقق التسوية مع اسرائيل ، يوم أن تسكت المدافع نهائيا ، ما الذي سوف يكون ؟ ما هي الملامح التي تتصورها للشرق الأوسط ؟ ما هي الخواص التي سوف تميز علاقاتنا مع اسرائيل ؟

موضوع محظور الاقتراب منه ، حتى بالتأمل والفكر ، لأن التحدث عنه علنا ، بالنشر أو بالقول ، ممنوع . وأن لم يكن ممنوعا ، فهو مدان في أذهان جمهرة الرأي العام العربي ، وحتى في وأي غالبية الصفوة .. مدان لاعتقاد رسخ بعمق في ضمير الأمة العربية ، أن التسوية بمستحيلة التحقيق بغير تصور واحد لها لا بديل عنه ، هو الاستسلام لخطط اسرائيل ، والانصياع للمشروع الصهيوني .

ومع ذلك ، فان تحقيق « السلام » ، بما يفترضه من انجاز تسوية مع اسرائيل ، امر مطروح كهدف علني وكهدف ملح ، بل كهدف على رأس أهداف

المرحلة ، انه مطروح كهدف حقيقى ، لا كمناورة سياسية ، ولا كمجرد « تكتيك » فى استراتيجيته تستهدف العكس ، ولم تحد عن فكرة ازالة اسرائيل .

والدليل على أن النية خالصة ، فى أن يكون هذا الهدف حقيقيا ، هو أنه أصبح أساس التزامات عربية لا رجوع فيها تجاه أطراف دوليه متعددة ، التزامات لا يجوز الاستهتار بها . ولو افترضنا جدلا ان هدف السلام ليس شرطا يتوقف عليه استقرار وتطوير العلاقات العربية السوفيتية . فهو بلا شك شرط تنمية العلاقات العربية الامريكية ، وشرط التطلع الى حوار مثمر مع دول السوق الاوروبية المشتركة .

ولكن ما دامت التسوية مع اسرائيل ومستقبل السلام فى المنطقة لم يتقرر بهما تصور واضح الملامح ، فلا ينتظر من اسرائيل ان تقر ان الهدف حقيقى . وسوف تتذرع بهذه الحجه للتشكيك فى صدق الدعوى ، ولتاكيد ان العرب لم يتخلوا قط عن نيتهم الدفينة فى ازالة اسرائيل بكافة الطرق المتاحة . وهو منطق تستند اليه الان ، للتعنت فى رفض التسوية ، واجهاض هدف العرب فى تخطى نزاع يستنزف طاقاتهم ، ويصرف انظارهم عن مشاكل عديدة يمليها تطلعهم الى مواكبه العصر .

والواقع ان المستقبل المنظور لمصر ، وللعالم العربى ، هو المستقبل الذى سوف تتم فيه « تسوية ما » لازمة الشرق الاوسط . ليس هناك مجال الان لاستطلاع مستقبل لمصر ، او للامة العربية ، منفصل عن ازمة الشرق الاوسط ، منفصل عن قضية اسرائيل .. مستقبل يكون قد ابتعد عن مشكلة التحدى الصهيونى ، بحيث لم يعد هذا التحدى واردا ، ذلك ان حركة التناقضات فى المنطقة كلها مرتبطة بصورة أو بأخرى بهذا التحدى ، ويتعذر الان التنبؤ بخريطة للمنطقة بمعزل عن هذا التحدى ، او مع افتراض عدم وجوده اصلا .

لقد سبق أن أشرنا الى أن ربع القرن الماضى من تاريخ مصر والمنطقة لم يكن منفصلا عن تأسيس اسرائيل . وانطلاق ثورة مصر ليله ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لم يكن منفصلا عن تأسيس دوله اسرائيل فى ٢٥ مايو ١٩٤٨ . لقد كانت الشرارة الاولى فى حركة الضباط الاحرار ، هى الاهانة التى ذاقها جيش مصر على يد مسئولين كان يرجع فسادهم الى فساد النظام الملكى المصرى ، وأسلوبه الفاسد فى خوض حرب فلسطين الاولى . ولم تكن اسرائيل غائبة أبدا عن المنعطفات التى عاشتها ثورة مصر منذ ذلك التاريخ . وما ينطبق على مصر تخصيصا ؟ ينسحب على أرجاء اتسعت على الدوام من الارض العربية .

ان الاطار الوحيد لمستقبل منظور للمنطقة هو الاطار الذى تتقرر فيه مصائر ازمة الشرق الاوسط ، مهما طال الوقت او قصر . تماما كما كانت المواجهة العربية الاسرائيلية هى الاطار الاساسى لكل تطورات المنطقة منذ تأسيس اسرائيل حتى اليوم .

قلنا : مهما طال الوقت أو قصر .. ذلك ان استشراف ملامح المستقبل لا يتقيد باجال زمنية ، لا بالعام القادم او بالعقد القادم أو بنهاية القرن او بمنتصف القرن المقبل .. ومن هنا فليس من تصور لمستقبل ازمة الشرق الاوسط لا يصل بها الى نهاية ما ، بتسوية ما ، فى يوم ما .

ولكن يجدر بنا أن نتساءل : حتى لو سلمنا بأن الطريق الى التسوية - طال أو قصر - لابد أن تتخلله حرب خامسة ، أو سادسة ، أو سابعة .. فماذا سوف تحققه هذه الحروب ؟ وحتى لو افترضنا جدلا ان تكون الحرب القادمة ، او التالية لها ، أو التى تتلو التالية ، حربا تحرز فيها اسرائيل نصرا ساحقا ، فان ذلك لن يلغى تساؤلا هاما اثار قلق الجنرال الاسرائيلى بالتقاعد « مايتياهو بيليد ، وكان قد طرحه قبيل اعلان وقف اطلاق النار فى حديث يعكس هموم قوى البصيرة فى المؤسسة الحاكمة الاسرائيلية :

« ولنفترض أن مصر استسلمت سكانها البالغ عددها ٣٥ مليونا ، ماذا تملك دولة بصغر حجم اسرائيل أن تفعل بهم ؟ وهل أهداف الصهيونية هى أن تحتل على الدوام المزيد من الارض العربية ، وأن تعمل بانتظام على تدمير اقتصاديات العرب ؟ ومن ذا الذى سوف يزود اسرائيل بوسائل انجاز ذلك ؟ » .

لذلك جاز لنا ان نقرر - كما قال أنور السادات - **انه لا يوجد لازمة الشرق الاوسط « حل » عسكرى** . وقد بلغت الازمة من الخطورة لاطراف دولية متعددة حدا أصبح معه « **عدم الحل » امرا هو الاخر غير محتمل** . لذلك ، فان « تسوية ما » واردة لا مناص . وسبق أن أشرنا الى ان اسرائيل وهى تتحدث عن المستقبل ، تطرح تصورات عما بعد حدوث التسوية فقط ، وتمتنع عن كل حديث حول كيفية أتمام التسوية ، والعرب عندما يتحدثون عن المستقبل ، لا يتصورونه الا فى بعده الذى يسبق حدوث تسوية ، ويكتمون هم أيضا ، بل يرفضون كل تفكير فيما سوف يعنيه انجاز التسوية . وليس ذلك مما يرسى بوادر

« التكافؤ » التى برزت بين اطراف النزاع بفعل حرب اكتوبر على اسس قويمة ، وليس ذلك معناه يجنب العرب مخاطر التسوية ، ومخاطرها عليهم ، بل شأنه فقط تجريدهم من الرؤية الواضحة . ومن هنا ، فلا مفر من طرح تصورات عن التسوية ، فيما سوف يكون عليه وضع المنطقة بعد التسوية ، فى افضل « الفروض » وفى « اسوأ » الفروض . فهذا على اى حال هو وحده حقلات المستقبل التى يمكن استشراف ملامح لها منذ الآن ، وهو اجتهاد لا غنى عنه ، حتى لو اقتضى الواجب فى الحال اوسع حشد للجهود ، استعدادا لاستشاف القتال . وحتى لو اشارت شواهد عديدة الى تجمع سحب الحرب من جديد .

• • •

ماذا تعنى التسوية ؟

لا تعنى التسوية بالقطع الغاء التناقض كما سبق وأوضحنا فيما يتعلق بالتسويات الكبرى التى انجزت مع حلول الاتفراج الدولى ، والتسويه التى سوف تنجز بين العرب واسرائيل ، لو حققت شرط ارضاء جميع اطراف النزاع ، فى تسوية سوف تسترشد هى الاخرى بهذه القاعدة .. سوف تكون تعبيرا عن دخول أزمة الشرق الاوسط عصر الانفراج الدولى ، وعن تخطيها الانطباع بالخواص التى ميزت فترة الحرب الباردة ، وبالذات خاصية الاستقطاب المطلق ، والعداء المستحكم ، وانقطاع كل صلة بين الاطراف المتنازعة ، وانعدام كل لغة مشتركة ، كل « تسليم مشترك » بينها .

التسوية اذن ليست الغاء للتناقضات ، بل هى اعادة ترتيب هذه التناقضات ، بجهنواع ومديروموعد يستهدف « عزل » و « تجميد » التناقضات التى يعتبر ضررها على جميع الاطراف اكبر من فائدتها لاى طرف .

تعنى التسوية عقد اتفاقات صريحة او ضمنية ، تنشىء التزامات متبادلة بين اطراف النزاع ، معززة بضمانات متكافئة ، من اجل استبعاد ممارسة التناقض باسلوب الحرب ، او باى اسلوب آخر يلحق ضررا بجميع الاطراف ، يفوق ما قد يحمله من مزايا لاى طرف .. وتعنى كذلك اقامة شبكة من الضمانات المتبادلة ، ينطوى على مجموعة من « الزوائد » ومن « الحوافز » ، لا لمجرد تعزيز الالتزام بالامتناع عن ممارسة اشكال محددة من الصراع ، ولكن ايضا لتنشيط الاتجاه الى صرف النظر عنها نهائيا ، وتنمية مصلحة الجميع فى تحويل التسوية الى ظاهرة لا رجعة فيها .

ليس معنى ذلك بالبداهة أن يكون الصراع قد انتهى ، انما يعنى أن الصراع سوف يكتسب اشكالا أخرى ، اشكالا تختلف تماما عن اشكاله السابقة ، أشكالا علينا أن نستشف ملامحها .

ما هى ابرز هذه الملامح ؟

ابرز هذه الملامح فى شواهدها العامة هو تكاثر عدد الاقطاب المستقلة والمتميزة فى النزاع ، وتكاثرها على نحو ينبىء بزيادة حتمية احتواء الظاهرة .. أو ردها بمعنى الرجوع بالحالة الى ما كانت عليه من قبل . لقد ترتب على استقطاب النزاع فى مراحله السابقة ، تصرابرن اقطاب ، اى اقطابه ذات الوزن فى تقرير مجرياته ، على عدد محدود فقط . ومهما تعددت الاسباب الاجتماعية والعسكرية والطائفية والدينية والعرقية ، الخ .. فللنظر الى النزاع برؤى مختلفة ، فكان هذا التنوع منعكسا داخل اطار نمط بسيط ، تحكمه المواجهة الاساسية . وكانت اوجه الاختلاف والخلاف - القائمة أو الكامنة - لدى اطراف النزاع الرئيسية ، مجمدة أو معطلة ، او مرجأة ، لحين الانتهاء من المعركة الرئيسية . هذا هو المقصود بشعار « اعلاء صوت المعركة فوق كل صوت » ، وضرورة الحفاظ على « الوحدة الوطنية » و « تماسك الجبهة الداخلية » الخ ...

كان التناقض الذى طغى لدى اطراف النزاع على كل تناقض آخر هو التناقض « الوطنى » فان الدول العربية المجاورة لاسرائيل تعرضت سيادتها للانتهاك باحتلال اسرائيل اجزاء من ارض الوطن .

وعانى شعب فلسطين من اهدار صميم وجوده، كشعب ينتمى الى وطن ، ويستقر على ارض . والاسرائيليون يحسون بأن العداء العربى لهم هو تهديد فى الصميم لهدف المشروع الصهيونى فى اقامة « وطن قومى لليهود » فى فلسطين . ومن هنا ، كانت اطراف النزاع الواضحة المعالم محددة ، هى « الدول العربية » من جانب ، واسرائيل من الجانب الاخر . ثم برز خلال ممارسة النزاع هوية مستقلة لشعب فلسطين ، وتحددت قضيته كقضية تندرج داخل اطار حق العرب فى استرداد اراضيهم المسلوبة ، ولكن بخواص متميزة لعدم استناد شعب فلسطين الى وطن مستقل ، يكتمل السيادة عند شعوب النزاع ، شأنه فى ذلك شأن غيره من الشعوب المستعمرة ، بسبب الانتداب البريطانى ، ثم قبل ذلك بسبب الحكم العثمانى .

وحتى الاطار الدولى للنزاع اتسم هو الاخر فى ظل الاستقطابى الدولى السابق بنمط اقرب الى

البساطة .. فقد وقفت الدول الغربية الاستعمارية الى جانب اسرائيل ، واسرائيل دعمت وقفة هذه الدول الى جانبها ، بعدم الكف عن تأكيد انتمائها الى الغرب ، وصفتها كامتداد لقيمه وحضارته وكموقع أمامي له يكفل الحفاظ على مصالحه في قلب العالم العربي المتخلف . واستعانت دول غربية مختلفة باسرائيل لتحقيق اهداف لها في العالم العربي ، واجهت بها تصاعد حركة التحرير العربية : بريطانيا وفرنسا بعد تأميم مصر قناة السويس ، ثم الولايات المتحدة في فترة تالية . وحتى المانيا الاتحادية وقت أن دفعت تعويضات جسيمة لاسرائيل في صورة فيض من الاسلحة المتطورة ، لم يكن ذلك لمجرد التكفير عن ذنوب النازي ضد اليهود ، لسبب بسيط ، وهو أن اسرائيل لا تمثل « يهود العالم جميعهم » ، ولا هي تمثل – تخصيصا – جميع اليهود الالمان أو غير الالمان الذين تعرضوا لاضطهاد النازي .. والاسلحة المتطورة التي سلحت حكومة بون بها اسرائيل لم تكن تأمينا لاسرائيل ، بقدر ما كانت ادوات عدوانها على العرب في حرب ١٩٦٧ .

في مقابل ذلك ، وقفت مجموعة الدول الاشتراكية الى جانب الحق العربي . ومن المؤكد أن منطلقاتها الايديولوجية لم تكن متطابقة مع منطلقات الدول العربية ، بل تمايزت عنها نوعيا . ولكن هذا التمايز النوعي – فيما يتعلق بمصر وبسوريا وبقضية فلسطين – لم يقف حائلا دون حرصها طوال فترة الاستقطاب الدولي على تأكيد أوجه التوافق في المصالح والاهداف ، وخاصة هدف ازالة آثار العدوان ، واسترداد العرب أراضيهم المحتلة ..

ولكن بروز احتمال التسوية ينال من صفة البساطة في نمط المواجهة وخريطتها . **اذ لم يعد التناقض « الوطني » وحده هو الطاغي . ولم يعد هو التناقض الخليق بامتصاص كل صور التناقض الاخرى** . ذلك أن التسوية تعني اقرار حدود وطنية « آمنة ومعترف بها » لكل اطراف النزاع .. وتعني بالتالي أن تكتسب أوجه الصراع في المنطقة ، وخاصة الصراع العربي الاسرائيلي ، صورا أخرى .

لقد اشرنا الى شكل من اشكال هذا الصراع داخل اسرائيل ، برز في أعقاب حرب اكتوبر ، بعد أن تحقق نوع من « التكافؤ » في قوة الاطراف المتنازعة . نقصد بذلك الصراع بين الصقور والحمائم . كان هذا الصراع ملموسا من قبل في وقت ساد فيه منطق الصقور دون منازع ..

كذلك ، بعد حلول الانفراج الدولي ، لا ترى مصر غضاضة عن « الانفتاح » في اتجاهات شتى . بل أنها تعتمد على سياسة « الانفتاح » آمالا كبيرة ، وتطرحه كهدف أساسي من أهداف المرحلة . ولم تعد تتقيد في علاقاتها الدولية بما كان يمليه عليها الاستقطاب الدولي من قبل . وهذا « الانفتاح » من قبل مصر على أطراف دولية عديدة ، يحذو حذوها فيه الاطراف العربية الاخرى التي تعرضت للعدوان ، بدرجات متفاوتة من الوضوح والحسم .

والانفتاح على الغرب يعني الانفتاح على الراسمالية العالمية . ولازمته كاتجاه ، المصالحة مع النظم العربية المحافظة التي اصبحت هي الاخرى بفضل عوائد البترول وجها بارزا للراسمالية العالمية . وهذا الانفتاح على الراسمالية العالمية ، لابد ان يصاحبه في الداخل بروز التمايز بشكل أوضح بين تيارات سياسية تمثل منطلقات اجتماعية متباينة بل متعارضة ..

وهذه حقائق تنم عن نمط مغاير لملامح الصراع مستقبلا في المنطقة .

كان يمكن تعريف التناقضات التي كانت تفصل بين أقطاب النزاع من قبل « بالتناقضات **الراسية** » ونقصد بذلك التناقضات « **الوطنية** » التي فصلت على خريطة جغرافية للشرق الاوسط دول المنطقة المصطدمة في النزاع : اسرائيل من جانب ، والدول العربية في الجانب الاخر .

برز الان بجانب هذه « التناقضات الراسية » ، « تناقضات **افقية** » ، تناقضات تفصل بين شرائح مختلفة من مجتمعات هذه الدول المشتركة في النزاع . هذه « التناقضات الافقية » هي في الاغلب تناقضات «اجتماعية» . **وقد اصبح التناقض الاجتماعي يزاحم التناقض الوطني في احتلال مقدمة المسرح السياسي في المنطقة .**

كل التناقضات الاجتماعية هي حسب تعريفنا تناقضات « أفقية » ، لانها تناقضات بين شرائح مختلفة من المجتمع ، شرائح بعضها ينتمي الى الفئات الاجتماعية العليا على قمة المجتمع ، وشرائح اخرى تنتمي الى الطبقات العاملة التي تشكل قاعدة المجتمع .

ولكن ليست كل التناقضات « الافقية » تناقضات اجتماعية . فان التناقض مثلا ، بين الصقور والحمائم في اسرائيل ، لا يمثل تناقضا اجتماعيا بقدر ما يمثل اختلافا في رؤى فئات تنتمي الى شرائح اجتماعية واحدة ، تتبنى جميعها منطلقات

الصهيونية ، حول استراتيجية اسرائيل ومصالحها الاساسية في الحاضر والمستقبل . ولن يبرز تناقض اجتماعي اساسي في اسرائيل الا اذا تعاظم شأن التناقض بين قوى الصهيونية من جانب، والقوى العاملية للصهيونية في الجانب الاخر ، ولكن مازال هذا التناقض محدود الاثر على الحياة السياسية الاسرائيلية ، لصغر حجم وضعف تأثير القوى التي انبثقت من الصهيونية ، وبلغت القدرة على الوقوف منها موقفا مضادا ، متميزا وفعالا وحاسما .

هكذا نرى ان خريطة الصراعات في المنطقة لم تخفت ، بل على العكس تعقدت بعد حرب اكتوبر مع حلول عصر « الانفراج » على الصعيد الدولي ، وبعد أن اصبحت التسوية امرا واردا بالنسبة للنزاع ، تعقدت لانها لم تعد مقصوره على نمط واحد بسيط نسبيا ، هو نمط الصراع القائم على « التناقضات الرأسية » فقط ، بل اصبحت خريطة الصراعات محكومة بنمطين مختلفين كل الاختلاف ، يتداخلان في صور معقده : أنماط الاصلي ، القائم على « التناقضات الرأسية » بين اطراف النزاع على اتساع خريطة المنطقة جغرافيا ، وفي تشابك معه ، نمط جديد للصراعات ، قائم على « التناقضات الافقية » داخل كل « طرف جغرافي » على حدة . ويتلاقى ـ بمقتضى هذه « التناقضات الافقية » ـ ممثلو التيارات الاجتماعية المتماثلة على اتساع الخريطة الجغرافية للمنطقة ككل ، في مواجهة تيارات اخرى ، ذات منطلقات مقابلة ومتماثلة ، على اتساع نفس الخريطة الجغرافية .

على سبيل المثال : انصار تشجيع « الانفتاح » على امريكا وتيسير تنفيذ امريكا لمخططها في ان يتحقق لوجودها انتشار يمتد الى كل دول المنطقة ، لابد أن يتلاقوا فيما بينهم ، في شتى الدول العربية بالمنطقة ، بل ان تبرز نقطة تلاق واحدة على الاقل بينهم وبين المهيمنين على مصائر اسرائيل ، رغم استمرار قيام « التناقض الرأسي » معها .

يتشابك اذن ، ويتداخل ، نمطان مختلفان كل الاختلاف ، لخريطة التناقضات في المنطقة . وفي اللحظات التي يحتدم فيها النزاع ، ويشتد التوتر ، وتكثر فيها التحرشات والاشتباكات ، او تندلع فيها حرب اخرى ، يحتل نمط « التناقضات الرأسية » مقدمة المسرح السياسي ، ولكن مهما بلغ التوتر ، وحتى لو نشبت حرب اخرى ، فلن يزول نمط « التناقضات الافقية » . لانه لن يزول مؤقتا، ولكنه لن يزول تماما . لماذا ؟ لان احتدام النزاع ، وحتى بلوغه حد الحرب الفعلية ، سوف ينم عن بروز ظاهرة « الاستقطاب » مرة اخرى ، ولكنها سوف تكون « استقطابا موقعيا » فقط ، استقطابا بين اطراف النزاع المباشرة فقط . ولن تمتد ظاهرة « الاستقطاب » لتشمل العالم بأسره ، وللتقلب الاتجاه العالمي نحو « الانفراج الدولي » . صحيح ان الموقف قد ينفلت ، وقد يسفر عن تصعيد يفضي الى حرب نووية شاملة ، لكن احتمال وقوع هذا الفرض متضائل ، وسوف يزداد تضاؤلا كلما تعززت الخصائص الدولية المتبادلة ، لتحويل « الانفراج الدولي » الى واقع لا يقبل الردة .

لذلك ، فان استعادة النزاع صفة الاستقطاب لن تستند الى مناخ الاستقطاب الدولي عموما ، بل سوف تسفر عن استقطاب موقعي يتأوب اتجاه الانفراج الدولي عموما ، وقد يتعرض اتجاه الانفراج الدولي كما سبق وقلنا لمنعرجات وانتكاسات . ولكن لن يحول ذلك دون سعي الاطراف الدولية المعنية بالنزاع للحد من تفاقم التوتر . سوف تتدخل الاطراف الدولية ـ على تعارض منطلقاتها الاجتماعية ـ لدى مختلف اطراف النزاع المباشرة . وهذا التدخل في منطلقات اجتماعية متعارضة ليس من شأنه أن يزيل « التناقضات الافقية » ، خاصة بعد أن تبلورت تيارات لدى اطراف النزاع المباشره ، تتسم هي الاخرى بصفة التعارض الاجتماعي .

لن يزول اذن نمط « التناقضات الافقية » تماما مهما « احتدم نمط التناقضات الرأسية » . لقد لصبح تلازم النمطين معا ظاهرة لا رجعة فيها ، طوال فترة انجاز عملية التسوية ، فصرت مختها أو طالت . وسوف تحتل « التناقضات الافقية » مقدمة المسرح السياسي كلما انجز المزيد في اتجاه التسوية . ولن تزول « التناقضات الرأسية »من الناحية الشكلية على الاقل ، الا باتمام التسوية فعلا ، وحلول السلام في المنطقة .

هذه صورة اولى لملامح الصراع مستقبلا في المنطقة .

الصورة الاخرى ، هي أن « ازمة الشرق الاوسط » يصبح أن تفقد صفتها كأزمة للشرق الاوسط ، أي كأزمة اقليمية محددة موقعيا على خريطة العالم الجغرافية ، بين دول بعينها في منطقة مرسومة المعالم .

لقد نجم عن تغير موازين القوى بين أطراف النزاع المباشرة بعد حرب أكتوبر ، نشوء حالة دعت الاطراف الدولية المعنية بالأزمة الى بحث استراتيجية جديدة . وبرزت الحاجة لاعادة

صياغة المعادلة السياسية فى أرجاء مختلفة تحيط بمواقع النزاع أصلا • فاتسعت « دائرة الازمة » لتشمل **منطقة أوسع جغرافيا** من تلك المعروفة تحديدا « بالشرق الاوسط » . اتسعت لتشمل من نظـام مكاريوس غير المنحاز فى قبرص ، واضعت لتقرير قواعد تحكم حرية الملاحة فى **باب المندب** عند جنوب البحر الاحمر • واحتدت الصراعات الدولية حول الصومال وارتيريا واثيوبيا ، فضـلا عن احتدام الصراعات فى جنوب شبه الجزيرة العربية • وامتدت « حالة الازمة » الى منطقـة **الخليج** بعد استخدام سلاح البترول • ولاول مرة منذ ربع قرن ، طافت حاملة طائرات امريكية ، تصاحبها مدمرتان من حاملات الصواريخ الموجهة فى مياه الخليج ، تحمل انذارا بان هذه المنطقة ليست بمنأى عن دائرة الصراع •

كما اتسعت « دائرة الازمـة » لا بـالمعنى الجغرافى فحسب ، بل بمعنى آخر ايضا ، معنى أن « أزمة الشرق الاوسط » اصبحت حلقـة فى « شبكة من الأزمات » ذات صفة أكثر عمومية • قد تكون حلقة الشرق الاوسط على أعلى جانب من الخطورة • وقد تكون الحلقة الخليقة باشعال فتيل الانفجار • ولكن هذه الحالة مـن « الازمات المتشابكة » لم تعد سمتها الميزة أنها « اقليمية » ، أو انها « محددة جغرافيا » بقدرما اصبحت سمتها الميزة هى أنها أزمات « نوعية » : كأزمة الطاقة والازمة النقدية ، وقضية التضخم ، وقضية المواد الخام الاستراتيجية ، وعلاقة أسعارها بـأسعار المنتجات الصناعية ، الخ .. وكل هذه الازمات النوعية تتحدد لها ملامح جغرافية بالقدر الذى تصبح فيه مواقع بعينها من كوكبنا ، هى المواقع الكفيلة بزيادة اشعالها أو الاسهام فى اخمادها •

وبهذا المعنى أصبح النزاع العربى الاسرائيلى الان « زنادا » لشبكة ازمات تتسع للعالم بأسره •

لقد « زالت » أزمة الشرق الاوسط ـ مضمونا ـ بتحولها الى « زناد » فى « شبكة أزمات » أوسع نطاقا . وقد يكمن حلها فى اكتسابها هذه الصفة الجديدة •• **قد تكون التسوية محكومة بتـوافق أرادات دوليـة متعددة فى ابطـال مفعـول هذا « الزناد »** • عندئذ ، سوف تعنى التسـوية زوال « أزمة الشرق الاوسط » شكلا كذلك • ولكنها لن تعنى زوال « شبكة الازمات » التى اصبح النزاع العربى الاسرائيلى حلقة من حلقاتها • وانما سوف تعنى أن « شبكة الازمات » سوف تستمر فى اثارة اشكال للتوتر تختلف كثيرا عن صور التوتر المألوفة فى الشرق الاوسط الى الان •

لقد دخلت « السيرناطيقا » خريطـة الصراعات فى المنطقة . خريطة تتكاثر فيها أقطاب الصراع ، وتتعدد فيها وتتنوع طبيعة هذه الاقطاب ، وعمليات « تغذية عكسية » تطبع الصراع بأوجه تداخل وتشابك معقدة . تلك هى ملامحها العامة ، وقواعدها الاساسية ، الخريطة التى ينبىء بهـا مستقبل أزمة الشرق الاوسط ومستقبل المنطقة • والمطلوب تحديد نمط « النظام » المنبثق من حلقة قد تبدو لولهة أولى أقرب الى « الفوضى » لفـرط مخالفتها للمعهود والراسخ فى العادات الفكرية والسلوكية للذين عاشوا النزاع وتمرسوا فـى صراعاته .

اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم

نص مناقشات الجلسة الرابعة

تضمنت الجلسات الثلاث الماضية ، عرضا « للارضية » التاريخية ، كنقطة انطلاق للمشتركين في الندوة ، ثم محاولة لاستشراف آفاق المستقبل ، وخاصة بشأن الاختيارين المطروحين ، في الساحة المصرية : الطريق الليبرالي والطريق الاشتراكي .

اتفق الجميع على أن مصر التى نستشرفها هى « مصر الاشتراكية » ، وساد اتفاق شبه كامل على أن وضع صورة للمستقبل يتطلب الانطلاق من الارضية الراهنة التى تقف عليها البلاد حاليا ، الا أن المناهج ونقاط الانطلاق قد تعددت .

وتبلورت نقاط الخلاف حول هذين الطريقين النموذجين للبناء ، وقال البعض اننا امام هذين الاختيارين : الطريق الليبرالى ، أم الطريق الاشتراكى ، بينما أكد البعض الاخر ، أن الاختيار قد حسم لصالح الاشتراكية .

وقد فتحت الجلسة الرابعة لحوار اليسار المصرى مع توفيق الحكيم ، ملف تجربة ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ فى المساحة الزمنية من يوليو سنة ١٩٥٢ الى سبتمبر سنة ١٩٧٠ .

وتباور منذ البداية منهجان ، منهج يريد ان يفصل ما يسمى بفكر الثورة ، عن تطبيقاتها وانجازاتها ، على أساس الا يختلط احدهما بالاخر خوفا من الوقوع فيما نسميه بالحكم الذاتى وليس الموضوعى للتجربة .

ومنهج يرى انه لا فصل — فى الواقع — بين الفكر وبين التطبيق ، والا فسيظل الحكم على مسار الثورة حكما مجردا وفى الفراغ .

ملف تجربة ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢

وتعرض المشتركون في الندوة بالتحليل لفكر الثورة كما عبرت عنه منشورات الضباط الاحرار ، وسائر مواثيق الثورة : « فلسفة الثورة » لجمال عبد الناصر ، و « الميثاق » ، وما طرح فيه من أفكار تتعلق بالعدل الاجتماعي والوحدة العربية ... الخ .

وتناول البعض الجوانب الايجابية والسلبية على خط تطور التجربة ، ومن الناحية النظرية اعرب البعض عن عدم اقتناعه بأن الناصرية نظرية فكرية مثل الوضعية المنطقية ، أو الماركسية ، او الوجودية مثلا ، وانما هي قد طرحت أفكارا في الميثاق ، بعضها يتعلق بالنضال الوطني ، والبعض الآخر يتعلق بالوحدة العربية ، والثالث بالعدل الاجتماعي ، الخ ، وهي أفكار يمكن قبولها ، وتأييدها ودعمها .

وقد ابرزت المناقشات وجهة نظر أخرى ، وهي ان اضعف اجتهادات عبد الناصر في الميثاق كانت فكرة تأميم الصراع الاجتماعي : في ظل دوله فيها طبقات ، وفيها علاقات رأسمالية . والتصور في مثل هذه الظروف بانه يمكن ايجاد منظمة سياسية متجانسة تقودها قيادة فوق الصراع الاجتماعي ، وتستطيع ان توفق — حسبما تريد — بين مختلف الطبقات وايضا فكرة المعادلة الصعبة لتحقيق التنمية « بدون دفع ثمن » الخ .

هناك ايضا قضية « التنظيم الطليعي » ، وفكرة تأميم الصراع الاجتماعي ، وهل كانت فكرة تكتيكية ستنتهي في آخر الامر الى حزب ثوري قيادي له فكر متكامل ؟

وافكار « التجربة والخطأ » ، والتركيز في التصنيع على الصناعة الاستهلاكية ، وحصيلة الثورة في مجال الفكر ، كل ذلك وغيره من القضايا ، قد طرح في الجلسة الرابعة للحوار .

■ لطفى الخولى :

فى الثلاث جلسات الماضية قدم الاستاذ توفيق الحكيم والاستاذ خالد محيى الدين كل من وجهة نظره نوعا من « الفرشه » أو « الارضية » التاريخية لتكون منطلقا للندوة .

وفى الجلستين الماضيتين قدم كل منا محاولة لاستشراف المستقبل .

وفى هذه الجلسة ، نرجو ان نفتح ملف التجربة ، ووعاء هذا الملف هو - على ما أعتقد - الفترة من يوليو ١٩٥٢ الى سبتمبر ١٩٧٠ . ومن المفيد أن نتفق على تقسيم زمنى موضوعى حتى لا تضيع معالم الصورة . مثلا : الفترة من ١٩٥٢ - ١٩٥٦ وابرز معالمها تأميم قناة السويس . ثم من ١٩٥٦ - ١٩٦١ وهى فترة بداية ما سمى بالاجراءات الاشتراكية او الاجتماعية ... الخ . ثم من ١٩٦١ الى ١٩٦٧ ، ثم من ١٩٦٧ الى وفاة عبد الناصر فى ١٩٧٠ .

ربما يكون للاخوة المشتركين فى الندوة منهج آخر فى معالجة الموضوع . ولكن على أن يتعين الاخذ بالمنهج المقترح أن نتعرض للتطورات الاجتماعية فى الداخل وما حدث فى تكوين الابنية التحتية والفوقية . وبالاضافة فنحن لن نهمل أيضا البعد العربى وعلاقته الجدلية مع البعد المصرى ، كما لن نهمل البعد الدولى ، لنصل - فى النهاية - الى تحديد مشترك لما هو الايجابى وما هو السلبى فى التجربة ، الا اذا كان استاذنا توفيق الحكيم عنده تصور آخر لفتح التجربة .

■ توفيق الحكيم :

أحب أن أوضح الموضوع فى تحديدات نستطيع بها أن نرى - بوضوح - القضايا المختلطة بعضها ببعض . لانه عندما ندين - تاريخيا - فترة فانه يحدث لبس بين جوهر الفكر لهذه الثورة وبين ...

■ لطفى الخولى :

لماذا تستخدم كلمة ندين .. تقييم او تقويم ؟

لان كلمة الادانة منذ البداية تعنى انك اصدرت حكما نهائيا .

■ توفيق الحكيم :

أقول « ندين » لانى اتكلم بلغة الذين يريدون الادانة . ولذلك أردت أن أوضح فكرتى . وسأحاول أن أقدمها الان بكيفية منظمة بدلا من « الدردشة » حتى أتجنب الاستطراد .

■ خالد محيى الدين :

اذا كنا الان بصدد تقييم التجربه الماضية فلابد من الالتزام بمنهج . وحقيقة ما حدث هنا - فى الندوة - اننا توصلنا الى اتفاق كبير حول صورة المستقبل . وتبقى هناك بالطبع خلافات ارى انها خلافات بسيطة . وحتى نقيم التجربة لابد ان نطرح هذا السؤال :

الى اى مدى قربتنا التجربة الماضية من هذه الاهداف المستقبلية ؟

فاذا كانت التجربة قد ابعدتنا عن هذه الاهداف فاننا نستطيع فى هذه الحالة ان نعرف أين هى نقطة الضعف فيها أو ما هى الجوانب السلبية .

واعتقد اننا قد اتفقنا على هذا المنهج فى الجلسة الاولى .

■ لطفى الخولى :

ونحن فى الحقيقة قد تعرضنا - من خلال - مناقشة المستقبل لكثير من ايجابيات التجربة وسلبياتها .

■ د . عبد العظيم انيس :

ربما كان الافضل أن نركز - ابتداء - على مناقشة فكر الثورة .

■ توفيق الحكيم :

سأحاول أن اقدم هذه الافكار المنظمة .. فأقول :

لاننا قد اصبحنا فى حوارنا هذا مقتربين من مرحلة فتح الملفات للتجربة وبحثها ، بالتعميق والتحديد ، بعد أن انتهينا من مرحله الفرشة والتمهيد . ثم اننا ايضا انتهينا من الاتفاق على برنامج البحث ، وهو البداية من المستقبل أى تصور البناء المستقبلى لمصر ، وتخطيط صورة المستقبل على ضوء الماضى والحاضر . لان ما يعطيى صورة تقريبية لاى مستقبل هو وضوح صورة ماثم فى الماضى وما يجرى فى الحاضر . اذ لا يوجد مستقبل قائم فى الهواء . كل هذا بديهى واتفقنا عليه ، اذن لتحديد صورة المستقبل يجب أن نطرح بإختصار ووضوح جوهر الفكر السياسى والاجتماعى الذى رسيت فى الاذهان من الماضى حتى اليوم ، كما ينبغى أن نحدد بداية هذا الماضى ، وليكن قيام ثورة ١٩٥٢ ، والتى ينتج ملفها باعتبارها تجربة تاريخية / لم نستطيع أن نذكر أن فيه تجربة تاريخية من ١٩٥٢ الى الان أو لأن مصر ـ قبل ذلك التاريخ ـ وهذا مهم ـ لم تكن قد حددت رسميا وارخر على كلمه رسميا اى تفكير سياسى اجتماعى خلاف الاستقلال لمصر والسودان ، بل اننا نقول انه قبل ١٩٥٢ ، الفكر السياسى من اول عرابى ومصطفى كامل وسعد زغلول ١٩١٩ ، تركز فى الاستقلال لمصر ، وحدة وادى النيل ، مصر والسودان ، وبلورة ما هو المصرى الذى يريد أن يستقل عن تركيا وهن الخلافة العثمانية .. كان هذا هو الفكر السائد رسميا على الرغم من وجود افكار كثيرة . اما بعد ثورة ١٩٥٢ فقد تحدد هذا التفكير السياسى والاجتماعى رسميا فى عبارة « الحرية والاشتراكية والوحدة » ، ليس معنى ذلك ان هذه الافكار لم تكن موجودة قبل ثورة ١٩٥٢ . لقد كانت موجودة قبلها . كما أن أفكار الثورة الفرنسية كانت موجودة قبلها . لكن المطلوب هو التبنى الرسمى لهذه الافكار والمبادىء ، فاظن هذا هو جوهر ما يسمى بالفكر الناصرى . وهو انه فيه مبدأ رسمى فى الدولة وهو انه الحرية والاشتراكية والوحده ، ولست أدرى بعد هل اليسار المصرى يعترف بوجود ما سمى بالفكر الناصرى ، أو أنه يعترف ـ فقط ـ بفكر ثورة ١٩٥٢ ، ويأن الفكر الناصرى ما هو الا فكر ثورة ١٩٥٢ . هذه مسألة فرعيه جانبية لا أدرى نعطيها أهمية خاصة أو أنها مسألة واجبة الحسم للتحديد التاريخى والواقعى . على كل حال لا خلاف ـ فيما أظن ـ على ان جوهر التفكير السياسى والاجتماعى بمصر فى العشرين سنة الاخيرة ، ومنها المنتشر فى كثير من البلاد العربية ما يتلخص فى عباره « الحرية والاشتراكية والوحدة » كما أن التفكير السياسى والاجتماعى الذى لخص الثورة الفرنسية هو فى عبارة « للحرية والاخاء والمساواة » . اذ اتفقنا على أن هذا هو جوهر الفكر السياسى والاجتماعى الذى انتشر فى اوروبا والعالم بعد الثـــورة الفـــرنسية وعلى أن الحـــرية والاشتراكية والوحدة هو جوهر الفكر السياسى والاجتماعى الذى رسخ فى مصر وانتشر وسوف ينتشر فى اكثر البلاد العربيه فى المستقبل فاننا نكون قد حددنا ووضحنا صوره المستقبل عندنا فى خطها الرئيسى ويبقى واجبنا هنا فى العمل والبحث هو دراسة تعصيلات ووسائل تنفيذ هذه المبادىء . والطريق من اجل ذلك طويل وشاق وفيه عراقيل خطيرة . فالثورة الفرنسية ـ مثلا ـ عندما نادت بمبادىء « الحرية والاخاء والمساواة » لم تكن تدرى انها نادت بافكار كبيرة جدا تحتاج الى تحديد وصعوبات فى التطبيق والتنفيذ . ولما فشلت فى هذا التحديد والتنفيذ ، ولم تجد الجماهير ، ما كانت تنتظره من نتائج هذه « الحرية والاخاء والمساواة » ، ووجدت أن ما تولد من هذه المبادىء النبيلة العظيمة هو طبقه جديدة هى البورجوازية ، حلت محل الارستقراطية ، وامتلكت قوة خطيرة جديدة بازدهار الصناعة الكبرى فسيطرت بها على أفكار الجماهير بأشد مما كانت تسيطر الارستقراطية بسلطة الدم الازرق .

« واذا بالحرية والاخاء والمساواة » مجرد كلمات جميلة لم تقض على الظلم الاجتماعى ولا على انعدام المساواة والاخاء ، وادى هذا الفشل الى ضرورة ثورة اخرى فكانت الثورة الروسية . كذلك الحال ـ ثورة المستقبل ايضا عندنا ، اذا لم نحسن دراسة هذه المبادىء « الحرية والاشتراكية والوحدة » وكلمة الحرية يجب ان تحدد من الان ، ماهو المطلوب منها ؟ هل هى الحرية الفردية ؟ او الاجتماعية ؟ او الاقتصادية او السياسية ؟ وما الذى تم حتى الان فى العشرين سنة الماضية فى مثل تطبيق هذه الحرية وكذلك الاشتراكيه ، ما الذى نجح والذى أخفق فى تطبيقه ؟ وهل ستولد هى أيضا طبقة جديدة تستمر باسمها لتكرر نوعا من الطبقات الراسماليه القديمة ؟ وهل تكون اشتراكية فوقية أو تحتية .. الخ هذه المسائل . و « الوحدة » ماهدى امكان تحقيقها ؟ مع مراعاة اختلاف العقائد والمذاهب والتقاليد والتطور الاجتماعى والتاريخى لكل

دولة وشعب ، وهل المقصود وحدة اندماجية ، أو وحدة تكاملية ؟ اقصد اقتصاديا وسياسيا ، كل ذلك يجب ان يدرس تفصيلا . وليس اخطر من المبادىء اذا لم تدرس دراسة جدية ، وهذا هو خطر البرامج أو الخطوط والاتجاهات الفكرية عندما تطلق فى الهواء بدون تحديدات فتنقلب الى شعارات نستعمل كلامنيا وسياسيا فى الوقت الذى يطبقها فيه الجماهير ، ويطلقون بتنفيذها ويراقبون نتائج هذا التطبيق والتنفيذ ، وهذا ما جعلنا نفقد ثورة ١٩٥٢ ، أو الفكر الناصرى ، هنعما بدأنا نقارن بين مبدأ وبين تطبيق ونكتشف أن المبدأ انقلب شعارا فى حين أننا كنا متحمسين - بالاخص أنا - عندما كانت الثورة وعبد الناصر تقوم بكل تواضع بانجازات دون أن تقرنها بشعارات قبل ما يقول الوحدة والاشتراكية ، كنا نلاقى تحديد الملكية والاصلاح الزراعى ، كل هذا وكنا نجد انه ينفذ. ولكن عندما حددت فى مبادىء الوحدة والاشتراكية ، وابتدأنا نقارن بين المبادىء الجميلة جدا وبين تطبيقاتها ، هنا بدأنا نشعر بشىء من بعض خيبة أمل أو بعض الترقب من انتظار ».

■ **لطفى الخولى :**

هذا جاء بعد شعار الاتحاد والنظام والعمل

■ **توفيق الحكيم :**

لا .. هذا الشعار لا نستطيع ان نسميه فلسفة ، على كل حال كلمة النظام هذه ، فاكر أننى قلتها فى « شجرة الحكم » ، حيث ذكرت أننى اترقب ثورة مباركة تقوم على النظام.لكن كلمه « النظام » فى الشعار الذى تحدث عنه الاستاذ لطفى هى مجرد آمال فى التنفيذ وليست فلسفة . بدليل أنك عندما تطرح كلمة الحرية ، ستجد أنها تحتاج الى كتاب يوضح مدلولها ومن المراد منها ، وكذلك كلمات الاشتراكية والوحدة ، فانها تحتاج الى دراسات طويلة . وأعود الى حديثى فاقول :

عندما كانت الثورة ، وعبد الناصر ، تقوم - بكل تواضع - بانجازات دون ان تقرنها بشعارات ، وقبل أن نطلق شعارا ضخما نتعلق به أحلامنا ثم ما نلبث أن نكتشف أن هناك فرقا شاسعا بين أحلام والعمل ، وبين الحلم الجميل وبين الواقع المؤلم (واعجب ان انبه هنا ، الى اننا عندنا أن نخلط بين المبدأ والتطبيق ، وبين الفكر والعمل ، وهذا الخلط هو الذى يسهل دائما هدم كل ثورة من اساسها وهذا ليست من مصلحة التقدم البشرى أن تهدم كل ثورة تتنمية من الاساس بمجرد الفشل فى التطبيق . ذلك أن كل ثورة عظيمة قامت على اساس المبدأ والفكر والمذهب ، من ثورة اخناتون القائلة بفكرة توحيد الاله فى آتون ، والى الافكار الدينية الى كل الفلسفات تبدأ من الفكر . ولا يمكن انه يضر بالثورة نفسها كلها كمبدأ وجوهر الا التطبيق . لكن التطبيق السيء ليس معناه أن الثورة الدينية والثورة السياسية كلها خطأ ، هذا غير صحيح . ولضرب مثلا لذلك ما يحدث فى المحاكم . تجد فرقا كبيرا بين جوهر العدالة وبين مايسمى « بقانون الاجراءات الجنائية » او المدنية » . القانون فى جوهره عدالة ، ولكن عندما تجد انه مثلا يقول لك يجب أن تتقدم فى ظرف ثلاثة أيام بالمعارضة والا ». هذه الاجراءات تشعر بأنها مجرد اجراءات تنظيمية . ولكن كل طعنة فى العدالة أنما تأتى دائما من الاجراءات التى تنفذ تنفيذا آليا أو سيئا فتكسر العدالة ».

كذلك الثورات ، تضرب دائما من ناحية التنفيذ السيء ، ولذلك اذا اردنا ان نصف الثورة الفرنسية - مثلا - يجب أن نفصل فكرها الخالد لمبادىء الحرية والاخاء والمساواة عن التطبيق الناقص وعن عهود الارهاب . واذا اردنا أن نصف الثورة المصرية سنة ١٩١٩ ، فيجب أن نفصل مبدأها الثابت فى حريه الوطن واستقلاله عن التطبيق الناقص الذى تلا ذلك . كما اننا لو أردنا انصاف الثوره المصرية ١٩٥٢ ، فيجب أن نفصل مبدأها الثابت فى الحرية والاشتراكية والوحدة عن التطبيق الناقص .

مثال آخر : نحن نخطىء عندما نقول : ان ثورة ١٩١٩ هى الحرية والاستقلال ودستور سنة ١٩٢٣ والاحزاب ونحو ذلك ، فى حين أن احدهما مبدأ والاخر وسيلة . ونخطىء ايضا عندما نقول عن ثورة ١٩٥٢ انها الحرية والاشتراكية والوحدة ، والسد العالى ، والاصلاح الزراعى ، وجلاء الانجليز . أى عندما نمزج المبادىء بوسائل التنفيذ . نحن نعلم أن أى فشل فى التنفيذ يضر ، وتتحمل مسئوليته المبادىء نفسها وهذا ظلم . ولا ادل على ذلك من موضوع السد العالى . كلن يقال كيف تدافعون عن ثورة ١٩٥٢ مع أن السد العالى ظهرت فيه عيوب وخلل فى التنفيذ ؟ لكن هذا الاسلوب فى الكلام عن الثورة يؤدى الى القضاء على الثورة . لانه حتى اذا فرض أن هناك نواقص وخلل فليس معنى ذلك اننى اهدم كل شىء . ولذلك أميل الى أن نناقش بكل

موضوعية كل نقد يوجه الى الاصلاح الزراعى ، او السد العالى ... الخ وذلك من منطلق أن نتعاون لاصلاحه ووضعه فى وضعه السليم . كذلك يجب ألا نقتصر على خطأ لمجرد أن لا يقال لنا أن الثورة فشلت .

والمسائل الاقتصادية او المسائل الحيوية للبلد يجب الا تكون موضع مهاترات بل موضع بحوث وهذا ايضا من ضمن الذى اضر بثورة ١٩١٩ انها انقلبت الى مهاترات فى تفصيلات دستور او تنفيذات اقتصادية او أى شىء من هذا القبيل ، فهذا اضر بفكرة الثورة ».

وبالمثل ، اذا قيل ان هناك اى نقص فى اجراءات ثورة ١٩٥٢ ، فى مشروعات حيوية اصلاح زراعى ، او تصنيع او سد عال ، فنحن نتقبل النقد ونفحصه ، بكل نية سليمة وكل رحابة صدر ، على شرط ان لا يكون هذا ضرب لفكرة الثورة اذا كنا الان سنتفق على ان هذه هى الفلسفة التى يجب ان ندافع عنها وسنبنى عليها فى المستقبل . ان أى تفاصيل فى التنفيذ لاى بند لا ينبغى أن تتحمل مسئوليته المبادىء نفسها ، وهذا ظلم ، واجحاف ، وتشويه لكل ثورة . لذلك من رأيى أن نرتب الامور وننظم الموضوعات تنظيما واضحا يمنع الخلط ونضع المبادىء الثابتة باعتبارها فكر الثورة الباقى فى مكانها البارز ، أما التطبيقات فهى فروع وجداول لها . اذا اتفقنا على أن فكر ثورة ١٩٥٢ ، أو ما يسمى بالفكر الناصرى يتلخص فى مبادىء الحرية والاشتراكية والوحدة فان التنفيذ يكون بوضع الجلاء مثلا تحت بند الحرية ، ومع الجلاء بعض المسائل السياسية التى تتعلق بالحرية ، ويوضع تحت الحرية ، الحرية الداخلية ايضا وهى حرية الفرد وهل كانت مصادرة أم كان هناك قيم يمنع هذه الحرية من انطلاق المواهب . فكلمة الحرية دى يجب أن تكون بابا من ابواب الماضى والحاضر والمستقبل . يعنى ، كلمة الحرية نسلم انها مبدأ من مبادىء الثورة وانها اتسعت بعد أن كانت الحرية فى عهد ثورة ١٩١٩ الحرية السياسية فقط . كان هذا الكلام الرسمى — أيا غير الرسمى فكان يؤكد على حرية المفكر . فكان الادباء والمفكرون هم القائمون بهذه المعركة ، انما من طريق غير رسمى ، ولذلك كانت ترتطم هذه الحرية الفكرية بالسلطات الرسمية ».

ثم ناتى بكلمة الاشتراكية وهذه يدخل تحتها ، الاصلاح الزراعى ، السد العالى ، التصنيع ، فهذه ادوات الاشتراكية ، وما فسد منها وما لم يفسد ، كل هذا يبحث لانه يعتبر اجراءات وتنفيذات للثورة وهى محل النقد ولكن مبدأ الثورة الاساسى الاشتراكية ليس محل نقد . لان دى ملك مصر ، اما الاشتراكية فى ذاتها فهذا مبدأ آمنا به واى ضرر يمسه طبعا سنقاومه لانه ملك مصر ». وأى ضرر سيحيق به ، سوف نقاومه لان الاشتراكية تظل جزءا من الاساس المستقبلى ».

فاذا آتينا للوحدة العربية فيمكن أن نضع تحتها امورا كثيرة . مثلا : لقد دخلنا بعض الحروب . فهذه الحروب يجوز أنها من أجل الاشتراكية أو من أجل الوحدة ، فاذا كانت من اجل الوحدة فسوف نسأل عن الفائدة او المضار التى حققتها هذه الحروب لقضية الوحدة ، وسوف نسأل بعد ذلك عن الوحدة المطلوبة . هل هى وحدة بين دول عربية يختلف بعضها عن البعض فى العقائد السياسية والاجتماعية . ثم ما هو شكل هذه الوحدة ، وماذا نريد لمصر : وحدة اندماجية أم وحدة تكاملية . وهكذا لابد أن نحلل كل كلمة من كلمات الحرية والوحدة والاشتراكية . فاذا لم نفعل فسوف تاتى ثورة اخرى تحدد هذه المبادىء وذلك قبل أن نتكلم وندخل فى انجازات عام ٢٠٠٠ بالنسبة لنا وما بعد ٢٠٠٠ بالنسبة للشرق العربى ».

ليس معنى هذا ان نهمل الكلام عن التطبيقات . ولكن اعادة النظر فى التطبيقات تقتضى أن نحدد ونعمق كل مبدأ من مبادىء ثورة ١٩٥٢ ، الحرية والاشتراكية والوحدة . فنفحص مثلا مبدأ الحرية ، وما يحتاج اليه من تحديدات وتفصيلات وتعميقات . ونتصور حدود مبدأ الحرية فى المستقبل مع عرض لتطبيقاتها فى الماضى والحاضر . ثم مذهب الاشتراكية : ما هى حدوده المتصورة والمطلوبة للمستقبل مع عرض لتطبيقاتها فى الحاضر والماضى ، وكذلك مبدأ الوحدة فى الصورة المستقبلية مع بيان صورتها فى الماضى والحاضر ، وهكذا ، فهل توافقون على هذا الرسم البيانى لتخطيط خريطة المستقبل لبلادنا . لانه ان لم نحددها الان فسنخلط الانجازات بالمبادىء وعندما نخلط الاثنين فمن الجائز جدا ان نقع فى اخطاء كثيرة وأول خطأ هو العاطفية، العاطفية بتجعلنا ندافع عن فترة جاءت بمبادىء تاريخية ، فترة انتقالية . مبادىء تاريخية ملك البلد كلها فى الحاضر والمستقبل ثم نتستر على اخطاء التطبيق . فهذا

أيضا سيء لانه يجعل المستقبل رهنا للفوضى التقديرية ·

■ لطفي الخولي :

الواضح من العرض الذي نقدمه أن فيه فكرة محورية رئيسية وهي : انك تريد ان تفصل مايسمى بفكر الثورة عن تطبيقات وانجازات الثورة ، على اساس ان لا يختلط احدهما بالاخر خوفا من الوقوع فيما نسميه بالعاطفية في الحكم أو بالحكم الذاتي وليس الموضوعي للتجربة · هذا منهج لكن هذا المنهج يقابله منهج آخر ، المنهج الاخر يرى انه لا فصل — في الواقع — بين الفكر وبين التطبيق ، أو بين النظرية وبين العمل · والا سيظل الحكم على مسار الثورة حكما مجردا وفي الفراغ · وأنت نفسك حذرت منه لانه سيتجاهل الاطر التي تم فيها والظروف المادية والمعنوية والفكرية التي كان يمر بها المجتمع ، والصراعات التي كانت تدور فيه ، والتي انبثقت منها هذه الثورة وانبثق منها هذا الفكر وتم خلال هذه الظروف المعقدة بابعادها المحلية والعربية والدولية هذا التطبيق ·

نقطة ثانية هي : انه يجب أن يراعى ان الشعار الذي لخصت فيه ثورة ٢٣ يوليو منذ ٦١ في الحرية والاشتراكية والوحدة ، هذا الشعار في الحقيقة ليس شعارا جاءت به الناصرية او ثورة ٢٣ يوليو بداءة ، وانما هي جزء من فكر قومي تقدمي بدأ به البعث — مثلا — رغم التغيير الذي حدث في البعث سابقا — وهو انه كان يطرح شعار « الوحدة والحرية والاشتراكية » · ففي الواقع نحن امام مسيرة واحدة لفكر ما يمكن ان نسميه فكرا قوميا تقدميا بدأ به البعث ، ثم أخذت به الناصرية مع اضافات جديدة ثم ، مع وجود التجربة في مصر ، وزنها وثقلها في العالم العربي .. فهذا ايضا يجب ان يؤخذ في الاعتبار أن الثورة كما قلت فكرا وتطبيقا لم تنبت من فراغ وانما نتيجة الافلاس الواضح من جانب التحالف الذي كان يحكم مصر من الرأسمالية الكبيرة والاقطاع وكبار الملاك والملكية والنظام الملكي ، مع الوجود الاستعماري المباشر سواء في مصر أو في البلاد العربية كلها · ومن هنا يخيل لي ان النقطة التي يجب أن ننطلق منها عموما في تفكيرنا هي : هل كان انفجار ثورة ٢٣ يوليو في ظروفها التاريخية بعد الحرب العالمية الثانية ·· في ظروف مصر ·· في ظروف العالم العربي خطوة الى الامام عموما أو خطوة الى الخلف ، ثم بعد ذلك نحاكم الثورة بمدى ملاءمة فكرها مع التطبيق الذي انجز سلبا أو ايجابا مقدرين الظروف التي تم فيها ممارسة هذا الفكر وممارسة هذه الثورة · مع التحديدات التي ذكرتها فيما يخص قضايا الحرية وقضايا الاشتراكية وقضايا الوحدة · لكن أنا أخوف ما أخافه هو منهج الفصل التام في رؤية الفكر عن الواقع لاني اعتقد انه ليس خافيا أن جانبا من اليسار له نقد معين أيضا على فكر الثورة ٢٣ يوليو ، وليس على التطبيق وحده ، وبالتالي فالمرجو استبعاد عملية الفصل ·

■ توفيق الحكيم :

فكرتي في الفصل ترتبط بمسألة النقد . اذا أردت أن تنقد حتى نمنع الثورة من أن تضرب — وانا اتكلم عن أي ثورة — لا عن ثورة ١٩٥٢ وحدها . فان الثورات تضرب في التنفيذ . هذا — كما اشرت — من ثورة اخناتون الى الثورة الفرنسية · وحتى الثورات الدينية تضرب — ايضا في التنفيذ · لماذا ؟ لان مبادىء كل ثورة تنبع من بيئة الفكر الانساني . وفي بيئة معينة تولد فلسفة الحياة الانسانية . وهذه الفلسفة تولد في العادة بشكل طبيعي وصادق · ومبادىء هذه الفلسفة تصبح ملكا للبشرية · وتظل ملكا للبشرية حتى اذا قيل أن هناك شخصا قد قام ببلورة هذه المبادىء · ففكرة ان هناك اله واحد وجدت قبل اخناتون ، لكن لم يكن هناك من له الشجاعة على التصدي لكهنة آمون حتى جاء اخناتون — بصفته الفرعون — وبما له من السلطة — بثورة دينية تدعو الى التوحيد · لكن كهنة آمون تغلبوا عليه بعد ذلك وارتدت الثورة . ثم عادت للظهور في اديان أخرى .. الخ .

من هنا اقول أن فكر ثوره ١٩٥٢ كان موجودا من قبل الثورة · ثم قامت الثورة ببلورة هذا الفكر · فقد كان في مصر تياران من الفكر : الفكر الرسمي لثورة ١٩١٩ من ناحية ، ومن ناحية اخرى اجتهادات وآراء المفكرين الاحرار . هؤلاء المفكرون بلوروا فكرة « المصرية » · ولم تكن هذه الفكرة واضحة كل الوضوح عند مصطفى كامل الذي نادى بالارتباط بالدولة العثمانية · جاء المفكرون الذين مهدوا لثورة ١٩١٩ ، وطرحوا القضية لا على اساس انها جلاء الانجليز فقط ولكن على اساس البحث عن كيان مستقل لمصر في مواجهة قوتين : الدولة العثمانية ودولة الاحتلال · في الوقت نفسه كان الجو السياسي

مليئا بافكار متنوعة ومختلطة كان هناك تيار الفكر الديني الذي عبر عنه عبد العزيز جاويش، وكان هناك التيار السلفي - بوجه عام - الفرق بين الفكر الرسمي السائد وقتئذ وبين الفكر غير الرسمي هو أن الاول وقف عند شعار استقلال مصر . في حين ان الفكر الثاني اهتم بأن يجعل لمصر كيانا عبر عنه « بالمصرية » .

لما جاءت ثورة ١٩٥٢ بلورت فكرة الوحدة العربية كفلسفة رسمية . لكن هذه الفكرة كانت موجودة من قبل وعبر عنها الفلاسفة والمفكرون بطريقة غير رسمية . حتى لقد وجدنا أن من الشعراء المصريين - أحمد شوقي - من كان ينظر اليه على انه شاعر البلاد العربية .

لكن ثورة ١٩٥٢ تعرضت لفكرة الوحدة من ناحية التطبيق (وحدة تكاملية - اندماجية .. الخ) . والتطبيق له باب أو أبواب من الفكر .

فهل نستطيع اذن أن نتفق - هنا - على أن فكر الثورة يتجسد في شعار « الحرية والوحدة والاشتراكية » على الرغم من انها لم تستمده من فراغ ؟

اذا كان هناك اتفاق ، فسوف نستطيع أن ننظر بسهولة في تطبيقات الفكر . وسنجد هنا الجيد والناقص .

الواقع اني أشعر أن لطفي الخولي غير متفق معي على أن فكر المستقبل سيكون حول الحرية والاشتراكية والوحدة . فاذا كان هذا المنهج غير مقبول ، فلنر اذا كان هناك منهج آخر ..

■ د . فؤاد مرسي :

في الحقيقة أريد أن أوضح الفكرة التي تقدم بها الاستاذ توفيق الحكيم ، وعلق عليها الزميل لطفي الخولي .

فاذا كنت قد احسنت فهمي لحديث استاذنا توفيق الحكيم فاني الخصه ، في أنه لم يقدم لنا منهجا لبحث ملف تجربة عبد الناصر في ثورة ٢٣ يوليو ، وانما قدم لنا محاولة من جانبين : الجانب الاول يتضمن توضيحا ، من وجهة نظره . والجانب الثاني ، تحذيرا للآخرين . أما الجانب الاول ، وهو توضيح من وجهة نظره ، فأعني به أنه يرد على من يرى أن نقده لتطبيقات ثورة ٢٣ يوليو في نواحي معينة منها انما نقد لثورة ٢٣ يوليو في مبادئها الاساسية وهي « الحرية والاشتراكية والوحدة » . ويريد أن يحدد موقفا واضحا - من الآن - وأنه مع مبادىء ثورة ٢٣ يوليو ولكنه يستطيع أن ينقد بحرية تطبيقات وانجازات هذه الثورة ، وهذه المبادىء . أما الجانب الاخر من الحديث الذي تفضل به فهو تحذير الينا - نحن - وهو الا يكون حرصنا على ثورة ٢٣ يوليو ومبادئها بصفة خاصة سببا في أن نغفل النقد الذي تناول تطبيقات وانجازات ثورة ٢٣ يوليو في عهد جمال عبد الناصر . بهذا المعنى يكون الحديث الذي أدلى به الاستاذ توفيق الحكيم حديثا في موضعه . وهو سليم في جانبيه لاننا نتبع منهجا يجمع بين الشروط التي تضع الامور جميعا في مكانها - وأعتقد أن هذا المنهج قد بدأ لطفي الخولي بوضع عناصره . هذا المنهج يتلخص في الاتي : اننا نناقش ثورة ٢٣ يوليو ، كثورة تاريخية ، لا لمجرد انها تنتسب للماضي وانما ، هي أيضا ، مرت عبر تاريخ وأحداث . وخلال هذا التاريخ تشكل فكرها ، كما تشكلت منجزاتها . وانها لم تبدأ بفكر جاهز حتى نستطيع - من اللحظة الاولى - أن نحاسبها عليه . كما أن فكرها الذي تبنته قد تطور من مرحلة الى مرحلة أخرى ، وبالتالي : فان الثورة ليست حدثا واحدا ، وانما هي تطور تاريخي شمل فترة من تاريخ مصر بأجمعها . هذه الحقبة التاريخية ، نحن نعللها ، ابتداء من بداية الثورة وانفجارها - كما قال لطفي الخولي - وحتى اليوم الذي توفي فيه جمال عبد الناصر . من هنا يجب أن نكون موضوعيين وتاريخيين . عندما بدأت الثورة لم تكن مثلما انتهت في اليوم الذي مات فيه عبد الناصر . وهذا يجب أن يوضع في الاعتبار تماما . كذلك جمال عبد الناصر الذي بدأ الثورة يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ هو أيضا . كما قال لطفي الخولي - محصلة تاريخ سابق على الثورة نفسها . وبالتالي لا يستطيع الفكاك منه في يوم ٢٣ يوليو . من هنا نحتاج في الحقيقة الى عرض تاريخي لفكر وانجاز الثورة . واذ نتخذ المنهج التاريخي أساسا لنا لتحليل الفكر والانجاز فاننا يمكن ان ندرسه ، والا فسوف ننسب لهم أمورا لم تكن بذهنهم وقت الاحداث ، ثم نحاسبهم عليه حسابا عسيرا وهذا ظلم ونظلم التاريخ . ويصح أن نضيف لناس أرصدة ليست لها . ومن هنا فان المنهج التاريخي هو وحده الذي يمكن أن يكون منهجا موضوعيا في الدراسة . ومن ثم أعود لما طرحه لطفي الخولي في البداية من أن تحليل الثورة الى مراحل شيء ضروري جدا . على سبيل المثال شعارات « الحرية والاشتراكية والوحدة » لم

تبدأ الا فيما بعد ١٩٦٢ عندما وضع الميثاق . ولم تبدأ مع ١٩٦٢ اى بعد عشر سنوات والا لن نستطيع ـ مثلا ـ ان نفسر مواقف لطفى الخولى ومواقف زميلنا الاستاذ خالدمحيى الدين .. ماذا كانت والى أى شىء صارت ؟ ذلك انه قبل ١٩٦١ كان للطفى موقف معين ، ودفع من أجله ثمنا معينا . والناس استغربت انه بعد ١٩٥٦ ثم ١٩٦١ كانت له مواقف محددة تتجه الى تاييد مسار الثورة نحو الاشتراكية . وبدون هذا أيضا لن نستطيع أن نفسر الموقف الموضوعى لخالد محيى الدين .

■ خالد محيى الدين :

انا موافق على كلام د . فؤاد مرسى تماما . لكن هناك فارق بين فكر الثورة والتطبيق ، وبالنسبة للقضية الحرية والاشتراكية والوحدة فان المشكلة ليست هى فكر الثورة عن الحرية ، أو فكر الثورة عن الاشتراكية ، أو فكر الثورة عن الوحدة ـ فان هذه موضوعات مختلفة ، ولست أعتقد أن أحدا سيكون مختلفا على الاهداف . فى الوقت نفسه فان فكر الثورة عن الحرية ينشأ عن ظهور مشاكل موضوعية . وفكر الثورة عن الاشتراكية ارتبط بظهور عقبات حالت دون النجاح فى اقامة الاشتراكية . كذلك فكر الثورة عن الوحدة .. وهنا تأتى التطبيقات . وهناك نوعان من التطبيقات : تطبيق يمكن أن نتقله مثلا : السد العالى ممكن هذا التطبيق ليس له صلة بالفكر الثورى لانه مشروع صناعى . وهناك مشروعات صناعية قد تفشل أو تنجح لسوء التقدير الاقتصادى فى موضع التنفيذ أو فى داخل التفاعل السياسى . لكن النقد يجب ان يوجه الى السياسة الصناعية للثورة . بمعنى ان هذه السياسة تنبع من فكرها ، وهذه السياسة تؤثر على سياسة التصنيع . وفى الوقت نفسه فكر الثورة متأثر بأوضاع طبقية واجتماعية . مثال ذلك : اذا اتجهت سياسة التصنيع الى صناعة سيارات الركوب قبل اقامة صناعات أساسية أخرى ومهمة . فان ذلك يعكس اتجاها يمكن أن ينقد وأن يناقش . لكن قد يحدث ـ فى بعض الاحيان ـ أن يقام مصنع ولا ينجح أو تظهر به عيوب خطيرة . لهذه المواقعة يمكن أن تحدث فى أى مكان وفى ظل أى نظام ولا تكون لها دلالة اجتماعية محددة .

اذن نحن عندما نناقش قضايا التطبيق فاننا نناقش هذا الجانب من التطبيق الذى يتجسد فيه الفكر ويرتبط ارتباطا مباشرا .

■ د . عبد العظيم أنيس :

تأييدا لما قاله د . فؤاد مرسى والاستاذ خالد محيى الدين اقترح أن نعود الى تنظيم المناقشة . فأقترح أن تركز فى الجانب الاول من المناقشة على فكر الثورة وفكر عبد الناصر . وبالطبع ، سنواجه ، عندما ندخل فى هذا الموضوع ضرورة تقسيم هذه المرحلة الى مرحلتين . والنظرة التاريخية التى تحدث عنها د. فؤاد مرسى ، فى هذا الموضوع .

قضية الفصل وعدم الفصل . فى رأيى أن هناك منهجا يوفق بين كلام لطفى الخولى وكلام الاستاذ توفيق الحكيم . وان هناك قضايا لا يمكن الفصل فيها النظرية عن التطبيق . وقد تكون التطبيقات ، وهى فى ذهن متخذ القرار ، قد نفذت بالكامل دلالة واضحة على معنى من المعانى فى فكره . وينبغى فى هذا السياق أن نستفيد من اهمية عدم الفصل بين الفكر النظرى والتطبيق . لكن توجد أيضا مواقف يمكن فصل فيها الفكر النظرى عن التطبيق بمعنى انه قد يبدأ المشرع وزعيم الدولة بفكره ، ويتخذ القرار فيها وعند التنفيذ يجدان هذه الفكرة لم تنفذ كما اراد وكما ارادت الثورة بسبب صعوبات محلية ومشاكل أخرى . هذا نوع المشاكل التى فعلا يمكن أن نفصل فيها بين الفكر المقصود وبين التطبيق الذى تم وعيوب هذا التطبيق . اضرب مثلين : سياسة التصنيع كما قال الاستاذ خالد ، فى اتجاهاتها الاولى ، كان لها دلالة من زاوية فكر الثورة حتى لو كانت نفذت بالكامل . حدود تطبيق سياسة الاصلاح الزراعى فى رأيى أيضا لها دلالة من زاوية فكر الثورة ينبغى الا ننساها . حدود نظرة هذه الثورة لقضية الاشتراكية فى المجتمع الريفى هذه مسألة لها دلالة كبيرة وبالتالى لما أقول الاصلاح الزراعى ابتدا بالـ ٢٠٠ فدان ، واتخذ قرارات فيما يتعلق بقانون الاصلاح الزراعى الاول عن كذا وكذا فان هذا له دلالة من ناحية فكر عبد الناصر . وحتى فى الاجراءات التى تمت فى ١٩٦٣ ـ من ناحية الاصلاح الزراعى الثانى ـ ايضا له دلالة من هذه الناحية . الازمة التى واجهها المجتمع المصرى فيما يتعلق بالتنمية بعد ١٩٦٥ و ١٩٦٦ فى رأيى أن هذه الازمة ـ كما سنوضح تفصيلا ـ لها ايضا دلالة فيما يتعلق بفكر الثورة ، والازمة التى كان فيها فكر الثورة . ويتذكر الاستاذ توفيق الحكيم اننى كنت قد أشرت ـ فى الماضى ـ الى ان المشكلة التى تتعلق بقضية الشكل وغير الشكل التى أثارها منذ

البداية ، فمن رأيي أن أزمة الشكل ـ أهميتها ـ ربما أنه لم يكن لها الوضع المناسب الذي أعطيه ـ على أهميتها ـ ربما لا تستحق هذا الاهتمام الذي علقه عليها استاذنا توفيق الحكيم بقدر ما هي مشكلة مصور أفكار الثورة بعد ١٩٦٦ ، أعني توقفه ،وعجز الثورة عن أن تتقدم أكثر من هذا ، وهذه أزمة انعكست في التغييرات الوزارية الكثيرة جداً بعد ١٩٦٥ . ويذكر الاستاذ الحكيم تغيير وزارة علي صبري وصدقي سليمان وزكريا محيي الدين ، فهذه الاشياء كلها ، ثبت في فترات قصيرة بحيث أن الوزارة كانت مثلا ـ ثلاثة لمدة سنة أو سنة ونصف ثم تتغير في عهد عبد الناصر . هذا كان يعكس ـ في رأيي ـ أزمة . يمكن أن نتحدث فيها بتفصيل ، ومن هنا ، أعتقد أن النقطة التي علينا نركز فيها ابتداء هي قضية فكر الثورة . واذا سمحتم أدخل في الموضوع بهذا المنهج التاريخي ، وهو هدم عزله وهزل قضايا يمكن لا تعزل فيها على الاطلاق ، وقضايا يمكن أن نعزل فيها التطبيق عن النظرية لانها تمثل قضايا ثابتة .

■ **لطفي الخولي :**

أنا مع منهج د . عبد العظيم أنيس ، وهو اننا نميز ـ لدواعي البحث ـ بين فكر الثورة وبين حصيلة التطبيق .

■ **توفيق الحكيم :**

أنا مسرور ، لان الاراء تتعدد ويتم تعميقها بهذا الشكل . والواقع اننا أحب ان نبحث في مفهوم الثورة لهذه الاشياء الكبيرة : الحرية والاشتراكية والوحدة .

وفي اعتقادي ان فلسفة ثورة ١٩٥٢ تتمثل في الحرية والاشتراكية والوحدة . وهذه هي القاعدة التي يجب ان ننطلق منها الى المستقبل على أساس ان هذا فكر البلد ، ثم نتقدم في هذا المجال من اجل المزيد من التعميق والتحديد .

وفي الوقت نفسه عندما أسمح أن نمس هذه المبادىء الثابتة لها مفهومات متغيرة عند زعماء الثورة أنفسهم ، فان هذا أيضا يتطلب مزيدا من التحديد والتعميق . غير أن هذه النقطة تحتاج الى معلومات قد لا تتوفر الا عند الاستاذ خالد محيي الدين . فقد ذكر لنا ان الثورة في السنوات الخمس الاولى لم يكن لها تفكير رسمي . كما أن لطفي الخولي أشار الى ان أفكار الوحدة والاشتراكية والحرية كانت موجودة قبل ١٩٥٢ عند حزب المنبر ، وربما كانت موجودة في مصر بشكل او بآخر .

ومع ذلك فانا اتكلم عن الفكر الرسمي للثورة . وهنا أضع هذا السؤال موضع البحث وهو :

هل كان هذا الفكر الرسمي موجودا لدى القادة الذين تعين عليهم أن يقوموا بالتنفيذ ، أم أن مفهوماتهم الخاصة لهذه المبادىء كانت جد مختلفة عن مفهوماتنا ؟

■ **د . عبد العظيم أنيس :**

أحب أن أضع بعض الخطوط العريضة التي تتعلق بفكر الثورة . الحقيقة ان فكر الثورة ـ عموما ـ قد مر بمرحلتين : المرحلة الاولى ، كما قال خالد محيي الدين لغاية سنة ١٩٦٢ ، حيث لم تكن توجد وثيقة فكرية واضحة للثورة . وابتداء من ١٩٥٢ ـ باستثناء كتاب « فلسفة الثورة » ، انما ، لا يعني هذا اطلاقا أن الثورة لم تكن لديها فكره طوال هذه السنوات . فلدة الثورة بالتأكيد كان لديهم افكار .

■ **توفيق الحكيم :**

كنت أحب أن يلخص لنا أحد هذا الكتاب من منطلق ما اشتمل عليه من افكار . لأنا قرأته قراءه ربما كانت سريعة ولم أكن في ذلك الوقت على اتصال شخصي بأحد . فلابد من قراءة هذا الكتاب ، فلدام هناك شيء يسمى « فلسفة الثورة » .

■ **لطفي الخولي :**

أقترح اذن أن الدكتور مراد وهبة يعرض لنا الخطوط الرئيسية لوثائق الثورة وهو فلسفة الثورة والميثاق وبيان ٣٠ مارس فهيا مسار التجربة . أما الجلسة القادمة فنعرض بعدها للبرنامج الخاص بالعمل الوطني وورقة اكتوبر . تفضل يا دكتور .

■ **د . عبد العظيم أنيس :**

ان فكر الثورة كما قال د . فؤاد مرسي فعلا يحتاج هذا النظر التاريخي . من سنة ١٩٥٢ ، وحتى كتابة « الميثاق الوطني » لم تكن هناك وثيقه شاملة تتعلق بفكر الثورة سياسيا ووطنيا واجتماعيا وعربيا ، بالمعنى الذي ورد في « الميثاق الوطني » واذا كان يمكن أن نقول ان هناك وثيقة تدرس ، فهذه الوثيقة كانت كتاب « فلسفة الثورة » . ولكن اذا جاز ان نسمي شيئا متعلقا بهذه الفترة التي هي من

١٩٥٢ الى اوائل الستينات فلابد ان نستقيه اساسا من هذه الفترة من التطبيقات نفسها للدلالة على فكر الثورة في هذه المرحلة : فكر الثورة وفكر عبد الناصر . حقيقة انه في السنوات الاولى يصعب اننا نتكلم ، اذا استبعدنا المنشورات الخاصة بالضباط الاحرار . وهذه المنشورات كان لها اتجاه محدد ، وطبعا ليهتم الالتزام به الا بعد الثورة.لان هناك كان صراعا في داخل الثورة نفسها بين افكار وتيارات مختلفة ، وهذه الافكار والتيارات المختلفة تطلبت بعض الوقت حتى « يتبلور الجانب القيادي فيها » .

■ **توفيق الحكيم :**

انا عاطفتي نحو عبد الناصر لم تتغير قط ، ولذلك اضيف انه لابد أن انفصل العاطفة حتى لا يحدث خلط

اولا : لم يكن حصل خراب فهذا حدث فحصل خراب في البلد لا يمكن ـ مثلا ـ ان تقول بان البلد استنزف فيها ١٥٠٠ مليون جنيه لم تستفد منها لا تربية ولا اصلاح . هذه لا اقدر أهضمها مهما قلت ـ مثلا ـ عن حبي لوالدي ، لا يمكن ابدا أن اتغافل او اتجاهل ما حدثنه ، لقد حصل خراب كما حصل ايام نابليون ، فهو على الرغم من انتصاراته ، في كذا جبهة ، ضرب فرنسا ماليا ومعاته خسر في موقعة واحدة ، فرنسا رأت الخراب وراحت تطرده .

وانا في مسألة « عودة الوعي » ماذا انتقدت ؟ انتقدت واحدا احبه ، ولكن لا يمكن اسكت عن اني انا شخصيا وجدت ان الحكم المطلق يؤدي الى انه يطبع الشعب كله بطبعة واحدة الى درجة اننى كنت تأثرت للغاية عندما رأيت وزراء اعرف آراءهم الخاصة ، ثم أراهم في التليفزيون ، يتكلمون بعبارات هي كليشيهات ، اذن انا لولا « عودة الوعي » والصدمة التي حصلت لما كنتم قد جلستم هنا الان لتتحدثوا في تاريخ مصر . لابد ان يقوم احدنا بعمل الصدمة بصرف النظر من الحب ولذلك اصول دائما فصل العاطفة . مع انني سأظل أذكر لعبد الناصر مواقف شخصية ممتازة معي . انا مهمتي هي اثارة الافكار ضد شيء لابد أن اكشفه حتى يحصل الجدل . لكن ما يصدمني هو أن يأتي بعض الناس ليستغلوا هذا ويهدموا كل الفترة . هل الفترة كلها تهدم أم لا ؟ طبعا ما يؤلمني هنا اكثر ، في التطبيق ، هو حكاية هل نهدم السد العالي ؟ زعلت منها جدا . لانني ذهبت سنة ١٩٦٤ الى السد العالي ورأيت كل شيء والتيت بقرش صاغ في النفق على أساس أن المياه ستتدفق عليه ولهذا يبقى لي حاجة داخل النفق ، فعلا سررت جدا بالسد العالي وعرفت منافعه وبعد ذلك لما جم يقولوا انه ظهر هناك عيوب .. لم استطع أن أحصل على الرأي الاخر .. يجب أن يكون هناك رأي آخر ولكن من خبراء موضوعيين . وكنت احب ان الدكتور عبد العزيز أحمد يشرح لنا كيف أن عبد الناصر كان واجبا عليه ان يقول له ؟ تعالى : قل رأيك .

■ **محمد سيد احمد :**

الاستاذ فيليب جلاب عمل كتابا جاء فيه ان عبد العزيز أحمد افتتح في النهاية حسب ما قالوا في الكتاب بأن السد العالي سليم .

■ **توفيق الحكيم :**

ان ما جعلني اشعر انه معارض هو اضطهاده فانه عندما حصل على جائزة الدولة التقديرية لم يتم التصديق عليها من عبد الناصر . وكان واجب انه يصدق ويقول ولو انه معارض لنا لكن هذا شيء آخر . وكذلك الامر مع السنهوري . هذه الحاجات لم تكن تصح ، لابد ـ كمفكرين ـ ان نفصل بين عاطفة الحب وبين تنبيه الامة . لماذا أقول انه لابد من صدمة كهربائية بعد عشرين سنة . لان الرجل وصل من التقديس الى درجة ان اي نقد له يصبح هجوما . جانزته في العالم لم يحصل مثلها ابدا . وهناك ناس حتى اليوم يقرأون له الفاتحة . انتظر عشرين سنة عليه وسيصبح الشيخ عبد الناصر . كل هذا مظهر . ولكن الشعب يحدد افكاره ، ويجب ان يناقش الافكار والا تجمد عقله وفقد الوعي فعلا . وانى اقصد دائما بالوعي ليس وعيي انا كما يقول بعض الهازلين ، انما المقصود هو وعي اهم من شخصي انا الفاني . ان المهم والمقصود هو وعي الامة كلها التي تجمدها وشكلها رأي رجل واحد ، نعم ان الذي حدث انه تبلورت البلد كلها تحت رعاية شخص ، في التفكير حتى ان استاذ الجامعة لما كان يحضر لتدريس التاريخ يملؤه تزييف ويعمل سدا ما بين الماضي كله وبين الحاضر بعد الثورة . البلد ـ بالحكم المطلق ـ تفقد جزءا كبيرا من وعيها .

■ **د. عبد العظيم انيس :**

لعب ان اقول ، ان النقطة التي يختلف منها الاستاذ توفيق الحكيم فيما يتعلق بالحكم العاطفية في أحكامنا على افكار الثورة وانجازات الثورة والجوانب الايجابية فيها والجوانب السلبية ، اعتقد ان هذا الخوف غير

متوفر فى عدد كبير من الموجودين هنا ؟ وعلى الاخص اتحدث عن الصف الذى أنا موجود فيه ابتداء من خالد محيى‌الدين حتى د . فؤاد ثم لطفى الخولى ثم أنا ، لاننا قاسينا فى ظل الثورة الكثير . وأنا عن نفسى اقول فى ايجاز انني فصلت من الجامعة سنة ١٩٥٤ بقرار من مجلس قيادة الثورة لا لشىء الا لافكارى السياسية . ثانيا اعتقلت ٥ سنوات و٣ شهور أيضا فى ظل عبد الناصر وحوربت فى انتخابات ١٩٥٧ ، وفى لقمة العيش . كل هذه اعتبارات لا تجعل مجالا لاى مشاعر عاطفية خاصة من ناحية اتجاه عبد الناصر . انما أحاول ان أؤكد رؤية موضوعية للمجتمع المصرى وتطوره خلال العشرين سنة الاخيرة ، رؤية موضوعية تتضمن ايجابيات كثيرة لازم ندافع عنها ونتمسك بها من اجل المستقبل وتتضمن ايضا السلبيات ».

■ لطفى الخولى :

دكتور أنيس هل نفهم من كلامك ان هذه وجهة نظر أخرى ، وان من تعرضى للمعاناة فان هذا يمنعه من الرؤية الموضوعية للتجربة ولا يجعل منها معيارا للحكم على عبد الناصر والتجربة .

■ توفيق الحكيم :

هذا ما يجب ان يكون رائدنا هنا . اننا موجودون من اجل مصر فى مستقبلها الذى نحاول نراه . وهذا واجبنا هنا ان نفسر باننا نطرح أسس تفكير لمصر فى المستقبل . فاذن نحن نطرح — جانبا — عاطفتنا واريد استبعاد حبى وانت عارف ، وانا دائما احبه جدا بقلبى فى الحقيقة : شتمت ناس من أعز الناس لى على‌ان عبد الناصر . ومن المعروف انني قليل البكاء . ولكن لما رأيته فى الصور بعد موته ، ما قدرت أن امنع الدموع .

■ د. عبد العظيم انيس :

والان نعود الى فكر الثورة وأفكار عبد الناصر . وهنا سوف نستقى أساسا الاننا من كثير من التطبيقات بالاضافة الى عدد من الخطب . فى السنتين الاوليين من الثورة كان هناك صراع شديد فى مجلس قيادة الثورة ، ولم يستقر الا بعد سبتمبر ١٩٥٤ . وبالتالى ، كانت هناك اتجاهات فكرية مختلفة : كان هناك اتجاه وطنى . هذا الاتجاه الوطنى غير محدد المعالم وهذا الاتجاه الوطنى حاولت الامبريالية الامريكية أن تطوقه فى السنوات الاولى من الثورة بشكل واضح . لقد جاء وقت ، ظن فيه عدد من اليساريين ان الامبريالية الامريكية أفلحت فى تطويق الثورة بهذا الشكل . ولو ان هذا ثبت أنه غير صحيح ، لكن يهمنى الاشارة الى حقيقة الموقف من الناحية التاريخية .

عبد الناصر فى كتابه « فلسفة الثورة » من خطوط استراتيجية عامة تتعلق بالنضال الوطنى ، فيما يتعلق بمصر ، ووضعها فى الدوائر الثلاثة ، التى أساسيها خطوط استراتيجية عامة : الدائرة العربية والدائرة الافريقية ودائرة الاسلام .. وفى تقديرى ان هذا الكتاب كان يعكس حدود وقصور فكر عبد الناصر فى هذا الوقت ، هذا الفكر الذى تطور بعد ذلك تطورا كبيرا من الناحية الاجتماعية ، وكان ينقص الثورة فكر اجتماعى واضح «وفكر جماهيرى واضح . بمعنى على‌أى قوة سياسية وبأى شكل شعبى يمكن ان تعتمد الثورة ؟ ولذلك ابتدأت تجارب الثورة فى هذا الاتجاه مع الاتجاه الوطنى العام الذى سارت فيه . ففكرت فى تنظيم مثل هيئة التحرير تحت شعارات النظام والاتحاد والعمل . لكنها كانت منظمة غير جماهيرية — وكانت بأغلبها رسمية أكثر من اى شىء وفشلت فشلا ذريعا فى كل شىء . ثم تستطع ان تعبر عن أى شىء . ثم جاء بعد ذلك موضوع الاتحاد القومى حتى ١٩٦٢ . هذا لخصنا فكر الثورة فى خطوط كبيرة — فى الفترات الاولى — وخصوصا فكر عبد الناصر ، فان فكر عبد الناصر كان متجها : الى فكر وطنى عام ، استقلال وطنى .. جاءت نسميها فكرة نظرية ، وطبعا هى فكرة مطروحة فى العالم كله من قبل عبد الناصر . ثم محاولة كسر شوكة الاقطاعيين من طريق اجراء اصلاح زراعى يستطيع ان يكسر شوكتهم دون تحديد واضح لمواقف ومطالب .. الفئات الاجتماعية الاخرى فى الريف ، ابتداء من فقراء الفلاحين حتى أغنياء الفلاحين (وهم ليسوا الاقطاعيين) ويختلفون عنهم فى ان الاقطاعيين هم أساسا كبار الملاك غير المقيمين — عادة — فى القرية ، والذين يتبعون أسلوبين . أما أسلوب الاستغلال على عمل الاجراء فى التنمية الزراعية ، أو أسلوب تأجير الاراضى وهم يقيمون فى المدينة ، لكن اغنياء الفلاحين [ملاك الخمسين فدانا والمئتين تماما والمائة فدان ، وحتى فقراء الفلاحين الثورة لم يكن لها عند قيام الثورة فكر واضح . ولذلك ترتب على تالون الاصلاح الزراعى من الناحية الفعلية أنه دعم المراكز الحقيقية لاغنياء الفلاحين . القائمون بالطبع أنصف عددا من فقراء الفلاحين .. لكنه ظل

محدودا جدا بالنسبة لجمهرة الفلاحين في الشعب المصرى ، التى ظلت مكاسبها محدودة بالنسبة لمكاسب السياسية والاقتصادية التى كسبها اغنياء الريفيى داخل القرية المصرية . هذه النقطة ،، تبين أن الفكر النظرى غير منفصول عن التطبيق . واستدل من هذا ، أن حدود الفكر النظرى الذى كان موجودا — فى هذا الوقت — فى داخل مجلس قيادة الثورة وهو كسر شوكة الاقطاعيين ، لا اكثر ولا أقل ، دون الاهتمام الكافى بأن تسود الارض لمن يفلحها ، وأن يحدث تطوير ثورى فى الريف المصرى من الداخل ،،

ايضا ، احد الاهداف التى كانت موجودة فى كسر شوكة الاقطاعيين هو تحويل عدد من هؤلاء الى مساهمين فى الصناعة والتجارة فى المدينة ،،

فاذا جئنا الى فكرة التصنيع . فسوف نرى انه الى جانب الاعتماد على الجزء الاتوفر من تحويل امكانيات الريف الى الصناعة والى المدينة ، كانت هناك فكرة اساسية فى ذلك الوقت هى الاعتماد على رأس المال الاجنبى فى تقدم الصناعة المصرية وتنميتها .. ولذلك جاء التعاون الذى اشار اليه خالد محيى الدين حول رأس المال الاجنبى ،،لكن هذه الفكرةفشلت فى التنفيذ فشلا تاما لان الامبريالية الامريكية — فى محاولتها لتطويق ثورة ١٩٥٢ — كانتتستهدف اهداف قيادة الثورة لم تكن قيادة الثورة مستعدة أن تعطيها على الاطلاق ، وبالتالى ، وقف موضوع تدفق الاستثمارات الاجنبية الى الداخل الذى كان مرتبطا بتحقيق هذه الاهداف السياسية ، من ناحية تدعيم مركز الامبريالية الامريكية فى مصر وفى المنطقة العربية كلها ،، ايضا من الافكار التى طرحها عبد الناصر فى كتابه « فلسفة الثورة » — ولو لم يطرحها فى الكتاب بصراحةووضوح — انها اعتقد شخصيا انها كانت فى باله لانه لا ننسى ان عبد الناصر والضباط الاحرار دول خلاصة تجربة ١٩٤٨. وحرب ١٩٤٨ ، فكرة البعد العربى والدائرة العربية كانت ايضا فى اذهانهم لانه كان مستحيلا ان يتطور الصراع بين مصر واسرائيل ويصبح معزولا عن بقية العالم العربى وخصوصا المشرق العربى يعنى سوريا — الشعب الفلسطينى — لبنان — الشعب العراقى .. الخ المنطقة الملاصقة لاسرائيل . النظرة الى اسرائيل ككيان صهيونى من خلال دعم الامبريالية العالمية لها كالقصبا الغليظة للامبريالية لم تكن واضحة فى كتاب فلسفة الثورة . بالاضافة انى قلت ان كتاب فلسفة الثورة — ايضا — لم يكن يطرح قضايا فكر اجتماعى بكيفية واضحة . تلك تحدود الفكر الذى كان موجودا فى الفترة الاولى بشكل عام. هو فكر وطنى عام، لكن تطبيقاته كانت مقصورة فى هذا الاتجاه . اذ لا وجود لتنظيم شعبى حقيقى تعتمد عليه الثورة، ولا محاولة لتاصيل هذه القضية، قضية تنظيم الشعب ودواعيها ومستقبلها ، وبالاضافة الى عدم وجود فكر اجتماعى واضح . لهذا نستطيع ان نقول بشكل عام : ان الضباط الاحرار وقيادة الثورة كانت تعكس — فى تلك الفترة والى حد كبير اجزاء من البرجوازية المصرية التى كانت تتبنى الاستقلال ، وكانت تتمنى التصنيع ، ولكن كانت تدرك ايضا قصور امكانياتها فى ظل الوضع الدولى والمحلى الذى كان مسائدا فى هذه المنطقة ، وكانت تتمنى ايضا نوعا من التعاون العربى يقرب اشياء كثيرة من التى بدت بعيدة فى تلك الفترة.

فى المرحلة الثانية ايضا ، وانا اقول بايجاز شديد التى هى فى رأيى، ابتدأتمن كتاب الميثاق وما بعد هذا . الثورة ، حدث تغيير كبير فى فكرها خلال هذه المدة ، لانها تعلمت دروسا كثيرا . وهذهالدروس انعكست ،بدون شك ، فى كتاب الميثاق الوطنى . وعلى الرغم من الايجابيات الفكرية الكثيرة التى انعكست داخل الميثاق ، هناك سلبيات فكرية احدد بعضها : اولا ، ابتداء لست من المقتنعين بان هناك شيئا اسمه الناصرية بمعنى Nasserism أى نظرية فكرية مثل الماركسية ومثل الوجودية ومثل الوضعية المنطقية .

الافكار التى طرحت فى الميثاق كثير منها اما افكار تتعلق بالنضال الوطنى ، وانا أحبذهـا تحبيذا كاملا . واكار تتعلق بالوحدة العربية من ناحية المبدأ واحبذهـا . والفكار تتعلق بالعدل الاجتماعى أكثر مما اسميها اشتراكية بالمعنى العلمى . مهذلك طرحت افكارا تفازل الفكر الاشتراكى كثيرا فى داخل هذا المنطوق ، واقترب من الفكر الاشتراكى اقترابت كثيرةداخل الميثاق الوطنى لاشك وينبغى ان نقول هذا بشكل واضح ،،

الاجتهادات النظرية التىفى الميثاق اجتهادات كثير منها شاقع بلاستثناء اجتهاد أن اثنين ،،

أما اهمية النظر الى مصر — فى الميثاق — كقاعدة لنضال فى العالم العربى ضد الامبريالية الدولية ، ومن أجل المحافظة على الاستقلال الوطنى ، فلا شك أن هذا ليس اجتهاد عبد الناصر انما هذا تطبيقه . وهذه الرؤيا ، تحمدلعبد الناصر كرهيم .

ومن الطبيعى ان نؤيد فى كل هذه — ايضا — الافكار المتعلقة بالنظرة العربية

للمنطقة .. البعد العربي عندما ينعكس ، في ميثاق، هو — ايضا — بعد هام .والبعد المتعلق بالعدل الاجتماعي ، وعديد من الافكار الاشتراكية التي اقرت بأن هناك صراعا اجتماعيا بين الطبقات .. وهي ايضا افكار صحيحة . كانت موجودة — بالطبع — قبل عبد الناصر . لكن الجديد ان عبد الناصر تبناها وأصبحت جزءا من سياسة الدولة الرسمية .

وربما كان الاجتهاد النظري الوحيد الذي اضافه عبد الناصر، في داخل الميثاق ، — وانا باعتبره أضعف اجتهادات عبد الناصر — هي فكرة تأميم الصراع الاجتماعي .. فكرة تأميم الصراع الاجتماعي تنعكس بشكل أو بآخر في داخل الميثاق على اساس ، انه يمكن في ظل دولةفيهاعلاقاتراسمالية ، وفيهاطبقات أن يوفق بين هذه الطبقات بحسن تدبير الحاكم .. ويمكس هذا فيما يسمى تحالف قوى الشعب العاملة، انا لست ضد تحالف قوى الشعب العاملة ، وهو مبدأ سليم .. لكن يجب الا ينظر الى التناقضات بين فئات تحالف قوى الشعب العاملة فقط من زاوية .. ان هذه التناقضات لابد وان تنفجر ، بمعنى أن تؤدي الى كارثة ، لان هذه التناقضات يمكن حلها في ظل صراع اجتماعي صحيح . ولكن لابد ان يعطى لهذا الصراع الاجتماعي مدلوله الحقيقي في تنظيماتجماهيرية تستطيعانها تؤثر على النظام وتستطيع أنها تعكس حقيقة رغبات جماهير العمال والفلاحينالذين يمثلون الاغلبية الساحقة ..

هناك كانت فكرة تسيطر على ذهن عبد الناصر وهي انه يمكن عن طريق السلطة ومن طريق الدولة ، ومن طريق الحاكم العادل ، الذي يقف فوق هذه الطبقات كلها ويفوق الصراعات لان يحل التناقضات الاجتماعية . لكن هذا لم يكن صحيحا من الناحية الموضوعية ، بدليل انه ، من سنة ٦٥ اي بعد انتهاء الخطة الخمسية الاولى، كان لابد من اجراءات فيداخل الزراعة المصريةاساسية من اجل ضمان تراكم رأس المال . وهذا هو القانون الذي الزمته كل الثورات من ناحية التنمية الاجتماعية كان لابد من فوائض قطاع الزراعة لتوفير أو احداث تراكمات جديدة من الاستثمارات . ثم انه كان لابد من ادخال نظام التعاون التلقيحي في الزراعة المصرية وتوسيعه ، لكن هذا لم يحدث خوفا من انه يمس الملاك أو يمس حرية المزارعين الفرديين في زراعة ما يريدون .

وبسبب أن هذه الاجراءات لم تنفذ يمكن — في الواقع — ان نلقي الضوء على الصراعات التي نشأت في بعض انحاء الريف وسميت بقضايا الاقطاع . وفي تقديري ان هذه الصراعات لم تكن بين اقطاعيين وبين فلاحين فقراء ، بل بين فقراء الفلاحين من ناحية ، وبين اغنياء ومتوسطي الفلاحين . وقد بدا في لحظة أن عبد الناصر انحاز لجانب الفلاحين وصغار الملاك .

واعتقادي — بعد هذا — أن أضعف النقاط في سياسة عبد الناصر، كانت فكرة« تأميم الصراع الاجتماعي » ان عبد الناصر لم يستخدم هذا التعبير ، لكن الميثاق عبر عنه ، ويمكن استخلاصه منه من خلال دراسة الصيغة المقترحة للتحالف ،وهي أن يوجد تنظيم واحد ، ولا توجد منابر تعبر عن مصالح العمال ومصالح الفلاحين الفقراء في داخل الاتحاد الاشتراكي .. لقد تصور انه يمكن أن توجد منظمة متجانسة تقودها قيادة فوق الصراع الاجتماعي ، وتستطيع أن توفق — حسبما تريد — بين مختلف الطبقات.

ربما نجد، أنه في فترة من الفترات ، ان هذه الفكرة نجحت من ناحية التطبيق ،لكن هذا النجاح كان في رأيي نجاحا مؤقتا لا يلبث ان يصطدم بحقائق أساسية في داخل المجتمع المصري . وهذا ما حدث ، وتبين العجز الواضح في الاتحاد الاشتراكي حين لم يؤد اي دور لمصلحة فقراء الفلاحين ..

■ احمد عباس صالح :

أريد أن أذكرك يادكتور عبد العظيم بأن الميثاق نص — ايضا — على وجود حزبطليعي داخل الاتحاد الاشتراكي ، ومنذ ١٩٦٢ بدأ يكون ما يسمى بالتنظيم الطليعي لانه وضحت أن فكرة تأميم الصراع الاجتماعي ، هذه فكرة تكتيكية ستنتهي في آخر الأمر الى حزب توري قيادي له فكر متكامل . واظن ، انه عقب تكوين هذا التنظيم ، تكون ما يمكن أن يسمى « بمدرسة للكادر » وهي المعهد الاشتراكي . ولو راجعنا برامج المعهد سنجد انها كانت تتجه اتجاها سليما وواضحا نحو فكر اشتراكي علمي . وبالنسبة لفكرة امكان الحياد المطلق في الصراع الطبقي ، لم نتحقق ايضا هذه الفكرة في التنظيم الطليعي .. والحقيقة ان هذا التنظيم في اتجاهاته الفكرية ، ايضا ، لم يصمد عند مواقع فكرية ثابتة .. النظرية كانت موجودة ولكن بدا أن التطبيق سيؤدي — فيما يبدو لي — الى أن يعمل التنظيم

الطبيعي على العـــد من سلطـــان عبـــد الناصر – بعض الشيء – في الهيبة على القوة الاجتماعية . فالافكار كانت موجودة وتنفذ ، ثم يعدل عنها ، فيه نوع من ...

■ د. عبد العظيم انيس :

صحيح أنا متفق مع الاستاذ احمد عباس صالح . واقول انه كان هنـاك « مداعبـات » كثيرة لدى الباب رسميا لمم استمرار الاجـراءات الثورية ، لكن في الناحية التطبيقية – ورغم هذه «المداعبات» – من الواضح انه كان يتهيب اتخاذ هذه الاجراءات وكان يتخوف من ان تفلت زمام سيطرته على الموقف في هذا الاتجاه ...

■ احمد عباس صالح :

بعجرة للمقاطعة ... اظن في ٦٩ بدأ يحدد الملكية الزراعية من جديد الى ٥٠ فدانا ، واذكر ان هذا الكلام طرح في خطبة من خطب عبد الناصر . وكان هناك كلام كثير في تصريحات او مناقشات حول اتجاه عبد الناصر الى مزيد من الحد من الملكية الزراعية بهدف تصفية او الحد من سلطان اغنياء الفلاحين . واعتقد ان هذا كان واردا ، بدليل ،انه حتى بعد ٦٧ كان هناك تفكير في مزيد من تحديد الملكية الزراعية ،فمعنى ان التطبيقات تتعارض في النهاية مع فكرة الحيـــاد بين القـــوى الاجتماعيـــة المختلفة ...

■ د. عبد العظيم انيس :

ليس هناك خلاف بيننا في هذا الاجتهاد الثاني . أنتقل الى نقطة اخرى :

في الميثاق اجتهاد نظري .واعتقد انه كان اجتهاد ناصر على النظرة الى تـــاريخ مصر ما قبل ٥٢ . كان هناك نوعـا من التعسف في الفكر النظري المتعلق بهذه النقطة وبالذات في النظر الى ثورة ١٩ وسعد زغلول وكل ما احاط بها . هنـــاك تضخيم مبـــالغ فيه لمرحلـــة ما قبل الثورة . وبالتالي ، ما يؤدي اليه هذا التبسيط النظري الشديد من اعمال كثير من صراعات الشعب المصري وقياداته فيما قبل الثورة .

■ توفيق الحكيم :

المســئول عن هذا بعض أعضـــاء الحزب الوطني الجديد الذين سائدوا الثورة ، لانهم كانوا خصوم ثورة ١٩ . وكان اتجاههم واضحا للنيل من ثورة ١٩١٩ والتقليل من دور سعد زغلول . ولهذا ربما لم يكن عبد الناصر مسئولا مسئولية رئيسية في هذه النقطة ، اذ لم يكن له مصلحة في ذلك .

■ د. عبد العظيم انيس :

هنيا ينظر مؤرخ الى الميثاق يجد هذا التقصير .

ومن المشـــاكل التي طرحت ، وكانت محل استفهام طويل ، ولا تزال محل مناقشة والى الان ، مشكلة ما يسمى « بالمعادلة الصعبة » وبمقتضاها يمكن التنمية الى حدود مضاعفة الدخل القومي دون ان تدفع ثمن هذا اي فئات اجتماعية داخل المجتمع ودون ان يدفع الشعب المصري ثمنا لهذا ، ودون ان تدفع البرجوازية الوطنية واغنياء الفلاحين ثمنا لهذا . وقيل أن هذه معادلة صعبة وانا رأيي أن هذه كانت معادلة مستحيلة . والدليل على هذا انه بعد انتهاء الخطة الخمسية الاولى [التي استفادت فائدة كبيرةمن اجراءات التيسير التي تمت بعد ٥٦] طرحت القضـــية من جديد طرحا واضحا . ولم يكن هناك اجابة عليها على الاطلاق . لانه بعد ان أممت ، واخذت رؤوس اموال الاجانب ووظفتها كان لابد وان نبحث عن تراكم جديد لرأس المال من أجل التنمية . لاننا لا نستطيع في ظل نضالنا الوطني ان نعتمد على الاربض أساسا ، او على المعسكر الاشتراكي . فالمعسكر الاشتراكي سوف يساعد بقدر جهده . لكن الاساس هو أن تساعد نفسك ، اي أن نقطة الانطلاق هي ما تفعله انت وتضع اسسه في الداخل .

اذن ، قضية المعادلة الصعبة ، مثلها مثل تاييم الصراع الاجتماعي كانت من الاجتهادات الجديدة لعبد الناصر . وفي رأيي الشخصي ، ان كلتا القضـــيتين من اضعف ما في هذه الاجتهادات النظرية .

هذه بشكل عام ، وبايجاز شديد الافكار التي طرحت في المرحلة الثانية .

وبالطبـــع انعكست هـــذه كلها في سياســـة التصنيع ، فاتجهت الى التركيز على الصناعة

الاستهلاكية،مثل صناعة السيارات ، وصناعات اخرى .. ليس بمعنى كلامى هذا ، انه ليس هناك جهد ايجابى كبير فى الخطة الخمسية الاولى .. نعم كان هناك جهد ايجابى لاينبغى أن ننكره ولكننا نتكلم – هنا – عن قصور أفكار التنمية الموجودة فى الميثاق كما انعكست فى التطبيق . فهذه نقطة تتعلق – ايضا – بعدم المزج بين التطبيق ، وبين الفكر النظرى فى عدد كبير من القضايا ..

من ضمن الافكار التى لا تزال ايجابية فى داخل الميثاق فكرة عدم الفصل بين الحرية السياسية وبين الحرية الاجتماعية .. هذا التفكير كان تفكيرا جديدا بالنسبة للمجتمع المصرى .. الاشتراكيون القدامى واليساريون كانوا دائما يؤكدون على هذا المعنى الى أن تبنته الدولة رسميا فى الميثاق الوطنى ... وهذه النقطة ايجابية على الرغم من سوء التطبيق فى بعض الاحيان . واخيرا فانه مع كل القصور يظل فى رصيد الثورة وفكر عبد الناصر فكر نظرى صحيح ينبغى أن ندعمه ونتمسك به من ناحية المبدأ حتى لو حصل اختلال فى التطبيق .

■ توفيق الحكيم :

الفكرة التى تبنت رسميا ارتباط الحرية السياسية بالحرية الاجتماعية فكرة صحيحة وانا أفكر انني كتبت قبل الثورة وقلت الصوت السياسي تابع للصوت الاجتماعي، نابع للملكية .. كبار الملاك .. كبار الملاك وهمين عندهم الارض الذين يأخذون ، ليس ثروة بحصول القطن فقط بل ويأخذون الاصوات السياسية .. هذه الافكار كانت موجودة طبعا لكن كونها توضع رسميا كمنهج رسمى للدولة ، فهذا مهم ..

ظاهرة اخرى ، كنت أحب أن تدرسوها ، هى انه تولدت بعد تحديد الملكية يعنى ، ظاهرة جديدة تتمثل فى أن هناك اغنياء فى الريف يكونون ثروات كبيرة لا من التملك بل من تأجير الارض لانهم يستفيدون من أن الايجارات منخفضة أيضا .. ايجار الشقق المفروشة .. فأصبح هناك طبقة من الاغنياء على أساس الايجار من على أساس الملكية .. وانا أعرف ، فى الريف ، بعض الناس الذين كانوا فى غاية الفقر تقريبا . وكانوا مستأجرين بسطاء فترقى أولاد هم الى طبقة جديدة اقتصاديا فلا يعمل بأيده انما اخذ ينمو ، واشترى جرارا، بخاريا ،وبدأ يؤجره،وبدأ يستخدم صغار الفلاحين الفقراء الذين كان فى صفوفهم فى يوم من الايام ..

■ لطفى الخولى :

هذه هى النقطة التى اشار اليها د . عبد العظيم ، من أن تطبيق الاصلاح الزراعى ادى الى توسيع قاعدة اغنياء الريف وخلق الظروف المناسبة لاستغلالهم .

■ توفيق الحكيم :

وهذا الثرى اصبح عضوا فى الاتحاد الاشتراكى ، واصبح له اتجاهات سياسية وله دور أساسى .. فالارض لمن يزرعها اتخذت معنى آخر .. هو كان يزرعها سابقا ، ولكنه ترقى الى انه لم يعد يزرعها بيده ، ولكن اصبح طبقة مالكة مالك بلا ملك .. أو هو صاحب ملك قليل ، مالك بمثل لعشرة أفدنة ، ولكن استغلاله فى ٥٠ فدانا ، واذا به من أثرياء الريف .

■ احمد عباس صالح :

موافق على اغلب العرض الذى قدمه د . عبد العظيم انيس ولكن هناك نقطه فى المنهج لكن هى فى الموضوع ايضا . وهى انه ينبغى وضع الفكر الذى طرحته ثورة ٢٣ يوليو ليلة ٢٢ يوليو فى المبادىء الستة بالنسبه للافكار التى كانت مطروحة فعلا فى المجتمع المصرى والصراعات السياسية التى كانت موجودة فى المجتمع المصرى .

فى الواقع لو لا حظنا الفترة من ٤٦ الى ٥٢ سنجد أن هناك قبوا واسعا الى حد ما للافكار الاشتراكية العلمية ،وبلورة لها فى المجتمع ، وكانت تطرح كثيرا من الحلول لمشاكل المجتمع ، سواء من ناحية الاستقلال أو من ناحية اعادة الثورة الاجتماعية .

وكانت هناك ايضا شرائح مختلفة من التفكير اليسارى الى جانب اتجاهات الفكر اليمينى والتصنيفات المختلفة . نفيجة هذه الصراعات ونتيجة ظروف معينة ، حدثت ثورة ٥٢ ، ولم تطرح الا ذلك الجانب الذى فيه شىء من الغموض ،فى المبادىء الستة ، التى طرحتها فى هذه الفترة . هذا الجانب ، فيما اعتقد ، كان امتدادا لتيار فكرى موجود ايضا فى المجتمع المصرى ، كان يفكر فى تحديد الملكية

الزراعية ؟ كان يفكر فى توسيع قاعدة الطبقة الوسطى لحكم المجتمع المصرى . هذا النوع من التفكير النظرى طرح فى حزب أحمد حسين ومحمد خطاب ومريت غالى وأيضا أظن الدكتور أحمد حسين [جمعية الرواد] هذا النوع من الافكار ربما كانت المبادىء الستة تشير اليها الى حد ما .»

واستمر صدام ثورة ٢٣ يوليو من خلال هذه البلورة ضد الفئات أو القوى الاجتماعية التى تختلف مع هذه المبادىء ، بمثل الاختلاف مع بعض قيادات حزب الوفد فيما يختص بقضية الاصلاح الزراعى ، بينما كانت قطاعات أخرى حتى من الرجعية اليمينية الشديدة توافق على تحديد الملكية الزراعية . وظل الموقف الفكرى للثورة .. وهو يتبع ـ الى حد ما ـ ظاه الفكرة التى تظن أن سيطرة الطبقة الوسطى الصغيرة على المجتمع المصرى ، واتساع قاعدتها هى الوسيلة للاصلاح الاجتماعى فى مصر .

ما أحب أن أضيفه ، أن عملية ثورة ٢٣ يوليو كانت فى الواقع فى حالة جدليه مع القوى الاجتماعية فى مصر . وأن تغيرها وانتقالها من وضع فكرى الى وضع فكرى آخر كان نتيجة لهذا الجدل ، وهذا الصدام وأيضا نتيجة المشاكل الموضوعية التى طرحت نفسها . الخلافات زى ما قضيت وكما قلت قبله حتى سنة ٥٦ كان التفكير انه من المحن التنمية الصناعية تأتى عن طريق رأس المال الحر الاجنبى والمصرى وتشجيعه الى حد مطلق .. ووضعت القوانين التى كانت تعفى المشروعات الصناعية من الضرائب لمدة خمس سنوات ، وانشيء البنك الصناعى ،يعنى كانت هذه الافكار امتدادا لنفس الافكار القديمة الخاصة بالمجموعة الوسطية التى تمثل الطبقة الوسطى ، ولكن هذا فى التطبيق فشل .. يعنى ان الثورة كانت تحاول تنفذ شيئا ما ـ طبقا للمفاهيم التى جاءت بها أولا ـ ولكنها لا تلبث ان تكتشف أنه لم يحدث تجاوب بينها وبين الطبقات التى ظن أنها تمثلها . وفعلا لم يحدث التجاوب ، لأنه فيما يبدو من خلال التجربة التاريخية ـ لا ترضى طبقة ان تحكم بالنيابة ولابد أنها تحكم نفسها بنفسها ، ومن هنا تطور الفكر .. فكر ثورة ٢٣ يوليو على اساس « براجماتى » وكان عبد الناصر يقول دائما « التجربة والخطأ » وظللنا فى مرحلة التجربة والخطأ الى الميثاق .. الميثاق يمكن نقول ده بداية تبلور لانه فى الواقع ـ حتى عبد الناصر ـ كان يلح على أن الميثاق هذا ليس نظرية ، انما هو دليل عمل فى مرحله معينة [١٠ سنوات] وانه لا يلبث ان يتغير وده برضه منطلق من منطلقات التفكير [البراجماتى] ان لا يتقيد بنظريه ، حتى يكتشف الواقع أو يحدد له مفاهيم ومهما كان هذا التفكير صحيحا أو غير صحيح فسوف نلاحظ انه حدث نتيجة تفاعله مع القوى الرئيسية فى المجتمع ـ وهى قوى العمال والفلاحين ـ انه أقترب شيئا فشيئا من الافكار الاشتراكية .

ولعلنا لو وضعنا جدولا أو رسما بيانيا لحركة الفكر لثورة ٢٣ يوليو ، فسنجد انها كانت تصعد باستمرار مع وجود شيء من الذبذبات الى اتجاه اليسار ، وحدثت محاولة لتحديد معنى ـ مثلا ـ الاشتراكية . الميثاق جاء وقال الاشتراكيه العلمية وقال ان هناك صراعا طبقيا ، لكن عندما قلبت قيادة بعض الاوساط اليمينية عاد عبد الناصر وقال : والله انا أعنى بالاشتراكية العلمية هو اننا نفكر بمنهج علمى فى تطبيق الاشتراكية ، وهو منتجب الاصطلاح العلمى الشائع فى الثقافة السياسية . وبحن نعلم انه قد نشب صراع فى داخل الاتحاد الاشتراكى وتنظيماته المختلفة حول اشتراكية عربية أم اشتراكية علمية .. الخ .. لقد حاولت بعض القوى أن تطالب عبد الناصر بأن ينفى أو يستبعد المفهوم الاشتراكى من الاصطلاح العلمى الشائع تحت شعار فكرة الاشتراكية العربية على أساس أن لها خصائص مستقلة ، وانها نابعة من البيئة .. الخ .. المهم للقهرب من مضمون كلمة الاشتراكية العلمية الذى ورد فى الميثاق والذى لم يكن تفسير عبد الناصر له تفسيرا قاطعا لابعاده عن الاصطلاح العلمى الشائع . لكن ونذكر جميعا انه فى احدى الجلسات فى كتيب طبع ظن كان مع ابناء الاتحاد الاشتراكى أو غيره من هذا القبيل فى الجيزة حدد عبد الناصر انه لا توجد اشتراكيات متعددة ، بل توجد اشتراكيه واحدة ، وانما يوجد تطبيق عربى للاشتراكية . وهذا أيضا كان تطورا فى المفهوم العام عند عبد الناصر وفى الواقع أن عبد الناصر كان يقترب شيئا فشيئا من الأفكار المطروحة فى المجتمع المصرى وكان يجرب بعضها ، كان يرفضها أولا ثم تأتى المشاكل فيقبلها ثم يمشى معها . انما القول باضافة فكر أو اختراع فكر أسمه الفكر

الناصرى هو فى الحقيقة قضية محل جدل ». ونحن نعلم عن وجود كثير من الكتابات فى هذه الفترة فى مجتمعات العالم الثالث ظن لها ـ لظروفها الخاصة ـ يمكن أن يكون بها ايضا نظرية خاصة وما اكثر الكتابات التى كتبت حول .... البحث عن نظرية ، وما ظهر من الطريق الخاص .

ربما كان فى ذهن د . عبد العظيم أن يحدثنا عن المواقف الاساسية الفكرية فيما يختص بالصراع بين الكتلتين الكبار ، مثل فكرة عدم الانحياز والحياد الايجابى ، وتكوين كتلة ثالثة فى مواجهة الصراع بين الكتلة الراسمالية والاشتراكية فهذه ايضا كان لها اثر فى التفكير ، ولكن سرعان ما تعدل هذا التفكير . فبعد أن كان يتجه الى أن يكون حيادا بين الكتلتين توسع معنى الحياد الايجابى ، واتضح انه كان انحيازا الى جانب القوى الاشتراكيه فى عدائها وتصفيتها للامبريالية .. كل هذه الافكار فى الواقع كانت موجودة وينبه اليها عبد الناصر وثورة ٢٣ يوليو .. الا انه فى التطبيق فى الواقع كان هناك خلل كبير جدا . يعنى تطرح مفاهيم على المستوى الفكرى عظيمة جدا ولكن لم يكن هناك تطبيق سليم او سابق لهذه المفاهيم .. الان لم يبق من الحركة الناصرية ـ أن صحت العبارة ـ الا الفكر . فاذا ما ناقشنا هذا الفكر نجده عملا مفكرا متقدما وهذه هى نقطة التناقض التى سنصطدم بها ـ باستمرار ـ وهى انه اثناء قيادة عبد الناصر كانت هناك افكار عظيمة مطروحة ولكن فى التطبيق الحقيقة كانت هناك فواصل ، وبالعكس ، كان يمكن خروج على هذه المفاهيم فى كثير من الاحيان . وذلك كما قال الدكتور عبد العظيم عندما أشار الى الالتزام بعضية فكرية وعدم الالتزام بهذه القضية فى التطبيق . وكان د . عبد العظيم يريد فى الواقع أن يصل الى النسبة الحقيقية أو النسبة الطبيعية لهذه القيادة فى الصراع الفكرى .

قضية « التوازن الاجتماعى » وفكر التوازن الاجتماعى فيما يتعلق بهذه القضية نحن نعلم انه لم يظهر فى تاريخ السياسة حكم ، يخيل او يتصور ، انه من الممكن أن يكون هناك حياد فى المنطقة فى مواجهة الطبقات . لم يعرف فى التاريخ السياسى أبدا مثل هذه الفكرة الا فى حزب العمال البريطانى . فقد روج هذا الحزب لفكرة حياد الدولة فى مواجهة الطبقات . فحتى هذه الفكرة لم تكن جديدة فاذا صح هذا ، تعين علينا أن نتخلص اعتبار الناصرية مذهبا سياسيا ، وانما هى حركة ثورية برجمانية ، تمثل بالتدريج الى مفهوم نظرى . ثم يتعين بعد ذلك متابعة هذا الخط الذى اوشك أن يصل الى المفهوم النظرى العلمى الحقيقى فى السنوات الاخيرة قبل ٦٧ بقيادة عبد الناصر لثورة ٢٣ يوليو .

بعد ٦٧ حصل نوع من التوقف ، وساد الظن بأن العملية انتقلت من ثورة اجتماعية تحررية الى ثورة تحرروطنى ، وبالتالى ، فان كل التحولات الاجتماعية ينبغى أن تتوقف وفى هذا المناخ سادت فكرة التجميع الوطنى ، الا انه لم يحدث توقف فحسب ، بل حدث أيضا رجوع عن الثورة الاجتماعية .

ان ملخص كلامى هو اننا ونحن نحاول أن نكتشف الافكار الاساسية لثورة ٢٣ يوليو علينا ان ننتبه الى انها ثورة برجمانية تقترب ، او تحاول الاقتراب من مفهوم نظرى كامل ، لكن هذا لم يتم الى وفاة عبد الناصر .

■ **توفيق الحكيم :**

احب أن أضيف شيئا الى هذا المفهوم ، ان كلا من النصب على النواحى السياسية والاقتصادية ويجب الا ننسى حصيلة ثورة يوليو فى الجانب الفكرى هل تقدمت بالفكر ، من حيث هو فكر ، او ساعدت على ظهور التخلف الذى يسمونه الرجعية التنارية فيما يختص بالتفكير ، هذا النوع من التفكير الذى يشعرنا ـ مع الاسف ـ اننا بحاجة الى معركة أخرى . كنا نظن او نتوهم أننا تجاوزناها وهى مقاومة التخلف الفكرى والتجارة بالدين والرجعية الفكرية ، فالى اى مدى ساعدت حركة ثورة ٢٣ او الناصرية على تشجيع او على الاسمح على ترك التخلف الفكرى ينمو على حساب التقدم الفكرى والحرية الفكرية التى هى الحضارية .

فهذه قضية يجب ان تبحث ، لانه بدون القدمية الفكرية لا يمكن تفهم الاشتراكية .

■ **لطفى الخولى :**

اذا اذنتم ننهى الجلسة الان . وشكرا .

لدواعي الوضوح ، ولاجتناب التكرار في المناقشة ، كلفت الندوة د . مراد وهبة استاذ الفلسفة بجامعة عين شمس بأن يقدم عرضا موجزا لفكر ثورة ٢٣ يوليو كما ورد في الوثائق التي صدرت في حياة عبد الناصر . وفيما يلي العرض الذي قدمه د . مراد وهبة في الجلسة الرابعة .

فكـــر الثـــورة عـن الحرية والاشتراكية والوحدة

بـين وثـــائـق ثـــلاث

● فلسفة الثورة ● الميثاق الوطني ● بيان ٣٠ مارس

في « فلسفة الثورة » يفرق عبد الناصر بين التمرد والثورة من حيث ان التمرد تحقيق لرغبات جزئية في اطار وضع راهن ، أما الثورة فهي تغيير جذري لوضع راهن . ومن هذه الزاوية يقرر أن حركة الضباط الاحرار في « ٢٣ يوليو » ثورة . والثورة علمية الطابع لانها تخضع لقانون العلية القائل بان لكل حدث علة . والعلة قد تكون قريبة عرضية وقد تكون بعيدة جوهرية . والعلة الجوهرية هي العلة الحقيقية ، أي المفسرة لاصول الاحداث — اما العلة العرضية فهي ليست كذلك ، ولهذا ينبغي مجاوزتها الى ما بعدها من علة جوهرية .

وتأسيسا على ذلك يحدد عبد الناصر الملل العرضية لثورة ٢٣ يوليو بأنها حرب فلسطين والاسلحة الفاسدة وازمة نادي الضباط وحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ . وهو بعد هذا التحديد يتجاوز الملل العرضية بحثا عن العلة الجوهرية في اعماق اللاشعور الجمعي للشعب المصري فيعثر عليها في عصر المماليك حيث الطغيان الاجنبي ممتزج باقطاع طاغ .

ولكن ماذا يعني هذا الوضع في عصر المماليك ؟

يعني — في رأي عبد الناصر — فقدان الحرية السياسية والحرية الاجتماعية في آن واحد .

والثورة على هذا الوضع كيف تكون ؟

باسترداد الحريتين في آن واحد ، وهذا لن يتاتى الا اذا انطوت الحرية السياسية على الحرية الاجتماعية ، اي الا اذا تبطنت الحرية السياسية بمضمون اجتماعي .

والحرية ، بهذا المفهوم تنطوي على تناقض ، ذلك أن الحرية السياسية يستلزم تحقيقها مشاركة « كل » الشعب ، في حين أن الحرية الاجتماعية تستقطب « جزءا » من هذا الكل .

ولهذا فالحرية بهذا المفهوم ، في رأي عبد الناصر ، تستلزم منطقا خاصا ، وهو بالقطع ليس منطقا تقليديا اصلاحيا ، لان المنطق التقليدي لا يقر التناقض ، فاما حرية سياسية واما حرية اجتماعية .

فما هو اذن هذا المنطق الخاص ؟

هو منطق ثوري ، على حد قول عبد الناصر ، وهو المنطق الجدلي على حد التعبير الفلسفي ، يقبل التناقض ولا يرفضه ، ولكنه لا يركن اليه وانما يحاول رفعه او ازالته .

بيد ان المنطق الثوري وحده ليس يكفي ، اذ هو يكشف عن التناقض المطلوب رفعه او ازالته ، ولكنه لا يبين حتمية رفع هذا التناقض ، لهذا من شأن النظرية الثورية . ولم يكن في امكان عبد الناصر تاسيس هذه النظرية الثورية . فهو يقر صراحة في مفتتح الجزء الاول من « فلسفة الثورة » انه من الصعب عليه ان يتحدث عن فلسفة الثورة .

اذن النظرية الثورية غائبة ؟

فما العمل ؟

هنا يركن عبد الناصر الى القوى القائمة ، ويستند في تحديدها الى « تاريخية » الزمان ، و « لامية » المكان . تاريخية الزمان تمثل تاريخ الشعب المصري في نضاله التواصل . ولامية المكان تكشف عن قوى ثلاث : القوة العربية والقوة الافريقية ، والقوة

الاسلامية . ولكنه عند تحديد القوة الاسلامية يحرص على بيان البعد السياسي للعقيدة الاسلامية . يقول « يجب أن تتغير نظرتنا الى الحج . لا يجب أن يصبح الذهاب الى الكعبة تذكرة لدخول الجنة بعد عمر مديد ، او محاولة ساذجة لشراء الغفران بعد حياة حافلة . ويجب ان تكون للحج قوة سياسية ضخمة » . وتتمثل هذه القوة السياسية ، في رأيه ، في رفض تعاطي « **الوهم** » الذي يصدره الينا الاستعمار . ونحن بالفعل قد تعاطينا هذا الوهم لعدة قرون طويلة امتدت من العصر المملوكي حتى القرن التاسع عشر حيث غاب العقل اذ تركناه هائما على وجهه في الصحراء ، وتجلى الوهم في هذه الهتافات :

« يارب يا متجلي .. اهلك العثملي »

« يارب يا عزيز .. داهية تاخد الانجليز » .

وخلاصة القول ان هذه القوى الثلاث – بمنظور تقدمي – ينبغي ان تكون في خدمة تحقيق الحرية السياسية المبطنة بمضمون اقتصادي ، أي في خدمة الاشتراكية ، لان هذا المعنى الذي يحدده ناصر للحرية يحدده للاشتراكية

ولكن أية اشتراكية ؟

من أجل الجواب عن هذا السؤال أصدر عبد الناصر « **الميثاق الوطني** » في ٢١ مايو ١٩٦٢ أي بعد مرور عشر سنوات على ثورة ٢٣ يوليو .

وكان من المتوقع ان يطرح **عبد الناصر** النظرية الثورية . ولكنه طرح ارهاصات لها . وتجلت هذه الارهاصات سلبا حين قال ان التسليم بوجود قوانين طبيعية للعمل الاجتماعي ليس معناه القبول بالنظريات الجاهزة والاستغناء بها عن التجربة الوطنية .. التجربة الوطنية لا تفترض مقدما تخطئه جميع النظريات السابقة عليها او تقطع برفض الحلول التي توصل اليها غيرها . كما تجلت هذه الارهاصات ايجابا حين قال « **ان الاشتراكية العلمية هي الصيغة الملائمة لايجاد المنهج الصحيح للتقدم** » ومعنى هذه العبارة ان **عبد الناصر** لم يكن مهيأ لقبول الاشتراكية العلمية كنظرية ثورية فاكتفى بقبولها كمنهج . ومن ثم فقد وقف عبد الناصر عند « عتبة » النظرية الثورية .

ولكن هل الوقوف عند هذه العتبة يكفي ؟

الجواب بالسلب . واغلب الظن ان هذا الجواب كان واردا في ذهن عبد الناصر . وقد حاول أن يعهد به الى التنظيم السياسي الذي اقترح تأسيسه من داخل تحالف قوى الشعب العاملة كلها ، والذي اقترح تكوينه من « الطلائع » القادرة على قيادة التفاعل السياسي نحو هدف تذويب الفوارق بين الطبقات . ومفهوم الطلائع عند عبد الناصر يدور على الطبقة العاملة باعتبار ان العمل هو المقياس الحقيقي للقيمة الانسانية على حد قول عبد الناصر » .

ومعنى ذلك أن الطبقة العاملة – كطليعة – منوط بها تذويب الفوارق بين الطبقات . وهنا مكمن الغموض ، أو مكمن الاصالة في التجربة الناصرية . ذلك أن عبد الناصر يقر الصراع الطبقي ولكنه يتصوره على مستويين :

المستوى الرأسي يدور على الصراع بين القوى الرجعية المتمثلة في تحالف الاقطاع ورأس المال المستغل وبين قوى الشعب العاملة . وهو صراع يتحتم فيه ازالة القوى الرجعية .

والمستوى الافقي يدور على الصراع بين قوى الشعب العاملة . وهذا الصراع هو الذي ينبغي أن يكون حله « سلميا » في اطار الوحدة الوطنية وعن طريق تذويب الفوارق بين الطبقات .

ومن خلال هذا المفهوم للصراع الطبقي يطرح **عبد الناصر** قضية **الوحدة العربية** . فهو يرى ان هذه الوحدة لا يمكن ان تتحقق الا اذا تحققت « **الثورة الشاملة** » في المجتمع العربي . وهو يعني بالثورة الشاملة تحقيق الحرية السياسية المبطنة بمضمون اقتصادي ، أي الاشتراكية . وهنا أيضا يتصور عبد الناصر الصراع الاجتماعي على مستويين :

المستوى الراسي يقوم على الصراع بين الرجعية العربية المتحكمة وبين الجماهير الزاحفة الى اهدافها . ودليله على هذا الصراع ما يعانيه النظام القديم في العالم العربي من جنون الياس وفقدان اعصابه وهو يسمع من بعيد في قصوره المعزولة وقع اقدام الجماهير الزاحفة الى اهدافها .

والمستوى الافقي يقوم على الصراع بين القوى التقدمية الشعبية والقوى الرجعية والانتهازية في العالم العربي .

واذا « بنكسة » ١٩٦٧ تهز هذا الامل الذي كان يرقب تحقيقه عبد الناصر ، فيتراجع الى الوراء ، ولكنه سرعان ما يقفز الى الامام بفضل الموقف التاريخي لجماهير الشعب يومي « ٩ ، ١٠ يونيو » فاذا بعبد الناصر يطرح « برنامج ٣٠ مارس » ، وفيه يحاول وضع برنامج عمل لسد الثغرات التي أدت الى النكسة . وهي ثغرات تشهد على فساد المناخ ، فيصححه بفكر اوضح وحشد اقوى وتخطيط ادق ، على « أمل » أن تكون للارادة الشعبية مقدرة اجتياح كل العوائق والسدود نافذة واصلة الى هدفها .

ومع ذلك يبقى السؤال المصيري :

هل ثمة بارقة أمل ؟ .

الرأى ..

والرأى الآخر

فى هذا العدد ينشر باب « الراى والراى الاخر » حوارا هاما حول قضية لم تزل مطروحة ، هى قضية الليبرالية .

فتحت عنوان « من هم الليبراليون ؟ » ، كتب غيليب جلاب ليكشف القناع الزائف عن مدعى دعاة الليبرالية ، هذا القناع الذى بات يستتر خلفه دعاة اطلاق الحرية الكاملة للمشروع الخاص ، وبالتالى للاستغلال الرأسمالى . وبعد أن أوضح فيليب جلاب أن الليبرالية فى صورتها النظرية والكلاسيكية لم يعد لها وجود ، حدد أن أنصار الليبرالية فى مصر هم أحد فريقين :

— فريق المستغلين الذين يدعون طبول « الحريات » لينقضوا على التكتسب الاقتصادية والاجتماعية للجماهير .

— فريق المثقفين المخلصين والمستنيرين الذين يرفعون شعارات ليبرالية لفهم لا ينسون القضية الاجتماعية .

ولقد انبرى للكاتب والمفكر المعروف الدكتور حسين فوزى ، أن يطلع على مقال فيليب جلاب ، ووافق على أن يناقشه بمقاله القادم تحت عنوان :

فصل فى الليبرالية « الجميع »

وفى هذا المقال يؤكد د . حسين فوزى على حقيقة أن الليبرالية لم تمت ، وهى بالدقة هذه الليبرالية التى تعنى اقامة مجتمع مفتوح ، تقدم فرصا متساوية للجميع ، ويفتح باب الترقى أمام الكفاءة والموهبة . وان ما هو مطلوب ليس هو النظام الرأسمالى بل اقامة توازن بين نظام اشتراكى معادل وبين ما يسميه د . حسين فوزى « بالليبرالية الجديدة » .

وقد تضمن باب الراى والراى الاخر ايضا مقالا هاما نناقش فيه د . ميلاد حنا قضية الجامعة الاهلية ، وقد فيه الصحيح السطحية للبعض ، والتى تروج لاثار هذا المشروع ، وأكد على الاضرار التى يمكن أن تترتب على تنفيذه من التاهيلين العلمية والاجتماعية

اما المقال الاخير الذى كتبه الدكتور عبد الرحمن شير ، تحت عنوان « حق قوى الشعب العاملة فى اقامة تنظيماتها المستقلة » .. فقد رصد فيه مواقف الطبقة العاملة فى الدفاع عن حرياتها النقابية وحقوقها الاقتصادية ، وربط هذا كله بحق الطبقة العاملة فى الوجود التنظيمى المستقل داخل تحالف قوى الشعب العاملة صاحبة المصلحة فى التحول الاشتراكى .

● من هم « الليبراليـــون »
.. وماذا يريدون ؟!

فيليب جلاب

الذين يتحدثون عن حقهم فى ابتلاك ماشاءوا او استطاعوا من الارض والمصانع يقولون انهم ليبراليون والذين يطالبون بالحرية لانفسهم دون الآخرين يسجلون أسماءهم ايضا ضمن قائمة الليبراليين. وفى الفترة الاخيرة يكفى أن يكتب احدهم أو يعلن عن رغبته فى تكوين « أحزاب » سياسية لكى يتبه على غيره ممن لم يسعدهم الحظ بالمطالبة بالاحزاب ! أليس « ليبراليا » ؟ اليس من المناضلين من أجل الحرية حتى لو كان نشاطه الخاص السياسى والاقتصادى وتصفية كل ما عداه من أنشطة عامة ومصالح لملايين المصريين ؟!

وفى احدى جلسات الاستماع فى مجلس الشعب منذ أسبوعين تساءل احد كبار الليبراليين فى استنكار : « **اذا كان فى امكانى أن أحرق فلوس ... فكيف لا أستطيع أن أعمل مصنعا بهذه الفلوس ؟ ...** « **الحرية** » مرة أخرى ؟! .. حرية « المواطن » فى أن يحرق ما يملكه ؟!

ولم يقل احد للاستاذ الليبرالى أن الليبرالية حتى فى منتصف القرن الثامن عشر فى بداية عهدها الذهبى لم تكن تسمح « بحرية » حرق الاموال الخاصة . ولم يقل له أحد [جرجا أو تهذبا] أن القوانين الوضعية فى اكثر المجتمعات الاوروبية « تحررا» تعاقب من يفعل ذلك بأمواله الخاصة ، اذا كان متهتما بقواه العقلية .

أما الشريعة الاسلامية فلا تحاسب فقط الذين يحرقون أموالهم الخاصة ، ولكنها تقرر الحجر فورا على الذين يتصرفون فيها بسفه واضح . وهى مسألة يملك أن يطالب بها اى مواطن ضد أى سفيه برفع دعوى «الحسبة» المعروفة !

• • •

ماهى الليبرالية اذن ؟ ومن هم الليبراليون ؟

الذين أسسوا الليبرالية وصاغوها كمبدأ فكرى وسياسى فى الغرب [وهى بالمناسبة من الافكار المستوردة !] يقولون ان الليبرالية عقيدة وفلسفة وحركة تلتزم بالحرية كمنهج وسياسة فى الحياة للفرد وللمجتمع . وهى تعنى لديهم نظريا وعمليا أقصى قدر من الحرية الاقتصادية وأقل قدرا من تدخل الدولة . وهى حرية الرأسمالية والنشاط الخاص فى مقابل أى شكل من اشكال الاشتراكية والشيوعية .

والحرية لدى الليبراليين تعنى أو كانت تعنى فى بدايتها الحرية للجميع : اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا ودينيا ... الخ .

لكن الحرية للجميع بنفس القدر شعار يصعب تحقيقه داخل اى مجتمع بل وحتى داخل اية اسرة بطريقة حسابية . ولسنا هنا بصدد سرد مراحل تطور الفكرة او العقيدة الليبرالية فى اوروبا حتى انتهت الى ما انتهت اليه حاليا . لكن تطور المجتمعات الرأسمالية نفسها وتعقد الحياة وتضارب المصالح بين القلة المالكة والكثرة العاملة التى ناضلت كثيرا من أجل حقوقها أوصل الليبرالية بمعناها التقليدى الى ما يقوله بعض دعاتها المعاصرين : **لقد سقطت الليبرالية منذ منتصف القرن كنظام للفكر وتنظيم**

للحكومة والمجتمع . انها اليوم اشبه بشعائر جنازة على جثمان يرفض الموت ! وذلك كما تقول « دائرة المعارف البريطانية » .

وقبل ان تسقط الليبرالية بزمان طويل،وعندما كانت لا تزال تبدو كنظام لمثل ، أدرك بعض انصارها من فلاسفة التنوير انه « ليست هناك حكومة تسمح بحرية مطلقة » . وهو يعني ان حكومات الليبراليين انفسهم لا تسمح بحرية مطلقة لغير انصارها .

وبدأت ضرورات التطور الاجتماعي تحدث اثرها بين الليبراليين ، وتضطر بعضهم الى عدم تجاهل الديموقراطية الاجتماعية في مقابل الديموقراطية السياسية ، اذا صح ان هناك ديموقراطية سياسية دون مضمون اجتماعي . او كما يقول ماكزيني : ان الليبرالية تقوم على ثلاث : «الاقتراع العام والتعليم المجاني وضمان حق العمل » .

والمهم في هذا كله ان اكثر المجتمعات راسمالية اليوم وهي الولايات المتحدة الامريكية لم تعد نموذجا من الناحية الاقتصادية لما نادى به الليبراليون الاوائل وفلاسفة الاقتصادية الحر. ولقد اشار **الدكتور عبد العزيز حجازي** رئيس الوزراء اكثر من مرة لهذه المفارقة في رده على دعاة الاقتصاد الحر في مصر . يقول الدكتور حجازي [في نفس جلسة الاستماع في مجلس الشعب] : « كنت الان في لقاء مع مجموعة رجال الاعمال الامريكيين وسألني واحد منهم : هل انتم متجهون للاقتصاد الحر الغربي ؟ فقلت له اين الاقتصاد الحر الغربي ؟ ان عندكم في الولايات المتحدة الامريكية قطاع عام والدولة تتدخل في الزراعة والتموين الزراعي ، ولهذا هناك تحكم في اسعار المحاصيل .. المجتمعات كلها الان شرقا وغربا لم تعد فيها الرأسمالية المطلقة ... » .

• • •

نحن اذن امام واقع جديد معروف لليبرالية او هو واقعها الحقيقي في تطبيقها العملي منذ نشأتها بدرجة او اخرى . وهذا الواقع يتلخص في مرحلتين :

●● الاولى هي مرحلة الليبرالية « الكاملة » اي حرية اقتصادية مطلقة من الناحية العملية مع حرية سياسية مطلقة من الناحية النظرية . ذلك ان اصحاب رءوس الاموال والمسيطرين على ثروات المجتمع وهم دائما قلة ذات نفوذ خطير في ظل الرأسمالية ، لم يسمحوا للاخرين بنفس القدر من الحرية السياسية ، لان الحرية السياسية المطلقة لن تسمح بسيطرة القلة على الكثرة في المدى البعيد ، وستؤدي الى تجمع الغالبية العظمى وتضامنها مع حقها في تنظيم نفسها سياسيا ، مما يهدد سيطرة الاقلية الرأسمالية في الصميم . ولذلك كانت الصيغة الليبرالية في تلك المرحلة هي الحفاظ على شكل « الحرية للجميع » مع السيطرة على كل المراكز الحساسة في المجتمع من النواحي الاقتصادية والاعلامية والتنفيذية ، بحيث تصبح الاغلبية بشكل الحرية وتنفرد الاقلية بالشكل والمضمون معا .

●● اما المرحلة الثانية التي يسميها بعض الليبراليين بمرحلة « **سقوط الليبرالية** » ، فهي التي اصبح فيها الحفاظ على الرأسمالية او الاقتصاد الحر اهم من التمسك بأشكال جوفاء من الحريات السياسية . وهي مرحلة تدخل الدولة الرأسمالية في الاقتصاد « الحر » الى اقصى مدى ممكن وفقا لظروف كل مجتمع ومشاكله الطبقية ونفوذ العاملين فيه .

واصبحت هناك صيغة « تلفيقية » تجمع بين قدر من الحرية الاقتصادية وقدر من الحرية السياسية يحفظ للطبقات المالكة اقصى قدر ممكن من الهيمنة . ولذلك لم يعد أحد يجرؤ ، في اكثر الدول « حرية » من ناحية النشاط الاقتصادي الخاص ، على الزعم بأن هناك نظاما ليبراليا بالمعنى المقصود في الكتب أو عندما ظهرت الفلسفة الليبرالية وطبقت هنا او هناك .

وفي كل الاحوال أصبحت الليبرالية **مظهرا** لحرية مطلقة بعد أن كفت عن ان تسكون **تعبيرا حقيقيا** عن حرية مطلقة .

والا فمن الذي يمكن أن يزعم ان المواطن الامريكي العادي الذي يمثل ٩٠ ٪ من الامريكيين يملك اكثر من حرية نظرية ، لما ملأت الالوف من ادوات وأجهزة الاعلام الاذاعي والتليفزيوني والصحفي والثقافي التي يسلطها عليه يوميا ممثلو النظام الحقيقيون من كبار الرأسماليين ورجال الاحتكارات ؟

أن ذلك لا يعني أن هذه المجتمعات تخلو تماما من اي اثر « للحرية » . لكن هناك هامش دون شك « للمعارضة » بالقدر الذي يحفظ للنظام واجهة شرورية ويحول دون الانفجار النهائي .

لكن اذا اصبح النظام « مهددا » من جانب الغالبية حتى باقتراع حر ديموقراطي فان اول مايلجأ اليه كثير من مدعي الليبرالية هو الانقلاب العسكري المسلح وهو الوجه الاخر لاي رأسمالية اقتصادية وسياسية .

ومثال « **شيلي** » الشهير والاخير ليس هو الحجة الدامغة الوحيدة . ان هناك سلسلة لا حصر لها تبدأ بهتلر في عام ١٩٣٣ وتمر من

قبل ومن بعد بايطاليا وأسبانيا والبرتغال ، دون أن نسقط من الحساب مجموعة شرق أوروبا وغيرها قبل الحرب العالمية الثانية .

• • •

فماذا عن مصر وعن الذين يرددون ويزعمون أنهم ليبراليون لمجـرد أنهم يرفعـون شـعار الاحزاب ؟

لعله من المهم أن نؤكد أن هذا لا يعني ادانة لكل من ينادى بشعار الاحزاب . كما أنه ليس موقفا من شعار الاحزاب نفسه . لكننا نناقش الذين يزعمون أنهم ليبراليون لمجرد رفعهم لهذا الشعار .

علينـا أيضا أن نفرق بين بعض الـكتاب والمفكرين الليبراليين الذين تستهويهم فكرة الحرية، أو الليبرالية دون أن تكون على حساب حقـوق الغالبيـة العظمى من المصريين وما اكتسـبوه اجتماعيا خلال سنوات الثورة ، وبين أولئـك المتشدقين بليبرالية جـوفاء تعنى حقهم فى أن يمتلكوا ما شاءوا على حساب هذه الاغلبيـة وحقهم فى تشكيل تنظيماتهم السياسـية التى تحمى ما يملكون وما يتطلعون لامتلاكه .

ولعل هذا ما يعنيه **الاستاذ توفيق الحـكيم** بقوله ... « فلما جاءت ثورة يوليـه ١٩٥٢ ووضعنا فيها أملنا فى هذا التصحيح والتوجيه وجدنا أن هذا يحدث فى اطار الحكم المطلق . ومع ذلـك رضينا بهـذه الاشتراكية بديلا عن الديموقراطية ، أى عن الحرية الليبرالية.. » ولعله نفس ما يستهدفه مفكر **كالدكتور حسين فوزى** بشكل عام ومن مجمل كتاباته المتنوعة دون نص مباشر حول هذه الفكرة .

وهو أيضا ما يستخلصه **الدكتور زكى نجيب محمود** عندما يطالب بعدم التسوية بين الافراد .. « اذ فيم يفكر العقل وفيم يكون الراى اذا كان القالب النموذجى أعد للجميع على حـد سواء ؟ » .

ولسنا فى مجال حصر أولئك الذين تستهويهم الليبرالية دون أن يتخلوا عن موقفهم من الدفاع عن حقوق ومكتسبات الاغلبية العاملة فى مصر فهم فى النهاية يجتهدون لايجاد صيغة تكاد أن تكون مستحيلة، ويشفع لهم دائما حسن نواياهم ونفورهم الطبيعى من فلسفات اليمين الرجعى الـذى يرفـع ويمتهن فى نفس الـوقت أكثر الشعارات بريقا .

لكن المشكلة الاساسية تتعلق بأولئـك الذين يتحدثون عن الليبرالية بمعناها الغربى الكامل ، والذى سقط نهائيا فى نفس التربة التى أنبتتها.

واذا كان لديك الوقت والجهد لتحليل كـل ما يكتبون ويكررون صباح مساء ؟ فان خلاصة ما يطلبون هو أن تكون هناك حرية « للناس » فى اسـتثمار « أموالهم » وحرية للنـاس فى تكوين « تنظيماتهم » . فاذا حاولت أن تكتشف من هم الناس الذين يطالبون لهم بهذه الحريات فستصل على الفـور الى أنهم « **أولئك الـذين اضطهدوا** » فى « **ممتلـكاتهم** » و « **حرياتهم** » **لحساب القطاع العام** . !

فاذا افترضنا أن هؤلاء المطـالبين بالحـرية يحسنون الظن بالليبرالية .. أو أن أنباء ووقائع الليبرالية الغربيـة الساقطة لم تصلهم بعـد فستتوقع منهم أن يطالبوا « بالحرية للجميع » أيا كانت القيمة العملية لهذا الشعار . لكنك لن تصدم عنـدما تقرأ لهم دون مواربة أن **الحرية ليست « للمنحرفين »** ! ومن هم المنحرفون فى رأيهم ؟ انهم **خصومهم السياسيين** ، وكل الذين يدافعون عن تنمية اقتصادية لصالح الاغلبيـة وليست على حسابها . وكل الذين يتمسكون بديموقراطية سياسية ذات مضـمون اجتماعى واضح . وكل الذين يقاومون محاولات تصفية القطاع العام كمؤسسة قيادية للاقتصاد المصرى .. أو كل الذين يدافعون عن منجزات وايجابيات ثورة ٢٣ يوليو فى أى مجال .

لكن الليبراليين يحـاولون التخلص من بعض الحرج أحيانا فيتفضلون بالتصريح : « اننـا لا نمانع فى قيام حزب للشيوعيين ! » ... كأنهم جهـة الترخيص بقيام وتكوين الاحـزاب ... وسيتفضلون بالتنازل والموافقة حتى بالنسـبة لحزب الشيوعيين .. !!

ان الليبرالية كما عرفتها أوروبا فى البداية ليست شعارا ولكنها موقف ثابت يبدأ من سقراط واصراره الهادىء على الموت فى سبيل الحقيقة، وينتهى بفولتير الذى يبدى استعداده للمـوت دفاعا عن حق خصمه فى أن يقول رأيه .. !

هـل هناك وجـه شبه واحد بين أولئـك الليبراليين العظام وبين الهزال «الليبرالى» الذى يطنطن به أعدى أعداء الحرية فى بلادنا ؟

وأى ليبرالية تلك التى تحاكم الماضى «بجرأة» منقطعة النظير ، وتنافق الحاضر [دون أن تؤيده] بثبات وتناسق منقطع النظير أيضا ؟

وأى ليبرالية تلك التى تدعى أن صـحفها مفتوحة « للرأى الاخر » .. بينما تغلقها نهائيا دون « الرأى الاول » .. وأى رأى ؟

لقد سنحت الفرصة لمدعى الليبرالية أن يثبتوا جدارتهم بما يدافعون عنه . لكن الصحف التى يسيطرون عليها لم تشهد قهرا واستئصالا للرأى الاخر كما تشهده الان على أيديهم !

واذا كان هـذا هو نموذج الليبرالية الذى يقدمونه ويدعون اليه فهو يؤكد المعنى الـذى

تصدنا اليه من البداية ؟ وهو أن الليبرالية « الجديدة » التي يطالبون بها هي حرية « رأس المال الفردي » المصرية » والاجنبي في الانفراد بمصر والمصريين بعد تصفية كل ما يرونه « عائقا » او عقبة في هذا السبيل .

القضية في النهاية هي عودة الراسمالية بكل عنفوانها وبعد ان قامت ثورة ٢٣ يوليو لاظفارها.

لما الليبرالية الحقيقية التي لا يقصدونها فهي التي اشرنا اليها والتي تطورانها في اوروبا من قبل . وهي التي تعني — بصرف النظر عن النتائج العملية — حرية كل الناس في التعبير عن انفسهم في نقابات واتحادات واحزاب وصحف دون رقابة من احد . وربما لن يختلف احد مع هذا النوع من الليبرالية ، لكن آلاف الكلمات المنبثقة وكل الحيل الصحفية والاعلامية لن تخدع احدا ليقع في فخ ليبرالية الراسمالية الاكثر استغلالا ، او حرية رعوس الاموال في استنزاف جهد وعرق ملايين العمال والفلاحين والعاملين المصريين .

ان الحرية التي لا يعرفها هؤلاء الليبراليون هي حرية كل الفئات والطبقات الوطنية في التعبير عن نفسها بشكل منظم ومسئول وفي جني ثمار عملهم في مصر المستقلة الاشتراكية والديموقراطية. وهؤلاء بالتحديد [ومن يمثلونهم فكريا] هم اكثر الناس ليبرالية في القول والعمل بالنسبة لانفسهم ولخصومهم رغم انهم لم يزعموا أنهم ليبراليون ولم يرتفعوا هذا الشعار ! .

● فصل في الليبرالية « البعبع »

د. حسين فوزي

.. ردا على مقال فيليب جلاب « من هم الليبراليون وماذا يريدون ؟ » كتب الاستاذ الدكتور حسين فوزي مقالا بعنوان : فصل في الليبرالية « البعبع » ..

تساءل الاخ والزميل فيليب جلاب في جراة مشكورة عمن هم الليبراليون ، وماذا يريدون . اي والله ! لاننا بعد طحن الدكتاتورية الموصوفة بمراكز القوى [يولمزم] ، وصلنا بر السلامة لنتساءل عما هي الليبرالية ، وماذا يريد اصحابها .

والاحظ ان الاستاذ جلاب يرضيه توصيف الليبراليين على هواه ، فهم كذا ، وهم كيت ، من مقاسات الطول والعرض والعمق . ولا احسبني اجادله فيمن يختارهم ممثلين لليبرالية ، فهم في رايي الصورة المعكوسة لمنافقين آخرين زعموا الايمان بالاشتراكية الى درجة وصفها بالعربية ، وربما ذهب بعضهم الى انها اشتراكية ابي ذر الغفاري . ونشهد أننا رأينا اثر هذه الاشتراكية في منجزات كان الشعب وغالبية المثقفين على اتفاق بخيرورتها ، منذ الاربعينات ، وعلى حق الشعب الكامل في التمتع بمزاياها ، وهي « منجزات وايجابيات ٢٣ يوليو في اي مجال ».

والتوازن الحكم على هذه المنجزات بعامة ، والانصاف فيه لا يقوم على الايجابيات وحدها ، بل يقتضي موازنتها « بالسلبيات » . وفي رايي أن الطريق الوحيد لهذه الموازنة هو ان نسائل انفسنا عن اثر كل منها في الحياة العامة والخاصة ، وعلى شئون الوطن داخليا وخارجيا ، قبل حركة التصحيح ، واثر كل منها على السلوك الاجتماعي ، والاخلاق الفردية ، والتعليم العام والفني والجامعي ، وعلى الادارة ، والعاملين بهذه الادارة ، ديموقية كانت ام مؤسسات .

كان في ديدرو في ضيافة الامبراطورة كاترين الثانية — وهي في عصرها تحسب على من وصفوا بالمواهل المستنيرين — يناقش فيما تسال عنه قيصرة الروسيا ، كلما خلت اليه بعد الانتهاء من مهام الدولة ، ومن اقواله لها فيما اذكره : انه مهما كان الحاكم المطلق خيرا في طبيعته وفي انجازاته ، فانه ينتهي على الاغلب بنيكة وطنية .

وآسف ان لا أجد نص كلام ديدرو كما ترجمته في مقال « بالملحق الادبي والفني » لصحيفة « الاهرام » منذ سنوات طوال . وكان ذكر هذه الواقعة في اسطر قليلة هي كل ما حذف من مقالاتي على مدى حياة « الملحق » المأسوف عليه .

وانه مهما شهد التاريخ بعبقرية **نابليون** في الادارة والحرب ، فقد نكب الشعب الفرنسي في النهاية باحتلال عسكري اجنبي . وقد طالبه حينذاك ماريشالاته المقربون ، موفدين من مجلس الامة ، بأن يولي الشعب الفرنسي عرض أكتافه ، ويرحل دون هوادة ، الى غير رجعة .

وما أسهل التشدق بايجابيات **موسوليني وهتلر** ، وقد حقت عليهما حكمة ديدرو ، قبل أن يولدا ، وكان خيرا كل الخير لايطاليا والمانيا ان لا يولد هذان المجرمان .

أكرر انى لا أرى جدوى من مناقشة ما جاء بمقال أخي وزميلي **فيليب جلاب** ، وقد خصصها لفئة جعل منها « علاقة » لكل ما يرفع عنها صفة الليبرالية .

وليس هنا مجال فسيح للنقل عن نصوص الحريات السياسية ، والحقوق السياسية ، والاجتماعية من دساتير الدول الليبرالية الكبرى .

انما تحضرني كلمة للصحافي الامريكي وولتر ليمان : « واجب وضرورة ، لتقوية الجمهورية ودوامها في عصر الحروب والثورات أن نحافظ على اقتران الحرية ـ كما مارسها الرئيس جفرسون ـ بالسلطات التي طالب بها الكسندر هاملتون . فلا شيء أضر بنا أكثر من عدم المبالاة بهذين المبدأين . فالحرية قرين السلطة ، لان عشق الحرية يدفعنا الى اهمال سن القوانين التي تحتويها وتقومها . كما أن النوجس من الحرية يجرنا الى انكارها وخنقها . انما الحرية الحرية في حماية القانون المرضي عنه من الشعب ، هي التي تعمر طويلا » .

الليبرالية الحقة هي التي ترى الخير والشر في كل عمل أو انجاز انساني لعدمها بأن الكمال لمدبر الكون وحده . وأنا أتفق مع الاستاذ جلاب في سرب مثالب ما اوثر وصفه « بالليبريالية البعبع » . وأحب أن يصدقني عندما أؤكد له ايماني بالاشتراكية العلمية ، وثقتي بأنها هي التي نجحت في تصحيحات العالم الرأسمالي . وصدق من قال بأن الرئيس فرنكلن روزفلت قاوم الازمة الاقتصادية التي نزلت بالشعب الامريكي يوم جمعة اسود في خريف ١٩٢٩ ، وذلك بفرضه المشروع الذي عرف « بالنيوديل » عقب توليته الرياسة سنة ١٩٣٣ ، ومجمله وسائل اشتراكية .

ويحسن أن نسعى الى اقامة توازن بين نظام اشتراكي معتدل وبين ما أصفه بالليبرالية الجديدة . وقطب من اقطابها هو العلامة الاقتصادي الكبير جوزيف شومبيتر ، وادعو الاستاذ جلاب بأن يعود الى قراءة كتابه عن « الرأسمالية والاشتراكية والديموقراطية » ، ويكفيني هنا أن أشير الى القسم الثاني من كتابه حين يقدم له بمدخل يتساءل فيه : « هل في استطاعة الرأسمالية أن تواصل حياتها ؟ » ويجيب عن هذا السؤال بقوله : كلا ، لا أظنها تستطيع .

وفي القسم الثالث ، وعنوانه : « هل في استطاعة الاشتراكية ان تفلح عمليا ؟ » ويبدأ القسم بقوله : « أي نعم ، تستطيع بطبيعة الحال » .

كما أرجو أن يطالع خاتمة هذا الكتاب ، مذكرات وضعها لمحاضرة القاها امام الرابطة الاقتصادية بنيويورك في اليوم قبل الاخير من سنة ١٩٤٩ ، وقبل تسعة ايام من وفاته [يناير ١٩٥٠] :

« كان **كارل ماركس** مخطئا في تشخيصه للطريقة التي ينهار بها المجتمع الرأسمالي . ولكنه لم يخطىء في توقع انهياره . وأخطأ أنصار الركود الرأسمالي [وهم الركوديون اصطلاحا] كذلك في تشخيصهم للاسباب التي تفسر عملية الركود . ولكنهم قد يكونون على حق في تشخيصهم لمسار هذا الركود ، وبمعونة كافية من القطاع العام .

والان أسمح لنفسي بمعاقبة الاخ والزميل على طريقة استعانته « بدائرة المعارف البريطانية » بوسيلة ذكرتني بسخرية السيد رئيس جمهورية مصر عندما طالب اللوام والرافضين باكمال آية « ولا تقربوا الصلاة » . وليس هذا مكان ترجمة المادة كلها التي كتبها **البروفيسور ماكس ليرنر** استاذ الحضارة الامريكية « **بجامعة لويس برانديس** » . تكفي بعض فقرات مادة « الليبرالزم » التي تشغل نحو سبعة أعمدة . وذلك في قسمها الاخير ، وعنوانه « **الليبرالية في النصف الثاني من القرن العشرين** » . وتبدأ بالجملة التي ساقها الاستاذ جلاب ، بعد أن حذف مطلعها ، وهاهي ذي بتمامها : « **قال عدد من مراقبي القرن العشرين عند منتصفه بتدهور الليبرالية كنظام فكري ، وتنظيم حكومي واجتماعي . ولكنهم في هذا كمن يجرون شعائر الجناز على جثمان يرفض أن يموت . ويمكن القول بأن الادوار الكلاسيكية لليبرالية تعتبر في اغلبها ادوارا سلبية ، ذهبت قبض ريح التاريخ . ولكن ما لا يتضح هو : هل ينطبق هذا الحكم كذلك على الدور الديموقراطي ، ودور الرخاء في ايجابيات الدولة الليبرالية ؟** » .

ويجيء بعد هذا شرح لمشكل الليبرالية الاساسى ، وقد واجهت ليبرالية القرن العشرين بتحيلها التبعة ، أولى من تركها للفوضى ... « وفى النصف الثانى من القرن العشرين كان ثمة ليبراليون كثيرون يؤمنون على كلام هوبهاوس : الحرية بدون المساواة أسم فخيم الرنين ، زرى المعنى . ومن هنا يجيء التوكيد على النواحى الاقتصادية والاجتماعية التى يوضع فى رحابها الكفاح من اجل الحرية . وكذا التجارب فى التنظيم الاقتصادى والرقابة مما حدا بانصار ما يضار الليبرالية الكلاسيكية الى التنبؤ بأن الديمقراطية تسير فى « درب الاستعباد ٨٠ ».

ثم اجتزىء بالفقرة الختامية للمادة : « ومهما حفظ للنظام الليبرالى حياته بعض العناصر التى مكنته من اقامة مجتمع منفتح ، وحياة هانئة نوعا : باب الترقى مفتوح للكفاءة والموهبة . المبدأ الذى لا يهدف الى المساواة بذاتها ، ولكنه يفتح الباب الى فرصة متساوية امام الجميع . ارساء القرارات على الاتفاق العام ، فاذا نزلت نوازل الأزمات اسعجاب الناس لها متكاتفين على مجابهتها بطريقة اكثر حيوية من الاستجابة التى تفرض عليهم فى النظام الشمولى . ازدياد الطمأنينة الاقتصادية بدون تضحية الحرية . وتحويل تيار ما يمكن بطريقة ما أن ينير نزاعا اجتماعيا طبقيا ، تحويله الى نزاع سياسى فحسب ، فبالتالى هذا النزاع السياسى مقبولة من كل الأطراف حتى المغلوب على امره فيها . وأخيرا المبدأ الذى يعتبر كل فرد حاملا فى طيات نفسه قوة مكنونة يجب أعطاؤه الفرصة لاظهارها » .

تعقيب

مع تقديرى الكامل لاستاذنا الدكتور حسين فوزى ، الا اننى لا أرى فى رده اى خلاف جوهرى مع ما كتبته .

فنحن لا نفرق بين منافق « ليبرالى » ومنافق « اشتراكى » . لكن المقال يتعلق اساسا بمدعى الليبرالية وكيف يتخذونها ستارا لاهداف بعيدة تماما عن الليبرالية .

أما بالنسبة لموسوليني وهتلر ، فنحن نعتقد انهما شر مطلق وليس لهما اى ايجابيات على الاطلاق ، وانهما الوجه الاخر للراسمالية المتجردة تماما من الشكل الليبرالى .

لكننا فرقنا فى نفس الوقت بين مدعى الليبرالية وبين الذين يؤمنون ببعض مزايا الليبرالية ، دون المساس بحقوق الغالبية العظمى من العاملين . وضربنا مثلا بالدكتور حسين فوزى كواحد منهم من واقع كتاباته ومواقفه .

وفى هذه المسألة بالتحديد يتفق أستاذنا الدكتور حسين فوزى مع ما ذكرته عنه عندما يقول : « ونحن نسعى الى اقامة توازن بين نظام اشتراكى معتدل وبين ما اصفه بالليبرالية الجديدة » ، بل انه يؤكد ايمانه بالاشتراكية العلمية مما يتجاوز ما ذكرته عنه ايضا .

فيم الخلاف اذن ؟

ربما كان الخلاف حول جدوى تخصيص المقال لمناقشة فئة جعلنا منها « علاقة لكل ما يرفع عنها صفة الليبرالية » . لكن ما فندنا اذا كان هؤلاء هم أعلى الناس ضجيجا فى الحديث عن الليبرالية ؟

والمسألة الاخيرة تتعلق بالفقرة الخاصة بالليبرالية فى دائرة المعارف البريطانية . وواضح من مقالى اننى لم اضعها بين قوسين ، بمعنى اننى لم انقلها كنص ، لكننى نقلت مضامنها تماما . ولم اجتزىء شيئا يغير المعنى على طريقة « ولا تقربوا الصلاة » ، بدليل ان النص الذى اورده أستاذنا الدكتور فوزى لا يختلف فى مضمونه عن معنى الفقرة التى اوردتها . كما انه لم يكن معقولا ان انقل حوالى سبعة أعمدة من الانسكلوبيديا عن مادة الليبرالية .

وفى النهاية لا أرى جراة أستحق عليها الشكر بالكتابة عن الليبرالية . كما اننى لم أر فى جراة فى مواقف وآراء اخرى اعلناها [زملاء كثيرون وانا] ادت بنا الى ما يقرب من عشرة اعوام من الاعتقال .. الخ وكان الاعتقال فى ذلك الوقت يحظى بتهليل وترحيب مدعى الليبرالية ، الذين ادعوا « الاشتراكية » أيضا فى فترة لاحقة .

نبيل جلاب

في العدد الماضي كتب د. عبد العظيم انيس معترضا على اقامة الجامعة الاهلية .. وفي هذا العدد يواصل د. ميلاد حنا الاستاذ بهندسة عين شمس الكتابة في نفس الموضوع مركزا على عدد من النقاط العملية التي تجعل من هذه الجامعة اداة لاستنفاذ موارد الحكومة خدمة للقادرين اقتصاديا وغير القادرين علميا .

جامعة للقادرين ماليا العاجزين علميا

د. ميلاد حنا *

عندما دعاني ابنائي الطلبة لندوة حول « الجامعة الاهلية » في النادي السياسي لاتحاد طلاب جامعة عين شمس ، كنت اتصور انها قضية محسومة وان الحكومة لا تنوي فعلا القيام بمثل هذه المشروعات المتخلفة .. وكان الحوار ساخنا من الطلبة اليساريين الى الحد ان بعضهم قال بطريقة رومانتيكية « ان المشروع لن يمر الا فوق جثثنا » ..

وبمناقشة زملائي الاساتذة في الكلية فهمت بان موضوع « الجامعة الاهلية » مازال موضع الحوار ، وانه من غير المتوقع ان ينفذ في القريب العاجل .. غير ان ما ينشر باستمرار من كتاب اليمين يثير في النفس الخوف ، اذ ان العديد من الامور في بلادنا تنام وتنام ثم تهب واقفة بين يوم وليلة عندما يتبنى الامرفئةاوشخص يملك ان يعطي قرارا .. خصوصا وقد دابت بعض الجرائد في « اليوميات » على ترديد ان الجامعة الاهلية قد تمت الموافقة عليها طالما ان المجلس القومي للتعليم قد استهل بها مقدمة التقرير الذي رفعه الى رئيس الجمهورية وان الرئيس قد وافق على هذا التقرير « برمته » ..

فهل انا ان نناقش الموضوع بهدوء وروية وواقعية

الزمن اللازم لانشاء جامعة

تعطي جرائد اليمين انطباعا بان الجامعة الاهلية قد انشئت فعلا ، وعلى الطلبه الذين لا يسعدهم الحظ بالقبول في « الجامعات الميري » ان يدخروا المصروفات من الان ليدخلوا « الجامعة الراقية » مع بداية العام القادم .

ومن الناحية الواقعية فان هذا الامر غير صحيح ، اذ ان انشاء اي جامعة جديدة ـ للاثرياء او للفقراء ـ يحتاج الى سنوات طويلةمن الدراسة والاعداد .. وحتى بفرض الوصول الى قرار واضح فان عملية الانشاء ذاتها تحتاج الى وقت .. تحديد موقع الجامعة مثلا ـ

(*) استاذ الانشاءات بهندسة عين شمس .

من غير المعقول ان تتكدس القاهرة فوق تكدسها الحالي ويكفي القاهرة ما بها من ازمات وليس من داع لإغراق القاهرة بمزيد من مشاكل اسكان ومواصلات عدد آخر من الطلاب .. وان لم يكن هناك مفر من انشائها في القاهرة فاين تكون .. ؟! في أي منطقة او حي .. هل ستأكل ما تبقى من أرض خضراء أم ستكون في المدن الجديدة حول القاهرة وفي اعماق الصحراء وفي هذه الحالة .. بين المرافق اذ سيحتاج الطلاب الى مدينا سكنية ثم الطرق من والى القاهرة والمواصلات .. الخ .

وبعد تحديد مكان الجامعة وفض مشاكل الحياة فيها وحولها فان المهندسين قد يحتاجون الى ما يقارب السنتين لكي يتدارسوا ويرسموا مباني مثل هذه الجامعة وعمل « البوم » بكل الرسومات والتفصيلات وعمل المواصفات والاشتراطات وحساب الكميات .. الخ وبعد ذلك يأتي موضوع التنفيذ ذاته ويصعب تحديد حجم العمل من الآن ، ما لم يكن هناك وضوح رؤية في نوعية الكليات والمعاهد وشكل الدراسة والتنظيم داخلها وهل ستكون ككليات أو كاقسام .

بمعنى أن يكون هناك مثلا قسم للطبيعة ويقوم بتدريس طلبة الطب والهندسة والعلوم والزراعة .. عشرات المشاكل تبدأ رأس كمهندس عند التفكير في انشاء الجامعة ..

وحتى بعد الانتهاء من المباني ، فان الجامعة ليست مبنى عادي يسكنه الاهالي بمجرد الانتهاء منه !! ولكنه يحتاج لوقت في « فرشه » ، واعداده داخليا : للعامل ، الورش ، التجهيزات للمدرجات وغرف الدروس ، شراء الكتب وتجهيز المكتبات .. وحتى اعداد الملاعب وأماكن للترفيه ...

وفي هذا الأمر يكون انشاء الجامعة كمبنى الفندق يحتاج الى جهد ووقت في التجهيز لا يقل — ان لم يزد — عن وقت وجهد اعداد الهياكل الانشائية والمباني وتشطيباتها وخير دليل على ذلك ما يعرفه سكان القاهرة من ان فندق الماريديان قد استغرق أكثر من عشر سنوات حتى يمكن افتتاحه جزئيا ولم تستكمل أجزاء داخلية به حتى الان .

من كل ذلك يتضح أن الوقت اللازم لانشاء جامعة لا يقاس بالأشهر — كما توحي الصحافة السطحية — ولكنه — كالصناعة الثقيلة — يحتاج الى وقت طويل في الدراسة التخطيطية والهندسة ووقت أطول في التنفيذ .

الجامعات استثمار ضخم

عندما انشئت بعض الجامعات الاقليمية اتخذت قرارات سريعة بتحويل مبان قائمة كمدارس ثانوية ، أو معاهد عليا ، الى مبان جامعية ، وصدرت الاوامر بتحويل المستشفيات العامة الى ملحقات بكليات الطب ولذلك فان التصور هو ان انشاء جامعة جديدة لا يحتاج الى استثمار ضخم .

غير أن المطالبين بالجامعة الاهلية يرغبون في ان تكون هذه الجامعة نموذجا فريدا من نوعه ، وعلى مستوى الجامعات الاجنبية . ولذلك فان الاستثمار لها عند انشائها سيحتاج الى مبالغ طائلة تقدر بملايين الجنيهات ان لم تكن بعشرات الملايين .. ولا يمكن في مثل هذه الدراسة العاجلة اعطاء ارقام حقيقية اذ ان الميزانية المطلوبة تتوقف على حجم الكليات واعداد الطلبة ، ونوعية الدراسة .

وايا كان المبلغ المطلوب فان السؤال الذي يطرح نفسه أساسا هو :

على نفقة من ستقام الجامعة :

يدعي اصحاب الفكر اليميني انها جامعة اهلية اي انها غير حكومية ويمولون على شرعية ادعائها بأن « الذين يصرخون من قيام جامعة اهلية ، خوفا على الاشتراكية ، وحسرة على اعداد مبدأ تكافؤ الفرص .. لماذا لا يطالبون بانهاء انشاء القطاع الخاص ولماذا لا يدعون لاغلاق المستشفيات الخاصة ، ولماذا لا ينادون بغلاق المدارس الخاصة » ... ؟

ونحن لسنا بصدد مناقشة الدعوة الى اغلاق القطاع الخاص والمستشفيات الخاصة والمدارس الخاصة .. وان كنا نأمل في ان تلغى يوما ما ... !! الا ان الامر العجيب هو أن الذين يدعون لانشاء جامعة اهلية لا يناقشون من الذي سيتكرم وينشيء هذه الجامعة ..

وبحكم التعريف يملك القطاع الخاص ، والمستشفى الخصوصي ، والمدرسة الملاكي ، رأس المال الخاص .. فلماذا اذن لا يذكر لنا مرجو هزة الجامعة الاهلية : من اين سيأتي رأس المال الخاص الذي « يغامر » بانشاء الجامعة الاهلية .. ؟

ان غالبية الشعب المصري يرحب برأسمال مصري وطني ينشيء هذه الجامعة ، وان لم يتوفر لدى الوطنيين الرأسماليين هذه الشجاعة فليشاركوا رأس المال العربي مشيدا مع سياسة الانفتاح وفي حدود قوانينها .. واغلب الظن ان هذا المشروع سوف يخضع لكل ما شرع من قوانين خاصة بتشجيع رأس المال العربي وحتى الاجنبي ... ومن الطبيعي ان الامر يحتاج الى موافقة اجهزة وهيئات ومجالس التعليم العالي والجامعي حتى تكون الجامعة الجديدة غير متمردة للجامعات القائمة وفق ما هو متبع من أن

الصناعات الجديدة المقبولة ، لن تكون على حساب تدمير وافلاس الصناعات الوطنية القائمة ...

وفضلا عن ذلك فان هذه الجامعه الخاصة سوف **تخضع لرقابة وتفتيش الهيئات الحكومية الوطنية فى التعليم الجامعى المصرى** وفق ما يحدث من رقابة على منتجات المصانع الجديدة لكى تكون منتجاتها وفق المواصفات المطلوبة دون غش ... أى حتى تكون نوعية الخريج لهذه الجامعات وطنية خالصة .. لا بل وفق ما هو متبع من التفتيش على المدارس الخاصة حاليا منعا من تلاعب أصحابها أحيانا ..

وهل هناك ملعوب

غير أن المتابع لضغط اليمين فى هذا المجال يلحظ أن هناك « ملعوبين » :

● الدعوة للجامعة الاهلية شعار براق ويجمع حوله كل من لا يستطيع دخول الجامعة حتى الفقراء يتوهمون احيانا انهم قادرون على دخول هذه الجامعة .. **ولذلك فان الرغبة غير المعلنة هى ان تقوم الحكومة بانشاء هذه الجامعه على حسابها ومن ميزانية الشعب** لكى يحتلها الاثرياء بارخص السبل ، ولذلك فان **المناورة المكشوفة** هى فى أن يكون انشاء هذه الجامعة عن طريق « تقرير المجلس التخصصى للتعليم والبحث العلمى » ثم موافقة ضمنية لمجلس الوزراء على هذا التقرير « برمته » ثم احالة الموضوع الى لجنة التعليم بمجلس الشعب .

الحقيقة اننى لا افهم ما ذا يحدث .. ولماذا كل هذه الاجراءات .. ان كان هناك رغبة فى أن تفتح الطبقات الغنية جامعة لتعليم ابنائها فليكن لها ما تريد ، طالما هناك اثرياء ولكن ليدفعوا هم مصاريف انشاء الجامعة .. وليدفعوا هم ثمن الارض اللازمة لها .. اذ أنهم هم الذين تسببوا فى الارتفاع المخيف لثمن الارض مؤخرا .. وقد أثروا من ذلك كثيرا .. لذلك فليتنازلوا – كطبقة – عن جزء مما حصلوا عليه من مكاسب رهيبة مفاجئة .. فى تعليم أولادهم .

لن يسمح الشعب المصرى الفقير بان يؤخذ من ميزانيته لكى يمول انشاء جامعة جديدة للاثرياء .

وفى تقديرى الشخصى أن الدكتور اسماعيل غانم – وهو اشتراكى قديم – لن يسمح بهذا الامر على الاطلاق ، حتى وان اقتضى الامر ان يعلن ما لديه من بيانات ومناورات على الشعب كله ..

اما الملعوب الثانى : فهو ان يروج اليمين لفكرة أنه طالما أنه قد اتفق على انشاء الجامعة الاهلية وطالما ان انشاءها يحتاج الى سنوات ، فلا بأس ممن **الحاق ابناء الطبقة الراقية « بالجامعات الميرى » مثل جامعة القاهرة وطنطا والمنصورة وذلك بشكل مؤقت وعلى سبيل الاستثناء لحين انشاء هذه الدرة الفريدة فى الجامعات** والتى سيفخر بها كل مصرى ... !!

وعلى أى حال فان أبناء الطبقة الراقية لن يدخلوا الجامعات الحكومية « سفلقة » ، ولكنهم سيدفعون الاجر والربح ، وان أردتم فسندفع بالعملة الصعبة ... لكى نحسن حال الجامعة وتشترون بما سندفع الاجهزة والمعدات الناقصة ...

منطق أعوج ومكشوف ولن يمر ولن يسمح الوطنيون المخلصون بتخريب التعليم الجامعى كله بدخول أبناء هذه الطبقة اليه من الباب الخلفى .. !!

الطلبة العرب مصدر رزق جديد

من المغريات التى يطرحها أهل المعرفه أن انشاء جامعة بمصروفات سيكون مصدر عملة صعبة بأن نفتح ابواب هذه الجامعة للطلبة العرب .

والواقع هو أنه توجد جامعة واحده على الاقل فى كل دولة عربية ، والكويت لديها جامعة ممتازة يرأسها فى المعتاد وزير مصرى سابق او لاحق .. !! وتبحث الان دول الخليج انشاء جامعة بها وقد قامت امارة قطر هذا العام بدراسة جادة فى هذا الشأن واستعانت بخبراء دوليين من اليونيسكو ، وكذلك بكبار رجال الجامعات المصرية لاستشارتهم فى كيفية انشاء جامعة بها .

ولذلك فان اغلب الدول العربية لديها اكتفاء ذاتى من الجامعات .. لا بل أن الصعوبة الكبرى التى تواجهها امارة قطر عند بحث انشاء جامعة بها هى فى البحث عن العدد الكافى من الطلاب من الامارات او غيرها من الدول العربية ، لكى يسمح بانشاء الجامعة اذ لا توجد لديهم لا مشكلة الارض ولا الهندسة ولا التمويل ولا الاساتذة . ففى البترول وموارده ما يسمح باستخدام احسن العقول والامكانيات فى العالم ، **ولكن الازمة فى وجود قطريين يرغبون فى التعليم العالى فى قطر ..**

ومن المشاهد كذلك ان أثرياء العرب – ان رغبوا فى التعليم العالى – فانهم يشدون الرحال الى جامعات اوروبا وأمريكا وذلك لاسباب كثيرة .. أولاها أن مشكلة توفر المال وتحويله لا تمثل أى عقبة .

أن من يدق ابوابنا من الوافدين هم اساسا أولاد الطبقات المتوسطة والكادحة فى بلادهم .. وعلى اى حال فان الجامعات المصرية « الحكومية » لا

تقوم حاليا باقتطاع جزء من الامكانيات التعليمية بها ، من فم اولادنا ، لكى تقدمها عن رضا ووعى، الى ابناء جيراننا المكافحين ... اما اثرياء العرب فانهم ان رغبوا أن يدرسوا فى مصر لسبب او آخر فانهم فى بعض الاحيان قد يسببوا لنا بعض المشاكل ... اذ ان مرض الدروس الخصوصية فى الجامعات المصرية لم يستفحل الا من خلال « ابناء الطبقات الثرية » مصرية كانت ام عربية .

ثم ماذا فى أوربا الغربية وأمريكا

مع الانفتاح يدعو اليمين باستمرار للتشبه بأوروبا الغربية وامريكا ، اذ هى دول راسمالية يتمتع فيها الفرد بالراحة فى النشاط الاقتصادى والفكرى ، فضلا عن تقدمها التكنولوجى .

ولذلك دعنا نرى ما يحدث فى هذه الدول ؟ .. هل التعليم فيها بمصروفات .. وان كان بمصروفات تدفع للجامعات فهل يدفع هذه المصروفات الاهالى ام الهيئات والمنح الحكومية ؟ .. وعلى أى اساس يتم الاختيار لدخول هذه الجامعات ؟ هل من يدفع اكثر يدخل اولا .. !!

ان النقلة الحضارية « فى ميدان التعليم فى اوروبا جديرة بالدراسة ، وسوف تسعد بلادنا لو حققنا جزءا مما وصلت اليه هذه الشعوب .

موضوع دخول الجامعه محتوم بالنجاح فى الامتحانات والمسابقات ! لا مجال للعب ، او التحايل ، او الوساطات .. الكل يدخل نفس الامتحان ويعامل بنفس المعاملة وبحياد تام ..

ولسنا فى مجال مناقشة موضوع مفاضلة امتحانات المسابقات بالجامعات على الامتحان الموحد « الثانوية العامة » ولكننى اود ان اؤيد ان **نظام المسابقات ولا شك انجح ولكن الوساطات والضغوط فى بلادنا سوف تفسده .**

ولا ننكر كذلك ان الهيكل الاقتصادى والاجتماعى فى اوروبا وامريكا مختلف تماما ، وحيث لا يوجد صراع الحياه والموت على دخول الجامعات ؛ اذ أن المجتمع يعطى المرتبات والاحترام الاجتماعى لاصحاب المؤهلات المتوسطة والمهارات اليدوية والجهد العضلى بنفس القدر او بفارق بسيط جدا عن اصحاب درجات البكالوريوس ل والدكتوراه .. اما فى بلادنا فان **دخول الجامعات هو جواز السفر الحتمى للوصول الى الاحترام الاجتماعى والوظائف العليا فى اجهزة السلطة ..**

وعلى ذلك فان دخول الجامعات فى الدول الراسمالية الغربية لا يتم عن طريق المؤهلات الاقتصادية للوالدين ولكن عن طريق القدرات الذاتيه للطالب .. وان اى حديث عن نفوذ الوالدين فى مساعدة اولادهم فى دخول الجامعات يعتبر فى نظر الرجل الغربى .. « عمل شائن ومتخلف » .

وفى دول اوروبا وبالذات الدول الاسكندنافية فان الدولة تمول تعليم الطلاب تماما بمعنى أن الحكومة تعطى سلفيات للطلاب المقبولين فى الجامعة تغطى مصروفات الجامعة ،علاوة على قدر معقول يكفى الاقامه فى مساكن الطلاب والحياة العادية .. ومصاريف الكتب والترفيه وخلافه .

وتساعد القيم الاجتماعية فى اعطاء فرص متكافئه للطالب من ناحيه اتفاق جيل الاباء وجيل الابناء **على ضرورة استقلال كل فتى وفتاة عن الاسره تماما بمجرد الانتهاء من الدراسة الاعدادية او الثانويه اى حوالى سن العشرين** . ويرحل الشاب او الشابة عن منزل والديه ويسكن فى وحده مستقلة ويحيا حياته الخاصه .. ولذلك فان الدارسين فى الجامعة يكونون مستقلين اقتصاديا ونفسيا عن ذويهم ويعيشون فى مستوى موحد بمساكن الجامعة على اعانات وسلفيات الحكومة وبحيث لا تشعر اطلاقا بالفارق بين ابن صاحب اكبر شركه مقاولات وبين ابن النجار الذى يعمل بها .. الكل حقيقة سواسية الا فى الفروق الذاتيه بين انسان وآخر .

ومما يجدر الاشارة اليه هو ان جميع خريجى جامعات السويد يردون ما قدم اليهم من سلفيات وهى مبالغ طائلة ـ وذلك بعد تخرجهم ، لكى تقوم الدولة بتسليفها مرة اخرى الى جيل آخر وهكذا .. ويتم ذلك على اقساط مريحة لعدة سنوات ولذلك فالدخل الحقيقى لخريج الجامعة ـ بعد سداد السلفة ، يكون موازيا بشكل عام لدخل العامل،او صاحب المؤهل المتوسط ولعل هذا هو السبب فى عدم وجود التكالب على دخول الجامعات فى اوروبا بنفس الحماس والضغط الموجود عندنا .

وخلاصة القول ان موضوع الجامعه الاهلية يزداد حيوية ويحلو الحديث عنه كلما تصور اليمين المصرى انه سينتزع مكاسب من ابناء شعب مصر الكادحين ، واننا نتطلع الى الوقت الذى ستساهم فيه الدولة باعانات سخية للمتفوقين من ابناء العمال والفلاحين لكى توفر لهم كل السبل المريحة لاتمام دراستهم واظهار مواهبهم بدلا من الصراع المريع الذى يعانيه جمهرة الطلاب الان من جراء مواجهة ارتفاع الاسعار وازمات الاسكان والمواصلات والكتاب الجامعى .

حق قـــوى الشـــعب العاملـــة فى اقـــامة تنظيمـــاتهـــا المســـتقلة

وحول حق قوى الشـــعب العـــاملة فى اقامة تنظيماتها المستقلة يكتب عبد الرحمن خير سكرتير تثقيف اللجنة النقابية بالمصانع الحربية مؤكدا أن الطريق الأمثل لاستمرار مسيرة ثورة يوليو ، هو اقامة جبهة وطنية تضم الاحزاب المعبرة عن قوى الشعب العاملة صـــاحبة المصـــلحة الحقيقية فى الاشتراكية .

عبد الرحمن خير *

صدرت توصية فى مؤتمر لاحدى النقـــابات العمالية الكبرى فى هذا الشهر ، تطالب « بأن تقوم النقابات العمالية بتزكية مرشحى العمال فـــى انتخابات مجلس الشـــعب وخـــوض معـــركة الانتخابات الى جوارهم » ، كما وجهت هذه النقابة خطابا الى كل النقابات العامة واتحاد عام العمال تدعوهم فيها الى عقد مؤتمر عام للنقـــابات العمالية ، حيث أن الموقف يتطلب بالضرورة دراسة ومناقشة واسعة ومركزة يجريها اتحاد العمال والنقابات العمالية لتحديد راى الحركه العمالية ومسارها فى القضايا الثلاثة الهامة التالية :

١ ـ الانفتاح الاقتصادى وأثره على الخط السياسى بصفة عامة ، وعلى العمال بصفة خاصة .

٢ ـ ارتفاع تكاليف المعيشة ومدى موازنته وملاءمته مع الاجور .

٣ ـ الحرية النقابية وفقا للقوانين والمواثيق المحلية والدولية » «١» .

وفى أغسطس الماضى طالب عامل « بالاعتراف بحق العمال فى اقامة تنظيمهـــم السيـــاسى المستقل » «٢» ، ولو ربطنا هذا بما أعلنه ممثلو النقابات العمالية فى لجنة الاستماع أثنـــاء مناقشات تطوير الاتحاد الاشتراكى من ضرورة التمسك بالتحالف بين قوى الشعب العـــاملة كضرورة ملحة لاستكمال مهـــام الثورة الوطنية الديموقراطية ، واتمام مسيرة التحول الاشتراكى .

---

* سكرتير تثقيف اللجنة النقابية ـ تدريب المصانع الحربية ـ حلوان .

[١] مؤتمر اللجان النقابية للنقابة العامة للصناعات الهندسية والمعدنية والكهربائية ١٥٤٫٠٠٠ عامل وتضم عمال صـــناعات الحديد والصلب والـــكهرباء والصناعات الحربية وصناعات الطائرات .

[٢] الدورة التثقيفية للكوادر العمالية التى نظمتها أمانة القاهرة بأبى قير فى أغسطس ١٩٧٤ .

لوضع لنا أن هذا بالتحديد يعنى ضرورة أن يكون للطبقة العاملة شأنها شأن بقية قوى الشعب العاملة من فلاحين ورأسمالية غير مستغلة ، حق الوجود التنظيمى المستقل الذى يعبر عن نفسه ببرنامج يوضح رؤية كل من هذه القوى نحو قضايا البناء والتحرير ، ويعبر عن مصالحها المشروعة اقتصاديا واجتماعيا داخل تحالف لقوى الشعب العاملة صاحبة المصلحة فى التحول الاشتراكى . خاصة بعد ما أثبتت كل التجارب الماضية — منذ قيام الاتحاد الاشتراكى — أنه لم يتحقق وجود حقيقى لقوى العمال التى طال استغلالها والتى هى صاحبة مصلحة عميقة فى الثورة «٣» . ومن هنا يتبين لنا أن الصيغ الحالية والمقترحة لبناء الاتحاد الاشتراكى لن تتيح امكانية التعبير عن المصالح الاقتصادية والرؤية الاجتماعية الحقيقية لسائر قوى التحالف . خاصة وأن الصيغة الحالية والتى استمرت لسنوات عديدة ، فضلا عن عجزها عن تحقيق التمثيل الحقيقى للقوى المتحالفة ، فانها لم تستطع أن تمكن الاتحاد الاشتراكى من انجاز أى ممن المهام الوطنية التى انيط به تنفيذها حتى فيما حمله به برنامج العمل الوطنى فيما يتعلق بمحو الامية وتنظيم الاسرة ..

ومسئول كبير فى الاتحاد الاشتراكى لم يجد ما يرد به على العمال — فى اجتماع عام — الا أن الذين يتحدثون عن مشاكل الجماهير هم الخونة والملحدون .. الهجوم على كل ما انصفت به الثورة فقراء مصر : الاصلاح الزراعى ، والسد العالى ... الخ » «٤» وجاء بيان مجلس الامناء يتهم اليسار المتطرف بأنه كان وراء حوادث الشغب ، وانه يعمل على اشعال نار الصراع الطبقى . فى الوقت الذى ترك فيه الاتحاد الاشتراكى الجماهير الكادحة فريسة لغوغائية اليمين واستغلاله البشع بل وابتزازه ... وبدأ يشارك القوى الرجعية هجومها على اليسار والتى باتت هذه القوى الرجعية تتحرك بشكل منظم وأصبحت جمعياتها ونواديها وصحفها فجأة تطلق لسانها فى القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بعدما سكتت دهرا أيام كانت التحولات الاجتماعية تمضى الى غايتها بدعوى عدم التدخل فى السياسه . تحاول هذه القوى اليوم فى حملتها المسعورة ضد قوى الاشتراكية والتقدم ، الهاء جماهير الشعب الكادحة عن عدوها الرئيسى المتمثل فى الامبريالية والصهيونية وشغلها عن قضاياها الاجتماعية ومعاناتها اليومية من جراء الاستغلال البشع من قبل حفنة من المضاربين والمهربين وتجار السوق السوداء يريدون أن يحكموا سيطرتهم على مقدرات البلاد وتوجيه مصادر الثروة الوطنية لمصلحتهم ، مستغلين ما جاءت به ورقة أكتوبر من تأكيد « تثبيت أوضاع الملكية كما هى عليه الان ، ولتسد الباب أمام مزيد من التأميمات ، ولتسمح بحرية أوفر لرأس المال الخاص للاستثمار ، ومعنى هذا اننا نتقدم فى طريق يقوم على حرية الاستثمار ، واحتمالات تذويب الفوارق بين الطبقات تنعدم فى هذه الحالة . والمتوقع أن تزيد هذه الفوارق وتتسع » «٥» . هذا كله فى الوقت الذى لا تقدم فيه صيغة التطوير التى تقدمت بها اللجنه الثلاثية المشكلة لدراسة الاراء التى طرحت لتطوير الاتحاد الاشتراكى على ضوء ورقة أغسطس أيا من السبل لتحقيق التمثيل الحقيقى لقوى الشعب العاملة سوى ان هذا سيرجأ الى ما بعد المرحلة الاولى من التطوير ، والتى ستتم بالانتخابات فى يوليو القادم ، — بعدما عجزت عن تصور شكل المنابر المستقلة أو كيفية تنظيم التعبير لكافة التيارات من يمين ويسار ووسط التى اعترفت بها ورقة التطوير — الى أن بعض أعضاء اللجنة قد صرح بأن هذه المنابر التى لم تستطع تصور لشكلها سوف تكون مقدمة « تمهد لقيام الاحزاب اذا أراد الشعب ذلك » . ومعنى هذا ان شكل المنابر المقترحة سيخضع لاسلوب القوى التى ستفرزها انتخابات يوليو ، ونخشى أن تكون نفس العناصر السابقة التى عانى منها الاتحاد الاشتراكى والتى تطرح ما تسميه بالمنابر المتحركة ، والتى حالت دون وجود تمثيل حقيقى للطبقات

---

[٣] الطليعة عدد سبتمبر ١٩٧٤ « العامل هو العامل اليدوى » عبد المنعم الغزالى .
[٤] روز اليوسف ١٩٧٥/١/١٤ — صلاح حافظ « اليسار المصرى ولعبة خلط الاوراق » .
[٥] الكاتب سبتمبر ١٩٧٤ — صلاح عيسى — الكاتب .

صاحبة المصلحة فى التحول الاشتراكى ، علاوة على القوى الاخرى التى رفع عنها العزل السياسى والتى تنتمى فكريا الى الاتجاهات الثيوقراطية والرجعية المتخلفة المعادية لثورة يوليو .. ومن هنا تصبح جماهير العمال والفلاحين وصغار التجار فريسة سهلة لاستغلال هذه الطبقات التى تتزايد ثرواتها بصورة شيطانية،ومعها تدرتها على التأثير فى الاتجاه السياسى والاقتصادى للبلاد ، ويصبح احتمال هدم الاتحاد الاشتراكى مطروحا للمرة السادسة ، اذ لم تتمكن هذه القوى ذاتها من أحكام قبضتها بواسطته ، وبما تملكه من امكانيات واسعة للحركة فى طول البلاد وعرضها على مقدرات الشعب وتفرض عليه اوضاعا لا تتفق مع مشيئته فى استمرار انجاز مهام الثورة الوطنية والديموقراطية والتحول الاشتراكى والتى عبرت عنها انتفاضات ١٩ ، ٢١ يونيو ٦٧ ، وجنازة الرئيس عبد الناصر والتحركات العديدة للطلبة والعمال ومن ثم تطرح فكرة الاقرار بحق الطبقات الشعبية فى اقامة احزابها المستقلة المعبرة عن مصالحها الاقتصادية فى مواجهة قوى القهر الطبقى والاقتصادى نفسها فى الساحة الوطنية على أن تتجمع هذه الاحزاب فى جبهة وطنية تتبنى برنامج حده الادنى :

- استكمال مهمة تحرير الارض - حماية منجزات ثورة يوليو - استمرار التحول الاشتراكى - حماية الحريات العامة وحقوق الاجتماع والتظاهر .

وان تلغى من قانون العقوبات كل المواد التى تجرم افكار التقدم الاجتماعى والتى تعطل نصوص الدستور التى تقر بحرية الفكر والعقيدة وابداء الرأى .

ان أى حديث عن حرية التعبير اذا لم يتجسد فى حق تشكيل التنظيمات الخاصة يصبح لغوا لا معنى له - وفى اطار التحالف يحق لكل انسان وطنى أن يناضل ويضحى ويستشهد تحت الراية التى يختارها . ان الوسيلة الوحيدة لتنظيم حوار ديموقراطى بين قوى التحالف هو الاقرار بحقها فى بناء منظماتها المستقلة ، وهو السبيل الوحيد لاستمرار سلمية الصراع الطبقى ، وقد تعالت اصوات العمال اثناء جلساتاجلان الاستماع مطالبة بوجود القوى الاجتماعية بشكل ديموقراطى داخل تحالف يستمر بعملية التحول الاشتراكى -

وياتى الموقف العملى .. حركة واعية فى وجه محاولات اليمين المتخلف الانحراف بمسيرتنا وافساد العلاقة بين السلطة والفصائل الوطنية التقدمية .. وازاء هذا الموقف الذى تتناقض فيه الاتحاد الاشتراكى مع جماهيره وانضم الى قوى المنظومة الرجعية فى حربها الصليبية .. وليكن مؤكد أن الجبهة الوطنية التى تضم الاحزاب المعبرة عن قوى الشعب العاملة صاحبة المصلحة الحقيقية فى الاشتراكية هى الطريق الأمثل لاستمرار مسيرة ثورة يوليو لبناء مصر المستقلة الاشتراكية الديموقراطية ، وبدونها تكون كمن يحرث فى البحر ، فهلا واجهنا الواقع بشجاعة قبل أن نصل اليه عبر طريق تتربص الرجعية بشعبنا فيه وتوشك أن تبتلعه -

تحقيق من المنصورة

مع من تقف الأجهزة الشعبية ؟
مع مصالح الجماهير .. أم مع السلطة

مصطفى سامى

انتقلت أخبار المنصورة ـ فجأة ـ للصفحات الاولى من الصحف ، وتركزت الأضواء على ثالث مدينة مصرية ، بعد القاهرة والاسكندرية لعدة أيام بعد أن زارها المهندس سيد مرعى رئيس مجلس الشعب مدعوا من طلبة جامعتها .

ما هى قصة هذه الزيارة التى شغلت الرأى العام الى هذا الحد ؟

ان النتائج الصريحة ، وردود الفعل ، التى جاءت فى شكل تصريحات وأخبار نشرتها الصحف بعد الايام الثلاثة الاولى من الزيارة ، تعكس المفاجآت التى التقى بها رئيس مجلس الشعب للمدينة فى جولته بها ، وتعكس ايضا الى اى مدى كانت الصورة بامتة وأحيانا مظلمة تماما لا تعبر عن الحقيقة أو حتى نصفها ..

فى أول تصريح له ـ بعد عودته الى القاهرة ـ قال رئيس مجلس الشعب : « ان ما رأيته فى المنصورة من سوء المواصلات والمجارى والمرافق ، وصورة رخيف العيش شىء لا يمكن السكوت عليه » ! وفى نهاية حديثه قال : « ينبغى أن نفتح صدورنا للنقد البناء ، بما دمنا ننادى بالحرية ، ولا نكون حساسين عندما تنتقدنا الصحف ، ولا بد أن نكون دائما قدوة لجماهيرنا » ...

فى اليوم التالى للزيارة ، اصدر الرئيس انور السادات قرارا بنقل الدكتور ابراهيم دكرورى محافظ الدقهلية الى الامانة العامة للحكم المحلى ، ونقل السيد محمد على رشيد محافظ مطروح محافظا للدقهلية .

وفى نفس اليوم أوفد الرئيس وزيرى الحكم المحلى والتموين الى المنصورة لبحث مشكلات المدينة بعد أن تلقى تقريرا من المهندس سيد مرعى

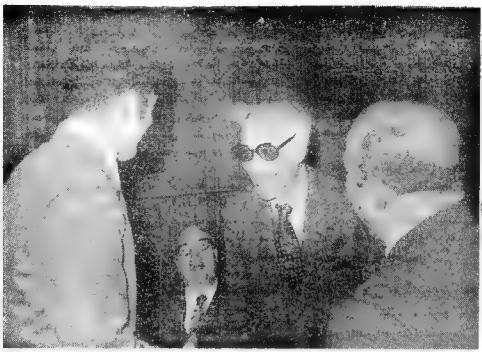

المهندس سيد مرعى فى زيارة على الطبيعة لمدينة المنصورة

عن زيارته للمدينة سواء بالنسبة لطفح المجارى وسوء حالة الرغيف وما رآه من انهيار حالة المرافق بشكل عام .

لماذا لم تتحرك القيادات السياسية والتنفيذية فى المدينة قبل أن تستفحل حالتها وتصل الى هذه الصورة التى وصفها رئيس مجلس الشعب بأنها « **لا يمكن السكوت عليها** » .. ؟ ان طفح المجارى الذى تفطى احياء كاملة ، والتى تتبعث رائحتها فى كل مكان بالمدينة ، حتى وصل الامر ان دخلت بيوت الناس فى بعض الاحياء ، وانقطاع المياه بعد الدور الثانى فى المنازل وانقطاع الكهرباء وسوء حالة الرغيف ، كلها مشاكل يعانى منها اهل المنصورة منذ أكثر من ثلاث سنوات ، ورغم ذلك لم يتحرك احد لحماية الجماهير ، رغم تعدد الاجهزة الشعبية والتنفيذية ، مما جعل اهل المدينة يفقدون الثقة والامل تماما فى اى اصلاح .

عندما واجهت نائب المنصورة **ممدوح فودة** بمسئوليته تجاه هذا الانهيار الذى وصلت اليه حال المدينة « **لماذا لم تتحرك وتبلغ المسئولين** » ؟ قال :

« منذ ثلاث سنوات ، زار المنصورة المهندس عبد العزيز كمال وزير الاسكان ، وبعد ان تاه بجولة فى شوارعها ، وشهد بنفسه المطبات والمجارى التى تطفح داخل البيوت فى الاحياء الشعبية ، وسمع بنفسه شكوى الجماهير الذين التقى بهم اثناء مروره فى الشوارع ، ووعدهم بحل هذه المشاكل بمجرد وصوله الى القاهرة .. ولم يحدث شىء .. !

« عبد المجيد شديد ، أحد محافظى الدقهلية السابقين لم يكن يغلق باب مكتبه على نفسه ، كان دائما يستمع الى اهل المدينة ، ويلتقى بهم فى جولاته ، وتأثر عندما دخل البيوت ليجد المجارى تطفح وتصل الى حجرات النوم ، ووعد اصحابها بابلاغ المسئولين فورا .. ولم يتحرك احد لنجدتهم .. ! » .

ويقول **ابراهيم عطية الامين** المساعد لقسم شئون بالاتحاد الاشتراكى : « منذ عامين ، زار المدينة ثلاثة وزراء ، ومن بينهم المهندس محمود عبد الحافظ الذى كان وزيرا للاسكان فى هذه الفترة ـ محافظ القاهرة حاليا ـ وتأثروا او هكذا بدا عليهم ـ لما رأوه من معاناة الاهالى ووعدوا طبعا بالاصلاح الفورى .. وظل الحال كما هو .. !! لم يتغير اى شىء رغم تعدد زيارات المسئولين للمدينة ورغم تعدد شكاوى اهلها .. !

ماذا كانت النتيجة .. ؟

اثناء مرور المهندس سيد مرعى مع ممدوح فودة ، لم يكن بعض الاهالى قد سمعوا عن رئيس مجلس الشعب ، فسألوا نائبهم عن شخصية

الضيف القادم من القاهرة ؟ وعندما أجابهم كان ردهم : « من عاوزين وزراء ثانى .. لم نعد نصدق أحدا منهم .. احنا عاوزين الرئيس السادات يزورنا هنا .. » الى هذا الحد فقدت الجماهير ثقتها فى المسئولين ، لم نعد نتصور أن هناك أحد يمكن أن يشعر بمشاكلها ، ويناقشه معه بعض مشاكل الجامعة ، يعد ذلك تطرق الحديث الى حالة المدينة وما يعانيه أهلها من سوء الخدمات ..

قبل أن يحضر المهندس سيد مرعى بعدة أيام التقى مع مجلس الشعب بممدوح فوده واستمع اليه عن احواله التى وصلت اليها المدينة ، المجارى ، الكهرباء ، انتشار الامراض والروائح الكريهه ، الدود الذى يوجد فى المياه ، انحرافات فى مجلس المدينة ..

وقبل الزيـــارة بيوم واحد ، اجتمعت الهيئة البرلمانية لمحافظة الدقهلية ، واقترح المحافظ أن يختار بعض أفراد لفلفته بدلا من مؤتمر شعبى ، واعد خط سير للزيارة بعيدا عن الاماكن المزدحمة وبعيدا عن الشوارع العائمة فى المجارى والمليئة بالمطبات ... »

ولم ينفذ شىء من برنامج الزيارة الرسمى ، كانت خطة شباب المنصورة أن يشهد رئيس مجلس الشعب بنفسه حال المناطق بعيدا عن شارع البحر وبعيدا عن أقواس النصر التى أمامتها الحاسه نحيه لضيف المدينه .. بمعنى ذلك الا ينفذ البرنامج الرسمى للزيارة الذى وضعته المحافظة ، ومعنى ذلك أيضا أن تتعارض رغبة أهل المدينة مع رغبات المسئولين الذين حاولوا اخفاء الصورة الحقيقية أو تشويهها .. وفشلت خطة المحافظة ونجحت خطة شباب المنصورة لان الضيف القادم من القاهرة أصر على رؤية جميع الاوضاع ، والالتقاء مع أكبر عدد من النـاس ، لقد اقتنع بصـدق الجماهير ، وكذب الاجهزة .. !

فى مديرية الزراعة ، اســتقبل مدير الزراعة بالدقهلية المهندس سيد مرعى بالحفاوة المعتادة من المديرين قائلا : « اهلا بك فى مدينة المنصـوره الجميلة » فرد عليه رئيس مجلس الشـعب قائـلا : « آسف أن أقول انها المنصورة الغير جميلة .. لقد رأيت الصورة أسوأ مما نقلها لى الاخ ممدوح فوده » .

بعد حضور الاحتفال باليوم الهندسى الاول فى كلية هندسة المنصورة بدأت الجولة الرسمية فى المدينة من الشوارع التى قررتها لمحافظة ليمر بها موكب يرفقه المحافظ ، وكبار رجال المحافظة ، كان

ونخطة زيارة رئيس مجلس الشعب للمدينة أعدها مجموعة من أبنائها بينهم ممدوح فـوده نائبها الذى يقل سنه عن الخامسة والثلاثين .. والزيارة أساسا كانت تلبية لدعوة رئيس اتحاد طلاب جامعة المنصورة الذى إستقبله قبلها بأيام رئيس مجلس الشعب فى مكتبه ، وناقشه معه بعض مشاكل الجامعة ، بعد ذلك تطرق الحديث الى حالة المدينة وما يعانيه أهلها من سوء الخدمات ..

هكذا كانت الحالة النفسية لابناء المنصورة وهم يستقبلون رئيس مجلس الشعب ، تحدثوا معه بصراحة مطلقة دون أدنى خوف ، ولم يعد أحد منهم يخشى شيئا ، عندما حاولت الاجهزة رسم خط سير لجولته فى المدينة ، رفضت الجماهير ، وعندما حاولوا فى المحافظة تخصيص شوارع معينة ليمر منها وهو داخل سيارته ، رفض ابناء المدينة خط السير المرسوم ، فنزل من السيارة وخرج من الموكب المعد له . وسار مع الاهالى فى الشوارع ، بلا حرس ، وبلا شرطة تدفع الناس بعيدا عنه واستقبلته الجماهير بلافتات تقول : « نريد أن نأكل رغيفا نظيفا - انقذونا من المجارى » ولحاظ الاطفال به قبل أن ينزل من سيارته ومعهم لافتة أخرى تقول : « اطفالك يطالبونك بانقاذهم من الغرق فى المجارى » !

وفى طريقه الى صندوب نزل من السيارة أمام دكان صغير للبقالة ، واشترى رغيفا ، وفوجىء بأنه أسوأ مما صوره له الاهالى ..

استجاب رئيس مجلس الشعب للجماهير ، لانه شعر بصدقهم ، واحس بمعاناتهم المستمرة ، استمع الى كل شكاواهم وزار معهم كل الاحياء التى يعانى أهلها من انعدام أى نوع من الخدمات وأى نوع من الاهتمام ، حكوا له عن قلة نتم بكل شىء على حساب جهدهم وعرقهم ، قلة نشغل المناصب ، وتركب السيارات الفاخرة ، ولا تشاركهم حتى فى نوع الخبز الذى يأكلونه ، حتى التفرقة ، وصلت الى رغيف العيش !

فى زيارته التى استمرت أقل من خمس ساعات مر رئيس مجلس الشعب على هذه الحقائق ، التى قدمها كما رآها للسيد رئيس الجمهورية .

ان العامل الرئيسى لنجاح هذ الزيارة يرجع الى الاسـلوب الـذى تمت به بعيدا عن مواكب الاحتفال وبعيدا عن المظاهر الرسمية التى تخفى دائما الحقـائق ، ولا تهتم باكثر من المظـاهر البراقة ..

مجلس المدينة قد أصلح مطبات هذه الشوارع وقام بغسلها واقام بعض اقواس النصر قبل أيام من الزيارة .. بدأ مرور الموكب من الجامعة الى شارع الثانوية ثم شارع الجلاء وعلى ناصيه شارع الاسواق ، نزل المهندس سيد مرعى من سيارته يرافقه نائب المنصورة ومجموعة من شبابها ، وهنا بدأ أول لقاءاته بأبناء الشعب ، قدموا له رغيف العيش الاسود ، نصفه ردة والنصف الاخر تراب ، وليس قمحا بكسيكيا كما يقول ابراهيم عطية ، أحد شباب المنصورة الذين رافقوا رئيس مجلس الشعب في جولته داخل المدينة ، وهو أحد شهود الاثبات الخمسة الذين قدموا شهاداتهم ضد أمين الاتحاد الاشتراكي السابق للدقهلية الدكتور القاسمي الطرطوبي الذي فصلته لجنة النظام بسبب بعض انحرافات لا داعي لذكرها ..

قدمت له فتاة اسمها **بهيجة الشلاوي** تعمل سكرتيرة بمحافظة الدقهلية رغيفا آخر لا يقل سوادا ولا سوءا عن سابقه .. ركب مع عضو مجلس الشعب سيارته الصغيرة التي كانت تنتظر على ناصية شارع الاسواق ، ووراءه سيارة اخرى تحمل بعض الشباب من أبناء المدينة الذين يحاولون اظهار الحقائق كاملة للضيف القادم من القاهرة ، في شارع الاسواق بدأ الخوض في المجارى والمطبات ، سيدة قدمت له رغيفا آخر ، قال أحد المواطنين لنائب مدينته « مش عاوزين وزراء » .. وضحك رئيس مجلس الشعب ! ، انتقل الى شارع كبير اسمه محمد فتحي مليء بالمطبات ، ورائحة المجارى التي تفوح من شارع الاسواق وحوله لاتزال تنبعث .. دخل مع بعض المواطنين أول فرن في الشارع ، صورة الرغيف كما هي لم تتغير ، انتقل الى شارع مزلم ، المجارى ايضا تطفح وتصل الى داخل البيوت ، انتقل الى ميدان الشيخ حسنين ، التقى بالجماهير وتحدث معهم ، سمع الشكوى من التموين والمياه والكهرباء ، استمر الموكب الشعبي بعيدا عن الموكب الرسمي الذي مايزال ينتظر عودة رئيس مجلس الشعب ، في الطريق الى سندوب التقى بالمساكن الشعبية ، وأهلها يستقبلونه بسلافتة تقول « دى مش قلة اعتمادات .. دة اهمال » .. ! المجارى هنا ايضا تحيط بالمنازل .. في سندوب سمع نفس الشكاوى ابتعد أكثر عن الموكب الرسمي المنتظر في أول المدينة ، انتقل بعد ذلك الى قرية اسمها « جديلة » في أطراف المدينة ، نسبة المتعلمين من أبنائها تصل الى ٩٥ في المائة ، ضمن الموكب غير الرسمي كان أحد أبنائها شاب اسمه **محمد أبو وردة** يعمل موظفا في بنك التسليف قال لي : « المحافظ رفض أن ينزل سيد مرعى الى جديلة بحجة أحوالها التحتية والتي لا يطيقها بشر » .. استمرت الجولة ساعتين ونصف .. وصلت الساعة الخامسة بعد الظهر ، والموكب الرسمي لايزال منتظرا .. عاد بعد ذلك الى منزل المحافظ ليتناول الغداء في الخامسة والنصف ! وكان يحمل الخبز الذي قدمه له الاهالي ، والذي اشتراه بنفسه من بعض الافران والبقالين .. ماذا فعل بعد ذلك .. ؟

في منزل المحافظ ، كانت أول نتائج الزيارة ! اتصل المهندس سيد مرعى ، بالمهندس **عثمان احمد عثمان** الذي كان موجودا في الاسماعيلية في هذا اليوم ، شرح له أوضاع المجارى التي لا ترضي احدا ، وطلب منه اجراءات سريعة للقضاء على هذه المشكلة ، قال له « لقد وعدت أبناء المنصورة بحل هذه المشكلة فورا بعيدا عن أي اعتمادات في الميزانية ، وبعيدا عن أي روتين » .

بعد هذه الزيارة بأسبوع واحد ، ذهبت الى المنصورة ، والتقيت ببعض الشباب من أبنائها ، تناقشت معهم في نفس الشوارع والاحياء التي سبق لرئيس مجلس الشعب زيارتها ، **كانت الصورة كما هي باستثناء بضع عربات تقوم بشفط المجارى ارسلت في اليوم التالي لزيارة رئيس مجلس الشعب ، كان حديث الاهالي لا يزال عن زيارة ضيف القاهرة الذي فتح صدره لهم لاول مرة وسمع شكواهم ..**

نفس التساؤل الذي طرحته في بداية هذا التحقيق ، قدمته لبعض ابناء المدينة ممن التقيت بهم :

لماذا لم تثمر الاجهزة الشعبية في المدينة ؟

جاءت اجابتهم اجماعية على ضرورة اعادة النظر في هذه الاجهزة ، أسلوب انتخاب اعضاء الاجهزة الشعبية ، هو نفس الاسلوب الذي كان يحكم الانتخابات في مصر منذ أكثر من عشرين سنة ، نفس العلاقات والقيم القديمة والحسب والنسب ، مع استثناءات قليلة .

ماذا كانت النتيجة .. ؟ اشاعات تملأ المنصورة سمعتها عن فساد بعض هذه الاجهزة وترديها في اعمال لا صلة لها بعملها .

● تسعيرة شقق المساكن الشعبية خمسون جنيها يحصل عليها « امين » **الاتحاد الاشتراكي** في أحد اقسام المنصورة ..

● سكرتير مجلس مدينة سابق ، صدر قرار بايقافه عن العمل لادانته في جرائم اخلاقية ، مما

اضطر المحافظ السابق عبد المجيد شديد لقصله ، انشئت له وظيفة جديدة فى المجلس لم تكن موجودة من قبل ، فأصبح « مساعد رئيس مجلس المدينة » .. !

● حضرت حفلا للعاملين بمصنع الخشب الحبيبى والراتنجات بسندوب ، وسمعت للاسف كلمة احد ضيوف الحفل — أمين الاتحاد الاشتراكى بالدقهلية وعضو مجلس الشعب عن دكرنس ، ماذا قال السيد « الامين » ؟ : فى تحيته لعمال المنصورة قال : « بينما كان عمال القاهرة يقومون بالشغب فى شهر يناير الماضى ، كان عمال المنصورة هنا يؤدون عملهم ويعرفون حقيقة مسئوليتهم ... » !! ثم تحدث عن السلاح ، ورحلة الرئيس الى فرنسا فقال : « عندما علم جروميكو بقرار مصر الحصول على السلاح من فرنسا ، جاء جريا الى القاهرة .. كلهم تجار سلاح .. وكلهم مصاصى دماء .. » !! تصوروا هذا الكلام يصدر عن مسئول سياسى .. !

● فى زيارتى للحسينية ، انقطعت الكهرباء عن الحى ، وكان يرافقنى بعض الشباب من بينهم عضو مجلس الشعب ممدوح فودة ، كان تعليق اهل الحى ، أن انقطاع الكهرباء متعمد ، مجرد محاولة لاحراج المحافظ الجديد من المسئولين عن الكهرباء ...

● أبلغ اهالى المنصورة المهندس سيد مرتضى أن المحافظ السابق كان يحضر الى المحافظة صباح السبت ليعود الى القاهرة مساء نفس اليوم ، ولا يراه احد طوال الاسبوع .

● بعض الاجهزة حاولت تضليل وزير التموين الذى حضر بناء على قرار من الرئيس السادات ليبحث بنفسه حالة رغيف العيش ، قالوا للوزير أن الخبز الذى قدم له أعد فى منزل واحد من الاهالى ، وان رغيف العيش افضل من ذلك ، وعندما زار وزير التموين بعض الافران اكتشف صدق الاهالى ، وطبعا كذب الاخرين .. !

... هذا بعض مما سمعت من ابناء المدينة ورغم ذلك ، فاننى لا استطيع ان اتهم احدا فليس امامى اوراق للادانة او تبرئة احد : ولقد رأيت ان اضع امام المحافظ الجديد السيد محمد على رشيد : هذه الاخبار او الشائعات التى عرفتها خلال زيارة قصيرة لعله يستطيع أن يبدأ التحقيق فيها من اجل صالح المنصورة وصالح ابنائها ، ولا اعتقد فى النهاية ان كل ما حدث للمدينة سببه « قلة الاعتمادات » ولكننى مع اهل المنصورة فى ان هناك اهمالا وانحرافات .

■ نشرت «الطليعة» من قبل دراستين لاحمد صادق سعد حول « النمط الاسيوى للانتاج » . عالجت الاولى — فى عدد فبراير ١٩٧٤ — هذا النمط من الناحية النظرية ودرست الثانية — فى عدد مارس ١٩٧٤ — التكوين الاقتصادى الاجتماعى المصرى القديم بعنوان «مصر الفرعونية» . ويعتبر المقال التالى استمرارا لهذه الدراسة من الناحية التاريخية » ، وستتلوها دراسة بعنوان «الوجه الاسيوى لمصر الهلينية » .

وترحب مجلة الطليعة بالنقاش والحوار حول هذا الموضوع الجديد الذى يحتمل الكثير من الاجتهادات .

حول النمط الآسيوى للانتاج

مصـــــر الهلينيـــــة

أحمد صادق سعد

كتب طه حسين فى « مستقبل الثقافة فى مصر » [الصادر عام ١٩٣٦] يؤكد أن الثقافة المصرية نبعت من حوض البحر الابيض المتوسط ، وتزعزعت على الارضية الفكرية الاغريقية الرومانية . ولكن واقع التطور المصرى فى العصر الهلينى يدحض هذا الرأى . فاذا كان الاسكندر استقبل كمنقذ من الاحتلال الفارسى عندما دخل مصر على رأس الجيوش المقدونية عام ٣٣٢ ق . م فان مايقرب من عشرة قرون من الحكم الهلينى بعده عجزت عن تحويل سكان وادى النيل الى جزء من امبراطورية الروم . بدليل أن عمرو بن العاص استطاع أن ينتزع مصر بواسطة جيش صغير يقرب من ٤٠٠٠ جندى فقط عام ٦٤٢ م .

وعرفت مصر عهدا من النمو الاقتصادى فى ظل البطالمة والرومان . وترتب عليه تطور خطير طرأ على المجتمع المصرى ، وخاصة فى نهاية ذلك العصر ، اذ بدأت تظهر فيها نبتات واضحة لنظام اقطاعى ذى اشكال خاصة .

ومن الملفت النظر — مع ذلك — أن كلا من حكم البطالمة والرومان والبيزنطيين انتهى مقرونا بالازمة الاقتصادية والانهيار السياسى . ويكمن سبب هذا الوضع — فى تقديرنا — فى أن القوى الانتاجية لم تكن قد وصلت بعد الى مستوى كاف من النمو يسمح للبلاد بالتخلص من المركزية

أو اعادة بنائها على مستوى اعلى [مثل مركزية الدولة الرأسمالية] . وبتعبير آخر ، فقد ظلت القوى الانتاجية ــ رغم نموها ــ حبيسة الاطار الاجتماعي الذي فرضه النمط الاسيوي .

هذا من جهة . ومن جهة اخرى ،فان الطبقة الناهضة التي نمت مع التطور الاقتصادي ــ الطبقة المرتبطة بالملكية الفردية والعلاقات النقدية ــ لم تستطع ولم تود أن تجمع الجماهير الشعبية حولها في حركة تاريخية ايجابية تنقل المجتمع المصري بأسره الى مرحلة جديدة . بل ظلت منعزلة عن الجماهير طبيعة منبعها وتكوينها البيروقراطي أو الاجنبي ، وكلاهما طفيلي .

ولقد ادت هذه الاوضاع الاقتصادية الاجتماعية الخاصة بمصر الى أن يصطبغ التطور فيها بصبغة خاصة ، وان تتميز سماته بفوارق أساسية عن بعض ما جرى في أوروبا الغربية عند ظهور الاقطاع بها . وسوف نحاول مناقشة هذه الامور فيما بعد .

① طبيعة الغزو الاغريقي الرومـاني وأهدافـه

ا ــ المركز التجاري المصري في العصر الهلنى

نعلم أن الاغريق بدأوا يحضرون الى مصر منذ منتصف القرن الثامن قبل الميلاد . وقد استمر تسللهم الاول بالمرتزقة منهم لتحرير مصر من النير الاشوري واعادة توحيدها . واسس التجار الاغريق مدينة نقراقيس في الدلتا في اوائل القرن السابع ق . م . وكانت الهجمات الفارسية على مصر واليونان في القرنين السادس والخامس تقطع طرق التجارة الاغريقية، مما كان يوحد بين مصالح المدن اليونانية والملوك الصاويين في المقاومة المشتركة ضد الفرس ، ويسهل اقامة الاحلاف بين الطرفين .

ولقد كان مواطنو المدن اليونانية القديمة ملاكا صغارا في باديء الامر . فير ان ظروفا اقليمية من جهة ، ونظم العبودية الفردية من جهة اخرى أوجدت الاسس لنمو الحرف والتجارة والملاحة البحرية في المنطقة . وبعد ان كان نوع من المساواة البدائية يسود صفوف الاغريق الاحرار ، استطاع البعض أن يزداد غنى بفضل استغلال عمل العبيد على نطاق واسع ، مما جعل من الثروات الفردية العامل الوحيد الذي يحدد مركز المواطنين في الدولة . وتحولت اثينا مثلا في القرن السادس ق. م. الى مدينة صناعية اشتهرت بجودة منتجاتها من الاسلحة والمنسوجات والحرائر . وأضحى اليونان القديم المركز التجاري الرئيسي في حوض البحر الابيض ، ويدخل في منافسة شديدة مع المدن الفنيقية والملوك الفرس الذين تركزوا سيطرتهم عليها . وكان الفنيقيون حولوا العمل الحرفي المعتمد على العبيد الى صناعة يدوية [مانيفاتورة] واسعة في ورش كبيرة تنتج بكميات وفيرة وبتكلفة منخفضة . وقامت الحروب بين الفرس والاغريق للسيطرة على الطرق التجارية في شرقي البحر الابيض . وفي صيف عام ٣٣٢ ق. م. هزم الاسكندر الفرس ، وخرب ميناء طيرة [صور] التجاري الهام ، ثم أسس ميناء الاسكندرية على الشاطيء المصري في شريط نفس العلم . وكانت خطة القائد المقدوني أن يجعل من هذه المدينة قاعدة لحاصرة الشرق تجاريا وعسكريا ، ومنطلقا للاستيلاء على طرق التبادل مع آسيا .

وترتب على فتوحات الاسكندر واستيلائه على ثروات ملوك الشرق العظيمة ــ في مصر وفارس والهند ــ أن تحولت كميات مهولة من المعادن النفيسة والمنتجات الى سلع يجري تبادلها وتوزيعها في الاسواق . كما اتسعت العلاقات التجارية بين أوروبا والشرق . واضحت مدينة الاسكندرية المستودع الكبير للعالم القديم ، وعاصمة للفكر الاغريقي . ومن الامور ذات المغزى أن يكون البطالمة ــ ثم الرومان بعدهم ــ قد اتخذوها عاصمة سياسية وادارية لمصر الى أن جاء الفتح العربي فاعاد تلك مركز الحكم الى الغرب من منف القديمة في جنوب الدلتا [الفسطاط ثم القطائع الخ] .

واذ مثل البطالمة مصالح اقتصادية سلعية موجهة نحو التجارة والتبادل النقدي ، فقد حاربوا لوضع أيديهم على المراكز التجارية الاخرى في البحر الابيض . وكان أقربها اليهم الشاطيء الفنيقي وسوريا الجنوبية وفلسطين التي خضعت للملوك السلوقيين بعد تقسيم ممتلكات الاسكندر بين ضباطه الكبار . كما شن البطالمة الحروب للاستيلاء على الجزر اليونانية وسواحل بحر ايجه ، بغرض تحطيم المركز التجاري للمدن الاغريقية الكبرى ، والسيطرة على الطرق التجارية التي توصل بين البحرين الابيض والاحمر من جهة والمحيط الهندي من جهة اخرى . وكذلك ارادوا بهذه السيطرة التمكن من الحصول على الاخشاب اللبنانية والمعادن السورية التي لا تتوفر في مصر ، ونهب الشعوب السورية للحصول على الاموال التي يدفعون بها رواتب المرتزقة . وفي القرن الثالث ق.م. كانت الامبراطورية البطلمية تضم قبرص وبرقة [المشهورة حينذاك بفزارة قمحها وجودة خيولها] وسوريا «السيلية» بما فيها فينيقيا وفلسطين ــ

ونظم الملوك البطالمة الحملات العسكرية والرحلات الاستكشافية الى جنوب الوادي

وشواطىء الجزيرة العربية والهند بفتح أفضل الطرق التجارية الجديدة .

لقد كان خط التطور الذى بداه الاغريق فى بلادهم مبنيا على الملكية الفردية الخاصة والانتاج السلعى . وكان البطالمة — والطبقة الحاكمة الاغريقية المحيطة بهم — أبناء هذا الخط . غير انه لم يؤت الا ثمارا قليلة فى مصر ، ومبرهان ما فقد الملوك البطالمة ممتلكاتهم منطقة بعد أخرى منذ القرن الثانى . وذلك لأن التمزق الداخلى أخذ ينخر فى النظام السياسى من جهة ، ولأن نمو روما جعلها مركزا جديدا للتجارة فى البحر الأبيض من جهة أخرى .

فوقعت مصر فى الحماية الرومانية الفعلية فى بداية القرن الأول ق. م. ، الى أن استولى عليها أغسطس رسميا عام ٣٠ ق.م. بعد انتحار كليوباترا . وفى هذه الفترة كانت العلاقات النقدية متطورة فى الجيش الرومانى ، وان كانت الضريبة والقروض العينية هى أساس الاقتصاد الرومانى [1] . ولكن مجتمع روما كان هو الآخر مجتمعا عبوديا ومبنيا على الملكية الفردية ، وأصبحت علاقات التبادل فيه أساس انتاجه فى نفس الوقت الذى شهدت الامبراطورية التحلل السريع للمشترك الرومانى القديم . وكان التجار الرومان الكبار يحتاجون الى تأمين الاتصالات البحرية مع شرقى البحر الأبيض ، البر الذى وفره الاحتلال الرومانى لمصر وسوريا وآسيا الصغرى واليونان . كما ضمن الاستيلاء على مصر وصول كميات هائلة من القمح كان هؤلاء التجار يتولون نقله . وعاد الولاة الرومان فى مصر الى ما بداه البطالمة ، فقادوا الحملات الى داخل النوبة وحتى الشواطىء العربية بغية تنمية التجارة الرومانية مع افريقيا الوسطى واليمن والهند مرورا بالدلتا والاسكندرية . ومنذ منتصف القرن الأول ق. م. أصبحت الطرق التجارية فى العالم القديم كله تتجه الى روما . وأفاد من هذا الازدهار تجار الريف والموانى الذين أصبحوا يكونون الشركات والاتحادات التجارية الضخمة التى اتسعت فى القرنين الأول والثانى بعد الميلاد بشكل خاص [2] .

واشترك فى هذا النشاط أفراد الطبقة المالكة الاغريقية فى مصر ، وخاصة فى مدينة الاسكندرية التى كان يصدر منها القمح المفروضة جزيته على سكان وادى النيل . وترتب على هذا أن اتسع تغلغل العلاقات النقدية وزاد التبادل التجارى ، وخاصة فى الدلتا .

غير أن ثورات العبيد كانت قد بدأت تهز أركان الامبراطورية الرومانية [ثورة سبارتاكوس عام ٧٤ — ٧١ ق.م.] ، كما اضطربت الشعوب المتبربرة المحيطة بحدودها ، واتخذت الثورات والاضطرابات فى مصر أيضا . وأدى اشتداد الفقر لدى المعدمين فى روما نفسها ، والمستوى المعيشى المنحط لمئات الألوف من العبيد الى التضييق على القدرة الشرائية ، وتعطيل التقدم التقنى . فالابطاء من الحركة التجارية العامة ، وسادت فترة من الفوضى العسكرية علت فيها يد البيروقراطية الحربية فى القرن الثالث الميلادى . فازداد اعتصار الشعوب المقهورة — والمصريون منها — للصرف على الجيوش من الرومان والمرتزقة التى تصند عرش الامبراطورة ، مما خلف من معين الفائض الذى يمكن أن يكون موضوع التبادل التجارى . كما وقع تضخم نقدى حاد تسبب فى ارتفاع هائل فى أسعار الحاجيات الاساسية ، الأمر الذى دفع بالمقايضة العينية مرة أخرى الى الأمام ، فزاد من انحطاط التجارة .

ونتج عن هذا كله أن التأثير الرومانى النقدى والتجارى على الاقتصاد المصرى ظل فى حدود تطور سطحى وضيق نوعا . وعندما تم تقسيم الامبراطورية الرومانية الى الجزئين الغربى والشرقى [فى منتصف القرن الرابع الميلادى] ، انتقل مركز الجذب التجارى فى البزنطة أى بحرا مرة أخرى . وباتت الطرق التجارية الرئيسية بين العاصمة الرومانية الشرقية وقلب آسيا والهند تمر بعيدة عن مصر والاسكندرية ، فتدهور مركزهما واضمحلت أهميتهما ، ثم جاء

---

[1] K. MARX : «Introduction à la critique de l'économie politique». (Dans «Contribution à la critique...»). Paris — Editions Sociales — 1972 — p. 107.

[2] M. ROSTOVTZEFF : «Rome» — New York — Oxford University Press — 1960 — p. 264.

القرن السادس بالتوسع الفارسي من جهة ، وبازدهار التجارة في الجزيرة العربية في دولة حمير باليمن من جهة أخرى ، مما بدأ يقطع الخطوط التجارية الموصلة الى بيزنطة سواء المباشرة منها أو المارة بمصر . وارتبط هذا كله بالثورات الداخلية ، وبالضغوط السلافية على الحدود البلقانية . ولم ينجم عنه فقط أن ظلت القبضة البيزنطية السياسية ضعيفة الى أن سقطت مصر في يد العرب ، بل ان النبتات الاقطاعية التي ظهرت في مصر بسبب نمو الملكية الفردية في العهد البيزنطي عجزت عن أن تضرب جذورا عميقة في العلاقات الانتاجية المصرية . ويبدو أن الحكم العربي في فجر الاسلام قد عصف بها الى درجة كبيرة .

ب ـ اعتصار مصر

كان المحتلون الفرس في منتصف القرن الخامس ق . م . يستخرجون من مصر ما يقرب من ٣٢٫٠٠٠ أردب من القمح . ورفع البطالمة الضريبة العينية المفروضة على المصريين الى ٣٠٠٫٠٠٠ أردب . أما الرومان والبيزنطيون فقد وصلوا بالجزية الى ٨٠٠٫٠٠٠ أردب سنويا [٣] . وعلاوة على هذا كانت الضريبة النقدية على بعض الاراضي تصل الى ٨٠٠٫٠٠٠ جنيه تقريبا في ظل البطالمة ، فوصلت الى ٤٫٥٠٠٫٠٠٠ جنيه في الحكم الروماني وحوالي مليونين في الفترة البيزنطية . وهذا دون ذكر عشرات الضرائب والرسوم ، والاسعار المرتفعة للبضائع التي تحتكر الحكومة انتاجها أو تجارتها ، وتكاليف « استضافة » الجنود في القرى ، واجبار الفلاحين على أن يقبلوا في منازلهم الجنود الذين اقطع عليهم الملك أو الوالي أرضا كراتب مقابل الخدمة العسكرية الخ .

ومنذ عام ٣٠ ق . م . زاد من ثقل هذا الاستغلال الفظيع لقوى الشعب المصري ـ والفلاحين بصفة خاصة ـ أن الجزية العينية والحصيلة النقدية للضرائب كانت تخرج من مصر الى روما ثم بيزنطة دون أن تعود الى دائرة التبادل والاستهلاك الداخلية . وكان هذا معناه استنزاف القدرة الاقتصادية المصرية بشكل عام ، وعرقلة تراكم الفائض ، ذلك التراكم الذي لابد منه لنمو القوى الانتاجية نموا يسمح بالانتقال الحاسم الى طور اجتماعي جديد .

ونرى في هذا الاستنزاف سببا اضافيا لضعف البوادر الاقطاعية التي تسبب عنها تأثير العلاقات النقدية والتبادل التجاري الهليني على الاقتصاد المصري .

ان العصر الهليني بالنسبة لمصر اذن ، عصر مورس فيه العنف عليها من الخارج بشكل أساسي ، على هيئة الاحتلال الاغريقي فالروماني والبيزنطي . كما يمكن اعتبار حروب البطالمة للسيطرة على تجارة البحر الابيض من جهة ، والثورات الداخلية ضد الحكم الاجنبي من جهة أخرى تبادلا للعنف بين مصر والخارج . وقد نجم عن هذا العنف بنوعيه أمران متناقضان : أما الاول فهو تطوير الاقتصاد والمجتمع المصريين الى مشارف الاقطاع [دون المرور بالعبودية] . والامر الثاني هو عرقلة هذا التطوير عرقلة كبيرة ، واضعاف جذوره ، وتطويع أشكاله للمناخ الاسيوي العام أي المناخ المصري الاساسي . وكان هذه النتيجة الثانية نوع من رد الفعل الدفاعي ، ومن المقاومة التلقائية البسيطة ازاء المحاولة التي تبذل لزراعة جسيمات أجنبية في الحياة المصرية قهرا .

٣ تطور التكوين الاقتصادي الاجتماعي المصري

استطاعت مصر الهلينية ـ وخاصة مدينة الاسكندرية ـ أن تلعب دورا هاما في تجارة البحر الابيض . ولا يعود هذا أساسا الى القدرة الخاصة لبعض الاقليات الاثنية [الاغريق ـ اليهود ـ التجار والماليون الرومان] ، بقدر ما يعود الى التطور الذي طرأ على التكوين الاقتصادي الاجتماعي المصري .

أ ـ نمو القوى الانتاجية

ان هذا النمو هو العنصر الاول والمحرك للتطور .

وقد عنى البطالمة والرومان بادخال التحسينات التقنية ، وخاصة في مجال الزراعة بغية الحصول على أكبر عائد ممكن من مصر [٤] لزيادة الصادرات . واستهدف البطالمة من هذه العملية بشكل خاص أن يزيدوا من ورود الذهب والفضة مقابل البضائع التي يتاجرون فيها .

وقد شدد خلفاء الاسكندر في مصر القبضة

---

[٣] Prince Omar TOUSSOUN : «Mémoire sur les finances de l'Egypte» — Le Caire — Institut Français d'Archéologie — 1924 — pp. 49 et pass.

والمبالغ المذكورة للضرائب مقدرة باسعار عام ١٩٢٤ .

[٤] M. ROSTOVTZEFF : «The social and economic history of the hellenistic world» — Vol. 1, Oxford, Clarendon — 1959 — p. 272.

الادارية على البلاد ، واهتموا بالسيطرة على الامن الداخلى [أى اخضاع الفلاحين لارادتهم]. وادخلوا نظما جديدة فى الزراعة والرى واستصلاح الاراضى . وشجعوا الصناعة [٥] بوسائل سنعود اليها فيما بعد . وفى الجملة فقد وقعت تنمية القوى الانتاجية المصرية بطريقة مقصودة ومخططة نسبيا ، وتحت الاشراف المركزى . أى فى اطار طبيعة التكوين الاسيوى نفسه وباستعمال اساليبه جنبا الى جنب الاساليب الاخرى [وخاصة منهج النمو التلقائى المنبثق من الملكية الفردية والتجارة النقدية] . ولكن تقديرنا أن الاحتفاظ بالاطارات الاسيوية التى تحرك داخلها حكام مصر الهلينية كان من ضمن الاسباب التى ضيقت على محاولة التطوير نفسها ، وجعلتها عرضة للضعف السريع فيما بعد .

وكذلك استطاع « السلام الرومانى » القاهر فى مصر أن يوجد فيها ازدهارا اقتصاديا فى أول الامر ، طالما كانت أسعار القمح المصرى ترتفع فى الاسواق بشكل مستمر .

وادخل النظام البطلمى اهم تطور فى الادوات الزراعية المصرية فى ذلك العصر ، ونعنى استعمال الحديد . ففى حين أن الادوات البدوية المستعملة فى زمن الفراعنة كانت خشبية اساسا ، تحولت الى المعدنية فى القرن الثالث ق. م. فاصبح للمحراث سلاح حديدى ، وكذلك الفأس والمنجل والجروف والبلطة . وانتشر الحديد ايضا فى صناعة اجزاء من العربة وخاصة العجلات . فكان هذا بمثابة ثورة تكنولوجية عميقة .

واستعملت الزراعة البطلمية اساليب جديدة فى الرى ، منها الساقية والطنبور ، بعد أن كان الشادوف هو المستعمل فقط . وانتشرت وسائل متقدمة فى البذار ، وظهر النورج . وتبين النقوش أن انتاج الزيت والنبيذ اصبح يتم بواسطة المكابس ذات المحاور ، وأن بعض المطاحن تعمل بعمل المياه .

وبهذه الطرق حصل البطالمة على محصولين بل وأحيانا ثلاثة محاصيل فى السنة الواحدة ، تعتمد على الرى الصناعى . وادخلوا زراعة الحمص والبازلاء والترمس والبرسيم ، وانواعا جديدة من القمح . كما انتشرت فى العهد البطلمى بعض الزراعات التى كانت محدودة من قبل مثل الزيتون والخروع والعنب والتوم والكرمب اليونانيين والتين والصفرجل والرمان ، ثم التفاح والمشمش واللوز بل والصدق فى الفترات المتأخرة وكذلك الورد وزهور اخرى التى تستخرج منها الروائح والاطياب . واستوردت مصر السلالات الجيدة من الاغنام بهدف تحسين الصوف ، ومن الحمير . ويبدو أن الجمل قد بدأ يتأقلم فى مصر لاول مرة . وكذلك انتشر النحل وزادت تربية الخنازير . وقدمت الدولة المساعدات لبعض اصحاب المزارع والمستأجرين بالغاء نظام خاص لاقراض البذور [٦] .

وفى ظل الرومان استحدثت انواع متقدمة من السواقى ، ودخلت ماكينة الدراس مصر لاول مرة [٧] . واستطاع الامبراطور «اوريليان» أن يزيد الخبز الموزع على معدمى روما رغيفا لكل فرد بفضل ارتفاع الانتاج الزراعى المصرى . ويلاحظ هنا ايضا أن قادة جيش الاحتلال قاموا بتشغيل جنودهم فى صيانة شبكة الرى المصرية، أى ان جانبا من التقدم الذى احرزته مصر حينذاك يعود الى قيام الدولة بالدور الاقتصادى الذى يستلزمه النمط الاسيوى . ولكن الجانب الاخر — وخاصة زراعة العنب والزيتون — يعود الى الاعتماد على الاساليب المستثمرة للاموال النقدية والى استغلال التربة المصرية الخصبة بوسائل اعلى علميا .

وادخل الرومان فى مصر زراعة القطن والارز وقصب السكر ، مما ترتب عليه انخفاض فى المساحة المنزرعة قمحا . وازدادت اهمية الذرة [٨] . وصدرت الاوامر للعديد من كبار الموظفين تكلفهم باستصلاح الاراضى البور المملوكة للتاج الامبراطورى [الى جانب وظائفهم الاصلية]. وكان البطالمة من قبل قد بدأوا يقطعون على محاسيبهم وكبار رجال البلاط ارضا بورا ايضا ، ثم تحولوا فى القرن الثانى ق. م. الى منح الاراضى التى كانت خصبة وهجروها زراعيا،

---

[٥] د . ادريس بل : « مصر من الاسكندر الاكبر حتى الفتح العربى » تعريب الدكتور عبد اللطيف احمد على — القاهرة — دار النهضة العربية — ١٩٦٨ — ص ٧٤ .

[٦] انظر P. JOUQUET : cL'Egypte Ptolémaïque — (Dans Hanotaux, éd.) — Paris — Flon — 1931 — Tome III, — p. 161

[٧] V. CHAPOT : cL'Egypte romaine — (Dans ditto), p. 310.

[٨] J. G. MILNE : «A history of Egypt under Roman rule», London — Methuen & Co. — 1924, pp. 255/266

وأما فى الميدان الصناعى ، فيبدو أن اسكندر الاكبر الغى الاحتكار الحكومى الذى كان منتشرا أيام الفراعنة فى معظم الحرف . وكان هذا الموقف يفيد المصالح التجارية اليونانية ، اذ هبطت أسعار المنتجات المصرية فى الاسواق الخارجية ، كما أصبح أصحاب الورش الاغريق فى الاسكندرية يستطيعون تشغيل العمال المهرة المصريين الذين تحرروا من سيطرة الدولة . ولكن احتياج الخزينة الملكية البطلمية الى الاموال المتزايدة للصرف على الحروب والمرتزقة دفع بالبطالمة بعد ذلك الى العودة الى فرض الاحتكار فى العديد من الصناعات الحرفية .

وعلى كل ، تقدمت فى مصر البطلمية صناعة النسيج للقطن والحرير والكتان ، وكذلك الصوف لانشاء الملابس والسفن والسجاجيد . وكذلك اشتهرت الاسكندرية بالصناعات الغذائية وخاصة الجبرى والفلفل والخل والسمك المملح واللحوم المنقعة والحلويات والورق [٩] وازدهرت فنون صياغة المعادن النفيسة وطرق البرونز والروائح العطرية ، وانتشرت الورش على أراضى المعابد ، وفى مزيب كبار رجال البلاط . ولقد كان الاغريق يمثلون فى أول الامر الى تشغيل العبيد فى الصناعات الحرفية ، ولكن أجور العمال المصريين الاحرار كانت أزهد من أن يتقاسم العمل العبودى [١٠] وأصبحت المنتجات المصرية المصنوعة مصدرا للتجارة الرابحة .

ولقد تفوقت صناعة الزجاج المصرى فى العهد الرومانى خاصة بفضل اكتشاف طريقة النفخ . واستمر نمو الصناعة الحرفية فى المدن الاغريقية خصوصا ، بما أتى بالثروات الكبيرة لتجار الاسكندرية بالذات فى الفترة الاولى .

وأخيرا ، فيجب أن نذكر التقدم الذى أحرزته العلوم فى الاسكندرية ضمن نمو القوى الانتاجية . ففى ظل البطالمة تقدمت علوم الهندسة والميكانيكا والفلك والجغرافيا ، وتم تقسيم الدائرة الى ٣٦٠ درجة . وفى الطب استطاع العلماء تحديد دور الاعصاب والاستفادة من ملاحظة النبض . وكذلك تقدم الطب العلمى فى الاسكندرية الرومانية بفضل تشريح الحيوانات وبداية ظهور الاساليب المتخصصة فى الجراحة والكى .

ب ــ نمو الاقتصاد النقدى والسلعى

دفع التقدم الذى أحرزته القوى الانتاجية بأنماط جنينية ــ كانت موجودة من قبل ــ الى التطور والنمو . ففى مصر الفرعونية كان الانتاج يتم أساسا للاستهلاك المحلى والاكتفاء الذاتى ، وكانت التعاملات الرئيسية تجرى على حدود البلاد وكمقايضات عينية يستعمل فيها الوزن النقدى أى لا تتبادل العملة بل تنفذ كمقياس خيالى للقيمة ، أما فى العهد الهلينى ، فقد أصبح الانتاج السلعى ــ أى الانتاج الذى يتم بقصد التبادل ــ يحتل مركزا واضحا ، ويصب فى المدن الاغريقية [وخاصة الاسكندرية] . وتجرى التجارة فى المنتجات بمبادلتها بالعملة نمطا . وفى هذه الحالة كانت العملة تلعب دور التجسيد للقيمة التبادلية فى السلعة .

● **وقد خرج جزء من الانتاج الزراعى والحرفى من دائرة الاكتفاء الذاتى الى دورة السوق الداخلى والخارجى.** فتلك المزارع الواسعة التى تخصصت مثلا فى الكروم والزيتون كان لها محصول أكبر من أن يستوعبه استهلاك القرية التى بجانبها ، وكان لابد من أن يتحول النبيذ والزيت الى سلع توزع فى الاسواق الداخلية [وخاصة بالمدن الاغريقية المصرية مثل الاسكندرية ونقراتيس الخ] وتصدر الى تجار البحر الابيض . وكذلك الخضروات الجديدة التى دخلت فى ذلك العصر كانت تغذى أساسا المدن الاقليمية الكبيرة والاسكندرية .

ومن الناحية الاخرى ، فحرفيو القرى الذين باتوا يصنعون الاسلحة الحديدية للادوات الزراعية مثلا لم يكونوا يعتمدون على الخامات الفلزية المستخرجة من مناجم صغير قريهم ، بل على مواد نصف مشغولة تستورد من سوريا وفينيقيا ، ثم يجرى تحويلها فى دورة أولى بالورش الكبيرة بالاسكندرية ومراكز الاقاليم قبل أن تباع لهؤلاء الحرفيين الريفيين لكى يجروا عليها الدورة النهائية من التصنيع .

وتنطبق نفس القاعدة على المنسوجات الكتانية والروائح المستخرجة من الزهور ، وعسل النحل ، وصوف الاغنام ، وحيوانات التسمين ، أى أن التقدم الذى أحرزته القوى الانتاجية زاد من نسبة العمل الفائض الى العمل الضرورى ، وأوجد كميات من الخيرات الخام أو المحولة صناعيا أكبر من قدرة كل قرية على استهلاكها

---

[٩] P. JOUGUET : «L'impérialisme macédonien et l'hellénisation de l'Orient», — Paris — Albin Michel — 1937 — pp. 316 et pass.

[١٠] P. JOUGUET : «L'Egypte ptolémaique» — Op. cit. p. 100

المباشر . وفى الوقت نفسه ؟ نقد صاحب ثيام الحكم البطلمى ، ثم الرومانى والبيزنطى — وجود طبقة حاكمة ذات نمط استهلاكى معتمد على السوق ، وذات نشاط تجارى وصناعى أى نشاط معتمد على السوق ايضا ، الخارجى والداخلى . وبهذا توافر الشرطان الضروريان لتحويل جانب من المنتجات الى سلع أى انتاج اوسع من الاستهلاك المحلى ولسوق اخرى قادرة على استيعاب الفائض .

وهنا تجدر الملاحظة أن ذلك التحول السلعى اصاب جزءا من انتاج البلاد وليس كله . فاذا كان جزء من القمح يذهب الى المستهلكين الاغريق فى مصر أو يصدر ، فالجانب الاكبر منه كان يستهلك فى مكان انتاجه أى فى القرية نفسها . ولم تمثل حدائق الكروم والزيتون والزهور والخضروات الخ الا جزءا ايضا من الاراضى الزراعية ، وخاصة تلك التى منح حق الانتفاع بها الى كبار القوم . أما الارض المملوكة للتاج، فكانت أغلبيتها الكبرى تزرع قمحا وهو الغذاء الاساسى للفلاحين . أى أن ذلك التطور للانتاج السلعى الذى ابرزناه سابقا لم يلغ الاكتفاء الذاتى الذى بقى أساس الاقتصاد المصرى ، وان كانت اصبحت له حدود ضيقت من مجاله وشموله .

● **واتسعت التجارة الخارجية بشكل أساسى فى هذه الفترة** ، وذلك تنفيذا لخطة البطالسة القائلة بأن المحافظة على استقلال مصر وسيطرتهم عليها لن تتحقق الا بتفوقهم التجارى فى شرقى البحر الابيض ، كما سبق الاشارة اليه . ومن الطبيعى أن التجارة الواسعة التى ازدهرت فى هذه الفترة كانت تسود البضائع اللازمة لاستهلاك الطبقة الحاكمة من المقدونيين والبلاط الاغريقى والاغنياء من الاثنيات الاجنبية أساسا . ولم تكن تلك التجارة الخارجية تعنى بالاحتياجات الاساسية للكادحين المصريين .

وقد توسعت العلاقات التجارية الى أبعد من المنطقة المحيطة بمصر مباشرة فى القرنين الثانى والاول ق. م. فقامت تجارة بين مصر والصين [فى ظل اسرة « هان »] . واكتشف الربان هيبالوس الرياح الموسمية التى مكنت السفن التجارية البطلمية من الابحار الى الهند دون توقف . واتخذت الجزر الواقعة قرب الشاطىء الجنوبى للجزيرة العربية مراكز لتخزين البضائع .

وكذلك بات البطالمة ينقدون تجارتهم الى الشاطىء الافريقى الشرقى لاستجلاب العطارة والبخور والطيب [١١] . وكانت السيطرة البطلمية على سوريا وفلسطين — كما قلنا — تأتى لهم بالاخشاب والمعادن والزيت والاقمشة والرقيق ومختلف انواع الفاكهة والجبن .

وكانت الاسكندرية تصدر بالمقابل القمح والاقمشة الرفيعة المصنوعة من الكتان ، والاوانى الزجاجية والابسطر وغيره من مختلف الاحجار . وكانت مركزا لتجارة عابرة نشيطة . وكان نظام المقايضة العينية سائدا فى العلاقات مع البلاد المتصلة ببصر عن طريق البحر الاحمر ، ولكن استعمال العملة كان أمرا سائدا وعاما فى المبادلات الجارية بالحوض الشرقى للبحر الابيض . ورغب الملوك البطالسة فى المزيد من النقود ؛ لا ليصرفوا على اسطولهم العظيم وجيشهم المرتزق فقط ، بل لاعتبارهم اكتنازها ضمانا لمركزهم المسيطر أيضا .

ويعد أن أخمد الرومان لهيب الثورة الشعبية ضد جباياتهم فى طيبة ، التفتوا هم الاخرين الى تأمين سبل التجارة الخارجية . فطهروا البحر الابيض من القراصنة ، ومهدوا طرقا جديدة توصل الى شاطىء البحر الاحمر ، واحتلوا ميناء عدن فى أوائل القرن الاول الميلادى . فازدهرت التجارة بين مصر والهند ، ولكن اتجاهها وموضوعها تغيرا : فبعد أن كانت تتم مع الهند الجنوبية لشراء السلع الكمالية ذهبا ، أصبحت تستجلب من الهند الشمالية القطن والمواد الخام الاخرى وتسدد ثمنها سلعا . وفى الفترة كان التجار السكندريون يسيطرون على تلك التجارة ، ومدينتهم المركز الاكبر للتبادل فى العالم القديم .

وكان من الطبيعى أن يؤثر هذا النشاط التجارى الخارجى بدوره على الاقتصاد الداخلى . ولذلك انتشرت فى العهد البيزنطى الاسواق السنوية [ذات المناسبات الدينية] والاسبوعية فى القرى المصرية حيث بدأت المنتجات الزراعية تتساع نقدا[١٢] . ونظن أن اليهود لعبوا دورا كبيرا فى تسريب المبادلات التجارية النقدية المنتظمة الى الريف المصرى ، اذ انهم كانوا اكبر عددا [مليون فرد] من الاغريق فى العهد الرومانى ، واوسع انتشارا فى القرى . كما أن نسبة كبيرة منهم

---

[١١] P. JOUGUET : «L'impérialisme macédonien.» Op. cit. pp. 331/333

[١٢] H. MUNIER : «L'Egypte byzantine» — (Dans «Précis de l'Histoire d'Egypte») — Tome II — Le Caire — Institut Français d'Archéologie — 1932 — p. 32 .

كانت تنتمى الى طبقات اجتماعية اقرب الى المنتج المباشر . وقد اشار ماركس الى دور الوسطاء فى تغيير الهيكل الداخلى للانتاج ، فقال :

« ان التداول البسيط ، الذى هو التبادل البسيط بين السلعة والنقود ... يمكن ان يوجد تاريخيا لانه — بالدقة — ليس الا حركة وسيطة بين نقطتين سبق تحديدهما من قبل ، ودون ان تكون القيمة التبادلية قد استولت على انتاج احد الشعوب فى اتساعه كله او الى اعماقه . اما اذا تكرر ظهور الوسطاء الذين يدفعون الى التبادل [اللومبارديون والنورمانديون الخ] ، ونمت علاقة مستمرة يمارس فيها المنتجون تجارة قد نسميها سلبية ، فسوف يأتى الدافع الى ذلك النشاط التبادلى من الخارج وليس من الهيكل الداخلى للانتاج . وفى هذه الحالة لن يمكن ان يكون فائض الانتاج بعد ظاهرة عفوية تقع صدفة ، بل لابد من ان تتكرر باستمرار . وبهذا الشكل يميل المنتج [بفتح الباء — المترجم] نفسه الى الاتجاه نحو التداول ، والى ايجاد القيم التبادلية » [١٣] .

● **وانتشرت المعاملات النقدية** : وكان الاسكندر قد دفع بها دفعة اولى عظيمة بان القى بالمعادن النفيسة المكتنزة بالقصور الاسيوية فى حركة التداول الواسع . ولم يكن من الممكن ان توثق مصر البطلمية علاقاتها الاقتصادية بالعالم اليونانى دون ان تكثر من استعمال النقود المنتشرة فيه منذ زمن بعيد . وفعلا وصلت هذه العلاقة الى الدرجة ان النقود المصرية التى سكوها تدوولت فى البحر الابيض كله .

وكان ملوك العصر الصاوى من قبل قد استعملوا عملات ذهبية اجنبية غالبا لدفع رواتب المرتزقة اليونانيين . وحصل الفرس بعدهم على جزء من جزية مصر نقدا . ولكن مصر ظلت مع ذلك بلد الاقتصاد الطبيعى اساسا . واستمرت كذلك فى ظل البطالمة ، اذ كانت الضريبة على الاراضى المنزرعة حبوبا تجبى عينا ، وكذلك العديد من الضرائب والرسوم وغيرهما . الا ان ضرائب اخرى كانت تجبى نقدا ، ومنها تلك المفروضة على مزراع الزيتون والعنب ، وعلى بعض الصناعات الحرفية . ولذلك اقام البطالمة فى مختلف الاقاليم والمراكز الادارية — بل والعديد من القرى — مكاتب مصرفية تجمع بين وظائف خزينة الدولة والبنك ، اى تودع فيها حصيلة الضريبة النقدية ، وتتعامل فى الودائع ايضا . وهكذا وجد نظام مصرفى متشابك يغطى مساحات كبيرة من داخلية البلاد الى جانب سلسلة الشون الحكومية التى تخزن فيها حصيلة الضريبة العينية . واعتمدت الادارة البطلمية اساسا على العناصر الاغريقية للاشراف على تلك المراكز المصرفية او للبنوك الحكومية [١٤] . واحتفظ الرومان بهذا النظام ، ولكن التعامل النقدى زاد فى ظل احتلالهم . ومما يدل عليه ان افرادا عديدين اقاموا فى العهد الرومانى بنوكا خاصة جنبا الى جنب البنوك الحكومية .

وثمة عامل اضافى ساهم فى نشر المعاملات النقدية ، وهو ان البطالمة ادخلوا فى مصر نظام تأجير حصيلة الضرائب النقدية ، وهو الذى سمى بنظام « القبالة » فى عصر الولاة العرب والالتزام فى العهد العثمانى . وكان البطالمة قد نقلوه من اليونان واعتمدوا عليه ليضمنوا الجباية الكاملة لرسوم معينة . فكانت الضريبة المحددة تعرض فى مزاد علنى كل عام وترسو على من يتقدم بأعلى عطاء . وكان الملتزمون يخضعون للرقابة الحكومية المحكمة حفظا على مصالح التاج . اما اغلب الضرائب العينية — وخاصة على الاراضى المنزرعة غلالا — فكانت تجمع بواسطة الجباة الحكوميين مباشرة وتودع فى الشون الحكومية .

وبهذا الشكل تمكن البطالمة من جمع اموال عظيمة سائلة ، فاصبحوا مصرفيى [بنكير] العالم القديم كله .

ورغم ان الرومان لجأوا الى اساليب اخرى لجمع الضرائب — وخاصة المباشرة منها — الا ان نظمهم هى الاخرى شجعت انتشار التعاملات النقدية . ومنها انهم وضعوا تعريفة للضريبة العقارية تختلف مع نوع المحصول المزروع ، وخيروا المزارعين بين تسديد الضريبة عينا او نقدا . وكذلك نجدهم فى بداية عهدهم يلغون الاحتكار الحكومى الذى كان البطالمة قد فرضوه على اغلب انواع التجارة الداخلية ، ويرفعون الحواجز الجمركية بالنسبة للتعامل مع روما ، مما فتح السوق الداخلى المصرى امام اصحاب

---

[١٣] K. MARX — «Fragments de la version originale» (Dans «Contribution...» Op. cit.), p. 229.

[١٤] هـ . ايدرس بل — المصدر المذكور — ص ٦٥ .

الاراضى [« الاواسى »] والتجار وأصحاب الورش الصناعية والمقاولين من الاغريق والرومان خاصة .

وفى ظل الحكم الرومانى نجد عددا من هؤلاء للمستثمرين يؤسسون معا شركات تقوم بتشغيل الورش اليدوية الواسعة . ويعمل فى بعضها العبيد احيانا قليلة ، وعمال احرار فى معظم الاحوال [١٥] . وكذلك نفذ الحكام الرومان كثيرا من اعمال الرى واستصلاح الاراضى عن طريق المقاولين الذين يستأجرون عمالا . ويبدو ان السخرة لم تلعب دورا هاما فى مثل هذه الاحوال . كما أن افرادا من الطبقة الحاكمة منحوا اراضى بورا بشرط استزراعها ، الامر الذى كان يتم بالعمل المأجور . واذا كان العمال القليلون فى المجتمع الفرعونى يتلقون راتبا عينيا ، فنجد عددهم قد زاد واجورهم اصبحت نقدية فى ظل الحكم الرومانى . ونلاحظ أن الرومان خففوا من القيود التى كانت تربط الحرفى باقليمه ، فأصبح تنقله من مدينة الى أخرى أسهل . كما أن الازمات النقدية الشديدة التى وقعت فى ذلك العهد اثرت على الاجور الاسمية للعمال فأخذت ترتفع [١٦] .

ولعب المرابون فى العهد الرومانى دورا كبيرا فى نشر التعامل النقدى أيضا . وكان يتولى هذا العمل فى الدلتا بعض الموظفين الكبار ومساعديهم . أما الصعيد فيبدو ان الماليين الرومان كانوا قليلين فيه .

واقترن انتشار المعاملات النقدية بظهور الازمات المرتبطة بالنقود . ففى ظل البطالمة هبطت قيمة العملة المصرية الى الربع [عام ١٣٠ ق.م.] كما حدثت سلسلة من الازمات فى العهدين الرومانى والبيزنطى [الربع الاخير للقرن الثالث الميلادى ، القرن الرابع ، منتصف القرن السادس] وذلك لان الحكام لجأوا الى تزييف النقود وخفضوا وزن الذهب فيها سرا . وأصابت هذه الازمات أصحاب البنوك الخاصة ، فعادت مصر القهقرى فى الاقتصاد الطبيعى الى درجة كبيرة اى الى المقايضة العينية القديمة . كما انكمشت الحركة التجارية والمصرفية والصناعية فى الاسكندرية ومدن الاقاليم الرئيسية . وكانت هذه الظاهرة بارزة قبل الفتح الاسلامى بشكل خاص . ومع ذلك فقد بقيت للتعامل النقدى جذور قوية لاحظها الفاتحون العرب فى منتصف القرن السابع [١٧]

ولابد من أن نلاحظ هنا أن انتشار التعامل النقدى لا يعنى بالضرورة ظهور النظام الرأسمالى طالما لم تصبح قوة العمل نفسها سلعة كمميزة أساسية فى الاقتصاد . ويقول ماركس فى هذا الصدد :

« **ان مجرد وجود الثروة النقدية** ، بل وحتى سيطرتها على شىء من مركز السيادة ، لا يكفى لان **ينجم الرأسمال عن هذا التحلل** [١٨] . ولو كان هذا واقعا ، لكانت روما وبيزنطة الخ قد ختمتا تاريخهما بالعمل الحر ورأس المال . فهناك ارتبط أيضا تحلل العلاقات القديمة للملكية بتطور الثروة النقدية — والزراعة الخ . ومع ذلك فالواقع أن نتيجة هذا التحلل لم تكن الصناعة بل سيادة الريف على المدينة » [١٩] .

● **واتسعت الحيازة الفردية للارض** على أسس أرسخ من المحاولات المتكررة السابقة ، اذ كان يسندها هذه المرة وجود فائض عمل أكبر من ذى قبل بفضل نمو القوى الانتاجية . كما أن اتساع التجارة الخارجية وتطور الداخلية عن الاطوار الجنينية كانا يقدمان امكانيات أوسع لكى يستولى الافراد على الفائض بغية مبادلته . واخيرا ، فان انتشار استعمال النقود قدم فرصة لتحويل ناتج المبادلة لا الى بضائع تتلف عندما تخزن مدة طويلة بل الى ثروات معدنية تتحمل التخزين الطويل ويمكن أن يلقى بها فى حركة التداول مرة ثانية فى اية لحظة .

وتثبت البرديات أن المنازل وبساتين الكروم والفاكهة كانت حيازة للافراد منذ الفترة البطلمية الاولى . وكذلك كانت توجد بعض المساحات من الاراضى المزروعة غلالا فى مصر العليا التى كانت تباع وتشترى وترهن وتوهب للاقارب دون قيود . والاغلب أن هذه الاوضاع كانت تركة للعهد

---

[١٥] P. JOUGUET : «L'Egypte gréco-romaine» — (Dans «Précis...» — Op. cit). T.I, p. 374.

[١٦] J. G. MILNE : Op. cit. — pp. 257 et pass.

[١٧] يلاحظ أن اسم «الدينار» العطائى من الاسم اللاتينى «ديناريوس» Denarius وهو اسم العملة الذهبية الجارية فى بيزنطة .

[١٨] يقصد تحلل الاقتصاد الطبيعى .

[١٩] K. MARX : «Pre-capitalist economic formations» — London — Lawrence & Wishart — 1964 — p. 110.

الصاوى ولفترة الاحتلال الفارسى الذى سبق فتح الاسكندر . غير أن البطالمة شجعوا الحيازة الفردية للأرض تشجيعا ، اذ باعوا أرضا حكومية بورا لكبار الموظفين ورجال البلاط بشرط استزراعها عنبا وزيتونا ، وبمقتضى عقود ايجار طويلة أو عقود وراثية . وكان هدفهم من ذلك ايجاد طبقة تضمن أملاكها ولاءها للتاج وكفاءة خدماتها له . وفى الوقت نفسه كان يحق للدولة مصادرة تلك الأرض اذا أهمل صاحبها زراعتها واستغلالها [٢٠] . فملكية الرقبة كانت تظل للدولة ، أى أن تلك الملكية كانت باقية فى اطار النمط الاسيوى . ولكن النتيجة على أى حال كانت أن العديد من التجار الاغنياء الاغريق والاجانب غيرهم اشتروا أرضا لزراعتها زراعة ساعية ولتسمين حيوان الذبيح عليها ، وتربية نحل العسل . وبهذا الشكل تم استصلاح مساحات كبيرة فى منطقة الفيوم بشكل خاص . وكانت الدولة تقدم القروض لشراء البذور والصرف على المعيشة .

وعلاوة على ذلك ، فقد منح البطالمة أيضا حق الانتفاع الفردى بالأرض لعدد ضخم من الجنود المرتزقة ، وخاصة الاغريق . وكان هدفهم من ذلك أن يكونوا بمستعمرات عسكرية فى داخلية البلاد تثبت أقدام المرتزقة فيها ، وتضمن المحافظة على السيطرة البطلمية . وكانت هذه الحيازات الزراعية تنتقل للورثة بشرط ادائهم الخدمة العسكرية للدولة التى كانت فى الوقت نفسه تمارس سلطتها فى مراجعة حقوق هؤلاء الورثة وتدربهم على احلالهم محل المتوفى فى استثمار الحيازة . فكانت الأرض توضع تحت الحراسة الى أن تحسم الدولة موقفها منهم [٢١] .

أما الجنود المصريون الذين خدموا فى الجيش البطلمى ، فقد تمتعوا أيضا بامتياز الحصول على حيازات زراعية فردية ، وان كانت المساحة فى هذه الحالة أقل من تلك التى كانت تمنح للمرتزقة الاجانب . غير أن العملية ذاتها كانت بداية لاخراج بعض المزارعين المصريين الصغار من نطاق المشترك القروى ، وتحويلهم الى منتجين فرديين تعاملهم الدولة كأفراد لا كجزئيات نكرة من مجموع مستعبد .

والملاحظ أن الذين حصلوا على حق الانتفاع بالاراضى الواسعة – هم وورثتهم – كانوا من الاغريق والمحاسيب والمرتزقة الاجانب وكبار الموظفين الرومان بعد ذلك . ويبدو انهم حصلوا من الدولة فى الوقت نفسه على السلطات الادارية على اراضيهم ، الامر الذى تحول بعد ذلك الى النبتات الاولى للاقطاع فى أواخر الحكم البيزنطى . ومع ذلك ، ففى العهد البطلمى وبعده ، لم يكن الملك الكبير سيدا على أرضه ومن عليها من الفلاحين . فلم يكن يحق له القضاء بينهم ، كما أن الأرض كانت تعود شرعا الى الدولة عند وفاته [٢٢] وكانت تسمى الأرض التى « بتغلى الملك عن ادارتها » [لا رقبتها] لغيره . وكانت شياع المعابد تنتمى الى هذا النوع ، برغم أن البطالمة تولوا ادارتها عن طريق موظفين خاصين . وعلى أى حال ، فكانت الدولة تتلقى من هؤلاء المنتفعين الفرديين – كبارا وصغارا – ريعا سنويا عن تلك الأرض ، مما كان يثبت باستمرار حق الدولة فى الولاية على الأرض الزراعية كلها .

وقد وصل بعض كبار المنتفعين بالأرض الى حالة عجيبة من الثراء الواسع . فهذا « ابولونيوس » وزير المالية لبطليموس الثانى (حوالى ٢٥٠ق.م) يزرع أرضا واسعة فى الفيوم حيث يحيط نفسه بخدم وحشم لا يحصى ، ومنهم الأطباء الخصوصيون وعازفو القيثارة والراقصون ، غير الفلاحين والعبيد . وهو يملك فى الوقت نفسه شركات للنقل البحرى والشركات الزراعية والتجارية ، فيسكن مديروها فى قصره ومعهم كتبتهم ومحاسبوهم وموظفوهم الآخرون [٢٣] .

وازداد عدد أمثال هؤلاء مع مرور الزمن فى هذه الفترة ، واشتدت نزعتهم الى الملكية الفردية الكاملة ، وتفكك أمام ضغطهم نظام الاقتصاد الحكومى الذى بناه البطالمة والذى سيرد ذكره فيما بعد . فقدم الملوك تنازلات متتالية فى اتجاه تحرير المبادرة الفردية من رقابة الدولة وقبضتها .

ان الطبقة الحاكمة والمالكة الاغريقية والاجنبية لم تكن من الكادحين المنتجين ، فلم تكن مصلحتها تنطبق مع التقدم العام لوادى النيل . فاعتصارها المتزايد للشعب المصرى ، وانهيار المالية البطلمية بسبب كثرة الحروب المكلفة

---

[٢٠] H. ROSTOVTZEFF : «The social... hellenistic World». Op. cit. pp. 289/290.

[٢١] P. JOUGUET : «L'Egypte ptolémaique» — Op. cit — pp. 87/88

[٢٢] P. JOUGUET : «L'Impérialisme...» — Op. cit. p. 383.

[٢٣] P. G. ELGOOD : «Les Ptolémées d'Egypte» — Paris — Payot — 1943 — pp. 81/82.

والثورات الداخلية – هذا كله أدى الى أن الركود بدأ يخيم على الزراعة . وتحولت اراض خصبة واسعة الى مساحات بور وجاءت هجرها فلاحوها والمنتفعون بها . فلما جاء الرومان ، اعلنت ادارتهم ان الأرض المزروعة والخصبة ملك الامبراطور الخاص الذى استولى عليها . ثم بدأ يمنح حق الانتفاع بتلك الحيازات القليلة للزراعة والمهجورة لالاف من الموظفين الكبار واصحاب الاموال والتجار من الاغريق والرومان . وانتشرت مرة اخرى عجلة التطور فعادت المزب الكبيرة الى الظهور ، تعتمد على الوسائل الحديثة والعلمية للزراعة [٢٤] . وهكذا تم تطور تاريخى مرة اخرى شبيه بالسابق ، وان كان على مستوى اعلى بسبب التقدم العام للقوى الانتاجية .

ولقد احتفظ الرومان ايضا بنظام الضريبة العينية على الاراضى المزروعة قمحا لكى يجمعوا منها الجزية السنوية الشخصية التى يتم بفضلها توزيع الخبز على سكان مدينة روما . وكان هذا من العوامل المرجلة لتطور الاقتصاد المصرى نحو الطبيعة السلعية الشاملة .

ومع ذلك فنجد التجار والمرابين الاغريق والرومان فى الاسكندرية يستغلون تصاعد اسعار القمح ، فيضارب بعضهم بها ، ويشتغل البعض الآخر باستئجار الاراضى وايجارها من الباطن بشرط زراعتها غلة . وكانت الدولة تقدم لهم التسهيلات المختلفة [٢٥] . وكان هذا مجاله ادخال الارض نفسها فى دائرة سوق السلع بصورة من الصور .

وترتب على السياسة الرومانية فى مجال الاقتصاد ان اتسع الانتفاع الفردى بالأرض ، ثم الملكية الفردية لها اتساعا كبيرا منذ اوائل العهد البيزنطى . ويلاحظ المؤرخون ان ذكر الأرض المملوكة للتاج اخذ يختفى بسرعة من السجلات المصرية فى تلك الفترة ، مما يدل على تحولها الى الحيازة الخاصة فى القرنين الثالث والرابع الميلاديين [٢٦] .

● **الطبقة المالكة الحاكمة : مغامرون واقطاعيون** . يصور العديد من المؤرخين الغربيين – بل وبعض المثقفين المصريين – الحكم الاغريقى الرومانى فى مصر على انه عهد الثورة الفكرية ويلقون اضواء رومانسية على حكامه بتصويرهم كفلاسفة يحلقون فوق الماديات . ويتعرض الكثير من المؤرخين لفتوحات الاسكندر باعتبارها استهدفت توحيد الشعوب تحت ظلال الفكر الاغريقى الرفيع . ويبدون اسفهم وتحسرهم على ان الذى انتصر فى نهاية الامر لم يكن هذا الفكر بل « التأثيرات المؤذية والضارة للمحيط الشرقى » [كذا !] [٢٧] .

واذا كانت حقيقة ان الاسكندرية كانت مركزا للثقافة والفلسفة والعلوم فى هذه الفترة ، غير انها ايضا كانت اقرب الى مركز جذب لجموعة هائلة من المهاجرين والطريدين والمنفيين الذين انتزعتهم الاضطرابات السياسية والحروب الاهلية والازمات الاقتصادية من اوطانهم ، والقت بهم امواجا على ارض مصر بحثا عن المعيشة بأية وسيلة . وكان الجيش البطلمى ثم الرومانى يقدم لبعضهم فرصة الارتزاق والاقتيات التطفل على الفلاحين . كما ان التجارة والمضاربة بالمال والاشتغال بالربا الفاحش ، والالتزام بتحصيل الضرائب ، واستغلال الاحتكارات الحكومية الصناعية والتجارية الخ – هذه جميعا كانت تقدم للبعض الآخر امكانية جمع الثروة بتهمر الكادحين واعتصارهم الى آخر قطرة دم فى عروقهم . فنرى هؤلاء الاجانب قطعانا بقرية تحط رحالها على الوادى وتمارس نشاطا محموما طماعا مستغلة التراث الاغريقى باستغلال المدن فى التخلص من القيود ورفض اى مبدأ سلم سوى مثل أعلى واحد هو اقتناء الثروة باسرع ما يمكن .

وكون هؤلاء الطبقة الممتازة ، المعفاة من اغلب الضرائب ، والتى تتمتع بحق المواطنية . فى حين ان المصريين انفسهم لم يكونوا مواطنين بل « مستسلمين » ليست لهم اى حقوق . وكانت تلك الطبقة الحاكمة المالكة تتركز فى المدن الاغريقية مثل ارسينوى بالفيوم وهيرمابوليس واكسيرينخوس ونوقراتيس وبتوليمايس ، وخاصة الاسكندرية – حيث تعيش منعزلة عن سائر سكان مصر ، وتتكلم لغة غير لغتهم ،

---

[٢٤] M. ROSTOVTZEFF : «The Social and economic history of the Roman Empire» — Oxford — Clarendon — 1957 — pp. 283/292.

[٢٥] A. C. JOHNSON : «Egypt and the Roman Empire» — Ann Arbor — University of Michigan Press — 1951 — p. 74.

[٢٦] A. C. JOHNSON : Ditto — pp. 76/78.

[٢٧] P. JOUGUET : «L'Impérialisme...» — Op. cit. p. 372.

وتعبد غير ما يعبدون ؟ وتتباهى بتقاليد يرى فيها المصريون نجاسة وانحطاطا . فكانت هـــذه كلها عوامل زادت من عمق الهوة الفاصلة بين الحكام والمحكومين ، بين الدولة كجهـاز قاهر والفلاحين المقهورين . وجعلت مصر تتخلص فى الفترة الاخيرة من معظم ذلك التـأثير الهلينى الذى مورس عليها عشرة قرون دون أن يتعدى سطحها كثيرا .

جـ ـ نبتات لتكوين اقطاعى

لقد تلاقى نمو الانتاج السلعى والعـلاقات النقدية التى القى أسسها حكم البطالمة ، مـع الهيكل الاقتصادى الاجتمـــاعى الذى اتى به الرومان والمبنى على وجود ملكية الارض بصورة مزدوجة [الملكية المشتركة للدولة او المدينـة مع الملكية الفردية للمواطن الرومانى] .ووقع هـــذا التلاقى على ارض مصر ذات التكوين الاقتصادى الاجتماعى الاسيوى . فنتج عنـــه ظهور النبتات الاولى لاقطاع من نوع خاص ، نراه **اقطاعا بيروقراطيا** .

ولم تتم هذه العملية بانتقال فجائى حاسم ؟ ولا بتطور منتظم سلس مترابط الحلقات ، بل من خلال عملية تاريخية حية تشكلها ضغوط اجتماعية وسياسية متناقضة وعلى مستويات مختلفة . فتحدث فى مسار تلك العملية الاخذ والعطاء بين تلك القوى ، والتقـدم والتأخر ، والانعراج للتطور فى اتجاهات متباينة .

فسبقت الاشـــارة الى الاراضى التى كانت تقطع لكبار رجال الدولة والقـــادة العسكريين والجنود من المرتزقة الاجانب والمصريين فى ظل البطالمة . وكانت الدولة تملك رقبـة هـــذه الارض ـ كما تملك مصر باجمعها ومن عليها ـ من الناحية النظرية او الشرعية . ولكن القوى النازعة الى الملكية الفـــردية ـ وقد اشـــتد عودها كما رأينا ـ نجحت شيئا فشيئا فى تحقيق خطوة مهمة ، وهى ان تؤول تلك الاقطاعات الى الابن الاكبر عند وفـــاة رب الاسرة . وهـــكذا أصبح الانتفاع بالارض وراثيا مع مرور الوقت ، واكتسب مظهر الامتلاك الخاص دون ان يعترف البطـــالمة بانتقـــال ملكية الرقبة الى المنتفعين بها [٢٨] . وكان هذا ايضا مصير اراضى المعابد الواسعة . ومع ذلك ففى نهاية العهد البطلمى كانت أرض التاج مازالت تصـــل الى نصف المساحة المزروعة .

ثم جاء الحكم الرومانى . فاعتبر الامبراطور مصر ملكا خاصـــا بشخصه ، لا جـــزءا مـــن الامبراطورية الرومانية . ووضع يده على ارض التاج البطلمى السابقـــة . واوقف الرومـــان لفترة منـــح الارض للعسكريين والجنود . ولكنهم اعترفوا بالملكية الخاصة للاراضى التى كانت فى أيدى الافراد عند حضورهم ، وشجعوا انتشار هذه الملكية بين صفوف الطبقـــة الحاكمـــة من الاغريق ، باعتبارها ضمانا على قدرة اصحابها على اضطلاعهم بمسئولية ادارة البلاد وجباية ماتطلبه روما من ضرائب وجزية سنوية . وتمكن بعض أصحاب الاقطاعات من توسيع الرقعـــة الزراعية التى يملكونها بتقديم الرشاوى لكبار الموظفين الرومان وبالافلات من مختلف القوانين واللوائح ، وبتطويع التقاليد والعلاقات الشخصية لمصلحتهم . كمـــا انهم استفادوا مـــن عـــودة السياسة الرومانية الى بيع اراضى التـــاج للمواطنين الرومان فى القرن الثالث الميلادى . وعندما قرر الرومان تحويل اللغـــة الرســـمية من الاغريقية الى اللاتينية فى مصر [عام ٢٩٦ م] ، كان من الطبيعى ان يتسع معه تطبيـــق الفكر القانونى الرومانى الذى يعترف بالملكية الفردية للارض ، مما اعطى أصحابها فى مصر مركزا اقوى .

وقام الامبراطور سفروس [١٩٣ ـ ٢١١م] بسلسلة من الاصـــلاحات القـــانونية والادارية تعتبر تنازلات هامة لملاك الاراضى الكبار . منها الاعتراف بحقوق المواطنية الرومانية للاثنيـــات الاجنبية التى ينتمون اليها ـ **ماعدا المصريين** ـ مما كان يعطيهم الحق الشرعى لملكية الارض . ومنها انه منح ســـكان المدن الاغريقيـــة حـــق انتخاب مجلس شيوخ يتولى شئونها ، اى نوع من الحكم الذاتى لكل مدينة ، وهو الامـــر الذى اصاب مركزية الحكم والدولة واضعفهـــا . واصبحت المناطق الريفيـــة المحيطـــة بالمدن الاغريقية فى مصر تابعة لسيطرة تلك المجالس البلدية من الناحيتين الادارية والمالية بل والدينية ايضا الى درجة كبيرة .

وزادت الملكية الفردية للاراضى الزراعيـــة فى الريف رسوخا ، اذ لم تعد تدفع الا الضريبة

---

(٢٨) هـ . ايدرس بل ـ نفس المصدر ـ ص ٦١ .

العقارية — دون الريع — علامة على انها اتت اصلا كمنحة من الدولة . ولكن هذه الارضيات تتوارث وتدار فى حرية تامة [٢٩] . الا ان اصحابها لا يقيمون فى الريف على اراضيهم بل فى المدن الاقليمية الكبيرة ، وفى الاسكندرية بشكل خاص : انهم ملاك غائبون متطفلون ، كما كان كبار المنتفعين فى العصور الفرعونية السابقة . وكان النمط الاسيوى المصرى الاصيل ختم علاقاتهم بالارض بطابعه ، فجعلها مختلفة جد الاختلاف عن التقليد الرومانى المعروف ، وهو ان يعيش المواطن الرومانى اساسا وسط مزرعته وعبيده .

ثم قدم الامبراطور ديوقليديانوس [٢٨٦ — ٣٠٥ م] تنازلات جديدة . وانزل ضربات اخرى بالهيكل الادارى للنمط الاسيوى ، اذ الغى التقسيم المصرى التقليدى الى اقاليم ، واوجد تقسيما اداريا ذا دوائر اوسع هى الابرشيات . وفصل بين السلطات الادارية والعسكرية .

وفى هذه الفترة قوى ساعد كبار الملاك الى الدرجة ان اعترف الحكم الرومانى لهم « **بحق الجباية الذاتية** » ، اى ان يجمعوا الضرائب المستحقة عليهم وعلى فلاحيهم بانفسهم ، ويسلموا حصيلتها لكبار المديرين الماليين فى الحكومة مباشرة دون المرور برقابة الجباة المحليين الكثيرى العدد . وحينذاك — وخاصة منذ القرن الرابع الميلادى — نمت ظاهرة جديدة هى نظام **الحماية** او الوصاية . اذ كان الفلاحون الاحرار الذين يزرعون الارض الملكية يتنازلون عنها للمالك الكبير مقابل حمايتهم من الجباة المحليين ، فيصبحون عملاء او **موالى** [*] لذلك المالك الذى يلقب بالسيد **الحامى** ، والذى يأخذ على عاتقه بالمقابل مسئولية دفع الضرائب . وتحول الفلاح الى مستأجر مربوط بالارض التى آلت الى غيره ، وشبيه بالقن الاقطاعى [٣٠]

وقد حاول الاباطرة البيزنطيون مقاومة نظام الحماية الذى كان يسرب اراضى التاج الى خارج ايادى الدولة ، ويبعد الفلاحين عن السيطرة الحكومية . فصدرت القوانين فى عامى ٣٦٠ و ٤١٦ التى تعاقب الحماة والفلاحين ايضا لانفصالهم عن المشترك القروى . وفى عام ٤١٥ صدر قانون يعترف بواقع الحماية فيما يتعلق بآثارها الماضية ويمنع تكرارها فى المستقبل . ولكن هذه القوانين لم تفد الا فى جعل التطور ابطأ بعض الشىء ، ولم تمنعه تماما .

وفيما بين ٤٦٠ و ٤٧٠ م اصبح كبار الملاك انفسهم هم حكام الاقاليم ورؤوس الدوائر الادارية الفرعية . وباتوا مكلفين ايضا بجباية الضرائب المستحقة على الفلاحين الاحرار الذين يزرعون الاراضى المحيطة بالمدن [٣١] . وفى القرن السادس الميلادى اصبح لملاك الضيع الكبيرة جيوش خاصة من المرتزقة [بعضهم من اصل جرمانى] ، ومحاكم وسجون تابعة لهم ، وشبكات للبريد ومحطات للخيل اللازمة له ، ومستشفيات ومصارف واساطيل من المراكب النيلية . ويعمل لديهم رهط كبير من الموظفين والكتبة والمحاسبين ، ويبسطون حمايتهم على اديرة كاملة ويوقفون عليها الاموال والعقارات . ويخضع لهم الفلاحون الموالى المرتبطون بالارض والذين لا يستطيعون مبارحتها . وهكذا شكل اصحاب الاراضى الكبيرة **نبالة** تتمتع باستقلال كبير من السلطة السياسية البيزنطية ، وتسيطر على الفلاحين الذين اقتربت تبعيتهم لها من نظام القنانة .

ولكن هناك فوارق بين بذور هذا الاقطاع والاقطاع الاوروبى . والاول ان تلك النبالة الاقطاعية المصرية كانت من اصل بيروقراطى فى معظمها ، وظلت ايضا تمارس وظائف ادارية كبيرة لدى فروع الدولة البيزنطية حتى آخر مراحلها . والفرق الثانى ان ممتلكات افرادها كانت تتكون من اراض متناثرة فى شتى انحاء البلاد ، ولا تشكل معا منطقة واحدة او اقليما واحدا . والفرق الثالث ان اصحابها ملاك متغيبون يعيشون فى المدن لا على اراضيهم ، ويمارسون استغلالهم للفلاحين بواسطة هيئات بيروقراطية تابعة لهم . اى يشكلون صورة مصغرة للامبراطورية البيروقراطية التى هم جزء منها . واغلبيتهم الساحقة من الاغريق او المتأغرقين المعزولين عن الشعب المصرى انعزالا كاملا .

والفرق الرابع ان هناك جيشا حكوميا [٣٢] يتبع الامبراطور من خلال الحكام [دوقات]

---

[*] استعملنا هذا اللفظ العربى للدلالة على كلمة Client وان كان نظام الموالى القبلى فى الجزيرة العربية فى ذلك الوقت لم يطابق ما جرى فى مصر بالضبط .

[٢٩] P. JOUGUET : «L'Egypte gréco-romaine» — Op. cit. p. 340.

[٣٠] هـ. ايدرس بل — نفس المصدر — ص ١٧٨/١٧٩ .

[٣١] انظر — C. DIEHL : «L'Egypte chrétienne et byzantine» — (Dans Hanotaux, ed.) — T. 3 — pp. 455/456.

[٣٢] J. G. MILNE : Op. cit. p. 150.

للولايات المصرية الاربعة ، وان هذا الجيش له معسكرات فى جميع الانحاء ويتولى مهمة مزدوجة هى حماية البلاد من الغزو الخارجى وفرض السلام الداخلى — اى ضمان جباية الضرائب وحماية اصحاب الاراضى الكبار من ثورات الفلاحين عند استفحالها . وكذلك تكون مهمة ذلك الجيش المركزى ان يمنع هؤلاء الاقطاعيين من ان يتحولوا الى افراد مستقلين عن التاج البيزنطى استقلالا تاما ، وان يبقيهم جزءا لا يتجزأ من الهيكل الحاكم البيروقراطى للامبراطورية البيزنطية .

وعليه ، يمكن ان نسمى هذا الاقطاع **اقطاعا بيروقراطيا** . ونلاحظ انه يحمل سمات هى انعكاس التأثير « الاسيوى » على التطور الاقتصادى والاجتماعى المصرى فى هذه الفترة .

وقد جاءت الاصلاحات الادارية التى اجراها الامبراطور جستينيان [٥٥٤م] معترفة بالامر الواقع ومسجلة له . فقسمت مصر الى ٤ ولايات متساوية المراكز تقريبا ، لكل ولاية حاكم يتبع الامبراطور مباشرة ومستقل عن الحاكم جاره . فقضت هذه الاجراءات على المركزية المصرية التقليدية تماما ، واصابت الهيكل السياسى والعسكرى المصرى بالضعف الشديد .. وفتحت الطريق واسعا امام الغزوات الفارسية فى اوائل القرن السابع [٦١٦ — ٦٢٩م] ثم امام الفتح العربى [٦٤١ م] .

وهنا يجدر بنا ان نبدى ملاحظتين :

الاولى ان ذلك النمط الجديد للعلاقات الاجتماعية — الاقطاع البيروقراطى — لم يكن قد وصل بعد الى الشمول والسيادة فى مصر البيزنطية عندما فتحها عمرو بن العاص . ولذلك اعتبرنا الظاهرة التى وصفناها باقتضاب — **نبتات** للاقطاع فقط . ونعتقد ان هناك من الادلة ما يثبت ان النمط الاسيوى كان ما يزال هو السائد والاساسى فى المجتمع المصرى فى العصر الهلينى ، رغم التطور الذى جرى فيه .

والملاحظة الثانية ان التطور الذى وقع فى التكوين الاقتصادى الاجتماعى المصرى فى العصر الهلينى يدحض تماما نظرية كارل فيتفوجل عن « الطغيان الشرقى » ، والقائلة بالثبات الابدى للنمط الاسيوى . واذ كانت مصر تنتقل الى مشارف النظام الاقطاعى فى القرن السابع ، فقد حدث هذا الانتقال **دون المرور بالنظام العبودى** . ويثبت هذا بدوره ان مجتمعا ما — والمثال هنا يتعلق بمصر — يستطيع ان يتخطى مراحل معينة من التطور او يقفز عبرها ، وانه ليس شرطا حتميا ان تمر جميع المجتمعات دون استثناء بذلك التسلسل التاريخى الخماسى للتطور الذى عرفته اوروبا الغربية [المشاعية فالعبودية ثم الاقطاع فالرأسمالية والاشتراكية] .

د — التدهور الختامى :

من المعروف ان النظام الاقطاعى ساد اوروبا الغربية نتيجة الانتصارات الساحقة التى احرزتها القبائل البربرية — وخاصة الجرمانية — على الامبراطورية الرومانية . وكانت تلك القبائل حينذاك فى اوج قوتها فى حين ان الازمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية كانت تمزق النظام العبودى الرومانى .

اما بوادر النظام الاقطاعى البيروقراطى فى مصر ، فهى تظهر فى نهاية السيطرة البيزنطية ، وعندما يصيب الضعف والانهيار والضمور الاقتصاد المصرى كله ، بما فيه — بل وخاصة — اقسامه السلعية والنقدية الحاكمة . ولا تبدأ تلك الطبقة الجديدة فى الظهور وهى تزداد قوة واندفاعا اى فى اتجاه تاريخى صاعد . بل تنبت وهى فى حالة شديدة من الهزال ، ولا تقوى على الاستمرار فى البقاء الا لوجود الجيش المحتل والقاهر للفلاحين . اضف الى ذلك ان هؤلاء الفلاحين انفسهم عجزوا عن قلب النظام رغم نضالاتهم ، الامر الذى وفر للطبقة الحاكمة الجديدة مناخا مناسبا خاصا . وكأن هناك اوضاعا معينة فى مصر معكوسة بالنسبة لاوروبا الغربية ... وفى تقديرنا ان هذا يرجع الى ان الهيكل العام المصرى — المبنى على النمط الاسيوى — اعطى للتناقض بين القوى الانتاجية وعلاقات الانتاج تلك السمات الخاصة التى يلحظها الدارس لهذا العصر التاريخى الهام . وهى سمات تضرب جذورها فى العصر الفرعونى الاسبق . واقصد ان ذلك التناقض عبر عن نفسه فى مصر فى التناقض بين قوى التوحيد المركزية — وهى الضمان الاساسى للانتاج بسبب انخفاض القوى الانتاجية — وبين قوى التمزق المعبرة عن النزعة الى الملكية الفردية ، وهى القوى الوحيدة [فى الوقت نفسه] القادرة على رفع القوى الانتاجية الى مستوى اعلى فى ذلك الوقت .

فقد قام النظام البطلمى بعد ان شهد الاقتصاد المصرى فترة طويلة من الانحطاط لان السيطرة الفارسية على مصر ، وقيام الامارات المستقلة بعضها عن بعض تسببا فى اهمال

الشبكة الصناعية للرى ؟ وفى وقوع التجارة الخارجية فى ايدى الاجانب من الاغريق والفنيقيين ، وفى احتكار الكهانة للصناعة الحرفية المصرية .

وبعد ان ازدهر النشاط الاقتصادى فى مصر البطلمية حتى بداية القرن الثانى ق .م. ،حدث ان هبط مركز مصر التجارى كما ذكرنا ، مما اضعف مقاومتها امام الغزوات السورية [١٦٩ — ١٦٨ ق.م.] وفتح المجال للمنازعات الشديدة بين افراد الاسرة المالكة ، وكذلك بين اجنحة الطبقة الحاكمة ، واوقع البلاد تحت الوصاية الرومانية .

وفى السنوات القليلة التى سبقت انتحار كليوباترا والاحتلال الرومانى لمصر ، كانت التجارة الخارجية والداخلية قد اصابها الركود، ونظام الرى فى حالة انهيار [٣٣] ، ونشاط الصناعات التى تحتكرها الحكومة كاد ان يتوقف . وتحولت مناجم الذهب فى النوبة مثلا الى ايمان للمجرمين والمعارضين السياسيين، واصبح انتاج هذه المناجم تافها [٣٤] . وكانت قبضة الحكومة المركزية بالاسكندرية على البلاد قد ضعفت الى الدرجة ان منطقة طيبة اقتربت من الاستقلال عنها فى بعض الاحيان .

ودفعت السياسة الرومانية الاقتصاد المصرى الى الامام مرة اخرى كما راينا . ولكن الضعف اخذ ينخر فيه من جديد ابتداء من القرن الثانى الميلادى ، وقتئذ جند الامبراطور الفلاحين للاستعانة بهم فى محاربة الثورة اليهودية ،واخذ باقى سكان القرى يهجرون الارض هربا من فداحة الضرائب . ثم اندلعت ثورة الشموريين [الثورة « البوكولية »] ، فاصيبت الزراعة فى الصميم . وزادت الامور سوءا فى القرن الثالث بسبب هبوط الحركة التجارية بين مصر والهند ، وزيادة الرسوم الجمركية المفروضة على التجار السكندريين . وبدأ يختفى فى القرن الرابع الهيكل الاجتماعى الاغريقى الخاص ، وتتدهور المدن الاغريقية ، وتفقد الاسكندرية مركزها الاقتصادى العظيم السابق [٣٥] . واخذ الاباطرة البيزنطيون بعد ذلك يهملون النظام الاقتصادى المصرى ، خاصة وان المقاومة الشعبية جعلت حصيلة الضرائب المفروضة على وادى النيل فى انخفاض مستمر . وفى القرن السادس انغلقت العزب الكبيرة والاديرة العديدة على نفسها اقتصاديا مكونة دوائر متزايدة من الاكتفاء الذاتى ، الامر الذى عرقل التداول النقدى . فكادت ان تختفى تلك العملة المنخفضة القيمة التى كانت بيزنطة تسكها [٣٦] . ويعنى هذا ان المحرك الاساسى للتطور المصرى فى ذلك الوقت — التجارة والتداول النقدى — كان قد فقد جانبا كبيرا من طاقته ، وان ذلك الاقطاع البيروقراطى الذى بدا يظهر فى الوقت نفسه كان اعجز من ان يوجد الظروف التى تمكن مصر من ان تتخطى نهائيا حدود الاقتصاد الطبيعى .

---

[٣٣] هـ.ايدرس بل — نفس المصدر — ص ١٠٧ .
[٣٤]
[٣٥]
[٣٦]

P. G. ELGOOD : Op. cit. pp. 235/237.
H. MUNIER : Op. cit. pp. 85/86.
J. G. MILNE : Op. cit. pp. 106/107.

القـراءة الرابعة

فى

الصدق فى مجريات الحيـاة اليومية ، قضيـــة اخلاقية ..وضرورة للفرد السوى العادى .
والصدق فى عرض مجريات الحياة العـامة ـ والسياسية بصفة خاصة ـ قضية تتجاوز الاخـلاق وتصبـح بالاضافـة الى ذلك .. ضرورة وطنيـة للصحفى الوطنى .
ايا الأمانة ـ فى الحياة اليومية للفـرد ـ فهى مقياس لا اختلاف فيه للحكم لصالحه او عليه .

.. والأمانة ـ فى الحياة الصحفية ..والسياسية منها خاصة ـ قضية مبدئية ومهنية ووطنية معـا . وهى مقياس دقيق لفرز الصحف عن بعضها ، وهى ايضا ترمومتر لا يخطىء فى كل زمن : الامس واليوم وغدا .

الصحفى الوطنى فى مفهومنا : هـو الذى يكتب الحقيقة . فان لم يستطع فلا بد والا يكتب عكسها، وبمعنى آخر : ان يتحمل مسئولية ما يكتبه اليوم .. كل يوم . وفى الغد لا يسارع بالهرب من كل كلمـة كتبها من قبل ، ثم يغمس قلمه فى « عبون » القـراء ويكتب عكس ما كتبـه بالامس تمـاما .. وبنفس الحماس .. ويصبح « ملكيا اكثر من الملك » .

ربما نسى بعض الناس ما كتبته « اخبار اليـوم » عن «فاروق المنقذ» و «اعياد الملك .. اعياد الشعب» فى أواخـر عام ١٩٥١ ـ حين كانت مصر تشـهد ارهاصات الثورة . وربمـا نسى بعـض القـاس ما كتبته «اخبار اليوم» من «الملك الذى ترك المدرسة قبل الميعاد» و «عبثه» بعد مضى أيام قليلة .. وقبلة جدا من سقوط فاروق بثورة شعب مصر فى يوليـو ١٩٥٢ .
لكن «اختراع» الطباعة ، و «اختراع» الارشيف ، يذكران من ينسى دائما .
.. انها قضية « المهنـة والشرف الصحفى » فى المقام الاول . وهى قضية الجيل الجديد الذى تربى فى احضان ثورة يوليو الوطنية ليعرف لماذا كان يحدث من قبل ، حتى يتجنب ان يحدث ذلك من جديد .
فى الصفحات القادمة : آراء «اخبـار اليوم» فى الملك وفى تحركات الشعب المصرى من اجل الجلاء .
وما اعظم «اختراع» الطبـاعة .. و « اختراع » الارشيف .

أمريكا تتوقع

أن ينقذ الملك فاروق الحالة

واشنطن ــ أرسل «أخبار اليوم»

نشرت مجلة «تايم» اقوى مجلات امريكا السياسية ، مقالا عن مصر ، جاء فيه : أن جلالة الملك كان فى اثناء شهر العسل يمضى ساعتين او ثلاث ساعات كل يوم . وكان يتصل دائما بالقاهرة تليفونيا . وان الولايات المتحدة تعتقد ان جلالته هو اهم شخصية فى اهم منطقة فى العالم الان . وانه هو الذى يستطيع انقاذ الحالة فى مصر ، وانه وحده يستطيع أن يقضى على السخط فى ليلة واحدة ، لو قاد بنفسه حركة الاصلاح .

ان الوفديين كانوا قبل ان يتولوا الحكم « يتعارضون مخلصين » . . فأصبحوا بعد ان تولوه « خدما مطيعين » . . .

● ووصفت مجلة «تايم» حرم النحاس باشا بانها تمثل « آلهة الشر » فى حكم مصر . وقالت أن هناك مصالحة بين حرم النحاس باشا وفؤاد سراج الدين باشا على حكم مصر ، نظرا لمرض النحاس باشا وتقدمه فى السن .

● وقالت المجلة أن حرم النحاس باشا وشقيقها اصبحا الان من اغنى المصريين . بينما ان اسرتهم لم تكن غنية اطلاقا ، وانه ليس لدى حرم النحاس باشا مصدر للثروة سوى مرتب زوجها ، ومع ذلك فانها اشترت ٧٥٠ فدانا فى هذا العام وحده .

● وقالت أن الوفد لديه اشخاص هيأتوا كبرها لنشر الفساد السياسى فى البلاد .

● وذكرت ان كثيرين من زعماء الوفد لا يرغبون مطلقا فى جلاء الجنود البريطانيين عن قناة السويس .

● وقالت ان هناك املا قليلا فى ان تستطيع الاحزاب الاخرى أن تفعل خيرا من الوفد ، وأن حزب السعديين هو الحزب الثانى فى مصر ، وانه حزب انفصل عن الوفد فى سنة ١٩٣٨ احتجاجا على الفساد الوفدى .

● وقالت : أن احد كبار الانجليز قال « لو ان الملك فاروق تولى بنفسه غدا حركة نشيطة للاصلاح ، فانه وحده الذى يستطيع ان يقضى على السخط فى مصر فى ليلة واحدة » .

● وذكرت المجلة ان الملك نال حتفه عندما تولى الحكم ، وكان يزور المرضى فى اثناء انتشار الاوبئة ، وكان يرمم بيده الاتفاق عندما كانت تهم القنابل الالمانية خلال الحرب . وانه دخل مرة منزل فلاح فقير وشاركه فى طعامه وقال للفلاح ارجو أن يأتى اليوم الذى تأكل نفس الطعام الذى آكله .

● وقالت ان اكبر حادث اثر فى الملك هو حادث ٤ فبراير ، عندما أحاطت الدبابات البريطانية بقصره ، واقتحمته دبابتان ، وفرضت النحاس باشا رئيسا للوزراء .

● وقالت ان الملك وصف الحادث بقوله : فقد دخل سير مايلز لامبسون مكتبى ، ومعه الضباط الانجليز المسلحون ، وتحت هذا الضغط ، وتحت الامر بتعيين النحاس باشا رئيسا للوزارة ، لم تملك للسفير البريطانى عند خروجه :

ــ سير مايلز .. انك ستندم على هذا اليوم .

● وذكرت مجلة «تايم» ان الملك فاروق ذكى ونشيط ، وانه يطلع يوميا على عدد ضخم من التقارير التى ترد اليه من جميع انحاء البلاد . ويقرأ الصحف كلها ، ويناقش السياسة الخارجية بسبع لغات .

● وقالت انه كثيرا ما دخل الملك على مجلس الوزراء ، وقال للوزراء : اننى احمل لكم مطالب الشعب . ووضع الملك عدة برامج للاصلاح الاجتماعى ، ولكن احدا لم ينفذ هذه البرامج .

● وقالت المجلة ان الملك فاروق غير راض على سياسة امريكا لمساعدة اسرائيل .

● وقالت : أن سياسة امريكا فى مصر هى :

١ ــ مشروع النقطة الرابعة .

٢ ــ مشروع فلبريات .

٣ ــ معاونة سفيه مع بريطانيا .

٤ ــ الامل فى ان تكون عودة الملك فاروق الى مصر بداية عهد جديد .

[العدد ٣٥٨ ــ ١٥ ــ ٩ ــ ١٩٥١]

على مصر أن تختار

[١] اما أن نقف مع الديمقراطية

[٢] أو نكون ميدانا للغزو مرتين

لمحرر اخبار اليوم الدبلوماسى

علينا ان بريطانيا كبيرا قال لمصرى كبير : اننا الان فى مفترق طرق ، وعلى مصر أن تختار ، اما ان تقف بجوار الديمقراطية مراحة وتقبل الدفاع المشترك ، واما ان تقبل المصير الاخر . وهو أن تكون ميدانا للغزو والاحتلال مرتين .

فمن المؤكد ان الجيوش الروسية ستفزوها وتحتلها فى أول الامر . وبعد ذلك ستجىء الجيوش الديمقراطية من الغرب وتحارب الجيش الروسى فيها وتخرجه من الاراضى المصرية .

وقال المصرى الكبير ، انه يقدر هذه الحقيقة .

[العدد ٣٤٣ — ١٩٥١/٦/٣]

فى الصميم

ان قصة امتناع العمال المصريين من العمل فى معسكرات الانجليز تكفى وحدها كدليل رائع على كفاح شعب ضد الاستعمار .

وان قصة معركة البوليس المصرى ببنادقه الصغيرة مع مدافع الانجليز ودباباتهم ، تكفى ليعرف العالم اصرار المصريين على الجلاء الناجز من وادى النيل ..

ان هذه القصص الحقيقية هى وحدها التى يمكن ان ترسم صورة صحيحة لهذا الشعب الجاد ، الذى يفضل الموت حرا ، على ان يعيش عبدا .

اما قصص القطط المتسلقة التى تحرق المعسكرات ، والكرنب المعبأ بالديناميت ، والقاء تشكيلات من الغربان والقمل والبراغيث على الانجليز وغيرها من القصص الخيالية المبتكرة ، فهى تسىء للقضيتنا ، وتجعلنا نبدو عابثين لاهين فى وقت كفاحنا العظيم .

ان الحقيقة وحدها تكفى .. اما الاكاذيب فهى تخدم خصومنا ، وتضر قضيتنا .

ابن البلد

[العدد ٣٦٨ — ١٩٥١/١١/٢٤]

حوادث المظاهرات تسىء الى مصر

تلقت وزارة الخارجية المصرية تقريرا سريا من السفارة المصرية فى واشنطون جاء فيه :

على الرغم من معارضة الصحافة الامريكية ووزارة الخارجية الامريكية لقرار مصر بالغاء المعاهدة ، فان موقف الشعب الامريكى قد يكون مغايرا لذلك ، لان كراهية الاحتلال قد يمكن اخفاؤها مؤقتا بين طيات التصريحات الرسمية وسطور الصحف . ولكنها لا يمكن أن تستأصل من قلوب الشعب .

وان اعداء مصر يحاولون الاساءة اليها

لدى الشعب الامريكي بطريقة واحدة ، وهى الايهام باننـــا نكره الاجانب ونعتدى عليهم ، ونحطم دورهم ومتاجرهم .

ومن بريد الســـفارة المصرية الذى تتلقـــاه يوميا من الشـــعب الامريكي قلما نجد فـــردا لا ينتصف لمطالبنا القومية ويشجعنا على طرد العدو الغاصب من بلادنا .

ولقد كان من اسباب نجاح ايران فىقضيتها انهمحاولوا بقدرالمستطاع كبح جماحالعدوان: لانه يؤذى ولا ينفع ، يؤذى ســـمعتنا وقضيتنا اضعاف الايذاء الواقع ضد الافراد المعتـــدى عليهم . هذا فضلا عن ان مثل هذه المظاهرات سرعان ما يســـتغلها اعداؤنا اســـتغلالا ذو حدين ، فيتهموننا بتغلغل الشيوعية فى بلادنا وقيامها من وراء هذه الحركات ..

[العدد ٣٦٤ — ١٩٥١/١٠/٢٤]

اخبـــار اليـــوم ... والملـــك

مايو ١٩٥١ — يوليو ، اغسطس ١٩٥٢

أعيـــــاد الملـــــك

أعيـــــاد الشـــــعب

أن احتفال الامة باعياد الملك دليـــل الولاء للتاج الذى تتمثل فيه عزة الوطن ومقدساته: الحرية والطمأنينة والعدالة والمساواة ، التى لا يتحيف منها ظالم ولا يجور عليها باغ .

والامة اذ يشملها الفرح ، وتجـــرى فيهـــا المواكب هاتفة داعية فى مناسبة عيد الجلوس والقران الملكيين ، انما تتمثل فى خواطرهـــا هذه المعانى جميعا .

وترجو ان ترى الدســـــتور الذى يجعلها مصدر السلطات مرفوع القـــوائم ، فى حمى لا يمســـه سوء .

ترجو انترى الحرية قاعدة الحياة فىمصر: حرية الصحافة ،حرية الراى ،حرية الاجتماع، حرية التنقل ،حرية الخطابة ،وسائر الحريات التى كفلها الدستور .

ترجو ان ترى الطمأنينة تشملها فى الداخل والخارج ، حيث لا يطغى سلطان مهما يكن، وحيث ترتد الى الوطن حقوقه المغصـــوبة .

ترجو أن ترى العدالة تشمل افراد الشـــعب جميعا : العدالةالاجتماعية والعدالةالسياسية والعدالة الاقتصادية ، فلا يثرى فريق على حساب فريق . ولا تجرى فى الوطن اخطـــاء

تسترها نصوص ؟ ولا يقوم ظلم تحت ستار من القانون ، ولا يعيش فريق فى ترف وحشى ، ويعيش فريق فى حرمان وحشى .

ترجو ان ترى المساواة بين ابناء الوطن : سلطان القانون بظل الجميع ، والحقوق والواجبات واحدة للجميع . صاحب الحق اقوى الاقوياء حتى يؤخذ له حقه ، والباغى اضعف الضعفاء حتى يرتد عن بغيه .

هذا هو ما يريده الشعب الذى يحب من الاعماق ملكه وصاحب تاجه . وهذا هو مايريده الملك لانه لا يريد الا ما أراد الشعب وأراد الدستور .

وهذا التجاوب بين الشعب والملك هو الذى يجعل للتاج مهابته وروعته ، ويجعل للشعب كرامته وعزته .

[العدد ٣٣٩ — ١٩٥١/٥/٥]

.. وكان مقال « اعياد الملك .. اعياد الشعب » المنشور فى العدد رقم ٣٣٩ من اخبار اليوم الصادر فى ١٩٥١/٥/٥ ، هو آخر تسابيح اخبار اليوم فى امجاد فاروق .. انقلبت بعدها الى النقيض تماما وشنت حملة عنيفة على الملك الذى ترك المدرسة قبل الميعاد ، ولا اخلاقياته ونسقه وفجوره وخطفه للزوجات ..

ما الذى حدث ؟

كيف واتت اخبار اليوم ، فجاة ، هذه الشجاعة فى مناصبة الملك العداء؟

لقد انفجرت ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وسقط الملك .

وظلت « اخبار اليوم » ساكتة بشجاعة ايضا منذ قيام الثورة فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حتى تاكدت سلطة الثورة ونفى الملك الى خارج البلاد فى ٢٦ يوليو ١٩٥٢ .. فبدات حملتها فى ٣١ يوليو على الفور ..

الملك الذى ترك الدراسة قبل الميعاد

لندن — لمراسل « الاخبار » :

نشرت جريدة «نيوزكرونيكل» مقالا عن الملك السابق كتبه لها لورد «كينروس» الذى كان يراس ادارة الدعاية والنشر بالسفارة البريطانية بالقاهرة منذ عام ١٩٤٤ حتى عام ١٩٤٧ ..

وقد قال اللورد كينروس فى ذلك المقال :

ان مشكلة فاروق الاساسية هى انه لم تتح له فرصة النمو ، ولم يكن هذا الخطأ خطأه فقد تولى الملك صغيرا جدا ... ولد فى مهد النهضة المصرية وشاءت رغبة والده ان يتلقى علومه الاولى فى مصر . فتعلم العربية لا التركية وشب ليكون اول ملك مصرى فى هذه الاسرة الالبانية الاصل .

ولم يعرف من شئون العالم الا النذر اليسير ، حتى بلغ السادسة عشرة من عمره ، فارسله والده الى انجلترا ليتلقى العلم فى كلية « وول وتسن » .. وكان فاروق اصغر من أن يختلط بزملائه الذين يكبرونه سنا ، كما كان اكثر نضجا من اطفال الانجليز الذين فى سنه . ومن هنا سئم الحياة فى لندن !

ولكن كلية « وول وتسن » كانت تناسبه ؟ فقد كانت كفيلة باشباع رغبته فى حياة الجندية ، وتمكنه من الامتزاج بنظرائه من الانجليز ، وتلقنه بعض اصول النظام والترتيب . ولكن والدة مات لسوء الحظ بعد التحاقه بهذه الكلية بفترة وجيزة فاستدعى الى القاهرة ليجلس على

مرض مصر قبل ان يستكمل تطهيره الثورى ؟ وهو ما كان ينقصه .

ولذلك ،وجد فاروق نفسه وهو فى السابعة عشرة من عمره يصارع الدسائس فى القصر الشرقى بدلا من أن يتدرب على حياة الجندية فى الميدان .

وكان له رفقاء قلائل فى مثل سنه . وكذلك كان أكبر مستشاريه من اصدقاء والده .. ولما كانت والدته قد ترملت وهى صغيرة السن فقد انسحبت هى الاخرى فى حياتها الخاصة، وكان سفير بريطانيا يتحدث الى فاروق كما لو كان خاله او عمه ! ..

وتعود فاروق الا يستمع الى هؤلاء النصحاء، وقال مرة فى لهجة ساخرة : « ان كثيرين من الناس لا يدركون اننى القوة الكامنة وراء العرش ! »

ولذلك فما لبث فاروق ان بنى «قصره» بنفسه ! .. وذلك بعد ان وجد نفسه وحيدا تعسا فى حياته العائلية تثقل عليه حياة القصر .. وكان اولئك الزملاء الذين اصطفاهم فاروق عبارة عن حلاق ايطالى وصحفى لبنانى . وكان فاروق يصحبهما ويهرب بهما من حياة ومسئوليات القصر فيقضى وقته معهما فى الاندية الليلية امام موائد القمار !

[العدد ٣٩ — ١٩٥٢/٧/٣١]

قال زكى هاشم ان فاروق القى عليه قنبلة ذرية قصة الملك كاملة

بقلم مصطفى امين

دخل صديقى الدكتور زكى هاشم الى مكتبى فى دار « اخبار اليوم » وكانه جثة تتحرك ! وجهه شاحب وقد اختفى منه دم الحياة . لونه اصفر صفرة الموت . يداه ترتعشان وهو يصافحنى . تكاد الكلمات تموت على شفتيه. وكان اشبه برجل لم ينم اسبوعا كاملا .رجل يحمل على رأسه هموم البشر جميعا ! .

قال : انا جئت لاخبرك ان الدموع قد الغيت !

قلت : ماذا حدث ؟

قال : قنبلة ذرية !

قصة خاتم

ووضع زكى هاشم كفه على رأسه وراح يتكلم وكأنه يبكى ! كانت اعصابه فوق جلده لا تحت جلده كباقى الناس ! كان يروى لى أعجب قصة سمعتها فى القرن العشرين !

قال :

— ان ما حدث لى لم يحدث لاى رجل قبلى، ولا اظنه سيحدث لاى رجل بعدى ! لقد ألغى زواجى بأمر ملكى ! **لقد خطبت الآنسة ناريمان** صادق . وحرصت ان اختارها من أسرة مناسبة . واتفقنا على عقد الزواج غدا .

ووزعنا رقاع الدعوة على المدعوين ، واردت ان ابحث عن خاتم اهديه لخطيبتى لمناسبة الزواج. واشاروا على ان اذهب الى احمد نجيب الجواهرجى لاشترى خاتم الزواج .. وفعلا اشترينا خاتما مناسبا .

وشاء سوء حظى ان احمد نجيب كان هناك. واقبل على خدمتنا .وراح يعرض علينا اصنافا والوانا من الخواتم . وكان يسأل «فورا» معجبا ، وكان يثنى على ذوقى فى اختيار عروسى ، ولم يثر هذا الثناء شكوكى ، فانى اعرف ان من عادة بعض التجار تملق الزبائن لاتمامهم بشراء بضائعهم !

وسأل احمد نجيب الجواهرجى «فورا» — هكذا كانوا يسمون ناريمان : — هل لها اخوات ؟

فقالت : لا .. لا سبيل ولا بنات !

فسألها : فى اى مدرسة هى ؟

فقالت : الاميرة فريال .

فسألها نجيب عن عمرها ؟

فقالت : انها احتفلت فى ٣١ اكتوبر بانها أتمت ١٦ عاما .

.وهنا قال احمد نجيب :

— ان عندى فى الاسكندرية خاتما بديعا، جميلا . لقطة ! بديعا ورخيصا ! .. فأعطينى

يا عروسة عنواك ورقم تليفونك وسأتصل بك بعد يومين ..

وأعطت « نورا » عنوانها ورقم تليفونها لاحمد نجيب ..

وانصرفت انا « ونورا » وتحدثنا عن لطف وذوق احمد نجيب ، وعن اهتمامه بنا وبخاتم الزواج !

الفرح لن يتم

واستمر زكى هاشم يتم قصته العجيبة ويقول :

وفى اليوم التالى جاءنى حسين فهمى صادق ، والد «نورا» مهرولا الى دارى ، وهو شاحب اللون وقال لى :

ـ حدثت مصيبة ! ان الملك قرر ان يتزوج ناريمان ! لم استطع مطلقا ان اقاوم رغبته . اعطنى كل صورها وسنرسل اليك كل هداياك . مطلوب منى ان لا اقابلك او اجتمع بك . ولكنى وجدت ان واجبى يقضى على ان اقابلك لاعتذر اليك .. انا آسف جدا ولكنه امر ملكى ! ماذا افعل ! اننى بكيت طويلا و« نورا » بكت طويلا وامها بكت طويلا ، ولكن لا فائدة ! ليس فى يدى شىء سوى ان افسخ الخطبة ، وارجوك ان تتصل بجميع المدعوين لتبلغهم ان الفرح لن يتم ولا تخبرهم بالسبب ، ارجوك ان تخفى كل شىء .. هذه هى الاوامر ولا اعرف ماذا افعل !

الاب يبكى

ولم يستطع زكى هاشم ان يقول شيئا ! كان هذا النبأ اشبه بمطرقة من الحديد نزلت على راسه ففقد النطق .. كان يتوقع كل شىء الا هذا ..

وشعر حسين فهمى صادق بالصدمة فبكى وقال :

ـ اعمل ايه يا ابنى ! ليس فى يدى شىء . ليس فى يدى شىء !

وفتح زكى هاشم فمه للمرة الاولى وقال :

ـ وما رأى « نورا » ؟

قال والد ناريمان :

ـ ليس لها رأى !

اين رآها

ثم راح حسين فهمى صادق يخفف عنى ويقول :

ـ على كل فالمسالة غير مؤكدة حتى الان .. انما الاوامر هى ان تفسخ الخطبة نورا وان لا تتصل بك ولا تتصل بنا ، وانا جئت لزيارتك من وراء الملك . ارجوك ان لا تخبر احدا اننى قابلتك !

وسال زكى هاشم :

ـ ولكن هل راى الملك « نورا » .

فقال حسين صادق وهو يتلعثم :

ـ لا اعرف .. يظهر انه رآها عندما كنت معها عند احمد نجيب الجواهرجى ، تشترى خاتم الزواج ..

وقال زكى هاشم انه لم ير الملك هناك . ولم ير حركة غير عادية تدل على ان الملك فى محل الجواهرجى .

دبلة الخطبة !

ثم وضع حسين فهمى صادق يده فى جيبه واخرج دبلة الزواج التى كانت نريمان تضعها فى اصبعها .. وقد كتب عليها اسم « زكى هاشم » .

وباصابع مرتعشة خلع زكى هاشم دبلة الزواج من اصبعه ، وكان مكتوبا عليها «نريمان صادق » !

ان حياتى قد انتهت

سكت زكى هاشم بعد ان انتهى من رواية قصته .. وسكت انا ..

شعرت كأن اشعاع القنبلة الذرية ، التى سقطت على زكى هاشم ، قد اصابنى انا !

لم اصدق ما كنت اسمع ! لم اتصور ان خطبة ملكية يمكن ان تجرى بهذه الطريقة العجيبة !

قلت : وماذا انت فاعل ؟!

قال : ان قصتى انا انتهت . لقد قالوا لى انتظر حتى يقرر الملك قراره النهائى . ولكن لست انا الذى انتظر حتى تعجب الملك او لا تعجبه ! ان حياتى انتهت ايضا !

قلت له : اسمع يا زكى ! ان قصتك اشبه بالف ليلة وليلة ! واننى لولا معرفتى انك رجل صادق لما صدقت كلمة واحدة !

وهنا ارتسمت بسمة حزينة على شفتيه المرتعشتين وقال :

ـ انا قرأت الف ليلة وليلة كلها .. وليس فيها قصة كهذه !

هل كان يعلم ؟

وخرج زكى هاشم من مكتبى ، وشعرت انه حمل همومه ووضعها على رأسى !!

لقد قلت له وأنا اودعه : انني اعدك ان احاول « بشكلة » هذا الزواج !

قال : وما الفائدة ! ان القنبلة الذرية اصابتني اصابة مباشرة ! ان ما حدث يكفيني!

قلت : هل عرف الملك انها خطوبة لك ؟ هل عرف ان رفاع الدموة وزعت ؟ هل عرف انكم اتفقتم مع المطرب عبد العزيز محمود على احياء الحفلة ؟

وسكت زكي هاشم ولم يجب .. ثم لمعت عيناه من خلف نظارته ، وقال وهو ينوقف عن الخروج :

ـ لقد قالت لي « نورا » منذ يومين : ان عيد ميلادها كان في يوم ٣١ اكتوبر الماضي ، وقرر والدها ان يحتفل به احتفالا كبيرا ، وكان الموعد يوم الاثنين ، ولكن والدها مرض فجأة، فتأجل الاحتفال الى يوم الجمعة ٤ نوفمبر ..

عمار يقرأ كف الملكة

وكان عبد الرحمن عمار ، وكيل المواصلات موجودا في الحفلة وأراد ان يداعب «نورا» فقال لها : انني اعرف قراءة الكف واستطيع ان اعرف مستقبلك .

وجلست « نورا » الى جانب عمار ومدت اليه كفها .. وقال عمار وكأنه يقرأ الغيب:كله:

ـ سيتقدم اليك بعد ايام شاب ممتاز طالبا يدك . اسرعي وتزوجيه ! ستجدين معه السعادة كلها ! حذار ان ترفضيه ! ان السعادة ستكون معه . ولو ان اميرا جاءك في الوقت الذي يجيء لك فيه هذا الشاب ففضلي الشاب المتعلم على هذا الامير ! .. ان ابابك باب السعادة فادخلي فيه ولا تنحرفي الى باب الشقاء !

وضحك الجالسون ، وسمع المطرب عبد العزيز محمود ضحكهم وتهنئتهم للعروس، فاقبل بموسيقاه وتخته يزف نريمان وهو يقول:

ـ انحطري يا حلوة يا زينة يا داخلة من جوه جنينه !

باب السعادة .. وباب الشقاء

وسارت نريمان وهي تضحك وسط هذه الزفة .!

وبعد ايام تقدم زكي هاشم يطلب يدها .. فقبلته ...

ثم قالت لزكي هاشم ، وهي تروي القصة:

ـ وهكذا دخلت باب السعادة .

وأتم زكي هاشم القصة ، ثم التفت الى وقال :

ـ ولكن يظهر ان باب السعادة هي ان تصبح ملكة ..!

قلت له :

ـ آه لو تعلم .. انه باب الشقاء .. !

الملك السابق ينصح الامراء بالزواج

وخرج زكي هاشم من مكتبي واخذت اقلب الاوراق التي لدي واتساءل : هل يكون هذا حقيقة ؟ لم ان العروس غيرت رأيها في الزواج فادعت اسرتها ان الملك يريد ان يتزوجها ..؟

انني كنت اعرف ان الملك السابق كان يفكر في هذا الوقت في الزواج ، وانه حدث في المأدبة الملكية ، التي اقامها الملك السابق في يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٥٠ لاعضاء اسرة محمد علي بمناسبة ذكرى محمد علي ان قال الملك للامراء :

ـ انني الاحظ ان عددا كبيرا منكم غير متزوج .. واخشى ان تنقرض اسرة محمد علي .. ولهذا يجب ان يحاول كل منا ان يتزوج لتحفظ الاسرة ..انكثيرين منا طلقوا زوجاتهم. وارجو ان لا ييأس الذين لم يوفقهم الله في حياتهم العائلة من رحمة الله وان يجربوا مرة ثانية .. وان يعملوا كما سوف افعل ، وان يبدأوا حياة جديدة . انني شخصيا افكر في الزواج الان ..

ولقد خرج يومها الامراء من قصر القبة وقد شعروا ان الملك السابق يفكر في الزواج ..!

ولكني لم اتصور انه في نفس الاسبوع سيختار الملك السابق زوجته ، وسيختارها بهذه الطريقة التي لجأ اليها .. !

انني اعرف ان احمد نجيب مورد المجوهرات للقصر الملكية ، ولكني لم اتصور انه مورد العرائس للقصور .. ! وما كدت ابحث واتعقب حتى وجدت ان الحقيقة اغرب مما رواه زكي هاشم .. !

حادث خطف آخر

ففي يوم ذهاب نريمان وزكي هاشم الى الجواهرجي احمد نجيب حدثت اغرب قصة خطف . ولكنه كان خطف شارب .. !

فقد كان الملك السابق موجودا في ذلك الوقت في الاسكندرية . وفي ساعة من الليل دق تليفون قصر المنتزه الى فندق سان استفانو.

وقيل لكريم ثابت ان الملك يطلب اليك ان تحضر فورا الى القصر لامر هام ..

وظن كريم ثابت ان الملك قرر اقالة حسين سري ، وكان رئيس الوزارة في ذلك الحين . ولكن عندما دخل عنده اعطاه مجلة لايف

الامريكية وفيها صورة للشاويش محمد محمد ابراهيم سيد احمد ، وقد ظهر فيها شاربه الطويل ..

والى جانب صورة الشاويش نشرت المجلة الامريكية صورة للملك فؤاد ، وقد بدا بنفس الشارب تقريباً .. !

وكانت مجلة آخر ساعة قد نشرت صورة هذا الشاويش ، فنقلتها مجلة لايف واضافت اليها صورة الملك فؤاد .

ولم يفهم كريم ثابت المقصود من استدعائه. ولكن الملك السابق دق الجرس وطلب الاميرالاى احمد كامل ، فهندان الحرس ، واعطاه المجلة وقال له :

ـ يجب ان تقصوا فورا شارب هذا العسكرى ! .

وخرج احمد كامل واتصل فى نفس الليلة بحكمدار بوليس الاسكندرية وابلغه اغرب امر ملكى ! « يقص شارب الشاويش محمد محمد ابراهيم سيد احمد فورا » .

وقبضت المكيدارية على العسكرى وقصت شاربه فورا ثم نقلته الى اسوان .

فاروق لا ينام

ولم ينم الملك السابق حتى ابلغه الاميرالاى احمد كامل ان الاوامر نفذت .. وانه شاهد الشاويش محمد محمد ابراهيم سيد احمد بغير شارب .. ! وكان الملك مهتما بهذا الامر .. ولا امر سواه ! وفى هذه الاثناء دق احمد نجيب التليفون وطلب ان يبلغ الملك فورا ٥ نبأ خطيرا هاما !

وهنا بدأت القصة .. قصة خطف ناريمان .. اغرب قصة خطف فى القرن العشرين !

[العدد ٤٧ ـ ١٩٥٢/٨/١٠]

تعليق « الطليعة »

.. وتستمر «الطليعة» فى قراءة «اخبار اليوم» .وتستعرض بعض ما قدمته المجلة عام ١٩٥١ . فقد حفل هذا العام بنماذج توضح اللامبدئية ، كما توضح كيف يغير الكاتب جلده بسرعة وذلك دون ان يضع القوم فى اعتبارهم ان ذاكرة الشعب دائما قوية ويقظة ، ولديها حافظة تتميز عن حافظة الانسان الفرد ، بانها تراث ذاكرتها جيلا عن جيل .

ففى ١٩٥١ ، كانت وزارة الوفد تتولى الحكم فى مصر ، وهى وزارة الاغلبية ، وكانت هناك مفاوضات دائرة بين حكومة الوفد والحكومة البريطانية . وفى نفس الوقت ، كان هناك صدام بينها وبين السراى . وهذا الخلاف تعلو موجاته احيانا الى حد الصدام العلنى ، وتهبط احيانا الى حد يقترب من المهادنة والتنازل .

وكانت القوة الضاغطة دوما على هذا الطابع المتردد للوفد ، هى قوة جماهير الشعب وحركته بالعمال والفلاحين والمثقفين الثوريين.

فى ذلك الوقت بالذات ، والمفاوضات تتعرض للانجاز . وتبدو نذر الصدام مع المستعمر، وحركة الجماهير الشعبية تتصاعد ، ويتاكد لدى الجميع ان خلاص الوطن من كل الشرور التى يعانى منها ـ الاستعمار والاقطاع والاستغلال والكبت والاضطهاد ـ انما هو بوحدة كل القوى الوطنية والديمقراطية والتقدمية فى جبهة واحدة معادية للاستعمار .. كانت اخبار اليوم تروج لحل آخر ، وتبشر بمخلص آخر .. وليس هذا الحل الا مزيد من تسلط الملكية ، ومزيد من عودة حكم الاقليات ، وليس غير «فاروق» منقذا للوطن ..

يوضح هذا ما نشرته فى عددها الصادر فى ١٩٥١/٩/١٥ ـ على هيئة رسالة من مراسل «اخبار اليوم» بواشنطن ـ بعنوان: « امريكا تتوقع ان ينقذ الملك فاروق الحالة » ـ وفى هذه الرسالة ، كان الملك فاروق « ذكيا ونشيطا » ، ويطلع يوميا على عدد ضخم من التقارير التى ترد اليه ، ويقرا الصحف كلها ويناقش السياسة الخارجية بسبع لغات . وهو يدخل على مجلس الوزراء ويقول للوزراء انى اعمل مطالب الشعب .. الخ .

كان ذلك فى ١٩٥١ ..

ولكن ما ان جاء يوليو ١٩٥٢ وطرد الملك فاذا بالقوم ينقلبون فجاة ، ودون سابق انذار ، ضد الملك الصالح الذى الورع المنسب الشريف ..واذا به يصبح ناقص التعليم ،لا يعرف من شئون العالم الا القدر اليسير ، يقضى وقته فى الاندية الليلية امام موائد القمار مع حسلاق ايطالى وصحفى لبنانى .

كان هذا الصحفى اللبنانى — كريم ثابت —من كتاب اخبار اليوم الدائمين ! .

.. هكذا كان المقال الذى نشر فى الاخبار — العدد ٣٩ — ٣١ يوليو ١٩٥٢ .

هذا «الملك العظيم » — الذى كانت « اعياده اعياد الشعب » [اخبار اليوم العدد ٣٣٩ — ١٩٥١/٥/٥] وذلك عندما زف الى الملكة ناريمان ، اصبح فجاة ، وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو التى طردته من البلاد — صاحب قصة خطف ناريمان «اغرب قصة خطف فى القرن العشرين» [قصة فاروق كاملة بقلم مصطفى امين — الاخبار — العدد ٤٧ — ١٠ اغسطس ١٩٥٢] واصبح لصا ومقامرا وزير نساء . « فاروق يستولى على مجوهرات التاج الايرانى — الاخبار — ٨/١٣/ ١٩٥٢ ، و « سافتضح فاروق فى جميع انحاء العالم ، هكذا قال امبراطور ايران لسفير مصر فى طهران » — الاخبار — ١٩٥٢/٨/١٧ ،و « فاروق يستولى على ملايس الامبراطورة» — الاخبار ١٩٥٢/٨/١٩ .

و « فاروق ينفق فى عام واحد مليونا و٢٠٠الف جنيه غير اربعة ملايين من الجنيهات دفعتها الدولة . « فريدة وبناتها سيخرجن بيتى » .. — الاخبار — ١٩٥٢/٨/٢١ . و « البوليس كاد يضبط جلالة الملك فى منزل الراقصة — « الاخبار — ١٩٥٢/٩/٣ . و « نازلى تطرد فاروق من قصر القبة وتقول له : انت مجنون — الاخبار ١٩٥٢/٩/٩ ... الخ .

ونحب ان نؤكد بعد هذا على حقيقة هامة :وهى ان هؤلاء القوم عندما قالوا فى الملك ماقال مالك فى الخمر ،فقد فعلوا ذلك بعد طرده ،وبعدان طوحت به حركة الضباط الاحرار . هذا بعد ان كانوا يعيشون معه اسرأره ، وبعد ان جعلوه العامل الاول ، والصانع الاول [مقال للاستاذ سابا حبشى اخبار اليوم ١٩٤٥/٢/١]والملك الصالح والفدائى الاول .. فى ذلك الوقت ، وعندما خرجت جماهير الشعب تعلن سخطها على الملك وحاشيته وتهتف ضد الدول الاستعمارية ادانت اخبار اليوم هذه المظاهرات،وقالت انها من فعل الشيوعيين والعناصر الهدامة وحملت الوفد مسئوليتها ،ونحت عنوان« حوادث المظاهرات تسىء الى مصر » نشرت ما وصفته بانه تقرير سرى تلقته وزارة الخارجية المصرية من السفارة المصرية بواشنطن — اخبار اليوم ١٩٥٢/١١/٢٤ .

وفى اليوم نفسه [١٩٥٢/١١/٢٤] نشرت اخبار اليوم بقلم ابن البلد كلمة — تتسلر خلف تاييد امتناع العمال المصريين عن العمل فى المعسكرات البريطانية ، وصدام رجال البوليس مع العساكر الانجليز — وفى الوقت نفسه ادانت فى هذه الكلمة كفاح الفدائيين البطولى فى منطقة القنال ، وحاولت تشويه هذا الكفاح الذى سقط خلاله شهداء ابرار مثل الاعصر والمنيسى .. كل ذلك فيما وصفه ابن البلد باكاذيب عن القطط المتشعلة التى تحرق المعسكرات والكرنب المعبا بالديناميت .. الخ ونحن نعلم ان الشعب المصرى قد راى فى تلك الايام ، المعسكرات البريطانية تشتعل ، ورأى القوات البريطانيه وهى ترتعش عند استلامها تموينها من الخضر ، ومن هنا فان وصف تصرفات الفدائيين بانها اكاذيب ليمكن الا تشكيكا من «ابن البلد» فى نضال الشباب الوطنى [اخبار اليوم العدد — ٣٦٨ — ١٩٥٢/١١/٢٤] .

وفى نفس الوقت — علينا ان نذكر — انه فى صيف ١٩٥١ ، وهو الصيف الذى انتهت احداثه بخريف ساخن مع الاستعمار البريطانى ، بالغاء معاهدة ١٩٣٦ [اكتوبر ١٩٥١] بدات اخبار اليوم تروج لفكرة ضرورة ان تقف مصر بجوار « الديمقراطية » — اى الغرب ، لمواجهة « الغزو الروسى » المؤكد حدوثه] — [اخبار اليوم ١٩٥١/٦/٣] . وهو امر يوجب فى راى اخبار اليوم قبول الدفاع المشترك . وهكذا ، بينما كانت اخبار اليوم وصحفها تشن حملة مركزة ضد حكومة الوفد بهدف اسقاطها لانها تمثل الفساد ، ولانها تفرط فى حقوق البلاد ، كانت تحبذ — بطريقتها الخاصة — وتدعو الى نظرية الدفاع المشترك مع الغرب الاستعمارى، وهى نظرية رفضها الشعب بكل طبقاته الوطنية والثورية من قبل ، عندما اسقط مفاوضات شنيعة — كامبل ، وصدقى — بيفن .

.. والقراءة مستمرة ..

« الطليعـــــة »

ملف
الطليعة

كوريا الديمقراطية الشعبية

من الداخل

تقدم الطليعة فى هذا العدد ؟ حصيلة الدراسة الميدانية التى قام بها وفدها فى جمهورية كوريا الديموقراطية الشعبية ، وهى الحصيلة التى يشملها هذا الملف الذى يعتبر أول ملفات الطليعة عن البلدان الاشتراكية فى سلسلة الدراسات الميدانية التى قررت القيام بها فى العديد من البلدان العربية والاشتراكية .

وقد اشترك فى وفد الطليعة الى كوريا الديموقراطية الزميلان **خيرى عزيز** وحسين شعلان .

وقد شملت دراستهما لواقع هذا البلد الاشتراكى الصديق جانبين أساسيين : اولهما هو الزيارات الميدانية لمختلف المجالات ، وثانيهما هو المناقشات والدراسات النظرية لواقع هذا البلد ولحقائق تطوره فى مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

وقد قام الزميلان فى اطار هذه الدراسة بزيارة بعض المدن ، والمصانع ، والمؤسسات الثقافية ، والتعليمية والفنية ، والانتاجية ، والمؤسسات التى تقوم بالخدمات الاجتماعية ، فضلا عن المتاحف الثورية ، كما قاما بزيارة بلدة « **پانمونجوم** » الشهيرة على خط العرض ٣٨ الذى يفصل بين شمال كوريا وجنوبها ، وحيث تتجسد مأساة تقسيم الوطن الواحد ، والشعب الواحد .

والتقى الزميلان فى ختام زيارتهما لجمهورية كوريا الديموقراطية الشعبية بالرفيق « **شونج جون جى** » نائب رئيس الوزراء الذى اجاب على العديد من التساؤلات التى كانت لاتزال معلقة ، وشرح بعمق واقتدار العديد من جوانب

الرعاية الابوية التى يبذلها زعيم الثورة للجيل الجديد تستهدف ان يكون خير خلف لقضية الثورة

التجربة الكورية فى البنـاء فى مختلف المجالات ، وفى ميدان النضال ضد الامبريالية، وعلاقة كل ذلك بتضامن بلاده الذى لا يحيـد ، مـع شعبنـا المصرى والشعوب العربية الشقيقة فى كفاحها ضد الامبريالية ، ومن اجل استعادة ثرواتها القومية .»

وكان وفد الطليعـة قد التقى من قبل بالرفيق رى يون ايك رئيس اتحـاد الصحفيين فى كوريا الديموقراطية ،ورئيس تحرير صحيفة « رودونج سينمون » المركزية ، ونائبه ايضا ، كما التقى فى مختلف المدن بممثلى الصحف ووسـائل الاعلام المحلية ، والتقى ايضا بالرفيق رى يونج جو نـائب رئيس اللجنـة المركزية للزراعة الذى تحدث عن المسالة الزراعية، والرفيق لى شول مو نائب وزير التعليم الابتدائى ، الذى تحدث عن التعليم ، كما التقى وفد الطليعة بالرفيق بايك جين جى مدير لجنة الدولة للتخطيط ، ونائبه الرفيق باك شـانج ريون ، اللـذان تحـدثا عن التخطيط وقضايا التطور الصناعى وخطة السنوات الست الحالية ، اما قضايا السياسة الخارجية والعلاقات مع البلدان الاشتراكية، فبحثها الوفد مع الرفيق رين يونج جاك مدير وزارة الخارجية كذلك فقد عكست الرفيقة كانج جونج سون الصحفية العاملة بمجلة المراة الكورية ، العديد من جوانب موهبة ومقدرة المراة الكورية المعاصرة .

وتامل الطليعة ان يحد قرائها فى الملف الذى تقدمه هنـا ، عرضا كافيا لـلالمام بمختلف جوانب تطور وتقدم هـذا البلد الاشتراكى الصديق .»

① مفتاح التجربة : جوتشية وخط التطور المستقل — خيري عزيز
② مسيرة البناء الاقتصادى من بلد مدمر تماما عام ١٩٥٣ ٠٠ الى بلد صناعى زراعى متقدم — خيري عزيز
③ المسألة الزراعية : الفروق تتلاشى بين الريف والمدينة — حسين شعلان
④ ٣ نظم للتعليم — حسين شعلان
⑤ الموقف المستقل فى الخلاف العقائدى داخل المعسكر الاشتراكى — خيري عزيز
⑥ اعادة توحيد كوريا : السمات ومناهج الحل — خيري عزيز

□□□

● قيادة تهزم أقوى امبريالية فى آسيا وأقوى امبريالية فى العالم

اذا كان بامكان المنجزات الايجابية الضخمة للبلدان الاشتراكية ، كعبر احتكار بعض الدول الرأسمالية المتقدمة لتعبير «المعجزة الاقتصادية» الذى استأثرت به دولة رأسمالية متقدمة ، أو دولتان ، فى الفترة التالية للحرب العالمية الثانية ، فى ظروف استثنائية معروفة ، ومع العلم بأن هذه «المعجزات» الرأسمالية» لم تقترن قط بالعدالة» واتسعت **بالتباين الكبير — كما هو الامر فى حالة اليابان مثلا — بين المركز الاقتصادى [الثالث فى العالم] ، والترتيب العشرين من ناحية دخل الفرد**» اذا كان بامكان البلدان الاشتراكية أن تكسر حقا هذا الاحتكار ، فلنا لا نعدو الصواب اذا قلنا ان جمهورية كوريا الديموقراطية الشعبية ، قد حققت ايضا بالاضافة الى جمهورية المانيا الديموقراطية ، وغيرهما من البلدان الاشتراكية ، التى اتسمت بمعدلات نمو سريع وباهر ، ما يكاد يرقى الى مستوى المعجزة فى مجال البناء الاقتصادى والاجتماعى .

فقد استطاعت كوريا الديموقراطية تحقيق المهمة الشاقة المعقدة للتصنيع التى استغرق تحقيقها فى الدول الرأسمالية قرنا كاملا او يزيد ، خلال مدة قصيرة للغاية ، لم تتجاوز ١٤ عاما ، انتقلت هذه الجمهورية الشعبية خلالها من بلد زراعى متخلف ، الى بلد صناعى زراعى متقدم ، يشكل الانتاج الصناعى فيه ٧٤ فى المائة من مجمل الانتاج القومى .

ويمثل تصورنا لحجم الانجاز الذى حققته هذه البلاد غير مكتمل ، اذا لم نشر الى الاهداف التى وضعتها هذه البلاد نصب أعينها ، بعد انجاز خطة السنوات الست الحالية التى تنتهى فى ١٩٧٦ ، لقد حددت كوريا الديموقراطية عشرة مهام اساسية لتحقيقها والوصول بانتاج البلاد تربيا الى : ١٢ مليون طن صلب [اكبر قاعدة صناعية للامة العربية لم تصل بعد الى ١ مليون طن صلب] ؛ ١٠٠ مليون طن فحم ، ٢٠ مليون طن اسمنت ، ١٠ ملايين طن معادن غير حديدية ، ٥ ملايين طن آلات ومعدات ، ٥ ملايين طن أسمدة كيماوية ، ٥٠ مليار كيلو وات ساعة ، ٥ ملايين طن من الصناعة الخاصة بالثروة السمكية ، ١٠٠ر٠٠٠ هكتار اراضى جديدة مستصلحة من طرح البحر ، ١٠ ملايين طن حبوب .

كذلك استطاعت هذه الجمهورية ان تحقق ارقاما قياسية فى سرعة الانجاز ، تبدت بوضوح فى مجال بناء الصناعة المحلية الصغيرة والمتوسطة ، من أجل انتاج سلع الاستهلاك اليومى ، اذ تمكنت ، بنصبة مثل البلاد ، وكل الاحتياطيات والامكانيات المحلية ، من بناء اكثر من ١٠٠٠ معمل ومصنع للصناعة المحلية فى فترة تراوحت ما بين ٣ و ٤ شهور ، غطت كافة مناطق البلاد بشبكة من المعامل والمصانع الصغيرة والمتوسطة التى أصبح انتاجها من السلع الاستهلاكية منذ ١٩٦٩ يعادل لانتاج الصناعة المركزية نفسها .

والنتيجة ان الصناعة الكورية اصبحت تنتج الان أكثر من ٢٠٠ر٠٠٠ نوع من سلع الاستهلاك اليومية منها الراديوهات ، والتليفزيونات ، وماكينات الخياطة ، والثلاجات ، والغسالات الخ ، ومختلف انواع السلع الغذائية ، بالاضافة الى انتاج القاطرات ، والسيارات ، والجرارات ، والمفرات ، والبولدوزرات الخ .

كذلك نجد من الناحية المعنوية ، ان كوريا الديموقراطية [الشمالية] هى التى تمارس بانجازاتها ، ومكتسبات شعبها ، تحديها المعنوى قوى ، النظام الرأسمالى التابع للولايات المتحدة فى الجنوب وليس العكس ، اذ تطالب كوريا الديموقراطية ، حكومة سيول ، بأن تسمح لملايين المتعطلين من شعب الجنوب ، بالانتقال الى الشمال ، حيث تستطيع الجمهورية الشعبية تدبير اعمال لائقة لهم ، وحياة انسانية كريمة ، ولكن النظام فى الجنوب هو الذى يخشى ذلك خشية كبيرة ، ويمارس اى شكل للاتصال والتعاون الفعال مع الشمال .

على اى تقييمنا لحقيقة الانجاز الذى حققه هذا البلد ، يكتمل حقا ، اذا علمنا ان عملية التنمية الضخمة التى حققها حتى الان ، لم تنطلق سنة ١٩٥٣ من قاعدة طبيعية تقليدية ليبدء براعى متخلف ، وانما انطلقت من بلد مدمر تماما بفعل العدوان الامريكى ، دمرت مدنه وقراه ، والتهبت النيران حياته ووديانه حتى ان الطيور هجرت اعشاشها والوحوش الكاسرة فرت من غابات البلاد التى لم يبق فى مدنها حجر على حجر ، وقال المستعمرون الامريكيون الذين تركوها رمادا سنة ١٩٥٣ : « لن تقوم قائمة لكوريا الشمالية حتى بعد مائة عام » .

ويبقى بعد كل ذلك ، ان القيادة الثورية لجمهورية كوريا الديموقراطية الشعبية ، التى استرشدت بمبادىء الاشتراكية العلمية ، قد استطاعت تحقيق كل تلك المنجزات ، لا يقوى الشعب الكورى بأكمله [اكثر من ٤٠ مليونا] وانما بثلث قوى هذا الشعب ، وهم سكان النصف الشمالى من البلاد ، وبعد نضال ضار خاضته هذه القيادة الثورية ضد اقوى امبريالية فى آسيا [الامبريالية اليابانية] ، ثم ضد اقوى امبريالية فى العالم [الامبريالية الامريكية] .

١ مفتاح التجربة : « جوتشيه » وخط التطور المستقل

وفى الواقع ، فان مهم المنجزات التى حققتها جمهورية كوريا الديموقراطية الشعبية ، انما يعتمد بصفة اساسية على ادراك تلك الفكرة المحورية ، فى حياة وتطور الثورة الكورية ، فكرة « جوتشيه » التى تعتبر الاساس النظرى للثورة والبناء فى تلك الجمهورية ، والتى سأقيها

صوغ مصيره . وقد أوضح زعيم الثورة الكورية : « لسنا أول من اكتشف هذه الفكرة ، انما كل ماركسي ــ لينيني يراها، وكل مافعلت هو أنني نوهت تنويها خاصا بهذه الفكرة » .

« جوتشيه » في الفكر

وتعني فكرة «جوتشيه » الالتزام بالمبادىء التي من شأنها أن تؤدي الى حل مسائل الثورة والبناء الاشتراكي كلها على نحو مستقل ، وفق الحقائق الخاصة بالبلاد ، ويقواها الخاصة في المقام الاول ، ورفض روح التعويل على الغير ، وأعلاه الثقة بالقوى الذاتية .

ويوجز الكوريون فكرتهم هذه على النحو التالي : « « جوتشيه » في الفكر، والسيادة في السياسة ، والاستقلال في الاقتصاد ، والدفاع الذاتي في الدفاع الوطني » . ويرون ان الموقف الاستقلالي هو الموقف الاساسي الذي ينبغي الالتزام به في الثورة والبناء ، والموقف الابداعي ، هو الطريقة الاساسية التي ينبغي تطبيقها في تحويل الطبيعة والمجتمع .

والسيادة في السياسة

وتتجسد فكرة « جوتشيه» أولا بما تتجسد في رأيهم، في مبدأ السيادة والاستقلال في السياسة، وهم يرون أن السلطة التي تعمل تحت ضغط الاخرين لا يمكن أن تسمى سلطة شعبية حقا ، مسئولة عن مصير الشعب ، ولا يمكن اعتبار بلد له هذا النوع من السلطة ، دولة مستقلة ذات سيادة » .

ويشير الكوريون بصفة خاصة الى الاضرار التي تسبب فيها الجمود العقائدي القائم على التبعية والذي ظهر على أشد ما يكون اثناء الحرب « وأصبح لا يطاق بعد الحرب » ، والذي دفع حزب العمل الكوري سنة ١٩٥٥ الى اتخاذ موقف حازم ضد الجمود العقائدي .

العدوان الامريكي وتدمير اقتصاد الرأسماليين وأغنياء الفلاحين

وفي الواقع ، فلقد ادرج الكوريون خطهم الخاص في البناء الاشتراكي ، ولم يكن بوسعهم محاكاة البلاد الاشتراكية الاخرى في هذا السبيل ؟ لان العدوان الامريكي خلق وضعا خاصا في كوريا كان لابد من الانطلاق منه ، أولا وقبل كل شيء .. ذلك ان الامبرياليين الامريكيين لم يدمروا فقط مساكن وممتلكات العمال والفلاحين ، وانما دمروا ايضا اقتصاد صغار ومتوسطي أصحاب الاعمال، والفلاحين الاغنياء ، فاذا كانت بعض الشعوب الاخرى قد لجأت ابان ثوراتها الاشتراكية الى نزع ملكية الرأسماليين والفلاحين الاغنياء ، لتصفيتهم كطبقات ، فان الثورة الكورية لم تكن لتحتاج الى ذلك ، لانه عندما أصبح كل شيء دمارا بسبب الحرب ، لم يعد ثمة فرق بين صغار رجال الاعمال ومتوسطيهم وبين الحرفيين في المدن ، وغدا الكل بروليتاريا ، لذا اختار حزب العمل تجاههم طريقا مبتكرا يقوم على أساس شعبهم في تعاونيات ، وأعادة تثقيفهم بروح الاشتراكية .

وكان على الفلاحين ايضا ان يفعلوا كذلك، بغية انقاذ زراعتهم التي حل بها الدمار الشامل . ولذا اتخذ حزب العمل طريقا يقوم على أساس الفكرة الماركسية اللينينية عن أن التعاون حتى ولو قام على أساس تكنيك بدائي ، يعتبر شديد التفوق على الزراعة الفردية ، ولذا فنظرا لان الفلاحين الكوريين كانوا في مسيس الحاجة الى العمل معا لكي يتخلصوا من وضعهم المسير، لذا عمل حزب العمل الكوري على دفع التحويل الاشتراكي للاقتصاد الريفي قدما الى الامام ، وبجرأة، دون انتظار تحقيق التصنيع .

والاستقلال في الاقتصاد

وفي المجال الاقتصادي عمل حزب العمل على الالتزام بمبدأ الاعتماد على القوى الذاتية، وبناء الاقتصاد الوطني المستقل ، على أساس اعطاء الاولويه لبناء الصناعه الثقيله مع تنميه الصناعة الخفيفة والزراعة في آن واحد ، بالاعتماد رئيسيا على الموارد الطبيعية ومصادر المواد الاولية المتوفرة في البلاد ، بحيث تستطيع هذه الصناعة ان تنتج وتؤمن جوهريا من داخل البلد ، اللوازم والمواد الاولية ، والوقود ، والقدرة المحركة والالات والتجهيزات اللازمة للاقتصاد الوطني. وكانت احدى المنجزات الكبرى التي حققها الكوريون في هذا المجال، هي خلق صناعة بناء الالات الخاصة بهم .

وقد أوضحت لنا الكوادر الكورية في شئون التخطيط والاقتصاد التي التقينا بها ، أن روح الاعتماد الذاتي على النفس في المجال الاقتصادي ، ليست من التعصب القومي في شيء

وانهم لا يعولون على قواهم الذاتية ؟ فانهم لا يتصدون مطلقا لبذ التضامن الامني ، أو رفض التعاون والمساعدة المتبادلة بين البلدان الشقيقة، أو حل كل شيء بانفسهم ، بل انهم ليرون ضرورة توطيد التضامن الامني بين البلدان الشقيقة. وقد اشار قائد الثورة الكورية بهذا الصدد الى [٩]

« اننا نلقا دعما وتشجيعا نشيطين من جانب البلدان الاشتراكية والشعوب المحبة للسلام في العالم ايام التقويم والبناء العسيرة بعد الحرب ، كما نلقينا عونا غير قليل من البلدان الاشتراكية الشقيقة تلقت كوريا الديموقراطية حوالى ٥٥٠ مليون دولار مساعدة اقتصادية وفنية من البلدان الاشتراكية . وان النجاحات التي احرزناها في بلدنا في التقويم والبناء ما بعد الحرب ، هي ذات صلة بيد العون التي امتدت الينا من شعوب البلدان الشقيقة .. **اننا نعرف هذا الجميل ولا ننساه** » واضاف قائلا : « الا اننا في هذه الفترة نفسها ، اتخذنا تعبئة قوى شعبنا وموارد بلدنا الى اقصى حدكأمر جوهري، واجتهدنا في نفس الوقت لاستخدام مساعدة البلدان الشقيقة استخداما ناجحا . والواقع هو ان جهودنا الذاتية هي التي ادت الدور الحاسم في انعاش وبناء ما بعد الحرب» .

مخاطر الاثراط في الاعتماد على العـــون الاجنبي

واستطرد قائلا مستكملا تحليله فلجوتشيه» في الاقتصاد « اننا نلجأ الى العون الاجنبي عندما نشرع في امر لا نعرفه او نعالجه للمرة الاولى ..» لقد بنينا محطة كهر حرارية بمساعدة الفنيين السوفيت ، كما اننا ننشيء معملا لتكرير البترول بمساعدة الفنيين السوفيت ايضا لاننا لا ننتج البترول في بلدنا حتى الان . هذا الحديث الذي يعني ١٩٦٩ قبل خطة السنوات الست التي دفعت بالبلاد طفرة كبرى الى الامام . ولا شك ان المحطات الكهرحرارية ومعامل تكرير البترول سوف تبنى في المرات القادمة بقوى فنيينا نحن » وهو ما يحدث الان .

ويؤكد الكوريون تلك الحقيقة البالغة الاهمية ،وهي أنه « اذا اعطيت اهمية مفرطة للعون الاجنبي ، أو اذا حدث اميل الى التعويل على الدول الاخرى فقط،فقد الشعب الثقة بقواه الخاصة ؟ واهمل السعي الى استنباط موارد البلاد الداخلية ، بحيث لا يعود يهتم سوى بتقليد الاخرين ، وعقد آماله عليهم ، واذا سارت الامور على هذا النحو يتعذر في التحليل النهائي ، النجاح في بناء دولة مستقلة .»

الفينـــالون : جوتشيـــه في التطبيق الاقتصـــادي

وربما كان ابرز مثال على اتباع جوتشيه في البحث العلمي ، وفي التطبيق الاقتصادي، ما لجأ اليه الكوريون في سبيل حل مشكلة كساء وملبس الشعب . فنظرا لان مساحة الارض الصالحة للزراعة في البلاد ، محدودة ، ونظرا لعدم نجاح زراعة القطن بسبب هطول أمطار غزيرة في فصل الصيف ، لذا وجه الاهتمام منذ وقت مبكر ، وفي عز احتدام الحرب ضد العدوان الامريكي ، الى ضرورة حل مشكلة ملبس الشعب عن طريق البحث العلمي ، عن طريق الكيمياء .. وبدأ العلماء الكوريون علمهم في ظروف شاقة كانوا يجرون فيها ابحاثهم تحت الارض بسبب العدوان ، وكانت تنقصهم القاعدة الفنية للبحث ، ولكن القيادة الثورية للبلاد وفرت لهم الاجهزة والمواد اللازمة واولتهم برعايتها وتشجيعها ، حتى استطاع الدكتور « ري سن جي » العالم الكوري الشهير ، اختراع الفينالون .

ملابـس الشـعب من الحجر الجيري والبوص

ويصنع الفينالون ، وهو نوع من الالياف الصناعية ، من معالجة الحجر الجيري الذي لا ينضب له معين في كوريا الديموقراطية ، بخمر الاتتراسيت المتوفر بكثرة في البلاد ايضا ، وينتج مصنع الفينالون بهامهونج [٤٠٠ عامل] والذي يعتبر بحق **مصنع « جوتشيه»** ؛ ٥٠٠ر٠٠٠ طن من الفينالون ، وهو يعادل انتاج مليون و ٤٠٠ الفة فدان قطن ، وتكفي هذه الكمية التي ينتجها ٤٠٠ عامل فقط ، لصناعة ٥٠٠ مليون متر قماش يتسع

---

(١) اجوبة عن الاسئلة التي طرحها الصحفيون الاجانب ص ٢٨ و ٢٩.

بأنه أقوى من الصوف ثلاث مرات ، وغير قابل للكرمشة ، ومناسب تماما لمناخ البلاد لانه يحفظ حرارة الجسم ..

كذلك قامت كوريا الديموقراطية بانتاج الحرير الصناعي ، والالياف الصناعية الاخرى من البوص وقش الاذرة ، فضلا عن انتاج الياف صناعية من الخشب ، وتم بناء سدود بين الجزر الصغيرة في بحر الغرب عند مصب نهر «أمنوك كانج» لتصبح جزيرة تغطيها حقول البوص ، وبذا ظهرت جزيرة لم تكن موجودة من قبل سماها الشعب « جزيرة الحرير » وحصلت البلاد عن طريقها على مزيد من المواد الاولية اللازمة لصناعة الحرير بسعر رخيص للغاية . وهكذا حلت مشكلة ملابس الشعب بفضل قاعدة المواد الاولية هذه والالياف المستنبطة منها .

وقال الكوريون ايضا بهذا الصدد .. لقد كنا مضطرين لاستيراد الفحم القارى من الخارج لانتاج الحديد ، الا ان علماءنا استطاعوا انتاج الحديد باستخدام فحم الانتراسيت الذى لا ينضب له معين في بلادنا ، وكان هذا بمثابة اسهام عظيم آخر في توطيد دعائم الاقتصاد الوطنى المستقل .

كما اوضحوا : ان انتاج الاسمدة عن طريق تحليل الماء بالتيار الكهربائى لا تناسبنا ، اذ يستهلك كثير من الكهرباء ، لذا فقد وجد علماؤنا طريقة لانتاج السماد عن طريق « تغويز » فحمنا الحجرى ، كما تم بلوغ منجزات كثيرة في الرى الزراعى بفضل ابتكار اساليب لم تعرفها البلاد الاخرى ، وتم كذلك بناء الافران العالية بالجهود الخاصة في ظرف سنة واحدة ، بدلا من بنائها بمساعدة الفنيين الاجانب بنفقات اكثر ، وفي مدة أطول [٤ سنوات] ، وحدث نفس الشيء في انتاج القاطرات الكهربائية بجهود الطلاب والمهندسين بدلا من استيرادها من الخارج بأموال كثيرة ..

ومن الناحية العامة ، ولتجسيد فكرة « جوتشيه » في الثورة الكورية الراهنة ، يرى الكوريون ان اشد المسائل الحاحا الان ، هي مسالة تحقيق وحدة وطننا سلميا وبشكل مستقل . كما يرون أن المهمة المحورية الان لتجسيد فكرة « جوتشيه » في النصف الشمالى من الجمهورية هي تحرر شعبنا من العمل المضنى ، عن طريق السير قدما وبحزم لتحقيق المهام الثلاث الرئيسية في الثورة التكنيكية الا وهي تضييق التمايز بين العمل الخفيف والعمل الثقيل ، وبين العمل الزراعي والعمل الصناعي ، وتحرير النساء الكوريات من ثقل الاعباء المنزلية عن طريق التنمية الشاملة للتكنيك .

ويؤكد الكوريون على انه اذا كانت فكرة « جوتشيه » تتفق والمبادىء الاساسية للماركسية اللينينية ، الا انها تبرز اليوم بصفة خاصة كانعكاس لمرحلة التطور الجديده للحركة الشيوعية العالمية ، ومتطلباتها الحتمية .

مسيرة البناء الاقتصادى من بلد مدمر تماما عام ١٩٥٣ .. الى بلد صناعى زراعى متقدم

والتقينا اثناء الزيارة ، بالرفيق « بايك جين جى » مدير لجنة الدولة للتخطيط ، والرفيق باك شانج ريون نائب مدير لجنة الدولة للتخطيط ، لدراسة مسار التطور الاقتصادى في كوريا الديموقراطية من مرحلة الدمار الشامل بعد العدوان الامريكى سنة ١٩٥٣ ، حتى اصبحت تلك الجمهورية ، البلد الصناعى المتقدم الذى شهدناه ..

وقد شملت المناقشات مع الرفيق باك شانج ريون ، المامة بالوضع الاقتصادى في البلاد بعد الحرب سنة ١٩٥٣ ، ثم التصنيع ، واخيرا خطة السنوات الست ١٩٧١ — ١٩٧٦ التى يجرى تنفيذها الان ..

أ — الوضع الاقتصادى بعد حرب الدمار الشامل

كانت كارثة الحرب في كوريا ، اصعب من أن توصف ، فلقد القى الامبرياليون الامريكيون ١٨

تقبلة على كل كيلومتر مربع فى النصف الشمالى من كوريا ، ودمروا حوالى ٨٠٠٠ مصنع صغير ومتوسط وكبير ، و ٦٠٠ الف منزل و ٥٠٠٠ مدرسة ، و ١٠٠٠ مستشفى ومستوصف ، و ٢٦٠٠ سينما ومسرح ، ودمرت منشآت وبيان أخرى لا يمكن أن تحصى ، ودمرت كافة وسائل الخدمات فى الثقافة والتعليم .. الخ .

وقد رسمت الثورة وحزبها خط توجيه الاقتصاد القومى على أساس التحليل العلمى للسمات الخاصة بكوريا الديموقراطية . فأشار بهذا الصدد كما قلنا الى ضرورة اعطاء الاولوية لبناء الصناعة الثقيلة مع تطوير الصناعة الخفيفة والزراعة . وقد أشار الزعيم بالك شانج ريون الى « انه فقط عندما تبنا بتنمية الصناعة الثقيلة اولا ، امكننا انهاض الصناعة الخفيفة والزراعة ، وتحسين مستوى معيشة الشعب والاسراع بالتطور الاقتصادى فى البلاد . وعندما فطنا لذلك ايضا تمكنا من حل مشكلة الاقتصاد المستعمر [يقتح الميم] الاحادى الجانب والذى تولد من الاستعمار اليابانى للبلاد ، كما تمكنا من التغلب على التخلف . وأوضح « انه كان يمكن أن نؤجل تطوير الصناعة الخفيفة والزراعة ، بحجة التركيز على الصناعة الثقيلة ، ولكننا لم نفعل ذلك ، لاننا استهدفنا بتنمية الصناعة الثقيلة ، تطوير الصناعة الخفيفة والزراعة .

وبعد الحرب حددت القيادة الثورية بعض المراحل فى سبيل اعادة بناء الاقتصاد الوطنى . **المرحلة الاولى** منها ، هى مرحلة التحضير لعملية اعادة البناء . **والمرحلة الثانية** تمثلت فى خطة ثلاث سنوات . **والمرحلة الثالثة** تمثلت فى خطة خمس سنوات ، وفى هذه المرحلة وضعت أسس التصنيع الاشتراكى فى البلاد .

وبدءوا بالعمل فى تنفيذ هذه المراحل ، وخلال اشهر قليلة ، أعيد بناء عدد فروع أساسية فى الصناعة، وتم فى الريف بناء الخزانات وعديد من وسائل الرى الاخرى .

وعلى أساس هذه النجاحات بدأ تنفيذ خطة الثلاث سنوات من أجل بناء أسس الاقتصاد الوطنى المستقل ، وتصفية مظاهر الاقتصاد المستعمر الاحادى الجانب ، والاسراع بتحسين مستوى معيشة الشعب، وتم بنجاح انجاز الخطة فى سنتين وثمانية اشهر . وفى هذه الفترة أعيد بناء المصانع على أسس حديثة ، وبنى المزيد منها على نطاق واسع ، كما تم انتاج سلع مصنعة لم تنتج بعد ان كانت البلاد تنتج سلعا نصف مصنعة فقط ؛ وتم فى الزراعة : تجاوز مستوياتها بعد الحرب، وفى المجال الثقافى أعيد بناء العديد من المنشآت وبدأ مستوى معيشة الشعب فى التحسن .

ب ــ التصنيع وبناء الاقتصاد مع بنـــاء الدفـــاع

وأعطت قيادة البلاد الاولوية لتحويل علاقات الانتاج قبل القيام بالثورة التكنيكية ، ذلك أن التحويل الاشتراكى لعلاقات الانتاج ، جعل البلاد قادرة على اقامة الصناعة الثقيلة مع بناء الصناعة الخفيفة والزراعة على نحو منسق . وهذا التحويل الاشتراكى لعلاقات الانتاج ، جعل البلاد قادرة على تصفية علاقات الانتاج القديمة ، والاسراع بالبناء الفنى . وجدير بالذكر ان مسألة التحويل ، والفنيين العاملين ، قد اكتسبت أهمية خاصة فى كوريا الديموقراطية ، وذلك كرد فعل للسيطرة الاستعمارية التى استمرت ٣٦ عاما . وقد لجأ الكوريون لحل مسألة العاملين الفنيين الى دعوة كافة المثقفين لاعطاء الاولوية للتعليم مما أدى الى تخريج عدد من الفنيين الشبان . ومن الناحية الاخرى ، تم توجيه العاملين الى تعلم الاساليب الفنية الحديثة ، والمعارف العلمية أثناء عملية الانتاج .

وقد تمت عملية التصنيع الاشتراكى على مرحلتين : ١ ــ وضع الاستعدادات لاسس التصنيع الامتراكى ٢ ــ مرحلة تنفيذ التصنيع الاشتراكى . وكانت المرحلة الاولى هى خطة الخمس سنوات التى وضعت فيها أسس التصنيع الاشتراكى . أما خطة السبع سنوات فكانت خطة تحقيق التصنيع الاشتراكى بالفعل .

وقد أوضح لنا نائب رئيس لجنة الدولة للتخطيط « أننا خططنا لتحقيق هذه الخطة من ١٩٦١ الى ١٩٦٧ ، ولكن الموقف فى بلادنا تحول الى حالة من التوتر الشديد . فخلال تلك الفترة ، خلق الامبرياليون الامريكيون مشكلة الكاريبى ، وزادوا الاستعدادات للحرب ، وأثاروا فى مناسبات عديدة ، الاستفزازات العسكرية ضد النصف الشمالى من البلاد .

وفى ظل ظروف كهذه ، كان لابد من توجيه الاهتمام الى توفير قوة دفاعية مناسبة ، والقيام

بالاستعدادات الضرورية لمواجهة غزو العدو فى أى لحظة • ولذا عقد الرفيق كيم ايل سونج الدورة الخامسة للجنة المركزية الرابعة للحزب فى عام ١٩٦٢ ، وفى هذه الدورة وضع خط تحقيق البناء الاقتصادى مع بناء الدفاع الذاتى للبلاد فى نفس الوقت •

نتيجة لذلك كان لابد من تنفيذ خطة السبع سنوات فى أكثر من سبع سنوات ، وبالفعل تحققت الخطة فى عشر سنوات • وقد أثار الامبرياليون الامريكيون الاستفزازات ضد كوريا الديموقراطية فى تلك الفترة مثلما حدث من سفينة التجسس « بويبلو » وطائرة التجسس « أى • سى • ١٢١ » ولكنهم لم يجرؤوا على مهاجمة كوريا الديموقراطية •

وخلال هذه الفترة تطور اقتصاد كوريا الديموقراطية بسرعة شديدة نتيجة للربط بين البناء الاقتصادى والدفاعى • وازداد اجمالى الانتاج خلال خطة السنوات السبع ٦ر١١ مرة عما كان عليه سنة ١٩٥٦ ، وازداد معدل انتاج وسائل الانتاج بمقدار ١٣ مرة ، وانتاج سلع الاستهلاك ٣ر٩ مرة ، وتحققت زيادة فى الانتاج كل عام تبلغ ١ر١٩ فى المائة ، وما كانت تنتجه البلاد فى عام كامل سنة ١٩٤٤ قبل التحرير ، أصبحت تنتجه فى ١٢ يوما فقط سنة ١٩٧٠ •

وتمكنت كوريا الديموقراطية خلال تلك الفترة من بناء مصانع صناعة الالات باعتبارها صناعة رئيسية ، وتحقق نجاح عظيم فى هذا المجال ببناء الصناعة الهندسية • وفى حين لم يكن مستطاعا قبل التحرير صناعة الالات الزراعية البسيطة ، أصبحت البلاد فى سنة ١٩٧٠ قادرة على صناعة مكابس قوة ٦٠٠٠ طن ، وسيارات نقل حجم كبير ، وبولد وزارات ، وقاطرات كهربائية ، وسفن كبيرة ، بالاضافة الى صناعة الخراطة • وبفضل هذه النجاحات أمكن توفير كل مستلزمات الصناعة وبناء المصانع محليا على خلاف ما كان يحدث فى البداية حين كانت تنقص بعض المعدات التى لم تكن تصنع محليا وانما كانت تستورد •

جـ ـ الوضع الاقتصادى الراهن وخطة السنوات الست من ١٩٧١ ـ ١٩٧٦

أقر المؤتمر الخامس لحزب العمل الكورى خطة السنوات الست على أساس تحقيق الهدفين الاساسيين التاليين : ١ ـ المزيد من توطيد الاسس المادية والفنية للاشتراكية بمواصلة زيادة الانتاج ٢ ـ تحرير الشعب العامل الذى تخلص من القهر والاستغلال من العمل الشاق • وسبيل تحقيقهما هو تطوير النجاحات فى التصنيع بالاسراع بالبناء الاقتصادى الاشتراكى ، والشروع بفعالية فى تجديد كافة مجالات الاقتصاد القومى بما فيه الزراعة •

أهداف الخطة

وتستهدف خطة السنوات الست ، انتاج من ٢٨ الى ٣٠ مليار كيلووات ساعة كهرباء ، و ٥٠ ـ ٥٢ مليون طن فحم ، ٦ر٣ ـ ٤ مليون طن صلب ، ٨ر٢ الى ٣ مليون طن أسمدة كيماوية ، ٥ر٧ ـ ٨ مليون طن أسمنت و ٥٠٠ مليون الى ٦٠٠ مليون متر نسيج ، ٧ ـ ٥ر٧ مليون طن حبوب •

ويطلقون على خطة السنوات الست خطة تشوليما « أى الحصان المجنح » [رمز السرعة] • والمقرر أن يزداد المعدل السنوى للانتاج بنسبة ١٤ فى المائة وأن يزداد اجمالى الانتاج بمقدار ٢ر٢ مرة عن سنة ١٩٧٠ •

مشاكل يجرى حلها

وقد ساعدنا الرفيق باك شانج ريون أيما مساعدة على تبين ملامح الصورة العامة للتطور الصناعى الراهن فى كوريا الديموقراطية ، والسمات المحدودة لهذه الصورة فأوضح لنا أنه وان كانت الصناعة الكورية تعتمد أساسا على المواد الخام المحلية ، الا أنها لا تزال تستورد بعض المواد من الخارج ، ونحن لم نستطع بعد حل مشكلة فحم الكوك ، الهام لصناعة الحديد ، والذى نعانى من نقصه ، ولذا نبذل جهودنا لاستخدام الحد الادنى من فحم الكوك فى انتاج الحديد • ونجح علماؤنا وفنيونا فى استخدام فحم الانتراسيت بشكل أكبر ، وبدأنا نقلل من استخدام الكوك فى صهر الحديد كذلك ينتج الصلب « البليستر » فى كوريا فقط ، وباستخدام الانتراسيت ، كما انهينا أبحاثنا التجريبية فى مجال استخدام الكهرباء فى صهر الحديد ، وبدأنا فى تنفيذ ذلك بالفعل ، كما توسعنا فى انتاج الحديد الاسفنجى للاقتصاد فى استخدام الكوك •

« ولم نستطع بعد حل مشكلة الالومنيوم ، والقطن ، والمطاط ، ونعمل الآن لحل مشاكل هذه

المواد من خلال التبادل مع الدول الاشتراكية ، كما نشتري بعض المواد من بعض البلاد الرأسمالية ، على الا يقل اعتمادنا على موادنا الخام المحلية عن نسبة من ٦٠ في المائة الى ٧٠ في المائة وذلك طبقا لخط الحزب ، أما فيما يتعلق بالصلب ، فاننا نعتبره أكثر المواد أهمية في سبيل تحقيق « جوتشيه » في الصناعة .

وضع المعادن الحديدية وغير الحديدية

واستطرد نائب مدير لجنة الدولة للتخطيط قائلا : « وبسبب ذلك فان حزبنا يوجه جهوده الضخمة لدعم استقلالنا في انتاج المعادن الحديدية خلال الخطة الحالية ، ولدينا الامكانيات لتطوير صناعات هذه المعادن ، لان بلدنا زاخر بكافة الموارد ، واكتشف عمالنا وفنيونا احتياطيات ضخمة لحديد من المعادن الخام ، ونحن نركز جهودنا لاكتشاف خامات المعادن ، ونتوقع في المستقبل القريب اكتشاف بلايين أو عشرات البلايين من أطنان خامات المعادن .

« وقد استطعنا في السنوات الاخيرة حل مسألة الصناعة البتروكيميائية ، ونتيجة لذلك سننتج انواعا جديدة من المنسوجات المصنوعة من الالياف الصناعية مثل الاتيلون – وتيترون – وديسدرون خلال سنة أو سنتين ..

كذلك تزخر كوريا الديموقراطية بالمعادن غير الحديدية مثل الذهب ، والفضة ، والزنك ، والرصاص ، ولدينا عشرات البلايين من أطنان الفحم في باطن الارض . ولذا يقال ان كوريا الديموقراطية لا تحسب بالسلحات ، بالكيلو مترات المربعة ، بل بالاحجام لانها ذات ٣ ابعاد ، كما تزخر البلاد ايضا بامكانيات توليد الكهرباء من مصادر المياه .

وتم خلال السنوات الثلاث الماضية في المجال الصناعي ، بناء اكثر من ١٣٫٠٠٠ ورشة ومعمل ومصنع جديد ، تعمل جميعها بالفحل الان ، كما تم خلال السنوات القليلة الماضية انشاء فروع صناعية جديدة .

وقد ازداد اجمالي الانتاج الصناعي في البلاد في ١٩٧٢ بنسبة ١٩ في المائة . كما اصبح الانتاج الصناعي في نفس السنة يعادل ١٫٦ مرة ، الانتاج الصناعي في عام ١٩٧٠ ، كذلك فعلى الرغم من أن خطة السنوات الست كانت تنص على وجوب تحقيق زيادة سنوية في الانتاج تقدرها ١٤ في المائة . فان النسبة التي تحققت قد تجاوزت هذا الرقم بالفعل ، واصبحت ١٧ في المائة وهو كما قال نائب مدير لجنة الدولة للتخطيط انتصار كبير – لخط بناء الاقتصاد الوطني الاشتراكي المستقل الذي وضعه قائدنا طبقا لفكرة « جوتشيه » .

د – المهام الرئيسية الثلاث للثورة التكنيكية

وتعمل كوريا الديموقراطية الان لانجاز ثورتها التكنيكية من أجل تحقيق مهام رئيسية ثلاث هي : ١ – تقليل الفروق بين العمل الثقيل ، والعمل الخفيف ٢ – وبين العمل الصناعي والعمل الزراعي ، ٣ – وتحرير النساء من ثقل الاعباء المنزلية ، وذلك بزيادة حركة التجديد في كل فروع الاقتصاد القومي وخاصة في الصناعة والزراعة . وقد أوضح لنا نائب مدير لجنة الدولة للتخطيط ايضا « اننا استطعنا خلال خطة السنوات السبع ، تحرير عمالنا من العمل الشاق الى حد كبير ، ولكن لا تزال هناك فروق بين العمل الثقيل ، والعمل الخفيف ، والعمل في ظروف الحرارة الشديدة ، وفي الظروف الضارة ، فضلا عن التمييز بين العمل الصناعي والعمل الزراعي ، وبالاضافة الى ذلك فان النساء اللاتي يبلغن حوالي نصف السكان لا يزلن أسرى العمل المنزلي الشاق .

وترجع ضرورة الثورة التكنيكية في كوريا الى اهميتها بالنسبة لحل مشكلة الايدي العاملة ، ويقول كوادر التخطيط الكوريون أنه « لدينا الكثير مما يمكن عمله في خطة السنوات الست ، ولو كان لدينا أيد عاملة اكثر لكان بالامكان تحقيق استغلال افضل للمناجم ، واصطياد كميات سمك كبيرة الخ ، ولكن موارد الايدي العاملة في بلادنا محدودة للغاية ، خاصة وانه خلال الحرب الاخيرة فقد الكثير من الشباب ، بالاضافة الى انه لدينا عدد كبير من التلاميذ والطلبة . كذلك فقد كررنا افتراحنا للجنوب بتخفيض القوات المسلحة من خلال اتفاق سلام بين الشمال والجنوب ، ولكن الانفصاليين لم يقبلوا ، لذا لم يكن باستطاعتنا تخفيض عدد قواتنا ، ولذا فان معظم مشاكل بلدنا تنبع من مشكلة الايدي العاملة .

ويتم طبقا للخط الذي وضعه الحزب في المؤتمر الخامس ، تحقيق المهام الرئيسية الثلاث للثورة

التكنيكية ، فى كل فروع الاقتصاد القومى ، بالاعتماد على الصناعة الهندسية والقوى التكنيكية • كما تبذل جهود كبيرة فى مجال الثورة التكنيكية فى الزراعة • ومن أجل تزويد الريف بالمزيد من الجرارات ، يعمل العمال الكوريون هذه المشكلة عن طريق توسيع مصنع كومسونج للجرارات بمعدل عشر مرات •

تحرير النساء من ثقل الاعباء المنزلية

أما المشكلة الاخرى التى تحمل الثورة التكنيكية على حلها فهى : تحرير النساء من ثقل الاعباء المنزلية ، خاصة وتبلغ نسبة عمل النساء ٤٠ فى المائة من اجمالى الانتاج القومى العام ، فمعظم العاملين فى الزراعة ، والصناعة الخفيفة ، والتجارة ، والتعليم ، والثقافة ، والصحة هم من النساء • وهناك بمحاولات وجهود عديدة تبذل لحل مشاكل النساء عن طريق تصنيع الاكل المطهى ، والوجبات الرئيسية فى صورة « أطباق جاهزة » وقد بنت كوريا لهذا السبب عددا كبيرا من مصانع الاطعمة الجاهزة ، التى يقبل عدد كبير من النساء على شراء أطباقها الجاهزة •

كذلك كان لابد بالنسبة للمرأة أيضا من توفير دور الحضانة ورياض الاطفال بشكل كاف كى يستطيع عدد أكبر من النساء التفرغ للعمل بشكل فعال • ويوجد فى كوريا الديموقراطية فى الوقت الحالى ٣ر٥ مليون طفل وصبى وهى أعلى نسبة فى العالم بالنسبة لعدد السكان •

كذلك تقوم البلاد بانتاج أدوات المطبخ المنزلى والمتاجلات ، من أفران ، وسخانات الخ من أجل التقليل من عمل النساء الشاق وبنت الدولة مصانع جديدة للأدوات المنزلية ، وبالاضافة الى ذلك يوجد لكل ناحية مطبخ ، ومغسل ، وورش لصيانة الملابس ، ومحلات للملابس الجاهزة ، ولذا تلبس النساء الملابس المصنوعة فى ورش الملابس ، ويرسلن ملابسهن فى المغاسل ، مما أعفاهن من عديد من الاعباء والجهود الشاقة التى كن يبذلنها فى الماضى •

وتعتمد عملية تحقيق المهام الثلاثة للثورة التكنيكية ، بشكل عام ، على تطوير الصناعة الهندسية ، وزيادة انتاج صناعة الالات نفسها ، نظرا لحاجة الثورة التكنيكية الى آلات كثيرة • وقد انتهت المصانع بمعجزات انتاجية ٥٠٠ر١٠ آلة فى العام بعد أن كان الانتاج من قبل ٣٠٠٠ فقط ، وفى نهاية خطة السنوات الست من المقرر أن يتم انتاج ٥٠٠ر٣٠ آلة •

رفع مستوى المعيشة والغاء كافة الضرائب

وفى الواقع ، يتمثل مبدأ أسمى ، من مبادىء عمل ونشاط الحزب ، فى العمل على رفع مستوى معيشة الشعب ، عن طريق الغاء الفروق فى مستوى المعيشة بين العمال والفلاحين ، والفروق فى الظروف المعيشية بين سكان المدن وسكان الريف • وقد أوضح لنا كرادر التخطيط : « أن كافة العاملين فى البلاد قد تخلصوا من القلق فيما يتعلق بالطعام والملبس ، ولا يوجد شخص فى بلادنا يشعر بالجوع أو يرتدى الاسمال ، كما لا يوجد متعطلون ، وبتطوير الاقتصاد ، تواصل الاجور ارتفاعها ، كما تواصل اسعار الحاجيات انخفاضها ، وخلال خطة السنوات الست ، سيرتفع مستوى معيشة الشعب ، وسيتحسن بصفة خاصة وضع الفلاحين ، الذين الغينا الضريبة العينية عليهم فى الزراعة منذ ١٩٦٦ •

زيادة الاجور ١ر٥ مرة وانخفاض الاسعار ٥٠ ٪

وطبقا لخطة السنوات الست ، ستزداد أجور العمال بنسبة ١ر٥ مرة ، وستنخفض أسعار السلع الاستهلاكية بنسبة ٥٠ فى المائة • وفى أول ابريل من العام الماضى الغيت كافة انواع الضرائب فى بلادنا • وفى مارس من العام الماضى انخفضت أسعار السلع الاستهلاكية بمتوسط ٣٠ فى المائة • ونتيجة لذلك أصبح عمال بلادنا يحصلون على زيادة فى الدخل قدرها ٢٨ ون فى المتوسط ، شهريا ، وسوف يزداد الدخل الحقيقى للفرد فى بلادنا هذا العام ١ر٥ مرة بالنسبة للعمال و ١ر٦ مرة بالنسبة للفلاحين وذلك بالمقارنة مع دخل الفرد فى عام ١٩٧٠ ، كما ازدادت القوة الشرائية للشعب •

٣ المسألة الزراعية
الفروق تتلاشى .. بين الريف والمدينة

في المستقبل القريب – بعد عامين تقريبا – يتم إنجاز الثورة الاشتراكية في الريف الكوري . ويومها تختفي تماما أية فروق متبقية بين المدينة والقرية . فكيف يجري حل هذه المعضلة ؟

من خلال انتقالنا ومناقشاتنا مع الرفيق ري يونج جو نائب رئيس اللجنة المركزية للزراعة نستطيع ان نضع ايدينا على ٣ مفاتيح عامة واساسية :

■ « تثوير » الريف بأسس الاشتراكية وتطبيقاتها في المسألة الزراعية .

■ تدعيم قيادة الطبقة العاملة للفلاحين من خلال ادخال الثورة التكنيكية الى الريف وتحول الفلاحين الى عمال . وهنا كان على المدينة أن تساند الريف وعلى الصناعة أن تساند الزراعة .

■ رفع مستوى القيادة الادارية للزراعة ، الى مستوى تقدم ادارة الصناعة ، خلال عملية الانتقال من نظام التعاونيات الى نظام مزارع الدولة .

فكر الانسان .. أولا

كنا نسأل : لماذا كل هذا النشاط الفكري الذي نلاحظه في كل مكان في وقت تم فيه بالفعل تصفية الطبقات المعادية ؟ الا يؤثر ذلك على عملية الانتاج نفسها

سؤالنا كان لفلاح في الاربعين من عمره ، نزل لتوه من فوق الجرار الذي يسوقه . نظر الرجل لجراره ، ثم قال : « بهذا الجرار ازرع الاشتراكية في قريتي . الجرار لا يعمل وحده . الانسان هو الاهم . والفكر هو الذي يحرك نشاط كل انسان . لكن وعينا نحن الفلاحين بذلك ، لم يكن ممكنا بدون الثورة الثقافية التي تعنى بالنسبة لنا الان أن نتثقف بالاشتراكية . لقد كانت سيطرة افكار المتخلفة عن المجتمعات الاستغلالية والعادات والتقاليد القديمة المعوقة لتطور الزراعة على أسس اشتراكية . وبدون أن أتسلح بالفكر الاشتراكي ، كان الجرار هذا لا يعني بالنسبة لي سوى آلة . ولكنه يعني بالنسبة لي الان ما هو أكثر بكثير . انه يعني تقدم مستوى معيشة مرتفع وحضارة جديدة . ولهذا فانه شيء ثمين أعرف باهمية صيانته والعمل عليه » .

وعندما استأذن الرجل وقفز الى جراره يستكمل عمله ، عرفت لماذا اشاهد بين وقت وآخر حلقات تثقيف فكرية تجتمع هنا وهناك . ولم أنس أن أبحث عن اجابة للنصف الثاني من سؤالي ، فقد كان حماس الرجل في العمل يعد أن قفز الى الجرار كافيا .

الثورة التكنيكية ..
في خدمة الريف الاشتراكي

ادخال الثورة التكنيكية في الريف الكوري – من اجل تحقيق اهداف الاشتراكية فيه – كان معناه ايجاد حل لمشكلات : الري وتوفير الكهرباء والميكنة واستخدام الكيماويات .

ولان محصول الارز هو الزراعة الرئيسية والمحصول الرئيسي للبلاد ، فان حل مشكلة الري كانت قضية رئيسية خاصة اذا عرفنا أن الجفاف يسود البلاد في الربيع وبداية الصيف بينما توجد أمطار كثيرة في أواخر يوليو وأغسطس . وبدون حل هذه المشكلة ، يصعب توفير « الغذاء » من المحصول الرئيسي للبلاد . بل يصعب تحقيق أي نجاح سواء في ميكنة الزراعة أو في استخدام الكيماويات أو حتى في توفير الكهرباء . ففي فصول الجفاف مثلا – لا قيمة لميكنة بدون ري حيث لا يوجد ماء .

في معظم انحاء العالم ، يسقط الماء من مكان عال الى مكان منخفض . ولكن في كوريا – بحكم

طبيعتها ـ توجد الزراعة فى اراض عالية ، بينما الماء فى اراض منخفضة . لم يكن كافيا ان يتوفر الماء ، بل كان لابد من « سحبه » الى أعلى . وفى اقليم هوان هى ـ مثلا ـ توجد محطة ضخ لرفع الماء الى ارتفاع ١٥٠ مترا فوق الارض . لهذا نجد أن طول قنوات الرى التى بنيت فى الريف الكورى ، تماثل طول محيط الكرة الارضية ، ونجد كل أنواع الخزانات الكبيرة او المتوسطة والصغيرة .

وقنوات الرى نفسها ، استخدمها الكوريون كمولدات للكهرباء ولتربية الاسماك وللنقل المائى ولتوفير المياه اللازمة للصناعة وللشرب .

بشبكات الرى ، زرع الكوريون الارز فى ظل الجفاف ، ووفروا الكهرباء وأدخلوها الى كل القرى وبيوتها حتى فى الاماكن الجبلية النائية ، وأدخلوا الكهرباء فى عملية توفير الغذاء (العلف) للحيوانات .

وقد أعطى الكوريون اهتماما كبيرا لتحقيق الميكنة فى الريف وتحرير الفلاحين من العمل الشاق ، وعملت المصانع فى المدن لتوفير الجرارات (أربع أنواع : جرار بقوة ٣٠٠ حصان وآخر بقوة ٧٥ حصانا وثالث بقوة ٢٨ حصانا ، وأخير بقوة ١٦ حصانا . ويجرى حاليا العمل على انتاج جرار بقوة ٨ حصان) . وفى عام ١٩٧٤، وفر الكوريون ما بين ٣و٤ جرارات لكل ١٠٠ هكتار ومن ١ الى ٢ لورى لكل ١٠٠ هكتار . وفى عام ١٩٧٦ سيكون هناك ما بين ٨ الى ٩ جرار لكل ١٠٠ هكتار . وفى نهاية الخطة السداسية (٧٠ ـ ١٩٧٦) ستتم نهائيا ميكنة وتصنيع الزراعة فى الريف الكورى . وبهدف توفير الاسمدة ومواد المقاومة تنتج كوريا اليوم ٥٠٠ كيلو جرام للهكتار الواحد وستوفر فى نهاية هذا العام واحد طن لكل هكتار . وكان من الممكن أن تذهب هذه الكميات هباءا ، ما لم تتوفر فى كل منطقة من الريف معاهد ومدارس للزراعة ومقاومة الافات لتعليم وتدريب الكادر الفنى .

وبميكنة الريف ، يكتسب الفلاحون كل مهارات وخصائص الطبقة العاملة . وذلك يدعم بالتالى قيادة الطبقة العاملة ، ويسهل بدوره عمليات اتمام بناء الثورة الاشتراكية فى البلاد ككل .

تعميم مزارع الدولة

ارتبط الخطان السابقان : الثورة التقانية وادخال الثورة التكنيكية لتطوير الريف الكورى ، بالخط العام الثالث : تنفيذ نظام مزارع الدولة .

وقد قامت عملية الانتقال من نظام التعاونيات الى نظام مزارع الدولة ، على أساس بناء مزارع كبيرة وتطوير محطات الالات الزراعية وتحسين البذور . وربط هذه العملية باقامة مزارع الدولة حيث أصبح دخل الفلاحين قريبا مماثل لدخل سكان المدن ، وأصبحت بالتالى نموذجا «عملت التعاونيات على تطوير نفسها وفقا له » وواصلت الدولة دعم هذا النظام حتى أوشك على أن يعم الريف الكورى كله .

ويضع الكوريون ايديهم بوضوح على أن « التوليفة » التى نجموا فى تحقيقها بين ايادات الصناعة وقيادات الزراعة ، كانت عاملا من العوامل الاساسية التى أحرزت هذا التقدم فى تحويل الريف .

ويتم تقييم العمل الانتاجى لكل فلاح ، من خلال « جماعة العمل » التى ينتخبها الفلاحون فى اجتماع عام يرشح فيه الكادر نفسه . وتجتمع جماعات العمل فى الخريف من كل عام لدراسة ومناقشة تقارير كل جماعة عن عمل كل فلاح فى المزرعة .

ملكية خاصة . . فى حدود

وتسمح عملية تطبيق الاشتراكية فى الريف الكورى ، بحدود من الملكية الخاصة . فالدولة ـ من خلال ادارة المزرعة ـ تشجع على ان يقوم الفلاحون بتربية الماشية لحسابهم . بل تدعم بالرعوس وبالعلف فى نظير أن تستلم الدولة من الاسرة ١٠٠ كيلو جرام من اللحم سنويا . ويسمح للاسرة بذلك فى حدود رأس لكل فرد من أفرادها . ولا يوجد قانون يمنع زيادة عدد الرعوس من الماشية كمشروع خاص . ولكن ظروف العمل نفسها من حيث الوقت هى التى قد تحول دون زيادة كبيرة للمشروع الخاص .

كما تعطى الدولة جزءا صغيرا من الارض حول المنزل للزراعة الخاصة ، وتساوى هذه المساحة ٠٫٠١ من الهكتار . ومعظم الاسر تزرع الخضروات فى هذه المساحة لاستهلاكها الخاص وتبيع ما قد يزيد سواء من انتاج الماشية أو الخضروات للدولة بأسعار مجزية .

ولا تختلف الخدمات العامة التى تقدمها الدولة للقرية ، سواء فى الحجم أو النوع ، عن نفس المستوى الذى يقدم للمدينة وبشكل خاص فى مجال الصحة ، وقد انتهت الدولة منذ عام ١٩٦٨ من تعميم الاذاعة فى الريف ، حيث وفرت راديو لكل أسرة . وهى الان على وشك « تلفزة » الريف بتوفير جهاز تليفزيون لكل أسرة .

٣ نظـــم للتعلـــيم

تطور التعليم الشعبى فى كوريا على أساس الربط بين التعليم ومستقبل البلاد • وحتى فى فترات الحروب ضد الاستعمار اليابانى ثم الامريكى ، كان هناك اهتمام ملحوظ بضرورة استكمال بناء المدارس ، وتوفير التعليم المجانى للاطفال • وقد تحولت معارك القتال ضد الاستعمار الى دراسات فى مناهج المدارس ..

وبعد الحرب ضد اليابان ، لم يكن بالبلاد سوى ٤٣ مدرسة متوسطة • ولم تكن هناك جامعات • وكانت نسبة الامية ٨٠ فى المائة من مجموع السكان • ولكن تدبير الاستشارات لاقامة المدارس ، بالاضافة الى اعتمادات الدولة ، عن طريق جمل التعليم نظير مصروفات للقادرين ومجانى لغير القادرين • وقد تحددت القدرة أو عدم القدرة ، على أساس الملكية فى ذلك الوقت • وبالاضافة الى ذلك نظم الحزب حملات واسعة للتوعية من أجل المساهمة فى بناء المدارس ، سواء بالمال لمن يملك أو بالجهد لمن لا يملك • ويهذه الطريقة حلت مشكلة بناء المدارس وبقيت مشكلة توفير المدرسين • ووجه الحزب نداء لكل من تلقى بعض التعليم للمشاركة ، وفى نفس الوقت ركزت الدولة على عملية تخريج كادر المدرسين ..

ومن الامور التى يعتزون بها فى كوريا ، أنهم لم يدربوا كوادر التدريس فى ذلك الوقت خارج البلاد حيث كان ذلك ممكنا ، بل نبذوا هذه الفكرة بمنطق أن تدريب الكادر داخل البلاد ، يمكنهم من التعرف جيدا على حقائق الحياة فى البلاد ، وبالتالى على الوسائل الملائمة لتطويرها . ولم يأت عام ١٩٤٨ الا وكانت كوريا قد أسست أول جامعة (١٩٤٦) سميت بجامعة كيم ايل سونج ، وأنشئت ٥٠ معهدا متوسطا وعاليا •

لا امية منذ ١٩٤٩

يعفهوم أن الشعب كله يجب أن يساهم فى بناء الوطن ، وأن المواطن المتعلم أقدر على البناء ، نظمت حملة واسعة فى البلاد لمحو معها القضاء على الامية تماما فى عام ١٩٤٩ • لكن الحرب العدوانية التى شنتها الامبريالية الامريكية على البلاد ، دمرت المدارس • فمدينة بيونجيانج دمرت عن آخرها ولم يقبق من كل مبانى المدينة سوى مبنيين فقط. وتأخرت عملية التعليم بالطبع وعادت مشكلة الامية من جديد ، وان كانت هذه المرة أقل حدة ..

وفى عام ١٩٥٦ ، أمكن تحقيق نظام التعليم الابتدائى الالزامى الذى كان قد تعطل بسبب الحرب بشكل كامل • وفى ١٩٥٨ تحقق نظام التعليم المتوسط الالزامى ايضا .. وفى عام ١٩٧٢ ، تحقق نظام الالزام لمدة ١١ سنة بدلا من مدة ٩ سنوات •

حقائق عن التعليم

● طوال فترة التعليم الالزامى (١١ سنة) يدرس الطفل بجانب اللغة ، التاريخ والرياضيات والطبيعة والكيمياء والكتب والابصار والتطريز الماركسية وتاريخ نضال شعب كوريا ضد الامبريالية اليابانية والامبريالية الامريكية ويتلقى الطفل بعض التدريبات العسكرية والتدريب على قيادة السيارات ويقضى يوميا ساعة يدرس خلالها التاريخ الثورى للزعيم كيم ايل سونج .

● تشكل كل مدرسة مجموعات (كل مجموعة تضم من ١٠ الى ١٥ تلميذا) للحماية الصحية وتقديم بعض الخدمات فى الريف والمصانع .

● يبلغ عدد المدارس الابتدائية والمتوسطة الآن فى كوريا ١٠٠٫٠٠٠ مدرسة .

● كثافة التلاميذ فى الفصول ما بين ٣٥ الى ٤٠ تلميذا ، ويعد طلبين ستصبح ٣٠ تلميذا .

● يتم انتقال التلاميذ من فصل دراسى الى فصل آخر عن طريق الامتحانات اساسا . ولكن هناك نسبة من المناقشات التى تجرى فى الفصل .

● فى فترة الاجازة تكلف المدرسة التلاميذ ببعض المهام ، كالعمل فى وسط العمال والفلاحين . وبالنسبة لتلاميذ المرحلة الالزامية يشاركون فى زراعة الزهور أو فى محسكرات الراحة والرياضة.

● فى فترة التعليم الجامعى ، يقيم الطلبة فى الجامعة اما الطلبة الذين يعيشون فى نفس المدينة التى بها الجامعة فالاقامة فى الجامعة اختيارية أمامهم ، ولا يدفع الطلبة أية رسوم سواء للتعليم أو الاقامة .

● فى مدرسة شوليما فى بيونجيانج (مدرسة تضم المرحلة الالزامية كلها) ١٠٠٠ تلميذة وتلميذ فى كل فصل ٣٠ تلميذا ، بالمدرسة ٥٣ مدرسا ومدرسة و ١١ معملا ومكتبتان تضمان ٤٠٠٠٠ كتاب (٢٠٠٠٠ فى العلوم و ٢٠٠٠٠ فى الاستاتيات).

● يبدأ اليوم الدراسى فى الثامنة صباحا . وفى الواحدة ظهرا يتناول التلاميذ وجبة الغداء ثم يقضون الفترة من الساعة ٢ الى الساعة ٥،٣٠ فى المعامل أو صالات الفنون حيث ينتهى بذلك اليوم الدراسى .

٣ نظم للتعليم

يوجد فى كوريا ٣ أشكال للتعليم : نظام يسمى بـ « ما قبل الدراسة » ، ونظام « التعليم العام » ، ونظام « التعليم والعمل معا » . ويديهى ان نقول أن كل مراحل التعليم بالمجان .

وفى نظام « ما قبل الدراسة » ، يلتحق كل الاطفال برياض الاطفال فى سن ٤ سنوات ولا تبدأ الدراسة الا فى سن الخامسة حيث يدرس الاطفال برنامجا من ٧ مواد هى : قصص طفولة كيم ايل سونج - الفيم الشيوعية - اللغة الكورية - الحساب - الرسم والاشغال اليدوية - الغناء - الرقص .

وبعد رياض الاطفال ، ينتقل الطفل الى نظام التعليم العام من سن السادسة حيث يلتحق بالمدرسة الابتدائية لمدة ٤ سنوات ليتم بعدها ٦ سنوات أخرى فى مدارس متوسطة . وبذلك تصبح مدة التعليم الالزامى ١١ سنة .

ويقوم التعليم فى هذه المرحلة على أساس اعداد الاطفال بتمكينهم من نظرة عامة وتكوين علم يؤهلهم لتلقى المواد العلمية الاساسية الحديثة ، والتمهيد للحصول على مهارات فنية أكثر ولياقة بدنية ملائمة .

وبعد التعليم المتوسط يلتحق التلميذ لمدة ٣ سنوات بالمدارس العليا التخصصية حيث يتم تدريبه خلالها لتأهيله كفنى على مستوى متوسط . وبعد ذلك يستطيع التلميذ الالتحاق بالجامعة أو بالمعاهد العليا الاكثر تخصصا حيث يقضى ما بين ٤ الى ٦ سنوات . وبعد التخرج من الجامعة هناك معاهد أبحاث مدة الدراسة بها ٣ سنوات حيث يتخرج منها الطالب على مستوى فنى عال ومتخصص .

لما نظام « الدراسة والعمل معا » ، فقد أنشىء وكرس لخدمة أولئك الذين لم يواصلوا التعليم بعد الفترة الالزامية والتحقوا بالعمل ، وأيضا لخدمة من يعمل ويرغب فى مواصلة دراسات عليا متخصصة .

وفى اطار هذا النظام ، توجد مدارس مسائية وبالمراسلة ، ومدارس ملحقة بالمصانع ومساعد متخصصة على مستوى عال . ويوفر هذا النظام الفرصة لانجاز مهمة : اعداد العمال الذين حصلوا على خبرات فنية من خلال العمل ، بدراسات نظرية ترفع من كفاءتهم الانتاجية .

المبادىء التى تحكم التعليم

يحكم عملية التعليم ونظمها فى كوريا ، ثلاثة مبادىء . يتعلق الاول منها بمفهوم أن جيل المستقبل لا فائدة منه اذا كان عاجزا ايديولوجيا ومهما بلغ من درجات التمكن الفنى . ولهذا لابد من تسليمه بالثقافة الثورية والشيوعية . ومن رياض الاطفال وحتى الجامعات ، يتلقى الطلبة دروسا فى الفكر الماركسى . ويرتبط هذا المبدأ مباشرة بالمبدأ الثانى ، الذى ينطلق من مفهوم أن الشعب هو الذى يلعب الدور الرئيسى فى تغيير المجتمع . ولا تغيير يحقق التقدم فى بناء الاشتراكية بدون التمكن من العلم الحديث والتكنولوجيا والثقافة المعاصرة . ويكمل هذين المبدأين السابقين غير ممكن بدون توفير صحة جيدة للطلبة . ولهذا فان الرياضة البدنية عنصر أساسى من العناصر التى تقوم عليها أسس التعليم فى كوريا .

٥ الموقف المستقل فى الخلاف العقائدى داخل المعسكر الاشتراكى

ولعل من أبرز ما يمثل الموقف المستقل الذى تتخذه جمهورية كوريا الديموقراطية وقيادتها طبقا لفكرة « جوتشيه » ، هو موقفها من الخلاف العقائدى الذى ظهر فى صفوف الحركة الشيوعية العالمية وبين البلدان الاشتراكية . وتلتزم كوريا الديموقراطية ، حسبما أوضح لنا الرفيق « رون يونج جاك » مدير وزارة الخارجية المزاملا صارما بمبدأ الاستقلال فيما لها من علاقات مع البلدان الاشتراكية ، كما تلتزم بموقف تنشيط الوحدة بين البلدان الاشتراكية والاحزاب الشقيقة . وتضع لذلك أربعة مبادىء يتعين على البلدان الاشتراكية ان تلتزم بها : **اولا ان تعارض الامبريالية ، ثانيا: أن تؤيد حركة التحرر الوطنى فى المستعمرات والحركة العمالية العالمية : ثالثا : أن تواصل السير الى الاشتراكية والشيوعية ، ورابعا: ان تقيم الوحدة فيما بينها** على أساس عدم التدخل فى الشئون الداخلية لبعضها البعض ، والاحترام المتبادل ، والمساواة والمنفعة المتبادلة .

وفيما يتعلق بالخلافات داخل المعسكر الاشتراكى فقد تناولها الرفيق كيم ايل سونج

بالشرح والتحليل مرات عديدة ، وتحدد فيها موقفهم المبدئي المستقل من هذه الخلافات . وبهذا الصدد اوضح الرفيق كيم ايل سونج [٢] : « ان الخلافات بين الدول الاشتراكية ، هي على اية حال ، **خلافات بين البلدان الشقيقة المناضلة في سبيل هدف مشترك** ، والخلافات بين بعض البلدان الاشتراكية ، ان وجدت ، هي بصورة رئيسية ، **خلافات حول تقدير الامبريالية ، وحول المسائل الاستراتيجية والتكتيكية في النضال ضد الامبريالية** » .

« **لا يريد البعض ان ينشطوا في النضال ضد الامبريالية** ، وضد الولايات المتحدة ، اذ يستعظمون قوى الامبريالية ، ولاسيما الامبريالية الامريكية ، ويعتبرون أن العالم كله سوف يفنى اذا فجر الامبرياليون بعض القنابل الذرية . اننا لا نستطيع أن نوافق على هذا . لا يجوز استصغار شأن الامبريالية بالتأكيد ، ولكنه لا يجوز كذلك المبالغة في قوتها . فالامبريالية ، والامبريالية الامريكية على وجه أخص ، قد أخذت في الافول ، فلو لم يكن الامبرياليون الامريكيون متجهين نحو الافول ، لماذا أصيبوا اذن بالهزيمة في كوريا ؟ ولو لم يكن مصيرهم هو مصير الشمس عند الغروب ، لماذا اذن يتم تأديبهم في جنوب فيتنام ، وهذا يؤكد ان أيامهم باتت معدودة .

وضرب هنا مثلا بعدم تجرؤ الامبرياليين على اشعال نيران الحرب بعد تأميم الرئيس عبد الناصر لقناة السويس ، وضرب مثلا بنجاح الشعب الجزائري في احراز استقلاله وغيره من الشعوب الافريقية في انهيار نظام السيطرة الاستعمارية في افريقيا انهيارا لا مرد له ، بالاضافة الى النضال العارم لشعوب أمريكا اللاتينية وفي طليعتها شعب كوبا ضد الولايات المتحدة ، والهجوم الذي تتلقاه الامبريالية الامريكية ليس من الخارج فقط ، بل من الداخل بسبب نضال الزنوج ضد التمييز العنصري والنضال من أجل الحرية والحقوق الديموقراطية ونضال الجماهير الشعبية ضد الحرب .. مما اعتبرها جميعا دلائل تشير الى اتجاه الامبريالية نحو الافول .

خلافات داخل الاسرة الواحدة

ويستمر مارشال كيم ايل سونج شارحا وجهة نظره فيقول : « هناك خلافات اذن بين بعض البلدان الاشتراكية حول مسألة **كيف ينبغي تقدير الامبريالية** ، وفي الوقت ذاته ، حول مسألة **كيف ينبغي النضال ضد الامبريالية ، وتأييد حركة تحرر الشعوب** . واذا عمدنا الى التشبيه ، فان الخلافات بين البلدان الاشتراكية هي **ما يشبه الاختلاف في الرأي الذي ينشأ مؤقتا في الاسرة الواحدة** .

ويستطرد قائلا : « ومادامت الخلافات بين الدول الاشتراكية لم تحسم بعد ، فيمكن أن تشتد الشحناء حينا وتتضاءل حينا آخر ، بيد أن هذا لا يعني أن الخلافات قد استفحلت عن ذي قبل ، بل أنه يتعذر اعتبار أن البلدان الاشتراكية منقسمة على بعضها انقساما تاما . فلو أن أحد البلدان الاشتراكية قد انتقل تماما الى جانب الامبريالية ، لكان الامر مختلفا . الا انه لم يحدث منذ ظهور الخلافات أن انتقلت دولة اشتراكية الى جانب الامبريالية ، كما أن هذا الامر مستحيل .. ان شعوب البلدان الاشتراكية كافة تناضل من أجل بلوغ هدفها المشترك الا وهو بناء المجتمع الحر السعيد ، الاشتراكي فالشيوعي . ثم أن البلدان الاشتراكية متحدة في التحالف الذي يقتضيه التضامن الطبقي لدى الطبقة العاملة العالمية الظافرة في النضال ضد الامبريالية والاستعمار العالميين ، ولذلك فأن شعوب وبلدان الاشتراكية لن تنقسم على بعضها أبدا . وفي النهاية ، فانه سوف تتغلب البلدان الاشتراكية على خلافاتها ، وتتوصل الى نظرة مشتركة ، وتناضل مجتمعة ضد الامبريالية ، من أجل انتصار الاشتراكية والشيوعية .

أسباب الاختلاف

ويرى المارشال كيم ايل سونج « ان الاختلاف في وجهات النظر بين البلدان الاشتراكية حول مسائل مثل تقدير الحقبة المعاصرة ، ووسائل النضال ضد الامبريالية الخ ، مرجعه **الاختلاف في الظروف التاريخية والجغرافية التي تقع فيها هذه البلدان الاشتراكية وفي مهماتها القومية التي تواجهها ، والاختلاف فيما بينها حول فهم الماركسية اللينينية** » ويرى أيضا انه نظرا لان استغلال واضطهاد الانسان للانسان قد تمت ازالتهما في البلدان الاشتراكية كافة بعد استيلاء الطبقة العاملة على السلطة واقامة الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج في هذه البلدان ، **لذا لا يمكن قيام**

---

[٢] منذ ١٩٦٩ في رده على اسئلة المدير العام لدار التحرير في مصر ص ٣٢ الى ص ٣٥ من كتاب اجوبة عن الاسئلة التي طرحها الصحفيون الاجانب .

تناقض بين الدول الاشتراكية يعكس اختلافا اساسيا فى المصالح ، مقاما بينها بين الطبقات المتناحرة » . كما يرى أيضا أن الخلافات القائمة حاليا فى الراى بين البلدان الاشتراكية هى خلافات مؤقتة .

وتحتفظ القيادة الكورية وجمهورية كوريا الديموقراطية الشعبية ، بعلاقات الصداقة والتعاون ، وبعلاقات الاخوة مع البلدين الاشتراكيين الكبيرين **الاتحاد السوفيتى** ، **والصين الشعبية** . غير ان الصحافة ووكالات الانباء الغربية والامريكية خاصة ، تحاول التهليم من العلاقات الطيبة القائمة بين كوريا الديموقراطية ، وبين الاتحاد السوفيتى والصين ، عن طريق الادعاء بان كوريا تتجاذ الى جانب أحد البلدين الاشتراكيين الكبيرين فى صراعهما .

وقد رد كيم ايل سونج على ذلك فقال [٣] : « **ان ادعاءات الامبرياليين والنشرات المأجورة لهم بان بلدنا يقف الى جانب بلد معين او آخر ، بصدد خلافات الراى القائمة بين بعض البلدان الاشتراكية ، ليس الا حيلة بلهاء ترمى الى خلق العداء ، ودق اسفين بين بلدنا ، وبعض البلدان الاشتراكية الاخرى** . وليس هناك اية غرابة فى ان يتمسك الامبرياليون وسائر الرجعيين فى العالم بمثل هذه المراوغات الذميمة ، اذ انهم يأملون فى توسيع شقة الخلاف فى الاراء بين بعض البلدان الاشتراكية ، ويلوذون بمختلف المراوغات الماكرة لاضعاف وتدمير وحدة البلدان الاشتراكية وتماسكها » .

ويرى بهذا الصدد : « **ان الاحزاب الماركسية اللينينية ، كانت منذ اليده أحزابا مستقلة وسيدة مصيرها** . والشيوعيون هم المقاتلون الذين يتطلعون من ايمانهم بالماركسية اللينينية ، فيناضلون فى سبيل تحرير الطبقة العاملة وشغيلة بلدانهم ، وفى سبيل حرية شعوب العالم قاطبة وتحررها ، ولهذا يلتزمون بقناعاتهم المستقلة فى جميع الظروف مهما صعبت ، ويناضلون فى سبيل هذه القناعات ، لا تلين لهم قناة . واذا ما فقد بعض الشيوعيين السيادة والاستقلال ، فانهم ما يفعله الاخرون ، فلن يستطيعوا صون المبادىء والاحتفاظ بخطهم وسياستهم ، وسوف يؤدى هذا فى نهاية المطاف الى فشل الثورة والبناء فى بلدانهم ، بل وسيلحق ضررا فادحا بتطور الحركة الشيوعية الدولية والثورة العالمية » .

وفيما يتعلق بموقف حزب العمل الكورى فى هذا السبيل يقول : « ان حزبنا يتخذ فكرة « جوتشيه » هاديا لنشاطه ، وهو يحدد خطه وسياسته باستقلال تام ويخوض النضال ضد الامبريالية ، والنضال ضد الانتهازية من كل نوع ، ليس خبط عشواء بناء على أوامر الاخرين أو توجيهاتهم ، بل اعتمادا على قناعاته الذاتية دائما . ونحن اذ نلتزم التزاما ثابتا على هذا النحو بمبدأ الاستقلال فى نشاطنا ، فاننا نسعى فى نفس الوقت الى الاتحاد على اساس مبادىء الماركسية اللينينية والاممية البروليتارية ، مع اصدقائنا الذين يناضلون فى سبيل الهدف المشترك ، والى تعلم ما هو جدير بالتعلم من تجاربهم ، وما يتفق ومبادىء الماركسية اللينينية . وينسجم مع واقع بلدنا ، والاحزاب الشقيقة كلها تتفهم موقف حزبنا هذا وتعتبره صائبا » .

نقد موقفى الخوف من الحرب والصراع ضد الامبريالية

وانطلاقا من هذا الموقف المستقل ، تنتقد الزعامة الكورية التطرفات والمبالغات التى تنشأ فى الصراع داخل الحركة الشيوعية العالمية وبين البلدان الاشتراكية ، وتنتقد بصفة عامة ، المواقف التى يعتبرها حزب العمل الكورى ضارة بقضايا النضال ضد الاستعمار ووحدة الحركة الشيوعية . وتوجه الزعامة الكورية نقدها لهذا البلد الاشتراكى الكبير أو ذاك فى نقطة معينة ، بشكل ضمنى يفهم من السياق ، ولا تذكر هذه البلدان بالاسم .

وبهذا الصدد يقول كيم ايل سونج [٤] : « **ان الموقف من الامبريالية الامريكية ، يشكل خلال الفترة الراهنة مقياسا رئيسيا للتحقق من صحة مواقف الاحزاب الشيوعية والعمالية** ، وينبه الى ان « البلدان الاشتراكية ، حتى ولو كانت تقيم علاقات دبلوماسية مع الدول الامبريالية ، يجب الا تنيب كفاحها المناوىء للامبريالية فى اطار تلك العلاقات ، أو تضعفه لهذا السبب . ينبغى على البلدان الاشتراكية أن تقيمك بالمبادىء الطبقية فى

(٣) نفس المرجع السابق ص ٨٤ — ٨٦
(٤) « الوضع الدولى ومشاكل الحركة الشيوعية العالمية » الثورة والبناء الاشتراكى فى كوريا ص ١٤٠ — ١٤١

الدبلوماسية أيضا ، وأن تمارس الضغط على الامبريالية الامريكية ، وتجعلها عرضة لسوطاة الضغوط ، ثم تفضح سياستها القائمة على العدوان والحرب وتنبيها » .

● من الناحية المقابلة ينتقد الموقف الاخر بقوله : « كذلك فانه من الخطأ مجرد الصراخ ضد الامبريالية الامريكية ، دون اتخاذ الاجراءات المحددة لايقاف عدوانها ، وبنوع خاص ، يجب عدم خلق الصعوبات أمام القوى المعادية للامبريالية فى اتخاذها الاجراءات العملية والموحدة ضد المعتدين الامبرياليين الامريكيين . فلو حدث هذا ، لتعثر منع العدوان الامبريالى الامريكى . وعلى العكس من ذلك ، فانه يجعل الامبرياليين الامريكيين أشد غطرسة ، ويشجعهم بالتالى على الاعمال العدوانية » ويقول : « ان النضال ضد السياسة الامبريالية فى العدوان والحرب ، ولأجل سلام العالم وأمنه ، هو من مبادىء السياسة الخارجية للبلدان الاشتراكية ، لكن الشيوعيين فى كفاحهم لمنع الحرب ، يجب الا يخافوها ابدا ، بل عليهم ابادة المعتدين عندما يشنون هجمات مسلحة ضدنا ، ولا يمكن صد العدوان الامبريالى والدفاع عن السلام الا عن طريق الصمت الشديد بالموقف المبدئى فى معاداة الامبريالية ، وشن كفاح عنيد ضدها » .

فيم تتجسد الحديثة والانتهازية اليسارية ؟

ويرى كيم ايل سونج « ان التحريفية لا تزال تشكل خطرا كبيرا على الحركة الشيوعية العالمية ، وانها تجد التعبير عنها قبل كل شىء فى الموقف غير الصلب نحو الامبريالية ، وفى توجهها السلبى من كفاح الشعوب الثورى » ويرى من الناحية المقابلة « وجوب محاربة الانتهازية « اليسارية » ، لانها لا تلتفت الى حقائق الواقع المتغيرة ، وتصتنهد بقضايا فردية من الماركسية اللينينية بطريقة جامدة، فلما تقود الشعب الى العمل المتطرف تحت شعارات متفرطة فى الثورية ، انها تفصل المتعبئين الجماهير ، وتثبط القوى الثورية ، وتحول دون شن هجوم مركز على العدو الرئيسى » ويرى ايضا « انه بدون محاربة الانتهازية « اليسارية » ، لا يمكن خوض معركة فعالة ضد التحريفية الحديثة » .

وانتقد الزعيم الكورى من الناحية المقابلة الجهود المبذولة لتكوين احزاب موازية فى الحركة الشيوعية العالمية فقال [٥] : « علينا ان نعارض المحاولة الرامية الى شق صفوف المعسكر الاشتراكى والحركة الشيوعية العالمية . ان شق المعسكر الاشتراكى الى معسكرين ، وشق الحركة الشيوعية العالمية الى حركتين ، وكل حزب الى حزبين ، لا يمكن ان يكون شيئا سويا أو مرحبا به على الاطلاق . يجب علينا السعى الى الوحدة غير الصراع » .

نقد « للمبالغات » المتبادلة

وتنتقد القيادة الكورية الاحكام التى تتسمة بالتطرف والمبالغة : والتى تقع فيها بعض البلاد الاشتراكية فى نظرتها وتقييمها للاوضاع فى بعض البلاد الاشتراكية الاخرى وترى هذه القيادة : « انه لا يجوز اقصاء هذا البلد الاشتراكى ، أو ذاك عن المعسكر الاشتراكى ، بشكل مصطنع ، فمثل هذه الاعمال من شأنها تقويض المعسكر الاشتراكى » يجب الا يتم اقصاء اى بلد اشتراكى عن المعسكر الاشتراكى والحركة الشيوعية العالمية . ولا يجوز لاحد اجراء تقييم يتصف بالمبالغة أو التشويه لاى بلد او حزب شقيق ، او اعتبار اى منه الـ ١٣ بلدا اشتراكيا ، خارج المعسكر الاشتراكى والحركة الشيوعية العالمية ، ففى رأينا انه ينبغى اعتماد الدرجة القصوى من التعقل والحذر فى تقييم الزعامة لدى اى بلد او حزب شقيق » . « لا يجوز على الاطلاق ، اعتبار العلاقات بين الاحزاب الشقيقة ، مثل العلاقات العدائية بيننا وبين الامبريالية . فلو ارتكبت زعامة حزب شقيق غلطة ، وجب على الشيوعيين ان يتقدموا بالنقد الرفاقى ، وأن يساعدوها فى العودة الى جادة الصواب » .

وتنتقد الزعامة الكورية أيضا المبالغات التى وقعت فيها دولة اشتراكية أو اخرى فى وصفها للمجتمع فى دولة اشتراكية ما بانه يعود الى الرأسمالية ، فقالت من الناحية المقابلة انه : « ينبغى عدم التسرع فى استخلاص النتائج المتعلقة بطابع المجتمع فى بلد شقيق على اساس ظواهر منعزلة يمكن ملاحظتها فى نواح متعددة من حياته الاجتماعية ، لان الطابع المميز لمجتمع معين يتحدد وفقا للطبقة التى تملك السلطة ، والشكل السائد فيه لملكية وسائل الانتاج » . واضاف زعيم الثورة الكورية قائلا انه : « لا يجوز للمرء ان يضع اى بلد

---

(٥) نفس المرجع السابق ص ٦٠.

شقيق على قدم المساواة مع العدو ، او ان يدفع به الى جانب الامبرياليين ، حتى ولو كانت لهذا البلد بعض النواحي السلبية . فالشيوعيون لا يسعهم أبدا السماح لانفسهم بالتحامل ، أو السقوط في الذاتية ، لدى النظر صوب الاحزاب والبلدان الشقيقة » .

وفي الختام ينتقد كيم ايل سونج أولئك الذين يرفضون وحدة العمل ضد الامبريالية تحت ستار هذه الحجة أو تلك فيقول : « ان رفض القيام بعمل مشترك ضد الامبريالية ، ليس موقفا معارضا حقا للتحريفية ، مدافعا عن نقاء الماركسية اللينينية ، أو مسهما في تعزيز وحدة المعسكر الاشتراكي وتماسك الحركة الشيوعية العالمية ، ولا يمكن اعتباره بمثابة الموقف الذي يناوىء الامبريالية الامريكية . فالاستراتيجية الاساسية للثورة العالمية اليوم ، هي توجيه رأس الرمح في الهجوم ، ضد الامبريالية الامريكية ، على أساس وجوب التمييز بوضوح بين صديق ارتكب غلطة ، والخصم . فالخصم يجب قهره ، بينما الصديق الذي ارتكب غلطة ينبغي انتقاده وارشاده لسلوك جادة الصواب . بهذه الطريقة ينبغي علينا أن نوحد جهودنا مع جميع الاصدقاء ونحارب العدو الرئيسي » ... « وان تاريخ الحركة الشيوعية العالمية يعرف أمثلة عديدة عن قيام الشيوعيين بعمل مشترك حتى مع الاشتراكيين الديموقراطيين ذوي الاتجاه اليميني في النضال ضد الحروب الامبريالية ، وسياسة الجبهة المتحدة التي سار عليها الشيوعيون لعبت دورا هاما في الماضي على صعيد تعبئة الشعوب للنضال ضد الحروب الامبريالية » .

ويرى في النهاية : « ان شعوب البلدان الاشتراكية سوف تصل في مجرى النضال المشترك ضد الامبريالية ، الى التغلب على خلافات الرأي ، والى القتال جنبا الى جنب في سبيل انتصار القضية المشتركة ، الا وهي بناء الاشتراكية والشيوعية » .

٦ اعادة توحيد كوريا
السمات الخاصة .. ومناهج الحل

ودارت مناقشات وفد الطليعة بشأن مسألة اعادة توحيد البلاد مع الرفيق تشا اونج بال الكادر السياسي المتخصص في شئون الوحدة ، وتركزت المناقشة في البداية حول الكيفية التي عمل بها الامريكيون على تقسيم كوريا .

كيف عمل الامريكيون على تقسيم كوريا ؟

وبهذا الصدد أوضح الرفيق تشا اونج بال ، أنه بعد الانتصار في حرب التحرير ضد اليابانيين ، انشئت « اللجان الشعبية » في كل مكان ، وكانت الاساس السياسي لاقامة حكومة واحدة في البلاد بأسرها ، الا أنه عندما احتل الامريكيون جنوب كوريا ، قاموا بتصفية اللجان الشعبية تماما ، واقاموا حكما عسكريا هناك ، وعارضوا رغبة الشعب في بناء جمهورية ديموقراطية .

وعندما عقد في موسكو في ديسمبر ١٩٤٥ لقاء وزاري بين ثلاث من الدول المتحالفة ، وهي الاتحاد السوفيتي ، والولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وناقشوا فيه مسألة استقلال كوريا ، فان الامريكيين عرقلوا اقامة حكومة موحدة في البلاد . واقترحوا تشكيل حكومة عسكرية في كل كوريا الى أجل غير مسمى . وبعد اقامة هذه الحكومة ، اقترحوا فرض الوصاية على كل كوريا لمدة خمس أو عشر سنوات ، بحجة ان الشعب الكوري غير مؤهل لحكم نفسه بعد ٣٦ عاما من التبعية للحكم الياباني ، وقالوا انه بعد فترة الوصاية يمكن للشعب الكوري ان يحكم نفسه .

ويقول الكوريون ان اقامة الحكم العسكري والوصاية كانت تتعلق بالبلاد الاستعمارية التي هزمت في الحرب ، اما بالنسبة لنا فكان ذلك أمر غير عادل على الاطلاق . وعلى أية حال فقد فشل الامريكيون في اجتماع موسكو في تمرير اقتراحاتهم ، وقرر الاجتماع اقامة حكومة موحدة ديموقراطية مؤقتة لكل كوريا . ولذا انهى الامريكيون المباحثات من جانبهم .

وبعد الاجتماع الوزاري للدول الثلاث ، عقد اجتماع سوفيتي ـ أمريكي ، وعند عقده ، طرحت الولايات المتحدة المشكلة الكورية في الجمعية العامة للامم المتحدة في سبتمبر ١٩٤٧ ، وأخذت تعمل على تنفيذ مناورتها الثانية لتقسيم البلاد ، فعن طريق تعبئة الاصوات الموالية لها ، استطاعت استصدار قرار بشأن كوريا ينص على انشاء « لجنة الامم المتحدة بشأن كوريا » وأرسلت الولايات المتحدة هذه اللجنة الى كوريا برغم معارضة الشعب الكوري وشعوب العالم .

وعن طريق هذه اللجنة ، أجرت الولايات المتحدة انتخابات منفصلة في كوريا الجنوبية في

١٠ سبتمبر ١٩٤٨ ، اقيمت على اثرها حكومة عميلة لها هناك ، عقدت الولايات المتحدة كل انواع المعاهدات غير المتكافئة التى تضمن تبعية هذه الحكومة لها ، وعلى هذا النحو قسمت البلاد الى قسمين . وجمع الامريكيون ، العملاء السابقين لليابانيين فى الجنوب من رأسماليين وكومبرادور للاعتماد عليهم فى حكم الجنوب ، وواصلوا قمع القوى الديموقراطية وحل كافة المنظمات الوطنية القائمة ، وقطعوا كافة الروابط الاقتصادية والثقافية والاتساعية ، وانتقال الاشخاص بين الشمال والجنوب .

السمات الخاصة

تختلف مسألة اعادة توحيد كوريا ، اختلافا تاما ، على سبيل المثال ، عن مسألة اعادة توحيد المانيا . فالمانيا كانت بلدا عدوانيا وامبرياليا ، كوريا لم تكن كذلك ، ويعد الحرب العالمية الثانية ، كان لابد من تقسيم المانيا الى قسمين بسبب الحرب ، وحتى الان تخشى شعوب العالم ، توحيد المانيا من جديد ، واتجاهها مرة اخرى نحو العسكرية . ولقد برهنت التجارب التاريخية على ذلك . فلقد هزمت المانيا فى الحرب العالمية الاولى ، ولكنها عادت مرة اخرى الى طريق العسكرية .

ولكن مشكلة توحيد كوريا تختلف عن ذلك ، لان كوريا لم تغز بلدانا اخرى ، وانما تعرضت هى للغزو من جانب بلدان اخرى . وشعوب العالم عندما تؤيد وحدة الشعب الكورى فانها تقف فى صف سلام العالم ، لانه مادام هناك انقسام فى كوريا فستكون هناك ايضا احتمالات الحروب والقتال .

وتتلخص سمات مسألة اعادة توحيد كوريا فى سمتين إساسيتين أوضحهما الرفيق تشا أونج يال : ١ ـ ان مسألة اعادة توحيد بلادنا ، هى مسألة اقامة السيادة الوطنية فى كل اراضى بلادنا ، وطرد الامريكيين من جنوبها ٢ ـ ان مسألة اعادة توحيد بلادنا ، هى مجرد مسألة اعادة توحيد لبلد مقسم ، فبمجرد انقسام بلادنا ليس هو شعبنا فى الشمال أو الجنوب ، كما ان هذا الانقسام لم يتم بسبب خلافات دينية او طائفية او عنصرية . كذلك فان اعادة التوحيد ليست مسألة مزج بين امم مختلفة ، وليست مسألة هضم بلد ضعيف لبلد قوى أو استعادة اراض اكتسبتها دولة (كورية مثلا) انتصرت فى الحرب وانما هى مسألة داخلية فى بلادنا ...

منهج اعادة التوحيد

وفيما يتعلق بالطريقة والمنهج الذى ينبغى أتباعه لاعادة توحيد البلاد ، حددت الزعامة الكورية خطا اساسيا بهذا الصدد يقوم على ثلاثة مبادىء :

١ ـ مبدأ الاستقلال فى الوحدة وهو أهم مبدأ جوهرى يعتمد عليه المبدأين الاخرين ، ويقوم على اساس ضرورة اتمام الوحدة بجهود الشعب الكورى نفسه دون تدخل قوى خارجية .

٢ ـ المبدأ الديموقراطى فى الوحدة ، بمعنى وجوب اشتراك الشعب كله فى الشمال والجنوب ، فى العمل من أجل الوحدة ، بمعنى ان تحل مسألة اعادة التوحيد طبقا لرغبات ومطالب الشعب الكورى نفسه ، ونظرا لان هناك طبقات عديدة فى جنوب كوريا من عمال وفلاحين ، ومثقفين وبورجوازية وطنية لذا ينبغى اختيار النظم السياسى الواحد للبلاد ، طبقا لارادة كل طبقات الشعب .

٣ ـ المبدأ الثالث هو اتمام اعادة التوحيد بطريقة سلمية بمعنى حل المسألة لا بالوسائل الحربية ، وانما بالوسائل السلمية بشرط واحد ، هو خروج الامبرياليين الامريكيين من كوريا الجنوبية . والخط السلمى فى الوحدة خط ثابت اتبعته كوريا الديموقراطية .

ولكن الرفيق تشا أونج يال أوضح ٢ ان هناك امكانية لتحقيق الوحدة بالوسائل الحربية ـ فمثلا فى ٢٥ يونيو سنة ١٩٥٠ نشبت الحرب بسبب مخططات الولايات المتحدة . ومن الممكن ان تثير الحكومة العميلة فى كوريا الجنوبية ، الحرب مرة أخرى ضد الجزء الشمالى . وفى هذه الحالة يمكن ان تواجه مسألة اعادة التوحيد عن طريق الحرب . ولكن ذلك يرجع الى موقف العدو واستفزازاته واثارته الحرب ضدنا ، ولكن حزبنا وحكومتنا لا يزالان يصران على الحل السلمى للمشكلة لانهما يقدران المصالح القومية لشعبنا .

أما منهج الحل ووسيلته الرئيسية فتنبع من الخط الرئيسى ، ويقوم هذا المنهج على أساس ضرورة طرد الامريكيين من كوريا الجنوبية ، واجراء انتخابات فى كوريا كلها شمالا وجنوبا ، ثم اقامة حكومة موحدة فى البلاد .

اقتراح « الاتحاد الكونفدرالى »

وقد اوضح الرفيق تشا اونج يال : « اننا قدمنا فى ١٣٠ مناسبة مقترحات للجانب الاخر ، لاعادة توحيد بلادنا وذلك منذ التحرير . وفى هذه المقترحات تقدمنا بمناهج وسبل عديدة لاعادة توحيد بلادنا . فاقترحنا اقامة اتحاد كونفدرالى بين الشمال والجنوب ، وتبادل اقتصادى ، وثقافى ، وتخفيض النفقات العسكرية والقوات ، وعقد اتفاقية سلام ، وحرية الاتصال ، وتبادل الخطابات والمساعدة على حل مشاكل الجنوب

للمساهمة فى اقامة حياة مستقرة فى الجنوب عن طريق عرض امكانية تشغيل ملايين المتعطلين فى الجنوب ، مما يسند اقتصاد كوريا الجنوبية ، ولو قبلت هذه المقترحات لامكن عن طريقها انجاز مهمة التوحيد ».

واشار الرفيق تشا أونج بال الى ان الاحزاب السياسية فى كوريا الجنوبية كافحت من أجل اعادة توحيد البلاد حتى قبل انتفاضة ١٩ ابريل التى أطاحت بسينجمان رى . وكافح طلاب وشباب كوريا الجنوبية ببطولة فى الانتفاضة تحت شعار ، الوحدة هى السبيل لحياتنا « لنذهب الى الشمال وليأتوا الى الجنوب » واستمر شعب الجنوب فى كفاحه بعد الانقلاب العسكرى الذى اتى بباك جونج هى الرئيس الحالى ، وحدثت انتفاضات الشباب والطلبة فى ٢٤ مارس و٣ يونيو ١٩٦٤ وفى هاتين الانتفاضتين ، عارض الشباب والطلبة « المحادثات بين كوريا الجنوبية واليابان » . وفى ١٩٦٥ كافحوا ضد « المعاهدة بين كوريا الجنوبية واليابان » واستمر الكفاح الذى تدعم من خلاله تيار الوحدة ، حيث يعزل الامبرياليون الامريكيون وعملاؤهم اكثر فاكثر ويواجهون وضعا متزايد الصعوبة ».

خطوط العمل من أجل الوحدة

منذ بدء الحوار فى ١٩٧١

قدمت قيادة جمهورية كوريا الديموقراطية منذ ١٩٧١ ثلاثة خطوط للعمل من أجل الوحدة :

الاول : هو المفاوضات الموسعة بين الجانبين : وقد قدم هذا الاقتراح فى الخطاب الذى القاه الرفيق كيم ايل سونج فى ٩ اغسطس ١٩٧١ ، الذى أعرب فيه عن استعداد الشمال فى أى وقت لاجراء اتصالات مع الاحزاب السياسية فى كوريا الجنوبية بما فيها الحزب الجمهورى الديمقراطى الحاكم ، والمنظمات الاجتماعية والشخصيات فى كوريا الجنوبية ». وبعد طرح هذا الاقتراح زاد شعب كوريا الجنوبية من ضغطه ورفعت شعوب العالم اصواتها مطالبة بتحقيق اقتراح الشمال ، **وهو ما أرغم سلطات كوريا الجنوبية على بدء محادثات الصليب الاحمر** بين الشمال والجنوب ، والشروع بحركة جمع شمل العائلات ، برغم ان هذه السلطات كانت تعلن من قبل انها لن تجرى اية مفاوضات مع الشيوعيين ، وتتبنى سياسة معاداة الشيوعية بنشاط محموم ، وبرغم انها قمعت واعدمت عديدا من المناضلين الذين طالبوا بالوحدة السلمية ».

الثانى : تأكيد المبادىء الثلاثة لتحقيق اعادة الوحدة ، بغرض الاسراع بالتوحيد بما يتناسب مع الموقف السائد فى البلاد عند بدء الحوار ؟ وهذه المبادىء هى : ١ ـ اعادة التوحيد ينبغى ان تتم على اساس **حق تقرير المصير** بدون تدخل اى قوى خارجية ٢ ـ اعادة التوحيد ينبغى أن **تتم بطريقة سلمية** بدون استخدام القوات المسلحة ٣ ـ ينبغى العمل على **قيام وحدة وطنية كبرى** ، على ان توضع فى الاعتبار ، الاختلافات فى الافكار والنظم السياسية بين الشمال والجنوب .

البيان المشترك بين الشمال والجنوب

وبعد نشر هذه المبادىء الثلاثة من جانب قيادة كوريا الديموقراطية ، صدر « **البيان المشترك** » بين الشمال والجنوب فى ٤ يوليو ١٩٧٢ الذى احتلت المبادىء الثلاث مكانا هاما فيه بل وتم تأكيدها فيه ، عن طريق النص على تخفيف التوتر بين الشمال والجنوب ، ومنع الهجمات الدعائية المتبادلة ، ومنع نشوب الصدامات المسلحة ، مما يستند جميعه الى المبادىء الثلاثة .

لجنة للتنسيق بين الشمال والجنوب

وبعد « البيان المشترك » انشئت بفضل الجهود المخلصة للحزب والحكومة فى كوريا الديموقراطية « **لجنة التنسيق بين الشمال والجنوب** » وعقد اتفاق من أجل ذلك ، يعكس روح المبادىء الثلاثة ايضا ، وقد أقرت الجمعية العامة للامم المتحدة هذه المبادىء ، باعتبارها المبادىء الرئيسية لحل مشكلة توحيد كوريا وذلك فى الدورة الـ ٢٨ للجمعية العامة للامم المتحدة سنة ١٩٧٣ ».

الثالث : هو البرنامج ذى النقاط الخمس : وهناك ظروف محددة ، دفعت الى التقدم بهذا البرنامج ، لانه بعد اصدار البيان المشترك ، انتعشت آمال الشعب الكورى فى الوحدة كما لقى البيان تأييد وترحيب شعوب العالم المحبة للسلام ». ولكن حكومة كوريا الجنوبية اتبعت بعد ذلك تكتيكا خادعا ذا وجهين ، فعندما يجلسون مع ممثلى الشمال يزعمون موافقتهم على البيان المشترك ويقولون كلاما طيبا ، اما عندما يعودون فيواصلون الاستعداد للحرب بنشاط ، ويرددون مزيدا من الافتراءات على الشمال . وفى هذه الظروف ايضا الحوا على ضرورة دخول كوريا الى الامم المتحدة على اساس دولتين منفصلتين ، وهنا كان لابد من التقدم بمقترحات جديدة من أجل تمهيد الطريق للاسراع بالوحدة ، ووقف مؤامرات الولايات المتحدة فقدم البرنامج ذى النقاط الخمس ، وينص البرنامج على :

١ ـ تخفيف وتهدئة التوتر بين الشمال والجنوب ، وابعاد حالة المواجهة المسلحة بينهما ».

٢ ـ تحقيق كافة أوجه التعاون والتبادل بين الشمال والجنوب .

٣ ـ عقد جمعية وطنية كبرى من ممثلين للاحزاب السياسية ، والمنظمات الاجتماعية ، والشخصيات المستقلة لكافة الفئات فى الشمال والجنوب . وهى مسألة اساسية تجعل بالامكان تحقيق الوحدة فى اتساق مع رغبات ومصالح الامة بأسرها . خاصة وان هناك فى كوريا الجنوبية أحزاب ترغب بإخلاص فى عقد الجمعية الوطنية الكبرى مثل **حزب التوحيد الثورى ، والحزب الديمقراطى الجديد .**

٤ ـ اقامة اتحاد كونفدرالى بين الشمال والجنوب تحت اسم واحد هو « **جمهورية كوريا الكونفدرالية** » . والسمة الاساسية له ، أنه خطوة انتقالية ، قبل توحيد البلاد فى حالة ما اذا لم توافق سلطات كوريا الجنوبية على عدم اقامة حكومة موحدة عن طريق انتخابات عامة فى كل البلاد . كما أن هذا الاتحاد يترك مختلف النظم السياسية فى الشمال والجنوب على ما هى عليه .

٥ ـ الاشتراك فى النشاط الخارجى من أجل منع الانقسام الدائم للبلاد . وفى حالة دخول الامم المتحدة يدخلها الشمال والجنوب باسم واحد هو « جمهورية كوريا الكونفدرالية » ذلك أنه من خلال الاشتراك فى النشاط الخارجى معا ، يمكن زيادة الوحدة الوطنية ، وتسهيل خلق موقف ملائم لاعادة التوحيد ..

أقتراح باتفاق سلام مع الولايات المتحدة

وفى الواقع ، فلقد كان آخر الاقتراحات من أجل خلق الظروف الملائمة لاعادة توحيد البلاد ، هو الاقتراح **بعقد اتفاق سلام مع الولايات المتحدة** الامريكية نفسها والذى بعث به المجلس الشعبى الاعلى فى كوريا الديموقراطية الى الكونجرس الامريكى فى بداية العام الماضى ، باعتباره خطوة ومبادرة نشطة لخلق ظروف اعادة التوحيد ، وينص اتفاق السلام على :

١ ـ الا يحدث غزو من جانب الطرفين لبعضهما ، وأن يوقف سباق التسلح وزيادة عدد القوات (أى القوات الامريكية فى كوريا الجنوبية) .

٢ ـ الا تتدخل الولايات المتحدة فى الشئون الداخلية لكوريا ، والا تعرقل وحدة البلاد .

٣ ـ أن تسحب الولايات المتحدة قواتها من كوريا الجنوبية .

٤ ـ لا ينبغى تحويل كوريا الى قاعدة عسكرية عدوانية ، أو ميدان عمليات لاى دولة اجنبية بعد انسحاب القوات الامريكية من كوريا الجنوبية .

ويقول الكوريون فى الشمال أن سبب اقتراح اتفاقية السلام مع الولايات المتحدة هو أن سلطات كوريا الجنوبية ليست لديها النية لابرام اتفاق سلام . ففى برنامج النقاط الخمس ، هناك فقرة تتعلق بعقد اتفاقية سلام بين الشمال والجنوب ، ولكن سلطات كوريا الجنوبية لم تقبلها . فضلا عن أن سلطات كوريا الجنوبية ليست لديها الصلاحيات لعقد اتفاق معنا لان الولايات المتحدة هى التى تسيطر فى كوريا الجنوبية على كل شىء ، وهى التى تصدر كافة الاوامر ، واذا فالاقتراح واقعى وعادل .

الوضع الراهن

أما فيما يتعلق بتطور محادثات الصليب الاحمر بين الشمال والجنوب أوضح الرفيق **تشا أونج يل** أن هذه المحادثات لا تزال بعد عدة لقاءات فى مرحلة المحادثات التمهيدية ، وهذه اللقاءات لم تتوقف تماما ، فمن المقرر أن تعقد اجتماعات أخرى والتوقف فى المحادثات يحدث بسبب عدم اخلاص الجانب الكورى الجنوبى . فمن البداية حاولوا اطالة أمد المناقشات ، وعلى الرغم من أن المحادثات تتعلق بمسائل انسانية الا أنهم وضعوا فيها عملاء المخابرات الكورية الجنوبية الذين يدبرون كافة المكائد والمؤامرات .

والواقع ، أن السلطات الرجعية العميلة للامريكيين فى كوريا الجنوبية هى التى تقف عقبة كؤود فى سبيل اعادة توحيد البلاد ، فمنذ اشتد فرح الشعب فى كوريا الجنوبية ببدء محادثات الصليب الاحمر ، وأعرب عن تأييده الحار وحماسه الكبير لها ، فزع حكام كوريا الجنوبية من تصاعد مشاعر الشعب الوحدوية فى كوريا الجنوبية تصاعدا سريعا ، وعلى الفور لجأوا كالعادة ، الى اعلان « حالة الطوارىء » يدعون « التهديد بالعدوان من الشمال على الجنوب » ، ولجئوا كما فعلوا دائما ، يدوسون الحرية الديموقراطية بالاقدام ، ويشددون قمعهم الغاشى على الشعب بدعوى أن لا سبب يدعو الى تعديل « **قانون مكافحة الشيوعية** » و « **قانون الامن القومى** » ، وضيقوا الخناق على نشاط لاحزاب المعارضة ، ومنعوا اعضاء لاحزاب المعارضة من الاتصال بالشمال ، وقاموا باعتقال وسجن وتعذيب العديد من الذين قابلوا بالاتصال والتبادل بين الشمال والجنوب ، وبلغ بحكم كوريا الجنوبية الحد أنهم نفذوا حكم الاعدام الصادر على بعض الوطنيين الذين كافحوا فى سبيل الديموقراطية ، ومن أجل التوحيد السلمى ، فى كوريا الجنوبية ..

● جمهورية مصر العربية ●

كيسنجر ٦ × ٩ هل فشل .. أم حقق أهدافه ؟

الجولة الدبلوماسية التى كيسنجر فى منطقة الشرق الاوسط المنافقة محطوفا ان يستخلص لنفوذه الشخصى لحل قضية واحدة المفاوضات . وفى كل مرة يفتح كيسنجر أسلوبا أو اتجاه به غير تاريخ الدبلوماسية العالمية هو أسلوب « التكوك » يتنقل بنفسه بين الاطراف المعنية يحاول البحث عن نقاط أو هامش « احتمالات » للاتفاق الاتفاق .

ولأن القضية معقدة فان « التكوك » يذهب ويجىء ست مرات فى الموسم فى كل جولة .. وربما اكثر .

وفى الجولة الثالثة التى كيسنجر اليها لاستطلاع مواقف الاطراف المعنية ، ثم تحدد أنه قادم فى المرة « السابعة » ليضع النقاط فوق الحروف وليدعو « تسوية » على طريق الحل جزءا جزءا ، وخطوة خطوة .

جزءا ، جزءا .. يبحثى البحث من خارج قاعى كل جهة على حدة وخطوة ، خطوة .. ببحثى زحزحة الاطراف على صعيد الجبهة المواجهة نحو حلول تسوية جزئية .

والامر الذى لا شك فيه ان كيسنجر قد أدخل نفسه فى التزام وبدأ الدور ، أن قدم نفسه كوسيط مقبول — الى حد ما — من أطراف النزاع ذلك انه استطاع أن يكسب ثقة المتحاربين معا ويكون مأخوذ الاتفاق ..

وربما كانت هذه الثقة ، هى بداية الخلل فى الديبلوماسية كلها ، ذلك أن كيسنجر لم يكن على الاطلاق محايدا بين أطراف النزاع ، ومن ثم لم يكن على وسيطا .

وربما كان الاساس فى المشكلة هو أن كيسنجر يعرف كيف يصور ، ويصمم ، ويناقش الخيوط ، بيد أطراف النزاع ، وربما كان الجدل الجهنمى واحدا من أكثر الذين استبطانها فهم كيسنجر وهم أسلوبه ، لقد يقول عنه — ربما من يخلق الجميع ربما بمجرد تفهم يعلن فيه أنه يفهم اللعبة .

« أنه (كيسنجر) يجعلك تشعر بأن بامكانك أن تجاوب وتفهم عليهم ، ومع ذلك فهو لا يدخلنى من صفوفه ، أنه لا يستجدينى بأى وأنى أنه يجعلنا معه جاهزة ، ومع ذلك فانا هناك أن أى لحظة مثل هذه الخطة أنه يستطيع التصور بأنه جديدة بحريص عليك وعلى بلدك وعلى الشرق الاوسط » وربما كانت صريحة « التكوك » هذه جزءا من الخطة التى أنجح الجدل الى اقتناعها ، فالرجل يأتى ويأتى ويأتى وتأييد حتى من الناحية السيكولوجية أن تقدم له شيئا ما ولو ضئيلا فى كل مرة ..

ويمثل هذا التفاعل العصبى والعقلى الجارف استبداع سياسى يتوارى دوره بالضرورة مع تواريخ دور حكومته فى اطار مرحلة الانتخابات الامريكية المقبلة أن يلعب ببعقرة والذنا بكاذا شبيه على مسرح الاحداث بيلعا التاريخ ومنطق الاحداث برأسه بل ويدعمه للاتزواء .

والحقيقة انه مع رجل كبدا ، وعلى مثل موقف متأزم كهذا فان الخيط البيانى للنتائج يعتز بشدة صعودا وهبوطا .. ولذلك يقول البعض أن هذا « الاعتزاز » جزء من الخطة ، ولذلك يرى البعض انه محصلة موضوعية لسياسة ترسيم خطوة خطوة ويشتغل جزئى ، ولكن الشىء المؤكد أن كيسنجر ذهب مقتنعا بالمرحلة الثانية وهو سيعلنه تفاؤلا ، وبهذا رحلته الخامسة وتفاؤل بأن الاطراف المختلفة ، الى درجة التصريح بأن نصيب الرحلة من النجاح يصل الى نسبة ٩٠٪ .

لكن أمورا أخرى تتواجد على مسرح الاحداث ..

فالجولة قد تفيد لدى طرف ظروفه الموضوعية سيئة ، لكنها تزيد الأمور تعقيدا لدى طرف ظروفه الذاتية صعبة ، وقد يكون من الافضل لوضعه النظر اليه بالمنظور السليم وليس الشامى ، أى جزء من مشكلة عملية وليس كيفيتها مستقلة بذاتها . وفى هذا الاطار الممكن يمكن للانسان أن يفهم الموقف على الجبهة السورية . واعلان القيادة السياسية الموحدة مع الفلسطينيين .

كذلك فان الطرف الذى لايزال بعيدا عن الملامس المباشر مع كيسنجر وهو الفلسطينيون يعتمون أنه من الضرورى أن يتواجدوا فى السلمة ويشتل مباشر ، ومن هنا — جاءت عملية فتح مشاورى فى فى أبيب . فان هذه العملية — وبهما الخطاب البعض حول تقييمها — فان أحدا لا يختلف حول تفاؤلها والذى يعبر فى أعلان صراخ وصفيب والقم من جانب الفلسطينيين انهم محسوبون على ألا يساهم أحد ومع ذلك يحب « التكوك » فى طريق الذهاب والعودة ، فالامر فوق أنه هام على المستوى العالمى والاقليمى ، الا انه هام أيضا على المستوى الشخصى — عندما يربط القضية بجهود قد ربط الكثير من اللقاء وكيرياك السياسى بها — ويصحد « الخط البيانى » مرة ثالثة — وقد يصعد ليعود ليهبط مرة أخرى ، عندما تعلن الوزارة الامريكية تسكيلها بمقترحاتها السابقة ، وتصدر أوامرها لفريق المفاوضين بالالتزام بها .. ويعود كيسنجر ليبدو أقل تفاؤلا ، عندما يقول انه قد ألقى أفكارا أمريكية مختلفة للكفاح المصرية المحددة ، وهذا الامر وكان كل ما لم يكن أحراره هو أن يحدد كل طرف ما يريد .

وتعود القضية الاسرائيلية لتعلن رفض الانسحاب من الممرات، وحقول البترول ، وتطالب مصر بسحب « دافيد » الاسرائيلية « بأن صير المفاوضات بطآن » .. وفى المقابل تعلن مصر رفض هذه المقولة وتعلن رفضها للتلاعب بفكرة الدوليات المشتركة ذلك أن قبول مصر لهذه الدوليات يعنى قبول التعاون وتنظيم احتلال الاسرائيلين للأرض المصرية » . [الاهرام ١٧ — ٣ — ١٩٧٥] .

ويعلن كيسنجر أن « التكوك » على « استعداد للعمل حتى نهاية شهر مايو أن لزم الامر ، وكأنه يضغط بذلك على الاطراف المعنية كى تصبح أكثر استعدادا للتفاؤل —

بل ويعلن انه سوف يستقبل اذا لم ينجح .. وكأنه ايضا يعيد اطرافا تحرص على بقائه .

ويواصل الخط البيانى هبوطه المعلن منذيا فعلن الاهرام أن المعتمدات الرسمية المصرى صرح بأن المباحثات بين الرئيس السادات وكيسنجر « كانت حادة وشاقة » لكن كيسنجر بظل مسمكا بخيط التفاؤل ويصرح للصحفيين فى نفس اليوم انه « لايريد أن يصل الى مرحلة يقوم فيها جانب برفض مقترحات الجانب الاخير .. وانه يرفض من تحرك الامور بيده الا انه لم يصل بعد الى المرحلة التى يعتقد فيها انه لا يستطيع أن يسافر فى مهمته » .

[الاهرام ١٨ ـ ٢ ـ ١٩٧٥]

والتراقى المدوح فى حينى كيسنجر ـ هكذا اكدت الصحف ـ وهو يعلن انتهاء مهمته بلا نتيجة ، وكأنه كان يتوقع نتيجة ما ..

ويبقى علينا أن نسأل أنفسنا: ماذا قدم كيسنجر لمصر ولاسرائيل بعد ٣٤ زيارة فمن ٩ جولات .. أمر المواصلة ودعم ماضى ومعنوى لم يسبق له مثيل يتدفق على اسرائيل .. وهذا التدفق ـ وكيسنجر أحد صناعه ـ لابد له يدويا من أن يشجع اسرائيل على التمادى والاعراض عن أية تسوية معقولة .

انهم يخزون الشر ويشترونه ثم يطلبون منا الا نصدق انه «شر» أو انهم يحدونه لكى يقوم بدور « الوحش » انهم يعدون « اسرائيل » وكل ما تحتاج ويتكرر سنا تحتاج كى تظل قاعدة للحدوان والحرب وهذيا التراقى المدوح فى حينى كيسنجر .. فانيا لا تراقى قمته على السلام أو على الحرب أو على العدالة وانما كما حرص أن يؤكد حزنا على شباب اسرائيل من ان يهددهم خطر الحرب .. والشيء المؤكد أن كيسنجر لن يستقبل لانه لم يفشل ، لقد حقق خطة موضوعة .. وهو ليس بحاجة الى الاستقالة لان التاريخ قد أعد له كل مؤهلات الازدواء .. ولا يبقى أمام الاطراف المختلفة سوى أن تواجه مصائرها ..

الانفتـــاح الاقتصـــادى فى جلسات الاستماع .. الى أين ؟

خلال جلسات الاستماع التى خصصتها لجنة المقترحات بمجلس الشعب لمناقشة سياسة الانفتاح الاقتصادى حدد الدكتور عبد العزيز حجازى رئيس الوزراء العناصر الاساسية التى ترتكز عليها سياسة الحكومة فى قضايا الانتاج الاقتصادى :

● الانفتاح ليس نظرية جديدة أو شعار أو نظام مستحدث لقد جاء الانفتاح لمرحلة ولا يمكن أن يدرس فى مصر الا على ضوء المراحل التى سبقته ـ مرحلة تصفية الاقتصاد المصرى ثم تحريره من سيطرة رأس المال المستغل ثم تدخله مرحلة جديدة لتحقيق الكفاية والعدل .

● الاشتراكية المصرية ليست امتدادا للشيوعية العالمية لان المجتمع المصرى له مقوماته الاساسية ولكننا نأخذ من التنظيمات الاقتصادية ما يناسب ظروفنا تماما كما نأخذ التكنولوجيا من دول العالم .

● ان التخطيط للانفتاح الاقتصادى ، يعتبر عملية أساسية خاصة وان المرافق العامة والخامات كالطرق والمياه والانارة فى الدولة لا تحتمل الانفلات فى ظل المشروعات العربية الاجنبية وذلك يجعلنا نسير بالتدريج ـ وسوف يتم وضع تخطيط شامل للانفتاح الاقتصادى ويتابعة تنفيذ المشروعات على أساس دائرة فى نطاق من خطة الدولة

● اختيار المشروعات يتم الآن فى ضوء مدى ملاءمتها للمشروع والعائد الاقتصادى الذى يحققه .

● سياسة التصنيع فى مصر لابد وان تكون لها أهداف اقتصادية محددة ـ لان سياسة من الابرة الى الصاروخ لا تناسب امكاننا مع ظروف الاقتصاد المصرى .

● القطاع العام كانت له بعض السلبيات ـ ولكنه خلق جيلا فاذا من الشباب المصرى يعمل الآن فى مواقع هامة داخل مصر وخارجها وأعطى لمصر قدرات تنظيمية كبيرة فى الريف المنطقة العربية بالخبرات المصرية .

● ان جملة ما أنفقته الدولة على مشروعات الاسكان والمرافق خلال السنوات السبع الماضية بلغ ٢٤٠ مليون جنيه فى حين ان ما أنفق على التعمير فى عام واحد بلغ ٢٤٠ مليون جنيه .

● أن تصدير العمالة المصرية للخارج أمر ضروري ـ ولهذا نوضع برنامج للتدريب المطلوبين فى الشركات والمصانع فى انشاء مراكز التدريب .

● ان مفاوضات تجرى الآن بين مصر وكل من ألمانيا الغربية واليابان لدراسة مشاكل مياه الشرب فى مصر وتجديد شبكة المياه بالاضافة الى ان البنك الدولى للانشاء والتعمير قدم لمصر قرضا لتمويل مشروعات البنك الجديد كما ستعمل مصر على قرض لتحسين المواصلات السلكية واللاسلكية ـ وتجرى مفاوضات مع السعودية والكويت وصندوق التنمية العربى لبحث امكانية مساهمتها فى تمويل مشروعات اصلاح مرافق النقل .

وعلى ضوء هذه المبادىء العامة إلى تتحرك الحكومة فى اطار عرض الدكتور طاهر أمين وزير التموين الاقتصادى ما تم تحقيقه حتى الآن من تحرك فى مختلف الجبهات لعقد اتفاقيات التعاون الفنى والاقتصادى للاستفادة بالتكنولوجيا ثم المشروعات المشتركة :

● ما تم التوقيع به من مشروعات يزيد من ألف مليون جنيه مدعوة لشركات تعمل فى المناطق الحرة والاستثمار .

● الحكومة تفاوض الآن على مشروع مشترك لشركة بتروكيماويات لزيد قيمتها من ٩٢٣ مليون دولار .

● تخر مصر بمجمع الحديد والصلب بحلوان — وقبل أن يبدأ التشغيل بالطاقة الكاملة .. ستكون قد ضاعفنا على مشروع للحديد بالاضافة المقدر التشغيله بمليون و٦٠٠ الف طن وذلك فيما لو اخذنا في الحسبان في هذا المشروع هنالك مشروع مماثل يكون قد تم تركيبه .

● قدم الوزير اضحالية هامة برزجاجتها هامة من الصورة نقد ورد لمصر ٥٥٢ طلبا حتى آخر ديسمبر ١٩٧٤ ووفق على ١٦٦ مشروعا — منها٢٩ منطقة حرة و١٦٣ في الداخل وهناك ٢٧ مشروعا اعطيت موافقات وسحبت لعدم قيام المستثمرين بالجدية في التنفيذ وهناك ٦٧ مشروعا رفضت و٢٣ مشروعا اعيل اصحابها تقديم مستنداتها و٢٤مشروعا معلقا للاتاحة في المنطقة الحرة في بور سعيد عندما يتم انشاؤها ويمثل هناك ٣٠٢ مشروع قد بدأت الدراسة .

كما اوضح الوزير أن عشرة مشروعات قد بدأت الانتاج وهناك مشروعات تجرى التجارب على منتجاتها بالاضافة الى المشروعات التي بدأت في اعداد الاعمال المدنية وتوريد المعدات .

وطوال ثلاث جلسات امتدت كل منها لعدة ساعات بدت المناقشات كما لو كانت مباراة بين الحكومة التي مثلها الدكتور عبد العزيز حجازي رئيس الوزراء والدكتور طاهر امين وزير المالون الاقتصادي — وبين الذين دعتهم لجنة الاتحادات والغرائف برئاسة محمود ابوواقية لحضور الجلسات وكانوا لدينا من رجال البورصة والبنوك والاقتصاديون المتلهبون ورجال أعمال يتوسون بنشاط قسم في مشروعات الانتتاح ، ومعهم ايضا بعض رؤساء البنوك والمؤسسات .

وفيما عدا اربعة من المتكلمين هم الدكتور طويلار وعبد السلام عفيفان ود. عبد المنعم البنا والاستاذ ماجد عبد العظيم الصفتي — استبعدوا ان يكون الانتتاح منوا للقطاع الخاص — وتاهموا عن اهمية التخطيط ودور وفضل القطاع العام واكدوا على اهمية ان يكون الانتتاح على العالم كله وفي اطار خطة التنمية — وكشفوا مدى ما يصيبه الاقتصاد المصري من اعباء بسبب الصادرات التهدير والخدمات والتبعية .

فيما هذا مؤلاء — فقد بدا واضحا ان هناك ضغطا مكثفا من نالبية هذه العناصر — على اختلاف مواقعها الاقتصادية والفكرية — ضد القطاع العام — وضد كل ما حققه الثورة ومن اجل أن يكون الانتتاح بدون ضوابط ولا حدود .

ومع هذا فقد كان هناك اكثر من اتجاه :

اتجاه ترعمه الاستاذ احمد ابو الفتح وانضم اليه الوزير السابق امين شاكر راح يقطع بين الحاضر والماضي مؤكدا على ان عهود ١٩٢٣ رسم له وخطه السادات بقواعده ودوزانه ولم يكن نتيجة الـ ٢٥ سنة الماضية التي حققت خلالها هزائم مذهلة .

ودعوا لتحرير الاقتصاد من اعواء الايديولوجيات التي غرقت عليه لسنوات وان نعيد مصر الى وضع عدم الانحياز !! واكدوا على ان الانتتاح هو لتحقيق طموحات القطاع الخاص واستنكر أن يكون للقطاع العام سيطرة على الانتتاح أو أن يرفض مشروع بانشاء مصنع لانه يتنافى مع الخطة — وبالتالي بالغاء حرية تملك الاراضي الزراعية للاجانب .

واتجاه ثان تصدره الدكتور زكي عبد المتعال والمهندس محمود اسماعيل ومصطفى فهمي مروان ، والصيرفي التجار من رجال الاعمال وزكريا توفيق رئيس مؤسسة القطن . وركز اصحاب هذا الاتجاه على نقد القطاع العام

والمطلوب آدارته وقوانين العمل وسياسة تعيين الخريجين التي أسيوها سياسة بطالة مقنعة والمرتب عبارة عن اعاشة ودعوا لتعديل قوانين العمل لانه لا يمكن اجبار المستثمر الاجنبي على عدم فصل العامل .. !!

وقدم أصحاب هذا الاتجاه مجموعة كبيرة من الاقتراحات

● انشاء المناطق الحرة .

● اعادة فتح سوق البهائم الحضارية في القاهرة .

● ضرورة انعاش سوق الاوراق المالية لانها بيئة وذلك من طريق شركات الاستثمار بالمال الاجنبي بالمشاركة مع المال المصري .

● انشاء شركات مستقلة يحدد فيها عدد الاسهم التي يجب أن يمتلكها الفرد الواحد امام المساهمة الشعبية وهو نظام موجود في ايران وجنرال موتورز الامريكية [حيث يشجعون صغار المستثمرين] .

● طرح عدد من الاسهم والسندات للبيع وتشجيع مشاركة المواطنين في رأس مال شركات القطاع العام .

● انشاء هيئة مستقلة للبت في مشروعات الانتتاح الاقتصادي .

● تشجيع رأس المال الوطني ليكون مركز جذب لرؤوس الاموال الاجنبية .

● ضرورة فتح المستثمر المصري بكل حقوقه حتى يطمئن المستثمر الاجنبي .

● اطلاق حريات التصدير امام القطاع الخاص .

وانذر الدكتور طلعي مراد بكلمة اثارت بعض النقاط الهامة ويبدو النقاط الاخرى التي لم تكن في مستوى ما فيه من أمكان .

لقد رفض الدكتور طلعي مراد في كلمته أن يكون هناك انتتاح مطلق واكد على ضرورة أن يكون هناك معايير للانتتاح ، وأن الانتتاح الاقتصادي لايخالف شرعيه الاستراتيجية، ولا مع التخطيط ، وطالب باعطاء الضمانات الحقيقية لصاحب رأس المال وبالتالي ذلك في وجود نظام ديمقراطي كامل يقوم على حرية الكلمة بحيالة في حرية الصحافة وممارسة مجلس الشعب لسلطاته .

الا ان الدكتور طلعي مراد اثار عدة نقاط :

● ان القيادات صانعة القرارات بالاضافة هم الذين يجوبون العالم للدعوة للانتتاح — والدول عندما تقوم بتغيير سياستها الخارجية تقوم بتغيير سفرائها .

● طالب بالقضاء على السلبيات الموجودة في المشروعات الاقتصادية وعدم الابقاء على المشروعات الفاشلة .

● مواجهة ارتفاع الاسعار وظاهرة العمولات للسيطرة للانتتاح الاقتصادي ، وما ادى اليه ذلك من ارتفاع في الاسعار ولم يمانع أن تقوم بيوت السمسرة بعملها ولكن بشرط الا تكون السمسرة من نصيب المسئولين أو المتصلين بهم ، وان تكون مقابل فائدة للحصول على صفقة بشروط أفضل .

● طالب بقادة الاتحاد الاشتراكي في القاهرة بالغاء الاماكن التي فيها مكاتب في وسط القاهرة لتكون مقار لشركات الانتتاح الاقتصادي .

● اثار موضوع السيارات الخاصة بالوزراء .

ولاحظ المراقبون ان الدكتور عبد العزيز حجازي قد اشعار للتدخل عدة مرات لمنع تصدير المناقشة مؤكدا على ان :

● الايجابيات للثورة مصر اكثر من سلبياتها ولولا هذا ما هبرنا الحياة وما حققنا الانتصارات التي نتهاني بها .

● انه لا يستطيع ان يترك الشعب غير القادر في أحدى القوى الرأسمالية — ومع أنه من الذين ينتقدون سياسة التخطيط في الفترة الماضية التي تم تصنيع توفير الغذاء

والمهم بالنسبة لنا هو معالجة — كما أن نذهب نحو التعاون حر وان نقول اى مشروع يتقدم اليها — واننا لا ينحى الى الاقتصاد الحر الذى يفضى على القطاع العام ، ويعيد اصحابه الى الشعب بأسمم اسمية أو علنية ويركز الثروات فى ايد قليلة .

واكد الدكتور حجازى على أن الانفتاح مصيرة دولة ولا ردة ولا تراجع الى الوراء — والانفتاح لا يعنى خلق طبقة رأسمالية جديدة ، ولا هو تضحيم أى مستثمر يرقص فى الكسب والمضاربة وتكديس الثروات ثم يهرب للخارج — وان القطاع العام سيبقى كقاعدة اساسية للاطلاق الاقتصاد القومى .

○

● سوريا ●

قيادة سورية – فلسطينية موحدة

ما يزال اقتراح الرئيس السورى حافظ الاسد بشأن اقامة قيادة سياسية وعسكرية موحدة مع منظمة التحرير الفلسطينية يثير ردود الفعل والتعليقات فى الاوساط السياسية والصحف العربية والاجنبية .. ولكن الرئيس السورى قد عرض اقتراحه فسمن خطابه الذى القاه فى ذكرى العيد الثانى عشر لثورة الثامن من آذار (مارس)*

وقد عاد الرئيس السورى بعد ذلك ليفسر اقتراحه والهدف من ورائه ، وذلك خلال المؤتمر الصحفى الذى عقده قبل اجتماعه بالدكتور هنرى كيسنجر وزير الخارجية الامريكى فى التاسع من شهر مارس ، اذ قال : ان انشاء قيادة سياسية وعسكرية سورية — فلسطينية موحدة يمكن أن يوفر للفلسطينيين فرصة التقاط انفاسهم مؤثر جنيف ، واضاف قائلا : « ولكن انشاء مثل هذه القيادة قد يمنع سوريا ايضا من الذهاب الى جنيف ، وان الامر برهون بالقرار السياسى الذى تتخذه القيادة السياسية فى هذا الشأن . وان ذلك يعنى اننا اما سنذهب بما أو لا نذهب على الاطلاق » .

وقد أعلن ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية وعدد من القادة الفلسطينيين الاعضاء فى منظمة التحرير فى تصريحات من ترحيبهم باقتراح الرئيس السورى حافظ الاسد . كما هنئت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية اجتماعا فى دمشق بتاريخ ١٥ مارس ، ليبحث اقتراح الرئيس السورى . ويعد ذلك صدر بيان رسمى من المنظمة تعلن فيه عن ترحيبها الكامل بهذه المبادرة هذا القرار الرئيس حافظ الاسد ، من اجل تعميق الصامدين العربى الذى جسدته حرب اكتوبر ١٩٧٣ .

وقال البيان : ان اللجنة التنفيذية تعتبران قيام هذه الوحدة انما يحقق المنطلقات التى اقرها وتوصى القمة العربيين السادس والسابع بالجزائر والرباط من قبل . كما ترى اللجنة فى قيام هذه الوحدة وتدعيما على أحداث قاعدة النضال الفلسطينى والعربى قوة فاعلة فى مواجهة التحديات الصهيونية والامبريالية ، وقد محاولات ضرب الثورة الفلسطينية وتصفيتها وتمزيق الصفين العربى .

كذلك أعلنت كل من مصر والكويت وليبيا عن ترحيبها بدعوة الرئيس السورى حافظ الاسد لتكوين قيادة سياسية وعسكرية سورية وفلسطينية موحدة ، وأيدت كل الخطوات التى من شأنها تدعيم الثورة العربية والوحدة العربية .

والمعروف ان اسرائيل ما زالت ترفض حتى الان الاعتراف بوجود الفلسطينيين ، أو اقامة دولة للفلسطينيين فى المنطقة ، وتصر على اعتبار الفلسطينيين جزءا من شعب الاردن .

ومن هنا يعتبر المراقبون اقتراح الرئيس السورى ، مبادرة رد على المخططات الاسرائيلية التوسعية فى المنطقة ، والتى تصر على تجاهل وجود الشعب الفلسطينى كما يعتقد المراقبون أن اقتراح الرئيس حافظ الاسد لا يعنى ابتعاد الفلسطينيين استقلاليتهم ، ولكن من شأنه تجنيب الفلسطينيين خطر فك أى اشتباك على الجبهة الشرقية ، ومن ثم اغلاق الجبهة الشرقية فى وجه منظمة تحرير فلسطين .

هذا ومن المقرر ان توجه اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الدعوة الى المجلس الوطنى الفلسطينى ، الذى يمثل القيادة الجماعية للثورة الفلسطينية ، لمناقشة اقتراح الرئيس السورى حافظ الاسد ، باقامة قيادة عسكرية وسياسية بين سوريا وفلسطين .

○

● السعودية ●

اغتيال الملك فيصل

توجهى العالم فى يوم ٢٥ الماضى ، بالفيال الملك فيصل بن عبد العزيز . وقد جرى هذت الاغتيال علنما كان الملك يستقبل افراد الاسرة الحاكمة فى قصره بالرياض والعالم ، الامير فيصل بن مساعد ، أحد افراد البيت الملك السعودى . وقد وصفه البيان الرسمى بأنه مختل العقل والشعور .

وقد أحدث اغتيال الملك فيصل ردود فعل واسعة فى مختلف المواصم العربية .

غضب الرياض مباشرة ، وجه الرئيس انور السادات ببيانا الى الشعب المصرى والامة العربية نعى فيه الملك فيصل ، وأبرز الدور الذى قام به الملك الراحل قبل وبعد حرب اكتوبر .

وقد أحدث اغتيال الملك فيصل ردود فعل قوية — ايضا — فى كثير من عواصم العالم ، ففى الولايات المتحدة الامريكية أعلن المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية الامريكية « ان اغتيال الملك فيصل قد يكون خسارة عظيمة كبيرة للوضع الامريكى فى الشرق الاوسط ، وبرغم دوره فى حظر البترول وزيادة أسعاره فانه بقى مؤيدا بشكل حازم لجهود وزير الخارجية الامريكى التى تستهدف استعادة السلام فى المنطقة » .

وفى باريس أعرب المسئولون فى الحكومة الفرنسية عن قلقهم اثر اغتيال الملك فيصل الذى جاء فى أعقاب

فشل مهمة كيسنجر فى الشرق الاوسط ، الامر الذى قد يترتب عليه زيادة التوتر بشكل خطير فى الشرق الاوسط .

واثر اعلان وفاة الملك الفيصل اختير الامير خالد ابن عبد العزيز ليخلف الملك الراحل ملكا للمملكة العربية السعودية ، والامير فهد بن عبد العزيز وليا للعهد .

● اليمن الشمالية ●

ماذا يحدث فى اليمن ؟

من المنتظر ان تتم فى شهر ابريل الحالى انتخابات مجلس الشورى الجديد فى اليمن الشمالية ، وفقا لما اذيع من قبل ، وذلك عقب اقالة حكومة محسن العينى التى كانت تضم بعض العناصر الوطنية فى ١٣ يناير الماضى ، هذه الاقالة التى يعتبرها المراقبون مرحلة جديدة فى الصراع على السلطة فى اليمن الشمالية .

ان طبيعة الظروف التى يعيش فيها اليمن الشمالى ، وعلاقات القوى الطبقية فى الداخل ، تثير القلق فى اوساط المراقبين والراى العام العربى ، حول المصير الغامض والمحفوف بالمخاطر الذى تتجه اليه اليمن فى الوقت الحاضر .

ولم يعد هناك شك لدى المراقبين ، ان السلطة فى الشطر الشمالى من اليمن ، قد أصبحت بيد الاقطاع القبلى بالتعاون مع فئة البورجوازية الكومبرادورية من كبار المستوردين الذين يعملون ذيولا للاحتكارات الاجنبية ، كما تسيطر على التجارة وتحقق أرباحا خيالية ولا تحتفظ الا بجزء قليل منها داخل البلاد .

كما يتميز الوضع الحالى بتزايد النفوذ الخارجى فى الشئون الداخلية لليمن الشمالية ، والتغلغل فى معاقل الدولة الاساسية من جانب من يطلقون عليهم جيران اليمن الاغنياء ، وذلك من خلال بعض الشخصيات فى مجلس الشورى والقوات المسلحة واجهزة الامن والادارة وقد استطاعت هذه الجبهة اليمينية ، التى كانت تنمو

تعليق

٣ ملاحظات حول مناقشات الانفتاح الاقتصادى

فى الجلسات التى عقدتها لجنة الاستماع فى مجلس الشعب برئاسة محمود ابو وافية ، نوقشت سياسة الانفتاح الاقتصادى : وكان هناك حرص على دعوة من يمثلون رأيا يختلف مع راى الحكومة ، واكد هذا — من الناحية العملية — ان كوننا مصريين لايمنع من الانتماء الى اتجاهات سياسية متباينة ، والصراع والتنافس بين هذه الاتجاهات لايتعارض مع الوطنية .

● وقد كان مفروضا ان نسعد لاعتراف لجنة الاستماع بهذه الحقيقة ، لولا اننا لاحظنا ان اللجنة قررت ان تحصر حق الخلاف مع الحكومة وحق الحوار معها فى دائرة اليمين ، فوجهت دعوات الى بعض اقطابه ، وافسحت صدرها لارائهم ، بينما امتنعت عن توجيه الدعوة الى اى من ممثلى اليسار الذين يختلفون ايضا مع سياسة الحكومة ، ولكن من وجهة اخرى غير وجهة اليمين بطبيعة الحال .

وقد يذكرنا هذا بالشعار الذى رفعه على امين اثناء مناقشة ورقة تطوير الاتحاد الاشتراكى ، فقد طالب يومها بنظام سياسى عجيب اسماه نظام الحزبين .. حزب الحكومة وحزب آخر ، ولم يكن متصورا ان الحزب الاخر الذى يكافح على امين من اجله . هو حزب على يسار الحكومة . واذا كانت الحكومة تحتل موقع المسئولية والشرعية فعلا ، فان دعوة على امين كانت اذن مجرد مطالبة بحقه وحق زملائه فى تكوين حزب يمينى ، وقد عارضنا يومها هذا المطلب الخطير . وقلنا ان حق التعبير الديمقراطى ينبغى ان يكفل لكل الاتجاهات الوطنية ، وان كبت اليسار يلغى اى مضمون حقيقى للديمقراطية السياسية . وكنا نرجو الا تتورط لجنة الاستماع فى موقف يلتقى مع رأى على امين فتعتبر ان الاتجاه الوحيد الذى يحق له نقد الحكومة هو اتجاه اليمين الرجعى ..صحيح ان محمود ابو وافية تدخل اثناء الجلسات واكد حق المواطنين فى اعتناق الماركسية ، ولكن ينبغى ان ننتبه الى ان حق اى انسان فى اعتناق اى فكر ، ان المطلوب هو مجتمع متحضر ، واذا كان محمود ابو وافية قد وجد نفسه مضطرا الى تاكيد هذه البديهية فان هذا يعكس مدى ضيق الافق والصدر لدى بعض من تحدثوا فى جلسات الاستماع ، رغم انهم من اكثر الناس صياحا حول الليبرالية والديمقراطية .

الا ان المطلوب من محمود ابو وافية ليس مجرد تاكيد حق اى مواطن فى اعتناق اى فكر ، ان المطلوب هو الاعتراف بحق كل مواطن وكل اتجاه فى التعبير عن فكره .. لليمين الوطنى ان يعبر عن آرائه وعن مصالح اصحاب الثروة وراس المال ، ولليسار ايضا ان يعبر عن آرائه وعن مصالح الجماهير الكادحة ، وعلى لجنة الاستماع ان تفسح صدرها لكل الاراء بنفس القدر .

● بعد هذه الملاحظة الاولى . ننتقل الى كلام احمد ابو الفتح ومحمد شاهين « نائب رئيس مجلس الامة الاتحادى » وكانا ابرز المتحدثين باسم اليمين . ان برنامج احمد ابو الفتح معروف ، وقد نشر موجز ماقال فى لجنة الاستماع فى اخبار اليوم . اما محمد شاهين فقد قدم مفهوما للانفتاح يعنى هدما لكل نظامنا الاجتماعى ، لقد طالب بتصفية القطاع العام وبان يكون ٩٠ او ٩٥ ٪ من انتاجنا فى يد القطاع الخاص . وان نتحول الى اقتصاد حر تسرح فيه الراسمالية الاجنبية والمحلية بلا اى قيد . وقد كان الرجل واضحا وصريحا . هل هناك من ينهب ؟ ومثله ! هل ستفلس شركات وطنية كالبنوك ؟ فى ستين داهية !

باستمرار خلال السنوات الاخيرة ، أن تقود نشاطا محموما فى مواجهة الحركة الوطنية فى اليمن الشمالية، عن طريق الاعتقالات والاعدامات للعناصر الوطنية والتقدمية فى صفوف الجيش واجهزة الامن والحركة العمالية والطلابية ، هذا بالاضافة الى تكوين مجموعات ارهابية مسلحة خارج القوات المسلحة ، تستهدف التخريب على حدود اليمن الديمقراطية ، ولضرب الحركة الوطنية فى الشمال ، ويقال أن بعض هذه التنظيمات الارهابية مثل « جيش الانقاذ » يرتبط بدوائر خاصة خارج اليمن الشمالية .

وتتمثل مشكلة اليمن فى موقعه بالقرب من منابع البترول الذي يفرض على شعب اليمن التخلف والتجزئة لتأمين امن ومصالح احتكارات البترول الاستعمارية والمصالح الرجعية فى المنطقة .. وقد عملت السياسة الرجعية الاستعمارية هذه على معارضة ومنع اقامة اى مشاريع صناعية عربية او اجنبية فى البلاد ، مثل مصفاة البترول التى كانت ستقام فى ميناء الخوخة بمساعدة العراق ، كما تعارض هذه القوى الخارجية حصول اليمن على اسلحة من جانب الاتحاد السوفيتى . وتكشف الانباء الواردة اخيرا عن وصول اسلحة غربية الى اليمن تقدر قيمتها بحوالى ١٩٥ مليون جنيه استرلينى .

ويستهدف المخطط الامبريالى الرجعى التمهيد لاستنزاف ثروات اليمن الشمالية ، كما ينظر اليها ايضا كمجال حيوى من الناحية الاستراتيجية والاقتصادية فى المستقبل من ناحية الوجود البشرى ، باعتبار اليمن هى الاكثر عددا فى شبه الجزيرة العربية ، وتقدر الاحصاءات التقريبية عدد سكان اليمن الشمالية بحوالى ٨ ملايين نسمة ، بينما يقدر تعداد شعب السعودية بحوالى ٤٫٥ ملايين نسمة ، كما يقدر عدد اليمنيين العاملين فى السعودية بأكثر من مليون عامل يمنى ، الى جانب عشرات الالوف الذين يعملون فى بقية مناطق الخليج العربى .

ان عدم وجود حدود طبقية فاصلة ، وسيادة الطابع الاقطاعى العشائرى . هذه الاوضاع غير المستقرة اقتصاديا واجتماعيا ، قد ساعدت على ظهور العامل الخارجى كعامل رئيسى فى توجيه السياسة اليمنية — اذ ان القاعدة هى ان العامل الداخلى هو الاساس — اما بالنسبة لليمن الشمالية فهناك استثناء للقاعدة ، حيث العامل الخارجى يلعب دورا اساسيا ، هذا على الاقل فى الوقت الحاضر ، وان كان ذلك لا ينفى بطبيعة الحال وجود قوى فى الداخل تحكم وتتصارع فيما بينها .

هكذا قال بالنص . وحين نبه ابو وافية الى ان هذا الكلام يخالف الدستور الذى ينص على اننا دولة اشتراكية ، قال محمد شاهين : اذن نغير الدستور هو الدستور نزل من السماء !

بهذه البساطة تحدث الرجل عن تغيير الدستور وتغيير النظام الاجتماعى تغييرا جذريا كما لو كان يتحدث عن تغيير نظام المرور فى احد شوارع القاهرة لقد طالبنا بحق اليمين الوطنى فى التعبير ولكن كنا نتصور انه سيلتزم باطار الدستور والمواثيق الوطنية ، من حقه ان يطالب بتعديل جزئى هنا او هناك ، ولكن هل من حقه ان يطالب بنسف كل شىء بهذه البساطة ؟!

وهل السماح بمثل هذا الكلام بل وبنشره فى صحف واسعة الانتشار نوع من رحابة الصدر المقبولة ، لقد سرحت وتخيلت ان يساريا «مجنونا» وقف يطالب ايضا بالغاء الدستور وتصفية القطاع الخاص ، ترى هل كان سيقابل بنفس السماحة والعتاب الرقيق ؟ ! ومع ذلك فان الذى يقول مثل هذا الكلام هو فعلا يسارى مجنون ، وفى حالة وجوده كان سيستحق منا اعنف النقد ، فنحن نؤمن بدور القطاع الخاص الى جانب القطاع العام فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، ونقبل مواثيق الثورة والدستور اطارا عاما للتحرك السياسى ورغم ان نقدنا وخلافنا مع الحكومة هو فى نطاق كل هذا ، فانه غير مقبول ، وغير مسموح به !

● ملاحظة اخيرة : ان اهل اليمين واهل الوسط يكثرون من الحديث عن الدين والاسلام . وكما ان الديمقراطية — فى عرفهم — لاتتسع لغيرهم، فانهم يتصورون ايضا ان دين الله لايتسع الا لهم ، فمحمد شاهين لا يتحدث عن الاشتراكية الا باعتبارهم كفارا مشركين !

ايها السادة اذا كنتم تتصورون انكم احرارا فى تحديد نطاق ديمقراطيتكم ، فانكم لستم اوصياء بالقطع على نطاق الدين ونحن نعتقد اننا اعلم منكم واصدق فى شئون ديننا ، ولكننا لا نقطع بشىء فى هذا — على اى حال — ونترك الثواب والعقاب لله .

المهم . لقد تحدث د. محمد حلمى مراد فى الجلسة الثانية من جلسات الاستماع ، وانصت الجميع لارائه انصاتا جيدا ، حتى وصل الى موضوع القدوة . قال ان المصاعب الاقتصادية التى يواجهها المواطنون تطلب تكافلا فى تحمل التضحية وقال انه اذا طالبنا الجماهير بالا تحقد فان من الواجب اولا ان نطالب المسئولين بان يكونوا قدوة فى الاقتراب من هموم الناس ، ولابد من محاربة الاسراف فى المظهر والسلوك . ثم استطرد — على سبيل المثال — الى ظاهرة اسراف الوزراء وغير الوزراء فى استخدام السيارات الحكومية الفارهة. حين تطرق د. حلمى مراد الى هذه النقطة توقف الانصات وثار اغلب الحاضرين وقالوا انها نقطة خارجة عن موضوع الانفتاح . وحين اشار د. حلمى الى ان عمر بن الخطاب كان يسلك هذا السلوك ، لم تتوقف المعارضة ، وقال البعض ان ظروفنا تختلف عن ايام صدر الاسلام ولولا الخوف وبقية من حياء ، قالوا ان عمر رضى الله عنه كان مثلنا من المشركين ، او ان استلهام نموذج عمر هو استلهام لنموذج غريب عن مجتمعنا.

لقد قال محمد شاهين ان الاشتراكيين المشركين عاوزين يلهبوها نار .. وفى الحقيقة لايلهب النار الا اولئك الذين لايهمهم الا مضاعفة ثرواتهم ولا يهمهم بعد هذا ان كان جارهم عاريا او جائعا .

عادل حسين

ولكن العامل الخارجي هو الذي يأتي ليحتم الصراع في النهاية .

والواقع ان الغالبية العظمى من اهالي اليمن الشمالية هم من الزراع ، بينما يمثل الرعاة قسمة ضئيلة في المناطق الشرقية ، وفي معظم الالوية عدا المكية الصغيرة والمتوسطة الى جانب المكيات القطاعية الكبيرة .

ويشمل الاقتصاد اللاذعي في اجزاء منه على نوع من الاقتصاد العيني ، كما تظهر في مناطق اخرى العلاقات السلعية ، حيث تمارس فئة التجار المستوردين احتكار تجارة القمح والدقيق ، في ظل الحكم الامامي ، وفي بعض المناطق يهتم اللاذعون بزراعة القمح ، ولكنهم مضطرون في نفس الوقت لشراء الملابس ، والشاي ، والسكر ، والتوابل .

ان وجود هذه الفئة من البورجوازية الكومبرادورية من التجار المحتكرين بمستلزم وكلاء للشركات الاجنبية والتي تتعاون مع النظام الحاكم على اساس المصالح المشتركة ، يؤدي الى الحاق الضرر الكبير بالجماهير الصغار والفقراء في انحاء البلاد ، من جراء احتكار هذه الفئة الكومبرادورية للمشاريع .

وتشكل المعارضة الشعبية حاليا داخل اليمن في صفوف الاجراء والملاك الصغار والمتوسطين ، والعمال وصغار الموظفين والطلاب والجنود ، والتي خاضوا النضال تحت قيادة التنظيمات الوطنية الديمقراطية .

ولا تختلف المصاعب التي تواجهها القوى الوطنية في الشطر الشمالي من اليمن ، عن المصاعب التي تواجهها القوى الوطنية في الجنوب من البلاد العربية ، حيث تتناضل القوى الوطنية في اليمن الشمالية ، لا ضد القوى الرجعية المحلية فحسب ، بل وايضا ضد القوى الرجعية في المنطقة بامكانياتها الضخمة ، فضلا عن الرجعية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية .

والشيء الملاحظ هو ان الحركة الوطنية في اليمن الشمالية ، تفوض معركتها العالمية بمعزل عن تأييد القوى الوطنية على الصعيد القومي والعالمي ، مما أدى في فرض حالة من العزلة عليها . اذ ان الظروف الخاصة باليمن الشمالية دفعت بل ارغمت على القوى الوطنية هناك ، تحقيق انجازات اساسية بمعزل عن التضامن من جانب القوى الوطنية التقدمية في الوطن العربي .

وتواجه القوى الوطنية والتقدمية في اليمن الشمالية في الوقت الحاضر ، مهمة توحيد الجهود والعمل على اقامة الجبهة الوطنية الديمقراطية التي تضم جميع القوى الوطنية الديمقراطية في الساحة اليمنية ، كما تعمل جاهدة على تعزيز الروابط والعلاقات مع كافة قوى التحرر والتقدم في الوطن العربي .

وتركز القوى الوطنية والديمقراطية على تحقيق المطالب التالية :

١ ـ تصفية النفوذ الاجنبي الامبريالي والرجعي وتحقيق السيادة الوطنية وتعزيز الاستقلال في الشطر الشمالي من اليمن .

٢ ـ اطلاق الحريات الديمقراطية السياسية والنقابية والافراج عن جميع المعتقلين الوطنيين ، وايقاف العمليات العسكرية على الفلاحين ، واصدار العفو العام وانهاء حالة الطوارىء وايقاف التحقيقات القوى والشخصيات الوطنية والديمقراطية .

٣ ـ تحقيق الاصلاحات الديمقراطية في المجال الاقتصادي والاداري وفي مجال الخدمات العامة ، وبمكافحة الغلاء والرشوة والبطالة وحماية مصالح العمال والفلاحين وجميع الفئات الكادحة .

٤ ـ تعزيز الهوية الوطنية للقوات المسلحة بعيدا عن الولاءات القبلية والشخصية واشراكها في عمليات التطوير والبناء ، وربط دورها بدور القوى الشعبية المتفاعلة من اجل بناء جيش ديمقراطي موحد .

٥ ـ اقامة حكومة وطنية في الشطر الشمالي من اليمن ، تمثل فيها كافة القوى والشخصيات الوطنية لتقوم بتحقيق هذه المطالب .

٦ ـ العمل من أجل تصحيح وتطوير الاوضاع الادارية والمالية ، وابعاد العناصر الظلامية بمصالح الشعب وامكانياته والعمل على ايجاد اجهزة الدولة الحديثة ، وحل ازمة العجز المالي بتنمية الموارد المحلية وضبط المصروفات العامة ووضع خطط للتنمية الاقتصادية .

٧ ـ دعم النظام الوطني الديمقراطي في الشطر الجنوبي من اليمن ، والعمل على تحقيق الوحدة اليمنية بين قطري اليمن بطرق سلمية وديمقراطية ، وعلى اساس تحقيد اتفاقية القاهرة وبيان طرابلس .

٨ ـ انتهاج سياسة وطنية متحررة معادية للامبريالية والصهيونية والرجعية ، ومتضامنة مع قوى التحرر والتقدم في الجزائر العربي والدولي .

● الوطن العربي ●

اقتراح بناء من عبد الله الطريقي

قدم الاستاذ عبد الله الطريقي وزير البترول السابق بالمملكة العربية السعودية ، والشهير بعدائه العاتي في الشئون البترولية ،اقتراحا هاما لتنظيم الاستفادة من فوائض عوائد النفط لمساعدة مصر والبلاد العربية والاسلامية الاخرى ، ويلدان العالم الثالث التي تعتاج الى العون .

وقد ورد هذا الاقتراح في مقال للاستاذ الطريقي بالعدد الخامس (فبراير ١٩٧٥) من مجلة « نفط العرب» التي يصدرها مكتبه للاستشارات النفطية .

وقال الاستاذ الطريقي في هذا المقال « ان اهل النفط ينظرون الى اهل البلاد العربية الاخرى على انهم اخوان لهم ويريدون مساعدتهم ولكنهم لا يقتنعون تماما بمشروعات كافية تتناسب ومقدار الفرص المتاحة لهم لمساعدة اخوانهم وانفسهم في هذه الفترة الحرجة من حياة كل انسان عربي .

واهل النفط مستعدون لاخذ بضع مئات من ملايين الدولارات الى البلاد العربية كعنصر لاقامة بعض المشاريع الانتاجية التي يمكن اعتبارها من المرافق العامة التي لا يمكن ان تدر ربحا جزيا على اصحابها ، وربما تتعرض للخسارة ، اهم الضياع لانها تقام في بلد فقير مخاطرة حكومته ان تحدد الاسعار والاجور ، وهذه المشاريع تشمل بناء المساكن الشعبية والفنادق ، وبعض المصانع

كالاسمنت والزجاج ... كما ان أهل النفط يريدون اقامة صناعات بسيطة في بلد متطور فقير . ويريدون أن تضمن الحكومة المحلية ربحا صافيا على رأس مالهم الموظف ، لا يقل عما يمكن ان يحققه رأسمالهم لو كان قد وظف في فرنسا ، أو انجلترا مثلا . وهذا أيضا أمر صعب التحقيق في بلد متطور كمصر تحاول حكومته الحفاظ على الاسعار في مستوى منخفض ورفع مستوى المعيشة بقدر الامكان وهكذا يستمر حوار « الطرشان » بعيدا كل البعد عن القضية الاصلية لانه يدور بين رأس المال الخاص في بلاد النفط ، والقطاع العام في مصر وسوريا والسودان وغيرها من البلاد العربية .

وأضاف عبدالله الطريقي قائلا : « وأرجو الا يؤخذ هذا الكلام على انه انكار للمجهودات الطيبة التي يقوم بها بعض القادة العرب كجلالة الملك فيصل ؟ وسمو أمير الكويت ، ورئيس الامارات العربية المتحدة ، والرئيس القذافي ، والرئيس بومدين ، ولكن ما نريد أن نؤكده فهو أن المساعدات الفردية مهما كبرت لا تكفي . وهي مثل من يحاول علاج مرضى السرطان بالاسبرين . حقيقة بأن هذه المساعدات قد تخفف بعض الالم ، ولكن الموت حتما حاصل » .

وقال الطريقي « ان الفكرة التي ذكرها الرئيس انور السادات في تصريحه لجريدة الانوار اللبنانية من ان العرب بحاجة ملحة لمشروع انماء وتعمير كمشروع مارشال الذي اقامته الولايات المتحدة الامريكية لانقاذ اوروبا من حالة التدمير والخراب مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية، انما هي فكرة عظيمة ، والعرب بأشد الحاجة اليها » .

وقال الطريقي : « أن ما يريده العرب فعلا فهو توظيف الاف الملايين في بلادهم ، لا اعطائهم هبات ومساعدات لان الهبات والمساعدات مهما كثرت لا تحل كل مشاكلهم . وأقامة مشروع مارشال عربي ينشأ من اجله صندوق عربي واحد يسمى « الصندوق العربي الدولي للانشاء والتعمير » ، تجمع فيه جميع الفوائض العربية من دول النفط الصغيرة ، ذات العوائد الكبيرة ، ونعني بها الكويت ، والمملكة العربية السعودية ، وقطر ، ودولة الامارات العربية في منطقة الخليج والجمهورية العربية الليبية في الشمال العربي الافريقي . ومن هذا الصندوق يجب أن تسدد جميع الديون التي على دول المجابهة ، كالديون التي للاتحاد السوفيتي على مصر وسوريا . فليس من المعقول ان نقول للروس انتم مقصرون في أمدادنا بالاسلحة ولهم في ذمة مصر وحدها خمسة الاف مليون دولار . يجب تحرير مصر من الديون أولا قبل محاسبة الاتحاد السوفيتي على تقصيره ، فهذه الدولة العظيمة وقفت معنا مواقف لايمكن لعربي حر الا الاعتراف بها وشكرها عليها . ومن المؤلم أن من بين البلاد التي تهجر اليها اموالنا ، الولايات المتحدة الامريكية ، التي اعطت اسلحتها المتقدمة ،اسلحتنا في سيناء والجولان ومنعت جيوشنا من تحرير أرضنا في حرب رمضان » .

وأوضح الشيخ عبدالله الطريقي وجهة نظره فقال في ختام مقاله : « أن اقامة صندوق عربي واحد تجمع فيه جميع فوائض عوائد النفط العربي هو حدث كبير في تاريخ امتنا ، ويمكن أن يشمل نشاط هذا الصندوق ، لا المنطقة العربية وحدها ، بل كل الدول الاسلامية التي لا شك أن لها حقا معلوما في فوائض النفط عندنا . وبعد أن نعمر بلاد الاخوة والاقرباء ، علينا واجب المسلم على أخيه المسلم . فباكستان ومسلمو الهند وبنجلاديش ، والشعوب الاسلامية الفقيرة في افريقيا وآسيا ، والشعوب الاخرى من بلاد المعسكر الثالث كلها نستطيع مساعدتها على أساس أننا سنضع في صندوق الانشاء والتعمير العربي الدولي ما يعادل اربعين الف مليون دولار كل عام، وهذا هو المبلغ الذي قدرت به فوائض الدول العربية من عوائد النفط في عام ١٩٧٤ ، اى ما يعادل ٤٠ بليون دولار » .

« ان هذه البلايين قد وضعت الان في مصارف اوروبا وأمريكا واليابان ، وهذه العملية ستتكرر كل عام اذا لم تقم مشروع مارشال العربي . وصندوق الانشاء والتعمير العربي الدولي . ان الاوروبيين والامريكيين يجتمعون على أعلى المستويات ليتفقوا على الطريقة التي تصرف بها أموالنا . فلماذا لا نجتمع نحن ونقرر الطريقة التي تصرف بها هذه الاموال لمصلحة العرب والمسلمين والشعوب الاخرى في معسكر عدم الانحياز أو دول المعسكر الثالث الفقيرة » .

○

● قبرص ●

قاعـــدة تجســس أمريكية على الدول العربية

منذ اسابيع قليلة ، أذاعت وكالة اسوشيتد بريس الامريكية برقية لمراسلها في نيقوسيا ، قالت فيها ان القاعدة الجوية البريطانية المقامة في اكروتيري بجنوب قبرص يجري استخدامها بواسطة طائرات التجسس الامريكية الشهيرة من طراز « ى ـ ٢ » لكشف مواقع

وقالت الوكالة الامريكية ان السفارة الامريكية في نيقوسيا ، أصدرت بيانا أعلنت فيه ان عمليات التجسس الجوي هذه على البلاد العربية تتم بعلم حكومة قبرص [حكومة الرئيس مكاريوس] ، وبعلم السلطات العسكرية البريطانية ، وبعلم اسرائيل .

لقد قال بيان السفارة الامريكية بالحرف : « ان هذا النوع من النشاط ذو طبيعة مفتوحة ، وهو معروف لجميع الحكومات المعنية بما فيها حكومة قبرص » .

وقد جاء اكتشاف وجود طائرات التجسس هذه في القاعدة البريطانية قبل ذلك بأيام قليلة ، عندما ألقي القبض بطريق الصدفة على أربعة من رجال السلاح الجوي الامريكي وهم بالملابس المدنية اثناء التقاطهم صورا لمواقع الحرس الوطني القبرصي اليوناني في نيقوسيا . لقد اعتقد البوليس القبرصي في البداية انهم يتجسسون على المواقع العسكرية للقبارصة اليونانيين لحساب القبارصة الاتراك أو القوات التركية ، ولكن التحقيق مع هؤلاء الجنود الامريكيين الاربعة ، كشف عن التفاصيل الحقيقية لعمليات التجسس التي تقوم بها طائرات « ى ـ ٢ » الامريكية على مواقع الدول العربية .

ومن هذه التفاصيل ، نكشف ان حكومة الرئيس ... وفي احدى فترات عدم الانحياز ... قد سمحت لطائرات التجسس الامريكية وأن تحط وتقلع فوقها في قاعدة جوية لإجراء حكومة ماكاريوس للقوات البريطانية ، وان هذا الامر قد احيط بسرية حتى لا يسبب احراجا للحكومة القبرصية .

والمعروف ان طائرات « ي ـ ٢ » هذه تحلق على ارتفاعات شاهقة تصعلها بمأمن من مدى نيران المدفعية أو الصواريخ المضادة للطائرات فلا تستطيع الوصول اليها ، وقد سبق استخدامها للتجسس فوق اراضي الاتحاد السوفياتي ، ولكن وسائل الدفاع الجوي السوفياتي تمكنت من اسقاط احدى هذه الطائرات في مايو عام ١٩٦٠ ، حيث كانت تصور المواقع السوفياتية من ارتفاعات شاهقة ، وقد اتضح ان هذه الطائرات قامت من احدى القواعد الامريكية في ايران ، وانها كانت متجهة الى قاعدة قيادة الحلف الاطلنطي في النرويج ، حيث كان من المقرر أن تقلع في أراضي الاتحاد السوفياتي من الجنوب الى الشمال .. ومع استخدام طائرة التجسس الامريكية تمكنت المخابرات السوفياتية من الامساك بتلابيب ما وتحته الى المحاكمة ، واعترف انه كان يقوم بعملية تجسس جوية بطلبات من وكالة المخابرات المركزية الامريكية .

ان القوات البريطانية في قبرص قد استخدمت في عام ١٩٥٦ لمدة اطلق في العدوان الثلاثي على مصر ، وفي حرب يونيو سنة ١٩٦٧ رأى أصدقاء قبرص الطائرات العسكرية الامريكية وهي تهبط الى القواعد البريطانية وتغير طاقمها لكي تعمل الشارة الاسرائيلية وتتجه الى اسرائيل .

لذلك يرى عديد من القبارصة العرب أن من العبث الان بمطالبة حكومة الرئيس القبرصي ماكاريوس لماذا تسمح على اسـتخدام أراضيها في عمليات التجسس جوي على الدول العربية ؟ .. ولماذا تسمح بوجود طائرات تجسس أمريكية في حدد القواعد التي تتمتع امتيازات استقلال قبرص لعام ١٩٦٠ ، بألا تستخدم بها دولة أخرى غير الدولة البريطانية ؟ .. وهل هناك نية لتحويل قاعدة القواعد البريطانية الى قواعد بريطانية ـ امريكية مشتركة أو الى قواعد امريكية صرفة أو الى قواعد عسكرية لحلف الاطلنطي .... ؟

○

● الجزء ●

المؤتمر الحادي عشر للحزب حصـــاد كفـــاح ٣٠ عـــامـــا

بدأ في ١٧ مارس الماضي في بودابست انعقاد المؤتمر الحادي عشر لحزب العمال الاشتراكي المجري بحضور ثلاثين وفدا اجنبيا ، وسكرتيري الاحزاب الشيوعية بدول اوروبا الشرقية فيما عدا رومانيا . وأكد فيه بالتوقيس كادار سكرتير أول الحزب المجرى الدور القيادى للطبقة العاملة وطابع الاستمرار المتواصل الذى تتسم به سياسة الحزب

وقد أثبحت فرصة كبيرة في هذا المؤتمر لاثارة الانتقادات حول مختلف جوانب العمل القومي ، وأعربت سكرتير أول الحزب عن ارتياحه لهذه الانتقادات التي وجهت من على منصة المؤتمر لدرجة انه كان يعتقد الاعتقاد ـ حسبما قال ـ بأن المعارضة هي التي تحسكت وأكد كادر أن هذا منهج طيب .

وقد حضر اوليوفر بريجيليف سكرتير عام الحزب الشيوعي السوفياتي هذا المؤتمر حيث جدد تحذيراته الخاص بعقد مؤتمر القمة الاوروبي في « الاشهر القاتمة » ، والتي تلتقي وجهة النظار السوفياتي الى الفصول الثلاث ، وكان النظار وتذكيره والذي وجهها وترجمة لقرار الدولي الذي اصبح الاتحاد السوفياتي بموجبه ، وفقاسة بالقسمة لحركة التحرر الوطني العالمية .

وبريجيليف ، كان بريجنيف ، عضو المكتب السياسي للحزب يدرك المغزى السياسي ، للانظار ، بنفس المعنى الذي كان يدركه به « مفـــزاه » الاشتراكي باعتباره يعمل رغبة فيرانسال ، حتى عام ١٩٤٧ تقديرا للدور البارز الذي لعبه في الحرب الوطنية العظمى ضد الغزو النازي .

وبريجنيف ، هو واحد من ابرز جيل بناة الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي وصانعيها . وهو واحد من الوجوه التي خرجت بالاتحاد السوفياتي ـ من الفيضانات ـ الى العالم الخارجي .

في ٥ ديسمبر من عام ١٩٠٩ ، انتقاد العدوان الثلاثي على مصر وجه رئيس الوزراء السوفياتي نيكولاي الكسندروفيتش بولجانين ، ٣ رسائل الرؤساء وزراء بريطانيا وفرنسا واسرائيل ، يقول فيها « .. وانما للتفاصل في اي وضع كان يمكن أن نجد فيه انفسنا ، فانها : اذا ماهاجمتنا دول اكثر منها قوة ، تملك كل انواع الاسلحة الفتاكة الحديثة ! علما بأن هذه الايدان ليست مجاملة في الوقت الحالي الى الاوضول الى شواطىء انجلترا اصابيل عربية بعيدة وبعيدة ، بل يكفي ان نستخدم صدمات أخرى ، في على سبيل المثال اسلحة صاروخية » . ثم يقول « ان الحكومة السوفياتية ملزمة العزم على اللجوء الى استخدام القوة لمساعدة المعتدين وانحلال السلام في الشرق » . منذ ذلك الوقت مرت الشعوب العربية ـ وقت الشدة ـ لنبولجانين

فى مجال حديثه عن الكوميكون ، وبرنامج التكامل الاقتصادى الى « اننا ننفذ هذا البرنامج ، وان كان ببطء وليس بصورة سريعة كما كنا نتمنى ، ومع ذلك فان التنفيذ يجرى بدقة وبدون تغيير وبروح من الاستمرار والمتابعة . » واقر بريجنيف بأن الموقف الاقتصادى فى العالم لابد وأن يكون له تأثيره على العالم الاشتراكى نظرا للعلاقات الاقتصادية الواسعة النطاق القائمة بين الدول الاشتراكية والعالم » واضاف : « ان هدفنا يتمثل فى العمل على أن تتجنب اقتصاديات الدول الشقيقة بأقصى درجة ممكنة ، النتائج الضارة التى تترتب على الازمة الاقتصادية فى الدول الراسمالية » .

وقد تناول **بينو فوتشك** رئيس وزراء المجر فى الخطاب الذى القاه سياسة بلاده فى المجال الاقتصادى ، وبشأن الطاقة اكد أن بلاده تهتم حاليا بتنمية انتاجها من الفحم ، واوضح أن مشكلة ارتفاع الاسعار فى السوق العالمية تضطر المجر الى اتخاذ موقف حذر فى العقود التى تبرمها مع الدول الاجنبية حتى لا تنعكس آثار الازمة الحالية على الاهداف الاجتماعية للحزب ، واعرب عن ارتياحه للمعونات السوفيتية للاقتصاد المجرى التى تهدف الى مساعدته على مواجهة ارتفاع الاسعار وذلك فى صورة قروض مالية ، وبضائع تسدد قيمتها خلال ١٠ سنوات ، واعلن فى الختام ضرورة تحقيق تنمية فعالة فيما يتعلق بالتكامل الاقتصادى بين دول الكوميكون .

وقد خصص **بيلابيشكو** سكرتير الحزب كلمته للحديث عن الجانب الايديولوجى ، واوضح أن واجب المؤتمر هو تطوير وتنمية الدور القيادى للطبقة العاملة التى يعتبر الحزب طليعتها ، وتشجيع قيام الوحدة الوثيقة للغاية بين العمال والفلاحين والمثقفين . واضاف أن تفتح وازدهار « سياسة التحالف » هذه ، تستوجب تدعيم الديمقراطية الاشتراكية والتحالف الديموقراطى ، ثم ندد « بمحاولات الكسب السهل التى استشرت بين صفوف الشعب » وطالب بدعم الديمقراطية فى الجمعيات التعاونية والشركات .

وقد عقد فى اطار المؤتمر الحادى عشر للحزب الشيوعى المجرى اجتماع قمة ، ضم بريجنيف السكرتير العام للحزب السوفيتى ، **وهوساك** سكرتير الحزب التشيكوسلوفاكى ، **وجيرك** سكرتير الحزب البولندى **وجيفكوف** سكرتير الحزب البلغارى **ويانوش كادار** سكرتير الحزب المجرى ، **واريك هونيكر** سكرتير الحزب الشيوعى فى المانيا الديموقراطية تبادلوا فيه وجهات النظر بشأن تقدم بناء الاشتراكية والشيوعية فى الدول الشقيقة ودرسوا فيه المسائل المتعلقة بالعيد الثلاثين لسحق الفاشية الهتلرية ، واجروا تحليلا لسلسلة من المشكلات الدولية الحالية ، والمسائل التى تهم الحركة الشيوعية العالمية .

والواقع ان انعقاد المؤتمر الحادى عشر للحزب الشيوعى المجرى فى ذكرى مرور ثلاثين عاما على تحرير المجر من الحكم الفاشى ، كان بالنسبة لعديد من المراقبين السياسيين فرصة لمتابعة انجازات المجر خلال العقود الثلاثة الماضية ، اذ تحولت المجر خلالها من بلد زراعى متخلف الى دولة صناعية عصرية ، وانتقلت الزراعة من الانتاج الصغير الى النمط الاشتراكى لادارة المزارع الكبيرة ، واصبحت المجر اليوم تحتل المرتبة الـ ٢٥ بين بلدان العالم فيما يتعلق بالنمو الاقتصادى ، وتضاعف انتاجها الصناعى ٨ مرات عما كان قبل التحرير . كذلك نجد انه فى الوقت الذى تمثل فيه المجر ٢٦ر٪ من سكان العالم فانها تنتج ٥ر٪ من حجم الانتاج الصناعى العالمى ، وتشغيل ٨ر٪ من حجم التجارة العالمية كذلك يضم القطاع الاشتراكى الان ٩٨٪ من وسائل الانتاج فى الصناعة و٩٧٪ فى الزراعة .

وقد تضاعف الحجم الاجمالى لانتاج صناعتى المواصلات والعدد والادوات ما بين ٢٨ و٣٠ مرة عما كان عليه منذ ٢٥ عاما وتضاعف الانتاج الصناعى ككل ست مرات بالنسبة لما كان عليه سنة ١٩٥٠ وانتاج الفحم الذى كان لا يتجاوز من ٦ ــ ٧ مليون طن قبل الحرب ، وصل تدريجيا الى اكثر من ٣٠ مليون طن .

منهجا دراسيا مركزا . وفى ١٩٣١ فاز فى الانتخابات **كرئيس لمجلس سوفيت موسكو** ، حيث حقق نجاحا ملحوظا ففاز **بوسام لينين** . وفى ١٩٣٨ عين مديرا لبنك الدولة ، ثم نائبا لرئيس الوزراء بعد أن انتخب عضوا باللجنة المركزية للحزب

ورغم انه لم يكن من العسكريين المحترفين ، الا انه اظهر كفاءة عالية «كقوميسير» فى المجلس العسكرى للجبهة الغربية . ثم فى المجلس العسكرى لجبهة البلطيق الثانية ، ورقى فى ١٩٤٢ الى رتبة « الجنرال » . وفى ١٩٤٤ استدعى الى موسكو حيث عين عضوا فى لجنة الدولة للدفاع [التى تولت مسئولية الدفاع عن البلاد اثناء الحرب] ثم رقى الى رتبة « **مارشال** » واصبح نائبا لوزير الدفاع [ستالين]

لعب بولجانين دورا كبيرا فى مواجهة موسكو .

وبعد وفاة ستالين [مارس ١٩٥٣] لعب بولجانين دورا كبيرا فى مواجهة بيريا ، واصبح وزيرا للدفاع السوفيتى فى وزارة مالنكوف ، ثم اصبح فى ٨ فبراير ١٩٥٥ رئيسا لوزراء الاتحاد السوفيتى .

وبعد المؤتمر العشرين للحزب [١٩٥٦] اشتد الصراع داخل الحزب وخاصة عام ١٩٥٧ حين اتجه **نيكيتا خروشوف** السكرتير العام للحزب الى تصفية الخلافات مع يوغوسلافيا . وفى مارس ١٩٥٨ اعتزل الوزارة ، ووجه « نقدا ذاتيا » أمام اللجنة المركزية للحزب لانضمامه الى « المجموعة المناهضة للحزب » التى اعفيت من عضو اللجنة المركزية وهى :

[مالنكوف وكاجانوفتش ومولوتوف وشبيلوف]

وتولى منصب مدير بنك الدولة مرة أخرى . وفى نوفمبر ١٩٥٨ ، اعفى من عضوية اللجنة المركزية ، واحيل فى مارس ١٩٦٠ الى المعاش .

ثم توفى فى ٢٤ فبراير ١٩٧٥ عن ٨٠ عاما .

كذلك بلغت صناعة الصلب فى المجر حجما كبيرا حيث وصل الانتاج فى عام ١٩٧٤ الى ٣,٢ مليون طن ، كذلك أصبح الحجم الاجمالى لانتاج الآلات اليوم ١٠ أضعافه قبل ٢٥ عاما .

الا ان هناك نواحى عديدة تفوقت بارزة ، فانتاج صناعة المواصلات والاجهزة الفراغية تضاعف ٢٥ مرة ، وصناعة العدد والادوات تضاعفت ٣٠ مرة ، وفى عام ١٩٧٤ انتج مصنع ايكاروس ٨٠٠٠ عربة اتوبيس ، ومن المنتظر أن يرتفع الرقم الى ١٥ — ١٢ الفا فى ١٩٧٦ — ١٩٧٧ . ولقد أصبحت مصانع ايكاروس الآن من أكبر مصانع الاتوبيسات فى العالم .

وسجلت الصناعات الكيماوية الرقم القياسى فى سرعة الانطلاق ، فمن عام ١٩٧٤ كان انتاجها يعادل ٢٣ ضعف انتاجها فى ١٩٥٠ ، كذلك بلغ انتاج صناعة الادوية ٩٠ ضعف انتاجها فى ١٩٥٠ ، وبلغ انتاج السماد هذا العام ٣ مليون طن ، وتضاعف انتاج الاقمشة ٨ مرات ، والورق اكثر من ٧ مرات ، والطباعة ٥ مرات ، والنسيج ٣ مرات ونصف ، والملابس اكثر من ٨ مرات بالنسبة لانتاجها فى عام ١٩٥٠ .

○

● البرتغال ●

«وعزفت «جراندولا» من جديد

فى ٢٥ أبريل ١٩٧٥ ، وعندما حدثت الانتفاضة الثورية فى القوات المسلحة البرتغالية ، كانت اذاعة اغنية «جراندولا موريا» هى الشارة البدء .

وبعد ذلك الحين وأغنية « جراندولا » تتردد فى كل مكان كرمز للثورة ..

وفى ١٢ مارس ١٩٧٥ ، وقعت محاولة انقلاب رجعى بزعامة « سبينولا » ، وقد انضمت الى هذه المحاولة الرجعية مجموعة من المظليين وأخرى من الطيران ، تحركت لتطلق نيران مدافعها الرشاشة وقاتى تقابلها على ثكنات كبيرة عدمية « والية للثورة وحروف منها أنها أكثر الثكنات انحيازا لليسار ويالتحديد للحزب الشيوعى .

والتقت طائرتان صديقتان من طراز دوربير تحاول مقاومة للانزلاد على ثكنات تمس الكتيبة .

وفى نفس الوقت كانت مجموعة أخرى من المتمردين تقصر قلعة الحرس الجمهورى فى مقر قيادة كارمو بوسط لشبونة وهو أيضا من القادة المحرومين بولائهم التام للثورة .. بينما ثابت مجموعة ثالثة بمطار مطار لشبونة ..

وعلى الفور انطلقت ألوف المواطنين الى الشوارع يتجمون للمارسين ويهتفون «للشعب مع القوات» ، «للشعب مع حركة القوات المسلحة» .

ووزعت عليهم مخلفات تحمل جنود الحرس الجمهورى الذين استطاعوا ابتلال تآمرهم من أيدى المتمردين بمخالفات حزبية « الحرش الجمهورى مع الشعب ومع الديمقراطية » واعلنت لرجاء لشبونة بأصواتهم ملايين أنفجر تتغنى فى صوت واحد أغنية « جراندولا ضيلا موريا » .

عام يفصل بين الحادثين ، أو أقل من عام بقليل ، والفارق ليس كبيرا نحسب ، ليس مجرد انه فى المرة الاولى رد الافعنية عدة بمئات من الجنود والضباط الثوريين ، وفى المرة الثانية كانت الملايين تدفع لحمى الثورة وتقيم المتاريس فى الشوارع وتهتف « للشعب مع حركة القوات المسلحة » .

عام يفصل بين الحادثين ، وكما قال أحد المراقبين ٢٥ ابريل ١٩٧٤ كان انقلابا عسكريا .. أما ١١ مارس ١٩٧٥ فهو رد شعبى لثورة ناضجة ضد انقلاب رجعى ، انه الفارق بين الانقلاب والثورة .

والحقيقة أن الامور تسير فى البرتغال عبر منعطفات دقيقة وبالغة التعقيد بالطبع القائم بين حركة القوات المسلحة» و « الحزب الشيوعى » و « الحزب الاشتراكى » يفرض لاحترازات حثيثة ، وكبار الملاك والرأسماليون ورجال الكنيسة يراهنون الآن على «الحزب الاشتراكى» ويحاولون للوزيعة بين أطراف الحلف ..

ويقول كان الاستعداد يجرى للانتخابات البرلمانية القادمة عقد الحزب الشيوعى مؤتمره استطاعا لعدد من الندوات الهائلة الاهمية من بينها لقاء برلمانى للمرحلة ، ومطالب محددة بشأن الانتخابات والحقيقة أن مراجعة المطالب تكفى لايضاح مدى الصعوبات والمشاكل التى يتعرض لها الحلف الحاكم .. فالشيوعيون يلحون فى وثائق المؤتمر الاستثنائى الى نوع من الحوار المستمر بين بعض الرجعيين وبعض عناصر الحزب الاشتراكى ، ويلحون أن كوادرهم لم تزل ممنوعة من الوصول الى بعض المصانع ، والى أن الاعتصامات غير دقيقة ، وأن هناك تعمدا لتزييفها ومن هنا تأتهم بطالبون بتدخل فسعديد فى عملية الانتخابات قبل الخروج فيها وذلك حتى لا تكون مغلوا « غير مشروع » لاستحواذ البعض على أحد من السلطة لا يستحقه ..

والبرنامج الذى طرحه مؤتمر الحزب الشيوعى برنامج حرن وتكتيكى أنه لا يطالب مثلا بمصادرة أراضى الاقطاعيين وانما يكتفى بالمطالبة بتحسين أحوال الفلاحين وحتى الاراضى « الحراجية » فانه يطالب باستغلاله المظليين فيها ليتزود الاسلوب الامثل لاستغلالها ..

ويركز البرنامج على أهمية توحيد القوى السياسية وعلى ضرورة سوق هذا الحلف باعتباره ركيزة العمل الثورى فى مجابهة الاعداء وهم كثيرون ..

والمع البرنامج على أهمية تشكيل اتحاد عمالى واحد» الامر الذى يعترف البعض معارضة قوية شديدة أن يسيطر للشيوعيون على كتلة عمالية وفلاحية تضم مليونى عامل

وعامل زراعى . والاشتراكيون هم أيضا يعارضون النقابات الموحدة ويقول زعيمهم سنيدا بقوية موحدة للذين يحاربه يوجد » .

وعندما اجتمعت الامور نحو تأسيس الاتحاد العمالى الموحد كانت الازمة على وشك الانفجار ، وتطور الصراع الى ازمة كاملة حينما قررت الحركة تحويل نفسها الى قوة سياسية دائمة .

وفى أوائل مارس طالب الجناح اليمينى بمنطقة العناصر اليسارية فى لجنة التنسيق العسكرية والتى تتكون من ستة أشخاص جرى انتخابهم من مؤتمر حركة القوات المسلحة الـ ٢٠٠ ، بضبط « ٨

ومرة أخرى يفشل اليمين فلا يجد سوى التآمر ، ولان اليمين معزول ، ولان الحكم الثورى يتمتع بتأييد الغالبية الساحقة من القوات المسلحة الامر الذى يصعب معه تحريك أية قوات ضد الثورة ، فان عددا من الضباط اليمينيين من فرقة المظلات خدعوا جنودهم وأوهموهم انهم يهاجمون « ثكنة » متمردة على الثورة ..

وانطلق الرصاص .. ومن الجانب الاخر انطلق رصاص مضاد وانطلقت معه أغنية « جراندولا » وهنا ادرك جنود المظلات انهم قد خدعوا .. وانتهى الانقلاب ، ووجه الجنرال أوتيلوساريفا دوكارفالو الحاكم العسكرى للشبونة رسالة الى الشعب البرتغالى قال فيها « ان التحالف بين الشعب والقوات المسلحة سيثبت الان كما اثبت دائما ان الثورة لا رجعة فيها » .

ومن ناحية أخرى أعلن متحدث رسمى باسم الحكومة « ان تطورات اليوم ستكون انتصارا آخر للحكومة البرتغالية يمكن عن طريقه القاء الضوء على كثير من الامور التى لم تكن واضحة حتى الان ، ونحن نعتقد أن يوم ١١ مارس سيقدم لنا الايضاح » .

وهكذا فان انقلاب اليمين قد حدد الحدود الفاصلة ووضع القوات الثورية فى مجابهة مسئولياتها .. سبينولا رمز اليمين يهرب الى اسبانيا ومنها الى البرازيل ، والحكومة تصدر بيانا تتهم فيه اسبانيا بالتواطؤ مع المتآمرين ، وتشير الى دور السفير الامريكى قائلة « انها ترحب باستدعاء السفير الامريكى الى بلاده .. »

ويحكم يسار القوات المسلحة قبضته على السلطة ، ويتشكل مجلس جديد للثورة يعلن فى مرسوم تشكيله حل مجلس الدولة وحل المجلس العسكرى للخلاص الوطنى .. وبرغم ان احدا لم يعرف بعد اسماء اعضاء مجلس الثورة [٢٤ عضوا] الا ان اتجاهه قد اتضح من أول قرار أصدره وهو تأميم البنوك البرتغالية باستثناء أفرع البنوك الاجنبية ..

[وتقدر ثروات هذه البنوك بـ ١٥٠ مليار ايسكوديس]

ويرى المراقبون أن قرار التأميم هذا يعنى تغيير التركيب الاقتصادى فى البلاد تغييرا جذريا ذلك أن البنوك البرتغالية تهيمن على معظم الصناعة فى البلاد .. وفى نفس الوقت يلاحظ المراقبون انه ومنذ أحبطت محاولة الانقلاب بدأت حركة القوات المسلحة تعلن ضرورة ضرب الرأسماليين الذين تواطأوا مع العناصر المضادة للثورة ، كما جرى اعتقال الكثيرين من أبناء الاسر الثرية ذات النفوذ الكبير فى مجالات المصارف والصناعة .. كذلك فقد أعلن أن الحكومة تفكر فى تأميم شركات التأميم .

مرة أخرى ١١ مارس علامة طريق .. حدود فاصلة اليمين يتآمر ، يطعن من الخلف ، والجماهير ، العمال والفلاحون ينطلقون الى الشوارع بصدور عالية ينشدون « جراندولا » .. اليمين يتآمر والشعب يحمى الثورة .. ولابد لذلك من ان يترك اثره على توازنات القوى ومستقبل الاحداث ، وعندما يبدأ نظام ثورى بحق فى الصدام مع البرجوازية .. وفى التأميمات ، فان الطريق يظل على الدوام مفتوحا لاحتمالات كثيرة ، أحد اطرافها مزيد من العمل الثورى ضد اليمين ، والطرف الاخر مزيد من التآمر .

لكن المؤكد انه مع كل تقدم جديد على طريق الثورة فان أية مؤامرة يمينية جديدة سوف تواجه بمزيد من الملايين تسد الطريق بصدورها أمام المؤامرة .. وهى تردد فى فخار « جراندولا فيلا مورينا » .

● الهند الصينية ●

تجربة « العجز الأمريكى » فى الشـــــرق الأقصى

لا يزال اكبر وزيرين فى حكومة الرئيس الامريكى فورد — وهما هنرى كيسنجر وزير الخارجية ، وجيمس شليزنجر وزير الدفاع — يريان أن الحكومة الامريكية يجب أن تقدم معونات عسكرية اضافية الى حكومتى سايجون وبنوم بنه ، لكى يمكن لهما الاستمرار فى مواجهة اعصار الثوار الى أن تتمكن السلطات الامريكية — بوسيلة ما — من الوصول الى تسوية لانقاذ ماء الوجه . وذلك فى حين ان اغلبية أعضاء الكونجرس الامريكى تعارض تقديم مثل هذه المعونات ، لانها ترى انها لن تقدم ولن تؤخر ، وان سقوط حكومتى سايجون وبنوم بنه اليوم لن يختلف عن سقوطهما بعد أيام أو أسابيع .

وحتى كتابة هذا التقرير ، كان هناك خلاف حاد فى الرأى ، احدثته حرب الشرق الاقصى بين المسئولين الامريكيين ، حيث يقول البعض ، ومنهم الاعضاء البارزون فى الحكومة ، ان « الموقف المتدهور » فى الهند الصينية سيؤثر على الموقف الاستراتيجى للولايات المتحدة فى العالم كله ، فى حين يرى عدد آخر من المسئولين ، بينهم اغلبية أعضاء الكونجرس ، ان من الممكن ان تعترف أمريكا بهزيمتها فى الشرق الاقصى مع الاحتفاظ بنفوذها فى سائر أرجاء العالم الاخرى التى تعتبرها منطقة نفوذ لها .

وفى حين يواصل الثوار انتصاراتهم فى كمبوديا وفيتنام الجنوبية ، حيث تحمل لنا الانباء كل يوم سقوط مدينة أو « موقع حصين » فى أيديهم .. فان رجلا مثل شليزنجر يعلق على ذلك قائلا : « منذ بضع سنوات كان هناك أولئك الذين يبدون القلق على ما يسمونه أسطورة قوة أمريكا التى لا تقهر .. والان فاننا نواجه ادراك أن هناك ما يسمى العجز الامريكى ، ولست واثقا من أن هذا التغيير هو الى الاحسن » .

وقد قال دبلوماسى فى دولة متحالفة تحالفا وثيقا مع الولايات المتحدة [رفض ان يذكر اسمه ، ونقلت تصريحاته وكالات الانباء الامريكية] : « اننا الان نرى تهديدا — من داخل الولايات المتحدة — لمصالح الولايات المتحدة ، والذى يحدث الان ليس له مثيل فى التاريخ منذ الانعزال الامريكى فى بداية العشرينات » . وأضاف هذا الدبلوماسى قائلا : « بالنسبة لموقف الولايات المتحدة فى جنوب شرق آسيا ، فانه كارثة ، واذا استمرت معالجة الساسة الامريكيين للموقف على النحو الحالى فسيؤدى الامر الى كارثة عالمية » .

ورغم ان حكومة لون نول فى بنوم بنه لم تسقط حتى اعداد هذا التقرير .. فقد أشارت آخر الانباء الى انه يحزم امتعته استعدادا للرحيل ، بينما تتكرر الدعوات الى الامير نوردوم سيهانوك الرئيس الشرعى لكمبوديا — والذى يعيش فى بكين الان — للعودة الى بلاده التى أخرجته منها المخابرات الامريكية فى الانقلاب الذى دبرته ضده منذ خمس سنوات .

وبينما يتضح ، حتى كتابة هذا التقرير ، فشل الجهود الامريكية فى الشرق الاوسط ، تبدو فى الافق خيوط الهزائم المطردة للسياسة الامريكية الخارجية ، وانهيار النفوذ الامريكى فى كل من البرتغال واليونان وتركيا وقبرص .

أوراق كيسنجر

هذه « الاوراق » ، جزء من مجموعة « الوثائق السياسية » التى صدرت اخيرا عن وزارة الخارجية الامريكية بشأن الشرق الاوسط .

وقامت الوزارة الامريكية بترجمتها ، فى لبنان ، الى اللغة العربية ، وسمحت بتداول محدود لها . وذلك تحت اسم « الحوار العربى — الامريكى منذ حرب اكتوبر » .

وقد لفت نظرنا فى هذه الوثائق ، مجموعة الاوراق الخاصة بالدكتور هنرى كيسنجر وزير الخارجية . فهى تكشف بقدر غير قليل من الوضوح عن افكاره ومواقفه واساليبه فى العمل الدبلوماسى ازاء القضية العربية.

ورأينا ان ننشر هذه الاوراق بنصها العربى ، المترجم بلبنان ، باعتبار ان هذه الترجمة قد اعتمدت رسميا من جانب الخارجية الامريكية.

والاوراق تضم :

① النص الكامل للمؤتمر الصحفى الذى عقده كيسنجر فى واشنطون يوم ٢٥ اكتوبر ١٩٧٣ ، غداة حرب اكتوبر وبعد سفره العاجل الى موسكو للاتفاق على مشروع قرار موحد يصدر عن مجلس الامن يوقف اطلاق النار .

■ هنري كيسنجر يودع بحفاوة بالغة عند وصوله الى مصر الامم المتحدة بجنيف لحضور مؤتمر السلام الخاص بأزمة الشرق الأوسط يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٧٣ .

٩

② الكلمتان المتبادلتان بين الدكتور هنرى كيسنجر والسيد اسماعيل فهمى وزير الخارجية المصرى فى مأدبة العشاء التى اقيمت بوزارة الخارجية الامريكية بواشنطون تكريما لوزير الخارجية المصرى فى ١٥ اغسطس ١٩٧٤ .

③ الكلمتان المتبادلتان بين الدكتور هنرى كيسنجر والسيد عبد الحليم خدام وزير الخارجية السورى فى مأدبة العشاء التى اقيمت بوزارة الخارجية الامريكية بواشنطون تكريما لوزير الخارجية السورى فى ٢٤ اغسطس ١٩٧٤ .

④ الكلمتان المتبادلتان بين الدكتور هنرى كيسنجر والمرحوم عمر السقاف وزير الدولة السعودى للشئون الخارجية فى مأدبة العشاء التى اقيمت بوزارة الخارجية الامريكية بواشنطون تكريما لوزير الخارجية السعودى فى ٢٩ اغسطس ١٩٧٤ .

⑤ الخطاب الذى القاه كيسنجر امام الجمعية العامة للامم المتحدة فى ٢٣ سبتمبر ١٩٧٤ ، وكشف فيه ، لاول مرة ، عن الازمة الاقتصادية التى تعانيها الولايات المتحدة الامريكية واتصالها بمشاكل التضخم والطاقة والغذاء ، فى العالم . ومحاولاته لتصدير هذه الازمة الى البلاد النامية باسم السلام العالمى والارخاء الدولى .

[١] مؤتمر كيسنجر

عن حرب أكتوبر

[واشنطن ــ ٢٥ أكتوبر ١٩٧٣]

سيداتى سادتى !!

اعتقد ان ابعد تقديم لاستلكم عن احداث ملخص للاحداث التى جرت بين السادس من تشرين الاول واليوم ، كى تتمكنوا من تقييم اجراءاتنا والوضع الذى تجد انفسنا فيه ومستقبلنا القريب .

بدأت الازمة بالنسبة الينا الساعة السادسة من صباح السادس من تشرين الاول ، عندما اوقفت من نومى بمعلومات تفيد ان حربا عربية ــ اسرائيلية اخرى توشك ان تندلع ، وانا اذكر هذا التفصيل الشخصى لانه يجيب من السؤال القائل ان تعطل الولايات المتحدة منع اصرائيل من القيام باجراء استباقى . ان الولايات المتحدة لم تقم باى مسعى لدى اى من الجانبين قبل السادس من تشرين الاول ، لان جميع معلومات الاستخبارات التى تلقت فى هرزلبا وجميع المعلومات التى اعطيت الينا ، من قبل دول اجنبية ، ارجحت بانه ليس هناك احتمال بالتدلاع حرب . ولم يكن لدينا اى سبب لاعتداد اية نصيحة لاى من المشتركين فى القتال، لاننا لم نعتقد ــ وبامكانى ان اقول ، ان الحكومة الاسرائيلية لم تعتقد ايضا ــ ان حربا كان وشيكا .

فى غضون الساعات الثلاث بين السادسة والتاسعة صباحا ، بذلنا جهودا كبيرة لمنع اندلاع الحرب من طريق العمل كوسيط بين الطرفين مؤكدين لكل واحد منهما ، أن الطرف الاخر يحاول الحصول على ضمانة بأن الجانب الاخر ليست لديه نية عدوانية .

ولكن قبل ان يصبح بالامكان لنجازا هذه المسعى ، كانت الحرب قد بدأت . ولا احتقد ان اية غاية مفيدة تخدم باستخدام اى كل حماك ديلوماسى فوريى ، ولكن اعتقد انه من المفيد الاشارة الى بعض المبادىء الاساسية التى حاولنا ان نتبعها :

خلوال الازمة كان الرئيس مقتنعا بان لدينا شخيين رئيسيين هما اولا ، انهاء الحرب باسرع وقت ممكن ، ثانيا ، انهاء الحرب بطريقة من شأنها ان تهيىء فرصا لصانعنا على القيام بمساعة رئيسية لازالة الاوضاع التى ولدت اربع حروب بين العرب والاسرائيليين فى الشرق الاوسط والعشرين سنة الماضية .

لقد كنا ندرك ان هناك عدة اطراف مهمة وبالموضوع ، هناك بالطبع المشتركون فى النزاع ــ مصر وسوريا من جهة العرب ، ساعدهما دول عربية عديدة ، واسرائيل من الجهة الاخرى ، وكان هناك الاتحاد السوفييتى ، وكان هناك الاعضاء الدائمون الاخرون فى مجلس الامن ، وبالطبع كانت هناك الولايات المتحدة .

وكان رأينا ، أن الولايات المتحدة تستطيع أن تكون فعالة جدا فى كلتا المهمتين اللتين اعتقدنا الرئيس ــ انهاء الحرب ، وكذلك القيام بمساعة لتحقيق سلام دائم فى الشرق الاوسط ــ اذا تصرفنا بطريقة تستطيع فيها أن تبقى على اتصال دائم مع جميع هذه الخاطمين فى المحادثة .

وخلوال الاسبوع الاول حاولنا أن نبلور اجماعا فى الرأى فى مجلس الامن ، من شأنه أن يعطى وقف اطلاق نار بشروط ، باستخدام الاسرة العالمية أن تدعمها . وقد أعلنا عن مبادئنا الاساسية فى الثامن من تشرين الاول . ولحن لم نطرحها كتصويت رسمى لاننا أدركنا أنه ما من اغلبية كانت متوافرة . ولم لكن نريد أن يتم تحديد الجهات بصورة مسبقة للأوان . وفى الحادى من تشرين الاول ، بدا الاتحاد السوفييتى يشعر الاسلحة بطريق الجو بصورة معتدلة فى حد ما ، فى بادىء الامر ، ولكنها ما لبثت أن بلغت فى الثانى عشر من تشرين الاول مستويات جوهرية .

دعونى اقل كلمة هنا ، حول ملاقاتنا مع الاتحاد السوفييتى ، طوال هذه الأزمة .

وما حاولنا أن نحققه ، أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى هما بالطبع خصمان من الناحية الايديولوجية ، وانى حد ما من الناحية السياسية . ولكن للولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ايضا مسئولية خاصة جدا ، اننا نملك ــ كل واحد منا ــ مخزونات نووية قادرة على ابادة الانسانية ، ولدى كل منا ، واجب خاص تلقائى من أن المواجهات تظل محصورة ضمن حدود لا تهدد الحياة الحضارية . وكلنا مسيدرك ، عاجلا ام آجلا ، ان القضايا التى تهم العالم اليوم ، والقضايا التى يمكن التكهن بها ، لا يبرر الكارثة التى لا نظير لها والتى تشكلها حرب نووية . ولذلك حاولنا فى جميع اتصالاتنا مع الاتحاد السوفييتى ، أن نبقى [هذه الحقيقة] فى أذهاننا . وحاولنا أن نقللها الى وضع لا تغيب فيه عن النظر هذه المصلحة المهيمنة التى تشاركنا فيها الانسانية .

■ كيسنجر يتحدث الى الصحفيين في واشنطن يوم ٢٥ اكتوبر ١٩٧٢ من المفروض التي انه التي اجريه بين العرب واسرائيل

وقد اشرت في خطابه ـ الفيته في مؤتمر السلام على الابعد ـ الى أن هناك حدودا لا يمكننا أن نذهب الى أبعد منها . وقلت اننا سنعارض المحاولة التي تقوم بها أية دولة لتحقيق وضع من السيطرة ، سواء كانت عسكرية أو اقتصادية ، واننا سنقاوم أية محاولة لاستغلال سياسة من الانفراج لاضعاف معسكرنا ، واننا سنرد اذا استخدمت تهديدات حدة التوترات ، كنظام لزيادة حدة التوترات في الامكان الدولية المضطربة . وبعد انتهائنا هذه المباديء في الوضع الراهن .

انه من السهل بدء مجابهات ، ولكن يتوجب علينا في هذا العصر ، أن نعرف أين سنكون في النهاية ، وليس فقط أي وضع يجب أن نخذله في البداية .

لقد حاولنا طوال الاسبوع الاول ، تحقيق اهدافنا في مستوى شبكات الاسلحة الخارجية التي كانت ترسل الى المنطقة ، وحاولنا أن نعمل مع الاتحاد السوفييتي على وضع مشروع قرار لوقف اطلاق النار ، من شأنه أن ينهي النزاع .

وقد نشأت هذه المحاولة الاولى يوم السبت الثالث عشر من تشرين الاول ، لاسباب عديدة ـ بما فيها ربما سوء تقدير الموقف العسكري من قبل بعض المشتركين .

وقد ووجهنا بعدها بعدم القدرة على اصدار قرار في مجلس الامن يحظى باجماع في الرأي ، وهي الحقل حيث جمهورية للاسلحة ، وهي دولة خارجية الى المنطقة . وعقد هذه النقطة قرر الرئيس يوم السبت الثالث عشر من تشرين الاول ، أن على الولايات المتحدة أن تبدأ بنفسها مجهودا من اعادة التوازن . ومنذ ذلك الحين عملت الولايات المتحدة على المحافظة على توازن عسكري في الشرق الاوسط ، ينبغي التوصل الى تسوية عن طريق التفاوض كما تسمى اليها .

وبالتزامن مع هذا أبلغنا الاتحاد السوفييتي ، أن اهتمامنا في التوصل الى حل معقول لا يزال قويا جدا ، وأننا نجيزه من هذا الحل ، ميتعمدون مناقشة خفض متبادل في شحن الاسلحة الى المنطقة .

وفي الايام التي تلت ، بحثنا مع الاتحاد السوفييتي معالجات عديدة لهذه القضية ، وكانت الصعوبة الرئيسية كيفية التوفيق بين العناصر العربي على التزام امريكي بالعودة الى حدود عام ١٩٦٧ ، والحاح اسرائيل على حدود آمنة ونتيجة يتم التوصل اليها عن طريق التفاوض .

وكما تعلمون جميعا ، ذهب رئيس الوزراء كوسيجين في السادس عشر من تشرين الاول الى القاهرة ليبحث هذا الموضوع مع زعماء مصر . وقد عاد الى الاتحاد السوفييتي في التاسع عشر من تشرين الاول .

وبدأنا باستقصاء صيغة جديدة لانهاء الحرب في ذلك المساء ، ورغم أن تلك الصيغة كانت لا تزال غير مقبولة بالنسبة الينا ، وفي الوقت الذي كنا لا نزال ندرس فيه تلك الصيغة ، بعث السكرتير العام بريجنيف يطلب مستعجل الى الرئيس نيكسون كي أوفد الى موسكو ، لاجراء المفاوضات بغية الاسراع في انهاء الحرب التي قد يصبح من المستحيل احتواؤها اذا هي استمرت .

وقد وافق الرئيس على طلب المستر بريجنيف وكما تعلمون جميعا ذهبت الى موسكو بأكرا في صبيحة العشرين من تشرين الاول .

وقد أمضيتنا يومان من المفاوضات الكثيفة ، وبرغبتنا صيغة اعتقدنا أنها كانت مقبولة لجميع الاطراف ، ولا تزال

تحتفظ الينا تماثل حلا عادلا لبدأ النزاع المنجع .

وكما تعلمون جميعا تضمن قرار مجلس الامن ثلاثة أجزاء ، لقد دعا الى وقف اطلاق نار فوري في الامكان التي تحظمها القوات المتحاربة ، كما دعا الى تنفيذ فوري لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الذي أقر في تموز تشرين الثاني عام ١٩٦٧ ، والذي يعتد بعض أبنوديوم العالية التي على أساسها يجب تحقيق السلام في الشرق الاوسط ، وهما ؛ ثالثا ؛ الى مفاوضات بين الاطراف المعنية، تحت اشراف ملائم لتحقيق سلام عدل ، دائم في الشرق الاوسط .

وهذه النقطة الثالثة ؛ كانت ازال التزام دولي بالمفاوضات بين الفرقاء في نزاع الشرق الاوسط ، وكانت الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي مستعدين لتقديم رعايتهما اذا شيت ان هذه هي عملية المفاوضات ، ولا تزال الولايات المتحدة مستعدة لتنفيذ هذا الالتفاق ، كأي هذا الوضع متدما حدث من موسكو وتل أبيب بحماء الاثنين ،

ومنذ ذلك الحين ، تطورت الاحداث في الاتجاه الثاني ؛ في اليوم الاول ـ أي يوم الثلاثاء ـ من تنفيذ قرار وقف اطلاق النار ، كان هناك خرق لقرار أدى الى بعض المكاسب الاسرائيلية ؛ وقد أبدت الولايات المتحدة مشروع قرار يدعو المتحاربين الى التوقف عن اطلاق النار ؛ والعودة الى الامكان التي تشب فيها القتال ، ودعوة مراقبين دوليين الى مراقبة تنفيذ قرار وقف اطلاق النار . وقد بدا لنا هذا قرارا عادلا .

وفي اليوم الاخيرين ، تطورت المناقشة في مجلس الامن والاتصالات التي رافقتها في اتجاه بدا لنا يقلقنا . فقد واجهنا بصورة متزايدة ، سيلا من الاتهامات كان من الصعب التثبت بنها في

خياليا مزاعيين وفيتيكيا؛ وظايا للقيام بعمل لم يكن في مقدورها أن تقوم به . مثل ذلك كان مقتك اقتراح بأن ترسل قوات امريكية — سوفييتية مشتركة الى الشرق الاوسط لمراقبة تنفيذ وقف اطلاق النار .

وأود أن أحدد خيالية من الرئيس ، موقف تشرشل ، من أن الولايات المتحدة لا تجيد ولن توافق على ارسال قوة امريكية سوفييتية مشتركة الى الشرق الاوسط » ويعتقد الولايات المتحدة أن المطلوب في الشرق الاوسط قبل كل شيء هو تحديد للواقع ، تحديد لامكان الخطوط ، وتحديد لمن يقوم باطلاق النار حتى يتسنى بعد ذلك لمجلس الامن اتخاذ قرار مناسب . ولا يمكن التصور أن قوات الدول العظمى ، يجب اضافتها بالاعداد التي ستكون ضرورية للقضاء على كل المتحاربين .

ولا يمكن التصور أننا يجب أن نزج بناشئ الدول العظمى في الشرق الاوسط ، أو بصورة بديلة ، يجب أن نفرض سيادة عسكرية مشتركة من قبل الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي . ان الولايات المتحدة تعارض حتى أكثر من ذلك ارسال قوات عسكرية الى المنطقة ، من جانب واحد من قبل أية دولة عظمى ، وبروح خاص، من قبل دولة نووية ، أيا كان المظهر الذي تتخذه تلك القوات . وان عروض بعض التسهيلات والاتصالات ، وكذلك بعض الاجراءات التأهيبية التي اتخذت ، هي التي دفع وفريتس ، الى اجتماع خاص لمجلس الامن الوطني ، ولقد قيلة بعض الصحافة الثالثة سيكما ، الى أن ياس باتخاذ بعض الاجراءات الوقائية من قبل الولايات المتحدة .

ان موقف الولايات المتحدة بالنسبة الى السلام في الشرق الاوسط ، هو كما يأتي : ان الولايات المتحدة تؤيد تأييدا صاريا وقف اطلاق النار ، كما حدد في قرار مجلس الامن الدولي رقم ٢٣٨ الصادر في الثاني والعشرين من تشرين الاول ، والولايات المتحدة ستؤيد وستقدم كل مساعدة ، وهي على استعداد لتقديم بعض العناصر نفرة مراقبين دوليين ، لتكون مسئوليتها ابلاغ مجلس الامن عن أعمال خرق وقف أطلاق النار ، والتي ستكون مسئوليتها أيضا مساعدة الاطراف على الاقتصاص بالقضايا الانسانية وغيرها ، للتأهب عن كون أنه يوجد على الجبهة المصرية ٤ الاسرائيلية عشرة من المجربين يصب فيها الى حد كبير تحديد المفهوم .

واذا رغبي مجلس الامن ، فان الولايات المتحدة مستعدة للموافقة على قوة دولية ، تحرك بن أو لتشمس أية مراقبة للدول الاعضاء الدائمة في مجلس الامن ، ترسل الى المنطقة كمضاءة اضافية على تنفيذ وقف اطلاق النار .

ان الولايات المتحدة مستعدة لبذل مجهود رئيسي للمساعدة في الاسراع بحل سياسي يكون عادلا لجميع الاطراف ، فالسياسة كما وصفها السفاتور بالكسون حول الوضع في الشرق الاوسط .

ج : ان السفاتور جاكسون من صديق جيد لي ، لكنه لا يشترك في معاولاتنا ، التي أن الفائق تفاصيل الاتصالات الغربية .

لقد أسسنا مركزين لاستطلاع بعض الوحدات السوفييتية وكنا في حيرة من تصرف بعض الفائق السوفييت حتى المناقشات التي جرت .

لذا لا تعتبر أنفسنا في مجابهة مع الاتحاد السوفييتي ، ولا نعتقد أنه من الضروري ، في هذا الوقت ، اجراء مجابهة ، وفي الواقع نحن مستعدون للعمل بشكل تعاوني لتحقيق الاهداف التي وضعناها بالتأسيا .

غير أن العمل التعاوني يستهدف اجراء من طرف واحد ، وأن قرار الرئيس أنه كان من الضروري أن توضح موقفنا ازاء الخطوات الفردية .

س : حضرة الوزير ، عندما كنت تتحدث الى وفد سابق من المسئولية الخاصة المنتمية على عاتق الدولتين النوويتين العظميين، تنجلب أي شيء من شأنه أن يهدد الانسانية ، أو يحولها الى رماد ، فلك أن هناك حدودا لا تستطيع أن تذهب الى ابعد منها .

ولقد نما من بينها : صواب نظام محاولة لاستطلاع الانتراج ، بشكل يتصدف الآخرون أو يقصفه علفاسا — التي لم أستوعب ذلك جيدا — وتلك مستفكر ما لديه .

ان ما أود أن أعرفه ، ما ازدت أن اسأله ، هو ما اذا كنت تعتقد أن اجراء الروس حتى الآن ، ويخاصة الخروج هنا اعلقت أنه كان اذفاقا ، قد بلغ النقطة التي يبدد فيها استطلال الانتراج الى مدى غير ملائم ؟

ج : اننا نعمل مستعين بعد اعطاء هذا الحكم ، طبعا أن نذيك باطبع ، كما أشرت الى ذلك في ملاحظاتي ، أننا والاتحاد السوفييتي على علاقة عريدة من نوعها ، فنحن في نفس الوقت خصمان وشريكان في سباقة التسلح ، فكخصمين ، فاننا ما نجد أنفسنا نتسابقين نحو مجابهة محتملة ، وكل واحد منا أصدقاء يريدون انتسهم يأسبون اهدافا لا يسعى وراءها عبا أي منا .

فعلمنا اتخذنا الخطوات الوقائية التي تعرفونها جميعا ، فعلنا ذلك لاننا فكرنا في أنه قد يكون هناك احتمال أن الفضايا قد تتجاوز الحدود التي وضعناها ، ولكننا لسنا مستعدين بعد لقبول بأنها تجاوزت هذه الحدود ، ونحن نعتقد أن امكانية التحرك في الاتجاه الذي حدده مجلس الامن في وقت سابق هذا الاسبوع ، لا تزال حقيقية جدا ، واذا كان على مجلس الامن أن يتخذ اليوم قرارا يسمح باتخاذ قوات دولية ، باستطاعة قسوات الدول الاعضاء الدائمة ، فان الولايات المتحدة ، والولايات المتحدة تعترف بأن الاوضاع الاول ، لا يمكن أن يسمح لها بأن تستمر ، ان الولايات المتحدة مستعدة لان تتبنا الديبلوماسي ، في مجهود جد يهدف الى عملية التفاوض التي تسيرتها الفادرة الثالثة من قرار مجلس الامن رقم ٢٣٨ .

وعليه نحن الان في نقطة حاسمة ، ان فرص السلام في الشرق الاوسط من وجهات نظر جيدة ، مقدمة بالامل الى حد كبير .

لقد اخترت اسرائيل مرة أخرى أتية الحرب ، وأحبطت فرصة للدبلوماسيات التي سمحت لها طوال وجودها ، ويؤوجب عليها أن تكون مساعدة للسلام العادل والدائم الذي يدعم اليه مجلس الأمن .

وظهرت الدول الحربية قلقها ، وظفت ضمانات دولية بأن دولا أخرى ستقوم بهذه المغامرات .

والاتحاد السوفييتي لا يهدد في أي من اوضاعه الخرجية في الشرق الاوسط ، وفي المبادىء الخاصة المتفاق على حائق الدول النووية العظمى لابعاد توازن بين مصالحها المحلية ، ومصالحها العالمية، والتزاماتها الانسانية ، تبقى قائمة .

واذا نظر الى الامور في هذا الاطار ، فانه ما من قضية من القضايا المتعلقة بالتعديد بموقف الحالق النار ، تستدعي حلا من طرف واحد .

اما بالنسبة الى الولايات المتحدة ، فقد أعلن الرئيس مرارا أنه ليس لهذه الادارة حقد أو ضغن على أي من الاطراف المتحاربة سيخذلونها ، مائيا يكون مأمونا ومضمونا اكثر من العالم الذي وجدناه . انه النظام يجب أن يأتي به أي رئيس ، أيا كان الحزب الذي ينتمي اليه ، وهي مسئولية يجب أن نتحملها — اذا كان ويريي للانسانية أن تبقى على قيد الحياة — الدول النووية للعظمى عند نقطة ما قبل فوات الاوان .

لكننا أعلنا دائما أنه يجب أن يكون سلاما مقرونا بالعدالة . والشروط التي تم الاتفاق عليها في الامم المتحدة تتيح فرصة لشعوب الشرق الاوسط لتقرير مصيرها بانفسها بمساعدة بعض الاطراف الخارجية ، لاول مرة منذ خمسة وعشرين عاما .

وهذه فرصة لهن يستحقون ان نمايزيها . انها فرصة ضرورية لهذه المنطقة المهمة . وهي ضرورية بصور مماثلة لسلام العالم . وهي فرصة لا يجق أن يسمح للدول العظمى بأن تضيعها .

والآن ساكون مسرورا لرد على الاسئلة :

س : دكتور كيسنجر ، هل بامكانك أن تدخل معزيه من التفصيل حول التهديد السوفييتي الذي سبب استنفار القوات العسكرية الامريكية ليلة أمس ؟

وايضا أذا كان بامكانك أن تقول لنا لماذا كان السفير ديوبرنين قد سلمك مذكرة قنصلية كما وصفها الصحافيون ؟

ج : ان السفاتور جاكسون من صديق جيد لي ، لكنه لا يشترك في معاولاتنا ، التي أن الفائق تفاصيل الاتصالات الغربية .

لقد أسسنا مركزين لاستطلاع بعض الوحدات السوفييتية وكنا في حيرة من تصرف بعض الفائق السوفييت حتى المناقشات التي جرت .

لذا لا تعتبر أنفسنا في مجابهة مع الاتحاد السوفييتي ، ولا نعتقد أنه من الضروري ، في هذا الوقت ، اجراء مجابهة ، وفي الواقع نحن مستعدون للعمل بشكل تعاوني لتحقيق الاهداف التي وضعناها بالتأسيا .

غير أن العمل التعاوني يستهدف اجراء من طرف واحد ، وأن قرار الرئيس أنه كان من الضروري أن توضح موقفنا ازاء الخطوات الغربية .

س : حضرة الوزير ، عندما كنت تتحدث الى وفد سابق من المسئولية الخاصة المنتمية على عاتق الدولتين النوويتين العظميين، تنجلب أي شيء من شأنه أن يهدد الانسانية ، أو يحولها الى رماد ، فلك أن هناك حدودا لا تستطيع أن تذهب الى ابعد منها .

ولقد نما من بينها : صواب نظام محاولة لاستطلاع الانتراج ، بشكل يتصدف الآخرون أو يقصفه علفاسا — التي لم أستوعب ذلك جيدا — وتلك مستفكر ما لديه .

ان ما أود أن أعرفه ، ما ازدت أن اسأله ، هو ما اذا كنت تعتقد أن اجراء الروس حتى الآن ، وبخاصة الخروج هنا اعلقت أنه كان اذفاقا ، قد بلغ النقطة التي يبدد فيها استطلال الانتراج الى مدى غير ملائم ؟

ج : اننا نعمل مستعين بعد اعطاء هذا الحكم ، طبعا أن نذيك باطبع ، كما أشرت الى ذلك في ملاحظاتي ، أننا والاتحاد السوفييتي على علاقة عريدة من نوعها ، فنحن في نفس الوقت خصمان وشريكان في سباقة التسلح ، فكخصمين ، فاننا ما نجد أنفسنا نتسابقين نحو مجابهة محتملة ، وكل واحد منا أصدقاء يريدون انتسهم يأسبون اهدافا لا يسعى وراءها عبا أي منا .

فعلمنا اتخذنا الخطوات الوقائية التي تعرفونها جميعا ، فعلنا ذلك لاننا فكرنا في أنه قد يكون هناك احتمال أن الفضايا قد تتجاوز الحدود التي وضعناها ، ولكننا لسنا مستعدين بعد لقبول بأنها تجاوزت هذه الحدود ، ونحن نعتقد أن امكانية التحرك في الاتجاه الذي حدده مجلس الامن في وقت سابق هذا الاسبوع ، لا تزال حقيقية جدا ، واذا كان على مجلس الامن أن يتخذ اليوم قرارا يسمح باتخاذ قوات دولية ، باستطاعة قسوات الدول الاعضاء الدائمة ، فان الولايات المتحدة ،

مستشعر باننا عدنا الى الطريق الذى رسم فى وقت سابق على هذا الاسبوع .

س : حضرة الوزير ، هل بامكانك أن تقول لنا ما اذا كانت الولايات المتحدة قد تلقت انذارا محددا من الاتحاد السوفييتى بانه سيرسل قواته من طرف واحد الى الشرق الاوسط ؟ هل لديك معلومات بان الروس يميلون لمثل اجراء كهذا ؟ ان السبب الذى يدفعنى الى اثارة هذا السؤال - كما تعلم - هو انه كانت هناك بعض التخمينات هذا الصباح ، بان الاستنفار الامريكى قد عجل به الى هذا الحد ، ربما بسبب متطلبات أمريكية داخلية بقدر ما عجلت به المتطلبات الحقيقية للدبلوماسية فى الشرق الاوسط ، وانى لاتساءل اذا كنت تستطيع ان تعطينا بعض المعلومات الاضافية حول ذلك ؟

ج : اننا نحاول تسيير سياسة الولايات المتحدة الخارجية بالنسبة الى ما نحن مدينون به ، ليس فقط لجمهور الناخبين بل للاجيال القادمة . ومن امارات ما يحدث لبلادنا انه أمكن حتى التصور بأن الولايات المتحدة تستنفر قواتها لاسباب داخلية .

اننا لا نعتقد انه من الحكمة فى هذا الوقت الدخول فى تفاصيل المحادثات الدبلوماسية التى عجلت باتخاذ هذا القرار . وعند انتهاء الجهود الدبلوماسية الحالية بطريقة او بأخرى ، سنجعل السجل متوافرا ، وسنكون قادرين على الدخول فى تفاصيل أوسع . وانى واثق بشكل جازم بانه سيبدو أن الرئيس لم يكن له خيار آخر وسنعرضها وطنيا مسئولا .

س : دكتور كيسنجر هل بامكانك أن تقول ياسيدى ، لماذا تشعر الولايات المتحدة بأن على الدول الدائمة العضوية فى مجلس الامن ، الا ترسل قوات على رغم أن هناك نصلا فى ميثاق الامم المتحدة يدعو ، على ما أعتقد ، جميع أعضاء الامم المتحدة الى تقديم قوات ، اذا طلب منها ذلك .

ج : اننا نعتقد ان الفقرة الخاصة من الميثاق التى ذكرتها ، يجب أن ينظر اليها من ضوء الظروف الخاصة ، فعندما يكون هناك وضع حيث قد توجد فيه لعدد من الاعضاء الدائمين ، مصالح متضاربة ، وعندما قد يكون وجود قوات للاعضاء الدائمين ، مساهما هو نفسه ، فى التوتر فى المنطقة ، يبدو لنا ان السبيل الوحيد الممكن هو استبعاد الاعضاء - قوات جميع الاعضاء الدائمين .

انها ستكون فاجعة اذا اصبح الشرق الاوسط ، الذى تمزقه الان منافسات محلية ، نتيجة قرار تتخذه الامم المتحدة ، مسرحا شرعيا لتنافس القوات العسكرية للدول النووية العظمى .

ولذلك بدا لنا ، أن الاهداف السياسيه ستخدم بطريقة افضل ، اذا كانت أية قوة دولية تم ارسالها تتألف من دول لا يتوافر احتمال لان تنجرف هى نفسها فى منافسة نتيجة لتواجدها .

س : دكتور كيسنجر ، قد يبدو واضحا ، لكنى أود أن أسألك - هل أن الغاية من الاستنفار القائم حاليا ، هى القول للاتحاد السوفييتى بانه اذا ارسل قوات الى الشرق الاوسط ، فاننا سنفعل الشيء نفسه ؟

ج : لا أود أن أتكهن حول ما قد يقرر الرئيس أن يفعله فى ظروف نأمل بشدة لن تبرز . وقد يبدو لنا أن تعريض كل ما تم تحقيقه فى السعى من اجل السلام ، للخطر من طريق عمل من طرف واحد ، سيكون خطوة من اللامسئولية لا نعتقد أنها محتملة . ولذلك لا أود أن أتكهن بما ستفعله الولايات المتحدة اذا اتضح أنه ، عوضا عن بدء حقبة من التعاون ، قد دفع بنا الى الوراء ، الى مجابهات يجب التغلب عليها عاجلا أم آجلا . لان الانسانية لا تستطيع ان تتحمل النزاع الابدى لهؤلاء الذين يملكون القدرة على تدميرها .

س : حضرة الوزير ، اذاع راديو القاهرة ان مثل هذا العرض لارسال قوات سوفييتية لتنفيذ وقف اطلاق النار قد ورد من موسكو . هل قدم مثل هذا العرض ، واذا كان الامر كذلك ، هل استنفرت القوات السوفييتية فعلا وهل هى آخذة فى التحرك ؟

ج : اننا بالطبع لا نذكر المبادلات الدبلوماسية التى ربما تجرى بين حكومة مصر وحكومة الاتحاد السوفييتى . اننا أيضا لا نعلم أية قوة سوفييتية ربما تكون قد ادخلت الى مصر . ونحن نعتقد ، وربما ذلك لوجه كل جهد فى ذلك الاتجاه ، ان اى اجراء يتخذ من قبل اية دولة فى الشرق الاوسط سيكون فى اطار قرارات مجلس الامن والامم المتحدة .

وأود أن أكرر مرة أخرى : اننا لا نعتبر انفسنا الان فى مجابهة مع الاتحاد السوفييتى . اننا مازلنا مستعدين ، ونعتقد انه من الممكن تماما المحافظة على الاتجاه الذى اوصلنا الى هذه النقطة ، والذى يتوقف عليه سلام العالم .

س : حضرة الوزير ، هل تعتقد ان الاتحاد السوفييتى قد هدد باتخاذ اجراء من جانب واحد ، ودفع بهذا الموقف الى حافة المواجهة ؟ هل ترى من الممكن ان يكونوا قد رأوا احداث نهاية الاسبوع الماضى على أنها أضعفت الرئيس الى حد كبير ، حيث كان مهددا بأن يوجه اليه الاتهام ، فرأوا هناك فرصة سانحة وقرروا التحرك ؟

ج : ان التكهن بصدد البواعث ينطوى دائما على خطر . غير أن المرء لا يمكن أن يتعرض لازمة سلطة فى مجتمع لمدة تمتد الى أشهر من دون أن يدفع ثمنا فى مكان ما على امتداد الخط .

س : دكتور كيسنجر ، من وجهة نظر الجمهور ، كان الاعتقاد السائد لديه حتى هذا الصباح ، ان هذه الازمة أمكنت السيطرة عليها ، وان وقف اطلاق النار أخذ يترسخ . وقد رفضت ان تبحث المحتوى الديبلوماسى للاتصالات المحددة ، فهل كانت هناك قبل هذا التطور المفاجيء الاخير أية اشارة الى أن هذا الموقف قد يسير فى مثل هذا الاتجاه ؟

ج : كلا ، لم يكن هناك ، فحتى بعد ظهر أمس ، كان لدينا كل سبب للاعتقاد أن الاتجاه الاساسى الذى ترسخ ، والذى وافق عليه جميع الاطراف سيجرى فى الواقع تنفيذه . وأكرر اننا مازلنا نعتقد اننا فى الامكان الاستمرار فى هذا الاتجاه . ان احدا لا يستطيع ان يكسب من ادخال تنافس بين الدول الكبرى أو من مضاعفة التنافس بين الدول الكبرى . ان الهدف الذى يسمو على كل ماعداه فى الشرق الاوسط ، يجب أن يكون تحقيق سلام عادل ودائم بين الدول العربية واسرائيل . وان الولايات المتحدة مستعدة لتعزيز ذلك الهدف بل وملحة ، وتلك هى القضية التى يجب أن نهيىء انفسنا لها .

س : دكتور كيسنجر : لمتابعة ذلك ، قال السناتور جاكسون وغيره ، أن هذه الحكومة كانت تتصرف وفق ما دعاه بوهم الانفراج منذ البداية ، فهل فى استطاعتك أن تكون أكثر دقة الان فى هذه الظروف بشأن وضع الانفراج مع الاتحاد السوفييتى ؟

ج : مستر ليزاغور ، لقد اعترفنا منذ بداية هذه الادارة باننا نتعامل مع خصم عقائدى وسياسى . كذلك اعتقدنا أن لدينا التزاما تاريخيا فى هذه الظروف بالذات ، لان نقاوم ، وان نحاول ازالة أخطار الحرب ، وقد أوضحنا دائما ومارسنا دائما اننا سنقاوم اية مغامرات فى السياسة الخارجية عبر الازمات المحددة فى المراحل الاولى من هذه الادارة .

وان النواحى التى اختلفنا فيها مع بعض منتقدينا ، كانت فى قناعتنا انه من الخطر المحاولة التدخل فى الشؤون الداخلية لدولة لها ذلك التكوين المختلف من تكويننا ، وذلك التفكير العقائدى المختلف عن تفكيرنا .

لقد حافظنا على سلامة حلفائنا وعلى أمن الولايات المتحدة ، بينما خففنا من خطر الحرب .

وكما قلت فى ملاحظاتى ، فهذا عمل تاريخى يجب أن يحمله شخص ما ، وانه فى مصلحة جميع الامريكيين وجميع الانسانية أن يحل فى أسرع وقت ممكن .

وبالنسبة الى وضع الانفراج : أظن اننا نستطيع ان نعطى حكما أفضل ، عندما نعلم ما اذا كان السلام قد ترسخ ، فاذا استطعنا نحن والاتحاد السوفييتى ان نعمل بصورة تعاونية اولا نحو اقرار وقف اطلاق النار ، ثم نحو تراتبية تسوية دائمة فى الشرق الاوسط ، فعندئذ يكون الانفراج قد أثبت نفسه . واذا لم يتم هذا ، فعندئذ نكون قد بذلنا جهدا - لا

مع اني المذاول ثبنا ، وهو جهد يجب ان نبذل ، ثم ان المرء يجب ان ينتظر لحظة قرى ، عندما تبذل محاولة لتأمين السلام ، جهده الشخصية ؟

س : دكتور كيسنجر ، ان انباء هذه الخطة السوفييتية بانشاء قوة سوفييتية امريكية مشتركة ، كانت مفاجئة على اطلاق واسع قبل توجهك الى موسكو ، خاصة الى اوروبا الشرقية ، فهل بحث امستر بريجنيف هذه الفكرة معك في أية صورة ؟ واذا لم يفعل فلماذا تظن انه لم يفعل ؟ وهل تعتقد انه سيفعل ذلك ، ثم يبعثها مرة أخرى بعد أيام قلائل ؟

ج : لا اعلم أية خطط كانت متطرة على نطاق واسع في اوروبا الشرقية ، سنطلع فقط المصرف ازاء الخطة التي يلذاها بصورة رسمية ، ان الخطة المتعلقة بانشاء قوة عسكرية امريكية — سوفييتية مشتركة في الشرق الاوسط — هي تطرح علينا مطلقا ، سواء بصورة علنية او خاصة حتى يوم أمس ، وقد أوضحنا على الفور ، أننا لن نشترك في قوة كهذه ، وأننا ايضا نعارض أية تحركات من جانب واحد .

س : دكتور كيسنجر ، لقد ذكرت ان الرعاية الامريكية السوفييتية ، قد تكون معهودة في الحسبان بهذا الامر فيتنامية ، هل أنك مستعد شخصيا لان تذهب دورا في جعل هذه المحادثات تبدأ ؟ وثانيا ، هل وافق جميع القرقاء على ضرورة اجراء محادثات عربية — اسرائيلية مباشرة ؟

ج : انذا لم نكن على اتصال وثيق بصورة متعاقبة مع جميع القرقاء ، ولدينا سبب للاعتقاد أن عددا كافيا من القرقاء قد قبل هذه المحادثات ، والحقيقة هي أنه حتى بعد ظهر أمس ، جرت مباحثات دبلوماسية بين السفير دوبرينين وبيلي ، حول المكان والمشاركة والاجراءات المتعلقة بهذه المحادثات .

س : دكتور كيسنجر ، لقد اشرت في ظرف سابق الى محالج سوفييتية بمثروعة في الشرق الاوسط ، واشرت الى أننا لنشعر بأن ذلك المصالح ليست معهدة هناك ، فهل أعطى السوفييت دليلا على أنهم يوافقون على تقييمك ؟

ج : على أمسى المعطيات التي أجريتها مع السكرتير العام بريجنيف في وقت بخاص ، يعود الى يوم الاحد الماضي ، والاتصالات التي تجريات بعد ذلك ، بين الرئيس والسكرتير العام بريجنيف ، كان هناك كل سبب لتوقع الاتي : انه في حين تكون وجهات نظر مصالحنا ليست متشابهة ، وتكون هناك اختلافات في المعالجة ، فهناك قدر من المجاراة يمكن تطويره في اتجاه ايجاد حل دائم ، وعليه اود أن أقول أن لدينا سببا للاعتقاد أن الرعاية المشتركة التي ينحدث عنها قرار مجلس الامن لا يمكن بعد تنفيذها .

س : دكتور كيسنجر ، خلال مراوى وقف اطلاق النار في الامم المتحدة ، قامت القوات الاسرائيلية متعلد باعراقل مكاسب عسكرية جوهرية على الارض ، هل الولايات المتحدة مستعدة لان تحث اسرائيل على الالتزام بالقرار الذي يدعو جميع القرقاء الى الانسحاب الى الخطوط التي كانت تقف عندها ، عندما وضع وقف اطلاق النار الاول ،وضع التنفيذ ؟

ج : لقد ايدت الولايات المتحدة القرارين ، وهي القيم تؤيد قرارا آخر يتضمن بنودا مماثلة فضلا عن نص يدفى بتشكيل قوة دولية من جميع الدول الاعضاء في الامم المتحدة ، يمكن لجميع الاعضاء في الامم المتحدة التصويت اليها ، باستثناء الدول الدائمة العضوية في مجلس الامن .

س : دكتور كيسنجر : اني الاحظ انك قلت ان الرئيس اتخذ قرارا الاستقرار العسكري ، وانك قلت ان الرئيس لم يكن لديه خيار آخر ، هل توصيت بهذا أو ان الرئيس اتخذ مبادرة موضوع الاستقرار العسكري ، وهل تشعر بانه قرار حكيم كليا ؟

ج : مستر مولتوفيك ، لدي قاعدة عامة الا اقسم دائما بالنصائح التي اعرضها على الرئيس ، ولكن نظرا الى المضامين الخاصة التي يلاحظك ، يمكنني القول ان جميع كبار مستشاري الرئيس — جميع أعضاء الامن القومي — كانوا مجمعين في توصياتهم ، نتيجة محادثات لم يشترك فيها الرئيس نفسه — والتي انضم اليها فقط بعض كانوا قد كونوا تراثم — وان الاجراءات المتخذة ، التي قمت بها بالذعل ، كانت للمصلحة الوطنية الجوهرية .

س : دكتور كيسنجر ، هل في الامكان ان تفكر ما الذي تنبئ به رأيك من ذلك النذرة من يوم لمس ، فنصلتك تحدث انت والسفير دوبرينين من موضوع الاشتراك في المحادثات وعكانها ، وغير ذلك ، وظل الفترة من مساء أمس الى حيات السوفييت هل اتخاذ الاجراء الذي اتخذوه ؟ أما الذي تغير في ظروف ؟

ج : أود ان اوضح ، انه حتى الان لم يتخذ الاتحاد السوفيتي بعد أي اجراء لا يمكن الرجوع عنه ،والقضية هو الا يتخذ مثل هذا الاجراء .

ولكرر مرة أخرى ما قلته في مناسبات عديدة في هذا المؤتمر الصحفي ، انذا لا نسعى الى فرصة لمهاجمة الاتحاد السوفييتي ، انذا لا نطلب من الاتحاد السوفييتي التراجع عن أي شيء فعله ، ان الفرصة لممارسة النبيل المشترك في مجلس الامن وفي الدبلوماسية بعد ذلك مفتوحة ، والاجراءات التي اتخذناها والتي أمر بها الرئيس كانت اجراءاتي دفاعية — انها لم تكن موجهة ضد أية اعمال في انذذا ، وعليه فليس ثمة سبب لان تتراجع اية دولة عزاي شيء لم نفعله بعد .

وانيا يخلص بالنواحت اطمئن علينا

ان تقيم ذلك ؟ بعضا يتنمى الوضع الراهن .

س : حضرة الوزير ، هل يمكن الاسباب التي حملت الرئيس على اتخاذ قراره ، بما يتضمن تهديدا ، يجعل هند أية دولة هي عكس تهديد في الشرق الاوسط ؟

ج : الحقيقة أنني لا أظن انه من المناسب لي أن أخوض في تفاصيل المداولات الدبلوماسية ، لانذا لا نتحدث عن تهديدات توجهت — انذا لا نتحدث عن موقف من نوع أزمة صواريخ — نحن نتحدث عن موقف انهنا فيه قبل اثنين وسبعين عاما قرارات مشتركة ، حيث لاحظنا ضرورة القيام بخطوة مشتركة نمو السلام ، هي حقيقة الآن ، ظلما كانت منفذ ، وحيث يوجد لدى الاطراف المشتركة في نزاع الشرق الاوسط كل شيء يكسبونه من فترة هدوء ، ومن علي الاقل مراقبة أو محاولة رؤية ما يمكن أن يولده مجهود أمريكي دبلوماسي ، وعليه فاننا نتحدث عن موقف احترازي وليس عن موقف فعلي .

س : حضرة الوزير ، يبدو لي انك تصال الشعب الامريكي — انت والرئيس — الذي صدم فعلا من احداث الاسبوع الماضي ، ان يقبل استقرارا عسكريا خيرا جدا يتناول قوات نووية ، على أساس نوع فيضة ضفاز ، دون ان ابقاء أو تبلغاء اساسا لماذا ، واذا كنت قد فهمك من قبل ، فقد قلت انك اكتشفت استقرار بعض القوات السوفييتية ، والك نضايقات من مصلك بعض الاشخاص ، على ما يبدو ، والذين يتعامل معهم المسؤولون الامريكيون ، وذلك هو حقا كل ما ابرز بعدها الاستقرار . والان ان هذه البلاد بحاجة الى استقرار منذ الان . واني لاعامل اذا كان في استطاعتك أن تعطينا أية معلومات أخرى صاعد على اشاع الشعب بأن هناك اساسا راسخا للاجراءات التي اتخذت .

ج : اننا نحاول المحافظة على السلام والسادة ان وجدوا ما اذا كان هذا هو الظرف لمحاولة خلق أزمة ثالثة في حال المواجهة الخارجية ايضا ، لقد حاولنا أن نسلكها القصى ما نستطيع اعطاءه من المعلومات ضرورة لطبيعة ومأمونة ولاننه في هذه الظروف ، وحالما تصبح هذه النتيجة واضحة ، سنتحدث كاملا عن المعلومات ، وبعد ذلك سنتحدثون اعطاء المكم فيما اذا كانت التدابرات قد اتخذت بصورة متصرفة او غير مناسبة ، ان الاستقرار الذي أمر به هو ذو طبيعة احترازية ، وهو ليس مما لا يمكن الرجوع عنه بأية صورة ، انه القرار الذي يدل أن الموقف يتطلبه ، على أننا سنكون مصممين ، وأنا متأكد خلال أسبوع أن نضع الحقائق أمامكم .

ولكن يجب أن يكون هناك حد أدنى من الثقة بأن كبار موظفي الحكومة الامريكية لا يلعبون بأرواح الشعب الامريكي .

س : دكتور كيسنجر ، أن المشكلة الرئيسية فى الشرق الأوسط فى الوقت الحاضر ، فهو انها تقلق المصريين على سلامة جيشهم الثالث على الضفة الشرقية للقناة . هل هناك أية خطوات يجرى اتخاذها لكفالة تحسين وضعه ؟ وثانيا هل يمكنك أن تحطينا ببعض التفاصيل الأخرى عن نتائج مباحثاتك بالنسبة الى المباحثات المقبلة ؟ هل انتى حظرة سادسة كان كل واحد ينتظر بدء المباحثات . هل يمكنك أن تقول لنا بأى اتجاه تتطلع أن تتوقع أن تسير فيه تلك المباحثات ؟

ج : لننا نتطلع ان المشاكل المعقدة التى يتعرض وقت اطلاق النار ، حيث تتطلع القوات بتلك الصورة الغريبة - كل جيش له وحدات وراء خطوط الجيش الاخر - ان هذه المشاكل تولد قبل كل شىء ، وخاصة فى المراحل الاولى ، صعوبات كثيرة . أننا معتقدون كلينا بأنه مع وجود مراقبين دولية حسنة على الجانبين ، وبالمشاركة الفعالة من قبل الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، فان الصعوبات يمكن تخفيفها بصورة جوهرية وازالتها آخر الامر .

والذى اعليه بشأن أن بعض المؤن الاساسية قد وصلت الى الجيش الثالث اليوم .

وسنكون بالطبع مستعدين لان نقدم مساعدتنا المعينة لجهود لم يكتب نجاحه لى واحد من الفريقين ميزة خاصة نتيجة لتوزيع قواته .

وعليه لنا مقتنع بأن الاوضاع الخاصة لوقف اطلاق النار ، على صعوبتها ، تمكن معالجتها وتحسينها بالمكنة السياسية من الجانبين .

س : حضرة الوزير ، لقد ابلغت بالتأكيد دوبرينين وغيره ما ابلغتنا اياه ، وربما أكثر ، هل يمكنك اعطائنا أى دليل على التأكيد الذى تلقاه على هذا الشعب ؟

ج : أننا فى هذه اللحظة فى مجلس الامن نناقش القرار الذى نؤيده . لماذا قبل ذلك القرار ونفذ ، فاننا نعتقد أنه سيؤدى الى تخفيف حاجز المخوف ، والى اعادة الاوضاع كما وإيناها ظهر أمس .

وهل يمكننى أن أقول أيضا أن هذا المؤتمر الصحفى كان مقررا فى وقت قبل أن يعرف هذا الحدث الاخير أو يشبه به ، وقد مضيت قدما به كى اتمكن من أن أضع فى الاطار الصحيح للتطور الذى حلبناه الى حلا ، واقصى ما أستطيع من القلق بوجود ذلك الموقف .

س : أنك لم تجب من الجزء الثانى من سؤالى ، دكتور كيسنجر .

ج : ماذا كان الجسزء الثانى ؟

س : عن المفاوضات . لماذا سيكون من أسرعا ؟

ج : أننا نعتقد أن المفاوضات يمكن ويجب أن تبدأ فى غضون أسابيع قليلة جدا .

س : كيف ؟

ج : كيف ؟

س : نعم ، لقد كنت أننا نبحث موضوع الانشراك والمليز ، والتساؤل اذا كان فى استخدامك أن تحطينا مزيدا من التفاصيل .

ج : أظن أن علينا أن ننتظر الى أن يصبح الفرقاء مستعدين لاعلان هذا .

س : حضرة الوزير ، هل لديك أى دليل على الكيفية التى سيصوت فيها الاتحاد السوفييتى على مشروع القرار اليوم ؟

ج : الظن أن المناقشة لاتزال دائرة ، وعلمنا تعلم نتيجة ذلك التصويت .

س : هل هناك أى دليل على الكيفية التى يمكن أن يصوتوا بها ؟

ج : أننا نأمل بأن يصوت الاتحاد تقريبا من انتهاء الحرب ، علما كانت الامور لا تزال متوترة جدا . وقد تلقينا برقية من رئيس مستر تتول ؛ أن اسماعيل فى خاطر لليزا ، وقد استطلعت منه ، أوجدته أنه وزير للسياحة . وفى تلك المرحلة أرسلنا برقية الى القاهرة ، نقترح فيها ، بصورة

[٢] كيسنجر - اسماعيل فهمى

[وأشنطن - ١٥ أغسطس ١٩٧٤]

فيما يلى نص المكالمتين التليفونيتين بين وزير الخارجية الامريكى الدكتور كيسنجر ، ووزير الخارجية المصرى السيد اسماعيل فهمى ..

■■ الدكتور كيسنجر :

حضرة وزير الخارجية ، حضرات السيوف المحترمين :

انه لمن دواعى سرورى البالغ أن أرحب باسماعيل فهمى ، اذ هى أول زيارة يقوم بها الى الولايات المتحدة بالنيابة لدعوة .

وكانت أول مرة - ولا أود أن أكون فظا - سمعت فيها عن وجود اسماعيل فهمى ، هى فى العام الماضى بعد أسبوع

السوفييتى الى جانب ماخروج القوات .

س : أذا أكثر ماخروج القوات ؟ دكتور كيسنجر ، هل تتوقع القاء حالة الاستقلال ؟

ج : أن الاستقلال لن يصدر دقيقة واحدة أكثر مما نعتقد أنه ضرورى .

س : دكتور كيسنجر ..

ج : وسيقضى حالنا يزول أى حظر مع قيام عمل من جانب واحد .

س : دكتور كيسنجر ، نيبا يخص بالدور الذى قد تلعبه الولايات المتحدة فى الحصول على اوضاع تؤدى الى سلام دائم ، لقد ذكر قبل بضعة اشهر أنك قلت بأنك تؤيد سياسة أسيوكيه تدعم أسرائيل ، وبانك لا تؤيد تسوسيات أسرائيلية . ما هو رأيك فى ذلك الآن ؟

ج : لقلن أنه ظل على بخصوص ذلك ، قبل أربع سنوات ونصف السنة ، قبل أن أصرف القصيرة الخاصة التى تتصل ببعض العمل المخطئة .

ان موقفنا هو - كما ذكرت طنا - أن الاوضاع التى أوجدت هذه الحرب ، كانت بوضوح لا تفتقر بالنسبة الى الدول العربية ، وانه فى عملية مساوضات سيكون من الضرورى تقديم تنازلات جوهرية وسنكون المشكلة ربط المخاوف العربية بشأن المعاهدة على المتفكات ، مع المخاوف الاسرائيلية بشأن الحدود الآمنة .

أننا نعتقد أن عملية المفاوضات بين الفرقاء هى مركب أساسى من هذا ، وكما ذكر الرئيس نيزواء الخارجية العرب الاربعة ، وكما ذكرنا تكرارا ، أننا سنبذل جهدا كبيرا لايجاد حل يصير عادلا من قبل جميع الفرقاء . لكنى أظن أنه فى تخدم أية غاية يحاولنى تحديد الطبيعة النهائية لجميع حدة البنود .

س : حضرة الوزير ، فكرا جزيلا لك .

وكانت بداية صداقة عظيمة .

وفى الفرة التالية التى قدم فيها اسماعيل الى هنا ، تلقيت برقية من الجزائر ومن رئيسها ، تتول أن اسماعيل فهمى قادم ، وكنت عرفت من هو ، لكنى كنت عازما على الذهاب الى كاى بيسكين لبضعة مطلة نهاية الاسبوع تلك ، وهكذا أرسلت اليه عدة برقيات أشرح له فيها بطريقة مهلة جدا ، لماذا كان من

نظرى أن أتابعه بعد يومين من وصوله ، لكنه توجه رأسا من المطار الى مكتبى ،

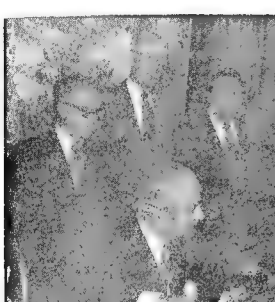

■ كيتشنر واسماعيل فهمى واسطن خلسة لزيارة وزير الخارجية المصرى للمقاصة الامريكية فى منتصف اغسطس ١٩٧٢ ، وقد وقف الى الخلف السفير المصرى فى واشنطن الدكتور اشرف غربال ٠

المستحيل قبلما أن أستقبله لعدة أيام ٠ مغلبين فى عملية صعبة ، فى منطقة قاسية الالام حوال قرون ، وبين شعوب، عاشت قرب الاستعمار وقرب الاضطهاد، وهكذا ، أدركنا عندما بدأنا العملية ، أنها ستكون صعبة وان كل خطوة الى الامام ستكشف عن مشاكل جديدة ٠ لكننا ادركنا ايضا ان تقدما يجب ان يحرز لما فيه مصلحة جميع شعوب المنطقة ، وان دماء كافية قد أريقت ، وان السلام كان أمرا حتميا ٠ وانه لرمز للاهمية التى نعلقها على هذه العملية وعلى الصداقة بين بلدينا ، أن تكون زيارة ضيفنا التى تقررت منذ عدة أسابيع لم تؤخر ساعة واحدة ، نتيجة الاحداث التى وقعت فى واشنطن فى الاسبوع الماضى (!) وقد أكد الرئيس فورد اليوم مجددا ، عزم الولايات المتحدة الراسخ على المساعدة بجميع طاقاتها فى عملية تحقيق سلام عادل ودائم فى الشرق الاوسط ٠ وتمن أخرى ، بدأنا مناقشة ٠ ومن الصعب أن نتذكر اليوم ، ان شعلة اشهر فحط برت منذ أن بدأ هذا الحوار ـ بشكل مفرد جدا ٠ ولكن ما كان أحد ليتجرأ على التنبؤ فى ذلك الحين ، بالذى الذى سيذهب اليه العلاقة بين مصر والولايات المتحدة ، بين الدول العربية والولايات المتحدة ، وكم يمكن أن يساهم ذلك فى تحقيق سلام عادل ودائم فى الشرق الاوسط ٠ لقد تعاملنا بحذر مع بعض بصدق وصراحة ، وقلنا لاصدقائنا المصريين منذ البداية ، اننا لن نعد بأى شىء لا نستطيع أن نفى به ٠ لكننا سنفى بكل شىء نعد به ٠ لقد ادركنا أننا كنا ليس سوى البداية ٠ لما سيتطور الى علاقة فائقة الاهمية ٠

انت هنا بالاسماعيل بين اصدقاء ، ملتفس فى مهمة مشتركة لما فيه منفعة جميع الشعوب فى المنطقة ـ فى روح من حسن النية تهدف الى تحقيق العدالة ٠ ان رئيسكم واعمالكم قد ساهما مساهمة عظيمة فى شق الطريق نحو أول حوار بناء منذ ٣٠ عاما ، ولقد فيه لتفضل أهل للسلام فى الشرق الاوسط ، منذ جيل من الزمن ٠ وبامكانكم أن تعتمدوا على جهودنا المستمرة بنفس الروح ، اذ تصدر هذ المحادثات ، التى سادت خلال هذا الشهر ، والتى ستصدر طوال الاسابيع المقبلة ٠ اننا مستعدون لمحادثات جديدة أخرى ، ويسعدنى بيلا ورفيقا فى مسعى هام ، أود أن أشكى عليكم وطنى رئيسكم ٠ وأود أن أقترح أن تشرب نخب ضيفنا وزير خارجية مصر ، ونخب رئيسه السيد السادات ، ونخب الصداقة بين مصر والولايات المتحدة ٠

■ وزير الخارجية فهمى :

حضرة وزير الخارجية ، حضرة السفير كيمينجر ، حضرات ٠ الاصدقاء المحترمين :

انها لفرصة فريدة لى أن أتحدث اليكم بالاصالة عن نفسى ، وبالنيابة عن الرئيد المصرى ، انها فرصة بمعنى ، كما قال لكم هنرى ، انها المرة الاولى التى اجيء فيها الى واشنطن ، وقد أعلن عن الزيارة رسميا ٠ لقد سمعت ما قاله لكم فى مستهل خطابه برات عديدة ، بحيث انى استطيع أن أحفظه على ظهر قلب بسهولة (ضحك) ٠ الا أن كل مرة

علاقة الاصدقاء ، وبالتالى هن الرئيد

---

١ ـ يقصد استقالة نيكسون من رئاسة الولايات المتحدة بسبب فضيحة ووترجيت . وحاول فورد محله ٠

تزعجني متعة الى حد كبير جدا " وعلى أن أدول لكم بكل صراحة ، ان أفضل طريقة للتعارض مع هنري ، هي للذهاب اليه من دون اعلان عن الزيارة ، كي لا يمكن من أن يهييء نفسه بصورة كاملة " ولكن الشيء الرئيسي فيما يختص به — انه بدأ أول صباح قلت أو أجبرت نفسي على رؤيته ، حالما وصلت الى هنا في واشنطن — شعرت بثقة أني جالس مع رجل كرس نفسه لخدمة السلام في مناطق عديدة من العالم ، وكرس نفسه لخدمة بلاده باتضل طريقة يود. كل أمريكي أن يمتدحها ، لقد أخفاه بطلاقتنا ، وأذا فخور بتلك العلاقة وتكلم عن مساهمتنا في بناء الدرب المناسب المؤدي الى السلام — سلام حقيقي وعادل — لكنه لم يتكلم عن دوره الشخصي في مساهمتنا في الحقيقة على تحقيق بالانجازات حتى الآن " واذا كان هناك أي شيء لتستطيع أن تقوله عن دوره ، فهو أنه يستحق كل الفضل . يتسوره واسترلنج بيدن الطبيعية التي لدى كثير من الناس شكوك بشأنها ، لكننا أصبحنا ، وأنيبا بتحالل بمستوياتنا ، علاقاتنا الثنائية ، ممتيز أنني عندما جئت الى هنا ، كنت بفذا تعليماتي التي تلقيتها من الرئيس السادات ، وهي أن أعامل فيل كل شيء الترصل الى أنه ارتباط مع الولايات المتحدة أولا ، وليس مع الاسرائيليين . ولهن أننا نجحنا

في الوصول الى نقاة ارتباط مع الولايات المتحدة ، وأيل أن يظل هنك أنفسنا جيد في المستقبل والنقص دائم "

لقد كان بن الخميري وده صامتة جديدة ، لأنني أعتقد أن المنطقة مقدة كثيرا بسبب التوتر في العلاقات بين الولايات المتحدة وبعض بلوغ خاص ، ولكن في هذه الدرة نحن عازمين على بناء علاقاتنا على أساس بقين ، خطوة خطوة ، ونحن متلكدين أنه مع مرور الدية الصمتة ، لابد لنا من بناء سلام دائم في المنطقة ، سلام صديد به شعوب المنطقة ، وصديتج به ، ولقد ينتهم الشعب الامريكي ومساعدته سيظل السلام ، حيا أمل ، في هذه المنطقة ، وسيبدو تعاون حقيقي بين شعوب هذه المنطقة وشعوب الولايات المتحدة "

الى سجن ليميج الذين جاءوا منكم لحضور ماسية العشاء هذه ، وعلى أن أقول لكم بصراحة أنني متأثر جدا من الطريقة التي استقبلت فيها هنا في هذه الترة الحاسمة من تاريخنك " لنكم تعاملتم بسخاء ، لدرجة أني أشعر بالخجل بعض الشيء " وأنا أكرر أن أقال — من حين لآخر ، أنه لن أعامل كما أن أن زيارتي لم تطل ، لاتكم أذا بطلتوني لتصرة هذا الدرع من المسالمة "

لستجدونني معكم مرات عديدة في زيارات مستقبلية "

أنني لا أستطيع في الواقع أن أقول هذه الفرصة من دون أن أعبر لكم جميعا من المديري العبيق واحتفائي ، بعد أن أصبح الى حد ما ، أحد أمريكي مسئولي في الحكومة أو في الكونغرس " وأنا واثق بأني معالاتي نفس المعاملة من سيلمس الشيوخ " وهذا شرف لي واعتبار لان أكون أول زوجة خارجية تسري بمثل أيام لجان العلاقات الخارجية في مجلسي النواب والشيوخ "

ويالاضافة الى كل هذا ، كان لي الشرف بالذهاب والاستماع الى أول خطاب للرئيس فورد ، وكنت أجدت رقية في أن أحضر هذه الفرصة التاريخية " واليوم شرفني الرئيس فورد مرة أخرى ودعاني الى مأدبة غداء ، ولقد أكد عزمه على تقوية العلاقات بين بلدينا وكذلك تقوية العلاقات بين شعبينا " وأنا فخور جدا بأني سأتنل الى الرئيس السادات شعور الرئيس فورد وعزمه ، على أن يرى أن صلاتنا دائما وراسخة سيمهين على المنطقة ، وعليه أمل أنكم ستوافقون معي على ضرب نخب الصداقة بين بلدينا ، ونخب شعبينا ، وأن أشرب على شرف وزير الخارجية والسيد كيسنجر ، وعلى شرف رئيسكم الرئيس فورد ، وكذلك نخب لزوجاتكم وصداقاتكم "

وعندما أرتكبت في نهاية السابعة السابعة خطأ سؤال الرئيس الاسد عما اذا كان هناك شيئا في الدعوة يعترض عليه ، قال نعم ، هناك جملة يعترض عليها بنوع خاص ، وهي الجملة التي تقول أن الفريقين واقفا على الذهاب الى جنيف (فعلك) ، وتلك هي المرة الاولى التي سمعت فيها أن سوريا توصف ذاهبة الى مؤتمر جنيف (فعلك) " ومنذ ذلك الحين كان على أن أعرف أصدقائي السوريين جيدا " لقد أمضينا ٣٢ يوما ، ونحن نتفاوض حول ذلك الارتباط على مرتفعات الجولان ، وكانت مفاوضات صعبة الا انه كان أيضا اختبارا مثيرا للمشاعر ، لانه كان واضحا أن أحد

بالقول ، « هيل ان أجيبك يجب أن أعمل على تعديلات من دمشق » " (فعلك) " وفي نهاية ذلك الاجتماع ، قال ان الصعب كان بناء (فعلك) " وبعد ذلك بشهرين ، تعبت زيارة دمشق وقد سمعت ، أن السوريين ليسوا أسهل من يمكن التعامل معهم في الشرق الاوسط " ويمكنني أن أقول لكم أني لم أجد في الشرق الاوسط أناسا يسهل التعامل معهم (فعلك) " لقد أجريت حديثا مع الرئيس الاسد ، كان مفروا له أن يستقبل ساعتين ، وكان لايزال حيويا بعد تركي ساعات بحثنا فيه ، باسهاب الدعوة الى مؤتمر جنيف " وكان كل شيء سلسا جدا وسهلا " ياتم أذن لماذا اكتسب السوريون السمعة بالقوم صعبين "

[٣] كيسنجر - خدام

[واشنطن - ٢٤ أغسطس ١٩٧٤]

كيسنجر يلقي نص كلمة الوزيرين كيسنجر وخدام :

■ **الدكتور كيسنجر :**

معالي وزير الخارجية ، حضرات السيدات والسادة :

انها لمناسبة مهمة جدا وسعيدة للمشاعر الى حد كبير ، أن نرحب في الولايات المتحدة أول مرة منذ ١٥ سنة ، بوزير خارجية سوريا " ان معرفتي بالسوريين تعود الى أقل من عشرة أشهر الى نهاية تشرين الأول (أكتوبر) الماضي دعوت عضو الوفد السوري لدى الامم المتحدة ، وهو نائب وزير الخارجية وصديق السيد خدام ، لزيارة واشنطن " وعندما جلس الف لـ ٤ « بسماء الغير » ولقد رفع

■ كيسنجر وعبد الحليم خدام وزير خارجية سوريا اثناء وصول وزير الخارجية الامريكي الى مطار دمشق يوم ١٢ مايو ١٩٧٤ في احدى جولات مباحثاته حول الشرق الاوسط .

الاسباب الذي من أجله اكتسب السوريون سمعة كونهم صعب ، هو لانهم متمسكون بالمبادىء الى حد كبير . واذ كنا متنافسين في هذه المفاوضات ، كنا في الواقع نفعل أمرين . كنا نبحث الخطوط ومختلف النواحي العسكرية ، ولكن ابعد من ذلك ، كنا نقوم بتحرك من الحرب الى السلام ونحو ادراك أن الشعوب في الشرق الاوسط ، عانت ما فيه الكفاية ، واثبتت شجاعتها بما فيه الكفاية ، في غالب الاحيان ، وانها يجب أن تتعلم أن تعيش معا في عدالة ، وعلى أساس سلام دائم ، يأخذ بعين الاعتبار جميع مخاوفها . ومع وجود الكراهية والالام التي تبدت لمدة جيل من الزمن كان طبيعيا أن هذه العملية ستكون عسيرة جدا وطويلة جدا . وقد خرجت بتصميمين : الاول وقد لقضه الرئيس فورد هذا الصباح ، وهو الا أتورط في مفاوضات أخرى مع السوريين (ضحك) . والثاني ، أن العملية التي بدىء بها يجب أن تستمر . ويجب أن نستمر في العمل معا من أجل السلام العادل والدائم الذي تستحقه جميع شعوب الشرق الاوسط . وأنتم جميعا تعلمون أن هذا الامر اكده الرئيس فورد في خطابه الاول ، وأكده مرة أخرى في جميع محادثاته التي أجراها مع وزراء الخارجية من الشرق الاوسط ، بمن فيهم وزير الخارجية السيد خدام . وفي الوقت نفسه ينبغي على جميع الفرقاء في الشرق الأوسط أن يدركوا أن هذه عملية تتطلب صبرا وتفهما ، وأظن اننا حققنا قدرا كبيرا من ذلك . وأقول باسمي وباسم وزارة الخارجية الامريكية ، اننا نعتقد أن زيارة وزير الخارجية خدام ساهمت مساهمة كبيرة في هذه العملية ، ونحن نعتقد أن فهم موقف كل جانب وهو أمر جوهري ، قد تعزز الى حد كبير .

وجدير بالذكر أيضا ، انه قبل عشرة أشهر عندما قام وزير الخارجية اسماعيل فهمي بزيارتي في مكتبي من دون ضجة ، لم تكن هناك علاقات بين سوريا والولايات المتحدة . وخلال تلك المدة لم ننشىء فقط علاقات ديبلوماسية بصورة رسمية ، بل أظن أن عملية تبادل الاتصالات نمت الى درجة كبيرة ، بحيث ان بلدينا يجب الا ينعزلا عن بعضهما مرة أخرى . وتلك العملية أيضا تعززت الى حد كبير ، نتيجة زيارة وزير الخارجية . وستستأنف المحادثات التي بدأناها عندما يعود الى حضور دورة الجمعية العامة . وعليه ، أود أن انتهز هذه الفرصة لارحب بصديقي وزير الخارجية خدام في الولايات المتحدة ، وأن اقترح شرب نخب الرئيس الاسد والصداقة بين سوريا والولايات المتحدة ، وضيفنا وزير الخارجية خدام (تصفيق) .

■ ■ وزير الخارجية خدام :

معالي وزير الخارجية ، أصدقائي الاعزاء :

اسمحوا لي ان أعرب عن امتناني لهذا الجو الدافىء الذي ساد في أثناء زيارتي لواشنطن . فمنذ وصولي الى واشنطن وفي أثناء المحادثات التي أجريتها مع وزير الخارجية كيسنجر والاجتماع الذي أجريته مع الرئيس ، شعرت بأن هناك حرصا كبيرا من جانب المسئولين الامريكيين والادارة الامريكية ، على انشاء علاقات طيبة بين بلدينا . ومن المؤكد أن الفضل في ذلك يعود الى الدكتور كيسنجر للدور الرئيسي الذي لعبه في ايجاد الوضع ، وفي تحسين العلاقات ، وفي ايصالها الى ما هي عليه اليوم . ان الدكتور كيسنجر يعتقد أن السوريين هم الى حد ما يصعب التفاوض معهم ، وقد عزا هذا الى عدة عوامل . غير أن الدكتور كيسنجر يدرك جيدا أن أولئك العرب الذين قدموا مساهمة عظيمة للحضارة العالمية وقدموا الشيء الكثير للعالم ، وتركوا أثرا لهم في جميع انحاء العالم — على مر العصور وعلى مر التاريخ — هم شعب لا يستطيع أن ينسى بسهولة الظلم الناتج على العدوان . لقد نشرنا السلام عبر مئات السنين بسبب ايماننا بأن السلام لا يمكن استتبابه والمحافظة عليه ، ما لم يكن مرتكزا على الحق والعدل . وعليه ، كان لزاما على العرب أن يكافحوا من أجل السلام . وكفاحهم من أجل الفلسطينيين الذين اغتصبت حقوقهم هو جزء فقط من الكفاح العربي لاستعادة السلام المرتكز على العدل : أن العرب يريدون السلام ، وبسبب رغبتهم في السلام هم تواقون لبدء حوار مع الولايات المتحدة . ولقد كانت تلك الرغبة نتيجة ادراكهم أن الولايات المتحدة راغبة رغبة صادقة في القيام بجهود جدية لتحقيق سلام مرتكز على العدل في المنطقة . وفي ختام كلمتي اود أن أكرر تقديري وشكري للدكتور كيسنجر لاتاحته هذه الفرصة لي ، كي أقابل ذلك العدد الكبير من الامريكيين البارزين ، وذلك العدد الطيب من ممثلي الصحافة . اسمحوا لي بأن أنقل اليكم تحية الشعب العربي السوري ، لاننا نؤمن بالحاجة لانشاء علاقات طيبة ، علاقات ستنمو وتتحسن مع مرور الزمن ، بين شعبنا وشعب الولايات المتحدة الامريكية . ان العلاقات لن تكون جيدة ، الا اذا ارتكزت على الاحترام المتبادل ، واذا كان الحال كذلك ، فهي لن تخدم قضيتنا المتبادلة بل قضية السلام في جميع انحاء العالم . وأود أن ادعوكم كي تنضموا الى في شرب نخب الرئيس فورد ونخب العلاقات الطيبة بين بلدينا ، ونخب الدكتور كيسنجر الذي قام فعلا بدور عظيم في ايجاد تلك العلاقات الطيبة بين بلدينا التي ننعم بها اليوم ، والتي أتاحت لي هذه الفرصة الممتعة جدا الليلة . وأود أن أضيف الى هذا نخبا للدكتور كيسنجر الذي لم يعد يعتقد أن السوريين شعب يصعب التفاوض معه (ضحك) .

[٤] كيســـــنجر - الســـقاف •

[واشنطن ــ ٢٩ أغسطس ١٩٧٤]

■ كيسنجر مع عبد السلام وزير الخارجية السعودى اثناء محادثاته جرت بينهما فى واشنطن فى منتصف فبراير ١٩٧٤ •

■ ■ **كيســـنجر :**

معالى وزير الخارجية ، حضرات الضيوف المحترمين :

انه من دواعى سرورى العظيم أن استطيع الترحيب بصديقى عبد السلام فى واشنطن • لقد طلبت من وفدى أن يحاولوا الحضور على جملة واللغة العربية استطيع أن أحفظها • وقد قالوا لى أن هناك عبارة باللغة العربية تقول : وبنى بيتك • والى الذين لم يسمحوا بتأجيل الغداء العشاء لكى يلهجة الذية (خمسة) أقول انها تعنى أن يبنى هو بيتك •

والآن آمل ياسيدى أن تشعر بأنك فى بيتك هنا • أن هذه القامة الرحبة هى تقريبا فى حجم غرفة النوم التى أمضت فيها عندما زرت الرياض [خمسة] •

انه بين أصدقاء •

لكنى يجب ألا أكون صديقا جدا لعمر ، يكفى أن تشرين الاول [اكتوبر] الماضى يعد بالنسبة للخارجية زارنى فى بنيويورك وقال ، اريدك أن تهتم بالشرق الاوسط • أنا أريد أن تهتم بالشرق الاوسط • اننا نريد الفايل دفئ بين وقتك (خمسة) •

• ومنذ ذلك الحين أصبحنا نعرف بعضنا جيدا • لقد زرت الرياض لاول مرة فى تشرين الثانى (نوفمبر) الماضى ، واظن انه يصح القول بأن الثقة لم تكن بعد كاملة • ولكن منذ ذلك الحين أنشأنا علاقة وثيقة جدا بين الثقة والاتمان المطبقين • ان هذا يتصرف من حين لآخر كناصح غير رسمى فى الشئون العربية ، وهى نصيحة أصبح أحتاج اليها كثيرا • أتكر بمناسبة قلت فيها لعمر بأن هناك شخصا فى العالم العربى يثق فى انه لا يستطيع أن يفعل أمرا • فقال عمر ، سيفعله (خمسة) • فقلت له اذا لماذا يقول لى انه لن يفعله ؟ فقال : لانهم أن يفعله • ولكنه لا يريدك أن تفعل الخير (خمسة) •

والآن لنتحدث بصورة جدية • ان حماية صنع السلام فى الشرق الاوسط هو

● ألقى بنيويورك فى ١٥ نوفمبر ١٩٧٤.

المسلمين العديدة من هم الثقة ومن جميع الخيانات ، كانت صعبة جدا لجميع الاطراف ، وقد تطلب الامر ثقة وقوة دائبة ، بالنسبة الى الدول العظمى كي تبذل الجهد ـ وقبول كل هزء الاحيان وباحتمال ان الدول التي حاربت بعضها طلة المدة الطويلة ، تستطيع أن تتعلم أن تعيش بسلام ، وفي هذا الجهد ـ هذا الجهد الذي يكاد يكون « دوهيا » ، والذي كان كذلك تعقبوا من الناحية التقنية ، كانت مساعية شبيهة جدية حتى عندما كنت لفشل أن يقول شيئا آخر »

وان التعبير الذي تحاقق قد اكتسب شيئا مهما من قيمته على النحت الذي جميع الدهاة العرب ، افضل من النحت الهلال من مركز صدق وصداقة ،

والآن نحن متأكدون مرة أخرى على جهد آخر للخروج في « مأوضات » وكذا يعلم أنها ستكون مفاوضات صعبة ، وانها ستستغرق وقتا ، وان الامور يجب أن تصبح ناضجة ، ونحن نعتمد على استعدادنا من المملكة السعودية للاستمرار في اعداد استعلامهم وتقديم دعمهم ،

وهم يستطيعون الاعتماد علينا ، بالنا سنواصل السياسات التي وعدنا بها ، وانا سنبذل كل جهد لتصريف الطرق الابيض نحو سلام عادل ودائم ، استعقلته جميع دول المنطقة بافضل ما عاملته من الام »

غير ان ملاقاتنا مع الملكة السعودية ليست بهذه بالمذكرة القائمة من بين الدول العربية واصدقائها ،

ان المملكة السعودية لديها أطول تاريخ غير منقطع من الصداقة مع الولايات المتحدة من أية دولة أخرى في هذه المنطقة ، وهذه ، على مدى السنين ، بصورة حسنة في تلك العلاقة ، هو أمر مهم لجميع الشعوب في هذه المنطقة ، كي ترى أنه بعلاقة الثقة مع الولايات المتحدة ، ويمثلك العلاقة نفع ، تستطيع اعمق امالي شعوب تلك المنطقة ، فجلة الشرق الاوسط أن تتحقق ،

لقد بدانا اخيرا علاقة تعاونية في كثير من المجلول ، لقد شكلنا كثيرا من اللجان لتعيين علاقاتنا ، ونحن واثقون بان هذه العلاقة ستستمر ، وان هذه اللجان ستجمع ليس فقط لاننا واثقون بالفرقة الفنية التي تنتج بها ، بل لان لدينا ثقة في وفاق الجانبين ، وعندما نجمع فاننا نستطيع ، كما اظن ، ان نكتب فصلا جديدا في العلاقة بين الشعبين العربي والامريكي ،

وفي هذا كله ، سنقوم غير الميثاق بمباغتة مهمة ، وهكذا كنا اثنتين جدا بدعوته الى هذا كاخر الوزراء العرب الذين زاروا في آب [اغسطس] كي نستفيد من حكمته ، ومنذ اصل محادثاتنا في نهاية شهر ايلول (سبتمبر) المناسبة الجمعية العامة .

اخرايا وبحية لهذا الهزء من العالم الولايات المتحدة الامريكية .

ما مضى في الماضي ، وطبيا الآن أن نتظر الى المستقبل ، هذا محتمل ليس قاتما بالمرة كان في الماضي ، ان الطريق معبدة الآن وانا الناس يستعدون الآن بشاياوا ويتحدثوا مع المكتور كيسنجر ، وحتى خمس عشرة مرة ، ولست ادري ما اذا كانوا من هذه كايد اكثر أو ما اذا كانوا من كايدوا اكثر ، بعد تلك الزيارات المتواصلة (همبلة) ، ولكن واثق بشيء واحد هو أن وزنه قد ازداد خلال تلك الزيارات (همبلة) وانا مسرور ان اراه يفقد شيئا من ذلك الوزن الذي تحميه [همبلة] »

ويأمل الى المملكة السعودية ،

ان المملكة السعودية في صديق صميم لجميع الولايات المتحدة ، والملك عبد العزيز العظيم الذي وحد المملكة العربية السعودية ، كان صديقا حميما لابراهام لنكولن ، وكذلك ابنه الملك فيصل ، ان المملكة السعودية لم يقم قط اي نزاع بينها وبين امريكا ، كان السبب دائما يروق مخاوف ، مما يجعل الامور صعبة ويسبب يوما من الايام التدمير بين بلدينا ، »

انهم اصدقاء البريطانيون ، واصدقاء الفلسطينيون ، واصدقاء الاسرائيليون ـ واصدقاء ، كما يقولون عندما لا يكون هناك من يلقي اللوم عليه ، الانجليزيون [همبلة] »

وهكذا فالمخ كيلك نلية ، لشعر بان هذه البلاد المختلفة ، هذه البلاد الدولية تستطيع أن تقدم مساعدة عظيمة الى العرب والى دول الشرق الاوسط »

وهكذا لله ان الامور مختلفة الآن ، ان الامور قد تغيرت كثيرا ـ الآن لم يعد هناك عداء بل اصبح هناك وفد الولايات المتحدة ، الا يبن الفائل :

انا نعلم بان الناس هنا ليسوا دائما من نفس الراي تجاه قضيتنا وتجاه العرب ، ولا نستطيع أن نلوم بل يجب أن نلوم انفسنا لاننا لم نرهم قط بالاسلوب الصحيح ما هي ضخمتنا ، لقد اردنا بان ليس بمقدنا المملكة السعودية بل بمعلقنا جميعا ، مساعلة اخطاء اوجدت خصومات بين الولايات المتحدة والعرب ، وانا مسرور اني الا ارى بيننا مشاعر مصر وسوريا ـ ومسرور أن أرى معظم الصغراء العرب بيننا هنا ، مما يبين أن الصورة قد تبدلت .

نحن بلاد لديها امكانيات عظيمة ، ونحن نعلم بانها لا تستطيع أن تفعل كل شيء بمفردنا ، انها تحتاج الى مساعدة ، وعندما نقول مساعدة ، فاننا نحتاج الى تلك المساعدة من اصدقائنا »

وبصراحة اخشى انها تفتقر الى كل شيء انها تفتقر الى المعلومات البشرية والى الخبرة التكنولوجية ، والى كل ما يلزم لكي ويجعل اي بلد يعمل بصورة جيدة ويبني مستقبلا جيدا لشعبه »

■ ■ عبر المستقبل :

حسنيني العزيز حتى ، حضرات المحررين المحترمين :

لقد ان اوراقي مرورين العظيم ، ان اكون من بين هذا العدد الكبير من الاصدقاء المحترمين ، الاصدقاء الذين لكن لهم احتراما عظيما ، وانا متاكن جدا لان صنيقي مغربي الفتاح لي فرصة الاحتجاج بذلك العدد الكبير من الشخصيات الذين أمل ، بل انا واثق بانهم سيؤيدون بالتاكيد صدقا كصعوديين آخر كعرب ، لنوفر صدقنا في تحقيق تسوية سلمية بعدل في بالادنا الشرق اوسطية »

« مغربي صديقي عزيز لي » وقد قادته من قبل مدة اقل من صنتين ، واستطيع ان اقول بالحاس التي احببته اول مرة رايته وتحدثت معه فيها ـ وان كنت لا اعلم ما اذا كان قد لاحظ ذلك أم لا . لان الحاجات هو انه يمكن ان يكون من اقصر كثيرا على ديبلوماسي محترف ـ حتى أن يحب مثل هذا الرجل القديم والاصدقاء الباقين والرجل العظيم ، الذي اعرفت فيما بعد ان الرؤساء والسياسيين المحترفين لا يحبونه كثيرا »

وأود ان أوضح بجلاء لاستطاعتنا هذا ان صديقنا مغربي فاضل في الواقع بافضل قوله للديناميكية ومعاصرته ومواجهته الجديدة ـ فعل اشياء عظيمة في الشرق الاوسط ، اشياء لم يتصور احد انها قد تفعل »

من الصعل على الناس من امكان بعيدة أن يتوقوا هذا الامر الصعل في هذه المنطقة ـ في تلك المنطقة ، ولكن بالنسبة الينا ـ نحن نعيش هذه الازمة ، هذه المأساة في الشرق الاوسط ـ لم تكن تتصور تحقيق تلك الارتباط في منطقتنا » وما تم تحقيقه لم يكن كل خير بل كان شيئا عظيما ، لانه بداية وهي داتما صعبة ، وبالنسبة اليه والى الاشخاص الذين يتعاونون معه ، أظن أن المستقبل سيكون طيبا ، وكذلك بالنسبة الى اولئك الذين يحبون السلام والتقدم للشرق الاوسط وللعالم عموما »

هي ملاقاتنا ، كان العرب المتعبون وما زالوا يكنون احتراما عظيما لامريكا والشعب الامريكي ، وحتى في فلسطين عندما سألوا عقب الحرب العالمية الثانية ـ اي العرب العالمية الاولى ، ما اذا كانوا يفضلون نيل الاستقلال أو أن يساعدهم الامريكيون أو أية دولة أخرى ، قالوا والاجماع آنهم يفضلون أن يساعدهم الامريكيون الذين تعلقد آنهم شعب سلام وحرية وعدالة ، غير ان ذلك لم يحصل ، فقد سلمت فلسطين الى دول أخرى ، ولا اريد ان اتمى القصة ، ولكن الذي أردت أن أبينه هو ان ذلك الجزء من العالم يكن وعكذا بالتبابة عن زميلي الامريكي هذا أود أن أرحب به وله والشرق شرعب نخب حالما الملك فيصل ونخب شيخنا وزير الخارجية الصديق (صديق) »

وهذا لا ينطبق على الملكة السعودية فقط ، هناك دول عربية أخرى تحتاج الى هذه المساعدة .

وبالنسبة الى هذا الموضوع : انك لا تستطيع أن تطلب الى السعودية كصدقة ، انها مصلحة متبادلة ، وكلما درسنا هذه المصلحة المتبادلة بصورة شاملة وبمعترام متبادل اكثر ، وجدنا أن شريكم يستطيع أن يقدم مساعدة عظيمة لبلادنا ، كذلك بلادنا ، بالطبع ، ولا أعلم ما هو رأيكم ـ « بالطبع أو الكثير » الذي نريده ـ

تستطيع ايضا أن تساعد الولايات المتحدة .

كل ما نتطلع اليه هو أن يواصل صديقنا هنري بذل جهوده بدعم من حكومة الولايات المتحدة ، ومن المسؤولين في الولايات المتحدة ، لانهاء مهمته ، بصورة عسكية ، ليعمل السلام مساندا في منطقتنا .

واذا حصل هذا ان يكون هناك مكان لاعداء السلام ولاعداء التقدم ولولئك الذين يريدون أن يعيدوا طي الشاكل .

وبعد ذلك حالما يسود السلام في الشرق الاوسط ، آخر أنها ستكون خطوة لكي يسود السلام في جميع العالم .

لقد أن الى اكثرت الكلام ، وآمل أن تكون لقى الانجليزية مفهومة ، لانى ما زلت أتحدث لغة عربية ـ انجليزية ، واذ أنهى كلامي ، أطلب اليكم أن تقوموا الى أي شرب نخب فخامة رئيس الولايات المتحدة ، ونخب سعيفينا ، ونخب شعب هذه البلاد العظيمة ، شكرا لكم (تصفيق) .

[٥] خطاب كيسنجر في الأمم المتحدة عن الأزمة الاقتصادية

[نيويورك ـ ٢٣ سبتمبر ١٩٧٤]

حضرة الرئيس ، حضرة السكرتير العام ، حضرات المندوبين المحترمين ، سيداتي ، سادتي : في العالم القديم ، في شطايي الاول كوزير للخارجية في تحدثت الى هذه الجمعية عن المخاوف الامريكية ، وقلت ان الولايات المتحدة تمسي وراء سلام شامل ينظم وليس مجرد هدنة . ولقد طلبت من دول أخرى أن تنضم الى في الانتقال بالعالم من الانفراج الى التعاون ، ومن التعايش الى التآلف .

خلال العام المنصرم أحرز تقدم في معالجة أزمات معينة ، غير أن كثيرا من القضايا الاساسية لا تزال قائمة وتجدد نفسها جديدة بتهان الاستقرار العالمي نفسه .

ان أحدى مشاكلة نواجهها وتتجاوز المواد المدرجة على جدول أعمالنا ، هي ما اذا كانت رؤيتنا ستطيع مساعاة تحدياتنا ، وهل سيفكر القادمون القرن العشرين على انه زمن نزاع مالي ، متصاعد أو بداية ادراك مالي ، وهل سيعتبر عصرنا التقدم على الاضطراد المتبادل على التقدم أو سيتجلب كارثة ؟

الجواب ليس واضحا بعد . نحن نقف في وضع دقيق حو ان الوقائع الجديدة لم تتطلب بعد على السلطة التفكير والعمل القديمة والمفاهيم التقليدية ـ السيادة القومية والتكامل الاجتماعي والعلاقة بين الدول القديمة والدول الجديدة التي غالبا ما تقود طريقنا ، وهكذا دبرنا أمرنا لكننا لم نقدم ، ونعملنا ، لكننا لم نؤهر . ووأسلنا رفاهية الاعتواء السياسي .

وهذا الوضع يرز بصورة فراماتيكية خلال الفترة القصيرة منذ ظهدة الخريف الماضي العاصفة . لقد انطلت الحرب الشرق الاوسط وتبريس . وتغيرت المتغيرات النووية واصلت انتشارها الخطر ، وتضخم الاسعار وخطر الكساد يخيمان فوق اقتصاديات الاقتيصاديين الفقراء على حد سواء .

نحن لا نستطيع السماح لهذا الاتجاه بالاستمرار . فالنزاع بين دول كانت متضررة لا يزال قائما والكفاح من اكثر قد يهدم البشرية . ان العقائد والنظريات المستمدة من القرن الماضي لا تحل ولا حتى تواجه مشاكل اليوم التي لم يسبق لها مثيل ، ونتيجة ذلك ، فان الاحداث تتحدى العادات وتتسع الهوة بين الكلام المنمق والواقع .

لقد عالج العالم متاوضات سابقة كما لو كان في الامكان السيطرة عليها الى الابد ، وسمحنا للعديد من الاسباب الكامنة وراءها بان تتفجر دون عملية ما ، الى ان ظن الفرقاء ان السبيل الوحيد لسلامهم هو الحرب . ونظرا الى أن كل ازمة لمكن حصرها آخر الامر ، بدينا متوانين . غير ان التخاذلي عن التزامات المحلية يثري بحدوث دمار عالمي . ليست لدينا مشكلة بأن هذه الازمة المحلية او الازمة الدائية لن تشتجر مصورة يخطر السيطرة عليها .

لقد عالج العالم الاسلحة النووية ، كما لو أن ضبط التفسي كان شيئا آليا ، ان الخطر المزدج لهذه الاسلحة تهدمنا لعوالي ثلاثة عقود ، وساعد تعقيدها وتكاليفها الباهظة على تحديد سباق الدول التي تمتلكها لعقيد من الزمن تقريبا ، والان ، كما كان متوقعا تماما ، أصبحت الموانع السياسية معرضة لخطر الانهيار ، وأصبحت الكارثة النووية تبدو أكثر احتمالا ـ سواء عن طريق التصميم أو سوء التقدير أو الحادث العرضي أو السرقة أو الابتزاز .

لقد عالج العالم الاقتصاد كما لو أن تقنيه المستمر سهلي لا يلين ، وبرهين كان النمو في فترة بالعمد الحرب فيه مؤلمين وخلقت بعض أجزاء العمال ، لا تركة أعتمادنا على كيفية زيادة المشاركة في كعكم هام ، وبدأنا نعالج القضايا الاقتصادية على أساس قومي أو كليمي أو على أساس الكتل ، في الوقت الذي يزداد فيه اعتمادنا بعضنا على بعض ، ان أجهاد تصبح اقتصاد العالم وتوسعاته بعيد بل يغمرنا جميعا في كساد عسام .

ان البنيان الدقيق للتعاون الدولي الذي شيد بذلك الجهد الكبير خلال ربع القرن الماضي لن يستطيع الصمود ، وبالتأكيد في الامكان تعزيزه اذا بقي يتعرض الى صدمات النزاع السياسي والحرب والأزمات الاقتصادية .

وعليه ، فقد حان الوقت لكي تتصرف الدول المجتمعة هنا على أساس الاعتراف بأن استمرار الاعتماد على شعارات قديمة ومخاصمات تقليدية سيؤدي بنا الى :

ـ حرب حتى آخر نفوذ بين الاقوياء والفقراء ، وبين الشرق والغرب ، وبين المنتج والمستهلك .

ـ عالم حيث المؤتمرات العلمية تعقد بمهابة عالية ، وحيث الفرد المفكرة تعد بخطر مالي .

ـ عالم من التكاليف المرتفعة والمؤن للشعوب بين السكان المتكاثرين والانتاج المتدني .

غير ان هناك سبيلا آخر ـ في الاسبوع الماضي وايام هذه الجمعية ، نذر الرئيس فورد بلادنا لسعي تعاوني ومشترك لبناء عالم أكثر امنا وازدهارا . ان الولايات المتحدة ، تقوم بالالتزامات التي تفرضها علينا امننا وفرقنا .

الا ان بناء عالم تعاوني هو خارج مقاول أية دولة واحدة ، فالعالم المتكل بعضه على بعض بصورة متبادلة يحتاج ليس فقط الى موارفدنا جميعا ، بل الى تصوراتنا وقدرتنا الخلاقة ، والدول لا تستطيع ان تتجاهله وان تتحارى في تدني أولوياته ، ثم بعد في استطاعتنا ان نلاحق مصلحتنا القومية أو الانظمية او الدولية ان الكتلة الا ضمن اطار عالمي .

علينا ان نعترف بأن المصلحة المشتركة هي الى الاطباق الشرعي في حيلة المصلحة القومية .

ان من المصلحة المشتركة ، وحكذا من مصلحة كل دولة :

ـ ان فعل المؤتمرات المحلية دون استخدام القوة ، وان تزال اسبابها الجذرية بوسائل سياسية .

ـ ان يتم انتشار التقنية النووية دون انتشار الاسلحة النووية .

ـ ان يرتفع الانحلال الاقتصادي للمتبادل الناس جميع الدول في العالم ، ولا يجرها سما الى اسفل .

اننا لن نحل هذه المشاكل خلال هذه الدورة او أية دورة من دورات الجمعية العمومية .

ولكن علينا على الاقل ان نبدأ :

ـ في اصلاح المشاكل وليس فقط تدبير امرها .

ـ كبديل الاحداث بدلا من تحملها .

ـ مجابهة الحتميات بدلا من مجابهة بعضنا لبعض .

١ ـ البعد السياسي :

ان المسئولية السياسية العاجلة لمصرنا هي حل النزاع بين دين حرب . ان التاريخ حافل بالامثلة على التأسي التي تتعرض لها الدول ، منذ تهدد الحدوات القديمة والعصور الذاتي المجال لاخفاء القرارات . كذلك التاريخ يشير بعبارات كبيرة عندما يتصدع نظام قديم في المجال أمام نمط جديد لم يجر التنبؤ به . ان هذه هي اوقات الاضطراب وخطر حقيقي ، ولكن ايضا اوقات فرصة لخلق جديد .

دعونا نكن واقعيين بشأن مايتبغي عمله . ان ان المفاوضة هو تحديد اهداف يمكن تحقيقها ضمن والتضحية ، وبلوغ هذه الاهداف بتصبر ، وكلا خطوة الى الامام تحمل تصورا ذهنيا ، وتوجد وضعا جديدا يحسن فرص الوصول الى تسوية فعلية .

ونظرا الى ان هذه المجلوبين ابعث في الشرق الاوسط ، أمكن الوصول الى اتفاقات في العام الماضي ، حسب الكثيرون انها مستحيلة . وقد تحققت فرق كل شيء بسبب حكمة زعماء الشرق الاوسط الذين قرروا انه حصل من الحروب والتألم ما يكفي ، وان المزيد يمكن ان يكسب من طريق اختيار بعضها لبعض بالمفاوضة ، بدلا من اختيار بعضها في ميدان المعركة .

ان اعضاء هذه الهيئة ، كمجموعة وكافراد ، لهم مسئولية خطيرة بان يشجعوا ويؤيدوا القيادتين في الشرق الاوسط في اتجاههما الحالي . واذا ما تحقق ذلك التزام بان نبقى ثابتين لقوات حفظ السلام الدولية في الشرق الاوسط وغيره من الاماكن . ان الولايات المتحدة تشيد بدورها الذي لا يمكن الاستغناء عنه ، فضلا عن مساهمة السكرتير بالدهاس المباركة في قضية السلام .

غلال العام الماضي بشكل بادرى جهدا كبيرا لتعزيز السلام في الشرق الاوسط ، وقد طلب بحق الرئيس فورد ان لا نكف مجددا اليوم . اننا محسنون على الماضي

قدما في هذه الجهود . اننا مستعملين بصورة وثيقة مع الدولة ومتشاورين مع جميع الدول المهتمة بالامر ، ضمن اطار مؤتمر جنيف .

جزيرة قبرص المحلية هي منطقة اخرى حيث تتطلب السلام روح مصالحة وتسوية وعدالة . ان الولايات المتحدة ملتزمة بان سيادة قبرص واستقلالها الحيادي وسلامتها الاقليمية تجب المحافظة عليها ، وسيكون على القرداء ان يقرروا شكل الحكومة التي يعتقدون انها تلائم اوضاع قبرص بالذات ، على افضل وجه ، وعليهم ان يتوصلوا الى تسوية حسول المنطق التي ستكون بالرغم المتباينين التعبيرات الدينية والتركية ، وكذلك الظروف التي يستطيع فيها اللاجئون ان يعودوا الى منازلهم ويقيموا في سلام . واخيرا ليس هناك سلام دائم يمكن التحقيق ما لم يتفق على شروط تؤدي الى خفض عديد القوات المسلحة والسلاح وغيرها من انواع العتاد الحربية بصورة متوازية ومرحلية .

ان الولايات المتحدة مستعدة ان تلعب دورا فعالا حتى اكثر من الماضي اذا

اننا نواجه مثل هذه اللحظة اليوم ، فدعونا نواجهها ونتخذ ما :

اولا : ان قوة دائمة نحو السلام قد توافرت .

ـ في العلاقات بين الشرق والغرب وفي بعض التزامات الطليعية ، وهذا الزخم يوجب الابقاء عليه . لكننا فقط في بداية العملية . لقد خلقنا من حسنة التوترات لكننا بعيدون عن المسلمة ، واذا ما تصغر في التكلم ، فاننا ستتعثر في الوراء .

ثانيا : ان التكلم في مفاوضات حول تخفيض سمعة سيئ فقط بالصبر والمثابرة والاعتراف بعدود الجانب الاخر التي يمكن احتمالها . ان السلام حسن عملية وليس حالة ، ولا يمكن تحديده الا في خطوات .

ثالثا : ان عدم الاعتراف بما يمكن تحقيقه بالتمسك به سيمنع تحقيق ما هو منطقي ، وان محاولة حل جميع المشاكل دفعة واحدة هي وصفة اكيدة للركود ، وان التقدم نحو السلام يمكن احتماله بطلب الشيء الكثير جدا بصورة ملكحة ، بقدر بطلب الشيء القليل جدا .

رابعا : ان المجتمع العالمي يستطيع ان يساعد على حل النزاعات المزمنة ، غير ان التوقعات المبالغ بها ستتبع المصالحة المضرورية بين الفرقاء . وهذه الجمعية تستطيع ان تحين او تعرقل عملية المفاوضة ، انها تستطيع ان تبحث من كبش فداء او حل ، وهي تستطيع ان تعطي الفرقاء مذرا كي يهربوا من الواقع او من الدعم الدولي في حين انها تستطيع ان تعقد الدعاية او تساعد في حلول واقعية تستجيب للشوق الانسان الى السلام .

ان الشرق الاوسط يبرز حدة الاعتبارات شيدة ، فخلال العام الماضي عادت الحرب العربية ـ الاسرائيلية الرابعة ، خلال جيل ، والبداية المباشرة بالمسل لعملية سياسية تؤدي الى سلام دائم وعادل .

لقد حققنا بهذه وقف اطلاق النار واتفاقي فك ارتباط ، غير ان فشل الحرب لا يزال قائما . ان تركة الكراهية والعداب والشعور باستحالة التوفيق اخذت تتصلب ، مهما كان داخل صورة مفزعة ـ ايام عملية الفاوضات ، ولكن ـ ما زال امامنا طريق طويل .

ان احد الجانبين ينقصه استعادة الارض والعدالة لشعب مشرد ، والجانب الاخر ينشد الامن واعترافا مبررا له بشرعية وجوده كدولة . وهدف السلام المشترك هو في النهاية عرض بالتأكيد ، بما يكفي ليفسح جميع هذه الاماني ،

■ وزير الخارجية الامريكي في مؤتمره الصحفي الذي اعلن فيه عزمه على الاستقالة اذا لم تهدأ محاولة اثارة موضوع اتهامه في قضية ووترجيت في مايو ١٩٧٤ •

مساعدة الفريقين على ايجاد حل لمشكلة قبرص التي تعود الى قرون ، وسنفعل كل ما في وسعنا ، غير ان اولئك المعنيين بالامر مباشرة هم الذين سيكون جهدهم حاسما اكثر من الجميع • ان الفريق الثالث يجب الا يطلب منه ان يأتي بنتائج عجيبة لا ترتكز على الواقع • ان الفريق الثالث يستطيع ان يشجع اولئك المعنيين مباشرة ، على ان يدركوا مصالحهم الاوسع ، وفي امكانه ان يساعد في البحث عن عناصر الاتفاق بتفسير آراء ودوافع كل جانب الى الجانب الاخر ، ولكن لن يستطيع اي وسط ان ينجح ما لم يرغب الفريقان في هذه الوساطة رغبة صادقة ، وما لم يكونا مستعدين لاتخاذ القرارات الصعبة اللازمة للحل •

ان الولايات المتحدة تقوم الان فعلا بمساهمة كبيرة في المساعدة على التخفيف من الالام الانسانية التي يعانيها شعب قبرص ، ونحن نحث الاسرة الدولية على ان تستمر ، واذا امكن ، ان تزيد مجهودها الانساني من الاغاثة •

وتسجل الولايات المتحدة بارتياح خاص استمرار عملية التغير في افريقيا • ونحن نرحب بذلك المظهر الايجابي من التعاون بين الحكام القدامى والشعوب الحرة الجديدة وان الولايات المتحدة تتعهد بتقديم دعمها لاماني الافريقيين للمشاركة في قطف ثمار الحرية والكرامة الانسانية •

٢ ـ البعد النووي

البعد الثاني الجديد على جدول اعمالنا يتعلق بمشكلة التكاثر النووي •

لقد اصبح العالم معتادا على وجود الاسلحة النووية ، بحيث يفترض انها لن تستخدم ، غير ان التقنية اخذت اليوم تزيد بسرعة عدد الاسلحة النووية التي في ايدي الدول العظمى ، وتهدد بوضع تقنية التفجير النووي تحت تصرف عدد متزايد من الدول الاخرى •

في عالم حيث يملك كثير من الدول اسلحة نووية ستكون الاخطار جسيمة ، وسيكون من الصعب جدا ان لم يكن من المستحيل المحافظة على الاستقرار بين عدد كبير من الدول النووية ، وستتخذ الحروب المحلية بعدا جديدا ، وسيجري ادخال اسلحة جديدة الى مناطق حيث يظل النزاع متأزما ، ويعتبر الفرقاء مصالحهم الحيوية معنية الى حد كبير • وسيكون هناك ايضا خطر متزايد جدا من انغماس مباشر للدول النووية الكبرى •

ان المشكلة لا تقتصر على دولة واحدة او منطقة واحدة او كتلة واحدة • ليست هناك دولة تستطيع ان تكون غير مبالية بانتشار التكنولوجية النووية ، ذلك ان الامر يتصل مباشرة بامن كل دولة •

ان التحدي الذي يواجه العالم هو ادراك المكاسب السلمية للتقنية النووية دون المساهمة في نمو الاسلحة النووية او في عدد الدول التي تملكها •

ان الولايات المتحدة بصفتها دولة نووية كبرى تعترف بمسئوليتها الخاصة • نحن نعترف باننا لا نستطيع ان نتوقع من الاخرين ان يظهروا ضبط النفس اذا نحن انفسنا لم نتحل بضبط النفس • ونحن نسعى بالاشتراك مع الاتحاد السوفييتي الى اجراء مفاوضات حول تحديد الاسلحة الاستراتيجية من حيث النوعية والكمية •

وقد اجتمع وفدانا في جنيف في الاسبوع الماضي ، ونحن عازمون على المضي في هذه المفاوضات بجدية الغاية التي نستحقها • فالولايات المتحدة لا اسبقية لديها على ضبط وخفض مستوى الاسلحة النووية •

وابعد من العلاقات بين الدول النووية تكمن الحاجة لمعالجة امر وانتشار التفجيرات النووية • يجب ان نأخذ بعين الاعتبار ان مادة البلوتونيوم هي عنصر جوهري من عناصر المتفجرات النووية وانه في المستقبل القريب ستتكاثر كثيرا كمية البلوتونيوم المتولدة من المفاعلات النووية السلمية •

وحتى الان قدمت الولايات المتحدة وعدد من الدول الاخرى على نطاق واسع وقودا ومواد نووية اخرى ، لتعزيز استخدام الطاقة النووية لغايات سلمية وهذه السياسة لا يمكن ان تستمر اذا ادت الى تكاثر المتفجرات النووية • ان بيع

هذه المواد لم تعد في الامكان معالجته بخروج دجاري تنافسي محض ، وعليه ، يجب على الاسرة العالمية أن تعمل بصورة مستعجلة لايجاد نظام من الضمانات الدولية الفعالة ضد تحويل البلوتونيوم الى متفجاته الذرعية تحو صنع متفجرات نووية ، والولايات المتحدة مستعدة للاشتراك مع دول أخرى في جهود شامل .

فدعونا نتفق بما على الخطوات العملية التي يجب أن تتخذ لضمان فوائد الطاقة الذرية مهددة من أعدائها !

- ان الولايات المتحدة ستدرس قريبا باقتراحات محددة لتعزيز الضمانات المتداول للرئيسية الاخرى المولدة .

- سنمول جمهورنا لكسب أوسع قبول ممكن لضمانات وكالة الطاقة الذرية الدولية لانشاء وكالة عليا على تحويل المواد النووية ، ولضمان فعالية هذه الاجراءات .

- ان الولايات المتحدة ستحث وكالة الطاقة الذرية الدولية على وضع ميثاق دولي لتعزيز الامن الطبيعي ضد سرقة المواد النووية أو تحويلها الى جهات أخرى . ومثل هذ الميثاق يجب أن يحدد بنوده وأساليب لحماية المواد في أثناء استخدامها وتخزينها ونقلها .

- ان المعاهدة الخاصة بعدم تكاثر الاسلحة النووية والتي صادقت عليها هذه الجمعية تضمن أعضاء التأييد الكامل والمتواصل ، والمعاهدة تتضمن ليس فقط التزاما هريضا بالحد من انتشار الاسلحة النووية ، بل التزامات محددة لقبول وتنفيذ ضمانات وكالة الطاقة الذرية الدولية ومراقبة نقل المواد النووية .

جضرة الرئيس ، أيا يحت التزاما التي تتشأ عن اتفاقات لتنمية الاسلحة النووية ، فهذا سيثبت أنها سرمية الزوال . انه عندما نفتح وعلية بأندية ، ان تكون هناك دولة واحدة مستفيدة ، بل ان البشرية جمعاء ستضرر لذلك أننا سنعيش هنتذك في عالم أصبل فيه الاصطراع الى التاريخ ، وأصبح الخوف حقيقة شاملة .

وهذا ليس أمرا لا مفر منه ، أننا اذا تصرفنا الان بصورة حاسمة ، فاننا نستطيع بعد التحكم في مستقبلنا .

٣ - البعد الاقتصادي

لقد كتب لورد كينز يقول ان قدرة البشر على أن يتكيفوا مع بيئتهم هي أعجب

خصائصهم ، وقائل منا هم الذين يدركون بقناعة طبيعة التنظيم الاقتصادي غير المادية وغير المستمرة والمعقدة ، وغير الموثوق فيها والمرتقة .

ان التاريخ الاقتصادي لحقبة ما بعد الحرب تميز بالنمو المتواصل للدول المتقدمة ، فضلا عن النمو الناجم ، وقد ارتكز الترف العالمي للخمسينيات وستين بواسطة السياسة الموالمور المتصل بتيارات العالم المتطور - وارتكزت كلها على الاعتقاد أن هذا النمو سيستمر .

ولكن هل سيستمر فعلا ؟ ان النظام الاقتصادي العالمي المنفتح والمتعاون الى حد كبير الذي تعتبره مسلما به ، يتعرض الان لهجوم لم يسبق له مثيل . فالعالم يقف على حافة العودة الى القومية الاقتصادية غير المكبوحة التي وافقت لثلاثينيات . ولذا عمل ذلك فسيتعطب الجميع - الفقراء فشلا عن الاغنياء . المنتج فضلا عن المستهلك .

وهكذا ، فعدونا لا نخفي بعدالاوان نجاهه طنا الحقائق التي أخذت تسيطر على مباحثاتنا واعمالنا الخاصة .

ان الدلائل التحذيرية المبكرة على أزمة اقتصادية كبيرة ، واضحة . فنصب التضخم الذي لم يسبق لها مثيل خلال ربع القرن الماضي أذهل اقتصاديات الدول المتحدة والدول النسبية على السواء .

وللمؤسسات المالية العالمية أخذت تتزنح تحت وطأة أضخم وأسرع تحركات للاحتياطي عرفها التاريخ . وبرزت أسئلة عميقة حول مواجهة أكثر حاجات الانسان الحاحا للطاقة والغذاء .

وفي حين يهدد الوضع الحالي كل فرد وأسة ، فالفقراء هم الذين يعانون أكثر من غيرهم . وفي حين يستطيع الاغنياء أن يكيفوا معتاي معيشتهم ، لا يرى الفقراء أمامهم سوى اليأس .

ولن يكون في مصلحة دولة واحدة أو مجموعة دول أن ترصم سياستها على أساس اختيار القوة ، لان سياسة المجابهة ستتقبى بكارثة للجميع . ومواجهة حاجات الانسان للطاقة والغذاء ، وضمان النمو الاقتصادي في الوقت الذي تتطلب فيه السيطرة على تضخم الاسعار تعاونا دوليا لدرجة لم يسبق لها مثيل .

فدعونا نطبق هذه المبادىء أولا على وضع الطاقة .

- ان منتجي الزيت ينشدون حياة أفضل لشعبهم ومردودا عادلا لمواردهم المنضبة .

- ان الدول النامية التي كانت ذمية الطبيعة طيبا أثل ، تواجه انهيارا في نتائج عنوه من الكفاح لاجل الانماء بسبب سياسة تسعير لا سلطة لهم عليها .

- ان الدول النامية تجد الحضارة الصناعية التي شيدت خلال قرون معرضة للخطر .

وهكذا ، فان الدول المنتجة والدول المستهلكة مما لديها مطالب مشروعة ، والمشكلة هي التوفيق بينها من أجل الخير العام .

والولايات المتحدة تعمل بصورة وثيقة مع عدد من الدول المنتجة للبترول ، للمساعدة على تنويع اقتصادياتها ، لقد انشانا لجنة لتسهيل تحويل التكنولوجيا وللمساعدة بالتصنيع . ونحن مستعدون لقبول استثمارات جوهرية في الولايات المتحدة ، ونرحب بدور أكبر لمنتجي البترول في ادارة المؤسسات الاقتصادية الدولية .

ان استثمار الفائض من دخل البترول يشكل تحديا كبيرا ، والدول المتحدة تحتاج الى هذا الدخل أكثر من الجميع ، في صورما الاجل احتمالا لان تحصل عليه . لقد عملت المؤسسات المالية الدولية هي الان بنجاح ، ولكن يجب ايجاد وسائل لتأمين المساعدة لتلك الدول التي تحتاج اليها أكثر من غيرها ، والعبء الكلي للمداخيل الفائضة لم يجربه بعد .

ولكن رغم الفضل ، جهدنا لتلبية الحاجات الشرعية لمنتجي البترول وتوجيه مواردها نحو استعمالات بناءة ، لان العالم لا يستطيع تحمل حتى المستوى الحالي للاسعار ، وبصورة أقل من ذلك كثيرا ، الزيادات المستمرة . ان أسعار السلع الاخرى لابد ان ترتفع بصورة نوعية لا نهائية لها ، وان يستفيد أحد من مثل هذا السباق ، وسيضطر منتجس البترول الان ينظروا اليوم من أجل واردا تهم الخاصة ، ولن تتمكن دول كثيرة من أن تتحمل صدمة السير ، ويمكن أن تصاب الدول الفقيرة بالاختناق ، ان بنيان التعاون الاقتصادي العالمي المعقد الملزم للابقاء على النمو الاقتصادي الوطني يتعرض لخطر التمزق .

ومتحمل الولايات المتحدة مع دول أخرى مستهلكة على ايجاد وسائل لصيانة الدول المستهلكة وطرق لتخفيف وطأة الاستثمارات الضخمة من الخارج . وان الاتفاق التمهيدي على برنامج من التضامن والتعاون جرى توقيعه قبل بضعة أيام في

بروكسل من قبل الدول المستهلكة الكبرى ، هو خطوة أولى مشجعة .

غير ان الحل الطويل الأمد يتطلب تفاهما جديدا بين المستهلكين والمنتجين ، فبالاضافة لأسعار الأغذية ، فان سعر البترول المرتفع ليس نتيجة عوامل اقتصادية ، كالنقص الفعلى فى المعروض وفى اطلاق حرية العرض والطلب ، انه على العكس من ذلك ، ناتج عن قرارات متعمدة لتحديد الانتاج والابقاء على مستوى غير طبيعى من الأسعار .

اننا نعرف بأن الدول المنتجة يجب ان تنال حصة عادلة ، وحتى هذا فحصيلتها ان الأسعار الحالية تعمد حتى الرفاهية الاقتصادية للمنتجين . انهم يعتمدون آخر الأمر على حرية الاقتصاد العالمى لأجل ثمن أصولهم واستثماراتهم ، ولا يمكن ان يكون من مصلحة أية دولة ان تجسم بأس الدول الأقل تطورا التى هى بالفعل المتضرر من جراء الأسعار المرتفعة ، والتى لا سبيل أمامها سوى ان تدفع .

ان بنا ارتكاب نتيجة قرار سياسى يمكن خفضه بقرار سياسى .

فى الأسبوع الماضى وهنا الرئيس فورد الدول المنتجة للبترول للاشتراك مع الدول المستهلكة فى تحديد استراتيجية سلمى جماعية للأعوام الطويلة الأمد المطلوبة وللقاء بأسعار معقولة . وحدد المدعوون الذى يجب ان تتوفى وما يمثل هذه السياسة ، واطلق أمام هذه الجمعية تصميم امريكا على قيمة محسولياتنا بالمساعدة على خفيف حدة واقع ماثم آخر هو المواجهة العالمية .

لقد فى وقت من الحرص العالمى على العدالة فى بعض من التقنية التقنية ، من غير المعقول ان يعانى الملايين الجوع ويرفى مئات الملايين سوى الغذاء .

ان ضخامة المشكلة الطويلة الأمد واضحة . فحسب نسبة نمو السكان الحالية ، يجب ان يتضاعف انتاج الأغذية عند نهاية هذا القرن للابقاء حتى على المستوى الحالى من وجبات الطعام . ولكى تتوافر وجبات كافية من الطعام لجميع العالم ، يجب ان تزيد الانتاج الحالى ثلاثة أضعاف . واذا كنا صادقين تجاه مهمتنا ، علينا الآن المكافحة من أجل توفير مؤونة كافية من الغذاء لكل رجل وامرأة وطفل فى العالم ، وهذه أخلاقية تقنية وضرورة سياسية وحتمية خلقية .

ان الولايات المتحدة مستعدة للاشتراك مع جميع الدول فى مؤتمر الغذاء العالمى فى روما لتشخيص المجهود الضخم اللازم ، وستقدم عددا من المقترحات المحددة :

— لمساعدة الأقطار النامية ، ان لديها أراضى محصول وكبير كميات من الأرض والمياه غير المستغلة ولكنها بها من حيث الانتاج الغذائى ، يجب ان توازى حاجاتها المتنامية » .

— لزيادة الانتاج الدولى من المخصبات بزيادة جوهرية ، يجب ان تتبع هذا تعاونا لنفس العالم الذين من المخصبات .

— لتوسيع برامج الأبحاث الدولية والاقليمية والمحلية ، ان الموارد العلمية والتقنية تجب تعبئتها الآن لتلبية متطلبات العام ٢٠٠٠ وما بعده .

— لاعادة بناء احتياطى العالم من الأغذية ، ان قررنا على مكافحة الجوع يجب ان تتحرر من تقلبات الفائض .

— لتوفير مصادر جوهرى من المساعدة الغذائية ، يجب ان تصول دون اختلاق الدول الفقيرة وتعاطفها على بقدم القاعدة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للكفاية الذاتية .

ان الولايات المتحدة ستزيد خلال السنة المقبلة فيما معاعداتنا من الأغذية الى الدول المحتاجة ، ونحن نقوم بهذا الالتزام رغم لزدياد الضغط على اقتصادنا ، وفى وقت نتصدى فيه لخفض ميزانيتنا المكبرية ، لاننا ندرك أبعاد المأساة التى نواجهها ، نحن جميعا هنا نعيش مشكلة مشتركة هى مساعدة الدول الأفقر حالا .

ان لكل كل دولة فى ان تحيا حياة سلام ووفرة تعتمد على تصوية دولية لمشاكل لازمات التضخم والوقود والأغذية . علينا ان نعمل الآن وعلينا ان نعمل معا .

حضرة الرئيس ، دعونا لا نلمس قط ان جميع مساعينا السلمية سيحكم عليها آخر الأمر بمقياس واحد ، هو قرجة أعمالنا الى أحتياجات الضعفاء .

ان الولايات المتحدة ان ارتاح الى عالم تظلل فيه مخاوف الانسان أعماله . اننا نؤيد جهود الأمم المتحدة فى حقول الدائون الدولى وحقوق الانسان ، ونحن نحيد نشاطات الأمم المتحدة فى المقبول الاجتماعية والاقتصادية والانسانية فى العالم . ان الولايات المتحدة تحدد مؤتمر الأمم المتحدة العالمى حول المكان الذى عقد فى العام الماضى ، ومؤتمر الغذاء العالمى الذى سيعقد بعد شهر من الآن ، ومؤتمر قانون البحار العالمى — عظيمة الأهمية بالنصبة الى مستقبلنا المشترك .

ان الولايات المتحدة مستعدة خلال العهود المقبلة مقترحات محددة الى الأمم المتحدة المبادرة فى مجهود دولى لتبديد لذع التخريف فى القانون الدولى ومحاكمة منسقة للسيطرة على المرض الذى يصيب ويرهن أكثر من ٥٠٠ مليون شخص فى ٧٠ دولة — وفى تدعيم جرفوس لقدرة العالم على مجابهة الكوارث الطبيعية وبخاصة تحسين نظام الأمم المتحدة للاغاثة من الكوارث .

٤ — الخاتمة !!

حضرة الرئيس ، لقد هذنا زمنا طويلا فى عالم كانت فيه نيات فضلنا قابلة للسيطرة — عالم أمكن فيه أحداث المأزمات المحلية ، وقدمت الأسلحة النووية بالدبلوماسية الأولى للعول النهى المكتملة ، وأبدت دورة النمو والانحطاط الاقتصادين احتياما قويما بسيطرة رئيسية .

غير ان الوضع لم يعد كذلك . اننا نجابه وضعا قد تغير تغيرا اساسيا ، انه لم يعد فى الامكان التصدى لن التزامات والأسلحة والكساد لن تنتظر .

ان من السهل المراقلة على مجموعة أخرى من المبادىء او الاجراءات التى يجب ان تتخذها دول أخرى ، غير ان حلمات القدوم لن تبنى بالشعارات ، وحاجات اقتصاد عالمى يصح ان ابى بالرد جديدة ، والبحث عن السلام لا يمكن القيام به على أساس المجابهة ، وهكذا فان كل دولة يجب ان تعمل جادة ، ستطيع ان تعمل ، وأية مساهمة هى مستعدة لتقديم اليوم هنا من أجل الخير المشترك .

حضرة الرئيس ، وراء السلام وراء الازدهار تكمن أعمق أمانى الانسان من أجل حياة من الكرامة والعدالة . ووراء الكرامة ووراء حريتنا هى الغاية القومية

نحن مدعوون لان نخدم . يجب ان يكون هناك اهتمام بتحسين حالة البشر ، وفى حين لا نستطيع شمل المحنة البشرية

المتوافرة لكل منا لن نزيل مشاكل الفردن المتراكمة ، لا لنجرأ على أن نعمل ما هو أقل من أن نجرب ، لدعونا نشرع فى عملنا .

دعونا نضرب بروح «التكنيدس» بأن الجميع الناس هم بالتأكيد الذين لديهم الوضوح لتصور لما هو أبعد — المجد والنظر على السواء — دمج ذلك الخدوع لواجتهما .

هناك أمل الآن ، لان ضرورتنا ملزمة ، لذا نحن نقط اعترفنا بذلك .

العصر الحديث

HOBOE BPEMЯ

أسبوعية سوفييتية للشئون الدولية

تصدر باللغات

الروسية
الفرنسية
الأسبانية
التشيكية
الإنجليزية
الألمانية
البولندية

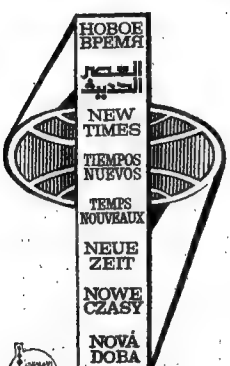

اقرأها أيضا

باللغة العربية

المجلة السوفييتية للشئون الدولية

تصدر كل ثلاثاء • الثمن ٣٠ مليما

الطليعة

ملحق الأدب والفن

- أم كلثوم .. الحقيقة والأسطورة
- صورة المرأة: في أدب نجيب محفوظ
- النسر الأحمر في المسرح القومي
- الزيني بركات ودولة البصاصين

في هذا العـدد :

أم كلثوم .. الحقيقة والاسطورة :

- أم كلثوم : والمسرح الغنائي
- القبة التي تربعت عليها أم كلثوم ينبغي أن تبقى شاهدة

صورة المرأة : في أدب نجيب محفوظ :

الأدب والفن في شهر :

- سينما : زائر الفجر .. صحوة الوعي تشتد
- : أسبوع القيلم البولسلافي
- مسرح : النمر الأسير في المسرح القومي
- رواية : الزيني بركات ودولة المماليك
- تعليق : حول طبعة حسين في ذكراه

هذا الفنان وعالمه :

ادعاءات المواطن سخم سنخام رع « قصة قصيرة »

أم كلثوم
الحقيقة والأسطورة

وعدتنا « الطليعة » بتقديم عدد من آراء الدارسين لفن أم كلثوم .
وفيما يلى نقدم رأيين : احدهما حول دور أم كلثوم فى تجديد المسرح الغنائى .
أما الرأى الثانى فهو حول دور أم كلثوم فى الوقوف بالاغنية العربية عند حدود التطريب لاتتجاوزها .
ولا يزال الباب مفتوحا امام المزيد من اجتهادات الدارســـين .

[١] أم كلثـــوم
والمســـرح الغنـــائى

عنايات وصفى *

لا شك فى أن أم كلثوم ظاهرة فريدة ، فنادرا ما نسمع صوتا يبقى - قوة واقتدارا - خمسين عاما متواليـة . ويطرب بها ثلاثة أجيال متتالية من الشعب المصرى والعربى ، لهذا فهى ظاهـرة مثيرة للدراسين والمحليـل ، من حيث مكوناتها الاساسية .

والمغنى - هى بصوم معينا ساجحا - يجب أن تتوفر له شروط اساسية : أن يكون ذا آلة صوتية سليمة ، وموهبة موسيقية ، وحس فنى مرهف .

وجسم الانسـان - بتركيبه الفسيولوجى - هو الآلة التى تصدر الصوت البشرى ، وصناع الآلات الموسيقية يحتون انواعا شاسعة من الاحتياط لصناعة الكمان والتشيلو وغيرهما ، ويجدون فى ضبط الاوتار وضبطها ، أما الآلـة الصوتيـة الانسانيـة ، فان الطفل يولد بهاتمكنه على نحو معين ، ثم هى تتحدد وتكمل باكتسابه صوت النضج .

هذه آلة تتكون من أجهزة ثلاثة .

● جهاز التنفس ، الانف والحنجرة والقصبة الهوائية والرئتين . ويأتى للحنجرة الحجاب الحاجز وعضلات البطن بدور فى عملية التنفس الهامة بالغناء .

● جهاز اصدار الصوت : اى الحنجرة بما تحويه من أحبال صوتية واربطة تتحكم فى شد هذه الاحبـال وارتخائها .

● جهاز تكبير الصـوت : اى التجاويف الرنينية فى جسم الانسان وأهمها تجويفا الانف والفم .

ولم تكن وحدها الطبيعة هى كل ما صقل صوت جميل ، وموهبة موسيقية وحسا فنيا مرهفا ، بالاضافة الى انهما تلقت بعضهما الاول فى كتاب القرية فتعلمت الى جانب القراءة والكتابة حفظ القرآن وترتيله مما كان له أثر فى اداتها . فهى من طريق الحفظ والتكرار اكتسبت معرفة القواعد الضابطة لمخارج حروف اللغة العربية وصفاتها ، واكتسبت اتقـان النطق بالكلمات واداتها فى الفصح سحاق من طريق اخراج كل حرف من مخرجه الصحيح بإعطائه حقه من الصفات اللازمة له من همس أو جهر ، ومن شدة أو لين الخ ..

ولاحظ أصحابها الشديد باخيها خالد الحذاء بحاكيه وتقليده طريقة القرآن وترديد المواضحات الدينية التى ان أصبح وضوح مخارج الحروف وابراز معانى الكلمات طبيعة من طبائعها وسمة مميزة فى اداتها .

وقد افادها كثيرا التدريب المستمر الذى كان يمارسه تدريجيا المنشدون ، فاكتسبت ركنا هاما للقوة والمرونة اللازمتين لطول نفس المغنى والتحكم فى اخراجه .

ولذا كانت لتجويدهن القرآن الفضل الاكبر فى اكتساب الاسماعيل للمغنى بشكل عام ، وهى حلقات أولية معروفة فان الدافع الى ذلك هو أن نضر على اساس علمى ما انفق على تسميته « بمعجزة ام كلثوم » .

وكذا نلم مدى التغييرات التى ادخلتها على الاغانى التى غنتها فى فترة صوتها الممتاز بالضروب الشرقية - المبتعد من أول الاغانية الى آخرها دون تغيير ، حريتها أيضا من شكل الزخارف اللحنية التى كانت تفسد الكلمات وتطغى على معانيها ، فكان لها رأى خاص فى مطابقة اللحن لكلمات ومعـانى النص الادبى ، فبالرغم من أنها لم تكن ملحنة الا أنها كانت تبدى دائما توجيهاتها الهامـة للملحنين ولم تكن يرضيها ما يقدم لها من انغام ، كما كانت تختار كلمات اغانيها بحساة شديدة ودقة بالغة .

وهكذا وصلت باداتها للاغنية الطويلة الى معنوى مدين ، وأسلوب خـاص ، ان عظمة ام كلثوم المتمثلة فى قوة صوتها والمساحة صوتيـة ، ثم تمكنها من ايضاح معانى الكلمات علاوة على موهبة التواصل بين المغنى والمستمع التى تعتبر الثمن ما تجسود به الطبيعـة على المغنى ، لهو شىء لا يختلف عليه اثنان فقد سيطرت على ناصية الاداء للاغنية العربية الطويلة على مدى نصف قرن .

واذا كان الامر كذلك ، واذا كانت هذه هى مكانة ام كلثوم فان السؤال الذى يطرح نفسه بالضرورة هو اين نضع ام كلثوم باعتبارها الممتاز فى تاريخ الموسيقى والغنـاء المسرحى فى مصر اى المسرح الغنائى او الاوبريت ؟

ان هذا يتطلب أن نعرض عرضا سريعا لتطور الغناء فى نصف القرن الماضى او ربما قبل ذلك .

فى النصف الثانى من القرن الماضى وبوائل هذا القرن شهدت مصر وفرة فى انتاج المسرح الغنـائى احدثت نهضة عندهم فى الاغنية جعلتها تنفصل من اغنية فرديه الى اغنية جماعيه . ومن

---

* رئيسة قسم الغناء بالمعهد العالى للتربية الفنية

اغنية وصلاية الى اغنية دراموية تخضع على التعبير وتتعدى مرحلة التطريب •

فقد اهتم الحكام باستدعاء فرق الاوبرا الاجنبية وبنيت دار للاوبرا ، وكلف الخديوى اسماعيل أحد مشاهير الموسيقى فى ايطاليا « جوزيبى فيردى » بتأليف أوبرا خاصة بمناسبة افتتاح قناة السويس ، وأقتضت خمس مدارس لتعليم الموسيقى العسكرية فى القاهرة [١] • والى جانب هذا أخذ الغناء الفردى طريقه الى الظهور فوجد اسماء لامعة مثل عبده الحامولى (١٨٤٥ – ١٩٠٠) ، ومحمد عثمان الذى يرجع اليه الفضل فى تدعيم الستور المصرى وتسهيله فى القالب الخاص الذى ظل الى عصرنا هذا •

اما عماد المسرح الغنائى فكان الشيخ سلامة حجازى (١٨٥٢ – ١٩١٧) الذى ذاع صيته كمنشد ومجدد للدور والغناء القديم ، غير أنه انفرد بالمسرح الغنائى وحول دواءه منذ عام ١٨٨٩ ، ولئن نجاحا هائلا بدأ بأثره الكتاب يعمدونه بمجموعة ليلية من المسرحيات ، ثم فابخرفلة منيرة المهدية بتمثيل مسرحياته وتوالى ظهور فرق أخرى تسوبت جميعها بالتضحيك والاعجاب •

تخرج لى هذا السيل المندفق من الفرق المشتغلة بالغناء المسرحى ثلاثة من عباقرة المسرحيين المصاصرين لتلك الفترة وهم : داود حسنى (١٨٧٤ – ١٩٣٧) ومحمد كامل الخلعى [١٨٨١ – ١٩٢٨] وسيد درويش (١٨٩٢ – ١٩٢٣) • وقام كل منهم بتأسيس ما يزيد عن ٢٠ مسرحية غنائية ناجحة • واضاف سيد درويش فى مسرحياته مشاهد اساسية لاستعراضات الطوائف الشعبية التى عبر عنها بألحانه ومثلها تمثيلا صادقا ، كما أمتاز بتصوير معانى الكلمات التى تدور عن المشاهد فى الحان جميلة • وهذا نقلب قليلا عند هذا الفنان لتأمل شخصية فارزة فى تاريخ الفن المصرى ، فنان ولد ونشأ فى قلب الطبقة العاملة فاصبح كل ولائه الفنى لها على عكس ما كان شائعا فى ذلك الوقت [٢] • فقد كانت معظم موسيقانا قبله أسيرة الاتقام التركية والفارسية وكانت فنا سجنيا فى القصور مخصصا للزينة وللسيدة السادة وأفضل الصور والوجبة الى عالم الحرير والأقمشة ، ثم كانت رسالة سيد درويش – متدفعا بعبقريته الصافية – هى تحطيم السلاسل التى كانت تحتربط هذا الفن العظيم الى عالم الحريم ثم الانطلاق به الى مسرح الحياة •• حياة السواد الاعظم من ابناء الشعب ليعبر عنهم ويهيجهم ويزرع فيهم الامل والثقة •

ولم تكن الموسيقى الشرقية فى شكلها القديم تحرم الشعب من سماعها فقط بل كانت تحرمه ايضا من الغناء لانها فى تعقيدها لميكن يقدر على ادائها الا جابرة الصوت الرخيم مثل محمد عثمان وعبده الحامولى وغيرهما •• فلما جاء سيد درويش اصبح كل الشعب يغنى وتلك هى اهم معجزاته ، فقد أخرج من الموسيقى من القصور الى الشوارع لانه استحدث اسلوبا جديدا فى التعبير الموسيقى استلهمه من الانغام الشعبية المتأصلة •

ومن الطبيعى ان يتجه سيد درويش الى موضوعات جديدة ذات طابع شعبى وهى بدلا من موضوعات الاغانى التى كانت تؤدى فى القصور ، فبالرغم من انه لم يؤلف الا قلة من تلك الحان وأغانيه الى وضع اشعارها مؤلفون كبيرون الا انهكان مساهما كبيرا فى اغلب اغانى والافكار •

ولما كان مسرح سيد درويش الغنائى هو بحق مسرح الثورة الوطنية وأحد اصلحتها فانه يرتبط هذا اللحان العظيم اخذ هذا النسوع من الاوبريت الشعبى الوطنى بشمعل شيئا فشيئا • ولكن اذا كان المسرح الغنائى قد ضعفيعد ذلك فأى مدى يمكن ان نحمل مسئولية ضعفه ؟ فاهرة أم كلثوم ؟

الواقع انه ربما كان من الظلم أن نحمل ام كلثوم كل المسئولية ، فهناك بالتأكيد أكثر من عامل موضوعى تسبب فى انهيار المسرح الغنائى ، ولكن مسئوليتها تتحدد طى الوجه التالى ، انها اختارت خطا معينا لغناء ، اعتمدته ومسارت به لسنوات ، واطمأنت صوتها وكمال ادائها نهافت عليها الجمهور متقبلا كل ما تقدمه له ، والتف حولها مشاهير الانبساء والملحنين كل منهم يصب عصارة ابداعه الغنى فى هذا القسالب ، ولهذا فهى باسمصرار ادائها لهذا النوع من الغناء تحمل خطا متعمسلا عن تراث المسرح الغنائى كما بلغ قمته فى سيد درويش ، والفارق الواضح هو ان أغانى سيد درويش القصيرة انتشرت وغنت جميع عن الشعر فى كل نعمهولة لمن الاغنية وقصرها ومطابقتها لما فى نفوس الشعب من الامانى والافكار ، أما أمكلثوم فقد فضلت الاغنية الطويلة صعبة الاداء على الرغم من انها سجلت نجاحا فى الاغنية القصيرة فى الافلام التى اضطلعت ببطولتها •

ولسنا نغفل هنا حقيقة هامة هى أن سيد درويش كان ملحنا ومغنيا ، واكثلوم لم تكن الا مؤدية ، ولكن كلا منهما كان يتحكما الى حد كبير فى نوعية ما يقدمه من • وهناك قضية أخرى تفسر هذا الانفصال الذى اشرنا اليه سيصبح ان كلا من سيد درويش وام كلثوم قد قدما فنى فى موضوعات وطنية وعاطفية ، لكن الطابع المهيمن عند كل منهما كان مختلفا ، فبينما استلهم سيد درويش موضوعات وطنية وشعبية لفنه ظلت معظم أغانى أم كلثوم فى اطار الاغنية العاطفية •

ولقد شهدت البلاد بقيام ثورة يوليو احداثا تاريخية متلاحقة بدلت من ابناء الحياة ، فازدادت سرعة ، وذلك بفضل التغييرات السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، ولم يكن من أبيل الاماني وأحلام اليقظة أن تعبر موسيقانا وأغانينا عن الاحداث القومية الكبرى ، وأن يبدث – طبعا – فى عالم كان الاوبريت ، هذا الفن الذى لم يستمر تطوره بعد سيد درويش • صحيح أن هناك قلة من الاعمال ظهرت طى شحبات المسرح الغنائى ، الا انها لم تترك أثرا باقيا بسبب افتقارها الى الكامل الفنى • فاذا افتقدنا بعد ذلك من أسباب غياب الاوبريت كمكون من بين هذه الاسباب أن أم كلثوم – بوزنها كشاعرة – استمرت بأداء الاغنية الفردية الطويلة التى تتنافى مع نبض الحياة الجديدة ومتطلباتها •

ان هذا التناقض بين متطلبات الحياة الجديدة وبين توقف تطور فن الاوبريت رسما دائما الى الشكك فى عبقرية الملحنة التى تشهدها البلاد فى التعليم الموسيقى •• هذه النهضة التى تتمثل فى وجود ثلاثة معاهد عليا متخصصة فى تعليم الموسيقى فى القاهرة وحدها ، أحدثها هو المعهد القومى للموسيقى « الكونسرفتوار » الذى انشىء فى عهد الثورة على غرار المعاهد الاوروبية ونفخر كل الفخر بثمرته ، فقد تخرج منه مجموعة من الفنانين الذين اثبتوا جدارة عالية فى العزف على الالات الغربية فى مسابقات عالمية ، ومنهم من درس أصول علم التأليف الموسيقى ، وقد

---

٢ – محيط الفنون – الجزء الثانى • ٢ احمد الحفنى •

٣ – سيد درويش فنان الشعب – مقال ليوسف حلمى ، دراسات اشتراكية ، ابريل ٧٢ •

شاهدت القاهرة في العام الماضي أوركسترا من طلبة ومعيدي الكنسرفتوار أسعد المشاهدين واثبت كسب التشكيك في امكانية قيام أوركسترا قومي جميع أعضائه من المصريين يؤدي الموسيقى العالمية .

وتطور معهد فؤاد فاصبح الان يسمى معهد الموسيقى العربية بقسميه الثانوي والعالي ، وفيه تدرس الموسيقى العربية الى جانب الموسيقى العالمية ، وشهدنا في العام الماضي ظهور فريق من طلبته وخريجيه يؤدي روائع التراث العربي بنجاح هائل ..

هذا هذا المعهد العالي للتربية الموسيقية ، وهو الذي يغذي جميع مدارس القطر بالمدرسين المتخصصين وفيه نخبة من أعلى المستويات في العلم والفن ، تلقت تعليمها العالي في مختلف البلاد الاوروبية ، وتقوم الان بتدريس جميع مواد المعرفة الموسيقية العالمية والعربية وفق أحدث تطورات التعليم ، وهو الذي يمد المعاهد السابقة بالاساتذة المتخصصين في مختلف المواد الموسيقية . علاوة على الدراسات العليا التي افتتحت منذ عدة سنوات .

وانه لمن الضروري أن تواكب هذه المعاهد الموسيقية ركب الحضارة العالمية لكي تؤتي ثمارها ، وأن تستند الى حس نقدي ، ثوري وقومي يحافظ على التراث ويتعمقه ليستخلص منه كل العناصر الحية التي تدفع الى مزيد من التطور والتجديد .

ولذلك فان تقديرنا لام كلثوم لا يعني أن نفقد النظرة الموضوعية الى ما قدمته والا حكمنا على أنفسنا بالتجمد وعدم التطور .

لقد كان هدف أم كلثوم ورأيها الخاص هو الحفاظ على موسيقانا وعلى تراثنا ، وهذا رأي يتفق عليه كل فنان مصري أصيل ، لكن الحفاظ على التراث والطابع القومي لا يعني تجميده في فانتمعين بل صقله وتطويره والارتقاء به الى أعلى مراتب السمو مسايرة لركب العلم والحضارة .

أم كلثوم والأغنية العربية

كمال بكير *

كتب الكثيرون عن أم كلثوم واتجهت معظم كتاباتهم الى مواساة المستمع العربي الذي فقد برحيلها أعظم الاصوات والملكات الابداعية التي أدت الاغنية العربية بصورة يعتقد الغالبية أنها انتهت تماما برحيلها ، واظنهم على حق فيما ذهبوا اليه من أن الاغنية على نحو ما اتجهت بها السيدة أم كلثوم لن تتكرر مطلقا ، ذلك أنه لن يتاح مرة أخرى لمطربة أن تستطيع بمفردها أن تحدد مسار الفن الغنائي ولما يقرب من نصف قرن من الزمان على نحو ما فعلت أم كلثوم ، لذا أعتقد أن الامر يستحق وقفة طويلة متأنية ودراسة لفن أم كلثوم في محاولة موضوعية قدر الطاقة لبيان الحجم الحقيقي لهذا الفن الذي يمكن وبلا مبالغة أن يقال أنه ساهم بقدر وافر في تشكيل وجدان الشعب العربي عامة والمصري على وجه الخصوص .

والذي لا خلاف عليه مطلقا هو تلك القدرة الخارقة التي تمتعت بها السيدة أم كلثوم على الاداء والتي ارتكزت على دعامتين نادرا ما وجدتا بهذا القدر من التكامل في أي من المطربين ليس في مصر فحسب بل وفي أي مكان . أولى هاتين الدعامتين هي تلك المساحة الصوتية العظيمة والقدرة الفريدة على التحكم في كل أبعاد هذه المساحة وبنفس الدرجة من الامتياز ، وثانية هاتين الدعامتين هي تلك القدرة الباهرة على التمكن من اللغة العربية وسلامة نادرة في مخارج كافة حروفها خاصة تلك التي لا توجد في غيرها من اللغات والتي ليس من اليسير التحكم تماما في مجرد نطقها فما بال الاداء الغنائي .

وهاتان القدرتان وان ساهمت الموهبة الطبيعية فيهما بقدر الا أن القدر الاعظم بلاشك للعمل المخلص الجاد على انمائهما لتصلا الى هذه الدرجة من التكامل وليصبحا أداتين طيعتين بصورة فائقة مكنتا السيدة أم كلثوم من هذا الاداء البارع حقا ، والذي دعم هذا الاداء ليصل به الى التكامل هو تلك القدرة الموسيقية المرتكزة على موهبة نادرة الاصالة في الاحساس باللحن والنغم الشرقي الذي يحتاج الى حساسية خاصة لوجود ربع الدرجة الصوتية والذي ترتب عليه حشد هائل من المقامات الموسيقية العربية واصلت أم كلثوم بدأب التلقي والدرس على أساطين العالمين بها ، لانماء موهبتها على الاحساس بهذا النغم ولتمكن من أدائه ليس فقط بحساسية موهبتها وانما بدراية وعلم لهذه المقامات التي اعتقد أن التمكن منها يحتاج الى جهد بالغ ، هذا بالاضافة الى تلك الموهبة الاصيلة في الاحساس بالايقاع العربي وهو ما يعبر عنه أهل الحرفة الموسيقية «بالواحدة» وهو العنصر المكمل للنغم العربي ولا أظنه يقل عنه في احتياجه للجهد

* مؤلف موسيقي

للالمام بالايقاعات العربية عامة والمصرية منها بنوع خاص . كل هذا مكن للسيدة أم كلثوم من امتلاك ناصيته عنها وعرضه بصورة بالغة الامتياز استولت تماما على اذن ووجدان المستمع العربي .

وهذا الامتياز الفريد فى اداء الاغنية والذى بهر بحق جمهرة المستمعين هو فى تصورى ما ينبغى الوقوف عنده ، خاصه انه بعد أن أدركت السيده امكلثوم انفرادها تماما بالتربع على قمة الاداء الغنائى وبلا منازع حولها الى مايشبه الاسطورة الحية وتمس الاقداس فى عالم الطرب الذى لا يقربه الا المتعبدون فى محرابه ولا يمسه الا الحواريون ، الامر الذى ترتب عليه أن ابتعد فن ام كلثوم تماما ليس عن النقد فحسب بل ومن اى تعليق ، فمن ذا الذى يمكنه أن ينقد هذا الاداء الاسطورى او حتى أن يعلق على هذا الابهار المعجز ، وهنا كمن الخطر على فن ام كلثوم العظيم الذى استمر على نسق واحد لا يتطور خطوة واحدة الى الامام اذا لم يتصور احد مطلقا ان ثمةخطوات يمكن أنيخطوها هذا الفن العظيم فى اى اتجاه ، وهذا فىتصورى ماجعل امكلثوم لاأقول ترفض وانما لا تتحمس سوى لاستعراض قدراتها الفذة المتمكنة ليس على الاداء فحسب بل وعلى زخرفة هذا الاداء بشتى صور الزخارف العربيه التطريبية ، واستعراض براعتها النادرة على الارتجال واللعب باللحن على مختلف المقامات الموسيقية العربية وعلى اتساع قدراتها الصوتية العريضة ، وتلوين جزءصغير من الاغنية تبعا لذلك بشتى الالوان الباهرة ، بل ووصل الامر الى حد الارتجال واللعب بلفظة واحدة من الاغنية ربما ينسى بعدها المستمع الاغنية كلها ولا يبقى عالقا باذنيه سوى تلك اللفظة المرتجلة ببراعة معجزة ، وهنا يذكرنا فن السيدةامكلثوم بعازف الكمان الفذ « بجانينى » الذى تحولت صياغة « الكونشرتو » على يديه البالغة القدرة الى ما يشبه الالعاب البهلوانية الموسيقية التى قد لا تؤدى الى معنى ما اللهم الا التسليم بالقدرات الخارقة لهذا العازف البهلوان .

واستمرار فن أم كلثوم على النسق المتقدم ودون تساؤل بالنقد والدراسة والتحليل شكل خطورة بالغة على مسيرة الفن الغنائى والموسيقى العربى عامة والمصرى بصفة خاصة ، ذلك أن تربعها وبجدارة على قمة الاداء الغنائى جعلها قطبا بالغ الضخامة دارت فى فلكه بقية الانشطه الغنائية والموسيقيه أو كادت . فاللحن لا يعمد لحنا الا بعد أن يصبح لحنا ترضى عنه سيدة الغناء العربى فتفنن الملحنون فى الابداع على النسق الذى يحظى بهذا الرضا ليردده هذا الصوت العملاق المتفرد ليدوى بصدده اللحن فى اركان العالم العربى ، ومن هنا كانت امارة السيدة أم كلثوم وسلطتها على مبادرة التلحين الذى استمر طوال فترة تربعها على عرش النغم العربى يحتل مكان الصدارة فى الانتاج الابداعى للموسيقيين حيث ارتبطت صور ابداعهم الاخرى به فى شكل مقدمات موسيقية لاغنياتها ، أو فى جمل موسيقية قصيرة « لزمات » تفصل بين فقرات الاغنية ، وكان المدخل لعالم الاداء الغنائى لاكثر المؤدين هو محاولة محاكاة أسلوب السيدة امكلثوم بأداء بعض أغنياتها ومن ينجح قدر الطاقة فىالاقتراب من هذا الاسلوب يعمد مطربا ، والعديد من مطرباتنا يدان عبالهن الفنية من هذا المدخل ، واعتبر دبلوما فنيا فى العزف الانضمام للفرقةالموسيقية المصاحبة لسيدة الغناء يعترف به كشهادة على الاجادة والتمكن . وقليل من لمع خارج هذا الاطار « الام كلثومى » فىعالمالموسيقىوالغناء أبرزهم الاستاذ محمد عبد الوهاب ، وبقى أكثر من لم ينتظمهم هذا الاطار فى منطقة الظل ، لهذا عظمت مسئولية ام كلثوم عن النشاط الغنائى والموسيقى فى مصر بقدر عظمتها هى كشخصيه موسيقية متفردةلها اليد الطولى فىمسار وحركةهذا النشاط .

ولمزيد من محاولة التعرف على فن ام كلثوم نقف مليا امام تساؤلين يفرضان نفسيهما بالحاح ، أولهما واخطرهما موقف السيدة أم كلثوم من المسرح الغنائى الذى كان مزدهرا على نحو ما هو عليه الان وقت بداية احتلالها لمكانتها الكبيرة فى عالم الاداء الغنائى ، والتساؤل الثانى وربما أعتبر فرعا من الاول هو لماذا لم تؤد سيدة الغناء الحان فنان مصر الاصيل سيد درويش ؟ تلك باعتباره أهم من اتجهوا بالحانهم الى التعبير الموسيقى أكثر من اهتمامه بالتطريب الامر الذى أدى بطبيعته الى اتجاهه الى المسرح الغنائى الذى خصه بانتاج غزير ، وفى تصورى أن انفراد أم كلثوم ومواصلتها لتجلياتها كمؤدية بارعة هذا جعلها لا تتحمس لان يشاركها هذا النجاح من يفرض المسرح الغنائى بطبيعته وجودهم الى جوارها كعمل جماعى لا يسمح بالانفراد بالقمة التى تربعت عليها دون مشاركه أحد ولو بقدر يسير ، حتى ترحد عنها — ولكن على استحياء — انها « كلثمت » ملحنيها الذين قدموا الى جوارها بقبوع الخاتم مؤداة بصوتها العملاق الواسع الانتشار واظن هذا ما يلقى لنا بعض الضوء على احجام محمد عبد الوهاب ولفترة ليست بالقصيرة عن التلحين لها ، وعدم سعيها هى الاخرى فى طلب الحانه حتى لا يثور — ولو خلسة — التساؤل عن من منهم يحتل مكان الصدارة لحسن عبد الوهاب أم اداء أم كلثوم لهذا اللحن . كل هذا بالطبع يختلف تماما عن المسرح الغنائى الذى يفترض فيه أن يذوب جميع المشاركين فى كل متسق ليحتل العمل نفسه مكانالصدارة ، الامر الذى انتهى بها وبنا الى أن تركز النشاط الموسيقى فى الاغنية الفردية التطريبية ومنتهى النجاح أن تقترب هذه الاغنية من الصورة « الكلثومية » أما بالتلحين لها شخصيا وهو حلم كافة الملحنين او على الاقل التلحين على النهج «الكلثومى» الذى يفضى يوما للتلحين لها ، ودار المؤدون للاغنية فىتلك المحاولةالمستميتة للاقتراب بالاداء من صورته الفارهة عندها . واللهم لا اعتراض مطلقا على الاغنية الفردية فى صورتها العملاقة عند أم كلثوم بل وعند غيرها من المحاولين ، لكن على الا تصبح هى النشاط الموسيقى الاوحد ، على نحو ما صار اليه الحال عندنا بعدما تهاوى الكفة من المكانة التى وضعتها فيها أم كلثوم بانها نهاية المطاف .

ويبرز الان تساؤل ملح يفرد كثيرا وبشكل مستقل ، هو من يحتل القمة الشاغرة التى خلت تماما برحيل سيدة الغناء العربى عنا ، وفى تصورى المتواضع أن هذه القمة الشاهقة ستبقى شاغرة الى الابد ، بل وارجو الا اكون مغاليا اذا تصورت أنها ينبغى أن تبقى كذلك أولا للصعوبة البالغة فى ان يصل أحد الى هذه القمة ، وثانيا وهو الاهم لينطلق النشاط الابداعى الموسيقى والغنائى الى آفاق جديدة رحبة حجبتها عنا القدرات المعجزة فى فن أم كلثوم ، وليخلد فن أم كلثوم العظيم على أن نبتعد تماما عن الاستماتة فى محاولة تكراره فهى محاولات محكوم عليها مسبقا بالفشل ولنسعى جهدنا فى محاولة خلق قمم شاهقة أخرى وفى شتى ضروب الابداع الغنائى والموسيقى .

المـــرأة

فى أدب نجيـــب محفـــوظ

د٠ لطيفة الزيات

لـعـل يتلمس الدارس طريقة الى صورة المرأة فى أدب نجيب محفوظ الروائى لابد وان يستند الى ركيزة ماتعتبر نقطة انطلاق الى هذا العـالم الغنى المتعدد الابعاد ٠ ولعل الثلاثية تشمل الركيزة الملائمة للمنهج الدراسة فالثلاثية كانت وما زالت تشكل رؤية أساسية من رؤى الحقيقة عند نجيب محفوظ، ثم ان الثلاثية تحتـوى على بذور الكثير ممـا كتب من الروايات لا فى المرحلة اللاحقة على الثلاثية فحسب ،بل وفى المرحلة السابقة عليهـا ايضا ، بداية من القاهرة الجديدة

والى اذ انتقـل من الثلاثيـة مطلقا عالمـه بالضرورة بخطوط واسماء عريضة فنحن العام ونقصر عن الخاص ، ونلقى الضوء على بعض جوانب المرأة فى العالم الروائى دون استكمال لكل الجوانب ، وذلك فى اطار بورجوازية المدينة الوسطى والصغيرة هو الاطار الذى فيه يتحرك الكاتب ٠

تبدأ الثلاثية وتنتهى بأمينة ، فهى تبدأ وأمينة تنتظر فى منتصف الليل عـودة الزوج أو السيد/احمد عبدالجواد وتنتهى وامينة تحتضر ٠ ونحن نلتقى بأمينة أول ما نلتقى بها فى فترة سابقة على ثورة ١٩١٩ ، امرأة فى الاربعين من عمرها، استطاعت حيث فشلت من قبلها أخرى، هى عتية أبيـاسين ، ارتعاشيتها فتاة فى الزواج ، وأن تبنى بيتـهـا وأسرة تضم ياسين ابن زوجها البكر والكاتب بمدرسة السلحدار ، وفهمى ابنها البكر والطالب بكلية الحقوق ، وكمال ابنهـا الصغير والتلميذ بمدرسة خليل أغا ، وخديجـة وابنها البكر فى المغربين من عمرهـا ، وعائشة الصبية الجميلة فى السادسة عشرة من عمرها ٠ وتنتهى الثلاثية نهاية الحرب العالمية الثانية ، وبنهاية جيل من الابناء الثلاثة وبداية الجيـل الرابع٠

فالسيد/أو الزوج قد ملك عواطف الاول قد انحنى أو كاد ، والجيل الرابع على وشك الخروج الى الحياة ٠ فليتأحضر أمينة ويأتى المخاض كريمة وزوجهـا عبد المنعم شوكت ملفى فى السجن بتهمة الانتماء للاخوان المسلمين ٠

وفيما بين بداية أمينة فى الثلاثيـة ونهايتها يطوى الزمن عميق يطوى على اعتراف متعاقبة ابن أمينـة البكر فمعى الطالب بكلية الحقوق الذى يقتله الانجليز فى مظـاهرات ١٩١٩ ، وفرج وأولاد عائشة جميعا ٠ وعائشـة قد أول حالتها زوجهـا الشـيخ ومطلقها اثر اصابة بالشيخوخة المبكرة ، وفقد ابنتها الباكستانى فى نفس مولودهـا الاول ٠ وما بين بداية أمينة ونهايتها يتبخض الزمن عن أحاجيب تمس الاحياء كما تمس الاموات ،فياسين ابن السيد ينتقل من زوجة الى زوجـة حتى يستقر على زنوبة العرافة ، حبيبة العائلة زبيدة ، وابنة أختها ، وعشيرة السيد سابقا ، وزوجة العوادة التى كانت يوما مطية لابن يدفع الثمن ، فتحول الى زوجة مستكينة ولما مستكينة ٠ ثم بل لعلها أكثر صمودات الاسرة احتمالا ٠ وعائشـة الصبية الفتـاة جدة الجيلة الكمول التى خلقت للبهجة والسعادة ، وحالتها ردحا ، قد تحولت الى حطام امرأة فاقدة للوعى والادراك بعد ان خطفه الموت خالتها ، وكمال الطالب الشقى المحب للحياة قد تحول الى زنجى جاوز طور الشباب ، هالك عن الزواج ،وكافر بكل المقدسات ٠ أما خديجة أمنيـة الكبرى فبالرغم تشاكسى الحيـاة بنفس صلابة أمها ، وخاصة وقد أنبلت بأغرب ما يمكن ان يبتلى به انسان فى هـذا الزمان ، اذ ألقى السـوبرمن اسباسيا

الفيض على ابنيها الشابين عبد المنعم شوكت واحمد شوكت ، الاول حفيدة الانتماء الى الاخوان المسلمين ، والثانى بنية الشيوعية ٠ وكانت هذه الحفيدة الاخيرة ، حقيقة الفداء النفسى فى الشابين ، هى آخر الحقائق الكبيرة التى وعدنا أمينة قبل ان تصاب بالشلل الذى أسلمها للموت ، وان لم تكن هـذه الحقيقة هى التى أسلمتها للموت ،بل من قرء يسلم أمينة للموت الا الموت ذاته ٠

فقد وعت ، كالزهرى ، حقائق الحيـاة واستوعبتها ، وتلك هذه الحقائق ولم تقلها ٠ وفى اليوم الذى تصـاب فيه أمينة بالشلل نهاها ابنها كمال عن الخروج لبرودة الجو علم تلقه فوالدهما بالفعل غادبتسعت ، وكانت فيما أعتقد

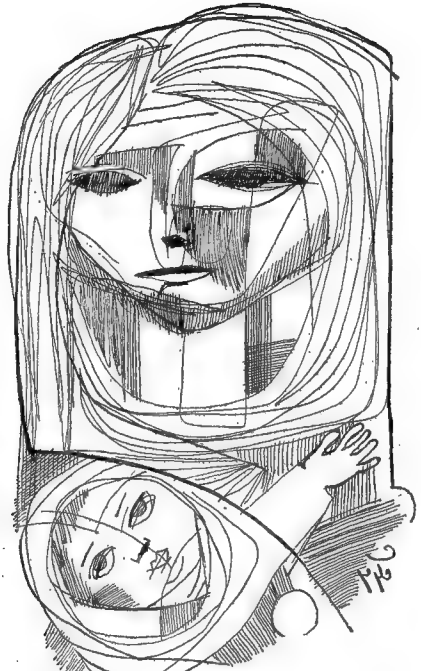

عنيدة حقا . ولكن ما من احد بعنيد على الموت .

ومن المهم بمكان ان نلم بعض الشيء، بصورة امينة ، اذ ان امينة تتكرر بصورة او باخرى في الكثير من شخصيات نجيب محفوظ الروائية ،بل لعلي لا اذهب بعيدا حين اقول ان ما يشكل جوهر شخصيتها ، يشكل جوهر الاصالة في المرأة عند الكاتب ، مدرجة كانت هذه الاصالة في الاطر الاجتماعية التي يتقبلها المجتمع ، او تلك التي يرفضها المجتمع. وامينة ليست شخصية في الحياة ، بل شخصية روائية محدودة بالظروف الموضوعية للمكان والزمان ، وبالاطار الاجتماعي الذي نشأت وعاشت وماتت في ظله ، وقد لا يأتي فصلها عن هذا الاطار ، وان تأتي تخطي هذا الاطار للتوصل الى ما يشكل جوهر المرأة التي هي امينة . وتتميز امينة بقدرة هائلة على التكيف والتجاوز ، وبقدرة هائلة على الحب والعطاء ، وعلى تقبل الاخرين على ما هم عليه لا على ما ينبغي ان يكونوا ، وبولاء لا حدود له لاسرتها ولدينها ولبلدها ، ولكل من تحب . وتتمتع امينة بحاسة عملية تتيح لها المصالحة بين الواقع والمثال ،واستيعاب كل المتناقضات ، دون ان يترتب على ذلك اي اختلال في شخصيتها وشخصية امينة شخصية متكاملة تتمشى اقوالها مع افعالها ، علنها مع سرها ، مظهرها مع مخبرها . وتكامل شخصية امينة تكامل يعز على الكثير ممن حولها رجالا كانوا ام نساء .

ومن قبل امينة تمردت هنيهة على الوضع الذي يفرضه السيد او الزوج على البيت في وضع الاله صباحا ، والسكير والعربيد مساء . ولكن قدرة امينة على التكيف تجعلها تعايش لا السيد فحسب، بل العفاريت ذاتها . فامينة جاءت الى بيت السيد صبية في السادسة عشرة من عمرها من بيت يختلط فيه الدين بالخرافة، وعاشت وماتت وهو تؤمن بان في كل ركن من البيت عفريتها . وفي البداية تسلحت ضد العفاريت بالاستعاذة بالله والخوف . وانتهت بالشعور بالاستعلاء على ، والسخرية من العفاريت وابنائها يتحلقون حولها . وبهذه القدرة على

التكيف تخلق أمينة لنفسها وللأولاد عالما مستقلا عن عالم السيد، تكون هي، دون السيد، محوره ومركزه. وكما حولت أمينة السطح الأجرد الى حديقة غناء تجمع بين الجمال والعطاء بتربية الدجاج والحمام، حولت البيت المقهور، الى وجود ينبض بالفخر والود، والسمر، والدعابة وفرحة الحياة، بمجرد ابتعاد ظله وجوده السيد. وخضوع أمينة للسيد، هو خضوع مسايرة لوضع تجد نفسها إزاءه، وليس خضوعا كاملا. فأمينة تسلم في الكثير، ولكنها تبقى على هذه النواة الصلبة التي بدونها تفقد الشخصية مقوماتها واستقلالها وتكاملها وقدرتها على الصبر والعطاء والاستمرار، والسيد يحد من حرية أمينة في الحركة، ولكنه لا يحد من تفكيرها المستقل، وهي تسلم له بالكثير، ولكنها لا تسلمه عقلها ولا يملها.

وأمينة تقف موقف النقد من بعض أعمال السيد، وتدرك أنها للاحتفاظ بأسرتها، تلزم طاعته ظالما وطاعته عادلا إذ بين التصرين» (ص ١٤٤) وأن المنطق بجانبه في الكثير من الأحيان». وهذا الحكم من جانب أمينة ينسحب على حياتها مع السيد بأكملها، ولكنه يبرز في موقفين، فالمطلق قد جافى الصواب حين رفض تزويج ابنه فهمي بمريم، وكاد يجافي السيد، لولا تصدي أمينة، حين أوشك أن يهدم فرصة خديجة الأخيرة في الزواج متصلبا بشكليات تافهة، ترضي نهمه للسيطرة ورغبته في الظهور بصورة الحاكم المطلق. وبقدر ما تتسامح أمينة مع الآخرين، بقدر ما تلزم نفسها بمبادئها ومثلها. وهي إذ تخير بين النجاة بالكذب، وبين عقاب يطيح بكل ما بنت، تفضل التزام الصدق والاحتفاظ بهذه النواة الصلبة التي هي مصدر قوتها. وفي موقف فاصل تملك فيه أمينة أن تكذب دون أن تفتضح كذبتها، وأن تنجو بنفسها وبأسرتها، تلتزم الصدق، وتعترف للسيد بأنها أصيبت في حادث تصادم في الشارع وقد خرجت دون إذن منه. ويعزو الكاتب هذا الالتزام بالصدق، أو الاعتراف، الى الخوف من مواجهة السيد بالكذب. ولو كانت أمينة ترى في السيد، كما يراه كمال في صباه، المطلق، أو الإله القادر على هتك أسرار الكذب وفضح المستور لتقبلنا تفسير الكاتب. ولكن السيد لا يشكل بالنسبة لأمينة الإله ولا المطلق، إنه رجلها الذي تعرفه كما لا يعرفه أحد، وتتقبله بكل نقائصه وعيوبه. ومن ثم فالتزامها الصدق إزاءه لم يكن خوفا، ولكن حفاظا على تلك الذات المتكاملة التي لا ترتضي بحال، وأيا كان الثمن، أن تنزل عن تكاملها باللجوء الى الكذب.

وأمينة متدينة شديدة التدين، ولكن حاستها العملية، وقدرتها على الصبر تعينها على تقبل كل حقائق الحياة مهما بلغ من تناقض هذه الحقائق، لأنها كراعية للحياة وحامية لهذه الحياة ومسئولة عن الحياة تخلق، وتبقى، وتحب أناسا من لحم ودم لا مجردات. ومطلقات أمينة، على غير مطلقات ابنها كمال، تتسع للأرض كما تتسع للسماء، وللواقع والمثال، وللطين والأسطورة. وفي هذا الإطار الواسع يتدرج الله، والحسين، وأولياء الله الصالحون، والأب والأم والأبناء والأهل والجيران، بمدى ما يتدرج السيد بسكره وعربدته، وياسين ببهيميته وفضائحه وزنوبة العوادة التي ترجعها أمينة الى أصل طيب. وأمينة تستوعب كل هذه التناقضات مقتنية بها. وهي تستوعب كل أنواع الضعف البشري، دون أن يمس هذا الاستيعاب من تكامل شخصيتها، لأن المرجع في هذا التكامل هو سلوكها هي لا سلوك الآخرين.

وهذه هي صورة أمينة التي تلح على الكاتب كل ما صور، أما بعد، فالأم في السمان والخريف لا تختلف في كثير عن أمينة. والقدرة على التكيف والحاسة العملية، والاعتداد بالذات هي الملامح المميزة لشخصية الأم في السمان والخريف، والأم في بداية ونهاية هي مزيج من أمينة، ومن ابنتها خديجة التي تتميز بقسوة الشخصية، بل لعلها أمينة وقد انتزعت من الإطار الزماني والاقتصادي، وكتب عليها أن تدخل معركة خاسرة مع العوز والحاجة لحماية أسرتها من السقوط. والأم في خان الخليلي هي مزيج من أمينة وابنتها عائشة، الغندورة المحبة للطرب والسمر والمتعة. وإن غلبت أمينة على هذا المزيج. فالأم في خان الخليلي تخسر كما تخسر عائشة معركتها ضد الموت، وتفقد مثلما تفقد أمينة ابنها الشاب، وتصمد مثلما لا تصمد عائشة لهذا الفقد. أما ما يشكل جوهر أمينة المرأة فسنلتقي به مجسما في كثير من شخصيات نجيب محفوظ النسائية، شبيهات كن على المستوى السطحي أم نقائض.

والثلاثية تبدأ وتنتهي بأمينة كما سبق، وإن قلت، غير أن أمينة لا تنفرد في الثلاثية بالبدايات والنهايات. وكل من الجزئين الثاني والثالث في الثلاثية ينتهي بدورة الموت والميلاد المتصلة تجدد الحياة. والإطار الفلسفي المادي الاستاتيكي الحتمي حتمية القدر يدفعنا الى التساؤل: أنا من الذي ينتهي ومن الذي يبدأ؟ من الذي يموت ومن ذا الذي يولد؟ وعلى أي صورة تتجدد الحياة؟ ولكن نفس الإطار الفلسفي يهيب بنا أن نتحفظ ما أمكن التحفظ ونحن نثير هذا السؤال. فالكاتب يعمل في ذات الوقت في إطار الفلسفة المثالية التي تفترض وحدة الوجود كامتداد للحقيقة الكلية، وتفترض بالتالي أن الحق والباطل، والخير والشر، الرذيلة والفضيلة وجهان لنفس العملة. ومن ثم فنحن نملك أن نتساءل على أي صورة تتجدد الحياة في الثلاثية، وإن كنا لا نملك أن نخرج هذه الصورة في مساحة سوداء أو بيضاء لنا فلا أبيض ولا أسود حيث تتصالح النقائض وتصبح واحدا.

تنتهي قصر الشوق أو الجزء الثاني من الثلاثية وعائلة عائشة التي وهبت نفسها للسعادة الحقيقية، والمتعة الصافية البريئة الحلوة قد أوشكت على الانتهاء. فخليل شوكت الشاب وطفلاه يحتضرون، وزنوبة العوادة تضع طفلتها الأولى كريمة. والطفلة التي تولد نصب عريض في الجريدة والبهيمية يستمد أهميته من الأهمية التي يعلقها الكاتب على القوانين الطبيعية والاجتماعية، وعلى ثبات هذه القوانين ثباتا غير قابل للتغيير. وقد نختلف مع الكاتب في ثبات هذه القوانين، وفي أهمية قوانين الوراثة التي يعلق عليها أهمية كبرى، غير أن اختلافنا هذا لا يعفينا من أخذها في الاعتبار من حيث أهميتها من المنطق الروائي. وأم كريمة، أو الطفلة التي تولد والجزء الثاني من الثلاثية يؤذن بالانتهاء هي زنوبة العوادة، بنت أخت زبيدة العالمة وسلطانة الطرب سابقا ومدمنة الكوكايين والحطام الإنساني لحظة ميلاد كريمة. وأبو الطفلة التي تولد هو ياسين الداعر الأبدي والبهيمي السلوك سرا وعلنا. وجدة الطفلة للأب هي هنية المزواجة التي تستخدم ابنها، طفلا، وسيطا بينها وبين عشاقها. أما جد الطفلة فهو السيد أحمد عبد الجواد، الإله في البيت، والنديم المهذب مع الأصدقاء، والداعر مع العوالم والمومسات، والعاكف على النساء والشراب ليلا، ومقيم الصلاة نهارا:

ويثور السؤال: هل نقائض أمينة هم الذين يرثون الأرض؟ ويعمق من أهمية إثارة السؤال، أن وفاة سعد زغلول زعيم الأمة ومحط آمالها إذ ذاك، يتوازى وموت عائلة عائشة، ومولد الطفلة كريمة. غير أن شيئا ما في نسب كريمة يلزمنا بالتحفظ ونحن نسأل هذا السؤال. فكريمة تنحدر من صلب السيد أحمد عبد الجواد مثلما ينحدر أبناء وأحفاد أمينة. وتأتي نهاية الجزء الثالث للثلاثية أولا، وأعمال نجيب محفوظ التالية ثانيا، لتؤكد الأهمية القصوى لهذا التحفظ. فالسكرية تنهي الثلاثية بدورة الموت والميلاد، وكريمة هي التي تلد، والطفل الذي تلده لا ينحدر من صلب السيد فحسب، بل من صلب أمينة ذاتها هذه المرة. فزوج كريمة هو عبد المنعم شوكت الأخ المسلم حفيد أمينة، وابن بنتها البكر خديجة. والنقائض تلتقي أخيرا وتنصهر في واحد.

وتنتهي الثلاثية ونحن على مشارف أولاد حارتنا أولا، ثم الطريق ثانيا. والأولى تعليق على الخليقة، والثانية تعليق على حياة نفتقدها فاقدة للمعنى. ويبرز التصالح ما بين الخلفية الفلسفية المادية والخلفية الفلسفية المثالية المبنية على وحدة الوجود فكريا ودراميا في أولاد حارتنا يولد الكل بتراث الثقل من الجريمة لا يد له فيه، فالكل ينحدر

ثلة الساخطات . وفي الصمان والغريف تتنقل ريرى من ثلة الساخطات الى ثلة الفاضلات حين تتزوج الغير ، بمحررات الذي يبني ابنتها من عيسى الدباغ ، بينما تشعر نفسه الى ثلة الساخطات في بداية ونهاية دحت ضغط الحاجة الجنسية والحاجة المادية معا .

وتبادل المواقع على المستوى النفسي أوضح في روايات نجيب محفوظ ، اذ يستبد من خلال الشخص الاشكالية ملاءة فنية أضخم . فالزوجة في القلب والسكين هي التي تخون ، وتور الموسى هي التي تشكل وجه الخلاص الوحيد المفتوح لسعيد مهران ، والزوجة في القلب الرمادي فيها ذلك اللون من الريف الذي يسم الكثير من الشخصيات النسائية في أدب نجيب محفوظ ، وتور فيها من أبهة تلك القدرة البطلة على الصبر التي تنبع دون انقطاع ، وتلك القدرة الجبارة على قبول المحبوب إما كانت جرائمه ، ولما كان السقوط لا يرتبط بالضرورة بالجنس عند نجيب محفوظ ، فمن نجد صابرا تبادل الموا تعتشعا أسعادا أوسع وأعمق للمارقة ، أو تجربة للضرورة بين أمرأتين ، بل تصبح لسوء حب شخوص الرواية جميعا . فتى الصمان والغريف فسحد ريرى الموسى أكثر شخصيات الرواية أصالة . وتماثل في الحقيقة سلوى الاستغراقية طبيعة عيسى الاولى ، التي تدير عنه بمجرد أن يدير الزمن وتتزوج حسن ابن عمه الذي نقل عليه الزمن . كما تتماثل الرحلة بريرى قدرية زوجة عيسى للدباغ وأبها اللذان يخطأ لاصطياد عيسى زوجا ، وللإبقاء عليه ، والمغارقة الحقيقية في الرواية هي المغارقة بين عيسى وريرى ، فعيسى الوفدي السابق ، والمرفق البارز في عهد الوفد ، يحلم بقور السقوط ، وريرى الموسى تحمل دور السقوط . وعيسى السياسي البارز في عهده يستبد حين يتحرف عن مبادئه باستغلال هذه المبادئ في جمع الرشوة ، وهو يستبد حين يتزوج ثانية من ريرى بمثالية يصعد ان اتفق بطنها ، وهو يستبد حين يتزوج بلا حب ، بداية لجسده انها فتية . أما ريرى فتحتمل بتلك القوة السلبية التي تشكل احترام الذات وتعيين أهمية على الاستمرار لحين يلتقط عيسى ريرى بعد ان يحملها طفلا ، لا لتحاول قط ان تلاحقه ، وحين تلتقاه صدفة ويذكر بعزائمها تتمثل انكاره في هدوء . وتلتقي ريرى بثلاث مخدرات بحبها ويتزوجها ويمنح ابنتها اسمه ، ويغيض على الرجل ، وتتوم ريرى بحيلته ، وتظل ملتصقة في انتظاره . وحين يعود عيسى ، ويتعرف الى الابنة الصغيرة على ابنته ، ويحاول بكل الوسائل اقناع ريرى بالتفاصل عن زوجها الغائب والزواج منه ، تلفظ في أعماق بروح ، وازدراء لا حدود له كل هذه المحاولات . أن ريرى ، وقد ارتفع فجأة عيسى الحاجة الاقتصادية التي ارغمتها على البغاء ، تستعيد كل خصوصيات حالتها الاساسية ، وترى في دعوة عيسى دعوة الى خيانة أصالتها واحترامها لذاتها . أن أدبرى أن تعرضها في السابقة كما يكتشف عيسى أول ما يعرفها ولكنها تعرف ما لا يعرفه ، أصرام الذات والولاء ولاء كاملا لكل ما تعين به هذه الذات ولكل من يحترم هذه الذات . وفي هذا الصدد لا تقبل ريرى ، كما تقبل عيسى ولم يزل المساومة . وريرى درجيدة في الاطار الروائي بكل ما يشكل لعيسى القدرة على التجدد والتحرك والفكاك والابتداء والبدء ، ولكنها تساعي الى عيسى لان رصيده في المساومة لم تتراكم مما يدين به عقليا ووجدانيا رصيد فحم . ولا أظن أن يمر على حلقة الذكر ان قدرة ريرى على التكيف والولاء لهذه النواة الصلبة التي تشكل احترام الانسان لذاته هي بعض صدات أجيال .

وفي الشحاذ تتبع الزوج بالتخابل ، الذي يحرم منه الزوج وتقف على طرفة النقيض منه في مأقاة عامدة . ويبتسم بانحدر عبر الجزائري الى الجنون ، محاولة فاشلة لتلبس المعنى في الصب الاول وفي الجنس ثقيا وفي التصوف ذلك ، تتجب الزوجة مولودها الذكر وتختفي بالحسرل وتزوج ابنتها الكبرى التي تجب مولودها الاول . وتختفي الزوجة عن المخلص ، وتظل عودة الغائب ، وقد اختارت الزوجة الصبر فيها ولم تعد غير دينها أبدا . وليس هذا التزلن جبارا بل تعلا . فقد تخلت عن الدنيا واعلنت تتزوج الرجل الذي أحبت الى النهاية ، إذا زوجا محبا وأبا عطوفا ورجلا صالحا حين يعاشرتها ، هاجرا للبيت ، متقللا من حضن الى حضن ، ومتلهفا الى حافة الجنون ، يركض مجهود ، في رحلة البحث عن معنى الحياة .

والمعنى الذي يستعصي على الزوج لا صلكه الزوجة بلا أدنى عناء . فالمعنى يكمن للزوجة في الحب حتى وان خلبه ، وفي الزوج حتى وان خان ، وفي الاولاد والعمل . والزوج يستعد في الشحاذ لانه تخلى عن المبادىء التي تبناها من اقتناع في مقتبل حياته ، إشارا للضحالة ، والزوجة لا تسقط لانها لم تحد قط عن الحب أو عن الدين الذي اعتركته عن اقتناع .

والكاتب يقف موقف الحسد والاستهانة في ذات الوقت من جهل المرأة بالمتطلبات

من عقد الدهشة بثت الغزيض الشرير المتجبر ، ومن قدرى استقل ، أين أدهم الخير العالم ، والكل يدهم نحن حريصه لم يرتكبها بل ارتكبها ادريس الشريد أدهم الخير حين تهدد على أبيها الجبلاوى ، والكبرياء الوحشة ، بخيرة وشره ، ينحدر من صلب الجبلاوى الذى يملك الخلاص ولا يمنحه ، وفى الطريق محل المارقة بين التقاطين ، أو اشياء التقاطين اذ اصطاحا كما يتطلب الاطار المزى ، لتجلى هذه المارقة عن حقيقة أن التقاطين اشياء ، وان الحق قد اقام ساطلا بمعطى صفاته ، وان الله يرى كل الاشياء جميلة ، سواء اعتبرها الناس خطأ أو صوابا . فالرهبى ، الأب ، الخلاص ، والغيبة والخلق والنماء ليس نفيضا للاثم بصيغة مران الوفادة الطالة ، كما توهمنا ، ففيه من خصائها الكثير ، وكريمة التى هى أبعاد للام والجريمة والدعارة والصحية البهيمية الفطرية لبست نقيضة الاثام التى هى امتداد للاسرائيل ما هو بناء وجمال ومحطاه فى الحياة ، كما تصورنا ، فتى كريمة الخلق تظهر صابر فى الجريمة ثم المشتقة بعض من مزايا الغلم ، بل من مزايا الأب .

وفى ظل تصور فلسفى هذا شأنه تكتسب الشخصيات نسائية كانت أم من الرجال تجنيا غير التقسيم الاخلاقى المتعارف عليه والدارج ، فى ظل الحتمية الاستاتيكية يصبح السقوط مستواه بالنسبة للرجال أو النساء ، كما لكاتوج الحياة ، قدرا لاتملك له ، أما بحكم قانون الولادة أو بحكم الحاجة المادية ، أو كليهما بل بتطور الامر فى المرحلة الرمزية ، عميد الاسرة يدرك التحول من الجريمة ويتواءم مجرد الوجود مع امكانيات السقوط . وفى ظل هذا التصور تختفى المسئولية الاستاتيكية ويصبح السائط أو السائطة ، اما كائت نوعية السقوط ، ضحية ، وتتحول التناقض الى اشياء ، وسبيل تبادل المواقع ، وتكتسب الفضيلة والرذيلة معنى غير ذلك الذى تتعارف عليها التقاليد ، ويصبح الاصالة والتزوير هما المعياران اللذين يقيم بهما الكاتب المرأة ، بينما كانت له ، زوجة وأما . والاصالة لدمت حكرا على ما يواجهه المجتمع على تصنيفين بالتقاطات ، ولا الزيف أيضا حكر على السائطات .

وكل امرأة أصيلة فى أدب نجيب محفوظ نهيأ صفة أو أكثر من صفات أمينة .

وعملية تبادل المواقع فى ظل التصور الفلسفى لوحدة الوجود تتم فى العالم الروائى لنجيب محفوظ على المستوى الواقعى والمستوى النفسى فى القاتلة وغير القاتلة من الروايات . فان التقاطية تتنقل بتوتية العوادة من ثلة المساءلات الى ثلة المساقطات وتقدم بمزدوجين من ميزات الغيبة ، وهما القدرة على التكيف والولاء ، وتخدر كل من هذه أم يلمسن ، بعديم الجارة طبيعية ، وهم مريم التى

أو جاهلها لبعد المطلقات وفى كثيرها على المصالحة بين المتشاجرات والتوصل الى معنى الحياة بين الحب والزواج والانجاب أو حتى فى مجرد رحلة الحياة ذاتها ، والكاتب يحصد المرأة لانها دهم مثلما يهتم بالقضايا الكبرى كما هيالله ومعنى الموت والوجود ويستشف بها الى ذات الوقت لانها لا تنفاول الى الجرات وتفكر بالمحسوسات وقلة التحرر الشعر الى الذهن ، ولا يتوقف عن استقلال كيف وتأثير المرأة ان تصالح بين الواقسع والمثال ، بين الارض والسماء ، وكيف تتوصل لبعض فى خضم هذا البحر الزاخر من المتناقضات التى تحمل على النصائح ، وما اكثر ان تواجه مهذا المنظر الأثير عند نجيب محفوظ وخاصة فى روايته الاولى : رجل يسائل امرأة فى لحظة صفاء من حلق من المطلقات ليكشف عن جهل المرأة بهذه المطلقات، ورجل يتساءل امرأة من حق دينهما ليكشف التناقض الذى يحوى بين موقفها، ولا تستطيعه هى فى ذات الوقت ، وفى الاضطاد يسأل عبد الحيزاوى الزوجة المضيفة عن هذا من الحياة ، فتجيب بما ترد ان الحب هو جوهرها من الحياة، وتؤكد تعبيها رداً على سؤاله ، وحين يسألها عن ماهية الله حيز كتبها مستعدة لهذا السؤال الذى لا تحوى من سؤاله، وفى الشيخ والطريق يسأل عمى الدباغ زوجته لها يسأل مضيفته روزى عن الوطن ، وأن الاستقلال عن الله أيضاً، وفى الطريق يسأل كمال البقرى الذى يدبح عندما، حاجته عن الله أيضاً ، وتكثر الاسئلة والاجابات عن معنى الله بحيث يحل جميعها ، والكاتب اذ يسبغ على أبطاله الإم فى الطلبة جوهر الاصطفاء لكل من هو أصيل فى رؤياته ، رجلا كان أو امرأة ، يعزو اليها مطالقات كمال الابن ، فالام هى الرقة الجاهلة بينما الاب هو المطلقة الكاملة ».

والمرأة المتعلمة تدخل أدبه نجيب محفوظ فى مرحلة مبكرة ، فنحن نلقى بها بداية من القاهرة الجديدة كتلميذتين الدراسة أو طالبة فى معهد مثل أو مدرسة ، ولكنها لا تخلف فى كثير من غيرها من الاصناف المتعلمات للتعبير لا فى الجوهر ولا حتى فى السلوك الخارجى ، فلا أن ترمى الشروح التى تجعلها الدراسة أن الحل كذلك بمثل الجبر الوحيد لاختيار الكاتب لفتاة الدراسة أو العمالة كشخصية من شخصيات روايته .

وهذا المرأة العاملة فى الكتاب يمكن أن تكون المهنيات التى تتقرد بها بداية من الكاتبة حيث تلتقى بأشباه من الشعراء المحاميات المثقفات كما تلتقى بأشباه من الشعراء الموسيقيين ، ويبدو الخبير الجغرافى مثلاً فى كل من عالمة شعيد وعالمة مصرى ، فمعالمة شعيد مصرية كمال الاستشراق لمواد الفرنسية الثقافة تعريب بالتعاقد المتبعة فى هذا الزمن عرفى المعالمة ، مخالطة للرجال، عنايرة الشعر ، وظائفه للمهندسين التى

لا يفترقها عادة عن نمط سلوكى جديد تعمل هذا تكشف عن نمط سلوكى جديد فى هذا العصر . أما عاوية صبرى الطالبة الجامعية التى جسل لاحق لجيل عايدة هى أكثر تعقيدا ربما لانها تنتمى الى البورجوازية الوسطى ، ومع ذلك فهى فرعى نحلا جسديداً فى السلوك حين تميل على الحديث مسع زملائها الطلبة بلا حرج ، وتتبادل معهم المذكرات وتسهم فى المناقشات . ومن حيث المظهر الخارجى تقدم المتعلمات المديد فى النمط السلوكى الجديد برحيث الجوهر فسلوك كل منهما لا يختلف بحال عن سلوك فتاة عقد الاصالة من جيسات البورجوازية الصغيرة ، وهاهية كديد خطط للزواج بفريقها فى الاستقراطية حسن سليم ، وتتوحد الى كمال الذى لا تصل له الا الزواج لكى تدعو العريس المنشود الى اتخاذ قرار بالزواج معها ، وعلوية صبرى تخطط للزواج ، كما بخطط الاصدقاء لعمل او حفلة ، وصارح أحمد شوكت بان الاصدقاء قد تم بينها وبين عائلتها على مواصيات الزوج المطلوب ، على الا يقل دخله عن خمسين جنيها على أول تعيين . والتخطيط فى مجالات العلاقات الانسانية التى يبدو أن تقوم على الحب والاقتناع ، بقصد الفتاتين الاصالة ، ويدرجون فى مجال الزيف الذى ينعيه الكاتب على المرأة أيا كان الاطار الاجتماعى الذى تحيا فيه، وأيا كان قدر التعليم الذى ظفت سودة فاضلة كانت أم بغيا ، فعى الفاضلة تتحول زاوية العوادة الى سيدة فاضلة، وان كانت تحفظ الاصالة وتنبذ بالزيف، فالعمل لا للكسب هو الذى يحرمها من مجال العلاقات الانسانية ، والتخطيط والحساب هو رائدها لا الحب ، ولكاتب هو ملاحظ ، فزوجة تخطط لكى تصبح زوجة للسيد وتخطط لكى تصبح زوجة ليوسين برعاية بذلك السلم الاجتماعى، وعملية التخطيط هذه عملية تجارية قبيحة تمس زوجة العوادة كما تمس سيدى الاستقراطية فى السمان والخريف ، كما تسلوى تتخلى عن خطيبها عيسى الدباغ الموظف عقب ثورة ١٩٥٢ وتتزوج ابن بحته حسن ، وهى تدبر عن ذلك للذى أدبر عنه الزمن وتقبل على ذلك الذى أقبل عليه الزمن ، وهى هذا الصعد لا تختلف سلوى فى كثير عن زوجة سعد مهران فى اللص والكلاب ، التى ترتبط بالزواج بمجرد أن يلقى بالزوج فى السجن ، ويتكسب هذا الزيف أبعادا شخصية فى معظم روايات نجيب محفوظ حيث فاعليها ما يتعامل مع البورجوازية الصغيرة والرسمى التى تعتبر الزواج بمثابة شهادة تأمين أو استثمار ، وتدرج الزوجات فى سجل الارباح التجارية ، وتتباعد وتتعاين وتزن وتتقابل من المطلوب لتزوج بالممكن وزن على صعد تزويج بناتها وابنائها ، ويبدو هذا الزيف بأبعادى فى ميزان الانسان بقيض بلياك لا بمعيته الانسانية ، وفى التعامل من المبادىء الاخلاقية والمعتقدات ومن العلاقات الانسانية كالحب فى سبيل مديم الوضع المادى والاجتماعى أو فى حسارة مستقبلية للابناء على ، ومساك هذه الطبقة لا يتضمن حرية على الاطلاق مع ابناء الطبقة بجدارة ، وفى خان الخليلى تطيح نوال فى الاستقراط من أحد مثلف وتخطط لاصطياده ، وتتبدد حين يظهر فى المجال آخر الاغنى يسعى صدقا ويرفض جاها ، وتقع نوال فى حب رشدى عاطف ، وحين ينتهى الامر بموت الحبيب الثوري فيما تتجاور الحب والمشروع الى الممكن فى حومة الحياة التى لا تعدم وجودا سهلا جديد فى محاولة اصطياد أحمد عاطف زوجا ، والابناء التى سيل هذا الزيف سواء من جانب نصاد هذا الطبقة أم رجالها لمثلة تضج بها صفحات روايات نجيب محفوظ .

أما النمط الثانى للمرأة المتعلمة الذى يبدى أولى ما يبدى فى الثلاثية ، فهو نمط يمس الجوهر والسلوك الشخصى بما ، ونمن أن نلتقى بسوسن حمد المتنى بأول فتاة فى أدب نجيب محفوظ تتجاوز الخاص الى العام ، وتكرس حياتها لقضية الوطن والطريقة الكفاحية ، وهى بذلك تخرج من الاطار الذى انحسبت فيه المرأة الى ذلك ، حيث أن المرأة تستطيع أن تهتم بما هو خارج عنها ، وان لم يشكل هذا الاهتمام اهتماما بماهية تكون هو فحما بشكل اهتماما بماهية المجتمع ، وسيطرة المرأة المتعلمة بشكل أوضح فى كتابات التى تصور الفترة التالية للثورة ، ومستطيع هذه المرأة دورا رئيسيا وايجابيا فى تحريك الاحداث بل وستصيدونها للرجل تبقى بمثل ما يبقى به من أحداث عامة ، وتغيرات شخصية وعاطفية ، ومستقبى رؤية الكاتب للحقيقة على المرأة المتعلمة عليه وعلى المرأة على اطلاقها بخيلت فتطلع فى الفترة السابقة على هزيمة ١٩٦٧ اختلافا بينا عن تلك التى فصلها عليها أن الفترة اللاحقة للهزيمة ، وفى القوة الروائية التى بدأ بالقص والكلاب وتنتهى بامام (١٩٧٢) عبر الاشياء وكتب بارات تحتفظ بشىء من الثبات والتوازن بالرغم من التغيير الهائل الذى طرأ عليها ، ولكن ما تكاد تبلغ الحب ذمت المطر ١٩٧٣ والكرنك (١٩٧٤) حتى يزول الثبات والتوازن ، وتكاد العاطفة تضاع المبدع، على ارتفاع فوق القبل (١٩٦٦) نرى الوانا من الانحلال والانهيارية ، وانعدام القيم الاخلاقية ممثلة فى مجموعة من الرجال والنساء المتحلين والمتحللات ، فنحن نلتقى بمثاة الفتاة الجامعية التى تنشق من طريق الجلس طريقها أى السينما ، وطبلى زيدان المومثلة بوزارة الخارجية ، و«الرائدة الدرائعة » التى لا تمارس الجنس الا عن رغبة ، ويسطيع كامل التى تخذ لها عشيقا ، أو زوجها اختيارها فى الوقت الذى تذهب فيه على زوجها ، ولكننا نلتقى أيضا بسيارة يهودية لتذكرنا أن اليهود ما زالوا بقيا تعارج

العوالية » وآن متكلن العوالم لا يشكلون المتقنين ، بل فئة من المتقنين ، وسيارة بهيت خريجة كلية الآداب ، ومصلحية اشتراكية وجادة ، وقد خدمت العائلة لتدرس سكقيها مختلف مصالح للعلاج المسرحي ، وهي ابحث جادة من دافع يقتع بتأني عند تحويل هؤلاء الأجنبيين على مطالبين والمسلمين الى ايجابيين ولو على نطاق العلاج المسرحي . وبحكس الحدث هن انقلاب درامي ، كما ينطبق وعادة غيروايات نجيب محفوظ وللحظة قصيرة تتفاعل سيارتهيهت الجادة بالواقع مع انيس المسلول الابدي ، عندما هو على الإطلاق من الفسوري الذي تلقه سيارة المسلولين ، وترجع في عين تصيبها عربما تزولا مرارة المعيدة ، وربما خوفا من القضيحة ، وربب اضافها على رجب المثل الشهير الذي كان يقود السيارة ، والذي نبذل البه سيارة بهيت رغم ادراكها لحقيقته . ويهوت جليا هنا من سيارة بهيت حين تثير صمم التبليغ من الجريمة ، لكنها لا تسوت كلية ، فهي قد نجحت من حيث لا تدري في عدم هذا الركن الى جانب من الاجتالة ولو الى حين حين اوقعت الشجار بين افراده . وسيارة بهيت تعي انها تتزات من شوء بحالي ، وهي قادره على رد دوافع انهزامها الى جذورها الطبيعكتنا من الطبقة البورجوازية ، وهي تعرف انها تمثل الجدية اكثر مما هي جادة حقا لانها تنتمي الى طبقة هي طوسيه، الى الهبوط ، وآن عليها ان تتسك بقيم وارادتها هو من الطبقة لتتجاوز اسباب هذا الانهزام . ولذلي الأثرثرة وسيارة بهيت هاوية ولا يتزل على هذا التجاوز. وهي كبلة عملا في هذا الحدوار ، وربما لان فتاة اسمها سوسن حماد من الطبقة العاملة حققت هذا الهدف في الظلارة ، ولان فتاة اخرى اسمها زهرة ، وتحقق هذا الهدف في ميزانهار كالقاهرة . تتعيان الى طبقة صاعدة ، الاولى الى طبقة العمال ، والثانية الى طبقة الفلاحين . وزهرة الخاتمة الريفية التي حدا الفتاة الحدث في فلق دروس الزراعة والكتابة هي الوحيدة التي تبسر برحلة التدمير بسلام في جسم ميزانهار فالمال يسقط لا يبقى جيسما للباقي وزهرة تجساور الحاضر الى المستقبل لا لانها تنتمي لطبقة صاعدة فحسب ، بل لان الكتب يحاول ان يضفي عليها طابعا رمزيا ، كمعبر ، وسواء تقبلنا هذا الرمز او لم نم نتقبله ، لتبقى الحقيقة ، حقيقة أننا نتعرف مرتاة سلبة اصيلة لمريشيها شاهب ،ميزانهار، كما خرجنا من الأثرثرة بسمة ، بهجة ، وما لا يقلها يقولها .

وأود ان اوضح ، وأنا بصدد عرض الحديث عن التطورات التي طرأت على المرأة المتعلمة في الحب تحت المطر [١٩٧٣] وفي الكرنك [١٩٧٤] ، أني لست بصدض تقييم حاكين الروايتين، اذ لم تتح لي دراستها الحراسة التي يتلقى معهسدا التقييم السليم ، وحتى لو

تتوج كل أشرأة فتية في هذا السوق في دائرة الاضطراع لا دائرة التقييم .وفي الكرنك ، تلقى بسيارة مجهت ، وقد صمت باسم زينب دبلب ، وقد انتصبت لطبقة صاعدة قمت سيارة بهيت أن تنتصب البها وهي طبقة العمال ، وترى زينب دبلب وقد تجاوزت كل ما لم تصطع سيارة بهيت أن تتجاوزه ، هي جدة فعلا وليست مدعية الصحيحة ، وهي اشتراكية بحكم انتمائها الملقى ، وحكم اخلاصها للثورة ١٩٥٢ ، وهي بنت هذه الثورة والمكلمة بن اجل ،مائها ربشها العلبا العلية بنها والفحاشة ، الاجتماعية بنها والعلبية . ولكن زينب دبلب ظلق على يد هذه الثورة مصيرا مختلفا ،ليعيش من خلاصته الى مستوى الرمزي اذ يتكصيه في ظل البناء الروائي . ففي عالم قهوة الكرنك التي تحكم فرنقلة بطلة زهرة في ميزانهار ، وهم هدد في العمالية تموت زينب دبلب ، وحبيبها اسماعيل الشيخ ابنة الثورة موتا معنويا،ويموت حلمي حماد الشيوعي الذي احتله فرنقلة موتا ماديا في غرفة التحقيب في السجن. ويحل محل الثلاثة في قهوة الكرنك وفي قلب فرنقلة مثير احمد الذي يبدوكمتلقب لا بالثلاثي ، وبالفريدة لا بالجماعية ، والذي ابيحت على حد قول الراوي كثير باهر من ظلام شامل لبزيز جلا شاملا، وبشير أحمد بالأحرى كذلك يعمل،ولايعمل ،من ماديا معنويا وحبا ، دون بشل تجدد الحياة ، وان لم يسل امتدادا لماضي ، وكل هذه العوامل تكسب كلا من زينب دبلب ، والسماعيل الشيخ سبحا ابعادا رمزية ، فزينب ليست بنتا ربة بنت الثورة بل بنت الثورة بما يتفق عليها وعلى اسماعيل الشيخ ، وهي تصحب على مصيرها بتصحب على جيل بكليه. ولو صفط الظلام الهوى لتلاشا محبو زينب كتحايل على جانب .. المتعتة لا كل المحتوة ، فاجرة الدرة وادوانها من مجون وتعذيب وارهاب تهدر عرض زينب دبلب بحبها ومحبوبة مطبعة بمغرشها وبمراتها وحمولة اباحا الى وجوسته تؤدي محاولتها الى مقتل حتى حماده الشيوعي في غرفة التعذيب ، ثم الى موسس نقتص في البناء لوما ، من الوان تعذيب اكثر تكبيرا من المسطوط .

وتنفى الثورة على اسماعيل الشيخ ابنها بسقوط مثالي ، ويسح السقوط بموت الحب ، ويتحول الاحياء الى اموات بدبوى على اندلام . والحقيقة أرهب وأوسح . وأنبى واكثر تعقيدا مما تظل علينا من هذه الرواية .

وزينب دبلب واسماعيل الشيخ وحلمي حماده لصباء الآن بيننا يحيرون وبيننا ويشقون الطريق الى مستقبل يتجاوز سلبيات الماضي ويغلق بجبلبات الحاضر .

وفي رواية الحب تحت المطر تختفي بشخصيات تمثلية هي في الغالب من خريجات الجامعة تنتمي الى أصول طبقية مختلفة ، وتمر بين تجربات الجامعة سنية أنور ومليات هبده ويني زمران ، وتنتهي الاخيرة الى الطبقة الوسطى ، ولا تعرف الى اية طبقة تنتمي فتختفي مثلها السينما ، أما سهراء وجدى المتعلمة في، السن فهي من أصل أرستقراطي ، ولا يعتد اهتمام أب من النساء في هذه الرواية الى شخصية هذه . والحدث ينتهي بقبول مصر لمباهرة وروجر . وبنا يبقى الطبقية والنهاية بعيدة المثال ابراهيم أبي هم هبده بدران العليل باحد المغاص بالمبى اثر اشتباك بمطح ، وتصبح خطيبته سنية أنور على الزواج منه ، منتقلة بذلك من موقع البغي الى موقع الاصالة الكاملة . ولكن ما من دافع قوي يبرر بقي سنية ويبرر بالتالي هلاقرها ، سقوطها ، وسموها . فصلية موظفة بالاصلاح الزراعي ، وطالبة جامعية سابقة ، وهي أيضا عامل ، وقد يشكل هذا الموضع حلقة مفقودة ، ولكنها حلقة لا تدفع للارتياح في البقاء — لم كانت سنية على هذا القدر من الاصالة لاختارت لنفسها في أي مرحلة من مراحل التعليم عملا نرتاح منه بدلا من الانحدار للانحراف . ولو كان التطلع الطبقي ، لا الضرورة المادية المحضة هي سبب انحرافها لما انحوت شخصيتها على المتقابل الذي يتبع الزواج برجل نقد بصره والانكاس لهذا الرجل على التهاية . وما ينطبق على سنيه ينطبق على مليات بنت هبده بدران ، واخت ابراهيم بدران المقاتل . وعلى بقية الشخصيات . فحيث ينتهي المبر القهري للسقوط ، يصبح الافتبر مستحيلا ، وبالتالي عملية ابعاد المواقع التي تتم بنجاح في غير هذه الرواية من الروايات عملية غير مقنعة على الاطلاق . ارتحول ريبرى متسع في السمان والخريف ، لعملية احتراف البغاء حملة تعرية بملة عليها بحكم وضعها وسن لم تعي لا تنال من أصابعها التي تبدي حين تزاح العلبة . ولكن شيئا ما يدفع النساء والرجال الى السقوط في هذه الرواية ، لا تعرف ماهية هذه الاشياء ، فليس عنصر الحلجة ، بعنصر مسلح ، ولا عنصر الوراثة ، وربما يكون المبرر الوحيد لهذا السقوط هي انهزام القيم الاخلاقية القديمة دون أن تحل محلها قيم جديدة . وعلى كل فالجو بشع بقوت مبيت ، لا تنجو منه شخصية من الشخصيات في عثرة من العثرات . ويعلق حسني حمارى :المصور السينمائي على كلمة موسى قائلا : أم بعد لهذه الكلمة معنى ؟ ويعني أن الكل قد أصبحن موسات ، ويصح التعليق ، ولكن في اطار هذه الرواية بحسب .

هذا الفنان وعالمه

● **الفنان سعد عبد الوهاب [٧٤ سنة] ـ القليوبية**

الانسان عنده يعطي معنى السمو .. وله نسب ومقاييس خاصة .. والطائر يؤكد فكرة الحرية.. والعناصر التي يستمدها من الواقع لم تكن صورا مكررة لها .. بل هي نرجمة لأعمال الطبيعة التي تصبح أسس العملية الابداعية فتتجه الى الانفعالات وتؤثر فيها .. والوجود صفاء المثالي هو عالم الفنان سعد عبد الوهاب.. فتخاطب أعماله العقل من حيث بناء الصورة وتحليلات الفورم ... كما تخاطب العاطفة عندما يحس المتذوق المعاني التي تحملها عناصر لوحاته ... ومفهوم الخيال عنده هو مجموع العلاقات والالوان التي تحدث عملية التفاعل داخل اطار اللوحة لتؤثر بشكل ايحائي على المتلقي ... والمرحلة السادسة كان فيها متأثرا بالمدرسة التكعيبية ... وهناك ملائمة وطيدة بين أعماله في التصوير الزيتي وبين رسومه التي تنشر في الصحف حيث يتبع نفس المنهج ونفس المعالجة ... كما أننا نرى في أعمال الحفر التي أبدعها في الفترة الاخيرة تأثيرات الفن القبطي وهي بالضرورة تأثيرات مثالية أيضا ...

وبهذا المفهوم السريع لعالم الفنان سعد عبد الوهاب يمكن اعتباره فنانا واقعيا ذا نزعة مثالية.

س ـ ت

رسم فى مجلة الكاتب [١٩٧٢]

بورتريه [١٩٥٨]

رسم فى جريدة المساء [١٩٧٤]

سينما

زائر الفجر

صدمة الوعى .. تشتد

● الجمعة ٥ يونيو ١٩٧٠.

هو اليوم الذى اختاره مؤلفا الفيلم للابلاغ فيه عن مقتل الصحفية الشابة « نادية الشريف » . وهى الشخصية المحورية التى تدور من حولها الاحداث والافكار والمواقف منذ لحظة الابلاغ وحتى نزول العنوان الاخير بمقط تفسيرها . وهى أيضا الشخصية التى سيمكننا من خلالها — أو بسببها — أن نتابع رحلة المحقق الشاب مع تكريف وشهادات جيرانها أو الذين يعملون معها أو عندما ... وهى تكريفات تمس الماضى والحاضر وتشكل ملامح جزئية من الصورة العامة لمجتمع كابل . وهو فى النهاية رحلة عبر مستويات الفساد العام الذى صنع هزيمة الخامس من يونيو ١٩٦٧ » .

وتبدأ الرحلة منذ الابلاغ عن مصرع نادية الشريف ومحاولة رجال العدالة اكتشاف الجانى المجهول من خلال بناء بوليسى الطابع يبدأ من اللحظة ذاتها — وهى التى يحسم تقرير الطبيب الشرعى منذ البداية التساؤلات حول احتمالات اعتبار الوفاة جنائية حين يقرر أنها جاءت نتيجة لهبوط فى القلب — وتنتهى بلحظة تدريجيا مع اجراء المحقق على أنقاض بجنائية الوفاة لكى تمس كل حلقة منها شخصية مختلفة . حتى الدكتور مريد زوجها السابق الذى يعطى صورة لعلاقتهما التى بدأت منذ ما يزيد عن ١٥ عاما ، وحتى الجيران الذين يدينونها اخلاقيا « كل ليلة والشاقية ظم شوية نسوان وشوية رجالة ويلفوا أديهم لـ« تم عيده الليالى الذى يدافع فى حرارة عنها لم ما يليق ان يضيف فى مرارة مؤكدة : « هوه اللى آدم لمايكون نضيف محتاج يثبت نضافته فى الزمن ده !!! وأخيرا هناك المحقق نفسه الذى يربط طوال الفيلم بين شهادات هؤلاء وشهادات نفا جائرة بمثل الكهو العر [ ] ومساعد ابنة أختها التى رفضت ممارسة الدعارة فى شركة خالتها وسليح الرسام وآخر اصدقائها ... ووفدر متقسم دوائر البغاء بقدر ما تمس وتلمس وتحيط بنماذج وظواهر وأوضاع من صميم مجتمعنا فى سنوات الكسة . غير أن دائرة المحقق — الذى صار يعرف الان الكثير عن نادية ومن حولها — تبى تتفتح لكيلا تغلق أبدا . ويظل التساؤل معلقا فوق رأسه : من قتل نادية الشريف ؟

ورغم أن الفيلم يجيب فى وضوح بأن أحدا لم يقتلها بل صلها « جميع » فلست الا أنه فى الوقت الذى نحفظ فيه بقضية نادية الشريف يجب فيه بالقضية أخرى: الاوضاع التى قتلت وأعاقت أكثر من نادية شريف .

● هى .. التى يجيان تموت

فى رواية جورج اورويل سنة ١٩٨٤ يتحدث البطل « وينستون » الذى يحيا — أو يستمر حيا — فى ظل حكومة غريبة دكتاتوريه رجعية طبية من نوع خاص — يتحدث عن خط معلق على الرؤوس يظل معلقا أبدا لكيلا يموى الا على رؤوس « المتكلمين » ... انه خط ضمنى مستمر رأيتى لا يملك المرء لمابه الا أن يشاعر الخوف المادى والمعنوى دون أن يدرى لذلك سببا ... وهو يحادث « أوبريان » صديقه الجديد الغامض عما يجول فى نفسه من احساسى تجاه هذه الحكومة ... ويرد عليه « أوبريان » هازا رأسه : سوف نلتقى فى المكان الذى لا يوجد فيه ظلام .

ويلتقيان بالفعل ، وفى المكان الذى لا يوجد فيه ظلام ، بل الذى أعتم فيه الظلام كله . و « ونستون » فى قاعة

مسيحة مقتولة بالبيانى ، انها هجرة تعذيب بالضوء الباهر الأسطورى .

وتضمى نادية الشريف تعتقد حولها الأخيرة داخل قرنفلها البيضاء ايضا بشاولة فى انتظار زائر النور المجهول الملامح .. لقد وضعت فى غرفة العذيب تلك بند ما يزيد عن ١٥ عليا عنصرانيات بمشمشى أم المصريين ووجدت المرضى الفقراء الذين ومضى فى عيونهم الذهاب يتصارعون من اجل زجاجة دواء ينوهم تعالت للدكتور فريد : « معليلة فسير النسائية يا دكتور » ، بل انها ذاقت العلم الخاص لزنازين الاعتقال ليمل فيه الفورة بالشعور فالتل عتب حريق القاهرة ، ثم بعد ذلك بمسئة عشر عاما [١٩٦٨] عقب مظاهرات ديرابور ... انها اتى قد ثبات طريق النور رغم علمها بقداحة الذين . بيد أن النسيم فى وجوهه لا يمحى الى تحدود سوح التماع نادية السياسى ، فهو يقدمها فى دوائر مختلفة تكون فى شكلها الهام صدورة « نورى فى حالة حركة فيهيئيج له طروف معينة » . فمى وظيفة ثقافية [تستقبم بحفير يتسم بغريب بعض الاطفال الفقراء ليلم باب مسجد السيدة زينب حيث كان يتسم مستاح لجميع وتصويرهم ... لمعد ان تارع العلم من الكاميرا تتشاور مع المخبر الذى ينهما باعتقاد حسن أداء عمله الرسمى .. ويدوى عبده الطباخ من هنا ينهول .. « كلوا عاوزين يخشلوا الموضوع فى السياسة عشان يودوها فى داهية [؟] وهى وظيفة السياسية [تستقم فى المستشفى يصور ثم تكن لغرم لها على الفرض فط وتحدرض على النظام الذى يريده الدكتور بعد أن تحترض عليه فعلا الفرض بهذا الشكل . يقول الدكتور فى تبرير : « المرضى جهلة يفرضون النظام والمرضين أجهل ! ، وتحكى له نادية غصة : « زمان كان الملك فؤاد يذهب الى المنيا كل سنة ومعه مخرب أو مخربة ويقيم الماكب للملاحين ... وكل واحد يدور على حدة لصة والمستكر بفروعه عشان يحافظوا على النظام . تمام زى النظام الذى أنت حاوزه !] وهى وظيفة ثورية [مخصورات ١٩٥٢ ومظاهرات ١٩٦٨] وأخلاقية ايضا [رفضها القاطع تليبه نادا فى دفع سعاد الى الدعارة] ... وهى فى النهاية مزيج متداخل من هذا كله .

ومن هذه الجزئيات يمكننا أن نحدد ملامحها أكثر وأكثر .. ان نادية الشريف مخنوعة بحساسها الوطنى والسياسى الى التفكير فى الحلول الجزئية والمعالجات المعلجة مما يدفعها الى حد التورط فى مشاكل عديدة . ويجد أن نكرها ليميل الى مرحلة أكثر تنظيما — وربما كان الحذر من ظروف المثرة ذاتها — ولهذا كان من السهل على هذا النموذج أن يقع تحت سيطرة « المستير القمرى » وأن يحدده ترتيب طول زائر النور المجهول ... ونحن ندرك أيضا أن نادية الشريف التجأ منذ عام ١٩٥٢ يوم نورى بيتانى الحبيب الرسمان « الطليعة الجديدة » المستفيدة من كل الأوضاع بمكم المهنة والعلاقات المتشعبة . للحول للدكتور نريد زوجها السابق ورمز الانتهازية الجديدة : « بش خليك على الكرسى » . اجبر مجبرا كل فيه : « أنا لن كان على بش هأول أحد فى البلد دى » .

فجر أن الذى لم تستطع تفسيره فيما هو مهادنتها للطبيب الانتهازى وزواجها منه طوال هذه الفترة . فليمكن تفسيره على أنه لوح من الضعائف فيلته به نادية خاصة أنها كانت من الكثافة بعد الزواج، أم يمكن تفسيره بالرجوع الى كونها بورجوازية ثورية تحاربه من خلال وضعها الطبقى — الذى يجعلها تحتفى فى عام ١٩٥٢ من وجود بشر أحياء يستكون المنابر — والذى يبدو جليا فى مشاهد نزول الزوجية وتوضيه المدعوين لتضاء السهرات عندها ... ثم يرجع الى وجود شاغل أصيل فى فكرها يصيبها بالزلزلة عند انتقالها الى أوضاع طبقية أعلى ... على أية حال فان التناقض الرئيسى مع الزوج يتجر بسبب النكتة لكى تعود نادية الى حالها الحق أو هذا ما تؤكده الشاغر والاقدامة فى شخصها الخاصة بعد التفصال وكذلك توضيه استقلالها .

قال عنها حبير التحرير : « التى زيها عبره تتسير فى الليل دى حقيقى .. فى هذه الحيارة يتجسم معنى العجاز المجلى الذى يحكم ملفا على القدرى بقصر التعبير وهو لم يكن يبدأ وهو مستجر فيحى آخر بحمل بالموت « كانت داليا يقتول أنها خيالة ... مرات تقول من السجن ... ومرات تقول من الموت.. ... « ليه ناس كلوا بيبيوا براديوها ويسألوا عنها من يراها ... ؟

ولم يحدث من خلال مسيرتها ان انصرت سوى التصرا حات : الاستمرار فواقعة التشورات ١٩٥٢ عودى بها الى السجن الذى تحيلته أسوأ الذكريات وواقعة مخبر التسعة تؤدى الى تجديد وضعها فى الثقافة السوداء ومظاهرات ١٩٦٨ عودى بها الى السجن مرة أخرى

... وتتصف لنا اللحظات الأخيرة من حياتها اجتماع الخوف الخاص مع الخوف العام على نفسها : « يا بيحبوني الا فى البحر .. داليا بيقيضوا على الناس فى البحر .. » وهى تصرخ بنكيه ديسل أن تموت : أنا بش خايفة من الموت يا سعاد .. أنا بس خايفة يبقى بدرى قبل ما أشوف اللى نفسى فيه ... يا خسارتك يا مصر ... مصر الظلمت يا سعاد » .

وفى هذه السيارة أتمى تحسيرة المقتضية اللى هاربت وقالت من أجلها نادية الشريف .

● هو .. الذى يجب أن يهتد

كان حسن الوكيل يأخذ حمامه الدائم المعتاد حين ظلق نبأ تلوفونها بترقيته الجديدة من معاون نيابة الى وكيل نيابة تشاركه الفرحة بالخبر السعيد زوجته الجميلة . وظل الوكيل على مساعدته كوظف ناجح الى أن تقتحم حياته فجأة أنبوء به التحقيق بها وهى مصرع الصحفية نادية الشريف . كان حسن يعلم أن جدية تكتب مقالات « تودى النسرين » ولكن الأمر لم يكن يتعدى كونه شيئا « فارغا فلة » . وبإعتباره مساقا للسلطة مع آن الى أبعد الحدود من تأثير المستر القمرى الذى يرى وليس تأثيره الفعلى على الآخرين .. ولذا كان القمر قد جعل من نادية الشريف شخصية نهما مألوفات الهيكل التراجيدى فهو يجعل من المحكى تدريجيا — ومن خلال نمو وتداخل خطوط الاحداث التى يصنعها الشهود والجناة معا وهى جزئيات تكون صورة هامة — شخصية بطولية تبحث من مخرج لمسألتها الخاصة من خلال المأساة الشاملة .

وفى اعتقادى أن أبرز أبجديات التحليم تتركز حول خلق وتطوير صراع هذه الشخصية الذى يبدأ على السطح ثم ما يلبث أن « يغوص » مع اتضاح الصورة الكلية شيئا فشيئا . وهذا تصير أزمة المحقق أزمة حضورية لكه هو الوحيد الذى تتجمع لديه كافة التفصيل وإنه يحمل فى أعماقه بقور تناء وذاب انسانى ووطنى مخلص . ونحن لا يمكن أن نتجاوزه مواطنا عاديا يحمل ولكنه يبدو لنا — كى نتعاطف معه — وكأنه يدرك الامور بطريقة المواطن العادى ... فهو يرده كالمأخوذ : « ملوعت يس عرفت امتا ليه اتجوزنا مع ٦٧ » مع أنه يحسكم ميله لتوافر أدبه المعلومات الخفية التى لا يعرفها الا زملاءه فقط — وهو يحاول — كرجل مسئالم — أن

— الذل —

يحصر عمله في حدود الاداء الظاهري « المجرد » المتن والذي يدخع القضيه — أو يحصرها — على الصعيد البولوسي نحصب .. وهو الذي نحته فيه معايير اخلاقية بحتة تتعلق بشرف المهنة وكفاءه، كان اكبر منه وبسببه بقزمة مروعه ولكنها تسهم في تصوير فاله وخلق منحى جديد لشخصيته يجعله ينتقل باعتباطيته من الخاص الى العام خطة واحدة . لقد أضرى الفور في وجهه مباشرة بعد ان كبش البوليس على تاما التي يكشف من خلفها ممارستها الدعارة السرية وتهريب الحملة وادارة الاماكن المشبوهة والاتصال بالبعثات الاجنبية ... ولكن تاما التي ترتبط بالنواء رأست بيه أحمد علاقات وثيقة والتي تجعل من « شهرها حصني.. بحصي أوى الظاهر » تلك تاما رفس الفور الصيت والوجه « مباشرة بعد ان لقنها ممارسة الدعارة السرية وتهريب الحملة وادارة الاماكن المشبوهة والاتصال بالبعثات الاجنبية ... ولكن تاما التي ترتبط بالنواء رأست بيه أحمد علاقات وثيقة والتي تجعل من « شهرها حصني.. بحصي أوى الظاهر » تلك تاما رفس لكنها بمارستها الدعارة السرية وتهريب الحملة وادارة الاماكن المشبوهة والاتصال بالبعثات الاجنبية ... ولكن تاما التي ترتبط بالنواء رأست بيه أحمد علاقات وثيقة والتي تجعل من « شهرها حصني.. بحصي أوى الظاهر » تلك تاما رفس لكنها بمارستها الدعارة السرية وتهريب الحملة وادارة الاماكن المشبوهة والاتصال بالبعثات الاجنبية ... ولكن تاما التي ترتبط بالنواء رأست بيه أحمد علاقات وثيقة والتي تجعل من « شهرها حصني.. بحصي أوى الظاهر » تلك تاما رفس

والتيار الخلافي والمتاجرة بكل شيء حتى بلا شك عوامل تكوين من تفاير ساطة القمع الحاوي يقبع سفلي متكرر ويومي « يقصر هير » الطاولة . ولهذا كان حتى الكتور فريد زوج نادية تيل طلاقها . نعم بايهم قواعد اللعبة جيدا وكيفية استغبار الاوضاع لصالحه . ففي عام ١٩٥٥ كان بالحسول نادية الشريف : « يستعد لكلك من السرقة والاعمال والروتين والاستهلاك بالمرفي القذراء ... له الاستغلال والقنص الى اعلا وحبر ما يصل اليه بالمحل . ولهذا فهو يرفض الاستمرار مع نادية بحجة انه « ناقوص من الساسة » أو بالحساق فهم اخلاقيه بعد « وهو بتعقف مع تاما في عمليات الاجهاض ، ويقيم في النهاية البوجيتو « الطبقة الجديدة » .

وحتى ايضا « تاما » وهي اكثر صراحة من غريد لانها تربط « مباشرة » بالحد مباشي الصلحة والطبقة الجديدة بما وهو الذي يستطيع دائما أن يوفر لها غطاء مقبولا تعمل في ظله « بحرية » الى درجة انها تصرخ في وجه ضابط البوليس الذي اقتحم شقتها :

« هية دي الحرية اللي بتقولوا عليها!! ومن خلال محل التوافير تستطيع أن تدير محل دعارتها وهي ما تفتأ تردد للمحقق ترغيبا وترهيبا : « غيرهري تصرف اللواء رأفت أحمد » .

ولكن المأساة تزورها هي أيضا عندما تكتشف أن ابنتها الصغيرة قد أسيئت بتزيف ملفيرت نتيجة خطأ في عملية اجهاض لها . انها أيضا لا تسلم من وهج النار . أبا اللواء « رأفت أحمد » الذي لا نراه أبدا فهو موجود طوال الوقت من خلف الاحداث وهو يمثل — بطريق مباشر وغير مباشر — أحد العناصر الرئيسية في تكوين المستوى القصصي الذي حدد حسن الوكيل وقال نادية الشريف .

● زائر الفجر

قال ممدوح شكري مخرج الفيلم ذات مرة : « ما أردت أن أقوله ... « الانسان هنا يوضع في الزاوية ... وتصبح حريته محاصرة حصارا قاتلا» ... وان كانت بطلة الفيلم قد ماتت جسديا ، فان الموت النفسي الذي يسبق ذلك ، أبلغ وأعمق ودلالته أقوى ... وأني اعتقد ان كل مجتمع يضع نظاما خاصا للحفاظ على أمنه ... ولكن عندما تكون المجتمعات في مرحلة التطور فان ذلك النظام قد يسيء استغلال حرية الفرد ... وأنه مما يثير الدهشة — وهذا ما ينطبق على الغالب على كثير من مجتمعات العالم — أن المثاليين واصحاب النفوس الابية يدفعون من الضرائر أكثر من غيرهم .. ربما لانهم أغبياء .. ربما لانهم يكرهون الظلم ويحسون به أكثر من غيرهم ... أنهم يسعون الى الرقي واتخاذ المواقف بشكل سريع وحاسم .. وهذا ما يجعلهم في الغالب عرضة للاصطدام .. والفيلم كاعداث بشكل عام يطرح فترة طويلة من حياتنا للناقش ... أو هو نوع من القد الذاتي يمارسه الفيلم بالنسبة لتجربتنا الثورية بما فيها من أيجابيات وسلبيات .. وهو ربما يصنع مقارنة بين بطلة الفيلم من ناحية وبين ما حولها من ناحية أخرى ، من حديث له مع سامي السلاموني — ندوة نادي سينما القاهرة ٣١-١-١٩٧٣]

وهذا يعني أن ممدوح شكري كان قد استوعب فكريا — وفنيا أيضا — تجربة نضال فيليبه الروائيين السابقين « الوادي الاصفر » [١٩٦٤] و «الوهم الهب » [١٩٧٠] اللذين يدوران حول موضوعات علمة ومجردة . كما قبرر عبارته تلك احساسا داخليا — أكده « زائر الفجر » — بالطبيعة السياسية بقدر ما هي بقروق التجربة المصرية في أصيلها والسياسة معا . وقد اختار ممدوح مع رفيق الصبان الشهال البولسي لبناء الفيلم ولكن هذا لا يعيب الفيلم ولا يؤخذ كخطأ لاتجاهه الجماريا وهو على العكس والتم جسر الرجعية والغموض والترقب المناسب لزائر الفجر الغامض ، وكان فريق العاملين في الفيلم كله داعيا بتلك الاهداف ، بخير التصوير رمسيس مرزوق ومهندس المناظر فهمد بهجت والموسيقار ابراهيم حجاج والمونتير احمد متولي ثم مطلة المؤلف ماجدة الخطيب التي نرجو أن تجد ظروف السينما المصرية من الاستمرار ميدان ذات موقف وكذلك عزت البلاغي الذي يسهم بصوت وأثر بدايته المتن وملامحه الشجيدة المصرية في عديد من الافلام المصرية الجادة في الاعوام الاخيرة .

● الاخرون

كان المخرج الكوبي سي. الفاريز يغضب كلما خرج الجمهور من مشاهدة فيلم له وأعلنه كلصوماعة — لكي يتوجه الى منزله كالمعتاد — قد يغضب الجمهور وقد يبكي ، ولكنه يبقى الى منزله في النهاية . وفي ظني أن « زائر الفجر » لو لم يكن قد حفت منه مشاهد

وعبارات بالغة الاهمية بالاضافة الى عرضه فى وقته لكان قد حقق ما هو اكثر من انفعال الجماهير التى تقبل على مشاهدته .

ولست أريد أن يجرنا هذا الى الحديث عن دور الرقابة فى مصر وما جنته على الفيلم والجماهير التى وجه اليها الفيلم اصلا حين تحذف مشهد الفقراء فى المستشفى مثلا وكأنه غير موجود او عبارة مثل سؤال المحقق لجار نادية الشريف : « وليه ما اتكلمتش من الاول» فيرد الجار : « أصل الجبن سيد الاخلاق يا بيه » ... وعبارات ولقطات اخرى أفاض غيرى فى الحديث عنها ... ولا أريد ايضا أن أناقش عبارة لمسئول الرقابة مثل : « نادية الشريف لم تكن صورة مشرفة للصحفية المصرية فهى امرأة مشبوهة لها علاقات مختلفة سواء مع رئيس التحرير او مع الرسام او مع جارها الطالب الذى يسكن فى الشقة المجاورة لها ... » [وهى نفس احكام وعبارات د.فريد ومدبولى جارالقتيلة!!] ... لا اعتقد أن المجال يتسع هنا لمثل هذه المناقشة مع افتراض وجود ارضية مشتركة اصلا ... ولكن لابد من سؤال واحد : ما هى الحدود الفاصلة بين راى الرقيب وحكمه الشخصى ايا كان منصبه الرقابى وبين الحدود العامة التى اقرتها مواثيق الثورة جميعها . ان الدكتور فريد يقول لنادية : « وهية الرقابة فى الجورنال هاتسمح لك بنشر الكلام ده ؟ ويبدو أن الرقابة تؤيد الدكتور فريد فى شكه هذا لان المنع ثم العرض فى التوقيت الميت — اى منعه و « العصفور » و « التلاقى » لعرضها فى مناخ مختلف عن الوقت الذى أنتجت فيه هذه الافلام مما يمكنها من الاختصار ديمقراطيا [!] لان القضايا التى تثيرها تبدو كأنها قد حلت اليوم. أن هذا الموقف كله يسحب البساط من تحت أقدام السينما المصرية الجادة .

ولكن « زائر الفجر » رغم ذلك يدعو الى الا يكون المتفرج « جبانا او خائنا » على حد تعبير فرانز فانون . ولهذا فهو يقف اليوم فى طليعة الافلام المصرية التقدمية ... وهى افلام نريدها حتى لا تعود المستمرات القمعية الى الظهور مرة أخرى وحتى تشتد صدمة الوعى بفن ممتع وثورى يعبر عن احتياج اصيل وملح فى بلادنا . وحينئذ سوف يكسب السينمائيون الجادون الحرب على جبهات ثلاث : تقدم الفن السينمائى ذاته ، وامكانية توصيل ما ينادون به من افكار وقيم ، ثم تحقيق الانفضاض التدريجى من حول « حلقة الحاوى » السينمائية.. ولا شك انه طريق وعر طويل ولكنه بدأ « بالمومياء » مثلما بدأ « بأغنية على الممر » و « الظلال فى الجانب الاخر » و « العصفور » ، و « التلاقى » و « زائر الفجر » .

الفاروق عبد العزيز

أسبوع الفيلم اليوغسلافى

هل يصلح الشباب أخطاء « القطط السمان » ؟

الحياة بالحب .. لا تكفى !

الفكرة المسبقة عن السينما اليوغسلافية تقول بانها تتشابه مع ما نعرفه من مواصفات سينما البلاد الاشتراكية : الثقة بامكانيات الانسان ، وبقدرته على تجاوز ازماته الخاصة ، لتلتقى ارادته فى النهاية مع ارادات الاخرين ، فى اتجاه بناء عالم جديد .. التغنى بانجازات الحاضر ، والامال الكبيرة فى المستقبل .. التأكيد على قيم العمل والتضحية وحب الاخرين وانكار الذات ، عن طريق عرض سير نماذج من ملايين المجهولين ، الذين راهنوا بحياتهم ، ضد الظلم الداخلى والغزو الخارجى ، فى سبيل بناء مجتمع عادل وحر .

لكن اسبوع الفيلم اليوغسلافى يحطم ، الى حد كبير ، فكرتنا المسبقة عن السينما اليوغسلافية ، فاذا استبعدنا فيلمى الاطفال « الذئب الوحيد » و « مغامرة طفل » ، واذا وضعنا فى الاعتبار ان فيلمى « كيف نموت » و « وولتر يدافع عن ساراييفو » يعتمدان — بحكم موضوعيهما وفترتهما التاريخية — على مرحلة النضال العظيم الذى خاضته الشعوب اليوغسلافية ، خلال الحرب العالمية الثانية ، سنجد اننا امام ثلاثة افلام تعبر عن يوغسلافيا الحاضر ، اجتماعيا وفكريا ونفسيا ، « الحياة بالحب » و « فى انتظار ليو » الذى عرض تحت اسم « فرحة الحياة » و « ستحل علينا اللعنة يا ايرينا » الذى عرض تحت اسم « العاطفة المحرمة » ، وهى افلام تفاجئنا بما بها من قتامة وسأم واحباط وسوء ظن ، سواء فى المجتمع او الانسان ، وتتراوح بين النقد المر لسلبيات الواقع ، وتكاد تقترب من اليأس .

الحياة بالحب .. وهم عابث

يفتتح « كريشو جوليك » فيلمه بمشاهد رقيقة لحب صادق بين طالب وطالبة ، يعيشان فى ظروف مالية صعبة . وتروى صاحبة السكن الذى تشغل الطالبة احدى حجراته قصة فيلم ميلودرامى جعلها تبكى كثيرا : فتى يحب فتاة ، وعندما يقف المجتمع ضد زواجهما تمرض الفتاة وتموت ، ويبكى الفتى طويلا

فوق تراثها .. وهي ماولت « الحياة بالحب » يقدم « كريشو جوليك » رؤيته الواعية لنفس القصة .

ويكتسب الفيلم اهميته من خلال القصص الفرعية ، والمشاهد العابة ، والشخصيات الثانوية ، وجمال الحوار المعبرة . من خلال هذه المتناصرات يقدم الفيلم بمهارة جريئة لرصد ظواهر مجتمع تتحلل فيه القيم الاشتراكية لتحل محلها قيم مجتمع استهلاكي .. والمتكاس هذا التحلل على علاقة المحبين .

يبحث الفتى عن عمل ، لكنه يكتشف أن الزمن بلا وساطة لا يمكن أن يعمل .. ولان حبهما الذي لم يعصمهما فوق وعي صادق ، فانه يصبح للتجارب الاولى لبائرجوان .. ويجعل الفتاة بفورها من عمل ، وتحتار المسافر الى قرية صغيرة حيث تتحقق مدرسة باسم محمود ، التحتر منه جزءا كبيرا ، ترسله لزوجها .

عندما تذهب الفتاة الى القرية الاخيرة ، مكانا تسكنه ، ومن تتسامح الشاهد تعرفه ، وتعرف بعما ، ان احد كبار المسئولين من القرية ، الذي يحاول ابتزازها والتابة علاقة معها ، فسيد لفتاة كبيرا ، في محاولة لجذب السياح ، وتساله احدى السيدات في لقاء عابر ، وبطريقة ذات مغزى ، عن حصة الاسماك التي كان يجب أن توزع على القرية كلها .

توقف الفتاة في العطور على حجرة في شقة أسرة طيبة ، ومن خلال الحديث بينها وبين ربة البيت ، التي تعيش شيخوختها على الاوان ، تعرف أن زوجها ذهب ليعمل في المانيا ، فهناك فرصة العمل أكبر ، والمال أوفر ، وباستطاعة شراء ثلاجة وتليفزيون وحرية ، وبالفعل فاخرة ومسافة متوفرة .. وبالفعل تشاهد عودة الزوج المنتظر ، الذي تقضي سنوات طويلة بعيدا عن أطفاله وزوجته وبيته ووطنه ، ليشتري بمرتبه وفريضه واجمل سنوات حياته لجهزة يحلم بالربح من بيع بعضها والاستغناء بالبعض الاخر .. ويتقضي مع أسرته ليلة داخنة قبل أن يذهب الى المدينة لشراء « اوبيل » للتليفزيون ، وعند عودته من المدينة في المساء ، تختلب عربته وتفيض روحه .. فهو لا يجيد القيادة ، والطريق الجديدة غير معبدة .. و .. الاضافة فيها منعدمة .

وفي الجانب الاخر ، جانب الزوج ، الذي طالعنا في البداية بحياة عنيفة ، رقيقة ، تشاهد الفساد يتسلل الى روحه ، خاصة عندما يرى مظاهر الثراء تحيط به بينما هو ينتظر النقود الظيلة التي ترسلها له زوجته .. ويتطابق مع فتاة كان يحبها في يوم ما ، تزوجته من أجتاز جامعي تغني سنوات طويلة في أوروبا الغربية ليعود بعدها بمال وعربة وملابس فاخرة ، ويرغم الشيوخ الذين يدافع الحب في كيانه فانه يشعري زوجة شابة ، ويعود ليشتري الشاب الذي طالمانيا في البداية بحبها ، لغيا ، رفيقا .

وتعلم المدرسة حقيقة الامر ، ويلا دموع ، أو تعبر ، أو كلمة ، يتم اللقاء بينها وبين زوجها .. وفي مشهد خال من التفصال يتم الطلاق بينهما حيث يبدأ كل منهما مواجهة حياته الخاصة ، بعد ان يكتشفا انه ليس بالحب وحده يحيا الانسان ، فالحب السوي ، العادل ، شرط جوهري لوجود وبقاء الحب .

و « الحياة بالحب » ، من الناحية الفنية ، بالغ البساطة ، لكنها بساطة غنية بالدلالات ، قيمة من الوضوح في الفكرى لدى المخرج ، الذي قام بكتابة السيناريو ، ووضع في اعتباره الا يكون الاهتمام بقصة الحب على حساب صورة المجتمع ، لذلك فان كل جملة تتجسم بمعنى اجتماعي ، وكل شخصية دلالة طبقية ، ومجموعة « الفلاش باك » ليست منطاق اختيارية أو مواقف ذاتية بقدر ما هي تأملات في الواقع ، الامر الذي لا يستطيع مواقف المخرج من أجل تحلل قصة الحب ، على طريقة الفيلم الميلودرامي الذي تحكيه صاحبة البيت ، بقدر ما يحرك هلل المخرج قصد مجتمع تتراجع فيه الاخلاقيات الاشتراكية ليقم تقم مجتمع استهلاكي لا يرحم .

« في انتظار ليو » .. الخطر

يقدم المخرج « بوشتيان ملانيك » فيلمه الثالث « في انتظار ليو » — الذي تم انجاز « الحياة بالحب » — بأسلوب يختلف تماما عن أسلوب الكريشو جوليك ، في الحكاية ، المصايد ، الذي يهتم بالتقديم رؤية موضوعية للمجتمع بقيه ، وشخصياته ، وحواره ، وان كان يتفق معه في الهدف النهائي ، وهو تحذير مجتمع وسير بسرعة نحو خطر مدمر .

يقدم « في انتظار ليو » الواقع من خلال زجاجة نظر بطله « ليو » ، المهندس الشاب ، الذي يرى حياتي معيشته بطريقة أخرى واضح من الآخرين ، وهو بالطبع على طول الفيلم يمسكنا ببيزان لقياس درجة انضباط المشاهد ، وتأمل من خلاله الاحداث والديكورات والسقوف ، ويتحول ان زوايا بناء الاحداث خطفة ، وان الاجزاء الثانية ، والسقوف اتعل مما يجب عوان كل شيء حتما سينهار .

والفيلم ، وهو يقدم الحياة من وجهة نظر بطله ، يجتمد على المشاهد التخيلية لحكاه ، ويتصيد للتجمع « بريليا الى اليوم « دائرة » والى جو الاحلام ثائرة أخرى .

ومنذ بداية الفيلم ، يبدو « ليو » رافضا ومسكونا من اسلوب معيشته في الحياة ، فالشقة التي يمتلكها غالية الثمن من الاثاث ، فيما هنا بعض الكتب ، وملابسه بالاخرين مضطربة ، غير واضحة المعالم ، وهو يرتبط بشقاة وجوه ، معرفة مطلقة ينهم معها علاقة جنسية بغير حب ، وثقاة صغيرة منطلقة يحبها ويباش الارتباط بها .. ولست يتهنأن يعيش معه في شقة واحدة !

وتقدم علاقته بالموظفة عندما تعاجز الى المانيا « حقا » حيث فرصة العمل اكبر والمال أوفر ، وتقدم علاقته بالفتاة المطلقة عندما تحاول أن تقترن به لتضمن لمستقبله الغالية المجتمع ، وسيرا ومغنمة وكراسي .. وينتهي الفيلم بظلام كثيف يملأ الشاشة ، في لحظة كبيرة لاتهاب ملازمة شوق وتعبش لحظة صمتية من اللغم .. وتتراجع التكبيرا ليظهر الاسد في شقة « ليو » الخاوية ، فوتوقف الاسد لحظة ليتطلع الى التكبيرا ، ثم يواصل فرز البهائه في لحظة اللغم ، ويعود الظلام الكثيف ليغرق الشاشة مرة أخرى !

وقد يكون في « فرحة الحياة » أو في « انتظار ليو » ، بطلا واحدا من الابطال ، وقد تأكد عليه بعض النقاد والتعليق ، وربما يحدثنا بطلوه عن المواقف الكوميدية — على الرغم من أنه عدم لنسا على انه كوميديا — لكنه يجمع ، من خلال تركيبه الفلم على التحليل والتجسيد والربط والمواقع ، في عمر مجموعة عملاقة داخل ذهن المخرج ، لخارج مع بعضها لتشكل في النهاية مشترى محددا .. فإذا هذا الفيلم من المتطلب ان يتساطل المرء ما هو طبيعة المجتمع الذي يقيل عملة النموذج الرائص ؟ وما هي مسالة الواقع الذي وسعب به بالتطلع ؟ أهو مرفوض حقا ، أم ان هذا السلوك مرفوض عليه ؟ .. وعندما يقف بطلنا فوق أحدى السقالات ويترقب منه رجل يمسك بخوذة معطيا ليخطره بأنها لا ميتي من عليل انهار فوقه أحد العمدة ، لابد وان يتساطل المخرج عن بليبة هذا الموقف ومعناه ، أهو تخيلي ام واقعي ؟ والاجابة عندما لها يتمرى طبوحي واحد ، يلتقي بداطة المشهد الاتتاحي الذي يقف فيه ليبو ، سوق العديد الزيارات ، بينما تطلب منه ابرة ضخمة جدا لتسحب ماطال بالله ميراثه .

« العاطفة المحرمة » .. وفكرة اللعنة

يقدم « كرل انجليوسكي » لعنة سينمائية ، تعد هنا هي الشكل الموهوب

«سنحطم هذين اللعنة يا ايرينا» .. لماذا

من الناحية الفنية ، ذلك انه يدمج فيلمه بمهارة شديدة ، فهو يصول ، بقدرة خلاقة ، كافة عناصر الواقع الى ايحاءات فنية ، فالليل والغابة والغيوم الكثيفة والمياه المحاصرة والطاحونة العاطلة بعبر بها من الرقيات المكبوتة ، التى تتحين فرصة الانطلاق .. ويعبر بالمطر والماء المتطاية وظهور الشمس ودوران الطاحونة من الشبق المرتوى والغزيرة المتحدة .. والديلم يتماسك فى الدرجة التى لا تحس فيها بقطعات أو فجلات ، كما لو كان مصورا دفعة واحدة ، فى نفس واحد .. وعلى طريقة الاساطير نحس بان الاشجار والمياه والتلال البعيدة والغيوم كائنات حية ، لها ارواح متقلبة ، تحزن وتفرح وتغضب وتثور ، ويأتى التمثيل الصديم لمكمل هذم النغمة الفنية .. لكن السؤال الذى يطرح نفسه هو : فما يعبر « سنحطمانها اللعنة يا ايرينا » ، وماذا يقول ، وفى اى اتجاه يسير ؟

ان الفيلم يبلغ فى قسوته حد الوحشية ، وهو من الناحية الفكرية ، يذهب جذريا من « الحياة بالحب » و « فى انتظار ليو » ، فالفيلمان الاخيران يتصدان نقدا لمجتمع لا يحقق لافراده السعادة والحب والعدل ، واذا كان «ليو» متجهما وسوداويا اكثر من « الحياة بالحب » ، فان النقد فى النهاية فيهما كان مريرا ، يجعل نوعا من الامل فى الاصلاح والتجاوز والمستقبل ، الامر الذى لا وجود له فى « سنحل اللعنة » ، ذلك ان « ايرينا » يعود الى الماضى البعيد ليجلب تلك الذكرة البالسمة ، والبائسة ، التى تجاوزها البشرية «فكرة « اللعنة » » .

يبدأ الفيلم بمكالمة صينية تذيعها « لا أعتقد ان لها وجودا فى صين اليوم » ، يكتبها المخرج بعرض الشاشة ، تقول « من أعماق سايبريا .. وفى جزرنا الوحيدة .. تتساوى الايام والاحزان » .. وتتوالى المشاهد لتتبين أن الابن الذى تزوج هنديا ، يذهب الى الجيش ، فاركا زوجته فى زعابة والده ، فى كوخ يكاد يكون معزولا من العالم .. وعلى نحو قدرى ، تتحرك غريزة كل منهما فى اتجاه الاخر ، وعلى طريقة الكوبرس «او مطلق الالية » ، او ايزنشتين ، فى التراجيديا اليونانية ، يظهر « مجيش » بهيأته الغريبة ليعلن الأب بان بهيه سيهجم ويتحطم ، وان جيرانه سيقتلون ، وسيعيش وحيدا شريدا .

وبالفعل تتحقق النبوءة ، فسرعان ما يتم عمل الجنس بين الزوجة والاب .. وسرعان ما يعود الابن الغائب .. وسرعان ما يشاهد الحقيقة الفاجعة كاملة .. وعندما يطالب الزوجة ، بعد ان شهد عاصف — صادقا او ساحرا او مشعوذا لا أحد يعلم ، بان يمشى للامام ، تحت نفس السقف ، وان يكون جسدها مباحا لكليهما ، تتقطل الكابيرا للاب المحطم خارج الكوخ .. وهنا يعم الصمت والسكون ينظر داخل المسكن حيث يقدم لنا الفيلم لقطة دالية للابن يشجوج الراس ، والى جانبه بلطة فاسية .. وبينما تقف «ايرينا» بذهولة ، وحيدة ، مهجورة الشرات ، يعبر الأب مهزوما ، منهالكا ، غير آسف على الغابة ليشيع بين ارجائها ، ولا يلقى ثم الكادر الذابت سوى الانسق الرمادى ، وسحب داكنة ، وذراع موحش ، ويرتفع صوت آلة « كلارنيت » وحيدة تصل الفراغ بصدى صوتها الحزين المتبقى .

والآن ، ما الذى جعل فنان السينما الشاب « كون انجليوبولس » يصوغ بتعقده الجبلة الى المتافى ، او يقدم افق ، ويذهب من مخلفات المتافى امكار اللعنة والغطيئة والقدر ، ما الذى جعله يستعير العديد من عناصر الاسطورة والتراجيديا الاغريقية ، ولماذا ينظم الى الانسان كمشية مسلوبة الارادة عليل ويدفع بطله الهلاك الى قدر الحياة ؟ فى أحد مشاهد الذروة ، وهو يقطع احدى الاشجار ، مرددا فكرة ان الحياة ليست سوى ميلاد وموت وميلاد وموت ، متجاهلا فى هذا كل ما يمكن ان يميزه الانسان فيما بين الولادة والموت ؟ وهى الفكرة التى يقول عنها « ارنست بيكر » انها تتردد كقرع من الهروب العمى ازاء تناقضات مجتمع لا يريد الفنان ان يتعرض لها ، الامر الذى يجعلنا نتوقف عند هذه التساؤل عن مسار التجربة اليونسلافية وتغيراتها ، التى دفعت أحد فنانيها الى تقديم نفايع به هذا القدر من اليأس ؟

فيلمان جريبان .. وفيلمان للاطفال

يمكنك ان تتجاهل الفيلمين الجريبين « كيف نبوت » من اخراج « مويجين ساينيتكونيتش » ، و « وولتر بدانغ من مراييلو » من اخراج « غير الدين كرغافاش » .. فبينما يقدم « كيف

شوت » ، المتراجع لثيا « هند الحدود الاولية للواقعية الاشتراكية » ، يقسم « ولبر » بمحاولة فاشلة لمحاكاة الافلام الحربية الامريكية ، فهو يأخذ من افلام الجاسوسية تضارب الظواهر والمعلومات ، وصدم البشر ، والشك فى كل الاطراف . ويأخذ من الافلام البوليسية التوتر والمطاردة ، وايضا الشك فى كل الاطراف ! والعملية العسكرية التى تقوم بها قوات المقاومة ، والتى تتمثل فى الاستيلاء على قطار محمل بالبترول ، لا تقوم على « جماعية البطولة » بقدر ما هى مشاهرة فردية ، لا تعتمد على قوة الجماهير المقاومة بقدر ما تعتمد على قوة شجاعة وذكاء واعصاب حفنة لا تتجاوز اصابع اليد الواحدة . ويبدو ان المقاتلين على الفيلم أعمدوا بفردية البطولة ، الامر الذى جعلهم يخرجون فى النهاية أن « ولبر » ليس فردا ، ولكنه جميع سكان « سرابيدو » !

اما عن فيلم الاطفال ، فربما لانتطبق مواصفات افلام الاطفال على « الذئب الوحيد » الخراج « ايراد جلوشتشيفيش» يقدر ما تتوافر فى « مشاهرة طفسل » ليه « للاتسبيرتادى » ، فعلى الرغم من ان « الذئب الوحيد » يثير خيال الاطفال بالتشكل الاخاذ للكلب « هوند » يساعده مجموعة اطفال ، فضلا عن اعتماده على افكار طلبة تنادى بالصداقة والشجاعة ومساعدة الآخرين ، الا ان الملقسات النارية وآثار الدماء والتوتر والموسيقى المزعجة ، لا تجعل منه فيلما نموذجيا للاطفال .

يبقى « مغامرة طفل » الذى تصلح لصنه للتصوير ، وهو يبدأ بخلافات بين « الكبار » من أهل القرية ، حول اسلوب ادارة طاهونة بملكها هدد منهم ، وتصل الخلافات حد أهال الطاهونة ، التى تقصد تمابا وتبقى بنصيح المتكيوت.. ويبدأ بعض الاطفسال فى التردد على الطاهونة المهجورة واصلاحها وتنظيفها، وتعرض مغامراتهم للفشل نتيجة اسعاد متعمد يقوم به اطفال آخرون .. لكنهم بفشاعرهم الصلب من الطسساعونة ، وباصرارهم ، وعن طريق العمل الدؤوب الجماعى ، ينجحون فى تشغيلها وتجميلها . ويفاجأ أهل القرية بآلة الانتساج المهجورة وقد دارت أخيرا .. وفى بهجة الاحتفال بإصلاح الطاهونة ينسى الكبار ما قام به الاطفال ، فضلا عن اعتباده على الصور التذكارية ويشرون ويرقصون ، ولا يجد الصغار أمامهم الا الانسحاب والذهاب الى مكان جديد ، لاصلاح شىء آخر لابد وان يكون الكبار قد افسدوه.. والفيلم فى لغته الجريئة هذه ، يلقح النزعة النقدية الشجاعة التى طالعتنا فى « الحياة بالعبيه » ، وعلى العكس من « ايرينا » اليائس ، ينظر بالامل الى غد مسصلح فيه شباب المستقل اخطساء « القحط السمان » الذين ترفسوا بأنانيتهم ، واموجاج سلوكهم ، ظسلا ثابتا على الواقع ، فكسته المحيلنا اليوغسلافية الشابة ، على نحو يستحق، فى النهاية ، كل تحية وتقدير .

كمال رمزى

مسرح

النسر الاحمر فى المسرح القومى

سمير أبوشادى

عرض ممرحى قوى ، ويفشاء على كل تلك الفضايا ، تتحدد فضيتان : رؤية العرض المسرحى الى مصرنا والى التاريخ بما كحتويتين متفاعلتين وموحيتين تمكس كل منهما فى مرآة الاخرى ، ثم أخلاقية استخلاص «الوحدة العضوية» الضرورية لاى عمل فنى لكى يقوم بهذه المهمة ، والعلاقة بين الموقف المأساوى والذكاء المبدعى فى العمل الواحد ، والعلاقة بين العمل المكتوب فى صورة مسرحية وبين التسجيع الروائى فى نفس الاطار ، وبينهما ايضا وبين « الاعداد » الذى يرى المخرج نفسه مضطرا اليه لكى يتمكن من استخلاص المادة الادبية الخام الصالحسة لتأليف

مثلا مثيما ، حتى لو كان « تعدد » الاساليب هو السبيل المقصود عمدا للوصول الى هذه الوحدة .

• • •

ويستطيع اى كتاب يدرس فى تاريخ هذه المرحلة من تاريخ مصر والعرب [مرحلة نهاية الحكم المملوكى ، ومصر الحروب الصليبية وبداية الحكم الايوبى بصلاح الدين يوسف بن ايوب] يستطيع بل هذا الكتاب ، أن يبين لنسا دون مباعثة ، ان « النصر الاخير » ينصبها المكتوب او المرغوب ، كانت كما قال مؤلفها عبد الرحمن الشرقاوى : ثورانية لتحقيق التاريخ البارزة الاساسية .. فوقى السلطة فى مصر منذ منتصف عصر الصليبيين ، تحكم رجال الدعوة الشيعية الدخيلين وتواطؤهم على صح « الصلاحيين » وغيرهم ومع الصليبيين لانور بمناهم السلطة والثروة ، الغنائم والمؤامرات الدموية فى المعسكرين ، العربى والصليبى ، الانقسامات الشعبية لا تلقى لهم تضرب فى قسوة شاهقة ، الوحشية الصليبية تقابلها توحين الاعتصام بتقليد المجاهدين المناهضين الاوائل [بلم عصر بن الخطاب وقواده العظام] عند قواد المقاومة الاسلامية العربية ورضاعة نور الدين محمود لم صلاح الدين نفسه] فرق الانتصارات الايوبية فى بحسار المظالم التى تفتح العرب ابوابهسا ، وتدعمها الابنية الاجتماعية والديمولوجية السائدة المتخلفسة ، المال الذى يملك الثواد الصليبيون ازاء حقم فروانهم ، وتضارب المال الاهلى المحلى للحرب مع العقيدة البغمة للحسرب واحدافهسا ووجوهم من الانهيارات التى احدثتهسا الحروب نفسها فى الابنية الاجتماعية والسياسية لبلدان اوروبا المشاركة فى الحرب الصليبية او الحروب الدينيسة داخل اوروبا .. الخ .. الخ ..

ونحن نعرفه ان كل « واقع » هو بالنسبة للعمل الدرامى تاريخ ، وان كل تاريخ واقع ايضا . ولكن التاريخ بالنسبة للدراما واقع بكمل بعيد . انكساره هى لمادة العمل الدرامى صفة « الحسائق الثابتة » الدقيقة . ولكن بعسده يعطى للخيال الحق فى [ريكل بالتصور العقلى والمنطق الفنى ما عجز العين عن رؤيته» فتتصل الحقائق الثابتة الدقيقة الى ظواهر «تكمل» من خلال الفعل الدرامى نفسه . ومن هذا تتضح للفنان المسرحى امكانية فرص رؤيته فى خصائص الواقع المكمل البعيد ، الذى يعود الى الوجود بالمعطى الفنى ، ليتحرك نحو « تكميل » من نوع مختلف ، سيعمل بالضرورة حتى جديدا ، ويغرى بتتمى الى عصر العمل المسرحى وليس الى عصر الاحداث التى كانت قسد انتهت وانتهت منعط قرون على « مسرح الحياة » .

الدراما التاريخية لابد ان تطمح الى اعادة « اكتشاف » جذرى ، لماضيهسا لارتباط العمل المسرحى بتتاقة الآنية ، التى تعاد صياغتها ويعاد اكتشاف معالمهسا فى كل عصر « تاريخى » او اجتماعى جديد ، وارتباطه بالذاتى بتصور الامة عن ذاتهسا ، بجذورها وسار حركيا ، وحاضرها ، والمستقبل الذى تتحرك نحوه فى هذا المسار .

وبديهى ان الدراما التاريخية ستكون اكثر تعلقا بالعصر الذى تكتب ليهو لاجله» بل انها حديد اكتشاف لماضيها التاريخية على ضوء هذا العصر ، واقتناع هذه المادة بالذات ، لانها — من وجهة نظر الفنان المسرحى — المادة التى يمكن ان نرى فى مرآتها جانبسا من احسالى صورة عصرنا الراهن .

واذا كان التشابه الذى راه عبدالرحمن الشرقاوى وكم سواه ، بين ذلك العصر بالذات وبين ظروفنا المعاصرة بعد هزيمة ١٩٦٧ ، وفوض السلطة اثناء مرض عبد الناصر ، والاحداث التى تلت وقاته ، والتوا هر الاجتماعية والسياسية التى نبتت فى المجتمع المصرى بسبب الهزيمة وبسبب تخلخل البنيان السياسى والاقتصادى وطغيان العوامل الذاتية على العوامل الموضوعية فى تحريك الظاهرة الاجتماعية كلل ، ثم الظواهر المصاحبة التى سبقت الكسوير العظيم ثم تفاقمت من بعده فى صلب المجتمع المصرى وبيئته السياسى وجسدته فى معالم القوى الداخية التى العودة الى ما قبل ١٩٥٢ على الاقل او الى ما قبل ١٩٦١ على الاقل ... الخ اذا كان هذا التشابه موضع شك ، فان نفس الكتاب المصريين فى التاريخ يمكن ان يكونوا مثل ذلك ، طالما على ما سبقذكرنا به من احداث التاريخ المعاصر التى تكاد فى العادة يتذكرها كلنا هى « كل » التاريخ ..

ولكننى بذلك اكاد اتهم المسرحية بانها كتبت لا لشيء الا لكى تؤكد هذا التشابه بين العصرين» او لكى تستخدم «العودة» من هذا التشابه ، ليأتيها لا تثير غير هذه المشكلة — العسلاقة بين التاريخ والعصر الراهن فى الدراما التاريخية .

ان « الدراما » لا تعلمنا بتواتين التاريخ ولا تخبر — فى صيغها الفنى — الا بمعيار الصدق الفنى وحده ، ومعد ومع التاريخ ومع جوهر عصرها فى وقت واحد . وبين البديهى ان التشابه المسرحى فى عصرنا، لن يكتب المراما التاريخية بنفس الاسلوب الذى كانت تكتب به عند لوب دى فيجا او شسكسبير او شيلر . ان وعيسه بضرورة التوجه الى « عصره » يكون اكثر الحاحا ، وبالتالى فانه سيحاول العثور على « تركيبة » جديدة او ضياغة جديدة لبنائه المسرحى ، تتيح له فرصة التاثير المباشر على جمهوره وتوجيه نوع من « الدعوة » المباشرة اليه .

ورغم حسم مقالة « المصطلحات » المؤروكة عن النقد والنظرية الدراسية الغربية «فاننا سنستخدم هذه المصطلحات مؤقتا هازئين بتصورها عن التعبير عما تترجمه المعالجة المسرحية المصرية من معان مختلفة .

صلاح الدين فى « النصر الاخير » هو محور المسرحية ، وهو يخوض مراحله الثلاث الجوانب بأسلوب واحد يليسه التصور الذى حدده الشرقاوى للسلطان المجاهد العظيم — مراحله الاول يثور ضد الفساد الذى جسده شخصية

« عليش » داخل مصر ، وقد تمخضعاية « عليش » لكى يكون مزيجا من المفاهيم بالعين « والمنابر بشعارات العسدل والحرية » والملحد المغالبة ، والمستغل والديماجوجى السياسى فى وقت واحد» وبعد ان يتم لصلاح الدين القضاء على « عليش » ، ثم يتفرغ بالحرب لبقايا الوالج داخل مصر وجها آخسر للعدو التشخصية بزوجا بصفات جسديدة [المتاجرة بالدين والفساد الاخلاقى ويجاهة تصويها أجنحة السلطة القائمة لصلاح الدين نفسه] . وهو صلاح لا يقسل شراسة عن نسخة عليش ، ولكنه اكثر خطرا لانه وصل من داخل النيان الذى اقامه السلطان «ويرمى البرنتل السلطان والقضاء على المؤمنين به فى وقت واحد بتهمة انهم هم تمثلة السلطان ، لكى تتاح لهم الفرصة لسرقة مجد انكار السلطان ويربق دمه بشريعة واحدة .

وفى خارج مصر يخوض صلاح الدين صراعا ضد التخاذل والتشاحن غير الشريفة ثم الضبابة داخل المعسكر العربى نفسه» ويخوض « النصر » صراعه الثالث خارج مصر ايضا ضد الصليبيين ، الذين يهزمهم بتفكيكهم حقا ، او المساهين منهم الى السلطة والسلطة والثروة تحت شعسار الصليب . وفى الجبهات الثلاث ، يلجأ صلاح الدين الى الرحمة والعقل والسعى الى توفير الدم . يعنى « عليش » من النقل بشروط يوديها ثم يفاجره الى « الجبل

المغربية » لكى يكيد لصلاح الدين ويحرضه عليه حتى تخلو عليش هجينة الامير نفسه ، ويحاول صلاح الدين بالحسنى ، اقناع أمين المغرب حتى يتسبب الامير فى قتل أخيه أحمد فى الظهر وأكرهم ، ايمانا به وتأصبعه له ويكاد يتسبب فى مزيمة للسلطان نفسه حتى يلجأ السلطان الى الامير يقتله بمعمة ان يتم أمره بطريقة مجيبة لا تكاد تصدق ، أما الصليبيون فالقصة معهم واضحة .. الحرب حتى النصر ، انتهى بقتل الخوجتين منهم او بالعفو عن ايلتهم المزوجين » وتنتهى أحدى المعارك بالعفو عن جميع أسراهم حتى وعدوا الى قتاله .. هذه « الرحمة » مع المقاتلين والخوانة والاعداء يقدمهما عبد الرحمن الشرقاوى باعتبارها « كعوب أخيل » التى لابد ان تنتهى على البطل التراجيدى ، وأن تؤدى الى سقوطه فى النهاية ، ولكن الشرقاوى يعرف الذريعة ، ويخاطبه ، معه أيضا ، وهو لا يريد لصلاح الدين أن يكون بطلا تراجيديا ، لا يريد له أن يسقط وتنبا بالمجاز ان يستمر هذا البطل الحربى الرحيم العادل لكى يقيم بناء الحياة الجديدة .

واغرار فان قابة صلاح الدين المتعادل التى تكونها عناصر البطل التراجيدى التى لا تكتمل ، مع عناصر البطل المأساوى التى لا تكتمل أيضا ، لم يكاد ان يكون بطلا ملحميا ، يتبادله لأنه فى حرب الحياة أو الموت ، وطموحه الى ان يجمع فى شخصه فضائل أمته ، ولكنا نعرف ان فضائل البطل الملحمى تؤدى به الى النصر دون أى احتمال لهزيمة ولا تجلسه على عرش ، فتصويره أكثر من مرة الى الهلاك ، وهو لا يهلك الا بسبب نقطة ضعفه التى هى بذرة المأساة ، فيما بعد ، فيه ، والبطل الملحمى يجسد كل فضائل الأمة ، بينما لا يجسد صلاح الدين فى المسرحية الا الفضائل الحربية الاخلاقية لبيئته .. لا يملك غيرها ولا حكمة جيرتها المستخلصة من معاركة الواقع لا من الاستعلاء عليه ، بذلك تصبح تراجيدية صلاح الدين وطبيعته قيودا على الجانبين من تركيبه شخصيته وعلى الصدق الفنى للدراما .

ولكن الشرقاوى ، يضع الى جانب شخلاب الدين تجسيدا لها .. ولكنه يخلف كثيرا ان تكون شخصية ملحمية كاملة ، وتقترب الاخرى من الغلبة التراجيدية الكاملة .. ويحرص كريم بطاوح فى الاعداد أن من طريق الحذف والاضافة ، أن يحولها الى المحدرين الاساسيين للوعى فى شخصية صلاح الدين ، وتعويله فى المعركة بما اعتمره من قساوة استعداد محمود عاشق الحرية والعدل ، كانت قادرة على ان تصبح هى « البطل الملحمى » الكامل ، الذى عاش المأساة وخرج منها بكعب أخيل دامية فى القلب ، ولكن يعقل « تساور » قادرا على القاء تعاليم الحياة الجديدة للبطل الذى سنصير وراءه الامة فى معركة العدل والحرية بعد ان سارت وراءه فى معركة الجهاد .. صلاح الدين .

• • •

وفى المعسكر المقابل ، معسكر الصليبيين ، تدور دراما مشابهة ، ولكنها ستكون بالضرورة ذات معان متناقضة .. ان الوعى المتطابق مع حركة التاريخ وحقيقته الانسانية فى المعسكر العربى ، هو الذى يتيح الفرصة لابطال هذا المعسكر لان يكونوا « أبطالا » للغير الانسانية العامة التى تكشفها لمن من خلال مراعاتهم الخارجية ، والداخلية .

لكى « تتحلبا » وتستفيد بها . وعلى النقيض من ذلك ، يصبح الايمان بالغير الناقص لحركة التاريخ وحقيقته فى المعسكر الصليبى ، أو التظاهر بالايمان بهذه القيم بصورا لزيف بطولة أبطال هذا المعسكر .. فشجاعته لابد ان تكون شجاعتهم توما من الغموة أو الجنون لانهم فاتحون ومستعمرون وليسوا « مدنيين » وعلماؤه لابد ان تنتهى بهم حكمتهم الى رفض قسوة وجنون الشجعان فيه حتى اذا عزموا لابد ان يكتشفوا « العقيدة » وهى انهم يستخدمون لتحقيق اغراض القادمين والتجار والملوك .. وهذا لابد ان تنتزع الدراما اقتراعا اساسيا من التاريخ - ان ترتشار قلب الاسد لم يكتشف فى التاريخ ان صلاح الدين يحمى القدس خيرا منه ، كما ان الملك جيوفرى زوجته الوريثة الملة لم يكونا كذلك الاحياب بصلابة صلاح الدين وهو يعفو عن أسراهم بعد ان ذبح زهرة شبابهم، يكفى ان التاريخ يسجل - هى المنة المارقين الصليبيين - اعجاب فرسان الصليبيين بنبالة فريسهم المسلم - لكى تخلق الدراما شخصياتها وفقا لما يتطلبه تفوقها من صراعات مستمرة بين جوهرها الشخصيات وبين الاقدار وداخل الافراد أنفسهم .. فاذا انطلقنا من فهم يقول ان « النسر الاحمر » تتحدث عن الاسرائيليين لا عن الصليبيين ، وانها « تنصر » الصراع العربى الاسرائيلى ، وليست عملا دراميا يصوغ عالما وفقا لقوانينه الخاصة بالتالى - الى يطمئن لتسوح من التعيين المساعد من تنوير المأساة ، ولكنه التلاعم على قوة الملامح البطولية فى صلاح الدين بأن تجاوز فيه فضائله التى تكاد تصنع مأساته ، وتهيئه فى نفس الوقت لبطولة الملحمية ، مع النضال التى سيتحملها من الشخصيتين المتكاملتين ، الفعية ، والتراجيدية .

يضع الشرقاوى شخصيتى محمود ثم كوكب الى جانب صلاح الدين ، ولكن كم مطلوع يتحمها مباشرة « حوله » : الى جانبه احيانا ، وداخله وخلفه احيانا ، حتى يصبح محمود هو النهاية هو الذمة التى يسعى اليها ، بينما تقوده كوكبين يده فى هذا السعى ..

ومحمود هو الخيال الفنان ، كاتب شبابنا فى خيال الظل ، المثقف المؤمن بالعدل والجهاد والحرية وبأن العدل والحرية فى الوطن شرطان لانكتابة تحقيق الانتصار فى الجهاد ، أيمانه يقدمه الى جبهى صلاح الدين ، وايمانه بضرورة « الفعل » يدفعه الى النضال حتى الموت دفاعا عن الفضية التى يرى فى صلاح الدين تجسيد لها ، ولكنه يخاف احيانا من أن تكون له حياته الخاصة ..

يخاف من الحب ويخافك من القوة التى تتيحها السلطة ، وخوفه هذا هو سر معضلته ، هو ما يحوله الى طل تراجيدى يحمل المأساة ونور المعنى فى وقت واحد للاخرين ، وبهذا النور الذى تلقاه منه حبيبته كوكب ، تكتمل لكوكب قابة الطولية الملحمية ، أنه باستشهاده ، أى بالكمال تراجيديته ، يعطى لكوكب التبصة لاستغلاص معنى حياته ونضاله .. العدل والحرية كشرطان لانتصار الجهاد .

ولم تكن قابة كوكب بعيدة عن هذه البطولة منذ البداية . انها مثالة لخيال الظل ، الفتاة التى تعرف لغوة الجسد ونشوة الحب ومرارة الجوع وفجيعة الخيانة وحيوية حب الحياة وادراك مغزاها الحقيقى رغم الفقر كله ورغم جهالة الدنيا فى وجهها . تعرف هذا كله دون ان تقرأ الا فى « كتاب البؤس » كتاب معاناة الانذال ، كتاب مواجهة الدنيا اذ ليس وحيد وشريف وسط الاهوال ، تتفاضل فى وجه الاتواء لكى يبقى مرفوع الرأس ، مثليا يقول عنها محمود ، ولكنها لم تكن تعرف بعد مرارة الموت والندرة على ان تشب انظارها فى عتق خلال حبيبها الذى جعل لها الشرف والعبقرية للنهم الصحيح الجسارة على الفعل ، ولم تعلم بعد هزيمة هذا ، وابتزيت

لكي يحقق ـ بقدر ما يستطيع ـ صدقه الفني ولكن بعبر عن تصوراته الخاصة عن جوهر التاريخ والعصر القائم في وقت واحد ، اذا استطاعنا ان نفك ذلك الدهم لكان معنى ذلك ان نتعرض لمناقشة البحوث التاريخية أو السوسيولوجية أو المقالات السياسية أو ان نفك عن التفكير في « وظيفية » المسرح والفن الدرامي ، باعتبارهما فنا يتيح حالة ، وفنا لها قوانينه المستقلة عن قوانين الحقيقة الاجتماعية والتاريخية ، سأعبد فيما يلي الوقت الى اهمية التاريخ والواقع الراهن بنور من نوع مختلف .

بهذا الشكل يصبح من الطبيعي ان يكون ارنفلد وكونراد مجرد مستلهمين خواطئين مع التوتر عاطفيين الا فارسين مدافعين عن شفية ، بينما يمكن ارتكون الملكة هجر» ويوشعار قلب الاسد» ايضا لشفية زائفة ، تعرض الصورة الحقيقة للتاريخ ، وتناقض في الدراما مع القيم الانسانية ، رغم كثرة حديثهم عن هذه القيم ، ولابد ان يخلو ارنفلد وكونراد من أي صراع داخلي ، بينما تكتفي الملكة الوردة والقابل واطلاق « الابطال » عن التفاتل والتبالة والابطال

الصحيح ، ويكفي الملك بما يوجهه من سباب لارنفلد المرتجش او التفوح مرة واحدة على فرسائه المسرحيون ـ ايضا ويشارد فهو اليهيد الجدير بأن يعيش صراعا حقيقيا ، بين فترته على الحرب وذيله الافلاتي كاترس ، وبين اكتشافه ضرورة ما لحرفه الحرب من ذلالة وضعة واضطراره للخضوع للذلالة والخسسة

بتمايله مع التوتر والهوفة الحرب وفي الدراما لابد ان يؤدي مثل هذا الصراع الى ذروة الشخصية ، دون ان يكون لها الحق في غاية البطل ، ولا حتى تغيض البطل المتحيي ، فكما يستطيعه ان يتوارى في ظل البطل الحقيقي ، ويخلي له الطريق . والغريب ـ او لعله هو الطبيعي ـ ان هذا هو ما حدث في التاريخ الحقيقي .. توارى ريتشارد لا لم تكتب عنه دراما واحدة ، باستثناء الدراسة السينمائية التجارية] حتى بالنسبة لاوروبا ، وظل صلاح الدين مطلا للقيم الانسانية حتى بالنسبة لاوروبا المسيحية ، [ان دانتي لم يستطع ان يضعه في الجحيم] .

ويكون من الطبيعي ايضا ان يطابق الفنان في المسكر المسرحي [أسير المغرب] مع الفارس المسلم في المسكر المسيحي ، لا كلاهما يتماثل مع نفس الانجار ، وكلاهما يمسي بنفس الجنون الى تدمير بطل الفتاة السياسية والانقضاء على الفتاتل نفسها في الدراما، او ايقاف حركة التاريخ في الحقيقة التاريخية .

ولكن عبد الرحمن الشرقاوي لم يكن يخضع لهذه الظروف العامة وحدها ، فهو في كتابة « النسر الاحمر » ، انه في الاساس كاتب روائي واعي ، وشاعر، فنائي روبسكيزي ، والكاتب الروائي الواعي يستطيع ان يورط كل ما يشاء من التفاصيل والاحداث ، بينما يستطيع الشاعر الفنائي الرومانتيكي ان يكتفي بالفناء بالصوت المتحرر ، او حتى بالخطابة وترديد الشعارات . ولذلك يأتي بناء النص المنشور للنسر الاحمر، بعيدا الى حد كبير عن البناء المسرحي بركام التفاصيل والاحداث التي تكاد تغيق الدراما الكامنة في داخله ،ويحجم المراجوة بين المأساة والملهاة بحكم سيطرة البطل التوسي على رؤية المؤلف فيها . ويأتي الحوار الشعري فنائيا وخطابيا في بعض المواقف « الفكرية » و « الملحمية » بما يلاءمنا من تأملات وشعارات بعيد الشرقاوي صياغة الكثير منها اكثر من مرة واحدة في المواقف الواحد . ومع بعيد صياغتها فانها بنفس المفردات التي عرضناها منه اول مرة منذ قصيدة « رسالة من أب مصري» قبل ربع قرن .

ويعيد كلم مطارح في « الاعداء » على الصفحة ، لكي يكشف سلسلة الموازنات الدرامية التي تكون منها الدراما في مجموعها ، ويستخلصها من قلب البناء شبه الروائي للفصل الذي كتبه الشاعر . ثم يعتمد على الاضافة لكي يؤكد الخطوط العامة لرؤية العرض المسرحي نفسه ـ لكن الاضافة أحيانا من عمل سابق للشرقاوي هو « ثأر الله » في مشهد خيال الظل في الفصل الاول، حيث تؤكد السيدة زينب لاخيها الامام الحسين ان العالم والعصر ليسا في حاجة الى ايمان واعية وطليان بالكا كوان كل « الملك » سيكونون اعداء للامام دائما مما ايطلوه فعلا ، وهنا سيهلهم «طيش» شاكلة خيال الظل ، لكي يتأكد معنى المستقبل المتأخر بشعارات العدل والحرية والدين في شخصية طيش . ويضع كم مطارح اضافة اخرى في نهاية العرض ، حيث تلقى « كوكب » التعاليم التي استخلصناها من خبرة حياتنا ـ وموت حبيبها ، لكي تؤكد أن المحافظة على « ثمرة الشهداء » لا تكون الا بالعمل العقلي والحرية ـ فتتحقق لنا قابلية البطولة المعنية بتعبيرها عن كل فتائل الامة وحكمتها واحلامها ، ويتحقق لهما ـ ـ معا لغة للاناة والغفراء والمتعبرين ـ

بكان « المعلم » حتى لصلاح الدين » وبذلك اتجه اعداد كم مطارح الى استخلاص ما هو درامي ومسرحي من قلب بناء شبه روائي وتعبير شبه فنائي في الاصل ، ثم اتجه الى ابراز اتضاح المعنى الماوجيدي والمعنى الملحمي للناصرين في شخصية صلاح الدين وتحقيق هذا الاتضاح بتقريب شخصيتي محمود وكوكب تقريبا شديدا من صلاح الدين نفسه ، بينما ترك كم شخصيات المعسكر الصليبي على حالها .

وفي العرض المسرحي تصور امكانيات الخصة من تلوينات وفي الاخراج المطروح، رغم التحسين الدوارين والارضيات المتحركة ، ورغم السق المعادل للخصة الضيقة ورغم ذكاء الديكورات التي وضعها سكيفة محمد ، كما تصور اكثر امكانيات التمثيل عن تلبية طموح الرؤية التي يريدها العرض . وربما كان « اعادة الشخصيات » أحيانا رتي ـ في دور الملكة الصليبية ـ عبلة مستحق عليه كم مطارح التقدير العالي ولكن جسارة الاخراج في دفع دور صلاح الدين الى انور اسماعيل ودور محمود الى عبدالرحمن ابو زهرة هي الجسارة المثمرة هذا والتي يمكن بها ان يكسب المسرح المصري امكانيات جديدة للممثلين القديرين ، ويستحق هدى أهبا في دور صلاح ونبيل بدر في دور طيش ، والمجد القاضي في دور أمير المغرب ومحمود حجازي في دور الصياد ذابح طيش ومجدي مجاهد في دور ارنفلد .. يستحق كل منهم « وقفة » خاصة يفرضها بحساسيتهم وقدراتهم التي ساهمت في تحقيق ما تحقق من رؤية العرض . وقد تكون مسعود الموشدي في فني من التقدير ، وهي التي تتمثل مع عبد الرحمن ابوزهرة الصيد الاكبر في تحقيق تلك الرؤية ، ولكني اعتقد ان بعض امكانياتها الطبيعية هي ما جنعها من تحقيق ما تصبه هنا وبالتريد توصيله ، كتصبه بساطة صوتها وجبر وجهها ـ حين تجاوز تعبير الحزن الى تعبير الهم الثقيل ، ومن تجاوز تعبير السخط الى تعبير الغضب ، ولكنها مع هذا تصور ذاتها كل ليلة لكي تصل مع عبد الرحمن ابوزهرة عبء عرض مسرحي يرهن بالكثير جدا مما يصرح به في وضوح .

سامي خشبة

رواية

الزينى بركات ودولة البصاصين

جمال الغيطانى

العصر « التاريخى » ؟ والعصر « المعاشى » ، ايهما اكثر قدرة على التعبير عن الاخر وايهما هو نفسه ، خاصة حين تكون روح الكاتب وقلبه وجهده قد احكمت ذلك التشابه الذى ان لم يفتعل فى بعض الاحيان ، فانه يظل وراء الاحداث والشخصيات ، وراء المحن والمواجهات دائما خفيا ، يظل علينا ، دائما يظل ، فى لحظات العناء — لا لينتزعنا من الواقع الفعلى — وانما ليقول لنا ، ثمة زمن شبيه ، شبيه حتى فى بعض التفاصيل ، ويصل التشابه الى حد التطابق حين ينطلق الكاتب من تقدم عصره المعاشى ، ذلك التقدم المخيف فى وسائل التجسس ومراقبة الناس ، وحين يتم ذلك فى عصر تحددت فيه الاماكن ، والمطامح ، فى قاهرة المماليك الصغيرة ، ذلك هو العصر التاريخى ، أما التقدم المخيف فهو سمة عصر آخر ، فهل يمكن حقا ان تفصل التجربة المتخيلة عن التجربة المعاشة ؟ .

تلك هى القضية التى تثيرها للوهلة الاولى رواية جمال الغيطانى « الزينى بركات » التى نشرتها مؤخرا وزارة الثقافة فى سوريا ، والتى رغم اهميتها لم تجد نشرا فى مصر .

تعالج الرواية نهاية عصر المماليك . فمن انحدار يتألق فيه نجم « الزينى بركات بن موسى » — شخصية تاريخية حقيقية — ليصبح بصورة غامضة « متولى الحسبة » ووالى القاهرة . هو ينادى بالعدل بعد ان قتل « على بن أبى الجود » المتولى الاسبق — راقصا — ويظل مشهد موته رغم صغر المساحة التى يحتلها فى — السرادق الاول — « ماجرى لعلى بن ابى الجود وبداية ظهور الزينى بركات بن موسى .. » مشهدا لا يستطيع القارىء الا ان يجد له تجسيدا سينمائيا شديد العصرية والكثافة وهى احدى سمات هذا العالم الوحشى الفاجع .

كان المتولى الاسبق قد سرق أموال المسلمين وسامهم العذاب ، ولكنه فى مشهد الموت هذا ، ورغم الزغاريد وعلامات الفرح والتشفى يبقى انسانا يتألم ، يبقى الانسان فوق كل شىء وقبل كل شىء ، آدميا يتعرض لعذاب مبتكر « مبهدل آخر بهدلة ، يلطمه الصغير والكبير ، النساء يبصقن عليه .. » .

فالظالم والمظلوم هنا ضحايا دورة خراب جهنمية ، تلفهم جميعا ، يتسلل الاحساس الفاجع هادئا طريا منذ مشهد الموت الراقص ، ويتعمق اكثر ليصل الى مداه حين تتبين أن الظالم الجديد أشد حنكة وخبثا ، وليس ثمة أمل كبير فى ان يأتى الزمان الجديد .

يمتلىء العمل بشخصيات كثيرة تستحق كل منها دراسة مستقلة ، تتحرك جميعا فى عالم معقد ، متعدد الابعاد والسمات فى لحظة تاريخية مشحونة بالنذر والاهوال ، لانها لاتفتعل التشابه ، وانما تنطلق أصلا من الواقع المعاش فكما ان الانسان هو « خلاصة زمانه » فالكاتب هو ابن عصره حتى لو قطع يهددها الغزو العثمانى ، ويختفى الزينى ورءوس معممة ، وأمراء وولاة .

الموت يخيم على المدينة ، وثمة صراع ضار يدور فى قمة السلطة التى يهددها الغزو العثمانى ، ويختفى الزينى ليظهر من جديد متوليا فى عهد بنى عثمان . يضرب الخراب المنظم فى اعماق الناس ، فى أرواحهم وضمائرهم ، فالخوازيق والمشانق ، والسجون والمؤامرات والفتن ، والبؤس المتفشى لاتحاصر الحياة المادية للناس فحسب ، لان هناك نظام متكامل « للبصاصة ... » لايتوصل الى اعادة بنائه وتخيله بهذه الصورة سوى كاتب متوغل فى قلب عصره — والبصاصون هم المرشدون والمخبرون العصريون ، يتفنن كبيرهم — زكريا بن راضى فى اتقان عمله وتوسيع رقعته ، وينقلنا ذلك مرة أخرى الى عصرنا دون ان يقول شيئا انه يحلم ان « يجىء زمان يعرف بصاصوه كم من

الرجال سيضاجعون حريمهم ، أى أطفال سيمسكون أرحام أمهاتهم ، أى طفل مغتصب سيولد ويكبر .. » :

ذلك خيال شرير بلا حدود لا يمكن أن يلحقه بالانسان من أذى ، يطلق رجاله ليحاصروا الأفنية والأحياء ، ليلتقوا المتنين الجوالين ويهجب أن يقال ، هل هو أشر من فى طبيعة الرجل ؟ أم أنه كامن فى طبيعة العمل الذى يقوم به ؟ أكتسبت ممارسته الطويلة شكل الانسان ، وأصبح رغم لحظاته الانسانية نموذجا للشخصيات المسافية التى تستطيع بمذهب البشر ، فيدرب رجاله على التفنن فى تعذيب الناس وملاحقتهم .

ولكونه « جمال الغيطانى » يكتشف ، أعماق هذا النوع من الشخصيات ، ومحاولته الدائبة المجتهدة للوغل فى خباياها العميقة ، وتحليل دوافعها وشدتها الشرير ، ونسبه أن يعينا على الاجابة على هذا السؤال ، هل ثمة عنصر مباشر ؟ أ. هو مجرد اشراء الواقع بما يقتضيه من احتياجات ؟ ان معالجة الشخصية بهذه الصورة تجعل بؤرة الاهتمام والتقاط مركزة فى الوقائع ، فى الاستماع السلبى بما يقوله « بن راغبى » ، تلك الوقائع والسلبية تعطيان لنتائج عمله ونشاط عامله بعدا عنيفا ، يضيف للعذاب الانسانى بعدا آخر ، أو بعدا عنيفا ، غير مبرر ، يجعل من تسلل الرعب الى قلبه وقد يكتفه ، ذلك التسلل البطىء الذى يضرب حتى أعماق أعماقها جزاء من تركيبة الحياة وخصائصها اليومية العادية ودون ثمن .

« يجب أن تكون الخطوة التى يجر فيها الانسان عنقه أبوابها حدا فاصلا بين عهدين ، علما ينتصح الحد الواحد تسعين ، يحيث يخرج الانسان من هنا بجعل نفسى الاسم لكنه غير حقيقة الامر شخص آخر .. »

وعلى الطرف الآخر ، فى حوارى المدينة وعلى مقاهيها ، تلك المدينة التى يشملها الرعب والبؤس يرى الفتى ، النقيض ، حبيبته فى عالم يعيش البشر فيه انسانيتهم وتفاؤلهم ، عالم مغاير الصورة ، تشعر المقابلة لانه النفى الكامل لهذا العالم الموحش ، وحزنها يولد هذا العالم فى خياله تصبح كل فضائله بالسلب .

« يراها فى دهشة لا تصرف الطواحين ، لا يموت الانسان دهشة فى عرض الطريق لا ينوجع امرأ لخطف ابنته ، لا يساق

الفقراء الى الجب ، التى المنشورة ، لا تعنى الاسار فى سجن المرتفقة ، لا تتزع يد من جسم لانها سرقت خبازه » .

يجسد بؤلاءالرعب مطلقاجوهرتناقضهم — سعيد الجهينى — الذى يظفى علوم الدين على الشيخ أبو السعود — الذى يبذل وجوده ومقاليته البلدة المتصلة ، براود نفى هذا العالم الجهنمى .. فهل يسمح لنفايا أن يكون مسعود الجهينى هو هدف اللاعنف وليس محتكرى أدوات التفنن وأرزاقهم للاخرين ولاالجواسيس الذين يعملون لصالح النزاة والظالمين فى البلاد . بناء الرواية ومسارهاالاول أن ذلك هو الطبيعى أو المنطقى ، ولكنه الذى يحدث .. السجون والعذاب للذين يطعون بالمستقبل ، ويملكون شجاعة رفض الزيف والتزوير ، وهى شجاعة المواجهة الحوالاء البطلة لشرور هذا العالم ، وبما تتسلح به هذه الشرور من أدوات المسافرة والقمع .

زكريا بن راغبى عبد الصمد ، والزينى بركات بن مدحى يتولون الحسبة وأجهزة الامن والعدولة من ناحية ويصر شيخاها وطموحها برجالها ومسلحيها وشياطينها وجواريها ، هم أطراف ثلاثية المحكمة على خيوط شعر مرابة تبعد عداء دهين بكفه كل لاخر وكل منهما مسح ذلك يحتاج الى الاخرة ، ويتفق هذا العالم النفنى عن الاعاجيب ، السلطان ، الجوارى ، الغلمان ، الدراويش ورجال الدين والهامة ، والمماليك صغارا وكبارا تتحرك جميعا الى مصائرها التى يديرها قدر يبدو غيبيا وغامضا ، ولكنك حين تتعمقه تجد أنه الأول والوشيك ، فهو عالم استغل اغراضه وتجاوزه الزمن ، ولم يبق له سوى الذرة المفتكة لايجوزه التى يصوبها التفكك والفوضى هى الاخرى لحظة انفجر المطاقى .

وعند زكريا بن راغبى اجتماعا لكبار المسافرين فى انحاء الارض مقره القاهرة ويبنيا الفزو العثمانى على الجوانب يصل المجتمعون الى النتيجة التالية التى صنفت الى احدى الخصائص التاريخية المميزة لعصر المماليك ، كثرة انشقاق الامراء والولاة وانداع الفتن التى يستخلص منها زكريا حكمة لكتب صفة التسول ..

« اذا تأثر بعض السفوة، أو جماعات من العامة على الكرسى ، فليد مبر ابلاغ الامر الى صاحبى الكرسى ، هذا واجب ، ولكن انتشرت وصول بعض السفوة المتأخرة أو العامة ، والغرض الاخير نادر الحدوث ، الى مقاليد الملك والسيطرة ، ما هو موجوده الهماس هنا ؟

تقول مادام البعض انتزع المقاليد من صاحب الكرسى الاصلى وتمكن من امتلاكه ، فليس هذا الا دلالة على ضعف الاول ، فهذه يمكنه اقرار العدل لذا كان لا يمكنه حماية عرشه .. » .

حكمة يطبقها الزينى ببراعة ، خاتم المهدين الامين ، فلابد أن يكون الاتوى هو الذى استولى على الكرسى .

ولكن بصر الغفيرة لا تتوقع ، هى حركة ، منذ البداية ، طرفه لا يبين لكنه موجود ، هاتها أنها هى موضوع الغنم والغصوة ، يؤسها بلا حدود ، بين قلبها وتسريح الرجال المتلهفين الذين يتصدون للفزو ، يؤدهم شيخ يتاوز الخمسين « شرب من نبع الحياة لا يموت أبدا ولا يهرم قط .. » .

هجر بيته وانطلق الى الريف يحمل فيه ثمار حاصلة لا يستطيع الشيخ .. »

شيء لا تتوقعه لكه لبدا ولا يستطيع أن تحصيه أجهزة الامن ، لذلك هو تواجد

الناس معا ، الجرعوم وتوريم جماعيز الصناعية والغرغم الخارقة والمجزة ، هنا تكمن أرقى فضائلهم ، وبهم يخرج الشيخ ويهم يحتمى .

وبين أصدقاء السجن لخرج تسعيد الجهينى ، يلحظ عن مولاه وقد توارت خلف الوان العذاب بملمح الشباب الاول ، التى أضحت بالحتجاجها الصارخ أحدى لحظات الشجاعة فى مواجهة كل المخاوف والصيغات ، لحظة اكتشاف الفتى كأصغى ما تكون فى وجه الزينى الذى يغلب حتى الناس يصبح فيه كالذبيغ يصبح حجرا صغيرا فى وجه حملته الوزرة من أجل كعب شعيبة ، ينجح فى ذلك ، الا أن رحلة أوروبى يلاحظ أنه :

« يسرى شهوبه خفى ، شعور لا يبين فى الارواح والجباه ، زهية خفية من الزينى ، لا تبدو على وجه وشر ، وانما تركى بعيون خفية .. » .

ان دولة المماليك تحكم حصارها على أرواح الناس فى لحظة المواجهة ، فى حياة سعيد ، لحظة خاصة فى هذا العمل ، لحظة درامية لانها تتم رغم ادراكه لكل

الأطلال » رغم ادراكه أنه وحيد ومحزول ومتهم وحالم ، والآخرون ، الآخرون التهساه لا يعلمون ».

لا يخلف الجزيرة ، تفرقه نظرات الاستهزاء ، المستائين ، الحسادين ، المرهبين ، البنائين ، المحابين ، التجارين الخبازين ، البصاصين ، ليعودوا اليه نعم لا يعلمون ... »

هم حقا لا يعلمون مدى انحطاط دولة المزيني ، وليتهم فيما بعد ، وبعد أن يفتح الكيل ويطوون مدى انحطاط حاكمهم فيناصم البه الكثيرون ».

خرج الذي من احداق العذاب باحثا عن ملاذ ، باحثا من بين ما ، اختياريا لصلابة كانت له في الماضي مستجيرا مختارا في جبلة واحدة ، كانت دائما ثيوسة دهيئة منذ دجلى لنا بالتدريج عالم زكريا بن راعي الخلي « أصليون ، وحدوا حسونى » .

تحمل جذه الرواية الكثير وتحدق الكثير ، وتقول الكثير ولكن يعيبن عليها ذلك المرى الفاضح للحياة الداخلية لأجهزة الأمن التي تسلط الناس في مصر المآسي ، وفي كل مصر آخر ولكنها تبدو هنا لشدة اختلافها وتسوقها قدرا لا يمكن الفكاك منه ، ويبدو الانسان أمامها عاجزا ويلا حولة .

في « الزيني بركات » من الجد والدراسة بقدر كبيرها موجوعية استطاع من تراوحهما جميعا أن يخلق هذا العالم وشخصياته الدرامية المبنية بدقة آسرة ، وبأحداثه التراجيدية والتاريخية الكبرى ، هذا التراوح الذي أدى تصاعده الى تداخل المباين الداخلي والخارجي لأبطاله حتى أصبحت الأحداث في بعض اللحظات — قضية الفوانيس مثلا — هي العالم الأساسي وليس عالم الشخصيات ، وتلك سمة غلبة حين يختار الكاتب فترة عاصفة ليعمله تتوارى فيه الصراعات والنزعات الداخلية أو تصبح ردود أفعال بصورة جدية وميكانيكية أحيانا — لايقاع العالم الخارجي، وعن هنا جدو استحالة المواءمة .

الا أن المدوى الرائع الذي يلفه جبل الطيطاني في الصياغة وادارة الأحداث على اصباغ رقعتها، وشخصياتها ولغة السيناريو ، وانقطاع الفاصل الزمني الطفيف لم تحل جميعا دون خنق بعض في صياغة العوالم المتباعدة ، والمشاعر المتناقضة . الحب — العذاب — السجن — الحرية — الثورة — الأمن، وتلك بعض المعاجير التي يضع اليها اختيار الكاتب للماضي ووعيه الدقيق دائما لمراحاة خصائصه ، وهو ما يوقعه أيضا في كثير من اللحظات الميلودرامية التي تضاف على الحمولة سحرا خاصا ، ودخل في لحظات بعدة البناء وتماسكه ، اذ يجدو لوثرة اضافية .

وهي على أية حال قضية خاصة بلغة « جبل الطيطاني » بصفة عامة ، فهي لغة ابروفة فريدة ، لها جمالها الخاص الذي يسب في الغموض حرارة التصوير الشعبي وصدقه ، فتجمع في بعض اللحظات المتشائلة ، قبيل الى الوصف دون حياد، فيصبح الكاتب مرئيا دائما ، حليما دائما ، مغريا خلف كل حدث وكل شخصية ، خاصة خلف كل شخصية ، وهو وجوده أحيانا أكثر من الوجود الموضوعي لشخصياته ، وربما وذا ذلك أكثر وضوحا في أعماله الأخرى «مجموعتي القصص » — أوراق شمايه مالكي منذ الف عام و « أرض أرض » وتتجدد أكثر في كتاباته من جهة القتل التي يتشابه فيها ما يكتبه في ظل الحرب وما يكتبه في ظل الهدوء ، ذات الكاتب هي الموجودة أولا ، وهي الأكثر حضورا حتى في اللحظات الاستثنائية المغايرة ، ومصدرها دائما لغته .

تبقى مسألة العودة الى هذا الشكل مرة أخرى اذ يحتمي الخيطاني بالطار ملوكي ليدول في عصره هو رأيا ، وليكون قادرا على أن يصرخ ، وهو هنا في مأمن من المباشرة التي وقع فيها نجيب محفوظ في « الكرنك » فتحولت الى « تحقيق صحفي » ، وهي على أية حال تجربة أخرى بالانسياق والمواصلة ، ولا أعرف اذا ما كان الكثيرون سوف يصلون الى هذه النتيجة التي وصلت اليها بعمد قراءتين « للزيني بركات » وهي أن جبل الخيطاني قد استفاد هنا كل امكانيات هذا الشكل ، بعهده بالذكرار، أن يعود اليه مرة أخرى لسببين أولهما أنه في هذا العالم من الشمول والاتساع ما لا يتأتى في عمر المآسي أيام روائي ،ثله يمتلك هذه المواصفات ويمضي خلفها بهذه الجراة ، شيئا آخر بعدد لغته ، اذا ما عاد الى مثاك مرة أخرى ، بالمتدان روتتها وصبرها الخاص .

قد تكون العودة الى عصور أخرى بدرسها بنفس القدرة شيئا جديدا ، وعلى أي حال فنحن لا نستطيع أن نقول أبدا ، بأية درجة بثل عصر ما ، عصر معاش وواقعي على كاتب بنفس فيه تعظمه شدة ارتباطه به الى بناء عالم آخر ، في زمن آخر ، بعيدا ، هو هو فيه من كل الوجوه .

فريدة النقاش

◇◇◇

تعليق

حول طه حسين في ذكراه

لقد حرص اتحاد كتاب المغرب على المشاركة في الاحتفال بذكرى الأديب الراحل الدكتور طه حسين لأنه يعتبر جيدا تأثيره على الثقافة العربية المعاصرة بعامة ، وعلى الأدب المغربي بخاصة ، سواء عن طريق مؤلفاته هو التي ترجمت من الجامعة المصرية أو عن طريق كتبه المتداولة والمقروءة على نطاق واسع . لقد كان طه حسين بالنسبة للطليعة المغربية الناهضة للاستعمار الفرنسي في الأربعينات ، مثلا مضيئا لخطواتها على طريق الثقافة العربية المتحررة الصانعة لتأصيل الذات وتجاوز الجمود والتقليد . فكان الرجالب امام ومئذنين عرب آخرين، وهم الشباب المغربي الرافض للترنسية والأجادة التقليدية ، بمسيرة مشرقة لما يمكن أن تكون عليه النهضة القومية حين تتاح لها حيوانية خفاقة ، وقد فكن مثلما تتيح لمصر الرائدة على امتداد المسافة الممتدة من الشيخ رفاعة الطهطاوي الى طه حسين .

كان اختيارا حاسما من جانب طه حسين حين قرر التطبيع من الثقافة الحادة المتوقعة على نفسها الكتابة بماضيها جذره وتعيد تقليبه من منظور تمردي ، وكان هذا التحول في سيرته المتطلبة من أعباق الريف ادراكا لراهنات القوى الجديدة الكابنة في احشاء مصر عند مطلع القرن ، ومن ثمة فإن مشروع طه حسين الادبي والنقدي لم يكن ستهدف الاستفادة التخصيصية أو ركوب أمواج المصرية العابرة ، انه لم يجعل من محرفته للأدب والثقافة الاجنبية وسيلة للاغتناء والحظوة ، أو شارة للتباهي والاعتزاز ، ولم يفعل ما فعله الكثيرون حين عادوا من أوروبا فانكبوا على قوائم مخزونين في ايراج وصوامع ، وانما حرص على تجريب هذه الثقافة في المدرسة وعبر المواقف ، لبلور في أوسع سياق ، ولبلغ صيغة التغيير والتقدم التي ألمح .

ان هذا الحرص على التحرر ، ومقاومة المعرفة والجهد بالرأي وخلخلة المنهجية التقليدية العاجزة ، هو ما يجعل من طه حسين صاحب مشروع تنسى متكامل ينطلق من الأدب ليلامس الثقافة والسياسة والايديولوجية ، مشروع تتعكس عليه مشاغل العوامل والضغطات التاريخية الناعمة في تاريخ المجتمع المصري ، ومن ثم فان طه حسين بما توافر فيه من امكانات ذاتية ، وبمعايشته لقضايا أساسية ، يصير أحسن نموذج لدراسة اشكالية الأدب والثقافة العربيين لاستجلاء الانجازات والمعوقات ، ولاستخراج الحصيلة وتعيين النقد استثمارا للمتجاوز .

لا أقصد من هذه الكلمة المرجزة ، القيام بعمل هذه الدراسة ، ولكنني أسجل فقط بعض الافكار والملاحظات المستخلصة من قراءاتي لكتابات طه حسين وعن الحوار الذي أجريه مع نفسي كلما حاولت ان أزاح عدة الظاهرة المماثلة التي تطبى من كل تأطير ، وتستعصي على كل تحليل أو تفسير .

لأشك أن السياق العام الذي يعطي لمشروع طه حسين دلالته والمتعلقة هو بالأساس سياق الليبرالية الديمقراطية كما أخذ يتبلور منذ العشرينات في مصر والذي اكتسب الكثير من مقوماته النظرية على يد أحمد لطفي السيد وأصحابه بتفاعل مع جماعة بنك مصر المشكلة لمشروع البرجوازي على المستوى الاقتصادي .

لقد اختار طه حسين أن ينضم الى حزب الأحرار الدستوريين باعتباره يمثلون العقلانية « الرشيدة » المسلوحة من الفكر الارسطي ومن مقولات الميراطية الليبرالية الغربية ذات الأدوار مع المفهوم الاستراتيجي للفكر ، اختار هذا الاتجاه بدلا من الاتجاه الوطني الرومانسي ، وبدلا من الاتجاه الذاتي ، فانكس هذا الاختيار على مجموع ما كتب : انكس عليه حين جعل من المطالبة بالحرية المنحورة من أسحر شرعي خاص منهجه بين أعادة النظر في التراث وفي دراسة التاريخ ، وفي التخطيط لمستقبل الثقافة .

لكن نعيم هذا الانتقال بالغرب وبالثقافة الانسانية عند طه حسين في مطلع حياته الكرية ، لايدان تستخفان المثل العليا والاحلام الوردية التي كانت تراود الطبقة الوسطى المصرية وتغريها البورجوازية تحت تأثير طلائعها الانتلكتوالية والاجتماعية وتدعمها الى ادخال الغرب تدريجيا بخذق . ان هذه الطبقات التي أطلت الهلال الحريري بعد سنة ١٩٢٠ كانت تحتدن لمسيرة ليبرالية على المدى الاقتصادي وتحرص على استيعابها بدون أن تمس بحراسة الاصول والشروط التي أتاحت لها التباهي في المجتمعات الغربية .

ولكن طه حسين لم يكن من ذوي « المصالح الحقيقية » كان اقتناعه بالعقلانية والديمقراطية وبالليبرالية اقتناعا يستمد أصوله وحلولته من دراساته وجولاته الواسعة في الفكر الانساني ، ومن كرم طبعه وهرعته على أن يسهم بفعالية في تطوير وترقية مجتمعه . وبرمان ماكنت له المارسة عن جوانب خفية معتمة من المسألة الاجتماعية ومن الصراعات العنيفة التي تقضيها حتمية التغيير . عاش التجربة حين اصطدم مباشرة بفقر القوى الليبرالية المقلة التي عجزت عن افراز قيمها خلاقية واجتماعية وفكرية مسلوقة لذهيها الاقتصادي المختلف على الربح . . صرف الوجه الآخر للثقافة حين اضطرته الممارسة الى تعديل وتصحيح المكرين القديمين وتعطيلات المجردة .

ان من التحفات الاساسية في مسيرة طه حسين ، تلك اللحظة التي أخذ يعيشها منذ سنة ١٩٣٠ ، عندما تراكمت التناقضات والأزمات ، وتراكمت الاسباب الموضوعية والذاتية مشيرة الى ضرورة تغيير الهياكل والبنيات بعد أن فشل الاستغلال الشكلي المعلن عنه منذ سنة ١٩٢٣ في أن يغير شيئا . كانت هناك ملامح جيل جديد تتوافد على الساحة لتؤكد انهيار البديهيات التي حسبوها جبارا الرواد . وكان طه حسين يشاهد القيم الليبرالية المبهرطة تتآكل تحت مطارق الدكتاتوريات المتعاقبة المتواطئة مع السراي ، أسماعيل صدقي ، محمد محمود ، ابراهيم عبد الهادي ... الخ

ان طه حسين الذي حرص دوما على الاتصال لتشعيه لقد وجد نفسه مشدودا الى الدوي الجديدة المضالة أيام المازني عن كيف السبيل الى جعل اللغة أداة صاعم في التغيير الثقافي ؟ .

ما كان لطه حسين ، وقد عاين عن قرب ، تخلف البورجوازية الليبرالية الا أن يعيد النظر في اختياره السياسي ، مفترق عن الأغلبية ؟ المثورة ؟ ومن الالتباسات التي تربطها بأصحاب المصالح الحقيقية ، ليتضح الى الجماهير الواسعة الشعبية آنذاك في حزب الوفد رغم تناقضاته الايديولوجية والطبقية .

دل ذلص هذا التحول بان طه حسين قد أدرك بعبقرية وحسه العميق ان كل تغيير يستلزم أن يستند على بنيات اجتماعية وفكرية حقيقية لكون مهمة موضوعها وتاريخيا للتغيير والتقدير ؟ ان هذا التحول السياسي — الثقافي في حياة طه حسين يكتسي أهمية كبرى اذ جعله يتجذر في الصيرورة الاجتماعية ويقيم روابط عضوية بينه وبين المشروع القومي المستهدف للتحرر والانخراط في العصر .

لذلك نجده بعد توقيع اتفاقية سنة ١٩٣٦ يتصل بسلوبائه ليخطط لمستقبل الثقافة في مصر ، وان هذا الكتاب من أهم ما أنتج طه حسين لأنه ، بالرغم من اخلالات معه في التحليل والاختيار ، يعتبر ضروسا ايديولوجيا لمقالات جدماعية كانت وما تزال تدهم طلاقتها مع الغرب على نحو لا يخلو من الاستلاب والبلغة في حسن النية بالقنطرة « الانسانية » ؟ .

الا أن انفراد طه حسين في الممارسة جعله يكتسب تجربة وصلابة مكنتاه من أن يقدم شيئا ملموسا لتغيير الشروط الاجتماعية والثقافية التي كان يعيش فيها الآلاف من أطفال وشباب مصر .

ان كثيرا من الفضايا والاشكاليات التي طالعها طه حسين لاتزال المطروحة على الثقافة العربية المعاصرة . واذا كان له فضل الريادة في تجذير الفكر التنقدي ، وارساء بعض أسسه ، فانه يظل على الاجمال الحلقة الاولى التي تحافظ الممارسة النقدية بأن تجعل لاختياراتها المجتمع العربي أسسا علمية وبشرية وثقافية ملتحمة بالعصر ، ورافعة للاستلاب ، مهما كان استلابا تجاه الماضي أو تجاه الغرب .

محمد برادة

اتحاد كتاب المغرب

قصـــة قصـــيرة

ادعـــــــاءات المـــواطـــــن سـنـــخم ســـــخام رع

أحمـد الشيخ

بيانات وثائقية فنية وتنسيقية :

الاسم الرباعي : سنخم سخام بسخموى ماعت ..

الوظيفة : مسجل؛ قوائم ملوك الزمن الأول تم تحنيط جثته وأمر فرعون الميل الشهرة ، كاتب له مكتبة ومذبوح بتمثال على الباب الشرقي لكنه لم يعرف لمجموعة من التركيبات والمفاتيح كل شيء حتى تم اكتشاف التمثال وتذبوب المومياء في نهايات القرن التاسع عشر من التقويم المعاصر الموافق نهايات الألف السابع لمجلوس الملك خع سخم على عرش مصر ، وقد تم تهبير المومياء وافسادها بفعل أذرى يتبدوبه يتبز بالفرقلة وكان قد جاء مرافقا لثورة أحد مشاهير القرن الثالث يدعوى أنه عالم مصريات .

وكيل المدعى الغائب : ممتش آثار في الأربعين يصعب البوح بأسمه الحقيقي خوفا على وظيفته ومختصر الاسم المستعار هو مس.س.ن »

الموطن الاصلي : جنوب مصر [قرية جنبه وادي الملوك أو ما يسمى حاليا مدينة الاقصر] .

الكون : جرانيتي أحمر تحت الأترية والرمالية .

الشهود : ١ لوحة الجماعة الاصلية ، وقد تعرضت لاعمال حكام مصر بزعامة الأسرات المتأخرة وسبب قصور الانهيار المتعاقبة الى أن جاء أحد ملوك البطالمة المتأخرين وسجع عاصفة تسجيل ما كان مسطورا على الاثر الاصلي [لم يكن فرعونا بأي معيار، وانما هو شاو استكب لاسلافه الاثر في مصر وكان يجهل عظيم تاريخها جهلا مطبقا ولا يعرف عنها من لغتها] ولقد حسبت أن أخطأ الكاهن المسئول عن قراءة النص وتسلم بلاده بتعجيل تم تسجيل الاسم الأخير سنخم سخام رع وجعل الوظيفة تتحول الى :

بخمك جلالة الملك زوسر والذي طول قليله شبر وتسعة اشبر . وربما جعل الأمر هكذا ليكون طريفا حيث لم يكن ثمة دليل على احتمال أن يكون الخطأ غير مقصود صياغي الدعاية . وما زالت لوحة الجماعة مطمورة تحت التلاشي المدن التي خربتها جحافل الغزاة من الفرس والرومان وكل من تهجم ويلزم البحث الجاد لاخراج اللوحة الاصلية . !

٢ [كا] سنخم سخام سنخموى سات المذكور أعلاه ، فيحث عن يسبح تمثالهما دون جدوى .

٣ ـ مجموعة من أوراق البردى المسلوبة موزعة على متاحفالندن واللوفر وبرلين وفيرون وغيرها من جامعة العالم بالاضافة الى هواة جمع الآثار وتجارها في العالم الغربي على وجه التحديد .

٤ ـ التمثال الاصلي وهو مركون في دار آثار فرعية بالمدينة مع مواصم المخالفات ومدون أسفله الاسم الحقيقي والمهنة والدولة ، [ومنها يتضح أن المدعى كان من عبدة الاله خنوم ولم يعرف في حياته شيئا من الاله رع ولم يكن له عليه ولاية طوال حياته الما آمنت الروح مؤخرا بالاله رع باعتباره الها مصريا يستحق التقديس] .

الادعاءات : بشعبية على هيئة دلتا النهر في الزمن القديم واخضبوطية كما يقال في الزمن الحديث .

• • •

اوهام مقلب الآثار حول تمثال رمسيس :

كان قد أخذ الامر بجدية تفوق مايمكن احتماله ، بمعنى أنه وهب نفسه لاستكمال أحد البحوث حول أصل التمثال وتاريخ صنعه وكل النصوص التي تتحدث عنه ، وكثيرا ما كان يأتي بمناقشات حجية لا تخطر على بال أحد وصار دائما من بلبلة في أوساط الطلبة ، وفرة جاء ببريقة وعرضها على الاسقاط مدعيا انها مجرد اكتشاف ضمن مجموعة من الاكتشافات المزمع استكمالها ، وقد حجب الاسقاط وطلب منه تصليبها فورا الى مصلحة الآثار لم يمتثل للامر بدعوى انها

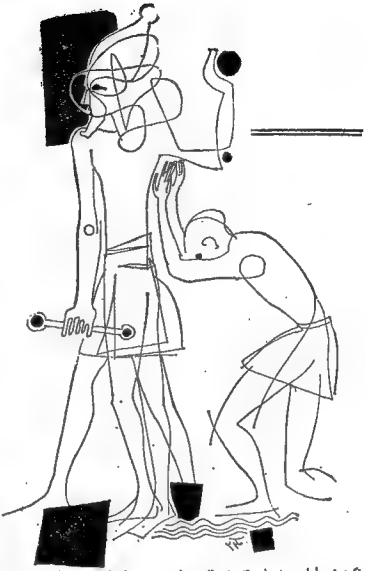

ستكون فى أمان معه ولن تتعرض لاى سوء .

فى احدى الامسيات وبينما المدينة غافية وحارس التمثال راقد على قاعدته الجرانيتية جاء الطالب وجلس عند قدم التمثال اليمنى واخرج آلة حادة وراح ينبش بها عند الكعب تماما وظل على هذا الحال ينبش فى تؤدة ، وعيناه تتلصصان على الحارس مجاذرا ان يكتشف امره ، وقد انقضى الليل بطوله على هذا حتى بدأت المواصلات مسارها المعتاد فقام من جلسته بينما كان الحارس يتحرك حركة عفوية تنذر بالصحو ، نفض الطالب ملابسه وتخلص من ذرات الحجر وانتصب وهو يدارى سلاحه ويتجه الى محطة المترو دون ان يلحظه احد ، وقد ادهش الجميع عندما وقف فى المحاضرة يعلن بحماس كأنه اليقين رأيا غريبا قائلاً للاستاذ :

— رمسيس الذى يقف الان مشدود القوام شامخ الانف متطلعا باستعلاء وشموخ الى كل الكائنات عند موطىء قدميه لا يحمل ملامح الفرعون الحقيقية ، انه مجرد تمثال مكرر ، نسخة مقلدة من التمثال الحقيقى الذى ضاع .

دهش الاستاذ من تلك الدعوى وقال بعد تفكير بشىء من المكر :

— وما هى ادلتك على هذه الدعوى ؟

أجاب الطالب بحماس :

— عندى مجموعة من الوثائق ، وهناك دليل آخر ، أنت قلت لنا أن التمثال كتلة مصمتة ، بينما هو مجوف من الداخل ، وانا ازعم انهم سرقوا التمثال الحقيقى وهربوه فى غيبة الحراس أو حتى فى حضورهم .

اصفر وجه الاستاذ وبدت عليه الحيرة لحظات ثم تماسك وراح يسأل الطالب بنبرات وقورة :

— والوثائق ؟ اين الوثائق ؟ الموضوع خطير كما ترى ولابد من دليل .

ورد الطالب باستخفاف وهو يحدق فى عينى الاستاذ :

— الوثائق عندى ولن تراها الا بعد التحقيق فى الامر كله ، انا اعتبرك مسئولا معى الى ان تتضح الحقيقة .

وهنا اغتاظ الاستاذ من تلك الجسارة التى تصل الى حد الوقاحة ، أحس بضيق شديد وطرد الطالب من المدرج ، وساد صمت انقسم الطلبة والطالبات بعده الى فريقين متخاصمين احدهما يؤيد الاستاذ فى سلوكه بينما الاخر يرى أن الاسلوب الذى اختاره بطرد الطالب تنقصه الكياسة وهو على كل حال اسلوب لا يتسم بالديمقراطية وانه كان من الواجب مناقشة القضية مادامت فى مجال العلم بدلا من استخدام السلطة فى طرد من يخالفون الاساتذة فى وجهات النظر ، وقد رد الاستاذ على ذلك الفريق المعارض بأنه يأسف لما جرى وانه لظروف خاصة لم يكن مهيئا للاسترسال فى مناقشات تتسم بهذا القدر من الخطورة فى هذا اليوم بالتحديد ، ثم وعد الطلبة بمناقشته فى المحاضرة التالية وطلب منهم ابلاغ الطالب بذلك وانه ربما يتزود بالرجوع الى بعض المصادر حول الموضوع ليكون النقاش أجدى ..

لكنه فى المحاضرة التالية والتى تلتها لم يظهر الطالب وظل غائبا طوال العام الدراسى وكأنما ابتلعته الارض فى غفلة من جميع الناس . وفى صباح الامتحان تساءل الطلبة والطالبات عن زميلهم الغائب فقال احدهم انه سمع انه اصيب بلوثة فى عقله ودخل مستشفى الامراض العقلية وعقب آخر بأنه ربما تعرض لبعض الشرور لو صدقنا الاساطير التى تقال عن لعنة الفراعنة لانه اكتشف أو كاد ان يكتشف سرا لا يجوز اكتشافه ، وهنا همس احد الطلبة فى اذن زميل له بأنه تصادف ان مر بميدان رمسيس فى ذلك المساء التالى لليوم الذى اختفى فيه الطالب وقد رأى بعينى رأسه مجموعة من علماء الاثار يلتفون حول قاعدة تمثال رمسيس ويبدو انهم كانوا يقومون بعملية ترميم لساق التمثال اليسرى وان كان غير متأكد من وجود استاذهم وسط الجمع .

وفى آخر أيام الامتحان همست بنت فى اذن زميل لها كانت على علاقة وثيقة به يمكن أن توصف بالحب والثقة قائلة انها سمعت من احد الرجال المرموقين وهو يمت اليها بصلة قرابة كما يعرفه الطالب نفسه ، سمعت بان زميلهم محبوس منذ ذلك اليوم الذى ناقش فيه استاذه على ذمة التحقيق فى قضية مخدرات ،

وتبرهان ما نقول الولد الكبير على كل من صادفه من الزملاء دون أن يدرى لماذا وربما كان يشك فى أن الدير لا يزيد عن قشرة ملمعة أو شلالة لا أساس لها من الصحة .

حكاية الولد الذى كان يصعد الهرم:

ولما تخرج المواطن س‌س‌د من معهد الآثار عينوه بمنفتش فى منطقة الاهرامات وقد تعرف على واحد من تزلة السمان كان يلزما فى مصعود الهرم بمشكل سيئ لدرجة أن السياح كانوا يدهشون بسبب جسارته فى الصعود بهمس وكأنه يمشى على الارض ، كان عمر الولد لا يتعدى الحادية عشرة بحالٍ من الاحوال ، وقد أحبه منتش الآثار وكان يعطف عليه لانه عرف أنه ابن لحارس قديم من حراس الهرمات فى ظروف غامضة منذ سنوات، كان الولد اسمه عادل وكان يتيما ويحيا الى نفس منتش الآثار لدرجة أنه لما كان يغيب يسأل عنه كل من يصادفه ، وعندما يقابله يجيبه مركل الاستفسارات التى يطرحها حول منطقة الاهرامات وكان يسمح له بدخول حجرة الدفن بلا مقابل، وقد اكتشف المواطن س‌س‌د من خلال المناقشات أن الولد عادل لم يكن خالى الذهن تماما من حقيقة البناء لدرجة أنه كان يجادل المنتش نفسه فى بعض الامور ويذكره ببعض التفاصيل الدقيقة التى نسيها بسبب مشاغله الاجتماعية ، والعجيب أن الولد عادل كان يجيد الحديث حول الاهرامات وتاريخها بالانجليزية والفرنسية والعبرانية بالاسبانية ، يمكن القول أن الولد بدا لمنتش الآثار كنزا واهمية ، كان أحد حراس الهرم يكره الولد عادل ويطارده أحيانا وينهره عن صعود الهرم ، لكنه فى حضور المنتش كان يحس أن الاهرامات كلها ملكا له ، وقد دبر الولد وسيلة لاشباع رغبته فى صعود الهرم وكتبه اسمه على أحجار قمته ، وقد باح المنتش بأنه ينوى تسجيل اسمه على كل أحجار القمة وعددها الف حجر تقريبا وعندما سأله المنتش مستفسرا عن عدد أحجار الهرم أجابه بأنهـا تزيد على المليونين ندهش المنتش وقال للولد أن الأمر سوف يرهقه لكن الولد هون الأمر وقال انه يلزمه حوالى ثلاثة سنوات لو سجل اسمه كل يوم على حجر وابتسم المنتش للولد وأعطاه كتابا من مصلحة الآثار يقتصـا للضياح ويحتوى على مجموعة لطيفة من الصور الاثرية .

فى صباح يكر أردى الولد ملابسه وقال لنفسه أن ميعاد المدرسة لم يحل بعد وحسب الوقت وقال لنفسه : يمكنى أن أصعد وأسجل اسمى قبل استيقاظ الحارس . حاء حول الهرم للباب الحارس الذى لا يحبه وتوارى منه ، كان الجو مشحونا بالضباب، وكان هناك مع الحارس صائح غريب وعدد من الحراس وكان لشئ شوء يثيرون بتعجبه فى سيارة كبيرة نصف نقل كانه تبادل أو مومياء ، ولقد سبح الولد همسا غريبا فلم يهتم ، كان مشغولا بنفسه وبدأ فى صعود الهرم ، وقد انطلقت السيارة تحمل بينما الولد يصعد فى طريقه الى القمة ، وعندما بلغها بدأ يكتب اسمه على احد الاحجار فى عجلة من أمره وهنا ظهر له الحارس الذى كان يصعد خلسة ويقترب منه بشكل بدا له أنه سوف يمسكه وقد شغل الحارس بن الولد بكراهية طالما منه النزول ومهددا أياه بأن يريبه ، ولقد توترت ملامح الولد ولم يستطع مقاومة الخوف ، أحس بنوع من الدوخة وعندما تحركت قدمه اليمنى لتحسس الحجر تحته انزلقت وأفلتت يداه الممسكتان بالحجر الاعلى فتدحرج الى الهاوية كأنه كرة من المطاط تهوى دون أن يعترض مسارها شوء ، هكذا اذن كان الخاتمى سببا مباشرا فى موت الولد عادل وقد نزل سرعا وأفهم الحراس الاخرين أنه لو شهد أيهم هذه لسوف يعترف بتفاصيل كل ما جرى فى منطقة الاهرامات منذ عين فيها حارسا ويجر ذلك اقدامهم معه ،وكما قال مهددا .. وعلى وعلى أعدائى ، لكن الحراس كانوا من يحترفى الفكم على التكثير مما يعرفون، لكنه اشتهر فى مساء نفس اليوم أن قلنهم قد غاب، لأنه حدث أن السائح الذى هو فى حقيقة أمره مجرد لص آثار كان قد قرر ضمن ما أخذه، بن آثار على ظهر أحدى السفن وحدث ان تصادف أن ذلك

احد المختصين فى الضحنة وفتح الصندوق واكتشف الأمر ورفض بعناد ما قدمه السائح من حملة مصحبة كنوع من الرشوة ليسكت ، غير أن المختص كان هـديد التذخير ويقوم بعمله بصورة بثالية فتقدم الى القاهرة على السكوت عن مثل هذه الامور نابغ الشرطة وتم القبض على لص الآثار متلبسا وبدأ فى التحقيق معه فاعترف بكل شوء وتم القبض أيضا على كل حراس منطقة الاهرامات .

ولقد بدا لمتلش الآثار الذى كان حزينا من أجل الولد عادل أن سرقة الآثار فى هذا الصباح لهذه عائلة يستفيد عادل فاسرع يقلى بأتعابه الى أن كانوا يتوارن التحقيق موضحا أن عادل له علاقة بالامر وأن سرقوطه من فوق الهرم بشبه ما رآه من أحد الافلام الامريكية التى تناقش تساؤلات حضارات الماضيا . وقد شكره المحقق على هذه المعلومات ذات القيمة .

ومن يومها التقت المواطن س«س» الى حقيقة كانت غائبة عن ذهنه فقال لنفسه . انهم يسرقون الآثار .. وبدا يستعيد حكاية زميل دراسته الذى نفش الاستاذ مرة من شمال رمسيس ثم الحقى بصورة أسطورية ولم تقتصر له أثاره» فعقل لنفسه ايضا «انهم يارعونى الخلاص من كل من يحرقون » وخاف على نفسه فقرر ان يبتعد جاعلا بكل ما يدور حوله وان يبعد نفسه فقط للقيام بتسجيل امين لكل الحقائق التى عرفها والتى يمكن ان يكتشفها ، وطرح نفسه على عتم البوح فبعد لمتلش الآثار ان يقوم بعدة أبحاث ذات قيمة علمية خاصة ومن بينها بحث يستفد الى بعض الوثائق وتدعيمه بجموعة لا بأس بها من التذكارات حول موضوع المواطن سخم سخم سخيوى باعتبار الذى نقلوا اسمه من لوحة الجماعة الاصلية بطريقة خاطئة على اللوحة الاشرى فاصبح بذلك يدعى سخم سخم رع «الذى من كثرة ما اهتم بدراسته بشكل فصلى منذ حياته ونشاطاته وما تبقى من آثاره أصبح يشعر أنه جزء منه ، لدرجة أنه كان يتخيل نفسه أحيانا فى لحظات الشداء ويحدثه بالفعل شكلا ما حصل له بسبب لصوص الآثار وحراس المقبر المرتشين ، ولولا أن متلش الآثار كان يمتلك قلبا شجاعا لا يعرف الخوف ولولا انه اهتم فى فترة سابقة من حياته بتعضير الأرواح وتحضيرها بفكر الطول

يحلى عودة الارواح لتحل فى اجساد جديدة أى أعذب كل دورة لكتابة مذاها نحو سبعة آلاف سنة . لولا كل هذا الايمان لكن من الصعب ولما صدق على كل هال انه هو نفسه الذى سجل عظيم تلك الملاحظات العميقة عن حياة سخم سخم رع ، وأربما كان يقول لنفسه انها مجرد أوهام أو أن ما تم تسجيله ليس الا وثيقة قديمة قام بنظمها حرفيا فى كشكول

يملكه . ولقد رفض متلش الآثار شكوكه حو نفسه فى أن يكون قد أصيب بما يسمى بلعنة الفراعنة ففقد مئات من كلف ، فاستمر دؤوبا على ما كان قد بدأوه حتى سجل كل ما كان يراه «ليرجا من الزمن القديم ينظام حتى العصر الحديث تلقائا لنفسه « ربما بايحاء هذا البحث مستقبلا » لكنه بسبب الوسواس الذى كان يلازمه دوما ويرجع فى زرع المخاوف فى صدره هاد ويحار ما كان مسطورا بنظام فى كشكوله الاول الذى «رق أوراقه ذات الموضوع فى كشكول آخر ويعز رأسه استصحابا ويقول لنفسه مطمئنا : «حتى لو وقع الكشكول فى أيدى غسوف يحرمهم ويجعلهم حلوزين فى غاية اطراف ما يحويه » وارتاح المواطن س«س» من نوعا وعقد العزم على «معاودة ترتيب المعلومات بعد أن يحل على المعاش .

• • •

جانب مما ذكره المواطن سخم سخم رع على لسان متلش الآثار:

اطمئنوا بالا تسوف ومسود الرجال الرجال ، بناة الاهرامات والرمليسة والتعاويسة وغيرهم من ملوك الزمن الاول، سوف يعود على الأخص ستلن رع حاما وأحميزى وكل الشجعان من اسلالكم بعد طول الرقود ، ولسوف ينساع الرجال فى انحاء الشرق ، يكسون ما فاتهم من طول الغزاة ، غزاة الزمان الاول لم يرحلوا الا بعد ما ضحى الرجال «مهيلة» ستلن رع تشييد بما كان ، للضياع المؤسف عليه بالسنين وحجلة الكهنة فى تحنيط الجثمان ، كل ذلك يوضح أنهم لم يرحلوا الا بعد ان ضحى الرجال والملوك ،

بعدها انسحبت جيوش احيوزى فى اتجاه الشرق، اركظم نسيم ماجاه فى يرديات الاسلاف وما سطروه لكم فى كتاب الموتى وكون الاهرام ووصايا الحكيم القديم ايبور فيلزم أن تعاودوا فتح الصفحات ، ربما لتصلوا بعدها الى سر الاسرار أو ما كان يدور فى نفس الاندادى . انبا الاكيد أن سيعود الرجال الرجال فى اياب جديدة وسوف يتم اخراج كل من وطئت اقدامه ارض مصر غصبا ، ويومها يلزم أن تضطوا مع الرجال من لوحة الجماعة الاصلية ، أن تصلحوا مومياء الباشى سخم سخم رع «لانتيعبوا كلمتا صغيرة منكم ولتتم فى غفلة من أمركم بدءا بحجز اللغات الثلاث الذى هى رموزه واعد اجنبى مسح غزوة وصلكم فى بدايات القرن الثالث وانتهاء بآخر جسران مسلوب بواسطة مسلح يهوى جميع الآثار من كل بلاد الحضارات البكر «وثيقة» اشياء لا يجز تسيفها بحسال من الاحوال ؛ تتباع بتجسوبت الذهبى ، عصا اغناثون ، وأساور وتلائد الملكات ق؛ اباح حب وتى شرى وغيرهن مما أشدوه وجعلوه زوجاتهم فى البلاد البعيدة . ثم برديات كتاب الموتى وكل النصوص ذوات القيمة والتى تحكى من مهراتكم الذى تجهلونه . ساعتها سوف يجيء الرجال ويسود الحب والسلام وحتى شمسكم التى كانت تطلع عليكم كل صباح باستحداء سوف تستعيد جراتها على الطلع الى وجوهكم لتشتمع عيونكم على نورها الحنون وترون ما يدور حولكم، وسوف يتمنى العساء من كل العيون ماتزول اشباح المخاوف .

صلوا لرع .

٢ ـ وشاية :

ليست وشاية كما تحسبون لا أنهما شهادة لوجه الإله الذى تحيون لا كانبلة تبتلان بلسان من حجر الفيرانيت الاحمر لمواطن يدعى سخم وقد غلا لوجه جيوش الغزاة ، ولقد تم اكتشاف الجثمين محفورين تحت انقاض قرية قديمة حيرتها فى اوائل خمسينات هذا القرن عند أحد أبواب المقبرة ، وعلى قاعدته كتابة بخط واضح يمكن تفسيره ، أما الشكل الآخر فقد تم اكتشافه قبلها بسنوات لكن بمكان مجهلا على قاعدته ايضا على حروف مطموسة وباهتة وهو موجود فى أحد متاحف الاقاليم هذه الأيام وأيه العديد من المسحف ، فى أول الأمر ظن وجوجوه على مربعاتهم الجهة المريرة الاصلية ، ثم وضعوه وسط كومة من التماثيل وأوراق البردى والجسرانين والادوات الذاتية فى أحد مخازن اللائمة ، فتناولوه الى دار بالزيكية ثم بولاق ومصحدا استقر حيث هو الآن ، كان هذا هو ما حدث للشكل الثانى ، أما الشكل الاول فقد لاقى من الاهوال ما جعله اشقى منه لان ذلك انه رأى بعينيه الغربان وهى تنهش المقبرة ويدورون مومياء المواطن سخم سخم رع ، ولقد رفض متلش الآثار شكوكه حو نفسه فى أن يكون قد أصيب بما يسمى بلعنة الفراعنة ففقد مئات من كلف ، فاستمر دؤوبا على ما كان قد بدأوه حتى سجل كل ما كان يراه «ليرجا من الزمن القديم ينظام حتى العصر الحديث تلقائا لنفسه « ربما بايحاء هذا البحث مستقبلا » لكنه بسبب الوسواس الذى كان يلازمه دوما ويرجع فى زرع المخاوف فى صدره هاد ويحار ما كان مسطورا بنظام فى كشكوله الاول الذى «رق أوراقه ذات الموضوع فى كشكول آخر ويعز رأسه استصحابا ويقول لنفسه مطمئنا : «حتى لو وقع الكشكول فى أيدى غسوف يحرمهم ويجعلهم حلوزين فى غاية اطراف ما يحويه » وارتاح المواطن س«س» من نوعا وعقد العزم على «معاودة ترتيب المعلومات بعد أن يحل على المعاش .

• • •

جانب مما ذكره المواطن سخم سخم رع على لسان متلش الآثار:

اطمئنوا بالا تسوف ومسود الرجال الرجال ، بناة الاهرامات والرمليسة والتعاويسة وغيرهم من ملوك الزمن الاول، سوف يعود على الأخص ستلن رع حاما وأحميزى وكل الشجعان من اسلالكم بعد طول الرقود ، ولسوف ينساع الرجال فى انحاء الشرق ، يكسون ما فاتهم من طول الغزاة ، غزاة الزمان الاول لم يرحلوا الا بعد ما ضحى الرجال «مهيلة» ستلن رع تشييد بما كان ، للضياع المؤسف عليه بالسنين وحجلة الكهنة فى تحنيط الجثمان ، كل ذلك يوضح أنهم لم يرحلوا الا بعد ان ضحى الرجال والملوك ،

بعدها انسحبت جيوش احيوزى فى اتجاه الشرق، اركظم نسيم ماجاه فى يرديات الاسلاف وما سطروه لكم فى كتاب الموتى وكون الاهرام ووصايا الحكيم القديم ايبور فيلزم أن تعاودوا فتح الصفحات ، ربما لتصلوا بعدها الى سر الاسرار أو ما كان يدور فى نفس الاندادى . انبا الاكيد أن سيعود الرجال الرجال فى اياب جديدة وسوف يتم اخراج كل من وطئت اقدامه ارض مصر غصبا ، ويومها يلزم أن تضطوا مع الرجال من لوحة الجماعة الاصلية ، أن تصلحوا مومياء الباشى سخم سخم رع «لانتيعبوا كلمتا صغيرة منكم ولتتم فى غفلة من أمركم بدءا بحجز اللغات الثلاث الذى هى رموزه واعد اجنبى مسح غزوة وصلكم فى بدايات القرن الثالث وانتهاء بآخر جسران مسلوب بواسطة مسلح يهوى جميع الآثار من كل بلاد الحضارات البكر «وثيقة» اشياء لا يجز تسيفها بحسال من الاحوال ؛ تتباع بتجسوبت الذهبى ، عصا اغناثون ، وأساور وتلائد الملكات ق؛ اباح حب وتى شرى وغيرهن مما أشدوه وجعلوه زوجاتهم فى البلاد البعيدة . ثم برديات كتاب الموتى وكل النصوص ذوات القيمة والتى تحكى من مهراتكم الذى تجهلونه . ساعتها سوف يجيء الرجال ويسود الحب والسلام وحتى شمسكم التى كانت تطلع عليكم كل صباح باستحداء سوف تستعيد جراتها على الطلع الى وجوهكم لتشتمع عيونكم على نورها الحنون وترون ما يدور حولكم، وسوف يتمنى العساء من كل العيون ماتزول اشباح المخاوف .

صلوا لرع .

٢ ـ وشاية :

ليست وشاية كما تحسبون لا أنهما شهادة لوجه الإله الذى تحيون كانبلة تبتلان بلسان من حجر الفيرانيت الاحمر لمواطن يدعى سخم وقد غلا لوجه جيوش الغزاة ، ولقد تم اكتشاف الجثمين محفورين تحت انقاض قرية قديمة حيرتها فى اوائل خمسينات هذا القرن عند أحد أبواب المقبرة ، وعلى قاعدته كتابة بخط واضح يمكن تفسيره ، أما الشكل الآخر فقد تم اكتشافه قبلها بسنوات لكن بمكان مجهلا على قاعدته ايضا على حروف مطموسة وباهتة وهو موجود فى أحد متاحف الاقاليم هذه الأيام وأيه العديد من المسحف ، فى أول الأمر ظن وجوجوه على مربعاتهم الجهة المريرة الاصلية ، ثم وضعوه وسط كومة من التماثيل وأوراق البردى والجسرانين والادوات الذاتية فى أحد مخازن اللائمة ، فتناولوه الى دار بالزيكية ثم بولاق ومصحدا استقر حيث هو الآن ، كان هذا هو ما حدث للشكل الثانى ، أما الشكل الاول فقد لاقى من الاهوال ما جعله اشقى منه لان ذلك انه رأى بعينيه الغربان وهى تنهش المقبرة ويدورون مومياء المواطن سخم

دنشلم بعد ما تقابلوا كل ما وجوده مع حلى وأوراق بردى ، بل انهم كسروا التابوت نفسه ، وقد كره التشاؤل حياته من يومها لانه يتصور الموميـــاء صندوق الروح فى حوائم مجهولة ،هكذا اذن ضاعت اكثاء سحر سنشلم لسنوات طوال خرجوا خلالها من الاطفئان الى وجود بدن مستقر فيه وظلت تحوم فى ظلمات العالم تندب تاريخهـا المطموس وتنعى حظها القاسى الذى جعلها تدور فى مسارات بلا غاية ، فيالها كما حصـل لتشاله فى رحلة الضياع المأنومة .

فى اليده حملوه على ســـرير نقـل وربطوه بحبال متينة ثم وضعـــوه فى صندوق ودفنوا بالطبـــخ الكل من رأى وسمعت ، كان اسم السفينة التى استقل بكا على سطحها « فريدم شب » وقد قال السالم المقلف والذى خلص كل شيء بمعلقه الصغيرة موجها حديثه الى التشاؤل:

ـ لا تحزن يا صديقى فسوف تعيش بك فى بلادى ، ســـوف تضحك فى المكان الذائق لتراك الملايين من ابنـاء وطنى المنحضر وسوف تخلص من غباء الجهلة الذين صالـــرتهم آلاف السنين دون أن يلفتـــوا اليك ، كانوا كـــما تعرف يصبونك بسخوطا غضب عليـــه الاله فحوله حجرا ، هيه .. هيه .. ألم يكن الامر كذلك ، المسلخيط ؟ انا اعرف لغتهم ، تعلمتها من أجل تخليص ما يمكن تخليصه من بين أيديهم ، سبق أن خلصت مسئلة كابلة وسلمية .

وسكت الفس المثقف كما سباه التشاؤل بعدها ، وراح يحضر غليونه ويشعله ويمتص دخانه مأمنا . وعندما وصلت « فريدم شب » الى الميناء انزلوا التشاؤل ثم نقلوه بعربص بالغ الى الماسمية ، وفى الشارع الرئيسى حيث يقوم المتحف انزلوه مرة أخرى ، كانوا يعتقدون الرجل وكأنه مسخ هكا عجيب التشـــاؤل الذى وسمعوا له حكاما تقليدا وتسبحا واحاطوه بزجاج شفاف وسلطوا عليه الاضـــواء بشكل زائع ، كان المكان مكيا وكانوا يتواعدون بنظام ودأب ودون كلل ،يقفون ويتأملون منبهرين ويتجادلون فى بعض التفاصيل الخفية ، هكذا اذن ظل التشاؤل بقصويا فى متحف غريب لسنوات طوال وقد جاءه اللص المثقف الذى تلم بنفله يهيا وقال من بين شفتيه بحماس :

ـ مستحوط مسنخم خسكلم شخوى ماعت ، كيف الاحوال ؟ انت مسجل توالم قديم وتعرف قيمة التاريخ. جئت اخبرك بأنه هناك صفقة لو قبلت لاسحق اسمى أن يسجل فى صفحات التاريخ ، ستشترى هذه المرة كل أفكارك المكررة كل هذا من أجل مبلغنا الصحية بأصابعى، ان لها فعل السحر ولها قدرات جمة على شراء المقاتل والمسلات والمقابرين بنفس درجـــة قدرتهـــا على شراء قمم المرتفعين وذرى الصخائر ومحدودى الأفق والانكاء .

وقد صمتت التشاؤل طويلا لانه لم يكن مطالبا بالرد ، لبلدها حامت حول التشاؤل روح مسخم مسخم ثلاثة متوترة متحفظة بسبب ما كان يشيع أبلها من احتمال هلاد صفقة لبيع الآثار المكررة «أرواح الاسلاف تطن فى فراغ الوادى دون أن يسمعها أحد ، وبياه النور تلمن كل من يشرب منه جرعة ويرغى يقال هـــذا التقريط المهين بالقدس البيضس ، بهذا كانت الروح تهدر دون أن تدرك أنها تخاطب تمثالا بالسما وحاجزا من حجر الجرانيت.

ومرة أخرى وبعد سنوات قليلة جاءت الروح وهى فى حالة من الهيـــاج يرثى لها وكانت تشكى هـــذه المرة من شر رهيب كما قالت « انهم الحساسرة ودجار الخـــردة والمسوس من ذوى الوجاهة هذه المرة ، يجتمعون مرا مع مجموعة من الغرباء لبحث الاجـــراءات الواجب اتخاذهـــا لاصلم صفقة كانر يستغيل تحويشها ، هذه المرة ســـيكون الامر سطوا ولصوصية وسوفا قبـــاع كل دلالات حضارتنا فى واحدة من مدن الغرب وهى على كل حان ملر عمالى للسياسرة والاقانين وسواة المحاسرة من ذوى الارصدة الملكية الارقام ، دهك ابها التشاؤل من اللصوص الصغار من يطمعون فى بضعة آلاف ، ودهك بس هراس المناطق النائية الذين يلرطون فى بعض الجماهير أو حتى موميلر بالسة لمواطن مجهول ، كل هذا لا يهم ، الامر هذه المرة خطير ، انه بهـــزلة الشعى بعدها كل دلالات الحضارة فى وادينـــا الحبيب .. أوه ، انت لا تصدقنى .. قد لا يعود الرجال الرجال الذين أمات على موتهم الاول سبعة آلاف ..هيه.. ماذا تقول ؟ .

وكأننا أجهد الروح كل هذا الحديث واختلفت من حيث التشاؤل ، لكنـــه لم يكن لبة مهربه من أن تطرح بخاوفهـــا الروح هذه المرة دون أن تنتظر جوابها « هل يجرؤ واحد من الابنـــاء هنـــاك على ابلاغ الشرطة عن هراس الآثار الشراء وحـــراس الحدود أو حتى هليـــاء البوتسكو ؟ » .

وهنا سكت التشاؤل أيضا لانه أعتبر نفسه غير مطلوب بالرد ، كان يقول لنفسه « انها روح زائرة وتحب الوشاية كطبيعة القديم ، ثم انها وجدت لنفسها بدنا جديدا ويمكن بذلك أن توضح الامر لو كان هذا وصدقا الى كل الجهـــات المعنية ثم ترى هو الحرص على سنوات العمر الجديد ؟ » ، بهذا كان التشاؤل اليائس حائرا بالمعل وهاجزا حتى عن الانتقال الى أرض مصر ليرى ويسمع بنفسه كل شيء كارها أن يصدق تلك الوشايات مخفوفا ان يكون لها ظل من الحقيقة .

صلوا لربع .

ابريل ١٩٧٥

□ المرأة .. قضية عام ١٩٧٥
د. مراد وهبه

□ البحث العلمي والتكنولوجيا في المجتمع المصرى
د. عمر الفاروق عثمان

■ المرأة والثورة
د. محمد شعلان
مدرس الامراض النفسية بكلية الطب . جامعة القاهرة

■ المرأة والرجل والمجتمع
د. فرج احمد فرج
استاذ علم النفس المساعد بكلية الاداب . جامعة عين شمس

■ المضمون الواقعى لخلق تكنولوجيا مصرية
د. حسين كمال الدين
مدير المشروعات والتخطيط الورق الاهلية

■ الدراسات الانسانية فى التعليم الجامعى والعالى
د. احمد العريان
استاذ مواد البناء بكلية الهندسة . جامعة القاهرة

■ الطب النفسى .. والمسئولية الاجتماعية والسياسية
د. يحيى الرخاوى
استاذ الامراض النفسية المساعد بكلية الطب جامعة القاهرة

■ قاموس العصر

■ اخبار الفلسفة والعلم

المـــــــــــرأة ..

قضـــــــية عـــــام ١٩٧٥

رأت منظمة الامم المتحدة أن يكون هذا العام هو عام المرأة .
ورؤية المنظمة هى **رؤية تحريرية** فى المقام الاول بحكم انشغالها بقضايا الظلم والتسلط والاستغلال ..

ويلحق « **الفلسفة والعلم** » منصدوره فى اول ابريل من العام الماضى وهو منشغل بهذه القضايا . فقد جاء فى افتتاحية العدد الاول « **أن الخلفية الاجتماعية ملازمة للفلاسفة والعلماء على حد سواء** ؛ ومن ثم فان قضية المجتمع وتطوره ليست بمعزل عن هؤلاء جميعا ، بل ان اسهامهم فى تناولها **لازم وضرورى** » ..

وقضية المرأة من قضايا المجتمع ؛ هى بالتالى موضع اهتمام الفلاسفة والعلماء . وتاريخ الفكر الفلسفى والعلمى حافل بآراء متباينة فى طبيعة المرأة ووظيفتها الاجتماعية والحضارية ..

يقرر **افلاطون** فى « **تيماوس** » ان المرأة شريرة بطبيعتها ، ذلك ان الآلهة قد صنعت الرجل كاملا ، ولكنها اشترطت عليه المحافظة على كماله حتى ينعم بحياة سعيدة بعد الممات ، وفى حالة الاخلال بهذا الشرط فليس من عقاب سوى ان يولد مرة ثانية على هيئة امرأة ..

ويكرر **ارسطو** رأى افلاطون ، مقررا ان الطبيعة قد حبت الرجل العقل الكامل ، أما المرأة فناقل عقلا . ويقرر كذلك انه ليس صحيحا ان الطبيعة هيأت المرأة للمشاركة فى الجندية والسياسة ، ذلك ان وظيفتها العنيفة بالاطفال وبالمنزل تحت اشراف الرجل .

ولم تكن آراء افلاطون وارسطو بمعزل عن **المجتمع الاثينى** ، بل لم تكن الا منسقة مع هذا المجتمع المأثور عنه فى تاريخ الانسانية انه كان مجتمعا « **عبوديا** » و « **رجوليا** » فى آن واحد . ولهذا واكب احتقار المرأة انتشار « **الجنسية المثالية** » homosexuality وفى العصر الوسيط لم تكن آراء الفلاسفة فى المرأة مباينة لآراء افلاطون وارسطو . يقول : كبير فلاسفة هذا العصر **القديس توما الاكوينى** » ان المرأة رجل ناقص ومخلوق عرضى » . ولم يكن هذا القول غريبا عن الطابع المميز للعصر الوسيط وهو الطابع الاستغلالى المتمثل فى النظام الاقطاعى . ذلك أن من سمة الاستغلال تشويه صورة الانسان .

ولكن مع بزوغ **الثورة الصناعية** واندماج المرأة مع الرجل فى عملية الانتاج ، وانفجار **الثورة الفرنسية** استنادا الى مبادىء الاخاء والحرية والمساواة تغيرت نظرة الفلاسفة الى المرأة فخلت من سمة التحقير ، بيد أن هذه النظرة لم تدم طويلا اذ سرعان ما تمسكت البورجوازية الصاعدة ، من اجل ترسيخ كيانها ، بالاخلاق القديمة ، واعلنت ان الضمان للملكية الخاصة هو تضمين الاسرة . والضمان لهذا التضمين هجران المرأة للعمل المنتج والعودة الى البيت .

وجاءت الثورة البلشفية تصحيحاً لمسار الثورة الفرنسية وتجسيداً واقعياً لمبادئها .

وأعلن لينين في حديثه الى أول مؤتمر للنساء العاملات في ١٩ نوفمبر ١٩١٨ « الاشتراكية قادرة على تحرير المرأة من وضعها الحيودي » . بيد أن لينين ينبه الى ان هذا التحرير لن يتحقق آلياً وتلقائياً ، اذ يشترط فاعلية النساء العاملات . أي ان « تحرير المرأة مرهون بها » على حد قوله .

ومعنى عبارة لينين ان الرجل قد يكون عائقاً في المجتمع الاشتراكي أمام تحرير المرأة وهذا ممكن ووارد بحكم التراث الانساني ، اذ هو تراث رجولي ، أي تراث من صنع الرجل وحده ، تراث يصور المرأة على أنها جنس ليس الا ، ويصور العلاقة بين الرجل والمرأة على انها علاقة تقف عند حد « الجنس » ولا تتجاوزه الى حد « الانسان »

وفرويد يعتبر المثل الشرعي لهذا التصور . فحديثه عن المرأة يصور على الوظيفة الجنسية ويصويره لعقد المرأة النفسية نوطابع جنسي مثل « عقدة الخصاء » و « عقدة اوديب » و « وتفسيره للعب والكراهية والحسد مردود الى الغريزة الجنسية وحدها . وفرويد بعد هذا كله يفاجيء القارىء بقوله في كتابه « محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي » ان المرأة « لغز » واغلب الظن أن فرويد يهدف من وراء هذا القول الى تثبيت آرائه ، والى عدم مجاوزتها بدعوى انه ليس بعدها سوى المجهول .

ومع ذلك فقد حاول سارتر مجاوزة نظرة فرويد الى المرأة وذلك بإجراء فحص « وجودي » للعلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة . يقول في كتابه « الوجود والعدم » ان ثمة ميل اساسي لدى الانسان وهو الميل الى ملء الفراغ ، فالطفل يعلم منذ خبراته الاولية انه ينطوي على ثقوب . فهو حين يضع اصبعه في فمه فانه بذلك يحاول سد ثقب في وجهه وهكذا الحال بالنسبة الى عملية التهام الطعام .. فان تأكل تعني أن تسد ثقبا . ثم يستطرد قائلا « ومن هذه الزاوية يمكن تناول المسألة الجنسية »

بيد أن نقطة الضعف في نظرة كل من فرويد وسارتر تجاهل فاعلية [المجتمع] في تحديد نظرة الرجل الى المرأة . ومن ثم فانه ليس في الامكان تحرير المرأة الا بتحرير المجتمع من جميع صور الاستغلال ، اي بتحريره من كل ما هو لا انساني . ذلك أن قضية تحرير المرأة انما تعني في المقام الاول تحريرها من نظرة الرجل اللا انسانية اليها . ومعنى ذلك أن قضية تحرير المرأة تعني في ذات الوقت تحرير الرجل من هذه النظرة اللاانسانية .

وماذا عن مجتمعنا العربي ؟

يقول الشاعر العربي « ادونيس » في كتابه « الثابت والمتحول » ان اخلاق المجتمع العربي هي اخلاق ذكورية . وحيث تسود الاخلاق الذكورية تسود أخلاق جنسية مزدوجة : فرض العفة الكاملة على المرأة ، والسماح للرجل بأن يمارس حريته الجنسية الكاملة .

وحين تدرك هذا الوصف ابتداءً ، فثمة دلائل تشهد على صحة هذا الوصف تأتي في مقدمتها الدعوة الرامية الى تحديد لباس معين للمرأة . فهذه الدعوة ليس لها سوى معنى واحد : تثبيت ماتريد البشرية مجاوزته :

ـ أن المرأة جنس ليس الا .

وهذا التثبيت استلابي لانسانية المرأة والرجل .

د . مراد وهبة

المـــــــــــرأة والثـــــــــورة

د٠ محمـد شـعلان

ان المجتمع يبث ما به من أنظمة وعلاقات على الافراد فتصبح جزءا منهم يحملونها معهم في مختلف مراحل تطورهم فيعيدون تطبيقها في مختلف المجالات، ويثبت بذلك النظم والعلاقات الاصلية ». والاسرة هي المدرسة التي تبدأ فيها هذه العملية حيث يجد الطفل نفسه ملقى بعد طرده من جنة رحم أمه بدون أسلحة في مواجهة علاقته بالمجتمع [والذي يتمثل في الاسرة] ومركزة في البداية في أمه ». فالام تمثل الحلقة الاخيرة والحيوية في علاقة المجتمع بالطفل ، ويتركز فيها جماع القيم الاجتماعية . بهذه الطريقة يضمن المجتمع المحافظة على استمرار كيانه ازاء خطر التجديد عند كل جيل ». ان الطفل يريد البدء من جديد ويريد الاكتشاف . انه ملىء بحب الاستطلاع والرغبة في التجربة والخلق ، وهو لا يقبل بسهولة الافتراضات المطلقة ـ لذن فهو ثائر في جوهره ازاء رغبة المجتمع في المحافظة على كيانه ومقاومة التجديد ».

واذا كانت السياسة هي دراسة علاقات السلطة في مجال الانسان فاننا من هذا المنطلق نستطيع ان نرى عدة مستويات لدراسة هذه الظاهرة . فهناك المستوى المألوف والذي يخص علماء السياسة ونستطيع ان نطلق عليه المستوى السياسي الاوسع Macropolitical وتكون العلاقات هنا اقرب الى علاقة الفرد بالاشياء اكثر منها علاقة فرد بافراد . فالادوار والوظائف والمبادىء تتغلب على الصفات الفردية ». والمستوى الثاني هو المستوى السياسي الاصغر Micpolitics وهو يختص بدراسة العلاقات بين الجموعة الصغيرة حيث أكثر من شخصين يكونون علاقة وتمثل أساسا في الاسرة الاولية كما نعرفها في مجتمعاتنا ، وان كانت ليست هي النمط النهائي أو الوحيد لتكوين مجتمعات صغيرة . ويأتي في النهاية المستوى السياسي الدقيق Micropolitical وهو ليس الا تلك العلاقات من خلال المنظور الداخلي ، أي علاقات السلطة بين مختلف اجزاء أو أوجه النفس البشرية من الداخل ». فالفرد طالما لم يكتمل ولم يتجانس ويتوحد فهو منشق على نفسه ومتصارع داخل نفسه . والصراع غالبا ما يكون بين أشخاص داخل الشخص كثيرا ما يمثلون اشخاصا خارجية ».

حينما تحدث الان عن السياسة وعلاقات السلطة في المجتمع والنزعات المحافظة في مقابل النزعات الثورية لا بد لنا ان ندرك أن كل هذا موجود على مختلف المستويات . وما يحدث على النطاق الاوسع يجد صداه على النطاق الاصغر والدقيق . بل انه ايضا مبني على كونه صدى لما يوجد في النطاق الاصغر والدقيق في علاقة مزدوجة الاتجاه **فالوضع المحافظ يجلب اليه افرادا محافظين ولكن الافراد المحافظين هم أيضا يخلقون الوضع المحافظ . وكذلك الوضع الثوري يجلب اليه الافراد الثوريين ، والافراد الثوريون يخلقون الثورة** ». واذا كان الوضع المحافظ لا يمكن ان يوجد الا بواسطة افراد محافظين ، وانه لا يقبل ويرحب الا بهؤلاء الافراد . فان الوضع الثوري لا يمكن أن يوجد الا بواسطة افراد ثوريين ولا يسمح الا بوجود مثل هؤلاء الافراد في قمة بنيانه ».

من هذا المنطلق فان الثورة والمحافظة ليستا مجرد عمليات تحدث في الخارج ، أي في المجتمع فحسب ، ولكنها عمليات ذات جوانب أو مستويات مختلفة . فما يحدث في الخارج ما هو الا تكرار لما يحدث في الداخل وما يحدث في الداخل هو ايضا تكرار ومرآة لما يحدث في الخارج . أي اننا **لا نستطيع ان نحقق الثورة الاجتماعية بمجرد تغيير في النظم والعلاقات الاجتماعية بدون النظر الى التغيير المقابل في الداخل . وكذلك لا نستطيع أن نثور في غرفة مغلقة أو حتى داخل أسرة .** فما نفعله في الداخل لا يمكن أن يتم بدون تغيير

مقابل فى الخارج . فالثورة الحقيقية تتمثل فى تغيير شامل وجذرى وتناسق بين الفكر والحس والعمل . ولا يمكن أن يكون التغيير حقيقيا حين يقتصر على الجزء دون الكل . **فالثورة لا يمكن أن تولد وتستمر الا بوجود ثائرين مستمرين فى ثورتهم .**

وهذا الموقف المتكامل للثورة يتنافى مع موقف من يثور من اجل تغيير أوضاع خارجية كمجرد بديل وهرب من التحدى الحقيقى أن يغير الفرد ما بنفسه . فالله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . وعلى النقيض الاخر فانه يتنافى أيضا مع من يحوصل ثورته فى داخل دائرته الضيقة على المستوى السياسى الاصغر أى داخل مجموعته [الاسرية عادة] أو داخل نفسه لانه فى الحقيقة يتجنب مسئولية مواجهة القهر الخارجى . الثورة **المتكاملة اذن تتصف بحالة من السيولة فى الحركة بين ما هو داخلى وما هو خارجى .** فالمعركة على أى من المستويين فيها تقوية للاخر وتكملة له مثلما يفعل النوم مع اليقظة والحلم مع الحقيقة والفن مع العلم والحب مع القوة .

واذا كان الغرض من هذه المقدمة هو التمهيد لحديث عن الثورة على المستوى السياسى الاصغر أى الثوره داخل كل فرد وفى علاقاته الشخصية مع من حوله [أى الاسرة أو المجموعة التى قد تكون بديلا او مكملا للاسرة] فليس فى هذا تقليل من المحاولات الثورية على المستوى السياسى الاكبر Micropolitical وانما محاولة للعودة الى جانب طال اهماله . فما اسهل الحديث عن الواقع الخارجى السىء وضرورة اصلاحه ، وما أسهل وضع اللوم على الخارج فى صورة اعداء شريرين سواء كان ذلك من جانب الفرد حينما يتهم المجتمع الذى يعيش فيه بالفساد أو يتهم حكومته ، وعلى مستوى المجتمع حينما يتهم فئة منه بالخيانة والانحراف أو يتهم عدوا خارجيا كالاستعمار او الصهيونية . فما اسهل أن نؤجل معاركنا تحت وهم الانتظار لحين القضاء على العدو الخارجى . الثورة الحقيقية تبدأ هنا والآن . اننا كثيرا ما نهرب من الواقع الملموس ـ هذا المكان وهذه اللحظة ـ تحت وهم اننا ننتظر التغيير هناك وغدا . وحينما يأتى الغد فانه يصبح بالتالى حاضرا نهرب منه الى مستقبل بعيد آخر ، وهكذا نستمر فى الهروب من مواجهة الواقع ، ويختفى المستقبل ويهرب كالسراب [بينما الماضى يجذبنا كالحلم] . والتحدى الحقيقى هو ان نستطيع أن نبدأ الآن . ولهذا فان المنطلق الذى اخترناه يبدأ بالاسرة والمرأة كاقرب ما يكون للفرد ، لان ذلك أوقع تمثيل للمجتمع الخارجى ازاء الفرد ومن خلال هذا نستطيع أن نرى صورة أوضح بالنسبة للثورة داخل الفرد . فالاسرة هى مجتمع خارجى بالنسبة للفرد ولكنها تحمل صفات وامكانيات العلاقة الفردية الانسانية المباشرة ، وكذلك تحمل امكانية العلاقة بالاخر أى انها تحوى التقابل والتفاعل بين علاقات الحب وعلاقات القوة والسلطة . وعلاقة الفرد بنفسه هى فى النهاية علاقته بأسرته . فقد نشأ وهو فى شديد الحاجة اليها فرضخ وقتل أجزاء من نفسه لحساب ارضاء الاسرة وامكانيته للتطور . والثورة هى فى امكانية الفرد كسر هذه العلاقة الطفيلية بأسرته بحيث يتمكن من الاستقلال فيصبح حرا حقا . فعلاقة الفرد بنفسه لا تتم بالعزل الخارجى عن أسرته بقدر ما تتم بهذا العزل الداخلى الذى يتأتى عن طريق الصراع الداخلى بين الجوانب التى فى نفسه والممثلة لاسرته ، وبين تلك الممثلة لحقيقة نفسه .

واذا كان الحديث عن الاسرة مرتبط بالحديث عن المرأة فذلك لان المرأة فى الاسرة هى الحلقة النهائية فى سلسلة القهر الاجتماعى . فالمرأة هى مصب ونهاية الظلم الاجتماعى . **ولعل المجتمع عرف بالتجربة أن خير من ينقل الظلم والاستعباد ويعلمه للنشء هم أكثر الناس حظا من الظلم أى العبيد .** ولهذا يعمد المجتمع الى الابقاء على قهر المرأة أملا فى قهر الطفل ، وقهرها بحيث تصبح عبدا طيبا ولكنها لهذا تصبح سيدا سيئا . وكلما زادت طاعتها وزاد خنوعها واستسلامها للمجتمع زادت قسوتها كسيد لهذا الطفل البرىء الخام ، كالمثل القائل بأن العبد المطيع سيد قاهر .

وكما أن الثورات قلما تنفجر الا بازدياد التناقض بين السيد والمسود ، ولا تتحقق الا بثورة المسود على السيد هادفة تحديد الاثنين معا فاننا نستطيع أن نرى دور ثورة المرأة على القهر الاجتماعى فى صورة الرجل هى المفتاح للتغيير الحقيقى . فالطفل ثورته عنيفة وجذرية ، الا انها تفتقر الى القوة والوسائل المادية . اذ ان الطفل مجرد تماما من الاسلحة ومعتمد تماما فى غذائه المادى والوجدانى على أمه وبالتالى على الاسرة والمجتمع . ولا يستطيع الثورة بدون مخاطرة الجوع المادى والوجدانى القاتل . فهو سريعا ما يستسلم ازاء الثمن المعروض وهو المساندة المادية والوجدانية ، ويقتل فى نفسه أى رغبة فى الانطلاق والتحرر ، ويصبح هو بالتالى العبد المسود الخالى من الارادة الحرة والذى سيتولى بدوره السيادة القاهرة حينما يأتى دوره فى تأسيس الاسرة . أما المرأة فقد اصبحت تمتلك بحكم الضرورة بعض الاسلحة التى تسمح لها بالثورة والاستقلال ، لان الرجل يصبح فى مزيد الحاجة لان يكون تابعه قويا فزيادة قوة التابع تضيف الى قوة السيد ، والتابع الضعيف يصبح عبئا على سيده . فهو يستهلك بدون انتاج وينفذ بدون مبادرة أو ابداع . وفى حلقة المنافسة على القوة والملكية يجد الرجل مصلحته فى تقوية اتباعه فيسمح لزوجته بالعلم والعمل والاستقلال

فى نفس الوقت الذى يريد فيه أن يحتفظ بسيادته عليها الا انه سلاح ذو حدين . فالعبد القوى الذى أخذ السلاح وحمله فى مجابهة المنافسين الاخرين من خارج الاسرة والذى حارب من اجل السيد وحماه وعضده أصبح فى مقدوره أن يدير السلاح فى وجه سيده وأن يزيد فى مطالبه .

هذا هو وضع المرأة فى مصر اليوم ، فهى تنتقل من عهد التبعيه الضعيفة المقهورة المسحوقة الى عهد التبعية المبدعة القوية . وهى فى حيره وازمة ازاء الرباط المزدوج التى وضعت فيه . فمطلوب منها ان تستخدم اسلحة التحرر [ان تعمل وتتعلم وتستقل وتحمى نفسها ،وفى نفس الوقت يتوقع منها التبعية لزوجها وطاعته والرضوخ لرغباته ، يمكنها أن تقوى لتحقيق اغراضها ، ولكن لا يسمح لها أن تقوى لتاكيد ذاتها فى تعارض مع زوجها) . **وهى فى هذه الحيرة تجد نفسها مطالبه بالشىء وعكسه وتجد نفسها اذا فعلت ما طلب منهـا عوقبت واذا لم تفعل عوقبت ايضا** ، مطلوب منها أن تتعلم وتستقل ، وتكسب ، ولكن اذا أبدت أى ممارسه حقيقية لهذا الاستقلال تعاقب أشد عقوبة. انها تكسب ولكن الزوج هو صاحب الكلمة النهائية فى كيفية الاتفاق . واذا تمكنت وهى من تخالط الرجال ولكن لا يسمح لها بأى درجة من العلاقات الحقيقية معهم ، الا اذا وقعت على صك البيع الذى يجعلها ملكية خاصة لرجل فى صورة الزواج .وهى تحرم من الحريات بمختلف انواعها حتى تضطر لبيع نفسها لاول رجل كأقل العبوديتين شدة ،فهى بدون زواج عبدة لاسرتها ،واذا تزوجت فقد اختارت سيدا أقل قهرا من ابيها . فزواجها اضطرارى لانه الافضل فى سلم الاستعباد .

ولكن الثورة الحقيقية المتكاملة مسئولية وألم وجهد مستمر . والمرأة بين وضعها المقهور وأملها فى التحرر تمتلىء غليانا لا تتحمله فتحاول الهروب منه بشتى الوسائل . فهى تارة تهرب فى صورة التمرد فى الظلام . فتنتقم من ظالميها وتمارس حريتها فى السر ، فتمارس حرية كاذبة ، اذ أن الحرية الحقيقية لا يمكن ممارستها فى الظلام . فالحرية هى تحرر من الخوف وهى ايمان وتكامل وتجانس بدون انشقاق بين الفكر والحس والفعل. والحرية الحقيقية لايمكن ان تزدهر الا فى مواجهتها مع القهر وجها لوجه مثلما لا يمكن ان يوجد الابيض بدون الاسود والخير بدون الشر والحياة بدون الموت . والحرية التى تمارس فى الظلام لا تواجه شيئا ازاءها ، فهى بالتالى ممارسة قهرية دافعها الانتقام لا تثرى صاحبها . فى كلتا الحالتين فهو عديم الاختيار . وهذا المخرج الذى تلجأ اليه المرأة يضعف الطاقة الثورية فيها ،فبدلا من أن تواجه ظالمها علنا تنتقم منه سرا وتقدم له فروض الطاعة فى الظاهر .وتظن انها بهذا أخذت حقها وثأرته ولكنها فى الحقيقة لم تفعل الا تأكيد عبوديتها بالسالب فى السر وبالموجب فى العلن .

والطريق الثانى الذى قد تتخذه المرأة لثورتها هو ان تحاول العودة الى الماضى بان تبالغ فى [illegible] من قيمة نفسها فتدعو الرجل الى امتطاء جواده وانقاذها كالفارس المغوار فتكتشف بعد حين انها استعبدت نفسها له مرة اخرى فحملته عبء مسئوليتها بدلا من أن تساعده على التحرر والانطلاق . فالسلسلة التى وضعتها فى عنقها ، وسلمت طرفها الاخر ليد الرجل اصبحت مكبله ليديه بقدر ماهى مكبلة لعنقها .وتفشل هذه الثورة اذن ويعود الانسان الى حيث بدءا .

وقد تتخذ طريقا ثالثـا بان تنسحب من حلبة الصراع فى صورة الانتحـار المباشر ، أو غير المباشر فى صورة المرض الجسمى او العقلى . فهى تلغى الصراع بان تلغى طرفا منه ، ولعلها بذلك تحرز نصرا ما ، فقد جعلت سلاح قاهرها عديم الفائدة وحرمته من لذة النصر فقتلت نفسها بيدها لا بيد عمرو وحققت بطولة الاستشـهاد . وهو حل مع الاسف يودى بصاحبه ولا يجزيه فى حياته .

وقد تفضل المرأة التى تداعبها الثورة ان تبقى على جسدها وحياتها فتكتفى بالانتحار النفسى وتعمى بصيرتها ويتبلد احسـاسها ، فتقضى على اللذه الحقيقيه ايضا وتعيش فى قيم جوفاء تكرر مافرض عليها من قيم . وتؤكد بذلك استعبادها ، وتعيش فى حالة من اللا وعى والاستسلام كالالة . ولكن الذين ذاقوا طعم الحرية قليلا لا يستطيعون نسيانها ،فلا يرضيهم هذا الحل وتعود الثورة تداعبهم من الداخل حتى يبحثوا عن حل آخر .

فيأتى الحل الاخر لا محالة . فالحياة مصرة على الاستمرار ،واذا فشلت مرة فى التحرر فهى تعيد الكرة ،وتبدأ من جديد فى دورات من الموت والميلاد الجديد وتنجح عاجلا او آجلا رغم الف فشل . وتثور المرأة ثورة حقيقيه ومستمرة حتى النهاية وتقرر ان تواجه قهرها فى الخارج وفى الداخل مواجهة مفتوحة وعلنية بكل ما فيها من ألم وصراع. وتثور على قاهرها دون أن تتركه وتهرب الى الموت او المرض ودون ان تنتقـم منه أو تستسلم له ظاهريا . فهى فى ثورتها عليه من اجل حريتها تثور من اجل حرية الانسان بما فى ذلك الانسان فيه . **فهى تثور عليه ومن اجله** . وهنا يستطيع الرجل المستنير ان يتقبل بل ويعضد ثورة المرأة عليه فيكتشف أن **تحرير المرأة هو من اجل الانسان ، وبقدر ما تتحرر المرأة من عبوديتها للرجل بقدر ما يتحرر هو من عبوديته** . والحرية تعنى الا يكون هناك سيد ومسود ،وبأن يتغلب المسود على حاجته لان يخضع ،وكذلك أن يتغلب السيد على حاجته لان يسود . فهى فى النهاية **التخلص من الحاجة بأى من أشكالها** . وهى لاتتم الا بين انداد متساويين .

المـــــــــرأة ..

والرجـــــــل ..

والمجتمـــــــــع

د٠ فـرج أحمـد فرج

يتجدد النقاش من وقت لاخر ، وترتفع حدته وتصل الى حد الاشتعال فى كثير من الاحيان حول قضية العلاقة بين الرجل والمرأة والدور الاجتماعى لكل منهما ٠ ولا نستطيع بالطبع ان نفصل الشكل الذى يتخذه النقاش فى هذا الأمر ، ولا مضمون هذا النقاش كذلك عن الزمان والمكان الذى يدور فيه ٠ بعبارة أخرى لا ينفصل فكر الانسان فى أى أمر من الامور عن « مناخ » الزمان والمكان الذى يتولد فيه هذا الفكر ، لذلك كان طرح قضية تحرير المرأة فى مصر على يد قاسم أمين وغيره ، فى فترة يعينها من تطور المجتمع المصرى ٠ لم يكن من الممكن مثلا أن تطرح هذه القضية فى العصر المملوكى او العثمانى ، ولا فى بداية عصر محمد على ، ولكن كان لابد فى عصر محمد على ذاته بكل منجزاته ، وبكل ما أدت اليه هذه المنجزات من تحولات بعيدة المدى فى البناء الاجتماعى الاقتصادى للمجتمع المصرى ، كان لابد منه حتمية تاريخية وشرطا ضروريا لتحقيق الظروف الموضوعية لتولد هذه الدعوة فى هذا الزمان من تاريخ مصر ، وفى هذا المكان من الارض العربية ٠ ليس ذلك تحسب ، بل أن ما حدث فى هذا الزمان من تاريخ مصر وفى هذا المكان من الارض العربية لا ينفصل عما يدور من حوله ويحدث بجوارة فى ارجاء أخرى من العالم ٠ فبذور النهضة الحديثة التى غرست على أرض مصر فى عصر محمد على جزء لا ينفصل عن التحولات الهائلة التى كانت تمر بها أوربا وعن نهضة مماثلة تتحقق بخطى ثابتة فى اليابان مثلا ، والولايات المتحدة الامريكية ٠

وعلى هذا فالقضايا لا تطرح كيفما اتفق ولا تثار وفق الاهواء والنزوات الفردية ، ولكنها دائما وبلا استثناء وليد شرعى لتطور المجتمع ، بعبارة اخرى ، مع ما يطرأ على المجتمع من تحول وتطور ، تتحول وتتطور القضايا التى يطرحها هذا المجتمع ٠ كما ترتبط الكيفية التى تطرح بها هذه القضايا ، والخلفيات التى يدور حولها اجتهاد المجتهدون فى سعيهم الى حل هذه القضايا، بتطور هذا المجتمع وتحوله ٠ وعلى هذا فقضية « تحرير المرأة » لا تطرح الا عندما يصل المجتمع الى تلك المرحلة من التطور التى يصبح فيها هذا « التحرير » ضرورة اجتماعية ، وحتمية موضوعية بل وعندما تنبت البذور الاولى لهذا « التحرير » ويصبح هو نفسه حقيقة اجتماعية موضوعية

بمحدد التكوين ، أو جنينا اجتماعيا ينتظر المخاض ويتوثب للميلاد .

الانسان ... تاريخ

يقودنا ما سبق الى ضرورة وضع قضية المرأة فى أطارها الانسانى من حيث هى وجه من وجوه هذا الاطار الانسانى نفسه . فهى قضية الكل تتجلى من خلال الجزء ، هى قضية الكل ، أى قضية الوجود الانسانى ذاته فى حركته الساعية الى الحرية ، وقد تجلت عن طريق الجزء فى زمان ومكان معين من حركة التاريخ الانسانى ، وأعنى بهذا الجزء الوجود الانسانى للمرأة فى حركته التاريخية وهو يتجه صوب مرحلة من مراحل تطوره تأخذ شكلا عينيا محددا نطلق عليه اصطلاحا « **التحرير** » . ولذلك فعلينا أن نناقش ما يعنيه هذا الاصطلاح ، ويقتضى هذا بالطبع مناقشة الوجود الانسانى ذاته من حيث هو كذلك . أو بعبارة أخرى مناقشة الصورة التى لصيرورة الانسان يرى فيها نفسه ، فى هذه المرحلة التاريخية من مراحل تطوره الانسانى . ويستطيع المتتبع لتاريخ الانسان ، ولتاريخ الفكر الانسانى بخاصة أن يتبين بوضوح وجلاء أن الانسان لم يقترب من نفسه ويتخذ من ذاته موضوعا للدراسة والتأمل والتفلسف ، كما اقترب منها فى هذا الطور من أطوار تطوره التاريخى . انه الان يقف ليملم نفسه متفحصا لذاته متأملا لها متسائلا عن ماهية وجوده وغاية هذا الوجود . وتتبرى المذاهب والتيارات الفكرية والفلسفية على اختلافها للاجابة على هذه التساؤلات . ولكنها جميعها لا تستطيع الا أن تجمع على رأى واحد هام مؤداه أن الانسان هو ذلك « **الذى يختلف يومه عن أمسه ويختلف غده عن يومه** » انه ذلك الكائن صاحب التاريخ . ما كان عليه بالامس فى جميع جوانب حياته غير ما هو عليه اليوم فى جميع جوانب حياته ، وما سيكون عليه فى الغد غير ما هو عليه اليوم فى جميع جوانب حياته كذلك . هذه الحركة الدائمة والصيرورة المستمرة حقيقة يجمع عليها الجميع وان اختلف المختلفون حول تفسيرها سواء بارجاعها الى تطور الوعى ذاته ، أو تحقق الحرية من حيث هى اختيار مسئول ، أو الى التطور التكنولوجى أو التحولات الاجتماعية الطبقية .. الخ

الانسان اذن ذلك الموجود أو الكائن الذى يتغير ويتحول دون توقف ، ولو أننا استخدمنا المصطلحات الهيجلية لقلنا أنه ذلك الكائن الذى يعيش فى حالة سلب مستمر لما هو عليه ، ذلك أن ما هو عليه — أى أسلوب حياته بأسره — قائم وفى حالة ايجابية فى لحظة أو فترة أو حقبة معينة محددة طالت أو قصرت ، ثم لا تلبث هذه الحالة أن تسلم الزمام لحالة أخرى منافية لها . بحيث تكون الحالة الثانية سلبا للحالة الاولى . فالانسان البدائى عاش فجر حياته يرهب الحيوانات المفترسة ويخافها ، ثم اذا به فى فترة تالية يطاردها ويقتلها ويفزعها هى ، ثم اذا به فى فترة ثالثة يصانعها ويروضها ويستخدمها ... الخ انه يخضع لبعض جوانب الطبيعة فى فترة ثم لا يلبث أن يخضع هذه الجوانب لارادته ويطوعها لاهدافه. هذا السلب حركة مستمرة لا تتوقف يولد فيها الجديد دائما من رحم القديم ، ويفنى القديم السبيل للجديد ، الذى لا يلبث أن يصبح بدوره قديما يحل محله جديد يخلفه وهكذا ودون توقف . وكل جنين يحمل فى ثناياه بذور موته ، كما أن كل موت هو ايذان بميلاد جديد .

هذه هى حركة التاريخ الانسانى ، أو هى حركة الانسان من حيث هو تاريخ ، أو من حيث هو صور تاريخية متعاقبة . والان ما هى القوة المحركة لهذه الحركة التاريخية ؟ انها وبلا خلاف العمل ، أو الفعل ، أو الاختيار ، انها النشاط الانسانى الايجابى للانسان والذى يغير من خلاله وبواسطته معطيات هذا العالم المادى بحيث يصبح بالرغم من كونه جزءا من الطبيعة ، بشكل مافوق هذه الطبيعة وفى مقابلها ، أو بعبارة فلسفية بحيث يكون فى حالة تعالى على هذه الطبيعة وتجاوز لها فى صورتها الخام البكر . انه يحول الاشجار الى وقود ، أثاث ، مكان للمتعة ... الخ . ان النشاط الانسانى هنا سلب للطبيعة ، سلب لما هى عليه ، ولكنه فى نفس الان حفاظ على المسلوب وارتقاء به الى شكل ارقى وأعلى .

هذا هو جوهر الانسان أو ماهيته ، هذا هو الفارق الكيفى المميز للانسان فى علاقته بعالمه فى مقابل الحيوان فى علاقته بعالمه . ان الحيوان أسير العالم الطبيعى لا يستطيع الا أن يخضع له ويتكيف معه والا هلك . أما الانسان فنقيضه هو الذى يخضع العالم الطبيعى لمطالبه ويطوعه لاهدافه ومقاصده **بالعمل أو الفعل السالب الخالق فى آن واحد .**

الانسان .. حرية وتعالٍ

اذا كان ما يميز الانسان هو **فعله وعمله** والذى يجمع فى ثناياه وفى وحدة جدلية بين **السلب والخلق** ، بين **الالغاء والابقاء** ، فان الانسان بهذا المعنى يصبح « حرية » وهو بهذا المعنى حرية ذات شقين ، الشق الاول الحرية من حيث هى سلب لما هو قائم ورفض له ، أو بعبارة أخرى مرحلة « التحرر من » أى التحرر من القيود أو من الحدود القائمة أو البادية لامكانيات الطبيعة والانسان ، مثال ذلك تحرر البدائى من حدود الوجود العينانى المباشر للشجرة من حيث هى كذلك ، من حيث جزع

ثابتة فى الارض وفروع خارجة من هذا الجزع ، ومن حيث هى وجود مباشر وعلى هذه الصورة وفى هذا المكان • أما المرحلة الثانية فهى مرحلة التحرر من أجل ••• أى من اجل كذا وكذا من المقاصد ، وفى هذا المثال حرية أن يصعد الشجرة وينزع بواسطة قطعة من الحجر المستنة فرعا من فروعها ، وان يسوى هذا الفرع وينزع عنه اوراقه، وأن يستخدمه فى توجيه دوابه أو الحماية من أعدائه أو أن يستخدمه وقودا ••• الخ • ان الحرية هنا متعلقه فى فعل أو عمل تتطلب هذين الجانبين أو هاتين المرحلتين من المراحل رغض لما هو قائم ، وخلق لما سيقوم ، بواسطة ما هو قائم ومن خلاله مرفوضا ومنفيا • نعود مرة ثانية الى مثال البدائى سالف الذكر ، لقد رفض هذا البدائى الحدود الضيقة لقدراته العضلية ، لقد سلب هذا الضعف ضعفه ، وبواسطة هذا الضعف ذاته ، وذلك عندما شكل بعضلاته محدودة القوة ـ بالقياس الى الحيوانات المفترسة هائلة القوة ـ من الحجارة بلطة حادة ، ثم استخدمها بدلا من عضلاته محدودة القوة ، فى قطع فرع الشجرة ، ثم استخدم هذا الفرع ذاته بعد أن ضم اليه قطعة الحجر المسنون بواسطة حبل جدله من فروع الاشجار ، رمما يقذف به الحيوانات القوية عن بعد فيرديها ، وبذا تتحقق له الغلبة فى النهاية عليها ، وهذا ما يقوم به العلم عندما يحول الانسان طاقات الطبيعة الهائلة من قوى معادية له الى قوى فى خدمته ، وهكذا تبلغ العملية الجدلية ذروتها عندما يصبح الضعف ـ البشرى ـ قوة ، وتصبح القوة ـ قوى الحيوان والطبيعة ـ ضعفا ازاء الضعف السابق للانسان •

وهنا يجب أن نبرز جانبين على قدر بالغ من الاهمية : أولهما ان المرحلة الاولى من الحرية وهى مرحلة التحرر هما هو قائم هى أهم هذه المراحل وأخطرها جميعها ، أنها الفكاك من قوة الاشياء ، من الزامها وقهرها ، من جبروتها ذلك الذى كان يبدو قيدا لامكانه منه وحدودا لا خروج عليها ، ما يبدو أنه طبيعة الاشياء مادية طبيعية كانت أو اجتماعية أو فكرية ، تلك الطبيعة التى يفيرها لا تكون هذه الاشياء ، هذا التحرر « من » أى معا هو قائم ، مما هو ظاهر ، مما هو بديهى يقينى وحتمى •• الخ هو لب الوجود الانسانى كما يتجلى فى تاريخ الانسان من حيث هو فعل الاختيار الحر ، ولو أننا لخصنا هوية هذا التحرر الانسانى لوجدنا أنه لا يعدو كونه تحررا مما هو حيوانى أو بيولوجى، وسلبه بواسطة ما هو انسانى ، مثال ذلك تحرر الانسان من حدود قدرته العضلية باستخدام الادوات وتطويرها • هذا التحرر لابد أن يشمل بالطبع جميع مواقف الانسان وتصوراته ومشاعره وافكاره وقيمه الاجتماعية والاخلاقية المتعلقة بهذا الاستخدام المحدود لقدراته العضلية • هوية الانسان والتى بغيرها لا يكون انسانا ، هى ذلك التعالى والتجاوز والسلب ممثلة فى العمل والفعل والاختيار الحر ، وأول الخطوات على هذا الطريق تتجلى فى التحرر « من » ، مما هو قائم وماثل فى الاشياء ، فى العالم المادى ، وفى كيانه البيولوجى ، وفى قيمه ونظمه وفكره •• الخ سلب الانسان لكينونته الحيوانية هو فتح الطريق لصيرورته الانسانية ، ذلك ان تجاوزه لما هو حيوانى قائم ، يفتح الطريق لما هو انسانى ممكن • المرحلة الاولى آذن مدخل وشرط لابد منه للمرحلة الثانية وهى مرحلة حرية الاختيار ، وجدير بالذكر ان المصطلح الانجليزى للمرحلة الاولى هو : To Be Free From ويهمنا هنا حرف الجر From اما المرحلة الثانية فيشير اليها المصطلح الانجليزى To Be Free To أى حر من أجل أو حر « ل » •• اى ليفعل كذا وكذا ، أو من أجل القيام بكذا وكذا ، المرحلة الاولى تشير الى ما هو قائم بكمله ، وله كيان وابعاد وخصائص تبدو ـ تبدو فقط ـ وكأنها حقائق صلبة قائمة باقية لامكان منها ولا خروج عليها ولا يجدال حولها • أما المرحلة الثانية فتشير الى ما لم يقم بعد ، الى ما لم يتحدد ، أو يتشكل أو يتبدى ، بعبارة أخرى يمكننا هنا ان نستعيد التعبير الشائع «فى علم الغيب» انها تشير الى امكان مفتوح لا يمكن أن تحدد أبعاده سلفا أو تقرر مقدما ، الا بأوسع الحدود، وبأشمل المعانى واكثرها تجريدا من حيث هى سلب لما كان •

من هذا كله نخلص الى ان الانسان انسان بقدر ما يتعالى على حيوانيته ، ويتجاوزها ويسلبها حدودها البيولوجية القائمة بواسطة فعل حر أى عمل أو اختيار •

والمرأة •• انسان أيضا

والآن نتساءل ماذا عن المرأة ؟ وماهو موقعها من كل ما سبق ذكره والحديث عنه ؟ ونجيب قائلين المرأة ايضا انسان ، المرأة أيضا سلب لما هو حيوانى قائم وأعلاه لما هو انسانى ممكن • وان كل ما ينطبق على الوجود الانسانى من حيث هو فعل الحرية ، ينطبق عليها كذلك • وعلى هذا فظهور « الحركات النسائية » ، فى مختلف بلدان العالم فى ظروف تاريخية معينة أمر لا يجب أن تفوتنا دلالته • ان الدعوة الى «تحرير» المرأة تولد فى ظل ظروف متشابهة فى مختلف بلدان العالم ، تولد فى ظروف لا تعدو كونها طورا جديدا من أطوار حركة الانسانية ذاتها نحو الحرية ، حركة «تحرير المرأة » آذن وجه من وجوه حركة تحرير الانسان ، ذلك أن دعوات « أى

حركات « تحرير المرأة » تظهر عند انتقال المجتمع من المرحلة الزراعية الاقطاعية الى المرحلة الصناعية الرأسمالية • بعبارة أخرى ، عند تحرر المجتمع من بناء يأسره من العلاقة بالطبيعة والعلاقة بين البشر ويضعهم البعض ، بما فى ذلك بناء متكامل متشابك من الافكار والقيم والتصورات • سواء فيما يتعلق بالمرأة ، أو ما يتعلق بالرجل ، ولما كانت المرأة والرجل هما بما وجهى الوجود الانسانى الواحد ، فان التحول الذى يطرأ على هذا الوجود لا يمكن الا أن يشمل هذين الوجهين معا •

فى المجتمعات قبل الصناعية (البدائية والرعوية والزراعية) يكون الانسان أسير ما يبدو انه طبيعة الاشياء ، بكائناته البدنية والعضلية ، أدواته البدائية ، دوابه وحيواناته ، أرضه ومياهها ومناخها ودوراتها الزراعية ومحاصيلها الثابتة ، ثم تقلبات الطبيعة من عواصف وفيضانات لا يعرف لها سببا واضحا ولا يقدر على التنبؤ بها أو التحكم فيها وقهرها • انه يعيش حياته أسير « طبيعة الاشياء » تمسك به وتحكم قبضتها عليه • ثم يولد عصر جديد ، يناقض ما سبقه وينقيه ويسلبه ما كان يتصف به ، ذلك عصر الصناعة ، حيث اكتشاف طبيعة الاشياء وبخاصة اكتشاف انها — أى الاشياء — على عكس ما كانت تبدو عليه ، بعبارة موجزة يبدأ الانسان يمسك — هو نفسه — بطبيعة الاشياء ، ويبدأ — هو — يحكم قبضته عليها ، وواضح أن جوهر التحول هنا هو الانعتاق الذى انتقل انتقالا كيفيا من الخضوع الى السيطرة • وهذا الانتقال لابد أن يكون انتقال فى مواقف الانسان داته بأسره من العالم ، انه تحول كيفى فى فكر وعمل الانسان ، وفى ممارساته لمختلف جوانب حياته •

وغنى عن البيان أن دارسى التاريخ الحديث وبخاصة تاريخ أوربا الصناعى يعلمون كيف اضطهدت الصناعة فى نشأتها على قوة عمل المرأة والاطفال ، اعتمادا وصل الى ابشع حدود الاستغلال • وعلى هذا فالمرأة انتقلت مع الرجل من ممارسة الزراعة الى ممارسة الصناعة • وعلى هذا كانت الحركات النسائية وجها من وجوه الحركات العمالية والحركات المدنية بالديمقراطية السياسية • نحن هنا اذن بازاء ثلاث أشكال هى فى جوهرها تعبيرات مختلفة ومترابطة عن شىء واحد ، هو « تحرير الانسان » وان اختلفت صور هذا التحرير •

والآن ما هى القيود التى تعوق « تحرير المرأة » انها قيود « طبيعية » قيود « إنوثتها » قيود « دورها البيولوجى » بعبارة موجزة انها قيود « الطبيعة الحيوانية » • ونلاحظ اننا حاولنا توضيح ان الانسان هو تجاوز لهذه القيود وتحويل لها من عبء عليه وقيد له الى عكسها ونقيضها ، الى نفى وسلب لها • هذا هو لب حركة « تحرير المرأة » لانها تحرير لها مما يبدو أنه « قيود » و « حدود طبيعية لا فكاك منها » • ولما كانت الحرية تمر بطورين أو مرحلتين ، اولها لا تعدو ان تكون تمردا على ما هو قائم ورفض له ، وثانيها اختيار وخلق لما هو ممكن ، فاننا نستطيع ان نتبين أن الطور الاول لازالت له الغلبة حتى الآن ، فالمرأة تناضل من أجل الفكاك مما هو قائم أى من أجل الخروج من الاضطاد • وهذه الاضطاد تفيد المرأة من حيث هى « جسد » و « أنثى » من حيث هى جسد « ناقص » أو « عاجز » أو « فاتن » • ولذلك يتركز الرفض المتمرد على تأكيد هذا الجسد ونفى كل ما نصب اليه من عجز أو قصور أو فتنة واثارة واجبة التقييد • الحرية هنا سلب للقيد ونفى له انها تحرر من « العجاب » أى من « عطاء الرأس » أو من « ملابس » مفروضة تغطى جميع أجزاء الجسم الخ •

ان الحوار الديالكتيكى هنا لا يعدو أن يكون على الوجه التالى : ما أنت الا جسدا واجب الاخفاء ، تصبح « ما انا الا جسدا ، واجب الكشف والابراز » وجدير بالذكر أننا فى هذا الطور — وهو أهم الطورين وأخطرهما فى تحقيق التحرر والتطور — نجد الاسير لا زال فى قبضة أسره وان حطم القيد • فلب القضية لا زال قائما وهو « المرأة جسد فحسب » مخفيا كان أم مكشوفا • هذا الطور وان بدا سلبيا عديم الجدوى ، فهو أخطر الاطوار وأصعبها تحقيقا ، هو وحده الذى يفتح الطريق الى الطور الثانى • الطور الذى تصبح فيه المرأة « انسان له جسد » •

وفى النهاية يجب أن نؤكد ان المرأة لا تصبح انسانا له جسد ، ولاتكتسب جسدها بعده الانسان العميق الا بقدر ما يحقق المجتمع تطورا انسانيا عميقا ، وبقدر ما يصبح الرجل انسانا كذلك • ان الرجل والمرأة وجهان لشىء واحد ، ويقول المثل العامى فى هذا الصدد « قوله وانقسمت نصفين » فقدر المرأة الوجه الاخر لقدر الرجل كما ان قدر الرجل هو الوجه الاخر لقدر المرأة وحركة تحرير المرأة وجه ، ومن وجوه تحرير الانسان ، لتحرير فكره كما فى الحركات الديمقراطية وتحرير عمله كما فى الحركات العمالية والاشتراكية وتحرير جسده كما فى الحركات النسائية انها جميعها وجوه مختلفة لشىء واحد : حركة الانسان التى لا تتوقف نحو حرية لا حدود لافاقها •

— د. عمر الفاروق عثمان —

● آخر مقال كتبه د. عمر الفاروق قبل وفاته في نوفمبر ١٩٧٢.

وكان د. عمر الفاروق من خيرة الباحثين في المركز القومي للبحوث ، فأبحاثه العلمية تجاوزت المستوى القومي الى المستوى الدولي . هذا بالإضافة الى اهتماماته بقضايا البحث العلمي في مصر

البحث العلمي والتكنولوجيا في المجتمع المصري

د. عمر الفاروق عثمان

حقائق ومبادىء عامة

١ — ليس هناك بحث ذو قيمة بدون وجود مشكلة أو حاجة حقيقية . هذه الحقيقة على بساطتها هي الاساس الذي قام عليه التطور العلمي الكبير خلال المائة عام الاخيرة . وهذه الحقيقة أيضا هي الاساس في استفادة أي مجتمع من التراث العلمي العالمي المطروح ومن الاجهزة العلمية القائمة لديه . **ولقد افتقد الجهاز العلمي في مصر دائما همزة الوصل بينه وبين قيادة الدولة واحتياجاتها المحددة باستثناء تجربتين محددتين : الاولى** قام بها تطوعا اتحاد الصناعات في عام ١٩٦٥ وسجل في مذكرة موجهة الى الجهات المعنية — ومن بينها المركز القومي للبحوث (أكبر التجمعات العملية في ذلك الوقت) — المشاكل التي تواجه قطاعات الدولة المختلفة . **والتجربة الثانية** كانت أكثر تحديدا وذلك في أواخر عام ١٩٦٧ بعد ضرب المدمرة ايلات واغراقها أمام السواحل المصرية ، انتقم العدو بضرب التجمعات الصناعية بالسويس وأغلبها بترولية واستنفذت الحرائق التي اشتعلت في ذلك اليوم أغلب المخزون اللازم لاطفاء مثل هذه الحرائق . ولقد نجحت مجموعة من أصغر شباب الباحثين بالمركز القومي للبحوث في تصنيعه على النطاق المعملي من مخلفات المذابح ثم أمكن تحويله الى الانتاج على نطاق صناعي .

٢ — البحوث التجريبية والتطبيقية لا تعتبر منتهية عند حد معين بدون الوصول الى الاصول النظرية لحل المشكلة الواحية لمثل هذه البحوث . **ومن هنا فمن غير الممكن القول بأن البحث العلمي يمكن أن ينقسم تماما الى بحث أكاديمي وبحث تطبيقي فهما مرتبطان بل ومتكاملان والفصل بغير ذلك انما هو مزيج من السطحية وايثار السلامة .**

فلا يمكن الفصل تماما مثلا بين باحث يدرس توزيع الاليكترونات داخل ذرة أحد العناصر وكيفية انتقالها بين المدارات المختلفة لتلك الذرة وعدد مرات هذا الانتقال في وحدة الزمن تحت ظروف الاثارة المختلفة ، وفي وجود بعض المؤثرات الكيميائية والفيزيائية على عدد مرات هذا الانتقال وكفاءة عملية الاثارة وهو بحث يعتبر أكاديميا صرفا ، وآخر يدرس تطوير عمليات التنقيب عن الخامات المعدنية في باطن الارض وهو بحث بلا شك يعتبر تطبيقيا ، فكلاهما يمكن أن يكمل

الاخر ، بل اكاد اقول ان تطور عمليات التنقيب عن الخامات المعدنية المختفية تحت سطح الارض باحتياطياتها الضخمة كان يبدو مستحيلا بدون التطور الكبير الذى نتج عن الابحاث التى اجريت فى الموضوع الاول ، الى جانب التطور الذى حدث فى نظرية الاحتمالات واستخداماتها وهى احدى فروع الرياضة البحتة • كذلك اذا رجعنا الى التطور الفيزيائى الضخم لاستكشاف مكونات الذرة والقوى المؤثرة عليها ، وكيفية حركتها وتوزيعها حول النواة والذى بدأ نواة نهاية القرن الماضى ، حيث بدأت النظريات الفيزيائية المهتمة بمثل هذه الموضوعات فى الظهور واستمرت فى الثلث الاول من هذا القرن والتى انهارت واحدة اثر اخرى ، نجد ان الدافع لاستمرار البحث فى هذا المجال هو عجز كل من هذه النظريات عن تفسير بعض الظواهر الطبيعية وهو ما يؤكد اما عدم صحتها أو عدم شمولياتها • ولقد كانت هذه البحوث الفيزيائية ذات الطبيعة الاكاديمية هى الدعامة الاساسية لتطور علم الكيمياء ، وبالتالى الى تطور الصناعات الكيميائية والصدنية والالكترونية والتى تعد فى العالم الان الدعامة الاساسية فى التصنيع الثقيل •

ومن المهم أن نوضح هنا انه ليس من المحتم أن يقوم الفرد العلمى الواحد بهذين النوعين من البحوث ، ولا أن يقوم معمل واحد بهذا العمل ، ولكن من المحتم ان يكون هناك التنظيم العلمى والكوادر البشرية القادرة على تحليل المشكلة الى عناصرها الاساسية وتوزيعها على المعامل والافراد المتخصصين ثم تجميع النتائج للوصول الى حل للمشكلة •

٣ ــ من الضرورى أن نفهم أن الذى يحدد مهمة البحث العلمى ودوره فى أى مجتمع هو السلطة المهيمنة على ذلك المجتمع ــ ففى الدول الاشتراكية أو شبه الاشتراكية ، تحدد اللجنة المركزية للحزب الحاكم أو للجبهة الوطنية الحاكمة خطط التنمية لنمو مجتمعاتها كاهداف سياسية ، تترجمها اجهزة علمية متخصصة فى مرحلة تالية الى خطة علمية قابلة للتنفيذ فى ضوء الامكانيات المادية والبشرية المتاحة لذلك المجتمع • فمثلا اذا حددت القيادة السياسية فى خطة التنمية هدف تدعيم صناعات الحديد والصلب والصناعات المعدنية عموما ، فور ذلك تقوم الاجهزة العلمية المتخصصة بوضع الخطط الكفيلة بزيادة انتاجية مناجم هذه الخامات الاساسية الى جانب مناجم المواد المستخدمة معها اذا كانت امكانيات هذه المناجم تسمح بذلك ، أو تضع الخطط الكفيلة باستكشاف مصادمات جديدة من الارض لم تستكشف بعد ، او لم يقدر مخزونها تقديرا دقيقا وذلك طبقا لطرق البحث المتبعة فى هذا البلد وفى ضوء امكانياته • واذا افترضنا جدلا أن الاجهزة العلمية قد وصلت بعد تلك المراحل الى نتيجة سلبية فهى بلا شك ايجابية من زاوية اخرى اذ تمكن الاجهزة السياسية من تأمين مصادر الخامات اللازمة قبل البدء فى انشاء صناعة بعينها تفاديا لاية مصاعب مفاجئة فى الحصول على المواد الخام • ومما لا شك فيه أن مثل هذه الاجهزة العلمية تتمتع بمركزية مطلقة فى التخطيط كما أنها ترتبط مباشرة بالقيادة السياسية العليا فى الدولة وتعمل بتنسيق معها ، وعادة يكون هناك تفهم كامل من كل من الجهازين لطبيعة عمل الجهاز الاخر • أما فى الدول الرأسمالية فتقوم الشركات والاحتكارات منفردة أو متكتلة بدور مشابه لما سبق ذكره تأمينا لمصادرها من المواد الخام داخليا أو خارجيا فى حدود الاسعار التى تقدرها مناسبة لانتاجها ولتوزيعها وارباحها أو تكون محصلة جهود هذه الشركات أو الاحتكارات سواء كانت متكاتفة أو متصارعة هى نتاج المجتمع من مثل هذه الصناعات •

٤ ــ لابد ايضا أن نفهم أن التقدم العلمى والتكنولوجى فى أى مجتمع هو محصلة عدة عوامل تتداخل وتترابط وتتفاعل سلبا وايجابا ، تبدأ بالتعليم اساسا بهدف تكوين المواطن بصفات تسمح بتحقيق أغراض هذا المجتمع •• وفى مجتمع كمجتمعنا ، لابد كخطوة أولى من محو الامية الهجائية ، يتلو ذلك محو الامية المهنية لنسبة كبيرة من افراد الشعب ، وهاتان الخطوتان سوف يسمحان بالتالى بتكوين الشرائح اللازمة من النوعيات المختلفة ذات الكفاية المتدرجة من أدناها الى اعلاها • وبدون توافر كل هذه الشرائح المتدرجة الكفاية قد يستحيل تحقيق أى تقدم علمى وتكنولوجى ، ولو توفرت الشرائح ذات الكفاية العلمية العالية أو حتى النادرة •

٥ ــ من المستحيل حدوث تقدم كبير فى أى من مجالات العمل الوطنى الاساسية بما فى ذلك البحث العلمى بدون توفر الاستقرار والاستمرار ، وهما بالضرورة نتاج عمل جماعى ، وليس نتاج افكار او عمل افراد مهما حسنت نواياهم ومهما بلغت قدراتهم •

٦ ــ من عوامل كثرة التغيير فى أوضاع البحث العلمى والتذبذب فى اتجاهاته ، غياب التقاليد العلمية • والمقصود بالتقاليد هنا هو ما يتولد عن الاتجاه العام للمجتمع وحصيلة تفاعله مع الاحداث التى يمر بها والخبرات التى يكتسبها نتيجة لهذا التفاعل • ومن غير المفيد تحت أى ظرف من الظروف أن نفرض تقاليد معينة على أى فئة أو

مجتمع بقرارات علوية سواء رغبة فى التسلط أو جبنا لخطأ محتمل • وللحقيقة فان عديدا من الشخصيات التى تولت قيادة البحث العلمى قد حاولت فرض تقاليد معينة على المشتغلين بالبحث العلمى وكانت النتيجة النهائية لمثل هذه التجارب المتكررة هو المزيد من الصمت وعدم المبالاة تجاه التغييرات المتتالية •

٧ ـ لابد وان يكون واضحا لدينا أن رفع شعار العلم شىء ووضعه حقيقة فى خدمة المجتمع شىء آخر ، فلو رجعنا الى ما جاء بميثاق العمل الوطنى بعد حوالى أكثر من عشرة أعوام من صدوره عن دور البحث العلمى فى المجتمع والافكار التى طرحها بهذا الخصوص ابتداء من التوسع الزراعى الرأسى الى تطوير واستخدام الطاقة والقوى المحركة ، والبحث عن مصادر الخامات ، ودور النقل فى خدمة عمليات التنمية •• الخ لوجدنا الفرق شاسعا بين ما كنا نقول وما كنا نفعل • فانه فى الوقت الذى نرفع فيه شعار دولة العلم والايمان ، وفى وقت نقرر فيه انشاء أكاديمية للعلوم نجد أن الدولة مثلا قد رصدت خمسة آلاف من الجنيهات من العملة الصعبة فى ميزانية ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ لاحد أكبر التجمعات العلمية الضرورية . واليست فكاهة أو من قبيل ذلك ، أن لتغطية احتياجات أكثر من ألف من الباحثين ومساعديهم من الاجهزة وقطع الغيار والمواد الاساسية كالكيماويات والافلام•• الخ ، وقد يظن أن هذه فكاهة ، والحقيقة انها ليست كذلك ، ولكنها مؤسفة ، اذ من غير المقبول أن تدفع الدولة عشرات الملايين من الجنيهات على مدى عشرات السنين لتكوين أكثر من ألف من المشتغلين بالبحث العلمى من مختلف المستويات وفى مختلف التخصصات وتجهيز المعامل اللازمة لهم ، ثم تدفع بكل هذه الثروة الطائلة الى الهلاك وفى بساطة متناهية متمثلة بمختلف الدواعى والاسباب • ولما كنا دولة غير منتجة للاجهزة العلمية وبالتالى قطع غيارها ، ولما كنا أيضا دولة غير منتجة لاغلب احتياجات المراكز العلمية من الكيماويات ومواد التشغيل الاساسية الاخرى ، فانه يتحتم علينا اذا كنا جادين فيما نرفع من شعارات أن نحمى مثل هذه الثروة ، بتوفير أدنى قدر ممكن من الاعتمادات المالية الاجنبية بكفل صيانة ما هو موجود فعلا من الاجهزة بصفة دائمة ، وبوفر مواد التشغيل الضرورية . واليست فكاهة أو من قبيل ذلك ، أن تكون اعتمادات هواة العلوم من العملة الصعبة أكبر بمراحل من اعتمادات المشتغلين بالبحث العلمى فى مكان مثل المركز القومى للبحوث •

٨ ـ البحث العلمى فى مجال الدراسات الانسانية لا يقل أهمية لاى مجتمع عن البحث العلمى فى مجال العلوم الفيزيائية • ان دراسة العلاقات الاجتماعية السائدة فى مجتمعنا وطبيعة حركة وسلوك طبقاته وأفراده وتحليل الظواهر الاجتماعية والنفسية ودراسة تاريخ الشعب المصرى على مدى القرون الخمسين الماضية وتأثير البيئة وجغرافيتها وطبيعة السلطة الحيلية والعسكرية والدينية واساليبها وتأثيراتها فى المجتمع ، وتأثير عمليات الغزو المتتالية عليه ورد فعل الكتلة الرئيسية من جماهير الشعب ودورها الاساسى فى مقاومة وقهر هذه الغزوات ، مما لاشك فيه أن هذه الدراسات العلمية أساسية فى تحديد اتجاهات ومسار الكتلة الرئيسية من الشعب لدحر العدوان الواقع عليه ولتأمين مستقبله •

دور البحث العلمى فى المجتمع

من المعروف الان أن البحث العلمى فى أى مجتمع من المجتمعات المتقدمة يقدر دوره فى هذه المجتمعات قياسا الى العائد الاقتصادى الناتج عن القيام به ، وذلك أيا كان النظام الاجتماعى لهذه المجتمعات • ولما كانت هذه الحقيقة قد تمثلت فى جذور البناء الاقتصادى لمختلف الدول المتقدمة لذلك نجد أن غالبية القيادات السياسية للدول المتخلفة (أو ما اصطلح على تسميتها مجازا بالدول النامية) قد اضطرت الى رفع شعار « وضع العلم فى خدمة المجتمع » ـ ربما عن اقتناع وربما عن رغبة فى مجاراة التقدم والمتقدمين ـ كأحد الاسس المادية لتنمية مجتمعاتها • وفى الاغلب لم تكن لدى هذه القيادات من خبراتها الذاتية ، أو من الخبرات الفنية المتوافرة لديها ، او بحكم طبيعة النظم القائمة ذاتها ما يسمح لها بوضع تصور شامل وواضح لدور البحث العلمى فى مجتمعاتها ـ ماديا لخطواتها ، وهو ما أنتج الهوة الواسعة بين الشعارات المرفوعة وبين الواقع الذى تعيشه •

ونحن هنا فى مصر ، لا يمكن أن نخلق على أنفسنا لفظ دولة متخلفة من زاوية الامكانيات البشرية والمادية المتاحة ، فى هذا المجال هناك عشرات الالاف من الحاصلين على أعلى الدرجات العلمية فى مختلف التخصصات ، وهناك المعامل التى لو حصرت أجهزتها على نطاق الدولة كلها لفاقت قيمتها عشرات الملايين من الجنيهات ، ولكننا لا نتجلى على أنفسنا او لغيرنا أننا دولة متخلفة جدا

من زاوية استقلالها من الامكانيات المتوفرة لديها بشريا وماديا .

ويجب أن نعى تماما أن الامكانيات مسالة نسبية خالصة ، فرغم ضآلة ما نملكه من رأسمال علمى قابل للاستثمار بالنسبة لدول أخرى كثيرة ، الا أن الامكانيات ليست هى العقبة الاساسية التى تواجهنا الان ، ولا يحق لنا أن نتكتم عن نقص الامكانيات الا عندما نفوق استغلالنا من تلك الإمكانيات المتاحة حجم هذه الامكانيات وتسهلكها او نبتعداها . والقصور الحالى فى استخدام البحث العلمى من أجل زيادة وسرعة تنمية الاقتصاد الوطنى هو قصور سياسى . فايمان القيادات السياسية للدولة بدور البحث العلمى يمثل حجر الزاوية ، وليس بالضرورة من أجل هذا الايمان أن تكون هذه القيادة من القطاع العلمى ، ولكن من الضرورى تماما شعور القيادات بالحاجة اليه فى صياغات عامة وان تكن فى نفس الوقت تحقق متطلبات اقتصادية أو استراتيجية عاجلة أو آجلة محددة . ونستطيع على ضوء وجهة النظر هذه أن نفصل مؤقتا بين دور البحث العلمى فيما هو قائم حاليا وبين دوره فى أعداد وتنفيذ خطط التنمية القادمة .

أولا : دور البحث العلمى فيما هو قائم حاليا

يمكن أن يقتصر الحديث فى هذا الجزء على قطاع الصناعة مثلا كقطاع رئيسى ويمكن من خلاله توضيح وجهة النظر السابق ذكرها .

ـ تحديد مواصفات السلع المنتجة حاليا بمواصفات قريناتها من مختلف الدول الاجنبية المتقدمة ، والاصرار من جانب جهاز الدولة السياسى على الارتفاع المستمر فى جودة الاصناف المنتجة الى أن تصل على الاقل الى مستوى جودة تلك الاصناف فى الدول الاجنبية .

ـ تحديد تكلفة الانتاج للسلعة كحد أقصى بتكلفة انتاج مثيلتها من الدول المتقدمة مع مراعاة مستويات المعيشة فى كل دولة ، علما بأن انخفاض الاجور النسبى لدينا يجب أن يكون عاملا فى جانب خفض تكلفة انتاج السلعة عند مثيلاتها بالخارج .

فلو قامت السلطات السياسية بتحديد التقنيتين السابقتين فى وضوح كهدف لمستوى الانتاج الجارى فى القطاع الصناعى الحدى ولم تسمح له ـ بالتقاعس او بالتراخى ـ بالتجاوز عن « الحد الادنى للتكلفة ذات الجودة المحددة » لاصبحت قيادة الانتاج الصناعى كلها وتنازليا حتى مستوى الوحدة الانتاجية أمام موقف يتحتم عليها فيها أن تستعين بالبحث العلمى للوصول الى الهدف المنشود .

والاستعانة بالبحث العلمى فى هذا النطاق سوف يكون فى نطاق البحث عن بديل للخامات المستوردة ، للوصول الى مواد أولية أكثر وفرة وأحسن مستوى وأقل سعرا ، الاقلال من الفاقد ونسبة التالف فى المنتج ، أكفأ استفادة ممكنة من العمليات الحرارية الناتجة عن التفاعلات الكيميائية فى الصناعات القائمة ، الاهتمام بالمنتجات الثانوية المصاحبة للعملية الانتاجية الاساسية .. الخ ..

ويبدو للوهلة الاولى أن مطالبة دولة صناعية ناشئة استوردت مصانعها ، واستخدمت تكنيكا متخلفا نسبيا هو كل ما أمكنها الحصول عليه فى عديد من وحدات الانتاج بأن ترفع مستوى انتاجها من حيث الجودة والتكلفة الى مستوى منافسة دولة صناعية عريقة يعدو ضربا من التعجيز ، ولكن الحقيقة أن أى مجتمع يتصف بالحيوية والرغبة فى تحقيق أهداف محددة يلجأ الى استنفار طاقات أفراده وتعبئتها ، واستنباط أساليب انتاجية خاصة به تستفيد من خصائص المجتمع ، والظروف المحيطة به وتحويلها من نقط ضعف فيه الى نقط قوة له . ولنذكر دائما أن وفرة الايدى العاملة يجب أن يكون عاملا من عوامل التقدم ، وليس سببا من أسباب التدهور .

والمدخل سابق الذكر لمعالجة القصور فى استخدام البحث العلمى يمكن القيادة السياسية ، اذا كانت تريد ، من أن تحدد بسهولة نسبية وضع الانتاج المحلى كما وكيفا بالنسبة للانتاج العالمى على أساس مقارن . كما أنه يحرم القيادات الفنية من فرصه التلاعب احصائيا او التحصن وراء تفاصيل فنية قد تعجز أمامها القيادة السياسية عن اتخاذ قرار محدد بدون رضاء تلك القيادات الفنية . كذلك فان هذا المدخل ذاته يمكن القيادات السياسية للدولة من تحديد أوجه القصور فى الانتاج ، وكذلك برمجة طرق تلافى هذا القصور فى خطط التنمية التالية اما باضافة وحدات للمصانع القائمة ، او بانشاء مصانع جديدة تتكامل والمصانع القائمة .

ثانيا : دور البحث العلمى فى خطط وبرامج التنمية المستقبلة

اذا كنت قد سبحت نفسى فى المنظور القليلة السابقة أن أقسم بين دور البحث العلمى فيما هو

قائم ويدور البحث العلمي في خطط وبرامج التنمية المستقبلة وهو ما لا يمكن في الحقيقة القبول به ، الا أننى أرى أن للبحث العلمى فى المستقبل القريب تأثيرا حاسما فى مصير مصر ، وبالتالى الامة العربية لعشرات وربما لمئات السنين القادمة ، وهو ما يقتضى منا جميعا أن نشحذ كل حواسنا وامكانياتنا العقلية سعيا وراء أقصى استفادة من امكانيات مجتمعنا وهو ما دفع بى الى هذا التقسيم المفتعل سعيا وراء أقصى قدر من تسليط الضوء على هذا القطاع الحساس ، وان طبيعة الغزو من زوايا مختلفة الذى احتل منذ ١٩٦٧ سيناء ، سدس التربة المصرية من ناحية المساحة وان كانت أهم مناطق الارض المصرية على الاطلاق من الناحية الاستراتيجية ، بنيوه من صراع مرير بين القوى الوطنية فى المنطقة العربية وبين الاقلية الغازية التى زرعت بعنوة فى مكان حساس من الارض العربية ، **وتلقى كل الرعاية من القوى مساحية المصلحة فى بقائها وقوتها** ، ومصر من ضمن قوى المنطقة العربية تقع عليها العبء الاكبر ليس بمنطق الرغبة فى التزعم أو التصادى فى رفع الشعارات ، ولكن بحكم امكانياتها المادية والبشرية ولدرجة تطورها الاجتماعى بالنسبة للمجتمعات العربية الاخرى .

لذلك فان هذا الصراع المركب والذى من المحتم ان يبدأ يوما حتى ولو انتهت المشكلة المسماة بمشكلة الشرق الاوسط ، لابد وان ينتهى بسيطرة احد الطرفين المتصارعين على الطرف الاخر ، وتجريده كلية من كل وسائل قوته ونزع اسلحته المادية وتحطيم اسلحته المعنوية ، وذلك هو الحد الطبيعى لنهاية الصراع ، وهو ايضا النتيجة التى سيصل اليها الطرف الذى يسعى بعمله ومثابرته من اجل تحقيقها .

ومهما قيل عن دور القوى الكبرى فى العالم وعن مصالحها فى المنطقة ، وعلى رغبتها أو عدم رغبتها فى استقرار هذه المنطقة ، فان القوة الوحيدة القادرة حقيقة على حسم هذه القضية حتى وان كان ذلك على المدى البعيد ، هى جبهة القوى الوطنية العربية وفى مقدمتها جبهة القوى الوطنية المصرية . ولعل أقصى أسلحة القوى الوطنية هو دعم الانتاج الوطنى وتطويره وذلك عن طريق دعم اتجاهات معينة أساسية فى قطاعات البحث العلمى وخصوصا قطاع الصناعات والزراعات الاستراتيجية ، ولاتمكن القوى الوطنية من الوصول الى ذلك بأسرع مما يمكن ، بدون اللجوء الى استخدام آخر ما توصل اليه التطور العلمى والتكنولوجى فى كل دول الارض بما فيها إعداؤنا .

١ ـ دعم وتطوير انتاج الصناعات والزراعات الاستراتيجية

من المحتوم لاى بلد يدخل فى صراع مصير ، أن يضع فى حسابه لسوأ الاحتمالات ، وخصوصا وأن ساعات تحديد المصير أو تحكمها الاخلاقيات ، ولا مبادىء الامم المتحدة ، ولا اتفاقيات جنيف عن تحريم استخدام بعض انواع الاسلحة الكيميائية والبيولوجية . ومن هنا فلابد لنا ونحن نضع أنفسنا ، بحكم دورنا ومصلحتنا ، فى مقدمة قوى الصراع مع العدو ، أن نضع فى حسابنا ردود فعل عنيفة ضدنا ، ضد اى بادرة جادة لتطوير مجتمعنا اقتصاديا وتوجيه هذا الاقتصاد لاحتمالات صراع دموى طويل الامد ، فى جولة أو جولات قادمة ، متصلة كانت او منقطعة . ويجدر بنا فى هذه الحالة أن نضع استراتيجيتنا على أسس اقتصادية وعسكرية ، تتأمينا ولا تناسب أعدادنا ، تستفيد فيها من مساحة الارض المصرية ، التى نسيطر عليها خطيقة وليس شعارا ، جماهير مسلحة بالسلاح وليس بالاناشيد ، ونستفيد فيها ايضا من عمق الارض العربية المحيطة بنا ، فى تأمين مصادر ومخازن لكل احتياجاتنا ، تدعمها وتحميها بالضرورة القوى الوطنية المتحدة وليست فقط الحكومات حيث مصالح الشعوب والتقاء هذه المصالح أعمق وأوطد بمراحل من اتفاق الحكومات خصوصا فى صراعات المصير .

كذلك فانه من الضرورى استراتيجيا بالنسبة لنا أن نعيد صياغة أسلوب الصراع عسكريا ليتناسب مع مستوى امكانيات الشعب المصرى مخابئيا وحضاريا ، ولا يتناسب فى ذات الوقت مع أعدائنا . ولعل من الظروف المواتية لمثل هذه العملية وجودنا واعداءنا على طرفى نقيض ، من ناحية عدد السكان ودرجة تجانسهم واعتمالات الصراعات الداخلية فى وجود صراع دموى مستمر ، ومن ناحية مساحة الارض وكثافة المنشآت ووفرة الموارد المالية والطاقة فى مواجهة احتمالات التدمير ، امكانيات الاكتفاء الذاتى والحد من التجارة الخارجية تحت الظروف القاهرة القصوى ، درجة استخدام الجنصر البشرى ، ودرجة استخدام الالات ، درجة التطور العلمى والتكنولوجى ... الخ ..

ولابد لكل شعب يخوض معركة تطوير أو معركة مصير من أن يتوصل الى ابتكار أسلوب ذاتى يحقق به غايته فى ضوء امكانياته المادية والبشرية وفى ضوء الظروف المحيطة به . ومن هنا فانه لابد من استخدام عمق واتساع الارض المصرية كاهدى وسائل تأمين المنشآت الحيوية .

٢ ــ كشف وتحديد وتقييم مصادر الثروة المعدنية والمياه

وحتى الان لم تتعرض مساحات كبيرة من الارض المصرية وخصوصا المناطق الجنوبية والغربية لعمليات المسح الشامل بالطرق المختلفة ولم تتكامل مثل هذه النتائج المتحصل عليها وبستلزم هذا العمل فى المراحل التالية الانتقال الى دراسات وتركيز الخامات واستخلاص مكوناتها الاصلية والثانوية ٠

كذلك تعد المياه مصدرا اساسيا وحيويا لبعض الصناعات التى تستهلك منها كميات قد تزيد على كميات مياه الرى فى الدول المتقدمة ،ورغم وفرة مياه النيل العذبة الا أن استكشاف مصادر المياه الجوفية فى بعض المناطق ضرورة حيوية ٠ ولابد ايضا من اعادة النظر فى اقتصاديات طرق الرى الحالية بمياه النيل ، اذ أن كل الدراسات المنشورة تدل على أن النباتات لا تستفيد من كل كميات المياه التى تغمر بها الاراضى الى جانب مشاكل الصرف والملوحة الناتجة من الرى الدائم بالغمر ٠

٣ ــ مصادر الطاقة

استغلال مصادر الطاقة الموجودة والممكنة لخدمة الاغراض المختلفة سواء فى الصناعة أو الزراعة ، والاستخدامات المنزلية ، مع الاهتمام باستغلال الامكانيات الغير مستخدمة حاليا مثل مساقط منطقة الفيوم والقناطر العديدة على النيل ومنخفض القطارة ٠٠ الخ ٠ كذلك الاهتمام باستغلال الطاقة الشمسية بعد كل الاعمال الذى نفيه هذا الفرع فى مصر فى الوقت الذى حصل فيه على اهتمام اغلب دول العالم المتقدمة أو شبه المتقدمة ومصر أغنى منها جميعا بشمسها الساطعة فى أغلب أيام السنة وخصوصا فى الاجزاء الجنوبية حيث الحاجة ماسة الى الطاقة للمساعدة على تطوير المنطقة وتسهيل سبل المعيشة فيها ٠ والطاقة النووية بلاشك احداهم مصادر الطاقة فى المستقبل ولكن تكاليف عمليات الانشاء والتشغيل والصيانة واعداد الافراد اكبر من طاقتنا فى الوقت الحالى ٠

٤ ــ تطوير الزراعة والانتاج الحيوانى

تطوير الزراعة يرفع طاقة الارض الزراعية أى بزيادة رأسية فى الانتاج ، وذلك بطرق كل السبل على أسس اقتصادية سليمة بحيث يكون عائد الانتاج من التطوير أعلى من تكاليف التطوير والتحسين ٠ ولعل تجاربنا الخاصة فى مصر فى تحسين خواص التربة ، وبالذات تجربة كفر الشيخ للحرث العميق وتكرارها الموسع بالغربية أن تقنع المسئولين بضرورة الالتجاء الى الاقسام العلمية والاستفادة من خبرة علمائنا وفنيينا ٠ كذلك فان تجاربنا المحدودة وتجارب غيرنا غير المحدودة لها نتائجها الواضحة فى مضاعفة الانتاج عدة مرات، باستخدام المخصبات الكيميائية البسيطة والمركبة ، واملينا تجارب غرب اوروبا كدول متقدمة والهند كدولة نامية كمثلين لقدرة الاسمدة الكيماوية على زيادة الانتاج ٠ وليس غريبا أن نسمع عن وجود فائض اغذيه زراعية فى الهند من انتاجها ، بعد العجز الشديد الذى كانت تعانى منه والضغوط الامريكية التى امسكت بخناقها وقت الازمات ٠ وكانت سياسة نهرو الحكيمة فى أوائل الستينات بانشاء ثلاثة عشر مصنعا لانتاج انواع السماد الكيميائى المختلفة وتوزيعها جغرافيا بما يلائم المواد الاولية للصناعة المحلية منها والمستوردة ، وامكانيات النقل سواء للمواد الاولية او المواد المنتجة هى الاساس لذلك الاكتفاء الذاتى والفائض الذى تحقق ٠

هذا ويتم تطوير الزراعة والانتاج الحيوانى ايضا:

ــ بزيادة الرقعة المنزرعة باستصلاح الاراضى القابلة للاستزراع واستخدام المياه المتوفرة من نتائج استخدام وسائل اقتصادية أفضل للرى بدل عمليات الغمر ، كذلك استخدام مياه البحر فى الرى كتجربة تستحق الدراسة والمتابعة ، نظرا لطبيعة اراضينا ومياه البحر المحيط بنا على طول الاف الكيلومترات والتى سبق الحديث عنها ، وقد درست وزارة الزراعة بعضا من اخصائيها فى ايطاليا لهذا المشروع ٠

ــ زيادة انتاج البروتين الحيوانى عن طريق استغلال انواع من البروتين الغير صالح كغذاء للانسان غذاء لحيوانات وطيور المزرعه وتربية الاسماك وهى بعض الطرق الرئيسية للاستفادة من مخلفات المزارع بالتى درجة من الكفاية وبالتالى خفض تكلفة انتاج البروتين الحيوانى ٠

ان مالدينا من امكانيات أضخم بمراحل مما هو معلوم حاليا ولكن لابد للحفاظ على هذه الثروة الطائلة على الاقل بوضعها الراهن وان لم تستغل بالكامل فى الوقت الحالى ، ولذلك لابد من توفير قطع غيار لجميع الاجهزة تكفى لتشغيلها عددا من السنين حتى ولو توقف انتاج هذه الانواع فى الشركات المنتجة وهو مايحدث عادة نتيجة لاستمرار تطور الاجهزة العلمية وزيادة كفاءتها ٠ كذلك لابد من استكمال مكتبة مركزية وأحدة على الاقل لتكون بمثابة المكتبة الام تقوم بامداد جميع المكتبات الفرعية بنمخ مصورة لكل ماتريد وما يستتبع ذلك من تدعيم الخدمة المكتبية والتوثيق على أن تكون ادارة مثل هذه المنشآت جماعية تفاديا لنزوات الافراد ونزعات الظهور ٠

المضمون الواقعى لخلق تكنولوجيا مصرية

د. حسين كمال الدين

اذا اتفقنا أن « التكنولوجيا هى تطويع العلم وتطبيق النظريات العلمية التى اكتشفها الانسان لانتاج احتياجاته المادية والروحية » فاننا نعثر على الرابطة بين البحوث العلمية الاساسية والبحوث التطبيقية والعمليات الانتاجية .

اى اننا من خلال هـذا التعريف للتكنولوجيا يمكننا ان نضع أيدينا على العناصر الاساسية « للمضمون الواقعى لخلق تكنولوجيا مصرية »

فاذا كان هدف التكنولوجيا هو انتاج احتياجات الانسان المادية والروحية أى توفير الغذاء والكساء والمسكن والعلاج والتعليم والثقافة والترفيه ، بل التطوير والارتفاع المستمر بمستوى ما يقدم من هذه الاحتياجات ، يتبين أن الانسان هو محور وهدف كل العمليات التى تصب فى النهاية عند توفير احتياجاته .

أى انه حتى اذا كان البحث العلمى الاساسى أو البحث ، قد يكون عند البعض رياضة فكرية او ممارسة لنوع من الخلق الروحى فان توفير هذه الامكانية لهؤلاء العلماء تقتضى مستوى معينا من التقدم التكنولوجى ، أى التطبيق لنظريات علمية بحتة أو اساسية .

فما بالنا ونحن نعلم أنه ما من نظرية علمية بحتة أو أساسية الا ونبعت أساسا اثناء محاولات الانسان لانتاج احتياجاته المادية والروحية ، أو استخدمت بعد ذلك لانتاج هذه الاحتياجات والارتفاع بمستواها .

وعندما نقول : ان « الانسان هو محور وهدف كل العمليات التى تصب فى النهاية عند توفير احتياجاته فاننا نعنى الانسان المنتج للقيم المادية والثقافية : العالم الباحث الذى يصل الى وضع النظريات العلمية التى ترفع العلم من مستوى كيفى الى مستوى كيفى أعلى وأحسن ، والعالم الباحث الذى يطبق هذه النظريات ويطورها لاختراع أو اكتشاف أو تطوير ادوات الانتاج ، والفنان الذى

يستفيد مما توفره التكنولوجيا لابداع خلق جديد ، والعامل فى مصنعه والفلاح فى حقله والمعلم فى مدرسته والطبيب فى مستشفاه .. الخ ، كل فى مجاله خالق لقيم انتاجية مادية أو ثقافية ومستفيد مما يخلق غيره من قيم مادية وثقافية .

فالتعاون الوثيق بين كل المنتجين للقيم المادية والثقافية يشكل « المضمون الواقعى لخلق تكنولوجيا مصرية » .

ويأخذ هذا التعاون شكل الانتقال من العام الى الخاص ثم الانتقال من الخاص الى العام مع الارتفاع المستمر فى كل دورة من هذه الدورات بمستوى التعاون وبالتالى بمستوى البحث العلمى والتكنولوجى والانتاج المادى والروحى لاحتياجات الإنسان .

فيم ، اذن ، يتمثل هذا التعاون ؟

يتمثل هذا التعاون فى : الاستفادة الكاملة من كل ما هو متاح سواء كان موجودا فعلا أو كامنا :

١ ـ قوى بشرية ، عالمة او عاملة ، فنانة ومفكرة .

٢ ـ مواد خام .

٣ ـ اموال .

٤ ـ أدوات انتاج .

٥ ـ قوى محركة .

ولكى نستفيد من كل ما هو متاح ، الموجود منه والكامن ، لابد من :

١ ـ أن تمتلك قوى الشعب المنتجة للقيم المادية والثقافية كل ما لديها من امكانيات .

٢ ـ أن تضع تخطيطا كاملا شاملا لانتاج ما تحتاجه من قيم مادية وثقافية .

٣ ـ أن يرتفع التخطيط دائما بمستوى الانتاج المادى والروحى لاحتياجات الانسان .

واذا أردنا خلق تكنولوجيا مصرية ، وفى اطار العوامل السابق الاشارة اليها ، فان هذا يمكن أن يتحقق اذا توفرت :

١ ـ المشاركة الكاملة لجميع العاملين فى انتاج القيم المادية والروحية فى وضع التخطيط الكامل الشامل لانتاج هذه القيم مشاركة جادة وواعية وديمقراطية .

٢ ـ ازالة الأمية بطريقة ثورية وسريعة .

٣ ـ خلق قاعدة متعلمة واسعة وعميقة .

٤ ـ التدريب المستمر فى مجالات العمل .

٥ ـ التوعية للجميع بأهمية التعاون فى خلق تكنولوجيا مصرية .

٦ ـ عقد اجتماعات دورية ابتداء من أصغر المستويات الانتاجية الى اعلاها لمناقشة مشاكل الانتاج والعمل على خلق وتطوير التكنولوجيا المصرية ، والاستفادة من خبرة كل من يعمل فى هذه المجالات مهما كانت خبرته ضئيلة . وتتويج مثل هذه الاجتماعات بمؤتمرات دورية على النطاق القومى .

٧ ـ تدعيم اجهزة البحث فى أماكن الانتاج [المادى والثقافى] .

٨ ـ ربط اجهزة البحث فى أماكن الانتاج المتشابهة [الصناعة الواحدة مثلا] بمعاهد بحوث نوعية .

٩ ـ الربط بين البحوث التطبيقية فى أماكن الانتاج والمعاهد النوعية وبين البحوث الاساسية والنظرية فى الجامعات أو غيرها من مراكز البحوث .

١٠ ـ التكامل بين جميع البحوث التطبيقية والاساسية فى خطة كاملة شاملة تنبع وتصب وتتفاعل مع الخطة القومية لانتاج الاحتياجات المادية والروحية للانسان المصرى . ان حفز وتشجيع واستثارة الطاقات الكامنة لدى العاملين فى انتاج الاحتياجات المادية والروحية ، واتاحة اكبر وأوسع الفرص للتعبير عن آرائهم وأفكارهم بالنسبة لما يقومون به من نشاطات فى مجالات عملهم الانتاجى ، وفى جو مشبع بالديمقراطية والحرية ، لابد أن يثرى التجربة المصرية فى خلق تكنولوجيا مصرية نابعة من التربة المصرية وتصب فى تحقيق وتطوير احتياجات الانسان المصرى المادية والروحية .

لقد كان الانسان العامل ، دائما ، مصدر كل الاكتشافات والاختراعات والتطويرات التى تحققت على مر العصور منذ أن بدأت الانسانية خطاها الاولى على مدارج التقدم .

ونحن نعيش اليوم ثورة علمية وتكنولوجية تحقق تقدما هائلا وسريعا وعميقا فى عالمنا

المعاصر وتعكس آثارها على المجتمع العالمي كله .

ولقد تفجرت هذه الثورة بفضل المنافسة المحتدمة بين النظامين الاجتماعيين الموجودين في العالم النظام الاشتراكي والنظام الرأسمالي . فقد ادت هذه المنافسة وبسبب اتباع المعسكر الاشتراكي لاسلوب التخطيط الكامل الشامل في البحوث العلمية والتكنولوجية ، وما تحقق نتيجة لذلك من تقدم علمي وتكنولوجي ، لادراك الدول الرأسمالية ضرورة واهمية التخطيط في البحوث العلمية .

وكان ، كذلك لضخامة مشروعات البحوث العلمية والتكنولوجية وضخامة الاعتمادات المالية اللازمة لها ، مثل بحوث الذرة والفضاء ، وعدم امكان وحدات البحوث الصغيرة أو المنفردة القيام بها .

كما كان لوفرة المعلومات العلمية وتدفقها السريع وعدم امكان استيعاب الافراد أو مجموعات البحوث الصغيرة لها .

كان لزاما لكل ذلك من تدخل الدول في تمويل وتنظيم والاشراف على البحوث . بل رأينا صعوبة قيام بعض الدول المتقدمة منفردة ببعض انواع البحوث مما اضطرها الى التنسيق فيما بينها في مشروعات بحوث الذرة والفضاء وغيرها مثل مجموعة السوق الاوروبية المشتركة .

ان هذه الثورة العلمية والتكنولوجية الهائلة والعميقة والسريعة النبض تلقي علينا تبعات كبرى في ضرورة السير في الطريق العالمي لخلق تكنولوجيا مصرية .

وهنا لابد ان نعيد الى الاذهان التحديات الكبرى التي تواجهنا والتي يلزم لمواجهتها ان نبدأ وبسرعة في خلق التكنولوجيا المصرية :

١ ـ التحدي الاستعماري الصهيوني الذي يحطم ما نبنى في دورات زمنية منتظمة ويستنزف طاقاتنا ومواردنا ويهدد كياننا ذاته ، هذا التحدي يرتكز على تقدم علمي تكنولوجي كبير لابد من مواجهته بتقدم علمي وتكنولوجي مماثل .

٢ ـ التحدي المتمثل في ازدياد البلدان المتقدمة تقدما والبلدان المتخلفة تخلفا . وما لم نكسر هذه الحلقة المفرغة بمعدلات سريعة من التقدم العلمي والتكنولوجي والبناء الاقتصادي المنظم المخطط فان الفجوة بيننا وبين البلدان السريعة التقدم سوف تزداد لتسابقها .

٣ ـ والتحدي الثالث هو ارتفاع معدل زيادة السكان والذي يلتهم ما نحققه من تقدم بما لم ترتفع معدلات التقدم والبناء والانتاج عن معدلات زيادة السكان وذلك بتحقيق ما نرجوه من معدلات تقدم علمي وتكنولوجي عالية .

وهره اخرى تحدد لنا هذه التحديات معالم الطريق الذي يجب أن نسلكه لخلق تكنولوجيا مصرية :

١ ـ الدراسة العميقة والاستفادة الكاملة من كل ما هو متاح في العالم من نظريات علمية وتقدم تكنولوجي والبدء من حيث انتهى غيرنا .

٢ ـ الاهتمام ، اولا وفي المرحلة الحالية ، بتطبيق النظريات العلمية العالمية في خلق تكنولوجيا مصرية .

٣ ـ الانتقال من العلم الى الخاص أي من البحوث التطبيقية واستخدام التكنولوجيا العالمية المتاحة الى البحوث العلمية الاساسية لخلق العلم المصري والذي بدونه لن تتقدم أو تتطور التكنولوجيا المصرية أي يتحقق الانتقال مرة اخرى من الخاص الى العام .

٤ ـ العمل على خلق التكنولوجيا العربية والعلم العربي والاستفادة من الطاقات المتاحة في الامة العربية وعلى نطاق الوطن العربي ، وخاصة عندما نلمس امية وضرورة التجميع في مشروعات البحوث العلمية والتكنولوجية .

٥ ـ الاستفادة الكاملة مما يتيحه لنا القانون المخلص مع البلدان الاشتراكية في مجالات خلق وتدعيم وتطوير التكنولوجيا المصرية طريق تبادل الخبراء وتبادل المعلومات والوثائق العلمية والبعثات والزيارات وبناء المعامل والمصانع و .. الخ .

٦ ـ التنسيق العلمي والتكنولوجي بيننا وبين بلدان العالم الثالث ذات الظروف المتشابهة والاستفادة من خبرات هذه البلدان في خلق وبناء وتطوير التكنولوجيا .

واخيرا فان المنهج العلمي ، والنظرة الشاملة التي تلم بكل ظروفنا ، والرؤية الواضحة لاتجاه التقدم ، والعمل الدؤوب المثابر المنتظم على تطويع الطبيعة لخدمة الانسان المصري ، هو المضمون الواقعي لخلق تكنولوجيا مصرية .

الدراسات الانسانية فى التعليم الجامعى والعالى للعلوم والهندسة والتكنولوجيا

د. أحمد العريان

ان الدراسات الانسانية سواء أكانت تتخذ مظهر العلوم أو الآداب الخالصة لها الآن دورها الجليل الكبير فى عصر العلم الطبيعى والتكنولوجيا ، فهى تقدم ـ من جهة ـ خدمات تعين على زيادة فعالية العلوم الطبيعية والانتفاع من تطبيقاتها على أفضل وجه ، وتتيح لشخصية الانسان ـ من جهة أخرى ـ تكاملا وتوازنا وتوجيها سليما ، تزداد حاجتنا اليه كلما ازدادت العلوم والتكنولوجيا تقدما •

أولا : جذور المشكلة

أ ـ الصراع بين العلم والانسانيات : الخلفية التاريخية :

ترجع بداية الصراع بين العلم والانسانيات الى ما قبل عصر النهضة فى أوربا • وقد اتخذت مظاهر هذا الصراع صورة حادة فى بعض الاحيان تختلف فى شتى الكنيسة الكاثوليكية لاصحاب الفكر العلمى واعدامهم فى كثير من الاحوال • ولكن العلماء تبكنوا من اثبات وجودهم ، وغيرت أبحاثهم واكتشافاتهم من تصور الانسان لنفسه وللبيئة المحيطة به ، فجاء عصر سارت فيه الثقافتان العلمية والادبية متلازمتين ، ثم جاء بعد ذلك التطور العظيم فى التكنولوجيا والعلوم ، ذلك التطور الذى صاحب التحول الصناعى خلال القرن الثامن عشر وكان ثوريا وشاملا فأصبحت الفجوة بعيدة المدى بين العلم والانسانيات ، ووصل الصراع بين الثقافتين الى الذروة فى القرن التاسع عشر حين استقطب أصحاب العلوم فى ناحية نظرية داروين فى التطور ، واستقطب الادباء وأصحاب الانسانيات فى جانب آخر •

وقد استمر هذا الصراع على أشده خلال القرن العشرين وزادت الهوة اتساعا حين سيطر العلم سيطرة شاملة على حياة الانسان خلال هذا القرن لدرجة أصبحت فيها الانسانيات مهددة وأصبح الانسان فى موقف يفتقد فيه المعانى الروحية • وفى الوقت نفسه رفض أصحاب الثقافة التقليدية أن يقبلوا الاكتشافات العلمية كجزء أساسى من التعليم الذى ينمى شخصية الانسان ويمهد له طريق التقدم • وقد تمثلت خطورة هذا الصدام الثقافى فى اتقان تكنولوجيا الحروب •

ب ـ الثقافتان :

ان ما يلفه التازم بين العلم والانسانيات يعبر

هذه بوضوح العالم الانجليزي س . پ . سنو (C.P. Snow) في المحاضرة الهامة التي القاها عام ١٩٥٩ في جامعة كمبريدج تحت عنوان « الثقافتان The Two Cultres » يقول سنو : « نقيضان مستقطبان : في قطب منهما نجد اصحاب الفكر الادبي ، الذين يشيرون الى انفسهم دائما على انهم « اهل الفكر » ، كأنه لا يوجد غيرهم ممن يمكنه حمل هذه الصفة . وفي القطب الاخر العلماء . وبين المجموعتين هوة عميقة من عدم التفاهم . كل فئة لديها صورة مشوهة عن الاخرى ، غير العلماء يظنون العلماء مختالين متحذلقين .. » « غير العلماء لديهم اعتقاد جازم ان العلماء لهم تفاؤل سطحي ولا يدركون حقيقة موقف الانسان . » « ومن ناحية اخرى يعتقد العلماء ان ذوي الفكر الادبي ينقصهم بعد النظر ولا يهتمون ببني جنسهم ، يفتقدون الناحية العقلية بدرجة كبيرة وحريصون على أن يتصرفوا الفن والفكر على لحظة الوجود فقط . هذه الاتهامات المتبادلة ليست خالية تماما من الصحة ومع ذلك فهي تخريبية ، وكثير منها مبني على استنتاجات خاطئة خطيرة . »

وينهي سنو محاضرته الهامة بـأن « اجتياز الفجوة بين الثقافتين ضرورة فكرية وعملية ، وان يتأتى هذا الا باعادة النظر في النظم التعليمية . » وهكذا يرد العالم الاديب س . پ . سنو هذه المشكلة الى نظام التعليم ويلقى التبعة كلها عليه من أجل الوصول الى حل شامل وأساسي يقرب ما بين « الثقافتين » ويتيح فرص التفاعل الخلاق بينهما .

جـ - وجها المشكلة :

للمشكلة اذن وجهان يجب معالجتهما معا ، احدهما يتعلق بالتخصصات العلمية والتكنولوجية والاخر يتعلق باصحاب الدراسات الانسانية ، الا أن المشكلة اكثر خطورة في وجهها الاول عن وجهها الثاني . والهدف هنا هو التعرض للمشكلة بالنسبة للمهندسين والفنيين والتكنولوجيين بصفة خاصة .

ثانيا : مفهوم الدراسات الانسانية وجذورها

ا - مفهوم الدراسات الانسانية :

أن المعارف المتصلة بالانسان قد صارت تتجمع طبيعيا في دراسات انسانية ذات طابع ثقافي ، من أمثلتها الاداب المختلفة والتاريخ والفلسفة من جهة ، ومن جهة أخرى التي تبحث تسعى الى أن تضفي على نفسها طابع العلمية كعلم النفس وعلم الاجتماع . الخ ، ولذا فمن المفيد تقسيم الدراسات الانسانية الى فئتين تسمى الاولى بإسم « الانسانيات - Humanities » والثانية باسم « العلوم الانسانية Human Sciences » وسوف تتبين لنا ضرورة هذا التقسيم في الاجزاء اللاحقة .

ب - جذور الدراسات الانسانية وأهميتها :

١ - ضرورة العلوم الانسانية [Human Sciences] يمكننا تلخيص أهم جوانب دور العلوم الانسانية وضرورته في عصر العلم والتكنولوجيا فيما يلي :

١ - أمكن للعلوم الانسانية ، حينما طبقت مناهج مشابهة لتلك التي يتبعها العلم الطبيعي والتكنولوجيا ، أن تخدم نفس الاغراض التي يخدمها الاثنان معا .

٢ - تنطوي التكنولوجيا على جانبين هامين يعتمد احدهما على العلم الطبيعي ويعتمد الاخر على جانب انساني اجتماعي ، لان الاغراض العملية لا تجد لها سندا أو مبررا الا في اطار هدف اجتماعي وانساني معين .

٣ - تسير حركة التقارب بين العلوم الانسانية والعلوم الطبيعية في الاتجاهين معا (كما في السيبرنطيقا وعلم النفس الصناعي) .

٤ - تستطيع العلوم الانسانية أن تقوم بدور عظيم الاهمية في فهم الانسان واعداده ذهنيا ونفسيا على النحو الذي يجعله مهيأ لاكتساب القدرات التي تمكنه من الاضطلاع بالعمل العلمي في صورته الحديثة المعقدة .

٥ - تستطيع العلوم الانسانية أن تؤدي دورا هاما في مساعدة العلوم البحتة على حل مشكلاتها الداخلية الخاصة .

٦ - العلوم الانسانية هي وحدها التي تستطيع بحث وسائل التكيف التي يمكن بها مواجهة تغيرات البنية المادية للمجتمع .

٧- التقدم العلمي يجلب للانسان مشكلات جانبية لابد من التصدي لها على مستوى العلوم الانسانية .

٨ - العلوم الانسانية في استطاعتها أن تجعل التكنولوجيا أكثر انسانية مما هي عليه الان .

٩ - أن عصر الفضاء لابد أن يؤدي في المدى القريب أو البعيد الى مشكلات ذهنية ونفسية تفتح أمام العلوم الانسانية أبواب تحديات جديدة .

٢ - ضرورة الانسانيات (Humanities)

يمكن تحديد اهم جوانب المهمة الكبرى للانسانيات في عصر العلم والتكنولوجيا فيما يلي :

١ ـ الانسانيات وحدها هى التى يمكنها أن تحقق « توازنا » مناسبا بالنسبة الى الانسان الذى يعيش فى عصر العلم .

٢ ـ الانسانيات وحدها هى التى تعين على « اعطاء هدف للنشاط البشرى فى بقية الميادين وتوجيه الفاعلية الانسانية التى يتيحها العلم للانسان فى اتجاه سليم »

كما أنها « ترعى تلك الحاجات الباطنة العميقة التى لا تقدر على رعايتها التكنولوجيا مهما تقدمت » .

ثالثا : الدراسات الانسانية للهندسة والتكنولوجيا

ا ـ اضطراد الحاجة الى المهندس المتكامل :

يجب أن ينظر الى الاهتمام الحالى بالدور الذى تلعبه الدراسات الانسانية فى التعليم الفنى على أنه جزء من عملية التطور المعقدة نسبيا والتى ترجع جذورها الى « الثورة الصناعية الثانية » . ان هذه التطورات المحاطة بهالات براقة من الاموال والوقت والبراعة الانسانية قد أثارت مشكلات الترشيد الاقتصادى والتركيز فى الانتاج وتداخلت معها ، وظهرت المؤسسة ذات الحجم الكبير كمنظمة « اقتصادية ـ اجتماعية » جديدة وبرز **المهندس فى هذه التطورات بمثابة « الرجل الجديد » الذى اعتمدت على وجوده ومجهوداته سواء كمبتكر للطرق الفنية الصناعية أو « كرجل التنفيذ » الاول أو « كمسئول عن الادارة » ، وكانت النتيجة المحتمة لذلك كله أن صارت الحاجة ماسة الى المهندسين لتولى مسئوليات لم تكن فى اطار برامج اعدادهم الفنى « المهنى » .**

ان حركة التطور هذه جعلت من العلوم الانسانية مكملا اجرائيا (أدائيا) لكل من تصميم الالات وتشغيلها والانتاج ونظمه وما يتعلق بهما ، كما دفعت الاهمية البالغة للهندسة كمهنة رجال العلوم الانسانية ـ وبعض المهندسين ـ الى اقتراح دور أبعد لمجالاتها كجزء لا يتجزأ من المقررات الهندسية . وينظر هنا للدراسات الانسانية باعتبارها الدعم الذى يقدم للمهندس لينمو «كشخص متكامل» على وعى وتبصر بالمسئوليات الاجتماعية والاقتصادية المرتبطة بدوره المهنى .

ب ـ المدخلان : الاجرائى « الادائى » والانسانى :

يقصد بوجهة النظر الاجرائية أنها تلك النظرة التى تعتبر العلوم الانسانية نظما لها قيم ايجابية بالنسبة للمهندس عند تناوله المشكلات العملية لمهنته ومعالجتها ، بينما يقصد بوجهة النظر الانسانية تلك النظرة التى تعتبر الدراسات الانسانية علوما متممة للقيم الفنية التى ينميها تدريب المهندس ومصدرا من مصادر التوجيه الفكرى له . وتؤكد اسهامات العلوم الانسانية الحالية والمستقبلة فى تدريب المهندسين وجهتى النظر السابقتين معا .

رابعا : المسائل الاساسية المستخلصة من تجارب الدول فى تدريس الانسانيات

[أ] بعض الاعتبارات العامة :

لقد تنوعت المعلومات التى تضمنتها التقارير القومية المقدمة لليونسكو فى تفصيلاتها ، واتسعت فى مضموناتها وغطت تسع دول هى على التوالى : تشيكوسلوفاكيا ، وفرنسا ، والمانيا الاتحادية ، والهند ، واليابان ، والسويد ، والاتحاد السوفيتى والمملكة المتحدة (بريطانيا) ، والولايات المتحدة الامريكية .

ان المتوقع عند دراسة هذه التقارير هو الاختلاف الكبير فى الفلسفات والنظم التربوية . ولذا فان المدى المتسع للتعليم الهندسى والتنوع فى المناهج مع الاختلافات الموجودة فى أهداف المعاهد الهندسية نفسها (سواء فى داخل الدولة الواحدة أو بين الدول بعضها البعض) قد أدى الى صعوبة امكان التوصل الى نتائج بسيطة بخصوص التعرف على النمط الاساسى لتعليم الهندسة . والملاحظ أن الاختلافات فى مستوى التطور الاقتصادى ودرجة الالتزام بالتقدم التكنولوجى وثيقة الارتباط ليس فقط بالاختلافات فى الاعداد الكلية للطلاب ولكن أيضا بالتنوع فى المقررات التى تدرس لهم . يضاف الى ذلك هذه الانواع الجديدة من التعليم الفنى التى ابتكرت فى معظم الدول ايمانا من الحكومات التى تواجه الان بأنماط من « **التفوق التكنولوجى** » الاجنبى بالحاجة الماسة الى صنوف من الاصلاح أو التطوير النشط على وجه الخصوص . وتتوارد فى تقارير الدول المختلفة عديد من الامور الخاصة بالتنظيم والمحتوى وتتجه غالبيتها الى اقرار امكانية دخول العلوم الانسانية لتحقيق الاغراض الاجرائية أو الانسانية أو للجمع بين الاثنتين .

(ب) المادة الدراسية للمقررات غير الفنية :

يبدو أنه من الصعب عزل الامور الخاصة بالتنظيم عن التفكير فى المواد التى تدرس ، وقد أوضحت العديد من التقارير التى تناولت تقييم تجربة تدريس العلوم الانسانية والانسانيات فى كليات الهندسة ومعاهد التكنولوجيا الدور الرئيسى

الذى يليه تدريس القانون والاقتصاد فى معظم مقررات الدراسات الانسانية [ويتضمن مقررات فى الاقتصاد والمحاسبة والادارة الصناعية] بينما كان علم الاجتماع وعلم النفس أقل حظا من القانون والاقتصاد بصفة عامة . على أن الحالة المتفردة الشاذة عن هذا الاتجاه كانت فى الولايات المتحدة الامريكية حيث احتل التاريخ مكان القانون كأكثر مادة دراسية محببة الى جانب الاقتصاد ولاقت مقررات علم الاجتماع وعلم النفس والعلوم السياسية استجابة كبيرة أيضا . إلا أن الملاحظ بصفة عامة أن العلوم السلوكية كانت مرغوبا فيها بدرجة أقل من العلوم التى توفر خلفية اقتصادية وقانونية لفروع التخصص المختلفة للمهندس (كتدريس القانون المتعلق بالصناعات الانشائية للمهندسين فى السويد واليابان مثلا) . وربما كان التاريخ هو المجال الرئيسى للجانب الانسانى فى الدراسة الذى درس على نطاق واسع فى الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتى وتشيكوسلوفاكيا والهند ، لكنه ـ كمادة للدراسة ـ اختلف اختلافا بينا فى هذه الدول بعضها عن البعض . أن استعراض التقارير المقدمة فى تقويم الثغرة يكشف عن عدد من المشكلات العامة التى وضحت فى الهيكل والطريقة مما يحتاج نظرة متأنية سليمة ودراسة واعية مستفيضة عند بحثها . أن جانبا تنظيميا للمقررات الدراسات الانسانية لطلاب الهندسة والتكنولوجيا لابد أن يجيب على هذا السؤال :

هل « الدراسات الإنسانية للمهندسة » موضوعة على وجه الخصوص لطلاب الهندسة أم أنها نفس الدراسات التى يتلقاها طلاب الدراسات الانسانية أنفسهم فى كليات الآداب ومعاهد علوم الانسان ؟

ان الممارسة العملية فى المعاهد التى كان فيها هذا السؤال ذو اهمية خاصة تنبه الى وجود خلافات كبيرة فى الرأى . وتشير التقارير الواردة من الولايات المتحدة الى أن أغلبية عظمى من اعضاء هيئة التدريس الذين يخلو هذا الموضوع فى اهتماماتهم يميلون الى الدراسات المشاركة ، بيد أن عددا قليلا من المدرسين والاساتذة دعا الى تناول هذه الدراسات عن طريق مقررات ذات مواد دراسية خاصة تحقق تكاملا تعالا مع الجوانب الاخرى من عمل الطالب . لكن الذى يبدو واضحا ـ فى الاجابة على السؤال الهام السابق ـ أن الرأى النهائى فيه يتوقف على الأغراض التى يستهدفها ادخال الدراسات الانسانية فى صلب اهتمامات ومقررات طالب الهندسة . ان العلوم الانسانية على المستوى الاعدادى أو « المدخلى » لها ما يزكيها . لكن ثمة خطرا يكمن دائما فى اعتبار طلاب الهندسة أقل شأنا من المتخصصين فى العلوم الانسانية وخلاصة اذا كانت معلوماتهم فيها أقل الحاحا أو أهمية .

لكن جانبا آخر يتعلق بمقررات الدراسات الانسانية بدا أن الرأى فيه أكثر عمومية ـ وهو الخاص بمسألة طريقة التدريس ـ حيث لم يصادفه وجود ما يثبت أن طرقا غير معتادة تتبع فى تدريس العلوم الانسانية للمهندسين . ولم يوجد ما يوحى بوجود مدرسة مميزة ـ فى أية دولة ـ عن غيرها كحركة لها استقلالها الخاص عن ذلك الاتجاه العام الذى تتطور فيه العلوم الانسانية .

(جـ) التكامل بين الدراسات الانسانية والمواد الهندسية :

تكاد الاراء كلها تجمع على أن ثمة حاجة الى تنمية روح التفكير العامل بين المواد الهندسية والمواد غير الهندسية فى منهاج الدراسة . وهذه الحاجة ـ فى رأينا ـ هى المدخل الوحيد لمناقشة كل المسائل الكبرى المتعلقة بالموضوع [الوقت المتاح ـ هيكل الدراسات ـ نوعية القائمين بالتدريس .. الخ] .

لكن مسألة أخرى ذات أهمية خاصة تستحق التنويه ـ وتعد مثار حوار فى كل المعاهد تقريبا ـ وهى الخاصة بتطبيق واحد أو أكثر من العلوم الانسانية فى واحدة أو أكثر من مناحى الدراسة الهندسية . أن هندسة الانتاج والهندسة المدنية مثلا ، مجالان فسيحان يمكن لعلم الاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم النفس أن يقدموا فيهما الكثير ، وتوضح بعض المقررات التى جرى وضعها فى التقارير القومية المقدمة للبونسكو أن هذه الاسهامات ضارت معترفا بها بشكل متزايد بمضمار القيمة (ولقد كانت المقررات الاكثر تقليدية فى الاقتصاد والقانون هى التى استمرت لبعض الاعوام ذات قيمة اجرائية فى عدد من المجالات الهندسية) .

ان المسألة الاساسية هنا يحددها هذا السؤال :

ما هى الكيفة التى تتبع بها الدراسات الانسانية بالنسبة الى العلوم الهندسية التى يقدر على أساسها مستوى المعهد وقيمته ؟

أن الذى يحدث فى حالات قليلة غير معتادة أن يحقق التعليم فى مجال الدراسات الانسانية فى أحد المعاهد الفنية منزلة عالية ومكانة قومية (بل ودولية) مستقلة ، لكن تكامل هذه الدراسات ومنزلتها ومكانتها المرموقة ليس الا نتيجة مباشرة لنجاح مجموعات صغيرة من الذين تصدوا لتدريس العلوم الانسانية ، أو لنجاحهم كأفراد ، فى اقناع زملائهم وتلامذتهم بأن لديهم شيئا ذا قيمة يقصونه . وهذا ينقلنا الى المسألة الاخيرة فى هذا

العرض العام الا وهى وضع القائمين على التدريس ٠

(د) الزمن المتاح وطريقة توزيع الدراسات الانسانية خلال المقرر الهندسى :

يدور خلاف كبير حول الزمن المتاح لدراسة المواد غير الهندسية فى كليات الهندسة ومعاهد التكنولوجيا ، وقد أوصت الجمعية الامريكية للتعليم الهندسى فى عام ١٩٥٥ بأن المحتوى « **الانسانى ـ الاجتماعى** » للمناهج الهندسية يجب أن يصل الى حوالى ٢٠ فى المائة من المقررات الكلية المطلوبة لاعداد الخريج ، واذا نظرنا للتقارير القومية المقدمة لليونسكو عن التعليم الهندسى فى أغلب الدول ، فاننا سنجد ، اذا اردنا تطبيق التوصية السابقة على التعليم الهندسى فى مصر ، أن المطلوب للدراسات الانسانية سوف يزيد على أضعاف المتوافر حاليا (حوالى ٣ فى المائة) ٠ وتشير آراء معظم المهندسين الى أن النسبة ٢٠ فى المائة يجب أن ينظر اليها على انها تمثل القيمة القصوى لمثل هذا التعليم فى الوقت الذى تشير فيه توصيات اليونسكو الى أن هذه النسبة لا ينبغى أن تقل عن ١٠ فى المائة .

ان تفسير مثل هذه الاتجاهات يمكن استخلاصه من مراحل التعليم فى الدول المعنية ، فعلى سبيل المثال ، تتبوأ الدراسات الانسانية مكانة رفيعة فى التعليم الثانوى فى كل من السويد وفرنسا انطلاقا من مبدأ هام يقول بأن التعليم العام الذى يفترض توافر مقوماته عن طريق الاهتمام بمثل هذه المواد يبدأ فى الحقيقة قبل أن ينتقل الطالب الى التعليم العالى ٠ والطبيعى فى مثل تلك الحالة أن يخصص الوقت المتاح للعلوم الانسانية فى التعليم الجامعى والعالى للمقررات ذات الطابع الاجرائى [الادائى] كالمنهج « **الاقتصادى ـ الفنى** » الجديد الذى اقترحته اللجنة السويدية لتخطيط التعليم بالجامعة والكليات عام ١٩٦٣ عن طريق اقتراحها بانشاء قسم « **الهندسة الاقتصادية** » ٠ وفى الناحية المقابلة لذلك يبين التقرير القومى التشيكى أن العلوم الانسانية تشغل قرابة ٩ فى المائة من المقرر الكلى للمعاهد فى مجال التعليم الفنى العالى وأن هذه النسبة مجرد نهاية صغرى ، وأن الدراسات المبنية على أساس من التحليل العلمى والتربوى لكافة مشتملات العملية التعليمية فى المجال الجامعى هى التى بامكانها أن تؤدى الى تحديد أفضل نسبة فضلا عن تحديد أى الموضوعات ينبغى تدريسها فى كل سنة دراسية على حدة ٠

وقد تمت من قبل دراسات من هذا القبيل أسفرت فى نهاية الامر عن زيادة مجموعة الدراسات الاجتماعية والانسانية ، ففى الولايات المتحدة الامريكية اتخذ ذلك شكل التوسع فى عدد من المقررات الاختيارية فى الشطر الاختيارى من البرنامج الدراسى ٠ والملاحظ بعد ذلك أن الرغبة العامة البارزة فى مختلف التقريرات المقدمة لليونسكو تتجه الى المطالبة بالمزيد من الوقت للمواد غير الفنية ٠

على أن هناك مسائل هامة تواجه أى امرىء يقوم بالتخطيط لمقرر فى الدراسات الانسانية لطلاب الهندسة والتكنولوجيا :

ـ أى المواد يدرس ؟

ـ ولاى فترة تستمر الدراسات ؟

ـ وهل تعطى هذه الدراسات فى تسلسل متصل ؟

الى غير ذلك من المسائل الهامة ، لكن الملاحظ حتى الان هو عدم وجود اطار موحد يمكن الاتفاق عليه ٠ فحيث ينبه التقرير الامريكى الى أن « ثمة درجة ملحوظة من الاختلاف فى وجهات النظر بين الهيئات الخاصة بالتعليم الهندسى فيما يتعلق بأولويات مقررات العلوم الانسانية باعتبارها احد الجوانب الاساسية فى اعداد المهندسين » ، نرى أن التقرير الهندى يشير أيضا الى انه « لا يوجد فى الهند حتى اليوم اتفاق واحد بين أرباب التربية والتعليم بالنسبة لموقع العلوم الانسانية من الاعداد الهندسى ، فالبعض من المتعصبين للدراسات العلمية يرى أن تعليم الدراسات الانسانية لا يضيف الى الاعداد الحقيقى للمهندس فى الوقت الذى يرى فيه البعض الاخر من ذوى النظرة الشاملة أن وجود مثل هذه الدراسات فى التعليم الهندسى له قيمته ٠ وفى ضوء هذا التباين يبدو أن الكثير يتوقف على الاهمية النسبية التى تتعلق بالقيمة الاجرائية أو الانسانية لتعليم العلوم الانسانية ٠ ولا مراء فى أن هذا العامل له أهميته ووزنه فى توقيت هذه الدراسات ٠

شىء آخر فى تجربة « الدراسات الانسانية للهندسة والتكنولوجيا » اشارت اليه الجامعات والمعاهد العليا اليابانية ، وهو تجهيز برامج الدراسة فى المرحلة الاولى (المبكرة) من التعليم الجامعى والعالى بالدراسات الانسانية حتى تتجه الدراسات فى المرحلة الثانية اتجاها أوثق اتصالا بالدراسات الهندسية للطالب . ويبدو أن هناك اتفاقا عاما على أنه كلما تقدم طالب الجامعة فى الدراسات الانسانية صار اتصاله وثيقا بهذه المواد وكانت الفائدة أعظم ٠ ان مجال الدراسات الانسانية ، والاستمرار الذى يمكن أن يسمح به هيكل الدراسات الهندسية فيها أمران وثيقا الاتصال الى درجة بعيدة ، وقد أكدت غالبية التقريرات القومية قيمة الاستمرار وفاعليته الا أنها عابت فى نفس الوقت التقييد الصارم فى التخطيط

الذى تسبب فى عدم توافره • وقد اقترحت بعض التقارير القومية حلين بديلين ، يقضى أولهما بتشجيع الطلاب على التخصص فى واحد أو اكثر من العلوم - الانسانية - بعد أن تتاح لهم بعض الدراسة المدخلية (الاعدادية) العامة فيه - وقد أعطى التقريران الفرنسى والبريطانى أمثلة لذلك - بينما يقضى الحل الثانى بتنظيم سلسلة من الدراسات الانسانية يتم التخطيط لها على طول فترة ما قبل التخرج ومن خلال مناهج هذه الفترة بأكملها • وقد أوصت الجمعية الامريكية للتعليم الهندسى منذ عام ١٩٥٦ « بوضع سلسلة من الدراسات الانسانية على مدى أربعة أعوام تشكل ما لا يقل عن ٢٠ فى المائة من المناهج الكلى مضيفة فى ذلك الفلسفة والمشتملات الاخرى التى يتم صياغتها بالتعاون فيما بين كليات الهندسة والاداب والاقتصاد بطريقة تحقق تكاملا واعيا بين الشطرين الفنى والانسانى من المنهج » • وايا كان الحل الذى يبدو أنه الاكثر ملاءمة ، فانه يجب اعتبار موضوع « الدراسات الانسانية للهندسة والتكنولوجيا » هدفا لا مناص من تحقيقه ، وينبغى اتاحة فرص النمو والاستمرار له حتى تتمكن هذه الدراسات من أن ترسخ وتتطور بشكل مجد وفعال •

خامسا : موقع الدراسات الانسانية من التعليم الهندسى فى مصر

يعتبر تدريس الانسانيات والعلوم الانسانية بكليات الهندسة فى مصر فى وضعه الحالى متخلفا جدا • ان هندسة القاهرة - كمثال - ظلت حتى بدء التعليم الهندسى الحديث فيها مع اوائل الخمسينيات تدرس لطلبتها القانون والاقتصاد بنسبة تصل الى حوالى ٥ر١ فى المائة من مجموع المقررات الكلية للدراسة ، ثم طورت الدراسات الانسانية والقومية فيها بحيث صار الطلبة يدرسون فى السنة الاعدادية « المجتمع العربى » وفى السنة الاولى « ثورة ٢٣ يوليو » وفى السنة الثانية « نظرية التطور الاجتماعى » ، وفى الثالثة « مقررا تومبا » يوضع بمعرفة الكلية بالاضافة الى بعض المقررات الضئيلة فى « المشروعات » و« التنظيمات الهندسية » • وظلت الكلية تعمل بهذا النظام حتى عام ١٩٦٧ ، حيث بدأت فى العام الدراسى ٦٧-١٩٦٨ تجربة جديدة حين أضافت الى مقررات السنة الاعدادية مادة أخرى بعنوان « مدخل الهندسة » ولغت فى العام الدراسى التالى المقررات القومية من السنتين الثانية والثالثة وتركت للاقسام أن تدرس بديلا عنها مقررا فى « التشريعات الصناعية » أو « اقتصاديات المشروع » أو خلافه . لكن النسبة القومية التى حصلت عليها المقررات القومية والانسانية مع هذا التطوير لم تزد على ٣ فى المائة فى احسن الاحوال [بما فى ذلك مقرر اللغة] كما كانت هذه المقررات متناثرة ووحيدة • وكان « مدخل الهندسة » هو التجربة الوحيدة التى حاولت التصدى لهذا القصور ، وحاولت فى الوقت ذاته معالجته بخطوة طموحة • لقد حاولت تجربة « المدخل » أن تعالج موضوع التعريف بالهندسة والتمهيد لها والاطلاع على جوانبها المختلفة وان تحل مشكلة اختيار الهندسة كمهنة فى نفس الوقت الذى حاولت فيه أن تشد الابصار نحو جوانب متعددة فى المعرفة الانسانية ، وقد جاءت استجابات الطلاب لها مشجعة بدرجة دلت على مدى الاحتياج الى مثل هذه الدراسات وقدرتها على اثبات نفسها متى ملكت زمام الجدوى والاقناع والتكامل .

عشرة اقتراحات هامة

اذا أخذنا كلية الهندسة بجامعة القاهرة كمثال - باعتبارها الكلية الاقدم فى الجامعة الام - فاننا نتصور لها الاقتراحات التالية :

١ - يتم انشاء قسم خاص بالدراسات الانسانية فى الكلية يتمتع بما تتمتع به سائر الاقسام من استقلال وامكانيات وهيئة تدريس ، ويكون هذا القسم ممثلا لكل فروع الدراسات الانسانية التى يتقرر تدريسها بالكلية . كما أن له قدر معقول من الحرية فى تحديد مقدار ونوعية ما يسهم به فى الدراسات الهندسية بمختلف الاقسام ، على أن يتبع عمله فى أقرب مدى ممكن الى تقديم مقررات تتجاوز « غير المتخصصين » من شأنها أن تؤدى الى مؤهلات عليا متخصصة (درجة أو دبلوم) فى العلوم الانسانية للهندسة والتكنولوجيا •

٢ - يقوم بالتدريس فى هذا القسم الاساتذة المتخصصون فى الفروع المختلفة للدراسات الانسانية ويتبعون من حيث المنزلة والمعاملة المالية بكل ما يتمتع به نظراؤهم بالكلية • ويمكن أن يقوم بالتدريس فى هذا القسم أساتذة ومدرسون من نفس الكلية (ممن يدرسون بها المواد العلمية والهندسية) ممن لهم اهتمامات واسعة بالدراسات الانسانية ونشاط ملحوظ فى مجالاتها ، ويفضل من حصل منهم على دراسات فيها ، ومن له انتاج واضح فى هذا المجال .

٣ - اذا كان الحجم الامثل الذى تشغله الدراسات الانسانية فى المقرر الهندسى يقدر بنسبة بين ١٥ ، ٢٠ فى المائة من الحجم الكلى للمقررات المطلوبة لاعداد الخريج ، فان نسبة ١٠ فى المائة هى نسبة معقولة تمثل من وجهة نظر اليونسكو الحد الادنى الذى يمكن الاخذ به فى البداية الى أن

يتمكن قسم الدراسات الانسانية بالكلية من الوصول بها مع عملية تطوير الدراسات والابحاث به ، وفقا للاحتياجات المطلوبة لكل من الاقسام المختلفة بالكلية الى النسبة المثلى . ونحن نرى أن البدء بهذه النسبة هو الخطوة المناسبة التى تلائم الاعداد الاولى لهيئة انشاء قسم ، اذ أن فشل التجربة يكون أقرب احتمالا لو أن البداية تجاوزت هذه النسبة ، كما أن نسبة الـ (١٠ فى المائة) تمثل طفرة كبيرة بالنسبة لما هو موجود بالفعل الان (ولا تتجاوز نسبته ٣ فى المائة) . (ونحب أن نشير هنا الى بيانى موضوع بمعرفة خبراء التعليم الهندسى بمنظمة اليونسكو يوضح تصميما بيانيا للمقررات فى نظام دراسى من أربع سنوات تبدو فيه الدراسات الانسانية بنسبة تصل الى ١٥ فى المائة تقريبا) .

٤ – يجب « استمرار » مقررات الدراسات الانسانية خلال فترة الدراسة فى التعليم الهندسى ، وهذا يقتضى أن تكون الدراسات الانسانية بنسبة معينة فى مقررات السنة الدراسية الواحدة ينبغى أن تكون قريبة من النسبة الكلية (وهى بالنسبة لنا هنا ١٠ فى المائة) . ان هذه النسبة الثابتة تضمن لنا تحقيق نقطة أخرى على جانب كبير من الاهمية الا وهى « التنظيم » للدراسات الانسانية خلال فترة الدراسة فى التعليم الهندسى وفى مقررات السنة الواحدة . ان ميزتى « الاستمرار » و « التنظيم » هما فى تقديرنا دعامتان تقويان وضع الدراسات الانسانية الى جوار الدراسات الفنية والعلمية ، وتمنحانها فرصة أن تستلهم موضوعاتها من واقع احتياجات « العملية التدريسية » فى تطورها كما تمنحانها امكانية أن تواكب نفسها مع مقررات الدراسات الهندسية وتتكامل معها (يلاحظ فى ذلك بيانى منظمة اليونسكو) .

٥ – تشكل « مجموعة عمل » على مستوى كل مشكل من أساتذة الدراسات الانسانية وأساتذة الهندسة ممن لهم خبرة فى تنظيم التعليم وسياسته ، وعلى وعى بحركة الاقتراب والتزاوج بين الدراسات الانسانية من جانب والدراسات العلمية والتطبيقية من جانب آخر ، ولهم اهتماماتهم الواضحة فى هذا المضمار ، من أجل وضع الخطوط العامة العريضة لمقررات الدراسات الانسانية التى تبدأ بها هذه التجربة على كل مستويات الدراسة بكلية الهندسة أى بالنسبة للاقسام المختلفة والسنوات الدراسية المتحدة .

٦ – تتطلب البداية – من وجهة نظرنا – أن تختار مجموعة الدراسات الانسانية وفقا لوجهة النظر الاجرائية (كالاقتصاد والقانون والادارة وغيرها) بحيث يكون الغرض منها هو تدعيم الثقافة المتصلة مباشرة بحياة الخريج المهنية والفنية على أن يتم تكامل هذه الدراسات على مدى زمنى مناسب حتى تدرج بشقيها (العلوم الانسانية والانسانيات) فى مقررات الدراسة .

٧ – يجب أن يتوافر فى مقررات الدراسات الانسانية عنصران بالغا الاهمية :

أولهما : يجب أن تبرز فكرة « الجذع الانسانى – الاجتماعى » شاملة فى هذه المقررات من خلال علاقة الترابط التى يجب أن تتضح جيدا بين مختلف مقررات الدراسات الانسانية ومجالاتها التى يتضمنها منهاج دراسى واحد .

ثانيهما : يجب أن يتضح تكامل معقول بين موضوعات الدراسات الانسانية وغيرها من الدراسات التى تسود التربية التكنولوجية العلمية .

ونشير هنا الى امكانية الاستمانة – فى البداية – ببعض الدراسات التى يطلقها طلاب الدراسات الانسانية أنفسهم فى كليات الاداب ومعاهد العلوم الانسانية والتى تكون قريبة من الاعتمادات التكنولوجية . ولكن هذا الاجراء ينبغى أن يكون مؤقتا حتى توضع مقررات خاصة بطلاب الهندسة تحقق الشروطين السابقين بما . على أن ذلك مرتبط بطبيعة الحال بالاهداف المقصودة من الدراسات الانسانية والشرائيها آنفا .

٨ – يمكن لقسم الدراسات الانسانية أن يحتضن تدريس الانجليزية العلمية (أو موضوع لغة التدريس بصفة علمة) والمقررات القومية التى تنتشلها بذلك من ضعفها و « ضياعها » ويطلع عليها فى الوقت نفسه « هوية » ويكسبها « انتباه » .

٩ – يتم تقويم هذه التجربة بعد ثلاث سنوات .

١٠ – يتم تعميم هذه التجربة على ثلاثة مستويات :

الاول : مستوى كليات الهندسة بالجامعات الاخرى . وهذه يمكن أن ينشأ فيها قسم على غرار القسم الذى ينشأ فى هندسة القاهرة .

الثانى : مستوى المعاهد العليا الفنية والتكنولوجية . وهذه يمكن أن ينتدب للتدريس فيها مدرسو قسم الدراسات الانسانية بكليات الهندسة . أو من الممكن انشاء قسم للدراسات الانسانية فى واحد (أو اثنين) من اكبر هذه المعاهد على أن يقوم هذا المعهد (أو المعهدين) بسد احتياجات المعاهد العليا الاخرى فى المقررات الانسانية .

الثالث : مستوى الكليات العلمية فى الجامعة الواحدة (ككلية العلوم والطب والزراعة وغيرها) . وهذه يمكن أن تنشأ بها اقسام على غرار القسم الذى ينشأ فى هندسة القاهرة . أو تنشىء لها الجامعة هيئة تدريس واحدة تقوم على توفير مقررات الدراسات الانسانية لها جميعا ووفقا لاحتياجات كل كلية على حدة .

الطـــب النفسى

والمسـئولية الاجتمـاعية والسياسـية فى مصر

د . يحيى الرخاوى

فى مرحلة تطورنا الحاليـة ؟ يبـدو انه من اوجب واجباتنا ان ندقق فى كل حركة براقة ،وان نعيد النظر فى كل وهم جـديد حتى نستطيع ان نتجنـب الانزلاق الى خـدعة الحلول السهلة او تعجل الامل فى الرفاهية الحالمة .

ومهمة الطبيب النفسى ــ فى تقـديرى ــ من اخطر المهام التى يمكن ان تساهم فى بناء او هدم شعبنا فى المرحلة الحرجـة الراهنة ، كمـا ان مسئوليته امام المجتمع لا تعفيه منهـا ان يقتصر على النموذج الطبى لممارسة مهنته ، او ان يغمض عينيه عما يرى حوله من تيارات سياسية وتغيرات اجتماعية : تطورية او تدهورية .

وفى نفس الوقت فان الهجوم عليه مشـاركة فى الحركة العالمية المضادة للطب النفسى قد يأتى بأوخم العواقب فى مجتمعنا الذى لم تتأصل فيـه معانى الحركة ومسئولياتها بالدرجة الكافية ،فاذا انزلقنا الى النقد المجرد فقـد نفتح البـاب امام التحطيم دون بديل .

ولنبـدأ من البداية بدراسـة حجم المشـكلة وطبيعتها .

ولن الجـأ فى عـرض حجم المشـكلة الى المؤشرات التقليدية التى يعتمد عليها الطب النفسى الاجتماعى فى ذكر تواتر المرض النفسى ونسبته الى الامراض الاخرى ، لان كل هذه المعدلات تشير الى المرض النفسى بتعريفه المحدود فى العيادات والمصحات اساسا ، ولكنى سأحاول فى هـذا المقال ان اتناول حجم المشكلة وطبيعتها من خلال النظر فى ظاهرة « **الاغتراب** » بصفة عامة .

وقد اتخذ مصطلح « الاغتراب » معـان عديدة منذ هيجل وفـويرباخ وماركس حتى متـارثر ورولوماى .ولكنا اذ نعود الى اصله فى مجـال المرض النفسى نجد انه استعمل دائما فى وصف **الاغتراب العقلى** بمعنى الجنون ذاته ، وما بين الاغتراب الميكنى الذى يستبعد جوهر الانسـان ويلغى وجوده فى حياتنـا المعـاصرة ، وبين الاغتراب العقلى الذى يستبعد الواقع ويحطمـه دون بديل ، يقع الانسان سريعا يبحث عن مخرج جاد قد لا يتحقق الا بثورة كاملة توافق بين قدراته واحتياجه لتحقيق انسانيته .

وهنا قد يثار تحذير شائع يطرحه من يعتقـد انه انسان سوى ، اذ يقول «ولكن حذار ، فمـا يسرى على المرضى الشواذ لا يسرى على الرجل العادى.» وهو يتصور بذلك انه يحمى نفسـه من تهمة التشابه بالمرضى ، ويلتقط اغلب الاطباء هذا التحذير ليدعموا موقفهم فى مملكتهم الطبية الخاصة بعيدا عن النقاش والمسئولية الاجتماعية، ولكن التجربة وعمق الرؤية والبحوث فى ماهية الصحة النفسية والمرض [1] تدمغ هذه المقولة من اساسها حيث يكاد يصبح من البديهيات ان الحد الفاصل بين السوى والمريض هو حد وهمى ،بل ان المريض النفسى ، مثله مثل الفنان على اختلاف وسائل التعبير ومسار الثورة ــ يعرض فى صورة منذرة مشاكل المستقبل بحيث نستطيع القول مع رولوماى [فى كتـابه عن الحب والارادة] « **ان امراض اليوم هى مشاكل المستقبل** » ، فما نعتبره اليوم ظاهرة استثنائيـة لندرتهـا او شـذوذ مظاهرها سرعان ما تصبح بعـد بضـع سنوات مشكلة اجتماعية تحتاج لجهد اجتماعى وسياسى من الدرجة الاولى .

---

(١) يحيى الرخاوى ، مستويات الصحة النفسية على طريق التطور الفرد ، كتاب حيرة طبيب نفسى ــ القاهرة ١٩٧٢ .

فاذا ما رجعنا الى ظاهرة الاغتراب فى صورتها الوبائية الحالية وتتبعنا جذورها الى الاغتراب العقلى لراعنا وجه الشبه بين مايعانيه المريض وما يعانيه المجتمع ، ولاستطعنا ان نرجع اغلب اسباب شقائنا الى هذه الظاهرة الاساسية .

وفى مصر بوجه خاص لا يحتاج الامر الا الى نظرة متفحصة حتى نستطيع أن نتبين عمق الانشقاق الذى نعيشه بين جوانب شخصيتنا ، وخطورة الاغتراب الذى نمارسه فى مختلف نواحى سلوكنا . فالانفصال كامل تقريبا بين الكلمة والفعل ، بين العمل وعائده ، بين العلم وتطبيقاته ، بين البحث العلمى والمجتمع ، بين العمل الفنى والثورة ، بين الثقافة والانفعال اليومى بها . والانسان المصرى فى هذه المرحلة لا يثرى وجوده بعمله بل انه يؤكد اغترابه ويبتعد عن ذاته بالاستغراق فى العمل او اللاعمل على حد سواء . وحين أرسم هذه الصورة البشعة لا اقف موقف اليائس او المنكر لانجازات هذه الامة وآخرها — ومن أعظمها — **حرب اكتوبر** . ولكن هذه الحرب بالذات ان دلت على شىء فقد دلت على طول نفس هذا الشعب وقدرته على حضانة بذور الحضارة وحب الحياة مدة تفوق أى خيال مهما بدت مظاهر الموت او الضياع ، **ولابد ان نعتبر اكتوبر صحوة ذات دلالة وفرصة لبداية جادة ، ولكنها ليست ابدا بديلا عن حالة التقشف النفسى والوعى المؤلم الخلاق اللازمين لصنع الانسان صانع الحضارة ، ولا ينبغى أن تلهينا فرحة النصر عن رؤية الاعماق وتحمل المسئولية وباستمرار .**

فاذا ما زاد الوعى بهذا الاغتراب ، فاننا قد نواجه ما يسميه الاطباء احيانا بالمرض النفسى . فاذا كان هذا الوعى مفاجئا ومؤلما وميئسا فان الانتحار يصبح فكرة ملحة ، او محاولة جادة ، او فعلا نافذا كما نشاهد فى الدول المتقدمة . **ولكن هبوط نسبة الانتحار لدينا — اذ تقول الاحصائيات اننا اقل بلد فى العالم — ليس دليلا على صحتنا النفسية الممتازة ، بل قد يكون دليلا على ضعف وعينا او على عمق اغترابنا وخطورته .** فالوعى بواقع الحال لا يمكن أن يكون مرضا نفسيا فى ذاته لمجرد خوفنا من مواجهة الحقيقة ، لذلك فقد اسميته « **ازمة تطور** » لامرضا[٢] ، وقد تنتهى هذه الازمة بصحوة خلاقة ، او بهزيمة ارتدادية . ولا اسمى الحالة مرضا الا بعد الهزيمة التى يتحمل مسئوليتها المريض والطبيب والمجتمع على حد سواء .

ومن هنا نبدأ فى نقاش مسئولية الطبيب الاجتماعية [بما فيها الجانب السياسى] كفرد فى مجتمع يحمل ضمنا مسئولية توعية المريض بطبيعة صحوته والوقوف بجانبه حتى يوجه مسار الازمة الى البناء لا الى الهدم او الردة .

وموقف الطب النفسى التقليدى من هذه المشكلة موقف متردد خائف ، ولذلك فهو يمارس سلطة تضطر الانسان فى ازمة وعيه باغترابه ان يختار احد شقيه دون الاخر ، مما يضعه بين اختيارين لا خير فى ايهما ، فهو صريع ما بين

فخرى ميلاد ١٦ كور ١٥ السبت

٢ — الطب النفسى والمسئولية الاجتماعية

الاغتراب الميكنى فى صورة عجز عن اثراء وجوده الانسانى بتغذية وجدانه ، وما بين الاغتراب العقلى فى صورة انتصار الفوضى نتيجة لنشاط المخ القديم [الطفل الكامن فى وجداننا حسب نظرية **اريك بيرن**] دون احترام للمنطق او العقل ، ودون ارتباط بالواقع او تحديد هدف يثرى الكيان الكلى . والطبيب عادة يرجح الاختيار الاول باستعمال وسائل قمع نفسية او فيزيائية ، او كيميائية ، وحتى اذا عجزت كل هذه الوسائل . فما اسهل أن يعطى هذا الانسان المتأزم اسما لاتينيا رشيقا يسمح له بالهرب — تحت ستار المرض — من مسئولية انسانيته ، كما يسمح للطبيب كذلك بتبرير سلوكه فى نفس الوقت .

ولا يمكن ان يلام الطبيب النفسى وحده وهو يتخذ هذا الموقف فى مجتمع قد بلغت درجة قسوته وقهره مبلغا يجعل اى محاولة جادة لصحوة واعية ترى الواقع ببعده الحقيقى سببا للنفى **اما للسجن او للتكفير او للمرض** ، على ان الطبيب اليقظ الذى يحاول هو ذاته ، ان يصنع هو ذاته من خلال ممارسة عمله بصدق مؤلم لا يملك وهو يمارس هذا القمع الاضطرارى ليمنع سوء توجيه الطاقة الخلاقة الى مجرد التحطيم دون بديل — لا يملك الا ان يعايش الالم كله فى مواجهة المجتمع القاهر . وهنا يواجه بسؤال شخصى تماما :

هل يعلنها صريحة منذرة حتى يتنبه لها الساسة والاحرار فيساعدونه على رفع قهر المجتمع عن بعض ابنائه الذين يمكن ان يكونوا بشائر ثورته لمجرد انهم رأوا واقعهم المر ؟ هل يكتفى بان يساهم ايجابيا فى مجتمعه العلاجى الصغير بان يعمق مسئولية المريض [٣] ويضبط طاقته بالوسائل الكيميائية والفيزيائية دون ان يقضى عليها تماما ؟ هل يساهم فى صحبة صاحب ازمة الوعى فى ثورته بعض الوقت حتى يتركه قادرا على الحفاظ على شقيه معا دون الاضطرار الى الاغتراب العقلى

---

(٢) المرجع السابق .

(٣) بديهى ان الحديث عن المرض فى هذا المقال يستبعد الامراض العضوية العقلية نتيجة لالتهاب مخى ، او ورم او اصابة مباشرة .

[الجنون] او الاغتراب الميكنى [الضياع] ؟

ولقد قامت فى مقابل الطب النفسى التقليدى اطروحة مضادة عرفت باسم « **ضد الطب النفسى** » او الحركة المناهضة للطب النفسى ، وانتشرت هذه الحركة حتى اصبحت قضية ملحة سرت بين مجموعات من علماء المجتمع وعلماء النفس وعلماء التحليل النفسى والماركسيين الناقدين للمجتمع الغربى . وظهرت تجمعات حول هذه الحركة فى بلاد مختلفة وكتابات كثيرة ، وكان من اشهرها كتابات **زاس** Szasz فى امريكا ، **ولانج** Laing وكوبر Cooper فى بريطانيا ، **وبازاجليا** Basaglia فى ايطاليا . وقد تصدى لهذه الحركة الاطباء النفسيون التقليديون حتى نشر سير مارتن روث مقالا للرد عليهم فى المجلة البريطانية للطب النفسى فى عدد مايو ١٩٧٣ ، كما بلغ من عالمية هذه الحركة ان خصصت لها مجلة «**رسالة اليونسكو**» عددها الصادر فى يناير ١٩٧٥ من المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية حول الطب النفسى بين مؤيديه ومعارضيه .

ولكننا فى مصر ، ونحن نتحسس طريقنا الى بناء مستقبلنا على اسس علمية جديدة قد يبدو اننا لا نستطيع ان نستدرج الى هذا الموقف تحت وهم اننا وصلنا الى درجة من الرفاهية العلمية والنضج العقلى والكفاية الاقتصادية ، درجة تسمح لنا بان نشارك على المستوى العام فى قضية نقد علم ناشىء لا يعدو ان يكون فرعا صغيرا من فروع الطب ، ولا يتعدى المشتغلون به فى مصر ثلاثمائة مختص ، كما لا يزيد عدد المتحدثين فيه وعنه عن اصابع اليدين .

الا ان للامر وجه آخر .

فان تأثير هذه المهنة فى مصر — رغم قلة عدد العاملين بها نسبيا — قد تعدى حدود العيادات والمصحات والمجلات العلمية الاكاديمية حتى اصبح يمس قضايا عامة من اهمها تطور الفرد والمجتمع فى ابعاده السياسية والفلسفية والاقتصادية .

وفى الوقت الذى نجد فيه تفسيرا طبنفسيا مطروحا لاغلب ظواهر حياتنا يظل الاطباء بمنأى من النقد وراء النموذج الطبى للمرض والعلاج .

وفى رأيى ان امام الاطباء النفسيين فى مجتمعنا فرصة للتصدى للاطروحة ومضاداتها معا قد تمكنهم من ان يصنعوا منهما جماعا قابلا للتطبيق بل ربما للتصدير ! ، وذلك اذا استطاعوا ان يتعمقوا جذور المشكلة الانسانية التى تطرح عليهم فى شكل المرض النفسى من ناحية ، وفى جذور ظاهرة الاغتراب الوبائى فى حياتنا العادية من ناحية اخرى . وحيث لم ينجح الطب النفسى التقليدى فى الاسهام الكامل فى حل هذه المعادلة كما لم تنجح الثورة فى اعطاء البديل ، فقد بزغ الامل فى ظهور جماع الاطروحة وفى امكانية ان يخرج من « هنا » . وليست هذه مقولتى الخاصة ، وانا لم ابنها على تعصب محلى او وهم او غرور وطنى خادع ولكنها رؤية قد تحقق امل **دافيد كوبر** فى كتابه الاخير عن « اجردمية الحياة » حين توقع ان يأتى الحل من دول العالم الثالث ، وهى بداية تحقيق دعوة الاستاذ الدكتور **ا. فلر تورى** E. Fuller Torrey المساعد الخاص المدير خدمات المؤسسة الامريكية للصحة النفسية فى مارى لاند ، حين دعا الى ظهور **طب نفسى مصرى** [فى محاضرة القاها فى الجمعية المصرية للطب النفسى سنة ١٩٧١] يسهم فى تطور الانسان ويثرى الطب الامريكى وغيره باكمال نقصه وليس بتكرار تطبيق قيمه المهزوزة .

ثم نرجع لنعيد النظر فى الاطروحة ومضاداتها فنرى ان سير مارتن روث يكتب فى مقاله المشار اليه « انه لمن العجيب وغير المتوقع انه فى الوقت الذى يتحرك فيه الطب النفسى من عزلته ويقترب من سائر الانظمة السائدة فى المستشفيات العامة ان تثار تساؤلات عن علاقة الطب النفسى بالطب العام » ، وهو فى ذلك ، يشبه سائر الاطباء التقليديين اذ يهرب من مواجهة مسئوليته الاجتماعية والسياسية التى تفرضها عليه تعرضه لمواجهة آلام الانسان .

اما التيار المضاد للاطروحة فهو يعتبر الطب النفسى برمته عرضا اجتماعيا ، ولا سبيل للقضاء عليه الا باطلاق حرية الجنون ، ولكنه بهذه الصورة لا يقدم بديلا ، بل انه قد يكون عامل اجهاض لثورة اجتماعية وسياسية بناءة تحت دعوى الحرية المطلقة .

وبمواجهتنا لشقى المعادلة نجد انفسنا فى موقف صعب . فاذا كان من واجب الطب النفسى الا يقمع الانسان الذى زادت درجة وعيه بحقيقة اغترابه ، وفى نفس الوقت كان من واجبه الا ينمى الحل الهروبى بالجنون ، فما هى ابعاد مسئوليته فى مرحلة نمو مجتمعنا المصرى حاليا ؟

اعتقد انه من البديهى ان تكون ادنى درجة من المسئولية هى تحديد المخاطر التى قد تنشأ من سوء الفهم الذى يحيط بهذا العلم او من سوء الممارسة التى قد يقع فيها ومحاولة تجنبها .

واول المخاطر ان يطرح تصور للصحة النفسية برسم نموذج محدد للانسان بطريقة سلفية قبلية ، وكأننا ملتزمون ان تصاغ على شاكلته . وبديهى ان هذه الطريقة تعوق التطور ولا تقدم لنا الا مسخا للانسان تحت ستار النموذج الطبى — ويتزعم هذا الاتجاه الطب النفسى الانجلو ساكسونى التقليدى ويؤازره فى ذلك المفهوم الميكانيكى العصبى حيث يبحث عن خلية فاسدة تفسر كل مرض من الامراض ، كما يؤيده الاتجاه السلوكى فى علم النفس حيث يحاول ان يجزىء الانسان المريض الى مفردات سوء

التكيف . وللاسف فان الطب النفسي في البلاد الاشتراكية المسترشد بفكر بافلوف قد ساهم في تأكيد هذا الاتجاه بموصفة الانسان المريض وتشييئه وتجزئته بطريقة زادت من اغترابه . **وربما كان هذا الاتجاه يمثل مرحلة التخبط في التطبيق ولا يمثل نقصا في النظرية حيث اكد الفكر الماركسي كلية الانسان وقدرته على اعادة خلق ذاته من خلال الممارسة والجدل المستمر .**

على ان هذا الموقف الضيق لا يحرم الانسان من جدله مع الطبيعة من خلال مواجهة مواقف جديدة فحسب ، بل انه يوقف الجدل بين اجزاء المخ ذاته [بين المخ القديم والمخ الحديث حسب نظرية **هنري اي** Henry Ey زعيم الطب النفسي الفرنسي وصاحب المدرسة العضوية الدينامية — او بين الطفل والوالد والناضج داخل اجزاء المخ أيضا حسب نظرية **اريك بيرن** Eric Berne صاحب مدرسة التحليل التفاعلي] .

والخطر الثاني ان يمتد مفهوم المرض الى مجال اضطراب الاخلاق ، كما تتنحى فكرة الذنب تدريجيا ليحل محلها « تشخيص ما ويصبح حق الانسان العادي في ان يصدر حكما اخلاقيا مسألة مرفوضة اصلا ، وبالتالي فان الطب النفسي بصورته التبريرية يمكن ان يشجع اللامسئولية فيعطي للمجرم والمنحرف والطالب الفاشل مبررات للفشل او لسوء السلوك تحت اسم المرض .

اما الخطر الثالث فهو ان نبالغ في تقديس معطيات هذا العلم بما يفوق حجمه وطبيعة فروضه . فقد انتشرت الفتاوى الدجماطيقية انتشارا كاد ان يعطي المختصين فيه قدسية يحسدهم عليها قساوسة القرون الوسطى وكهنة رع ، وعلينا ان نعلن ان هذا العلم ما زال وليدا يحبو في مهد العلم ويتحسس طريقه الى المجتمع .

والخطر الاخير هو ان يزيد خوفنا من سوء استعمال ايجابيات هذا العلم فننساق وراء الرفض دون بديل فنفتح بذلك الباب امام الحركة المناهضة له في مجتمعنا الذي لازال يتحسس طريقه الى الحرية المسئولة ، حيث ان درجة الحرية التي ينادي بها المناهضون لهذا العلم لم تفتح الابواب في الدول الاكثر عراقة في ممارسة الحرية الا للجنون والانحراف اذ لم تعط بديلا ايجابيا ، **فما بالك بمصرنا العزيزة التي استقبلت اعلان الحرية بانتشار كتب ومجلات بالملايين لا لشيء الا لانها تدغدغ الحواس وتلوح بالامال بلا حدود .**

ولا ننسى ان اطلاق حرية الجنون والانحلال تحت وهم رفض القهر التقليدي لا يعدو ان يكون حيلة تؤكد الحلول الجامدة والسلفية ولا تحاربها حيث يعتبر هذا النوع من الحرية صمام أمن يحافظ على الاغتراب الميكني القائم بأن يوجه الطاقة الثائرة في خلايا المخ الى اشكال مجهضة تلبس شكل الثورة ولا تحمل مقومات الحياة .

وفي النهاية احب ان اؤكد اننا في مرحلة تطورنا الحالية نحتاج الى اشكال مختلفة من الوعي والخدمات تتناسب مع اختلافاتنا الفردية على ان نعرف حدود كل مرحلة وامكانيات كل فريق دون تعصب او وصاية او اتهام . وفي يقيني ان الطبيب النفسي يقف بين اختيارات واضحة المعالم ، وان دوره يمكن ان يكون بناء في كل حال ، بشرط ان نعرف ويعرف مداه في حدود امكانياته ودرجة وعيه ، وفي تصوري ان الامكانيات المتاحة لاي طبيب تبدأ بان يختار ان يلتزم مجاله المتواضع اذا فضل النموذج الطبي المحدود حسب ماتوصله اليه رؤيته ، وبالتالي فهو قادر على ان يقوم بدور الطبيب العادي من تشخيص وتسكين دون التزام ببناء او توعية . وهو يقوم بهذه المهمة بصورة نافعة بلاشك ، حيث يقف امام الحلول السلبية التي قد تشوه المريض وتبرز نفيه من المجتمع . وله ان يمارس حقه — وواجبه — الطبي هذا لمن يرضى ان يسلم له نفسه وعقله باحثا عن الهدوء او الاستسلام تحت اي اسم مهما اختلفنا حول هذا الاسم ، فهو الصحة او الموت .

والطبيب متحيز مهما ادعى الحياد العلاجي ، وبالتالي فهو مسئول عن المشاركة في تحمل نتائج ثورته وثورة مريضه معه بقدر التزامه بقيمه ودرجة تطوره . وسينتقل موقفه هذا الى المريض فورا وبالتالي يغلق عليه باب الهرب تحت وهم المرض ، ويمنعه من التخلي عن مسئوليته ، بل هو في النهاية يحمله مسئولية مرضه وقهر مجتمعه ويتحملهما معه من خلال الممارسة الصادقة والمشاركة في الالم البناء .

واخيرا فقد يكون الطبيب هو الموصل الجيد بين المريض والمجتمع حتى ينبه من « لم يصبه الدور » الى هذه الرؤية المستقبلية التي اعلنها المريض في عيادته . فاذا كان فرض رولوماي صحيحا — وقد صح عندي — في ان المريض والفنان هما عيون المستقبل ، واذا كان الفنان قادرا على توصيل رؤيته التنبؤية الى الناس مباشرة عن طريق الرمز واعادة تكوين كل جديد من اجزاء القديم المنهار ، فان المريض النفسي — وهو صاحب رؤية مشابهة — منذرة او مبشرة — يحتاج الى من يوصل هذه الرؤية الى المجتمع بشيرا ونذيرا .. وهنا يقوم الطبيب بدور المترجم والمبلغ معا .

واذا لم يستطع الطبيب النفسي ان يواجه مسئولياته الاجتماعية بكل العمق والالم اللازمين لتطور ذاته ومجتمعه ، فلا اقل من ان يتنبه الا يعرض النموذج الطبي لمجال مهنته كحل سهل ، يستتبع اسقاط المسئولية الاجتماعية عن المنحرفين والفاشلين والمنسحبين والعدميين تحت اسم المرض ، وبذلك يمتنع عن ان يساهم — دون ان يدري — في تدهور المجتمع .. وهذا اضعف الايمان .

□□ وصل إلى القاهرة فى شهر فبراير عالم من المانيا الغربية هو البروفيسور « هلموت بكر » مدير « معهد ماكس بلانك للبحوث التربوية » .. وهو نائب رئيس المجلس القومى للتعليم فى المانيا الغربية. كما ان البروفيسير فخري في سوسيولوجيا التعليم فى الجامعة الحرة فى برلين الغربية ..

القى محاضرة فى نقابة المعلمين بعنوان « التعليم فى عالم الغد » الفكرة المحورية فيها ان تعليم الغد ينبغى ان يتميز بالانفتاح ، وان هذا الانفتاح يفضى الى تحقيق اهداف ثلاثة : المرونة والانتماء والوعى الكونى وان هذا التحقيق لا يتم الا استنادا الى العلم والتكنولوجيا .

ثم يطرح قضية مكانة الله فى التعليم فيرى أن تعليم الغد ينبغى أن يتبنى الطريق الى « المفارق » دون ان يطلب من المتعلم التزام احدى المفارق . وهنا ينبغى الا ننسى نقد الماركسية للدين فنفهمه على انه انكار للمفارق . فحيث التحرر من الايمان فى شتى صوره يكون مبلغا ، يكون الايمان ممكنا ..

□□ القى الاب جورج شحاته قنواتى محاضرة « المجمع العلمى المصرى » فى ١٩٧٥/٣/٣ عنوانها « حصيلة دراسات الفلسفة الاسلامية فى الخمسين سنة الاخيرة » . وهى عبارة عن جولة حول العالم من اجل القاء الضوء على البحوث والرسائل العلمية والترجمات والنصوص التى صدرت فى مختلف البلدان ..

□□ احتفلت بلغاريا فى الشهر الماضى بمرور خمسة وثمانين عاما على مولد كبير فلاسفة البلغار « تودور بلغاروف » وبمرور سبعين عاما على كتابته لاول مقال ..

ومأثور عنه انه أدى دورا حاسما فى تطوير الفلسفة الماركسية تطويرا لينينيا . قرأ كتاب « المادية والنقدية التجريبية » للينين ثم افاد منه فى تناول القضايا الفلسفية المتباينة . فأصدر كتابين احدهما بعنوان « المادية الديالكتيكية ونظرية الصور الحسية » [١٩٢٩] والاخر بعنوان « الثقافة والمادية » [١٩٢٩] ..

وفى اثناء اقامته فى الاتحاد السوفيتى [١٩٣٢ — ١٩٣٦] ناضل من اجل تثبيت اللينينية فى الفلسفة الماركسية . ولهذا اصدر فى عام ١٩٣٦ كتابه المشهور « نظرية الانعكاس : مجموعة مقالات فى نظرية المعرفة المادية الديالكتيكية » .

القى محاضرة فى « قسم الفلسفة والاجتماع » بتربية عين شمس فى ١٩٧٥/٣/١٥ من « مكانة المنطق فى جامعة وارسو وفى المجتمع البولندى » ابان فيها ان المنطق مادة اجبارية فى جميع كليات جامعة وارسو ، وان علماء المنطق من بولنديا متأثرون بالوضعية المنطقية ، وان ليس ثمة صلة بين المنطق الرياضى والمنطق الجدلى من حيث انهما يسميان بالمنطق الجدلى هو فى الحقيقة ليس من المنطق فى شىء ، وان التناقض الذى يستدليه المنطق الجدلى هو تناقض وهمى ، والافضل فى رأيه استخدام لفظ صراع بدلا من لفظ تناقض.

□□ فى شهر مارس استقبلت جامعة عين شمس عالما من بولندا هو البروفيسور « مكيمشى شانيفسكى » من جامعة وارسو ورئيس تحرير مجلة « دراسات منطقية » . ينشغل بقضايا المنطق الرياضى ..

□□ انعقدت فى « المركز الفرنسى المصرى للاعلام العلمى » ندوة فى ١٩٧٥/٣/٢٠ عنوانها « مصر والتكنولوجيا » ، حضرها وفد فرنسى من معهد الادارة بباريس ، ودعا الى محاورته مفكرون من المساهمين فى تحرير « ملحق الفلسفة والعلم » . وادار الحوار مدير المركز الدكتور لستينى وهو من علماء الذرياء المعاصرة . واستقطب الحوار فى قضية البحث العلمى فى الجامعات المصرية ؛ وكان من راى المفكرين المصريين انه ينبغى التركيز على البحوث التطبيقية دون البحوث النظرية ، او حاصل الامر هو على الاقل من ذلك .

اغـــــــتراب

لغويا ان « يغترب » تعنى ان « يكون الاخر » وفلسفيا تتحدد معانى الاغتراب فى فلسفة هيجل حيث الروح المطلق [الله] ليس ثابتا وانما هو ذات متطورة وتطورها يمر بمرحلتين : مرحلة اغتراب ومرحلة ازالة الاغتراب .

ثم تتطور معنى الاغتراب عند ماركس فى كتابه « مخطوطات اقتصادية وفلسفية ـ عام ١٨٤٤ » اذ يعنى ان يفقد الانسان ذاته ، اى يصبح غريبا عن نفسه ، او بالاحرى عدوا لذاته . وقد انتهى ماركس الى تحديد هذا المعنى من خلال الفحص النقدى لوضع العامل فى المجتمع الراسمالى .

فالعامل فى هذا المجتمع مغترب ازاء منتوج عمله ، ذلك ان الانتاج ، فى هذا المجتمع ، وجه ليس لاشباع الحاجات الانسانية ؛ وانما لزيادة راس المال . ولهذا فالعامل محروم من ثمرة عمله .

ثم هو مغترب كذلك فى عملية الانتاج . فالعمل لا يعبر عن تحكم الانسان فى الاشياء ، ثم هو يسير على وتيرة واحدة تحكمها عوامل خارجية تتمثل فى الالات وفى التنظيم الراسمالى . ومعنى ذلك ان العمل لا ينتمى الى العامل .

ثم هو مغترب عن ذاته الحقيقية ، اى عن وجوده المتطور ، اى عن الانسانية الكامنة فيه . وبذلك يتحول الى سلعة .

وهذا كله اغتراب اجتماعى ـ اقتصادى ؟ ولكنه يفضى بالضرورة الى اغتراب سياسى ، بمعنى أن الفرد ليس مواطنا لان الدولة محكومة بطبقة تهدف الى تحقيق مصالحها الذاتية ـ

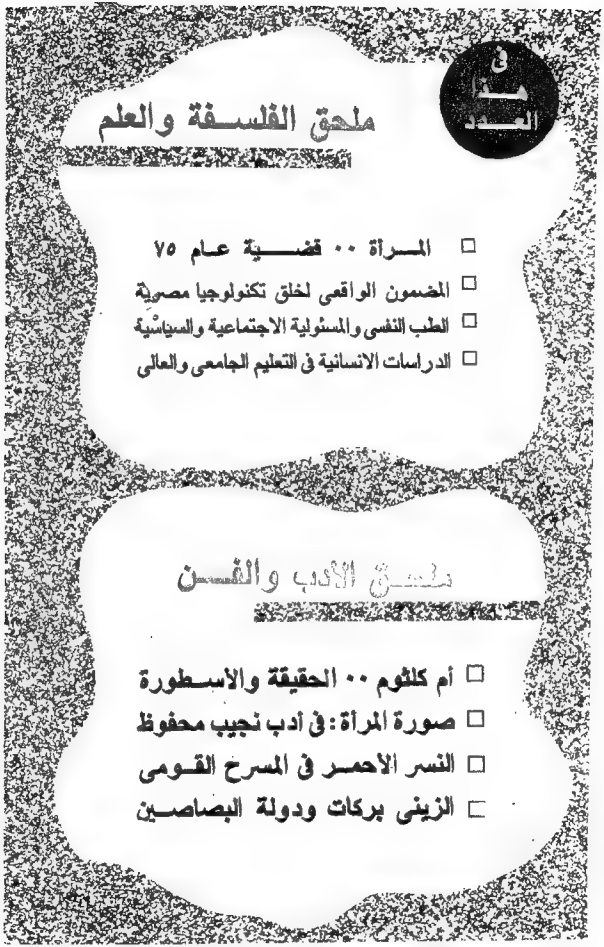

الثمن ١٠ قروش
مطابع الاهرام التجارية

السنة الثامنة عشرة
يناير ١٩٧٥

الطليعة
طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

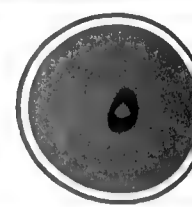

« العالم العربى » فى « ماء يغلى »

الثورة الفلسطينية
والجبهة الرابعة

اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم

[illegible]

الرأى ... والرأى الآخر ← فتحى رضوان يناقش الحكيم جامعة « الخاصة » و « اللامعقول »

رسائل من ← □ بغداد □ عدن □ دبى

محمد مندور ..
عشر سنوات بعد الرحيل

ملحق الأدب والفن

الطليعة
طريق المناضلين إلى
الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية

تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مدير التحرير :

أبو سيف يوسف

سكرتير التحرير :

مصطفى سامى

المحررون :

حسين شعلان
خيرى عزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالى
فاروق عبد القادر
وديع أمين

[■]

د. محمد الخفيف
شارك فى تأسيس الطليعة
وأسرة تحريرها
يناير ١٩٦٥ ـ مارس ١٩٧٢

الفهرس

العدد الخامس ـ السنة الحادية عشرة ـ مايو ١٩٧٥

■ « العالم العربى » فى « ماء مغلى » [الافتتاحية] — لطفى الخولى — ص ٥

● خطاب ابريل بعد رسالة يناير . . . . — عادل حسين — ١٦

■ الثورة الفلسطينية .. والجبهة الرابعة : — ٢٦

— ٣ مراحل للكفاح المسلح الفلسطينى — أبو موسى — ٢٨
— كم يكلف انشاء منطقة فدائية ؟ — أبو خالد — ٣٠
— المقاتلون فى قواعدهم . . . . [شهادات واقعية] . . . . . — ٣٣
— الثقة بالنصر .. رغم التعذيب — . . . . . — ٣٧
— الاستشهاد فى سجون العدو
— قرية مقاتلة [شهادة من كفر شوبا] . . . . . — ٤٢
— الثورة ومؤسسات الدولة الفلسطينية . . . . . — حسين شعلان — ٤٦
— صورتان .. وتعقيب . . . . . — عبد المنعم الغزالى — ٥١
— أبو سيف يوسف

● وجهة نظر فى أزمة مارس ١٩٥٤ . . . — أحمد هروش — ٥٥
● يوسف صديق : فارسا مصريا أصيلا . . — « الطليعة » — ٦٥
● أول مايو ١٩٧٥ والنضال ضد الأزمة فى العالم الرأسمالى . . . . . — « الطليعة » — ٦٨

■ الرأى .. والرأى الآخر — ٧٠

— فتحى رضوان يناقش الحكيم . . — فتحى رضوان — ٧٢
— الجامعة « الخاصة » .. والا معقول . . . . . — محمد رضا محرم — ٧٦
— بين « صواريخ » العبور و « صاجات » تحية كاريوكا — خيرى عزيز — ٨٣
— حول تطوير المؤسسة الثقافية العمالية . . . . . — جمال عبد الوهاب — ٩٠
— نقرأ أبو الفتح . ونحترم فرغلى باشا . . . . . — فيليب جلاب — ٩٤
— من أحد «جهاز انصاف المعلمين» الى أحمد أبو الفتح . . . . . — عبد المنعم محمد بدوى — ٩٥
— أية حرية هذه . . . . . — سهام هاشم — ٩٧
— وظيفة الاعلام .. وشجاعة الرأى عند على أمين . . . . . — ماهر سامى — ٩٩

■ اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم : — ١٠٢

— ثورة يوليو : مشاكل الفكر والتطبيق . . . . . .

■ فيتنام ـ كمبوديا : الخروج الأمريكى من آسيا : — ١٢٠

— حوار مع وزيرة خارجية الحكومة الثورية . . . . . .
— الانهيار الكبير . . . . . — د. رفعت السعيد — ١٢٩
— الانتصار العظيم . . . . . — خيرى عزيز — ١٣٢

■ القراءة فى « أخبار اليوم » — ١٣٧

■ تقارير الشهر : — ١٤٦

■ ملحق الأدب والفن : — ١٦٣

كلمة من « الطليعة »

منذ عدة شهور ، تتلقى « الطليعة » شكوى اشبه بعتاب .. من القراء ، خاصة بظاهرة نفاد «الطليعة» بعد وقت قصير من صدورها ، وتعتز « الطليعة » بما لاقته من اهتمام وعناية القراء .

واذ تتوجه « الطليعة » لقرائها بالشكر والتقدير ، فانها تود أن ترصد ـ أمام قرائها ـ حقيقتين :

● انه منذ عدد يناير ، زادت كمية المطبوع من « الطليعة » باضافة عدة آلاف اخرى .

● ان حجم ما يطبع من « الطليعة » قد وصل الى الحد المسموح به ـ اقتصاديا واداريا .

وبرغم ان «الطليعة» كانت تأمل في امكانية رفع هذا الحد المطبوع ، الا انها تعتذر ـ لقرائها ـ عن عدم قدرتها على طبع كميات اضافية أخرى .

عزيزى القارىء : نحن نشكرك بامتنان ونعتذر لك باسف شديد ■

« الطليعة »

ان [الطليعة] ميدان مفتوح لكل راى حر وفى اعتقادنا أن تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح [الطليعة] صفحاتها لكل راى لديه كلمة يقولها ـ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر [قد اختلف معك فى الراى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رايك] ...

« العالم العربى » فى « ماء يغلى »

ما الذى يجرى فى المنطقة العربية ؟ .. لحسابنا نحن ؟ .. والى اين ؟

السؤال معقد التركيب . ويوما بعد يوم تتكاثر عقده ، لكنه — فى حد ذاته — ليس جديدا . فمنذ أن سكتت مدافع حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، والسؤال دائم الحضور فى صور متعددة وفى مواقع مختلفة .

ولعل هذا التعدد فى الصور والاختلاف فى المواقع ، هو الذى يعطى دوما الانطباع باننا نواجه جديدا . فنبدو — بدرجات متباينة — وكأننا مفاجأون ، فى كل مرة ، بسؤال فريد فى بابه .

وهكذا تخدعنا الصور التعويضية المتجددة التى يتشكل بها السؤال . وتعتبر كل صورة ، ظاهرة خاصة او مشكلة اقليمية تتصل بموقع محدد ، منفصلة عن مجمل ظواهر ومشاكل الصراع العربى الاسرائيلى الامبريالى .

واذا استبعد الوضع على هذا النحو ، فقد يستلزم الامر هزيمة اخرى كهزيمة ١٩٦٧ وحربا اخرى كحرب اكتوبر ١٩٧٣ ، كى نعى درس الصراع . وهو انه لم تعد توجد بالوطن العربى ، فى عصرنا الراهن ، مشكلة او قضية خاصة بهذا الاقليم او ذاك ، منفصلة او معزولة عن هذا الصراع بأى حال من الاحوال ، مهما بدت كذلك على السطح . ليس فقط فيما يتعلق بالتحرر من الاحتلال الصهيونى والهيمنة الامبريالية ، وانما فى كل ما يتصل بوجود وحياة ومستقبل الانسان العربى والثورة العربية والثورة العربية .

من هنا ، اصبح السؤال بالدرجة الاولى ، فى جميع عقده وصوره ومواقعه ، سؤالا عربيا . وليس سؤالا مصريا او فلسطينيا او خليجيا او سوريا او عراقيا او جزائريا الخ ..

وكل محاولة لتجزئة السؤال اورؤيته وعلاجه من منظور جزئي او اقليمي ، محكوم عليها بالفشل . بل انهـا تعرض « الكل » للخطر ، في ذات اللحظة التي يبدو وكأن الخطر يطعن « جزءا » محدودا نحسب ، ويبتعد عن بقية الاجزاء .

• • •

منذ وقت قريب (ابريل ١٩٧٥) انفجر السؤال لبنانيا عند « عين الرمانة » . وجاء هذه المرة في صورة صراع دموي بين حزب الكتائب اليميني والثورة الفلسطينية . الثابت — باعتراف جميع المراقبين — ان ميليشيا الكتائب المسلحة ذات التعمـان السود ، هي التي بادرت بالاعتداء . في حين آثر الفـدائيون ومعهم كل القـوى الوطنية والتقدمية اللبنانية ، من مسيحيين ومسلمين ، التمسك بموقف الدفاع . وحين تدافعت الجهود لاخماد الصراع ، اصطدمت بما سماه المراقبون ، **طرفـا ثالثا مجهولا** يتداخلا مع اقصى العناصر الكتائبية يمينية وتعصبا وتطلفا ، يصر على مواصلة اشعال النيران وسفك الدمـاء على اوسع نطاق .

جرى البحث عن هوية هـذا الطـرف الثالث . وتضاربت الاقوال في هذا المجال ، الى ان استقرت — تحديدا — على انـه يتكون من مجموعة من المخربين الاسرائيليين الذين تسربوا الى لبنان بجوازات سـفر اوروبية .

وهـذا القول المحدد هـو الاقرب الى الصحة . ذلك ان السوابق التاريخية في الصراع العربي الاسرائيلي تؤكده .

امثلة ؟!

في **لبنان** نفسه [عملية نقل كمال ناصر وكمال عدوان ويوسـف النجـار في السبعينيات في قلب بيروت] .

في **مصر** [قضية لافون الشهيرة في الخمسينيات التي دجرت القنابل في قلب القاهرة والاسكندرية] .

في **العـراق** [قضـية الجواسـيس والمخربين وما احدثته من تخريب منـذ الستينيات في قلب بغداد وفي شـمال العراق مع تمرد الملا البرزاني] .

في **الجزائر** [تعاون عناصر من الهاجاناة مع منظمة الجيش السري الاوروبية ضد الشعب الجزائري خلال اواخر الخمسينات واوائل الستينات في قلب الجزائر العاصمة ووهران] .

في كل مرة من هذه السوابق ، ثبت ان المخربين الاسرائيليين لا يستطيعون — وحدهم — القيام بالمهام الموكولة اليهم الا من خلال التداخل مع **عناصر محلية في الموقع** ، تمهد لهم الطريق ، وتقتفل الظروف الملائمة للتخريب . وفي كثير من الاحيان ، تلعب هذه العناصر المحلية ، دور الساتر والغطاء ، بحيث يبدو « العمل التخريبي » ، وكأنه من صـنع داخلي تماما وليـس التناقضات الوطنية . فتضطرب الاوضاع ، وتتضارب الاتجاهات ، ويلهث الجميع في قذف بعضهم بعضا بالاتهامات ، تصفية لحسابات قديمة او ناشئة ، وانتهازا للفرص من اجل تسديد ضربات لحساب معـارك انتخابية او سياسية متوقعـه . وتزداد نيران الفتنة اشتعالا . ويصدق من يقول: « يعملها العدو ويقع فيها الوطن » .

واللافت للانتباه ، في السـنوات الاخيرة ، اسراع القوى اليمينية المتخلفة ، التي نبتت منها العناصر المحلية ، الى تغيير جلودها . والظهور بمظهر البريء الغاضب ، محاولا تعليق وزر العمـل التخريبي بالقوى الوطنية والتقـدمية في المجتمع .

ويحدث — فى بعض الأحيان — نتيجة ما يتوفر لدى اليمين من خبرة فى هذا المجال ، أن يتمكن من أن يجذب الى صفوفه فى توجيه الاتهام ، تطاعات غير واعية من قوى الوسط الوطنية ، مستغلا بعض الاعمال غير المسئولة التى يقدم عليها ، حنقا وياسا ، « يسار طفولى » يفرز بمجتمعاتنا الزراعية المتخلفة ، التى تختلط فيها العشائرية والقبلية والطائفية بأسمالية طفيلية وبيروقراطية جاهلة مستبدة ، مناخ غيرصحى ينبت فى أجوائه ، نوع من الثورية الميكانيكية القصيرة النفس ، مما يمكن أن نطلق عليه اسم « **البداوة الثورية** » .

● ● ●

هذا الاتجاه ، الثنائى الحركة ، من جانب اليمين المتطف ، يرمى الى اصطياد اكثر من عصفور فى وقت واحد .

فهو ، من ناحية ، يلقى على كل القوى الوطنية والتقدمية ظلال المسئولية عن اليسار الطفولى وبداوته الثورية .

ومن ناحية ثانية ، يدفع القوى الوطنية والتقدمية فى مجملها ، من موقف الهجوم الى موقف الدفاع .

ومن ناحية ثالثة ، وهى التى تعنينا اساسا فى هذا المقال ، يحول الانظار بعيدا عن «العناصر المحلية» التى اسهمت فى التخريب مع العدو بطريق مباشر او غير مباشر .

واستقراء تاريخ حركة الصراع فى المنطقة ، يكشف عن ان هذه العناصر المحلية تتحدد ، كما نوعا ووظيفة ، بمقاييس العمل التخريبى المطلوب تنفيذه .

وفى هذا الصدد ، نميز بشكل عام ، بين مستويين من المقاييس :

● مستوى يقتصر فيه مخطط العدو على الحصول على معلومات ، او القيام بعمل تخريبى محدود مثل اغتيال المناضل **غسان كنفانى** فى بيروت او التعرف على بدى ونوعية تسليح الجيش المصرى او السورى .

فى حدود هذا المستوى ، لا يحتاج العدو الا الى تجنيد عدد محدود من العملاء من العناصر المحلية ، الذين يعملون بشكل جواسيس .

وبدراسة قضايا التجسس الاسرائيلى والامبريالى التى ضبطت فى مصر على مدى نصف القرن الماضى ، تبرز للعيان حقيقة هامة ، وهى ان العدو يصطاد عملاءه من بحرين :

بحر الفقر والعوز ، حيث يكون المواطن مفتقدا لضرورات الحياة طبقا لمعايير مجتمعه وعصره . تغلب عليه نزعة الغربة والمغايرة بكل شىء حتى الوطن . وذلك نتيجة لضائقته المادية والمعنوية وضعفه وعيه السياسى ، ووهن الجسور بين مستقبله وبين مسيرة مجتمعه السياسية والاجتماعية [وهذا يقطع بأن مقاومة العدو ترتبط ارتباطا عضويا بقضية مقاومة الفقر والاستغلال ، وقضية انعدام التوعية السياسية من خلال حركة ديمقراطية جماهيرية] .

أما **البحر الآخر** الذى يقتنص منه العدو عملاءه ، فهو بحر البرجوازية البيروقراطية والطفيلية ، النهمة الى الاثراء السريع الفاحش دون ما جهد وعن اى طريق .. وفى قضايا التجسس فى مصر تبرز شخصيات احتلت مناصب هامة فى الجهاز البيروقراطى ، وبعضها كان ينتمى الى فئات كبار الملاك والرأسمالية الكبيرة . وهناك حالة تجسس كان بطلها زوج كريمة احد كبار الرأسماليين المصريين الذين تولوا رياسة مجلس الوزراء المصرى اكثر من مرة قبل ثورة يوليو ، واشتهر بمواقفه المعادية لحرية مصر ومشاركتها للشعب الفلسطينى فى نضاله ضد الصهيونية .

والطريقة فى عملاء هذا البحر ، انهم يدافعون عن انفسهم بالقول، انهم لم يتصوروا انفسهم يعملون لحساب اسرائيل ، وانما لحساب المخابرات الامريكية او لحساب حلف الاطلنطى !

● واذا جئنا للمستوى الثانى ، فى تعامل العدو مع العناصر المحلية ، نجده اشد خطرا . ذلك انه يتعدى النطاق التكتيكى المحصور فى عمليات تخريبية او تجسسية محدودة ، الى نطاق استراتيجى يستهدف اما ضرب وتصفية قوة ثورية صاعدة ومؤثرة على اتجاه سير الاحداث كالثورة الفلسطينية ، واما اجهاض وحدة عمل مشتركة محتملة النمو كالتضامن العربى الجنينى الذى تولد خلال حرب اكتوبر ، واما افتعال احداث صدامية تستغل التناقضات الثانوية داخل البلد العربى الواحد او فى الوطن العربى ككل بحيث تتضخم وتتحكم فى سير الاحداث على حساب التناقض الرئيسى بين مجموع القوى العربية وبين العدو .

ويتخذ هذا المستوى ، فى العادة ، شكل الفتن والحرب الاهلية وتوتير العلاقات بين عدد من الدول العربية الخ . .

والعدو الاسرائيلى — فى هذا المستوى — لا يقدر على انتهاج هذا الاسلوب بقدراته المنفردة ولحسابه وحده . وانما هو ينسق دائما مع اكثر القوى تفاعلا معه فى اجهزة الامبريالية الامريكية . وذلك على اعتبار انه رغم هوامش الخلاف التكتيكى ، التى تضيق وتتسع فى العلاقات الاسرائيلية الامريكية ، الا ان وحدة المصالح بينهما تظل كامنة — استراتيجيا — فى مواجهة حركة التحرر العربى عامة والواقع العربى البترولى بوزنه الراهن، خاصة .

والطاقات الاسرائيلية والامريكية العاملة فى هذا الحقل ، لا تقتصر فحسب على اجهزة المخابرات . وانما تستخدم — جنبا الى جنب — العديد من الاجهزة السياسية والاعلامية العلنية ، التى يتاح لها حرية الحركة والحوار بشكل مشروع غالبا . بحيث ينصب جهدها المكثف فى النهاية على ترويض وغسل مخ بعض القوى والاتجاهات والاحزاب اليمينية المتخلفة داخل المجتمعات العربية ، للعمل تحت قيادتها الخفية .

والاساليب المتبعة عادة — فى هذا المجال — تعتمد اما على العزف بشدة على مخاطر وهمية او حتى صحيحة — لكن مبالغ فيها — على المصالح الحالة لهذه القوى اليمينية . اول بذل الوعود لهـا بمكاسب سياسية واقتصادية كبيرة ، لو مارست بعنف « واجبها » فى الدفاع عن « الانسانية والديمقراطية والعالم الحر » ضد « الخطر الاحمر او الاصفر او الفلسطينى » .

فى هذا الاطار ، نلاحظ ان هذه القوى اليمينية ، تتخطى « نظام الحكم » التى تكون ، فى غالب الاحيان ، جزءا منه ، لتقوم هى « بالواجب » سواء بعون ظاهر او خفى من العدو . يحدوها الامل ان تنفرد وحدها — بعد اداء الواجب — بالسلطة . وذلك كله تحت اسم حماية النظام وفى ظل راياته .

وبالطبع ، فان الكم الساحق من عناصر هذه القوى اليمينية التى تشارك بحماس فى « ممارسة الواجب » ، لا تكون — بالضرورة — طرفا او حتى على علم بحقيقة المخطط . وانما يقتصر ذلك على عدد محدود من القيادات ذات الوزن والتاثير فى جماهيرها .

خلال العشرين عاما الماضية ، كان العالم الثالث ، مسرحا للعديد من هذه

المخططات التى تراوحت « عند التقيد » بين النجاح الجـــزئى او الكـــامل وبين الفشل .

امثلة ؟!

فى آسيا : كمبوديا [جماعة لون نول من داخل النظام] . فيتنام الجنوبية [جماعة ثيو ــ كاوكى من داخل النظام الذى كان يراسه دييم واغتالته المخابرات الامريكية]. اندونيسيا [جماعة سوهارتو وملاك من داخل النظام] الهند [جـــماعة الجنـــاح اليمينى فى حزب المؤتمر المعادى للجنـــاح اليسارى الذى تتزعمه انديرا غاندى ــ فشلت] .

فى افريقيا : غانا [اسقاط حكومـــة نكروما وضرب الحركة التقدمية بالقـــوة العسكرية للنظام] . مالى [اسقاط حكومة مودیبوكيتا بالقوة العسكرية للنظام] . الكونغو كينشاسا ــ زائير ــ [اسقاط حكومة لومومبا ، وتصفية الحركة الوطنية بقوى من داخل النظام] . غينيا [مؤامرة الوزراء على حكم الرئيس سيكوتورى ــ فشلت] .

فى امريكا اللاتينية : تشيلى ، آخـــر مثال ماساوى ناجح . ومن قبله منـــــاخ دومنجو وجواتيمالا . وآخر الامثلة الفاشلة كوبا وبيرو .

فى العالم العربى ، جرت ، منـــذ الخمسينيات ، محاولات عديدة ركز فيها اســـاسا على مصر والجزائر والعـــراق وسوريا والمغرب واليمن . تراوحت فيهـــا النتائج ايضا بين الفشل وبين النجـــاح الجزئى او الكامل .

والواقع ان ماجرى فى لبنان عند « عين الرمانة » ، يندرج فى اطار المستوى الثانى من الاعمال التخريبية الجماهيرية الطابع، حيث تم تحريك عناصر محلية « معروفة » بميولها المتخلفة ، ومحسوبة على النظام اللبنانى ، للقيام بواجبها ضد « الخطر الفلسطينى » .

صحيح ، ان هذا ليس التحرك الاول من نوعه ، من جانب نفس العناصر المحلية .. لكن تحرك « عين الرمانة » اكثرها خطورة ، واعمها ــ من حيث الدلالة ــ فى المرحلة الراهنة بالذات .

لمـــاذا ؟

لبنان على مشارف انتخابات رياســـية جديدة . ذلك ان ولاية الرئيس الحـــالى تنتهى فى عام ١٩٧٦ . والصراع حـــول الرئاسة بدا دورته بالفعل .

خلال ولاية الرئيس فرنجية امكن افشال معظم المحاولات ــ بثمن فادح احيانا ــ التى جرت ، اما للوقيعـــة بين اللبنـــانيين والفلسطينيين ، واما لاشعال حرب اهلية بين المسلمين والمسيحيين ــ اســـتغلالا للتمـــايز الطـــائفى ــ من حول الوجود الفلسطينى فى لبنان .

وغدا هذا الوجود ــ فى مفهوم نظام الحكم الراهن ــ حقيقة سياسية لا مفر من قبولها والتعايش معها ، حفاظا على الوحدة الوطنية للكيان اللبنانى من ناحية وتعميقا لانتمائه العربى من ناحية اخرى. وقام فرنجية بتمثيل الدول العربية خلال

مناقشات الجمعية العامة للامم المتحدة حول القضية الفلسطينية فى اواخر عام ١٩٧٤ . واصطدام من اجل ذلك بكل من حزب الكتائب وبالولايات المتحدة . وبلغ الامر بامريكا الى حد اهانة الرئيس اللبنانى شخصيا ، حينما اخضعت امتعته ، عند وصوله الى نيويورك ، للتفتيش بحجة البحث عن « حشيش » مهرب كان تدابلغ « جوللى » السفير الامريكى بلبنان ، حكومته عنه رسميا .

وبالتالى اصبح من المفيد ، لكل من اسرائيل وامريكا ، ان يلى السلطة فى ١٩٧٦ رئيسا جديدا يعارض نهج الرئيس الحالى ، ويكون فى نفس الوقت قادرا على تسيير « النظام » فى اتجاه معاد للوجود الفلسطينى . وطبقا للعرف الدستورى فى لبنان، فان الرئيس لابد وان يكون مسيحيا مارونيا . والكتائب ، تنظيم عشائرى لاكثر القوى المارونية يمينية وتخلفا فى شكل حزب . ولم تستطع العناصر المارونية الوطنية ذات الاتجاه العربى ان تحتل فيه ، بعد ، ثقلا مؤثرا . وبالتالى فان التحرك العنيف للكتائب واستعراضها لعضلاتها المسلحة يمكن ان يسهم فى تنصيب رئيس جديد بالمواصفات المطلوبة ، امريكيا واسرائيليا .

وكان المدخل التقليدى للكتائب الى الحلبة هو اثارة النعرات الطائفية . غير ان هذا المدخل لم يعد مجديا الى حد غير قليل ، بسبب التطورات السياسية والاجتماعية التى طرأت على لبنان خلال العشرة اعوام الماضية ، حيث نمت برجوازية تجارية ومالية لاطائفية من ناحية . وحيث تولدت فى المقابل اتجاهات سياسية واجتماعية تقدمية ، هى بطبيعتها معادية للطائفية من ناحية اخرى .

ولهذا عمدت الكتائب — مستغلة العدوان الاسرائيلى المكثف على جنوب لبنان منذ هزيمة ١٩٦٧ — الى شق مدخل جديد لحركتها ، وهو ما تسميه الخطر الفلسطينى على كيان لبنان الخاص .

ولم تكن مجرد صدفة ان **«بيير الجميل»** زعيم الكتائب ، تقدم فى فبراير الماضى بمذكرة سياسية الى رئيس الجمهورية يطالبه بالحد من الوجود الفلسطينى بلبنان وتقييد حركته الى ادنى درجة ، ان تعذر على الحكومة طرده الى خارج البلاد . واقترح — اذا لم توافقه السلطة على مطالبه — اجراء استفتاء شعبى حول قبول أو عدم قبول استمرار الوجود الفلسطينى بلبنان .

ولعله ليس هناك شبيه معروف لمثل هذا الاستفتاء الكتائبى ، غير الاستفتاء الذى التزمت به حكومة اسرائيل نفسها حول الانسحاب أو عدم الانسحاب من الضفة الغربية لنهر الاردن .

وكان « بيير الجميل » قد اتخذ قبل ذلك ، خطوة تكتيكية بارعة ، استهدفت «تعريب» واجهة حزب الكتائب الذى قام — تاريخيا — على أساس سياسة عزلة لبنان عن العرب وانتماؤه الى الغرب . فقام على رأس وفد من الحزب بزيارات لبعض البلاد العربية ، عاد بعدها يتحدث بامتنان عن «اشقائه العرب » الذين تفهموا « عروبة الكتائب » .

وبهذه الخطوة ، استطاعت القيادة التقليدية لحزب الكتائب أن تمتص قوى المعارضة الشابة داخل الحزب التى راحت تشدد على عروبة لبنان ومساندة الكفاح الفلسطينى والعدل الاجتماعى . وأن تبدو — فى نفس الوقت — بقناع عربى يمكنها من مواصلة دورها ضد الثورة الفلسطينية بأسلوب جديد . يعتمد على الشعارات المخدرة عن « قدسية القضية الفلسطينية »وأن الكيان اللبنانى الذى تتعايش فى كنفه كل الديانات والاجناس هو التحدى للكيان الصهيونى العنصرى . غير انه هنذا

يقترب الحزب من الثورة الفلسطينية، فانه يعمد بحذر الى التمييز بين ما يسميه « العمل الفدائي الشريف » و « العمل الفدائي غير الشريف » ! وتحت سطح الاحداث والتغيرات الشكلية في الوجوه والشعارات والتصريحات كانت القيادة التقليدية لحزب الكتائب تنشط في توثيق الروابط مع اشقائها من القوى اليمينية المتخلفة في العالم العربي ، وتعيد تنظيم الميليشيا المسلحة وتدريبها ، استعدادا ليوم « عين الرمانة » الموعود .

• • •

كان هذا كله « تحضيرا جيدا » من أجل القيام بعملية حصار عربية يمينية محكمة للثورة الفلسطينية وحلفائها من الوطنيين والتقدميين اللبنانيين، تتولى خلالها ميليشيا الكتائب التي جهزت بأحدث أسلحة حرب العصابات ، أبدء بتنفيذ الخطوات الاولى في المخطط الدموي .

بيد ان حرب اكتوبر لملمت المخططين ، وتأجل التنفيذ . وعندما شرعوا يجسون النبض بعد ذلك حول امكانية التنفيذ من جديد ، بمجموعة من الحوادث الاستفزازية المتفرقة ، كانت الثورة بجبهتها العربية والعالمية قد تجاوزت كل الاستفزازات واندفعت تغرز الامم المتحدة وفرض وجودها على العالم كله وبرقعة لبنان بالذات .

ومرة اخرى ، آثر المخططون استمرار التأجيل ، الى ان وقع ماسمي « بفشل كيسنجر » في مهمته لاجراء فصل ثان بين القوات على الجبهة المصرية في مارس ١٩٧٥ .

على الرغم من دموع كيسنجر ، وهويفي فشله في مطار بن جوريون باسرائيل، والتلميحات التي صدرت من واشنطون بالغاء مسئولية الفشل الى حد ما على عاتق الاسرائيليين، الا ان واشنطون ومعها جميع القوى اليمينية لم تخف أن الفشل ، يعود في جوهره ، الى الثورة الفلسطينية بحركتها التحررية : سياسيا وعسكريا . ويأتي بعد ذلك في ترتيب أسباب الفشل، رفض مصر لانهاء حالة الحرب مقابل انسحاب جزئي من سيناء ، والمراوغة الاسرائيلية .

الحضور الفلسطيني الثوري والمتصاعد داخل عملية الصراع ، هو اذن — في تقدير واشنطون وتل ابيب — العقبة الرئيسية التي تحول دون تطابق خط السلام الامريكي الاسرائيلي مع خط السلام العربي . وبالتالي فان القضاء ، او على الاقل تحجيم نفوذ وفاعلية الثورة الى أقصى حد ممكن ، أصبح يحتل المركز الاول في جدول الاولويات لدى كل من أمريكا واسرائيل ، والقوى اليمينية المتخلفة في المنطقة .

وتتضاعف أهمية وخطورة هذا المركز ، بعد أن واكب فشل مهمة كيسنجر الاخيرة في الشرق الاوسط — زمنيا — انهيار الوجود السياسي والعسكري لامريكا وعملائها في كمبوديا وفيتنام الجنوبية . وذلك لمنع الزحف الساحق لحركة الجبهة الوطنية الكمبودية وحركة التحرير الفيتنامية .

ان حصيلة الموقف في «الشرق الاقصى» ، لابد وأن تنعكس آثارها على الموقف الراهن في « الشرق الاوسط » بكل مخلفات حرب اكتوبر المتفجرة . الامر الذي يكسب الثورة الفلسطينية وجميع القوى الوطنية والتقدمية العربية مزيدا من القوة ووضوح الرؤية لمواصلة الطريق النضالي . ومعنى هذا ان الظروف في الشرق الاوسط بتفاعلها بانتصارات الثورة في الشرق الاقصى ، سوف تصبح ناضجة — عن أي وقت مضى — لحرب تحريرية طويلة النفس اكثر تقدما وعمقا من حرب اكتوبر .

واذا ما وقعت هذه الحرب ، في الوقت الذي تعاني فيه الولايات المتحدة اعتى الازمات الاقتصادية والسياسية — في تاريخها — داخليا وخارجيا ، فان القوة

الزعامية التي اكتسبتها على العالم الرأسمالي بعد الحرب العالمية الثانية ، تصبح معدة . وقد لا تبقى سنوات حتى تتحول — في الميزان العالمي — الى مجرد دولة رأسمالية كبيرة .»

باختصار ، ان الخط البياني لحركة الاحداث في الشرقين الاقصى والاوسط ، الذي يتقاطع مع خط ازمات الطاقة والتحالف الغربي ، يدعمان بالحاح متزايد — على امل احراز كسب ما — المخطط الامريكي الاسرائيلي اليميني المتخلف ، الى العمل على اجهاض كل امكانية قائمة او محتملة ، لتغيير حرب تحريرية عربية . ولن تنجح عملية الاجهاض الا اذا سبقت البؤرة الثورية الفلسطينية .

لكن كيف ؟

كان هذا هو السؤال الذي طرحه الامريكان والاسرائيليون على انفسهم من قبل ، وتوصلوا بشأنه الى اجابة محددة جاهزة للتنفيذ .

الاجابة تحت جانبا الاسلوب التقليدي الذي درج على استخدامه في المنطقة . ونعني به قيام الطبقة الاسرائيلية بتسديد ضربات ردعية او انتقامية هنا وهناك في العالم العربي وضد لبنان الفلسطيني بصورة خاصة . لقد ثبت عدم فاعلية هذا الاسلوب ، اساسا ، باشتعال حرب اكتوبر روما اسفرت عنه من نتائج . فضلا عن ان كل عدوان على لبنان ، خاصة بعد ان كاد يكون يوميا ، خلف مع آثاره السلبية ، آثارا سياسية واجتماعية ايجابية في تعتين نسيج الوحدة الشعبية اللبنانية الفلسطينية .

من هنا ، استبدل الاسلوب التقليدي ، باسلوب آخر يعتمد على التكتيك الملتف القوي : امريكا ، اسرائيل ، والقوى اليمينية المتخلفة .

وبدا ذلك جليا ، بعدم اقدام اسرائيل — كالعادة — على عمل انتقامي ضد لبنان الفلسطيني ، بعد عملية فندق سافوي في بيروت في مارس ١٩٧٥ . وذلك على الرغم من انها تعد من اخطر العمليات في تاريخ تحدي الثورة الفلسطينية لجسر الامن العسكري الاسرائيلي .

وقد قيل في تفسير احجام اسرائيل عن الرد على عملية سافوي ، انها خشيت من ان يودي الرد بمهمة كيسنجر قبل ان تبدأ .

لكن هذا القول ، وان كان يؤكد على ان اسرائيل كانت حريصة على انجاح مهمة كيسنجر ، مردود . ذلك ان اسرائيل عمدت ، من قبل ، الى القيام باكثر من عمل عدواني ضد لبنان خلال زيارات سابقة لكيسنجر في المنطقة .

الاقرب الى المنطق ، وهو ما تكشف عنه حركة الاحداث ، ان الاتفاق كان قد تم على تنفيذ المخطط المحدد بالتكتيك الملتف القوي .

مرة اخرى .. كيف ؟

قبل ايام محدودة ، من اضطرام الصراع الدموي الذي دشنته مجلبتها الكتائب في « عين الرمانة » ، وقف رابين» رئيس وزراء اسرائيل في الكنيست ، يرد على سؤال احد الاعضاء عن معنى عدم الردعلى عملية فندق سافوي . قال رابين : **« ان حكومتي لن تقوم بعملية ضد المخربين وضد لبنان ، لان من شان ذلك دفع الفلسطينيين والفلسطينيين الى الاتحاد والتماسك . وان الحل هو اثارة الصراعات الطائفية في لبنان ، وصولا الى الحرب الاهلية ، لشل المقاومة الفلسطينية والقوى المساندة لها » .**

كانت الاجابة ، ذات نكهة غريبة . فسرها البعض بانها عملية تخدير وتمويه لعدوان اسرائيلي وشيك الوقوع ضد لبنان ، غير انها — في الحقيقة ، كانت اشارة الى « العناصر المحلية » في لبنان بان الميعاد المحدد لتنفيذ المخطط ، قد حان .

وبالفعل فان التراكم الكمى « للاحداث الشاذة » التى تلاحقت على طول وعرض المنطقة منذ بداية عام ١٩٧٥ . وبدت ، فى كثير من الاحيان غير مبررة ومستعصية على الفهم ، كان قد وصل الى الحد الكيفى المطلوب للعمل .

ففى الخامس والعشرين من شهر مارس ١٩٧٥ ، اغتيل الملك فيصل ، صاحب اقوى علاقات صداقة مع الولايات المتحدة فى المنطقة ، على يد ابن شقيقه ، الامير الشاب الذى اتهم بانه تشبع بالافكار اليسارية خلال دراسته بالجامعات الامريكية ومخالطته لمجموعات اليسار الجديد هناك . [**الهدف المباشر : عقاب كل من يحاول ان يتخطى ، ولو ببوصة واحدة ، خط الصداقة المرسوم**] .

وفى اليوم السابق على اغتيال الملك فيصل ، كان الرئيس فورد ، يعلن — على غير المعتاد — بأن أمريكا تعيد تقييم علاقاتها باسرائيل بعد فشل مهمة كيسنجر . [**الهدف المباشر : الغواية والايهام بامكان تبدل المواقف الامريكية فى الصراع**] .

واذا اعتمدنا أسلوب « الفلاش باك » السينمائى فى رصد حركة « الاحداث الشاذة » فى المنطقة ، فاننا نلتقط الصور التالية .

● تفجر خلاف علنى وحاد بين مصر وليبيا . [**الهدف المباشر : فصل مصر عن عمقها الليبى**] .

● توتر العلاقات بين كل من الثورة الفلسطينية ومصر وسوريا . [**الهدف المباشر : تفتيت وحدة قوى المواجهة المباشرة الرئيسية**] .

● اثارة الخلافات بين العراق وسوريا حول مياه نهر الفرات [**الهدف المباشر : فصل سوريا عن عمقها العراقى**] .

● تهديد كيسنجر وفورد ، منذ بداية العام وفى اشكال متعددة ، باستخدام القوة لاحتلال منابع البترول العربى ، اذا ما وقع حظر بترولى جديد يهدد بالاختناق الاقتصاد الغربى . ثم عودة « فورد » فى حديث له بمجلة تايم الامريكية فى الثانى عشر من يناير ١٩٧٥ ، وتكرار ذلك فى أواخر مارس « بأن احتمالات الحرب فى الشرق الاوسط خطيرة جدا جدا . وان هناك احتمال حظر جديد للبترول . [**الهدف المباشر : الارهاب العام بالتلويح بالعصا الامريكية فوق الرؤوس**] .

● حدوث أعمال تخريبية عمدية ، خلال مظاهرة سلمية بالقاهرة ، فى أول يناير ١٩٧٥ . وقيام القوى اليمينية المتخلفة واجهزة دعايتها باتهام اليسار المصرى بعمليات التخريب واستعداء السلطة عليه وتحريض الناس علنا على قتله مما قد يودى باشعال نيران الفتنة . [**الهدف المباشر : ضرب الوحدة الوطنية للجبهة الداخلية المصرية باعتبارها اهم واكبر جبهات المواجهة فى الصراع** .] .

● ● ●

ماذا يعنى هذا كله ؟

يعنى اغراق المنطقة العربية فى ضباب كثيف يحجب الرؤية الصحيحة ، ويربك حركة القوى الوطنية والتقدمية حتى لتتصادم بعضها مع بعض ، ويفسح الفرصة أمام القوى اليمينية المتخلفة للعمل المضاد . وذلك من أجل تحقيق خمسة أهداف محددة :

اولا : دفع التناقضات الثانوية فى الوطن العربى لتحل محل التناقض الرئيسى مع العدو الاسرائيلى الامبريالى .

ثانيا : بذر بذور الشك والذبول فى الجسم الجنينى لوحدة العمل العربى الاكتوبرية .

ثالثا : اغراء كل قوة عربية أو موقع عربى بمنح كل الاهتمام للمشاكل الاقليمية الخاصة على حساب المشاكل القومية العامة .

رابعا : انهاك الثورة الفلسطينية وعزلها وتصفيتها .

خامسا : اجهاض كل تحرك في الواقع العربي ، لانطلاق حركة تحررية طويلة النفس ، وتنمية اقتصادية شاملة وجذرية .

• • •

في هذا الضوء ، يمكن رؤية احداث « عين رمانة » بلبنان ، كمجرد الشرارة الاولى لحرب اهلية عربية .

وهي تتدخل من لبنان بالذات ، بسبب ان الاحتكاك بالوجود الفلسطيني المسلح من شأنه أن يشعل النار الملتهبة على نحو سريع ، وبالتالي تمتد السنتها الى اطراف العالم العربي كله . وذلك دون أن تظهر للعيان الايدي الامريكية والاسرائيلية ، بفضل التغطية التي يوفرها تحرك « العناصر المحلية » في الساحة اللبنانية .

في اتون النار المشتعلة ، يصبح الشغل الشاغل لكل قوة او نظام او اقليم أن ينجو بنفسه من الحريق ، ولو على أكتاف الآخرين وفي نفس الوقت أن يعدم الامر — والحالة هذه — احتراق عدد من القوى الواعدة بالثورة والتحرير ، أو حتى بمجرد التقدم العنصري .

والمنطق في النهاية يقول : اذا اردت أن تسلق البيض ، ضعه في ماء يغلي . ولكي تغلي الماء يتحتم ان تشعل النار .

• • •

هذا الموقف الذي نجد أنفسنا في وعائه اليوم ، هو الاجابة الواقعية ، على سؤال : ما الذي يجري في المنطقة العربية ؟

والوعي بابعاد هذا الموقف الخطير ، يوجب علينا أول ما يوجب ، رؤية احداث « عين الرمانة » رؤية قومية شاملة لا رؤية اقليمية جزئية . ويستلزم أن تتكاتف كل القوى والنظم الوطنية والتقدمية مع الثورة الفلسطينية والجبهة الوطنية اللبنانية على اخماد الحريق . وعزل وتعرية « العناصر المحلية » من حزب الكتائب أو من القوى والاتجاهات اليمينية المتخلفة في المجتمعات العربية ، والتي انيط بها القيام بالواجب الذي يرسمه لها العدو الصهيوني الامبريالي .

ان هذا النوع من « العناصر المحلية » ، أخذ ينشط نشاطا ملحوظا ، بعد حرب اكتوبر ، بدرجات متفاوتة في العالم العربي وهو يعمل كطابور خامس داخل الساحة . ولا يتوانى عن استغلال كل شيء : من رواسب الطائفية والاقليمية ورجعية القرون الوسطى ، حتى الازمات والاخطاء التي لا مفر من ان تصاحب مسيرة التطور والعدل الاجتماعي .

واذا كان من غير المطروح ، في المرحلة الراهنة ، من جانب القوى التقدمية ، بناء الاشتراكية في العالم العربي ، الا أن هذا لا يعني أن المطروح البديل هو الجمود على ما هو قائم من علاقات اجتماعية عفنة ومقيدة للتقدم ، أو العودة الى المجتمع العشائري أو القبلي أو الاقطاعي أو الرأسمالي الطفيلي .

انما المطروح ، هو مجرد التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي تحافظ على الاستقلال الوطني وتقوي جبهة المقاومة ضد العدو . وتنقل الوطن كله ، نقلة حضارية الى مجتمع الربع الاخير من القرن العشرين . وتوفر للعامل اليدوي والذهني حياة الانسان . وتقيم نظاما ديمقراطيا يعبر عن كل الطبقات والقوى الوطنية المنتجة والمقاتلة .

وهذا الطرح ينبع عن ادراك لحقيقة الواقع الراهن للوطن العربي ، وميزان القوى السياسية والاجتماعية فيه

وهذا الواقع يكشف عن خمس حقائق موضوعية :

اولا : اختلاف درجات النمو الاقتصادي والاجتماعي بين البلاد العربية . الامر الذي يعكس بدوره اختلافا في نوعية النظم سياسيا واجتماعيا . ولا مفر من ان يتولد عن ذلك صراع وتنافس .

ثانيا : انقسام البلاد العربية — بالمعيار البترولي الحديث — الى دول بالغة الثراء ، ودول تعاني الفقر والضيق . وهذا ايضا من شأنه ان يولد الصراع كما يولد أيضا رغبة مشتركة في التعايش . وذلك وفقا لاسلوب معالجة هذا الانقسام بين أجزاء وطن واحد .

ثالثا : التبلور المكثف ، بحكم المصالح الاساسية ، لوحدة القوى البرجوازية النامية في البلدان العربية . وان انقسمت الى قوتين رئيسيتين : قوة يمينية غبية ومتخلفة ، وقوة يمينية وسطية مستنيرة وعصرية . وهو تبلور وانقسام يفجر صراعات داخل الطبقة ذاتها . ويوفر أرضية لتحالف وطني بين القسم المستنير والقوى التقدمية .

رابعا : التشتت النسبي ، نتيجة تعدد المنابع الاجتماعية والفكرية ، للقوى والنظم التقدمية في البلاد العربية . وهي وان اتفقت فيما بينها على الهدف الاستراتيجي البعيد المدى ، الا انها تختلف على تقييم طبيعة المراحل الاستراتيجية القصيرة المدى وعلى أساليب الممارسة التكتيكية . وهذا يخلق بدوره صراعات متعددة الصور بين آن وآخر ، ويضعف من وزن وفاعلية القوى التقدمية ككل .

خامسا : تبلور العدو بشكل واضح ومحدد ، وخاصة منذ هزيمة ١٩٦٧ وخوض حرب اكتوبر ١٩٧٣ . يتركز في الامبريالية الامريكية واسرائيل الصهيونية . وذلك بالنسبة لجميع القوى والتيارات في الوطن العربي ، باستثناء اليمين الطفيلي المتخلف . وهذا من شأنه أن يبرز الاطار العام للتناقض الرئيسي الذي يتوجب على جميع القوى المعادية للامبريالية والصهيونية ، الالتفاف من حوله .

• • •

هذه الحقائق الخمس ، هي في تقديرنا ، التي تحكم الواقع العربي اليوم .. وتلقي على القوى الوطنية والتقدمية ، مسئولية عدم الوقوع — أيا كانت الاستفزازات — في فخ جماعة النفخ في نيران التناقضات الثانوية على حساب التناقض الرئيسي . ويلزمها بالتالي ، أن تتجمع من حول برنامج مشترك ، يقوم على أساس عزل اليمين المتخلف سياسيا وشله عن الحركة ، ومكافحة الاهداف المباشرة « للاحداث الشاذة » التي يفرخها العدو في المنطقة ، وعلاج ما ينتج أو قد ينتج عنها من آثار سلبية .

بمعنى اننا مطالبون اليوم بان نقدم صياغة حركية حضارية لتعايش [لا غنى عنه] وصراع [لا مفر منه] بين القوى الوطنية والتقدمية وبين القوى البرجوازية العصرية والمستنيرة . وذلك على كل من المستويات الاقليمية والقومية على السواء .

بهذا وحده ، يملك الكيان العربي ، في هذه المرحلة الراهنة من الصراع ، القدرة على ان تكون اجاباته على السؤال المعقد التركيب ، قومية وممكنة واقعيا . وذلك في وجه اجابات العدو الامبريالي الصهيوني ، واليمين الاقليمي الطائفي المتخلف .

لطفي الخولي

خطاب أبريل

بعد رسالة يناير

عادل حسين

خطاب

الرئيس السادات الى الشعب فى ١٤ ابريل هو وثيقة من اجل تصحيح الاتجاه . ولكن ينبغى ان نتذكر أن هذا الخطاب سبقته رسالة فى شهر يناير الى المهندس **سيد مرعى** و د . **عبد العزيز حجازى** . وقد وصفت [**الطليعة**] هذه الرسالة بنفس ما نصف به الان الخطاب فقالت انها « وثيقة من اجل تصحيح الاتجاه » ، ونعتقد ان هذا الوصف كان دقيقا ، فقد أوضح **الرئيس السادات** « اننا نسعى لصالح يكون جهدنا لاثراء فئة محدودة على حساب الاغلبية الساحقة » .. ووفقا لهذا المفهوم قال **الرئيس** لقد « رأيت ان اطرح عليكم بعض تغيرات هامة اعتقد ان الواجب يقتضى تناولها بالدرس والتقنين .. انني اعتقد ان النظام الضرائبى يحتاج الى نظرة جديدة لتصبح الضريبة هى الاداة الرئيسية السليمة لتحقيق اهدافنا الاجتماعية من تذويب للفوارق بين الطبقات ، ومن توفير متطلبات الحياة الكريمة لاوسع جماهير شعبناه.

فالضرائب يجب ان تكون — كما قررت رسالة الرئيس — وسيلة لتوزيع الاعباء توزيعا عادلا بين المواطنين ،ووسيلة للحد من تضخم الثروات، ووسيلة للحد من مظاهر البذخ والاندفاع نحو الاستهلاك الترفى ، وحافزا على الاستثمار المنتج ، كما ان التهرب من الضريبة يهدد حساب الموارد المتوقعة ، ويؤثر على تنفيذ الخطة ،فضلا عن توليد دخول تدفع بطبيعتها الى الاستهلاك وبظاهر الترف ، وتخلق بذلك مشاكل اقتصادية واجتماعية .

مصير رسالة يناير

على هذا النحو سارت رسالة يناير ، ولكن النفس محذورة اذا كانت قد نسيت . فقد تليت الرسالة فى **مجلس الشعب** وفى **مجلس الوزراء** ثم فى اجتماع عام لقطاب اجهزة الاعلام ،فماذا كانت النتيجة ؟ اجهزة الاعلام الاساسية تجنبت تماما مناقشة الاقتراحات ، بل لقد تجنبت فى الحقيقة اى ذكر للرسالة ، ولم يكن الامر مجرد سهو ، كان تعبيرا عن المعارضة بالامتناع عن مناقشتها . ولم يكن صدفة أن **الطليعة** ووز اليوسف وحدهما ، وعلى تلاحقهما نسبيا، هما من تولى الدعم والمناقشة .. وماذا عن الحكومة ؟ لقد توالت الدراسات والاجتماعات ولم تصل طوال شهرين ونصف الشهر الى قرار. حتى عدم الجمع بين عبلين ، وكنا نتصوره اكثر يسرا ، تعثر وتعثر . اما **مجلس الشعب** فلم يتابع بدوره مقترحات **الرئيس السادات** . ورغم أن **المجلس** يضم عددا من الاعضاء عارضوا ونقدوا حكومة د. حجازى ، فان الامر فى هذه المرة كان مختلفا ، فلم يتحركوا لمحاسبة الحكومة على ترددها وتاخرها . وهذا مفهوم ، ففى مجال زيادة الضرائب نجد عددا غير قليل من اعضاء المجلس اكثر ترددا من الحكومة .

الناس معذورة اذن حين تنسى رسالة يناير .
والعجيب فى الامر هو ان مجلس الشعب خاض — فى نفس هذه الفترة — معركة الاصلاح الوظيفى ، وكأنه يقول للجماهير ان هناك طريقا مباشرا لا يحتاج لاى اجراءات معقدة لحل المشاكل المعيشية . كان مشروع الاصلاح الوظيفى الذى تقدمت به الحكومة يتطلب حوالى ٢٢ مليون جنيه ، فاذا بلجنة مجلس الشعب التى درست المشروع تقدم مشروعا مضادا يتكلف حوالى ٧٢ مليون جنيه . ثم فتح الباب لمناقشة بدلات طبيعة العمل ، وسارعت الفئات تطالب، حتى بلغ عددها ٢٥ فئة ، ووعدت باقرار حقها فى البدلات مع العام المالى الجديد .ووجه العجب فى كل هذا هو ان تقرير لجنة مجلس الشعب ، لم يبحث كيف تدبر الاعتمادات الاضافية اللازمة ، والتى تبلغ فى ميزانية هذا العام ٥٠ مليون جنيه ، ومفروض ان اللجنة ترفض ان توفر الحكومة هذا المبلغ بطبع كميات اضافية من البنكنوت تحدث مزيدا من التضخم وتزيد من اعباء المعيشة للفقراء . واللجنة فى نفس الوقت غير متحمسة لزيادة الضرائب . ان « **الاهرام الاقتصادى** » كان محقا حين قال [عدد اول ابريل] انه اما ان مقدمى المشروع يدركون ان هذا المطلب فوق طاقة الميزانية وان توفير المبلغ لن يتم الا اذا فرضت ضرائب جديدة على الناس ومع ذلك تقدموا بالمشروع ، او انهم لم يكونوا فى الصورة كما ينبغى ، فتقدموا به وهم لا يعلمون باستحالة تنفيذه . والاحتمالان — كما يضيف الاهرام الاقتصادى — ليسا فى صالح اللجنة التى تقدمت بالمشروع . ان موقف حكومة د . حجازى فى معارضة اتجاه اللجنة كان له منطقه ، فهى ترفض او على الاقل تتردد فى زيادة الضرائب ، وهى تدرك ان تدبير ٥٠ مليون جنيه اضافية — بدون تمويل تضخمى — يحتم نوعا من اعادة توزيع الدخل القومى ، اى انتزاع قدر من الفائض الاقتصادى الذى تستحوذ عليه الطبقات القادرة لكى يستخدم فى زيادة الاجور على النحو الذى اقترحته لجنة مجلس الشعب . والحكومة ترفض هذا او تتردد فى قبوله كما قلنا ، واذن كان موقفها مفهوما فى معارضة زيادة الاجور على النحو المقترح .

فى مقابل هذا قرر **الرئيس السادات** فى ٥ ابريل ان يشمل مشروع القانون تصحيح أوضاع العاملين ، جميع من يعملون فى الدولة، اى قرر ان يمتد تطبيق القانون بكافة مزاياه على جميع العاملين فى القطاع العام . وهذا القرار وموقف الطبقات الكادحة والقوى التقدمية من تأييده ، هو ايضا مفهوم ، فهو مشروط ومربوط بالاتجاه الذى دعا اليه الرئيس السادات من اجراء « تغييرات هامة » تهدف الى نوع من اعادة توزيع الدخل القومى بين مختلف الطبقات ، اى انه مربوط بتدبير اموال حقيقية لمواجهة الزيادة فى الاجور .

الغير مفهوم هو موقف لجنة مجلس الشعب؟ واذا عدنا الى الاحتمالين اللذين اشارت اليهما الاهرام الاقتصادى ، فى محاولة لتفسير الموقف، سنجد ان اللجنة كانت تماما فى صورة الميزانية، على الاقل من خلال د. **احمد ابو اسماعيل** [رئيس لجنة الخطة والموازنة فى ذلك الوقت] وبالنسبة للاحتمال الاخر فان اللجنة ، وخاصة د.**احمد ابو اسماعيل** يرفض فرض ضرائب جديدة لزيادة ايرادات الخزانة ، وهو واضح تماما فى هذا ، واكده فى اول تصريح له بعد قبوله الوزارة وقبل حلف اليمين ، فقال « ان جهاز الضرائب يتحرك الان فى ظل قوانين كافية، واحكام التطبيق هو الاساس » [الاخبار — ١٦ ابريل ١٩٧٥] .

اذن ما هو تفسير موقف اللجنة ؟ ليس لهذا من تفسير ، الا ان اللجنة ارادت ان تعلن انها تشاطر الجماهير فى همومها ، وتتقدم بحلول من جيب الخزانة العامة ،وليس من جيب الراسمالية .. انها فيما يبدو محاولة لتفادى وضع نظام ضرائبى عادل ، وهو موقف « غير شعبى » ، ثم محاولة تغطية هذا الموقف « بحديث » عن الاصلاح الوظيفى ، وهذه لعبة خطرة ، واذا كان الامر كذلك فما الذى سيفعله الدكتور احمد ابو اسماعيل الان بعد ان اصبح وزيرا للمالية ؟ انه الان امام الامر الواقع [والذى كان يعرفه] وهو ان جيب الخزانة يعانى ، فهل ستمتد يده الى جيب الطبقة الراسمالية لياخذ حق الشعب ؟ انه وفقا لتصريحه الذى ذكرناه لازال يصر على عدم فرض ضرائب جديدة ؟ انه مأزق فى الحقيقة .

وعلى اى حال ، وحتى لا نفقد السياق ، فاننا بصدد رسالة **الرئيس** فى يناير ١٩٧٥ ،وما قابلته من تراخ اعلامى وتباطؤ تنفيذى وتشريعى ايا كانت اسبابه . على هذا الضوء جاء خطاب ١٤ ابريل الى المواطنين وبداه قائلا « لقد اخترت ان يكون حديثى اليكم عن الشئون الداخلية لقاء مباشرا معكم ، اتوجه به الى قلوبكم وعقولكم راجيا ان تكونوا جميعا معى فى هذه اللحظات » .. وقال « اريد ان الفت النظر بوضوح الى اننا لسنا مجتمعا لاصحاب الملايين ، وانما نحن مجتمع للعاملين المنتجين .

ان هذا المجتمع لن يعود مهما حدث الى حالة كان فيها قبل الثورة ، يوم ان كان نصفا فى المائة

فقط من السكان يحصلون وحدهم على نصف الدخل القومي . ذلك فساد لا اقبل به ، وذلك افساد لا يقبل الشعب به ، وسوف اقاومه وسوف يقاومه الشعب معي » .

خطاب ابريل والحكومة الجديدة

لقد أعاد الرئيس في هذا الخطاب تأكيد موقف يناير ، وتشكل مجلس وزراء جديد برئاسة **ممدوح سالم** ، ونرجو ان يكون المجلس الجديد أكثر حسما في اصدار التشريعات والاجراءات المطلوبة من اجل دعم تحالف الجبهة الداخلية في مواجهة العدو الاسرائيلي . ونرجو الا يطالب مجلس الوزراء الجديد بمهلة اخرى ، فتكفي المدة التي انقضت منذ يناير حتى الان ، والتي ادت الى زيادة التوتر الاجتماعي . ومن ناحية اخرى فان الدراسات قد استكملت وزيادة . والسيد رئيس مجلس الوزراء هو عنصر استمرار مع ماتم في مجلس الوزراء السابق ، وبالتالي فان مشروعات القوانين الجاهزة لابد وان تحول فورا الى مجلس الشعب .

واذكر هنا ان مجلس الوزراء برئاسة د . **عبد العزيز حجازي** كان قد اجتمع سبع ساعات في ٢ ابريل واصدر بيانا جاء فيه أن المجلس ناقش اعداد التشريعات الخاصة بحماية المال العام وترشيد الانفاق والاستهلاك والتشريعات الضريبية . ناقش المجلس الهيكل العام للنظام الضريبي المتمثل في ضرائب مباشرة على راس المال وعلى الدخل ، وفي ضرائب غير مباشرة على التداول والمعاملات والاستهلاك ، ورسوم الملاهي والرسوم الاخرى المتنوعة ، وناقش اثر كل من هذه الضرائب على موارد واعباء كافة الطبقات . والمعروف ان العبء الاكبر من هذه الضرائب غير المباشرة تتحمله الطبقات الكادحة . ولذا قرر المجلس ضرورة ان تكون الضرائب غير المباشرة — بقدر الامكان — تصاعدية بما يحقق مزيدا من العدالة الاجتماعية ويؤثر تأثيرا واضحا على الانفاق البذخي .

بيان الرئيس انور السادات الى الامة

وجه الرئيس انور السادات بيانا الى الامة في ١٤ ابريل الماضي . وقد حظي البيان باهتمام سياسي كبير انعكس في المناقشات التي دارت حول ما جاء في البيان ووسائل وضعه موضع التطبيق .

وجريا على تقاليد « الطليعة » في نشر نصوص البيانات والاوراق التي تكتسب اهمية خاصة في ظروف محددة ، واقامة حوار معها ، فاننا ننشر نص بيان الرئيس . ثم ننشر وجهة نظر عادل حسين حول القضايا التي طرحها البيان . وفيما يلي نص البيان :

ايها الاخوة المواطنون

لقد وعدت في خطابي امام مجلس الشعب يوم التاسع والعشرين من شهر مارس الماضي ان اتقدم اليكم بحديث عن الشئون الداخلية اطرح فيه تصوراتي لمرحلة من العمل الوطني تنتظرنا وها انا ذا افعل . ولقد اخترت ان يكون حديثي اليكم عن الشئون الداخلية لقاء مباشرا معكم اتوجه به الى قلوبكم وعقولكم راجيا ان تكونوا جميعا معي في هذه اللحظات ذلك لان المسئولية ليست لفرد مهما احسنتم الظن به ولا هي لجماعة من الناس مهما حسنت نواياها . ان المسئولية الان للشعب باكمله ويضاعف من هذه المسئولية ان هذا الشعب يحتل مكانة خاصة في تاريخ وحياة امة باثرها واكثر من ذلك وربما اخطر من ذلك فان هذه الامة امتنا العربية ليست مجرد كيان جغرافي او تجمع انساني ملقى على ركن بعيد من الدنيا لا يشعر باحد ولا يشعر به احد .

وانما هذه الامة في قلب العالم وفي وسط صراعاته التاريخية والحضارية والسياسية والاقتصادية . وبالتالي فان ما نفعله هنا يقرر لنا وما نفعله هنا ايضا يؤثر في امتنا وما نفعله هنا يهم هذا العالم كله وبغير استثناء .

من هنا وفي هذا الحديث الى قلوبكم وعقولكم وبهذه المسئولية العظمى على المستوى الوطني والقومي والانساني فاني اريد ان اكون واضحا معكم الى ابعد حد صريحا الى غير ماحد ويساعدني على ذلك انني عرفتكم حق المعرفة لاني منكم وخبرتكم في كل الظروف لاني عشت حياتكم ولقد مرت ظروف لم يكن معي فيها غير اصالتكم ولم يكن لي من سلاح غير خبرة حضارية ترسبت في اعماقكم عبر سبعة آلاف سنة من التاريخ المكتوب هي لكم شهادة صدق .

في ٢٨ سبتمبر سنة ٧٠ وبعد رحيل جمال عبد الناصر كنتم ، انتم وانتم وحدكم كنتم العون والسند في انتقال تسلمي لمقاليد السلطة وقف العالم كله امامه مبهورا ومعجبا .

في ١٤ مايو سنة ١٩٧١ وفي وسط عملية تصحيح لمسار ثورة ٢٣ يوليو .. وهذه العملية كانت محفوفة بالاخطار كما تعلمون .. كنتم انتم .. وانتم وحدكم القوة والسلطة التي قررت وحسمت واعطت لهذا الوطن امكانية

وبالنسبة للضرائب المباشرة اوضح ده. الشهار وزير المالية السابق ان ما يتحمله القطاع العام من ضرائب مباشرة يبلغ اكثر من ٨٠٪ من مجموع الضرائب المباشرة وذلك في الوقت الذي لا يمثل فيه سوى ٥٣٪ من مجموع النشاط الاقتصادي ، واوضح ده. الشهار أن ما يتحمله القطاع الخاص من هذه الضرائب المباشرة لا يتناسب بالتالي مع حجم النشاط الاقتصادي الذي يقوم به [٤٧٪] وقد قرر مجلس الوزراء السابق على ضوء هذا عددا من المبادىء :

١ ــ أن يخضع للضريبة الفائض الكبير الذي يحققه بعض الممولين نتيجة لزيادة قيمة ما يمتلكونه من بعض انواع الثروة ، دون جهد مبذول ، والمثال هنا الاراضي والعقارات .

٢ ــ اخضاع الدخول التي لم تمتد اليها يد التشريع حتى الآن ، للضريبة . وقد لوحظ ان ارباح الاستغلال الزراعي اخضعت اخيرا ، فقط لضريبة بسيطة تتنبنى تتمثل في ضرائب الدفاع والامن القومي .

٣ ــ سد الثغرات الموجودة في التشريع الضريبي على نحو يحول دون تجنب بعض الممولين الخضوع للضريبة والاتلات بنها ، فالحصيلة منخفضة بشكل واضح في الضريبة على الارباح التجارية والصناعية ، وكذلك في الضريبة على ارباح المهن الحرة والضريبة العامة على الايراد .

وبمناسبة الضريبة العامة على الايراد ، فاننا لا نملك الا ان نضيف لحديث مجلس الوزراء السابق حقيقة بالغة الشذوذ ، فكلنا يشاهد بعينيه كل يوم تزايد الطبقة الرأسمالية عددا وثروة ، ومع ذلك تناقصت حصيلة ضريبة الايراد العام خلال السنوات الست الماضية ، اي من ١٩٦٩ الى ١٩٧٤ ، بنسبة ٦٠٪ ! هل يعقل هذا وهل يحتمل ؟ ! وهل يعقل ان يكون متوسط ما تحصل عليه الدولة من الخاضعين لضريبة

تطور ديمقراطي حقيقي . في ٦ اكتوبر ١٩٧٣ واثم تحد عسكري وسياسي بدا قبوله لنسكل مستعجل اثر شبه مستعجل كنتم انتم وانتم وحدكم ملتلج الحق والحقيقة .. وكان شباجكم وابناؤكم على جسور العبور وفي سيناء شرفا لهذه الامة . لا يطاوله شرف ، واذا موازين القوى في هذه المنطقة تتغير ، واذا هذه الامة لاتزال ارادتها في الصادر وحده . وانما اذا بهذه الامة تؤكد ايضا وبجلاء الله ان المستقبل لها مهما كابر عدوها . مهما حقد عدوها . مهما حاول هذا العدو بالتنا ان يلتا امام سد التاريخ وامام موجاته العاتية ..

ايها الاخوة المواطنون ..

في حياة كل شعب وامة لحظات لا بد فيها من وقفة لتحديد مع القلوب والعقول تحدث فيه اعماق النفس بذلك الهدوء الذي يمنحه الايمان وحده ويعيش في جوانب التجربة بحاول ان يزن وان يقيم بذلك اليقين الذي يمنحه العلم وحده . واقف من ذلك كله ان تكون هناك بين الوقت والاخر عملية مراجعة للنفس وحساب للتجارب يكون من شأنها ان تزداد النفوس ثقة وقوة وان تزداد التجارب ثراء ونضج .

ونحن الآن امام لحظة من هذه اللحظات اقف اخاطر فيها الشعوب الحية إلى نفسها تتابل وتفكر وتشف فيها النسوب العميق ايضا امام تجاربها تزن وتقيم :

ولقد يكون خير مانقصفه الآن ونحن امام مثل هذه اللحظة التاريخية ان نبدأ فنطبت اولا وقبل كل شيء من منطلقاتنا الاساسية نعيد تحديدها لكي نعيد تجديدها ..

ولو حاولت ان افعل شيئا من ذلك امامكم لقلت ما يلي :

نحن قوة من قوى الثورة الوطنية في هذا العالم نسعى الى الحرية ونقاتل دفاعا عنها ونعتقد ان مصير الحرية لا يتجزأ . ونحن وسط قوى هذه الثورة طليعة من طلائع الاشتراكية نؤمن بأن الحرية ليست مجرد شعار سياسي وانما هي حقائق اجتماعية واقتصادية .

ونحن في هذا الاختيار الاشتراكي نقدس الديمقراطية مادامت ان الديمقراطية ليست كلمات لها رنين وانما الديمقراطية ، والديمقراطية الحقة هي سلطة الاغلبية اي سلطة قوى الشعب العاملة .

ونحن في هذا الاحترام للديمقراطية لا نقبل بالكلام يلقى على عواهنه بين الحين والحين هذا وانما نحن نقول وسوف نظل نقول بأن الضغط لابد لها من اطار ولابد لها من جسور ، وسلطة قوى الشعب العاملة لا يمكن ان يكون لها اطار او جسور الا تحالف قوى الشعب العاملة

ونحن في هذا التحالف سلطة الديمقراطية تحالف قوى الشعب العاملة

نجد امامنا الى المستقبل طريقين لا ثالث لهما نحو بناء مجتمع صحي ومجتمع قوي طريق الانتاج وطريق الرفاهية . اي عمل بالنص ما يقدر الفرد على العمل ،

وتوزيع بالعدل ما يفرز العمل على العدل ونحن في هذا كله وبه ومعه جزء من امة عربية واحدة رضاؤها لا يتجزأ

وامنها لا يتجزأ ماضيها لم ينقطع ومستقبلها موصول بإذن الله . ونحن في هذا كله وبه ومعه طرف في هذا العالم الذي خال شوقه للسلام وكانت هروبه وحبوبه طلبا لهذا السلام تاما على العدل لانه لا سلام الا والحقوق محمولة .. ولا سلام الا والمظالم مشروعة مكفولة ولا تقول المظالم لانها قسر مشروعة .

لقد كانت هذه منطلقاتنا الاساسية وسوف تظل هذه منطلقاتنا الاساسية كانت هذه منطلقاتنا الاساسية منذ عبر عنها عبد القادر باشم قورة ٢٣ يوليو ، ومنذ حملت المسئولية من بعده فقد ظل تمسكي بهذه المنطلقات الاساسية كاملا ومطلقا ليس فقط باعتباري شريكا في ثورة ٢٣ يوليو ولكن لاني شاركت مع عبد القادر وعن قناعة وايمان بسلامة هذه المنطلقات وبانها الطريق المستقيم امامنا ولو قد ظل ممكنا لك ما سكت ولو قد طرأ ما يجدعوني لتغيير رايي لما ترددت لحظة ولتم تعرفون لاني شاركت من اجيء اليكم اعرض عليكم رايي واتلقى منكم قرارا .

الايراد العام [من يتجاوز دخلهم السنوى ١٠٠٠ جنيه] هل يعقل ان يكون المتوسط ٢٠ جنيها فقط رقم قسوة النسب التى يقتطعها القائمون [نظريا] من اصحاب الدخول العالية ؟ [.

اهم ٣ نعود الى المبادىء التى اقرها مجلس الوزراء السابق :

٤ ـ ضرورة وضع وسائل جديدة للكشف عن المتهربين وادخال المتأولين ومحاولى الباطن وتجار المُنْشطة وأية فئات أخرى تحقق ارباحا مرتفعة دون أن تدفع عنها ضرائب .

٥ ـ ينبغى النظر فى دخل الاسرة سواء كان مصدره عقارات مبنية او دخلا زراعيا او عملا كوعاء خاص للضريبة حتى يتسنى تحديد القادر وغير القادر بطريقة اسلم ، بما يضمن عدالة توزيع العبء الضريبى .

... الدراسات قد اكتملت الآن . ولم يعد يحتاج الى مزيد . والمطلوب فقط من مجلس الوزراء الجديد ان يكون اكثر حسما فى تنفيذ ما تقرر من مبادىء . ولكن حديث د . احمد ابو اسماعيل الذى سبقت الاشارة اليه ، لا يعتبر علامة مطمئنة فى هذا الاتجاه ، وكذلك فان اسلوب التصرف مع قانون الكسب غير المشروع يثير التساؤل . لقد قال الرئيس السادات فى رسالة بناير « ارى ان تبدأ فورا اللجان المختصة بوزارة العدل فى فحص اقرارات الذمة المالية لكل القيادات التنفيذية والتشريعية والسياسية وان توفر لها الحكومة ما تحتاج اليه من خبرات فنية » . ولكن مرت الايام والاشهر وكلمة « فورا » هذه معلقة فى الهواء .

وفى الاجتماع الاول لمجلس الوزراء الجديد [١٧ ابريل] أعاد الرئيس الحديث فى موضوع تطبيق قانون الكسب غير المشروع « لو استطعتم ان يكون ذلك فورا كى نريح الناس ونريح الدنيا كلها .. ولنبدأ بفحص اقرارات الاشخاص والمناصب القيادية العليا والتعرف على حالتهم، ولقد كان هناك من تصورونا على خطأ ان الطريق طويلان وبأن الفورة عميقان .

ولم تكن المسألة على الاطلاق وهذه واقعا على الفلط ايضا ، لقد كان هناك من تصورونا خطأ اننا سنطبعون ان ينادوا بوقفة بين عبد الناصر وبيني وكانوا فى ذلك على خطأ ، ان هذه الوقفة لم تحدث بين عبد الناصر وبيني فى وجوده ولا يمكن ان تحدث بينه وبيني فى غيابه .

... ولقد نسوا .. ان العلاقة بيننا لم تكن علاقة يطلق عليها وانما كانت صداقة مبدأ تحمل كل منا مسئوليته فيها بمقدار ما اتيح له امانة ونزاهة .

ولقد كان هناك ايضا من تصوروا خطأ ان الخروج بعض هوامش الحرية منشأه التعرض للتجربة ذاتها من الاساس .

لقد كانت تجربتنا مطلوبة . وكل التجارب الانطلاقة قد كانت لها ايجابياتها وكانت لها سلبياتها . وعندما نسجع فاننا يجب ان نحارب فلا نحارب القديم متصورين اننا نحارب التقييم . ولقد كان مطلبى واضحا منذ البداية ـ كانت هناك ايجابيات عظيمة وهذه منجزات حققها الشعب .. حققوها انتم ولابد من النهوض بها والبناء من فوقها . وكانت هناك سلبيات شابت التجربة وكانت فى بعضها من صنع افراد استبد بهم الهوى او اعمتهم السلطة وهذه تؤيد من استغلها ولكن التطور نفسه تجاوزها الآن .. هل كان من المقبول او من المعقول ان نظل جاثمين عند تلك التقسيمات لكى يقال عنا اننا اوروبن .

ان هذا فى رأيى ثورية بالاسم وهذه وبالشعار وهذه .. وكلاهما فى الظروف المتغيرة قديم وعقيم . لقد كنا فى مرحلة سابقة نحاول ان نحصل على ديمقراطية

النشعبية من محمونة الدول المتقدمة ، ولكن ديمقراطيتنا الان اصبحت اكبر بمنع ليرعوس الاموال ، فهل كان ممكنا الا نأخذ علما بذلك ونتصرف على اساسه ؟ وفوق ذلك وبعده فان الثورة الديمقراطية فى العالم العربى استخلصت من فكر الثورة فبدأت هى الاخرى تتخلى رهاب التاريخ وتبذل جهودا هائلة فى التنمية بفضل ما اتيح لها من موارد وهذه التنمية الاقتصادية والاجتماعية تفرض مع كل يوم موجهة جديدة والذى فان الامة العربية كلها مدات تسير على نفس الطريقين اللذين كنا نحاول السير عليهما : اى الانتاج والرفاهية فما هو الامر الذى لاتتمثل مالم تعد هناك ضرورة له ؟ لكنه الخطأ والغلط كما قلت والعجز الفورى من فهم الظروف المتغيرة وتحليلها والاستفادة بها لصالح القدم الشامل على ارض امة عربية بسرعة .. انها حرية لم تتب فيها المناقضات الاجتماعية ولكن ذاب فيها ويجب ان يذوب اى داع يدعونا الى الحدة فى ادارة هذه المناقضات ويجب ان يذوب ايضا اى داع الى العنف فى تحريك هذه المناقضات ..

ولقد كان من اسباب الخطأ والغلط ايضا ان هناك من تصوروا ان التجربة الفورية للتعبئة توقفت عند لحظة معينة من الزمان ونسوا ان الثورية الحقيقية ليست الجمود وانما الثورية الحقيقية هوار مع الظروف المتغيرة واستجابة للتحديات الطارئة . والا فهو القعود بدلا من الحركة وهو التراجع بدلا من التقدم . وعلى سبيل المثال .. فهل كان يمكن ان نتصرف فى سياستنا الدولية فى عصر الوفاق بنفس المناخ الذى كنا نتصرف به فى عصر الحرب الباردة .. كانت الخطوط فى عصر الحرب الباردة محددة .. كتلة غربية وكتلة شرقية . والان فان الخطوط فى عصر الوفاق متداخلة لان عصر الوفاق الذى فرضته استحالة الحرب النووية بين القوتين الاعظم جعل التعاون السياسى والاقتصادى، والتقانى بين الكتلتين على اشد واقرب ما يكون التعاون فهل كان يمكن الا ناخذ علما بذلك ونتصرف على اساسه . وهكذا آخر فى سياستنا العربية .. بعد تفجرت الثورة العربية فى مكان آخر غير المكان الذى تفجرت فيه الثورة العربية واحدث ذلك اثرا بعيدا المدى .

ان الثورة العربية اصبحت المطلقة الايمانية التى تستطيع ان تخدم قضية البناء الاقتصادى والاجتماعى فى ارض الامة العربية كلها من اقصاها الى اقصاها فهل كان من المقبول او من المعقول ان نظل جاثمين عند تقسيمات فى العالم العربى صاحبت مرحلة من مراحل تطوره

وتوضح للشعب ؟ وأن نتناول بعد ذلك اقرارات بقية المستويات بما يحقق الثقة والراحة ، حيث أنى لا اريد ولا احتمل اى واحد منكم محل شبهة عند الشعب » .

بعد هذا الحديث القاطع قرر مجلس الوزراء انه سيبدأ « فورا » تنفيذ ما دعا اليه **الرئيس** بعد صدور قانون الكسب غير المشروع . ولا ادرى ما معنى كلمة « فورا » هنا اذا كان التطبيق سيؤجل الى حين اصدار القانون ؟! ثم لماذا التأجيل ؟ ان القانون قائم فعلا والتعديلات المقترحة لا تعنى اكثر من أنه سيشمل فئات جديدة لم تكن تخضع للقانون مع دعم لقدرات الجهاز الذى يبحث الاقرارات ، وكل هذا لا علاقة له بامكانية تطبيق القانون القائم على القيادات بلا اى تأجيل ، مادمنا ندرك الاهمية السياسية الملحة لهذا الاجراء .

على اى حال أرجو الا أكون قد بالغت فى تأويل أول قرار يتخذه مجلس الوزراء الجديد ، ولكن تجربتنا مع التأجيلات السابقة فى ادخال اى اصلاح اجتماعى او ادارى حقيقى ، تبرر فرط حساسيتنا .. ومع ذلك فالمسألة ليست فى الحقيقة حساسية ، فقد استشعر **الرئيس** وهو يتناول القضايا التى جاءت فى رسالته وخطابه وتصريحاته ، ان اقرار الاصلاحات المقترحة ليس امرا سهلا . والتعبير الذى استخدمه فى مطلع رسالة يناير يدل على هذا « لقد عودتكم — حتى فى أصعب الساعات — على مواجهة التحديات التى امامنا بصدق وصراحة » . وفى مطلع خطاب ابريل قال « فى حياة كل شعب وأمة لحظات لابد فيها من وقفة لحديث مع القلوب والعقول » . كان الرئيس يستشعر اذن مصاعب تنفيذ المقترحات التى يتقدم بها . وهذا طبيعى فتصحيح الاتجاه ، أو ادخال اصلاح فى العلاقات الاجتماعية القائمة يعنى ان نأخذ بعض المال من طبقة الرأسماليين المقتدرة ، والمتوقع والطبيعى هو أن تعترض هذه الطبقة . واذا كانت هذه الطبقة قد دعمت نفوذها الاقتصادى وضاعفت ثرواتها خلال السنوات الأخيرة ، فانها دعمت فى

ايها الاخوة والاخوات :

لقد كانت هذه الاعتبارات والضرورات التى اضفنا منها الى منطلقاتنا الاساسية مجموعة من الضمانات الجديدة .

اولها : مرونة فى السياسة الدولية تدعونا من موقف الاستقلال واللا انحياز الى التعاون الحر الايجابى والخلاق مع كل الاطراف الدولية بلا عقد او رواسب من الماضى ، لان الظروف تغيرت فانتقلنا من عصر الحرب الباردة الى عصر الوفاق الدولى .

ثانيها : اسلوب مختلف فى العمل العربى يجمع بالاختيار وبالرضا كل القوى العربية وبغير استثناء او تمييز وذلك لصالح التقدم العربى الشامل ولصالح الامن العربى الذى لا يتجزأ .

ثالثها : منطق جديد فى رسم وتوجيه سياسة التنمية ينفتح على الكل ليحصل على الخبرة والتكنولوجيا من حيث يستطيع الحصول عليها وينفتح على العالم العربى بوجه خاص ، لان العالم العربى بوجه خاص اصبح اكبر مصدر واكبر مورد للاموال اللازمة للاستثمار ، بل وللدفاع ايضا على اساس ماقلناه وكررناه وسوف نظل نقول به ونكرره وهو ان الرخاء العربى لا يمكن ان يتجزأ كما ان الامن العربى لا يمكن ان يتجزأ . ولقد وقع البعض منا بالخطأ والخلط فى منزلقين تصور البعض بالخطأ انه يستطيع ان يدين الماضى كله ، ونسوا بذلك ان الحاضر امتداد بالتطور للماضى ، وتصور البعض الاخر بالخلط انه يستطيع ان يشكك فى الحاضر ، ونسوا انه لن يثبتوا بذلك الا شيئا واحدا هو العجز عن رؤية المستقبل ، لكن الاغلبية العظمى من شعبنا ومن امتنا لم تقع فى الخطأ ولا وقعت فى الخلط ، لقد فهمت وادركت وسارت وواصلت .. وبقى اصحاب الخطأ واصحاب الخلط فى منزلقاتهم لا يرون ولا يسمعون ولا يفهمون .

ايها الاخوة والاخوات — لقد اردت بهذا الطواف الفكرى حول آفاق ما نحن فيه ان اجلو وان اوضح منطلقاتنا الاساسية وما زاد عليها مما اردناه لها من ضمانات جديدة ، وسنضع التجربة كلها تحت الضوء ولكى نزيل من حولها كل التباس وحتى لا ينجح احد ولن ينجح احد فى التشويش على فكر شعبنا وامتنا بالدس على ماضيه او بالتعويق عن مستقبله .

ايها الاخوة والاخوات — قبل ان انتقل بكم الى بعض اوجه القصور ، وفى ظنى انه جميعا مما نشأ عن الخطأ والخلط ، ولقد كنت الاحظ منذ البداية والفت النظر وقد حان ان اضع ذلك امامكم لتكونوا معى شركاء وناصحين خصوصا وان الرقابة يجب ان تكون فى يدكم سلاحا من اسلحة الممارسة الديمقراطية الحقة

لقد لاحظت امورا ثلاثة اعرضها عليكم كما يلى :

اولا : لاحظت قصورا فى فهم الظروف المتغيرة ومن ثم قصورا فى الامساك بالفرص المتاحة امامنا ، وبرغم ان شعار الانفتاح قد انطلق فاننى لم اشعر ان واقع الانفتاح قد تحقق ، ظلت بعض الرواسب القديمة تتمسح احيانا بشعار الاشتراكية ناسية ان الاشتراكية الحقيقية هى ان يصبح مجتمعنا كله مجتمعا من المنتجين .

ان هناك محظورا واحدا فى الاشتراكية وليست هناك من محظورات غيره ، هذا المحظور الوحيد هو استغلال الانسان للانسان ، وليس فى الانطلاق الى التنمية اذا ما تحددت التنمية فى خطة لها اهداف ليس فى هذا الانطلاق استغلال للانسان وانما هو تنمية من اجل الانسان ، فظلت بعض العوائق البيروقراطية تسد الطريق كما حاولت دواما ان تسد الطريق امام كل امل لشعبنا وكل مطلب له ، وتعثرت مشروعات ما كان لها ان تتعثر ، وتلكأت الاجراءات والتعقيدات وكأننا لسنا فى سباق مع الزمان نحاول تعويض ما فات واللحاق بالعصر كما ينبغى ان يكون اللحاق به ولم يكن ذلك كله فى رأيى مطلوبا ولا مقبولا .

ثانيا — لقد كان هناك من تصوروا ان الظروف الجديدة فرصة متاحة لمجموع الشعب كله . وهكذا لاحظت بكل اسف — واكرر بكل اسف — ان هناك ثروات تتراكم ويجىء تراكمها فى معظم الاحيان من اعمال طفيلية . واريد هنا ان اقول بصراحة اننى لست ضد ان يكسب احد بجهده ما يستحق .

نفس الوقت علاقاتها بالمؤسسات السياسية والاعلامية . نحن نذكر كيف قوبلت حكومة د . عزيز صدقي بمعارضة عنيفة في مجلس الشعب حين أرادت فرض ضريبة على الحدائق. ونشلت جهود الوزارة رغم كل المناقشات والحجج العلمية والاقتصادية التي قدمها د . مصطفى الجبلي وزير الزراعة في ذلك الوقت . فكيف يكون الحال اذا كان الامر يتعلق بحديث عن سياسة ضرائبية موجهة ضد الدخول المتنوعة لكل الطبقة الرأسمالية ، وليس ضد دخل فئة واحدة من فئات هذه الطبقة ؟

ان التردد في اصدار التشريعات الضرائبية لم يكن بسبب تكاسل اللجان الوزارية والفنية. ولكنه انعكاس لضغط الطبقة الرأفضة . هذه هي الحقيقة ، وينبغي ان نواجهها بصراحة اذا كنا سنعمل للاسراع باصدار هذه التشريعات.

لقد خاطب الرئيس السادات عقل وقلب هذه الطبقة . فبالقلب : نحن لازلنا في قلب معركة ضد عدو يحتل أرض الوطن . و « شعبنا تادر على مواجهة المرحلة الصعبة التي تمر بها ـ وهي مرحلة التحرير والتنمية ـ على اساس المساواة في التضحيات » . وبالعقل : فان مصالح الرأسماليين الذين لا ترتبط مصالحهم بغير مصر تؤكد عليهم قبول التضحيات التي يفرضها . اننا « قوة من قوى الثورة الوطنية في هذا العالم نسعى الى الحرية ونقاتل دفاعا عنها ونعتقد ان مصير الحرية لا يتجزأ » .

وعلى الرأسمالية الوطنية ان تدرك ان بلدنا وشعبنا لن يخلي من بئله الاشتراكية وانجازاته التقدمية ، وعليها ان توائم بين تطلعاتها وبين هذه الحقيقة الموضوعية . وبالاضافة الى اعتبارات المعركة الوطنية واطار التقدم الاجتماعي المكتسب ، فان سياسة الانفتاح وتشجيع القطاع الخاص تفترض جوا من الاستقرار السياسي ، ويفترض بالتالي « منعا لاي آثار جانبية » ، اي انحراف أو اهوجاج ، [يقصد الانحراف عن العدالة في توزيع الدخل] وتابعنا للسلام الاجتماعي ، وان نعمل على ارساء الوسائل القانونية القادرة على تحقيق هذه الاهداف بحيث يجب ان نجرب المستحيل . وفي كل الاحوال فاننى لا اتصور ان نترك كتالميق المعيشة ومشاكل الاسكان والمواصلات حيث هي الان .

ايها الاخوة والاخوات ـ هذه ثلاثة أمور لابحقها ولابد اننا نحافظ عليها معا بل اننا جميعا نطالبها كل يوم . ولعلي اقول انها الان اهم مايواجهنا من مشاكل بتعين حلها والا فاننا سنجد انفسنا امام مالا نستطيع ان نرضى به اذا لم نستطع ان نرى آفاق الانفتاح ، الان فالفرصة الماثلة امامنا اليوم سوف تضيع واذا لم نستطع ان نقضي على منابع الفساد والافساد فاننا سوف نجد الفوارق بين الطبقات تصبح ولا تقوب . واذا لم نستطع ان نضبط موجة ارتفاع الاسعار وتسيطر عليها فاننا سوف نجد ان الحياة قد اصبحت صعبة على قوى الغالبين المنتجين في وطننا . واذا توقفنا امام هذه الاشكال نكون نستطيع الالحاق بما نريد من اعمال عراقي . كيف نصل الى امل لا يعاونه في تقديري اي امل وهو نامين كل فرد في هذا المجتمع الذي نعيش فيه . لقد قلت انني اريد تامين معاش لكل عامل ولكل ارملة ولكل معين على ارض مصر قلت ذلك وظليته واصر عليه ولا بد ان يتحقق .

ايها الاخوة والاخوات .. اقصد اردت ان أوجه حديثي هذا اليكم في وقت اعتقد فيه اننا على بداية مرحلة جديدة ولم أفعل ذلك الا وقد اكتفيت قدي خطة لمواجهة مطلوبات هذه المرحلة وسبوق ابدا بلان الله وعلى القور في اجراء تغييرات اساسية وشاملة وجدنها لازمة لكي نستطيع مواجهة هذه المرحلة لتحقيق ماترجوه فيها من اهداف . وليست اريد تغييرات في الاشخاص ، وانما اريد تغييرات في الاسلوب . وليست اقصد الى تغييرات في الشكل وانما اقصد الى تغييرات في الجوهر وفي الصميم .

انني اطلب الان ان تكون مناقشاتنا الاساسية حقائق هية واطلب ان تكون الضمانات الجديدة لهذه المناقشات الاساسية استجابة هادئة لظروف هادئة وعربية ووطنية متغيرة ولا أرفض ان تكون هذه الضمانات تكلفة للجهود المتقدي او للفجر البيروقراطي ولا ان تكون منها ثغرات متلهة للاثراء غير المشروع على حساب القاس ولا ان تكون اعباء مضافة تجعل الحياة لا تطاق بالنسبة للغالبية العظمى من جماهيرنا .

اطلب ان يكون مجتمع كل المنتجين الذي نريده على ارضنا قادرا على رفع مستوى الحياة لكل فرد من افراد شعبنا قادرا في نفس الوقت على توفير الامان لكل من لا يستطيع رغم ارادته أن يشارك في عملية الانتاج وان يبقى عضوا كريما في مجتمع المنتجين .

اطلب ذلك وتطلبونه معي وسوف نحقق بعون الله ما نطلب وسوف نحققه بمعا « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

ولكني على وجه اليقين قبل ان يكسب احد على حساب غيره من القاس أو استغلالا لظروف القاس ، وأريد ان الفت النظر بوضوح الى اننا لسنا مجتمعا لاصحاب الملايين وانما نحن مجتمع للملايين المنتجين . ان هذا المجتمع لن يعود مهما حدث الى حالة كان عليها قبل الثورة يوم ان كان نصف في المائة فقط من السكان يحصلون وحدهم على نصف الدخل القومي فذلك فساد لا اقبل به وذلك افساد لا يقبل الشعب به وسوف اقاومه وسوف يقاوم الشعب معي ، اقول ذلك لكي اطمئن ظن اسيء وان يسيء الشعب معي باعمال مسيرة طفيلية وباعمال المضاربة والمقامرة وبالمتاجرة بالقوريب وفي السوق السوداء ولا بالاعب بالقوات الشعب ومتاجرة في مصالحه .

ثالثا ـ لقد احسست ان موجة غلاء الاسعار قد زادت عن كل حد يمكن احتماله ، وفي كثير من المناقشات التي اجريتها اخيرا فقد كنت اقول لبعض مساعدي تعالوا نقولوا لي كيف تستطيع عائلة متوسطة الدخل فعلا عن عائلة فقيرة ان تعيش وان توازن حسابها . انني افهم ان موجة ارتفاع الاسعار هي موجة عالمية ولكنني لا أريد ان نكون عالمية موجة ارتفاع الاسعار سافرا نخفي وراءه اسباب قصورنا ونكتفي بإبداء العذر عن ابجاد الحل .

انني اعرف ان الاعذار سهلة وان الحلول صعبة ، ولكن عندما يكون الامر هو حياة الناس ومعيشتهم وتكاليفها فاننا

يحوى النظام القدرة على التصحيح الذاتى من خلال القانون » [رسالة يناير] .. كل هذا الحوار المنطقى والعاطفى ،ورغم قسوة التحديات الخارجية ، وتزايد التوتر الاجتماعى الداخلى ، لم يجعل « قلب » القطاع الاكبر من الطبقة الرأسمالية يرق !

من هنا كانت اللهجة اعنف فى خطاب ابريل فاذا لم يكن النظام قادرا على التصحيح الذاتى، واذا عدنا الى برلمان ما قبل الثورة الذى يرفض اى زيادة فى الضريبة ، ولو انهدت الدنيا كلها . اذا عدنا الى هذه الايام فان العواقب ستكون وخيمة ، وستكون القوى المحافظة هى المسئولة عن الصراعات التى ستنجم عن هذا والتى يستفيد منها العدو الاسرائيلى فى المقام الاول.

نعم ستكون القوى المحافظة هى المسئول الاول ، لان «الاستقرار الاقتصادى لاينفصل عن الاستقرار السياسى ، اذ لا يمكن ان يعيش الانسان اذا كان قلقا على رزقه ، قلقا على مستقبله ، قلقا على امكانياته المادية او مايتاح له من سلع وخدمات » [رسالة يناير] ... « وفى كل الاحوال فاننى لا اتصور ان نترك تكاليف المعيشة ومشاكل الاسكان والمواصلات حيث هى الان » [خطاب ابريل] .

ان مطالبة مجلس الوزراء الجديد باتخاذ اجراءات سريعة ، هى مطالبة بمواجهة شجاعة مع القوى النهمة التى لاتنظر الى ما هو ابعد من انفها ، وبدون هذه المواجهة الصريحة لن يحدث شىء الا تكرار الكلام . واذا عدنا الى تجربة د. **عبد العزيز حجازى** فان المأساة هنا تكمن فى ان الوزارة السابقة تصورت ان بوسعها ان تمنع مستوى المعيشة لجماهير الشعب من التدهور ، دون أن تمس دخول الطبقة المقتدرة، وفى ظروف لا تملك الخزانة فيها موارد كافية. وقد ترتب على هذه السياسة ان وصلنا الى الحالة التى بعث فيها **الرئيس** برسالته والقى بخطابه ، تداركا للمخاطر . لقد انتهت هذه السياسة الى تدهور فى معيشة الجماهير المنتجة من جانب ،والى مزيد من الثراء والتنازلات للطبقة الغنية من جانب آخر .وقد قدمت [الطليعة] نقدا لهذه السياسة فى عددى فبراير وابريل . وكان مفروضا ان يكون هذا النقد وثيقة دفاع عن الحكومة السابقة امام القوى اليمينية ؛ فقد أثبت النقد ان هذه الحكومة قدمت عديدا من التنازلات لهذه القوى . ولكن هذه القوى النهمة لا تشبع . وقد قلنا فى ختام المقال المنشور فى عدد فبراير : « ان نقدنا لسياسة الحكومة وان بدا حادا ؛ فانه لا يعنى الاقلال من تقديرنا لمواقف وزارة د. عبد العزيز حجازى فى الدفاع عن مكتسبات الشعب ، وفى دفاعها عن القطاع العام ، وفى محاولتها لوضع ضوابط على مفاهيم الانفتاح ، ولكنه يعنى بالقطع تحذيرا من انصاف الحلول ودعوة الى اجراءات حاسمة .. لقد فقدت الوزارة تأييد قسم اساسى من اليمين المصرى الذى لايقبل اقل من التصفية الكاملة لكل ايجابيات تحققت خلال اعوام الثورة، بقى ان تكسب الوزارة جماهير الشعب » .. ولكن مرت الاشهر والحكومة تتردد فى مراجعة سياستها ، ولا تستجيب للتحذيرات الواضحة ، فكان لابد وان تترك الحكم للاسف ،ولم تلق تأييد الشعب . هذا هو الدرس المستخلص من تجربة وزارة د.**عبد العزيز حجازى** .

ابو الفتح لم يقرأ الخطاب

والان .. ما هى ردود الفعل التى تلت خطاب ابريل والتشكيل الوزارى الجديد ؟ الشهادة لله لم تتجاهل الصحف هذه الاحداث كما فعلت مع رسالة يناير . لقد كتبت التعليقات ، وبعضها كان معارضا للخطاب ، وبعضها الاخر كان يؤول الخطاب والاجراءات بطريقة تبدو عجيبة .

● **فاحمد ابو الفتح** كان اول من كتب [١٧ ابريل] وتفضل بتقديم برنامج للحكومة الجديدة يختلف تماما عما جاء فى خطاب **الرئيس السادات**، حتى لقد ظننت فى البداية انه لم يستمع الى الخطاب ولم يقراه ، لولا اننى لمحت سطرا فى ختام المقال يشير الى انه سمع عن حديث الرئيس. وليس عيبا طبعا ان يختلف احد الكتاب مع **رئيس الجمهورية** ، حتى وان بدا الخلاف شاملا وجذريا ، ولكن اعتقد ان اللياقة كانت تقتضى مناقشة ما جاء على لسان الرئيس وبيان اسباب الخلاف التى تبرر طرح برنامج معارض ؛ اما تجاهل الخطاب فانه أمر لا يليق .وبالمناسبة فان ما راعنى فى مقال احمد ابو الفتح هو امتداحه الشديد للسيد رئيس مجلس الوزراء ، فهو يقول انه قابل «**السيد ممدوح سالم** اكثر من مرة» وهو يتمتع بخبرات كثيرة ، فهو يتحدث اكثر من اربع لغات اجنبية ،وقد زار الكثير من دول العالم، وله آراء فى الحريات وفى الاقتصاد والسياحة تتمتع بالفهم الصحيح للامور » .

واعتقد ان هذا التقريظ من **احمد ابو الفتح** مسألة لا تخدم رئيس مجلس الوزراء ، **فاحمد ابو الفتح** متفرغ لاستفزاز الجماهير .. هذا الرجل يقول وسط شعب يعانى ويئن بحثا عن لقمة خبز ، انه يمكن لكل من يملك مالا

ان يقوم بحرقه دون ان يسأله انسان عما يفعل! اى استفزاز هذا ، واى تحريض للناس على الهياج ؟» مثل هذا الرجل الذى يطالب بان تكون كل السياحة فى يد القطاع الخاص [وهى مصدر هام للنقد الاجنبى الذى نحتاجه جدا لاستيراد القمح] ومثل هذا الرجل الذى يطلب فى مجال العلاقة مع القطاع الخاص ان نصدر قانونا يشتمل على مادة واحدة ينص فيها على الغاء كافة القوانين التى تعرقل قيام هذا القطاع بدوره الرئيسى [اى ان نصفى — باختصار — كل نظامنا الاقتصادى والاجتماعى] هذا الرجل لم يكن من حقه ان يقول ان السيد رئيس مجلس الوزراء له فهم صحيح فى امور الاقتصاد والسياحة . فكلمة الفهم الصحيح حين يقولها احمد ابو الفتح قد تفهم على ان السيد ممدوح سالم يوافق على آراء السيد كاتب المقال . واذا فهمت العبارة على هذا النحو فانها تؤدى الى بلبلة نحن فى غنى عنها ، وفى ظروف تتطلع الناس فيها الى سياسة اقتصادية تناقض تماما ما يدعو اليه اليمينيون من امثال احمد ابو الفتح .

● ومع احمد ابو الفتح شاركت اخبار اليوم فى نفس الموكب [١٩ ابريل] . فمصطفى امين يصف د . احمد ابو اسماعيل بانه كان يتولى زعامة المعارضة ضد سياسة الدكتور عبدالعزيز حجازى ، ويستنتج مصطفى امين من تعيينه وزيرا للمالية ان الوزارة الجديدة ستتبنى سياسة اقتصادية مختلفة عن السياسة الاقتصادية السابقة . ومصطفى امين لا يقصد طبعا سياسة اقتصادية مختلفة ، بالمعنى الذى طالبنا به فى [الطليعة] ، انه يقصد طبعا سياسة اقتصادية يمينية ، هكذا يتمنى الرجل ، وقد التقط اشارة الرئيس الى العوائق البيروقراطية فى الانفتاح الاقتصادى ، واعتبرها محور كل الحديث . واذا صح ان د . عبد العزيز حجازى كان يركز كثيرا من السلطات فى يده ، الا ان توزيع الاختصاصات وتيسير الاجراءات لا يعنى اننا سنخرج عن الاطار المفترض لسياسة الانفتاح .

والاطار الذى يتجاهله مصطفى امين ولايناقشه هو « ان سياسة الانفتاح الاقتصادى طرحت كسياسة شاملة ، تعبىء مواردنا الذاتية وتوفر لها الانطلاق والحركة وتجلب لها مايكملها ويضاعف من فاعليتها من تمويل وخبرة خارجية مدركين ان عبء التنمية يقع اولا وقبل كل شىء على عاتقنا نحن » .. « ان الموارد الخارجية للتمويل يجب ان تستهدف زيادة الانتاج القومى حسب الاولويات التى وضعتها الخطة . فهو وسيلة لمساعدة الطاقة المصرية فى الوصول الى اهدافها . اننا نرفض ان نفتح ابوابنا لاعمال المضاربة والصفقات العابرة التى لايستفيد منها غير فئة قليلة وتحقق كسبا سريعا قد لا تصحبه زيادة فى الانتاج» . [رسالة يناير] .. لقد تجاهل مصطفى امين كل هذا ، تماما كما تجاهل ما جاء فى خطاب السادات عن استمرار ثورة ٢٣ يوليو ، وعن استمرار الاشتراكية . وهو يلخص مطالب الرئيس من الوزارة الجديدة فى انها « العدالة فى توزيع مواد التموين ، ومحاربة الاتجار بقوت الشعب » . اى ان الامر لايعدو تطوير العمل فى وزارة التموين ! صحيح ان الرئيس قال : « لو اننا كشعب عشنا على نصف رغيف فقط بالتساوى لتقبل شعبنا ، بل حينئذ يعيش ويصمد سنين .. شريطة ان نعيش جميعا على نصف رغيف ، فلا يكون بيننا من يأخذ رغيفا بينما يأخذ الثانى نصفا ويأخذ الثالث رغيفا ونصف » نعم تحدث الرئيس بهذا وعن توفير المواد الاساسية ، ولكن ضمن حديث شامل عن اعادة توزيع الدخول وتعديل التشريعات الضرائبية ، وكل هذا تجاهله مصطفى امين .

● .. والدكتور ابراهيم عبده ايضا .. يقول الرئيس السادات : « لقد كان هناك من تصوروا على خطأ ان الطريق طريقان وبان الثورة عهدان» ، ولكن الدكتور ابراهيم عبده يعترض ، وله فضيلة التعبير عن اعتراضه بلا مواربة فقال « اعتقد اننا بثورة مايو ١٩٧١ قد بدأنا طريقنا السوية . وليس فى تقرير هذه الحقيقة التاريخية ما ينفى مودة الزعيمين عبد الناصر والسادات » ... « واذن كان لمايو خط يختلف تمام الاختلاف مع الخط الذى كان قبل هذا الشهر المجيد ، وهما خطان متوازيان ، وتقول العلوم الهندسية انهما لا يلتقيان ابدا [اخبار اليوم ١٩ ابريل] .

ان د. ابراهيم عبده لا يقصد هنا احداث مايو المحددة التى نعرفها ، والا لكان قد ترك تفسير هذه الاحداث وما تعنيه لقائد هذا اليوم ، فهو بالقطع ادرى منه واعلم . ولكن د. ابراهيم عبده يدافع عن آماله هو فى تغيير النظام الاقتصادى والاجتماعى ، وهو ككل قوى اليمين لن يتنازل عن هذه الامال بسهولة ، حتى بعد ان يقول الرئيس السادات « لن اسمح ولن يسمح الشعب معى باعمال سمسرة طفيلية ، وباعمال المضاربة والمغامرة ، ولا بالمتاجرة بالتهريب ، وفى السوق السوداء ولا بتلاعب باقوات الشعب ومتاجرة فى مصالحه » [خطاب ابريل] .

● ولكن لم نلوم د. ابراهيم عبده على ادانته الكاملة لسنوات الثورة ؟ الم يصرح وزير الاسكان عثمان احمد عثمان [وهو وزير مسئول] بان

نتيجته هذه الأزمة هو استيراد نظم من الخارج وتطبيقها فى مصر» ... «ان الاوان للتخلص من النظام المستورد الخاطىء وخلق المنافسة والحريات أمام المواطن المصرى » ... « يجب أن يعرف الشباب اننا نعانى من رواسب ٣٠ سنة» [ندوة تليفزيونية الاهرام ١٥ ابريل] .

● وماذا عن **مجلس الشعب** بعد خطاب ابريل؟ لقد نشر **محمود ابو وافية** تقرير اللجنة المشتركة من لجنة الاقتراحات والشكاوى واللجنة الاقتصادية بمجلس الشعب عن الانفتاح الاقتصادى [الاهرام — ١٩ ابريل] وجاء فى هذا التقرير ان الانفتاح الخارجى ينبغى ان يسبقه انفتاح داخلى . وهذا يعنى انه فى مجال العلاقة بين القطاعين العام والخاص « لا ينبغى ان يطغى قطاع على قطاع » [اذن ينتهى الدور القيادى للقطاع العام الذى جاء فى الدستور وفى كل المواثيق حتى ورقة اكتوبر !] وحتى يكون الكلام محددا يطالب التقرير بتحقيق « الديمقراطية الاقتصادية» [اسبهستعار للنظام الرأسمالى]، وذلك « بقصر نشاط الدولة على المشروعات الاساسية ذات النفع العام أو التى لا يستطيع القطاع الخاص القيام بها ، أو التى لها طابع احتكارى فعلى » . [أى ان الاساس هو النشاط الخاص ، ودور القطاع العام هو دور تكميلى يساعد فيما يفشل فيه القطاع الخاص أو يعجز عنه] .

ويطالب التقرير ايضا « بانسحاب القطاع العام من غير مجالاته بالقدر الذى يعالج الخلل فى الاقتصاد القومى » ولا يحدد التقرير هذه المجالات المقصودة والتى يسبب انسحابها بوس القطاع العام منها الى معالجة الخلل .

ويواصل التقرير مقترحاته مطالبا بطرح جزء من اسهم رؤوس أموال شركات القطاع العام على القطاع الخاص والافراد ، ومراعاة ان يكون جزء من راسمال بعض شركات القطاع العام فى صورة سندات تتداول باسعار اسمية وتدر عائدا ثابتا .

وبالمرة يرى التقرير انه لا يضر ورة لمكان استمرار السير على سياسة توظيف الكافة !.

اننا نؤكد فى ختام هذا المقال اننا لا نمانع فى الاستماع الى آراء اليمين ، ولكن ما يفزعنا هو ان يكون اليمين هو صاحب الصوت الاعلى والغالب — بما لا يدانى — فى اجهزة الاعلام ، ويفزعنا ان يرتفع هذا الصوت بكل هذه التوفيد خطاب ابريل ، وفى استقبال مجلس الوزراء الجديد . انه تأكيد مرة اخرى على ان ادخال أى قدر من الاصلاح الاجتماعى — رغم ضرورته الملحة — ليس أمرا سهلا على الاطلاق .

الثورة الفلسطينية والجبهة الرابعة

بدعوة من « فتح » حركة التحرر الفلسطيني زارت بعثة من الطليعة قطاعي الوسط والجنوب في لبنان وتمكنت البعثة ـ بمساعدة المقاتلين الفلسطينيين ـ من ان تذهب وتتجول في قواعدهم المتواجدة في اقصى الجنوب ، عند خط التماس مع العدو الاسرائيلي .

والواقع : لقد ذهبت « الطليعة » الى هناك لاكثر من سبب :

● سبب أول ، هو ان في الجنوب جبهة ملتهبة رابعة لم يكف القتال فيها عن الاستمرار والتصعيد .

● سبب ثان ، هو ان المقاومة الفلسطينية المسلحة لم تزل تتعرض لمؤامرات تستهدف تصفيتها بالسلاح ، اخطر ماقيها ان بعض هذه المؤامرات لابس ثيابا عربية مزعومة . وما يوم « عين الرمانة » ببيروت ببعيد ، يوم ان فرضت الكتائب الصدام على الفدائيين . وتمخض هذا الصدام عن ٦٠٠ شخص بين قتيل وجريح من بينهم اكثر من ١٠٠ من رجال المقاومة والمواطنين الفلسطينيين .

● سبب ثالث ، هو التقليد الذي درجت عليه الطليعة وهي ان تتابع عن طريق التحقيق الصحفي في الموقع ، وتقديم الشهادات الواقعية تطور ونمو انسان الثورة الفلسطينية : ففي مارس ١٩٧٠ قدمت

شـــهادات من جنـوب لبنـان والأرض المحتلة

« الطليعة » دراستها « انسان الثورة الفلسطينية .. الواقع الجديد » وفى مارس ١٩٧٣ قدمت دراستها تحت عنوان « حركات الكفاح المسلح بعد فيتنام » ــ وهى الدراسة التى تضمنت مقالا بعنوان « الثـورة الفلسطينية وخرافة الطريق المسدود » وقد كتبت بعد زيارة للمقاتلين فى العرقوب .

ثم تأتى هذه الدراسة فى وقتها تماما ، لتقـدم شهادات واقعية من المقاتلين ، ثم شهادات وتعليقات من أعضاء بعثة الطليعة الى الجنوب وهم :

ــ ابو سيف يوسف

ــ عبد المنعم الغزالى

ــ حسين شعلان

ــ فاروق عبد القادر

٣ مراحـــل
للكفـــاح المســـلح الفلســـطيني

في عبارات موجزة وقاطعة ، حـدد ابو موسى من قيادات فتح المقاتلة ـ ، مسيرة الكفاح المسلح منذ أن بـدأ بشكل سري ، حتى انتهى الى التمركز على حدود الارض المحتلة .

مرت الثورة الفلسطينية ، في مسيرتها التي بدأت مع عام ١٩٦٥ ، بمراحل ثلاث يمكن أن نحددها في :

● **اولا : المرحلة السرية [٦٥ ـ ١٩٦٧]**

في هذه المرحلة أي قبل حرب يونيو كانت الثورة محاصرة ، فقد كانت بعض الاجهـزة وبعض الانظمة تمنعها من الظهور والعمل . وكان النظام في الاردن هو السلحة الرئيسية لعرقلتها حيث كانت مخابراته تتعقب الثوار لخنق الحركة . ثم صدر قرار من القيادة العسكرية الموحدة بالجامعة عندما كان هي على عاتق رئيسها ، يقضي بضرورة منع الحركة ومطاردتها .. يوضح هذا الى أي حد كانت العراقيل . ورغم هذا خرجت بعض الدوريات ونفذت بعض العمليات الناجحة داخل الارض المحتلة . وكان اول اسير من رجالنا اسره العدو هو الاخ **محمود حجازي** . وكان أول شهيد لنا هو الشهيد أحمد موسى [قتلته السلطة الاردنية بعد عودته من عملية داخل الارض المحتلة] .

كانت هذه المرحلة شاقة ومضنية ، حتى وقعت حرب ١٩٦٧ .

● **ثانيا : الكفاح على اكثر من جبهة [ما بعد ١٩٦٧ وحتى سبتمبر ١٩٧٠]**

بعد حرب ١٩٦٧ ، حدث ما حدث .. وكان الاردن بالفعل ضعيفا ، ظهرت المقاومة بشكل علني اذ لم تكن هناك قوة تمنع ظهورها علانية . فاسرائيل لم تكن مسيطرة تماما على كل الضفة الغربية . ومن خلال هذا الواقع . تمكن كادرنا من دخول الضفة العربية ، ليعمل بالاضافة الى بعض المواقع التي كانت تعمل في الداخل منذ البداية . وكان الاخ **ابو مهدي** يعمل ضمن المواقع في الداخل ويتحرك معها .

الا أن طبيعة الضفة الغربية وعدم وجود المرافق المؤهلة لحرب العصابات ، بالاضافة الى جودة المواصلات والامكانيات المتوفرة في يد العدو ، هذا كله عرقل عملية نمو قواعدنا في الداخل . ساعد على ذلك ، ان النظام الاردني عندما خرج من الضفة الغربية لم يأخذ معه ولا ورقة واحدة من أوراق مكاتب الامن فسلمها العدو ، وبذلك تمكن من كشف معظم الذين تعاملوا مع الثورة الفلسطينية . وبدأت اسرائيل في محاسبة كل وطني فلسطيني ، وفي تعقب العناصر الوطنية واعتقالها بالالاف . وقد لعب هذا ايضا دوره في عرقلة تنمية القواعد . وبعد ستة شهور أو سبعة ، اخذ النظام

الاردني انفاسه ، وفي هذه المرحلة اصبحت الثورة تحارب على جبهتين : في الداخل والخارج . ثم جرت احداث الاردن الدامية بشكل تسلسلي حتى تفجرت في أيلول [سبتمبر] ١٩٧٠ . كان التعامل مع الثورة وكأنها عدوة ، تجربة الثورة كانت صعبة ، قتال من خلال العدو ومن خلال أهل الدار . وهذا يبين أنه ليس هناك أوجه شبه بين الثورة الفلسطينية وبين غيرها من مختلف الثورات . مع كل خطوة كانت الثورة تلقى صعابا كثيرة حتى حدثت مذبحة ايلول [سبتمبر] وكانت انحسارا للثورة . ففي خلال المذبحة ، دفعت حدتها ببعض الفدائيين الى الاختفاء في الضفة الغربية تحت احتمال مطاردة العدو .

لكن غزة كانت تتحرك افضل من الضفة بسبب الفرق بين ادارتها من قبل وادارة الضفة .

ورغم هذا كله ، شهدت هذه المرحلة انتصارات . معركة الكرامة التي كانت مشرفة لنا وللامة العربية . ولاول مرة ، تترك اسرائيل في أرض المعركة دبابات وقتلى . وقد أدت معركة الكرامة ونتائجها ، الى نمو سريع للثورة حتى ان الشباب ترك مواقعه الدراسية وانضم الى الثورة .

ولكن واقع التآمر المستمر على الثورة ، جعلها تواجه عوائق مستمرة ، حتى أنه يمكن القول بأن الثورة الفلسطينية لم تتح لها الفرص لتأخذ دورها الطبيعي . لقد قال الجنرال جياب في هذا الصدد : « أنتم تعيشون في حقل الغام » .

● ثالثا : ما بعد ١٩٧٠ — المنطلق دائما استمرار الكفاح المسلح

بعد أن انحسرت الثورة من الاردن ، انكمش — نوعا ما — الاتصال بالضفة وغزة ، وبدأت عملية شاقة .

اذا اردنا أن نعبر للضفة ، فكأننا نعبر اسرائيل مرتين . ورغم ذلك استمرت الثورة . وهنا قال أبو عمار « الى جبل الشيخ » . وهو جبل تغطيه ثلوج وزوابع . ثم بدأت مضايقات في لبنان . وفرضت علينا معركة ٢ أيار [مايو] ، رغم حرصنا على الا نطلق اى طلقة في أرض عربية . وقاتلنا لا لنقيم سلطانا ، ولكن دفاعا عن النفس . وتدخلت الدول العربية حتى توقف القتال .

وفي هذه المرحلة أعدنا الاتصال بالضفة الغربية برحلات أطلق عليها اسم « رحلات الذئاب » . فقد كنا نقطع الجليل لكي نصل الى جنين ونابلس ونقطع الصحراء لنصل الى العقبة . ورغم الصعوبات واصلنا العمل الى أن حدث أخيرا بعض التطور في عملنا : مثل عمليات كيريات شمونة — معالوت — نهاريا — تل أبيب التي كانت تعني أن تنال من الاسد في عرينه . **وأهم ما في هذه العملية ، هو ان نبرهن على ان الوصول الى تل أبيب ممكن .**

وتعد هذه المرحلة التي نعيشها ، أفضل من أيام مضت ، من حيث قدراتنا الذاتية التي نمت خلال استمرار القتال والنضال ، وحيث توصلنا بعون كل الشرفاء الى طرح القضية العادلة في الامم المتحدة ، ومن حيث الاعتراف بأننا الممثلون الشرعيون والوحيدون لشعب فلسطين . وأصبحت القضية الفلسطينية عربية . [في تشرين [أكتوبر ١٩٧٣] أتيح للعرب أن يوجهوا ضربة شديدة الى رأس العدو] .

ان الشعب العربي معطاء ، وكل الظروف المقبلة لصالحنا . الشعب العربي يملك الامتداد والعمق والبشر . الصراع مع العدو ، صراع حضاري ، صراع القومية العربية في مواجهة الايديولوجية الصهيونية . صراعنا ضد الصهيونية والاستعمار محسوم . وهذا حكم التاريخ . يمكن أن يتم وقف اطلاق النار . لكن سيتفجر الصراع مرة أخرى .

● ● ●

الثورة الفلسطينية أخذت دورها في لبنان في نهاية ١٩٦٨ . لكنها لم تلق التسهيلات الكافية ، الى ان وقع صدام في مجدل سليم . بعض القوى في القوات المسلحة طوقت القاعدة وطلبت منا تسليم السلاح .. رفضنا . أهالي القرى تدخلوا لحماية المقاتلين . هنا حصل الاتصال مع الاهالي . وبدأنا نكيف هذا الاتصال بشكل لا يؤدي الى الصدام بالسلطة اللبنانية لاننا لا نريد ذلك .

نحن لا ندعي أننا قادرون تماما على منع اسرائيل من احتلال الارض . ولكننا ندعي أننا قادرون على دوام استمرارية القتال معها .

واقع علاقاتنا بالاهالي في قرى الجنوب ، واقع حسن فيه عشرة وتعامل . ولكنه ما زال دون التنظيم الصحيح . لقد رفض الكثيرون منهم اغراءات التهجير ، بعد أن لمسوا بالتجربة صدق الثورة والمقاتلين . الواقع أنه بامكاننا أن نخلق من الجنوب خط دفاع قوي عن لبنان ، لكن بعض الاوضاع تتدخل لتشكل عراقيل كثيرة .

هناك واقع حرب تشرين [اكتوبر] لابد من استثمار نتائجه . والمهم أن تبقى القضية حية .

كم يكلف انشاء منطقة فدائية ؟

بعد احداث ايلول ١٩٧٠ اتجهت الثورة الفلسطينية المسلحة الى التمركز فى قواعد اخرى حول فلسطين ، وهذه الشهادة التى يقدمها « ابو خالد » من القيادات العسكرية الشابة ، تحكى قصة الاصرار العنيد والتضحيات والالام التى لاتنتهى بسبب اضطرار الثوار الفلسطينيين الى القتال ـ رغما عنهم ـ على اكثر من جبهة غير جبهة العدو .

□ **الاسم : ابو خالد**

ـ من مواليد فلسطين

ـ التحق كمتفرغ منذ ٥ سنوات بالضفة الغربية

العملية كانت فى عام ١٩٦٩ :

كنت عضوا فى احدى مجموعات الارض المحتلة بالقطاع الشمالى واحد افراد داورية حاولت العبور من **غور الاردن** الى منطقة **الناصرة** . حاولنا العبور اكثر من مرة . لكن وقفت فى طريقنا ثلاث عقبات اساسية : معارضة السلطة الاردنية ، والنهر عقبة ثانية ، واسرائيل عقبة ثالثة .

كان عدد افراد المجموعة سبعة . استشهد منهم ثلاثة من الشباب ، فاصبحنا اربعة . زدنا تصميما على ضرب الهدف المحدد .

تحركنا الى لبنان لندخل من هناك ، ولكن لم يكن لنا تواجد علنى فى لبنان فى ذلك الوقت . كان عدد الفدائيين قليلا جدا ويعيشون متخفين . انطلقنا من سوريا من اعلى قمة فى جبل الشيخ . اجتزنا الاراضى اللبنانية ، واجتزنا عوامل معوقة تمثلت فى معارضة بعض الوحدات المسلحة اللبنانية ، اجتزنا بعض عقبات فى جبل الشيخ .

مكثنا فى الطريق الى الهدف المحدد ١٤ يوما ، ٧ منهم فى الارض العربية و ٧ فى الارض المحتلة . وعندما وصلنا ضربنا الهدف بالناصرية ، وكان الهدف شركة فورد للسيارات .

بعد العملية ، حاولنا العودة من الناحية الاردنية . لم نستطع ، لان النهر كان عائقا عدنا الى الشمال ، وفى اثناء تحركنا بالمنطقة استطاعت اسرائيل ان تكشف اتجاهنا الى الشرق . وعلى اثر ذلك ضربت **اربد** بالصواريخ ، وحملت المسئولية للاردن . ثم اعلنت ان الفدائيين هربوا الى الاراضى الاردنية متجهين شرقا . فاتجهنا الى الشمال بدون ان نعرف طريقنا . وظللنا نسير ستة ايام صوب الشمال . فى اثناء ذلك سقطت منا بعض المهمات التى كنا نحملها . اكتشفها الاسرائيليون . فاخذوا يطاردوننا فى آخر يوم من فرارنا من جبل

الجرمق . وهناك حشد العدو قـــوة كبيرة . استعملنا اسلوبا جديدا في المناورة . فكان العدو كلما قام بتمشيط منطقة نعود اليها مرة ثانية . وفي الوقت نفسه ، كان معنا احد الشباب الذين يجيدون اللغة العبرية . وكنا نرتدي مـــلابس المظليين الاسرائيليين [الصاعقة] . وعندما اصطدمنا باحـــدى المجموعات الاسرائيلية طلب منهم زميلنـــا بالعبرية ان يفسحوا لنا الطريق . ولارتباكهم تركونا نمر .

واصلنا السير مدة ساعة للخروج مـــن المنطقة الجبلية . وتوجهنا الى احد الاودية . اكتشفت قوات المظـــلات الاسرائيلية مكاننا واغاروا علينا . وقلبوا بعمل عدة اجـــزمة جديدة . كان المساء قد حل ، ورأينا الفرصة سانحة للافلات . فاضطـــررنا ان نخـــتـــل مستعمرة اسرائيلية . فلم يكن امامنا طريق آخر . حكى سهم زميلنا الذي يحكي عبري ، وقال لهم ان المخربين اتجهوا الى المنطقـــة الغربية ففتحوا لنا الطريق .

في اليوم التالي ، الساعة ٦ صباحا ، اخذوا ينادون علينا باسمائنا ، ويقولون انهم متأكدون من اننا داورية الناصرة . قلنا : لن نقتلوا ! فكرنا ان نتجه الى الاراضي اللبنانية . ولكن الخارطة كانت قد فقدت منا . ولم نكن نعرف الطريق فاعتدنا فيـــرنا على الاهتداء بالنجم في المساء .

في ذلك اليوم ، اصبت . قررنا ان ناوي الى جبل ـــ على الطريقة الجـــزائرية ـــ ثم نجر اليه قوات العدو ونقاتلها . واتفقنا على ان نقسم انفسنا . انا وزميل لي نشتبك مع العدو لنخفف الضغط على بقيـــة الداوريـــة . وتم هذا ونجت بقية الداورية وأبكتها ان تدخل لبنان . واتضح فيما بعد اننا كنا قريبين مـــن الحدود اللبنانية ، ولم نكن ندري .

انا وزميلي قادتنا اقدامنا ، بعد الاشتباك ، الى منطقة عربية وهناك استقبلني رب عائلة هو وزوجته واولاده واعتنوا بي . كانت مهمة هذا الرجل ان يراقب الحـــدود فاخبرني ان بعض الشباب وصل مـــن الارض المحتلة . وكانوا هم بقية الداورية .

طلب مني بعض السكان ان اسلم نفسي الى السلطات فـــرفضت . فاصروا . ولكن انقذ الموقف الشهيد النائب **معـــروف سعد** الذي كان على علاقة بالثـــورة الفلسطينية . فارسل الي طبيبا ، واصطحبني الى نزله . وهناك مكثت عشرين يوما .

بعد انقضاء هذه المدة ، طلبنا ان نفتح منطقة في القطاع الاوسط نتحرك منها في لبنان لمن المرتوب الى النبطية] . وكلفنا بذلك نحن اعضـــاء الداورية التي ضربت الهـــدف في الناصرة .

بعض القوى في لبنان كانت تقف بعنـــاد ضد تواجد الفدائيين على الارض اللبنانية ، ادى هذا الى وقوع معركة تشرين ١٩٦٩ في لبنان . كان عددنا في ذلك الوقت ستين من الفدائيين .

بدأت المعركة كما يلي :

في ١٩٦٩/١٠/١٥ شاهدنا ما يقرب مـــن ٢٠ آلية وسيارات الاسعاف تحيط بمنطقـــة الوادي . ارسلوا الينا احد المدنيين .. يطلب منا التسليم والعودة في سياراتهم . المعجزة التي هـــدثت هي ان ٣٨ من رفاقنـــا كانوا مرضى بالملاريا وامراض اخرى في المستشفى . وعندما سمحوا بها حدثتركوا اسرتهم وحملوا اسلحتهم وكانهم اصحاء .

كانت المشكلة ان نكسب وقتا . فارسلنا احد الاخوة مع المدني واعلمنا الوحدة المسلحة اللبنانية بان من يريد ان يتفاوض معنـــا فليتفاوض مع هذا الانسان . كان هدفنا ان نطيل امد المفاوضات حتى يحل الظلام ، ولذلك قدم الاخ الذي ارسلناه للتفاوض نفســـه باعتباره يحمل رتبة المقدم وما اعلن الطرف الاخر انه لا يستطيع ان يتفـــاوض الا مـــع رتبة مثل رتبته . وبهذا استطعنا ان نكسب وقتا لان المفـــاوضات لم تبدأ الا الســـاعة السابعة مساء .

كان قد تم الاتفـــاق مع قـــادة بعـــض مجموعاتنا على ان ندخل بعـــض القـــرى اللبنانية . فدخلنا قرية بجـــدل سلم في منتصف الليل . وحتى لا نمكن احـــدا من ان يعرف عددنا الحقيقي ثمنا بشراء كل كميـــة الدخان والخبز والمعلبات الموجودة بالقرية ، حتى ان السلطات قدرت ان عددنا حـــوالي الالف نداني . فازدادت الحشود العسكرية حول القرية . وفي نفس اليوم وفي الثالثة بعد الظهر حاولت قوة من المغاوير التسلل الى مشارف القرية فوقع اول اشتبك بيننا وبينهم ، وكان هذا يحدث لاول مرة في لبنان .

بعد الاشتباك ، اتصلوا بنا بواسطة الهاتف . وقالوا اذا لم توقفوا اطلاق النار ، ســـوف نتصرف في « المقدم » كرهينة . وتكلم معنـــا زميلنا « المقدم » وطلب منا وقف اطـــلاق النار . فطلبنا منه الحضور هو وضـــابط الاستخبارات الى البلدة ليتم التفاوض . وعند حضور الضابط اللبناني بدأت المفاوضـــات . لكننا اختلفنا معه وابلغنا زملاءه بانه محجوز لدينا ، وحذرنا من اقتراب اي قوة . وهنـــا

تدخل اهالي القرية وطلبوا منا اخلاء سبيل الضابط حتى يستطيعوا الوقوف بجانبنا . فاجبناهم الى مطلبهم .

ولكن في المساء تجددت المعركة ودخلت فيها من الجانب الاخر الاليات . واستطعنا عرقلة تقدمها بعض الشيء رغم ان اسلحتنا كانت خفيفة ، بالاضافة الى ان الاسلحة المضادة للاليات كانت قليلة .

وفي تلك الليلة كانت الاوامر التي صدرت للفدائيين قاطعة : ان من يفكر في التسليم سوف يعدم . على ان قيادتنا [قيادة الكفاح المسلح] ابلغتنا بواسطة اجهزة اللاسلكي بان نتفاوض مع القوة المسلحة اذا راينا ان موقفنا سيىء . فاعلمناهم بان في استطاعتنا الصمود حتى تصلنا نجدات ، رغم بعد المسافة .

في اليوم التالي وقعت عندنا عشر اصابات . يوم ١٨/١٠/١٩٦٩ كثرت الاصابات في صفوفنا .

في ذلك اليوم ، خرج بعض الاهالي من القرية تحت تهديد بعض الوحدات المسلحة اللبنانية التي اعلنت انها ستضرب القرية وتدمرها على الفدائيين ، فعرض علينا الاهالي التدخل من قبلهم لدى تلك الوحدات المسلحة لاسعاف المصابين والحفاظ على البلدة . فارسلنا بعض الناس لمفاوضة هذه الوحدات . وكانت المفاوضات فرصة لنا لنعيد تنظيم صفوفنا ، حتى تصل بعض النجدات .

حاول بعض الجنود ان يدخلوا مع وفد الاهالي القرية متخفين في زي مدني . فشعرنا بذلك . ومنعنا دخول الناس الا بعد تفتيش .

استمرت المعركة بشراسة ، وكان ثلثا عدد الفدائيين مصابين وقتلى . واستمر القتال الى يوم ٢١/١٠/١٩٦٩ حتى انهكت عناصرنا انهاكا كاملا ، ونفدت الذخيرة من بعضهم . وتمكنت الوحدات اللبنانيه من دخول البلدة . وهنا تصرف بعض الجبناء فاخذوا يطلقون النار على القتلى في الشوارع ليوهموا انهم قتلوهم مع ان بعض قتلانا كان قد استشهد من اربعة ايام . كانت النتيجة في صفوفنا كما يلي :

٢٢ شهيدا — ١٧ جريحا — ١٥ فدائيا في حالة اعياء وانهاك تامين .

في اثناء تسليمنا للوحدات اللبنانية اطلق بعض الشبان النار على احد ضباطنا عندما كان يرفع يديه ليسلم نفسه . وعندما حاول احد زملائنا مساعدة ضابطنا اطلقوا عليه النار وقتلوه ايضا .

بعد المعركة بدأ التحقيق الفوري معنا لمعرفة من هم المسئولون الذين تولوا المقاومة في صفوفنا . تعرفوا علي . بعد ان امسكوا اوراقا موقعة مني . فطلب عميد لبناني من احد جنوده ان يطلق النار علي فورا . رفض الجندي وقال له ان الثورة لن تنتهي اذا قتلنا هذا الشخص . وحدث نقاش في صفوف الوحدة المسلحة . بعد ذلك نقلنا الى السجن . بعد اتصالات ومباحثات خرجنا من السجن وانتهت العملية بخلق وقيام منطقة الجنوب الفدائية .

شهادة مقاتل من كفر شوبا

□ الاسم : علي محمد
السن : ٢٠ سنه
لبناني من ابناء كفر شوبا
التحق بالمقاومة من ١٩٦٩
راعي

ان اشتراكنا في المقاومة يشرفنا ، لانها نضال يدافع عن الامة العربية ، وانا في المقاومة اجد نفسي واحس اني ادافع عن كرامتي .

ان عدونا مغتصب لاراضينا ، وارض العرب كلها مستهدفة ومحتلة وليست فلسطين فقط .

ورايي ان ٩٠٪ من شباب القرى يؤيد المقاومة ، ومستعدون لدخول المقاومة ، ولكن الحكم اللبناني يطاردهم ويسجنهم ، ويمنع من المشاركة في اي نشاط للمقاومة .

وانا من اول المعارك موجود هنا ، واشتركت فيها ، وكان اول هجوم للعدو على منطقة الحادوز — من الساعة ١٢ الى الساعة ١ — ولم يتمكنوا من دخول القرية ، ودخل حوالي ١٠٠ جندي على المحور الثاني للقرية ، واخذوا ينادون بالميكرفون على السكان ليخرجوا من القرية بسرعة ، وطلبوا من الاهالي ان يسلموا المخربين .. وكان رد الاهالي رفض الخروج من القرية وانه ليس عندهم مخربين .

صبي صغير قال لهم شفت « المخربين » كانوا بيسالوا عنكم وانتوا بتسالوا عنهم .

لقد واجهناهم ، وضربناهم ولم نمكنهم من استعمال اسلحتهم ، وقاموا بصف المدنيين على الحائط ، ولكننا تمكنا من تركيز الضرب عليهم ، حتى اضطروا الى الانسحاب بعد ان اخلوا جرحاهم من المكان . وكانت المعركة معهم وجها لوجه عند اقتحام المواقع . وبعد ذلك اخذت المدفعية تركز على القرية .

واحب ان اؤكد — انني سأظل مع المقاومة كواحد منهم دفاعا عن كرامة الوطن والاهل .

شـــهادات المقـــاتلين في قواعـــدهم

أخذت هذه الشـهادات الواقعية في مواقع الفدائيين في أقصى الجنوب اللبناني عندما حلت بعثة «الطليعة» ضيوفاً على كتيبة نسـور العرقوب وتولى كمال الشيخ التعريف بالكتيبة وأوجه نشاطها الرئيسية .

□ **كمال الشيخ**

كتيبة نسور العـرقوب

ـ كتيبتنا أول كتائب قوات العاصفة التي دخلت جنـوب لبنان في ١٩٦٨ . فالتي على عاتقها مواجهة حملات التصفية التي تعرضت لها سـواء على يد قـوات العـدو أو على يد غيره . اسم الكتيبة جاء من المعركة التي نشبت بيننا وبين العدو في ٢١ مايو ١٩٧٠ وقد وصف أبو عمار المقاتلين بالنسور .

خلال فترة تجميد الجبهات العربية ، صرفنا الجهد باتجاه الداخل في الارض المحتلة وبناء التنظيم داخل الارض المحتلة وتنظيم قـواعد عسكرية .

بالنسبة لنا نعمل على خلق المقاتل الملتزم المؤمن بمبادىء حركة فتح وتصوراتها لكيفية تحـرير فلسـطين . ويوجد في كل تطـاع لقواتنا مفوض سياسي لصقل المقاتل سياسياً: عربياً ، وفلسـطينياً ، ودولياً ، لخلق كادر قيادي مستقل .

مقاتلنا يمتلك كفاءة في مواجهة العدو وفي استيعاب كل متغيرات الحرب الحديثة .

ليس واجب الامة العربيـة ان تشعر آلي خطر العدو الصهيوني ولكن ان تشـارك في النضال ضده من أجل وضع التاريخ العربي المعاصر .

ان معسـكر الشبيبة عندنا، لاقل من ٢٠ سنة يضم شبابا من كل البلاد العربية . لقد حققنا الوحدة العربية بين صفوفنا بالفعل . من هنا تطرح فتح قضية الوحدة من على ارض المعركة .

اشتركنا في حرب الاستنزاف على الجولان . وقد تمثل دورنا في : ١ ـ عملية اعاقة قوات العدو حتى لا تكون فيمن أطلر دائرة القتال الحقيقية . ٢ ـ تمرير المعلومات عن جبهة العدو وامداد اشقائنا في سوريا بها . ٣ ـ استقبال كافة الاخبـوة المسـوريين الجرحى والشهداء وتوصيلهم .

□ في قرية كفر شوبا جلست بعناء « الطليعة » تستمع لأبناء القرية عن الاحداث الاخيرة ..

واود ان نسجل هنا ان المقاتل السوري اثبت انه مقاتل من الدرجة الاولى . جيش الشيخ كان عليه الثلج ولكن المقاتل السوري قهره .

وبالمناسبة لقد اضبح الثلج جزءا من حياتنا واصبحنا نقاتل على الثلج ودربنا على ذلك جيدا .

الجماهير اللبنانية طيبة بسيطة بعطاءة متعطشة للتحرر ومنهم متطوعون معنا ، ودائما الخط الوطني هو الاقوى ..

□ **احمد ابو شقيق**

— ٢٥ سنة

— من مواليد نابلس بفلسطين .

— كنت طالبا في المدرسة . تركتها والتحقت بالثورة في اوائل عام ١٩٦٨ .

— اشتركت في عدة عمليات . اول عملية اشتركت فيها كانت على ارض فلسطين . في **شويعر** . كنت واحدا من الرماة في الدفاع الخفيف . اشتبكت مع ٣ رشاشات اسرائيلية اطلقت ذخيرتها في الجو . حققنا اهدافنا وانسحبنا في سلام .

شاركت في حرب تشرين [اكتوبر] تحركنا الى القطاع الاوسط على منطقة الجليل الاعلى . تقدمنا بشكل ٣ مجموعات لاقتحام المنطقة من اجل نفتح الطريق لاحدى المجموعات الرئيسية . وصلنا المكان المحدد لنا وضربنا الهدف واصبحت في مكان حساس بجسمي . ولكن المهم اننا حققنا الاهداف المحددة لنا . واستشهد منا زميلان من قوات الصاعقة .

— في اي حرب لا فرق بين اي مقاتل من اي جهة . ولكن رفعة السلاح ووحدته هي كل شيء . ليس مهما ان فلانا من الصاعقة وفلانا من كذا .. الخ . المهم ان هدفنا واحد وشعبنا واحد .

— احب ان اناشد الامة العربية كلها الوقوف الى جانب القضية وان يلفظوا كل ما يبيد العدو الاسرائيلي .

□ **هوارى بومدين**

— ٢٧ سنة .

— جزائري .

— اخترت هذا الاسم لان صاحبه ناضل في الكفاح الجزائري وتمكن من ارجاع العروبة الى الجزائر . وكان ولا يزال ، ينادي بكفاح العالم الثالث وبالقضية الفلسطينية .

— كنت ادرس في فرنسا بكلية فنون . فالحياة تطلب من كل شاب ان يتعلم . فالمستقبل للعلم . كنت ادرس بهذه المدرسة المختصة بالعقول الالكترونية . لدي دبلوم . عملت في ليبيا . قبل دخولي لبيبا اتصلت عام ١٩٧١ بمنظمة التحرير في تونس لكي اتطوع . ومنعتني السلطات من ذلك . وعملت في ليبيا ثم جئت الى المنظمة منذ اسبوع فقط .

بالنسبة للحياة هنا ، فان من يريد أن يؤدى واجبه لا تمهله الحياة فى الجبل . لابد من العمل لتحرير الارض العربية . الثورة ليست قتالا فقط . بل ايضا اعلام وثقافة . لابد من شرح قضية فلسطين . وفى اوروبا ليس هناك اعلام كاف عن القضية . ـ واجبا كل شاب مقيم باوروبا أن يلتحق بالثورة الفلسطينية ليعرف معناها ويستطيع مناقشة الاوروبيين .

كلمتى لكل الشباب العربى : اولا ـ الشباب العربى المقيم باوروبا . كثير منهم ابتعدت افكارهم عن القضية الفلسطينية . وبالنسبة للشباب العربى فى الوطن . اقول ان هذه هى القضية الوحيدة التى يمكن أن توحد العالم العربى . ولاعتبر نفسى ـ كمواطن عربى ـ مقصرا وفلسطين محتلة .

□ **هيفـــارا**

ـ ٢٧ سنة .

ـ عراقى .

ـ اخترت الاسم لانه احد مناضلى الثورات التى سمعتنا .

ـ التحقت بالثورة فى مارس ١٩٦٩ . كنت فى الاردن وجرحت فى ايلول [سبتمبر] ١٩٧٠ . ثم رحلت الى الجولان ثم الى الجنوب فى لبنان .

ـ الثورة الفلسطينية ثمر بمرحلة حاسمة . لايمكن ان تمر مؤامرة دون مواجهة من الثورة . اى تخاذل او استسلام تضيع معه حقوق الشعب . وثورتنا واقفة بكل يقظة لانسوام . ثورتنا تمر بمرحلة الخطر كل سنة ولكنها تتعداها وتقدر على تجاوزها . ان عددا كبيرا من الشباب العراقى مستعد للالتحاق بالثورة . من ناحية عائلتى لم اجد صعوبة ، فقد كنت مجندا فى القوات المسلحة العراقية فى الاردن . وقد تركتها والتحقت بالثورة .

ـ أود أن اقول للشباب العربى ان القضية عربية وواجب كل شاب عربى ان يشارك فى الثورة ولو بجزء بسيط فيها .

□ **جمال محمد احمد**

ـ ١٩ سنة .

ـ مصرى من الصعيد .

ـ التحقت بالثورة منذ اسبوع فقد جئت أؤدى واجبا وطنيا يجب على كل شاب عربى أن يؤديه . حصلت على دبلوم صنايع . ثم عملت تاجرا مع والدى . منذ ان كنت فى المدرسة الاعدادية وتفكيرى يتجه الى ضرورة الالتحاق بالثورة الفلسطينية . فقد كنت اطالع فى الجرائد عن عمليات الفدائيين . ولاني الولد الوحيد بين اخواتى فقد وجدت صعوبة من عائلتى . لكننى استطعت التغلب على هذه الصعوبة . لقد كان ابى مكافحا ضد الانجليز فى مصر ولهذا فقد رحب بالتحاقى بالثورة .

الحياة ضمن صفوف المقاتلين حلوة وتساعد الانسان على الكفاح . والاخوة يجيبون على كل اسئلتنا .

كلمتى الى زملائى فى مصر والوطن العربى ومن فى سنى ان الثورة الفلسطينية ثورة عربية موحدة وعلى كل شاب عربى المشاركة فيها .

□ **محمد ابو خالد**

ـ ١٩ سنة .

ـ من مواليد الاردن .

ـ كنت طالبا بالسنة الثانية الاعدادى فتركت المدرسة والتحقت بالثورة عام ١٩٦٩ .

ـ عرفنا من الكتب ووعينا انفسنا . لقد استولت اسرائيل على ارضنا بالقوة وشردتنا .

ـ كنا نسمع اخبار الفدائيين واشتياقكم مع الغدو الاسرائيلى . اصبح لنا هدف ان نحارب العدو ونستعيد الارض . وكان اهلى غير موافقين على التحاقى بصفوف الفدائيين ولكننى صممت .

دربت على جميع انواع السلاح . ولكن هذا غير كاف لان اسرائيل تواصل تسليحها بأحدث الاسلحة . ولازم نتدرب جيدا على كل الاسلحة . وان شاء الله سننتصر .

الصعوبات نجدها من اسرائيل ومن غيرها الذين يحاولون التضييق علينا كثيرا . لكننا لا نسكت ولن نسكت .

الاهالى اللبنانية معنا رغم كل الضغوط . وحل الضغوط يكون بالسياسة ، فان لم تحل تكون بالقوة . وهناك امل ان تحل بالسياسة .

اننا نتمنى ان نرجع لفلسطين وترابها . ونعيش فيها حياة جديدة احسن من الحياة التى يعيشها شعبنا الان . سوف نطرد العملاء . ونعيش مع بعض فلسطينية مسلمين ومسيحيين ويهود ا ونكون يدا واحدة .

□ **سعيد ملكاش**

ـ ٢٤ سنة .

ـ من مواليد سوريا .

ـ التحقت بالكفاح المسلح فى يناير ١٩٦٨ .

كنت طالبا بأولى اعدادى . تركت المدرسة من أجل القضية . لم اضع فى اعتبارى ان يوافق اهلى او لا يوافقوا .

ـ اشتركت فى عدة عمليات . العملية التى اثرت فى نفسى كثيرا ، آخر عملية . لانه عندما نزلنا من اكثر من شهر ، كانت الدنيا شتاء وبرد . نزلنا المطلة . ضعنا فى الطريق لمدة ٤٨ ساعة فى الجبال . ضاع منا زميل .

عندما وصلنا الى الهدف وضربنا الدبابة «اثناء الانسحاب طلعت فوقنا ٤ طائرات هليوكبتر وانطلقت حقمية المدفع . ظللنا لمدة ٣ أيام في الطريق الى أن رجعنا ، وكانت مغامرة لنا ان وجدنا زميلنا الذي ضاع ، اثناء عودتنا ».

اننا نناشد الشباب العربي والعالمي بان يقف الى جانبنا ويساندنا دائما حتى النصر .

□ **ممدوح**

— ٢٢ سنة .

— سوري من دير الزور .

— التحقت بالثورة منذ ٣ سنوات تقريبا في الجنوب بلبنان حيث العمل الثوري الحقيقي. لم اجد اي معارضة من اهلي لان عددنا كثير في البيت .

اعتقد ان احسن وضع للثورة الفلسطينية الان لانها تلعب دورا ملموسا وبارزا .

من الصعوبات التي تواجهه المقاتل في البداية؛ الاهل — الاصدقاء — السياسة .. الخ . لكن شيئا فشيئا يتغلب الفرد على مثل هذه الصعوبات .

الثورة الفلسطينية هي نظرى هي تحرر العالم العربي كله .

□ **اسماعيل عمار**

— ١٨ سنة .

— من مواليد سوريا . اصلا من صفد بفلسطين .

— التحقت بالثورة في عام ١٩٦٩ من اجل ارضنا وعرضنا ، الانسان لما يسمع ان اخته في فلسطين داستها دبابة ؟ ولما يسمع عن الذي يفعله العدو في الضفة وفي غزة لازم يهب ويثور !!

— اشتركت في عدة عمليات . في آخر عملية من شهرين نواحي مرجعيون . كنا ٤ افراد رماة ب ٧ . ضربنا دبابة واشتبكنا لمدة ساعتين ، بعد انتهاء الذخيرة انسحبنا . في كل عملية مواقف صعبة ، اصيب زميل لنا . حملناه وكان مصابا في رجله حتى نرجع للقاعدة . اقرب قاعدة كانت تبعد مسافة ٦ كيلومترات .

— اكبر تطور لقضيتنا عام ١٩٧٤ في الامم المتحدة ، لانه في عام ١٩٧٠ لم يكن لنا صوت ، والان اصبحت ١٠٥ دولة تؤيد حقوق الشعب الفلسطيني .

— اشتركت في حرب تشرين [اكتوبر] واري دوشكا ، واهمية حرب تشرين ان العرب اتحدت وفي نفس الوقت حققنا انتصارات .

□ **ابراهيم عبد العال**

— ٢٠ سنة .

— من مواليد الضفة الغربية .

— تركت دراستي والتحقت بصفوف الثورة في الاردن منذ عام ١٩٦٨ .

— خرجت في ٥ دوريات قتالية .

— آخر عملية اشتركت فيها في شهر يناير الماضي . كنا ٧ افراد . وكان يساندنا مدفع موجه على مستعمرة كفر برعم [في الجليل] . كان ٤ افراد منا للاقتحام و٣ افراد على الهاون . هاجمنا دبابة للعدو ومدفعا . ضربنا الدبابة والمدفع خلال اشتباك دام ٤ ساعات .

الدرس الذي استفدته هو ان العدو مرتزق لا يحارب عن قناعة وانما من اجراء مادي تورطه الصهيونية به . غير شجاع ، الشجاعة هي صفة الانسان الذي يدافع عن حقه . والجبن من صفات المغتصب لحق غيره. نقضي وقتنا مستمرا في التدريب . ويحضر مفوض سياسي نناقشه ويناقشنا في المشاكل السياسية . وتصلنا الصحف والمجلات والكتب.

المقاتل الفلسطيني اليوم يختلف — الى حد كبير — عن ٦٩ و ٧٠ . لقد حققنا نتائج فيره ١٩٧٤ في الامم المتحدة بعد ان كنا نرجو من الاخرين شرح قضيتنا . استطعنا بالبندقية ان نشرح وكسبنا . بالتاكيد لن ينجح كيسنجر لان اسرائيل من المستحيل ان تنسحب . اسرائيل ضرورى لابد ان تتوسع . واذا تراجعت يكون هدفها تقوية نفسها . يجب الا ننسى شعار اسرائيل « من النيل الى الفرات » .

وفي قاعدة أخرى من قواعد الجنوب استمعت بعثة الطليعة الى بعض شهادات للمقاتلين الذين تقل أعمارهم عن ٢٠ سنة .

□ **يوسف السعدون**

— ١٥ سنة .

— لبناني من طرابلس في الشمال .

— التحقت بالثورة في ١٩٧٣ . المفروض على كل مواطن عربي ان يلتحق بالثورة لان فلسطين ارضنا جميعا . ولابد من ان نحررها من العدو . كل شاب لبناني يتصرف على حاله. كل شاب نقالي لا احد يمنعه من الالتحاق بالثورة . رايي ان الغالبية من شباب لبنان يؤيد الثورة . اهلي كانوا موافقين على انضمامي . لي اخوات بنات . والدي وجدي ولخي من الفدائيين .

— احب اقول للشباب العربي انه واجب عليه ان يلتحق بصفوف الثورة على الجبهة .

□ **أبو خليل**

— ١٦ سنة .
— فلسطيني .
— التحقت بالثورة في ١٩٦٩ . قبلها كنت اعيش في احد المخيمات وادرس .
— كنا اشبال فلسطينية في فتح .والثورة تعتمد على الجيل الصاعد . تدربنا بالسهل وفي كل الظروف بحيث اصبح باستطاعتنا ان نقاتل باي موقع . لي اخين أحدهم من الفدائيين .
— في السادسة صباحا نقوم لنغسل ونرتب الفرش وننظفه ثم نفطر بعدها فترة تدريب صباحية ثم نستلم احتياط وننتشر ونلعب درس رياضة . ندرس ثقافة وسياسة نشرات — مجلات — وصحف .
— فلسطين جزء من الوطن العربي .وعلى كل عربي ان يشارك في الثورة .

□ **عاصف**

— ١٨ سنة .
— من الشمال من المغرب
— حضرت ايلول (سبتمبر) ١٩٧٠بالاردن. كان خيانة . حصلت مؤامرة لاخراجنا من ساحة النضال العربي . ظنوا أن اخراجنا من الاردن يعني ضرب الثورة جذريا .
اثناء مؤامرة ايلول (سبتمبر) كنت في الكفاح المسلح في احد القطاعات الموجودة بالاردن . اصبح لي ٦ سنوات في الكفاح المسلح . تدريبي العسكري يتقدم ويتحسن. نطالع صحف وكتب ودراسات من مركز الابحاث الفلسطينية . نحن الذين نعيش الاخبار ونصنعها .
أحب اقول للشباب العربي ان كل من يجد في نفسه طاقات ثورية ليس هناك غير سبل واحد .

□ **صلاح الدين**

— ١٨ سنة .
— سوري .
— التحقت بالثورة منذ شهر وتصلة .كنت اريد ان اتطوع في القوات الخاصة السورية. كان لي زميل تطوع في العاصفة وتطوعت معه . آمنت بالقضية . كنت طالبا بمدرسة اعدادية . اقتنعت اكثر بالقضية . كلنا اخوان عرب . لابد من مساندة قضية فلسطين لانه واجب ودفاع عن الوطن والعرض .

□ **قاهر**

— ١٨ سنة .
— لبناني .
— التحقت بالثورة منذ ١٩٧٢ .
— الثورة الفلسطينية عربية شاملة . ومن واجبنا كشباب عربي أن نلتحق بها لتحرر الارض العربية . نتمنى لكل شاب عربي ان يعي مسئوليته تجاه الثورة ويعمل معها على اى نضال كان .

● الثقة بالنصر .. رغم التعذيب

شهادة من الأرض المحتلة

[هذه شهادة مناضل فلسطيني اعتقل وعذب في سجون اسرائيل]

الاسم : سليمان رشيد النجاب .
العمر : ٤١ سنة .
السكن : من اهالي الضفة الغربية .
في يوم ١٩٧٥/٢/٢٨ اختفى الاسرائيليون مع مجموعة من الرفاق : محمود شقير وعبد الله السرياني صوب الحدود اللبنانية بهدف طردنا من الارض المحتلة ، والملاحظ ان الاسرائيليين يطبقون نظام النفي او الابعاد على ثلاث فئات من المناضلين الفلسطينيين :

الاولى : هي في — نظر العدو — فئة الخطرين سياسيا .

الثانية : تشمل من له علاقة بنشاط مسلح . لا يستطيع الاسرائيليون اثباته .

الثالثة ؟ فئة المسجونين الذين يقضون مدة الحكم ، ثم يطردون بعدها الى الخارج .

وحتى تتضح الظروف التى تم فيها ابعادنا لابد من الاشارة الى انه بعد حرب اكتوبر حدث نهوض كبير وجسور فى الحركة الجماهيرية تابله العدو بحملة واسعة ، اعتقل فيهـا الكثيرين . ولكنه ركز اعتقالاته ـ فى المحل الاول ـ على اعضـاء الجبهة الوطنيـة الفلسطينية التى تمثل الان الاطار العام لكل القوى الوطنية داخل الارض المحتلة . وهـذه الجبهة هى ـ بحق ـ ذراع منظمة التحرير الفلسطينية فى الارض المحتلة ، وتنشط فى صفوفها كل القوى الوطنيـة والتقدمية من قوميين وبعثيين وشيوعيين من اعضاء الحزب الشيوعى الاردنى بالاضافة الى المستقلين وغير الحزبيين .

وواضح ان الهدف من عملية ابعاد المناضلين الفلسطينيين هو :

١ ـ تفـريغ الارض المحتلة مـن الكوادر القيادية المناضلة ضد الاحتلال .

٢ ـ افساح المجال للعملاء والمستسلمين ودعاة الهزيمة .

٣ ـ وضع الضفة الغربية تحت وصـاية دولية لمدة خمس سنوات . وهنا تظهر اسماء بعض المتعاونين والمتواطئين مع العـدو من أمثال الجعبرى والياس فريج .. الخ .

لكن العدو عجز ـ حتى الان ـ عن تحقيق هذه الاهداف الثلاثة . فعندما عرضت قضيتنا على الامم المتحدة جـرت فى الارض المحتلة انتفاضة جمـاهيرية كبرى ، برهنت على أن القوى الوطنيـة تعزز مواقعها ، وتصـعد أساليب مقاومتها جماهيريا وسياسيا ، وهذه الانتفاضة التى حدثت بعد سنة من حرب اكتوبر وعند نظر قضية فلسطين امام الامم المتحـدة كان من اهدافها التصدى للارهاب الصهيونى ، ومساندة المسجونين الذين يتعرضون لتعذيب بشع فى سجون اسرائيل .

تسألنى عن اساليب التعذيب المتبعة ضدنا وهذه هى قصة اعتقالى :

لقد كنت مطاردا منذ ثلاث سنوات فى الارض المحتلة لانتسابى الى الحزب الشيوعى الاردنى ثم قبض على فى الشارع . وقالوا لى :

ـ اما ان تعطينا ماعندك من معلومات ، او نصفيك ولا احد يعرف انك هنا .

قلت : أن معلوماتى كلها هى شهادة ميلادى

فى اول الامر منعونى من النوم ٤٨ ساعة ، وربطونى على باب فى السجن . واجبرونى على خلع ملابسى كلها . واخـذ واحـد منهم يضربنى على اعضـائى التناسـلية لمدة اربع ساعات . ثم هددونى بالاعتداء على زوجتى واسمعونى صوتها .

ـ ماذا فعلت ؟

كنت مقتنعا تمام الاقتناع بأن شرف زوجتى الحقيقى هو فى صـمودى ، انما استسلامى فمعناه تقديم زوجات رفاق آخرين الى العدو .

بعد أسبوع ، نقلونى الى مركز تحقيق آخر وتولى التحقيـق معى ضـباط اسرائيليون يطلقون على انفسهم اسـماء عربية لاخفـاء شخصياتهم . وأذكر من هذه الاسماء : **اليجور منصور ـ وابوهانى ـ وابو على ـ وجوئى ـ وابوالعبد .**

بعد ذلك نقلونى مع اشخاص آخرين اذكر منهم خليل حجازى الى سجن **المـاسـكوبية** [**بالقدس**] وظلوا يضربوننا حتى اغمى علينا ، فنقلونا الى زنزانة كلها مياه .

ثم نقلت الى سجن **سرفنط** العسـكرى ، واخذوا منا ملابسنا المدنية والبسونا ملابس رجال المظـلات الاسرائيليين حتى لا تتلوث ملابسنا بالدم .

وهناك فى احدى زنزانات هذا السجن ، قرأت على جدرانها اسم : **العريف احمد بهجت** ٧٣/١/٢١ . هذا الاسم اشعرنى اننى لست وحدى ، وانى لسـت معزولا عن الشـعب المصرى .

التعذيب فى هـذا السـجن يأخذ شـكل الضرب ، وتعرية اجسامنـا ، وجرجرتنـا على الارض على الركب أو على الظهـر ، والتهـديد بالكلاب .. ثم بعـد ذلك كانوا يدخلوننا فى قبو اشـبه بالزنزانة مسـاحته ٦٠ فى ٦٠ فى ١٦٠ سنتيمترا ، وارض هذه الزنزانة مزروعة بأحجار مدببة حادة . كنت اجبر على الوقوف على هذه الاحجار مـدة ساعتين . ورأسى مغطى بكيس اسود حتى لا أرى شيئا ثم اعلق لمدة ساعتين بحيث تلمس اطراف قدمى الارض لمسا خفيفا . وتستمر هذه العملية مدة ٤٨ ساعة وتتكرر ثلاثمرات فى الاسبوع .

وفى يوم من الايام جاءوا ليقولوا لى :

ـ الان جاء دور الطب والعلم .. ورشوا جسـمى بمادة حـارقة مرتين على صـدرى واعضائى التناسلية فشعرت بالتهابات وحدثت فى جسمى تسلخات .

وبعد شـهرين من هذا البرنامج ، نقلنا الى مركز تحقيق آخر **بحيفا** . هناك وضـعت فى زنزانة منفـردة واسـتمر الضرب وهو يبدأ بالتركيز على الراس .

وهناك سمح لى لاول مرة أن أرى محاميتى **فيليسيا لانجر** ، وقد رأت آثار التعذيب على جسمى .

بالاضافة الى الضرب هم يحضرون خبراء ، وعلماء نفس للقاء محاضرات على المسجونين تلقى باللغة العربية [غسيل مخ] . وكانوا يحاضرون عن اللاوطنية واللااخلاقية .« مثال ذلك :

كانوا يقولون لى انت عمرك ٤٠ سنة .. وعمرك الماضى تضيئه فى ظروف قاسية .. ولم يبق لك عمليا غير ٢٠ سنة . اطلع واستمتع بالحياة مع زوجتك واطفالك . ما فائدة الوطنية .. هذا كلام فارغ . يجب ان يكون شعارك : اللهم اسألك نفسى .

ثم يشككون فى جدوى النضال ، ويصورون اسرائيل فى صورة القوة التى لا تقهر ولا فائدة من مقاومتها . كانوا يقولون لى :

ـ انت تضحى والاخرون يبنون زعاماتهم ! بعد شهر نقلت الى سجن **الرملة** فى زنزانة منفردة . هناك توقف التعذيب . وبقيت هناك ٧ شهور جرى بعدها طردى خارج الحدود .

وذهبت الى جنيف وتقدمت الى اللجنة الدولية لادلى بشهادتى عما حدث

هذا واذكر من الذين عذبوا معى ؟

عبد الله السرساوى ـ جمال فرينخ ـ عطا لله الشماوى ـ وخالدون عبد الحق خليل حجازى ـ وحسنى هداد ـ وعبد المجيد همدان [وقد استقلوا اصابة ابنته بالعمى] ـ وعبد الله البياع ـ وفخر العالم ـ وثلاثة اخوة هم اولاد الملاعبى ـ وساجى خليل ـ ومهدى بسيسو ، وهناك لطفية الحوارى التى عذبت تعذيبا وحشيا .

ـ كم ـ فى تقديرك عدد المعتقلين ؟ ؟

ـ هناك السجناء الفلسطينيون ، يبلغ عددهم ٤ آلاف منهم ثلاثة آلاف صدرت ضدهم احكام ، وفى هذه المحنة القاسية لابد ان نشكر القوى الديموقراطية فى اسرائيل وفى مقدمتها **حزب راكاح** على الدور الذى يقومون به فى تعبئة الجهود لكشف اللسعة العسكرية وسياستها .

ونشكر بوجه خاص المحامية **فيليسيا لانجر** .

ـ فى رأيك الى أى مدى يؤثر التعذيب على معنويات المناضلين :

هناك مفاهيم تروج فى العالم العربى .. عن عبد .. تقول ان قدرة الانسان محدودة امام وسائل التعذيب الحديثة ونحن نرد ونقول : ان قدرة الانسان ـ المناضل ـ على الاحتمال لا حدود لها . . والسبب هو ان الذى يحدد صمود المناضل هو عمق ايمانه بحتمية انتصاره .. ولذلك فان الاختيار الذى يطرح عليه هو : اما ان تعترف ، واما ان تموت . ولقد تربينا على ان مواجهة التعذيب وتحمله هو مواصلة للمعركة من موقع جديد . وان المحافظة على اسرار الحركة تعد هزيمة للعدو . وليس غريبا ان كثيرين من المناضلين لا يزالون صامدين يشرف ويدافعون عن مبادئهم . وفوق ذلك نعرف ان المواقف الصامدة لها تأثير اخلاقى حاسم على الناس .

ـ والآن كيف تقيم ـ فى كلمات ـ الوضع فى الارض المحتلة ؟

اذا القينا نظرة على ما يجرى فى الجانب الاخر .. جبهة العدو ، نرى انه حاول ـ طوال خمس سنوات ـ دمج الضفة الغربية بالكيان الاسرائيلى فى مختلف المجالات السياسية والاقتصادية . والان تعتبر الضفة الغربية سوقا يمارس فيها العدو استعمارا تقليديا .

فى نفس الوقت فان بقاء الجسور مفتوحة بين الضفتين ساعد البورجوازية الوطنية الفلسطينية على ترويج البضاعة فى الدول العربية . واسرائيل تشجعهم على التصدير وتدفع لهم بكافة تشجيعها والخطر هنا هو انه يمكن ان تساعد البضاعة العربية على تسريب بضاعة اسرائيلية ، وهذا الامر خفف من حدة التناقض بينها وبين الاحتلال . بالطبع البورجوازية الوطنية لها دور فى مقاومة الاحتلال . ولكن ليس لها دور قيادى .

ومن خطط المحتلين انشاء وتشجيع الصناعات المشتركة [رأسمال اسرائيلى عربى مشترك] وخطتهم بالنسبة للفلاحين هو ان الزراعة يجب ان تخدم الصناعة الاسرائيلية . وقد تمكنوا من احلال محصولات محل محصولات اخرى يقولون ـ هم ـ تصديرها او تصنيعها . فمثلا يشترون طن البلوبنج من الفلاح الفلسطينى بدولارين ويبيعونه لايطاليا بمائتى دولار .

ثم لا ننسى ان فى مقدمة مخططاتهم الهجوم على الثقافة الوطنية وتغيير المناهج المدرسية بما يخدم اهداف الاحتلال الاسرائيلى .

ولكن على الرغم من ذلك كله اذا قيمنا الوضع فى جبهة الشعب الفلسطينى فانه يمكن القول بأن الرؤية فى الضفة الغربية فيها وضوح اكثر وصفاء . لان هناك مواجهة مباشرة مع الاحتلال والخط الفاصل واضح .

اما مع الاحتلال او ضده . ولا مجال لاى شىء آخر .

بالاضافة الى ان الاحتلال نفسه يطرح يوميا مهمات نضالية على الناس بسبب المصادرات والاعتقالات .. الخ .

ومعنويات الناس ممتازة وثقتهم بالمستقبل ممتازة ..

ومن الناحية السياسية الوضع ممتاز داخل حركة الجماهير .

وهناك التأييد والالتفاف حول منظمة التحرير الفلسطينية . وبالاساس ، هناك تأييد لشعار انشاء دولة ديموقراطية .

الانفصال عن الاردن محسوم بين الناس .. وهم يعتبرون ان الدولة الفلسطينية هدف واقعى ..

○ عمر أحمد عوض الله ..

شهيد الوطن والشعب

فى سجن عسقلان الدموى ، وفى الحادى والعشرين من يناير « كانون الثانى » سنة ١٩٧٥ ، توقف عن الخفقان قلب المناضل عمر احمد عوض الله عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الفلسطينى فى قطاع غزة ، حيث كان يقضى منذ نهاية عام ١٩٧٠ ، حكما بالسجن مدى الحياة ، بصفته قائد الجناح المسلح للحزب الشيوعى ، والجبهة الوطنية المتحدة ..

لقد كان عمر أحمد عوض الله من المناضلين القلائل ، ومثلا ناصعا يحتذى به ، فقد سار بثبات على نفس الدرب الذى سبقه عليه رفاقه من شهداء الحزب البواسل : حسين بلال ، ويوسف اديب طه ، وعبد الوهاب الفار مكرسين بدمائهم خط الحزب وتراثه النضالى فى الدفاع حتى الموت عن مصالح الجماهير الكادحة ، وفى سبيل انتزاع حقوق شعبنا المغتصبة ، وتقرير مصيره بنفسه على تراب وطنه الحر ، بكل أشكال النضال وبضمنها الكفاح المسلح ..

ولد الشهيد عمر أحمد عوض الله فى قرية « المسمية » ، من عائلة فلاحية عام ١٩٣٤ ، وترعرع فى ظروف شهد فيها الشعب الفلسطينى ، أخطر مؤامرة استعمارية صهيونية رجعية ، تستهدف اقتلاعه من أرضه وانهاء وجوده . وبالرغم من أن عمر كان قد أنهى الصف السابع الابتدائى ، فان ظروف حياة أسرته ، قد انتزعته من مقاعد الدراسة سعيا وراء الرزق ، فاشتغل عاملا للنسيج فى شركة « المنار » فى عامى ١٩٤٩ ، ١٩٥٠ ، ولم يتمكن من العودة لمتابعة الدراسة الا فى عام ١٩٥١ ، حيث التحق بمدرسة البريج الثانوية ، وفى هذه الفترة التحق عمر فى صفوف عصبة التحرر الوطنى ، التى كان قد أسسها الشيوعيون العرب الفلسطينيون منذ عام ١٩٤٣ ، والتى واصلت نضالها فى قطاع غزة ، ثم تحولت فى [آب] ١٩٥٣ الى الحزب الشيوعى الفلسطينى فى قطاع غزة ..

وفى شهر آب « أغسطس » عام ١٩٥٢ ، دخل عمر أحمد عوض الله ، السجن للمرة الاولى فى حياته ، وقدم للمحاكمة وحكم عليه بالسجن لمدة ثلاثة أشهر ، واكتسب عمر أثناء وجوده فى السجن خبرات جديدة ، وخرج أكثر وعيا وصلابة ، فشارك بدور قيادى فى المظاهرات العارمة التى شهدتها المنطقة الوسطى فى قطاع غزة سنة ١٩٥٣ ، احتجاجا على الاعتداءات الصهيونية المتكررة ، ومن أجل اطلاق الحريات العامة للجماهير . وأصبح مسئولا عن تنظيم الشبيبة الشيوعية فى القطاع .

وقد شارك الشهيد بدور قيادى وبارز فى الانتفاضة الشعبية التى تأججت فى القطاع ، احتجاجا على مشروع توطين لاجئى قطاع غزة فى شبه جزيرة سيناء ، وذلك فى مارس « آذار » عام ١٩٥٥ حيث استطاعت جماهير القطاع احباط هذا المشروع

"القصوى". وعلى أثر ذلك اعتقل عمر مع العشرات من رفاقه في العاشر من آذار « مارس » سنة ١٩٥٥ ، وظل عمر معتقلا حتى الثاني من شهر تموز « يوليو » سنة ١٩٥٧، حين أفرج عنه .

وفي الثاني عشر من شهر آب « أغسطس » سنة ١٩٥٨ ، دخل عمر مع عدد كبير من رفاقه السجن مرة أخرى . وفي الثاني والعشرين من آيار « مايو » أفرج عن عمر مع فوج من رفاقه .

وبعد عدوان الخامس من حزيران، استطاعت القوى الوطنية ، أن تشكل الجبهة الوطنية المتحدة في قطاع غزة ،التي قامت باعادة تنظيم الجماهير الواسعة وتعبئتها وراء اهداف النضال التي تضمنها برنامج الجبهة ،واخذت في تصعيد النضال تدريجيا ، عن طريق النشرات الواسعة ونشرة « المقاومة » التي كانت تصدرها اسبوعيا ، وعن طريق تنظيم المظاهرات والاعتصامات وحركات العصيان ، الى أن وصلت الى اقرار حمل السلاح في شهر كانون الاول « ديسمبر » سنة ١٩٦٧ .

وفي مطلع عام ١٩٦٨ أصبح الشهيد عمر احمد عوض الله عضوا في اللجنة المركزية للحزب ، واسندت اليه قيادة التنظيم العسكري للحزب والجبهة الوطنية المتحدة .

وفي أواخر شهر آذار « مارس » ١٩٦٩ ، وبعد أن كان التنظيم العسكري بقيادة الشهيد عمر قد نفذ أكثر من ٥٠٠ عملية ضد قوات الاحتلال ، بدأت سلطات الاحتلال تطارده وتتعقب خطواته ، وظل يعمل طيلة سنتين في الخفاء ، ويقوم بواجباته الوطنية ومسئولياته الحزبية والعسكرية .

وذات يوم من شهر كانون الاول « ديسمبر » ١٩٧٠ ، استيقظت جماهير مخيم الشاطىء والاحياء المجاورة على هدير المصفحات الاسرائيلية وهي تحاصر منزلا متواضعا ، وتتصدى بالقنابل ، وشاهدت الحجارة تتطاير اثر انفجار القنابل ، وشاهدت كذلك المنزل الذي كان يربض فيه الشهيد عمر ، ويخرج عمر من بين الانقاض وتراب الوطن يعفر هامته ووجهه ويجرح موسى دبان شخصيا ليشاهد بأم عينه الحصن الذي كان قد احتضن الشهيد عدة شهور .

وفي أتعبية الموت الاسرائيلية ، يصمد عمر عوض الله لاهوال التعذيب ، ويحال للمحاكمة ، ويقدم المدعي العام الاسرائيلي وثائقه لمحكمة العسكرية ، ست بنادق ومطبعة ، واعداد كبيرة من منشورات الحزب والجبهة .

وفي تشرين أول « اكتوبر » ، وقف عمر امام المحكمة يدفع بعدم صلاحيتها بالحكم على الوطنيين الفلسطينيين ، ويشجب العدوان الصهيوني ، ويدين الارهاب البربري الذي تمارسه سلطات الاحتلال ، ويؤكد بأن النصر سيكون حليف الشعب العربي الفلسطيني في نضاله من أجل العودة وحق تقرير المصير ، وان لشعبنا الحق في استخدام كافة الوسائل النضالية لتحقيق أهدافه المشروعة والمدافع عن النظام الوطني التقدمي في مصر ، مؤكدا ان الشيوعيين الذين يضعون مصالح الوطن فوق الاعتبارات الذاتية ، يرون في ذلك النظام حليفا وسندا لنضال شعبنا العربي الفلسطيني .

وقد قضت عليه المحكمة العسكرية بالسجن مدى الحياة ، ونقل الى سجن عسقلان الرهيب ، ليلقى هناك بعشرات من رفاق السلاح ، وليبدأ معهم من جديد رحلة العذاب والجوع والاضطهاد ، ولينظم عدة اضرابات عن الطعام ، من أجل تحسين ظروفهم المعيشية ، ومعاملتهم معاملة انسانية ، وليناضل مع زملائه لانتزاع مكتبة يتزود منها المعتقلون بما ينير عقولهم ويملأ أوقات فراغهم الطويلة .

وفي الحادي والعشرين من يناير « كانون » الثاني » ١٩٧٥ ، فارق عمر أحمد عوض الله الحياة ، ليغرس منارة جديدة أكثر اشراقا وعظمة في مسيرة حزبه والحركة الوطنية الفلسطينية ، ولا عجب لذن ، أن أولته الجماهير في قطاع غزة حبها وتقديرها حيا وميتا ، فقد خرجت تحمله على الاعناق في مظاهرة صاخبة ، انطلقت من حي الشجاعية الى مثواه الاخير ، تحييه من أعماقها وتهتف بسقوط البرابرة .

قـــرية

مقـــاتلة

شـــهادة من كفـر شـــوبا

يقدم عبد المنعم الغزالى شهادة عن معارك كفر شوبا كما سمعها من المقاتلين هناك

على الحدود مع الارض المحتلة قرى لبنانية ترفع راية المقاومة : ضد العدو الاسرائيلى ، كفر حمام ، كفر شوبا ، راشيا ـ وغيرها ، وسكان هذه القرى يخضعون لضغط مزدوج، ضغط العدو الاسرائيلى المستمر بمدفعيته وطيرانه ، وضغط بعض « الاجهزة » عليهم ليتركوا القرى ويخلوها .

وفى هذه المنطقة ، الممتدة عبر سلسلة طويلة من الجبال ، تأخذ المقاومة الفلسطينية مكانها . وتواجه الكمـــائن الاسرائيلية الموجودة فى الغجر ، والخالصة ، وبرج العادى ، جلعادى ومعسكر عين العودة ، والمطلة ، والفرج ، وميان باخور ، وخربة الميدان .

وتقع قرية كفر شوبا على بعد ٥٠٠ متر من مرمى مدفعية العدو ، وعلى بعد ٢ كـ . م من القمة التى يسيطر عليها العدو . ومن هذه القمة تمكن العدو من شق طريق جبلى كان هو المحور الاساسى الذى تنطلق منه الاليات الاسرائيلية فى هذه المنطقة لتضرب وتهاجم قرى بأكملها .

لقد سارت المعارك التى دخلتها كفر شوبا على الوجه التالى :

خاض الفدائيون عدة معارك بدأت أولاها فى ١١ ـ ١ ـ ١٩٧٥ ، وخسر فيها العدو ٣٢ جريحا وقتيلان . هنا بدأ الرد الاسرائيلى . وكانت آخر عملية للفدائيين قد نفذت فى صباح ١١ ـ ١ ـ ١٩٧٥ الساعة السادسة وأربعين دقيقة ، حيث دمرت المقاومة مجنـزرتين ، واصـــابت عشرين جنديـــا من جنـــود العدو [جرحى وقتلى] كانوا مرافقين للمجنزرتين . وبعد هذه العمليات ، تأكد للمقاومة أن العدو يعد لضربة شديدة فى منطقة العرقوب ، بهدف تصفية المقاومة ، واضعاف فعاليتها فى الاحداث .

وفى صباح يوم ١١ ـ ١ ـ ١٩٧٥ ، استعدت المقاومة للقاء العدو ، فوزعت الكمائن . وفى تمام الساعة السابعة والربع بدأت قوات العدو فى التقدم الى كفر شوبا . واصطدمت مع الكمائن الامامية . واستمر الاشتباك مدة ساعتين . ولم يتمكن من تحقيق أى من أهدافه ، ووفق بياناته فقد جرح له اثنان وقتل قتيلا واحدا .

ومرة أخرى ، وفى صباح ١٢ ـ ١ ـ ١٩٧٥ عاود العدو الهجوم ، وتم صده للمرة الثانية ، وأعلن أنه قد جرح له أربع

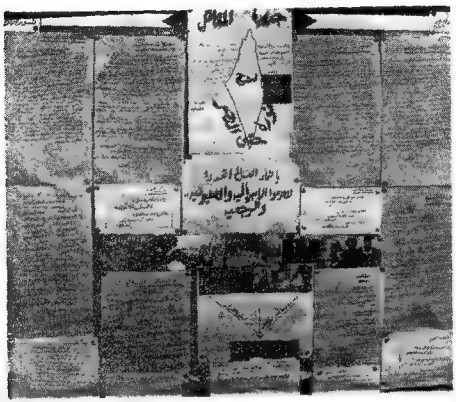

صحف الحائط التي يحررها أبناء الثورة الفلسطينية وتتناول أخبار وصور المعارك اليومية مع العدو والتعليق عليها

وفي اليوم الثالث ١٣ ـ ١ ـ ١٩٧٥ ركز العدو على قذف القرية بالمدفعية . وبدأ دكها ونسف منازلها . وأعلن العدو أن خسائره جريحان . وواجهت الكمائن قوات العدو المحاصرة لكفر شوبا .

وفي اليوم الرابع ١٤ ـ ١ ـ ١٩٧٥ ، كان قد تم ترحيل معظم السكان المدنيين ، بضغط من بعض قوات الجيش ، ولم يتبق من السكان غير خمسمائة مواطن ، من الاطفال والشيوخ والنساء .

في ليلة ١٤ ، ١٥ جهز العدو ٢٠ آلية لنقل القوى المهاجمة ، واتخذت جميع فصائل المقاومة مواقعها ، وتجسدت الوحدة الوطنية بين مقاتلي فصائل المقاومة . وفي تمام الساعة الثانية عشرة بدأ العدو تقدمه على المحور الرئيسي ، وفتح النيران من كل الاتجاهات . وتمكن العدو من اختراق محور شمال شرقي القرية ، واستمر الاشتباك مع قوات العدو حتى الساعة الرابعة والنصف من صباح يوم ١٥ ـ ١ ـ ١٩٧٥ ، لكن العدو لم يتمكن من اختراق كفر شوبا ، وغنمت المقاومة منه بعض الاسلحة والذخائر ، واستشهد أربعة من شباب المقاومة .

وفي يوم ١٥ ـ ١ ترك المدنيون القرية ،

قصف العدو القرية لمدة خمسة عشر دقيقة قصفا مركزا وكثيفا .

وفي ١٦ ـ ١ استمر القصف المدفعي طوال الليل ، واستشهد اثنان من شباب المقاومة ، وتمكنت المقاومة من التصدي لاحد من كمائن العدو ، وغنمت منه المواد التي كان يستخدمها .

وفي صباح ١٦ ـ ١ ـ ١٩٧٥ حاول العدو دخول كفر شوبا بالدبابات ، التي تمركزت على ثلاث محاور رئيسية محور بين تلة الرملة وسكة

السماء ، والثانى رويات العلم ، والثالث رويسة الصاعقة وبرج نيقلين .

وبدا العدو فتح نيران دباباته فى الخامسة من صباح يوم ١٦ - ١ . واستمرت نيرانه حتى السادسة الثانية عشر ظهرا . واشتبكت مدفعية المقاومة مع العدو ، كما وضعت الالغام على الطريق ، واستخدم المقاتلون قذائف آر . ب . ج . وسقط من المقاومة اربعة شهداء وستة جرحى ».

واشترك فى المعارك خمسة وعشرون من رجال المقاومة من كل الفصائل ، وكانوا مدعمين بمختلف الاسلحة ، وبمدفعية من مختلف الاعيرة . واستخدم العدو كتيبة كومندوز مكونة من حوالى ٢٠٠ جندى واربع طائرات هذا آلياته ودباباته ».

- ولكن ماذا عن دور سكان كفر شوبا فى المعركة ؟

يقول رجال المقاومة :

ان اهالى كفر شوبا كانوا معنا . وقد رفع صمودنا معنويات السكان . كل السكان كانوا معنا ، كان الاطفال يقومون برصد تحركات العدو ، ويخبروننا بأماكن تجمعه وعدد قواته . كما ان قسما كبيرا من الاهالى كان مسلحا ، وبعضهم اشترك معنا فى المعركة . كما اشتركوا معنا فى الدوريات ، والكمائن الانذارية .

ورغم كثافة القصف ، لم يرحل السكان . بل تم ترحيلهم بالقوة . وبعد ترحيلهم ، اشتبكوا مع بعض الاجهزة اللبنانية فى **مرجعيون** واصيب منهم اثنا عشر . وكانت مطالبهم تحسين كفر شوبا وحمايتها .

رفضوا باصرار اتخاذ اى موقف ضد المقاومة . رغم كل الضغوط الواقعة عليهم .

وبعد انتهاء المعركة ، قال اهالى **كفر شوبا** بعد عودتها ستظل بيوتنا مفتوحة للمقاومة . وقد طالب وفد كفر شوبا الى السفارات العربية ان يقوم اليهم الدعم مباشرة لحماية القرية . وليس عن طريق اية هيئة رسمية او غير رسمية .

- لكن كيف تفسرون مواقف الاهالى المساندة للفدائيين ؟ :

يقول رجال المقاومة :

ان الخمسة آلاف الذين يسكنون **كفر شوبا** يتميزون بحسهم الوطنى والعربى المرتفع ، وفوق ذلك فان علاقاتهم بفلسطين تاريخية . وكان سوقهم مع الخالصة ، ونادرا ما كانوا يتعاملون مع مرجعيون .

ان **كفر شوبا والعرقوب** هما البوابة التى منها دخلت المقاومة .

ومعظم الاحزاب الوطنية التقدمية لها وجود فى هذه القرى . وشباب كفر شوبا والعرقوب من راعى الماعز الى المعلم فى المدرسة مهتم بالصراع الدائر فى المنطقة العربية .

■ ■ ■ ■

وننشر فيما يلى ، نص المذكرة التى وجهها اهالى كفر شوبا الى شعب لبنان والشعوب العربية :

مذكـرة اهالى كـفر شـوبا

الى ابناء شعبنا وبناته فى لبنان :
الى ابناء وبنات أمتنا العربية :
الى اخواننا واخواتنا فى جنوب لبنان الحبيب ،

من كفر شوبا نبعث لكم بتحياتنا ونتوجه اليكم برسالتنا ، بعد ان عاش لبنان والوطن العربى على أخبار المعارك البطولية التى خاضها ابناء كفر شوبا وقوات من الثورة الفلسطينية ، وبعد أن شعر الجميع بالفخر والاعتزاز لما تحقق من انتصار فى دحر العدو خاسرا يحمل قتلاه وجرحاه . بعد ذلك اخذت الاخبار تتحدث عن نزوح اهل كفر شوبا ، وعما حل بقريتنا من دمار . وبدأت الجهات المسئولة فى الدولة تتحدث عن تعويض اهل كفر شوبا . وواكبت ذلك البيانات السياسية والخطب والمهرجانات من الاحزاب الوطنية تعبر عن تضامنها ووقوفها الى جانبنا .

ولكننا لن نقبل ان تكون نهاية معركتنا البطولية حديثا عن مأساة ، وعن لاجئين ، وتتحول الى وعود بالتعويض ، ودعوات سياسية تستنكر العدوان وتطالب بالعودة . ان نقبل أن تتكرر دير ياسين اخرى ولن نرضى بأن تتحقق احلام العدو الصهيونى اليهودى بتهجير

الاعالى وارضها . لن تترك الارض ابدا وستتمسك بها . ولن تتحقق اهداف الصهاينة . ان الطريق الذى يجب ان يتلو هذه المعركة هو ان نعود الى كفر شوبا المزيزة نملأ لا بالبيانات . وان هذا الطريق وحده هو الذى يزعج الى الابد كل ما يقال عن صمود ونضال ، أو من هداء للصهيونية والاستعمار . وهو الذى يكشف الزيف والبهتان ويضع الامور فى نصابها . ولهذا بدأت طلائع من ابناء كفر شوبا وبناته ، ومن بعض الطلبة الوطنيين فى لبنان تعود الى القرية الحبيبة . وها قد مضى علينا ستة ايام بلياليها ونحن فى كفر شوبا نرفع انقاضها ونصرسها ، وقد وضعنا قياعانا على اكفنا ولن نسلمها للاحتلال او نتركها للغربان والخراب .»

ان هذه الطلائع مصرة على الحياة فى كفر شوبا والصمود فيها مهما كلف الثمن وغلت التضحيات وستكرر هذا الاصرار وسوف يكرره غيرها حتى ولو تعرضت كفر شوبا لما تعرضت له مرة اخرى واثقة من ان قوافل العائدين الصامدين ستتوالى كما هى تفعل الان . لتؤكد حبها لارضنا الطيبة : وأصرارها على عدم الخضوع للعدوان . وعلى عدم الرضوخ لابتزاز العدو الذى يريد ارهابنا . حتى نصبح لاجئين متوهمين اننا قد نتقلب على الفرانيين .

من كفر شوبا ، من عودتنا المقاتلة الى ربوعها الطيبة ، من تكاتف الجهود الوطنية ، سنحقق صمود جنوبنا الحبيب .»

مرة اخرى نحييكم من كفر شوبا ، ونهيب بكم ان تسهموا بكل الاشكال فى دعم قرية كفر شوبا الصامدة ، ودعم العراقيب ، ودعم الثورة الفلسطينية .

وانه لصمود فى كفر شوبا حتى نهزم الغزاة وننتصر .

عاشت امتنا العربية حرة كريمة وموحدة .»
كفر شوبا فى ٦ ـ ٢ ـ ١٩٧٥.
الاهالى والعائدة فى كفر شوبا

قام فى شهر مارس الماضى ، وفد من « الطليعة » بزيارة الى سوريا ، لاعداد دراسة للتجربة السورية على أرض الواقع .

وقد عكف اعضاء الوفد ، بعد عودتهم على دراسة مشاهداتهم وانطباعاتهم والاحاديث والمناقشات التى أجروها فى سوريا ، لاعداد الدراسة التى ستنشر فى عدد « الطليعة » القادم : يونيو ١٩٧٥ .

الثـــورة
ومؤسســـات الدولة الفلســـطينية

حســين شــعلان ــ عبد المنعم الغزالى

هل من الممكن « خلع ، حركـة الثورة الفلسـطينية المسـلحة من لبنـــان » ؟

هذا سؤال هام لا تفرضه فقط تطورات الاحداث « المرة » التى جرت مؤخراً بتحرش حزب الكتائب ــ بشكل مفتعل ــ ضد المقاومة الفلسطينية ، وانما تفرزه حالة القلق الصادق التى تساور كل عربى وطنى وتثير مخاوفه .. سؤال فيه كل آلام ذكريات « سبتمبر الاسود » !! وفيه ايضا الامال التى ايقظتها « حرب اكتوبر » و « معركة كفر شوبا » ثم « عملية فندق سافوى » .

والاجابة على السؤال ، مطلبية بالا تقع فى محظورى : المبالغة فى تقدير قوة المقاومة بدوافع عاطفية يصعب تجنبها ، أو التقليل من الحجم الحقيقى للأخطار المعرضة لها بالفعل .

ومن البداية نقول ان الصدام المفتعل الذى نفذته الكتائب ضد المقاومة ، لن يكون الصدام الاخير ــ من الكتائب أو غيرها من قوى لبنانية مماثلة ــ ضد المقاومة ، مثلما لم يك صدامها الاول .. فالتربص بالمقاومة من قبل هذه القوى ، و « التحرش » و « الاستفزاز » ، أصبحت جميعها « خبز وملح » المقاومة اليومى .

ولو جاز لنا اعادة طرح السؤال على نحو جزئى ، فنقول : هل تستطيع القوة المسلحة لحزب الكتائب « ١٢٠٠ فرد يضاف لهم ٥٠٠٠ فرد عند تعبئة كل الاحتياطى » ، أن « تخلع » المقاومة الفلسطينية من لبنان ؟

فى حدود هذه الجزئية ، تكون الاجابة : هذا مستحيل بالقطع ، مع تجنب المحظورين السابق الاشارة اليهما .

لكن المشكلة الحقيقية فى الواقع ان قوى مختلفة غير الكتائب ــ أيضا ــ ضد المقاومة ووجودها وتسعى دائما لافتعال الصدامات معها .

ما هى المصلحة « المحلية » لهذه القوى فى التربص بالثورة الفلسطينية المسلحة ؟

والاجابة : أن المقاومة « زرعت » نفسها وحتى من قبل « اتفاقية القاهرة » ، فى الواقع اللبنانى ، وأصبحت مع مضى الوقت عنصراً مؤثراً على الخريطة السياسية لابد وأن يوضع فى حسابات كل قوة وهى تمارس حركتها العامة ونشاطها اليومى . فالتفاعلات والتأثيرات التى احدثتها ممارسة المقاومة الفلسطينية لمسئولياتها النضالية ، كشفت عن اكثر من « عورة » للأجهزة والقوى الرجعية ، فضلا عن انها ساهمت فى خلق ارضية جماهيرية هى بكل الحسابات احتياطى ثمين للقوى الوطنية والتقدمية اللبنانية .

ان الحكم الحالى فى لبنان ــ وبغض النظر عن اية تحليلات ــ يتخذ موقف محاولة تجنب المشاكل الحادة مع المقاومة . وذلك لاكثر من اعتبار . ومن هنا ، فان بعض القوى والاجهزة ، تسعى الى دفع الامور نحو « مأزق » تتصوره الحكم الحالى ليجد نفسه وجها لوجه فى صدام مباشر مع المقاومة .. وخلال هذا « المأزق » يصطاد من يريد أن يجنى ثمارا معينة .

ونحن نعتقد انه من السذاجة ، النظر الى مثل هذه المعارك المفتعلة مع المقاومة الفلسطينية ، فى هذه الاوقات بالذات ، دون ربطها باحداث أخرى ادت بعضها الى غياب الملك فيصل عن الساحة وفشل بعضها الاخر فى ابعاد قيادة وطنية عربية وتأثيراتها . لابد وأن نقول ان « الورقة » الثالثة فى هذه « اللعبة » المريبة والمشبوهة ، كانت ورقة المقاومة الفلسطينية هذا اذا لم تك هناك «اوراق» اخرى لم تكشف بعد ..

من هنا نأتي الى مصلحة القوى الخارجية المشاركة في هـذه الاحداث المعـادية للثـورة الفلسطينية ، والتي يصعب على اية قوة محلية رجعية في لبنان ان تبادر للعمل ضد المقاومة بدون مساندة هذه القوى الخارجية المعادية .

لقد شنت اسرائيل الهجوم على « الكرامة » بقصد ضربها واخمادها منذ بداياتها الاولى ، حينما خلقت المقاومة الجبهة غير المهادنة الوحيدة وقتها .. مع اسرائيل . وفي « ايلول الاسود » تمت محاولة الاجهاز على المقاومة الفلسطينية ، حينما اصبح « حجم » المقاومة يمثل حدا غير مقبول من اكثر من طرف . واليوم كان الاسطول السادس الامريكي يتابع عن قرب احداث المنجمة التي اعلن الامريكيون بصددها عن استعدادهم للتدخل عندما يبدو ان الرياح ستاتي بما لا تشتهي سفن الاسطول السادس .

واليوم ، تمثل المقاومة الفلسطينية بالحجم الذي استعادته وطـوره كما وكيفا .. محليا وعربيا ودوليا ، تمثل خطرا لابد من استبعاده ومصادرة تاثيراته سواء على مخططات رامخة فشلت او لاحقة تمارس المقاومة دورها المباشر وغير المباشر في التنبؤ بقدميا باحباطها او افشالها .

باتت الثورة الفلسطينية اليوم اذن ، طرفا مؤثرا « محليا » و « خارجيا » على الجانب الاخر من الحدود ، يصعب تجاهله . ولذلك فان التربص به « حالة يومية .. محلية وخارجية . وسنظل كذلك .

الى هذا الحد ، تتمثل الاخطار . ونعود الى سؤالنا : هل يمكن — في ضوء ذلك — « خلع » المقاومة من لبنان ؟

ونقول انه بتضافر هذه القوى المعادية ، لا يصبح مستحيلا وان كان — حتى بتضافرها — صعبا . لكن المؤكد ان المنجمة لابد وان تكون مروعة وان جراحها المؤلمة سوف تمس الجميع وبشكل موجع . سوف تكون — اذا حدثت — اشبه بعملية « هدم المعبد » على رؤوس الجميع .

ان القوى الرجعية والصهيونية والامبريالية ، تلتقي جميعها حول هدف تصفية المقـاومة الفلسطينية التي حولت جنوب لبنان — منطقة التماس مع حدود العدو الاسرائيلي — الى جبهة رابعة .. ساخنة مع اسرائيل . جبهة لا تهدا من الاشتباكات الدائمة ، تحرص المقاومة بها الحفاظ على « حرارة » القضية ، وتبهد اسرائيل بهـا — وتصعيدها — الى « الحرب الخامسة » التـي تعمل من اجلها بكل ما تملكه .

ولان مثل هذه الصدامات والمعارك مع المقاومة الفلسطينية ، هي معركة « موت او حياة » ، فان قوات وقواعد الثورة الفلسطينية وجماهيرها ان تبرحها بسهولة . وهنا فان القوى الوطنية والتقدمية في الوطن العربي كله ، تتحمل مسئولية اكيده في العمل على حماية الثورة الفلسطينية المسلحة ، وسوف لا يغفر لها احد اي تقاعس عن ممارستها هذه المسئولية ..

• • •

و « خلع » او « حصار » الثورة الفلسطينية في ارض لبنان ، وهي العملية « المكتة — الصعبة » ، لا تعني بالمرة القدرة على تصفيتها . فلك لان المقاومة الفلسطينية تجاوزت بكثير جدا مجرد ان تكون مجموعات من المناضلين السياسيين ، او فرقا منتشرة لقوات حرب عصابات .. الخ . ولكنها — منذ وقت — استكملت تاسيس وبناء كثير من مؤسسات السلطة والدولة ، القادرة على تولي وممارسة مسئولياتها سواء في العمل من اجل تحرير الارض — بالاسلوب السياسي اذا قدر له ان ينجح — او بالتعامل العسكري باعتباره طـريق الضغط الاساسي الذي تؤكده شواهـد وتجاربه عديدة .

ولان المقاومة الفلسطينية بمؤسساتها ، اصبحت مؤهلة لممارسة صلاحيات السلطة والدولة ، فان هناك اكثر من قوة وطرف — محلي وخارجي — له مصلحة اكيدة في محاولة ابعادها عن تصوراته للعمل وخططاته ، بتصفيتها ، او على الاقل بتحييزها عن التاثير في تنفيذ هذه التصورات .

الى اي حد ، صحيح هو القول بلبوغ الثورة الفلسطينية حجما من التطور والنضج تستطيع معه تشكيل السلطة الوطنية الفلسطينية ومؤسسات دولتها الديمقراطية الحلمانية ، فوق اي شبر من الارض يتم تحريره من الضفة الغربية او قطاع غزة ؟

وطبيعي ان تكون المؤسسة العسكرية ، من ابرز مؤسسات الثورة الفلسطينية . واسرار الـواقع والحقيقة تقول : ان القوة الاساسية الضاربه في المؤسسة العسكرية الفلسطينية ، هي قـوات العاصفة فتح . وقد تطورت المؤسسة العسكرية الفلسطينية عبر مراحل ثلاث : من ١٩٦٥ وحتى يونيو ١٩٦٧ ، تميزت فيها بما يمكن تسميته بحرب العصابات المحدودة او الصغيرة قوامها حـركة دوريات ليلية . ثم ما بعد ١٩٦٧ وحتى سبتمبر ١٩٧٠ ، وتميزت بمطنيتها واتساع كيانها وخاصة بعد النجاحات الوطنية التي حققتها في معركة الكرامة ، ثم اضطرارها للعمل على جبهتين .. ضد اعمال التربص بها وضد العدو الاسرائيلي في نفس الوقت . وايا كانت الخسائر التي منيت بها — وهي هائلة — في سبتمبر الاسود ، الا انها خرجت اكثر نضجا ونموا كما وكيفا . ثم ما بعد ١٩٧٠ ، وتتميز بالربط بين عمل القواعد على الحدود وعمل القواعد في داخل الاراضي المحتلة . وتتجـه

جميعها ؟ ابتداء من عملية « كيريات شمونة » وحتى « عملية فندق سافوى فى تل ابيب » ، الى ضرب العدو فى أعمق اعماقه ..

وقد افادت حرب اكتوبر ١٩٧٣ ، الثورة الفلسطينية فى تطوير مؤسستها العسكرية لتأخذ ـ شيئا فشيئا ـ وضع « جيش تحرير » حقيقى . ولهذا الجيش تشكيلاته من فرق وكتائب .. الخ وكادر ثابت بمستوياته ورتبه ، فضلا عن تشكيلات الخدمات والمهندسين والادارة .. الخ .. ويزيد على ذلك الكلية الحربية التى اسستها « فتح » لتخريج ضباط جيش التحرير . كما اسست الثورة الفلسطينية ، تبعا رئيسيا لهذه المؤسسة واجتماعيا خصبا بثابة « معسكرات الاشبال والفتوة » التى شهد منتصف عام ١٩٦٨ اول معسكر علنى لها ، واعلن فى اوائل عام ١٩٦٩ عن تشكيل المجلس الاعلى لمؤسسة الاشبال والفتوة . وشارك اشبال المعسكرات فى الدفاع عن قواعد الثورة اثناء مذبحة سبتمبر الاسود . ثم شارك الاشبال فى العمليات القتالية ، بل نفذوا بعض العمليات الانتحرية فى عام ١٩٧٤ « عملية بقداح مثلا » دون مشاركة من القوات العاملة فى « جيش التحرير » .

لقد اصبحت المؤسسة العسكرية الفلسطينية ـ بحق ـ عاملا فعالا فى الصراع العربى الاسرائيلى ـ على المستوى العسكرى والقتالى ـ وعنصرا اساسيا من عناصره .

على انه يحق للمؤسسة العسكرية الفلسطينية علينا هنا ان نسجل لها حقيقة انها تتبوء بدرجة عالية من **التوبية السياسية** نتيجة للاهتمام الواضح الذى توليه قيادة الثورة الفلسطينية ، لاهمية دور « **ادارة التفويض السياسى** » داخل المؤسسة العسكرية . حيث نجد فى مختلف التشكيلات العسكرية « ملوضا سياسيا » مسئولا عن تحويل مفهوم « السياسة توجه البندقية » الى واقع عملى فى الحياة اليومية للمقاتلين بمستوياتهم المختلفة .

اما **المؤسسة السياسية** للثورة الفلسطينية ، فتقصد بها منظمة التحرير الفلسطينية . وبغض النظر عن وجهات النظر المتعددة حول تقييم مرحلتها الاولى « ٦٤ ـ ١٩٦٧ » كنتاج لمؤتمر القمة العربى الاول وانعكاساته عليها ، فقد كان من المستحيل بعد ١٩٦٧ ، ان تستمر المنظمة فى قيادة الشعب الفلسطينى وثورته الوطنية المسلحة ، بدون الطلائع المقاتلة التى فجرت الكفاح المسلح عشية عام ١٩٦٥ . وفى مرحلتها الثانية « ما بعد ١٩٦٧ » ، انطلقت المؤسسة السياسية للثورة من خلال برنامج سياسى نضج وتبلور بتحديد هويتها كحركة تحرر وطنى جزء من حركة التحرر الوطنى العربية . وبأذرعها للارتباط العضوى بين اسرائيل والاستعمار المالى وخاصة الاستعمار الامريكى ، طرحت نفسها ضمن اطار حركة التحرر الوطنى العالمية ، مستهدفة اقامة مجتمع فلسطينى تقدمى . وبذلك حددت الثورة الفلسطينية طبيعة جماهيرها العربية والعالمية . على ان قمة نضج المؤسسة السياسية الفلسطينية ، تمثل فى شعار « الدولة الفلسطينية الديمقراطية العلمانية » التى تضم الفلسطينيين المسلمين والمسيحيين واليهود ، بما ويحقوق وواجبات متساوية .

وقد كان للخطة الاستراتيجية للمؤسسة السياسية ، التى لعبت فيها « فتح » دورا قياديا مؤهلة له ، بعدم فض الاشتباب مع العدو باستمرار ، اثره العميق والمباشر على احراز التقدم على مختلف الجبهات العسكرية والسياسية محليا وعالميا . وفى هذا الصدد نرصد ما جاء فى بيان الاجتماع الطارىء للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، فى اعقاب قرار وقف اطلاق النار فى ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ : « ان اللجنة التنفيذية تعلن لشعبنا الفلسطينى والجماهير العربية والقوى الصديقة لنضال شعبنا فى العالم ، ان الثورة الفلسطينية التى انطلقت منذ بداية عام ١٩٦٥ ليست بمعنى بهذا القرار ، وهى تؤكد انها ستتابع الكفاح المسلح ضد الكيان الصهيونى من اجل تحرير الوطن وحق شعبنا فى تقرير مصيره بنفسه وعلى ارضه » . منذ ذلك الوقت « بعد حرب اكتوبر » تعيش المؤسسة السياسية الفلسطينية مرحلتها الثالثة الدقيقة ، التى تتاضل فيها من أجل انجاز اكبر قدر ممكن من الانجازات دون ان يكون ذلك على حساب الهدف الاستراتيجى للثورة مع ضمان استمرار الكفاح المسلح . وفى هذه المرحلة تبرز فيها الضرورة الاكيدة للحفاظ على الوحدة الوطنية بين فصائل المؤسسة السياسية .

ومن ابرز معالم نضج المؤسسة السياسية الفلسطينية ، فى الفترة الاخيرة ، اعتراف ١٠٥ دولة فى **الامم المتحدة** بها كممثلة للشعب الفلسطينى ومندوبة عنه ، بعد الخطاب الذى القاه المناضل **ياسر عرفات** امام المنظمة الدولية .

ويتبع المؤسسة السياسية الفلسطينية عددا من الاجهزة السياسية والاعلامية ، تملك المؤهلات الكافية لان تكون اجهزة السلطة الوطنية والدولة . فبالاضافة الى مكاتب المنظمة المنتشرة فى كثير من عواصم العالم ، يوجد اكثر من برنامج اذاعى ووكالة انباء وصحيفة ومجلة ومركز للابحاث والدراسات ودار نشر لثقافة الاطفال ومؤسسة للسينما وفرقة للفنون الشعبية وفرقة مسرحية .. الخ

التدريب على فنون القتال المختلفة ومن أهم الدروس اليومية لشباب الثورة الفلسطينية .

واذا كانت عملية بناء الجيل الجديد الواعي المستنير ، مسألة ملحة لاى دولة ، فهى مسألة لا غنى عنها للثورة الفلسطينية ومهمة التحرير التى تتطلب جهود اجيال متتالية تبتلك المؤهلات الكافية لتحمل مسئولياتها . وهنا يأتى دور المؤسسة التربوية والتعليمية للثورة الفلسطينية ، وقد قام مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير بتأسيس قسم التخطيط التربوى والاجتماعى فى أكتوبر ١٩٧١ لوضع حد للتشتت الفكرى والثقافى وفى « تثوير » اتجاه التربية والتعليم الذى يتلقاها الطفل والطالب الفلسطينى . وجنبا الى جنب جهود « جمعية انعاش المخيم الفلسطينى » « ١٩٦٩ » ، قام مركز التخطيط ـ قسم التربية ـ بانشاء ١١ دارا لرياض الاطفال وتنظيم دورات تدريبية مكثفة لمعلمات رياض الاطفال .

وابرز مؤسسات التربية والتعليم للثورة الفلسطينية ، على الاطلاق ، « **مدرسة اسعاد الطفولة** » فى « سوق الغرب » ببيروت ، وتعد هذه المؤسسة انجازا فلسطينيا ، يدعو الى الفخر ، بل يمكننا ان نقول ـ بكل امانة ـ ان مدرسة اسعاد الطفولة ، مؤسسة تربوية تعليمية تفتقد مثلها معظم الدول العربية . وقد اجتذبت هذه المدرسة ، اهتمام سائر الدوائر التقدمية العربية وغير العربية . وتقوم « فتح » برعاية المدرسة ومتطلباتها ، ويحد ان **ياسر عرفات** يوليها اهتماما شخصيا فائقا . ولا يكاد يرى زائرا عربيا أو اجنبيا يقابله إلا ويبادره بالسؤال عما اذا كان قد زار « مدرسة اسعاد الطفولة » أم لا ؟

و « مدرسة اسعاد الطفولة » ، تجربة عربية رائدة . فهى طراز من المدرسة الوطنية الشاملة . وتضم المدرسة ٥٣٥ طالبا من الجنسين على ثلاث مراحل : الروضة ـ الابتدائية ـ الاعدادية ، وفى العام الدراسى القادم « ٧٥ ـ ١٩٧٦ » ستفتتح المدرسة مرحلة ثانوية .

ومنذ خطوتك الاولى داخل بناء المدرسة ، يقع نظرك على لوحة زيتية تترجم كل ما بداخل هذه المدرسة : فدائى يحمل طفلا بيده ، والى جانبه شبل يحمل السلاح ، وفى الخلف تمتد خيام اللاجئين وبخط كوفى تقرأ على اللوحة مقطعا شهيرا من أناشيد « العاصفة » : « والطفل ان قتلوا ابوه ـ واجب علينا نحضنه ـ والبيت يالقى يهدموه ـ واجب علينا نعمره » .

واول المواد التى تهتم بها المدرسة وتركز عليها ، تاريخ وجغرافية فلسطين ، بالاضافة الى المواد التعليمية الاخرى فضلا عن مواد الموسيقى والتربية المنزلية .. الخ . وفى المدرسة اذاعة كوسيلة تعليمية سمعية فى الفصل ، وفى الاوقات الاخرى تنقل للاطفال الاخبار والمحاضرات الثقافية وانشطة حركة التحرر فى العالم . وتعنى المدرسة بالتربية الكشفية « ثلثا التلاميذ ملتحقون بالنظام الكشفى » ، وتعمل المدرسة على احياء التراث الفلسطينى : الاغنية والانشودة والرقصة ، مع تطويرها . وتعنى المدرسة بالتربية الفنية : رسم واشغال يدوية ، فضلا عن الاقسام المهنية : نجارة ـ حدادة ـ تطريز ـ تدبير . الخ ويبارسها الاطفال بعد فترة الدراسة ، وتكتفى

□ ابناء الثورة الفلسطينية فى احدى مدارس قرية كفرشوبا .

المدرسة ذاتيا بتوفير الشباب الذى يلبسها التلاميذ سواء فى الدراسة او خارجها أو فى الانشطة الاخرى ، وذلك عن طريق القسم المهنى التابع لها . وتعنى المدرسة بالمكتبة ومراجعها وكتبها وبخاصة كتب الاطفال . وكل التلاميذ فى القسم الداخلى للمدرسة ، ويضم سبعمائة تلميذة اطلق على كل جناح اسما لمدينة فلسطينية ،واصبح يطلق على ساكنيه اسم شعب هذه المدينة . وستبدأ بعد ذلك تسمية كل حجرة باسم قرية تابعة للمدينة . والعاملون فى المدرسة ١٠٠ شخص موزعون على اقسام الادارة والتعليم ، ٢٥ للتعليم ، والقسم الداخلى والتموين والانتاج . وتنظم المدرسة فى كل صيف دورة لرفع كفاءة المعلمين فيها . وتعنى المدرسة بالنظافة والصحة بشكل ملفت لنظر كل من يزورها ، وشعارها فى هذا المجال « الصحة قبل التعليم » .

وبعد اعلان الثورة الفلسطينية فى ١٩٦٥ ، تكونت مجموعة من **المنظمات الديمقراطية الجماهيرية** . يستثنى من ذلك اتحاد الطلبة الفلسطينيين « ١٩٥٩ » واتحاد العمال الفلسطينيين «١٩٦٣» . اما المنظمات الجماهيرية التى تكونت بعد ذلك فهى : الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية ، اتحاد المعلمين الفلسطينيين ، الاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، اتحاد شبيبة الثورة ، الاتحاد العام للمهندسين ، والاتحاد العام للاطباء . والواقع انه يمكن رصد كثير من الملاحظات المتعلقة بطبيعة تكوين هذه المنظمات وأوضاعها ومدى فعاليتها . الا انه يمكن القول بأن عددا منها وخاصة الطلابية والعمالية قد أدت دورا كبيرا فى سبيل تعبئة رأى عام عالمى الى جانب الثورة الفلسطينية . ونعتقد بانه ما زال أمام الثورة الفلسطينية الكثير من الجهد تبذله من اجل بناء منظمات جماهيرية ديمقراطية فعالة .

يبقى أن نشير الى سمتين اساسيتين ، تتسم بهما المؤسسات التى اقامتها الثورة الفلسطينية . **اولهما** : ان النشأة المستقلة لحركة المقاومة الفلسطينية وتطورها الى ثورة تحرر وطنى ، قد انعكست بوضوح على طبيعة الاجهزة والمؤسسات التى اقامتها . وبذلك توفرت للثورة مؤسسات فلسطينية خالصة . **ثانيهما** : ان مسألة الهجرة التى فرضت على الشعب الفلسطينى ، دفعت كل من استطاع منهم الى الالتحاق بمعاهد التعليم والجامعات فى المكان الذى استقر فيه بحثا عن طريق للحياة ، وقد ادى ذلك الى توفر كادر مؤهل علميا وفنيا لتشغيل هذه المؤسسات وتطويرها . فاذا اضفنا الى ذلك الوعى السياسى الذى تزود به هذا الكادر خلال انخراطه فى صفوف الثورة ، لادركنا قيمة الثروة البشرية فى الكادر الذى تمتلكه الثورة الفلسطينية .

ان قدرة الثورة الفلسطينية على مواصلة طريقها ، قدرة هائلة . وبقدر ما تنجح فى مواصلة استقلاليتها فى نشاطها على الجبهات العسكرية والسياسية ، بقدر ما تزداد مؤسساتها تطورا ونضجا . ويوم تستطيع اقامة سلطتها الوطنية على أى شبر من الارض يتحرر ، سوف تجد لديها مؤسسات وطنية قادرة ومؤهلة لممارسة مسئولياتها .

صـــورتان وتعقـــيب

أبو سيف يوسف

كانت وجهة بعثة «الطليعة» فى ذلك اليوم زيارة مخيم النبطيه فى القطاع الاوسط من لبنان .

جلسنا فى مقر قيادة القطـاع نستمع الى « ابو موسى » وهو يلخص فى اقتضاب ،وفى حزم عسكرى ، مراحـل الكفـاح الفلسطينى المسلح .

وعندما تحدث « ابو موسى » عن رحلة العذاب والاهوال التى بدأها الفدائيون ــ بعـد مذابح ايلول ــ من جبال الاردن واغوارها ، الى حيث يتعين عليهم ان يتمركزوا فى قواعدهم الجديدة فى لبنان ، اكتفى بوضع هذه الرحلة فى تعبير مكثف ، ملىء بالشعر والحقيقة معا ، حين وصف رحلة الفدائى بقوله :

« هى رحلة الذئاب »

كنت ادون بعض الملاحظات فتوقفت عن الكتابة، وعن متابعة «ابوموسى» . استعدت فورا وقائع فيلم سينمائى رايته منذ سنوات يصف « رحلة الذئاب » .

فعندما يتعين على الذئب ان يهاجر من منطقة الى اخرى ، تراه يقضى الايـام والليـالى وهو يركض ، لا يتوقف ولا يتردد الا ليعتلى قمة هذا الجبل ، او يهبط محاذرا فيقطع الوادى فى لمح البصر . يزحف حينا ليتخفى ، ويقفز حينا آخـر لينجو ممن يطارده . ثم يواصل الركض مسابقا الريح . وهو فى هذا كله ينهش المسافات ويقطع فى اليوم الواحد عشرات الكيلومترات . ان نداءا خفيا ركبته فيه الطبيعة يظل يلح عليه ،يحرضه، ثم يزجره ان هو استسلم للنوم او الضعف .ولقد يحدث ان يجرح او يصاب ، فيلعق جراحـه ويمضى . ثم تنتهى رحلته الى جحره او كهفـه الجديد ــ فى المعتاد ــ الى احدى نهايتين .فهو اما ان يصل الى مستقره الجـديد . فهى اذن نهاية سعيدة ، واما ان يقتله صياد او وحش ، فهى اذن نهاية فاجعة .

فاذا كان «ابو موسى » قد شبه رحلة الفدائى الفلسطينى نحـو قـاعدته الجـديدة « برحلة الذئاب» ، فلعله قد حاول ان يعبر عن جوهر هذه الرحلة وعن طابعهـا المـأساوى . فهؤلاء هم شبان فلسطينيون ، تقل اعمارهم ــ وفى الغالب لاتزيد كثيرا ــ عن العشرين عاما . ينطلقون من اماكن شتى محيطة بالارض المحتلة . يقطعون فى مسيرتهم عشرات الاميال سيرا على الاقدام، متسلقين الجبال ، نازفين العـرق على الرمال، متخفين فى الكهوف ، تلفهم زوابع جبل الشيخ وعواصفه الثلجية وتدمى اقدامهم صخور حمراء وسوداء ورمادية فى العرقوب . ورحلتهم ايضا نحو القاعدة ــ هى كرحلة الذئاب . تنتهى الى احدى نهايتين : سعيدة . اذن فهم قـد وصلوا الى قاعدتهم فى لبنان ليواصلوا حياة الفدائيين، وربما كانت النهاية فاجعة : حين يضل بعضهم فى الطريق ، او يهلك ، او يناله رصـاص العدو، وكل هذه ــ مع ذلك ــ امور عادية يتقبلها المقاتل الفلسطينى . لكن النهاية الفاجعة بحق هى ان يكتشف الفدائى انه ــ اذ يموت ــ فانما يسقط

برصاص اخ له عربي الوجه واليد واللسان . منذئذ لايملك الفدائي الشهيد الا ان يقول للعدو :

— ماذا فعلت باخيك ؟

لكن الموت — على اى صورة — لا ينهي الرحلة . لان فدائيا اخر يبدأها ولا يستطيع التفصل منها . ففي صدره قد ركبت هذه اللهفة الابدية على الاهل، والوطن، والارض المغتصبة.

بعد زيارتنا للقطاع الاوسط — ذهبنا الى اقصى الجنوب . وهناك كان يجلس بجانبي في مقدمة السيارة « الاخ ابو خالد » كان صامتا معظم الوقت ، يدير عينيه ويتفرس — كمستر الجبال — في شعاب الجبل واوديته . كان المنظر خلابا بغير حدود . حدثته في ذلك .

اجاب :

— هذه المنطقة تشبه تماما الشبه ارضي التي عشت فيها في فلسطين . بل هي جزء منها .

ثم اضاف :

— بل هي في فلسطين أجمل .

الصورة الثانية : « رحلة أوديسيوس »

قبل ١٩٦٥ ، وهو بدء الكفاح المسلح كان الفلسطيني يرحل — أو هو يرغم على الرحيل — ليتحول — أو ليهبط — من مواطن الى لاجيء ، وفي احسن الاحوال ، كان يرحل ليستقر — كمهاجر — يعقبه الحنين الى وطنه ، لكن دون ان يدري كيف ، ومتى يعود اليه .

لكن الفلسطيني الذي انضم الى المقاومة » كان قد بدل نمط الرحلة ... غير هويتها .جاء من الخليج الى الاردن وهناك تقاتل . ثم ارغم منذ ١٩٧٠ على ان يهاجر الى قاعدة في هذا البلد العربي او ذاك . لكن الارغام — هنا — لم يكن تعتعتضغط المذابح والمطاردة بقدر ما كان مرتبطا بهدف محدد . كان شعاره الهجرة العكسية ،اى العودة الى الوطن .

هنا ، نتوقف عن استخدام تعبير « رحلة الذئاب » لنستعير من اساطير البطولة تعبيرا اخر : « رحلة اوديسيوس » البطل الاغريقي ، الذي نزح عن وطنه ، واغترب ، وتقاتل بضراوة وتعذب ، ضد اعداء من البشر ، وضد مخلوقات مروعة تاكل الحيوان والانسان . حالف الالهة الخيرة واستعان بها ليبطل مكر الالهة الشريرة وسحرها . وبعد غيبة طالت ، يعود اوديسيوس الى « ايثاكا » بلده ، بطلا يكرها ،وسيدا عزيزا.

لما اوديسوس البطل الفلسطيني فتبدأ مسيرته الثانية من المخيم او القاعدة . وتبقى نقطة الوصول ثابتة : فلسطين .

وقد عرف العدو الاسرائيلي ذلك ،ووعاه تحت وطأة العمليات التي ضاعفها الفدائيون وصعدوها في داخل الارض المحتلة : فنظم حربا لم يعلنها ، وهي لم تزل دائرة في اقصى الجنوب من لبنان . وفي الوقت نفسه ، راح ينفذ خطة منتظمة لضرب المخيمات .

ولا حاجة للتاكيد على ان خطة ضرب المخيمات انما تدخل — بالضرورة — تحت عنوان « ابادة الجنس البشري » . وهذه هي الصورة التي يطالعنا بها مخيم النبطية .

فهذا المخيم كان قائما على هضبة صخرية متدرجة تحيط بها سهول وحقول . وقد بناه اللاجئون الفلسطينيون الذين وفدوا على لبنان عام ١٩٤٨ ، قادمين من بيسان وسهل الحولة. وعندما زرته عام ١٩٧٣ كان بمثابة قرية فقيرة يسكنها خمسة آلاف نسمة ، غالبيتهم من عمال الزراعة . لكنه اليوم مجرد حطام سوى بالارض، باستثناء اكواخ قليلة يسكنها عدد من العائلات لا يتجاوز الخمس . اما بقية سكانه فقد راحوا يفترشون عن مكان آخر وسقف آخر ، بعد أن قتل منهم اربعون وجرح سبعون ، يوم أن هاجمت حشود الطائرات الاسرائيلية [١٦مايو ١٩٧٤] المخيم وصفته صفا مركزا حتى لم يبق فيه حجر على حجر .

قال لنا قائد القطاع الاوسط وهو يدق بيده على جدار الهضبة التي تحتضن المخيم :

— لقد حاولنا ان نحفر ملاجيء داخل الصخر للوقاية من الغارات .لكن الاسرائيليين استخدموا في ضرب المخيم قنابل الالف رطل ، وصمت .ربما لانه يصعب على المرء ان يشرح — فوق انقاض المخيم — كيف يكون الخراب المطلق .

وربما تركنا القائد لنستنتج ان الامر لم يكن مقصورا على قنابل الالف رطل . وانما كان معها قنابل البلى الفتاكة ، والقنابل الزمنية ، وقنابل النابالم والفسفور ، والشراك الخداعية التي اهداها العدو الاسرائيلي الى اطفال المخيم في شكل « لعب » ما ان تثير خيال الطفل حتى تفترسه .

لم يطل تجوالنا بالمخيم . فاى شيء نرى فيه؟ ولكن من موقفنا باعلى مدرج فيه ، كما نرى في

أسفل التل صفا من المساكن لم تسـقط ولكن اسقفها قد خلعت تماما فبدت كعلب من الكرتون أو مكعبات نزع غطاؤها ، فملأتهـا الشمس ، واندست فيها الظلال ، واهتزت ابوابها المشوهة ومالت الى الخارج كأيد اصابهـا الشلل . كان المنظر يوحى باننا نشهد نهاية العالم .

وعندما ذهبنا فى اليوم التالى الى **كفر شوبا** فى اقصى الجنـوب ، كانت هناك ايضـا قرية لبنانية اخليت من سكانها [٤٠٠٠ نسـمة] . ورأينا انها استشهدت ايضا كمخيم **النبطية** . ولم تكن هناك — بينها وبين المخيم — سوى فـروق كمية فى درجة الدمار .

وربما شعر الاخوة الفدائيون بانقباضنا ونحن نسير وسط خرائب مخيم النبطية . فدعونا الى أن نصحبهم الى مكان آخر .

وهناك ، وفى مسكن بسـيط ، لايكاد يدخله ضوء الشمس وجدنا عددا من الفدائيين جالسين وامامهم مجموعة من الالات التليفزيونية . اشار الاخ القائد الى المسـئول عن ادارة الجمـاز . وجدنا انفسنا نتابع نسخة من فيلم تليفـزيونى منقول عن تليفزيون اسرائيل ... كان الموضوع:

عملية فندق سافوى .

سمعنا اصـوات ابطـال العملية التى دخلت تاريخ الكفاح المسلح الفلسطينى لتكون من معالمه الهامة والتاريخية . وكانت اكثر اللحظات اثارة عندما تابعنا الجـدل الدائر بين الفـدائيين وبين الاسرائيليين عن طريق احدى الرهائن التى تولت الترجمـة من العبرية الى العربيـة . سـأل الاسرائيليون :

— من أين أتيتم .

— من هنا ... من أرضنا .

ولم يصدق الاسرائيليون فعادوا يلحون . فيجيب الفدائيون ،

— هذا ليس من شأنكم . اننا هنا .

ثم تدوى القنـابل ، وتعوى الرشاشـات . وتسقط جدران . وتهرول سيارات الاسـعاف تنقل الجرحى من الاسرائيليين . ويظهر الجنرال **جور** وهـو يجيب على اسـئلة الصحفيين بأسى واقتضاب .

وعندما غادرنا المسـكن المعتم . وصـافحت وجوهنا — مرة اخرى — اشعة الشمس . كان الربيع يطوق ربى لبنان بعرس من خضرته وبكل ازاهيره . كان **أوديسوس الفلسطينى** قد قطع ، بعد تدريب شاق ، وعن علم ومعـرفة ، المرحلة الاولى من طريقه الطـويل ومن رحلته نحـو الوطن . لقد تحدد مسار الرحلة !!

تعقيب

وربما كان فى تقـديرنا ان نضيف الى هاتين الصورتين ؟ صورا اخرى تجلو وجه الثـورة الفلسطينية . غير ان الانبـاء الواردة من لبنان عـن نزيف الدم الـذى اسالته الكتائب فى صدامها مع الفدائيين، وعن القتلى العرب من لبنانيين وفلسطينيين تقول :هذه الانباء ربما حتمت علينا ان نلتفت الى هذا الحـدث الخطير ، على الرغم من انه لم يكن الاول من نوعـه ، اذ بدأت محاولات التطويق والتصفية ضد المقاومة فى لبنان ، وبهجمـات عنيفة منـذ ١٩٦٨ وتكررت ١٩٦٩ . [راجع شهادة ابو خالد].

هنا يبدو الحديث عن هدف العـدو فى تصفية الثورة الفلسطينية شاقا ولا شك. فمن الصعـوبة بمكان ان يشرع المرء فى توضيح ما هو واضح : مخطط الالتفاف حول الثورة الفلسطينية لقبر قضية فلسطين .

لكننا نؤمن ، ان مهمة التوضيح هذه ، هى — من بين جميع المهام الملقاة على جميع الفصائل الوطنية والثورية — فى مقدمـة المهام الرئيسية : المباشرة والمستمرة .

ذلك ان الثورة الفلسطينية ، اذ تقترب ببطء شديد ، وبثبات اشد — من نهـاية مرحلة هامة وحاسمة من مراحل كفاحها : اقامة الدولة الفلسطينية على ما يتحرر من ارضها ، تنظر فترى الاخطار المحدقة مـن حولها تتضاعف ، وتكثف بكيفية لم يسـبق

لها مثيل . وان اخطر اللحظات على العصر هي لحظات الاقتراب من النصر . فهنا يوتر العدو كل قواه . ويستخدم كل وسائله: بدءا من الهجوم الارضي والقصف الجوي ، مرورا بالتسلل للخطف والاغتيال والتخريب، ووصولا — في الوقت نفسه — الى استدراج بعض القوى العربية — وياللاسف — لتشهر سلاحها وتلعب لعبة العدو ، ولتطعن الثورة في ظهرها .

لكن الحقيقة التي يتعين ان نستقر في وجداننا ، هي أن العدو اذ يفعل ذلك فانما يفعله تحت وطأة الفزع من واقع ان الثورة الفلسطينية قد اخذت تنتقل الى مواقع متقدمة ، وانها تثبت على الطريق انتصاراتها . ذلك اننا على هذا الطريق يمكن ان نرصد ما يلي :

● النصر السياسي والدبلوماسي الذي احرزته الثورة عندما استمعت الجمعية العمومية لهيئة الامم الى خطاب ياسر عرفات . ان ١٠٥ دولة قبلت منظمة التحرير كمراقب في اجتماعات الهيئة .

● قرارات مؤتمر القمة في الرباط ، وهي التي دشنت الالتزام المبدئي والثابت بقضية الشعب الفلسطيني .

● نمو واستمرار الدعم ، والتعاون بين حركة التحرير الفلسطينية وبين الاتحاد السوفيتي وسائر الدول الاشتراكية .

● الجبهة الوطنية الفلسطينية التي قامت واشتد عودها كذراع لمنظمة التحرير داخل الارض المحتلة ، وكحركة ثورية وديموقراطية، وكملهم ومنظم لكفاح الجماهير الشعبية على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

● نضال الفدائيين المستميت في جنوب لبنان . وتصعيد هذا النضال بالكيفية التي حولت العمليات المتفرقة الى جبهة حرب رابعة ، متزايدة الخطورة .

● وعندما وصل الكفاح المسلح في الجنوب الى هذا الحد كان قد حقق مكسبين ثمينين :

اولهما : تدفق متزايد من جماهير عمال الزراعة والكادحين الفلسطينيين الى صفوف المقاتلين . (في لبنان حوالي ٤٠٠ الف فلسطيني يعيشون في ١٦ مخيما) . فهذا الدم الشعبي ضمان رئيسي لاستمرار الثورة ، وأفشال مخطط التصفية .

ثانيهما : اقتراب جماهير الجنوب اللبناني . وغالبيتها من الفلاحين والكادحين من الكفاح الفلسطيني المسلح ، والتفافها حوله في معركة ، بل في حركة وطنية مشتركة بين الفلسطينيين واللبنانيين معا.

وعندما تصل الثورة الفلسطينية المسلحة الى هذه المواقع المتقدمة فانها تكون قد اصبحت الساحة او البؤرة التي تتجمع فيها — بكيفية مكثفة — كل قسمات حركة التحرر الوطني العربية . من حيث انها حركة وطنية معادية للامبريالية والاستعمار الصهيوني الاستيطاني . وحركة ديموقراطية ذات افاق سياسية واجتماعية : هي تقف ضد العنصرية والطائفية والتعصب الديني، وهي في صراعها ضد الاستعمار الجديد الذي يساند العدو الاسرائيلي تقف — بالضرورة — ضد التخلف والتبعية ومع التقدم الاجتماعي .

ومثل هذه الثورة ، اذا كانت تستنفر الاعداء لضربها وتصفيتها ، فانها لابد وان تستنفر — في الوقت نفسه — كل الفصائل الوطنية والثورية في الوطن العربي للوقوف بجانبها واسنادها بكل الحزم والثبات المطلوبين .

وجهة نظر فى:

أزمـــة مـــارس ١٩٥٤

الفصل الاخير

سنوات الصدام
الصدام الأخير
قصة ثورة ٢٣ يوليو

الجزء الأول

أحمد حمروش

نقدم هنا فصلا من كتاب احمد حمروش [قصة ثورة ٢٣ يوليو] الذى اصدرته المؤسسة العربية للدراسات والنشر فى بيروت .

والكاتب هو احد الضباط المصريين الذين انضموا الى التنظيمات السرية قبل ٢٣ يوليو ، ثم شارك مع الضباط الاحرار بقيادة جمال عبد الناصر فى صنع ثورة يوليو .

وقد اصدر احمد حمروش ورأس تحرير مجلة [التحرير] لولى المجلات التى اصدرتها حركة القوات المسلحة فى ١٦ سبتمبر ١٩٥٢ ، كما اصدر مجلتى [الهدف] الشهرية عن ادارة التعبئة للقوات المسلحة عام ١٩٥٥ [والكاتب] عن دار التحرير للطبع والنشر عام ١٩٦٣ .

وخلال العمل الصحفى لاحمد حمروش الذى بدأ مع نهاية فترة الانتقال فى يوليو ١٩٥٦ عمل ايضا مديرا للمسرح القومى ثم مديرا لمؤسسة المسرح لمدة تسع سنوات ، واخيرا عين رئيسا لتحرير روز اليوسف ثم اصبح كاتبا متفرغا بها .

[وقصة ثورة ٢٣ يوليو] تصدر فى اربعة اجزاء ، وهى حصاد مناقشات طويلة للكاتب مع اغلبية الضباط الاحرار واعضاء مجلس قيادة الثورة والسياسيين الذين شاركوا أو اختلفوا مع الثورة .

أزمة مارس كانت نتيجة طبيعية لصدام حركة الجيش مع الاقطاع والاحزاب القديمة والاخوان المسلمين والشيوعيين ، وبعض ضباط الجيش .

لم تكن الاجراءات الادارية أو السياسية قد نجحت فى تصفية وجود هذه القوى أو انهاء دورها .

انحنت هذه القوى للعاصفة .. تنتظر الفرصة المناسبه لاستعادة النفوذ أو الحركة الحرة .

وازمة مارس ، بدات تنفجر فى فبراير ، عندما أرسل محمد نجيب استقالته يوم ٢٣ الى كمال الدين حسين باعتباره سكرتيرا لمجلس قيادة الثورة ، يسجل محاضره وقراراته .

ولم تكن الاستقالة تعنى انسحابا هادئا من الحياه العامة ، ولكنها كانت تعنى فى مضمونها انهاء لاعمال مجلس قيادة الثورة واقاله لاعضائه ، فقد ارتبطت الجماهير بشخصية محمد نجيب التى امتلكت الشارع .

كانت الاستقالة تحديا لمجلس قيادة الثورة ، واختبارا لقوة محمد نجيب فى مواجهة المجلس ، وامتحانا لارادة الشعب .

كان شعار محمد نجيب الذى بدأ يردده هو الديموقراطيه ، ولكنه فى حقيقة الامر كان مسئولا بحكم مركزه وموقعه عن كل الاجراءات التى اتخذتها حركه الجيش .. من اعتقالات ومحاكمات وحل للاحزاب والغاء للدستور .

ولكن تطور الامور دفع محمد نجيب الى التشبث بالديموقراطية وعودة الجيش الى الثكنات ، وهو ما قاله صراحة أمام الضباط فى ناديهم فى ديسمبر ١٩٥٣ .

وقبل المجلس التحدى الذى فرضه نجيب .

وقال لى محمد نجيب انه عندما عاد الى منزله بعد تقديم الاستقالة حتى فوجىء بأن التليفون قد ضاعت منه الحرارة .

وظهرت الصحف صباح ٢٥ فبراير تحمل هذه المانشيتات :

اجتماع هام مفاجىء لمجلس الثورة .

تعيين جمال عبد الناصر رئيسا للوزراء .

قبول استقالة محمد نجيب من جميع الوظائف التى يشغلها .

منصب رئيس الجمهورية يظل شاغرا حتى تعود الحياة النيابية الى البلاد .

كان مجلس قيادة الثورة قد أعلن هذه الاخبار ضمن بيان وزعه على الصحف فى الرابعة صباحا ، ولم تكن قرارات المجلس بالاجماع ، فقد اعترض عبد اللطيف بغدادى وخالد محيى الدين على قبول الاستقالة .

وعقب توزيع البيان الذى حاول تشويه صورة محمد نجيب قام عبد المحسن ابو النور قائد الحرس الجمهورى فى ذلك الوقت بعمل خدعة لقائد حرس منزل محمد نجيب فى الزيتون ، أبعده بها عن المنزل واستبدل القوات التى كانت تحرس المنزل بقوات تابعة لمجلس القيادة .

وأصبح محمد نجيب معتقلا فى منزله .

كان اعلان الاستقالة صدمة للجماهير التى لا تعرف ما يدور فى كواليس السياسة والتى ارتبطت بمحمد نجيب وأحبته منذ اليوم الاول للثورة .

وبدأت سلسلة من ردود الفعل فى مختلف المواقع .. داخل الجيش وفى الشارع .. فى القاهرة والاقاليم .. فى مصر والسودان .

أقوى ردود الفعل واسرعها كان فى سلاح الفرسان حيث كانت الافكار الديمقراطية تجد مجالا خصبا للنمو ، وخلال الفترة السابقه لم تخمد تطلعات أفراد السلاح الديموقراطية ورفع قبضة مجلس القيادة القوية عن الجيش .

وأثناء نظر مجلس القيادة فى استمرار مشروع [النقطه الرابعة] الامريكى ، اشترى ضباط الفرسان عشر نسخ من كتاب [النقطه الرابعه] تاليف الكاتب الصحفى احمد بهاء الدين ، واتصل به بعضهم لمقابلة خالد محيى الدين وثروت عكاشة حيث فهم من المقابلة أن مشروعا معروضا على القيادة ، وأن ضباط الفرسان يريدون أن يشكلوا مجموعة ضغط عن طريق مناظرة ينتظر فيها رفض المشروع .

صـــدام الضباط

كان اليوم التالى لاعلان استقالة محمد نجيب يوم جمعة .. ومع ذلك فقد دعا ضباط سلاح الفرسان الى اجتماع عام لم يحضره خالد محيى الدين ولا ثروت عكاشة الذى كان قد عين ملحقا عسكريا فى باريس .

وحضر حسين الشافعى فطالبه الضباط بعودة محمد نجيب والحياة الديموقراطية ولما عجز عن اقناعهم حضر جمال عبد الناصر .

وصل جمال عبد الناصر الى ثكنات السوارى فى السابعة والنصف مساء ، وعرض فى هذا الاجتماع خطوات الثورة وما قامت بتحقيقه .. ولكنه فوجىء بنقد موجه الى تصرفات بعض أعضاء مجلس القيادة الشخصية .

كانت هناك عدة محاور للمناقشة :

١ ـ الشكل الديموقراطى للتعبير عن ارادة الشعب المصرى .

٢ ـ المدى الذى يتدخل فيه الجيش فى شئون الحياة اليومية ، وموعد عودته للثكنات لاداء دوره الطبيعى فى خدمة الوطن .

٣ ـ تاثير عزل محمد نجيب على اتفاقية السودان ، وكان ابن محمد نور الدين الزعيم السودانى ضابطا بالسلاح وقد أعلن أن الشعب

السودانى عاطفى وان عزل محمد نجيب سيؤدى الى انتصار حزب الامة .

واستمر الاجتماع الى ما بعد منتصف الليل حيث طلب جمال عبد الناصر العودة للمجلس لاستشارته والحضور مرة أخرى .

وكان خالد محيى الدين قد وصل الى مبنى القيادة بعد عودته من حفلة السوارية فى احدى دور السينما واستدعائهم له ، ويقول انه وجد وجوها جامدة أحس فى تضاريسها بالكراهية ، ولم يكن قد بلغه بعد ما دار فى سلامه

وروى لهم جمال عبد الناصر قصة اجتماع السوارى ، ودارت مناقشة قصيرة للخروج من المازق ومجابهه الموقف ، حسمها جمال عبد الناصر باقتراحات محددة هى تولى خالد محيى الدين رئاسة الحكومة ، والعمل بسرعة على عودة الحياة الدستورية ، وذلك لفقدانهم الثقة فى نجيب وعدم رغبتهم فى التعاون معه .

اعترض خالد على هذا الاقتراح قائلا انه لا يقبل البقاء وحده ، ولكن جمال عبد الناصر قال نحن لا نستطيع مقاومة التيار الشعبى .

وذهب جمال عبد الناصر مع خالد محيى الدين الى الضباط المجتمعين فى السوارى ، والدين لم يفمض لهم جفن طوال الليل ، وكانت الساعة قد بلغت الثالثة صباحا .

واعلن جمال عبد الناصر ان المجلس قد وافق على ما يأتى :

١ ـ حل مجلس قيادة الثورة .

٢ـ عودة محمد نجيب رئيسـا للجمهورية البرلمانية .

٣ ـ يشكل خالد محيى الدين حكومة انتقال لمدة ستة شهور .

٤ ـ تجرى الحكومة انتخابات لجمعية تأسيسية لتضع دستورا دائما .

٥ ـ يعود أعضاء مجلس قيادة الثورة الى وحداتهم .

ضجت القاعة بتصفيق شديد وضاعت محاولات الكلام فى ضجة الموافقة .

وتوجه خالد محيى الدين مع الصاغ عباس رضوان والبوزباشى شمس بدران والصاغ عماد شابت الى منزل محمد نجيب لابلاغه بقرار مجلس قيادة الثورة ... وقد رحب نجيب بالقرار ، خاصة وان غلاته بخالد كانت قد اصبحت وثيقة خلال رحلة قاما بها الى اللوبة ، واجتمع الرأى فيها على أهمية عودة الحياة البرلمانية الديموقراطية .

وكانت هذه الرحلة هى بداية ظهور تناقضات أعضاء المجلس مع محمد نجيب ..

وعندما عاد خالد محيى الدين الى القيادة كانت معالم الصورة تتغير تدريجيا ، فان ضباط الصف الثانى المحيطين بمجلس القيادة رفضوا الاستجابة لقرارات مجلس قيادة الثورة ، وعودة الضباط الى التكنات فحملوا السلاح وتملكتهم حالة هستيرية وتصرفوا تصرفات فردية .

حاول بعضهم الاعتداء على خالد محيى الدين فمنعهم عبد الحكيم عامر وجمال سالم

ورفض هؤلاء الضباط تسليم بيان مجلس القيادة الى مندوب الاذاعة الذى حضر فى السابعة والنصف صباحا

كان يحمل لواء المعارضة للقرارات البكباشى احمد انور قائد البولبس الحربى ، والصاغ مجدى حسنين وقائد الجناح وجيه ابلطة والبوزباشية كمال رفعت وحسن التهامى ومحمد ابو الفضل الجيزاوى والصاغ سعد زايد وغيرهم من الضباط الذين خرجوا عن حدود الانضباط ، وبدأوا يهاجمون اعضاء المجلس الذين اتخذوا هذا القرار .

وفى مكتب اللواء عبد الحكيم عامر ارتفعت ضجة النقاش وتبين خطر الصدام المسلح .. ووقف عامر فوق مكتبه شاهرا سلاحه مهددا بالانتحار اذا حدث قتال بين اسلحة الجيش ووحداته .

ومع ذلك لم يردع ضباط الصف الثانى ، وتحركوا تلقائيا لتنفيذ رغباتهم دون تنسيق .. بعض ضباط المدفعية احضروا المدفعية المضادة للدبابات وحاصروا سلاح الفرسان من جهة الشارع ، وجنود احدى كتائب مدافع الماكينة وجهت مدافعها نحو اسلاك السلاح من داخل ثكنات العباسية ، وحول البوليس الحربى مسار عربات واوتوبيسات سلاح الفرسان ، واعتقلوا من بها من الضباط .. وصدرت الاوامر لبعض الضباط بالتحليق فوق سلاح الفرسان

فوجه ضباط الفرسان بهذه الحركات المضادة ، وحاول البعض منهم تنادى صداما دمويا مسلحا ، فذهبوا لمناقشة اعضاء القيادة ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك فقد اعتقلوا ومنعوا من العودة .

ولم تقف التصرفات الذاتية لضباط الصف الثانى عند هذه الحدود .. بل ان البوزباشية كمال رفعت وداود عويس اتجها الى منزل محمد نجيب دون أوامر لاعتقاله ، ولما اعترضهم الحرس اتصلوا بصلاح نصر قائد كتيبة الحرس الجديد فاذن لهم بالدخول .

وترك كمال رفعت محمد نجيب فى ميس المدفعية بالمانظة وعاد الى مبنى القيادة ليبلغ عبد الحكيم عامر الذى ثار عليه وانبه هو وصلاح نصر قائد كتيبة الحرس .. وارسل البوزباشى حسن التهامى للافراج عن نجيب واعادته الى منزله .

ووصل نجيب الى منزله سالما بعد يوم عصفت بنفسه التوقعات المختلفة ، وكسرت فيه قواعد الاحترام لرئيس الجمهورية ، وتبرزت نهائيا وحدة الضباط الاحرار .

ولم يكن رد الفعل الوحيد لاستقالة محمد نجيب قاصرا على ما حدث فى سلاح الفرسان ، ولكنه كان موقفا ضمن مواقف أخرى .

ضباط المنطقة الشمالية فى الاسكندرية عارضوا استقالة نجيب فور اعلانها ، وابلغوا ذلك البكباشى صلاح الدين مصطفى الملحق العسكرى المصرى الذى استشهد فى عمان بعد ذلك ، والذى أوفده المجلس للتعرف على رأى ضباط الاسكندرية بصفته كان واحدا منهم .

وتجاوزت ردود الفعل حدود الجيش .

عمت المظاهرات شوارع الخرطوم وبعض مدن السودان تهتف [لا وحدة بلا نجيب] ، وخرجت المظاهرات ايضا فى القاهرة منذ الصباح الباكر تهتف بحياة محمد نجيب .

وفى الوقت الذى احاطت فيه قوات الجيش بسلاح الفرسان ، وتم اعتقال عدد كبير من ضباطه بلغ الاربعين ، وبدا الامر كما لو ان مجلس قيادة الثورة قد انتصر تماما ، عقد المجلس اجتماعا طالب فيه بعض الاعضاء باخراج خالد محيى الدين من المجلس وتحديد اقامته أو اعتقاله ...

عارض هذا الاتجاه عبد اللطيف بغدادى الذى قال ان خالد لم يخف آراءه ، كما انه طلب الاستقالة ورفض المجلس .

وحسم جمال عبد الناصر المناقشة بقوله : ان القضية ليست قضية خالد محيى الدين ولكنها قضية محمد نجيب ، فاذا تقررت عودة نجيب فلابد من عودة خالد ايضا .

وبدأت مناقشة موضوع محمد نجيب .. وكان قد تقرر تشكيل محكمة برئاسة جمال سالم ومن أعضائها البكباشى احمد أنور لمحاكمة ضباط الفرسان المعتقلين .

واثناء الاجتماع اتصل احد ضباط الفرسان بعبد الحكيم عامر وأبلغه انه اذا لم يفرج عن كل الضباط المعتقلين ، فان الدبابات المحاصرة ستوجه نيرانها على مبنى القيادة .. وليحدث بعد ذلك ما يحدث .

وكانت المظاهرات تزداد انتشارا فى شوارع القاهرة .. ومناقشات المجلس فى مصير نجيب مستمرة لا تنقطع .

عودة محمد نجيب

وعند الثالثة بعد الظهر كان الارهاق قد استبد بجميع أعضاء المجلس بعد ليلة مرهقة لم يغمض لهم فيها جفن ، فقرروا رفع الجلسة للنوم اربع ساعات .. وطلب منهم جمال عبد الناصر تفويضا بالتصرف اذا ساءت الامور خلال هذه الساعات ، فوافقوا على ذلك ، وبقى وحده فى مقر المجلس بعد أن ذهب الجميع لخطف لحظات للراحة ، وكانوا خلال هذه الفترة لا ينامون فى منازلهم .

وما هى الا برهة قصيرة حتى كانت الاخبار تتلاحق على مجلس القيادة .. وكالات الانباء تحمل أخبار مظاهرات السودان .. البكباشى صلاح مصطفى يصل من الاسكندرية حاملا موقف ضباطها تأييدا لنجيب .. وأخيرا عودة صلاح سالم الى المجلس وقد صدمه منظر المظاهرات تملأ الشوارع وتحيط بقصر عابدين ، وهو فى طريقه الى منزله .

روى لى صلاح سالم انه قال لجمال عبد الناصر الذى كان يجلس وحيدا فى الغرفة [اما ان ينزل الجيش لتفريق المظاهرات ، واما ان يلتهب الموقف] .

ويقول ان جمال عبد الناصر لم يجب .. جلس فى صمت واضعا رأسه بين يديه .

وتابع صلاح سالم حديثه [اعتقد انه لابد من عودة نجيب] .

وظل جمال عبد الناصر صامتا لا يجيب .

وقال صلاح سالم [سابلغ الخبر للاذاعة] .

واستمر صمت جمال عبد الناصر .

وكرر صلاح سالم عبارته فى الحاح .

ولم ينطق جمال عبد الناصر ... ظل محتفظا بصمته وأفكاره .

ولم يجد صلاح سالم بدا من تبليغ الاذاعه بخبر عوده محمد نجيب .

وفوجىء اعضاء المجلس فى منازلهم ببيان تذيعه الاذاعه فى السادسة من مساء ٢٧ فبراير ١٩٥٤ يقول [حفظا على وحدة الامه يعلن مجلس قياده الثوره عودة الرئيس اللواء محمد نجيب رئيسا للجمهورية وقد وافق سيادته على ذلك] .

وصحب هذا البيان بيان آخر تكررت اذاعته يقول [تعلن قيادة الثورة ان اى اخلال بالأمن فى انحاء البلاد سيقابل بكل شدة وعنف] .

عاد محمد نجيب رئيسا للجمهورية .

ونشرت صحف صباح ٢٨ فبراير بيانا على لسانه قال فيه :

[أرى من واجبى أن ابين لاخوانى وابنائى المصريين والعرب اننى استقلت من منصبى بمحض ارادتى مقتنعا ان مجلس الثوره هو البيت الذى تركزت فيها غاياتنا العليا ، ورسمت اهداف الثورة السابقة التى ترمى الى رفعه الوطن واستقلاله ، وما اقدمت على هذه الأستقالة الا لكى اتيح لاخوانى اعضاء المجلس الفرصة للعمل على تحقيق هذه المبادىء والعمل على طرد العدو الغاصب الذى مازال يحتل جزءا من أرضنا الطاهرة وانى لاهيب بالمصريين المخلصين والعاملين أن يتحدوا صفا واحدا خلف اخوانهم واخوانى أعضاء مجلس

قيادة الثورة ، يعملون معهم جاهدين لتحقيق الاهداف السابقة] .

لم تكن عودة محمد نجيب هزيمة لطرف من الاطراف ، وانتصارا للطرف الاخر . ولكنها كانت توفيقا فرضته الظروف الحساسة المتوازنة ، وبدايه لمرحلة جديدة من المواجهة الصريحة والمسفرة .

وبدأ محمد نجيب يومه الاول بعد العودة بالذهاب الى قصر عابدين حيث تدفقت المظاهرات رغم بيان المجلس الذى تكررت اذاعته عدة مرات ... وحدث اصطدام بينها وبين البوليس ادى الى اصابة ١٣ مظاهرا . حملوا قصاصاتها الموقعة بالدماء يلوحون بها لمحمد نجيب الذى خرج يخطب فيهم من شرفة قصر عابدين .

وعندما لمس نجيب هياج الجماهير وارتفاع هتافات الاحتجاج ضد الاعداء عليهم استدعى اليه فى الشرفة المرحوم عبد القادر عودة احد زعماء الاخوان المسلمين ليهدىء من ثائرة المتظاهرين الذين خطب فيهم قائلا : انه لم يقبل العدول عن الاستقالة الا من أجل الحرية والديموقراطية والانتخابات البرلمانية .

وابلغ محمد نجيب النائب العام للتحقيق فى حادث الاعتداء على المتظاهرين .

وفى اليوم التالى اول مارس ١٩٥٤ ظهرت الصحف وفيها أخبار القبض على ١١٨ شخصا ، بينهم عبد القادر عودة واحمد حسين ، كما تقرر ايقاف الدراسة فى الجامعات الثلاث الى نهاية الاسبوع حيث كانت المظاهرات قد اجتاحتها .

وكان غريبا فى وسط هذا الجو المضطرب أن يسافر محمد نجيب فى نفس اليوم أول مارس الى السودان لحضور افتتاح البرلمان السودانى بناء على ارتباط سابق مع صلاح سالم واحمد حسن الباقورى .

كان موعد السفر غير مناسب اطلاقا ، فالامور لم تهدأ بعد فى مصر ، وكثير من المشاكل كانت تحتاج الى حل ومواجهة .

وكانت هناك فى الخرطوم مناقشات شديدة أيضا .

جماهير حزب الامة احتشدت فى المطار والشوارع المؤدية اليه تعلن ارادة الانصار بعد انتصار الحزب الوطنى الاتحادى فى الانتخابات وتعيين اسماعيل الازهرى رئيسا لوزارة السودان هاتفة : [لا مصرى ولا بريطانى .. السودان للسودانى].

ورغم أن الصديق المهدى كان فى استقبال محمد نجيب فى المطار الا أن المظاهرات أخذت شكلا معاديا ، واصطدام البوليس بالجماهير أفسد مظاهر الاحتفال ، وحاصر المدعوين فى أماكنهم .

وغادر الخرطوم مع الفجر محمد نجيب وزملاؤه ، كما غادرها ايضا سفير وزير الدوله البريطانى ، ولم يفتح البرلمان السودانى .. وقد حكمت المحكمة العليا التى كان يرأسها قاض بريطانى بعد ذلك باعدام عوض صالح رئيس تحرير جريدة الامة ، ومدير دائرة عبد الرحمن المهدى ، وبالسجن المؤبد على الصحفى على فرج بالجريدة ، واربع سنوات على عبد الله عبد الرحمن نصر الله سكرتير عام منظمات الانصار .. وقد خففت محكمة الاستئناف بعد ذلك حكم الاعدام الى المؤبد ، وحكم المؤبد الى عشر سنوات .

عاد محمد نجيب ولاحقته منشيئات الصحف باحداث السودان المحزنة ، واستمرت حركات الاعتقال .. فتم يوم ٣ مارس اعتقال ٤٥ من الاخوان ، ٢٠ من الحزب الاشتراكى ، مصر القتاة] ، ٥ وفديين ، ٤ شيوعيين .. وصدر قرار باستمرار اغلاق الجامعة اسبوعا آخر ..

المعتقلون من مختلف القوى السياسية .. وعودة نجيب لم تكن استقرارا للوضع ، ولكنها كانت فرصه لالتقاط الانفاس والتقاط من جديد ..

طالب محمد نجيب باطلاق سراح المعتقلين ، وتحقيق النيابة مع المسئولين عن جرحى المظاهرات .. وصرح فى مؤتمر صحفى حضره عدد كبير من مندوبى وكالات الانباء والصحفيين الاجانب الذين توافدوا على مصر يشهدون اول تناطح بين الضباط تبتد آثاره الى الشارع .

صرح محمد نجيب قائلا : [أنى لا ارضى أن اكون رئيسا للجمهورية فى بلد غير ديموقراطى وغير برلمانى .. وانه سيفرج عن المعتقلين جميعا] .

وعقد مجلس قيادة الثورة اجتماعا لم يحضره محمد نجيب ولا خالد محيى الدين الذى كان قد سافر الى وادى النطرون لمدة أيام بناء على نصيحة زكريا محيى الدين وزير الداخلية ومدير المخابرات فى ذلك الوقت ليبعد مؤقتا عن القوات المسلحة التى اعتبرت حركة الفرسان بمثابة شرخ عميق فيها .

وجد المجلس أن الصدام المباشر ليس فى صالحه ، وان جميع القوى السياسية متربصة رغم اعتقال أو تحديد اقامة زعمائها .

واقترح جمال عبد الناصر ان ينفس من الضغط المتراكم بقرارات تمنح للمجلس البقاء فترة فى هدوء

قرارات ٥ مارس

وصدرت قرارات ٥ مارس التي أعلنها جمال عبد الناصر في بيان جاء فيه :

قرر مجلس قيادة الثورة اتخاذ الاجراءات فورا لعقد جمعية تأسيسية منتخبة بطريقة الاقتراع المباشر على أن تجتمع خلال يوليو ١٩٥٤ وتكون لها مهمتان :

١ ـ مناقشة مشروع الدستور الجديد واقراره

٢ ـ القيام بمهمة البرلمان الى الوقت الذي يتم فيه عقد البرلمان الجديد وفقا لاحكام الدستور الذي ستقره الجمعية التأسيسية .

وقرر المجلس ايضا الغاء الرقابة على الصحف .. والغاء الاحكام العرفية قبل اجراء انتخابات الجمعية التأسيسية على أن يكون لمجلس الثورة سلطة السيادة لحين اجتماعها . كما أن تنظيم الاحزاب سيكون متوقفا على الدستور الجديد .

وصرح جمال عبد الناصر ايضا بأنه ينوي الافراج عن المعتقلين . أما الذين لم يحاكموا بعد فلن يقدموا للمحاكمة .. وقال [سأنسى الاساءة التي لحقت بي ، وسأنظر للجميع على اختلاف الوانهم باعتبارهم مواطنين يعملون جميعا لصالح الوطن .. كما أنني سأنسى كل ما أصابني ، وسأنظر في بناء مصر على أسس ديموقراطية صحيحة].

ولكن قرارات ٥ مارس لم تكن كلمة النهاية في قصة الخلاف بين محمد نجيب وخالد محيي الدين من جهة واعضاء مجلس القيادة من جهة أخرى .. فقد بدأ كل فريق يتحرك ضد الاخر بأساليب مختلفة .

اعتمد محمد نجيب على شعبيته وعودته منتصرا فطلب أن يعود رئيسا للوزراء بعد أن كان جمال عبد الناصر قد تولى هذا المنصب واستمر فيه حتى ٧ مارس الى ان عاد محمد نجيب في اليوم التالي رئيسا لكل من الجمهورية ومجلس الوزراء ومجلس قيادة الثورة .. وأخذ يوالي هجماته قائلا : [ان كل ما يقال من أننا نبغي الاستمرار في حكم عسكري ما هو الا هراء وافساد واهاج] .

وأبلغ الصحف عن خطلب وصله من حسن الهضيبي ، مرشد الاخوان من داخل المعتقل ، يطلب منه الرجوع عن حل الاخوان ، والافراج عن المعتقلين .. وكان قد صدر قرار بحل الاخوان واعتقال زعمائها في شهر يناير ١٩٥٤ .

وخطلب آخر وصله من نقيب المحامين عمر عمر لدفع الاعتداء الجسيم الذي وقع على المحامين أحمد حسين وعبد القادر عودة وعمر التلمساني ، والدعوة لجمعية عمومية ، تطلب عودة الحياة النيابية ، وعمل ميثاق وطني .

واستمر محمد نجيب على اسلوبه .. لا يقيم صلات تنظيمية مع الضباط الموالين له ، ولا يخطط معهم حركة ما للمستقبل ، ولا يربط نفسه بحزب أو قوة سياسية . اعتمادا منه حسب اعتقاده على [كل] الجماهير .

هذا بينما اعتمد مجلس قيادة الثورة على اسلوب آخر ، هو الاعتماد على القوات المسلحة التي كان قادة وحداتها قد عينوا بامر اللواء عبد الحكيم عامر .. وحاولوا تضييق شقة الخلاف ، فافرجوا عن ضباط المدفعية الذين حوكموا في بداية عام ١٩٥٣ .. وأقام عبد الحكيم عامر مأدبة عشاء في نادي الضباط حضرها ١٣٥٠ في محاولة لترطيب الجو وتهدئته وأكتساب ثقة الضباط .

دور هيئة التحرير

لم تكن هناك قوة سياسية يستطيع أن يعتمد عليها أعضاء مجلس قيادة الثورة ، بعد أن حلت جميعا ووضع قادتها في السجن الا هيئة التحرير ..

وكانت هيئة التحرير قد قامت في نشاطها ـ حسب ما قاله لي ابراهيم الطحاوي سكرتيرها ـ على أساس الدعاية لجمال عبد الناصر وليس محمد نجيب .

كان الموقف يندفع اندفاعا نحو انتخابات الجمعية التأسيسية

كتب سليمان حافظ في مذكراته التي لم تنشر بعد :

كان يتعين علينا أن نحسب حساب الوفد في الانتخابات المقبلة بحكم انه أكبر الاحزاب القديمة واكثرها نظاما ومن ثم كنت متفقا وجمال عبد الناصر على الا نكتفي بتقليم اظافره بسن تجرده من العناصر الطيبة التي كانت منتمية اليه لتنتظمها جبهتنـــا ، بل يجب أن يـأتلف تحت علمهـا جميع خصومه من رجال الاحزاب الاخـرين والمستقلين ، ونظرا لضيق الوقت رأينا ان نسلك اليهم عن طريق زعمائهم ومن أجل هذا نشطت للاتصال بهؤلاء الزعماء وعملت على رفع الحجر عن بعضهم] .

وطلب جمال عبد الناصر من ابراهيم الطحاوي سكرتير مساعد هيئة التحرير الاتصال بالسياسيين الثمانين الذين سبق له الاتصال بهم عند تكوين الهيئة ، وأبدوا استعدادهم الكامل للتعاون معه ،

وكان من بينهم الدكتور محمد صلاح الدين عضو الهيئة الوفدية ووزير الخارجيه السابق ، وفكرى اباظة ، واللواء محمد فتوح النائب الوفدى وغيرهم ، وذلك لان خطة المجلس كانت الاستقالة والتقدم للانتخابات كحزب من الاحزاب .

وفوجىء ابراهيم الطحاوى حسب قوله بأن السياسيين قد تراجعوا عن موقفهم السابق ، وعادوا الى أحزابهم القديمة ، بما فيهم الدكتور محمد صلاح الدين الذى كان مرشحا ليكون سكرتيرا عاما لهيئة التحرير .

وانتهزت بعض الصحف فرصة رفع الرقابة عن الصحف فتمادت فى الهجوم على العسكريين .. مثل مجلة [الجمهور المصرى] التى هجمت البوليس الحربى وقائده احمد أنور هجوما قد يكون بعض ما ورد فيه صدقا ولكنه كان مستفزا او مثيرا ، ودافعا لتشبث المجلس وضباط الصف الثانى بالسلطة خوفا مما يمكن أن يحدث لهم اذا تغيرت الامور ، وبدأوا يخضعون للتحقيق والحساب ، وكشف ما ارتكب بعضهم من اخطاء وانحرافات قد تصل بهم الى دائرة العقاب أيضا .

كانت الحلقة تضيق حول مجلس القيادة .. التناقضات بين الضباط مازالت قائمة .. البعض يطالب بالعودة للثكنات ، والمستفيدون من رجال الصف الثانى وبعض المقتنعين بفساد القديم عن يقين يصرون على استمرار الثورة .. والقوى السياسية كلها معادية ومن خلفها جماهير .. وهيئة التحرير بعد تخلى السياسيين عنها أضعف من أن تحقق شيئا .

وفى يوم ١٩ مارس انفجرت اربع قنابل فى أنحاء متفرقة من القاهرة .

وفى صباح ٢٠ مارس كان اجتماع المؤتمر المشترك للمجلس والوزارة ، وأثيرت قضية الانفجارات . وطلب جمال سالم وزكريا محيى الدين اتخاذ اجراءات صارمة للضرب على أيدى هؤلاء المخربين .

وقال محمد نجيب فى تلميح بأنه لا يوجد صاحب مصلحة فى التخريب الا هؤلاء الذين يبتغون تعطيل مسار الشعب نحو الديموقراطية .

وبدأت معالم المعركة السياسية داخل المجلس تظهر فى تصريحات القادة .. جمال عبد الناصر يصرح لوكالة [انس] الايطاليه قائلا [سيكون الاخوان أحرارا فى تشكيل حزب اسلامى أو هيئة اسلامية] ، وعن الشيوعيين يقول [كلما بدا أن من الممكن الاتفاق مع لندن قام الشيوعيون — وعددهم ليس كبيرا — ولو أنهم منظمون تنظيما جيدا يزاولون نشاطهم تحت ستار المطالب الوطنية ، وقاموا بحملة تهدف للحيلولة دون الوصول الى اتفاق] .

ومحمد نجيب يواصل تصريحاته [لن نتراجع عما استهدفناه من عودة الحياة النيابية ... ولماذا نخاف منها وما ثرنا الا لاعادتها خالية من الشوائب] . كما أكد أيضا أنه ليس فى نيته تكوين حزب .

وظهر الوفد مرة اخرى عندما ادلى برأيه الذى تلخص فى : [التمسك بالنظام الجمهورى والاصلاح الزراعى وعودة الحياة النيابية فورا حتى تستقر الاوضاع] ، ويعود على ماهر ليصرح بقوله [ان مصر لا تستطيع الوقوف موقف الحياد ويجب أن تنضم للغرب] .

وحدثت خلال هذه الفترة اتصالات بين الوفد ورجال الثورة عن طريق محمد صلاح وابراهيم الطحاوى اقترح فيها الوفد انضمام رجال الثورة اليه ، وأن يكون جمال عبد الناصر سكرتيرا عاما للوفد .

ويقول ابراهيم الطحاوى : [ولكن جمال عبد الناصر رفض الاقتراح] .

ونشرت جريدة المصرى رسالة لعضو مجلس قيادة الثورة السابق يوسف صديق سربها من منزله حيث كان محدد الاقامة ، يقترح تشكيل وزارة يرأسها الدكتور وحيد رأفت وتضم الوفد والاخوان المسلمين والشيوعيين لاجراء انتخابات للبرلمان الجديد .

وكانت هذه هى المرة الاولى التى يطرح فيها علنا اشتراك الشيوعيين فى الحكم ضمن جبهة وطنية ديموقراطية .

وتميزت هذه الفترة بحيوية شديدة فى اعلان الراى .. محمود عبد المنعم مراد يدافع صراحة عن حكم الشعب فى جريدة [المصرى] . وجلال الدين الحمامصى يحذر من الانتخاب فى جريدة [الاخبار] .

واصبح الموقف مهتزا تحت أقدام مجلس قيادة الثورة ، ووهنت قبضته على الحكم والسلطة ، واصبح استمرار الحالة على ما هى عليه ضربا من المستحيل ، وكان لابد من شىء ينهى فترة القلق والتوتر وعدم الاستقرار .

قرارات ٢٥ مارس

واجتمع اعضاء مجلس قيادة الثورة يوم ٢٥ مارس بحضور محمد نجيب وخالد محيى الدين حيث دارت مناقشات عاصفة ، بدأت باقتراح من عبد اللطيف البغدادى بالغاء قرارات ٥ مارس

وتمسك خالد محيى الدين بها ، ومطالبته بشكل جديد للديموقراطية بحرم النواب الذين صوتوا تأييدا لاى قوانين مقيدة للحريات والذين رفضوا دفع ضريبة الاطيان ، ورؤساء الاحزاب والذين طبقت عليهم قوانين الاصلاح الزراعى من حق الترشيح للجمعية التاسيسية .

وانحرفت المناقشة الى وضع الامور على طرفى نقيض :

اما الغاء قرارات ٥ مارس ؟ ..

واما رفع كافة القيود عن عودة الاحزاب والافراج عن كل المعتقلين .

وبعد مناقشة استمرت خمس ساعات الى اصدار ما عرف بقرارات ٢٥ مارس :

١ ـ يسمح بقيام الاحزاب .

٢ ـ مجلس قيادة الثورة لا يؤلف حزبا .

٣ ـ لا حرمان من الحقوق السياسية حتى لا يكون هناك تأثير على الانتخابات .

٤ ـ تنتخب الجمعية التاسيسية انتخابا مباشرا دون تعيين اى فرد ، ويكون لها السيادة والسلطة الكاملة ، وتكون لها سلطة البرلمان كاملة والانتخابات حرة .

٥ ـ حل مجلس الثورة فى ٢٤ يوليو باعتبار الثورة قد انتهت وتسلم البلاد لممثلى الامة .

لم تكن هذه القرارات هى ما يميش فى صدور اعضاء مجلس القيادة ، ولا هى ما يتطلع اليه محمد نجيب أو خالد محيى الدين ... ولكنها كانت مملا من اعمال الاثارة المبنية على التخلى فجاة عن كل السلطات والصلاحيات والاشارة الى انتهاء الثورة بما يمثل النكسة لامال الجماهير ويقترب بالامور من حافة الهاوية .

كانت خطة الجنوح للتقيض واضحة فى مناقشات المجلس ، عندما قال احدهم باننا اذا اعدنا الاحزاب سنعيد الحزب الشيوعى كنوع من الاثارة والتهديد .. وعقب ثان بان الافراج عن المعتقلين سيشمل مصطفى النحاس واحمد حسين وحمدى الهضيبى وكل زعماء الاحزاب .

كان انتقالهم المفاجىء من النقيض بدل على وجود تدبير ما ، فلا يعقل أن يوافق بموافقة غير مشروطة على عودة الاحزاب والافراج عن كل المعتقلين .

هذا الاتجاه من التفكير صحيح .. ولكنه صحيح ايضا أن المجلس لم يكن فى موقف القدرة على [الاختيار] بقدر ما كان قريبا من اليأس ، يسلك لهدفه فى الاستمرار اى سبيل .

قال صلاح سالم ان الهدف من اعادة الحزبية الشيوعى هو اثارة الامريكيين .

وقال لى خالد محيى الدين : ان مراسل مجلة « نوفيل » اوبزرفاتور قال له ان جمال عبد الناصر سيكسب المعركة مع نجيب ، وانه عرف ذلك بحكم صلاته [صلات المراسل] بالمخابرات الامريكية والبريطانية .

وما أن اعلنت القرارات حتى بدأ اخراج المعتقلين .

الصدام الاخير

اول الذين افرج عنهم كانوا الاخوان المسلمين ومرشدهم حسن الهضيبى الذى توجه جمال عبد الناصر لزيارته بمنزله فى منتصف الليل فور الافراج عنه كما نشرت جريدة المصرى يوم ٢٥ مارس .

وقد كان هذا الاجتماع حاسما فى تغيير موقف الاخوان المسلمين ، فقد استانفوا نشاطهم وعقدوا اول اجتماع بعد الافراج عنهم .

وخرج حسن الهضيبى قائلا قبل الغاء مجلس القيادة لقراره بحل جماعة الاخوان المسلمين [ان الجماعة قائمة وانها اقوى مما كانت] .

وحرص محمد نجيب على التاكد من الافراج عن كبار المعتقلين فاتصل بهم فى منازلهم ، فلم يجد احدا قد افرج عنه الا حسن الهضيبى وعبد القادر عودة ، اما مصطفى النحاس واحمد حسين فلم يفرج عنهما .

وقد التقطت جريدة [الاخبار] تسهيلا دفعت به المباحث اليها عن اتصال محمد نجيب بمصطفى النحاس لسؤاله عن رفع تحديد الاقامة والاستفسار عن صحة زوجته ، ففشرت ذلك بالبنط العريض لتعمق الوهم بأن هناك اتصالات خفية بين نجيب والنحاس ، الامر الذى يثير ضباط الجيش ويهددهم عنه .

اثبت عدم الافراج عن مصطفى النحاس واحمد حسين ومحاولة اثارة الضباط ضد محمد نجيب أن النية لم تكن خالصة لتنفيذ قرارات ٢٥ مارس رغم اعتقاد بعض اعضاء المجلس الذين لم تكن لهم اتصالات خفية أن الامور قد انتهت الى ذلك .

ذهب حسين الشافعى الى هيئة التحرير وابلغ ابراهيم الطحاوى أن المجلس قرر الانسحاب

اعترض الطحاوى ـ حسب روايته ـ على هذا التفكير ، معلنا ان الانسحاب معناه دخول الضباط للسجن ، واعلن انه سيقاوم قرار المجلس .

وهكذا كان تفكير ضباط الصف الثانى الذين سبق أن أوقف بعضهم تعيين خالد محيى الدين رئيسا للوزراء ، واعتقلوا محمد نجيب ، وانقذوا المجلس من حركة ضباط سلاح الفرسان .

وبدا الصدام يأخذ شكلا حادا

نقابة الصحفيين تطلب الغاء الاحكام العرفية فورا وتشكيل وزارة قومية . ونقابة المحامين تعلن الاضراب .. والصحف تنشر أن مصطفى النحاس ورشاد مهنا واحمد حسين لم يفرج عنهم .. والقائمقام أحمد شوقى قائد الكتيبة ١٣ بحفنة التى قامت بدور كبير ليلة ٢٣ يوليو ، ارسل خطابا نشرته الصحف يعلن فيه نفس المطالب .. وهيئات التدريس وطلبة الجامعات يطالبون بعودة الحياة النيابية .

وفى الجانب المقابل كان الصاوى أحمد صاوى سكرتير اتحاد عمال النقل قد اتصل بابراهيم الطحاوى الذى اثار معه التحوف من انتكاس مكسب العمال فى منع الفصل التعسفى .

ودبر الاثنان خطة لاعتصام متزايد لعمال النقل ينتهى باضراب عام .

وضباط البوليس يعلنون [أن العودة الى الحياة النيابية مع وجود الاحتلال خدمة استعمارية] .

وقيادة العرس الوطنى ومنظمات الشباب تتحرك قواتها الى القاهرة .

وكان موقف الاخوان المسلمين فى هذه الفترة يمكن أن يعتبر عامل ترجيح لاحد الجانبين ... وقد اتصل محمد رياض قائد حرس محمد نجيب ببعض قادة الاخوان دون استشارته مما الرد بأنهم لم يتدبروا امرهم بعد ، وانهم يفضلون الانتظار والهدوء حتى يتم الافراج عن كافة المعتقلين .

وصدر للاخوان المسلمين تصريح فى صحف صباح ٢٧ مارس يقول [بيما يختص بعودة الاحزاب السياسية اعلنا الا يعود الفساد لسراحه مرة أخرى فاننا لن نسكت على هذا الفساد ، بل نؤيد بقوة حرية الشعب كاملة ، ولن نطلب تأييد أحزاب سياسية لسبب بسيط . هو اننا ندعو المصريين جميعا لان يسيروا وراءنا ويقتدوا اثرنا فى قضية الاسلام .

ونشر فى الجمهورية فى نفس الوقت خبر جاء فيه : [تقرر اعادة جماعة الاخوان المسلمين، وان كل اثر لقرار حل الجماعة الصادر فى يناير الماضى قد زال] .

هكذا اختار الاخوان المسلمون الوقوف مع مجلس قيادة الثورة والتخلى عن تأييد الديمقراطية وعودة الحياة النيابية ... وهو موقف تابع من رفضهم القديم لاستمرار الحياة البرلمانية وخاصة فى هذه الفترة التى عادت فيها تباشير الحياة الى القوى والاحزاب السياسية ، بعد أن كانوا القوة السياسية الوحيدة المصرح لها بالعمل والنشاط .

تم الاتفاق على أن يجنحوا للسلمية فى هذه الايام الحرجة ، وأن يبتعدوا عن الاشتراك فى أى مظاهرة معادية للمجلس .

وهكذا بينما لعبت جماهير الاخوان المسلمين دورا حاسما فى عودة محمد نجيب بعد استقالته فان قيادتها لعبت دورا انتهازيا فى قضية عودة الحياة النيابية .

ولخذت كفة مجلس القيادة ترجح ساعة بعد أخرى .. ومفاتيح السلطة تحرك الأجهزة القابضة لها .. وهيئة التمرير احتضنت حركة عمال النقل وأبناء اتحاد الصعيد ، وشلت حركة الاوتوبيس والترام والتاكسى والقطارات ، ثم برئوا بعد ذلك الى الشارع فى مظاهرات كان يحركها الطحاوى وطعيمة بعربات ركبت فيها ميكروفونات .

وظهرت جريدة المصرى بمانشيت كبير يوم ٢٨ مارس [مؤامرات ضد الشعب] .

وقال خالد محيى الدين عندما سئل عن المظـــاهرات [عساهم الايكونوا قد هتفـــوا بسقوط الحرية والبرلمان والحياة النيابية] .

ولكنهم هتفوا فعلا بسقوط الحرية يوم ٢٨ مارس .. وكان محمد رياض قائد حرس محمد نجيب قد دخل عليه فى حجرة نومه بعد منتصف ليلة ٢٧ ـ ٢٨ مارس وابلغه عن الخطة المدبرة لاشعال المظاهرات يوم ٢٨ مع الصباح الباكر .

اتصل محمد نجيب بوزير الداخلية زكريا محيى الدين وحذره من خروج المظاهرات ، واستدعى اللواء الباجورى وكيل الداخلية الى منزله وطلب منه فض المظاهرات بالقوة فطلب منه الباجورى توقيع أمر كتابى باطلاق الرصاص على المتظاهرين ، فرفض نجيب وقال له [لقطع يدى ولا لوقع أمرا باطلاق الرصاص على أبناء الشعب].

وحاول بعض الضباط الملتفين حول محمد نجيب أن يقدموه لاعلان تشكيل وزارة جديدة برئاسة وحيد رأفت ، وأن يتخذوا اجراء ضد أعضاء المجلس ، ولكنه تردد وأثر أن يؤجل ذلك الى ما بعد عودته من الاسكندرية بعد زيارته لها مع الملك سعود الذى كان قد وصل يوم ٢٠ مارس .

ولكن الوقت كان متأخرا فان المظاهرات المدبرة قابلته فى المحطات تهتف [لا لحسزاب . ولا برلمان] .

ورفض محمد نجيب الانسياق وراء غرائزه حتى لا يحدث صدام مسلح أو حرب أهلية كما قال لى .

وعقد اجتماع بدأ عند منتصف الليل واستمر حتى فجر يوم ٢٩ مارس .. وحضره محمد نجيب وجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر والدكتور عبدالرازق السنهوري وعبدالرحمن عزام من الملك سعود .

ودارت مناقشات طويلة انتهت بتسليم محمد نجيب لمطالب مجلس قيادة الثورة بعد أن خذلته الجماهير ولم تناصره كما حدث عند استقالته ، وبعد أن قرر هدم اللجوء الى ما يثير صدامات مسلحة .

وسافر الملك سعود وسط محمد نجيب في المطار مشيا عليه ليبقى بعد ذلك مريضا في منزله لمدة ثلاثة اسابيع ، وتصدر عنه نشرة طبية يوقعها الدكتوران أنور المفتي ورجب عبد السلام حتى لا تشاع اخبار تثير الجماهير من جديد في وقت يدرك فيه أن مظاهرات اليمينيين الاخيرين كانت مدبرة ومفتعلة .

وفي الساعة السادسة والنصف من نفس اليوم اذاع صلاح سالم القرارات الآتية :

١ ـ ارجاء تنفيذ قرارات ٥ ، ٢٥ مارس حتى نهاية فترة الانتقال .

٢ ـ يشكل فورا مجلس وطني استشاري يراعى فيه تمثيل الطوائف والهيئات المختلفة ويحدد تكوينه واختصاصه بقانون .

وبعد اذاعة هذه القرارات مباشرة توجه جمال عبد الناصر وصلاح سالم رئيسا الدين حسين لزيارة اتحاد نقابات النقل المشترك حيث خطب الصاوي احمد صاوي واعضاء المجلس .. ونزلت القوات المسلحة الشوارع لحفظ الامن .

وهكذا انتهى اخطر صدام تعرض له مجلس قيادة الثورة .. نجيب مريض في بيته ، وفوات الجيش الموالية للمجلس في الشوارع ، ومظاهرات عمال النقل وغيرهم فرضت نفسها على الموانئ ، والاخوان المسلمون في تجنبهم الحذر لكل ما حدث .. وخالد محيي الدين مختف في الاسكندرية لم يعد الى القاهرة مع الملك سعود ومحمد نجيب .

وتطورت الاحداث بعد ذلك لمصلحة مجلس قيادة الثورة ، واستقرت له تماما بعد تعيين جمال عبد الناصر رئيسا للوزراء يوم ١٧ ابريل ١٩٥٤ وتشكيل وزارته الاولى ، وعزل خالد محيي الدين من مجلس قيادة الثورة وسفره الى الخارج .

الحكم للعسكريين

كان واضحا من سير الاحداث خلال ازمة مارس أن الانتصار كان اكثر انحيازا لجانب اعضاء مجلس قيادة الثورة للاسباب الآتية :

أولا ... لم تتوافر لمحمد نجيب شخصية الزعيم المؤثر في افكار الجماهير ، واقتصرت جاذبيته على سماحته وبساطته ، وهي امور لا تكفي وحدها لتوجيه الحركة السياسية .

ثانيا ... لم يلجأ محمد نجيب الى تكوين تنظيم موال له في الجيش كما فعل جمال عبد الناصر وزملاؤه ، كما أن صلته كانت معدومة بالقوى السياسية المختلفة ، على عكس جمال عبد الناصر الذي تعددت صلاته وتوحدت اهدافه أو تنافرت مع هذه القوى تبعا للظروف القائمة .

ثالثا ... ضعف الوفد والاحزاب السياسية الاخرى وعدم قدرتها على تحريك الجماهير تبعا لتوجيهاتها لغياب عنصر التنظيم الحزبي الملتزم واعتمادها فقط على التنظيمات القديمة المؤثرة في الجماهير بطريقة شخصية فقط .

رابعا ... عدم وصول القوى الشيوعية واليسارية الى الدرجة المطلوبة من الصحو والانتشار الكفيل بحشد الجماهير حولها ، علاوة على معاناتها من الانقسامات والاعتقالات .

خامسا ... العجز عن تكوين الجبهة الوطنية الديموقراطية نتيجة لتردد الوفد ورفض الاخوان المسلمين وعدم وضوح الخط السياسي لمحمد نجيب .

سادسا ... ترجيح كثير من الفئات للخط الوطني الذي تبنته الحركة في بدايته على خطواتها المعادية للديموقراطية والذي لم يصل الى الجماهير البسيطة في حياتها اليومية .

سابعا ... انتهازية الاخوان المسلمين ووقوفهم في شهر مساندة [مجلس قيادة الثورة] في أحرج وقت تصادمت فيه الفوتان .

ثامنا ... عدم توافر الظروف المواتية لتجميع وحشد العناصر الوطنية الديموقراطية داخل الجيش ، وتأييد بعضهم لمجلس القيادة حيث لم يكن هناك منبر آخر .

تاسعا ... غيبة الحركة الجماهيرية المؤثرة التي كان يمكن ان تشكل قوة ضاغطة على اعضاء المجلس فلم يكن هناك اتحاد نقابات العمال ولم تكن هناك تنظيمات فلاحية ، كما أن الجامعة كانت مغلقة ، ولم يكن هناك تنسيق بين النقابات المهنية .

عاشرا ... غيبة العمل السياسي داخل الجيش بعد حل بقايا تنظيم الضباط الاحرار ، وخلق علاقات جديدة بين الضباط ناشئة من الارتباط الشخصي والمصلحي .

كل هذه الاسباب وغيرها جعلت انتصار مجلس قيادة الثورة باعتباره المعبر عن حركة الجيش اكثر رجحانا .. وخاصة بعد أن انفردت حركة الجيش بالقوى المختلفة تطيح بها واحدة بعد الاخرى ، دون ادراك من هذه القوى بأن المطارق الهاوية لن تتوقف الا اذا تحولت كل التنظيمات الحية الى جثث هامدة أو مغمى عليها .

وهكذا انتهت ازمة مارس بانتصار حركة الجيش ، وفتح ابواب الحكم للعسكريين قادة ثورة يوليو ١٩٥٢ .

يوسف صديق

فارسا مصريا أصيلا

فى الشهر الماضى — توفى **يوسف منصور صديق** ؛ واحد من قادة حركة الضباط الاحرار التى فجرت ثورة ٢٣ يوليو .

ولد يوسف صديق فى زاوية المصلوب بمحافظة بنى سويف فى يناير ١٩١٠ . وبعد ان اتم دراسته الثانوية ، التحق عام ١٩٣٠ بالمدرسة الحربية ، وتخرج منها عام ١٩٣٣ ؛ حيث التحق بالكتيبة العاشرة مشاه بالسلوم ، وظل يعمل بهذه الكتيبة بمختلف رتبها — خلالها — من ازيحولها الى أول كتيبة لمدافع الماكينة فى الجيش .

ولكفاءته عين استاذا بالكلية الحربية عام ١٩٤٠ . ثم فى كلية اركان حرب عام ١٩٤٢ . وفى كلية الاركان اختلف يوسف صديق مع كبير المعلمين الانجليز ؛ لقد كان يوسف يرى ان اسلوب الدفاع المتحرك افضل من اسلوب الدفاع الثابت ، وهو الاسلوب الذى يفضله كبير المعلمين الانجليز . وفى كلية الاركان بدأ يوسف ينتقد بصراحة وجراة اسلوب تعليم الطلبة فى كلية الاركان على نماذج خشبية . وفى ذلك الوقت انتقد ايضا نظام عساكر الراسلة ؛ علنا ، واعتبره اهانة للجندية ولانسانية الانسان المصرى .

وفى ١٩٤٢ اصيب بتدوس فى العظام ، ورغم برغه استمر فى دراسته بكلية اركان حرب ، وتخرج فيها عام ١٩٥٤ ، ولظروفه الصحية بعد تخرجه من كلية أركان حرب عين فى السجلات العسكرية . وفى هذه الاثناء تعرف الى الماركسيين . وقد ظل صديقا لهم وللعناصر اليسارية فى الحركة الوطنية المصرية طيلة حياته ، وان لم يكن قد ارتبط اى ارتباط عضويا باى تنظيم او حزب سياسى .

وفى نادى ضباط الجيش — التى تصيدة فى وداع اللواء سليمان عبد الواحد سبل مناسبة تركه الخدمة ، وكان هذا اللواء على ارتباط بجماعة الاخوان المسلمين ؛ وفى هذه القصيدة قال على الملا :

انا وهبنا للجهاد نفوسنا
لا نبتغى رتبا ولا اطماعا
والمؤمنون المخلصون يزيدهم
ظلم الحوادث شدة وصراعا

وبعد الثالثة هذه التعيسة بدأت الأصابع تشير اليه كعنصر متمرد داخل القوات المسلحة. فنقل بعدها الى الاسماعيلية . وهناك بدأ نشاطا واسعا بين الضباط ضد الانجليز ، وكان من بين هؤلاء الضباط حسن احمد الحسوتى ، واحمد شوكت ونصر جميعة وكمال المنيرى وهو من الضباط الذين استشهدوا فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨ .

واثر نشاطه المعادى للانجليز نقل الى اسوان فى ابريل ١٩٤٨ ، ولكنه لم يستمر هناك اسابيع قليلة ، حتى نقل بكتيبته الى فلسطين ، وهناك عسكر بها فى اسدود .

وهاد من فلسطين — ولم يكتم غضبه فى صدره ، وأخذ يهاجم الفساد فى حرب فلسطين، وعقد اجتماعات مع ضباط عديدين . وبدأ يكتب المنشورات بنفسه ، وكان يمليها على اطفال عائلته ويوقعها ح.ا.ث ويرسلها الى الضباط ، ويوزعها بنفسه على مكاتبهم .

ونقل الى السودان فى عام ١٩٤٩ — اركان حرب لفائد عام القوات المصرية فى السودان — وهناك بدأ صدامه مع اللواء احمد عبد الفتاح البشارى القائد العام . فقد انحاز يوسف الى الجنود ودافع عنهم وعن مطالبهم ، وبدأ يعقد اجتماعات مع الضباط يهاجم فيها الانجليز . وهكذا لم يمض عليه فى السودان غير تسعة شهور ، حتى جاءت « غازوية » التنقلات بنقله الى منقباد .

وفى منقباد ، استمر ستة شهور ، اتصل خلالها بمجموعات من الضباط ، وكان لقاؤه بالضباط الاحرار . ومن منقباد نقل بكتيبته الى العريش . وفى العريش تولى قيادة منطقة العريش فى التنظيم السرى للضباط الاحرار .

وقبل ٢٣يوليو ١٩٥٢ انتقل يوسف صديق بكتيبته الى القاهرة ، منطقة هاكستب . وعن هذه الفترة كتب يوسف صديق فى مذكراته :

« ان ازمة الحكم الملكى كانت قد بلغت قمتها، فشهدت القاهرة فى الثلث الثانى من يوليو تعاقب « وسقوط الحكومات المتهارة . وكان الجو « السياسى مليئا بالتكهنات عن الحكومة القادمة. « وحملت الاشاعات اخبارا خطيرة عن الاحتمالات « المنتظرة .. ووجد جمال عبد الناصر نفسه « فى موقف لا خيار له فيه .. فاما أن يضرب « ضربته فورا .. واما أن يعرض نفسه ويعرض « حركة الاحرار كلها بضربة قاضية من الحكومة « الجديدة التى كانت الاشاعات قد رشحتفيها « أعداء الداء للاحرار وحركتهم . وهكذا اراد « القدر الا يمهلنا حتى تصل كتيبتى .. وتقرر « أن تضرب قبل يوم ٢٦ يوليو . لا اذكر التاريخ « على وجه التحديد . ولكنه كان حوالى العشرين « من يوليو ، كنت راقدا فى فراشى بمنزلى فى « حلمية الزيتون ، آعانى من نزيف فى رئتى « اليمنى ، اعتاد مهاجمتى فى كل صيف بين « السنوات الثلاث الاخيرة ، وعلى هذه الصورة « القاسية ، زارنى الرئيس جمال عبد الناصر « ومعه عبد الحكيم عامر ليبلغنى قراره الاخير « بوجوب الضرب فورا .وكان طبيعيا ان ينصحنى « الرئيس بعدم الاشتراك فى العمل مراعاة « لحالتى الصحية .. لكنى رأيت أن هذا العمل « لن يكلفنى جهدا كبيرا يضر بصحتى ، فايس اقل « من أن أساهم بحضورى لتأدية هذا الواجب « المتواضع فى يوم العمل الذى طال انتظارنا « له . ووافق جمال وأقرنى على رأيى .. « وانصرف مع عبدالحكيم ليطوفا على الاخرين « ويواصلا الاعداد للساعة الحاسمة » .

وفى ليلة ٢٣ يوليو ، تحرك يوسف صديق ، ومعه كتيبته الصغيرة ومجموعة من الضباط من بينهم **عبد المجيد شديد** قائد ثانى الكتيبة ، **وحسن شكرى وعبد القادر مهنى والشربينى ومحمد غنيم** ، وغيرهم ، واقتحم ابواب الجيش، واعتقل قادة الجيش وكانوا قد دعوا لاجتماع عاجل لمواجهة حركة الضباط الاحرار .

وبعد ان انتصرت حركة الضباط الاحرار ، ظل **يوسف صديق** ينظر الى برنامج الضباط الاحرار نظرة الجندى المقاتل لهدفه . فبعد طرد الملك ، طالب بالافراج عن جميع المسجونين السياسيين الاخوان والشيوعيين والعناصر الوطنية والديمقراطية ، وطالب باقامة جبهة وطنية تضم كل القوى الوطنية وعارض أى اتجاه للضغط على اتجاه الجماهير الشعبية — وكعادته لم يسكت ، فاجهد الى سويسرا [١٩٥٣] وعاد بعد شهور محددت اقامته ، ثم اعتقل فى السجن الحربى لفترة .

وظل **يوسف صديق** امينا مخلصا لمبادىء الضباط الاحرار ، واستعاد صحته بعد تأميم القناة ، وفى ١٩٦١ قال يوسف لقد استعدت شبابى عندما استمعت الى جمال عبد الناصر وهو يعلن اجراءات الثورة الاجتماعية .

يوسف صديق والزعيم الراحل جمال عبد الناصر وبعض الضباط في اوائل أيام الثورة .

وفي ١٩٦٩ زار الاتحاد السوفيتي وعاد بعد ثلاثة شهور ليكتب كتابه « **المسلمون في الاتحاد السوفيتي** » .

وابتداء من ١٩٧٠ اخذ المرض الذي عانى منه طيلة حياته يعاوده ، وظل يقاوم المرض والالم خمس سنوات — حتى سقط وهو الجندي الذي لم يحن رأسه ابدا ، وظل يرفعه بشموخ واعتزاز .

لقد كان **يوسف صديق** يحق ، واحدا من الديمقراطيين الثوريين ؛ تميز بطهارة ونقاء ، وبساطة الفلاحين — كان في امكانه بعد ان اقصي الى الظل ، أن يهدأ ، وان يثري ، وان ينعم بحياة ناعمة هو واهله واولاده .. ولكنه فضل أن يستمر في حياته كما هي مؤمنا ان كل نشاط طفيلي ، وكل عبث بمبادىء الضباط الاحرار التي آمن بها الى زوال ، علم يطلب لنفسه وللاهله اي امتياز خاص .

كان مؤمنا بالشعب الى اقصى حد ، مطالبا بالديمقراطية والحرية محتجا على كل عبث بهما ، رافضا لكل محاولة للانقضاض على مبادىء الضباط الاحرار الستة .

كان **يوسف صديق** طرازا خاصا من الديمقراطيين الثوريين ، كان شاعرا مرهف الحس ومقاتلا قوى الشكيمة . عاش غنيا بمواقفه ، ورجولته فارسا مصريا اصيلا .

« الطليعة »

[أول مايو ١٩٧٥]

والنضال ضد الأزمة في العالم الرأسمالي

منذ تتصبح عاما تحدت الطبقة العاملة الامريكية سطوة الاحتكارات — وسقط الشهداء واعدم القادة . ثم انكسرت المؤامرة التي حيكت ضدهم بعد ان اعترف قاتل البوليس وهو على فراش الموت بالمؤامرة . فاعيدت القضية — وبرأ القضاء القادة الذين اعدموا . ومنذ مؤتمر الدولية الاشتراكية في ١٨٩٩ يحتفل بأول مايو عيدا عالميا للعمال في العالم .

واذ تحتفل الطبقة العاملة العالمية بهذا العيد اليوم — اول مايو ١٩٧٥ — فانها تفعل ذلك وهي تتحمل اعباء الازمة الاقتصادية العاتية التي يعاني منها النظام الرأسمالي العالمي . معاناة لا حدود لها .

فالنظام الرأسمالي يعيش ازمة لم يسبق لها مثيل — ازمة في هيكل البناء الرأسمالي ذاته ، ازمة تجمع بين التضخم والكساد ، وتشمل مجالات النقد والطاقة والبيئة والمواد الاولية والسلع الغذائية ، وتقترن بمضاربات ضخمة ، وحيث تتفاقم التناقضات بين البلدان الرأسمالية .

وتتحمل الطبقة العاملة وكل العاملين والفئات الوسطى وكل الفئات غير الاحتكارية عبء هذه الازمة الضارية .

والتضخم الحالي في النظام الرأسمالي اكتسب ويكتسب طابع المرض المزمن ، والتزايد المستمر ، وذلك بسبب السياسة العسكرية والاقتصادية لاغنى دولة هي الولايات المتحدة الامريكية ، بسبب تكاليفها حربيا في فيتنام ، وبسبب انخفاض قيمة الدولار وسباق التسلح . والسياسة التي تنهجها الشركات المتعددة القوميات .

وتنعكس آثار الازمة المحتدمة ، تلك ، على الطبقات العاملة والكادحة . فارتفاع الاسعار يؤدي الى انخفاض القوة الشرائية للعمال ، وسياسة الحكومات الرأسمالية الخاصة بالتقشف تتجه الى تجميد الاجور والحد من الانفاق الاجتماعي والاستهلاك الشعبي ، وهي امور تؤدي كلها الى الكساد وشلل الحياة الاقتصادية وازدياد البطالة . ويواجه العمال المهاجرون الى البلدان الرأسمالية صعابا عديدة ، وتعاني النساء العاملات من تفرقة ظالمة ، وتتضرر من مواقب هذه الازمة فئات المستخدمين والموظفين ، وشرائح اجتماعية عريضة مثل المهندسين والكوادر الفنية والمعلمين . وتنعكس آثار الازمة على الريف ، فتزداد الهجرة منه الى المدن والمناطق الصناعية فيزداد عدد العاطلين ، ويزداد استخدام هؤلاء العمال المهاجرين بأجور زهيدة لنقص كفاءتهم ، ولانهم غير مؤهلين . ثم تمتد آثار تلك الازمة لتشمل الصناعات الصغيرة والمتوسطة والتجارة .

وفي البلدان النامية ، تكون الاثار السلبية للازمة الرأسمالية اكثر فعلا ، واعنف واقسى عبئا على كاهل العمال والكادحين وصغار المنتجين والمزارعين الصغار والفقراء .

ففي هذه البلدان تتزايد معدلات التضخم اكثر من اي وقت مضى . وكل الاجراءات النقدية التي تتقدم بها الدول الرأسمالية — مثل اجراءات

صندوق النقد الدولي — انما هي تتحقد دائما على حساب البلاد المنتجة للمواد الاولية ، ولصالح الاحتكارات والشركات المتعددة الجنسيات . كما انها تؤدي الى زيادة ديون هذه البلدان نحو الولايات المتحدة واوروبا الغربية وكندا واليابان . ولقد انخفضت حصة الغالبية العظمى من البلدان النامية في التجارة العالمية ، بسبب تدهور شروط التبادل ، وبذلك تدنت ايراداتها النقدية الى حد الانعدام . وهو وضع يسمح للامبريالية ورأس المال الكبير ان يواصلوا استنزاف الثروات الطبيعية للبلدان النامية . وهذا امر ، يفسر المقاومة التي تبديها البلدان المنتجة للبترول لهذه السياسة ، واتجاهها الى استخدام حقها في التحكم في ثرواتها . اما بحريتها في تحديد وتقرير اسعار البترول وربط هذه الاسعار بمعدل التضخم العالمي ، أو بالتساميم الكابل للبترول . وهكذا فان هذا التحرك يتحول شيئا فشيئا الى معركة واسعة ، تشمل البلدان المنتجة للمواد الاولية [غير البترول] في مسعيها الى استعادة ثرواتها القومية .

وتواجه هذه المعارك التي تخوضها البلدان النامية باعمال وبمواقف عدائية من قبل الامبريالية العالمية ، حيث تقوم البلدان المنتجة للبترول بالتها المسئولة الاساسية عن التضخم ، مع ان ازدياد التضخم كان سابقا على رفع اسعار البترول ، فقد بدأ منذ عام ١٩٦٨ ، كما وان رفع سعر البترول لم يدخل الا بنسبة ضئيلة جدا في المعدل العام للتضخم .

وعندما تحتل الطبقة العاملة العالمية بعيدها العالمي — اول مايو ١٩٧٥ — عليها ان تجيب على السؤال التالي : هل يمكن للعمال ان يناهضوا اثار الازمة الوخيمة — وهل لديهم من حلول جذرية يطرحونها ؟

يجيب العمال : نعم ! — ان الاجراءات التي يجب ان تتخذ لمكافحة آثار الازمة يجب وان تكون ذات طابع ديموقراطي ، يضمن تحسين مستوى المعيشة ، ويحد من الارباح الباهظة للمجموعات الاحتكارية ، ويفرض سياسة اقتصادية معادية للاحتكارات .

وترى المنظمات النقابية للعمال وتطالب الى جانب مطالبها الاجتماعية ، بضرورة تأميم القطاعات الاساسية في الاقتصاد ، وتجميد الاسعار ومراقبتها ، ووقف المضاربات لخفض الانفاق غير المنتج ، وخاصة الانفاق العسكري ، والعمل على تنمية الاستهلاك الشعبي ، وزيادة الانفاق على الاحتياجات الاجتماعية ، وتشويع وتوسيع التبادل بين مختلف البلدان وخاصة مع البلدان الاشتراكية .

والى جانب المطالب الخاصة بالاجور وظروف العمل .. الخ فان الحركة النقابية العمالية مدعوة الى مزيد من النضال دفاعا عن الحقوق الديموقراطية والنقابية وتوسيعها . ومثل هذا النضال يكتسب اهمية خاصة في تلك الدول التي مازالت تعاني من الانظمة الفاشيستية والديكتاتورية مثل شيلي .. الخ .

ولمواجهة هذه الازمة العاتية ، فان الاتحاد العالمي للنقابات ، طرح — مؤخرا — على الحركة النقابية الدولية مشروعا للعمل ، وذلك خلال انعقاد مكتبه الدائم في الفترة من ٢٨ الى ٣٠ يناير ١٩٧٥ .

ولقد طرح هذا المشروع مسألتين اساسيتين تتدرجان بالكامل في نطاق عمل المنظمات النقابية الدولية :

اولا : تنسيق النضال ، على الصعيد الدولي ، ضد الشركات المتعددة الجنسيات التي تتأكد مسئوليتها الجسيمة في تفاقم الازمة .

ثانيا : تنظيم التضامن العمالي الدولي في النضال من اجل الاستقلال السياسي والاقتصادي الكامل للشعوب .

ويعني ذلك ، حق كل بلد في تأميم المشروعات المملوكة لشركات متعددة الجنسيات ، وسيادته الكاملة في التصرف بثرواته الطبيعية من اجل ضمان مصالح العمال ، وخطط التنمية الاقتصادية والقومية ، ويعني كذلك ضرورة تنمية التعاون الاقتصادي الدولي والتجارة والعلاقات بين الدول على قدم المساواة ، وبين البلاد على اختلاف انظمتها الاجتماعية والاقتصادية ، وضمان نموها لصالح العمال والشعوب .

ان عام ١٩٧٥ — وهذا ما تؤكده جميع المؤشرات هو عام العمل النقابي الدولي الموحد — ضد الاحتكارات المتعددة القوميات ، وضد كل هجمات الامبريالية على الديمقراطية وحركة التحرر الوطني . وليكن احتفال الطبقة العاملة باول مايو ١٩٧٥ في ظل شعار الوحدة ودعمها — عام التضامن العمالي مع الشعوب العربية في نضالها ضد العدوان الامبريالي الصهيوني ، وضد احتلال اسرائيل للاراضي العربية ولدعم حركة التحرر الوطني الفلسطينية ، التضامن مع نضال شعب شيلي ، والتضامن مع شعوب وعمال امريكا اللاتينية وافريقيا وآسيا وهي ترفع بصلابة راية النضال من اجل حرية واستقلال بلادها ، ومن اجل القضاء على استغلال الانسان لاخيه الانسان .

« الطليعة »

الرأى .. والرأى الآخر

فى هذا العدد ينضم الى الحوار المفتوح فى أكثر من جبهة أكثر من طرفة .. ويثبت قراء « الطليعة » أنهم كتاب جادون ومجيدون ايضا .. وانهم يتابعون اهم القضايا ولا يكتفون بهذه المتابعة الواعية وانما يشتركون أيضا بقلمهم فى المعركة ..

وتبدأ صفحات الرأى والرأى الاخر فى هذا العدد بكلمة من وطنى محروف هو الاستاذ **فتحى رضوان** يعقب بها على آراء الاستاذ توفيق الحكيم ..

ثم يواصل **الدكتور محمد رضا مجرم** الحوار الذى بدأته « الطليعة » حول الجامعة الاهلية ، مقدما حجج وأسانيد جديدة فى هذا الصدد .

وينولى « **خيرى عزيز** » تقديم الوجه الحقيقى لمسرحية « يحيا الوفد » ..

غليب جلاب يقارن بين احمد ابو الفتح وفرغلى باشا ، ومقاتل من مقاتلى حرب اكتوبر هو **المهندس عبد المنعم بدوى** يشارك هو ايضا فى الحوار ، حول طرف آخر من اطراف الحوار يقدم **ماهر سامى** رئيس تحرير مجلة الشباب رأيه فى « **شجاعة الرأى عند على امين** » واكثر من قارىء آخر يدلى برأيه فى هذا الحوار .

وهنا بعد ذلك مساهمة من احد القادة النقابيين « **جمال عبد الوهاب محمد** سكرتير عام النقابة العامة لعمال التجارة فى موضوع هام هو تطوير المؤسسة الثقافية العمالية ..

ثم هناك بعد ذلك أكثر من موضوع يطرح للنقاش ومن اكثر من زاوية آراء اليمين واساليبه فى الحوار والحقيقة أن « **الطليعة** » قد تلقت عددا كبيرا من رسائل قرائها حول هذا الموضوع ، ونظرا لضيق المساحة فاننا نقدم مجرد نماذج ..

وهكذا تتنوع الموضوعات ، ويصبح الرأى والرأى الاخر مرآة حقيقية تعكس مشكلات المجتمع وقضاياه الاساسية .. مؤكدة بذلك حقيقة هامة هى ان اتاحة اكبر قدر ممكن من الحوار هو السبيل الحقيقى لاتاحة أكبر تلامس ممكن مع المشكلات الحقيقية ، وأكبر قدر من الفهم لها .

○ فتحى رضـــوان ينـــاقش الحـــكيم

تعليقا على الحوار الذى يجريه اليسار المصرى مع الاستاذ توفيق الحكيم تلقت الطليعة الراى التالى من الاستاذ فتحى رضوان ..

و « الطليعة » اذ ترحب على صفحاتها بهذا المقال.. .. ليسرها أن تفتح بهذا الراى حوارا ممتدا بين كل المفكرين المصريين حول ملف التجربة لثورة ٢٣ يوليو ..

السيد الاستاذ لطفى الخولى

رئيس تحرير مجلة « الطليعة » .

بعد التحية

جاء فى الحوار المنشور فى مجلة الطليعة بعدد شهر ابريل فى الصفحة الثلاثين ومابعدها، نصان يتضمنان رأيين ، احدهما ينسب على موقف مصطفى كامل من مبدأ « المصرية » ، وثانيهما ينسب على موقف الحزب الوطنى الجديد من ثورة سنة ١٩١٩ ، ولما كان هذان الرأيان يجانبان الحقيقة ويجافيان التاريخ الصحيح ، فانى أرجو ان تأذن لى بالتعليق القصير التالى :

فى العمود الثانى من الصفحة السادسة والعشرين قال الاستاذ توفيق الحكيم :

لم تكن هذه الفكرة [فكرة المصرية] واضحة كل الوضوح عند مصطفى كامل الذى نادى بالارتباط بالدولة العثمانية ، جاء المفكرون الذين مهدوا لثورة ١٩١٩ ، وطرحوا القضية لا على اساس انها جلاء الانجليز فقط ، ولكن على اساس البحث عن كيان مستقل لمصر نفى مواجهة قوتين ، الدولة العثمانية ودولة الاحتلال .

وفى العمود الثانى ايضا فى الصفحة الرابعة والاربعين يقول الاستاذ توفيق الحكيم :

المسئول عن هذا بعض اعضاء الحزب الوطنى الجديد الذين ساندوا الثورة لانهم كانوا خصوم

ثورة ١٩١٩ وكان اتجاههم واضحا للنيل من ثورة سنة ١٩١٩ والتقليل من دور سعد زغلول ،ولهذا ربما لم يكن عبد الناصر مسئولا مسئولية رئيسية في هذه النقطة ، اذ لم تكن له مصلحة في ذلك .

- وابا عن النص الاول ، فيهمني ان اقول ، مستندا ، الى وثائق حياة مصطفى كامل من مقالات وخطب وكتب واحاديث ودراسات ، ان مصطفى كامل هو ابو الفكرة المصرية «الصحيحة» النقية ، الخالية من الشوائب ، الرافضة لكل تداخل في غيرها ، او تداخل غيرها فيها ،ولدت على يديه ،وشبت عن الطوق ،واصبحت فتنة جميلة واخاذة ، وذات بهاء خالب للالباب ، ورداء جاذب للانظار ، وشباب باعث للحب والهوى ، بفضل ما قاله ، وما كتبه وما فعله ، وبفضل اصراره على تحديد معنى بعثه الذي عبر عنه بقوله : «لو لم اكن مصريا لوددت ان اكون مصريا» مرة ، والذي اطلقه فيما يشبه التشهد مرة اخرى، حينما قال : بلادي ، لك حبي وفؤادي ، لك دمي ونفسي ، لك عقلي ولساني ، لك لبي وجناني ، فانت انت الحياة ولا حياة الا بك يا مصر » ثم حينما اطلق ، تعبيرا عن حبه لمصر ، وهيامه بها، ما يعد بحق ، غناء العشق الوطني ، اذ قال :

« الا ايها الناطقون انظروا مصر ، وتاملوها ، وطوفوها ، واقرأوا صفحات ماضيها ، واسألوا الزائرين لها من اطراف الارض ، هل خلق الله وطنا اعلى مقاما واسمى شانا ،واجمل طبيعة ، واجل آثارا ، واغنى تربة واصفى سماء، واعذب ماء ، وادعى للحب والشغف من هذا الوطن العزيز » .

فاسم مصر ، لم يتردد على لسان زعيم مصري قبل مصطفى كامل ،ولا بعده كما تردد على لسانه وقلبه ، ولم يعش في خاطر احد من ابنائها الذين نذروا انفسهم لخدمتها ، والدفاع عن حقوقها ، ورد المعتدين عليها ، والطامعين فيها كما عاش في خاطر هذا الشاب الذي وصفه بحق شاعر العروبة المعظم احمد شوقي بانه « حبيب مصر — وشهيد غرامها » .

فاذا كانت [المصرية] هي احساسا وشعورا، او كانت عقيدة فكرية ، او كانت مذهبا سياسيا ، او كانت منهجا للكفاح ، فهي من غرس مصطفى كامل ، وهي آخر الامر واوله ، جوهر حياته ، وركن الزاوية في كفاحه ، والغاية التي سعى اليها ، وفني من اجلها .

ويمكنك ان تعد لفظ مصر ، في كل ما خلفه عرابي،ومحمد عبده ،ولطفي السيد وسعد زغلول، والذي جاءا بعدهم ، من آثار مكتوبة ،ومقروءة، ومسموعة ومحفوظة ، وانى لوائق انها لا تعدو في جملتها عشرة مواضع . وكانت [المصرية] عند مصطفى كامل بناء كاملا ، فسيحا وشامخا ، وقوامه :

اولا — الاعجاب بمصر ، بوصفها امة ذات حضارة ، وذات رسالة ، وانها منحت في الماضي، علما ودينا وفنا وثقافة ، وانها قادرة على ان تمنح من جديد ، مثلما اعطت في الماضي وزيادة .

ثانيا — ان اليأس من مستقبلها ، او الخوف من اعدائها ، او الاطمئنان اليهم او التقاعس او احسان الظن بهم خيانة وجريمة وكفر وشرك .

ثالثا — انها جديرة بان يقاتل اولادها في سبيلها ، بشجاعة وجد واصرار ، واستماتة .بل انها جديرة بان تبعث في قلوب قادة غيرها من الامم زعمائهم الحب والتقدير والرغبة في الوقوف الى جوارها .

رابعا — ان موقع مصر الجغرافي ، ومكانتها الروحية ، وصلاتها بالعرب وافريقيا والاسلام واوروبا ، يجعل احتلالها مبعثا لقلاقل ومطامع دولية تتجاوز بمخاطرها مصر وبريطانيا ،وتؤدي الى حروب دولية ، ولذلك كانت رسالته الاولى هي « مخاطر الاحتلال البريطاني بالنسبة للعالم كله » وقد تحققت نذره ، اذ قامت الحرب العالمية الاولى قبل ان ينقضي على وفاته اكثر من ست سنوات الا ببضعة شهور .

اما ما دأب على ترديده خصوم مصطفى كامل — بغير حق ولا سند من التاريخ — من ان مصطفى كامل كان يدعو الى التبعية العثمانية ،فحقيقة الامر فيه ما يلي :

اولا — ان الذين رموا مصطفى كامل بذلك هم جماعة حزب الامة ، وقد اثبتت وثائق التاريخ ، وكتب السادة البريطانيين والفرنسيين وما استظهره العلماء المصريون ،من انهم جماعة مؤمنة بالاحتلال البريطاني ، راغبة في استبقائه او اطالة امده ، مع بذل الجهد ، في الاشادة باثاره ، والتنويه بفضائله . وقد كتب كبيرهم في مذكراته بخط يده بأنه غاب عن صوابه لما علم بان اللورد كرومر قد سحبته حكومته من مصر، وانه لم يعد الى [وعيه] الا بعد ان طمأنه اللورد كرومر بان سياسته [أي سياسة اللورد] ستستمر بعده ، في شخص السير الدون جورست لانه تلميذ وفي للورد . وقال آخر من زعماء هذه الجماعة انه باق في منصب الافتاء ما دام الاحتلال البريطاني قائما او جائما على صدر

مصر . وقد اقترح ثالث من هذه الجماعة ابان الحرب العالمية الاولى : قبول الحماية البريطانية ، والاكتفاء بها ، مما أخرج احد تلاميذ هذا الزعيم ، وهو الدكتور محمد حسين هيكل باشا ، عن طوره ، فاغلظ القول لاستاذه ،وقال له : لا يدهو هذه الدعوة الا احد اثنين : رجل يرى فى مصر بغيا ، يطؤها كل صاحب شهوة ، أو عبد رقيق يسلم قياده لكل صاحب سلطة .

ثانيا ــ لقد أعلن مصطفى كامل فى اكثر من حديث وخطبة ومقال عن طبيعة العلاقة بين مصر وتركيا ، وابان علاقة من اتفقت مصالحهم ، وتشابهت المخاطر المحدقة بهم ، وأن مصر لا تتزل عن استقلالها لتركيا ، ولا تفنى فيها ، ولا تتبعها تبعية الخاضع للسيد ، من ذلك ما قاله فى خطبة الوداع فى يوم ٢٢ اكتوبر سنة ١٩٠٧ فليعلم اعداء مصر أننا نطلب لها الاستقلال ، ونطلب لها ذلك الاستقلال ، باعلى صوتنا ، وعلى مسمعين امم الارض كلها ، واننا اذا اخلصنا الود لامة أو لدولة ، فانما نعمل كغيرنا وتتبع ناموس الطبيعة القاضى بان من اتفقت مصالحهم يجتمعون ويتضامنون،اذا كانت انجلترا تسعى الآن للتقرب من الدولة العلية ، وتغير سياستها نحوها تغييرا محسوسا فمن الذى يلوم المصريين على ان يكونوا اقرب الناس من تركيا قولا وفعلا وان يحافظوا على هذه الصلة ما استطاعوا » .

وقال قبل ذلك فى ٢٧ من يناير سنة ١٩٠٧ ايضا : يستحيل علينا ان نطلب واحد منا مالكا اجنبيا عنا ، فنحن لا نود الا ان نكون قوة محالفة للدولة العلية ، نصرها وتنصرنا ، وتعتز بهـا وتعتز بنا » .

وقال فى ٢ مايو سنة ١٩٠٦ :

« اما دعواكم ان الوطنيين المصريين يريدون الانتقال من استعباد الى استعباد ، وانهم انما يطلبون خروج الانجليز من مصر ، ليدخلوا تحت حكمجديد ،فهى دعوى لا يقبلها ذو لب ،ولا يسلم بها أحد من العقلاء » .

وقد كنا نحسب ان هذا الجانب المشرق الوطنى من سياسة مصطفى كامل ووطنيته سيحسم هذه الدعاوى الكاذبة على غير اساس من الدرس والتامل فى النصوص والوثائق والوقائع والحقائق، وأن هذه التصريحات التى كررناها كثيرا وعلقنا عليها طويلا ستنهى هذا الاتهام الباطل الى غير رجعة ، ولكن يبدو انه فى عالم الفكر والعلم ، تسود الاشاعات الباطلة ، كما تسود فى دنيا الناس اليومية .

ثالثا ــ كان مصطفى كامل ، شديد الاعجاب بما تم فى عهد محمد على من نهضة عسكرية وعلمية وصناعية ، فلما انتفض على ولايته لمصر مائة سنة هجرية ، دعى الى الاحتفال بالعيد المئوى لهذه المناسبة ، ويعلم كل من قرأ سطورا فى تاريخ مصر الحديثة ، ان محمد على هو الد اعداء تركيا ، وانه دخل معها فى حرب ، وانه اكتسح جيوشها فى سوريا حتى وصل الى قونيه ، فانزل بالجيوش التركية هزيمة مدوية . فلو كان مصطفى كامل ،ينظر الى مصر، كولاية تابعة لتركيا ، وينظر الى تركيا كسيدة مهيبة على شئون مصر ، ولموراها ، لما احتفل بهذه الذكرى ، ولما حشد لها ، حشد من قوة وطاقة وجهد .

بل ان احتفاله بهذه الذكرى بمثابة مذكرة مفسرة لسياسته ازاء تركيا .

رابعا ــ كان مصطفى سياسيا عمليا ، ملهما، وقد كانت خطة تقوم على ركائز فيهـا الدعوة الخطابية والصحفية ، والاتصالات بالسياسة وزعماء الدول ورؤساء الحكومات فى الوقت الذى يلعب فيه بالاوراق السياسية التى بين يديه ، خلقا للفرص ، واجراجا للاحتلال البريطانى ،فكما استغل الخصومة العنيفة بين الاستعمارين الفرنسى والانجليزى ، والتنافس المرير بين بريطانيا والمانيا ، فقد استغل مركز بريطانيا الضعيف فى مصر من الناحية السياسية والدولية .فبريطانيا، كانت الداعية لابرام اتفاقية لندن التى عقدت بين الدول الاوروبية الكبرى فى سنة ١٨٤٠، وقد وضعت هذه المعاهدة الشهيرة اساس العلاقة بين مصر والدول جميعا وفى مقدمتها تركيا ،وكانت نصوصها تقضى باستغلال مصر الداخلى الكامل، مع تبعية اسمية أو رسمية لتركيا ، هذا من ناحية ،ومن ناحية اخرى ،كانت روسيا والمنمسا، تطمعان فى املاك البلطان العثمانى ، وبهما ولايات السلطان فى الشرق العربى اى العراق وسوريا ومصر ، وكانت سياسة بريطانيا ان تظهر على المسرح الدولى ، فى ثوب الصديق لتركيا ــ والمدافع عن حقوقها ، لا حبا فى تركيا ، ولا حرصا على نفوذها ، وانما خوفا من طمع الطامعين فى تركيا ، الذين ان حققوا اطماعهم، وصلوا الى البحر الابيض المتوسط ، بجيوشهم واساطيلهم ، ونفوذهم الادبى والاقتصادى . ولذلك بقيت بريطانيا طوال الفترة الاولى من

الاحتلال البريطانى أى من سنة ١٨٨٢ حتى سنة ١٩١٤ تعلن انها تحترم سيادة تركيا على مصر ، وان احتلالها اجراء مؤقت ، بل كانت مضطرة الى قبول مندوب سامى تركى فى مصر يتقدم رجال السلك السياسى الاجنبى كله ، وكان كبار الموظفين وممثلو الجاليات الاوروبية يقدمون له فى المناسبات الرسمية فروض التجلة والاحترام قبل ان يزوروا خديو مصر ، او مندوب بريطانيا . ومن هنا كان مصطفى كامل حريصا على اظهار هذه الصلة الرسمية بين بريطانيا ، وتركيا ، لان بريطانيا لا تملك أن تنكرها من جانب ، ولان التحدث عن هذه الصلة يضايق الاحتلال البريطانى ، ولكنه لايملك ان ينطق . فاستغلال هذه الصلة كان عملا سياسيا من الطراز الاول .

ولعلنا اذا تبينا هذه الناحية من تاريخنا الحديث علمنا لماذا اسرفت بريطانيا فى وعود الجلاء عن مصر ، حتى كادت تبلغ المائة فى حين انها لم تعد بالجلاء عن أى بلد آخر احتلته فى امبراطوريتها التى لم تكن تغرب عنها الشمس . فبريطانيا ملزمة بمعاهدة لوندرة الا تحقق لنفسها مكانا خاصا متميزا فى مصر ، على حساب الدول الكبرى الاخرى ، وكانت بمقتضى هذه المعاهدة ، مطالبة بان تجلو عن مصر سريعا ، وبان تحترم صلة تركيا بمصر ، وكل ذلك يفيد فى عمل مصطفى كامل السياسى ، ويتيح له فرص المناورة ، واثار الامل فى امكان زحزحة الاحتلال عن مصر ، فى نفوس اتباعه ، مما يقوى من ضغط الحركة الوطنية .

اما اننا — نحن اعضاء الحزب الوطنى الجديد — نهاجم ثورة سنة ١٩١٩ ونقلل من قدرها ، فابعد الامور عن الصحة ، وعن الثابت من اقوالنا ، فى الصحف والكتب ، فلى مثلا كتيب صغير صدر منذ اكثر من عشرين عاما فى سلسلة اقرأ ، بعنوان [اخى المواطن] وهو مجموعة احاديث كنت اذيعها ، ابان اشرافى على الاذاعة فى الشهور الاولى لاولى وزارات الثورة ، وواضح من هذه الاحاديث ، ان الحزب الوطنى الجديد ، يعتبر ثورة سنة ١٩١٩ ، هى ثورة الحزب الوطنى بذر بذورها ، وهيأ لها ، ودعى لاندلاعها مصطفى كامل ، بما ملا به نفوس الامة ، من كراهية الاحتلال ، وسوء الظن به ، ثم حضر لها بصفة مباشرة محمد فريد ، الذى نظم العمل السرى ، واشرف عليه ، فتتلمذ على يديه عدد من الشباب الذين حملوا السلاح ، واطلقوه فى صدور رجال الاحتلال ، واعوانهم ، ومن هؤلاء الدكتور شفيق منصور الذى اتهم فى قضية مقتل بطرس غالى ، ثم قضية الشروع فى قتل السلطان حسين والذى نفى الى مالطه خمس سنوات وعاد ليستأنف العمل السرى تحت قيادة تلميذ آخر من تلاميذ محمد فريد هو عبد اللطيف الصوفانى بك الذى تتلمذ على يديه ، واقتدى به ، امين الرافعى وعبد الرحمن الرافعى ثم احمد ماهر والنقراشى وحسن كامل الشيشينى .

وكان آخر ما سمعه المصريون قبل ثورة سنة ١٩١٩ ، خلال الحرب العالمية الاولى ، من نداءات الثورة ، والعمل ضد الانجليز ، كانت خطب ونداءات محمد فريد وعبد العزيز جاويش وهما فى المنفى ، واعوانهما فى مصر ، ممن زجوا الى السجون والمعتقلات ، بعد ان قتلوا او شرعوا فى قتل السلطان واعوانه الوزراء ، والذين قبلوا الحماية وعملوا فى ظلها . حدث هذا فى حين كان سعد زغلول زعيم ثورة سنة ١٩١٩ ، يمنى نفسه — كما جاء فى كتاب الاستاذ مصطفى امين ص ٢٠ ، ٢١ ، من الجزء الاول — ان يكون وزيرا للاوقاف فالزراعة فمديرا لمكتب البعثات المصرية فى باريس ، بل ان سعد زغلول نفسه قال فى مذكراته انه طلب ان يكون مديرا لشركة قناة السويس ، وان كتشنر اوهمه بان ذلك ممكن ثم صرف نظره عن هذا المنصب . ولو راجعت البيان الانتخابى الذى نشره سعد بمناسبة ترشيح نفسه لدائرتين من دوائر القاهرة للجمعية التشريعية سنة ١٩١٣ لوجدتموه خاليا من الاشارة الى اى قضية سياسية ، فقد اقتصر على الاصلاحات الداخلية ، كأنه بيان انتخابى عن مقعد فى مجلس بلدى القاهرة .

فاذا راجعتم مذكرات محمد فريد لوجدتم ان كلمة الثورة تتردد فى يومياته ، ولقرأتم انه قابل الهر زامنيس وكيل وزارة الخارجية الالمانية ، وحدثه فى موضوع ارسال اسلحة لمصر ، معاونة للثورة المصرية التى يعمل على التحضير لها . فكيف نزعم ان هذه الثورة ثورتنا ، ثم نخاصمها ، او نهاجمها . ولكنا نختلف مع قيادة الثورة ، بعد ان مر القسم الاول منها فى شهور مارس وابريل ومايو سنة

١٩١٩ ، الذى تتابعت احداثه بتلقائية شعبية رائعة ، فى خـــلال غيبة ســـعد وزملائه فى فرنسا وبريطانيا لمدة سنتين بدأت من ابريل سنة ١٩١٩ ، وانتهتا فى فبراير سنة ١٩٢١ . ونحن بقدر ما نعجب بصلابة وحسن تنظيم وشجاعة ووطنية عبد الرحمن فهمى الذى وقع على كتفيه عبء قيادة الثورة ، فى المرحلة الاولى منهـا ، التى كشفت عن روح الشعب المصرى القتالية الباهرة ، وعن فهمه الصحيح لمعنى الحـرية ، وأدراكه الدقيق لطريق تحقيقها ، أما الاسلوب الذى جرت عليه قيـــادة الثورة فى الفترة التى بدأت بعودة سعد زغلول فى اوائل سنة ١٩٢١ والتى استقبل فيها استقبال الفزاة والفـــاتحين لعظم ما عقده الشعب عليه من آمال ، فقـــد ملأت نفوسنا مرارة ،اذ انطفأت جذور الثورة ، وتحولت الى حرب اهلية اســـتمرت حتى قامت الثورة فى ٢٣ مزيوليه سنة ١٩٥٢ ،فمصر خلال هذه الحقبة الطويلة ، لا هى لجأت الى العنـف الصريح كما فعلت ارلنـــدا بقيادة ديفاليرا حتى قطعت صلتها ببريطانيا تمـــاما واعلنت ارلنـــدا جمهورية . والتزمت الحياد فى الحرب العالمية الثانية ، وهو حيـــاد كان مثريا بالعطف على اعداء بريطانيـــا ، ولا هى هـــدت الى اسلوب المقاومة السلمية أو السلبية بقيادة غاندى ،التى انتهت بان الانجليز اعلنوا من جانبهم الجـــلاء عن الهند شبه القارة والمح جوهرة فى التـــاج البريطـــانى ، بل سلكتنا منهجا غايتـــه الحكم وكراسى البرلمان مـــا اتاح للملك وللانجليز ان يحسنوا استغلال هذا الضعف فى الحـــركة الوطنية ، وافسح المجال لما يسمى بدسائس القصر التى غايتها اسقاط وزارة الوفـــد عـــن الحكم ، كان هذا الحكم هدف الثورة أو غايتها.

ان ثورة سنة ١٩١٩ ، هى ثورتنا ، ونحن نفخرون بها ، ونباهى الشعوب بجلائل اعمالها وبكل طلقة رصاص اطلقت منها ، وبكل شهيد معروف أو مجهول من شهـدائها ، وقد يحسن ان نقول ان الحزب الوطنى الجديد هـــو وحده بين الاحزاب جميعا ، هـــو الذى اقام حفلة تأبين لشهداء قضية السيرداب ،فاشاد بتضحيتهم،ورفض ان يسميهم جناة او مجرمين ولا محكوما عليهم فى جناية ، بل اعتبرهم جنودا ومقـــاتلين وطالب أن يطلق أسم الدكتور شفيق منصور على شـــارع كبير من شوارع القاهرة بدلا من شـــارع نوبار مثلا ، كما طالب ان يطلق اسم البطـــل العظيم العادل ابراهيم موسى وزملائه محمد فهمى على وراغب حسن على شوارع الاحياء العمـــال فى بولاق وشبرا الخيـــمة والمحلة ، لان هؤلاء هم الذين شرفوا الحركة العمالية ومصر كلها .

بقى ان اقول ان القول بان الشيخ عبدالعزيز جاويش كانت له اتجاهات اسلامية فى السياسة المصرية ، غير صحيـــح ايضـــا ، لان الشـــيخ جاويش كان له مجـــالان : مجـــال الســـياسة المصرية ، وكان فيه كاتبا وخطيبا وزعيما حزبيا ، يفكر كما يفكر اى زعيم آخر من اندادة وزملائه، لا يخلط بين الدين والسياسة ، ثم هو عالم دين وفقيـــه ، يدعو الى تجـــديد التفكير الدينى ، بشجاعة وعقل مستنير ودارس عميق ولا ننسى ان نذكر للشيخ عبد العزيز جاويش ما يأتى :

اولا ـــ انه احد ثلاثة او اربعة درسوا اللغـــة العربية وآدابها وتاريخها فى جامعة اكسفورد، وكان له تلاميذ مسيحيون من انجليز وغيرهم .

ثانيا ـــ انه افتتح مدرسة لتعليم اللغة الفرنسية للازهريين ، وانه علم فيها على الغياتى ، الذى هاجر الى سويسرا واقام فيها ،وانشـــا مجـــلة مختبر الشرق التى كانت منتدى ، وســـفارة دار دعاية لمصر وللعرب وللشرقيين قاطبة .

ثالثا ـــ انه هو الذى فتح باب النقد الادبى أمام الشباب فى صحيفـــة اللواء ، وكان طه حسين اول من افاد من هذا التشجيع ثم كان الشـــيخ جاويش ، هو الذى حرضه على اللحاق بالجامعة الاهليـــة ، ثم القى اليه بفـــكرة الســـفر الى فرنسا ، ومعنى هذا كله ان الشيخ عبد العزيز جاويش ، كان اماما من ائمة التفكير الحـــديث فى مجالات الادب والسياسة والدين .

ولكم خالص التقدير وعظيم الاحترام .

« جامعة الخاصة »
.. واللا معقول

د. محمد رضا محرم*

تواصل « الطليعة » فى هذا العدد مناقشتها لقضية الجامعة الاهلية ..
وفى هذه المرة — ايضا — يدلى برأيه واحد من هيئة تدريس الجامعة هو الدكتور محمد رضا محرم .

فى السنوات الاخيرة رأيت فى مصر بدعة أو « موضة » تسمية الاشياء بغير أسمائها . فأصبحت الرشوة المقدمة للموظفين العموميين الذين يتقاضون مرتبات من الدولة تسمى رسوم تحسين خدمة .. وأصبح السفه الذى يمكن أن يمارسه البعض بحرق نقودهم ممارسة للحرية ، كما يحلو للبعض أن يفهمها ، وذلك رغم الاية القرآنية الكريمة التى تقول « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » [1] [مع لفت نظر الذين لا يفقهون ، الى الحكمة فى نسبة المال الى ضمير المخاطب وليس الى ضمير الغائب !! واضحى التهجم الحاقد على المناضلين الذين رحلوا عنا شجاعة . وتوج الذين تملقوا أصحاب السلطان البائد ثم هاجموهم بعد أن غيبتهم القبور أو الاقدار آثمة فى حسن الخلق . وأصبحت مشاركة أفراد من الرأسمالية المصرية بنسبة واحد وخمسين فى المائة من مشروعات الاستثمار المشترك مع الهيئات الاجنبية تعبيرا عن

---

* مدرس بكلية الهندسة — جامعة الازهر
[1] سورة النساء — الاية الخامسة

الممارسة المصرية لحقوق الملكية العامة وتعبيرا عن هيمنة القطاع العام [٢] . وأخيرا أصبح التنهى عن العبادة بأحاديث الصالونات صلاة ، حتى أن واحدا من الذين اعتادوا تجريح تدين المخالفين له فى الرأى يقول « ومع أنفسنا أحيانا ، ننسى صلاة الجمعة فنستغفر ونقول .. العدنا ايضا نصلى ؟! » [٣] .

وعلى ما يبدو فان منهج الخلط فى التسمية هذا قد اتبع مع هذا المسخ المشوه الذى طلع البعض علينا به وأسماه « **الجامعة الاهلية** » . وقد سبق أن طالب **الدكتور عبد العظيم أنيس** [٤] برفض هذه التسمية المضللة واستبدالها بتسمية « **الجامعة الخاصة** » ، حتى لا نسىء الى تجربة عظيمة يعتز بها شعب مصر ، حين دعا المتنورون منه الى انشاء « الجامعة الاهلية » فى عام ١٩٠٨ لمواجهة الثقافة الاستعمارية بالثقافة الوطنية . ويرى كاتب المقال أن الدكتور أنيس قد تقدم الى نصف الطريق وليس الى نهايته . لان التسمية التى اقترحها لا تزال فضفاضة ولا تعبر عن هذا الشىء الذى يروج له هذا البعض ، لانها قد تعنى جامعة ذات وظيفة محددة ، أو تهتم بدراسات معينة ، أو تجرى بحوثا ذات طبيعة خاصة ، أو تضم نوعية ممتازة من الطلاب اسوة بما اتبع مع المحاولة طيبة الذكر واليتيمة التى تتبنى المتفوقين من خريجى الاعدادية العامة والتى عرفت باسم « مدرسة المتفوقين الثانوية » . ولكن لما كانت الجامعة – واتجاوز هنا وأقبل اللفظ لعجز القاموس اللغوى عن ايجاد بديل له – المروج لها لا تستهدف أيا من الامور السالفة الذكر ، وليس يعنى من يدعون اليها الا أن تكون مدخلا خلفيا وغير مشروع يصل به الى مراحل التعليم العليا الفاشلون من ابناء الاثرياء الجدد التى تصنعها عمولات استغلال الانفتاح ومقاولات الباطن وتجارة الضنك وسمسرات الخردة وعرق التهريب على أى من المذهبين الغبورى أو الشواربى ، فانه يكون من الاوفق أن نسميها « **جامعة الخاصة** » . هذا وأحب أن أطمئن الدكتور **عبد العظيم أنيس** على التسمية التاريخية العزيزة علينا جميعا [الجامعة الاهلية] ، فلست أظن الذين طرحوها قصدوا المقارنة أو تصورها ، والدكتور أنيس نفسه اذ يتصور هذا فانه يحسن الظن – فى غير موضعه – بعلم هؤلاء أو بوعيهم بتاريخ مصر القريب أو البعيد ، واقصى ما استهدفوه – كما يظن الكاتب – أن يستخدموا « **طعما شعبيا** » يستدرجون به « **الاهالى** » أو الجماهير لمساندتهم فى مخططاتهم ، وهو ما يستوجب تصدى العلميين والمخلصين لهذا الشعب ولجماهيره الكادحة لهذه الدعاوى الانتكاسية لفضحها ووادها قبل أن تتنسم نور الواقع .

عندما يشارك الجامعيون

فى كوميديا « جامعة الخاصة » :

عندما يتحدث البعض عن السهولة التى يمكن أن تنشا بها الجامعات ومن بينها الجامعة المروج لها ، ينتاب العارف بمستلزمات واحتياجات التعليم الجامعى – خاصة المعملى منه – دهشة متناهية . فاذا تبين له أن أغلب هؤلاء لم يعرفوا التعليم الجامعى لا طلابا ولا أساتذة التمس لهم العذر ، ولكن يستبد به غضب مشوب اذا ما تبين له أن نفرا منهم محسوب على الجامعات وعلى التعليم الجامعى .. بل انهم أصحاب مناصب علمية عليا تفرض عليهم التزام التخطيط ، والتخطيط العلمى ، للتعليم العالى ... فكيف يبسط هذا الفريق الاخير الامر تبسيطا مخلا ، يحرض به الفريق الاول على الجهر بافكار غير علمية ، وعلى الخوض فى امور عليه أن يتريث وان يتعلم قبل أن يغامر بالتعامل معها ؟! .. للاجابة نستعرض بعض الامثلة :

١ – فى نهاية الستينيات أطلق أحد وزراء التعليم العالى على صفحات الجرائد شعارا رنانا يقول فيه « أعطونى مليون جنيه أعطيكم جامعة » .. وبالطبع اذا ما قارن أحدهم المبلغ المطلوب لانشاء جامعة بالمبلغ الذى يطلب الان كمقدم تمليك شقة [٥٠٠٠ جنيه] ينشئها قطاع عام المقاولين

---

[٢] الباحثون عن المزيد من هذه التعبيرات المحدثة يمكنهم مراجعة مقالات عادل حسين فى اعداد فبراير ومارس وابريل ١٩٧٥ ، من مجلة الطليعة

[٣] حديث ابراهيم الوردانى عضو لجنة الحكم – الجمهورية ١٩٧٥/٤/٢.

العرب !! لتأكد له تفاهة المليون جنيه !! اذ ينفق لتحقيق هدف نبيل وكبير .

٢ ـ يقول رئيس قسم الاقتصاد الزراعى فى جامعة الاسكندرية [٥] « ان امكانية توفير رؤوس الاموال اللازمة لتمويل عملية انشاء وتشغيل الجامعة الاهلية لا ولن تمثل أية عقبة فى سبيل إنشائها » .. بل ان تفاؤله يبلغ مداه حين يقول « لا نعتقد ايضا بأن هناك من سوف يجادل فى أنه من شأن ضخامة الارباح التى يحتمل أن تغلها رؤوس الاموال المستثمرة فى مثل هذه الجامعة ، أن تؤدى الى امكانية توفير جميع الاحتياجات المالية اللازمة لانشائها واعدادها اعدادا عصريا مناسبا ، وذلك عن طريق الاكتتاب الرأسمالى أو التعاونى العام » .. وهكذا فليطمئن أصحاب المصلحة فى « جامعة الخاصة » ، فحتى أساتذة الاقتصاد « حتى ولو كان زراعيا ! » معهم ، الى حد طمأنتهم بأنهم سينشئون جامعتهم من الارباح التى يحتمل أن تغلها رؤوس الاموال المستثمرة فيها فقط !! ، وبالطبع فسوف تبقى لهم رؤوس الاموال ذاتها !! .. وفى هذه الحالة فاننى أقترح عليهم التصدق بها على جامعات الدولة الفقيرة التى لا تجد الكفاف ، أو على الطلبة المصريين الفقراء الذين يحرمون من أداء الامتحان لانهم لم يسددوا الرسوم الجامعية السنوية وقدرها ثلاثة جنيهات تقريبا لكل منهم !! .

٣ ـ ويقدم رئيس جامعة المنصورة [٦] تجربته الرائدة فى الانشاء الجامعى دون اعتبار للامكانيات المادية فيقول « لقد قررنا انشاء كلية الحقوق بجامعة المنصورة بدون اى امكانيات .. بل وبعد أن انتهى مكتب التنسيق من توزيع الطلاب على كليات الحقوق وفى الجامعات المختلفة .. وقد أعلنت عن قبول ٣٠٠ طالب فقط ففوجئت بأن هناك ١٥٠٠ طالب من الجامعات الثلاث يقدمون طلبات قبول فى كلية حقوق المنصورة » .. وللاسف الشديد فان الدكتور عبد المنعم البدراوى لم يقل لنا ما اذا كانت كليته قد قبلت ٣٠٠ أو ١٥٠٠ طالب ، وسواء قبلت الكلية هذا العدد أو ذاك فهذه تجربة مثيرة ورائدة يمكن أن تستند اليها وزارة التربية والتعليم عند محاسبة أصحاب المدارس الخاصة الذين يتحايلون عليها فيطلبون دعما ماليا بحجة توفير الامكانات لاداء العملية التعليمية !! ، فكيف يحتاج التعليم الثانوى مثلا الى امكانات فى حين أن التعليم فى جامعة المنصورة يمكن أن يتم فجأة وبغير تخطيط وبعد أن ينهى مكتب التنسيق أعماله وبدون أى امكانات كما مارسه رئيس جامعة المنصورة ؟! .

٤ ـ أما السذج الذين أتلف العلم عقولهم الى حد توهم أن ما فعلته جامعة المنصورة فى الكليات النظرية لا يمكن تحقيقه فى الكليات المعملية فهديتنا اليهم حديثا علميا يحكى عن عميد كلية الزراعة بنفس الجامعة [٧] أنه قال فيه « أما الحديث عن الامكانيات والتجهيزات فلم يعد مقبولا .. فالتجهيزات لا تقف عائقا أمام اقامة كليات جديدة .. يكفى أن تعلم أن كلية الزراعة بجامعة المنصورة قامت بامكانيات ضئيلة ومع ذلك فهى تؤدى دورها كاملا فى خدمة الاقليم .. » وبالطبع فان الكلية المعجزة سوف تؤدى ما هو فوق الكمال اذا ما استكملت امكاناتها !!! .

وهكذا يتلف السادة الدكاترة المسئولين ادمغة المواطنين المصريين فيما يتعلق باحتياجات التعليم الجامعى ، فيتورط الابرياء الفقراء منهم فى لوم الدولة التى تضن على الشعب بمليون من الجنيهات لانشاء جامعة حكومية جديدة تأوى أبناءهم . أو التى تحرمهم اصدار قرار لا يكلفها الا ثمن الورق « رغم غلو سعره !! » الذى يكتب عليه ، وثمن الحبر الذى يكتب به ، لانشاء كلية من هذا النوع الذى لا يحتاج أية امكانيات !! . أما النفعيون القادرون فانهم يتوهمون ان انشاء جامعة تخصهم أمر يسير للغاية ، ولا جهد فيه ولا علم ، وفوق هذا فان ربحه مؤكد !! .

نقض الادعاءات الكاذبة

لن يناقش الكاتب هنا دستورية انشاء « جامعة الخاصة » ، فقد تولى الدكتور اسماعيل غانم [٨] هذا العمل فى الاجتماع الموسع الذى عقده الاتحاد الاشتراكى لجامعة عين شمس بحضور المهندس سيد مرعى رئيس مجلس الشعب والدكتور حافظ غانم الامين الاول للجنة المركزية ، ويبقى أن نطلب

[٥] دكتور عبد الودود خليل ـ مجلة الطليعة ـ اكتوبر ١٩٧٣
[٦] جريدة الجمهورية ـ تحقيق عن الجامعات الاقليمية ـ ١٩٧٥/٤/٣
[٧] د. يحيى مسعود ـ جريدة الجمهورية ـ ١٩٧٥/٤/٣ ـ تحقيق عن الجامعات الاقليمية
[٨] جريدة الطلاب ـ ١٩٧٥/٣/١٥

منه بوصفه رئيسا للمجلس الاعلى للجامعات ـ خاصة وانه رجل قانون ـ أن لا يتغافل هذا المجلس باستعراض هذه القضية مرة أخرى حتى يلتقت « مجلس الجامعات الميرى » هذا لمشاكل هذه الجامعات وما أكثرها .. كما نرجو من المجلس القومى للتعليم أن لا يتورط هو الاخر فى مناقشة مشاكل التعليم فى مصر أو التخطيط له من خلال « جامعة الخاصة » هذه التى استطاع البعض بحكم انتمائهم أو بحكم منلصبهم أن يفرضوها موضوعا للدراسة على جميع الهيئات الحكومية والشعبية ... بل اننى أذهب الى ما هو أكثر من هذا فأطالب المجلس القومى للتعليم والمجلس الاعلى للجامعات أن يتصديا لاية محاولات لتخطيط التعليم « أو تخطيطه » تتم فى غيبتهما ، وألا تتمكنت كل فكرة ـ مهما كان شطحها ـ من التجسد واقعا لو تبناها مسئول فى مركز سلطة ، ولعل تجربة انشاء كلية الحقوق فى جامعة المنصورة وانشاء الكليات العملية لجامعة الأزهر فى أسيوط .

بهذا تحطى احدى المدن الصغيرة فى صعيد مصر بجامعتين وكانما ضاقت طولها الارض بما رحبت كما يقولون !!] خير ادلة على ذلك . أما من تجاوز الجامعة المروج لها ، بل وهدمها لجدأ تكاثف الفرص الذى اقرته ثورة يوليو ، فلن نعرض له مستقلا لانه أوضح من أن نقف عنده .. يكفيل أن الذين يروجون « لجامعة الخاصة » هذه لم ينكروا ذلك وان حاولوا الاحتجاج له بالاستثناءات التى تخطى بها المجتمع أحيانا مبدأ تكافؤ الفرص ، محاولين أن يجعلوا منها قاعدة قد تسمح بتمرير مشروعهم .

ونعود الان الى الادعاءات التى يطرحها انصار « جامعة الخاصة » لتناولها واحدا واحدا ويشىء من التفصيل .

١ ـ وجود المدارس الخاصة : اعتبر البعض قبول المجتمع بوجود المدارس الخاصة مبررا لقبول « جامعة الخاصة » ، وذلك مرفوض لعدة اعتبارات :

أ ـ النظام الاقتصادى والاجتماعى الرتمى من الشعب المصرى هو النظام الاشتراكى ، ولم يقل أحد بصفته الرسمية أو الفردية بغير هذا ، حتى هؤلاء الذين يرغبون فى العودة بنا الى فكر وممارسات القرن التاسع عشر لم يجدوا ما يعيروننا به الا اشتراكية السويد واشتراكية بريطانيا !! ؟ وفى ظل هذا النظام تصبح مسئولية الدولة عن التعليم كاملة ، واذا كانت الدولة لاعتبارات معينة ـ بغروض أنها مرحلية ـ قد تخلت عن بعض مسئولياتها فى التعليم الادنى ، فهذا استقتاء أو خطأ لا يحلج به ، كما أنه عمل غير ناجح ، وغير سليم بالمرة .

ب ـ نظام التعليم الادنى منضبط مركزيا ، فى مناهجه وكتبه ، وامتحاناته العامة وادواته والقائمين على التدريس فيه ، وتحقيق مثل هذا الانضباط أو الولاء المركزى فى التعليم العالى غير ممكن ، بل ومستحيل لانه يتنافى مع طبيعة هذا التعليم ، ويبقائى فان تركه للمتاجرين فى العلم أو المنتفعين به غير وارد وغير جائز عقلا ، ولعل فيما قيل عن الجامعتين الامريكيتين فى بيروت والقاهرة ما فيه الكفاية .

جـ ـ رغم الحاح الجميع على ضرورة توجيه التلاميذ المصريين نحو التعليم الفنى لحساجة التصنيع والتنميتين الاقتصادية والادارية اليه ، فقد كان عدد الحاصلين على شهادة الاعدادية العامة ٢٠٢١٨٥ ، بينما الحاصلين على الاعدادية الفنية ١٦١١ وذلك فى عام ١٩٧٠ ، وكان عدد الحاصلين على الثانوية العامة ٧٨٨٥١ بينما الحاصلين على الثانوية الفنية ٥٥٨٥٥ فى عام ١٩٧١ ، ولعل هذا الخلل بين النوعيتين نشأ أساسا [خاصة فى المرحلة الثانوية] عن الاعداد الضخمة التى تضمها المدارس الخاصة وفصول الخدمات التى تعمل جميعها فى مجال التعليم العام بوصفه الاقل اعباء والاكثر عائدا لاصحاب هذه المدارس . ولعله لو انشئت « جامعة الخاصة » وتصرفت بنفس المنطق فاتجهت الى التعليم النظرى بوصفه الاوفر والاكسب [كما تفعل الغير عزيزة جامعة بيروت !!]لزادت الامر خللا [؟] .

٢ ـ استقطاب الطلبة العرب : والبعض كان صريحا فى هذا الشأن ، فتحدث عن الدنانير المنتظرة وعن البترودولارات ، وتصور الجامعة المنتظرة وسيلة لاستثمار الفوائض العربية التى لا تجد المجالات الكافية للاستثمار !! . والبعض الاخر حاول أو اجتهد أن يغلف تطلعاته « والتقية » بغلاف قومى وتحدث عن واجب مصر القومى فى أن تفيض بعلمها على جيرانها . ونسى الانسان أن أغلب الاشقاء العرب كانوا مدة عن المجىء الى مصر متعلمين ، ولم يعد يجىء الينا الا بعض أبناء الدول العربية الفقيرة كاليمنيين الشمالى

[٩] البيانات المذكورة مأخوذة من تقديرات الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء بالقاهرة لاعوام ٧١ ، ١٩٧٢

والجنوبى ، وأبناء بعض الدول الاسلامية الذين يدرسون علوم اللغة وعلوم الدين ، وأغلب هؤلاء حاصلون على منح دراسية تمولها جمهورية مصر العربية . ولعلم هؤلاء جميعا فان الدول العربية الاخرى أصبحت مترفة الى حد تعاطى العلم من منابعه المتقدمة مباشرة ، وهذا فى حالة عدم وجود التخصص العلمى أو المستوى التأهيلى المطلوب فى جامعاتها ، ولعلمهم أيضا فان هذه الدول جميعا أصبحت تملك جامعات متطورة للغاية ومتقدمة ، ومن العجيب أن بعض هذه الجامعات يعانى من مشكلة قد تبدو بالنسبة لنا غريبة للغاية وهو نقص عدد الطلاب الملتحقين بهذه الجامعات . ومادام الشىء بالشىء يذكر فقد روى بعض العائدين من جامعة طرابلس أن عدد طلبتها يبلغ ٢٠٠٠ طالب [يناظر ثلثى عدد المقيدين فى كلية الهندسة بجامعة الازهر والتى لا تملك امكانات تذكر ، كما أن مبناها الجديد آيل للسقوط] ، وأن ميزانيتها السنوية تبلغ ٦٠ مليون جنيه ليبى ، أى حوالى ١٢٠ مليون جنيه مصرى .

أما الذين يتحدثون أحيانا عن ضرورة اهتمام الجامعة المذكورة بالدراسات البترولية لجذب الاخوة العرب اليها فيحسن أن نذكرهم أيضا بأنه فى المملكة العربية السعودية جامعة للبترول والمعادن وصفها البعض علما بأنها خرافة !! ، وفى ليبيا كلية لهندسة النفط والتعدين تضم أقساما ستة أكبرها يدرس فيه عشرون طالبا !! ، هذا بالاضافة الى معهد فنى عال فى نفس التخصص . كما أن العراق وغيرها من الدول النفطية لديها الاقسام المتخصصة اللازمة لها .

٣ ـ طيورنا المهاجرة وعجز الجامعات الحكومية: حاول البعض أن يثير نخوتنا بالتباكى على الابناء [وفلذات الاكباد] الذين يلتحقون بجامعات بيروت والخرطوم . وفى البداية نحب أن نؤكد أنه ليس عيبا أن يطلب أبناؤنا العلم فى الدول العربية المجاورة أو حتى فى الدول الاجنبية ، خاصة وأن المدافعين عن « جامعة الخاصة » يدعون الاشقاء العرب لتلقى العلم فى جامعتهم !! ، كما أنهم لابد يعلمون أن فى السفر سبع فوائد !! . وفوق هذا فان توسيع فرص التعليم لتستوعب الهياكل التعليمية المصرية جميع الحاصلين على الثانوية العامة مسئولية قومية يجب أن نطالب الدولة بها وأن نساعدها على تحقيقها ، وفى هذا الاطار ـ وحلا لمشاكل التمويل اللازمة لانشاء معاهد أو كليات جديدة ـ يمكن أن يبحث على سبيل المثال حرمان الراسبين ـ لظروف غير قاهرة ـ من الطلبة من مجانية التعليم فى سنوات الاعادة ، على أن تحصل منهم رسوم عن هذه السنوات تضم حصيلتها الى المبالغ التى ترصدها الدولة لتوسيع مجالات التعليم العالى ... هذا مع ضرورة تنبيه المتباكين الى الكف عن مبالغاتهم لان أغلب هؤلاء الطلاب المصريين قد صدرهم أهاليهم الى بيروت والخرطوم لانهم لم يعجبهم الفرص التى أتيحت لهم ـ وفقا لقدراتهم الذهنية ـ فى المعاهد الفنية المصرية ،ولانهم منجهة أخرى قادرون على البذخ أو الترف التعليمى ابتداء من المدرس الخصوصى وانتهاء بالليسانس الخصوصى !!

٤ ـ الجامعة القدوة : تطاول البعض الاخير ، فادعى أن « جامعة الخاصة » التى يدعو اليها سوف تكون جامعة مثالية ومتكاملة ، الى حد اثارة الغيرة !! فى قلوب الجامعات الحكومية التى سوف تحاول جاهدة الوصول الى مستواها ، والدخول فى منافسة شريفة !! يترتب عليها الارتفاع بمستوى جامعات الحكومة . بل ان البعض الاخر داهمته احلام مفادها أن الجامعة المذكورة سوف تستهدف استقطاب الطلبة النوابغ الى صفوفها ، لتجنبهم التلف الذى قد يتعرضون له فى جامعات الميرى !! . . وبالطبع لا نملك الا أن نطلب من هذا البعض الاخير أن يقارن بين التعليم فى أغلب المدارس الخاصة وبين التعليم فى المدارس الحكومية [حتى رغم تدهور مستوى الاخير فى السنوات القريبة] ليجد الاجابة على توهماته ، ثم ندعوه بعد ذلك لنستعرض معا كيف تتوفر الامكانيات لاقامة ودعم هذه الجامعة البدعة » .

كيف سينشئون « جامعة الخاصة » ؟

قدر الاستاذ الدكتور **ميلاد حنا** [١٠] الزمن اللازم لانشاء الجامعة المذكورة ، وبالصورة التى يروج لها البعض بل « ويطبل » لها ، بحوالى العشر سنوات ، وتوقع أن تكون التكاليف اللازمة لها ملايين الجنيهات أن لم تكن عشرات الملايين . وكاتب الدراسة يقبل تقديرات الدكتور **ميلاد حنا**،ولايظنها مبالغا فيها ثقة فى خبرته بوصفه أستاذا جامعيا قديما من جهة ، ولكونه من جهة أخرى مهندسا انشائيا لابد وأنه قام بانشاء أو شارك فى انشاء بعض الكيانات العلمية والتعليمية . وقد نبه الدكتور **ميلاد حنا**

[١٠] مجلة الطليعة ـ ابريل ١٩٧٥

الى ما قد يحاوله البعض من الحاق أبناء الطبقة « الراقية » بالجامعات الاميرية لحين الانتهاء من انشاء « جامعة الخاصة » ، وطالب برفض هذا المنطق لخطورته ولكونه تحايلا من اليمين للتسلل « بفلوسه !! » الى مقاعد الجامعات الحكومية . ولعلنا نذكر أن اقتراحات من هذا القبيل قد قدمت فعلا حين نوقش الموضوع فى لجنة التعليم بمجلس الشعب ، بل وصل الامر الى تحديد أجور حجز « الكراسى » للراغبين !! ويتساءل كاتب الدراسة عما اذا كان مقدمو مثل هذه الاقتراحات سيضيفون بضاعتهم من الفاشلين الى الاعداد التى اتخمت بها الجامعات فعلا ، أم أنهم سيستبدلونهم بعدد مناظر من الملاعين الاكثر تفوقا والاشد فقرا !! ، وسواء كان ما يتصوره هذا البعض عملية اضافة للاغنياء المتخلفين عقليا أو عملية طرح [أعنى طرد] للفقراء القادرين عقليا ، فمثل هذا الامر لن يمر بسهولة لان الفقراء والكادحين لن يسمحوا بازاحتهم ـ وبسلطة البنكنوت الذى يملكه القادرون ـ عن المواقع التى هى حق لهم مرتين ، مرة فى معركة الدروس الخصوصية التى خسروها واستسلموا فيها ، ومرة أخرى حين يحاول هؤلاء القادرون شراء المقاعد التى يجلسون عليها ـ اى الفقراء ـ فى جامعات الشعب .

وفى مقاله تساءل الدكتور ميلاد حنا أيضا « على نفقة من ستقام الجامعة المذكورة ؟ » ، وخلص الى ان الرغبة غير المعلنة للمناورين هى أن تقوم الحكومة بانشاء هذه الجامعة على حسابها ومن ميزانية الشعب بدليل المحاولات التى تبذل لاخراجها الى الوجود عن طريق الهيئات الرسمية والعلمية . ورغم موافقتى التامة للدكتور ميلاد حنا فيما ذهب اليه ، فاننى سوف أفترض ـ من باب الجدل ليس الا ، وليس من باب حسن النية ـ جدية الداعين لاقامة هذه الجامعة فى محاولة تمويلها بعيدا عن ميزانية الدولة وأتساءل : « ماهى الطرق الاخرى التى يستطيعون عن طريقها تمويل الجامعة المذكورة وانشائها ؟ .. أمامهم فى الحقيقة طريقان لا ثالث لهما :

أولا ـ الدعوة الى اكتتاب شعبى : وهذه محاولة غير مجدية وغير مغرية ، فالجامعات الاقليمية التى أنشئت فى المنصورة ، وفى الزقازيق ، وفى طنطا ، قد تم تمويلها جميعا ـ ولا يزال ـ باكتتاب شعبى غير مباشر ، عن طريق ما عرف بالجهود الذاتية . والذين لم يبلغهم الخبر بعد عليهم بالنزول الى الفلاحين فى قرى المحافظات الثلاث لسؤالهم عما اكتتبوا ويكتتبون به لتدعيم الجامعات المذكورة .. والجامعات الاقليمية الاخرى المدرجة تحت الانشاء فى قنا ، والمنيا ، وأسوان [الجامعة التكنولوجية » ، والمنوفية « التى أعلن أن مواطنيها يسعون لجمع مليون جنيه لانشائها وذلك الى جانب استفادتها بمبانى وامكانات المعاهد والكليات القائمة بالمحافظة] ، والقليوبية ، يتحمس لها المواطنون ، ويعلنون دائما استعدادهم للتعاون مع الحكومة لاقامتها لتعليم أبنائهم ورعايتهم .. وبالتالى فلست أظن أن الجماهير المصرية الكادحة على استعداد لاستبدال تعاونها مع الحكومة فى انشاء الجامعات بتورطها مع الذين يعالجون « خيبة » ابنائهم بالشعارات البراقة .. وفوق هذا فان الاكتتاب الجماهيرى « لجامعة الخاصة » لو تم فانه لن يكفى وحده لاقامة الجامعة المنشودة ، كما أنه لن يوفر العملات الصعبة اللازمة لتجهيزها معمليا .

ثانيا ـ التمويل الذاتى : لا يستحى البعض من الادعاء بأنه فى الامكان انشاء جامعة تمول نفسها ذاتيا ، كما هو متبع فى اغلب جامعات الدول الراسمالية . ونستطرد مع هؤلاء حتى باب الدار !! .. ونناقش مصادر التمويل الذاتى للجامعات المذكورة متجاهلين أن أغلبها مرتبط بهيئات سياسية أو دينية أو احتكارات اقتصادية تدعمها وتنفق عليها لتحقيق مصالحها ، لنتبين ما اذا كان من الممكن أن تطرقها « جامعة الخاصة » أم لا ؟ .. وعموما فان مصادر التمويل لهذه الجامعات ثلاثة :

١ ـ الرسوم الجامعية : لقد بلغت هذه الرسوم فى الكثير من الجامعات الامريكية على سبيل المثال حوالى ٣٠٠٠ « ثلاثة آلاف فقط !! » دولار أمريكى سنويا ، فكم نتوقع أن تكون الرسوم الدراسية المقررة « لجامعة الخاصة » ؟ . لقد اراحنا بعضهم فقدرها للمصريين بحوالى ٣٠٠ ـ ٥٠٠ جنيه سنويا [١١] . فمن من المصريين يستطيع دفع هذا

[١١] كتبت هذه الارقام من الذاكرة ، وارجو ان لا اكون مخطئا فى حدها الادنى ، وان كنت متأكدا من حدها الاعلى ، والذى يمثل رسوم الدراسة والقيد فى السنة الاولى .

المبلغ سنويا وتخوض مغامرة تعليم أولاده فى هذه الجامعة ؟ .. فى مقاله عن الجامعة الخاصة تصور الدكتور عبد العظيم أنيس [١٢] أن تلك الجامعة تنشأ لابناء الطبقة الوسطى وما فوقها الذين عجزوا عن دخول الجامعات الحكومية . وأنا اختلف مع الدكتور عبد العظيم أنيس ، فأى طبقة وسطى يقصد ؟ ! ، وهل الموظفون المكتبيون او البيروقراطيون شاغلوا الدرجات المالية المتقدمة ينضمون الى فئة المنتفعين بتلك الجامعة البدعة ؟! الامر يحتاج الى تحديد .. وان كنت شخصيا أرى ان هذه النوعية من الموظفين — وبالتالى كل من هم دون ذلك — غير قادرة على تعليم ابنائها بهذه الشروط المطروحة .. ولنعامل الموضوع حسابيا .. طبقا لقانون الاصلاح الوظيفى يحتل الحاصل على مؤهل عال الدرجة الثانية المالية بعد ٢٤ سنة فى الخدمة ، فى حين يحتلها حامل المؤهل المتوسط بعد ٣٢ سنة ، أى أنه فى المتوسط يكون قريبا من سن الخمسين . فاذا تصورنا أن هذا الموظف منضبط حضاريا وبيولوجيا فلم يتزوج الا فى سن النضوج ولم ينجب غير ولدين عليه أن يعلمهم فى هذه المرحلة ، واذا جاملناه واعطيناه علاوة ، فان مرتبه الشامل يصبح حوالى ٧٥ جنيها شهريا ، فاذا عدنا لنستقطع منه الضرائب والمعاش والتأمينات والدمغات وتبلغ حوالى ٢٠ فى المائة فان مرتبه يهبط مرة أخرى الى ٦٠ جنيها شهريا مع فرض أنه ليس مدينا بسلفة لاحد البنوك أو لاحد الاثرياء !!] ، وتبلغ جملة دخله السنوى ٧٢٠ جنيها . وحيث أنه سوف يطالب من جامعة الخاصة بمبلغ ٦٠٠ — ١٠٠٠ جنيه سنويا فلن يكون امامه الا أن يقرر أمرا من ثلاثة : اما أن يعيش على الكفاف ، واما أن يقترض ، واما أن يضرب عن تعليم أحد ولديه أو كليهما .. وهكذا فانه حتى قدامى وكبار البيروقراطيين سوف يعجزون عن تعليم أولادهم فى الجامعة المذكورة .. وبالتالى فانها — كما أوضحنا فى بداية الدراسة — لن تستقبل غير الفاشلين من ابناء الارستوقراطية المحدثة التى تصنعها العمولات ومقاولات الباطن ، وتجارة الشنطة ، وسمسرات الخردة ، وعرق التهريب ، وما شابه ذلك .. ومهما بلغت الحصيلة فلن تكفى لتمويل الجامعة المذكورة ، خاصة وان أبناء هؤلاء ليسوا جميعا من الفاشلين ، والكثيرون منهم يمكنهم الالتحاق بجامعات الحكومة .

٣ — **تعاقدات واستثمارات البحوث** : وهذا هو المصدر الاساسى لتمويل الجامعات المتقدمة التى يتحدثون عنها ، وفى الدول التى تضم هذه الجامعات تهتم المؤسسات والتشكيلات الصناعية أو الزراعية وحتى الادارية بتطوير انتاجها أو أدائها ، وتتقدم الى الجامعات بمشاكلها لتتعاقد معها على حلها . فهل من الممكن أن يتوفر هذا المصدر « لجامعة الخاصة » فى مصر ؟! .. بالطبع فان هذا هو مستحيل المستحيلات .. فأولا : لا توجد خطة بحوث فى مصر ، وثانيا : القطاع العام الذى يملك الهياكل الانتاجية الاساسية لا يزال فى أحسن حالاته ناقلا للتكنولوجيا وليس مطورا لها ، وثالثا : فان جامعات الحكومة رغم كثرتها قل أن يعرض عليها المشاركة فى برامج بحثية ، وفى حالة وجود هذه البرامج فسوف تكون هذه الجامعات العريقة والملتزمة هى الاحق بتعاطيها .. ماذا بقى اذن « لجامعة الخاصة » ؟! .. أظن أنه قد بقى لها القطاعان الخاص والطفيلى ، ولكن حتى هذين لا أمل فيهما ، فلست أظن البيوميين مهتمين بتحسين خواص مواد البناء ، ولست أحسب الغبوريين حريصين على تطوير مستورداتهم قدر حرصهم على تلوين أساليبهم الاستيرادية أو التصديرية !!

٣ — **الدعم الحكومى** [**مساعدات الدولة**] : وهو أمر قد يكون عاديا فى مجتمع رأسمالى لا تتحمل الدولة مسئولية التعليم فيه كاملة . ولكنه غير وارد بالمرة فى مجتمع اشتراكى فى مقدمة مسئوليات السلطة الشعبية فيه القيام بتبعات العملية التعليمية والهيمنة عليها بصورة كاملة .

وهكذا يتبين أنه لم يبق أمام الداعين « لجامعة الخاصة » الا مغازلة الدولة لتقوم نيابة عنهم بتحمل تبعات انشاء وتمويل الجامعة التى يروجون لها بالباطل ، وبالطبع فانه قد يصبح من واجبات الدولة حينئذ أن توفر لجامعتهم الكوادر العلمية والبحثية اللازمة لتسييرها ، بوصفها — أى الدولة — المهيمنة على الجامعات الحكومية التى تضم هذه الكوادر ، وليس مهما مرة أخرى ان

[١٢] مجلة الطليعة — مارس ١٩٧٥

يكون هذا أيضا على حساب جامعات الشعب ! .. واذا ما وصلت الامور الى هذا الحد ـ ولست أظنها واصلة ـ فانه يجب على الجميع أن يفرضوا على الحكومة ، باسم شعب مصر الذى يتبنى الاشتراكية طريقا لحل مشكلته الاجتماعية ، اذا كانت تملك هذه الامكانات ، أن توجهها لتخفيف العناء الذى تلاقيه الجامعات الاقليمية ، وجامعات العواصم أيضا !!] ، أو أن تضع يدها فى يد جماهير الجهود الذاتية لانشاء جامعات اقليمية جديدة .

○ الاتحـاد السـوفيتى

بين صواريخ العبور .. و« صاجات » تحية كاريوكا

خيرى عزيز

ترددت « الطليعة » طويلا فى الاهتمام بمـا يجرى على خشبة مسرح ميامى .. ايمانا منها بأن صفحاتها يمكن أن تتفرغ لتناول ماهو أهم .. وما هو مفيد ..

لكن مسرحية « يحيـا الوفـد » ليست فقط امتهانا للفن الصحيح ، لكنها تتجاوز ذلك كله لتصبح « سقطة » سياسية تمس المحيط الثقـافى المصرى كله .. ومن هنا كتب « خيرى عزيز » تعليقه عليها .

لم يحدث قط فى تاريخ المسرح المصرى منـذ نشأته ، ان حفل عمل مسرحى واحد ، بمثل هذا القدر من الحقد الدفين ، على دولة اجنبية ، بما فيها اسرائيل نفسها ، مثلما حفلت مسرحيـة « فايز حلاوة » ، « يحيا الوفد » على الاتحـاد السوفيتى ، الدولة الوحيدة فى العالم التى أمدتنا بسلاح العبور .

وأننا لندعو ، ـ بكل أسف ـ أى كاتب أو ناقد فى هذا البلد ، أيا كان اتجاهه ، أن يقدم لنا فى مسارح القاهرة سنة ١٩٧٥ ، ولو مسرحية واحدة ، أو حتى بعض فصول مسرحية ، ضـد اسرائيل نفسها ، أو ضد من أمدوها بالسـلاح ، وتحفل بواحد على عشرة ، أو حتى واحد على مائة ، من مثل هذا العداء الضارى ؟ الذى صبه « فايز حلاوة » على هذا البلد الصديق .

ذلك انه لم يحدث قط فى تاريخ الدول التى ناصبت مصر أشد العداء ، وفرضت عليهـا صنوف الحصار الاقتصادى ، وحروب التجويع ، وصبت عليها حمم غضبها ، قذائف ونيران وقنابل ، أن تعرضت دولة منها لمثل هذه الشحنة الضخمة من الافتراء والبغض ، التى تعرض لها الاتحـاد السوفيتى .

كما لم يحدث قط ، فى تاريخ مسرحنا المصرى ؟ الذى يعكس اخلاقيات شعب ودود ، انسـانى وطيب ، أن وجهت اهانات قاسية وقارصة وبذيئة ، ضد شعب من الشعوب ، مثلما وجهت فى هذه

المسرحية ؛ ضد الشعب الروسي ؛ الشعب الاوروبي الوحيد في العالم ، الذي قدم شهداء على ارضنا دفاعا عن العمق المصري ، على ارض وسماء هذا البلد .

كذلك ، فمن بين الاحزاب الهلبة التي تقود مصائر هذا العالم ، او تؤثر فيه ، لم يلق حزب منها سواء في الغرب او الشرق ، ابتداء بحزب المحافظين البريطاني الذي **شن على مصر عدوان ١٩٥٦ بالاف ضحاياه** ، وحزب « **جي موليه** » الذي **شارك البريطانيين غدرهم** ، او حزب العمل الاسرائيلي نفسه ، الذي كان وراء اغتصاب وطن عربي باسره ، او الحزب الجمهوري الامريكي الذي قدم حكمه **لاسرائيل في ٥ سنوات**، اسلحة ومعدات وخنائر ، **تعادل ما قدمته امريكا لاسرائيل في العشرين عاما الاخيرة** ، **عشرين مرة** ؛ كل هذه الاحزاب، لم تلق ما القاه الحزب السوفيتي من افتراء واهدار ومهانة على خشبة مسرح **تحية كاريوكا** ، في حين كان هو الحزب الوحيد ، على مستوى القيادات الدولية العظمى ، الذي وقف الى جوارنا في لحاك وامجد اللحظات في يونيو ١٩٦٧ واكتوبر ١٩٧٣، والوحيد الذي اصدرت قيادته اوامرها — قبل واثناء وبعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ — وهذا امر لم يعد يحتاج الى مزيد تكرار — بعد الجسر الجوي ليل نهار لامداد جيوشنا العربية المقاتلة بالسلاح ، وهو ايضا الحزب الوحيد في العالم، الذي كشف **روجر ديفيس** بمساعد وزير الخارجية الامريكية نفسه ، في اجتماع مجلس الامن في ؟ **هوت سبرنجز** ، بولاية **فريجينيا** في ١١ مايو ١٩٧٤ ، بعضا مما صنعته قيادة هذا الحزب اثناء حرب اكتوبر حين قال :

« **لقد كانت اعادة تزويد المحاربين بالسلاح، مسالة بمهود تقريرها الى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي ، بصفتهما الدولتين الرئيسيتين اللتين تقومان بذلك . وقد سمعنا الى كبح النفس ، الا ان السوفييت كانوا — بكل وضوح — غير مهتمين . وفي العاشر من اكتوبر بدأوا عملية هائلة من شحن الاسلحة بطريق الجو الى مصر وسوريا والعراق ، شملت حوالي الف رحلة جوية .، وعددا من الشحنات البحرية الى الموانىء العربية** » . . . « **لقد حول العمل السوفيتي — [تزويد العرب بالسلاح] — حربا اقليمية ، الى حرب ذات مضاعفين خطيرة بالنسبة الى موقف القوة العالمي للغرب** » .

هذه هي بعض مواقف الحزب الذي استحق وحده ، دون سائر احزاب العالم ؛ كل هذا القدر من الهجوم والازدراء السوقي الرخيص الذي صبه « فايز حلاوة » في مسرحيته .

وهذا الرجل ، لا يكلف احدا مشقة فهم رموز مسرحيته ، او كشف اسدافها ، فهي واضحة جلية في البداية ، ثم سافرة بعد دقائق من بدء العرض

واحدى الافكار الاساسية التي اراد التاكيد عليها برموزه طول العرض ، هي انه من بين دول العالم اجمع ، فان الدولة الوحيدة التي كانت علاقاتنا بها غربا وخرابا ودمارا على مصر ، ليست هي اسرائيل ومن زودوها بسلاح الغدر والتدمير ، وانما الاتحاد السوفيتي الذي استحق وحده كل الحقد المركز الذي صبه فايز حلاوة عليه

لما يزيد عن ثلاث ساعات ونصف ، ومن بين شعوب العالم اجمع ، فان الشعب الوحيد ايضا الذي نهب مصر وخيراتها واقتصادها وثرواتها ، فهو كذلك الشعب السوفيتي الذي اتى على كل شيء في مصر لا نعرف كيف ، والقى وحده في العرض ، كل ما تبقى لفلاحي قرية « كفر السلام » .

لا توجد جراة على استبدال الاكاذيب بالحقائق؛ قدر هذا الافتراء الاقتصادي ، فلم يكن الاتحاد السوفيتي قط هو الذي استنزف مصر وافقرها اقتصاديا ، وانما اسرائيل بالتحديد ، ومن ورائها الولايات المتحدة الامريكية ، هما اللتان فعلتا ذلك . فهما اللتان اجبرتا مصر ، وخاصة منذ عدوان يونيو ١٩٦٧ على **اقتطاع حوالي ٨ الاف مليون جنيه** من العوت اليومي للشعب المصري ، ومن ثمن غذائه وملبسه وكسائه ، ورصدها للانفاق على القوات المسلحة وامدادها وتموينها ولبناء الاستحكامات ،وخطوط الدفاع ؛ وتعمير المدن التي دمراها .

ومن الواضح تماما ، انه لولا وجود اسرائيل ومن يمولونها في قلب الوطن العربي ؛ ولولا هذه الحروب العدوانية الدورية التي يديرانها ضد مصر كل فترة زمنية ، لكان حال الشعب المصري اقتصاديا ، غير هذا الحال ، ولما اضطررنا قط الى اقتطاع كل هذه الموارد الضخمة ، لاغراض الدفاع . لكننا نعلم تماما ان هذه المليارات المقتطعة ، انما هي في الواقع ، الضريبة التي يدفعها الشعب المصري من لحمه الحي ثمنا لوجود هذه الولاية الامريكية رقم ٥١ مزروعة بالقوة ؛ في قلب العالم العربي . كما نعلم ايضا ان الهدف من تلك الحروب الدورية لضرب مصر؛ انما هو تاخير ومرقلة نموها الاقتصادي والصناعي ، كطليعة لحركة التصنيع العربي ،

الى اطول فترة ممكنة ، حتى تبقى المنطقة العربية، على وضعها الزراعى المتخلف ، مزرعة بائسة، لمصانع الاستعمار الغربى الجديد .

فما هو الجرم الذى ارتكبه الاتحاد السوفيتى فى كل ذلك ؟ ومن اين اتى فايز حلاوة بادعائه الرخيص ، بان هذا البلد نهب ثروات ، واقتصاد وخيرات مصر ؟

ان هذا الزعم لم يجرؤ اقتصادى واحد فى العالم ، وحتى فى العالم الغربى ازيقوله ، لان الدول الغربية تعرف اكثر من غيرها ، كم قدم الاتحاد السوفيتى لمصر ، كما وان الملقين الغربيين لا يستطيعون لدى الراى العام الاوروبى ، وحتى فى اشد حملاتهحقدا على العلاقات المصرية ـ السوفيتية، الا ان يقدموا حججا قابلة للتصديق فى اوروبا ، وان يلتزموا الحد الادنى من احترام وتوفير العقل البشرى ، لانه معروف لكل ذى عينين فى العالم ، بالحقائق الرقمية المثبتة ، ان الاتحاد السوفيتى هو الذى قدم لمصر المساعدات ،ولم ينهب اقتصادها ، واعطى بالمقياس الاقتصادى اكثر مما اخذ ، وبفارق يبلغ اكثر من ٥ مليار دولار حتى الآن ـ وذلك دون احتساب ثمن السلاح الذى تخلى عنه الاتحاد السوفيتى لمنه باعتراف الرئيس الراحل **جمال عبد الناصر** بعد تعويض جيشنا عن فقد معظم سلاحه فى يونيو ١٩٦٧ .

فاعتمادا على اى حقائق اقتصادية ،وعلى اية ارقام وهمية ، اطلق فايز حلاوة افتراءه ؟ **انفا نتحدى اى معلق اقتصادى مصرى او عربى ، او حتى عالمى ان يثبت لنا ان العلاقات الاقتصادية بين مصر والاتحاد السوفيتى ، كانت فيما له وخرابا على مصر ، او ان العلاقات الاقتصادية مع الاتحاد السوفيتى ، كانت فى غير صالح مصر واقتصادها .**

وعلى العكس من ذلك ، فلقد وجه المعلقون الغربيون هجماتهم الدعائية فى اوروبا ضد سياسة الاتحاد السوفيتى ، **من منطلق مناقض تماما** ، وذلك كى يجدوا صدى فى الاذان العلمية بالحقائق الاقتصادية فى اوروبا ، لقد قالوا للشعب السوفيتى بخبث وتآمر انه يضيع امواله ويقدم معوناته ومساعداته للمصريين والعرب ، وهم لا يستحقونها ،ويهدرونها ، ويذرونها ادراج الرياح كما حدث بالنسبة للسلاح السوفيتى فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، متوهمين ان مثل هذه الاساءين والحملات الدعائية الخبيثة،سوفتدفع الشعب ومن ثم القيادة السوفيتية الى التخلى عنا ، حتى تسقط مواسمنا العريقة تحت الكعوب الحديدية لقوات اسرائيل ، وقاتهم نسوا ان سياسة بلد اشتراكى حقيقى كالاتحاد السوفيتى، انما هى سياسة مبدئية ثابتة فى دعم نضال الشعوب التحريرى ، سياسة لا يمكن ان تتاثر بالنكسات المؤقتة فى تاريخ نضال الشعوب ، ولا يمكن ان تفقد الثقة ابدا فى قدرتها ، وعلى راسها الشعوب العربية ، على تجاوز نكساتها، وصولا الى النصر .

على انه اذا كان من المؤكد من ناحية اخرى ، ان تقل ابناء شعب من الشعوب ،وتدمير مدن هذا الشعب ، انما هو **عملية استنزاف اقتصادية وعملية افقار غير مباشرة لهذا الشعب** ، فاننا نود ان نسال حقا ، **ومن الذى دمر معدات وأسلحة القوات المسلحة المصرية فى يونيو ١٩٦٧** ؟

اليس طرح هذا السؤال فى حد ذاته ، فى داخل مصر ، بعد مأساة الخلافة ،وضبرية ،اذا كان بعض الناس الذين يعطون منابر جماهيرية باسم الحرية فى هذا البلد ، يطبعون بعشرات الالوف ، عرض هدام ، كل هذه الحقائق الجلية،فى تاريخ الشعب ، ويطعنون القوى التى وثقت بعنا ؟

ثم اذا كان الشعب المصرى **ينفق على اعادة تعمير مدن القناة اليوم ، ملايين الجنيهات التى يتطلعها من لازم ضروريات قوته اليومى** ، فاننا سنضطر مع الاسف الى ان نعيد طرح هذا التساؤل: **ومن الذى دمر هذه المدن** ؟ اننا نسال **فايز حلاوة** هذا السؤال . ومن الذى تسبب فى انتزاع اللقمة من افواه المصريين لترصد لتعميرها ؟ هل المدفعية السوفيتية فى التى دمرت مدن قناة السويس ؟ ام انه الطيران البلغارى حقا ، هو الذى قام بذلك ، ما دامت حتى بلغاريا ـ التى قدمت لنا مساعدات غذائية بدون مقابل ـ لم تسلم من بذاءات هذا الرجل دون ذنب او جريرة ، علما بانها وسائر دول المعسكر الاشتراكى الاخرى، هذا المعسكر الذى نلتف ان تكرر هذا البذاءات التى اطلقها عليه ، لم تفعل ، كما فعلت بعض الدول التى يهيم فايز حلاوة بمعسكرها، حبا ، ولم تسلم اسرائيل ، دبابات « **فيسيارد** » ذات الدفع الرروع .

لكن يبدو ان حياة الشباب الذين قاتلوا ببسالة واستشهدوا بأسلحة العدو امر لا اهمية له قط فى نظر امثال فايز حلاوة ، وفرقتنه التى تقلا برايائها باسم تحية كاريوكا . وهذا امن

منطقى ومؤكد ، فأمثال هـذه الرايات ؟ لم تكن قط فى تاريخ الشعوب رايات انتصار وعبور . لان رايات الانتصار والعبور الحقيقية لا يمكن ان تستبدل رمز الفـداء والكبرياء الوطنى باسـم راقصة ، ولا تقايض نسر الثورة بنجمة كباريه .

ونود ان نسأل هذا الرجل ايضا ، اذا كانت هذه التساؤلات لم تكف بعد دليلا : **ومن الذى تسبب فى حرمان شعب مصر — ايضا — مـن ملايين الدولارات من دخل قنـاة السـويس ؟** اليس هو العدوان الاسرائيلى المدعم بسـلاح الامريكيين هؤلاء الذين بلغت عنان السماء ، اشادة بممثليهم ، وتبجيلا ورفعة ، وتقبيلا للاعتـاب ؟ **اليس هو الذى حرم شعبنا من دخـل سـنوى لقناة السويس ، اصبح بالاسعار الحالية يعادل ٦٠٠ مليون دولار كل عام ؟** من الذى منع دخول هذا القدر الطائل من المال الى خزينة مصر ؟ هل هى بحرية الاميرال **جورتشكوف** حقا ؟

ياله من مستوى مؤسف للتساؤل والنقاش فى الحقائق الجلية الواضحة ، خاصة اذا فقـد الانسان ضميره على هذا النحو .

ثم من الذى دمر **معمل تكرير البترول بالسويس وغيره من المصانع ؟** ومن الذى نهب وينهب بترول حقول **ابورديس** بمئات الملايين من الدولارات كل عام ؟ **اننا نسأل « الممثلة الكبيرة » تحية كاريوكا** ايضا اذا جاز لنا ان نطرح عليها مثـل هـذا التساؤل الجاد : من الذى انتزع من افـواه شعبنا كل هذه الموارد المالية الضخمة ، ليفرض علينا حرب الافقار والتجويع ، هل هو حقـا الشعب الروسى ، الذى تألقت وابدعت فى اطلاق سيل بذاءاتك عليه لما يزيد على ثلاث ساعات ونصف ؟ .

انه لامر غريب اخلاقيا اشد الغرابة ، ان يزرع المدفع الامريكى بيـد اسرائيل الخـراب والدمار ، ثم تجد اناسا كهؤلاء ، يوجهون التهم دون حياء ، الى شعب الاتحاد السوفيتى .

ان الرصاصـات التى انطلقت فى فنـدق « سافوى » — تل ابيب اخيرا ، كانت روسية الصنع ، فلم كل هـذا الحقـد على الروس ، والاتحاد السوفيتى ؟

اننا مضطرون ، وفاء وعرفانا ، لاصـدقاء الشعوب العربية فى كفاحها ، لان نقول بصريح العبارة — امام هذه الحملات الدنيئـة — **ان شعب الاتحاد السوفيتى بالذات ، هو الشعب الوحيد فى العالم الذى قدم — تاريخيا — لشعب مصر اكثر من اى شعب آخر بما فيها الشعوب العربية ، وتلك حقيقة رقمية مثبتة بوقائع مادية ، وليست حقيقة عاطفية بأى حال من الاحوال .**

وبعد كل ذلك ، فانه ليس باستطاعتنا مرة اخرى ، تكرار وتعداد مواقف الاتحاد السوفيتى التاريخية ، دعما ومساندة لشـعب مصر ، سياسيا وعسكريا وصناعيا ، **ابتداء من انذاره الشهير فى ١٩٥٦ ضد بريطانيا وفرنسا ، حتى موقفه الاخير بالشروع فى التدخل فى صف جيش مصر بعد الثغرة ، مرورا بشراء القطن المصرى عندما امتنع الغرب عن شرائه ، وتحويل السفن المشحونة بالقمح من طريق موسكو الى القاهرة ، وتزويدنا بالبترول ايام الحصار الاقتصادى ، وبناء السد العالى ، وقواعد الصناعة الثقيلة — مجمع الحديد والصلب ، مجمع الالومنيـوم — الترسانة البحرية ، كهـربة الريف الخ .** فكل هذه المواقف والمساعدات انما هى رصيد صداقة وود كامن فى عقل وقلب ، كل مصرى وعربى .

واذا كانت تجرى اليوم محاولات لانكارها على بعض المسارح ، واهالة التراب على الشـعب الذى قدمها ، فان ذلك لن يطمس الحقيقـة ابدا ، **لان المساعدات السوفيتية الاقتصـادية والعسكرية ، لم تقدم ، ولا تقـدم ابدا ، على عتبات مسارح الهزل الرخيص ، ولا تتلقفها قط ايدى الراقصات ، ومخرجى التهريج المسرحى وفلاسفة النوادى الليلية ، وانما تتلقفها دومـا الايدى الحقيقية ، ايدى شباب مصر ورجالهـا وابطالها ، وهى امينة على كل عهـد ، وفيـة كشعبها الاصيل .**

اننا لن نتحدث هنا عن البناء المفكك والذى لا يربطه رابط لهذه المسرحيـة ، وانما نود ان نشير فحسب الى ان اسوأ مافيها ، ليس هو فقط عدائها العميق لدولة وشعب الاتحاد السوفيتى ، وانما هو ايضا ، **افقادها المتفرج الثقة فى قيمة اى مبدأ واى قيمة سياسية او اخلاقية ، وزرعها بذور الشك واليأس والكفر بكل شىء ، وخاصة بقيم الصداقة والتعاون مع الشـعوب التى آزرتنا فى معاركنا** ، والتى نحتاج اليها اكثر من غيرنا ، وخاصة ، ومعركة التحرير لم تنته بعد .

لكن يبدو انه من الطبيعى تماما ، ان «مقاتلى» النوادى الليلية و « المناضلين » على خشبات مسارح الهزل ، اولئـك الذين لم يكن الدم فى عرفهم ، سوى محلول رخيص من صبغة حمراء يضعهـا رجال الماكيـاج ، كل هؤلاء لا تعنيهم الصداقة مع الاتحاد السوفيتى فى شىء ، ولا قيمة يرونها ، فى الحاجة الى سلاح يدافع عن كرامة شعب ، وشرف امة ، ورجولة رجال .

هكذا نجد انفسنا بكل وضوح امام تلك المفارقة العابثة : **فعندما يهدأ هدير المدافع ، وايقاع البطولة والرجولة ، تدوى فى مسارح القاهرة. « صاجات » تحية كاريوكا .**

والحقيقة التى نحب ان نؤكد عليها بصفة خاصة،هى اننا لا نكتب — هنا — دفاعا عن شعب ودولة الاتحاد السوفيتى ،فهما فى غنى — بمواقفهما العملية المشهودة — عن دفاعنا ، ولا نكتب دفاعا عن الصداقة المصرية — السوفيتية ، فهى تدافع بثمارها ، عن نفسها ،**وانما نكتب اولا وقبل كل شىء ، دفاعا عن وفائنا وعرفاننا ، كلمة وكشعب ، ونكتب كل ذلك ايضا كرثاء لما وصل اليه اهدار بعض القيم والمثل ، التى بدونها لن يكون لهذا الشعب مستقبل .**

الا ان فايز حلاوة يصل الى قمة الابتذال حقا عندما يقسم مسرحه الى قسمين متجابهين ،قسم يضم الفلاحين المصريين يحملون الشوم والنبابيت فى وضع المتحفز بقيادة « ممثل » امريكا المليونير العائد وزوجته الحسناء من ناحية ،وقسم يضم الوفد السوفيتى الزائر ، فى وضع المتربص ، ومعه ضابط شرطة مصرى — هكذا — من ناحية اخرى — وعندما نشاهد احد السوفييت — حسب افتراء فايز حلاوة — يشهر مسدسا فى وجه الفلاحين المصريين ،يتحفز هؤلاء للانقضاض من أجل القضاء فورا على السوفييت بقيادة المليونير المندوب « الامريكى » القائد والمنقذ .

علام يدل هذا الصغار ؟ وكيف سمح هذا الانسان لنفسه ان يهبط الى هذا الدرك من الكذب والتزوير ، بالنسبة لتاريخ شعبه وكفاح بلاده وتضحياتها « ومنذ متى وقف الامريكيون فى صف فلاحى مصر ،بينما اشهر السوفييت سلاحهم ضدهم ؟

ان المستشار والخبير السوفيتى لم يشهر مسدسه فى وجه فلاحى مصر قط ، ولن يشهره، وانما هو تلقى بعض الطلقات فى صدره احيانا، واستشهد مع بعض ابنائهم ، وتلك هى الحقيقة الناصعة التى لن يلوثها حقد فايز حلاوة ومسرحه الاسود .

ومن عجب ايضا ،ان تحية كاريوكا التى جعلت ثمن تذكرة البنوار فى مسرحها تسعة جنيهات ، تنصب نفسها هى الاخرى متحدثة باسم الفلاحين المصريين ، فى الوقت الذى سيصيب فيه الذهول أسرة اى فلاح فقير ، لو علمت انه فى مقابل دخول حفلة تمثيل واحدة ، يدفع الانسان تسعة جنيهات بالتمام والكمال .

ثم نجد بعد ذلك ما هو أمر ، ففى حين ينهال « فايز حلاوة » على السوفيت ، على هذا النحو ،فانه يقول على لسان «الممثلة الكبيرة» ودون حياء ، وبعد كل الاختبارات التى مر بها هذا الشعب : « **الانجليز الذ** » و « **اللهم احشرنا فى زمرة اصحاب الملايين ، واجعل لنا نصيبا فى الدولار والاسترلينى** » ، هكذا يظهر التهافت المخزى ، والاستعداد الذليل للقيام بدور الخادم والتابع ، على عتبات الولايات المتحدة ،والذى تقابله امريكا برغم كل ذلك التهافت البغى ، بالصد والتمنع .

وقبل الختام بقليل ،يقدم فايز حلاوة ،الامريكان وصنائعهم فى صورة «المهدى المنتظر» ،وصاحب العصا السحرية ،الذى سيحيل تراب مصر ذهبا، وفقرنا غنى ، وبؤسنا ، ملايين ومليارات ،وكان المليونيرات الامريكان وصنائعهم يبعثرون اموالهم هكذا ، احسانا وصدقة وبلاهة ، دون مقابل، على شعوب العالم الفقيرة .

ونجد الاستاذ حلاوة فى النهاية ، يحل اعسر مشاكل مصر بقدرة قادر ،وبذلك **الاكسير الامريكى** السحرى ،وبفضل المليونير القادم من امريكا « الذى خرج لامريكا بربع جنيه ، وعاد يلعب بالفلوس لعب » ففى لمح البصر ، تحولت اكواخ الطين واسطح البوص ، الى فيلات « اولترا مودرن » ، وحلت الديكورات الفاخرة ، محل الزرائب ، والثلاجات ، والغسالات ،والدفايات، والسخانات ، محل المواشى والجديان ، والمعيز، وافخر الثياب الغربية المستوردة ، محل رعبوط رثيفة ، وسروال عبد الودود .

اننا لا نعرف لماذا يصر بعض العاملين فى حقول الاعلام المصرى ،ممن يفكرون مثل فايز حلاوة على عزف مثل هذه المعزوفة الخائبة التى لم تخترق حتى ثمن الدعاية التى انفقت عليها ؟ لقد ذكرونا ، بعد امد طويل ، بالاضاليل والشائعات الرخيصة التى راجت ، عندما كانت مصر تستعد لاستقبال **ريتشارد نيكسون** ، عن البواخر الامريكية الضخمة التى تدافعت الى ميناء الاسكندرية ، تحمل خيرات امريكا التى رفع الحظر عنها ، والتى ستتدفق علينا منذ الان بلا حساب ،سمنا، وجبنا ، «وفراخا» !! والتى طال انتظارها دون جدوى ، بعد هذا الترويج الرخيص .

الم يصبح واضحا بعد ، ان شعبا واحدا من الشعوب التى « سارت » مع الامريكان فى اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، لم يتحقق له واحد على المائة ، بل واحد على الالف من تلك الاحلام الوردية الخادعة التى يروج لها امثال فايز

حلاوة ؟ واذا كان هناك شعب من الشعوب قد حقق بعض ذلك حقا ، فليدلنا عليه اسيد حلاوة حتى نستثير سياسيا ، ونعرف بماذا يدور حولنا فى العالم ؟ أما الظاهرة العالمية التى لايستطيع، لا هو ، ولا غيره ، انكارها ، فهى أن الشعوب تسعىفى كل مكانالى طرد الامريكيين المستعمرين وعملائهم حيث وجدوا .

ليس هذا هو حال الشعب اليونانى ، الذى اطاح بعملاء المخابرات المركزية الامريكية ،وحيث سدت المظاهرات المعادية لامريكا ،عين الشمس، كما يقولون «أو ليس هو حال شعب فيتنام الذى يطالب مكاريوس بالتوجه نحو الاتحاد السوفيتى، بعد ان عرك ثمن الانقلاب الامريكى ، بذابح ومجازر وحشية ، ذبح الاخ فيها اخيه ؟ ليس هو حال شعب البرتغال ايضا ، الذى اطاح بالديكتاتورية الحليفة لامريكا التى كتمت انفاس الشعب ما يقرب من نصف قرن ؟ وغيره من الشعوب ؟ ألم يكن ذلك ايضا هو تطلع الشعب التركى ، بعد اكتشاف رفية يونان الكولونيلات والامريكان ، فى ابتلاع جزيرة قبرص ؟ الم ينظم خيرة شباب هذا الشعب ، الاعمال المسلحةضد كافة اشكال الوجود الامريكى ؟ أليس هو نفس اتجاه شعب كمبوديا ، الذى اكتسح معاقل العملاء ــ الخونة وطردهم من بنوم بن ؟ فلماذا لم يطق شعب كمبوديا اذن حكمأمريكا وعملائها، ولماذا قاتل من أول يوم ضد هذا الحكم اذا كان مفهما حقا بكل هذا الخير والازدهار والرخاء ؟ ولماذا قاتل ، ويقاتل شعب فيتنام ، أبدا ببطولةنادرة ، واستبسال منقطع النظير ،تخلصا من حكم الولايات المتحدة وعملائها ؟

لماذا قاتل هذا القتال المظفر المنيد تخلصا منهم ،اذا كانوا يحملون اليه حقا «المن والسلوى» والنيلات الفاخرة ، ومجتمع «الرفاهية» فى « الجنة الموعودة » و « فردوس الدولار » الذى يبشر به مايز حلاوة فى مصر ؟

اننا لا نقف ضد تحسين علاقات بلادنا بأى بلد فى العالم بما فيها الولايات المتحدة الامريكية، لكننا لا نقبل امتهان كرامة وكبرياء الشعب المصرى على هذا النحو ، ولا هذا التزلف المتهافت الرخيص .

على انه اذا كان الرئيس انور السادات قد حدد موقفا جليا واضحا بشأن الاتحاد السوفيتى والشعب السوفيتى والصداقة المصرية ــ السوفيتية ، واوضح فى لقائه بوفد قيادات الشباب السوفيتى فى القاهرة فى ١٧ ديسمبر الماضى : « ان شعبنا فى مصر ، وشبابنا ايضا يعلم مدى نمو وازدهار العلاقة بين مصر والاتحاد السوفيتى ، ولقد تعاونا سويا فى بناء القاعدة الصناعية فى مصر ، وتعاوننا ايضا فى بناء السد العالى ، كما تعاونا فى مجال تزويد مصر بالاسلحة السوفيتية ، ومازالت مجالات التعاون واسعة بين بلدينا » و « ان الصداقة المصرية ــ السوفيتية قد صمدت للمصاعب والعواصف الكبيرة ، واثبتت انها صداقة متينة » ، واعرب للشعب السوفيتى الصديق عن كل شكر ومحبة مصر ، وحرصنا على ازدهار هذه الصداقة ونموها باستمرار » .

واذا كان قد أكد فى رسالته الى شباب مصر والاتحاد السوفيتىفى ٩ ديسمبر الماضى «ان مصر تقدر قيمة الصداقة بين الشعوب ، وتعمل باستمرار على ازدهارها وتدعيمها » و « ان صمود جماهيرنا الشعبيةايمانا بحقها ،وتمسك الشعوب المحبة للسلام والتقدم ، وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى الصديق ،قد استطاع ان يحطم كل مخططات العدوان والسيطرة الاسرائيلية» .. و « اننا هنا فى مصر نقدر موقف كل الشعوب الصديقة التى وقفت معنا ، ولاتزال تقفمجانبنا، وفى مقدمتها الاتحاد السوفيتى الصديق والذى اكدت معاركنا ،ومعارك غيرنا ،انه يقف باستمرار بجانب قوى التحرر فى العالم » .

واذا كان قد أكد ايضا تلك الحقيقة البالغة الاهمية وهى « ان الصداقة العربية ــ السوفيتية هى بالنسبة لنا فى مصر صداقة مبدأ واستراتيجية خدمة لمصالح بلدينا ، وتحقيقا لارساء قواعد العدل والسلام والتقدم فى العالم » . واوضح « ان العلاقة مع الاتحاد السوفيتى ، علاقة مبدئية ، وليست مجرد انتهاز فرص او صداقة ظروف » .. و « ان المساعدات التى قدمها الاتحاد السوفيتى لمصر ، امر يعرفه كل مصرى .. وكل شاب مصرى » .

اذا يشكل كل ذلك حقا ، حكما مسبقا واضحا ، على كل تلك التهجمات والافتراءات والاساءات التى وجهتها نحبة كاريوكا وفايز حلاوة ضد هذا الشعب ، وذلك البلد ؟

واذا كان رئيس وزراء مصر ايضا قد اعرب لنفس الوفد السوفيتى حينذاك ، عن رأيه الجلى الواضح ، بالنسبة لمواقف الاتحاد السوفيتى، والشعب السوفيتى ، بقوله : « لقد وقفت شعوبكم السوفيتية العظيمة ، ووقفت قيادتكم الباسلة مع الشعب المصرى ، وقيادته الحكيمة

المناضلة ، ومع الامة العربية **فى احلك اوقات المحن والازمات** ، وترجمت شعوبكم وقيادتكم هذه الوقفة ، الى **تأييد سياسى** ، **ودعم عسكرى** ، **وعون اقتصادى** ، هذا التأييد والدعم ، لا يقاس بحجم ، ولا يفهم ، فى ضوء الارقام الجامدة الصماء » « ان شعبنا المصرى العربى يقيس التأييد بمعناه ، وبما **يرمز اليه من قيم ودلالات** ، ويعرف **الوفاء** للصديق ، لانه صديق **مخلص وامين** ، ولان **الصداقة قيمة بناءة** ، ولان **الاخلاص معنى ايجابى** ، يستلهمه شعبنا من عقائده ، وتراثه ، وحضارته ، التى تواصلت خطاها عبر الاف السنين » .

لذا فاننا نريد ، بعد كل ذلك ، ان نعرف حقا حكم فايز حلاوة النهائى على الشعب السوفيتى والاتحاد السوفيتى ، وعلى كل تلك القيم ، ذلك الحكم النابع حقا من « عقائدنا وتراثنا وحضارتنا » والذى يتفق مع قيمنا الاخلاقية ، وعرفاننا ، ونود ان نعرف ايضا ، كيف اعرب حقا فى النهاية عن كل هذا القدر من التقدير المصرى والوفاء ، وعن كل هذا التدفق من المشاعر الودية المخلصة الدافئة ، وذلك بالكلمات نفسها التى نطق بها فى مسرحه دون رمز ، او مواربة .

هكذا نجد فى النهاية ، الروس هؤلاء الذين تحدث **الرئيس السادات** عن **تعاونهم المخلص معنا** ، وعن **صداقتهم المتينة لبلادنا** ، والذين اعرب لهم عن **كل شكر ومحبة مصر** ، **وتقديرها لقيمة صداقتهم** ، **فى المقدمة من كل صداقاتنا** بشعوب العالم ، والتى تعد **«مبدايةواستراتيجية»** بالنسبة لنا ، بما تضمنته من مساعدات « **كل مصرى** ، **وكل شاب مصرى** » يعرفها حق قدرها ، هؤلاء الروس الذين تحدث رئيس وزرائنا حينذاك عنهم : **كشعب عظيم** ، **وقيادة مناضلة** : **ناصرتنا فى احلك اوقات المحن والازمات** » ليسوا فى نظر فايز حلاوة وتحية كاريوكا — وبالكلمات نفسها التى نطقوا بها على مسرحهم — سوى روس « **حيوانات** » ، و « **كلاب** » ، و « **بهائم** » و « **اولاد كلب** » « **يستحيل التفاهم معهم** » : « **حيوانات صديقة** ، **وبهايم جاية من روسيا** » الى آخر تلك البذاءات التى اطلقوها طول العرض . وكل ذلك على سبيل المثال فقط لا الحصر ، خاصة اذا أردنا الا نذكر بعض البذاءات التى يعاقب على نشرها ، الرقيب على الاداب العامة .

على هذا النحو ، نجد ان الشعب العظيم الذى انجب **لينين** ذلك الاعجاز فى الذكاء البشرى ، وتلك العبقرية السياسية ، **صاحبة اعلى رقم فى التوزيع حققه انسان** منذ فجر الكتابة ، والذى انجب **ستالين وجوكوف** بطلى الحرب العالمية الثانية ، ومحطمى الفاشية الهتلرية فى قلب برلين ، ومحررى اوروبا من عبودية النازى ، هذا الشعب الذى حطم **نابليون بونابرت** عندما ارتدى الامبراطور الفرنسى ثياب المعتدى والغازى ، والذى انجب عددا من اعظم الادباء على مدار التاريخ الانسانى ، **تولستوى** العظيم الذى كان خطوة الى الامام فى مضمار التقدم الفنى للبشرية جمعاء ، والذى انجب عبقريات **دوستويفسكى** ، **وتشيكوف** ، **وجوجول** ، **وجوركى وتشايكوفسكى** ، واعظم رائدات العالم فى الباليه **بافلوفا — اولانوفا — بليسيتسكايا** . واصحاب الاعمال الخالدة فى الفن السينمائى — **ايزنشتين وبودوفكين** ، وفى المسرح **ستانسلافسكى** والعلماء الموهوبون **بافلوف وميتشورين** ، وعشرات غيرهم فى كل مجالات العلم والادب والفن ، هذا الشعب الذى انجب ايضا اول ابطال وبطلات الفضاء ، نموذجا مشرقا لشباب العصر ، **جاجارين — تيريشكوفا** وعشرات غيرهم ، والذى يحتل المرتبة الاولى فى العالم ، فى انتاج **الصلب** ، **والالات** ، **والاسمنت** ، **والبترول** ، **والجرارات** ، **والقاطرات الكهربائية** ، وصانع **اسرع سيارة فى العالم** ١٦٠٠ كم ، **واطول مدى لصاروخ عابر للقارات** ، والذى يحظى بتقدير واحترام حتى اعدائه ، قد تحول هنا على مسرح تحية كاريوكا وفايز حلاوة الى مجموعة من **البلهاء والحمقى والمشوهين المشعثى الشعر** ، الذين يرتدون **الشورت** ، ويطلقون صرخات **هستيرية مفاجئة وغامضة** ، تثير الضحك والسخرية والازدراء .

ان شعبنا بكل وفائه واخلاصه وتاريخه ، برىء من مثل هذه الاعمال الدنسة ، والذين يعتقدون ان الشعب المصرى قد انتهى ، وبلغت بهم الجراة والافتئات ، ان يمجدوا اعداءه علنا ، ويهيلوا على اصدقائه التراب ، واهمون اشد الوهم . ولن تجدى محاولاتهم قط . لان للاتحاد السوفيتى ، وللشعب السوفيتى هنا ، رصيد صداقة وود اكثر بكثير من مجرد الاحتقار الذى تثيره بعض سواقط الهزل المسرحى .

تخطىء تحية كاريوكا اشد الخطأ ، اذا اعتقدت ، هى وفايز حلاوة ان شباب مصر يحتاج الى قيادتهما الروحية ، ليعلمانا درسا فى الغدر الرخيص المبتذل فبعض الراقصات لم يحددن ابدا دساتير الشعوب الاخلاقية ، ولا اشرف قيمها النبيلة .

واذا كان نايز حلاوة قد شن هجماته ؟ وصب لعناته باسم « بصرية زائفة » على اليسار المصرى ، وتلك قضية اخرى ضخمة لا تستحق ثمن الرد عليها . فالامر المؤكد ايضا ، ان اليسار المصرى لا ينتظر ارتطاق براءات الوطنية من فرقة تحية كاريوكا .

وانه لمن سخرية القدر حقا ، من سخرية القدر بكل تاكيد ، هذه الايام ، ان نضطر فى مصر النبيلة العظيمة ، للدفاع عن قيمنا ومثلنا السياسية العليا ، وعلاقات بلادنا ، المبدئية والاستراتيجية بالشعوب والثورات العظيمة ، والدفاع عن كبرياء هذا البلد ومبادىء شعبه من أولياء والعرفان ، أمام تهجمات بعض تلميذات بديعة مصابنى ، وخريجات شارع محمد على .

○ حـــول تطـــوير
المؤسسة الثقافية العمالية

جمال عبد الوهاب محمد *

يقدم جمال عبد الوهاب محمد سكرتير عام النقابة العامة لعمال التجارة ومسئول التثقيف بها اقتراحات لتطوير مؤسسة الثقافة العمالية .. وتأييدا واستكمالا لهذه المقترحات كتبت الطليعة تعقيبا حول هذا الموضوع .

صدر عن المؤسسة الثقافية العمالية دراسة حول تطوير المؤسسة الثقافية العمالية سبتمبر سنة ١٩٧٤ وذلك بناء على قرار السيد وزير القوى العاملة وأمين اماتة العمال باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى ورئيس مجلس ادارة المؤسسة الثقافية العمالية .. برقم ٤٧ فى ٨ ـ ٨ ـ ١٩٧٤ الذى يقضى بتشكيل لجنة لتطوير العمل بالمؤسسة الثقافية العمالية من السادة :

١ ـ الدكتور ابراهيم الغمرى ابراهيم
الاستاذ المساعد بالمعهد القومى للتنمية الادارية
ـ رئيسا

٢ ـ السيد / عبد المجيد غنايم
الأستاذ الزميل بالمعهد القومى للتنمية الادارية

٣ ـ السيد / احمد عبد العزيز الشرقاوى
الخبير بمعهد التخطيط القومى

٤ ـ السيد / على يحيى مصطفى
الاستاذ المساعد بالمعهد القومى للتنمية الادارية

٥ ـ السيد / عزت عبد النبى غازى
الخبير بوزارة القوى العاملة ـ اعضاء

وحدد القرار اختصاصات اللجنة فى اتجاهين أساسيين :

الاول : وضع اسس وأساليب تطوير العمل بالمؤسسة الثقافية العمالية خاصة فيما يتعلق بتحديد الاحتياجات الثقافية للعمال والبرامج التى يمكن من خلالها اشباع هذه الاحتياجات وأسس

* السكرتير العام للنقابة العامة لعمال التجارة ومسئول التثقيف .

وقواعد تقييم البرامج والدارسين ووضع الاسس التخطيطية لنشاط ومسئوليات المؤسسة .

الثانى : دراسة مشروع اعادة التنظيم المقدم من الاستاذ عبد السلام الحمادى مدير عام الادارة العامة للتنظيم والتدريب بوزارة القوى العاملة .

ولنا على هذه الدراسة بعض الملاحظات نجملها فيما يلى :

من حيث القرار رقم ٤٧ فى ٨ ـ ٨ ـ ١٩٧٤

١ ـ ان هذا القرار قد اغفل اشراك أى من القيادات العمالية على كافة المستويات حتى مسئول التثقيف والتدريب بالاتحاد العام لعمال مصر والمنوط بمتابعة أعمال المؤسسة الثقافية العمالية .

وهذا فى رأينا يدل على أن السلطة لا تزال تنظر الى العمال على أنهم لم يصلوا بعد الى درجة من النضج تمكنهم من تطوير وادارة مؤسساتهم أو حتى على الاقل الاشتراك مع آخرين فى عمليات التطوير والادارة .. هذا بالرغم من العبر المديد الذى تطمئه الحركة النقابية على طريق النضال الشاق والمرير فى ظل ظروف اجتماعية وسياسية غاية فى القسوة . والذى اثبت فى كثير من المواقف انهم على درجة عالية من النضج والوعى بالتاريخ وبحركته ..

هذا من ناحية القرار رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٤ . أما من الخطوط الرئيسية لعمليات التطوير من واقع الدراسة التى أعدتها اللجنة المذكورة والتى أودعتها مجلدا ضخما يفوق فى حجمه دليل مصلحة التليفونات .. ونود أن نشير الى أن هذه الدراسة قد تجاهلت أن مهمتها كما هو ثابت من القرار رقم ٤٧ لسنة ١٩٧٤ وضع أسس وأساليب تطوير العمل بالمؤسسة فيما يتعلق بتحديد الاحتياجات الثقافية للعمال .

وفى هذه النقطة بالذات وهى تحديد الاحتياجات عن ما هى احتياجاتهم . ومن أجاباتهم الموقرة كيف تعرفت على هذه الاحتياجات وكيف تمكنت من تحديدها ؟ ان أبسط القواعد العلمية فى هذا الشان توجب سؤال الناس أصحاب هذه الاحتياجات عن ما هى احتياجاتهم ، ومن أجاباتهم يمكن تحديد احتياجات هؤلاء الناس .

وقد كان على اللجنة ان توجه بالاسئلة والاستفتاءات والاستقصاءات الى العمال على كافة مستوياتهم للتعرف على الاحتياجات الثقافية والتعليمية لهم التى تعد بصدق ووفق أسس علمية وموضوعية احتياجاتهم الحقيقية .. وهذا ما لم تفعله اللجنة وبذلك تكون قد خرجت عن الاسلوب العلمى الذى رسمته لنفسها والذى أوهمت القارىء بانها تلتزم به ..

واذا تركنا هذه الناحية واطلعنا على القرار للتعرف على المهمة الثانية للجنة فنجدها هى تحديد البرامج التى يمكن من خلالها اشباع هذه الاحتياجات ؟

وواضح من صياغة هذا النص انه لم يتم قبل صدور القرار تحديد لهذه البرامج بطريقه علمية وهذا حق ، اذ لم تجر دراسة علمية موضوعية منذ انشاء المؤسسة ، حتى الان لتحديد البرامج والموضوعات التى تشبع هذه الاحتياجات ؛ اذ ان هذه الدراسة مرتبطة ومترتبة على المهمة الاولى التى لم تتم أيضا .

ولكن هذه اللجنة التى نسبت لنفسها قد رأت خارقة للعادة وفوق الطبيعة اذ اعطت لنفسها القدرة على معرفة الغيب وكشف ما فى الصدور فبعد أن تعرفت بقدرة قادر وبطرق غريبة بعيدة عن الواقع ومجافية للمنطق العلمى على تحديد الاحتياجات الثقافية للعمال تسامت بنفسها وبقدراتها الخارقة هذه الى تحديد البرامج الثقافية وعلى كافة المستويات .فقامت بالحذف والاضافة والتغيير والتبديل فى البرامج ، بل وفى المعاهد فقامت بحذف معاهد واضافة معاهد أخرى لا نعرف لذلك سببا ، الا امزجة اصحاب هذه الدراسة وتهيؤاتهم ..

أما المهمة الثالثة التى جاءت فى القرار فهى **« تحديد أسس وقواعد تقييم البرامج والدارسين ..** ويبدو أن اللجنة فى زحمة عملها لم تلتفت الى هذه المهمة .. والا لكانت قد امدتنا بنتائج جهودها فى هذا المجال .. فاننا لم نجد دراسة علمية لهذه المهمة بالرغم من خطورتها ..

أما بالنسبة لوضع الاسس التخطيطية لنشاط ومسئوليات المؤسسة . فان هذا البند للحقيقة قد نال قسطا كبيرا ووفيرا من البيانات والاحصاءات بشكل مكثف كما لو كانت الدراسة معدة لهذا البند من مهام اللجنة فقط ..

وقد حفل بدراسة وفيرة عن الوضع التنظيمى للمؤسسة وقدمت كثير من المقترحات والحلول .. فمثلا النظام الوظيفى (الوظائفى) للمؤسسة الذى اعتبرته اللجنة مشكلة المشاكل .. فراحوا يطوعون الوظائف وينشئون المناصب ويخلقون مراكز وظيفية ، ويصنعون لها المقاييس ، والاسطمبات التى تصادف هواهم . فجاءوا كل الوظائف القيادية والادارية والفنية لذوى المؤهلات العليا،خصوا حملة المؤهلات الاقتصادية والتجارية

النصيب الاكبر من هذه الوظائف ·· كما لو كانت الدولة قد انشأت المؤسسة الثقافية العمالية من أموال العمال الغلابة حيث يخصص ٣ الى ١ حصيلة إيوال الغرامات والجزاءات التى تقتطع من اجورهم الهزيلة على مدى مايترب من ١٥ سنة ولا يزال لكى تقدم الوظائف والمناصب للسادة حاملى المؤهلات العليا ،فالعمال يناضلون ويتعبون ثم يدفعون والسادة يقبضون !

ونقدم بعض الامثلة فقط حيث لايتسع المجال لتغطية هذه المناصب والوظائف التى صنعتهـا اللجنة وصاغتها على مقاسات محددة لا يشغلها الا حاملى المؤهلات العليا فقط ، ومن يـريد الاستزادة نحيله الى الدراسة نفسها ، وعلى وجه التحديد الفصل الثالث ـ توصيف الوظائف ص ١٢٩ وما بعدها ··

ومن هذه الامثلة :

وظيفة المدير العام للمؤسسة :

الشروط :

مؤهل جامعى (تجارة ، اقتصاد) وخبرة لا تقل عن ١٧ سنة فى مجال التثقيف العمالى وحضوره دورة تدريبية فى الادارة العليا ينظمها احد المعاهد الحكومية ·

أو : دكتوراه فى الادارة أو الاقتصاد فى مجال النشاط العمالى وخبرة ٥ سنوات على الاقل فى مجال نشاط المؤسسة ·

وظيفة مدير ادارة بحوث وتخطيط الثقافة العمالية ·

الشروط :

مؤهل جامعى (تجارة ـ اقتصاد ـ اداب ـ حقوق) خبرة لا تقل عن ١١ سنة فى أعمال تتناسب مع اختصاص الوظيفة ، ويفضل الحاصلون على مؤهلات فوق الجامعية (دراسات عليا ويفضل من حضر دورة متقدمة فى التخطيط من احد المعاهد الحكومية) ·

ـ اجادة احدى اللغات الاجنبية (الانجليزية ـ الفرنسية) ·

ـ اتمام دورة تدريبية فى الادارة من احد المعاهد الحكومية التى تنظمها المؤسسة للعاملين بها · وبالمثل فى **وظيفة رئيس قسم التخطيط والمتابعة ، ورئيس قسم البحوث والنشر ورئيس قسم الاحصاء ورئيس وحدة التنظيم والإدارة ورئيس وحدة العلاقات العامة** ·· الخ كلها تشترط المؤهل العالى ··

واذا انتقلنا الى الوظائف الخاصة بقطاع التثقيف ـ فنجد أن وظيفة نائب المدير العام لشئون التثقيف تشترط مؤهلا جامعيا مناسبا وخبرة ١٤ سنة ، منها على الاقل ٥ سنوات فى التثقيف العمالى او التدريب الادارى واتمام دورة تدريبية فى

اذا تركنا هذه الوظيفة الحساسة على حد تعبير الدراسة الى توصيف الوظائف التى يشرف عليها سيادة المدير العام ·

وظيفة مدير ادارة بحوث وتخطيط الثقافة العمالية ·

الشروط :

مؤهل جامعى (تجارة ـ اقتصاد ـ اداب ـ حقوق) خبرة لا تقل عن ١١ سنة فى أعمال تتناسب مع اختصاص الوظيفة ، ويفضل الحاصلون على مؤهلات فوق الجامعية (دراسات عليا ويفضل من حضر دورة متقدمة فى التخطيط من احد المعاهد الحكومية) ·

ـ اجادة احدى اللغات الاجنبية (الانجليزية ـ الفرنسية) ·

ـ اتمام دورة تدريبية فى الادارة من احد المعاهد الحكومية التى تنظمها المؤسسة للعاملين بها · وبالمثل فى **وظيفة رئيس قسم التخطيط والمتابعة ، ورئيس قسم البحوث والنشر ورئيس قسم الاحصاء ورئيس وحدة التنظيم والإدارة ورئيس وحدة العلاقات العامة** ·· الخ كلها تشترط المؤهل العالى ··

واذا انتقلنا الى الوظائف الخاصة بقطاع التثقيف ـ فنجد أن وظيفة نائب المدير العام لشئون التثقيف تشترط مؤهلا جامعيا مناسبا وخبرة ١٤ سنة ، منها على الاقل ٥ سنوات فى التثقيف العمالى او التدريب الادارى واتمام دورة تدريبية فى

تعليق

الثقافة العمالية يجب أن تكون مؤسسة عمالية

ان ما كتبه الزميل جمال عبد الوهاب السكرتير العام للنقابة العامة لعمال التجارة ، عن اتجاهات القيادة الجديدة لمؤسسة الثقافة العمالية ، هو رأى يعبر عن مجمل الحركة النقابية المصرية بكل اتجاهاتها ، أنها تريده جده القيادة الجديدة للثقافة العمالية ، فهى تريدها عملية ببروقراطية بعيدة تماما عن التنظيم النقابى العروض انه القائد كل نشاط يخص العمال . وهى تريدها مؤسسة ببروقراطية تعود بالفائد والفائدة على مجموعة من أساتذة الجامعة ، والمثقفين من أبناء الطبقة الوسطى لتحسين هالتهم المادية وهى كذلك ـ وهو المهم ـ تريد ان تفرض فكرا داخل الحركة العمالية وتنظيمها النقابى ، هو فكر الطبقة الوسطى التى تسمى دائما لفرض وصايتها على الحركة النقابية بحجة ان الحركة النقابية « قاصر » يجب فرض الوصاية عليه . وهو أمر يدل على جهالة تامة بتاريخ الحركة النقابية المصرية التى يبلغ عمرها الفضائى والفظيعى ثلاثة ارباع قرن !

والحقيقة ان مؤسسة الثقافة العمالية بقيادتها الحالية قد ضربت عرض الحائط بتوصيات الحلقة الاولى للثقافة العمالية ـ والتى انعقدت فى بغداد فى الفترة من ١ الى ١٠ ابريل ١٩٧٢ ، والحلقة الثانية المعقدة فى بيروت من ١٧ ـ ٢١ سبتمبر ١٩٧٣ .

وقد جاء فى توصيات الحلقة الاولى عن رسالة الثقافة العمالية ·

« فرسالة الثقافة العمالية هى تطوير تراثنا الثقافى ، وتنقيته بين الثقافات الدخيلة ، التى مرضتها الطبقات المستغلة المرتبطة بالاستعمار والمصهيونية لفصل محتوى ثقافة العمال فى ميادين العلوم الاجتماعية او الثقافات الفنية والعلمية ·

وأن نعمل على نفير القيم الإجتماعية التى اورثتنا اياها مجتمعات الرأسمالية والاقطاع والخلق ولصلح العمال بتهيئهم الثقافة على نقيل ما هو جديد ومفيد ، وتدعيم اتصالاتها بالثقافات التقدمية ، وتجاوز مظاهر القدرية والعفوية التى دعتها الثقافات الرجعية ، ولدعوية العمال بإدارات الاستعمار ، والصهيونية والإنظمة الرجعية وبقاياً العهود السابقة العميلة ، ولتبشيرها للمجتمع

الادارة العليا فى أحد المعاهد الحكومية .. وبالفعل وظيفة أمين مكتبة ووظيفة مراقب عام شئون المناطق ووظيفة مدير منطقة .. وهكذا حتى نصل الى وظيفة رئيس مركز ..... وأيضا وظائف المعاهد : فوظيفة مراقب عام شئون المعاهد ووظيفة مدير معهد فوظيفة رئيس شعبة ومماثل فى الوظائف الخاصة بقطاع الأمانة ، فجميعها يشترط فى شاغلها ان يكون من حملة المؤهلات العليا .

ويلاحظ أيضا على هذه الدراسة انها نظرت الى المؤسسة الثقافية العمالية على أنها مؤسسة اقتصادية شأنها فى ذلك شأن اى مؤسسة اقتصادية أخرى ولم ينظر اليها على أنها مؤسسة تربوية ذات طابع خاص ، وانها تؤدى خدمات ثقيفية وتعليمية لفئة من جماهير الشعب لها الوزن العددى والثقل الحضارى ، والميراث الفكرى المتراكم ...

ونلاحظ كذلك أن الدراسة لم تهتم بانشاء قنوات اتصال بين الجهاز التنفيذى ومجلس ادارة المؤسسة بل لم تضع فى اعتبارها أى وجود لهذا المجلس ولم تحاول أن تحدد اى ترسم خطوطا بين المجلس وبين الجهاز التنفيذى ، وهذا فى رأينا يشكل خطورة كبيرة يجب تنبيه الاذهان الى القائمين الان على العمليات التى يطلقون عليها تطوير المؤسسة .

ويمكننا القول انه لم يعد لمجلس ادارة المؤسسة أى وجود أمام هذا التنظيم الذى بشرت به هذه الدراسة المشئومة .

وفى الجملة فان هذه الدراسة لا تمثل الواقع ولا تعبر عنه ، وان ماوصلت اليه من نتائج وبخاصة فيما يتعلق بالاحتياجات التثقيفية للعمال والبرامج والمناهج التى تغطيها ولا يمكن الاعتداد بها ونرفضها فى جملتها وتفاصيلها ،اذ كما يضح لنا انها لم تقم على دراسة علمية وموضوعية للواقع ولم تصدر عن أصحابها وانما جاءت بطريقة بعيدة عن المنهج العلمى الذى أعلنت اللجنة التمسك به ..

ان الامانة العليا تتطلب أن تعد استفتاءات مقننة ومدروسة توجه الى العمال على اختلاف مستوياتهم للتعرف على الاحتياجات التعليمية والتثقيفية فى كل مجال من مجالات التثقيف .

وانما من موقع احساسنا بالمسئولية التاريخية نعلن رفضنا لهذا الاسلوب وهذا المنهج الذى سارت وتسير عليه هذه اللجنة ونطالب السيد الوزير رئيس الإتحاد العام لعمال مصر ورئيس مجلس ادارة المؤسسة الثقافية العمالية ان يعيد الى هذه اللجنة رشدها وان يوقف عمليات تبع المؤسسة العمالية واعادة تشكيل لجنة أخرى للدراسة والتطوير يتحقق فيها الخبرة من المتخصصين فى مجالات التثقيف العمالى وتربية الكبار مع الجادات العمالية والثقافية اصحاب المصلحة الحقيقية فى عمليات التطوير والمستهدفين لخدمات المؤسسة .

الجديد العربى على بناء الاشتراكية ، وأن يمارس العمال دورهم الطليعى والقيادى » .

كما جاء فى نص التوصيات عن اجهزة الثقافة العمالية على المستوى القطرى العربى :

« واذا كانت الحركة الثقافية سيدة مصيرها ، فانه ينبغى لها ان تكون هى المهيمنة على اجهزتها الثقافية ، وذلك بأن تؤكد انها جزء لا يتجزأ من الحركة الثقافية وأن تعمل على استغلالها فى بعض الاقطار العربية التى لم يتحقق فيها ذلك . وان تضمن العمال — كاجراء عملى — الاغلبية المطلقة فى مجالس ادارتها — بحد أدنى — كى تتاح لهم الفرصة لحمايتها من تسرب الثقافة المعادية لمصالحهم ، وان تؤكد ان ذلك لا يحول دون استعانتهم بين يرون من المفكرين والخبراء فى حالة الحاجة الى الاستعانة بهم .

« ولا يكفى ان تكون الغلبة بمجالس ادارتها من العمال ، بل لابد من ان تعد لها النظم الادارية والفنية من العمال ايضا ، وان تعمل على وضع التشريعات الكفيلة بها ، ويخرج بها عن مجال الخبرة الادارية (المحايدة) .

والحقيقة المرة — هو ان القيادة الادارية والفنية الحالية ، هى قيادة غير مؤمنة بوعى العمال المصريين وحركتهم الثقافية . وهى تريد الاجهاز على مؤسسة الثقافة العمالية كمؤسسة من مؤسسات الحركة الثقافية العمالية ، وتحويلها الى شركة من شركات المقاولات العامة ، وهى تضرب عرض الحائط بكل رأى أبدته الحركة الثقافية المصرية والعربية فى مجال الثقافة العمالية .

والآن .. انتها بمسئولية الحركة الثقافية المصرية وبيعة خاصة بمسئولية السيد صلاح غريب رئيس الاتحاد العام للعمال وأبين العمال بالاتحاد الاشتراكى العربى ، فى اعادة الثقافة العمالية الى احضان الحركة الثقافية ، انها مهمة السيد صلاح غريب ، ان يعيد الأمانة التى سلمها الى د. ابراهيم الشورى ابراهيم الى أصحابها . فالثقافة العمالية هى مؤسسة عمالية بالدرجة الأولى .

« المطليعة »

نقـــرأ أبـــو الفتـــح

.. ونحترم فرغلى « باشا »

فيليب جـلاب

احمد ابو الفتح لايمل من ادانة كل ماانجزته ثورة يوليو دفاعا عن أصحاب الملايين . وفى المقابل ـ كما يوضـح فيليب جلاب ـ يتسامى المليونير السابق والباشا السابق محمد فرغلى عن كل ما أصابه شخصيا فى التأميمـات ، ويدافع بموضوعية عن الدور الايجابى والبناء للقطاع العام .

كتب السيد **محمد فرغلى** احـد كبار رجـال الاعمال من أصحاب الملايين السابقين مقالا فى **الاهرام** [١٩٧٥/٤/١٤] بعنوان « القطاع العام مظلوم » ، يعـد نموذجا نادرا فى التواضـع والشرف والموضوعية والقدرة الخارقة على تجاوز المصالح الانانية والالام الذاتية .

والسيد محمد فرغلى كما هو معروف كـان واحدا من اثنين احتكرا تقريبا [قبل الثـورة تصدير الاقطان . وكان واحدا من مجموعة تعد على الاصابع وتملك بنفوذها وثرواتها ادارة دفة الحكم صراحة او من وراء الستار .

وهو من القـلائل الذين جردتهم الاجراءات الثورية من ثرواتهم مع اتاحة الفرصة لهم بأن يواصلوا الحياة براتب شهرى متواضع ، يقـل كثيرا عن دخله اليومى عندما كان مليونيرا واحد « الباشوات » المرموقين .

ولسنا بصدد تلخيص مقال السيد فرغلى الذى يستحق أن يعاد طبعـه وان يقرأه ويسـتوعبه الكثيرون . لكن بعض فقرات المقال تكفى فيما نحن بصدده الان .

يقول : « ان عددا ممن عملوا فى القطاع الخاص ارتكبوا الـكثير من الاغلاط ولـكنهم لم يتعرضوا للانتقاد على أساس انهم كانوا يجنون ثمرة عملهم سواء نجاحا او فشلا . ولم تـكن الانظار موجهة الا الى القلائل ممن وفقوا ، كما أن الكثيرين افلسوا وبالطبع لم يعلم عن سوء تصرفاتهم وعدم حظهم ومأساتهم الا القليلون » .

ثم يضيف : .. « ومما يؤسف له أن الانتقادات الموجهة الى القطاع العام تعمم بينما من المؤكد أن عددا غير قليل من مؤسساته تجرى ادارتها بطرق ممتازة . وهذا ينطبق مثلا على تصدير الاقطان ... » .

ويقول : « لا يعلم الـكثيرون أن عـددا من مصانع القطاع العام تعمل بخسارة ، ليس لعدم كفاءة المشرفين عليها او لعدم صلاحيتها ، ولكن لان الدولة ترى أن المصلحة العامة تقتضى بأن تباع منتجات تلك المصانع بأقل من سعر التكلفة مساهمة منها فى تخفيف أعباء المعيشة » .

ثم يلخص ـ فى جملة ذات مغزى ـ [لعله يوجهها لاولئك الذين لا يعنيهم من أمر الوطن الا نهب ثرواته] أذكى ملاحظاته قائلا : **«ولا يساورنى أى شك أنه لولا انجازات القطاع العام لكانت معركة الصمود أشـد صعوبة وقسوة ، ولـولا معركة الصمود لكان من المتعذر الاقدام بثقة تامة وروح عالية على حرب السادس من أكتوبر ، واتمام منجزاتها الرائعة . ويكفى أن نتذكر ذلك حتى نشعر بحتمية القطاع العام »** .

ورغم أن السيد محمد فرغلى كان من اصحاب الملايين ، الا انه ادرك مالم يدركه الكثيرون من العاطلين بالوراثة ، وكبار اللصوص والسماسرة وعملاء رأس المال الاجنبى . لقد ادرك حتمية القطاع العام او حتمية العـدالة الاجتماعية فى مجتمع فقير . فحيث يسمح بنمو الثروات الى درجة الملايين ـ أو ما يقترب منها ـ يسـمح ايضا بأن يكون ذلك من جيوب وعلى حسـاب آلاف العاملين من المعوزين والفقراء والمتوسطين الذين لا يدخرون جهدا فى العمل ليل نهار .

ولانه من المستحيل أن يصل أحد الى جمع مئات الالوف عن طريق «العصامية» والكد والعرق فقد اصبح من المألوف الان ترديد المصطلحـات القديمة المستهلكة التى تعطى للمسميات معـان اخرى مختلفة . فالمضارب «عصامى»، واللصوص والسماسرة وتجار السوق السوداء «أذكياء» .. والذين يريدون « حقهم » فى نهب الشعب المصرى

والعودة الى مجتمع ماقبل الثـورة من انصـار « الاقتصاد الحر » .. !

... وهكذا لم تمض اكثر من ثلاثة ايام على نشر السيد محمد فرغلى لمقاله المذكور ، حتى اعاد الاستاذ احمـد ابو الفتح نشر « افـكاره » القديمة التى لم يمل تكرارها ولم « تمل » صحفنا من نشرها . ولنتأمل الفارق الكبير بين المقالين :

فبينما يقول فرغلى « بحتمية القطاع العام » وان معظم نقاط الضعف فيه « قابلة للعلاج » ، يؤكد ابو الفتح ان الكثيرين « يعتقدون ان ... الاصلاح غير ممكن نظرا لتعقد المشاكل ولتراكمات خلفها الحكم الماضى » !

اما التأميم ، وهو اساس القطاع العام ، فهو فى نظر ابو الفتح « حملة طائشة من التأميمات والحراسات هزت الاقتصاد المصرى هزا عنيفا »

لكن ابو الفتح لا يترك احدا فى حيرة ازاء المغزى الحقيقى لهذا « الطيش » فقد طالب فى مقاله او برنامجه السياسى برد « الحقوق التى اغتصبت فى الماضى والتى نهبها اصحاب الثقة الى اصحابها الحقيقيين » .

لقد كان المتوقع ، من رجل مثل فرغلى «باشا» ان يحاول انتهاز الفرصة ليطالب ايضا «بأمواله» او بعضها ، خاصة وانه تحول من مليونير الى موظف يتقاضى راتبا شهريا ، كما لم يعرف عنه « الذكاء » اللازم لتهريب بعض امواله الى الخارج او الحصول على بضعة ملايين من مصادر خارجية مقابل اعمال تعد من الجرائم المؤكدة فى حـق مصر وشعبها .

امـا بعض الذين يمتلكون المـلايين داخل او خارج مصر ، ولم يطالبهم احد حتى الان بالكشف عن مصدرها فلهم رأى آخر .

... ومن اجل هذا ، وغيره من الاسباب ، نشعر بعظيم الاحترام والتقـدير للباشا السابق السيد محمد فرغلى . فقد كانت لديه كل الاسباب الشخصية لان يطلق على ثورة ٢٣ يوليو اسم « الحكم المـاضى » ، وان يسمى عـودة بعض الحقوق الى الشعب المصرى « اغتصابا » ... وان يرى فى تهريب الاموال الى الخارج والحصول عليها من اى مصـدر « حرية انتقـال رءوس الاموال » ...

... لكنه شأن المصريين ذوى الـكبرياء لم تلوثه ثروة هائلة سـابقة ، ولم يفقـده توازنه عودتها الى اصحابها الشرعيين . اليس جديرا بالاحترام ؟ .

● من أحـــد « جحـافل أنصـــاف المتعـلمين » الى أحمـــد أبـو الفتـــح

عبد المنعم محمد بدوى ★

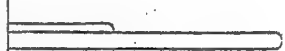

وعنـدما اتهم « احمد ابو الفتح » خـريجى الجامعات بأنهم جحافل من انصاف المتعلمين : لم يحاول ان يقلل من نسبة المقولات الخاطئة فى مقاله .. ويفتح بذلك الباب امام مقاتل آخر من مقاتلى حرب اكتوبر ليرد عليه معددا ماوقع فيه من اخطاء .

يتساءل احمد ابو الفتح عن ما هى الاشتراكية المصرية .ويتمنى لوحددنا معالم النظام الاشتراكى فى مصر ... طبعا .. عشرون سنة خارج البلاد .. بالتأكيد لم يكن يتتبع اخبار مصر ، ولم يحاول معرفة شىء عنها .. والا لما سأل هذه الاسئلة ..

ثم هو بعد ذلك يقسم الاشـتراكية الى نوعين ؟ اولهما المطبق فى الاتحاد السوفيتى او الصين ؟ والثانى فى السويد وانجلترا .. وهو بذلك يبين عن جهل فاضح بالنظم الاشتراكية ... مدعيا ان ملكيـة الدولة لبعض المرافق او الانشـطة

[★] مهندس بمصانع شركة النصر للاجهزة الكهربائية والاليكترونية ومقاتل شارك فى حرب اكتوبر .

الاقتصادية تعنى الاشتراكية . وهذا جهل بطبيعة النظم الاشتراكية .. وحتى يستطيع الاستاذ ابو الفتح ان يستوعب الاجابة على تساؤله ولكى يصحح معلوماته .. نصيحتى له ان يقرأ اولا تاريخ الفكر الاشتراكى .. واسس الاشتراكية العلمية وما هى الفروق بين النظام الاشتراكى والنظام الراسمالى .. وذلك حتى تكون عنده الخلفية السليمة فى الحكم على الانظمة المختلفة .. وارى كذلك ان يقرأ مواثيق الثورة ابتداء من الميثاق حتى برنامج العمل الوطنى .. ولابد له من هذه القراءات رغم حقده الدفين على النظم الاشتراكية بصفة عامة وعلى ثورة ٢٣ يوليو بصفة خاصة .. وذلك عملا بالقاعدة التى تقول « اعرف عدوك » وحتى لا يتورط الاستاذ الكبير فى استنتاجات عقيمة مبنية على فهم خاطىء .. وحتى لا يتعامل مع تلك القضايا الضخمة والمعقدة بتلك السطحية غير الواعية .

والحقيقة اننى لم اكن اتصور اطلاقا انه وهو الذى كان مسئولا فى يوم من الايام عن احدى الصحف الكبرى فى مصر يقول : — « وكان مفهومى لما نادى به **الرئيس** انه يريد اقامة نظامين للاقتصاد المصرى : الاول هو القطاع العام والثانى هو القطاع الخاص ... » .. نظامان للاقتصاد فى بلد واحد .. يا للحسرة ! وهل تسمى القطاع العام او الخاص نظام اقتصادى ؟ .. الم يكن اولى باحمد ابو الفتح ان يتواضع ويخرج من حجرته بفندقه الفاخر ليسأل احد تلاميذ الثانوى .. ليعطيه المسميات الحقيقية بدلا من هذا الخلط العقيم .. اننى لا املك الا ان اقول ان نشر مثل هذه الاراء اهانة لنا نحن المصريين .. واستهتار بعقول القراء .

لقد كان من الممكن ان نغفر له رأيه فهذه ارادة الله .. لولا انه اخذ يتعالى ويصف خريجى الجامعات بانهم « جحافل من انصاف المتعلمين الذين لا يفيدون ولا يستفيدون » .. وبالله عليكم ! هل من يقول ان السويد او انجلترا تطبقان نظاما اشتراكيا هو المتعلم الكامل ؟ ... هل من ينادى باقامة نظامين للاقتصاد فى بلد واحد .. من الممكن ان يفيد او يستفيد ؟ .. الحكم لكم .

ثم يأتى احمد ابو الفتح ليقول كلاما له دلالة خطيرة تفصح بوضوح — وبدون لبس عن نواياه تجاه النظام الاقتصادى للبلاد . ففى مجال الخطة والتخطيط يقول « الخطة والتخطيط يجب ان يقتصر اثرهما على القطاع العام .. اما **المصريون** فيكون لهم الحق فى اقامة المشروعات دون رقابة » .. واهم ما نلاحظ هنا هى كلمة [المصريون] ..

فهو يتكلم عما لو كان القطاع العام ما هو الا قطاع اسرائيلى داخل النظام يجب ان يكون فى جانب ، والمصريون فى جانب آخر .. ثم هو يكرر نفس المعنى حينما يقول « تطرح الحكومة فى كل او غالبية مشروعات القطاع العام حصة من الاسهم **للمصريين** ، وبذلك يشترك **الشعب المصرى** فى الاشراف وتمويل هذه المشروعات .. » .. ما حكاية المصريين هذه ؟ .. ان المراقب ليكاد يحار .. اننى فى حدود معلوماتى المتواضعة — وبصفتى من العاملين بالقطاع العام — اعرف ان كل رؤساء مجالس الادارة والمديرين والعاملين بهذا القطاع من المصريين . فمن هم المصريون [الاخرون] الذى ينادى استاذنا باشرافهم او تمويلهم له ؟ ..

ثم ما هذا التناقض .. لقد رأينا انه يريد ان يقصر الخطة والتخطيط — يعنى خطة التنمية — على القطاع العام وحده .. ثم نراه فى موضع آخر يبشرنا بان القطاع الخاص هو الذى « سيساهم مساهمة فعالة فى بناء الاقتصاد القومى » .. كيف ؟ وانت تطالب بان يكون له الحق فى اقامة المشروعات دون رقابة او تخطيط ... لقد كان اولى بالكاتب الكبير ان يقرأ رسالة **الرئيس السادات** الى **رئيس مجلس الشعب ورئيس مجلس الوزراء** الذى حدد فيها بوضوح ما هو المقصود بالانفتاح وما هو دور القطاع الخاص .. يقول **الرئيس** : — « اننا نعنى بسياسة الانفتاح دعم القطاع العام وتنشيطه وتحريره من قيود البيروقراطية ، ورفع كفايته الانتاجية .. وننظر الى القطاع الخاص على انه احد المكونات الاساسية لاقتصادنا علينا ان ننشطه ونشجعه **ونوجهه نحو تنفيذ اهداف الخطة والتنمية** .. »

ثم اننى احب ان اوضح للصحفى الكبير ان مصر الان امامها تحديان : هما قضية التحرير وقضية التنمية .. وهما قضيتان متلازمتان لابد لكل مصرى ان يشارك فيهما .. وطبعا يعرف الاستاذ ان قضية التنمية حتمية بالنسبة لقضية التحرير ومن لا يشارك فى التنمية فلن يكون له دور فى قضية التحرير اللهم الا اللجوء الى المخابىء عند سماع صفارات الانذار .. الا اذا كان هذا الدور يكفيه .

واخيرا احب ان اعود الى قضية انصاف المتعلمين الذين لم يفيدوا ولم يستفيدوا .. وهنا اود ان يضيف الاستاذ الكبير الى معلوماته ان انصاف المتعلمين هؤلاء هم الدم الجديد الذى دخل القوات المسلحة .. فعبروا القناة وحطموا خط بارليف .. هم الذين عملوا على اعقد الاجهزة الالكترونية فتساقطت الطائرات الاسرائيلية بصورة ذهل لها العالم اجمع .. هم الذين قادوا

الطائرات والدبابات والمدافع واحـــدث الاسلحة المختلفة .. فحققوا بذلك نصر اكتوبر الذى غير وجه العالم واخل بموازين القوى فيه .. ويستطيع احمد ابو الفتح ان يرى هذه الجحافل فى مراكز البحث العلمى ومؤسسة الطاقة الذرية .. فى مجمع الحديد والصلب ... فى شركات الغزل والنسيج .. فى مصانع الاجهزة الالكترونية .. فى مراكز الحاسبات الالكترونية .. فى معركة التعمير فى مدن القناة .. فى مجمع الالومنيوم بنجع حمادى .. فى اى شبر من أرض مصر .. لقد اتضح لى اخيرا السبب الذى مـــن أجله لم تستطع أكثر من عشرة اذاعات معادية ان تؤثر على الرأى العام فى مصر ولا على مسيرة مصر الثورة .. السبب بسيط جدا وهـــو ان الكاتب الكبير وامثاله كانوا يتحدثون من خلالهـــا .. وسارت القافلة ولسوف تسير .

○ أيـة حـــرية هـــذه ؟!

سهام هاشم ★

وتسأل «سهام هاشم» المحررة بوكالة انباء الشرق الاوســـط « اية حـــرية هذه ؟ » وتقدم فى تعليقها على هذا السؤال عددا من الحقائق الجديرة بالتأمل ..

لا يختلف اثنان ـ مهما كان الخـــلاف او الاختلاف بينهما ـ على أن تكاليف المعيشة أصبحت تنوء بها كاهـــل اية اسرة مصرية دخلهـــا فـــوق المتوسط ، فضلا عن الاسر ذات الدخول الاقل فالاقل .

ويمكن القول ، أن الفئات التى تستطيع مواجهة أعباء المعيشة ـ بدون معاناة وبدون الاضطرار الى التنازل عن الكثير من الضروريات ـ تعد الان على أصابع اليد الواحدة ، وبالتحديد هى فئات التجار والسماسرة والمرتشين والمختلسين .. هؤلاء الذين سموا أخيرا و « تأدبا » بذوى الدخول الطفيلية . كما ان هناك بعض الاطباء الذين يمكن ضمهم الى هذه الزمرة .

ولكن ـ والحق يقال ـ تطالعنا الصحف كل يوم فى عناوينها الرئيسية بتصريحات لـــلاجهزة المسئولة ، تؤكد فيها أنها تعتزم « **فرض عقوبات رادعة على أصـــحاب الدخـــول الطفيليـــة** » وأنها « **ستشدد العقوبة على تجار الســـوق السوداء** » وأن « **قانون الكسب المشروع ســـوف يطبق بكل حزم** » . وهناك أيضا نداءات أخرى تنشرها الصحف تهيب بالمواطنين أن يتعاونوا مع الاجهزة المسئولة للارشاد والتبليغ عن التجار الجشعين لانزال هذه العقوبات الرادعة بهم .

فاذا انتقلنا الى أرض الواقع فسوف نجـــد المواطنين ـ كل المواطنين ـ حيارى لا يمكن لأى منهم أن يشترى سلعة واحدة بسعر واحد من أثنين من المحلات ، حتى اذا كان كل منهما الى جوار الاخر . ويتلفت كل مواطن حوله ، فتصيبه الدهشة حينما يجد هؤلاء التجار الجشعين يتزايد عددهم يوما بعد يوم ـ رغم توعد الحكومة لهم ـ وتزدهر تجارتهم بشكل لم يسبق له مثيل ، فضلا عن المحال الجديدة التى يحتفل بـــافتتاحها ، بـــالورود والرياحين ، وينفق على ديكوراتها الاف مـــن الجنيهات التى لا يمكن أن يكون صاحبها قد ألقى بها فى اليم بدون أن يكون واثقا تماما من أنه سيستردها مضاعفة وفى مدة وجيزة . وأذكر هنا على سبيل التحديد محال البقالة والاحذية .

وهنا ينبغى طرح السؤال التالى : **ما معنى هذا كله ؟** هل فى الامر لغز من الالغاز ؟ ويا ترى هل الاجهـــزة المسئولة جـــادة بـــالفعل فـــى اعتزامها « الضرب بشدة » على أيدى تجار السوق السوداء وذوى الدخول الطفيلية ؟ واذا كان الرد بالايجاب فما الذى يمنعها اذن ؟ ما الذى يمنع جهازا يقال له « جهاز الاسعار » من تحديد سعر لكل سلعة ـ كبيرها وصغيرها ـ بعد حســـاب تكاليف انتاجها ونقلها وتحديد ربح معقول للتاجر طبقا لظروف كل محافظة أو حتى كل منطقة ؟ **ان دستورنا ينص على أن مصر دولة اشتراكية** . وقد

(★) محـــررة بوكالة انبـــاء الشرق الاوسط »

شاءت ظروف عملى أن أعيش عامين فى احدى الدول الاشتراكية ورأيت بعينى كيف تصل كل سلعة الى يد المستهلك ، وعيها بدأت تحدد تكاليف انتاجها وتاريخه ، ثم سعرها لكل مستهلك ، وتتساوى فى ذلك جميع السلع من القلم الرصاص حتى الاجهزة المعمرة مثل الثلاجات وبقية الاجهزة المنزلية . وبهذا الطريق وحده أمكن اصابة هدفين معا . أولهما : أن السلطة بهذا الشكل تثبت حضورها كسلطة مسئولة امام الشعب وأمام التاجر . وثانيهما أنها تساعد كل مواطن على معاونتها فى الكشف عن كل تاجر يتجاوز التسعيرة المفروضة . وبهذا وحده تثبت اجهزة الدولة أنها تضع يدها فى يد جماهير الشعب الكادح من أجل « الضرب بشدة » على أيدى المحتكرين وتجار السوق السوداء ، من أجل أن يكون دخل كل مواطن دخلا فعليا يستفيد بكل فرش فيه فى تدبير أمور معيشته ، لا أن يكون مجرد دخل صورى سرعان ما يذهب الى أيدى التجار والسماسرة لكى يزدادوا ثراء ، وتزداد ممتلكاتهم من عمارات وشقق مفروشة وسيارات أجرة .. الى آخر القائمة المعروفة من الممتلكات التى أصبحت « موضة العصر » فى مصر ، والتى يعيش أصحابها فى مستوى من البذخ والرفاهية يثدى كل الشرفاء فى هذا البلد ..

دور الصحافة

وينبغى التساؤل هنا : ما هو دور الصحافة وأصحاب الاقلام ازاء هذه الظواهر ؟ هل الامر يتلخص فى أن تكون الصحف ، ويكون الصحفيون مجرد « سعاة بريد » ينقلون وجهات نظر السلطة الى الشعب ، بكل أمانة وموضوعية ؟ ثم ينقلون بكل « دقة » أيضا بمعاناة جماهير الشعب الى الاجهزة المسئولة ؟

أم أن دور الصحافة هو مجرد « تبرير » لما تتخذه السلطة من اجراءات ؟ أم أن دورها يقتصر أساسا على شن الهجوم تلو الهجوم ضد مختلف الاجهزة لتقاعسها عن أداء واجبها ازاء الجماهير الكادحة ؟

فى رأيى أنه اذا اقتصر دور الصحافة على أمر واحد من الامور الثلاثة السابق الاشارة اليها ، انما تكون قد تخلت عن الدور المنوط بها ، وسقطت كمهنة أراد لها قدرها أن تحمل على عاتقها أمانة الكلمة عبر الاجيال المتعاقبة . ولا يمكن — والامر كذلك — أن توصف هذه الصحافة وبهذا الشكل بأنها صحافة واعية بمسئوليتها ، ولا أن يوصف أصحاب الرأى فيها بأنهم ملتزمون بقضايا الشعب والوطن . ذلك أن الوطنية لم تعد تعنى مجرد تحرير للارض من مستعمر أجنبى ، ولا هى مجرد حب شبق لقرب هذا الوطن ، ولاهى ايضا تعليم ثابتة جامدة ، وانما هى وبالدرجة الاولى ارتباط بالجماهير الغريضة وحب مطلق للشعب . وهى كذلك دراسة أمينة لمعطيات الواقع من الصراعات الاجتماعية بين مختلف الفئات وأبراز المتناقضات بينها لكى يكون ذلك بمثابة دفع نحو الحل الامثل والحتمى لاية دولة نسامية وهو « الحل الاشتراكى » .

ومن كل هذا المفهوم نستطيع أن نقول ان دور الصحافة وذوى الاقلام الشريفة يتركز اساسا فى أن يكونوا « موصلا جيدا » — أن صح هذا التعبير — بين الاجهزة المسئولة من جهة وبين الجماهير من جهة أخرى . فبينما يمكن القول ان الصحافه اساسا وبالدرجة الاولى هى التعبير عن ضمير المجتمع ومتطلباته ، فهى أيضا وبالدرجة الثانية تعبير عن التحديات التى تواجهها السلطة أو يواجهها الحاكم .

ومن هذا المنطلق فان دور الصحافة يكون من الخطورة بحيث تكون هى المسئولة عن أى خلل يعترى العلاقة بين الاجهزة المسئولة والشعب ، سواء كان هذا الخلل على شكل انفصال بينهما أو فى صورة انعدام الثقة بين كل منهما .

وفى غمرة هذا كله ، يظهر كتاب فى الاسواق بعنوان « الماركسية والاسلام » ولست هنا بصدد نقد هذا الكتاب فربما تفرد لهذا الغرض صفحات أخرى . ولكنى أستطيع أن أؤكد أن هذا الكتاب يتضمن تجنيا واضحا على كل من الاسلام والماركسية معا .

ولا أستطيع أن ألزم أن يبلدورى دفع هذا التجنى عن الاسلام ، فالاجدر بهذا هم رجال الدين المواقفون — بدقة — على روح الاسلام ونصوصه . ولكن ، يمكن القول — بوضوح هنا — أنه بقدر ما كان الدين ثابتا وملزما فى فرض العبادات بصفتها تاكيدا مستمرا للصلة بين الخالق وعباده ، فان الدين — على الجانب الاخر — قد عنى ، سواء فى الكتاب الكريم ، أو فى الاحاديث الشريفة — قبل أن يعدنا أو يتوعدنا بالديار الاخرة — نقول ... عنى بتدبير أمور دنيانا من بيع وشراء وميراث وعلاقات اجتماعية وغيرها . ولذلك ، وبمن هنا — فقط — كان الدين الاسلامى الحنيف آخر الاديان وأفضلها جميعا ، لانه لا كهنوت فيه ولا نصوص جامدة . وانما هو دين يصلح لكل زمان ومكان من حيث كونه دين علم ، ودين عمل ، ودين عدالة بالدرجة الاولى .

كذلك ينبغى هنا ان اسجل اننى لست بصدد الدفاع عن الماركسية ولا عن الدول التى طبقت المذهب الماركسى . فما وصلت اليه هذه الدول من تقدم على الصعيدين العلمى والاجتماعى غنى عن اى دفاع ، بل وأصبح هذا التقدم فوق منطق اى مغالط يحاول نكرانه او اى مغرض تراوده احلام عودة عجلة التاريخ الى الوراء . ولكنى اقول اننى عندما قرأت الكتاب ـ وهو يدور حول مفهوم الحرية الانسانية ـ رأيت الدكتور مصطفى محمود يقع فى مغالطة غريبة يثبت فيها ان الحرية ليست هى ان نحب ماناكله ، والا كان الحيوان اكثر حرية من الانسان .. !! هكذا وفى الربع الاخير من القرن العشرين توضع القضية بهذا الشكل .. واعتراضنا على هذه القضية هو ان الماركسية لم تقتصر فى تناولها لمفهوم الحرية على حرية الانسان فى ان يجد ما ياكله ، ولكنها عنيت بحياة الفرد والمجموع فى الغذاء والكساء والعلاج والتعليم والثقافة سواء فى الطفولة والصبا والشباب والشيخوخة . هذا بالاضافة الى اننا ينبغى أن نقولها صريحة جلية : انه لانجاز كبير حقا ان يتحرر الانسان اساسا من ربقة المعاناة فى الحصول على لقمة العيش وذل الحصول على العلاج وهوان الامية والجهل .

والواقع اننى لم استطع ان امنع نفسى بعدما قرات كتاب « الماركسية والاسلام » من تذكر صورة كنت اراها يوما خلال فترة اقامتى بالعاصمة السوفيتية وأعنى بها صورة الشعب السوفيتى وهى تقف ارتالا لشراء الاسطوانات والورود وتذاكر باليه مسرح البولشوى . ويبدو انه كان على ازاء هذه الصورة ان الغى عقلى واشعر بالاسى والحزن على هذه الجماهير البائسه التى اجالتها الماركسية الى « مجرد عبيد للقمة العيش » . واتذكر على الجانب الاخر انسانا جاهلا بلا مأوى يتضور جوعا بينما المرض ينهش احشاءه ولكن يكفيه فخرا وفخارا انه يستطيع ان يجأر ويقول « انا حر » . . ! !

○ وظيفة الاعلام .. وشجاعة الرأى عند على أمين

ماهر سامى ★

وتفتح الطليعة صفحات الرأى والرأى الاخر لصحفى شاب هو الاستاذ ماهر سامى رئيس تحرير مجلة الشباب ليتحدث عن وظيفة الاعلام وشجاعة الرأى عند على امين

كتب الاستاذ على أمين عموده اليومى «فكرة» الذى ظهر يوم الاربعاء ١٦ ابريل مرحبا بوزير الاعلام الجديد بعد ان اكدت له مصادره العليمة ببواطن الامور ـ خاصة انه يتمتع بمواهب وقدرات خاصة فى معرفة اخبار الغد قبل وقوعها ـ انه قد تم تعيين وزير جديد للاعلام بدلا من الدكتور احمد كمال ابو المجد . وطرح على أمين تصوره عن الاعلام المطلوب فى عهد الوزير الجديد بعد ان كان الاعلام سطحيا وتافها وثقيلا ومملا فى عهد الوزير السابق . وتم جمع حروف المقال بالمطبعة . ولكن الاحداث جاءت على غير ما توقع الصحفى الكبير وضد ما كان يشتهى . وبقى وزير الاعلام فى موقعه . فاسرع على أمين برفع بعض العبارات من مقاله حتى يغدو متمشيا مع الوضع الجديد . وظهرت « فكرة » بعد التعديل لتبدو صالحة مع الاحوال المفاجئة التى لم تكن فى الحسبان .

★ رئيس تحرير مجلة الشباب .

كان الاستاذ على أمين فى جميع أحواله « جامعزا » دائما لكل الاوضاع والمواقف والاحتمالات . كان رجلا « تحت الطلب » لديه كل المقدمات التى تناسب جميع الظروف .

ويصرف النظر عما يكون لدى الصحفى الكبير من مشاعر أو مواقف شخصية مع وزير الاعلام لم يستطع أن يخفيها حتى يتحقق من سلامة اخبار مصادره ، فاننا نسأل فى البداية اذا كان من الشجاعة أن يكتم الصحفى رأيا يظل حبيسا فى داخله — وهو يملك أن يعلنه احتراما لامانة الكلمة فى أى وقت — ثم يجهر به بعد غياب من يتصل به هذا الرأى عن ساحة العمل العام .

أما الذى نشره الاستاذ على أمين فى كلمته بعد التعديل فيحتاج منا الى وقفة هادئة وموضوعية نناقش فيها أفكاره ومطالبه .

يرى الاستاذ على أمين أن محور العمل الاعلامى فى مصر كلها هو الاذاعة والتليفزيون وحدهما وانه حتى فى هذين الجهازين فان وظيفة الاعلام المصرى يجب أن يكون شاغلها الوحيد أن تكرس كل جهودها فى اعداد برامج الترفيه والترويح للمستمعين والمشاهدين .

من أجل هذا يكون اقرب الى مواصفات الشخص الذى يقترحه الاستاذ على أمين ليتولى مسئولية الاعلام — ان يكون واحدا من أبرز نجوم الكوميديا فى مصر ، أو أحد اصحاب الفرق المسرحية الشهيرة التى تجيد فن الترويح عن المشاهدين . يرى الاستاذ على أمين أن الذى يتربع على عرش الاعلام فى مصر يجب اختياره لخلافة نجيب الريحانى الذى تربع على عرش الكوميديا سنوات طويلة — حتى يمارس مسئولياته فى تسلية الناس والترفيه عنهم بالقدر المطلوب .

وفى عبارة اكثر تحديدا وتركيزا فان الاستاذ على امين يريد تعيين وزير « للانبساط والفرفشة » ربما اقتداء ببعض النظم النيابية والحكومية التى يكتب عنها كثيرا — ولا نعرف فيها شبيها للمسئول الذى يقترحه .

ونسى الصحفى الكبير ان اجزاء مقدسة من تراب مصر لازالت فى قبضة العدو الاسرائيلى ، وأننا اصحاب قضايا وطنية وقومية وعالمية ، ودعاة مبادىء وقيم ورسالات ، وان لدينا مشاكل وهموما واحلاما كثيرة وعريضة .

نسى الاستاذ على أمين ان رسالة الاعلام المصرى تتجاوز — كثيرا وبعيدا — رسالة الترويح والترفيه وانها وظيفة كلية وراى وشرف ومبدأ ، وعمل دائب دائم متصل مع شعوب وحكومات ومنظمات عالمية .

ونسى الاستاذ على أمين وظيفة اضحاك الناس لاينبغى أن تدخل ضمن مسئوليات وزير الاعلام ، وسيغدو هذا الوزير اكثر وفاء بالامانة عندما يجعل للكلمة قيمة ، وللرأى احتراما ، وعندما يرسى تقاليد مقدسة للعمل الصحفى ، وعندما يكون حارسا لحرية الكلمة ومدافعا عن شرفها ومقاتلا من أجلها .

ثم نحن نثق ان شعبنا لا يريد وزيرا للاعلام يضحكه ويسليه بقدر ما يحتاج الى رجل يصون حريته فى الرأى وحقه فى الكلمة ، يحسن التعبير عن قضاياه وعرضها على شعوب الارض كلها ، لا يزور الحقائق ولا يستخف بعقول الناس ولا يضحكها قليلا ثم يضحك عليها طويلا .

ان شعبنا يتطلع الى قيم وتقاليد نظيفة وشريفة فى ابداء الرأى — حتى لو كان مخالفا — لا تفوح فيها أعطان الحقد ورذائل الهوى والشماتة ولقد آثرنا ان نطرح على الملأ أفكار الاستاذ على أمين كلها ، الذى نشره منها والذى كان معدا للنشر ولم يظهر نتيجة سوء الاحوال الاستكشافية فى تبنؤات الاستاذ على أمين حتى تعرف مصر كلها مدى ما يتمتع به على أمين من شجاعة فى الرأى وثبات على المبدأ ...

ارايتم حال ابطال حرية الصحافة فى بلدنا .

فكـرة !

الاعلام هو علم وفن وخبرة ، ولهذا يفشل فيه الهواة ويتعثر فيه الادعياء !

والمطلوب من وزير الاعلام الجديد ازيعيد الاعلام المصرى العلم والفن والخبرة ... ويخلصه من الفهلوة ، والتعسف والسطحية !

واول شروط الاعلام ان يكون خفيف الدم ، حتى يجتذب المستمع الى الاذاعة، وحتى لا يقفل المشاهد التليفزيون !

والاعلام عندنا كأن ثقيل الدم !

والقائمون عليه لا يتكلمون بلا اتفاق ! ثقول أعدائهم حتى يعلمها القسس ويكررونها ما يقولون ، ويتصورون أن المستمعين أغبياء !

وغيرهم الاعلام يقولون أن المستمع الحديث لايطيق الاحاديث الطويلة .. فاننا فى عصر الاسلوب التلغرافى الذى لايغالى ولا يقاس فيه المتحدث بمترادفات زمان ! . انه يختلف عن مستمع زمان الذى كان وقته يتسع للمحاضرات الطويلة ، ويحتمل الملل والدوران مع الالفاظ الرنانة .

والمطلوب من وزير الاعلام الجديد أن

يأمر بالاحترام وقت القداس ! أن يرحم الجمهور من المحاضرات الطويلة ، ومن استقبالات الوزراء التى لاتنشرها الصحف

لقاهتها !

يطلب منه أن يستفيد بعدد من خبراء البرامج العالمية، ويطلب منهم أن يعلمونا كيف نختار برامج تربح أعصاب الناس، حتى نتخلص من البرامج التى تقصف العمر نريد منهم أن يعلمونا كيف نزيد سرعة برامجنا ، حتى نضحك هذا للبرامج التى تبطئ بسرعة السلاحف ولها تأثير المحبوب المؤوة !

والمطلوب من الوزير الجديد أن يفرك

الاذاعات لصغار الموظفين، ويركز وقته

على رسم الخطوط العريضة ،ويمنح كبار

الموظفين باقى السلطات من تعيينات

المذيعات الى اختيار الاغانى والتقاطيع!

المطلوب منه بعد ذلك أن يستفتى الشعب ، وأن يقدم له مايطربه ويسليه وما يفيده .. لا مايطرب معالى الوزير!

على أمين

« فكـرة » ، على امين التى لم تنشر واجرى عليها التعديل

فكرة !

الاعلام هو علم وفن وخبرة ، ويتعثر فيه الادعياء !

والمطلوب من وزير الاعلام الجديد ازيعيد الاعلام المصرى العلم والفن والخبرة .. ويخلصه من الفهلوة ، والتعسف والسطحية !

واول شروط الاعلام ان يكون خفيف الدم ، حتى يجتذب المستمع الى الاذاعة، وحتى لا يقفل المشاهد التليفزيون !

والاعلام عندنا كأن ثقيل الدم !

والقائمون عليه لا يتكلمون بلا اتفاق ! ثقول أعدائهم حتى يعلمها القسس ويكررونها ما يقولون ، ويتصورون أن المستمعين أغبياء !

وغيرهم الاعلام يقولون أن المستمع الحديث لا يطيق الاحاديث الطويلة .. فاننا فى عصر الاسلوب التلغرافى الذى لا يغالى ولا يقاس فيه المتحدث بمترادفات زمان ! . انه يختلف عن مستمع زمان الذى كان وقته يتسع للمحاضرات الطويلة ، ويحتمل الملل والدوران مع الالفاظ الرنانة .

والمطلوب من وزير الاعلام الجديد أن يأمر بالاحترام وقت القداس ! أن يرحم الجمهور من المحاضرات الطويلة ، ومن استقبالات الوزراء التى لاتنشرها الصحف لقاهتها !

يطلب منه أن يستفيد بعدد من خبراء البرامج العالمية، ويطلب منهم أن يعلمونا كيف نختار برامج تربح أعصاب الناس، حتى نتخلص من البرامج التى تقصف العمر نريد منهم أن يعلمونا كيف نزيد سرعة برامجنا ، حتى نضحك هذا للبرامج التى تبطئ بسرعة السلاحف ولها تأثير المحبوب المؤوة !

والمطلوب من الوزير الجديد أن يفرك الاذاعات لصغار الموظفين، ويركز وقته على رسم الخطوط العريضة ،ويمنح كبار الموظفين كل سلطاتهم الفنية ، يستفتى الشعب ، وأن يقدم له مايطربه ويسليه وما يفيده .. لا مايطرب معالى الوزير!

على أمين

« فكـرة » ، على امين التى نشرها بعد التعديل الذى يلائم « عودة » الوزير

اليسار المصرى
يحاور
توفيق الحكيم

نص مناقشات الجلسة الخامسة

ظرحت فى الجلسة الخامسة قضايا فكرية على جانب كبير من الاهمية .

فى بادىء الامر جرى الاتفاق — بدون صعوبة — بين توفيق الحكيم وبين المتحدثين فى الندوة على أن لثورة ٢٣ يوليو — كما لعبد الناصر — جوانب ايجابية ، وانجازات لا سبيل الى طمسها أو نكرانها ، لكن الخلافات داخل الندوة حول حجم السلبيات وتقييمها . فهناك :

— رأى يقول أن السلبيات تضخمت الى حد انه قد اصبحت تمثل نوعا من الردة او الخراب .

— رأى فان يقول ان البلاد دفعت ثمنا فادحا لهذه السلبيات وان ذلك قد تم بسبب ان مصر دفعت لان تقوم بمهام دولة كبيرة فى العالم العربى وعلى الصعيد الدولى ، وان هذا تم دون أن تكون هناك مؤسسات حقيقية للشعب .

— رأى ثالث ذهب الى ان ثورة يوليو يجب أن تقيم تقييما جدليا بالتعرف على محصلة الايجابيات والسلبيات ، وان هذه المحصلة تبين ان البلاد انتقلت فى عهدها الى مواقع متقدمة — عموما — داخليا وعربيا ودوليا .

ثـــورة يوليـــــو

مشـــاكل الفـكر والتطبيـــــق

غيـــر ان التـــركيز فـى النـــدوة ـ عند تقييم الايجابيات والسلبيات ـ كان على فكر عبد الناصر والفكرية التى تضمنتهاموائيق الثـورة ، وعلى مشاكل التطبيق والممارسة .

لقد اوضح النقاش ان فكر عبد الناصرتطور واكتسب ـ من خلال المعارك التى خاضها ـ من اجـل التنمية والتصـنيع مضمونا اجتماعيـا متقدما . لـكن نقطة الضعف فى فكرية عبد الناصر ظلت على الدوام متمثلة فى تحفظـه على الانفتـاح الـكامل على الفـكر الاشتراكى العلمى وتجارب البلدان الاشتراكية . لماذا حدث هذا ؟

كان هذا موضوع حديث خالد محيى الدين ...

لكن توفيق الحكيم يطـرح قضيـة جديدة تتعلق بالممارسة الثورية ، هى قضية المثل الاعلى السلوكى بالنسبة لقادة الثورة ، اى ثورة ، والى اى مدى يؤثر وجـوده وبدرجات مختلفة ـ سلبا وايجابا على تحول الثورة من عمل علوى الى قضية شعبية وجماهيرية بكل معانى الكلمة .

■ **لطفى الخولى :**

هـذه هى الجلسة الخامسة من جلسات الحوار الذى بدأناه مع أستاذنا توفيق الحكيم ولقد حاولنا فى الجلستين الثانية والثالثة أن نستشرف آفاق المستقبل وأى طريق نسلك : الطـريق الليبرالى أم الاشتراكى واختلفنـا حول اختيار الطريق وأن كنا قد اتفقنا على أن مصر التى نستشرفها هى مصر الاشتراكية .

وفى الجلسة الرابعـة بدأنا نفتـح ملف التجربة ــ واتفقنا على أن الفترة موضـوع التقييم تمتد من يوليو ١٩٥٢ الى سبتمبر ١٩٧٠ وفى مناقشة هـذه الفترة طرحت للتحليـل وللتقييم الافكار الرئيسـية التى تضمـنتها منشورات الضباط الاحرار ووثائق الثـورة وبعض خطب عبد الناصر .

وفى جلستنا الخامسة هذه نواصل تقييم التجربة والكلمة الان للاستاذ خالد محيى الدين .

■ **خالد محيى الدين :**

. أؤيد الطريقة التى عرض بها د . عبد العظيم تقييم التجربة . لكن الاحظ فقط أنه تحدث عن سلبيات ، ولم يتكلم عن ايجابيات ..

■ **د . عبد العظيم أنيس :**

لو سمحت لى أقاطع هنا ــ أنا متصور أنه هنى عن البيان فى كلامى ان ايجابيات الفكر فى ثورة ٢٣ يوليو ، والمعبر عنه فى الميثاق ،وعلى وجه الخصوص ، من زاوية الفكر والنضال الوطنى ، ومن زاوية التقدم الاجتماعى ،ومن زاوية البعد العربى ــ يعنى ايجابيات هـذا الموضوع أعتقد ــ فيما يتعلق بى ، أنى بوجهة نظرى ــ ليست محل شك . لكن ما هدفت اليه هو نقد الجوانب الفكرية التى اعتقدانها قاصرة، اما الايجابيات فهى كثيرة وليست محل خلاف.

■ **توفيق الحكيم :**

أيضا أضم صوتى فى هذا بأن الايجابيات لم تكن محل شك وخصوصا بالنسبة لى . لماذا ؟ لانه واضح من موقفى فى أول الثورة، وواضح من كلامى ،وواضح من كتاباتى، انى كنت متحمسا لها ، متحمسا للايجابيات طبعا ــ ولم يكن متصورا اننى أتحمس لسلبيات . أنا كنت من منطلق التفاؤل وخارج من مرحلة كنت أظنها ، او كتبت عنها ، انها ميئسة . وانا كنت انظرلها دائما نظرة النقد فى كتب مثبوتة منشورة .. ولما تلقيت ثورة ٥٢ على أنها الثورة المباركة، وكانت تمثل ايجابيات تثير حماسى ، فأنا الان لا محل، أبدا ، لان أتكلم عن ايجابيات . نحن أزرناها لذلك، ولا محل لتكرار هذا القول . نحن نتكلم عن كيف تحولنا ، وكيف حدث ما يسمى بـانقلاب ، وردة ... الخ . وفى التاريخ العربى نقرأ ان جماعة ردوا على عمر بن الخطاب : « نحن معك ما دمت مع الحق ونكون ضدك اذا أسأت الحكم » فأنا أنا كنت مع عبد الناصر ــ بكل قلبى ــ طالما الذى أمامى هو انجازات . ولكن عندما أجد فى البلد خرابا لا أستطيع أن أزيف وأقول ان هذا خير على البلد . فأنا نحن نبحث كيف أتى هذا الخراب ؟

■ **لطفى الخولى :**

فقط اريد فى آخر الجلسة أن أستفسر عن كلمة الخراب

■ **خالد محيى الدين :**

لم اقصد أن عبد العظيم أنيس لم يتحدث عن ايجابيات لكن أقول ، أنه تكلم اكثر عن السلبيات . وقد أوضح موقفه الآن . لكن أنا طبعا أقول وجهة نظرى . والتقسيم الذى قدمه موافق عليه ، وموافق على رأيه بأن فكر الثورة تطـور .

المرحلة الاولى فى فكر الثورة هى من ٥٢ الى ٦١ (ولو أن د . عبد العظيم اعتبرها مرحلتين) وهى مرحلة المبادىء الستة : القضاء على الاستعمار، والقضاء على الاقطاع، والقضاء على الاقطاع وسيطرة رأس المال على الحكم ، وعدالة اجتماعية ، وجيش وطنى ، والديمقراطية السليمة .

فى تلك المرحلة كان تفكير عبد الناصر منطلقا من ان هناك نظاما تقليديا وهو يريد فى نطاق النظام الرأسمالى ــ أن يقوم باصلاحه وأن يدخل عليه تغييرات . كان القادة يرون بعض المظاهر غير العادلة فى توزيع الثروة فى مصر . لكن فكرة التغيير الاجتماعى بصورتها

الكبرى التى ظهرت فيما بعد لم تكن قد اتضحت آنذاك ٠

■ لطفى الخولى :

هل كان تفكير عبد الناصر قبل ان يصبح قائدا لثورة ٢٣ يوليو بعد تفجيرها ـ اى خلال وجوده فى تنظيم الضباط الاحرار قبل تفجير الثورة ، هل فكره كان اكثر تقدما مما كان عليه بعد ان اصبح حاكما ؟

■ خالد محيى الدين :

الفكر قبل الثورة ، هذا شىء لا استطيع ان احكم عليه ٠ لانه ـ فى اجتماعاتنا ـ كان يوافق على الافكار التى كنا نعرضها ٠ لم يكن مطروحا ـ فى ذلك الوقت ـ برنامج اجتماعى للتغيير ٠ كلما كنا نسعى اليه هو برنامج وطنى ، وقبول مبدأ اصلاحات اجتماعية فى نطاق الموجود ٠ حتى الاصلاح الزراعى لم يطرح كمسالة واجبة ، بل حتى عزل الملك لم يكن واجبا ٠٠ الاتجاه الغالب هو اتجاه محافظ ، مع ميل الى التقدم ٠ وهنا لابد من التفرقة بين نوعين من الافكار ٠ فكر كانت تعكسه المناقشات الدائرة فى الغرف ٠٠ وفكر كان يتجسد فى خطب عبد الناصر أمام الجماهير ٠ وكان الخطأ الذى وقعت فيه أننى كنت أعول على المناقشات التى كانت تدور فى الغرف المغلقة وأعتبرها هى المحك والمؤشر ٠ ولكن المحك الرئيسى فى الحقيقة هو ماكان يعلن امام الناس ، لان هذا هو الذى يحدد الالتزام ٠

وعلى سبيل المثال : محاضر مجلس الثورة فيها امور او قضايا لم يكن من الممكن ان يتصورها انسان ٠ وفيها كان يتم قبول اشياء لكن عندما كان يأتى ليعلنها ـ أمام الجماهير ـ تتحول الى موقف آخر ، وهذا شىء طبيعى فى اى مناقشة ٠ ان القرار النهائى هو الذى يحدد محصلة الكل ٠

فكر الثورة ـ فى ذلك الوقت ـ كان قائما على ان هناك نظاما راسماليا ، لكن هذا النظام الرأسمالى يجب الا يطلق على عواهنه ، بل لابد من التدخل فيه يعنى نوع من التوجيه الرأسمالى ٠٠ ومن ثم تم تشكيل مجلس تنمية الانتاج القومى ٠ فالدولة تبدأ تدرس مشروعات لتساعد راس المال على انه يستثمر يعنى الدولة تلعب دورا هنا ، دور مفكر ، والدولة فى مصر كانت طوال عمرها تلعب هذا الدور ، من ايام محمد على ، هى التى اسهمت فى محاولة قيام الرأسمالية على عكس ما حدث فى بعض البلاد الاخرى ٠ ومن هنا كان للدولة المصرية دائما وضع متميز داخل النظام الاقطاعى والرأسمالى ٠

عبد الناصر ـ فى ذلك الوقت ـ كان اتجاهه هو المحافظة على النظام ، مع القيام بعدد من الاصلاحات الاجتماعية تمكن من استقرار الحكم ٠ وكانت خطوة الاصلاح الزراعى الخطوة الاولى ، والضرائب التى فرضت ٠ هذه المرحلة اسميها مرحلة الرأسمالية الموجهة ٠ وفيها حدد مجلس قيادة الثورة «ان النشاط الاقتصادى حر ، على الا يضر بمصلحة البلاد المطلقة ٠ لم يكن معنى هذا اننا سنقاوم رأس المال ، على العكس كنا نريد راس المال يعمل ، ويستثمر ، ويكبر ، ويعمل ثانية دون أن يستغل ، ودون أن يسعى للسيطرة على الحكم» ٠ وكان فى فكر عبد الناصر ـ فى ذلك الوقت ـ نقطتان اساسيتان : الاولى هى الا يخرج النشاط الراسمالى عن القوانين ؛ اى لا يسمح له بالسيطرة على الحكم ٠ نعم هو حريص على ابقاء النظام الاقتصادى ـ كما هو ـ ولكن كان يرفض أن تكون الدولة خاضعة للرأسمال ، اى ان الدولة تستطيع ان تلعب دورا مستقلا ، والدولة فى نظره دائما تستطيع أن تلعب دورا ٠ ولذلك كان يقول باستمرار : أنا لست ضد رأس المال ، بشرط الا يسيطر على الحكم ٠ وكان دائما يقول : انه من الممكن أن نتدخل ضد رأس المال فى الوقت المناسب ٠ ولكن هو مبقى عليه ، وعلى النظام الاقتصادى والطبقات السائدة اقتصاديا ، هى باقية .. وهذا الفكر استمر الى عام ١٩٦١ ـ وهذه المرحلة نسميها مرحلة الاقتصاد المختلط ٠ فيها قامت المؤسسة الاقتصادية ، وتم فيها تمصير جزء من الاقتصاد ، وتأميم جزء آخر بعد ٥٦ ٠ وبدأت المؤسسة الاقتصادية ـ بعد ذلك ـ تقوم ، هى ، بمشاريع ، وتشرك معها راس المال ٠ واعلنت انها سوف تبيع بعض مشروعاتها ، لكن لم يحدث أنها باعت بالفعل ٠ كان تفكير المؤسسة الاقتصادية أن تبيع للرأسماليين المشروعات الناجحة ، لكن عبد الناصر بدأ ـ هنا ـ يفكر فيما يسمى بالولاية الاقتصادية للدولة ، بجانب الولاية السياسية ؛

وكانت أدواته فى الناحية الاقتصادية ، المؤسسة الاقتصادية ، وكانت الاداة السياسية هى الاتحاد القومى • وقد عكست خطبه هاتين النقطتين : الاقتصاد المخطط ، واعطاء النقطتين دول ـ هذا ما يسمى بالاقتصاد المخطط دور للدولة لكين . وهكذا ففى عام ١٩٥٧ القى خطابا هاما جاء فيه :

« ان القيادة الاقتصادية هذه يلزم أن تكون موجودة للدولة التى لها الولاية التى تحمى كل طبقة من الطبقة الاخرى ، وكل صاحب مصلحة من صاحب المصلحة الاخرى • والحكومة هى التى تجعل التوافق كاملا بين جميع المصالح وبين جميع الطبقات ، فى نفس الوقت ، وفى سبيل سد الفراغ السياسى والاجتماعى بتكوين الاتحاد القومى • يعنى سد الفراغ بالعمل السياسى وبالاتحاد القومى ، كما قلت الان الاتحاد القومى الغرض منه خلق قيادات واعية لتكون فى الميادين السياسية ، وتكون أيضا فى الميادين الاقتصادية لاننا لا نستطيع فصل السياسية عن الاقتصاد » • هذا مانقله• ثم يضيف أنه :

« يجب تنسيق الاقتصاد العام مع الاقتصاد الخاص الرأسمالى ، مع الاقتصاد الزراعى للفلاحين ، مع الاقتصاد التعاونى » •

فهنا يقدم اربعة اشكال ويحاول التنسيق بينها فى ميادين متعددة : ميدان الادارة العامة الاقتصادية والتمويل بالمواد الاولية • وهذا يحتاج الى قيادة اقتصادية ـ كما يحتاج الى قيادة سياسية •

كان هذا هو الفكر المهيمن على جمال عبد الناصر • وفكر جمال عبد الناصر كان هو فكر الثورة ، لان عبد الناصر كان له دور متميز خاصة بعد ٥٦ • كان له دور تاريخى • ونحن نعلم ان الشخصيات التاريخية دائما يكون لها تأثير على الجماهير •

ونحن نعلم انه فى ذلك الوقت تمت الوحدة ، وتمت فكرة وضع مشروع السنوات الخمس الاول . وهو كان واضح فى مشروع السنوات الخمس الاول . وكان فكره ان الدور الاكبر فى التنمية سيضطلع به القطاع الرأسمالى ، فهذا كان أمرا واضحا ، وحتى الخطة الخمسية التى وضعها تبين أن نصيب عوائد التملك من الدخل القومى فيها كان أكبر •

وكان يتصور ان الرأسمالية يمكن أن تساهم على مضاعفة الدخل القومى فى ١٠ سنوات ، وفى هذا ، لجأ الى مجموعة بنك مصر وطلب منها النصيحة • وانتهى الى انه لكى يجبر الرأسمالية على المساهمة فى التنمية اصدر قانون الحد الاقصى للارباح فى يناير ١٩٥٩ ،على أن هذا القانون هو الذى دفع الرأسمالية الى أن تغير مسلكها ازاء النظام . لان الرأسمالية كانت تنمو وتكسب • ولكن عندما درس عبد الناصر الوضع الاقتصادى وجد ان الادخار الكبير موجود فى الشركات المساهمة فكيف يأخذ اكبر نسبة من هذه الاموال ليستثمرها فى التنمية • فقيل له انه لكى نواجه مجالس الجمعيات العمومية فالبد أن نضع فى الاعتبار أن المساهمين يريدون أرباحا ، والارباح التى لا توزع ، تثير شعورا بالغيض لدى المساهمين• فلابد من رفع النسبة الغير موزعة لكى يعاد استثمارها فى التنمية • ومن هنا فصحوه أن يصدر قانون الحد الاقصى للارباح وبمقتضاه لا توزع ارباح فى عام١٩٥٩ أزيد من عام٥٨ الا بـ ١٠ فى المائة وأكثر من هذا يتطلب اذنا من وزير الاقتصاد •

لكن هذا اعتبر من جانب الرأسمالية كأول تدخل فى البورصة ، وفى ميدان الصناعة • وانهارت البورصة ، وبدأت الرأسمالية تقاطع • فكانت النتيجة ان ٥٩ مرت وفى العام التالى تبت عدة اجراءات نبت عن الاتجاه القادم : وهو تأميم بنك مصر والبنك الاهلى ثم تأميم الصحافة سنة ٦٠ • وكل هذا أدى الى مزيد من التدهور فى موقف الرأسمالية •

كان فكره ـ فى ذلك الوقت يسير على نوع من الاقتصاد المخطط : دور أكبر للقطاع الرأسمالى ، ودور اقل للدولة • لكن الدولة تتدخل لحفظ التوازن • وهو ـ هنا ـ حريص على أن يكون للدولة وضع مستقل • هى ليست خاضعة للنفوذ الرأسمالى لكنها تحمى النظام • لم يكن النظام رأسماليا تقليديا ، بل رأسمالى موجه ، ولكن فى السلطة حكومة متميزة تحاول أن تقوم بدور هو فكره،كان دائما ان الدولة لها نوع من الاستقلالية •

■ د • عبد العظيم أنيس :

سؤال هنا : هل يمكن أن نقول أن طابع النظام فى هذه الفترة هو رأسمالية الدولة•

■ لطفى الخولى :

من الممكن أن د• عبد العظيم أنيس يريد أن يقول أنه نوع من « البونابارتيزم » فى بلد متخلف ؟ •

■ خالد محيى الدين :

لا أريد أن أقول أنه فوق الطبقات • عبد الناصر كان يقول أن الدولة غير خاضعة لنفوذ الرأسمالية • وهى حريص على ابراز استقلالية الدولة •

■ توفيق الحكيم :

يعنى هو كان أقرب الى أن يقول بالاشتراكية الوطنية أو الوطنية الاشتراكية •

■ خالد محيى الدين :

على العكس ، كان شعاره — فى ذلك الوقت — اسمه الاشتراكية الديمقراطية التعاونية • وبعد ذلك رفع شعار الاشتراكية العربية • وهذه المرحلة هى المرحلة الوحدوية ، وبرزت فيها شعارات الاشتراكية العربية ، والاشتراكية الديمقراطية ، وفكرة الدور الذى تلعبه الدولة ، والمصالحة بين الطبقات •

■ توفيق الحكيم :

انا كنت اريد ان اقول ان المرحلة التى تحدثت عنها وطرحت فيها مسألة الاستفادة من الرأسمالية فى تنمية الدولة ، هذه المرحلة ربما تشبه الاشتراكية الوطنية التى كانت موجودة فى المانيا ومضمونها استخدام الرأسمالية وقوتها فى تقوية الدولة عسكريا واقتصاديا •

■ خالد محيى الدين :

لا أعرف لأنى ضد التشبيه دائما • لكن أقول أن عبد الناصر — فى هذه المرحلة — لم يكن خاضعا للنفوذ الرأسمالى • هو كان يحافظ على النظام الرأسمالى ولكنه كان يتدخل فيه فى الوقت المناسب • لكن تدخل الدولة وضع حقيقة هامة هى انه عندما تملك الدولة مصادرها تتوافر لها استثمارات ضخمة للتنمية •

■ توفيق الحكيم :

هنا لعب ان اقول ، انه ربما كان تؤمن هذه الاستثمارات فى ايدى الدولة هو الذى دفع الامبريالية والصهيونية الى وضع خطط لاستنزاف قوة مصر الاقتصادية • وهنا أشير الى حرب اليمن • وقد أشار الى هذا لعلا عدد من الكتاب • أى هل استطيع — بعبارة أخرى — أن أقول : ان الامبريالية والصهيونية عندما رأت وجود رؤوس أموال ضخمة فى أيدى الدولة ، مع اتجاه مصر الى القومية العربية ، والى تأكيد زعامتها فى العالم العربى ، ربما تصوروا أن هذا سيؤدى حتما الى تصفية المصالح الامريكية وضرب اسرائيل بالقوة العسكرية • ولذلك لا يستبعد أنهم حاولوا ان يستنزفوا هذه القوة الاقتصادية فى حرب مثل حرب اليمن ، حتى لا توجه ضد اسرائيل •

■ خالد محيى الدين :

هذه المسائل ربما ستتضح فيما بعد • لكن اذا جئنا الى تأميم ٦١ ، فسوف نرى انه قد دعت اليه الضرورة لمواجهة التنمية ، ولمواجهة الموقف الاجتماعى ، الناشىء من فروقات الثروة • كانت حدة الصراع الطبقى مشتدة ، ووجد عبدالناصر أن هذا الوضع خطير (ومن صفات عبد الناصر انه كان يتنبها لقضية الصراع الداخلى وأخطاره) وعندما كانت الامور تصل الى نقطة الحسم ، كان عبد الناصر يختار دائما الحل التقدمى • لا أقول الحل التقدمى كاملا — لا — فهو نتيجة ضرورات اقتصادية ومواجهة خطة التنمية • لذلك قرر التأميم ٦١ ، ثم حسم الموقف فى ٦٢ • هذا التأميم الثانى حدد اتجاها فكريا أكثر تقدما • فبينما كان الاتجاه فى تأميم ٦١ دفع تعويضات ، فى ٦٢ أكمل التأميمات ، وصفى الباقى وقال لا تعويض أكثر من ٣٠ الف جنيه • وكلنا يعلم ان هناك ظروفا ساعدته على ان يحسم فى أتجاه التأميم فى ٦١ منها : الانفصال

واحتمال ضياع مركز مصر القيـــادى فى العالم العربى .

ثم هناك الميثاق الوطنى . وفيه ثلاثة ابواب رئيسية تحدد فكر عبدالناصر : الباب الثانى والباب الخامس والباب السادس . الباب الثانى وهو عن ضرورة الثورة ، وفيه يؤكد عبد الناصر أن الاساليب التقليدية لم تعد نافعة ، وانه لكى نواجه التخلف والتنمية ونقيم العدالة الاجتماعية، لابد من أسلوب جديد وحركـة جديدة . لماذا ؟ ـ لان الدنيا فيهـا تغييرات، حددها فى حركات التحرر ، واستقلال الدول ، وقيام المعسكر الاشتراكى ، وقيام مؤسسات كالامم المتحدة وعدم الانحياز . وقال ان البلاد النامية فى مقدورها أن تتطور وتتجه الاتجاه الاشتراكى ، وان هنـاك عـدة طـرق الى الاشتراكية بسبب الظروف الجـديدة . وعلى الرغم من كل هذا ، وعلى الرغم من أنه يعلن انفتاحه على التجارب الجديدة يعود ليقول انه لا يريد أن يلتزم فى بناء المجتمع بقوانين . وهو فى الواقع يقع فى خطأ لانه يعتبر الفكر والتجربة (النظام) شيئا واحدا ، مع انهما شيئان متميزان . وعلى سبيل المثال انا على مصر ، لا أقر أن أطبق التجربة أو النظام السوفيتى، ولا أستطيع أن أنقله الى أى بلد آخر . لكن أى نظام يقام له فكر ، واستطيع أن أطلع على هذا الفكر . ولكن اذا أخذنا هذا الفكر فلكى يطبق ويطوع للتجربة المحلية ، وفق الظروف الخاصة . عبد الناصر لم يكن مقتنعا بانه يمكن الفصل بين التجربة (أى النظام) وبين الفكر . ولذلك ظل على الدوام متخوفا من الانفتاح الكامل على الفكر الاشتراكى . ومع انه كان يدعو الى الاشتراكية فقد كان حريصا باستمرار على أن ينتقى ، أى أن فكره فى هذا المجال كان انتقائيا . وقد برر هذا فى الميثاق بقوله انه لا يريد أن يأخذ قوانين حرفية وضعت فى القرن التاسع عشر . لكن الواقع انه لا يوجد شىء اسمه قوانين حرفية . فلا ماركس ولا لينين قد خاطر كل منهما بتقديم صورة ثابتة للمجتمع القادم . لقد تحدثا أساسا عن قوانين التطور الاجتماعى ، عن حركة المجتمع فى الماضى والحاضر ، وعن الاتجاهات العامة جدا فى المستقبل .

بالاضافة الى ذلك ، لا يتصور أن الاشتراكية العلمية اقتصرت على ما كتبه ماركس أو لينين ، لان كل التجربة الثورية للاحزاب العمالية والشيوعية وحركـات التحرر تعتبر خبرة للاشتراكية العلمية . تغنيها وتضيف اليهـا باستمرار . لكن عبد الناصر أراد أن يأخذ موقفا متميزا ، وذلك على الرغم من ان عددا من القضايا الرئيسية فى الميثاق مأخوذة مـن الاشتراكية العلمية مثل فكرة الصراع الطبقى، فكرة الاستغلال الرأسمالى . أشياء واردة ، فمن أتى بها ؟ . لكنه ظل باستمرار يفرق بينه وبين الاخرين باشياء غير مطروحة ، لانه لم يقل أحد بنقل تجربة شعب آخر . ولا نقل نظام آخر . لكننا نأخذ الفكر ، والفكر يدرس فى المدارس ويدرس فى الجامعات .

■ **توفيق الحكيم :**

أو لنقل انه يريد أن يفصل بين الفكر وبين السلطة . لانه أيضا ـ وفى المكان الاول ـ يخشى انطلاق السلطة من يد قابضة . ماذا هو يقبل النظرية لو عرضت فى الميثاق على الورق . ولكن عند التطبيق ، وعندما يجد أن النظرية سترتقى الى قوة فى ذاتها غيرقوته، يقول لك : لا انا الحكم . الحقيقة ليس فى مقدوري أن أتصور لماذا لم يطبق عبد الناصر الفكر الذى وضعه فى الميثاق .. مثلا ، فى اعترافه بصراع الطبقات ، ثم يأتى بعد ذلك ليحاول أن يؤمم صراع الطبقات أيضا . هناك نظم تجعل السيطرة فى يد مفتاح واحد الى أعلى . وأيا ما كانت طبيعة التفكير للنظرى فان هناك دائما اتصالا بين التفكير وبين العمل . فما رأى الاستاذ خالد فى فصل عبد الناصر بين النظرية وبين التطبيق ؟

■ **خالد محيى الدين :**

والله هو انا رايى انه كان يخشى تغلغل الفكر فى الناس ، وهو كان يحب يقرأ ويستمع الى النـاس ... وان لا ينزل هـذا الفكر الى جماهير الشارع ...

■ **توفيق الحكيم :**

أو كما قال الاستاذ محمد سيد أحمد إنه لا يريد الثورة التحتية .

■ **خالد محيي الدين :**

وهو باستمرار كان حريصا على أن يجسم قضايا الثورة بنفسه، ولذلك باستمرار كان يعبأن يأخذ موقفا متميزا • مثلا كان يقول : الثورة العربية تواجه هذا العالم ، لابد لها أن تواجهه بفكر جديد ، ثم يحبس نفسه في نظريات مغلقة على الوقت نفسه لم يكن ينعزل عن التجارب الفنية ، موقفه اذن موقف انتقائي ، ينتقي ما يشاء •

مثال آخر : هو حدد موقفه في ضرورة الثورة — في النهاية — وقال : الدولة النواة ، وهي الجمهورية العربية المتحدة هي الدولة التي عندما تنجح فيها الحرية والاشتراكية والوحدة فسوف تنطلق منها الثورة يعني هو حدد هنا دورا قياديا لهذه الدولة •

■ **د • عبد العظيم أنيس :**

في هذه النقطة بالذات ، أي نقطة انفصال الفكر عن التطبيق من المفروض — بطبيعة الحال — أن نميز ما بين الاجراءات السياسية ذات الطابع التقدمي في ثورة ٢٣ يوليو في كثير من جوانبها وما بين تأصيل الفكر النظري للثورة نفسها • يعني أنا لا أستطيع أن أمنع نفسي وأنا أقرأ الميثاق من الشعور أن هناك باستمرار محاولة البحث عن طريق ثالث • لقد وجد في العالم طريقان طريق النظام الرأسمالي ويمثله الغرب ، وطريق النظام الاشتراكي وتمثله الدول الاشتراكية الاوربية، والدول الاسيوية الاشتراكية •كالصين وفيتنام •• الخ • لكن عبد الناصر حاول في التأصيل النظري أن يثبت وإنا قلت أن هذه كانت اضعف الاجتهادات النظرية) أنه من الممكن أن يوجد طريق ثالث ، لا هو هذا ولا هو ذاك • وهذه نقطة غير موضوع طريق عربي للاشتراكية • يعني أنا مقتنع تماما بأن يكون هناك طريق عربي للاشتراكية ، طريقا الى الاشتراكيه لا هو طريق سوفيتي ولا طريق صيني لكن الاهداف النهائية فيما يتعلق بهذا الطريق واحدة سواء فيما يتعلق بالاتحاد السوفيتي او فيما يتعلق بالصين أو فيما يتعلق بأي دولة اشتراكية أصلا ، بمعنى اقامة نظام قائم على الغاء استغلال الانسان لاخيه الانسان ، اقامة نظام مبني على فكرة التنمية الكاملة والتصنيع •• الخ فهنا نجد أنه فيما يتعلق بقضية البحث عن طريق ثالث من الناحية النظرية ومحاولة اثبات وجوده فان هذا الطريق غير موجود في رأيي • ولابد من ملاحظة أن فكرة الطريق الثالث كان لها انعكاساتها ومتأثرة ايضا باعتبارات تكتيكية مؤقتة، متعلقة بالوضع الدولي • ففي مرحلة الحرب الباردة نشأت أجتهادات كثيره من القادة الوطنيين في الدول النامية نهرو وتيتو وعبد الناصر طرحوا فكرة الحياد الايجابي ، لسنا مع هذا المعسكر ولا مع ذاك • لكن هذه الفكرة التي بدأت بهذا الشكل مرعان ما تطورت بعد ذلك في اتجاه وطني واضح ضد الاستعمار • لكن الجذور الاولى كانت بدأت بهذا الشكل ،ومؤداها ان دول عدم ،الانحياز— بالموقف الوسط — تستطيع ان تلعب دورا ايجابيا في المحافظة على السلام في العالم • فاعتقد أن هذا كان له ايضا انعكاس على التفكير فيما يتعلق بالطريق الثالث في المجالين الداخلية •

■ **خالد محيي الدين :**

وهنا يمكن أن نقول أن هذا هو جانب ايجابي في اصراره على الثـــورة ، واصراره علـى التغيير • وسياسته الخارجية فعلا كانت سياسة متطورة بمعنى نظرته كانت نظرة عالمية : فالسلام لا يتجزأ ، والحرية لا تتجزأ • وعمليا كان واقفا مع حركات التحرر ، ولم تكن نظرته قومية ضيقة • هذه حقيقة • وموقفه من عدم الانحياز موقف متطور • ثم نظرته لدور الامم المتحدة ، وقوله ان الرخاء لا يتجزأ • وقضية نضاله من اجل العالم الثالث • وموقف العالم الثالث من قضية المواد الخـــام وتصديرهـــا وموقفه من المساعدات • وهو قد لعب دورا قياديا سنة ٦٤ في مؤتمر التنمية والتجارة • وهذا كله يعكس رغبته الثورية ، رغبته في التغيير ولكن هو باستمرار يريد أن ينبر بفكره طريق ثالث مايز باســـتمرار او حريص على ان يؤكـد بأن لنـــا وضـــعا خاصـــا وهو الطريق الثالث • ووضعه الخاص كان نابعا من ظروف مؤقتة • لكن في نطاق هذه الظروف المؤقتة تصور أنه من الممكن أن يقوم بعملية تنمية دون حاجة الى « التضحية بالجيل » ولذلك حدد في الميثاق أنه لايستطيع اينمي المجتمع عن طريق الرأسمالية ، ولا يريد أن يفعل ذلك عن طريق « السخرة » والسخرة هنا

و « التضحية بالاجيال » وربما تشير الى تجربة الاتحاد السوفيتى • لكن اذا كان هذا هو المقصود ، فان الرد على ذلك هو ان الاتحاد السوفيتى لم يكن يريد ان يقدم هذه التضحيات ، ولكنه اجبر على ذلك ، فتعرض عليه حصار دقيق ، حال بينه وبين التعاون والتعامل مع الخارج •• ولو تم هذا لما اضطر الى عمل هذه التضحيات • وقد علق بعض الاشتراكيين الاجانب على ما جاء فى الميثاق بهذا الصدد بقولهم انه اذا كان عبد الناصر يستطيع ان يقدم نموذجا للتجربة ، تنمية واشتراكية بدون تضحيات ، فسوف تكون تجربة رائدة فى الفكر العالمى ، مع ان هذه التجربة لم تحدث بعد • طبعا من الممكن ان الاجيال لاتضحى بأجيال ، ولكن لابد للاجيال التى تبنى الميثاق ان تضحى ••

صورة هذه التضحية الواجبة لبناء الاشتراكية لم تكن مطروحة بقوة أمام عبد الناصر لاكثر من سببين • فمن ناحية استطاع أن يحصل على تراكم رأسمالى من الاصلاح الزراعى ومن التأميم ، ومن التأميمات التى لم يدفع عنها تعويضات • فى الوقت نفسه استمر يتلقى معونات بالعملة الصعبة من الخارج • الولايات المتحدة فى وقت من الاوقات كانت تدفع ٧٠ مليون دولار ، وبهذا كله استطاع ان يضع خطة للتنمية ويشترى مصانع • واستطاع ايضا أن يبنى مدارس ومستشفيات ويقدم خدمات • فى الوقت نفسه لابد من ملاحظة أن خطة التنمية التى وضعها كانت بها عيوب وثغرات ، على سبيل المثال كان الاتجاه الى اقامة صناعات استهلاكية مثل السيارات •• الخ ، وذلك ليؤكد من وراء اقامة هذه الصناعات أنه لا حاجة الى التقشف والتضحية • مع ان الذى استفاد من هذه الصناعات الاستهلاكية هى شريحة اجتماعية محدودة للغاية • وأنا أعتقد أنه لو أن جيلنا أخذ بمبدأ التضحية من أجل بناء البلد على اسس قوية ، ولو أنه استمر يضحى لمدة عشر سنوات لكنا قد تفادينا كثيرا من المتاعب التى نلاقيها اليوم •

كان عبد الناصر على قناعة بأنه يمكن بناء مجتمع جديد بدون تضحيات ، وكان على قناعة بأنه يعمل تجربة جديدة بدون تضحيات ، مع قناعته ايضا بدور الدولة ، وتدخل الدولة والتأميم • وفى هذا الشق الاخير هو أيجابى تماما ، وفى هذا هو متطور وثورى ، وبالفعل وضع أرضية لكل انسان يريد ان ينطلق بالتجربة ، لكن اصراره على عمل تنمية بدون تضحيات ، أدى الى ماذا ؟ أدى الى انه بعد انتهاء الخطة الخمسية الاولى ، لم يكن هناك مصدر لمواصلة التنمية الا أن يأخذ من الطبقات الوسطى • لكنه رفض هذا الحل • لذلك توقفت خطط التنمية وأصبحت خططا سنوية • ولو انه كان أخذ من الطبقات الوسطى لاستطاع ان يقنع جماهير الشعب بأن تضحى وتتعب من أجل زيادة الانتاج • وهذا هو الفرق — فى الواقع — بين تجارب البلاد الاشتراكية وبين تجارب بلاد العالم الثالث فى التنمية • فهذه التجارب الاخيرة لم يقدر لها النجاح الملحوظ • طبعا يمكن أن يقال ان الناس فى الاتحاد السوفيتى والبلاد الاشتراكية الاخرى •• الخ تحملت متاعب التنمية فى السنوات الاولى ، وهذا صحيح • لكن الصحيح أيضا أن الجماهير رغم هذا استمرت تعمل بحماس لاجتياز المرحلة الصعبة • لهذا لم يستطع عبد الناصر ان يحسم قضية التنمية • وكيف كان فى مقدوره أن يفعل ذلك ولم يكن هناك تنظيم سياسى يقنع الجماهير ، وتكون قيادته هى القدوة والمثل الاعلى فى كل شىء •

وهناك فى فكر عبد الناصر ايجابية كبرى وهى كلامه عن « حتمية الحل الاشتراكى » • وهو بهذا وضع امام الناس فى العالم النامى وفى البلاد المتخلفة حقيقة أنها لا تستطيع أن تنهج الطريق الرأسمالى فى التنمية لان الرأسمالية الوطنية لا تستطيع ان تقوم بأعباء هذه التنمية الا على أساسين كلاهما مرفوض ، ان تكون تابعة للرأسمالية العالمية ، او أن تكون مستقلة تحمى مصالحها بالحواجز الجمركية ، وكلا الطريقين لا يخدم مصالح أوسع الجماهير •

■ توفيق الحكيم :

أصل الدول النامية لا تستطيع — حتى اذا أرادت — أن تتبع النظام الرأسمالى لسبب ،

وهو أن النظام الرأسمالي هذا ليس مجرد نظام يمكن أن يقام بمرسوم • ولكنه ــ تاريخيا ــ نما من خلال قوة فردية منتجة اخذت تنوى وتتجمع • مثلا الذين انشأوا شركة الهند الصينية هم شركة وليسوا حكومة • مثل آخر: الصناعة في فرنسا اقامتها شركات وناس عندها عقول وابتكار ، وعقولهم قبل كل شيء هي عقول استغلالية • يعني شخص يجد ــ مثلا ــ ان لطفي الخولي ، هذا ، كاتب معروف يقوم يستغله • براعتهم اذن انهم يعرفون كيف يستغلون وينمون ارباحهم • ففي الواقع ، الرأسمالية تولد من اناس يستغلون مهارتهم في استغلال الاخرين • والسلطة بعيدة عن هذا • لكن في مرحلة أخرى يلجأون الى السلطة لتساعدهم في فتح بلاد اخرى فيها مواد خام ، وعندما يصبحون قوة تصبح السلطة سلطتهم ، يأخذون السلطة ، سواء كانوا هم فيها او بالاصوات ، فالذي حدث اذن هو ان الدول الرأسمالية لها جذور وبذور في بناء الرأسمالية • وبعد ذلك ذهبت الى البلاد النامية واستولت على مواردها • والبلاد النامية قاومت وطردت هؤلاء •• لما طردت هؤلاء • ماذا حدث ؟ •• ماذا تعمل في الموارد اذن ؟ •• تسلمها للرأسمالية يعني تخلق طبقة رأسمالية لا يمكن خلقها • لانه اما أن تسلمها الى الرأسماليين الاصلاء وهم الذين عندهم الخبرة فعلا ، وأما تقع الموارد ووسائل الانتاج في أيدي أهالي البلاد • وبالفعل هؤلاء اخذوها بالمقاومة الشعبية ، واخذوا الاستقلال، فماذا يحدث في هذه الحالة ؟

في الجزائر ــ مثلا ــ هناك مزارع تركها الفرنسيون ، وهناك مناجم •• بعد رحيلهم يكون النظام الجديد ؟ النظام لا يمكن الا ان يكون انك تسلم الشعب الذي قاوم، وتقول له تعال نأخذ هذه الموارد لنا وننميها • فأين لابد أن يشرع الذين قاموا بالثورة في تسلم الحكم • هناك يسألون : ماذا عسانا فاعلين بهذه التركة ؟ ولمن نسلمها ؟ اذا سلموها للرأسماليين ، اذن فيم كانت مقاومتهم • وكان الاولى أن يتفقوا معهم بلا مقاومة شعبية • اذن الحل الاشتراكي هنا ليس مجرد رغبة او ارادة • ولكنه حتمية •• حتى الحاكم الثائر الذي قام بالدفع يطرد المستعمرين لا يستطيع أن يستولي على شيء لان مهمته الاساسية هي المقاومة ، والا فهو رجل نصاب أو « شيخ منبر » • طرد الاجانب وأخذ الفلوس • لا • اذن تبقى المسألة ان الشعب الذي قاوم معه يأتي اليه ليقول له تعال ندير هذه الاموال وموارد الانتاج •• اذن هي اشتراكية • لا لان هناك نظرية طبقوها ، وانما هي مسألة طبيعية حتمية • اريد ان اقول حقيقة هنا : لا من وجهة نظرنا ، وانما من وجهة واقعية فعلية • ناس طردوا ناسا واخذوا الفلوس ، وبعد ذلك هم كهيئة محاربة •• يقولون كل هذا ملكنا كلنا • • •

■ **لطفي الخولي :**

عندما تقول « كل هذا ملكنا كلنا » فهل يعني هذا نوعا من مشاعية الثورة ؟

■ **توفيق الحكيم :**

ضروري والا يبقى مفيش لازمة للثورة •

■ **د • عبد العظيم أنيس :**

تأكيدا لكلام الاستاذ خالد أريد فقط لفت النظر الى مرحلة ما بعد انتهاء الخطة الخمسية الاولى • لاني كنت قد أشرت الى هذا الموضوع من قبل • لقد وقعت ثلاثة تغييرات وزارية من ٦٦ لغاية ٦٧ •• وزارة على صبري سقطت بعد انتهاء الخطة الخمسية الاولى • جاءت وزارة زكريا محيي الدين • وبعدها جاءت وزارة صدقي سليمان • فهذا التغيير المتعدد في ظل نظام ليس هو النظام الحزبي ينبغي ان يكون محل التفات نظر شديد •

ونحن نتذكر ، في هذا الوقت ، انه لما جاء زكريا محيي الدين نشأت فكرة خطة سبعية •• ولما ترك زكريا محيي الدين نشأت في وزارة صدقي سليمان خطة ثلاثية • وهذه الخطة الثلاثية تحولت بعد ذلك الى خطة سنوية • الفكرة الاساسية التي صاحبت مجيء زكريا محيي الدين ، كانت فكرة التقشف • وبالتحديد طرحت فكرتان أساسيتان في هذه الوزارة :

الفكرة الاولى : انه لابد من تقشف • وكانت الامور قد وصلت الى حد أن اقترحت بعض الجهات وقف علاوات الموظفين في هذا الوقت • وكان هذا احد اسباب خروج الوزارة • ان ضغط الصيرونات العامة كان قد وصل الى

حدود فكرة خطرت فى بالّ هيئات رسمية ، فكرة وقف علاوات الموظفين • طبعا عبد الناصر ماكان يوافق على هذا لاعتبارات سياسية •

أيضا طرح فى هذا الوقت فكرة الاستفادة من الاموال العربية ، لان المازق الذى كان فيه النظام تمثل فيما يلى : اذا كنت تريد أن تواصل التنمية فمن أين لك الموارد الخاصة بالتنمية • فكانت الفكرتان المطروحتان : ضغط المصروفات الخاصة ووفر فى مصروفات الحكومة ، وهات من رؤوس الاموال العربية • لانه من الجائز أن وجود زكريا محيى الدين يكون عنصر تطمين لرأس المال العربى فى هذا الاتجاه •

لم يمض أكثر من سنة على هذه الوزارة حتى تبين أن هذه الفكرة فاشلة وانه لاينتظر لها النجاح • هذا اذا كانت مصر حريصة على أن تحافظ على استقلالها الوطنى • وكان عبد الناصر حريصا على أن يحافظ على الاستقلال الوطنى فى هذا الاتجاه ، والتوفيق مناسبتحيل• أضف الى ذلك — من ناحية اخرى — كيف يمكن النظام أنه لا يريد أن يضحى بجيل من الاجيال ثم يوقف علاوات الموظفين السنوية •

■ **توفيق الحكيم :**

أه لماذا اذا ذكرت وزارة زكريا محيى الدين يقولون هذا الذى رفع سعر الارز •

■ **خالد محيى الدين :**

لانه كان يريد أن يصدره للخارج •

■ **د • عبد العظيم أنيس :**

بعد ذلك نعلم : انه طرح لما فشلت وزارة زكريا محيى الدين جاء صدقى سليمان تحت شعار وزارة الانجاز • أى أن القضية الإساسية الان هى ألا نبدأ فى مشروعات جديدة أو تنمى تنمية جديدة بقدر أن ننفذ بقية ما هو قائم • لان هناك مشروعات بدىء فيها ولم تستكمل الى الان • وربما تفيد فى المجال الصناعى لو تستكمل •

وبالتالى ، كانت هناك حاجة الى أن يأتى شخص له تاريخ ناجح من ناحية التنفيذ وهذا كان صدقى سليمان •• لكن صدقى سليمان لما بدأ يواجه هذه المشكلة قال بفكرة خطة ثلاثية• بينما وزارة زكريا محيى الدين كانت تقول بخطة سبعية ، على أساس أننا نخطط على مدى بعيد نسبيا وأنه من الجائز أن النتائج لن تكون قريبة • كانت الخطة الثلاثية هى فكرة استكمال تنفيذ ما هو قائم من هذه المشروعات •

لكن جاءت كارثة ٦٧ المعروفة • حلت وزارة صدقى سليمان ، وتولى عبد الناصر رئاسة الوزارة بنفسه •

فى جميع هذه السنوات ، اذا واجهنا الارقام المتعلقة بالاستثمارات فى مصر ، سواء فيما يتعلق بالقطاع العام تطاع الانتاج ، أو حتى قطاع الخدمات ، سوف نجد أن الاستثمارات منخفضة جدا بالنسبة لما تم فى الخطة الخمسية الاولى •

■ **د • فؤاد مرسى :**

أنا لى تعقيبات تفصيلية على ماذكره الزميل الدكتور عبد العظيم انيس ، ولذلك احتفظ بها لحين عرض كلمتى بالكامل •

■ **خالد محيى الدين :**

تعليقا على ما قاله د • عبد العظيم انيس • فعلا البلد وجدت ، بعد الخطة الخمسية الاولى انها تواجه صعوبات،لتضع خطة ثانية ، وانه لابد لها من موارد • يعنى كان مطلوب صياغة جديدة توضح امامها ، لكن الحقيقة ، ان القيادة أجلت ، واستمرت تؤجل • مثلا موضوع صدقى سليمان • لما جاء زكريا محيى الدين كان يريد أن يوقف بعض المشروعات ويقلل الاستثمار • هنا ، **البنك الدولى** اراد أن يعمل اتفاقية ويتدخل فى العملة •• فعبد الناصر رفض الموافقة •• جاء صدقى سليمان بنظرية أنه من الممكن أن نعطى علاوات للموظفين ، ونستخدم ما يسمى بالعمل السياسى لاذكاء حماس العاملين ليزيدوا انتاجهم • وأنه يمكن هذا عن طريق العمل السياسى • يعنى نأتى بواحد عنده قدرة على التنفيذ هو صدقى سليمان ، وفى الوقت نفسه كان ايامها على صبرى فى قمة الاتحاد الاشتراكى • وقيل ان تنشيط الاتحاد الاشتراكى سياسيا — يمكن أن يزيد الانتاج ••

اعتقادى ان هذا كله ـ ايضا ـ كان هروبا من مواجهة الموقف ، وبالتحديد كانت البلد تريد ترشيد اقتصادى .. ضرائب جديدة خطة لترشيد الاستهلاك .. بحث عن موارد جديدة .. اولويات . كل ده كان عملية صعبة . ثم جاءت الحرب فى ذلك الوقت فى ٦٧ . يعنى ـ فى تقديرنا ـ أن البلد كانت تواجه تناقضا داخليا غير محلول ، وهو تناقض سياسى واقتصادى .

د . عبد العظيم أنيس :

هى المرة الوحيدة التى لم يكن فيها عبد الناصر حاسما .

خالد محيى الدين :

القضية تتعلق بأسلوب عبد الناصر . مثلا هو كان ممكن جدا يقضى على الاقطاع سياسيا بواسطة العمل الجماهيرى والتثقيفى للاتحاد الاشتراكى ، لكنه فضل اللجوء الى أساليب اللجنة .. واللجنة هذه يمكن ان يحصل فيها انحراف ، وفكرة لجنة تصفية الاقطاع ـ فى حد ذاتها ـ لم تكن سهلة لان الاقطاع كان بالفعل قويا أو بقاياه كانت قوية بسبب التجربة . ولكن بسبب الخوف من انزال الفكر الى الجماهير وهذا ينبع من فكر عبد الناصر نفسه هو يريد تأييد العمال والفلاحين يريد أن يقوم باصلاحات ويكسب للقيادة والسلطة تأييدهم . لكن لم تكن الفكرة المحورية مشاركة الفلاحين والعمال أو قيادات معه فى السلطة . كانت هذه قضية اساسية عنده ، كانت واضحة تمام الوضوح ولذلك هو باستمرار حريص على ان يرضى ويأخذ تأييد . وهذا واضح تماما من فكرة ٥٠ فى المائة عمال وفلاحين . وهى خطوة ضخمة جدا لانها حقوق تكتسبها الطبقة العاملة ، بصرف النظر عن التحايل الذى يشوبها ، هى حقوق تاريخية ومن الصعب المساس بها ، وعمقت من وعى الناس ، وأشعرت الفلاحين والعمال ان لهم حقوقا فى مجالس الادارة ومجلس الشعب ، وفعلا انشأت فئات من الناس عمرها ما كانت تحلم فى يوم من الايام أن تصل الى البرلمان أو الى قيادات الاتحاد الاشتراكى . يعنى أن أى انسان ـ بعد هذا ـ يحاول أن يعمل تجربة اشتراكية سوف يجد ـ فى هذا المنطلق فعلا ـ نقطة الى الامام .

ولكن بحكم هذا التفكير يتم اللعب فى هذا الموضوع وفى تفسيراته الى حد ان تأخذ الـ ٥٠ فى المائة هذه عناصر غير حقيقية .

مثال آخر : فكرة الرأسمالية الوطنية الغير مستغلة هذا مجرد شعار سياسى ، لانه لا يوجد شىء اسمه الرأسمالية غير المستغلة ، لكن هدف الشعار أن يجذب الرأسمالية الوطنية الى الحلف .. عظيم .. لكن هذا اذا كنا نتصور انه حقيقة ، لان الرأسمالية نمت نموا هائلا فى هذه الفترة .. هناك قطاع المقاولات وقطاع التجارة .. وقطاع الزراعة .. قطاع الاستغلال الزراعى الذى لا يدفع ضرائب . لكن تظل الارباح الطائلة أكثر فى قطاع المقاولات والتجارة .

وبعد ٦٧ النمو الرأسمالى ظهر أكثر عندما وجهت الدولة مواردها الى الحرب . القطاع العام كان غير قادر أن يأخذ استثمارات . فالمجال انفتح للتصدير ، والاستيراد أمام القطاع الخاص فازداد نموا . هذا النمو افرز اتجاهات وقوى فكرية معادية للتقدم والاشتراكية .

بالاضافة فان عبد الناصر قام بعملية ـ أيضا اوقفت تطور الثورة فى الريف عندما أعلن سنة ٦٩ انه عايز يحدد الملكية مرة والى الابد . يعنى كونه يحدد الملكية بـ ٥٠ فدانا لا اعتراض على هذا . لكن لا يوجد شىء اسمه « الى الابد » ان هذا معناه وقف الثورة الزراعية . و ٥٠ فدانا فى مصر على فكرة مساحة كبيرة جدا تزرع زرعتين فلو أن مالكا عنده ٥٠ فدانا ، ويزرع زرعتين محاصيل أو فواكه فان ايراده من ذلك كبير جدا . وهو كبير ـ أيضا ـ بالمقارنة بالمتوسط العام للدخول .

واخيرا نستطيع أن نقول : ان عبد الناصر كان له اتجاه ثورى فيه عداء للامبريالية ، وفيه عداء للرأسمالية ـ بشكل عام ـ وفيه انحياز للطبقات الفقيرة ، ولكن لم يكن عنده تخيل لشكل المجتمع الجديد . لقد تصور انه ـ بالمواقف وبالظروف ـ التى كان موجودا فيها يستطيع أن يلجأ الى أسلوب جديد يتجنب به صعوبات ومشاكل المجتمعات الاشتراكية الاخرى . لذلك لم يتخذ اجراءات لابد أن يتخذها . وقد خلق عدم اتخاذها عددا من المتاعب

التى تعانى بصرمتها اليوم . لانه اذا لم تبدأ مصر باتخاذ اجراءات معينة فى ترشيد الاستهلاك ، وفى وضع الاولويات • واذا كنا الان نريد أن نعمل كل شىء .. نحرر الارض مع الاستمرار بالتنمية فى كافة جوانبها — واذا كنا فى الوقت نفسه نقول اننا لا نريد ان نضحى . فنحن لن نفعل شيئا . وطبعا أن نعتبر بما فعلته بلدان أخرى مثل بريطانيا التى واصلت بعد أن كسبت الحرب اجراءات التقشف واستمرت عشر سنوات وهى كما نعلم دولة رأسمالية • فما بالك ببلدنا الذى تقوم بتنمية وتواجه حربا تحريرية ؟

لا شك أنه من الممكن أن يكون لنا أسلوب آخر ولنا طريق آخر ولابد أن يكون طريقا عربيا • ولكن الى أين يقودنا هذا الطريق • هذه هى القضية الرئيسية ••• الى الاشتراكية •• الى أن تكون الموارد فى يد الدولة هذه هى القضية الرئيسية ••

من هنا برزت نقاط الضعف فى فكر الثورة •• ومنها نشأت هذه الحالة •

فكرة الاتحاد الاشتراكى انه هو حلف قوى الشعب العاملة من عمال وفلاحين ورأسمالية وطنية ومثقفين • لكن كيف يعمل هذا الحلف فى ظروف وجود الصراع الطبقى اعترف عبد الناصر أن الصراع الطبقى حتمى • وحدد أنه لابد من أن يكون الصراع الطبقى سلميا . لكن «سلميا» بأى شىء ؟ هو أجاب بتذويب الفوارق بين الطبقات وتجريد الرجعية من أسلحتها • لكن من الملاحظ أن كلمة الرجعية تأخذ باستمرار مضمونا جديدا • فمع مسيرة الثورة وتطورها تحاول بعض الفئات التى اشتركت فيها أن تجدد الوضع لصالحها الخاصة هنا لتشا رجعية جديدة قد تحاول أن تسيطر على السلطة وتقف ضد التطور •

نخلص من هذا الى أن فكر الثورة كانت له جوانب ايجابية : قضى على قدسية الملكية الفردية — الاستقلال — حدد موقف مصر فى الصراع العالمى — حدد موقف مصر أو الدولة المصرية فى أنها يجب أن تنحاز الى جانب الطبقات الفقيرة •

ولكن لعدم وضوح الفكرة النظرية والرغبة فى التمايز لاجل التمايز نشأت أخطاء عديدة ، يجب أن تعالج فى المستقبل •

وبالتبعية ، يمكن أن نقول أنه اذا وضعنا الاهداف المستقبلية التى طرحناها فى الجلسة الماضية نجوف نجد أن التجربة الماضية كانت خطوة تقربنا من هذه الاهداف . ولكن لكى نصل الى هذه الاهداف لابد أن نتجنب سلبيات الماضى ونعمق الايجابيات •• ودائما نجد ان الخطأ الرئيسى هو خطأ فى الفكر ، وهو الخطأ الذى ينعكس فى التطبيق •

■ توفيق الحكيم :

الاستاذ خالد قال كلمة مهمة جدا وهى تبدو انها معنوية ، ولكن هى أساس الثورات دائما •• لابد من مثل أعلى : نقص المثل الاعلى . هذه مشكلة لا هى أدبية ولا هى بلاغية . خذوا أى ثورة .. يعنى أيه المثل الاعلى ؟ هل هو المثل الاعلى الاخلاقى بالمعنى الفلسفى ؟ لا ! هو المثل الاعلى السلوكى . يعنى أنت تريد أن تعمل ثورة ! لكن لابد من أن تسأل عن طبيعة هذه الثورة . طبعا الثورة لابد يكون فيها فكر ولكن هذا الفكر من الذى يطبقه ؟ سوف يطبقه بشر •• قادة ،

ومؤلاء القادة لابد أن يكونوا — هم أيضا — ثوريين على أنفسهم فى سلوكهم • يعنى أيه ؟ يعنى اذا أرادوا أن تكون هناك مساواة بين الناس فيتعين عليهم الا يضعموا على قيام طبقة ممتازة فى حياة ترف ظاهر جدا ثم بعد ذلك يتكلمون عن الافكار والنظريات •• فالنظريات هنا سوف تبقى كلاما مجردا •• فانت قلت ! « المثل الاعلى » يتمثل • لكن لماذا ؟ لان الثورة — فعلا — كانت تحت ضغط طبقة واسعة ، وفى حالة ترف •

يعنى اذا اردت أن تقوم بثورة حقيقية يجب أن تجدد طبيعتها واهدافها ، ونحن فى الواقع يمكن أن نكون امام أكثر من نموذج ؟

هناك ثورة شاملة وفيها يضرب القادة المثل لشعوبهم • فهم يسكنون فى مساكن متواضعة ويلبسون ملابس بسيطة • ويقوة المثل تحفز الشعوب جذومها وتتدفع فى تقليدهم • هنا نذكر اسماء مثل لينين وهوشى منه •• الخ وهناك ثورة رأيناها هنا بعد ٢٣ يوليو • القادة قالوا لا • لا داعى لان نفرض على أنفسنا كل التقشف ولا داعى فى الوقت نفسه لان نكون مترفين مثل الباشوات السابقين • فهذه ثورة من النوع المعتدل • يعنى هى ثورة فى الفكر ، تجعل

الفلاحين يشعرون أنهم أنصفوا من الاقطاع • ولكن يجب في الوقت نفسه أن نتفادى حدوث رجة كما حدثت في الاتحاد السوفيتى أو الصين • لان طبيعة مصر لا تقبل هذه الرجة • الاغنياء ممكن نأخذ منهم شيئا من فلوسهم ،ولكن نترك لهم الاشياء التى تحافظ على مظهرهم• نترك لهم سياراتهم ولا بأس من أن يزوجوا بناتهم فى هيلتون ! وشيراتون • يقولون : لابد من التدرج ولنترك الرأسمالية تعمل وتعيش وتحقق مكاسب لاننا سنأخذ من هذه المكاسب ونعطى الطبقات الاخرى . فهذا النوع الثانى من الثورات هو الذى يمكن أن يسمى ثورة معتدلة •

وهذان النوعان من الثورات ظهرا فى جميع عصور التاريخ .ولماذا نذهب بعيدا .ولنضرب مثلا على ذلك الثورة الاسلامية • ان محمدا كان ثائرا على مجتمعه • ولكنه كان متقشفا • قد يقال انه كان بين الصحابة أغنياء مثل أبى بكر ، فقد كان من التجار • لكن أبا بكر كان قد وضع ثروته فى خدمة النبى وحروبه ، أى فى خدمة الجهاد •

من المتقشفين أيضا فى الثورة الاسلامية نعرف عمر بن الخطاب ، الذى لم يكن يهتز فى تطبيق أسس العدالة •

بعد ذلك جئنا الى عثمان • من ذلك الوقت بدأ نظام المحسوبية الى أن انتهت بمعاوية والبلاط ••• الخ • فاذن هنا نرى أنه فى التاريخ الاسلامى حدث تدرج : من ثورة حقيقيه ومتقشفة تضرب المثل الى نظام آخر مختلف•

والواقع ، انه عندما يضرب قادة الثورة وذووهم المثل ، فان هذا يفيد الشعب كله والطبقات كلها • لان هذا يعنى اننا ندخر لبناء البلد ونستبعد الترف ، خصوصا وقد كنا ـ من قبل ـ فى مجتمع يحكمه الباشوات • وباسم هذا المثل السلوكى الاعلى نستطيع أن ندعو الناس الى أن يسلكوا نفس المسلك • فاذا تحقق هذا فقد قمنا بالثورة رقم ١ الثورة الكاملة أو الشاملة التى أشرت اليها فى مستهل كلامى •

كنت دائما أثير مع أصدقائى ومعارفى أهمية المثل فى سلوك قادة الدول . فكانوا يقولون لى انه من حق من جاهد وتعب ان يتمتع ويلبس مثلا كرفتات سولكا أو يلبس خاتما من الماس .. الخ .. لكن ردى على هذا هو ان الثورة تظل محتاجة الى المثل الاعلى • ونعود مرة أخرى الى عمر بن الخطاب • فقد استمر على مثل التقشف الصارم • كان يقرأ على مصباح الزيت . فاذا انتهى اطفأ المصباح فان هذا مال الدولة • واستمر فى التقشف حتى بعد ما فتح الفتوحات الهائلة التى انتصر فيها . ونحن نعلم انه عندما توجه الى الشام لم يغير ملابسه • فحدثوه فى ذلك فلم يستجب وتمسك بالملبس البسيط •

المسألة أنى هنا لا أتحدث عن أحد بالذات • ولكن لابد من البحث أو الاتفاق على أحكام موضوعية ، ولابد من أن نطرح هذا السؤال • هل كانت مصر وكان الشعب يرفض أن يقوم بثورة شاملة ، بالثورة رقم ١ • وهل كان يرفض أمثلة التقشف ••

■ لطفى الخولى :

مع اتفاقى التام على اهمية المثل الاعلى السلوكى الذى تحدث عنه أستاذنا توفيق الحكيم ، يظل المعيار فى الحكم على اى ثورة، هو ماذا حققت هذه الثورة من أعمال وتغييرات ملموسة • وبالفعل حققت ثورة يوليو أشياء ••

■ توفيق الحكيم :

هذا لاشك فيه • ولهذا تحمسنا لها • والظاهر أننا ننسى ما بدأنا به عندما قلت افتحوا الملفات • بعض الناس فهم من هذا اننى ضد عبد الناصر • وهذا غير صحيح لان هناك انجازات تحققت . ولكن الى اى مدى ؟ لاتزال الحقيقة غير واضحة .

■ لطفى الخولى :

فتح الملفات بمعنى الاهتمام،والتاريخ للثورة •

■ توفيق الحكيم :

بكل تأكيد • والاحظ بالمناسبة أن عرض الاستاذ خالد محيى الدين كان موفقا لانه يقول هذه هى الانجازات • وهذه هى الاخطاء الفكرية • وهذه هى النواقص • وهذه هى الاستنتاجات •

■ خالد محيى الدين :

نريد أن أطلق على ما قاله الاستاذ توفيق الحكيم • انا عندما تصدقت عن المثل الأعلى لم أكن أقصد أن قائد الثورة أو رئيس الدولة يجب أن يلبس ليمسا معينا أو يمتطى فى مكان معين •

■ توفيق الحكيم :

لا ! انا كنت اهدف من كلامى الى طرح هذا السؤال • اعرض أن عبد الناصر قائد الثورة كان اراد هذا • فهل كان المجتمع يقبله؟ لأن المسألة ليست مسألة فرد • انما هى مسألة مجتمع : هل هو معد لقبول هذا أم لا ؟ وهل على قائد الثورة ان يعده لقبول ذلك أو أن يخضع هو لتيار هذا المجتمع ؟

■ د• مراد وهبة :

الحقيقة انه فى كلمة الاستاذ توفيق الحكيم فيه نقطة مهمة جدا لابد من مناقشتها ،وهى مسالة مدى نضج العوامل الموضوعية فى قبل ثورة متقدمة لانه الواضح أن ما قيل حتى الان هو التركيز على الجانب الذاتى المتمثل فى عبد الناصر • لكن ما مدى التعكس العوامل الموضوعية على هذا المتمثل الذاتى أو ما مدى تحكم العوامل الموضوعية فى فكر عبد الناصر • هذه قضية مهمة •

■ محمد سيد أحمد :

هناك نقطة متعلقة بـ ايضا ـ بالعوامل الموضوعية • والملاحظ ـ هنا ـ أن ثورة عبد الناصر كانت محكومة بوضع دولى غير الوضع الداخلى • مهم جدا ، وأرجو أن أحدد ذلك فى نقطتين :

النقطة الاولى : أن عبد الناصر اول ممثل حكم مصر من قرون طويلة • وجاء فى وقت كانت الثورة الوطنية فيه منطلقة فأخذ من الشعب تأييدا هائلا وسهلا نسبيا ، ولكنه لم يدخر فى مقابل هذا التأييد الثمن فى صورة مؤسسات راسخة للشعب تمكنه من المشاركة الحقيقية متمثلة فى هذه المؤسسات • كان هناك ـ بعبارة أخرى ـ نوع من الاندفاع العاطفى الجماهيرى لتأييد عبد الناصر لانه عبد عن تطلعات قومية ولكن لم يكن لهذه التطلعات ما يسمح بتجسيدها ويؤسسها ، ويسمح لها بالصمود للتحديات التى تجد من خلال عملية التطور • هذه نقطة • وهى نقطة ذات أهمية •

النقطة الثانية : فى الوضع الدولى • عبد الناصر كان نتاج فترة انتقالية أسميها بالوضع الدولى ، وهذا الوضع له فى آن واحد مجموعتان من الملامح المحددة • المجموعة الاولى خاصة بما أسميه الحرب الباردة • والمجموعة الثانية خاصة بما أسميه الانفراج الدولى • عبد الناصر تحرك فى الفترة التى بدأت تذوب فيها ثلوج الحرب الباردة ولكن لم تتجسم فيها ـ بعد ـ ملامح الانفراج الدولى • صحيح أن هاتين الفترتين تتناقضان تمام التناقض من كل النواحى • الاولى تتسم بالاستقطاب الشديد والثانية لا استقطاب،لكن الشىء المهم هو انه فيما بين الفترتين كان يمكن لدولة صغيرة نسبيا أن تبرز على المسرح وتأخذ وضعا ـ من الناحية النسبية ـ أكبر مما هى عليه حقيقة •

■ لطفى الخولى :

مهلم دولة كبرى •

■ محمد سيد أحمد :

نعم •• وهذا التناقض ••فى المرحلة الاولى (الحرب الباردة) لم تكن هناك تناقضات ، يعنى استقطاب شامل كل طرف مستقطب هنا أو هنا • ولكن الوضع الجديد [الانفراج] فان الدول الكبرى تبدى حرصا على ألا تسمح لأية قوة دولية باللعب على التناقضات بينها، ولاتسمح لها بأن تظهر بحجم أكبر من حجمها الحقيقى • فهذان العنصران الدولى والداخلى ، حالا دون جاجة الى تعميق الثورة • حالا دون أن يضطر عبد الناصر أو الثورة الى حماية نفسها، بتعميق مجرى الثورة •

وهكذا فى سنة ٥٦ كان يمكن لعبد الناصر أن يقوم بعمل معين مع الامريكان والسوفييت ليواجه العدوان الثلاثى • لكن الصورة العكسية كانت فى ٦٧ • انتهى هذا الوضع • لماذا ؟ لأنه بين ٥٦ و ٦٧ فترة حافلة بأحداث دولية هائلة منها على سبيل المثال لا الحصر كوبا ••• الخ •

■ خالد محيي الدين :

فكر عبد الناصر لم يأت اعتباطا،هوينبعمن الظروف التيعاش فيها ، والظروفالاجتماعية والاقتصادية التي فيها مصر • يعني الذي دفع عبد الناصر الى أن يلجأ في الحالة الاولىالى قبول الرأسمالية الموجهة هو ان عبد الناصر كان قد ورث نظاما فيه اقطاع وفيه رأسمالية، فلكي ينجح في ضرب الاقطاع كان لابد من أن يمشي مع الرأسمالية • وبحكم انه في السلطة كان لابد ان يمارس معها دورا توجيهيا فالظروف الموضوعية هي التي كانت تؤثر على تفكيره . الخطوة الثانية لما حصل التأميم ونمت ايرادات الدولة واصبحت تمتلك بعضالامور، فهذا اثر على فكر عبد الناصر فيما يخص الاقتصاد المختلط • وعندما ووجه بأن خطة التنمية متعثرة اعتبر عبد الناصر أن المصدر الرئيسي للادخار القومي (ما يزيد على ٥٠ في المائة والادخار القومي] موجود في الشركات ، فقام بالتأميمات كاجراء ضروري •وهذا كله يعني ان الظروف الموضوعية التي نشأ فيهاعبد الناصر كانت تشغل فكره وهذا لا ينفي أنه هو — حقيقة — متقدم خطوة عن طبقته .

■ لطفي الخولي :

يعني أن فكر عبد الناصر كان متقدما عن التفكير السائد .

■ خالد محيي الدين :

عن التفكير السائد في طبقته . هو كان متقدم عنه بحكم مسئوليته • لان الحاكم الذي يحكم، ولوانه يكون متأثرا بالطبقة،الاانه يبقى — باستمرار — متقدما في فكره بحكم المسئولية •

■ لطفي الخولي :

لكن عندما نأتي للنقطة التي آثارها د•مراد وهبه عن العلاقة الجدلية بين الذات والموضوع في الثورة وانهما غير منفصلين ، وان الاثنين يحكمان بعضهما البعض فماذا نقول ؟

■ خالد محيي الدين :

احب أن أشير الى أمر معين وهو أن رئيس الدولة لا يمكنأنيعيشعيشة عادية أو معينة فاذا كانت المسألة هي مسألة القيم التي توضع او يجب ان تسود فان الناس لا يهمها أن رئيس الدولة عايش عيشة معينة • هذه القضية لا تهم أحدا •

من ناحية أخرى اذا وضعت للمجتمع قيما معينة وسمحت ببضائع الترف وشارع الشواربي، وأقمت حفلات في الهيلتون •• الخ، فهذا أمر يستحق الاهتمام •ووجود هذه القيم في المجتمع يفسر حقيقة أن الجانب الثقافي في الثورة لم يتطور بنفس السرعة التي تطورت بها الاجراءات الاقتصادية • وهذا عطل على فكره • ولذلك نجد الان أن خبراء التخطيط في العالم يقولون اذا لم تسر الاجراءات الاقتصادية بجانب التطور في الجوانب الاجتماعية والثقافية والسياسية فان في هذا اعاقةللتنمية•

■ توفيق الحكيم :

طيب والجانب السلوكي •• !

■ خالد محيي الدين :

والجانب السلوكي ايضا ،لان الناسظلّ على عاداتها القديمة وتصرفاتها تمتص جزءا كبيرا جدا من جهود التنمية وخطة التنمية لا تستطيع أن تعيش وتنجح في ظروف الانماط السلوكية القديمة •

■ لطفي الخولي :

بل يمكن القول أن هذه الانماط قد تخرب التنمية .

■ خالد محيي الدين :

حقيقة ، وهذا هو الامر الذي ندعو الى معالجته • وهذا بعكس الفكر السائد في القيادة هو فكر معين ينعكس على السلوك والتصرفات • ويمكن فيما يتعلق بالقائد وسلوكه ، فنحن لانريد له ان تنغص عليه عيشته • لابد أن يحيا حياة طيبة ••

أخيرا ، أحب أن أضيف اضافة بسيطة : حقيقة أن عبد الناصر قام بدور أكبر من حقيقة مصر أو حجمها • لكن هذا الموقف جلب منافع لمصر • لان دور مصر القيادي في حركة التحرر العربية وفر لها مساعدات بنسبة الفرد أعلى من

اى بلد • ولم يكن هذا اعتباطا • انا اعرف مثلا ان الاتحاد السوفيتى ساعد فى حرب اليمن وانه خفض بقدر كبير جدا من مصاريف التسلح • هذا على قدر علمى وليس لدى الرقم الحقيقى، فمن المؤكد انه أخذ عدة تخفيضات من الاتحاد السوفيتى فى حرب اليمن ، وقبلها كانت امريكا تساعدنا ايضا الى ان اصطدمت به بسبب ان جمال عبد الناصر كان مؤثرا فى العالم العربى •

ولو ان مصر انزوت وبقيت مجرد مصر، لكان الاهتمام بها اقل ولانكمش دورها فى العالم العربى • حتى حرب اليمن على الرغم من الاسلوب الذى تمت به لانها لم تكن هى اول مرة يخرج فيها جمال عبد الناصر • فقد ذهب الى الجزائر والى العراق والى سوريا لكن ضيق الناس من حرب اليمن كان لان الحرب كان فيها تكلفة باهظة لا اعرف حجمها بالضبط •

■ **توفيق الحكيم :**

لامى الفكرة فعلا فى التكلفة ، لو انهـا انكلفت مليون جنيه لكنا قلنا معقول • لان الكارثة ليست فى الفكرة ، ولكن فى التكاليف والخسائر •

■ **خالد محيى الدين :**

على العموم لم تتكلف ٤٠٠٠ مليون كما ذكرت • حرب اليمن فيها نقطتان : حرب اليمن كان يمكن أن تعرض بطريقة أحسن سياسيا • اذن كان ينقص الاسلوب والطريقة بجانب ضخامة التكلفة •

النقطة الثانية فى حرب اليمن هى انه كان من نتائج هذه الحرب قيام جمهورية اليمن الجنوبية التى قفلت باب المندب •

■ **توفيق الحكيم :**

لكن هذه النتيجة لم تكن متوقعة •

■ **خالد محيى الدين :**

بعد حرب اكتوبر ٧٣ ممكن نقول اليوم أن البحر الاحمر يكون بحيرة عربية • هـذه حقيقة • وبفضل موقف مصر العربى فقد حصل عبد الناصر على ١٠٥ مليون جنيه سنويا فى ٦٧ فى مؤتمر الخرطوم • لان موقفه العربى وسياسته العربية حققت لمصر موقفا ممتازا • وعندما نتامل هذا الرقم فسوف نجد أن السياسة العربية كانت مجلبة للنفع ولم تكن ضررا •

■ **لطفى الخولى :**

وهى كذلك الى الان •

■ **خالد محيى الدين :**

نعم ، وهذا ما كنت اريد أن أضيفه فى هذا الامر وهو أن مصر استفادت من هذا ••

■ **محمد سيد احمد :**

المسالة ليست مسالة ضار او مفيد • السؤال هو هل : هذا امر عارض او أساسى او مستمر ؟

■ **خالد محيى الدين :**

ايمان عبد الناصر بدوره فى القضية العربية ليس ايمانا عارضا •

■ **محمد سيد احمد :**

سؤالى بالتحديد هو : هل الابعاد الداخلية والعربية والدولية التى استفادت منها مصر فى ايام عبد الناصر هى ابعاد عارضة يعنى مرتبطة بحقبة تاريخية معينة ام دائمة • انا ازعم انها اقرب الى العارضة منها الى الدائمة ولهذا جانب ايجابى وجانب سلبى • الجانب الايجابى انها حققت لمصر اشياء ، الجانب السلبى اننا ندفع الثمن ، بسبب ان الثورة لم تنزل الى العمق فى صورة مؤسسات حقيقية للشعب ، ولقد دفعنا الثمن فى ١٩٧٠ •

■ **خالد محيى الدين :**

العيب ان عبد الناصر لم ينزل فى العمق سياسيا ، فهذه قضية ليس لها علاقة بالواقع الخارجى • انما هى نابعة من طبيعة النظام فى حد ذاته • يعنى نستطيع أن نقول ان الطبقة الوسطى — لاول مرة — كانت تسيطر على الحكم • وبعبارة اخرى ، لم تكن الظروف العالمية هى التى منحت عبد الناصر ان يعمل فى

الداخل ٠ وعندما نقيم نشاط عبد الناصر الدولى فنحن نستبعد القول أن عبد الناصر كان يلعب على المعسكرين ٠ لان عبد الناصر كان حريصا ـ من أول دقيقة ـ على حفظ علاقة متوازنة بينهما ، لكن هذه العلاقة المتوازنة لم تمنعه من أن يحدد موقفه بالنسبة لامريكا والمعسكر الغربى ، وهذا الامر لم يكن واضحا فى خطابه فحسب بل كان واضحا ـ ايضا ـ فى المؤتمرات العالمية ٠ مثلا فى مؤتمر التنمية والتجارة ٠ فموقفه هناك أدى الى كسب العالم الثالث كله الى موقف ضد العالم الامبريالى ٠

■ **لطفى الخولى :**

٠ لا ٠ نحن نسأل عن ٥٦ و ٦٧ وماذا كان الثمن الذى دفعناه فيهما ٠

■ **خالد محيى الدين :**

بسبب موقفه ٠٠ وهو كان يفعل هذا دفاعا عن مصلحة مصر الحقيقية ٠ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كان هذا الموقف يعطى مصر دورا ٠ ويؤكد هذا ان امريكا حاليا تهتم بالعلاقة مع مصر ٠ لانها اقتنعت ان مصر لها دور فى العالم العربى ٠ ولو لم يكن لها هذا الدور لاختلف الامر ، وذلك بغض النظر عن أن هناك « وفاق » أو « غير وفاق » ٠

■ **لطفى الخولى :**

بل ان المساعدات التى يقدمها الاتحاد السوفيتى لمصر هى نتيجة وزن مصر فى العالم العربى ٠

■ **د ٠ لطيفة الزيات :**

أرجو أن أعلق على مسألة العلاقة الجدلية بين الظروف الذاتية وبين الظروف الموضوعية عبد الناصر لعب على التناقض بين المعسكرين ولعب بالفريق الذى اعتقد انه فى صالح مصر وبناء مصر كقوة يمكن اكبر مما تطيق وكان من الممكن أن ينجح فى هذا ، لو كان اتبع داخليا سياسة مختلفة عن السياسة التى اتبعها وهى السياسة الوسطية أو السياسة التى تجعله يسير فى طريق الثورة خطوات ثم يتوقف ٠ وهى السياسة التى جعلته يقف فى طريق مسدود بالنسبة للتنمية سنة ٦٥ ٠ وهى السياسة التى جلبت علينا ٦٧ ٠ عبد الناصر لما ابتدا سياسة التصنيع ـ والتصنيع الثقيل ـ كان يجب ان يتوقع ان امريكا لن تحالفه الى نهاية الطريق ولن تقف منه ساكتة وهو يصنع وهو يخلق قاعدة عمالية ،وهو ان تكون لمصر سوق فى افريقيا وآسيا ينافس بها مصالح امريكا واسرائيل ٠ كان لابد ان يدرك طبيعة وحجم وضراوة الصراع والصدام بينه وبين امريكا، ولم يفعل لانه تمسك ـ فى الداخل بسياسة وسطية تتراوح بين ماهو طريق رأسمالى وبين ما هو طريق غير رأسمالى ٠

فى الواقع ، هجوم اسرائيل علينا سنة ٦٧ لم يكن هجوما أبله ولا هجوما اعتباطيا كان هجوما مدبرا جاء فى اعتاب فترة انتكست فيها خطة التنمية أو على الاقل لم تندفع فيها خطة التنمية ٠ كنا فى فترة حرجة وجاء هجوم اسرائيل علينا يستهدف القضاء على القاعدة الصناعية التى بنيناها ، وهو اى امكانية نسترد بها انفسنا وننطلق ٠

■ **لطفى الخولى :**

هذه الهجمة الاستعمارية الصهيونية ضربت عبد الناصر أيضا ٠٠٠

■ **محمد سيد احمد :**

هى نقطة ضعف لضرب كل شىء ٠

■ **د ٠ لطيفة الزيات :**

اختم قولى ان الطريق الوسط كان هو الطريق المسدود كان هو السبب فى عدم تلبية احتياجات الواقع الموضوعى ٠

■ **لطفى الخولى :**

عند هذا الحد ، هل تفضلون الاستمرار فى المناقشة ، ام نواصل فى جلسة ثانية ٠

[اتفق المجتمعون على مواصلة الحوار فى جلسة مقبلة] ٠

■ **لطفى الخولى :**

فى جلسة ثانية ، سوف نستكمل تقييم التجربة قبل أن نلخص الاتجاهات الرئيسية التى ظهرت عند مناقشة هذه النقطة ٠٠٠ شكرا ٠

ملف

الطليعة

فيتنام
كمبوديا

الخروج الأمريكى
من آسيا

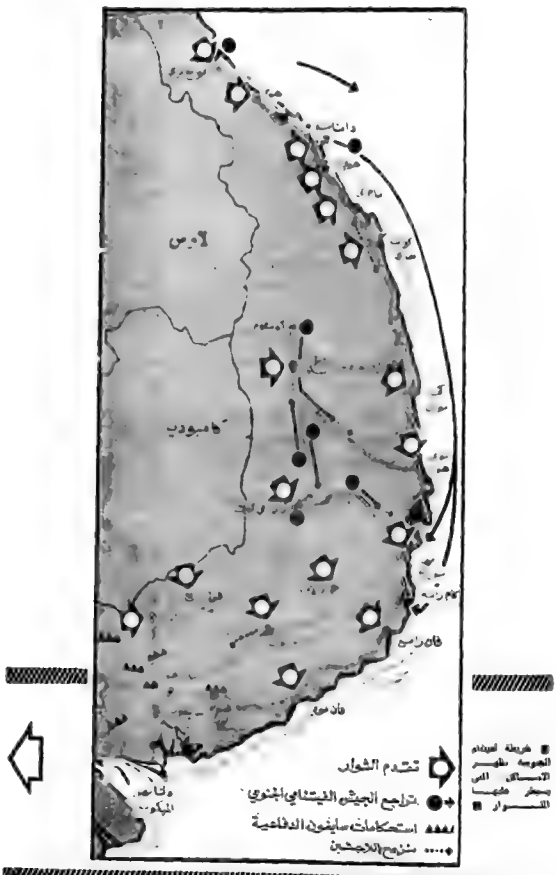

■ خريطة لعون ام الجنوبية تظهر الاماكن التي يبخر عليها الثوار ■

نقلت عمليات الاكتساح العسكرية الاستراتيجية لثوار فيتنام الجنوبية وكمبوديا ، قضايا الحرب والثورة فى الهند الصينية ، مرة اخرى ، الى مكان الصدارة فى مجالات ووسائل الاعلام العالمية ، بعد ان كانت هذه القضايا قد انتقلت الى مرتبة تالية من الاهتمام ، عقب عقد اتفاقية باريس بشأن السلام عام ١٩٧٢، والتى نصت على انسحاب الجيش الامريكى من فيتنام .

لقد كان نجاح هذه العمليات الكبرى نصرا مؤزرا لقوى الحرية والاشتراكية والسلام فى العالم ، نصرا حافلا بالعديد من الدروس والخبرات الثمينة التى دفع الشعب الفيتنامى وشعوب الهند الصينية ثمنها بالدم .

ولهذا فهى تشكل — بالنسبة للحركة الثورية العالمية كلها وخاصة فى العالم الثالث — رصيدا هاما جديرا بالدراسة المتعمقة الباحثة ، التى يمكن أن تعود — دون شك — بالفائدة على مختلف اشكال الكفاح التى تخوضها شعوب هذا العالم ، فى سبيل التحرر والتقدم والسلام .

وتقدم « الطليعة » فى هذا الجزء الحوار الذى اجرته مع السيدة « نيوين تى بينه » وزيرة خارجية الحكومة الثورية المؤقتة فى فيتنام الجنوبية ، والذى يتناول مختلف جوانب التطور الراهن للكفاح الثورى فى فيتنام الجنوبية خاصة ، والهند الصينية عامة

كما يتضمن مقالا للدكتور رفعت السعيد يحلل فيه اسباب ومعنى التراجع الامريكى الكبير فى الهند الصينية .

ويتضمن اخيرا مقال لخيرى عزيز يحلل فيه اسباب ، وسر هذه الانتصارات الضخمة التى حققتها قوات التحرير فى الهند الصينية .

فيتنـــام

○ حوار مع وزيرة خارجية الحـكومة الثـــورية

كانت زيارة السيدة « نيوين تى بينه »وزيرة خارجية الحكومه الثوريه المؤقتةفى فيتنام الجنوبية للقاهرة خـلال الشـهر الماضى فرصة ملائمة بالنسبة للطليعـة ، لاثارة مختلف القضايا والمسائل التى تتعلق بالموقف فى الهند الصينيـة ، والحـرب التحريرية المستعرة هنـاك وبعث مختلف جوانب هذه الحرب مع أحدى الشخصيات التى شاركت بنصيبها فى كفـاح شـعب فيتنام الجنوبية . وتحملت المسئولية على مستوى العمل القومى لهذا الشعب .

وقد جاءت زيارة وزيرة خارجية الحكومه الثورية المؤقتة للقاهرة ، فى وقت شـدت فيه الانتصارات التى أحرزتها قوات التحرير الثورية فى فيتنام وكمبوديا :أنظار شعوب العالم اجمع ، وخاصة شعوبنا المناضلة فى العالم الثالث .

ومن هنا كان « للحوار » الذى اجرته« الطليعة » معها اهميته ، ونضارته .

وقد حضر « الحوار » ايضا السـيدسفير الحكومة الثورية المؤقتة لفيتنـام الجنوبية فى القاهرة وعددا من الملحقين الفيتناميين العاملين بالقاهرة .

واشترك فى الحوار من اسرة تحـرير الطليعـة الزملاء : ابو سيف يوسـف ، وحسين طلعت . وحسين شعلان ،وخيرى عزيز ، و د . رفعت السعيد ، وكمـال السيد ، ووديع امين ،ومحمد سيد أحمد.

ـ الطليعة : يسـعدنا ويشرفنـا ان نستقبل هذه الشخصية ،المتازة والمناضلة الرفيقة « نيوين تى بينه » بيننا لندير حوارا بناء نستطيع منه أن نتعرف على مـلامح الصورة فى جنوب فيتنام .

ونبدا مباشرة فنتساءل عن الموقف العام فى فيتنام :

من الملاحظ ان الموقف يتطور بوضـوح فى فيتنام . وتكثفه بعض مظاهر التدخل، وكذلك الامر فى كمبوديا . حيث بلغت حدة النزاع هناك مرحلة حاسمه . وفى ظل هذه التطورات يهمنا أن نتعرف على وجهـة نظركم فى الموقف العام فى الهند الصينية؟

□الوزيرة : اعتقد ان الموقف يتطور فى فيتنام وكمبوديا ولاوس لصالح الثـوار . وربمـا كان الموقف فى كل منهما يختلف عن الاخرى . فهناك ـ بالطبع ـ اختـلاف الى حد ما فى الظـروف الاجتماعية والسياسية ، الا ان الدول الثـلاث تشترك فى انها تخوض معـارك مسلحة ، وان الموقف يتطور لصالحها .

وسابدا بالحديث عن فيتنام ثم كمبوديا واخيرا عن لاوس .

لاشك انكم على معرفة باتفاقية باريس . لقـد كانت ولا تزال انتصاراً عظيمـا وهاما للشـعب الفيتنامى ، بل يمكن القول انها انتصارا ذو طابع تاريخى . وهذا لا يعنى ان هذه الاتفاقيه تحصر اهميتها بالنسبة لفيتنام فقط أو شعوب الهنـد الصينية ، وانما لها مغزاها الدولى ايضا . اننى اتحدث اليكم من وجهة النظر الوطنية .ويمكن أن اقول : ان هذه الاتفاقية ترجمة لاستخدام القـوة من جانبنا استخدامها صائبا ،لاننا استطعنا ارغام الولايات المتحدة على توقيعها . وان هذه الاتفاقية تعكس هدف جبهة التحرير الوطنيـة ، وحكومة

الثورة فى فيتنام الجنوبية . وقد نصت هـــذه الاتفاقية على حق شعب فيتنام فى الاستقلال ، والسيطرة على اراضيه ، وحقه فى الوحدة . كما نصت الاتفاقية ليس فقط على ان تسحب الولايات المتحدة قواتها ، وانما على ان تكف عن التدخل العسكرى ، أو اى تدخل فى الشئون الداخلية لفيتنام الجنوبية . كما نصت الاتفاقيـة على ان الحل السياسى لمشكلة فيتنـام الجنوبيـة يكون اساسه ومحتواه حق الشعب فى تقرير مصيره وضمان الحقوق الديمقراطية للشعب . ويبـدو واضحا ان الاتفاقية تعكس الهدف الذى حاربنا من اجله عشر سنوات . وان ما يحدث هـــذه الايام هو تطور منطقى للمـوقف . وبالنسـبة للولايات المتحدة يعتبر ما يحدث — الان — نتيجة سياستها الرامية الى عرقلة تنفيذ اتفاقيـــة باريس . وان هذا يعتبر دليـلا على سـلامة سياستنا التى تهدف الى حماية الاتفاقية والدفاع عنها بكل السـبل السياسـية والعسـكرية ، والدبلوماسية . وان مايحدث الان لاينفصل عن الماضى ، عن السنوات الاخيرة . وان ما يحدث هو هزيمة للولايات المتحدة ،نتيجة للسياسة التى تنتهجها .

ومن الناحية العسكرية ،فقد كان للعدو قوات تقدر بمليون ونصف مليون جندى . كان ذلك اثناء الحـــرب المحليـــة .. اما فى فترة فتنمـة الحرب فقد سحب الأمريكيون جزءا من قـواتهم ودعموا القوات العميلة . فهذه القوات لم تنقص بل على العـكس زادت . وفى هـــذه الفترة عوضوا السحب البسيط لقواتهم بغارات جوية مكثفة . واود هنا ان اقول ان الامريكيين قـــد استخدموا قواتهم البرية والجوية ولكنهم لم يصلوا الى اهدافهم .

والان بعد انسحاب القوات الامريكية انكمشت ايضا ادوات الحرب لانه عندما انسحبت القوات الامريكية ، سحبت معها جزءا مـن المعـدات العسكرية فانسحب معهم الفنيون والطيارون ، وقد حاولوا دعم نظام سايجون . ولكن كان مـن الواضح انه مهما كان الدعم فلن يعـــوض عن وجودهم . باختصار اختلف حجم ادوات الحرب وحجم العمليات ايضا . وبالطبع ادى هذا الى ان تكون محصلة العمليات العسكرية فى صالحنا .

وهنا يجب ان نضع — فى اعتبارنا — نقطـة هامة هى الروح المعنوية للقوات . فانتم تعرفون ان قوات العملاء مجندة من فيتنام الجنوبية ،اى من الشعب هناك وان حكومة سايجون تجندهم بالقوة .. انهم الفلاحون والعمال وحتى الطلاب جندوا — كلهم — بالقوة .. فـروح القتـــال منعدمة عندهم . ثم ان اتفاقيـة باريس اضعفت ايضا روحهم المعنوية . هذا بالاضـافة الى انه ليس لهم مبرر شرعى للحرب . وهكذا نجد ان الوعى الوطنى تطور بعد عقد اتفاقية باريس .

وعندما قدمنا سياستنا الخاصة بالمصالحـة الوطنية .. وهى سياسة هامة حاول الاستعمار الامريكى معارضة هذه السياسة باحداث الفرقة ليس فقط بالنسبة للشعب بتحريض فئـة على اخرى واصحاب ديانة على اخرى ، بل لقـــد عمدوا الى التفرقة بين افراد الاسرة الواحدة ، لان هناك اسرا يعيش جزء منها فى المنطقـــة المحررة ،ويعيش الجزء الاخر فى الجهة الاخرى. بل اننا نجد — حتى — مقاتلين فى جيش العملاء الاخ منهم ضد اخيه . وهذه ليست حالات خاصة، ولكن هناك عددا كبيرا من الاسر راح ضحية هذه السياسة . ولذلك فقد عملنا — بعد ابرام اتفاقية باريس — ووجهنا اهتمامنا لروح المصالحـــة الوطنية ، متخذين من الاتفاقية اساسا لها .

— الطليعة : هل نستطيع ان ناخذ فكرة عن تكوين القوى الوطنية وعن وزنهـــا الحالى ؟

□ **الوزيرة** : تهـدف سـياسة المصالحـة الوطنية الى عزل العناصر المناهضـة لتحـرير الوطن ،وهذه السياسة تعبر عن مطلب الشعب وعن رغبته فى ان يستريح من معاناته ومن التمزق الذى شـمل الاسرة ، حتى ان المشـتركين فى جيش العملاء اخذوا يشعرون بالذنب .

اذن فنحن — من ناحية — نترجم رغبات الشعب ، ومن ناحية اخرى ، نهدف الى عـزل الرجعيين ومناهضى الوطنية الذين يخدمون العدو . والامر المؤكد هو ان سياسة المصالحة الوطنية لها اثرها. حتى ، بين جنود جيش العمـلاء انفسهم لذلك ليس من الغـريب ان تجـدوا — من الناحيـة العسكرية ان محصلة العمل العسكرى هى فى صالحنا . هذا من ناحية .

ومن الناحية الاخرى فاننا نمارس سـياسة معالة خاصة بالوحدة الوطنية . وانتم تعـرفون انه كان لدينا جبهة وطنية عريضة اثناء المقاومة الاولى ضد الفرنسيين . والجبهة الوطنية التى تكونت فى عام ١٩٦٠ هى اكثر اتساعا . ومنـذ تكوينها لم ندع سبيلا لتوسيع هـذه الجبهة الا وسلكناه .

— الطليعة : ما هى القوى السياسية التى تضمها الجبهه . وما نوعيتها ؟

□ **الوزيرة** : من الناحية السياسية ،يمكننا ان نقول ان جبهة التحرير الوطنيـة تضم غالبيـة الشعب : الفلاحين قبل اى فئة اخرى ، كمـا تضم عمال المدن ايضـا . وتضم البرجـوازية الصغيرة بل وطبقة البرجوازية الوطنية والطلاب. ولقد حاول الامـريكيون باسـاليب الاستعمار

الجديد ؟ إن يخلقوا طبقة جديدة من البرجوازية: من العسكريين ورجال المال ومديري البنوك والوسطاء والعسكريين .

ـ الطليعة : اي من العناصر المتعاونة مع العدو والمكشوفة ..

□ **الوزيرة :** بالضبط .. لقد استخدموا سياسة الاستعمار الجديد منذ عشرة طويه . منذ عشرين سنة ، تقريبا . لذلك لم يعد يثق الشعب في هذه العناصر .

ـ الطليعة : واصبحت هذه العناصر تمثل ـ بعد أن بلغت حجما معينا ـ مشكلة في عملية البناء الوطني ؟

□ **الوزيرة :** نعم .. ومن الناحية السياسية إستخدموا وسائل بارعة لقد استخدموا الشعارات الوطنية ليحاربوا الشيوعيين . في البداية استخدموا هذا الاسلوب .. اذا كنتم تتذكرون ايام نجو دينه دييم فقد كان هذا الحاكم يتظاهر بالوطنية ، في حين كان في الواقع يقاوم الوطنيين الحقيقيين . وهذه وسيلة قديمة .. لكن هذه السياسة غير ناجحة عندنا ، لان لنا خبرة طويلة معهم . لذلك يستخدم الامريكيون وسائل سافرة وطائشة فقد استخدموا سياسة التهدئة مبكرا .

ـ الطليعة : سياسة التهدئة ماذا يعني؟

□ **الوزيرة :** هي ببساطه تهدر الشعب ، ورسم سياسة تمع للسيطره عليه . وقد استخدموا هذه السياسة ـ منذ ١٥ عاما ـ ولجأوا في ذلك الى كل الوسائل الخادعة .

ولهذا استطاعوا افساد عدد من المواطنين ، وارهاب عدد آخر . كما انهم يستخدمون الوسائل الاقتصادية ايضا للسيطره على فريق ثالث . وبكل هذه الوسائل ـ مجتمعة ـ استطاعوا ان يسيطروا على جزء من الشعب.

ـ الطليعة : بفضل اتفاقية باريس انسحبت الحركة الثورية ، واصبح من الصعب على الولايات المتحدة الامريكية العودة الى التدخل العسكري كما حدث من قبل . ويرجع ذلك الى ظروف الولايات المتحدة . لكن .. هل هناك ـ مع ذلك ـ احتمال للتدخل الامريكي بطريقة أو باخرى؟

□ **الوزيرة :** لقد استخدم الامريكيون كل الوسائل لهزيمتنا ، وهم متمسكون بسياستهم. لكن ما الذي يمكنهم ان يفعلوه الان ونحن في غاية اليقظة ؟ يجب أن يعيدوا حساباتهم طبقا للظروف الحالية وان يضعوا في اعتبارهم الخبرة التي اكتسبناها .. فقد استخدموا كل الوسائل العسكرية سواء كانت برية او جوية . وبرة اخرى ما الذي يمكن ان يفعلوه ؟ لا شك انهم يفكرون في وسيلة ما ، ولكن هل سينجحون ؟ ان التدخل بالاسلوب السابق امر صعب جدا. ولكننا لا نستبعد ذلك ! نحن نقول دائما : ان الاستعمار عنيد ويمكن ان يفعل ذلك . ولكننا واثقون من فشله ، لان علاقات القوى في صالحنا ، في فيتنام وكمبوديا ولاوس . ، طبقا لتحليلنا فان ذلك ليس بحالة خاصة ، ولكنه جزء من الموقف العام .. العالمي . فموقف الاستعمار الامريكي يزداد صعوبة في العالم ، انه يضعف. ليس من الناحية العسكرية فحسب ، بل وايضا من الناحية السياسية وحتى الاقتصادية .بالطبع لاتزال توجد في بعض المناطق .. وفي بعض البلاد صعوبات تواجه الحركات التقدمية ، ولكن هذه الحركات التقدمية تسير ـ بوجه عام ـ قدما في طريقها .

ـ الطليعة : هل معنى ذلك اننا لسنا بعيدين عن تحرير قريب ونهائي لفيتنام الجنوبية ؟

□ **الوزيرة :** لا نستطيع ان نقول ان التحرير النهائي قريب ،لاننا نواجه ـ عمليا ـ اكبر دولة استعمارية .. اكبر قوة استعمارية ، ولها خبرتها في التعامل مع الشعوب . وقضية فيتنام لها طابع دولي .. هي ليست قضية محلية فقط . لذلك نحن نعد انفسنا لحرب شاقة وطويلة .. ولكننا متاكدون من اننا نسير في الطريق السليم.

ـ الطليعة : تكلمت الرفيقة عن علاقات القوى في المنطقة ، فهل تدخل في اعتبارها علاقات القوى في ظل الانفراج الدولي ؟

□ **الوزيرة :** في تصورنا ، اذا كان الانفراج في منطقة ما من العالم وفي فترة زمنية ما فان ذلك يرجع الى نضال الشعوب ، فهو الذي اجبر الاستعمار على التراجع . وفي تصورنا أن الاستعمار يستخدم ايضا الانفراج ليكسب وقتا.

الطليعة : الرفيقة الوزيرة تكلمت عن التركيب الطبقي للجبهة . السؤال هو : ما هو التركيب السياسي والتنظيمي للجبهة ، بمعنى ما هي المنظمات والهيئات السياسية ... القوى السياسية المختلفة التي تعمل داخل الجبهة ؟

السؤال الاخر هو انه مع الانتصار الساحق الذي يتحقق الان لابد ان هناك

قوى تعيد حساباتها حتى من قوى اليمين. ما هو تأثير البرنامج المعلن للجبهة على احتمالات انضمام اجزاء من هذا اليمين الوطني او المعادى للتدخل الامريكى لصفوف الجبهة ؟ وهل هناك احتمالات لاعلان برنامج جديد للخلاص الوطنى يمكن ان يجمع كل القوى على اختلاف اتجاهاتها الاجتماعية التى ترغب فى التخلص من عملاء الامبريالية وتنفيذ اتفاقية باريس ؟

□ **الوزيرة** : اوضحت من قبل ، ان الجبهة تضم غالبية الشعب وفى مقدمته الفلاحون ، اى الطبقات العاملة : عندنا ثلاثون تنظيما داخل الجبهة الوطنية ، تنظيمات شعبية .. وثلاثة احزاب سياسية كبيرة هى : **الحزب الديمقراطى، والحزب الثورى الشعبى ، والحزب الاشتراكى الراديكالى .**

وفيما يتعلق بالتكوين الاجتماعى لهذه الاحزاب فان الحزب الثورى الشعبى يضم الطبقات الشعبية . والحزب الاشتراكى الراديكالى يضم المفكرين من ذوى الاتجاهات الاشتراكية ،الا ان القضايا الوطنية هى الغالبة فى حديثهم ، اى ويتحدثون اقل عن الاشتراكية . اما الحزب الديمقراطى فيضم البرجوازية الوطنية وقد تكون هذا الحزب فى عام ٤٦ منذ عهد المقاومة الاولى واتجاههم ايضا وطنى وديمقراطى .

ـ الطليعة : لماذا ٣٠ تنظيما .. ولماذا هذا العدد ٣٠ ؟

□ **الوزيرة** : هناك تنظيمات شعبية . تنظيمات للشباب والمرأة .. الخ يضاف الى ذلك الطوائف الدينية ، فهناك تنظيم اليونيين وتنظيم الكاثوليك الوطنيين ، وطوائف دينية اخرى .. وحتى عندنا تنظيمات اقليمية .. ونحن قليلا ما نتحدث عن الاحزاب فى الخارج .. اننا نتحدث فقط عن **الجبهة الوطنية** اذ ليس للاحزاب علاقات خارجية فالعلاقات الخارجية متصورة على **الجبهة الوطنية.**

ـ الطليعة : هذا يعنى ان احترام هذا التعدد فى التنظيمات هو الوسيلة المثلى لتحقيق الوحدة ؟

□ **الوزيرة** : نعم .. سألت الان عن برنامجنا. كان للجبهة منذ عام ٦٠ برنامج كبير ومحدد بدقة وفى عام ١٩٦٧ كان البرنامج اكثر شمولا ، وتناول كل القضايا ،واصبح محور العمل لكل الاحزاب. اما الان فان **اتفاقية باريس** هى قاعدة ومحور وحدتنا الوطنية ، وهى اكثر اتساعا .

وفيما يخص بالمطالب المباشرة فقد عدم اعلان ٨ اكتوبر برنامجا من ١٢ نقطة . نطالب النقطة الاولى فيه بان توقف امريكا تدخلها العسكرى ، وخاصة الدعم العسكرى **لسايجون ؟** وان تكف عن التدخل فى الشئون الداخلية لفيتنام .ونطالب النقطة الثانية بالعمل **ثيو ورفاقه** ـ وهم العقبة امام تنفيذ اتفاقية باريس ـ وان تحل محلهم حكومة سلام لتنفيذ الاتفاقية . وهذه هى النقاط الملحة فى البرنامج ... وكما ترون فان لنا برنامجا كبيرا .

ـ الطليعة : بعد تنفيذ اتفاق باريس ، سواء بالقوة او بوسائل سلمية ، فانه من المتوقع ان الخطر الخارجى سيتراجع نسبيا ، وستزيد فرص التمايز الاجتماعى بين قوى الجبهة . وهذا ربما اعطى الاستعمار الجديد فرصا اكثر تمكنه من تقسيم صفوف القوى المعارضة للامبريالية. هل فى ذهن قيادة الجبهة هذا الخطر ،وما هى الاجراءات التى اتخذتها ؟ بالطبع ان هذا الخطر ربما لا يكون عاجلا ، وانما هو وارد ... ربما على المدى الطويل ؟

□ **الوزيرة** : نحن ننادى بنظام ديمقراطى تقدمى فى فيتنام الجنوبية ، هذا فى حين ان النظام فى فيتنام الشمالية اشتراكى . وهذا يعنى اننا نضع ـ فى اعتبارنا ـ الخلاف بين الاتجاهات المتعددة فى فيتنام الجنوبية والناجمة عن الاستعمار الجديد ، وهو الامر الذى اخر تحسن الموقف فى الجنوب .

ولسوف تظهر خلافات بيننا بمجرد استتباب السلام . لكننا نأمل الا تدوم طويلا . ولذلك سوف يستمر النظام الديمقراطى التقدمى بعض الوقت . وسوف يكون فى داخل هذا النظام اتجاهات سياسية مختلفة ،ولكن يجب ـ بالطبع ـ ان نتحد على الاهداف الكبرى .

ـ الطليعة : ما هى احتمالات الوحدة مع الشمال فى تصوركم ؟

□ **الوزيرة** : ان حجم قضية تحرير فيتنام الجنوبية ، كبير بدرجة لا تسمح بدراسة مسألة الوحدة . الا ان ذلك سوف يتم سلميا . ونعتقد اننا سوف نصل الى هذا ، لان الرغبة فى توحيد فيتنام هى شعور عميق فى نفس الشعب الفيتنامى سواء فى الجنوب او فى الشمال ، وهى كذلك حتى لدى العنصر غير التقدمية . لكننا لم ندرس هذا الموضوع بالتفصيل ، لان قضية التحرير تتطلب حشد كل قوانا .

ـ الطليعة : اذا تصورنا ان الوضع فى فيتنام سينتهى الى انتصار هانوى ، ولكن غير مكتمل .يعنى قد تصل الامبريالية

الامريكية الى مرحلة لا تتدخل فيها ؟ ولكن تعمل على منع انهيار النظام المعبل او نظام شبيه، فهل يمكن — مثلا — أن نتصور الوضع في فيتنام الجنوبية سيتحول الى فيتنامين ؟ وفي هذه الحالة ما هي العلاقة التي يمكن أن تتواجد بين النظام الفوري الذي سيصبح دولة حقيقية، سواء من ناحية عدد السكان ومن ناحية مساحة الارض التي يحتلها ! وبين فيتنام الديمقراطية وبين النظام المعيل .

□ **الوزيرة** : عند توقيع اتفاقية باريس وضعت الولايات المتحدة في اعتبارها استخدام وسائل جديدة لتحقيق سياستها ، اي باقامة حكومة موالية لها في فيتنام الجنوبية . وهي — الان — تنفذ سياستها هذه . ولكن ما هي الوسائل التي استخدمتها لتنفيذ سياستها ؟

اولا — هناك زيادة الدعم العسكري الذي سيستخدمه كأداة لعرقلة تنفيذ اتفاقية باريس ، ولاضعافنا واحتوائنا .

اما الوسيلة الاخرى فهي ان تكون لهم قوة ضاربة ، من حولنا . لقد انسحبوا نعم . ولكنهم موجودون — ليس فقط عن طريق عملائهم في سايجون ، او عن طريق مستشاريهم العسكريين هناك ، ولكنهم متواجدون — بكيفية فعلية — بقوة ضاربة يطلقون عليها قوة الردع، انهم يحتفظون بقواتهم في تايلاند وذلك بغض النظر عما اعلنت عنه حكومة تايلاند .. ويتواجدون كذلك في الفيليبين . بمعنى ذلك ان القوات التي انسحبت من فيتنام ماتزال متواجدة، ربما يكون قد هاد جزء منها الى الولايات المتحدة، لكن الجزء الاخر ذهب الى الفيليبين .وهناك ايضا الطائرات التي انسحبت من جنوب فيتنام . ثم اننا نرى — ايضا — الاسطول السابع يتزه في المياه الاقليمية لفيتنام ايضا .

والنقطة الثالثة هي سياسة التقسيم ، انهم يريدون التفريق بين ثورة فيتنام وبين الثورة في كمبوديا . كما انهم يريدون عزلنا عن الحركات التقدمية والاشتراكية ، أو على الاقل الحد من مساعدتهم لنا . هذه — كما اعتقد — هي الوسائل الثلاث الاساسية التي تستخدمها الولايات المتحدة في سياستها الجديدة .

— الطليعة : لكن الفشل يحالفها كثيرا فالثورة في كمبوديا تسير قدما في طريقها، وسياسة التفريق بين الثورات لا تسير كما كانوا يريدون ، كما أن تواجدهم ليس سهلا لان له مشاكله . ويوجه عام هناك تطور في الموقف ، ليس لصالحهم . لكن الامر — مع ذلك — يدعو الى اليقظة ؛ لانهم ربما يستخدمون تكتيك او يقومون بمحاولة اخرى ، او الاثنين معا .

□ **الوزيرة** : هذا صحيح ، ولكنهم لم يكفوا بعد عن محاولاتهم ، فانهم يواصلون سياستهم رغم فشلهم . وسياسة التفريق لا تتبع فقط عندنا، بل في كل منطقة من مناطق العالم .

— الطليعة : لكن ما الذي يمكن أن يثير الانقسامات بين الثورات في فيتنام وكمبوديا ولاوس ؟ نحن نعلم — ما نطمع — انها دول مختلفة لكن هذا لا يكفي لتفسير قدرتهم على احداث الفرقة ، خاصة مع النهوض العظيم للحركة الثورية ،وكما هي ظاهرة الان .. في الوقت الحالي ، ومع ما تحققه من انتصارات ؟

□ **الوزيرة** :اذا اصروا على الاستمرار في اتباع هذه السياسة ، فلديهم المبرر لذلك .. لانه تظل هناك تناقضات .

— الطليعة : ماهي هذه التناقضات وماهي نوعيتها ؟

□ **الوزيرة** : هناك تناقضات في كل الدول .. تناقضات داخلية ، حتى في الدول المتجاورة وفيما بينها ايضا . وانتم تعرفون انه في داخل الحركات التقدمية العالمية توجد تناقضات ايضا، والاستعمار يستغل هذه التناقضات ، ونحن نعرف انه يبني سياسته عليها ،ونحن لاندع سبيلا لاستغلالها الا وسلكناه .

— الطليعة :هل ترجع هذه التناقضات لاسباب تاريخية بين شعوب المنطقة او هو التفاوت بينهم ؟ .. ربما يبدو انه لا تفاوت يذكر بينهم لان تاريخهم متقارب ، وهم قد عانوا من نفس الاستعمار تقريبا . بالطبع ... ربما كانت وراءنا لهذه القضية غير واضحة ؟

□ **الوزيرة** : هناك فوارق يستغلها الاستعمار؛ انه يبذر بذور الفرقة بيننا ولكنه لم ينجح . نحن نحظى جدا لسياسته ،ولذلك لم ينجح في التفريق بيننا سواء في الهند الصينية او مع الدول الاشتراكية ..

اعود الى السؤال الذي طرحته .. هل من الممكن ان تصبح فيتنام ثلاث دول ؟ نحن نعاني من كونها دولتان ، ولا اعتقد ان هناك من يرغب في ان تكون ثلاث دول وهذا هو السبب الاول. اما السبب الثاني فهو ان فيتنام الجنوبية ،لايمكن ان تعرف الاستقرار بوضعها الحالي . ويجب ان

تصل الى نقطة معينة من الاستقرار .. كما انه لا يمكن الحفاظ على كيانين فى مثل هذه الظروف. لابد وان نصل الى شىء .

لقد تحدثت عن احتمال عدم تدخل الولايات المتحدة . لكن الواقع انهم يتدخلون .

ـ الطليعة : نحن لا نقصد عدم تدخل الولايات المتحدة ، وانما نقصد عدم تدخلها عسكريا مباشرا .. اى بطريقة غير مباشرة ...

□ **الوزيرة** ، اذا كان نظام ڤيو سيظل قائما ، فلن يكون هناك استقرار . ولن يكون هناك سوى سببين : اما تطبيق اتفاقية باريس واما استمرار الحرب .

ـ الطليعة : الرفيقة الوزيرة ذكرت ان هناك ثلاثة احزاب رئيسية ، الحزب الديمقراطى ويمثل البرجوازية الوطنية ، والحزب الشعبى الثورى وهو حزب ماركسى ، والحزب الاشتراكى الراديكالى وهو متأثر بآراء اشتراكية ووطنية . وهى نفس الوقت ، وضح لنا ان المحور الاساسى الاجتماعى للحركة الثورية هو طبقة الفلاحين . فالسؤال المطروح هو : اولا : هل ينظر الى الفلاحين كطبقة متجانسة ام هناك تفاوت اجتماعى بينهم ناتج عن ملكيات متفاوتة ؟

وثانيا : كيف استطاعوا التوفيق بين التناقضات الطبقية والاجتماعية ، فى هذا الموقف .

□ **الوزيرة** : ابان المقاومة الاولى ضد الفرنسيين ـ التى دامت كما تعرفون تسع سنوات ـ وفى فترة الاصلاح الزراعى وزعنا الارض على الفلاحين . فى هذا الوقت ، كان هناك ملاك للارض وطنيون يشاركون فى المقاومة الوطنية ، هؤلاء لم نأخذ ارضهم . ولكن اخذنا ارض العملاء ووزعناها .

واثناء المقاومة الثانية كانت الحرب شرسة فى الريف ، هنا وجدنا ان الامريكيين لم يطبقوا اساليب الاستعمار الجديد فحسب ، بل كانت لهم سياسة خاصة بالاصلاح الزراعى ايضا ... وتتمثل فى استيلائهم على الارض من الجميع وتمليكها لعملائهم .. وعلى هذا الاساس اصبح حتى الملاك الوطنيون السابقون ضحايا . هذه الارض وزعت على عملاء الامريكيين .. وكانوا يريدون بذلك ان يكونوا منهم طبقات من ملاك الارض موالين لهم . وفى اغلب الاحيان كان ملاك الارض من العسكريين .

معنى ذلك ان الثورة اعطتهم الارض فاخذها منهم الامريكيون وعملاؤهم . وبتحريرنا للارض اعدناها اليهم .. لذلك نجدهم مرتبطين اوثق ارتباط بالمقاومة .. ولهذا السبب ـ ايضا ـ تعتمد قواتنا عليهم .. وفيما يختص بالفوارق الطبقية فلا توجد بين الفلاحين مشاكل تذكر ، لانه يوجد امامنا عدو شرس يمثل خطرا عظيما عليهم قبل غيرهم .. ان كثيرا من الملاك السابقين اصبحوا فلاحين ، وبعضهم ترك الريف واتجه الى المدن .

ـ الطليعة : ما هى التغييرات المتوقعة فى آسيا وخاصة فى فيتنام فى حالة انهيار نظام اون نول فى كمبوديا وهذا امر متوقع؟

□ **الوزيرة** : اعتقد ان الجميع فى جنوب شرق آسيا يشعرون بتأثير كفاح شعبى فيتنام وكمبوديا ، ليس فقط فى جنوب آسيا ، بل فى العالم كله .. لقد حدث تغيير فى تايلاند ـ ليس جذريا ـ ولكنه على اى حال تغيير ، وفى دول اخرى فى جنوب شرق آسيا مثل سنغافورة وحتى فى ماليزيا والفلبين .. التغيير بسيط ، ولكن هناك اتجاه للسلام والحياد والاستقلال والابتعاد قليلا عن الاستعمار الامريكى .. اننا نلمح ذلك الان . وبالطبع اذا كان النصر ساحقا ونهائيا فسوف يكون لذلك تأثيره على القوى التقدمية فى هذه الدول فانها ستزداد قوة على قوة خاصة تلك القوى التى تطالب بالسلام والاستقلال الوطنى .. واعتقد ان حرب فيتنام كانت ذات اثر عميق من حيث انها ساهمت فى جلب المتاعب للامريكيين عسكريا وسياسيا .. واعتقد اقتصاديا ايضا ..

ـ الطليعة : فى نهاية هذا اللقاء الهام والبناء نحب ان نؤكد أن كفاح شعب فيتنام كان باستمرار مصدر الهام لجميع قوى التحرر الوطنى فى العالم . واننى اؤكد ان امثلة هذا الكفاح قد استقرت فى وجدان جميع الشعوب بما فى ذلك شعبنا المصرى ، لذلك شعرنا نحن اعضاء اسرة الطليعة بفخر عندما جاءت هذه الفرصة النادرة لنستمع الى الرفيقة المناضلة وزيرة خارجية فيتنام وهى تحدثنا عن الاوضاع فى فيتنام ، وهو الامر الذى زاد من وضوح الموقف فى اذهاننا . فباسم زملائى اعضاء اسرة التحرير ، وباسم زميلنا رئيس التحرير لطفى الخولى الذى منعه المرض من الحضور نكرر الترحيب بالرفيقة فى بلدنا وفى مجلتنا ونتمنى لشعب فيتنام الشقيق مزيدا من الانتصارات والنجاحات .

□ **الوزيرة** : اولا انا اشكر الزميل **ابو سيف يوسف** وجميع الزملاء على اتاحتهم الفرصة لى لزيارة الطليعة والحديث معهم اليوم .

وفى الحقيقة فان شعبنا وجيشنا فى الجنوب يحققون — فى هذه الايام — انتصارات عظيمة، وهذا دليل على السياسة السليمة التى تنتهجها الحكومة الثورية لجمهورية فيتنام الجنوبية . وهذه السياسة تدل على اننا مصممون على تنفيذ اتفاقية باريس التى تعتبر انتصارا عظيما للشعب الفيتنامى . ونحن نخوض كفاحا سياسيا طبقا لهذه الاتفاقية .

ومن ناحية اخرى ، نحن نخوض كفاحا مسلحا — لان عدونا — اى حكومة سايجون — تقوم بالهجوم العسكرى على المناطق المحررة . كما اننا نخوض كفاحا دبلوماسيا للضغط على امريكا من اجل تنفيذ الاتفاقية الخاصة بفيتنام . ولسوف نواصل كفاحنا السياسى والعسكرى والدبلوماسى ، لان امريكا لا تحب الفشل ، ولسوف تحاول بكل وسيلة لتبقى فى جنوب فيتنام . ولذلك اقول انه ربما تستمر الحرب فى جنوب فيتنام .

ونعتقد انه تحت ضغط الكفاح القوى لشعب فيتنام ضد الرجعية والامبريالية الامريكية ، وتحت ضغط الراى العام العالمى ستقوم امريكا بتنفيذ الاتفاقية . ان امريكا لا تزال تؤيد حكومة سايجون ، فى حين ان الشعب الفيتنامى كله فى الجنوب يطالب باسقاط هذه الحكومة . وهذا يعنى ، ان امريكا ليست جادة فى تنفيذ اتفاقية باريس .

ونحن نعتقد ان امريكا لا توافق مطلقا — باختيارها — على تنفيذ هذه الاتفاقية . ولهذا اقول ان الكفاح سيستمر طويلا ، ولكننا سوف نحقق انتصارا نهائيا ، ولهذا — ايضا — ارجو من اصدقائى الحاضرين هنا ان يساعدونا بمساندتهم الصحفية ، وان يؤيدونا باعطاء فكرة للشعب المصرى وشعوب العالم عن كفاح شعب فيتنام .

ونحن نعرف تماما ان اخبار كفاح شعب فيتنام فى الايام الاخيرة تظهر على صفحات الجرائد المصرية كل يوم .

وان الشعب الفيتنامى مع استمراره فى كفاحه يتابع كفاح شعب مصر البطل ، فعدونا الامبريالى مشترك . لذلك فان شعب فيتنام يؤيد الشعب المصرى فى كفاحه بكل ما يستطيع من جهد .

○ الانهيار الكبير

د. رفعت السعيد

ثمة طابوران يتراجعان ، وليس طابورا واحدا كما يتصور البعض .

آلاف من الاميال تفصل بين الجموع الهائمة على وجهها فى الطابورين ، لكن رباطا واحدا يشد بينهما .

والطابور المسلطة عليه الاضواء — الان — هو هذه الالوف من جنود حكومة سايجون الذين يتراجعون هلعا وبغير نظام ، ويجبرون مئات الالوف من المدنيين على التراجع معهم وخلفهم ليحتموا بهم وليسهموا فى نشر الفوضى وعرقلة تقدم قوات الثوار . وتصف « لومانتيه » [الفرنسية] طابور التراجع فى فيتنام قائلة « يتأكد انحدار نظام حكم سايجون يوما بعد يوم .. بيد ان قوات ثيو تواصل — وسط حالة الهلع التى انتابتهم — دفع مئات الالاف من المدنيين عمدا الى طريق الهرب ، وتعد هذه مجرد محاولة اجرامية لحماية انسحاب عسكرى بخلطه مع طوفان بشرى من اللاجئين » . [لومانتيه — ٢٩ — ٣ — ١٩٧٥]

والنتيجة طابوران ، مئات الالوف من البشر ، يجوبون الطرقات من مدينة الى اخرى وسط معارك عسكرية ضارية ...

واذا كانت الاضواء تتركز على هذا الطابور ، محاولة اخفاء الانهيار المأساوى لنظام عميل بدعايات « انسانية » ، بينما الجميع يعلمون ان صناع هذا الطابور هم الذين يتباكون على اصحابه .. اقول : اذا كانت الاضواء تركز عن عمد على هذا الطابور ، فانها تبتعد — عن عمد — عن طابور آخر .. أزعم أنه رغم اختلاف الظروف والمكان ، ورغم آلاف الاميال التى تبعد به عن فيتنام ، مماثل لطابور المتراجعين هلعا فى فيتنام ، بل لعله صانعه ، والمتسبب الحقيقى فى كل المأساة

الفيتنامية ، غير أن الحرب الفيتنامية هي ايضا أحد الاسباب في الأزمة الاقتصادية الامريكية .

ولنلق نظرة سريعة على الطابور الثاني :

المكان : طرقات الولايات المتحدة الامريكية .

اصحاب الطابور : مئات الالوف من المتعطلين .

الوصف : تقدمه لنا المجلة الامريكية نيوز ند وورلد ريبورت في عددها الصادر في ٢٤ ـ ٣ ـ ١٩٧٥ .

تقول المجلة الامريكية « في اعداد لم تشهدها امريكا منذ الكساد العظيم في عام ١٩٣٠ ، بدأ مئات الالوف من الامريكيين المتعطلين ، ومعهم عائلاتهم ينطلقون عبر الطرق الرئيسية في مسعى يائس بحثا عن عمل » .

وتبحث المجلة الأمريكية قائلة : « غير أن المهاجرين الجدد ليسوا مثل مهاجري عام ١٩٣٠ . ذلك انهم لا يعرفون الى أين المصير . انهم يهجرون المناطق التي تتفاقم فيها البطالة ، ويتحركون في يأس الى حيث تقودهم غريزتهم بحثا عن فرصة جديدة للعمل . وفي نفس الوقت هناك آخرون يعودون من جديد الى ارضهم التي هجروها منذ سنوات بعد أن اضناهم البحث عن عمل فلم يجدوا ، وقد صرح أحد المسئولين الامريكيين بقوله : انها حركة شاملة لشعب بذعور يبحث عن عمل ، وتضم حركة الهجرة اناسا من متوسطي الدخل وغيرهم من الفقراء شبابا وشيوخا ، عائلات وافرادا ، سودا وبيضا ، وبينما هم يتدفقون في حركة تشبه الهجرة الجماعية ، يشيع الاضطراب في كل مكان » .

والحقيقة ان الرقم الذي يتداوله المسئولون الامريكيون لعدد العاطلين على وجوههم فوق طرقات الولايات المتحدة كبير ، والرقم الرسمي المعلن هو ٧٫٥٠٠٫٠٠٠ شخص تقدموا بطلبات لعدد من الجمعيات لينالوا مساعدات مادية خلال فترات الترحال الرهيب . وهذا الرقم ليس سوى مجرد وليد لرقم آخر أشد هولا هو عدد المتعطلين في الولايات المتحدة ، والذين يصل عددهم الى ثمانية ملايين متعطل ، وهذه نسبة لم تصل اليها امريكا منذ الثلاثينات في عصر الكساد الكبير ، [نيوز أندورلد ريبورت ـ المرجع السابق] .

ويتحرك الطابوران ، ربما على محورين مختلفين ، والآف من الاميال تفصل بين هذه الجموع البشرية العائمة على وجهها ، لكن المحرك واحد .. انه « الكساد الكبير » أو بالدقة الازمة الاقتصادية العالمي الرأسمالي والتي تتدلور ، في صورة جلية في الولايات المتحدة الامريكية .

ولعل في هذا الطابور الثاني .. ليس مجرد الاجابة على حقيقة مصدر المشكلة الفيتنامية ككل ، ولكن ايضا الاجابة على السؤال الكبير الذي يحير الكثيرين « لماذا لم تتدخل الولايات المتحدة الامريكية لانقاذ عملائها ؟

انه يعطي صورة عميقة للعجز الاقتصادي المتزايد ، والذي يخلق بالضرورة عجزا سياسيا .

ان الولايات المتحدة تقف الان في حالة شلل اقتصادي وسياسي ودبلوماسي واعلامي كامل ، تجاه ازمة الشرق الاقصى ، وهذا العجز المركب هو ظاهرة تستحق التأمل لانها تقدم لنا نموذجا مصغرا ، وربما ايضا « بروفة » للانفجار الحتمي الكبير الذي ينتظر العالم الرأسمالي ككل .

ان الكلمات الكبيرة ، مثل آلة الردع الامريكيه ، الضمانات الامريكية ، التكنولوجيا الامريكية ، هيمنة الاقتصاد الامريكي ، الحسابات الالكترونية الدقيقة للقضايا السياسية .. الخ كل هذه الكليمات وغيرها تتهاوى الان ، وبسرعة تحت طارق النوار الفيتناميين والكمبوديين في جنوب شرقي آسيا .

وباختصار فان الطابورين الهائمين على وجههما فيما بين الطرق الامريكية ثارة ، وبين الطرق الفيتنامية ثارة اخرى ، هما نجسيد ونتيجة للصراع التاريخي بين نظامين ، قد يبدو احدهما متألقا وزاهيا وعملاقا لبعض الوقت لكنه أجوف في اعماقه وعاجز عن الصمود أمام أية منافسة سلمية أو مسلحة من النظام الاخر ..

ومع هذا التدهور الكبير يجهد الكثيرون انفسهم لتحليل هذه الظاهرة ، والبحث عن أسبابها ، ويحاول البعض أن يعود خمس سنوات الى الوراء أي الى ابريل ١٩٧٠ عندما تدخلت أمريكا في كمبوديا بتدبير انقلاب عميل ضد حكومة الامير نورودوم سيهانوك ، ومع الانهيار تكشف أوراق كثيرة ، ويدخل لعبة كشف الاوراق وليام سهافير مستشار الرئيس الامريكي السابق نيكسون ، فينشر مذكراته تحت عنوان « قبل السقوط » ويتحدث عن عملية تدبير انقلاب كمبوديا فيقول أن المسئول الاساسي عن تدبير وتخطيط وتنفيذ هذا الانقلاب هو هنري كيسنجر والذي كان في ذلك الحين مستشار الرئيس لشئون الامن القومي . وقد كان الثوار الفيتناميون يستخدمون الاراضي الكمبودية ممرا لذخائرهم ومعداتهم وحكومة الامير سيهانوك التي كانت معتدلة وليس من الممكن وصفها بالتقدمية أو الثورية ، لم تكن قادرة أو راغبة في اغلاق هذا الممر اغلاقا كاملا ..

وبعد صراع ضار ـ كما يقول سافير ـ حسم كيسنجر ويفضل اتباع سياسة « الكوك » بين البيت الابيض ومقر البنتاجون ومقر المخابرات المركزية »

نجح فى اقناع القوى الامريكية الفاعلة بالتدخل فى كمبوديا ، وكانت حجته الاساسية أن « العملية خاطفة » وأن الهدف منها هو « الضغط على السوفييت لارغامهم على الدخول فى مفاوضات حول المشكلة الفيتنامية » .

ويؤكد سافير فى مذكراته ، أن كيسنجر هو الذى قاد السياسة الامريكية نحو هذا المأزق الخطير ، فهو الذى دفع سيهانوك الى الالتقاء مع القوى الثورية الكمبودية التى وقفت الى جواره وساندته رغم خلافاتها السابقة معه . والغريب فى الامر أن الحكم « المعتدل » الذى كان يمنح ثوار فيتنام ممرا او بالدقة يتغاضى عن مرورهم قد استبدل بحكم « عميل » عجز تماما عن الامساك بزمام الامور ، وتحولت مساحات شاسعة من الحدود الكمبودية - الفيتنامية الى جبهات مشتركة ، وليس مجرد ممرات .

ولعل أطرف تصوير درامى لمأساة الخطأ الكيسنجرى تجاه مشكلة كمبوديا هو ما كتبه كلود جوليان فى افتتاحية « لوموند ديبلوماتيك » [الفرنسية] ، « قد يدخل كيسنجر التاريخ على أنه الرجل الذى علم الكمبوديين الشيوعية » .

وهكذا يأتى الفشل مضاعفا ، فمن حيث أراد كيسنجر انقلابا فى كمبوديا ليمنع انتصار الشيوعية فى فيتنام الجنوبية ، فاذا به يضع كمبوديا وفيتنام الجنوبية معا فى متناول يد الحركة الثورية فى البلدين والتى يلعب فيها الشيوعيون دورا رئيسيا .

ويبحث البعض عن سبب آخر لهذا الانهيار الكبير .. ومع اختلاف الخطأ يبقى المخطىء واحدا .. وهو كيسنجر أيضا ، وفى نظر هؤلاء - وهم رجال الحزب الديمقراطى المعارض والمستعد للوثوب عقب الانتخابات الى مقعد الرئاسة - فان الخطأ يبدأ باتفاقيات باريس .

ويبنى الديمقراطيون تحليلهم على اساس نظرية مضادة تماما لنظرية كيسنجر فى الحل خطوة .. خطوة اوقطعة .. قطعة، فهم يقولون - وهم محقون فى هذا - أن خطوة .. خطوة دون تصور استراتيجى عام يهدد الهدف البعيد ويقود نحوه ، يتحول الى تخبط تكتيكى يعقد الامور ولا يفيدها ، لكنهم واذا كانوا على حق فى رفضهم سياسة خطوة .. خطوة ، ويحاولون التبشير بسياسة التشدد ، ويرفضون اتجاهات الجمهوريين لتخفيف حدة التوتر الدولى ..

ومن هنا يأتى رد « الجمهوريين » ومحاولات تفسيرهم للانهيار باتهام الاغلبية « الديمقراطية » بأنها السبب فى هذه الكارثة بمنعها المساعدات عن الانظمة العميلة . ويعترف « الجمهوريون » بخطأ كيسنجر ، وافتقاره للخيال الاستراتيجى العام ، وانبهاره بنجاحات تكتيكية - اكثرها ذا طابع شخصى - لكنهم يعودون للتساؤل عن الاسباب التى حدت بالاغلبية « الديمقراطية » فى الكونجرس للاعتراض على كل طلبات فورد بارسال مزيد من المساعدات الى الانظمة العميلة .. ويقدمون ردا على هذا التساؤل النقاط التالية :

● ان الديمقراطيين تحكمهم الان اولا وأخيرا عقدة الانتخابات القادمة ، وأن الظروف مهيأة لانقضاضهم على السلطة ، ومن ثم فان ما يجرى الان فى فيتنام وكمبوديا هو خير غطاء على الكارثة التى صنعوها هم والتى سبق ان افقدتهم مقعد الرئاسة من قبل ، فاذا كان جونسون قد تسبب فى تمريغ سمعة المؤسسة العسكرية الامريكية فى وحل الادغال الفيتنامية وفى فقد ٥١٫٤٠٠ قتيل امريكى فى معارك فيتنام وحدها ، فان السياسة البديلة لسياسته قد قادت الى الكارثة الختامية . والمحاولة « الديمقراطية » الان تكمن فى شن حملة اعلامية تستخدم الكارثة الحالية لاخفاء الوجه المشوه للكارثة القديمة .

● ان « الصقور » فى الولايات المتحدة ، ولها مكامنها الاساسية فى الحزب الديمقراطى ، تريد أن تقدم برهانا عمليا على خطأ سياسة التهدئة وتخفيف حدة التوتر الدولى (أو مايسمى بسياسة « الوفاق »] . فاذا كان العنف باهظ الثمن فان ثمن المنافسة السلمية « ابهظ » ، ومن ثم فان « الصقور » تترك الامور كى تتردى عن عمد حيث مآلها الطبيعى والحتمى أن تتردى ، كسبيل لاقناع الرأى العام الامريكى بضرورة العودة لسياسة الحرب الباردة والتشدد .

● ان العناصر الاشد رجعية فى الولايات المتحدة - ولها مكامنها الاساسية فى الحزب الديمقراطى - تريد بتركها الامور كى تتردى عن عمد فى مكان هو مفقود بالضرورة كسبيل لارباك قوى السلم فى الولايات المتحدة ، والتى اتسع نفوذها وتعمقت جذورها من خلال معارضة التدخل الامريكى فى فيتنام ، ومن خلال تأييد سياسة التعايش السلمى .

هذا ما يقوله الجمهوريون ..

لكن قوى أخرى تفسر هذا الانهيار والشلل الامريكى الى الصراع بين المراكز الامريكية الثلاثة للقوة .. البيت الابيض . البنتاجون - المخابرات المركزية .

وثمة آراء أخرى تتردد عن خطر الاعتماد على أنظمة عميلة مكشوفة بنسبة ١٠٠ فى المائة وانه من المفيد محاولة مجاراة الزمن ، وايجاد أشباه عملاء .. أشباه مكشوفين كسبيل لضمان فرصة أكبر لبقائهم .

غير أن البعض يفسر هذا الانهيار فى أن الولايات المتحدة قد أرهقت ميزانيتها بالفعل من ضخامة المساعدات الاقتصادية والعسكرية التى

قدمت لهذه الانظمة ـ والتي تحولت الى مصفاة حقيقية لا نهاية لها .. الاموال تنصب الى جيوب الصفوة الحاكمة والاسلحة يهرب الجنود بتركوها في ايدى الثوار . ان حكومة « ثيو » وحدها قد تلقت في عام واحد هو عام ٧٣ ـ ١٩٧٤ مبلغا ضخما من المساعدات المالية التي وصلت الى ٢٫٣٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ دولار وهذه الارقام الفلكية تذوب على الفور .. ولا أمل في اية نتيجة حقيقية مع أية زيادة مهما كانت في حجم المعونات [الشئون الدولية ـ الصوفيتية ـ فبراير ١٩٧٥] . بينما يرتفع الرقم الاجمالي للمساعدات العسكرية في السنوات القليلة الماضية الى ١٥٠ مليار دولار ، وهو رقم فلكي لا يمكن تخيله .

ومع ذلك فان الولايات المتحدة ، وبرغم ما تعانيه من شلل وارتباك تحاول ايقاف هذا الانهيار بمظاهرة عسكرية لا تخيف احدا ، فسفن الاسطول السابع الامريكي (حاملتا طائرات هليكوبتر ـ ثلاث مدمرات ـ حاملة طائرات ـ ست سفن انزال] تحتشد الان لعلم شواطىء فيتنام ـ والرئيس فورة يهدد بأن أمريكا أن تسكت على ما يجرى ..

لكن الشلل الامريكي لا يأتي ـ فقط ـ من عجز السياسة الامريكية ولا من تغير موازين القوى العالمية لغير صالحها ، وانما أيضا من أنها لا تستطيع أن تدعى أنها تتدخل بمساعد « ثيو » ما قائما أو يستحق المساعدة .. ان النظام العميل ينهار تماما بحيث يصعب الادعاء بمساعدته ..

● ● ●

ولغيرا وبرغم أن كل التحليلات التي أوردناها تحتوى على قدر قل أو كثر من الحقيقة ، الا اننا نغفل دائما أن تصورنا أن أيا منها هو السبب المباشر ، انها مجرد نتائج .. أما السبب الحقيقي ، المباشر ، الفاعل فانه يكمن هناك في الطابور الهائم على وجهه من مئات الالوف من الامريكيين المتعطلين .. انه الكساد العظيم .. الذى يقود الى الانهيار العظيم ..

يبقى أن نقول أنها مجرد بخدمات .. « بروفة » لانهيار نظام يأسره .

○ الانتصـــار العظـــيم

نحن نتقدم .. ونتقدم
صامدين كأعواد الصلب
بالالاف ... والالاف
قوافلنا تتقدم .. وتتقدم
صفوفنا طويلة مثل الانهار ..
عالية كالجبال
وارادتنا تتقدم ، وتتقدم
كبحر الصين بلا آخر

للشاعر الفيتنامى تو هو

خيرى عزيز

أى درس رائع شيين ، يتلقاه العالم ، وخاصة العالم الثالث ، من هذا الاكتساح الثورى الهائل ، والانتصار الاستراتيجي العظيم ، الذى حققته ، وتحققه في هذه الايام ، القوات الثورية للشعب الفيتنامى ، والشعب الكمبودى ؟ ..

ان هذه مسألة تتسم باهميتها الخاصة بالنسبة لنا ، ولكل الشعوب التي لاتزال تواجه مهام نضالية تحريرية اساسية في صراعها ضد الاستعمار الجديد .. فلقد اجهد العديد من المنظرين السياسيين البورجوازيين ، الذين يحترفوا عملية تبييع النضال الشعبي وتزييفها من محتواها الثورى في العالم الثالث ، انفسهم في اصطناع الظنيات الخيالية بين الشعوب ، وبين الاستفادة من حكمة ومغزى النضال الفيتنامى .

وكانت اخطر واهم تلفيقاتهم ، لاطالة عمر الاستعمار الامريكي ـ نظريا ـ ومحاولة تثبيطهم

الشعوب فى النضال ضده تقول : « انه اذا كان صحيحا ان الولايات المتحدة لاتستطيع احراز النصر فى ميدانم على الثوار وجمهوريه فيتنام الديموقراطية فانه من الصحيح ايضا ان الثوار لن يستطيعوا باى حال ، احراز نصر كلاسيكى حاسم على الولايات المتحدة هناك ، فضلا عن انها لن تسمح به بتحقيق مثل هذا النصر » .

وعدد هؤلاء المنظرون بالارقام والاحصاءات الصارخة ، مظاهر الحجم الهائل للقوه العسكرية الامريكية ، والامكانيات الاقتصادية التى لا تنضب للولايات المتحدة ، مؤكدين انهما سيحسولان بالقطع ، دون تحقيق نصر فيتنامى ثورى حاسم ، مهما طال أمد الكفاح لتحقيقه .

ولذا فان اكثر الامور اهمية الان ، بعد أن تبدد وذهب ادراج الرياح ، ذلك التعليل المضلل ، الذى تصدت له القوى التقدمية على الدوام ، فهو محاولة تفهم سر هذا النصر الحاسم الذى أحرزته القوات الثورية فى الهند الصينية .

الواقع ان اهم حقيقة جوهرية ادت الى انتصار الشعب الفيتنامى ، وهو شعب فلاحى صغير على اقوى دولة امبريالية فى العالم ، هو اعتماد هذا الشعب فى قتاله على نظرية وتطبيق « حرب الشعب » ، اى اشتراك الامة كلها فى القتال ضد العدو ، لا القوات المسلحة وحدها . ومن شأن هذا التطبيق الاستراتيجى أن يحرم العدو دائما من القدرة على تطبيق أسلوبه الذى يريد استخدامها فى القتال ، ويحرمه بصفة خاصة من وجود مؤخرات امينة له ، فحيثما يوجد الشعب المسلح ، تكون الجبهة فى كل مكان . وبذا لا يجد العدو مكانا يستقر به فى أمان ، ويجد نفسه فى حرب بلا جبهة ، وبلا مؤخرة ، وبلا خط نيران محدد المعالم ، فهو بازاء جبهة قتال فى كل مكان ، وفى كل وقت ، بعد أن تحولت البلاد بأسرها الى ميدان معركة ، وهذا هو السر فى فشل تكتيك « النقل بالهليوكبتر » ، والانزال الجوى لقوات المظليين التى كانت تجد دائما ، فى انتظارها ، عدوا يقظا من رجال العصابات ، ووحدات نظامية تضربها بقوة بغية ابادتها .

كذلك كان الخط الاستراتيجى الذى اعتمده الفيتناميون لحرب الشعب فى الجنوب هو خوض حرب طويلة الأمد واكتساب القوة اثناء القتال ، لانهم وجدوا انهم فى مواجهة حرب تخوضها الامبريالية الامريكية ، زعيمة القوى الامبريالية ، وصاحبة الجيش الكبير والمعدات الحديثة ، والقدرة العسكرية والاقتصادية التى تفوق قوتهم بمرات عديدة ، فانهم يحتاجون الى الوقت لكى يدمروا القوة الامريكية والعميلة ويضعفوها بالتدريج ، ولكى يحدوا من نقاط قوتها ، ويزيدوا نقاط ضعفها سوءا ، وفى نفس الوقت ، لكى يعد الفيتناميون ويطوروا قواتهم المسلحة وقواتهم السياسية ويقلبوا الميزان أكثر فأكثر لصالحهم بمرور كل يوم ، ويستنزفوا قوى العدو ، وينمو قواتهم وهم يواصلون القتال ، ويحرزوا نجاحات أكبر وأكبر ، بمهاجمة العدو ، مبتدئين بأعمال صغيرة ، ومتقدمين الى اعمال أكبر وأكبر ، لدفع العدو الى الخلف خطوة خطوة ، وأحباط مخططاته الاستراتيجية المتتالية ، حتى يجهزوا عليه فى النهاية أجهازا كاملا . وهذا هو السبب الذى حدا بالزعيم الثورى الفيتنامى تورونج شينه ليدول : « أن الوقت ألمع استراتيجيتنا انه يعمل لمصلحتنا : « أن ماصمدنا على المقاومة حتى النهاية » ، كما اوضح الجنرال جياب انه « اذا كانت المسألة فى المسألة الأساسية فى كل الثورات ، فان تدمير قوات العدو هو المسألة الاساسية فى كل الحروب » .

ولعل من ابرع مالتسمت به القيادة الثورية الفيتنامية وساعدها فى تحقيق انتصاراتها الرائعة ايضا ، هو نجاحها فى الربط بين النضال العسكرى والنضال السياسى سواء بالنسبة للأوضاع داخل فيتنام الجنوبية ، أو بالنسبة للوضع السياسى الدولى للعدو .

فبالنسبة لداخل فيتنام ، نجد ان الانتصارات الاستراتيجية الاخيرة التى تحققت منذ اول مارس ١٩٧٥ ، قد جاءت نتيجة هجمات عسكرية متواصلة ، وانتفاضات جماهيرية سياسية قوية فى المدن ، ادت الى كسر انظمة الدفاع القوية للعدو ، وتفريق قواته المسلحة ، واجهزته المسلحة الاخرى ، وتحرير اهم المدن الكبرى ، وتحرير ٠٠٠ر٣٠ر٩ مواطن . كذلك ادت الانتفاضات الشعبية والهجمات المسلحة ، الى انضمام عديد من الفرق ، ومئات الالاف من جنود وضباط الجيش العميل بأسلحتهم الى الجماهير ، استجابة لنداء جبهة التحرير .

وقد كان ذلك الانجاز افضل تطبيق عملى ، لنظرية الثورة الفيتنامية فى مجال الاساليب الثورية . فقد اوضح قادتها دائما ان النضال المسلح شكل اساسى للنضال له اثره الحاسم والمباشر فى تحطيم القوى العسكرية للعدو ، والنضال السياسى بواسطة الجماهير هو ايضا شكل اساسى للنضال ، له اثره الحاسم على طول مراحل الثورة ، ومن اجل نجاحها . وان النضال العسكرى المقرون بالنضال السياسى ، هو الشكل

الأساسى للمعنة الثورى فى جنوب فيتنام ؟ والجمع بين النضالين هو القاعدة الأساسية للأساليب الثورية هناك ـ كذلك اعطت قيادة الثورة ، اهمية كبرى **للعمل السياسى بين قوات العدو** ، كشوكة هجومية استراتيجية ونقطة رئيسية فى العمل الثورى فى فيتنام الجنوبية ، كما نجد انه بينما عملت القيادة الثورية على انشاء **القواعد القوية** فى منطقتى « **القتال ـ الغابات** » ، و « **السهول** » فانها أعدت ايضا مواطىء لاقدامها فى المنطقة الثالثة « **المدن** » .

هكذا نجد فى داخل فيتنام الجنوبية أن **الجمع بين النضال العسكرى والسياسى ، ومهاجمة العدو بثلاث شوكات** « هى العمليات العسكرية ، والعمل السياسى ، والتحريض والدعاية بين قواته » ، **والتنسيق بين الانتفاضات الجماهيرية ، والحرب الثورية ، وضرب العدو فى كل المناطق الاستراتيجية الثلاث** ، هى ابرز ملامح الاساليب الثورية التى استخدمت فى فيتنام الجنوبية .

ولم يقتصر جمع القيادة الثورية الفيتنامية بين النضال العسكرى والسياسى على الوضع داخل فيتنام وحدها ، وانما نسقت هذه القيادة الفعل بنسيق بين هجماتها العسكرية الاستراتيجية ، وبين الوضع السياسى والدولى العام للعدو المحلى والامريكى ، واختارت انسب اللحظات لشن هذه الهجمات .

وهذه مسألة تتسم بأهميتها ، اذ يرى الفيتناميون ، أن هناك مسألة هامة جدا **بالإضافة الى اعداد القوات السياسية والعسكرية ، تلك هى مسألة انتهاز اللحظة المناسبة** التى قد تتحقق ، اما بواسطة القوات الثورية فى الداخل ، او نتيجة لظروف خارجية ، ويرون انه حالما تكتسب الثورة وضعا صلبا وقويا ، ويدفع العدو للتزام الحائط ، فانه فى هذه الحالة ، تتوقف المسألة فقط على **وضوح الرؤية الخاص لدى القادة ، وعلى حاستهم السياسية** . وغالبا ما يكون كافيا للقادة ، فى هذه الحالة ، ان يضعوا **ايديهم بشكل كامل على الاتجاه الرئيسى ، وعلى بعض العوامل والشروط الاساسية** ، وان تكون لديهم الجراة على العمل .

ولذا نجد ان جبهة التحرير بدات هجومها **فى وقت وصلت فيه حكومة نيودنديم الى قمة العزلة** حتى عن الولايات المتحدة الامريكية ، مصدر امدادها وتعزيزها اقتصاديا وعسكريا ، الامر الذى اتضح تماما عندما رفض زعيما الاكثرية الديموقراطية والاقلية الجمهورية فى مجلس الشيوخ الامريكى منذ عدة اشهر حتى مقابلة زعماء الوفد الذى ارسله ثيو لطلب المزيد من المساعدات الامريكية العسكرية والاقتصادية . كذلك شنت جبهة التحرير هجومها فى وقت دلت فيه كافة الاستفتاءات ، على معارضة اغلبية الشعب الامريكى لتقديم اى مساعدات جديدة لحكومة ثيو ، بعد ان تكبد الشعب الامريكى ٥٥ الف قتيل و ٢٠٠ مليار دولار ، وزود هذه الحكومة باحدث اسلحة الترسانة الامريكية ، لضمان بقائها واستمرارها دون جدوى .

كذلك شنت جبهة التحرير هجماتها الاستراتيجية ، فى الوقت الذى تساعد فيه نفوذ **القوة السياسية الثالثة** فى فيتنام الجنوبية ، التى تضم عناصر فعالة فى البرلمان ووزراء وجنرالات سابقين ، وصحفيين ، ومثقفين ، وفنانين ، وشباب ، وطلبة ، وهى عناصر ربما تعاونت مع نظام سايجون فى الماضى ، لكنها انقلبت الى معارضة ثيو نتيجة السياسة العمياء التى واصل اتباعها ، وتعكره صفو السلام ، وانتهاكه المستمر لاتفاقيات باريس بشأن السلام باعتداءاته المتكررة من قبل على المناطق المحررة فى الوقت الذى كان شعب الجنوب يحن فيه حنينا شديدا الى السلم ووقف القتال . كل ذلك ادى الى تفجر المظاهرات فى نهاية الامر ، فى سايجون نفسها ، تطالب باستقالة ثيو ، لدرجة ان البرلمان طالب ايضا برغم عمالة معظم عناصره ، بتنحيه عن الحكم ، وتضامن معه فى ذلك رئيس الكهنة البوذيين الذين يمثلون القسم الاكبر من السكان وهو ماحدث بعد ذلك

لما فيما يتعلق **بالولايات المتحدة الامريكية** ، فقد شن هذا الهجوم الاستراتيجى الثوار ، بعد أن كان التماسك الامريكى الداخلى ، قد تفكك تماما بشأن مواصلة الحرب فى فيتنام ، وخاصة بعد المظاهر الحادة التى اتخذتها معارضة الحرب ، وتزايد المطالبين بانسحاب امريكا من الهند الصينية فى اوساط الراى العام الامريكى ، حيث بلغت نسبتهم ٧٠ فى المائة من الراى العام الامريكى ، ممن عارضوا ايضا تقديم المزيد من المساعدات لحكومتى سايجون وبنوم بين ، وتزايد نسبة هؤلاء ايضا فى اوساط الكونجرس ، والمفكرين ، ودوائر الشئون الخارجية ، فضلا عن ضعف مكانة الرئاسة الامريكية « ٣٤ فى المائة فقط من الامريكيين يمنحون فورد ثقتهم » وتزايد قوة الكونجرس الذى قيد سلطة الرئيس الامريكى فى التدخل العسكرى فى الخارج .

كما شنت هذه الهجمات فى وقت عانت وتعانى فيه الولايات المتحدة بشدة ، من المشاكل الاقتصادية والداخلية الضخمة ، كمشكلة الطاقة ،

والكساد الاقتصادي ، والبطالة (٨ مليون متعطل) ، وعجز ميزان المدفوعات ، والازمة النقدية ، وهبوط الطلبات الصناعية بنسبة ٦٠ في المائة نتيجة لهبوط معدل الاستثمارات ، فضلا عما ترتب عن الارتفاع المستمر في الاسعار الذي دفع كثيرا من الامريكيين الى معارضة المزيد من الانفاق على التدخل الامريكي في الخارج ، والذي خلق شعورا لم يسبق له مثيل منذ الحرب العالمية الثانية بثقل الاعباء التي تتحملها الولايات المتحدة نتيجة تورطها في الشئون الخارجية .

كذلك تبينت براعة الفيتناميين في الربط بين العمل العسكري ، وبين الوضع السياسي العالمي للعدو ، في انهم شنوا هجومهم الاستراتيجي في فترة هدأت وتعاقبت فيها الولايات المتحدة من الاضطراب والتخبط في كافة مجالات سياستها الخارجية ، وتلقت فيها الضربات تلو الضربات في مختلف مناطق العالم .

ففي فبراير ١٩٦٥ ، تلقى حلف الاطلنطي ضربة قوية بنجاح الثورة التي شارك الاشتراكيون والشيوعيون بنصيب وافر في تجيرها ودعمها ، مما يعد ضربة للجناح الجنوبي لحلف الاطلنطي يثير تحديا من اخطر التحديات التي واجهها منذ نشأته ، يضاف الى تصدع في الحلف نتيجة الانقلاب اليوناني العميل في قبرص ، هذا الانقلاب الذي ادى الى مذابح ومجازر وحشية راح ضحيتها الشعب القبرصي الذي ازداد معارضة ايضا للولايات المتحدة ، يضاف الى ذلك تزايد منافسة المعية الغربية واليابان للولايات المتحدة ، وانزعاجها من التقارب بين فرنسا والاتحاد السوفيتي .

أما في الشرق الاوسط ، فقد ألقت اسرائيل ، في حرب اكتوبر أولى الضربات العسكرية المؤثرة منذ تأسيسها في ١٩٤٨ ، الامر الذي يؤذن بدء تبدل علاقات القوى في هذه المنطقة لغير صالح الولايات المتحدة ، فضلا عن فشل مهمة كيسنجر في هذه المنطقة مؤخرا ، يضاف الى ذلك تزعزع نفوذ وامكانه الولايات المتحدة في شبه القارة الهندية ، نتيجة ميلها الى جانب باكستان في حرب بنجلاديش ، ووقوف الاتحاد السوفيتي مع الهند، ويضاف الى ذلك ايضا فشل كيسنجر في اقامة علاقات وديه مع دول امريكا اللاتينية ، وفي تسوية نقاط الاحتكاك بين كندا والولايات المتحدة ، وتعثر سياسة الانفراج مع الاتحاد السوفيتي بعد الغاء الاتفاقية التجارية بين البلدين .

واذا وجدنا في الفلبين في آسيا ، ان الرئيس ماركوس يطالب بإعادة النظر في الارتباطات الامريكية ، وان ماليزيا اتخذت لاول مرة علاقات دبلوماسية كاملة مع الصين الشعبية ، في حين دعت حكومة تايلاند الى سحب القوات الامريكية والجلاء عن القواعد الامريكية خلال عام ، واكد اليابانيون معارضتهم لوجود السفن الامريكية في مياههم ، لاستكمال أمنها معالم الوضع السياسي الدولي للولايات المتحدة ، الذي اختارت القيادة الفيتنامية ببراعة أن تشن هجومها الاستراتيجي خلاله .

والواقع ، وهذا ما لم يضعه الامريكيون وعملاؤهم في الاعتبار هو ان القيادة الفيتنامية الثورية ، تميزت بصورة خاصة بفن الجمع البارع بين النضال العسكري والسياسي في تاريخ الثورة التحريرية عامة ، اذ نجد في ثورة أغسطس ١٩٤٥ ، انه حينما احرز الاتحاد السوفيتي نصره الحدوي على جيش كوانتونج التابع للفاشيين اليابانيين ، واجبرهم بذلك على التسليم بلا قيد او شرط ، انتهز الحزب الشيوعي الفيتنامي (حزب العمل الان) هذه الفرصة الفريدة بسرعة ، لكي يفجر انتفاضة عامة معتمدا على القوى السياسية للجماهير العريضة في الريف والمدن ، وجمع بينها وبين القوات المسلحة الثورية ، وحطم الاجهزة الرئيسية للعدو في العاصمة والمدن الاخرى ، وصفى كل شبكته الادارية في الريف ، واستولى على السلطة في كل انحاء البلاد .

ونجد نفس الاستخدام البارع لنفس الاسلوب في عام ١٩٥٣ حينما دخلت حرب المقاومة ضد الفرنسيين مرحلة من اكثر المراحل حسما ، اذ عبأ الحزب الجماهير من أجل تخفيض كبير للايجارات الزراعية ، ومن أجل الاصلاح الزراعي تطبيقا لشعار الارض لمن يفلحها ، وبفضل هذا الاجراء امكن استنهاض روح المقاومة لدى ملايين الفلاحين ، وشعذ قوتهم ، وتعزيز الحلف العمالي ـ الفلاحي ، وتدعيت السلطة الشعبية ، وازدادت الجبهة الوطنية المتحدة قوة ، وارتفعت القدرة القتالية للجيش الشعبي الى درجة لم يسبق لها مثيل ، ودفعت كل نشاطات المقاومة الى الامام ، وأسهم هذا الاجراء بشكل حاسم في احراز النصر العسكري العظيم في ديان بيان فو .

وثمة ملاحظة اخرى ملفتة للنظر بالنسبة للعمليات العسكرية الثورية في الهند الصينية ، اذ نجد انه بينما تضمنت عملية الاكتساح الاخيرة لقوات التمرير الفيتنامية ، نوعا من التنسيق مع القوات الثورية في كمبوديا ، خاصة وقد بدأت عملية الاكتساح هذه في الوقت الذي كانت قوات

تحرير كمبوديا توجه فيه ضرباتها الاخيرة القاصمة الى جيش لون نول العميل ، فان عملية ديان بيان فو فى ١٩٥٤ ، تضمنت أيضا نوعا من **التنسيق مع لاوس** حينذاك ، ففى الوقت الذى كانت القوات الفيتنامية تعد فيه نفسها لمعركة ديان بيان فو ، شنت قوات « **الباثيت لاو** » ومتطوعو الشعب الفيتنامى هجوما فى وسط لاوس وأبادوا قوات كبيرة للعدو ووصلوا الى نهر ميكونج ، كما قامت القوات اللاوسية الفيتنامية المشتركة بهجوم آخر فى جبهة لاوس الوسطى حيث كان العدو مكثفا ادى الى سحق عديد من وحدات العدو ، كذلك قامت القوات الفيتنامية اللاوسية المشتركة بهجوم من ديان بيان فو على لاوس العليا ، بهدف تحويل الانظار ، ومن أجل تأمين الظروف للقوات التى ستهاجم ديان بيان فو ، وقد اسفر الهجوم عن القضاء على وحدات عديده للعدو وتحرير حوض نام هو الواسع ، مما أجبر العدو على دفع المزيد من قواته الى لوانج برابانج . واتيحت بذلك أعظم فرصة لتحقيق النصر العظيم فى ديان بيان فو .

هكذا ، يثبت فى النهاية أن الولايات المتحدة لم ولن تستطيع بمليارات الدولارات ، ومئات الالاف من أطنان السلاح ، أن تؤمن حكم أقلية ضئيلة يرفضها الشعب ، ممثلة فى طبقة **البورجوازية التجارية** ، **والكومبرادورية** ، **والملاك العقاريين الكبار** ، لسبب وحيد أن هذه القوى العميلة ، قوى رجعية حتى العظم ، متعفنة للانتهاء الطبقى ، وطفيلية اجتماعية ، منفصلة عن الانتاج الوطنى ، ومعتمدة كلية على دولارات الولايات المتحدة .

أما قوى الثورة الفيتنامية فتتمثل فى أكثر من ١٠ **ملايين فلاح** ، يشكلون مع **الطبقة العاملة** ، قوى الثورة الرئيسية ، ويتكونون فى معظمهم من الفلاحين الفقراء ، وتتمثل أيضا فى جماهير **البورجوازية الصغيرة** ؟ من صغار التجار والصناع والحرفيين وذوى المهن الحرة ، والموظفين ، والمثقفين ، وطلاب المدارس والجامعات والتى تعانى جميعا من اضطهاد ممثلى الامبريالية ، وبيروقراطيى البورجوازية التجارية والاقطاع ، ونشكل اغلبيه سكان مدن فيتنام الجنوبيه ويبلغ عددها **أربعة ملايين** نسمه تقريبا ، بالاضافة الى تلك القطاعات من البورجوازية الوطنيه التى تتخذ موقفا معاديا للاقطاع والامبريالية .

هكذا يثبت الانتصار العظيم للثوره فى فيتنام الجنوبيه ، تلك الحقيقه البالغه الاهميه وهى انه **ما من ديكتاتورية فاشستية يمكن أن تحول دون اندلاع ثورة** . فحينما كان على السلطة العميلة فى فيتنام الجنوبية ، أن تلجأ الى اشد الاجراءات بربرية وفاشستية ضد الشعب ، فانه كان لذلك معنى اساسيا واحدا ، هو **أن هذه السلطة قد منيت بفشل ذريع فى المجال السياسى** ، وان موقفا ثوريا فى طور التكوين ، وأن الثوره يمكن أن تندلع ، وقد اندلعت ، بل وانتصرت بالفعل أيضا .

لن نحتاج فى النهاية الى مزيد تأكيد ، **أن هذا الانتصار العظيم انما هو ثمرة الحظ الذى لايظهر لحرب الشعب** ، ثمرة تطبيق استراتيجيه ثورية هجومية ، وثمرة فن عسكرى يهزم القوى الكبيره ، بالقوى الصغيرة ، ويتغلب على الوحدات الكبيرة ، بالفصائل الصغيرة ، ويواجه الاعداد الكبيرة ، بالنوعية العالية ، فن يعرف كيف يشل قوة العدو والسياسية الى اقصى حد ، ويعرف كيف يوجه ضرباته للعدو دائما من موقع المبادأة والهجوم ، وكيف يخلق مراكز قوة يضرب منها العدو بقسوة ويصرعه فى حرب طويلة الامد .

القـــراءة الخامســـــة

فى

و ٠٠ « الأخبـــــــار »

ربما لانجد قراءةاكثر مباشرةووضوحا،«الاخبار اليوم» و «الاخبار» ــ كمؤسسة سياسية واحدة ــ مثلما هى هذه المرة. فالافكار التى تعبر عنها مباشرة ،ولاتحتاج عناء البحث عما وراء السطور ٠ وتتعلق قراءة العدد ، بصفحات « اخبار اليـوم » و «الاخبار» فى الفترة الممتدة من ينـاير ١٩٥٣ وحتى نوفمبر ١٩٥٤ ٠

وكنا نود ان نجد ضمن مجلدات الارشيف الذى نرجع اليه ، الاعداد التى صـدرت فى الفترة من أول يناير ١٩٥٢ وحتى آخر ١٩٥٢ ٠ لتأمل مواقفهم من «حريق القاهرة» ومعالجتهم له ، ثم موقفهم عشية وغداة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ عندما انفجرت الثوره ٠ وفى هذا الصـدد ايضا ، فاننا نعترف بانه لم نتمكن من العثـور على المجلد الذى يضم اعداد «اخبار اليوم » عشية وابان وغداة حرب فلسطين وما صاحبها من قضايا ٠ وربما حالفنا الحظ فوجدنا هذه الاعـداد لنقدم فيها قراءة قد تكون مثيرة ٠

فكرة !

كان تليفوني امس لا ينقطع عن الرنين ... وبدلا من ان اسمع كلمة « هالو » ، كنت اسمع سؤالا واحدا هل انك تفضل الملكية على الجمهورية ؟ وهل نسيت فساد الملكية ؟ وهل تحن الى عبودية زمان ، وهل وهل الى آخر هذه الاسئلة التى تثبت ان حرية الرأى عند بعض الناس معناها ان تؤيدهم فى آرائهم !

والواقع اننى أريد النظام الملكى وانه خير الانظمة فى كل بلد لا تزيد نسبة التعليم فيه على ٢٥٪ . وأرى ان العبد لا يتحرر اذا تحول النظام من ملكية الى جمهورية ، وأن من كان عبدا فى ظل الملك ، يستمر عبدا فى ظل رئيس الجمهورية !

ومن رأيى ان يستمر نظام الوصاية الحالى ، وان يحدد سن رشد الملك بثلاثين سنة ، وبعد الثلاثين سنة نستفتى الشعب هل يريد ملكية أم جمهورية .

وليس معنى ان تؤيد الملكية انك تريد ملكا كفاروق ، وليس معنى ان تؤيد الجمهورية انك ستجد رئيس جمهورية كروزفلت ! فالملكية التى أؤيدها هى الملكية الدستورية التى يخضع فيها الملك لسلطان الشعب . وليس معنى الخلاص من الملكية اننا سنتخلص من الظلم والطغيان ... فقد رأينا فى التاريخ الحديث الزعماء الاحرار يتحولون الى عبيد ، والديمقراطيين يتحولون الى طغاة ، والاشراف يتحولون الى لصوص !

اننى أؤيد النظام الملكى ، بعدما رأيت فى الماضى فارقا فى الرجال والاخلاق . فالجمهورية تتطلب غنى فى الرجال وغنى فى الاخلاق ، واننى أفضل جهنم التى اعرفها على الجنة التى لا اعرفها ولا يعرفها غيرى .

على أمين

الاخبار — العدد ١٧٩ — السنة الاولى ١٣ يناير ١٩٥٢

فكرة !

يجب ان اعترف ان اغلبية كبرى من الشعب تؤيد انهاء الحكم الملكى وقيام النظام الجمهورى .

وانا احترم رأى الاغلبية ، ولكنى لم اقتنع برأيها .

ولقد كان من رأى الاغلبية ان معاهدة ١٩٣٦ هى معاهدة شرف واستقلال . وظهر بعد توقيعها ، وباعتراف جميع الذين وقعوها ، انها خلت من الشرف وخلت من الاستقلال .

ولذلك فان رأى الاغلبية ، الذى لا يستند الى الحقائق ولا يرتكز الى البحث ، لا يجوز ان نأخذه قضية مسلمة .

فاننا أريد ان افهم اولا ما هو وجه العجلة فى تقرير النظام الجديد؟ وما هو الربح الادبى الذى سنحصل عليه البلاد من انشاء هذا القرار فى عام١٩٥٢ بدلا من عام ١٩٦٠ .

وهل معنى ان فاروق كان ملكا فاسدا ان الملكية نظام فاسد ! وهل معنى ان يتولى رياسة الجمهورية لاول مرة رجل صالح ، ان النظام الجمهورى سيستمر نظاما صالحا ؟

اننى أرى — وانا اقلية ضئيلة — انه يجب ان يستمر نظام الوصاية العالى عشر سنوات . ثم بعد ذلك نستفتى الشعب على هوى الحقائق والتجارب .

أما اليوم فعندنا ما هو اهم الف مرة من الملكية والجمهورية .. عندنا شعب يطالب بحريته ويطالب برفع مستواه .

ويوم نحقق هذه الاهداف الضرورية ، نستطيع ان نفكر فى الكماليات والالقاب والاسماء .

على أمين

الاخبار — العدد ٢٥٢ — ٩ ابريل ١٩٥٢

كلمة اليوم

اعـــــلان الجمهـــــورية

أعلن ليلة امس ، اسقاط حكم اسرة محمد علي وبالتالي اسقاط ولاية الملك احمد فؤاد الثاني عن عرش مصر ، وقيام الجمهورية .

واعلن ان الرئيس اللواء محمد نجيب سيتولى سلطات رئيس الجمهورية مع احتفاظه بكل سلطاته الحاضرة ، كما اعلن أن بعض حضرات الضباط قد تولى مناصب وزارية على التفصيل المنشور في غير هذا المكان .

وهكذا انتهى في الليلة الماضية الحكم الملكي من ارض الفراعنة بعد ان دام على صورة أو اخرى قرابة خمسة آلاف سنة . وما من احد تقفي على هذا الحكم غير نفسه فالقه باخطائه الخاصة والعامة ،وبتجاهله ارادة الشعب وحقوقه انفصل عنه انفصالا عقليا اصيلا . فلم يكن بد من ان تبلغ الامور غايتها وتستبدل مصر بهذا الحكم نوعا آخر اقرب تعبيرا عن ارادتها واوثق اتصالا بهذه الارادة في مختلف مظاهرها .

وقد جاء هذا الاعلان الخطير بعد تطورات كانت ترمي اليه بوضوح ، وتكاد تقطع به قطعا . فلم يكن معقولا بعد ان استهدف النظام الملكي الى ما استهدف اليه من مطاعن وما عزى اليه من اخطاء ومآثم ان يبقى او ان يظل له احترام .. اي احترام .

ولئن كان هذا الاعلان قد جاء من قادة الثورة وباسمها ، فما من شك انه عبر ايضاً عن حقيقة الاتجاه الشعبي . وهو على كل حال قد رد الامر في النهاية الى ارادة الامة وجعل لها الكلمة الاخيرة في البت بما تراه ممكنا ثم وضع الدستور واصداره ، واعيدت للبلاد الحياة النيابية .

ومن الحقائق العجيبة في تاريخ مصر الطويل ، انه منذ دالت دولة الفراعنة منذ اكثر من ثلاثة آلاف سنة ، لم يحكم مصر أو يجلس على عرشها مصري أصيل . نعم انها ابتعت كل الغزاة وادمجتهم فيها ، ولكن الحقيقة الثابتة ان احدا منهم لم يكن يتفعل بها انفعال الاصلاء من ابنائها الذين توارثوا دمها وجرت في عروقهم احاسيسها ومشاعرها . فلنا ان نقول ان اعلان الجمهورية الذي تم ليلة امس ، هو اول اعلان لاسترداد الدم المصري الاصيل حقه في حكم بلاده والاشراف على شئونها .

بقي ونحن نستقبل هذا الحدث التاريخي الخطير ، ان ندرك ما القته المقادير على عواتقنا من مسئوليات ، وما ادخره التاريخ لابناء هذا الجيل من تبعات . فان عليه أن يثبت جدارته بحقه وأهليته بارادة الشعب وحرية بنيه . فان نظم الحكم مهما تكن ، واشكالها مهما تتنوع ، ليست مقصودة لذاتها ولا محبوبة لاسمائها بقدر ما هي مقصودة محبوبة لمعانيها . واجل هذه المعاني هو توفير الحرية للمواطنين في الادلاء بآرائهم والمشاركة في امجاد وطنهم ، وتحمل الاعباء والتضحيات في سبيله .

والجمهورية تطور يتجه الى الشعب . وقد بدا نظام الحكم في العالم بالنظام الملكي القائم على التفويض الالهي ، ثم القائم على التوارث . ثم النظام الدستوري الذي يجعل الملك رمزا ويعطي السلطة كلها لممثلي الشعب . واخيرا النظام الجمهوري . وهو ليس الا مواجهة للواقع . والواقع ان الشعب هو الذي يحكم . فان نظام الملكية الدستورية ليس الا هروبا من الواقع ومحاولة للاحتفاظ برسم الملك التقليدي دون سلطة او توجيه او نفوذ . ولذلك عدلت عنه اكثر الدول الى النظام الجمهوري . فمصر اذ تحذو هذا الحذو لا تخرج عن خط التطور العام ولا تجانب الحقيقة البارزة في هذا العصر ، وهي ان النظام الملكي اضعف نظاماً عتيقا في طريقه الى الزوال .

كتب الله لمصر في عهدها الجديد التوفيق . وكتب لرؤسائها وزعمائها السداد .

الاخبار — العدد ٢١٢ — ١٩ يونيو ١٩٥٣

الموقف السياسي

شكرا للجاني

بقلم مصطفى أمين

من كل قلبي اشكر الجاني الذي اطلق على جمال عبد الناصر ثماني رصاصات ! انه صنع ما لم يستطع جميع انصار عبدالناصر وجميع اصدقائه وجميع محبيه ان يصنعوه ، انه ازاح الستار عن جمال « الانسان » ، انه جعل الناس يرونه على حقيقته التي كانت تختفي وراء الثوب الكاكي وخلف الجنود والحراس.

ولقد كنت اعرف اناسا لا يحبون جمال عبد الناصر « لله في لله » .

لم يكفهم انه الرأس الذي دبر هذه الثورة؟ لم يكفهم انه الرجل الذي عزل فاروق دون ان يريق نقطة دم ، لم يكفهم انه الرجل الذي حقق الجلاء .. كل هذا لم يشفع عند هؤلاء الناس كي يحبوا جمال عبد الناصر . ان بعضهم يحترمه ولا يحبه . وبعضهم يقدره ويكرهه. وبعضهم يخافه ويرهبه ويخشاه ، فيفضلون ان يبتعدوا بعواطفهم عنه فيرسموا في قلوبهم سياسة حياد لا هي حب ولا هي كره ، او يسدلوا بينهم وبين هذا الرجل ستارا من حديد ..

وكنت انا ادهش لهذا الشعور عند هؤلاء الناس . وانسبه الى ان هؤلاء « لقوم تعودوا ان يكون الزعيم عندنا اشبه بمشايخ الطريق او البهلوانات هو العريس في الزفة ، وهو النعش في الجنازة . فهم يريدون من الزعيم ان يقفز هنا وينط هناك . يبتسم للمصورين ويهش للمهللين ، يمثل الطيبة ويتظاهر بصورة الرجل « الهليهلي » الذي لا عمل له الا تقبيل الأطفال والتلويح بيده للنساء .

وكنت اسمع بعض اصدقاء جمال يأخذون عليه مظهره الجاد ، ويطلبون اليه ان يبتسم ، فيرفض هذا الرأي باحتقار .

ويقول انه يرفض ان يتظاهر بغير حقيقته ، ويأبى من اجل ما يسمونه « الشعبية » ان يضع على وجهه مكياج العواطف التمثيلية او قناع شيخ الطريقة لينال تصفيق الجماهير.

.. وكان بعض الذين يعرفون جمال عبدالناصر يسمعون هذا ويحزنون ، يحزنون لانهم فشلوا في اقناع بعض الناس بحقيقة هذا الانسان . هذا الرجل الخجول الذي يكره الطغيان والجبروت ومع ذلك يتصوره بعض الناس في صورة « الديكتاتور » !

هذا الشاب المتواضع الذي يحمر وجهه خجلا لكلمة اطراء ، والذي يتعذب وهو يوقع قرارا بفصل موظف ، والذي يتهلل بشرا وهو يصدر امرا بالافراج عن معتقل . هذا القلب الطيب المملوء بالرحمة والحنان ، تصوره الاوهام بصورة الجزار .

وكان الذين يعرفون جمال يتساءلون في مرارة : هل يجيء اليوم الذي يبصر فيه العميان ؟ هل يجيء اليوم الذي يعرفون فيه ان جمال هو الضمان الاول الذي منع هذه الثورة البيضاء من ان تتحول الى ثورة حمراء. وهل سيعرف الناس يوما ان مجلس الثورة اصدر ذات يوم حكما باعدام احد المتهمين ، ووقف هذا الشاب الطاغية يترافع الساعات لينقذ راس ذلك المتهم من المشنقة بينما كان بعض الذين يبدون بصورة الملائكة الرحماء يصرون على عقوبة الاعدام !

ثم لو عرف هؤلاء العميان الحقائق هل يصدقونها ؟ ام انهم سوف يهزون اكتافهم ساخرين ويقولون ان جمال عبدالناصر لا يبدو انه هذا الملاك الرحيم الذي تصورون !

انكم تثنون على المقعد لا على الرجل الذي يجلس عليه . وهكذا كانت المناقشة تنتهي دائما بان جمال في حاجة الى معجزة ليعرفه جميع الناس على حقيقته .

ثم جاء الجاني محمود عبد اللطيف واطلق الرصاص وصنع المعجزة .

هؤلاء الذين كانوا لا يحبون جمال اصبحوا يتحدثون عنه كأسطورة ..

كان يرضيهم لو انه اصبح بهلوانا فقط .. ولكنهم فوجئوا به بطلا . رأوه مع الموت وجها لوجه فلم يفر ولم يهرب ..

بل واجه الموت كما يفعل الابطال في القصص والاساطير .

وحدثت المعجزة ! هذه الرصاصات الثماني فتحت كثيرا من القلوب المغلقة فاحبت ..

وشفت كثيرا من العيون المغمضة فرأت وداوت كثيرا من الاذان الصماء فسمعت ..

وقال بعضهم : لقد اصبح بطلا ..

وقال غيرهم : لقد اصبح انسانا عظيما.

وقال آخرون : لقد اصبح « فيه شيء لله »

ولكنه كان هكذا دائما ..

اخبار اليوم — العدد ٥٢١ — ٣٠ — ١٠ — ١٩٥٤

الموقف السياسى

العهد الجديد

بقلم مصطفى أمين

دعا الرئيس جمال عبد الناصر يوم توقيع اتفاق الجلاء الى عهد جديد ، فقد قال : حاقوا أيديكم ،وخذوا أيدينا ، وتعالوا نبنى وطننا من جديد ، بالحب والتسامح ، والفهم المتبادل ..

وشعرت وانا اسمع جمال عبد الناصر يتكلم انه يعنى كل كلمة قالها . انه كان يتكلم من قلبه وليس من لسانه . شعرت أن هذا القلب يتسع للمصريين جميعا ، الذين يحرمهم ، والذين لا يحرمهم ، الذين أيدوه ، والذين حاربوه . شعرت انه نسى الاخطاء التى ارتكبت ضده ، ولم يذكر الا الاعمال الطيبة التى قدمت لهذا الوطن . احسست انه يريد ان يبدأ هذا العهد الجديد ..

وانى اقدر كل التقدير المسئوليات التى يحملها على كتفيه . اعرف انه لولا العزم الذى اظهرته الثورة فى بعض المواقف ، لما استطاعت أن تحقق لمصر كل ما فعلت . اعلم ان هذا العزم حقق فى شهور ما كان يمكن ان لايتم فى سنوات لو تركت الخطايا تتحول الى جرائم ، والمناورات تنقلب الى مؤامرات .. ولكن اعرف الى جانب هذا كله أن جمال عبد الناصر يريد ، وقد حقق لبلاده المعجزة ، أن يحقق معجزة جديدة .. يريد ان تصل فرحة الجلاء الى كل قلب ، وان يجفف فى العيد الاكبر الدمعة من كل عين . ولكنه فى ذلك حائر بين قلبه وبين مصلحة الوطن . لا يريد أن يعرض هذا الوطن لخطر ليكسب تصفيق الناس ، ولايريد ان يفتح الابواب التى قد يدخل منها اعداء الوطن . انه يعلم ان فترة العشرين شهرا القادمة هى اخطر فترة فى تاريخنا ، ويعلم ان كل شىء كسبناه قد يضيع اذا لم نفتح الثورة عيونها واذانها .. ولكن مع كل هذا اؤمن ان هذا الرجل قادر أن يصنع المعجزة ، قادر أن يمرر شهذه الارض بالتسامح والحب ، بعد أن كانت قد مرغت فى عهود الطغاة بالكراهية والانتقام ، قادر ان يقيم فى هذا البلد عهدا يبدو اليوم مستحيلا . وقد كان خروج فاروق مستحيلا فى وقت من الاوقات ، وكان اعلان الجمهورية مستحيلا ، وكان خروج الانجليز من بلادنا مستحيلا ، ولكن جمال عمل كل هذا ..

وانا اؤمن انه سيفعل المعجزة الجديدة ، معجزة الحب والتسامح والفهم المتبادل .

الاخبار — العدد ٥٢٠ — ٢٢ — ١٠ — ١٩٥٤

السفير الذى سيخرج

مستر جيفرسون كافرى ظل موظفا بوزارة الخارجية الامريكية اكثر من ٤٣ عاما اشترك فى خلالها فى اهم الاحداث التى وقعت فى العالم . وقد قضى منها ٣٠ عاما سفيرا لبلاده . تنقل فى كثير من الميادين السياسية والدبلوماسية قبل الحرب العالمية الاولى وفى اثنائها ومن بعدها وقبل الحرب العالمية الثانية ومن بعدها حتى الان . وفى هذه الفترة الطويلة مثل حكومته فى اربع عشرة عاصمة من عواصم العالم فى الشرق الاقصى وفى اوروبا وفى امريكا اللاتينية .

والرجل مشهور بكفاءته السياسية والدبلوماسية عن كياسته وسمو ادبه وحسن خلقه وسلامة ذوقه .

اما هنا فى مصر فقد قضى مستر كافرى خمس سنوات سفيرا للولايات المتحدة ، واجه فيها مسائل من اعقد المسائل التى عرضت له طوال مدة خدمته . .

ـ اذ اشترك ووفق فى حل الخلاف الذى قام بين مصر وانجلترا فى مسالتى السودان وقنال السويس ، وكان من بناة الاتفاقين اللذين انتهيا الى وفاق بين مصر وانجلترا .

ـ وهو الذى وقع الاتفاقية العامة للنقطه الرابعة سنة ١٩٥١ .

ـ كما وقع خمس اتفاقات اخرى خاصة باصلاح مديريتى البحيرة والفيوم وبلغت نفقات هذا الاصلاح ٢٥ مليون دولار .

وهو شغوف بدراسة تاريخ مصر وايران والعراق وتركيا والمملكة العربية السعودية والمناطق المتاخمة لها ، كما انه شغف بدراسة آثارها منذ ٣٨ عاما وهو يشتغل الان بوضع كتاب عن الاثار المصرية ، ولما كشف الملاخ المراكب الفرعونية بجوار الاهرام كان اول من زارها هو مستر كافرى .

وفى سنة ١٩٥٠ اختير عضوا فخريا فى قبيلة عرب الحويطات بالاردن ومصر والمملكة العربية السعودية .

وفى سنة ١٩٥٢ اختارته قبيلة عرب الباسل فى الفيوم عضوا فخريا فيها .

والان وقد بلغ مستر كافرى سن الاحالة الى المعاش وقرر مغادرة مصر نهائيا ، الا يحسن بمصر ـ حكومة وشعبا ـ اقامة حفل تكريم له تقدم له فيها هدية تكون دليلا على عرفان مصر لجميله وتذكره بان مصر تعتبره ابنا من ابر ابنائها ، وان اسمه سيبقى منقوشا فى قلوب المصريين خالدا ابدا . وبعد الابد ان كان بعده بعد .

وحبذا لو فكر اولو الامر فى اقامة حفلة تكريم مثلها لمستر رالف ستفنسون سفير انجلترا اعترافا بفضله هو الاخر فى تقريب وجهتى النظر المصرية والبريطانية فى مسالتى السودان ومنطقة القنال وكللت مساعيه الطيبة بالتوفيق والوفاق .

عزيز خانكى

اخبار اليوم ـ العدد ٥٢٣ ـ ١٣ ـ ١١ ـ ١٩٥٤ .

تعقيب

« الجمهورية » .. و « السلطة او الحاكم » و « السفير الذى سيخرج »

فترة قراءة « اخبار اليوم » و « الاخبار » ـ هذا العدد ـ تتعلق بواحدة من ادق فترات التاريخ المصرى المعاصر . حيث سقط النظام الملكى عندما اصبح عاجزا بشكل كامل عن تقديم اى حل لمطالب الشعب المصرى الوطنية والاجتماعية ، واصبح الشعب المصرى رافضا كل الرفض نهج النظام وتقاعسه . وبدات قيادة ثورة يوليو تتلمس طريقها لانقاذ البلاد وتطويرها على اسس وطنية .

فى تلك الفترة ، كانت كل قضايا المجتمع المصرى مطروحة ـ بشكل طبيعى ـ للتفكير والنقاش امام كل مواطن . وكان « مستقبل مصر » هو الشغل الشاغل لكل الدوائر السياسية ـ محليا وخارجيا ـ ، كما كان يشغل كل المواطنين .

ولنقرا ـ هنا ـ موقف « اخبار اليوم » و « الاخبار » من قضايا ثلاث :

اولا : الموقف من الجمهورية ؟

لم يكن سقوط الملك فاروق ، يعنى ـ فى ذلك الوقت ـ مجرد سقوط واحد من ابناء الاسرة المالكة ،بسبب سلوكه أو مدى كفاءته وقدراته فى الحكم . أو بسبب حماقاته .. الخ ، ليحل محله «امير» آخر ليصبح « ملكا » جديدا . كسقوط الخديوى اسماعيل بمثل وتنصيب الخديوى توفيق خلفا له . فقد كان المجتمع المصرى قد شهد تغيرات كثيرة ونمت فيه قوى اجتماعية مختلفة وتصارعت فيه مصالح اجتماعية متباينة ومتناقضة . ودلت التجربة الطويلة على ان اى حل لمشاكل مصر الوطنية والاجتماعية ، تبدأ بتصفية الركيزة الاساسية للاستعمار فى داخل مصر : النظام الملكى ومؤسساته .باختصار كان سقوط فاروق ، يعنى ذهاب نظام باكمله .

ومطلب تصفية النظام الملكى واقامة الجمهورية ، لم يكن مطلبا وطنيا فى عام ١٩٥٣ فحسب ، بل طرحته الحركة الوطنية المصرية منذ أواخر الاربعينات سواء فى مظاهرات واضرابات الطلبة والعمال أو فى المطبوعات والمنشورات السرية للديمقراطيين والشيوعيين او على لسان المئات من المثقفين الوطنيين المعتقلين والمسجونين .

وتم الاستقطاب فى المجتمع المصرى وقتها حول شعارى : استمرار الملكية او اقامة الجمهورية . الاقلية صاحبة المصالح القديمة المنهارة والتى استفادت من الحكم الملكى وحقق لها مصالحها ، كانت مع استمرار الملكية . والاغلبية صاحبة المصلحة فى تغيير النظام الذى تسبب فى مشكلاتها الوطنية وعجز عن حلها والذى سحق مصالحها،كانت مع اقامة الجمهورية.

وخرجت «الاخبار» ـ امتداد «اخبار اليوم» ـ لتعلن موقفها السافر على لسان الاستاذ **على امين** احد اصحابها ورئيس تحريرها ، انها مع استمرار النظام الملكى . والادهى من ذلك سببه تأييده ، انه يقول فى « نكرة » بالعدد ١٧٩ ـ السنة الاولى ـ ١٣ يناير ١٩٥٣ :« والواقع اننى اريد النظام الملكى وانه **خير الانظمة** [الحروف السوداء من عندنا]فى كل بلد لانزيد نسبة التعليم فيه على ٢٥٪ .وارى ان **العبد** [الحروف السوداء من عندنا] لا يتحرر اذا تحول النظام من ملكية الى جمهورية .. الخ » . ثم يضيف « اننى اؤيد النظام الملكى ، بعدما رأيت فى الماضى نفرا فى الرجال والاخلاق فالجمهورية تتطلب غنى فى الرجال وغنى فى الاخلاق » .

الاستاذ على امين يؤيد الملكية ويرفض الجمهورية اذن ، لان الشعب المصرى ـ كما جاء على لسانه ـ شعب **غير متعلم** وشعب من **العبيد** . اى غير مؤهل لان يدير دفة حكمه عن طريق رئيس ينتخب ولابد من فرض **الوصاية** عليه من **ملك** ، والاستاذ على امين يرفض الجمهورية لان رجال مصر بحكم « النفر » فى الاخلاق رجال مؤهلون لقيادة البلاد .

هكذا كان الموقف الحقيقى « للاخبار » ـ امتداد «اخبار اليوم» ـ من الشعب المصرى وقيادة ثورة يوليو اذن . ثم تؤكد موقفها مرة اخرى على لسان رئيس تحريرها فى ٩ ابريل ١٩٥٣ .

على ان السيد **على امين** رئيس تحرير «الاخبار» ، يسارع فى العدد ٣١٢ الصادر فى ١٩ يونيو ١٩٥٣ [أى بعد حوالى ٤٠ يوما فقط] الى كتابة افتتاحية « كلمة اليوم» عن اعلان الجمهورية ويقول:« .. فلم يكن معقولا بعد ان استهدف النظام الملكى الى ما استهدف اليه من مطاعن وما عزى اليه من اخطاء ومآثم ان يبقى او ان يظل له احترام .. اى احترام » . ثم يضيف « الذى تم ليلة امس ،هو اول اعلان لاسترداد الدم المصرى الاصيل حقه فى حكم بلاده والاشراف على شئونها » . بل

انه ينتمي الى حد النقاد فيقول « فمصر اذ تخلق هذا الخلق لا تخرج عن خط التطور العام ، ولا تجانب الحقيقة البارزة في هذا العصر ، وهي ان النظام الملكي اضحى نظاما عتيقا في طريقه الى الزوال ».

اى الموقفين تصدق « للاخبار » ـ امتداد « اخبار اليوم » ـ الموقف الاول او الثاني ؟ واى الموقفين « الاخبار » تفسرها صادقة فيه ؟

لكن هذه الصفة دائما من الصفات الثابتة لمدرسة الاستاذين مصطفى امين وعلى امين .

ثانيا : الموقف من السلطة والحاكم ؟

بعد الثورة ؟ وتولى قيادتها السلطة ، كان **محمد نجيب** هو الشخصية المتصدرة للحديث باسم الثورة وموضع تركيز واهتمام كبيرات الاضواء . وبعد احداث مارس ١٩٥٤ المشهورة ، تولى **جمال عبد الناصر** مكانه الطبيعي في قيادة الثورة ومجريات احداثها بعد ذلك .

وفي اكتوبر ١٩٥٤ ، كتب الاستاذ **مصطفى امين** احد اصحاب «اخبار اليوم» ورئيس تحريرها ، معلقا على حادثة محاولة اغتيال **جمال عبد الناصر** في الاسكندرية على ايدي « جماعة الاخوان المسلمين » . فلم يحلل الحادثة وطبيعة قواها المتصارعة واهدافها من ثورة يوليو .. الخ ، وانما راح يقول **غزلا في جمال عبد الناصر** .

وجريا على عادة «اخبار اليوم» راح الاستاذ مصطفى امين يهاجم **محمد نجيب** الذي عزل او غاب عن الصورة ، اثناء تدبيجه الغزل في **جمال عبد الناصر** . فتحت عنوان **شكرا للجبناء** ، كتب الاستاذ مصطفى امين في « الموقف السياسي » في العدد ٥٢١ من «اخبار اليوم» الصادر في ١٩٥٤/١٠/٣٠ ، يقول « وكنت انا ادهش لهذا الشعور [شعور عدم حب عبد الناصر] عند هؤلاء الناس . وانسبه الى ان هؤلاء القوم ، تعودوا ان يكون الزعيم عندنا اشبه بمشايخ الطرق او البهلوانات ، هو الرئيس في الزفة وهو النمس في الجنازة . فهم يريدون من الزعيم ان يقفز هنا وينط هناك ، يبتسم للمصورين ويهش للمهللين ، يمثل الطيبة ويتظاهر بسورة الرجل « الهليهلي » الذي لا عمل له الا تقبيل الاطفال والتلويح بيده للنساء » . على ان من يراجع «اخبار اليوم» و «الاخبار» ، فترة وجود **محمد نجيب** ، يجد انها تردد المديح والغزل واقوال الصحف الاجنبية عنه .. الخ .

انا عن **جمال عبد الناصر** ، بعد توليه السلطة مباشرة ، فيقول الاستاذ مصطفى امين فيه [بنفس العدد والمقال] : « **هذا الشاب المتواضع الذي يحمر وجهه خجلا لكلمة اطراء** ، والذي يتعذب وهو يوقع قرارا بفصل موظف ، والذي يتهلل بشرا وهو يصدر امرا بالافراج عن معتقل . هذا القلب الطيب المملوء بالرحمة والحنان ، تصوره الاوهام بصورة الجزار» . وجمال عبد الناصر « هو الضمان الاول الذي منع هذه الثورة البيضاء من ان تتحول الى ثورة حمراء » .

وكان الاستاذ **مصطفى امين** ، حريصا قبلها باسبوع واحد على ان يعزف مقالات الغزل والمديح في جمال عبد الناصر . فتحت عنوان « **العهد الجديد** » [العدد ٥٢٠ ـ ١٩٥٤/١٠/٢٣] يقول : « **شعرت ان هذا القلب** [يقصد قلب عبد الناصر كما في نص المقال المنشور] **يتسع للمصريين جميعا ، الذين يعرفهم والذين لا يعرفهم ، الذين أيدوه والذين حاربوه** » ، الى ان يقول « **ولكن مع كل هذا أؤمن ان هذا الرجل قادر ان يصنع المعجزة ، قادر ان يغرس الارض بالتسامح والحب ، بعد ان**

كانت قد فرشت فى عهود الطغاة بالكراهية والانتقام ! قادر ان يقيم فى هذا البلد عهدا يبدو اليوم مستحيلا . وقد كان خروج فاروق مستحيلا فى وقت من الاوقات . وكان آمالن الجمهورية مستحيلا ، وكان خروج الانجليز من بلادنا مستحيلا . ولكن جمال عمل كل هذا ، وانا اؤمن انه سيفعل المعجزة الجديدة » .

ترى اى الكلام نصدق اليوم ، كلام الاستاذ **مصطفى امين** عن **جمال عبدالناصر** فى ذلك الوقت ، ام ما يكتبه وتكتبه «اخبار اليوم» عن **جمال عبد الناصر** هذه الايام ؟

هل يكفى تفسيرا لهذا التغير — بعد **غياب عبد الناصر** — اسلوب مدرسة مصطفى امين وكتابات « اخبار اليوم » و «الاخبار» ، فى التعامل مع كله سلطة وكل حاكم : معه حين يصل الحكم وضده لحظة يغيب .. ؟

الواقع انهم كانوا يراهنون فى ذلك الوقت على أن يسلك **جمال عبد الناصر** نهجا فى السياسة فى اطار اتصالات الثورة الاولى فى ذلك الوقت بالغرب . فراحوا يحرقون البخور . وما ان اكتشفت الثورة الموقف الحقيقى للدول الاستعمارية وعدائها للثورة ، حتى نهجت الثورة طريقا آخر . منذ ذلك الوقت بالتحديد — بعد التغيير — غيرت « اخبار اليوم » و «الاخبار» موقفها الحقيقى من **جمال عبد الناصر** . وان ظل موقفها غير معلن الى حين ظنت أن الوقت مناسب لاعلانه اليوم .

• • •

وماذا فى يكشف عن «الاهتمام» و«الايمان» بكل ما هو « امريكى» لدى « اخبار اليوم» ؟ وهل هناك ابلغ من حديثهم عن «السفير الذى سيخرج » فى العدد ٥٢٣ من «اخبار اليوم» الصادر فى ١٩٥٤/١١/١٣ . فبينما كان المستر فوستر دالاس يعد العدة **« لطعنة بغداد »** وربط مصر به — كما يأمل — خرجت «اخبار اليوم» تطالب بان تقدم مصر «حكومة وشعبا» هدية للسفير الامريكى **جيفرسون كافرى « تكون دليلا على عرفان مصر لجميله ونذكره بأن مصر تعتبره أبا من ابر ابنائها ، وان اسمه سيبقى منقوشا فى قلوب المصريين خالدا ابدا وبعد الأبد ان كان بعده بعد »** .

« اخبار اليوم » لم تطالب فى ١٩٥٤ بعد بدء جلاء القوات البريطانية عن مصر ، بتقديم « هدية » — فى شكل تمثال او اى رمز آخر — لشهداء مصر من اجل الجلاء .. مثلا ، وانما تطالب بهدية للسفير الامريكى .. وباعتباره « ابنا من ابر ابناء مصر » ... الخ .

.. وبعد .. هل شعب مصر ومثقفوه فى حاجة ، بعد قراءة النصوص — مجرد مثل هذه النصوص — لان يعرف حقيقة مواقف «اخبار اليوم» و «الاخبار» ! وعلى اى نغمة يعزفون اليوم كما عزفوا بالامس ؟.

« الطليعة »

• جمهورية مصر العربية •

وزارة جديدة واعادة تنظيم المناصب العليا

فى الاسبوع الاول من ابريل اعلن ان د. عبدالعزيز هجازى سيكلف باعادة تشكيل وزارته ، ولكن مع نهاية الاسبوع الثانى تأكد ان الرئيس السادات يرى انه يجب احداث تغيير شامل لا مجرد تعديل محدود فى الوزارة . وقد رفض الرئيس ان يتولى بنفسه الوزارة ، حتى يولى اكبر قدر من وقته وجهوده لمعالجة مشكلة الشرق الاوسط ، بما تقتضيه من تكثيف الاهتمام العالمى بها ، والمحافظة على الحشد العربى كقوة ذات اثر فى المعركة السياسية الدائرة .

وفى ١٣ ابريل عقد الدكتور عبد العزيز هجازى استقالته.

وفى ١٤ ابريل وجه الرئيس السادات حديثا الى الامة — اكد فيه على ثبات المنطلقات الاساسية للتجربة المصرية ، مؤكدا لهؤلاء الذين حاولوا التوهم بينه وبين عبد الناصر ان علاقاتهما كانت صداقة المد فوصداقة الرجلين .

كما اعلن الرئيس ان هناك بخطفات ثلاث اليوم للتجربة المصرية :

اولا : مرونة الموقف السياسى والتعامل مع الجميع بلا عقد .

ثانيا : اسلوب مختلف للعمل العربى يجمع بالاخلاق والمرتكزات القوى العربية .

ثالثا : منطق جديد فى رسم سياسة النفط ، ينذر على العالم العربى ، لان الرخاء العربى ينبغى ان يكون كالامن العربى كلا لا يتجزأ .

وركز الرئيس السادات على ثلاث بخطفات اساسية بالنسبة للعمل الداخلى :

١ — القضاء على عوائق البيروقراطية التى حاولت ان تسد الطريق على الانفتاح بالقصور فى فهم الظروف المتغيرة والدرس المتأنى .

٢ — أن هذا المجتمع ينبغى ان يبنى بجميع المنتجين وليس بجميع أصحاب الياقين ، فهناك ثروات تراكمت من أعمال السمسرة وذلك فساد وافساد لايمكن السكوت عليه .

٣ — وقد موجة الغلاء التى ارهقت الاسر المتوسطة والفقيرة ، والا تقلصنا الى الاهذار العميقة بالنقص وراء صاخر ارتفاع موجة الغلاء العالمية .

وبعد أن القى الرئيس بيانه كلف الشيخ ممدوح سالم بتشكيل الوزارة الجديدة .

وفى منتصف ليلة ٥ ابريل اصدر الرئيس قرارا جمهوريا باعادة تنظيم المناصب العليا فى الدولة ،وترتب على ذلك ان اصبح الفريق حسنى مبارك قائد القوات الجوية نائبا لرئيس الجمهورية بدلا من السيد حسين الشافعى . ومن المعروف أن نائب الرئيس هو من قادة الجيش الذين برزوا باعمالهم فى حرب اكتوبر .

وقد اجرى ممدوح سالم بمشاورات واسعة قبل اعلان تشكيل الوزارة الجديدة . وضمت الوزارة الجديدة ٢٤ صنوا بينهم ٣ نواب لرئيس الوزراء ، كما ضمت ١٦ وزيرا جديدا و ١٨ من اعضاء الوزارة المستقيلة . وخرج من الوزارة السمبقة ١٧ وزيرا . وتعد اعتذر عن الاشتراك فى الوزارة د. مصطفى خليل ،ود. شوكت التلمساني ،

و د. اسماعيل صبرى عبد الله وزير التخطيط السابق .

وفى اول اجتماع لمجلس الوزراء يعقد خلف اليمين الدستورية ، أوضح الرئيس مستؤليات المرحلة القادمة، والتى وصفها بانها « مرحلة جديدة بقدر ماهى حاسمة » .

وقال الرئيس : « ان الشعب ينتظر العمل الجاد ، ولابد أن يشعر الشعب بجدد فى انجاز هذه المهام الثلاث التالية : ١ — الانفتاح الاقتصادى ، وهلى اساس انه هو الاصل وان الشروط هو التعديد والبيروقراطية

٢ — الالتفاف للقضاء على ظاهرة تكدس الثروات بطريقة طفيلية ، ولابد من التعديم بالقوانين اللازمة لذلك ، وانه يجب فورا بحث اثرارات الاشخاص الموجودين فى مراكز القيادة العليا . وقال الرئيس : « كلنا قد الدخول الطفيلية وقد السيطرة وقد التهريب والمتاجرة بالوان الشعب ٣ — كفالة عدالة التوزيع للسلع الضرورية ، وطالب الرئيس بانه « لابد أن يكون التوزيع عادلا ولابد أن تراعى القوانين ، لوان حصل الدخول الكبيرة وان تؤدى ما عليها للدولة ، كذلك لابد من عدالة التوزيع بالنسبة للمواد الاساسية ، وهى العمل الذى لابد أن يحظ الشعب بالحقائق أولا بأول » .

وقال الرئيس بالنسبة لدولة المؤسسات انا مصر على أن يستمر هذا لا أن يوقف أو أن يحد منه ، وقال اننا نواجه تحديات كبيرة ولابد أن تكون كل مؤسسة — ليس فقط السلطة التنفيذية — لابد أن تكون كل مؤسسة من داخلها مترابطة ومتعاضدة .

وقدم الرئيس للمجلس الفريق « حسنى مبارك » نائب رئيس الجمهورية قائلا انه اختاره لانه احد ابطال بارزين تولوا القيادة العليا فى جانبه فى حرب اكتوبر وانه لابد أن ندفع بمن أدوا خطوات الى الوطن فى مواقع المسئولية حتى تكون بمثابة من حركة التاريخ ، وحتى يكون هذا الجيل جيلا ومعبرا عن روح السادس من اكتوبر بوبخطوات تواكبنا المطحة بكم الشعب والثقة كل عوائق وأسوار المستحيل .

● سوريا	● تنزانيا	● فرنسا	● البرتغال
المؤتمر القطرى السادس لحزب البعث	« لا » .. للحوار مع النظم العنصرية	تصاعد جديد لحرب البترول	ماذا يعنى فشل الانقلاب الرجعى

واكد رئيس الوزراء فى تصريح أدلى به للصحفيين ، على ضرورة الارتفاع بالاعمال لاكثر من مستوى الاقوال، وان يكون الوزراء قدوة لجماهير الشعب فى اعانة المسئولية والحرص على مصالح الوطن والمجتمع . وضرورة الاهتمام بالمشاكل التى تعانى منها الجماهير الشعبية الصامدة ، وان يكون ذلك كله فى اطار من ديمقراطية القرار .

وطالب رئيس الوزراء اجهزة الاعلام بمتابعة اعمال مجلس الوزراء وقراراته بالتعليق والنقد البناء .

وفى لقائه مع الصحفيين فى ٢٢ ابريل الماضى أعلن رئيس الوزراء ● ان الدولة ستواجه عمليات السمسرة والعمولات بمنتهى الشدة والحزم ، وان المحاسبة ستبدأ من أعلى المستويات ، كما ان العمل الجاد وحشد الطاقات ودفع كل القوى للعمل لابد ان تأتى من أعلى المستويات .

● وانه خلال اسبوعين ستخفض اسعار الخضر وستحل مشكلة السلع الاساسية الاخرى .

● وان الحكومة بصدد اعداد قانون الضرائب الجديد الذى سيعتبر التهرب من الضريبة «جناية» تستوجب العقاب ، وان سياسة الوزارة هى ترك الحرية لكل فرد للعمل والكسب ، بشرط الا يتهرب من الضريبة الواجبة عليه ، ودون اى استغلال للشعب .

هذا ومن المتوقع ان تلقى الحكومة الجديدة بيانها أمام مجلس الشعب فى الجلسة التى يعقدها المجلس فى النصف الاول من شهر مايو القادم .

○

باندونج .. عشرون عاما

« لقد كان مؤتمر باندونج فى ١٩٥٥ ، نقطة تحول فى تاريخ الشعوب الافريقية الاسيوية ، وايذانا بانتفاضتها وانطلاقتها لانتزاع حقوقها وتأكيد استقلالها وتدعيم تضامنها . وكان هذا المؤتمر فى نفسه حجر الاساس فى استراتيجية عالمية جديدة على الساحة الدولية كلها، لقد كانت مبادىء باندونج هى التى ارست اركان التعايش السلمى ، وسيادة الشعوب وحريتها ، كما كانت أول اشارة الى دخول الشعوب الافريقية الاسيوية ميدان العمل الدولى ، واحتلالها مكانها فيه بجدارة وعن حق، وممارستها حقوقها فيه بفعالية على اسس المساواة والعدالة الدولية » .

بهذه الكلمات التى وجهها الرئيس انور السادات افتتحت اولى جلسات « الاجتماع الدولى لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية احتفالا بالذكرى العشرين لمؤتمر باندونج التاريخى » .

وقد تلقى هذا الاجتماع الدولى الذى عقد جلساته خلال يومى ١٣ — ١٤ ابريل ١٩٧٥ ، فى قاعة اجتماعات اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى ، والذى حضره ممثلون لمختلف منظمات التضامن الاسيوى الافريقى فى العديد من البلدان ومندوبون عن مختلف المنظمات العالمية عددا من الرسائل الهامة .. من بينها رسالة من كورت فالدهايم السكرتير العام للامم المتحدة ورسالة من الرفيق ليونيد بريجنيف السكرتير العام للجنة المركزية للحزب الشيوعى بالاتحاد السوفيتى جاء فيها :

« ان تطوير التقاليد التى تمخضت عن مؤتمر باندونج سوف يكون اسهاما ملموسا فى النضال ضد الامبريالية، وتستطيع شعوب آسيا وافريقيا المناضلة ان تكون — كما سبق لها — على ثقة بدعم الاتحاد السوفيتى المستمر».

كذلك تلقى الاجتماع الدولى رسائل من الرئيس البكر والشيخ مجيب الرحمن والسيد رشيد الصلح والسيد ياسر عرفات والعديد من رؤساء الدول الافريقية والاسيوية والدول الاشتراكية .

وخلال جلسات الاجتماع الدولى القى يوسف السباعى السكرتير العام لمنظمة التضامن الاسيوى — الافريقى تقريرا مسهبا ، تحدث فيه عن الدلالة التاريخية لمؤتمر باندونج وعن تصاعد حركة التضامن الافريقية الاسيوية وعن بؤر التوتر والمسائل العاجلة وعن قضية التنمية والانفراج وأمن الدول .

وقد قال يوسف السباعى فى تقريره « ان الشعوب الافريقية الاسيوية تأخذ مصيرها فى ايديها ، ولقد انقضى ذلك الزمن الذى كان الامبرياليون يستطيعون فيه ان يفرضوا ارادتهم على الشعوب التى كانوا ينظرون اليها على انها مجرد موضوع لسياستهم الاستعمارية .وخلال العشرين عاما التى انقضت منذ باندونج عانت الامبريالية العالمية والقوى الرجعية هزائم ساحقة ، وجرت تغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية على المسرح الدولى لصالح التحرر الوطنى والدول النامية الفتية ، واصبحت الاشتراكية عاملا حاسما فى التطور الاجتماعى العالمى ، وتحطم النظام الاقتصادى للامبريالية وتعرضت الرأسمالية لازمة تزداد تعمقا » .

كذلك اشاد يوسف السباعى فى تقريره الى الاجتماع الدولى ، بدور ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى « التى بدأت عصرا جديدا فى تاريخ البشرية » .

وبالاضافة الى تقرير السكرتير العام قدم الى الاجتماع الدولى تسعة عشر تقريرا من تسعة عشر بلدا ومنظمة فقدم وفد اليابان تقريرا عن « القواعد العسكرية

الامريكية — تهديد للسلام والامن فى آسيا » وقدمت الهند « مشاكل السلام والامن فى آسيا » وقدمت سيرى لانكا تقريرا عن « المحيط الهندى .. منطقة سلام » . وقدم وفد الاتحاد السوفيتى تقريرا بعنوان « اهمية وحدة ودعم قوى الاشتراكية والتحرير الوطنى فى عملية الثورية العالمية » اما وفد الصومال فكان تقريره عن « الجماعة الاشتراكية صديقة البلاد النامية التى يمكن الاعتماد عليها » كذلك قدم خالد محيى الدين رئيس وفد مجلس السلام العالمى تقريرا بعنوان « باندونج والسلام العالمى » .. الخ .

وبعد مناقشة عامة اصدر الاجتماع بيانا عاما أعاد التذكير بالنقاط العشر التى تقوم عليها مبادىء باندونج، واكد ان روح باندونج « لا تزال حية بين شعوب افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية » . ويتركز النضال فى المرحلة الراهنة ضد الاستعمار الجديد وعلى رأسه الولايات المتحدة ، وتكتسب ضرورة دعم الجبهة العالمية لكل القوى المعادية للامبريالية اهمية اكبر اليوم » .

ومضى البيان العام يقول « وتشق القوى التقدمية طريقها الى الامام . لكن قوى الرجعية لاتزال تعمل.. ونحن نطالب باجراءات لتصفية بؤر العدوان وتهيب بالشعوب الافريقية الاسيوية ان تدعم نضالها من اجل الوحدة وتضاعفه .

وحدد البيان العام اهداف شعوب آسيا وافريقيا قائلا :

« اننا نعمل :

— من اجل التصفية الكاملة للاستعمار والاستعمار الجديد والعنصرية والصهيونية .

— من اجل التطور المتكافىء للجميع ومشاركة كل بلاد العالم فى التقدم التكنولوجى .

— من اجل حق كل الشعوب فى ان تصوغ مستقبلها وتكون سيدة مواردها وامكاناتها الوطنية .

— من اجل وقف كل تدخل اجنبى وتصفية كل القواعد الاجنبية » .

● الوطن العربى ●

العودة الى طريق مؤتمر جنيف

دخلت ازمة الشرق الاوسط مرحلة جديدة ، وذلك بعد اعلان فشل سياسة د. هنرى كيسنجر وزير خارجية الولايات المتحدة والمعروفة بسياسة الحل « خطوة خطوة »

وكانت مصر قد تقدمت رسميا بعد اعلان فشل مهمة كيسنجر الى الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ، باعتبارهما الدولتين المسئولتين عن رئاسة مؤتمر جنيف ، بطلب عقد المؤتمر ، لبدء المرحلة الثانية من اعماله ، الامر الذى لم تجد امامه الولايات المتحدة مفرا من قبول الموافقة على عقده ، من حيث المبدأ .

من الواضح ان اتجاه مصر وسوريا يؤيدهما فى ذلك الاتحاد السوفيتى يقوم على ضرورة عقد مؤتمر جنيف ، على اساس انه المنبر الدولى المؤهل لتحديد وارساء اسس السلام والامن فى الشرق الاوسط .

والمعروف ان اسرائيل ما تزال عند موقفها المتعنت ، واصرارها على عدم اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية فى مؤتمر جنيف . كما انها تكشف بسياستها العميلة كل يوم والمتمثلة فى بناء المستعمرات واحكام قبضتها على الاراضى العربية المحتلة ، عن رغبتها فى الاحتفاظ بالاراضى العربية . الامر الذى يثير الشكوك لدى المراقبين فى امكانية ذهاب اسرائيل الى المؤتمر ، وتعرضها لمواجهة عربية ودولية من اجل تخليها عن الاراضى التى احتلتها بالقوة .

ويؤكد الاتحاد السوفيتى ومصر وسوريا ايضا اهمية الاعداد للمؤتمر اعدادا جديا ، بحيث يؤدى الى ايجاد الحلول النهائية الشاملة والكاملة لمشكلة الشرق الاوسط .

وكانت مصر قد دعت الى توسيع مؤتمر جنيف ، وضم الاردن ولبنان الى المؤتمر باعتبارهما من دول المواجهة ، وكذلك ضم انجلترا وفرنسا وممثلين عن دول عدم الانحياز وذلك حتى لا يتحول المؤتمر الى مواجهة بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وحدهما .

وتتجه الانظار فى الوقت الحالى الى الولايات المتحدة ، التى امدت اسرائيل بكافة اشكال الدعم المادى والعسكرى حتى تحدد موقفها بعد فشل مهمة كيسنجر ، وهو ما عبر عنه الرئيس السادات فى حديثه الى التليفزيون الامريكى بقوله : « انه يجب على الولايات المتحدة أن تعلن موقفها بوضوح امام العالم ، وما اذا كانت ستحمى اسرائيل فى حدودها أم هل ستحميها فى اراضى الغير التى احتلتها بالقوة » ..

والى ان يتم الاعداد لمؤتمر جنيف وتحديد موعده ، فان الاتجاه الحالى لجميع اطراف قوى المواجهة ، هو مراجعة الحسابات واعادة تقييم المواقف والاعداد للمرحلة المقبلة. وبالفعل بدأت تجرى الاتصالات والمشاورات بين قوى المواجهة الثلاث فيما بينهم وبين مجموعة الدول العربية .

وقد شهدت الفترة الاخيرة لقاء بين الرئيس انور السادات وبين ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ولقاء بين وفد منظمة التحرير وبين كبار المسئولين فى القاهرة ، حيث امكن تصفية الخلافات بين الجانبين وهى الخلافات التى وصفت بأنها لا تخرج عن كونها مجرد اجتهاد فى الرأى ، وأن الجميع يلتقون دائما على الهدف والنضال والمسيرة الواحدة . كما أكد ياسر عرفات ما أشار اليه الرئيس السادات من قبل ، الى اهمية التضامن وتأكيد معنى الالتقاء المصرى — السورى — الفلسطينى ، باعتباره المحور الاساسى فى الصراع مع العدو الصهيونى . ومن بين النتائج الهامة لمباحثات الوفد الفلسطينى فى القاهرة ، تحقيق التنسيق بين الجيشين المصرى والفلسطينى فى سيناء وفتح مكاتب فى القاهرة للتطوع فى جيش التحرير الفلسطينى — قوات عين جالوت — المرابطة فى سيناء .

كما شهدت الفترة الاخيرة لقاء قمة عربى محدود فى الرياض ، يضم الرئيسين انور السادات وحافظ الاسد والملك خالد بن عبد العزيز ، وذلك من اجل وضع الاسس الاستراتيجية لاحتمالات الحرب أو السلام فى المستقبل وقد تركزت محادثات القمة بين القادة الثلاثة على موضوعين اساسيين هما :

● العلاقات الثنائية بين دولتى المواجهة : مصر وسوريا

● التنسيق الكامل بين مصر وسوريا ، باعتبارهما

دولتى المواجهة العسكرية ، والسعودية باعتبارها دولة المواجهة الاقتصادية .

ومن ناحية اخرى تتزايد الدعوة الى الاسراع بعقد اجتماع عربى هام على مستوى القمة ، يتناول تقييم الوضع العربى ، ووضع استراتيجية عربية كاملة وشاملة على المستوى القومى لتوحيد الصف العربى وتعزيز جبهة الصمود العربى ، ومن الموضح ان يعقد هذا الاجتماع فى شهر يونيو القادم . كما انه من المتوقع ان يسبق اجتماع القمة العربى لقاء (مصرى ـ سورى ـ فلسطينى) لانهاء خلافات سياسية وعسكرية للتنسيق فيما بينهم وتدعيم وحدة قوى المواجهة الثلاث ـ هذا وان كان لم يقرر بعد تحديد موعد هذا اللقاء ، ولكن قد ذكر انه سيتم تحديد موعد هذا اللقاء ، عقب عودة وفد مصر برئاسة اسماعيل فهمى وزير الخارجية من موسكو واجراء محادثات مع اندريه جروميكو وزير الخارجية وليونيد بريجنيف السكرتير العام للحزب الشيوعى السوفياتى . وكذلك بعد زيارة ياسر عرفات والوفد الفلسطينى الى موسكو فى اواخر ابريل المساضى .

وقد اعلن اسماعيل فهمى وزير الخارجية بشأن مباحثاته فى موسكو أنه تم الاتفاق على ضرورة استئناف مؤتمر جنيف لاعماله ، وضرورة اشتراك ممثلى منظمة التحرير الفلسطينية فى هذا المؤتمر على أن يكون لهم نفس الحقوق التى يتمتع بها المشتركون الاخرون .

○

• سوريا •

المؤتمر القطرى السادس لحزب البعث العربى الاشتراكى

انعقد فى أوائل الشهر الماضى المؤتمر القطرى السادس لحزب البعث العربى الاشتراكى ، بعد أن تمت خلال الفترة السابقة عمليات الانتخابات فى مختلف المستويات الحزبية المدنية والعسكرية .

وقد القى الرئيس السورى حافظ الاسد والامين العام للحزب كلمة فى جلسة افتتاح المؤتمر ، أوضح فيها الاهمية الخاصة للمؤتمر فى هذه الظروف التاريخية التى يمر بها القطر السورى ، والمسئلة التى يتسم بها المؤتمر ، والتى لها دلالة خاصة بالنسبة للحزب وللشعب .. وقال :

اننا بلغنا مرحلة من النضج جعلتنا نغلب العلم على الخاص ، ونغلب الاساسى على الثانوى ، ونعرف الشروط الضرورية للتطور والتى لابد منها لخوض اية معركة يفترض ان نخوضها » ..

واكد الرئيس حافظ الاسد تصميم الحزب على ممارسة الديمقراطية بشكل جدى وحقيقى على امتداد الحزب وعلى امتداد اوسع الجماهير .

الخفيف.. لم يزل حيا

وتبقى السنوات ، ولم يزل د. محمد الخفيف حيا ، بتاريخه ونضاله وفكره .

ان اسرة تحرير « الطليعة » التى عاش معها د. الخفيف تجربة التأسيس والممارسة والذى أسهم معها بجهده وفكره وقلمه لتذكر د. الخفيف ، كرفيق نضال مخلص « الطليعة » كل ما استطاع من جهد وقدم لها الكثير .

وتبقى السنوات .. ولم يزل د. محمد الخفيف معنا بفكره ، وتبقى السنوات وسيظل معها الخفيف حيا .

ومن الظروف الخاصة التى تمر بها الامة العربية ، اكد الرئيس حافظ الاسد أن الامة العربية حققت نصرا فى اكتوبر وحققت بكاسب هامة ، وان هناك محاولات مستمرة لطمس هذه المكاسب رغم أن بعضها دخل التاريخ كمكاسب دائم وأبدى ، ولا يمكن لاى اسلوب يتبع ولا لاية وسيلة تستخدم أن تغير من هذه الحقيقة .

وعن علاقات العرب بالغرب والشرق قال الرئيس الاسد : « هناك علاقات بمواصفات خاصة مع الغرب . وعلاقات بمواصفات خاصة أخرى مع الشرق . هناك علاقات بين الحكومات العربية فى هذه المرحلة مختلفة عما كانت عليه فى المراحل السابقة وفيها الايجابى وفيها السلبى .. وان كل هذا يتطلب منا ومن كل مخلص ـ فى وطننا العربى ـ جهودا خاصة وخلاقة لتقدم امتنا العربية فى مسراها العادل » .

وقد ناقش المؤتمر فى جدول اعماله التقارير التنظيمية والسياسية والاقتصادية المقدمة من القيادة القطرية للحزب واتخذ فى نهاية جلساته عددا من القرارات والتوصيات فى المجالات المختلفة من بينها :

تأكيد موقف الحزب من اجل مواصلة النضال لتحرير الارض العربية المحتلة كلها ، وضمان الحقوق الوطنية للشعب العربى الفلسطينى ، والاستمرار فى تعزيز القوى الذاتية العسكرية للقطر ، ورفع كفاءتها القتالية ، والاستمرار فى بناء الجبهة الداخلية بما يكفل حشد طاقات الشعب فى المعركة ، والتصدى للمؤامرات الامبريالية فى المنطقة وتعويت الفرصة عليها ، ومجابهة مخططاتها العدائية واجهاض المحاولات الرامية لتصفية القضية الفلسطينية

وتغطية التحرير الشامل للاراضى العربية المحتلة ، والتركيز على المعركة المصيرية وعدم الانزلاق الى المعارك الهامشية

واساليب العمل الوحدوى الاشتراكى والنضال لتحقيق ما يمكن تحقيقه من خطوات وحدوية على طريق الوحدة العربية الشاملة ، وتعزيز التضامن العربى وترصيفه ، والعمل على وضع طاقات الأمة العربية العسكرية والاقتصادية والسياسية فى المعركة ، واستمرار دعم حركات التحرر الوطنى ماديا ومعنويا فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ، والتضامن مع جميع قوى التحرر والتقدم والاشتراكية فى العالم .

وفى مجال القضية الفلسطينية قرر المؤتمر : الالتزام بدعم الشعب العربى الفلسطينى فى سبيل العودة الى وطنه ، وتقرير مصيره فوق ارضه ، والعمل على ابراز الشخصية الفلسطينية فى نطاق الانتماء القومى ، وتأييد الشعب الفلسطينى فى اقامة السلطة الوطنية المستقلة على الارض الفلسطينية التى يتم تحريرها ، ومواصلة النضال لتحرير كامل التراب الفلسطينى .

وقد حيا المؤتمر المبادرة التى اعلنها الرئيس حافظ الاسد بالدعوة لقيام قيادة سياسية وعسكرية سورية ـ مصرية موحدة مع التأكيد على مواصلة العمل لانجاز الصيغة المناسبة لوضع هذه المبادرة موضع التنفيذ .

وفى المجال الاقتصادى قرر المؤتمر : العمل على وضع المشروعات الكفيلة بالمحافظة ، سواء اكان ذلك بمكافأة او بمعاقبة ، وتحويل الجمعيات التعاونية الزراعية من جمعيات خدمات زراعية الى جمعيات انتاجية اشتراكية وتأمين الامكانيات اللازمة لذلك ـ ودعم القطاع العام باعتباره القائد فى مجالات الاقتصاد الوطنى .

كذلك اتخذ المؤتمر عددا من القرارات والتوصيات فى مجالات الاسكان والصحة والمواصلات والسياحة والثقافة والاعلام والخدمات الاجتماعية .

واختتم المؤتمر اعماله بانتخاب القيادة القطرية الجديدة للحزب وهى القيادة التى ستتحمل المسئولية خلال السنوات الاربع القادمة ..

هذا وقد احتلت القيادة القطرية لحزب البعث العربى الاشتراكى فى سوريا ، فى السابع من شهر أبريل الماضى بالذكرى الثامنة والعشرين لتأسيس حزب البعث ، وقد أعربت خطابه الاحزاب الوطنية والتقدمية فى العالم العربى والدول الاشتراكية عن تهانيها للحزب السورى بهذه المناسبة

تعليق

عندما تحتفل الشعوب بذكرى انتصارها على الفاشية

يحتفل العالم هذا العام بالذكرى الثلاثين لانتصار الاتحاد السوفيتى والقوى الاخرى المتحالفة على الفاشية الالمانية والايطالية والعسكرية اليابانية فى الحرب العالمية الثانية [١٩٣٩ ـ ١٩٤٥] .

ان الفاشية التى طوحت الى الوجود بدءا بانقلاب موسوليني في ايطاليا في أوائل العشرينات وشملت عددا من البلدان الاوروبية ، وأتى بلدت اوج خطورتها بالانقلاب النازى فى المانيا عام ١٩٣٣ ، لم تكن فى واقع الامر سوى نتاج وافراز طبيعى للرأسمالية العالمية ، نتيجة استحكام أزمتها العامة ، وتفاقم الصراع بين الاحتكارات الالمانية والايطالية والبريطانية من جهة وبين الاحتكارات الاستعمارية الاخرى . ودفعت هذه الازمة المانيا الفاشية الى شن حرب طاحنة ، من أجل اعادة توزيع وتقسيم الاسواق ومصادر الخامات فى المستعمرات والبلدان الرأسمالية الضعيفة التطور .

لقد بدت اخطار الفاشية أول مابدت فى اثارها المدمرة على جماهيرها ، وأتى تبلغت فى التخلص من كل اشكال المعارضة فى الداخل ، وتحطيم كافة اشكال الحريات المتعارف عليها فى النظم الديمقراطية الغربية ، واهدار كل القيم الانسانية والحضارية وكل ما هو غند العقل والخلق ، واتباع الاساليب الدياجوجية فى تضليل وخداع الجماهير ، والتبشير بنظريات القومية العنصرية ـ نظريات التمايز العنصرى والجنس الآرقى ـ وبهذا المعنى كانت الفاشية كنظرية ونظام تعنى الحرب بالضرورة . ومن هنا شنت الامبريالية الالمانية حرب الغصب ونهب البلدان الاوروبية ، وهى حرب ذاقت فيها الشعوب الاوروبية كل الوان القهر والتنكيل فى ابدى الجيش الالمانى ، بحيث تجاوزت جرائم الفاشية الالمانية بشع جرائم الشر والقسوة التى عرفتها البشرية فى العصور الوسطى والقديمة

المناسبة التى يخوض فيها الحزب على رأس الجبهة الوطنية فى سوريا ، النضال ضد العدوان الصهيونى الامبريالى ومن أجل تحرير الاراضى العربية المحتلة ، ومن اجل تطوير المجتمع السورى على طريق الاشتراكية والتقدم .

○

• تنزانيا •

«لا» للحوار مع النظم العنصرية

من المتوقع ان تتصاعد حركة الكفاح ضد النظم العنصرية فى جنوب افريقيا وروديسيا ، على اثر التطورات التى وقعت داخل روديسيا من جهة .. والنتائج الهامة التى اتخذتها الدورة التاسعة الاستثنائية لمجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية الذى انعقد فى دار السلام [من ٧ الى ١١ ابريل] .

فبينما استشهد هيرت شتيبو من زعماء حزب « زانو » [اتحاد زيمبابوى الوطنى] فى لوزاكا على ايدى عملاء لنظام سميث العنصرى ، قام سميث ايضا باعتقال القس ندا بالنجى سيتولى مؤسس حزب «زانو» . وذلك بعد فشل المناورة التى قام بها سميث مؤخرا لنزع سلاح قوات الكفاح المسلح تحت اسم « التفاوض » .

وقد اتخذ مؤتمر دار السلام ، عددا من القرارات واقر عددا من الوثائق تتضمن تحليل الموقف الراهن فى جنوب القارة وتحدد استراتيجية الدول الافريقية المستقلة فى النضال ضد العنصرية والاستعمار . واكد المجتمعون مساندتهم لمطالب شعب زيمبابوى وناميبيا فى الاستقلال وتصفية النظم العنصرية فى جنوب القارة ، واكدوا تأييدهم لنضال « المقاتلين من اجل الحرية » فى كل صوره . فاذا ما فشل النضال السياسى ، « فلا مناص من تصعيد الكفاح المسلح ومده بكل الدعم الضرورى » . واعاد المجتمعون بذلك الموقف الذى اكده من قبل « اعلان لوزاكا » و« اعلان مقديشيو » . وقد دعا المجتمعون كل الدول الافريقية والمجتمع الدولى والمنظمات الدولية ، بضرورة العمل لعزل النظم العنصرية سياسيا واقتصاديا ، واعتبار من يتعامل دبلوماسيا وتجاريا مع هذه النظم « طرفا غير صديق لافريقيا » .

الجبهة السوفيتية ٦٠٧ فرق ، بينما حطمت الجيوش الاخرى المتحالفة ١٧٦ فرقة للعدو .

ولا شك ان كل ذلك قد سهل على بريطانيا والولايات المتحدة الى حد كبير ، فتح الجبهة الثانية ضد الجيش الالمانى فى نورماندى على الساحل الفرنسى فى ١٩٤٤/٦/٦ ، وذلك بعد ان كانت نتيجة الحرب قد تقررت على الجبهة السوفيتية . على انه لا ينبغى — فى الوقت نفسه — التقليل من شأن توحيد قوى الدول الثلاث المتحالفة [الاتحاد السوفيتى وبريطانيا ، والولايات المتحدة] ضد المحور الهتلرى [المانيا ، ايطاليا ، اليابان] وهو الامر الذى ادى الى التفاف كافة الدول والقوى الديمقراطية فى العالم من حولهم ، الامر الذى كانت له اهمية عظيمة فى تحقيق النصر .

ولقد ادركت القوى الديمقراطية فى البلاد الاوروبية التى رزئت بالاحتلال الفاشى ، اهمية التحالف والتعاون المشترك فيما بينها ، حيث تكونت الجبهات الوطنية التى ضمت الاحزاب الشيوعية والاشتراكية والاحزاب البورجوازية الديموقراطية للدفاع عن شرف الوطن وحريته وتنظيم النضال ضد المحتلين وفى اكثر من بلد تمكنت هذه الجبهات من وضع البرامج السياسية الخاصة بمهام التحرير والبناء ، التى التفت حولها جميع القوى الوطنية والتقدمية والعمالية . وتحملت هذه الجبهات الوطنية التقدمية فى بلدان أوروبا وآسيا عبء النضال التحررى بنجاح ضد الاحتلال الفاشى .

لقد ادى تحطيم الفاشية الى انهيار كثير من الانظمة الرجعية ، وانتصار الثورات الاشتراكية فى عدد من بلدان أوروبا وآسيا ، وظهور النظام الاشتراكى كقوة عالمية مؤثرة فى سير التطور البشرى ، والى تزايد نضال الطبقة العاملة فى البلدان الراسمالية من اجل الاشتراكية ، كما ادى الى خلق الظروف المواتية امام نضال حركات التحرير الوطنية فى المستعمرات من اجل الحرية والاستقلال الوطنى .

ان كل ذلك قد ادى الى التغيير الجذرى فى ميزان القوى على الصعيد العالمى لصالح قوى الاشتراكية والديمقراطية والتقدم ، على حساب القوى الامبريالية والرجعية الدولية ، والى تعميق الازمة العامة للراسمالية العالمية ، وجعل القوى الامبريالية تفقد المبادرة فى التصرف والتلاعب بمصير الشعوب كما كانت تفعل فى الماضى .

وفى هذه الايام ، حيث يحتفل العالم بذكرى الانتصار على الفاشية ، ترتفع الاصوات من جانب القوى الاشتراكية والديموقراطية فى العالم بالتحذير من ظاهرة تزايد نشاط القوى الفاشية الجديدة ، فى عدد من البلدان الاوروبية حيث يقوم الفاشيست الجدد باغتيال العناصر التقدمية وتدمير المنشآت العامة ومقار الاحزاب الديمقراطية وارتكاب كل اعمال الاستفزاز والارهاب .

ولا شك ان القوى الاشتراكية العالمية وحركة التحرر الوطنى والقوى الديمقراطية والتقدمية فى العالم ، قد اصبحت حاليا اقوى بكثير مما كانت عليه قبل الحرب العالمية الثانية ، وهى تستطيع من ثم ان تلعب دورا حاسما من اجل احباط مؤامرات الفاشيين الجدد . غير ان هذه المهمة اصبحت تتطلب فى هذه الظروف توحيد الجهود بين جميع قوى التقدم والاشتراكية والسلام ، من اجل القضاء على ظاهرة الفاشية الجديدة ، وذلك قبل ان يستفحل خطرها ، ومن اجل منع كل المحاولات الرامية الى اشعال حرب عالمية ثالثة ستكون بلا شك ، وبصورة لم يسبق لها مثيل ، اعظم خطرا فى تدمير الانسانية والقضاء على كل منجزات الحضارة البشرية .

وديع أمين

ويعتقد المراقبون الافريقيون ، ان رفض المؤتمر لفكرة « الحوار » مع النظم العنصرية ، يعد مكسبا ضخما لحركة التحرر الافريقية وحركات الكفاح المسلح الوطنى فى جنوب افريقيا وزيمبابوى .

فمنذ اعلان حكومة النظام البرتغالى الجديد عن عزمها على استقلال موزمبيق وانجولا ، ادت التطورات التى اعقبت ذلك الى تغيرات جذرية فى ميزان القوى فى جنوب القارة ، ودفع النظم العنصرية الى البحث عن طريق للخروج من المأزق الذى يوشك أن تقع فيه . فقد ظلت النظم العنصرية تستثمر مستعمرتى انجولا وموزمبيق السابقتين « كمنطقة عازلة » بينها وبين افريقيا المستقلة . واصبح مطروحا بشكل تلقائى احداث تغييرات مماثلة فى جنوب القارة .

وقد بدأ جون فورستر رئيس وزراء جنوب افريقيا ، « حركة الالتفاف » هذه ، بالقاء خطاب تحدث فيه عن « التعايش » مع الدول الافريقية المستقلة وضرورة بدء « الحوار » معها . واعلن وقتها « ان العالم سيفاجأ بتغييرات هامة خلال ستة اشهر » . وخلال هذه الفترة قام باجراء اتصالات سرية مع لوزاكا — بعد مشاورة حكومة سميث — وترددت انباء تقول بانه قام بزيارة سرية الى ساحل العاج والسنغال [انكرت ذلك] كما قيل بان وفدا من جمهورية افريقيا الوسطى قد زار جنوب افريقيا للاتفاق على « مساعدات » مادية وفنية تقدمها حكومة فورستر . وكان آخر نشاط لفورستر ، زيارته العلنية الاخيرة الى ليبيريا .

وقد اوضح البيان الذى اذاعه مكتب حزب المؤتمر الوطنى الافريقى [جنوب افريقيا] فى داكار ، ان محاولة فورستر « للحوار » ، تهدف الى شق وحدة صف الدول الافريقية المستقلة من جهة ، وعزل حركة الكفاح المسلح ، والقوى الوطنية المناضلة ضد العنصرية والاستعمار . وقد ادان البيان مناورة فورستر ، واكد ان الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحقيق استقلال الشعوب التى ترزح تحت نير النظم العنصرية فى القارة » .

ومن الجدير بالذكر ان مؤتمر دار السلام قد اكد وهو يرفض « الحوار » مع النظم العنصرية ، « اصرار منظمة الوحدة الافريقية على مواصلة النضال بلا مساومة ضد العنصريين » . كما ناقش طرق ووسائل تحرير جنوب القارة على ضوء خبرات حركات التحرر الوطنى فى الدول الاخرى .

● فرنسا ●

فشل التمهيد لمؤتمر دولى تصاعد جديد لحرب البترول

دعت الجزائر الى عقد اجتماع عاجل وطارىء لوزراء البترول فى الدول المصدرة له ، لاجراء مباحثات حول التطورات الجديدة للسياسة البترولية بعد فشل المحادثات التمهيدية لعقد مؤتمر قمة للدول المنتجة والمستهلكة .

وايدت الكويت هذا الطلب ، بعد أن لاحت نذر تصاعد المواجهة بين الدول المستهلكة والمنتجة خلال اجتماع باريس التحضيرى .

والواقع انه منذ أن بدأ فى باريس الاجتماع التحضيرى للمؤتمر العالمى للطاقة فى ٧ أبريل ، رجحت وكالات الانباء احتمالات فشل المجتمعين من ممثلى الدول المنتجة والمستهلكة للبترول فى التوصل الى اتفاق يسمح بعقد هذا المؤتمر فى الصيف القادم . وبالفعل فقد تركزت الخلافات فى امرين : جدول الاعمال ، اذ ارادت الدول الصناعية قصره على مشكلة الطاقة ، واصرت الدول المنتجة والدول النامية على ان يشمل بحث كل المواد الاولية والتنمية . اما موضوع الخلاف الثانى فكان حول أطراف المؤتمر فقد عارضت دول العالم الثالث تقسيم الدول النامية الى دول منتجة للبترول ودول غير منتجة على أساس أن مصالح هذه الدول واحدة وارادت توسيع عدد الحاضرين واصر الاخرون على العكس وتقدم ممثل السوق المشتركة باقتراحين للتقريب بين مشروعى الدول النامية والدول الصناعية حول جدول الاعمال ، كانا فى الواقع رضوخا لمطالب الدول النامية ، اذ ينص الاقتراح الاول على بحث المواد الخام الاخرى ويطالب الثانى باعطاء أولوية لمساعدة الدول النامية فى مشروعاتها لكن عند المناقشة اصر كل طرف على موقفه .

والواقع أن الخلاف بين الطرفين يتركز كما قالت الاكسبريس الفرنسية فى أن الأهتمام الرئيسى للدول الصناعية يتركز على تكاليف البترول التى خلقت عجزا لا يمكن تحمله فى ميزان مدفوعاتها منذ ارتفاع الاسعار فى ١٩٧٣ ، فى حين أن المشكلة بالنسبة للدول المنتجة هى زيادة عائداتها مقابل هذه الثروة التى تقدمها والتى تهدد بالنضوب ..

وقد اشترك فى هذه المواجهة الاولية اليابان والولايات المتحدة والسوق المشتركة [الدول الصناعية المستهلكة] والسعودية والجزائر وفنزويلا وايران [الدول المنتجة وان كان ذلك بصفة شخصية لا كممثلين للاوبك كما قرر مؤتمر دول البترول فى الجزائر] والهند والبرازيل وزائير [الدول النامية] وتولت فرنسا الرئاسة الفنية للمؤتمر وبذلت كل جهدها لمنع الدخول فى التفاصيل ، ومناقشة المشاكل المتفجرة ، والاقتصار على بحث تاريخ المؤتمر المقترح وجدول أعماله وتحديد الدول المشتركة فيه .

لكن سرعان ما تفجرت الخلافات منذ الجلسة الاولى ، وسرعان ما أعلن متحدث باسم الوفد الامريكى أن الاجتماع وصل الى طريق مسدود من جديد بسبب اصرار الدول المنتجة على أن يعطى مؤتمر الطاقة المقترح الاولوية لبحث المواد الخام بدلا من مشكلة الطاقة ، والمسائل المتعلقة بها . وتقدمت الدول المستهلكة باقتراح بحث المواد الخام من خلال بحث الطاقة ، ولكن الجزائر والدول الاخرى المنتجة قالت ان هذا يعنى اعطاء موضوع المواد الخام أهمية أقل من مشكلة الطاقة وهو أمر غير مقبول .. وعند مغادرته للجزائر بعد زيارة رسمية لها ، أعلن الرئيس الفرنسى ديستان فى ١٣ ابريل أنه اتفق مع بومدين على جدول أعمال المؤتمر وقائمة الدول التى ستدعى للاشتراك فيه وعلى ضرورة بحث المسائل الخاصة بالمواد الاولية فى المؤتمر ، ولكن الدول المتقدمة وفى مقدمتها الولايات المتحدة ، قالت انها قدمت أقصى تنازلات فى موافقتها على أن يبحث المؤتمر المقترح مسألة المواد الخام على أن يكون التركيز على مشكلة الطاقة . وبذا تحطم الاجتماع منذ البداية لاصرار الولايات المتحدة على فرض رؤياها وخططها لحل ازمة البترول ..

وقد اشتملت ضجيرة لوماكتيبه الرئيسية ٢٧٥/٤/٨٦ الدلالات الاساسية للمؤتمر في :

● ان الوقت قد تغير عن عام ١٩٦٠ عندما ارتفعت شركات البترول لتخفيض الاسعار على الدول المنتجة . وبعد ذلك الحين لم تكن الانتصارات التي أحرزتها دول الاوبك فيما يتعلق باسترداد موادها والاشراف عليها من قبيل الصدفة ..

● ان القضية الاساسية هي اقامة نوع جديد من العلاقات الاقتصادية الدولية ، يسمح لكل شعب أن يجد طريقا للتطور الاقتصادي والاجتماعي .

● ان موقف فرنسا يتحلل في التحليل الاخير لموقف واشنطن . وقد وقعت فرنسا مع الدول الراسمالية الاعضاء في منظمة التعاون والتطور الاقتصادي ، اتفاقية من أجل انشاء صندوق نقد مشترك برأسمال ٢٥ مليار دولار في مواجهة الدول المنتجة . كما صوت مندوبها في ليما ضد مشروع تأميم منتوجم المواد الاولية للدول النامية وضد تطور تحالف الدول المنتجة للبترول .

● ان الرجعية الدولية تعبىء قواها لقد العمليةبأسقة حكمت عليها الوقائع بالفشل . ولن يحصل العمال ولا الدولة على أي مكاسب من وراء هذه المغامرة . ان شركات البترول هي التي تتحكم في سوقه ، وهي المسئولة عن الازمـــة .

ولم تكن نتيجة أعمال المؤتمر خاتمـــة على المراتيين لتطورات الازمة . ففي اليوم التالي لبدء المؤتمر ذكرت صحيفة لوسفنيها البلجيكية [٧٥/٤/٨] أن المشكلة الحقيقية ليست بعث القضايا المتعلقة بالبترول وانما بوقف نظام اقتصادي جديد وشامل يكفل اعادة التوزيع بين الفقراء والاغنياء بين الشمال المتقدم ، والجزء الجنوبي الكبير من العالم . أما لكلوزا الفرنسيه [٧٥/٢/٥] فرجحت أن اقتراح الجزائر بتثبيت أسعار البترول لمدة خمس سنوات دخول على احتمت جبهة الدول المنتجة والمستهلكة . ومن هـذا أصبح من الصعب تجنب حدوث مواجهة بين المجموعتين على المدى القصير . أما نشرة وكالة نوفوستي السوفيتية [٧٥/٤/٧] فتضيف بعدا آخر في الموضوع تتحول أن مشكلة البلاد المنتجة الان ، هي حماية موادها من النهب في مواجهة التعشف في العالم الرأسمالي ، وفي مواجهة تدهور قيمة الدولار . وذكرت الفيجارو [٧٥/٤/١٧] أنه وتعين الاستعلام لسيادة البترول ، والتسليم بأنه من الان فصاعدا ، لن يكون الدولار أو الفرنك مستعملا لشراء البترول ، بل سيصبح البترول هو السلع لشراء الدولار أو الفرنك . ان المسئلة التي تحاول ايجادها بين أسعار البترول وأسعار المواد الاخرى سواء كانت المصادر البدائية أو المواد المصنعة ، تبين أن البترول ليس بالسلعة التي يرتبط سعرها بأسعار السلعات بقدر ما يرتبط سعر العملات به .

واذا كانت نيوزة لوسوار البلجيكية [٧٥/٤/١٠] بالله لن يكون هناك مؤتمر على الاطلاق قد تحققت ، فان ذلك يوضح أن أسلوب التعاهم وحجرد الجلوس الى مائدة واحدة ــ وذلك ما كانت فرنسا تريده ــ قد فشل ، ومن ثم فالبديل هو الاساليب العنيفة . الامر الذي يحتم الاستجابة فورا لدعوة الجزائر باجتماع الدول المصدرة .

● البرتغـــال ●

ماذا يعني فشل الانقلاب الرجعي؟

لم تكن مؤامرة السبن المسلحة في ١١ مارس الماضي والتي تقادها الجنرال انطونيو دي سبينولا ، هي أول مؤامرة ضد حركة القوات المسلحة التي أطاحت في العـام الماضي بمارسيلو كايتانو ظهيرة الدكتاتور سالازار ، فقد سبقها العديد من المؤامرات ، كان منها مؤامرة سابقة لاسبينولا نفسه أطاحت به من كرسي الرئاسة في سبتمبر ١٩٧٤ .

وقد سبق هذه المؤامرات المضادة للثورة البرتغال ، انشطة خريبي في مجال الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، وتصاعدت القوى المعـادة من التركة الثقيلة بالسلبيات والمصاعب التي خلفها ديكتاتورية سالازار ومارسيلو .

ففي المجال الاقتصادي يركز الراسماليون الكبار جهودهم لخلق النظام الجديد : بدلا في مجال الاقراض للمؤسسات المصرية رفضت البنوك أو خفضت القروض ، الامـر الذي أدى الى انضطرار هذه المؤسسات الى عمل العمال وقف الانتاج . ومن الممكن تبين مدى خطر هذا التكتيك ، اذا عرفنا ان هذه المؤسسات تستخدم ٦٩٠ من السكان العاملين في البلاد ، وهكذا استعمل هذا التكتيك اثارة اعداد كبيرة من العـاملين للمطالبة بالعمل ولقمة العيش .

وأما المؤسسات التي تنتمي الى الاحتكارات الكبيرة فقد لجأت الى تقرير زيادة كبيرة في أجور بعض فئات العمـال وحدث ذلك في شركة الطعون والفرانات الدولية ، حيث منح العاملون فيها حدا أدنى للاجر قدره مئـة ألاف ــ اسكودوس أي ثلاثة أضعاف الحد الادنى الذي حددته الحكومة المؤقتة ــ [وهو ٣٣٠٠ اسكودوس] ــ وكان الحد الادنى في ظل حكم الفاشية ١٢٠٠ اسكودوس . وعندما حددت الحكومة المؤقتة الحد الادنى للاجور بثلاثة الاف وثلاثمائة اسكودوس ، كانت تضع في اعتبارها الاحتكارات الاقتصادية للبلاد . بينما قصدت الاحتكارات من تقرير الزيادة الكبيرة ــ والمبالغ فيها ــ لا بقي أي اعتبار للتنمية الصناعات ، كما يسبب ذلك في احداث فوضى اقتصادية لا يمكن تحمل بداها ، وزيادة في نسبة التضخم تنتهي الى موجة عالية من الغلاء الشديد .

لقد كان هدف الراسماليين الكبار واحتكاراتهم من زيادة الاجور خلق مواجهة بين الطبقة العاملة وبين الحكومة الثورية المؤقتة والقوات المسلحة ، ثم ليتفرغوا بعد ذلك ــ هم وحلفائهم الدوليين ــ الى للاستحواذ على السلطة .

وقد استغل اليمين مؤامرته في ان حـركة القـوات المسلحة حتى مؤامرة ١١ مارس ١٩٧٥ لم تكن تملك برنامجا لاجراء اصلاحات اجتماعية جذرية . وكذلك من تركه يستغل الاتجاهات السارية المتطرفة والعصبيـة والمملوءة لخيال المسلحة بشعارات ومطالب لا يمكن تحقيقها .

وما ان بدأت المؤامرة في الفاء تفاعلها وتحريك عناصرها المسلحة ومجموعة الاحزاب اليمينية ، وفي مقدمتها الحـزب

الديمقراطى المسيحى بقيادة الماجور جوزيه سانشو آوتريو وحزب التحالف للعمال والفلاحين وحركة اعادة تنظيم البروليتاريا [وهى حركة ماوية] حتى تحركت كل القوى الديمقراطية والتقدمية الى الشارع خلف المتاريس — الحزب الشيوعى وحزب الحركة الديمقراطية البرتغالية واتحاد نقابات العمال — والذى يضم حاليا ٧٥٪ من عمال البرتغال — وتمكنت بمعونة القوات المسلحة من ان تسحق محاولة اسبينولا الانقلابية .

واذ اتهمت حركة القوات المسلحة والحكومة الثورية المؤقتة المخابرات الامريكية بانها خلف المحاولة الانقلابية ، سارعت الحكومة الامريكية واعلنت تنصلها من الانقلاب المدحور ، واعلن السفير الامريكى ان بلاده ليس لها ضلع فى انقلاب ١١ مارس ، وانها لاتتدخل فى الشئون الداخلية للبرتغال ، وانه ليس رجلا من رجال المخابرات الامريكية ، وهو مجرد ديبلوماسى . وذلك ردا على تصريحات المسئولين البرتغاليين التى وجهت اليه اتهاما صريحا بانه خلف الانقلاب .

واثر فشل محاولة سبينولا — اعلن مجلس الثورة لحركة القوات المسلحة ، ان الاعداد لانتخابات الجمعية التأسيسية مستمر ، وانها ستجرى فى ٢٥ ابريل ١٩٧٥ ، وان هذه الجمعية التأسيسية ستقوم باعداد دستور للبلاد ، سيكون بمثابة ميثاق عمل وتقدم بين الاحزاب السياسية وحركة القوات المسلحة — كما ذكر البيان ان هذه الوثيقة ستحتوى على المنجزات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى انجزت منذ ان تم التطويح فى العام الماضى بالديكتاتورية الفاشية .

وفى ١٢ ابريل الماضى اعلن مجلس الثورة ضرورة اعادة بناء الاقتصاد فى البلاد — بشكل عاجل — تمهيدا للانتقال الى النظام الاشتراكى ، واعلن البيان انه لابد من مواجهة حاسمة لكل الاختناقات التى يعانى منها الاقتصاد البرتغالى ، انخفاض الانتاج والاستثمارات ، وارتفاع الاسعار المستمر والعجز فى ميزان التبادل التجارى ، والحرب الاقتصادية الامريكية حيث اجلت الولايات المتحدة او الغت عددا من العقود بين الشركات الامريكية وبين الحكومة البرتغالية ، وكذلك وقف البنوك الامريكية القروض الممنوحة للبرتغال .

وهكذا جاء تأميم البنوك الكبرى وشركات التأمين وبعض الصناعات الرئيسية الكبرى فى البلاد اجراءا هاما من قبل مجلس الثورة لحركة القوات المسلحة للرد على كل مؤامرات الرجعية والرأسمالية الكبيرة .

لقد فشل الانقلاب العسكرى الاخير فى البرتغال :

اولا : لان التلاحم بين الشعب وحركة القوات المسلحة تحقق — وذلك عندما اعتمدت القوات المسلحة على قوة الجماهير الشعبية واعطتها الثقة وطلبت منها عبر اذاعة لشبونة ان تنهض لتسحق تمردا فى بعض وحدات الجيش ، وان تنزل الى الشوارع دفاعا عن الثورة — فوضع الشعب المتاريس على مدخل لشبونة ، وقام بحراسة مقر القيادة ، وحاصر المتمردين فى قاعدة كارمو .

ثانيا : لان الشخصيات الشعبية الساقطة التى تعتمد عليها الدوائر الامبريالية لم يعد فى امكانها احداث تغيير فى الخط السياسى التقدمى الذى تسير عليه حركة القوات المسلحة ، وخاصة بعد اعلان مجلس قيادة الثورة ان حركة القوات المسلحة ستظل طرفا فى القوى السياسية البرتغالية .

ثالثا : لان الطبقة العاملة كان قد بدا توحيدها — فدخلت المواجهة مع القوى المضادة موحدة اكثر من اى وقت مضى — وخاصة بعد صدور قانون توحيد النقابات والتنظيمات العمالية — وهو الامر الذى قطع الطريق على استفادة اليمين واليساريين المتشنجين من الاوضاع الانقسامية التى كانت تسود حركة الطبقة العاملة النقابية والعمالية .

رابعا : لان محاولة اليمين الانقلابية تلك — كان قد تقرر القيام بها قبل الانتخابات التى كان من المقرر اجراؤها فى منتصف ابريل — وهنا فانه لا اليمين ولا الامبريالية فى مقدورهما ان يعيشا او ينتصرا فى ظل جو ديمقراطى يتمتع الشعب فيه بحقوقه الديمقراطية .

ان فشل الانقلاب الرجعى يعنى بالنسبة للثورة فى البرتغال ، كما قال المتحدث الرسمى : التزام جانب اليقظة ، والتمسك بالوحدة والهدوء ، وكذلك التمسك بالثورة من جانب الشعب لان حركة القوات المسلحة تقف فى صف الشعب البرتغالى .

رسالة العراق

مرحلة جديدة للجبهة بعد انهاء التمرد

بغداد : من كمال السيد

• ارتبطت احتفالات العراق فى ٧ نيسان (ابريل) بالذكرى الثامنة والعشرين لانشاء حزب البعث العربى الاشتراكى ، باحتفالات عودة السلام للشمال والاستيلاء على الجلالة ، مقر قيادة البرزانى على الحدود مع ايران وهروبه مع نفر من اتباعه الى ايران . وقد شاركت فى هذه الاحتفالات وفود من معظم بلدان العالم . وتميزت بجانب المهرجانات السياسية والشعبية ، بافتتاح عدد كبير من المشروعات وتكثيف الجهد فى الشمال فى محاولة لازالة آثار الدمار بما يكفل استئناف المواطنين الاكراد لحياتهم العادية « عاد حتى يوم ٢٧ مارس ١٨٠٠٠ من اتباع البرزانى » .

وفى الزيارة التى نظمتها حكومة العراق

للصحفيين الاجانب لموقع الجلالة ، اكد قائد القوات العراقية فيه انهم كانوا مصممين على اقتحامه مهما كان الثمن ،خاصة وقد رفض مجلس الثورة رساله وصلته من البرزاني في ١٩ مارس بفتح الحوار ، وقال : ان الاتفاق مع ايران قد سهل المهمه . واشار القائد الى ان الجيش العراقي ، جيش عقائدي يؤمن بقضايا وطنه ويبذل كل الجهد للدفاع عنها . وأكد أن قواته تقدم اعاشة كاملة للاكراد حتى يستأنفوا كسب عيشهم ، وان الجيش يشترك بفاعلية في اعمال التعمير في الشمال . وقد رأينا من بين القوات العراقية ، مواطنين اكرادا يقاتلون في صفوف الجيش العراقي ضد التمرد، ويؤمنون بما يفعلون . نفس المشاعر لدى المثقفين الاكراد ، اذ يؤمن هؤلاء بأن الاكراد في العراق اسعد منهم حظا في البلاد التي لاتعترف بأي حقوق قومية للاكراد . كذلك يؤمنون بان زعامة الملا رجعية وعميلة ولا تتفق مع مصالح الشعب الكردي . لكن القضية تظل مع ذلك تتمثل في افساح المجال لهؤلاء المعبرين الواعين عن مصالح الشعب الكردي للمشاركة الحقيقية ، والقضاء على المرارة التي خلفتها لديهم تجارب سابقة .

ومع ان عمليات تصنيع الشمال بدأت منذ عدة سنوات واقيم عدد كبير من المعامل والمصانع ، ومع ان عمليات التعمير والانعاش بدأت بشكل واسع عقب توقف القتال والقضاء على التمرد ، الا ان المراقبين يرون أنه يتعين وضع خطة شاملة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية لمنطقة الحكم الذاتي ، تحدث اثرين على سكانها ، **اولهما** : ان تجعلهم يؤمنون بأن الوحدة مع عرب العراق في دولة واحدة امر مفيد لهم على المستوى المادي والحضاري ، وان من يهدد هذه الوحدة يعرض مصالحهم للخطر ، **وثانيهما** ، خلق شرائح اجتماعيه جديدة - مرتبطه بالتصنيع - من العمال والفنيين والاداريين لها قيم جديدة ، وأفكار جديدة غير تلك السائدة بين صفوف الفلاحين الاكراد الاميين ، ذوي الوعي المتخلف الذي يجعل منهم اتباعا طيعين للبرزاني وامثاله .

ومن ابرز الحقوق التي يتعين كفالتها للاكراد - بجانب المشاركة الفعلية في اتخاذ القرارات وتنمية مناطقهم - توفير ظروف ازدهار الثقافة الكردية ، واولى ضمانات هذا حق التعليم باللغه الكردية . وقد جرت محاولات خطرة من بعض العناصر البيروقراطيه والجاهله لتحويل التعليم من الكردية الى العربية في بعض محافظات الشمال (تم ذلك في ٤٦ مدرسة في محافظة نينوى وحدها) ، لكن ذلك لم يرض الحزب الحاكم الذي اتخذ قرارا بوقف كل هذه الاعمال التخريبية . وقد كرس **الرئيس البكر** جزءا اساسيا من خطابه في احتفالات الحزب لتأكيد حقوق الاكراد .

ولخص **الرئيس البكر** في خطابه عوامل الانتصار على تمرد الملا ، بأنها تمثلت في وحدة القوى الوطنية التقدمية العربية والكردية ، والتمسك بنهج الكفاح الثابت ضد الامبريالية والرجعية والحرص على تلبية الحقوق القومية المشروعة للشعب الكردي على أساس بيان ١١ مارس وقانون الحكم الذاتي .

وفي هذا الخطاب اشاد **الرئيس البكر** بالروح الطيبه التي ابدتها حكومة ايران منذ توقيع اتفاق ٦ آذار وفي التعاون في تطبيق كافة بنوده . وقال « هنا تجدر الاشارة الى مواقف بعض الجهات التي تحاول التعريض بالاتفاق . وهذه الجهات نفسها هي التي كانت تردد علنا وسرا بأن العراق يفتعل المشاكل مع ايران ويجعلها ذريعة لعدم تادية واجباته القومية » .

والواقع ان المهام المطروحة على العراق ضخمة وهائلة الاتساع ، ابتداء من عدم انتكاس القضية الكردية ، وهو امل ما يزال يراود الاستعمار والرجعية ، الى مشاريع التنميه الطموحة التي تنفذها ، الى السياسة الخارجية القائمة على تسوية النزاعات مع الدول المجاورة والتعاون . وهذه المهام تشترط لنجاحها ، تدعيم التحالف الوطني بقيادة حزب البعث ، وتحويله الى ممارسة يومية على مستوى القاعدة ، وليس القيادة فقط . كل ذلك يؤكد ان مرحلة جديدة قد توافرت ظروفها الموضوعية ، لتطور الجبهة بقيادة حزب البعث، لتكون في مستوى التحديات المطروحة في مجال التعمير والبناء الداخلي على نطاق واسع ، وزيادة فاعلية الاسهام القومي للعراق على النطاق العربي ، ودعم دوره العالمي . وقد أكدت صحيفة « **طريق الشعب** » العراقية أن تحقيق المهام الوطنية الكبيرة ، ولا سيما تنشيط مؤسسات الحكم الذاتي ، وتطويرها واجراء اصلاحات اجتماعية واقتصاديه سريعة ، وحل مشاكل العائدين من منطلق سياسي وانساني سليم ، هي رهن بتوسيع وتطوير الممارسات الديمقراطية ، وتعزيز الجبهة الوطنية والقومية الديمقراطية وتنشيط مبادراتها لتعبئة الجماهير وتوعيتها بخصائص ومسئوليات

المرحلة الراهنة ، واشراكها فى عملية البناء المقبل بشكل مباشر ».

كما التقى « عزيز عقراوى » عضو اللجنة العليا للجبهة الوطنية والقومية التقدمية وعضو المكتب السياسى للحزب الديمقراطى الكردستانى كلمة فى احتفالات حزب البعث قال فيها ان تجارب الشعب العراقى اكدت ان الانتصارات الوطنية كانت مقرونة بتحالف واتحاد الاحزاب والقوى الوطنية ، كما ان الاخفاقات ، كانت نتيجة لتبعثرها . ولقد تحقق فى ظل الجبهة وبقيادة حزب البعث المناضل منجزات وطنية وقومية كبرى كان من اهمها قانون الحكم الذاتى لمنطقة كردستان ، حيث ارسى الحل السلمى الديمقراطى للمسألة الكردية . **ان مسيرة الحركة الثورية فى العراق وفى الوطن العربى كله قد دلت بشكل قاطع على ان من ابرز عوامل نمو هذه الحركة وعيها لاهمية التعاون والتحالف النضالى بين فصائلها الطليعية فى جبهة موحدة ، تضمن الا تتغلب التناقضات الثانوية فيما بينها على التناقض الرئيسى مع الاستعمار والصهيونية والرجعية ».**

○

رسالة المؤتمر السادس للجبهة القومية يحدد اختياراته: جنوب اليمن مع الاشتراكية العلمية ووحدة كل القوى الثورية

عدن : من سعيد خيال

دعت الجبهة القومية فى جمهورية اليمن الشعبية الديمقراطية مجلة الطليعة لحضور مؤتمرها السادس . ومثل الطليعة فى هذا المؤتمر الاستاذ سعيد خيال المحامى ، وعضو المجلس القومى للسلام.

عندما يهبط الانسان الى عدن ، يدرك للوهلة الاولى الملامح العامة لهذا القطر الشقيق . فالمعانى بسيطة . والملحات التجارية متواضعة . والحركة هادئة . ومعظم السيارات من نوع التاكسى بالنفر . اما سيارات نقل البضائع والركاب فقليلة .. ومن هذه المظاهر تدرك انك فى مجتمع زراعى وتجارى بسيط لا غير مركب . ان غيبة الصناعة وما تفرضه من تقسيم العمل مسألة ظاهرة فى عدن . فطابع المجتمع هو طابع الخدمات ، وتعداد السكان فى الجمهورية لا يتجاوز المليون ونصف المليون تقريبا ، معظمهم بدو رحل وصيادو أسماك ومزارعون وعمال خدمات والمشتغلون بأعمال تجارية .

غير ان هذه الصورة التى تعرض لزائر عدن لا تغير من هذه الحقيقة ، وهى ان ثورة اليمن الشعبية قد اضطلعت فى هذا الجزء من الجزيرة العربية بانجازات كبيرة كانت بدايتها صغيرا ، والصغير كثير ! واليك الدليل . قال الرفيق **سالم ربيع على** ، « وكلمة الرفيق هى المتداولة هناك » ، واسمه الشائع عند الجماهير **سالمين** وكان اسمه الحركى فى العمل السرى .. قال فى حديث صريح مع الجماهير فى نوفمبر ١٩٧٤ لتقييم الخطة الثلاثية :

« ولكن ما هى امكانياتنا المادية ؟ ماذا خلف لنا الاستعمار من منشئات اقتصادية زراعية او صناعية حتى نوفر منها المبالغ من اجل التنمية الاقتصادية ؟ .. ما هو المصنع الذى ابقاه لنا الاستعمار ؟ .. ماهى المزرعة التى ابقاها لنا الاستعمار حتى نكسب من ريعها ما يمكننا من توفير الاموال لانشاء مصنع آخر ، او مزرعة اخرى ؟ لقد اركتب الاستعمار ضد شعبنا ابشع الجرائم .. السعودية الاخرى هى انعدام الخبرات العلمية والفنية فى بلادنا .. اذا ماقلتشا سواء بين المتواجدين عندنا او الذين تركوا البلاد ، فلا يمكن ان نلقى بينهم خريجا واحدا فى الاقتصاد الريفى وفى الرى لا نجد الا شخصا واحدا ،

وفى التخطيط لايوجد عندنا كادر واحد ؟ وفى الاحصاء ايضا لا يوجد عندنا كادر واحد .. والمشكلة الثالثة عدم وجود الدراسات . ونحن متأكدون ان الاستعمار عمل الكثير من الدراسات .. ولكن للاسف الشديد لم نجد دراسة واحدة .. والقضية الاخرى هى عدم وجود الاحصاءات فلم نجد اى احصاءات حتى لسكان الجمهورية .. ولم تكن هناك احصاءات لما نستورده من الخارج .. ولا لما ننتجه فى بلادنا.. لم تكن هناك احصاءات لما عندنا من ثروات حيوانية وسمكية » .

كانت هذه هى الخلفية الموروثة كما عبر عنها الرفيق **سالمين** . ومع ذلك تحقق نجاح كبير فى تنفيذ الخطة الثلاثية الاولى التى انتهت فى العام الماضى لتبدا الخطة الخمسية . كانت جملة الاستثمارات المخططة بملايين الدينارات ٣٢٫٤٣٣٫٩٠٠ لكن التنفيذ الفعلى وصل فقط الى ٢٥٫١٢٨٫٨٢٠ بنسبة انجاز قدرها ٧٧٫٤ فى المائة .

وقد مهدت هذه الخطة الى الخطة الخمسية التى تكشف عن قوة الارض التى تقف عليها الثورة، وآفاق التقدم الكبير بعد أن توطدت اساساته . فجملة الاستثمارات فى السنوات من ٧٤ ــ ٧٥ الى ٧٨ ــ ١٩٧٩ تبلغ ٧٥٫٤ مليون دينار (الدينار يساوى حاليا جنيه وربع استرلينى » ، المحلى منها ٣٤٫٥ مليون دينار والاجنبى يساوى ٤٠٫٩ مليون دينار . وتستهدف الخطة الوصول بالانتاج الزراعى الى ٤٨٫٢ مليون دينار نصيب القطاع العام منه ١٠٫٥ وفى الانتاج الصناعى الى ٢٤٫٦ مليون دينار نصيب القطاع العام منه ١٥٫٢ والباقى موزع بين القطاعات الثلاثة الخاص والتعاونى والمختلط « بين العام والخاص » . وفى مجال التعليم سيتضاعف عدد التلاميذ فى مختلف المراحل ليصل فى نهاية الخطة لاكثر من ثلث المليون منه ١٠٦٫٠١٥ الى تلميذة ، وعددهن فى سنة ٧٢ ــ ١٩٧٣ كان ٣٨٫٥٦٠ الف تلميذة .

هذه النهضة الكبيرة ، تعتمد على القيادة السياسية التى تسير جهاز الدولة لخدمة التقدم واوسع الجماهير العاملة . ان السلطة هناك تتولاها **الجبهة القومية** وأبرز قادتها ثلاثة رفاق : **سالم ربيع على** رئيس مجلس الرئاسة . **عبد الفتاح اسماعيل** الامين العام للجبهه القومية ، **وعلى ناصر محمد** رئيس الوزراء . وكل الشواهد تدل على ان هذه القيادة تعمل لتحوذ على ثقة الجماهير . والحق انه لا يوجد فى صفوفها أثر للتعالى على الناس او تطلعات وامتيازات خاصة ، لا أدل على ذلك من ان النسبة بين الحد الادنى والحد الاعلى للمرتبات والاجور كانت ١ ــ ١١، فنزلت بها هذه القيادة الشعبية الى ١ ــ ٤٫٥ فقط . ان مرتب الوزير ٧٥ دينارا ، واقل اجر للعامل ١٥ دينارا اما مرتب رئيس مجلس الرئاسة فهو ١٠٠ دينار شهريا .

ولهذه القيادة الشعبية تاريخ نضالى طويل ، فقد تم تشكيل الجبهة القومية فى عام ١٩٦٣ على اساس الاخذ بالكفاح المسلح لتحرير جنوب اليمن من الاحتلال البريطانى . وانقل عن موجز تجربة الثورة فى اليمن الديموقراطية للرفيق **عبد الفتاح اسماعيل** قال : « هذه الفترة كانت القوات العربية «يعنى المصرية» قد وصلت الى صنعاء للمشاركة فى الدفاع عن ثورة سبتمبر امام الهجوم الملكى السعودى والاعتداءات العسكرية الانجليزية فى الجنوب .. وكانت العلاقة بين حركة القوميين العرب والرئيس الراحل **جمال عبد الناصر** علاقة جيدة . كان الصدام بين القوات المصرية والبريطانية على الحدود بين الجمهورية « الشمال » واليمن المستعمرة « الجنوب » يمهد لتجسيد العلاقة الجيدة بين الحركة و **عبد الناصر** بتدعيم العمل المسلح فى الجنوب بالسلاح . ولذلك فقد أيد عبد الناصر تبنى حركة القوميين العرب للكفاح المسلح وعبر عن استعداده لتقديم السلاح للجبهة القومية من خلال وجود القوات العربية « المصرية » فى صنعاء وتعز .. وفى الجانب السياسى بدأت قيادة الجبهة القومية تنشط نشاطا واسعا من خلال اذاعة صنعاء وتعز وصوت العرب .. ثم قال :

« ومع العسير المتصاعد للكفاح المسلح فى مرحلة التحرر الوطنى كانت الجبهة القومية تتطور .. وكان هذا التطور يقربها من درجة الانتقال من الفكر القومى الشوفينى الذى كان اساس التربية الفكرية لحركة القوميين العرب الى الفكر الاشتراكى العلمى والاخذ بالتقاليد الحزبية القائمة على أساس هذا الفكر .. وشهدت الجبهة صراعا من اجل تحديد الهوية الاجتماعية والايديولوجية .. ومع ذلك فان مؤتمر الجبهة القومية الاول عام ١٩٦٥ .. اقر الميثاق الوطنى الذى كان الدليل النظرى للجبهة .. وبرغم النزعة البورجوازية الصغيرة فى هذا الميثاق ، حول

القضايا الاجتماعية ، وقضية الوقوف من صراع العصر الراهن بين النظام الاشتراكى ، والنظام الرأسمالى العالمين ، الا انه شكل خطوة متقدمة بالنسبة للقوى السياسية الاجتماعية والايديولوجية، فقد حدد الميثاق مهام الكفاح المسلح،وبرنامج الثورة الاشتراكية العلمية ، وان كان التزاما مشوبا بالضبابة ، والميل البورجوازى الصغير » .

ويوضح كلام الاخ عبد الفتاح اسماعيل الصلة بين الثورة المصرية والثورة اليمنية ودرجة التاييد والدعم الذى قدمه عبد الناصر والجيش المصرى، وهذا الكلام يعتبر انصافا لدور مصر فى اليمن ، هذا الدور الذى يراه اليمنيين المصرى كارثة وخرابا. وكذلك يوضح اثر الميثاق المصرى فى ميثاق الجبهة القومية .

ثم نعود لتابعة كلام الاخ **عبد الفتاح اسماعيل** لنبين أن نظرية الاشتراكية العلمية لم تستقر وتصبح التزاما فى الجبهة القومية الا فى مؤتمر الجبهة الخامس :

يقول الاخ عبد الفتاح اسماعيل :

« لقد أخذنا انحيازنا لنظرية الاشتراكية العلمية . وكان هذا الانحياز انحيازا واعيا ومستجيبا لاشواق الثورة .. لاننا فى عصر يتسم بالصراع بين ايديولوجيتين هى الاشتراكية العلمية والرأسمالية . ولم يكن أمامنا من خيار — كحركة تحرر وطنى — عندما خضنا نضال التحرر ، ومن خلفنا الكادحون البسطاء ، الا ان نختار الايديولوجية التى تمثل خلاصهم من الاستغلال والتخلف وتجسد طموحهم فى الحياة التقدمية الخالية من كل استغلال .

ولم نكتف بالايمان النظرى لهذه الايديولوجية، ولكنا بدانا بدراستها من مصادرها الاصلية .. وهكذا أنشانا مدرسة العلوم الاشتراكية لاعضاء التنظيم السياسى والفصائل الديموقراطية الاخرى ولكوادر اجهزة الدولة .. وأعطى التنظيم السياسى للجبهة القومية اهتماما كبيرا للمناهج التربوية وطلاب المدارس حيث ادخل مادة الاشتراكية العلمية كمادة تزود الجيل الجديد بالافكار الصحيحة حول القضايا المختلفة المرتبطة بالحياة » .

وقد اقر المؤتمر السادس الذى دعيت مجلة الطليعة لحضوره ؟ اقر النظام الداخلى للجبهة القومية . وجاء بالمادة الاولى مايلى :

« التنظيم السياسى للجبهة القومية يسترشد بالاشتراكية العلمية وهى دليل اعماله . وبالاشتراكية العلمية وحدها يهتدى التنظيم السياسى كما انه يكافح ضد كل النظريات والاراء التى تتناقض مع نظرية الاشتراكية العلمية أو تعمل على تشويهها أو تزييفها أو التى تحاول فصل التيارات الرئيسية الثلاثة لعصرنا عن بعضها البعض ، النظام الاشتراكى العالمى والحركة العمالية العالمية وحركة التحرر الوطنى العالمية » .

وفى المادة ١٧ مبادىء السلوك وتربية اعضاء التنظيم ومنها تعميق الحس الانسانى .. الانسان صديق ورفيق واخ للانسان .. الاستقامة والصدق والنقاء والاخلاص والبساطة والتواضع فى الحياة الاجتماعية والخاصة . الاحترام المتبادل فى الاسرة وأحترام حقوق المرأة ، مقاومة اعداء الاشتراكية ، وقضايا التحرر الوطنى العربية والعالمية وحريات الشعوب .

وتعمل الجبهة القومية لكى لاتتحول مبادىء الاشتراكية العلمية الى مجرد شعارات ترفع فى المناسبات .

ان مبادىء الاشتراكية العلمية ليست شعارات مرفوعة تطن فى المناسبات ، وانما لتكون — فى اليمن الشعبية — دليل العمل فعلا فى التطبيق .

وفى التقرير السياسى الذى وافق عليه المؤتمر السادس التجسيد الحى لهذه المبادىء. ان السياسة الثورية عبارة عن رؤية صحيحة .ومواقف محددة من المشاكل والاحداث .وعلى سبيل المثال والعينة نجد فى التقرير السياسى ما يلى :

« ومن ابرز سمات عصرنا الراهن هو اشتداد الصراع الطبقى العالمى بين قوى الامبريالية والرجعية وبين القوى الثورية والتقدمية لصالح الديمقراطية والاشتراكية والسلام ..ان الوحدة المتماسكة للقوى الثورية العالمية تمضى أن الامبريالية والقوى الرجعية لم تعد قادرة على تغيير اتجاه تطور الانسانية نحو التقدم .. ان التطور التاريخى للانسانية قد أكد بالوقائع ان النظام الرأسمالى انما يفضى الى الالام والحرمان وهو الطريق الايل للافول .. السمة البارزة فى حركة التحرر الوطنى ليست فقط نضالها ضد الاستعمار من أجل الاستقلال الوطنى . ولكن فى مجرى نضالها هذا تخوض أيضا نضالا متصاعدا ضد قوى الاستعمار الجديد وما تمثله من احتكارات استغلالية . ان ما يؤكد ذلك هو ظهور

مجموعة من البلدان التى اختارت لنفسها الطريق الصحيح . وهو طريق التطور اللارأسمالى .. مدعوة القوى الثورية العالمية الى صيانة السلم العالمى تعتبر عملية دبلوماسية حيه متطورة شمولية . ولا يعنى ذلك بقاء الوضع العالمى على ما هو عليه الان واستمراره بل انه شكل من اشكال الصراع الطبقى بين قوى الاشتراكية والرأسمالية . وتقود هذا الصراع القوى الثورية العالمية وعلى راسها المعسكر الاشتراكى .. ويمكننا القول ان الظروف المؤدية لقيام الحرب قد تغيرت (المتغيرات) الى درجة كبيرة ، ولكن هذا لا يعنى باى حال من الاحوال ان الطبيعة العدوانية للاستعمار والاحتكارات العالمية قد تغيرت ، او انها قد تخلت عن اهدافها ومصالحها الاستراتيجية واصبحت مسالمة وتخلت عن نزعة الحرب .. **ان وحدة المعسكر الاشتراكى ضرورية من اجل تقوية النفوذ المتعاظم للاشتراكية فى العالم** .. اننا نؤمن من أن وحدة المعسكر الاشتراكى ستقطع الطريق امام الامبريالية العالمية التى تحاول الاستفادة من الخلافات فى هذا الاطار .. فالتطورات الاخيرة فى تشيلى بعد الاطاحة بالحكومة الشعبية من قبل الطغمة العسكرية الدائشية قد كشفت بشكل جلى خطط الامبريالية الامريكية فى تصفية كل القوى الوطنية والتقدمية .. ولقد اصبحت كوبا الاشتراكية منار حركة التحرر الوطنى فى أمريكا اللاتينية ...

ان الاحداث الاخيرة التى وقعت فى **البرتغال** قد أوجدت حالة برضية فى الوضع السياسى العام .. ان استقلال هذه الشعوب « غينيا بيساو وأنجولا وموزمبيق » سيعزز مواقع قوى الثورة العالمية وصيانة السلم العالمى ويزيد من عزلة الامبريالية وازمتها العامة .. **لقد اصبح تاريخ فيتنام وكمبوديا ولاوس** الحافل والمتزج بدم ابنائها الاوفياء بشكل جزءا من تاريخ التحرر الانسانى .. اننا متأكدون من انتصار **الشعب الكورى** ضد التواجد العسكرى الامبريالى ومن اجل وحدته بشكل مستقل وسلمى .. ان جمهورية اليمن الشعبية تقف بشكل ثابت الى جانب نضالات الشعوب من أجل تحررها وتقدمها الاجتماعى والاقتصادى .

ثم يحدد التقرير المواقف العامة للجبهة على الصعيد العربى فيقول : **اننا لو أمعنا النظر فى الاوضاع العامة للاقطار العربية خلال السنوات الاخيرة لوجدناها خاضعة - فى تطورها - للمحاور الامريكية للحفاظ على ما تبقى لها من مصالح فى المنطقة ، من جهة ، وتفاقم التغلغل الاستعمارى والامبريالى الاقتصادى والسياسى ، من جهة اخرى ، وتعاظم حركات التحرر العربية .. تعاظما مستمرا فى المقابل** ، ثم يضيف التقرير :

ان **وجود** قاعدة امريكية صهيونية عدوانية فى قلب الوطن العربى يشكل تهديدا مستمرا **ومستقبل تهديد الشعوب العربية والسلم العالمى** ،بالاضافة الى تعزيز سيطرة ونفوذ الاستعمار الجديد .. **والشعب العربى الفلسطينى** .. انه اليوم ينهض والسلاح بيده ، والشعب العربى كله معه من اجل اقامة دولته الوطنية الديموقراطية المستقلة على ارضه وهو بذلك يتفق مع السياق التاريخى لحركة التحرر الوطنى العربية باعتباره جزءا منها ويعيش فى اطار ظروفها وقوانين تطورها .. ان المسيرة النضالية أثبتت انه امام مواجهة الالة العسكرية العصرية لاسرائيل ، ومن ورائها القوة الغاشمة للامبريالية ، لابد ان يكون فى حوزة دول المواجهة المتحررة قوة عسكرية مدفوعة .. **وحرب اكتوبر** التى خاضها الشعب العربى فى مصر وسوريا وفلسطين ومعه بقية الشعوب العربية دليل قاطع على صحة هذه النظرة .. تلك الحرب التى ادت الى انهيار النظرية العسكرية الاسرائيلية .. بل ثبت نظريات القيادة الاسرائيلية ايضا .. ان استخدام **البترول وروس الاموال العربية** الضخمة الفائضة كسلاح للضغط على القوى الامبريالية .. ولمصلحة التنمية الاقتصادية والاجتماعية داخل الوطن العربى .. سيكون له اثر كبير فى تعزيز مواقع حركة التحرر العربى على الصعيدين الداخلى والدولى .. **وقد اكدت حرب اكتوبر اكثر من اى وقت مضى اهمية التضامن المبدئى القائم بين حركة التحرر الوطنى العربية والانظمة المتحررة والمسكر الاشتراكى ....**

ثم يحدد التقرير ؟

ان اعظم رد لمواجهة هذا التحدى الامبريالى الصهيونى يكمن فى تلاحم فصائل المقاومة الشعبية الفلسطينية فى اطار منظمة التحرير .. وتلاحم القوى الوطنية الديموقراطية داخل كل قطر بشكل ديموقراطى .. واطلاق طاقات الجماهير ومنظماتها السياسية والنقابية لمساهمتها فى معركتها المصيرية والتنسيق بين الانظمة العربية

المتحررة والمنظمات العربية التقدمية كل ذلك من أجل تعزيز التضامن العربي وقيام الجبهة العربية التقدمية .. **ان تنظيمنا السياسي والجبهة القومية واصل وسيواصل نشاطه من أجل قيام الجبهة العربية التقدمية .**

وبعد ان حلل التقرير تطورات العلاقة مع السعودية ، قال :

أما فيما يتعلق بعلاقتنا مع اتحاد الامارات والبحرين وقطر فانها قد شهدت تحسنا ملموسا في الفترة الاخيرة .. ان السياسة الداخلية والخارجية لجمهوريتنا تتحدد في الاساس بقناعتنا بالنهج الايديولوجي والسياسي الذي نلتزم به وهو الفكر الاشتراكي العلمي باعتباره الاساس المرشد .. ومن هنا فان السياسة الخارجية تربطها بالسياسة الداخلية وحدة ديالكتيكية لا انفصام بينهما .

واذا كان المؤتمر السادس قد حدد مواقف واضحة في السياسة والتنظيم فان الجبهة القومية تتجه منذ مدة وتعمل من أجل حل المشكلات الخاصة بوحدة كل القوى الثورية والتقدمية ليضمها تنظيم واحد .

ففي جنوب اليمن يوجد تنظيمان سياسيان آخران غير التنظيم السياسي للجبهة القومية . والتنظيمان هما **اتحاد الشعب الديموقراطي ،** التنظيم القائم منذ تكوينه على النظرية الماركسية وسكرتيره هو **عبد الله بادبيب** وزير الثقافة ، والتنظيم الاخر هو **حزب الطليعة** .

وقد قام الحوار بين التنظيمات الثلاثة بهدف الاندماج والتوحد وتكوين حزب الطليعة . وكما قال الرئيس **سالم ربيع** : فان هذا الحوار هو اطول حوار في التاريخ في اصغر بلد في العالم . ان الاساس الذي يبنى عليه التوحيد هو نظرية الاشتراكية العلمية . وما دامت النظرية واحدة للاحزاب الثلاثة فلا معنى للوجود المستقل . وليس واردا تكوين جبهة وطنية من الثلاثة ، لان الجبهة تكون في حالة اختلاف الايديولوجية والاهداف والمواقع الطبقية .

وقد اتفق الجميع على تكوين الحزب الواحد ، حزب يستند على الطبقة العاملة وجمهور الكادحين من أجل اتمام مرحلة الانتقال من الديمقراطية الشعبية الى النظام الاشتراكي الكامل . وجاء في التقرير السياسي ان موقف الجبهة القومية ينطلق من العرض المبدئي على وحدة فصائل العمل الوطني الديمقراطي ، باعتبار هذه الوحدة قضية مبدئية تعكس قناعتنا الثابتة بان ان هذا الطريق هو الطريق الصحيح لصنع تجربة جديدة تنهي التشتت والانقسام داخل صفوف جماهير الشعب والحركة الوطنية ، وتحدد بوضوح قوى الثورة والقوى المعادية لها ..

وقد القى **سكرتير حزب الطليعة من فوق منبر** المؤتمر السادس كلمة رحب فيها بالتوحد والاندماج . كما القى **سكرتير اتحاد الشعب** كلمة تميزت بالموضوعية وصفاء الرؤية واعلن عن عقد مؤتمر التوحد خلال شهور قليلة لاتمام الوحدة .

وفي التقرير السياسي للجبهة ما نصه : « وسوف تعقد التنظيمات الثلاثة مؤتمرا توحيديا في النصف الاول من سبتمبر القادم » .

أما عن وحدة اليمن . وحدة الشمال والجنوب **فان الجبهة القومية** تعلن وتعمل على اساس وحدة الشعبية ، ووحدة الوطن كله عندما تتوافر ظروف تحقيق أمل الوحدة . ان الاختلاف بين النظامين هو الذي يجعل الوحدة الان مغامرة او عملا ضد التقدم . ففي اليمن الشمالية اوضاع وعلاقات اقتصادية واجتماعية تعتبر امتدادا للاقطاعية والقبلية ، بينما الاوضاع في اليمن الجنوبي قد انتقلت الى مرحلة الديموقراطية الشعبية بعد تاكيد الاستقلال السياسي والاقتصادي ، واختيار طريق التنمية اللارأسمالي وصولا للاشتراكية .

ان الدعوة للوحدة الان بين البلدين ، واغفال اختلاف المراحل السابق بيانه ، تعتبر انحيازا للقديم وتغليبا لاوضاع الشمال ، انها دعوة للانتكاس بالثورة في اليمن الشعبية .

واخيرا فقد اسعدني ان اعلم هناك ان العلاقات بين مصر واليمن الشعبية هي علاقات تعاون وتقدير ، وان مصر لا تبخل بشيء رغم ظروفها الصعبة ، وان الكوادر المصرية هناك تبذل جهودا مستحقة للشكر والاحترام .

ان في اليمن الشعبية تجربة رائده في العالم العربي ، ومن واجب كل القوى الوطنيه والتقدمية أن تحرص على متابعتها ، وأن تسلط عليها الاضواء ، وتدعو لدعمها ومساندتها .

رسالة
دبي

مؤتمر البترول العربي التاسع

دبي : من مجدي نصيفة

انعقد مؤتمر البترول العربي التاسع هذه المرة بدبي احدى امارات « دولة الامارات العربية المتحدة » ، في وقت وصل فيه الصراع بين الدول المنتجة والدول المستهلكة الى القمة ، فكان اكبر تجمع بترولي عربي منذ حرب اكتوبر .

لقد عقد هذا المؤتمر في ظل مناقشات عالمية حول ازمة الطاقة ، وخلال تهديدات باحتلال منابع البترول ، وبعد عدة ايام من اجتماع قمة منظمة الدول المصدرة للبترول الذي انعقد بالجزائر ، وجاء هذا المؤتمر في منطقة من اكبر مناطق انتاج البترول واحتياطياته في العالم .

وحضر المؤتمر ، الى جانب وفود الدول العربية ، ٣٥ منظمة وهيئة عربية واجنبية ضمت مندوبين عن شركات البترول العاملة في المنطقة فوصل عدد الذين حضروا المؤتمر من اعضاء الوفود والهيئات والخبراء الى حوالي ٨٠٠ ، ووصل العدد بالمراقبين والصحفيين الى حوالي الالفين . **وبهذا يكون اكبر مؤتمر بترولي عربي حتى الان** . وقد قامت ادارة البترول **بجامعة الدول العربية** بدعوة وفود عدة دول اشتراكية دخلت اراضي دولة الامارات لاول مرة في تاريخها حيث انه ليس لها تمثيل دبلوماسي هناك .

وقد القى **محمود رياض** كلمة الامانة العامة لجامعة الدول العربية فقال : « ان المؤتمر ينعقد في فترة حاسمة تهم كل دول العالم المنتجة للبترول ، وخاصة الدول العربية . فنحن نمر بمرحلة تحول هامة تحتاج منا الى الكثير من البحث والدرس . فقد كنا نعاني — الى وقت قريب — من استغلال القوى الخارجية لثرواتنا ومواردنا الطبيعية ، مما ساعد على رفع مستوى المعيشة في الدول الاجنبية الى اقصى الحدود ، بينما نحن — اصحاب الحق الحقيقي في هذه الثروات — مازلنا نعاني من التخلف الاقتصادي والاجتماعي . وكان من الضروري العمل على وضع الامور في نصابها من اجل رفع المستوى المعيشي للانسان العربي : « وعندما اخذنا في ممارسة حقنا الطبيعي ثارت علينا الدول التي شاءت مواصلة استغلالها لمواردنا وحاولت تشويه الحقائق ، بل وحددت باستخدام القوة » .

وقال **ماجد العتيبة** وزير بترول الامارات ورئيس المؤتمر : « ان الدول المنتجة قد نالت طيلة السنوات الماضية التي قلت الحرب العالمية الثانية من اجل سيطرتها على الصناعات البترولية وتوجيهها الوجهة التي تخدم شعوبها ، وبذلت هذه الدول الكثير من التضحيات ، حتى اننا نجد الصورة قد تغيرت تماما ، بحيث اصبحت جميع الدول تباشر نوعا من السيطرة على ثرواتها البترولية . لقد كان بترولنا يباع باسعار رمزية ، ومنذ عام ١٩٤٧ وحتى عام ١٩٧١ ٪ جمدت الاسعار ، بل انها خفضت مرتين في الخمسينيات ، في حين ان اسعار السلع الصناعية والغذائية ازدادت في تلك الفترة بما يزيد عن ٣٠٠ ٪ وعندما هبت الدول المنتجة وطالبت بالسعر العادل ، شج العالم الصناعي ، وبدا يكيل الاتهامات للدول المنتجة ، ويتهمها بانها تعمل على تخريب الاقتصاد العالمي » . وقال « اننا جزء من هذا الاقتصاد العالمي ، ولا يمكن ان نسمح للاقتصاد الذي نحن جزء منه بان ينهار ويتحطم » .

وانقسم اعضاء المؤتمر الى ثلاث شعب : **شعبة الانتاج وشعبة التصنيع** ثم **الشعبة الاقتصادية** التي نوقشت فيها مسائل عديدة هامة مرتبطة بالمشاكل العالمية وانعكس ذلك في ثلاث ندوات عن الاستفادة من الغاز الطبيعي في تنمية الصناعات البتروكيماوية في البلاد العربية ، ثم ازمة الطاقة العالمية ، ثم تطوير العلاقات بين الدول المنتجة والدول المستهلكة .

وقال **الدكتور ابراهيم صقر** [كلية الاقتصاد ـ جامعة القاهرة] في بحثه الذي قدمه بعنوان **أزمة الطاقة : بعض الجوانب السياسية** ، انه ليس هناك أزمة بالمعنى العلمي للكلمة بل هي سلسلة من الصراعات بين الدول المنتجة واحتكارات البترول ، وان الولايات المتحدة الامريكية هي التي تقود الجانب الاخر في المواجهة البترولية معنا ، وهي تحاول الابقاء على أقصى ما تستطيع الابقاء عليه من مصالحها وتسلم ان كان ليس امامها الا التسليم ، بأقل القليل » ؟ ... « ومن واجبنا أن نستمر في عملية المواجهة البترولية لتحقيق أقصى ما يمكننا من مكاسب » .. كذلك « من الواجب أن نتكامل مع بلاد العالم الثالث ونحن منهم لتحقيق أقصى ما يمكن من المصالح المتبادلة في المواجهات المشتركة » .

وقال **الدكتور نقولا سركيس** [مدير المركز العربي للدراسات البترولية ـ بيروت] في بحثه المقدم للمؤتمر عن **« أزمة الطاقة : وتحدي التنمية الاقتصادية في البلاد العربية »** ، ايضا انه ليست هناك أزمة طاقة بالمعنى المفهوم ولكن هناك ظاهرة ادت الى ارتفاع اسعار ترجع الى عدة اسباب اولها « الجهود التي بذلتها الدول المصدرة للبترول متضامنة متكاتفة في اطار منظمة الاوبيك » وثانيها « التبدل الجذري الذي طرأ على الاستراتيجية البترولية الامريكية في الفترة ١٩٧٠ ـ ١٩٧٤ » .

واشار **الدكتور سركيس الى ان** « ارتفاع الاسعار قد ادى الى زيادة سريعة في المداخيل البترولية العربية التي قفزت من ٤٫٧ مليار دولار عام ١٩٧٠ الى ٧ مليار دولار عام ١٩٧١ و ٢٫٨ مليار دولار عام ١٩٧٢ و ١٥٫٩ مليار دولار عام ١٩٧٣ ثم الى حوالي ٦٢ مليار دولار عام ١٩٧٤ . ومن البديهي أن هذا الارتفاع السريع للعائدات البترولية يتيح للدول العربية فرصة ثمينة وعلى جانب كبير من الاهمية لدفع عجلة التنمية الاقتصادية ، بفضل توافر الرساميل اللازمة لتمويل المشاريع الانمائية » .

لقد ناقش المؤتمر بطبيعة الحال امكانية استغلال فائض الاموال العربية في خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية في العالم العربي وطرق ذلك ، ثم مساعدة دول العالم الثالث في تنمية مجتمعاتها ايضا .

وانعكس كل ذلك على قرارات المؤتمر التي ايدت منذ البداية قرارات قمة الاوبيك ، وشجب اساليب الضغط والتهديد التي تمارسها الدول الصناعية الغربية ، وطالب بزيادة الاهتمام بمعاهد التدريس والتدريب البترولي وذلك لاعداد كوادرنا العربية في كافة مجالات العمل البترولي ، ودعا الى تأكيد حق الدول العربية في استخدام سلاح البترول كسلاح دفاعي في المعارك العربية المصيرية .

وثائق « الطليعة »

هي ترجو « الطليعة » ان تعتذر لقرائها واصدقائها بسبب اضطرارها الى تأجيل نشر باب لوثائق في هذا العدد ، وذلك على الرغم من زيادة عدد صفحات المجلة ، وربما تقبل القراء والاصدقاء اعتذارنا على اساس ان طبيعة الموضوعات والمواد المنشورة في هذا العدد ربما عرضت نوعا من الاولوية في النشر .

وترجو الطليعة ان تتابع نشر باب وثائق من العدد القادم

الطليعة

ملحق الأدب والفن

□ محمد مندور ..
عشر سنوات بعد الرحيل

□ المرأة .. فى شعر السياب

□ المسرح لحياة نعمان عاشور

فى هذا العـــدد :

محمد مندور .. عشر سنوات على الرحيل

— محمد مندور : ناقدا ومفكرا
— مندور : أوديسيوس النقد الأدبى
● « هولدر لين » .. أحدث مسرحيات بيتر فايس
● صورة المرأة فى شعر السياب
● لوسيان جولدمان : نحو دراسة اجتماعية للأدب
● هذا الفنان وعالمه

الأدب والفن فى شهر :

— سينما : أريد حلا
— كلمة مصر
— المسرح : حياة نعمان عاشور

محمد مندور

عشر سنوات بعد الرحيل

منذ عشر سنوات .. رحل محمد مندور « ٥ يوليو ١٩٠٧ ـ ١٩ مايو ١٩٦٥ » عن عالمنا .

كان معلما شجاعا ، وداعيـة لا يهدأ للتحديث والتعقيل ، راى كثيرا وعرف كثيرا ، وعاش حياة مليئه بالنضال السياسى والفكرى ، ستبقى لنا من مندور اعماله ، وسيبقى لنا ما هو اهم واجدى : التمام الفكر بالعمل ، أن نعمل ماتراه حقا ، وأن نمضى بالفعل لنهاية الطريق .

وقد فعل هذا مندور ..

وبعد عشر سنوات على رحيله ، نقدم بين يديه الصفحات التالية ، آملين فى القدرة على الفهم والعمل على النخطى والتجاوز .

ولعل هذا كان جوهر رسالته .

■ محمـــد منـــدور : مرحلتـان فى فـكره وانتـاجه

د٠ عبد المنعم تليمة

الفكر الصحيح هو الاستجابة الصحيحة للواقع . لكن هذه الاستجابة قد تصرع غايات الواقع المثل لتحمى بنيانه المحكم من الانهيار والتصدع، وقد تصرع غايات الواقع المتحرك الى بنيان جديد . فى الحالة الاولى تهيج الاستجابة نهجا اصلاحيا ، وفى الحالة الثانية تنهج نهجا ثوريا . وقد كان فكر محمد مندور مع استجابة واعية للواقع المصرى فى الاربعينات والخمسينات . كان هذا الفكر صحوة مثالثية تقدمية ، تجيد فى حل ازمة البورجوازية المصرية — اجتماعيا وسياسيا وثقافيا — بمنهج اصطلح عليه ، اى انها كانت تجيد فى حل ازمة البورجوازية — التى بدأت تجهد وتخنق اجتماعيا ، كما بدأت تفقد طاقتها التقدمية ثقافيا وفكريا وفنيا — بحل برجوازى جذرى. وتقدمى ، واتها بصقل الفكر البورجوازى. بلمحه التقدمى عندما يحتد بالطبقات الاخرى ، ويتسنى — وهو يصوغ الحل الجذرى للبورجوازية — الى الاعتداد بمصالح الطبقات المنتجة ، وبرأيها الاجتماعية والسياسية والثقافية . وفى هذا السبيل ظل محمد مندور كان — لاصالة انتمائه الى الجماهير المصرية ولجذرية منهجه الاصلاحى التقدمى — ينظر الى مصالح مجموع شعبه اجتماعيا وسياسيا ، والى الجوانب المختلفة المتعلقة فى التاريخ الثقافى والفنى لهذا الشعب فكريا وجماليا . ان المعيار الموضوعى لتقدمية فكر وجذريته ، بل ووطنيته — فى حدد المراحل الاخيرة من ثورة مصر الوطنية البورجوازية — ان يعتد هذا الفكر بدور الطبقة العاملة ، وان تقيم صلة الحوار مع فكرها الحى الثورى . ولم يقبل محمد مندور بعض اصول الاشتراكية العلمية ، ولم يتوصل بمنهجها الثورى ، كله — وهو المتناقض الصراعى الكبير — قد استلهم مقولات اساسية فى الفكر العلمى ، وأعتد بالتطور التاريخى للطبقة العاملة المصرية ، وعقد الصلات المتينة بنضالها ، وحاور طلائعها من المفكرين والكتاب ، وساند محاولاتهم وتجاربهم واعمالهم الفكرية والادبية والفنية .

ما حقائق البناء المصرى اجتماعيا وطبقيا عندما نشط محمد مندور فى اوائل الاربعينات من هذا القرن العشرين ! . كانت مهام الثورة الوطنية المصرية قد تبلورت فى ثلاث : الدمقرير ، والتحديث ، والتحقيق . تحرير التراب الوطنى وتحقيق الاستقلال والسيادة الوطنية . وتحديث العلاقات الاجتماعية بالانتقال بالاسلوب المادى لانتاج المصرى من العلاقات الاقطاعية التقليدية الى العلاقات الرأسمالية الحديثة بأجراء ثورة ديمقراطية ، وبتحقيق مجتمع ديمقراطى ينهض على الحريات السياسية ، وحرية البحث والتفكير ، وعلى الفصل بين الجانبين الروحى والزمنى فى الدين ، وعلى طرحه وطنية اى بناء الانسان - وتحقيق الفكر والنظر ، الانتقال من [المنهج النقلى السلفى] الى [المنهج العقلى التجديدى] الذى ينهض على الطبيعة ونقد الموروث وتدويبه ، مع الحفاظ على الثقافة ذات بعدين وطنى قومى ، وقيادات انتقالية . لم تكن هذه المهام الثلاث منفصلة فى تبوقها الوطنية المصرية لكن البورجوازية المصرية — وهى طليعة المجتمع المصرى فى هذه الثورة — لم تتح ارتباط هذه المهام الثلاث وتداخلها ، كما ان ازمة هذه البورجوازية — تاريخيا — كانت قد بدأت تجهز من انجاز هذه الابعاد : ان تحرير التراب الوطنى لم يكن لينفصل من تحرير الاقتصاد الوطنى ، لكن الرأسمالية المصرية الفاشلة لم تستكمل الاستقلال النسبى الذى تحققه الرأسماليات الوطنية التابعة من السوق الرأسمالى الاحتكارى الاستعمارى . ويمكن تفسير هذا الامر بالرجوع الى ظروف نشأة البورجوازية المصرية وتطورها لقد نشأت هذه البورجوازية نشأة زراعية لذا لم تتخلص هذه البورجوازية — مع الاقطاع المصرى بصوره واشكاله ، الى جانب أن هذه البورجوازية عندما سعت الى أن تحل محل رأس المال الاجنبى — لم تملح فى اقامة علاقاتها رأسمالية صحيحة نظرا لضعف هيكلها وموارده ونفوذه الاحتكارى الرأسمالى الاحتكارى الاستعمارى . ويفسر هذان الامران ما يشاء الاقطاع واستمراره جنبا الى جنب مع نمو الرأسمالية المصرية وتطورها تطورا بطيئا . لهذا كانت العلاقات الاجتماعية فى مصر سنة ١٩٥٢ شبيهة اقطاعية — شبه رأسمالية ، مما يعنى هذا ان البورجوازية المصرية عجزت عن تحقيق مهمتى التحرير والتحديث . وينسحب هذا طبيعة العمل على المهمة الثالثة — التحقيق — لان العمود من الاستقلال الوطنى يقضى فى البناء الثقافى المظاهرة الخيلة ، كما أن بناء العلاقات الاقطاعية التقليدية يقضى الى المناهج السلفية ، وتداخل هذه العلاقات التقليدية بالعلاقات الحديثة يقضى الى التوفيقية على حساب العلمانية والعقلانية .

لقد سلف القول ان محمد مندور اجتهد فى سبيل تصور الاساليب الفنية الى والطرق الفكرية لازمة الثورة الوطنية المصرية ، ايومعنى أدق لازمة البورجوازية

الاصرية قائدة هذه الثورة ، وكان منهجه فى ذلك — كما سلف القول آنفا — اصلاحيا جذريا فى اطار التفكير البورجوازى التقدمى . ووعى فكر مندور التحام مهمة تحرير الوطن سياسيا بمهمة تحرير المواطن اجتماعيا ، والتحام هاتين المهمتين بمهمة بناء ثقافة وطنية ديمقراطية تحرر العقول والافهام من كل غيبية وتقليدية ودينية . وتصور مندور سبيل تحقيق هذه المهام الثلاث ينهض على العدالة الاجتماعية والحريات السياسية . لهذا كانت دعوته الى لون من الاقتصاد الموجه ورأسمالية الدولة دعا فيه الى تدخل الدولة فى عملية توزيع الثروة عن طريق النظام التعاونى وحماية الصناعات الوطنية ، والمشاركة فى الانتاج ، والضرائب التصاعدية . وربط محمد مندور بين هذا الاسلوب فى توجيه الاقتصاد وبين اسلوب تنظيم الحياة السياسية فى البلاد ، فدعا — اتساقا مع مبدأ الاقتصاد الموجه — الى نظام سياسى قائم على [الديمقراطية الاجتماعية] . ويرفض هذا النظام الديموقراطية الليبرالية التقليدية كما يرفض الديمقراطية الشعبية على السواء . ان الديمقراطية الاجتماعية برزت ثمرة لتعثر الديمقراطية الليبرالية فى أوربا ، فجنح الاصلاحيون من قادة الاحزاب الراديكالية الغربية الى المزاوجة بين الحريات بمفهومها البورجوازى الكلاسيكى ، وبين توجيه الاقتصاد ببرامج اصلاحية تقيل الانظمة الرأسمالية من عثرتها وتحفظ كياناتها من التهدم والانهيار ولقد شهد محمد مندور — اثناء بعثته الى فرنسا بين ١٩٣٠ — ١٩٣٩ تجربة واحد من ألمع هؤلاء القادة الاصلاحيين وهو ليون بلوم الذى الف الوزارة الفرنسية سنة ١٩٣٦ ببرنامج اصلاحى راديكالى أحنق الرأسماليين الكلاسيكيين لانه يحد من استغلالهم ، كما أحنق الاشتراكيين العلميين لانه لم يكن السبيل لنفى قوانين هذا الاستغلال . وعلى الرغم من ان [الديمقراطية الاجتماعية] ذات محتوى [ديمقراطى] ، الا أن هذا المحتوى شكلى فى حقيقة أمره ، لانه ينتهى الى صالح البورجوازية اقتصاديا وسياسيا : والسبب ان هذا المذهب لا يقيم توجيه الاقتصاد وتخطيطه على أساس طبقى علمى ، ولا يجعل لهذا الاقتصاد الموجه تعبيرا سياسيا ممثلا للطبقات الوطنية والشعبية ، لذا ينتهى فى الواقع الى [توجيه] الاقتصاد الى مصالح البورجوازية ، والى قصر السلطة السياسية عليها وحدها . ان الديمقراطية الاجتماعية تحمل فى أساسها النظرى تناقضا بارزا يجعلها حلا شكليا للصراع الاجتماعى ، ويتجلى هذا التناقض فى محاولتها التوفيق بين التصور الليبرالى الكلاسيكى للحريات ، ومبدأ توجيه الاقتصاد وتخطيطه ، اذ أن هذه المحاولة لا تنتهى — مادامت البورجوازية تحتكر السلطة السياسية — الا لصالح البورجوازية نفسها . انما يكون توجيه الاقتصاد وتخطيطه فى صالح الطبقات الوطنية والشعبية ، عندما تكون السلطة السياسية ممثلة لهذه الطبقات تمثيلا حقيقيا يعتد باستقلالها ببرامجها وأفكارها وأحزابها . ولم يع محمد مندور من هذا التناقض فتراه وهو يلح على توكيد الحقوق الدستورية والسياسية لمجموع [طبقات الشعب] بالمفهوم الليبرالى الكلاسيكى ، لا يتبين أن هذا المفهوم — القائل بالاحزاب دون الجبهة — لا يحقق مشاركة هذه الطبقات فى ادارة سياسة بلادها ، ومن هنا فانه لا يتبين أن الاقتصاد الموجه فى هذه الحالة انما يكون فى خدمة البورجوازية المنفردة بالسلطة السياسية . ان التناقض فى الاساس النظرى للديمقراطية الاجتماعية قد قاد محمد مندور الى أمل عريض فى [الطليعة] الوفدية — وكان أحد بناتها وأعمدتها الاساسية — فى نهاية الاربعينات كما قاده الى تعليل عجز الاحزاب المصرية الليبرالية بالسيطرة الاستعمارية والاستبداد الملكى غافلا عن الاساس الطبقى لهذا العجز . بل لقد قاده هذا التناقض الى ضرب من المثالية الافلاطونية والارسطية — تذكر بليبرالية أحمد لطفى السيد فى فجر هذا القرن — عندما برر مندور هذه [الديمقراطية الاجتماعية] بالتقائها مع آراء [المعتدلة] حينا ، وعندما خلق [المثالية] حلقا على ما سماه [توازن الامة الاجتماعية] ، وعندما دعا الى حكم [الصفوة] المثقفة من أبناء البورجوازية . وفى ذات الوقت الذى كان محمد مندور يبشر بهذا الحل ، كانت فصائل فى الحركة الديمقراطية والثورية فى مصر — ولا تزال — تدعو الى [حل شعبى] لمشكلات الثورة الوطنية المصرية يتأسس على [الديمقراطية الشعبية] ، أى على الاستقلال السياسى والاقتصادى ، والتخطيط الموجه لصالح كل الطبقات الوطنية والشعبية ، ومشاركة هذه الطبقات — المستقلة فكريا وتنظيميا ، المتحدة فى جبهة حول برنامج ديمقراطى — فى ادارة الحياة السياسية للبلاد . كان النهج الاصلاحى للديمقراطية الاجتماعية حلا بورجوازيا تقدميا ، وكان النهج الثورى للديمقراطية الشعبية حلا عماليا ثوريا ، وكان كل منهما سبيلا مقبولا لقوى ديمقراطية تتوجه الى تحقيق مهام ثورة مصر الوطنية . وخلال الازمة الديمقراطية — فى الخمسينات والستينات — اقترب محمد مندور من آفاق الحل الشعبى ، وبدا هذا الاقتراب فى نتاجه الثقافى والادبى المؤثر . لقد غلب على حركة هذا الرائد العظيم النشاط السياسى — تنظيميا وفكريا — فى الاربعينات ، وغلب على حركته فى الخمسينات والستينات النشاط الفكرى والثقافى والادبى ، وكان فى هذا الطور الثانى من حياته أحد الاعمدة الشامخة فى ثقافتنا الوطنية الديمقراطية ، وسندا قويا لكل جديد حقيقى فى الفكر والفن والادب . ان تراث محمد مندور فى هذا الجانب الفكرى والادبى — منذ كتاباته الباكرة فى أوائل الاربعينات ، حتى وفاته سنة ١٩٦٥م — محور أساسى من محاور البناء الثقافى العربى فى العصر الحديث

ومن الطبيعى ان تنسحب اصلاحية محمد مندور الاجتماعية على ساحة الثقافة الوطنية الديمقراطية ، وهى الساحة التى خلف فيها عطاءه الكبير . وفى هذا السبيل فان مؤرخ نتاجه لابد ان يقف عند مرحلتين لهذا النتاج ، مواكبتين لمرحلتى فكر مندور السياسى والاجتماعى : مرحلة الاربعينات ، ومرحلة الخمسينات والستينات فى المرحلة الاولى كان مندور — كما سلف — يؤمن بقيادة الصفوة المثقفة من أبناء البورجوازية ، وكان يعمل تنظيميا فى صفوف [الطليعة] الوفدية ، وكل هذا فى اطار [الديمقراطية الاجتماعية] التى بشر بها مخرجا للثورة الوطنية المصرية من أزمتها ، ومعبرة أخرى مخرجا للبورجوازية المصرية من أزمتها . ولقد أثمر هذا الفكر نهجا للعمل الثقافى والادبى عند مندور فى تلك المرحلة الاولى . اذ رأى ان ثقافة البورجوازية قد انتهت الى سلفية تقليدية ترتد الى العناصر المتخلفة من الموروث ، أو انها انتهت — فى اتجاه آخر — الى تبعية تلتقط أخلاطها من الثقافات الغربية . كما رأى أن من هذه الطبقة قد فقد عذرية الرومانسية الاولى وانتهى الى فنتازيات فردية مريضة ، وأن درس هذا الادب قد عامل النص الادبى باعتباره شاهدا من شواهد اللغة ، أو وثيقة نفسية أو اجتماعية أو تاريخية . لهذا كله رفع محمد مندور لواء العلمانية والعقلانية فى ميدان النظر ، وحاول تأصيل أكاديمية رصينة فى ميدان الدرس الادبى ، وتأصيل جمالية موضوعية فى التعامل مع العمل الفنى . ان الجمالية فى ميدان الفن الادبى — والفن عامة — ليست بعيدة عن الايمان [بالصفوة المثقفة] فى ميدان العمل السياسى والاجتماعى ، واذا كانت الديمقراطية الاجتماعية — عند محمد مندور — حلا للمسألة الاجتماعية ، فان الجمالية كانت لديه رد فعل لتردى الدرس الادبى فى الاربعينات . أما فى المرحلة الثانية فلقد كف محمد مندور عن العمل السياسى المباشر — للظروف السياسية التى أشرنا اليها فيما سبق — وانصرف الى التوجيه الثقافى والتقويم الادبى له وفى هذه المرحلة تأثر بالآفاق الفكرية الثورية ، فبرز لديه حس تاريخى اجتماعى فى تقويم الثقافة جعله يلح على العناصر الشعبية والديمقراطية فى التراث .

ويتركز بجسارة فى النكريات البيئية والرجعية ، ويلتف بقسوة أجهزة الثقافة، وينبض الجمادات الفكرية والايديولوجية الذابية الجديدة ، حتى تتمم — فى هذه المرحلة الدقيقة من حياتنا — صفوف المثقفين المعربين الديمقراطيين ، لكن جانب النقد الادبى ، نظريا عمليا ، فى تشاط محور الثقافى ، هو الجانب الاكثر اصالة وعمليا ، لذا نالته جديد بوقفة خاصة .

هى الرغم من ان نتاج محمد مندور فى المرس الادبى والنقدى ليس — الا قليل حمه — دراسات اكاديمية مجهدة، انه على قلته هما يمليه على طالبه أو قيمه فى الصحف والمجلات السيارة ، تفرض به فى المرس من ذلك ، فان مؤرخ هذا النتاج يجد ان صاحبه قد أسسهم يدور رائد فى كل علوم الادب تقريبا : التاريخ الادبى ، والدراسة الادبية ، والنقد الادبى النظرى العلمى ، والدرسه الادبية المقارنة . كما يجد مؤرخ هذا النتاج ان صاحبه يصدر فى فكر جمالى واضح ، وعن منهج دوقى وموضوعى محدد ، وقد يقال ان ميدان التاريخ الادبى يقتصر على العلمى الاصطلاحى الضيق الذى يمضى فيه مؤرخ الادب بدرسه الموامل الفاعلة فى مرحلة من مراحل الادب الدرسى ، أو فى مراحل هذا الادب كلها . لكن التاريخ الادبى ينتظم مجالات اخرى ، على رأسها التاريخ لنوع ادبى، أو مدرسه ادبية ، أو مذهب نقدى .. الخ ولقد حاول محمد مندور فى كل هذه المجالات ، محيدا حسنا تاريخيا راعيا ، وموضوعيه منضبطة ، وثقافة عميقة عريضه — وفى هذا السبيل نلخص حدور عمى ، التاريخية ، فى ميدان الدرس الادبى من المشوائية ، ومن النظر الى الظاهره الادبيه باعتبارها مستقلة، عما سواها من ظواهر . حاول ان يجل الظاهره الادبية لتكفه ثم يخطوها عن سياقها . التاريخى الاجتماعى، ويتجدى [١] هذ المنهج من طريقه لنقد العربى القديم الذى جعله منهما لاعمال الفكرية والاخلاقية والبلاغيه والجمالية والدوقيه لنزات العربى منذ أوليائه فى الجاهلية حتى آخر عصور ازدهاره البيانية . كما سيدرسها المنهج التاريخى للنقد [٢] العربى الحديث الذى رصد فيه الاصول النظرية والمناهج التطبيقية لائمة النقد المحدثين . وفى الانواع الادبية يقدم [٣] مندور محاولة لبيان الاصول الجماليه وتطوراتها التاريخى للانواع الشعريه والادبيه المسرحية ، وللمناهج النقدية ، كما يقدم محاولة لبيان الاصول التاريخية [٤] العامة لادب المسرحية العربية مشيرا الى العنصر الشعبية المورونه ، والى الظواهر درامية والملحمية والقصصية فى الموروث العربى القديم ، وفى منصف الخمسينات وضع خطيطا لمدارس الادب [٥] العربى الحديث ومؤرخيه ونقاده . أما الاتجاه ، او الرومانسية أو التجديد ، او الواقعيه أو المعاصرة — كان أول [خربطة] لهذه المدارس ، مرتبطة بقسيها الاجتماعيه العامة ، ولقد تبعته فى هذا التخطيط جمهرة دارسى الادب العربى الحديث ومؤرخين ونقاده . أما ميدان الدراسة الادبية بالميزان محدوده منخفة فى علوم الادب عامة . ولقد برزت محاولة محمد مندور — فى كتابه [تمارج بشرية] — هذ ثلاثين سنة بمثابة نقطة بدء فى هذا الصدد . وفى ميدان النقد الادبى كان جهد مندور المؤثر ، فى النقد النظرى احدم وتأصيل موضوعى لجماليات الادب فى كتابه (فى الميزان الجديد) ؛ وكان هذا الجهد الذى رد على ما سماه تلك القذره من مذاهب غامه وفوضى تسكريه فى درس الادب ومناهج نقده . وفى كتابيه (فى الادب والنقد) و (الادب ومذاهبه) عرف بالاصول النظرية لمدارس الادبية والنقدية فى ضوء تاريخى تطورى.

وفى النقد العملى تصدى بالتقويم لعدد ضخم من الشعراء والروائيين والمناصلين والمسرحيين المحدثين والمعاصرين ؛ والمرة كتبا لوانى الذين يكن ، وأبراهيم عبد القادر المازنى ، وثلاثة كتب لمسرحيات احمد شوقى وعزيز أباظه وتوفيق الحكيم . وعلى الرغم من ان محمد مندور كان من هؤلا علميا للدرس الادبى المقارن ، الا أنه لم يتشغل بهذا الميدان الهام ، ولكن سعرفته الطيبة بالادباء العالمية قدمتها وحديثها ، لبعدت دائما فى اعمالة فى التاريخ الادبى ، والدراسة الادبية ، والنقد النظرى والتطبيقى .

يقف وراء هذا النشاط الكبير تصور نظرى لماهية الادب ومهمته . ولقد بدأ مندور — فى الاربعينات — جماليا يصحح المفاهيم الخاطئة ويضع الدوضى الفكرية فى ميدان النظر الجمالى والنقدى . ولكنه فى ذلك الوقت تأثر فى جمالياته حتى شرق فى مثالية متطرفة ، فقطع الدن عن أواصره التاريخية الاجتماعية : « روح الشعر ، روح فذل ، ولكنها قوة سن ترى الطبيعة ، قوة محتاج الى التثقيف [٦] الصحيح » . وجعله — فى أنى الدن — هذا غلما : « قالوا لن الصدق فى الادب هو مايوحه الوجود . وهذا قول بدافيء الادب اعمق من الصدق . الادب ليس تصويرا لتواجد لاسقط الاصداء الحياة [٧] الادب خلق للصدق » ، ويمكن ان نسمى هذه المرحلة مرحلة (فى الميزان الجديد] وحملتها النظرى اكثر جوانب التراث الدنورى أصالة فى التنبيه الى الاصول الجمالية للادب ، ولكن هذا العطاء شابته نظرات مثالية فى فلسفة الدن ، وفى نظرات غفلت عن الحقيقة التاريخية والسياق الاجتماعى لتلك الاصول الجمالية أما المرحلة الثانية — فى الخمسينات والستينات — فيمكن ان نسميها مرحلة (النقد الايديولوجى) — عنوان فصل أخير كتبه مندور عن منهجه الادبى فى كتابه (النقد والنقاد المعاصرون) — وفيها يلح محمد مندور على الدعوة الى ما سماه (الادب الهادف) الذى يصح من موقل الشاعر أو الكاتب من عصره ومجتمعه . وفى هذه المرحلة الثقيفة نم تقل الاصول الجمالية للادب عنايا ذات قيمة فى كتاباته مندور ، كما شاءت هذه الكليات — من الوجهة الفكرية — عبارات غامضة مثل [الادب للحياة] و [الادب للمجتمع] ، وبل (الادب النقد) .... الخ . يرى فى نفسه الايديولوجى أنه : « لم يعد من الممكن ان يظل الادب والفن مجرد صدى للحياة ، بل يجب ان يكون لها حاكمين لها ، قسة انعنى الزمن الذى كان ينظر ليه الى الاباء والفاتحين، على انهم طائفة من الفردين الابين الشذاذ ، أو المتطوين على أنفسهم أو المجترين لاحلامهم وآلامهم الخاصة ، أو الباكين لضياعهم وخيبة آمالهم فى الحياة ، ولعل الحين لكى يلتزم الادباء والفنانون بمسار افكارهم وشعورهم وقضاياهم عصرهم [٨] ومصير الانسانية كلها » ، لكن مندور

١ — النقد المنهجى عند العرب .
٢ — النقد والنقاد المعاصرون .
٣ — الادب وفنونه .
٤ — المسرح .
٥ — الشعر المصرى بعد شوقى .
ثلاثة اجزاء .
٦ — فى الميزان الجديد ص٧٥
٧ — المصدر نفسه ص ٧٠
٨ — النقد والنقاد المعاصرون ص٢٤٥

من أواخر حياته اقترب من التصور العلمي لعلاقته الفن بالواقع ، ومن نظريه الانعكاس التي تؤصل جدلية هذه العلاقة : « أن الادب انعكاس لواقع الحياة وتطورها ، ولكنه ليس انعكاسا سلبيا بل انعكاسا ايجابيا ، فهو يريد تأثيره الى ك الحياة ليحث خطاها ويدعمها نحو مزيد من التطور والتقدم ، ويحقق بأخذ من الحياة ، ثم يصطهها انكار مما يأخذ ، وهذا هو المفهوم الديالكتيكي للانعكاس الاشتراكي بالنسبة للادب ، وهو يختلف عن المفهوم الميكانيكي للانعكاس ، كما انه يختلف ان التطور المادي للحياة هو الذي يطور الفكر في حين ان الفكر لا يمهد بهذا التطور ولا يسبقه » .

ثم يضع الدكتور في موضع الفحص لا الرافض بينما المفهوم الديالكتيكي يجعل الدكتور فؤاد مقالة نحو التطور والتقدم لا مجرد انعكاس الى ذلك التطور » . وحتى هذا الاعتراض كلام عام لا يساعد في بيان خصوصية الظاهرة الفنية . ان التصور العلمي علاقة الفن بالواقع ، يجعل الواقع يتسلم ما هو طبيعي بما هو اجتماعي في آن ، ويجعل الفن ادراكا جماليا للعالم يتسم بالتشكل الجمالي من موقف فكري واجتماعي من هذا الواقع الذي تحدده شروط تاريخية واجتماعية في كل مرحلة من مراحل تطوره ، ان هذا التصور العلمي يتظاهره التنبه — وليس هنا مجال عرضه — يستند الى الحالية التاريخية التي تحدد محتوى على بعض من مقولاتها .

والحق ان محمد مندور كان في المرحلة الاولى من حياته الادبية والنقدية ، المرحلة الجمالية هي الاريستقراطية — أدنى الى البحث في [ماهية الادب] وبخاصة من زاوية عناصر التشكيل ، وأنه كان في المرحلة الثانية — المرحلة الايديولوجية — في الخمسينات والستينات — أدنى الى البحث في [مهمة الأدب] وبخاصة من زاويه الموقف الفكري والاجتماعي . ولم يكن عمله في المرحلة الثانية هينا في المرحلة الاولى ، لأن كلا من الصفية قام على مفهوم نظري بغاير الآخر . وعمل هذه الحقيبة تصدر منهج محمد مندور في النقد العملي : فلقد صدر في المرحلة الاولى عن منهج جمالي اتجه فيه الى عناصر التشكيل الفني في النص ، وصور في المرحلة الثانية عيسى سماه المنهج الايديولوجي — المصبغة غير دقيقة لأن كل منهج فكري أو عقدي ، ايديولوجي بالضرورة — واتجه فيه الى الموقف الفكري والاجتماعي ، أو سماه [المضمون] .

وعلى الرغم من أنه تبه كثيرا الى ضرورة الوعي — في التعامل مع النصوص — بتفاعل التشكيل والموقف ، الا أنه لم يحرك العلاقة الجدلية بينهما صياغه علمية .

والحق ان جهد مندور النقدي — جانبيه النظري والعملي ، وفي مرحلتيه — انما يمثل تمثيلا قويا رحله الفكر العربي الحديث بحد نفسه جمالية موضوعيه ، ولاشك ان طريق هذه المرحلة طويل ، وقد راد محمد مندور هذا الطريق ، وقطع منه شوطا ، وكان انجازه عليه اساسية يعتدى بها المفكرون والمبدعون والنقاد

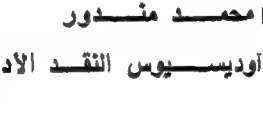

■ محمد مندور
أوديسيوس النقد الأدبي

د٠ أحمد عتمان ٠

من يتصفح كتابات الدكتور محمد مندور القادة العربي الكبير يجد نفسه وكأنه على ظهر سفينة تجوب كل البحار من أقصاها الى أقصاها ، ويظل قسوى الهيئة ، عصيف الراي، ولكنه كأوديسيوس ملاح ذلك ، تقلقله مغريات البحر من جزيرة الى أخرى ، وتستهويه أحدى السلحفات فيمسى ويمضى الوقت نفسه وسفينته ورفاقه ، لا يسير في رحلاته هذه على أسس هادية ثابتة ولا في اطار خطة منهجية موسومة .

ومع ذلك فان جولات محمد مندور في النقد انما هي خوضات واستكشافات كعميل الأدب المصري ، ويغبني على أدبائنا ونقادنا أن يدرسوها ويقيموها كتجربة رائدة ، فيهتدوا للتسليم على ضوئها الطريق الصحيح .

ولقد أخترنا لمقالنا جانبا واحدا نتناول به على صعبة ما سبق أن قررنا ، الا وهو جانب الثقافة الأفريقية في كتابات مندور .

نهضة مصر والثقافة الأفريقية

يربط محمد مندور [في « كتابات لم تنشر » كتاب العالم ١٩٦٠] بين نهضة مصر وحرص روادها على تكوين وأنهاء على بعث التراث القديم بحركة بعث التراث الأفريقي والكلاسي التي سادت أوروبا أبان نهضتها ، فرجل كرنامة الطهطاوي قد فطن بلا ريب أثناء اقامته في فرنسا الى أن النهضة الأوروبية التي رآها قد ابتدأت بحركه بعث قوية لهذه الآداب الكلاسيكية القديمة وسوذا كان يؤمن — كما آمن طه حسين وغيره فيما بعد — بأن نهضة بلادنا لا يمكن أن تعتمد على النقل عن أوروبا فحسب بل يجب أن تمضى الى جانب ذلك ببعث القديم العربي .

وهو بنظر أبي التراث الافريقي [في « نماذج بشرية » بطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٥١] نظرة أكبار وأجلال لخصب هذا التراث وقدرته على الابداع ، قدرة لا يمكن أن نشد لتها بن قدرة الحياة التي أسكنت بها مبقريه هذا الشعب الافريقي ، فصاغتها في صور ونماذج لن ننسى أبدا ، وهذا ما يفسر حرص الدول الاوروبية على الدفاعات الافريقية واللاتينية وأمثالها من الرسائل الاولى في تربية الشباب ، فعلى الرغم من أن معظم المؤلفات التي كتبت بها قد تربجمت من اللغتين الى جميع اللغات الحية أكثر من مرة ، الا أن الاهتمام بدراسة هاتين اللغتين متزال على أشده ، لان دراسة مثل هذه اللغات في حد ذاتها

ريانة مثلية لا مثيل لها » كما أن الكتب التي ألفت فيها يرجع جانب كبير من قيمتها وخلودها الى جمال صياغتها ، وفي الثابت ان اية ترجمة لا يمكن أن تجسيد بعدا الجمال .

ويوضح محمد بدوي في كتابه «المرجع» (دار مطابع الشعب) كيف ان العقلية الاغريقية قد مهدت بشيء كبير هو جماع ما يسمى بالمعجزة الاغريقية التي جعلت من شاطئها الاسيوي الغربي المحتضرة الحديثة . وهذا الكتاب هو الموجع بالانسان والاديان به واخذاه محورا للحياة كلها بل ولوجوده لكائنة انفسهم . فالاغريقي يمكن كل الشعوب القديمة بتصور آلهته على شاكلة الانسان [الاتروسكيون واليونانيون] ، في حسين وتصور المصريون القدماء ، كهيئة التصوير الشرقيه — الهتهم كلوى تسكن عالما غارجيا بعيدا عن مجال الحياة البشرية ، مسيطرة على تلك الحياة ، ملا تتصل بالهتهم صفة الانسان الذي تتوجب فيه المساءلات وتتسارع الفضائل والرذائل وتعدد المعايرات الدراماتيكية الانسانية . ولم يستطيع الشعر مع الآلهة ، كما لم يستطيع الانسان مع قوة « القدر » أو « الصيرورة » أو « الجبر الكوني » فيه من سمات أغريقية صميمة .

تطور الدراسات الكلاسيكية في مصر

ونحن نرى في كتابات محمد بدوي وعددا دليلا واضحا على نمو تكوينه الفكري واساعه بالمعارف ، وانعكاسا ملموسا لتطور الدراسات الكلاسيكية والاهتمام بها في مصر . ففي كتاباته الاولى نجد علامات واضحة من التعثر في معالجته للتراث الاغريقي ، فهيما الكثير من الغموميات السطحية والاخطاء الذي يعتاد كلية على قراءة هذا التراث في ترجمات انجليزية أو فرنسية دون الالمام بلغة الاغريقية أو اللاتينية . لكنه يعود ليصحح ويقوم هذه العثرات في دراسته اللاحقة ، وهذا دون شك يعكس تطورا في الدراسات الكلاسيكية في مصر اذ ان كتبه الاخيرة تعاصر ومن كتب تلامذته ظهرت ليعض الدارسين المتخصصين كالدكتور محمد صقر خفاجة — يرحمه الله — وزملائه من الدارسين الذين دعوا على هذا الجانب من الدراسات الادبية وأسبوا اسهاما ملموسا في تعميق وتأصيل فهمها .

وأول ما يؤخذ على محمد بدوي نزعة كتاباته انه لا يورد مراجع القراء التي يستند اليها ، انك في كثير من الاحيان لا تعرف عما اذا كان ما تقرأ يمثل رأي

مدور الخاص ام هو شرح وتفسير لآراء الاخرين . والسبب الرئيسي لذلك هو ان كتابات بدوي تتكون في الغالب من محاضرات ألقاها ونشرت أحيانا دون مراجعة لينقلب عليها طابع الارتجال . ثم ان هذا العيب لا تفرد به كتابات محمد بدوي فمقالية بالمصدر من كتبنا لا تحوي مراجع ، ويمضها يفتقر مراجعه بطريقه غير دقيقة . وهذا ما لا يتفق مع العصر الذي نعيشه والذي نتبين بالقدمه روح الاتقان والتعمق للمجتمع الهائل ، لان لم نتغارك هذه الاخطاء لن نبلغ ما نريد علما وحضارة او ادبا وثقافة .

وفي حين نجد مدور يفسر مفسرا معقولا — او ينقل هذا المفسر — لمرتيب نشأة الفنون الشعرية الاغريقيه قائلا بان الشعر الملحمي كان في بدايه الامر يحل محل التاريخ لانعدم العصور الاغريقيه القديمة ، فيجد أن أحد المجتمع يعي ماضيه رأيناه يحرص على تدوينه في صوره الملاحم الشعرية ، وكان هذا التاريخ يحفظ بالاسطورة لما فيها من مبالغة وقبول . نجده مع ذلك في كتاب « الادب وفنونه » [معهد الدراسات العربية العالميه ١٩٦١ — ١٩٦٣] يحلي في ذكر سبب حرب طروادة الاسطوري قائلا بانه « هو ان باريس بن بريامس ملك طروادة شاهد هيلينا وهي تستحم مع وصيفاتها على شاطيء البحر اثناء مروره بصفينة على ذلك الشاطيء وراقه جمالها .. الخ » . وكلنا يعرف اسطورة حرب طروادة كما أوردها هوميروس حيث ذهب باريس لكي يسترجع أخيه هيسيونى من بلاد الاغريق وكان غير اخيه [هرقل] قد خطفها . وهناك التقى بالمرأة التي كانت قد وهبته بها اغروديت الهبة الجمال والحب وهي هيلينا أجمل نساء العالم ، رآها في معبد ارتميس ، ثم وارها في القصر الملكي في مدينة اسبرطة التي تقع داخل شبه جزيرة البلوبونيز وس وكان صاحب القصر الملك مينلاوس غائبا ، وكان ما كان بين باريس وهيلينا بعد ان أوهمت اليهما اغروديتي بالعشق ، وهناك باريس يصطحبها الى طروادة التي شعلت نشبا غالبا لهذه الفعلة النكراء .

وفي حديثه ينفس الكتاب عن الشعر الاغريقي وانصافه الى أربعة اصناف او انواع يتميز كل منها عن الاخر بخصوصه لحيانا، وبموضوعه وشكله الفني، اي غالبه احيانا اخرى وهي الشعر الغنائي والشعر الملحمي والشعر الدرامي والشعر التعليمي يرى — أو ينقل آراء الاخرين — بان الشعر الغنائي أسبق من الشعر الملحمي لان الفنين يمواطف الانسان وأحاسيسه هو الاسبق مع أن هذه الاشعار الغنائية الاولى لم تصل الينا الا نتفا لم تدون ، وهذا ما نظم كثيرا من الباحثين للاعتقاد بان شعر الملاحم أسبق في الواقع ثان الشعر الغنائي الذي كان لا يمكن الى يبدأ الا بعد ان اصبح نظيف سلس يعبر موضوعه وبطولات يتناقلون اخبارها . والحق الذي وضع منه محمد بدوي هو انه وضع الشعر الغنائي بعد الشعر الدرامي ويؤيدهما بما في فجرين القرن السادس ق . م . والشعر الغنائي غير ذلك الان الشعر الملحمي الاغريقي جاء من ظهوره ثانيا الشعر الملحمي بما يحتويه يمعض خصائصه كان يمثل عبء ثقيل المال الوزن السداسي وهو الوزن الذي صيغت به ملاحم هو ميروس . وكان يظن قديما بان هوميروس اول اباء الشعر الغنيي معاصر لهوميروس واستقر الرأي الان على انه عاش في القرن السابع ق.م في حين ازدهر الشعر الدرامي بان القرن الخامس .

ويتول محمد بدوي ايضا في كتابه « من الادب والنقد » [لجنة التاليف والترجمه والنشر ١٩٦٩] أن النقد الادبي كان سابقا للمارسة الادب « فمن الطبيعي أن يكون حذق الادب ناقدا ومن المعلوم أن شعراء العرب انفسهم من الجاهليه كانوا مقادا وقد ضربت للنابغة خيمة يحكم فيها بين الشعراء كما كان لأوذلك اليونان ارسيوذاميس شاعرا روائيا » فقد يهتم من هذه العبارة أن ارسيوذاميس يشير الى بدايه تاريخ الادب الاغريقي مع أنه حاكم في القرن الخامس والربع ق . م في حين يبدأ تاريخ الادب الاغريقي حتى القرن العاشر او السابع ق . م . ويتطابح محمد بدوي كثيرون من الشعراء والكتب مثل ارسطوفانيس بشيء اعتبارهم ناقدا على اساس القول بان كل خالق للادب انما هو ناقد . فهناك هيسيودوس وارخيلوخوس وبندار يوس وتوكيد يديس والفلاطون وانسخولطانوس وغيرهم . أيا اذا كان محمد بدوي يقصد « النقد المبرهن » بالذات فلا يمكننا أن نجعل امثال سوفوكليس وبريبيديس وغيرهما من الشعراء المسرحيين الذين تحفوى اعمالهم على جوهر النقد الادبي أسير المباشر . أما «عمل ارسيوذاميس ولاسيما « الضافع » فهي بحق اول عمل ادبي مسرحي يحتوي على نقد ادبي مباشر وصريح بل ويشكل هذا النقد الموضوع الاساسي للمسرحية .

وفي كتاب « الادب وفنونه يقول محمد بدوي انه لم يكن لعنصر الشخصيات في المسرحية الاغريقية اهمية بارزة وظلاكان شخصيات تلك المسرحيات كانت أسطورية غير محددة الابعاد ، وكان دورها في المسرحية يقتصر على تجسيد انواع السلوك ، ولذلك لم يحدث عما وعن ابعادها أرسطو ولم يعط هذا العنصر

الاهمية الاولى فى المسرحية بل اصبح ذلك الاهمية للبيديس اى « الفضة » -أو « الموضوع »] ونفضل نحن « الصدق الدرامى »] وهى مثل هذا التعبير تدل واضح عن آراء البلجيكيين الاوربيين الذين شرحوا كتاب «التأسيس» لارسطو ، فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ، وهى آراء لم تعد مقبولة الان لدلهيها من فصل بين رجسم الشخصيات والحدث الدرامى فى حين ان كلا منهما يولد فى الاخر ويتمو بنمو ويتفاعل مع كل حركة فيه ، المهم ان مصدور بنك هذه الاراء ولا يستبعدها الى اصحابها الاصليين ولا يتناقشها .

وفى نفس الكتاب يبحث عن نشأة الفن التمثيلى الافريقى وتطوره من الفلكلور أجوس بنهولى « حتى اذا انتقل هذا الفن الى المدينة ، واتصل اول الامر بالديانة الرسمية بادوليه اللاتينيه وهى الدياثة الأوليمبية .. الخ » فالمقصود هو « الدولة الافريقية » لا « الاتينية » ويعنى فى هذه الحالة بالتعبارة « ايفسا سطلته لانه من المعروف انه لم تكن هناك دولة افريقية واحدة الا ، ابان العصر الهللنسى وبعد موجات الاستعمار وانما كانت هناك دويلات او ما يصرف بنظام الدويلة المدينية Polis . وهناك فى كتابات مصدور الكثير من مثل هذه الاخطاء سنتكلم بذكر بعضها فقط ولاسيما الخاص بشخصية اوديسيوس التى اهم بها ، فهو يقول ان هذا الاسم أوديسيوس يعنى « جواب الاقاق » وفى الحقيقة ان هذا الاسم يشتق من معمل «افريقى Odysseus يعنى الغضب عند أو أكره » ويتفق بعض الباحثين أن أليت رقم ٦٢ فى الكتاب الاول من الاوديسيا يشير الى هذا الاشتقاق . وبن الثقل على أيه حال ان نقول احيا نجرى على هذا الاشتقاق الشوى رغم مالة من علاته يمهوم البطولة عند الافريق وهذا بله لا يصح المجال لشرحه . ويقول مصدور كذلك بأن أوديسيوس كان ملكا على جزيرة كيرنو أو كوركيرا كما كانت سمى قديما واصبح اسم الجزيرة بالبونانيه الحديثه « كيكيرا » أما اوربو فهو اسم المدينه العاصمة الحالية] . وعن المعروف — وكما يعود مصدر بنذور نفسه ليوضح هذا الخطأ فى كتابه « الاسم وانعونه » ان الاوديسيا خلصة هوميروس . فحكى مغامرات البطل اوديسيوس « بنك جزيره ايثاكا [أو ايثاكى] أثناء عودته من طروادة فى أسيا الصغرى الى وطنه بعد انقضاء الحرب » . وعن الاخطاء ايضا قوله بأن أوديسيوس بعد عودته هاتب « التوادات » فهذه الكلمة بلا شك ترجمة للكلمة الفرنسية Solliciteurs او الانجليزية suitors يعنى « الملدمين » فى الزواج من بنيلوبى زوجة الفلكلوديسيوس الغائب .

بأيانا لم ينقل الغرب المسرح الافريقى

حيد هذا السؤال كثيرا من الباحثين العرب المستشرقين منذ أن بدأ العرب يتلقون المسرح الاوربى الحديث فى منتصف القرن التاسع عشر ، وتعددت الاجابات ووجهات النظر .

لقد سبق ان اصحل العرب بالحضاره الاغريقيه وأخذوا عنها ما أمكن أخذه مما يسمح عند المطلق كلمة كفلول المنكر الرياضى والفلسفى وأما ما سيوصل من تلك الحضارة بتوصيف الحياة الاجتماعية والعاطفيه ، وهو ما نتبع به الحضارات فلم يستطيعوا بداهة فهمه ولا قبوله او نقله ، ومن هنا لم يروجوا الى فهم نبهنا من شعر الاغريق وان كانوا على العكس من ذلك قد ترجموا جانبا من اشعار الفرس كالشاهنامة وغيرها . وربما كان ذلك — كما يقول محمد مندور فى « كتابات لم تنشر » — لان حياة الفرس التى يصورها ذلك الشعر كانت أقرب الى حياة العرب من حياة الاغريق ، ثم أن الذين قد لحب فى هذه المارقة دورا حاسما كالفردوسى شاعر مسلم وهو يروس وشى .

وفى محاضرات « اللغمى والنقوش » يلاد يحدد مندور الخصائص العصيل آراء المستشرق ريتان الذى يزعم ان العرب كجنس سامى لا يستطون ذلك الخيال التركيبى اللازم لخلق المسرحية ، كما يرى ان ملكهم الاساسيه هى ملكة الملاحظة الموضوعيه . ويرأى ريتان هذا العالم على الجنس لا يمكن قبوله لان مسألة الجنس بريمها لا تستطيع ان يصدر على اساسها حكما على ملكات الشعوب المختلفة ، ثم يطى محمد مندور برأى ا سيفه اليه موفيق الحكيم فى مقدمته لمسرحية « الملك اوديب »] وهو ان لطبيعة حياة البدية وعدم استقرارها والبيئة البشرية والبيئه الطبيعيه اثر فى تصوير هذه الظاهرة ، بالمثيل يحتاج الى استقرار والى بناء دور للمسرح . والذى لاشك فيه ان الدين الاسلامى أيضا قد حال دون ترجمة المسرح الاغريقى القائم على الوثنية وآلهتها واساطيرها الى اللغة العربية ، بهذا لم يكن هنا لك اى تعارض بين هذا الدين والفلسفة الافريقية ويخلصة المنطق ، بل ان المسلمين قد استعملوا بذلك المنطق فى قلية الاسلام بحجج عقلية فى محاجة خصومه والدفاع عنه .

ويذهب البعض الى ابعد من ذلك فيقولون ان الاسلام الذى حاربه فى النحت وصنع التماثيل خوفا من العودة الى عبادة الاصنام لم يكن من المنتظر ان يبيح — وهو لايزال قريب العهد بعصر الاصنام — ترجمة او تأليف مسرحيات يخلق فيها كثيروها شخصيات على نحو ما يخلق الدائنون تماثيل تشبه الاصنام ويفسلق الجياد ، فضلا عن مشاركة الله فى قدرته على الخلق ، وهى حجة غير مقبولة [راجع « المسرح »] .

وقد تشبه الفنون الشعبية خيال الظل والاراجوز ومندوق الدنيا التى انتشرتفى البلاد العربية فى المسرح الافريقى الذى كان فى اساسه ذا شعبية . ولكن هذه الفنون لم تخلق ادبا ولا خلفت تراثا ادبيا ولذلك لا شك قد سهدت العقول والحواس للاتصال على ان التنبهسل بل والسهيا للذين اختذاهما من الغرب بعد ان أصلتنا ونثرنا به ، ولو ان تأثير مثل هذه الفنون الشعبية — كما يقول محمد مندور — كان ضارا على نظرة الجمهور للفنون المسرح والسينما ، الا ان يستطيع الكاتبون حتى الان التخلص تخلصا تاما من نظرة الاستخفاف واحيانا الازدراء لهذين الفنين . فى حين ان الفن التمثيلى الاوربى يعود بجذوره الى اصول المسرح الافريقى الدينية وما يبا من تقديس وتعبد لذلك بالخوص [أو ديونيسوس] .

هوميروس

يظهر محمد بنذور اهتماما خاصا بهوميروس أول واعظم الشعراء الافريق ونقل كتاباته على فهم صبيل يبسبطا الميترى الخلط ، فهو فى كتابه « الأدب ونقوده » لا يشير الى عناصة اساسية ودقيقة من خصائص اسلوب وهوميروس وهى استخدامه للصفات المركبة ، فمن المعروف ان هوميروس وردت تراثا بطبيعا اشتقاقيا فخطبا صافيه فى فهم صبيل يبسبطا الأبيلاذة » و « الاوديسيا » وهى هذا التراث المذهبى أصبح نقل بطل أو الة صفات معينة يتعارفون عليها وملازمة له وهى الشاعر المذهبى فى كل سرة يذكر فيها اسم هذا البطل أو الاله أن يختار من هذه الصفات ما يناسب الوزن والمقام . فاوديسيوس على سبيل المثال يوصف بأنه « الهى » أو « الهى فى فهم صبيل يبسبطا » وابنه تيماخوس فهو أما « شبيه الالهة » أو « ابن اوديسيوس المجرب » ، والجبابيس « سريع الارجل » والنجر ، أو الصابع الوردية » ... الخ ويقول محمد بنذور فى هذا الشأن ان هوميروس يستخدم هذه الصفات فى وصفه للناس والاشياء على نحو مزيد فى اللغة تابع من طبيعة الانسان النظرية وهو واضح تماما فى استخدامه لما يسميه علماء الجيسال اللحق بالسم صفات الماهية epithète de nature

وذلك لان الصفات استخدم عادة لتمييز الموصوف من غيره هذا تقول الرجل الكريم تمييزا له عن النجيل أيضا هناك صفات أخرى ترد على الموصوف لتجديد وابراز صفة ملازمة لطبيعته وهى التى تسميها بصبغة الماهية أى التى تبرز ماهية الشىء أو خاصية

ثم تضحكه ؟ لا لكي تبيعه من كشيره مثل تولتا الله الى الباقي تشعر لا تنصف لله . هذا يأكله حي ويباع لتعهدون من الله آخر غير حي ولا وفي وانما لتعهد ماهيته وأبرز الخصائص اللازمة لهذه الماهية .

ويحاذر هوسيرس أيضا بما يحاذر به الانسان النظري وهو النظرة التركيبية Synthèse الى الناس والاشياء معا لا يحلل الناس البشرية بالكيفية بيركر مثلا ويحلها كما هي صورة بركية . ذلك لان التحليل ساعتها يكتسبه لا يصل اليها الانسان الا بعد تبو حياته الفكرية وتكبره المنطقي بهذا الانسان النظري تبركر انطباعاته ويدركه في صور بركية ، تصطبغ اليوم تحليلها ويمكننا بهذا التحليل نضعف من قوتها ونحطم جمالها . ويضرب على ذلك مثلا لنظر توديع انرومانس لزوجها يكثور وهو ذاهب الى القتال ليس توديعه « بايتسلية تحليلها الجوع » مشغلة على زوجها من الموت وعلى طفلها من اليتم ولكنها حريصة على الا تظهر أمام زوجها البطل أي ترع أو ضعف لكي توحي له بالثقة .

أوديسيوس

يمثل أوديسيوس — كما يقول مندور — أنموذجا للشعب الاغريقي ذاته بما فيه من قوة وضعف ، هو صورة واقعية للاخلاق الاغريقية والملكات الاغريق الذين فطنوا لهذه الحقيقة ، فراى كل منهم يتخذ في شخصية هذا البطل نفسه أو جانبا منها ، بما تعرفه عنهم من الشجاعة ودهج الخاطرة، وقاتح للحيرة والاقدام عملي المخاطرات ، مع المقدرة على ملاءمة الوقائع وتدبر الصعوبات ، ثم المرونة في معالجة الناس والاشياء بما ندعهم احيانا الى امكانات صوت الضمير ، والتملق بالهدف دون النظر الى الوسائل وهدى ما فيها من ضرة . وذلك كلها صفات سنراها عند أوديسيوس في دوريه الطويل في الادب الاغريقي واللاتيني والآداب الاوروبية الحديثة ، على تفاوت في النسب وتطور في الاتجاه وفقا لتسير الزمن وتقدم الحضارة .

ويدلم لنا محمد مندور في كتابه « نماذج بشرية » دراسة ممتعة عن شخصية أوديسيوس أبطاه من هوميروس الى الترن العشرين . وهذه الدراسة لانسك منقولة من كتب اليونان الفرنسيين من الدراك الاغريقي ، ولا يشير مندور الى هؤلاء اليونانيين ، ومع ذلك فرغم بالموشوب هذه الدراسة من اوجه نقص انا انها لا تعالج شخصية البطل بن الادب اللاتيني وتدر مرورا سريعا على شخصيته في الادب الاوروبية الحديثة ، رغم كل ذلك فلعنا معتبر هذه الدراسة من اهم ما قيم به مندور في الدراسات الكلاسيكية فهي تشير الى الاتجاه الصحيح الذي ينبغي أن يتخذه « الاتجاه الذي يتخذ من أبطال الاساطير نماذج انسانية عامة حي يبقى لهذه الاساطير خلودها ، ولكن غير حي ولا بقاء وانما لتعهد ماهيته وأبرز الخصائص اللازمة لهذه الماهية .

ويحاذر هوميروس أيضا بما يحاذر به الانسان النظري وهو النظرة التركيبية Synthèse الى الناس والاشياء معا لا يحلل الناس البشرية بالكيفية بيركر مثلا ويحلها كما هي صورة بركية . ذلك لان التحليل ساعتها يكتسبه لا يصل اليها الانسان الا بعد تبو حياته الفكرية وتكبره المنطقي بهذا الانسان النظري تبركر انطباعاته ويدركه في صور بركية ، تصطبغ اليوم تحليلها ويمكننا بهذا التحليل نضعف من قوتها ونحطم جمالها . ويضرب على ذلك مثلا لنظر توديع انرومانس لزوجها يكثور وهو ذاهب الى القتال ليس توديعه « بايتسلية تحليلها الجوع » مشغلة على زوجها من الموت وعلى طفلها من اليتم ولكنها حريصة على الا تظهر أمام زوجها البطل أي ترع أو ضعف لكي توحي له بالثقة .

أوديسيوس

يمثل أوديسيوس — كما يقول مندور — أنموذجا للشعب الاغريقي ذاته بما فيه من قوة وضعف ، هو صورة واقعية للاخلاق الاغريقية والملكات الاغريق الذين فطنوا لهذه الحقيقة ، فراى كل منهم يتخذ في شخصية هذا البطل نفسه أو جانبا منها ، بما تعرفه عنهم من الشجاعة ودهج الخاطرة، وقاتح للحيرة والاقدام عملي المخاطرات ، مع المقدرة على ملاءمة الوقائع وتدبر الصعوبات ، ثم المرونة في معالجة الناس والاشياء بما ندعهم احيانا الى امكانات صوت الضمير ، والتملق بالهدف دون النظر الى الوسائل وهدى ما فيها من ضرة . وذلك كلها صفات سنراها عند أوديسيوس في دوريه الطويل في الادب الاغريقي واللاتيني والآداب الاوروبية الحديثة ، على تفاوت في النسب وتطور في الاتجاه وفقا لتسير الزمن وتقدم الحضارة .

ويدلم لنا محمد مندور في كتابه « نماذج بشرية » دراسة ممتعة عن شخصية أوديسيوس أبطاه من هوميروس الى الترن العشرين . وهذه الدراسة لانسك منقولة من كتب اليونان الفرنسيين من الدراك الاغريقي ، ولا يشير مندور الى هؤلاء اليونانيين ، ومع ذلك فرغم بالموشوب هذه الدراسة من اوجه نقص انا انها لا تعالج شخصية البطل بن الادب اللاتيني وتدر مرورا سريعا على شخصيته في الآداب الاوروبية الحديثة ، رغم كل ذلك فلعنا معتبر هذه الدراسة من اهم ما قيم به مندور في الدراسات الكلاسيكية فهي تشير الى الاتجاه الصحيح الذي ينبغي

أن يأخذه عدد من الباحثين المتخصصين في مصر ، الا وهو الدراسات المقارنة . يبدأ هوميروس شخصية أوديسيوس بي الاثيلة كيطل متدام ذي حكمة ، ثم يبر بخصائل نفسية ، ذي ذكاء نافذ وثقة بالنفس ، أبي ، يليح فقد أخذير ملوراس وقد ذهب الى أخطيليس ليلتمه من عنده لكنت خليته فيه مؤثرة نفذة حسوية . وقل حواجه حتل على أنه وان لم يكن بادي النزوة الا أنه قد عرف دائما كيف يضع صالح الوطن فوق نفسه الخاص ، بل فوق كبريائه ، وهو ورع ثابي يخشى الآلهة ويحترمها ولا سيما الربة أثينة الهة الحكمة والذكاء وهو في كل ذلك يعتمد تماما عاطفا الصفات الاغريقية المميزة .

أما في الاوديسيا فأوديسيوس هو البطل ، بحتك ، حسن التدبير ، قوقيم صبور متحمل للمصوب ، وبالتالي في معالجة المشاكل ومخترة بالغة في التغلب على الصعوبات

فهو باختصار لم يفقد شيئا من صفاته المميزة عن الالياذة ولكن يعطينا طور وتسق ويعطينا الاخر خلقت حتقه . وفي الحقيقة عندما نصور الاوديسة في الاوديسيا

نلمح في شخصية أوديسيوس تطورا لا يهب أنه قصد ساعتي تطور العقلية الاغريقية كلها ، بحيث نجد أن شخصيته عند هوميروس كمثل تمثيلا لخلاصة الروح الاغريقية . فنحن نلاحظ أنه اذا كانت الالياذة قد صورت البطولة البسيطة الخارجة فرشخص أخليوس فإن الاوديسيا قد صورت بطولة الذكاء البشري في شخص بطلها أوديسيوس »

ومع ذلك فنحن نرى أن محمد مندور قد أسرف على هوميروس بمقرر المفهومات والتصورات العصرية عندما يقول « لم يعد أوديسيوس في الاوديسيا البطل الذكاء ... أمام البحر الابيض يجري بعيني رأسه ويعلم من خبرة طال بعيد الى وطنه الا وقد ملأ تفاريه بجبال ما شاهد واعتى ذاكرته بما سمع من قصص ، وليس من شك في أن الزم الصفات لرجل يسعى الى ما كان يسعى اليه أوديسيوس هو القدرة على التمييز من نطقه بمهارة » . فهذه القدرة تصور أوديسيوس وكأنه مستكشف من مستكشفي عصر النهضة الاوربية يسعى فقط من أجل المعرفة وهو لم يكن كذلك منذ هوميروس الذ ان الغير وحده هو الذي دفعه الى مغامرات الحياة أما هو نفسه أوديسيوس فلم يكن يبغي ذلك وكل شأنه كان الرجوع الى وطنه واهله سالما ..

وفي مسرحية « فيلوكتيتيس » لسوفوكليس نرى أوديسيوس خبيثا جبانا ، لا يتورع عن شيء ، ولا يقيم أي وزن لمبادىء

المـــرأة

فى شـــعر الســـياب

خمسة صور وثلاثة وجوه

أحمد عز الدين

احسب أن بطل السياب قد ظل محافظا على جوهره ، عبر كل المراحل التى قطعها ، على تباينها ، وتفاوتها الشديد .

قد تكون ملامح وجهه قد أصابها الزمن هنا ، وقد تكون أطرافه قد حل بها العطب هناك وقد يكون جلده قد تغير فى موانىء المرض والذبول . لكن قلبه ظل ثابتا فى موضعه .

حقيقة انه لم يكن ذلك الذى يسعى الى تغيير خريطة الاشياء [كبطل ادونيس] . أو الى تغيير العالم [كبطل البياتى] ، ولم يكن — أيضا — فارسا دون كيشوتيا [كبطل عبد الصبور]، أو مغامرا دون جوانيا [كبطل نزار] ، بل كان شخصا مأساويا — يعانى الفقر والمرض والغربة — الا أنه كان عاشقا رقيقا وبسيطا ، على نحو متفرد .

انهم يتحدثون عن هذه المأساوية باعتبارها تصادما بين السياب كذات ، وبين الحياة العادية ، التى أحاطت به ، وأسرته .. تصادما بين طابعه الخاص ، وبين الواقع المتناقض المتصادم من حوله غير أن هذا الطابع الخاص ، ليس مجرد انعكاس لشخصيته المنفصلة عن الواقع الذى تنفس وأبدع فيه .

لا خلاف على أن السياب كان انسانا مأساويا .

لكن هذه المأساوية ، ألم تكن انعكاسا لواقع أكبر من الظروف الذاتية ، التى أحاطت به وكبلته . ؟

ألم يكن هذا الواقع ذاته جزءا من تاريخ المنطقة العربية التى كان الصراع الوطنى والاجتماعى فيها ، فى أكثر لحظاته تفجرا وعنفا ؟

ان علينا أن ننسبه للعصر الذى خلقه ، لكى يبدو لنا مدى ارتباطه بهذا العصر ، ومدى تعمقه فيه .

أليس هذا فى نفس الوقت ، مقياسا واضحا وأكيدا لموهبته ! لقد كان السياب أقرب الى تاريخ المنطقة ، وأكثر تغلغلا فيها من كل الأصوات التى صاحبته .

لست أريد بذلك أن أسقط العامل الذاتى تماما من معادلته ، فان هذا معناه تجاهل خاصيته كفنان وكمبدع ، ولكننى أريد أن أسقط ذلك الحد المتوهم بين موهبته وحركة التاريخ من حوله ، فليس بمقدور أى موهبة مهما كبرت ، أن تحول الكذب أو الوهم الى حقيقة .

لقد كان التاريخ يتحرك أمام عينيه ، ولم يكن مجرد شاهد عيان على عصره ، وانما كان مساهما فى صنعه ، وكانت عذاباته وضلاله مرتبطة بحركة ذلك التاريخ ، وبطبيعة هذا العصر .

ليس بامكان موهبة — مهما كبرت — أن تكون أسمى من عصرها ووطنها ، وليس هناك موهبة تستطيع أن تقدم مضمونا ، لم ينضج بعد تاريخيا ، بل وحتى أن تستوعبه .

.. لكن ما هى الموهبة ؟ .

انهم يخيفوننا بهذه الكلمة فى هذه الايام !

انهم يتحدثون عنها كثمرة معقدة لا جذور لها ، باعتبارها هبة ، وبالتالى باعتبارها مقياسا ضبابيا يتم فرز ابداع الآخرين على أساسه ، خارج الظروف الاجتماعية ، بل خارج العصر كله ، خارج الزمن والبيئة .

لكن الموهبة — فى جوهرها — تعبير صادق عنها معا ، انهما يركان بصماتهما ليس على الموهبة الثابتة فى تربتهما فقط ، بل على كل الطبيعة البشرية

التى تستمد خصائصها منهما .

وقوة الموهبة تتوقف على مدى تغلغلها فيهما ، وبالتالى تعبيرها عن متطلبات اللحظة العابرة من خلالهما .

لكن الموهبة — مع ذلك — لا تنفصل عن التاريخ ، انها تمزج هذه اللحظة بالتاريخ فى وحدة لا تنفصم ، بينما تسعى لتوكيد نفسها .

انها — ككل ما يحيط بها — ليست ثابتة ونهائية ، انها هى نفسها فى كل لحظة ، وليست نفسها فى كل لحظة .

انها دائما متجددة ، دائما متنوعة ، دائما باحثة عن حلول جديدة ، تؤكد ذاتها من خلالها ، لتكون — أو لا تكون — اكثر ضرورة للناس ، وفى هذا — تحديدا — تكمن قيمتها وفاعليتها واصالتها .

وعندما نقول ان السياب موهبة كبيرة ، فاننا نقصده بهذا المقياس .

لعلى مدخلى الى المرأة فى شعره لم يطل ، فهى فى مركز الثقل منه ، موهبة فنيا وجماليا وفكريا .

خلفية تاريخية

على الرغم من أن هذا الزواج الذى عقد بين نقدنا المعاصر ، وبين موروث المصطلح الغربى ، كان — ولا يزال — زواجا غير شرعى ، الا ان بعضا من هذا الموروث قد أتيح له — ربما نتيجة التداول الواسع — أن يشحن بدلالات خاصة ، قاربت بينه وبين الحقل الذى يتعامل معه ، حتى انه ليصعب مع ذلك ، استخدام بديل نقدى ، يمكن له ان يفجر المعنى المطلوب منه تحديدا ، مهما كان اكثر احتواء له .

ومن بين هذا الموروث : [المدرسة الكلاسيكية الجديدة] ، [المدرسة الرومانطيقية] .

لقد اطلق الاول على الاتجاهات الاحيائية التى سادت أواخر القرن الماضى ، وهيمنت على بدايات هذا القرن ، والتى حاولت أن تستحدث علاقة جديدة بالتراث الشعرى القديم ، والتى كانت ملامحها بادية فى أشعار ، [اسماعيل صبرى] فى مصر ، و [خليل مطران] فى لبنان ، والتى وصلت الى انضج تعبير لها على يد [شوقى] و [حافظ] وغيرهما .

واطلق الثانى ، على ذلك الاتجاه الذى اخذ يتسرب الى الشعر العربى منذ مطلع هذا القرن ، حيث اخذت تباشيره تلوح قوية فى شعر [جبران خليل جبران] [1] ، و [مطران] [2] ، واخذت بعد ذلك فى التكشف فى أشعار عبد الرحمن شكرى [3] . ثم فى أشعار [الشابى] و [أبو شبكه] و [الهمشرى] و [التيجانى] ، ثم بعد ذلك فى اشعار [على محمود طه] ثم [ناجى] و [محمود اسماعيل] .

---

(١) جبران خليل جبران (١٨٨٣ — ١٩٣١) صدرت مجموعتاه [عرائس المروج] و (الارواح المتمردة) عامى ١٩٠٦ و ١٩٠٨ على التوالى فى نيويورك وكلاهما تعبر عن عطش روحى شديد الى الانعتاق من ربقة التقاليد وهى تمجد حرية الانسان واختياره .

(٢) صدر ديوانه الاول فى مصر عام ١٩٠٨

(٣) عبد الرحمن شكرى (١٨٨٦ — ١٩٥٨) صدر ديوانه الاول (ضوء الفجر) عام ١٩٠٩ .

ولم يكن هذا التيار الاخير الذى سجل العقد الرابع من هذا القرن انتصاره ، متصلا من الظروف التاريخية — الاجتماعية التى كان الوطن العربى يعيشها آنذاك حقيقة اننا لا نكاد نلمس اثرا معاصرا للمأساة السياسية عند اى من رواده [يستثنائى الشابى] ، وحقيقة ان هذا التيار قد عبر عن نفسه فى شعر عاطفى ، وهو برغم اكثر من رداء ، واكثر من لون .

فهو دائرة يطل منتشيا بالحب الشاعر [ابو شبكة — الشابى] ونارة معبر عن مرحله الطفلة بالحياة [على محمود طه] ، ونارة اخرى يجيء بمبتذل بالحمال مقلسا له [الشابى — التيجانى — المهدوى] ، لكنه فى كل الاحوال ، يعكس تشوقا وحنينا طامحا الى خيال لا يجده فى الواقع ، ولا ملابس يمه الا بوجدانه الظمآن — وحقيقة أيضا ان هذا التيار لم يضع نفسه لغة فلسفيا يشبع حركته التأمله عليه ، مثلما كانت للرومانسية الغربية [٤] ، لكن هذا التوتر الذى صاحبه بدايته ونموه ، من بلد عربى الى آخر ، ربما يعكس على نحو قوى ، ذلك الاسى التاريخى — الاجتماعى الذى صاحبه موضوعيا ، وهو يقيم بجبل حركته كثير مندفق يجسد جوهر التناقض بين الواقع والمثال ، بين ما هو قائم وماهو مأمول .

ان صورة الذات التى تسعى الى الخلاص ، وتصبح بالجمال والحسرة وتحلم بتجاوز ما هو مدروك من علاقات وقيم ومثل — من داخل هذه القيم والمثل والعلاقات ذاتها — لا بد وان يبدو فى النهاية ، مجمعة ومكدودة ، تحت وطأة معاناتها الاجتماعية ، بينما تتمثل عن انحنائها وخلاصها فى مخالطة الطبيعة ومداناتها ، والانفصال الواجف بجمالها ونقلها .

وهى أيضا لابد وان تعكس هذا الشرخ الحضارى الهائل بين ما تحلم عليه من قيم ومثل ، وتقيضها الاخر ، الذى تتطلع اليه .

انها — مثلا — حين تستشعر مغايرا اخلاقيا لقيم القبيلة ، يكون مغايرا ذا طرفين متناقضين متباعدين ، أحدهما للمرأة والاخر للرجل .

وهى — مثلا — حين تعبر عن نزوعها لعذابة المرأة وتقديسها لا تستطيع ان تخفى رغبتها القاترة فى الالتصاق بجسدها المحسوم .

انها تثرة تظل مترددة أمام هيجان الجنس ولذته ، وتثرة تبنى نفسها فى انزوته ، منظورة من وازعها الدينى ، وتصوراتها الروحية .

لعل هذا يعبر واضحا ، فى موقفى [عبر ابو ريشة] و [الهمس أموشكة] بل لعله اكثر وضوحا فى موقف على محمود طه [٥] .

لقد كان حبهما للمرأة فى مجمله [حبا مجزءا] .. ، على حد تعبير لسوفيك ، مناقع فى تناوله لاشعار [أبو ريشة]

● ● ●

عبر هذه الدوائر المتداخلة بدأت [بواكير] الصبابة .

ولم يكن من الممكن له ان يضع نفسه فى موضع خارجها ، لكن تأثره [بمحمود طه] كان مساقطا — لكن ، لماذا [محمود طه] بالذات ؟

هل كان الفلبوس الشعرى له — وهو يستمد مفرداته من طبيعة الريف — هو الرحق الذى جلب نحلة الصبابة — التى حطت فى نفس الوقت بين أزهار [كبلس] و [شابى] وغيرهما ؟

هل كان اخلاص [الصبابة] لموقف كيا حلول « الساعراتى [٦] — هو السبب ؟

بما يكن السبب ، فالشاهد ان نحله « الصبابة » تحلت كثيرا عن رحيق « محمود طه » .

لكننا رغم ذلك لنتعم اثرا آخر ، لشاعر آخر فى بواكيره ، ففى ملحمة « بين الروح والجسد » — التى اهداها الى « بودلير » ويمت بها الى « على محمود طه » ليكتب ملامحها — حد ثابة «الياس ابو شبكة» قائمة فى ضاياها: [٧]

● الوجه الاول ●

المرأة (الواقع — المثل) :

ان الصورة الاولى للمرأة فى شعره تجيء تنطلقها من هذه الثقلية ، فهى تضع نفسها صوراين متناقضين لوجهها الواحد .. كيف يبدو الامر ؟

(الصورة الاولى) :

تتفاذل تفاصيل وجزئيات هذه الصورة مع صورة حواء فى أغوبوث الدينى — حتى باستخدام نفس مفرداته :

بالرغم الفتاح هل تحدثين عن الجنين يوم استغذيها الهوى تلبين كانا حشدتان أروى انا نبأ الطريدة فاشه راوية الزمان أغوته حواء عند ذبيه نحو الاتحوان .. حواء هى الغاوية ، هى بكين الضأن والشرور ، وآدم هو المخدوع — والضحية

ان الصورة الاولى تبدو داخل نسيج مبنى اخلاقى ، يمزق روحه :

عين برنح حديها نفسى ولم يقطع هيمه الداء ويد على كتفى مجلجلة واخيطتاه أتلك حسراه لاكنت آدميا ولا لدخت فردوس الخمرى حسراه .. [٨]

انعبرسيميائيس هذا التماس الموروث ذى الطرفين المتناقضين المتباعدين ..

(الصورة الثانية) :

لكن هذه الصورة المبيضة التى تحرك وجدانه بين عاصفتها ، تضعه فى تمزق روحى ووجدانى عميق ، فكيف يجدلاسه بله ؟ انه يضع لنفسه صورة أخرى . يثر اليها من تمزقه ..

يطول انتظارى لعلى اراك لعلى ألتمك بين الدور أطلى على من خبك الحياة فأصبحت هنا . ملا النظر ..

---

[٤] تستغنى من ذلك أعمال [جبران] و [نعيمة] التى التصقت بمفاهيمها الفلسفية فى الغرب واستمدت منهما ؟. خوصها الخاص .

(٥) راجع محمد مندور (الشعرالمصرى) شوقى ج٢ — القاهرة ١٩٥٨ ، (على محمود طه الشاعر والانسان) أثور المحاذوى — بغداد ١٩٦٥ .

(٦) راجع — فلفة الشعر بين جبلين) ابراهيم الصاعراتى — بيروت .

(٧) يفصل (ابو شبكة) فى ديوانه (أغانى الفردوس) بين الروح والجسد، من منظور دينى ، نلاحظ التطبع بمن الخطيئة التى انتقلت روحه — والملحمة المذكورة ، تتطابق فى الوزن والقافية مع قصيدة (أبغى هذا العصر) ضمن الديوان المذكور — ١٩٣٨ — لمزيد من التفاصيل ارجع الى (الياس أبو شبكة وشعره) رزق فرج رزق بيروت — ١٩٥٦ .

(٨) (اقداح وأصلام) ديوان (أزهار واسفار) ٨

• الوجه الاول والادوات الفنية •

على مستوى « اللغة » : لم يتجاوز [السياب] وهو يحتـرك فى بخضم ماضين الصورتين المتناقضتين «قدوس الشعر العربى الشائع كثيرا ، لقد كان الاخير قد ابرز مفردات جديدة ، جيزت بالسلسلة بعيدا عن تنعيم القاموس التقليدى (والحق ان ضرورة اجتماعية وسياسية كانت وراء تنقية اللغة ـ فى هذا التوقيت ـ من تناقضها المهمة الخشنة » [١٦]

قال « السياب » يستخدم البديع عنوته المتخيلة كالجناس وغيره بشكل واسع ، كما ظل ميالا الى استخدام التموت ، والالفاظ المرددة فى الشعر الكثير من غيره .

وعلى مستوى شكل القصيدة ، فانه تالها ظلت جزئية ، وان كان قد حاول ان يبث فيها ـ فى هذه المرحلة المبكرة ـ روح العصر ، وانه يتجنب الوقوع فى محدودة الصورة التقليدية .

وعلى مستوى شكل القصيدة ، فانه استطاع ان يحرب نهاية هذه المرحلة ، ان يحرر كليا من نظام الشطرين ، ومن الثنائية الموحدة ، مؤلوجا بين عدد المتفاعيل ، مالها شعره على وحدة التفعيلة » [١٧]

اطلى على طرفى الدامع
خيالا من الكوكب الساطع .
ظلا من الاعصن الحالمات.

على قسلة الجدول الواديع [٩] .
وهكذا .. يجسدهاى الطبيعة ويجسد الطبيعة فيها ليعطيها تماسكا ووجودا حقيقيا :

ولكنها نور كل الحقول
ودفء الشذى بين اعشابها
والمراح كل العصافير فيها

وكل الفراشات فى غابها [١٠] .

بين هاتين الصورتين المتناقضتين لوجه المراة ، يجيء شعر [السياب] فى مرحلته الاولى ، فهو يعكس فى الصوره الاولى ورؤيته الدينى الاخلاقى عنها ، فتبدو شريرة بذاتها ، وغامضة ، ومعينا لابنقصب للخطايا والذنوب .

وهو يعكس فى الصورة الثانية ـ محاولا تجاوز نزعته ونظرته ـ وجها مثاليا لها ، يجمع شقاياه من داخله ، ويجسده فى الطبيعة من حوله ، مناجما كلا منهما فى الاخرى ، وهذا الوجه السابق (المثالى) شع دفئا وعطاءا وذهبا لكنه يفقد وفاءه وعطاءه ولونه كلما اقترب من الارض التى مستقد عليها .

ان هذا ـ بالضرورة ـ قد خلق لديه وجدانا ممزقا ـ بين الواقع والمثال ـ موقفا متناقضا من جملها كانثى ومحبوبة ومعشوقة .

انه يحبها ويرفضها ، يقتسها ويلعنها انها اجنحة للارتفاع فوق الواقع والنظر منه ، وهى ـ فى نفس الوقت ـ قوة جذب شديدة اليه « [والسياب] فى هذا كله ، ليس منفصلا عن ذلك الرجلة الذى تطلعنا الثيار الرومانسى فى شعرنا العربى ، حين يدل ارتعاش انتصاره فى العقد الرابع من هذا القرن ، والذى كانت فى مجابهتا محاولة للخروج من العشرة الاجتماعية العلية التى احس بسيكها حوله .

ترى الا يتناغم هذا الميل مع بعض [الاتليجنسيا] الشعبية التى أفسدت ساعدها وتبا ، والتى اخذت تسعى الى غزو ذهبة المجتمع العربى ، التى كانت ضريبة بدلته الاجتماعية قد اسلمها كثير من التغير فى بداءة اصناع الطبقة المتوسطة لكل الظواهر المصاحبة له ؟

• الوجه الثانى •
(المراة ـ القفصية)

اخذ نموذج المراة [الواقع ـ المثال] فى التداخل فى شعر [السياب] فى الفترة التالية على ذلك ، حتى وصلا مع نضجه الفكرى والفنى ، الى درجتين الوحد المريح .

انه لاينظس من حلمه الواحد ، ولايسم على واقعة ملكان الحلم والواقع يتبادلان التراض الادوان .

انها تصير ارض الواقع التى تنتظر المطر وتشوف اليه ، وسماء المستقبل التى ضمنه الخصيب للماء ، ثم تعد المواقف تحلا الى الطبيعة بل اصبحت جزءا من شعوبه الحياة بفرحها وخيبتها ، بتسوتها ووعدها المرح المجنون ، ان [السياب] لايخرج ـ فى هذه المرحلة ـ قط من حدوده السابق للمراة ، بل يتجاوز ارضاعات بلحقه الصاعدة ، وهى تسعى الى تحرير نفسها اجتماعيا وسياسيا ، ويستطر باكثر معانيها سموا وريانا ، حتى وهو يعكس جرحها المفتوح كأمل ، ينز دما .

انه يعكس هنا ، تمتزج فيه الروح بالجسد ، كما تتوحد فيه الاشى بالارض ، وطبع ايمتناقضات العصر المدمية المفجعة فى بعض اجزائها ـ تقوم على ارضية ناجمة تتعرى فيها المأساة بلا حل ، لكن «السياب» كان يتحرك داخل ذلتون المرحلة ولم يكن بمقدوره ان يتحرر منه .

ان بعض المرحلة ـ التى نلف نكتة عام ٤٨ ـ كلها شعريا ذو ظلال مأساوية صيغة الثور .

بل ان رنة الفرح المتعبة ، والشراده الابل البيضى ، لم تكوا جد عيرها الا فى اشعاره ، ثم فى اشعار البياتى فيما بعد ، واشعار [جبرا] خصوصا فى [نهر الرماد] :

ها هو فى قصيدته [الى جميلة بوحيرد] يصنع من جسدها مسيح الثورة العربية ..

بشوحة الاحراف فوق الصليب
بشوحة العينين عبر الظلام
باتك كل النافس ، كل الاثام
هند مشع ساشتعال المغيب
بأيدك من وهران ـ بالزهر

(٩) (أهواء) المصدر السابق .

(١٠) المصدر السابق .

(١١) ومما يرجع الفضل فى ذلك اساسا الى الذى انجزته المدرسة التقليدية الجديدة الذى اكتسب قوة اكبر واهمية اكثر فى العراق منذ الآن الماضى ، وحرر معظم الشعر وجعلها اكثر طواعية ، وقدم خلفة لينة للشعراء الرحلة التالية .

[١٢] كانت القصيدة الاولى فعلا التى ينبنيت على وحدة التفعيلة هى (هل كان حبا) فى اواخر عام ١٩٤٧ .

يرجون مما تجلبين الطعام
والأمن والنعماء والعافية
وهو يصنع منهما جسرا بين عذابات الحاضر ووعد المستقبل :
وأنا سيتلفني المدى بالحريق
لابد سجن ويجلي طريق
ويذكي بأليلته الدافئة
محياك فالنغمة الثانية

تقولين : عند ابتداء الطريق
ونحن الذين اعتصرنا الحياة
من الصخر تدمى عليه الجباه
ومنعس رى الشفاه
من الموت في موحشات السحون
من البؤس من خاويات البطون
لاجيالها الآتية .

.. وعلى قمة هذه المرحلة ، التي تصير العذاب فيها كليا .. تأتي النقـــودة المطر ، كرمز لتجسيد جمالي وفني لها :

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر
أو شرفتان راح يرتو منهما القمر
لقد استقمت « السياب » في القصيدة الرمز النموزي الذي يوحي الى أسطورة البعث بعد الموت .

ويجيء استخدامه للاسطورة هنا من الفتح استخداماتها في الشعر العربي كله ، انه لايسرح بها لكنه يستخدمها استخداما فنيا ، مظهرا بها التناقض بين المطر المنعش وعطش الارض من ناحية ، وبين العطش الانساني وارتواء الارض من ناحية اخرى ويستخدم بناء القصيدة بشكل عام على هذا التناقض المحتدم بين صورة الهبة المتحركة باستمرار :

على هذا ، فان هناك وجها واحدا للمرأة عنده في هذه المرحلة ، وهو وجه تتهاوى تفاعيله وملابحه بالمخلوع والمشجب والمدار والمصافير الردي والصخر والحياة

لكن الحب «الحياة» الموالفيا استقبل بتعدون فيه اتحادا مريعا ومدهشا .

● [الوجه الثاني والادوات الفنية]

طبيعي ستورى المتلقد اصبح (السياب) اكثر التصاقا بخبرات الخاموس الشعرى الكلاسيكي ، التي نفخ فيها من روح العصر ما اكسبها الدفء والتوهج كما انه اصبح اكثر انتظاما للغة الشعرية وتدقيقا في اختيارها، وتكوين هؤلاء الذين تحدثوا عن اللحمة عنده ، لقد تحـــدث [الصباغ] [١٣] .

على سبيل المثال ـ عن استخدامه للالفاظ الصوتية [ـ التشيع ـ كركر ـ اجيج ـ هسهسة .. الخ] .

أما على مستوى الصورة الشعرية ، فاسيورته تمتلئ بشيمة بالحركة والتنقل «كالبيلسان» ، ولم تكن مكتملة ومدهشة «كادونيس» ، ولم تكن عنيفة « كخليل حاوى » ، بل كانت اليفة وديعة واكثر اعتمادا على الالوان في تشكيلها البسيط والمركب [١٤] .

● الوجه الثالث

يطالعنا الوجه الثالث للمرأة عند السياب في مرحلته الاخيرة ـ التي تمثلها دواوينه «المعبد الغريق» ، «منزل الاقنان» شناشيل ابنة الجلبي » ، كما لو كان شظايا متناثرة . يرتبي خلفها الف واسم من الدجمة والمأساة والخيبة .

لقي غنائيته متهمة ، نفز فيا واوجة من ذات نفدت آمالها ونبددت نواها ،في مواجهة عنيفة مع واقع يسأل من حيوتهـا نور الحياة ، لتشكل صوريتان ـ متقابلتان داخل اطار واحد ـ تظل المرأة الواحدة تتمحل كل منهما عبر تحـالف هذه المتناقضين تلك هي الصورة الاكثر شيوعا في اشعار المرحلة،انه يصوغهذين مفرداتها الانثوية الحسية ، هاتمـا شوقاوحسيا طافيا اليهـا :

تتثاءب جميلة في خلدي
فتعن مروق
عربان الثالج في أبد
تتهيء الرحلة في شروق
في ليل الضجوع ـ كل ضمى
يتحرق بلهث بتدجر
ويقبل شرك الف لم
في جسمي تتهتما سافر
واعن انوق [١٥] .

ان « جيل جسدها الليلي ، يناديه ، عبر صحارى الغربة والتيه ، يدعوه الى تذوبها الارتعشين فحت يده ، وهو يتوهم احيانا ـ انه يمزق جسدها المارى :

مزق جسمك العاوى
تمزق تحتضف الليل،مدك بين اطناري
تمزق كل شيء من لهيبي غير اسطاري

همب فيك يا امرأة ». [١٦]

.. ها هي صورة الحب لاتكتمل ، أن هناك تلوحا ، تبتى بينه وبين عيونها ارغم احتراق جسدها في لهيبه ـ أنه لايخلو منها الا الجسد الذي يرحل في اعماقه : عينا الا الجسد الذي يرحل في اعماقه : عينا يبقى شيء يريده ، ويدركه ، ولايصل اليه ابدا .. لكنه ـ في كل الاحوال .. يتزع من جسده المرض والعلة ،ويحوم حوليا من رقدته ليلتحاما :

سأشدها شدا فتقمس بي :
[رحماك] ثم تقول عيناها
مزق نهودي ضم ـ أواها ـ
رمضي ، واطوى برعشة اللهيب
ظهري كأن جزيرة الغدرب
تسري حليه يطيب رياها

ويمزج تحت يدي ويرتجف
بين المتزج والرضا رجف [١٧]

.. بمفردات صورة المرأة هنـا ، حسية [جسد ، ثغر ، ظهر ، رقده ، لدى ، ضم .. الخ]

وهذه المفردات ، تظل كعلايا كبرة ـ أو كأعضاء كاملة ، في نسيج بعض الاعمال المشحونة بدلالات جنسية تروية الايحاء، وذات وتجسيمي مباشر : [يرتعش مبزج ، عرى ، يمزق ، بعن ، يرتجف بلهث ، الطوى ، أكل .. الخ] .

لكن ، لماذا تبدو هذه الصورة ، تروية ناطقة في مرحلة المرض والغيبة ؟ هل كانت هناك نوازع جنسية حقيقية تلحن اعضاء السياب التي هذا الحد ؟ ام تراه

---

(١٣) لغة الشعر بين جيلين ـ ابراهيم الصباغ . بيروت .

[١٤] راجع فصل [التشكيل اللوني في قصائد السياب] ـ من دراسة «عبد الجزائري في الشعر العراقي الحديث ـ (ويكون التجاوز) ـ بغداد ١٩٧٤ .

(١٥) « حنين في روما » ـ ديوان المعبد الغريق ص ٣٧ .

(١٦) (احتراق) ـ نفس المصدر ص٩٩ .

(١٧) « وغدا سلقاها » ـ ديوان (شناشيل ابنة الجلبي) ص٥٥ .

كان يهرب من لسع المرض فى جسده المحتور ، الى ملك الطبقة التى يحيرها من حوله ويستغل بظلها ، ويلتذ من ثمرها !

هل كان جسدها هو الشيء الوحيد الذى يعانق منه الحياة المساطرة رغم الانكسار والذبول ؟ أم لعل جسدها قد صار عنده رمزا كاملا تتحقق فيه قدرته الضائعة على العمل والحركة والتكرير .؟.

ايا كان الامر ، فان صورة [المرأة ـ الانثى] تشيع بخرداتها الحسية المتزاوجة فى شعره ، دفئا اليفا ، وعملا دوبا ، كما انها تعكس بر الرغبة ذاته بشفافية غريبة ،ربما كان حضرها فى الماضى الذى يفوق انكار الأنات الروحية صلة :

أواه ما احلاك ذاب النورمليك وفجيعه
والليل يباه والنهار
بظل الحمى يتداح فيه ، والنبت أول
واربه

● الصورة الثانية ● (المرأة ـ الزوجة) :

تتقابل هذه الصورة مع الصورة الاولى داخل نفس الاطار ، فهما متحركان معا ، وتاريخان معا ، ويتصلان ، بل ويتداخلان احيانا . واذا كانت المرأة فى الصورة الاولى رمزا ، هسنيا ، يشكل تفاصيلة الحضرية ، ويتصل باهدافه ملتصقا فيه التقدير فى ظل وردية زوجا نه فارسا ـ فاتحا وراء استعدارة الافق البعيد :

رحل النهار ..
الدفء والراحة والقوة ، فيى هنا رمز معنوى مطابق بمشاعر الزوجة الوفية التى
ها انه الفارس تبدلته ـ على افق
توهج دون كار
وجلست تتقارين عودة سندباد من
البحار
والبحر يصرخ بالعواصف والرعود
وجلست تتقارين هالية المخاطر فى
هوار
سبعون ..!!.. فرسل السفين من المحيط
الى القرار
ويتعود لا، يجربه صارخة العواصف
فى اصرار
يستشهاد أبا العود .. [١٨]

بعد اصبح « اودسيوس » آخر ، تقاوم زوجته الرياح والازواج الشريرين

---

(١٨) (رحل النهار) ـ بمثل الاغاني ـ ص ٥ .
(١٩) (مجلة الشعر) العدد الرابع ـ المصدر السابق ص١٢ .
(٢٠) (الليلة الاخيرة) ـ نفس المصدر ص٧٧ .

حولها ، معبئة على شماع امل لديها فى ان يعود من اسار الالفة :

عشر من السنوات مرت وهى تجلس
فى ارتقاب
اطفالها المنزوين مع الصباح
صمتوا وكفوا عن سؤال
زجرتهم لتحس وقع خطاك يرعبت
الزهور

واتى الربيع وما اتيت وجاء صيف ثم
راح [١٩] .

ان صبرها لايتعد برغم انها لاتملك الا ان تختل قبضة فى مكانها تشمل الدار فى موقدها وتنتظر :

وزوجتى لاتطفيء السراج فقد يعود
فى ظلمة الليل من السفر

وتشمل التيران فى مواقدنا .. يعود
هو الما، وهو يهوى الدفء والسمر [٢٠]

وقد يلفد وجهها اشكالا اخرى ، قد يصير (شبحا وغيمة) الذى يمسح
بيه وجهه ، بو ـ تشاشيل ابنه الحب
الذى يسارق النظر من خلاله فى حيرة
الشفق لكنه هو ، هو الينتظر ، بل كانها
صايرا ، منتظرا موحده ، ان تطليعه
فى الضبابة تظل معلقة بالشفق ـ البحر
ـ السحاب ـ الافق ـ السماء ـ البرد
الرعود ـ الدار ـ السراج ـ اللهفة ـ
الخوف ـ الشوق .. الخ ، سواء
احاطت هذه المفردات بالشبابك ، او
الشاشيل ، او تراجعت وراء باب الدار
المغلق ، او انكرت فى افق الليل المدوح

● الوجه الثالث ـ الادوات الفنية ●

على مستوى اللغة ، فان الكلمات
الدارجة تجد لها استخداما اوسع
[اليلى ـ الدرابك ـ طبا .. الخ]
لكن استعادى ، لم الميح الاساسى فى
هذه المرحلة ، هو سيادة الاستخدام
الاسطورى فى صلاقدما ، كما ان للصورة
الشعرية عاصلتها الحركة السريعة لمفرداتها

● تعـــليق ● :

قد يحد المرحلة الاولى ان ذلك التحديد
والقطع فى رصد هذه الصور ، وتلك
الوجوه المتعددة للمرأة فى شعر السياب ،
يتم عن فصل ميكانيكى لمراحله التى

لايمكن لمكان ان نضع بينها فواصل قاطعة
فهى متحركة ومتداخلة ، كما ان كلا
منها تفود الى الاخرى ، وتتفدى على
الاخرى ، وتشكل معا وجمالها من خلال
الاخرى .

وفى هذا فاننى اضع احترازين :
اولهما : انني ابسك بالوجه او
الصورة الاكثر شيوعا وسيادة فى المرحلة
وهذا لا يعنى ان هناك صورا اخرى
او وجوها اخرى قد توجد فى نفس
المرحلة لكنها ـ بقدرا ـ ظاهية وصغيرة .

ثانيهما : انني اقطع الوجه او الصورة
فى فنه لحم ملامحها ، واستقرارها
وقد يكون ديوان [ازهار واساطير]
هو راس المرحلة الاولى جمالها ومليها
وذكريا ، وقد يكون ديوان [انشودة
المطر] هو راس المرحلة الثانيه ـ كن
المرحلة الثالثة تتوزع بين [المعبد الغريق]
و [منزل الاقنان] و شناشيل [ابنة
الجلبى] .

● [●]

اود ان اكرر بعضا مما جاء فى مدخلى
الى بئر شاكر السياب .. اذا كان
صحيحا انه ليس هو مقدوريوهيه ـ هيا
كبرت ـ ان تقدم بحوثا لم يبحث بعد
تاريخيا ، بل وحتى ان نصوصه ، دان
حجم الموهبة يتحدد بمدى التقاس ، الا
وهو قدرتها على ان تصنوع عصرها
جماليا وميا ، وستحتفظ ادوانها وروسائلها
الفنية الخالصة ، القادرة على عكس هذا
المضمون .

لقد تعاملنا مع السياب بهذا المقياس ،
وبهذا المقياس وحده نقول عنه انه موهبة
كبيرة .

لماذا ـ اذن ـ يبقى شعره اليها الى
قلوبنا ، حتى مع تصاعده التى ايدعها
فى لحظات مشاكله السياسى والفكرى ؟
ان القول بان صدقه الذاتى مع تجربته
الخاصة هو السبب ، يبدو لى قولا
ناقصا .

ليس هناك اذن شك فى ان [السياب]
قد توهج بعذابه الشخصى ، ولكنى اعتقد
ان ما يقربه منا ـ كشاعر وانسان ـ
انه توهج بعذابنا جميعا . ■

« هولدرلين »

أحـــدث

مسرحيات

بيـتر فايس

درامـــا العجـز عن التصـــالح مع العـــالم

نريدة القنطار

في مواجهة الموت المنوي البطيء والمشل الذي تعرض له تفريده وحلمه وحبه ، يقول الشاعر الالماني «هولدرلين» لا ، لم استطع الا انقاذ صمتي ..

كان قد التجأ الى داخله ، الى عالم تعويضي ، ضيق الافواز ، حر من صنعه هو ، عالي فيه تراتية أربعين عاميا بصبابا بالانهيار العصبي والعطش من معظم الوقت .

وعن حياة الشاعر ومعيريته ، كتب « بيتر فايس » مسرحيته « هولدرلين » التي نعرضها هنا .

تتم المسرحية في فصلين عن سبعة مشاهد مع مقدمة وخاتمة ، يلعب فيها الراوي دورا اساسيا ويجانبها «فايس» الى كافة الاشكال والحيل التي استخدمها في اعماله السابقة ، مضافا اليها لغة شعرية راقية تستلهم من عالم «هولدرلين» نفسه روحها وقدراتها .

الراوي واسطة تنقل هموم عالم المثقفين والمفكرين الذين يعاني جلهم الشاعر معظم الوقت ، الى جموع العمال الزراعيين والصناع الذين اختارهم « فايس » في البدء شهودا للحدث لا مشاركين فيه ، يحاقين عليه اجزاءه بله ، ولكنه يجعل منهم امثالا اساسيين حين يتم « هولدرلين » لاستدقائه جزءا من مسرحيته « ليجندكلينين » وهم يشكلون كذلك « كوريس » شعبيا للتعليق على الحدث وتشبيه والمشاركة فيه بهدف توضيح هوية الجمهور الذي كان يريد هولدرلين أن يتوجه اليه حين كتب هذا العمل مبشرا بالثورة .

في البدء يتصفحنا هولدرلين « الا نسقط في الاحزان » لان هذه المسرحية لا تعالج فقط سقوط « هولدرلين » ولكنها تقدم لنا مأساة مثالية عصفي عنه نفسه بأن يحسبه « واذا كان العلم قد خانته الظروف ، فان شاعرنا قد خانته الظروف ، فان شاعرنا قد

شهد سقوط البشتيل وفي كلمرا للاخاء ، والتقدم المجوعة ، لنقول ان هذا الشاعر الجميل « لم يحقق فيما من ان ذلك الزمن ما زال محددا ، الزمن الذي صور تعدديته واخوة متعذبين».

يقع المشهد الاول في حوسة اللاهوت [في جامعة توبنجن بالمانيا] التي تضم عددا كبيرا من طلبة العلوم وكتابه ، ويتخذ لحظات ذات دلالة عامة في حياتهم وملامحهم ، بالثورة الفرنسية على الشعداء وينظر اليها الطلاب بأمل، بينما تراقبهم العيوم الفلسفية والروحية لعصر صاحب .

« .. وهذه القصة تودعنا الى عصرنا ، طالما كل هناك رجال مثله» يحاولون بدورهم مقاومة الظلام والالم والعذاب » .

ويحدثنا هولدرلين مع ذلك منذ الاستغراق في الترجمة « رغم ان العلم في حياته كان اضطلاعه » .

ثم المدرسة لاستقبال الدوق حاكم الاطاعة وزوجته بينما يشتغل الطلاب بمناقشة جوهر الحرية والطريق الى تنوير العالم، بينما يتقدم « سنشكير » ليكتب على الحائط « يسقط الطغاة ويحيا ١٤ يوليو » وتدور مناقشة طويلة بين «هيجل» و «شيلر» الفيلسوف والشاعر المغمور ، الحالمين تماما بمثاليتهم واختياره ذلك البعيد الذي يجعل حياته مسيحة مسالمة بينما « هولدرلين » ان يعيش مثلهما ، ولكن « بقربه

الرقيبة في اختيار ما هو يستحق على الحواس » ؛ يدعو «هيجل» الى قيام دولة يقودها العقل ، ويستغرق طويلا في مثالية الفلسفة والموضوع « الانسان والكون » وحين يسأل ليقدم التعميس المؤمن حوالك بقول « هيجل » ان ارقى تجسيد له يقع في الانسان ، ولكن القس يؤمن أن فيه عنصرا خارجيا يوجد ويعمل خلق كل ما يراه ، ويصادق « شيلر » سنشكير غدا حينما تسمعد لزيارة الدوق !

ويوضح ستكلير الثورة بالشريط التالي لأنهم سوف يرفضون هذه الزيارة بينما يواصل كتابة شعاراته المؤيدة للثورة . حين يخطر بحور الجلجمة تبتدىء «ستكلير» انه هو الذي علمهم دوسو وحطمهم كثيرا من حقوق الانسان ليلوس المذب « أن التعليم والمعرفة حصن يحطم ذلك الصود شيء » وما نحن فيه الآن شيء آخر ، ولا تنسوا أن الهوى ينحق عليكم هنا » ، وذلك هو الدافع الذي يربط — بالجذور الاولان الغراء والاولال لمناوأة الثوار الفرنسيين .

وتمثل الجامعة بالجوزيسوس الذين يحدون تقاريرهم ضد الطلاب الشغاشغي والثائرين الذين يرون أن زمن تأييد الثورة بالمواقف الجبانة وحدها قد انتهى . فالمصراع بين فرنسا صراع حياة أو موت وبعد ذلك يقول « هيلر » :

« علينا الآن أن نحيى محرارة الرجل الذي يسرق قوة العمل » ويرى «هيجل» أن الخير يمكن أن يقوم — لا بالعنف — وانما بالتعليم لمستير الصور وتعطيها على الموكب المهيب للروح داخل هيكل : علينا أن نحطى ابتناءا لهذا الصيد. ومن أجل خدمة مراسخ يفقدون حياتهم» .

وتضع هذه الجملة الحادة المفلوطة التناقض بين الهوى الفلسفية والبرجوية العميقة للطالب والفرانسيس والخبراء ، وبين الرؤية العملية المباشرة عميقة الدلالة للناس الذين يدفعون الثمن الفعلي كل يوم ، والذين يحدون من خلس الواقع يسير الاحتمال يقوم فيه الهدم ثم يتقدم « ستكلير » ليهتف بحياة الجنود الاقدار « الذين ناصهم الموت ليوبتدوا » فوق تتابع هي وسريع يخرض للاستجواب. يلتقطهم أيام زمالته في حين يكتشف الموق شعارا كبيرا على الحائط « تحيا الثورة » ، وعند العراقصة يقول لدير الجامعة أن يحول ذلك الاسم فقد ثلجت الحبارا تقول « ان بقاءا جاهدا وارستقراطية مسحوب لطمن « براءا» الامير مختبر » .

ويختم هيلر خاتما المشهد راسما حلم الثورة الفرنسية الملك الاوان « ان من يريد أن يحقق للانسان حريته بالثورة لا يحق له أن يستريح الا في القبر » .

تبعدا رحلة «هولدرلين» من أجل تأمين عيشه ، فيصل مدرسا « لفريك » أو « هتريش نون كاتب المحارب الارستقراطي الذي » يحب أن يزرع علم بلاده على أراض جديدة يفزوها جيش المثليا » فيو يهوى الحرب » وشارلوت زوجته وصديقه « شيلر » يحب الشعر « وهولدرلين » . وثمة اتصال كامل بين مالهيما . أما الطفل فهو مصاب بحالة من الاضطراب العصبي يدلجه هولدرلين بالشعر الذي يكشف به عن الامراض السقلية البريئة للفتى — الذي

دخل الثورة لذة — كجزء أحشائي من اللعبة المدرسية .

في خضم المشهد تتتابع حالة من الهيجان العظمى تكون استدادا لصراعه الهائم في المشهد الاول منذ الشاب الصدى الباكر — الذي يحدد ملامح الصالح الخارجي ، وفي المشهد الثاني الصاب الروحي المجرح والذي يضيء لنا حالة الداخلي محكما على كافة ملامحه ، وسعيه المتصل لوصل «الحالين واذا كان قد فشل واعطب حاله « لم يفقد اليقين في صديقيل. فضل الانسانية هي في قلب وحدته الروحية المتعبة ، وثمة علاقة حميمة بين الانسان المتعبر في السماء المفتوحة بين الانسان والحرية «هولدرلين في بحثه داخل الصبي « يربط » ص الانسان الحقيقي الكامن والمرء» يجد ان الشعر الوبتغي (الشعر الذي كتب « تحت سماء مفتوحة » ، في علاقة حرة بين الانسان والطبيعة هو الطريق الى الانسان الحقيقي داخله » ومن قبل الشيء هي سيعون وجان بول مرة تحت سماء مفتوحة لا حدود ، لكن ثمة خطر أن يذهب « هولدرلين » بعيدا جدا في توغله لبلد الاوثان .

في المشهد الثالث يكون هولدرلين « قد شرك » منزل « لوين كاتب الى مبنا بن رفيقة شيلر الذي أحب شعره وقدمه الى الحياة الثقافية ، يلح الشاعر على حاجة العالم المضطرب الذي يعيشون فيه الى رموز توازي بين تصرفها على الاياء والمتفرقة والعدالة في العصر « فلك التي خلقها الاغريق ، ولكنني لا أحب سماء العودة الى عالمهم » .

ويربط سعيه الروحي هذا بثقته الكبيرة في فعالية الفن صلاحيتي انتصار العظيم من اجل وجود كريم للانسانية وهو يدعو بثقته الى زعزعة اركان العالم القديم والانسحاق في هذا العمل الكبير للانسانية . وفي هذا المشهد الذي تقع احداثه في « بيلنا » يلقي هولدرلين جوبته دون أن يعرف عليه ، ويرى شيلر انه لابد من تغيير الانسان أولا قبل تغيير البناء الاجتماعي » .

يقول هولدرلين « لا ، علينا أولا أن نطلب العالم راسما على ضوء حتى يستطيع الجديد أن يولد . « فالتشويه الذي يبلا العالم يجعل التأجيل لذه لايحتمل الناجيل لحرجة دقيقة بالشاعر الذي حمل كل ثقل عصره الى الميدان الروحي والعملي — الى جنون ما » .

في المشهد الرابع يستبع الى محاضرات ليشه سع حد كبير من الطلاب والكتاب» وفي مواجهة الفكر الثوري الذي يدعو اليه فيخته ، وهن بناء دولة هادئة يدعدي عدد من الطلاب الغوميين ليعرض رؤيته العصرية لصمود الثانية وشعارها هو الجنس الانساني وضرورة التضحية ،

وأرسطو كل خطة بالمحافظة على الثروة للاثرياء .

وفي المشهد الخامس يحمل «هولدرلين» حريصا من جديد لدى أسرة « جونتار » وهناك يحب سوزيت ، ويباح له ولنسا في هذا العالم الرأسمالي الذي يتزايد نموه ويعد تفوقه الى المستعمرات كبيرة يكره بضاعته ، ولكن سوزيت تحبه وتكره هي أيضا هذه الحياة بينما يقود هولدرلين خطاها لاكتشاف « الجمال » الحقيقي وتذوقه والسعي اليه ويقيم السيد جونتار احتفالا كبيرا بمناسبة كبار الرأسماليين وبعض المفكرين والكتاب استكمالا للديكور ويتشد « جوته » و « هيجل » كل على طريقته اصلاحا سافي الحياة « جوته » عن طريق نقدم التعليم والصناعة «وهيجل» من طريق اعطاء الطبيعات الفقيرة معنى الامن بهدف الدوار النظام القائم ، بينما يلقي « هولدرلين » أسرا مأساوية في أصل المطبخ ، وهو يتبنى وجداتها وعاطفيا واجتماعيا الى النفس الفقراء والمضطهدين» عمالا ، وعاملات ،وأسفاء

ويطرد هولدرلين مرة أخرى من حمله وفي لحظة سب سخية «الجوع والشوق تطلب سوزيت الى أخفيا ، أن تطلب اليه لمقاها مرة كل شهر تحت شجرة الكستناء .

في هذا الاحتفال الذي تتبنى على الثروة خطية « هولدرلين » يتسع « فايس » المدعوين ومكان القصر الكبير الى ثلاث مجموعات ، وأسفل منها تتشكل المدينة الذي يختصر ويكشف الدرشة البورجوازي الاجتماعات المتفرقة ليعلم الفارغ» والمتعلم الجوهر الاساسي لعالم كل منهم بلغة شعرية راقية عالم الصالون والوسوسة الرأسمالي والاستعماري « دوا تباها ترتفع الاسم على برجستا » .

عالم الثلاثيان والسخط الشعبي الذي يعبر عنه العمال بادراكهم لتكرتهم وضرورة وحدتهم ويعبر عنه شيد المشهد تالثا :

«قفه وأسمه هي أوروبا كلها وأميركا الا تلقى جميعا بشباكها حول العالم لتفرج العبيد والفورات

وتزرع وكرا في كل مكان ، يرى فيه قطاع الطرق والقصوص ليحكموا بالنار، وقيفة السيف والصليب »

وتجرى احداث المشهد السادس وبداية الفصل الثاني في « هيلبورج » حيث يستضيف «هولدرلين» عددا كبيرا من أصدقائه ليعبرا عليهم بسرحيتسه « ليبيدوكليس » وهنا يلجأ بعز فايس الى مسرح داخل المسرح» هذه اللعبة التي لاتتقد أبدا قدرتها على التأثير ، وفي الوقت الذي يساعده ذلك على مضاعفة تأثير الفرجة المسرحية انه يدفع « هولدرلين » الى اختيار لحظته من بين العمال والصلبات «الاوضح هوية التنفس المتبرنفس الهيبريون وجوهانم» « ليبيدوكليس.

تحدد جنسية «دولدرلين» البطل الثوري ، البطل الذي لم يستطع حوله يكونه ، « وأعيده كليمس » هو كل ثوري حقيقي يكره ترميم الواقع الكريه ، ويرفضه لانه يأبى أن النفس تبقود من جبال حالة المخطل الان ثوري ، المصري حب ثورة عارمة وحين يسقل الكوروس «دولدلين» في أي عصر تقع أحداث مسرحيته يكون على خبرة بالحياة علم والان أيضا .

الكوروس فلماذا هذا الايقاظ في القلم زمانا ومكانا ؟.

لان شخصية أسطوريه ما
لابد ان تظهر الى الوجود
في ساعة الى تطلق صيحة عمر
الثورة الكبرى التي تشعل مع ذلك في
قلوب الناس مؤقتا ولانه لابدمن شخص
ما سلم هذه الساعات كي يتذكر
وبتمونه الكثر ، ويصير سالاحادو الخروج
على الذين كل من يؤويه او يسمح اليه
او يغيره على غيره شعلة سد الموت .

ويتساءل احد احفاد الشاعر ، هل كان البطل الثوري وحيدا ، وهل كان أصدقاءه يرون ان الزمن لم يكن ناضجا بعد للعمل الثوري .

ويطلق الكوروس قائلا ان شبانا وشابات كثيرين على استعداد للحاق به أينما كان ومن أي وقت ، وهنا يصل هولدرلين مصره بمصر أمبيدوكليس الاسطوري ويصلهما بأمس بما وبمصرنا .

وتتصل « الحدوتة » بغرفة الآلهة الناس حيثهم الابنة لباخس بالغورة يعلمهم علي يدها سنغير أصعب ، وتأخرون يواجهون الجوع والعطش في الجبال الوعرة .

ويتدخل هيجل قائلا ان شخصا هكذا
لايصلح لقدوة للشعب فيرد شيللنج « انا
أرى ان الفن وحده يسمح لنا بالتفكير
الكامل الشخصية » .

ويتدخل « هولدرلين » قائلا ان حياة « أمبيدوكليس » للقضاء على الطغيان قد تردعت احداثها في مناطق كثيرة ، وتدرد العبيد ، وتردعت الحكايات في مناهج الفضة عن جيش مظيم يتجمع في الجبال . ويتدخل أحد المحاجزين قائلا ليصل العصور والمعاني علينا أن نذهب نحن لنساعد الثوار وننتظره . فيدعو « هولدرلين » الجميع للتنظس من هذا الرهط الصايت بقعيدي ، وكانتاهوا أن يساعدكم احد قبل ان تساعدوا أنفسكم ان لم يفعل أمبيدوكليس غير هذا ، فاختاروا رأيكم ، وضعوا أحداثكم على الطريق ، ويعلق الراوي على انتهاء المشهد تاليا فظل هولدرلين وحده يتأمل المصير الذي عاشه » .

ويتحد الكوروس ..

تالوا طويلا
ذلك النداء القاتم عن أعماق الصمت
من الجبال
وطابقوا أنتم أنفسكم
بين القول والفعل

في المشهد السابع ينتقل هولدرلين الى « ميتشس » الاعراقي العصبية وليكون هذا المشهد امتدادا لحملة الاشهار المحتوى التي لاحت بوادرها في الفصل الثاني ، ويبشعي الطبيب مرضه قائلا انه فقد القدرة على التراعس وكان قد عاد من باريس بعد ان انحل بالجمعيات السياسية السرية ، أيا أعلامه ورؤاه كلها تتعور في عالم اغريقي كامل ، وهو لم يتمثل تماما عن ابداعه وعن الاشياء التي احبها اكثر من غيرها طبقة هيرد شعر الاغريق وحضارتهم وفي هذه القدرة كتب « هولدرلين » واقعيا كثيرا من اشعاره ، في هذا المشهد يعرض لنا في شريط سريع تطور علاقاته برفاقه ونموهيتها وطبيعة الزمان الذي اصيب فيه بالجنون : ويقول له ستكفير صديقه العميم الذي نراه في هذا المشهد وحده مرتين مرة بكلا بالحديد ، ومرة أخرى يقول رد الهيه اعتباره .

« انا ارى في جنونك لغة اختبرتها
انك لاسباب مؤلة » .

وفي المشهد الاخير نرى «هولدرلين» وهو يعمل لينا لكتبه ، يعيش في عالم رؤاه الخاصة . ويزوره كارل ماركس الصحفي الشاب زيارة طويلة يحدثه فيها عن عصره عن الثورة أو عن تأخره الميؤل يشعره ، ويعد أن يسلم طويلا الى ما يحس يقول له :

« شئت كل اجتهاداتي في محاصلة
بقي داخلي من العالم الخارجي ..
وكنت شعبية تقوى لم يكن في حاد من
مواجهتها .. » .

ثم يقدم له نسخة من مسرحيته لم تنشر ولم تعدم قائلا :

ضعوفقط الكوابح أمامي في التهلية

كانت احداث ١٨ في فرنسا وأوروبا هي الخلفية المأساوية لمسرحية « انيس » هذه التي اسكر فيها الصوار العميق بين العالم الداخلي لشخصية فذة ، وليجل بكبله وأحلياته العالم الخارجي المحيط والمؤثر بكل مراحاته وتقلباته ، وهي صفحة المأساة التي وتحرك فيها « هولدرلين » واصدقاؤه ينعكس الحاضر وتتنقل الى جامعات ثوبنجا « وتوبنجن» المعاونات الماصفة التي شهدها جامعات ثرنسا اثناء هذه الاحداث ، ولكه يسجل ايضا هذه الحقيقة في مقدمته الصغيرة .

« اذا كانت المسرحية تعالج بشكل
اساسي البنية الفوقية وتتيرعب على
بعض الشخصيات البارزة في الفنون
والعلوم ، فان دخول العمال لاند ان يردد
صداه بقوة في مصير اسس المجتمع
نفسها » .

● مزيدريك هولدرلين

فريدريك هولدرلين شاعر ألماني كبير [١٧٧٠ - ١٨٤٣] درس اللاهوت في جامعة « توبنجن » ، وكان يكتب الشعر حينئذ وقدم مخطوطا لرواينه « هيريون » وتذر له «شيللر» بعض الشعراء ، وقدمه ليصل بدوره لابن شارلوت فون كالب . رجل «هولدرلين» بعد ذلك الى « يينا » لتدايع محاضرات فيلخته ولبكون قريبا من «شيللر» . دفعته الثقة ، في سنة ١٧٩٦ ليعمل مدرسا لدى اسرة احد كبار رجال البنوك من فرانكفورت ، ووقع في حب صبق زوجته سوزيت جونتار ، الموهوبة الجميلة التي أصبحت بعد ذلك « ديوتيما » طلبة روايته ويحكي أشعاره ، وقدمت الفرة الزوج الى انهاء خطبة الشاعر الذي اصابه حزة عطبة وحصوبة شديدة ، ومع ذلك أنهى هولدرلين الجزء الثاني من روايتيه «هيريون » التي ظهرت في سنة ١٧٩٩ . وجثته أسرته معد ان لاحظت عليه بوادر الانهيار العصبي على الذهاب بعد سويسرا ليعمل من جديد معلما لدى احدى الاسر ، وعاد في سنة ١٨٠١ .

وبعد محاولات كثيرة يعطى بمنصب استاذ الادب اليوناني في « يينا » في خلال فصل شبار ومساعدته ، ولم تفلح دعاد معها في بوردو بفرنسا ، وباءت جونتار بعد ذلك بمرض نعاد الى وطنه من فرنسا بالمها وكان في حالة عقلية خاطرة وفي نطقات الشفاء الطبلةكتب العديد من اشعاره شعاره وارقها ، وشعر احمداده معظمها بعد اصابته بالجنون وكان قد أتم ترجمة « انتيجون » وأوديب لسوفوكليس ، وكان « سنكفير » صديقه الحميم قد حصل له على وظيفة أمين مكتبه .

وكان « سنكلير » يرفض أن يصدق أن « هولدرلين » مجنون ، وأصوره الحظ أعتقل وسجن بتهمة الخيانة بمؤامرات مديدة وحين خرج عن دوره تصالة «هولدرلين» الذي وضع في مصحة في توبنجن حيث توفي في يونية ١٨٤٣ .

يعد « هولدرلين » واحدا من اعظم شعراء المانيا تأثرا «بشيللر» وكوبيستوك في شبابه المبكر ، وتخلص من تأثير «شيللر» وشخصيته الطاغية بعد رحلته «ديوبيما» وترك الاوزان الكلاسيكية . وكان عشقه العميق ليونان قد اجترح بنوع من الرؤية الكلية الطبيعة ذات طابع تبؤي ورغم الفلسفة الجمالية الحماس القديم ليونان القديمة في « هيبريون » نقيا لانتارن ، بالتأكيد واغنياته الدينية التي اجترح فيها الالهام الكلاسيكي للروية المسيحية . ■

لوسيان جولدمان

نحو دراسة اجتماعية للأدب

د . نادية كامل

في تصينا لمذاهب النقد الأدبي نلتقي ـ من حيث تقييم المناهجين ومحاولة القاء الضوء على مفاهيمها ـ بتيارين كبيرين من الدراسات كان للفكر الفرنسي اسهاماته القوية في كل منهما .

يعد التيار الأول الاتجاه الذي واجه النص الأدبي ـ نثرا كان أو شعرا ـ باعتباره الى نفسي المحاول الفنية المؤلفة في عملية الإبداع الأدبي .

أما التيار الثاني فيعد انصاره أكثر محاولة وربط النص الأدبي بالبنى الاجتماعية التي ينتمي اليها الكاتب ويدور في فلكها .

ولئن كان تيار التفسير الاجتماعي للنص الأدبي هو الذي يختص له الصفحات التالية الا اننا سنبدأ بتبيض الانطباعات حول التيار الأول من خلال ما وجه اليه انصار التفسير الاجتماعي من نقد خلال التنتائج التي قد تترتب على التعويل كثيرا على المقومات الذاتية في العمل الأدبي ، ثم نخلص الى الموقف امام الآراء التي أدلى بها واحد من ابرز انصار التيار الاجتماعي في تفسير الأدب من النقاد الفرنسيين المعاصرين وهو لوسيان جولدمان (١٩١٢ـ١٩٧١) .

ان التيار الأول الذي يتجه الى ادراج العمل الأدبي في السيرة الذاتية لكاتبه يعجز عن ان يكشف سوى الدلالات الفردية لذلك العمل وعلاقته بالمشكلات الخاصة بحياة المؤلف دون ان ينجح في ان يسبر ارتباط العمل الأدبي بالبيئة الحضارية التي نبت فيها ، ولكن لسوء حظ كاتب مثل باسكال من خلال ملاحظاته باخته على سبيل المثال فكم من الرجال الذين كانت لهم علاقات شبيهة ، فهل كتبوا ما كتب باسكال؟

ان التوصل الى التفسير الصحيح للعمل الأدبي يكون على الأخص بتحليله من خلال الوضع التاريخي والاجتماعي الذي نبت فيه عملية الكتابة ، واذا أردنا الاستعانة بالعمل الأدبي على المستوى النفسي للكشف عن مدى ارتباطه بالعصر الذي بدأ فيه ، فذلك يكون على أساس ربطه بدوافعه . بالبيئة الحضارية التي ولد فيها والبحث في ثنياه عن بواعث ما فيه من أمل وتطلعات ورغبات هل الواقع المعاصر للكاتب بفوضاه الرائعة الجائرة ان تلقى الاشباع ؟

وقل سلوك النفسي ـ على حد قول لوسيان جولدمان في مؤلفه [نحو دراسة اجتماعية للرواية] ـ هو ادلاء بلجابة تهدف الى ايجاد توازن بين الانسان والعالم المحيط به ، وهذا التوازن لا يمكن الا أن يكون موقتا ومعلقة الى حلول تبدو فيها كحركة التاريخ الاجتماعي التي لا يبدأ فيها قرار ، مما يستطيع ابقاء الواقع الاقتصادي والسياسي والثقافي الذي تظهر فيه الأعمال الأدبية ما يستطيعه من دراسة تعين على التعرف على التوازنات التي تهدم وتلك التي تتجه الانسان نحوها .

واذا نظر الى العمل الأدبي من زاوية الفرد الذي كتبه فان الجزء الأكبر من العمل يظل يحمل التفسير ، اذ كيف يمكن لفهم العمل الأدبي ان نتوخ الى تحليله على ضوء بعض الشواهد المنتزعة من حياة مؤلف لم تكن تعرفه في حياته وحتى اذا تأتى لنا ذلك فان الصعوبة تكمن ان توصلنا اليه هذه المعرفة مجردة مجموعة من الانطباعات لا يمكن ـ على أحسن الفروض ـ ان تدخل في عداد النقد الانطباعي . فهل يمكن لأي دراسة نفسية ان تقدم انتاج رائعين من المسرحيات التراجيدية وسبب عدم كتابته لمسرحيات مماثلة لمسرحيات موليير مثلا ؟

لذلك كان لزاما أن يلجأ الباحث في تفسير الأعمال الأدبية الى محاور وموضوعي يستخلص عن طريق ربطها بالجماعة أو الجماعات التي ينتمي اليها الكاتب وتقريبا للأمر من الأذهان نفي حالة رأسين لو كان قد عاش في وسط غير الذي عاش فيه ولقن من المعارف غير ما لقن ، ولكان سوف يكتب تلك المسرحيات التي كتبها . ذلك لأن ايديولوجية العصر الذي عاش فيه ، وهو القرن السابع

هكذا يتعلق ويتكيف ، ليتفاعل كثيرا على مبارحة هذا الكاتب لعملية الابداع الادبي .

ان العملية النفسية المعقدة التي يولد من خلالها العمل الادبي ترتبط بالتجارب الكاتب الى عدد قل او كثر من هذه التجارب المختلفة من اسرية ومهنية وتوظيفوطبقية وغير ذلك . وتؤثر هذه التجارب على تطورها المتنوعة على ضمير الكاتب بصورة في ايجاد بناء داخلي فريدومحدد التجارب التي ارتبط بها الكاتب تقصر بالضبط من خلالها العمل نفسه ، موضوعيا بحيث يمكن ان يقال — دون ان نجاوز دون ان نجاوز على الحقيقة ان العمل من خلال المؤلف هو الفاعل الحقيقي في عملية الابداع الادبي . وليس المؤلف كما يذهب بعض انصار التفسير النفسي او الذاتي هو صاحب الابداع الادبي المستقل تماما .

على اننا عندما ننسب العمل الادبي الى التجارب لم نضع في الاعتبار ان الكاتب الجماعي ليس حقيقة اوليه ولا حقيقة ذات كيان قائم بذاته ، بل هو يتألف ضمنا من السلوك الشامل للافراد المشاركين من الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية وغيرها من نواحي الحياة الاجتماعية .

ان الفرد باعتباره فردا ليس بامكانه اصلا ان يدرس وحده بناء مقابلةلماسكا ومرتبطا بها يمكن ان نسميه [رؤية للوجود] ان طل هذا الفناء لايمكن ان تشيده الا جماعة ، وكل ما يقدر عليه الفرد هو ترجمة او تحويل هذا الفناء التصوري الى مستوى الخلق الادبي .

ولكن هل يعني ذلك ان هناك روابط بين مضمون الاعمال الادبية ومظاهر الحياة الاجتماعية — وهل بالتصر التفسير الاجتماعي للادب على التماهدة الروابط؟

يقرر لوسيان جولدمان ان الدراسة الاجتماعية للادب،عندما تتجه الى البحث عن روابط المضمون تضع بنفسها الخصومة الجوهرية ذاتها للعمل الادبي . وانتجع الدراسة الاجتماعية للنص الادبي على اساس من علاقة المضمون الا كما كان الادب موضع الدراسة اقل قدرة على الابداع الادبي بما يجعله يقع بوصف الواقعيعلى باحو عليه دون تحوير تجربته المباشرة .

واذا وقفنا عند الاعمال الروائية التي شغل لوسيان جولدمان بدراساتها على الخاص فاننا نجد ان بنى العالم الروائي تواكبالبنى الفكرية والوجدانية لبعض الفئات الجماعية .

وبمن خلال علاقة المواكبة هذه تتبع امكانية هائلة لفهم عملية الابداع التي ولذلك ان الجماعة او الطائفة الاجتماعية توجدعبقرية اعضائها، الى اجيالمتعاقبة المشتركين الحياة المذرة ،وحتى اذا تنوعت بعض جزئيات هذه الاجابات من مضمو

الى مضمو اخر في الجماعة ذاتها، فالتشابه العضو الواحد في العديد من الجماعات التي لا يشتركه الاعضاء .الاخرون في الانتماء اليها ، وتتألف من هذه الاجابات المتكاملة « رؤيا للوجود » تمهد لها وتشيدها لبنة لبنة الجماعة الفاعرة وحدها على ذلك . لذا ابتدعت تروجة الكاتب مثلا تصوريا متكاملا يتجاوب مع مجموع الاجابات التي تتجاوزهاالجماعة كان،مثل الكاتب مثلا ادبيا جديرا بالاعتبار ومن هذا تبين العلاقة الحقة بين الفكر الجماعي وأعمال الابداع الكبيرة في الادب . وهي علاقة لا تتجلى في«تماثل المضمون» كحسب ، بل وفي « تماثل البنى » على الاخص فليس العمل الادبي الكبير اتعكاسا للظواهر المباشرة للحياة الاجتماعية بقدر ما هو محوّل يسمح بادراك المعاني الموضوعية الخافية ولهذا عدت الدراسة الاجتماعية للمضمون كافية ومقنعة عندما تنصب على اعمال ادبية محدودة الفنية لذا واجهت الدراسة الاجتماعية حلا من اصعل القيم الادبية وعدت الحاجة الى الالتفات الى قبل هذه العمال الادبية لاتقدم تحليلا تفاصيل واضحة على تقدم على الاخص رؤيةللوجود .

صحيح ان الفسائر الفردية تتأثر على نحو او آخر بكل الجماعات الاتصالية التي تنتمي اليها ، الا ان بعض هذه الجماعات دون سواها هي القادرة على بلورة رؤيا للوجود ، ومن ثم على ان نمارس تأثيرا عميقا وفعالا على عمليات الابداع الادبي . وهذا يعني ان الباحث الذي يريد ان يعطي تفسيرا مقنعا للاعمال الادبية ويضاعفتلك التي ترقى الى القمة يجب عليه التمعي الى ربطها بكائنات جماعية تتجه — من خلال مجهوداتها للسيكشات البيوعية — نحو رؤيا شمولية للانسان . ولعل «الطبقات الاجتماعية » كانت ولا زالت من اكثر التكثفات الجماعية التي تتطلب دراسة الدراسة الاجتماعية للبنى الادبية لعدم تلك الطبقات على غرض فرؤيا للوجود» من وجدان افرادها .

وليس معنى ذلك ان جماعات اخرى جزئية مثل الاسرة والجيل والعليم لاتؤثر على مشاعر افرادها وبالتالي على ضمير الكاتب ، ولكن هذه الجماعات لن تاتي بما الا ان تصيرمحض العناصر المشتتة للعمل الادبي دون بنكه الاساسي .

البطل المشكل

في مجال تحصي فهم الاعمال الادبية من خلال المفاهيم الاجتماعية يسجل لوسيان جولدمان ان الحركة الرومانتية في الغرب قد بدأت بقيام تجانس بين التركيب الروائي وبين تركيب «المجتمع المركنتي الحر» والعلاقة في «الاقتصاد الحر» .

ثم يظل الروائي بين الرواية وذلك المجتمع في تطورهما الى «المستقبل » .

ويتسجل ترجيحان جولدمان ان الرواية يجب ان تهتم على انها تحمة استخدام يقوم به « بطل مشكل » عن المجتمع الصحيحة في عالم متدهور ، وهذا «البطل المشكل» سال مخفق لانه يرفض ان يكون مثل الاخرين ، ويأبى ان يضاع للامر البطلة السائدة ، ويحفي متمردا على قواعد السلوك التي صير عليها المسلادات الاتصالية في عالم من التكثيفات البقية . ولذلك نقد جعلى الطبل الروائي في اغلبه الاحوال بانه المطه او خارجا من القانون مستحقا للعقاب .

وعلى ضوء هذه العلاقة بين البطـــل والعالم أمكن التمييز بين ثلاثة انماط من الرواية ، فهناك من الروايات ما يبغي فيها البطل يعيله العالم المتدهـ المحيط به بفكرة مثالية تستند في « تلمست قيم » وهناك من الروايات ما يعرض فيهـا البطل من العالم الخارجي المعلن وغلوة سلبية تجعله يرفض المصالحات التي يلوح له الاخرون بها ، وهناك ايضا من الروايات يتبدو فيها البطل غير مرتفق لمسالم الملابسات الخارجي وغير متعل من التدرج الضيئي للقيم الى الوقت ذاته :

ويمكن ان يتضح من ذلك ان البطـل المشكل في تنصيه من القيم الشرعية في عالم منحل ، محكوم عليه ، بالانعدل او الغربة » . وقد ترجع الغربة الى سبب خارجي من العالم الروائي الذي يحترك بين جنباته ، مثلما ترى في « هون كيشوت » لسير فانتيس حتى سيطر على البطل عروسية غريبة عن العالم الجلده الذي يمارس فيه شهامته .

الا انه على الرغم من هذه الغربة التي يلقى البطل فيها نتيجة تقصيه من قيم صحيحة في عالم غير صحيح فان الرواية من خلال هذا التقصي ذاته معملة تاريخ اجتماعي . وذلك ايضا وعلى الاخص لان الرواية كعمل ادبي تتقدى تحويل . مايكون في وجدان الروائي من اخلاقيات مجردة الى وقائع ومواقف . وبن هو كاريء للابطال على الدوام التقليل على ان العمل الروائي يعكس الى حد كبير او صغير صورة المجتمع في العصر الذي كتب فيه ، بل ان الرواية التي نلمست فيها بعيدا عن التعديد الديالكتيكي واسهم فيها كتاب يخشون بشتاع متنوع يغرب بجذوره في الحياة الاجتماعية اصبحت اكثر الاشكال الادبية تعبيرا عن محتوى العصر .

واذا كان هذا هو حال الرواية فان بالامكان ان نفهم كيف يظل التجانس وثيقا بينها وبين العلاقات البيوعية في مجتمع يعتمد على قاعدة الانتاج من أجل السوق ، حيث يصرف الاهتمام الى الربح وفي على صعف كل القيم الاخرى . فحتى شواغل الاستغلال على اعتبارات اشياء،للانسان من عاملات بخروعة ، وازاء سيطرة الجنس الجارف الى الربح وأي ثمن ٪

والى متناقضة أركام الحقيقة وتنصب العائد نقد ، تشبي النهية الاتصالية غير الشرعية صلصة الكلمة الطبيعي الكون المطابع ، ممارسة عشائها على المستمر لأبدائة القيم الانسانية ، أو على الأقل افرادها في سيدات عديق .

وفي خضم ذلك الجمع التفسير من الشخصيات الوائقة يظهر « البطل المشكل » ممثلا في كل من أولئك الذين لا تزالون يدافعون ذلك القانون اللا انسائي المستعد بالعلاقات الاجتماعية ، فيصبح الوجود بالنسبة لهم مشكلة في خضم مفاوضهم ومراهم من أجل القيم الاصولية التي صارت في المجتمع المستحدوس مدحورة متحسين من الجوهر رافضين الانخداع بالمظهر أو بالوهم والعلم كما يسميه واحد من كبار الدارسين الاجتماعيين للأدب في النقد الفرنسي المعاصر هو رونيه جيرار .

واذا درست الرواية على انها الدرجة الأدبية للحياة الاقتصادية وانعكاساتها على العلاقات الاجتماعية ، فانه يتبين ان الصبر الجماعي في المجتمعات المنتجة من أجل السوق يفقد تدريجيا كل ملامسة انجابية للحقيقة ويتحول الى مطلق لما تمليه عليه [1] .

على ان لوسيان جولدمان يبقى آراء تلك ليست من كثيرة تحقق التلاقي بين الشرعية والتعبيرات الادبية في مجتمعيهري فيه هذا التلاقي خارج الصبر الجماعي ، ويقرر في هذا المعلم انه على الرغم من أن تكديس الاموال والاستحواذ على المناصب الاجتماعية قد أصبح قيما ملفتة في المجتمعات المنتجة من أجل السوق الا أنه يظل في ذلك المجتمع من الكتاب والفنانين والفلاسفة والمفكرين من يمثل قيم نموذج « البطل المشكل » كما ان تلك المجتمعات أيضا لا تخلو من بعض القيم الشرعية فكرة المنافسة التي يقوم عليها السوق أصلا توحي مفاهيم الحرية والمساواة وحقوق الانسان وآباء الشخصية والتسليح . والطلاقا من هذه القيم الجانبية نبي خيط الرواية معيرة بذلك من التجربة الشخصية « للبطل المشكل » .

واذا كان الشكل الروائي القائم على فكرة « البطل المشكل » هو بحسب جوهره نقد واحتجاج ، فهل نبت في المجتمع البورجوازي أشكال روائية أخرى غير هذا الشكل الاصطلاحي ؟

يرى لوسيان جولدمان ان أعمال بلزاك تعد التعبير الادبي الكبير من العالم الذي عاني القيم البورجوازية مثل التعاش الى السلطة والمال والعشق الجنسي والاحسان والرحمة ، ولكن باعتقاد حالة بلزاك يجدر ان نتساءل لماذا لم يكن للشكل البورجوازي في الادب الروائي سوى أهمية ثانوية .

ويخلص لوسيان جولدمان الى ان الادب الجدير بالاعتبار ينبع من توق الى تجاوز الفردية ، وهو ما يعني ان الانسان لن يكون صادقا واصيلا الا متى تصور نفسه مرتبطا بجماعة مستقلة .

اي ان تصور المستقبل الاجتماعي من خلال نقد الاوضاع الاجتماعية القائمة في بيئة وزمان معينين هو الذي يخلق ادبا جديرا بالاعتبار .

واذ تتقوض الفردية بسبب سقوط العلاقات بين الفرد والمال في مجتمع الانتاج من أجل السوق تبدي في تاريخ الادب المعاصر تحولات موازية في الشكل الروائي انتهت الى التفسخ التدريجي للشخصية الروائية والتلاشي لبطل الفرد.

وقد مرت هذه التحولات بمرحلتين :

مسلول كثير من الروائيين في المرحلة الاولى أن يحتفوا في مفاهيمهم الروائية افكارا جماعية مما يلتقيا الايديولوجيات المجاورة للفردية مثل الفاشيين الاجتماعي والاشتراكية .

أما المرحلة الثانية وهي المرحلة المعاصرة فقد تميزت بالجهد الجليل لكتابة روائية يكاد يغيب فيها البطل تماما وذلك بحذف عنصرين اساسيين هما السيكولوجية ومعيرة الزمن التي المستقبل من خلال الحدث الروائي .

وهذا النمط الروائي المعاصر هو ما عرف في فرنسا «بالرواية الجديدة». ويعتبر لوسيان جولدمان تجربة الرواية الجديدة مقررا انها ليست مجرد مجموعة من التجارب في الشكل ؟ ولا هي محاولة للهروب من المواضيع الاجتماعي بل هي محاولة للتعبير عن واقع زمننا .

وقد أعلن آلان روب جرييه وناتالي ساروت وهما يتحدثان باسم الرواية الجديدة أن الشكل الروائي الجديد انما يعبر عن واقع انساني يختلف كل الاختلاف عن الواقع الانساني الذي عبر عنه روائيو القرن التاسع عشر ومن ساروا على نهجهم ، وتضيف ناتالي ساروت أن المعادات النفسية والقيم الفكرية التقليدية لم تزال تعيش في القلوب والاذهان الكثير من الناس فمنهم من فهم الواقع الجديد ، كما يقرر آلان روب جرييه أنه لا يوجد بالنسبة للانسان حقيقة ثابتة ، فان جوهر الواقع الانساني ذاته شيء ديناميكي يتغير عبر التاريخ . واذا كان تحليل نفسية الشخصيات وما تروبه من قصص قد أصبحت أسيرا مجهورة من كتاب الرواية الجديدة فاننا نجد في مجتمع مختلف كل الاختلاف عن مجتمع أولئك الروائيين الكبار الذين أعطوا بهذه الامور مع امثال بلزاك وستاندال و فلوبير .

لقد فقدت الحياة البطل اعتبارها في المجتمع الجديد ، واذا كانت علاقة بطل علاقة زوج بفيور وزوجة ومشيق من العلاقات التي طرقت كثيرا على مدى تاريخ الرواية فان الطريقة الجديدة التي عالج بها آلان روب جرييه هذه العلاقة في رواية « الغيرة » لم تكن طريقة استهدف بها الغرابة والطرافة بل كانت معالجة حتمها تغير الموضوع العلاقات بين البشر والعالم الملموس سواء كان طبيعيا أو مصطنعا ، فقد اكتسبت الاشياء بمكانة اساسية في حياة الانسان وأصبحت تتمتع بالحرية التي فقدها الانسان يوما بعد يوم .

لقد اختفت الشخصية في الاختفاء التدريجي من الرواية الجديدة وحل محلها « الشيء » ولا غرابة في ذلك فقد ابان لوسيان جولدمان أن الرواية تكون الاجناس الادبية تأثرا وارتباطا بالتكوين الاقتصادي للمجتمع .

فكرة « البطل المشكل » هو بحسب جوهره نقد واحتجاج ، فهل نبت في المجتمع البورجوازي أشكال روائية أخرى غير هذا الشكل الاصطلاحي ؟

يرى لوسيان جولدمان ان أعمال بلزاك تعد التعبير الادبي الكبير من العالم الذي عاني القيم البورجوازية مثل التعاش الى السلطة والمال والعشق الجنسي والاحسان والرحمة ، ولكن باعتقاد حالة بلزاك يجدر ان نتساءل لماذا لم يكن للشكل البورجوازي في الادب الروائي سوى أهمية ثانوية .

ويخلص لوسيان جولدمان الى ان الادب الجدير بالاعتبار ينبع من توق الى تجاوز الفردية ، وهو ما يعني ان الانسان لن يكون صادقا واصيلا الا متى تصور نفسه مرتبطا بجماعة مستقلة .

اي ان تصور المستقبل الاجتماعي من خلال نقد الاوضاع الاجتماعية القائمة في بيئة وزمان معينين هو الذي يخلق ادبا جديرا بالاعتبار .

واذ تتقوض الفردية بسبب سقوط العلاقات بين الفرد والمال في مجتمع الانتاج من أجل السوق تبدي في تاريخ الادب المعاصر تحولات موازية في الشكل الروائي انتهت الى التفسخ التدريجي للشخصية الروائية والتلاشي لبطل الفرد.

وقد مرت هذه التحولات بمرحلتين :

مسلول كثير من الروائيين في المرحلة الاولى أن يحتفوا في مفاهيمهم الروائية افكارا جماعية مما يلتقيا الايديولوجيات المجاورة للفردية مثل الفاشيين الاجتماعي والاشتراكية .

أما المرحلة الثانية وهي المرحلة المعاصرة فقد تميزت بالجهد الجليل لكتابة روائية يكاد يغيب فيها البطل تماما وذلك بحذف عنصرين اساسيين هما السيكولوجية ومعيرة الزمن التي المستقبل من خلال الحدث الروائي .

وهذا النمط الروائي المعاصر هو ما عرف في فرنسا «بالرواية الجديدة». ويعتبر لوسيان جولدمان تجربة الرواية الجديدة مقررا انها ليست مجرد مجموعة

(1) في رواية لجيرزي كوسينسكي أصدرتها دار النشر الفرنسية غلا مارين عام 1971 بعنوان « العصور » نجد ترجمة لهذه النتيجة المترتبة على استبداد منتجات السوق في المجتمع الاستهلاكي البورجوازي . فشانس بطل العصور ، ما ان ينتهي من اعمال النظافة حتى يخلد مجلسه امام شاشة التلفزيون اللون ويتابع البرامج كلها حتى آخر السهرة . ومن العالم الرحيبا يعرف شانس سوى هذه العصور المصطنعة التي تتابع وتهرب من امامه في الظلام . وهكذا اكتسب ثقافة موضوعية بشعة مستهلكة وغير متماسكة .

وبتخلل تجربته الوجود كثير من المفردات . وعلى سبيل المثال فقد اكتشف شانس ذلك الرجل الوسيم الذي في التلفزيون ان الرجال يبتسمون للنساء اجلو يقبلونهن ايضا ، وعرف ايضا ان النساء ينجبن اطفالا ولكن بين النساء والولادة لا يعرف ماذا يحدث فان برامج التلفزيون تمنع من عرضه .

فجل رواية « العصور » هذا نموذج ساخر ولكنه طيب على حالي انتهى به المطاف الى ان اصبح التلفزيون لا يعبد بالنسبة له اصطناعا فان ما يدور على الشاشة ليس أعكاسا للأشياء الحقيقية بل ربما كانت هي الاصل فهذه الصورة هي أيضا اشياء موضوعية وهي بالنسبة لشانس الحقيقة المفقاء .

وهكذا ايضا يمكن ان يضعي منطق السوق هو الاصل والحقيقة في علاقات الاموال بالبشر .

١٩٦٨

شعر : محمد عفيفى مطر

القطارات لم تقطع
غبش الفجر لوزة قطن ببددة ثقلتها
الرياح على قبة النخل والشجر النائم ، انفتحت
خوخة الباب .. صوت الامومة من خشب
السفط آخر
زاد ومفتاح للبـــلاد الاليفـــة ؛ آخر ما اعشبه
الوجه من
زغب الشمس، اول لافتة اتجهى كتابتها غربة فى
اتساع الشوارع بالخلق .
والفجر يفتح ابوابه فى زجاج النوافذ ؛
شمس بكمك السميط المحمص تطلع منفوشـــة
بالجدائل
والسمسم [انخلعت فى الجلاليب احصنة الطين؛
لب النوى المر ، مسبحة الراعى الاملس]
انفسحت بيننا الارض يا رجع الحرب بين
القبائل [هل أنتم الان بين الحجاز وتونس ، هل
صدئت فى دروع زناته او فى سيوف الهلالية
الشمس ، ام تمسح الكتب المتجدة مـــوت
الربابة من
طينة الذاكرة ؟] /
وخبز القرى فى الحقائب مرتعش بالقرابة والملح
[عين زجـاجية تتقحم جيبا معطشـــة ، وطن
ينتمى فى
كلام الختان الصبى، ونهرانتش عنه خرائطيست
مبللة ، ورق تتكوم فيه البلاد الفسيحة ، والماء
يسكن بئر التذكر، والشمس مرسومة بالرصاص/
القطارات لم تقطع .. والمسافات بين الوجوه
وبين المرايا مهشمة ، هاهو الوطن المستدير على
جسد الارغفة / تكسر فوق الموائد
هذى صحاف الكوابيس :
اطعمة الخوف دافئة ؛
والسلال الليلة تفتح صرتها فى رءوس المحطات ؛
ينتشر الوحش ، يلبس اقنعة الاهل ، يركض فى
فلوات الوجوه الاليفة / وحوشا
وحوشا
وحوشا

يستيقظ الضحك، السوق تمتد اروقة للمساومة؛
فاصرخ..
الارض تنشق ارضين ، والشعب شعبين ،
احصنة الماء تصهل فى الذاكرة /

هو المـــاء :
جمرة مشـــتق متوجة فى براري البـــداوة ،
محفـــورة فى بكاء الطـــلول ومكتوبة فى سيوف القبائل
والشعر ، مكتوبة فى طقوس الدم الجاهلية /
هو الماء جمرة عشق متوجة والرعية من أصدقائى
امرؤ القيس ، ملقية الغصل ، والنفرى الغريب
المشرد بين قرى مصر والبصرة ، الســـهرودى
زوج ابنتى وأنا طالب الثأر من قاتليه ومن
يعيدون تطويقه بالحصار المعاصر والاسئلة /
أحرره من سجون الخليقة كى يفتح الاسئلة /
مناديل
للجبر ، بوابة لاغتصاب الياديين من حاكميها ،
اســـمعونى /
فهل لغـــة تتوقد فيها مصـــاهرة العشـــق
والموت ، هل قمر يتكسر مسبحة ، هل صـــلاة
تدمـــدم فى
شجر الرب ، هل أصدقائى يقيمون فى الزلزلة/
ويلقون أثقالهم بسطا فى الياديين .. هذى
آبار يفهم مطر من سراج النبوة ، هذى الجموع
أستحمت بشمس المجاهة ..
هل أصدقائى يقيمون بالجامعة / صلاة القبائل
للغيم والنهر ملء اليدين ،
اســـمعونى /
فهل لغة تشعل النار فى خطب الشعر .. هذا
هو النفرى المشرد فى لغة الخطباء يولول فى
وحشة السحر
يصرخ فى صحراء الكلام ويكسر قفل الينابيع
يدخل فى
مدن الحاكمين يقيم المتاريس يشهر كومبونة من
تشـــرين/ الرفض والاسئلة /
[واوقاتنى .. من يمينى خراب يسبجه النوم ،
والارض
قد لبست زخرف «الامن والزينة» عن شمالى
خطى النهـــر كانت تلاحقنى ، كان يفـــرط فى
خطواتى الشباك
الليلة بالموج ، يكشف لى سمك الحلم والنار فى
الغيمة المثقلة /
فهل غرق يستعيد الينابيع ، هل غرق
تتفتح فيه الهتافات عن جسد الحلم ، هل غرق
تتفتر من تحته المتصلة/فيهوى الكلام المهجن ،
هل غرق يتلبس كالمس والهذيان المرابط فى
ساحة الحلم والخلق ، والحلم مركبة الحضرة
الشاملة] /

وهذا هو السهروردى يدخل ليل الياديين والارض
مخبوءة
تحت جبته ، وهو يبصر طير الجـــلالة منتشرا
تتقمصه
الكائنات الاسيرة ، محتشدا فى قلوع المراكب
والنهر
يمشى مظاهرة فمظاهرة .
والبـــلاد البعيـــدة ترســـل مـــلء الســـلال
فطائرها الدموية زوادة للجموع المقيمة خلف
المتاريس ، ترســـل موالها المتحدر فى الصمـــع
والسهروردى والنفرى يخطان فـــوق الحوائط
والصحف
الجامعية طير الكلام المجاهر بالشمس والريح ،
والكحل مشتعل فى عيون الصبايا بوحشية
الحب والثورة المقبلة /
● لو اتى أطلعت من لغتى نخلة لخطفت اللغات
الهجينة خطف المناجل / ترمست المعارف درس
الرمال عصفت عليها الرياح العواصف /
والواقفون بى واقفون فى كل موقف خارجون
من كل موقف وأنت معنى الكون كله .
« كلمة سر الليل »
● [قد جاء وقتى وآن لى أن اكشف عن وجهى
وأظهر
سبحاتى ويتصل نورى بالانية وما وراءها
وتطلع على العيون والقلوب ، وترى عـــدوى
يحبنى
وترى أوليائى يحـــكمون ، فارفع لهم العروش
ويرســـلون
النار فلا ترجع ، وأعمر بيوتى الخراب وازين
بالزينة
الحق ، وترى قسطى كيف ينفى ما ســـواه ،
وأجمع الناس
على اليسر فلا يفترقون ولا يذلون ،
فاستخرج كنزى وتحقق ما اهتفتك به من خبرى
وعدتى وقرب طلوعى
فانى ســـيوف اطلع وتجتمع حولى النجـــوم ،
وأجمع بين
الشمس والقمر ، وادخل فى كل بيت ويسلمون
على
واسلم عليهم وذلك بأن لى المشيئة وباذنى
تقوم الساعة .]
« تحريض للاجتمال والرقص وتتويج الرمية »
● انا مليل الليل ومبهر النهار ، لفل الليل وطلع
وجه السحر وقام الفجر على الساق ،

اربط المنطقة فينعقد كل شيء ، والبس درعي ولامتي
فتستيقظ الارض ، والبس البرقع ولا اكشفه .
« دعوة للمنازلة »

● العلم المستقر هو الجهل المستقر
« دعوة لقراءة مالم يكتب »

● اهدموا واهدموا واهدموا
نزل الله في جسد الشعب — لما استوى فوق
وانهمر المطر المتوحش قعقعة ونجوما نحاسية :
— كل هذا السلاح المرابط من اجلهم !!
[قالت امرأة] —
وطن يتقلد مجزرة أم يخافون شعبا تربى على الخوف !!
— : اسلحة مشتراه بما كثفته المجاعات من صدأ فوق أسنانهم ثم تشرع صفا فصفا
فتصرخ تحت فتوق الثياب القديمة شيخوخة باكرة !! /
[تقول الصبية] —
لكنها قبل أن تكمل القول يخنقها الدمع .

دوى الرصاص القريب
هو الموت يفتح تحت عباءته سكة لالتحام
البنادق باللحم .
دوى الرصاص المفاجيء ؟
قعقعت العربات المدرعة ، انغرست في الرصيف الاكف
فتحنا الخطى سكة يهرب النهر منها ويحمل
جرحاه في دمهم للبيوت القريبة
[هل غسل النهر أثوابه من خيوط الدم المتخثر ؟
هل زال حبر المطابع من فوق كفيه ؟]
هذا هو الفجر يكنس صمت الميادين
والشمس تلمع فوق الدروع الصقيلة /
« سيناريو تسجيلي على شاشة الرعب »

● **شهادة لاثبات الحلم ونفي التأويل :**

البلاد البعيدة أوحشها الحلم والرقص
فالشمس مجدورة الوجه ، تصفر تحت
الملاط المقشر ، تسود في جدر الطين
ينفتح الجرح في جثة الامكنة / فما باردا
كنعاس الغريق على العشب ،
قرفصت النصب الحجرية ، هذى سماء الميادين
مثقوبة ..
عرش المجاعات — ينفخ فيه السنابل والغضب
المتأجج ، نحن له أنبياء ، مصاحفنا تتنزل من
شهوة الماء .
اهدموا واهدموا
فالشواديف شاهدة والسواقي رسائل مطوية
حملتها الينا المواويل من قرية الاهل ،
خاتمها وردة للصراخ
اهدموا واهدموا ..
« نشيد الخروج »

● هذه قبة الجامعة
هبط الليل .. فالتف حراسها للهجوم المباغت
والنوم تطلع اشجاره ،
انطفأ الكحل ، أرخى الرخام يديه على
ركبة التعب المتألق ، والنوم ينثر اعشاشه
بالهواجس والخوف ، هل لانت الارض كالفرش
الاسرية فالتحم الجسد الادمي بصمت الحجارة
والكتب الافلة /
ودوى الرصاص البعيد ..
هل استيقظ المساء في الذاكرة /
فهذا هو النهر يترك فرشته ويمد خطاه وجوها
وجوها
وجوها

يشجر ليل الميادين بالرقص والاذرعة /
ويفتح لحم الشوارع ،
بيت الشوارع يفتح نافذة للامومة ، فى
ظلمة الشرفات تضىء الابوة بالخبز والماء ؟
تحت الضفائر يبرق وهج القرابة ، ينعقد
الخوف والياسمين المفضض بالدفء زغرودة
للزواج الجماعى أسورة للمواعيد ..
دوى الرصاص البعيد القريب
واقبل سيل الدروع الصقيلة / يسد المداخل ؟
ليس منتظما فوق طبل البراح المشاع سوى
خطوة الدركى وصوت الحذاء الثقيل على حجر
السمع
طـك .. طك ..
طـك .. طك ..
وفى ورق الذاكرة / يقرفص فى دمه وطن نقشته
الشطوط البعيدة بالسلق — والشمس محمرة
فى مياه
الاصيل — القطيفة فى حبق الماء مسكونة بالفراش
الملون — سجادة من نجيل المجازات — رائحة من
وضوء الجباه السخية فوق حصير الجوامع —
رائحة
الخبز طالعة من مواقدنا العائلية ..
فى ورق الذاكرة /
يقرفص فى دمه وطن ..
طـك .. طك ..
طـك .. طك ..
وحدها ، قامة من رخام الليونة والدهشة
الشبقية ، والقرط مركبة للنداءات والوحشـة
المزهرة /
وقفت تتمسح فى ظلها تحت ضوء الفوانيس ،
ترمى
رماد سجائرها فى الرياح ، تقزقز لب المواعيد
والتعب
المتدثر بالكحل والزغب المتخفى ودفء الفراء .
[خطوة .. خطوتان ..
ومن بين وجهيهما شعلة ودخان
السجائر كالفرشة المستضاءة ، عاد الى
مستراح الحذاء الثقيل على حجر السمع ..
طك .. طك .. طك ..
« النهاية مفتوحة »]

● **نداءات وشعارات مكتوبة على الجدران ولم يغسلها المطر او تقشرها الاظافر :**

١ — اختبىء يا قطارا يهرول فى الحلم، صوتك
يخلع ريش النشاز الملون ، يسقط بين
الصدى والصدى ، وتصنفره شفرات الاظافر ،
يدخل أوركسترا الاسر .
فلتختبىء يا قطارا يهرول فى الحلم ؟ فالارض
مكشوفة والمحطات مفتوحة تحت ضوء السفر /
اختبىء
فالاقامة ماهولة بوحوش القرابة والالفة الناعمة
٢ — جسد للعشيرة: أعضاؤه انفرطت كالعناقيد
فى ورق الملصقات — الافيشات — وهج النيون
المشاكس .
حبل الظلام ؟
فهل ينفر النهد تحت الاكف ويلتم رهط العناق
الصريح وهـل يفتح الليـل مضيفة للتخـاصر
والجنس ، هل
تفلت الشهقات المقيمة فى اللون ، هل ؟!
٣ — تنفست حقائب الوطن ، يا لله ، هل
يملك كل
هذه الملابس الداخلية ؟
وبعثرها فى الريح ، فهل كل هذه الالوان من
شمس واحدة ؟
وغربت الشمس ، فكل طريق صباح ، وكـل
صباح طريق .
٤ — العصافير تنسج اعشاشها فى حـديد
الشبابيك
والارفف الخشبية فى المكتبات وفى الحـافلات
المليئة بالزحمة الضاحكة .
والعصافير تنسج اعشاشها تحت ليل من الشعر
المستعار
وفى خوذ الشهداء واحذية الهاربين .
٥ — أسرعوا أسرعوا فالبلاد القديمة
ركضت خلفكم ،
واكتبوا واكتبوا فالبلاد القديمة
قطعت شجر الابدية .
٦ — مطلع جاهلى يجىء
تطلع الشمس فى الذاكرة
تحت ايقاعه يستضىء
وطن للخراب الطلولى ،
نهر تجرجره الصرخة الفائرة ..
٧ — صخب ، وبلاد تجلجل فى حجر السمع ؟
والرعد يزرع اعضاءه ..
انتظروا .. تصهل الخيل فى الاروقة

● **حـلم :**

هذه امرأة تتغطى بأوسمة العرى؟ قش تطاول من
ابطيها وحلقاء شمس بهيجة /
ضربت قبة من خشونة أوراقها فوق شمس الزبيب
المقيمة فى الفخذين الشهيين .
هل هذه امرأة المرمر امرأة الصولجان ؟ /

طيور الحجارة ترصف بيض السطوع الملون ؟
ينقفه الدفء
والبرد ، يفتح فيه الدهاليز : هذى المدينة فى
الافق مملكة
والرعية يضربها طائف الصرخة الهائمة /
ـ أتعرفنى ؟!
ـ ربمـــا ..
فوق عينيك جرح يذكرنى بمرايا الطفولة
والطيران المفاجىء بين الذراعين والسقف .
ـ ألمح تحت ثيابك سيفا،فهل طالب انت للثأر ام
خارج تسترد البداهة والصيد فى غابة
الدهشة الملكية ؟
ـ اطلب بيتا وعائلة أسترد على خبزها شرف
الاسم ، اطلب بئر القبيلة .
ـ هذى المدينة موبوءة .. يترجل وحش جميل
التقاطيع ما بين همهمة الفقهاء ودفء الفراش
المبلل
بالنوم والموت ، ما بين وشوشة القصر بالمخمل
المستريب وعرافة الشهوة الجسدية والانتحار
البطىء .
انا ملك ، والمدينة تحتى تلف عصائبها ، بين
تاجى وعرش تساقط الشمس دامية ، يخلق
الليل تحت
هشاشته حيـوان الوسامة والرعب ، الـوية
للخفافيش ؟
عرافة الصرخة المستجيرة تتبعنى للخلاء .
تؤامرنى وتقايضنى ؟
ـ كيف ؟
ـ آخذ سيفك ، خذ صولجانى ، وقل للجماهير ؟
قابلنى
الوحش يأكل صاحبكم فقطعت جناحيه ، مزقته
قطعا قطعا فاختفى ..
سوف تلبس تاجى وتشهد مملكة تتقصد انهارها
تحت
رجليك ، ترقد فوق سريرى ، وتفتـح زوجى
خزائنها ..
وانا اتخفى ، وتأخذنى فى عبيدك ..
ـ تعرفنى ؟!
ـ ربمـــا ..
بين نهديك نهر يذكرنى بالرحيل المفاجىء فى
الفجر ، اذكر بحرا وصحراء ، فى ركبتيك ارتعاد
يذكرنى
بالاراجيح والنوم ، اذكر شمسا مضيئة فى خزائن
فخذيك .. عيناى فتشتـا عن بلاد السراويل
والدفء ..
ها وطن يتيقظ فى الذاكرة / فمـــدى الموائد
واستترى
والبسنى تحت عينى اوسمة العرى ،
نش الخليقة ممتلىء بالطيور الغريبة والوحش ،
اروقة القصر واسعة ..
[كنت اطلب بيتا وعائـلة استرد على خـبزها
شرف الإسم ..
ها انت عارية تفتحين الصناديق تعطينى من خزائن
فخذيك مملكة تتطاول فيها السلالات ..
والصمت عـائلة تتماسك فى كل ريح ..] /
ـ أتعرفنى ؟
ـ انت .. هل تعرفين انسـلاخ الظـلام من
البحر .. هل
تعرفين انتقامى ؟
خزائنك الخضر مفتوحة بين كفى .. هل تعرفين
انتقامى ؟

● **مملكة اخرى :**

واسعة خطوة الشمس ، اوسع منها غيوم
القصائد فى القلب ، اوسع منها يد ولم يرفضان
زغيف المماليك ..
والارض واسعة يتناسل فوق خرائطها عنكبوت
الاقاليم
ينفرط الملكوت الملون اسيجة وبلادا ..
واوسع منها دمى روضوئى المباغت فى
رجفة الجرح ، اوسع منها حصيرة نومى على
قبة الحلم ..
مملكتى لا تزول الى آخر الدهر ؟
مملكتى وسعت كل شىء ،
ومملكتى شارع ورصيفان تطلع بينهما
خطوة الرقص جميزة للغداء الجماعى ..
نكتب فوق الاكف مواعيدنا ، نتحسس قارورة
اللون
والارض تضحك ملء الفروع ، الاباريق تهوى
مكسرة فى
كتاب القوانين ، نكتب نارا مجنحة ..
كلما غسل الموت اوجهنا اقترب الفجر .. هذا
وضوء الكتابة ،
نصطف فى حضرة الحلم نكتب مملكة للشوارع
هـذى الشوارع مملكة يتبطنها الحلم والرقص ،
تلتم اصواتها جسدا للقصائد
ازمنة للجنون المبرقش
بالمـــاء
والشمس ..

هذا الفنان وعالمه

المصور عزالدين نجيب

[٣٥ سنة - الشرقية]

ثبات الصبار وقرص الشمس .. الفنى الذى يحمل فى قلبه طائر الحرية .. المرأة والجنين الذى لم يولد بعد .. المغنى الذى يشدو بأغنية لمصر ... الاشجار التى تلف صامتة كأنها جمع من البشر ينتظر ماسيحدث.

هذه الملامح جزء من اللغة التى يتناولها الفنان عز الدين نجيب فى لوحاته منطلقا من فكرة ترتبط بالانسان .. فيأخذ الفن عنده صفة الالتزام وتصبح له وظيفة تسهم فى بناء المجتمع وتكون مسئوليته شاقة أمام الاراء التى تنادى بالنزوع الى ايجاد فن سلبى تحت شعار الفن للفن. وأن الفن الخالص هو الفن اللاموضوعى الذى يعتق الجمال المطلق حيث يستخدم اصحاب هذه النظريات والمؤمنون بها عبارات .. الفن لمجرد الفن .. الفن للفن راحة .. الفن متعة .

والتجربة هنا احدى التجارب التى تؤكد ايجابية الفن .. فمن منطلق الالتزام بالموضوعية ومساندة كل جديد بناء يتعارض مع القديم المتحجر .. نجد الفنان عز الدين نجيب يمتلك رؤية ناضجة تبدأ من فهمه الجيد للمفهوم الاكاديمى حتى التحليلات المعاصرة للتصوير التشكيلى فى استخدام العناصر الاساسية كاللون والخط والمساحة التى تخلق عناصر لوحاته فى علاقة محسوسة ومحسوبة فينشأ تكوين الصورة بشكل مدروس وتحدث الدراما بين الاشكال وتولد الشحنة التعبيرية هذا الى جانب استخدام الاداء التكنيكى بمهارة رائعة .

س . ت

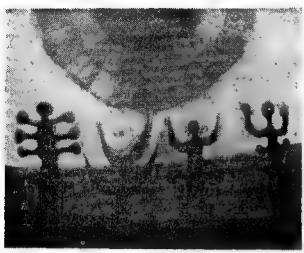

« فى الاعماق »

« الفارس المجهول »

« المشاش »

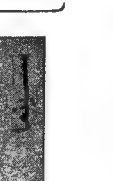

أريد حلا

قضيـــة نـــوع .. أم قضـــية مجتمع ؟

فى الناهية الشكلية ، اقتصيت المرأة مع الرجل بطولة مئات الافلام المصرية . وثانيا ما يأتى اسيها ، على الاغلب قبل أسم الرجل .. وتعددت صورها ، وتنوعت ادوارها ، واختلفت أبعادها .. ولكنها جاءت فى النهاية تجسيدا حائرا لمفاهيم صناع السينما ، وهى المفاهيم التى بلورتها وعبرت عنها عشرات الافلام التى انتجها انغناء الحرب ، خلال سنوات الحرب العالمية الثانية وما بعدها .. وهى الفترة التى انتشرت فيها الكباريهات والمواخير ، وبيوت الدعارة . اى الاماكن التى وجد فيها معدلو القيمة ، المقتنعون انغناء الحرب ، بمعتهم وسعادتهم ووجودهم .. وفى هذه البؤر الفاسدة تعرفوا على المرأة فى أحط وابشع صورها : ليست كالنسان من روح وارادة ومشاعر وآمال ، قادرة على العمل المنتج البناء ، ولكن كجرد الرجز الاداء وانغشاذ ، مصدر للاثارة ومطفأة للشهوات .

وليست مصادفة ان تظهر تماما هذه البؤر الفاسدة كطلائع فى العديد من الافلام الحديثة ، وليست مصادفة ايضا أريد الفيلم المتدرجين بأهم سيستحوذون بالمرأة على طريقة انغناء الحربي ، تسكب على الاعشاب ان المطلقة استثنارى ترقص ، لذلك ان معظم رجال السينما المصرية ، المسطرين على الانتاج ، من الناحية البلبلة ، ليسوا سوى امتداد صريح لانغناء الحرب .. وتعكس انطلاقهم نفس الموقف من الجنس الاخر . فعلى الرغم من أن المرأة ، على مستوى الواقع ، هتفت انتصارات حاسمة ، فكسبت معركة العلم حيث تحررت من اغلال الجهل واصبحت تقف الى جانب الرجل امام أعقد التجارب العلمية . وعلى الرغم من انها كسبت ايضا معركة العمل ، فتحررت بالتالى من سيطرة الرجل اقتصاديا ، فان السينما المصرية لاتزال تقدم المرأة فى الصورة التى يريدها ويشاؤها المنتجون الطفيليون عصلائة انغناء الحرب ، التى لا ترتقى ابدا الى مستوى الانسان المنتج ، البناء ، العامل ، المستقل ، ولسكنها تكتسب قيمتها من مدى ترفيهها وتضليلها للرجل .. فاذا كانت لا تقوم « بالرقص والغناء » فلا اقل من أن تظل فى محدود القيمة الوثيقة ، صادقة ، مطيعة ، خاتمة ، وفى هذه الحالة توصف بالرقة ، أو تقدم كملفة مليحة ، شعيفة تحتاج وسلبية ، وفى هذه الحالة يدعى رجل السينما انهم يقدمون امرأة تتمتع بشخصية ملائكية .

من هنا يكتسب « أريد حلا » اهميته جديدة ، فهو « على عكس الافلام السائدة يقف الى جانب المرأة فى المطالبة بأن تعامل كانسان مكتمل ، موفور الكرامة ، حر الارادة ، وحاول ان يبرز مدى قسوة القيم الذى تعاملنا به من خلال كشف شخصيات قانون الاحوال الشخصية .

والفيلم بهذا الهدف النظرى الطيب ، شوء يستحق التحمة . ولكن عندما ننظر الى مجموعة الافكار والمواقف والاحداث والشخصيات ، التى حاول ان يحقق من خلالها هدفه النظرى الطيب ، نكتشف انه نتيجة لقصور افكاره وانحلال دوافعه وطريقة بنائه المسطحة لشخصياته لم يستطع ان يصل الى صور صحيح لقضية المرأة ، ذلك انه ، منذ البداية ، حصر نفسه حصارا مصبرا ، عندما كبل افكاره فى حدود المطالبة بتغيير قانون الاحوال الشخصية ، فلم يستطع بالتالى ان يضع قضية المرأة فى اطارها الاجتماعى الصحيح ، وانكفى بتقديمها كقضية نوع بشرى مقهور ، يتساوى افراده جميعا فيما يلاقونه من اضطهاد وتعذيب ، الامر الذى أدى بالضرورة الى ظهور الرجل ، فى مجتمعه ، كنوع بشرى آخر ، تجرى فى عوالمه جرثومة الشر والظلم .

والفيلم يطرح قضيته من خلال ثلاث قصص ، واحدة اساسية ، ليس لها الا قيمة محدودة ، اهتم بها السيناريو اهتماما شكليا مصرفا ، سواء من ناحية الزمن الذى صنعترته ، أو من ناحية المبالغة فى اظهار معاناة بطلتها ، التى قلبت بذاتيتها « فاقن حماية » ، على أحو مبدع وخلاق بعق ، لكنها جاءت مزيلة ، بشوبها الكثير من الانحلال والادعاء وعدم الاتساع .. وربما لم يهتم السيناريو اهتماما جادا بالقصتين الباقيتين الباقيتين ، ربما خوفا من غنيتهما على القصة الاساسية لانهما جاءتا أشد تأثيرا وأعمق دلالة .

يبدأ الفيلم ، قبل ظهور التترات ، ببطلة القصة الاساسية وزوجها يودعان ابنهما المسافر الى الولايات المتحدة لاستكمال دراسته ، وبعد نزول التترات ينتقل الفيلم الى ميلاد الزوجية الفاشرة لعلاقتنا الزوجة كما تتجلى زوجها بطلبه

الطـلاق .. واذ يرفض الزوج مطلب الزوجة تبدأ رحلتها الشـــاقة لتحقيق غرضها وانتزاع حريتها ، مستنجدة فى هذا بعنصرين : عنصر شخصى يتمثل فى اتمام تعليمها ومزاولة العمل ، والعنصر الاخر يتمثل فى انتزاع حق الطلاق من قانون الاحوال الشخصية ، وهى تنجز مسئولية العلم والعمل ، على نحو سريع وغامض ، وبما ليثبت الفيلم انها تتمتع بصواب التفكير الى جانب قوة الارادة .. ولكنها تخسر قضيتها أمام قانون جامد ، يعطى الرجل الحق فى أن يكون جـلادا قاسيا اذا أراد .

ولاشك أن اقامة القصة المحورية على أساس تتبع قضية سيدة تطلب الطلاق، يعد من الامور الجريئة، المحفوفة بالمخاطر. ذلك أن الجمهور لايزال خاضعا ، ولو جزئيا ، للافكار الجامدة ، التى تنزعج من المرأة عندما تقرر وتطلب بالانفصال .. بل ومن المحتمل أن ينظر الى الزوجة بريبة ، كما فعل الزوج ، عندما اعتقد أن ثمة رجلا آخر .. وعموما فان الفيلم وقع فى منزلق مدمر عندما أقام علاقة حب مفاجئة ، غير مبررة ، بين بطلته وصديق أخيها ، الشاب الباحث ، الرخو ، الذى لايتجاوز سن أبنها المسافر الى الولايات المتحدة ، الامر الذى ادى الى تقليل التعاطف مع البطلة التى تخوض معركة مصيرية .. أضف الى هذا أن الفيلم لم يستطع أن يقدم صورة واضحة الابعاد للزوج الذى لم يستطع أن يكسب قلب زوجته بعد عشرين عاما من المعاشرة ، فنحن لانعرف عنه الا معلومات شحيحة جدا يقال انه دبلوماسى طرد فى التطهير ، ولا نراه الا فى مجموعة مواقف مفتعلة: يداعب سيقان فتاة فى أحد النوادى ، أو يقبل صديقة أجنبية ، أو يحدث زوجته بخشونة .. وبينما تؤكد الزوجة بانه هجر فراشها منذ سنوات ، تعود لتؤكد فى مناسبات أخرى بأنه يريد أن يأتيها فى غير المأتى !

هكذا تجد أن الفيلم وهو يدافع عن حق بطلته الاستقراطية فى الطلاق، يقدم زوجا مصمتا بلا أبعاد ، مجرد رجل شرير ، أنانى ، سخيف ، شهوانى وفاسد الخلق ، شأنه شأن مجمل رجال الفيلم.

ينتقل الفيلم مع بطلته الى المحكمة حيث يقدم أصدق وأفضل مشاهده ، فالمحكمة هنا ليست ذلك المكان النظيف ، المرعب، اللامع ، الذى تعودناه فى افلامنا المصرية ولكنه محكمة حقيقية .. مكان بائس ، مزدحم ، قذر ، يكتظ بالمظلومات ... وتتحرك الكاميرا بسرعة لتقل عشرات الوجوه المنهكة لنساء مقهورات ، مهلهلات الثياب ، فقيرات ، الامر الذى جعل بطلة الفيلم الانيقة تبدو كجسم غريب وسط طوفان المعتمات البائسات .

ومن أعراض المحكمة ينتقى الفيلم وجهين ليقدم قصتيهما .. فى الاولى تطالعنا بطلقة شابة ، مع طفليها ، تحاول الحصول على نفقة من زوج لاندرى لماذا انفصل عنها ، وفى أثناء التأجيل المتوالى لقضيتها يلمحها قواد ويطاردها حتى تستسلم له فى النهاية .. وأمام القاضى تتنازل عن نفقتها ، بعد أن جربت الكسب السهل ، بينما يتهرب الزوج ، بكل خسة ، من حضانة أطفاله .. وكما تدين الفيلم زوج صاحبة القصة المحورية بشكل مصمت ، يعود مرة أخرى ليقدم زوج صاحبة أولى القصتين الجانبيتين بنفس الطريقة ، بل وبنفس الخصائص ، فعلى الرغم من أن الزوج الاول « دبلوماسى » طرد فى التطهير ، وأن الثانى عامل « مكانيكى » فانهما يلتقيان فى سمات رجولية واحدة : الشر والانانية والسخافة والغلظة والكذب ، وان كان الاخير يتميز بالجبن الشديد .. ولم يكلف الفيلم خاطره

وهو يهاجم الزوج الذي يأن يسأل : هل هو سيرم ويلعرف بطبيعته ؟ ،وهي تحو تدري ، أم ان حظك هيوا وقع عليه ، فمه بالذي الى ظلم زوجته ؟

اما القصة الجانبية الثانية ، فانها تقدم مأساة واقعية لسيدة حرمت الطلاق بعد ثلاثين عاما عاشتها مع زوج اقترن بفتاة صغيرة . «وسرعان ماتتفق وغرام الصداق تتسبح عرشة للجوع والنصول ،وترفع قضية نفقة ، ويعد تأجيلات عديدة تحضر الغضية ، ويطالبها المحكمة بدفع المبرونات كاملة ، وتضطر الى رفع قضية جديدة ، لكنها تموت قبل ان يحكم الثاني.. ولعل موت بطلة هذه القصة الجانبية من أهم وأصدق وأجدى اللحظات المرجعة لكاتب الحوار الشخصية ، لايسكاد يرقى الى مستواها الا قصة المرأة التي احرقت صديقاتها آو حوارها الطويل مع القاضي او وزير العدل نصل الكاميرا الى درجة خطيرة من العجز وانعدام الكفاءة ، ففي تصور من العجز الكبير تار ، ثم من اليسار ، ويبرود تتعرك للتصور من الخلف ، ثم من الامام .

لابأس ، ان الفيلم بهذه النظرية الطيب ، شيء يستحق التحية ، ويفشله لي تحقيق حلمه أنما يدعونا الى المطالبة بفيلم آخر ، يشع قضية المرأة بأبعادها الاجتماعي الصحيح .. أن تكون لميا عن طوفان البكاءات الذي تكاد بين قامات ومعراك المحكمة ، وليستعيدانا سيدة بلغ بي رقتها حد التضيل من المحكمة ، واذا تحقق هذا الفيلم ، فلاشك سيعجب لزيد هلا أيجابية اخرى، ذلك أننا فعلينا من أخطاء الشوء الكبير .

كمـــال زمزي

يدافع من الجوع والخوف والذلق ، وقد ادى صدق الممثلين الجانبيين الى كشف زيف وادعاء القصة الاسلامية ، التي تبدو مشكلة المرأة فيها ، كما تحددها بطلتها الارستقراطية هكذا : كيف تدري الزوجة ، وتكشف أسرارها الخاصة أمام المحكمة ؟!

الذي فتحن امام فيلم مجيب بعق ، أمامه او جذعه تقير ويخرج ، بيلما ارماء متماسكان وقويان، وقد جاءالاخراج نميرا دقيقا عن هذه الحقيقة ،بينما تشط الكاميرا وتتحرك بصدق وحرارة ، داخل المحكمة ، بين الكهوات ، مهلهلات الملابس ، صاحبات قضية المرأة الاصليات تبدو الكاميرا مأجزة وبليدة وهي تصور القصة الاسلامية ، فهي تنقل ماتجور أمامها من ثرثرة وانفعالات بيده يصل حد الابتذال ، وفي جلسات البطلة مع

كلمـــة مصـــر

فؤاد حداد : الشاعر الشعبي الذي عرفته مصر المناضلة منذ الاربعينات ، أيام اللجنة الوطنية للعمال والطلبة و ٢١ فبراير ١٩٤٦ ، والذي دفع الثمن سنين طويلة خلف جدران السجون والمعتقلات ، كانت كلماته دائما تعبيرا عن المناضلين الوطنيين والتقدميين .. ليس هو القائل بلسان كل مثقف :

احنا الدموع .. احنا الحرق
احنا الكتابة .. على الورق
احنا اللي بنمشي الزمن

ولقد ظهر أخيرا آخر ديوان لفؤاد — « كلمة مصر » ، مهدى الى انتصار مصر في أكتوبر — هذا الانتصار الذي كان :

شوق أيام وأجيال كثيرة

وشعر فؤاد حداد شعر مقاتل ، يحيى دائما في قلوب المكافحين والمناضلين ذخيرة الأمل .

وشاعرنا « يعرف حقه » ويعرف قدر هذا الجهد وقيمته ، ويعبر عنه بقدرة عبقرية وبساطة معجزة والكلمة دائما عنده تخدم فكرة وتستهدف تحريك أنبل القيم لدى الناس . وهو عندما يستخدم الكلمات يصنع لها لون وبذاق وتصم كلماته بسمة جمالي ، وفي الوقت نفسه برؤية اجتماعية واعية .

وفؤاد حداد شاعر له نفس ملحمي عميق ، وصياغته و « حواديته » الزاخرة بالحب والبطولة وبالفخصية وبالثقة في الانسان ..

ان فؤاد حداد هو الشاعر الشعبي المثقف ، لكنه أيضا يحفظ الشعر القديم ، متمكن من لغته ، عارف بأسرارها ، فليس شاعرا من جهول لغته ، وهو ليس بشاعر مثقف متعصب انه يلم بالتاريخ للشعراء العاميين ، الزاجلين بليلوذوذا ، نافع حكيم ، بيرمي ، وغيلك هو يملك ناصية التعبير عن علم ، وحرفة ، ويفخر الكلمة لوجهه ، ويطوعها لتعبر بصدق وجمال عن قيم الشعب النبيلة، التي استقرت في وجدانه عبر آلاف السنين .

ولكلمات فؤاد حداد — موسيقى خاصة وهو يختصمها لكل المقاييس الكلاسيكية — لهو يمكن من هذه المقاييس ولذاعي لان يهرب منها بحجة انها لاتعبر على قدرة الفنان وذاته — فالشعر عنده يجب ان يكون شعرا وليس مجرد نظم مرسل ، أو كلمات بحتاة لا تملك التعبير الا بعلامات الترجيب والاستفهام . والقافية عند فؤاد حداد ليست حلية يتزين بهما بيت الشعر بقدر ما هي تعبير جمالي راق يعبر عن المعنى الذي يزيده التعبير ويحقق بهذا الارتباط الداخلي البطني للقصيدة — وحتى التقفية الداخلية والتي تجعل من بيوت القصيدة قطعا من تسبيح الداخل: الرفيق — ليست زخارية بديعية ، ولكنها خلق جمالي يقصد للتعبير عن معنى أو التأكيد على هذا المعنى ، أو لتحويل

البيت من الشعر الى بيان أو نداء للناس :

لا ينتمر في أرض محبوبة
ولا يهتدى لمعنى الوطن والحب
غير الذى يحضر ع الوطن والزاد
موالي يحضر للعمل في ميعاد
وردية الى استشهدوا ابدارح
وكل مصرى في الميعـاد يحضر

وفؤاد حداد : مناضل مثقف يحب مصر

انده عليك شمس بتلف البـلاد
والعصر
انده عليك يا أخضر باريحة مصر
ساعة ما يرجع كل طير للعش
لون السما والأرض لون العشق
وانا طول حياتي وعشت
انده عليك

وفؤاد حـداد : يلزم كل الأرض المناضلة من اجل الحرية مقاومة :

أزرع كل الأرض مقاومة
ترمى في كل الأرض جذور
ان كان ظلمه تمد النور
وان كان سجن تهد السور
كون البادىء ، كون البادىء
كل فروع الحق بنادق
من ايام الوطن اللاجىء
الى يوم الوطن المنصور
أزرع كل الأرض مقاومة
— ويا اجمل شوه في الدنيا !

« اكتوبر الى انتقم ليونيه »

وعندما ارفع العلم المصرى على خط بارليف شامخا ، راه فؤاد حداد :

دايس على بارليف
كان الامل صادق وقلب شريف
انتزعت عيني وبالى اهتفى
شفت العلم دايس على برليف

وامل الانسان :

من الظلام في الضي
ومن العطش في الرى
من الف حي وحي
من الف عـام وانا عايش في الزمان الجاى

وقوة الشهداء :

انتي انده على اسوان على حلوان
انده لبحر البقر وانده على شدوان
اسامى تحت السما لها ملحمة
وديوان
يا شعب ياقوة الشـهداء على العدوان

«والشريان الفلسطيني» يصرخ :

تغفى الليالى ولا يبور الدم
ولا طيارات الأمريكان تمنع
النور من المصنع

وينشد موالله :

شيليني يا دنيا قبل النور وحطيني
بالراحـــة بالقـــوة في الريح
الفلسطيني
خليني قبل الصباح اعرف سلاح
ديني

واصدق الاحساس عندى — ان دمى
بمشاعب الناس وكدها وتعبل همومها .
باعم يالبى بتسالنى عن الاحساس
اكمنى شـــاعر مغنى صنعتى
الاحساس
القـــلب بيحس لكن امـــــدق
الاحساس
على كتف شايل حمول الناس
يحس بها

ومصر عند فؤاد حـــداد بالعايش والصنايعية ، فالمصنايعى العبيى يقول :

طول النهار بنشتى
ونتام الليل ونلقى
الفجر يخش سرقتى

ولحن الحدادين يقول :

عندنا عتمة في عتمة
عندنا نار قايدة نار
عندنا عزم في دراعاتنا
اللى طال شمس النهار

ومصر دائما بناسها الطيبين — بالناس والناس الطيبين ، وهى بهم أثبت من الاعاصير والطف من النسمة ، وحضن مصر عند فؤاد حداد هو « المصـــرح الدائم » — وهذا « المطرح الدائم » الذى احتضن تاهة تشال وطن عظام ، وعنتاين كبار ..

والشيخ محمد رفعت :

اخضر على طول المدد اخضر

ويخطئ — الذى اقام لمصر الدنانير تجد زهورها وتوتها وهى تتاوه الاستعمار والمأتمة تملأ السما والشارع وترد الاستعمار وتشهد وتنهض وتقف قبال الدنيا وكتافها اعرض
أم التوأم الفارع
تمثال بهية بنت ست الدار

وسيد درويش فنان الشعب :

اسمر وجيه اللون
وفيه شبه من أربعين مليون
وفي ايده حنه وريشة ومسطرين
وسلاح

وعبد الوتوس :

عايل في عفير ، شيخ على منبر
في الفن عنفر

ومحمد عبيد : بطل من ابطال الثورة العرابية :

« على أرض مصر عظيم الجاه »

وعبد الله النديم : قسيس الثـورة العرابية :

لمـــا التقت فوق الماسى وقال
يامصر كنا رجال
بنعلى اسمك للزمان الجاى .

ومصطفى كامل :

اول سلامنا لامنـــا
اللى جناحها يضمنا
ياكلمة خضرا ومؤمنة
سلامنا للارض اللى ولدتنا
مصطفى كامل

هذه هى مصر وكلمتها التى انشدها فؤاد حداد وغناها بكل شيء فيها — كان

وكان وسيكون ، بفلاحها الكادح وبرائحة عرق الحليل فيها ، الذى عمر أبده الحرة ما تقصر ، وشرايين شعبانها من أجل أن تظل رائحة مصر دائما « خضرة » .

ديوان « كلمة مصر » — هو اضافة جديدة الى انتاج فؤاد حداد منذ ديوانه الاول « الحرار وراء القضبان ١٩٥٢ » ثم ديوانه حنبلى السنة ، وبقوة العمل وبقوة الفلاحين ، وديوان المصرانى .

وأخيرا نأمل أن يتم فؤاد حداد الى مكتبة الشعر العربى بملحمته الكبيرة والتى كتبها ونحتها خلف جدران السجن الرهيب أوردى ليمان أبو زعبل ..

نأمل ونرجو أن يحقق شاعرنا الكبير لابناء مصر الأمل ..

عبد المنعم الغزالى

تعليق

المسرح

حيـــاة نعمـــان عاشـــور

دخل نعمان عاشور الى المسرح — شأنه شأن معظم كتابنا المسرحيين . من زاوية الأدب . وهذا المدخل له شأن كبير حينما يكتب نعمان عاشور مذكراته اذ ان امكانياته ككاتب تعطيه القدرة على تجاوز الذات الى الموضوع . ذلك ان القارىء سيمثل نفسه بدوره ذويده ما الذى سأستفيده — من هذه الذكريات او تلك . وقد درج بعض اهل الفن على تسجيل مذكراتهم وفى ذهنهم أن القارىء يقرء الحديث عن الكواليس بوجه عام وربما كان فتوح نشاطى] من ابرز الذين تجاوزوا الذات الى موضوع فى مذكراته عن المسرح لأنه صاحب تجربة فى التعبير بالكلمة اذ يمارس النقد والكتابة المسرحية فى بعض الصحف والمجلات الناقصة .

ولقد بدأ نعمان كتابة [المسرحيين] بكلمة مطمئنة أكد فيها أنه يطرح هذه الذكريات ليبحث فيها عن مكوناته الفكرية والفنية من خلال السنوات التى سلفتها من عمره فى مجال المسرح وقدر له ان يلعب فيها دورا مبكرا . ثم يدخل فى جذور علاقته بالمسرح محاولا البحث عن أصوليها فى طفولته . ومن خلال ذلك يعطينا ما يشبه الدراسة الاجتماعية لحياة الطبقة الوسطى انذاك — الأسرة التى تملك حرية ويرتبا وأرفيدا وتصادر الى القاهرة فى رحلات اسبوعية تشاهد فيها المسرحيات والافلام . ولكن ليس هذه الطبقة التى عاشت له فرص القراءة والسفر والمشاهدة مرعان ما يتحول الى رجل « شعبى » يحب الجوع ومسلسلات بروجيها . واذا كان عنك فى عن التعسف فى ربط طفولته بفن المسرح كأنه يريد تقديم شهادة مدعمة بالوثائق ، فان الكاتب لم يقدم ظعسيرا ملحما لانتمائه الشعبى الهم الا حبه للجماهير والجموع الشعبية الصاخبة ولقد الح على هذا المعنى فى اكثر من موضع ولكن على نحو اشمائى خاص، دون أن يقدم وشيجة واحدة للمسرح عبق صلته بالجماهير ، ذلك ان حبه وحده لا يكفى لبناء موقفكرى مع الجماهير ،

وحينما يصل الكاتب الى ما يسميه بثورة ١٩٦٢ ويقول انها كانت استكمالا لثورة ١٩١٩ نراه لا يدعم هذا القول الكبير بوثائق تعاضده ، كل ما هنالك انه تتبع نشاط بعض منظمى اليسار ولذلك من خلاله هو نفسه كذات تحاول ان تجد لنفسها مكانا ، ورغم الواقعة الدورية كانت من منطلق شخاص بحت وهذا غير صحيح الى حضا ، صحيح أن بعض اليسار لعبوا دورا كبيرا ولكن الذى ساعدهم على انتهاء هذا الدور هو القاعدة الشعبية العريضة التى كان المخاض يحركها ، والثورة التى يتحسى اليها الكاتب هذه السطور على سبيل المثال « شيلى عبير بحافظة كفر الشيخ » . شهدت قيام أربع جمعيات فروية مكونة من الفلاحين المصريين والعمال الزراعيين كانت تقوى بنشاط ضد الاقطاع والسلطات الحاكمة وتحقد بسائرط الاحزاب الرجعية والملك . ولكن من الافضل ان يركز نعمان على « الموضوع » تركيزا أكثر كثافة ويشكل أكثر موضوعية ، خاصة وانه كان دائم التكرار بانه لم يكن عضوا باى من الاحزاب او الجمعيات السرية .

وهنا يلفت القلق فى هذه المذكرات او هذه الذكريات . انهتم الجانب الذاتى لدى نعمان ، فى حديثه عن مسرحياته الاولى بل مرمسرحياته كلها كان يؤكد بثقة لا حد لها انها لاقت تجاهلا مريبا وخدمت الشباك ، وانها كانت الاولى من نوعها ، ومن الواضح ان مسألة ريادته للمسرح المصرى الحديث تحتل الجانب الاعظم من وجدانه ، ورغم أن الكثير من الدراسات النقدية اعترفت بهذه المسألة ، الا أن نعمان فى حديثه عنها اضفى عليها كثيرا من الانحاح والتأكيد — لدرجة ان الذى يقرأ هذا الكتاب دون ان يقرأ مسرحيات نعمان او يكتب عنها سيتصور لابد أن مسألة الريادة هذه موضوع شك كبير من جانب نعمان نفسه ، لقد كان موقفه برقصها بعض المقالات التى حاصبته والتى أوردها فى كتابة مع ان الكثير من هذه المقالات كان يتسم بطابع انشائى ولا تحتاج الى تعليق من جانب الكاتب الا بقدر ماتثيره فيه من مشاعر . واذا لم تشفعه هذه الصلية بقليل من الدجاجة فانها الجانه الى كثير من التطويل والغرض فى الحديث عن كل مسرحية على حدة . وكنت افضل ان يهتم نعمان بالكشف عن معاناته فى تأليف هذه المسرحيات بدلا من انتهاز الفرصة والدفاع عنها بعد . ان صدرت حقائق ثابتة ، والقارىء واقع بالوقوف على أسرار عملية المعالجة وبدلا من الحديث عن النفس.»

ومما لا شك فيه ان الكاتب شيق وله أسلوب رحيبى وممتع . وسيظل مصدرا هاما لمن يريد دراسة نعمان . سيما وانه كشف فيه عن اصول كثير من شخصياته الفنية .

خيرى شلبى

الثمن ٧٠ قروش

السنة الحادية عشره
يونيو ١٩٧٥

الطليعة

طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

علم الجهل ...

د. حجازى :
قصة السوفيت مع مصر

■

رؤية نقدية لبيان الحكومة

توفيق الحكيم واليسار :
التقييم الجدلى .. لا الحسابى لثورة يوليو

■

لا طبقات فى الاسلام

«سوريا» من داخل «سوريا» [دراسة ميدانية]

ملحق الأدب والفن

مجلة شهرية
تصدر أول كل شهر

رئيس التحرير :
لطفي الخولي

سكرتير التحرير :
أبو سيف يوسف

سكرتير التحرير :
مصطفى سلمي

المحررون :
حسين شحاتة
خيري عزيز
د. رفعت السعيد
عبد المنعم الغزالي
فاروق عبد القادر
وديع أمين

د. محمد الخفيف
شارك في تأسيس الطليعة
وأسرة تحريرها
يناير ١٩٦٥ - مارس ١٩٧٢

الفهرس

العدد السادس - السنة العاشرة - يونيو ١٩٧٥

		ص
■ عالم الجهل « الانتلجنسيا »	لطفي الخولي	٥
● الجنة قومية لسيادة الشعب المصري [بيان الى الامة العربية]		١٢
● لماذا نعارض بيع اسهم القطاع العام !	« الطليعة »	١٤
■ سوريا .. من داخل سوريا		١٨
— سوريا بين معركتين	ابو سيف يوسف	١٩
— مصالح بأزرة في الخيانة السياسية [تجربة الجبهة]	حسين شحاتة	٢٦
— مذبحة الاسداد المنزلي		٣٢
— ٣ تجارب من سوريا [تجربة في الانعام]	عبد المنعم الغزالي	٣٣
— مواقفة السلطة ومواقف الاتباع		٣٦
● رؤية نقدية لبيان العسكرية	عادل حسين	٣٩
■ اليسار المصري يحاور توفيق الحكيم :		
ثورة يوليو.. القيم الجدلي.. الاصلي		٥٠
● العلاقة بين السلطة والمثقفين في الستينات العسكرية	د. محمد ابومنديل ادهم	٧٨
■ الرأي .. والرأي الآخر :		٨٤
— حصول المغرب الاصلي للصحافة	مصطفى بهجت بدوي	٨٥
— الاقتصاد الاسلامي الاسلام : لا طبقات في الاسلام	انور عشرور	٩١
— غلاف « الصبح أبصار » يتحدث عن : درس فيتنام		١٠١
— شباب يتحدث عن : تجربة الثورة بين جيلين	محمد سلماوي	١٠٤
— مثقفون يتحدثون عن : هؤلاء الرجال « العظام » ورؤوسهم الطائرة	احمد عنتر مصطفى	١٠٦
— عامل يتحدث عن : شرط الغضاب المالي في الرأسمالية للعبودية	عطية الصيرفي	١٠٩
— التجربة الناصرية بين الرؤية الخاطئة واسقاطات الفاشية وعلم الاجتماع	وجيه ضياء الدين	١١١
— حول شرعية المجلس التنفيذي للاتحاد العام للعمال	عبد المنعم الغزالي	١١٥
● د. هجاري يقدم روايته عن قصة السوفيت في مصر		١١٧
■ القراءة السادسة في « أخبار اليوم » و « الأخبار »		١٢٨
■ تقارير الشهور :		١٣٢
■ وثائق :		١٥٢
■ ملحق الأدب والفن :		١٦٣

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر وهى اعطاؤنا ان نفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه نوفمبر فى القرن الثامن عشر : قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لأن أقاتل حياتى لمنا نحتك فى الدفاع عن رأيك » ...

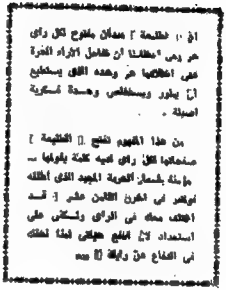

كلمة من « الطليعة »

بعد صدور العدد الماضى من «الطليعة» فوجئنا ، بخاتم ادارة التوزيع بمؤسسة الاهرام يغطى رقم العشرة قروش ،سعر النسخة المعتاد المطبوع على ظهر الغلاف ويرفعه الى خمسة عشر قرشا .

كانت مفاجأتنا فى اسرة تحرير « الطليعة » بحجم مفاجأة القراء تماما . هرعنا الى الادارة نسأل ونحتج .

وقيل لنا ان المؤسسة كانت قد قررت — بعد حساب التكاليف المرتفعة — رفع سعر النسخة . واعتذرت المؤسسة بأنه حدث خطأ من جانبها فى عدم ابلاغ أسرة التحرير بذلك ، او التشاور مع رئيس التحرير الذى كان مريضا .

حاولنا بعد ذلك مناقشة العودة الى السعر القديم ، ولكن المؤسسة واجهتنا بارقام حساب التكاليف التى تضاعفت اكثر من مرة .

وأسرة « الطليعة » تود أن يتعرف قراؤها واصدقاؤها على الحقيقة، ويقبلوا عذرها . وفى نفس الوقت تلح فى طلب مؤازرتهم ودعمهم فى مواجهة اى مفاجآت جديدة تطل من جراب سيف حساب التكاليف .

أسرة تحرير « الطليعة »

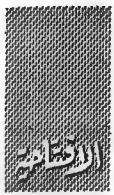

علـــم الجهـــــل

مَنْ حلّ « ذلك » اليمين المتخلف الذي طفح على سطح مجتمعنا ؟ في السنوات الأخيرة ، ان نسجل له ــ ربما على مدى التاريخ المعروف للانسانية ــ الريادة في ابتكار علم جديد غير مسبوق ، هو « علم الجهل » . أو بتعبير آخر: «علمنة الجهل» .

صـــحيح ان اليمين المتخلف ، ظـــاهرة طبيعية ، في كل مجتمع وفي كلّ عصر . تتواجد ــ بدرجات متباينة ــ كقوة معادية لأي تغيير أو تطوير ، حتى ولو كان تغييراً وتطويراً راسمالياً بحتا .

وصحيح ان الجهل ، سواء على مستوى الافراد أو الطبقة ، كان باستمرار ، أحد السمات المميزة لليمين المتخلف : كياناً وفكراً وحركة . حتى أنه يرى في تصنيع البلاد ، كارثة وطنية . من حيث أنه يبذر في جسم المجتمع « جراثيم » العمال ونقاباتهم « الشريرة » .

وصحيح ايضا ، أن اليمين المتخلف ، يتبع بنوع من الذكاء البدائي الخاص ، مستمد من « غريزته الفهلوية » التي تشحذ داخله حاسة مميزة تمكنه ــ في مجال النهب الجشع ــ من « أن يشمها وهي طـــايرة » ، ومن « أين تؤكل الكتف » . وتساعده ــ في مجال الزلفى والنفاق ــ على سرعة تغيير جلده كالحاوي ، تجسيداً لقيمة من أهم قيمه الاخلاقية : « اللي يتجوز أمي أقول له ياعمي » .

لكن يبقى ، رغم هذا كله ، أن نضع في اعتبارنا خمس ملاحظات عند الحديث عن اليمين المتخلف المعاصر في بلادنا .

أولى هذه الملاحظات ، أن اليمين المتخلف ينمو ويذهر في واقعنا ، في الوقت الذي يذوي ويأفل ، في كل انحاء العالم ، بحيث لم يعد له ســـوى جيوب صـــغيرة ، تلفظ

انفاسها الاخيرة ، فى عدد محدود من بلادآسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية . ولا يتم ذلك بفعل القوى والاتجاهات الاشتراكيةوحسب . وانما بقوة الرأسمالية الوطنية المستنيرة خاصة ، وبفعل حركة التحرر الوطنى عامة .

الملاحظة الثانية ، أن اليمين المتخلف ،قد نما كالاعشاب الطفيلية فى حقلنا ، بعد هزيمة ١٩٦٧ ، التى كانت — وما تزال الى حد معين — تمثل انتكاسة خطيرة لمسار حركة التحرر الوطنى وابنيتهاالاقتصادية المستقلةوالاجتماعية التقدمية . كما كشفت فى الوقت ذاته ، عن نواقصوسلبيات الحركة .

وفى ظل هذا المناخ ، نشط اليمين المتخلف الى التآمر على تغطية النواقص والسلبيات الحقيقية ، والتى تتركز فىغياب الديمقراطية الشعبية — وأكبر الديمقراطية الشعبية بالذات — وفى عدم الحسم لمسار الحركة نحو مزيد من التنمية المستقلة ونحو مزيد من التغييرات الاجتماعية ذات الافاق الاشتراكية .

واخترع اليمين المتخلف ، « بغريزته الفهلوية » ، وضيق أفقه الفكرى .. فضلا عن رجعيته ، نواقص وسلبيات وهمية وزائفة ، تطعن حركة التحرر السياسى والاجتماعى فى أسسها وأصولها . فراح يتحدث عن خطأ وعدم جدوى التأميم والقطاع العام وقيادته لعملية التنمية ..وعدم شرعية الاعتراف بالوزن الاجتماعى والسياسى لجماهير العمال والفلاحين الصغار والمعدمين، وعدم سلامة العلاقات مع الاتحاد السوفيتى فى مجال التصنيعوفى مجال اعادة بناء القوات المسلحة ، بالنسبة للاستقلال الوطنى !

الملاحظة الثالثة ، تخلص فى أن اليمين المتخلف فى بلادنا ، تهيأت له ظروف استثنائية موائية . فمع الهزيمة وصعوباتها الاقتصادية وآلامها الطاحنة ، تولدت سوق سوداء واسعة لتكثير من السلع وخاصةالمواد التموينية ، صاحبتها شروخ سياسية واجتماعية عديدة أضعفت — نسبيا ووقتيا — من حركة التحالف الوطنى التقدمى . واقتنص اليمين المتخلف الفرصة ليقودفارس السوق السوداء فى مرحلة الجزر . وهكذا فى بحر الصفقات التجارية ذات العمولات عاد « سمك القرش » ينهش لحم الناس الحى دون حياء أو ردع .

الملاحظة الرابعة ، تكشف عن أن اليمين المتخلف ، وهو محدود العدد ضعيف الوزن سياسيا ، قد تمكن بأساليب متعددة ، فى مقدمتها الرشوة بمختلف صورها ، أن يركب اجتماعيا وسياسيا كتائف الفئات العليا من أغنياء الريف والبرجوازية البيروقراطية . وهى فئات تملك ثقلا أصبح له حجمه المؤثر فى دوائر تتسع نسبيا — فى المجتمع وأجهزة الدولة على السواء .ومن هنا عوض اليمين المتخلف قوته المحدودة ، بقوة مضافة تمتد — منذهزيمة ١٩٦٧ أساسا — بمفاتيح لها أهمية عملية فى مجالات القرار السياسىوتنفيذها .

بهذا انه مع هذا كله — وهذه هى **الملاحظة الخامسة** — ظل اليمين المتخلف مهددا ومكشوفا ، أمام عمليات النمو الفكرية والاجتماعية التى يقوم بها — ضده — من مواقع مختلفة ، كل من البرجوازية الوطنية والرأسمالية المستنيرة والتكتلات المرتبطين بحركة الانتاج والتطوير ، فضلا من جماهير العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين. خاصة وان حركة التحرر الوطنى، منذ ثورة ١٩١٩ بعد الحرب العالمية الاولى ، والى أن بلغت مرحلة متقدمةومنفتحة عربيا وعالميا بعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ ، قد عمقت ووسعت من نطاق الوعى الجماهيرى العام بخطر الجمود والانعزال من مجرى حركة التقدم الانسانية: اجتماعيا وفكريا وتكنولوجيا .

ويقين اليمين المتخلف ، بعدم قدرته ـ رغم تحالفاته ـ على أن يتصدى لهذا التيار المتصاعد للوعي الجماهيري . فهو مفلس فكريا . والفلاسفة يأتي كنتيجة طبيعية لتحجره الاجتماعي ، وانعزاله في « جيتوطبقي » عن مسار حركة تجدد الحياة وتطورها الانتاجي والعلمي . واذا ما أطلق لنفسه عنان التعبير المباشر عن آرائه وأفكاره ، فضح مراميه غير المشروعة على نحو حاد يبلور وحدة عمل بين القوى المستنيرة والمتقدمة على اختلاف منابعها الاجتماعية والفكرية حتى يجد الراسماليون المستنيرون أنفسهم جنبا الى جنب مع الماركسيين في هذا الاطار . كما تثير افكاره الفجة موجات واسعة من السخط والسخرية وسط الجماهير الشعبية على نحو تراجيك ـ كوميدي ، اذا جاز لنا أن نستخدم لغة المسرح .

مثلا .. في احدى جلسات الاستماع [مارس ١٩٧٥] التي اعتادت لجنة الاقتراحات والشكاوى في مجلس الشعب عقدها ، وقف أحدهم ، يطالب بفتح باب البلاد دون أي قيود أمام الرأسمال الاجنبي وبتصفية القطاع العام بحيث يتحول الى القطاع الخاص ٩٥ ٪ منه على الاقل . وأن يترك مجال التجارة والاستيراد والتصدير ـ وهذا مربط الفرس عند اليمين المتخلف ـ مفتوحا على مصراعيه بحرية تامة . وتساءل : « هل هناك من ينهب ؟ ومالة ! هل ستفلس شركات وبنوك وطنية ؟ في ستين داهية ! » . وحين نبه الى أن ما يدعو اليه يخالف الدستور ، أحد قائلا : « اذن نغير الدستور . هو الدستور نزل من السماء ! » .

وفي احدى جلسات اللجنة السياسية للاتحاد الاشتراكي العربي خلال عام ١٩٧٢ وقف من يقول بأن السبب الرئيسي لهزيمة ١٩٦٧ هو ابتعاد المجتمع عن الله وتعاليم الاسلام . وحين سئل : كيف ؟ قال : « من يوم أن عرف الفرش طريقه الى جيوب الفلاحين والصنايعيه ، ووجد من بزن في رؤوسهم أنهم قوة وقيادة وأن لهم حقوقا مهضومة الى آخر كل هذا الكلام الهدام . استأسدوا على كبارهم وأولياء نعمتهم . ومن بطاول رؤوس الكبار وأولياء النعمة يخرج من طاعة الله . ومن يخرج عن طاعة الله تنزل به الهزيمة ! في بلدنا يقف الولد الجلف ابو جلابية مطيحة ، وكله على بعضه لا يساوي ثلاثة أبيض إفرنسي ونصف ترش يعوج لك الطاقية فوق راسه ويقول لك تعالى هنا قل لي ... والله لولا اني رجل مؤمن لقلت ان القيامة قامت ! » .

• • •

أمام هذا العجز المخزي ، الذي يعبر عن غيبوبة فكرية واجتماعية عن واقع الحياة والعصر ، ناهيك عن المستقبل وآفاقه ، أحست بعض عناصر اليمين المتخلف ـ وخاصة تلك التي اتيح لها الاحتكاك بالعالم الخارجي من خلال صفقات الاستيراد والتصدير ـ بالحاجة الى نوع خاص من « المثقفين ـ الترزية » الذين يملكون مع مخزون عدائهم لحركة التحرر الوطني بأبعادها الديمقراطية والاجتماعية التقدمية ، بعض القدرات الفكرية ، على تقديم صياغات تبدو وكأنها ذات مسحة علمية ورنين ثقافي .

ولقي اليمين الطفيلي المتخلف ، بغيته ، في مجموعة من المثقفين الطفيليين أيضا . ونقصد بهم بعض أولئك الذين عاشوا زمنا في خدمة ورعاية القصر الملكي وكبار ملاك الاراضي والرأسمالية الكبيرة دورية ، راوا نهاية العالم في سقوط هذه القوى . وكذلك بعض أولئك الليبراليين التقدميين الذين هزهم بركان ثورة يوليو وخاصة بعد الاجراءات الاقتصادية والاجتماعية في ١٩٦١ ، فقدوا التوازن والقدرة على التكيف مع حركة الواقع التاريخية ، وآثروا الهروب الى مواقع الثورة المضادة ، بأساليب مباشرة وغير مباشرة .

وظل هؤلاء المثقفون الطفيليون ، ليس فقط على هامش حركة التاريخ والمجتمع بل وعلى هامش اقرب الطبقات الاجتماعية اليهم ، وهى طبقة البرجوازية الوطنية المنتجة . نافين انفسهم خارج الواقع ،حسا وجسما ، حتى وقعت هزيمة ١٩٦٧ فعادوا يتنفسون مناخها ويستجمعون مع عودة ظهور اليمين المتخلف فلولهم . وذلك بشىء كثير من الحذر القلق فى البداية .حتى اذا ما بدأ الشعب وقواته المسلحة اولى خطواتهما فى عبور سنوات الهزيمة فى اكتوبر ١٩٧٣ ، وظهر ان القوى الجماهيرية بقدراتها الانتاجية والمسلحة ،تعيد بث طاقة الحرارة الفاعلة فى مسار حركة التحرر الوطنى ،حتى تنادت العناصر القيادية لكل من اليمين المتخلف الطفيلى والمثقفين الطفيليين الى التآزر والتكاتف فى محاولة للقيام بعبور مضاد . وهى المحاولة الجارية الان .

من هذا التفاعل المرضى بين وباءين ،وسط تلك الظروف الاستثنائية الصعبة فى مجتمعنا ، والتى لا يمكن الا ان تكون عابرة ووقتية ، بحكم تناطحها مع جموع الشعب وقواه الانتاجية والمسلحة ومسار حركة التاريخ ككل ، ابتكر هذا العلم الجديد .. علم الجهل ، الذى يمارس اليوم فى عدد من المجالات السياسية والصحفية والثقافية فى بلادنا ..

• • •

ومن الصعب ، اذا صح هذا القول،ان يحيط المرء بكل الركام النظرى والتطبيقى بشأن قضية « علمنة الجهل » . فقد اصبحت على نحو من التعدد والتنوع ، فى الكم والنوع ، الى حد لا يسمح بمتابعة تفصيلية . بالاضافة الى ضيق المجال وصعوبة القضية ومخاطرها فى نفس الوقت .

ومع ذلك يمكن ، فى حدود ماهو متاح ،ان نركز على اربعة خطوط .

الخط الاول ، هو تبيض وتجميل وجه اليمين الطفيلى المتخلف . واعادة عرضه فى صورة الضحية والمجنى عليه .. سرقت أمواله عن طريق التأميم والقطاع العام ، فظل يكدح ويعرق ويعقد الصفقات فى الخفاء وبالواسطة حتى عوض ثروته المؤممة اضعافا مضاعفة . وبدل المليون جنيه المصادر ، اصبح يمتلك عشرة ملايين.

وتقدم فى هذا الاطار مجموعة مختارة من قصص النجاح المثير تدق من حول ابطالها الطبول فى الصحف وتؤلف الكتب تحت رعايتهم ويروى التليفزيون — بالصوت والصورة — حكاياتهم .

و« علمنة الجهل » هنا تستهدف تصوير ان التأميم — فى حقيقته — ليس وسيلة من وسائل تصحيح العلاقات الاجتماعية والحد من الاستغلال وتصفية امتيازات فئة قليلة على حساب الغالبية الساحقة من الشعب ، كما هو معروف ومتواضع عليه فى العالم كله بما فى ذلك العالم الراسمالى . وانما هو عملية سرقة ونهب لمال حلال .

فى حين تصور نجاح المضارب فى عقد صفقات الاتجار فى السوق السوداء والتصدير والاستيراد مع مايحوط بها من رشوة وعمولات غير مشروعة يدفع الشعب ثمنها فى ارتفاع اسعار احتياجات معيشته اليومية ، كدحا وشطارة وعرقا شريفا . وبالتالى نموذجا صالحا لاقتداء الجيل الجديد به .

الخط الثانى ، يقوم على اساس ان «وطنية» المصرى تتحدد على اساس الاختيار

الحاسم بين « المصرية » وبين «الاشتراكية». فالمصرى ، من دون خلق الله فى بلاد العالم، لا يحق له أن يكون وطنيا واشتراكيا فى وقت واحد .

لمـــاذا ؟

يقول فلاسفة علمنة الجهل ، ان الوان الاشتراكية هو ولاء نحو فكر وقيم مستوردة غريبة عن القيم والتقاليد المصرية الاصيلة. وبالتالى فالاشتراكى او اليسارى عموما يفتقد الاصالة والوطنية المصرية .

واذا ما سألتهم عن الموقف المصرى من اليمين والمواطن الراسمالى ..

اجابوك ، بعيدة العلماء وصرامتهم : اعلم ، انك لكى تبقى مصريا اصيلا يجب أن تنأى بنفسك عن اليمين واليسار .. عن الرأسمالية والاشتراكية . ذلك أن مصر لا تعرف الا المصرى وفقط .

تحاورهم — على قدر علمك — فتقول أن مصر وطن . أما اليمين أو اليسار فهو موقف اجتماعى وفكرى وسياسى داخل الوطن .

يردون : هذه هى الخيانة بعينها . فى مصر من يملك الملايين كمن يملك الملاليم .. ومن يسكن الكوخ كمن يسكن القصر .. كلاهما مصرى .. لا فرق ولا تمييز .. من واجبهما أن يعيشا معا فى حب وسلام واحترام متبادل الى ابد الابدين راضين بما قسم لهما ، آمنين فى خير الوطن .

تقول : لكن هذه التمايزات الاجتماعية الغير عادلة ، لابد وان تهجر الصراعات بين المالكين والمعدمين ، بين المستغلين وغير المستغلين كما حدث ويحدث فى كل وطن على هذا الارض . وبالتالى لا يتحقق الحب والسلام بين ابناء الوطن الواحد الا عندما يتطهر الوطن من استغلال الفئة الصغيرة للجماهير العريضة .

يصرخون : هذا هو الكفر الشيوعى ، الذى ربما يساوى بين بطون الناس فى حياتهم المادية . ولكنه يسلبهم حياتهم الروحية ومشاعر الحب والوطنية !

تجادل : هل الوطنية تعنى قبول الاستغلال والرضى به ؟

يصفعونك بحكمتهم : الوطنية هى قبول الوطن بكل خيره وكل شره . وانت وحظك فى الحياة !

الخط الثالث ، يتمثل فى العزف على نغمة ان الحرية التى تتيح للمواطن أن يصرخ فى وجه الحاكم . .. دون أن يناله عقاب ، هى حق من حقوق الانسان الطبيعية . وهذا صحيح . لكن « فقهاء علم الجهل » يزيدون : ان هذا الحق الانسانى هو وحده الثمن باهى الوجود . بما فى ذلك حياة الانسان نفسه .

كتب احدهم — اخيرا — يقول : « اذا خيرت بين الحرية وبين الحياة ، آثرت الحرية » .

ولا ندرى كيف تكون الحرية ، بل وماجدواها اصلا لانسان مات »

تقول لهم : ان الحرية ليست مجرد حلية يتزين بها الانسان ، وليست مجرد سراج لا صدى له اجتماعيا وسياسيا في وجه الحاكم . وانما هي ممارسة واعية ومسئولة لانسان حي يناضل من اجل تحقيق انسانيته روحيا وماديا ، وتجسيد ارادته في بناء وطن متقدم متحصن ضد الاستغلال ، وعالم سوده الاخاء والسلام . ومن هنا فالحرية الانسانية ، في وطننا وعصرنا وعالمنا ، هي حرية النضال ضد النظام الرأسمالي الاستغلالي وبقايا الاقطاع وضد الامبريالية والعنصرية والحرب العدوانية ..

يقولون : هذه ليست حرية بل تخريب . فاذا كانت الحرية لا تجبر العامل على بيع قوة عمله الى الرأسمالي ، فان هذا الرأسمالي من حقه أن يمارس حريته في تحديد اجر العامل أو رفض تشغيله . وكذلك حريته في توسيع نشاطه ومضاعفة ثرواته واستغلالها كيفما يشاء ، حتى ولو أحرقها .. فهو حر !

والخط الرابع ، يتجه الى التبشير بأن العالم قد تخلص تماما من الامبريالية والاستعمار . وأنه لم يعد هناك تواصل بين عالم اشتراكي وعالم رأسمالي ، وان مايسمى بالوفاق الدولي قد ازال كل الفروق بينهما . بحيث أن الاتحاد السوفيتي الاشتراكي ، أصبح كالولايات المتحدة الرأسمالية . كل منهما دولة نووية عظمى و « بس » . ولهذا فلم يعد هناك موجب للتفريق بينهما خلال التعامل مع أي منهما أو التمييز ، الذي درجنا عليه ، بين صديق هو الاتحاد السوفيتي وعدو هو أمريكا . ان في هذا جمود عن مسايرة المتغيرات الجديدة التي طرأت على العالم مؤخرا .

تفاصيل في البداية : هل اسرائيل : صديق ام عدو ؟

يرمقك دهاقنة « علمنة الجهل » بنظرة ارتياب . ولكن مع اصرارك على السؤال يجيبون بشق الانفس : عدو ؟ وماذا فيها ؟

تقول : هل يمكن أن نساوي بين من يسلح عدونا للاعتداء علينا واحتلال اراضينا وقتل شعبنا وبين من يسلحنا للدفاع عن أنفسنا ؟ هل يمكن أن نضع على قدم المساواة بين من ضرب من حولنا حصار الجوع ورفض تقديم اي مساعدة لبناء اقتصادنا الوطني ، وبين من تدم لنا العون والمساعدة لبناء صرحنا الصناعي من السد العالي الى مجمع الحديد والصلب الى ترسانة السفن الى مئات من المصانع المتعددة الانواع .

يجيب خبراء علم الجهل : عدنا الى الاسطوانة القديمة .. ان الاتحاد السوفيتي لم يساعدنا أو يسلحنا حبا في سواد عيوننا ، وانما ليستعمرنا ايديولوجيا . بل انه هو المسئول الاول ، بصفته البلد الشيوعي الكبير ، عن قيام اسرائيل . فالشيوعية والصهيونية وجهان لعمله واحدة . الاولى نادى بها يهودي هو كارل ماركس . والثانية نادى بها يهودي آخر هو « هرتزل » . وكلاهما — الشيوعية والصهيونية — في خدمة اليهود .

تقول : لكن « ماركس » اشتراكي علمي ندد بالعنصرية اليهودية وطالب اليهود بأن يتحرروا من يهوديتهم ويندمجوا في أوطانهم التي ولدوا وانتسبوا اليها ويشاركوا الشعوب في حركتها السامية للتحرر والاشتراكية . في حين أن « هرتزل » عنصري متعصب استعماري النزعة وكانت الحركة الصهيونية التي قادها — وما تزال — رائدا متميزا من روافد العنصرية الامبريالية .

يهمسون بثقة العلماء : لا تصدق .. كلهم يهود ..

تسأل ؟ .. وكيسنجر ؟

بجيبون باحتجاج : لا .. هذا شيء آخر .. هذا امريكي مخلص »

لماذا رفعت علامة استفهام : مخلص إن ؟ قطعوا الحوار وصاحوا : لا فائدة من النقاش ، أنت مزايد !

• • •

هـذه بعض الخطوط البارزة في منطق « علم الجهل » الذي ابتكره تحالف اليمين الطبقي مع مجموعة المثقفين الطفيليين . وذلك في سبيل توفير أساس فكري وغطاء شرعي لحركة تلك الفئة المحـدودة التي تسعى الى اغتنام الفرصة لحصر القوة والسلطة في يدها، في بلد مايزال متخلفا، ويعاني بدرجة حادة من صعوبات وتضحيات الحرب . ذلك أنه في مثل هذه الظروف يضغط اليمين المتخلف مع الفئات العليـا من البيروقراطية في اتجاه جعـل الدولة مجرد مؤسسة لنقل الثروات الى جيـوب الاغنياء . وفتح أبواب التجارة وخاصة في مجال التصدير والاستيراد ، والمضاربات العقارية ، للاثراء الفاحش وتكويم الثروات الطائلة بسرعة ودون ما جهد انتاجي .

والمعروف ـ تاريخيا ـ ان هذا الاتجاه ببادينه المتعددة ، له رصيد تقليدي كبير في البلدان المتخلفة . فمنذ القدم كان الاغنياء الطفيليون يستغلون مراكز النفوذ في وظائف الدولة ويمارسون دوما التجارة وبيع وشراء العقارات ويتعـاملون بالربا والرشـوة والسمسرة كأعمال شريفة ومحترمة .

الجديد في الامر ، ان هنـاك محـاولة لاقنـاع الجماهير الشـعبية والبرجوازية الوطنية والتكتراط ، بأن هذا الاتجـاه الطفيلي، هو أسلم الاتجاهات لنمو الاقتصاد الوطني وازدهاره. ومن هنا كانت جهودهم المحمومة في سبيل « علمنة الجهل » ..

■ وثيقة عمل سياسى ■

لجنة قومية لمساندة الشعب المصرى

جاءنا البيان التالى من « اللجنة القومية لمساندة الشعب المصرى » التى تكونت من مبادرات عدد من القيادات العربية الوطنية والتقدمية ، من بينهم صلاح البيطار وكمال جنبلاط وتقى الدين الصلح واديب الجادر وصديق شنشل وعبد الله الطريقى وجاسم القطامى .

وتنطلق اللجنة فى مبادرتها من مفهوم « الواجب القومى » تجاه نضال وتضحيات الشعب المصرى وقواته المسلحة من أجل القضية العربية ككل بمختلف أبعادها .

وتتصور اللجنة أن تقوم بممارسة أعمالها — فى البداية — من خلال القيام بمجموعة من الاتصالات المباشرة مع المسئولين والقيادات الوطنية فى البلاد العربية ، طارحة من حسابها كل العقد والحساسيات ، على أساس تناول الموضوع على المستوى القومى . وهو المستوى الذى يقوم على « تفهم حقيقة دور مصر النضالى والقيادى على مر الزمن وحقها على البلاد العربية كلها . وواجب البلاد العربية فى تعزيز صمود ثلث الأمة العربية حتى ينعكس عليها جميعا » .

بيان الى الأمة العربية

بين متطلبات المرحلة الراهنة من مراحل النضال العربى التى بدأت مع حرب رمضان [تشرين الأول ١٩٧٣] هناك مطلب عاجل ملح ، تتوقف على تلبيته أمور أخرى مصيرية .. هذا المطلب هو نجدة مصر العربية ، قلب وطننا العربى ، بدهم مالى من الثروات العربية يمكنها من تجاوز الأزمة الاقتصادية التى تعانى منها . واننا كلما أعملنا الفكر وكيفما قلبنا النظر فى أوضاعنا العربية الحاضرة نجد أنفسنا أمام أولوية هذا المطلب تدعونا للقيام بمبادرة حاسمة سريعة .

لم يعد سرا ما تعانيه مصر العربية من أزمة اقتصادية خانقة فى هذه الفترة . فالافصاح عن هذه المعاناة ترد متتالية ، وتصريحات المسئولين اشارت اليها مرارا ، والدراسات العلمية بينتها بالارقام ، ومظاهرها اليومية تبدو فى حياة شعبنا العربى فى مصر وتقلق كل عربى . لقد بات معروفا أن فى مصر أزمة غذاء لابد من تداركها قبل أن تتفاقم ، وفى مصر أزمات أخرى عدة فى مختلف مجالات الحياة تمس كرامة الانسان ، وشعبنا العربى فى مصر يتحمل هذه الأزمات بصبر وجلد مغالبا آلامه .

واضح أنه لا يضير مصر العربية المحاربة وقد خاضت بشرف حرب رمضان وتحملت ما تحملت من أعباء الدفاع عن الوطن العربى أن تخرج من الحرب بمتاعب اقتصادية ، وبجراحات تبقى أوسمة شرف للمحارب . وواضح أيضا أنه ليس لنا أن نغالط بحقيقة أوضاع مصر الاقتصادية ونحن نعرف حجم النصيب الكبير الذى وقع على كاهل مصر

من واجبات النضال العربى عبر سنوات طويلة ، ونهضت بمسئولياته برضى وعلى الخصوص منذ نكسة ١٩٦٧ • ويكفى أن نتذكر الرقم الذى أنفقته الخزانة المصرية على القوات المسلحة خلال السنوات السبع الماضية والذى تجاوز سبعة آلاف مليون جنيه •

اننا حين نضع هذا المطلب على رأس متطلبات المرحلة الراهنة فمن موقع الادراك والوعى لمكان مصر ودورها فى وطننا العربى ، فمصر فى موقع القلب من وطننا الكبير ، وقد أهلتها عوامل الجغرافيا والتاريخ لتقوم بدور حضارى هام، وتسهم فى عطاء العرب الحضارى ، ولتحمل العبء الاكبر فى معاركه أمتنا من أجل التحرر والتقدم والبناء •

كما أن مصر هى قاعدة النضال العربى وقلعته الحصينة ودورها معروف فى تدفق موجة التحرير فى وطننا العربى وفى العالم الثالث • وإنه لا انتصار على أعدائنا فى مجابهتنا لهم ، ولا بناء لمستقبل وطننا ، ولا وفاء بمتطلبات دورنا العالمى الا بمصر العرب قوية عزيزة •

انطلاقا من هذا الوعى والادراك يتحدد المعنى الحقيقى لدعوتنا لنجدة مصر • فهذه الدعوة ليست أمرا ثانويا وانما هى امر جلل مصيرى • وهى ليست دعوة الى التفضل على مصر وانما هى أداء لواجب قومى • وان كل ما يمكن أن يقدم من دعم مالى عربى لن يوازى اسهام مصر الحضارى وعطاء ابنائها بالنفس والمال • كما أن الاخلال بهذا الواجب القومى عربيا يعنى تعريض الوطن العربى كله للخطر •

ولابد لنا ونحن فى معرض توجيه هذه الدعوة الى الاشارة لما قدمته مصر وسوريا كجزء من الامة العربية ككل فى حرب رمضان المجيدة ، والى ما كان من مردود خوضنا الحرب على زيادة ثروتنا العربية والنفطية منها على الخصوص •

كما لابد لنا من الاشارة لذلك التضامن العربى الذى تجلى فى حرب تشرين بدخول الاكثرية الساحقة من الدول العربية ساحة القتال أو ببذلها المال أو باستخدامها سلاح النفط وبردوده على ذلك النصر الذى تحقق للامة العربية •

ولهذا ، فاننا ، ونحن نوجه هذه الدعوة انما نستوحى روح تشرين [أكتوبر] التى اثبتت فاعلية هذا التضامن ، وتقتضى استمراره لتعزيز الصمود الاقتصادى لشعبنا فى مصر بصرف النظر عن الخلافات السياسية القائمة بين الحكومات العربية ، وبصرف النظر عما يعرض من خلاف حول اجتهادات وممارسات النظام فى مصر بشأن تطور القضية الفلسطينية •

اننا ، ونحن نتطلع فى المستقبل القريب نرى دورا كبيرا ينتظر مصرنا العربية ونثق أنها ستؤديه على الوجه الاكمل بعد أن تتجاوز أزمتها الاقتصادية ، دورا يؤدى الى مشاركة عربية لمصر فى حمل أعباء المعركة ماليا ، والى مشاركة عربية مع مصر فى قيادة المعركة ، مشاركة تكون من شأنها تعزيز التفاهم والتضامن والالتحام العربى ، وتعميق الخط العربى الاصيل فى اطار رؤية واضحة لقضيتنا المصيرية وتحديد أدق لاهداف المعركة التى تخوضها والتقاء موحد حول استراتيجية هذه المعركة ، حيث لا مفر من أن نستجيب لقدرنا : أن يدافع الكل عن الكل ، كل العرب عن كل العرب •

واننا ندعو من أجل ذلك الى نجدة عاجلة نقدية لمصر لا تقل عن ما يعادل ألف مليون جنيه مصرى خلال عام ١٩٧٥ تساهم فيها الدول العربية النفطية على الخصوص •

وتحية لمصر العرب ولشعب مصر العربى من كل العرب وهم يرددون أنشودة محبة مصر ، ويعبرون عن ذلك بالبذل •

كلمة للطليعة

فاجأتنا الصحف — دون سابق انذار — بأن قرارا قد صدر ، يعطى المواطنين حق الاشتراك فى ملكية شركات القطاع العام . وحين قرأنا هذا الخبر ، كانت « الطليعة » تتأهب للطبع ، ولذا لن نتمكن — للاسف — من تقديم عرض متكامل لوجهة نظرنا ، وسنكتفى بعرض موقفنا ، فى ايجاز ، ودون انفعال .

لماذا نعارض بيع أسهم القطاع العام ؟

■ ماذا يقول القرار ؟

يقول القرار بزيادة رأس مال الشركات التى يملكها القطاع العام عن طريق أسهم جديدة تطرح للاكتتاب . وتكون أولوية لاكتتاب فيها للعاملين فى الشركة التى تطرح أسهمها ، فاذا لم تتم تغطيتها خلال شهر من تاريخ اصدارها يطرح ما تبقى منها للاكتتاب العام بين المواطنين .

ونبدأ هنا بأن نقرر الحقيقة الواضحة ، وهى أن اعطاء الاولوية فى شراء الاسهم للعاملين فى أى شركة ، هو مجرد مسألة شكلية ، فالاغلبية الساحقة من العاملين لا تجد فائضا تشترى به حذاء وليس سهما . وحتى بالنسبة للادارات العليا فان الشرفاء منهم ، والذين يعيشون على مرتباتهم ، لن يجدوا فائضا كبيرا فى حوزتهم . وعلى ذلك فان الاكتتاب الحقيقى سيكون لاناس من غير هؤلاء العاملين الكادحين . وقد نشر أن الحد الاقصى المسموح به للشخص الطبيعى من الاسهم الجديدة والقديمة ، هو ١٠ آلاف جنيه ، ولكن لم يوضح اذا ما كان هذا هو الحد الاقصى لقيمة الاسهم التى يجوز للفرد أن يملكها فى كل الشركات ، أو أن هذا هو الحد الاقصى الذى يجوز امتلاكه فى شركة واحدة . كذلك فان الحد الاقصى المسموح به للشخص يعنى أن بوسع الاسرة أن تحوز أضعاف هذه الكمية . ثم ما هو الضمان أصلا فى ظل التسيب الحالى ، أن

يلتزم أصحاب الملايين بهذا السقف ؟ هل ستكون الاسهم اسمية ؟ واذا لم تكن مسجلة باسم صاحبها وانما ستطرح للتداول فى سوق الاوراق المالية ، فمن سيتابع التداول وانتقال ملكية الاسهم ؟ وكيف سنتدخل «تدخلا مشينا» فى محاسبة الناس فى ظل « الانفتاح » ؟! ان هذا الحد الاقصى الذى يتحدث عنه لن يراعى فى الواقع ، وبعد فترة سيقال لنا لنكن واقعيين ، ولاداعى لمثل هذه القيود السخيفة ، وستكون فعلا سخيفة لانها غير واقعية !

ثم ماذا عن المستعدين للاكتتاب بنقد اجنبى ؟ لم تنشر الصحف شيئا عن هذا « والنشر عن كل هذا القرار الخطير واجراءاته يتم بالقطارة ، أى ان الحكومه لم تكتف بالمباغتة ، ولكن ايضا تحبس بعض المعلومات ، أو على الاقل لا تفرج عنها كلها كى تتضح كل ابعاد الصورة » ، ولكننا نعتقد ـ على أى حال ـ أن منطق الامور سيدعو الى اعطاء أولوية خاصة لمن يكتتب بالنقد الاجنبى ، فالقرار يقوم على أن هذه الشركات تحتاج الى تمويل توسعاتها ، وتحتاج الى سيولة تستخدمها فى استيراد مستلزمات انتاج وهكذا .

فاذا أعلن بالفعل ان الاولوية فى الاكتتاب ستكون للمواطنين الذين يكتتبون بالنقد الاجنبى ، فان الخطوة الطبيعيه التالية ستكون : وماذا اذا لم تكف مدخرات المصريين بالنقد الاجنبى ؟ لابد اذن من السماح للاخوة العرب ، والمستثمرين الاجانب بالمشاركة ، وهذا هو معنى « الانفتاح الاقتصادى » . ولسنا فى هذا نستخدم استنباطا تعسفيا ، او نسبق الاحداث . فالاقتراح الذى كان **الدكتور احمد ابو اسماعيل** قد تقدم به الى مجلس الشعب عام ١٩٧٣ « فى تقرير لجنة الخطة والموازنة وكان رئيسا لها » هذا الاقتراح كان يقول « لماذا لا نفتح الابواب أمام الاستثمار العربى فى الانتاج المصرى بالمساهمة فى شركات القطاع العام . ان « الانفتاح الاقتصادى لابد أن يعنى فتح أبواب الاستثمار أمام راس المال العربى فى جميع المجالات » ... « انه من الممكن فتح باب للاستثمار الخاص « العربى والمصرى » فى ٤٩ فى المائة من أسهم هذه الشركات » .

هذا هو مصير القرار فى التطبيق ، ودعونا من حكاية اولوية الاكتتاب للعاملين فى كل شركة .

● لماذا القرار ؟

هناك حجج ثلاثة تقدم :

الاولى ـ زيادة راس المال وتوفير السيولة ، وبدلا من تحمل الدولة لهذا العبء ، يمكن للافراد المقتدرين ان يساهموا فى تقديم الاموال المطلوبة . ولو كان هذا هو الهدف الحقيقى ـ وليس تغيير نوع ملكية الانشطة الاقتصادية ، أو تصفيه الدور المتميز للقطاع العام فى ادارة الاقتصاد القومى ـ لو أن المسألة مجرد حل مشكله مالية ، لكان ممكنا ان تلجا الدولة ، أو حتى شركات القطع العام مباشرة ، الى الاقتراض الخارجى والداخلى ، وطرح سندات عند الحاجة بدلا من الاسهم . وفى هذه الحالة تحصل شركات القطاع العام على التمويل المطلوب دون ارهاق الميزانية العامة ، او الميزانية النقدية .. وايضا دون تغيير فى النظام الاقتصادى والاجتماعى ، الذى يمثل القطاع العام محوره الرئيسى .

حجة ثانية تقول : ولكن اليس مناسبا ان تفتح بعض القنوات أمام مدخرات الافراد كى تخرج من تحت البلاطة ، أو كى نحد من تبديدها فى الاستهلاك الترفى ؟ وهذه حجة معقولة ، خاصة وأن هناك طائفة من المصريين تملك فعلا مدخرات ، ولكنها لا تعرف عالم الاعمال ، ولا تعرف بالتالى كيف تستخدم هذه المدخرات استخداما استثماريا منتجا « المصريون العاملون فى الخارج مثلا » .. الحجة اذن لها أساس . ولكن لم تكون هذه القنوات داخل القطاع العام القائم بالفعل ؟ لماذا لا نشجع أصحاب المدخرات هذه على الاكتتاب ـ أساسا ـ فى شركات جديدة خاصة أو عامة ؟ فهذا التوسع هو المطلوب والمفيد . لقد رحبنا دائما بمثل هذا التوسع ـ فنحن نؤمن بدور الراسمالية الوطنية التى تعمل فى مجالات الانتاج بنفس القدر الذى نحارب به الانشطة الراسمالية

الطفيلية . ولكن المسألة الاساسية هي هل نحن نهدف الى استمرار قيادة القطاع العام أو لا ؟ اذا قلنا اننا نهدف الى هذا فان قيادة القطاع العام تتطلب أن يكون ذا حجم مؤثر ، وأن يسيطر على مفاتيح الاقتصاد القومي . ولا تكفي هنا النسب المئوية ، فلابد أن يكون قلب القطاع العام بعيدا عن احصنة طروادة التي تتمثل في مصالح المساهمين المتضاربة . فهذه الاحصنة ستشل من قدرة القطاع العام ، مهما عظم حجمه ، ستحد من التزامه بقدرات وتوجيهات التخطيط المركزي .

ليبق اذن قلب القطاع العام بعيدا عن مساهمات أصحاب المدخرات ، ثم لا مانع بعد هذا أن تنشأ على هامشه شركات منتجة جديدة ، خاصة او مشتركة .

الحجة الثالثة تقول : ادخال المساهمين في ملكية شركات القطاع العام سيرفع من كفاءتها الادارية والانتاجية .. كيف ؟ في البداية نذكر بحقيقة تقول – رغم كل تهويلات الدوائر الرجعية – أن عدد الشركات الخاسرة في القطاع العام لا يتجاوز ١٠ شركات من بين ٤٠٠ شركة قطاع عام .. واسباب الخسائر – في معظم الحالات – أسباب قهرية « منها شركات كانت تعمل في سيناء « ! » او في مناطق التدمير والعدوان » .. ومع هذا يظل السؤال : كيف سيؤدي اشتراك المساهمين الافراد في ملكية شركات القطاع العام الى رفع كفاءتها الادارية والانتاجية ؟ الا يقال ان حصة كل مساهم ستكون محدودة ؟ الا يقال أن القطاع العام سيظل مالكا لاغلبية الاسهم في كل شركة ؟ اذن سيظل القطاع العام ، او ستظل الدولة صاحبة الكلمة الاولى في تعيين الادارات . ولكن يبدو أن المتصور هو أن هذه الشركات ، بعد طرح أسهمها للبيع والتداول في بورصة الاوراق المالية ، ستتغير حوافزها على العمل ، وستكون أسعار أسهمها في البورصة ، وبالتالي معدلات الربح المحققة ، مقياسا مرئيا لنجاح الادارة . وهذا صحيح ، فلاشك أن استخدام سوق الاوراق المالية ، واستخدام مقياس الربح كمقياس وحيد ، ارضاء للمساهمين الراسماليين ، سيغير كل المفاهيم عند الادارات العليا وعند المجتمع كله . نعم ستتنافس الادارات في هذه الحالة تنافسا مجنونا « من أجل زيادة الارباح بأي سبيل » .

واسهل السبل هو الحد من المكاسب التي حصل عليها العاملون في شركات القطاع العام « خاصة وأن هذه الشركات لابد ستطالب بأن يطبق عليها ماهو مطبق بالفعل على الشركات المشتركة المشكلة وفق قانون استثمار المال العربي والاجنبي . فهذه الشركات حتى لو كان القطاع العام مشاركا فيها ، لا تخضع للوائح القطاع العام » . والسبيل الثاني السهل هو زيادة الاسعار « وكثير من شركات القطاع العام كانت تحقق معدلات منخفضة من الربح بسبب تحديد الدولة لاسعار منتجاتها » ثم ماذا عن عبء العمالة الزائدة ؟ ان التخلص منها سبيل ثالث لاثبات نجاح الادارة في زيادة الارباح ؟ والمشاكل التي واجهها العاملون في قطاع الفنادق ستتكرر ؟ فالشركات الاجنبية التي اصبحت تدير مزيدا ومزيدا من فنادقنا ، تحللت من لائحة القطاع العام ؟ فتهاوت حقوق العاملين ، وتخلصت هذه الشركات مما اعتبرته عمالة زائدة تضر باقتصادياتها . في بعض الحالات استغنى عن نصف عدد العاملين .

ولكن قد يقال أن السعار حول تحقيق الربح بأي وسيلة لن يتم فقط وفق هذه التنبؤات المشئومة ، فقد يتحقق أيضا عبر زيادة الانتاجية ، والحد من الاسراف بكافة صوره . ولقد طالبنا دائما بزيادة فائض القطاع العام عبر هذا الاسلوب . هذا هو نوع التطوير الذي طالبنا دائما به ونحن ندافع عن القطاع العام . فنحن ندرك أن امكانيات القطاع العام لا تستثمر الى الحد الاقصى ، ولكن اذا أردنا زيادة الارباح في وحدات القطاع العام زيادة حقيقية من خلال الارتفاع بالانتاجية ، ومن خلال الحد من الاسراف والانحراف « وليس بأساليب القفز على مشاكل العمالة والاجور والاسعار » فان الوسيلة المثلى تتحقق عن طريق احكام التخطيط الشامل والمتابعة ، فهذا التخطيط الشامل ومؤسساته المختلفة « وليس آليات السوق وسوق الاوراق المالية » هو الذي يخلق الظروف الخارجية الصحية لنمو الوحدة الانتاجية . أما بالنسبة للرقابة الذاتية داخل الوحدة الانتاجية فان الوسيلة المثلى هي بتعميق الديمقراطية في الادارة ، واتاحة الفرصة أمام العاملين للمشاركة في وضع البرامج ومتابعتها عن طريق لجان انتاج حقيقية

« وليس على أى حال بواسطة رقابة المليونيرات الجدد فى الجمعيات العمومية التقليدية » .

ومع ذلك ، فان الدعوة لمشاركة المساهمين فى شركات القطاع العام لا تتجه الى الشركات التى تشكو من سوء الادارة ، وهبوط معدل الارباح ، فهذه لن يقبل اصحاب المدخرات على الاكتتاب فيها . ان الدعوة الى المساهمين ستوجه الى الشركات التى تحقق ارباحا معقولة ، أى التى لا تشكو من سوء الادارة ! وقد سبق للدكتور احمد ابو اسماعيل أن أوضح هذا فى جلسة مجلس الشعب « ٣٠ ديسمبر ١٩٧٣ » فقال « ان اللجنة « أى لجنة الخطة والموازنة » تقترح اخذ اسهم الشركات الرابحة وعرضها للبيع فنحصل بذلك على عملة اجنبية لتشغيل الطاقات العاطلة فى القطاع العام ، وذلك بدلا من اللجوء الى الاقتراض المصرفى » « ولا ندرى لماذا .. بدلا من اللجوء الى الاقتراض !! » .

ليس الهدف اذن اسهام اصحاب المدخرات فى رفع الكفاءة الادارية والانتاجية لشركات القطاع العام . الهدف هو مجرد اشراكهم - دون مجهود ودون مخاطرة - فى الحصول على البيض الذهبى للدجاجة التى رباها الشعب بكدح ونضال طويلين . وغدا سيدعوهم الجشع الى المطالبة بذبح الدجاجة نفسها .. وساعتها .. أى حين يذبح القطاع العام تماما ، لن تكون الجماهير العاملة وحدها هى الخاسرة . فاصحاب الامال الرأسمالية أيضا سيخسرون ، ماداموا وطنيين ، واذا كانوا يهدفون الى الاسهام فى تنمية وازدهار اقتصادى ، فهؤلاء الرأسماليون الوطنيون يرتبط نماؤهم ومستقبلهم ، كما يرتبط الاستقلال الاقتصادى ، بنمو القطاع العام ودوره القائد .

● لكل هذا نعارض القرار !!

اننا نعارض هذا القرار الخطير .. ونعارض أن يصدر مثل هذا القرار - فى دولة المؤسسات - دون مناقشة ديمقراطية واسعة ، تشترك فيها كل أطراف التحالف الوطنى . ان الديمقراطية تسهم فى طمأنة الرأسماليين الى انهم لن يفاجأوا باجراءات تأميمية أو ضرائبية ، تصيب مصالحهم ، الا بقرارات سبقتها مناقشات ودراسات وتصويت . والديمقراطية مفروض أن تضمن لجماهير الشعب العامل نفس الحق .. وبالتالى لا ينبغى أن تباغت هذه الجماهير باجراءات تهدد مصير قطاعها العام ، وتهدد مكتسباتها التقدمية فى الصميم ، دون أن يسمح لها بحق الدفاع عن النفس . هذا لا يجوز .. وعجيب ان بيان الحكومة الذى قدم أمام مجلس الشعب - قبل هذا القرار بأسبوع - لم يتضمن اشارة واحدة الى هذه النية !

ويبدو أن بعض الوزراء كانوا مثلنا لا يدرون بأمر هذا القرار قبل أيام من اصداره . فتصريحات زكريا توفيق « وزير التجارة » رغم تحفظاتنا عليها - وعيسى شاهين « وزير الصناعة » حول فكرة بيع اسهم بعض وحدات القطاع العام ، كانتفى خط بعيد تماما عن اتجاه القرار الجديد ! وهذا يفرض التساؤل الطبيعى : ماهو اسلوب العمل الذى تتبعه الحكومة ، وكيف تتسلسل الدراسات ، حتى تصل الى قرارات ، داخل جهاز الحكومة الحالية !

اننا نعارض هذا القرار ، ونرى انه غير دستورى ، فهو يزلزل اساس النظام الاقتصادى والاجتماعى الذى يعبر عنه الدستور . ونحن نأمل أن يتدخل الرئيس أنور السادات لتدارك هذا الخطأ .

وفى نهاية الامر ، فاننا لا نناقش الاشتراكية أو الرأسمالية ، فالقطاع العام وتماسكه هو ضرورة وطنية - من الناحية الاقتصادية البحتة - لتمويل الاعباء العسكرية والمحافظة على الاستقلال الوطنى .. ودعنا من الجوانب الاجتماعية واعتبارات التنمية .. وياليتنا نؤجل مثل هذه الامور التى تثير خلافات حادة .. على الاقل الى أن ننتهى من تحرير أرض الوطن .

« الطليعـــة »

سوريا من داخل سوريا

لا تزال « الطليعة » تواصل تقديم دراساتهامن واقع الوطن العربي ، على اساس من الزيارات الميدانية . فمن قبل قدمت الطليعةرؤيتها « للعراق من داخل العراق » ، ثم قدمت في العدد الماضي شهادات عن الثورة الفلسطينيةفي الجبهة اللبنانية ، وفي اقصى الجنوب من لبنان . وفي هذا العدد تقدم الطليعة دراستهاعن :

« سوريا من داخل سوريا »

فقد انبيالوفد من «الطليعة» ان يزور هذا البلد الشقيق بدعوة من وزارة الاعلام السورية .

وعلى امتداد مايقرب من عشرين يوما التقىالوفد بشخصيات بارزة ، من رسميين ، ومن قيادات حزب البعث ، ومن قيادات الاحزاب المشاركة في « الجبهة الوطنية التقدمية » . وزار صحيفتي « البعث » و « الثورة » .

ثم مشى يتجول في انحاء سوريا ليزور جامعةدمشق والقنيطرة ، وموقع سد الفرات ، وبعض المصانع .

ولا شك ان ثمرات هذه الدراسة انما يعودالفضل فيهـا الى عـدد كبير من الاخوة والاشقاء والاصدقاء السوريين ، في الحـزب والحكومة وفي الجبهة ، وفي المجتمع .

من هنـا ، نرى لزاما ان نثمن باعتزاز كـل المساعدات التي مكنت البعثة من ان تنجز عملها هذا وقد ركزت الدراسة على القـاء بعض الاضواء على ابرز الملامح في حياة سوريا من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية .وكانت بعثة الطليعة تتكون من :

— ابو سيف يوسف
— حسين شعلان
— عبد المنعم الغزالي
— فاروق عبد القادر

[١] سوريا بين معركتين

أبو سيف يوسف

كنا ، نحن اعضاء بعثة الطليعة ، فى لقاء مع الرفيق **عبد الله الاحمر** ، الامين العام المساعد لحزب البعث العربى الاشتراكى . وكنا قد تأهبنا لحوار طويل أمتد — بالفعل — على مدى ساعتين . وكان موضوع الحوار : حزب البعث فى سوريا : دوره فى حياة المجتمع السورى . كيف يستعد لمقد مؤتمره القطرى الرابع؟ وما هى العلاقة بين القياديين القومية والقطرية . وهل هى — فعلا — علاقة عضوية أم أقرب الى أن تكون شكلية . وأسئلة أخرى عن علاقة الحزب بالدولة ، وعلاقته باعضاء مجلس الشعب الحزبيين . والاخطار المحتملة التى يتعرض لها فى عمله من ناحيتين : نحو بيروقراطية فى داخله، واندماج جهازه التنظيمى بجهاز الدولة ، الامر الذى يمكن أن تضيع معه الفواصل والحدود .

وفى اثناء الحوار تطرق الحديث الى قضية فلسطين ، فوصلنا الرفيق عبد الله الاحمر بانها « **القضية الرئيسية** » .

● **سألنا الامين المساعد للحزب :**

— هل هى قضية رئيسية أم القضية الرئيسية؟

فأجاب :

— **هى القضية الرئيسية .**

وربما أمكننا أن نضيف — وفقا لما لمسناه وشاهدناه خلال عشرين يوما قضيناها فى القطر الشقيق — أن **فلسطين** ، هى فى وجدان السوريين أكثر من « قضية » ؛ وتكاد أن تصبح « منطلقا » من المنطلقات الحزبية ، ومبدأ من المبادىء فى سياسة البلاد . ولذلك ، عندما خطب الرئيس **حافظ الاسد** فى عيد الثورة [٨ آذار] ، وأعلن من قبل ، عن اقتراحه الخاص باستعداد سوريا لاقامة قيادة مشتركة سياسية وعسكرية مع منظمة تحرير فلسطين ،كان الرئيس **الاسد** يؤسس موقفه على أمرين ،

— المنطلقات الفكرية الاساسية [الايديولوجية] للبعث .

— المكان والحيز الذى اصبحت تشغلها قضية فلسطين بعد حربين : يونيو ٦٧ ، واكتوبر ٧٣ .

ففيما يتعلق بالمنطلقات الاساسية للبعث ،فقد انتهت وثائق الحزب ، فى مؤتمراته القومية والقطرية ، الى صياغات اكثر تحديدا لاهدافه البعيدة والمرحلية . وساعد هذا ، على وضوح اكثر فى التحليلات لم تكن لتتوفر — فى الواقع — فى منشورات الحزب ومطبوعاته ابان نشأته الاولى [١] .

وفى لقاء لنا ، فى القيادة القطرية ، مع أحد اعضائها : الرفيق **عبد الله الاحمر** ، كان لابد وان ندخل الى اى موضوع من مدخل « الوحدة العربية » :

ففى رأى حزب البعث ،وهو ما اكده **الرفيق** ، أن اول مايلفت النظر عند دراسة تاريخ العرب الحديث هو ظاهرة التجزئة . وهذه التجزئة — كما قال — لم تكن عفوية فى بلاد العرب ؛ بل كانت مخططة ومقصودة . الدليل على ذلك ، أن الاستعمار غزا بلادا أخرى ، وعندما رحل عنها، ظلت هذه البلاد فى نطاق ، وفى كيان سياسى موحد. الامثلة على ذلك : الهند واندونيسيا ،وعندما درس المؤتمر هذه الظاهرة توصل الى أن استمرار نضال كل بلد عربى على حدة امر مستحيل . ثم طرح هذا السؤال : لماذا وقعت التجزئة ؟ وكانت الاجابة : هى أن الثورة البورجوازية فى البلاد العربية عجزت عن تحقيق الوحدة . والسبب هو انها ولدت فى عصر الامبريالية : عصر تصدير

---

(١) نشير بوجه خاص الى الطبعة الثالثة من كتاب اصدرته القيادة القومية للحزب تحت عنوان : « بعض المنطلقات الفكرية التى أقرها المؤتمر السادس فى تشرين أول ١٩٦٣ م

راس المال المالي . وكل ما اقامته من صناعات هي الصناعات التي سمح بها الاستعمار لكي لا تنافس صناعات « البلد الام » . يضاف الى ذلك ، ان البورجوازية العربية كانت — عموما — انفصالية بطبيعتها . . فهي لكونها ضعيفة ، وغير مستنيرة لا تهتم بقضية الانتاج ، وتفضل الجري وراء الربح السريع فقد عجزت عن تصنيع البلاد ، عن القيام بالثورة الصناعية الاولى التي قامت بها البورجوازية الاوروبية . من هنا ، ايضا ، هوة التخلف الاخذة بالاتساع باستمرار بين البلاد العربية وبين البلاد الاوروبية المتقدمة . وعند هذا الحد ، طرح حزب البعث **شعار الاشتراكية** — في ظروف دولية جديدة — ولم يكن طرحه لهذا الشعار تراجعا منه عن **شعار الوحدة** او تفضيلا له . ولكن **البعث** وجد ان متطلبات العصر تتطلب :

— ان تنحى البورجوازية عن قيادة المجتمع .

— وان تقوم القوى التي يمثلها حزب البعث ، ومعها كل القوى الثورية والتقدمية بعمل ثورتين في آن واحد : وحدوية واشتراكية .

فالوحدة هي قضية مصير . ولكن الاشتراكية هي ايضا — وبمعنى من المعاني — قضية مصير .

في الطريق الى الوحدة تلتقي الامة العربية — وجها لوجه — بالاستعمار ، وفي الطريق الى الاشتراكية تلتقي بالاستعمار الجديد . . واينما سرت في هذا الطريق او ذاك ، فانت مطالب بالتصدي « للكيان الصهيوني التوسعي والعدواني » الذي اقامه الاستعمار : اسرائيل . . وبالتالي ، انت مطالب — في نظر البعث — بان تحدد : موقفا من قضية فلسطين ، وان تطرحها الطرح الصحيح .

موقع وتاريخ

هنا ربما يسأل المرء نفسه ، الى اي مدى يمكن ان يكون لهذا الفكر علاقة قوية او علاقة منشأ — بموقع سوريا الجغرافي وتاريخها الوطني ، على الاقل في العصر الحديث ؟

فيما يتعلق بالموقع الجغرافي فان سوريا ، تمثل ملتقى الطرق التي تربط البلاد الافريقية وبلدان حوض البحر الابيض المتوسط ببلدان غرب آسيا . وبحكم هذا الموقع ، الجغرافي الملائم قامت فيها — منذ اقدم عصور التاريخ — ممالك ومدن . ان هذا الموقع الجغرافي نفسه جذب اليها الغزاة ، وكان آخرهم الاستعمار الفرنسي .

ولكن نظرة الى هذا الموقع الجغرافي يرينا انها تملك حدودا مشتركة مع العراق والاردن ولبنان وفلسطين وانها — من ناحية — وبوضعها هذا — ممر لطرق التجارة والحضارة القادمة من البحر الابيض ، ومن ناحية اخرى ممر لطرق البترول والتجارة الاتية من الخليج الى البحر الابيض ايضا . وربما ادركت القوى الوطنية في سوريا التي حصلت على استقلالها السياسي مبكرا في عام ١٩٤٣ — ان تطور سوريا الاقتصادي يتطلب منها ان تستعد : هي ، لان تستقبل انابيب البترول الاتية من منطقة الخليج لتحمله الى موانيها الواقعة على البحر الابيض المتوسط . الا ان هذه القوى الوطنية ادركت ان الفائدة الاقتصادية التي ستجنيها من مرور انابيب البترول بارضها ، يجب الا تنفصل عن متطلبات حماية امنها واستقلالها القومي . وهذا يفسر كيف انها بادرت ، في وقت مبكر جدا — في ١٩٦٤ — الى التصدي للاحتكارات النفطية الكبرى — فترفض اعطاء اي امتياز او توقع عقد مشاركة مع الشركات الاجنبية في مجال استخراج النفط . ومن ثم ، قررت سوريا ان تستثمر نفطها بكيفية مباشرة . وتجسدت هذه السياسة في القانون رقم ١٣٣ لعام ١٩٦٤ ، وينص على انه :

« يمنع اعتبارا من نفاذ هذا المرسوم التشريعي اعطاء اي امتياز لاستثمار الثروات المعدنية والبترولية في اراضي الجمهورية العربية السورية لاي شخص طبيعي او اعتباري » .

وقد اعتبرت سوريا ان هذه الخطوة تشكل حجر الزاوية في استقلالها السياسي وتطورها الاقتصادي . وكان يكفي لكي تقتنع سوريا بهذا ان ترى ما كان يحدث — في ذلك التاريخ — في عدد من البلاد المجاورة ، عندما كانت احتكارات البترول الاجنبية تمثل دولة داخل الدولة : لكن الخطر المباشر يظل ياتي من دولة اسرائيل . ان الانجليز كانوا يعتبرون السيطرة على فلسطين ضرورية لحماية قناة السويس « طريق الهند » ومصالحهم البترولية . والولايات المتحدة ، عندما دخلت المنطقة بعد الحرب العالمية الثانية ، رات ان اسرائيل قد حلت محل السلطة البريطانية ، وانها كفيلة بحماية المصالح البترولية ضد نمو وتصاعد النضال الوطني التحريري للشعوب العربية . ومن هنا — ومن جميع هذه المداخل — تدخل قضية فلسطين الى الحركة الوطنية السورية ، لتكون في مركز اهتمامها المباشر والملح .

هذا عن الوضع الجغرافي .

واما عن تاريخ النضال الوطني في سوريا والمشرق العربي ، فان هذا يعود بنا الى تاريخ الثورة العربية الكبرى التي اتجهت بوعي

الى توحيد بلاد الشرق العربي، خاصة كل اجزاء المنطقة المعروفة باسم سوريا الكبرى . ونحن نذكر انه بعد ان تم انتخاب المؤتمر الوطني السوري ، اجتمع المؤتمر في دمشق في ٢٠ يونيه ١٩١٩ وسلم مذكرة الى لجنة التحقيق الأمريكية التي ذهبت الى هناك لتستطلع رغبات أهل البلاد : نفي البند السابع من بنود هذه المذكرة أوضح المؤتمر: انه يعارض الدعاوى الصهيونية لخلق كومنولث يهودي في الجزء الجنوبي من سوريا ، هذا الجزء المعروف باسم فلسطين ، كما يعارض الهجرة الصهيونية الى اي جزء من اجزاء البلاد . ونحن نعلم، بالطبع ، ماحدث : فقد ضربت الثورة وتم تمزيق الشام والمشرق العربي . ولكن ، اذا كنا تقتضيه فلسطين تطرح اليوم — وبعد اكثر من نصف قرن، في ظروف محلية ودولية جديدة ، فان أول ما يخطر على البال هذه الفرضية ، وهي اننا بازاء عملية تاريخية متجددة ، تنطبق عليها احدى مقولات المنطق الجدلي « نفي النفي » . فاذا كان الاستعمار العالمي ، بعد الحرب العالمية الأولى ، قد « نفى » الثورة العربية في المشرق ، فان على حركة التحرر الوطني في البلاد العربية أن تعود لتنفي ، مرة أخرى ، كل الاوضاع التي خلقها الاستعمار في المنطقة .

واذا صحت هذه الفرضية ، وهي صحيحة استراتيجيا ، فان قضية فلسطين تصبح في هذا العامل المباور ، والمستقطب لاهتمامات حركة التحرر الوطني العربية بمستواها الجديد ، وذلك على الاقل في هذه المرحلة من مراحل تطورها. وعند هذه النقطة ، قد يبدو اننا اتحدث عن فلسطين ، بمناسبة زيارتنا لسوريا . ولكن الحقيقة اننا نتحدث — في الاساس — عن المعركة الوطنية التحريرية التي تخوضها سوريا اليوم ، والتي تتبلور شعاراتها تحت عنوان استرداد الحقوق المشروعة لشعب فلسطين العربي . بل ان من المألوف ان نسمع في سوريا « فلسطين قبل الجولان وقبل سيناء » . والسؤال هنا : هل هذا الموقف السوري مجرد مناورة حتى تظهر سوريا بمظهر الطرف الاكثر تشددا ، كما تذهب الى ذلك بعض التعليقات الغربية وخاصة الامريكية ؟

الواقع انه ليس هناك — نظريا على الاقل — ما يمنع الحكومة السورية بأن تظهر التشدد حتى من قبيل المناورة المشروعة ضد الاعداء . لكن القضية ، أو جوهر الموقف السوري ، انما يتشكل تحت تأثير عوامل عديدة بعضها ذاتي وبعضها موضوعي .

ففي مقدمة العوامل الذاتية ، هناك الابتحان الحقيقي للمنطلقات الفكرية ، وللشعارات التي تمسك بها البعث منذ الاربعينات ، والتي تمثل وثائقه انه كان سباقا اليها . وهنا ، تتجلى تغلبا استعادة الاجزاء السليبة من الوطن العربي في مقدمتها فلسطين .

وفي مقدمة العوامل الموضوعية ، هذا الواقع الذي خلفته حزيران ، حرب يونيو ، وفيها فقدت سوريا جزءا من الجولان احتلته اسرائيل، واثابت عليه عددا — لا يزال يتزايد — من المستعمرات . ثم حرب تشرين (اكتوبر) التي استوتفت — وبضراوة هائلة — بعد وقف اطلاق النار ، ان معارك تشرين وبمعارك الجو، قد خاضتها القوات المسلحة السورية وسجلت فيها بطولات حقيقية . لكن ، يجب ان نضيف الى ان جماهير الشعب السوري ، أيضا ، قد تم اعدادها بمدرسة الحرب . وفي هذه المدرسة الصعبة جرى تثقيفها سياسيا ، وهي لذلك قد تقبلت التضحيات المفروضة عليها ، ودفعت ثمنا كبيرا ليس اقله حجم التدمير الذي اصاب المدن والمرافق الاقتصادية التي ضربها الطيران الاسرائيلي عامدا متعمدا .

وعندما ينظر الشعب السوري الى هذا كله ، والى الجولان المحتلة ، والى القنيطرة التي جرى تدميرها بالكامل ،والى التحصينات والاستعدادات الاسرائيلية على الجانب الاخر من خط القتال ، فان النتائج التي يستخلصها السوريون هي :

— انه من المستبعد ان يجلو اسرائيل بالاقناع، ومن خلال المفاوضات ، من خلال جنيف .

— وفي هذه الحالة ، فان البديل هو حرب طويلة ، تستعد لها اسرائيل وتلوح بها ، ولابد ان يجري الاستعداد لها في سوريا ، بتسليح مناسب ، طالما وصفه المراقبون بانه تسليح كثيف للغاية .

سوريا اذن تخوض معركتها التحريرية على جميع الاصعدة . وهي معركة شاملة ، لها الوزن الاكبر في التأثير بعمق على كافة مظاهر الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . بحيث ان كثيرا من الظواهر والتطورات لا يمكن فهمها دون ان يكون المدخل اليها الموقف من معركة التحرير ،وان حركة حزب البعث نفسه ، والحركة التصحيحية ذاتها والعلاقة بين القوى والاحزاب السياسية داخل الجبهة الوطنية التقدمية ، والعلاقات بين سوريا وبين مصر ، وبينها وبين البلدان العربية الاخرى، كل هذا تحكمه ، وتشكله ، معركة التحرير

بطبيعتها ، بكل تعقيداتها ، وبآفاق الحلول المختلفة المطروحة لها .

استمرار التنمية : المعركة الثانية

ولكن ، لما كانت معركة التحرير تدور فى المجتمع السورى بكل تاريخه ، وخصائصه ، وحركة الطبقات الاجتماعية الداخلة فيه ، فان لهذه المعركة وجهها الداخلى ، وهى **المعركة الثانية** التى نخوضها سوريا — فى الوقت نفسه — اذا سح هذا التعبير ، ويمكن أن نوضح تحت عنوان **معركة التنمية** .

وحول التنمية ، حول اختيار طريق التطور الاجتماعى ، تدور معركة حادة للغاية ، وبكل المقاييس . وفى مواجهتها تتحدد المعسكرات الطبقية .

فهناك ، من ناحية ، القوى والاحزاب السياسية التى تعبر عن مصالح وأهداف الطبقات الشعبية والوطنية : الفلاحون والعمال والمثقفون وقطاعات مختلفة من البورجوازية الصغيرة فى المدن . وهذه القوى السياسية تتحد — بقيادة **حزب البعث** « الحزب القائد » فى داخل **الجبهة الوطنية التقدمية** وتضم **الحزب الشيوعى السورى والاتحاد الاشتراكى العربى والوحدويون الاشتراكيون** . وهذه الجبهة تتمسك بحزم — بأن يتم جلاء العدو الاسرائيلى ، ويتم الاعتراف بحقوق شعب فلسطين ، بدون أن تتقدم سوريا بتنازلات اقليمية من ناحية ، أو ترغم من ناحية اخرى على القيام بتراجعات تمس مكتسباتها الاجتماعية التقدمية واستقلالها الاقتصادى .

ومن ناحية اخرى ، هناك بقايا الطبقات القديمة الاقطاعية والبورجوازية والبورجوازية الكبرى التجارية والكومبرادورية ، وكل أقسام البورجوازية التى تدخل تحت عنوان «الرأسمالية الطفيلية» . وهذه القوى ، وان كانت لا تملك تنظيمات سياسية مشروعة ، الا أن لها تمثلا ملحوظا ونفوذا محسوسا داخل المجتمع . وهى تضغط من أجل حل للقضية الوطنية من خلال الولايات المتحدة الامريكية . وفى مقابل هذا الحل تقدم تنازلات تمس جوهر النظام الاقتصادى والاجتماعى القائم فى سوريا .

ونستطيع أن نأخذ فكرة واضحة عن التناقض الحاد بين هذين المعسكرين ، اذا قلنا أن المعركة بينهما انما تحتدم حول مصير القطاع العام ، فى داخله وفى خارجه ، كما تجرى فى كل مكان ، وفى كل مؤسسة ، ومصلحة ودائرة حكومية ، وفى جميع انحاء البلاد .

فهذا القطاع الاقتصادى الهام ، قد أخذ ينمو كما نعلم — منذ الايام الاولى لتحقيق الاستقلال عام ١٩٤٣ ، عندما قامت الدولة بتأميم الشركات الاجنبية . ثم قامت — بعد ذلك — بانشاء عدد من المشروعات أهمها انشاء مصفاة البترول فى **حمص** [١٩٥٨ — ١٩٥٩] .

وفى عهد الوحدة السورية — المصرية ، حدثت الوجبة الاولى من التأميمات عام ١٩٦١ . وحدثت الوجبة الثانية منها عام ١٩٦٥ . ثم تدعمت مواقع القطاع العام بفضل المشروعات الاقتصادية المملوكة كلية للدولة ، والتى نفذت خصوصا فى الخطتين الخمسيتين الثانية [٦٦ — ٧٠] والثالثة [١٩٧١ — ١٩٧٥] .

هكذا قام قطاع عام فى سوريا يسيطر على ٧٠٪ من الانتاج الصناعى والتجارة الخارجية واصبح ، من ثم ، محور التنمية فى سوريا ، والمصدر الرئيسى للتراكم البدائى . وأيكنه أن يساهم فى استثمارات الخطة الخمسية الثانية بنسبة ٦٥٪ ، وارتفعت هذه المساهمة الى ٨٠٪ فى الخطة الثالثة .

وترتب على ذلك أن :

- نما الدخل القومى بمعدل ٩٫٦٪ فى السنوات الخمس الاخيرة . وفى السنوات الاربع الاخيرة زاد الانتاج الصناعى بمعدل ١٠٪ سنويا .
- امكن تثبيت أسعار الخبز والسكر والوقود والارز .
- ارتفع متوسط دخل الفرد من ٧٦٤ ل.س. عام ١٩٦٣ الى ١٠٢٥ ل.س. عام ١٩٧٣ .
- تم فتح مراكز جديدة للبيع للجمهور بالتجزئة وبدون تدخل الوسطاء والمحتكرين .
- تم تأمين القسم الاعظم من احتياجات القوات المسلحة اثناء حرب تشرين [اكتوبر] كالوقود والمواد الغذائية .
- امكن الاسراع فى اعادة تعمير ما خربه الطيران الاسرائيلى من محطات توليد الكهرباء .
- امكن ان تبدأ خطة تخطيط الاقتصاد القومى على أسس واقعية ، رغم كل الثغرات التى تشوب العملية التخطيطية ذاتها فى بلد حديث عهد بالتخطيط .
- زاد وزن الطبقة العاملة السورية ، اذ ارتفع عدد عمال القطاع العام الى حوالى ٦٩٠ الف عامل .

وفي النهاية ، اذا جاز ان نلخص الوظائف الاساسية للقطاع العام في مرحلة من التطور الاقتصادي يعتبرها السوريون **مرحلة انتقالية** امكن القول : بأن هذه الوظيفة تتمثل فيما يلي :

● تحرير الاقتصاد الوطني من مختلف انواع التبعية للشركات الاجنبية ، وحماية الاقتصاد القومي — في النهاية — من الوقوع في قبضة الاستعمار الجديد .

● خلق اساس مادي قوي لتنمية المجتمع ، خاصة وان جميع الاحزاب السياسية تضع قضية بناء مجتمع اشتراكي هدفا استراتيجيا لها . كما ان الدستور الدائم ينص على ان « اقتصاد الدولة اقتصاد اشتراكي يخطط بهدف الى القضاء على جميع اشكال الاستغلال » .

● تمكين الجماهير من المساهمة في ادارة الاقتصاد الوطني عن طريق اتخاذ القرارات السياسية ومراقبة ومتابعة تنفيذها . وهذا كله يوسع من نطاق ممارسة الديموقراطية .

الى أين يتجه الهجوم المضاد ؟

ازاء هذا الوضع ، لم يكن ممكنا ولا متصورا ان تسكت القوى المضادة على الجهود المبذولة لدعم القطاع العام وتطويره . وهنا نشبت المعركة ، التي لم تزل مستمرة داخل المجتمع السوري .

والواقع انه يوجد في سوريا قطاع رأسمالي كبير ، الى جانب القطاع العام . وهذا القطاع يملك وسائل اقتصادية كبيرة ، ويلعب دورا رئيسيا في بعض الاحيان ، ولذلك بفضل قدرته الهائلة على الحركة ، وبحكم خبرته في التأثير على اجهزة الدولة وافسادها والضغط عليها .

وحتى نأخذ فكرة عن مواقعه القوية ونشاطاته الواسعة ، يمكن القول بأن هذا القطاع الرأسمالي الكبير الخاص :

● يشرف على ثلث التجارة الخارجية ولا يدخل في هذا نشاطه في التهريب .

● يحتكر — تقريبا — قطاعات الملكية العقارية والبناء والتشييد والنقل والسياحة .

● يسيطر من خلال تجار الجملة على ٨٠٪ من التجارة الداخلية .

● يسيطر عن طريق المقاولين والمكاتب الهندسية على اكثر من ٩٠٪ من صناعة البناء والتشييد .

وحتى نكون فكرة عن الارباح التي يحققها هذا القطاع الرأسمالي نقول :

● في قطاع المقاولات لم يزد رقم اعمال الشركات الحكومية [وعددها ٤ شركات] على ٨٠ مليون ليرة سورية في عام ١٩٧٣ . اما رقم اعمال المقاولين فقد زاد عن ٣٠٠ مليون ليرة . وكانت كل عقودهم من الدولة . ويستخدم هذا القطاع ٧٤٢٨٨ عاملا ويستخدمنا . . . .

● في عام ٧٠ — ١٩٧١ ازداد حجم اعمال القطاع الرأسمالي استيرادا وتصديرا من ٣٦٣ مليون ليرة سورية الى ٩٨٢٫٣ مليون ل.س .

● يشتري كبار التجار انتاج شركات التسويق المؤممة ثم يحتكرونه ويبيعونه بالاسعار التي يحددونها الى تجار التجزئة . وتتراوح ارباحهم في هذا المجال بين ٣٠ — ٤٢٪ في الماية من الثمن الذي تحدده شركات القطاع العام .

والنتيجة — كما يشير الى ذلك واقع الحال هو ان عدد اصحاب الملايين لم يزل في ارتفاع مستمر .

وهنا تطرح بالضرورة قضية النشاط السلبي الذي تمارسه البورجوازية التجارية الكبرى والمقاولون والمتعهدون والسماسرة ووكلاء البيوت الاجنبية والمهربون ، وكل من يدخل تحت عنوان « الرأسمالية الطفيلية » .

ان الرأسمالية الطفيلية تهدد سلامة وفعالية القطاع العام على الوجه التالي :

● ان القسم الاكبر من البورجوازية الطفيلية يحد من قدرة القطاع العام على احداث «التراكم» اللازم لتوفير الاستثمارات . ذلك لان الرأسمالية الطفيلية تقتطع جزءا هاما من ارباح القطاع العام وتأكله لقمة سائغة .

● ان ركض الرأسمالية الطفيلية وراء تحقيق اكبر معدلات للربح في اقصر وقت يتسبب في زيادة كمية النقد المتداول . وهذا يؤثر على قيمة النقد السوري ويحدث حالة من التضخم هي موضع شكوى الجماهير .

● ان قيام الرأسمالية الطفيلية بعمليات السمسرة بين القطاع العام وبين المؤسسات الاجنبية ، وبما تحصله خلال هذه الوساطة من عمولات هائلة ، تتسبب — ايضا — في رفع الاسعار .

● ان مشتريات الرأسمالية الطفيلية من انتاج القطاع العام الصناعي تباع للجمهور وللتجار التجزئة وللحرفيين — بعد رفع اسعارها — وهو الامر الذي يفاقم من حدة الغلاء .

واذا حاولنا — بعد ذلك ان نحدد — الاتجاهات الرئيسية لهجمة الرأسمالية الطفيلية على القطاع العام السوري امكن القول :

● ان البورجوازية التجارية الكبيرة وهي

رأس الرمح فى هجوم الاقسام الطفيلية من البورجوازية ، تحاول ان تجهد القطاع العام بحيث لايتخطى مرحلة رأسمالية الدولة . فاذا ما تم لها هذا تحول القطاع العام — فى واقع الامر الى مجرد قطاع تتفق الدولة على اقامته وتنميته ، ثم تجنى البورجوازية التجارية تمسا هاما من ارباحه وينتهى هذا كله — فى حالة استمراره — الى وقف التطور الاشتراكى .

● ومن الناحية الفكرية ، يتجه الهجوم الى تصيد الاخطاء والثغرات فى القطاع العام ، والتشنيع عليها ، والمبالغة فيها ، بهدف خلق رأى عام مضاد للقطاع العام فى صفوف الجماهير الشعبية توطئة للانقضاض عليه .

● الاستعانة بذمم الرأسمالية العالمية والضغط من اجل اعطاء تيسيرات كبيرة لرؤوس الاموال الاجنبية ، لدعم مراكز رأس المال الخاص وتوسيع رقعة نشاطه بحيث — تعجز الدولة عن توجيهه — بأى شكل — فى اطار اى خطة واقعية للتنمية .

محصلة المعركة

وعند هذا ، يرد السؤال :

الى اين انتهت هذه المعركة بين القطاع العام وبين القطاع الرأسمالى الطفيلى [٢] ، بين القوى الاجتماعية التى تدعم القطاع الاول والقوى الاجتماعية التى تشكل الثانى ؟

فى حقيقة الامر لم يستطع ود « الطليعة » ان يكتم مخاوفه على مستقبل ومصير القطاع العام فى القطر السورى . ولذلك كانت اسئلتنا فى هذا المجال ومناقشاتنا صريحة للغاية .

الا انه يتعين علينا ان نقول ان حصيلة المناقشات والاجوبة التى تلقيناها من شخصيات بارزة فى الحياة السياسية ، وفى الاجهزة التنفيذية ، ومن القوى المشاركة فى الجبهة الوطنية التقدمية ، كانت ايجابية فى مجموعها ومطمئنة . ونشير — بوجه خاص — الى المناقشات الاقتصادية التى اجريناها مع كل من الاستاذ

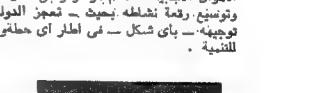

— مساحة سوريا : ١٨٥ الف كيلو متر مربع .

— القسم : جمهورى رئاسى .

— السكان : ٧ ملايين .

— استقلت عام ١٩٤٣ من خلال معركة تحريرية ضد الاحتلال الفرنسى .

— متوسط دخل الفرد : ٢٥٠ دولارا فى العام .

— الرئيس الحالى : اللاذقية .

— الزراعة : هى فرع الانتاج الرئيسى فى سوريا وتنتج من ٢٠ — ٢٥ فى المائة من الدخل القومى .

— الصادرات من المواد الزراعية والمنتجات الزراعية تشكل ٧٥ ٪ من مجموع الصادرات السورية .

— أدى قانون الاصلاح الزراعى الى توزيع القسم الاكبر من اراضى الاقطاعيين وكبار الملاك على قسم من فقراء الفلاحين ولا يزال قسم منهم دون ارض .

— هناك ١٧١٢ جمعية تعاونية (اعضاء ١٩٧٣) يزرع اعضاؤها ١٩٪٢ ٪ من الارض المستثمرة كلها عدد اعضاء هذه الجمعيات ١٣٩ الف فلاح .

— الفلاحة الساحقة من هذه الجمعيات تقصر نشاطها على اعمال التسويق والتسليف . ولا توجد سوى ٤ جمعيات تعاونية انتاجية يمارس نشاطها ٣ فى الالف من المساحة المستثمرة فى سوريا .

— نفذت سوريا حتى الان ثلاث خطط خمسية .

— نمو الصناعة تحت تأثير القطاع العام .

— تقوم صناعة البترول بسرعة بالتعاون مع الاتحاد السوفيتى .

— يقوم على اساس صناعة القطن عدد من الصناعات الاخرى مثل صناعة السماد الازوتى — السوبر فوسفات — الزيوت المعدنية — صناعة شحوم التزيت — صناعة البراميل .

— فى عام ١٩٦٨ صدر قانون يسمح للراسمال الاجنبى بالدخول الى سوريا ، وقدمت له تسهيلات هائلة . ولكن لم تزد هذه التسهيلات الى عام مشروع انتاجية حقيقية وخلال الاعوام ١٩٧١ ، ١٩٧٢ - ١٩٧٣ لم تزد نسبة المشروعات التى اشتراها القطاع الخاص الصناعى — بما فى ذلك رؤوس اموال المغتربين السوريين — على ٦٠ مليون ليرة سورى [٩ ملايين جنيه] .

— حصة البلدان الاشتراكية من المبادلات السورية ٢٩٫٦ ٪ وصادرات سوريا الى هذه البلدان تغطى ٨٢ ٪ من وارداتها .

[٢] نجدر الاشارة الى ان القطاع الخاص قسمان : قطاع خاص فى الزراعة والصناعة والنقل والحرف وبعض الخدمات وهو قطاع منتج ، ويضيف الى الاقتصاد القومى على عكس القطاع الرأسمالى الاخر الذى يقوم بدور طفيلى وتخريبى .

عبد الرحمن خليفاوى رئيس الوزراء السابق ، والمسئول عن المكتب الاقتصادى في حزب البعث ، والاستاذ **مصطفى الحلاج** الاقتصادى المعروف والوزير السابق فى عهد الوحدة المصرية السورية .

فالجميع لم يهونوا من المخاطر ، ولم يحاولوا ان يقللوا من اثر ضعف الوعى التخطيطى والنواقص فى ادارة القطاع العام ، والحاجة الى دعم الدور القيادى للطبقة العاملة فى مواقع الانتاج ، ومكافحة اخطار التضخم ، كما اكدوا على الحاجة الى انعطاف جذرى فى النهوض بقطاع الزراعة لمصلحة الانتاج الزراعى ومصلحة صغار الفلاحين وعمال الزراعة . الا ان الجميع يتفقون على ما يلى :

ان المحصلة العامة لانشاء القطاع العام ، ولنشاطاته هى ايجابية ، بلا ادنى شك . كما ان جميع المحاولات التى استهدفت تطويقه لم تنجح فى تحقيق اهدافها .

فى اعتقادنا — ان هذا الحكم سليم وصحيح . وفقا لما لمسناه — وهو يستند الى ظواهر موضوعية فى حياة سوريا .. هذه الظواهر التى تتمثل فيما يلى :

● الوعى العام فى صفوف القواعد الشعبية للاحزاب المشاركة فى الجبهة الوطنية التقدمية باهمية ودور القطاع العام فى الاقتصاد الوطنى . وهذا الوعى تغذيه عملية تثقيف سياسية مستمرة يقوم بها حزب البعث والاحزاب المشاركة : عملية لا تتم داخل الاجتماعات الحزبية فحسب ، بل وتهتم بها الصحافة اهتماما مكثفا . وهذا ما تعكسه — مثلا — كتابات صحيفتى « البعث » و « الثورة » .

● نضال الطبقة العاملة السورية وتضحياتها الواعية من اجل الحفاظ على القطاع العام وانهاضه . ويجب ان نضيف ايضا نضال وجهود المهندسين والتكنيكيين والعمال المهرة الذين يشكلون جزءا من القوى الوطنية الديموقراطية فى البلاد .

● استجابة الحكومة الى مطالب الرأى العام بالدفاع عن القطاع العام . وهو الامر الذى عكسته مجموعة هامة من القرارات الجمهورية والقوانين .. من بينها الامر الجمهورى الذى يؤكد على ضرورة تنفيذ الخطة الخمسية فى مواعيدها « تحت طائلة المسئولية » ومنها القانون رقم ١٨ لسنة ١٩٧٤ لتنظيم المؤسسات العامة والشركات العامة بهدف اعطائها قدرا من المرونة فى العمل .

ومنها المرسوم رقم ١٨ لسنة ١٩٧٤ الذى يشدد العقوبات على التهريب .

● الجهد المتواصل الذى تبذله الدولة فى توسيع قاعدة القطاع العام بضم وحدات جديدة تكون مملوكة للدولة وقد ساعد على هذا العديد من الاتفاقيات التى عقدتها مع الاتحاد السوفيتى والمانيا الديموقراطية ويوغسلافيا وبلغاريا وكوريا الديموقراطية ورومانيا .

● فكل هذه الضمانات الهامة ، تسمح للجماهير الشعبية — فى ظروف محددة — لا بان تصد الهجمة على القطاع العام ، بل وان تنتقل الى مواقع الهجوم على الذين يحاولون تطويقه وتخريبه .. ومن هنا نتفق مع ما يقال :

من ان ما يجرى على صعيد المعركة بين القطاع العام وبين القطاع الخاص ، يسير ، بشكل عام ، وحتى الآن ، لمصلحة التقدم .

فاذا سألنا بعد ذلك :

ماهى آفاق تطور المعركة فى المستقبل ؟

الجواب فى اعتقادنا هو ان سوريا — كما رأينا — تخوض معركتين معركة التحرير ومعركة التنمية . وهنا فان المناهج المتبعة فى حل القضية الوطنية هى التى تتحكم فى تقرير مصير التنمية ، وتقرر فى اى اتجاه تسير : الطريق الرأسمالى أم الطريق الاشتراكى ؟ ولسوف نسير — بثبات — فى الطريق الثانى بقدر ما يتم حل القضية الوطنية على أساس عدم التفريط فى الارض ، وفى قضية شعب فلسطين ، وانطلاقا من عدم التراجع عن خط التقدم الاجتماعى . فهذا هو فى الواقع نهج القوى الوطنية والتقدمية ، فى مقابل نهج قوى الاستعمار والرجعية والردة الداخلية .

ولكن ، حتى يتأكد النهج الوطنى التقدمى لابد من ان تكون قواه الضاربة والصدامية على مستوى المعركة . ومن بين هذه القوى تبرز قوتان : حزب البعث والجبهة .

وفى اعتقادنا انه ايا ما تكون خلافاتنا مع هذه النظرية او تلك من نظريات حزب البعث ، الا ان منطلقاته فى مجموعها وطنية وتقدمية بحق ، وتخدم فى التحليل الاخير — قضايا النضال من اجل بناء المجتمع على أسس تقدمية .

لهذا ، فانه بقدر ما يدعم حزب البعث قوته ، بقدر ما يكون هذا افضل لقضايا التحرير

والتنمية . وحتى يتحقق هذا ، يحتاج الحزب الى ان يطور علاقاته بالاحزاب الاخرى فى داخل الجبهة ، من اتجاه الاعتراف بحقها فى مزيد التعبير الديموقراطى عن نفسها ، وفى اطار الجبهة [٢] . فاذا تم هذا ، أمكن ان يتم تنافس بناء بين القوى السياسية التقدمية . وهذا التنافس سوف يدعم قواعد حزب البعث ولن يضعفها بحال من الاحوال . ففى النضال اليومى ، ومن خلال حل التناقضات الثانوية بين قوى الجبهة ، وعلى مرأى ومسمع من أوسع الجماهير ، يستطيع حزب البعث أن يدعم دوره القيادى . ومن المؤكد ، ان تجارب حركات التحرر الوطنى ، وتجارب بناء الجبهات الوطنية المتحدة قد دللت — بوضوح — على ان كل حزب وكل قوة تضاف الى طرف من أطراف الجبهة فى قوة مضافة الى اطراف الجبهة فى آن واحد .

[٢] ملامح بارزة فى التجربة السياسية

حسين شعلان

● تجربة الجبهة

بين مفهومى « التعاون » و « الهدنة »

يحكم مسار نشاط الحركة السياسية لجماهير الشارع السورى ، قوتان سياسيتان : اولهما اساسية وغالبة ، وهى قوى التقدم ، ولها الحجم والفعالية والتأثير الاعظم . وهى القوى التى تضمها « الجبهة الوطنية التقدمية » المكونة من : حزب البعث العربى الاشتراكى ، الحزب الشيوعى السورى ، تنظيم الوحدويين الاشتراكيين « انضم الى حزب البعث واندمجا معا مؤخرا » ، حركة الاشتراكيين العرب ، وحزب الاتحاد الاشتراكى العربى : وثانيهما هامشية وهى قوى الرجعية والتخلف ، المحدودة الفعالية والتأثير . وتعيش حالة « بيات » فيكاد نشاطها السياسى ان يكون مجمدا الا انها تنشط فى مجال تنمية عضويتها . وتعد حركة الاخوان المسلمين أبرز هذه القوى تنظيما : أما العناصر الاخرى فمن بينها افراد الطبقات المخلوعة التى اضيرت مصالحها ، اوتلك العناصر التى تمارس تأثيرها — سلبا — من خلال ثغرات البيروقراطية والنشاط الطفيلى . وبرغم عدم فعالية القوى الرجعية هذه على الحركة السياسية الجماهيرية ، الا أن اليقظة تجاهها مسألة واردة بل ينبغى الا تهدأ .

وموضوع هذه السطور هو قضية الحركة السياسية والجبهة وأحزابها . والانطباع الاول الذى يخرج به شاهد عيان واقع التجربة السياسية السورية اليوم ، هو ذلك التغير الواضح الذى حدث داخل صفوف القوى الوطنية التقدمية فى سوريا . سواء فى علاقات بعضها بالبعض او فى داخل كل منها . وقد نجد هذا التغير فى هذا الجانب او ذاك ، على درجة واضحة او على درجة أقل .

وتصل هذه التغيرات مثلا ، حد القول دون مبالغة ، ان حزب البعث فى سوريا اليوم ليس هو حزب البعث فى سوريا منذ سنوات .

لماذا ؟ . . وكيف ؟

والتغير الذى نقول به ، لا ينسحب فحسب على التكوين التنظيمى لسلطة الحزب وكادره الاساسى ، بل ينسحب أيضا على تكريته وبنائه الايديولوجى . وربما تكون قصة الجديد فى التكوين التنظيمى . . طويلة . الا انه يمكن التركيز على تطورات أساسية تبدأ منذ قرار القيادة القديمة للبعث بحل الحزب فى أوائل أيام تجربة الوحدة . حيث تكونت مجموعة معارضة للحل منذ ذلك الوقت . وهى مجموعة « اللجنة العسكرية » التى شكلت نواة التكوين التنظيمى الجديد . وقد ضمت هذه المجموعة ٥ ضباط منهم الرئيس حافظ الاسد . وبعد صراعات سياسية عديدة ، انعكست

(٢) يراجع فى هذه الدراسة « المقال الذى كتبه حسين شعلان » .

خلال صراعات حزبية ، استقرت مفاهيم وقيادة هذه النواة التي نمت واستقطبت القوى الاساسية داخل الحزب . وخلال قيادة هذه النواة للعمل الحزبي والسياسي ، بعد تولي الحزب السلطة في ١٩٦٣ ، صفيت القيادات التقليدية للحزب بعد هزائمها الفكرية المتلاحقة . واذا كان عام ١٩٦٦ يحتل مكانة هامة في هذه التطورات ، فان عام ١٩٧٠ قد شهد آخرها بحركة التصحيح التي قادها الرئيس الاسد .

واستقطاب هذه النواة الجديدة لكادر الحزب وقاعدته ، تم من خلال عملية صراع فكري غير كثيرا من المفاهيم التقليدية للحزب ومضامينها . حتى انه يمكن القول – من خلال استقرائنا لوثائق الحزب منذ تلك الفترة – ان ما تبقى من الحزب القديم هو ما يكاد يكون « اليافطة » على مضمون جديد . ربما لا يكون هذا المضمون الجديد قد استقر نهائيا من حيث بلورته الفكرية على نحو كامل ، وذلك بالطبع أمر مفهوم . لكن الاقرار بأن هناك جديد داخل البعث ، مسألة جديرة بالتأمل والمتابعة .

يؤكد قولنا هذا ، أن مضمون شعارات البعث الاساسية قد اكتسبت ابعادا جديدة تختلف في كثير من جوانبها مع البناء الفكري – اذا جاز التعبير – لنفس الشعارات من قبل .

عن الشعارات الاساسية

فشعار الوحدة ، وهو اول شعارات البعث الاساسية الثلاثة ، لم تكن له اسس نظرية او عملية واضحة . لكن الحزب تحت قيادته الجديدة ، راح يؤكد على ضرورة النظر الى قضية الوحدة من خلال المضمون التقدمي لحركة القومية العربية باعتبارها حركة تحررية معادية للاستعمار والصهيونية والامبريالية والرجعية ومن هنا لم تعد القضية مجرد اقامة « الوحدة تحت اي راية » او مع « اي نظام » ، ويجب أن نرصد هنا تمسك البعث بحيوية وضرورة الهدف ، وانما على اساس ان تكون الوحدة في خدمة المضمون التقدمي لحركة القومية العربية . بل والاكثر من هذا ، أن الوحدة الفورية الاندماجية ، لم تعد هي المفهوم السائد لدى الحزب كما كانت من قبل ، وانما الوحدة التي لابد ان تتم على مراحل وبالتدريج كحصيلة للتطور والتفاعل بين هذا القطر ، أو ذاك ، أو بين عدة اقطار . في هذا الاطار ، أصبح الحزب – على عكس السابق – يعطي الناحية الاقتصادية أهمية كبرى باعتبارها « حجر الزاوية والاساس الراسخ في بناء الوحدة ، ومن ثم تصبح قضية التكامل الاقتصادي مقدمة اساسية . ويبرز الحزب اهمية وحدة القوى الوطنية والتقدمية على الصعيدين القطري والقومي .

أما شعار الحرية ، ثاني شعارات البعث الاساسية في الترتيب ، فقد اصبح محددا لا يشوبه غموض . فالحرية عند البعث الجديد تعني « التحرر الكامل السياسي والاقتصادي من شتى اشكال السيطرة الاستعمارية » . وعمق شعار الحرية بمفهوم اجتماعي وربطه بمصالح اجتماعية شعبية . وينعكس تطور فكر الحزب في قضية الحرية وممارسة الديمقراطية ، في الربط بين طرد الاستعمار وتصفية نفوذه المحلي وسيطرته بأشكالها المختلفة ، فضلا عن وضع مسألة النضال ضد الاستعمار ضمن اطارها الدولي والانساني ، بتدعيم العلاقات مع المعسكر الاشتراكي « كقوة ايجابية فعالة في النضال ضد الاستعمار » . ويتلازم مفهوم الحرية – عند البعث في تطوره – بطرح فكرة « الحياد الايجابي » كخط عام للسياسة الخارجية . وفي مجال الربط بين الحرية وممارسة الديمقراطية يعلن البعث رفض « الديمقراطية البورجوازية » ويكرس فكرة « الحزب القائد والجبهة الوطنية الديمقراطية » .

ومن اهم التغيرات الفكرية التي نلمحها في تطور حزب البعث ، شعار الاشتراكية ثالث شعاراته الاساسية من حيث الترتيب . وفي هذا الصدد اعاد الحزب تقييمه لمفهوم « الاشتراكية العربية » واعتبره « منطلقا خاطئا بالنسبة لحزب علمي وثوري » . وأصبح يرد هذا المفهوم الى « ضعف الوضوح النظري في الحزب والافكار الخيالية والمفاهيم الاصلاحية التي كانت سائدة فيه » واعتمد الحزب مفهوم « الطريق العربي الى الاشتراكية » باعتبار ان الاشتراكية « نظرية علمية تصح منطلقاتها وقوانينها العامة على مختلف المجتمعات . أما تطبيقها واشكال هذا التطبيق واساليبه فتختلف من بلد الى آخر وهي على هذا الاساس لابد أن تأخذ الناحية القومية المعبر عنها بخصائص الشعب القومية وظروفه وتقاليده وعاداته واساليب نضاله ، بعين الاعتبار » . ويحدث الحزب تطورا ضخما في مفهومه لملكية الخاصة حين يفرق بين الملكية الخاصة المستغلة وملكية الاستعمال الشخصي « الملكية الشخصية » . ويعتبر الحزب « أن الملكية الفردية اذا تعدت نطاق الاستعمال الشخصي لابد أن تكون مستغلة مهما كانت الرقعة التي تمارس فيها الملكية نشاطها ضيقة أو نسبة المردود الذي تعطيه

منخفضة » وأكد الحزب على أن « العمل الإسلامي هو المصدر الوحيد للقيمة وفق المفهوم الاشتراكي العلمي » .

ويشكو قيادة السلطة في البعث ـ الجديد ـ أن البورجوازية قد عجزت عن تحقيق التطور المطلوب سواء على مستوى القطر أو على المستوى القومي ، وأن « اضطلاع الطبقة البورجوازية المستغلة بضرورة موضوعية من ضرورات الثورة بسبب عجزها وضيقها . وأنه يجب أن لا يحد منه لتحقيق الانطلاق جذري في حياة الشعب العربي » .

مع هذه التطورات الفكرية والتنظيمية الهامة في البعث ، ومع التطورات السياسية القومية البالغة الدقة والصعوبة منذ هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وبفضل « الدم الجديد » الذي دفع الممارسة العملية لسياسة الحزب بعد حركة التصحيح « لأكتوبر ١٩٧٠ » نحو آفاق أعمق وأرحب ، طرحت قضية الجبهة الوطنية التقدمية في سوريا . وطرحها بعض ، بالإضافة الى الدوافع الوطنية المسئولة سواء من جانب البعث أو القوى الوطنية التقدمية الأخرى ، أطراف جميع الأطراف التي كونت الجبهة ـ بدأ فهم البعث ـ أن قوة واحدة منها غير قادرة على تعبئة كل الشعب في سبيل تحقيق الأهداف الوطنية والاجتماعية المطروحة . ومن ثم لابد من جبهة تتولى هذه المهمة الضخمة .

تعاون .. أم مجرد « لاقتتال »

يجمع كل أطراف الجبهة الوطنية التقدمية ، وكل المراقبين وبخاصة المتعاطفين مع التجربة السورية ، على أن مجرد قيام الجبهة وتأسيسها وممارستها مهامها ـ أيا كان حجم الممارسة العملية ـ انجاز وطني وتقدمي ضخم .

وربما كانت هذه الحقيقة مسألة بديهية يتصور البعض أن تكرارها أو التأكيد عليها دائما ، مجرد تحصيل حاصل أو حتى مصادرة على ما هو مطلوب . لكن الواقع ـ تاريخيا ـ يبرز الحجم الحقيقي لأهمية التأكيد ـ دائما ـ على هذا الانجاز الوطني والتقدمي الضخم . بل ويوضح ضرورة ألا نغفل منه أو يغيب عن خلفية أي تحليل للعمل الوطني السوري المعاصر . فقد أفرزت عمليات الصراع والاقتتال التي وصلت الى حد التصفية الجسدية والتعذيب البشع الجماعي والفردي مع بين القوى التي تشكل الجبهة اليوم ، لسنوات طويلة ولأسباب كثيرة مردود عليها . ـ نقول لقد أفرزت هذه العمليات تراثا هائلا من عدم الثقة المتبادلة كان يمكن أن يظل جدارا غير قابل للهدم لعلم أية علاقات محتملة بين هذه القوى وبعضها . ولأن حزب البعث ـ لاسباب عديدة ـ قد تحمل نصيبا كبيرا من مسئولية هذا التراث في الماضي ، فاننا نستطيع أن نلمس هنا الى أي حد كان هاما وأساسيا ذلك التغيير الذي حدث في الحزب منذ ١٩٦٣ ، وعلى نحو خاص ، بعد حركة التصحيح في أكتوبر « تشرين » ١٩٧٠ . فقد كانت مبادرات حزب البعث في العمل على تصفية هذا التراث وإعادة بناء « الجسور » مع القوى الوطنية والتقدمية الاخرى ، تحولا بارزا على المستوى الوطني للعمل السياسي الداخلي . على أن استجابة القوى الاخرى كانت ـ أيضا ـ مؤشرا على أن انجازا وطنيا وتقدميا ضخما قد بدأ « ساعة العد التنازلي » .

ويرى بعض المراقبين ـ ومنهم متعاطفون مع التجربة وحريصون على حمايتها ـ أن الجبهة إعلان بعدم اقتتال أطرافها طوال فترة قيامها . وربما كان دافع وجهة نظرهم هذه ، القلق المشروع الناجم عن تراث فترة طويلة من عدم الثقة ، من جهة ، وتخيل أن فترة « ذوبان الثلوج » التي مرت ، غير كافية ، لكتهم يتخفون من واقع بعض السلبيات ، مثل عدم ممارسة الجبهة لكل الصلاحيات التي أقرتها ميثاقها ، دليلا يدعمون به وجهة نظرهم .

وربما كان مفيدا في هذا الصدد ، تبيان المحتوى الاساسي للجبهة وطبيعتها وحدود مهامها ، حتى يمكن أن يتضح مدى قرب ـ أو بعد ـ وجهة النظر هذه عن الواقع . فالجبهة في محتواها ـ وكما ينضح من مواد ميثاقها المختلفة ـ موجهة بشكل رئيسي ضد الاستعمار وضد الاقطاع والرأسمالية الكبيرة . والهدف الاساسي المباشر لنضالها الوطني ، هو تحرير الاراضي العربية المحتلة نتيجة عدوان ١٩٦٧ ، وتأمين الحقوق الوطنية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني . وتعمل الجبهة من أجل التقدم الاجتماعي وتشجع الاشتراكية هدفا لها . كما تدعو الى تحقيق وحدة عربية تقدمية ومعادية للاستعمار . وتشجع الجبهة قضية الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية ، كقضية أساسية وكموقف استراتيجي .

فما هو مدى أثر ومسئولية الجبهة فيما يتعلق بالسلطة والحكم ؟ وبمعنى آخر هل تقوم الجبهة

بدور قيادي في الحكم أو حتى يمكن أن تتحول الى السلطة الفعلية العليا في البلاد ؟

وسواء من ناحية الواقع العملي ، أو من ناحية الادراك الموضوعي لاطراف الجبهة ، فان الاجابة - كما شاهدناها - تفيد بالنفي . فالسلطة الفعلية في يد حزب البعث ، كما أن الاغلبية في القيادة المركزية للجبهة نفسها في يد حزب البعث أيضا . وبالتالي فهو الذي يحل القضايا المتعلقة بأساليب ممارسة الحكم والقضايا التي تعالجها مختلف أجهزة الحكم .

تلك مسألة تلمسها بوضوح . بل ويتفهمها بقية اطراف الجبهة بموضوعية مسئولة .

على أن ذلك لا يعني أن الجبهة بلا تأثير في البلاد أو في الحكم . لكن هذا التأثير سياسي ومعنوي بالدرجة الاولى .

ما الذي تعنيه الجبهة اذن ؟ الواقع أنها شكل من **التعاون** بين القوى التقدمية من أجل حشد وتعبئة قوى المجتمع في سبيل أهداف أساسية كبيرة يؤمن بها جميع أطراف الجبهة . وهذه الاهداف هي النضال ضد الاستعمار والصهيونية والعدوان . ومن أجل دعم الاستقلال الوطني ، والسير بالبلاد في طريق التقدم الاجتماعي والتعاون مع المعسكر الاشتراكي . وتمثل كل اطراف الجبهة انها لا تعتبرها حظوة تاكتيكية . بل تريد أن تكون خطة استراتيجية .

يبقى أن نواصل السؤال : وهل يمكن أن تصبح الجبهة - بتكوينها الطبقي والاجتماعي - شكلا أو نواة لتحالف حقيقي وفعال بين العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين ؟

الواقع أن هذا ممكن وصحيح ، وان كان الطريق اليه ليس سهلا أو ممهدا تماما . اذ يتوقف ترجمة ذلك الى واقع فعلي - على عوامل كثيرة من أهمها تطور علاقات القوى في الداخل ، وفي الواقع العربي ، والدولي المحيطين .

وعلى الرغم من كل الثغرات والسلبيات في مجمل نشاط الجبهة أو عملها ، فانه من الاهمية بمكان أن نؤكد على حقيقة أن قيام الجبهة ومواقفها وأعمالها - حتى في حدود - أثار سخط وغضب القوى الاستعمارية والصهيونية والرجعية .

ومن المعروف أن ضغوطا متزايدة مورست - ولا تزال - من أجل نسف الجبهة . ومسئولية جميع القوى الوطنية والتقدمية في سوريا . العمل على صون الجبهة وتدعيمها وتوسيع وتعميق دورها بين الجماهير وفي مجموع حياة البلاد وتطورها .

رؤية أطراف الجبهة لايجابياتها وسلبياتها

ماهو تقييم اطراف الجبهة للتجربة من خلال المرحلة التي تمت ؟ وماهي الايجابيات وماهي الصعوبات والسلبيات ؟ وماهي آفاقها ؟

ذلك السؤال الهام طرحناه على ممثلي الاحزاب المكونة للجبهة والذين التقينا بهم . فماذا كانت اجابتهم ؟

■ **الرفيق عبد الله الاحمر [نائب رئيس حزب البعث العربي الاشتراكي] :** نحن نفخر ون أننا أول تجربه لجبهه في المنطقة العربية كلها . لقد صادت محاولات عديدة من قبل : لكنها لم توصل الى نتائج ايجابية . حدث افتتال وتناحر . لم يكن سبب ذلك ان شعار الجبهة خطأ . ولكن هذا ما حدث لاسباب عديدة .

بعد ١٦ أكتوبر [تشرين] وجدنا أن مسئولية حزبنا يجب أن تبادر . أولا كان مطلوبا توفير جو الثقه ومن مجمل التطورات توفر مناخ اللقاء حتى لا تصبح المشاركة رمزية . أجرينا حوارا أخذ وقتا . ربما كان لكل طرف . حين وصلنا الى الجبهة في ١٩٧٢ ، تصورات مختلفة ، لكن النتيجة كانت حصاد المناقشة والتفاعل . عدم وجود الجبهة يضر العمل الوطني . الجبهة الوطنيه كان لها دورها الكبير لتدعيم الجبهة الداخلية . الشكل الحالي للجبهة لا يمثل كل طموحنا . اذ لابد من بذل مزيد من الجهود . جبهتنا المطلوبة هي جبهة الشعب العريضة الواسعة . ليس المنظمات الموجودة ذاتها . نحن نطمح أن تكون نكل الشعب . هذه خطوة توصلنا اليها . على أن زيادة الثقة والتفاعل يساعد أكثر على تحقيق جبهة كل الشعب .

بعد سنوات من التجربة لابد أن يكون هناك ثغرات وسلبيات . لكنني لا أعتقد أنها كبيرة . التراث السلبي بحجم التعاون في السابق . وهذا يحتاج الى وقت لتصفيتها والغائها . وهذا يختلف حسب ظروف كل تنظيم عن الآخر . الجميع بمافيهم الحزب الشيوعي السوري له منطلقات قومية ووطنية . الجميع مع الاهداف القومية والوطنية . نمو الجبهة في سوريا يعطي النموذج لجبهات أخرى في اقطار أخرى ، لنعمل جميعا الى تحقيق اداة الثورة .

■ الرفيق فايز اسماعيل [تنظيم الوحدويين الاشتراكيين الذى اندمج مع البعث مؤخرا] : بدأنا الحوار الذى استمر عاما كاملا . نحن القوى السياسية فى الماضى كنا مختلفين ونسبيا متناقضين . زرع الثقة أهم كسب حققته الجبهة . صار فيه تعاون وحتى تكامل . وهذه ظاهرة لم يشاهدها القطر . كل هذا تم نتيجة :

١ ـ الظروف القاسية التى تمر بها البلاد ، وهى ظروف تفرض الالتقاء ٢ ـ الثقة التى يتمتع بها الرئيس الاسد فالكل مجمع عليه ٣ ـ الارتقاء الى مستوى المرحلة بين القوى السياسية بعد ان تقاربت المسافة بيننا . ٤ ـ مناهجنا اصبحت متقاربة . الحزب الشيوعى السورى تطور . ما كانت تنتقده عليه القوى القومية اصبح غير وارد . القوى القومية نفسها تطورت أيضا وتخلصت من كثير من سلبياتها . نحن الان فى وضع صحى أفضل بكثير .

والجبهة تجتمع فى الظروف والمناسبات . الجبهة درست موضوع السادس من تشرين [اكتوبر] ١٩٧٣ . وحتى الشئون التموينية تدرس عن طريق الجبهة ، نحن وصلنا الى مرحلة من الثقة نطرح معها التنظيم السياسى الواحد [ملحوظة ، تم اندماج التنظيم مع البعث بعد ذلك الحديث بعدة أسابيع] لم تعد هناك خلافات حتى على كثير من التفاصيل . واعتقد انه بتحقيق التنظيم السياسى الواحد ، نكون قد حققنا أكبر كسب على المستوى العربى . بالنسبة للقطاعات الجماهيرية هناك تعاون على مستوى القطر ولحزب البعث دور كبير فى ذلك . الجبهة كانت فى الماضى عمل مرحلى فقط تنتهى بانتهاء المرحلة . الجبهة الان أهدافها للبناء . وهذا كسب ضخم .

ربما كانت الظروف الصعبة التى تمر بها البلاد لا تسمح بتنفيذ كل بنود الجبهة . لكن الثقة فى الرئيس الاسد كبيرة كممثل للجبهة .

واى جبهة يحدث داخلها خلافات . الا اننا نسعى للالتقاء فى بعض الاحيان حزب البعث ينزل الى رأى الجبهة او العكس . وكان السيد الرئيس الفيصل ورأيه هو المرجح . واستطيع ان اقول ان الخلافات ليست جوهرية ولكن على التفاصيل .

■ الرفيق دانيال نعمة [الحزب الشيوعى السورى] : الجبهة أحد الانجازات الكبرى التى تحققت فى سوريا خصوصا بعد الحركة التصحيحية . بالنسبة لنا كان شعار الجبهة أحد شعاراتنا الاساسية منذ عام ١٩٣٠ . لذلك اقامة الجبهة كان انتصارا لكل القوى الوطنية والتقدمية .

مفهوم الجبهة كمقولة سياسية ، كنا على ثقة من أنه سيتحقق بعد مرحلة طويلة من الانتصارات والصعوبات . وقد سبق قيام الجبهة ، عند احتدام صراع النظام ضد الاستعمار [٥٤ـ١٩٥٨] ان صار نوع من التجمع القومى ساهم فيه حزب البعث ، والحزب الشيوعى ، وممثلون للضباط الوطنيين . اريد أن أقول أن لشعار الجبهة فى بلادنا تاريخ طويل وجذور . الجديد المتقدم فى الجبهة اليوم عما مضى ، ان للجبهة ميثاق جوهره الرئيسى يحدد المهام الوطنية المطروحة امام الحركة الوطنية التقدمية العربية للنضال ضد العدوان الاسرائيلى المستمر وضد الامبريالية . ومحتوى الجبهة امتزج بمهام تخلق مقدمات ضرورية للانتقال الى الاشتراكية .

الجبهة فى نظرنا ليست مجرد عمل مرحلى . هى ضرورة لانجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية . وهى اساس فى المستقبل لتجميع القوى التقدمية . انها فى نظرنا قضية استراتيجية ويشاركنا فى هذا الرأى الرفاق البعثيون والقوى الاخرى الممثلة فى الجبهة .

هل ما يجرى هو الصورة المثلى ؟ يمكن القول بأن بين مايجرى ومايجب ، لازال هناك مسافة . ولابد من جهود مخلصة من كل القوى وخصوصا من حزب البعث الذى يلعب فيها دور رئيسيا ومن بقية القوى . علينا أن ننشط اكثر ونبادر اكثر لتحريك الجماهير الشعبية فى النضال ضد الامبريالية . وتحريك مختلف القطاعات فى قضايا الانتاج باعتبار أنها أساسية فى المعركة الوطنية . مطلوب مزيد من الحريات ومزيد من الثقة المتبادلة . ولا سبيل الى ذلك الا من خلال العمل . لو أن حزبا من الاحزاب قادرا على استقطاب كل القوى ماكان هناك ضرورة لتعدد الاحزاب . ولكن الظروف الموضوعية البحتة لوجود الطبقات الاجتماعية والمصالح المتباينة ، لا يمكن ان يعوض حزب واحد وجود بقية الاحزاب . ومن هنا فاننا نرى أن قوة أى طرف انما هى قوة للجبهة كلها . نحن نتصور أن قوة رفاقنا البعثيين وتطورها ، هى قوة للجبهة ولصفوف حزبنا نفسه . تلك مقولة صحيحة وتؤكدها التجربة يوما بعد يوم .

بالاضافة الى القيادة المركزية للجبهة ، توجد لفروع لها مطلوب أن تنشط الفروع ، وكذلك النشاط الجماهيري باتجاه النقابات المهنية . لقد عالجنا مؤخرا في القيادة المركزية ، قضايا كبرى كزيارة كيسنجر وسياسته التي تحتاج الى تشديد النضال التوحيدي .

ينبغي أن، تكون هناك لقاءات وعمل وطني عربي ككل . من مهامنا تدعيم النظم الوطنية التقدمية العربية . وعندنا ثقة لا حد لها بالشعب المصري وجنوده . وأن كنا قلقين تجاه بعض ما يجري فاننا نعمل من أجل أن تكون مصر ، في طليعة الصف العربي .

■ **الرفيق اسماعيل القاضي : حزب الاتحاد الاشتراكي العربي ! موضوع الجبهة موضوع أساسي لنا ، وهو شعار مبدئي لا تكتيكي . باعتبارنا حزبا ناصريا آمنا بهذا الشعار وحاصة بعد أن طرح الرئيس عبد الناصر شعار وحدة الثوريين العرب في ١٩٦٦ . بعد نكسة يونيو ازداد ايماننا بالشعار لان مواجهة العدو تتطلب ضرورة وحدة كل القوى الوطنية والتقدمية . والجبهة وسيلة وليست غاية ، الغاية هي الحركة العربية الواحدة . فنحن لا نؤمن بتعدد الاحزاب . وأملنا الا تطول هذه المرحلة وبهمة الجبهة أن تنصهر كل القوى في حزب واحد ليكون منطلقا على الصعيد القومي .**

الحوار من أجل الجبهة ، كان يهدف الى ازالة عدم الثقة . وفي تقديري أن هذه القوى نجحت في ازالة كثير من هذه الرواسب والعقد . ونحن نتعامل الآن بمنتهى الاخلاص وكأننا حزب واحد . وفروع الجبهة في المحافظات تتعامل بنفس الروح .

ولا نستطيع أن نقول أن الجبهة في سوريا عمل كامل . نحن في بداية تجربة جديدة في نموها . المرحلة التي وصلنا اليها بداية موفقة يمكن اذا اخلصت كل القوى ، أن نصل الى المرحلة التي ننشدها جميعا وبالتالي لصلح تعميمها .

وعلى الصعيد الداخلي قطعنا شوطا كبيرا بالنسبة للاحزاب علاقاتها تحسنت في سبيل التوحيد . على صعيد جماهير الشعب ، استطعنا أن نحشد كل الطاقات وأن نحقق الوحدة الوطنية ، على صعيد اقامة مؤسسات واعطائها دورها الكامل مثل الادارة المحلية ومجلس الشعب . وعالجنا كثيرا من القضايا التي تمس الحياة اليومية للمواطن السوري .

وعلى الصعيد القومي ، نعتبر أن تعميق مفهوم الوحدة العربية خرج أساسي لاخراجه من حيز النظرية الى حيز التطبيق . نحن نسعى الى الحركة العربية الواحدة للقاء هذه القوى على النطاق القومي .

صفحة جديدة

ان الجبهة الوطنية ، التقدمية في سوريا لاتزال تخطو خطواتها الاولى ولا يزال امامها الكثير لاستكمال بقية مقوماتها ، الا أن قيامها - رغم ذلك - شكل انعطافا هاما في حياة سوريا كلها ، ذلك ان قيامها قد وضع حدا لانفتاح الدور الوصية والثورية المتحالفة ، واغلقت بذلك صفحة مريرة من الصراعات التي كانت تضر ابلغ الضرر بوحدة شعب سوريا ،وباستقراره وحقه في التقدم

والجبهة الوطنية التقدمية ، بهذا المعنى ، تعد ردا حاسما على القوى الامبريالية والرجعية في المنطقة ، تلك القوى التي عملت باستماتة ، خلال اكثر من ربع قرن ، من اجل اعاقة وحدة القوى المعادية للاستعمار . ونجحت هذه القوى المعادية بالفعل في اكثر من موقف ، في الماضي ، وحاصة قبل ثورة ٨ مارس وحركة التصويب « تشرين » التصحيحية في اذكاء التناقضات الثانوية بين الاحزاب الوطنية والتقدمية ، ودفعها الى مرحلة التناقضات العدائية .. مما أدى الى تعطيل وعرقلة مسيرة النظم الاجتماعي والاقتصادي في سوريا .

لذلك نؤكد على أن تجربة الجبهة الوطنية التقدمية في سوريا ، ايجابية في مجموعها .. وان كانت لا تزال في حاجة الى مزيد من التعاون والتفاعل والتفاعل المتبادل من جميع اطرافها لتقوم بدورها الحقيقي والمطلوب .

وبقدر ما تخطو الجبهة خطوات ثابتة الى الامام ، وبقدر ما تدعم مواقعها في حياة سوريا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، بقدر ماسيصبح المثل الذي تضربه على النطاق القومي مؤثرا وحافزا لكافة القوى الوطنية والثورية العربية ، على التقارب والتفاعل والوحدة .

وفي جميع الاحوال ، تظل المبادرة السورية في طرح شكل الجبهة الوطنية التقدمية تحتفظ بكل قيمتها كتجربة سياسية هامة ، وخطوة تقدمية في سبيل حل التناقضات بين اطراف الجبهة بطريقة سلمية وبناءة ، وبطريقة تدعم وحدة الشعب في معركة التحرير ضد التوسع الاسرائيلي وخططات الاستعمار الجديد .

مدرسة الأعداد الحزبي

قضية اعداد الكادر ، واحدة من القضايا الاساسيه التى تشغل اى حزب يتولى السلطة او يسعى لذلك . ومهمه الحزب الذى يحس الى السلطه ، هى قيادة المجتمع والدوله . وبقدر ما يتوفر له كادر قيادى قادر على ممارسة هذه الاعباء ، بقدر ما ينجح الحزب او يفشل .

ومنذ تولى حزب البعث السلطة فى سوريا « ١٩٦٣ » اكتسبت قضية اعداد الكادر القيادى كيفية خاصة وملحة ، فاسس فى مايو ١٩٦٨ مدرسه الاعداد الحزبى المركزى فى دمشق و٤ مدارس فرعية فى المحافظات . وبعد حركة التصحيح « اكتوبر ١٩٧٠ » تقرر بناء « جامعة حزبية » لاعداد الكوادر . وفى النصف الاول من عام ١٩٧٣ ، التهى بناء النجزء الاول منه « عرف اليوم » وانتقلت المدرسة الى المقر الجديد فى ١٩٧٣ .

وتستمر الدراسة فى كل دورة ٦ شهور واحيانا ٧ شهور . وتضم الدورة ما بين ٦٠ الى ٨٠ طالبا .

وتتناول المناهج المسائل الحزبيه « تاريخ الحزب ـ فكره ـ تنظيمه ـ اسلوب العمل الحزبى » ومحاضرات حول المنجزات الثورية وخاصة بعد تولى الحزب السلطة ، وحول انجازات البلاد اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، ليطلع الاعضاء على التطورات الجديدة بعد الثورة . وتترافق هذه الدراسات النظرية مع دراسات ميدانية .

وهناك محاضرات تتناول الشئون العربية ، اقتصاديا واجتماعيا وفكريا ، واهم القضايا العربية « تاريخ ـ قومية ـ بترول ـ فلسطين » . الخ ، وتشغل مسالة الثقافة العامة نسبة ما بين ٤٠ و٥٠ فى المائة من المحاضرات . وتتناول الاقتصاد السياسى مع دراسة مقارنة بين الاقتصاد الاشتراكى والرأسمالى ، وتطور الفلسفة وتياراتها مع التركيز على تدريس الماركسية ، الى جانب ذلك تلقى محاضرات عن الحركة العمالية العربية والعالمية ومحاضرات عن الاوضاع الدولية الراهنة .

ويتناول المنهاج العملى ، التدريب على السلاح والاسعاف والتمريض والالة الكاتبة وقيادة السيارات . وتنظم للطلاب جولات للاطلاع على معالم البلاد والواقع الاجتماعى والاقتصادى وعقد اجتماعات مع المسئولين . كما يزورون الاماكن السياحية والاثرية . والى جانب ذلك يقومون باصدار مجلة حائط سوف تصبح فى المستقبل مجلة للمدرسه . وتقام ندوات يقوم الطلاب بالاشراف على تنظيمها ، ومنها مناظرات بين طلاب الدورة والمسئولين فى الحزب والدوله بشكل اسبوعى مرة او مرتين .

وفى نهاية الدورة يتقدم الطلاب الى امتحان تحريرى وشفوى ، ومناقشة مى تضيه يشد الطالب باعدادها . وغالبا ما تكون مشكلة اجتماعية يعدها ويناقشها . وفى حالة نجاحه يعطى شهادة الاعداد الحزبى بتوقيع الرفيق امين عام الحزب . وهى شهادة قيمتها معنوية اولا ، وحاملها له الاولويه فى تولى مهام قيادية ، وذلك حتى نصل الى بلد ذلك الى المرحلة التى لايكلف بمسئولية قيادية الا خريج المدرسة .

وبالنسبه للمحاضرين ، فان معظمهم قد تلقى دراسته فى مدارس الاعداد الحزبى المماثلة فى الدول الاشتراكية وخاصة الاتحاد السوفيتى .

وهناك نظام داخلى تقدم فيه للطالب كل حاجاته من طعام ـ نوم ـ غسيل . الخ . واذا كان موظفا يظل راتبه ثابتا . اما من ليس موظفا فان المدرسة تخصص له راتبا مناسبا لاعالة اسرته . وطلاب المدرسة المركزية من سوريا ومن منظمات حزب البعث فى دول عربية اخرى ..

اما المدارس الفرعية ، فمدة الدورة فيها شهران ، ومهمتها التثقيف والكشف عن المواهب القيادية .

وتتلخص شروط الانتساب للمدرسه ، فى ان يكون المرشح عضوا عاملا بالحزب ، وان يكون ممارسا لقيادة حزبية او اتحادات شعبية ، وان يكون حاصلا على شهادة فى مستوى الثانوية . اما بالنسبة للمنظمات الشعبية فانه يتم التساهل فى هذا الشرط .

لقد اسست المدرسة لتكون فى مستوى جامعة ، وبعد الانتهاء من البناء « اخر عام ١٩٧٥ تقريبا » ستتحول الى مستوى اكاديمى . والقصور حتى الان ان تكون الدراسة نوعان :

اولا : دراسة لمدة ٤ سنوات بعد الشهادة الثانوية يحصل بعدها الطالب اجازة جامعية رسمية . وسيكون بالجامعة عدة فروع ، فرع الاعداد الحزبي والجماهيري . وفرع للعلوم الاجتماعية والاقتصادية . وفرع للتوجيه السياسي والعقائدي . ثانيا : دراسة على شكل دورات تختلف في مددها ومناهجها حسب الحاجة منها .

وسوف لا تقتصر المدرسة ، وخاصة بعد تحويلها الى اكاديمية ، على قبول البعثيين فقط . ولكن لكل القوى التقدمية سواء من داخل سوريا او من خارجها ، وذلك بالتعاون مع الاحزاب الاشتراكية الحاكمة وغير الحاكمة ، العربية او غير العربية ، على شكل منح تقدم لها . اما حاليا فليس بالمدرسة غير البعثيين .

ويمكن ان تشمل الدورات اعضاء القيادة باشراف الامين العام للحزب ، وذلك لاثراء فكر الحزب .

والدراسة مختلطة . وحتى الان نسبة الرفيقات اقل . اما بالنسبة للسن ، فهو غير محدد في الوقت الحالي . وبعد ذلك سيكون لمن يبلغون ٢٥ عاما فما فوق .

وخلال السنة الاولى والثانية ، ستكون الدراسة مشتركة . اما باقي السنتين الاخيرتين فيتخصص الطالب فيهما .

ومن المتوقع ان يبلغ متوسط عدد الطلاب بعد تحويلها الى اكاديمية ، حوالي ٥٠٠ طالب داخلي في الدفعة الواحدة . وبالمدرسة ٥٠ غرفة تضم كل منها ٤ طلاب . وسوف تتوسع في هذا الصدد ، حيث انها اقيمت على ارض واسعة تبلغ مساحتها ٤٠ هكتارا . وملحق بالمدرسة فيلات لاقامة ضيوف المدرسة والمحاضرين القادمين من الخارج . وبالمدرسة مستشفى صغير خاص بها وتضم ٢٠ سريرا . وبالمدرسة جناح للرياضة البدنية ، وقسم كبير للزراعة لامداد المدرسة بمواد الغذاء .

[٣] سوريا و٣ تجارب في البناء

عبد المنعم الغزالي

● تجربة سد الفرات

نهر الفرات – نهر دولي مشترك – ينبع من الاراضي التركية ويجري في سوريا والعراق ويصب في الخليج العربي .

وتبلغ مساحة حوض الفرات حوالي ٤٤٤ الف كيلو متر مربع ، ومساحة الوادي في سوريا ما بين طرابلس في الشمال وابو كمال في الجنوب الشرقي نحو ١٦٥ الف كيلو متر مربع – بينما المساحة الكلية للقطر السوري ١٨٥ الف كيلو متر مربع . وهكذا تبدو اهمية النهر بالنسبة لسوريا ، وخاصة اذا علمنا ان مياه الفرات تشكل ٨٣ في المائة من مجموع الجريان السنوي للانهار السورية .

ويبدأ نهر الفرات في تشكيل مجراه من رافديه الرئيسيين « فرات صو » و « مراد صو » قرب كيبان في تركيا ، ثم تتدفق مياهه في هضاب ارمينيا مخترقة المرتفعات التركية في خوانق عميقة وحقيقة . وتدخل الاناضول في مجرى ضيق سريع الانحدار . ويتسع المجرى كلما بعد النهر عن منبعه – ويظل النهر في مساره لمسافة ٤٣٠ ك . م بعد التقاء رافديه الرئيسيين حتى يصل الحدود السورية – التركية عند بلدة بيرجيك التركية ، ثم يجري النهر في سوريا مسافة ٦٨٠ ك.م . ومن روافده في سوريا الساجور والبليخ والخابور وبعض مجاري السيول – ويصل متوسط تصريفه السنوي في الطبقة ويوسف باشا حوالي ٨٥٠ م

مكعب فى الثانية . ثم يدخل النهر القطر العراقى عند القائم على الحدود العراقية السورية .

ويبلغ الايراد المائى السنوى الوسطى لنهر الفرات فى كيبان حوالى ٣٠ مليار متر مكعب وعلى الحدود السوريه - التركيه حوالى ٢٧ مليار متر مكعب وعلى الحدود السوريه - العراقية حوالى ٢٦ مليار متر مكعب .

ويفيض النهر شتاء بعد هطول الامطار وفى الربيع بعد ذوبان الثلوج فى المرتفعات التركية - ثم تنخفض مياهه فى الصيف والخريف .

الرى .. والكهرباء

ولارتباط الاقتصاد فى سوريا اساسا بالزراعة ، واذ استشعرت سوريا ان معظم مواردها المائية قد استنفدت ، فانها منذ عام ١٩٤٧ بدأت تفكر فى ضرورة استثمار حصتها من نهر الفرات والذى تشكل مياهه ٨٣ فى المائة من مصادر البلاد المائية ، ففى ٣٠ مارس ١٩٤٧ وقعت وزارة الاشغال العامه والمواصلات السورية اتفاقا مع شركه الكسندر جيب البريطانيه لضمان البحث عن امكانية استثمار مياه الفرات وتوليد طاقه كهربائيه - مائية تستخدم فى ضخ مياه الشرب الى حلب . واعلنت الدراسة الاولية للشركه عن امكانيه انشاء خزان واقامة محطة كهربائية مائية . ولكن هذا المشروع لم ير النور نظرا لضخامته ، وتفضيل الحكومة السورية حينئذ انجاز مشاريع الرى الصغيرة .

وفى ديسمبر ١٩٥٧ وقعت الجمهوريه العربية السورية مع الاتحاد السوفييتى اتفاقيه للتعاون الاقتصادى والفنى ، والتى تلاها توقيع عقدين فى ١٩٥٩ لانتقاء موقع السد والمحطه الكهربائية - المائية . وخلال الابحاث والدراسات التى قام بها الجانب السوفييتى ، توقف تنفيذ العقود مع الاتحاد السوفييتى فى ١٩٦١ ، حيث وقعت سوريا بروتوكولا مع الجمهورية الاتحادية الالمانية - تضع المانيا الغربية بمقتضاه ٥٠٠ مليون مارك بفائده ٣٫٧٥ فى المائة لسد نفقات النقد الاجنبى للمشروع .

وفى فبراير ١٩٦٢ وقعت ادارة مشروع الفرات عقدا مع شركة ف . ب . ب السويدية وشركة « لاهماير » الالمانية تقوم - بموجبه - الشركتان بتقديم الدراسات اللازمة لانشاء سد الفرات فى الطبقة ، وهى نفس المنطقة التى حدد السوفييت من قبل انها اصلح مكانا لاقامة هذا السد .

وقدمت الشركتان دراستهما فى فبراير ١٩٦٤ . ولكن تعثر المفاوضات وتعقدها مع الجانب الالمانى - الغربى وطولها دون فائدة اوقف البدء فى تنفيذ المشروع .

وفى ابريل ١٩٦٦ وقعت الحكومة السورية مع الاتحاد السوفيتى بروتوكولا جديدا تضمن اسس التعاون بين الحكومتين لانشاء المرحله الاولى من المشروع . وفى ديسمبر ١٩٦٦ وقعت اتفاقيه اخرى ضمنت تعهد الاتحاد السوفيتى بتقديم قرض الى سوريا قدره ١٢٠ مليون روبل وبفائدة سنويه ٢٫٥ فى المائة يستخدم فى اعمال التصميم والدراسات ، وتوريد المعدات والالات والاليات الانشائية وثمن قطع الغيار ومواد الصيانه ، ولتعويض اجور ونفقات الاخصائيين السوفييت . ويتم استرداده خلال اثنى عشر عاما بعد مرور سنة كاملة على انجاز المشروع .

الثورة ، مدينة جديدة

وبدا العمل فى تنفيذ المشروع ، عقب ذلك مباشرة : وفى مارس ١٩٦٨ وضع الحجر الاساسى للمشروع . وفى عام ١٩٧٠ بدأت مدينه الطبقة تشهد قيام معالم جديدة فى موقع العمل . منشآت جديدة ، مدينة سكنية ، وانجزت سدود الحماية على الضفتين اليمنى واليسرى ، ومحطه التحويل فى الشيخ سعيد بحلب وخط نقل الكهرباء بين حلب والطبقة بتوتر ٢٢٠ كيلو فولت وبطول ١٦٠ ك . م ، ومحطة التحويل فى الطبقة بتوتر ٢٢٠ كيلو فولت . وقد وصلت الكهرباء الى الطبقة فى اغسطس ١٩٦٩ .

وبدا العمل بمعدلات سريعه - ليقوم سد الفرات فى الطبقة والتى عرفت بعد ذلك باسم « الثورة » . وهو سد ترابى من الحصى والرمل ويبلغ طوله مع جناحه الايسر ٤٥٠٠ م ، وارتفاعه ٦٠ مترا واكبر عرض له فى القاعدة ٥١٠ مترا وفى القمة ١٩ مترا ، وحجم جسم السد حوالى ٤٦ مليون متر مكعب ردم معظمها بطريقة التجريف الهيدروليكى . ويسمح السد بتخزين المياه بشكل عادى حتى ٣٠٠ م فوق سطح البحر فى المرحلة الاولى ، ويصل فى المستقبل الى ٣٢٠ م . كما أن محطة التوليد ستولد ٨٠٠ الف كيلو واط تولدها ثمانى وحدات ويعمل منها حاليا ثلاث وحدات وعندما تتم المرحلة الثانية ستصبح الطاقه المولدة ١٫١٠٠٫٠٠٠ كيلو واط ، وتصل الطاقه السنوية فى حالة الخزن حتى ٣٠٠ م - ١٫٦ - مليار كيلو واط ساعة تصبح ٢٫٤ مليار كيلو واط ساعة عندما يصل منسوب الخزن الى ٣٢٠ م .

آفاق المشروع

وسد الفرات — يعتبر اليوم ركيزة اساسية لخطط وبرامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى سوريا ، فهو سيحقق :

١ — توليد طاقة كهربائية ضخمة ورخيصة للصناعة السورية — تصل قدرتها الى الارقام التى حددناها فى السطور السابقة . ويتضح لنا مدى ضخامة هذه الطاقة التى ستولد من المشروع عند مقارنتها بالطاقة الكهربائية المولدة حاليا فى جميع انحاء سوريا ، والمقدرة بأقل من مليار كيلو واط ساعة سنويا .

٢ — سيتمكن المشروع من رى مساحات كبيرة من الاراضى الزراعية الخصبة تصل مساحتها الى ٦٤٠ الف هكتار ، ومن المقدران تصل مساحتها الى ١،٤٠٠ مليون هكتار .

٣ — تنظيم مجرى النهر ، ودرء أخطار الفيضانات عن سوريا والعراق ، وانهاء هدر الموارد التى تؤدى الى ضياع الارواح والاموال .

٤ — ادى تنفيذ المشروع الى تقديم عدد كبير من الاخصائيين المدربين على اعمال انشاء السدود واستصلاح الاراضى ، وفى الاعمال الهندسية المختلفة .

٥ — وتتوقع كل الدراسات ان يحقق انجاز سد الفرات منتج هامه فى مجالات : ١ — زيادة الانتاج الزراعى والحيوانى ، وهى زيادة ستؤدى الى احداث نمو فى دخول الفلاحين ورفع مستواهم المعيشى وتوسيع السوق الداخلية وتطوير المناطق المتخلفة ٢ — تغيير العلاقات الاجتماعية فى منطقة المشروع ، ٣ — تلبية حاجات الصناعة المحلية من المواد الاولية والكهرباء .

٦ — ان سد الفرات سيؤدى الى زيادة فى الدخل القومى السورى تقدر بـ ٧٠٠ مليون ليرة سنويا فى الزراعة فقط ، كما أن الاستثمار غير المباشر سيزيد الدخل القومى الى حوالى ١٤٠٠ مليون ليرة سورية سنويا .

ان سد الفرات شأنه شأن شقيقه سد اسوان من أهم منجزات حركة التحرر الوطنى العربية فى مواجهة التخلف والتبعية والاستعمار الجديد .

دروس مستفادة

ومن خلال حوارنا مع العاملين وممثليهم فى موقع سد الفرات سجلنا بعض الدروس المستفادة :

اولا : ان بناء سد الفرات ، تحقق على اساس اسناد مسئولية بنائه الكاملة الى هيئة قطاع عام ، الامر الذى أكد امكانية القطاع ، وخاصة اذا ما تحرر من الروتين والبيروقراطية وسيطرة المقاولين والقطاع الرأسمالى أن ينجز وحده مهام كبيرة

ثانيا : ان عملية بناء السد تمت على اساس اشراك العاملين بكل ارادتهم ، وبوعى كامل بالانجاز الكبير الذى ينجزونه ، وهذه المشاركة الديمقراطية هى التى مكنت انسان سد الفرات من ان ينجز الكثير من مهامه فى البناء فى اقل من المدة المحددة ، وان يقدم جهدا كبيرا من العمل التطوعى — انه اذا ما اعطيت الثقة للجماهير الشعبية فانها تأتى بالمعجزات .

احصائية عن حجم الأعمال فى مشروع سد الفرات

- حفريات ترابية وصخرية واعادة حفر ٢٠ مليون متر مكعب .
- ردميات جافة وردميات بالتجريف ٤٥ مليون متر مكعب .
- اسمنت مسلح ١٫٥ مليون متر مكعب .
- اعمال حقن ٩٠ الف متر طولى .
- اعمال تركيب تجهيزات مائية ميكانيكية ١٤ الف طن .
- اعمال تركيب تجهيزات طاقات مائية ٧٫٥ الف طن بالاضافة الى تركيب التجهيزات الكهربائية والتجهيزات الاخرى المساعدة .
- تطلب تحقيق وانجاز هذه الاعمال ١٧٫٥ مليون عمل — يوم فى الاعمال والانتاج .
- استخدم فى المشروع تسع جرافات هيدروليكية و ١٩ كراكه كبيرة من مقاسات مختلفه ، و ١٠ روافع برجيه حمولة ١٥ طنا هذا عدا العشرات من الروافع لمختلف النوع والحمولة ، وعدد كبير من المعدات والآليات .
- تبلغ التكلفة الاجمالية لتنفيذ السد والمحطة الكهربائية حوالى ١٢٠٠ مليون ليرة سورية .

ثالثا : ان عملية بناء سد الفرات قد حققت – من خلال العمل والبناء – وحدة كل العاملين فى المشروع . وحدة العمال والمهندسين والفنيين المتقنين ، والوحدة مع الكادحين فى المنطقة . وجو العمل قد ازال كل تمايز اجتماعى بين المشاركين فى بناء هذا السد . كما ان كافة المؤسسات الديموقراطية ، والشعبية والنقابية تشكلت من خلال العمل والبناء فجاءت معبرة عن كيانات ديمقراطية حقيقية ، ارتبط مصيرها وكيانها الديمقراطى بانجاز المشروع والاستمرار فى جنى ثماره .

رابعا : ان مشكلة تكوين كادر متخصص ومهنى وفنى ، رغم أنها من المشاكل المعقدة ، اثبتت تجربة البناء انه من الممكن التغلب عليها ، وهى ليست شبحا مخيفا كما تحاول قوى الاستعمار الجديد أن تصورها – ومن الممكن التغلب عليها من خلال العمل والبناء والممارسة الديمقراطية واحترام قيمة الانسان .

ووفق تقدير نقابة المهندسين بالمشروع فان مشروع سد الفرات قدم الى خطة التنمية فى سوريا اكثر من ثلاثة الاف كادر فنى جديد من ابناء الطبقة العاملة السورية ، ومن بينهم مئات يعتبرون خبراء متخصصون وذلك وفق تقدير الخبراء السوفييت الذين عملوا فى الموقع جنبا الى جنب مع قوى البناء والتشييد السورية .

ان هذه الدروس كلها تقدم سد الفرات الى الانسان العربى ، كتعبير عن :

١ – اصرار الشعب العربى على تنمية موارده الطبيعية وعلى دعم استقلاله السياسى وعدم الركوع امام الاستعمار الجديد بكل اشكاله .

٢ – أهمية – وضرورة – دعم علاقات التعاون مع البلدان الاشتراكية ، وخاصة مع الاتحاد السوفيتى – الذى أكد انجاز هذا المشروع صدق تعاونه والتزامه .

٣ – ان انجاز السد يعبر عن استمرار ثورة التحرر الوطنى العربية فى انجاز خطط التنمية من أجل تغيير حياة الجماهير الكادحة ورفع مستواها فى نفس الوقت الذى يستمر فيه نضالها ضد الاحتلال الصهيونى الامبريالى للارض العربية .

كلمة لغيرة – فانه بينما يعتبر قيام سد الفرات كواحد من اكبر السدود العالمية انتصارا لارادة الانسان العربى – فان جو الخلافات الاخير بين سوريا والعراق على اقتسام مياه النهر ، هو جو يجب ان ينتهى ، لان استمراره ، وازدياد تلبده بالغيوم ليس لصالح قضية التحرر العربى العام ضد الصهيونية والامبريالية ، وهو ضار كل الضرر بقضايا خطط التنمية والتطوير الاقتصادى والاجتماعى للوطن العربى ، ان الخلاف يجب أن يحسم من منطلق مصلحة الثورة العربية ووحدة قوى ونضال هذه الثورة على اختلاف عقائدها ومشاربها .

لقد قام سد الفرات – معلنا ان ارادة الانسان العربى فى امكانها أن تنجز مشاريع ضخمة ، ونفس الارادة مدعوة لان تنجز فى مجال وحدة قوى الثورة العربية انجازا مماثلا ، هو تصفية كل خلاف بين سوريا والعراق . وليكن مشروع مثل سد الفرات – شأنه شأن شقيقه السد العالى – ملكا للانسان العربى الكادح الذى تستهدف مثل هذه المشروعات العظيمة رفع مستواه وتغيير حياته الجامدة المتخلفة ، والخروج به الى نور القرن الاخير من القرن العشرين .

عن الثقافة العمالية ومجالس الانتاج

التجربة الاولى : الثقافة العمالية

تأسس المعهد النقابى المركزى فى ١٩٦٨ . وكانت تتولى ادارته عند تأسيسه ادارة مشتركة من الاتحاد العام للعمال ووزارة العمل ، ولكن المعهد كان يقع فى نفس الوقت وزارة العمل اداريا وماليا . وكانت هذه التبعية تشكل حاجزا

روتينيا واداريا امام انطلاق الحركة النقابية فى مجال الثقافة العمالية . ولذلك فانه فى عام ١٩٧٢ طالبت الكتلة العمالية فى **مجلس الشعب السورى** بفصل المعهد المركزى النقابى عن وزارة العمل ، وتبعية المعهد والمعاهد الاعدادية الاخرى ، والتى منها حاليا معاهد حمص وحلب واللاذقية ودمشق – للاتحاد العام للعمال . وتشكل مجلسا

علما يرأسه رئيس الاتحاد العام للعمال وتشكل عضويته من اعضاء من الاتحاد العام للعمال ومدير المعهد المركزي .

والتجربة التي يتعين ان نتقدم كمبادرة هامة في مجال الثقافة العمالية في البلدان العربية . هي ان المعهد المركزي النقابي في سوريا اذ حصل على استقلاله عن الدولة ، وأصبح يستمد وجوده اساسا من الحركة النقابية ، ويلتزم بقرارات الاتحاد العام وقرارات مؤتمراته فانه قد تمكن من أن يقدم برامج نقابية وعمالية تهدف الى رفع المستوى الفكري والثقافي لاعضاء النقابات ، وبشكل يخدم اهداف الطبقة العاملة وتطلعاتها ، ويوضح حقوقها ، وخاصة بعد ان انتهت سيطرة الجهات الحكومية والادارية على الثقافة العمالية .

ومنهاج الدراسة في معاهد الثقافة العمالية ، هو منهاج ملتزم بالطبقة الاجتماعية التي يسعى الى رفع مستواها الفكري والثقافي والسياسي ، والمهني ؛ وينقسم هذا المنهاج الى اربعة اقسام :

القسم الاول : ويخص بتدريس العلوم الاجتماعية . وهو يتضمن اكثر من ثمانية عشر موضوعا ، من بينها موضوعات عن القوى الانتاجية وعلاقات الانتاج ، القاعدة والبناء الفوقي للمجتمع ، التشكيلات الراسمالية - ماهي الطبقات ، الصراع الطبقي ودوره في المجتمع ، الثورة الاجتماعية - المجتمع الاشتراكي - حركة التحرر الوطنية والقومية - الحركة الثورية العالمية .. الخ .

القسم الثاني : عن النقابات ومهامها الرئيسية في النضال الثوري المعاصر ، وموضوعات هذا القسم تصل الى سبعة عشر موضوعا . منها : مفهوم العمل النقدي في المجتمعين الراسمالي والاشتراكي في العمل النقابي - والعمل السياسي - الحركة النقابية العالمية - الحركة النقابية العربية - والنقابات ودورها في التحالف الوطني التقدمي - النقابات والتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، النقابات والادارة الاقتصادية .. الخ

القسم الثالث : المبادىء الرئيسية للعمل النقابي ، وهو يتضمن ثلاث برامج رئيسية في ٢٥ محاضرة . البرنامج الاول : عن «النقابات العمال» . والثاني : عن الضمان الاجتماعي ، والثالث : عن التنظيم النقابي .

القسم الرابع : عن المهمات الرئيسية للعمل النقابي في القواعد ، وهو يتضمن ما يقرب من العشرين محاضرة . ويغطي الموضوعات الرئيسية التالية : ا - النشاط التنظيمي . ب - النشاط الثقافي جـ - النشاط الاجتماعي د - الامن الصناعي والصحة والسلامة العامة .

والتجربة السورية تتميز ، بانها اول تجربة عملية في مجال الثقافة العمالية تقدم بمنهاج ينبثق بالاستقلالية عن محاولات الطبقات البورجوازية للسيطرة على مناهج الثقافة العمالية ، واتباعها لفكرها وثقافتها ، وتتميز هذه البرامج بالتزامها بفكر الطبقة العاملة وبالاشتراكية العلمية ، وبوحدة الطبقة العاملة العالمية والعربية .

وبخلاف ما يحدث في كثير من البلدان العربية ، فان المحاضرين ينتقون على اساس التزامهم الفكري والاجتماعي : فهم اما من النقابيين او من اساتذة الجامعة والمثقفين الملتزمين بالفكر الاشتراكي .

وهكذا ، نجد ان التجربة السورية في مجال الثقافة العمالية تحقق الى حد كبير المبادىء التالية :

١ - ان الثقافة العمالية مسئولية الطبقة العاملة بعدها . والاشراف الكامل عليها للتنظيمات النقابية العمالية .

٢ - بلورة مفاهيم الطبقة العاملة ، لتكون اساسا لفكر على تتسلح به الطبقة العاملة كاداة في مواجهة اشكال الاستغلال المحلية والاجنبية . وان تكون واعية بقضيتها القومية . وتاهيلها لتحتل مكانتها التاريخية في حركة التحرر العربية .

٣ - تطوير التراث الثقافي وتنقيته من الثقافات الدخيلة التي فرضتها الطبقات المستغلة المرتبطة بالاستعمار والصهيونية لتحل محلها ثقافة العمال في مجال العلوم الاجتماعية والفنية والعلمية ، ولتغيير القيم الاجتماعية الموروثة عن عهود مجتمعات الاقطاع والراسمالية والتخلف .

٤ - دعم اتصالات الطبقة العاملة العربية بالفكر التقدمي العالمي ، وتعريف العمال بأوضاع

الحركات النقابية فى العالم ، وربط نضال الطبقة العاملة العربية بنضال الطبقة العاملة فى العالم وحركات التحرر الوطنى .

التجربة الثانية : مجالس الانتاج

فى شهر اكتوبر ١٩٧٤ ، اصدر الاتحاد العام للعمال قراره رقم ٣ بتشكيل المجالس الانتاجية فى الوحدات الانتاجية . ويستهدف هذا القرار اشراك جماهير العمال اشراكا حقيقيا فى تنظيم علاقات الانتاج وفى عملية الانتاج لتحسينه كما ونوعا .

وتجربة تشكيل مجالس الانتاج فى سوريا ، تجربة حديثة لم يستوعودها بعد ، ولم تنضج فى التطبيق ، الا ان تطبيقها فى بعض المجالات مثل سد الفرات والشركة الخماسية ، يمكن ان يكون نموذجا جديرا بالدراسة من قبل الحركة العمالية العربية .

ومن خلال الحديث ـ مع اعضاء اللجنة النقابية فى الشركة الخماسية « سابقا » ومع رئيس مجلس ادارتها تبينت لنا الامور التالية :

الاول : ان بناء مجالس الانتاج العمالية جاء كمبادرة عمالية وجهة نضالية يومية هدفها فتح الطريق لتحقيق الادارة الديموقراطية فى المشاركة العمالية الفعلية والكاملة فى قيادة عملية الانتاج .

الثانى : ان التصدى للمهمات الانتاجية يتطلب من جميع العاملين فيه المشاركة الايجابيه فى عملية الانتاج ، والعمل على تطوير الواقع الانتاجى نحو الاحسن والافضل .

الثالث : تضافر الامكانيات الفنية والادارية مع الجهود العمالية والتنظيم النقابى . وان هذه العلاقة القائمة على الاحترام المتبادل كفيلة بامتصاص كل السلبيات التى تبرز من خلال الممارسة والنشاط اليومى ، ولتجنيب العمل الحساسيات والمعارك المفتعلة بين العمال وتنظيمهم النقابى من جهة وبين الفنيين والجهاز الادارى من جهة أخرى .

الرابع : ان فعالية المجالس الانتاجية تتحقق بشكل أفضل كلما جاءت نتيجة التحرك الطوعى والاختيارى للعمال الطليعيين . وأنه كلما بعد تحقيق التجربة عن الاوامر الادارية والعلويه كلما آتت ثمارها .

وفى الشركة الخماسية ـ وهى اكبر شركات القطاع العام الصناعية فى مجال الغزل والنسيج ، تتشكل لجان الانتاج على النحو التالى :

١ ـ تتشكل لجنة انتاج فى كل وردية تابعة لقسم من اقسام الشركة ، وهى تتكون من العمال الطليعيين فى الانتاج والعمال القياديين فى المجالات النقابية والانتاجية والوطنية . ومهمة هذه اللجنة المشاركة فى وضع الخطة العملية اليومية والاسبوعية والشهرية ، السنويه ورفعها للجهة الاعلى ، والمشاركة العملية والفعلية فى تنفيذ الخطه ، ووضع كل الامكانيات اللازمة نحو زيادة الانتاج وتحسين مستواه . وتقوم بشرح خطة العمل الاسبوعية للعمال لحفزهم على تحقيق الخطة وزيادة معدلها .

٢ ـ **لجنة القسم** ، وتتشكل من مجموعة الصالات « القسم » ، لجنه انتاج القسم من عدد من العمال الطليعيين . وتقوم بقيادة العمل الانتاجى فى القطاع المخصص لها ، والعمل على تحقيق الخطط ، وما يتطلبه ذلك من جهود بشريه ومواد وتجهيزات .. الخ . ودراسة وضع الالات وصيانتها وعلاقه القسم بالاقسام الاخرى .

٣ ـ لجنة انتاجية عليا « مجلس الانتاج » ـ وتتشكل من اعضاء اللجنة الاداريه ، ورؤساء لجان الاقسام ، ومدراء الاقسام ، وعدد من الفنيين ، واللجنة النقابية . ومهمة هذه اللجنه العليا ، وضع الخطة على نطاق الوحدة كلها ومراقبة تنفيذها ووضع الخطط والبرامج لعمل الشركة ، ودراسة الاقتراحات الواردة من اللجان الدنيا والعمل على اقتراح الحلول للمشاكل التى تعوق العمل والانتاج .

وهكذا تجىء تجربة لجان الانتاج تلك تجربة ايجابية وبناءة ـ صاغها الوعى العمالى من خلال تجربته الذاتية ـ لمواجهة كل الممارسات السياسية والاجتماعية والانتاجية والبورجوازية والبيروقراطية ، هذه الممارسات لم تكن تخدم على الاطلاق المصالح الحقيقية للطبقة العاملة ، ومصالح كل الشعب . كما انها جاءت كذلك لتحقق مشاركة ديمقراطية حقيقية للعاملين فى بناء الاقتصاد الوطنى وللتاكيد على الدور الطليعى للطبقة العاملة فى هذا البناء ، وهو دور لا يمكن أن يتاكد وجوده الا بالمشاركة المنظمه والواعية والديمقراطية لجماهير العاملين فى القاعدة الاقتصادية .

رؤيـــة نقـــديـة

لبيـــان الحـــكومـة

عادل حسين

نشرت « اخبار اليوم » رسالة ـ على لسان احد القراء ـ تسأل : هل استطيع ان اقول « لا » لممدوح سالم رئيس الوزراء دون ان يقبض على ، او احاكم ، او اسجن ، او ارفت من وظيفتى ؟ ـ ولا ادرى حكمة كتابة هذه الرسالة ، ولا يقدم تفسيرا ان «اخبار اليوم» قد علقت، وباسم رئيس مجلس الوزراء بأن من حق المواطن ان يقول لا . . ولا .

على اى حال .. لقد سبق أن استخدمت « الطليعة » حقها فى نقد سياسة حكومة د . عبد العزيز حجازى . وهاأنذا استخدم نفس الحق فى أن اقول « لا » لكل ما أعتقد انه يستحق الاعتراض فى سياسة الوزارة الجديدة ، ولاشك أن السيد ممدوح سالم سيتسع صدره لما نقول ، فنحن فى مرحلة عصيبة ، نحن نواجه عدوا يحتل بعضا من أرض الوطن ، ونواجه ضغوطا تهدد مكتسبات الجماهير العاملة ، ومن الواجب ـ فى هذه الظروف ـ ان يتسم الحوار بالمصارحة التامة من أجل تحقيق وحدة وطنية حقيقية ، وحدة تقف ضد محاولات الاستعمار الجديدة للتسلل الى واقعنا الاقتصادى والاجتماعى والسياسى . وحدة لا تجور طبقة فيها على مصالح طبقات اخرى . وحدة تحقق حدا معقولا من مصالح الطبقات الكادحة ، وحدا معقولا من مصالح الرأسمالية الوطنية .

قد يقال أن الوزارة لم تكد تبدأ فى العمل . ولكن هذا بالتحديد ما يحثنا على تسجيل النقد ، فكون العمل لم يبدأ بعد شهر من تشكيل الوزارة ، فى أمور تتطلب السرعة والحسم . هو أمر يستحق المؤاخذة .. ومن ناحية اخرى فان بيان الحكومة امام مجلس الشعب قد حوى بعض القضايا الهامة حول مفهوم الانفتاح . ورغم أن البيان لم يفصح الافصاح الكامل عن سياسة الحكومة فى هذا المجال ، فان بعض الاشارات الواردة تكفى للتحذير ، ويحسن ان نعلن رأينا بصراحة . قبل أن يبدأ التنفيذ .

مسائل تطلب الحسم

■ **ففى اطار الامور التى تتطلب السرعة والحسم ٠ نجد مثلا بمشكلة الاسعار ٠** وبيان الحكومة يؤكد هذا ٠ فقد حدد ان المهمة الاولى للحكومة فى المرحلة القادمة هى « المواجهة السريعة لمشاكل الحياة اليومية للجماهير ، وعلى راسها مشكلة ارتفاع الاسعار وصعوبة الحصول على بعض السلع التموينية والاساسية ٠٠ وهى المواجهة الضرورية التى قال **السيد الرئيس** عنها بانه عندما يكون الامر هو حياة الناس ومعيشتهم وتكاليفها فاننا يجب أن نجرب المستحيل » ٠٠ ويستمر البيان الحكومة « على تثبيت الاسعار ودراسة امكانية تخفيض أسعار بعض السلع والحد من ارتفاع أسعار السلع الغذائية مثل الخضر والفواكه » ٠

هذا ما أعلنه بيان الحكومة ، ولكن ماذا تم ؟ نحن لا نزعم ان الحكومة تملك عصا سحرية فى مواجهة مشكلة الغلاء ، ولكننا نطالب ببرنامج محدد ، وخطوات تنفيذية سريعة ، تقنع المواطنين باننا نتجه فعلا نحو الهدف ٠

قد يقال ، أن بيان الحكومة قد وعد فعلا بعدد من الاجراءات منها : الاستمرار فى دعم السلع المنتجة محليا أو المستوردة ، واتخاذ كافة الاجراءات التى تكفل توفير احتياجات البلاد من السلع المختلفة مع ضمان انسيابها وانتظام تدفقها على السوق ومواقع الانتاج بالكميات المطلوبة وفى الاوقات الملائمة ــ اعادة النظر فى قوائم السلع التى تستورد فى اطار السوق الموازية بما يكفل توفير كافة احتياجات السوق ــ عدالة توزيع السلع على المحافظات بما يكفل القضاء على التفاوت الذى كان ملحوظا فى نصيب الفرد ــ التوسع فى قاعدة التوزيع ونظام البقالين التعاونيين وتشجيع الجمعيات التعاونية فى اماكن التجمعات ــ تشديد العقوبات على المخالفات التموينية ٠٠ الخ ٠

٠٠ كل هذا عظيم ، ولكنه لا يكفى ولا يطمئن ٠ فقد سبق ان ذكرته الحكومة السابقة ــ مع تفصيل أكثر ــ فى بيانها أمام مجلس الشعب فى ٢٧ نوفمبر ١٩٧٤ (١) وكل مواطن يعلم تماما من معاناته اليومية أن ارتفاع الاسعار لم يتوقف منذ اذاعة هذا البيان ، وقد اعترف السيد **ممدوح سالم** بهذا فى بيان حكومته ٠٠ **فرغم كل الجهود التى** بذلت لتوفير السلع الاساسية والخدمات الضرورية **للمواطنين طوال السنوات الاربع الماضية ، ظلت** أسعار **الكثير من السلع الضرورية ترتفع بما يجاوز حد الاحتمال ، وأصبح التضخم مشكلة لا يمكن السكوت عليها ،**

لا يكفى أذن ، وأمام هذا الواقع ، أن يقتصر بيان الحكومة الجديدة على اعادة ذكر برنامج الحكومة السابقة للتحكم فى الاسعار ٠٠ وقد لا يكون العيب فى البرنامج ، وقد لا تجد الحكومة الحالية بالتالى حرجا من تبنى نفس البرنامج ، ولكن من واجبها فى هذه الحالة ان تزيده تحديدا ٠ فلا يكفى ــ مثلا ــ أن يعيد بيان الحكومة الجديدة الحديث عن ضمان توفير احتياجات البلاد من السلع المختلفة ٠ اذ ينبغى أن يوضح فى نفس الوقت كيف ؟ وباى مقدار ؟ وهل ستزيد الاعتمادات للاستيراد مثلا ؟ ومن اين ؟ الكلام المحدد هو الجديد الذى كان مطلوبا أن تضيفه الحكومة الحالية الى البرنامج السابق ، كى يطمئن الناس الى أن هذا البرنامج سيكون على يدى منفذين جددا شيئا مختلفا ٠ كان مطلوبا من بيان الحكومة الجديدة أن يشرح أسباب المثرات السابقة ، وكيف ستتغلب الحكومة الجديدة عليها ٠كان مطلوبا ــ باختصار ــ أن تقنعنا الحكومة بكلام ، قاطع ومفصل ، أنها ستكون أكثر قدرة وسرعة فى الانجاز ، فهذا هو الاسلوب الوحيد المقنع لجماهير أصابها تكرار الوعود بالاحباط الشديد ، وعدم التصديق ، لاى كلام هام يقال ٠

تجار الجملة والاسعار

وبعيدا عن مشاكل الاعتمادات التى قد نعجز عن تدبيرها ، ماذا عن التحكم فى توزيع السلع المتوافرة تحت ايدينا ؟ وماذا عن التحكم فى اسعارها ؟ المعروف أن قطاع التجارة الداخلية ، وخاصة فى مستوى تجارة الجملة ، يحقق هامشا كبيرا من الربح ، ويتلاعب فى الاسعار ، ويخلق أو يزيد الاختناقات ، وبالتالى فانه من غير الممكن أن نتحدث عن تثبيت الاسعار ، أو الحد من ارتفاعها ، دون أن يرتبط هذا الكلام بمزيد من تدخل الدولة فى هذا المجال ٠وليس فى هذا الكلام أى اختراع ،أو تطرف ،فالحكومة الحالية تقول فى

---

(١) راجع بيان د. عبدالعزيز حجازى عن برنامج الحكومة ــ صحيفة ٢٨ نوفمبر ١٩٧٤ ٠

بيانها أن التحكم فى أسعار السلع يتطلب من الحكومة أن تعرض المزيد منها بأسعار مناسبة كعامل موازنة » « وكذلك عن طريق تعاقد شركات القطاع العام مباشرة مع المنتجين لاخراج البسطاء والسماسرة مما يترتب عليه خفض التكاليف التسويقية » . وكان مفروضا ان نسمع بهذا التصريح لولا أن بيان الحكومة السابقة كان قد نص ايضا على نفس الشيء : « نزول شركات القطاع العام الى الاسواق والتعاقد مباشرة مع المنتجين حفاظا على منتجاتهم ولحسابهم من المستغلين ، وبذلك نضمن لهم ربحا معقولا ونضمن من ناحية اخرى عرض السلع على المستهلكين بأسعار معقولة مساهمة فى المحافظة على أسعار السلع الضرورية وتخفيفا لتكاليف المعيشة على المواطنين» .. هنا أيضا كان مطلوبا من الحكومة ، بدلا من تكرار ما سبق أن صرح به ، كان مطلوبا أن يقال للمواطنين لماذا لم يتحقق هذا الاجراء الهام فى ظل الحكومة السابقة ، وما هى الضمانات الجديدة التى تكفل تحقيقه فى المستقبل . ونحن نعلم أن تنفيذ هذا الاجراء تعترضه مقاومة شتى الوسطاء من تجار الجملة ونصف الجملة ، ولكن مادامت الحكومة ملتزمة بأن هذا الاجراء ضرورى للتحكم فى الاسعار ، فان من واجبها أن تضع مصالح جماهير المستهلكين الواسعة فوق أى اعتبار .

وقد أذكر هنا أن السيد رئيس مجلس الوزراء كان قد صرح فى أول مؤتمر صحفى له بأن أسعار الخضروات ستنخفض خلال أسبوعين [٢] . وقد مضى الاسبوعان ولم تنخفض الاسعار بطبيعة الحال ، رغم الجهود التى بذلت ، لان المسألة لا يمكن أن تحل بجهد مجلس التموين ، ولن تتحكم الدولة فى أسعار الخضر الا اذا وسعت علاقاتها بالمنتجين مباشرة على حساب تجار الجملة « والقماطين » (وهم شريحة بين تجار الجملة وتجار التجزئة) . وقد أكد التقرير الذى لمح السيد ممدوح سالم باعداده (والذى شاركت فى اعداده وزارة الزراعة ومؤسسة الصناعات الغذائية ووزارة الصناعة ومؤسسة التجارة الخارجية ووزارة التموين وجامعة اسيوط . لقد أكد التقرير — ضمن ما أكد — هذه الحقيقة ، فسعر الخضروات الذى يشترى به المستهلك يزيد بنسب تصل الى ١٠٥ فى المائة أو ١٢٠ فى المائة عن الاسعار التى يبيع بها المنتج . والقطاع العام الذى يتدخل فى توزيع الخضر بهدف الموازنة وفرض أسعار معقولة على تجار السوق الخاص ، لا يشارك الا بحصة محدودة غير مؤثرة ، وأكثر من هذا فانه يشترى احتياجاته — حتى الان — من تاجر الجملة ، شانه شان أى تاجر تجزئة عادى ، ولا يتعامل مع المنتج مباشرة !

هذا المثال عن تجارة الخضر ، يتطلب الاجراء السريع والممكن ، حتى يقتنع الناس — بطريقة عملية — بان هناك جديدا فى تنفيذ برنامج الحكومة لمحاربة الغلاء .

سبب آخر لارتفاع الاسعار

● ننتقل الان الى مسألة اخرى ترتبط بالاسباب المحلية لارتفاع الاسعار . لقد سبق أن صرح رئيس مجلس الوزراء السابق بأن من الاسباب الداخلية للتضخم توسيع الانفاق الحكومى ، لهذا التوسع لا يستند الى موارد حقيقية من المدخرات مما يمثل وقودا اضافيا للتضخم [٣] . والسيد ممدوح سالم أعلن ايضا — فى مؤتمره الصحفى الاول — أن الاجور التى اعطيت فى الفترة الاخيرة ساهمت على تصاعد الاسعار فى الداخل . فماذا ستفعل الحكومة لمواجهة هذا ؟ لقد أعلن فى الصحف أن المسئولين وجدوا أن الميزانية يمكن أن تتحمل اعانة الغلاء المحددة (٨٤ مليون جنيه) بالاضافة الى اعباء تطبيق قانون الاصلاح الوظيفى على موظفى وعمال الحكومة والقطاع العام (٧٤ مليون جنيه) [٤] . وبالطبع فان احوال الموظفين تتطلب كل اجراء يرفع تدرجهم الضرائبى . ولكن — كان متوقعا أن يشرح بيان الحكومة ، أمام مجلس الشعب : كيف سيمكن للميزانية الحالية أن تتحمل هذا الانفاق الجديد ، فبالقطع لم تكن هناك موارد متوارية ثم كشف عنها فجأة .. اذن كيف ستدبر الحكومة هذه الايرادات الاضافية ؟ هل ستأخذ بعض اموال الاغنياء لسد جزء من احتياجات الدولة للايرادات الاضافية . أو بمعنى آخر ، هل

---

[٢] المؤتمر الصحفى الاول لرئيس مجلس الوزراء والمنعقد فى مقر نقابة الصحفيين بتاريخ ٢٢ أبريل ١٩٧٥ .

[٣] تقرير اللجنة المشتركة لمراجعة الاقتراحات والشكاوى واللجنة الاقتصادية فى مجلس الشعب عن الانتاج الاقتصادى (الفقرة : مصوبا وموافقا) . وقد ورد نفس المعنى فى تصريح لرئيس الوزراء بمقر الاتحاد الاشتراكى العربى بتاريخ ١٩ أبريل ١٩٧٥ .

[٤] جريدة الاخبار — الصفحة الاولى — ٨ مايو ١٩٧٥ .

سنلجأ الى قدر من اعادة توزيع الدخل القومى تحقيقا للعدل الاجتماعى ، عن طريق الضرائب مثلا !

المطلوب : نظام ضريبى جاد

... ولكن ماذا يتم ؟

لقد وجه كاتب هذه السطور الى السيد **رئيس مجلس الوزراء** هذا السؤال فى مؤتمره الصحفى ، وكنت اعتقد ، ولا زلت ، ان اعادة توزيع الدخل القومى هى اسلوب ضرورى - فى المدى القصير - لزيادة دخول الطبقات المحدودة الدخل ، طالما اننا نستبعد ان تلجأ الحكومة الى مجرد اصدار مزيد من اوراق البنكنوت ، فنحن نتحدث عن رفع أو تثبيت الدخول الحقيقية ، وعن رفع أو تثبيت مستوى معيشة الطبقات الكادحة ..

واذكر ان السيد **ممدوح سالم** قال يومها ان التصور النهائى لتطوير التشريعات الضريبية لم يكتمل بعد ، وأنه سيدرس دراسة عميقة من الجوانب الاجتماعية حتى نحقق العدل الاجتماعى الذى نهدف اليه . فهل جاء فى بيان الحكومة أى تحديد ؟ للاسف لا ، رغم أهمية السرعة فى حسم هذا الامر بعد اقرار الاصلاح الوظيفى واعانة الغلاء . لقد جاء فقط ان « الحكومة تلتزم بتطوير النظام الضريبى بما يكفل للدولة حقها ويضمن تحقيق العدالة الاجتماعية ، ومكافحة التهرب الضريبى ، وذلك فى اطار تحقيق التوازن بين عبء الضرائب المباشرة بالنسبة لمختلف طوائف الممولين وأفراد الشعب بحيث يساهم كل حسب طاقته المالية ، ولا يتهرب شخص قادر من المساهمة فى الاعباء العامة » .. ان هذا الكلام غير محدد ، وهو لا يزيد كثيرا عن كلام الحكومة السابقة فى بياناتها ، عندما اكدت أنها ستتقدم « بمشروعات القوانين الخاصة بتطوير الضرائب والجمارك والنقد مما يكفل تحقيق العدالة فى تحمل الاعباء وحماية المال العام » . ولكن ، نحن نذكر ان الحكومة السابقة قد استقالت بعد اكثر من أربعة أشهر من تقديم هذا البيان ، ولم تكن قد انتهت من اعداد هذه المشروعات بقوانين ، بل وجاءت رسالة **الرئيس السادات** فى يناير لتدعو الى الاسراع ، فتكثفت الجهود بالفعل والدراسات ، ومع هذا تتقدم الحكومة الجديدة الى مجلس الشعب فى شهر مايو ١٩٧٥ بدون تصور واضح ومحدد حول هذا الموضوع ، بل اذا اخذنا بما نشر (٥) **فان الدراسات الحالية تجرى لاعادة النظر فى الضرائب التصاعدية ، خاصة على عائد المستثمر المصرى ، بما يسمح له باقتسام فى عملية التنمية وتشجيعه على الدخول فى عمليات التنمية ، وترجمة هذا ان انجاه الدراسة هو نحو تخفيف العبء الضريبى حتى على اصحاب الدخول العالية « لتشجيعهم على الدخول فى عمليات التنمية »** ، ولا يشير الكلام الى اى ضرائب نوعية جديدة . فهل سيؤدى هذا الى خفض حصيلة الدولة من الضرائب بدلا من زيادتها ؟! لقد يقال ان الدولة ستخفض نسب الضرائب المفروضة على الايراد العام ، ولكنها ستهتم بان يكون التحصيل جادا ، ونحن نرى ان التحصيل الجاد ليس بديلا عن ضرورة فرض ضرائب جديدة على الفئات المقتدرة ، ومع ذلك فاين هى ملامح العزم الشديد فى تحصيل الضرائب من المتهربين ؟! ان العبرة بالعمل ، وهذا ما لم نتسمر به حتى الان . بل ولم تقدم الحكومة برنامجا باجراءات محددة فى هذا الشان .

المهم .. السؤال المقلق لا زال مفتوحا بلا اجابة : كيف ستزيد الحكومة ايراداتها بغير اجراءات ضرائبية سريعة ؟ **ان على الحكومة ان تطمئننا الى انها يمكن ان تسلك سبيلا آخر لزيادة مواردها لمواجهة الـ ١٥٨ مليون جنيه التى وعدت الشعب بها . من واجب الحكومة ان تطمئننا ، فنحن لا نحتمل اى زيادة اخرى فى الاسعار .**

عن الانحراف ايضا :

● **مسالة اخرى** : الانحراف ، كانت الحكومة السابقة قد اعلنت ان الثورة التشريعية التى نحن بسبيلها يجب ان تستهدف الحماية الحقيقية للمال العام « ان الفئات الطفيلية التى تظهر على جسم المجتمع ، والذين يتاجرون باقوات الشعب لا يحدوهم غير النهم والكسب الحرام ، يجب ان يضرب على ايديهم بقوة » .. ومرت الايام ولم يضرب احد على يده بقوة او بضعف .. كان الكلام هو الذى فى منتهى القوة . ثم جاء بيان الحكومة الجديدة ليكرر مرة اخرى ان تحقيق العدل

---

[٥] جريدة الاهرام - الصفحة الاولى - ١٠ مايو ١٩٧٥.

الاجتماعى يتصل أوثق الاتصال باتخاذ الحكومة ، كل الاجراءات التشريعية والادارية التى تكفل تعقب الدخول الحرام ، والتى تمنع بالردع والمساءلة نكون الثروات الناشئة من مصادر غير مشروعة أو القائمة على الفساد واستغلال النفوذ ؟ ٠٠ هل سيقتنع الناس بهذا الكلام المعاد ؟ انني واحد من الذين لا يصدقون أن كل الشائعات التى تملأ البلد غير صحيحة،ولابدان جزءا كبيرا منها صحيح ٠ فكيف تعجز كل أجهزة الدولة ـ بكل امكانياتها الحديثة فى المتابعة والتسجيل ـ عن الامساك بمجرم كبير واحد ؟! لن يصدق الناس أى تصريحات عن تعقب الفساد وأصحاب المال الحرام ، ما لم يقبض فعلا على بعض الناس ٠

اذكر أن السيد **رئيس الجمهورية** قال فى سبتمبر ١٩٧١ اننا نشترى مواد تموينية بحوالى ١٠٠ مليون جنيه عملة صعبة ، وقال أن « العملات اللى بنتاجر بها الـ ١٠٠ مليون جنيه دى بقت ريحتها وحشة قوى ٠٠ فلاحت » (!)

ومع هذا مضت الامور عادية ولم يكشف عن مجرم واحد !

ولم نذهب بعيدا الى عام ١٩٧١ ! لن تقرير **الاستاذ ابو وافية** ، **الذى نعارض اتجاهه العام بشدة** ، يقرر فى ابريل ١٩٧٥ انه يحدث ان ينتج عن الاهمال والانحرافات وينفلت فى مجلس الشعب ، ثم يمر كل ذلك وينتهى دون تحقيق !

وآخر مثال فى هذا المجال ، هو ما جاء فى تقرير لجنة الزراعة **بمجلس الشعب** عن تصدير البرتقال ، وأن **محمد سالم السحراوى** تقاضى نصف مليون جنيه كعمولة من شركة الوادى لتصدير الحاصلات الزراعية . **أن القانون يبيح دفع هذه العمولة** ٠ ولكن هناك عشرات من التساؤلات الطبيعية :

اولا لماذا يبيح القانون دفع مثل هذه العمولات لرجل لم يقدم اى جهد ؟ فالبرتقال زرعه المنتجون ، ويمكنهم أن يتعاملوا مع شركة القطاع العام رأسا ، وشركة القطاع العام لا تحتاج الى مساعدة خاصة من وسيط فى عملية التصدير ، لان تصديرها للبرتقال يتم وفق اتفاقيات محددة مع الدول المستوردة.هذا التساؤل مشروع،وقد يضاف ايضا أن هذا المبلغ ـ النصف مليون جنيه ـ هو حصة السحراوى عن تصدير البرتقال فقط وفى موسم واحد فقط ، وقد يقال أيضا أن قسما من عمولة تصدير البرتقال تسلمها نسيب **لكامل دياب** الرئيس السابق لشركة الموادى،وقد يقال ان لجنة الزراعة ظلت تبحث هذا الموضوع طوال دورات ثلاث مما يدل على صعوبة البحث فى مثل هذه المواضيع ، وقد نتذكر كذلك أن هناك ملفيلين آخرين وفى محاضيل اخرى كالبطاطس والثوم والبصل ٠٠ قد يقال كل هذا واكثر ، ولكن دعنا منه الان ٠

السؤال البسيط الذى نطرحه هو : هذا الرجل المحدد بالاسم ، وهو **محمد السحراوى** ، ثبت انه تقاضى نصف مليون جنيه ، وكان مفروضا ـ وفقا للقوانين ـ أن يدفع منهما يقرب من ٤٥٠ الف جنيه ضريبة للدولة ، فهل دخل ؟ لا !

كنت اتمنى أن تتدخل الحكومة ـ على أعلى مستوى ـ للتحقق من هذه المسألة فور نشر هذا الرقم فى الصحف ، فحين تبدى الدولة بعض هذه الهمة فى تحصيل مستحقاتها ـ ولو مرة ـ ستقتنع الناس بأن هناك ليلا فعلا فى اصلاح الحال ، فالناس لا تقتنع الا بما تراه بعينها وتلمسه بيدها ٠٠ لا بما تسمعه فى أذنيها !

٠٠ من أين لك هذا وموظف التاسعة

● ويجرنا هذا الى قانون من أين لك هذا ٠ حقيقة تحول الأمر هنا الى نكتة ، ففى عام ١٩٦٨ وضع القانون ولم ينفذ ـ وبعد تساؤلات لم تتوقف طوال الاعوام قالت الحكومة السابقة فى بيانها : « أن الاوان ايها الاحوة لان يعهد قانون الكسب غير المشروع ، والمعروف باسم من أين لك هذا سريعه الجد ،فى التطبيق العملى ، لدى تمتد يده الى المعابثين المنحرفين ممن جمعوا ثروات مريبة المصدر ، وستقوم الحكومة بمراجعة لهذا القانون لسد ما يكون فيه من ثغرات ، كذلك فان النية متجه الى تقويه الجهاز الحاص بتنفيذ القانون لوضعه موضع التطبيق العملى ٠٠ وأضافت الدراسات لتحقيق هذه الية ، ومولات التصريحات تؤكد فى كل يوم أن الدراسة استقالت ولم تكن هذه التعديلات قد انتهت بعد ٠ وقد سئرنا السيد **ممدوح سالم** بأن الحكومة قد انتهت من اعداد مشروع قانون عن الكسب غير المشروع يحكم الرقابه على الذمة المالية ، كما يطبق على اصحاب

التكتل فى المجتمع ، وعلى شاغلى مواقع القيادة فى اجهزة الدولة تعبيرا عن معنى الندوة . وايمانا بان الاطمئنان الى نزاهة الحكم فى المستويات العليا ضرورى لمقاومة الانحراف فى سائر المجالات . ولكن بعد اسبوع من بيان الحكومة (أى حتى كتابة هذا المقال) لم تكن الحكومة قد فرغت بعد من دراسة مشروع القانون ، وحسب آخر ما نشر فانه قد روعى فى مشروع القانون عدم التوسع فى ادخال فئات جديدة مثل الموردين وافراد القطاع الخاص المتعاملين مع الحكومة والقطاع العام ، وفى نفس الوقت فان مشروع القانون يحاسب كل العاملين فى الحكومة والقطاع العام حين يشغلون الدرجة التاسعة فما فوقها (٧) .

ونحن نرجو — مخلصين — أن يكون النشر خطأ . فلا يمكن أن يتمخض انتظارنا الطويل عن مثل هذا الفار المشوه . ان المشروع بهذا الشكل يتجه بالتحديد الى من لا يهمنا أمرهم ويترك بالتحديد من يهمنا متابعتهم . **فموظفو الدرجة** التاسعة والثامنة لم يكونوا مقصودين ابدا حين **اهبت الجماهير على تطبيق قانون من أين لك هذا؟** بل ان اهتمامهم فى دائرة القانون لا يعنى الا اغراق المسئولين عن بحث الاقرارات بمئات الالاف من الاوراق التى يعجز أى جهاز عن متابعتها ، وكان هذا هو حال قانون من أين لك هذا القائم حاليا . ان هذا اغراق قد يقهم على انه محاولة لابعاد اصحاب المراكز القيادية عن المحاسبة الحقيقية .. كذلك ما معنى ابعاد المتعاملين مع الحكومة والقطاع العام عن دائرة القانون ؟ لقد طالبت بهذا المطلب لجنة الرد على بيان الحكومة فى ردها على بيان حكومة د. جهازى ، وكانت اللجنة محقة تماما فى هذا المطلب لان هذه الفئات بالذات تحقق دخولا غير مشروعة واضحة ، وتميز الطرق العادية لكشف الرشاوى وما اشبه عن الايقاع بها .

اننا نلح على اصدار القانون بسرعة ، ولكننا نحذر — فى نفس الوقت — من صدوره على هذا النحو ، فهو سيمثل حينئذ صدمة شديدة لكل مواطن ، وقد يتصور الناس ساعتها أن الفساد قد اصبح أقوى من يقاوم .

● **لإزالما حتى الان فى نطاق الموضوعات التى قلنا اننا ننقد الحكومة لانها لم تتحرك لمواجهتها ببرامج محددة وبحزم كاف . وفى الحقيقة لازالت** فى جعبة بيان الحكومة املة اخرى كثيرة ، فابتداء من مشكلة التكدس فى ميناء الاسكندرية ومرورا بمشاكل الاصلاح الادارى والثورة الادارية واللامركزية وانتهاء بمشاكل الشباب والخدمات. فى كل هذه النقاط كان بيان الحكومة الجديدة اعادة لوعود بيان الحكومة السابقة .وبالتالى ينطبق عليها ما سبق ان قلناه : كان المطلوب هو تسجيل اساليب التنفيذ الجديدة والمجددة التى ستحمل البرنامج القديم أسعد حظا على يد الحكومة الحالية ، بشرط الا تكون هذه الاساليب الجديدة من نوع الكلام الذى نشره المهندس عثمان احمد عثمان فى احد الاعلانات حيث قال أن مشكلة الاسكان ستحل تماما خلال عامين . وفى العام الثالث سيكون لدينا فائض من الوحدات السكنية وتعود لافتة « شقة للايجار » .. ليست اقصد طبعا هذا النوع من البرامج التى تضر ولا تفيد . أننى اقصد البرامج العلمية المدروسة .

تجاوزات فى تطبيق « الانفتاح »

نتنقل الان الى موضوع الانفتاح ، والذى قلت اننى لستعجل الكتابة فيه قبل أن تبدأ الحكومة فى تنفيذ ما يبدو أنها تنويه .

● لقد تشكلت الحكومة الجديدة ، بعد أن نمت فى البلاد وتدعمت مفهومات وتطبيقات للانفتاح نقدناها فى **الطليعة** ، واعتبرناها معارضة لاسس نظامنا الاقتصادى والاجتماعى بل أن بعض هذه المفهومات والتطبيقات كانت من الفجاجة الى الحد الذى تعرضت بسببه للنقد من البعض الذى لايمكن أن يتهم مثلنا « بالتعصب أو التطرف » **فالدكتور عبد المنعم القيسونى** — على سبيل المثال — صرح بأنه « لابد من وضع بعض الضوابط بحيث لا نفتح الباب تماما ، مثال ذلك تملك الاراضى الزراعية للاجانب لا ينبغى اطلاقا أن نسمح بذلك وليس معقولا ايضا أن نعطى موافقات لانشاء ... ١ بنك فى مصر لان الاقتصاد المصرى لا يحتمل هذا العدد ، كما أن هذه البنوك سوف تتنافس العمليات ثم تفلس » [٨] وفى « الاهرام الاقتصادى » كتب الاستاذ **فيليب صباغ** [وهو من الكتاب الذين لا يمكن ان يتهموا بالتطرف فى الاشتراكية][٩] «ان مفهوم الانفتاح — عند بعضهم — هو لقمشة مستوردة وبلوفرات سان مايكل ، وأطقم

---

[٧] جريدة الاهرام — ١٨ مايو ١٩٧٦

[٨] جريدة الاهرام : الانفتاح نظام أم مقاومة ؟ — ٢٥ ابريل

صينى وكريستال وباتيوهات ونظارات وراديوات وريكوردرات وسيارات وملابس داخلية وحتى احذية من بالى وماينخى كان اعظم .. هذا هو مفهوم الانفتاح عند بعضهم فى الوقت الذى مازالت لدينا طاقات معطلة فى المصانع ، تحتاج الى مستلزمات انتاج ، ولدينا مشروعات حيوية تحتاج الى تمويل سريع ، والبلاد فى اشد الحاجة الى مزيد من الاسمدة ومزيد من المبيدات الحشرية ، ومزيد من قطع غيار ، ومزيد من مواد اولية ، ومزيد من خامات للحرفيين لكى تدور عجلة الانتاج » .

وقد انفق الاستاذ **نبيل صياغ** معنا فى الاعتراض على تشجيع الاسيراد بدون تحويل عملة ويقول « ان قرارات التيسير التى صدرت فتحت الباب (حبتين زيادة) اذ سمحت لمن من لديه مدخرات فى الخارج ، بأن يستورد بها دون ضبط او رابط ، وذلك الى جانب نظام الاستيراد عن طريق السوق الموازية الذى ظل محكوما بشروط محددة ، وهى ان تكون الواردات لخدمة الانتاج والضروريات » .

وقد كان فتح هذا الباب « على حساب قرار انشاء السسوق الموازية » كما يقول محمود لطفى (مدير هيئة استثمار المال العربى والاجنبى) [١٠] وهذا النوع من الاستيراد لم يتحقق من طريق المدخرات التى يملكها المستوردون شخصيا ، بل كان هؤلاء المستوردون يشترون بمدخرات المصريين العاملين فى الخارج ، ويحاسبونهم على سعر تشجيعى يفوق كثيرا السعر التشجيعى (العلاوة) المقرر فى السوق الموازية وبمعنى آخر فان هذا النظام تنن المقاصة ، وهبط بحصيله المدخرات التى تحول الى السوق الموازية او لفتح حسابات بالعملات الصعبة ،وبهذا كما يقول الاستاذ **نبيل صياغ** « تم استيراد سلع استهلاكية فاخرة او خيالية بكميات هائلة (نذكر الباتيوهات وقطع غيار السيارات) تفوق حد استيعاب الاسواق ، فى الوقت الذى ظلت سلع ضرورية ناقصه فى السوق تقطع غيار المصانع »

وقد نذكر ايضا أن كثيرين من معتلى القطاع الخاص الصناعى والحرفيين اعربوا فى اجتماعاتهم بالمسئولين ، وفى المذكرات الرسمية ، عن تحفظهم من تيسيرات الاستيراد التى فتحت الباب حبتين زيادة . ومن اثر هذه التيسيرات على مستقبل منتجاتهم [اغلقت بالفعل بعض المصانع] وعلى اسعار مستلزمات انتاجهم ،كذلك عبر بعض هؤلاء الناس [غير المتطرفين] عن اعتراضهم على مشروعات كانت هيئة الاستثمار العربى وعربى قد وافقت عليها [كما حدث بالنسبة لاصحاب مصانع تشكيل البلاستيك حين وافقت الهيئة على قيام مصنع مشترك يقوم بنفس العمل ويستورد خامته مثلهم من الخارج] .

● **وقد نشر الاستاذ ابراهيم نافع فى** الاهرام (١١) قصة الـ ٧٠ مليون دولار التى قدمت لمصر من البنك الدولى ، وكيف تعطل استخدامها طوال اربعة اشهر ، وكيف ظللنا ندفع الفائدة المرتفعة [٥ر٨ فى المائة] طوال هذه الاشهر [اى ٧٠٠ دولار يوميا] لوجه الله . وقد ناقش الاستاذ ابراهيم نافع اسباب مثل هذه الظاهرة حتى لا تتكرر . ولكن ما يسستوقف نظرنا فى هذه القصة « الطريفة » جانب آخر فلماذا نقبل ترضا لاجور غير عاجلة بهذه الفائدة المرتفعة ؟ ! نحن نضطر احيانا الى شراء سلع مثلا بتسهيلات ائتمانية غير ميسرة ، ولكن هذه ظروف استثنائية معفوية . اما ان نقبل قرضا بفائدة مرتفعة ثم نبحث اوجه استخدامه فهذا هو غير المفهوم .لقد سبق أن لاحظت وزارة التخطيط عزوف الوزارات عن استخدام القروض والتسهيلات الائتمانية التى تقدمها الدول الاشتراكية حتى هبطت نسبتها من المكون الاجنبى للاستثمار الى حوالى ٥ر٨ فى المائة فقط . وقد ذكرت وزارة التخطيط فى تلك المناسبة بأن سياستنا فى الانفتاح الاقتصادى ينبغى أن تكون انفتاحا على العالم كله ... أى ليس على انغرب فقط ! ولكننا تصورنا — رغم هذا — اننا نواكبه بالفعل عروضا بقروض غربية سهلة ، تقارب فى شروطها قروض الدول الاشتراكية (ذات الفائدة ٢ر٥ فى المائة) وان ملاحظة وزارة التخطيط هى ، فى هذه الحالة ، مجرد ملاحظة سياسية تدعو الى التوازن فى علاقاتنا الدولية . **ولكن الامر الان اخطر . فالمسالة تتعلق ايضا بالمصالح الاقتصادية المباشرة للبلاد . فكيف نقبل قروضا بفائدة ٥ر٨ فى المائة ونرفض قروضا بشروط اكثر يسرا ، دون ضرورة تازمنا بهذا ؟ !** ويؤدى ذلك — كما قالت

---

[٩] مجلة الاهرام الاقتصادى — عدد اول مايو ١٩٧٥

[١٠] جريدة الاهرام [الانفتاح تظلم لم يظلوم] — ٢٥ ابريل

[١١] جريدة الاهرام . ابراهيم نافع [اسرار اقتصادية] — ١٦ مايو [١٢] جريدة الاهرام — حديث مع سيد مرعى — ١٦ مايو

احدى الوزارات — الى ارتفاع تكلفة الدجاجة من ٤٥ قرشا الى ٧٥ قرشا ؟!

جانب آخر من المسألة التى عرضها الاستاذ ابراهيم نافع : قيل ان هناك قرضا جديدا مع البنك الدولى يبلغ ٣٧ مليون جنيه لتمويل مشروعات تجديد السكك الحديدية ، ولكن البنك يشترط ان تحصل هيئة السكك الحديدية المصرية اولا على جميع ديونها المستحقة على الوزارات الاخرى ، وتجرى الاتصالات فعلا على قدم وساق بين الهيئة والوزارات امتثالا لهذا الشرط .. هل هان امرنا الى هذا الحد ؟! وهل يمكن أن يكون هذا هو فهم سياسة الانفتاح الاقتصادى؟! **ان القرض مقدم فى الاساس الى الحكومة المصرية ، ومفروض ان الحكومة هى التى تضمن السداد فهل من حق اى جهة اجنبية ان تتدخل فى اسلوب ادارة مرافقنا واقتصادنا القومى لكى تقدم لنا قرضا ؟ . لقد كان** صدامنا السابق مع البنك الدولى حول تمويل السد العالى بسبب شروط كهذه ، فكيف نقبلها الان وببساطة من اجل تطوير السكك الحديدية ؟ ؟ لا **كانت السكك الحديدية ولا كان تطورها ، اذا كان التطوير سيعنى قبول مثل هذه الشروط !**

مفهومات خطرة نعارضها

المهم أن الحال كان قد وصل بنا الى هذا المستوى عندما تشكلت وزارة السيد **ممدوح سالم** ، وكانت بعض مفاهيم واجراءات الانفتاح الاقتصادى المنفذة ، لا تتعرض فقط لنقد «اليسار» ، ولكنها كانت تتعرض ايضا لنقد الممثلين الفكريين للرأسمالية المصرية ، وكانت تواجه حذرا متزايدا من القطاع الخاص المنتج ، ومع هذا فان ممثلى « اليمين » كانوا يهاجمون وزارة الدكتور **حجازى** لانه لا يستجيب لكل مطالبهم . وهم لم يتوقفوا ابدا عن الضغط . وحين تشكلت الحكومة الجديدة كان فى انتظارها برنامج متكامل أعلنه الاستاذ **محمود أبو وافية** ، وعبر قطب الرجعية [وصاحب أكبر الفرص فى النشر] الاستاذ **احمد ابو الفتح** عن تضامنه الكامل ومباركته لهذا البرنامج ، وتمنى على الله لو أن مصر اخذت به [ونرجو ان يخيب الله فاله] كل هذا كان فى انتظار السيد **ممدوح سالم** ، فكيف كان موقفه ؟

● **لقد أعلن رئيس مجلس الوزراء فى بيانه** أمام مجلس الشعب أن « سياسة الانفتاح الاقتصادى قد أصطدمت بمعوقين خطيرين هما : التمسح بشعارات الاشتراكية ، والتعقيدات الادارية المكتبية » .. ونحن نفهم المعوق الثانى ، أى التعقيدات الادارية المكتبية ، فهى مصيبة يشكو منها كل مواطن قبل أن يشكو منها اى مستثمر عربى او اجنبى ، والامثلة حول تعطيل الاجراءات ، وتضارب القرارات وجهات الاختصاص .. لا تنتهى . ولكن المعوق الاول الذى ذكره **رئيس مجلس الوزراء** : أى التمسح بشعارات الاشتراكية ، هو الامر الذى يستحق وقفة .. فلا شك ان امثالنا قد يعتبرون — بتحفظاتهم — معوقين لسياسة الانفتاح الاقتصادى . وفى هذه الحالة ، فاننى ابدا بأن اؤكد **ان امثالنا لا يتمسحون بشعارات الاشتراكية ، ولكننا نتمسك بالاشتراكية ، ونناضل من اجلها بعناد** . واعتقد اننى اتفق تماما مع المهندس **سيد مرعى** حين يقول « لا يستطيع انسان أن يقول أن سياسة الانفتاح معارضة للاشتراكية ، الا اذا كنت أضع سياسة للانفتاح من شأنها أن تزيد الاثرياء ثراء والفقراء فقرا » [١٢] ولكننى اضيف الى كلمات المهندس **سيد مرعى** : ان هذا هو ما حدث بالضبط ، فالسياسات التى طبقت خلال الفترة الماضية باسم الانفتاح ، ارتفعت فعلا بمستوى الاثرياء وهبطت بمستوى الجماهير العاملة . وهذا ما يجعلنا محقين — وفقا لمنطق رئيس مجلس الشعب — حين **نحذر من ان هذه السياسات تتعارض مع القيم الاشتراكية والديمقراطية ، واننا لابد وان نراجع هذه السياسات اذا كنا نصر على مواصلة الطريق نحو بناء مجتمع اشتراكى** . واعتقد ان خطاب **الرئيس السادات** فى ١٤ أبريل كان مطالبة بقدر من هذه المراجعة ، واذا وافقنا السيد **رئيس مجلس الوزراء** على هذا ، فاننى أرجوه أن يعيد النظر فى اعتبار نقد سياسة الانفتاح الاقتصادى السابقة نوعا من التمسح [الممجوج] بشعارات الاشتراكية .

لقد اعاد السيد **ممدوح سالم** ، فى بيانه ، ما سبق ان **اوضحه الرئيس السادات** من ان المحظور الوحيد فى الاشتراكية هو استغلال الانسان للانسان . وهذا صحيح فى حديث عن اطار عام للتحرك . ولكن فى بيان حكومى يتطلب الامر برنامجا عمليا مفصلا لتحقيق هذا الهدف ، خاصة ونحن فى مرحلة يزداد فيها شعور الاغلبية الساحقة من المواطنين بوطأة المصاعب الاقتصادية والاستغلال ..

اننا نواجه – فى الحقيقة – سؤالا حاسما ، والاجابة الصريحة حول هذا السؤال ستحدد موقف كل منا من الانفتاح الاقتصادى . السؤال هو : **هل الانفتاح الاقتصادى اسلوب سياسى يدعم قدراتنا المالية والتكنولوجية لكى تندفع بمعدل اعلى وكفاءة اكبر فى التنمية المستقلة المخططة ، ولكى ترفع بشكل مضطرد مستوى معيشة الجماهير الكادحة ؟** وبمعنى آخر هل الانفتاح الاقتصادى مجرد أسلوب سياسى يمكننا من تحسين وتطوير ايجابيات نظامنا الاقتصادى والاجتماعى الذى بنيناه خلال الاعوام الماضية ؟ – ونحن نؤيد هذا المفهوم للانفتاح من واقع التزامنا الاشتراكى – أم أن الانفتاح هو نظام اقتصادى واجتماعى جديد ومتكامل يختلف عما تعارفنا عليه ، **وعما سجلناه فى دستورنا ومواثيقنا الثورية ؟** – ونحن نعارض هذا المفهوم للانفتاح الاقتصادى ، أيضا من واقع التزامنا الاشتراكى .. بل والدستورى .

اننى أعلم أن السؤال بهذه الصيغة هو سؤال عام ، وقد يقسم الكثيرون – فى ضوء هذه الصياغة – على أنهم مع التفسير الاول ، وأن الانفتاح سياسة جديدة وليس نظاما . ولكننا لا نقبل فى هذا السؤال المصيرى أى كلام يحمل أكثر من تفسير ، وهذا ما تكشفه المقترحات المحددة ، والاجراءات العملية . فالبرنامج التفصيلى الذى أعلنه الاستاذ **محمود ابو وافية** وباركه الاستاذ **احمد ابو الفتح** ، لا يمكن أن يعنى أن مفهومهم للانفتاح هو مجرد المرونة السياسية ، والاستفادة من امكانيات جديدة متاحة . والاستاذ **ابو الفتح** لا يخفى ، فى أى مقال ، أنه يطلب نظاما جديدا لا يمت بصلة الى « كوارث ومصائب العهد البائد » .

وفى الوقت نفسه ، فان برنامج الاستاذ **محمود ابو وافية** يقول انه « من الطبيعى ان يسبق الانفتاح الخارجى انفتاح داخلى يؤمن النشاط الخاص ويشجعه ويحفزه على القيام بدوره الضخم الفعال فى خدمة الاقتصاد الوطنى ، ولا يتصور أمكان نجاح افتتاح خارجى اذا لم يكن الانفتاح الداخلى ناجحا » .. نحن اذن أمام دعوة الى نظام جديد باسم الانفتاح الداخلى ، **ولما كنا لا نعرف فى المصطلحات المتعارف عليها اسم « النظام الانفتاحى » فان المعنى المقصود ، وكما نفهمه ، هو « النظام الراسمالى »** . وكافة الاقتراحات الواردة فى برنامج الاستاذ **محمود أبو وافية** والاستاذ **أبو الفتح** لا تدع مجالا لتشكيكنا فيما فهمنا ، وقد استخدم الاستاذ **ابو وافية** – فى تقريره عن الانفتاح – تعبير الديمقراطية الاقتصادية بدلا من تعبير الاشتراكية الذى كنا نستخدمه ، ولا أعتقد أن هذا الاستبدال كان لمجرد السهو والخطأ .

ما هو موقف الحكومة الجديدة ؟ للاسف قال السيد **رئيس مجلس الوزراء** فى مؤتمره الصحفى الاول أن « الانفتاح فلسفة متكاملة بالنسبة لنظام اقتصادى وسياسى وادارى وثقافى » . وفى بيانه أمام مجلس الشعب أعلن « الربط بين الانفتاح الداخلى والخارجى – تطبيق سياسة الانفتاح على القطاعين العام والخاص – الارتباط الوثيق بين الانفتاح السياسى ، وغيره من صور الانفتاح الاقتصادى والاجتماعى والثقافى » .

الاخ الاكبر وحقوق الاخ الاكبر أيضا

وقد جاء فى برنامج الاستاذ **ابو وافية** أن « **القطاعين [العام والخاص] يعملان فى خدمة البلاد ، ولكل مجاله ونشاطه واستعداده وصلاحيته . ولا ينبغى ان يطغى قطاع على قطاع ، أو يجور قطاع على ما ينبغى ان يكون للاخر . او يؤثر احدهما على الاخر ، بما يخل بالموازنة بينهما فى المعاملة كشقيقين او كابنين لام واحدة هى مصر** » وقد يبدو للوهلة الاولى اننا لا نختلف حول بعض ما جاء فى هذه الفقرة ، فمفروض ان يعمل القطاعان العام والخاص فى خدمة البلاد [ولو أن القطاع الطفيلى الذى يتكاثر كالسرطان لا يخدم البلاد بأى حال] ومفروض أن لكل من القطاعين مجاله ، فالانتاج الصغير والمتناثر لا يصلح فعلا لادارة القطاع العام ، وقد نتفق على انه لا ينبغى أن يطغى قطاع على قطاع ، ولكن ينبغى أن ننسى هنا أن النظام الاقتصادى المصرى كان يترك ٤٧ فى المائة من النشاط الاقتصادى فى يد القطاع الخاص . وهذا يعنى ان القطاع الخاص لم يكن مختنقا ، **وان كان طبيعيا ان نسلم بان القطاع العام كان يسيطر على مفاتيح الاقتصاد المصرى ، كان فى مواقع تمكنه من القيادة ، وهذه القيادة ضرورة موضوعية من أجل تنمية مستقلة مخططة لصالح الجماهير : بل ان هذه القيادة ضرورة موضوعية لكى يتمكن القطاع الخاص نفسه من لعب دور فى تقدم قوى الانتاج بشكل مضمون ومرشد** . اننا نوافق على ان العلاقة بين القطاعين العام والخاص ينبغى أن تكون علاقة شقيقين ، ولكن ينبغى أن نؤكد فى نفس الوقت أن القطاع العام هو الاخ الاكبر ، عليه التزامات أكبر ، ولابد أن تكون له حقوق اكبر . **ولكن الاستاذ أبو وافية يبدو خلافنا معه بشكل واضح حين يستطرد فى برنامجه ، ويشرح ما يتصوره جورا من القطاع العام على مجالات القطاع الخاص . فهو يطالب باستبعاد القطاع العام من كثير من المجالات الحاكمة ، وتسليمها الى الراسماليين** .

وما يزعجنا هو أن السيد **رئيس مجلس الوزراء** قد أشار الى معنى مشابه فى بيانه أمام مجلس الشعب ، فهو يقول أننا « عملنا فى المرحلة الماضية

برئة واحدة فى مجال الانتاج هى القطاع العام » ، ولذلك « فان المرحلة المقبلة سوف تشاهد انطلاقة جديدة يتكامل فيها القطاع الخاص مع القطاع العام فى بناء مجتمع كل المنتجين » . ونحن لا نعارض فى اعطاء دفعة لنشاط القطاع الخاص المنتج فى المرحلة المقبلة ، وقد نوافق على أن التضييق على القطاع الخاص كان فى بعض الاحيان اكثر مما يتطلب الصالح العام ، ولكن هذا لا يعنى ان القطاع الخاص كان قد تلاشى تماما واننا عملنا برئة واحدة . التعبير على هذا النحو يلتقى مع تقرير الاستاذ **محمود أبو وافية** .

« مصطلحات جديدة »

وبالمناسبة . ما هو مغزى الالحاح فى استخدام مصطلح « **مجتمع كل المنتجين** » . لسنا ضد التعبير فى حد ذاته . ولكننا فى الحقيقة أصبحنا نحذر حين يلح فجأة على استخدام تعبيرات غير مألوفة ، وقد تقبل فى البداية ببراءة وبحسن نية ، واذا بها تتحور لتعبر عن تغيرات اقتصادية واجتماعية ، لم تكن متصورة عند استخدام الاصطلاح لاول مرة ! لقد استخدم السيد **رئيس مجلس الوزراء** تعبير مجتمع كل المنتجين فى بيانه أمام **مجلس الشعب** ، خمس مرات . وهو يقول أن الحكومة تهدف الى تحويل مجتمعنا الى مجتمع لكل المنتجين ، بعد الحديث عن الرئة الواحدة والرئتين ، فهل هذا مرادف لتعبير « الابنين » الذى استخدمه الاستاذ **أبو وافية** ؟ وهل يعنى أن الكل منتج على قدم المساواة ، على خلاف ما تعارفنا فى السابق ، حيث كان هناك قطاع عام يقود الانتاج ويقود القطاع الخاص ؟ أرجو الا أكون قد بالغت فى التأويل . ولكننا نطالب فى الحقيقة ـ كما طالبنا فى طول المقال ـ بالتحديد الذى لا يترك مجالا لاى لبس ، وليعذرنا السيد ممدوح سالم ، فنحن فى مرحلة فقدت فيها كل التعريفات المستخدمة دوليا معناها المعروف ... احدى المجلات تكلمت عن « الكادحين » وهى تقصد الرأسماليين الذين أممت ممتلكاتهم عام ١٩٦١ [١٣]

● نصل الان الى نقطة أخيرة تتعلق بدور التخطيط . فقد سبق ان صرح السيد **رئيس مجلس الوزراء** فى أول مؤتمر صحفى بأن « الاصل هو اباحة الاستثمار ليتجه الى مواضعه الطبيعية حسب حريته فى السوق المصرية واحتياجاتها . وكل شرط هو قيد ، وكل قيد هو انغلاق .. وهو الاستثناء » ... « يجب أن نرحب بكل مال عربى أو أجنبى يجد سبيله الى الاستثمار بالبلاد . وعلينا أن نسير ـ فى نفس الوقت ـ فى اعداد المشروعات والبيانات اللازمة لنسهل للمستثمرين اختيارهم لميادين الاستثمار . ولا تعارض فى السير فى هذين الاتجاهين فى وقت واحد » . ووفقا لهذا الشرح فان التخطيط يكون قد انتهى تماما . فالمستثمر الاجنبى [ومفروض أن تكون للمستثمر المصرى نفس الحقوق] يتجه الى أى مشروع حسب حريته فى السوق ، أى حسب مصلحته هو فى مجرد تحقيق أعلى ربح ، ولا يهم اذا كان المشروع داخلا فى اهتماماتنا وأولوياتنا القومية أو لا ، كل دورنا أن نكون للمستثمر مجرد بيت خبرة يوفر له بعضا من نفقاته فى الدراسة الفنية والاقتصادية للمشروعات ، ولا عيب طبعا فى أن نقوم بهذه الدراسات ، بل من واجبنا أن نقوم بها ، ولكن لكى نحدد بها مؤشرات توجه الاستثمار الخاص الاجنبى والمصرى حسب احتياجات خطتنا ، وفى هذا المجال نحن لا نعتذر للمستثمرين عن تدخلنا « فيما لا يعنينا » ونقول أنه لاتعارض بين عمل هذه الدراسات وبين حرية المستثمر فى عمل أى شىء يراه ، فهناك تعارض ونحن نصر عليه . **فالمستثمر من حقه أن يربح ، ولكن فى اطار الاعمال التى يحتاجها المجتمع فى المرحلة الحالية ، وليس فى أى نوع من الاعمال والسلام !**

وماذا عن الخطة الخمسية ؟

على أى حال نحمد الله أن بيان الحكومة أمام **مجلس الشعب** جاء على نحو مختلف فى هذه النقطة ، فقال « اننا نقبل فى اطار خطط التنمية القومية الشاملة كل استثمار يضيف الى ثروة المجتمع ويفتح أبوابا جديدة لتشغيل الايدى العاملة المصرية » . وقد أضاف بيان الحكومة الى هذا الالتزام ، حديثا عن الاعتبارات التى ستدخلها الحكومة الحالية فى سياستها التخطيطية ، ولكننا لاحظنا أنه لم ترد أى اشارة الى التزام الحكومة السابقة بالانتهاء من وضع مشروع خطة خمسية خلال هذا العام ، وجاءت فقرة تقول : « انه « نظرا لان المتغيرات الدولية والاوضاع المالية والاقتصادية

[١٣] مجلة الاهرام الاقتصادى . د. اسماعيل الليثى ـ عدد ١٥ مايو

فى الداخل فى تطور مستمر وسريع ، فسيعمل جهاز التخطيط بالتعاون مع الوزارات المنية على اقامة نظم للتخطيط قصيرة المدى قادرة على متابعة التنفيذ على فترات سريعة مع اعادة تقدير الموقف والتنبؤ بالاحداث المتوقعة سلفا واتخاذ الاجراءات اللازمة فى حدود السياسات العامة للدولة » . ونحن نرجو الا يعنى التركيز على اقامة نظم للتخطيط قصيرة المدى عودة الى مرحلة البرامج السنوية ، وابتعادا عن فكرة التخطيط المتوسط والطويل المدى . فالبرامج السنوية فى غيبة خطة متوسطة المدى (خمس سنوات مثلا) لم تكن تخطيطا . وقد لاحظنا ايضا ان البيان الحكومى ذكر أن تعديل البرامج السنوية ، أو ما أسماه التخطيط القصير المدى ، يتم فى حدود السياسات العامة ، ولم يذكر أن التعديل ينبغى أن يتم كذلك فى نطاق أهداف الخطة الخمسية اذا كانت هناك خطة .

ثم ماذا عن خطة العبور ، او خطة ١٩٧٥ الانتقالية ؟ لقد نفذنا هذه الخطة فى « الطليعة » ، ولكننا سلمنا بأن بها ايجابيات لا تذكر ، ونذكر ان هذه الخطة كانت قد واجهت معارضة حادة (ومن زاوية مختلفة) من د. أحمد أبو اسماعيل حين كان رئيسا للجنة الخطة والموازنة فى مجلس الشعب ، فما هو موقف الحكومة الحالية من هذه الخطة ؟ لقد أعلن البيان فقرة واحدة غير واضحة فى هذا الشأن فقال « أن الوزارة تضع بين يدى المجلس وهى تعرض سياستها عزمها على التقييم المستمر لعناصر الخطة الانتقالية وفروضها استجابة لكل هذه الظروف وأداء لمهمتها الرئيسية فى تصحيح المسار » . فلو أن الامر يتعلق بمرونة تطبيق الخطة ، وتعديلها وفق نتائج التطبيق ، فان الحكومة الجديدة قد تسلمت مسئولياتها وقدمت بيانها الى مجلس الشعب ؟ بعد مرور أكثر من أربعة أشهر من بدء تنفيذ الخطة ، وهى فترة كانت تكفى للتقدم بمقترحات محددة ، لو أن التعديل كان فى النطاق الذى ذكرناه . ولكننا نسجل أن هذه الفترة وهى تشير الى ما اسميته « استجابة لكل هذه الظروف » ، كانت تقصد انه « اذا كان العمل الوطنى قد تعرض لصعاب وتحديات ، واذا كانت الجماهير قد بلغت شكواها من ارتفاع الاسعار وصعوبة الحصول على بعض الخدمات الحد الذى نعرفه جميعا . ولما كان الامر مرجعه فى النهاية الى الشعب ومبتليه » .. هذه الحيثيات التى استخدمت فيها كلمات كبيرة ، توحى بأن التعديلات المتصورة تتجاوز المفهوم عن مرونة تطبيق اى خطة ، انها توحى بتغييرات جذرية ، ولكن البيان الحكومى ـ كالعادة ـ تجنب التحديد فى مثل هذا الامر البالغ الاهمية .

ونحن نهتم بالجلاء هذه المسائل ، لان التخطيط المتوسط المدى ، وخطة عبور ١٩٧٥ ، كانت تمثل محاولة مشكورة من حكومة د. عبد العزيز حجازى لوضع ضوابط هامة على سياسة الانفتاح الاقتصادى ، ولتأكيد الدور القيادى للقطاع العام فى التنمية . لقد اختلفنا مع وزارة د. حجازى فى عديد من القضايا ، ولكن يجب أن نسجل لها هذا الجهد ، وقد سبق أن سجلناه ونحن ننقد مواقفها السلبية ، وتراجعاتها فى بعض الحالات امام ضغط اليمين .

وبعـــد ...

ان حديث الحكومة الجديدة عن « الانفتاح الداخلى » ، وعن المجتمع « ذى الرئتين » ، ثم تجنب الالتزام باى خطة متوسطة الاجل .. كل هذا دعانا الى الاسراع بالكتابة قبل ان يبدأ العمل «

اليسار المصرى يحاور توفيق الحكيم

نص مناقشات الجلسة السادسة

فى خلفية النقاش الذى دار فى الجلسة السادسة مع الاستاذ توفيق الحكيم ، كان هناك منهج فى رؤية التجربة يفرض نفسه، على الرغم من أن هذا الفرض تم عن طريق الممارسة ، ولم يصدر عن وجهة نظر مسبقة أو مذهبية . وانما جاء من زاوية الحرص على أن منطلقات نقد التجربة يجب أن تكون بالضرورة بناءة ، بحيث تتفادى محظورين :

التشهير من ناحية ، والتبرير من ناحية أخرى .

من هنا ، فان المتحدثين فى مجموعهم — وعند تقييم التجربة لم يدخلوا فى عمليات حسابية آلية من جمع للايجابيات وطرح للسلبيات . ولكنهم نظروا الى ثورة يوليو فى ١٨ عاما كعملية أو حلقة من حلقات التاريخ المصرى تترابط بالضرورة ، بتاريخ الحركة الوطنية ، وحركة المجتمع المصرى ، بل وحركة النظام نفسه فى الماضى والحاضر — فى آن واحد . من هنا كان لابد من تحديد رأى :

ثـورة يوليـــو

التقييـــم الجـــدلى ..

لا الحســـــــــابى

هـل المحصـــلة كانت ايجابيـــة ـ فى مجموعها ـ ام كانت سلبية ؟

ذلك ان ما هو ايجابى وسلبى ، ما هو انتصار وهزيمة ، ما هو تقدم وتراجع ؛ ما هو قفزة او انتكاسة ، كل هـذا نضعه بالضرورة الوحدة العضوية للظاهرة المعنية وفى داخلها تتصارع الاضداد ، ثم يتحدد الشكل النهائى على اساس غلبة ما هـو ايجابى ، او ما هو سلبى .

وكان من الطبيعى ان تطفو على سطح الموضوع الرئيسى قضايا تحتاج ـ بدورها ـ الى شىء من التوضيح والتفاصيل .

فقد طرح كل من توفيق الحكيم ومرادوهبة قضية مسئولية المثقفين فى مواجهـة السـلبيات التى وقعت . وتحمس توفيق الحكيم لفتح ملف المثقفين .

من هذه القضايا ـ ايضا ـ قضية الطبيعة الطبقية لقيادة ثورة يوليو ، والفروق بين ثورة يوليو من حيث الطابع والاهـداف ، وبينها وبين ثورة كثورة ١٩١٩ .

■ لطفى الخولى ؟

هذه هى الجلسة السادسة فى حوارنا ، وفيها نواصل - كما اتفقنا - مناقشة ما اصطلحنا على تسميته ملف الملف ، وهو التعبير الذى يفضله استاذنا الحكيم ، ويعنى فى مفهومنا جميعا مناقشة تجربة ثورة يوليو ١٩٥٢ ، فكرا وتطبيقا تحت قيادة جمال عبد الناصر الفعلية والاسمية ، وذلك منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حتى وفاته فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ . الكلمة للاستاذ توفيق الحكيم . أظن - كما فهمت - له كلمة توضيحية .

■ توفيق الحكيم :

أريد ان اقول انه أصبح مفهوما لدينا أن الغرض الاساسى من جلساتنا هذه ، هو رسم الملامح الجديدة لوجه بلادنا فى الحاضر والمستقبل . كما اصبح واضحا ان كلامنا عند فتح الملفات لم يكن المقصود منه ، كما فهم اول الامر ، انه التشهير .. فالتشهير دائما يؤدى الى رد فعل هو التبرير . ونحن الان لا يصح أن نضيع وقت مصر الثمين ونحن فى مرحلة التحول هذه فى تشهيرات وتبريرات . انما الغرض من فتح الملف هو مجرد الاطلاع على الحقائق التى يمكن ان تساعدنا فى التقييم الموضوعى لمرحلة من تاريخنا نحن مضطرون الى ان نبنى مرحلة أخرى بعدها . هذه المرحلة الجديدة ، لا ينبغى لنا ولا عذر لنا ، فى أن نتركها ترسم لنا ، وتأتى من أجلى فقط ، كما اعتدنا أن نرى . لابد لمعقولنا أن تعمل وتتحرك وتساهم فى رسم ملامح الوجه الجديد لمصر . والان أن لنا فى جلساتنا الباقية أن نحدد تحديدا واضحا الخطوط الرئيسية لهذه الملامح . وبالمجمع كل بلد وكل أمة وكل شعب لابد أن تشمل شكلها الاقتصادى والسياسى والاجتماعى والثقافى . فهل يمكن باختصار ان نتناول أو على الاقل أن نمس مسا سريعا هذه الملامح ، وان نخط على اللوحة بقلم او بفرشاة الكروكى الذى يمكن أن يعطينا فكرة عن وجه بلادنا ، كما نحب ان نراه . مع ملاحظة ان نكون واعيين لا بثلاثين ، اى ان نبحث بكل دقة وموضوعية الخطوات الممكن تحقيقها عمليا بدون قفزات وطفرات خيالية تعرضنا لاخطار الانزلاق والفشل . يعنى أريد أن تكون الصورة واضحة بعد فتح ملف التجربة ،ولا يكون مجرد تاريخ لما مضى ، انما يكون لخطوة بقبلة ايجابية وهى الخطوط الرئيسية للتجربة فى المستقبل ايضا ، وليس للماضى ، لانه عندما نقف عند التجربة ، انما نقف فيها لغاية سنة ١٩٧٠ لا كمؤرخين . وعلينا ايضا فى ثنايا هذا التقييم الموضوعى ان نعطى فى جلسة أو جلستين مقابلتين الخطوط لوجه مصر كما نحب أن نراه .. واقعيا .. وليس كما ينبغى أن يكون .. لا .. كما نتصور انه من واقع التجربة ، وبعد ما نصححها أو نكمل نقصها ونقوف كيف نستمر بها .. الى صورة ثابتة متناسقة نستطيع ان نبنى عليها .

■ لطفى الخولى :

نحن سعداء بهذا التوضيح . واعتقد اننا متفقين على هذا . وكان هذا رأينا منذ البداية . ولذلك قلنا أننا سنبدأ على عكس المتعارف عليه ، بحيث تكون حركتنا فى الحوار من المستقبل الى التجربة .. الى الحاضر ثم نعود مرة أخرى الى المستقبل . فى الجلسات الماضية بدانا بنظرة شاملة تستشرف المستقبل بعد الارضية التاريخية التى قدمها لنا كل من توفيق الحكيم وخالد محيى الدين . ثم شرعنا نفتح ملف التجربة فى هذه الجلسة . وبالتالى فنحن نسير وفقا للبرنامج الذى اتفقنا عليه فى بداية هذا الحوار . الكلمة للاستاذ ابو سيف .

■ ابو سيف يوسف :

هذه التجربة التى ندرسها والتى دامت ١٨ عاما لن تكون - فى النهاية - غير ثورة ٢٣ يوليو وقد احتلت فى الواقع مكانا خاصا فى تاريخنا وما دمنا بصدد دراسة فترة من فترات تاريخ مصر ، فلابد أن نضع حركة عبد الناصر والناصرية خلال ١٨ عاما فى اطار الظروف التاريخية المحيطة بها : المحلية منها والعالمية .

اذا عالجنا التجربة من خلال هذا المنظور ، سوف نرى ان الناصرية [اعنى ثورة ٢٣ يوليو] كانت من الحركات الوطنية والتقدمية التى واكبت مسيرة التاريخ البشرى واستجابت فى أكثر من موقف من ناحية لمتطلبات حركة الثورة العالمية التى تضم الثورات الاشتراكية وثورات التحرر الوطنى العالمية . كما استجابت من ناحية أخرى للمتطلبات الموضوعية للثورة الوطنية الديموقراطية المصرية ، هذه الثورة التى بدأت - كما نعلم - بثورة عرابى ، ثم تجسدت فى نضال مصطفى كامل ومحمد فريد ثم فى ثورة ١٩١٩ ، وما تلاها من انتفاضات وهبات وطنية فى الثلاثينات والاربعينيات . ومن هنا ، ومن خلال هذا

المنظـور المحدد يمكن أن نقيم التجربة على الوضع التالي :

أولا : أن ما بقي وما سوف يبقى من الناصرية هو منهج المواجهه الجريئة لقوى الامبريالية والاستعمار .

ولان عبد الناصر كان بمثابة روح عصرنا الراهن عصر تصفية الامبريالية والاستعمار ، فقد دخل في صدام مع الاقطاع وخلع طبقه كبار ملاك الارض من السلطه ، ثم تقدم ليخوض معركة الاستقلال والسيادة اقليميه ، واستطاع أن يحتكل مقومات هذا الاستقلال وتلك السيادة عام ١٩٥٦ ، ومن خلال معركة رائدفي بلدان العالم الثالث ، هي معركة تاميم قناة السويس . فكان عبد الناصر كان قد بدأ ويشكل هملي ، يربط ربطا صحيحا - وفي وقت مبكر - بين حماية الاستقلال الوطني وبناء البلد وبين الهجوم على مواقع الاحتكارات الدولية التي كانت تسيطر على اقتصاد مصر .

والواقع انه أيا ما كان تقييمنا لحرب السويس من - الناحية العسكرية - حين هاجمتنا امبراطوريتان ودوله اسرائيل - فقد كانت نصرا سياسيا كبيرا اطلق - كما نذكر جميعا - سلسلة من ردود الفعل الدولية الواسعة اثرت على حركة التحرر الوطني في البلاد العربية والافريقية والاسيوية .

وبالاضافة الى ذلك فانه في معركة السويس وضعت الاسس النضالية للوحدة العربية ، لمس النضال ضد الاستعمار .

ثانيا : أن ما بقي وما سوف يبقى من الناصرية هو مواجهتها الحاسمة للاستعمار الجديد باعتباره الخطر الاكبر الذي يهدد البلاد المستقلة حديثا .

فانطلاقا من ضرورة محلية هي الحاجة الى عمل تنمية مستقلة خاصة عن طريق اقامة قاعده قويه للصناعة الحديثه ، راى عبد الناصر أنها شرط ضروري لرفع مستوى المعيشة ، دخلت الناصرية اعظم معاركها الوطنية والاجتماعية . وبعد عام ١٩٥٦ لم يعد العدو الرئيسي هنا هو قوى الامبراطوريات القديمة الانجليزية والفرنسية ، بل واجهت البلاد الاسلوب الجديد لقوى الامبريالية العالمية ، وهو ما يعرف بأسلوب الاستعمار الجديد . وكما نعلم ، كانت الولايات المتحدة ترغب في أن تظل حركة الضباط الاحرار في حدود الانقلابات العسكرية المرغوبة - وتتفذ - في كثير من دول امريكا اللاتينية . باختصار كانت ترغب في أن يقوم في مصر حكم للكولومبيلات المصريين يحتفظ لمصر باستقلال شكلي ، وفي الوقت نفسه ، يفتح البلاد امام نشاطات الاحتكارات الامريكية الجبارة لتحتوي الاقتصاد الوطني ، وما يرتبط بهذه النشاطات من غزو ثقافي ومن ربط لمصر بالمعاهدات والاحلاف العسكرية . لكن عبد الناصر كافح ليجنب مصر هذا المصير - فرفض مشروع ايزنهاور لملء الفراغ ، ووافق على مجيء رأس المال الاجنبي لكنه رفض كل شروطه التي تمس السيادة القومية اي مساس وتعرقل قيام التنمية المستقلة ، وخاض معارك الاحلاف والقواعد العسكريه على نطاق الوطن العربي . وتحرك دوليا في مواجهة الاستعمار الجديد على محورين : محور التعاون مع الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية « فكسر احتكار السلاح وحصل على شروط مناسبة للغاية للتصنيع البلاد » . وكان المحور الثاني هو محور بلدان عدم الانحياز والحياد الايجابي « وفي نطاق هذه المجموعة من البلدان عدم المبادرات من أجل أن تتحد هذه البلدان في وجه الشروط الجائرة في المعاملات الاقتصادية التي تفرضها بلدان الغرب الرأسمالية ، ومن أجل تأكيد حق هذه البلدان في السيطرة على مواردها وثرواتها الرئيسية . وقد استعمنا في الجلسة الماضية الى ما ذكره - في هذا الصدد - خالد محيي الدين عندما اشار الى موقف مصر في مؤتمر التجارة والتنمية عام ١٩٦٤ » .

من هذه الزاويه ، يمكن القول بانه اذا كان الامر امر تقييم تراث الناصرية ، فان اثمن ما في هذا التراث هو خط النضال ضد الاستعمار الجديد .ويتضح هذا ، اذا علمنا ان مهمة النضال ضد الاستعمار الجديد - كانت ولا تزال الى اليوم - المهمة العاجلة والرئيسية بالنسبة لجميع البلدان التي تدخل تحت عنوان : « العالم الثالث » .

هنا لابد من ملاحظة ان عبد الناصر قد تنبه الى ان معـركة خطيرة مثـل هـذه اي المعركه ضد الاستعمار الجديد ليست محليه ولا يمكن أن تتجزأ . من هنا نفهم - مثلا - لماذا ساندت مصر الكفاح الوطني لشعب الكونغو على الصعيدين السياسي والعسكري .

■ لطفي الخولي :

من بلامح الاستاذ توفيق الحكيم ، آثرا تعبيرا يكاد يقول أن الموضوع الذي يتحدث فيه

الان أبو سيف خارج عن الموضوع . هل احسنت القراءة ياستاذ توفيق .

■ **توفيق الحكيم :**

اذا كان تمهيدا لما بعده فلا بأس ، لان هذا الموضوع لا نناقشه الان ربما نتناقشه بعد ذلك . فهو يمكن يريد أن يذكرنا بالموضوع على أساس انه تمهيد .

■ **لطفي الخولي :**

اعتقد ان الاستاذ ابو سيف يعتبر هذا الموضوع ركنا اساسيا من اركان التجربة .. اي الملف ، وهو موضوع الحوار في هذه الجلسة .

■ **د. لطيفة الزيات :**

هناك اختلاف ، في محور المناقشة . هل هي تقييم ؟ بعضنا يعتبرها جلسة للتقييم النهائي التجربة والحاضر ، نعود الى تحديد أكثر دقة الحوار . أما الاستاذ توفيق الحكيم فيرى فيها بداية لنظرة مستقبلية . لكننا فهنا بهذه النظرة المستقبلية قبل هذا .

■ **لطفي الخولي :**

لا اظن ان الخلاف في هذه النقطة . نحن اتفقنا على ان ما قمنا به في البداية من استشراف لمستقبل مصر ، هو مجرد مدخل لكي نرى بعد ذلك خلال مناقشتنا للتجربة ـ الملف ، ما اذا كانت هذه التجربة في مسارها قد قربتنا من المستقبل المأمول أم لا . وبعد مناقشة التجربة والحاضر ، نعود الى تحديد اكثر دقة لمسار المستقبل بعد ذلك . لكن الاستاذ توفيق كما نهمت يرى ان حديث الاستاذ ابو سيف يزيد او تمهيد يمكن تجاوزه . في حين أن ابو سيف، وهو يعطي رؤيته للتجربة يعتبر ان الكفاح ضد الامبريالية والاستعمار الجديد ، يمهد بصفة خاصة التجربة ، وقيادة عبد الناصر ، وبالتالي يرى في هذا الكفاح ركنا اساسيا وليس ركنا هامشيا أو مجرد تمهيد . اليس كذلك ؟

■ **توفيق الحكيم :**

على كل حال غرضنا انه لكي نبني مستقبل البلد فيما نخطط له لابد من البناء على شيء ، وهذا الشيء هو العشرين سنة الماضية .. مرحلة تاريخية . هذه المرحلة لابد أن نحللها .. طبعا في تحليلها نرجو ونريد ان يتبقى شيئا نبني عليه .. فما هو هذا الشيء الذي سنبني عليه ؟

■ **لطفي الخولي :**

هذا يتضح من خلال مناقشة التجربة .. فتح الملف الذي نريده . ولا يمكن أن يتضح ذلك اذا تخطينا فتح الملف حقيقة وعلى أوسع واعمق مدى نستطيعه . وهذا ما يقوم به ابو سيف من وجهة نظره .

■ **توفيق الحكيم :**

كلام الاستاذ ابو سيف يدخل في نطاق ما يحلله لنستبقيه للمستقبل لنبني عليه الشكل السياسي ، لان انا قلت الشكل السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي للبلد في المستقبل هو الذي يكون ملامحها .

■ **لطفي الخولي :**

اذن يستمر الاستاذ أبو سيف في حديثه .

■ **ابو سيف يوسف :**

اتفق مع استاذنا توفيق الحكيم في اننا عند دراسة التجربة اعتدنا على أن نقول أن هناك ايجابيات ، وهناك سلبيات ، ولابد أن نتعرض لها .. ففي الكلام عن الايجابيات في تقديري الشخصي يبقى باستمرار من التجربة الناصرية مواقف وخطوط فكرية ومبادىء عامة وانجازات لابد من التمسك بها للبدء في بناء جديد . وسنعود بعد ذلك الى السلبيات .

من الايجابيات ـ كما ذكرت ـ ، المواقف الخاصة بنضاله ضد الامبريالية وضد الاستعمار الجديد وما ترتب على ذلك ايضا من مواقف اخرى . وهذه هي النقطة الثالثة .

ثالثا : تأسيسا على هذين المبدأين الثابتين من مبادىء الناصرية ، وهي النضال ضد الامبريالية والاستعمار ، وضد الاستعمار الجديد التزم عبد الناصر بمساندة الثورات الوطنية في البلاد العربية التزام مصير ونضال مشترك . كان هذا موقفه من ثورة الجزائر .. ثورة اليمن .. ثوره الجنوب اليمني .. ثورة فلسطين .. ثم من ثورة ليبيا ... الخ . وبذلك دشن عبد الناصر دور مصر العربي القيادي على اسس نضالية وتحريرية وطنية . وهذا ما سوف يبقى من تراث الناصرية .

النقطة الرابعة : انطلاقا من نضاله ضد الامبريالية والاستعمار الجديد ، وعلى اساس منهج التجربة والخطأ احيانا .. وعلى اساس نظرى لاحق احيانا اخرى كما تبين فى الميثاق او كما وضح فى الميثاق ، توصل عبد الناصر الى ان الاستقلال الاقتصادى هو جوهر ، او مضمون او اساس الاستقلال السياسى . من هنا عمله على تصفية مواقع راس المال الاجنبى الاحتكارى ، وخلع الراسمالية الكبيرة وهى الطبقة الاجتماعية التى كانت تعتبر بنشاطاتها الاقتصادية ركيزة من ركائز النفوذ الاجنبى . من هنا : التأميمات التى بدات عام ١٩٦١ . من هنا ايضا وضع اساس مبادىء سيطرة الشعب على وسائل الانتاج الرئيسية . ومن هنا الدور القيادى للقطاع العام فى الاقتصاد القومى . وكل هذا يدخل بالضرورة فى التراث الحى للناصرية بدليل انه وضع لاول مرة فى تاريخ مصر بعض ركائز هامة لاقامة القاعدة الصناعية الوطنية والمستقلة . وبدليل ان ما أقيم من الصناعات قد رفع نصيب الصناعة فى الدخل القومى بكيفية ملحوظة . واخيرا بدليل أن هذا المنهج فى الدفاع عن الاستقلال الاقتصادى قد أثر فى أكثر من بلد عربى .

النقطة الخامسة : من التراث الحى للناصرية خطها وشعاراتها الخاصة بقضية التقدم الاجتماعى . ففى هذا حدثت انجازات لا داعى للافاضة فيها ، فقد تحدث عنها الزملاء ، لكن اهم من هذه الانجازات فى اعتقادى بعض القضايا والمواقف الفكرية التى حرص عبد الناصر على التاكيد عليها فى اكثر من مناسبة . على سبيل المثال :

هناك قضية استمرار الثورة وهى القضية التى جعلته يؤكد اننا لانزال بعيدين عن المجتمع الاشتراكى ، وجعلته ينبه الى خطر الحزب الرجعى فى داخل البلد ، وخطر البيروقراطية والراسماليين الجدد على الثورة ، وضرورة الكفاح ضدهما . هناك ايضا قضية الدور القيادى للطبقة العاملة فى المجتمع الاشتراكى والتى اشار اليها فى اكثر من موقف . هناك قضية التفاعل مع التجارب والحركات الثورية فى بلاد العالم الاخرى . هناك قضية التعاون والتحالف مع البلدان الاشتراكية فى النضال ضد الاستعمار ومن اجل التقدم الاجتماعى .. فكل هذه الافكار ... وأيا كانت تطبيقاتها ستظل مع ذلك جزءا من التراث الفكرى الحى والثورى ، فى تجربة الـ ١٨ عاما الماضية لثورة ٢٣ يوليو .

اذن ، ففى الاجابة على السؤال الذى طرحناه ، وهو ما الذى يبقى حيا وثوريا فى تراث الناصرية ؟ سوف نجد أن هناك بالفعل مكاسب وركائز قوية وهامة جدا للنضال الوطنى والاجتماعى ، لابد وان تتمسك بها كل القوى الوطنية والثورية وتطورها . وذلك - تماما - كما تمسكت - من قبل - كل القوى الوطنية بالتراث الوطنى الذى خلفته الثورات والهبات الشعبية والوطنية التى سبقت ثورة يوليو ١٩٥٢ . ولسوف تكون نكسة هائلة ان ترضخ القوى الوطنية والتقدمية لابتزاز اليمين الرجعى الزاحف ، والمطالب باغلاق صفحة يوليو ، واسقاط ١٨ عاما من تاريخ مصر .

فالتقييم النهائى لتجربة الـ ١٨ عاما هى انها كانت بمقياس ماكان قائما قبل ١٩٥٢ ، وبمقياس ما حدث فى البلدان المتخلفة التى خضعت لنير الاستعمار والاقطاع ، نقول كانت فترة تقدم ونهوض - بشكل عام - على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . فمصر قد دخلت - لاول مرة فى تاريخها - طريق الاستقلال السياسى والاقتصادى . ومن ثم فقد خلقت الظروف المادية المناسبة لكى تنطلق مصر بخطوات اسرع ، وبعيدا عن خط النمو الراسمالى - فى طريق التقدم الاجتماعى .

هنا ، قد يقال ان مصر قد تعثرت على هذا الطريق الذى يفضى - بالضرورة - الى المجتمع الاشتراكى .

ولكن - عندئذ - يطرح السؤال الخاص بسلبيات التجربة .

وهنا اتفق مع كثير من النقاط التى اشار اليها فؤاد مرسى وخالد محيى الدين وعبد العظيم انيس ومحمد سيد احمد ، والتى تتلخص :

١ - فى أن عبد الناصر كان يبحث - من الناحية - النظرية عن اشتراكية لم توجد من قبل ، تحفظا منه ورغبة فى التمايز عن الاشتراكية كما طبقت فى عدد من بلدان العالم

٢ - فى أن عبد الناصر رغم ايمانه بضرورة استمرار الثورة لم يعمق مجرى الثورة الاجتماعية بالقدر المطلوب .

٣ - فى ان عبد الناصر قد قدم دوليا وداخليا انجازات ضخمة . ولكنه لم يقم المؤسسات التى تستطيع ان تحافظ عليها وتدافع عنها ضد كل انحراف أو ردة .

على أنني أعتقد أن النقطة المحورية في جميع هذه السلبيات ، كانت – وقد ظلت باستمرار – هي خوف الناصرية من حركة الجماهير المنظمة ، ثم ما ترتب على هذا من عدم تمكين هذه الجماهير – عمليا وفي نهاية المطاف – من أن تشارك مشاركة ايجابية في اداره شئون البلاد ، من طريق ممثليها الحقيقيين من الفلاحين والعمال والحرفيين والمثقفين ، المنظمين في منظمات سياسية ونقابية وثقافية ديموقراطية .

لقد تصدت ثورة يوليو بقيادة عبد الناصر لمهام جسيمة للغاية داخليا وعربيا ودوليا ، وفرضت عليها حرب السويس وحرب ١٩٦٧ . ثم ذهبت الى اليمن في حملة عسكرية وكل هذا كان يتطلب ايقاظ وتنظيم الجهد الواعي للطبقات الشعبية لان الاشتراكية – كنظام وكما هو معروف – هي ثمرة الجهد البناء والواعي والاختياري لاوسع الجماهير . وطالما أن النظام قد اعلن في مواثيقه أن هدفه هو اقامة المجتمع الاشتراكي ، فان الذي يطرح بالضرورة ليس هو الديمقراطية الليبرالية بل الديمقراطية لهذه الجماهير الشعبية . لكن الذي حدث هو أن عبد الناصر كان من ناحية قد رفض الديمقراطية الليبرالية لحلبه ان الطبقات المخلوعة أقدر على الاستفادة منها من بقية الطبقات الشعبية ، وأنها من الممكن أن توجهها ضد نظامه . ولكنه في الوقت نفسه أيضا كان قد رفض عمليا الديمقراطية لاوسع الجماهير ، وذلك تحت وهم ان حركة الجماهير قد تدفع الصراع الطبقي الى آفاق غير سلمية أو الى آفاق غير محسوبة لا يريدها هو ...

ولقد ترتب على هذا الموقف نتائج سلبية للغاية منها :

١ – أن الطبقات الشعبية لم تستطع أن تقدم كل امكانياتها للبناء ولزيادة الانتاج .

٢ – ان الطبقات الشعبية لم تستفد من الناحية المادية كل الفائدة من القوانين التقدمية التي أمنت لها عددا من المكاسب .

٣ – ان الطبقات الشعبية لم تقم بدورها الاساسي والتاريخي في ردع وتصفية قوى الثورة المضادة . والردع هنا لا يعني التصفية البدنية والقهر ، بل يعني اقتلاع الفكريات والعادات والثقافات والمؤسسات الرجعية .

وهذه النقطة الاخيرة هامة للغاية . وقد تحدث فيها الاستاذ خالد محيي الدين ، عندما أشار الى أن عبد الناصر واجه تحرك الاقطاع عام ١٩٦٦ بتشكيل لجنة « تصفية الاقطاع » ، ولم يعتمد على حركة منظمة ومؤسسات « جمعيات تعاونية مثلا » ديموقراطية للفلاحين في مواجهة هذا الخطر . ولقد أدى هذا بالتحصار الى أن النظام كان يستسهل اللجوء الى الاجراءات الاستثنائية والبانافية – في بعض الاحيان – للمشروعية الثورية . ومثل هذه الاجراءات قد تشل وقد تردع القوى المناهضة للثورة بعض الوقت ، لكنها تعجز – عادة – عن تحقيق أهم انجاز يؤمن مسيرة الثورة وهو تصفية الفكر الرجعي تصفية سياسية أي عن طريق العمل السياسي ، عن طريق التثقيف السياسي المقنع لاوسع الجماهير .

وفي ظل استبعاد المنظمات الجماهيرية عن المشاركة الحقيقية في السلطة استحكم دور الفرد وما صاحبه من تهام الشلل ، ومن قيام الاجهزة في مصر والبلاد العربية بأعمال لا تدخل في صميم اختصاصها ، ومن الاعتماد على القبع على حساب تنوير الرأي العام ، ولكن لعل أخطر هذه النتائج هو أن عبد الناصر ابتداء من عام ١٩٦٢ لم يتمكن من تصفية الاتجاه الذي نما داخل قيادات ثورة يوليو نفسها . هذا الاتجاه المحافظ الذي أراد تجميد مسيرة ثورة يوليو ، والامتناع عن المضي في الاجراءات الاجتماعية المختلفة . وكان المرحوم المشير عبد الحكيم عامر هو أحد القادة البارزين لهذا الاتجاه ، فكان هذا الانقسام العميق – داخل القيادة السياسية – والذي لم يصف بطريقة ديمقراطية أحد المقومات الرئيسية لنكسة خطيرة أصابت النظام ، حدثت في ٩ يونيو بتخطيط من الاستعمار الجديد وامرائيل .

على أن ما يؤسف له أشد الاسف هو أن الناصرية لم تستفد من هذا الدرس – رغم أن جماهير ٩، ١٠ يونيو كانت – بحركتها – قد حددت الطريق الجديد والصحيح لاشراك الشعب في ادارة شئون البلاد .

■ **لطفي الخولي :**

اذا التنم لي ، اقدم وجهة نظري عن التجربة وفتح الملف . الحقيقة لدي شتى نقاط في قضية فتح الملف .. منها السؤال الذي أثاره الاستاذ

توفيق الحكيم فى هذه الجلسة والذى كان قد أثاره قبل ذلك ، بشيافات مخطفة ، حول ماذا يعنى فتح الملف ؟

حول هذا السؤال ، نرى أننا نواجه عدة أمور يجب أن توضع فى الاعتبار:

الامر الاول يتعلق بتحديد ابعاد هذا الملف ، بأكثر قدر مستطاع من الدقة . وأعتقد أننا أصبحنا متفقين حول هذا الامر . وهو أن الملف يأخذ بعدا زمنيا من تاريخ المجتمع المصرى يبدأ من ٢٣ يوليو ١٩٥٢ حتى وفاة عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ . ونحن فى هذا الشان لا نفتح طلسما كان مجهولا علينا ، وانما نحن فى الواقع نعيد رؤية تجربة اجتماعية عايشناها ، ونحن شئنا أم لم نشأ جزء منها لا نستطيع بل ولا نملك الانفصال عنها ، سلبا وايجابا . كل ما فى الامر أن وفاة عبد الناصر قد وضعت أمامنا حدودا لاطار التجربة ، كما جرت تحت قيادته ، تمكننا من القيام ، اليوم ، بهذه الرؤية . وبالتالى فرؤيتنا من الداخل لا من الخارج ، ونحن لا نرى التجربة وعبد الناصر بحسب،بل نرى فى نفس الوقت،انفسنا وحركتنا السلبية والايجابية أيضا .

الامر الثانى يدور حول من الذى يفتح الملف . بتعبير آخر الموقف الاجتماعى والفكرى والسياسى لمن يتصدى لفتح الملف وتقديم رؤياه الراهنة للتجربة . واذا أردنا التبسيط قائلا يمكن أن نقول أن فى مجتمعنا اليوم ثلاث قوى اساسية : اليمين المنغلف والوسط الوطنى واليسار ، وبالتالى،أن لكل قوة من هذه القوى رؤياها العامة للتجربة تختلف بالضرورة عن رؤى القوى الاخرى . بل يمكن القول أن هذه الرؤى الاخرى تتعدد،فى التفاصيل،بقدر تعدد المدارس والاتجاهات داخل كل قوة اجتماعية . بل ان هذه الرؤية تتباين فى عمقها وشمولها من شخص الى آخر أيضا . وذلك بحكم تباين درجة الثقافة والمعرفة العامة والخاصة بظروف التجربة نفسها . وكذلك بحكم وعيه بمصالحه ومصالح طبقته أو اتجاهه السياسى فى المجتمع وقضايا مساره وتطوره فى الحاضر والمستقبل،وأيضا بحكم تكوينه النفسانى،ومدى مشاركته وفاعليته فى العمل وفى التفاعل اليومى للجماهير .

الامر الثالث يختص بتحديد ماهية هذا الملف الذى نفتحه . ماذا نفتح بالضبط ؟ هل نحن نفتح ملف تجربة شخصية تاريخية حملت اسم عبد الناصر وخسب ، تولى السلطة فى مصر على مدى ١٨ عاما ؟ أم نحن نفتح ملف المجتمع المصرى فى مرحلة الثمانية عشر عاما التى تولى خلالها جمال عبد الناصر القيادة ؟ وبالتالى نحن نرصد ونقيم حركة المجتمع بمراحلها الاجتماعية والسياسية ، بالتطور الاقتصادى والثقافى خلال مرحلة تاريخية معينة لها ابعاد عربية ودولية . وظهرت على سطح الاحداث قيادات عديدة كان ابرزها جمال عبد الناصر . وبالتالى فنحن نقيم مسئوليته من خلال هذه الحركة التاريخية وكيفية تعاملة معها ذاتيا وموضوعيا .. أعتقد أن الاقتراب الى الصحة هو رؤية التجربة وعبد الناصر من خلال هذه الوحدة التاريخية للموضوع والذات التى تميز ١٨ عاما من تاريخ المجتمع المصرى .

هذا عن **النقطة الاولى** . أجيء الى **النقطة الثانية** ، وهى تتعلق بتحديد المنهاج الذى يجب استخدامه فى عملية فتح الملف ، وتحليل محتوياته . تحديد نوعية المنهاج المستخدم ، مهم . لماذا ؟

هناك ماليمكن أن نسميه المنهاج الذاتى ؟ المجرد ، المثالى . وهو منهاج يفصل بين الفكر والواقع ، بين التجربة وظروفها الحقيقية والعربية والدولية ، بين ذات القائد للتجربة وموضوعية التجربة نفسها . وهذا المنهاج يوقعنا فى هوة « العاطفية » كما عبر الاستاذ توفيق الحكيم عنها . ويقود بالتالى الى احكام ذاتية وانطباعات شخصية جزئية وتصورات مسبقة لا علاقة لها بالحقيقة التاريخية .

وهذه العاطفية فى المنهاج تتخذ موقفين على طرفى نقيض : أما موقف « **التشهير** » ، وأما موقف « **التاليه والتقديس** » .

فى الموقف الاول لا يرى المشهر الا الجانب السلبى فقط من التجربة ، أو من شخص القائد ويتجاهل بل وينكر الجانب الايجابى ، وفى الموقف الثانى يحدث العكس ، فلا يرى الا الجانب الايجابى،حسب متجاهلا ومنكرا الجانب السلبى .

كلا الموقفين لا يقودان الى الحقيقة . ويصدران عن ضيق افق ، أو مصالح شخصية اضيرت ، أو يسعى الى تعتيمها .

واذا حصنا انفسنا عن التشهير والتقديس فليس امامنا من منهج فى الرؤية الا المنهج الجدلى التاريخى الذى لا يفصل بين الذات

والموضوع ؟ بين الفكر والواقع ، بين التجربة وظروفها . ويرى من خلال نظرة نقدية شاملة وجهى العملة فى نفس الوقت . ويرصد الجوانب الايجابية والجوانب السلبية ، بمعيار حركة التقدم الوطنى والتاريخى ، ليخرج بعد ذلك بنتيجة موضوعية تبين ما اذا كان الجانب الايجابى هو الغالب أم العكس . وتكشف أيضا أسباب الجانب السلبى ، وتحاول علاجه لكى تستمر المسيرة فى المجتمع الى الامام ، الى الامام بمعنى شعبى وديمقراطى ، وتنمية اقتصادية اجتماعية مستقلة ، وتحرر وطنى ، ومعاداة للامبريالية والصهيونية ، وانحياز عربى الخ ...

من هنا يحسن أن أحدد موقفى من ملف الملف بأنه موقف وطنى ، مصرى عربى ، يسارى الاتجاه بالمعنى العلمى للاشتراكية ، يتخذ المنهاج الجدلى التاريخى وسيلة للرؤية النقدية لتجربة يوليو من ١٩٥٢ الى ١٩٧٠ .

فى النقطة الثالثة التى تزايد أن أثيرها ، أشدد على موضوع أن الملف المراد فتحه ليس ملف عبد الناصر الشخصى . هذا ليس موضوع ندوتنا نحن نفتح ملف التجربة التى حدث أن قادها عبد الناصر فى المجتمع المصرى .. عبد الناصر لم ينبت من فراغ ، وانما نبت من ارض المجتمع المصرى وصراعاته . ولم يكن ليصبح ما أصبحه لولا المجتمع المصرى والشعب المصرى وصراعاته من أجل استقلال أفضل وتغيير للاوضاع التى كانت سائدة ، ومن هنا كان دوره القيادى الذى أهلته له فى نفس الوقت ملكاته الذاتية وقدراته الخاصة . وبالتالى فالمجتمع الذى كان فى حالة تغيير بفعل ثورة يوليو هو موضوع البحث . والتغيير : هدم وبناء وبالتالى فان ما أصاب المجتمع بفعل ثورة يوليو من هدم لعلاقات اجتماعية ونظم كانت قائمة وبناء لعلاقات اجتماعية ونظم جديدة ، هى موضوع البحث . بمعنى أن علينا أن نبحث البحث بحيث يشمل الأبنية التحتية من اقتصاد وعلاقات اجتماعية وانتاجية . والأبنية الفوقية من مؤسسات السلطة والحكم والقيم والثقافة الخ ... والملف يكون فتحه ناقصا اذا لم يشمل أيضا ظروف العصر المحلية والعربية والدولية التى نبت فيها التجربة وسط تحديات متعددة .

وكذلك الدور الشخصى الذى لعبه عبد الناصر فى قيادة التجربة . ومدى تفاعله مع ايجابياتها وسلبياتها .

أما أن نقصر فحصب على رؤية التجربة من خلال منظور محدود هو شخص عبد الناصر فحسب . فان معنى ذلك أن نلغى الشعب المصرى والمجتمع وصراعاته بل والعالم . كما نلغى فى نفس الوقت عقولنا ونتعامل مع عبد الناصر وكأنه القدر بالمعنى الغيبى . أن من السهل جدا أن نقول أن عبد الناصر كان يملك أقوى سلطة ملكها حاكم أو قائد فى تاريخ مصر ، وحظى بتأييد شعبى كاسح ، وهذا كله صحيح . وهذا قد يرسب لدى البعض انه صاحب كلمة مطلقة . كان يمكن مثلا أن يصدر قرارنا بالاشتراكية فى مصر ، فلا يملك أحد الاعتراض ، ويتم تنفيذه فورا بلا مصادمات ، أو معارضات أو أخطاء أو سلبيات . هل هذا ممكن؟ ان معنى ذلك أن نتجاهل صراعات القوى فى المجتمع وفى المنطقة والعالم .. أن نتجاهل ليس فقط القوى الرجعية والقيم والعلاقات الاقطاعية والبرجوازية السائدة .. بل أن نتجاهل أيضا وجود الامبريالية الامريكية واسرائيل . بل أكثر أن نتجاهل عامل التطور فى فكر وحركة عبد الناصر كشخص قيادى أيضا . أيا كان حجم السلطة فى يد شخص فهى لا يمكن أن تكون مطلقة محليا . وانما محكومة ومقيدة بعلاقات القوى فى المجتمع والعصر معا .

وهذا يقودنا الى **النقطة الرابعة** ، اذا كنا بلفتنا للملف ، نسلط الضوء على مرحلة تاريخية محددة من تاريخ حركة المجتمع المصرى منذ أوائل الخمسينات حتى أوائل السبعينات فى هذا القرن .. فهل هذه المرحلة كلها مجرد كتلة واحدة صماء ؟ لا ... نحن فى الحقيقة أمام ظاهرة اجتماعية نبعت فى مجتمع الخمسينات . وبالتالى هى وثيقة الصلة بجذور ماقبل الخمسينات فى تاريخ مصر . وكل ظاهرة اجتماعية تمر بمراحل متعددة من نشوء وتطور ايجابى كما تتعرض لنكسات سلبية .

ثورة يوليو اذن ، هى ظاهرة اجتماعية . وهى ظاهرة اجتماعية تنتسمى بسالمعيار التاريخى . لانها ثارت على أوضاع وعلاقات متخلفة اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا وثقافيا الخ ... وكان القضاء على هذه الأوضاع والعلاقات خطوة الى الأمام فى تاريخ نضال الشعب المصرى .

لا أريد الان أن استطرد فى هذه النقطة ، وانما أريد أن أحدد أن هذه « الظاهرة الاجتماعية التقدمية » بالمعيار التاريخى ليست فرعا

مقطوعا من شجرة ، انها جزء لا يتجزأ من حركة التحرر الوطني المصرية التي تحدث عنها اليوم باستفاضة زميلنا ابو سيف يوسف ، يدخل في تكوينها نضالات الشعب خلال ثورة عرابي وحركات مصطفى كامل ومحمد فريد وثورة ١٩١٩ بقيادة سعد زغلول .. كما تدخل في تكوينها كل الحركات والافكار اليسارية والليبرالية واليمينية التي كان يموج بها المجتمع المصري قبل١٩٥٣ .

واذا اردنا أن نحدد الطابع العام لهذه « الظاهرة » فلانها انها تتقسب تاريخيا وموضوعيا الى اصبح يسمى بلسم حركة التحرر الوطني العالمية بعد الحرب العالمية الثانية وسيادة مناخ الحرب الباردة دوليا ، وظهور وتصاعد قوة العالم الاشتراكي .

والطابع العام لا ينفي ما تتميز به الظاهرة في نفس الوقت من طابع خاص بها ، تمليه بالضرورة الخصائص المميزة للظاهرة في واقعها .

وفي رايي أن الطابع الخاص لثورة يوليو وتجربتها من ١٩٥٢ الى ١٩٧٠ يتحدد في ثلاثة ابعاد :

البعد الاول ، يتمثل في الدور البارز الذي لعبه الجيش في تفجير الثورة . حتى ١٩٥٢ كان الفكر الاشتراكي وحتى الفكر الليبرالي يعتقد أن الجيش بطبيعته كمؤسسة هو جهاز اقمع للطبقة الرجعية السائدة والمسيطرة . وبالتالي فان تحركه للاستيلاء على السلطة لا يعدو أن يكون انقلابا عسكريا في خدمة الرجعية وفئاتها الفاشستية لكن جاءت ثورة يوليو ١٩٥٢ ، فاثبتت انه بتوافر ظروف موضوعية معينة في جيوش بلاد حركة التحرر الوطني ،وبناء حزب سياسي وطني متحصن داخلها « كالضباط الاحرار » يتبنى المطالب الشعبية المعلنة وينتمي اعضاءه الى الطبقات الوسطى والصغيرة ، فانه يمكن أن يتحول الجيش من اداة للقمع في يد سلطة الملك وكبار الملاك والرأسمالية الكبيرة الحاكمة الى اداة في يد القوى الوطنية لتفجير الثورة الوطنية ذات الابعاد التقدمية .

البعد الثاني ،يظهر من خلال الدور القيادي البارز الذي أمكن للبرجوازية الصغيرة أن تلعبه — ايجابيا وسلبيا — في ثورة يوليو . قبل ثورة يوليو كان أيضا من المسلمات في الفكر التقدمي عموما أن البرجوازية الصغيرة بسبب عدم تماسكها وتناقضها كطبقة وتارجحها بين التطلع الى اعلى حيث البرجوازية الكبيرة ، والتقدي الى اسفل حيث الطبقة العاملة ، غير قادرة على قيادة حركة ثورية في المجتمع . ثورة يوليو طرحت لاول مرة — وانا هنا اتحدث باختصار شديد — امكانية بروز الدور القيادي للبرجوازية الصغيرة في مجتمع متخلف ومستعمر ، اذ تمكنت من السيطرة على الجيش وتحويله الى سلاحها . الصفة الغالبة على الضباط الاحرار هو الانتماء الى البرجوازية الصغيرة بكل تموجاتها .

البعد الثالث ، يتحدد في الوزن الخاص والمؤثر لشخصية جمال عبد الناصر القيادية في الثورة . وهو ما يمكن أن يندرج في اطار ما يعرف في الفكر الاشتراكي بدور الفرد في التاريخ . وقد تضافرت ظروف عديدة ، تفاعلت مع الصفات والملكات الذاتية لعبد الناصر ، في ضخامة حجم التاثير الشخصي لعبد الناصر ، ايجابا وسلبا ، على مجرى الاحداث .

ان عبد الناصر ، اجتماعيا ، كان يتجسد باطراد واستمرار ومن خلال موقفه الاجتماعي الى الانحياز نحو المواقف الوطنية والتقدمية في مسار الحركة الشعبية مما فجر تناقضات عديدة متوالية داخل قيادة الثورة . وتمكن عبد الناصر ، باستثمار كل من ملكاته الذاتية وما حظي به من شعبية تعمقت النطاق المصري الى العربي والعالمي ، من حسم هذه التناقضات دائما لصالحه الذي كان يتفاعل مع الصالح العام للجماهير الشعبية أيضا . ولكن هذا الوزن لدور عبد الناصر الفردي في تاريخ هذه المرحلة من التجربة ، عمق شيئا فشيئا طابع الحكم الفردي بكل ما ينتج عنه من مؤسسات واجهزة قمع ، استفحرت حتى على عبد الناصر نفسه كما حدث بعد هزيمة ١٩٦٧ .

والان .. وهذه هي **النقطة الخامسة** ، اقدمها في السؤال التالي : هل يمكن القول اليوم بأن هناك — بعد ثمانية عشر عاما من تجربة غنية بالاحداث والصراعات — شيء محدد اسمه الناصرية ، وأن الناصرية تيار فكري متميز طرح مقولات نظرية غير مسبوقة وخاض غمار تجربة جديدة وفريدة ؟

لقد اثير هذا السؤال في جلساتنا ، اثاره الاستاذ توفيق الحكيم اكثر من مرة ، كما يثار

فى مجتمعنا العربى كله . وهناك من نفى ذلك وهناك من قال بأن الناصرية تيار فكرى يتميز تماما عن الماركسية او الوضعية المنطقية أو الفكر البرجوازى عموما .

من ناحيتى اعتقد انه يمكن الاجابة على السؤال بلا ونعم فى نفس الوقت . كيف ؟

لا : بمعنى ان ما يسمى بالناصرية لم تطرح فى الواقع افكارا جديدة . لا بالمعنى النظرى ، ولا بمعنى انها غير مسبوقة وغير مطروحة من قبل فى المجتمع المصرى والوطن العربى . واذا كانت الناصرية فى وجهها العام هى حركة تحرر وطنى ، فان تاريخ حركة التحرر فى مصر والعالم العربى سبقت عبد الناصر فى طرح العديد من الافكار والاتجاهات والشعارات التى اعاد هو طرحها بعد الثورة .

فى مصر مثلا كان حزب الوفد يقود الحركة الوطنية المصرية لانهاء الاحتلال البريطانى . واستطاعت بعض فئاته المقتدية وخاصة « الطليعة الوفدية » وشباب الحزب بقيادة مصطفى موسى ومحمد مندور وعبد العزيز فهمى وعبد الرؤوف ابو علم وغيرهم ان تتبنى بكرا على خطر الاستعمار الجديد والامبريالية الامريكية ، وخاضت معارك مطالبة جنبا الى جنب مع الماركسيين المصريين وغيرهم من القوى الوطنية الاخرى ضد مشاريع احلاف الشرق الاوسط - والنقطة الرابعة وكذلك ضد الاحتكارات الاجنبية ، وجاءت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وجمال عبد الناصر امتدادا لهذه الافكار والحركات .

فى مجال الفكر الاشتراكى، فالواضح تاريخيا أن الافكار الاشتراكية بمختلف مدارسها، الماركسية والفابية والديمقراطية والخيالية .. من روبرت أوين حتى ماركس ، مرورا بسان سيمون لا كانت مطروحة ومتداولة ولها حركات وتنظيمات وصحف وكتب فى مصر والعالم العربى كله ، قبل عبد الناصر بكثير .

وفى مجال الوحدة العربية ، وانتهاء مصر العربى ، فان الافكار المتعلقة بهذه القضايا قد طرحت بصياغات مختلفة ومتفاوتة فى عمقها ونضجها خلال مقاومة الشعوب العربية للاستعمار الفرنسى والبريطانى والغربى ، وخرجت من الامة الاسلامية الى ما اصبح يعرف فى أوائل القرن العشرين باسم المسألة الشرقية . ثم حدث التركيز على الوحدة العربية ، ابتداء من افكار ساطع الحصرى حتى افكار حزب البعث العربى بقيادة ميشيل عفلق وصلاح البيطار واكرم الحورانى ، والقوميين العرب . ثم جاءت تصفية فلسطين والصراع مع الصهيونية فعمقت من فكرة الوحدة العربية فى الوجدان المصرى . وقد ظهر ذلك بوضوح فى حركة التحرر المصرية وخاصة فى حزب الوفد ، الذى راح يلح فى الاربعينيات على قضية الوحدة العربية وبدى خطورة الصهيونية ليس فقط على فلسطين بل على مصر وعلى كل البلاد العربية . ومن ذلك موقف صليب سابى وزير خارجية الوفد فى مؤتمر لندن الخاص بقضية فلسطين فى الاربعينيات وتصريحات النحاس باشا وبكر صبور وفؤاد سراج الدين وعدد من الراسماليين الوطنيين المستنيرين فى ذلك الوقت . بل لقد تكونت فى مصر فى الاربعينيات أيضا تنظيمات شعبية تدعو الى الوحدة العربية والتصدى للصهيونية المشترك للخطر الصهيونى مثل جماعة الاتحاد العربى .

من هذا كله يبدو أن الناصرية فى هذا المجال لم تطرح فكرا جديدا ، وانما كانت امتدادا لفكر مطروح فى الساحة من قبل .

هذا عن لا .. فماذا عن نعم ؟

فى اعتقادى ان الجديد الذى قدمته الناصرية ، هو بلورة فى طرح صياغات جديدة للعمل وبمسار التجربة ، وخلق ظروف تمكن من اعادة النظر فى بعض جوانب فكرية سابقة . اى أن الجديد الناصرى ، هو فى الفعل الذى انعكس بدوره - من خلال منطق برجماتى « التجربة والخطأ » - على الفكر وقدرته النظرية فى حركة التحرر الوطنى .

ويمكننا هنا أن أركز على مجالات اربع :

المجال الاول : هو أن الناصرية - من خلال رؤية جسورة - للواقع المصرى عام ١٩٥٢ وعلاقات القوى فيه وبدى قدراتها على الثورة ، اتجهت الى استخدام اسلوب الانقلاب العسكرى - وهو وسيلة رجعية فى حد ذاتها - فى تفجير ثورة وطنية ذات ابعاد تقدمية فتفاعل مع الارادة الجماهيرية العامة والساخطة وقتذاك .

وهذه مبالغة غير مسبوقة من قبل ثورة يوليو . لا فى مصر وحدها ، بل فى العالم كله على حد علمى . أن كل الانقلابات العسكرية

التى سبقت حركة يوليو ١٩٥٢ التى تمت فى سوريا وفى أمريكا اللاتينية مثلا .. ظلت باستمرار فى اطار الطبقات الرجعية الحاكمة والمتحالفة مع الاستعمار ، ولم تتفق مهاوى الانقلاب العسكرى قط . ثورة يوليو تخطت ذلك موضوعيا وبنجاح نسبى كبير . وهذا غير حركة يوليو من مجرد انقلاب الى ثورة . طبعا قد يحتج هنا بثورة عرابى وتحرك الجيش . ولكن فضلا عن الفشل الذى منيت به الثورة العرابية ، فاننا لا يجب ان ننسى ان المحرك الاساسى لهذه الثورة كان الحزب الوطنى المدنى خارج الجيش ، والذى انضم اليه عرابى بعد ذلك . انقلابات سوريا التى قام بها حسنى الزعيم والشيشكلى والحناوى .. ظلت دائما فى اطار الانقلابات العسكرية الرجعية . قد يحتج أيضا بالحركة البيرونية فى الارجنتين ، والتى قام فيها الجيش بدور ايجابى .. لكن الدور الاساسى والقيادى كان دائما لانقلابات العمال . الوضع مختلف تماما . ولكن ربما يصح القول ان كل هذه الحركات العسكرية كانت ارهاصات عن الدور المحتمل للجيش فى حركة التحرر الوطنى . ونظل الناصرية فى أول صياغة ناجحة لاستخدام أسلوب الانقلاب العسكرى ، الرجعى بطبيعته ، فى احداث ثورة وطنية . وطبعا يجب ان نرى ذلك فى ضوء غياب تبلور حاد للقوى الطبقية فى المجتمع والضعف العام ، كما ونوعا ، للطبقة العاملة والاحزاب الثورية الخ .. كل هذه الفضايا ..

ومن هنا فان الناصرية طرحت بتجربتها قضية نظرية بالغة الاهمية فى بلاد حركة التحرر الوطنى ، وهى دور الجيش باعتباره — نسبيا — أقوى التنظيمات انضباطا وامكانية على الحركة فى بلاد متخلفة .

المجال الثانى للجديد الذى قدمته الناصرية ؟ يمكن أن أصوغه على الوجه التالى : الناصرية هى البديل أو المقابل المعروف فى الفكر الاشتراكى « بالبونابرتية » .

يعنى ان الاثنين يقومان على أساس الاعتداد بامكانية تأسيس سلطة دولة محايدة بين الطبقات ، تعتمد على الجيش وعلى حشد كمى للجماهير فى وعاء سياسى ضخم غير قادر على الحركة الا عند استدعائه من طرف السلطة .. مثل تنظيم الديجسبريين فى البونابرتية وتنظيمات هيئة التحرير والاتحاد القومى والاتحاد الاشتراكى فى الناصرية ..

لكن الناصرية تختلف عن البونابرتية « نسبية الى نابليون الثالث » فى أن الثانية تتصل بالملكية والرأسمالية الكبيرة فى بلد متقدم نسبيا يبنى المجتمع الرأسمالى فى القرن التاسع عشر . فى حين أن الناصرية تتصل بالبرجوازية الصغيرة المسلحة فى بلد متخلف ومستعمر يعادى كبار الملاك ثم الرأسمالية الكبيرة فى النصف الثانى من القرن العشرين ، فضلا عن عدائه للاستعمار .

ومن هنا كانت الناصرية حركة تقدمية بالضرورة فى حين ان البونابرتية حركة رجعية فى مجملها .

وعلى هذا الاساس فان الناصرية بحكم الواقع ، كانت محكومة بالاطار الرأسمالى وقيمه وعلاقاته بسبب انغماسها للبرجوازية الصغيرة . ولكنها فى نفس الوقت كانت معادية للرأسمالية الكبيرة وكبار الملاك من مصريين وأجانب ، فضلا عن عدائها للاستعمار . ولهذا راحت مع حركة التطور وضغط القوى الشعبية واستمرار عبد الناصر كقيادة تحاول — بعد تصفيتها للرأسمالية الكبيرة — ان تتخطى أو تتجاوز مرحلة التطور الطبيعى للرأسمالية فى المجتمع المصرى ، ولكن دون الوصول الى مجتمع اشتراكى يلغى تماما الملكية الخاصة والاستغلالية لوسائل الانتاج . وأصبحنا نواجه بوضع جديد هو رأسمالية دولة تنقل المجتمع من الزراعة الى الصناعة ، وتصادر الرأسمالية الكبيرة وتعظم نفوذها فى جهاز الدولة . ثم تتقرب من الأفكار الاشتراكية العلمية . ومن هنا بدا ، أو عاد ولكن بشكل قوى ، الحديث فى الفكر الاشتراكى عن الطريق اللارأسمالى للتطوير . هذه العودة هى فى الحقيقة بداية ايضا ، على اعتبار أن ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وخاصة بعد ١٩٦١ قدمت الاساس لذلك لاول مرة . هنا يمكن الاحتجاج بأن تجربة **مونغوليا** سبقت الى ذلك . لكنى اعتقد ان الوضع مختلف تماما من حيث الظروف والعصر . وعلى العموم ليس هنا مجال هذا البحث ويكفى انه حتى لو كانت مونغوليا اسبق من مصر فى هذا المجال — على الفرض الجدلى — فانه كان قد مضى بين التجربتين أكثر من ٣٠ عاما ، فضلا عن أن القيادة فى التجربة المصرية كانت للبرجوازية الصغيرة المسلحة بالقوات العسكرية ، وهو ما لم يكن فى تجربة مونغوليا ..

المجال الثالث الذى تبدو فيه جدة الناصرية ، هو الأسهام فى بناء ما أصبح يعرف سياسيا فى الحقل الدولى باسم « كتلة العالم الثالث » وهو الشكل الجديد الأكثر ترابطا وتنظيما ووزنا لحركة المستضعرات تقبل الحرب الباليه الثانية . وبنا انعكس عن ذلك فى السياسة الدولية من اتجاه اصبح يعرف — لاول مرة — باسم الحياد الايجابى وعدم الانحياز . والذى استطاع أن يلعب دورا تقدميا فى ظروف الحرب الباردة ضد الامبريالية والاستعمار ، ويضرب فى مواقع عديدة الحصار الامبريالى ضد العالم الاشتراكى .

اما المجال الرابع ، فهو أن الناصرية ، بحكم تخطيها واقعها الاقليمى فى مصر الى الواقع العربى كله ، جسدت لاول مرة أيضا فى العصر الحديث « القوة العربية الجماهيرية فى اطار حركة تحرر وطنى عربى شاملة .. كقوة فاعلة ومؤثرة .

بغض النظر عما أصابته الناصرية من نجاح أو اخفاق ، فان هذه الخطوط ، التى أعتقد ، أنها تحدد ما يمكن أن نسميه بطبيعة الناصرية . وبما كانت فيه امتدادا لما سبقها فى تاريخ حركة التحرر المصرية والعربية وما قدمته من مبادئ وتوليفات جديدة .

فى ضوء هذا كله ، ما هو التقييم النقدى للتجربة ؟ هذه هى **النقطة الحاسمة** فى عرضى هذا ، التقييم يستلزم أول ما يستلزم الوقوف على كشف حساب التجربة . أو بالاصح حصيلتها عند غياب جمال عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ .

ولهذا يلزم أن نبدأ من النهاية .. نهاية قيادة عبد الناصر للتجربة . اذن ما هو الوقف ؟ بوجهيه الايجابى والسلبى ، للتجربة فى سبتمبر ١٩٧٠ عند وفاة عبد الناصر ؟

استطيع أن الخص اجابتى على هذا السؤال فى نسج نقاط :

١ — الناصرية انجزت الاستقلال السياسى للبلاد بدعما باستقلال اقتصادى . وفى تقديرى أن ثورة يوليو ١٩٥٢ ، قدمت اول نموذج فى حركة التحرر الوطنى المالية لبلد يتحرر ، سياسيا ، واقتصاديا ، عن التبعية نكل من سيطرة الدولار او الاسترلينى او الفرنك الفرنسى . وتقف كقوة حرة وفاعلة ضد الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد فى المنطقة كلها . وتقوم بواجبها فى مساندة ومساعدة حركات التحرير فى الوطن العربى وافريقيا .

٢ — القيام بأكثر التجارب الوطنية ، عمقا واتساعا ، فى العالم الثالث — على نحو نسبى طبعا — فى اجراء تنمية اقتصادية و جتماعية مستقلة . انتقل بها المجتمع نقلة نوعية . وعلى قدر كبير من الاهمية حضاريا . وذلك بالانتقال به من مجتمع زراعى متخلف الى بدايات المجتمع الصناعى المتقدم . ويمكنى أن نسبة الدخل الصناعى فى الدخل القومى العام ، ارتفعت من حوالى ١١ فى المائة عام ١٩٥٢ الى ٣٦ أو ٣٧ فى المائة عام ١٩٧٠ . ومن الثابت أن معدلات التطور الصناعى فى مصر حسب احصائيات عام ١٩٥١ ، لم تكن لتحقق هذه النقلة ، لو ظلت الامور على ما كانت عليه ، ولم تفجر ثورة ١٩٥٢ .

٣ — فتحت ثورة يوليو باب الحياة السياسية فى العمل والثقافة والتأثير المتفاوت الدرجات فى سير الاحداث ، أمام الكم الساحق من الجماهير الشعبية المطحونة . وكان هذا احداثا جديدا فى المنطقة العربية ، جاءت بعده تجارب الجزائر والعراق وسوريا واليمن وغيرها تدعمه وتعمقه . وكانت هذه الجماهير من قبل خارج اطار الحياة والتأثير فيها . غير أن ثورة يوليو لم تنجح ، أو اخفقت فى أن تحول هذا الكم الجماهيرى الى نوع مؤثر وفعال ومسيطر ثوريا . ذلك أن التجربة الناصرية كانت تعتمد على الشارع الهادر والجماهير غير المنظمة . وليس على الحركة الثورية للجماهير من خلال تنظيم حزبى وحركة ديمقراطية شعبية . فقد كانت لاتريد أن تقوى الحركة الجماهيرية الديمقراطية بحيث تحد من حركة القيادة وتصبح قادرة على المشاركة فى السلطة والحساب . بحيث تدفعها الى اتخاذ اجراءات اكثر ثورية وجذرية . وكان عبد الناصر يقول دائما انه لا يريد قوة على يساره ابدا فى مصر أو فى الوطن العربى . وفى هذه القاعة التى نجرى فيها حوارنا اليوم ، قال ذلك وكرره اكثر من مرة ، خلال المناقشات التى جرت بيننا نحن اسرة مجلة الطليعة وبينه فى يناير ١٩٦٩ .

٤ — زيادة وزن وحجم البورجوازية الصغيرة اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ،

وسيادة قيمها الثقافية والاجتماعية في المجتمع • وقد ساعد على ذلك عدة أمور منها الاصلاح الزراعي الذي تم بأسلوب بورجوازي صغير ولخدمتها • وكذلك المساحة الواسعة نسبيا للقطاع الخاص ولما سمي بالرأسمالية الوطنية غير المستغلة • وأخيرا خروج عدد كبير من العسكريين من الجيش الى مسئوليات مدنية في السلطة والجهاز الحكومي والقطاع العام • ومع زيادة حجم النشاط الاقتصادي وتضخم دور الدولة والقطاع العام في غيبة رقابة شعبية ديمقراطية • وامستغلال بعض الازمات والسلبيات والنكسات مثل هزيمة ١٩٦٧ ، وقيام البرجوازية القديمة بنسج خطوطها ومصالحها بالمصاهرة والصفقات المشتركة ، لتكون نسيجا اجتماعيا جديدا من البورجوازية البيروقراطية بوجهيها المدني والعسكري • وبشكل ما أصبح يعرف باسم « الطبقة الجديدة » التي تكونت لها مصالح اقتصادية واجتماعية معادية لاستمرار تطور ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مسارها التقدمي • ولما كانت تمتلك عائيح كثيرة في السلطة ، فقد استطاعت أن تصعف من قدرة القيادة الثورية على حسم الصراعات الجديدة التي راحت تنشأ بين هذه الطبقة الجديدة والجماهير الشعبية ، لصالح هذه الاخيرة • حتى ليمكن القول ان الحركة قد أصابها الجمود والعجز عن مواصلة التقدم •

٥ ـ زيادة وزن وفاعلية مصر في المنطقة والعالم الثالث والعالم ككل • مما مكنها ـ على الرغم من أنها دولة صغيرة ـ أن تصبح احدى القوى القيادية في العالم • ولعل هذه النقطة سبق أن أشار اليها الزميل محمد سيد أحمد • وقد استثمرت مصر هذا الوزن في جذب قروض ومساعدات اقتصادية ومدنية على نحو كبير ، لم يتيسر لبلد في مثل حجمها ، بل لم يكن ليتيسر لها ، لولا هذا الدور القيادي الذي ظلت تقوم به •

٦ ـ التناقض وعدم التناسق بين الابنية التحتية التي قامت ثورة ١٩٥٢ ببنائها اقتصاديا واجتماعيا في قاعدة المجتمع ، وبين الابنية الفوقية لها من مؤسسات سلطة وحكم وتنظيمات شعبية وديمقراطية ، وقيم وتيارات ثقافية الخ •• الامر الذي جعل الابنية الفوقية أضيق من أن تتسع للنتاج السياسي والاجتماعي للابنية التحتية • بل وحولها الى قيود على حركتها وتقدمها • ومن هنا زاد وزن القوى البيروقراطية في الفعل على حساب القوى الشعبية وحركتها الجماهيرية في الرقابة والتوجيه وتصحيح الانحرافات والسلبيات في التجربة أولا بأول • ونتيجة لهذا شاع واستعمل اتخاذ الاجراءات الطوية والادارية والاستثنائية وتولد المناخ المناسب لاجهزة القمع بحجة الدفاع عن الثورة ، في حين أنها كانت في غالبية عملها تطعن الثورة وتعارد وتسجن وتعذب المناضلين الوطنيين والاشتراكيين • وقد تحدث في ذلك الزميل ابو سيف بتفصيل • ولكن ما أريد أن أحدده هو أن القرار الحلوى من القيادة على الرغم من تقديمه ، أصبح يشكل البديل للعمل الجماهيري والديمقراطي ، تتلقفه الطبقة الجديدة وتفرغه من مضمونه في كثير من الاحيان •

٧ ـ عدم الاتساق في الواقع العملي بين وزن جمال عبد الناصر كقيادة فردية ثورية ، وبين وزن الجماهير الشعبية • فعلى الرغم من أن قيادة عبد الناصر كانت في ، جملها قيادة تقدمية وأختياراتها تقدمية ، الا أنه يظل في النهاية مجرد فرد محدود الامكانيات والقدرة ، بالقياس الى امكانيات وقدرة الجماهير الشعبية لو كانت منظمة تنظيما ثوريا في مناخ ديمقراطي •

ومن هنا ، فعلى الرغم من ايجابيات دور عبد الناصر الفردي في تاريخ المرحلة ، الا أن هذا الوضع أفرغ ذلك التركيز الشديد في السلطة وفي اتخاذ القرار وفي سيادة قيم الانتظار والتطلع دائما الى القيادة • وحد من قدرة الجماهير على المبادرة بالفعل • ومكن الطبقة الجديدة من محاصرة القيادة في كثير من الاحيان بتقارير زائفة عن حركة الواقع والارادة الشعبية والمبادرات الجماهيرية وتصويرها بصورة المؤامرات والثورة المضادة في غالب الاحيان •

٨ ـ الهزيمة المهولة التي وقعت على رأس مصر وحركة التحرر الوطني العربي ككل في عام ١٩٦٧ ، والتي جاءت نتيجة لعجز وفساد الجهاز البيروقراطي العسكري والمدني وما سببه من ضعف ونزيف داخلي للتجربة منذ نهاية خطة التنمية الخمسية في ١٩٦٥ حتى ١٩٦٧ •

٩ ـ على الرغم من الهزيمة والجهاز البيروقراطي ، فان البناء الاقتصادي

والاجتماعى للتجربة بقواه الشعبية ، ظل يملك القدرة على مقاومة الهزيمة ، ويستجمع الايجابيات التى تحققت لرفضها وتحطيها ·

ولقد أثبتت حرب أكتوبر ١٩٧٣ ذلك · وكشفت لاحداث على أن اهم عاملين فيها مكنا من الصمود والعبور ، هما القطاع العام بمعطياته الاقتصادية والفنية ، والعنصر البشرى الجديد والمقاتل الذى تجسد فى الجندى المؤهل جامعيا وفنيا وسياسيا ، والذى توفر نتيجة مجانية التعليم فى الجامعة التى قررتها التجربة ، وفتحت الباب بذلك امام اعداد كبيرة من ابناء العمال والفلاحين والدرجات الدنيا من البورجوازية الصغيرة ليكتسبوا العلم والتكنولوجيا ويطعموا بها القوات المسلحة من خلال حركة التجنيد الواسعة التى شملتهم بعد هزيمة ١٩٦٧ ·

هذه باختصار الحصيلة العامة للتجربة بايجابياتها وسلبياتها الرئيسية · واعتقد أنه بالحساب الموضوعى لهذه الحصيلة ، نخرج بأن التجربة فى عمومها كانت بحصيلتها الاجمالية فى سبتمبر ١٩٧٠ خطوة الى الامام ونقلة نوعية فى التاريخ المصرى ·· لا شك فى ذلك ·

وهذه الحصيلة لم تتكون دفعة واحدة ، ولا كان خطها مستقيما ومعتدلا بلا التواءات ومنعطفات · ولكنها جاءت من خلال مراحل متميزة على مدى الثمانى عشرة سنة من ١٩٥٢ حتى ١٩٧٠ · وفى تقديرى أن الوقوف على طبيعة هذه المراحل هو الذى يقودنا الى الحقيقة الموضوعية التى يبين من خلالها مسار التجربة وصعوباتها وأساليبها المختلفة ، والمتناقضة فى كثير من الاحيان ··

أقصد أن اقول ـ وهذه هى النقطة السابعة ـ اننا بقتحامنا ملف التجربة نستطيع أن نميز بين مراحل مختلفة · ونرى لا جمال عبد الناصر واحد ، ثابت لا يتغير · بل اكثر من جمال عبد الناصر ، وذلك تبعا لتعدد المراحل واختلاف طبيعتها وطبيعة التحديات الكامنة فيها · وأيضا تبعا لتطور فكر عبد الناصر ونضج تجربته ، وما صاحبها من انتصارات واخفاقات · فعبد الناصر فى ١٩٥٢ ، ليس هو عبد الناصر فى ١٩٦٦ بعد حضوره مؤتمر باندونج وتأييده لقناة السويس · وهو شيء مختلف فى عام ١٩٦١ ، وبداية تصفيته للرأسمالية الكبيرة · وهو فى ١٩٦٤ غيره فى ١٩٦٧ ·

واذا حاولنا تحديد هذه المراحل فانى أميل الى تقسيمها على النحو التالى ، باختصار :

المرحلة الاولى من ١٩٥٢ حتى ١٩٥٦ ، اى من بداية الثورة حتى تأميم قناة السويس · الاطار العام للحركة هو الاطار الرأسمالى مع نوع من الترشيد · الاصلاح الزراعى ، كان اهم المشروعات الاجتماعية فى هذه المرحلة ظل يحتفظ بالعلاقات الرأسمالية رغم تصفيته لطبقة كبار الملاك · الابواب مفتوحة مع كل الضمانات للرأسمال الاجنبى مع تشجيع الرأسمالية المصرية على الاستثمار فى مجال الصناعة · التجارة والعلاقات الاقتصادية الدولية اساسا مع الغرب · لا انفتاح على الشرق الاشتراكى الا فى الحدود التى لا يقبل الغرب فيها التعامل وخاصة فى مجال التسليح لمواجهة العدوان الاسرائيلى ، وايضا كاسلوب للضغط على العالم الغربى · الفكر برجعاتى والعداء للافكار الماركسية والاشتراكية العلمية واضح وقوى ، رغم الاشتراك فى مؤتمر باندونج · وظل كذلك حتى صدمت التجربة وصدم جمال عبد الناصر بالموقف المعادى له من الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الامريكية عند سحب تمويل بناء السد العالى ·

فى هذه المرحلة كانت التجربة امتدادا لثورة ١٩١٩ من حيث انها تستكمل انجاز ما لم يتم انجازه من مهام هذه الثورة · وبدت القيادة وعبد الناصر فى هذه المرحلة كما لو كانا امتدادا للجناح الوسطى واليسارى فى حزب الوفد الذى كان يأمل فى تحقيق استقلال مصر السياسى والاقتصادى فى اطار رأسمالى داخلى وفى اطار علاقات صداقة الند للند مع العالم الرأسمالى وخاصة مع أمريكا ، التى كان يمنى عنها تهمة الامبريالية · كانت الصدمة عنيفة فجاء رد فعله عنيفا فى وطنيته بتأميم قناة السويس · وكان بذلك يبدأ أول شرخ فى علاقات الثورة مع الرأسمالية العالمية ·

المرحلة الثانية ، تبدأ من ١٩٥٦ وتبلغ ذروتها فى عام ١٩٦١ حين دخلت الثورة اولى معاركها الكبرى مع الرأسمالية الكبيرة المصرية ، التى كانت قد اثرت وتضخم نفوذها من خلال تمصير الشركات الاجنبية والحلول محل الرأسمالية البريطانية والفرنسية والبلجيكية وغيرها بعد تأميم قناة السويس ·

وواجه ايضا حرب السويس العدوانية التى تمت بالتواطؤ الثلاثى بين بريطانيا وفرنسا واسرائيل • وظهر خلالها مدى وقوف العالم الاشتراكى بقيادة الاتحاد السوفيتى الى جانب الثورة المصرية . كما ظهرت فى نفس الوقت قوة الولايات المتحدة وزعامتها الضاغطه على بريطانيا وفرنسا ، ومحاولاتها الحلول محلهما فى الشرق الاوسط ، وقد شهدت هذه المرحلة ايضا بداية توثيق العلاقات بين الثورة والاتحاد السوفيتى من خلال بناء السد العالى بمعونة السوفيت • وشهدت ايضا ظاهرتين متناقضتين لعبد الناصر ، ضربه للقوى اليسارية المصرية ، وصدامه مع الرأسمالية الكبيرة المصرية التى رفضت الاضطلاع لقيادته والمشاركة فى تنفيذ خطة للتنمية على أساس مضاعفة الدخل القومى كل عشر سنوات • تمردت على قانون تحديد الربح الاقصى للشركات • وتراجعت القيادة تكتيكيا، ولكنها سرعان ما وجهت ضربتها للرأسمالية الكبيرة بعدما ثبت لها أن الرأسمالية الكبيرة شنت حربها ضد الثورة ، وانه ليس امام الثورة لتنفيذ خطة التنمية الا تاميم المشروعات الكبيرة • ذلك انه لم يكن متوافرا لاستثمارات الصفة الاولى من الخطة الا ٨٨ مليون جنيه فى حين ان المطلوب كان لا يقل عن ٣١٥ مليون جنيه ، واذن كان لابد من التأميم • وفى هذه المرحلة ايضا تم انجاز اهم حدث وحدوى فى تاريخ العرب الحديث وتم الاجهاز عليه فى نفس الوقت ، واعنى به وحدة مصر وسوريا • وجاء الاجهاز كرد فعل مضاد من القوى اليمينية والرأسمالية التجارية السورية التى وقفت موقفا معاديا من حركة التأميمات ، ونجحت فى توجيه ضربتها الانفصالية ، مستغلة اخطاء وسلبيات الحكم الوحدوى . وفى نهاية هذه المرحلة كان عبد الناصر قد بدأ يتأثر بالافكار الاشتراكية العلمية

وشرع فى الافراج عن قوى اليسار المصرى من السجون والمعتقلات وسمح لها بالتعبير عن آرائها • وانشئت صفحة الرأى بالاهرام وراح يطلب العديد من الكتب الاشتراكية عن طريق الاستاذ هيكل والاستاذ خالد محيى الدين وغيرهما •

المرحلة الثالثة من ١٩٦١ الى ١٩٦٧ ، والتى انتهت بالهزيمة المهولة . فى هذه المرحلة كانت النخبة الخمسية الاولى قد انجزت • ولكنها وصلت الى طريق مسدود ، على الرغم من الانجازات الكبيرة التى حققتها • فقد كانت الطبقة الجديدة قد تبلورت وتدعمت مراكزها وأجهزة قمعها • وأمكن لها ان تحاصر مسار الثورة وقيادتها •

وكان لابد لمواصلة مسيرة الثورة أن تضرب هذه الطبقة ، ويتخذ مزيد من الاجراءات الاجتماعية التقدمية ، وان تنظم القوى الوطنية والتقدمية تنظيما ثوريا فعالا من خلال حزب طليعى وجبهة وطنية عريضة قادرة على الحركة والمبادرة • بيد أن حصار الطبقة الجديدة كان اقوى ، فاجهضت كل المحاولات للتقدم ، وانتهزت الامبريالية العالمية بالتحالف مع الاستعمار الجديد واسرائيل الفرصة فوجهت ضربتها العنيفة فى ١٩٦٧ •

المرحلة الرابعة من ١٩٦٧ حتى ١٩٧٠ ، والتى انتهت بوفاة عبد الناصر • كان الطابع العام فى هذه المرحلة هو التردد والتراجع فى المسار فى ضوء الضغط المتزايد من الطبقة الجديدة وبالذات البيروقراطية العسكرية المهيمنة بمؤامراتها من ناحية ، وبين ضغط القوى الشعبية بمظاهرتها ومطالبها الاجتماعية والسياسية من أجل التغيير من ناحية أخرى ، وحين بدا ان عبد الناصر على شفا السقوط والتخلى ، سارعت الجماهير الشعبية التى كانت تثق به كممبر قيادى صادق عن تعلقاتها الى انقاذه وحمايته وصلب عوده بمسيرة ٩ ، ١٠ يونيو الهائلة . ولكنها استمرت فى نفس الوقت فى نقد اسلوب الحكم وغياب الديمقراطية الشعبية ، والمطالبة بتصفية البيروقراطية العسكرية واجهزة القمع • واستجابه عبد الناصر ببيان ٣٠ مارس الذى كان فى حقيقته برنامجا جديدا ، واكثر تقدما لمسار الثورة بعد صدمة الهزيمة . لكن فلول الطبقة الجديدة وأجهزة القمع • والقوى الطفيلية من الرأسمالية التى خرجت من الثورة منتهزة فرصة الهزيمة للانتصار بها والاثراء الفاحش من حولها وأجهضت ايضا محاولة تنظيم القوى الوطنية والتقدمية . وركزت قيادة عبد الناصر على اعادة بناء القوات المسلحة على اساس أن المعركة مع العدو ، هى فى تقديرها معركة عسكرية بين جيشين • وفى هذه المرحلة ايضا ظهرت قوة جديدة ثورية فى المنطقة هى الثورة الفلسطينية تختط خطة الكفاح المسلح التحريرى مما أثار ردود فعل مضادة من القوى الرجعية فى المنطقة ضدها ، وضد النموذج الذى أقامته ثورة يوليو وقيادة عبد الناصر فى نفس الوقت ، واقتضى الموت جمال عبد الناصر ،

وهو على وشك أن يسترد أنفاسه الثورية ، ولكن قبل أن يحدد بحكم مركزه القيادى مسار حركة .

على ضوء هذه المراحل ، يمكن أن نقول فى نهايه ، أن التجربة فى عصر عبد الناصر ، كانت فى مجملها مجموعه من الاختيارات الرئيسيه والحاسمة فى تاريخ مصر وتاريخ حركة التحرر العربى بعد الحرب العالمية الثانية .

من خلال التجربه حسم عبد الناصر ـ كقيادة ـ الموقف من الامبريالية والاستعمار القديم والجديد والصهيونية ، واتخذ موقف المقاتل من اجل الاستقلال والتحرر السياسى والاقتصادى حتى النهاية .

ومن خلال التجربة ايضا ، حسم عبد الناصر كقيادة ، الموقف من الطريق الرأسمالى للتطور والطريق اللارأسمالى بأبعاده الاشتراكية واختار بأسلوب برجماتى فى البداية ، نضج الى وعى بقوانين الحركة الاجتماعية التاريخية فى النهاية الطريق اللارأسمالى ..

ويدل على هذا انتقاله من شعارات الاشتراكية التعاونية الى اشتراكية الملاك لا الاجراء الى الاشتراكية العربية ، ثم اخيرا الى الاشتراكية العلمية باعتبارها الحل الحتمى والصيغة الممكنة للتطور .

ومن خلال التجربة ايضا ، حسم عبد الناصر ـ كقيادة ـ الموقف من التجربه الرئيسية ومن الوحدة العربية واختار الوحدة العربية والانتماء العربى لمصر .

هذا الحسم ، كان بداية الطريق الصحيح للتطور . ولكن بقى المطلوب أن يدعم من خلال ترجمته ترجمة واقعية وثورية ، وهنا يبدو نجاح الحسم واقعيا فى مواقع ، واخفاقه فى مواقع أخرى ..

ولا شك أن الاخفاق يعود الى أسباب كثيرة منها الاسلوب البرجماتى ، والسماح للطبقة الجديدة بأجهزة قمعها للنمو ، وافساح الطريق من جديد للرأسمالية الطفيلية التى تتسابق بالهزيمة .. كما يعود الى غياب المناخ الديموقراطى الذى تستطيع من خلاله الجماهير الشعبية أن تنظم قواها بحيث تستطيع ان تكون قوة فارضة لارادتها وموجهة لمسار الحركة وقادرة على التصدى للثورة المضادة بفاعلية ، واتاحة الفرص امام ابداع العقل الاتساقى ، وبالتالى ظلت الجماهير الشعبيه غير المنظمة قادرة على المنع ، ولكنها تفتقد القدرة على الفرض .

واذا كان الاستاذ توفيق الحكيم اليوم يتساءل ماذا بقى من الناصرية ؟ فالجواب هو ان ما بقى من الناصرية هو هذه الاختيارات الحاسمة ببنيتها المتحيه التى تمعقت جذورها فى جماهير شعبيه غير منظمه ، لكنها واعية وقادرة بمخزون تجاربها ان تواصل مسيرة التقدم عن طريق حشد امكانياتها المهلة ، والاستفادة من حصيلة التجربة وبالذات من سلبياتها واخطائها .

آسف للاطالة . لكنى اردت قدر المستطاع ان اعرض فكرى عن التجربة دفعة واحدة ... وطبعا مستغلا ادارتى للندوة ... الاستاذ عباس صالح .

■ **احمد عباس صالح :**

ناقش الاستاذ حلمى الخولى معنى فتح الملف . واعتقد أن هذا كان مهما جدا . ويبدو اننا نتفق معه فى الابعاد التى وصلها من الموقف : من الملف من الذى ينحص الملف ؟ وفى اى موقع هو .. الخ . وبالتالى فان فتح الملف ليس فتحا مطلقا او مجهلا ، انما لابد ان يكون محددا بمن ينظر فى الملف وموقف الناظر فى هذا الملف . لكن انا اريد ان اضيف اضافة صغيرة :

من الناحية الرسمية مازالت ثورة ٢٣ يوليو تائهة بتاكيدات الرئيس انور السادات فى اكثر من مناسبة . والناصرية مرتبطة ارتباطا وثيقا بثورة ٢٣ يوليو . هذا كانت ثورة ٢٣ يوليو لم تزل مستمرة ـ رغم وفاة عبد الناصر ـ وهذا شىء طبيعى فان فتح الملف ينبغى أن يمتد الى سنة ١٩٧٥ اى مسار التجربة الحالى وتقييمه ايضا ، وذلك لندرس قضية استمرارية الثورة وندرس اصلاح ما سمى بسلبيات التجربة هذه نقطة .

النقطة الثانية هى تعليق سريع ايضا على ما سماه حلمى الخولى بالاضافة او الاصالة الغير ممبوعة فى العمل الثورى وهى استغلال الجيش الذى كان اداة رجعية ـ دائما ـ استغلالا تقدميا . وقد نختلف قليلا حول هذه النقطة

لانى اعتقد أن الانقلابات التى تتم بواسطة الجيش - ما لم تكن مصحوبة بحزب او بعمل جماهيرى - فهى تقع فى اخطاء كثيرة وسلبيات كثيرة هى التى وقعنا فيها فعلا فى خلال تجربة ٢٣ يوليو . ولم تستطع التجربة أن تتغلب على نقطة البدء هذه بتكميل نفسها بقيام تنظيم جماهيرى شعبى حقيقى . واظن انه يجب - ونحن نتكلم عن هذا العمل غير المسبوق - أن نضيف دائما بعد الحزب ، نظرا لاهميته ، ولان الكثير من السلبيات التى نعانى منها نشأ من غياب الحزب عن حركة الجيش .

النقطة الثالثة : ما يسمى بنظرية العالم الثالث . فقد نختلف كثيرا فى انه يوجد عالم ثالث بالمعنى الايديولوجى ، نحن نلاحظ انه يوجد عالمان : العالم الراسمالى ، والعالم الاشتراكى . وهناك سعى مختلف فى المواقع المختلفة ، سواء كانت هذه المواقع متخلفة أو متقدمة . وهذا السعى ناتج عن الصراع الداخلى والخارجى للتوجه اما الى الاشتراكية بواعز من الجماهير وحاجاتها ومن الثقافة العصرية ، واما الى انقلابات لصالح المعسكر الرأسمالى . حقا ان هناك خصائص للشعوب المستقلة حديثا . ولكن هذا لا يجعلنا نطمئن تماما الى تلك التسمية التى نطلقها على « العالم الثالث » ونحدد لها صياغة او شكلا مستقلا يكاد يشبه شكل وجود العالم الرأسمالى ، أو العالم الاشتراكى .

ومع أن تعبير « العالم الثالث » تعبير سياسى ، الا انه محتاج الى شىء من التحديد على الرغم من تداوله .

لكن أنا اذا كنت أثير نقطة العالم الثالث فذلك حتى لا نسقط فى الطريق الثالث : يعنى باختصار اريد أن أقول انه ليس اسقاطا على فكرة . ان هناك طريقا ثالثا يمكن أن نعطى - بالتالى - لثورة ٢٣ يوليو خصائص مستقلة ، وبالتالى نقدم - ايضا - مبررا لكثير من السلبيات .

هذه هى ملاحظاتى السريعة .

■ **محمد سيد أحمد :**

سأبدأ من الملاحظة التى ذكرها الاستاذ أحمد عباس صالح والخاصة بالاستمرار بعد عام ١٩٧٠ ، اى بعد وفاة عبد الناصر

لطفى الخولى تحدث كثيرا فى تغطيه الجانب المتعلق بالماضى من ناحيتى . سأحاول أن ابحث فى العوامل التى كيفت خواص الفترة السابقه . واذا كانت هذه العوامل قد تغيرت الان . واصبحت مختلفة ، الا انها لا تزال تؤثر فى التحول فى المستقبل .. فأقول :

ان الناصرية بالمعنى المستخدم عادة للمصطلح هى لحظة من تاريخ مصر . واذا كنا الان بصدد استبعاد لكثير من خواص هذه التجربه - وفى نفس الوقت - اذا كنا بصدد استبقاء بعض خواص هذه التجربة فلابد من الالتفات الى العلاقة الجدلية بين المظاهر التى سوف تستبعد وبين المظاهر التى سوف يتم الابقاء عليها . والسبب هو اننا نجد - عند تقييم التجربة - فريقين ، كل منهما على طرفى نقيض . فريق منهم يتمسك بالماضى بكل ملامحه ، والفريق الثانى يلفظ الماضى بكل ملامحه . وتكون النتيجة اننا امام معسكرين منقسمين حول تقييم التجربه الناصرية . وهذا الانقسام الحاد يؤدى الى اننا لا نرى الوحدة العضويه التابعه بين الظواهر التى لها طابع الدوام وبين الظواهر التى لابد من تخطيها ، ونقول لابد من تخطيها لان هناك ظروفا موضوعية تقضى بالضرورة الى تخطيها .

واعتقد أن النقطة الاساسية فيما يتعلق بالناصرية ، انها نشات ونمت وتبلورت كظاهرة فى فترة تاريخية تميزت - عالميا - بطابع الاستقطاب الحاد . لكن هذا الاستقطاب الحاد قد تم تجاوزه الان لضرورات موضوعية . مثلا : هناك روادع تمنع الاستقطاب المطلق . منها الحرب النووية ، ومنها تلوث البيئة وغير ذلك من الامور التى ادت بالعالم الى ان يتجاوز استقطاب المنطلقات الاجتماعية على اساس كتل جغرافية .

وهذا كله ، لابد وأن يؤثر على المنطقة ، ولابد وان يؤثر على مصر على اعتبار أن مصر كان لها دور رائد فى داخل المنطقة .

وارجو أن اوضح أننى عندما اتحدث عن تجاوز الاستقطاب ، فانا اعنى به التجاوز النسبى ، لانه ليس هناك تجاوز مطلق . لان الاستقطاب ايا كانت درجته لا يعنى الغاء التناقضات ، وانما يعنى اعادة ترتيبها ، بحيث تكتسب ملامح جديدة : من هذه الملامح عدم

انقطاع الحوار تماما بين الكتل الدولية ، أى ظهور اشكال من العلاقات الدولية تتضمن الحوار مع الصراع .

وعلى هذا الاساس يمكن ان نقول فيما يتعلق بالقوى التى كان على مصر ان تحدد موقفها منها ، علما انتهى الاستقطاب دوليا ، انتهى ايضا الاستقطاب عربيا . ولم يعد الاستقطاب هو الصفة الاكثر بروزا سواء بشأن القوى التى تتحالف معها مصر او القوى التى تعاديها .

ويترتب على هذا — بالطبع — تغييرات تتعلق بالبناء الداخلى ، لان البناء الداخلى — نفسه — كان مستقطبا . وفى ذلك الوقت كنا نطلق على ظاهرة الاستقطاب الداخلى تعبيرا نعتبره مفيدا — وان لم يكن دقيقا من الناحية النظرية — هو مصطلح «تأميم الصراع الاجتماعى» لكننا اليوم نلاحظ أن الحوافز لتبرير هذا « التأميم » قد انتهت ، ذلك ، لاننا عندما نتنادى بأن الاستقطاب الدولى يتراجع او ينتهى ، وعندما نعلن عن انفتاحنا فى اتجاهات مختلفة ، وعندما نقول اننا سنسوى مع العدو ، ففى هذه الحالة سوف نرى ان كل الروادع على منع الصراع الاجتماعى الطبيعى اصبحت غير قائمة وغير واردة ، كما كانت قائمة فى فترة سابقة . وهذا يؤثر — كما اشرت من قبل — على البنيان الداخلى .

بهذه كلها ظواهر موضوعية ، سواء اردنا ذلك او لم نرد . وهى ظواهر لا يمكن أن نتجاهلها ، وهى من ثم تؤثر بالضرورة على نظرتنا او تقييمنا للتناصرية كما عرفناها فى السنوات الاخيرة .

وفى الوقت نفسه ، لو دققنا النظر سنجد ايضا انه توجد — اليوم — ظواهر لها سوابق حتى فى التناصرية . وعلى سبيل المثال ان جزءا اساسيا من الاستراتيجية المصرية الحالية ازاء اسرائيل كانت له سابقة فى فترة التناصرية أيضا . يعنى : اعتبار أن امريكا تستطيع أن تلعب دورا اساسيا فى حل التسوية مع اسرائيل ، هذه القضية طرحت من قبل فى ٥٦ حين أعطى عبد الناصر الامل لامريكا من خلال التلويح بقبول وجود ما لامريكا فى المنطقة ، الامر الذى دفع ايزنهاور الى تقديم مشروعه الشهير باسمه ، بشرط ان تستمر مصر مقابل ذلك الارض ، واليوم تجرى محاولة مماثلة معتمدة على البترول العربى وموسسته على الوضع الذى تجد فيه امريكا نفسها فى عالم اليوم ، فهى تواجه مشاكل متعددة منها مشكلة الطاقة ، والتضخم والازمة النقدية ، ومشكلة المواد الخام ، كما تواجه منافسة من قبل اوربا واليابان . وكل هذه المشاكل تحفز امريكا الى محاولة ازيكون لها وجود فى العالم العربى مماثل للوجود الذى صنعت اليه ايام العدوان الثلاثى سنة ١٩٥٦ . فهنا يمكن ان نشأ تماثل فى التمطين، وهو القبول بهذا الوجود فى مقابل استرداد الارض ، وهو نمط قد يبدو استراتيجيته اساسية لمصر فى هذه المرحلة .

فاذا كان هذا هو الوضع فربما يرى البعض وصفه بأن هذه صفقة مع امريكا ، لكن يجب أن نلاحظ ان الخريطة السياسية فى العالم العربى تتعرض الان لتغييرات جسيمة .

ان الدور من الاستعمار قد دخل مرحلة جديدة . وعلى سبيل المثال تجرى اليوم عملية كبرى فى تصحيح أسعار البترول لتكون أكثر تناسبا مع اسعار المنتجات الصناعية . وهذه العملية تسعى — فى الواقع — الى القضاء على الشكل البارز للاستغلال الذى بدأ يمارسه الاستعمار الجديد بعد انتهاء اسلوب الاستغلال الكولونيالى فى السبعينات بعد بروز العالم الثالث كدول مستقلة . ونحن نعلم ان هذا الشكل البارز من استغلال الاستعمار الجديد تمثل فى وجود فروق كبيرة ومتزايدة وفى وجود فجوة متزايدة الاتساع بين أسعار المنتجات الصناعية وبين اسعار المواد الخام . اى أن تحكم الاستعمار الجديد فى العالم الثالث كان يتم عن طريق شروط تجارية غير متكافئة . اليوم معركة البترول تمثل طلقة اولى فى هذه المعركة وهى طلقة اولى نجحت — لاول مرة — بعد ان فشلت فى محاولات اخرى : منها تجربة شيلى لتصحيح اسعار النحاس الخام ، لكن هذه كانت تجربة فاشلة ، الا انه بعد حرب اكتوبر مباشرة نجحت العملية فيما يتعلق بالبترول .

هذه الطلقة الاولى مسألة تحمل نوعا من الالتباس ، لانها عملية تحريرية ، بالقدر الذى يؤدى تصحيح اسعار البترول الى الحد من ارباح الاحتكارات الدولية ، وهى فى نفس الوقت عملية يحاول الاستعمار الامريكى ان يستغلها لتحقيق اغراض خاصة به ، ازاء

اطراف دولية متعددة منها حلفاء امريكا فى اوربا واليابان ، ويأمل ان يكون له وجود فى العالم الثالث ، ومن اهدافه ايضا دعم مركزه الدولى فى الوقت الذى يهتز فيه مركزه فى مواقع عالمية كثيرة . فاذن المسألة فيها التباس وهذا الالتباس نعيشه اليوم من خلال ما اسميته بالبحث عن معادلة لحل قضية الشرق الاوسط اى من خلال نوع من التعامل الجديد مع امريكا . فالمسألة بعد ذلك ليست « ابيض على اسود » او صفقة مع الاستعمار بالمعنى السلبى ولكنها تتضمن ايضا اعادة ترتيب التناقضات كما تتضمن تعاملا جديدا مع الاستعمار فى ظل ظروف تختلف عن الظروف السابقة وهذا طبعا لابد ان يؤثر على كل البنيان الداخلى .

ان العلاقة الجديدة بين الشرق والغرب قد اثرت على العلاقة بين الشمال والجنوب اى على العلاقة بين العالم المتطور وبين العالم الثالث . وفى هذا الاطار يبدو أننا نعيش فى مصر لحظة فيها ملامح كثيرة من الماضى ، وهذه الملامح تبدو نفيا « بالمعنى الفلسفى » للفترة السابقة . لكن هذا النفى يحمل « نفى النفى » فى الوقت نفسه . لانه اذا كنا نعيد او نكرر بشكل آخر عملية ٥٦ التى تمت مع امريكا ، الا ان هناك نوعا من التعامل الجديد معها . ولكن – وفى الوقت نفسه – من خلال الضرورات الجديدة للتنمية العربية « التى لا يمكن ان تتم فى ظل سيطرة الاستعمار على المنطقة ، فان كل العوامل التى يترتب عليها النفى تحمل فى الوقت نفسه عناصر نفيها « اى نفى النفى » ولكن فى سبيل انطلاق آخر ، فى طريق غير الطريق السابق – وعلى مستوى ارقى ، وعلى مستوى اوسع ، وعلى مستوى يشمل المنطقة ككل ولا تقتصر على بعض الجزر التقدمية داخل المنطقة فقط .

الا ان هذا التكرار لن يكون يحمل تكرارا للشواهد السابقة التى لازمت التجربة ، لن يكون تكرارا للسلبيات المعادية للديموقراطية فى الفترة السابقة ، والتى بررت بدعوى وجود حالة « استقطاب » دوليا واقليميا . ولكنه يتم فى ظروف جديدة . ولم يعد من الممكن عندما نعيد التجربة من خلال مواجهة جديدة مع الاستعمار أن نعيدها بشكل معاد للديموقراطية ، او بقيود مطروحة على الديموقراطية ، كما كان الوضع السابق .

اذن فنحن ننطلق فى مستوى ارقى ، سواء من حيث اتساع نطاق الاتجاه الذى بدأ وانتكس ليتحرك من جديد ، وعلى مستوى أعلى ، ليس فى بعده الوطنى فحسب بل وفى بعده الديموقراطى والاجتماعى كذلك .

■ **احمد عباس صالح :**

قد نتفق مع محمد سيد احمد فى هذا الوصف على الرغم من شدة تعقيده . لكن مسألة ان الوضع فيه امكانية الحركة فى ظروف ارقى او افضل فهذا ما نرجو تحديده وتوضيحه باكثر مما ذكر الزميل محمد سيد احمد .

■ **محمد سيد احمد :**

نأخذ مثلا الثروة العربية . ففى وقت من الاوقات بدت هذه الثروة نقيضا للثورة العربية . الان هناك اعتقاد عام بأن الثروة العربية هى الرافعة الاساسية فى الموقف . لكن هذه الرافعة يمكن ان تستنفذ لحساب الخارج ولا تحقق شيئا داخل المنطقة اذا لم توضع بحزم فى خدمة التنمية . فهذا هو نفى النفى الذى اقصده فى صورة من صوره . وهناك صور عديدة أخرى .

■ **د. لطيفة الزيات :**

لقد اثيرت فى الواقع نقاط كثيرة ، اتفق مع معظمها ، وان اختلفت – ايضا – حول بعض النقاط :

فمثلا اتينى كل ما قاله الاستاذ ابو سيف عن الدور الفعال والايجابى فى استجابة الثورة المصرية ، وعلى رأسها جمال عبد الناصر لمتطلبات الثورة العالمية . واركز على اهمية كل نقطة من هذه النقاط .

لكنى – مع ذلك – اعتقد ان ثورة ١٩٥٢ لم تستجب لمتطلبات الثورة المصرية . وان التناقض بين الاستجابة لمتطلبات الثورة العالمية وبين الاستجابة لمتطلبات الثورة المصرية قد ساهم فى احداث الخلل ، وتسبب فى التوقف الذى ترتبت عليه الهزيمة ثم ما تلا ذلك .

■ **لطفى الخولى :**

اذا سمحت بملحوظة هنا .. هل أنت تعتبرين أن التصدى للامبريالية والتحرر من الاحتكارات الاجنبية .. ومن الاستعمار والاستعمار الجديد ليس من الانجازات الوطنية للثورة المصرية ؟ .

■ **د. لطيفة الزيات :**

اوضح نفسى . هى انجاز وطنى ، وانجاز ضخم . ولكنك لم تدعمه من الداخل بالجهاز ، او بالجسد الذى يستطيع أن يستمر فيه . وهو

الجهاز الذى له ابعاده الاجتماعية والجماهيرية والتنظيمية ، وهو الجسد الحى الذى يستطيع أن يتصدى للاستعمار ، ويستطيع أن يواصل الكفاح وأن يصمد عندما يوجه الاستعمار اليه الضربات .

■ **لطفى الخولى :**

هل اهم من هذا أن الصورة التى ترينها لثورة ٢٣ يوليو أنها كانت واضحة جدا وقوية ضد الاستعمار وضد التجزئة من الناحية القومية – على الصعيد العربى – ولكنها كانت بائعة فى الناحية الاجتماعية .

■ **د. لطيفة الزيات :**

نعم . !

■ **توفيق الحكيم :**

يعنى تريدين أن تقولى أن الثورة – فى ايجابياتها – اى فى عراكها مع الراسمالية ادت الى أن تتوافر لدى مصر ثروات كبيرة لم يكن لها مثيل فى تاريخها . وأن هذه اللحظة التى تكدست فيها الثروات كانت هى اللحظة الحاسمة لاستخدام هذه الثروة لمصلحة الطبقات الشعبية . فالثورة قد طردت النفوذ الاقتصادى الاجنبى : أممت البنوك وشركات التأمين . وأصبح لدى مصر رصيد مسائل فى البنوك لم يتوفر من قبل ، كما قلت .

فلو أننا – فى ذلك الوقت – جعلنا النظام الداخلى نظاما ديموقراطيا شعبيا ، أى ديموقراطى من الناحية الاجتماعية واشتراكى ، ثم اعتمدنا على هذه « الخميرة » المتوفرة من الثروات بعد طرد الراسمالية الاجنبية ، وبعد حرب ٥٦ ، لو أننا فعلنا هذا لامكن للطبقات الكادحة والفقيرة أن تنال نقلة كبيرة جدا بهذا المحصول .

لكن ، أين ذهبت هذه الاموال . ولمصلحة من انفقت ، هذه مسألة من المسائل التى يتعين ان تكون موضع البحث أيضا عند فتح الملفات .

■ **د. لطيفة الزيات :**

أعود لاقول ان ثورة ١٩٥٢ هى ثورة وطنية من الطراز الاول . حققت لمصر الاستقلال السياسى والاقتصادى ولكنها ثورة تقدمية بمدى ما هى وطنية . والامر المؤكد هو أن الراسمال شعر براحة فى الفترة التى حكمت فيها ثورة ١٩٥٢ . فقد كان من الضرورى ومن التقدمى أن ينتقل الثقل من ملاك الارض الذين كانوا يعرقلون التقدم الصناعى الى الراسمالية المصرية . وهذا ما فعلته ثورة ١٩٥٢ . وهى ثورة وطنية بمدى ما انجزته – فى هذا السبيل – من تحقيق الاستقلال السياسى والاقتصادى لمصر .

لكن الثورة لم تف بمطالب الثورة المصرية الاجتماعية فى ذلك الحين . وعجزت عن تطبيق الاشتراكية ، وذلك على الرغم من كل ما قيل فى المواثيق من حتمية الانتقال الى الاشتراكية كوسيلة لانقاذ كل البلاد المتخلفة من حالة الفقر والجهل والتأخر .

■ **لطفى الخولى :**

لكن .. هل كانت الظروف الموضوعية متاحة لمثل هذا التطور ونداء ؟

■ **د. لطيفة الزيات :**

أعتقد أن الظروف الموضوعية كانت متاحة الى حد كبير . لكن الملاحظ – مثلا – أن المبادىء الستة التى رفعتها ثورة ١٩٥٢ كانت شعارات تتبع الحركة الشعبية القائمة فى الشارع وعلى مستوى جماهيرى ضخم لم يعرف له مثيل – من قبل – من المحتوى الاجتماعى الذى وصلت اليه . بل ان الشعارات التى نفذتها الثورة – فيما بعد – كانت مطروحة فى الشارع وفى الجرائد والمجلات قبل أن تقوم بها الثورة ، مثلا : رفض الاحلاف الاستعمارية ... المطالبة باقامة علاقات مع المعسكر الاشتراكى .. القومية العربية كوسيلة للنضال ضد الاستعمار الجديد ... تحديد الملكية وكان المطروح آنذاك ٥٠ فدانا .. حريات النشر والمنظمات النقابية ... الكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطانى ... كسر احتكار السلاح ، واقترحت تشيكوسلوفاكيا – بالذات – على صفحات الجرائد . وكل هذا كان مطروحا لا من جانب اليسار المصرى فحسب بل من جانب كل القوى الشعبية بما فى ذلك يسار الوفد ، كما نجدها فى مجلة الاشتراكى التى كان يصدرها أحمد حسين .

■ **توفيق الحكيم :**

وبالمناسبة فان مصطفى نصرت وزير الحربية الاسبق الوفدى ذهب يومئذ ليفاوض فى شراء

سلاح من الدول الاشتراكية وكان الاحتلال الانجليزى لا يزال موجودا . وفى ذلك الوقت جىء بعزيز المصرى « باشا » . يعنى وجدت فى الجيش كل النواة التى نمت فيما بعد ، والا فمن اين اتى الضباط الاحرار . لقد كانوا اولاد الحركة التى قامت لتنظيم الجيش على اساس وطنى ولشراء السلاح من غير الدول الراسمالية . وكل هذا كان فى الجناح اليسارى من الوفد ..

■ د. لطيفة الزيات :

واضيف انننى اعتقد أن الثـــورة استطاعت ــ رغم هذا ــ ان تحقق مكسبا كبيرا جدا هو الاستقلال السياسى والاقتصادى . وان تحقق قاعدة عريضة للصـــناعة الثقيلـــة والخفيفة .. وهو الامر الذى ادى الى اتساع هائل فى القاعدة العمالية التى هى منطلق من منطلقات الانطلاق الى تطور اجتماعى اكبر .

وفى اعتقادى ــ ايضا ــ انه من خـــلال الشـــعارات ، ومن خـــلال الخلفية الثقافية استطاعت ثورة ٥٢ ان تخلق قاعدة عريضة من الجماهير الواعية بحتمية الاشتراكية والتى تربط بمصيرها بهذه الحتمية . وهذا عنصر جديد كل الجدة على الحياة المصرية ، وعنصر خطير للغاية وفعال للغاية .

لكن نتيجة لعدم التركيز على المحتوى الاجتماعى للثورة ، ونتيجـــة لعـــدم القيـــام بخطوات اشتراكية جذرية ، ونتيجة توقف النمو الراسمالى عند درجة معينة ، وتحـــوله الى راسمالية دولة او ما نسميه راسمالية دولة ووجهنا بطريق مسدود مازلنا فيه الى اليوم .

وهذا بعض ما ورثناه من سلبيات وبعض ما ورثناه من ايجابيات هذه القاعدة العريضة من القوى الاجتماعية ...

■ لطفى الخولى :

القوى المستقبلية يعنى ؟

■ د. لطيفة الزيات :

نعم : المستقبلية .

وارجو ان اضيف نقطة صغيرة :

نتيجة لضرب راس المال الاجنبى للحفاظ على استقلال مصر السياسى والاقتصادى ، ونتيجة لراسمالية الدولة ، ظهرت ــ طبعا ــ طبقـــة جديدة .

بالمثل نتيجة للتاميم وقيام شركات جديدة للقطاع العام وما الى ذلك اصبحت قـــاعدة البورجوازية الصغيرة اتساعا هائلا . لكنى لا اعتقد أن البورجوازية الصغيرة لعبت دورا هاما فى السلطة أو شكلت قيادة طوال حكم عبد الناصر .

■ لطفى الخولى :

اذن بيد اى الطبقات كانت القيادة ؟

■ د. لطيفة الزيات :

بيد البورجوازية ممثلة فى البيروقراطيين .

■ لطفى الخولى :

لكن البورجوازية فى ذلك الوقت لم تكن قد نمت من جديد واصبحت كبيرة كما تقول د . لطيفة . وارى ان البرجوازية الصغيرة الوطنية بقيادتها لراسمالية الدولة لم تواصل السير على الدرب الاشتراكى الى النهاية . ولكن اذا كانت البورجوازية الكبيرة فى التى كانت تحكم فمن اين لها السلطة بعد أن ضربت بتاميمات ٦١ ، ٦٣ ، ٦٤ .

■ د. لطيفة الزيات :

انت بنفسك اجبت على السؤال عندما اشرت الى الحكم البونابرتى ، او ما يشـــبه الحكم البونابرتى .

■ لطفى الخولى :

بالحكم البونابرتى انا اردت التشبيه . لكنى قلت ان الناصرية فى نموذج للحكم البونابرتى فى بلد متخلف ، ونموذج بالضـــرورة ــ تقدمى ــ عكس النموذج البونابرتى الرجعى .

■ محمد سيد أحمد :

التعريف الذى يعطى عادة للبونابرتية هى فكرة الانفصال عن الطبقات بمعنى الانتقـــال من تمثيل طبقة الى تمثيل طبقة اخرى بحرية نسبية ... ويمكن ان يحدث ذلك نظريا على الاقل .

■ د. لطيفة الزيات :

انا اعتقد ذلك . والا اين هذه البورجوازية الصغيرة الان .

■ **لطفى الخولى :**

البورجوازية الصغيرة موجودة وقيمها هى المسائدة ابتداء من اجهزة الحكم ، حتى تمثيلية التليفزيون ..

■ **د. لطيفة الزيات :**

هل اليمين المصرى يدافع الآن عن مصالح البورجوازية الصغيرة ؟

■ **لطفى الخولى :**

لا .. اليمين المصرى لايفعل هذا. هذه قضية اخرى . وانما اقول انه نتيجة ان عبد الناصر لم تكن معه حركة ديموقراطية شعبية منظمة وحزب ثورى طليعى يتبنى تطبيق المبادىء والشعارات التى طرحها ، ونتيجة أنه كان يضرب البورجوازية أو اليمين المتخلف بقوة تفوقه وسيطرته ، فانه عندما غاب عن الحياة السياسية ذهبت هذه القدرة التى كانت تسد الطريق على هذا اليمين ، وفى الوقت نفسه لا توجد هذه القوى الشعبية المنظمة التى تسد — هى ايضا — طيه الطريق ، ومن هنا اتيحت الفرصة لهذا اليمين المتخلف وطفح على الجلد كما نراه الآن ..

■ **د. لطيفة الزيات :**

.. بهذه الثروات التى تتجمع ..

■ **لطفى الخولى :**

وهى ثروات طفيلية .. بدأت — خصوصا من عام ٦٧ ..

■ **د. لطيفة الزيات :**

هى تراكمات مستمرة من بيع عقارات ... الخ .

■ **لطفى الخولى :**

هناك بالطبع الفئات التى استفادت هزيمة ٦٧ وهى فئات اليمين المتخلف وبقايا الرجعية القديمة ، كما استفادت الضعف النسبى الذى اصاب نظام عبد الناصر ..

■ **احمد عباس صالح :**

أرى أن هناك غموضا فى بعض المصطلحات ..

مثلا : عندما نتكلم عن المرحلة التى حددها لطفى الخولى من ٥٦ الى ٦١ وهى المرحلة التى فتح فيها الباب لرأس المال الحر ليقوم بالبناء والتنمية . هذه المرحلة تستحق وقفة . لان الذى حدث هو فشل الاتصال بين الثورة وبين الراسمالية المصرية ، ثم وقع صدام بينهما لان الراسمالية المصرية رفضت رفضا تاما ان تعمل تحت التشبيه الذى ذكره لطفى الخولى — هذا مع تجاوز دلالاته الاخرى .

صحيح ان ثورة ٢٣ يوليو كان لها هذا « الحياد » بين الطبقات ، أو على الاصح هى زعمت لنفسها هذا الحياد . والذى حدث هو انها استخدمت السلطة السياسية للحد من اى تراكم راسمالى ، هذا فى جانب . وفى الجانب الاخر استخدمت الثورة السلطة السياسية ايضا لتصعيد وتنمية الاستثمار فى شكل يمكن ان نسميه اشتراكى .. او ملكية عامة . فكان هناك نمو متزايد فى القطاع العام وتحديد للقطاع الخاص . صحيح اطلقت مجالات العمل الطفيلية باعتبار انها غير انتاجية . لكن يمكن القول ان الدولة خلال ثورة ٢٣ يوليو كانت تتوجه الى التنمية ، وكان تركيزها كله فى مجالات الصناعة والتجارة . وحتى على المستوى الخارجى .. سيطرت الدولة على هذه المواقع ، باعتبارها اساسية فى عملية الانتاج وتركت المجالات الاخرى . مثلا : عملية المبانى ؟ التاكسيات والشقة المفروشة وكل هذه الامور وهذه كلها — فى واقع الامر — كانت عمليات غير انتاجية وستظل عمليات غير انتاجية . ولكن خطورتها انها قامت بالدور الاساسى فى تخريب القطاع العام وتخريب انجازاته ..

على ان النقطة التى اهتم بها هى مسالة **راسمالية الدولة** . هذا المصطلح سيظل حوله جدل كثير فى كل ادبيات السياسة . والمعروف اننا مازلنا مختلفين حول تحديد معنى راسمالية الدولة ..

ولكن واقع الامر ، ان التاميمات التى تتم فى اى دولة من الدول تتم لصالح الجماهير ولا تتم لصالح طبقة راسمالية . ولكن نحن نعرف — فى الوقت نفسه — انه من اخطر اشكال راسمالية الدولة عندما تؤمم بعض المصادر الانتاجية التى تساعد وتضغف الصبر على استثمار رأس المال كما فى انجلترا وفى امريكا ايضا وفى فرنسا .

لكن عندما تكون عملية التاميم لصالح العملية الانتاجية الشعبية او لصالح التنمية ؟ هنا نواجه شيئا من البلبلة . وقد لا أوافق أنا —

بشكل شخصي – على أن ما تم من عمليات تأميم يمكن أن يوضع تحت عنوان رأسمالية الدولة .

لماذا جئنا الى العلاقات الانتاجية قبل كانت هذه العلاقات قائمة على نفس الشروط والقواعد التي تقوم في الاستثمار الرأسمالي أ . اشك في هذا .. كل ما هنالك اننا الاحظ ان الشروط التي كان يعمل فيها العامل .. الطبقة العاملة .. في ظل القطاع العام مختلفة تماما عن الشروط التي يعمل فيها العامل في ظل الرأسمال الاستثماري .

وهناك نقطة ثانية اعتبرها هامة جدا وهي ان هذه التطبيقات ، والتي سميناها الطريق اللارأسمالي مرتبطة بالمفهوم الخاطيء وهو امكان حياد الدولة بالنسبة للطبقات ... وعلى الرغم من ان سبة ٢٣ يوليو ، وقيادة عبد الناصر ، كانت تميل الى هذا الاستقلال ، والى هذا الحياد ، الا انها في واقع الامر كانت اكثر انحيازا شيئا فشيئا للطبقات الشعبية .

■ لطفي الخولي :

لكن .. هنا الحقيقة .. تلزم الفرقة بدقة فالجهاز الحاكم او المسيطر في مجموعه لم يكن منحازا الى الطبقات الشعبية ، ولكن عبد الناصر نفسه كان اكثر ما في جهازه تقدما في انحيازه للطبقات الشعبية .

■ احمد عباس صالح :

وأنا أوافقك على هذا ...

■ لطفي الخولي :

ومن هنا كانت محاولة هذا الجهاز احكام الحصار على عبد الناصر ، وزيادة اجهزة القمع ، واجهزة احتلاب القطاع العام التي تقول عنها الدكتورة لطيفة .. والتي كان يتدخل عبد الناصر – بين الحين والحين – بوزنه ، وبسلطته ، وبقرارات علوية ، لهزيمه . انها هذا اخذ طابعا عرضيا ، وليس طابع الاستمرار في مسار الثورة ..

■ د. لطيفة الزيات :

طبعا عبد الناصر كان من الضروري ان يعمل محاولة .. وانا اوافق لطفي انه كان يتدخل لصالح الجماهير في بعض الاحيان . ولكن لم يكن هذا بناء على نظرية منسقة ومتكاملة . ، ولا بناء على انه يريد الاحتفاظ بهذه الشعبية الهائلة التي مكنته من الحكم طوال هذه الفترة وعمقت وجوده في كيان الجماهير ، هذا التعميق الكبير . وهذه نقطة فرضية ..

نخلص من كل هذا الى أن ما تبقى من تراث الناصرية .. وضع اقتصادي متأزم .. وعي سياسي واشتراكي ضخم على نطاق لم تعرفه البلاد من قبل .. غيبة الاوعية التنظيمية التي يمكن أن تقود هذا الوعي الجماهيري الضخم وتقود الحركة الشعبية . . امكانية تنشئ العناصر اليمينية والرجعية في غيبة هذه التنظيمات

وان ما اضافه محمد سيد احمد من شأنه أن يجعلنا نقف في مفترق طرق هي منتهى الخطورة .. وفي منتهى الدقة .. استقطاب .. انتهاء عملية الاستقطاب ، فنحن الان في فترة تتريس بنا الدوائر الاستعمارية والامبريالية .. رغم انها تصفي نفوذها في الخارج وفي مناطق كثيرة .. لقد صفت الشموب نفوذها في كمبوديا وفيتنام ، ولذلك هي تشدد قبضتها على ما تبقى لها أو ما تسعى الى ان يبقى لها .. ولكني اقول – ولو بمعنى مخالف للمعنى الذي استعمله محمد سيد احمد – قد يبدو هذا تكرارا ، ولكنه ليس بتكرار وانما هو نفي النفي ..

■ د. مراد وهبة :

ابدأ حديثي بمسلمتين مأخوذتين مما قاله الاخوة الزملاء .. المسلمة الاولى ان استمرارية التجربة الناصرية تعني تطويرها .. والمسلمة الثانية ان التطوير المقصود هو تطوير المجتمع .

ويترتب على هاتين المسلمتين نتيجة وهي ان فتح ملف التجربة انما يعني – في حقيقة الامر – فتح ملف المجتمع أي انه لابد من تحليل لقوى المجتمع في التجربة الناصرية .

ونقطة البداية عندي في هذا التحليل النقدي هي وثائق الثورة باعتبار أنها وثائق كانت تهدف – في جملتها – الى تأسيس مجتمع على نمط معين هو النمط الاشتراكي .

الاشتراكية هي نظرية وممارسة . وفي اطار الممارسة تم تأسيس قطاع عام واصلاح زراعي أي تم تغيير البنيان التحتي لما كان عليه قبل ثورة يوليو .

أما في اطار النظرية فالملاحظ في رأيي انه كان ثمة صعوبات عديدة امام تغيير البنيان الفوقي . وقد ألح عبد الناصر على احدى هذه الصعوبات في فلسفة الثورة وهي أنه لم يكن مهيأ لتأسيس النظرية وقال ان هذه هي مهمة المثقفين . ولكنه في الميثاق الوطني اشار الى

اتخاذ الاشتراكية العلمية كمنهج لمواجهة قضايا المجتمع. سمه لم يعترف ان الماركسية هي التعبير الدقيق عن الاشتراكية العلمية فماذا حدث في هذه المسألة ؟

اثيرت تحفظات عدة على الماركسية ولكن لم يكن ثمة دراسات نظرية تقوم عليها هذه التحفظات . واشغل اليسار المصري الماركسي بمواجهة سلبيات البنيان التحتي ، وبدون تاصيل نظري يصبح من الصعوبة بمكان تغيير الوعي الاجتماعي .

ولهذا فان اردنا استمرارية التجربة مع تطويرها، فلابد من مواجهة البنيان الفوقي، وهذه المواجهة تعني ان القيم والافكار لم تكن مواكبة لما حدث في البنيان التحتي من تأسيس قطاع عام واصلاح زراعي .

وهذه المواجهة تعني ايضا ضرورة فتح ملف المثقفين ، وثمة سؤالان لابد من الاجابة عنهما عند فتح ملف المثقفين :

السؤال الاول .. الى اي مدى كان هناك استخدام غير عصري للغة . اي الى اي مدى كان هناك استخدام للغة غير علمانية ؟

السؤال الثاني .. الى اي مدى كان هناك تكريس حدوائي ضد الماركسية ؟

■ **توفيق الحكيم :**

اعتقد اننا بهذا التحليل نسير نحو الهدف الذي نريده . ومناقشة التجربة الناصرية ، او تجربة الحكم في مصر من سنه ١٩٥٦ الى سنة ١٩٧٠. وهذه المناقشة — فيما اري — قد اتخذت صفة موضوعية الى حد كبير . لان الموجودين استقطبوا بمصلحة المستقبل لمصر . ولذلك كان الاختيار ما بين الايجابيات والسلبيات هو لانتقاء ما يصلح ان يبقى ومعد ذلك ننبني عليه وليس لمجرد النقد المجرد ، او للفحص التاريخي، لاننا لسنا مؤرخين ، ولاننا عناصر فعالة في وطن يتحرك نحو المستقبل . اذن الغرض ليس كتابة التاريخ ، لان التاريخ مكانه الجامعات . والتاريخ شيء غير متحرك ، فهو شيء ينتمي للماضي ، ويؤخذ من العبرة للاستفادة .

ولكن — نحن ايضا — نريد ان لا نقف عند حدود العبرة «للاستفادة» ونحن ساكنين لانه مفروض علينا واجبات اخرى باعتبارنا مثقفين . وهي : ان نكون عناصر فعالة في صنع المستقبل لان ما اخذ علينا كمثقفين هو اننا لم نكن في هذه الفترة كعنصر فعال حقيقي في بناء الفترة التي نبحث فيها . لماذا لم نقم بعناصر فعالة ، هذه مسألة كبيرة وتحتاج لدراسة . هل نحن كنا على اتصال بالحقائق التي تحدث حولنا وهل مكنا او لم نمكن ؟ وهل السلطات الحاكمة كانت تريد منا هذا الدور ، او اننا نحن الذين كنا ..

■ **لطفي الخولي :**

فيه سؤال آخر .. هل حاولنا ؟ وهل كنا مستعدين لدفع الثمن ؟

■ **توفيق الحكيم :**

هذا ما اريد ان اقوله ايضا ، اننا ربما لم نحاول . وبعضنا لم يكن مستعدا او على الاقل لم يكن يعرف ان هناك ثمنا لهذا ، وبعضنا الاخر كان عنصرا غير فعال ، وكان يتخذ موقف المراقبة والمعارضة لانه ينتمي الى أفكار كان ينتظر تطبيقها فلم تطبق . والانتماء العملي الى هذه الافكار باعتباره ليس مجرد مثقف ، ولكنه مثقف مناضل تحت راية معينة . والنتيجة انه اعتبر صاحب موقف حدائي ، وبدلا من ان تؤخذ آراءه في الاعتبار يقال له تريد ايضا ان استقيل بآرائك — وان كنا لسنا مضطرين للاخذ بها الى النهاية ، لاعتبارات أنت لا تعرفها ، اعتبارات خاصة بالحكم والسلطة . ولكن ، لا يمنع هذا من انك تتكلم ، ويكون لك جريدة ، ومنطلع عليها ونرى ما يمكن عمله من آرائك وما لا يمكن عمله .

ولكن لست ادري — وهو ما يجب ان يفحص — لما زج في السجون بعض الذين قاموا بهذا الدور، هل لانهم انحدوا موقفا حدائيا عمليا يعرقل مسيرة الثورة في اولها وهي ضعيفة ، او ان السلطة تخوفت ، او ان السلطة من الاصل ما كانت تريد حكما يقوم على نظام مناقشة الاشياء باعتبار انها قامت بثورة لها أغراض وطنية واضحة .

■ **لطفي الخولي :**

فيما يتعلق بالاشتراكيين فقد ظلوا — بشكل عام — يأخذون مواقف محددة ، ويوضحون مواقفهم بالعمل وبالقول ، ولم يقتصر سجنهم فقط على أوائل الثورة بل ظلوا حتى اخر لحظة مع النقد وتأييد الايجابي ونقد السلبي باستمرار . الخ .. وهذا ثروة المأساة اذ كان البيروقراطيون يقبضون على الاشتراكيين الحقيقيين ويضعونهم في السجن على اساس انهم معادين للاشتراكية ! ومع ان البيروقراطيين هم المعادون للاشتراكية. والآن يأتي المهين المتخلف ليرفع رايات « الحرية » !

وانما ما يدعيه باسم « الحرية » التي داسها هو ايضا بالاقدام ، ويقول ان الاشتراكيين ضد الحرية . المثقفون ليسوا كتلة صماء ، وانما بينهم من له ولاء للاشتراكية ، ومن له ولاء للرأسمالية ، وفيهم من لا ولاء له الالتجميد الوضع على ما هو عليه . وبالتالي لا يمكن التعميم . ومن هنا أيضا انا اختلف مع الدكتور مراد وهبة . انك لما تفتح ملف المثقفين ايضا فلابد ان تلقمه بخافية اجتماعية وبمواقف محددة .

■ **توفيق الحكيم :**

انا بالعكس .. انا أؤيد الدكتور مراد وهبة في مطالبته بفتح ملف المثقفين . فتحريه لا تتجزأ . وربما أحلفك — ايضا — في انه عندما نقول من الذي يفتح الملف ، فكل ما عنده ملف يجب ان يفتحه اذا كان هناك . ونحن — يامثقفين ويانشعب بجميع عناصره له ان يحكم . ولكن كلامك انا فهمته على وضع أؤيده — ايضا — وهو انه من ذا الذي سيفتح الملف بفعالية ، لابد ان تكون هناك سلطة كبيرة .

■ **لطفي الخولي :**

لا .. انا اريدت أن أوضح أن الملف يمكن ان يفتح باكثر من منهاج ، ومن اكثر من موقع اجتماعي وفكري . لكن ليس معنى هذا أن اصادر حتى حق اليمين في أن يفتح الملف ، يعني يفتح ملف عبد الناصر .

■ **توفيق الحكيم :**

انا فهمت شيئا جديرا بالاعتبار فعلا . انا فهمت الكلمة بمعنيين : أما أن يكون هناك مصادرة على بعض الناس في أن يفتحوا ، ويكون لهذا هذا لم يكن واردا . وأما ان يكون قولك من الذي يفتح الملف بمعنى من الذي عنده الملفات والوثائق ليفتحها . أنت لك حق في هذا لانه لا يمكن الآن ، وعندما اطالب بفتح الملفات ليس معناه ان هذا بالامكان الآن ، لانه لكي تفتح الملف يجب ان تكون هناك نجبة تملك ان تقول اين الملفات : افتحوها . وان تكون مسألة منظمة أو على الاقل تترك لكل من عنده ملف ان يفتحه . ولكن ليس من المطلوب الآن فتح الملف بشكل محاكمة . لاننا الان لسنا في عهد محاكمات وانما نفتحه لاستنارة الرأي العام ، واغلبة المؤرخين والباحثين لان يروا الصورة واضحة . ولكن ان نفتح الملف كسلطة فلن هذا ليس في يدينا لان الوثائق ليست لدينا ، ولا توجد وثائق بين يدينا نستطيع أن نستند اليها ، كل هذه استنتاجات . ولذلك فان فتح الملف معناه فقط المطالبة بأن تكون هناك حرية رأي في ان كل من رأى شيئا يجب ان يقوله لنا ، ويكون هدفه اثارة المجتمع والرأي العام بحقائق ، او بما يعبره حقائق للاستنارة . وحتى يبنى مصير مصر على اساس واضح ولكن اكثر من ذلك الان لا نستطيع أن نقول . فالمطالبة بفتح الملف — بشكل منظم — معناها أن كل من يريد أن يكون له كلمة في وضع من الاوضاع ان يتكلم . فهذه هي حرية الصحافة أو حرية الرأي كما يقال . ونحن مع حرية الرأي لكي نستنير ، ونرى النور ، لنستطيع معرفة طريقنا . أما فيما يختص بفتح ملف المثقفين فأنى أؤيد هذا .

■ **احمد عباس صالح :**

القول باننا نخاصب الرأي العام لما اتيح لنا من حريه في التعبير ، فهذا ما اشك فيه كثيرا . واقع الامر ان الرأي لا يقال في الهواء ، وانما يبغي ان تكون هناك سلطة للمثقفين ، وافراد المجمع المخلصين لتفيد هذا الرأي . هذه نقطة . والنقطة الاخرى هي أن حريه الرأي في الوضع الحالي — في رأيي — غير موجوده بدليل أن غالبية الصحف في التنظيمات الجديده تخصص لخط واحد . وانا — ككاتب — عملت في الفترتين ، وابعدت في ايام عبد الناصر ، لكن كنت اجد ايضا مجالا اكتب فيه رأيي مثل مجلة « الكاتب » . الان من الصعب جدا التعبير الصادق عن بعض الاشياء . ولا يستطيع الانسان أن يعبر عن رأيه كاملا — كما يقال — هذا ليس صحيحا والامانة تقتضينا ان نقول هذا وان نسجله .

لابد من اعادة النظر حتى نستطيع ان نفتح الملفات ، ونناقش نقاشا موضوعيا ، ويكون لهذا النقاش نتيجة . لابد أن تتوافر اولا واخيرا حرية الصحافة . وفي رأيي انها ليست متوافرة لانك عندما احتفظت بالنظام القديم ، وهو ان الصحافة تحت سيطرة الاجهزة الرسمية فقد ادى هذا الى انه دعم موضوعيا اتجاها فكريا معينا ، فلم تعد هناك فرص للتعبيرات الاخرى . الا بشكل ضعيف وفي مجال ضيق وهذا مناقض تماما للحرية ، وبناء لاي نتيجة نحاول ان نصل اليها بواسطة المناقشة وملاقات القوى في المجتمع . فأنا احببت ان انبه الى هذا حتى لا نكون نتكلم الحقيقة في فراغ او نمضي على الاشياء .

■ **توفيق الحكيم :**

في الواقع يجب أن تكون حرية الرأي هي

الأصل؟ والا لا تكون هناك قيود غير موضوعية . ولذلك نقول : نحن نطالب بأن تكون هناك حرية رأى مطلقة حتى لا تكون هناك حساسيات فى أن كل من يتعرض لرأيك فهو يهاجمك . ولذلك أنا أرحب بمن كتب ضدى . وكل هذا يزيدنى اقتناعا بأنه تصحيح لرأيى اذا كان رأيى مخطئا . لانه ليس لى مصلحة ، فيما أعمل الا ان أجد نورا ينيرنى فى سبيل مستقبل البلد . فكل من قال أو أقنعنى بأن أنت على خطأ لان عنده الوثيقة التى تثبت أننى على خطأ فأقول له : هذا صحيح ، وأنى ممتن لك وشاكر لانك اقنعتنى بهذا الخطأ .

أما عن المهاترات أو الشتائم أو الهجوم كل ما أتكلم ، فهذا أيضا أتقبله باعتبار أننا لا نحجر على طريقة أى شخص فى أن يناقشك بالاسلوب الذى يريده . وحتى الانبياء كانوا يتعرضون لهجوم تستطيع أن تقول أنه مهين فنحن نعرف ما تعرض له المسيح ، وما تعرض له محمد صلى الله عليه وسلم عندما حسوا على رأسه التراب . وعندما وضعوا الشوك على رأس المسيح . فاذا كان هؤلاء قد عملوا هذا اذلا تريد — أنت — من كاتب أو مثقف أن يتحمل أكثر من هذا فى سبيل رأيه ؟ واذا ما اقتنع نجيب أن يقول أنى اقتنعت ، وان يفعل هذا بكل صراحة ، وبكل احتمال لان من المفروض فيه أنه لا يتحرك تحت دافع الشهوة أو الغرض .

وأخيرا فانى أريد أن أصل بعد هذا الى الكلمة الهامة جدا التى قالها د . مراد وهبة وهى مسئولية فتح ملف المثقفين . فعلا يجب أن نعرف أين ذهب المثقفون فى ذلك الوقت وما هى مسئولياتهم ، ونجد فعلا انهم تعرضوا للقمع ، لماذا هذا القمع ؟

وهناك طائفة من المثقفين كانت مع الثورة بكل اخلاص ، لذلك لم تر من الانحطار ما رآه الطرف الاخر الذى قاومه . وهناك غير هذا وذاك المتملقون المستفتون . وهؤلاء تجدهم فى كل عصر . اذن هناك فئات مختلفة من المثقفين ولم يمكنوا من العمل : جزء لم يمكن لانه وضع فى السجون ، وجزء لم يمكن لانه لم يعرف الحقائق ، وجزء لم يمكن لانه فعلا كان متعاطفا مع الثورة بعواطفه وبشكل يكاد يكون فيه محبة جعلته يرى أن الثورة ستأتى بشىء هو كان ينتظره ، وفعلا وجد ما كان ينتظره وتحقق فلم ير أكثر من أن هذه الثورة يحبها ، فمسئوليته الى أى مدى ؟ ... هو مسئول ايضا لانه — فيما بعد — سنجد أنه كان يجب أن يكون أكثر احتياطا .

وتبقى بعد هذا أمور كثيرة تتعلق بالمثقفين . لكن المحصلة هى المثقفين كلهم على اختلاف أنواعهم لم يساهموا فى صنع مصر مع الذين كانوا يصنعونها . وهذا ما يدعونا الى أن نكون يقظين وعلى حذر بعد أن رأينا النتائج . وما هو مقررنا الآن ، وقد عرفنا الى أى شىء ادى وقوف المثقفين هذا الموقف السلبى — أو على الاقل — هذا الموقف الذى شابته السلبية .

■ لطفى الخولى :

أو كيف تقاعسوا عن ممارسة مسئولياتهم .

■ توفيق الحكيم :

بدلا من كلمة تقاعسوا .. كيف لم يكونوا فى الصورة لان التقاعس هنا معناه أنه كان من الممكن أن يفعلوا ولم يفعلوا ، ويفهم كان يريد أن يفعل ولم يمكن . فالسؤال المحدد هو : لماذا لم يكن المثقفون فى الصورة ، صورة صنع مصر فى الوقت الذى كانت تصنع فيه تاريخيا بشكل واضح جدا .. اذا كنت تسمح لى نناقش هذا فى الجلسة القادمة .

■ أبو سيف يوسف :

لى تعليقان صغيران على بعض ما قيل :

الاول خاص بما قيل من أن الشعارات التى تبنت بعضها ثورة يوليو ، أو لمست البعض الاخر ، كانت كلها موجودة فى صفوف الحركة الوطنية . هذا صحيح . فالشعارات الاساسية لحركة الضباط الاحرار يمكن أن نجدها فى صفوف القوى الوطنية والديموقراطية والمعادية للاستعمار والاقطاع ، وذلك على تعدد اتجاهاتها . كل هذا صحيح .

لكن يجب أن نلاحظ أن هناك برقا جوهريا بين ثورة ١٩٥٢ وبين ثورة ١٩١٩ . ثورة ١٩ كانت تقودها وتهيمن على قيادتها البورجوازية الوطنية سعيا وراء أهداف محددة تتعلق فى الاساس بالمصالح الطبقية والمحدودة لهذه الطبقة . ولهذا توصف الثورات التى بن نوع ثورة ١٩١٩ — فى الادبيات الاشتراكية بأنها **ثورة بورجوازية ديموقراطية** هدفها الاساسى أن تسيطر البورجوازية أو تشارك فى السيطرة على السوق المحلية « الوطنية » . أما ثورة ١٩٥٢ فانه من الادق والاصح بأن نوصف بأنها

حركة وطنية ثورية . وذلك بسبب أن القوى المهيمنة فيها والمؤثرة ليست هي قوى البورجوازية الوطنية في المحل الاول . وانما هي قوى البورجوازية الصغيرة في الريف والمدينة والمثقفين والحرفيين . وقوى الاقسام الاكثر راديكالية من البورجوازية الوطنية نفسها . ولهذا السبب لم يكن من قبيل الصدفة ان ثورة ١٩٥٢ لم تقف عند حدود الاستقلال الوطني ، وانما وجدت نفسها مشتبكة ـ منذ اللحظات الاولى ـ مع الاحتكارات الدولية « قناة السويس » ، ثم استمرت في هذا الطريق حتى وصلت الى عام ١٩٦١ وهو بداية مرحلة التأميمات الكبرى .. الخ .

التعليق الثاني خاص بالدور الذي اخذته البورجوازية الصغيرة في ثورة يوليو وقيادتها للثورة . وبالطبع عندما نقول ان القيادة كانت اساسا لممثلي البورجوازية الصغيرة ، فلا يعني هذا ان الطبقات الوطنية الاخرى كانت مستبعدة . فمن المؤكد ان اقساما من البورجوازية الوطنية كان لها تأثير ، وكانت تشارك .. لكن الاتجاه الغالب كان للبورجوازية الصغيرة . وهذا ما نلمسه عند تحليل عدد من الشعارات التي رفعت في الايام الاولى للثورة ، في الفترة من ٥٢ ـ ٥٤ . فمثلا شعار الاشتراكية الديموقراطية التعاونية كان يتضمن في الاساس مفهومات البورجوازية الصغيرة عن العدالة الاجتماعية ....

■ **لطفي الخولي :**

لكن ثورة يوليو تدخل في ادبيات الفكر الاشتراكي العلمي كحركة بورجوازية تقدمية .. ثورة وطنية ديموقراطية .

■ **ابو سيف يوسف :**

ليس خطأ ان نقول هذا ... لكن هذا التعبير « بورجوازية ديموقراطية » لا يعطي كل مضمون وملامح ثورة يوليو في مسيرتها .. وافضل ان يقال انها كانت حركة وطنية ثورية .

■ **لطفي الخولي :**

هناك النقطة الخاصة بانها ظلت بورجوازية .. فمن الملاحظ ، انه في الفترات الاخيرة من ثورة يوليو ـ من ٦١ فما فوق ـ كان الطابع الغالب على هذه البرجوازية هو الطابع الاكثر تقدما في الطبقة ، وبالتالي طبقة البرجوازية الصغيرة لها وزن خاص هنا .

يعني هو في الحقيقة ان التصفيات التي حصلت في قيادة الثورة لم تكن تصفيات شخصية كما تدل ظواهر الامور ، وانما كانت تصفيات لاتجاهات اجتماعية داخل البرجوازية الصغيرة . كان هناك داخلها اتجاهات تطلعاتها نحو البرجوازية الوطنية وحتى نحو البرجوازية الكبيرة . فالتصفيات التي تمت وبقيادة عبد الناصر جعلت الوزن الاكبر في القيادة السياسية ـ وليس في الاجهزة ـ للجانب الاكثر تقدما وللفئات الاكثر تقدما في البرجوازية الصغيرة لكن هذا لم يخرجها من اطار ثورة برجوازية ديموقراطية لتصبح ثورة اشتراكية مثلا .

■ **احمد عباس صالح :**

العبرة بالانجازات .. فهي التي تحدد طبقية السلطة . فنحن لا نستطيع تقييم السلطة الا من خلال الانجازات التي تمت فيها . والبعد الديموقراطي الجديد الذي يشير اليه الاستاذ ابو سيف يوسف يمثل انجازات شعبية سواء في مجال التأميمات او في مجال الخدمات كالتعليم وغيره ، وفي كل المجالات نلاحظ ان كل الانجازات ديموقراطية ولصالح الاغلبية الشعبية ، وبالتالي تنسب في هذا الجانب الى قوى تميل الى هذه الطبقات الشعبية .

■ **لطفي الخولي :**

النقطة الثانية والخطيرة التي اغفلت ـ انا ـ ذكرها في عرضي هو ان هذه البرجوازية الصغيرة رفضت ، وهذا هو ازمة الثورة ، رفضت ان تشاركها القوى الشعبية الاخرى السلطة . ورفضت باصرار ، ومن هنا الازمة والتي وقعت فيها الثورة ، والتي عبرت عنها في بعض النواحي دكتورة لطيفة .

■ **د. لطيفة الزيات :**

انا ارجو تأجيل المناقشة في قضية البورجوازية الصغيرة لان الموضوع خطير جدا وتنبني عليه أمور كثيرة جدا ..

■ **لطفي الخولي :**

هل توافقون على تأجيل المناقشة الى جلسة قادمة ..

« موافقة » .

شكرا . ...

العلاقة بين المالك والمستأجر في الزراعة المصرية

د. محمد ابو منذور الديب *

اثيرت فى الاونة الاخيرة قضية العلاقة بين المالك والمستأجر من وجهة نظر الملاك الزراعيين بهدف اعادة النظر فيها ،وذلك لتحقيق المطالب التالية :

اولا : تعديل القيمة الايجارية الحالية ، بما يعادل سبعة امثال الضريبة المعدلة ، او عشرة امثال الضريبة التى قدرت عليها القيمة الايجارية وفقا لقانون الاصلاح الزراعى .

ثانيا : اعفاء من يملكون خمسة افدنة فاقل من حق المستأجر فى البقاء فى الارض ، وبالتالى دعوتهم الى ان يكون للمالك الحق فى طرد المستأجر فى اطار هذه الفئة من ملكيات الملكية .

ثالثا : حق المالك فى طرد المستأجر اذا ماراد تحويل ارضه المؤجرة من المحاصيل التقليدية الى محاصيل النكهة .

رابعا : اعطاء المالك حق تحويل ارضه المؤجرة اذا رغب — من الايجار بالنقد الى الايجار بالمشاركة .

خامسا : الغاء لجان فض المنازعات واستبدالها بالاحتكام القضائى .

تلك هى المطالب الخمسة الرئيسية التى يبدو ان بعضا منها — للوهلة الاولى ، او النظرة السطحية — مطالب عادلة . غير ان المناقشة العلمية لابعاد تلك المطالب والاثارها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى غاية الاهمية للاسباب الرئيسية التالية :

— ان جزءا كبيرا من مساحة الارض الزراعية المصرية يدخل فى اطار الاستغلال من طريق الايجار . فوفقا لاحصاء عام ١٩٧٢ — بلغت المساحة المستأجرة ١٢٠٠٠ر٢ مليون فدان بنسبة ٤٣٪ من جملة الزمام المزروع [١] . ومن ثم ، فان الحديث عن تغيير تلك العلاقة ، يمكن ان يترك بصماته الايجابية او السلبية على مساحة كبيرة من الارض الزراعية المصرية .

— ان قانون الاصلاح الزراعى ، عندما صدر عام ١٩٥٢ ، قد وضع تلك العلاقة ، وكان هدفه الاساسى الحيلولة دون المضاربة على ايجارات الارض الزراعية من ناحية ، وتأمين جانب الاستقرار فى الانتاج الزراعى لفئة المستأجرين ، وما يرتبط بهذا الاستقرار من زيادة فى الانتاجية وفى الانتاج الزراعى ، من ناحية اخرى .

(*) مدرس الاقتصاد الزراعى بكلية الزراعة جامعة القاهرة .

[١] المصدر — الاقتصاد الزراعى — نشرة دورية — تصدرها مصلحة الاقتصاد الزراعى والتعاون بوزارة الزراعة فى ٣٦ .

ان بروز أية مطالب فئوية فى أى مجتمع مّا المجتمعات لا يمكن أن تنفصل عن الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى يعيشها هذا النظام . بل هى — بالضرورة — نتاج له . ومن هنا ، فان المقترحات الخاصة بتغيير العلاقة بين الملاك والمستأجر هى — ايضا — وليدة ظروف نمت فى اطار الواقع المصرى وذلك منذ صدور قانون الاصلاح الزراعى وحتى الآن . ويمكن التعرف على اهم العوامل أو الظروف التى مهدت لها على النحو التالى :

١ — ان تحديد حد اقصى لمساحة الملكية الزراعية لم يصحبه ، بما لا يزيد عن خمسين فدانا ، قد قلل الفائض الكبير من الارض الزراعية التى كانت تعجز الاسر المالكة عن استغلاله . وبالتالى ، فان تلك المساحة الآن ، وفى ضوء التكنيك المتقدم [استخدام الجرارات ، وتكلفة الرى .. البيدات الكيماوية .. الخ] اصبحت حجما يسهل ادارته بل وتتسع تلك الوسائل الى احجام اكبر . ومن ثم فان الرغبة قد زادت لاستيعاب مزيد من المساحات الارضية .

٢ — ان اتجاه الدولة الى تحديد اسعار المحاصيل التقليدية والزام المنتجين بتوريد محاصيلها او اجزاء منها ، فى نفس الوقت الذى لم تلزم فيه الدولة منتجى المحاصيل غير التقليدية [الخضر والفاكهة] باسعار محددة قد ساهم فى زيادة أسعار مجموعة المحاصيل غير التقليدية بنسبة اكبر ، الامر الذى انعكس فى زيادة عائد تلك المحاصيل بشكل واضح ، حتى لقد اصبحت مصدرا هاما من مصادر زيادة والماء الثروة فى القطاع الزراعى . ولما كانت فئة كبار الملاك ومتوسطيهم هم القدر شرائح الملاك مقدرة على تنويع الانتاج فى اتجاه المحاصيل ذات العائد المرتفع . ففى ضوء هذه الظروف اصبحت حاجة هؤلاء الملاك اكثر الحاحا الى مزيد من الاراضى الزراعية لاستثمارها فى زراعة المحاصيل الخضرية والفاكهية . فبدون المساحات المؤجرة للزراع — فى اطار القانون الحالى للاصلاح الزراعى — لا يمكن تحويلها الى تلك المحاصيل ، نظرا لمحدودية دخولهم وصعوبة الاتفاق عليها . كما ان لمنافعهم فى الارض — بصفة مستمرة حتى الان كاحد الحقوق المكتسبة من القانون — يحول دون تحقيق مطلب التوسع فى زراعة هذه المحاصيل . غير ان كبار الملاك ومتوسطيهم يمارسون ضغوطا غير رسمية — حتى الآن — على المستأجرين ، وذلك بهدف اخراجهم من الارض الزراعية .

٣ — ان الضغط السكانى المستمر على الارض الزراعية ، وعدم وجود فرص عمل بديلة امام الغالبية العظمى من المقيمين بالريف قد ساهما بدورهما — فى زيادة الطلب على الارض الزراعية المصرية . ومن ثم ، تزايدت اسعارها بشكل واضح فى السنوات الاخيرة ، خاصة تلك الاراضى القريبة من العمران والتى يمكن ان تستغل فى المبانى ، او على الاقل من المحتمل استخدامها فى السنوات القادمة . وهو الامر الذى انعكس اثره — ايضا — فى رغبة بعض الملاك فى بيع مساكنهم او اجزاء منها استفادة بهذه الاسعار المرتفعة ، غير أن القانون الحالى ايضا يعطى للمستأجر الحق فى البقاء فى الارض بهما اختلفت هوية المالك . ومن هنا ، كان القانون عقبة امامهم فى تحقيق هذا الهدف . فاذا ما حاولوا بيعها ، وقبل المستأجر ، فانهم قد يضطرون الى اعطاء المستأجر جزءا من الثمن « كخلو للرجل » حتى يتركها لهم ، الامر الذى يقلل من صافى دخلهم من عملية البيع .

٤ — ان قانون الاصلاح الزراعى ، على الرغم من تحديده للقيمة الايجارية بما لا يزيد عن سبعة امثال الضريبة ، فانه لم يحل دون قيام سوق سوداء فى ايجارات الارض الزراعية والارتفاع المستمر حيث يتراوح السعر السوقى ما بين ٤ — ٥ امثال الايجار المحدد بالقانون بل انه يزيد ، عن ذلك ، فى بعض محاصيل الخضر مثل الطماطم والبطاطس . ويرجع سبب هذا الارتفاع الكبير الى العاملين التاليين :

أ — الضغط السكانى المستمر على الارض الزراعية وتوفر فائض من القوى البشرية التى لم تتح لها فرص عمل بديلة أو جديدة .

ب — رغبة كبار ومتوسطى الملاك والمستأجرين فى فهم مساحات جديدة لارضيهم وتنويع انتاجهم الذى يعطيهم عائدا اكبر كما سبق ان ذكرنا .

وعلى ذلك فان زيادة القيمة الايجارية غير الرسمية فى الزراعة المصرية لا تعكس زيادة العائد من الناحية الكمية بشكل يوضح هذا الارتفاع الكبير فيها . والدليل على ذلك عدم زيادة متوسط الدخول الثابتة للفلاح المصرى فى السنوات الاخيرة بشكل محسوس وانما تعود هذه الزيادة بالدرجة الاولى — الى المنافسة والمضاربة على استغلال الارض الزراعية ، والى خضوع الانتاج الزراعى لقوى السوق — بشكل اساسى .

ان اعترافنا باهمية قوى العرض والطلب على وسائل الانتاج لا يعنى تأكيدنا لهذا الدور فى اطار مجموعة الظروف غير الصحية التى تؤثر على ميكانيكية السوق كما هو الحال الآن فى الزراعة المصرية . وعموما فان عقد اى عنصر من عناصر الانتاج — بما فيها الارض — يجب الا

يتحدد بأى نوع من انواع المضاربة أو المنافسة المدمرة بقدر ما يجب ان يرتبط بانتاجية هذا العنصر . واذا ما ناقشنا تلك المسألة على الارض الزراعية المصرية فان معظم الدراسات — في السنوات الاخيرة — تؤكد ان ما تقد عنصر الارض ، بتضافره مع عناصر الانتاج الاخرى ، ظل ثابتا لمعظم المحاصيل الزراعية بل لقد تناقص في بعضها [الارز ، القصب] .

كما أن مناقشة العلاقة بين المالك والمستأجر كمناقشة لقضية اقتصادية واجتماعية لابد وأن يحكمها محوران اساسيان : الجانب الفردي والجانب القومي . وبعبارة اخرى فان الحديث لابد وان يرتبط بالمنتج بهدف زيادة انتاجه ودخله والارتقاء بمستوى معيشته ماديا وثقافيا ، وبالنسبة للجانب القومي يجب ان يتجه الحوار الى اعادة صياغة العلاقة التي تضيف الى الناتج الاجتماعي ، وعموما ، فان اية سياسة اقتصادية سليمة يجب ان تستهدف خدمة الاغلبية العظمى من المنتجين اصحاب المصلحة الرئيسية في التقدم الاقتصادي والاجتماعي .

الايجار وتخلف الزراعة المصرية

وقبل ان ندخل في تحليل المطالب المتعلقة بشأن تغيير العلاقة بين المالك والمستأجر في الزراعة المصرية، فاننا لابد وان نقرر بداءة — بأن الايجار ووجوده كظاهرة ملازمة للزراعة المصرية — هو أحد مؤشرات تخلفها وذلك للاسباب الرئيسية التالية :

١ — ان شيوع نظام الايجار يساهم — الى حد كبير — في زيادة مشكلة تفتت وتشتت الحيازات الزراعية المصرية .وهي المرض الرئيسي والمزمن فيها والذي نعاني من آثاره خسائر اقتصادية وحضارية كثيرة .

٢ — ان الايجار — في نسبة كبيرة من المساحات المستأجرة — ما هو الا علاقة بين فائض للقوى العاملة الزراعية المتخلفة اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا مع بعض عناصر الانتاج البدائية وبين الارض الزراعية ، والتي يحول وامكانية زيادة الانتاج الزراعي من خلال تكثيف الانتاج وتركيزه ، ومن ثم فان تزايد نسبة صغار المستأجرين والمعدمين الزراعيين يحول دون تقدم الزراعة المصرية حتى في اطار القيم الايجارية المحددة قانونا .

٣ — ان ارتفاع القيم الايجارية غير الرسمية — وبشكل مستمر — قد حال ، أو سوف يحول دون توفر فائض كاف يستطيع من خلاله المنتج الصغير ان يطور ويزيد من انتاجه . كما ان زيادة المساحات المؤجرة — من غير الطريق الرسمي — يحول دون استفادة صغار المنتجين من خدمات الجمعيات التعاونية ، نظرا لعدم ثبوتهم كحائزين لهذه الاراضي وهو الامر الذي يؤدي الى حرمانهم من خدمات الجمعيات التعاونية .

٤ — ان قانون الاصلاح الزراعي ، على الرغم من تحديده لنصيب كل من المالك والمستأجر — في نظام الايجار بالمزارعة — قد عجز عن مراقبة وضبط تلك العلاقة ، وبالتالي فقد فشل الايجار بالمزارعة من تحقيق التوزيع العادل لنصيب كل منهما . وفي اغلب الاحوال يقع المستأجر ضحية لاستغلال المالك نظرا لقوة الاخير وحاجة الاول.

٥ — ان القانون لم يحدد القيم الايجارية لاراضي الفاكهة ، وبالتالي فانه قد ترك هذا المجال يخضع لقوى المنافسة والمضاربة .

وفي ضوء تلك الاسباب فان استمرار ظاهرة الايجار في الزراعة المصرية يجب ان يكون محل نقاش علمي هادف ، بغية القضاء عليه في المستقبل المنظور .

مناقشة المطالب المطروحة

وسنناقش فيما يلي كل مطلب من المطالب المطروحة :

اولا : رفع القيمة الايجارية :

يعرض اصحاب هذا المطلب تبريراتهم الخاصة بشأن رفع القيمة الايجارية من منطلقات اساسية وهي :

١ — ارتفاع قيمة الارض الزراعية . ولقد حدثنا اسبابها . فهي لا تعكس زيادة في انتاجيتها بقدر ما تعكس نوعا من المنافسة غير المنتجة .

٢ — ارتفاع اسعار المحاصيل الزراعية وزيادة نفقة المعيشة ،والرد على ذلك — ايضا — هو ان السبب الرئيسي في ارتفاع اسعار المحاصيل الزراعية كامن في التزايد المستمر في التكاليف. وان ذلك الفائض لم يتغير كثيرا ، اللهم ، الا في جانب المحاصيل غير التقليدية . وبالتالي فان الاستقتاء اصبح قاعدة . كما ان ارتفاع تكلفة المعيشة لم يتأثر به المالك فحسب بل لقد تأثر به المستأجر ايضا ، بل ان المستأجر اكثر احتياجا — من الناحية النسبية — لزيادة مستوى معيشته [طبقة صغار المستأجرين] .

٣ — الدعوة الى زيادة القيمة الايجارية على اساس الربط الحالي للضريبة على الارض الزراعية والتي قدرت على اساس زيادة الخصوبة . وما يترتب على ذلك من زيادة القيمة

الايجارية على المستوى القومى من ١١٠ مليون جنيه الى ١٤٠ مليون جنيه . لكن السؤال هنا هو :

من الذى ساهم بشكل اساسى فى زيادة خصوبة الارض الزراعية . هل هى طبقة الملاك ام الدولة بشكل اساسى ؟ انها الدولة . والدليل على ذلك هو ان حجم استثمارات القطاع الخاص فى الزراعة المصرية لم يتجاوز خمس استثمارات الحكومة فى هذا القطاع . وان استثمارات القطاع الخاص كانت — وما زالت توجه — بشكل اساسى — فى هذا القطاع الى شراء الالات التى تستغل من قبلهم كمصدر لزيادة وتراكم الثروة .. ولم نسمع حتى الان — فى الفترة الاخيرة — ان هناك مزارعا او مجموعة من الملاك ، قاموا بتحسين وسائل الرى او الصرف بشكل ملحوظ او محسوس ، مثل شق الترع او المصارف . فما زالت الدولة تقوم بهذه المهمة بشكل اساسى .

ان الاثار المترتبة على رفع القيمة الايجارية لابد وان تقودنا ايضا — الى تحليل نتائجها الفردية والقومية كما يلى :

١ — زيادة تكاليف الانتاج لكل المحاصيل الزراعية بلا استثناء ، وبالتالى زيادة اسعارها — بالضرورة — لتواكب تلك الزيادة فى التكاليف، وهو الامر الذى يحمل الطبقات الفقيرة التى تشكل القاعدة الاساسية فى الهرم الاجتماعى اعباء اكثر مما تحتمل .

٢ — ان رفع القيمة الايجارية ايضا سيزيد من كم السيولة النقدية فى الاقتصاد المصرى وبالتالى مساهمتها فى تفاقم ظاهرة التضخم او الغلاء فى مصر .

٣ — ان رفع القيمة الايجارية سيزيد من الاعباء الاقتصادية لطبقة صغار المستاجرين والذين نوهنا عنهم سابقا بقولنا : ان مشكلتهم الاساسية هى عدم توفر الدخل الكافى .

٤ — ان زيادة القيمة الايجارية — مع افتراض عدم اعادة استثمار عائدها او جزء بالغ فى الزراعة المصرية — لن تساهم فى تحسين الارض الزراعية بل ستزيد فى عقبات التنمية الزراعية.

٥ — ان رفع القيم الايجارية ، مع الارتفاع المستمر فى تكاليف الانتاج الزراعى ، سيساهمان — معا — فى اخراج شريحة صغار المستاجرين من مجال الانتاج الزراعى بشكل تدريجى ، وذلك نظرا لما يرتبط به انتاجهم من تخلف فى وسائل واساليب الانتاج ، واستحالة تنويع انتاجهم الى المحاصيل ذات الارباح المجزية . هذا مع بالاضافة الى المثريات التى يمكن ان تقدم لهم من قبل كبار ومتوسطى الملاك والمستاجرين حتى يتركوا اراضيهم تحت ضغط الظروف الصعبة التى يعانونها ، الامر الذى سيحول شريحة كبيرة من شرائح المستاجرين الى جيش العمل الاحتياطى الزراعى ، مما سيكون له اكبر الاثر من الناحية السلبية فى الجانبين التاليين :

أ — بقاء جزء منهم بالقطاع الزراعى يعنى زيادة عرض العمالة الزراعية وبالتالى انخفاض اجورهم وتدهور مستوى معيشتهم .

ب — هروب جزء منهم الى المدينة املا فى البحث عن فرص عمل بديلة . ونظرا لعدم توفر مهارات انتاجية لديهم فى مجالات اخرى ومعنوية تحويلهم فى المدى القريب الى قوى منتجة متخصصة ، فان هذا سوف تنجم عنه زيادة مشاكل الهجرة من الريف الى الحضر او بالتالى تفاقم المشاكل الاجتماعية والاقتصادية فى المدينة ، وهى التى تعانى — سلفا — من تزايد سكانى مروع .

ثانيا : اعفاء الملاك الصغار من المتاجير

وفيما يتعلق بهذا المطلب ، فلقد بدو — ظاهريا — ان المدخل اليه انسانى النزعة . ويضرب المطالبون لهذا الاقتراح الامثلة تلو الامثلة لتوضيح ما تعانيه فئة من يملكون خمسة افدنة فاقل من جراء تطبيق القانون وعدم كفاية المبالغ التى يحصلون عليها لتوفير الحياة الكريمة ... ومع اعترافنا الكامل بان هذه الفئة فى حاجة الى زيادة الدخول بل هى من اكثر الفئات الاجتماعية حقا فيما الا اننا — وفى الوقت نفسه وقبل ان نعرض الاقتراح الخاص بشأن هذا المطلب — نود ان ننبه الى الابعاد ، الاكثر عمقا وراء هذا المطلب « الانسانى » من وجهة نظر البعض من النواحى التالية :

١ — ان الزراعة المصرية — كما سبق ان ذكرنا — بدأت تشهد نموا رأسماليا ، خاصة لدى طبقة كبار ومتوسطى الملاك من خلال تركيز وتكثيف الانتاج . ومن اهم مظاهر هذا النمو فى العالم الرأسمالى ضعف صغار الملاك عن مواكبة هذا التقدم او النمو . ومن هنا ، خروجهم التدريجى من مجال الملكية الى مجال العمالة الزراعية وغير الزراعية . فمن الواضح اذن ان هذه الفئة هى المصدر الرئيسى — ان لم يكن الوحيد — امام فئة كبار ومتوسطى الملاك لزيادة مساحاتهم . ومن ثم فان تحرير هذه الفئة من العلاقة الايجارية سييسر لهم الحصول على

أراضيهم وتوسيع ملكياتهم دون ما عائق من المستأجرين .

٢ — ان وجود المستأجر فى هذه المساحات أحد اسباب زيادة اسعار الاراضى الزراعية حيث انه فى الغالب لا يترك الارض الا مقابل كما ذكرنا فيما سبق وبالتالى فان اخراجهم من المساحات المستأجرة سيتيح لهم شراء هذه الاراضى باسعار أقل .

٣ — ان قبول هذا الاقتراح من شأنه ان يساهم فى مزيد من التلاعب بهدف اخراج مزيد من المستأجرين من شرائح اعلى فى الملكية . والسبيل الى ذلك سهل وميسر الا وهو تقسيم الحيازة مثلا بين الزوج والزوجة هذا اذا كانت الحيازة فى حدود عشرة افدنة ، او بين الزوج والزوجة واحد الابناء البالغين اذا كانت فى حدود خمسة عشر فدانا وهلم جرا .. اى أن المسألة يمكن ان تتسع لطرد غالبية المستأجرين وليس فقط فئة من يملكون خمسة افدنة فاقل . ويكفى أن نشير الى ان اعداد من يملكون خمسة افدنة فاقل من حق التأجير يمكن ان يساهم فى اخراج حوالى ٤٧٪ من المساحة المستأجرة فى مصر ، واخراج ٨٥٤٧٠٥ الف حائز او ٨٤٪ تقريبا من المستأجرين فى مصر وذلك وفقا للتعداد الزراعى لعام ١٩٦١ [٢] ، والذى لم يصدر بعده اى بيان رسمى بهذا التفصيل فى القطاع الزراعى .

ثم يبقى التساؤل : هل يمكن الربط بين النزعة « الانسانية » وبين الحيلولة دون نمو الزراعة المصرية رأسماليا . ان تحقيق مبدأ توفير مائد مادى مناسب لهذه الفئة أمر مقبول . غير ان تمويله يجب الا يتم على حساب المستأجرين الذين نطالب ببقائهم فى الظروف الحالية . وعلى ذلك فان الدولة تستطيع ان تلعب دورا هاما فى هذا الجانب من خلال الحصول على ضرائب من كبار ومتوسطى الملاك . وان هذه الضرائب يجب أن تكون من نوعين هما :

● ضريبة المساحة ، حيث تزداد بزيادتها ، وذلك ايمانا منا بمنطق وفورات الحجم الكبير . فزارع محصول الارز فى فدان من الناحية الاقتصادية سيكون عائده اقل من زارع هذا المحصول فى عشرة افدنة .

● ضريبة الانتاج . وتأخذ هذه الضريبة على أساس نوع المحصول المنزرع . ويجب ان تتناسب هذه الضريبة — طرديا — مع زيادة الربحية من المحاصيل المنتجة . وبديهى أنه فى ظروف الظروف الحالية ان تكون ضريبة فدان القمح او القطن او الارز او الذرة اقل من ضريبة فدان البرتقال او المانجو .. او الطماطم والبطاطس .. وهلم جرا ...

وقد يقول قائل بان مجال التلاعب ايضا والتهرب من دفع الضريبة أمر ممكن بالنسبة لضريبة المساحة حيث يستطيع المالك تجزئة حيازته بينه وبين زوجته او اولاده بما يقلل ما يدفعه الى أقل حد ممكن . غير ان وضع حدود وضوابط لهذا القانون يجب ان يتضمن عدم قبول الدولة حق تجزئة الحيازة او حتى بيعها صوريا بين الزوجة والابناء ما دام رب الاسرة على قيد الحياة . وبالنسبة للزوجة ما لم يثبت انها سوف ترث هذه المساحة .

ومن خلال هذه الحصيلة الضرائبية يمكن تقديم دعم للملاك الصغار يعينهم على مواجهة التزايد فى تكلفة المعيشة ونكون — بالتالى — قد حققنا بعضا من عدالة توزيع الدخول بين طبقات الشعب .

ثالثا : حق المالك فى اخلاء المستأجر لزراعة الفاكهة

وهذا المطلب يعنى — بالتحديد — زيادة الثروات لدى طبقة متوسطى الملاك وكبارهم على حساب طبقة صغار المستأجرين ، أو بمعنى آخر مزيدا من التمايز الدخلى فى الريف المصرى وتحويل طبقة صغار المستأجرين فى هذا العمال الزراعيين ، وهو أمر ناقشنا نتائجه فيما سبق .

وقد يبرز تساؤل فى هذا المطلب بالتحديد . فربما قيل أن الهدف منه هو تشجيع التوسع فى مساحات الفاكهة بالنسبة للسياسة الزراعية القومية . غير ان هذا الاسلوب — فى اعتقادنا — ليس بالاسلوب الامثل لتحقيق هذا الهدف ، لانه يمكن تحقيقه من خلال مزيد من دعم الدولة لهؤلاء المستأجرين بهدف زيادة المساحات المنزرعة من الفاكهة . والدولة بذلك تستطيع ان تحقق هدفين فى آن واحد : اولهما — هو الحيلولة دون تفاوت الدخول وتزايدها لدى القلة وتناقصها لدى الكثرة . وثانيهما : المساهمة فى زيادة دخول طبقة صغار المستأجرين واعطائهم ميزة المنتجين الكبار من خلال توفير مصادر التمويل اللازمة ، ومن خلال التخطيط العلمى

---

[٢] المصدر : التعداد الزراعى لعام ١٩٦١.

الواعي للمساحات المنزرعة بالمحاصيل المختلفة.

رابعا : حق تحويل الايجار من النقد الى المزارعة

ويعني تطبيق هذا المطلب مزيدا من التلاعب في العلاقة الايجارية . وهذا المطلب هو ايضا مدخل اساسي لطرد اعداد كبيرة من المستأجرين، حيث ان تلك العلاقة يصعب تقنينها وضبطها . ولا ادل على ان هذا النوع من الايجار [المزارعة] لا تقبله الغالبية العظمى من المستأجرين من انخفاض نسبته حيث انها لم تتعد ١٩٪ في موسم ١٩٧٢/٧١ [٣] ، كما ان هذا النمط الايجاري يعطي للملاك فرصة ممارسة الاستغلال المتزايد للمستأجرين ، مع الضغط المستمر على الارض الزراعية وحاجتهم لها .

وحتى اذا ما سلمنا بقبول هذا المطلب فمن الذي سيحدد نوع الانتاج ؟ هل هو المالك ام المستأجر ؟ وتبدو الاجابة بديهية وتقول المالك . لكن ماذا لو قرر المالك زراعة هذه الارض بمحصول يحتاج لتكاليف مرتفعة يعجز المستأجر عن المساهمة فيها بنصيبه او مشاركته ، ومن ثم خروجه من حيز الايجار من هذا النوع الى حيز العمل الزراعي .

خامسا : الغاء لجان فض المنازعات والاحتكام القضائي

ويرتبط هذا المطلب بالغاء لجان فض المنازعات واستبدالها بالاحتكام القضائي مباشرة . والمبرر لذلك زيادة نسبة الشكاوى والطعون في هذه اللجان . وغريب امر هذا المطلب حقا . ففي الوقت الذي تنادي فيه القيادة السياسية والتنفيذية بدور الاجهزة الشعبية في حل المشكلات المحلية نجدهم [اصحاب هذا الاقتراح] يطلبون الغاء مثل تلك اللجان الشعبية ، متذرعين بأخطائها او سوء مسلكها . وكان الاجدى ان يطالبوا باعادة تشكيلها او تطويرها لتقوم بمهامها بنجاح كما هو الحال في معظم المؤسسات الجماهيرية الاخرى . غير ان الهدف أبعد من ذلك . فهم يبغون من وراء تحقيق هذا المطلب ان يتوه المستأجر الصغير في دهاليز الحكومة وينفق عليها ذهابا وايابا من القرية الى المدينة ما لا يطيقه دخله المحدود ، بالاضافة الى طول مدة الاحتكام في قضايا الحكومة نظرا لتكدسها .. اي انه في النهاية سيترك هذه الارض ليس رغبة في التخلص من مصدر رزقه ؛ وانما تخلصا من العذاب الذي سيلاقيه حتى يحصل على هذا الحق .

كما ان هذا المطلب يعني التفاوت في امكانيات الدفاع عن الحق . فالمالك — بطبيعة الحال — هو اكثر امكانية لتوفير مقومات الدفاع عن حقه قضائيا من خلال توكيل محال كفء واحضار الشهود اللازمين الذين يمكنهم مساندته ، نظرا لمركزه الاجتماعي في القرية . في حين ان المستأجر الصغير سيبقى محدود الامكانيات ، ولا حول له ولا قوة امام هذا التفاوت في الامكانيات المادية والضغط الاجتماعي . وفي معظم الاحيان سيخرج من القضية خاسرا .

مرة اخرى ، يبقى الايجار في الزراعة المصرية سمة من سمات التخلف الاقتصادي والاجتماعي . واننا لا نعني بهذا المقال على الاطلاق الرغبة في الابقاء على ظاهرة الايجار بقدر ما نعني الحيلولة ونمو الزراعة راسماليا والتأكيد على جوانب التقدم والعدل الاجتماعي ، هذه الجوانب التي بدأناها بقانون الاصلاح الزراعي بعد اقل من شهرين من ثورة يوليو ١٩٥٢ ... وان المخرج النهائي لمشاكلنا الاقتصادية والاجتماعية في الزراعة المصرية يجب ان يرتبط بتحليل اكثر واعمق . وان يكون هدفنا الاستراتيجي كما تشير مواثيقنا السياسية هو بناء المجتمع الاشتراكي في الريف المصري . وان اية شطحات او نزعات انانية يجب ان تدرس بعناية لنعي ابعادها وآثارها لا في اطار المصلحة الفئوية بل في اطار الصالح الاقتصادي والاجتماعي العام.

وتبقى الزراعة المصرية — في هذا الاطار — احد القطاعات الهامة والحساسة . والطريق الى تطويرها شاق وطويل ومعقد الجوانب .. فقط علينا ان نرشده ، ونعي تشابكاته ، ونوفر الظروف الموضوعية والذاتية للتحول العلمي والجاد ، والمسألة بطبيعة الحال ليست اختيارا عفويا او انتقاء ذاتيا بقدر ما هي اختيار يعي واقعنا ومتطلباته ، اختيار حكمته التجربة التاريخية .

ومرة اخرى ، واخيرة ، ليتذكر اصحاب المآرب ان **الرئيس السادات** قد اكد في بيانه الاخير الى الامة باننا جزء من الفصيلة الاشتراكية .. وان الديمقراطية والحرية هما سبيلا الاشتراكية وليس سبيلان للردة .. او الاستغلال والعودة الى مجتمع النصف في المائة .

---

[٣] المصدر : الاقتصاد الزراعي [مصدر سبق ذكره] ص ٣١ .

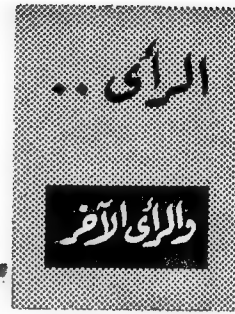

فى هذا العدد تفتح الطليعة صفحات الراى والراى الاخر ، لاكثر من كاتب واكثر من موضوع هام .

الكاتب الصحفى الكبير مصطفى بهجت بدوى يكتب من موقع تجربته الفنية وملامسته المباشرة عن موضوع اثار كثيرا من الجدل فى الفترة الاخيرة هو « المجلس الاعلى للصحافة » ..

والكاتب الاسلامى فاروق منصور يعود للكتابة مطالبا بفهم اسلامى للاسلام ، مؤكدا وبالبراهين ان مثل هذا الفهم سوف يقود بالضرورة الى القول بأنه « لا طبقات فى الاسلام » ..

ثم تقدم « الطليعة » ايضا اربعة نماذج جديدة من الكتابات ..

فلاح يتحدث عن انتصار فيتنام ويحاول ان يستخلص منه درسا مفيدا لمصر .

شابين جيل عبد الناصر ، يكتبان عن تجربة الثورة بين جيلين : منتقدا حملات التقييم غير الموضوعى والمشبوه للتجربة الناصرية ..

مقاتل .. شاعر شاب خاض تجربة الحرب يتحدث عن وفود مصر الى ثلاث مهرجانات ثقافية وادبية ..

عامل .. يناقش قضية النصاب المالى فى انتخابات العمد ..

وبعد هذه النماذج الاربع تقدم « الطليعة » رايا شابا فى مقالات د. فؤاد زكريا عن « عبد الناصر واليسار » ..

الكاتب وجيه صبياه الدين يعلق على هذه المقالات بعنوان « التجربة الناصرية بين الرؤية القاصرة للتاريخ واستخفاف الفلاسفة بعلم السياسة » ..

ثم يشارك عبد المنعم الغزالى فى الجدل المحتدم منذ فترة فى صفوف الحركة العمالية حول مدى شرعية المجلس التنفيذى لاتحاد نقابات العمال .. ومدى مطابقة تكوينه لنصوص القانون .

ـ حـــول المجـلس الأعلى للصـــحافة
ـ لا تليـــــفـــات فى الاســـــــلام
ـ ســلاح يتحـدث عن : درس فى الاســـلام
ـ شاب يتحدث عن : تجربة الغربة بين جيلين
ـ مقال يتحـــدث عن : هؤلاء الرجـــال العظـــام ورؤوسهم الطـــــــاهرة
ـ مـــائل يتحـــدث عن : شـــــروط الصـــــاب المالى فى المرشحين للعضوية
ـ الحرية الســـاسية ٠٠ والاســـتغلال الاقتصـــــادى بالديمقراطـــــية
ـ المجلس التنفيذى للاتحاد العـــام للعمال

● حـــــول المجـــلس الأعلى للصـــــحافـة

مصطفى بهجت بدوى

تحتل قضية العـــلاقة بين الصـــحافة والدولة والمؤسســـات السياسية اهمية خاصة ، وقد تزايدت اهميتها فى هذه الايام مع تكوين المجلس الاعلى للصحافة .

من فكرة « المجلس الاعلى للصحافة » ومفاهيمه المختلفـــة ، واسلوبه فى العمل ، وعن المشاكل الاخرى الخاصة بالعـــلاقات داخل المؤسسات الصحفية ، والعلاقات بين السلطة والصحافة بشكل عام يكتب الاستاذ مصطفى بهجت بدوى .

والاستاذ مصطفى بهجت بدوى مأزرنى — ولا يزال — دورا هاما ولمدى طويل فى الصحافة المصرية ، ومن هنا تكتسب كلماته فى هذا الصدد اهمية خاصة ٠٠

لعلّ اشهر العلاقات التى لم تتضح ولم تفهم وبالتالى لم تقنن ولم تمارس خلال الـ ١٥ سنة الماضية هى العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى العربى والمؤسسات الصحفية . وبدا كأننا ارتضينا جميع الاطراف المعنية الى تركها هكذا مهيمة هائمة شكلية !

والمعروف أنه فى ٢٤ مايو سنة ١٩٦٠ صدر قانون تنظيم الصحافة او بالاحرى « تأميمها » ، وان حرصت سلطة الدولة على عدم استخدام تعبير « التأميم » ، ربما تجنبا منها على ازوفسر ذلك فى المجتمع الدولى بأن الصحافة المصرية اصبحت « موجهة » أو بعبارة أخرى « حكومية » ، وان القول ما قالت رئاسة الدولة محاطا بالتأييد والتهليل فى الصحف بغير نقد أو معارضة سواء على مستوى المبادرات الفردية او مستويات انعكاس تيار الرأى العام . وفى كلية ، لاح كأنما كانت الدولة تخفى ان يهلجمها المجتمع الدولى الغربى والعربى وغيرهما بأنها قد أممت الصحافة مصادرة منها لحرية الصحافة !

وجدير بالذكر ان تأميم الصحافة — أو تنظيمها — سبق القرارات الاشتراكية والتأميمات بأكثر من سنة . لم يسبقه الاتأميم بنك مصر الذى تم فى فبراير سنة ١٩٦٠ . ولا يدخل فى هذا النطاق — بطبيعة الحال — تأميم قناة السويس فى

●●●●●●●●●●

٢٦يوليوسنة ١٩٥٦وما اعقبه منتصير للشركات والبنوك الاجنبية فى سنة ١٩٥٧ اثر العدوان الثلاثى .

كانت العلاقة اذن « غامضة » بين الاتحاد القومى الذى اصبح يقانون التنظيم مالكا للصحف ، وبين الصحف القائمة نفسها . وظل هذا الوضع مستمرا بعد تحول الاتحاد القومى الى اتحاد اشتراكى . غاية الامر ان رئيس الاتحاد القومى أو رئيس الاتحاد الاشتراكى العربى بوصفه هذا ـ وليس بصفته كرئيس للجمهورية ـ ولانه المالك للصحف وهى تابعة له كجهاز تنظيمى ، كان يصدر قرارات تشكيل مجالس ادارات المؤسسات الصحفية . كذلك فان قرارات مجالس الادارات وميزانيات سنواتها المالية كانت ترسل الى امانة الاتحاد الاشتراكى ـ على سبيل الرمز ـ فاذا لم يعترض عليها خلال خمسة عشر يوما اعتبرت معتمدة وسارية المفعول . ولست اظن ـ فيما اعلم ـ أن الاتحاد الاشتراكى اعترض على اى قرار او ناقش أية ميزانية طوال هذه السنوات ، حتى انتهى الامر الى ان المؤسسات الصحفية لم تكن تهتم بموافاة الاتحاد الاشتراكى بقرارات مجالس اداراتها ، فضلا عن ان كثيرا من هذه المجالس خلال مرحلة طويلة كانت قد حست وفرض رئيس مجلس ادارة المؤسسة الصحفية باختصاصاتها وسلطاتها .

ومع هذا كله ، فما اكثر ما تدخل الاتحاد الاشتراكى او سلطته العليا فى المؤسسات الصحفية ابتداء من الايعاز والتغيير فى قياداتها وأسرتها ، الى اصدار التعميمات والتوجيهات . ومن جانب اخر فان الصحف نفسها ـ برئاستها وتحريرها ـ كثيرا ما كانت « تملىء » الاتحاد الاشتراكى وقياداته ، بل طالما « زايدت » عليه خوفا او طمعا . وكل هذا لا ينفى أن الصحافة المصرية اعتادت ان تتحدث عن النقد «والنقد الذاتى بابلغ العبارات وكانها تنتقد ، فى حين انها كانت تساير مجريات الامور برفع الشعارات ! وهو لا ينفى كذلك أن بعض الاقلام كانت حرة وجريئة ومقاتلة سواء بالابتعاد عن النفاق الزائد وغير الزائد أو بابداء الرأى الحر فى هموم خافت أو مرتفع حتى ولو تعرضت لاسوأ المواقب .

ولسنا هنا فى مجال الحديث عن صور اخرى من التدخل فى الصحافة سواء من حيث كانت تهب رياح السلطة التنفيذية والرقابة ووزارة الاعلام « التقليدية » ، أو من حيث تسمى « الحيات والعقارب » والمخبرون والباحث وكتاب التقارير المندسون بين الصحفيين !

ولو انه فى مرحلة من المراحل بدا كانما كان كل شىء مختلطا ومتداخلا : الاتحاد الاشتراكى والسلطة التنفيذية و « عبالرة » الاعلام ومخبرو المباحث ، فلاتكاد تفرق بينهم !

وخلال السنوات الاخيرة ، ومع جو الانفتاح لمزيد من الحريات وسيادة القانون ودولة المؤسسات ومع وفرة الحديث عن هذه المعانى .. وكانت الصحافة منبرها العام المقروء ، كان للصحفيين مطلب اساسى تشاركهم فيه قطاعات شتى من الجماهير فى مقدمتهم « الشباب » ، وهو « رفع الرقابه عن الصحف » . وبالتالى حرية الكلمة من كل قيد الا ما يقتضيه النظام العام والامن القومى والحربى والقوانين غير الاستثنائية . ونبت مع هذا المطلب الاساسى وراكبه «شرط» أو ميثاق مطلوب هو « ميثاق العمل والشرف الصحفى » . واخيرا تجدد بحث عن اطار يلم شتات المؤسسات الصحفية هو « المجلس الاعلى للصحافة » .

ولقد تم بالفعل ـ ورسميا ـ رفع الرقابه عن الصحف فى ٩ من فبراير سنة ١٩٧٤ .

وعندما اجتمع وزير الاعلام فى ذلك الحين برؤساء ادارات الصحف ورؤساء تحريرها يوم اعلان رفع الرقابة «هيزء» اليهم هذا القرار ، كان الاجتماع ـ فى رأيى ـ مؤسفا حقا! ولم تكن ندرى اكان سعيدا بالفعل بصدور هذا القرار الذى انتفخ الرئيس انور السادات ثم لم يكن مؤمنا الايمان الكافى به ، وبضرورته وبتوقيته ، وبالتالى بدا كانما لم يكن سعيدا سعادة حقيقيه .. كانما يخشى عاقبة الامور . وهذه وجهة نظر ورؤية ـ على اى حال ـ تحتمل الخطأ والصواب

وكان من « قتلة الجلسه » ان جانبا منهـا « شاع » بين « تملق » البعض لسيادته بمناسبة اشرافه على رئاسة مجلس ادارة «الاهرام» ، وترددت كلمات ليست مجاملة وانما فجة، وزعم من زعم ، وكيف أن « الاهرام » قد تطور خلال اسبوع واحد الى افضل مما كان عليه ! وان جانبا آخر من الجلسه حوى « التحفظات » على رفع الرقابة بما يشبه اختفاء « الرقباء » من بقار الصحف ، لينتقلوا الى بقر « مكتب الصحافة » وتعليماته ومحظوراته واتصالاته التليفونية ! غير أنها كانت « مرحلة انتقال » ربما رؤى أنهـا ضرورية »، ولم يلبث اثرها مع الايام ومـع «شحوب وزوال» اشياء عديدة أن خف كثيرا .

ولكنه كان هيدا حقيقيا رغم كل شىء يستطيع أن يفرض نفسه ، كما أنه يتفق مع ايمان السادات المتأصل بمعنى الحريات وسيادة القانون ودور الصحافة الحقيقى التى لها ـ مثل سائر المؤسسات ـ حق «التجربة والخطأ»

ومع «ورقة التطوير» التى قدمها الرئيس السادات فى أغسطس الماضى وطرحها للبحث والرأى والتحليل والحوار الواسع حول الاتحاد الاشتراكى وكيف يمكن بناؤه من جديد على أساس أرسخ وأفعل : مستفيدا من تجاربه الماضية ومن الممارسة ومن عبرة الركود ، ومجرد انتظار التعليمات وعدم المشاركة الحقيقية فى البناء السياسى وفى الرقابة الشعبية والمتابعة ، ومستفيدا أولا وقبل كل شىء من تجربة ونجاح « حرب رمضان » ، كان « دور الصحافة » الجديد مطروحا هو الاخر .

ولقد عجل بمناقشة « حرية الصحافة فى اطار تطوير الاتحاد الاشتراكى » وحدد مسارها ، ما انتهى اليه اجتماع الرئيس السادات برجال الصحافة فى مقر رأس التين يوم ٢٨ اغسطس ١٩٧٤ ، من تشكيل لجنة ثلاثية يرأسها الامين الاول للجنة المركزيه للاتحاد الاشتراكى ويكون من اعضائها وزير الاعلام ونقيب الصحفيين لوضع الاطارات المطلوبة بما فى ذلك دور الصحافة وعلاقتها بالاتحاد الاشتراكى ووضع الصحفيين مهنيا وماليا ، وبحث انشاء المجلس الاعلى للصحافة ، وصورة ميثاق العمل والشرف الصحفى . وقد صب نتاج عملها فى اللجنة الرباعية التى كانت قد تشكلت هى الاخرى لدراسة نتائج بحث ومناقشات تطوير الاتحاد الاشتراكى والتى رأسها رئيس مجلس الشعب بعضوية رئيس الوزراء ، ونائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية ، وأمين أول اللجنة المركزية ، وانضم اليها فيما بعد وزير الاعلام ، وكان أمين سرها هو أمين الدعوة والفكر بالاتحاد الاشتراكى .

ولقد رأت « اللجنة الثلاثية » لتطوير الصحافة أن تعقد اجتماعات فى دار نقابة الصحفيين يناقش فيها اعضاء المهنة مشاكل مهنتهم ودورها ومستقبلها وعلاقتها بالاتحاد الاشتراكى الخ .

وفى أوائل سبتمبر ٧٤ ، دعا نقيب الصحفيين اعضاء النقابة لهذه المناقشات ، بعد ان قدم لها بمذكرة عن « وضع الصحافة ومقترحات تطويرها » وزعت عليهم ، وكان عنوانها « الصحافة المصرية بين الواقع والممكن والامل » . وأرفق بها مشروع ميثاق الشرف الصحفى المقرر فى الجمعية العمومية للصحفيين المنعقدة فى شهر ديسمبر ١٩٧٢ ، ومشروع لائحة أجور الصحفيين ، ومشروع قانون المجلس الاعلى للصحافة .

وبالفعل تم عقد ثلاثة اجتماعات بدار نقابة الصحفيين فى الايام ٧ر٨ و٩ من سبتمبر ١٩٧٤ . وكما كان متوقعا فقد ذهبت فيها الاراء مذاهب شتى ، من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب ، ولكنها أجمعت على شىء واحد بالتحديد : مطلوب مزيد من حرية الصحافة .

وتلا هذه الندوات اجتماعات اخرى فى الدور الصحفية لمزيد من المناقشات التفصيلية ، ربما خرج بعضها عن القصد المطلوب ، ولكنها أيضا كانت تلح على نفس الشىء مع تمسك بلائحة الاجور .

وفى ختام المطاف لهذا الجزء الاول الذى كان من صميم مهمة اللجنة الثلاثية ، توجه وزير الاعلام للاجتماع بالصحفيين داخل كل مؤسسة لاستطلاع آرائهم عامة ، وتصورهم للمجلس الاعلى للصحافة على وجه الخصوص .

ثم بدأت سلسلة جديدة من الاجتماعات بين اللجنة الرباعية برئاسة رئيس مجلس الشعب ورؤساء مجالس ادارات الصحف ورؤساء التحرير وكبار الكتاب فيها ، ثم بعدد آخر من الصحفيين وهكذا . وكان أهم ما جاء فى « جدول الاعمال » هو المجلس الاعلى للصحافة ، يكون أو لا يكون .. وكيف ؟

ومن الوهلة الاولى ، قد يبدو أن الصحفيين ارادوا « المجلس الاعلى للصحافة » بشدة ، كما ارادته الدولة بشدة أيضا سواء ابتداء أو استجابة . فى حين انه قد يرى من يرى — من بعض الشواهد — انه لا الصحفيون القدامى متحمسون له ولا الصحفيون الشبان كذلك .. أو هم متحفظون نحوه بعض التحفظ ، ولا الدولة هى الاخرى بالغة التحمس له . ولكن الاتجاه الواضح الذى أعلنته وأكدته الدولة هو أن يكون للصحافة وضعها كمؤسسة فى دولة المؤسسات .

ومن الصعب أن يخرج المرء بتحليل دقيق ووافٍ وشاف فى هذا الشأن ، وهو على أى حال ليس هو « بيت القصيد » ، وانما المهم أن ينجح المجلس الاعلى ، وأن يؤكد أنه اضافة حقيقية يثبت ايمان المؤمنين بضرورته ، ويذيب تحفظ المتحفظين .

ولكن كيف نشأت فكرة المجلس الاعلى للصحافة ؟

يقول الاستاذ حافظ محمود : « لقد كان لى شرف التقدم بهذه الدراسات الى الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى فى ديسمبر سنة ١٩٦٥ . وتفضلت جريدة الجمهورية مشكورة باجراء حديث معى — أقصد مع نقيب الصحفيين اذ ذاك — ونشر هذا الحديث فى ١٤ ديسمبر ٦٥ تحت عنوان تنظيم الصحافة ووضع دستور جديد للهيئة وانشاء مجلس أعلى للصحافة » .

وترى هل مثل هذا المجلس « بدعة » ليس لها نظير فى العالم ؟ قطعا لا ، فنظائره موجودة ، ولعل أشهرها وأقدمها « مجلس الصحافة » فى

بريطانيا الذى يضم أصحاب الصحف وممثل الملكة وممثل القضاء ، وبعض الشخصيات ويجتمع – أساسا – مرة فى السنة وهو يعنى أكثر ما يعنى بوضع تقرير سنوى عن الصحافة هو المرجع التاريخى والتحليلى والتطويرى. ثم انه يقترح اضافة أو تعديل ما يراه مناسبا فى قانون المطبوعات والنشر ، أو يتقدم بالتشريعات المناسبة مع حرص تقليدى على « حرية الصحافة » . وله أن يحاسب رؤساء تحرير الصحف المحاسبة الادبية ..

ولكنه هنا فى مصر « تجربة جديدة » لعلها أن تكون « قتلت » بحثا الى أن صدر قرار رئيس الاتحاد الاشتراكى العربى بانشاء المجلس فى ١١ مارس ١٩٧٥ .

وفى رأيى أن المجلس الاعلى للصحافة مفيد للصحافة وللرأى العام ، وينبغى أن يكون مفيدا .

فاذا ما تناولنا اختصاصاته – وهى اللب والجوهر والكيان – كما وردت فى قرار تشكيله ، فاننا نستطيع القول انها نجحت الى حد بعيد فى « استقلال » و « علو » و « مفهوم » مهمته التى تتكامل مع مجلس نقابة الصحفيين بغير تداخل ولا حساسيات ..

ولكنها قد تحتاج الى « تأمل » و « ايضاح » و « تشجيع » أكثر تفصيلا ..

أولا ، فيما يتعلق بميثاق الشرف للعمل الصحفى المنوط بالمجلس وضعه ، فلقد يكون « معدا » ولا يتطلب أكثر من تعديلات طفيفة اذا اقتضى الامر . و « الروح » هنا تأتى قبل « النصوص » .. والتطبيق العملى هو الذى يحسم ويوائم بين الروح والنصوص . ومن هنا « فمتابعة تنفيذ » ميثاق الشرف اهم من الميثاق نفسه . فلكم كان لنا من مواثيق عظيمة ذهبت بددا فى التطبيق ، وأصبحت أعلاما مليئة بالثقوب حتى لكأنها « فارغة » أو « منكسة » ! ولكن هذا النص او الاختصاص الاول جاء محكما ومتفهما لانه يوضح حكمة وضع ميثاق الشرف للعمل الصحفى ومتابعة تنفيذه ، لا لفرض قيود وانما « ضمانا لحرية الصحافة مع مراعاة المصلحة العامة ومصالح المواطنين بحيث تحتل الصحافة مكانتها بصفتها احدى السلطات المستقلة والعاملة فى اطار دولة المؤسسات » .

ولقد ينشأ « الجدل » عند التطبيق ، غير أن الامر الحيوى هو التطبيق نفسه ، ثم بعد ذلك ما يثور من جدل وأخذ ورد حوله لا شك ان « محصلته » سوف تجىء « صحية » .

غير أن المحاسبة و « التأديب » على مخالفة ميثاق الشرف بعد أن يكتشفها وينظر فيها المجلس الاعلى متروكان ، أو محالان الى نقابة الصحفيين ، اذ تنص المادة الرابعة على أنه « يكون للمجلس الاعلى للصحافة عند مخالفة الصحفى لميثاق الشرف أن يطلب من نقابة الصحفيين النظر فى أمره واتخاذ الاجراءات القانونية المناسبة معه » .

وهكذا فلا تغل يد المجلس الاعلى للصحافة عن « حق النظر فيما ينسب للمؤسسات الصحفية من مخالفات لميثاق الشرف الصحفى ، كما يكون له الحق فى النظر فى الامور المتعلقة بضمان الحقوق المقررة للصحفيين ، وذلك ما عرض له البند [١] من المادة الثالثة فى الاختصاصات ، ولكن مع تحفظ بأن ذلك ينبغى أن يتم ، مع عدم الاخلال بالنصوص الواردة فى قانون نقابة الصحفيين ، كما أشرنا آنفا ..

ثانيا : من اعقد ما يواجه العمل الصحفى « الداخلى » خلو ساحات المؤسسات الصحفية – تقريبا – من لوائح محددة للقواعد المهنية وللاجور والمرتبات والعلاوات الخ .. ولطالما اتهم رؤساء مجالس الادارات ورؤساء التحرير – بالحق حينا .. وبالباطل حينا – أنهم يتصرفون « على هواهم » فى المهنة وفى العاملين بها . ومن ناحية أخرى قد يتصور بعض الصحفيين العاملين فى المؤسسات الصحفية أن لهم من « الحقوق » ما ليس لهم ، وكل هذا « وارد » مادام الامر متروكا للتقدير الشخصى الذى قد يصح وقد لا يصح ، ولمجرد الادراك الذى قد يتسع وقد يضيق ، وللخلق بمفهومه العام الذى قد يطيب وقد يسوء .. ذلك كله محتمل بل مؤكد طالما كانت القواعد المنظمة المنضبطة غير قائمة .. مهما أعلن الرؤساء انهم يتصرفون بموجب « العرف » – وأين هو ؟ .. وقد يكون ستارا وهميا فحسب – ومهما طالب المرءوسون بما طالبوا به تحت اسم العرف أيضا ..

اما الشق الثانى والبالغ الاهمية ، كذلك فهو ما يتصل بالاجور والعلاوات . ولا جدال أنها تختلف من مؤسسة صحفية الى مؤسسة صحفية أخرى وفقا لظروفها المالية .. وقد تحكمها نظم من خلال منشورات تحدد الموعد و « النسب » والحد الادنى والحد الاقصى فى مؤسسة ، وقد تكون مطلقة فى مؤسسة أخرى . ويبقى أن عددا من الصحفيين – فى هذه وتلك – لا يتخيلون الا أن العلاوات انما تصدر عن الهوى والقرب والبعد واستخفاف الظل واستثقاله ! واذا لم يكن من الميسور اقامة الدليل من جانبهم على أن هذا أسلوب متبع وشائع ، فليس من الميسور كذلك اقامة الدليل على عكسه .. فسوف يبقى « الشك » مثارا ولو فى نطاق محدود ..

لذلك فمن الصالح – كما جاء فى البند ب من المادة الثالثة – « وضع اللوائح المنظمة للعمل داخل المؤسسات الصحفية ، سواء ما يقبل منها بالقواعد المهنية ، او اجور الصحفيين ، لضمان العدالة بين

العاملين فى المؤسسات الصحفية وبلا اخلال بروح الابتكار والابداع »

ومن المسلم به ان هناك مؤسسات صحفية « غنيه تادر » واخرى « فقيرة ملجزة » ، ولسنا هنا فى مجال تقصى الاسباب ، فالنتيجة ايا كانت هى أن « الفوارق » ملموسة .

ولقد اقترحت النقابة فى مذكرتها حول الاجور وفى مناقشاتها ان يقام « صندوق دعم » تسهم فيه الدولة لمواجهة متطلبات تطبيق لائحة الاجور والعلاوات فى المؤسسات الصحفية .

ومع التسليم بصعوبة الظروف الاقتصادية التى تجتازها الدولة ، الا أن مثل هذا الصندوق قد لا يكون منه مفر ، اذ انه بالفعل « ضرورة » ولو مؤقتة الى ان « يتصلح الحال » مع العمل على صلاحه !

تبقى هنا نقطة فى « غاية الاهمية » لابد أن ترسخ فى أذهان الجميع لانها تأكيدفكرى وعملى لحرية الصحافة والصحفيين ،واعنى بها أن يؤمن الجميع — قبل صندوق الدعم وبعده — أن الصحفيين ليسوا موظفين عموميين .. ليسوا تابعين « للحكومه» يحصلون على اجرهم منها . ذلك أن التصور بأن السلطة التنفيذية هى التى تعطى وتمنع يخل بأهم اسس المسحافة ، و « يضرب » ويخر الجانبين .. الصحافة والسلطة التنفيذية . ويصيب « استقلال الصحافة » فى الصميم .

الصحافةوالصحفيونليسوا « طبقة متميزة » ، ولا ينبغى أن يكونوا ، ولا يتقبل أحد انهم كذلك . وكون الصحافة تحرص على الا تكون « تابعة » للسلطة التنفيذية أو للادادة الحكومية لا يعنى انها « تترفع » عن ذلك أو « تتميز » عنها ، انما هذه طبيعتها،وطبيعة الاشياء ، ورسالةاورسالة المجتمع أن تكون — بحكم التجربة — منبراً حرا للراى العام وجهاز رقابة شعبية مستقلا . وهوما رمى اليه قرار انشاء المجلس الاعلى للصحافة واشار فى قوله « بحيث تحل الصحافة بكافتها بصفتها احدى السلطات المستقلة والعاملة فى اطار دولة المؤسسات » .

و « للتقريب » — فيما يخص تمويل « الدولة » جزئيا للصحافة — هناك نموذجان : هما مجلس الشعب الذى تتحمل الدولة بكافة اعضائه دون ان يؤثر ذلك أو يتعارض مع رقابة المجلس على اعمال الحكومة ، وتقديم الاسئلة والاستجوابات لرئيس الوزراء والوزراء ، كذلك القضاة ، التى تتحمل وزارة العدل مرتباتهم ولا يتنافى ذلك — بالطبع — مع تجرد المحاكم وأصدارها الاحكام « ضد الحكومة » عند اقتضاء قواعد القانون والحق والعدل . وهذان النموذجان هما المثلان اللذان ضربتهما المذكرة التفسيرية التى قدمها مجلس النقابة حول لائحة الاجور المقترحة وصندوق الدعم للتاكيد — من باب اولى — الا تعارض ولا تبعية ولا تاثير على عنصر الاستقلال ..

ثالثا : وريمايخلق فى هذين النطاقين [اولا وثانيا] من الاختصاصات ما ورد فى المادة ٣ بند [د] حول « دعم المؤسسات الصحفية واقتراح الوسائل التى تؤدى الى فعاليتها فى تاكيد حق المواطنين فى الرقابة الشعبية ، وضمان حقوق الصحفيين فى التعبير عن قضايا المجتمع » . و«التنسيق بين المؤسسات الصحفية المختلفة وكذلك بينهاوبين المؤسسات المختصة بالمجال الاعلامى ، او سواه من مجالات العمل المشتركة لتحقيقالتكامل بين مؤسسات الدولة » — وهى البند [ج] من المادة الثالثة — الا صورة من نفس الاختصاصات لتكون اشمل واكمل ..

كذلك فان البند [ط] من المادة الثالثة الخاصة بالاختصاصات حين يواجه موضوع التشريعات والقوانين المتعلقة بالصحافة بنصه على أن « يكون للمجلس الاعلى للصحافة حق دراسة ما يراه ضروريا من تشريعات وقوانين تؤدى الى النهوض بمستوى الصحافة والصحفيين ،والتقدم بما يراه من توصيات واقتراحات الى الجهات المسئولة فى هذا الشان » فانه بذلك يستكمل الحلقات المعلقة بتطوير وتجديد المهنة ، مثلما فعلت الاختصاصات فيما أوردته بين أولا وثانيا .

ومن البديهى أن هذه التشريعات والقوانين « الضرورية » التى تنجم عن الدراسة لن تكون « مقيدة » للصحافة وحريتها بأى حال من الاحوال ، وانما تؤدى — كما حدد البند المذكور — الى النهوض بمستوى الصحافة والصحفيين . فطالما آمن وطالب رئيس الدولة بمزيد من الحرية للصحافة وأطن ذلك فى كل مناسبة يجتمع فيها بالصحفيين ، حتى وهو يوجه اليهم العتاب « ولعل هذا الاختصاص هو من بين مايسلكه فى اختصاصه مجلس الصحافة بريطانيا .

ولقد يكون من المناسب أن « نقتبس » ايضا مسلك المجلس البريطانى فى « أهم » منجزاته ، واعنى به « التقرير السنوى عن الصحف والصحافة » كعملية تقييم شاملة يمكف عليها خبراء محايدون وواعون تبين الخيط الابيض من الخيط الاسود ، فتكون مرجعا تاريخيا وسجلا حقيقيا لحركة المجتمع التى تنعكس فى مرآة الصحافة ، مواكبا لتطوره وتطورها ، مؤثرا عليهما بغير افتعال ولا تمنت ولا املاء .

رابعا : عندما يختص المجلس الاعلى للصحافة بالتخطيط « للتوسع الافقى والرأسى للصحافة مع توفير احتياجاتها المختلفة والعناية بوجه خاص

بالصحافة الاقليمية والمتخصصة » كما ورد فى البند [هـ] من المادة الثالثة ، كما « يختص المجلس باصدار الصحف والترخيص بالعمل فى الصحافة للصحفيين » كما جاء فى البند [ج] من المادة المذكورة ، فانه يتصدى لمشكلة مزمنة تعثرت حلولها طويلا .

عدد الصحفيين يتزايد من ٥٠٠٠ الى حوالى ٢٠٠٠ فيما يقرب من عشر سنوات . خريجو قسم الصحافة ومعهد الاعلام لا يجدون عملا فى الصحف . لم تصدر جريدة يومية واحدة جديدة منذ سنة ١٩٥٦ .. على العكس اختفت واحدة مسائية فى سنة ١٩٥٨ هى « جريدة القاهرة » وأخرى صباحية فى سنة ١٩٥٩ هى « جريدة الشعب » . فشلت كل مشروعات الصحف الاقليمية المأمولة عبر الثلاثين سنة الماضية ، المجلات المتخصصة تظهر وتختفى فى المناسبات وتبعا لنفاذ او عدم نفاذ الاعتمادات المخصصة لها . عدد كبير من الصحفيين المقيدين فى جدول المشتغلين .. غير مشتغلين وبلا عمل تقريبا . آلات الطباعة الحديثة التى تساير تطور احتياجات العصر وتطور طباعة الصحف العالمية .. نسمع عنها ولا تكاد تتجاسر مؤسسة صحفية على استيرادها .

كل هذه حقائق وعقبات غير خافية ..

كيف سيواجه المجلس الاعلى هذه المشكلات جميعا .. كان الله فى عونه ؟ !

من المسلم به أن « ألف باء » تخطيط التوسع الافقى والتوسع الرأسى فى الصحف والعناية بوجه خاص بالصحافة الاقليمية انما هو مرتبط أشد الارتباط بألف باء « تخطيط بناء الانسان المصرى» اعنى التربية ـ بمفهوم التربية السياسية والخلقية والدينية المتفتحة والفكرية والاجتماعية .. أو الاشتراكية ـ والتعليم ، وقبل كل شىء « محو الامية » .. تلك الوصمة التى أزمنت شكوانا منها وعجزنا فيها بينما استطاعت دول أخرى أن تمحوها بما يشبه جرة القلم .. اقصد العزم والعمل الجاد المتبتل .

ومن هنا فالطريق صعب ، ولكنه ليس مستحيلا . فلنأخذ خمس سنوات اوعشرسنوات او اقل او اكثر ، ولكن فلنخطط له حقا ولنعمل له فعلا .. ولنبدأ ـ مرة ـ على أساس سليم لا يتردد ولا يتقاعس ولا ينقطع .

التوسع الرأسى والافقى للصحافة ليس هدفا فى ذاته ولكن الهدف الحقيقى هو التوسع الرأسى والافقى للعلم والمعرفة والثقافة وممارسة الحريات السياسية والاجتماعية .

ولطالما سمعنا من « يمصمصون الشفاه » على « الماضى » عندما كان لدى مصر عشرات الصحف اليومية والاسبوعية .. ولسنا ضد أن يكون لنا ذلك بالطبع ، ولا نحن سعداء بأن الصحف اليومية الان فى بلد يقترب تعداده من الاربعين مليونا هى ثلاث صباحية وواحدة مسائية فقط ، ومجلات يقصر جهدها عن ملاحقة المجلات اللبنانية والعربية طباعة ومادة للاسف الشديد . غير أنه عند التقييم لابد أن توضع فى الاعتبار ظروفنا الاقتصادية ومعاركنا المختلفة ، كما يحسب « عدد » من كانوا يقرأون تلك العشرات من الصحف والمجلات وعددهم الان الذى تضاعف بالتجمع وبزيادة السكان ، كما نسأل أنفسنا : من كان هؤلاء الذين يصدرون الصحف والمجلات ويمولونها وكيف ؟ وذلك كله مع مقارنة ماكانت تتحمله عملية الاصدار وقتئذ من تكاليف ميسورة يمكن أن تحقق أرباحا بما تتكلفه الان عمليات الاصدار والنشر التى زادت عشرات الاضعاف بحيث لا تبقى ولا تذر ارباحا .. هذا اذا استطاعت الصمود .

ومن المنطقى أن يقودنا ذلك الى اختصاص المجلس الاعلى باصدار الصحف والذى كان موكولا للاتحاد الاشتراكى العربى من قبل . وفى كلمة نقول : نحن لا نصادر على حق اصدار صحف جديدة فهو ـ بالتقدير العام ـ دعم لحرية الكلمة والصحافة ، والهاب للمنافسة الشريفة النظيفة المشروعة ، واستيعاب « للطاقات العاطلة » . غير أن المطلوب فقط هو التدقيق والتحقق من سلامة النوايا والقصد والاهداف ، والاطمئنان الى « مصرية التمويل » . ولا نزيد فنقول «وحماية المجتمع» ، فذلك من ناحية أمر مفترض ومفروغ منه ، وذكره من ناحية أخرى كثيرا ما يثير «النعرات» وأشباه « الحروب الصليبية » ضدنا ! فى حين أن حماية المجتمع هى ـ فى بساطة ـ حماية المجتمع بحق . وأرجو ألا نكون بذلك كمن يفسر الماء بعد الجهد بالماء !

خامسا : وقد لا يستوجب هذا الاختصاص أن نخصص له فقرة قائمة بذاتها . فهو بند أشبه « بالاحكام الانتقالية » أو بالشىء الذى يقرر لمرة أو لفترة والسلام » واقصد بهذا الاختصاص ما ورد فى البند [ز] من المادة الثالثة عن « تولى المجلس تحديد النسبة المئوية التى تخصص من حصيلة اعلانات الصحف لتغطية احتياجات صندوق معاشات الصحفيين » .

وقد اخذ بهذا النظام لاول مرة فى قانون نقابة الصحفيين المعدل والصادر فى سبتمبر سنة ١٩٧٠ ، اذ قرر تخصيص نسبة يحددها قرار تال من رئيس الاتحاد الاشتراكى العربى .

ونخال أن هذا القرار قد صدر بالفعل منذ ثلاثة أعوام وهو ١٠ فى المائة من حصيلة الاعلانات لصندوق المعاشات ..

غير أن النص عليه فى اختصاصات المجلس الاعلى يفيد انه محل اعادة نظر .

تلك هى الاختصاصات على سبيل الحصر تناولناها بشىء من التفصيل ، وذلك ـ كما قدمت ـ رغبة فى التأمل والايضاح والتشجيع .

أخيرا فبقيت من « الاجتهاد » نجد أن من الواجب ومن الامانة قبل أن نختم هذا المقال لاختصاصات المجلس الاعلى للصحافة ولجانب من وضع الصحافة المصرية ـ وقد عشت طويلا فى تياراتها وسمومها ، وكابدت صراعاتها ، ولمست اشراقات وضيئة كثيرة ، وأسفت لحالات وضيعة قليلة ـ ان نبدى ملاحظتين فى نهاية المطاف :

الاولى : أن ثمة « عناصر فى الصحافة المصرية لعلها تسىء اليها والى قيم كثيرة ، ولكن الصعوبة هى « من يحكم على من ؟ » و « ما هى المعايير ؟ » ! وفكرة « تطهير الجدول » مخيفة وغير مأمونة ويمكن أن تستغل استغلالا سيئا ، وهى بالتالى مستبعدة ابتداء وانتهاء .. فضلا عن ظاهر تعارضها مع الحريات وسيادة القانون .. فما هو الحل اذن ؟

فيما نرى أن هذه « العناصر » تكشف نفسها بنفسها ، وبالتالى من حتمية التاريخ ـ اذا لم تتصلح ، وبالمناسبة تبدو عفونتها آتية من أن تتصلح .. والله أعلم ـ فانها سوف تتنزل عن الجماهير وعن الراى العام الذى هو الراى النقى ، مهما حاولت التوصل والاستمرار بوسائل « القطيع » ببعضها البعض . ومهما بدت لفترة ـ تطول أو تقصر ـ وأسبقة الانتشار والهيلمان . فقاعدة « لا يصح الا الصحيح » أقوى فيما أظن وأرجو من حكاية « الصلة الوديئة تطرد الصلة الجيدة » !

الثانية ، من العدالة بل الضرورة ـ بغير تصور أن فى ذلك اى معنى للاثارة أو التحريض ، فيما ليسا واردين ، وليسا مما نتصف به لا من قريب أو بعيد ، وانما نبتغى وجه الله .. وجه الحق ـ أن المجلس الاعلى حين يصح « النوائح المنظمة للعمل داخل المؤسسات الصحفية سواء ما يتصل منها بالقواعد المهنية أو أجور الصحفيين » فانه سوف يراعى أن يشمل ذلك كل المشتغلين فى المهنة صحفيين وعمالا وموظفين . وعندنا أن هذه ـ على الاقل من ناحية استكمال الشكل ـ هى « حكمة » النص فى تشكيل المجلس على أن يكون « رئيس النقابة العامة للطباعة والنشر » أحد أعضائه .

وعلى الله قصد السبيل .

التفسير الاسلامى للاسلام

● لا طبقـــات فى الاســـلام

فاروق منصور ●

ليس هذا المقال مجرد استمرار لحوار قديم دار ـ بحماس بالغ ـ على صفحات الطليعة وأسهم فيه بقدر كبير الكاتب الاسلامى فاروق منصور ، لكنه ـ وبالاضافة الى ذلك ـ محاولة جادة لتقديم أفكار جديدة تستند الى فهم عميق للمفاهيم الاسلامية وللواقع المعاصر معا ..

أن فاروق منصور يقدم ـ فى دراسته هذه ـ الادلة المستمدة من الاصول الاسلامية ليؤكد بها منهجه « لا طبقات فى الاسلام » مؤكدا انه بذلك انما يقدم « التفسير الاسلامى للاسلام » .

نحاول فيما نكتبه هنا بذل أقصى جهد لمعرفة الاسلام على حقيقته ، واكتشاف جوهره الصحيح النقى فى صورته المثلى كما أرادها الله ـ تبارك وتعالى ـ وكما جاء الكتاب والسنة يؤكدانها .

وكما نطق به واقع الحياة فى ظل الدولة الاسلامية فى عصور ازدهارها . وهو نفس ما أضنى الفقهاء المسلمون العظام تبيانه وتأكيده فكرا وسلوكا وانفقوا عمرهم فى سبيل اتباعه والتسليم بأن لا

● ـ رئيس قسم التراث بأخبار اليوم .

اسلام بلا اتباع للكتاب والسنة ، ولا عقيدة بلا سلوك يفسر النص فى حركة ويجعل من الآيات واقعا ، ومن الاحاديث عملا .

ولنها لمحاولة شاقة تلك التى يحاولها اى انسان لمعرفة الاسلام على هذه الصورة ، وتفهمه فى ظل هذا المنهج . والمشقة لا تأتى من الاسلام . فالاسلام لا غموضية فيه ولا غموض . ولكن المشقة كلها تجىء من محاولات البعض الاتجار بالدين ، وتحويله من منهاج حياة الى مبلمة ، من مسئولية الى شعار ، ومن ممارسة يومية جادة وحقيقية الى مزايدة موسمية ، واجراس تحت الطلب ، أو تيما لاوامر من يدفع ، أو من يخشى غضبه ، ويطلب وده ويحقق نفاقه مغنما .

الحقيقة هى الهدف

لنكن هذه المحاولة اذن فى سبيل ما هو حق وخير ، تستهدف وجه الله . غير مبالية بما يثار حولها من جدل ، وما يوجه اليها من تجريح أثم وادعاء كذوب . ان وقتا يضيع فى الاصغاء الى ما تهمهم به نفوس رضيت ان تباع فى سوق النخاسة هو خسارة يجب الا نقدم عليها ، وان نقاشا غير موضوعى مع أولئك الذين باعوا أقلامهم وباعوا ضمائرهم ، عمل غير اسلامى .

ان المطلوب اليوم هو بذل الجهد لمعرفة الاسلام . وهذا لا يمكن ان يتحقق فى الرد على شخص بعينه أو أشخاص بذاتهم نجد ان فى اقوالهم وسلوكهم ما يناقض الاسلام ويصادم جوهره . انه فى الامكان أن نتناقش وأن نتجادل لنخلف أو نتفق ، يدلى كل منا برأيه ويؤيد وجهة نظره كيفما شاء . ولكن مثل هذا النقاش ليس مطلوبا وليس مقبولا ، ما لم يكن مستهدفا المعرفة الحقة واكتشاف الطريق الصحيح ، لانه باستهدافه المعرفة والطريق ، يتحول الى جهد مفيد يعلى البناء ويقوى العزم ويدفع الى الامام قدما ».

يوم كان الدين حياة

انه لامر مخجل حقا ، بمقياس العصر ومفاهيمه العلمية ، كما أنه سلوك آثم بحكم الاسلام ومفاهيمه ومنطقه أن يقف البعض باسم الاسلام ليحجروا على الفكر أو يكفروا الناس . لانهم فكروا فيما هو افضل لحياتهم ، وراحوا يبحثون عن طريق يعود على المجموع بالخير والسعادة . وفى الوقت الذى استطاع الانسان فيه أن يصل الى القمر متجاوزا الجاذبية الارضية يمنع المسلم من أن يجتاز نهرا

قال به انسان منذ الف عام ، ليفهم الاسلام فهما عصريا على اساس من العلم والمعرفة . ان هذا الجمود ليس من الاسلام ، ولا نجد نصا يلزم به ، أو عقلا يستطيع ان يسلم بأنه امر محمود .

لقد مرت عصور على المسلمين كانوا مسلمين حقا ، فسروا الدين على انه حياة ، وعاشوا حياتهم قيمه ومبادئه . كان الواحد منهم يحفظ الاية من القرآن الكريم حفظا جيدا ، يتلقاها عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم يربى نفسه بها وينظم سلوكه وفق هديها . فاذا ما أقامها فى ذاكرته نصا محفوظا واقامها على حياته واقعا حيا وسلوكا مطبقا ، كانت جزءا منه وكان جزءا منها ، اطمأن به عقله وطابت بها نفسه ، آمن بها ودعا اليها . فانتظمت الحياة فى المجتمع الاسلامى ، وانتظم المسلمون ، عقيدة وسلوكا ، واستطاعوا ان يبنوا حياة كريمة ويقيموا حضارة انسانية كاملة ».

يوم غابت الفكرة

ثم جاءت عصور مظلمة ، غابت العقول المبصرة لتسود السكهانة ، ذهبت الفكرة لتحتل مكانها الخرافة . ونسى الناس دور العلم والداعية ليواجهوا الجهل والتأخر ، فقعدوا فى ليلهم ما يضيئه وافتقروا فى نهارهم الى ما يصلحه . ومثل هذه العصور المظلمة لا يمكن ان تحسب على الاسلام أو تلقى مع هديه ، لان الاسلام اصلاح للحياة وللنفوس . وحركة تستهدف تغيير المجتمعات الى الافضل والارقى . ومن ثم كانت الدعوات الاصلاحية التى عرفها العالم الاسلامى فى فترات من تاريخه . ولكن الدعوات الاصلاحية لسبب أو لاخر لم تحقق كل ما دعت اليه أو ما قامت تفاضل من أجله . مما جعل كثيرا من المسلمين فى حيرة من أمرهم ، وفى شك من قدرة دينهم ، وفى قلق من غيرهم . ولكنهم لم ييأسوا . بل ظلوا دائبا بين أمرين : أمل فى رحمة الله وانتظار معونته . أو استسلام مريض ويأكل قاتل فلذوه ، ايمانا . والايمان ليس كذلك فى حقيقته وكما جاء دينهم يدعوهم اليه .

الاسلام : لكل الناس

ولقد حان الوقت لكى يفكر المسلمون من جديد فى حياة فيها الخير لهم ولغيرهم ، لان الاسلام ليس وقفا على اتباعه . بل ان خيره يمتد ليصل حتى الى أولئك الذين لا يؤمنون به ما داموا لا يشهرون عليه سلاحا ولا يوجهون ضده عدوانا ولا يتقاولون

اتباعه بأذى . يقول تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين : انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون » [١] .

الاسلام فى فهم جديد

ولما كان المسلم لا يمكنه ، دينا وعقلا ، أن يفكر بعيدا عن الاسلام أو بمعزل عنه ، فان الاساس الفكرى الذى يجب أن يبنى عليه فهمه ويشيد من لبناته بناءه هو الدين . يعود اليه ليفهمه من جديد . ثم يفهم عصره فى ضوء تعاليمه ، ويحاول أن يفيد العصر من هذه التعاليم السامية ، مطورا حياته بالدين ومطورا مفاهيمه بما أحرزه العقل من تقدم وما أضافته التجربة الانسانية من أساليب صالحة تتمشى مع الدين وتتفق مع قيمه وتخدم اهدافه . أى أن المسلم يجب أن يبذل جهده لتغيير واقعه بهدى الدين ، وعندما نصل الى هذا نكون قد حق علينا غضب من لا يعلم ، ولعنة من لا يؤمن ، ونالنا لسان من لا يصدق . وانه لامر مرهق ومزعج ، ولكن أيا كان شأنه فانه لا يغير من ايمان مؤمن ، أو يهز اعتقاد من صدق .

الاسلام الذى لا يخاف

ان مرحلة جديدة من التفكير الاسلامى يجب أن تبدأ ، يقوم بها كل من آمن بالله وفهم حقيقة اسلامه . تبغى هذه المرحلة تقديم الاسلام الصحيح للناس واصلاح حياتهم على أساسه نقل الاسلام الى واقع الحياة . وهو ما لم يتحقق الا بالفهم الواقعى للاسلام . الاسلام الذى لا يخاف الفكر ، بل يصنعه . لا ينكمش أمام أى جديد ، بل يناقشه ويتعامل معه ويؤثر فيه ويجدد حركته من هذا اللقاء ومن ذلك التفاعل .

أما أن يظهر الاسلام اليوم كالنيل ، وقد امتلأ مجراه ومجرى قنواته بنبات ورد النيل ، ثم نقف مكتوفى الايدى ، فأمر غير مطلوب بل انه مدمر . هل نترك ورد النيل وهو نبات طفيلى ليمتص الخير ويعوق الحركة ، أو نزيله لنطهر المجرى فينطلق النيل قويا نقيا ليعطى الخير والنماء ؟

واذا ما انتقلنا من الخيال الى الواقع ، ومن المثال الى الحقيقة ، فان ما يجب أن يقال أن المسلم الصحيح ليس هو من يغلق عقله أو يطالب باغلاق العقول . المسلم الصالح ليس من طالت لحيته أو مسبحته ، ولكنه من طال باعه فى الفكر ، وطال تفكره فيما بين يديه من نصوص وفيما يهدد واقعنا من أمور ، وفيما يعترض مسيرتنا من قضايا ومواقف . والمسلم الصالح ليس ايضا من كبرت عمامته فوق رأسه ، ولكن من كبر عقله فأضحى منارة تضىء عقول الاخرين ، ليس من كبر منصبه ، أو ثروته أو نفوذه ، ولكن من كبرت نفسه فسمت عن الاحقاد والنقائص ، فانتصر لله ولم ينتصر لنفسه ، وتواضع رحمة ولم ينفجر غرورا .

جهد الاحرار لاصراخ العبيد

واذا أردنا أن نخدم الاسلام كما ندعى ، فان الاسلام لا يحتاج الى طوابير العبيد ، لان العبد لا يستطيع أن يعطى شيئا ذا قيمة . وسيظل دائما أعظم جهد بذلته أية مجموعة من البشر هو جهدها فى تحطيم أغلالها ، جهدها فى صنع حريتها ، أو جهدها فى الدفاع عن الحرية والذود عنها تمتعا بها ، وتكفيرا عن الضياع فى ظل القيود . ان الاسلام لا يكلف العبيد ، ولكنه يكلف الاحرار ويحاسبهم عن عملهم وجهدهم . فقد أسس التكليف ابتداء على أساس الحرية . كما أسس على القدرة والعقل . اى لكى يكون الانسان انسانا فى نظر الاسلام ، فلابد أن يكون حرا عاقلا رشيدا .

اى أن الاسلام يريد جنودا ودعاة ، ولا يريد عبيدا . يريد أن يكون اتباعه ومن يناضلون وفق مبادئه ويعيشون قيمه احرارا . ولكى يكونوا كذلك لابد أن تتحرر عقولهم أولا . ولهذا حرص على أن يدعو الى تحرير العقول ، كما حرص على تحرير الروح والجسد . انه يحرر العقول من أن تخضع للزيف أو الكهانة ، يريدها أن تتسلح بالعلم لتقضى على الخرافة وتزيل من الطريق كل ما يعترض مسيرة تقدم الانسان وتحضره ، وتنحى تماما كل عقبة تقف فى سبيل الانسان لتمنعه من بلوغ الحياة المثلى التى يجب أن يحياها . بل التى كلف بأن يحياها وأراده الله خليفة له فيها .

---

[١] الممتحنة آيتى ٨ ، ٩

عندما تتحرر الروح والجسد

ويحرر الاسلام الروح ، فيأبى على اتباعه أن يعيشوا لحظة بغير كرامة . أن يفرطوا لحظة فى حقوقهم أو يتنازلوا عن انسانيتهم . ويحرر الجسد فيأبى عليه أن يكون أسيرا للشهوة أو عرضة للدنس أو متعلقا بها يشين . ويضع لذلك كله ما يكفله من أوامر ونواهى ، من فرائض وتكاليف ، من أسس للمعاملات والعبادات ، لا يجهلها أحد من المسلمين ، وان جهل الغاية من ورائها .

أن العبادات فى الاسلام لم يقصد بها مجرد التكاليف ولكن قصد بها علاوة على ذلك انها تربى وتعود الانسان ما هو أفضل الى جانب كونها تقيم دليلا على خضوعه لخالقه وتصليبه لما جاءه من عنده وتقبلها لمر به وتوثيق العلاقةبينه وبين ربه وتوصلها فى جانبيها المادى والمعنوى ..

الذين يحاولون تزوير الاسلام

فاذا كان الاسلام حريصا على حرية المسلم وكرامته ، واذا كان الاسلام يأمر المسلم بأن يعيش حياته كلها حرا كريما ، فهل علينا أن نصدق ما يدعيه البعض زورا أو يحاولون اشاعته حول المفاهيم الاجتماعية للاسلام أو النظرة الاسلامية للمجتمع وقضاياه ؟ هل يمكن أن نصدق أن الاسلام دين طبقى ، أو أنه يسمح بقيام طبقات بحيث تشكل تمايزا بين البشر يعطى لفريق من الميزات ما يحرم منه الآخرون ؟

دين بلا طبقات

أذا نبدأ بالنفى . فالذى نعرفه ويعرفه كل مسلم أن الطبقات لا وجود لها فى الاسلام ، لانه دين لا يسمح لاى فئة من الناس أن تتميز عن غيرها ، أو أن تحصل من الجاه الدنيوى ونفوذ السلطة ما يمكنها من أن تطغى وتستبد أو تسلب غيرها حقا من حقوقه أو تحرمه من أن يتمتع بنعمة من النعم . لقد قام الاسلام على أساس يمنع قيام الطبقات ويحول دون الصراع الطبقى كما نسميه . لماذا أخطأ البعض ؟

ان الذين يزعمون بان الاسلام يسمح بالطبقات ، وقعوا فى خطأ التفسير عندما وجدوا فى الاسلام ما يشابه هذا النظام او ذاك فظنوه مثله ، أو عندما حكموا على الاسلام حكما جزئيا فاخذوا امورا وتركوا غيرها عمدا او قصورا . وهذا منهج غير اسلامى ، لان الاسلام يجب أن يفهم على أنه الاسلام ، معزولا عن أى اتجاه خارجى ، وبعيدا عن أى تفسير غير اسلامى . كما أنه يجب أن يفهم متكاملا ليكون بحق هو الاسلام . أما التفريق فليس عملا اسلاميا . لا نقول ذلك اغتلاقا ، ولكن من مفهوم الاسلام نفسه ومن توجيهات ذلك الدين السمح وهديه . يقول الله تعالى « .. وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب » [٢] .

وتاتى آيات اللهتامرنا بان ناخذ الامور اخذا متكاملا وان نبعد عن الاتباع الجزئى ، يقول تعالى : « أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون » [٣] .

عندما نختار الافضل

ولكى ندرك كيف يرفض الاسلام قيام الطبقات ننظر الى جوهره ، فنجد انه يهتم بالمساواة بين البشر ، وأنه يرعى الدعائم التى تكفل قيام مجتمع المساواة الحقة ، الذى يتساوى فيه الناس ويقفوا جميعا على قدم واحدة . كما يمكن أن ندرك عندما نحاول فهم النظرة الاسلامية للامور التى تعتبر محمودة أو مذمومة ، لما يمكن أن يعد فضيلة وما يعد رذيلة . لانه اذا كانت القيم قد تختلف من مجتمع لمجتمع ومن عصر لعصر . فان البحث عن الظاهرة لقيمة ما ، هى التى تعطينا صورة المجتمع ومفاهيمه . ان بعض المجتمعات مثلا تقر الثأر ، حينئذ لا يعتبر القيام بهعملا شائنا أو أسلوبا متخلفا . ونجد أن بعض المجتمعات تاخذ بالصراع الطبقى وتجعل منه أساس التغير الاجتماعى — وهو ما قد نرفضه ، وحينئذ يجب الا نحكم على تلك المجتمعات بمفاهيمنا نحن ، ولكن نحكم لها أو عليها بمقاييسها ، الا عندما نقارن بين ما لدينا وما لدى تلك المجتمعات ، حينئذ نختار الافضل للبشرية ككل ، ونفضل ما يحقق الخير للانسان بصورة احسن أو أكمل ..

---

[٢] الحشر آية ٧
[٣] البقرة آية ٨٥

انطلاقا من هذه النظرة نقول أن الاسلام لا ينظر للثروة أكثر من انها وسيلة لا غاية . ولا يعطى للغنى أى قيمة . بل انه يقيم البشر بتقواهم ويفضلهم بصالح أعمالهم .

ان الاسلام لم يجعل من الثراء جريمة . ولم ينظر الى الغنى كاثم . ولكنه أنكر على الناس أن يكسبوا من الحرام . أو يكونوا ثرواتهم عن طريق الاستغلال . بل انه ينكر عليهم اكتناز الثروة وعدم توجيهها فيما فيه صلاح البشر وخيرهم . ان الله يأمرهم بانفاقها فى سبيل الله بتوظيفها التوظيف الحاقق لمرقى المجتمع وسعادته ، يقول تعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم » [٤] .

والثراء هو أساس التمايز الطبقى . وعندما لا يترك الاسلام باب المنافسة مفتوحا أمام الناس لجمع الثروة ، فانه يكون قد سد امامهم طريقا قد يخلق بينهم الاحقاد ويفرق الجماعات .

كيف تتكون الطبقات ؟

اننا ما دمنا نعيش فى ظل نظام لا يقرى الناس بالتكالب على الثروة أو المنافسة فى تكديسها ، فاننا لا نصل الى تكوين الطبقات ، لان الثروة هى أساس التكوين الطبقى . أو هى الطريق الذى يؤدى الى قيام الطبقات وتزايد الهوة بين فئات البشر . حقا انها ليست العامل الوحيد ولكنها العامل الاقوى ، اذ أنه لاجدال فى أن العامل الاقتصادى هو أهم العوامل الحاسمة فى احداث التفاوت الاجتماعى » [٥] .

ونجد ان الدراسات التى تهتم بالطبقات وتكوينها كثيرة فمنها من يرجع قيام الطبقات الى أسباب جسمية أو نفسية أو وراثية أو حضرية [٦] .

وعندما نقف أمام هذه التفسيرات العلمية لتكوين الطبقات نجد أن الاسلام لا يساعد على قيامها ، وأن الطبقات يوم قامت فى المجتمع الاسلامى لم تقم على أساس من الدين . بل حدثت فى غيبة الدين . وتحت ظروف لم يكن يحكمها بقيمه أو يشكلها بأوامره ونواهيه . فالطبقات شىء والاسلام شىء آخر .

مالم يقله القرآن ؟

يبقى أخر القول بأن القرآن الكريم قد جاءت آياته لتؤكد أن الناس درجات ، وهو أمر لا ينكره أحد . ولكن من قال أن ورود هذه اللفظة فى القرآن الكريم يؤيد المعنى الذى يحاول البعض أن يفهمه أو يروج له .

الحقيقة أن ورود اللفظة فى القرآن الكريم يؤيد ما نذهب اليه من أنه لا طبقات فى الاسلام . لان الله تبارك وتعالى أورد هذه الاية الكريمة فى مجال الرد على ما أنكره كفار قريش على الرسول ، وتعجبهم من أن تنزل الرسالة على رجل فقير ، وهى مكانة سلمية يجب فى نظرهم أن تكون للغنى ، مادامت الثروة فى مجتمعهم هى المقياس وهى الدالة على التفوق والعظمة .

ان الرسالة شىء عظيم حقا ، ولقد اختار الله لها من يصلح لها ويكرمه بحملها . ولو كان فى الثراء تكريما ، لكرم نبيه به . ولو كان فى الغنى امتيازا فى المفهوم الاسلامى ، لملأ بيت نبيه ذهبا وفضة . ولكنه دين لا يقر هذا التمايز الدنيوى ويؤكد انه لا طبقية . فليس غريبا اذن أن يكون سيد هؤلاء الاعراب الاغنياء وأفضلهم رجلا منهم لا يملك مما يملكونه من جاه ، ولا يحتفظ لنفسه بما يحتفظون به لانفسهم من ثروة ومتاع .

الحديث عن هذه الدرجة .. لماذا ؟

ان الدرجة التى يتحدث عنها القرآن لا تؤدى الى اقرار النظام الطبقى أو التسليم به من وجهة نظر الاسلام . يقول تعالى « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » أهم يقسمون رحمة ربك ، نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون » [٧] .

---

[٤] التوبة آية ٣٤

[٥] Sociology by Morris Ginaberg SHS.

[٦] يمكن الرجوع الى موضوع التمايز الطبقى ومصادره لان يريد المزيد فى أى من المراجع الاتية : علم الاجتماع ، موريس جينز برترجمة د. فؤاد زكريا . والمراجع التى ذكرها الزلق والترجم .
تاريخ علم الاجتماع جانسون بونسول . نفسية المجتمع موريس جينز برج وأيضا ترجمات عربية .

[٧] الزخرف ٣١ — ٣٢

« فالاية متعلقة بالنبوة وكفار قريش يعترضون على نزول القرآن على محمد عليه الصلاة والسلام . ووجه الاعتراض أنه ليس زعيما من زعمائهم ، ولا صاحب مكانة أو صاحب مال كثير . والرأى عندهم أن يكون نزول القرآن على اشرافهم ، وذوى المنزلة والمال عندهم ، فهم يرون وجوب الجمع بين النبوة والمال والسيادة بين القوم ، وما دامت النبوة تكريما وتشريفا فينبغى — من وجهة نظرهم — ان تنزل على الاشراف اصحاب المال والمكانة بين القوم .

والقرآن يرد على هذا الرأى الفاسد : الاصل الذى يحتم الجمع بين النبوة والثروة ويقضى بنزول الوحى على الاغنياء دون الفقراء او الصالحين . فليس أصلا ولا حتما أن يكون الرسول من أهل الغنى او المكانة فى قومه . وانما الاساس أن يكون انسانا صالحا لتلقى هذه المهمة من ربه .

يتأكد لنا من هذا ان الدرجة ليست هى الطبقة . ولا تصلح أساسا لتبرير قيام نظام طبقى فى المجتمع . فاذا ما اضفنا اليه كيف دعا الاسلام الى المجتمع فاذا ما اضفنا اليه كيف دعا الاسلام الى اذابة الفوارق بين الناس وكيف عمل على أن يؤكد أن الناس سواسية وأنهم اخوة وشجع على هدم كل ما يخالف هذا الفهم أو يحول دون تحقيقه ، يمكننا ان نقول حينئذ أن الاسلام يقيم مجتمعا لا طبقى . انه يؤسس مجتمع الاخوة الحقة والجماعة البشرية المتجانسة والمتكاملة .

ربما يخص الله بعض العباد بمهارة معينة او ذكاء خاص أو موهبة فى أمر من الامور . وتظل هذه الميزة حيزا ما ابتغى بها صاحبها وجه الله فوجهها لنفع المجتمع وتطويره وتقدمه . اما عندما يحاول ان يجعل منها ميزة خاصة ليرتفع بها فوق الناس ، فانه يكون قد تجبر وأساء التمتع بالنعمة التى وهبها الله تبارك وتعالى له .

واذا كانت المجتمعات الحديثة تشقى من الصراع الطبقى ويؤدى بها هذا الصراع الى انقسامات وفتن ويلحق بها اضرارا ، فان الاسلام وقد اهتم بنبذ الطبقية ووقف فى وجه تكوين الطبقات ، كان مدركا للنوازع البشرية مقدرا أن الجانب الشرير قد يطغى على الجانب الخير فى الانسان . فيندفع حينئذ الى الترفع عن غيره نتيجة لما يجيئه من ثروة او يتاح له من فرص . فلم يترك الاسلام الامر فوضى ، ولكن نظمه ووضع القيود التى تحد من الصراع الطبقى ، وتوجيهه وجهة خيرة ، بان وضع قيودا على الثروة ووضع أسسا لها . فالثروة لابد من ان تتكون من مصدر شريف ونتيجة لجهد شريف وبالاساليب الطيبة الصالحة ، والا كانت حراما . والحرام لابد من مقاومته والمحاسبة عليه .

لذلك نجد أن الاسلام يضع الضوابط للامور كلها فهو ينظم العمل ويضع له الشروط التى تكفل صلاحه « فلا ضرر ولا ضرار » . وهو ينظم العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، فيعطى لكل منهما حقا ويلزمه بواجب ويشترط لكل منهما شروطا يجب أن تتوافر فيه ، والا نقص ايمانه ووجب الا يولى أمرا له علاقة بشئون الناس وأمور معاشهم . فعند اختيار الحاكم مثلا نجد هناك امورا يجب مراعاتها « فاذا اجتمع اهل العقد والحل للاختيار تصفحوا احوال الامامة الموجودة فيهم شروطها فقدموا للبيعة منهم أكثرهم فضلا واكملهم شروطا ومن يسرع الناس الى طاعته ولا يتوقفون عن ومن يسرع الناس الى طاعته ولا يتوقفون عن بيعته » [٩] .

ليس رجلا طبقيا هذا الوزير

وتحدد المناهج الاسلامية اختيار الكفاءات لتولى المناصب بشروط محددة وبصفات واضحة لا غموض فيها تتمثل فيما تورده كتب الفقه فى اختيار القضاة والولاة والامراء والمحتسب وعمال البريد والخراج مثلا ، وتتمثل فى هذه الحدود التى وضعها المأمون الخليفة العباسى لاختيار وزيره اذ يقول : « إنى التمست لامورى رجلا جامعا لخصال الخير ذاعفة ، فى خلائقه واستقامته فى طرائقه ، قد هذبته الاداب واحكمته التجارب ، اذا اؤتمن على الاسرار قام بها . وان قلد مهام الامور نهض فيها ، يسكنه الحلم ، وينطقه العلم وتكفيه اللحظة وتفنيه اللمحة . له صولة الامراء وأناة الحكماء وتواضع العلماء وفهم الفقهاء أن أحسن اليه شكر وأن ابتلى بالاساءة صبر لا يبيع نصيب يومه بحرمان غده ، يسترق قلوب الرجال بخلابة لسانه وحسن بيانه [١٠] .

[٨] د. عبد العزيز كامل — نائب رئيس الوزراء ووزير الاوقاف المصرية [سابقا] .
الاسلام والتفرقة العنصرية . بحث أصدرته هيئة اليونسكو فى سلسلة المسألة العنصرية والفكر الحديث باللغة الانجليزية والفرنسية عام ١٩٧٠ الترجمة العربية ص ٢٦٣
[٩] الماوردى . الاحكام السلطانية ص ٧
[١٠] المرجع السابق باب تقليد الوزارة

فهى صفات نراها محددة ، وليس من بينها الاساس الطبقى . أو امتلاك الثروة واكتناز المال واذا نظرنا الى المنهج الاسلامى متكاملا ، فاننا نجده يقيم المجتمع على اساس صلاح النفوس بتربيتها وتدريبها على السلوك القويم كما يهتم بانتزاع كل ما من شأنه ايجاد الاثرة ويغرس الايثار يجتث الانانية ليقيم بدلا منها الرغبة فى التعاون والاصرار على التفانى لصالح المجموع . هذا من الناحية الفردية .

نعم للجماعة والفرد معا

اما من الناحية الجماعية فاننا نجده يقيم انظمة ، سواء أكانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية ، لا تسحق الفرد ولا تعلى من شهواته أو تبيح له الارتفاع بصالحه عن صالح الجماعة . ولا تسمح بأن تسود جماعة دون اخرى . أو يستبد قوم بشئون آخرين . أو يكون لفريق من الناس من الحقوق ما يحرم منه بقية افراد المجتمع . لانه مجتمع يحكمه الاسلام بتشريعاته فلابد من العدالة المطلقة ، ولابد من المساواة الحقيقية الكاملة . « انه لا مجال فى الشريعة الاسلامية لشعور فرد أو جماعة بأن القانون ليس عادلا بالقياس اليها لان أسباب الانحراف عن العدل غير قائمة بحكم أن المشرع للجميع هو اله الجميع ، فلا مصلحة له فى محاباة فرد أو جماعة ، وبهذا تنمحى من المجتمع الاسلامى فكرة الطبقية ، تنمحى بحكم أن ليس هناك قانون يلحظ مصالح طبقة معينة ، فيوفر لها على حساب طبقة اخرى ، فكل فرد له حقوق وعليه واجبات متكافئة مع هذه الحقوق . وهكذا يظل المجتمع الاسلامى مجموعة افراد تتكافأ حقوقهم وواجباتهم فى القانون . لا مجموعة طبقات تتصارع مصالحها وتتصادم ، ويقضى القانون لبعضها على بعض ، فى هذا الجانب أو ذاك ، وبناء على ذلك فلا ظل لنظام الطبقى فى الاسلام » وبالتالى لا وجود للصراع الطبقى ، حين تنفذ الشريعة الاسلامية كاملة فى عالم الحكم وعالم المال ، ولا وجود للشعور بانتفاء العدالة القانونية ، ومحاولة الخروج على القانون بدافع من هذا الشعور . انما تبقى الانحرافات الفردية وهذه ليست بذات بال » [١١] .

التوزيع الاسلامى للثروة

ولقد وضع الاسلام من المناهج الاقتصادية ما يكفل عدم تكديس المال بأساليب كثيرة . فلجأ الى نظام الميراث ، وعدل ما كان مألوفا فى المجتمعات العربية قبل الاسلام . اذ « كان العرب فى الجاهلية لا يورثون من لا يلاقى العدو فكانوا يحرمون البنات والزوجات والامهات والنساء مطلقا والصغار من الميراث ، وكانوا لا يخصون به الا الاقارب من الرجال القادرين على حمل السلاح » [١٢] .

لقد نظر الاسلام الى رأس المال نظرة واعية فاهتم بالا يتحول الى سلطة طاغية ، أو طبقة متحكمة . فأوضح اوجه الانفاق الخيرة . ووضع الضمانات التى تكفل عدم التكدس ، وفى مقدمتها الزكاة والميراث والحث على استخدام المال استخداما لصالح المجتمع أى فيما يرضى الله . كما منع الربا وحرمه تحريما كاملا بكل صوره . وحث على البر والتكافل والتعاون ولم يقبل أن يحمل المقترض اية اعباء علاوة على دينه فأصبح الفقهاء المسلمون يؤمنون بأن ربح القرض أو فائدته خطر على المجتمع لانه يمس بناء الجماعة مسا عنيفا عميقا . ذلك اننا بهذه الوسيلة نزيد فى توسيع المسافة وتعميق الهوة بين طبقات الشعب بتحويل مجرى الثروة وتوجيهها الى جهة واحدة معينة . بدلا من أن نشجع المساواة فى الفرص بين الجميع . وأن نقارب بين مستوى الامة حتى يكون اميل الى التجانس وأقرب الى الوحدة .

ان اللمحة البارزة فى التشريع القرآنى ، وكذلك فى كل تشريع اجتماعى جديد بهذا الاسم ، هى الحيلولة دون هذه المحاباة لرأس المال على حساب الجمهور الكادح ، والسعى لتحقيق نوع من التجانس والمساواة بين أفراد الامة . انها لكلمات قصيرة ولكنها ذات مدى بعيد ، تلك التى يرسم فيها القرآن دستور هذه السياسة ، حيث يقول : « ... كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم » [١٣] .

الناس شركاء .. هكذا العدل

لقد حرص الاسلام فى اهتمامه بألا يتحول مجتمعه الى مجتمع طبقى على أن يرسى النظام المالى على أسس تمنع التكدس وتحول دون

[١١] المرحوم سيد قطب . السلام العالمى والاسلام .. ص ١٤٣ ، ١٤٤ الطبعة الثالثة . الناشر مكتبة وهبة بالقاهرة

[١٢] فضيلة الاستاذ الشيخ محمد زكريا البرديسى — الميراث ص ٤ طبعة ١٩٦٩ .

[١٣] المرحوم د. محمد عبدالله دراز — الربا فى نظر القانون الاسلامى — تعريب المحاضرة الفرنسية التى القاها كمندوب للازهر فى مؤتمر القانون الاسلامى بباريس ١٩٥١ م . نشرها الازهر مع النص الفرنسى ١٩٥١ م .

استغلال قلة من الناس بالعائد ، ومحاولة تحقيق امتيازات طبقية لها عن طريق استخدام هذا المال لمصدر أو المكسب . وتحقيقا لذلك الذى اراده الاسلام نراه يعمل على أن يكون المال للمجتمع ككل ، ويتم التوزيع العادل للدخل . « الاسلام اذن بنظامه المالى فيما أوجبه ورغب فيه ، أو حرمه وطلب تجنبه فى التصرفات المالية وفيما أحل عليه ما أوجب وطلب ، أو حـــرم ودعـــا الى تركه لمستهدف بقاء منفعة المال شركة بين أفراد المجتمع بحيث لا يصل امرها الى تكديس فى يد قلة وحجب عن الكثرة ، كما فى نظام الرأسمالية ، بحيث لا يستدعى الأمر الى اعادة توزيع من جديد تحقيقا لمعنى العدل وردعا للظلم والغبن » [١٤] .

وعندما اقام الاسلام مجتمعه ، لم يهـدم الخصائص الذاتية أو القدرات النوعية ولكن هدم الاستغلال ورفض الصراع الطبقى ووقف فى وجه تكوين الطبقات أو قيامها كقوى مسيطرة ، أو كمراكز قوى متسلطة ومتحكمة انشأ الاسلام مجتمعا لا يسوده الحقد والخـــيانة ، ولا يهـدد الحسد والمنافسة أمن أفراد . كان مجتمعا صالحا لان « المجتمع الذى يكون كل عضو منه خليفة لا يتسرب اليه فساد التفريق بين الطبقات ولا شى الامتيازات التى تأتى من جهة الحياة الاجتماعية والفوارق النسبية ، ويكون أفراد هذا المجتمع سواسية » [١٥] .

معنى وجود طبقات فى المجتمع

ان معنى وجود طبقات فى المجتمع انه توجد فوارق اجتماعية واقتصادية واضحة بين افراده كما يعنى ان هذه الفروق تمثل غالبا لتشكل نظرة كل طبقة الى الاخرى داخل المجتمع الواحد . وهذا التقسيم بين البشر من شأنه أن يتحكم فى مشاعر الناس فتحس كل طبقة أنها مختلفة عن غيرها . قد تكون اقبل فتشعر بالحقد والحرمان أو النقص » [١٦]

ان مثل هذا الشعور الحتمى الذى لابد من وجوده فى المجتمع الطبقى أمر لا يرضاه الاسلام ولا يقبله لاتباعه . فهو دين يرفض أن يترفع فريق على فريق أو تحقد فئة على فئة المجتمع الطبقى لابد أن يكون هو تمايزا يسمح بارتفاع قوم وانخفاض اخرين . وان تفخر الطبقة العليا على من دونها وان تحقد الطبقة الدنيا على من يعلوها . اى لابد من وجود حقد وغطرسة . وهما أمران لا يمكن ان يقبلهما المجتمع الاسلامى القائم على القـــاييس الالهية السامية .

هكذا تتكون الطبقات

ولكى تقوم طبقات فى المجتمع ، لابد من ظروف تسمح بتكوينها . وتتمثل هذه الظروف اول ما تتمثل فى وجود نظم قانونية ، تعطى لفريق من الناس الحق أن يرتفعوا عن غيرهم بأى وسيلة شريفة أو غير شريفة ، وهو أمر غير موجود فى الاسلام وليس ممكنا . ان الشريعة الاسلامية تدعم فى كل احكامها الى تحقيق الاهداف التى تؤدى الى تكافل اجتماعى سليم قائم على الائتلاف والتهذيب الدينى والعدالة التى لا تتكون فيها قوة تتغلب على الاخرى » [١٧].

لا طبقات بلا استغلال

لقد جاء الاسلام ليقيم مجتمعا على اساس من تعاليم السماء فلم يكن فى مقدور المسلمين ، ولن يكون فى مقدورهم مستقبلا ، أن يرفعوا بين تعاليم الاسلام والمجتمع الطبقى . لان المجتمع الطبقى مجتمع يضم النوعيات المختلفة والمتميزة بعضها عن بعض تسعى كل طبقة الى تحقيق أهدافها الذاتية والحصول لنفسها على مكاسب خاصـــة تتميز بها . وهذا يؤدى الى وجود منافسة وصراع تكون فيها الغلبة للاقوى أو للسريع قضاء على غيره . وهذا ما يتعارض مع ما جاء الاسلام يعمل على ارسائه . ان الاسلام جاء لايجاد مجتمع فاضل ، تتعاون فيه كل القوى ، بحيث لا يطغى فريق على فريق . ولول يظهر للمجتمع الفاضل فى الاسلام ، هو وجود رأى عام فاضل يتعاون على الخير ودفع الشر . فان المجتمع فى مظهره العام

---

[١٤] د. محمد الهبى ـ الاسلام ونظم الحكم المعاصر ص ٥٥ ، ٥٦ ـ طبعة أولى ـ القاهرة . مكتبة وهبة بالقاهرة
[١٥] أبو الاعلى المودودى نظرية الاسلام السياسية ص ٤٧ ت. محمد عاصم الحداد ـ الطبعة الثالثة .
[١٦] Sociology by Morris Ginsberg. SH6. London 1934. وانظر أيضا الترجمة العربية لـه ترجمها د. فؤاد زكريا .
[١٧] استاذنا المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة ـ طيب الله ثراه ـ التكافل الاجتماعى فى الاسلام . ص ١٦ ـ التعريف بالشريعة الاسلامية . المكتبة العربية .

يكون بينة صالحة لان تترعرع فى ظلها الفضيلة وتختفى من نورها الرذيلة » [١٨] .

ولا يمكن ان نصدق انه فى الامكان قيام طبقات بلا تمايز . أو وجود طبقات من غير صراع طبقى . قد تتولى القوانين فى بعض المجتمعات الحد من بشاعة الامتيازات الطبقية . أو قد تستطيع بعض المجتمعات اتخاذ الوسائل التى تقلل من حدة الصراع الاجتماعى . ولكنها تعجز عن اخفائه تماما . ونجد أن هذا الصراع يهدأ ليشتد . ويختفى ليظهر عندما تساعده الظروف على ذلك . واذا كانت المذاهب قد اختلفت فيما بينها فى النظرة لنشأة الصراع الطبقى ونتائجه . فانها لم تختلف فى التسليم به والاحساس بخطورته . ولقد سلمت المدارس الاجتماعية بأن التكوين الطبقى لا يمكن أن يتحقق ما لم تهيأ الظروف التى تصنعه . أى يفتح الباب لتكون هناك بعض الفوارق بين الناس فى المجتمع . ثم تتزايد تلك الفوارق عندما يسعى كل فريق لمضاعفة ميزاته فتتكون الطبقات . اذ « تبدأ الجماعات من الناس بأن تكون نوعا من الزمرة يكون اعضاؤها جميعا فى نفس المستوى العقلى والتكنيكى والاقتصادى فى آن واحد ثم ينتظمون ويصيرون مجموعات حركية يتجه فيها توزيع العمل والعلاقات القانونية بين الافراد الى أن تكون متميزة أكثر فأكثر » [١٩]

صالح لكل زمان ومكان

واذا كان الاسلام يضع نظاما كاملا للحياة ، ويبغى مجتمعا مثاليا فانه كان لزاما ليتوافق مع الطبيعة البشرية أن يكون كليا . فلا يقف أمام الجزئيات كلها فى الحياة ، لينظمها محددة بالنص . بل كان عليه أن يضع الاطار العام لما يراه مثاليا ، والاطار العام للطريقة التى يمكن أن تحقق هذه المثالية وتحميها . وعندما اهتم الاسلام بذلك ، فانه استطاع أن يكون فعلا صالحا لكل زمان ومكان . لان مرونته أكسبته قدرة فائقة على التأثير والفاعلية . ودفعته الى أن يغير فى المجتمع الذى تنزل فيه فى عصر المبعث وفى مجتمعات أخرى من تلك المجتمعات التى انتقل اليها هاديا . ويبدل الكون ، ويدخل امورا جوهرية فى الوجود مخالفا بذلك ما ذهب اليه شبنجلر عندما قال : « ان الدين لم يغير أسلوب الوجود يوما ما » .

لكى لا يسود الباطل

وعندما نتجاهل موقف الاسلام من الطبقات وموقفه الحاسم فى منعها ، ونسلم بما يسميه البعض من أنه يسمح بقيام طبقات ـ وهو خطأ قدم الاسلام عليه آلاف الادلة ـ نقع فى رذيلة فتح الباب للباطل لكى يسود وللرذيلة لكى تحكم . ان التسليم بالتمايز الطبقى يعد فى الواقع اعترافا بصلاح هذا النظام واخلاقياته أى يعد خروجا على المبادىء الاساسية التى جاء الاسلام بها . أى التسليم بانتصار الاقوى مهما كان هدفه ومهما كانت وصوليته . يقول شبنجلر : « ان تاريخ العالم هو ما قررته محكمة العالم . فقد وقفت هذه المحكمة دائما فى جانب الاقوى الاكثر ثقة بنفسه ، ولقد ضحى التاريخ دائما بالحق والعدل فى سبيل القوة والعنصر » .

وهو ما نعتقد أن المسلم الحق يرفضه . بل ان أى انسان يؤمن بالحرية لا يمكن أن يرضى به « لان الضرورة تقتضى بأن على كل فرد يقبل قيم الاخلاق الفاضلة وديمقراطية المجتمع رفض هذا المقياس بالعنف الذى فرض به ، بل ان المرء يكون حينذاك مضطرا أن يفعل ذلك عندما يكون للنتائج التى يقدمها المؤلف مثل هذا التأثير البغيض على الثقة بحضارة بأسرها ، مثلما فعل شبنجلر » [٢٠] .

واذا كان الاسلام قد جاء ليؤسس حضارة انسانية ، فكيف يضع ما يهدم تلك الحضارة أو يمنع قيامها أصلا .

الانسان فى مفهوم الاسلام

ان الاسلام دين يعتنى بالانسان ويكرمه . ولكى يحقق ذلك كان عليه أن يزيل كل ما يهدد الانسان أو يجلب له الشقاء أو يتنافى مع كرامته . لقد امتن الله على الانسان بأنه خلقه ، وجعل من أفضاله

---

[١٨] المرحوم الشيخ محمد ابو زهرة المرجع السابق . ص ٩ .

[١٩] جاستون بوتول « تاريخ علم الاجتماع » ص ٦٩ الترجمة العربية د. عاطف غيث وزميله . الدار القومية ١٩٦٤ .

(٢٠) J. G. de Beus. The Future of the west.

وانظر أيضا : الترجمة العربية التى قام بها لمعى المطيعى تحت عنوان « مستقبل الحضارة » .

تبارك وتعالى أن أحسن خلقته ، وجعله على هذه الصورة من الحسن والتكريم . يقول تعالى : ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير من خلقنا تفضيلا » [٢١] . ويقول تعالى : « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » [٢٢] .

واهتم الاسلام بأن يحقق للانسان ما يحفظ حياته آمنة مستقرة ، فأرسى دعائم التكافل الاجتماعى بحيث يرفض عمليا قيام الطبقة . ويقف سلوكيا فى وجه وجود نظام طبقى . لقد « اتجه الاسلام الى العدالة الاجتماعية ، فجعل الناس متساوين أمام القانون والقضاء ، لا فرق بين غنى أو فقير ، فليس فيه طبقات تتميز فيها طبقة عن طبقة » [٢٣] .

كلكم لآدم وآدم من تراب

ان الاسلام يقوم على التوحيد : توحيد الخالق وتوحيد الرسالة ، وتوحيد الجنس البشرى . وعندما يسلم الاسلام بالواحدية ، فلسفة له وعقيدة ومنهاجا ، فانه لابد أن يهتم بأن تكون كل القواعد ممتقة لذلك ومؤدية اليه .

لقد خلقهم الله جميعا من جنس واحد ، فلا تفاضل بينهم . يقول تعالى : « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة » [٢٤] . « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير » [٢٥] .

وعندما يضع الاسلام كل القواعد التى تكفل أن يدرك الناس أنهم من نفس واحدة ، وأن لا تفاضل بينهم الا بالتقوى ، فان ذلك لا يتحقق كاملا عندما يفتح الباب من ناحية أخرى ليكون هناك التفاضل بين البشر أو التميز الطبقى .

وإذا كان الاسلام حريصا على أن يكمل انسانية الانسان ، فانه يضع القواعد الاخلاقية ويرسى الاسس السلوكية التربوية لذلك . وهو ما يؤدى الى ازالة كل الفوارق التى تقوم على أساس مادى ، أو تفوق فى الجاه والمنصب والمكانة الاجتماعية ، التى تتكون غالبا على أسس غير اسلامية .

انسانية الانسان هدف اسلامى

يمكننا أن نقول اذن ، أن الاسلام دين يهتم باقامة المجتمع الامثل . وأن هذا الاهتمام من شانه أن يجعله يقاوم كل ما من شأنه منع تحقيق وجود هذا المجتمع . والطبقات أخطر معوق فى هذا المجال . ومن ثم فان الاسلام لا يسمح بقيامها .

ويمكننا أن نقول أن الاسلام ، وهو يبنى وفق مبادىء سلمية ، يستهدف ايجاد الانسان الصالح والقادر على تعمل الاشياء وتطوير المجتمع ، كان عليه أن يزيل كل ما من شانه أن يعوق الى انسانية الانسان . أو يقلل من شأنه أو يحد من بلوغ كرامته درجتها القصوى . والطبقات نظام لا يحقق ذلك ، لان قيام الطبقات يسلب غالبية الناس كرامتهم ويهضمهم حقهم ويجعلهم فى مرتبة أقل من غيرهم . انه يسمح لفريق من الناس أن يتعالى ويتعاظم لانه يملك الثروة أو يمتلك النفوذ . كما يعطى لفريق من الناس الحق فى أن يقهر غيره ويسيطر عليه ويوجهه لخدمة مصالحه . والاسلام دين يرفض الاستغلال والقهر ولا يعين عليهما . بل يدفع باتباعه الى مقاومة كل استغلال وبذل الجهد فى الحصول على ما يحرر الانسان ، ويكفل كرامته ، ويحفظ حياته ويضمن استقراره وأمنه .

مجتمع بلا عقد ولا احقاد

ويمكننا القول أن الاسلام ، وهو دين بناء ، كان عليه أن يجنب اتباعه شر عمليات التمزق والتشتيت والهدم ، ولا شىء يشيع التمزق فى المجتمع ويقضى عليه الا وجود الطبقات وصراعها . ومن ثم عمل الاسلام على أن يقف فى وجه التمايز الطبقى ورفض أن ينقسم أتباعه الى شيع وفئات بل ان الجميع متساوون ، تجمعهم الصلاة صفا واحدا ويجمعهم الفؤاد والتراحم على قلب رجل واحد وتربط المسئولية التضامنية بينهم فى مجتمعهم .

---

[٢١] الاسراء آية ٧٠ .
[٢٢] التين آية ٤ .
[٢٣] استاذنا المرحوم الشيخ محمد أبوزهرة — أصول الفقه ص ٣٥٠، ٣٥١
[٢٤] النساء آية ١ .
[٢٥] الحجرات آية ١٣ .

هذا ماتحرمه النصوص

واذا كان الاسلام لم ينهى بالنصوص القاطعة على عدم تكوين الطبقات . ولم يحرم ان ينقسم المجتمع اليها ، فانه حرم بالنصوص القاطعة الظلم والكبرياء والاستغلال . حرم بالنصوص القاطعة أن يتغاذل بعض الناس لبعض ، أو يؤله بعضهم بعضا . حرم أن يكون التفاخر بالالقاب وجمع المال خلقا اسلاميا . وحرم أن يطوى الناس صدورهم على حقد يبيت بعضهم يفكر فى الانتقام من الاخرين .

ونجد فى كل هذا الذى حرمه الاسلام ما يمنع الطبقات ويبنيد الطبقية . فلسمح أحد منا أن الطبقة قد تكونت بلا ظلم واستغلال ؟ وهل وجد مجتمعا طبقيا ، النـاس فيه لا يتحـاسدون ولا يتباغضون ، ولا يضمر بعضهم الحقد لبعض ؟ أن الحقد والحسد أمران يحاربهما الاسلام . ان الاستغلال والاستبداد أمران آخران يمقتهما الاسلام . والاسلام لا يقيم فى مجتمعه الا ما يجب . ولا يرضى لاتباعه الا ما يفيد ويصلح .

وكما أن الله تبارك وتعالى طيب لا يحب الا الطيب ، فالاسلام خير لا يقبل الا الخير ، وصلاح لا يرضى الا بالصالح . ويعلم الله ويشهد الناس انه لا خير فى الطبقية ، ولا صلاح فى الانقسام الطبقى ، ولا أمن ولا استقرار فى ظل الصراع الطبقى لاى مجتمع . ولا مودة ولا اخاء فى ظل متربص يحمى لاهيه مفواته وينتظر غفوته لينقض عليه .

ان الاسلام دين يبنى على أسس فاضلة فكان من المحتم عليه ومن المتسق مع تعاليمه ، أن يكون حربا على الطبقات ، لا مشجعا للطبقية ، دعوة للحب لا مبعثا للتفرقة . فلنفهم الاسلام كما جاءنا ، ولنفسره كما انزل علينا ، ولنعرفه كما يجب أن يعرف .

① فلاح السبع آبار يتحدث عن

درس فيتنـــــام

وعن أنصار فيتنام .. يكتب فـلاح مصرى من السبع آبار الشـرقية ، محـاولا ان يستخلص منهـا درسـا مفيدا .. يقول الفلاح البسيط الذى يذكرنا بقصة « الفـلاح الفصـيح القديم » ان تجربة فيتنام تعلمنا ان الانسان هو القوة الذرية التى تملكها الشعوب الصغيرة .. ويلقى اضواء هامة على الدروس المستفادة من المعركة الفيتنامية ..

أرجو أولا ان يغفر لى السادة المتعلمون ركاكة الاسلوب ان بدت وخيبة المحاولة .. لكونى فـلاح لايعـرف مايعرفه أولـى العلم . ولكننى أتكلم من مواقع حبى لتراب أرضى وشرف عرضى وكرامة انسانيتى مهما كانت الاسباب ..

أولا : لقد أصاب التسعم جسم المجتمع ويعرف هذا الدكتور .. وعامل البناء وفلاح الترحيلة ... ولكن ماهو الصلاح .. **وماذا قال المحللين المعنى لهذا القسم ..**

سؤالى هـذا مازال بغير جـواب ... وسيظل اذا كان الجواب هو كلمـات تكتب ... ان العبرة بالعمل لابالقول .. مهما كانت بلاغة هذا القول .....

من أسيا ... وهناك من اعلى مبنى السفارة الامريكية كان لابد لضعاف النظر أن يروا بريق النصر لارادة الانسان الحر ... وهى تـرغم تنـابل امريكا الـذرية على الفرار .. وعدم القدرة على السير فـى الطرقات ...

ان الشعوب الحرة لا تقهر: أرادتها مهما كانت قوة القيود ... ولكن هذه الارادة أشبه بنهر كبير اذا لم يجد الجسور القوية السليمة فانه لن يفيد شيئا ... بل سيظل مجرد مياه ....

ولقد كنت كعلاج مصرى أعرف أن أمريكا لن تنتصر فى فيتنام ولا فى غير فيتنام . كنت أدرك ومازلت أدرك ان الحق فوق القوة مهما كانت الاسباب .

ولقد ذكرنى نصر الحق فى فيتنام بحادث فى طفولتى عام ١٩٥١ تقريبا .. وكنت ابلغ من العمر أحد عشر عاما فلاحا فى كتاب القرية لدى معلم كفيف البصر مبصر القلب والضمير .

تذكرت هذا الحادث . ردا على صحفى فى مجلة كبيرة، قال لى وانا أسأله عن سبب انتصار فيتنام .. اننا شعب من العبيد ... هكذا سنوات من الذل ... مع المنطق الحق . ولكن ماهى الاحداث التى غيرت العالم وخلق قوانين المنطق ...؟ الثورات ... الانسان وهى ثورات على امر واقع له قوة السلطة ...؟

قلت له : لا .. لا الشريفة . وليست لا لحت هيام بنت الحياة المصرية المتأمركة .. لا .. أيها المثقف .. فى عام ٥١ وقبل قيام الثورة ومع هذا الحادث فى تريتنا التى كانت تغرب بها برحاص الانجليز ... ومع هذا كان كل بيت يتمنى أن يكون فيه فدائيا ...!

فى صباح يوم جاء بعض الفدائيين بحرية جيب من عربات الجيش الانجليزى وبها ضابط كبير ، ولما كانت الارض كلها مزارع وليس بها طريقا تسير فيه العربة فقد رأيت الاتى : كل رجال القرية الذين كانوا موجودين وقتها قاموا بحمل حمالات من الخشب للعربة .. وحملوها على اكتافهم حتى الصحراء الموصلة بين القاهرة والاسماعيلية .. وعندما حضر الانجليز لم يكن هناك اى دليل على سير العربة من هذا الطريق ، رغم تأكيد بعض العملاء لهم .. تذكرت هذه الحادثة وحملها معركة الشرطة وشعب الاسماعيلية ضد قوة الانجليز ..

ملحوظة : هذا الحادث معروف ، وكتب عنه ، ولكنى لا املك الوقت للبحث عن وقائعه.

ان شعبنا الطيب قادر على القتال ، شعبنا الذى بذل الدم فى ثورة ١٩١٩ .. شعبنا الذى باعت نساؤه حليهن لتسليح جيش عرابى .. والقتال معه ضد القوة .. شعبنا الطيب الذى يعرق ويبنى .. وهناك من يتاجر به فى بوتيك .. وفى شركات الاستيراد للملابس الجاهزة .. والبرفان .. وذلك من أجل قلة ترى انها صاحبة الحق فى أن تفعل وتقول وتكسب .. وما على الفلاحين والعمال الان يعرف كل منهم من هو . ما هى رخصه العلمية .. وأن يتعلم كل منهم عدم الحقد والحسد لاصحاب المكاتب .. لان هذا من فضل الله عليهم ... وذلك اكرامية من السادة عندما يتحدثون مع الفلاحين وهن الفلاحين ... ورحمت اقلب كتاب فيتنام، واتساءل بين سطوره عن الاتى ....

هل عندهم ادب راق ، ومتقدم كما عندنا فى قصة الاقصة هيام ... ؟

هل عندهم فى الادخال والاحراش اجهزة تكيف هواء ، ومكاتب مبطنة بالجوخ للسادة الذين خلقهم الله ليكونوا اسيادا فقط ؟؟؟

هل عندهم ورعها بعضكم فوق بعض درجات .. بالمفهوم المصرى المخالف للدين . وهو ان الدرجات بالعمل لا بالتعالى ولا بالسلطة والا ماكان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : سيد القوم خادمهم ...

هل عرفوا هم جوهر الدين ... فى الوقت الذى رحنا نحن ننادى بمنع الاذان من على المساجد فى الفجر لعدم ازعاج السادة آلهة الفكر الحديث .. الفكر المهزوم فى « هوشى منه » من احلامهم السعيدة ... ؟

هل يعرفون ان العاقل هو من « يوعى » للريح القوية « من ينافق » . وترى لو انهم عرفوا هذه الحكمة العاقلة وتساءلوا مع انفسهم هل نحن فى قوة اليابان ... وبعدها هل نحن فى قوة الصامد الحر « زهماء بريطانيا وفرنسا وامريكا » هل نحن فى قوة أمريكا الذرية ... ؟ ترى لو كان العقل هو التكيف مع الواقع فهل كانت فيتنام « دين بين فو » مايو ١٩٥٤م

وهـل ستكون هنـاك مدينة باسم « هوشى منه » بعد سنوات من القتال المرير ؟ وكمبوديا ذاك البلد الصغير الذى كانت أمريكا تتصور أنه لن يكون غير قاعدة لقواتها .. فاذا به مقبرة صغيرة لكل كبرياء القوة .. واذا بسيهانوك يقول « لابد أن نشكر نيكسون، لقد حول الشعب كله الى ثوار محاربين .. ؟ تـرى من هـو الرئيس الامريكـى الـذى سيوجه له الشعب العربى هـذا الشكر يوما .. ما .. واقول يومـا .. مـا . لان الدرس لابد أن يدرس لنا فى هذه المنطقة . ولـن تتغيـر النتيجـة . وان تغيـرت الوسائل .. أنا لا أتمنى لشعب من الشعوب أن يحارب قضايا الشرف والكرامة وفق قوانين منطق العالم الغربى .. ولكن وفق الايمان والثقـة والاعتـزاز بالذات والمنطق الشعبى .

ترى ماذا كان مصير العالم لو ان كل فرد فيه تعلم المنطـق . وفلسـفة العقـول الالكترونية .. وقاس آمال الشعوب بمقياس تجار الارض وسلع الطعام للبطون .... لقد عاملت سياسة مصاص الدماء العالم الحر « فعلا » الشعوب المناضلة وفـق اختبارات معاملها ، ناسية ارادة الانسان ومشاعره وجنونه يحب أرضـه وعرضه . تصور أصحاب المال الحرام .. مـن دم الشعوب الفقيرة مناجمها ، ثرواتها . هؤلاء الذين انفقوا فى قتل الانسان الحر فى ارضه ١٥٠ بليون جنيه ... لو كان هذا من دم الشعب الامريكى لما دفـع منـه قرشـا واحدا ... ولكنـه من مناجم النحاس ، وشركات النصب وشطارة العملاء .. وآبار البترول .. والسؤال هو ... هل يعرف العالم الحر زعما .. هذه الحقائق .. ؟؟ هل يعرف أصحاب العصابات . سواء كانوا دولا او جماعات . ان الظلام لايستمر ولايدوم مهمـا كانت أدوات قـوته نفـاقا أم ارهابا ... ؟

هل نستطيع ان نتعلـم مـن فيتنام ...؟؟

الانسان هو القوة الذرية التى تملكها الشعوب الصغيرة والمضطهدة كما قـال جياب ...

ان هذه القوة هى قوة الانسان المؤمن بالله وبنفسه وحقه فى الحياة فى ظـل العدل ...

ان هذا الدرس لا يجب أن يمر علينا مر الكرام .. واقولها هنا من على منبر الطليعة لمثقفى مصر أبناء الفلاحين والعمال هؤلاء الـذين مازالوا ينامـون فى ظـل لمـة الغاز الصفيح وليس فلاحين الجوخ .. وعمال مجالس الادارة ...

أقولها لهم اذا كانت الاعمار بيد الله ... واذا كنا نؤمن بالاسلام وهو يقول : لكل اجل كتاب .. فلماذا هذه السلبية ... لمـاذا التردد فى قول الحق .. لماذا لا نواجه هذه الجراثيم بالبتر حتى لا يصاب جسد الامة وروحها بالشلل لفترة قد تطول ... سيقول قائل : والله يقول ولا تلقوا بأيديكم الـى التهلكة . اقول له ايهمـا خـالد الـروح ام الجسد ... ان الجبن والنفاق والسلبية هلاك للروح وحياة للجسد .. فأيهما أحق بالبقاء ... ؟؟ انا ارى الروح ... ولهـذا اقول رأيى هذا متحملا كل تبعاته ...

أقولها هناك معركة مع امريكا مـع اصحاب الشركات ، مع التخلف الفكرى الرهيب مع كل أصحاب التطلعات الطبقية من تجار محلات البوتيك ، وتجار الكلام فى نفاق صحافة الغـد .. الذى سيكون مشرقا رغما عنهم ، وعلى غير مايتصورون. ان ايمانى بالفلاح المصرى والانسان المصرى يجعلنى اقولهـا بكـل صراحـة لليسـار الثورى أن التاريخ لن يغفر لكم بقاء هذه التربة الصالحة بغير غرس صالح حتى الان .. ان ثورة ٢٣ يوليو الحرة .. كانت ومازالت فى حاجة لنبات صالح فى ارض مصر ، لانه هو الضمان الوحيد لكى يمنع عنها جبالا من رمال التخلف ، تريد لها الموت لكى لايرهبها الامل ، عندما يرى النبات الشمس ، ويعرف معنى العدل والمسـاواة والعطاء .. انها تخاف فيتنام ، ونحن يجب أن نعشـق درس فيتنـام .. هـل بلغت .... اللهم فاشهد ! .

متولى حسن الجندى

اصبع آبار الشرقية عزبة ابو عساكر مركز الاسماعيلية

(٣) شـــاب يتحدث عن :

« تجـــربة الثـــورة »

.. بـين جيـــلين !

محمـد سـلماوى

محمد سلماوى : يعمل محررا بجريدة « الاهرام » منذ عام ١٩٧١ ، تخرج من قسم اللغة الانجليزية وآدابها بجامعة القاهرة عام ١٩٦٦ ، وعمل بها معيدا لمـدة خمسة اعوام قبل ان يستقيل ليلتحق بالعمل الصحفى ، يعد حاليا المرحلة الاخيرة من رسالة الماجستير فى الاعلام بالجامعة الامريكية .
من اسرة طبق عليها الاصلاح الزراعى وأممت ثمانى شركات صناعية وتجارية يمتلكها والده المرحوم المهندس سلماوى محمد .

ان اكثر ما يثير قلق الشباب هذه الايام ان يبدو وكأن بعض الاصوات التى كانت مستبعدة فى الماضى على أساس أنها أصوات « الثورة المضادة » قد عادت تسمع من جديد ، داعية لالغاء فترة من أهم فترات تاريخ هذا البلد .. فترة لا تمثل الا عشرين فى تاريخ مصر ، لكنها تمثل بالنسبة للشباب تاريخه كله .

فقد اتسمت الحياة الفكرية والسياسية فى مصر منذ تولى الرئيس السادات واقصاء « مراكز القوى » بقدر أكبر من الحرية لمختلف الاراء فى التعبير عن نفسها تمشيا مع مبدأ « حرية الرأى » وفكرة « تعدد المنابر » .

وبالرغم من ان جيلنا الذى نشأ فى ظل الثورة وتربى على مبادئها مازالت الغالبية منه تعتبر الاراء التى تعبر عنهـا هـذه الاصوات آراء « رجعية » ، بل وفى بعض الحالات « خائنة » ، الا ان ما يثير مخاوف هذا الجيل ليس تعبير هذه الاصوات عن آرائها فى حد ذاته .

ان المناقشـات التى اصبحت تدور بصفة منتظمة داخل قاعات وساحات الجامعة تشهد على ان الشباب ليس فقط اكثر تطلعات هذا الشعب ايمانا بحرية الرأى وتعدد المنابر . وانما هم أيضا أكثرها ممارسة لهذين المبدأين .

على ان الخوف هو من ان يختلط الامر ، فتستحوذ هذه الاراء على الحرية كلها والمنابر كلها ايضا ، فتجهض المبادىء التى عادت تعبر عن نفسها من خلالها .

فعلى سبيل المثال كانت هذه الاراء حتى وقت قريب مركزة داخل منبر صحفى واحد وكان هناك ما يشبه الحوار غير المعلن بين هذا المنبر بما يعبر عنه من اتجاه وبعض المنابر الاخرى التى تختلف فى منطلقاتها الاساسية عنه .

الا ان شيوع هذه الاراء فى أغلب المنابر الصحفية ، باستثناء منبر واحد أو اثنين من بينهم هذه المجلة ، أفقد بعض هذه المنابر اتجاهها الرئيسى ، وخطها الواضح ، فتحولت الفكرة من « تعدد المنابر » الى « تميع المنابر » .

— البقية —

جمهورية « أفلاطون »

وتزعم هذه الآراء فى حملتها انها تقوم بعملية « تقييم » لتجربة الثورة فى اعوامها العشرين الاولى ، وهى عملية بلا شك مرغوبة ، بل وحتمية أيضا .

لكن أهم ما يميز حملات « التقييم » التى تشهدها اليوم ـ سواء ما جاء منها من اليمين أو ما جاء أخيرا من بعض أجنحة اليسار ـ انها لا تقيم الا سلبيات التجربة فقط .

فلكل تجربة سياسية أو نظام حكم ، سواء كان ثائما او زال نصيبه من السلبيات ونصيبه من الايجابيات ، والقول بأن نظاما ما ينطوى على سلبيات ، لا يعيب هذا النظام فى شىء لان ذلك يكون تزييفا للواقع . لكن عندما لا نرى فى هذا النظام ـ لسبب شعورى أو غير شعورى ـ الا سلبياته فقط ، فان ذلك يعيبنا نحن فى الكثير ، لانه يكون تزييفا للواقع .

ان مصر شهدت حوالى ربع قرن من التحولات الجذرية والتطورات العظيمة التى نقلتها من عصر الى عصر آخر ، فأين حملات « التقييم » من انجازات الثورة الداخلية والخارجية ؟ أين هى من محاولة الثورة تطبيق العدالة الاجتماعية فيما حصل عليه العمال من مكاسب ، وما حصل عليه الفلاحون من حقوق ؟ وأين هى من مبدأ تكافؤ الفرص وما حصلت عليه طبقات الشعب الكادحة من مجانية التعليم وحق العمل ؟ أين هى من انجازات الثورة فى مجال التصنيع وما تحقق للبلاد خلال الخطة الخمسية الاولى التى شهدت تقارير الهيئات الدولية (البنك الدولى) على ضخامتها ؟

ثم اين حملات « التقييم » هذه من القومية العربية والتزام مصر العربى الذى استمدته الثورة وحركة التقدم التى تفجرت فى العالم العربى كله بعد الثورة ، والاستعمار الاجنبى الذى « حمل عصاه ورحل » من العالم العربى بفضل الثورة ؟ أين هى من دور مصر القيادى بين دول العالم الثالث ووزنها فى السياسة الدولية ؟

ان من أهم مستلزمات « التقييم » صفة « الموضوعية » التى تعبر بدورها عن الواقعية . ولكى نكون واقعيين يجب أن نتذكر أن الانسان منذ بدأ يعرف التهارب السياسية والنظم الاجتماعية ، وحتى وقتنا هذا ، لم يصل بعد لتحقيق مثالية « يوتوبيا » افلاطون .

صاحب التجربة

ان مشكلة « الهوة بين الاجيال » التى تواجهها المجتمعات الغربية فى الوقت الحالى على المستوى الاجتماعى يواجهها مجتمعنا على المستوى الاجتماعى والسياسى فى نفس الوقت ، وذلك نتيجة للتطورات التى شهدها فى العشرين عاما الاولى من الثورة .

لهذا الجيل دون غيره هو صاحب « تجربة الثورة » ، واذا لم يكن هو مفجرها فهو الذى تفتحت مداركه على مبادئها وقد شاهد بعض هذه المبادىء يتحقق امامه كالمعجزات ، وشاهد البعض الآخر تبوء محاولات تحقيقه بالفشل فتفاعل مع مشاعر النجاح وآثار الفشل بنفس القدر وتبلورت شخصيته السياسية والاجتماعية من خلالهما معا ونتيجة للنقلة التاريخية الهائلة التى مر بها هذا الجيل ، فان مفاهيمه السياسية والاجتماعية اختلفت اختلافا هائلا ايضا عن مفاهيم الجيل السابق ، فجيل سبع نتيجة للثورة مفاجئة من « شعار » ينادى بالاشتراكية وآخر ينادى بالقومية العربية فهمهما او لم يفهمهما ، وجيل آخر كانت التجربة الاشتراكية والقومية العربية جزءا من تكوينه الفكرى والوجدانى .

ولذا فان جيلنا سيظل يرى أن انتماء مصر العربى اكبر بكثير من محاولة الحصول على اكبر قدر من الريالات السعودية والدينارات الكويتية « تعويضا عما دفعته مصر للعرب خلال العشرين عاما الماضية » .

وسيظل يرى ان الاشتراكية اهم بكثير من مجرد « حملة طائشة من التأميمات » .

والسد العالى ، الذى كان ايضا احدى الموضوعات المفضلة لحملة « التقييم » ، اهم بكثير من « الآثار الجانبية » التى اكتشفتها هذه الحملة .

فانتماء مصر العربى ، كما آمنا به ، هو عطاء قبل الاخذ وهو مصير قبل الاختيار ، وهو حتمية التصدى للدفاع عن العرب جميعا : فلسطينيين وسوريين ويمنيين وجزائريين ، فالعالم العربى كل لا يتجزأ .

والاشتراكية هى اذابة الفوارق بين الطبقات فى محاولة لتجنب عدوية الصراعات الطبقية ، وهى مجانية التعليم ومشاركة العمال فى ارباح الشركات وهى القضاء على الاقطاعية ورأس المال المستغل .

والسد العالى ، بصرف النظر عن الاهدفة التى سيمكن استصلاحها بمياهه ، وبصرف النظر عن الكهرباء التى سيمكن بمقتضاها كهربة دجرجا

وكقور الريفة المخرج ، وبصرف النظر عما أشار اليه الرئيس السادات في أحد أحاديثه من كارثة كانت ستلم بمصر عام ١٩٧٢ بسبب انخفاض معدل الفيضانات لولا وجود السد ، فان السد العالى كان وسيظل رمزا فى وجدان هذا الجيل للكرامة المصرية فى مجابهة محاولات التحكم الاجنبية ورمزا للارادة المصرية فى مواجهة محاولة فرض القيود عليها .

وربما كان من أعظم نتائج الثورة أنها خلقت جيلا جديدا مؤمنا بمبادىء ومواثيق الثورة سواء ماتحقق منها أو ما لم يتحقق .

وعلى جيل الابناء الذى يزهم الان أنه يقوم بعملية « تقييم » لتاريخنا ، أن يتعرف على التيار المثالى الذى أصبح يجمع بين ابن الفلاح وابن مدير الشركة ، وبين ابن مصر وابن سوريا ، والا فسنظل جميع المبادىء التى تتحكم فى مستقبل العالم العربى والتى صنعتها ثورة مصر مجرد « شعارات » بالنسبة لهم ، يطالبوننا نحن بالتصدى لها بعد أن عجزوا هم عن فهمها ..

ان الشباب ليس فقط صاحب المستقبل . وانما هو ايضا صاحب الماضى . فالتجربة هى تجربتنا نحن ، ومحاولة بعض الاصوات القادمة من جيل آخر التعرض « لتجربة الثورة » بالتجريح تحت دعوى « التقييم » انما يتطلب من جيل الثورة توضيح الحقائق وتصحيح الافكار ومواجهة الموقف الغريب الذى يصبح فيه الابن أكثر نضجا من الاب !

③ مقاتل يتحدث عن ؟

هؤلاء الرجال [العظام]
ووفودهم الطائرة

احمد عنتر مصطفى *

يستعير الشاعر أحمد عنتر مصطفى اسم فيلم كوميدى ليتحدث عن الوفود الثقافية والادبية التى تمثل مصر فى المؤتمرات الدولية ويكتب الشاعر عن مشاركة مصر فى مهرجانات فنية وأدبية ثلاث .. محاولا أن يقدم تقييما موضوعيا لهذه المشاركة ، وللوفود التى شاركت فيها ممثلة لمصر ..

... وهذا اسم قديم لفيلم سينمائى كوميدى شاهدته القاهرة منذ سنوات اتخذناه عنوانا لهذه السطور بعد أن أبحنا لانفسنا حق التعديل البسيط .. فقد كان الاسم : [هؤلاء الرجال العظام وآلاتهم الطائرة ..] وقد كانت الآلات مضحكة وغريبة حقا !! شأنها شأن الوفد المصرى الطائر الى اى مؤتمر أو مهرجان ثقافى .. فهو مركب تركيبة تثير الضحك والاسى معا !! نذكر ليضا كم كنا نضحك ونحن نرى — فى الفيلم — هذه الآلات العجيبة

(*) شاعر شاب شارك مقاتلا فى القوات المسلحة خلال حرب ١٩٦٧ وطوال حرب الاستنزاف .

تتهاوى وتتحطم وتتساقط قطعا .. قطعا كلما صعدت الى السماء بمجرد لقائها بالريح .. او حتى النسيم .. — اقول نذكر اذ ان ذاكرتنا لازالت رغم غيبوبتها تعى وتلتقط ما هو مضحك لانه قليل ونادر — .. ويبدو ايضـــا ان المسئولين عن قطاع الثقافة يتعمدون مثل ذلك ترفيها عن العالم العربى باحزانه وهمومـــه الثقيلة الدائمة .

ولقد مل القلم ! وضاقت الصفحات من ترديد عبارات الضيق بالوضع الثقافى فى مصر .. واصبح من فضول القول كل ما يكتب على هذه الوتيرة .. ولكن ما حيلتنا — وقـــد رضينا — كرها — من الغنيمة بالاياب — ما حيلتنا وقد تدفقت علينا عبقرية الاختيار التى لا تخطىء باسماء فذة تنظم عقدا لؤلؤيا فى جيد كل مؤتمر .. وتلمح وميض ذكائها شمسا فى كل مهرجان ؟؟ !!

هى ظاهرة يجب ان نعيرها التفاتا شأنها شأن كل الظواهر السلبية التى انتثرت بثورا على جسد الثقافة المصرية المسجى .. لا يمكن ن نغمض عيوننا ازاءها .. وهى ايضا لاتنفصل عن كل لا يتجزأ من هموم الثقافة المصرية .. تلك الاقطاعية المترامية الاطراف التى يديرها [كقطاع خاص] — وهذا زمن القطاع الذئبى الخاص — افراد اعلنوا الوصاية عليها واقاموا حولها وامامهم المتاريس واطلقوا الاتهامات واستماتوا بشكل منقطع النظير .

نكون من البلاهة بمكان مرموق لو اوضحنا، او تعرضنا ، او شكونا كيف تلعب الاهواء الشخصية والشللية والخواطر دورا هاما فى تشكيل اى وفد مصرى لاى مؤتمر او مهرجان او احتفال ثقافى ..فليس من الخفى لاى عين — مهما رمدت — ان تنفذ او تلمح اعمـــاق السياسة الثقافية فى مصر وخطواتها الرائدة!! كذلك لا يغيب عنصر الانتقام — الوجه الاخر للعملة — عن هذا الاختيار الفريد .. واعنى بهذا العنصر ان كثيرا من ادباء مصر وكتابها وشعرائها يتعرضون للحجب والمنع والاستبعاد من قوائم الوفود لخلافاتهم الفنية والفكريـــة وآرائهم الشخصية والموضوعيـــة فى وزارة الثقافة وسياسة القائمين عليها .. وبما ان هؤلاء الاخرين باقون فى وزارة الثقافة — بقاء لبد — فلا نظن اننا سنسمع فى القريب او البعيد اسماء جديدة شابة، وعقولا واعية منفتحة ممثلة لاسم مصر الحبيب .. اظننا لن نسمع سوى ذلك الطنين المكرور وتلك الاسطوانة الباهتة المشروخة التى يرفضها شباب المؤتمرات والوفود الاخرى التى تواجهها بالحقيقة .

وانا بصفة شخصية لن ادهش — وقد لا يدهش معى العالم العربى — لو طالعتنا اسماء مثل [**تلبط شرا**] او [**الحارث بن حلزه**] او [**علقمة الفحل**] فى قائمـــة وفـــد مصر فى المهرجان الشعرى القادم .. فهؤلاء — مع الاعتذار لاصحاب الاســـماء الحقيقيين — موجودون بالفعل وكثيرا ما تقابلهم فى الطريق العام المؤدى الى مجلة [الثقافة] المصرية !! لن ادهش .. ولكن ربما ابكى !!

ثلاثة مهرجانات او مؤتمرات فنية وثقافية تزاحمت مناكبها على امتداد الساحة العربية جغرافيا بين **سوريا وتونس والجزائر** .. وكانت هذه الظاهرة ممثلة هناك بشكل يثير الالم ان لم يثر الخزى .

ففى دمشق انعقد مهرجان المسرح بعـــد غيبة طويلة بسبب ظروف يونيو وما تلاها على مسرح الاحداث العربى. .واخيرا اطل المهرجان ..فبماذا احتشدت له مصر [طليعة الامـــة العربية الثقافية] ؟؟ لا نجد تفسيرا لاختيار العمل الفنى المصرى المقدم والممثل لثقافة هذا الشعب المناضل الطيب .. لا نجد تفسيرا لاختيار مسرحية [اقوى من الزمن] سوى انها مسرحية **يوسف السباعى** . وانا قرات صغيرا [الســـقامات] و [بـــين ابى الريش ..] و [**يا امة ضحكت**] فاعجبت بالاستاذ **يوسف السباعى** قاصا .. وقرات مراهقا وشـــابا المطولات المذهبة فعرفته روائيا .. واعرف ان له محاولات فى معالجة المسرحية .. اما [اقوى من الزمن] فهى ليست مسرحية من الاصل .. وللسيد الوزير ان يكتب قصصا [تمسرح] او مسرحا [يقص] ولكن لنا ان نتساءل ونضج بالشكوى وا[illegible]ال : **هل هذه المسرحية هى النموذج الجيد — فضلا عن الامثل — لهذا الفن الشامخ الذى [illegible]ك ان السيد الوزير يعرف ما اسهمت مصر به فى هذا الميدان بين شقيقاتها الناهضات ؟؟؟**

ثم نتساءل : كيف يتسامح فنان ويتساهل فى ان يقدم عمله على هذا النحو المتهرىء الذى ظهرت به المسرحية فى المهرجان كما كتبت الاقلام ونقلت الصحف .. ان المسرحية انتهى عرضها بالقاهرة منذ مدة — ولنترك تقييم مدى نجاحها بالقاهرة حتى تؤهل للعرض فى مهرجان — انتهى عرضها بالقاهرة منذ فترة طويلة وتفرق ممثلوها وطوى النسيان ذلك النص فى متاهات الذاكرة مما جعلهم حديث المهرجان واوقفهم — واوقف مصر — موقفا لانرضاه لهم او لها .

للمجاملات والخواطر ان تزدهر فى هذا الزمن الاغر .. فكثيرا ما يسافر **صالح جودت ورامى وعبد الغنى حسن** الى مهرجانات الادب .. وقريبا جدا مثلتنا مسرحية [**محاكمة عم احمد الفلاح**] فى مهرجان مسرحى فتلقينا اللعنات والصفعات من المغرب العربى .. للمجاملات والخواطر ، ان تزدهر فى هذا الزمن الاغر .. ولكن وجه مصر الذى تدعون عبادته — يا سادتى — يندى خجلا .. يكفى ان وفدا مصريا لمهرجان المسرح يخلو من اسماء رائده مثل [**لويس عوض**] — الذى فاتها ومضى — او [على الراعى] — الذى يتأرجح بين الرحيل والمقام — يكفى ان مسرحيات محمود دياب لا تقدم فى مهرجان كهذا .. وكم تكون الطعنة دامية وقاتلة حينما يفاجئنا الاخوة الكويتيون بذلك العرض المسرحى الرائع لمصرى شريد اسمه [**الفريد فرج**] .. صاحب [على جناح التبريزى وتابعه قفة] التى صفق لها المهرجان ولقيت نجاحا باهرا .. هل انزف ، فأزيد ، فأقول ان **نعمان عاشور** سافر الى مؤتمر الادباء بالجزائر ضمن الوفد المصرى وليس ضمن وفد المسرح فى دمشق !!

لا ليس تخبطا وليس ارتجالا بقدر ما هو جريمة فى حق هذا الوطن الذى لا يطعنه الا ابناؤه وبالفظاعة الجراح !!

●

وفى مهرجان ابن رشيق بالقيروان كان هناك وفد يضم الدكتور **حسين نصار** ، والشاعر **حسن كامل الصيرفى** [وهو من آخر الخليط بين المهجرين وشعراء ابو للو] والشاعر عبده بدوى .. وقد قام الاخيران باتحاف المجتمعين بقصيدتين الاولى [ميمية] للشاعر الصيرفى والثانية [بائية] للشاعر **عبده بدوى** يجدهما الباحث والمدقق منشورتين بمجلة **الهلال** الغراء عدد مايو الماضى [وربما اى مايو آخر] .. وقد تصدت مجلة **الهلال** بشجاعة لجمع مثل هذه القصائد المذهبة القوافى ضمن كنوزها العامرة .. جزاها الله عن الثقافة خيرا .

■

ويطير **عبده بدوى** على براق آلى — واعنى طائرة — او على اجنحة ربات الشعر ليلحق بالوفد المصرى فى مؤتمر الادباء بالجزائر .. لينتظم اسمه ضمن الصفوة المختارة : الشاعر **صالح جودت** رئيسا لوفد مصر [الذى يضم بينه شاعرا رائدا هو صلاح عبد الصبور] تبدو المعادلة صعبة !! ولكن نهرع الى التراث فنجد **خالد بن الوليد** القائد يحارب تحت امرة **ابى عبيدة بن الجراح** [قياس مع الفارق !!]

.. والشاعرة **ملك عبدالعزيز ونعمان عاشور !! واسماعيل ولى الدين وعبد العزيز الدسوقى ويوسف الشارونى ومختار الوكيل** [!!!] **والحسانى عبد الله** [المهر الجامح فى فلوات الشعر] .

ولن نتعرض لاسماء اديبة وشعرية تختفى دائما امام تلك الكوكبة المغيرة من فرسان القرون الاولى !!!

ولكن الوفد الضخم هذا .. دائما تسمع منه جعجعة ولا ترى طحنا .. اغلبه قدم للسياحة والنقاهة والاستشفاء وشراء المقتنيات ككل الوفود الثقافية التى تطوى معاطفها وحقائبها من والى المطار .. ويبدو ان **صلاح عبد الصبور** احس بالغربة فى هذا الحشد فلم يحضر الا امسية الشعر الاولى .. وابتلع على مضض قصيدة **صالح جودت** واسرها فى نفسه ولم يكرر الحضور .. وقصيدة **صالح جودت** تجدها فى **الهلال** عدد مايو ضمن مقرراته الشهرية على القارىء العربى الذى ولا شك يتمتع بصبر طويل ورثه عن الجمال العربية .. هذه القصيدة هى نفس القصيدة التى قالها **صالح جودت** فى اليمن فى الستينيات والتى قالها فى **تونس** فى العام الماضى والتى سيقولها فى مدرج جامعة **القدس** لو دخلتها الجيوش العربية مع تعديل طفيف فى القافية .. وشارك **عبد العزيز الدسوقى** ببحث عن ملامح الثورة فى الادب العربى !! واسهم **مختار الوكيل** بقصيدة انتقدها شريكه **الحسانى عبد الله** بأنها مضحكة للغاية !! حيث انها مليئة بالاخطاء العروضية !! وعبده بدوى — الطائر — عارض اباتمام ببائية يقف لها شعر الرأس من ايغالها فى السوء .. لم يشترك **صلاح عبد الصبور وملك عبد العزيز** بشعرهما الحديث ولاذا يقول المتنبى [قد افسد القول حتى أحمد الصمم] ..

ونتساءل : هل هذا هو الشعر المصرى .. وهل هذا هو الوجه الحقيقى والنبض الرهيف لمشاعر وأحاسيس هذه الامة التى لازالت تعتز وتزخر بشبابها وقدراته على العطاء ؟؟ !!

وتكون الطامة الكبرى حينما يقف **الحسانى عبد الله** ليلقى قصيدته فى مهرجان الادباء بالجزائر ويهاجم **الناصرية** بأسلوب فج واضعا كرسيه فى اتجاه التيار وهو ليس ذكيا ولن يكون — اذ حسب أن شعر الرفض قد يخلق منه شاعرا **كنزار قبانى** مثلا .. اذ ليس كل الخشب يصلح أن يكون نايا أو مزمارا .. هاجم **الحسانى الناصرية** بشتائم وسباب لا نقف عنده .. **ولكن القاعة استطاعت ان تجبره على السكوت عندما**

ضجت بأصوات الاحتجاج من الشباب الجزائرى الذى قلم بعض افراده بانزاله من الطائرة قبل ان يكمل قصيدته وقد احتجت وانسحبت بعض الوفود العربية .. كسوريا ولبنان واليمن .. وكتب على هاشم رشيد مذكرة نيابة عن الوفد الفلسطينى ورفعها الى السيد يوسف السباعى احتجاجا على هذه الواقعة . ولن نعرف بالطبع مصير هذه المذكرة !! .

ان سلسلة الجرائم التى ترتكب فى حق مصر وتاريخها وتقاليدها ودورها القيادى تأبى أن تنتهى .. ودائما تحفظ الملفات فلا يعلم

مرتكبوها .. وللسادة ان يسيئوا اختيار الحواريين ولكن عليهم الا يخطئوا المكان المناسب للجريمة — فليس أقل من أن يتذكروا هذا النزل الخالد « واذا بليتم فاستتروا » ..

ودائما تعود الوفود .. وتهبط الطائرات وهى تحمل الحقائب وعلى الوجوه ابتسامة .. هل يعلمون أن مصر تعفى رأسها خجلا وتضم جرحها النازف .. وربما تسقط عيناها ذابلتين فى مواطىء أقدامهم .. هربا من لقاء هؤلاء الرجال العظام وونودهم الطائرة .

④ عامل يتحدث عن :

شرط النصاب المالى فى المرشحين للعمدية

عطية الصيرفى *

وعندما يتعلق الامر بمصالح جماهير الفلاحين ، فليس من الغريب ان يتقدم احد العمال ليدافع عن مصالحهم .. ومن هذا المنطلق يقدم عطية الصيرفى — عامل نقل — تعقيبا حول شروط انتخابات العمد .

من المؤكد أن أجراء الريف وفلاحيه هم أغلبية شعبنا المصرى التى تغذى كل مجالات الحياة فى بلادنا بما فى ذلك قواتنا المسلحة بالايدى العاملة والقوى البشرية التى هى أغلى وأس مال ..

ومن هنا نليس مقبولا ابدا أن تظل هذه الاغلبية الكادحة تحت وطأة نظام غير ديموقراطى ؟ هو نظام منحدر من عهد الاقطاع ؟ وتمضى به نظام العمد الذى يقوم على اشتراط النصاب المالى لمباشرة وظيفة العمدة .

وهؤلاء العمد الذين يحكمون الريف المصرى بقراه وكفوره ونجوعه وعزبه منذ عهد بعيد على

* عامل بشركة اتوبيس وسط الدلتا .

الى الان لهم تاريخ حافل بالتسلط على الحركة الفلاحية والوطنية .. فبواسطتهم وبيركاتهم نفشت السخرة فى الحياة المصرية حيث كانوا يربطون للفلاحين تطارات بالحبال لحشدهم بساحات السخرة والعمل الاكراهى فى حفر الترع والمصارف والرياحات وفى شق قناة السويس وفى خدمة الجيوش البريطانية ومعسكراتها بالشام والاناضول . وقد ادى هذا الى موت الالاف من الفلاحين وعلى سبيل المثال فقد مات اثناء حفر ترعة المحمودية وحدها ١١٥ الف اجير وفلاح بسبب قسوة العمل وأرهاقه ..»

وبواسطة بعض هؤلاء العمد ايضا اهدرت الحريات الشخصية للفلاحين بمصادرة تنقلاتهم بالاضافة الى ختم لكل هيات الفلاحين الوطنية والاجتماعية الامر الذى ادى الى اغتراب الجماهير الريفية الكادحة حيث عاشت حياة الغربة الاجتماعية بعيدا عن التطورات الاجتماعية وتغييراتها .. كل هذا — بالطبع — حدث فى الماضى ..

ومما يحزن أن بعض القوى بدافع من مصالحها الذاتية والانانية تحاول تثبيت هذه الوضعية غير المنطقية فى ريفنا خلال مناقشات تكون العمد الجديد فى لجنة الامن القومى بمجلس الشعب بدعوى ضرورة اختيار العمدة من العائلات الريفية القوية التى تملك الجاه والثراء والنفوذ ، حتى تتبح شخصية العمدة بالمهابة والخشية واحترام القادة . ولهذا فسوف تسود العنصرية العائلية وتتضخم مصالح شباعى الريف على حساب الجماهير الفلاحية الكادحة الاكثر عددا والاشد فقرا وذلك وفقا لبعض الاراء التى أبديت فى المناقشات المذكورة التى انتهت الى موقف وسط يتضمن ضرورة وجود شرط النصاب المالى للمرشحين للعمدية على أن لا يقل هذا النصاب عن خمسة أفدنة من الملكية أو عشرة أفدنة حيازة بالايجار أو دخل ثابت لا يقل عن عشرين جنيها فى الشهر ..

ولا يعنى هذا غير ابعاد الجماهير الفلاحية وطردها من ساحة المشاركة فى ادارة شئون بلادها لان الاغلبية الساحقة فى الريف المصرى اما معدمة تعيش من قوة عملها واما تملك أو تستجر قراريط معدودة من الارض الزراعية ..»

والغريب المؤسف ان هذه الجماهير المبعدة والمطرودة من حق المشاركة فى ادارة شئون بلادها هى التى تصنع الحياة والخضرة فى الريف وهى التى تشارك بأرواحها مشاركة تتجاوز أكثر فأكثر مشاركة غيرها فى العمل القتالى والعسكرى لتحرير الوطن ..»

ولهذا تسعيد بنا الدهشة عندما نرى ان يتم هذا الطرد وذلك الابعاد بواسطة مجلس الشعب حصن الشرعية والديمقراطية الامر الذى يدعونا الى تنبيه اعضاء هذا المجلس الى مراجعة قانون العمد الجديد بشكل فورى وتخليصه نهائيا من المزايا الطبقية ممثلة فى شرط النصاب المالى للمرشحين للعمدية وهذا الشرط الطبقى الذى لا يتواجد ابدا فى نظام العمد فى أى بلد يحترم الديمقراطية ومن ثم لا تفرد شريحة أو طبقة اجتماعية بالسلطة التنفيذية فى ريفنا مع ملاحظة أن ذلك يتنافى مع الدستور ومواثيق ثورة ٢٣ يوليو ، ويخل بالتحالف الوطنى ويجهز عليه ..

وبهذا يسجل مجلس الشعب موقفا ديمقراطيا فى التصدى للقوى الداعية للاخذ بفكرة السيادة دون فكرة الحرية . هذه القوى التى تحاول دائما أن تعطى الافضل للشباعى والاغنياء والاسوأ للجماهير الكادحة حفاظا على مصالحها وامتيازاتها ..»

وهذا الموقف لا تتجلى موضوعيته فقط فى ترسيخ مبدأ تكافؤ الفرص بين طبقات المجتمع المصرى بل يتجلى ايضا فى اشاعة الديمقراطية فى الريف المصرى حيث يظهر الوعى ويزداد نضج الجماهير الفلاحية عزيتها فورا لكى تشارك بحماس فى ادارة شئون مصر المتحررة والديمقراطية باعتبارها الاغلبية وباعتبارها قوى منتجة ..»

ومن ثم يعود فلاح مصر الفصيح ممثلا فى شخصية العمدة الجديد الذى يجيد فن الادارة الديمقراطية بحيث لا يباشر مسئولياته بالفلكة والكرباج، ويتسلط المشد وشيخ الخفراء ، ولكن يباشرها بالسلطة والقناعة ويباس الجماهير الريفية وفهم نفسيتها لانه ادرى بها من العلماء والفلاسفة لانه اجير او فلاح فقير .. وفى هذا تحقيق لقول القرآن الكريم ودعوته للديمقراطية « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين » ..

التجـــربة النـــاصرية
بـين الرؤيـــة التـآمـــرية للتـــاريخ
واستخفاف الفلاسـفة بعـلم السـياسة

وجيه ضياء الدين *

بهذا المقال تفتح « الطليعة » منبرا جديدا للحوار حول مقالات د. فؤاد زكريا عن « عبد الناصر واليسار » .
وجيه ضياء الدين ، كاتب شاب ، يعلق على هـذه المقـالات محاولا أن يبحث عن اسباب « الموضوعية » المفتقدة في مقالات د. فؤاد زكريا ، منتقدا ما أسماه بمحاولة تحميل كل اخطاء الماضى « على شماعة التجربة الناصرية » .

وسط جدل يحتدم بيننا ومن حولنا عن تقييم ثمانيه عشر عاما من عمر وطن ومسيرة أمة ، يدخل الحوار فارس جديد هو الدكتور فؤاد زكريا .

ولقد اختار مفكرنا أن يدلى بدلوه بطريقة متميزة . فقد ظلت مجلة لها مكانتها مثل روزاليوسف تكرر الاعلان عن « دراسة » عهدت بها « لباحث مستقل لا يدين بغير الحقيقة بمقاييس البحث العلمى المجرد » حول قضية لها أهميتها وخطورتها . وتابع القراء « ثلاثية د . فؤاد زكريا » ، فاذا بهم أمام مجموعة من التعميمات والاحكام المسبقة الجاهزة التى لم يكن نقدها يتطلب هذا الجهد الاعلانى من قبل المجلة ، ولم يكن الوصول اليها يستدعى هذه المعاناة الفكرية من قبل باحث ممتاز ومفكر جاد مثل أستاذنا د . فؤاد زكريا .

ويبدو أن المجلة نفسها قد استشعرت هذه المفارقة ، فبعد أن كانت قد وصفت ما تنشره بانه « دراسة » فى الحلقة الاولى ، عادت فوصفته بانه « تحقيق سياسى مثير » فى الحلقة الاخيرة . ومن الواضح أن هناك فارقا كبيرا بين الوصفين .

على أن هذا كله لا ينفى أن معالجة د . فؤاد زكريا تظل متميزة عن غيرها ، ولذلك فان الحوار الجاد معه حق له على قارئه .

١ ـ بدأ د . فؤاد زكريا معالجته بمحاولة اقناع قرائه بموضوعيته ، فبرأ نفسه ـ بطريقه تذكرنا بالطريقة المياسية الاسوانية (نسبة الى عباس الاسوانى) ـ من شبهة الرجعيـة والجبـن والانتهازية . لكنه ينهى مقدمته بقوله أنه « يود أن يكتب عن الناصرية كتابة فيها جانب سلبى » . وتلك عبارة يمكن للمبتدئين بدراسة المفاتيح اللفظية أن يتاملوها وأن يقتطفوا حول دلالتها ، لكن أحدا لا يستطيع أن يزعم أنها دليل على موضوعية كاتب عرفته التفتيق فى اختيار الكلمات . ومن حق القارىء هنا أن يضع علامة التعجب بعدها لينهى بذلك حديث الكاتب المسهب عن موضوعيته ، وليستفتح د . فؤاد زكريا من ذلك مدى قدرته على اقناع القارىء بموضوعية .

ويغض النظر عن هذه الملحوظة التى اسلم بانها شكلية ، والتى قد يرى فيها فريق آخر دليل على شجاعة الكاتب الادبية ، فان الحوار مع د . فؤاد زكريا حول الموضوعية ينبغى أن يدور على أرضية

---

* باحث بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام

المؤرخ ، فدراسته دراسة تاريخية فى المقام الاول • وهنا ينبهنا الكاتب الى أن « تقييم السياسات على أسس اخلاقية هى نزعة مثالية لا يصح أن يكون لها مكان فى أية نظرة طبية » • ونحن نتفق معه فى ذلك لكننا على استعداد للحوار معه حول مدى لمكانية الموضوعية فى التاريخ • فالقضية ليست ما اذا كان تقييم السياسات اخلاقيا صواب أم خطأ ، وانما هى ما اذا كانت الموضوعية ممكنة أم مستحيلة •

فمن ناحية يسلم المؤرخون بالحاجة الى الموضوعية فى عملهم ، والا لما كان هناك فارق بين التاريخ والدعاية ، لكن معظم الثقاة من المؤرخين يؤكدون من ناحية أخرى أن الخلافات بينهم تنبع من العناد ، وربما التعصب بحكم تشبع كل منهم لنظرية يعتبرها الكلمة الاخيرة بينما يرى فى غيرها الخطأ المطلق •

وازاء ذلك ، يطرح علماء المناهج ثلاث بدائل أو مواقف :

● أن نسلم بأن المؤرخين لا يتأثرون بعوامل ذاتية نحسب ، بل ينبغى أن يتأثروا بذلك ، فكل مؤرخ ينظر الى الماضى من وجهة نظر معينة لا يستطيع تجنبها ومطالبته بغير ذلك يعنى مطالبته بتغير طبيعته • وبالتالى فالخلافات بين المؤرخين لا تعنى فى صميمها بما هو صحيح أو مزيف ، بل بما هو مرغوب أو مرفوض ، ومن ثم ينهار تماما الادعاء القائل بلمكانية دراسة التاريخ دراسة موضوعية •

● أن نقر بأن الموضوعية فى التاريخ مختلفة تماما عن الموضوعية فى العلم • فبينما يعمل جميع المؤرخين المؤلفات المتصلة الواضحة الميول ، فانهم لا يؤيدون بوضوح النموذج المجرد الخالى من التفكير الذاتى • وبمعنى ما يمكن تشبيه عمل المؤرخ هنا بعمل الفنان ، أى انه تعبير عن شخصية صاحبه • ففى الحالتين هناك الانتقائية التى تعنى وبالضرورة الذاتية • واذا كانت ذاتية الرؤية التاريخية لمنة ، فانها اللمنة التى لابد من قبولها على علاتها ، فالتاريخ غير منفصل عن المؤرخ وتمييز الموضوع عن الذات هنا لا يعدو أن يكون تمييزا شكليا •

● أن نقنع بأن عجز المؤرخين عن الالتزام بالموضوعية حتى الان لا يعتبر دليلا على استمرار هجزهم • وهذا الموقف يحول كثيرا على ما يحققه العلم من تقدم مضطرد فى دراسة وتحليل الطبيعة الانسانية ، لكن الواضح أن هذا البديل لا يقدم حلا للمشكلة ، اذ ستظل الموضوعية فى التاريخ مرهونة بلمكانية تحقق الموضوعية فى دراسة الظواهر الاجتماعية •

واضح اذا أن فكرة الموضوعية فى التاريخ فى حاجة الى تمحيص نقدى دقيق • واذا كان د • فؤاد زكريا قد حاول الخروج من هذا المازق بابتداع ما أسماه « بالموضوعية الثورية » فليس هذا حلا للمعضلة • فواضح مما سبق أن العلم لا يعرف الحاق صفة أخرى بمفهوم الموضوعية ، والا لكان هناك فى مقابل الموضوعية الثورية موضوعية أخرى ، ولتكن مثلا الموضوعية الرجعية • واذا عرفنا انه ليس هناك فارق بين التعريف الذى قدمه لموضوعيته الثورية ، والموضوعية بمعناها العلمى لجاز لنا تفسير اصراره على هذه التسمية بأنها حكم مسبق على أى اختلاف معه فى التفسير ، ومن ثم الذى يستطيع أن يغامر بالخروج على « الموضوعية الثورية » فتلك اذا وصولة قمعية ضمنية لا مكان لها فى حوار علمى •

لما عن تأكيده على التزامه بالموضوعية الثورية ، فانه لا يشكل ضمانا للالتزام بها • ففضلا عن عبارته التى سجل فيها «واياه المسبقة » فان مضمون دراسته ـ كما سنرى ـ لا يتفق وتأكيداته وفى كل الحالات فان طبيا الا ننسى انه من المستحيل أن نجد كاتبا يعلن عزوفه عن الالتزام بالموضوعية • وفى عبارة واحدة ، فان على كاتبنا أن يقتنع وأن نقنع معه بأن ما قدمه لا يخرج عن رؤيته الخاصة لموضوع تحقيقه •

٢ ـ فاذا سلمنا بذلك وعدنا لمضمون الدراسة ، فسنجد أن القارىء يشعر منذ السطور الاولى للتحقيق ، بأن لمكرنا رؤية ما • فازاء تقديم ذاتى يستغرق ثلث المقالة الاولى ، لا يملك القارىء الا أن يتساءل : هل يثبت د • فؤاد زكريا بذلك فى نفس الوقت صحوبة قبوله هو نفسه لامكانية المعالجة غير المتميزة لموضوعه ، واذا صح ذلك فما هى دلالته ؟

على أن هذا التساؤل الذى يظل مشروعا فى كل الحالات ، سرعان ما يجد اجابته بتحول ما كان احتمالا واردا الى موقف واضح ومحدد • ففى النصف الثانى من مقاله الاول يؤكد د • فؤاد

زكريا أن « التجربة الناصرية لم تخرج عن خدمة جهازها الخاص » ، وأنه « من المؤكد أن لأجهزة كثيرة كانت تعرف تفاصيل حالات استغلال النفوذ المستفحلة ، لكنها كانت تتستر عليها » وهكذا ودع الكاتب قارئه تاركا لديه الانطباع بأن المسألة فى مجملها لا تزيد عن مؤامرة وزعت فيها الادوار بين الاجهزة .

وتتكرر نفس الرؤية حلال المقال الثانى ، وهو اطول المقالات الثلاث ، مع تباينين ، أولهما تأصيل جذور المؤامرة (فهى تبدأ منذ اللحظات الاولى للتجربة) وثانيهما تحديد لابعادها (جاءت مصحوبة بعملة دعائية منظمة قائمة على أسس علمية مدروسة » ، وهكذا امكن للكاتب تحويلنا الى « شعب من المنسحقين » محكوم بنظام « على استعداد كامل للانحراف » .

وحينما تعرض الكاتب لموضوعه الاصلى ـ الذى لم يتطرق له بالمناسبة الا فى النصف الثانى من مقاله الاخير ـ جاءت لمحاكمه نابعة من نفس الرؤية التآمرية ، اذ شبه العلاقة بين التجربة الناصرية ، واليسار الماركسى بقصة « ايفا الغولة فى أساطيرنا الشعبية » ومن ثم فالمسألة لم تكن مؤامرة فحسب ، بل ومؤامرة خارجة أيضا .

ولا شك أن مقولة أن للتاريخ الانسانى غاية ، وأن له نمط يمكن تتبعه فى مقولة لها ما يبررها ، فرفضها يعنى الاعتراف بأن العملية التاريخية تسير عشوائيا والانسياق وراء نزعة تشك وتشكك فى قيمة الحياة الانسانية ، لكن ثمة فارق كبير بين أن يكون للتاريخ غاية وبين أن يكون التاريخ مؤامرة .

وكل من لديه قدر من الوعى التاريخى يعرف أن للرؤية التآمرية للتاريخ ميزة كبرى تكمن فى أنها تسهل على أنصارها تفسير كل شىء تفسيرا سهلا بسيطا . فالحرب العالمية الثانية ـ مثلا ـ قامت لديهم لان هتلر كان يبغيها ! والصراع العربى الاسرائيلى ـ كمثال آخر ـ ان هو الا امتداد لمؤامرة يهودية بدأت منذ خروج اليهود من مصر مع موسى وأنه منذ هذه اللحظة وحلقات المؤامرة متصلة وما الصهيونية الا الحلقة الاخيرة فيها !!

على أن الكثيرين يعرفون ، بل والجميع يعانون من التبسيط المخل هذه الرؤية التى تميز تماما عن الاجابة على أسئلة من نوع لماذا وكيف ، وهى الاسئلة التى يعتبر السعى للاجابة عليها بمثابة المعيار الفيصل لمدى أصالة المفكر ودقة وشمول تفسيره . واذا عدنا لموضوعنا لجازلنا التساؤل : كيف تستطيع هذه الرؤية أن تفسر لنا خروج الشعب المصرى يومى ٩ و ١٠ يونيو ، ومعلنا تمسكه بقيادة عبد الناصر له ، هل نحن مثلا شعبا يحب جلاديه وهم يواجهون الهزيمة ؟ واذا قبل ردا على ذلك ، وبنفس المنطق التآمرى ، أن التنظيم الطليعى هو الذى رتب ذلك ، فما هو تفسير خروج الملايين لوداع عبد الناصر يوم الرحيل وهل يمثل أن يكون كل هذا الوفاء لجلاد سقط سوطه برحيله ؟ واذا قيل فى ذلك أن هذه هى الاستجابة الثقافية لشعب عاطفى مثل الشعب المصرى ، فمباذا نفسر المعاصفة المدوية من التصفيق التى كان جمهوريا يستقبل بها ظهور صورة عبد الناصر للحظات فى فيلم « المصفور » الذى بدا عرضه فى القاهرة بعد سنوات من الرحيل ، ورغم أن محور الفيلم نفسه هو نقد التجربة أيضا ؟ وأخيرا هل نستنتج من ذلك أن النظام القائم الان استمرار لنفس المؤامرة على الاقل بحكم أنه لا يزال يستمد شرعيته من التجربة الناصرية ؟

٣ ـ واذا جاز لنا أن نحاور د . فؤاد زكريا بمنطق الفلاسفة ، فسنجد أن رؤيته كمؤرخ قادته لبعض الاخطاء هنا أيضا . فالمناطقة يعلموننا أنه من أخطر عوامل الوقوع فى الخطأ الربط بين ظواهر لا رابطة بينها فى الواقع ، فماذا لو أصلنا هذه القاعدة فى الثلاثية ؟

خذ مثلا تحليله على استمرار الفوارق الطبقية فى المجتمع المصرى . ففى بساطة راح الكاتب يدلل على زيادة عدد الاسياد باستمرار اطلاق الالقاب . ولاول وهلة يبدو الربط بين الظاهرتين منطقيا . لكنه لا يمكن أن يتسم بأى قدر من المنطق حينما نتذكر أن الكثيرين منا يمنحون هذه الالقاب كل يوم وكل ساعة ، فهل معنى هذا أن هذه الكثرة منا قد انتقلت تلقائيا لطبقة الاسياد أم أن استمرار اطلاق الالقاب يرجع الى عوامل أخرى ، فضلا عن أنه أضحى الآن خاليا من أى مضمون طبقى ؟

خذ أيضا ربط الكاتب بين عدم الافراج عن الماركسيين ، وبين زيف اشتراكية التجربة الناصرية . ما هى العلاقة هنا ، وهل معنى ذلك أن نظام الحكم الملكى فى مصر ـ مثلا ـ كان أكثر تقدمية من نظام ثورة يوليو ١٩٥٢ لانه كان يسمح

بقيام حزب شيوعي مصري ؟ الواقع أن محاولة الربط هنا ليست سوى دليل على نرجسية الماركسيين المصريين وهو ما يبدو واضحا في تباكي الكاتب على « الايام التي تمتع فيها الماركسيون بعطف وتأييد القواعد الجماهيرية لهم » وهو قول لا يستطيع أكثر الماركسيين المصريين ارثوذكسية الدفاع عنه أو اثباته .

والاخطر من هذا كله أن نفس الرؤية قادت مفكرنا الى سقطة مخيفة بالفعل ، حينما ذكر أنه « يكاد يكون موقنا بأن المعسكر الرأسمالي العالمي كان سعيدا كل السعادة بهذه التجربة ، وكان ينتظر الوقت الذي يصبح فيه اخفاقها مدويا لكي يتقدم باعتباره البديل المنقذ » . وما نعرفه أن المعسكر الرأسمالي العالمي لم يكن سعيدا أبدا بالتجربة الا اذا سلمنا بأن الصراع المسلح هو أحد مظاهر تعبير هذا المعسكر عن سعادته ! وما نعرفه أيضا أن نفس المعسكر لم ينتظر اخفاق التجربة ، وما كتب عن حرب السويس عام ١٩٥٦ وحرب يونيو ١٩٦٧ وما يتكشف كل يوم عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، يجعل القول بذلك لا يصدر الا عن واحد من اثنين : انسان دماء شبابنا لديه أرخص من المداد الذي يكتب به ، أو انسان قادم الينا من كوكب المريخ — فلا شك أن من هبطوا على القمر لا يغامرون بمثل هذا القول — ولاستاذنا أن يضع نفسه في الموضع الذي يختاره .

٤ — وثمة محور أخير يمكن أن يحدد لنا أبعاد الحوار حول منهج الكاتب ورؤيته وهو المفاهيم التي يستخدمها — أو بالاحرى — التي لم يستخدمها — في تحليله . فلقد قاده ذلك أيضا لخطأ آخر هو الانسياق وراء العديد من الاحكام المسبقة الجاهزة عن التجربة الناصرية وأوضاعنا الاجتماعية والسياسية عامة ، فجاءت معرفته بالموضوع أقرب للمعرفة العامية منها للمعرفة العلمية .

من ذلك اطنابه في الحديث عن تفشي السلبية والنفاق وفقدان الانسان المصري لقدرته على الرفض ... الخ ، ثم تأكيده على أنه يعتبر ذلك أكبر سلبيات التجربة الناصرية . وفي حدود علمي ، فان كل هذه السمات يعرفها كل من درس الطابع القومي المصري . ولو كان الكاتب قد عرض ما كتبه على أي دارس لعلم الاجتماع أو العلوم السياسية ، بل لو كان قد أجهد نفسه وعاود الاطلاع على العدد الخاص الذي أصدرته مجلة الفكر المعاصر ، حين كان هو نفسه يرأس تحريرها عن « الشخصية المصرية » « عدد أبريل ١٩٦٩ » لتغيرت بالتأكيد استنتاجاته . فثمة فارق كبير بين أن نعترف بشجاعة بأن شخصيتنا القومية مثقلة بالسمات السلبية التي ترجع الى عوامل تضرب بجذورها في أعماق التاريخ وأن نسجل للتجربة الناصرية ادراكها لهذه السمات ومحاولتها تنمية الجوانب الايجابية في هذه الشخصية ، ولا مانع هنا من محاسبتها على ما حققته من نجاح أو فشل وبين أن نعلق كل أمراضنا الاجتماعية والنفسية على شماعة اسمها التجربة الناصرية .

كذلك حديثه عن اذعان الانسان المصري لنوعين من القوانين وتعوده الحديث بلغتين . ورغم أن الكاتب هنا كان أكثر دقة في تحليله حينما راح يرجع الظاهرة الى أصولها التاريخية ، فانه ظل عازفا عن استعمال المفهوم العلمي لها . وكل من قدر له الاطلاع على أي دراسة علمية عن أوضاعنا السياسية المعاصرة يعرف أن الحديث هنا يتعلق بموضوع له أهميته ، هو الثقافة السياسية المصرية . واذا أراد أستاذنا أن يكون حديثه في ذلك مستقبلا أكثر اتفاقا مع النتائج التي كشفت عنها الدراسات العلمية ، فله أن يطلع على الدراسة التي أجراها الباحث الامريكي ليونارد بانيدر — ولن أشير الى دراسات الباحثين المصريين — عن مصر (في المجلد الذي أشرف على تحريره البروفسور وينر والبروفسور لابالمبارا عن الاحزاب السياسية والتنمية السياسية ، ليقف على جهود التجربة الناصرية في اعادة صياغة الثقافة السياسية المصرية .

وحينما تعرض الكاتب للتجربة الناصرية كنظام للحكم اكتشف لنا ازدواجية أخرى . « فلقد كانت التجربة ودعايتها تؤكد أن الانسان المصري هدف كل تجربة في الحكم ، بينما كانت النتيجة هي احساس المصري بأن هناك من يفكر له وبأنه ليس في حاجة الى التفكير » واذا لم يكن أستاذنا يعرف ، فان هذه الظاهرة هي ما يعرفه دارسوا النظم السياسية بظاهرة الكاريزما التي تعني في بساطة قيام علاقة ذات طابع خاص بين الزعيم والجماهير تمكنه من تحسس احتياجاتها ومطالبها ، فاذا هو دائما المعبر عن هذه الاحتياجات والمطالب ، وعبر الممارسة يتحول التأييد الذي تمنحه الجماهير للزعيم الى نقد بلا حدود ، لكنه يظل دائما قائما على أسس عقلانية .

فلم نكن اذا شعب من القطيع كما اراد لنا مفكرنا . كما أن تجربتنا ليست هي الوحيدة المنفردة بذلك ،

فتلك ظاهرة عرفتها مجتمعات متقدمة (فرنسا فى ظل ديجول) ومجتمعات أخرى نامية « الهند فى ظل نهرو) وعرفتها تجارب اشتراكية (الاتحاد السوفيتى فى ظل لينين) ، بل وعرفتها كيانات استيطانية عدوانية (اسرائيل فى ظل بن جوريون) ولم يذهب أحد ممن درسوا هذه النظم والتجارب والكيانات الى تحميل الزعيم خطأ تمتعه بثقة شعبه مثلما حاول مفكرنا أن يفعل .

أما فى مجال موضوعه ، فقد أفادنا د . فؤاد زكريا بأن « عبد الناصر لم يتحول تجاه اليسار ، وانما حول اليسار تجاهه » مدللا بذلك على زيف اشتراكية التجربة . ولقد نتفق معه فى تحليل طبيعة العلاقة لكننا نختلف معه تماما فى الاستنتاج ، وخاصة حينما نتعامل مع الظواهر ـ للمرة الاخيرة ـ تعاملا علميا . فالمتخصصون فى دراسة ظاهرة الزعامة يعرفون أن للزعامة انماطها . فهناك مثلا الزعيم البرجماتى ، وهناك الزعيم السياسى . وهناك الزعيم الديماجوجى . وهؤلاء أيضا يعرفون أن زعامة عبد الناصر تندرج ضمن نمط « الزعيم الايدلوجى » وبالتالى تصبح العلاقة بينه وبين اليسار الماركسى كما حددها د . فؤاد زكريا فى هذه العبارة مسألة طبيعية ، اذ لو كان عبد الناصر زعيما براجماتيا مثلا لكانت علاقته باليسار الماركسى علاقة توتر ، لكن المغالطة هنا كما نقول تكمن فى الاستنتاج . فكون العلاقة هنا ذات طبيعة استيعابية من جانب عبد الناصر دليل على اصالته كزعيم أيدلوجى وليس كما يذهب د . فؤاد زكريا دليل على زيف اشتراكية التجربة الناصرية .

واذا فلم تكن سلبيات التجربة على هذا النحو .. وحتى لو اخترعنا لاثبات ذلك منهج لا يعرفه الباحثون : ويافارسنا القادم الينا من قلعته . رفقا بعقولنا وبالحقيقة ومهن .

حول شرعية المجلس التنفيذى للاتحاد العام للعمال

عبد المنعم الغزالى

عن الجدل المحتدم ـ منذ اكثر من عامين ـ فى صفوف الحركة العمالية المصرية حول مدى شرعية المجلس التنفيذى الحالى للاتحاد العام للعمال .

يكتب عبد المنعم الغزالى هذا الرأى . وهو فى تناوله لهذه القضية يستند فى الاساس الى نصوص القانون مستخرجا منها مدى مخالفة تشكيل المجلس .. لنصوص القانون ولنصوص لائحة الاتحاد العام للعمال ..

منذ بداية دورة ١٩٧٣ للنقابات العمالية والجدل محتدم حول شرعية المجلس التنفيذى الحالى للاتحاد العام لعمال جمهورية مصر العربية . هل هذا المجلس جاء تشكيله وليد ارادة مؤتمر الاتحاد العام أم جاء معينا ؟ وهل جاء تكوينه وفق نصوص القانون ٦٢ لسنة ١٩٦٤ ولائحة الاتحاد العام للعمال نفسه (أم جاء مخالفا لكل ذلك ومنتهكا لكل مبادىء الديمقراطية النقابية وسيادة القانون ؟ .

والاجابة على كل هذه الاسئلة علينا أن نتعرف بداية على احكام القانون ولائحة الاتحاد (نظامه الاساسي) •

نصت الفقرة الثانية من المادة ١٨٣ من القانون ٦٢ لسنة ١٩٦٤ على أن الاتحاد العام يسير في أعماله طبقا لنظامه الاساسي ، ويكون تمثيل النقابات العامة في جمعيته العمومية بالشروط والاوضاع التي يصدر بها قرار من وزير العمل ـ وفي هذا الشأن صدر القرار ٣٤ ـ المنظم لتمثيل النقابات في جمعية الاتحاد العمومية •

ووفق نص المادة ١٨٤ ، من نفس القانون ، فان الاتحاد العام للعمال لا يستقل بأحكام خاصة من حيث تكوينه أو ادارته ـ فتسري على تكوينه النصوص الواردة في الباب الرابع من قانون العمل في تشكيل النقابات وحلها ، وله ما للنقابات العامة من حقوق ، وما عليها من واجبات • وعلى ذلك فان الجمعية العمومية للاتحاد العام ، قد لائحة نظامه الاساسي التي يكون ملزما بالسير عليها • وتتضمن هذه اللائحة البيانات التي اوجب القانون ورودها في لائحة النظام الاساسي للنقابة مع مراعاة الاوضاع الخاصة بالاتحاد العام ، وتنتخب الجمعية العمومية مجلسا تنفيذيا يودع أوراقه في الجهة الادارية المختصة طبقا للقانون •

وكما أن لائحة النظام الاساسي للاتحاد العام للعمال قد نصت في المادة ٣٤ ، على أن المؤتمر ـ الجمعية العمومية ـ هو السلطة العليا للاتحاد العام ، وأن المؤتمر يتكون من « ممثلي النقابات العامة » ، وكما نصت الفقرة « هـ » من المادة ٢٩ على أنه من اختصاصات المؤتمر ، « انتخاب أعضاء المجلس التنفيذي » وكما نصت المادة « ٣٠ » على أن المجلس التنفيذي يتكون من ٢١ عضوا •

فما الذي حدث ؟ انه بعد تشكيل النقابات العامة ، لم يدع مؤتمر الاتحاد العام الى الانعقاد ، بل طلب السيد صلاح غريب ـ معطيا لشخصه ولامانة العمال سلطات المؤتمر ـ من مجالس ادارات النقابات العامة والتي أصبح عددها ستة عشر في هذه الدورة أن يرسل كل منها مندوبا للاتحاد •

وهكذا ـ لم تنعقد الجمعية العمومية للاتحاد ، وترك للنقابات العامة أن « تعين » ممثلها ، والذي كان في الواقع مختارا مسبقا من قبل أمانة العمال بالاتحاد الاشتراكي ، ومن قبل وزير العمل (السابق) الذي كان رئيسا للاتحاد العام •

وقد تأكد أن الاختيار كان محددا من قبل هذه الجهات ، عندما طلب من نقابة النقل البري أن تغير الرئيس الذي انتخبته ـ وهو محمد محمد العقيلي ـ لانه لم يكن محل رضا أمين العمال بالاتحاد الاشتراكي ووزير العمل •

ولا يمكن القول بأن مجالس الادارات يمكنها أن تحل محل الجمعية العمومية للاتحاد العام ، لانه وفق القواعد القانونية فان مندوبي النقابة العامة للجمعية العمومية قد يكونون أقل من أعضاء مجلس الادارة الـ ٢١ ، أو أكثر طبقا للقرار الوزاري رقم ٣٤ الذي حدد قواعد التمثيل النسبي في الجمعية العمومية • كما أن الترشيح لعضوية المجلس التنفيذي للاتحاد العام يتم من الجمعية العمومية ، وقد يرشح للمجلس التنفيذي أكثر من واحد من قبل نقابة عامة واحدة بحد أقصى ثلاثة مرشحين •

ومخالفا لكل نص قانوني شكل السيد صلاح غريب رئيس الاتحاد العام ووزير العمل ـ حينئذ ـ وأمين العمال بالاتحاد الاشتراكي ، المجلس التنفيذي للاتحاد العام من ستة عشر عضوا ـ معلنا أنه يحتفظ بخمس مقاعد لليبيين في حالة اعلان الوحدة بين مصر وليبيا ـ ، وهو بذلك خالف المادة ١٨٤ من القانون ٦٢ لسنة ١٩٦٤ ، والمادة ٣٠ من لائحة النظام الاساسي للاتحاد •

المحصلة النهائية لهذا الوضع ، أن المجلس التنفيذي الحالي للاتحاد العام للعمال تم تشكيله بطريقة غير شرعية ، وبأسلوب كله عدوان على

نصوص القانون ٦٢ لسنة ١٩٦٤ ، وعلى لائحة النظام الاساسى للاتحاد العام للعمال ، وعدوان على حرية طبقة اجتماعية ـ من طبقات وقوى تحالف قوى الشعب العامل ـ فى أن تختار بإرادتها الحرة قيادة مطلقتها الديمقراطية ـ اتحاد العمال ـ وهو حق منحها اياه القانون وفق القواعد والاسس التى عينها وحددها .

واستمرار هذا الوضع غير الشرعى يفرض نفسه دون محاسبة أو رقابة أو اعتراض . وفى ظله عطلت كل الحياة الديمقراطية للتنظيم النقابى . ورغم أن المادة ٢٥ من لائحة النظام الاساسى للاتحاد العام للعمال توجب انعقاد المؤتمر العادى للاتحاد ، خلال شهر ابريل من كل عام ، فقد مر عام وعام ، ولم يجتمع المؤتمر ليصحح هذا الوضع الشاذ . وهذا الاجتماع العادى للمؤتمر القصد منه أن يباشر المؤتمر اختصاصاته التى نص عليها القانون تحقيقا لديمقراطية العمل النقابى وشرعيته . ومن هذه الاختصاصات : بحث تقرير المجلس التنفيذى عن نشاط الاتحاد ، التصديق على الحساب الختامى وتقرير مراجع الحسابات عن السنة المنتهية ، وبحث مشروع الميزانية واقراره ، وانتخاب المجلس التنفيذى . ولكن يبدو أن القيادة العلوية للاتحاد العام للعمال تخشى أن تحاسبها قواعدها .

ان استمرار المجلس التنفيذى الحالى للاتحاد العام للعمال ـ هو استمرار لوضع شاذ ، فيه عدوان صريح لا على القانون وحده ولكن كذلك على ديمقراطية العمل النقابى وعلى كل قواعد ومبادىء الحرية النقابية .

وهذا الوضع لا يمكن أن ينتهى الا بالعودة الى القانون ، والى ارادة العمال أعضاء التنظيم النقابى ، وهى الارادة التى تعبر عنها الجمعيات العمومية للنقابات العامة ، ومؤتمر الاتحاد العام للعمال .

قصة السوفييت مع مصر

اجرى الحوار :

محمد عودة

فيليب جلاب

سعد كامل

هذا الحوار مع **الدكتور عبد العزيز حجازى** ،حول العلاقات المصرية السوفيتية ، جزء من كتاب تحت الطبع بعنوان « قصة السوفيت مع مصر »اعده الزملاء : **محمد عوده وفيليب جلاب وسعد كامل** وتنشره قريبا « **دار الثقافة الجديدة** » .

والحوار مع الدكتور حجازى ، هو واحد من سلسلة مناقشات أجراها الزملاء مع عدد من الشخصيات المصرية السياسية التى كان ولا يزال لبعضها ـ بحكم المواقع والمسئوليات التى انيطت بها ، مشاركة ومعرفة ميدانية لبناء العلاقات المصرية السوفيتية . ومن هنا فان كل شخصية تقدم رواياتها الخاصة ووجهة نظرها المميزة عما يمكن ان نطلق عليه « قصة السوفيت مع مصر »

وقد أجرى الزملاء الثلاثة الحوار مع الدكتور حجازى فى آخر ديسمبر ١٩٧٤ . وذلك قبل شهور من اعتزاله لمنصبه كرئيس لمجلس الوزراء .

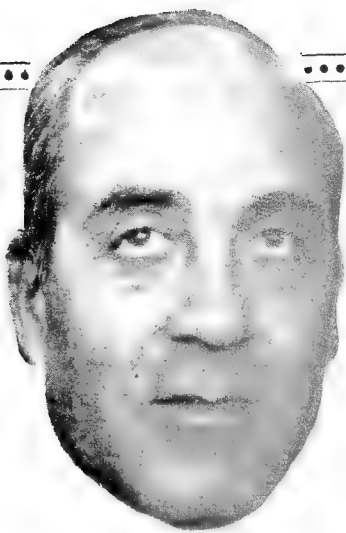

كان موعدنا معه فى نفس اليوم الذى صدر فيه البيان المصرى السوفيتى عن تأجيل زيارة الرفيق بريجنيف للقاهرة ودمشق وبغداد .. وقبل أن نبدأ أشار الدكتور عبد العزيز حجازى الى اهمية الحديث عن كل ابعاد التجربة المصرية السوفيتية بايجابياتها وسلبياتها . لانه من المهم جدا يقول " ان نوضح للناس كثيرا من النواحى التى قد تغمض عليهم احيانا ، حتى لا نعطى فرصة لاولئك المنتفعين من بعض التصريحات أو السياسات ، والذين يهمهم التشويش على أى محاولة لتطوير علاقاتنا مع الاتحاد السوفيتى ..

فقا للدكتور حجازى : هناك اجماع بين القيادات السياسية حول استراتيجية العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى .. فما هو تصوركم لمعنى الاستراتيجية فى هذه العلاقات ؟

● قال الدكتور حجازى :

« فلنبدأ من البداية ... لا أعتقد أن علاقتنا مع الاتحاد السوفيتى كانت مؤقتة أو عابرة أو سطحية لماذا ؟ لأنها نشأت من اتفاق حول مبادئ أساسيين :

الاول ، هو محاربة الاستعمار والصهيونية تحت عنوان الاستقلال الوطنى

الثانى : هو التنمية الاقتصادية والاجتماعية كهدف لصالح الجماهير .

ان المبدأ الاول ، وهو يرتبط بالاستراتيجية السياسية ، يعنى الاتفاق بين مصر والاتحاد السوفيتى فى التفكير أو الفلسفة المتعلقة بكفاح الشعوب من اجل الاستقلال السياسى ، وهنا نشاركهم الفلسفة الاساسية التى يعبر عنها هذا الموقف ، وهو محاربة قوى الاستعمار بكل أشكاله .

وليت أعتقد أن هناك مواطنا مصريا مخلصا يرفض أو يشكك فى مثل هذه الفلسفة . فمن الواضح أن الاتحاد السوفيتى يؤيد تفجير التحرر الوطنى والاستقلال السياسى فى الدول العربية والعالم الثالث عموما ، وهى بالنسبة لنا من نقاط التعاون السياسية الاساسية . ان موقف الاتحاد السوفيتى معنا فى المنظمات الدولية وأمام العالم كله وفى كل مناسبة ، يؤكد تمسكه بتأييد مصر والدول العربية فى تحرير الارض ومن اجل ضمان حقوق شعب فلسطين .

هذه مسألة استراتيجية لا تقبل المناقشة أو التشكيك .

قد نختلف مع الاتحاد السوفيتى فى تفاصيل تطبيق هذه الاستيراتيجية أو اسلوب تطبيقها ، لكن الحوار حول هذا الخلاف او الاختلاف ينبع من فكرة محددة ، وهى أننا شركاء فى الايمان بفلسفة الاستقلال الوطنى .

أما الهدف الاستراتيجى الثانى ، فهو التنمية الاقتصادية والاجتماعية لصالح الجماهير المصرية . ولقد كان هذا الهدف اكثر وضوحا فى التعاون مع الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية ، عن التعاون مع اى مجتمعات أو دول ذات نظم سياسية واقتصادية أخرى .

وعلينا هنا أن نحدد مراحل التطور السياسى ، والاقتصادى فى مصر ، وكيف ادت بالضرورة الى هذا التعاون .

ان كل مراحل هذا التطور سواء تلك التى انتهت بتاميم شركة القناة عام ١٩٥٦ أو بداية صدور القوانين الاشتراكية عام ١٩٦١ ثم نشأة القطاع العام ، كانت تعبر عن قضايا أصيلة وليست عابرة . انها تتدرج تحت شعار او معنى ستقلال الاقتصاد الوطنى . ولقد التقينا مع الاتحاد السوفيتى فى تلك المرحلة بعد ازمة سحب شروع التمويل الامريكى للسد العالى وقرارات التصعير والتاميم وبداية تطبيق القوانين الاشتراكية . لكن الاتحاد السوفيتى لم يك بالتأكيد وراء اتخاذ هذه القرارات . كانت القيادة المصرية صاحبة القرار انطلاقا من المصالح الاساسية للمجتمع المصرى ، وتعبيرا عن ضرورات وطبيعة المجتمع المصرى . كيف ؟ هنا لابد أن نشير الى لمحة من تاريخ المجتمع والانسان المصرى . ان الظروف التى سادت مجتمعنا فى ذلك الوقت كانت محصلة لتراكم سياسات سابقة . وكان ابرز ملامحها وجود طبقة من كبار الملاك والرأسماليين، ووجود طبقات محدودة الدخل تمتد الى ابعد الحدود . وكل الذين عاشوا فى الريف المصرى يدركون تماما حقيقة الموقف الاقتصادى فى مصر فى ذلك الوقت .

اذن .... لم تكن القرارات عفوية ، ولكنها جاءت ردا على تساؤل هام ، ما مستقبل هذا الشعب ، وكيف نذيب الفوارق الطبقية السائدة ؟

ويهمنى فى هذا المجال أن اوضح أننى من أنصار الايمان « بالدرجات » ... فى العلم والصحة والفن ... ليست مؤمنا أن كل الناس متساوون من حيث الدخل أو مستوى المعيشة . ولا يمكن أن يمتلك كل فرد بيتا أو سيارة او ماشابه ذلك . هناك فارق بين النظريات والواقع ...

ـ درجات غير طبقات ؟

ـ طبعا ... أنا أعنى بالدرجات هنا الاختلاف فى القدرات .

● ثم واصل الدكتور عبد العزيز حجازى حديثه :

« انالظروف الموضوعية التى عاشها المجتمع المصرى هى التى خلقت النسبة الغالبة بكيفية تحقيق الهدفين المعروفين ، وهما الكفاية فى الانتاج والعدل فى التوزيع . ولقد تحقق الجانب الاول ، وهو تحويل شعبنا الى شعب قادر على العطاء من خلال سيطرة الدولة على المرافق التى أسميها الهيئات العامة بالاضافة الى المؤسسات الاقتصادية التى يجب ألا ينظر اليها كوحدات ادارية .

أن دور الدولة فى هذه المؤسسات الاقتصادية والوحدات التابعة لها يتصل بثلاثة امور أساسية وهى :

■ نوع ملكية رأس المال .

■ ان سياسات الدولة فى التنمية تتم من خلالها .

■ ان الاموال المستثمرة فيها هى اموال الشعب .

وانا اركز على النقطة الاخيرة لانها ترد على بعض المقولين عن تصفيه القطاع العام او محاولات الحكومه لحصر نطاق نشاطه . فقد كان مصدر الاضافات الى استثمارات القطاع العام بعد التأميم هو اموال التأمينات والمعاشات وشهادات الاستثمار . وهى اموال الشعب وبيست اموال الحكومه . واذا القينا نظرة الى الحظة نجد ان هذه الموارد تتصاعد دائما بحيث تحقق او تغذى القطاع العام بشكل مستمر ، وليس من المعقول ان اخذ اموال الناس لاعطيها للقطاع الخاص لكى يعيد استثمارها .

ولقد ذكرت فى حديثى امام العلماء المصريين العاملين فى الدول الاجنبية (غالبيتهم يعملون فى دول غربية) ان القطاع العام لدينا ليس بمسألةشكل ،فديكون مثله مثل اىقطاع عام شرقا وغربا . لكن الاساس لدينا يتصل بملكية رأس المال وبتوزيع الارباح . ان الادارة العلمية هى الادارة العلمية ، سواء كانت اشتراكية او راسمالية . لكن الامر المهم الذى لا يمكن ان نتراجع فيه او نغير منه هو ملكية الدولة او الشعب لراس المال ، وتوزيع الارباح على العاملين . انها القاعدة الصلبة النابعة من الارادة الوطنية التى تهدف الى تحرير الاقتصاد من سيطرة رأس المال الاجنبى ، وذلك من خلال سيطرة الدولة على المرافق الاستراتيجية التى تشمل الصناعات الاساسية . لكن هناك فارق بين الصناعات والمرافق الاساسية وبين الصناعات والمرافق الثانوية . ولعل هذه التفرقة واضحة ايضا فى الميثاق . فاذا تحدثت عن مرفق اساسى للمواصلات هو السكك الحديدية مثلا . ومن هنا لا يمكن ان اسلمها الى شركة من الشركات .لكن اذا تعلق الامر بمرافق نقل فى احدى المحافظات ، لا يعد ذلك من المرافق الاستراتيجية . ومن هنا يمكن للدولة والقطاع الخاص ان يتضامنا معا فى ادارة مثل هذا المرافق دون خروج عن المبدا العام ، وهو سيطرة الدولة على المرافق والصناعات والخدمات الاساسية .

ان انتقال مايقرب من ٤٠٠ شركة الى ايدى الحكومة والقطاع العام ، ادى الى تكوين فئة قادرة على ادارة دفة الاقتصاد ، تقوم بتغذية [illegible] والحساس] والدول العربية بالخبرات الفنية والادارية الممتازة . انها مدرسة حقيقية لتربية الخبراء والفنيين وهذا لا يعنى ان القطاع العام خلا او يخلو من السلبيات . لكن لولم تكن الايجابيات هى الغالبة لما عاشت التجربةبهذا كانت درجة سيطرةالدولة .

ولنتحدث بصراحة :

لقد اهملنا من خلال التجربة اثناء تخطيطنا للانتاج تطبيق الجانب الاجتماعى فى الثورة الاقتصادية . وهو الجانب الذى يتعلق بالانسان المصرى وضرورة حصوله على السلع الاساسية . طبعا لعبت ظروف الحرب وتكاليفها دورا فى تاخير ذلك .. لكننا لم نؤد فى كل الاحوال الدور الاجتماعى من خلال التطبيق الاشتراكى : رغم أنه كان يجب أن يأخذ مكان الصدارة فى ترتيب الاولويات . ولهذا السبب نتساءل اليوم آسفين : أين الحذاء الشعبى والكساء الشعبى وغيرها من الاساسيات التى كان يجب توفير المصانع والخامات لانتاجها ، من اجل مصالح الغالبية العظمى من المواطنين البسطاء ؟

ـ أليس هذا نابع من الاهتمام بتربية الجوانب الفنية والادارية لدى فئة المديرين دون الاهتمام بتربية الوعى السياسى والاجتماعى ؟

● **قال الدكتور حجـــازى :**

لا اعتقد أن فئة المديرين غافلة عن الجوانب السياسية والاجتماعية ، لكن يجب أن يزداد اهتمامهم بها أكثر ، ويجب أن تكون الاهداف الاجتماعية واضحة فى تفكيرهم اثناء ادارتهم للمؤسسات الانتاجية . لان الهدف الاساسى من كل مانفعله هو مصالح الاغلبية العظمى للمواطنين .

ـ كيف تقولون أنه ليس هناك فرق بين الادارة الاشتراكية ، والادارة الراسمالية ، رغم ان المعروف ان [illegible] الراسمالية تهتم بتحقيق اكبر قدر من الربح ، أما الاشتراكية فتقرن بين الانتاج والعدالة فى التوزيع ؟

● **قال الدكتور حجـــازى :**

لا يمكن أن نقول ان الادارة الراسمالية تغفل وساكن وخدمات صحية . لكن الطريقة تختلف نهائيا الجوانب الاجتماعية . فهى تقدم ايضا بعض الخدمات من تأمينات واعانة البطالة

بين المجتمع الرأسمالي والمجتمع الاشتراكي والذين قوموا تجربتنا من الباحثين لاحظوا انه كان من الواجب ان نبذل جهدا اكبر في الاهتمام بالنواحي الاجتماعية . كما ان دور النقابات لايزال قاصرا على المطالبة ببعض الحقوق دون ان تمارس دورا حقيقيا في عمليات الانتاج . فمن خلال الانتاج يمكن ان تكون هناك خدمات وحوافز مالية للعاملين .

ـ الحافز المادي الفردي مهم ... لكن الحوافز المعنوية عن طريق التربية السياسية والاجتماعية في مثل ظروفنا اكثر اهمية ؟

● **قال الدكتور حجازي :**

انني اقول للعمال دائما هذه اموالكم ، ويقدر ما تحافظون عليها وتقومون بتنميتها ، بقدر مايزداد العائد اليكم منها . ان اي اضراب او تحطيم هو خسارة لكم في المقام الاول . ومن المهم دائما ، ان نربي لدى الناس روح المحافظة على المال العام وكيفية الحصول على اكبر نفع منه . وهي مهمة شاقة بالتاكيد بالنسبة لبعض سمات شعبنا من حيث حبه « للجاهزة » الخاصة في المقام الاول ، وهو الامر الذي يتضح دائما في محاولة الانفراد ، الشخصي بالملكية سواء كانت ارضا او منزلا او سيارة ... الخ .

ان الاشتراكية ليست شعارا . انها مثل وانتاج وتكافؤ فرص وعدالة في التوزيع . وهناك جيل كبير العدد لا يحس للاسف بهذا المعنى وهو في حاجة دائما لمن يذكره بالفارق بين ماتحن فيه الان رغم كل النواقص وما كنا عليه قبل ذلك . لقد تعلم جيلنا بكفاح شاق من جانب الاباء ، ويندر ان يكون من بيننا من لم يشق اباه ويقترض من اجل تربيته وتعليمه . ان الموقف الان مختلف تماما . والابناء يتعلمون بالمجان خلال كل مراحل التعليم ، وبعضهم يحصل على مكافآت مجزية والجميع تقدم لهم خدمات مجانية او بتكلفة رمزية . ثم الاهم من ذلك ان الدولة مسئولة عن تشغيل الجميع . ورغم ان هذا التشغيل الذي يزيد من حجم التكلفة الاقتصادية للسلع دون مبرر اقتصادي ، الا انني اسميه نوعا من التكلفة الاجتماعية الضرورية . وهي في النهاية جزء من مهام المجتمع الاشتراكي وثمن للاستقرار السياسي .

فلنا للدكتور عبدالعزيز حجازي : ـ هل هناك الى جانب هذا الوجه اشرق للتعاون المصري والسوفيتي بعض « الآثار الجانبية » ؟

● **قال الدكتور حجازي :**

لقد ارتبطت عملية التنمية في مصر من خلال التعاون في بناء السد العالي ومجمع الحديد والصلب والعديد من المشروعات الحيوية بالمجتمع الاشتراكي . وتاكد استعداد الدول الاشتراكية للمعاونة في تنمية الاقتصاد المصري . انها مصلحة متبادلة بالتاكيد ، وليست معاونة لسيطرة على اقتصاد مصر . وقد كان ذلك واضحا بعد بناء السد العالي وغيره من المشروعات . فهم يساهمون في بنائها ثم يتركونها لكي نديرها ونبدأ تسديد ماعلينا من قروض بعد الانتاج الفعلي لهذه المؤسسات الاقتصادية . ولقد كان الدعم السوفيتي والاشتراكي دون شك احد عناصر الصمود في مصر طوال هذه السنين .

لكنني ارى ان الموضوع كان يحتاج الى تخطيط افضل . انني لا استطيع ان اوجه في ذلك لوما الى الاتحاد السوفيتي كما لا اوم الاجهزة المصرية . لكنني اقول اننا كنا في بداية مراحل التخطيط في مصر ، وكان ذلك هو حدود اجتهاداتي التخطيط والتنمية .

لدي ذكر البدايات الاولى عام ١٩٥٦ حيث كنت كعضو في مجلس الادارة من بين الذين اشتركوا مع الدكتور عزيز صدقي في مشروع السنوات الخمس . لقد بدأنا بهيئة من فراغ ، ولم تكن هناك اي بيانات او ارقام عن الاوضاع الاقتصادية . اذن فالخطأ في ذلك الوقت كان مقبولا وقدرتنا على التخطيط العلمي كانت محدودة .

ولذلك يمكن القول ان مشاركة الاتحاد السوفيتي في التنمية اعطت لمصر دفعة كبيرة في عمليات التنمية الاقتصادية . لكن ما هي الاثار الجانبية لهذا ؟ انه سؤال يحكم عليه التاريخ .

ـ هل تشبهون الى السد العالي مثلا ؟

● **قال الدكتور حجازي :**

على العكس تماما . لقد انقذ السد العالي مصر من كارثة محققة عام ١٩٧٢ عندما تعرضنا لفيضان منخفض . واذا لم يكن هذا كافيا ليبرر انشاء السد العالي ، فيكفي ايضا الاثار عبر توربينا لتوليد الكهرباء . ان ما يقال عن اثار جانبية هي في الواقع اقل من الاثار الجانبية التي كنا نتوقعها بعد انشاء السد . وهي امور معروفة ولها حلول معروفة . ولا تبرر عمليات التشويش غير المقبولة . ان السد العالي وغيره من المشروعات الحيوية التي ساهم السوفيت في انشائها خلقت قاعدة القوة الذاتية للاقتصاد المصري . وهي قوة اقتصادية واجتماعية معا . اذ انها وسعت قاعدة الانتاج والتصدير والعمالة وغيرها .

ان القطاع الخاص نفسه قد افاد من هذه الفرص . وبعد ان كانت قدرته على التصدير لا

تتجاوز اثنين أو ثلاثة ملايين جنيه سنويا ؟ ازدادت الى ما يقرب من ٢٠ مليون جنيه سنويا الى السوق السوفيتى فقط .

لكننى لا أغفل أيضا عن بعض الجوانب السلبية فقد عانيت الاخوان فى موسكو مرة عندما وجهوا بعض الانتقادات الى السلع المصدرة اليهم . قلت لهم انتم المسئولون لانكم انتم الذين تشترون هذه السلع ويمكنكم أن تعملوا على تحسين نوعيتها بتقديم الخبرة وتطوير الانتاج ، والا اصبحت المسألة مجرد تلقى سلع ايا كانت نوعيتها تسديدا لقروض أو ديون .

واذا كان تخطيط التنمية فى مصر هو واجب مصر فى المقام الأول وليس واجب الاتحاد السوفيتى ، الا انه كان من الواجب أن يعطى الاتحاد السوفيتى تجربته وخبرته فى التخطيط .

ـ هل تراعى الآن هذه الامور فى العلاقات الاقتصادية بين مصر والاتحاد السوفيتى ؟

● **قال الدكتور حجازى :**

لقد كانت الاتفاقية التى وقعها اخيرا الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله وزير التخطيط مع الجانب السوفيتى مرتبطة بحاجتنا الى ترشيد عملية التخطيط .

ـ ما معنى ترشيد عملية التخطيط فى التعاون المصرى السوفيتى ؟

● **قال الدكتور حجازى :**

ان الاستقلال الوطنى يعنى الاستقلال الاقتصادى ... والاستقلال الاقتصادى يقوم على السواعد المستقلة . ولكى تحقق التنمية اهدافها يجب ان نعرف اولا اهدافنا وسرعة او بطء وهذا الترتيب قائم على جدوى هذا المشروع أو ذاك من الناحية الاقتصادية ولفائدة الاقتصاد القومى . ومن هنا ينبع طلبى لمشروع معين من واقع احتياجاتى الفعلية . وقد تكون اخطأنا فى بعض الفترات فى ترتيب هذه الاولويات ، كما سبق أن أشرت الى غياب مشروعات تنتج الكساء والحذاء الشعبى للملايين .

ـ وبما كان الهدف هو بناء قاعدة الصناعة الثقيلة اولا ؟

● **قال الدكتور حجازى :**

لم يكن يؤثر حجم المشروعات التى أعنيها فى الحجم الكلى لعملية التنمية القائمة على انشاء صناعات ثقيلة او أساسية .

ـ الم نقل اننا لانريد ان نضحى بالاجيال الحاضرة فى سبيل الاجيال القادمة ، ومن ثم لم نشد الاحزمة على البطون مثل تجربة الاتحاد السوفيتى مثلا ؟

● **قال الدكتور حجازى :**

. العكس هو ماحدث . وليس هذا انتقادا لبناء الصناعات الاساسية والاهتمام بها . فلا احد ينكر اننا بنينا اهم مشروعاتنا الاساسية . وهى لا تأتى بمعائد سريع عندنا كما نحارب أو نستعد للحرب . ولعل ذلك كان من اهم منجزاتنا . وهذه من فضائل التعاون المصرى السوفيتى دون شك .. رغم أننا قد ندفع الثمن الان فى شكل نوع من الحرمان أو الغلاء بسبب نقص السلع الاستهلاكية .

ان الارقام تؤكد اهمية «المنجزات لصالح الاقتصاد المصرى والامة كلها . فبالرغم من تصاعد الاستعداد للمعركة ومن المعركة نفسها . فقد ارتفع حجم المشروعات الاستثمارية من ١٥٠ مليون جنيه الى ١٠٠٠ مليون جنيه . وكان الجزء الاكبر منها مخصصا لمشروعات لاتأتى بعائد سريع . وقد ادى ذلك الى الضغط على الخدمات ، وهو ماتعانى منه الان لكننا لا نستطيع أن نتوقف عن بعض هذه المشروعات الاساسية حتى لو عانينا بعض التضحيات

ـ ربما لم تكن التضحيات ادى كل فئات الشعب متكافئة ؟

● **قال الدكتور حجازى :**

لا يمكن ان نتجاهل ان الفئات التى نعنيها كانت تدفع جزءا من دخولها عن طريق الضرائب أو شهادات الاستثمار أو المدخرات لتساهم فى التنمية . وعموما كان احد اسباب سياسة الانفتاح ان تخرج الفئات المالكة الى السطح لاستثمار مدخراتها بدلا من ان تهرب أو تخفى ارباحها .

ـ ما هى حدود الاخطاء فى التعاون المصرى السوفيتى فى التنمية الاقتصادية ؟

● **قال الدكتور حجازى :**

لانك ان الاتفاقيات ـ كما ذكرت ـ لعبت دورا كبيرا للغاية فى تنمية اقتصادنا ، لكن ذلك تم على حساب اشياء اخرى . وهذه الصورة المتوازنة تثير امتعاض البعض عندما نفتح الحديث فيها لكن اذا اردنا ان يكون هناك توازن فلا بد ان يكون هناك حركة . ومن هنا لايتصور احد ان تكون ٧٥ فى المائة من صادراتنا الى الدول الاشتراكية وأن تتقبل منها ٥٠ فى المائة من وارداتنا . ان ذلك يلقى علينا عبئا آخر . اذ اننا نضطر فى هذه الحالة ان نتجه الى دول العملات الحرة لاستيراد بعض الضروريات دون ان يكون لدينا العملات الحرة الكافية لذلك . وهذا هو المعنى الذى اقصده من أن عمليه التنمية من خلال الاتفاقيات اوجدت درجة معينة من العلاقات الاقتصادية غير المتكافئة .

ـ هل يمكن أن نسميها علاقات «مقتلة» ؟

● قال الدكتور حجـــازى ؟

لا... ليســت مفعله ، ولكنها لم تدرس كما يجب ، وهنا كما اشرت من قبل لا اوجه اللوم الى أحد فى موسكو أو فى القاهرة ، لكننى أحـدد واقعا ، وهو اننا وجدنا انفسنا امام مشكلة . وعندما اقول للاتحاد السوفيتى خذوا قطنـا واعطونا غذاء او مواد لتشغيل المصانع ، فذلك بسبب اننـا فوجئنا أن ٣٠ فى المائة من طاقات مصانعنا عاطلة . ولا اعنى بذلك المصانع التى حصلنا عليها من الاتحاد السوفيتى ، لكننى اتحدث بصفة عامة .

اذن لا يمكن أن نترك العلاقات الاقتصـادية للصدف ، ولكن يجب ان ندرسهـا ، ونضعها لكى نقويها وننميها . الا وجدنا انفسنا فى مازق يؤدى الى الانهيار .

ولذلك فعندما توليت وزارة الاقتصـاد رأيت ضرورة تخطيط علاقاتنا على أسـاس سليم . وهو أن اعرف ماذا أريد على التحديد وفقا للشروط الضرورية التى تحقق اهدافى من مشروع معين ، وهذا يعنى الا اقبل أو اطلب أى مشروع من الاتحاد السوفيتى دون دراسة ، كما كان يحدث أحيانا من جانبنا مع الاسف .

ـ هل هناك مشروعات لم تدرس بعناية مع السوفيت ؟

● قال الدكتور حجـــازى :

مشروع الترسانة البحرية مثلا ندفع له اعانة سنوية لسد العجز ، وحتى لو كنا نحن المسئولين عن هذا ، الا ان الاتحاد السوفيتى يستطيع ان يقوم بعملية ترشيد للانتاج ، ان التنمية لا تقتصر على تقديم آلات وماكينات ومصانع . ان التنمية عملية كاملة تتعلق بترشيد الانتـاج كما الى جانب تقديم الالات .

ولقد طلبت من المسئولين البلغار عند الاتفاق معهم على توريد آلات تفريخ الدواجن ، الا يقتصروا على توريد الالات لنا ، لكى نضعها فى المخازن نريد أن نراهم وهم يباشرون العملية كلها من البداية ، حتى نرى الدجاجة تخرج فى نهاية العملية من محامل التفريخ .

ـ وما مدى مسئولية السوفيت فى موضوع الترسانة البحرية ؟

● قال الدكتور حجـــازى :

انهم شركاؤنا ويشترون المنتجات . ومن هنـا مسئوليتنا ومصلحتنا المشتركة فى أن يقولوا هذا صواب وهذا خطأ ، اننا ننفق ببعض السفن فى هذه الترسانة ويشتريها السوفيت لتصريفها الى دولة ثالثة كالعراق مثلا ، رغم اننا نحتاج الى هذه السفن

ـ وهل هذا مخالف للعقيـدة ؟

● قال الدكتور حجـــازى ؟

ليس مخالفا للعقد لان الاتفاقية تنص على هذا . ومن اجل ذلك فاننا لا اقوم احدا ، لانه يحدث فى بعض مراحـل التنمية المبكرة ان تتخـذ بعض القـرارات التى لا تؤدى الى نتائج اقتصـادية سليمة . ومن هنا اقول لقد آن الأوان لان تكون قراراتنا مبنية على اساس اقتصادى سليم . وكما قلت من قبل بالنسبة للطاقات العاطلة ، حتى للمصانع غير السوفيتية ! . فان معونة الاتحاد السوفيتى فى هذا الصدد تحقق فائدة مشتركة للطرفين ، وتحقق الهدف الحقيقى من عمليه التنمية الاقتصادية والاجتماعية . قد يثير السوفيت مسالة أخرى وهى أن تكلفة انتاجنا عالية وهى احدى الاسباب فى عدم اقتصادية بعض المشروعات لكن المسالة ليست شخصية ، ومن هنا مسئولية الاتحاد السوفيتى كشريك لنا فى ترشيد انتاجنا وتخطيطنا للتنمية .

ـ هل هناك آثار جانبية أخرى ؟ .

● قال الدكتور حجـــازى :

من الممكن ان نقول أن حجم القنية الاساسي مخ الدول الاشتراكية فقط ، حرمنا من الافادة من بعض اوجه التكنولوجيا المتعمة فى الغرب فى الوقت الذى يتجه فيه الاتحاد السـوفيتى الى تعاقدات للحصول على الخبرة والقروض ووسائل التسويق لانتاجه مع الغرب . ولذلك علينا نحن ايضا الا نقصر التنمية على جهة معينة .

ـ وهل كان هناك بديل آخر بالنسبة لنا ؟

● قال الدكتور حجـــازى :

كانت هناك ظروفا سياسيه ادت الى ان تعادى الامريكيين واوروبا الغربية .

ـ هم الذين عادونا ؟

● قال الدكتور حجـــازى :

هم بدأو العداء ، ونحن عاديناهم ايضا . لكن احدا لا يجبر على اتخاذ موقف .

ـ الم نحاول كثيرا الاستعانة بهم دون جدوى ؟

● قال الدكتور حجـــازى :

لقد حدث طبعا ابتداء من مشروع السد العالى لكن السياسة تتحرك دائما ولا تجمد عند موقف . ولقد مرنا طويلا فى هذا الشوط . ولايعنى الانفتاح اننا سنتحول أو نبتعد عن العلاقات التى استمرت طوال هذه السنين كما يقـول البعض احيانا . لكن المهم هو ترشيد العلاقات القديمة ؛ لا يمكن ان تقوى هذه العلاقات مالم تكن المصالح المشتركة واضحة .

ـ لقد كان الخط الثابت للغرب هو عدم المساهمة الجدية فى تصنيع الدولة المستقلة ؟

● قال الدكتور حجـــازى :

هذا صحيح .. لقد كان التصنيع من جانب الغرب محدودا . لكن هناك الان مجموعة عوامل أدت الى تغيير فى الموقف ، واهمها ما نسميه بالوفاق بين الشرق والغرب ..

ـ هـل ترى ان الوفـاق بين الشرق والغرب غير ضار بمصالحنا ؟

● قال الدكتور حجـــازى :

ان الوفاق له قيمته بالنسبة لنا . لقد اوضح صـــورا كثيـــرة مـــن النـــاحيتين السياسية والاقتصادية . وساعد على اســتخدام اكثر من سبيل لتحقيق الايديولوجيـــة أوحقق مرونة فـــى تطبيق الايديولوجيات ، واليـوم لايستطيـع احد ان يبنى وهو منغلق على نفســه . علينـــا ان نختار من كل التجارب وأن نستفيد بعد حـــرب اكتوبر ومعركة البترول وماحققته من اثر على استراتيجيات العالم . ان مصر حتى بدون ثروة مادية كبيرة ، تعد من مراكز الثقل الرئيسيـــة استراتيجيا وحضاريا وتاريخيا واقتصاديا ..

ـ هل اثارت تجربه الانفتاح اى شكوك لدى السوفيت مما اقتضى شرح اهدافها لهم ؟

● قال الدكتور حجـــازى :

لقد شرحت سياستنا حول الانفتاح عندما التقيت مـــع « نوفيكوف » نائب رئيس الوزراء الســـوفيتى فى موسكو فى اغسطس ١٩٧٣ .. ومن الجائز انـه كان هناك بعض سوء الفهم فى احدى المراحل . كما ذكرت للرئيس « بودجورنى » وللرفيق « جروميكو » وزير الخارجية ان بعض ما تنشره صحافة الغرب من تحليل او تأويل ، تعطى الانطباع باننا خرجنا عن مبادئنا الاساسية .. لكن الحقائق الصلبة للاقتصاد المصرى تكفى دائما لمعرفة الحقيقة . اذ كيف يمكن الخروج على هذه المبادىء اذا كان القطـــاع العـــام يمثـــل حـــوالى ١٠٠٠ مليون جنيه من الاستثمارات ؟ وكيف يمكن الخروج عن هذه المبادىء اذا كانت الطبقات التى تنبع منها التشريعات فى اهم المؤسسات السياسية تمثل العمال والفلاحين الى جانب بقيـــة فئات التحالف ؟

ان الانفتاح يتم وفقا لضوابط معينة وفى اطار الخطة المصرية .

ـ نحـــن الشـــكوك نابعة مما تثيره بعض الفئات أو العناصر من مفاهيم خاصة بها ؟

● قال الدكتور حجـــــازى :

علينا أن نثبت بالعمل والانتاج ان هذه العناصر غير مؤثرة وليست لها قيمة تذكر . اننا مجتمع حر ، ولكن هناك قصور من جانب القوى الوطنية فى شرح التجربة المصرية بايجابياتهـــا وسلبياتهـــا .

ان تجربتنا ولدت من مجتمع متخلف لكى تتقدم به الى الامام . ونحن لا ننـــكر ســـلبياتها ، لـــكن ايجابياتها اكبر بكثير والا ما استطاعت أن تعيش وتنمو رغم كل المعـــوقات والتحـــديات . ثم ان القادرين على الحـــكم على تجـــربتنا هم الذين عايشوها وعاشوا فى وسطها . الذين رأوا موطن قوتها وضعفها . اننى اقول دائما لمن يتحدثون او يكتبون دون رؤية او مسئولية ، لابد ان يعرفوا الحقائق قبل ان تحـــكموا على السنوات العشرين الماضية . وكثيرا ما التقى ببعض الاخوان من ذوى الاراء المخالفة . واطرح عليهم موضوعا فـــى الاقتصاد او السياسة أو الحرب واكتشـــف على الفور انهم لا يستندون فى آرائهم الى اى اساس متين !

علينا اذن ان نبرز انجازات الاعوام العشرين الماضية ، وستتكفل الحقائق باقناع المتشككين .

ـ هل ادت محاولة ترشيد العلاقات مع الاتحاد السوفيتى الى خلاف من اى نوع ؟

● قال الدكتور حجازى :

اسأل الجانب السوفيتى !

ـ نحن نحاول تقديم وجهة النظر المصرية على اختلاف الظلال والاجتهادات ، ومن هنا نسأل ما هى اسباب الخلاف ؟

● قال الدكتور حجازى :

وهل هناك خلاف ؟

ـ نعم . هناك خلاف

● قال الدكتور حجازى :

اعتقد ان الخلاف طبيعى وينشـــأ من اختلاف النظم واساليب التفكير . ان للسوفيت طريقتهم فى التفكير واسلوبهم فى الحركة ولديهم بعض التشكك بالنسبة لبعض القضايا ..

ـ اى قضايا ؟

● قال الدكتور حجازى :

الانفتاح اثار بعض التشكك . لكن هذه الامور تسوى دائما بالمناقشه المخلصة والعميقه . اننى اذكر دائما ان كل المشاكل كانت تحل عندما نطرح الامور بصراحة على المائدة .

وبالنسبة لنا فالمسألة هى مسألة ترشيد واولويات . والهدف واضح امامنا ردا على سؤال محدد وهو : التطبيق الاشتراكى لمن ؟ ان المسألة لا تتعلق بالاسلوب . فليس من المهم ان يتم التطبيق الاشتراكى عن طريق التأميمات ، لان عهد التأميم قد انتهى . وليس عن طريق فرض اجـــراء استثنائى . لكن هناك اكثر من سبيل ، كفرض ضرائب على الدخـــول الكبيرة . أو كما يقـــول الرئيس السادات ان من حق المستثمر ان يستغل امواله وينتج ، بشرط ان يأخذ حقه ويعطى للدولة حقوقها .

ـ ومسألة التسليح . هل هناك مشاكل حولها ؟

● قال الدكتور حجازى :
نحن لم نستطع أن نفهم سبب المشاكل الخاصة بالتسليح .

ـــ كيف ؟

● قال الدكتور حجازى :
ـ اقول باساءة اننى لا اتصور انه بعد النجاح الساحق الذى احرزه الانسان المصرى بالسلاح السوفييتى فى معركة ٦ اكتوبر ، تفاجأ بأن تقف الامور « بمحاك سر » ...

ـــ هل هناك تفكير فى اقامة صناعات ثقيلة أخرى ؟

● قال الدكتور حجازى :
طلبنا من الاتحاد السوفييتى أن يساهم فى اقامة صناعات ثقيلة اخرى فى مصر كما طلبنا ايضا من جهات غربية .

ـــ ما هو تصورك لمستقبل العلاقات المصرية السوفييتية ؟

● قال الدكتور حجازى :
اعتقد ان الصمود الاقتصادى والفنى قائم ومطلوب .. وهما يؤكدهما اننا مرضنا أخيرا عشرات المشروعات على الاتحاد السوفييتى ، وليس هناك اى نوع من التوقف فى العمليل . وهناك اتفاق مبدئى بأن يساهموا بمشروعات تبلغ قيمتها ٢٠٠ مليون جنيه وهى بقية الاتفاقيات التى لم تنفذ بعد . كما أن « ليبنسكى » نائب رئيس هيئة التخطيط الذى زارنا اخيرا ، تسلم قائمة بمشروعات المشروعات لدراستها .. وقد فهمت ان كل الامور تسير سيرا حسنا ..

ـــ هل تعتقد ان البورجوازية الوطنية المصرية تفضل استمرار هذه العلاقة؟

● قال الدكتور حجازى :
البورجوازية المصرية لا تحكم مصر .

ـــ أنها جزء من التحالف وصوته مرتفع

● قال الدكتور حجازى :
لا اسمح صوتها ! صحيح ان البعض يحاول شد الانفتاح الى مستوى « الاقتصاد الحر » .. لكن الغريب الآن هو انه لم يعد هناك شئ اسمه اى مكان حتى فى الدول الرأسمالية « اقتصاد حر » بالمعنى القديم ... !

ـــ الا تستفيد البورجوازية المصرية من هذه العلاقات ؟

● قال الدكتور حجازى :
طبعا تستفيد ..لكن كما قلت يجب ان يكون هناك ترشيد وتوازن والا ينقلب الميزان ، وهو امر ضار بالطرفين . أنتى اقول لهم احيانا تصوروا ماذا يحدث لو توقفت مصانعكم ؟ وقد يقولون ان مصانعنا لم تتوقف ، وهذا صحيح . لكن عندما فساعدنى فالفائدة لك ولى ستكون أكبر .. من غير الممكن أن أستورد قمحا من دول العملات الحرة بحوالى ٧٥٠ مليون دولار ، أننا نحاول أن نحصل على نصف مليون طن من القمح من الاتحاد السوفييتى . ولم نستطع ... مع انه اعطى للهند مليون طن . ومن غير الممكن بالنسبة لنا أن نصدر قطنا وغزلا وارزا للاتحاد السوفييتى ، ثم نستورد القمح من دول العملات الحرة .

ـــ أليست هذه الامور واضحة فى الاتفاقيات؟

● قال الدكتور حجازى :
من اجل هذا نريد تصحيح وترشيد الاتفاقيات والمساعدات السوفييتية .

ـــ هل انت متفائل بمستقبل العلاقات ؟

● قال الدكتور حجازى :
اننى متفائل طبعا . ومن واقع تجربتى مع الدول الاشتراكية ، فنحن نصل دائما الى تفهم وتفاهم كامل عندما يعرفون الصورة بكل ابعادها . ولقد سبق ايضا ان قلت لهم الا ياخذوا معلوماتهم عنا من صحافة الغرب .

ـــ الا نأخذ نحن معلوماتنا عنهم من صحافة الغرب ايضا ؟

● قال الدكتور حجازى :
بالنسبة للرئيس السادات والحكومة هذا لا يحدث ..

سلكن بالنسبة للمستويات الاخرى هذا يحدث كثيرا ! والان كيف نعمق الفهم المتبادل بين مصر والاتحاد السوفييتى ؟

● قال الدكتور حجازى :
بالحوار .. اننى كثيرا ما اتساءل لماذا يحدث هذا بيننا ؟ واعتقد احيانا أن بعض ما يكتب فى صحفنا يكون له ردود فعل سيئة . أما من جانب الرئيس السادات والحكومة ، فهناك ايمان تام بضرورة استمرار وتقوية العلاقات . اذ ليس من مصلحتنا او مصلحتهم ان نتوقف او نتعثر هذه العلاقات .

وقد نشعر احيانا ان جسر لا تأخذ ما تستحقه من امكانيات للحركة فى مثل موقفها السياسى والاقتصادى والعسكرى ، لكن ذلك لا يعنى ابدا أن العلاقات تتعثر أو تتوقف باى شكل .

ولعل خير ما يعبر عن موقفنا ما يقوله الرئيس السادات احيانا حول هذه المسألة : « أننا نحتاج الى أن يفهمنا السوفيت أكثر من ذلك » .

... اننا مقتنعون بتجربة وحقائق التجربة المصرية السوفييتية ، ونعتقد أن انجازاتها وايجابياتها كبيرة للغاية . وكل ما نطلبه هو ترشيدها ...

القـــراءة الســـادســـة

فى

و .. « الأخبـــــــــار » .

تواصل « الطليعـــة » ــ فى هذا العدد ــ قراءتها فى صفحات « أخبار اليوم » و « الاخبار » .. ونود أن نشـــير هنا الى أننا لم نتمكن من قراءة صـــفحاتهاكاملة فيمـــا بين عـــام ١٩٥٥ وعام ١٩٥٧ ، حيث لم نســـتطع العثور عليهما فى مجلدات الارشيف الذىرجعنا اليه .

ويلاحظ القارىء اننـــا ربطنا بين قراءة « اخبـــاراليوم » و « الاخبار » .. وهذا الربط ــ فى رأينا ــ صحيح من واقع أنهما يمثلان اتجاها واحدا وسياسةواحدة ، ومن هنـــا ســـيكون الربط ــ فى رأينا ــ صحيح أيضـــا ، حين سنواصل قراءتنا فى صـــفحاتمجلات اخرى اصدرتها « أخبار اليوم » .

وما الذى نهدف اليه من وراء هـــذه القراءة ؟ ..اننا ــ باختصـــار ــ نعيد عرض صـــفحات اتجاه سياسى فى مصر ومدرسة فى التفكير ، نعتقد بأهميةتعريف جيل الشباب المعاصر ــ وكل من نسى من غير الشباب ــ بالجذور القديمة الحقيقية لتطورات هذاالاتجاه وامتداداته اسلوبه فى العمل وفى التفكير .

ونقول مرة أخرى ، ان قراءتنـــا طويلة .. طويلة.. ومعروف ان الماضى ملىء بالملفات .

■ الموقف السياسى ■

العـــــام الجـديـــد

مصطفى أمين

اليوم .. بداية عام جديد وعهد جديد .

انتهى الهدم وبدأ البنـاء .. ولم يكن الذى حدث هدما ، فقد كان عملية ازالة الانقاض ، فعندما جاءت الثورة لم تجد مؤسسات سياسية بل وجدت خرائب سـياسية يعيش فيها اليوم والغربان ! .. فكان لابد أن تزال الانقـاض قبل أن يبدأ بناء مؤسسة دبمقراطية سليمة .

انتهت القلقلة وبـدأ الإسـتقرار .. فان الثورة لم تستطع أن تحـرق وراءها الكبارى التى تصلها بالماضى بقرار يصدره مجلس الثورة .. بل احتـاج الامر الى عامين ونصـف ، استخدمت فيها الثورة صـبرها واندفاعها ، وحذرها وجرأتهـا ، ودهاءها وطيبتها ، لكى تستطيع أن تضع حـدا فاصلا بين المـاضى والمستقبل . وعامان ونصف عام ليست بالمدة الطويلة فى حياة شعب ، انتقل من تاريخ الى تاريخ ...

انتهى الخـوف وبدأ الثقة ، فان هـذا الشعب تعود ان لا يصدق حكامه ، لقد عاش ترونا يسبح الوعود الجميلة ويرى الحقـائق الرهيبـة ! .. يرى الملائكة يتحـولون الى شـياطين .. يشـهد مصرع الابطـال .. واستطاعت مظالم المستبدين ان تخمد فيه الثقة والايمان بالحكام .. اذا قالوا له اطمئن ! بدا يخاف ! .. واذا وعـدوه بالرخـاء توقع الافلاس ! .. واذا بشروه بالجـلاء تأكد انه الاحتلال ! .. وكان لابد من وقت ومن احداث ضـخمة ليتحول هـذا الشـعب من صفوف المفرجين الى صفوف العـاملين ، ومن طابور المتشككين الى طابور المؤمنين !! وكان لابد من زمن ، حتى يشعر كل فرد انه آمن على نفسه وعمله ومستقبله ! ذلى بداية الثورات تنتشر الاكاذيب وتنجح الدسائس ، وترتفع المكائد ، ويحاول الانتهازيون ان يحولوا الثورة لحسابهم وللانتقام من خصومهم ، وللنيل من منافسيهم ، ولتحطيم الناجحين ، ولكن مثل هذه المحاولات الوقتية لم يكتب لها النجاح !.. لقد بقى الذهب ذهبا ، واستمر التراب ترابا ! وقد يحسب النـاس فى ظرف من الظروف ، عندما يرون التراب يرتفع ويعـلا المبين ، يحسـبون ان التراب يعلو على كل شىء ثم لا يلبثون أن يروا هذا التراب يتسـاقط على الارض من جديد ! .. وفى بداية الثورة كانت أيضا تنتشر صفاعة الوحل ! فيحاول الصغار ان يلقوا على الكبار الوحل ، ويظنون بهذا انهم يحولون البياض الى سواد ، والاشراف الى قاذورات ، ولكن كل هذا لا يلبث ان يزول ويذوب ، وتظهر الحقائق ناصعة البياض .

وقد مرت الثورة من هـذا كله بسلام .. وقعت فى أخطاء ، ولكنها لم تتردد فى الاعتراف بأخطائها ! .. ان شجاعة الاعتراف بالخطأ من صفات الكبار .. تلقت طعنات من اليمين واليسار ، من الاصـدقاء والاعـداء ، ولكن السـهام تحطمت فوق السـهام .. ومضت الثورة تسير فى طريقها مؤمنة بأهدافها ..

ويهنئه الروح تنهى الثورة العام القديم وتبدأ العام الجديد .

اخبار اليوم : العدد ٥٣٠ — اول يناير سنة ١٩٥٥ .

دائـــرة المعـــارف الجديـــدة

التعليم : محاولة ملعونة للتفريق بين الاقلية والاغلبية .

الضرائب : العقاب الذى تفرضه الدولة على الناجحين .

• ملحق اخبار اليوم — العدد ٥٤٤ — ٩ ابريل ١٩٥٥ •

جمـــال عبـد النـــاصر

عاش جمال عبد الناصر طفولته يتيما ، كل طفل يتحدث عن أبيه بما عداه هو .. كل طفل يزهو بحب أبيه الا جمال .. وعاش فى شبه وحدة روحية ، وجعله هذا الحرمان يموض من هذا الحب المفقود بحب موجود .. ومن هنا داعبته صداقات جمال ، استطاع ان يكون شبكة واسعة من الاصدقاء ، يجيد اختيارهم وانتقاءهم ، ويجد فى مجموع جبهم « الحب الكبير » الذى كان يفتقده .

خجول فى جرىء .. شيخ فى شاب .. مريض فى متأثر .. طيب فى جبار .. قوى مع الاقوياء .. ضعيف مع الضعفاء .. يستطيع ان يحب كثيرا ، ولكنه يكره قليلا .

ذات مرة أصدر أمرا بالتصديق على حكم باعدام جاسوس .. ونفذ الحكم بالاعدام .

ورأى جمال صورة المحكوم عليه بالاعدام فى طريقه الى المشنقة ، ولم يستطع بعدها ان ينام ثلاثة أيام .

أقوى صفاته انه يتحكم فى أعصابه .. يفكر ثم يتكلم .. يصبر ثم يثور .. يضع الخطة ثم يحارب .. يصوب ثم يضرب .

« ملحق أخبار اليوم — العدد ٤٤٥ — ٩ ابريل ١٩٥٥ »

فكـــــــرة !

أن المرأة كالاوتوبيس ! .. اذا فاتك الاوتوبيس لا تجرى وراءه ، بل قف مكانك حتى يأتى الاوتوبيس الاخر .. فان مئات الاوتوبيسات ستمر بك ، وانت واقف فى مكانك !

المهم ان تقف فى الشارع ... فان الاوتوبيسات لا تدخل الازقة والحوارى ! .

واذا تشاجلت فى الاوتوبيس فيجب ان تكون مستعدا لدفع ثمن التذكرة !

لا تتصور ان فى استطاعتك ان تقف طويلا على السلم ! .. اذا نجحت فى استغفال الكمسارى ، فسيهمسك بك المفتش ويرغمك على الدفع ! فان لكل فئة كمساريا ومفتشا من أفراد أسرتها !

وليس ثمن التذكرة كبيرا ! انه فى متناول جيبك ! .. انه نصف حريتك ، ونصف اعصابك ونصف راحتك ، ونصف أبرادك .. وكل صبرك ! ..

اذا دفعت هذا المبلغ الصغير ، فستجلس فى الدرجة الثانية .. واذا ضاعفت هذا المبلغ ، فستجلس فى الدرجة الاولى !

ولا فرق بين ركاب الدرجة الاولى ، وركاب الدرجة الثانية .. اذ ان الفريقين يقطعان نفس المسافة ! .. ولكن راكب الدرجة الاولى ينجو من متعده ، وراكب الدرجة الثانية ينحشر وسط الزحام !

واذا تعطل الاوتوبيس فى منتصف الطريق ، فلا تضيع وقتك فى لعن السائق او لعن تعطله السيىء .. لا داعى لان تمسك فى خناق السائق وتتهمه بأنه تعمد تعطيلك ! ولا داعى لان تمسك فى خناق نفسك ، وتتصور انك رجل سيىء الحظ!

.. ان بعض الاوتوبيسات تتعطل لاقضاء وقدرا .. وبعضها يتعطل بسبب أعمال المصنع والورشة !

واسأل الناس قبل ان تستقل الاوتوبيس .. فان هناك أوتوبيسات تتفكك الى سجن مخبر ، وأوتوبيسات تأخذك الى المذبح ! .. اسأل الناس ولا تخلط بين أرقام الاوتوبيسات !

من أجل كل هذا فضلت المشى على الاقدام .

على أمين

الاخبار — العدد ١٣٥٠ — ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٥٦

فكـــــــرة !

يا رب ! .. لقد تعودت كل لحظة ان اتجه الى السماء وإطلب طلبا جديدا ! .. فاذا مرضت طلبت منك الشفاء ، واذا شفيت طلبت منك ان توفقنى فى عملى ، واذا وفقت فى العمل ، طلبت منك راحة القلب وراحة البال !

ولكنى اليوم يا رب اتطلع الى السماء ولا اطلب شيئا جديدا !

كل ما ارجوه منك ان تساعدنا على ان نحتفظ بما اعطيتنا ، فلا نفرط فى شبر واحد من ارضنا وكرامتنا وشجاعتنا .

لقد اعطيتنا نعمة حب بلادنا ! .. لم نعد نظن ان وطننا هو حدود البيت الذى نعيش فيه او الشقة التى نسكن فيها ! فتحت عيوننا وعقولنا ، فاصبحنا نحس ان حدود بيتنا هى حدود مصر كلها ! .. وان كل قطعة تسلب من الوطن تغتصب من الارض التى يملكها كل واحد منا .

يا رب ! .. لقد ملأت قلوبنا بالايمان ! .. **لم تعد الاساطيل والجيوش تخيفنا ! .. لقد استطعنا ونحن بلد صغير ان نقف امام الامبراطوريات .. لم نهرب امام الجيوش كما فعلت فرنسا امام الجيوش الالمانية ! .. لم نرفع الراية البيضاء كما فعلت دول كبرى . لقد صمدنا فى مواقفنا ورحنا ندافع عن كل شبر من ارضنا . ونبيد جنود المظلات المسلحين ونغرق حاملات الجنود وننسف السفن الحربية المزودة باحدث الاسلحة .. ونموت واقفين ، ولا نعيش راكعين .**

يا رب ! .. نحن لا نطلب عونا من السماء . ولكننا نطلب ان تحفظ لنا ما منحتنا من شجاعة وجراة وايمان !

يا رب ! .. ان هذه القوى التى فى قلوبنا كفيلة بان تساعدنا على ان نسترد كل شبر فقدناه من الارض ، وان نضرب اعظم المثل للشعوب الصغيرة **بانها قادرة بلا مساعدة خارجية** ، ان تحافظ على ارضها وحريتها وكرامتها

يا رب ! .. احفظ ما فى قلوبنا من ايمان .. وعلينا الباقى !

على أمين

الاخبار – العدد ١٣٥٥ –
٥ / ١١ / ١٩٥٦

فكـــــــرة !

اننى فخور بجيش بلادى وشعبها .. فخور بالمقاومة الرائعة التى اثارت اعجاب صحف العالم ودهشت انجلترا نفسها .. فخور لان الذين يسجلون هذه الصفحات المجيدة من كفاحنا هم الكتاب الاجانب لا الكتاب المصريون الذين قد يتهمهم الناس بالحماسة والمبالغة فى تمجيد ابناء وطنهم .

اننى فخور لان بلادى واجهت بشجاعة امبراطوريتين .. لم نعلن عليهما الحرب .. ولكنها فوجئت بجيوشهما واساطيلهما وطياراتهما وهى تحاول ان تغتصب ارضها وتسلب حريتها .. ولم تذهلها المفاجأة ! .. ولم تقع فى شباك الخديعة .. لم يكن عند الانجليز والفرنسيين الشجاعة بمواجهتنا وجها لوجه .. لقد تآمروا مع اسرائيل ، فهاجمت الاراضى المصرية فى الظلام ! .. واستنكرت انجلترا فى الصباح هذا الهجوم .. وفى الليل كانت الطائرات البريطانية والفرنسية تتسلل مع الظلام ونضربنا فى ظهرنا ! .. لم نفقد عقلنا فى هذه المفاجأة .. ولم نسقط فى الفخ المنصوب ! .. لقد سحبنا قواتنا من سيناء ووقفت مع الشعب تدافع عن كل شبر من الارض .

كانت الاساطيل تحاصر شعب بورسعيد ، والقنابل تدك البيوت ، والطائرات تقتل المارة فى الشوارع .. ومع ذلك وقف الشعب فى مكانه يقاتل مع الجيش ويطارد

جنود المثلاث .. أنني فخور بهذا الشعب .. فخور بشبابه وبنائه الذين كتبوا بشجاعتهم قصصا عجيبة كنا نقرأها في الكتب ، ولا نراها باعيننا .

والآن .. يجب ان تتعاون جميعا في رفع الانقاض واعادة البناء .

يجب ان نزيد ساعات العمل وان نعيد بناء ما تهدم ونسجل أرقاما قياسية في البناء كما سجل أعداؤنا أرقاما قياسية في التخريب والتدمير !

ان ما حدث في بلادنا لا يزيد عن واحد في الالف مما حدث في المانيا من التخريب والدمار .. واستطاعت المانيا في سنوات قلائل ان تعيد بناء بلادها ، وان تنافس بريطانيا وتهدد تجارتها .. وما فعله الالمان لن يعجز عنه المصريون

اننا سنعيد بناء كل بيت وكل مطار وكل شارع .

ان الشيء الوحيد الذي لن نستعيده هو الارواح التي تنظها الغزاة .. وكل ما نستطيع ان نفعله لها ، هو ان نضمن مستقبل أولاد هؤلاء الشجعان ونحييهم من قبرهم جديد .. وسنحييهم بقوتنا وبايماننا وعزتنا .

علي أمين

الاخبار — العدد ١٣٤٧ — ٧ / ١١ / ١٩٥٦

الثورة .. وعبدالناصر .. والعدوان الثلاثي

تتناول صفحات « أخبار اليوم » و « الاخبار » التي نقرأها هذا العدد ، مسائل ثلاث :

اولا : المرحلة الاولى لقيام ثورة يوليو حتى نهاية عام ١٩٥٦ ، حيث مرت بتجربة العدوان الثلاثي وما أحدثه من تغيير هام في مسارها بعد ذلك .

.. في تلك الفترة التي تمتد من أدق فترات ثورة يوليو ، حيث كانت تتلمس فيها الطريق للنهوض بالبلاد المتخلفة بتراث حكم الملكية الفاسد . وكان قادة الثورة — كما جاء في تصريحاتهم وقتها وبعد ذلك — يتصورون ان الولايات المتحدة الامريكية يمكن ان تلعب دورا غير مشروط لمساعدة مصر في بناء مجتمعها بعد قيام الثورة ..

لهذا السبب ، كانت « اخبار اليوم » و « الاخبار » ، تؤيد ثورة يوليو ، وتمارس دورا اعلاميا من شأنه دعم هذا التصور والاندفاع به نحو بناء « نموذج أمريكي » للحياة في مصر . وفي هذا المجال عملت « أخبار اليوم » — مثلا — على الترويج لمفاهيم هذا النموذج . فهي تعرف الضرائب التي تفرضها كل المجتمعات على اصحاب الدخول المقتدرة بأنها « **العقاب** الذي تفرضه الدولة على الناجحين » (ملحق أخبار اليوم — العدد ٥٤٤ — الصادر في ٩ ابريل سنة ١٩٥٥] .. وكلمة **العقاب** هنا ، هي البديل الذي استخدمته « أخبار اليوم » لكلمة **حق المجتمع** .

وفي تلك الفترة ايضا ، لاقت بعض السياسات الخارجية والداخلية — وخاصة في قضية الديمقراطية — معارضة قوى اجتماعية وسياسية داخلية ، لاسباب متباينة ولاهداف أشد تباينا ، من معظم قوى اليمين القديم ، لان قرارات الثورة المتعددة وقتها ، تلغي دوره السياسي وتحاصره وتجرده من بعض ما يملكه من ثروات .. ومن قوى اليسار ، خوفا من التصور بشأن الولايات المتحدة .. وغياب الحياة الديمقراطية ، وحرصا على بناء مجتمع ما بعد الثورة على أسس متقدمة ومناقضة للبناء القديم .. وفي مواجهة ذلك ، قابلت الثورة باتخاذ اجراءات استثنائية ، وزجت بمختلف اتجاهات المعارضة في المعتقلات والسجون ، ووصلت معاملة هذه الاتجاهات المتباينة ، الى درجة من العنف والقسوة ،

أصبحت معروفة عن هذه الفترة . وفى هذا المجال ، كتب الاستاذ **مصطفى أمين فى الموقف السياسى** « لأخبار اليوم » — العدد ٥٢٠ — الصادر فى أول يناير سنة ١٩٥٥ ، يقول : « .. وقد مرت الثورة من هذا كله بسلام . وقعت فى أخطاء ، ولكنها لم تتردد فى الاعتراف بأخطائها ! .. ان شجاعة الاعتراف بالخطأ من صفات الكبار ! .. تلقت طعنات من اليمين واليسار ، من الاصدقاء والاعداء ، ولكن السهام تحطمت فوق الصهام .. ومضت الثورة تسير فى طريقها مؤمنة بأهدافها .. » .

هكذا كان موقف « أخبار اليوم » السياسى ، من تلك الفترة . ولهذا يصفون اليوم نفس هذه الفترة عندما يتناولون ١٨ سنة من حياة الثورة ، والتى أيدوها بكل حماس غريب ، يصفونها بـ « سنوات العار » ، و « عهد الظلام » . ويتباكون اليوم على الديمقراطية والحريات ، ويدينون أعمال الاضطهاد والاغتيالات والسجون ، وهم أنفسهم الذين باركوا — وبحماس — كل هذه الاعمال من قبل . ومن قبيل التكرار ان نؤكد هنا اننا ندين — كما اننا فى الماضى — أى اضطهاد وتعذيب واعتقال لمواطن بسبب رأيه او معتقده . ولكننا نسأل : أين كنتم عندما كانت الوحدة الوطنية مفتقدة او معرضة للخطر ؟ .. ألم تباركوا هذه الاجراءات ؟ .. لحساب من أيدتم هذه الفترة وتهدمونها اليوم ؟ .. ولحساب من باركتم أعمال الاضطهاد والاعتقال من قبل ثم عدتم وتهاجمونه اليوم ؟ .. هل كان تأييدكم — فى البداية — لحساب المصالح الوطنية للشعب المصرى ؟ .. واذا كانت الاجابة — افتراضا — بـ « نعم » ، فهل لحساب مصالحه الوطنية أيضا تهدمون كل شىء اليوم ؟ .. اننا نفهم — بل ونقدر — أى تقييم للماضى ، ولكن بمنهج الحرص على مصالح شعبنا : منهج رصد ما هو ايجابى والعمل على التقدم به وتطويره ، ورصد كل ما هو سلبى من أجل التخلص منه وتجنب عدم تكراره . نحن احرص على اعادة فتح الملفات وتقييم ما بها من وثائق وأعمال ، ولكن البوصلة التى نهتدى بها هى التقييم الموضوعى ، وبرغم كل ما تعرضنا له من اضطهاد .. وهو — كما تعرفون وباركتموه وقتها وصفقتم له — كثير .. كثير .

ثانيا : تقييم شخصية جمال عبد الناصر .. وفى هذا المجال تغنينا قراءة « أخبار اليوم » عن كل قول أو استنتاج .. ففى العدد ٥٤٤ الصادر فى ٩ ابريل سنة ١٩٥٥ ، كتبت « أخبار اليوم » عن جمال عبد الناصر تقول — كما هو منشور بالنص قبل هذا التعليق — انه الشاب « الخجول الجرىء » و « الصريح الطيب » و « القوى المحب » و « المفكر » « المخطط » ... الخ .. الخ .

ونحن لا نناقش هنا هل هذه الصفات صحيحة أم لا .. فذلك منهج لا نأخذ به عندما نتناول بالتعليق او التحليل او التقييم لشخصية زعيم سياسى ، وانما تتناول أعماله ونتائجها فى ضوء ظروف المجتمع الموضوعية ومتطلبات التقدم . ولكننا نسأل من كتبوا ذلك الكلام : هل كان صحيحا ؟ .. واذا كانت الاجابة بـ « نعم » ، فاننا نعود ونسأل : هل الصفات التى تكتبونها اليوم صحيحة وهى تختلف تماما عما كتبتموه من قبل ؟ .. أيهما نصدق : ما كتبتموه بالأمس أم ما تكتبونه اليوم ؟

ثالثا : تقييم أحداث العدوان الثلاثى [١٩٥٦] ونتائجه .. وفى هذا الصدد قد يبدو الامر غريبا للوهلة الاولى .. فالاستاذ **على أمين** فى « الاخبار » يتحدث عن اننا « لم نهزم » أمام قوات العدوان . واننا « أبدنا » الغزاة ، واننا « صمدنا » ، وهو يفجر بالجيش المصرى والشعب المصرى

ما الذى يمكن التحفظ عليه او نأخذه على هذه الاحاديث وتلك الكلمات اذن ؟

ولنقرأ بعناية .. فى يوم ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٥٦ ، وبينما كان المانشيت الاحمر العريض فى صدر الصفحة الاولى لجريدة « الاخبار » هو نصه : **اسرائيل تهاجم الاراضى المصرية** [العدد ١٣٥٠] ، كتب الاستاذ على أمين فى « **فكرته** » اليومية ، يتحدث عن المرأة ، وراح يشبهها بالاوتوبيس وضرورة ان يدفع الرجل ثمن التذكرة ! .. وبغض النظر عن مفهوم الاستاذ **على أمين** ونظرته للمرأة كمستأنة وبواطنة — فتلك قضية أخرى رغم أهميتها — الا اننا نرصد هنا حقيقة ان هذا الحديث ، مع تحفظنا عليه ، لا يتناسب مع ظروف وواقع بلد تعرض للعدوان ، وارضه وحدوده ومصالحه ومستقبله يتعرضون لخطر داهم .. أبناء مصر

من شبابها وخيرة رجالها يتعرضون لقنابل الاعداء ودباباتهم ؟ والاستاذ على أمين يكتب — فى نفس اللحظة — عن المرأة والاوتوبيس والتذاكر والركاب .

.. وهل يجوز ان يبلغ انفصال الكاتب عن وطنه وشعبه هذه الدرجة ؟ .. وفى أية ظروف : ظروف عدوان على الوطن ؟!

لكن هذه ليست ملاحظتنا الوحيدة ، رغم أهميتها البالغة .. فبينما كان المانشيت الاحمر العريض لجريدة « الاخبار » « روسيا تنذر بالحرب » اذا لم توقف بريطانيا وفرنسا واسرائيل عدوانهم على مصر فورا [العدد ١٣٥٥ ، الصادر فى ٥ نوفمبر سنة ١٩٥٦] راح الاستاذ **على أمين** يكتب فى « فكرته » ، فى نفس العدد [١٣٥٥] عن ان مصر حاربت وستحارب « **بلا مساعدة خارجية** » .. كانت « الاخبار » تفرد مساحات بارزة لنشاط وجهود ايزنهاور ودالاس « لوقف اطلاق النار » [وقد بذلا بالفعل جهودا من اجل دوافع أخرى ليس هنا مجال تناولها] ، ولكن رئيس تحرير الاخبار يعلق بما يوحى بأن مصر لا تريد « مساعدة خارجية » لمواصلة مقاومتها للعدوان . ولا شك اننا جميعا نعتز بأن نستطيع وحدنا رد العدوان — فى أى وقت — ولكن عندما يعرض احد ، أيا كانت طبيعته ، مساعدته لنا فى رد العدوان ، خاصة اذا لم نكن نستطيع وحدنا رده ، وبدون أية شروط ، فاننا لا نرفض عرضه خاصة اذا كان بناء على مناشدة رئيس الجمهورية الوطنى للرأى العام العالمى وللعالم كله بتقديم المساعدات لنا . وهذا ما فعله عبد الناصر فى خطابه الشهير بالازهر فى ٣ نوفمبر سنة ١٩٥٥ .

ولكن هذه أيضا ليست ملاحظتنا الاساسية

المهم .. ملاحظتنا الاساسية — حتى يتصل الكلام — على التقييم الكلى الذى عبرت عنه « الاخبار » وقتها لنتائج العدوان وأحداثه .. فبعد انتهاء العدوان كتبت « الاخبار » سلسلة تحقيقات ، بدأ بعضها فى العدد ١٣٥٩ ، الصادر فى ٩ نوفمبر سنة ١٩٥٦ ، بمانشيت اساسى للصفحة الاولى يقول : « **الانتصارات التى حققتها القوات المسلحة فى المعركة** » وبعدها منذ العدد ١٣٦٢ ، الصادر فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦ ، تحت عنوان « **أسرار المعركة** » ، راحت تكتب تفاصيل « **كيف أنزلنا الهزيمة بالقوات المعتدية** » .. فضلا عن افتخار الاستاذ **على أمين** المتكرر بالجيش المصرى والشعب المصرى .

تقييم الاستاذ **على أمين** و « الاخبار » اذن ان مصر **انتصرت عسكريا** فى مواجهة عدوان سنة ١٩٥٦ ، وان « الهزيمة » العسكرية كانت من نصيب بريطانيا وفرنسا واسرائيل .

ليكن .. [رغم ان رأينا أن مصر انتصرت فى المعركة **سياسيا** رغم الهزيمة العسكرية لاسباب متعددة] .. ولكن الاستاذ **على أمين** وما يكتبه — مع غيره — فى « الاخبار » اليوم ، لا يتفق مع ما سبق وكتبه — وكتبوه — من تقييم .. مصر سنة ١٩٥٦ فى نظرهم اليوم ، هى مصر الهزيمة : سياسيا وعسكريا . ونحن نسأل أى التقييمين للاستاذ على أمين — ومن يكتب مثله — أصح ؟

وتقديرنا ان جيش مصر سنة ١٩٥٦ ، جنودا وضباطا ، قد بذلوا كثيرا وضحوا كثيرا من أجل مصر . وان من أسباب **الهزيمة العسكرية** طبيعة **القيادات** العسكرية وكفاءتها وقدرتها على الربط بين التقدير السياسى للموقف ، والتقدير العسكرى لمجريات الاحداث .. ولهذا فنحن — بحق — أشد اعتزازا وفخرا بجنود وضباط مصر — سواء فى سنة ١٩٥٦ أو فى غيرها — ولكن لدوافع أخرى ، وليس بدافع التملق والنفاق .

انقدوا كما شئتم ما سبق من سياسات واحداث .. ولكن تذكروا ايضا ما سبق وكتبتموه من قبل حين قيمتم هذه السياسات والاحداث وقتها ، لتعرف اجيال مصر اين تقفون بالضبط ؟

« الطليعة »

• جمهورية مصر العربية •

قبل سالزبورج : جولة عربية

الرحلة الاخيرة التى قام بها الرئيس « أنور السادات » الى اربع عواصم عربية فى الفترة من ١٢ الى ١٨ مايو الماضى كان محورها بحث امكانيات الدعم العربى للنضال ضد العدوان والاحتلال الاسرائيلى ، والتوسط لحل الخلافات العربية الداخلية وخاصة النزاع العراقى – الكويتى حول الحدود ، والنزاع السورى – العراقى حول مياه نهر الفرات .

وبدأت رحلة الرئيس السادات بالكويت ، وقد اكد البيان المشترك الاتفاق على خط عربى موحد ازاء اجتماع القمة القادم بين الرئيس السادات ، والرئيس فورد فى سالزبورج ، وداخل مؤتمر جنيف . كما أعلن البيان المشترك ان مصر والكويت ستسعيان لتحقيق المزيد من التعاون الاقتصادى بين البلدين ، وان المساهمة الكويتية فى دعم الاقتصاد المصرى فى هذه المرحلة سيزداد حجمها .

وقبل ان يغادر الرئيس السادات الكويت أعلن فى مؤتمر صحفى ، أن احتمال تجدد الحرب فى الشرق الاوسط ليس بعيدا أبدا ، وان مصر وقواتها المسلحة تعيش فعلا هذا الاحتمال ، واكد أن مؤتمر جنيف لا يمكن ان يتم الا بحضور جميع الاطراف ، ولكن لابد من الاعداد لهذا المؤتمر بقدر ما تم للاعداد لحرب اكتوبر . وقال « ان مصر ترحب باى جهد تقوم به امريكا او الاتحاد السوفيتى او حتى الشيطان لحل ازمة الشرق الاوسط . وفى حديثه عن احتمال الحرب والسلام لعام ١٩٧٥ قال : الحقيقة تقيم احتمالات الحرب والسلام ليس واردا فقط قبل ٥ يونيو او بعد ٥ يونيو ، وانما هو وارد فى كل لحظة نعيشها . ونحن نعيش فى مصر فعلا فى حالة توقع مستمر ، ولكن أريد أن أؤكد شيئا .. أريد أن أؤكد اننا نعطى لعملية السلام كافة الامكانيات فلن نبدأ نحن ، وانما سنعطى لعملية السلام كافة الامكانيات لكى تنجح . أما اذا اعقبت اسرائيل،فنحن جاهزون وحاضرون لها ، وعليها ان تتحمل تبعة ما ستلاقيه » .

وفى مطار بغداد أعلن الرئيس السادات لحظة وصوله : « انها بلا شك فرصة سعيدة ان التقى باخى الرئيس أحمد حسن البكر فى العراق ، وانها تعود لذكريات طويلة لان القاهرة وبغداد عبر التاريخ كانتا دائما مركزين من المراكز الاساسية للامة العربية . ان هذه أول زيارة يقوم بها رئيس مصرى للعراق ، وانا متفائل خاصة فى هذا الظرف الدقيق الذى تمر به الامة العربية » .

وقد وصفت الدوائر السياسية زيارة الرئيس السادات لبغداد بأنها تعبير عن انهاء مرحلة الانفصال بين القاهرة وبغداد . هذا الانفصال الذى اذكته حساسيات الماضى .

وشملت المباحثات بين الجانبين المصرى والعراقى الخلافات على الحدود بين العراق والكويت ، وبين العراق وسوريا حول مياه الفرات ، وهو خلاف وصل الى حد التفاقم .

وقد انتهت المباحثات بين الجانبين الى توسيع العلاقات الاقتصادية بين مصر والعراق ،

● ج . م . ع	● فرنسا	● الهند الصينية	● رسائل من :
قبل سالزبورج :	وغاب « دوكلو »	بدء مرحلة	ـ فرنسا
جولة عربية	الانسان ..	ما بعد الانتصار	ـ العراق

واقامة مشاريع اقتصادية مشتركة بين القطاعين العامين فى كل من البلدين لاقامة شكل من أشكال التكامل الاقتصادى . ومن المنتظر أن يبلغ حجم تلك المؤسسات ٧٠٠ مليون دولار . وسيستعين العراق بالخبراء المصريين والفلاحين والعمال المصريين فى انجاز خطة تنميته الطموحة . وقدمت العراق لمصر ٢ مليون طن بترول منها ما قيمته ٨٠ مليون دولار مساهمة من العراق لتخفيف أعباء التضحيات الهائلة التى يقدمها الشعب المصرى . كما تعهدت العراق بالمساهمة فى حل مشكلة الاسكان بمصر باقامة حى سكنى شعبى فى بور سعيد يتكلف ٣٥ مليون دولار .

كما ناقش الجانبان المصرى والعراقى فى الاجتماعات الثلاثة التى عقدها فى بغداد قضية الحرب والسلام ، وفرص نجاح مؤتمر جنيف ، وتنسيق التحرك العربى من كافة جوانبه . وتقييم الوضع الراهن بكل ملابساته والمسئولية العربية الجماعية فى مواجهة اسرائيل . وكذلك بحثا تقييم مستقبل العلاقات مع الاتحاد السوفييتى وضرورة تقوية الصداقة العربية السوفييتية .

وطار الرئيس السادات الى الاردن ، وفى عمان أعلن الرئيس السادات ـ فى مأدبة العشاء التى أقامها تكريما له الملك حسين : اننى اريد أن اقرر هنا أمام أخى الملك حسين ، وأمام أمتنا العربية كلها وعلى مسمع من أهلنا فى الارض المحتلة ، أنه لا يأس بعد اليوم أبدا . لقد تخطينا اليأس ، واليأس اليوم هو يأس العدو ذاته .. اننا نكافح من أجل الامل وهم يكافحون خوفا من اليأس والضياع . اننى اقول لاهلنا هنا : انتهت كل الايام الاليمة ، وأن كل ما سيأتى باذن الله انتصارات .. نجح كيسنجر أو فشل فى مهمته ، سنظل منتصرين وستظل يدنا هى العليا .

وطار الرئيس السادات من عمان الى دمشق . ومع الرئيس حافظ الاسد تبادل الجانبان الرأى فيما يهم القطرين .

وأكد الرئيس السادات فى المؤتمر الصحفى الذى عقده قبل مغادرته دمشق ، أن المباحثات التى أجراها فى جولته العربية امتداد للجهد الذى بذل قبل معركة اكتوبر ، وأن أروع انجازات معركة اكتوبر هو التضامن العربى . كما أكد أن قضية فلسطين هى لب المشكلة فى الشرق الاوسط وبدون حلها لن يكون هناك سلام فى المنطقة .. وقال :

« لقد قلت من قبل عندما يرفض الفلسطينيون القرار ٢٤٢ والقرار ٣٣٨ لهم كل الحق ، هذا حقهم ، ولكن عندما نتحدث عن مؤتمر جنيف أود أن أوجه هذا السؤال الى الفلسطينيين لان القرار قرارهم : هل يذهبون أم لا يذهبون ، ولكن يجب أن يكون معروفا ، انهم عندما يذهبون الى جنيف فالمشكلة هى مشكلة سياسية وليست مشكلة انسانية كما عولجت من قبل ... » .

وقال الرئيس السادات عن الوساطة بين سوريا والعراق حول مياه الفرات : كما قلت فى العراق ، المرء يجب أن يكون متئدا بهذا الصدد ، ولكنى بحثت مع الرئيس البكر ومع نائبه صدام حسين ومع الرئيس حافظ الاسد أسس هذه المشكلة وآمل كما قلت فى العراق انهم متقاربون جدا ، وسوف تحل هذه المشاكل .

كما قال الرئيس السادات فى ختام مؤتمره الصحفى أنه يعتبر النصر الذى تحقق فى جنوب شرقى آسيا نصرا لحركة التحرير « أما أثرها على منطقتنا أو على النزاع العربى ـ الاسرائيلى فهذا ما سأعرفه فى سالزبورج » .

■ الاتحاد الاشتراكي ■

أسس جديدة .. ومخاوف .. واعتراضات

تبدأ في الاسبوع الثاني من هذا الشهر «يونيو» ، انتخابات الاتحاد الاشتراكي ، وتشرف عليها لجنة من ٣ أعضاء يمثلون المحافظات وبعض الهيئات الجماهيرية » وذلك لتشكيل مستوياته التنظيمية المختلفة . وسينعقد المؤتمر القومي العام في ٢٣ يوليو القادم بجامعة القاهرة ، وأمامه مهمتان : ١ ـ اعتماد النظام الاساسي الجديد ٢ ـ انتخاب اللجنة المركزية التي ستتولى فيما بعد انتخاب اللجنة التنفيذية العليا ، وسوف تمثل القوات المسلحة ـ بصفتها احدى قوى التحالف ـ في اللجنة المركزية واللجنة التنفيذية .

وكان الرئيس انور السادات قد أولى هذه القضية اهتماما خاصا في اجتماعه بالقيادات التنفيذية وبالدكتور **وفعت المحجوب** الامين الاول ، في أوائل الشهر الماضي ، وحضره **حسني مبارك** نائب الرئيس . وقد أكد الرئيس في الاجتماع على ضرورة قيام المؤسسات المختلفة بالتخطيط السبق ، واعداد الدراسات المتكاملة وركز على مبدأ العضوية الاختيارية كأساس للتنظيم السياسي « الذي يجب أن يلعب دوره في الفترة القادمة ولهذم الرئيس بدعم التنظيم الشبابي وبناء شباب اكتوبر » .

ثم عقد الدكتور المحجوب عددا من المؤتمرات الشعبية في كثير من المحافظات ركز فيها ملامح الاتحاد الاشتراكي الجديدة التي « تختلف كثيرا عما سبقه ، ولن يكون التجديد تجديدا في الاشخاص ، وانما تجديد في التفكير والاسلوب » . ومن اهم الملامح التي أوضحها الامين الاول :

● العضوية الاختيارية للمواطنين بحيث لن تكون عضوية الاتحاد الاشتراكي شرطا اساسيا للولوج بعض المناصب العليا ، أو للترشيح لعضوية المجالس النقابية والجمعيات التعاونية ، ومجلس الشعب ، والمجالس الشعبية الاخرى .

وافادت المعلومات بأن الاتجاه الغالب بالنسبة لوضع أعضاء مجلس الشعب في التنظيم الجديد للاتحاد الاشتراكي ، هو أن يكونوا أعضاء في مؤتمرات الاقسام أو المراكز أو البنادر التي يمثلونها بحيث يكون لهم جميع حقوق عضوية التنظيم السياسي بما فيها حق الترشيح الى المستويات الاعلى في التنظيم .

● أن العضوية ستمنح « للذين يلتزمون بمواثيق الثورة ، ويبدأ التحالف ، وللنقابات العمالية والمهنية بشرط « التزام مجالس ادارتها أو جمعياتها العمومية بمواثيق الثورة والتحالف ، وبصفتها المعنوية ، أي أن أعضاءها لا ينضمون بانضمام النقابة .

● أن ديمقراطية التنظيم « ستظلم التسليم بتعدد الاتجاهات من خلال منابر » داخل التنظيم لا خارجه » وأن تكون هذه الاتجاهات « مؤمنة بفلسفة التحالف ، وقيام المنابر ليس مجرد تسليم بواقع محسوب ، ولكنه تحضير لمستقبل « يحدده الشعب من خلال المنابر المتعددة »

● أن أسلوب وقانون العزل السياسي قد انتهى بانتهاء القانون الصادر به « ١٩٦٢ » لانقراضه « في ١٩٧٢ » ويتمثالي فلكل من سبق عزلهم سياسيا حق طلب عضوية الاتحاد الاشتراكي ، « فاذا لم تكن افكارهم قد تغيرت ففي يد الجماهير حسم الامر بعدم انتخابهم في لجان الاتحاد » .

وحتى كتابة هذا التقرير « ٢٠ مايو » لم يعلن عن عدد الاعضاء المتقدمين لطلب العضوية وقد اعلن الدكتور المحجوب عن انضمام اتحادات نقابات المعلمين والصحفيين والمعلمين واطباء الاسنان والعمال والفلاحين ونقابة عمال النقل البحري والجوي الى عضوية الاتحاد الاشتراكي .

وقد اثارت بعض تعبيرات الامين الاول تخوفات بعض المفكرين ، وخاصة حول ما نشرته الصحف عنه بأن الذين لا ينضمون الى عضوية الاتحاد الاشتراكي سوف يعزلون انفسهم عن حركة الجماهير . فسارع الى تصحيح هذا الالتباس ، في رده على الدكتور « **وحيد رأفت** » الذي عبر عن مخاوفه في هذا الصدد .

ويلاحظ المراقبون أن تصية المنابر لم ترد بشكل واضح في تصريحات الامين الاول ، سواء عن كيفية تشكيلها داخل التنظيم السياسي ، أو عن كيفية ممارستها للعمل وانخراط الاعضاء فيها .

على أن بعض التعقيبات على تصريحات الامين الاول ، ظهرت وكأنها تطرح من جديد قضية وجود الاتحاد الاشتراكي نفسه . فقد كتب **عبد العزيز الشوربجي** ، نقيب المحامين

الاسبق،يعترض على تعبير«أن الجماهير المنظمة هى وحدها القادرة على ابراز المشاكل التى تستحق أولوية خاصة» . ووصف هذا المفهوم بانه « اطار ممل لا يرشح الى أى نجاح مرتقب » ثم طالب « باطلاق سراح الجماهير من هذا التنظيم . دعوها تطوف بأذق المجد . تؤكد مصر الفد ، دون أن يحدد هذه الاذاق أو طبيعة مصر الفد . ثم كتب « **على أمين** » مطالبا بتأليف « جمعية وطنية » ينتخبها الشعب ، لمناقشة « التكوين الجديد للتنظيم السياسى وتطوير البناء الديمقراطى وطريق التمهيد لقيام أحزاب جديدة بعد تحرير الارض العربية من الاحتلال الاجنبى » . ورد ـ مقدما ـ على احتمال اعتراض أحد على اقتراحه بعد اعلان ورقة اكتوبر ، قائلا « ان الرئيس أنور السادات حين قدم ورقة اكتوبر طرحها للمناقشة . والفكر لا يقف . وان ورقة أكتوبر يجب أن تفتح الباب للافكار المختلفة حتى تصل الى الفكر الصحيح » . وفى نفس الاطار كتب « **أحمد أبو الفتح** » ينتقد المحاولات والجهود التى تبذل من أجل بناء الاتحاد الاشتراكى على أسس مغايرة ، ووصف هذه المحاولات بانها « دوران فى حلقة مفقلة » . وهو يرى ان الحل الافضل فى رأيه انما هو « حرية تكوين الاحزاب » ، « حرية اصدار وامتلاك الصحف » ، ثم يقول « والواقع أن كل الحلول تتضاءل أمام هذا الحل لانه الحل الطبيعى الذى يعيد الحقوق كاملة للشعب » .

■

■ مجلس الشعب ■

صفقة الأوتوبيسات بين المؤيدين والمعارضين

أعلن **مجلس الشعب** ـ بعد مناقشات وصفها الصحف بانها كانت مثيرة ـ موافقته على تقرير لجنة تقصى الحقائق التى كان المجلس قد شكلها لبحث موضوع صفقة الاتوبيسات الايرانية .

وأكد التقرير الذى أعدته **لجنة تقصى الحقائق** ، وناقشه المجلس ، على أن الصفقة سليمة من حيث اجراءات التعاقد والاسعار ، ان كانت اللجنة قد سجلت فى تقريرها بعض اوجه القصور .

فمن حيث الشكل سجلت اللجنة :

١ ـ أن اللجنتين المشكلتين للاتصال بالجانب الايرانى ، أو للمفاوض ، واتخاذ اجراءات توقيع العقد النهائى ـ اكتفتا باعداد تقرير عن عملهما رفع الى وزير النقل، ولم تسجل محاضر تفصيلية لمراحل التفاوض ولسير عملها .

٢ ـ التعارض بين بعض نصوص العقد وما تضمنه الاتفاق المالى الذى تم بعد توقيع العقد ، وبشكل خاص المادة الثالثة من العقد الخاص بشروط الدفع ، وما جاء فى الاتفاقية الملحقة بهذا الخصوص .

ولم يثبت للجنة أن الوفد المشكل بقرار وزير التجارة الخارجية لابرام الاتفاقية المالية المنفذة لبروتوكول التعاون بين مصر وايران ـ قد قدم تقريرا عن مهمته .

٣ ـ عدم تدارك بشكلة النقل ـ بالرغم من أنه كان معلوما للطرف المصرى أن التسليم سيكون فى ميناء الشحن F.O.B. الايرانى ـ مما تسبب عنه التأخير فى الشحن وعدم وصول السيارات فى مواعيدها .
كما سجلت لجنة تقصى الحقائق فى تقريرها

٤ ـ أن المواصفات الفنية لجهاز الاتلاع [المرش] حسب التغيير المتفق عليه الى قوة ٦ حصان بدلا من ٤ حصان لم يستكمل فى الدفعة الاولى من السيارات التى وصلت وان كان الجانب الايرانى وعد بشحنها من المانيا مباشرة على أن تترك المرشات المركبة حاليا بدون مقابل .

٥ ـ أن الدفعة الاولى من السيارات وصلت بدون ابواب .

أما المناقشة التى أجراها مجلس الشعب حول صفقة الاتوبيسات الايرانية ، فقد كانت المرة الثالثة التى تطرح فيها هذه القضية على مجلس الشعب .

لقد فجر الدكتور **محمود القاضى** قضية صفقة الاتوبيسات الايرانية وصفقة حديد الصليح الاسبقية عندما تقدم بسؤال لوزير النقل السابق ، وسؤال آخر لوزير الاسكان عن حقيقة ما يشاع عن كل من الصفقتين ـ وعن صحة ما أشيع من أن الحكومة المصرية تحملت فروق اسعار تزيد على عشرة ملايين دولار اكثر من التعاقدات التى تمت بين ايران وكل من السودان والكويت ، فى نفس الوقت،

وبنفس مواعيد التسليم — وما أشيع أيضا من أن الاخطاء الجسيمة التى شابت صفقة حديد التسليح الاسبانى نتج عنها ضياع ستة ملايين دولار من اموال الدولة ..

ولعدم اقتناعه باجابات الوزيرين عن سؤاليه حولهما الى استجواب لرئيس مجلس الوزراء السابق د. **عبد العزيز حجازى** .

وتم ادراج مناقشة الاستجواب فى جلسة ٢٩ مارس الماضى — الا ان جلسة ذلك اليوم قد خصصت لبيان الرئيس **أنور السادات** عن الاوضاع السياسية ..

ولم تحدد جلسة للاستجواب حتى استقالت الحكومة وشكلت وزارة جديدة لم يدخلها وزير النقل السابق .

وغداة اعلان رسالة د. **حجازى لرئيس مجلس الشعب** والتى سجل فيها اعتراضه المبدئى على توجيه الاستجواب اليه بصفته رئيسا لمجلس الوزراء السابق ،لعدم دستورية ذلك ،ولعدم امكان اعتباره مسئولا عن اجراء تعاقدات لشراء سلع ، لان ذلك من اختصاص كل وزير ، والاجهزة المعنية بالوزارات .

كما أكد د. حجازى فى رسالته على ان صفقة الحديد قد تمت بمعرفة وزارة الاسكان والتعمير وتحت اشراف المهندس عثمان أحمد عثمان شخصيا والاجهزة الفنية .

كما أن دوره بالنسبة لصفقة الاتوبيسات الايرانية قد اقتصر على أمرين رغبة شراء أتوبيسات وتدبير المال اللازم بتسهيل ميسر ، دون أن يناقش أى تفصيلات وان المهندس **مرعى أحمد مرعى** هو المشرف المسئول عن تنفيذ الاتفاقية بكل بنودها .

تقدم أكثر من عشرين عضوا يطلبون اجراء مناقشة عامة حول مسألتى صفقة الاتوبيس الايرانية وصفقة الحديد الاسبانى .

وفى مواجهة هذا الطلب تقدم أربعون من أعضاء المجلس من بينهم د. **القاضى** ، صاحب الاستجواب السابق ، يطلب تشكيل لجنة خاصة لفحص صفقة الاتوبيسات ، وتقديم تقرير عنها للمجلس للمناقشة . كما تقدم د. **القاضى** باستجواب للسيد وزير الاسكان بشأن الاخطاء الجسيمة فى صفقة حديد التسليح الاسبانى وما نتج عنها من خسائر فى أموال الدولة .

وهكذا شهدت جلسة مجلس الشعب يوم ٤/٢١ مناقشة على جانب كبير من الاهمية بين اتجاهين :

اتجاه يؤكد على اهمية الاستجواب ودوره فى الرقابة البرلمانية — وينبه المجلس الى أنه ، قبل استقالة الوزارة ، كان هناك استجوابان : واحد من د. أحمد منصور ساعد — قالت عنه الصحافة انه قبر ومات، واستجواب ثان عن صفقة الاتوبيسات وحديد التسليح وهو الاستجواب الذى لابسته بعض الظروف الداخلية التى اجلته . وان هذا التأجيل فى حد ذاته كان مجال كلام وأحاديث عند كثير من الجماهير ، وصور على أن هناك أمر فى هذا الاستجواب يقتضى التأجيل . يضاف الى هذا ان هذا الاستجواب الذى كان موجها لرئيس الوزراء — هو أول استجواب فى تاريخ مصر القريب يقدم الى رئيس الوزراء .

وعلى ضوء هذا فان تشكيل لجنة تقصى لحقائق صفقة الاتوبيسات الايرانية — وتقديم استجواب جديد لوزير الاسكان الذى اعلن تعيينه فى الوزارة الجديدة بشأن صفقة حديد التسليح الاسبانية هو الحل الذى يتفق مع دور المجلس كسلطة رقابة على الجهاز التنفيذى .

أما الاتجاه الاخر فكان يرى أن ترك الموضوع معلقا خاصة وقد أدلى الوزير بما لديه .

« وليس فى صالح هذا الشعب وهذا المجلس» أن تظل مسألة عامة تتعلق بالنزاهة فى بلدنا — معلقة لاكثر من شهرين . وان المناقشة العامة العاجلة تضع النقط فوق الحروف أمام الشعب، فيما تناولته الاشاعات ، بشأن صفقتى الاتوبيس وحديد التسليح .

وهكذا شكل المجلس لجنة لتقصى الحقائق فى موضوع الاتوبيسات الايرانية ، وأحال موضوع حديد التسليح للجنة الاسكان لبحثه مع مكتب اللجنة الاقتصادية .

وبينما ذهب الاعضاء الذين أيدوا تقرير لجنة تقصى الحقائق الى ان :

« الاجراءات التى تمت بالنسبة للتعاقد كانت سليمة ولا تشوبها أية شائبة ، وان كانت قد أوردت بعض التحفظات ، وبعض الملاحظات الشكلية والموضوعية ، فان هذه الملاحظات لا تمس الجوهر فى شىء ولا تمس النقطة الاساسية وهى سلامة التصرف وسلامة التعاقد ونزاهة الذين قاموا بهذه العملية من جميع الوجوه » [العضو **ابراهيم القاضى** — وأرجع العضو **عبد الوهاب جسرها** انتشار الشائعات الى د. حجازى لانه لم يصبر حتى يرد على ما أثير حول هذا الموضوع ، ونشر رسالته الى رئيس المجلس فى الصحف . ثم توالى الاخرون فى النشر . وأكد العضو ، فى نهاية كلمته ، على انه « بكل ما أوتيت من قوة، وبما أوتيت من ايمان ، وأنا أمثل الطبقة

العاملة — أوافق على تقرير اللجنة وأوافق على الصفقة بل واطلب المزيد ان امكن » . وانضم اليه العضو الرفاعي المرسي القليس .

أما د. محمود القاضي فقد حدد ، في حديثه امام المجلس ، الملاحظات التالية :

— جميع التعاقدات السابقة واللاحقة للالف أتوبيس ، كان السعر فيها ثابتا ، فيما عدا سعر الصفقة الايرانية فقد كان السعر قابلا للزيادة بنسبة ١٣ في المائة سنويا .

٢ — قيمت اللجنة في تقريرها الاضافات والتعديلات التي طلب ادخالها على الاتوبيس وقدرت لها اموالا ، مع انها امور عادية وجرى العرف عليها ، وبشكل خاص في صفقة الف أوتوبيس .

٣ — وضع وزير النقل السابق ، على رأس اللجنة المشكلة للتفاوض والتعاقد بالطريق المباشر مع مورد واحد على صفقة قيمتها ٥٩ مليون دولار ، موظفا كانت النيابة الادارية تجرى معه تحقيقا انتهى الى احالته الى المحاكمة امام المحكمة التأديبية العليا هو ومدير المؤسسة المشترك معه لعدم أمانتهما واخلالهما بواجبات الوظيفة .

٤ — لم تنفرد الصفقة الايرانية نسبة السماح كما ذكرت اللجنة في تقريرها ، اذ أن عقد البيجاسو الاسبانية توجد به سنة سماح .

٥ — السيارة البيجاسو الاسبانية تم التعاقد عليها مع اسبانيا في ٧٤/١٢/٣١ ، بعد صفقة ايران بخمسة اشهر ، بسعر يقل حوالى عشرة آلاف دولار عن مرسيدس ايران .

٦ — شركة مرسيدس بنز باعت سيارات للجيش ، في عام ١٩٧١ بسعر ٦٤٥٠٠ مارك . وقدمت لنا في عام ٧٤ ، نفس هذه السيارة ، بسعر ١٠٥ ألف مارك . وهذا يعنى ان السعر ارتفع من عام ١٩٧١ حتى اليوم حوالى ٦٠ الى ٦٥٪ . أما سعر السيارة المرسيدس الايرانية فقد ارتفع سعرها في هذه المدة حوالى ١٥٥٪ .

٧ — الصفقة لم تتم عن طريق الممارسة ولم يحدث أى كلام عن السعر . بل كان محددا من قبل أن تشكل لجان التفاوض . ولم يخفض مليم واحد ، بل زيد عليه ١٥٠ دولار مصاريف نقل السيارة من المصنع الى الميناء .

٨ — حينما قدم عرض ٢٥٠ الى ٣٠٠ سيارة للاقاليم من شركة مرسيدس بالمانيا — قالت اللجنة الفنية لمؤسسة النقل الداخلى انها لا تصلح ، ورفضت العرض . وحين جاءها العرض بنفس السيارات ، من ايران ، قالت انها صالحة وقبلتها . وهذا يوضح عدم دقة عمل هذه اللجان ، والشكوك التي تثيرها تصرفاتها في النفوس .

٩ — رفض وزير النقل التوقيع ، على اساس ان العمل لم يتم بعد . اذ أن لجنة المفاوضة لم تنته من عملها . ولابد من أن يعرض الموضوع على لجنة البت العليا لوسائل النقل .

١٠ — لم يكن من حق رئيس شركة مصر لتجارة السيارات ولا المشرف على الاتفاقية المصرية الايرانية التوقيع على العقد الا اذا كانت أمامهم محضر لجنة البت ، وهو الامر الذى يتم في جميع الصفقات ، وحتى مع دول الاتفاقيات الشرقية .

وأبرز العضو عباس المصرى ان ما انتهت اليه اللجنة من سلامة هذه الصفقة ، من حيث اجراءات التعاقد والاسعار يتناقض مع ما اثبتته اللجنة في حيثيات حكمها من ناحية الشكل ومن ناحية الموضوع . وأن ما انتهت اليه اللجنة من الاشادة بكل الذين تناولوا من الجانب المصرى — هذه الصفقة — ليضفى عليهم جميعا براءة كاملة — وهذا يتناقض مع ما أوردته هذه اللجنة نفسها من ملاحظات .

وأكد على أنه كان هناك تسيب ، وأن التقرير قد خلا من تحديد المسئولية عن هذا التسيب ، وبشكل خاص ، في مسألة الشحن التي أدت الى تكلفة اضافية حوالى ستة آلاف دولار عن شحن كل اوتوبيس ، علاوة على التأخير .

وبعد انتهاء مناقشات مجلس الشعب وموافقته على تقرير لجنة تقصى الحقائق في موضوع صفقة الاتوبيسات الايرانية علق احد المحررين البرلمانيين في صحيفة الاخبار بقوله : ان هناك اسئلة عديدة لم تتناولها اللجنة في تقريرها ، ووردت اجابات لها على لسان احد اعضائها [العضو محمد رشوان] ولكن بعدم وضوح . وقال : ان كلاما كثيرا في المناقشة قيل عن مكتب تصدير حصل على عمولة ، وعن موظف في اللجنة التي تعاقدت على الصفقة يعمل مع منير البربرى الذى خرج من النقل العام ليعمل مستشارا لكافورى [وكيل مرسيدس الالمانية] . وأنه كانت هناك محاولات من جانب كافورى لتمويل الصفقة المرسيدس الالمانية ، وفشلت لان د. حجازى رئيس الوزراء السابق أصر على أن تتولاها أجهزة الحكومة مباشرة ، وبلا وسطاء .

كما لم يتحدد موقف من عضوى لجنة المفاوضات ولا رئيسها الذى ادانته النيابة الادارية .

• لبنان •

استمرار المحاولات لضرب التلاحم اللبناني الفلسطيني

سقطت الحكومة العسكرية اللبنانية التي شكلت برئاسة **نور الدين الرفاعي** بعد ٦٣ ساعة فقط من تشكيلها ، وذلك تحت ضغط الحركة الوطنية اللبنانية التي وحدت جهودها مع المقاومة الفلسطينية لمواجهة المؤامرة الجديدة لحزب الكتائب التي أدت من قبل الى استقالة حكومة **رشيد الصلح** .

ولقد جاءت استقالة رشيد الصلح نتيجة للمضاعفات التي نشأت عن تدبير حزب الكتائب اليميني الذي يتزعمه بيير الجميل مجزرة « **عين الرمانة** » ، التي استشهد فيها ٣٠ من الفلسطينيين واللبنانيين في ١٣ ابريل الماضي ، وما تلاها من اعتداءات أفراد الكتائب على مخيمات الفلسطينيين في **برج البراجنة وتل الزعتر** ومعظم أحياء **بيروت ومدينتي صيدا وطرابلس** ، حيث بلغ مجموع ضحايا هذه الاعتداءات أكثر من ٤٥٠ من الفلسطينيين واللبنانيين فضلا عن الخسائر المادية التي لحقت بالبلاد .

ولقد عهد حزب الكتائب بعد فشل مخططه ونجاح القوى الوطنية والتقدمية في تطويق المؤامرة ، الى تدجير الوضع الوزاري عن طريق سحب ممثليه في الوزارة ، لاجبار الوزارة على الاستقالة ، ولافساد التدابير التي تهدف الى توطيد العلاقات بين لبنان والمقاومة الفلسطينية ، والتي بذلتها حكومة رشيد الصلح بالتعاون مع قيادة المقاومة الفلسطينية ، وقد تبع استقالة الوزيرين الكتائبيين انسحاب أكثر من نصف أعضاء الحكومة ، بحيث بات من المتعذر استمرار الحكومة في مباشرة مسئولياتها ، الامر الذي أدى الى تقديم رشيد الصلح لاستقالة حكومته أخيرا .

وقد تناول رشيد الصلح في بيانه أمام مجلس النواب وكتاب استقالته الظروف التي سبقت تنفيذ المؤامرة الكتائبية في ١٣ ابريل الماضي ، والتحضير السياسي والمعنوي والعملي لهذه المؤامرة ، ودعوة حزب الكتائب صراحة الى التصدي للوجود الفلسطيني ، والخروج على سياسة الدولة الرسمية حول العلاقات اللبنانية الفلسطينية ومساندة لبنان للنضال الفلسطيني ، واثارة النعرات الطائفية .

واوضح رشيد الصلح أن ذلك كان يرافقه تحضير عسكري محموم تمثل في مليشيا مجهزة بأسلحة يجري الحصول عليها بكثافة وبتسهيلات من جهة معروفة ، وقد تم ذلك بحجة وجود سلاح في أيدي الفلسطينيين ، ولكن – كما قال الصلح – يعرف الجميع انه موجه لمقاتلة العدو الاسرائيلي ، بينما السلاح الاخر لا يقصد به سوى الاعداد لضرب المقاومة الفلسطينية ، والتمهيد لعمليات تقاتل تدفع بالبلاد نحو الفتنة من أجل حماية امتيازات طائفية وسياسية انعزالية باتت ترفضها غالبية اللبنانيين » .

ولعل أهم ما تضمنه بيان رشيد الصلح هو نقده الشديد للنظام اللبناني ، وتحديده للعلل والامراض التي يعاني منها لبنان سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، وقوله : « ان الامتيازات الطائفية التي تشكل اساسا النظام السياسي اللبناني قد تحولت في ظروف تطور لبنان وعلاقاته بمحيطه العربي الى عائق يمنع أي تقدم ويهدد بالعودة الى الوراء وينسف ما شيده بناء الاستقلال .. واني أرى من واجبي وقد عشت تجربة مرة في الحكم ، أن اقول بصراحة وموضوعية ان الوضع السياسي اللبناني لم يعد يحتمل التمويه ولا المساومة » .

وحدد رشيد الصلح الطريق للخروج من الوضع المتردي الحالي على اساس : « وضع معادلة ديمقراطية جديدة في اطار متطلبات النهوض الوطني سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، باتجاه علمنة مؤسسات الدولة ، وتحقيق العدالة الاجتماعية والانماء الشامل في آن معا ، وقيام لبنان بالتزاماته العربية ، ذلك هو منطق التاريخ وواقع الوطن وروح العصر وتطلعات الاجيال الجديدة » .

واوضح رشيد الصلح أن الاتجاه لمعالجة اوضاع البلاد معالجة جذرية لن يكتسب فعاليته الا وفقا للاسس التالية :

● تحقيق اصلاح سياسي ديمقراطي يؤمن توزيعا صحيحا للصلاحيات بين مختلف مراكز السلطة ، ويوفر تمثيلا سياسيا يعكس الارادة الشعبية الحقيقية من خلال تعديل ديمقراطي لقانون الانتخاب .

● الالتزام بمقتضيات المعركة العربية المشتركة فى مواجهة العدو الصهيونى ، وبمساندة القضية الفلسطينية ونضال الشعب الفلسطينى بكل الاشكال والامكانات ، ومهما بلغت التضحيات . واقامة أكثر العلاقات توطدا ورسوخا مع المقاومة الفلسطينية على اساس التنسيق الكامل الذى يضمن المصلحة المشتركة .

● تعديل قانون تنظيم الجيش واخضاعه للسلطة السياسية ، واحلال التوازن فى صفوفه ومده بكل الامكانيات المادية والبشرية ، ليتمكن من القيام بدوره الوطنى الاساسى .

● معالجة الوضع المالى والاقتصادى والاجتماعى بما يؤمن الموارد الكافية وفق سياسة ضريبية تفرض على « المداخيل » المرتفعة ، للوفاء بمتطلبات الانماء الوطنى والمشاريع الانمائية ، والعمل على ضرب الاحتكار والسير نحو العدالة الاجتماعية .

ويواجه لبنان فى الوقت الحالى أزمة وزارية كبيرة بعد استقالة حكومة رشيد الصلح ، نظرا للخلافات الحادة فى وجهات النظر بين الاطراف السياسية الرئيسية فى البلاد حول صيغة الحكم ، وتعذر الجمع بين حزب الكتائب اليمينى وبين الحزب التقدمى الاشتراكى الذى يتزعمه كمال جنبلاط فى أى حكومة جديدة ، وذلك بعد القرار الذى اتخذته الاحزاب والكتل الوطنية والتقدمية بعزل حزب الكتائب وعدم اقامة أى حوار معه والمطالبة بحله ، واصدار هذه القوى الوطنية « لفقية سوداء » بأسماء الشركات والمؤسسات التابعة للكتائب من اجل مقاطعتها فى كافة البلاد العربية .

وقد اتهمت الاحزاب والكتل الوطنية والتقدمية فى بيان لها حزب الكتائب اللبنانى بمحاولة اعادة البلاد الى أجواء التقاتل بعد فشل مخطط الفتنة الاخير ، وذلك بافتعال أزمة وزارية تحول دون اقرار مشروع قانون تعديل تنظيم الجيش وتحقيق التوازن الوطنى فى قياداته .

وجاء فى بيان الاحزاب والكتل الوطنية والتقدمية « ان الازمة السياسية الحقيقية التى تعيشها البلاد ليست ازمة وزارية تحل بمجرد ابدال حكومة بأخرى أو شخص بآخر . وان المطلوب هو معالجة جذرية لازمة الوضع السياسى والاجتماعى ، وتحقيق اصلاح سياسى ديمقراطى يؤمن توزيعا سليما للعلاقات بين مختلف مراكز السلطة ، وتأمين تمثيل سياسى يعكس الارادة الشعبية من خلال تعديل ديمقراطى لقانون الانتخابات » واكدت الاحزاب بأنها ستعمل على احباط كل محاولة لحل الازمة السياسية على غير هذا الاساس .

وأكد البيان تصميم الاحزاب والكتل الوطنية والتقدمية على التصدى الحازم لمحاولات الابتزاز الرخيصة التى يمارسها حزب الكتائب ، وتصميمها على توطيد العلاقات اللبنانية الفلسطينية ، وشل كل يد تتآمر على الوجود الفلسطينى وتحاول عزل لبنان عن الوطن العربى .

وتفيد الانباء الواردة من بيروت ، بأن حزب الكتائب لا يزال يواصل اعماله الاستفزازية ضد المقاومة الفلسطينية ، وآخرها ـ حتى كتابة هذا التقرير ـ حادث منطقة الدكوانة شرقى بيروت ، والذى اسفر عن مصرع ٣ اشخاص واصابة ٢٠ آخرين .

كما تفيد الانباء ايضا بأن حزب الكتائب يواصل تسليح انصاره فى المناطق التى يوجد فيها فروع له ، ويعمل على تدريب الميليشيا الكتائبية على استعمال الاسلحة المتطورة والحديثة التى وصلت أخيرا الى الحزب ، وكانت قوات الامن قد القت القبض فى ١٥ مايو الماضى على ثلاثة اشخاص ينتمون الى حزب الكتائب اثناء محاولة تهريب أحد المدافع المضادة للطائرات ، الامر الذى يشير الى ان حزب الكتائب ، مازال مصرا على تغيير الوضع الداخلى ، وضرب التلاحم اللبنانى الفلسطينى فى نطاق المخطط الذى بدأ بتنفيذه فى ١٣ ابريل الماضى .

وقد اظهرت قيادة المقاومة الفلسطينية فى لبنان درجة عالية من ضبط النفس فى مواجهة استفزازات حزب الكتائب المستمرة . واكدت من جديد حرصها على أمن لبنان وسلامته ، ورفضها أن تكون طرفا فى الخلافات الداخلية اللبنانية ، واعلنت أنها حريصة على أن تتوجه بكل قواها نحو العدو الصهيونى وأن تحشد أوسع القوى العربية ضد الاحتلال الصهيونى .

وقد اثار تشكيل الحكومة العسكرية الجديدة برئاسة العقيد المتقاعد نور الدين الرفاعى فى ٢٣ مايو الماضى ، ردود فعل سريعة ومعارضة شديدة من جانب الصحافة وجميع القوى الديمقراطية والاحزاب الوطنية والتقدمية والهيئات الدينية المسيحية والمسلمة والنقابات المهنية ، باعتبار ان هذا الاجراء يعد سابقة خطيرة فى تاريخ لبنان منذ الحصول على

الاستقلال عام ١٩٤٣ ، لما يمثله من تهديد لكيان الوحدة الوطنية وللحريات الدستورية وللمؤسسات الديمقراطية . كما اثارت هذه الخطوة ردود فعل مماثلة في اوساط المقاومة الفلسطينية والاوساط السياسية والرأي العام في العالم العربي بصفة عامة .

هذا في نفس الوقت الذي أعلن فيه كل من حزب الكتائب وحزب الوطنيين الاحرار الذي يتزعمه **كميل شمعون** تأييدهما التام للحكومة العسكرية .

لقد مارست جميع فئات الشعب اللبناني ضغطا متزايدا من اجل استقالة الحكومة العسكرية ، وتنادى الانقسام والعرب الاهلية في لبنان ، ومن المعارف المحفوظة ان تاريخ تشكيل الحكومة العسكرية الجديد قد توافق مع ذكرى اعلان الدستور اللبناني . وقد كان نجاح هذه القوى في معركة اقالة الحكومة العسكرية خطوة هامة لدعم الاخوة اللبنانية الفلسطينية ولاقرار قواعد النظام والامن في لبنان على أسس صحيحة .

● ● ●

● فرنسا ●

وغاب « دوكلو » الانسان ..

«بطل المقاومة» و«الفرنسي العظيم»

استغرق مرور حاملي باقات الورد ، واكاليل الزهور التي بلغ عددها اكثر من ١٥٠٠ ، والذي بعثت بها مختلف الشخصيات والهيئات والاحزاب والدول ، أستغرق وحده عدة ساعات ، في موكب الوداع الجماهيري المهيب الذي اخترق شوارع باريس ، والذي ودع به الشعب الفرنسي ، المناضل الكبير **جاك دوكلو** عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي الفرنسي الذي توفي في ٢٥ ابريل الماضي .

اما نعش « دوكلو » الذي اودع اخيرا مقبرة **بير لاشيز** الشهيرة في تاريخ النضال الثوري الفرنسي ، فقد تكدست حوله تسلال الورود الجميلة ، والمالايين من ازهار القرنفل الحمراء تحيط به في مستقره الاخير .

وعلى مقر لجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي في ميدان « **الكولونيل فابيان** » ، اتهالت برقيات التعزية من كل اقاليم فرنسا من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب ، وانهالت آلاف البرقيات من الخارج من كل قارات العالم ، بعث بها ممثلو الحركة العمالية ، والاحزاب الشيوعية والعمالية ، والاحزاب التقدمية ، وحركات التحرر الوطني في كل القارات ، كما وصلت الوفود التي تمثل هذه الاحزاب والدول والحركات الى باريس لتشارك الشعب الفرنسي توديع زعيمه البارز وشارك في موكب الوداع الاخير الالاف من العمال والعاملات الفرنسيين الذين كرس دوكلو حياته في سبيل الدفاع عنهم والالاف من الموظفين والنساء والرجال والشباب والفتيات من مختلف فئات واوساط الشعب الفرنسي من اطباء ، ومهندسين ، ومحرضين وممرضات ، ومدرسين ، وباحثين ، ورسامين ، وعاملين في صناعة السينما الخ كما احاط بنعشه ايضا ممثلو العمال المهاجرين حيث شارك في حرس الشرف في الموكب ممثلو العمال الجزائريين ، والتونسيين والمغاربة ، والايطاليين ، والاسبان ، والارمن ، والتشيكوسلوفاك ، والسنغال ، والبرتغاليين .

وخصصت كبرى الصحف والمجلات الفرنسية مساحات من اعدادها الاخيرة ، تناولت فيها حياة وكفاح الزعيم الفرنسي الراحل . ونشرت العديد من التصريحات التي ادلى بها مختلف الزعماء السياسيين تأبينا له ، واوردت بصورة خاصة رسالة التعزية التي بعث بها رئيس الجمهورية الفرنسية الى ترملة جاك دوكلو وجاء فيها « **لقد كان جاك دوكلو احد المعالم البارزة لحياتنا السياسية الوطنية خلال نصف قرن ، وممثلا اصيلا للشعب الفرنسي . وكان لوفاته وقعها المحزن في نفس كل اولئك الذين — بغض النظر عن اختلاف معتقداتهم — قدروا ايمانه الواضح ، ومواهبه الكبرى في التعبير ، التي وضعها في خدمة افكاره** » .

والواقع الذي أشار اليه العديد من المراقبين السياسيين هو انه لا يمكن الحديث عن الحزب الشيوعي الفرنسي ، وتاريخ المقاومة الفرنسية للاحتلال النازي ابان الحرب العالمية الثانية ، وتاريخ الطبقة العاملة الفرنسية ، في القرن العشرين ، دون وضع جاك دوكلو في الصف الاول من طلائع ذلك الكفاح .

نشأ **جاك دوكلو** الذي ولد في ١٨٩٨ في اسرة متواضعة ، واشتغل عاملا في صناعة

الحلوى وشارك فى النشاط السياسى والاجتماعى منذ وقت مبكر ، وعندما وقعت الازمة الاقتصاديه فى الثلاثينات ، كان احد المحركين الرئيسيين لكفاح الحزب الشيوعى الفرنسى تحت شعار « من اجل الخبز والسلام والحرية » .

وبعد ذلك بثلاثين عاما اختاره الحزب فى ١٩٦٩ ليكون مرشح العمال لانتخابات رئاسه الجمهوريه وحصل على ٢٢٫٧ فى المائة من اصوات الفرنسيين .

اشترك منذ انتهاء الحرب العالمية الاولى فى انشاء « **الرابطة الجمهورية للمحاربين القدامى** » التى كان احد اهدافها الرئيسية الكفاح ضد الحرب وضد النظام الاجتماعى الذى تسبب فى الكارثة العالمية التى استمرت من ١٩١٤ الى ١٩١٨ . وبعد الحرب العالمية الثانية كان فى الصف الاول من المعركة التى خاضها الحزب ضد السياسة الامبريالية العدوانية ، وضد اعادة تسليح المانيا .

وقد ناضل جاك دوكلو منذ ١٩١٩ من اجل الانضمام الى الدولية الثالثة الى جانب **بول فايان كويتريه وريمون لوفيفر** وكذلك **هوشى منه** الذى كان يرتبط معه بصلات وثيقة . وانتخب عضوا فى اللجنة المركزية للحزب فى ١٩٢٦ مع صديقه **بنوا فراشون** ، ثم انتخب عضوا بالمكتب السياسى وسكرتارية الحزب فى ١٩٣١ ، وارتبط كفاحه بعد ذلك ولمدة ٤٠ عاما بكفاح **موريس توريز** سكرتير الحزب الشيوعى الفرنسى وزعيمه البارز وتعرض خلال ذلك للملاحقة والتشهير ، والسجن ، ورصدت المكافآت للقبض عليه .

وجاك دوكلو مناضل اممى بارز ايضا بذل جهوده دوما ، فى مختلف ميادين المعارك المستمرة من اجل الثورة والتقدم ، فقد انتقل الى **اسبانيا** اثناء الحرب الاهلية ، وزار **فيتنام** تحت القصف الامريكى ووقف فى برلين الى جوار صديقه **جورج ديميتروف** الزعيم الشيوعى البلغارى الكبير لمساندة الشيوعيين والديموقراطيين الالمان الذين يتعرضون لاضطهاد الفاشية الهتلرية ، ودافع بشدة عن شعب **كوريا** الذى تعرض لعدوان كافة الدول الراسماليه الغربية تقريبا ، واعرب عن تضامنه مع شعوب **امريكا اللاتينية** فى مواجهة قمع ونهب الامبريالية الامريكية ، ودافع عن كافة الشعوب التى تعرضت لقمع الامبريالية الفرنسية والشعب **المغربى** ، والشعب **التونسى** والشعب السورى ، وشعوب الهند الصينية ، والشعب **الجزائرى** ، والشعب **الافريقى** ، وفى جزر **المارتينيك** ، **وجواديلوب** ، **ورينيون** .

كذلك فقد كان اسم جاك دوكلو بالنسبة لملايين الفرنسيات والفرنسيين رمزا للكفاح الوطنى ضد الاحتلال النازى . **فقد تولى مع بنوا فراشون قيادة الحزب الشيوعى الفرنسى على ارض الوطن ابان الاحتلال والمقاومه** . وبينما كان يتعرض لملاحقة كافة الاجهزة البوليسية للمحتلين واذنابهم كان يتلقى فى مركز قيادته تحت الاسم المستعار « **فريدريك** » التقارير عن نشاط الشيوعيين ضد النازى فى كل انحاء البلاد . وهناك ايضا تلقى خطابا من الجنرال **ديجول** يشيد فيه بالتضحيات « **التى قدمت خدمه لفرنسا** » من جانب المناضلين الشيوعيين ، وبعزم الحزب الشيوعى « على المساهمه فى تحرير وعظمة » فرنسا . وقد استمر **جاك دوكلو** طوال فترة الاحتلال النازى ولمدة ٤ سنوات يقود نشاط حزبه فى جميع انحاء فرنسا وذلك من مركز قيادته السريه بمنطقة باريس ولم يستطع الجستابو قط ، الايقاع به .

ويجمع كافة المراقبين السياسيين التقدميين على ان وفاة **دوكلو** كانت خساره ضخمة لا للحزب الشيوعى الفرنسى والحركة الثورية الفرنسية فحسب ، بل كان خسارة حقيقيه لكل القوى المناضلة من اجل الاشتراكية والتقدم فى العالم ، ولايعوض هذه الخسارة سوى صلابة البناء التنظيمى والسياسى الثورى الذى ساهم دوكلو باقصى جهوده لدعمه وترسيخ كفاحه ، والذى يحمل فى باريس لافتة « الحزب الشيوعى الفرنسى » الذى يناضل بثبات من اجل الاشتراكية فى فرنسا ، ومن اجل السلام والامن الدوليين ، ويقف دوما مع قضايا الشعوب المقهورة والطامحة الى التحرر فى كل مكان .

● ● ●

● الهند الصينية ●

بدء مرحلة ما بعد الانتصار

فى ١٧ مايو ، اعلن « **هو نيم** » وزير الاعلام فى كمبوديا ، ان بلاده كانت قد قررت اطلاق سراح سفينة التجسس الامريكية « **ماياجويز** » وبحارتها ، وابلغت واشنطن بهذا . وفى صباح

١٥ مايو بدأ بالفعل نقل طاقم السفينة الى ظهرها ، تمهيدا لاقلاعها . ولكن فى نفس الساعة بدأ قصف جوى أمريكى كثيف للسفن والطائرات الكمبودية ، ولعمل تكرير البترول والمنشآت فى ميناء « سيهانوك فيل » ، وعمليات انزال فى جزيرة « كون تانج » ، مما يبين أن العدوان كان مبيتا ، وأن وكالة المخابرات الامريكية استخدمت سفينة التجسس والتخريب هذه — كما أكد ذلك الامير سيهانوك — فى عملية استفزازية الهدف منها تدمير كثير من الاهداف فى كمبوديا ، واستعراض القوة فى المنطقة — كما اكدت ذلك الصحف الامريكية نفسها نقلا عن مصادر امريكية مسئولة — وتأكيد انها تنوى البقاء فى آسيا والمحيط الهادى رغم هزيمتها فى فيتنام وكمبوديا ، وممارسة نفس العنف والعدوان — كما أعلن شليزنجر وزير الدفاع صراحة — والذى طالب باتباع سياسة عنيفة فى المناطق الساخنة وضرب لذلك مثلا بعملية كمبوديا .

يؤكد التدبير والتعمد ، أن عمليات القصف والتدمير استمرت بعد اطلاق سراح السفينة المحتجزة وابحارها بطاقمها كاملا .. هدف آخر أراده الامريكيون ، هو ارهاب حلفائهم أنفسهم فى تايلاند مثلا ، ومنع اقامة علاقات طبيعية بينها وبين كمبوديا وفيتنام . ذلك ما أكده المسئولون فى تايلاند أنفسهم ، وما أكدته المظاهرات الجماهيرية فيها .. ومع ذلك فان حكومة كمبوديا فوتت هذا الهدف الاخير ، وأعلنت عن ترحيبها بالتعاون مع تايلاند . كذلك فعلت فيتنام الجنوبية التى أرسلت وفد على مستوى عال لتايلاند [فى ١٧ مايو] لبحث دعم التعاون واعادة السفن والطائرات والالات التى سرقها الامريكيون وعملاؤهم عند هروبهم من سايجون . وقد أكد شونا فان وزير خارجية تايلاند أن بلاده ستكون سعيدة باعادة العلاقات الطبيعية مع فيتنام وكمبوديا وتبادل السفراء معهما .

وليس حادث السفينة هو العمل العنيف الوحيد للولايات المتحدة ضد كمبوديا وفيتنام ، بعد تحررهما . فقد تركت أمريكا نفرا من المخربين وراءها رغم انسحابها فى كل من البلدين ، لاثارة الفوضى وتدبير عمليات التدمير حتى أن حكومة فيتنام الجنوبية الثورية اضطرت لفرض حظر التجول فى هوشى منه [سايجون] ، واعلان حالة الطوارىء للقضاء على هؤلاء المخربين . كذلك تواصل الاذاعات التى توجهها أمريكا للمنطقة دعايتها ضد بلدان الهند الصينية . وقد أعلن كيسنجر فى مؤتمر صحفى رفض تقديم عون اقتصادى لحكومة الثوار ، رغم أن اللجنة الاقتصادية التابعة للامم المتحدة [٥٤ دولة] قد طالبت الدول العالم وفى المحل الاول الولايات المتحدة — بناء على مبادرة الجزائر — بتقديم معونات لفيتنام الجنوبية ، لاعادة بناء ما خربه العدوان .

ويؤكد معظم المراقبين ان الولايات المتحدة تتجاهل بالاعتداء على كمبوديا رغبة دول المنطقة فى العيش فى سلام ، والتى وصلت الى حد اعلان حكومة الثوار فى جنوب فيتنام قبولها بعثة دبلوماسية من الولايات المتحدة ، وترحيب كمبوديا باعادة العلاقات الطبيعية حتى مع الدول التى تدور فى فلك الولايات المتحدة ، بل التى استخدمت القواعد الامريكية بها ؛ [تايلاند ، الفلبين ، اليابان] فى العدوان الاخير .

وتؤكد التصريحات الامريكية انهم كانوا على استعداد للمضى فى الشوط الى آخره ، فقد صرح مسئول أمريكى بأن الولايات المتحدة فكرت فى استخدام قاذفات التنابل الاستراتيجية « ب — ٥٢ » لضرب كمبوديا فى العمق ، ولكن غضبة الراى العام العالمى ، وحملة الادانة قد جعلتهم يتراجعون مؤقتا من العنف المباشر ، ويؤكدون عزمهم على الاستمرار فى سياستهم ، وكما هى العادة كانت النتائج وبالا على المعتدين .. فقد أعلن رئيس وزراء تايلاند سحب القوات الامريكية من بلاده [٢٧ ألف جندى] ، والطائرات الامريكية [٣٥٠ طائرة] ، والغاء القواعد العسكرية الامريكية ، ومراجعة كل الاتفاقيات العسكرية والاقتصادية والسياسية مع واشنطن . وتفجرت المظاهرات أمام السفارة الامريكية ، ورغم الاعتذار الرسمى لواشنطن ، أعلنت تايلاند اصرارها على سحب سفيرها هناك .

ومن جانب آخر ، بدأت حكومات الفلبين وتايلاند ، واندونيسيا ، وسنغافورة ، بل وكوريا الجنوبية ، تفكر فى عقد مؤتمر قمة بينها لبحث التعاون فيما بينها ، بما يجعلها أكثر قدرة على الصمود بقواها الذاتية ، وعدم الاعتماد كلية على الحليف الامريكى الذى لا يملك لها نفعا رغم كل تصريحاته الاخيرة بأنه لن يتخلى عن التزاماته وأعوانه . ويربط بعض المحللين بين اتجاه الدول الاسيوية هذا — خاصة فيما يتعلق برغبة هذه الاخيرة فى التعامل مع الدول الثورية فى المنطقة الامن الذى كانت تحرمه أمريكا — وبين قرار منظمة الدول الامريكية بتعديل معاهدة المنظمة لالغاء قرارات استبعاد كوبا وعدم التعاون معها ، رغم أنف الحليف الامريكى ايضا . وذلك بعد

رصدوح اقدام النظم الثورية »

● ففى فيتنام ، عادت الحياة الطبيعية الى البلاد فى زمن قياسى ، وبدأت عمليات اعادة التعمير ، وبدأ حماس الشعب واضحا جليا فى استعراض النصر فى مدينة هوشى منه ، والذى اشترك فيه مليون مواطن ، منهم عدد كبير من الجنود الامريكيين الفارين من سياسة بلادهم ، وسيطرة الثوار على الـ ٤٤ مدينة كبيرة التى كانت حكومة سايجون العميلة تسيطر عليها .

● وفى لاوس ، ازاحت الحركات الجماهيرية ـ تمرد الطلاب فى الكلية الحربية والجنود فى سلاح الطيران ـ القيادات اليمينية المتعاونة مع الاجنبى ، و « الخونة واللصوص » ، كما اسهام الثوار ، كما ازيح الوزراء العملاء ، وتدعم التحالف بين القوات الثورية والمحايدة ، حتى أن تائد القوات المحايدة أعلن ان القوات الثورية هى الحليف الاساسى للقوات المحايدة وطالب بالعمل المشترك لسحق العملاء والرجعيين ، واستطاعت القوات الثورية تحرير ثلث لاوس .

● وفى كمبوديا : بدأت عمليات تطهير البلاد من الجيوب الاستعمارية ، السياسية والثقافية والاقتصادية ، واثبتت قدرتها على سحق العدوان ! فاسقطت ٥ طائرات أمريكية فى العدوان الاخير وقتل وجرح نحو ٣٠ أمريكيا ! .

ومع ذلك فانه لا يبدو ان الولايات المتحدة ستلتزم بما اعلنه الرئيس فورد غداة هزيمة بلاده فى فيتنام عن « انتهاء صفحة من الخبرة الامريكية » ، فهنرى كيسنجر ينذر بأن أمريكا لن تتراجع عن دور الحماية الذى تقوم به فى العالم ، وهو بهذا يؤكد ان الامريكيين لم يستفيدوا بعد من درس الهزيمة ، وانهم ما زالوا راغبين فى المزيد منها .

رسالة العراق

حول الندوة العلمية العالمية الأولى لمركز دراسات الخليج العربى

البصرة : من عبدالمنعم شتلة :

بدعوة من مركز دراسات الخليج العربى التابع لجامعة البصرة العراقية ـ اشتركت بجلة الطليعة فى متابعة اعمال الندوة [١] . ومثلها المهندس عبد المنعم شتلة .

وقد اشترك فى الندوة عدد كبير من الاخصائيين واساتذة الجامعات من مختلف الدول العربية كما حضرها مندوب من المانيا الديمقراطية وآخر من المانيا الغربية .

الهدف من الندوة

وتهيىء الندوة لقاء بين المهتمين بأوضاع الخليج العربى بقصد التعرف على الامكانيات المادية والبشرية لهذه المنطقة وتبادل الاراء والخبرات حول عدد من الامور منها :

١ ـ تحليل الامكانيات المادية المتاحة لدول الخليج وكيفية استخدامها .

٢ ـ أساليب التعاون بين دول الخليج واهمية هذا التعاون بالنسبة للوطن العربى .

٣ ـ الاهمية الاستراتيجية للنفط ومحاولة تحويل الخليج العربى من دول مصدرة للمادة خام اولية رخيصة الثمن الى مصدر اساسى لاقامة صناعة نفطية عربية تعزز اقتصاد دول الخليج ، وتتيح لها امكانيات افضل بكثير .

٤ ـ الدور الذى يمكن أن تقوم به العراق فى تعزيز قدرة دول الخليج العربى اقتصاديا واجتماعيا .

وقد تصادف أن موعد توقيع الاتفاقية الايرانية العراقية لتخطيط الحدود ، وحل بعض المشاكل المعلقة وخاصة المشكلة الكردية ـ جاء لدبل انعقاد الندوة بوقت قصير ـ فكان لذلك اثر على جو الندوة والمناقشات الدائرة فيها وانعكس ذلك بوضوح على البيان الختامى للندوة ـ حيث ليبقى من بعيد او قريب لدور ايران فى الخليج الغربى .

الاهمية الخاصة لمنطقة الخليج

تتميز هذه المنطقة التى تضم دولا تسمى « العراق ـ الكويت ـ السعودية ـ المنطقة المحايدة ـ البحرين ـ اتحاد الامارات العربية ـ دبى ـ ابو ظبى ـ قطر » بأهمية نفطية عالمية متميزة سواء من ناحية الانتاج او الاحتياطى حيث بلغ انتاجها عام ١٩٧٣ ما يقرب من ٧٦١ مليون

[١] عقدت هذه الندوة من ٢٩ ـ ٣١ مارس سنة ١٩٧٥ .

طن اى نحو سبعة امثال ما انتجته قبل عقدين من الزمن « ٩ر٢٦ فى المائة » ـ وبذلك احتلت مركز الصدارة فى خريطة العالم النفطية ـ فوق أنها تشتمل على نحو نصف اجمالى الاحتياطى المؤكد فى العالم ، كما أن نصيبها من اجمالى احتياطى النفط المؤكد للوطن العربى يبلغ ٨٧ فى المائة .

مناقشـــات النـــدوة

قدم المشتركون فى الندوة بحوثهم خلال ست جلسات استغرقت ثلاثة ايام .

وفى الجلسة الاولى قدم الدكتور **على لطفى** بجامعة عين شمس المصرية بحثه الذى تناول فيه « استراتيجية البترول العربى فى الربع الاخير من القرن العشرين » . وقد أشار فى بحثه الى التهديد الامريكى ضد دول البترول ـ والى الدعـايات الاستعمارية ضد دول البترول ، وخاصة هذا الاتهام بأسباب التضخم العالمى . كما تكلم عن الادعاء القائل بأن الارصدة العربية هى سبب أزمة النقد العالمى ـ وقد قام بتفنيد هذه الاتهامات .

وقد اتسمت المناقشات التى تلت ذلك ـ بالجو المحافظ ـ والابتعاد عن المسائل الشائكة ، أو التى قد تثير خلافات فى الرأى .

وتحدث بعد ذلك الدكتور **زكريا عبد الحميد باشا** ، جامعة الموصل [العراق] حيث اشار فى بحثه الى الحجم الامثل لانتاج النفط . واتسم هذا البحث بالنظرة الشمولية والتقدم الفكرى .

وقدم الدكتور **شريف الشيخ** من جامعة البصرة « العراق » بحثا بعنوان :

« ابعاد مشكلة الطاقة ودور اقطار الخليـج العربى فى مواجهتها » .

ويستعرض فى بحثه بعض النتائج فيقول فى ص ١٤ :

« العالم العربى عموما ، ودول الخليج على وجه الخصوص ، سيمثلان مكانا بارزا فى صراع مصالح الراسمالية المتضاربة . وستجعل تلك المصالح تكيف سياستها بالشكل الذى يكفل الحفاظ على امدادات مضمونة من البتـرول بشروط مجزية . فنحن ـ الآن ـ حتى وان لم نتصور هذه الحقيقة بكل ابعادها ومضـامينها الحـالية والمستقبلية لكننا ندركها اكثر من ذى قبل ـ فلو تدارسنا ، بشكل موضوعى ، ماضينا وواقعنـا الحالى ، ومستقبلنا لتراءى لنا أننا مقصرون فى ادراك ابعاد ومضـامين هذه الحقيقة ـ فالعالم الراسمالى افرط وبشكل هستيرى فى استهلاك المواد الهايدروكربونية ، وبنى حضارة صناعية متطورة ووفر سبل عيش مرفهة للفرد ، على حساب طاقة بخيسة الثمن ، ومتوفرة بين يديه فى جميع الاوقات . اما نحن فيبقى واقعنا متخلفا فى جميع مظاهره ـ ان علينا أن ندرك أن غنانا وثروتنا يجب أن لا تقاس بما نملكه من أوراق نقدية فى المصارف والبنوك المختلفة الاجنبية فانها تتحكم بها فوضى الازمات النقدية والاقتصـادية دون أن يكون لنا دور فى تقرير شئونها وتحديد سبل استثمارها بالشكل الكفء .

ثم يقول :

« اننا نعتقد أن الضرورة القومية والدولية تملى علينا نحن الدول المنتجة والمصدرة اتباع سياسة نفطية من شأنها تحقيق هدفين مترابطين مـع بعضهما ويؤثران ببعضهما :

الاول : العمل على امداد الدول الرئيسية المستهلكة باحتياجاتها من البترول وفق برنامج انتـاجى مدروس ، يضع فى اعتباره العلاقة المنسقة بين حجم الانتاج ومقدار الاحتياطى ، ثم العلاقة المتوازنة بين نسبة نمو الانتاج السنوى ونسبة زيادة الاحتيـاطى السنوى من البترول لاجل استغلال الثـروة البتروليه استغلالا كفؤا لاطول فترة زمنية ممكنة .

الثانى : العمل وبشكل سريع على تحويل صناعة استخراج البترول ، من صناعة قائمة على أساس الانتاج لاجل التصدير ، الى صناعة متكاملة تشكل قطاعا رائدا ومرتكزا صلدا لاقامة صناعة نفطية متطورة تجذب بقية الصناعات مباشرة وغيـر مباشرة نحو التقدم والنمو ـ اى تحويل هذه المادة النابضـــة من مدخرات مالية الى استثمارات قومية اخرى فى الصناعة والزراعة والقطاعات المرتبطة بها . ثم قال :

« **ان تحقيق هذين الهدفين يتطلب العمل بكل جرأة على استعادة السيادة الوطنية على هذه الثروة كاجراء ضرورى تمليه اعتبارات عدة** » .

وفى الجلسة الثانية ، قدم الدكتور **احمد جامع** بكلية الحقوق جامعة عين شمس بحثـه تحت عنوان :

« استخدام فائض البترول العربى من اجل التنمية الاقتصادية العربية ـ احلام اكثر منـه حقائق » .

وقد غلبت على البحث نظرة غير متكاملـة للجوانب المختلفة للموضوع المثار . ذلك أنه بدأ بحثه بقوله :

« تمكنت الدول النامية المنتجة للبترول ، أخيرا وبعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ متكاملة من وضع حد لعملية النهب المنتظم الذى تعرضت له ثروتها القوميـــة بواسطة الاحتكارات البترولية الراسمالية والتى دامت لبضعة عشرات من السنين ..

« كل هذا النهب المستمر للثروات القومية للدول المنتجة للبترول قد شهد حدا له بعد حرب اكتوبر ١٩٧٣ عندما قررت هذه الدول بارادتها وحدها مضاعفة الاسعار المعلنة للبترول باكثر من اربع مرات ـ وبعد ان كانت ايرادات دول الاوبك من بيع

بترولها ١٧ مليارا فى عام ١٩٧٢ ، ارتفعت الى حوالى ١٠٠ مليار دولار فى عام ١٩٧٤ » .

بالطبع ان حرب أكتوبر فتحت الطريق امام الدول البترولية لتضع حدا لنهب بترولها ، لكن القطع بأن هذه العملية د تمت ، فهذا بالطبع يناقض الحقيقة ، حيث لازالت أجزاء غير قليلة من الوطن العربى تستثمر ثرواته البتروليه عن طريق الشركات الاستعمارية ، والتى تجنى الكثير من الارباح الباهظة نتيجة لذلك ـ فضلا عن ان ارتفاع سعر البترول قد عاد بفوائد كثيرة ايضا على هذه الشركات الاجنبية ـ وان هذا الارتفاع فى أسعار البترول لم يتوازن حتى الان مع الارتفاع المتزايد للسلع المستوردة من البلدان الصناعية سواء فى غرب أوربا أو فى الولايات المتحدة الامريكية .

وتلاه الدكتور **بهجت العانى** من وزارة التخطيط العراقية فى بحثه الخاص عن :

« دور الفوائض المالية العربية فى تنفيذ خطط الاقتصاد العربى وبرامجه » . وجاء فى مقدمة بحثه :

« وبما أن مجموعة دول الخليج تفتقر كل منها ـ على انفراد ـ لمقومات الدولة الكبيرة ذات الفاعلية والتأثير الدولى ، فان مثل هذا التكتل « اى **تكوين سوق خليجية عربية مشتركة** » يعتبر ضرورة قومية لهذه المنطقة . سيما وانها تتوفر فيها جميع مقومات قيام التكتل المنشود والتى منها الحدود المشتركة وتماثل المنطقة من النواحى الاقتصادية والاجتماعية والطبيعية والبشرية والحضارية ، على الرغم من تباين الانظمة السياسية القائمة . لكن هناك رغبة مشتركة لدى شعب المنطقة لتحقيق حلم الوحدة العربية ـ ويعزز هذه الرغبة تماثل البنيان الاقتصادى وانخفاض الكثافة السكانية وتماثل وتكامل الموارد الطبيعية فيها » .

ويعود فيتناول فى بحثه الفوائض المالية العربية فيقول :

« يزداد الحديث يوما بعد آخر عن الفوائض المالية العربية وضرورة استخدامها وما يتطلب ذلك الاستخدام من شروط متعلقة بكيفية الاستخدام ومجالات الاستثمار ، ويبقى التساؤل مطروحا فى اى دول يتم هذا الاستخدام ، هل فى دول الفائض ام فى مكان آخر ؟ وفى هذا البحث سوف أحاول توضيح الفوائض العربية والاسباب التى دعت الدول الصناعية المتقدمة بالدعوة الى استخدام هذا الفائض وضرورة اعادته الى الدول المتقدمة ، اخلص بعد ذلك الى عدم الجدوى فى استخدام الاموال العربية وتوظيفها فى الدول المتقدمة ـ لان الضمان لهذه الاموال فى هذه الدول غير متوفر . كما أننا فى امس الحاجة الى مثل هذه الفوائض لتوظيفها فى اقتصادنا وتنميتها من أجل اللحاق بركب الحضارة الانسانية ـ كما اشير الى أن استخدام هذه الفوائض فى دول أوربا وأمريكا يعتبر قيدا جديدا يكبل به الاستعمار أمتنا العربية .

« ومن هنا تبرز ضرورة استخدام هذه الاموال العربية فى منطقتها او فى الدول النامية ، وضرورة قيام تكتل اقتصادى عربى قادر عن طريق تنسيق سياساته الاقتصادية والمالية والتنموية ، وتحديد علاقاته بدول العالم ، والتعامل معه كمنطقة عربية وليس أجزاء منفصلة . وان يعجل بعملية التنمية فى الدول العربية من اجل رفع مستوى معيشة المواطن ، وتحقيق المصلحة المشتركة لجميع الاقطار العربية وبذلك نكون قد اكدنا الدور الذى يجب أن يقوم به الفائض المالى العربى » .

وينتهى الباحث الى قوله :

« ومن هذا كله لا يمكن القول أن هناك فائضا لدى مجموعة الدول العربية سواء على مستوى الفترة القصيرة او الطويلة ـ وحتى بافتراض توفر مثل هذا الفائض فان هناك الكثير من المتطلبات القومية التى تحتم استثماره فى المنطقة العربية أو فى مجموعة الدول المتخلفة والمحتاجة الى الاسناد والمساعدة .

واعقبه الدكتور **محمد أزهر السماك** من جامعة الموصل العراقية والذى قدم بحثه تحت عنوان : « دور عوائد النفط فى التنمية الاقتصادية لاقطار الخليج العربى » .

حيث أشار فى بحثه الى ما أسماه بالتحليل المقارن لامكانيات دول الخليج العربى النفطية « انتاجا واحتياطيا وعوائد » ثم تطرق الى عوائد النفط وبرامج التنمية الاقتصادية لدول الخليج العربى .

ثم تكلم بعد ذلك عن دراسة تجربة العراق فى التنمية الاقتصادية خلال الفترة ٥١ ـ ١٩٧٤ .

واعقبه الدكتور **حسن محمود ابراهيم** بالمعهد القومى للتنمية الادارية بجمهورية مصر العربية حيث تحدث عن :

« دور الفوائض المالية العربية فى تنفيذ خطط الاقتصاد العربى وبرامجه » . حيث يختتم بحثه قائلا :

« ان ما يسمى بأزمة الطاقة والتى هى فى واقع الامر مناورة سياسية واقتصادية اكثر منها حقيقة واقعية يجب أن تكون دافعا للتوصل الى استراتيجية عربية موحدة تنبع من واقع العالم العربى ـ كوحدة ـ وتستند على أحد ، أو كل البدائل السابق ذكرها ، تستخدمها فى الوقت المناسب مراعية فى ذلك أن الامة العربية يجب أن تكون المستفيدة الاولى من عوائد البترول . فاذا كان من مصلحة الدول المنتجة للبترول أن تحافظ على ثروتها وأن تنميها ، فان من مصلحة الدول

العربية الاخرى التى لا تملك الموارد الاستثمارية الكافية ان تستضيف وتشجع وتحمى ثروات المجموعة الاولى لصالح العالم العربى .

وعلى الدول المنتجة للبترول ان تدرك ما يدور حولها الان من ان استثمار اموالها فى العالم العربى هو ضمان ضد التجميد والسيطرة على احتياجاتها ، وحفاظا على ازدهارها الاقتصادى ايضا » .

وفى الجلسة الثالثة التى انعقدت صباح الاحد ٣٠ مارس « آذار » ١٩٧٥ تحدث الدكتور ابراهيم صقر بمجلس الوحدة الاقتصادى العربية التابع للجامعة العربية عن :

« التكامل الاقتصادى العربى الواقع والطموح مع اشارة خاصة لدول الخليج العربى » ويقول فى بحثه :

« لم تعد فكرة التكامل الاقتصادى وضرورتها كمدخل للتنمية الاقتصادية والاجتماعية وتصريح ثرواتنا والحفاظ على مكاسبها محلا للمناقشة فى اى مكان فى عالم اليوم . ولقد تخطت فكرة التكامل الاقتصادى وضرورتها فى الوطن العربى مرحلة البحث فى مبرراتها الى مرحلة البحث فى وسائل تحقيقها وتصريح جنى الثمار المترتبة عليها » .

وتلاه بعد ذلك الدكتور امين الحافظ بكلية ادارة الاعمال بالجامعة اللبنانية ورئيس وزراء لبنان الاسبق ـ حيث تناول موضوع « دور الخليج العربى فى تحقيق التكامل الاقتصادى العربى » وركز بحثه على اهمية السوق العربية المشتركة ودور دول الخليج فى انمائها عن طريق المساهمة فى المشاريع الخاصة بالدول العربية الاخرى وتطويرها .

واعقبه بعد ذلك الدكتور بديع قدور من وزارة التخطيط العراقية حيث تلى بحثه الخاص عن : « نحو سوق خليجية مشتركة » .

وكان بحث الدكتور احمد عبد الرحيم مصطفى استاذ التاريخ العربى الحديث والمعاصر بجامعتى عين شمس والكويت عن :

« حاجة منطقة الخليج الى منطقة اقليمية » مثارا لمناقشات حادة حيث تناول فيه موضوع ضرورة اشراك ايران كاحدى دول الخليج فى منطقة اقليمية .

اذ يقول فى بحثه « ص ١٢ » : « حقيقة ان بعض العرب فى الخليج وخارجه حساسون لما يعتبرونه اطماعا ايرانية » الا ان من المستحيل اغفال وجود ايران باعتبارها دولة خليجية ان لم تكن اقوى دول الخليج على الاطلاق » .

وبعد ذلك تلى الدكتور نجويا بوزارة التخطيط العراقية بحثه عن :

« نظرة فى مستقبل الخليج العربى » ثم اعقبه الدكتور حنا حنز من جامعة البصرة ببحث عن :

« صناعة الصلب والتكامل الصناعى والاقتصادى العربى » .

وفى الجلسة الخامسة تكلم الدكتور صادق مهدى السعيد من جامعة بغداد عن :

« السكان والقوى العاملة فى الخليج العربى » .

ويتناول فى بحثه دراسة للسكان والقوى العاملة فى اقطار الخليج العربى الاربعة : الكويت ـ البحرين ـ قطر ـ الامارات العربية المتحدة .

وتلاه بعد ذلك الدكتور على شيخ حسين الساعدى بجامعة البصرة ببحث عن :

« التعليم فى العراق ـ مسيرته ومنطلقاته فى تطوراته اللاحقة ـ كنموذج ايجابى لاقطار الخليج العربى » .

اما الدكتور جمال زكريا قاسم من جامعة عين شمس بجمهورية مصر العربية ـ فكان آخر المتحدثين حيث قدم بحثه عن :

« عوامل مؤثرة فى تطوير الوعى البترولى فى منطقة الخليج العربى » .

وقد اتسم هذا البحث بالسطحية وعدم الرؤية الشاملة للامور اذ يختتم بحثه فيقول :

ومن خلال المناقشات والقرارات داخل الندوة يتضح الاهمية الكبيرة لمنطقة الخليج العربى حيث تزخر بامكانيات جيولوجية وجغرافية ـ فهى تحظى بنحو نصف اجمالى الاحتياطى المؤكد للنفط فى العالم ـ كما تسهم بنحو ربع اجمالى انتاجه السنوى . هذا بالاضافة الى غناها بموارد تعدينية اخرى . لما انها تضم نحو مليون كيلومتر مربع من الاراضى الصالحة للزراعة ـ سواء عن طريق استغلال المياه السطحية او مياهها الجوفية .

هذا علاوة على ان منطقة الخليج تضم نحو ٨٠ فى المائة من المواقع المالية لاجمالى الوطن العربى حيث تتيح كافة هذه الامكانيات الفرصة امام هذه المنطقة باعتماد استراتيجية تنموية عربية تحقق للمنطقة امالها وطموحاتها فى التقدم والرخاء .

ولكن الواقع يشير الى ان الاستفادة من هذه الامكانات لازال بعيدا . ولم توجه الاستثمارات فى معظم اقطار الخليج لتحقيق هذا الهدف لتنمية اقتصادياتها . وانما صرفت فى مجالات استهلاكية متعددة الى جانب استنزاف بعضها فى مشروعات ترفيهية او لاغراض اخرى . كما ان بعضا من

فوائض تلك العوائد قد أودع فى المصارف الاجنبية مما عرضها للهبوط المستمر فى أقيامها نتيجة لتبعيتها للنظم النقدية لدول تلك المصارف ـ حيث خفض الجنيه الاسترلينى عام ١٩٦٧ بنسبة ١٤٫٣ فى المائة ـ كما خفض الدولار مرتين أولهما عام ١٩٧١ وثانيهما عام ١٩٧٣ بنسبة ١٠٫٧ فى المائة ، ١٠ فى المائة على التوالى .

ان الهبوط المستمر لاسعار العملات العالمية ما هو الا محاولات جديدة للسيطرة على نفط دول الانتاج . ولذلك يجب وضع سياسة سليمة لاستخراج البترول بما يتفق وأهداف خطط التنمية ، لا أن تعرف فى استنزاف الموارد النفطية وتحويلها الى عملات أجنبية تودع فى مصارف دول الشركات وما يمكن أن يصيبها من أضرار مادية ملموسة ومستمرة . فالجدير بها أن يندمج انتاجها بما يتلاءم وأهداف خطط التنمية .

ان دول الخليج العربى لا تستهلك من انتاجها سوى ٤ فى المائة فقط فى حين تصدر النسبة العظمى الباقية خاما ـ وهنا تكمن خسارة أخرى كبيرة لهذه الدول . اذ أن ما يضيفه طن واحد من النفط الخام من دخل لدول الخليج لا يعادل سوى ثمن ما يضيفه لاقتصاديات دول أوربا الغربية وأمريكا بعد تصنيعه . لما يمكن أن يتدم من فرص التشغيل والقيم المضافة الناجمة عن التكرير والتصنيع والنقل والتوزيع والاستهلاك وغيرها .

وهنا تبرز مسألة جوهرية أخرى وهى ضرورة الاسراع بمشروعات الصناعات البتروكيماوية من خلال استراتيجية تنموية عربية موحدة .

كما تتضح أهمية ضرورة تأميم شركات النفط العاملة فى المنطقة ـ حيث أن سوق النفط الان هو سوق المنتج مما يمكن معه استبعاد أية مشكلات تسويقية محتملة وحتى يمكن برمجة انتاجها وتنمية برامجها النفطية بما يتلاءم وخطط التنمية المنتظرة .

وفى الجلسة الختامية التى عقدت بمساء الاثنين ٣١ مارس « آذار » ١٩٧٥ ـ صدر البيان الختامى الذى حاول تلخيص مجمل المناقشات معبرا عن الاتجاه العام الذى ساد هذه الندوة ـ وتعطى قراءة البيان الختامى الصورة الحية لذلك .

رسالة فرنسا

لمحات حول المؤتمر الاوربى للطاقة النووية

باريس : من د. ميشيل فرح

اجتمع حوالى ٣٠٠٠ من بحاث العلوم والتكنولوجيا النووية فى قصر المؤتمرات بباريس، فى الفترة من ٢١ الى ٢٥ ابريل ١٩٧٥ ، فى مؤتمر دعت اليه الوكالة الاوروبية للطاقة الذرية بالتعاون مع الجمعية الامريكية النووية . وجاء توقيت هذا المؤتمر ، بعد أيام معدودة من انتهاء المؤتمر التحضيرى للطاقة الذى عقد فى ٩ ابريل ولم يستطع أن يحقق الحوار نتيجة ملموسة بين البلاد الصناعية والبلاد المنتجة للبترول .. فجاء المؤتمر الثانى يتابع السعى الاول فى البديل التالى للطريق المسدود ، لاسيما وان التبارى فى اقامة المحطات النووية كان يبدو الأمل الجديد لمأزم الصالح الصناعى فى استقلاله وهدم تبعيته فى الطاقة ..

ومنذ لحظة افتتاحه ، تصدى المؤتمر لسلسلة ردود الفعل مخططة ومتباينة تعبر عن قلق قطاع من الرأى العام ـ ولاسيما فى فرنسا من جراء البرنامج النووى الفرنسى ، والخوف من تكاثر المحطات على البيئة ، وزيادة الحوادث والتوث ، بجانب التبعات المالية واحجام التمويلات المطلوبة كانت بعض الاحزاب ، والجمعيات لحماية البيئة ، وأصدقاء الارض ، يتظاهرون ، وينظمون المسيرات ، ويلقون بالمنشورات ، ويحتلون مواقع المحطات الجارى انشاؤها أو اختيار مواقعها ..

وكانت هذه المحركات محدودة ، ولكنها تعبر ايضا عن صعوبة حوار الطاقة ليس فقط بين العالم الغنى والفقير ولكن أيضا داخل العالم الصناعى المتبادى فى الاستهلاكية دون ما حساب .

فكان على المتخصصين ـ فعلا ـ ان يتجادلوا فى حقيقة الأمر : مدى البديل النووى ، احتياطيه ، وتوقيت نضوبه أسوة بالبترول ، احتياج العالم منه ، انواع المفاعلات ومقدمة تصميمها ، واداؤهـا ، وتركيب اجزائها ، مـناعة الوقود ودورانه وأعادة معالجته ، الاغراض المختلفة . الحوادث وتداركها ، مشاكل التزويد والمخلفات ، الامان والبراءات .. كان على المتخصصين أن يدرسوا ويحكموا على الاستفسار ليعودوا ويحيطوا الرأى العام بالدروس والعبر . وكان اشتراك العالم الثالث ، والشرق العربى ، حتمية تفرضها أوضاعنا الفعالية . وكان حضور العالم الثالث لا بأس به وقدمت الهند ومصر بحوثا فى الوقود النووى وحضر مندوبون عن بلاد عربية أهمها الجزائر وسوريا والعراق ـ ولذت الانظار لاول مرة أعضاء بعثة الصين وعددهم أربعة .

• • •

ومن خلال المؤتمر والبحوث المتخصصة من كل نوع وفى كل موضوع بدا أن هناك من عوامل التقدير للحوار العالمى حول الطاقة ما دفع بعض كبار المتكلمين فى المحاضرات الرئيسيه الى اتخاذ مواقف متفقة مع سياسة جيسكار ديستان مع الرئيس السادات . واذا كان تزعم هذا التيار مندوب البورآتوم ومدير علم الطاقة فى لجنة المجموعة الاوروبية مسيو فرنان سبك فقد أطنب البعض الآخر فى اتجاه مضاد رافضا لاى اعادة نظر فى التهالك على مصادر الطاقة ، باسم التقدم البشرى حتى ولو كان يحابى التيار الشائى أوروبيا ، غير امريكى ، بل فرنسيا هو رئيس الطاقة الذرية الفرنسية مسيو جيرو . وسنفرد نماذج من أقوال المحاضرين لتعميق ملامح الفكرتين .

لاحظ سبك أن الاستهلاك العالمى للطاقة يتميز بالتزايد المستمر والتفاوت الكبير من بلد لاخر . وأضاف ان هذا التمول من الاستهلاك لابد من خفضه حفاظا على المصادر على المدى الطويل . فلابد من بمبادرات ارادية تحل محل آلية السوق . وهذا يعنى اقامة علاقات جديدة بين البلاد الغنية والفقيرة .. وقال ان المجموعة الأوروبية رسمت سياسة تستهدف تخفيض تبعيتها من البترول العالمى بمقدار ٦٠ فى المائة الى حوالى ٤٠ فى المائة عام ١٩٨٥ . والمقدر ضرورة ادخال ١٦ فى المائة من هذا الفارق نوويا بحيث تصل الكهرباء النووية والتسخينية الى ٥٠ فى المائة من استهلاك اوروبا خلاف البترول فى مطلع القرن القادم ـ وعاد يقول ان التكنولوجيا الاوروبية تستطيع أن تعمل معجزات الا عندما يطلب من الانسان ان يقيم علاقات أحسن مع الغير ، فعندئذ يبدو محدود الافق . وتابع قائلا :

نحن لا نستطيع ان نستمر فى اسلوب اللامبالاة ـ فالمطلوب ادخال نظام جديد يعتمد على الحوار ، والتضافر العالمى ، والموازنة بين قيمة مانملك « أوروبا » من تكنولوجيا وسوق وبين ما يملكون هم « العالم الثالث » من خيرات وتصميمات وارادات فى التنمية والكرامة والحياة .

اما رئيس الطاقة الفرنسية ، فقد افرغ حديثه الا من كل احصاء وفكر عقلانى ، ولم يستبق فى اطلاعات ادبية او خلقية . قال : ان سعر الكهرباء النووية اصبح نصف سعر الكهرباء التقليدية منذ ازمة البترول بما يوفر ٣٢٠ مليون فرنك سنويا فى محطة قدرة الف ميجا واط وقال : ان ثمن التيار النووى يبقى منافسا حتى اذا ارتفعت اسعار تركيبات المفاعلات مرتين ونصف مرة ، وارتفع ثمن اليورانيوم الطبيعى ٦ مرات ، او حتى اذا شغلت المحطة ٣٠٠٠ ساعة سنويا فقط اما توليد البخار للتدفئة والتسخين المنزلى فينخفض سعره كلما كان المفاعل اكبر حجما .

لذلك فقد طالب بعدم الانكماش ، حيث لا توجد طريقه للحد من استهلاك الطاقة . وعرج على ما اقترحه مسيو سبك قائلا انه طريق مسدود نسبيا ـ ثم عرج بالاحصاءات على سؤال اول حول مستقبل الطاقة المووية ، وهى سؤال ثار عن مدى احلالها محل البترول ، ومستقبل الاخير . ونادى بحتمية التعجيل فى هذا الاحلال اشفاقا على البترول اطلاقة لعمره . وانتقل الى أن المصادر الاكيده والجائزه لليورانيوم متراوح بين ١٠ و ٢٠ مليون طن يورانيوم طبيعى . وأيام ندرة اليورانيوم ، المزود بانظير ٢٣٥ ، مادى بالاتجاه الى المفاعلات المولدة ، وهى التى تفرخ مقدارا جديدا من الوقود اثناء احتراق . وتود الاصالة بها « وتعتبر فرنسا متقدمة فى هذا الجانب والمثليا فى المفاعلات ذات الحرارة العالية وان كان قد أعلن فى نفس المؤتمر ان محطة HT 4 R امريكية بلغت طاقة ٣٠٠ ميجا واط هذا الاسبوع مكان الملاحق هنا على اشده » . واختتم مسيو جيرو محاضرته بانه ليس من حق أحد أن يوقف عجلة تقدم

الانسانية . أما وفورات الاتلال من الاستهلاك فهى لا تمثل شيئا بالنسبة لاحتياجات العالم المعيس المتخلف – فاستمرار النمو حتمية والحد منها بسبب الحرب – أن التنافس على هذا المصدر أو ذاك من مصادر الطاقة مهما نسبية . فلكل منافعه وتطلعاته بشرط أن يحارب الجميع الشحة . والأمل القادر هو الأمل النووى ، بشرط الاستغلال الأذكى للخامات وحل مشاكل التضوح النووى لتسليم الاجيال الصاعدة موثقا واضحا – فأرادة وخيال البشر مع تضافر الجهد كفيلة بهذا .

• • •

١ – ومن أهم ملامح هذا المؤتمر أيضا الاقبال على الاستعداد لمفاعلات عام ٢٠٠٠ برفع الاحجام حتى ٣٨٠٠ ميجا واط – وأن كان بمذهب الوكالة الدولية للطاقة الذرية بفينا قد أوضح أهمية مواجهة طلب البلاد الفقيرة من الاحجام الاصغر وضرورة معايرتها وتدريب الكوادر لها دوليا .

٢ – اتضح من مناقشة مواضيع الامان والمخلفات أن الحلول شبه منتهية . وأن الشوائب النووية تحكمها الان مواصفات صارمة تجعل التلوث بها اقل خطرا من غيرهـا – كما دلت الاختبارات ضد الزلازل والحوادث الناجمة عن صهر قضبان الوقود وانقطاعها أصبحت شحيحة ، بل مما يعالج فى زمن الصهر للغاية .

٣ – بالنسبة لصناعة الوقود والمواد اتضح الاداء الطيب للوقود الخزفى ، وثبت أيضا أن المواصفات السابق وضعها مبالغ فيها ، ويمكن اعادة النظر فى تخفيض تكلفتها وشدتها .

٤ – ثبت أن التزويد بالبلوتونيوم بدلا من اليورانيوم ٢٣٥ من الاتجاهات الشائعة التى دعت الشركات الامريكية للخروج من عقودها مع الحكومة للتزويد وتكاليفه الباهظة – كما اتضح أيضا أن اعادة معالجة الوقود بالطريقة الجافة للمفاعلات السريعة والمولدة كفيل بتخفيض تكاليف دورة الوقود .

٥ – أعلنت الطاقة الذرية فى جنوب افريقيا أنها ، بعد ١٤ سنة وانفاق ١٥٠ مليون دولار ، بدأت انتاج اليورانيوم ٢٣٥ بطريقة جديدة بمعاونة شركات المانيية اعتمادا على الصلب والكهرباء الرخيصة بالبلاد ! والمعروف ان الكهرباء تهرب بالكامل من الموزمبيق من سد كابورا باسا فى أخطر عملية تهريب طاقة عرفها التاريخ هذا فى الوقت الذى قررت الامم المتحدة اقصاء جنوب افريقيا وحظرت من التعامل معها] .

٦ – تشكل الخطة الانجليزية الكندية خطا مستقلا يجذب الهند وباكستان وبلادا اوروبية اخرى وبحير فرنسا .

• • •

٧ – هذا وقد ثبت – رغم جو القلق الافتعالى الذى حاول البعض ان يخلف به المؤتمر ، بالنسبة لعدم الامان من تضوح الطاقة النووية ان هذا الجو لا يقوم على رؤيا صحيحة – فلا شك أن حملات التوعية من الخطر وحجمه ، ونوعه ، وطريقة دفعه ، واجبة ضرورية حتى لا يسير الناس فى الضباب ، أو حتى لا يقعوا ضحايا الاوهام – ولكن الى جانب ذلك ثبت أن حملات التهويل تحركها تكتلات خاصة بشكل انتهازى تعبيرا عن تحفظات ليست كلها نووية المصدر .

وهذا ما أطلقه نقابات العاملين بالطاقة الذرية الفرنسية فى ليموند بتاريخ ٢ مايو ١٩٧٥ من « أن الطاقة النووية اليوم يسهل التحكم فيها فى جميع مراحل استخدامها بسبب خبرة تجمعت خلال ٣٠ سنة لخبراء الذرة .

وأضاف البيان : « ان العودة لمفاعلات الماء العادى المستمدة من مفاعلات الغواصات كفيلة باعطاء فرنسا الصدارة فى الرهيل الشاق للمفاعلات والخروج بالتالى من أى تبعية ، كما لا يجوز التنازل عن البحوث الحديثة التى طورت جانبا عام ١٩٦٩ سعيا وراء التميز » .

وأخيرا ، طالبت نقابة موظفى الطاقة الذرية الفرنسية بمزيد من الميزانيات للقيام بدورها فى السهر على الأمان وعدم التلوث كما طالبت بالخروج عن سياسة التجهد المفروضة عليها من عدة سنوات ، وصبت المسئولين عنها ، الأمر الذى جعل الشركات بتعددة الجنسيات تزحف بشكل خطر على أوروبا الاوروبية .

• • •

ان حوار الطاقة ونضوجها هو اذن حوار الساعة .. لنقل تكنولوجيا الغرب الينا .. بتروليا .. ونوويا .. بل لكل المواد والخامات والاغذية واجتياز الجدار الحضارى .. وفتح العقل والخلق والابداع لعصر الغد .

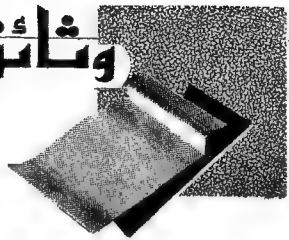

مؤتمر القمة الاول

للدول المصدرة للبترول

عندما فشل الاجتماع الذى دعت اليه فرنسا منتجى البترول ومستهلكيه للاعداد لمؤتمر دولى للطاقة ، انهمت الصحف الفرنسية — خاصة « كومبا » و « لوفيجارو » — مؤتمر القمة لرؤساء وملوك دول الاوبك الذى كان قد عقد فى الجزائر فى مارس ١٩٧٥ بانه السبب . واكدت ان هذا المؤتمر مسئول عن امور ثلاث: [١] توحيد الدول المنتجة فى وجه محاولات سرقة ثرواتها [٢] طرح القضية طرحا جديدا يتمثل فى مناقشة موضوع المواد الاولية كلها ؛ وليس البترول وحده [٣] اثارة موضوع اقامة نظام اقتصادى عالمى جديد يضع اساسا عادلا لتبادل المواد الخام مع السلع الصناعية .

والواقع ان مؤتمر الجزائر أرسى « بالفعل » استراتيجية للعمل الموحد للدول المنتجة للبترول ، اتضحت فاعليتها فى الدفاع عن مصالح هذه الاخيرة فى كافة المعارك التى قامت فيما بعد مع شركات البترول الراسمالية . وايمانا من « الطليعة » بأن المؤتمر يشكل علامة على الطريق — لا فى معركة المواجهة فحسب — بل على صعيد العالم الثالث كله ، فاننا ننشر اهم وثائق المؤتمر وهى :

١ — الاعلان النهائى الذى صدر عن المؤتمر .
٢ — الخطاب الافتتاحى الذى القاه الرئيس بومدين .

[١] الاعـــلان النهـائى الـذى صـدر عـن المؤتمـر :

ـ اجتمع ملوك ورؤساء الدول الاعضاء فى منظمة الدول المصدرة للبترول « اوبك » فى مدينة الجزائر فى اليوم الرابع من آذار/مارس ١٩٧٥ بدعوة من رئيس مجلس الوزراء فى الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية .

١ ـ ناقشوا الازمة الاقتصادية العالمية الراهنة وتبادلوا الرأى فى اسبابه العامة والازمة الحالية منذ سنوات عديدة ودرسوا الاجراءات التى ستتخذ من أجل الحفاظ على الحقوق والمصالح المشروعة لشعوبهم فى اطار من التضامن والتعاون الدوليين .

ويؤكدون على ان السلام والتقدم الدوليين يعتمدان على الاحترام الكامل لسيادة الدول الاعضاء فى المجتمع الدولى ، والمساواة بينها وفقا لميثاق الامم المتحدة . كما يؤكدون أن البيانات الاساسية الواردة فى هذا الاعلان تتفق والقرارات الصادرة من الدورة السادسة الخاصة للجمعية العامة للامم المتحدة بشأن مشكلات المواد الاولية والتنمية .

ويؤكد الملوك والرؤساء مرة أخرى ، التضامن الذى يوحد بين دولهم ، حمايةً للحقوق والمصالح المشروعة لشعوبهم ، مطلقين من جديد ، حق دولهم فى تملك مواردها الطبيعية ، واستغلالها وتحديد اسعارها ، وهو حق من حقوق سيادتها التى لا يشارك فيه ، ولا ضير أبدا فكرة أو محاولة ، من شأنها التعرض لذلك للحقوق الاساسية ، وما يترتب عليها من حد لسيادة دولهم .

كما يؤكدون من جديد ، أن الدول الاعضاء فى منظمة الاوبك تفعل كل ما فى وسعها لتحقيق المساهمة الفعلية فى المجتمع الدولى بأسره وتعمل من خلال الدفاع الحازم الراسخ المبادىء من الحقوق المشروعة لشعوبه ، وهى بهذا تمثل السبيل الذى تصبو اليه الدول النامية المنتجة للمواد الاولية ، دفاعا عن الحقوق المشروعة لشعوبها .

ويرون ان تكفل الامم حسبما سجلى فى الوضع الاقتصادى العالمى ، حسب اهتماما أكبر ، بالتعاون الدولى ، ويعلنون انهم على استعداد الاسهام بجهودهم ، فى تحقيق اهداف التنمية والاستقرار الاقتصادى العالمى ، كما هو وارد فى الاعلان وبرنامج العمل الخاص باقامة اقتصاد دولى جديد ، وهى الوثيقة التى اقرتها الجمعية العامة للامم المتحدة فى خلال دورتها السادسة الخاصة .

٢ ـ يلاحظ الملوك والرؤساء ان اسباب الازمة الاقتصادية العالمية الراهنة ، انما ترجع اساسا الى الفوارق الصارخ فى مدى التقدم الاقتصادى والاجتماعى للشعوب ، وان هذا التفاوت الذى ينجم عنه الاستغلال الاجنبى الذى يعمل على ترسيخه ، وتدعيمه كلف على مر الاعوام فى غيبة تعاون دولى كاف من أجل التنمية ، وقد ادى هذا الوضع الى زيادة استنزاف الموارد الطبيعية للدول النامية بما يحول انتقال الموارد الرأسمالية والتكنولوجيا ، على نحو فعال ، وبما يؤدى الى الاخلال بتوازن العلاقات الاقتصادية اخلالا جسيما .

وهم يسجلون ، ان هذا الاخلال الذى تسبب فيه الوضع الاقتصادى الدولى الراهن ، قد تفاقم نتيجة التضخم الواسع النطاق ، هذا فضلا عن انفجار معدل النمو الاقتصادى بصفة عامة ، وعدم استقرار النظام النقدى العالمى فى غيبة الضوابط والقيود النقدية .

وهم يعودون فيؤكدون ، أن الاسباب العامة لهذا الاخلال انما تكمن فى الطرق المزمنة والمستحكمة ، التى تراكمت عبر السنين ، مثل الاتجاه العام للدول المتقدمة نحو الافراط فى الاستهلاك ، فضلا عن تبديد الموارد النادرة ، والممارسات الاقتصادية غير العادلة التى تسم بكبر النظر من جانب العالم الصناعى .

ومن ثم فانهم يرتئون ، انه اعدادات تعزو مسئولية عدم الاستقرار الراهن ، فى الاقتصاد العالمى ، الى سعر البترول ، فالواقع ان البترول الذى ساهم بقسط وافر فى تدعيم وازدهار الدول الصناعية ، خلال الربع الاخير من هذا القرن ، لايعتبر ارخص مصدر متاح للطاقة نسبب قبل جزء ضئيل من اجمالى الناتج القومى للدول المتقدمة ، والتعديل الاخير الذى ادخل على سعر البترول ، لم يسهم الا اسهاما طفيفا فى المعدلات المرتفعة للتضخم التى تعزى اساسا الى اسباب اخرى تنبع من داخل اقتصاديات الدول المتقدمة ، هذا التضخم الذى مصدر استمراره الى الدول النامية .

٣ ـ بالاضافة الى ذلك يعين الملوك والرؤساء باسف من التهديدات لتعدل الحالات العدائية والاجراءات الاخرى التى بلغت حد ان يعزى الى الدول الاعضاء فى منظمة الاوبك ، نية تقويض اقتصاد الدول المتقدمة ، وأن مثل هذه الحالات والاجراءات التى قد تؤدى الى حدوث مواجهة حقيقة دون الوصول الى فهم واضح للمشكلات العقلية ، وادت الى خلق جو من التوتر لا يفضى الى المشاورات أو تعاون على النطاق الدولى .

كما انهم يعربون أى ثقل للدول المستهلكة ، بغية المواجهة ، وبدلون اى مخطط أو أية استراتيجية ترمى الى العدوان الاقتصادى أو العسكرى من جانب هذه التكتلات أو غيرها ضد اى من الدول الاعضاء فى منظمة اوبك ، وبالنظر الى هذه التهديدات يؤكد الملوك والرؤساء من جديد ، التضامن الذى يوحد بين صفوفهم ، تؤدا من الحقوق المشروعة لشعوبهم ، وهم بهذا يعلنون عن استعدادهم ، فى اطار ذلك التضامن ، لاتخاذ اجراءات فورية وفعالة من أجل التصدى لهذه التهديدات ، بوقفة موحدة كلما اقتضى الامر ذلك ، وخاصة فى حالة العدوان .

٤ ـ بينما يحرص الملوك ورؤساء الدول على الاستجابة للمبانى المشروعة لشعوبهم ، فى سبيل التنمية والتضخم ، نجدهم يدركون تمام الادراك الصلة الوثيقة ، التى تربط بين التنمية الوطنية فى بلادهم ، وبين الرفاهية الاقتصادية للعالم اجمع ، وان التكامل المتزايد بين الامم ، يجعل الملوك ورؤساء الدول اكثر اهلية بالصعوبات التى واجهتها شعوب الاقطار الاخرى ، والتى يمكن ان تؤثر على الاستقرار فى العالم ، ولذا ، فانهم يؤكدون من جديد التزامهم بالعمل ، مع شعوبهم ، لتقويم الاختلالات الحالية ، وتحقيق التعاون والتضامن والعمل المشترك من أجل ايجاد الحلول لهذه المشكلات الكبرى التى يواجهها الاقتصاد العالمى .

ويدافع من هذه الروح ، فان الدول الاعضاء فى منظمة اوبك ، وهى اتتيح لها من موارد مالية متزايدة فى فترة قصيرة نسبيا ، قد اسهمت من خلال الترتيبات الثنائية والمتعددة الاطراف ، فى الجهود المبذولة من أجل التنمية ، ومن أجل تسوية موازين المدفوعات الخاصة بغيرها من الدول النامية ، والدول المتقدمة صناعيا ايضا ، ولقد زاد الدعم المالى الذى قدمته تلك الدول الى غيرها من الدول النامية خلال سنة ١٩٧٤ بالقياس الى ناتجها القومى الاجمالى ، حدة اضعاف من المتوسط السنوى ، للمساعدة التى قدمتها الدول المتقدمة صناعيا الى الدول النامية خلال عقد التنمية الاخير .

وعلاوة على ذلك ، فان الدول الاعضاء فى منظمة اوبك قدمت تسهيلات مالية الى الدول المتقدمة ، لمساعدتها على تغطية العجز فى موازين مدفوعاتها ، وكذلك ، فان التدابير التى اتخذتها الدول الاعضاء فى منظمة اوبك من أجل التمويل بتيسيره الاقتصادية وتشجيع التجارة فيما بينها ، قد اسهمت فى توسيع نطاق التجارة الدولية ، وفى صحية موازين المدفوعات فى البلدان النامية .

● سيرافق الملوك والرؤساء من يحبذ المجيء ، على هامش مؤتمر دولي ، يضم الدول المتقدمة والدول النامية . ويخشون ان يصطدم حشدا المؤتمر ، بدلا من ان يتمثل في اجراء تقدم ملموس في الحيل من اجل تخفيف حدة الصعوبات الراهنة ، والناتجة من الأزمة العالمي ، وعلى المؤتمر ان يوجه بالتالي اهتماما متكاملا الى المشكلات التي تواجهها الدول المتقدمة ، والدول النامية على السواء .

من ثم ، فان جدول اعمال المؤتمر المذكور كما ، لا يمكن بحال ان يقتصر على دراسة مسألة الطاقة ، على ان يشمل بكل وضوح مسائل المواد الاولية في الدول النامية ، واصلاح نظام النقد الدولي ، والتعاون لخطة التنمية من اجل تحقيق الاستقرار العالمي .

وبفضل هذ ذلك ، فانه يمكن ان يعقد هذا المؤتمر ، في اطار محدود ، حتى ينجح اعماله كخطوة ، شريطة ان تكون كل الدول المعنية بالمشكلات التي يتناولها البحث ، ممثلة تمثيلا مناسبا وصحيحا .

٦ — يؤكد الملوك والرؤساء على ان استغلال موارد البترول الطبيعية للشعوب هي ملاهم ، ينبغي ان يتم اولا وقبل كل شيء ، على نحو يخدم مصالح تصويهم على افضل وجه ، وعلى اساس ان البترول ، الذي هو المصدر الرئيسي لدخلهم يشكل عنصرا حيويا في تنمية بلادهم .

وبينما يتركون الدور الحيوي لمبدادات البترول ، بالنسبة للاقتصاد العالمي ، معتقدون ان الحفاظ على موارد البترول ، يعطيا اساسيا لرفاهية الاجيال المقبلة ، ومن ثم يحثون على احتلال سياسات تهدف الى الاستغلال الامثل لهذا المورد الجوهري المستنزل ، غير القابل للتجدد .

٧ — يشير الملوك والرؤساء الى ان التخفيض المصطنع لسعر البترول في الماضي ، قد ادى الى الاستغلال المفرط لهذا المورد المحدود ، الذابل بالطبع ، وان استمرار مثل هذه السياسة ، ستؤدي على كارثة فيما يتعلق بالمحافظة على هذا المورد ، وبالنسبة للاقتصاد العالمي .

وهم يرون ، ان سلطة الدول الاعضاء في منظمة اوبيك ، وكذلك مصلحة بقية العالم ، تقتضي ان يحدد سعر البترول ، موضوعه العنصر الاساسي في التضخل المتوسي للدول الاعضاء بصورة خاصة ، على ان يتضمن هذا السعر هامشا عادلا ، فيما هي ذلك تكاليف التنقيب والتنمية ، وتنمية المتزايدة في المستقبل .

— كمية البترول على اساس استخدامه في اغراض الطاقة .

— ظروف مصادر الطاقة البديلة من حيث توفرها واستعمالها وتكاليفها .

وفضلا عن ذلك ينبغي ان يستقر سعر البترول عوذلك برتبطه بمعايير موضوعية معدلة ، بما في ذلك تخفيض التخفيضات المفروضة ، او زيادة التضخم ، وكذلك

● وهم يدركون ان اكثر الدول تضررا من الأزمة الاقتصادية العالمية هي الدول النامية ، والتي تقاسم بحدوث توكيد مزعوم على تنفيذ الاجراءات التي سوف تحرز تحاونهم مع تلك الدول .

وهم على استعداد كذلك للاسهام بقدر ما تسمح به امكانياتهم في تنفيذ البرنامج الدولي الخاص الذي وضعته الامم المتحدة ، وتقديم الاقتصادات الاضافية الخاصة والعروض والمنح لتنمية البلاد النامية .

وبهذا الصدد فقد وافقوا على تخصيص مراجعهم الخاصة بالدعون المالي لمساعدة اكثر البلاد النامية تضررا ، وذلك على اساس تفضل نحو ميسكن ، وخاصة في التضليب على الصعوبات التي تواجه ميزان مدفوعاتها كما قرروا التنسيق بين تلك الاجراءات المالية والقروض الطويلة الاجل التي تعمل على الاسهام في تنمية اقتصاديات تلك الدول .

وفي هذا المجال تضمه ، ومن اجل الاسهام في استعادة افضل من الامكانات الزراعية في البلاد النامية قرر الملوك والرؤساء تشجيع انتاج الاسمدة بغية توفير بدل هذا الانتاج بشروط مواتية للبلاد التي تأثرت ابلغ التأثر بالازمة الاقتصادية .

وهم يعيدون التأكيد على اعتمادهم للتعاون مع الدول النامية الاخرى المصدرة للمواد الاولية وغيرها من السلع الاساسية وذلك في الجهود التي تبذلها تلك الدول للحصول على سعر عادل ، شروط تنقل السلع والتكنولوجيا لتنمية الدول الاعضاء في منظمة اوبيك .

٨ — يعلن الملوك والرؤساء ان بلادهم على استعداد لمواصلة تقديم المساعدات الايجابية ، بما يتفق وتحاجيات هذه البلاد ، على الاقتصاد العالمي عوتشجيع التعاون الصادق الذي يحد مقدما لاقامة نظام اقتصادي دولي جديد .

وهم يقررون ادخ مجلة هذا التعاون الدولي — اتخاذ مجموعة من الاجراءات تجاه الدول النامية الاخرى ، والدول المتقدمة صناعيا .

وهم يريدون — لذلك — ان يؤكدوا على أن مجموعة الاجراءات المقترحة في هذا الاحسان تؤهل برنامجا شاملا يبغي تنفيذ متواشيه جميعا اذا ما اريد بلوغ اهداف المحادثة والكفاءة المنشودة .

٩ — يؤكد الملوك والرؤساء من جديد التضامن الطبيعي الذي يوحد بين دولهم وبين الدول النامية الاخرى في تضالمها للتغلب على التخلف ، ويعربون عن تقديرهم العميق للمساعدة القوية التي منحتها الدول التلبيةجميعا للدول الاعضاء في منظمة اوبيك على النحو الذي اعلنته في مؤتمر الدول التلبية حصول الموارد الاولية الذي عقد في داكار فيما بين التاسع والثلاثين من شهر شباط سنة ١٩٧٥ .

وهم يدركون ان اكثر الدول تضررا من الأزمة الاقتصادية العالمية هي الدول النامية ، والتي تقاسم بحدوث توكيد مزعوم على تنفيذ الاجراءات التي سوف تحرز تحاونهم مع تلك الدول .

وهم على استعداد كذلك للاسهام بقدر ما تسمح به امكانياتهم في تنفيذ البرنامج الدولي الخاص الذي وضعته الامم المتحدة ، وتقديم الاقتصادات الاضافية الخاصة والعروض والمنح لتنمية البلاد النامية .

وبهذا الصدد فقد وافقوا على تخصيص مراجعهم الخاصة بالدعون المالي لمساعدة اكثر البلاد النامية تضررا ، وذلك على اساس تفضل نحو ميسكن ، وخاصة في التضليب على الصعوبات التي تواجه ميزان مدفوعاتها كما قرروا التنسيق بين تلك الاجراءات المالية والقروض الطويلة الاجل التي تعمل على الاسهام في تنمية اقتصاديات تلك الدول .

وفي هذا المجال تضمه ، ومن اجل الاسهام في استعادة افضل من الامكانات الزراعية في البلاد النامية قرر الملوك والرؤساء تشجيع انتاج الاسمدة بغية توفير بدل هذا الانتاج بشروط مواتية للبلاد التي تأثرت ابلغ التأثر بالازمة الاقتصادية .

وهم يعيدون التأكيد على اعتمادهم للتعاون مع الدول النامية الاخرى المصدرة للمواد الاولية وغيرها من السلع الاساسية وذلك في الجهود التي تبذلها تلك الدول للحصول على سعر عادل ،

١٠ — مساهمة في ازالة الصعوبات التي تؤثر على اقتصاديات البلاد المتقدمة ، يعلن الملوك والرؤساء ان الدول الاعضاء في منظمة اوبيك سوف تواصل خلال جهودها الخاصة فيما يتعلق باحتياجات هذه البلاد ، فانها وخصوصا ادارات البترول ، ستكون من جديد استعداد بلادهم لتعديل الاتفاقات التي سوف تلقى المتطلبات الحيوية لاقتصاديات البلاد المتقدمة بطريقة لا تستخدم البلاد المتقدمة كمراجل مخطمة لتقويم المسار الطبيعي للتوازن العرض والطلب ، وتحقيقا لهذه الغاية تقيم الدول الاعضاء في منظمة اوبيك حوارا وثيقا وتشجعا فيما بينها من اجل المحافظة على التوازن بين انتاج البترول واحتياجات السوق العالمية .

وبالنسبة لاسعار البترول يؤكدون انه على الرغم مما يبدى من جملة التعديل الذي طرأ على الاسعار نتيجة المعدلات المرتفعة للتضخم وانخفاض قيمة الصحة فضلا على جانب كبير من القيمة الحقيقية للاسعار بعد تعديلها وان اسعار الحالي تقل بصورة ملحوظة عن السعر الذي كان من الممكن ان يتبع في ظل مصادر بديلة للطاقة .

وبعد هذا ناقهم على استعداد للتفاوض حول شروط تثبيت أسعار البترول الامر الذي سوف يساعد البلاد المستهلكة على اخضال التسهيلات الضرورية على اقتصادياتها .

وان الملوك والرؤساء ، اذ تحدوهم روح الحوار والتعاون ، يؤكدون ان الدول الاعضاء في منظمة اوبيك على استعداد للتفاوض مع اكثر البلاد المتقدمة تنمية بصورة ثنائية ، او عن طريق المنظمات الدولية حول تقديم التسهيلات المالية التي تصبح بدور التصاعيات تلك البلاد مع ضمان تنمية ارصدة الدول الاعضاء في منظمة اوبيك وقيمتها .

١١ — واذ يذكر الملوك والرؤساء ان اى تعاون دولي صادق يجب ان يقيم كلا من البلاد النامية والمتنمية ، يعلنون انه ازاء الجهود والضغوط والاثار سلبية التي تبذلها الدول الاعضاء في منظمة اوبيك للحصول على الاسعدادها للقيام بها ، فانهم على البلاد المتحدة ان تساهم من جانبها وتطوير البلاد النامية من طريق اتخاذ تدابير محددة ، ولا سيما تحقيق الاستقرار الاقتصادي والنقدي مع اعطاء الاهتمام المناسب لمصالح البلاد النامية .

وهم يؤكدون في هذا الصدد ، الحاجة الى اقامة التكامل لبرنامج العمل الذي اقترته الجمعية العامة للامم المتحدة في دورتها السادسة الخاصة ، وبالتالي فانهم يؤكدون المتطلبات التالية :

— يجب على الدول المتقدمة ان تدعم الاجراءات التي تتخذها البلاد النامية ، والتي ترمي الى تثبيت اسعار صادراتها من المواد الاولية وغيرها من المصالح

الاساسية بمستويات عالية تحقق سيطرة بالتدابير الدولية بالنسبة لعقد الامم المتحدة الثاني للتخفيضات أخذا بالمساهمة بمكن ايجاده بصفة خاصة بواسطة اكثر الدول المتقدمة وصالح اكثر الدول النامية ضررا .

ـ توضيح تنفيذ برنامج عمال للاغذية تقوم الدول المتحدة بمقتضاه وعلى الاخص اكبر دول العالم المنتجة والمصدرة للمواد الغذائية ومنتجاتها بتنظيم فتح وحدوثات الى اكثر الدول النامية ضررا وذلك فيما يتعلق باحتياجاتها الغذائية والزراعية .

ـ الاسراع في عمليات التهيئة العلمية بالبلاد النامية لاسيما عن طريق التحويل التكنولوجي المحدود بكفاءة وبسرعة لازالة العقبات التي تحد من استخدام وتطوير مثل هذه التكنولوجيا لخدمة اقتصاديات البلاد النامية والمنتظر الى انه يحدث في حالات كثيرة ان العقبات التي تعترض التنمية تنشأ من التحويل التكنولوجي العاصر غير الملائم فان الملوك والرؤساء يعتقدون اعظم اهمية في تحويل التكنولوجيا الذي يعتبر في تقديرهم بمثابة اختيار كبير لمدى التزام البلاد المتقدمة عبدا للعاون الدولي لمصلحة التنمية . ان التحويل التكنولوجي لا ينبغي ان يتم على اساس من تقسيم العمل تقوم بمقتضاه البلاد الثابية بانتاج سلع ذات محتوى تكنولوجي اقل . ان أي تحويل تكنولوجي يتسم بالكفاءة يجب ان يساعد البلاد النامية على التغلب على التخلف التكنولوجي المتوطن . في اقتصادياتها . عن طريق تعديل مشتملات اي محتوى تكنولوجي حال في بلادها وبالرغم مما يتطلق بالنسبة وتحويل مواردها الطبيعية . اما بالنسبة للموارد الطبيعية الحالية لتنفاد مثل الموارد البترولية لدول منظمة اوبك فانه لامر حيوي ان يتبنى التحويل التكنولوجي من حيث السرعة والكم مع مضاعفة استغلالها الذي تجري زيادة سرعته الآن لمصلحة اقتصاديات البلاد المتخلفة نوعا ما .

ـ يسير بناء تسع كبير من المجمعات البتروكيماوية المسيرة او الجديدة وكذلك مصافي البترول ومصانع الاسمدة في اراضي الدول الاعضاء في منظمة اوبك بالتعاون مع الدول المتقدمة لاغراض التصدير الى الدول المتقدمة مع ضمان وصول مثل هذه المنتجات الى اسواق هذه البلاد .

ـ الحماية الكافية من تخفيض قيمة الاحتياطيات الخارجية للدول الاعضاء في منظمة اوبك وكذلك ضمان سلامة استثماراتها في البلاد المتقدمة .

ونفضل من ذلك بروز من الضروري ان تتبع الدول المتقدمة اسعوانها امام المواد البتروكيروبية وغيرها من السلع الاولية الى جانب السلع المصنعة التي تنتجها الفئة الثانية ويعتبرون ان استطاعت التجول

ضد البلاد النامية وهي بينهما الدول الاعضاء في منظمة اوبك تتفاقى وروح التعاون والمشاركة .

١٢ ـ بالاحظ الملوك والرؤساء الاضطراب العالمي نظام النقد الدولي، وعدم وجود القواعد والوثائق الضرورية لعملية التبادل التجاري وقيمة الارصدة المالية للبلاد النامية .

ويؤكدون بصفة خاصة الحاجة الملحة لانقاذ الخطوات الضرورية التي تكفل المساك المخروطة للبلاد النامية .

ويدركون ان حشد الموارد المالية لكل من الدول الاعضاء في منظمة اوبك والبلاد المتقدمة ، فضلا عن الخبرة التكنولوجية لتلك البلاد من اجل دعم اقتصاد البلاد النامية سوف يساعد هذه كله بدرجة كبيرة في حل الازمة الاقتصادية الدولية .

ويؤكدون ضرورة اتخاذ تدابير اساسية وعاجلة لاصلاح نظام النقد الدولي بحيث تتوفر لنظم المقاصة المالية لتوسيع نطاق التبادل التجاري وقيمة الموارد التنموية وكفالة النمو المتوازن للاقتصاد الدولي .

ويلاحظون ان المبادرات التي اتخذت حتى الان لاصلاح نظام النقد الدولي ناقصة بالفشل نظرا لارتباط المبادرات لم تتوالى ازالة الاجحاف المتأصل في كيان ذلك النظام .

ولا ينبغي ان يظل اتخاذ القرارات التي يمكن ان تؤثر في قيمة احتياطي العملات وحقوق السحب الخاصة وسعر الذهب وغيره في نظام النقد الدولي مسألة من جانب واحد ، وانه يجب التعاوض بمكانها من قبل الدول المتقدمة وحدها، اذ ينبغي ان تصبح البلاد المتقدمة في الاصلاح العقيمي للنظام النقدي والمالي الدولي بما يكفل معالجة شاملة للبلاد النامية بأسرها وضمان مصالحها .

وينبغي ان يتبع اصلاح النظام النقدي والمالي زيادة وغيرة في نصيب البلاد النامية في اتخاذ القرار والادارة ، والاسهام بدافع من روح المشاركة من اجل التنمية الدولية وهي اساسي حسن المساواة .

واستنادا الى هذا ، تقرر الملوك والرؤساء ان يتشاوروا بينهم جميعا للتشاور والتنسيق من اجل اقامة التعاون الكامل في اطار تعاونهم ، وبلوغ هذه الاصلاح العقيمي للنظام النقدي والمالي والدولي .

١٣ ـ يحق الملوك ورؤساء الدول اهمية مقابلة على دعم منظمة اوبك ، ولاسيما تنسيق اوجه نشاط شركات البترول الوطنية في اطار المنظمة والدور الذي ينبغي ان تضطلع به المنظمة في الاقتصاد الدولي . ويرون انه بامكانها بصفة ذات اهمية قصوى تيسير ان تنفذ وتطلب التخطيط المتسق بين برنامج وتنسيق السياسات في مجال انتاج البترول والحفاظ عليه وتسعيره وتمويله فضلا من توازع مالية ذات اهمية مشتركة والتخطيط المتسق والتعاون الاقتصادي، بما يخدم الدول والاستقرار العوليين .

١٤ ـ يعرب الملوك والرؤساء عن قلقهم العميق ازاء الازمة الاقتصادية الدولية الراهنة التي تمثل خطرا يتهدد الاستقرار والسلام ، ويدركون ان الوقت ذاته ان الازمة ولدت احساسا بوجود مشكلات سوف يسهم حلها في توفير الامن والرفاهية البشرية جميعا .

وادراكا من الملوك والرؤساء لاكمال شعوب العالم بأسره ، وتطلعاته في حل المشكلات الرئيسية التي تؤثر في حياتهم، تلقيم يطلون حرصهم على التزامهم بتبني بالتدابير التي ترمي الى اقامة اجتماع جديد من التعاون في العلاقات الدولية.

ان البلاد المتخلفة التي تمثل معظم اعداد العالم والرفاهية والسلام ، كما تمثل معظم اعداد الفقراء ، ينبغي ان تستجيب لمبادرات البلاد النامية بمبادرات بمثلة وذلك باقتضام الفرصة التاريخية التي يتيحها هذا الموقف المتأزم في خلق صفحة جديدة في العلاقات بين الشعوب .

ويبقا بتعهد التفكير الناجم عن اضطراب العلاقات فيما بين الملك الذين تتوفر لهم اسباب القوة ، كما الاضطراب الذي يواكبه جو من عدم الاستقرار الناشيء من الفوضى السائدة في الاقتصاد العالمي ، ويفسح المجال للقلة والسلام ، مما يهيء جوا من الامن الدولي الصادق بين البلدان النامية ويوفر اعظم الفوائد ، وتسهم فيه بامكانها الهائلة .

وفي الوقت الذي توفر فيه ، بفضل عبقرية الانسان التقدم العلمي ، وامكانات تغييرات بارزة نحو الافضل ، فان مستقبل الجنس البشري لا يعتبر في نهاية المطاف الا على صخرة بني الانسان على حشد قوته الابداعية وارادته في خدمة الجميع ، ولصالح البشرية كافة .

ـ يعلن ملوك ورؤساء الدول الاعضاء في منظمة اوبك اهتمامهم العميق من ان اقامة نظام اقتصادي جديد يستند الى العدالة والانصاف ، ويمكن عالم الغد من ان يكفل التقدم للجميع على قدم المساواة في تعاون واستقرار سالم .

وبن ثم ، فانهم يتوجهون بهذا النداء الحار الى حكومات دول العالم الاخرى، ويتعهدون رسميا بتقديم تأييد شعوبهم كاملا في سبيل بلوغ هذه الغاية .

[٢] الخطـــاب الافتتـــاحي للرئيـــس بومدين

أصحاب الجلالة ..
أصحاب الفخامة ..
أصحاب السعادة ..

انه لشرف كبير أن تحتضن الجزائر اول لقاء على مستوى القمة للبلدان المصدرة للبترول .

باسم مجلس الثورة وحكومة الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية وباسم الشعب الجزائري اتوجه بالتحية الى الملوك ورؤساء الدول وكبار الشخصيات هنا لكم أطيب المقام بيننا .

والواقع ، انه لم يمض الا زمن قصير على انعقاد المؤتمر الرابع لدول عدم الانحياز ، الذي اكد بصفة علانية على هام البلدان النامية ، للدفاع عن سعر المواد الاولية ، حتى انتقلت الدول الاعضاء في منظمة البلدان المصدرة للبترول «بواكشاور» فيما بينها «لجراءات سوف تكون عاملة بقوة ، في مسيرة الحركة الشمولية لاستعادة الشعوب لمواردها الطبيعية .

ونحن اذ نشرف برئاستقبال ملوك ورؤساء دول منظمة البلدان المصدرة للبترول ، لا يسعنا الا ان نفتكر انه في تلك الفترة التي قررت فيها كل من ايران والعراق والكويت والعربية السعودية وفنزويلا توحيد جهودها لمواجهة الاحتكارات البترولية ، كانت الحرب التحريرية في الجزائر توشك على انتهاء سلمتها السادسة .

واذا كانت القوات الاستعمارية قد أذاقت انذاك الشعب الجزائري الذل لا مناص لها منه ، فهي مع ذلك لم تتمكن من تجنيد همتنا على قرارنا الطبيعية ووضعت لذلك مخططه من أجل شحن ثرائنا الوطني وخيرتنه الى صميم .

والواقع ان كفاح الشعب الجزائري خلال مئة ١٩٦٠ وهي سنة ميلاد منظمة الاوبيك برمتها حاسمة استحدث سنتين دمم خلالها لنا باعثنا من قبله للمحافظة على وحدة ثرائه الوطني للدفاع عن سيادته على ثرواته الوطنية .

وبالنسبة للشعب الجزائري ، فان الظروف التاريخية التي شهد خلالها ميلاد منظمة الاوبيك وكذلك ما قام به بتنمية من امكانة كفاحه التحريري من أجل استعادة ثرواته الطبيعية قد أدت به وبشكل طبيعي الى ان يساهم بمبسطه ويساند بشرة تجربته المؤاتية ، هذه الفضية الثقيلة ، التي تأسست منظمتها للدفاع عنها في ظرف اتسمت فيه فيضة الاحتكارات البترولية وكانت فيه بلداننا تعاني عزلة شديدة حيث أثبتت وجودها تدريجيا بتوسيع قاعدتها ومنح نشاطاتها شكلا ملموسا وهاديا م

مرة في تاريخها دورتها الاستثنائية السادسة لبحث مشاكل المواد الاولية والتنمية قد اعلنت أن الوضع الذي نعيشه انما هو نتاج من المشاكل التي اهملت تراكمت على من السنين ، وأن هذا الوضع يتسم بعدم التكافؤ في استفادة الشعوب من ثمرة النمو والتطور الاقتصادي ويتعدم تعاون دولي حقيقي .

لقد سيطرت على الحياة الدولية منذ سنة خلت ، الفاجأت بلدان العالم الثالث ، وخاصة بلدان منظمة الاقطار المصدرة للبترول التي عرفت كيف تضاطع بمسئولياتها التاريخية ، عندما اعادت للشعوبنا حقوقها المغبونة وأيقظت الوعي على المستوى العالمي ، بخطورة ما كانت تتسم به العلاقات الاقتصادية الدولية من شذوذ . والبيوم نرى بكل أسف أن اصحاب سياسة الجبابرة يتصرفون بدف حدة الشر بمسرح السياسة العالمية .

ومن الواضح ان المبادرات التي قراها تحدد باستمرار ، سواء تلك التي تكتسب طابع الدعابة أو التشويش أو التي تكتسي طابع المعاهي البيلوماسية على اختلاف اشكالها لا تبرئ الى شيء ، سوى العودة الى الوضع الظالم سابقا في العلاقات الاقتصادية الدولية .

ومن الواضح ايضا بالنسبة الينا نحن بلدان العالم الثالث المصدر للبترول ان نتمسك بالمبادرات التي تستهدف حل شعوبنا الفاية في التصرف عادما هي امر ثرواتها أي حقها في التنمية والتقدم .

وفي الظروف السياد حاليا ، فان المسألة بالنسبة إلينا نحن ، تتعلق بمسألة تنسيق في مجال سعر الفط ، أو مساهمة في عمليات الاستغلال داخل بلداننا نفسي ، ولكنها تتعلق بقضايا أشمل وأخطر بكثير بحيث انهيا جعلت وزراءنا يقررونها باستمرار على مستوى القيادات في بلداننا .

لذلك ان اهمية البترول الحيوية ، بالنسبة لشعوبنا ، والمكانة الرئيسية التي يحظى بها في الاقتصاد العالمي ، وفي علاقاتنا مع شعوب العالم الاخرى ، ستفسيان على القرارات التي تتخذها إبعادا سياسية دولية . ولذا فان خطورة القضية وحساسية المشاكل المطروحة واهمية القرارات التي علينا ان نتخذها، ترشت اجراء مثل هذا اللقاء وعلى هذا المستوى ، قصد التشاور والتفكير بما هو عليه الظروف الدولية التي يسودها الغموض والاضطراب لتحليل مسابلها لتحليل طبقا لما لنا من حقوق وما علينا من واجبات .

قد أبرزت مبادرات الاوبيك دورا طلائعيا .. وبما لا شك فيه ، ان منظمتنا استطاعت بفضل ثباتها ، والتلاحم الوثيق بين اعضائها ، ان تفسح دورا طلائعيا ، وذلك باعطاء الوزن الحقيقي للطاقات البشرية التي تملكها بلدان العالم الثالث وبابراز الفعالية التي يمكن لهذه البلدان ان تستخدما من امكانات المتوفين للمواد الاولية . وبهذا تمكنت منظمتنا من تقديم الدليل القاطع ، على ما يمكن ان تحققه البلدان النامية ، في ميدان أولاه المؤتمر الرابع لدول عدم الانحياز مركز الصدارة في اهتماماته .

وفي هذا المضمار يمكن القول بكل تأكيد ، ان منظمة البلدان المصدرة للبترول قد ساهمت وتساهم بقسط وافر في النهوض الاقتصادي للعالم الثالث .

فبر ان الابتزازية لا تقبل بان تجرد من ابتزازاتها بسهولة ، وما التصريحات العلنية والتهديدات السافرة التي ترددت اثر تصحيح اسعار البترول والمناورات التي يقف لاحباط مفعول هذه الاجراءات الا تعبير صريح عن ما هيبة واسلوب الابتزازية ، ودليل بارز بشكل واضح ، انه لن يمر هذه المرحلة الجديدة بدلذات من ملابقات بين الدول المصممة بتحقيق علينا المزيد من الرفعة ، لحماية مكاسبنا نحن والعمل على دعمها .

لقد استخدم مسيرو الاقتصاد الغربي الاجراءات التي اتخذناها من اجل المصالح المشروعة للشعوبنا ذريعة هجومهم او رغبتهم لاتخاذ الاجراءات الضرورية التي تترتب الازمة الاقتصادية العالمية . هذه الازمة التي انطلقت قبل تعديل مسعر تلعنا وما فتئت تشتد خطورتها اصبحت اليوم تشكل تهديدا حقيقيا للاستقرار العالمي .

ومن هنا فان شعوب البلدان المتخلفة المنخوفة من ظواهر الفقر المتفاقم المبارف والفاقة من شبح البطالة والقوض في شتى المجالات أصبحت هي الاخرى تريد ان تربط صعوباتها بنشاط بلداننا الذي صور لها وكأنه المصدر الرئيسي لتاعبها، وكذلك العمل بالنسبة للشعور الجسيم الذي ما فتيء يصيب اقتصاد بلدان العالم الثالث ، ويعزى الى ما يسمى بالزمة البترول .

مزاعم بعيدة عن الحقيقة

اننا نعرف جميعا ان هذه المزاعم تستند بشكل متعمد عن الحقيقة ، وقد أبدت كل الجموعة الدولية رأيها بكل وضوح، في الاسباب الحقيقية التي ادت الى الازمة الاقتصادية العالمية . كما ان الجمعية العامة للامم المتحدة التي خصصت لاول

التحكم في السعر ومراقبة انثروات البترولية تدعوان على تحقيق الانتصار في نضالنا لتحريرنا العاجلة ، والهدوء ، وفي خضم هذه الاحداث ، ينبغي علينا ان نستغل هذه الفرصة الذهبية لتجديد ارادة بلداننا في تحصيل مستولياتها الدولية والقرار سلوك مستقبلي في معالجة المشاكل التي تواجه عمرنا من الشعوب .

وان دعاة سياسة المهادنة ليخطئون تماما عندما يعتقدون ان في استطاعتهم النيل من القدرة النضالية لشعوبنا ، عن طريق تخويفها بالتهديد بالتدخل العسكري ، او تجويعها بالحصار الاقتصادي .

ومهما كان اصرارهم على اتخاذ غيرهم او اتباع انفسهم بان سياسة اساليب التهديد تأتي بثمارها فانهم لن يتوصلوا سوى الى الابتعاد كل البعد عن المشاكل الحقيقية المطروحة وعن الحلول التي ترضيها حتمية التاريخ .

اما فيما يخصنا نحن ، فاننا ملزمون بالعمل ايام شعوبنا وانه لن واجبنا ان نؤكد من جديد وبكل قوة ، حقوقنا الاساسية في ثرواتنا الطبيعية ، وان نحمل مضامينين على حماية هذه الحقوق .

ومن هنا كانعطاء في المجموعة الدولية ان تساعد بالسنطة في تجسيد الحلول الكريمات بمشاكل السامة ، وان تضطلع بمسئولياتها في نطاق مبادىء وقرارات الامم المتحدة .

وعليها اخيرا ان تعلن بسلم الرأي العام العالمي ، حقيقة ما تنطوي عليه اعمالنا ومدى ايجابية الدور الذي قامت ولا تزال تقوم به بلداننا من اجل الحدالة والسلام والاستقرار في العالم .

موازنتنا الاولية ملك شرعي لشعوبنا

على الرغم من الاعلان الرسمي للامم المتحدة ، الخاص بسيادة الدول على ثرواتها ، وعلى الرغم من الاعتراف الصريح بهذه السيادة ، من قبل الدول المطورة نفسها ، فان استمرار بعض التصرفات من طرف الدول الغربية ، ليجعل على الاعتقاد بان الاحترام الحقيقي لهذا الحق ، لا يعدو في نظرها ، ان يكون مجرد آمال في مبدأ شكلي ، وان ظاهرة احياء نظريات كهذه او فلسفة كتلك التي ترهم ان بترولنا ما هو الا ملك على الشيوخ بين القاس قليلة ، لتؤكد حقيقة الاتجاه الذي تسير فيه بعض الدول المتطورة ، بخطئة براعين ثانويـــة واخلاقية بالغة ، قصد التغاضل بها في الوقت المناسب بغرض اضفاء صبغة شرعية امام الرأي العام العالمي ، على كل عدوان مبيت ، وبالتالي فان الامر يتعلق بالتدخل وفرض شراعي في بالقهر تانوني بل والسافي وذلك بغية الغاء حق شعوبنا فيما تملكه وفيما استرجعته بالعمل والكفاح والتضحية .

ومعنى ذلك ، ان الحق الطبيعي للشعوب في ثرواتها الوطنية ، لا يحقى بنفس المفهوم ولا ينظر اليه بنفس النظرة اذا كان الامر يتعلق ببلدان العالم الثالث .

ومن الاهمية بمكان في الوقت الذي اصبح فيه استعمال بترولنا يشكل احدى القضايا الجوهرية في المناقشات الجارية على المستوى الدولي ان تتشبث بلداننا بالمبادىء الاساسية للامم المتحدة ، من ما يعطي سيادة الدول على ثرواتها الطبيعية .

ولكن نرد على ما يجري من اعمال لاستغلاله الرأي العام العالمي ضد بلداننا ، يتبغي ان نؤكد من جديد وبقوة اكثر من اي وقت مضى ، تمسكنا بحقنا وعزمنا على الدفاع عنه ، وان نرفض قطعيا كل نظرية ترمي الى الحد من ممارسة هذا الحق ، والى تقييد سيادتنا وان نعلن ان سعينا في ميدان استغلال بترولنا ، مسقوض على الدوام بما هدى المعطيات الاساسية التي تقضي بالزكون كل مواردنا الوطنية ملكا شرعيا كاملا لشعوبنا ، وان استغلال هذه المواد التي استرجعناها بالكفاح والتضحية لا يمكن تصوره الا بمزاولة تقدير مسبوق لمصالح شعوبنا .

اما في مجال السعر ، فان بلداننا ، لا تريد سوى تصفي فيما بالحاجاتها بدين بخس مما قد يؤدي الى افلاس المنتوج ، كما لا تريد بالمقابل ، اضفاء قرارات مجحفة لا مبرر لها قد ينتج عنها ظلم المستهلك بدون حق .

انتاج البترول بين توفر الطاقة البديلة وحاجة الدول المنتجة

ان المكانة التي سوف يحظها البترول في الاقتصاد العالمي ، مع مراعاةوجود مصادر اخرى للطاقة ، والخصائص التي تميزه عن باقي الموارد المنافسة له ، والدور الذي ليعبه وسوف يلعبه داخل التصاديات البلدان المنتجة ، تشكل كلها بالنظرة عوامل اساسية ينبغي ان نوليها العناية الكاملة ، اذا ما اردنا اجراء تقييم جدي عادل وواقعي لقيمة البترول، ان تحديد المكانة التي ينبغي ان يحتلها بترولنا ، بالنسبة لمصادر الطاقة الاخرى، لا تكون في طريقة لاستغلاله واستلاف راه قد تؤدي الى احلال مصدر للطاقة محل مصدر اخر ولكن يتمثل في الاستهام ضمن اسلوب يتمثل وتصبيد مجمل ثروة العالم في هذا المجال وخاصة اختيار الاولويات لصيانة كل مصدر للطاقة بالنسبة للمصادر الاخرى مع مراعاة توفرها وخاصيات كل منها .

وبهذا الاسلوب في التسيير ، الرامي الى تحقيق تحسين في الاستغلال للثروة الموجودة في جبالها والحفاظ على مصالح الشعوب ، يمكن ان نتفهم ، ان هناك اعتبارات وتقديرات شأنه تخفف من حد الى آخر ومن دقطة الى اخرى وتحسب الى آخر .

وهكذا نلاحظ ان البلدان المصدرة للبترول التي تتمتع بالحافظة عليه ستقاوا تسلك اليوم سبيلا يختلف اساسا عن الذي

انتهجته الشركات البترولية في الماضي ، وترفض اي شكل من اشكال الاستعمال تأثم على الاشراف بان يربولها خير اول مصدر للطاقة بين المصادر الاخرى يحكم عليه بالنضوب .

بالنظر الى مشكل التسمين الخطير الذي يطرح من الآن على البشرية والذي سوف يزداد حدة في العقد القريب بالنظر كذلك لانافي القدرات المالية المحدودة لبعا بعض مدخرات التي تخضع لادوار طبيعية ، فلا مناص اليوم من المحافظة على هذه المادة الاثر من اي وقت مضى ، لان البترول سيكون له فعل لايمكن اعتباره بطاقة مصدر للثقافة فحسب ، ولكن ايضا بطاقة مصدر للحياة وكذا لا نجدد .

ومن جهة اخرى ، فان تقييمنا للثروة العالمية في مجال الطاقة والتصرف فيها يجب ان يأخذ بعين الاعتبار كميات البترول الضرورية للاستهلاك الداخلي ، للبلدان المصدرة ، حتى يمكن على ضوء ذلك التعرف على مدى وفرة هذه المادة غدا في السوق .

ان الاعتماد على المستوى العالمي للاستهلاك الداخلي لبلدان المصدرة وهو بحلول بالقياس الى طاقاتها الانتاجيـــة انما هو اعتماد يقوم على الاشراف بان هذه البلدان ستبقى على حالتها الراهنة من الضعف .

والواقع انه لا طائل من تجاهل التغييرات التاريخية الحتمية والتي ستنتج عنهـا كمن اولئك الذين كانوا بالامس مغمورين الحقوق ، ولا يحسب لهم حساب سين اثبات وجودهم باعدادهم وجاهيـاتهم الخاصة .

وليس من المتعلل في شيء ، ان نبحث عن الاستثمار بمواصلة التحدي للتغييرات ومحاكمتها .

والحقيقة ان جوهر التحدية المتعلقة بقية البترول يتضح في نهاية المطاف من خلال الاختيار بين امرين : اما التلوء بهذه التغييرات التاريخية او رفضها ، ولا يمكن بحال تحكر بلداننا التي اتخذت على عاتقها السهر على حماية مصالح مستقبل شعوبنا ، الا بحسب قبول ثروة ، ان البترول ليس سوى مادة مصدر في مكانها الخام ، من اجل الحصول على مكاسب ، ولذا فان اجراء تغيير جذري على هذه القاعدة المهيدة من الحتمية والواقع ، يشكل احدى قناعاتنا الكبرى المشهودة على الابد الوعود .

ان استراتيجيتنا في التنمية ترتكز على الاستخدام الكامل لهذا البترول ، وهو يؤمن لنا اقوم الوسائل المالية للعيش والتجهيزنا ودعم جهودنا في التصنيع وبناء اقتصادنا ، ومسيكون هو المنـد ضروريا لتلبية احتياجاتنا المتزايد ودعم تنمية الصناعة التي ستتوجد انشاءاتها .

وبتقدر ما سيكون البترول ضروريا ، لانجاز التحول الفعلي في علاقاتنا مع الخارج ، بقدر ما سيشكل في الغد ،

الورقة الرابحة الوحيدة التي يمكن بها تذكير السعوديات الغالية في وجه سياسة بترودولار المغرور بها من المتوجات في الاسواق الدولية ، وسيجب تأخيرها الى حين التكنولوجيا والمهارة والقدرة العسكرية .

٤ اصحاب الجلالة والفخامة .. لا اصحاب السعادة ..

ان معظم بلداننا ما تزال تحتفر كميات ضخمة من البترول تتجاوز ما هو ضروري لها في مجال دعوهاتها المالية . لذا فانها سوف تبقى طلبات لمستهلكين ، اذ انه لابد من وجد كاف لايجاد مصادر اخرى للطاقة ولكن يجب ايضا ان نتسور على الشاسب معدل الانتاج مع الحاجيات الاساسية للسوق ، بقصد من ذلك كلا من التبذير والاستغلال المفرط لاحتياطاتنا ولكي نحافظ في الوقت نفسه على مصالح اجيالنا القادمة ، ومن هنا ينبغي ان يكون التنسيق والتشاور بين بلداننا من المهام الرئيسية لخلفائنا في هذا الميدان .

ان المرحلة الراهنة التي نقمر فيها احتياطاتنا فورا رئيسيا في دورين العالم بالطاقة تشجع بشكل خاص على الثقة والاطمانينة اللتين قد ان لنصم بهما مخاطبنا من الدول الصناعية ، ولان ليترولنا مورا حاسما في حياة هذه الدول من الغموب ، فانه يمثل بالنسبة اليها حوا حقيقيا وحياتيا على حقيقة ايامها التاريخ ، رغم كونه بعد مجرد جبنا بها الطبيعة .

وهي صعيد اخر ، فان حياة بلداننا اقتصاديا الارتباط بعالم اقتصادات اخرى التجارية بما يجعلها عرضة لكل ما من شانه ان يزال بها .

وانا لفي الوقت الذي تملك فيه الدول الصناعية ، ممكنة يؤدي بها الى الاستغناء ذات يوم عن بترولنا ، يجب علينا نحن ان نعمل جماعيا على الاقتلاص من تبعية السوق البترولية لقول الصناعة ، وهو امر تبقيه علينا بالخطوات استراتيجيتها في القصيرة ، وضروريات آمثلا وتحريرا الاقتصادي ، وتنمية لاستخدام مصادر جديدة للطاقة تعويضيا والاضافة الى ما ينجم عن الزيادة المحتملة في عمل انتاجنا الذي سوف نخصصه لاستهلاكنا ، فان حصة البلدان المصدرة للبترول في التموين العالمي يجب ان تخفض الى ان يعد البترول ضمن المجالات النوعية نفس الكفاءة التي تحملها جميع المصادر الاخرى ، وصوف تتبقط بلداننا بهذه النتيجة .

لا تكن اية نزعة انتقائية

انا مقتنع للظرف الحاضر ، فالواقع ان هناك صلة وثيقة بين استخدام بترولنا وحياة الشعوب الاخرى . اننا نؤمن بضرورة حقوقنا فلذا لا نجهل هذا الواقع ونحن حسيون على مراعاته فلك اننا لا نكن اية نزعة انتقامية ، فصلتنا على الاخرآن يصالح الشعوب حتى ولو كانت شعوب تلك الدول التي كانت تضطهدنا وتستغلنا في الماضي .

واذا فان اعمالنا في مجالات البناء الداخلي لا تحظا على تشجيع ولا على بعض تدعوير الوضع الاقتصادي في البلدان الغربية ، بل على العكس من ذلك ، لحظا على البحث مع هذه الدول عن تعاون يعود بالفائدة المتبادلة ويزداد اتساعا باستمرار .

ان الضمان الاكيد الذي نقتضيه على مدى تعلقنا بالاستقرار والنوسع المنتظم في الاقتصاد العالمي وتمثل في المخططات الاقتصادية والاجتماعية التي شرعنا في مباشرتها على الصعيد الداخلي والى حد ما على مساعدة البلدان المتطورة كما يتمثل في الاستعدادات المضخمة التي اعتمدناها مستعملها اليوما التصنيف والمخاطر المرتبطة بالقضية التي تحمل مسئولياتها باستخدام ثرواتنا بأكملها .

ثم ان هذا الاستقرار يجب ان يكون نتيجة جهود وارادة الجميع حتى لايتون مجرد وهم او حل قلقا على مجد التنمية بالامتيازات المكتسبة في الماضي . واذا كان الفرض هو ان يصبح كل واحد سلطانا على مستقبله وعلى حماية ثروة جهده الذي يبذله اليوم فاننا ضد المواقفين على بحث الاحتلال وحصل مسئوليتها والاستحداث لكل التركيبات الضرورية التي تسمح للعالم بان يتطور دون خطر نحو توازن افضل ومعدالة اكثر من النظام الاقتصادي الدولي .

اما اذا كان الامر على العكس من ذلك ينطوي بالاندفاع وراء جغلية فرضها هو الغاء مجمل قيمة هذه المسائل بصورة شكلية على البلدان المصدرة للبترول والاعداء وان عبء الاجراءات التي قد تتخذ للتغلب على الصعوبات العالمية التي يقع على عاتقه البلدان وحدها ، فاننا نقول حينئذ ان هذا الامر يخلو من العدل ولا يمكن ان يتوقعه ال وان يؤدي سوى الى مأزق لا مخرج منه .

السلام مطمح مشترك

ان السلام هو بلا شك اكبر مطمح مشترك بين جميع شعوب المانيوشكل بالنسبة للدول النابية حاجة ماسة وامرا حيويا ، ومن هنا فان قيام تعاون دولي حقيقي هو السبيل الوحيد الذي يسمح لشعوبنا بالتمتع بهذا السلام .

اما الحجج الزينة والحلول الفاسدة التي ويجهها بها ، على يومنا هذا ، فليست من التعاون في شيء .

وما فوائض الارتفاع والاحتياطيات والتدبيرات التي يتلاعب بها بغرض توجيه التهمة الينا ، بل ومحاولة ادانتنا الا حجج واهية لا يمكنها باي حال ان تشوه حقيقتنا .

اما الجهود المتعددة الاشكال التي ترمي الى تخفيض الاستهلاك البترولي لا بغرض القضاء على التبذير ، ولكن بقصد ادارة أنهيار السعر ، واضعافنا ذهي حلول باطلة ، طالما انه في استطاعتنا كرد عليها ان نخفض من انتاجنا وزيد في ممعرنا للمحافظة على مستوى مداخلنا . ان التهديدات التي توجه الينا من حا وهناك واستمرتقوى الدول التي تتحرك تحت ستار وكالة الطاقة الدولية لايمر بدعو حقا الى الاتشتل ولكنها تهديدات لا تخيفنا ، ولذلك لانهض السهل جدا اعطاء اي عدوان من هيث اتى ، يكون الغرض منه فرض السيطرة الاجنبية على منشآتنا البترولية .

وردا على هذه التهديدات يجب ارتضلن ان بلدان منظمة الاقطار المصدرة للبترول سوف تصدر تصاميما الكفيل للدفاع عن حقوقها وحماية ثرواتها .

انه ينبغي الا أستطيع بتلك التهديدات، فالمخططات المعلن عنها بصراحة ، ممن يستقبل ايقاف تام لصادراتنا ، يقسم بدوره على احتمال لا يمكن تصوره الا في حالة تؤدي بمجموعة بلدان منظمة الاوبيك الى رد فعل جماعي تضامنا منها مع بلد او بلدان من اعضاء المنظمة يقع عليها عدوان يرمي الى السيطرة الاجنبية على منشآتها البترولية .

اما الدوافع التي اقرها بعض كبار المسئولين في بلدان متطورة كبيرات لقد تجعل العدوان يكتسب صيغة شرعية ، فان آراء العدوان على ما يبدو قد استقطبت سول فكرة حظر يحرم الدول الغربية من تزويدها بالبترول وهو حظر ربط باحتمال وقوع عدوان صهيوني على البلدان العربية .

الخنق .. الحظر ..

والواقع ان تحمسا دفينا لتصريحات معض المسئولين الغربيين ، يؤدي بنا الى التساؤل من خلال مفهوم الخنق الذي لصبح مفهوم بديلا عن واقع الحظر . هذا اذا لم يكن الهدف من ذلك هو اختلال اسباب لاعداد الرأي العام العالمي لقبول فكرة عدوان محتمل ضد البلدان المصدرة للبترول ، اذا ماحاولت هذه ، مجرد القيام بتنظيم انتاجها ، سواء بوقفه لبرميتوى الطلب الحقيقي او بانخفاض نتائج السياسة النقدية التي تملكها البلدان المتطورة حاليا مما قد يؤدي بها في نهاية الامر الى ان تفضل الاحتفاظ بثرولها على ان تسوقه مقابل وسائل هي الدفع من الاضوضع ترتيبات تدير بشكل منظم وحدائل المتخيفض من تهمتها .

شروط نجاح الحوار الدول الطاقة

اذا كان علينا ان نكون حذرين ازاء كل المبادرات التي ترمي الى الصراع فانه يجب علينا ايضا ان نبد بدنا الى كل حل ينتج سياسة الحوار والتعاون بين البلدان المتطورة .

وطبنا يوصفنا طرفا في المجتمع الدولي
ان تدرس المشاكل الكبرى ، التي تواجه البلدان الأخرى وان تكون على استعداد للاضطلاع بمسئولياتها . فاذا كان لابد من تجديد الأسعار فانه ضروري جدا ، واذا كان لابد من خفضها فانه ضروري كذلك ، ولكن لابد ان يكون هناك بالمقابل وفي نفس الوقت جهود مماثلة من طرف البلدان المتطورة، وان يساهم الجميع كل حسب مستوى امكانيته وامكاناته ومسئولياته في العمل على اصلاح الاقتصاد العالمي واستتباب الاستقرار الضروري للتنمية والازدهار .

وكلنا يعلم ان الأزمة الاقتصادية العالمية هي في الواقع مجرد مرحلة من انتقاء مراحل حاسمة في حياة الأمم . وبالنسبة لبلدان العالم الثالث فان تخليصها الاقتصادي الذي ورثته من العهد الاستعماري والذي ازداد خطورة بمجراه استغلال الاستعمار الجديد ما فتىء يشتد بسبب انعدام التعاون الدولي لصالح التنمية .

وفيما يتصل بالبترول ، فان التضخم المالي والدور النقدي الذي لعبا الا مظهرا عاديا لأزمة قديمة كانت موجودة فيما عدا اعادة تصحيح سعر البترول بارتفاع طويل ودخلت هذه العقود الماضية هي أيضا دورة تضاعف في شدتها فقد كانت تصحبه بترولنا في كثلة الاقتصاديات المتطورة اعلى من ثلث الواحد في المائة قبل الاجراءات الأولى المتخذة بتصحيح سعر البترول .

ومما لا شك فيه ان هذه النسبة ظلت بمعامل أدنى من الثمن في الثلاثة بعد هذه الاجراءات ، اي هذه المعطيات واصحة ، في احصاءات الدول الغربية عامة ، لتلك الفترة .. فان سعر البترول لم يكن له سوى تأثيرات ثانوية على تضخم التضخم الحالي .

ومع ذلك فان تجميد سعر النفط طيلة النصف الثاني من عام ١٩٧٤ ليهبط دون الارتفاع المتواصل لنسبة التضخم في الاقتصاديات المتطورة .

وفي حين ان البيان ان التضخم ظاهرة اولدت وترعرعت نتيجة للتصرفات الأساسية ، التي قام بهـا أرباب الاقتصاديات المتطورة نجد الفوضى وطرق تسييرها .

ولقد تفاقم هذا التضخم ، بصفة خاصة ، عندما اصبحت البلدان المتطورة تحيض فوق مستوى طاقاتها على تمادط هذا الأسلوب في الحياة وتوفير النفقات والاستثمارات الطائشة التي تعتمدها للصلح والحفاظ على البيئة والمهمة وتعد البرامج الرامية الى ايجاد مصادر اخرى للطاقة استعدتها عن بترولنا .

لقد عمدت هذه البلدان الى استغلال ثروات العالم الشاسعة في الوقت الذي اوجدت فيه على نطاق واسع وسائل مصلحة للدفع بحيث اصبح التدهور الاقتصادي قاعدة مطردة منذ سنوات مما ادى بالنظام النقدي الدولي الى جعله

على أننا لا نفكر ان هذا امكانيـا يكون قـد ترتب على فشل المقررة المستوردة من جـراء تصحيح سعر البترول .

وينبغي ان نسجل أخيرا ، ان انقضاء العيد الذي كانت فيه اسعار البترول بعيدة بكيفية مصطنعة ومجحفة ، قد ساهم كثيرا في ازالة الفتاح عن النظام الشاذ الذي كانت عليه الاقتصاديات الغربية دون ان يخلق بالمقابل جديدة .

وعلى كل فاننا مستعدون لبحث هذه المشاكل في اطار مؤتمر دولي يتم بين دول مصنعة ودول نامية ، ونكن يساعد مؤتمر كهذا على اجراء تقارب فعال وحوار مثمر بقبول سياسيا ، فيمن الضروري ان لا يقتصر البحث فيه على مسائل البترول فحسب ولكن يجب ان يشمل أيضا التضخم ، التي تهم بلدان العالم الثالث ، واعني بذلك المواد الأولية ومشاكل التنمية . كما يتعين على مثل هذا المؤتمر ان يولي الاقتصاديا الكبرى للعلويين عناية متساوية على ان لا يؤدي فقط الى التخفيف من الدول المصنعة بما تعانيه من أزمتها بل وكذلك الى ازالة المصعوبات المرهقة للدول النامية كما ينبغي ان يتوصل الى خط الوسائل الكفيلة بتمكين بلداننا من الشروع في تنميتها .

اقتراحاتنا لحل الأزمة تراعي مصالح الجميع

واخيرا يجب ان نتوفر في هذا المؤتمر صفة التفاهم واذا اقتضت اسباب تتعلق بالفعالية ان يعقد في نطاق ضيق من اللازم ان تمثل المجموعة الدولية من خلال المشاركين في هذا المؤتمر .

يجدر بنا ان نقدر حق التقدير حضورة جو هنام افغانستان ، الذي يسود حاليا اليوم ، عشاك وضعية البلدان النامية الأكثر تأثرا بالأزمة الاقتصادية العالمية التي يتفاقم تدهورها ، من حين الى آخر ، في ظل الأزمة الاقتصادية التي تعاني منها الدول المتطورة الأكثر ثراء بالأزمة لها هي الأخرى من الأسباب ما يجعلها تشتغل بوضعيتها .

وينبغي لنا ، نحن البلدان الأعضاء في منظمة الأوبيك ، ان نساهم في التخفيف من حدة الصراع الذي يسمم العلاقات الدولية وفي خلق هـو من الطمأنينة حتى نتطلع نحو آفاق تعاون بناء مثمر للجميع ، وانتا على ذلك قادرون .

لقد آن الأوان لنقف من جدد بجرأة البادرة لكي تقوم سويا بدور ايجابي خاصة في اطار مؤتمر دولي يعقد حول المواد الأولية والتنمية .

وينقص هذه الروح ونبذه الشعابة

عقبت الجزائر الى آيدهـتـرع وزراء الخارجية والبترول والمالية في بلداننا بمشروع اقتراح شامل يتضمن اجراءات في صالح التنمية والتعاون الدولي . .

ان هذا الاقتراح الشامل يهدف الى توجيه الدعوة الى مجتمع البلدان ، التي لها الامكانات الكفيلة بالاسهام فعلا في ايجاد حلول من شأنها ازالة ما تسببه الدول من جراء الأزمة وبن هذه السبل اقتراحنا انواعا ثلاثة من الاجراءات الفعلية للتنمية فورا وفي آن واحد ، التي يعمها تنعيشه البلدان الأعضاء في منظمة الأوبيك لصالح كل من الدول المتطورة والدول النامية ويعمها الأخير يقع على عاتق الدول المتطورة لصالح الدول النامية .

وتشامل الاجراءات المقترحة لصالح الدول المصنعة موضوعات التعاون بالبترول والأسعار وعدم التسوازن في مدفوعاتها الخارجية .

في مجال التعاون نقدر ضرورة اقامة الوقت لتسهيلات التي تهدف الى مجازبة التغير والتنمية مصادر جديدة للطاقة هي ذاتي بالمرء وانتا لنرغي بان تأخذ بن الاعتبارات الذي هو ضروري لتدبدل المدخلة باستغلال حقولنا استغلالا يتوق العمل اللازم والمطلوب لتنمية هايجاتنا العامة وذلك لعدة شهور المسوق البترولية بالكميات الضروري للأمور المادي للاقتصاد العالمي .

وهنا يقض الصعر يحتم علينا ان نذكر بان الدخل المحدد له مقدار سنة معينة كان ادنى بكثير من السعر الذي تبيع بتبع من امكانات الجهود التي مصاحبة بيئة ليترولنا قد فقد اليوم الربع من قدرته الشرائية على الأقل بالنسبة لما كان عليه في بداية السنة الماضية .

وبالرغم من ذلك فبامكاننا ان نأخذ بعين الاعتبار فترة الكثف التي تعانيها البلدان المصنعة الاكثر تصرفا وتقدر الأزمة الاقتصادية الراهنة وان نحدد لها فترة تمتد على نهاية العقد الراهن عن أن رفع المقيدة الحقيقية للسعر الحالي ويمكننا بالاضافة الى ذلك ان نتفق على بدائل خلال الفترة المذكورة تدابير انتقالية تجعل البلدان المستهلكة تستفيد من تصريف اضافية جديرة بتشجيع الجهود التي تبذلها من اجل التصحيح الاقتصادي .

ان مثل هذه التدابير ، التي تتجم عنها تضحيات كبيرة لا يبررها الا تعهد ان الدول المصنعة بتبني الاجراءات الناتجة على عاتقها حسبما وردت من الاقتراح الشامل . كما ان هذه التدابير يجب ان تكون ايضا بمدى الفعالية المطلوبة للمرحلة التي ستتخذ لحماية ناجعة لعائدات تنمية وارصدتها من الخارج . . .

ارصدتنا في الخارج وتصحيح ميزان مدفوعاتهم

ومن الواضح ان التعاون الدولي يقضي بان نتحمل جميـع الأعـبـاء

المتينة التوازنات على حسه خصوصاء .
وفي حالة ابتداع الدول المتطورة من قبول مثل هذه النظرة للامور فلا يمكننا من جهتنا ، الا ان نلجأ الى انتهاج الذرائع وانتهاج الحيطة ، الذي يمكننا من حماية مصالح شعوبنا المحروسة ومواصلة تطبيق سياستنا في التعاون والتضامن مع بقية بلدان العالم الثالث .

ان البحث عن طريق عملية للتعاون من اجل مواجهة المصاعب التي تعاني منها بعض البلدان المختلفة ، يستلزم دراسة مصدر الخلل في موازنين المدفوعات، ويقضي بتكييف مساهمات بلداننا طبقا لما يتهم من العوامل المؤقتة وما يعود منها الى الاسباب المتعلقة بالهيكل الاقتصادي ، والتي هي اساس هذا الاختلال .

ومع هذا فان فكرة التعاون والتضامن تفرح مسألة الانفاق على مطالب الاولويات في حاجيات العالم ، كما تطرح مسألة توزيع عادل للموارد العالمية همدجردة الاستعمال .

ومن الاهمية بمكان ان تكون الدول ، التي تحوش فوق مستوى امكاناتها ، وبالتحولات السياسية الضرورية لاحداث التوازن بين الاهداف والموارد والاولويات العالمية .

وعلى هذا الاساس يجب علينا ان نكون على استعداد لاستخدام فائضنا المالي بشكل يجعله يعود بالفائدة على التوسع الاقتصادي العالمي وذلك بالعمل بوجه خاص على استيعاب ما تعاني منه المجموعة الاقتصادية الاوروبية وبعض الاقطار المتطورة من خلل في موازين مدفوعاتها الخارجية،ذلك الفترة الضرورية لاجتياز صعوبتها الاقتصادي .

وانه لامر عظم ان يتم استخدام ارصدتنا في الخارج بمباشرة مع بلدان المجموعة الاقتصادية الاوروبية والبلدان المتطورة الاخرى ، فلقد اثبتنا لهم اليوم ان الاثرياء هم الذين يجرأون فيستثمرون الارصدة ، التي تملكها بلداننا في الخارج ليتاجروا بها من اجل تثبيت او توسيع هيمنتهم على البلدان التي تواجهه صعوبات على ويسعون الى الحصول من هذه البلدان على تنازلات سياسية هي في الواقع ضد بلدان العالم الثالث وخاصة البلدان الاعضاء في منظمة الاوبيك .

ويبدو ان هذا الاتجاه واضح في الفكرة التي تنادي بها بعض الاوساط لانشاء صندوق للمساعدة تهدف الشروط المفروضة لاستغلاله الى تعويض البلدان المتطورة المتأثرة بالخلل في موازين مدفوعاتها الخارجية على مجابهة البلدان الاعضاء في منظمة الاوبيك وخطط اولئك الذين اقترحوا فكرة هذا الصندوق لتمويله بقسط وافر من ارصدتنا في الخارج .

وليس من اللائق باوروبا ان تستمرع بما تمكنه من هيمنة ، بل يتمكن عليها ان تعمل على اثبات كيفيتها السياسي وتمسكي لضوء مشكلتها بالعمل ، اولا ، وقبل كل شيء ، على ضوء مصالحها الخاصة .

وعلاوة على ذلك يجب ان تحمل البلدان المصدرة على صفقات جديدة تكافئ حماية الاوضاع ، التي تملكها بلداننا لتكفي اليوم ، اكثر من اي وقت مضى اهمية بالغة .

اما ما يحيط بما يسمى بالدور دولار من ظنان تنو جل على مدى التمسك بعملية نصر على تنصيب العالم الرابعين، ان البلدان يتاجتمع بجميع الامارات والعقود ويتمكم في الاقتصاد العالمي وتلك اخرى يحكوم عليها بالخذلان الاقتصادي والاضمحلال .

ان المشاكل العقابية المطروحة في ميدان النقد انما هي ناشئة عن التدبير التعسفي لنظام النقد الدولي ونلجمة عن التصرف الانفرادي في اهم العملات الصعبة، وعن القرارات الجائرة بخصوص سعر الذهب ودوره النقدي ، الامر الذي يشكل تهديدات خطيرة ليس على ولين بلداننا وحد ان الاوان لازالتها اذا ما توفرت ارادة مخلصة لاقامة النظام الاستقرار في العالم .

ان اخطر المشاكل توجد بالبلدان النامية بالذات لذ تتعمم فيها الوسائل اللازمة للتغلب على هذه المشاكل لتعدلها كليا .

خصوصة مشاكل العالم الثالث

والجرز الملحوظ من موازين المدفوعات لناشيء عن افوضاع تخلف في البلدان النامية عامة في البلدان المتطورة ، لان هذا العجز بالنسبة للبلدان المتطورة ، لا يتجز عنه اطلاقا وضع يهدد بالافلاس وهو ظاهرة تنشأ في معظم هذه البلدان في صورة نقص في الوسائل المالية ، لا يحل الا نسبة هامشية من مجمل احتياجها الفوس . ويتفاعل ما لدى هذه البلدان من امكانات مالية هتلفة ثروات صناعية وفلاحية ، ويتفاعل ما لديها من هياكل وقدرات انتاجية تستطيع ان تجد في كل اونة وسائل لمواجهة ومعالجة مثل هذا الوضع .

وهكذا تستطيع ان تتحكم في انتاجها اما بمضاعفة صادراتها او بتخفيض وارداتها حين ان صميم حياتها اليومية يعتمد بشكل اكثر او ان تكون هرمة اقل .

وعلى استطاعتها ايضا ان تجند في الخارج ما لديها من امكانات مالية قد تكون عالة ومثالثي يستهما ان تعمد الى قروض مؤقتة في الاسواق المالية الدولية . وبصفة عامة الى جميع الوسائل التي تكفلها لها نظم تعدي دولي هو خدمتها وخاصة الاجهزة التنمية ، التي تساعدها على امتصاص حجزها مؤقتا

وتكسب الوقت الكافي لاستخدام امكاناتها الذاتية واعادة تنشيطها في الاتجاه ، الذي يتطلبه استيعاب الازمة التي تواجهها ، مثلما حدث بالنسبة لاحد البلدان الذي هو اكبر مستورد للبترول في العالم حيث تمكن في ظل من سنة واحدة ان يترصل الى تعديل ميزانيته التجارية وجعلها تحصل على نائض من جديد .

ايا الامر بالنسبة لعجز بلدان العالم الثالث غير مثقل فيما ، اذ انه يأتي بصفة عامة مزمن سرعان ما تأخذ اثاره طابعا مأساويا، ذلك ان التجارة الخارجية عليه عكس الاقتصاديات المتطورة تحمل الصدارة في الاقتصاديات المختلفة .

وبما ان المقدرة على الانتاج الصناعي في البلدان النامية ضعيفة ، وتكاد تكون محدومة في اغلبها ، فان طبيعة ابسط صادراتها رهينة بمدى قابليتها الاستيراد وبما انه لا يمكنها ايضا تعويض مجزها بالمكانات مالية خارجية من الامكان استدعاءها بمساعدة حقيقية من طرف نظام نقدي دولي وضع اساسا لخدمة الاقتصاديات المتطورة ، فان هذا المجز يؤثر حتى في حياتها اليومية ، لانه بالنسبة لهذه البلدان لا يقتصر الامر فقط على تصعيم حالات طارئة او على مساعدات عاجلة ،بل يتطلب معاجزة الداء الاساسي وهو حالة التخلف . ومن اجل هذا استدعيت الدورة الاستثنائية السادسة للجمعية العامة للامم المتحدة .

لقد انخذت تلك الدورة قرارات تهتم العالم المتخلف حتى يتمكن من تنفيذ هذه، وباعتبارنا اعضاء في مجموعة العالم الثالث فاننا نبتهج من ان نتفق من خلال هذا الوثائق الماضي ، الذي وقعه البلدان المستقلة ذريعة للانسحاب من العمل من جانبنا والتنصل من مسئولياتنا .

ويجدر بنا في هذا الصدد ان نشيد بجميع بلدان العالم الثالث المتأثرة الازمة ، التي رفضت جماعيا ان تشتري بعملات الدولة التي طبعت وما يعني اقبول حظا سنة بقصد اثارة مجموعة العالم الثالث ضد بعض اعضائها من البلدان المصدرة للبترول .

لقد انخذت بلداننا بصفة تلقائية عدة مبادرات في خلال من سنة تجسدت في تعويلات مالية لصالح البلدان الاكثر بلغت بالقياس الى طاقتنا الاقتصادية والبشرية معدلات قد يسبق لهما مثيل بالنسبة لما قامت به البلدان المصنعة من اعمال مماثلة .

وخلال الاشهر الاخيرة عشرة الاولى من عام ١٩٧٤ اعتمدت بلداننا بمجالغ تقدر بنحو ١٧ مليار دولار اي بما يزيد عن ٢ ٪ ١٠ في المائة من مجمل ناتجها القومي ، بينما بلغت التحويلات الفعلية خلال نفس الفترة نحو ٤ مليارات من الدولارات وهو ما ينال حاليا ١٫٥ في المائة من مجمل ناتجها القومي .

لقد تحدثت هذه الأرقام التي وقفت قصيرة جدا مع العلم ان عددا من بلداننا واعنى بذلك البلدان العربية لها من الأسف ما يجعلها تكرس كل طاقاتها وموارده لخدمة نفسها ، ذلك ان حالة التوتر الشديد الناشئة جراء الاحتلال العنصرى التى تقسم عليها الصهيونية لا تزال تهدد أمن هذه البلدان وسلامتها .

واجبات وابيك تجاه البلدان اقامية

ومن ثم ينبغى ان يتواصل جهدنا لصالح بلدان العالم الثالث الاخرى فى نطاق التضامن الذى يربطنا بها وذلك فى الميادين التالية :

أولا : تقديم مساعدات عاجلة لبلدان العالم الثالث المتضررة اكثر من غيرها بالأزمة الاقتصادية ، كما هى محددة فى البرنامج الخاص للامم المتحدة .

ثانيا : ملء فروغ هذه البلدان نفسها قصد تمكينها من دفسع ما يترتب على مشترياتها من البترول خلال فترة تحدد لها بعد .

ثالثا : تقديم قروض خاصة من طرف البلدان المصدرة للبترول تخصص لتنمية بلدان العالم الثالث ويمكن تحقيق هذه الاعمال فى اطار تنكى ، الا انه ينبغى ان تتم بشكل متوازن على مستويات القمية أو متعددة الأطراف وذلك بقية امكانها مزيدا من التضامن الدولى .

ولهذا الغرض وزيادة على الاجهزة الموجودة حاليا مثل الصندوق العربى الافريقى والامريكى والأمريكى اللاتينى ينبغى على بلداننا ان تصعتقد على الخصوص الصندوق الخاص للامم المتحدة وان نلجأ أيضا الى استعمال طرق المؤسسات المالية الدولية .

رابعا : الشروع ، على صعيد البلدان المصدرة للبترول ، فى اتخاذ برنامج لصالح الاسرة الأروبية بنفس عشر وحدات يكون انتاجها معادلا لثلثى ما يستورد منها حاليا لمجموع بلدان العالم الثالث ، ونموذجا قمت اشراف المنظمة العالمية للزراعة والتغذية فى البلدان النامية المتضررة ، اكثر من غيرها ، بالأزمة الاقتصادية مع مراعاة تهيئة القدرات اللاحية فى هذه البلدان . وينبغى ان يقتصر سعر بيع هذه الاسمدة على تكلفتى الانتاج والمواد الأولية التى تدخل فى صنعها كما ينبغى ان تاتصل بلداننا نفقات نقل هذه الاسمدة الى المستفيدين منها .

خامسا : دعم العمليات الرامية الى المحافظة على مستوى استعار المواد الأولية لهذان العالم الثالث كما تعرفت عليه المجلس من عدد من الدول النامية ، وتعهدت بالتنسيق فيما بينها ، فى شكل عمليات خاصة .

صندوق أوبيك للتعاون الدولى

ليس من الانصاف فى الوقت الذى يعتمد كبير من البلدان فى الفقر والجوع والمنظمات والمؤسسات على استخدام أرصدتنا فى الخارج ويكتفون دون محاولة بسيرة رأينا فى الموضوع على اعداد مخططات محددة ومتنوعة الاشكال لاستخدام هذه الأرصدة .

ليس من الانصاف للبلدان الاعضاء فى منظمة الأوبيك ، وهى المعنية الأولى بالامر ، أن تعمل فى ما يبقيها ، على أغلبة أجيزة مالية تتحكم فيها مباشرة وتركتها من انجاز سياستها التعاونية مصورة فعالة مع بقية البلدان النامية والبلدان المتطورة على السواء وتستثمر بذلك ارصدتها بانفسها .

وربما يتم اصلاح المؤسسات المالية الدولية اصلاحا يمكن اعضاء منظمة البلدان المصدرة للبترول من تحمل الدور المسئول المناط بها ، فتقترح الجزائر ان تؤسس هذه الدول صندوقا يبلغ رأسماله عشرة أو خمسة عشر مليارا من الدولارات ، ويمول عن طريق اكتتابات البلدان الاعضاء فى المنظمة ، وعن طريق مساهمات عينية فى هذه البلدان فى شكل قروض . ويقتصر دور هذا الصندوق على استثمار الأرصدة الخارجية ، التى تملكها البلدان الاعضاء نفسه ، بل سيكون بمثابة جهاز يعمل على تحويل فى كل ما يتعلق بعمليات التعاون لصالح البلدان النامية الأخرى والبلدان المتطورة كتلك العمليات ، التى ذكرت آنفا والتى هى موضوع الاقتراح السابق ، الذى عرضته الجزائر على أعضاء بلدان منظمة أوبيك لصالح النامية والتعاون الدولى .

أما الافكار المتعلقة بما يمكن ان تكون عليه ادارة تسيير هذا الصندوق وكذلك الشروط الخاصة بعملياته المختلفة ، تضمنتها الاقتراحات الواردة فى المشروع الجزائرى .

••• ودور الدول المصنعة

كما ينبغى على البلدان المصنعة ان تلتزم هى الأخرى بعمل ايجابى ملموس واسع النطاق من أجل التعاون لصالح النامية ، مثل الجهود الكبيرة ، التى تحتاجها تنفيذا فعليا لتعاون الدولى الضرورى ، ومن الاهمية بمكان ارتفاع مساهمة البلدان المصنعة الى التوصل فورا الى ازالة اشكال الهلة ، التى تواجهها البلدان الاكثر حرمانا والتعجيل بالتنمية الاقتصادية فى البلدان النامية ودعم قابلية هذه البلدان لتطوير وضعها والنهوض بقضاياها الحضارية وثقافية واجتماعيا .

أن مساهمة البلدان المتطورة ينبغى ان تمكن البلدان المصدرة للبترول من تحقيق تنميتها الصناعية والاسراع بالتقلص من الاعتماد اعتمادا كليا على صادراتها من البترول الخام .

وحتى يكون لهذه المساهمة محتوى وفعالية ينبغى ايضا ان تلبى الحاجيات التى نصت عليها قرارات الامم المتحدة وان تكون شبكة تخطيط النشاط المقابلة .

أولا : تمكين البلدان النامية من تثمين مواردها الاولية كلية لخفة اقتصادها ، وهو ما يتطلب بوجه خاص ، اعادة تقييم سعر بيع هذه المواد وحساسة قيمتها الحقيقية . كما يتطلب ان لاتعرقل البلدان المصنعة نشاط اقتصادات المنتجين فى البلدان النامية ، وان لا تحول دون مسعى هذه البلدان للاشراف على اقتصادها ، وان تحسم اخيرا مسالة المساعدة على تحويل المواد الاولية فى البلدان المالكة لها وان تنظم على مستوى دولى .

ثانيا : تنظيم تيار قوى التحويل التكنولوجى الحقيقى الى البلدان النامية بكيفية تسمح لهذه البلدان ان تصنع داخليا ما تحتاجه من منتوجات فى مختلف ميادين الصناعة بما فى ذلك الفروع الدقيقة التكنولوجيا المتقدمة .

وهو يتطلب القيام بدراسات وتعهدات من قبل حكومات البلدان المتطورة تعهد وضع حد للتردد الملحوظ ، لعهد الان ، لدى المسيرين الاقتصاديين فى هذه البلدان .

ثالثا : مضاعفة التحويلات المالية لصالح التنمية حسب الحاجيات ووفقا للقرارات الامم المتحدة .

وحبذا ان استخدام جزء من رؤوس اموال البلدان المصدرة للبترول ، فى اطار قروض لشراء تجهيزات وخدمات ، تجر تدفقا ماليا صوريا على البلدان المتطورة المزودة لها بهذه التجهيزات والخدمات ، بتقنى تمعيد قيمة بها البلدان المتطورة ازاء البلدان صاحبة رؤوس الاموال من ناحية ويتقلص من ناحية أخرى ان صعتعيد البلدان النامية المترتبة من رفع مستوى قدرتها على تحمل الدين .

رابعا : عدم اللجوء الى القرارات الانفرادية فى الميادين ، التى لها صلة بحبكة العملات الاحتياطية الرئيسية ويتطلب ذلك اعادة تنظيم المؤسسات المالية الدولية بقصد وضع حد لهيمنة دولة ما داخل هذه المؤسسات ، وبنية

إرادة حقوق بلدان العالم الثالثة في الديمومة بشكل كامل لها المشاركة في اصلاح النظام النقدي الدولي وفي صموده وذلك بتقدير جماعيا متكافئا مع باقي البلدان المتطورة .

خامسا : وضع حد لكافة الاجراءات الهجمية تجاه البلدان المصغرة للبترول، سواء في ميدان التجارة والحرية للاسعار أو في ميدان المساهمة من اجل التنمية .

ان البرنامج المتكامل المتراكم في البلدان النامية في المجالات التكنولوجية والاقتصادية والنقدية يستوجب على أن الاستغلال الاستعماري والامبريالي قد حرم هذه البلدان من الاستفادة مباشرة لثرواتها وحصل في نفس الوقت على ابقائها بمعزل عن التقدم العلمي والتقني.

ومما يزيد الطين بلة حدة ان التواعد والمؤسسات التي تحكم في علاقاتنا بالعالم المتطور لا تقوم اساسا بمعالجة بلداننا وان التعاون الدولي ما كان يكون منعدما .

ان طبيعيات العالم القاسي ، كما ونوعا ، تقتضي ممارسة هامة من الدول المصنعة من شأنها ان تبعث نزعة ايجابية للنجاح في كفاح ضد التخلف .

وان البلدان المتطورة ، اذ تقبل بجدية سلوك طريق التعاون من اجل اقامة ، فانها بذلك لا تلبي بمطلبات المضامين والاستقرار العالمي ، فحسب، وانما تعمل ايضا على رفاهية شعوبها. وبالفعل فبمجرد دخولها في اعمار اقتصادي للقيمة ستصبح منطلق العالم الثالث على اتساعها حقلا لازدهار التجارة الدولية الامر الذي سيوفر لجميع شعوب البلدان المتطورة امكانات جديدة متجددة وروافعة لمضاعفة ثمرة جهدها وجهدها وزيادة دخلها .

وفي ظروف عالم يسوده ، على الصعيدين السياسي والاقتصادي ، جو من التوتر والتخوف الشامل فاننا نعرب عن ايماننا بامكانية احلال الطمأنينة محل القلق والتعاون محل التوتر .

بين اعضاء مجموعة البلدان الثلاثين بأسرها .

وكما نبهت بلداننا في المناقشة فمن هذه المجموعة الدخل الطبيعي لاعمالها من اجل الدفاع عن مصالحها ، خلقها سلطة في المستقبل ايضا ، اذ ان آفاق التبادل والتعاون على نطاق واسع بين بلداننا انما التوفر على مستوى تلاحم هذه المجموعة .

ان التأخر الماثل المتراكم في البلدان النامية في المجالات التكنولوجية والاقتصادية والنقدية يستوجب على ان الاستغلال الاستعماري والامبريالي قد حرم هذه البلدان من الاستفادة مباشرة لثرواتها وحصل في نفس الوقت على ابقائها بمعزل عن التقدم العلمي والتقني.

ومما يزيد الطين بلة حدة ان القواعد والمؤسسات التي تحكم في علاقاتنا بالعالم المتطور لا تقوم اساسا بمعالجة بلداننا وان التعاون الدولي ما كان يكون منعدما .

ان طبيعيات العالم القاسي ، كما ونوعا ، تقتضي ممارسة هامة من الدول المصنعة من شأنها ان تبعث نزعة ايجابية للنجاح في كفاح ضد التخلف .

وان البلدان المتطورة ، اذ تقبل بجدية سلوك طريق التعاون من اجل اقامة ، فانها بذلك لا تلبي بمطلبات التضامن والاستقرار العالمي ، فحسب، وانما تعمل ايضا على رفاهية شعوبها. وبالفعل فبمجرد دخولها في اعمار اقتصادي للقيمة ستصبح منطلق العالم الثالث على اتساعها حقلا لازدهار التجارة الدولية الامر الذي سيوفر لجميع شعوب البلدان المتطورة امكانات جديدة متجددة وروافعة لمضاعفة ثمرة جهدها وجهدها وزيادة دخلها .

وفي ظروف عالم يسوده ، على الصعيدين السياسي والاقتصادي ، جو من التوتر والتخوف الشامل فاننا نعرب عن ايماننا بامكانية احلال الطمأنينة محل القلق والتعاون محل التوتر .

وانتا لعلى يقين في حالة ما اذا لم نداوئنا صداه واذا ما نبهت البلدان المصنعة أن تتضم الى أعمالنا وتؤيدها فان ذلك قد يكون بمثابة بواعث لبزوغ عهد جديد في تاريخ العلاقات الدولية .

ومما لا جدال فيه أن الأزمة الحالية التي هزت الاقتصاد العالمي وسلطت أضواء كاشفة على العوائل التي اثرت في العلاقات الدولية انما يعود اليها المشاكل وعلى الرغم وبضرورة احداث تغييرات جذرية على الاقتصاد العالمي .

ذلك اني بعد وجوده بمثابة ثورة اذ انه يؤكد على أن الأزمة الحالية ، أزالت عملا، تطوي على أخطار جسيمة ، بقي كذلك تعمل على طيلتها آمالا عريضة ..

ليل تعرف البلدان المتطورة كيف تتقبل هذه الفرصة التاريخية وتبادر الى العمل بمثل الجسيم التطلعات العميقة لشعوب الارض في ظل العدل والطمأنينة والتعاون الذي يعود بالنفع على الجميع .

وبما يكن من أمر فان نحن واجبنا نحن أعضاء منظمة البلدان المصدرة للبترول أن نعمل بصورة ايجابية حتى يستهل التاريخ أننا قد بذلنا كل ما في وسعنا لتوفير كل الفرص من اجل تحقيق هذه الآمال .

ان المبادرات التي يحق لنا ان نتخذها اليوم قد تكون مبادرات فاصلة ونحسن من جهتنا لا يفلتوننا أدنى شك في نتيجة عملنا . وكما أثر التاريخ بالماضي الذي يعرفه الجميع كعاملنا ومشاركنا في الماضي من أجل استجابة سيواجهنا وتواجهنا غده سيقر كذلك أعمالنا في الحاضر من أجل الدفاع عن مصالح شعوبنا ومن أجل التعاون مع باقي شعوب العالم .

اصحاب الجلالة والفخامة حيث

اصحاب السعادة ...

مرة أخرى أتيني لكم مقابلة لفيا بدلتا وكلمالنا مطلق النجاح ...

والسلام عليكم جميعا

الطليعة

ملحق الأدب والفن

- محمد مندور .. والتراث النقدى
- المـــرأة : فى أدب نجيب محفـوظ
- سينما أمريكا اللاتينية .. فى القاهرة

في هـذا العدد :

● **صورة الثقافة في مصر أمام الأدباء العرب**

— ٣ قصائد من باريس

— محمد مندور .. والتراث النقدي

— المرأة : في أدب عبد الحليم عبد الله

— هـذا الفنان .. وعالمـه

● **الأدب والفن في شهر :**

— مشاهدون سينما أمريكا اللاتينية في القاهرة

— حول دراسة الدكتورة لطيفة الزيات
عن المـرأة في أدب نجيب محفـوظ

■ مؤتمر الأدباء العاشر ومهرجان الشعر فى الجزائر ■

يكتب هذا التقرير ، للمطبعة ، نعمان عاشور عقب عودته من الجزائر حيث شارك فى المؤتمر العاشر للأدباء العرب وندوة الشعر هناك .. هى المرة الاولى التى يتاح فيها لكاتب مسرحى مثل نعمان عاشور المشاركة كعضو فى وفد رسمى للأدباء المصريين لدى مؤتمرات الأدباء العرب .

صورة الثقافة فى مصر أمام العرب

نعمان عاشور

من سنوات غير بعيدة .. ارتحلت للاقامه فى الكويت هما وبعض عام .. وأتيح لى الالتحام بمجموعة من المثقفين العرب هناك .. وكتبت فى أكثر من مناسبة وفى أكثر من مقال وفى أكثر من جريدة ومجلة .. عن ضرورة وأهمية تبادل اللقاءات بين الادباء العرب فى مختلف البيئات .. بشرط الا تكون لهذه الزيارات أى صفة رسمية . بل تتم على اساس المعايشة الفعلية للبيئات الشعبية بحيث يتحقق للاديب العربى كفنان خالق .. أن يتنسم العبير المحلى الطلق للبيئة العربية المحلية .. فى تونس أو العراق أو اليمن مثلا . فتتكامل فى داخليته الجوانب الصورة الحقيقية للاطار الاجتماعى « تشرب الروح الفعلية للانسان العربى الحى فى داخل هذا الاطار .. ومدى ما يمكن أن يتمثله من خصائص مميزة لكل بيئة على حدة ويكون مكملا ومدعما للكيان الشامل الذى تتكون منه البيئة العربية فى مجموعها . ولقد دعوت الى أن يتم ذلك عن طريق التبادل بين الروابط الادبية خارج التعديدات الرسمية ..

والحق أن شيئا قريبا من هذا يحدث .. ولكن بين الصعفين وحدهم .. وتكون النتيجة دائما .. كتابات اعلانية وريبورتاجات خبرية خاطفة وصورا فوتوغرافية ملونة .. لكن مثل هذا التلاقى المنشود لا يحدث ولا يتحقق على شكل نتاج فنى متأصل تتوافر فيه النكهة العربية المحلية للبيئة المعاصرة مع النكهة العربية المتأصلة فيها .. ولقد أتيح لى أخيرا أن أسافر لمدة أيام الى الجزائر ضمن وفد رسمى لحضور المؤتمر العاشر للادباء العرب وندوة الشعر هناك .. فتأكدت لدى أهمية وقيمة مثل هذه الدعوة التى ناديت بها من سنوات .

قضية التعريب

ومن ثم نتقل حديثنا الى الجزائر ..

بلاد جميلة ساحرة .. غنية بطبيعتها بقدر ما هى غنية بروح شعبها الجادة الواثبة المتطلعة الى أسطع آفاق المستقبل .. تعيش حضارة العصر بنبض خفاق وتجاهد للالتحام بالحضارة العربية التى حاول الاستعمار الاستيطانى الفرنسى أن يفصلها عنها بالقضاء على اللغة العربية فيها .

قضية التعريب فى الجزائر هى القضية الاولى .. تقف على رأس قضايا التنمية هناك .. واللغة الفرنسية لا تزال غالبة ومعظم الكتاب الذين أنبتتهم أرض الجزائر من الجيل المواكب للثورة .. يكتبون بالفرنسية .. وأبرزهم كاتب بس أمين اتحاد الادباء .. وهو يعيش مأساة لغوية لانه كما يقول سجين « الفرنسية » لكن شباب الجزائر .. أبناء المليون ونصف .. لا المليون شهيد فقط .. هم الذين يكونون الاغلبية فى مجال النشاط الادبى والفنى والفكرى .. واهتمامهم وحرصهم على التعريب يفوق التصور .. ويؤكده وفرة وكثرة الشعراء بينهم وعلى صورة مشرفة بالفعل ...

المؤتمر

ان أبرز مظاهر التوفيق عقد هذا المؤتمر العاشر وندوه الشعر فى الجزائر .. فهى الارض

العربية التى تتطلب مثل هذا النشاط .. وقد كان أخوة الجزائر عند حسن الظن بهم فيما قدموه من تسهيلات وما أتاحوه من فرص أمام كافة الوفود .. كما وان معظم الوفود المختارة لشهود المؤتمر كانت عند المستوى الذى يجاوب الموضوعات المطروحة ... ولقد غلب على معظمها الطابع التقدمى كما تركزت الموضوعات فى مناقشة :

أولا : العلاقة بين الادب والثورة .

ثانيا : صلة الادب بالتطور الاجتماعى .

ثالثا : تأثير الثورة الفلسطينية على الادب العربى المعاصر .

كما وان المؤتمر قد أفرد مجالا لدراسة ومناقشة ثقافة الطفل العربى وأدب الاطفال .. وهو من النقائص التى نعانيها جميعا فى مختلف بيئاتنا العربية .

ولا سبيل الى تلخيص الكلمات التى ألقتها الوفود أو تقديم معالم الدراسات والبحوث التى طرحت فى اللجان .. وأعتقد أن الامانة العامة للمؤتمر ستحرص على طبع هذه الوثائق وغيرها لطرحها على أوسع نطاق .. ولكى تكون فى متناول الاديب العربى فى كل وطن . ذلك أن الكثير من الكلمات والكثير من الدراسات تحمل العديد من وجهات النظر البناءة التى تشكل ما يمكن أن يكون معالم رئيسية للمسيرة الادبية لعالمنا العربى كله ..

وقد انصب جل اهتمامى على متابعة التيارات الادبية التى تغمر حركات الادب المحلية فى كل قطر .. وخرجت بنتيجة واضحة هى ان تيار التقدم هو التيار الغالب بغض النظر عن الايديولوجيات الكامنة وراء التيارات المختلفة .. ولكم كان بودى أن نساهم بنصيب أوفر فى التحضير لمثل هذا المؤتمر ببحوث ودراسات ترتفع الى مستوى الموضوعات المختارة للمؤتمر .. وكلها موضوعات تتركز منابتها القوية فى الحياة الادبية المصرية كعصب وأساس لكل ما يجتاح البيئة العربية من تطورات واتجاهات وأهمها بروز الادب التقدمى والفكر التقدمى . . . فليس هناك من ينكر أن فى مصر أدب وطنى تقدمى وفكر وطنى تقدمى له الغلبة وله القوة وله المنعة بين كافة المثقفين لانه أدب المستقبل وفكر المستقبل ..

مهرجان الشعر

أما عن مهرجان الشعر فقد كان أسطع ظواهره ما تجلى من قصائد لشعراء اليمن الشعبية والبحرين والشعراء الفلسطينيين .. هذا فضلا عن الاشعار المتفوقة للمهدى الجواهرى .. شاعر العراق التقدمى البارز .. فقد اتحفنا بأكثر من قصيدة .. ولعل أهم ما كشفت عنه لقاءات الشعر تأكد ورسوخ تيار الشعر الجديد أو ما نسميه الشعر الحر لدى شعراء لهم مواقفهم وأصالتهم وان كان هذا لا يمنع من الاعتراف بقوة وجدارة القصائد التقليدية وبالذات عند شعراء الثورة الفلسطينية . على أن الظاهرة المثيرة فى الشعر هذه المرة يجلوها عنصر الالقاء الذى يقرب الشعر العربى من التجاوب الجماهيرى الحى ويحرره من أصفاد الذاتية .. خاصة اذا ألقى فى أداء درامى نابع من درامية القصيدة نفسها .. لان هذا كفيل باخراج الشعر من التهويمات الغنائية الى حيوية التفاعل الدرامى .. وقد كان ابرز ما تحقق فى هذا السبيل . القصيدة الدرامية التى قدمها ببراعة وحرارة شاعر اليمن الشعبية .. عبد الرحمن فخرى ..

ففى الوقت الذى كان فيه بعض الشعراء لا زالوا يلقون قصائد المديح والهجاء وهى من مستهلكات القرون .. الى جانب السباب المقذع وعلى صورة مستنكرة منفرة أشاحت عنها الجماهير بنفور .. كان عبد الرحمن فخرى يغازل جماهير الحاضرين بقصيدته الدرامية الشيقة وبالقائه الدرامى الممتع وبوعيه المتفتح الغامر مطورا مقومات الشعر الجديد فى قالبه الدرامى الوهاج وهو يتغنى أو على الاحر يتجادل بقصيدته المتفوقة .. « رقصة السيف .. والخيط الرفيع » .. واليكم بعض مقاطعها :

المقطع السابع ..

قال الراوى –
فيما قال :
كان الاجداد .. بلا ماضى ،
يلقون الحب .. بلا ميعاد ،
ويسمون الحب حربا ،
وينادون الحرب حبا .
والقمر فتى ،
والشمس فتاة .
والبحر ضياعا فى الملكوت
والصخب سكوت
يبنون من الاشجار بيوت
ويموت التوت ..
توت .. توت . توت .
قال الراوى –
فيما قال :
كان الاجداد – بلا شعر :
فى سوق الشعر
يبكون « أبوللو » فى الاطلال
وجوارى الحرف
ويغنون ظريف الالحان
وينام الليل من الضحكات
عند الاقدام
وينام الشعر
فالشاعر ابله فى القصر
بين الندمان
الشاعر مأجور الحرف
بين الاقنان
يبنى الكثبان من الزيف
باسم السيف ..
« طرف الاعين قاتلنا »
قد قال الجد
غزل مكتوب بالسيف ،
فى بيت الشعر .
« خيل – ليل – بيداء »
« سيف – رمح – وقلم »
قد قال الجد
فالقلم اخير فى الارقام .
القلم سلام .
القلم سلام .
والسيف ، بلا شك ، ظافر
جدى ، يا جدى العاشر .

سيفك [أصدق أنباء]
من كتب العصر .
سيفك من لهب فاتن
يحمى الحاضر
والعصر بلا قلم ماكر
كر .. كر .. كر .

والقصيدة طويلة وجميلة وجديدة في مبناها ومعناها ووقعها والقائها ..

خارج القاعات

فاذا انتقلنا من قاعة المؤتمر الكبرى .. وخرجنا من لقاءات الشعر الى ساحات الجموع . كانت ظاهرة الظواهر .. أدباء الجزائر .. وكلهم من الشباب الغض الذين ترعرعوا في ظل سنوات النضال ومعارك التحرير في جميع الساحات .. انهم يتابعون الانتاج الادبي والفكري في كل وطن بشغف واصرار ويحرص ورغبة قوية في الارتباط به والافادة منه ..

سألتني طالبة في جامعة قسنطينة عن سبب تركي للقصة القصيرة ولماذا لم أكتب شيئا في مجالها بعد « حواديت عم فرج » ولاحظت دهشتي حين سماعها وخشيت ان تكون قد ضايقتني بعد ان أخبرتها بان لى بعدها أكثر من مجموعة . وكان ان جاءت في المساء تحمل نص مسرحيتي « الناس اللي تحت » في طبعتها الاولى .. الشباب هناك في تعطش تام للكتاب المصرى والعربى .. ولا أدرى السبب في ندرة وجود المؤلفات والكتب هناك ...

ولقيني أديب مغربى يحمل رسالة لاستاذ جامعى من الرباط . عنوانها « النظرة المستقبلة في مسرح نعمان عاشور » شيء غريب !! والغريب منه أنه لم يكن يعلم بوجودى وانما جاء بالرسالة ليحملها الى زميل جزائرى في وهران يدرس هو الاخر بعض مسرحياتي .. هؤلاء الناس يعيشون معنا أكثر مما نعيش مع بعضنا البعض .. واذن فما سبب هذا الهوام الذى يحوم فوق حياتنا الادبية والفكرية ... الا ان يكون من فعل المغرضين مشبة كالسنابج أو كالبعوض !!

ولا أكاد أرتد الى الفندق انشد الراحة حتى التقى بمجموعة أخرى من الشباب وفى ايديهم عشرات الاسئلة عما كتبت وما اكتب وما أنوى كتابته .. وادخل حجرتي فيجافيني النوم وقد خلا كياني من أى غرور أو زهو .. بل شعور كامل بالمسئولية أمام كل هذا الاهتمام .. ان كل ما نكتبه هنا في مصر محسوب علينا هناك .. وليس في الجزائر فقط .. فلكم جلست وكانني أمام محقق قضائي في مواجهة ناقد فلسطيني أو أديب تونسى يطرح على العديد من الاسئلة حول مسارنا الادبى ومتجهنا الفكرى . واعترض على نوع الاسئلة واسلوب طرحها فيكون ردهم دائما ان :

« أنتم الاساس .. مصر هى الام ... هى مركز اشعاعاتنا الفكرية ومنار حياتنا الأدبية »

الادب في مصر بخير

ويجيء صباح اجلس فيه وسط جمع من الكتاب والادباء الجزائريين الشبان ... يطالبوني بعقد ندوة عن المسرح المصرى .. ويحاول بعضهم أن يتجنى على ما يجرى في مسرحنا القائم وما تقدمه الفرق التجارية من عروض عابرى للدفاع .. ليس هذا هو المسرح الذى نريده وننشده ولكنه لون من الوان العروض المسرحية الموجودة في كل وطن .. موجود في انجلترا مثلما هو موجود في فرنسا ولا يعيبنا وجوده في مصر .. فلدينا المسرح الجاد الذى يقارعه .. وتعقد الندوة على آخر يوم ، ويتكرر نفس الهجوم .. لقد انتهى وجود المسرح في مصر .. فأصرخ بأعلى صوتى « أبدا .. والدليل وجودى بينهم في الجزائر وفى عضوية وفد مصر .. ممثلا للمسرح المصرى الجاد الملتزم » .

واستعيد حديثا تليفزيونيا أجريته من يومين حول نفس الموضوع قررت فيه .. ان ليس في مصر أحد يطلب من الكتاب والادباء ان يصادروا اقلامهم الى ما تمليه عليهم ضمائرهم .. وندوة تليفزيونية حول النقد والنقاد أؤكد لهم فيها ان جمهورنا على درجة من الوعى كفيلة بان تحميه من اى تزييف او خداع من جانب أى ناقد مضلل .. ثم تتقدم الى سيدة بارعة تطلب الاجابة على أكثر من عشرين سؤالا تدور كلها حول المسرح المصرى ..

واخرج من هذه الاسئلة والاحاديث والندوات بفكرة راسخة ثابتة .. هى ان هناك الكثير من الاحكام المتسرعة . واخشى ان أقول الطائشة الهوجاء التى كان من واجبى ان ادحضها لان الحياة الادبية المصرية والتى اصبحت تتمثل في المسرح كبؤرة ثقافية مشعة وكمعهد كلى شامل لجميع الفنون المعاصرة .. تحتاج الى من يجلو صورتها الحقيقية في اذهان الاخوة العرب ..

نعم ... هناك الكثير من السلبيات والمعوقات والنوازع الشخصية والظروف غير الطبيعية التى تؤثر على تطور الحياة الادبية في مصر ، وبالتالي تنطبع بصورة مضخمة على الحياة الادبية في مختلف الاقطار العربية .. ولكنها أبدا لن تكون الاصل والاساس في الحكم على الحياة الادبية في مصر لان حياتنا الادبية تستمد جذورها من العمق الحضارى الشاسع الذى يمتد عبر قرون عديدة من التطور الفكرى والادبى والفنى .. وترتكن في اصولها على القاعدة الواسعة العريضة للشعب المصرى في التحامه الظاهر مع الشعوب العربية كشعب طليعي رائد يعي حقيقة دوره الدائب المتصل في خدمة الحضارة العربية خاصة والحضارة الانسانية على وجه العموم ..

فليطمئن الاخوة العرب الى سلامة التطور الفكرى والادبى والفنى في مصر .

٣ قصائد
من باريس

■ هذه القصائد كتبها فى باريس الشاعر احمد عبد المعطى حجازى الذى يقيم هناك منذ سنتين .. وهى تعبير عن انطباعات الشاعر فى الحنين الى شعبه من خلال لقاءاته بالجرحى من ابطال حرب اكتوبر الذين يعالجون بمستشفيات فرنسا ■

شعر : أحمد عبد المعطى حجازى

● تعارف

آه !
ها انتم تكشفون لى السر وحدى ؛
وكنتم تسيرون فى المدن الاجنبية ؛
تخفون اسراركم فى ثيابكم الداكنة اللون ؟
تحت سواد العوينات ؛
ها انتم تكشفون لى السر وحدى ؛
هل رايتم دمى يتشمم فيكم صباه ؛
لمحتم منازلكم تحت جلدى
فكشفتم امامى ما تسترون ؟
وكنتم تسيرون سربا جميلا غريبا ؛
يراوغ كل النداءات ؛
يخفى وراء تهدل الوانه دمعه الغائر المتجمد .
كانت دماؤكم تتدفق غافلة
فى الدروب التى الفتها ؛
وكنتم تردونها عن يد ذبلت ؛
أعين ملات خرزا دامعا .
أين اعطيت عينيك ؟
تحت النجوم التى سطعت مرة فوق خدى
ولمن انت اعطيت ساقك ؟
اعطيتها للذى سوف يولد بعدى !

●

انظروا أيها القادمون بأنصاف أجسادهم
من قرى ستظل تقاسم ابناءها لحمهم
انظروا !
كم هى الان فاتنة هذه المدن الاجنبية !
كيف تكون بها حاجة الغرباء لاقدامهم ولاذرعهم
آه !

لكنكم تعبرون جمال المدينة مثل طيور سماوية
متلفعة بنبالتها
وانا لا ازال اتابعكم
ضائعا فى شوارعها
اتحسس لحمى الذى يتعفن فيها
وادخل فى الليل لحدى !

الاهداء : الى جرحى الحرب العرب الذين قابلتهم فى باريس .

بطـــالة

أنا والثورة العربية ،
نبحث عن عمل فى شوارع باريس ،
نبحث عن غرفة ،
نتسكع فى شمس ابريل ،
ان زمانا مضى ،
وزمانا يجىء ..
قلت للثورة العربية :
لابد أن ترجعى أنت ،
أما أنا ، فأنا هالك
تحت هـذا الرذاذ الدفىء ..

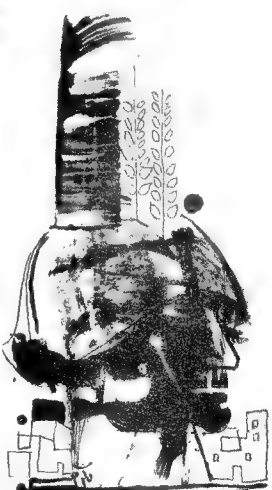

ثلـــج

البيـاض مفاجأة
حين عريت نافذتى ،
شدنى من منامى النديف
الذى كان يهطل مقلدا
مانحا كل شىء نصاعته
ومداه الشفيف
شدنى معه . كان دواته من رقيق
جذبتنى لها فرحلنا معـا
وانطلقنا نرفرف من غير ظل
ونرقص بين الصعود وبين الهبوط
يراودنا العشب والارض والشجرات العرايا
ومتكآت النوافذ والشرفات
وأيدى الصغار وأيدى الصبـايا
وأيدى التماثيل والكائنات المطلة فوق السقوف
بياضا تقلب فى ذاته
كرفوف من البجعات على نبع ماء
يمسحن شهبة أعناقهن الطوال
على ريش أجسادهن الوريف
ثم أشرقت الشمس من فوقنا
فسقطنا معا .
وانحللنا معا فى رتابة لهذا السواد الأليف !

محمد مندور والتراث النقدي

الدكتور محمد مندور

جابر عصفور

اتخذ موقف نقدى من التراث لم يتم الا مع سيطرة فكر جديد تبناه جيل هيكل وطه حسين والعقاد وغيرهم . قد يختلف أبناء هذا الجيل فيما بينهم ، ولكن منطلقاتهم الفكرية التى تبدأ بالفرد ، باعتباره طاقة خلاقة لقدرتها الفاعلة على تغيير الاحداث وتوجيه حركة التاريخ ، كانت تنتهى بهم الى التركيز على « الذات المبدعة » لهذا الفرد ، وبالتالى فهم نتاجه الادبى على أنه تعبير عن هذه الذات فى تفردها وفى تصورها على السواء . وكان لابد - فى ضوء هذا الفهم - أن يعاد النظر فى التراث الادبى ، عبر اتجاهين يؤدى كلاهما الى الاخر ، اعنى اعادة النظر فى التراث الشعرى ، الذى ظل متواصلا - بايجابياته وسلبياته - فى شعر الاحيائيين لمثال حافظ وشوقى ، بالمثل - فى جهود المرصفيين ، وعلى عبد الرازق ، ومحمد عبده ، واليازجى ، وغيرهم .

لما على مستوى التراث النقدى فكانت جهود الجامعة المصرية تتبلور منذ اوائل العشرينات ، وقبل أن يصدر طه حسين كتابه « الشعر الجاهلى » (١٩٢٦) بسنوات . كان أحمد ضيف يقدم (فى ١٩٢١) موقفا جديدا « لدراسة بلاغة العرب » ، وهو موقف يبدأ بوضع جهود القدماء فى اطارها الصحيح ، ولاينظر اليها على انها عبدة الاراء او الاصل الذى ينبغى أن يحتذى ، وانما على أنها محض اجتهاد ينبغى أن يناقش ، فى ظل فهم جديد للنقد ، يفصل دراسة الادب عن مناهج العلم ، ويسلم بظهور اثر الناقد الشخصى فى حكمه ، والاعتماد على الذوق المدرب ، والتأكيد على أن « النقد التعاهدى أو المذهبى » يرمى الى تقييد العقول والافكار ، وحملها على اتباع طريق واحد فى الفكر والتصور والخيال ، والى الحكم عليها حكما عاما بطريقة واحدة » (١) .

وفى أوائل الثلاثينات كان امين الخولى يناقش صلة البلاغة العربية بالفلسفة (١٩٣١) وطه حسين يكشف الاصول اليونانية فى البيان العربى ، من الجاحظ حتى عبد القاهر (١٩٣٣) . أما طه ابراهيم فكان يطرح - من خلال تاريخه الجليل للتراث النقدى حتى القرن الرابع - سؤالا فى غاية الاهمية « ايستطيع ناقد الادب أن يستعينوا بطرق العلم ؟ أيستطيع العلم ان ينقد شيئا اخص عناصره الشعور ؟ » (٢) . ان اى محاولة

---

١ - مقدمة لدراسة بلاغة العرب /٩١

٢ - تاريخ النقد الادبى عند العرب/١٢٩.

لفهم الادب من خلال قواعد العلم أو قوانينه مرفوضة عند طه ابراهيم ، لان العلم يقوم على القانون العام ، بينما النص الادبى حدث متفرد ، لايمكن أن يخضع لقانون عام أو قاعدة مضطردة ، فضلا عن أن القانون العلمى لا يختلف فيه الافراد ، اما المقياس النقدى فمحل خلاف لان عماده « الذوق الفنى » الذى لا يمكن — بدونه — فهم النصوص الادبية أو الاحساس بما فيها من عناصر • وفى ضوء هذه النتيجة يعيد طه ابراهيم ترتيب النقاد القدماء ، فيبرز اللغويين الذين آمنوا أن النقد صناعة وثقافة ، لابد فيها من دربة « وأن من جمال القول مالا تصل اليه العلل ولا يأتى عليه البيان » ويقلل من اهمية ابن قتيبة (الشعر والشعراء) وقدامة (نقد الشعر) لان كليهما حكم أصولا عامة وقواعد شكلية ، فعجزا عن ادراك « روح الشعر وعناصره السامية » ويرتفع الى القمة الامدى (الموازنة) وابو الحسن الجرجانى (الوساطة) لانهما وصلا ماانقطع من تقاليد اللغويين الذين اعتمدوا على الذوق •

[٢]

لم يكن جهد محمد مندور (١٩٠٧ — ١٩٦٥) فى النظر الى التراث النقدى منفصلا عن هذه الجهود السابقة عليه • لقد اطلع على بواكيرها وهو طالب فى الجامعة (١٩٢٥ — ١٩٢٩) وواجهها مواجهة واعية بعد عودته من بعثته الى فرنسا (١٩٣٩) فأخذ انضج مافيها ، وطوره فى ضوء منهجه المتميز فى دراسة الادب ، ذلك المنهج الذى كان يدفعه الى مواجهة متميزة لمفاهيم الجيل السابق عليه من ناحية ، ولمفاهيم التراث النقدى من ناحية اخرى •

لقد تعلم مندور من « لانسون » (١٨٥٧ — ١٩٣٦) أن العمل الادبى يختلف عن الوثيقة التاريخية ، بما تثيره صياغته من استجابات عاطفية وفنية • وأن على الناقد أن يتوقف ازاء هذه الصياغة ، لانه قد يكتشف من خلال تراكيبها الاغراض العميقة الخفية ، التى كثيرا ماتصحح وتغنى ، بل قد تعارض ، المعنى الظاهر للعمل الادبى • وليس ثمة مبادىء صارمة لدراسة صياغة كل عمل ادبى ، المهم التوقف عندها ، والطرح المستمر لمشاكلها ، ومحاولة حل المشاكل من داخل النصوص نفسها • وبذلك يتحدد النقد فى ادراك العلاقات التى تكون العمل الادبى ، والتى تكشف فى نفس الوقت — عن مثل اعلى خاص ، أو منحى فى الصياغة معلوم ، ثم ربط هذين الاخيرين بروح الكاتب أو حياة الجماعة • وكما يؤدى ذلك الى اكتشاف الخصائص المميزة لصياغة العمل الادبى ، يؤدى الى تحديد اصالة الافراد « أى الظواهر الفردية التى لاشبيه لها ولا تحديد » • وبذلك يصبح النقد « فن تمييز الاساليب » و « تذوق كل كاتب بنسبة ما فى ذلك الاسلوب من كمال » (٣) •

وكما تعلم مندور من « لانسون » ، تعلم من « فردناند دى سوسير » (— ١٩١٣) أن اللغة ليست مجموعة من الالفاظ بل مجموعة من العلاقات • واذن فالمهم فى العمل الادبى ليس الالفاظ بذاتها ، بل الروابط التى تقام بينها • واذا كانت تلك الروابط هى المعانى المختلفة التى يعبر عنها الاديب ، فعلى الناقد أن يوليها كل الاهتمام •

ويلتقى لانسون ودى سوسير فى ذهن مندور فيصبح الادب فنا لغويا لا يمكن فهمه أو تقييمه الا بتحليل علاقاته ، التى يتشكل من خلال تفردها فى كل عمل أدبى صياغة متفردة ويتحدد دور النقد فى تمييز صياغة كل عمل من حيث هى فى ذاتها أولا ، ومقارنة بغيرها ثانيا والاساس فى ذلك كله هو الذوق المدرب •

هذه التركيبة التى تمازج فى داخلها لانسون ودى سوسير كانت تقرب مندور من احمد ضيف وطه ابراهيم وتميزه عنهما فى نفس الوقت • لقد قدم احمد ضيف « لانسون » الى القارىء العربى ، وألمح الى منهجه فى تحليل النصوص ، ونقده لسانت بيف وتين ، ونفوره من النقد المذهبى ، كما عرف بجول لمتر ودعوته الى الاقتراب من النصوص الادبية وتعمقها قبل أن يتجاوز مندور المرحلة الثانوية من تعليمه ، وثمة جذر مشترك بين تعريف مندور للنقد على أنه « تمييز بين الاساليب » وتعريف أحمد ضيف « النقد فى جملته لا يخرج عن وصف الكتابات وتحليلها » (٤) ،

---

٣ — منهج البحث فى الادب واللغة ترجمة مندور / ٢٣ ، ٢١ وقارن بالنقد المنهجى / ١٣ والميزان الجديد / ١٦٢ وفى الادب والنقد / ٦ والنقد والنقاد المعاصرون / ٢٢٨

٤ — مقدمة لدراسة بلاغة العرب / ٩٧

ولانسون هو ذلك الجذر المشترك . كما أن دعوة لانسون الى الاعتماد على الذوق وتمييز الدراسة الادبية واستقلالها بمنهجها عن مناهج العلوم ، كانت تقود مندور الى أحكام طه ابراهيم على التراث النقدى ، وتوقعه فى أسرها .

ومع ذلك تتميز مواجهة مندور للتراث النقدى ،تتميز بدقة فهمه للانسون ، وبارتباط هذا الفهم بتمثل أعمق للجوانب المشرقة من الثقافة الاوربية ، ومحاولة تطبيق أصولها على التراث تطبيقا يكشف أصالة التراث الادبى بوجه عام . ويبرز ما فى التراث النقدى - بوجه خاص - من كنوز « نستطيع اذا عدنا اليها وتناولناها بعقولنا المثقفة ثقافة أوربية حديثة أن نستخرج منها الكثير من الحقائق التى لا تزال قائمة حتى اليوم » (٥) .

[٣]

اساس تميز مراجهة مندور للتراث النقدى يكمن فى مفهومه للنقد المنهجى . وما يقصده بالنقد المنهجى « هو ذلك النقد الذى يقوم على منهج تدعمه أسس نظرية أو تطبيقية عامة ، ويتناول بالدرس مدارس أدبية أو شعراء أو خصومات ، يفصل القول فيها ، ويبسط عناصرها ويبصر بمواقع الجمال والقبح فيها ، النقد المنهجى بهذا الفهم - يرادف « النصية » ، أى تحليل النصوص أو كشف العلاقات اللغوية التى يتشكل منها النص ، فالنقد - بأدق معانيه ، هو فن دراسة النصوص ، والناقد هو « الرجل الذى يتناول النصوص ، يدرسها ويميز بين أساليبها ، ولكى يكشف مندور عن « النقد المنهجى » فى التراث التزم بالمنهج التاريخى ، الذى يتتبع الظواهر فى مسارها الزمانى والمكانى ، تتبعا يرد الجديد فيها الى مؤثر حضارى متميز ، وهو - فى الحضارة العربية - يرتد الى الاسلام كما يرتد الى امتزاج الحضارة العربية بحضارات أجنبية ، وبخاصة اليونانية .

وينتهى مندور الى أن النقد عند العرب نشأ عربيا وظل عربيا صرفا ، وأنه قد واكب فى نشأته الابداع الشعرى ، وسبق التاريخ الادبى . ولكن النقد فى نشأته كان ذوقيا محضا لا تدعمه أسس نظرية ، أو تطبيقية . صحيح أن النقد الذوقى أمر مشروع ، فالتأثرية قائمة فى أساس كل نقد « بشهادة لانسون ولكن لابد لهذا الذوق أن يعلل . وكل تعليل لابد أن يستند الى مبادىء عامة ، وبالتالى الى منهج ، والمنهج لا يكون الا لمن نما تفكيره ، فاستطاع أن يخضع ذوقه لنظر هذا المنهج . وهذا مالم يكن عند قدماء العرب . ومن ثم جاء نقدهم جزئيا مسرفا فى التعميم ، لم يفارق مرحلة الاحساس الخالص ، ولم يتحول الى معرفة تصح لدى الغير بفضل ماتستند اليه من تعليل .

بهذا الفهم للنقد المنهجى يتميز مندور عن طه ابراهيم ، ويتخلص من وطأة النصوص والاراء التى حشدها طه ابراهيم فى الابواب الثلاثة الاولى من كتابه . كما يتميز مندور أيضا - بالتمييز الحاسم بين التاريخ والنقد الادبى . وبذلك التمييز يخرج جهود العرب حتى أواخر القرن الثالث من اطار النقد المنهجى فابن سلام (طبقات فحول الشعراء) وابن قتيبة (الشعر والشعراء) وأمثالهما مؤرخو أدب أكثر منهم نقادا .

النقد بمعناه الحقيقى لم يبدأ الا فى القرن الرابع للهجرة ، وبعد تبلور مذهب المحدثين فى مبادىء نظرية ، صاغها ابن المعتز فى (كتاب البديع) فكان بجهده من العوامل التى مكنت للخصومة بين أنصار القديم وأنصار الجديد ، اذ أصبحت مبادىء المذهب الجديد معروفة محددة . ولو لم يكن لابن المعتز من فضل غير تحديد المصطلحات لكفاه ذلك ليتمتع فى تاريخ النقد العربى بمكانة هامة : ذلك لان كل دراسة لابد لها من مصطلح يحدد مجالها « ولكم نشأت فى تاريخ الفكر البشرى علوم جديدة بفضل خلق اسم لها يدل على موضوعها ومناهجها » . واذا كان ابن المعتز قد أفاد من أرسطو فى تحديد المصطلح ، فانه لم يأخذ عنه الا مجرد التوجيه العام ، ويظل ابن المعتز بعيدا عن شكلية أرسطو ، لأن تفكيره يبدأ من الوقائع والنظر فيها ، وهو عربى سليم الذوق يعرف الشعر العربى ويتذوقه . واذا كان للفلسفة تأثير عليه فانها لم تستعبده ولا أفسدت ذوقه كما فعلت مع قدامة فى كتابه نقد الشعر . ومع ذلك فمحاولة قدامة تشبه محاولة ابن المعتز فى خروجها عن دائرة النقد المنهجى ، فكلاهما لا ينقد الشعر نقدا موضعيا يقوم على دراسة الاساليب . ويفرغ مندور بذلك - من التراث النقدى للقرن الثالث والنصف الاول من القرن الرابع ، وعلى وجه التحديد مما عرفه من تراث هذه الفترة ،

---

٥ - النقد المنهجى / ٥ وكل مابين الاقواس بعد ذلك من النقد المنهجى

وينطلق إلى النصف الأخير من القرن الرابع ، حيث يواجه مايبدو قمة الانجاز النقدى عند العرب ، وذلك من خلال كتابيه الامدى (الموازنة) ، والجرجانى (الوساطة) .

أما الامدى فى كتابه منهج للنقد ومقدرة عليه ، واستقصاء للاحكام وتقيد بالموضوع ، وبعد عن التعصب والتعميم ، وكل هذه صفات تجعل من الامدى زعيم النقد العربى الذى لا يدافع ، فضلا عن أنه قد فطن الى أن جمال الشعر يرجع الى الصياغة ، وهذا هو رأى معظم نقاد أوربا اليوم الذين يرون أن لمز المعانى فى الشعر ثانوى بالنسبة الى الصياغة ، وصاحب (الوساطة) ناقد انسانى يقيس الاشياء على الظائر ، ويصدر فى نقده عن حذر العلماء وخرسهم على اليقين ، وفى كتابه صفحات لا يستطيع العلماء المعاصرون أن يكتبوا خيرا منها ، قد يكون أكثر تسامحا من الامدى الا أنه يتفق معه فى النهاية حول ضرورة الحكم على جوهر الشعر ذاته ... وأساس النقد فى كتابى الوساطة والموازنة — هو الذوق المهذب ، الذى يستطيع صاحبه أن يعلله . ولكن التعليل ليس ممكنا فى كل الاحوال — لان من الاشياء أشياء تحيط بها المعرفة ولا تؤديها الصفة ، وبواضح الجمال الادبى تحس ، ولكنها تستعصى على التعليل ، الا بعبارات عامة لا تميز جمالا عن جمال . ولكننا عندما نترك الجمال الى ماليس منه نجد المقاييس التى لا تخلو من دقة ، وهى — عند الامدى والجرجانى — مقاييس شعرية تقليدية ، ولغوية ، وبيانية ، وانسانية ، وعقلية . وليس العصر هو المهم ، المهم هو ابراز « المنهجية » فى تقدمها ، وحرصها على وضع المشاكل باستمرار ، وتحليل تلك المشاكل وفقا لطبيعتها .

وبعد الامدى والجرجانى لا يبقى الا عبد القاهر الذى قاوم شكلية قدامة وأبى هلال واهتدى الى فلسفة لغوية « هى أصح وأخذت ما وصل اليه علم اللغة » . لقد فطن عبد القاهر الى أن اللغة مجموعة من العلاقات ، وأن اللغة لم توضع لتعيين الاشياء المتعينة بذواتها وانما وضعت لتستعمل فى الاخبار عن تلك الاشياء بصفة أو حذف أو علاقة . وإذن فالمفهوم اللغة هى « النظم » . ومفهوم النظم عند عبد القاهر قريب من مفهوم « العلاقات » عند دى سوسير ، لانه لايهتم بالكلمة فى ذاتها ، وانما من حيث هى طرف فاعل فى علاقة يتكون منها النظم ، والنظم — بهذا المعنى — لا يتوقف عند مستوى الصواب والخطأ بمعناهما اللغوى الضيق ، بل يتجاوزه الى تمايل الجودة وتمييز أسلوب من أسلوب « وهذا ينتهى بنا الى ما نراه ... من أن النقد وضع مستمر للمشاكل وأن لكل جملة أو بيت مشكلته التى يجب أن نعرف كيف نراها ونصفها ونحكم فيها ، وهذا هو النقد المنهجى ... وهو خير نقد ، ومن البين أن الذوق هو الفيصل الاخير فيه ، هذا المنهج الذى وضعه عبد القاهر خليق بأن يجند لهدمنا للتراث الادبى كله ، ولكنه لسوء الحظ لم يقم على وجهه ، ولم يستغل كما ينبغى ، وظل القيار الشكلى الذى بدأه قدامه ونماه أبو هلال حتى وصل الى ذروته عند السكاكى (مفتاح العلوم) . وكانت فى ذلك محنة الادب العربى ، وهى محنة لم يتم نجاوزها الا باعادة النظر فى التراث ، فى ضوء فهم جديد ، يبرز القيم الاصيلة عند الامدى والجرجانى وعبد القاهر ، ويلقى الجوانب الشكلية عند قدامة وأبى هلال والسكاكى .

وبذلك أعاد مندور ترتيب سلم القيم فى القراث ، وانتهى الى « انه لتراث عظيم ان نمتلك فى النقد الادبى كتابين كالموازنة والوساطة ، وفى المنهج اللغوى كتابا كالدلائل نجد فيه أدق نقد موضعى تطبيقى وأعمقه » .

٤

مواجهة مندور للتراث النقدى تمثل تجاوزا لاشك فيه للجيل السابق عليه . هذا التجاوز لم يقم على معرفة أوسع بالتراث ، بل على منهج متميز ، ينطلق من الايمان بأن طبيعة المادة تفرض منهجها . فاذا كان الادب فنا لغويا يتميز فى صياغته ، فلابد أن يكون منهج الدرس فيه مرتبطا بطبيعة مادته ، أى بالفنية ، وبالتالى ينصب على التمييز بين الاساليب ، وتحليل الصفات . وبذلك يستقل منهج الدرس الادبى عن مناهج العلوم المختلفة ، فلا يقع فى المزالق التى حددها لانسون ، والتى الح عليها مندور سواء فى نقده للمقدماء من أمثال ابن قتيبة وقدامة ، أو للمعاصرين له من أمثال طه حسين والعقاد والخولى .

قد يكون مندور ضيق حدود التراث النقدى أكثر مما فعل الجيل السابق عليه ، لان هذا ادخله من التراث فى دائرة البحث المنهجى لا يتجاوز ثلاثة كتب ، ولكن هناك — على الاقل — اعادة اكتشاف عبد القاهر وفهمه ، فى ضوء فكرة العلاقات عند دى سوسير ، وتوجيهها لخدمة

مفهوم النقد كتبيين للاساليب • وهو «وجيه ادى بمندور الى اعادة النظر فى مبدأ « القياس اللغوى » على أساس من التسليم بالتطور التاريخى للغة من ناحية والتسليم بحرية الاديب فى التعامل مع اللغة واعادة تشكيل علاقاتها من ناحية اخرى • وبذلك رفض مندور النظرة اللغوية الضيقة عند الاسدى والجرجانى ، رغم اعجابه المفرط بكليهما ، واكد — فى مقابل هذه النظرة — جمالية « كسر البناء » فى اللغة ، وارتباطه بضرورة داخلية ملحة عند المبدعين ، تدفعهم الى تجاوز النمط اللغوى العادى والخروج عليه ، وعلى مستويات الصحة والخطأ فيه • وبذلك تجاوزت دراسة مندور لعبد القاهر كليا قسمه طه حسين او الخولى او غيرهما • وهذا — الى جانب ذلك — تجييزه المحدد للتاريخ الادبى عن النقد ، وتأصيله الجاد لمنهج النقد وادواته ووسائله عند من تعرض لهم من النقاد القدماء ، وحرصه الدائم على وصل الجديد بالاصيل من التراث ، واستبعاد الزائف حتى لا يعوق حركة التذوق أو الابداع فى مسارها المتطور • وتلك انجازات أصيلة ما كان يمكن أن تتم لولا المنهج المتميز الذى واجه مندور به التراث النقدى ، وبهذا المنهج تميزت دراسته عن عبد القاهر (فى الميزان الجديد) وتميز كتابه(النقد المنهجى عند العرب) وظل الكتاب مؤثرا ، رغم كل ما فيه ، يصحب جهودا كثيرة عاصرته او لحقته، رغما يمكن أن يكون بها من احصاء أدق ، ومعلومات أوسع ، ونصوص أغزر •

ولكن منهج مندور — مع ما قد يوجه اليه أصلا — كان يمكن أن يحقق نتائج أعظم ، لو أتيح لمندور الوقت الكافى أو الظروف المناسبة • لقد أعد رسالته التى حصل بها على درجة الدكتوراه ١٩٤٣ من « تيارات النقد العربى فى القرن الرابع» تحولتفيما بعد الى النقد المنهجى — فى لقل من عام ، وشغلته ظروفه عن مواصلة الجهد الذى بدأه فى عيد القاهر ، ولم تتح له الفرصة لانجاز ما كان فى مقدوره ، وما كان يؤهله منهجه لانجازه ؟ وظلت فى محاولاته لمواجهة التراث مزالق لم يلتفت اليها فى نشاطه المتعدد الاتجاهات • وهى مزالق تتكشف من زوايا ثلاث : كيفية تطبيقه لمنهج الدرس التاريخى ، مفهومه للنقد « المنهجى » وأخيرا مفهومه للشعر ،وهى زوايا تقود فى النهاية الى بؤرة واحدة يمثل فيها مفهومه لطبيعة الادب ووظيفته وما ترتب على هذا المفهوم من الحاح ضار على المباشرة •

الكيفية التى طبق بها مندور المنهج التاريخى كما تمثله من لانسون كانت عشوائية الى درجة كبيرة • المنهج التاريخى — أولا — لا يمكن أن يبدأ الا بعد حصر النصوص التى ينبغى أن تدرس ، مطبوعة أو مخطوطة ، وهذا أمر لم يقم به مندور ، أعنى أنه لم يحاول أن يكتشف بنفسه التراث النقدى ويتصرف على المجهول منه ، وانما اقتصر على المعروف وعلى ما قدمه له طه ابراهيم على وجه الخصوص • ومن هنا وقع فى أسر اجتهادات سابقة ، وفاتت عنه جوانب من التراث ، لو اطلع عليها لتغير تقييمه للتراث النقدى تغيرا جذريا ، بل لاختفى كثير من الاحكام الخاطئة التى يحتويها النقد المنهجى • ويعنى المنهج التاريخى عند لانسون — ثانيا — رد الجديد الى مؤثر انشىء،وهذا ايضا لم يقم به مندور على الوجه الاكمل ، وما كان يمكنه لانه لم يعرف كل الجديد فى التراث • لنتوقف — مثلا — عند نشأة النقد المنهجى ، انها لا يمكن ان تقوم على جهد فردى لابن المعتز ، لان وضع المصطلح مرتبط — فى النهاية — بمناخ فكرى اوسع ، ينبغى أن يفهم الجهد الفردى فى اطاره • ولو صبر مندور على قراءة الجاحظ — وقد أهمله طه ابراهيم — لاكتشف فى كتاباته نشأة النقد المنهجى وتجاوزه للذوق الفردى ، ولرد هذه النشأة الى الفكر الاعتزالى المساند ، الذى يلوذ بالعقل ، ويؤمن بوجود خصائص موضوعية كاملة فى الاشياء تجعلها اما حسنة أو قبيحة بذاتها • وذلك نوع من الفكر وجه الخصومة بين القدماء والمحدثين وجهة جديدة تماما ، عندما حاكم القديم والحديث فى ظل مبدأ « التحسين والتقبيح العقليين » وحول الخصومة من مجرد حماس متعصب ، الى خلاف يقوم على أسس موضوعية • ولو اتسعت النظرة اكثر لارتدت الخصومة الى جذرها الاجتماعى الذى كان ماثلا وراء المواقف المتعارضة •

واذا تجاوزنا كيفية تطبيق المنهج التاريخى الى مفهوم « النقد المنهجى » لاحظنا ضيق المفهوم ، وانحساره فى جانب من النقد التطبيقى فحسب ، مما استبعد كل محاولات « النقد النظرى » من التراث بحجة تطبيقها لمبادىء خارجة عن النصوص ذاتها • وبالتالى ضاعت الاصالة الحقيقية لقدامة بن جعفر ،وشوه جهده تشويها مؤسفا ، بل ان هذا الجهد يقدم أحدى المحاولات

الاصيلة لاقامة نقد الشعر على أسس صلبة ، تتجاوز الاهواء الفردية والاذواق الجامحة . والنقد النظرى الاصيل لا يمكن أن يقوم الا على استقصاء للنصوص الادبية ، وتمثل لقيمها الثابتة ، كما أن النقد التطبيقى لن يتم الا فى ظل تأصيل نظرى ، فكلاهما لا ينفصل عن الاخر ، وذلك ما حدث فى التراث . وما نعده من قبيل النقد النظرى كمحاولة قدامة (نقد الشعر) وابن طباطبا (عيار الشعر) وحازم القرطاجنى (منهاج البلغاء) لا يفترق عما أدخله مندور فى النقد المنهجى الا فى الدرجة فحسب . ومشكلة مندور أنه فهم « التمييز بين الاساليب » عند لانسون فهما بالغ الجزئية ، فضاق بذلك مفهومه للنقد ، وقصره – بالتالى – على الدراسة الجزئية للابيات . وترتب على ذلك اغفال الاصالة الكامنة فى الكتابات النظرية ، كمحاولة قدامة، واغفال أهم مزلق فى موازنة الامدى ، وهو قيامها على « البيت » لا على القصيدة ككل ، مما يجعلها موازنة « بلاغية » وليست « نقدية منهجية » .

ومن الغريب أن منهج التحليل اللغوى للادب الذى تحمس له مندور لم يلفته الا الى عبد القاهر فحسب – ولم يتوقف عنده كما توقف عند الامدى – مع أن هذا المنهج كان يجد مادة أصيلة فى كتابات اللغويين أو فى شروحهم للشعر ، وهى شروح لا يمكن لمن يؤمن بتحليل النصوص أن يتجاهلها . وعبد القاهر نفسه يظهر فجأة وكأنه لم توجد مقدمات له عند اللغويين السابقين عليه أو عند الفلاسفة . ويغدو الامر طريفا عندما ينقل مندور عن عبد القاهر تحليلا لابيات يعده فتحا ، مع أن عبد القاهر نقل هذا التحليل عن ابن جنى وهو لغوى سبق عبد القاهر بحوالى قرن ، أو يفترض مندور ان الامدى يغير المصطلح الارسطى عن « العلل الاربع » ويحوله الى معنى مغاير عمدا ليؤكد أهمية الصياغة فى الشعر ، مع أن الامدى كان ينقل عن ترجمة خاطئة للمصطلح الارسطى اعتمدها فلاسفة سابقون عليه .

ويعنى المنهج التاريخى – ثالثا – الحرص على فهم الماضى فى علاقاته المتشابكة وعدم التسرع بالحكم عليه . وما أسرع مندور الى الحكم المنفعل ، الذى يقوم على تأثرية مهتاجة . الامدى – مثلا – «اكبرناقدعرفه الادب العربى » أما قدامة البائس فهو « فاسد الذوق » مرة ، وفى أخرى نسمع « وهذا مثل واضح لغباء قدامة وفساد ذوقه وتفاهة نقده » ، وفى ثالثة « وهل يظن الاحمق قدامة « » . واذا تجاوزنا قدامة واجهتنا أحكام أخرى أهونها من قبيل « وما أشبه ذلك من سخافات » وأقساها « وأمثال ذلك من الكلام الرقيع » . وتضيع الموضوعية بمثل هذه الاحكام التى تؤدى اليها لغة تصف « النقد المنهجى » بلغة « غير منهجية » تصدر عن ايمان بأن من الاشياء ما تحيط به المعرفة ولا تؤديه الصفة .

أما مفهوم مندور للشعر فكان يحتوى مقولات هشة ، تجعل القصيدة من قبيل التدفق الالى للانفعالات ، وتربط الشعر عموما بالفطرة ، وتجعله مجافيا للثقافة . « الرجل الفطرى يستطيع باحساسه أن يخلق أجمل الشعر .. وهو لذلك ليس فى حاجة الى عقل مكون ناضج .. ومن الثابت أن الشعر لا يحتاج الى معرفة كبيرة بالحياة ونظر فيها ، بل ربما كان الجهل بها أكثر مواتاة له حتى ليخيل الينا أن الشعر الجيد لا تستطيعه الا النفوس الوحشية العقل القوية . واذا استطاعه أحد من المتحضرين ، فهو فى الغالب رجل أقرب الى الفطرة منه الى المدنية العقلية المعقدة . هذاالفهم للشعر جعل مندور أقرب الى المحافظة فى فهمه للتجديد الشعرى فى التراث ، فأعلى من شأن القديم – دوما – لارتباطه بالسذاجة والفطرة ، ونظر الى الشعر المحدث فى ريبة لما انطوى عليه من ثقافة . كما جعله – من ناحية أخرى – يحصر تجديد المحدثين فى مجرد الصياغة لمادة قديمة ، وهو فهم لا يتجاوز فهم ابن المعتز أو الامدى ، ولا يمكن أن يستوعب الاصيل من شعر المحدثين . كما أدى به هذا الفهم – أخيرا – الى العجز عن ادراك وحدة القصيدة الجاهلية رغم تعدد موضوعاتها الظاهرى . فكان أقرب الى الموافقة على تبرير ابن قتيبة لانتقال الشاعر من غرض الى غرض آخر .

وأحسب أن السر فى هذه المزالق كلها يرجع الى أن مندورا لم يتح له الوقت الكافى ليقوم بتأصيل نظرى متماسك فى تفصيلاته وجزئياته لطبيعة الادب ووظيفته أو لطبيعة النقد وغايته ، فخاض – فى لهفة يغذيها الوعى بتخلف الدراسة الادبية – فى مجالات متعددة ، كان التراث النقدى واحدا منها ، واكتفى بدور الرائد ، الذى يدل على الطريق ويرتاد بعضا منه ، تاركا لمن بعده مهمة التأصيل الكامل ، والتجاوز الحقيقى »

المرأة في أدب عبد الحليم عبد الله

عبد الحليم عبد الله

رضا الطويل

ظل محمد عبد الحليم عبد الله مخلصا لمحمد عبد الحفيم عبد الله فلاح البحيرة ، الذى قطع الطريق ذات يوم ، من كفر بولين الى القاهرة ، وأستمر اصيلا فى انتمائه للمجتمع الزراعى ، بقيمه وأخلاقياته ، واجه الحياة مواجهة الفلاح الصبور ، وآنس للعادة كما يانس لقوانين الايام وتعاقب الفصول ، بنفس تركن للعادة ، وتهدأ للمألوف ، وتتهيب الجديد الى أن يصير قديما ، ولم يتمرد الاديب باعماق ع • عبدالله على الواقع ، فأسلم عالمه الروائى للعلاقات الاجتماعية السائدة ، الكائنة ، وتقبلها تقبل الروح المطمئن لاحكام القضاء ، ومصاريف القدر ، فأخذت باعنته اديبا ، وانحدرت به تياراتها الرتيبة •

ومن « لقيطة » الى « قصة لم تتم » واصل ع • عبد الله تجربة الحياة والفن ، بقيم المجتمع الزراعى التى تجاوزها الواقع ، فى فترة تاريخية هبت عليها رياح التغيير ، وعصف بها التطور الاجتماعى ، وانبثقت حياة جديدة ، بعلاقات اجتماعية وقضايا مخالفة • ومع هذا ظلت النافذة التى يطل منها الى العالم هى النافذة الغربية ، المطلة على الماضى ، والوقت الذى يستهويه وقت ما بعد الغروب ، وعندما آن له أن ينتفض ، بعد أن أنضجه الزمن ، متفائلا بأن للزمن بقية ، هزأ به الغريب ، ولم يحركه الشقاء ، وكانت قصته الاخيرة ، قصة لم تتم •

ارتبط وجدان ع • عبد الله الروائى بعالم الاسرة ، وقهره احساس متزايد بوحدتها وكيانها ، ولم يستطع أن يتخلص من مشاعره المتينة ، التى تربط الريفى بأصوله ، فلم ير عسالما قائما يستحق الاهتمام غير عالمها ، وغير الاواصر التى تربط بوشائجها بين أفرادها : الاب •• والام •• الزوجة •• الابناء •• الاخوة •• الخ ، وامتص هذا الاهتمام طاقته الروائية ، فلم يشق له طريقا خارج اطار الاسرة ، يرصدها الحميمة ، ولم تستطع أى من شخصياته الاستقلال ذاتيا بعيدا عن حدود العلاقات المنزلية ، ابتدت وانتهت مكبلة بأصفاد الروابط العاطفية ، محرومة من تجريب ذواتها فى ألوان مخالفة من التجارب ، والصراعات الاساسية التى يتعرض لها الانسان ككيان اجتماعى ، فى محيط مجتمع تتحدد علاقاته على اساس آخر غير اعتبارات القرابة الاسرية • **أن الزوج المعتاد لشخصياته من الريف الى المدينة لم يؤثر جوهريا على مكونات هذه الشخصيات وأسلوب تعاملها ، بل لم يؤثر كما يتوقع**

على مجال التجربة الروائية ، فينتقل بها الى مجال المدينة الرحب ، والى دائرة اغنى متنامية مترامية الرقعة ، متعددة المراكز والاهداف ، وتستمر الاسرة هي المحور الرئيسي للعمل الفني ، ففي شمس الخريف .. تستنفذ كيان مختار ، علاقته بأم أرملة قصفت عمر زوجها التاجر (الاسرة الاولى) ، ثم تركت للواحجها الحبل على الغارب ، لتتم الزيجة الثانية لها بعباس افندي المدرس (الاسرة الثانية) ، فيندفع مختار للالتصاق بسكينة الريفية ، وينخرط انخراطا بأسرة عم خليل بعلاقاتها المتباينة [الاسرة الثالثة] ثم يضيق به الحال فيرحل للقاهرة ويتزوج السيدة (ف) (الاسرة الرابعة) .

وترتب على تمسك ع . عبد الله الشديد بالاسرة ، اهتمامه البالغ بالمرأة ، فاحتلت شاغله الاساسي والهام ، وكأديب لوحته الرومانسية ارتقت المرأة أيضا لتشغل المحور الرئيسي لاعماله الروائية .

●●

تنتمي شخصيات م . ع . عبد الله الى الطبقة الوسطى : والمنحدرة من أصول ريفية عموما ، وتغطي بموقعها كافة شرائح هذه الطبقة تقريبا — ادنى واعلى — خلال فترة تاريخية تتقهقر الى ما بعد الحرب العالمية الاولى ، بالنظر الى الزمن الروائي ، بالرغم من أن هذه الروايات تمت كتابتها ونشرت ابتداء من ١٩٤٦ الى نهاية يونيو ١٩٧٠ [تاريخ وفاته] ، ويتناسب هذا الزمن الروائي مع المنظور الاخلاقي الذي تشبث به ع . عبد الله طويلا ، كأحد المنتمين الى هذه الطبقة ، ففي حين تواءمت هذه الشخصيات كنماذج فنية مع معتقدات الفترة الزمنية التي جرت بها الاحداث تخلفت عن اثارة القضايا المتعلقة بالمرحلة التي تم بها النشر . وفي الوقت نفسه الذي اوغلت فيه الشخصيات مرتدة للخلف متسترة تحت دواعي الضرورات الفنية ، قدمت نفسها في صورة تعكس الى حد بعيد التغيرات التي طرأت على الواقع المعاش ، أي ان هذه الشخصيات — النسائية على الاقل — استمدت صورتها من الواقع الحديث ، واستمدت أصولها الفكرية والخلقية ودوافعها السلوكية من مجتمع عاتي القدم ، ولقد فطن د . القط حين تعرض لرواية بعد الغروب بالنقد ، الى الخلل البين في بناء الشخصية ، وكانت مخالب القط — بتعبير ع . عبد الله — مخالب جارحة ، اذ مزقت موطن الداء الدفين والجوهري الذي يعاني منه فنه الروائي ، وتعاني منه شخصياته ، ان أميرة القوية التي أدارت شئون أسرتها بقدرة وتدخلت بكفاءة في ادارة عزبة والدها ، وساست الرجال ، وأعربت عن تفهمها الواضح الجلي لشئون الزراعة والحياة ، تستسلم دون أن تنبث لارادة والدها الذي قرر زواجها ممن لا تحب ، لا تعترض ، لا تقاوم .. ولا تبدي رأيا . لقد مزق هذا التناقض الاساسي شخصية المرأة في أدب ع . عبد الله الى صورة وقضية منفصلتين .

المرأة — القضية :

عرفت المرأة في أدب ع . عبد الله العمل والتعليم ، كقيمة مؤقتة لا كقيمة أساسية . واذا كان تحرر المرأة كامنا في هذا الحد الذي تدرك فيه أن الحب ليس الهدف الاساسي للحياة ، أي في اللحظة التي تتوقف فيها عن النظر الى نفسها كأنثى ، وتضع نفسها عضوا نشطا مساهما في الحياة الاجتماعية والاقتصادية .. الى جوار الرجل سواء بسواء ، الرجل الذي تخلى منذ فترة طويلة عن هذا الشاغل الجنسي الملح ، واتخذ من العمل محورا اساسيا لشخصيته ، والقيم الملتزم بها ، فان المرأة لم تصل الى حدود التطلع الى الحرية والى المساواة ، لقد احبت خمول العذراء داخل شريعة الرجل ، مستمتعة بحباله الحريرية الملتفة حول عنقها .. فالمرأة يلذ لها أن تصبح مملوكة حتى لو تمردت على هذا الوضع [شمس الخريف) ، وهي اذن تقف حجر عثرة في سبيل انطلاقها وتحررها ، انها تملك أعنة التاريخ ، وتمنعه من المضي بها قدما للامام ، ممانعة في أي تطور يبدل وضع التبعية للرجل ، انها كالحية التي لا تريد تغيير جلد الانثى في فصل الربيع . واذا كان الحب هو القيمة الاساسية التي تدور حولها شخصية المرأة فلقد اشترطت هذه القيمة صفتين اساسيتين يجب ان تتحلى بهما : الجمال والعفة ، وهما صفتان لازمتان بالضرورة لنجاحها في الحياة كتابع للرجل ، وكوعاء يحتسي منه السعادة والراحة والطمأنينة . أغدق م . ع عبد الله الجمال على المرأة اغداقا ، من ليلى اللقيطة الى كافة شخصياته النسائية . ولما كانت قيمة السلعة تتوقف على جمالها ، ارتبط قدر المشتري بمقدار الجمال ، وتوقف مستقبل المرأة كزوجة وكجارية يكتريها الرجل على درجة جمالها « كان هذا الجمال خليقا بأن يولد في مخدع أمير أو على فراش ملك » وهذه الفتنة « ستنتشر يوما فيخر لها الابطال ... فهاتان الشفتان تستهويان النحل ... الخ »

(لقيطة) . وتحدث الام فى (شمس الخريف) اينما مختار نادية خيبته وتقصيره فى المدرسة « ليتك كنت فتاة اذا لشققت طريقك بوجهك الذى لا يخلو من وسامة أما الصبيان فهم فى حاجة الى شىء آخر غير هذا » أما أسرار (للزمن بقية) فتسجل تطور ع . عبد الله فى هذا الاتجاه ، وهى من ناحية أخرى تحرر نفسها خطوة من اسار عاطفة الشبيبة ، وتستبدل الحب بالعمل ، ولهذا كانت أسرار المهارية الاولى التى يحررها دلال النجوارى من هذه القيمة ، لقد كانت أقل وسامة وجمالا من الرجلين ، البدوى السيد وصلاح النمرسى الذى فتنتها وسامته . أسرار بميثيها السريعة الحركة ، الشديدتى السواد ، ورنة صوتها المفعمة بالحيوية ، ونيلها الى الطويل ، وانتهاء قامتها الى الامام نوعا ما اذا مشت ، وبأنفها القصير ، وشفتها العليا ذات الاتساع ، وبشعرها غير المرجل .

أما العلة ، فليس مثلها مشكلة حظيت باهتمام ع . عبد الله واستغرقته ، فعلت على سطح أكثر رواياته أو أطلبها ، بسواء كمشكلة ثانوية أو كمحور رئيسى للعمل ، حيث أفرد لها رواية « البيت الحسام » ونصيفا « الزيتون » والجزء الصام من « شمس الخريف » الخلص بالسيدة (ف) ، واذا التمسنا العذر لسلامة الزوج فى بيئته الصابت لصنوف العذاب التى بدأ بنيلها لدرية ، وانواع الاذلال النفسى التى انزلها بها بفتوته المستديرة المفتوية التى وضعها بكفيه ذات مساء ، بأن درية تهب فتحت مذريتها وهى فتاة صغيرة ، دون أن تدرى بما حدث لها على وجه الدقة ، ويررنا الشكوك التى انتابته وقوضت منزل الزوجية ، واذا اعتبرنا ان هذا طبيعى فى مجتمع الرجل الذى عبر عنه ع . عبد الله ، فان مشكلة عطيات تبدو من المشاكل المحببة ، اذ ان علاقاتها الجنسية تمت مع عبده الفدى الذى سلح دم عطاها على فراش عذريته ثم تزوجها فيما بعد ، فلم ينس ما حدث له معها ... وطارده شبح الماضى ؟! ، وافضى بهما اخيرا للانفصال ، أما عطيات نفسها فلا تقل شعورا بالمهانة والخيبة حين حاولت الظبطة المجتمعة ان تكون امرأة مجتمعة فى ليلتها الاولى التى تقدم النساء فيها شيئا يحاولن . ومن حذارى أن يدخرنه لهذه الليلة .. كنا فى الحقيقة مسئولين مما عن تبديده وضياعه . وانكدى حزنت عليه ونحن لحيانا ننقم على اشياء جنيناها بأيدينا حتى لكاننا جنيناها علينا غيرنا » [غصن الزيتون] واذا تركنا عطيات الى السيدة [ف] المطلقة ، تفاجئنا هى الاخرى بأنها ليست أقل ضعفا وهى تهمس لمختار ليلة العرس « وددت لو كان الزمن سافتى الى طريقك أيام كنت املك هذه الدرة فبذلتها لابرهن على اننى فتاتى فيك » [شمس الخريف] ..

أليس من الغريب مع أخذ كل الاعتبارات الاخلاقية فى التحليل ، أن يقال م . ع . عبد الله على امتداد ما يقرب من الربع قرن من الزمان ، سقطت فيه دنيا ، وقامت دنيا ، طرد ملك وأعلنت جمهورية ، وانهارت طبقات وبرزت أخرى ، ونشبت ثلاث حروب .. ومات ملايين لافيا عن هذا كله ولا يجد حلا لمشكلة عفة امرأة ؟ ..

ان مشكلة العلة فيما يبدو شكل مرضى ، وعقد نفسية ، أو طوطم فى قلب ساحر من سحرة القرون الغابرة ، ولقد حلت لعنته على كل من فقدته ، فدمر البيوت فى النهاية دريه وعطيات والسيدة (ف) وزينب « شجرة اللبلاب » التى منحت ولم تفقد .

لم تستطع أسرار كنموذج متقدم لعبد الحليم عبد الله أن تتحلل من اسار العلة ، ولم تكن بالضبط كما ينعتها البدوى السيد الصحفى رائدة سابقة لاوانها ، فهى من هذه الجهة لا تختلف عن بطلة القصة الفرعية التى قرأتها ليلى الفتيحة ذات أمسية : فتاة ضعيفة قاصرة الادراك ، لعب بعقلها رجل قوى متمرس ومجرب وخبر بها ، فهى قد فعلت مع ابنور ما تفعله المرة الجريحة حين

يهاجمها حيوان اقوى ،عضته فى زنده عضة شديدة ، تأوه لها فغمغم بكلماته المعضوفة ، شفقة من الرجل القوى الكريم « عيب .. نحن الان زوجان وغدا نسجل العقد » (للزمن بقية) . وقد كان زواجها وطلاقها فى ليلة واحدة ، وبين صك العبودية ، وصك الحرية يومان فى التاريخ .

وأسرار وان كانت مختلفة عن مثيلاتها ، بأن أصبح العمل بالنسبة لها حيويا وماسا ، فهى لم تختلف الا فى الشكل والدرجة ، فهى تؤكد أن قلبها لم يعرف الحب ، وأنها لا تزال عذراء فالعبرة بعذرة الروح ، وتتمسك بهذا المنطق المضحك ، فالدلال مازال قائما فى الصدر ، يجمل بضاعته التى ظنها بائرة ، ويبرز عيوبها من وجهة نظره ، العمل حلية ، والتعليم حلية ، والعفة عذرية روح ، ان أسرار تختلف عن درية البيت الصامت التى تحلم بالرحمة الالهية ، متوسلة اليها ان تعفى الفتيات من هذا الغشاء ، ألم تكن حواء بدونه ، حيث لم تكن هناك ضرورة ماسة له . أما أسرار فتتوسل الى الرحمة الاجتماعية أن تستبدل باغلال عفة الجسد ، عفة الروح ، دون ان تدرك انها تضع نفسها تحت سيطرة الرجل من حيث نشدت الحرية ، لقد كانت أسرار « أحسن مثل يعبر عن عبودية المرأة » وكل عمل من أعمالك غير مكتوبة تقدمينها لحاكم غير مسئول .. والمرأة التى تمسك بالفأس الصغير فى الحقول تملك جزءا من الحرية صغيرا جدا لكنه جزء من الحقيقة .. أما أنت فعندك قدر كبير من المجوهرات الزائفة » (للزمن بقية) .

لم يعد الجمال هو القيمة المثلى لترويج المرأة للرجل ، أصبح العمل والتعليم والحيوية والنشاط هى القيم التى يطالب السيد أن يتحلى بها العبد الخانع ، ولقد انتهى سعى أسرار للحرية بالضياع ، ولكنها وإن كانت لم تستطع التخلص من الموروث الفكرى الذى تحكم فى بنات جنسها ، فهى تمثل خفقة التذمر النامية بأعماق ع . عبد الله على الفلاح القديم الراسخ بهذه الاعماق ، والذى ركن طويلا للمألوف والشائع .

ولد عبد الحليم عبد الله عام ١٩١٣ م . فى فترة شهدت مدا هائلا لقضية المرأة ، ولافكار تحريرها ، من اجتهادات الامام محمد عبده الفقهية الى كتابات قاسم أمين ، وكانت انجازات هذه الدعوات قد بدأت تؤتى ثمارها وتروج حينما شب ، وانتشر تعليم الفتيات ولم يعد امرا ادا ، وتململت مصر ناهضة متحولة من شكل المجتمع الزراعى ، وحين بدأ ع . عبد الله فى البلوغ .. لم يتعد اطار هذه الدعاوى ان لم يتخلف عنها ولم يضف جديدا فيما يخص المرأة .. من لقيطة تصادفنا شخصيات عاملات ، فلقد كانت ليلى ممرضة ، محاطة بنساء عديدات عاملات ، أما أميرة (بعد الغروب) فلم تكن بحاجة الى العمل ، نظرا لثروتها .. فدافع الحاجة والكفاف هو العامل الحاسم لعمل المرأة ، « ما أصعب المهمة التى فرضها علينا العيش ، انها اللقمة .. انها اللقمة يهب لها الفقير جسمه وعقله ، حتى ينقلها من يد غيره الى يده ولو كنا من بنات الاغنياء ما عرفنا الكد ، ولا النصب ، ولا عانينا من دهرنا ما نعانى » (لقيطة) .

ان العمل كقيمة أساسية قاصر على الرجل « ما خلقت للهم أعوادكن انما خلقت له كواهل الرجال » (لقيطة) . والعمل بالنسبة للمرأة قيمة ثانوية لا يشكل ضرورة ماسة لبناء شخصيتها ، ترفر لها الحرية وتكفل لها المساواة ،انها ضرورة معدة خاوية ، لا يلبث أن يتكفل بها رجل « سيحمل عبئا حملته الانوثة ، وما ان يظهر الرجل فى أفق المرأة ، حتى تركن للبيت وأعماله ، فدرية (الوشاح الابيض) تتنازل عن شهرتها كمطربة مصر الاولى ، وترضى بتنظيف البيت وغسيل الاوانى ، مكتفية بمنصور الزوج وما يدره من دخل ، والسيدة (ف) التى تزوجت مرتين تتخلى عن العمل فى كل من المرتين مرحبة بوضعها كزوجة ، وكمربية من ربات البيوت ، ورغم ثقافتها ترضى بأن تكون عالة على زوجها ، وعالة على المجتمع الذى تحيا به ، وتظل المرأة محكومة بنوعها ، لا تنزع عنها القشرة التى تغلفها ، راضية بمصير بائس ، ان العمل كقيمة هو قيمة فارغة من المضمون فى عالم ع . عبد الله ، الذى لم يتعد فى مفاهيمه مفاهيم أوائل القرن ، والتى فرضت على رائدة نسائية من رائدات الحركة النسائية المصرية كملك حفنى ناصف ، أن تترك عملها كمدرسة فى احدى مدارس البنات بالقاهرة (١٩٠٧) لتباشر أعمال منزل الزوجية . فلا غرو أن نجد رجلا كمخيمر افندى (الوشاح

الابيض) يتململ من صراحة المفتشة التي توسط عندها في نقل ابنته المدرسة بأحد مدارس طنطا ، فيجاهد نفسه ليمنعها حين اشتدت عليه من أن يذكرها بشيء نسيته ، هو أنها امرأة تخاطب رجلا ، فمازالت الرجولة وساما يحلى الصدر ، في عالم لا يعترف الا بالرجال .

وتعكس نوعية العمل الذي اضطلعت به نساء ع . عبد الله الى حد ما ـ ومن وجهة نظره ـ تصور المرأة البيولوجي وضعفها عن الرجل ، فالمرأة تطالعنا بهذه الاعمال : ممرضة . مدرسة .. عاملة حياكة .. مطربة ، ولقد استمر هذا التصور سائدا الى ان قامت اسرار بأعمال تجارية ثم لحقتها منى المنشاوى (قصة لم تتم) بالعمل كصحفية .

هذه النظرة التي تعتد بفروق جسمية واهية بين الرجل والمرأة ، وتحدد الاهمية النسبية لكل منها كعنصر من عناصر الانتاج ، تعكس في الوقت نفسه تصورا متخلفا عن الطبيعة الاقتصادية للمجتمع الجديد ، والتقدم التقني الذي جعل من هذه الحجة ، ان صحت ، حجة لا وجود لها .

واذا افتقد العمل قيمته الاساسية للمرأة ، فالتعليم في أعقاب العمل قيمة ثانوية أو زوادة مسافر للفتاة المنتقلة من منزل الاب الى منزل الزوجية « تعليمهن في نظرى أشبه بالزوادة التي يعبئها المسافر .. وعطيات الى الان تعتبر مسافرة حتى تستقر في بيت » (غصن الزيتون) .

ان نظام التخصص النوعي للعمل بين الرجل والمرأة ـ انهماك الرجل بالعمل الاقتصادي ، والمرأة لاعمال البيت ـ من طبيعة مجتمع مندثر ، ومع هذا ظل هو النظام السائد الى النهاية ، الى أن جمعت منى المنشاوى بين العمل في الصحافة والزواج في قصة عبد الحليم عبد الله التي لم تتم .

هذه الصورة القاتمة لوضع المرأة ، تنعكس بالتالي على أوضاعها الاجتماعية الخاصة بالزواج ، ان مسألة زواج الابناء هي من أمس اختصاصات الاسرة ، الاب أو الام أو هما معا ، وعلاقات الفتاة العاطفية علاقات غير مشروعة ، فالفتاة لم ترق الى المصاف الانساني الذي يسمح لها بتبادل العواطف ، وصيحة مخيمر افندي صيحة شهيرة يجب الا نغفلها « اتريدين أن تتهمي بنيهتي بالحب .. وأنا الذي أشرف على تربيتها ؟ ثم استغفر الله » (الوشاح الابيض) . وعلاقات الفتاة العاطفية علاقات لها صفة السرية ، تتم من وراء الاسرة ، وهي علاقات غير معلنة ولا يمكن الموافقة عليها ، وان كانت الام أقرب للفتاة وأكثر دراية وشعورا بها ، لكنها في الوقت نفسه تابع ذليل لسيد الاسرة ، وليس بمقدور التابع أن يهب ما يفتقد ، وعواطف الفتاة من ناحية ثانية هي من نوع العيب ، لقد قابل حسني عواطف زينب في شجرة اللبلاب بكثير من النفور ، واذا لم تستطع زينب أن تكتسبه الى جانبها ، وتخسر قضيتها معه ، لا يعود أمامها من بديل غير الانتحار .

وتتم الزيجات على يد ع . عبد الله وما أكثرها ، كصفقات أسرية ، لا دخل للعواطف الشخصية بها . لقد عقدت الام (من أجل ولدي) صفقة زواج ابنتها الصغرى بمهارة . رغم اعتراضها على الزواج أصلا لرغبتها في اتمام تعليمها أولا ، وبالرغم من تبرم بدرية شقيقتها الكبرى من هذا الوضع الذي تجاهلها وأغفل وجودها ، وبوفاة سميرة بعد أن قطعت الاجراءات شوطا لا يمكن الرجوع عنه ، تستبدلها الام ببدرية . أما الزوج رشدي ، فلا يبدي اهتماما ملحوظا بهذا الاستبدال ولا يقيم وزنا للعواطف . فهو بتعبير سلامة البيت الصامت . استبدل قرشا مثقوبا بقرش مثقوب ، وعاشا في النهاية سعيدين .

لقد افتقدت المرأة من الاصل العوامل الحقيقية لتحررها ، ورضخت مذعنة لوضعها الخاطيء سالكة طريقها سرا للتعبير عن انسانيتها بصعوبة ، ولكنها في الوقت نفسه جوبهت بمفاهيم شابة لا تختلف عن مفاهيم الشيوخ ، واجهت شبابا لا يختلفون في عقليتهم عن عقلية والديها ، وكان طبيعيا أن تسلم مقاليد مستقبلها لاولياء أمورها ، فلا تعلن أميرة رفضها لمشيئة والدها ، ان جميع الزيجات الناجحة في عالم محمد عبد الحليم عبد الله تمت في اطار الاسرة ومباركتها واختيارها ، ولحق الفشل بأي زيجة أخرى تمت خارج هذه الحدود . حقيقة كان زواج أميرة تعسا ، ولكنه لا يضاهي بتعاسة زواج آخر كزواج عبده أفندي بعطيات [غصن الزيتون] الذي تم بمحض اختيارهما والذي انتهى بالفشل أخيرا . ولعل هذه القضية في النهاية هي القضية التي طالب فيها ع . عبد الله بمحاولة التوفيق بين كيان الاسرة ورغبات البنات .. ثم لم يتقدم خطوة أخرى على هذا الطريق .

المرأة ـ الصورة :

من الغريب أن صورة المرأة في أدب عبد الحليم عبد الله ، لا تتناسب مع الوضع الذى رضخت له ، من لقيطة والى قصة لم تتم فالمكونات الشخصية للمرأة مكونات خصبة ، ومتعددة ، تفوق مكونات شخصية الرجل العاطفى المتخاذل السلبى ، وليس من المبالغة القول ان التطور الذى لحق ع . عبد الله فى عمليه الاخيرين ليس تطور الحق بشخصية المرأة بقدر ماهو تطور لحق بشخصية الرجل ، وارتقى به الى مستوى القوة النفسية والتماسك والايجابية التى اظهرتها شخصياته النسائية ، فرجال من امثال صلاح النجومى (للزمن بقية) أو فتحى سالم (قصة لم تتم) هم طراز من الرجال لم يتوفر من قبل ، لقد تحقق للرجل اخيرا ان يتخلص من مظلة الرومانسية ، ومن الاهتمام المتدله بالمرأة ، وان يتحرر من سيطرتها ويعاملها بندية ، ويبزها فى تعدد الاهتمامات والثقافة .

ونساء عبد الحليم عبد الله يتمتعن بما لا يتمتع به الرجل من قوة الارادة والحزم ، كانت الارملة أم مختار (شمس الخريف) محاربة بطبعها ، فرضت سطوتها بقوة ولم تقم وزنا لعواطف الامومة حين تزوجت للمرة الثانية ، كما اظهرت المرأة حكمة افتقدها الرجل فى مواجهة أعباء الحياة والتحايل على المعيشة وتتبدى حكمتها ومهارتها مناقضة اسراف الرجل واهماله للمسئولية ، التى ترحب بها وتتولاها ، فمخيمر [illegible] [الوشاح الابيض] قام دائما حجر عثرة فى سبيل الاصلاح المنزلى الذى تبتغيه الزوجة ، كما يقوم الرجعيون فى المجتمع الطموح ، وصرف ماله وبدد صحته فى الحانة وحول الرغيف واعز من الرغيف الى شراب ردىء . ولم تقتصر مهارة المرأة على اعمال المنزل ، بل تعدتها الى المشاغل الاقتصادية المعقدة ، فاثبتت أميرة كفاءة لا تدانيها كفاءة فى ادارة مزرعة ابيها [بعد الغروب] ، وهى من ناحية أخرى تملك الصلابة النفسية التى تهيؤها للاضطلاع بمهام الحياة الشاقة ، وامتصاص الصدمات ، فهى تتحلى بصلابة العنيد حين تقهر ولا يزيدها القهر الا شراسة وضراوة . ويلاحظ عبد العزيز ان امه بعد ان نزلت الطامة بأسرته لم يكن عليها الاسعنة من الحزن تعلو وجوه البيض كأنها اثر اللطمة ، أما والده فبدا غارقا فى قفطانه من فرط هزاله كأنه استعارة من رجل جسيم وعاث فى شعره الشيب وخبا بريق عينيه ، فيحزنه استخذاؤه وانكساره ، أما عبد العزيز نفسه فانه لا يجزع من البلايا فحسب ، ولكن توقعها كفيل بأن يخيفه ، [بعد الغروب] .

ان اهتمامات الرجال اهتمامات بالغة التفاهة ، لا ترقى لاهتمامات المرأة ، الحكيمة المحنكة القادرة الحمولة الصبورة ، ان الرجل هو الكائن الضائع فى عالم النساء يفتقد لابسط صور الشجاعة ، ويتخاذل حتى عن مجرد التعبير عن أبسط المشاعر التى يكنها للمرأة . ان الفشل الذى حاق بعلاقة درية وراضى [الوشاح الابيض] يعود لسلبيته ، وتواجهه درية بعقلانيه يفتقدها : هل كان من واجبى كامرأة ان اتخذ نحوك خطوة ايجابية ؟ وقلبت كفيها وهى تقول لا (ثم عاودتها نبراتها القاسيه) ثم لماذا هذا الترهب من أجل امرأة ؟ أليس هناك الا نسخة واحدة من كل فتاة .. بيننا كثير من البارعات فى تطبيب الجروح » لقد كانت درية بعبارة أخرى قوية ومعقولة ومنطقية .. ولكنها وضعت قوتها فى سجون القيود الاجتماعية بالرغم من حارسها الضعيف . ولقد كانت أيضا تملك الثقافة والوعى .. ان شخصية كالسيدة (ف) تبدو مداركها الثقافية بالغة الرفعة ، اذا قيست بمدركات مختار [شمس الخريف] وهو يعترف أحيانا تقصيره وعجزه عن مجاراتها فى هذا المجال ، فمختار لم يعرف طريق دار الكتب مثل عبده [غصن الزيتون] وحسنى [شجرة اللبلاب] الا بالتقليد غير الاصيل لسيدة [ف] « فضلت دار الكتب لانها تفعل ذلك » ولم يكن اهتمامه الجاد نابعا من شعور ساحق بالرغبة فى المعرفة ، بقدر ما يتصل برغبته الذكورية فى الحصول عليها ، فلقد قدر أنه « مقدم على ميدان ليس من الممكن ان استخدم فيه سلاح الوسامة » وهو كما يقول « أحببت الوسيلة والغاية فى وقت واحد » . ويبدو ان هذه الصورة المتناقضة مع قضية المرأة تتمشى وتتفق مع النظر اليها كعملاق يلذ له العذاب .. فيعطى ظهره للسوط ويبتسم ، فهى كيان نفسى مشوه ، و « حتى اللائى تزوجن عبيدهن فى القرون الغابرة وقفن نفس الموقف » (البيت الصامت) .

لقد جنى ع . عبد الله على صورة الرجل ، فأنصف صورة المرأة .

هذا الفنان وعالمه

المصور حامد الشيخ بكرى

[٣٢ سنة ـ البدارى أسيوط]

عند رؤية اعمال المصور حامد الشيخ بكرى نجد ان الهندسة فيها اساسها الحوار بين الخطوط المستقيمة والخطوط المنحنية .. عند وضع الالوان المساقطة مع الالوان الباردة .. فى درجات اللون الغامق واللون الفاتح .... بين الملمس الناعم والملمس الخشن .. هذه استخدام الاشكال التى يستوحيها من الطبيعة والاشكال المجردة ... لذا نرى داخل العمل الفنى الواحد الاتجاه نحو التجريبية فى تأكيد الفورم الذى يعتمد على تحقيق البعد الثالث فيكون محاولة ايجاد التأثيرات التعبيرية ضرورة لها اهميتها ... والاتجاه نحو التسطيح الذى ينشأ من استعمال الاشكال الهندسية ذات البعدين فيكون الحوار الاستاتيكى ضرورة اساسية وهامة ايضا .

من هذا الحوار الصامت تكون المحصلة النهائية لمفهوم العمل الفنى هى احداث نوع من الصراع الفنى التأثيرات التعبيرية والحوار الاستاتيكى فتنشأ علاقة ... وقد نجد هذه السمة من الصراع بشكل عام فى الفن التشكيلى الشعبى غير ان الفنان الشعبى يحرص على خلق العلاقة بين الاشكال المستوحاة من الطبيعة والاشكال المجردة ذات الرموز والدلالات الخاصة .

على هذا يمكن اعتبار الفنان حامد الشيخ من الفنانين المجددين لانه يهتم فى النهاية بالشكل الجمالى المطلق .

تجارى باريس

تشكيل مراكش

ثلاثـــــة مشـــــاهد
من ســـــينما أمـريكا اللاتينيـــــة
فى القـــــاهرة

أســـــبوع الفيـــــلم الـــــبرازيلى

غيـــاب ســـــينما
الجوع والعنف والالم

فى مطلع الستينيات من هذا القرن كتب المخرج البرازيلى جلاوبير روشا يقـول : « ان الجـــوع فى امريكا اللاتينيـــة لا يمثل فحسب مؤشرا بالغ الدلالة على الفقر الجماعى ، بل هو فى الواقع جوهر المجتمع ذاتـــه . وهكذا يمكننا ان نحدد ثقافتنا بأنها ثقافة الجوع . وهذا هو عنصر الاصـــالة فى الســـينما الجديدة » .

وفى الثانى عشر من أغسطس عام ١٩٦١ نشر روشا ـ نبى السينما الجديدة ـ مانيفستو الحركة الذى جـاء فيـه : « ... سينما جديدة والكاميرا فى يدك .. لانه عندما يفكر المرء فى السينما البرازيلية تتتابع أمام عينيه صور كثيرة : فقر تكوينها الفكرى وحاجتها الى الشعور بالذات ، موضوعاتها السياسية والاقتصادية المهجورة وميلهـا التراجيدى الحاد للديماجوجية والمغامرات .. ان هذا كله يصعد الى راسك دفعة واحدة .. ان ما نريده بالتحديد هو جرعة ثقة لا شيء أكثر من هذا .. بالاضافة

جلوبير روفا .. عين الكاميرا هى فوهتبندقية .. والاصابع على الزناد .

بالطبع الى عناصر اخرى والى أن نجد هذه العناصر .. فاننا سوف نواصل صنع افلامنا بالكاميرا فى أيدينا .. مقاس ١٦ مم أن لم نجد ٣٥ مم وسوف نتخذ من الشوارع بلاتوهات لنا » .

وحينما ظهر فيلم شارك خمسة مخرجين فى صنعه وهو « **الاحياء القذرة** » خمس مرات كانت السينما نوفو قد وجدت بالفعل . ويدور الفيلم حول الازلام – أو الاحياء القذرة – فى المدن الكبيرة ومناطق الشمال الشرقى افقر مناطق البلاد واكثرها تخلفا .

هل يكفى الجوع والعنف والكاميرا فى يدك لكى تصنع سينما جديدة ؟ .. ولكن ذلك كان كافيا لكى تقتحم السينما البرازيلية كل الاسوار حتى اسوار بلادها حيث تطبق الدكتاتورية العسكرية بيد من حديد على الاجهزة الثقافية والسياسية ...

ومن جسد السينما نوفو انسلخت **السينما الهامشية** بيد نيفيل والميدا وجوليو بريسانى ونلسون كانابارو وآخرين « **اختراق ، تحطيم ، تكسير ، قلب الاشياء رأسا على عقب .. ان سينمانا تنبثق رافضة – فى حزم لا يرحم على وجه الدقة – اى نوع من أنواع الابوية وهى لا تروم أكثر من صنع سينما تعكس الواقع الذى نعيشه . ويكفى أن يخلق المرء الشعر من النفاية** » – من بيان الهامشيين .

بعد ثلاثة اعوام من أول عرض سينمائى فى باريس عرض اول شريط برازيلى فى عام ١٨٩٨ . ومنذ ذلك التاريخ والبرازيل مستودع قمامة الافلام الهوليوودية وبعض الافلام الاخرى . **وككل بلدان أمريكا اللاتينية كان المستودع أمريكيا بنسبة ساحقة** . وحتى أوائل الستينيات لم تكن السينما البرازيلية – باستثناء **كافالكاتيني** احد رواد الفيلم التسجيلى الذى كان يعمل أغلب الوقت خارج بلاده – أكثر من خليط مما يعرف بكوميديات « الكانكاداس » المتهافتة والوسترن البرازيلى الذى يشارك فى انتاجه تجار هوليوود لرخص تكاليفه . **وبالطبع فان تكوين هذه الاتجاهات الثلاثة كان طبقيا** . فشباب السينما الجديدة قد جاءوا من بين ما يعرف « **بثقافة الطبقتين** » « الدنيا والمتوسطة » التى وجدت فيما يعرف بالاصلاحات الديمقراطية فى بيانات وبرامج الحكومات العسكرية المتعاقبة سرابا لا حدود له . وكان عليها أن تعمل والعمل يعنى – فى العادة – فى

أمريكا اللاتينية : **العنف** . وعنف السينما هو تقديم العنف الواقعى فى الحرب التى يشنها ممثلو هاتين الطبقتين . والهامشيون ايضا ينتمون الى الطبقة الوسطى، وقد تأثروا بالثقافة الاوربية ، وخاصة بالوجودية السارترية ، والعبث عند كامو ، وظهرت سينماهم فردية آحادية التفكير ولكن جانبهم الايجابى تمثل فى المشاركة فى اسقاط الاقنعة من على وجوه تقدمية مزيفة . لقد كانوا هم وشباب السينمانوفو الذين تلقوا صدمة زوال الحلم والارتطام العنيف بالارض بعد احداث ١٩٦٤ التى ادت بالانقلاب العسكرى الى السلطة . ومن الطبيعى ان تكون للبورجوازية الحضرية افلامها وتصوراتها الثقافية . واذا كانت بعض شرائحها تجد فى « الكانكاداس » مصدرا لتحقيق الارباح ، فان مثقفيها مشغولون جديا بمشكلات تبدو متطابقة فى جانب منها مع مشكلات السينما الجديدة . ويتلخص اهم هذه المشكلات فيما يعرف **بعقدة العهد الاستعمارى والصراع بين الايمان الكاثوليكى الراسخ وضغط قوى اليسار المادى والمعنوى** . واعتقد أن هذه المشكلات تمثل مدخلا لتناول بعض افلام اسبوعى الفيلم البرازيلى اللذين اقيما فى القاهرة للمرة الاولى فى الشهر الماضى . لقد عرض خلالهما ما يزيد عن عشرين فيلما طويلا سوف أختار اربعة منها كاهم مؤشرات العروض كلها . ومن المفيد أن أذكر أن مخرجى هذه الافلام يمثلون فى الاتجاه العام أحد شرائح السينما الجديدة وان كانت شريحة لا يمكن تصنيفها فى أكثر الاجنحة تقدما فى هذه الحركة .

[●]

يبدأ فيلم « **جوانا المرأة الفرنسية** » [١٩٧٣] **لكارلوس دييجبس** بمشهد لاحدى الحفلات البورجوازية الكبيرة فى احد قصور منطقة الاجواس بشمال شرق البرازيل . ويضم الحفل فيما يضم مجموعة من الكولونيلات وكبار الملاك الذين تستقطب انظارهم جميعا من هم مدعوون على شرفها : جوانا [جان مورو] المرأة الفرنسية التى تعيش فى مرح باذخ معتمدة فيما يبدو على هباتهم بقدر ما تعتمد على ترسب عقدة العهد الاستعمارى فيهم « منذ كانت البرازيل مستعمرة فرنسية برتغالية فى منتصف القرن السادس عشر » . ونحن نفهم من خلال هذا الحوار مركز جوانا فى هذه البقعة ، كما نعى شيئا فشيئا الخلفية التاريخية للاحداث .

يقول لها عشيق : « **اريد ان احدثك عن الثورة فى الشمال الشرقى** » . ويرد آخر : « **ارحلى الى باريس لان الثورة مشتعلة بالفعل** » .. وحينئذ ترد جوانا : « **لقد تم التخطيط لهذه الثورية فى منزلى** » وتفاجأ بمن يرد عليها : « **لا شك انها الثورة المضادة اذن** » .

وفى ضيعة الكولونيل اوريليانو تتبلور الاحداث مع وصول جوانا الى المكان الجميل . فالام العجوز تموت حانقة على الكولونيل الفاسد وتتعرف على ابنه ريكاردو الشاب الثورى الذى يسألها : « **هل انت مغرمة بالسياسة** » وتهزأ جوانا من سذاجته ! وهناك ايضا العم جوليو العجوز الذى يلوك حديثا عن الايام القاسية القادمة مذكرا اوريلياتو بايام الوباء فى عام ١٨٩٥ ويحذر العجوز الكولونيل مما يجرى فى مصانع ليما من اضطرابات عمالية معلنا له نبوءة استيلاء الثوار على الارض والممتلكات . اما القس « وهو امر يتصل مباشرة بثيمة الكاثوليكية » فهو يعلن : « **سوف أؤيد الكولونيل دائما لانه يحارب من اجل تجنب فوضى التقدم !** » واخيرا هناك طفل معتوه محبوس فى كوخ يئن طوال الفيلم كحيوان جريح . وتتطور الاحداث ويقرر ريكاردو دخول الانتخابات ويذكر لجوانا أن منافسه سيلقى خطبه فى حماية البوليس وتصرخ فيه : « **هنا الكولونيل اوريليانو هو الذى يصنع القانون** » وبعد ان تموت زوجة الكولونيل يكون البيت قد بدأ انهياره ، والكولونيل يهيم شاردا فى أرجاء ضيعته وريكاردو فى السجن « **يبدو انه ضائع مع البلاشفة** » هكذا قالت جوانا . وتقتل جوانا الطفل المعتوه آخر من بقى من الاسرة ثم تلفظ انفاسها الاخيرة « **من المستحيل الاستمرار** » . . . . **والواقع ان ثورة ١٩٣٠ كانت قد اشتعلت ولم يعد احد قادرا على اخمادها وهى الثورة التى ارتبط فيها عمل ليسار البرازيلى بالدعوة الى تطوير البلاد بعيدا عن السيطرة الامبريالية** .

وعلى مستوى الرمز يمكننا ان نستخلص درس **عقدة العهد الاستعمارى** : لقد جاءت جوانا الفرنسية فخرب البيت الذى كان خرابا من الاصل . وبالطبع فان مسئولية الخراب تقع اصلا على عاتق الاستعمار بكل اشكاله . ولعل هذا يفسر سبب منع الحكومة الفرنسية عرض الفيلم فى بلادها . ان الفيلم وثيقة جريئة ضد الاستعمار ، ومحاولة طيبة — فنيا وفكريا — للخلاص من عقدة العهد الاستعمارى . كتب دييجبس يقول : « **تدور افلامى كلها حول حتمية التغيير**

.. غير انه من الواضح أن العالم لم ينته سواء عندما قرعنا طبول الحرب او عندما اكتفينا باطلاق صرخاتنا المتقطعة فالحضارة القديمة ما زالت مسيطرة على الانسان فى هذا الكوكب .. ان جثة هذه الحضارة يجب ان توارى التراب .. وانا الان اقوم بدور حفار القبور بالنسبة لها » .

وفى فيلم « الملعونون » « ١٩٧٤ » لزيليتوفيانا « عن قصة لازوفالدودى أندرادى » نرى صورة اخرى من مشكلات المجتمع الحضرى فى المدن الكبيرة فى اوائل القرن العشرين حيث نتعرف على آلما « ايزابيل ريبيرو » العاهرة التى تتردد على بيت فخم يقيم فيه بعض السادة بزعامة ماورو القواد حفلاتهم الداعرة فى جو شبقى مشبوب . والفيلم هو سيرة ذاتية لحياة هذه العاهرة الموزعة بين السيطرة الحسية للقواد وبين الحب الافلاطونى الذى يبثه اياها موظف بسيط . وتتسم هذه السيرة بصدق فى التحليل على الصعيد النفسى ، ولكنها تضل طريقها عندما توصد الابواب بينها وبين الواقع المشحون فى احداث هذه الفترة الهامة التى مهدت لثورة ١٩٣٠ . ومن المؤكد أن آلما ليست عاهرة فاضلة ولكن سيرتها الذاتية التى تعاين قذارة معنوية داخلية فى مجتمع بورجوازى دون أن تدعنا نطل على قذارة مادية خارجية — افقدت الفيلم رؤيته الشاملة والطابع الجدلى الذى كان يمكن ان يفيد منه قياما فى خلق مستويات متعددة بين الداخل والخارج مما يثرى الموضوع ويكسبه روحا شمولية . على أن الفيلم فى النهاية — وهو أول اعمال مخرجه — هو عمل فنى ممتاز .

اما « كل العراة سيعاقبون » « ١٩٧٣ » لارنالدوجابور « عن مسرحية لنلسون رودريجيس فهو فيلم كوميدى يرتدى قناع المأساة عندما يتناول اعقد ثيمات السينما فى أمريكا اللاتينية وهى الصراع بين الكاثوليكية المتأصلة وبين دعاوى التقدم . ويختار العرى مرادفا للتقدم ... العرى المادى والمعنوى لتماثيل البورجوازية الكاثوليكية . فهذا ارمل ينصحه اخوه العبثى « فى الجنس يكمن خلاصك من احزانك » والارمل يبدو رجل اعمال كبيرا وهذه عاهرة محترفة تقبل هذا العرض الذى يعرضه الاخ . وهذا ابن للارمل يفاجأ بسقوط الاب كما تفاجأ عائلة الخالات المتدينات التى لا يمنعها نفاقها من ان تقر بأن العاهرة لم تكن عاهرة ابدا وان « جينى تتزوج عذراء » لمجرد أن الارمل تزوجها داخل الكنيسة ! ويسقط الاب فى عرى العاهرة التى تعريه وتدفع الابن الى السجن حيث يتعرى عنوة بيد لص بوليفى ! وعندما تتعرى القيم العائلية يفيق الجميع فى بئر العراة على فرار الابن مع اللص البوليفى وعلى انتحار الزوجة العاهرة السابقة وعلى صدمة الاب الذى اراد عريا محدودا فانفتحت كل الابواب . ان بحث مجتمع عن العرى لا يمكن ان يكون تسلية كوميدية وان كان الشكل كذلك . والفيلم محاولة لهز قيم راسخة راكدة .

وفى « كلى من باجيو » لانسيلمو دوارتى تمثل القيمة الدينية جوهر المشكلة فى الفيلم كله . فكلى قد اغتصبت اخته والفيلم يتابع رحلته من اجل القصاص . وفى مشهد اغتصاب الاخت تجدها تتشبث تارة بصورة العذراء وتارة بصورة المسيح ولكن الصور تسقط وتغتصب برغم ذلك . وفى تمثيلية الصلب والمسيرة فى طريق الالام يشعر كلى بأن الجانى قد وقع « وقد وصفته اخته له » حينما يمسك بخناق من يقوم بدور المسيح يبغى قتله . ويبين الفيلم بوضوح استحالة بقاء الحق مجردا من القوة « العنف المشروع » ومع أن الفيلم يبدو وسترن برازيلى الا ان فكرته الاساسية تصل الى الجميع .

[●]

لقد صدرت هذا الجزء بعبارة تقول : غياب سينما الجوع والعنف والالم . وبالطبع فان هذه العروض قد افتقدت بشدة اعمالا لجلاوبير روشاوروى جيرا ونلسون دوس سانتوس وجوستافوروال وجوليو بريسانى وغيرهم وهم يمثلون ثقافة الجوع وديانة العنف وروح الالم . ولكننا نقرأ البرقية التالية التى اذاعها اخيرا مراسل وكالة انباء غربية فى البرازيل : « بدأت فى ساوباولو سلسلة من المحاكمات السياسية الجماعية لنحو مائتين من اعضاء التنظيمات اليسارية فى البرازيل بتهمة الانتماء الى حركات سياسية غير مشروعة وتنمية النشاط العدائى بين الفلاحين فى منطقة الشمال الشرقى » .. وهى المنطقة التى تدور فيها أغلب احداث السينما نوفو واكثرها وعيا وتقدمية . وهكذا فان الغياب مبرر بالطبع . ولكن هل نأمل فى أن نرى هذه السينما — مثلما رآها الاوروبيون — فى بلادنا ... يوما .

أســــبوع الفيــــلم المكســـيكى

هوليوود الجنوب المتخلفـــــــة

مثلا كانت البرازيل وكوبا ما قبل الثورة مستودع قمامة الافلام الأمريكية كانت المكسيك ايضا منذ ان عرض فيها أول شريط سينمائى فى عام ١٨٩٧ . وكان طبيعيا أن يعامل الشمال الإمريكى أهل الجنوب باعتبارهم **موديلات للتخلف الاجتماعى والثقافى او مصادر لاستيراد الغرائب واثارة القهقهة على الرجل الكسول ذى القبعة القشية الواسعة المرخية على وجهه !** ولم يكن طبيعيا أن تنسخ الافلام المكسيكية أردأ ما فى هوليوود البلسيفيه من وسترن وكوميديات فجة وميلودرامات فاقعة وتكررت نفس المآسى التى وقعت فى بلدان امريكا اللاتينية الاخرى ـ بل وفى الافلام الامريكية نفسها ـ من تزييف للواقع واغراقه بطابع رومانسى مفرط اعتمادا على أمية مجتمع زراعى متخلف يشكل الفلاحون اغلب طاقته العاملة .

غير أن الشيء المثير للانتباه حقا هو أن السينما المكسيكية قد ازدادت تخلفا وفقرا بعد الحرب الثانية بعد ان شعر النقاد بنوع من الامل فى سينما افضل بعد ان شاهدوا فيلم « **ماريا كانديلاريا** » **لاميليو فرنانديز** فى مهرجان كان ١٩٤٦ برغم أن الفيلم يقدم مكسيك الديكور والتوابل . وفى عام ١٩٥٠ قدم فنان السينما الاسبانى الاصل لويس **بونويل** فيلمه الممتاز فى المكسيك « **المنسيون** » التى استطاع ان يدين فيها تسلط البورجوازية الكاثوليكية بكافة معطياتها الاجتماعية والسياسية .

ومن الغريب حقا أنه بينما تموج القارة اللاتينية « والمكسيك تنتمى اليها لغة وفكرا واجتماعيا واقتصاديا « بانفجارات الثورة فى الدول الفاشية والثورية على السواء منذ مطلع الستينيات متمثلة فى حركة السينما نوفو البرازيلية والنوفو سينمى الارجنتينية والسينما الملحمية فى بيرو والسرية فى فنزويلا والثورية فى كوبا الثورة وتشيلى الليندى وبينما الحديث فى الداخل والخارج لا يكف عن الصراع المشترك بين التيمات **المشتركة لشعوب القارة كالصراع ضد الكاثوليكية بين سينمائيى القارة وبالتالى بين شعوبها** ـ بينما كان ذلك كله يدور فوق وتحت السطح ظل الفيلم المكسيكى تحت رقابة الحكومة وسيطرتها « بغرض كسر حرية التعبير او صنع الافلام الملائمة » حتى أصابه مرض مزمن أثقل عليه تراث مروع من التخلف الذى لم يسمح حتى بظهور اى نوع من أنواع السينما الموازية او اى شكل آخر من أشكال التعبير السينمائى الحر .

عرضت فى الاسبوع المكسيكى بالقاهرة سبعة أفلام طويلة لم نر فيها من افلام « **مجموعة السينما المستقلة** » « التى تكونت على هامش اوليمبياد ٦٨ . وتعتبر المجموعة الوحيدة التى تخرج افلاما ذا بال رغم اشراف الحكومة عليها ايضا ! » سوى فيلم لمخرج واحد هو **فيليب كازالز** بينما غابت اعمال **بونويل** المكسيكية وهى بلا شك اكثر تعبيرا عن الواقع المكسيكى بكل أبعاده ، وافلام **لويس الكوريزا وايزاك ولايتروابيانيز** على سبيل المثال .

ومعظم الافلام التى قدمت من انتاج السبعينات ـ أى أن طرق التناول الفنى والفكرى سوف تكون متوافقة مع آخر انجازات العقد الاخير ـ ولكنها تخيب ظننا بشدة . وباستثناء اربعة أفلام ـ سوف أتناول ثلاثة منها لخطورة مضامينها فقط ـ فاننا لم نر رؤية فنية ولا تميزا فنيا أو حتى تقليدا لافضل ما فى العالم السينمائى .

وتتناول ثلاثة أفلام تيمة الثورة والنفى الاستعمارى بينما يقدم الرابع « كلاب الله » « ١٩٧٣ » **لفرانشيسكو فيلاو** معالجة معقولة لتيمة اخلاقية

وادى البؤساء ـ المكسيك ـ

حول الثواب والعقاب وبحث الانسان الفرد عن الخلاص الالهى فى عالم مركب . وقد برع فيه المصور المكسيكى العظيم **جابرييل فيجورا** . وهو فيلم يكشف عن أصالة وصدق بأكثر مما رأينا فى الافلام الثلاثة التى سوف أتوقف عندها قليلا .

ولنبدأ بفيلم **فيلبى كازالز « حديقة العمة ايزابيل »** الذى يسعى فى محاولة طموحة الى تأمل الماضى الاستعمارى محاولا استخلاص فكرة « حتمية وجود ثقافة امريكية خاصة » وهو يقدم محاولته من خلال تعرض احدى سفن الاسبان الغزاة للغرق عند الشاطىء المكسيكى . ومن خلال الناجين نتعرف على القساوسة والموظفين الملكيين والمساجين أيضا . وكل يفكر فى حل داخل الغابة من منطلقاته . أما النساء فهن عاهرات . وفى الادغال تتبلور الصراعات لتكشف عن عالم آخر يسعى الى الحرية . ونرى الوطنيين من خلال اطلال معبد مهدم . فى هذه الظروف يظهر المبررون للغزو الاستعمارى والرافضون له أيضا . وتتعرض المجموعة لاخطار هائلة تهلك معظم افرادها ، أما الناجون فيرفضون الانضمام للفرقة الاسبانية التى جاءت بحثا عنهم .

ان الفيلم من خلال العودة الى موروث الماضى واحداث كل يوم فى القرن السابع عشر يكشف عن اصول الغزو ويحذر ـ فى بطء ـ من الوجود الدائم للازدواجية الاستعمارية المادية والمعنوية فى عقول المكسيكيين .

ويبقى فيلمان يتناولان فترة الغليان الثورى فى المكسيك قبيل واثناء وفى اعقاب ثورة **فرانشيسكوماديرو** العظيمة « ١٩٠٩ ـ ١٩١٠ » وانتفاضة **زاباتا** فى الريف **وبانشوكاميلا** من بعده . والفيلم الاول هو **« وادى البؤساء »** « ١٩٧٤ » **لرينيه كاردونا** الذى يحكى ما تعرض له مسجونون سياسيون وعاديون ومتطوعون للعمل فى مزارع دخان آل زماريبا فى الوادى الوطنى من وحشية ومعاملة حقيرة قبيل ثورة ماديرو . ويتطور الخيط لنصل الى الكيفية التى ينتقم بها هؤلاء البؤساء لانفسهم من الطاغية ـ المتحالف مع سياسيى هذه الفترة ـ ومن عائلته المكونة من شقيقته ومن فتاتين فى ربيع العمر الوردى .

كيف قدم الانتقام المشروع ؟ كيف قدمت القوات الثورية التحريرية ؟ كيف قدم الطغاة الاثمون ؟ على هذه الاسئلة يتوقف مفهوم الفيلم للثورة . كان مشهد الانتقام وتدوم القوات الثورية فيلما قصيرا بذاته استغرق ما يزيد عن عشر دقائق كاملة ! عشر دقائق كاملة من البشاعة اللاانسانية ! فالغوغاء تقتحم قصر الطاغية وتعرى الاسرة اللطيفة – التى اكتسب معها المتفرج خلال ما يزيد عن ساعة وربع كل التعاطف والحب والرغبة أيضا – قطعة قطعة وسط هلع وصراخ لا مثيل له ثم ترفع الاسرة فردا فردا على خطاطيف تشدها الغوغاء ثم تحرق الجثث التى تظل تحترق أمامنا حتى تسقط الجماجم ! والقوات الثورية شراذم كالمكسيكيين الذين نراهم فى أفلام الوسترن الهوليوودية ! أما الطغاة فقد كانوا شرا مطلق منذ البداية وحتى النهاية ! ولقد ذكرنى هذا الفيلم بفيلم آخر اكثر ذكاء فى تشويه الثورة وهو « نيكولاس والكساندرا » لفرانكلين شافنر – ومن حسن الحظ أن الرقابة المصرية قد منعته – الذى ينتهى بمشهد بشع لاعدام آل رومانوف بواسطة القوات الثورية فى روسيا ١٩١٧ . وبالطبع فان الغرض واضح من هذا الفيلم أو ذاك .

أما الفيلم الاخير « البداية » لاورتيجا فهو يقدم – فى مستوى فنى أفضل – قصة يسترجع فيها « دافيد » ابنة ارنستو ماجرى ايام تسلط ابيه الراسمالى على مقدرات الاخرين . كما يتذكر العديد من المذابح التى يتفنن المخرج فى اثارة اهتمامنا بها لذاتها « وبالطبع مشاهد الاغتصاب » . ونحن نرى ثوريين مثاليين فى الفيلم لا وجود لهم فى الواقع يتحركون بعصبية ويهتفون بلا سبب ويرفعون شعارات بلهاء . وقيل أنهم ممثلو العمال الثوريين الذين نراهم دائما صامتين أو مندفعين حسب مقتضيات الحال . كما أن الراسمالى الملطخ اليد طوال الفيلم يعتدل فجأة فى النهاية وهو يبكى : « لا اريد ان أقتل أحدا .. لا أريد ان أقتل أحدا » ...

وتجرى الاحداث كلها على أنغام السيمفونية رقم ١١ لشوستاكوفيتش ! وهذه هى الثورة . وعندما يصير هذا التقديم للثورة أمرا شائعا فى الافلام المكسيكية التى رأيناها فانه أمر يدعو للاشفاق والحزن على مستقبل هذه السينما . ويصل المرء فى النهاية على أن يردد عبارة للناقد الفرنسى لوى ماركوريل تقول : تجدد السينما المكسيكية : وعود تنفذ دائما .

الفاروق عبد العزيز

أسبوع الفيلم الكوبى

المصير العام والمصير الخارجى

الفارق الكبير بين كوبا « باتستا » وكوبا الثورة ، هو نفس الفارق بين سينما الامس وسينما اليوم ، فبينما لم تتمتع السينما الكوبية ، فى الدراسات التى تتعرض لتاريخ السينما فى العالم ، الا بشذرات مهملة ، وقليلة ، تضع الافلام الكوبية فى « خانات » « الميلودراما » والحنو المصطنع » و « الرومبـا » ، و « المغامرات » ، وهى الانواع الرخيصة ، الفجة ، الهروبية ، التى تنتشر فى ظل الانظمة المشابهة لنظام « باتستا » فان سينما الحاضر ، التى لا يتجاوز عمرها عمر الثورة ، استطاعت ، وعن جدارة ، ان توجد لنفسها مكانا فى خريطة السينما العالمية ، وان تصبح نموذجا مشرقا لما يستطيع فنان العالم الثالث ان يقدمه لجماهير بلاده *

فى اسبوع الفيلم الكوبى ، الذى اقيم فى مصر لاول مرة عرضت خمسة افلام روائية ، يخرج المرء بعد مشاهدتها بفكرة شاملة ودقيقة عن تاريخ كوبا . وليس معنى هذا ان افلام الاسبوع تهتم بالتاريخ كوقائع

ذكريات التخلف

مجردة ، أو كخلفية فخمة ، أو كأحداث مفاجئة . ولكن التاريخ هنا يقدم من خلال تأثره وتأثيره فى أبطال الافلام ، فالسينما الكوبية ، من خلال الافلام الخمسة ، تربط بين المشاعر الخاصة وبين القضايا الوطنية والاجتماعية ، بل وتربط المصير الذاتى بالمصير العام .. من هنا تأتى كل شخصية محققة تاريخيا ، وطبقيا ، وفكريا ، وبالتالى فاننا لا ندرك ابعادها النفسية وقضيتها الخاصة فحسب ، بل ندرك أيضا موقعها من حركة التاريخ ، أهى مع القوى النامية ، أم مع القوى المنهارة ؟ أهى ضمن القوى المستغلة ، أم ضمن القوى المستغلة ؟ لذلك فان الفيلم الكوبى عندما يقدم أحد ابطاله يجعلنا ندرك عصره كله ، بمشكلاته ، وتناقضاته ، وقيمه السائدة ، وهمومه ، الامر الذى اتاح للمتفرج - بعد مشاهدة الافلام الخمسة - أن يخرج بفهم مكتمل وموضوعى للتاريخ ، ليس كوقائع أو احداث ، ولكن كتيارات وصراعات ، ترتبط وتتأثر وتؤثر فى جميع ابطال الافلام .

لوتسيا : كوبا ١٨٩٥

يقدم فيلم « لوتسيا » الذى أخرجه أومبرتوسولاس ١٩٦٨ ثلاث قصص لثلاث فتيات ، فى حقب تاريخية متوالية ، محاولا تجسيد الظروف الخاصة والعامة ، التى كبلت انطلاق المرأة وتحررها ، وفى الوقت نفسه يقدم الابعاد النضالية لذلك المشوار الطويل ، الشاق ، الذى قطعته المرأة الكوبية ، ولا تزال ، من أجل المستقبل .

عن طريق الاضاءة المبالغ فيها - بالنسبة للقصة الاولى - يعطى المخرج احساسا بأننا نشاهد فيلما قديما أو حلما مفزعا ، اهترأت بعض أجزائه وتآكلت لقطات من مشاهده . وعند طريق حركة الكاميرا التى تتعقب وتدور حول امرأة مجنونة تترنح فى الشارع يطاردها بعض الصبية ، يعطى المخرج احساسا حادا بحصار المرأة وانهيارها .

وعن طريق مونتاج جرىء ، وجاد ، ينتقل الفيلم الى احدى العائلات البرجوازية ، وبطريقة ايحائية يربط بين مأساة المرأة المجنونة ووضع بنت الاسرة الناعمة وهى تحاول التخلص من حركة الكاميرا التى تقيدها بالدوران حولها ، معبرة فى هذا عن شوقها للتحرر والانطلاق .. وسرعان ما يخفق قلبها لرجل نصف أسبانى يزور عائلتها .. وعلى الرغم من أنها عرفت بأن له زوجة وابنا فى أسبانيا الا أن قلبها الضعيف وارادتها الخائرة يدفعانها نحوه .. وعندما تتسلل من بيتها لمقابلته تعترضها المرأة المجنونة ، وتحذرها ، فهى قد مرت بتجربة مريرة مع الاسبان . ومن خلال مشاهد مضطربة ، يضفى عليها خيال الراوية جو الكوابيس ، نعلم أن المرأة المجنونة كانت راهبة كاثوليكية ، تعطف على الجنود الاسبان الذين ينتمون لنفس دينها . وفى أثناء ثورة ١٨٩٥ الدامية التى قام بها الشعب الكوبى بزعامة « جوزيه مارتى » ضد الاستعمار الاسبانى ، كانت الراهبة تقوم بعلاج جرحى المعارك والصلاة على أرواح القتلى .. وفى احدى المرات

يطاردها الجنود الاسبان ، أبناء دينها ، أعداء وطنها ، ويغتصبونها .. وسرعان ما تسقط في غياهب اللاوعي .

لكن ابنة العائلة البرجوازية ، المتشوقة للحب والتحرر ، تنطلق للقاء حبيبها نصف الاسباني . وبعد أن يقضي منها وطره يتركها ويهرب ، وتتعثر في عشرات من جثث شهداء الثوار أثناء عودتها الى بيتها ، ويبدأ وعيها في الاختلال عندما تجد جثة أخيها الوحيد ضمن الشهداء ، وفي مشهد لا ندري اذا كان واقعيا أم يدور في عقل الفتاة — وان كانت له دلالة واحدة — تعثر على حبيبها الوغد — نصف الاسباني — واقفا مع مجموعة من الاسبان ، وتقترب منه لتطعنه بمدية حادة طعنات دامية ، حيث يختلط صراخه مع صراخها ليحقق الى جانب الاضاءة التي تكاد تحجب تفاصيل الوجوه والشوارع تأثيرا دراميا شديدا ، واذ يحيط بها مجموعة من جنود الاسبان ويبدأون في ضربها تلتفت حولها بفزع فلا تجد الى جانبها الا الراهبة المجنونة !

هكذا يقدم « اوميرتوسولاس» في الجزء الاول من فيلمه مأساة مزدوجة للمرأة . الاولى مأساة امرأة تناقضت مثلها الدينية مع واقع الحياة الموضوعي ، والثانية مأساة بنت البرجوازية التي تطلعت بأشواقها وعواطفها الى رجل يقف في النهاية ضد وطنها ، لذلك فان كلا منهما دفعت من عقلها ثمن موقفها المناقض للمجرى التاريخي للامور .

لوتسيا و «يوم المياه» :
كـــــوبا ١٩٣٦

في الجزء الثاني من الفيلم يتتبع « سولاس » نمو علاقة حب بين مثقف ثائر وفتاة ضحت بأسرتها الغنية من أجله .. وبينما اتسم الجزء الاول بجو اقرب الى الاحلام المفزعة ، يتسم هذا الجزء بالرقة والشجن ، ذلك أنه يدور خلال سنوات ثورة ١٩٣٣ وما بعدها ، وهي الثورة التي قام بها طلبة جامعة هافانا ، وقطاعات من مثقفين وطنيين ، ذوي نزعات رومانسية ، ضد حكم السفاح « مانشارو » .

تبدو الفتاة هنا قادرة على التضحية والحب والعطاء ، قادرة أيضا على العمل المنتج ، بل نراها وهي تعتمد على نفسها في العيش وتقود المظاهرات ، وهي تحيط فتاها بالدفء والحنان والبهجة ، وتبدو حياتها في احدى لحظات الكفاح كما لو كانت أغنية حب رقيقة ، ففي حجرة المثقف المتواضعة ، وبكاميرا بالغة الشاعرية ، تدور حول الحبيبين بنعومة أخاذة .. ولان السينما الكوبية تربط المصير الخاص لابطالها بحركة الواقع ، فان حياة الحبيبين ، التي ارتبطت بالكفاح والثورة ، تصبح مهددة مع تفكك الثورة وانهيارها ، ذلك أن ثورة ٣٣ التي لم تستند الى قوة الجماهير ، والتي لم تعمل على تغيير النظام جذريا ، تقع بسهولة فريسة لحصار الطبقة الغنية ، المتعاونة والمتبنية للمصالح الامريكية . وما أسرع ما يذوب ثوار الامس في محيط الطبقة الناعمة ، التي مهدت وباركت ظهور الطاغية « باتستا » .

وفي مشهد واحد يعبر الفيلم عن بداية احباط الثورة وانهيارها ، عندما يقدم عاملا عجوزا خدم مصنعه عشرات السنين ، ثم يتم الاستغناء عنه ليعين بدلا منه أحد ثوار الامس . ومن خلال دموعه التي تؤثر بعنف في روح بطلنا يتجدد ، وبطريقة ايحائية ، مصير المثقف الثائر ، المنفي ، ذو النزعة الرومانسية .

وفي هافانا ، ووسط الحفلات الصاخبة ، التي تمتص ثوار الامس ، ينسحب بطلنا ليسلك طريقا فرديا في الكفاح ، يليق بنزعته الرومانسية ، فيقرر أن يكون ارهابيا .. وسرعان ما يسقط قتيلا في أول عملية له .. وتجهش الفتاة بالبكاء على جثمان حبيبها كما لو كانت تبكي ثورة لم تتم وتحررا لم يتحقق .

وينتهي الفيلم ببطلتنا حائرة ، فاما أن تعود لاسرتها مرة أخرى ، وأما أن تواصل ما بدأته ، ووسط بيوت فقيرة ، وبين وجوه تصنع الحياة وان كانت لا تستمتع بها ، تقرر أن تأكل قوتها بعرق زنديها ، وأن تحتفظ في أحشائها بابن سيواصل على نحو أوفق ، ما بدأه والده .

أما المخرج « أوكتافيو جوميز » فيرتد بفيلمه الكبير « أيام المياه » ١٩٧٠ الى عام ١٩٣٦ ليقدم تفسيره الواقعي لتلك القصة الغريبة التي حدثت في مقاطعة « بينادل ريو » البائسة ، شأنها شأن مقاطعات كوبا جميعا ، والتي تقول بأن امرأة من الشعب ظهرت لها العذراء فأصبحت قديسة قادرة على شفاء المرضى واجابة المحتاجين .. وهي نفس القصة الغريبة التي تكررت في أسبانيا وايطاليا وروسيا القيصرية ، في ظروف تتفق مع نفس أوضاع كوبا ١٩٣٩ .

اعتمد « جوميز » على أسلوب أقرب الى « الريبورتاج » في بناء فيلمه متيحا لنفسه فرصة ثمينة لتقديم لوحة مكتملة عن التيارات المتصارعة في فترة تاريخية محددة ، السلطة ورجال الدين ، الجماهير غير المنظمة ، غير الواعية ، تحت قيادة امرأة آمنت بأنها قديسة فعلا ، القوادين ، الموظفين الكبار ، والمغامرين السياسيين ، وفي الوقت نفسه

استطاع أن يحلل الظروف الموضوعية التي تهيء المناخ لظهور الخرافة وانتشارها وسيطرتها على وجدان الجماهير .

يفتتح « جوميز » فيلمه بلقطة كبيرة لوجه القديسة « انتونيكا » المعبر ، الضامر ، القوى ، وهي تصلى من اجل آلاف المعذبين بالمرض والفقر ، وهي تهبهم بركاتها دون أن تطالبهم الا بالايمان بالعذراء التي وهبت الشفاء لابنها بلا مقابل .

وتندفع الجماهير الجائعة ، الفاقدة للوعي والاتجاه ، الى الايمان المطلق بقوة « انتونيكا » ومقدرتها على جلب المعجزات من السماء .. وينتقل اعتقاد الجموع ، المتعطشة لمعجزة تنتشلها من واقعها المر ، الى « انتونيكا » نفسها ، فتصبح مؤمنة بقوتها ومقدرتها التي تستمدها من العذراء .

يبدأ الاطباء والصيادلة ، ورجال الدين في الانزعاج من نفوذ « انتونيكا » المتزايد ، والذي بدأ يؤثر على مصالحهم بطريقة مباشرة .. وعن طريق المقابلة بين رجال الدين بملابسهم الفاخرة ومجوهراتهم الثمينة وكلماتهم المنمقة من جهة وبين «انتونيكا» بملابسهما الفقيرة وكلماتها البسيطة من جهة اخرى ، يحدد الفيلم موقع كل منهما من الخريطة الطبقية لكوبا ١٩٣٦ .. وعن طريق المقابلة بين الصور والاعلانات التي تحيط بالاطباء والصيادلة ، والتي تتضمن وجوها تفيض بالصحة والحيوية ، وبين الجماهير بوجوهها البائسة ، يكشف الفيلم عن الفارق الكبير بين الواقع الفعلي للملايين وبين الصورة الوردية الزائفة التي تروج لها الدعاية لحساب الاطباء والصيادلة وبقية فئات الطبقة الناعمة .

واذ تتحرك السلطة للقبض على « انتونيكا » يسارع شاب مغامر بالدفاع عنها دفاعا مستميتا ، وبالفعل ينجح في اطلاق سراحها ، ثم يبدأ في استغلال شعبيتها من أجل تحقيق مطامعه الذاتية في المجال السياسي .. لكن « انتونيكا » التي أصبحت مصدر عزاء للمتعبين ، والتي رفعتها الجماهير المتعطشة للرحمة الى مستوى القديسات ، ترفض لعبة السياسة بحزم ، وتعود مرة أخرى للتخفيف عن آلام الجموع .

بعد أن ينجح الشاب المغامر - بفضل الشعبية التي استمدها من دفاعه عن أنتونيكا - في كسب العديد من المعارك الانتخابية والاستحواذ على السلطة في المقاطعة ، يبدأ في تصفية حسابه مع « انتونيكا » .

وفي مشاهد تبلغ - الى جانب وضوح الرؤية وعمق الوعي - حدا رفيعا من الكفاءة الفنية ، لا تحتاج لتعليق ، تشرح نفسها بنفسها ، يتقدم جنود السلطة لتفريق الجماهير والقبض على القديسة . وبينما يؤمن الجميع بما فيهم « انتونيكا » بأن المياه المقدسة التي ستلقيها على الجنود كفيلة باخفائهم جميعا - يواصل الجنود تقدمهم بثبات .. ومع تفرق الجموع المذعورة وهروبها وانهيارها ، يكتشف أخلص اتباع « انتونيكا » ذلك الاكتشاف العظيم : ان ما ينقصه ، وينقص المحتاجين ، ليس سوى البندقية . وأن « المياه المقدسة » ليست سوى وهم خداع ، اكذوبة لا تتحمل اية اختبار جاد . وعندما يقبض على « انتونيكا » المذهولة ، ويجرها الجنود القساة ، وسط النفايات وبقايا ما خلفته الجموع ، يزداد ادراك أخلص أتباعها لحقيقة ما حدث .

وفي ذروة انفعال ينقض على « انتونيكا » ساخطا لاعنا ، فهي قد استحوذت على وجدانه وعقله كما استحوذت على وجدان وعقل الجماهير ، وبدلا من أن تسير بجيشها فوق الارض ، جعلته يقعد عن العمل في انتظار معجزات السماء .

ويهرب أخلص اتباع «انتونيكا» حاملا معه وعيه الجديد ، ويعبر الفيلم عن روح مرحلة تاريخية كاملة ، أعقبت ظهور واختفاء « انتونيكا » فيقدم لقطات ومشاهد متداخلة ، مصبوغة بدرجات اللون الاحمر ، لحمامات الدم ، والمذابح ، والاغتيالات ... ثم ينتهي الفيلم بقوة من الثوار ، آتية من عمق الكادر ، حاملة السلاح لتحقق ما لم تستطع القديسة أن تحققه .

ذكريات التخلف : كوبا الحاضر

يمتد الاهتمام بالسينما التسجيلية في كوبا ليصبح أسلوبا مميزا للعديد من الافلام الروائية . ففي فيلم « جيرون » من اخراج « مانويل هيريرا » ، يعاد تصوير عملية « خليج الخنازير » الفاشلة ، التي قامت بها وكالة المخابرات المركزية لغزو كوبا عام ١٩٦١ . والى جانب اعتماد الفيلم على الاشرطة الوثائقية والصور الفوتوغرافية والمقابلات ، يهتم الفيلم بدقة تجسيد الوقائع وتصويرها في نفس أماكن وقوعها ، كما يقدم الجنود والضباط والطيارين ، الذين قاموا بالدفاع عن الوطن ثم مهاجمة العدو ودحره باعادة تذكر وتمثيل تلك اللحظات المصيرية الحاسمة ، سواء على مستوى الفرد أو مستوى الوطن .

ويقدم فيلم « رجل من مايسينكو » ، الذي اخرجه « مانويل بيريز » حلقة

أخرى فى سلسلة الكفاح من أجل استمرار الثورة ، ففى عام ١٩٦٤ كانت عصابات الثورة المضادة لاتزال تحتفظ ببعض البؤر فى جبال « اسكامبراى » ، ومن هذه البؤر أخذت تنطلق لتثير الرعب بين سكان المنطقة من الفلاحين الموالين للثورة ، وفى نفس الوقت تتجمع وتتهيأ لاعادة القيام بعملية غزو أخرى ، على غرار « خليج الخنازير » .

ويبدأ الفيلم باكتشاف جثة مدير مزرعة « مايسنكو » ، القريبة من بؤر العصابات . وبينما يعتقد البعض أنه كان أحد أفراد احدى هذه العصابات ، يعتقد البعض الآخر أنه كان موالياً للثورة .. ويتتبع الفيلم بطريقة تسجيلية ، تعتمد على المعلق ، وشهادات الذين تعاملوا معه ، والتصوير فى نفس الاماكن ، مراحل حياته ، خاصة فى الشهور الأخيرة .. وربما كان للاهتمام الزائد بتفاصيل الامور وتطوراتها ، بكل دقة ، والاسراف فى جمع الشهادات ، مع تعدد مصادرها ، أثر فى ذلك الملل الذى تسلل الى المشاهدين ، لكن مشهد النهاية الوحشى ، الذى يقتل فيه بطلنا على يد احدى عصابات الثورة المضادة ، بعد أن تكشف حلله بالثورة ، ودوره فى تقويض أركان العصابات ، لا يمكن أن ينسى بسهولة ، خاصة وان الفيلم ينتهى بتلك الكلمات المعبرة ، الشاعرية ، المؤثرة ، التى كتبها « كاسترو » ، معبرا فيها البطل المجهول « البرتو دلجادو » ، الذى ولد وعاش وناضل واستشهد فى الظل ، دون أن يتمرى الجميع على مدى بطولته وتضحيته .

أما فيلم « ذكريات التخلف » ١٩٦٨ ، من اخراج « توماس جوتيريز اليا » ، فيتمتع بأهمية خاصة ، ذلك أنه يقدم دراسة نفسية وسلوكية بالغة القيمة عن أحد أنماط المثقفين ، ليس فى كوبا فحسب ، بل فى بلاد العالم الثالث .

يبدأ الفيلم ، من حيث الزمن ، فى عام ١٩٦١ ، أى بعد قيام الثورة بعامين ، وتبدأ أول مشاهده ، بعد العناوين ، فى مطار هافانا حيث تنتهى مجموعة من المهاجرين الكوبيين ، معظمهم من الارستقراطية ، لمغادرة البلاد .. ووسط المهاجرين نلمح « سيرجيو » بطل الفيلم يودع زوجته ووالده . ويبدو واضحا ، من خلال ردود انفعالاته أنه لا يشعر نحوهم بأدنى محبة أو احترام .

وبينما نستمع فى فيلمى « جيرون » و « رجل من مايسينكو » الى صوت معلق موضوعى ، من خارج الكادر ، نستمع فى « ذكريات التخلف » الى « مونولوج » سيرجيو ، الداخلى ، ويأتى استخدام « المونولوج » هنا كضرورة للتعبير عن أحاسيس الوحدة والانغلاق على الذات والرغبة فى التأمل والحذر وعدم الميل الى البوح بالمشاعر والافكار الخاصة .. ولان « سيرجيو » مثقف برجوازى ، يقف ضد طبقته ، فيرفض الهجرة ، ويسخر من اهتمامات والدته التى تنصب على « اللبان » و « الشيكلى » ، ويكره زوجته التى تتزلف على العيش فى كوبا ، بل وتعتد ملامحطاته لتشمل فكرته النقدية الهامة عن الكاتب الامريكى « ارنست هيمنجواى » الذى اعتقدت كوبا أنه أحبها فأحبته ، بينما هو لم يكن يرى فيها الا ديكورا للتخلف يظهر هو فى مقدمته كشخصية عظيمة متحضرة .. ثم يعود بطلنا ليتساءل مستنكرا عن السبب الذى من أجله يترك « البرجوازيون » بلادهم للهجرة الى بلاد غريبة .

بعد أن يكتشف « ذكريات التخلف » موقف « سيرجيو » الرافض من طبقته المنهارة ، المهاجرة ، ينتقل الفيلم ليدرس سلوك بطله من خلال جلسته الدائمة فى شقته ، ومراقبته لحركة الواقع ، من بعيد ، ثم علاقته بالجنس الآخر . وهنا يقدم الفيلم بعدا آخر فى شخصية سيرجيو « الوحيد ، المتأمل ، المنفصل عن طبقته ، فهى لا يستطيع أن يندمج فى الصالح الجديد ، ذلك أن أصدقاءه ، وذكرياته ، وجزئيات كثيرة من مشاعره وأفكاره واهتماماته ، تكونت وتبلورت فى ظل طبقته المنهارة .. ومن خلال العديد من المواقف الصغيرة ، ومن خلال أداء الممثل الخلاق « سيرجيو كوريرى نستدرك ذلك الشرخ الكبير فى روح « سيرجيو » ، ففى الوقت الذى يكره فيه زوجته بمشاعرها وأخلاقياتها وسلوكها تجده غارقا فى مخلفاتها ، يتحسس ملابسها الداخلية ، ويستعيد ذكراها فى ذهنه ، وعندما يتعرف على فتاة من الشعب يجعلها ترتدى ملابس زوجته ويقرر أن يرتقى بسلوكها ويهذبها ، كيف ؟ هذا ما لا يجب عنه « سيرجيو » ، لانه لا يملك الاجابة .

وتعد شقة « سيرجيو » بالنسبة له ، القلعة ومرفأ الامان ، فهى البديل عن الشارع ، الذى يبدو غريبا بعد أن هجره « زينة القوم » ، الذين لا يحبهم ولكن لا يعلمون لغيرهم ، بعد أن حملوا معهم الجمل ما فى المحلات التجارية . لذلك فنان الشارع يبدو مكتظا بتلك الوجوه الكوبية المنهكة ، التى تتوقع احداثا كبيرة ١٩٦١ ، ويبدت

المحلات التجارية خاوية على عروشها ، لاول مرة .

ان الفيلم ، وهذه ميزته ، لا يدين « سيرجيو » ، ولكن يشرحه ، ويفسره ، بل ويشفق عليه . وفى الوقت الذى يفرق فيه « سيرجيو » داخل ذكرياته وتأملاته ومونولوجاته يقدم الفيلم حركة الواقع المتدفقة ، من خلال جهاز التليفزيون أو من خلال عناوين الجرائد ، وبينما يتنقل « سيرجيو » بين حجرات شقته وحيدا ، مشتتا ، متوترا ، حائرا ، يقدم الفيلم صور ثابتة لاحداث كوبا ، انفجارات ، دبابات ، خطابات ، جماهير ، استعدادات لمواجهة الغزو الامريكى ، دقات طبول حربية .

لوتسيا : المستقبل

اذا كان جو الاحلام المفزعة مسيطرا على الجزء الاول من فيلم « لوتسيا » ، وبينما يتسم الجزء الثانى بجو الرقة والشجن ، فان القصة الثالثة تتميز بالبهجة والتفاؤل ، ذلك انها تدور فى الستينات ، بعد احباط محاولة « خليج الخنازير» والقضاء على بؤر الثورة المضادة ، لذلك فان روح الاستقرار والبناء والثقة فى المستقبل هى النغمة السائدة فى القصة .

يبدأ الفيلم بمشاهد مرحة لمجموعة فلاحين يركبون احد الاوارى للذهاب الى العمل، وفى المزرعة ترتفع أغنية رقيقة تتحدث عن مطلع الصباح الجميل والزرع والخير ، وفى المساء تجتمع نفس المجموعة فى حفل عيد ميلاد بالقرية ، وتبدأ مناغب « لوتسيا » عندما يتشاجر معها زوجها الشاب لانها راقصت احد الشباب .. وتتصاعد مشاكلها عندما يحل بالقرية مجموعة الشباب الخاصة بمعسكر الامية ، ذلك أن زوجها الذى يحمل فى داخله الكثير من قيم الماضى المتخلفة يرفض أن تجلس زوجته الى جانب غريب ليعلمها .. وعندما يرضخ ، ويضطر للموافقة ، يقدم الفيلم فى مواقف كوميدية رهو يراقبهما بغيرة وشك ، ولا يتحمل منظر الشاب وهو يعسك أصابعها ليعلمها الكتابة فيفور ، ويشتبك باليد ، الامر الذى يدفع الوتسيا» لمغادرة البيت ، وبالتالى يزداد جنونه .

وفى مشهد رقيق ، على شاطىء البحر ، يتقارب الزوجان مرة أخرى ، وينتهى الفيلم بذلك المشهد الذى لم يفقد حلاوته بعد ، لمشة طفلة صغيرة ترى المشهد كاملا ، تشعر ببعض الخجل عندما تدرك أن أمرا ما يتم بين الزوجين ، فتنطلق على الشاطىء مبتسمة بثقة وسعادة ، ذلك أن المستقبل يبدو مضيئا : سواء بالنسبة لها ، أو بالنسبة للوطن . للوطن . ■

كمال رمزى

□

حول دراسة الدكتورة لطيفة الزيات عن :

المرأة فى أدب نجيب محفوظ

فى تتابع يدعو للتساؤل قدم الملحق الادبى للطليعة ، صورة المرأة عند توفيق الحكيم ، ثم نجيب محفوظ ، وأخيرا يدر شاكر السباب ، وكان مشكلات التعليم النقدى لكتابنا من وجهة نظر دراسة المرأة فى أعمالهم أصبحت موضة نقدية .

وربما اكون مخطئا لو اعتقدت أن هذا وفى ظروفنا الفكرية والادبية المحزنة والمتدهورة ، نوع من الترف أو الهروب النقدى ، أبسط ما نقل عليه هو الكتابة فقط بلا أدنى ادراك وحساسية لجوهر المشكلات النقدية التى يشكلها السقوط الثقافى والابداعى عند من يشعرون بسهولة الان ادبا او فنا أعتقد أنه يرسى جدا ومنحل جدا وبعيد جدا ، عن جدل العملية الاجتماعية فى بلادنا وحديد التناقضات فى جسم المجتمع وبالتالى امكانيتها على وعيه الجمالى ، أو الفنى ، ومدى حسه الحضارى . ولعل ما يستحق المناقشة هنا من هذه المقالات ما كتبته الدكتورة لطيفة الزيات — عن « المرأة فى أدب نجيب محفوظ » ومن البداية قد نسلم أونعترف باجتهاداتها فى مناقشة كلية لاعمال نجيب محفوظ من خلال جزئية هى نموذج المرأة عبر اكثر من صورة ، ورمز ، ودلالة نفسية واجتماعية وسياسية ، غير انها فى نهجها النقدى اختارت الاثبات والنفى لا بالمدلول الجدلى ، بل بتجنيب كشف ما وقع فيه « نجيب محفوظ » من

تقرير حلول جاهزة ، وتقديم روابط مباشرة ، بين المبدأ المجرد وبين الحقيقة المجردة ، بجانب الوقوع في تنميط الشخصيات وتحديدها ، فتكون النتيجة كارثة جمالية تدمر الصدق الفني ، وهذا واضح بين في بنائه نماذج الفتاة الجادة اليسارية النزعة ، من « سوسن حماد » في الثلاثية وسمارة بهجت في ثرثرة فوق النيل ، وتجاوزوا زينب دياب في « الكرنك » .

والدليل على ذلك ، وعندما ادركت الدكتورة وضوح هذه المشكلة الجوهرية في تصورات « نجيب محفوظ » الاستاتيكية عن المراة عموما واليسارية خصوصا وبالذات في اعماله الاخيرة « كالكرنك » .

قالت في مقالتها « **واود ان اوضح وانا بمعرض الحديث عن التطورات التي تطرأ على المراة المتعلمة في « الحب تحت المطر ١٩٧٣ ، وفي الكرنك ١٩٧٤ ، اني لست بمعرض تقييم هاتين الروايتين ، اذ لم تتح لي دراستها الدراسة التي يتأتى معها التقييم السليم ، ومن ثم تندرج كل اشارة فنية في هذا السياق في دائرة الانطباع لادائرة التقييم** »

● وما دام الامر **نقدا انطباعيا** فعلينا اذا ان نعتبر حكم الدكتورة ذاتيا في صميم قضية موضوعية أجهدت نفسها والقارىء في كشف علاقات متداخلة وعوالم روائية معادة بصورة او بأخرى تحركت فيها نماذج المراة الام والزوجة والعشيقة والمومس ، والمتعلمة ، واخيرا الثورية . وعبر كل ذلك أصدرت الدكتورة حكمها ببساطة مذهلة في اعتبارها « زهرة » تمثل نضال الفلاحين ، « وسوسن حماد » نضال العمال .

فهي تقول : [ربما لان فتاة اسمها سوسن حماد] من الطبقة العاملة حققت هذا الهدف في الثلاثية ، ولان فتاة اسمها « زهرة » سوف تحقق هذا الهدف في « ميرمار » وكلتاهما تنتميان الى طبقة صاعدة الاولى الى طبقة العمال ، والثانية الى طبقة الفلاحين » .

● ولست محتاجا لتذكير الدكتورة بأن « زهرة » لم تكن الا ديكورا وبوقا ورؤية قاصرة للروائي عن تمرد الفلاحين وتخطيهم لواقعهم ، وذلك في شكل الهجرة الى الاسكندرية والعمل خادمة في بنسيون يوناني للعذاب ، بجانب ما لا يخفى على الدكتورة من غرام « نجيب محفوظ » بالرمز المتعسف لصورة مصر في فتاة أو امراة تبحث عن خلاص وطريق وكان هذا واضحا في « ميرامار » حيث كانت زهرة حائرة بين نماذج لطبقات وتيارات سياسية من حسني علام وطلبه رزق و « سرحان البحيري » و « منصور باهي » .

وقد كرر نفس الاستخدام الرمزي في « الكرنك » من خلال قرنفلة الراقصة القديمة والمحبة الولهانة لليساري الطالب حلمي حماده ، وهذا تبسيط ضحل للرمز للرؤية التي لم يستطع نجيب محفوظ التخلص منها وهي دعوية البورجوازي الصغير الاخلاقي الذي يشهد على تناقضات الصراع الطبقي في مصر ويرصد نماذج مشوهة وساقطة وعاجزة لكي يضعها في اعماله ويتجنى بذلك على صدق وحقيقة ما يحدث في قلب الواقع المصري من طرح جديد دائم لنماذج انسانية بين الثوريين وبين فتيات الجامعة بالذات ، وهو يعرف سلفا ما سيعقب ذلك من استخدام هذه النماذج في السينما المصرية التجارية ، ومنتجي الافلام التجارية الرخيصة الذين يزيدون في تشويه الصورة وتملق غرائز متدنية للمتفرج سواء في الجنس او تمزيق صورة الثوري اليساري في رواياته ، ولان الامر يتعلق بالحاح نجيب محفوظ على أن يظل روائي المرحلة الجديدة ، وشاهدا على لوحة الصراع الدرامي في مجتمعنا ، ولقد كان في اعتقادي بعيدا عن التقاط حقيقة ازمة الفتاة المتعلمة ، والتي لها موقفها السياسي ، والتي تقف مع الرجل ضد كل ما يسلب الانسان حريته واحلامه في تقدم طبقته المسحوقة لم يكن الامر يحتاج لمسطرة وقلم في بناء شخصية سوسن حماد بأن تكون ابنة عامل لكي تعتنق الماركسية كذلك كان مضحكا ان يحاول الروائي اقناعنا بالاصول الطبقية « لزينب دياب » « لان اباها بياع لحمة راس ، وامها في الاصل غسالة » لكي يدفعها ذلك للعمل السياسي الغامض الذي لم نعرفه الا لانها تجالس طلاب ثوريين من عالم آخر غير عالمنا الذي نعرفه ، ويعرفه كل ثوري .

لم تدرك الدكتورة اذن للاسف رغم انطلاقها من منهج نقدي واقعي ، لم تدرك التناسب الصحيح الذي لم يقدمه نجيب محفوظ لديالكتيك العناصر الفردية والعناصر الاجتماعية ، لنماذج ثورية في مجتمع كمجتمعنا يعاني فيه المثقفون الثوريون ازمة لها نوعية محددة ، وينسحب الامر على الفتاة ايضا .

ان سمارة بهجت ، وسوسن حماد ، وزينب دياب للاسف لا وجود لهم الا في الاتساق الشكلي لبناء الرواية بمواصفات جاهزة عند نجيب محفوظ اما الفتاة المصرية المثقفة والمناضلة فلم تلتقطها عدسته الروائية فهي بعيدا عن عالمه لانه هو ايضا بعيدا عن عالمها اي كانت حسن نياته ككاتب انساني ديمقراطي ، يكتب عن ازمتنا .

عبد الرحمن ابو عوف

العصر الحديث

تصدر باللغات:

الروسية
الفرنسية
الأسبانية
التشيكية
الإنجليزية
الألمانية
البولندية

وستقرأها أيضًا: باللغة العربية

المجلة السوفيتية للشئون الدولية

تصدر كل ثلاثاء ● الثمن ٣٠ مليمًا

الثمن ١٥ قرشا

Bibliotheca Alexandrina
0531968